بسم الله الرحمن الرحيم

بين عالم وحاكم

بين حاكم ومحكوم.. جهاد الكلمة

أكثر من ألف رواية ورواية عن

مقامات العلماء والصالحين عند الأمراء والوزراء والسلاطين

﴿أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ، أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ﴾

﴿أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ﴾

هذه الروايات التاريخية جمعها ورتبها العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفوه وغفرانه

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج]

الطبعة الرابعة – مزيدة

(الكتاب مدقق مرة واحدة)

أيها القارئ الواعي لا يفوتني أن أنبهك أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين، وأن لا تنظر إلى كلامهم بعضهم في بعض فإن قدرت على التأويل القائم على حسن الظن فدونك وإلا فغض الطرف، واضرب صفحا عما شجر بينهم، فإنك إذا اشتغلت بذلك خشيت عليك الهلاك فالقوم أئمة أعلام، ولأقوالهم محامل وليس لي ولك إلا الترضي عنهم، والسكوت عما جرى بينهم كما يفعل فيما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. والله الموفق لما يحبه ويرضاه.

المعذرة عن أي تصحيف أو مضطرب بالأصل أو أية أخطاء من المدون

فهرس

أبو بكر الصديق (الصديق، عتيق الله، خليفة رسول الله، أول الخلفاء الراشدين) وعمر بن الخطاب (١) 0001
أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب (٢) 0002
أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب (٣) 0003
أبو بكر الصديق ورجل من الرعية 0004
أبو بكر الصديق ورافع بن أبي رافع الطائي 0005
أبو بكر الصديق وقيس بن هبيرة المكشوح 0006
عمر بن الخطاب (أبو حفص، الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) وسلمان الفارسي 0007
عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح (١) 0008
عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح (٢) 0009
عمر بن الخطاب وتجيفة زوج أبي عبيدة بن الجراح 0010
عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان، والي الشام (١) 0011
عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان، والي الشام (٢) 0012
عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان، والي الشام (٣) 0013
عمر بن الخطاب وأشراف من قريش 0014
عمر بن الخطاب والحارث بن هشام 0015
عمر بن الخطاب وعيينة بن حصن 0016
عمر بن الخطاب ومعن بن زائدة الكوفي ! 0017
عمر بن الخطاب وأويس القرني 0018
عمر بن الخطاب ورجل 0019
عمر بن الخطاب والنجاشي، الشاعر 0020
عمر بن الخطاب ومتمم بن نويرة، الشاعر 0021
عمر بن الخطاب وأبو سفيان بن حرب 0022
عمر بن الخطاب وأبو هريرة، والي البحرين 0023
عمر بن الخطاب وأم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب (١) 0024
عمر بن الخطاب وأم المؤمنين، حفصة بنت عمر بن الخطاب (٢) 0025
عمر بن الخطاب وبشر بن عاصم 0026
عمر بن الخطاب وسواد بن قارب 0027
عمر بن الخطاب وأمي المؤمنين عائشة وحفصة 0028
عمر بن الخطاب وسراقة بن مالك 0029
عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص، والي مصر (١) 0030
عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص، والي مصر (٢) 0031
عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص، والي مصر (٣) 0032
عمر بن الخطاب وأبو موسى، والي البصرة (١) 0033
عمر بن الخطاب وأبو موسى، والي البصرة (٢) 0034
عمر بن الخطاب وأبو موسى، والي البصرة (٣) 0035
عمر بن الخطاب وعن ضبة بن محصن العنزي 0036
عمر بن الخطاب ومعاوية بن خديج 0037
عمر بن الخطاب وعبد الرحمن الأوسط 0038
عمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان، والي المدائن 0039
عمر بن الخطاب وبني عدي، قوم عمر 0040
عمر بن الخطاب والنعمان بن عدي 0041
عمر بن الخطاب وامرأة عمر بن الخطاب 0042
عمر بن الخطاب وعاصم بن عمر بن الخطاب 0043
عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عمر بن الخطاب 0044
عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر بن الخطاب 0045
عمر بن الخطاب وعبيد الله بن عمر بن الخطاب 0046
عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب 0047
عمر بن الخطاب والربيع بن زياد الحارثي، والي البحرين 0048
عمر بن الخطاب وعلي والعباس 0049
عمر بن الخطاب ومعيقيب بن أبي فاطمة 0050
عمر بن الخطاب والرعية (١) 0051
عمر بن الخطاب والرعية (٢) 0052
عمر بن الخطاب والرعية (٣) 0053
عمر بن الخطاب والرعية (٤) 0054
عمر بن الخطاب والرعية (٥) 0055
عمر بن الخطاب والرعية (٦) 0056
عمر بن الخطاب والرعية (٧) 0057
عمر بن الخطاب والرعية (٨) 0058
عمر بن الخطاب والرعية (٩) 0059

عمر بن الخطاب وعامل مصر ! 0060
عمر بن الخطاب واعرابية ! 0061
عمر بن الخطاب وعوف بن مالك 0062
عمر بن الخطاب وخولة بنت ثعلبة 0063
عمر بن الخطاب وعمير بن سعد، والي حمص 0064
عمر بن الخطاب وكلاب بن أمية 0065
عمر بن الخطاب وأهل الذمة (١) 0066
عمر بن الخطاب وأهل الذمة (٢) 0067
عمر بن الخطاب وأهل الذمة (٣) 0068
عمر بن الخطاب وزياد بن حدير 0069
عمر بن الخطاب والأحنف بن قيس(١) 0070
عمر بن الخطاب والأحنف بن قيس(٢) 0071
عمر بن الخطاب والأحنف بن قيس(٣) 0072
عمر بن الخطاب والأحنف بن قيس(٤) 0073
عمر بن الخطاب والجهالة 0074
عمر بن الخطاب وسعيد بن عامر، والي حمص (١) 0075
عمر بن الخطاب وسعيد بن عامر، والي حمص (٢) 0076
عمر بن الخطاب وعتبة بن غزوان، والي البصرة 0077
عمر بن الخطاب والمغيرة بن شعبة، والي البحرين 0078
عمر بن الخطاب والنعمان بن مقرن، والسائب بن الأقرع 0079
عمر بن الخطاب والنعمان بن مقرن 0080
عمر بن الخطاب والمرأة (١) 0081
عمر بن الخطاب والمرأة (٢) 0082
عمر بن الخطاب والمرأة (٣) 0083
عمر بن الخطاب والمرأة (٤) 0084
عمر بن الخطاب والموالي 0085
عمر بن الخطاب وأبي بن كعب 0086
عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف 0087
عمر بن الخطاب وعمرو بن معد يكرب 0088
عمر بن الخطاب وجرير بن عبد الله (١) 0089
عمر بن الخطاب وجرير بن عبد الله (٢) 0090
عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد (١) 0091
عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد (٢) 0092
عمر بن الخطاب وعلقمة بن علاثة 0093
عمر بن الخطاب ونباتة بن الحارث ؟ 0094
عمر بن الخطاب وقدامة بن مظعون 0095
عمر بن الخطاب وهرم بن حيان 0096
عمر بن الخطاب وصبيغ بن شريك 0097
عمر بن الخطاب والإمام الشاب 0098
عمر بن الخطاب وسعيد بن مالك 0099
عمر بن الخطاب وفيروز الديلمي 0100
عمر بن الخطاب وعياض بن غنم 0101
عمر بن الخطاب ونصر بن حجاج 0102
عمر بن الخطاب وابن أبي بلتعة 0103
عمر بن الخطاب وجبلة بن الأيهم 0104
عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص 0105
عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل 0106
عمر بن الخطاب وعمرو بن معد يكرب 0107
عمر بن الخطاب وعبد الله بن العباس (١) 0108
عمر بن الخطاب وعبد الله بن العباس (٢) 0109
عمر بن الخطاب وعبد الله بن العباس (٣) 0110
عمر بن الخطاب والعباس بن عبد المطلب (١) 0111
عمر بن الخطاب والعباس بن عبد المطلب (٢) 0112
عمر بن الخطاب وعبد الله بن قرط 0113
عمر بن الخطاب وعبد الله بن حذافة 0114
عمر بن الخطاب والعجوز المدينية 0115
عمر بن الخطاب والشاب القاتل، وأبو ذر 0016
عمر بن الخطاب وعيينة الفزاري 0117
عمر بن الخطاب والحطيئة العبسي، الشاعر 0118
عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب 0119

عمر بن الخطاب وعدي بن حاتم 0120
عمر بن الخطاب ورجل (؟) 0121
عمر بن الخطاب ورجل (؟) 0122
عمر بن الخطاب ورجل (؟) 0123
عمر بن الخطاب ومن أهل مصر (؟) 0124
عمر بن الخطاب وعتبة بن فرقد 0125
عمر بن الخطاب وأبو عقيل، شيخ من بني مليل 0126
عمر بن الخطاب وأبو الدرداء 0127
عمر بن الخطاب وقبيصة بن جابر 0128
عمر بن الخطاب وكعب الأحبار 0129
عمر بن الخطاب ومحمد بن مسلمة 0130
عمر بن الخطاب وعقيل بن أبي طالب 0131
عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله 0132
عمر بن الخطاب والمسور بن مخرمة 0133
عمر بن الخطاب وفرات بن زيد الليثي 0134
عمر بن الخطاب ونصارى تغلب 0135
عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت 0136
عمر بن الخطاب والراهب 0137
عمر بن الخطاب ورسول سارية بن زنيم 0138
عمر بن الخطاب والهرمزان 0139
عمر بن الخطاب والمجوسي أبو لؤلؤة 0140
سعد بن أبي وقاص، أمير القادسية (عامل عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) وحرقة بنت النعمان بن المنذر 0141
يزدجرد بن فيروز بن شهريار بن كسرى (ملك الفرس،آخر الاكاسره مطلقا، الإمبراطورية الساسانية) والنعمان بن مقرن 0142
عثمان بن عفان (ذو النورين، ذو الهجرتين، أمير المؤمنين، ثالث الخلفاء الراشدين) وعمرو بن العاص، والي مصر 0143
عثمان بن عفان، وصعصعة بن صوحان 0144
عثمان بن عفان والرعية 0145
عثمان بن عفان والزبير بن العوام 0146
عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود 0147
عثمان بن عفان وعبيد الله بن عدي ابن الخيار 0148
عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف / وحمران بن أبان 0149
عثمان بن عفان وحمران بن أبان 0150
عثمان بن عفان ورجلا من بني تميم 0151
عثمان بن عفان وسعيد بن سفيان القاري 0152
عثمان بن عفان وأبو ذر الغفاري 0153
عثمان بن عفان والمغيرة بن شعبة 0154
عثمان بن عفان والمصريون القتلة 0155
عثمان بن عفان وحذيفة بن اليمان 0156
عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب 0157
عثمان بن عفان وطلحة 0158
عبد الله بن عامر، والي البصرة (عامل عثمان بن عفان) ونفر من الصحابة 0159
معاوية بن أبي سفيان، والي الشام (عامل عثمان بن عفان) وأبو ذر الغفاري 0160
معاوية بن أبي سفيان، والي الشام (عامل عثمان بن عفان) وأبو الدرداء 0161
معاوية بن أبي سفيان والي الشام (عامل عثمان بن عفان) وعبادة بن الصامت 0162
معاوية بن أبي سفيان والي الشام (عامل عثمان بن عفان) وأهل الفتنة في العراق 0163
معاوية بن أبي سفيان والي الشام (عامل عثمان بن عفان) وعامر بن عبد الله، المعروف بابن عبد قيس 0164
الوليد بن عقبة بن أبي معيط، والي الكوفة (عامل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ثالث الخلفاء الراشدين) وأبو زينب، وأبو مورع، وجندب 0165
علي بن أبي طالب (الإمام، أسد الله، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين) ومعاوية بن أبي سفيان 0166
علي بن أبي طالب والحسن بن علي (١) 0167
علي بن أبي طالب والحسن بن علي (٢) 0168
علي بن أبي طالب ورجل يهودي 0169
علي بن أبي طالب ونفر من اليهود 0170
علي بن أبي طالب ونفر من الشيعة 0171
علي بن أبي طالب والخوارج (١) 0172
علي بن أبي طالب والخوارج (٢) 0173
علي بن أبي طالب والخوارج (٣) 0174
علي بن أبي طالب واليمانية 0175
علي بن أبي طالب والشيعة الرافضة، الزنادقة 0176
علي بن أبي طالب وعبد الله بن سبأ 0177
علي بن أبي طالب وآل علي 0178
علي بن أبي طالب والرعية (١) 0179

علي بن أبي طالب والرعية (٢) 0180
علي بن أبي طالب وابن الكواء، وقيس بن عباد 0181
علي بن أبي طالب وطلحة والزبير 0182
علي بن أبي طالب وعمران بن طلحة 0183
علي بن أبي طالب وأبو الأسود الدؤلي 0184
علي بن أبي طالب وعبد الله بن العباس، والي البصرة (١) 0185
علي بن أبي طالب وعبد الله بن العباس (٢) 0186
علي بن أبي طالب ومصقلة بن هبيرة (١) 0187
علي بن أبي طالب ومصقلة بن هبيرة (٢) 0188
علي بن أبي طالب والمنذر بن الجارود 0189
علي بن أبي طالب ورجل(؟) 0190
علي بن أبي طالب ورجل(؟) 0191
علي بن أبي طالب وحسان بن ثابت، والنعمان بن بشير، وكعب بن مالك 0192
علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبى سفيان 0193
علي بن أبي طالب وعلماء من اليهود والنصارى 0194
علي بن أبي طالب وزياد بن أبيه 0195
الحسن بن علي بن أبي طالب (أمير المؤمنين، سبط رسول الله، خامس الخلفاء الراشدين) ومعاوية بن أبى سفيان 0196
الحسن بن علي بن أبي طالب (أمير المؤمنين، سبط رسول الله، خامس الخلفاء الراشدين) والشيعة 0197
معاوية بن أبي سفيان (أول ملوك الدولة الأموية، أمير المؤمنين، خليفة المسلمين) والخوارج 0198
معاوية بن أبي سفيان وصعصعة بن صوحان (١) 0199
معاوية بن أبي سفيان وصعصعة بن صوحان (٢) 0200
معاوية بن أبي سفيان وصعصعة بن صوحان (٣) 0201
معاوية بن أبي سفيان وأبو موسى الأشعري 0202
معاوية بن أبي سفيان ورجل شجاع 0203
معاوية بن أبي سفيان وأبو مسلم الخولاني (١) 0204
معاوية بن أبي سفيان وأبو مسلم الخولاني (٢) 0205
معاوية بن أبي سفيان،وأبو مسلم الخولاني (٣) 0206
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عمر بن الخطاب (١) 0207
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عمر بن الخطاب (٢) 0208
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن العباس (١) 0209
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن العباس (٢) 0210
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن العباس (٣) 0211
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن العباس(٤) 0212
معاوية بن أبي سفيان والأحنف بن قيس (١) 0213
معاوية بن أبي سفيان والأحنف بن قيس (٢) 0214
معاوية بن أبي سفيان والأحنف بن قيس (٣) 0215
معاوية بن أبي سفيان وأبناء الصحابة 0216
معاوية بن أبي سفيان ودغفل النسابة 0217
معاوية بن أبي سفيان وأبو بكرة الثقفي 0218
معاوية بن أبي سفيان وسعد بن أبي وقاص 0219
معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص(١) 0220
معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص(٢) 0221
معاوية بن أبي سفيان وأبو الهياج، وعمرو بن العاص(٣) 0222
معاوية بن أبي سفيان وزياد بن أبيه (١) 0223
معاوية بن أبي سفيان وزياد بن أبيه، وحضين بن المنذر بن الحارث (٢) 0224
معاوية بن أبي سفيان وواثلة بن الأسقع الكناني 0225
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن صفوان 0226
معاوية بن أبي سفيان ورجل من كنانة 0227
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عمرو بن العاص 0228
معاوية بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق 0229
معاوية بن أبي سفيان وجارية بن قدامة 0230
معاوية بن أبي سفيان وجويرية بنت أبي سفيان 0231
معاوية بن أبي سفيان وفضالة بن عبيد 0232
معاوية بن أبي سفيان وأم سنان المذحجية 0233
معاوية بن أبي سفيان وأم الخير البارقية 0234
معاوية بن أبي سفيان والزرقاء بنت عدي 0235
معاوية بن أبي سفيان وعكرشة بنت الاطش 0236
معاوية بن أبي سفيان ودارمية الحجونية 0237
معاوية بن أبي سفيان وجروة بنت مرة 0238
معاوية بن أبي سفيان وأروى بنت الحارث 0239

معاوية بن أبي سفيان وأم البراء بنت صفوان 0240
معاوية بن أبي سفيان والمرأة من بني ذكوان 0241
معاوية بن أبي سفيان وسودة بنت عمارة 0242
معاوية بن أبي سفيان وبكارة الهلالية 0243
معاوية بن أبي سفيان وامرأة أبي الأسود الدؤلي 0244
معاوية بن أبي سفيان وأبو الأسود الدؤلي 0245
معاوية بن أبي سفيان وأخت عبد الله بن عامر 0246
معاوية بن أبي سفيان وشداد بن أوس 0247
معاوية بن أبي سفيان وقوم من الأنصار 0248
معاوية بن أبي سفيان وزيد بن عمر بن الخطاب 0249
معاوية بن أبي سفيان وعبادة بن الصامت 0250
معاوية بن أبي سفيان وعدي بن حاتم 0251
معاوية بن أبي سفيان وضرار بن ضمرة 0252
معاوية بن أبي سفيان ونصير بن عبد الرحمن 0253
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن جعفر 0254
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن الزبير(١) 0255
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن الزبير(٢) 0256
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن الزبير (٣) 0257
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن الزبير (٤) 0258
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن الزبير (٥) 0259
معاوية بن أبي سفيان وخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد 0260
معاوية بن أبي سفيان وأبو الجهم بن حذيفة 0261
معاوية بن أبي سفيان وآمنة بنت الشريد 0262
معاوية بن أبي سفيان ومعاوية بن خديج 0263
معاوية بن أبي سفيان وشريك بن الأعور 0264
معاوية بن أبي سفيان وأبو الطفيل 0265
معاوية بن أبي سفيان وخالد بن المعمر 0266
معاوية بن أبي سفيان ووائل بن حجر 0267
معاوية بن أبي سفيان وابن احور التميمي 0268
معاوية بن أبي سفيان وعقيل بن أبي طالب 0269
معاوية بن أبي سفيان وقيس بن سعد 0270
معاوية بن أبي سفيان والأسير 0271
معاوية بن أبي سفيان والمسور بن مخرمة 0272
معاوية بن أبي سفيان وأبو سعيد الخدري 0273
معاوية بن أبي سفيان وكثير بن الصلت 0274
معاوية بن أبي سفيان وسلمة بن الخطل الكناني ثم العرجي 0275
معاوية بن أبي سفيان والحسين بن علي(١) 0276
معاوية بن أبي سفيان والحسين بن علي(٢) 0277
معاوية بن أبي سفيان والحسن بن علي(١) 0278
معاوية بن أبي سفيان والحسن بن علي(٢) 0279
معاوية بن أبي سفيان والحسن بن علي(٣) 0280
معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية(١) 0281
معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية (٢) 0282
معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية (٣) 0283
معاوية بن أبي سفيان ومحمد بن عمرو وأخوه 0284
معاوية بن أبي سفيان والكلبي 0285
معاوية بن أبي سفيان وروح بن زنباع الجذامي 0286
معاوية بن أبي سفيان وأبو سمال الأسدي 0287
معاوية بن أبي سفيان وهوذة بن خالد الكناني 0288
معاوية بن أبي سفيان وهمام بن قبيصة 0289
معاوية بن أبي سفيان وملك الروم، قسطنطين الرابع (؟) 0290
معاوية بن أبي سفيان والسلميان 0291
معاوية بن أبي سفيان والأعرابي 0292
معاوية بن أبي سفيان والطرماح بن الحكيم 0293
معاوية بن أبي سفيان وعبيد الله بن عمر بن الخطاب 0294
معاوية بن أبي سفيان ورجل 0295
معاوية بن أبي سفيان واليماني 0296
معاوية بن أبي سفيان وشيبة بن عثمان، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر 0297
معاوية بن أبي سفيان والحسين بن علي، وابن عمر، وابن الزبير، وابن عباس، وعبد الرحمن بن أبي بكر(١) 0298
معاوية بن أبي سفيان والحسين بن علي، وابن عمر، وابن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر(٢) 0299

معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن الزبير الأسدي، الشاعر 0300
معاوية بن أبي سفيان وكعب الأحبار (؟) 0301
معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن مرة الجهني 0302
معاوية بن أبي سفيان وسعيد بن العاص 0303
معاوية بن أبي سفيان وسعيد بن عثمان 0304
معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن هاشم 0305
معاوية بن أبي سفيان وعبد العزيز بن زرارة الكلابي 0306
معاوية بن أبي سفيان وعبيد بن شرية الجرهمي، القصاص 0307
معاوية بن أبي سفيان ووردان مولى عمرو بن العاص 0308
معاوية بن أبي سفيان وجل من كلب 0309
معاوية بن أبي سفيان وأبو هريرة 0310
معاوية بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن حسان 0311
معاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة 0312
معاوية بن أبي سفيان وآل العاص/ بنو أمية 0313
مروان بن الحكم، (عامل معاوية بن أبي سفيان) وسعيد بن العاص 0314
مروان بن الحكم (عامل معاوية بن أبي سفيان) وسعد بن أبي وقاص 0315
مروان بن الحكم (عامل معاوية بن أبي سفيان) وأبو هريرة 0316
مروان بن الحكم (عامل معاوية بن أبي سفيان) والحسين بن علي 0317
زياد بن أبيه (عامل معاوية بن أبي سفيان) والحكم الغفاري 0318
زياد بن أبيه (عامل معاوية بن أبي سفيان) وحجر بن عدي 0319
زياد بن أبيه، (عامل معاوية بن أبي سفيان) وأهل البصرة 0320
زياد بن أبيه، (عامل معاوية بن أبي سفيان) وأبوعلاثة، الشاعر 0321
زياد بن أبيه (عامل معاوية بن أبي سفيان) والفرزدق، الشاعر 0322
زياد بن أبيه (عامل معاوية بن أبي سفيان) والحسن بن علي 0323
عتبة بن أبي سفيان، والي مصر (عامل معاوية بن أبي سفيان) ورجل من بني عامر بن صعصعة 0324
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، والي المدينة (عامل عمه معاوية بن أبي سفيان) والحسين بن علي (١) 0325
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، والي المدينة (عامل عمه معاوية بن أبي سفيان) والحسين بن علي (٢) 0326
يزيد بن معاوية (ثاني ملوك الدولة الأموية، أمير المؤمنين، خليفة المسلمين) وأبو برزة الأسلمي 0327
يزيد بن معاوية وعلي بن الحسين 0328
يزيد بن معاوية وأهل المدينة 0329
يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن أبي أوفى 0330
يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن عبد عمرو، وعطاء بن أبي صيفي 0331
ابن زياد، والي العراق، (عامل يزيد بن معاوية) وزيد بن الأرقم، وعبد الله بن عفيف الأزدي 0332
ابن زياد، والي العراق، (عامل يزيد بن معاوية) وعائذ بن عمرو 0333
ابن زياد، والي العراق، (عامل يزيد بن معاوية) وميثم التمار 0334
معاوية (الثاني) بن يزيد (ثالث ملوك الدولة الأموية، أمير المؤمنين، خليفة المسلمين) والسفيانية، من بني أمية 0335
عبد الله بن الزبير بن العوام (أمير المؤمنين، عائذ بيت الله، فارس الخلفاء، الخليفة بالحجاز والعراق) ومحمد بن الحنفية 0336
عبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الله بن الزبير الأسدي، الشاعر 0337
عبد الله بن الزبير بن العوام والخوارج 0338
عبد الله بن الزبير بن العوام وأبو صخر الهذلي 0339
عبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الله بن عباس 0340
مصعب بن الزبير الأسدي القرشي، أمير العراقين (في خلافة أخيه، عبد الله بن الزبير الخليفة بالحجاز والعراق) وعبد الله بن عمر بن الخطاب 0341
جابر الأسود الزهري(عامل عبد الله بن الزبير) وسعيد بن المسيب 0342
مروان بن الحكم (رابع؟ ملوك الدولة الأموية) وفاختة الأموية 0343
مروان بن الحكم (رابع؟ ملوك الدولة الأموية) وموسى بن نصير، فاتح الأندلس ووالي إفريقية وما وراءها 0344
عبد العزيز بن مروان، أمير مصر، (عامل مروان بن الحكم، رابع ملوك الدولة الأموية) وسفيان بن وهب الخولاني 0345
عبد الملك بن مروان (أبو الملوك، خامس ملوك الدولة الأموية) والحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب 0346
عبد الملك بن مروان وعلي بن الحسين 0347
عبد الملك بن مروان وأبو قلابة 0348
عبد الملك بن مروان وسعيد بن المسيب (١) 0349
عبد الملك بن مروان وسعيد بن المسيب (٢) 0350
عبد الملك بن مروان وعطاء بن أبي رباح، وابن حبيش 0351
عبد الملك بن مروان والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة 0352
عبد الملك بن مروان وعبد الرحمن بن أبي ليلى 0353
عبد الملك بن مروان وجابر بن عبد الله 0354
عبد الملك بن مروان وجعفر بن عمرو، و إسماعيل بن عبيد الله، وغضيف بن الحارث، وأم الدرداء 0355
عبد الملك بن مروان وابن شهاب الزهري (١) 0356
عبد الملك بن مروان وابن شهاب الزهري (٢) 0357
عبد الملك بن مروان وابن شهاب الزهري (٣) 0358
عبد الملك بن مروان وبشر بن عقربة الجهني 0359

عبد الملك بن مروان وبثينة جميل، وعزة كثير 0360
عبد الملك بن مروان وجميل بثينة، الشاعر 0361
عبد الملك بن مروان وعبد الملك بن عمير 0362
عبد الملك بن مروان وإبراهيم بن محمد بن طلحة 0363
عبد الملك بن مروان ويحيى بن عروة 0364
عبد الملك بن مروان والحارث الكذاب 0365
عبد الملك بن مروان وعامر الشعبي(١) 0366
عبد الملك بن مروان وعامر الشعبي(٢) 0367
عبد الملك بن مروان والأخطل، الشاعر، النصراني 0368
عبد الملك بن مروان وكثير، الشاعر 0369
عبد الملك بن مروان وعمارة بن تميم اللخمي 0370
عبد الملك بن مروان وثابت بن عبد الله بن الزبير 0371
عبد الملك بن مروان وعروة بن الزبير 0372
عبد الملك بن مروان وميتم بن سعد بن عوف 0373
عبد الملك بن مروان وخالد بن يزيد بن معاوية (١) 0374
عبد الملك بن مروان وخالد بن يزيد بن معاوية (٢) 0375
عبد الملك بن مروان وعبيد الله بن زياد بن ظبيان 0376
عبد الملك بن مروان وحميد بن حريث الكلبي 0377
عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد الأشدق 0378
عبد الملك بن مروان وعبيد الله بن قيس، الشاعر 0379
عبد الملك بن مروان وعمران بن حطان، الشاعر، الخارجي 0380
عبد الملك بن مروان والفتية الشعراء 0381
عبد الملك بن مروان وجرير، الشاعر 0382
عبد الملك بن مروان وحبة بنت الفضل 0383
عبد الملك بن مروان ورجل من آل صوحان (؟) 0384
هشام بن إسماعيل المخزومي (عامل عبد الملك بن مروان) وسعيد بن المسيب (١) 0385
هشام بن إسماعيل المخزومي (عامل عبد الملك بن مروان) وسعيد بن المسيب (٢) 0386
نافع بن أبي علقمة الكناني، أمير مكة (عامل عبد الملك بن مروان) وعكرمة بن خالد 0387
بشر بن مروان، أمير الكوفة والبصرة (عامل لأخوه عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، خامس ملوك بني أمية) ورجل 0388
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) (سادس ملوك الدولة الأموية) وعمر بن عبد العزيز(١) 0389
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) وعمر بن عبد العزيز (٢) 0390
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) وزرعة بن ثوب 0391
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) وعطاء بن أبي رباح 0392
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) ومحمد بن شهاب الزهري 0393
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) وأبو الأبيض العبسي، وابن محيريز، ويزيد بن مرثد 3094
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) وسعيد بن المسيب 0395
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) وزرعة بن إبراهيم 0396
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) وأبو هاشم، عبد الله بن محمد، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب 0397
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) ورجل من أهل الشام 0398
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) وأبوبيهس، الخارجي 0399
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) وسليمان بن عبد الملك، ويزيد بن المهلب 0400
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) ونوفل بن مساحق 0401
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) والأحوص، الشاعر 0402
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) والنصارى في الشام 0403
الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) وابن سريج، من المغنين 0404
الحجاج بن يوسف (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك) وأم البنين بنت عبد العزيز 0405
الحجاج بن يوسف وعبد الله بن عمر بن الخطاب (١) 0406
الحجاج بن يوسف وعبد الله بن عمر بن الخطاب (٢) 0407
الحجاج بن يوسف وعبد الله بن عمر بن الخطاب (٣) 0408
الحجاج بن يوسف وأهل العراق 0409
الحجاج بن يوسف وسهل بن سعد 0410
الحجاج بن يوسف وماهان الحنفي 0411
الحجاج بن يوسف وأنس بن مالك 0412
الحجاج بن يوسف وسعيد بن جبير 0413
الحجاج بن يوسف وأسماء بنت أبي بكر الصديق 0414
الحجاج بن يوسف وحطيط الزيات 0415
الحجاج بن يوسف والحسن البصري (١) 0416
الحجاج بن يوسف والحسن البصري (٢) 0417
الحجاج بن يوسف وعامر الشعبي 0418
الحجاج بن يوسف وعبد الرحمن بن عائذ 0419

الحجاج بن يوسف ورجل من الرعية 0420
الحجاج بن يوسف وابن الفجاءة 0421
الحجاج بن يوسف والراعي 0422
الحجاج بن يوسف ورجل من أهل اليمن 0423
الحجاج بن يوسف ويوسف بن الحكم، أبو الحجاج 0424
الحجاج بن يوسف ويحيى بن يعمر النحوي 0425
الحجاج بن يوسف وأبو المبارك ميمون 0426
الحجاج بن يوسف والأعرابي 0247
الحجاج بن يوسف والخوارج (١) 0428
الحجاج بن يوسف والخوارج (٢) 0429
الحجاج بن يوسف وخالد الرياحي 0430
الحجاج بن يوسف ومطرف بن عبد الله 0431
الحجاج بن يوسف وخالد بن يزيد بن معاوية 0432
الحجاج بن يوسف ومحمد بن الحنفية 0433
الحجاج بن يوسف وهند بنت النعمان بن بشير (؟) 0434
الحجاج بن يوسف وأيوب بن القرية 0435
الحجاج بن يوسف وجحدر بن مالك العجلي، الشاعر اللص 0436
الحجاج بن يوسف وكثير بن هراسة 0437
الحجاج بن يوسف ومالك بن أسماء الفزاري 0438
الحجاج بن يوسف والمهلب بن أبي صفرة 0439
ابن نجيح، أيوب بن يحيى الثقفي (عامل أمير اليمن محمد بن يوسف، أيام الوليد الأول بن عبد الملك الأول) وطاووس اليماني 0440
محمد بن يوسف الثقفي، أمير اليمن، والي صنعاء (أيام الوليد الأول بن عبد الملك الأول) وطاووس اليماني 0441
المهلّب بن أبي صفرة الأزدي (عامل الحجاج بن يوسف الثقفي) ومالك بن دينار 0442
الحكم بن أيوب الثقفي، عامل الحجاج على البصرة (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك) والحسن البصري ؟ 0443
سليمان بن عبد الملك (سابع ملوك الدولة الأموية)وطاووس اليماني 0444
سليمان بن عبد الملك ورجل من العرب 0445
سليمان بن عبد الملك ورجل من حضرموت 0446
سليمان بن عبد الملك ورجل من الرعية 0447
سليمان بن عبد الملك وأبو حازم الأعرج 0448
سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز (١) 0449
سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز (٢) 0450
سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز (٣) 0451
سليمان بن عبد الملك وطلحة بن مصرف 0452
سليمان بن عبد الملك والأعرابي 0453
سليمان بن عبد الملك وصفوان بن سُليم الزهري 0454
سليمان بن عبد الملك وموسى بن نصير، القائد الاول فاتح الأندلس ووالي إفريقية وما وراءها (١) 0455
سليمان بن عبد الملك وموسى بن نصير، القائد الاول فاتح الأندلس ووالي إفريقية وما وراءها (٢) 0456
سليمان بن عبد الملك وزيد بن الحسن بن علي 0457
سليمان بن عبد الملك وعبد الله بن الجارود 0458
سليمان بن عبد الملك ومحمد بن المنذر بن الزبير 0459
سليمان بن عبد الملك ورجل (؟) 0460
سليمان بن عبد الملك وعطاء بن أبي رباح 0461
ابن سليمان بن عبد الملك وطاووس اليماني 0462
محمد بن سويد، أمير دمشق (أيام سليمان بن عبد الملك) وصالح مولى بني أم حكيم 0463
يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أمير خراسان (أيام سليمان بن عبد الملك) وأبو بردة الأشعري 0464
أسامة بن زيد الكلبي، أمير مصر (عامل سليمان بن عبد الملك) وعمر بن عبد العزيز 0465
خزيمة بن بشر، أمير الجزيرة (عامل سليمان بن عبد الملك) وعكرمة الفياض 0466
عمر بن عبد العزيز (الملك الأموي الثامن – سادس الخلفاء الراشدين) وبلال بن أبي بردة 0467
عمر بن عبد العزيز وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب 0468
عمر بن عبد العزيز وغلام هاشمي 0469
عمر بن عبد العزيز والحسن البصريّ (١) 0470
عمر بن عبد العزيز والحسن البصريّ (٢) 0471
عمر بن عبد العزيز وعدي بن أرطأة،والي البصرة (١) 0472
عمر بن عبد العزيز وعدي بن أرطأة،والي البصرة (٢) 0473
عمر بن عبد العزيز ونصيحة العلماء 0474
عمر بن عبد العزيز ونصيحة يزيد الرقاشي 0475
عمر بن عبد العزيز وأبو قلابة 0476
عمر بن عبد العزيز ورجل من الرعية 0477
عمر بن عبد العزيز وعمة عمر بن عبد العزيز 0478
عمر بن عبد العزيز وفرتونة السوداء 0479

عمر بن عبد العزيز وامرأة من العراق 0480
عمر بن عبد العزيز والخوارج (١) 0481
عمر بن عبد العزيز والخوارج (٢) 0482
عمر بن عبد العزيز وصاحب الروم 0483
عمر بن عبد العزيز وزياد العبدي 0484
عمر بن عبد العزيز ومحمد بن كعب 0485
عمر بن عبد العزيز وابن الأهتم 0486
عمر بن عبد العزيز والجراح بن عبد الله، والي خراسان 0487
عمر بن عبد العزيز والحرسي 0488
عمر بن عبد العزيز وعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز (١) 0489
عمر بن عبد العزيز وعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز (٢) 0490
عمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة 0491
عمر بن عبد العزيز وميمون بن مهران، القاضي 0492
عمر بن عبد العزيز والمروانية (١) 0493
عمر بن عبد العزيز والمروانية (٢) 0494
عمر بن عبد العزيز ورجل من ولد قتادة بن النعمان 0495
عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عمر، مولى علي 0496
عمر بن عبد العزيز وعنبسة بن سعيد (١) 0497
عمر بن عبد العزيز وعنبسة بن سعيد (٢) 0498
عمر بن عبد العزيز وعمر بن الوليد بن عبد الملك 0499
عمر بن عبد العزيز وعبد الرحمن بن يزيد بن معاوية 0500
عمر بن عبد العزيز والوليد بن هشام 0501
عمر بن عبد العزيز وفاطمة بنت عبد الملك 0502
عمر بن عبد العزيز وعبيد الله بن عبد الله 0503
عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن أبي زكريا 0504
عمر بن عبد العزيز والنصارى في الشام 0505
عمر بن عبد العزيز وأهل دمشق 0506
عمر بن عبد العزيز ورجل مصري 0507
عمر بن عبد العزيز والشعراء 0508
عمر بن عبد العزيز وجرير 0509
عمر بن عبد العزيز ودكين بن سعيد القطني 0510
عمر بن عبد العزيز والقدرية 0511
عمر بن عبد العزيز وإياس بن معاوية 0512
عمر بن عبد العزيز وأبو جعفر محمد الباقر 0513
عمر بن عبد العزيز ومسلمة بن سعيد 0514
عمر بن عبد العزيز وصخير بن الجهم 0515
عمر بن عبد العزيز بن وسعيد بن مسعود المازني 0516
عمر بن عبد العزيز بن وعبد الحميد بن عبد الرحمن 0517
عمر بن عبد العزيز وهشام بن حبيش ين خالد 0518
عمر بن عبد العزيز ورجل من بني شيبان 0519
عمر بن عبد العزيز ومحمد بن الوليد (؟) 0520
عمر بن عبد العزيز ورجل (؟) 0521
عمر بن عبد العزيز وكثير عزة، الشاعر 0522
عمر بن عبد العزيز ومخلد بن يزيد بن المهلب 0523
عمر بن عبد العزيز والشيخ 0524
عمر بن عبد العزيز والرعية 0525
عمر بن عبد العزيز وبنو هاشم 0526
عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك 0527
عمر بن عبد العزيز والقاسم بن مخيمرة 0528
عروة بن محمد، والي اليمن (عامل عمر بن عبد العزيز) ووهب بن منبه 0529
عدي بن أرطأة، والي البصرة (عامل عمر بن عبد العزيز) وإياس بن معاوية، القاضي 0530
يزيد بن حصين السكوني، والي حمص (عامل عمر بن عبد العزيز) ويزيد بن ميسرة 0531
يزيد بن عبد الملك (يزيد الثاني، تاسع ملوك الدولة الأموية) ومكحول بن أبي مسلم الهذل 0532
يزيد بن عبد الملك وأبو عبد الله القراظ 0533
يزيد بن عبد الملك وأبو بكر ابن حزم 0534
يزيد بن عبد الملك وحبابة، مولاة يزيد بن عبد الملك 0535
عبد الرحمن بن الضحاك، والي المدينة، (عامل يزيد (الثاني) بن عبد الملك) وفاطمة بنت حسين بن علي 0536
عمر بن هبيرة الفزاري (عامل يزيد بن عبد الملك) والحسن البصري 0537
يزيد بن المهلب، المتغلب على إمرة البصرة وما يليها من فارس والأهواز (أيام يزيد بن عبد الملك، الملقب بـ يزيد الثاني) والحسن البصري 0538
عمر بن هبيرة الفزاري (عامل يزيد بن عبد الملك) ومحمد بن سيرين 0539

يزيد بن أبي مسلم، والي إفريقية (عامل يزيد بن عبد الملك) ومحمد بن يزيد 0540
هشام بن عبد الملك (عاشر ملوك الدولة الأموية) وعطاء بن أبي رباح 0541
هشام بن عبد الملك وطاووس اليماني (١) 0542
هشام بن عبد الملك وطاووس اليماني (٢) 0543
هشام بن عبد الملك وزيد بن علي بن الحسين 0544
هشام بن عبد الملك وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب 0545
هشام بن عبد الملك وأبو حازم 0546
هشام بن عبد الملك ورجل من أشراف الناس 0547
هشام بن عبد الملك و إبراهيم بن أبي عبلة 0548
هشام بن عبد الملك ومحمد بن علي 0549
هشام بن عبد الملك وأعرابي 0550
هشام بن عبد الملك والأعمش 0551
هشام بن عبد الملك والكميت، الشاعر 0552
هشام بن عبد الملك والفرزدق 0553
هشام بن عبد الملك وابن شهاب الزهري، وسليمان بن يسار 0554
هشام بن عبد الملك وإبراهيم بن محمد بن طلحة 0555
هشام بن عبد الملك وجنيد بن عبد الرحمن 0556
هشام بن عبد الملك ودرباس بن حبيب 0557
هشام بن عبد الملك والغلام البدوي 0558
هشام بن عبد الملك والأبرش الكلبي 0559
هشام بن عبد الملك وخالد بن صفوان (١) 0560
هشام بن عبد الملك وخالد بن صفوان (٢) 0561
هشام بن عبد الملك وخالد بن عبد الله القسري (١) 0562
هشام بن عبد الملك وخالد بن عبد الله القسري (٢) 0563
هشام بن عبد الملك والإمام الأوزاعي وغيلان القدري 0564
هشام بن عبد الملك وعبد الله بن عروة بن الزبير بن العوام 0565
هشام بن عبد الملك و إسماعيل بن محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي 0566
هشام بن عبد الملك وعبد الكريم بن سليط الحنفي 0567
هشام بن عبد الملك وعبد الرحمن بن القاسم 0568
هشام بن عبد الملك وعروة بن أذينة الليثي 0569
هشام بن عبد الملك ورجاء بن حيوة 0570
هشام بن عبد الملك وحماد الراوية، الشاعر 0571
هشام بن عبد الملك وعروة بن أذينة، الشاعر 0572
هشام بن عبد الملك وأبو النجم، الراجز 0573
هشام بن عبد الملك وسعيد الحرشي 0574
هشام بن عبد الملك وأعرابي 0575
مسلمة بن عبد الملك بن مروان، أمير، وقائد عسكري، ووالي، ورجل دولة (من زمن والده عبد الملك إلى زمن أخيه غير الشقيق، هشام بن عبد الملك) وميمون بن مهران 0576
يوسف بن عمر الثقفي، ابن عم الحجاج، أمير اليمن والعراق (زمن هشام بن عبد الملك ثم الوليد بن يزيد) ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليل 0577
بلال بن أبي بردة ، أمير البصرة (عامل أمير العراقين خالد بن عبد الله القسري، زمن هشام بن عبد الملك) ومحمد بن واسع العابد 0578
بلال بن أبي بردة ، أمير البصرة (عامل أمير العراقين خالد بن عبد الله القسري، زمن هشام بن عبد الملك) ومالك بن دينار 0579
الوليد بن يزيد بن عبد الملك (الوليد الثاني، الملك الأموي الحادي) وأبو الزناد 0580
الوليد بن يزيد بن عبد الملك وخالد القسري 0581
الوليد بن يزيد بن عبد الملك وطريح بن إسماعيل، الشاعر 0582
الوليد بن يزيد بن عبد الملك ووالكهل 0583
يزيد بن الوليد بن عبد الملك (يزيد الناقص، يزيد الثالث، الملك الأموي الثاني عشر) والوليد بن يزيد 0584
مروان بن محمد (الملك الأموي الرابع عشر، آخر ملك أموي في دمشق) وقيس بن هانئ 0585
يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري (عامل يزيد بن عبد الملك) والإمام أبو حنيفة النعمان 0586
أبو العباس عبد الله (الأصغر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس(السفاح، أول ملوك الدولة العباسية) والإمام الأوزاعي 0587
أبو العباس السفاح وربيعة الرأي 0588
أبو العباس السفاح وعمران بن إبراهيم العدوي 0589
أبو العباس السفاح وعبد الله بن الحسن بن الحسن 0590
أبو العباس السفاح وابن جعدة 0591
أبو العباس السفاح، عبد الله (الأصغر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (أول ملوك الدولة العباسية) وإبراهيم بن سليمان بن عبد الملك 0592
أبو العباس السفاح وخالد بن صفوان (١) 0593
أبو العباس السفاح وخالد بن صفوان (٢) 0594
أبو العباس السفاح وقوم من بني أمية 0595
أبو العباس السفاح وأبو بكر الهذلي 0596
أبو مسلم الخراساني، صاحب الدعوة العباسية في خراسان، والوالي (زمن عبد الله السفاح، ثم أبو جعفر عبد الله المنصور) وإبراهيم الصائغ 0597
أبو جعفر المنصورر (عامل أبو العباس السفاح، أول ملوك الدولة العباسية) ورجل من الرعبة 0598
أبو عون عبد الملك بن يزيد، أمير مصر (عامل أبو العباس السفاح) وعمران بن إبراهيم العدوي 0599

أبو جعفر المنصور(ثاني ملوك الدولة العباسية) وعبد الله بن مروان بن محمد 0600
أبو جعفر المنصور ورجل من الرعية (؟) 0601
أبو جعفر المنصور والرجل الثبت الجنان 0602
أبو جعفر عبد الله المنصور وأبو عبيد الله، وزير المهدي 0603
أبو جعفر المنصور والإمام جعفر الصادق (١) 0604
أبو جعفر المنصور والإمام جعفر الصادق (٢) 0605
أبو جعفر المنصور وابن طاووس 0606
أبو جعفر المنصور وعمر بن عبيد 0607
أبو جعفر المنصور والإمام الأوزاعي (١) 0608
أبو جعفر المنصور والإمام الأوزاعي (٢) 0609
أبو جعفر المنصور والإمام الأوزاعي (٣) 0610
أبو جعفر المنصور والإمام أبو حنيفة النعمان (١) 0611
أبو جعفر المنصور والإمام أبو حنيفة النعمان (٢) 0612
أبو جعفر المنصور والإمام أبو حنيفة النعمان (٣) 0613
أبو جعفر المنصور وقطن بن معاوية 0614
أبو جعفر المنصور ورجل طلب الدنيا بعمل الآخرة ؟ 0615
أبو جعفر المنصور وعباد بن كثير، وسفيان الثوري (١) 0616
أبو جعفر المنصور وسفيان الثوري (٢) 0617
أبو جعفر المنصور ورجل من الرعية 0618
أبو جعفر المنصور وعيسى بن موسى (١) 0619
أبو جعفر المنصور وعيسى بن موسى (٢) 0620
أبو جعفر المنصور وابن أبي ذئب (١) 0621
أبو جعفر المنصور وابن أبي ذئب (٢) 0622
أبو جعفر المنصور وابن أبي ذئب (٣) 0623
أبو جعفر المنصور وسوار بن عبد الله العنبري(١) 0624
أبو جعفر المنصور وسوار بن عبد الله العنبري(٢) 0625
أبو جعفر المنصور وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم 0626
أبو جعفر المنصور وشبيب بن شيبة 0627
أبو جعفر المنصور وسفيان بن حسين 0628
أبو جعفر المنصور والليث بن سعد 0629
أبو جعفر المنصور والحسن بن زيد بن الحسن 0630
أبو جعفر المنصور وابن عمران 0631
أبو جعفر المنصور وأزهر السمان، ومحمد بن جعفر 0632
أبو جعفر المنصور ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (١) 0633
أبو جعفر المنصور ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (٢) 0634
أبو جعفر المنصور وغوث بن سليمان 0635
أبو جعفر المنصور والعمري الزاهد 0636
أبو جعفر المنصور والمعتزلة 0637
أبو جعفر المنصور وهشام بن عروة 0638
أبو جعفر المنصور ومحمد بن عبد الله العثماني 0639
أبو جعفر المنصور وابن عياش(١) 0640
أبو جعفر المنصور وابن عياش (٢) 0641
أبو جعفر المنصور ورجل من همذان 0642
أبو جعفر المنصور وفضيل بن عمران الكوفي 0643
أبو جعفر المنصور وأبو دلامة (١) 0644
أبو جعفر المنصور وأبو دلامة (٢) 0645
أبو جعفر المنصور وأبو دلامة (٣) 0646
أبو جعفر المنصور وأبو أيوب الوزير، والغلام 0647
أبو جعفر المنصور وأبو مسلم الخراساني، والي خراسان (١) 0648
أبو جعفر المنصور وأبو مسلم الخراساني، والي خراسان (٢) 0649
أبو جعفر المنصور وعبد الحميد، الكاتب 0650
أبو جعفر المنصور ومسعر بن كدام 0651
أبو جعفر المنصور وإسماعيل بن عبد الله 0652
أبو جعفر المنصور والإمام مالك 0653
أبو جعفر المنصور وإبراهيم بن هرمة، الشاعر (١) 0654
أبو جعفر المنصور وإبراهيم بن هرمة، الشاعر (٢) 0655
أبو جعفر المنصور وسديف بن ميمون، الشاعر 0656
أبو جعفر المنصور وابن أبي سبرة 0657
أبو جعفر المنصور والرومي 0658
أبو جعفر المنصور ورجل جوهري 0659

أبو جعفر المنصور وعمارة بن حمزة 0660
جعفر بن سليمان (ابن عمه أبو جعفر عبد الله المنصور) والإمام مالك 0661
جعفر بن سليمان (ابن عمه أبو جعفر عبد الله المنصور) والفقيه الصالح 0662
جعفر بن سليمان (ابن عمه أبو جعفر عبد الله المنصور) وأسلم، مولى عمر 0663
محمد بن سليمان أمير العراق (عامل أبو جعفر عبد الله المنصور) وحمّاد بن سلمة 0664
زياد بن عبيد الله الحارثي، أمير المدينة (عامل أبو جعفر عبد الله المنصور) وابن أبي ذئب 0665
رياح بن عثمان بن حيان، أمير المدينة (عامل أبو جعفر عبد الله المنصور) وعبد الله بن حسن 0666
سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أمير البصرة (عامل أبو جعفر عبد الله المنصور، ثاني ملوك الدولة العباسية) وابن المقفع 0667
عبد الوهاب بن إبراهيم الهاشمي، أمير فلسطين (؟) (عامل أبو جعفر عبد الله المنصور، ثاني ملوك الدولة العباسية) والامام الأوزاعي 0668
عبد الله بن علي بن عيد الله بن العباس، أمير الشام (عامل ابن أخيه أبو جعفر عبد الله المنصور، ثاني ملوك الدولة العباسية) وعبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية 0669
أبو عبد الله محمد المهدي بالله (الملك العباسي الثالث) وسفيان الثوري (١) 0670
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وسفيان الثوري (٢) 0671
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وسفيان الثوري (٣) 0672
أبو عبد الله محمد المهدي بالله ومحمد بن طلحة بن مصرف 0673
أبو عبد الله محمد المهدي بالله والخيزران 0674
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وشريك بن عبد الله (١) 0675
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وشريك بن عبد الله (٢) 0676
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وشريك بن عبد الله (٣) 0677
النصراني خادم الخيزران (زمن أبو عبد الله محمد المهدي بالله) وشريك بن عبد الله النخعي 0678
الخيزران، (زمن، المهدي بالله، ثالث ملوك الدولة العباسية) ومرنة بنت مروان 0679
أبو عبد الله محمد المهدي بالله ومسور بن مساور 0680
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وموسى بن جعفر 0681
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وابن أبي ذئب (١) 0682
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وابن أبي ذئب (٢) 0383
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وصالح بن بشر المري 0684
أبو عبد الله محمد المهدي بالله والإمام مالك 0685
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وشبيب بن شيبة 0686
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وابن علاثة 0687
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وجعفر بن زياد 0688
أبو عبد الله محمد المهدي وأبو عبد الله الواقدي 0689
أبو عبد الله محمد المهدي بالله ومعن بن زائدة 0690
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وأعرابي 0691
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وعبد الله بن مرزوق 0692
أبو عبد الله محمد المهدي بالله والوزير يعقوب بن داود 0693
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وعمارة بن حمزة 0694
أبو عبد الله محمد المهدي بالله ورجل من آل زياد 0695
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وسعيد بن عبد الرحمن(؟) 0696
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وهشام الكلبي 0697
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وبشار بن برد، الشاعر 0698
أبو عبد الله محمد المهدي بالله وصالح بن عبد القدوس، الشاعر 0699
أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي، المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وأبو عبيد الله، وزير المهدي وكاتبه 0700
إبراهيم بن صالح بن علي العباسي، (أمير الشام للمهدي، ثم أمير مصر للرشيد) وعباد الخواص 0701
أبو محمد موسى الهادي (الملك العباسي الرابع) وعلي بن الحسين 0702
أبو محمد موسى الهادي وأبو يوسف، القاضي 0703
أبو محمد موسى الهادي والخيزران 0704
أبو محمد موسى الهادي وأبو دلامة (١) 0705
أبو محمد موسى الهادي وأبو دلامة (٢) 0706
أبو محمد موسى الهادي بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (رابع ملوك الدولة العباسية) والأعرابي 0707
أبو محمد موسى الهادي وابن الأقيشر، الشاعر 0708
أبو محمد موسى الهادي وعلي بن يقطين 0709
أبو محمد موسى الهادي وعبد الله بن مالك 0710
أبو محمد موسى الهادي والربيع بن يونس 0711
أبو محمد موسى الهادي بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (رابع ملوك الدولة العباسية) وابن دأب 0712
أبو محمد موسى الهادي بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (رابع ملوك الدولة العباسية) وصالح بن عبد الجليل 0713
أبو جعفر هارون الرشيد (الرشيد، الملك العباسي الخامس) والإمام مالك (١) 0714
أبو جعفر هارون الرشيد والإمام مالك (٢) 0715
أبو جعفر هارون الرشيد والإمام مالك (٣) 0716
أبو جعفر هارون الرشيد والإمام مالك (٤) 0717
أبو جعفر هارون الرشيد والإمام مالك (٥) 0718
أبو جعفر هارون الرشيد والفضيل بن عياض، و ابن السماك، وسفيان بن عيينة 0719

أبو جعفر هارون الرشيد وأبو العتاهية (١)........ 0720
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو العتاهية (٢)........ 0721
أبو جعفر هارون الرشيد والفضيل بن عياض (١)........ 0722
أبو جعفر هارون الرشيد والفضيل بن عياض (٢)........ 0723
أبو جعفر هارون الرشيد وابن السماك (١)........ 0724
أبو جعفر هارون الرشيد وابن السماك (٢)........ 0725
أبو جعفر هارون الرشيد وجعفر بن محمد........ 0726
أبو جعفر هارون الرشيد وعبيد الله العمري........ 0727
أبو جعفر هارون الرشيد وشقيق البلخي........ 0728
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو البختري........ 0729
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو وهب (١)........ 0730
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو وهب (٢)........ 0731
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو وهب (٣)........ 0732
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو وهب (٤)........ 0733
أبو جعفر هارون الرشيد وسعدون........ 0734
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو نصر الجهني........ 0735
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو يوسف، القاضي (١)........ 0736
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو يوسف، القاضي (٢)........ 0737
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو يوسف، القاضي (٣)........ 0738
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو يوسف، القاضي (٤)........ 0739
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو يوسف، القاضي (٥)........ 0740
أبو جعفر هارون الرشيد وشعيب بن حرب........ 0741
أبو جعفر هارون الرشيد وبسيل الرومي........ 0742
أبو جعفر هارون الرشيد، وعبد الله بن إدريس، وحفص بن غياث، ووكيع ابن الجراح........ 0743
أبو جعفر هارون الرشيد وحفص بن غياث........ 0744
أبو جعفر هارون الرشيد وعافية بن يزيد الأودي........ 0745
أبو جعفر هارون الرشيد وعمر بن حبيب العدوي........ 0746
أبو جعفر هارون الرشيد والإمام الشافعي (١)........ 0747
أبو جعفر هارون الرشيد والإمام الشافعي (٢)........ 0748
أبو جعفر هارون الرشيد والإمام الشافعي (٣)........ 0749
أبو جعفر هارون الرشيد والإمام الشافعي (٤)........ 0750
أبو جعفر هارون الرشيد والإمام الشافعي (٥)........ 0751
أبو جعفر هارون الرشيد والإمام الشافعي (٦))........ 0752
أبو جعفر هارون الرشيد وشيبان الراعي........ 0753
أبو جعفر هارون الرشيد والليث بن سعد (١)........ 0754
أبو جعفر هارون الرشيد والليث بن سعد (٢)........ 0755
أبو جعفر هارون الرشيد وعيسى بن يونس........ 0756
أبو جعفر هارون الرشيد والشيخ المحتسب........ 0757
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو معاوية الضرير........ 0758
أبو جعفر هارون الرشيد ومنصور بن عمار، القاضي........ 0759
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو بكر بن عياش........ 0760
أبو جعفر هارون الرشيد وعلي بن ظبيان، وعبد الله بن عبد العزيز........ 0761
أبو جعفر هارون الرشيد وعبد الله بن المبارك........ 0762
أبو جعفر هارون الرشيد ويحيى الطالبي (١)........ 0763
أبو جعفر هارون الرشيد ويحيى الطالبي(٢)........ 0764
أبو جعفر هارون الرشيد وعبد الملك بن صالح........ 0765
أبو جعفر هارون الرشيد وموسى بن جعفر(١)........ 0766
أبو جعفر هارون الرشيد وموسى بن جعفر(٢)........ 0767
أبو جعفر هارون الرشيد وموسى بن جعفر(٣)........ 0768
أبو جعفر هارون الرشيد والرجل الأموي........ 0769
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو إسحاق الفزاري........ 0770
أبو جعفر هارون الرشيد وبقية بن الوليد........ 0771
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو صفوان الأموي........ 0772
أبو جعفر هارون الرشيد و الأصمعي (١)........ 0773
أبو جعفر هارون الرشيد والأصمعي (٢)........ 0774
أبو جعفر هارون الرشيد والأصمعي (٣)........ 0775
أبو جعفر هارون الرشيد والأصمعي (٤)........ 0776
أبو جعفر هارون الرشيد والعباس بن الأحنف........ 0777
أبو جعفر هارون الرشيد والكسائي(١)........ 0778
أبو جعفر هارون الرشيد والكسائي(٢)........ 0779

أبو جعفر هارون الرشيد والكسائي(٣)........ 0780
أبو جعفر هارون الرشيد وسيبويه........ 0781
أبو جعفر هارون الرشيد والمفضل الضبي........ 0782
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو نواس........ 0783
أبو جعفر هارون الرشيد والزوج المغيب !........ 0784
أبو جعفر هارون الرشيد والفضل بن سهل، الوزير........ 0785
أبو جعفر هارون الرشيد والبرامكة (١)........ 0786
أبو جعفر هارون الرشيد والبرامكة (٢)........ 0787
أبو جعفر هارون الرشيد ويحيى بن خالد البرمكي........ 0788
أبو جعفر هارون الرشيد وإسماعيل بن إبراهيم........ 0789
أبو جعفر هارون الرشيد وولد الرشيد المعروف بالسبتي........ 0790
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو معاوية الضرير........ 0791
أبو جعفر هارون الرشيد ويعقوب بن داود، الوزير........ 0792
أبو جعفر هارون الرشيد وجبرئيل بن بختيشوع........ 0793
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو قريش، الصيدلاني........ 0794
أبو جعفر هارون الرشيد ورجل(؟)........ 0795
أبو جعفر هارون الرشيد ومحمد بن الحسن، الشيباني........ 0796
أبو جعفر هارون الرشيد وسفيان الثوري........ 0797
أبو جعفر هارون الرشيد ومحمد بن أوس الهلالي........ 0798
أبو جعفر هارون الرشيد ووزبيدة بنت جعفر بن المنصور، زوج الرشيد (١)........ 0799
أبو جعفر هارون الرشيد وزبيدة بنت جعفر بن المنصور، زوج الرشيد (٢)........ 0800
أبو جعفر هارون الرشيد وموسى العلوي........ 0801
أبو جعفر هارون الرشيد وربيعة الرقي الغاوي........ 0802
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو صدقة (١)........ 0803
أبو جعفر هارون الرشيد وأبو صدقة (٢)........ 0804
أبو جعفر هارون الرشيد وأم جعفر بن يحيى........ 0805
أبو جعفر هارون الرشيد وابن جريج، والمخزومي........ 0806
أبو البختري وهب بن وهب، قاضي ووالي المدينة (عامل، هارون الرشيد) وسعيد بن عمرو........ 0807
عبد الملك بن صالح، والي المدينة (عامل، هارون الرشيد) والإمام مالك........ 0808
موسى بن عيسى الهاشمي، والي الكوفة (عامل، هارون الرشيد) وشريك بن عبد الله، القاضي........ 0809
الفضل بن يحيى(عامل هارون الرشيد) وخالد بن يزيد المري........ 0810
ابن بكار بن عبد الله، والي المدينة (عامل هارون الرشيد) وسلمة بن عكرمة والدراوردي........ 0811
محمد بن سليمان بن علي، أمير البصرة (عامل، هارون الرشيد) وسوار القاضي........ 0812
أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد، أمير (وزير، هارون الرشيد) والأصمعي........ 0813
أبو عبد الله محمد الأمين (الأمين، الملك العباسي السادس) وابن خازم........ 0814
أبو عبد الله محمد الأمين وطاهر بن الحسين........ 0815
علي بن عبد الله بن خالد، السفياني (أبو العميطر، بويع له بالخلافة بدمشق في ولاية الأمين) وأهل دمشق........ 0816
أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) وطاهر بن الحسين........ 0817
أبو العباس عبد الله المأمون ويحيى بن أكثم (١)........ 0818
أبو العباس عبد الله المأمون ويحيى بن أكثم(٢)........ 0819
أبو العباس عبد الله المأمون ويحيى بن أكثم(٣)........ 0820
أبو العباس عبد الله المأمون ويحيى بن أكثم(٣)........ 0821
أبو العباس عبد الله المأمون والغلمان (؟)........ 0822
أبو العباس عبد الله المأمون والصبي........ 0823
أبو العباس عبد الله المأمون ونصر بن شبث........ 0824
أبو العباس عبد الله المأمون وأهل الرياء........ 0825
أبو العباس عبد الله المأمون وموسى بن سليمان، ومعلى بن منصور، وعلي بن معبد بن شداد........ 0826
أبو العباس عبد الله المأمون ويحيى بن يحيى النيسابوري........ 0827
أبو العباس عبد الله المأمون ويزيد بن هارون........ 0828
أبو العباس عبد الله المأمون والرعية (١)........ 0829
أبو العباس عبد الله المأمون والرعية (٢)........ 0830
أبو العباس عبد الله المأمون والرعية (٣)........ 0831
أبو العباس عبد الله المأمون والإمام أحمد بن حنبل........ 0832
أبو العباس عبد الله المأمون وأبو مسهر الغساني........ 0833
أبو العباس عبد الله المأمون والرجل المتحنط المتكفن........ 0834
أبو العباس عبد الله المأمون وعمه إبراهيم بن المهدي........ 0835
أبو العباس عبد الله المأمون ورجل (١)........ 0836
أبو العباس عبد الله المأمون ورجل (٢)........ 0837
أبو العباس عبد الله المأمون ورجل (٣)........ 0838
أبو العباس عبد الله المأمون ورجل (٤)........ 0839

أبو العباس عبد الله المأمون ورجل (٥)........ 0840
أبو العباس عبد الله المأمون والفراء........ 0841
أبو العباس عبد الله المأمون والمرتد الخراساني........ 0842
أبو العباس عبد الله المأمون وبشر بن الوليد الكندي (١)........ 0843
أبو العباس عبد الله المأمون وبشر بن الوليد الكندي(٢)........ 0844
أبو العباس عبد الله المأمون ومحمد بن عباد........ 0845
أبو العباس عبد الله المأمون والحارث بن مسكين........ 0846
أبو العباس عبد الله المأمون وصاحب الشرطة........ 0847
أبو العباس عبد الله المأمون وثابت بن يحيى، كاتب وزير المأمون........ 0848
أبو العباس عبد الله المأمون والمنذر بن المغيرة (؟)........ 0849
أبو العباس عبد الله المأمون، وابن البزار........ 0850
أبو العباس عبد الله المأمون، وابن الزيات........ 0851
أبو العباس عبد الله المأمون، والشامي........ 0852
أبو العباس عبد الله المأمون، واليزيدي (١)........ 0853
أبو العباس عبد الله المأمون واليزيدي (٢)........ 0854
أبو العباس عبد الله المأمون، وأحمد بن أبي خالد (١)........ 0855
أبو العباس عبد الله المأمون وأحمد بن أبي خالد (٢)........ 0856
أبو العباس عبد الله المأمون وأحمد بن أبي خالد (٣)........ 0857
أبو العباس عبد الله المأمون وعمرو بن مسعدة، وأحمد بن أبي خالد........ 0858
أبو العباس عبد الله المأمون وأحمد بن يوسف........ 0859
أبو العباس عبد الله المأمون وأبو عباد، الوزير........ 0860
أبو العباس عبد الله المأمون وعبد الله بن طاهر........ 0861
أبو العباس عبد الله المأمون وشاعر من بني تميم........ 0862
أبو العباس عبد الله المأمون وعمرو بن أبي بكر العدوي، القاضي........ 0863
أبو العباس عبد الله المأمون والطفيلي الأديب........ 0864
أبو العباس عبد الله المأمون والطفيلي (١)........ 0865
أبو العباس عبد الله المأمون والطفيلي (٢)........ 0866
أبو العباس عبد الله المأمون وإبراهيم بن السندي........ 0867
أبو العباس عبد الله المأمون والسوقي الفامي........ 0868
أبو العباس عبد الله المأمون وعبد العزيز بن يحيى الكناني........ 0869
أبو العباس عبد الله المأمون والعجوز القبطية........ 0870
أبو العباس عبد الله المأمون والحسين الخليع، الشاعر........ 0871
أبو العباس عبد الله المأمون والعكوك، الشاعر........ 0872
أبو العباس عبد الله المأمون وسليمان بن حرب........ 0873
أبو العباس عبد الله المأمون والنضر بن شميل البصري........ 0874
أبو العباس عبد الله المأمون وعلي الرضا........ 0875
أبو العباس عبد الله المأمون ومنصور بن محمد المهدى........ 0876
أبو العباس عبد الله المأمون وعمر بن حبيب........ 0877
أبو العباس عبد الله المأمون وثمامة بن أشرس النميري........ 0878
أبو العباس عبد الله المأمون وعلي بن الهيثم، جونقا الكاتب........ 0879
أبو العباس عبد الله المأمون وعيسى بن أبان........ 0880
أبو العباس عبد الله المأمون وأبو نعيم، الفضل بن دكين........ 0881
أبو العباس عبد الله المأمون وعلي بن عبد الله المأمون........ 0882
أبو العباس عبد الله المأمون ورجل يدعي النبوة........ 0883
أبو العباس عبد الله المأمون و رجل من اليهود........ 0884
أبو العباس عبد الله المأمون والعباس بن الحسين بن عبيد الله........ 0885
أبو العباس عبد الله المأمون ومحمد بن جبيل، أحد كتاب البرامكة........ 0886
أبو العباس عبد الله المأمون و شيخ مجنون وأبو الهذيل العلاف........ 0887
سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي (عامل عبد الله المأمون) وأبو دهمان........ 0888
إسحاق بن إبراهيم (عامل عبد الله المأمون) والإمام عفان بن مسلم........ 0889
السري بن الحكم أمير مصر (عامل عبد الله المأمون) وإبراهيم بن إسحاق، قاضي مصر........ 0890
أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد (المعتصم بالله، الملك العباسي الثامن) والإمام أحمد بن حنبل........ 0891
أبو إسحاق محمد المعتصم بالله والشيخ........ 0892
أبو إسحاق محمد المعتصم بالله والمبرقع........ 0893
أبو إسحاق محمد المعتصم بالله وشراة العلوية........ 0894
أبو إسحاق محمد المعتصم بالله ودعبل الخزاعي........ 0895
أبو إسحاق محمد المعتصم بالله والحسن بن سهل........ 0896
أبو إسحاق محمد المعتصم بالله وأحمد بن أبي داؤد، القاضي (١)........ 0897
أبو إسحاق محمد المعتصم بالله وأحمد بن أبي داؤد، القاضي(٢)........ 0898
أبو إسحاق محمد المعتصم بالله وعلي بن الجنيد........ 0899

أبو إسحاق محمد المعتصم بالله وتميم بن جميل، الخارجي 0900
أبو إسحاق محمد المعتصم بالله وأبو دلف العجلي 0901
أبو إسحاق محمد المعتصم بالله والجاحظ 0902
هارون (الثاني) الواثق بالله بن محمد المعتصم (هارون الثاني الواثق بالله، الملك العباسي التاسع) وأحمد بن نصر الخزاعي 0903
هارون (الثاني) الواثق بالله وشيخ من أهل أذنة 0904
هارون (الثاني) الواثق بالله وعبادة المخنث 0905
هارون (الثاني) الواثق بالله وحيان بن هرمة المازني (١) 0906
هارون (الثاني) الواثق بالله وحيان بن هرمة المازني (٢) 0907
هارون (الثاني) الواثق بالله والحسين بن الضحاك ومخارق 0908
هارون (الثاني) الواثق بالله وأحمد بن أبي داؤد، القاضي (١) 0909
هارون (الثاني) الواثق بالله وأحمد بن أبي داؤد، القاضي (٢) 0910
طاهر بن عبد الله بن طاهر، رابع حاكم خراسان (إمارة دولة الطاهريين) ومحمد بن رافع 0911
جعفر المتوكل على الله (المتوكل على الله، الملك العباسي العاشر) وعبد العزيز بن يحيى 0912
جعفر المتوكل على الله والإمام أحمد بن حنبل 0913
جعفر المتوكل على الله وسعدون 0914
جعفر المتوكل على الله وابن السكيت 0915
جعفر المتوكل على الله وابن طاهر 0916
جعفر المتوكل على الله وعلي بن محمد الهادي 0917
جعفر المتوكل على الله وبشر الخفاف ؟ 0918
جعفر المتوكل على الله وأبو العيناء (١) 0919
جعفر المتوكل على الله وأبو العيناء (٢) 0920
جعفر المتوكل على الله وبكار بن قتيبة، القاضي 0921
جعفر المتوكل على الله وذو النون المصري 0922
جعفر المتوكل على الله ومحمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب 0923
جعفر المتوكل على الله وعلي بن الجهم القرشي 0924
جعفر المتوكل على الله وبختيشوع بن جبرئيل (١) 0925
جعفر المتوكل على الله وبختيشوع بن جبرئيل () 0926
جعفر المتوكل على الله وحنين بن إسحاق العبادي 0927
جعفر المتوكل على الله وأهل الذمة 0928
جعفر المتوكل على الله ومحمد المنتصر بالله 0929
عبيد الله بن يحيى بن خاقان، الوزر (زمن جعفر المتوكل) والإمام أحمد بن حنبل 0930
محمد بن عبد الله بن طاهر، أمير بغداد (عامل جعفر المتوكل على الله) وابن الطباع 0931
محمد المعتز بالله بن جعفر المتوكل على الله (ثالث عشر ملوك الدولة العباسية) والأتراك 0932
محمد المعتز بالله وأحمد بن بديل 0933
محمد المهتدي بالله و(المهتدي بالله، الخليفة الزاهد، سابع الخلفاء الراشدين، الملك العباسي الرابع عشر) والحسن بن مخلد 0934
أبو إسحاق محمد المهتدي بالله بن الواثق، الخليفة الزاهد (سابع الخلفاء الراشدين؟، رابع عشر ملوك الدولة العباسية) وأبو العباس ابن ثوابة 0935
أحمد المعتمد على الله، بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم (خامس عشر ملوك الدولة العباسية) والجذوعى القاضي 0936
خالد بن أحمد الذهلي، أمير خراسان (عامل أبو العباس أحمد المعتمد على الله، الملك العباسي الخامس عشر) والإمام البخاري 0937
أبو العباس أحمد بن طولون (أمير مصر ومؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام) وبكار بن قتيبة، القاضي 0938
أحمد بن طولون وموسى بن مفلح 0939
أبو العباس أحمد المعتضد بالله (المعتضد بالله، السفاح الثاني، الملك العباسي السادس عشر) وإبراهيم بن إسحاق الحربي 0940
أبو العباس أحمد المعتضد بالله والقاضي أبو خازم (١) 0941
أبو العباس أحمد المعتضد بالله والقاضي أبو خازم (٢) 0942
أبو العباس أحمد المعتضد بالله، وأبو الحسين النوري 0943
أبو العباس أحمد المعتضد بالله، واللص 0944
أبو العباس أحمد المعتضد بالله، وإسماعيل بن إسحاق، القاضي 0945
أبو العباس أحمد المعتضد بالله، والعسكر 0946
أبو العباس أحمد المعتضد بالله، والخياط 0947
أبو العباس أحمد المعتضد بالله، والوزير 0948
أبو العباس أحمد المعتضد بالله، وابن بسام، الشاعر 0949
جعفر المقتدر بالله (الملك العباسي الثامن عشر) وأبو بكر الشبلي، (عابدا ورعا زاهدا -أو- زنديق؟) 0950
أبو الحسين محمد بن أحمد، عامل أصبهان (زمن علي المكتفي بالله وجعفر المقتدر بالله) والشيخ 0951
أبو العباس أحمد المعتضد بالله وأم الشريف، عمة محمد بن أحمد بن عيسى 0952
علي بن عيسى،(وزير المقتدر بالله، الملك العباسي الثامن عشر) وابن خيران 0953
محمد الراضي بالله بن المقتدر بالله، (الملك العباسي العشرون ملوك الدولة العباسية) ومحمد بن علي الشلمغاني، متأله مبتدع 0954
محمد الراضي بالله بن المقتدر بالله، وسنان بن ثابت بن قرة الحران 0955
الأفضل بن أمير الجيوش، ملك مصر (وزير الملوك الفاطميين المستنصر بالله، والمستعلي بالله، والآمر بأحكام الله) والإمام الطرطوشي 0956
أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله (الثامن والعشرون من ملوك الدولة العباسية) وأبو الحسن الدامغاني، القاضي 0957
أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله بن المستظهر (الملك العباسي الحادي والثلاثون) والشيخ عبد القادر الكيلاني 0958
أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله وابن الجواليقي 0959

أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله ويحيى بن محمد بن هبيرة 0960

أبو المطرَّف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (صقر قريش، عبد الرحمن الداخل، عبد الرحمن الأول، أمير الدولة الأموية في الأندلس الأول) ونصر بن طريف 0961

أبو العاصي الحكم بن هشام (الحكم الربضي، أمير الدولة الأموية في الأندلس الثالث) والفرج بن كنانة 0962

أبو العاصي الحكم بن هشام وطالوت بن عبد الجبار المعافري 0963

أبو عامر محمد بن أبي عامر(الحاجب المنصور، حاجب الخلافة والحاكم الفعلي في الأندلس في عهد الملك هشام المؤيد بالله ثالث ملوك الدولة الأموية في الأندلس، والأمير العاشر) ومحمد بن إبراهيم بن حيويه 0964

أبو المُطَرِّف، عبد الرحمن بن الحكم/ عبد الرحمن الأوسط (رابع أمراء الدولة الأموية في الأندلس) وإسحاق بن إبراهيم الطليطلي 0965

أبو المُطرّف، عبد الرحمن الناصر لدين الله (الناصر لدين الله، عبد الرحمن الثالث، ثامن أمراء الدولة الأموية في الأندلس، ملك الأندلس الأول) والمنذر بن سعيد (١) 0966

أبو المُطرّف، عبد الرحمن الناصر لدين الله، والمنذر بن سعيد (٢) 0967

أبو المُطرف، عبد الرحمن الناصر لدين الله، والتجيبي 0968

أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور (ثالث ملوك الدولة الموحدية في الغرب الإسلامي) وألفونسو العاشر، ملك قشتالة وليون 0969

السلطان جلال الدولة أبو طاهر فيروزجرد بن بهاء الدولة (الدولة البويهية، فرع بغداد، زمن الخامس والسادس والعشرون من ملوك الدولة العباسية) وعلي بن حبيب 0970

أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق (الملقب جلال الدولة. سلاجقة العراق زمن السابع والعشرون من ملوك الدولة العباسية) وأبو الوفاء ابن عقيل 0971

أبو محمد الحسن بن يوسف، المستضيء بأمر الله (الثالث والثلاثون من ملوك الدولة العباسية) وأبو الفرج ابن الجوزي 0972

أحمد الناصر لدين الله (الرابع والثلاثون من ملوك الدولة العباسية) وعبد المغيث بن زهير 0973

أمراء العبيديين، معد المعز لدين الله (رابع ملوك الدولة الفاطمية) والإمام ابن النابلسي 0974

أمراء العبيديين، الحاكم بأمر الله المنصور (سادس ملوك الدولة الفاطمية) والإمام محمد بن الحبلي 0975

أمراء مصر الفاطميين، ابن العباس الوزير (الملك العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف، الرابع عشر والأخير من ملوك الدولة الفاطمية) وابن الحطيئة 0976

الملك العادل نور الدين محمود زنكي (مؤسس الدولة الزنكية في ظل الراية العباسية، زمن الفضل المسترشد بالله، ومنصور الراشد بالله، ومحمد المقتفي لأمر الله، ويوسف المستنجد بالله، وحسن المستضيء بأمر الله) والشيخ قطب الدين 0977

صلاح الدين يوسف بن أيوب (مؤسس الدولة الأيوبية في ظل الراية العباسية، زمن حسن المستضيء بأمر الله، الملك العباسي الثالث والثلاثون) والصعيدي والفرنجية 0978

الملك العادل أبو بكر (شقيق الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، من ملوك الدولة الأيوبية) والشيخ عبد الله اليونيني 0979

الملك إسماعيل بن نور الدين محمود (هو الصالح إسماعيل بن نور الدين زنكي، من ملوك الأيوبية في دمشق) والعز بن عبد السلام 0980

الكامل محمد بن الملك العادل (من ملوك الدولة الأيوبية في مصر) وابن عين الدولة 0981

الملك الصالح نجم الدين أيوب (من ملوك الدولة الأيوبية في مصر) والعز بن عبد السلام (١) 0982

الملك الصالح نجم الدين أيوب والعز بن عبد السلام (٢) 0983

معين الدين، وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب وشيخ الإسلام العز بن عبد السلام (٣) 0984

الملك المظفر سيف الدين قطز محمود (من دولة المماليك البحرية) وشيخ الإسلام العز بن عبد السلام (٤) 0985

الأمير سيف الدين قطلوبك (دولة المماليك البحرية) وشيخ الإسلام ابن تيمية (١) 0986

الأمير سيف الدين قطلوبك وشيخ الإسلام ابن تيمية (٢) 0987

محمود غازان بن أرغون، ملك التتار (سابع سلاطين الإيلخانية في إيران) وشيخ الإسلام ابن تيمية 0988

الدروز الإسماعيلية (أهل ديانة مركبة) وابن تيمية 0989

الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (دولة المماليك البحرية) والإمام محي الدين النووي (١) 0990

الملك الظاهر ركن الدين بيبرس والإمام محي الدين النووي (٢) 0991

الملك الأشرف قانصوه (دولة المماليك البرجية) وشمس الدين الديروطي 0992

الملك الأشرف قانصوه وأبو الفضل بن أبي اللطف 0993

نور الدين سليم جهانكير (إمبراطور المغول بالهند) وأحمد السرهندي الفاروقي 0994

إبراهيم باشا بن محمد علي (والي مصر، من طرف الدولة العثمانية) وسعيد الحلبي 0995

إسماعيل بن إبراهيم باشا (الأسرة العلوية، الدولة العثمانية) وعلماء الأزهر 0996

الماسونيَّة / مصطفى كمال أتاتورك (أول رؤساء تركيا العلمانية) وسعيد النورس 0997

الماسونيَّة / مصطفى كمال أتاتورك ومصطفى صبري 0998

أحمد فؤاد (الاول) بن إسماعيل (الأسرة العلوية، المملكة المصرية) والشيخ عبد المجيد سليم 0999

فاروق (الأول) بن فؤاد بن إسماعيل (الأسرة العلوية، المملكة المصرية) ومحمد مصطفى المراغي 1000

معمر القذافي (دويلة ليبيا) والشيخ محمد أبو زهرة 1001

الصهاينة في فلسطين امتدد للحروب الصليبية..

وحكام العرب امتداد للاستدمار الغربي، الغائب الحاضر..

والطغاة نتيجة حتمية لجهل وفسق الشعوب..

بِسمِ اللهِّ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الحمد لله الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم، بالحق بين يدي الساعة مفرقاً بين الهدى والضلال، وبين التوحيد والشرك، وبين الجاهلية والإسلام. والصلاة والسلام على النبي الهادي الذي أدى الأمانة، وبلغ الرسالة حق التبليغ، وجاهد بنفسه وماله حتى ترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. أما بعد.

عن تميم الداري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ لِلهِّ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ﴾ وهذه الروايات نصيحة للشباب المسلم والمتمسلم!، أخص منهم جند الطغاة؛ أعوان الظلمة (المرتزقة) أو ما اصطلح على تسميتهم زورا وبهتانا برجال الأمن! في ما يسمى اليوم مصر والجزائر وبقية الديدان وشوارع الخليج أشباه الدويلات؛ الوكالات الشرطيّة!.تنبيه لهم بضرورة الابتعاد عن نصرة تلك الوكالات المافياوية التي زرعها و/ أو هيأ لها الغرب الاستدماري في أرض المسلمين، سواء كانت مافياوية عسكرية مجرمة كافرة، مختلة عقليا (ميغالومانيا) تتصارع وتتوارث، وتعتبر البلاد والعباد غنيمة انقلاب أو ملكيات مطلقة سولت لها بطانتها ونفسها المريضة فعدت البلاد والعباد من أملاكها وعبيدها؛ وهذا ثابت بالبرهان، ظاهر للعيان، لا يخفى على إنس ولا جان، فكلا النظامين أثبت أنه شر مطلق مطلق(!) أفسد البلاد والعباد وأهلك الحرث والنسل وأورث الأمة (المنهكة والجريحة منذ بضعة قرون) جسدا مريض بمتلازمة الجهل والفقر والظلم.ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*(الشر المطلق) هذه إشارة إلى عسكر العرب شرار الخلق، وإلا -كما قالت العلماء- الشر المطلق والقبح المطلق لا وجود لهما أصلا في هذا العالم كما يتصور البعض، بل لهما وجود اعتباري زائل إذا نظرنا إلى ما سيؤول إليه أمرهما من الخير والجمال في أجل الزمان... إذا أردت معرفة لماذا عسكر العرب اليوم شر مطلق راجع: مدونة النصيحة.

اللهم صل على محمد وآل محمد

طاعة ولي الأمر مقيدة بالمعروف!

قال اللهّ عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَّ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء] اتفق المفسرين على أن طاعة الله مطلقة وطاعة رسوله مطلقة، ولكن طاعة ولي الأمر مقيدة بالمعروف، ولذا لم تكرر الآية لفظ (وأطيعوا) عند ذكر أولى الأمر. عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَّ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَّ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي﴾ (أميري) هو كل من يتولى على المسلمين ويعمل فيهم بما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم. عن يحيى بن حصين عن جدته أم الحصين قال:﴿سَمِعْتُهَا تَقُولُ حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا كَثِيرًا ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ:إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ حَسِبْتُهَا قَالَتْ أَسْوَدُ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهَّ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا﴾ (إن أمر) أي جعل أميرا (عبد مجدع) أي مقطوع الأنف والأذن (يقودكم) أي يأمركم (بكتاب الله) أي بحكمه المشتمل على حكم الرسول. (فاسمعوا له وأطيعوا) فيه حث على المداراة والموافقة مع الولاة على التحرز عما يثير الفتنة ويؤدي إلى اختلاف الكلمة، ما لم يخالف أمر الله. وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ﴾ (اسمعوا) أي كلام الحاكم (وأطيعوا) أي انقادوا في أمره ونهيه ما لم يخالف أمر الله ونبيه (وإن استعمل عليكم عبد حبشي) أي وإن استعمله الإمام الأعظم على القوم لا أن العبد الحبشي هو الإمام الأعظم فإن الأئمة من قريش وقيل: المراد به الإمام الأعظم على سبيل الفرض والتقدير وهو مبالغة في الأمر بطاعته والنهي عن شقاقه ومخالفته، (كأن رأسه زبيبة) أي كالزبيبة في صغره وسواده، قال الطيبي: صفة أخرى للعبد شبه رأسه بالزبيبة إما لصغره وإما لأن شعر رأسه مقطط كالزبيبة تحقيرا لشأنه.

وعن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ﴾ لقوله تعالى:﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء] أي لا تطيعوا أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله، واجترائهم على سخطه، ويعني رؤساء وكبراء القوم. وعن علي قال:﴿بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَا جَمَعْتُمْ حَطَبًا، وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا، ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا فَجَمَعُوا حَطَبًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، فَلَمَّا هَمُّوا بِالدُّخُولِ، فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرَارًا مِنَ النَّارِ أَفَنَدْخُلُهَا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ خَمَدَتِ النَّارُ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ﴾ (عزمت عليكم) آمركم وأؤكد أمري لكم وأجد فيه (ما خرجوا) لأن الدخول فيها معصية فإذا استحلوها كفروا واستحقوا الخلود فيها (الطاعة) للأمر واجبة (المعروف) هو ما لا يتنافى مع الشرع. يقول الإمام بن القيم: إذا كان حكم من يحرق نفسه في طاعة الأمير أنه سيدخل النار فكيف بمن يحرق الناس طاعة للأمير؟.

الخروج على الحاكم الظالم

قد بين الله تعالى لنا ماذا نعمل عند وجود الخلاف فقال: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء] وقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهَّ ذَلِكُمُ اللهُّ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى] فإذا تنازع الناس في المسألة وجب عليهم ردها إلى الكتاب والسنة، وإذا رددنا ما نحن فيه من مسألة إلى الكتاب والسنة وجدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهَّ فِيهِ بُرْهَانٌ﴾ فهذا نص صريح في أنه لا يجوز الخروج إلا إذا كفروا كفراً صريحاً. (فيه برهان) أي دليل وبيان من حديث أو قرآن، والمعنى أنه حينئذ تجوز المنازعة بل يجب عدم المطاوعة، والمراد بالكفر هنا المعاصي، والمعنى لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم، وقوموا بالحق حيثما كنتم، ولا شك أن قدوتنا وإمامنا في ذلك الصحابة رضوان الله عليهم، عن قيس بن أبي حازم قال: قال أبو بكر الصديق:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتْلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة] وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ – وفي لفظ: إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ – أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهَّ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ قال القاضي عياض: فلو طرأ عليه (أي الخليفة) كفر أو تغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل. وهكذا فليس هناك أي تناقض بين آراء العلماء حول مسألة الخروج على النظام الحاكم في حالة كفره وإعراضه عن شرع الله، فالكل(؟) مجمع على ذلك، وقوله ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ وَالرَّسُولِ﴾ أي ردوه إلى النصوص التي تنطبق عليه ضمنا. فإن لم توجد النصوص التي تنطبق على هذا النحو، فردوه إلى المبادئ الكلية العامة في منهج الله وشريعته. وهذه ليست عائمة، ولا فوضى، ولا هي من المجهلات التي تتيه فيها العقول كما يحاول بعض المخادعين أن يقول. وهناك في هذا الدين مبادئ أساسية واضحة كل الوضوح، تغطي كل جوانب الحياة الأساسية، وتضع لها سياجا خرقه لا يخفى على الضمير المسلم المضبوط بميزان هذا الدين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهَّ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء] قال صالح الفوزان: فالذي يحكم بغير ما أنزل الله، وهو يرى أن حكمه بغير ما أنزل الله أصلح للناس، وأنفع للناس، أوأنه مساو لما أنزل الله، أوأنه مخير بين أن يحكم بما أنزل الله، أو يحكم بغيره، أو أن الحكم بغير ما أنزل الله جائز، فهذا يعتبر طاغوتًا وهو كافر بالله عز وجل. قال الله تعالى:﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهَّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهَّ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهَّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة] فمن من لم يحكم بما أنزل الله تعالى وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد اجتمعن فيه هذه الأوصاف الثلاثة: الظُّلم وَالْكفْر وَالْفُسُوق.قلت: وهي لا شك من صفات طغاة العرب اليوم وحتى وإن استحال الخروج عليهم اليوم فلا عذر للمسلمين، لأن الخروج على الطغاة ليس بالضرورة أن يكون بالسيف، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿يُهْلِكُ أُمَّتِي هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ﴾ وهي إشارة إلى الثورة السلمية أوالعصيان المدني. قال سفيان الثوري: ﴿لَا تُخَالِطُ السُّلْطَانَ وَلَا مَنْ يُخَالِطُهُ، وَقَالَ: صَاحِبُ الْقَلَمِ، وَصَاحِبُ الدَّوَاةِ، وَصَاحِبُ الْقِرْطَاسِ، وَصَاحِبُ اللِّيطَةِ بَعْضُهُمْ شُرَكَاءُ بَعْضٍ﴾ (الليطة) قشرة القصب المحددة.وسأل رجل الحسن وهو يسمع وأناس من أهل الشام فقال: يا أبا سعيد ما تقول في الفتن مثل يزيد بن المهلب وابن الأشعث؟ فقال: لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، فقال رجل من أهل الشام: ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد؟، فغضب ثم قال: بيده فخطر بها، ثم قال: ولا مع أمير المؤمنين، فكان يرى أنه يجب على المسلم الاعتزال وعدم المشاركة في سفك دماء المسلمين، فلا يقاتل في صفوف الخارجين على السلطة ولا مع جيش الخليفة إذا كان ظالما. قيل: إن ابن القاسم (تلميذ الإمام مالك) سأل مالكا عن البغاة يجوز قتالهم؟ فقال: إن خرجوا على مثل عمر بن عبد العزيز. قال: فإن لم يكن مثله؟. فقال: دعهم ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم من كليهما.

لولا الخروج على الظلمة عبر التاريخ لاندثرت دولة المسلمين !

- خروج العباسيين على الدولة الأموية (بعد أن بدأت الاضطرابات تهدد حدود الدولة الإسلامية كلها خصوصا في الأيام الأخيرة من حكم أخر ملوك بني أمية مروان بن محمد – الملك الأموي الرابع عشر)
- خروج السلاجقة الأتراك على الدولة العباسية (بانتصارهم على الإمبراطورية البيزنطية في معركة ملاذكرد تغيّرت صورة الحياة في تلك المنطقة؛ فاصطبغت بالصبغة الإسلامية ودخل سكانها في الإسلام)
- خروج صلاح الدين الأيوبي (تحت إمرة الملك العادل نور الدين زنكي) على الدولة العبيدِية الفاطمية! (التي غيّرت دين الأمة وقتلت الصالحين) مما مهد الطريق بعد ذلك (للدولة الأيوبية الوليدة) لاستعادة الأراضي المقدسة من الصليبيين الأوروبيين.
- خروج العز بن عبد السلام على الصالح إسماعيل (الخائن) ونصرته لصالح نجم الدين أيوب، الذي هزم جيش الخائن وهزم معه حلفائه الصليبيين.
- خروج الدولة العثمانية (الصغرى)! على دولة المماليك وسيطرتها على البحر الأحمر، الذي منع الغزاة البرتغال والإسبان من هدم الكعبة وأخذ قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهدم المسجد الأقصى.

مراجع: هل يعتبر الفراعنة بمصرع من سبقهم؟/ صحيح البخاري/ـ شرح تفسير ابن كثير/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ تفسير الطبري/ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي/ صحيح ابن حبان

أصناف العلماء

- **غلاة العلماء**: (متطرفون، خوارج العصر، أشباه العلماء، كلاب الاستخبارات القذرة..)
- **علماء ربانيون**: (مؤمنون، عاملون، مجاهدون، صابرون، ثابتون، مرابطون، مصلحون..)
- **علماء السلطان**: (عملاء، منافقون، مبتدعة، متصوفة، فسقة، أشباه العلماء، موظفون..)

الربانيون

﴿سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ﴾

قال اللهُّ عز وجل: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران] ربانيين وهو جمع رباني، واختلف النحاة في هذه النسبة، فقال قوم: هو منسوب إلى الرب من حيث هو العالم ما علمه، العامل بطاعته، المعلم للناس ما أمر به، وزيدت الألف والنون مبالغة كما قالوا، لحياني وشعراني في النسبة إلى اللحية والشعر، وقال قوم الرباني منسوب إلى الربان وهو معلم الناس، وعالمهم السائس لأمرهم، مأخوذ من رب يرب إذا أصلح وربى، وزيدت فيه هذه النون كما زيدت في غضبان وعطشان، ثم نسب إليه رباني، واختلف العلماء في صفة من يستحق أن يقال له رباني، فقال أبو رزين: الرباني: الحكيم العالم، وقال مجاهد: الرباني الفقيه، وقال قتادة وغيره: الرباني العالم الحليم، وقال ابن عباس: هو الحكيم الفقيه، وقال الضحاك: هو الفقيه العالم، وقال ابن زيد: الرباني والي الأمر، يرب الناس أي يصلحهم، فالربانيون الولاة والأحبار والعلماء، وقال مجاهد: الرباني فوق الحبر لأن الحبر هو العالم والرباني هو الذي جمع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دينهم ودنياهم، وفي البخاري: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

ومن ثم، نقول الرباني هو العالم العامل المعلم المتمسك بدين الله وطاعته، البصير في سياسة الناس. والربانيين أعلام الهدى وسرج الظلمة، بهم يتحصن الإسلام ويفرق بين الحلال والحرام وتنفذ الأحكام، وبهم تقام الفرائض وتثبت الحقوق وتحقن الدماء..والربانيون هم الذين لا يخشون في الله لومة لائم وهم مع الحق ولو اغضبوا السلطان أو اغضبوا الدهماء من الناس. يقول شيخ الإسلام، العز بن عبد السلام ﴿مَنْ آثَرَ اللهَّ عَلَى نَفْسِه آثَرَهُ اللهُّ﴾ والمخاطرة بالنفوس مشروعة في إعزاز الدين. عن جابر بن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ﴾ وعن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ﴾ وليس في حديث قتيبة: ﴿وَهُمْ كَذَلِكَ﴾ قال البخاري هم أهل العلم وقال أحمد بن حنبل إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، قال القاضي عياض إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذاهب أهل الحديث، قال الإمام النووي يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين فمنهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض (من خذلهم) يعني من خالفهم (حتى يأتي أمر الله) المراد به هو الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة.

علماء السلطان

- **مضلون**: يلوون أعناق النصوص لتناسب مصالح حكامهم
- **مخادعون**: كلام ملائكة!.. وأفعال شياطين!
- **عملاء**: توظفهم أجهزة الطغاة ضد فصيل معين أو لمصلحتها

﴿أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةُ الْمُضِلِّينَ﴾

﴿إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ وَيَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ فَلَا تَغْتَرُّوا بِهِ حَتَّى تَعْرِضُوا أَمْرَهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ﴾ [الشافعي]

عن الحسن رضي الله عنه قال:﴿إِنَّ تَصْدِيقَ الْقَوْلِ الْعَمَلَ فَمِنْ صِدْقِ عَمَلُهُ قَوْلَهُ فَذَاكَ وَمَنْ لَا فَقَدْ هَلَكَ﴾ أو كما قال الحسن

﴿إِنَّ خَيْرَ الْأُمَرَاءِ مَنْ أَحَبَّ الْعُلَمَاءَ، وَإِنَّ شَرَّ الْعُلَمَاءِ مَنْ أَحَبَّ الْأُمَرَاءَ﴾ [أبو حازم]

إن نبينا محمدا نبيَّ الرحمة صلى الله عليه وسلم لم يترك من الشر شيئا إلا وحذرنا منه، ولم يدع من الخير شيئا إلا وحثنا عليه، وقد خاف على أمته من صفات وأخلاق وأعمال، تكون بعده؛ فبينها ووضحها، وخاف عليها من رجال أشرار؛ فذكرهم بأسمائهم، أو وصفهم بأوصافهم، تحذيرا للأمة من شرهم، وتفاديا لمكرهم وكيدهم، فمن الصفات والأخلاق التي خافها النبي صلى الله عليه وسلم على أمته: علماء السلطان مصطلح يطلق على الأشخاص الذين لديهم قدر من العلم الشرعي ولكن يستعملونه بشكل أو بآخر لخدمة مصالح أمير أو قائد أو زعيم، حتى وإن كان هذا لا يتماشى مع أخلاقيات ذلك العلم أو مع النصوص الشرعية ويقومون بلوي أعناق النصوص لتناسب مصالح حكامهم ومن فوق. من أسماء هذه الفئة الضالة المضلة: شيوخ السلاطين، فقهاء السلاطين، علماء الدولة، علماء فسقة، وفد الشيطان، كهنة الدين، خونة الرسل، ديدان القراء، لصوص الدين، سحرة فرعون، شيوخ العسكر، مشايخ الطواغيت، علماء الاستبداد، علماء السوء، علماء الدنيا، دعاة الضلالة، شيوخ العار، شيوخ الزوايا (تقريباً جميعهم)، المرجئة الحديثة، المداخلة، الجامية، عبيد السلطان، أحذية الطغاة، السفلة، قطاع الطرق، المقامرين، المخبرين، شرار الخلق..، وميت الأحياء. قال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة.قال إسماعيل بن أبي أويس: سمعت خالي مالك بن أنس يقول:﴿قَالَ لِي رَبِيعَةُ الرَّأْيِ –وَكَانَ أُسْتَاذَ مَالِكٍ– يَا مَالِكُ مَنْ السَّفَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَنْ أَكَلَ بِدِينِهِ، فَقَالَ لِي: وَمَنْ أَسْفَلُ السَّفَلَةِ؟ قُلْتُ:مَنْ أَصْلَحَ دُنْيَا غَيْرِهِ بِفَسَادِ دِينِهِ، فَقَالَ: زِهْ، وَصَدَّرَنِي﴾ أي ضرب على صدري، يعني استحساناً. وقال نصر بن حاجب: قلت للأعمش: من السفلة؟ قال: الذين يطلبون الدنيا بعمل. قيل للأعمش:﴿وَلَقَدْ أَحْيَيْتَ الْعَلَمَ لِكَثْرَةِ مِنْ يَأْخُذُهُ عَنْكَ فَقَالَ لَا تَعْجِلُوا ثُلُثٌ يَمُوتُونَ قَبْلَ الْإِدْرَاكِ وَثُلُثٌ يَلْزَمُونَ أَبْوَابَ السَّلَاطِينِ فَهِمَ شَرَّ الْخُلُقِ وَالثُّلُثُ الْبَاقِي لَا يُفْلِحُ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلِ﴾ ولذلك قال ابن المسيب:﴿إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَالِمَ يَغْشَى الْأُمَرَاءَ فَاحْتَرِزُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ لِصٌّ﴾ وحديث أنس:﴿الْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللهِ مَا لَمْ يُخَالِطُوا السُّلْطَانَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ خَانُوا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوهُمْ وَاعْتَزِلُوهُمْ﴾ ﴿إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي، كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيْمِ اللِّسَانِ﴾ ولهذا كان أخوف ما خافه النبي صلى الله عليه وسلم على أمّته (عليم اللسان) أي كثير علم اللسان، جاهل القلب والعمل، اتخذ العلم حرفة يتأكل بها، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ لاَ يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (العرف) الرائحة.ولأحمد من حديث أبي ذر:﴿غَيْرَ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِيْ مِنَ الدَّجَّالِ الأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ﴾ فعلماء السلطان هم الذين يلبسون على الآمة من أجل دراهم السلاطين والملوك على حساب الشعوب وهذا ما دعى الفيلسوف الغربي !، لأن يقول:الدين أفيون الشعوب. وكان ابن عمر يقول:﴿لَا تَجْعَلُوا ظُهُورَنَا جُسُورًا إِلَى جَهَنَّمَ﴾ والإمام ابن الجوزي يقول: ﴿إِنِّي لأَظَلَّ طُولَ اللَّيْلِ أَتَقَلَّبُ فِي فِرَاشِي أَبْحَثُ عَنْ كَلِمَةٍ أَرْضِي بِهَا السُّلْطَانَ وَلَا أَغْضَبُ بِهَا اللهُ فَلَا أَجِدُ﴾ وكان يحيى بن منده كثيراً ما ينشد لبعضهم: عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ الضَّلالة بِالْهُدَى..وَلِلمُشْتَرِي دِنَّيَاه بِالدِّيْنِ أَعْجَبُ..وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَيْنِ مِنْ بَاعَ دِينِهِ..بَدَنِيًّا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ ذين أُخَيِّبُ

الخلفاء الراشدين المهديين من بعد النبي صلى الله عليه وسلم هم: أبو بكر، وعمر، وعلي، وعثمان، والحسن، رضوان الله عليهم أجمعين..وحتى معاوية –الملك العادل؟- ثم تابعيهم: كـ معاوية بن يزيد، وعمر بن عبد العزيز، والمهتدي بالله، ونور الدين زنكي، وصلاح الدين..وأمثال هؤلاء طاعتهم واجبة لأنهم لم يكونوا أبدا في عداء مع الدين كطغاة العرب اليوم الذين لم يعرفوا الله طرفة عين، وهم اليوم (جهلا وكفرا) في حرب على الإسلام منذ أن زرعهم الغرب في أرض المسلمين. من دويلة المغرب المخرب؛ مملكة الحشيش وسياحة البغاء (صنيعة فرنسا) إلى دويلة البحرين؛ مملكة الكازينوهات والخمور(صنيعة بريطانيا) مرورا ببقية الوكالات الشرطية الغربية في المنطقة. فعليهم لعائن الله من مغربهم إلى مشرقهم (وكيف لا، وهم صنيعة: العجوز الحقود فرنسا العلمانية المريضة المتطرفة الخارقة للعادة وبريطانيا أم المصائب والدسائس).

مراجع: المحرر الوجيز لابن عطية/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ صحيح مسلم/ البداية والنهاية / أخبار القضاة/ شعب الإيمان/ مسند أحمد/ وفيات الأعيان / تفسير المنار/ مصنف ابن أبي شيبة/

لما اشتهرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بالنواحي، ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة، فنهض أبو بكر[1] الصديق رضي الله عنه لقتالهم. روى أن عمر بن الخطاب[2] قال لابي بكر: علام تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهَّ سُبْحَانَهُ﴾ فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقا*، وفي رواية: عقالا* كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

عن هشام ابن عروة[3]، عن أبيه[4]، قال: لما بويع أبو بكر رضي الله عنه وجمع الأنصار في الأمر الذي افترقوا فيه، قال: ليتم بعث أسامة [5]، وقد ارتدت العرب؛ إما عامة (أي بإعلان الخروج من الإسلام) وإما خاصة (أي بالامتناع عن الزكاة) في كل قبيلة؛ ونجم النفاق، واشرأبت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم وقلتهم، وكثرة عدوهم. فقال له الناس: إن هؤلاء جل المسلمين والعرب – على ما ترى – قد انتقضت بك؛ فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين. فقال أبو بكر: والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته!.

أخرج بن عساكر أيضا عن الحسن بن أبي الحسن[6] قال: ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا قبل وفاته على أهل المدينة ومن حولهم، وفيهم عمر بن الخطاب وأمر عليهم أسامة بن زيد، فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف أسامة بالناس، ثم قال لعمر: ارجع إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه؛ يأذن لي فليرجع الناس، فإن معي وجوههم وحدهم، ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون. وقالت الأنصار: فإن أبى إلا أن نمضي فأبلغه عنا واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة. فخرج عمر بأمر أسامة، فأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة. فقال أبو بكر: لو اختطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فإن الأنصار أمروني أن أبلغك أنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلا أقدم سنا من أسامة، فوثب أبو بكر–وكان جالسا– فأخذ بلحية عمر وقال: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أنزعه؟ فخرج عمر إلى الناس؛ فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: أمضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سببكم اليوم من خليفة رسول الله.

كان أسامة بن زيد يكنى أبا محمد. وعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على توجيهه إلى شرحبيل بن عمرو الغساني[7] بمؤتة*، فلم يتهيأ شخوصه حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر أن ينفذ جيش أسامة. وأنفذه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بعد وفاته، فأوقع بالعدو وغنم المسلمون، وكان بين خروجه وقدومه أربعون ليلة، ويقال شهران. واستقبله الناس حين قدم مستبشرين بقدومه.

عن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه، حتى جلس على المنبر، وكان الناس قد تكلموا في أمره حين أراد توجيههم إلى مؤتة، فكان أشدهم قولا في ذلك عياش بن أبي ربيعة[8] فقال صلى الله عليه وسلم بعد أن حمد الله وأثنى عليه–: أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قلتم في إمرته، لقد قلتم في إمرة أبيه من قبله، ولقد كان أبوه للإمارة خليقا، وإنه لخليق بها. وكان في جيش أسامة: أبو بكر وعمر ووجوه من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم.

وخرج فعسكر بالجرف* فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر، أتى أسامة فقال له: قد ترى موضعي من خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا إلى حضور عمر ورأيه محتاج فأنا أسألك تخليفه ففعل ومضى أسامة حتى قدم سالما غانما فسر الناس بذلك. وبينما كان إمبراطور الروم هرقل يتلقى خبر وفاة الرسول تلقى في نفس الوقت خبر الجيش الذي يغير على تخوم الشام بقيادة أسامة بن زيد، فحيره أن يكون المسلمون من القوة بحيث لا يؤثر موت رسولهم في خططهم ومقدرتهم وهكذا انكمش الروم ولم يعودوا يتخذون من حدود الشام نقط وثوب على مهد الإسلام في الجزيرة العربية وعاد الجيش بلا ضحايا.. وقال عنه المسلمون يومئذ: ما رأينا جيشا أسلم من جيش أسامة..!!

*(العناق) زكاة عامين (العقال) صدقة عام. قالوا أيضا: إنما أراد بالعقال الشيء التافه الحقير، فضرب العقال الذي يعقل به البعير لذلك مثلا. وقيل إن المصدق كان إذا أعطى صدقة إبله أعطى معها عقلها وأرويتها (غزوة مؤتة) ومؤتة بأدنى البلقاء، دون دمشق. جنوب دويلة الأردن (الجرف) موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام

■ (2) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (1) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

■ (5) أسامة بن زيد بن حارثة حبيب رسول الله وابن حبيبه. كنيته أبو محمد. ولد بمكة ونشأ على الإسلام لأن أباه كان من أول الناس إسلاما أمَّره رسول الله قبل أن يبلغ العشرين فكان مظفرا مات بالجرف ضاحية المدينة سنة 54 هـ

■ (6) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

■ (4) أبو عبد الله، عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي، وأبوه الزبير بن العوام أحد الصحابة العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن صفية عمة النبي. وأم عروة المذكور أسماء بنت أبي بكر الصديق، هي ذات النطاقين وإحدى عجائز الجنة، وعروة شقيق أخيه عبد الله ابن الزبير، بخلاف أخيهما مصعب فإنه لم يكن من أمهما، وقد وردت عنه الرواية في حروف القرآن، وسمع خالته عائشة أم المؤمنين، ورووي عنه ابن شهاب الزهري وغيره. وكان عالما صالحا، توفي بالمدينة سنة 94 هـ

■ (3) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، الفقيه أبو المنذر الأسدي المدني أحد أئمة الحديث أدرك عمه عبد الله بن الزبير، وقدم الكوفة أيام أبي جعفر المنصور فسمع منه الكوفيون. ولد بالمدينة سنة61 هـ وتوفي ببغداد سنة 146 هـ وصلى عليه المنصور

■ (7) شرحبيل بن عمرو الغساني أحد عمال قيصر على البلقاء، وهو الذي تسبب في نشوب معركة مؤتة بين المسلمين والروم بعد قتله لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم. الحارث بن عمير الأزدي.

■ (8) عياش بن أبي ربيعة واسمه عمرو ويقال له ذو الرمحين بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن المخزومي صاحب رسول الله أخو عبد الله بن أبي ربيعة لأبويه وأخو الحارث بن هشام وأبي جهل بن هشام لأمهما وبن عمهما واسم أمهم أسماء الكبرى بنت محربة وهو أحد المستضعفين الذين كان النبي يدعو لهم في الصلاة وهاجر إلى أرض الحبشة ثم هاجر إلى المدينة ومات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب وقيل أنه قتل يوم اليرموك وقيل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق.

☪

قالت العلماء: لم يلتفت أبو بكر إلى مشورة إذ كان عنده حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة وأرادوا تبديل الدين وأحكامه. قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ﴾ وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُم﴾ [التوبة] وثبت في الصحيحين: ﴿بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُّ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ﴾.

قال علي بن نايف: وقد وقع خلاف في الفقه الإسلامي حول مدى وجوب الشورى ابتداءً، وخلاف آخر حول مدى الالتزام بنتيجتها انتهاءً، وبعيدًا عن الدخول في معمعة الجدل الفقهي الذي دار في هاتين المسألتين فإن من المقرر في قواعد السياسة الشرعية أن البيعة عقد بين الأمة وبين الأئمة يوجب على الأئمة القيام على حراسة الدين وسياسة الدنيا به، ويوجب على الأمة لقاء ذلك الالتزام بواجب الطاعة والنصرة ، وإذا كانت الإمامة عقداً من العقود فإنه يجوز تقييد هذا العقد بما تقيد به سائر العقود من الشروط المباحة. فإذا اشترطت الأمة لنفسها في عقد البيعة التزام الحاكم بالشورى ابتداءً وبنتيجتها انتهاءً في المهات والمسائل العظام أصبحت الشورى مُلزمة بمقتضى العقد واجبة بمقتضى هذا الشرط مهما كانت نتيجة الجدل الفقهي الدائر في هذه المسألة ؛ لأن الأصل هو الوفاء بالعقود والعهود، فإذا أخل الحاكم بالتزامه سقط ما وجب على الأمة بمقتضى عقد البيعة من الطاعة والنصرة.

☪

قال الواقدي: كان أسامة حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن إحدى وعشرين سنة أو أقل بأشهر، وكان يوم الفتح يأتي بملء الدلو من ماء زمزم، وقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحو الصور التي كانت في الكعبة فيبل الثوب، ثم يضرب به الصورة. ولم يحل لواءه الذي عقده له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمره على الجيش، بعد قتل أبيه، وكان منصوبا في بيت له. وعن زيد بن أسلم قال: فرض عمر رضي الله تعالى عنه لعبد الله بن عمر في ألفين وخمسمائة، وفرض لأسامة في ثلاثة آلاف، فقال عبد الله: ما شهد أسامة مشهدا لم أشهده. فقال عمر: كان والله أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، وكان أبوه أحب إلى رسول الله من أبيك. وعن عبد الله بن دينار، قال: كان عمر بن الخطاب إذا رأى أسامة بن زيد يقول: السلام عليك أيها الأمير، فيقول أسامة: غفر الله لك يا أمير المؤمنين، تقول لي هذا؟ قال: فكان يقول له: لا أزال أدعوك ما عشت الأمير، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت علي أمير.

قال الواقدي في إسناده: توجه أسامة في سنة سبع في سرية، فلحق نهيك بن مرداس الجهني. فلما لحمه السيف، قال: لا إله إلا الله، فقتله واستاق من كان معه من النعم. فلما رجع، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أسامة، أقتلت رجلا يقول لا إله إلا الله فقال: إنما قالها، يا رسول الله، متعوذا. قال: فهلا شققت عن قلبه؟ فجعل أسامة على نفسه ألا يواجه رجلا يقول: لا إله إلا الله، بسيف أبدا؟ فلما نهض علي رضي الله عنه إلى البصرة لحرب أصحاب الجمل، دعاه إلى الخروج معه، فقال: والله إني لأصدقك المحبة؛ ولو كنت بين لحيي أسد لأحببت أن أكون معك، ولكني جعلت على نفسي وعاهدت ربي أن لا أقاتل أحدا يقول لا إله إلا الله.

☪

عن الضحاك قال: رأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه طيرا واقفا على شجرة فقال: طوبى لك يا طير والله لوددت أني كنت مثلك، تقع على الشجر، وتأكل من الثمر، ثم تطير وليس عليك حساب ولا عذاب والله لوددت أني كنت شجرة إلى جانب الطريق مر علي جمل فأخذني، فأدخلني فاه، فلاكني ثم ازدردني، ثم أخرجني بعرا ولم أك بشرا. وعند ابن فتحويه في الوجل عن الضحاك بن مزاحم قال: قال أبو بكر الصديق ونظر إلى عصفور: طوبى لك يا عصفور تأكل من الثمار، وتطير في الأشجار، لا حساب عليك ولا عذاب والله لوددت أني كبش يسمنني أهلي، فإذا كنت أعظم ما كنت وأسمنه يذبحوني، فيجعلون بعضي شواء، وبعضي قديدا، ثم أكلوني، ثم ألقوني عذرة في الحش، وأني لم أكن خلقت بشرا. وعند أحمد في الزهد عن أبي بكر الصديق قال: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن. وأخرج هناد، و في الحلية ، والبيهقي عن الضحاك قال: قال عمر: يا ليتني كنت كبش أهلي، يسمنوني ما بدا لهم، حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبون، فجعلوا بعضي شواء، وبعضي قديدا، ثم أكلوني، فأخرجوني عذرة، ولم أكن بشرا. عن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني كنت هذه التبنة، ليتني لم أخلق، ليتني لم أكن شيئا، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسيا منسيا.

وعند أبي نعيم في الحلية عن عمر قال: لو نادى مناد من السماء: يا أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلا واحدا لخفت أن أكون أنا هو. ولو نادى مناد: أيها الناس، إنكم داخلون النار إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا هو.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ موسوعة الأعلام/ صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ تاريخ المدينة/ تاريخ الرسل والملوك/ حياة الصحابة للكاندهلوي/ مقاييس اللغة/ تاج العروس/ أنساب الأشراف/ رجال حول الرسول/

جاء عيينة بن حصن[1] والأقرع بن حابس[2] إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالا: يا خليفة رسول الله إن عندنا أرضا سبخة* ليس فيها كلأ ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعنا لعلنا نحرثها أو نزرعها، لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم، فقال أبو بكر لمن حوله: ما تقولون فيما قالا، إن كانت أرضا سبخة لا ينتفع بها؟ قالوا: نرى أن تقطعهما إياها، لعل الله ينفع بها بعد اليوم. فأقطعهما إياها، وكتب لهما بذلك كتابا، وأشهد عمر[3]،وليس في القوم، فانطلقا إلى عمر يشهدانه، فوجداه قائما يهنأ* بعيرا له، فقالا: إن أبا بكر أشهدك على ما في الكتاب فنقرأ عليك أو تقرأ؟ فقال: أنا على الحال الذي تريان، فإن شئتما فاقرءا وإن شئتما فانظرا حتى فرغ، فأقرأ عليكما قالا: بل نقرأ فقرءا فلما سمع ما في الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل عليه فمحاه، فتذمرا، وقالا مقالة سيئة، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما، والإسلام يومئذ ذليل (أي قليل)، وإن الله قد أعز الإسلام، فاذهبا فأجهدا (علي) جهدكما، لا رعى الله عليكما إن رعيتما. فأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمران فقالا: والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر: فقال:لا بل هو لو كان شاء. فجاء عمر – وهو مغضب – فوقف على أبي بكر فقال: أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتها هذين أرض هي لك خاصة أم للمسلمين عامة؟ قال: بل للمسلمين عامة. قال: فما حملك أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين؟ قال: استشرت هؤلاء الذين حولي فأشاروا علي بذلك. قال: فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك، فكل المسلمين أوسعتهم مشورة ورضي؟. فقال أبو بكر رضي الله عنه: قد كنت قلت لك إنك على هذا أقوى مني، ولكن غلبتني.

وفي رواية أن عثمان قال للأقرع بن حابس وللزبرقان لما أقطعهما أبو بكر قطيعة وكتب لهما كتابا قال لهما عثمان: أشهد عمر فهو أحرز لأمركما، وهو الخليفة بعده. قال: فأتيا عمر فقال لهما: من كتب لكما هذا الكتاب؟ قالا: أبو بكر. قال: لا والله ولا كرامة، والله ليفلقن وجوه المسلمين بالسيوف والحجارة ثم يكون لكما هذا. قال: فتفل فيه ومحاه، فأتيا أبا بكر فقالا: ما ندري أنت الخليفة أم عمر؟! قال: ثم أخبراه فقال: فإنا لا نجيز إلا ما أجازه عمر. وقيل: إن ابن عامر استعمل الأقرع بن حابس على جيش، فأصيب هو والجيش بالجوزجان*.

أخرج ابن سعد عن أبيه أن أبا بكر الصديق كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه دعا رجالا من المهاجرين والأنصار، ودعا عمر وعثمان[4] وعلي[5] وعبد الرحمن بن عوف[6] ومعاذ بن جبل[7] وأبي بن كعب[8] وزيد بن ثابت[9] رضي الله عنهم؛ وكل هؤلاء كان يفتي في خلافته وإنما يصير فتوى الناس إلى هؤلاء. فمضى أبو بكر على ذلك، ثم ولي عمر فكان يدعو هؤلاء النفر، كانت الفتوى تصير وهو خليفة إلى عثمان، وأبي وزيد.

كان أبو بكر الصديق زاهدا في الإمارة وظهر زهده في خطبته التي اعتذر فيها من قبول الخلافة حيث قال: والله ما كنت حرصا على الإمارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغبا ولا سألتها الله عز وجل في سر وعلانية، ولكني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة ولكن قلدت أمرا عظيما مالي به طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولو وددت أن أقوي الناس عليها مكاني، وقد قام باستبراء نفوس المسلمين من أي معارضة لخلافته واستحلفهم على ذلك فقال: أيها الناس أذكر الله أيما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجليه، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه السيف فدنا منه حتى وضع رجلا على عتبة المنبر والأخرى على الحصى وقال: والله لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله فمن ذا يؤخرك !.

*(سبخة)السبخة: محركة ومسكنة: أرض ذات نز وملح. (يهنأ) الإبل يهنؤها: طلاها بالهناء، أي القطران.(جوزجان) جوزجانان وجوزجان هما واحد بعد الزاي جيم وفي الأولى نونان وهو اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان وهي بين مرو الروذ وبلخ ويقاله لقصبتها اليهودية ومن مدنها الأنبار وفارياب وكلار.

- (3) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة 6 من النبوة وقيل سنة 5. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر، قتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي وكان عمره 65 سنة وخلافته 10 سنين و6 أشهر.
- (1) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، كنيته أبو عبد الله أسلم بعد الفتح، وقيل قبل الفتح، وشهد الفتح مسلما، وهو من المؤلفة قلوبهم، وكان من الأعراب الجفاة، وكان ممن ارتد في عهد أبي بكر ثم عاد إلى الإسلام، توفي في خلافة عثمان.
- (2) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي. شهد فتح مكة، وحنينا، وحصار الطائف، واليمامة، ودومة الجندل.شهد مع خالد بن الوليد فتح العراق والأنبار، وكان على مقدمي خالد.واستعمله عبد الله بن عامر على جيش بعثه إلى خراسان، فأصيب بـ الجوزجان هو والجيش.توفي في خلافة عثمان.
- (6) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.
- (9) زيد بن ثابت بن الضحاك بن كوزان الأنصاري البخاري أبو سعيد وأبو خارجة صحابي مشهور، كتب الوحي. أمره أبو بكر أن يجمع القرآن وأمره عثمان فكتب المصحف وابي بن كعب يملي عليه. ولد في حدود 12 ق.هـ وتوفي سنة 45 هـ أو 48 هـ وقيل: بعد 50 هـ. عن يحيى بن سعيد قال لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا. وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارحم أمتي أبو بكر واشدها في دين الله عز وجل عمر واصدقها حياء عثمان واعلمها بالفرائض زيد بن ثابت.
- (7) معاذ بن جبل بن عمرو، كنيته أبو عبد الرحمن ويقال أبو عبد الله شهد بدرا والعقبة مع النبي صلى الله عليه وسلم حديثه في أهل الشام ومات بها بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة 18 هـ في خلافة عمر وله 31 سنة وقيل إنه حين مات كان له 33 سنة ومنهم من قال 28 سنة
- (8) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن يزيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار النجاري الأنصاري المدني أبو المنذر سمع النبي صلى الله عليه وسلم. قيل مات سنة 30 هـ في خلافة عثمان وهو أثبت الأقاويل. وقيل سنة 22 هـ في خلافة عمر وقيل سنة 19هـ.
- (5) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.
- (4) عثمان بن عفان الأموي،أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.ودفن بالبقيع.

☪

قال علي الصلابي: هذه الواقعة دليل لا يقبل الشك أن حكم الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين كان يقوم على الشورى، فهي تظهر لنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حريصا على استشارة المسلمين في الصغير والكبيرة، وما كان ليبرم أمرا دون مشورة إخوانه.والخبر السالف الذكر يؤكد لنا أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمضي الشورى في كل شأن من شؤون المسلمين، بل وكان ينزل عن رأيه، وهو من هو رضي الله عنه، إنها صورة للشورى الحقيقية المنضبطة مع أوامر الله، مع الحلال والحرام، لا الشورى المزيفة التي تجري تحت قباب مجالس دستورية لم تجن من ورائها الشعوب إلا المرارة والاستبداد والظلم والضياع.

قال المحب الطبري: قال أهل العلم بالسير: كان عمر بن الخطاب من المهاجرين الأولين ممن صلى إلى القبلتين وشهد بدرا والحديبية وبيعة الرضوان وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما أسلم أعز الله به الإسلام وهاجر علانية، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض وبشره بالجنة، وأخبره أن الله جعل الحق على لسانه وقلبه، وأن رضاه وغضبه عدل، عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ﴾ وأن الشيطان يفر منه، وأن الله عز وجل أعز به الدين واستبشر أهل السماء بإسلامه وسماه عبقريا ومحدثا وسراج أهل الجنة، ودعاه صاحب رحا دارة العرب يعيش حميدا، ويموت شهيدا، وأنه رجل لا يحب الباطل ولو كان بعده نبي لكان عمر، عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ –قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– مِنْ نَبِيٍّ وَلَا مُحَدَّثٍ﴾، وهو أول من كتب التاريخ للمسلمين من الهجرة، وأول من حض على جمع القرآن، وأول من جمع الناس على قيام رمضان، وأول من عس في عمله، وحمل الدرة وأدب بها، ووضع الخراج ومصر الأمصار واستقضى القضاة، ودون الدواوين وفرض الأعطية، وحج بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في آخر حجة حجها، وأول من سمي بأمير المؤمنين، وفتح الله على يديه في سني خلافته دمشق ثم الروم ثم القادسية حتى انتهى الفتح إلى حمص وجلولاء والرقة والرها وحران ورأس العين والخابور ونصيبين وعسقلان وطرابلس وما يليها من الساحل وبيت المقدس وبيسان واليرموك والجابية والأهواز وقيسارية ومصر وتستر ونهاوند والري وما يليها، وأصفهان وبلد فارس واصطخر وهمدان والنوبة والبربر والبرلس، وحج بالناس عشر حجج متوالية، ثم صدر إلى المدينة فقتله غدرا الكافر أبو لؤلؤة المجوسي. عن ابن عمر قال: لما طعن عمر قال: من طعنني؟ قالوا: أبو لؤلؤة، فقال، لقد كنت أنهى أن تجلبوا إلينا منهم أحدا، الحمد لله الذي لم أخاصم في دمي أحدا من المسلمين. وعن عبد الله بن المبارك قال: حدثني سعيد بن عبد الرحمن الأعرج قال: كان عمر رضي الله عنه يقول: اللهم ارزقني قتلا في سبيلك واجعله في بلد رسولك قال: فجعل الناس يعجبون ولا يدرون ما لعمر رضي الله عنه من الله من المنزلة حتى طعنه أبو لؤلؤة

☪

قال علي الصلابي: أجمع أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا على أن أحق الناس بالخلافة بعد النبي أبو بكر الصديق لفضله وسابقته ولتقديم النبي صلى الله عليه وسلم إياه في الصلوات على جميع الصحابة وقد فهم أصحاب النبي مراد المصطفى عليه الصلاة والسلام من تقديمه في الصلاة فأجمعوا على تقديمه في الخلافة ومتابعته ولم يتخلف منهم أحد ولم يكن الرب جل وعلا ليجمعهم على ضلالة فبايعوه طائعين وكانوا لأوامره ممتثلين ولم يعارض أحد في تقديمه، فعندما سئل سعيد بن زيد متى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم: كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة. وقد نقل جماعة من أهل العلم المعتبرين إجماع الصحابة ومن جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة على أن أبا بكر أولى بالخلافة من كل أحد وهذه بعض أقوال أهل العلم: قال الخطيب البغدادي أجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر قالوا له: يا خليفة رسول الله ولم يسم أحد بعده خليفة، وقيل: إنه قبض النبي عن ثلاثين ألف مسلم كل قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله ورضوا به من بعده رضي الله عنهم. وقال أبو الحسن الأشعري: أثنى الله عز وجل على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة وأثنى على أهل بيعة الرضوان فقال عز وجل:﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح]. قد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق وسموه خليفة رسول الله وبايعوه وانقادوا له وأقروا له بالفضل وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة وغير ذلك. وقال عبد الملك الجويني: أما إمامة أبي بكر فقد ثبتت بإجماع الصحابة فإنهم أطبقوا على بذل الطاعة والانقياد لحكمه..وما تخرص به الروافض من إبداء علي شراسا، وشماسا* في عقد البيعة له كذب صريح، نعم لم يكن في السقيفة وكان مستخليا بنفسه قد استفزه الحزن على رسول الله ثم دخل فيما دخل الناس فيه وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد. وقال أبو بكر الباقلاني في معرض ذكره للإجماع على خلافة الصديق: وكان مفروض الطاعة لإجماع المسلمين على طاعته وإمامته وانقيادهم له حتى قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مجيبا لقوله لما قال: أقيلوني فلست بخيركم، فقال: لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله لديننا ألا نرضاك لدنيانا يعني بذلك حين قدمه للإمامة في الصلاة مع حضوره وإستنابته في إمارة الحج فأمرك علينا وكان أفضل الأمة وأرجحهم إيمانا وأكملهم فهما وأوفرهم علم. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لما ولي علي بن أبي طالب قال له رجل: يا أمير المؤمنين كيف يخطأك المهاجرون والأنصار إلى أبي بكر وأنت أكرم منقبة وأقدم سابقة فقال له: لولا أن أمير المؤمنين عايذه الله لقتلك ولئن بقيت لتأتينك روعة خضراء ويحك إن أبا بكر سبقني إلى أربع لم أتهن ولم أعتض منهم: مرافقة الغار وتقدم الهجرة وأني آمنت صغيرا وآمن كبيرا وإمام الصلاة.

*(الشراس) شدة المعاملة. مختار الصحاح، و(شماساً) أي صعب الخلق

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ تاريخ الخلفاء الراشدين/ حلية الأولياء/ صحيح البخاري/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ أبو بكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره/ معجم البلدان/ فضائل أبي بكر الصديق/

عن عبد الله بن عباس[1] قال: كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف[2]، فالتسمته يوما، فلم أجده، فانتظرته في بيته حتى رجع من عند عمر[3]، فلما رجع قال: لو رأيت رجلا آنفا قال لعمر كذا وكذا، وهو يومئذ بمنى في آخر حجة حجها عمر، فذكر عبد الرحمن لابن عباس أن رجلا أتى عمر؛ فأخبره أن رجلا قال: والله لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا، قال عمر حين بلغه ذلك: إني لقائم -إن شاء الله- في الناس، فمحذرهم الذين يغصبون الأمة أمرهم، قال عبد الرحمن: قلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل ذلك يومك، فإن الموسم يجمع رعاع الناس، وغوغائهم، وإنهم هم الذين يغلبون على مجلسك، فأخشى إن قلت فيهم اليوم مقالة أن يطيروا بها، ولا يعوها، ولا يضعوها على مواضعها، أمهل حتى تقدم المدينة؛ فإنها دار الهجرة والسنة، وتخلص بعلماء الناس وأشرافهم، فتقول ما قلت متمكنا، فيعوا مقالتك، ويضعوها مواضعها. فقال عمر: والله لئن قدمت المدينة صالحا لأكلمن بها الناس في أول مقام أقومه.قال ابن عباس: فلما قدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، وذاك يوم الجمعة هجرت، فوجدت سعيد بن زيد[4] قد سبقني بالتهجير، فجلست إلى ركن جانب المنبر، فجلس إلى جنبي تمس ركبتي ركبته، فلم ينشب عمر أن خرج، فأقبل يوم المنبر، فقلت لسعيد بن زيد، وعمر مقبل: أما والله ليقولن أمير المؤمنين على هذا المنبر مقالة لم يقلها أحد قبله، فأنكر ذلك سعيد، وقال: ما عسى أن يقول أحد قبله!؟ فلما جلس على المنبر أذن المؤذن، فلما أن سكت قام عمر، فتشهد، وأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها، ولعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي ألا يعيها فلا أحل له أن يكذب علي: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم، وأنزل عليه الكتاب، وكان مما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله عز وجل، فتترك فريضة أنزلها الله عز وجل، فإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت عليه بينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف، ثم إنا قد كنا نقرأ ألا ترغبوا عن آبائكم، فإن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لاَ تُطْرُونِى كَمَا أُطْرِىَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ﴾، ثم إنه بلغني أن فلانا منكم يقول: والله لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا، فلا يغترن امرؤ أن يقول: إن بيعة أبي بكر[5] كانت فلتة فتمت فإنها قد كانت كذلك إلا أن الله عز وجل وقى شرها، وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، وإنه كان من خيرنا حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إن عليا[6]، والزبير[7]، ومن معهما تخلفوا عنا، وتخلفت الأنصار عنا بأسرها، فاجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فبينا نحن في منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رجل ينادي من وراء الجدار: اخرج إلي يابن الخطاب، فقلت: إليك عني فإنا عنك مشاغيل، فقال: إنه قد حدث أمر لا بد منك فيه، إن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، فأدركوهم قبل أن يحدثوا أمرا يكون بيننا وبينهم فيه حرب، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا من هؤلاء الأنصار، فانطلقنا نؤمهم، فلقيت أبا عبيدة بن الجراح[8]، فأخذ أبو بكر بيده، فمشى بيني وبينه، حتى إذا دنونا منهم لقينا رجلان صالحان، فذكرا الذي صنع القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلت: نريد إخواننا من هؤلاء الأنصار، فقالا: لا عليكم ألا تقربوهم يا معشر المهاجرين، اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتيناهم، فإذا هم جميع في سقيفة بني ساعدة، وإذا بين أظهارهم رجل مزمل، قلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة[9]، قلت: ماله؟ قالوا: هو وجع، فلما جلس تكلم خطيب الأنصار، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله، وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط منا، فقد دفت دافة من قومكم. قال عمر: فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، ويحصنونا من الأمر، فلما قضى مقالته أردت أن أتكلم، قال: وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقوم بها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحدة، فلما أردت أن أتكلم، قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه -فتكلم أبو بكر، وهو كان أحلم مني، وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا تكلم بمثلها، أو أفضل في بديهته حتى سكت- فتشهد أبو بكر، وأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، أيها الأنصار، فما ذكرتم فيكم من خير فأنتم أهله، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي، وبيد أبي عبيدة بن الجراح، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدم، فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي من أن أؤمر على قوم فيهم أبو بكر، إلا أن تغتر نفسي عند الموت، فلما قضى أبو بكر مقالته قال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، منا أمير، ومنكم أمير، يا معشر قريش، قال عمر: فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى أشفقت الاختلاف، قلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط أبو بكر يده، فبايعته، وبايعه المهاجرون، والأنصار، فنزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل من الأنصار: قتلتم سعدا، قال عمر: فقلت وأنا مغضب: قتل الله سعدا، فإنه صاحب فتنة وشر، وإنا ما رأينا فيما حضر من أمرنا أمرا أقوى من بيعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم قبل أن تكون بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما أن نبايعهم على ما لا نرضى، وإما أن نخالفهم فيكون فسادا، فلا يغترن امرؤ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت، فقد كانت فلتة ولكن الله وقى شرها، ألا وإنه ليس فيكم اليوم مثل أبي بكر.

■ (3) أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي صلى الله عليه وسلم، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (5) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

■ (1) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله،يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

■ (6) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين مات سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم.

■ (7) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، أبو عبد الله، ابن عمه النبي حواري رسول الله.أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر.أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين.أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها النبي قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ

■ (2) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.

■ (8) أبو عبيدة بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال. أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام. .ولد سنة 40 ق هـ. ومات بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ.

■ (4) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ومن السابقين الأولين البدريين، ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد حصار دمشق، وفتحها، مات سنة 51 هـ وهو ابن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة

■ (9) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة، الخزرجي، أبو ثابت: صحابي، من أهل المدينة. كان سيد الخزرج، وأحد الامراء الاشراف في الجاهلية والاسلام. وكان يلقب في الجاهلية بالكامل لمعرفته الكتابة والرمي والسباحة وشهد العقبة مع السبعين من الانصار. وشهد أحدا والخندق وغيرهما. وكان أحد النقباء الاثنى عشر. ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم طمع بالخلافة، ولم يبايع أبا بكر. فلما صار الامر إلى عمر عاتبه، فقال سعد: كان والله صاحبك أبو بكر أحب إلينا منك، وقد والله أصبحت كارها لجوارك. فقال عمر: من كره جوار جاره تحول عنه. فلم يلبث سعد أن خرج إلى الشام مهاجرا، فمات بحوران. سنة 14 هـ وكان لسعد وآبائه في الجاهلية أطم حصن ينادى عليه: من أحب الشحم واللحم فليأت أطم دليم بن حارثة.

☪

عن حميد بن منهب قال: زرت الحسن بن أبي الحسن، فخلوت به، فقلت له: يا أبا سعيد، أما ترى ما الناس فيه من الاختلاف؟ فقال لي: يا أبا بحير، أصلح أمر الناس أربعة، وأفسده اثنان، أما الذين أصلحوا أمر الناس: فعمر بن الخطاب يوم سقيفة ساعدة حيث قالت قريش: منا أمير، وقالت الأنصار: منا أمير، فقال لهم عمر بن الخطاب: ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الأئمة من قريش؟ قالوا: بلى، قال: أولستم تعلمون أنه أمر أبا بكر يصلي بالناس؟ قالوا: بلى، قال: فأيكم يتقدم أبا بكر؟ قالوا: لا أحد، فسلمت لهم الأنصار، ولولا ما احتج به عمر من ذلك لتنازع الناس هذه الخلافة إلى يوم القيامة! وأبو بكر الصديق حيث ارتدت العرب، فشاور فيهم الناس، فكلهم أشار عليه بأن يقبل منهم الصلاة، ويدع الزكاة، فقال: والله لو منعوني عقالا مما كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لجاهدتهم، ولولا ما فعل أبو بكر من ذلك لألحد الناس في الزكاة إلى يوم القيامة! وعثمان بن عفان حيث جمع الناس على هذه القراءة، وقد كانوا يقرؤونه على سبعة أحرف؛ فكان هؤلاء يلقون هؤلاء، فيقولون: قراءتنا أفضل من قراءتكم، حتى كاد بعضهم أن يكفر بعضا، فجمعهم عثمان على هذا الحرف، ولولا ما فعل عثمان من ذلك لألحد الناس في القرآن إلى يوم القيامة، وعلي بن أبي طالب حيث قاتل أهل البصرة، فلما فرغ منهم قسم بين أصحابه ما حوى عسكرهم، فقالوا له: يا أمير المؤمنين، ألا تقسم بيننا إماءهم ونساءهم؟ فقال: أيكم يأخذ عائشة في سهمه؟ قالوا: ومن يأخذ أم المؤمنين في سهمه؟! قال: أفرأيتم هؤلاء اللواتي قتل عنهن أزواجهن، أيعتددن أربعة أشهر وعشرا، ويورثن الربع والثمن؟ قالوا: نعم، قال: فما أراهن إماء؟ ولو كن إماء لم يعتددن، ولم يورثن. ولولا ما فعل علي من ذلك لم تعلم الناس كيف تقاتل أهل القبلة. وأما اللذان أفسدا أمر الناس: فعمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف، فحكمت الخوارج، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة، والمغيرة بن شعبة، فإنه كان عامل معاوية على الكوفة، فكتب إليه معاوية: إذا قرأت كتابي هذا فأقبل معزولا، فأبطأ في مسيره، فلما ورد عليه قال له: يا مغيرة، ما الذي أبطأ بك؟ قال: أمر، والله كنت أوطئه وأهيئه، قال: وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك، قال: أوفعلت؟ قال: نعم، قال: ارجع إلى عملك! فلما خرج من عند معاوية قال له أصحابه: ما وراءك يا مغيرة؟ قال: ورائي، والله أني وضعت رجل معاوية في غرز بغي لا يزال فيه إلى يوم القيامة. قال الحسن: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لآبائهم، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة. وعن أنس بن مالك قال: لقد رأيت عمر يزعج أبا بكر إلى المنبر إزعاجا.

عن عائشة قالت: توفيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيها بستة أشهر، فاجتمع إلى علي أهل بيته، فبعثوا إلى أبي بكر: ائتنا، فقال عمر: والله لا تأتيهم، فقال أبو بكر: والله لأتينهم، وما تخاف علي منهم؟ فجاءهم حتى دخل عليهم، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه، ثم قال: إني قد عرفت أنكم قد وجدتم علي في أنفسكم من هذه الصدقات التي وليت عليكم، ووالله ما صنعت ذلك إلا لأني لم أكن أريد أن أكل شيئا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أرى أثرة فيه وعمله، إلى غيري حتى أسلك به سبيله، وأنفذه فيما جعله الله، ووالله لأن أصلكم أحب إلي من أن أصل أهل قرابتي، لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعظيم حقه الذي جعله له على كل مسلم. ثم تشهد علي، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: يا أبا بكر والله ما نفسنا عليك خيرا قسمه الله لك ألا أن تكون أهلا لما أسند إليك في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنك، وفضلك؛ ولكنا قد كنا من الأمر حيث قد علمت، فتقول به علينا، فوجدنا في أنفسنا. وقد رأيت أن أبايع، وأدخل فيما دخل فيه الناس، وإذا كان العشية، فصل بالناس الظهر، واجلس على المنبر حتى آتيك، فأبايعك. فلما صلى أبو بكر الظهر ركب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر الذي كان من أمر علي وما دخل فيه من أمر الجماعة والبيعة، وها هو ذا فاسمعوا منه. فقام علي فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر أبا بكر، وفضله وسنه، وأنه أهل لما ساق الله إليه من خير، ثم قام إلى أبي بكر، فبايعه، فلا ترى مثلما قال الناس: جزاك الله يا أبا حسن خيرا؛ فقد أحسنت وأجملت حتى لم تصدع عصا المسلمين، ولم تفرق جماعتهم، فدخل فيما دخلوا فيه، ثم انصرف.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ الثقات لابن حبان/

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أبا بكر الصديق قام يوم جمعة فقال: إذا كان بالغداة فأحضروا صدقات الإبل نقسم، ولا يدخل علينا أحد إلا بإذن.فقالت امرأة لزوجها: خذ هذا الخطام* لعل الله يرزقنا جملا. فأتى الرجل فوجد أبا بكر، وعمر[1] قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما. فالتفت أبو بكر فقال: ما أدخلك علينا ؟ ثم أخذ منه الخطام فضربه.فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخطام، وقال: إستقد* قال له عمر: والله لا يستقيد، لا تجعلها سنة. قال أبو بكر: فمن لي من الله يوم القيامة ؟ فقال عمر: أرضه ؛ فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلة ورحلها وقطيفة، وخمسة دنانير فأرضاه بها.

قال مالك: بلغني أن أبا بكر الصديق لما ولي الخلافة ضرب رجلاً ثم ندم وقال: مالي ولهذا ألا رددتها عليهم؟. فسمعته أم المؤمنين عائشة[2] فأرسلت إلى عمر، فجاءه عمر فقال له: إني قد ضربت رجلاً وقد كنت معافى من هذا أن أضرب أحداً. فقال له عمر كذلك الإمام. قال: فما المخرج؟. قال: أن نأتي الرجل فنسأله أن يجعلك في حل. فأتياه فاستحلاه.

----

*(الخطام)الحبل. (إستقد) اقتص

■ (2) أم المؤمنين عائِشة بنت أبي بكر الصِديق التيمية القُرشية. زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وإحدى أمهات المؤمنين.كانت من أعلم النساء بالدين والقرآن والتفسير والحديث والفقه. ولدت رضي الله عنها سنة 19 ق.هـ وتوفيت سنة 58 هـ

■ (1) أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي صلى الله عليه وسلم، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

أخرج أبو نعيم في فضائل الصحابة عن جبير بن نفير أن نفرا قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: والله ما رأينا رجلا أقضى بالقسط، ولا أقول بالحق، ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين فأنت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عوف بن مالك رضي الله عنه: كذبتم، والله، لقد رأينا خيرا منه بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من هو يا عوف؟ فقال: أبو بكر، فقال عمر: صدق عوف وكذبتم، والله لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك وأنا أضل من بعير أهلي. وأخرج خيثمة وابن عساكر عن أبي الزناد قال: قال رجل لعلي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ما بال المهاجرين والأنصار قدموا أبا بكر وأنت أوفى منه منقبة، وأقدم منه سلما، وأسبق سابقة؟ قال: إن كنت مقرشيا فأحسبك من عائذة، قال: نعم، قال: لولا أن المؤمن عائذ الله لقتلتك، ولئن بقيت ليأتينك مني روعة حصراء، ويحك إن أبا بكر سبقني إلى أربع: سبقني إلى الإمامة، وتقديم الإمامة، وتقديم الهجرة وإلى الغار، وإفشاء الإسلام؛ ويحك إن الله ذم الناس كلهم ومدح أبا بكر فقال: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة] قال وهب السوائي: خطب الناس علي رضي الله عنه فقال: من خير هذه الأمة بعد نبيها؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين. قال: لا، بل أبو بكر، ثم عمر. إن كنا لنظن أن السكينة لتنطق على لسان عمر.

قال علي الصلابي: لقد كان الصديق قدوة في عدله، يأسر القلوب ويبهر الألباب، فالعدل في نظره دعوة عملية للإسلام فيه تفتح قلوب الناس للإيمان، لقد عدل بين الناس في العطاء، وطلب منهم أن يكونوا عونا له في هذا العدل، وعرض القصاص من نفسه في هذه الواقعة يدل على العدل والخوف من الله سبحانه. قال الطرطوشي: دلت الآثار على أن الأمير والمأمور في القصاص سواء، إذا جنى أحدهما على الآخر، وإن الأمير إذا ظلم المأمور زال تأمره عليه، وكان الأمير في ذلك المعنى كبعض المؤمر عليهم حتى يتحاكموا إلى السلطان الأعظم. عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ﴾؛ وهذا حديث صحيح رواه البخاري: فإن قيل: يعارضه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام] فكيف يؤخذ الظالم بذنب ركبه المظلوم؟ قلنا: معنى الآية أنه لا يعاقب أحد بذنب أحد ابتداء، وأما في مسألتنا فمظلمة بقيت عنده وليس له وفاء بها فهو الذي اكتسب هذا الوزر وهو المعنى بقوله تعالى:﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت] وعن الحسن قال حدثني سواد بن عمرو قال:﴿أَتَيْتُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مُتَخَلِّقٌ بِخَلُوقٍ فَلَمَّا رَآنِي قَالَ لِي: يَا سَوَادُ بْنَ عَمْرٍو خَلُوقٌ وَرْسٍ أَوَلَمْ أَنْهَ عَنِ الْخَلُوقِ؟. وَنَخَسَنِي بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ فِي بَطْنِي فَأَوْجَعَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ الْقِصَاصَ، قَالَ: الْقِصَاصَ، فَكَشَفَ لِي عَنْ بَطْنِهِ، فَجَعَلْتُ أُقَبِّلُهُ ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَدَعُهُ شَفَاعَةً لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه، مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لعلمه أن الله تعالى لا يدع القصاص في المظالم بين العباد، لأن الله تعالى أعدل من أن يدع مظلمة لأحد عند نبي ولا غيره.

قال الله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء] قال ابن جرير: هو خطاب من الله لولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولوا أمره في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم بالعدل بينهم في القضية، والقسم بينهم بالسوية. وقال ابن كثير:أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس. وقال ابن سعدي:وهذا يشمل الحكم بينهم في الدماء، والأموال، والأعراض، القليل من ذلك والكثير، على القريب والبعيد، والفاجر والولي، والعدو. والمراد بالعدل الذي أمر الله بالحكم به، هو ما شرعه الله على لسان رسوله، من الحدود والأحكام، وهذا يستلزم معرفة العدل، ليحكم به. وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ –وعد منهم-: الإِمَامُ العَادِلُ﴾ قال ابن حجر: وأحسن ما فسر به العادل أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط.

عن محمد الباقر، أنه قال: أجمع بنو فاطمة رضي الله عنها على أن نقول في الشيخين أحسن ما يكون من القول. وعن جعفر بن أبي طالب، قال: ولينا أبو بكر خير خليفة، وأرحمه لنا وأحناه علينا. وفي رواية: فما ولينا أحد من الناس مثله. وفي أخرى: فما رأينا قط من كان خيرا منه. وعن سالم بن أبي الجعد، قلت لمحمد ابن الحنفية: هل كان أبو بكر أول القوم إسلاما. قال: لا. قلت: فبم علا أبو بكر وسبق، حتى لا يذكر أحد غير أبي بكر. قال: لأنه كان أفضلهم إسلاما حين أسلم، حتى لحق بربه. وعن ولد عبد الله المحض، وهو السيد محمد الملقب بالنفس الزكية؛ أنه قال –لما سئل عن الشيخين-: لهما عندي أفضل من علي. وعن عروة عن عبد الله قال:سألت أبا جعفر محمدا الباقر، عن حلية السيف؟ فقال: لا بأس بها، قد حلي أبو بكر الصديق سيفه، قال: قلت: وتقول: الصديق؟! قال: نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل: الصديق، فلا صدق الله قوله في الدنيا والآخرة. وعن جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر؛ أن رجلا جاء إلى أبيه زين العابدين علي بن الحسين فقال له: أخبرني عن أبي بكر، فقال: عن الصديق؟ فقال الرجل: وتسميه الصديق؟! فقال له: ثكلتك أمك! وقد سماه صديقا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار؛ ومن لم يسمه صديقا، فلا صدق الله قوله في الدنيا ولا في الآخرة، فأحب أبا بكر وعمر. وعن جعفر الصادق، أنه قال: ما أرجو من شفاعة علي ضيئا؛ إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله، ولقد ولدني مرتين. وعن عبد الله المحض بن الحسن وكان شيخ بني هاشم ورئيسهم: أنه سئل: أتمسح على الخفين؟ فقال: أمسح عليهما؛ قد مسح عمر رضي الله عنه فقال له السائل: إنما أسألك أنت، أتمسح عليهما؟ قال: ذلك أعجز لك، أخبر عن عمر وتسألني عن رأيي!؟ فعمر خير مني وملء الأرض من مثلي، فقيل له: هذا تقية؟ فقال: نحن بين القبر والمنبر، اللهم هذا قولي في السر والعلانية، فلا يسمع قولي أحد بعدي. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن عليا كان مقهورا، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بأمر، فلم ينفذه؛ فكفى بهذا إزراء ومنقصة. وعن أيوب السختياني قال: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق.

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: وفد ناس من أهل الكوفة وناس من أهل البصرة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فلما نزلوا المدينة تحدث القوم بينهم إلى أن ذكروا أبا بكر وعمر، ففضل بعض القوم أبا بكر على عمر، وفضل بعض القوم عمر على أبي بكر، وكان الجارود بن المعلى[1] ممن فضل أبا بكر على عمر.فجاء عمر ومعه درته فأقبل على الذين فضلوه على أبي بكر، فجعل يضربهم بالدرة، حتى ما يتقي أحدهم إلا برجله فقال له الجارود: أفق أفق يا أمير المؤمنين، فإن الله عز وجل لم يكن يرانا نفضلك على أبي بكر، وأبو بكر أفضل منك في كذا، وأفضل منك في كذا. فسري عن عمر ثم انصرف. فلما كان من العشي صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا أن افضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، فمن قال غير ذلك بعد مقامي هذا فهو مفتر، عليه ما على المفتري.وعن النزال بن سبرة الهلالي قال: وافقنا من علي طيب نفس ومزاح فقلنا: يا أمير المؤمنين حدثنا عن أصحابك.قال: كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابي.قلنا: حدثنا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .قال: سلوني. قلنا: حدثنا عن أبي بكر. قال ذاك امرؤ سماه الله عز وجل صديقا على لسان جبريل ولسان محمد صلى الله عليه وسلم، كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة، رضيه لديننا، فرضيناه لدنيانا. وعن عبد خير، عن علي بن أبي طالب قال: إن الله جعل أبا بكر وعمر حجة على من بعدهما من الولاة إلى يوم القيامة، فسبقا والله سبقا بعيدا، وأتعبا والله من بعدهما إتعابا شديدا، فذكرهما حزن للأمة، وطعن على الأئمة. وعن إسماعيل بن زياد قال: مر علي بن أبي طالب على المساجد في شهر رمضان، وفيها القناديل، فقال: نور الله على عمر قبره كما نور علينا مساجدنا.

■ (1) الجارود، هو بشر بن عمرو بن حنش بن النعمان، وقيل: هو أبو المعلى، الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة، وقيل: الجارود بن المعلى، ويقال: ابن عمرو بن المعلى، وقيل: الجارود بن العلاء، وقيل: الجارود بن عمرو بن حنش، وقيل: اسمه بشر بن حنش، إلى غير ذلك من أقوال تدل على اضطراب أهل الأخبار في معرفته، وكان نصرانيا، وكان شاعرا، وأوردوا له شعرا يعلن إيمانه بالرسول، وبأنه حنيف حيث كان من الأرض. وعاش إلى زمن الردة فثبت على عهده. ووجهه الحكم بن أبي العاص على القتال يوم سهرك فقتل في عقبة الطين موضع بفارس شهيدا سنة 20 هـ في أيام عمر وقيل سنة 21 هـ وقيل: بقي إلى خلافة عثمان.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ أبو بكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي/ أسد الغابة/

قال رافع بن أبي رافع[1]: كنت رجلا أغير على الناس، وأدفن الماء في أدحي النعام*، فأستافه حتى أمر عليه بالفلاة، فأستثيره فلما كانت غزوة ذات السلاسل* بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا، واستعمل عليهم عمرو بن العاص – وهي التي يفخر بها أهل الشام – وفيهم أبو بكر الصديق وأمرهم أن يستنفروا من مروا عليه من المسلمين، فمروا علينا في منازلنا، فاستنفرونا، فقلت: والله لأختارن لنفسي رجلا فلأصحبنه، قال: فصحبت أبا بكر، قال: وكان له كساء فدكي*، كان إذا ركب خله عليه*، وإذا نزل لبسناه جميعا، وهو الذي عيرته به هوازن*، فقالوا: أ ذا الخلال* نبايع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم!؟ قال: فقضينا غزاتنا، ثم رجعت، فقلت: يا أبا بكر، إني قد صحبتك، وإن لي عليك حقا، فأحب أن توصيني؛ فإني لست كل ساعة أستطيع أن آتي المدينة، قال: قد أردت أن أفعل ذلك، ولو لم تقله؛ اعبد الله ولا تشرك به شيئا، وأقم الصلاة، وآتي الزكاة، وحج البيت وصم رمضان، ولا تأمرن على رجلين، قال: قلت: هذا: أعبد الله وأقيم الصلاة وأؤتي الزكاة وأحج البيت وأصوم رمضان، أرأيت قولك: ولا تأمرن على رجلين؟ فوالله ما يصيب الناس الخير والشرف إلا في الإمارة في الدنيا! قال: إنك استجهدتني -أو قال: استنصحتني- فجهدت* لك؛ إن الناس دخلوا في الإسلام طوعا وكرها، فهم عواذ الله، وجيران الله، وفي ذمة* الله، فمن ظلم أحدا منهم فإنما يخفر* ذمة الله، وإن أحدكم لتؤخذ شاة جاره وبعير جاره فيظل ناتئ عضله* لجاره، والله من وراء جاره.

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستخلف أبو بكر. قال: قلت: صاحبي الذي قال لي ما قال لآتينه، قال: فأتيت المدينة، فالتمست خلوته* حتى أتيته، قال: فسلمت عليه، وتعرفت إليه، فعرفني، فقلت له: أما تذكر قولا قلته لي؟ قال: وما هو؟ قال: قلت: قولك ولا تأمرن على رجلين! قال: بلى، إن الناس كانوا حديث عهد بكفر وإني خشيت عليهم، وإن أصحابي لم يزالوا بي، قال: فوالله ما زال يعتذر إلي حتى عذرته.

----

* (ذات السلاسل) أرض من أرض الشام هي ماء بأرض جذام وراء وادي القرى وبه سميت الغزاة غزاها سرية ابن العاص سنة ثمان (أدحي النعام) مبيض النعام في الرمل بضم الهمزة وكسرها (فدكي) نسبة إلى فدك قرية قريبة من خيبر بينها وبين المدينة ست ليال (الناتئ) المرتفع المتفخ والعضل جمع عضلة وهي القطعة من اللحم الشديدة (النتوء) البروز (الخلة) السمة والخصلة والصفة (فجهدت) الجهد والجهد: بالضم هو الوسع والطاقة، وبالفتح: المشقة. وقيل المبالغة والغاية. وقيل هما لغتان في الوسع والطاقة، فأما في المشقة والغاية فالفتح لا غير (الذمة) الذمة والذمام: العهد، والأمان، والضمان، والحرمة، والحق (الخلوة) وقت الاختلاء والانفراد فيه عن الناس (يخله عليه) أي يجمع بين طرف الكساء بخلال من عود أو حديد (أخفر) نقض العهد (هوازن) قبيله هوازن إحدى قبائل العرب وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمه

■ (1) رافع بن عميرة ويقال ابن عمرو الطائي ويقال رافع بن أبي رافع، أبو الحسن. ويقال إنه الذي كلمه الذئب. كان لصا في الجاهلية فدعاه الذئب إلى اللحوق برسول الله صلى الله عليه وسلم. وله خبر في صحبة أبي بكر الصديق في غزوة ذات السلاسل. قال ابن سعد: ثم انصرف إلى قومه ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم. وتوفي رافع سنة 23 هـ قبل قتل عمر. روى عنه طارق بن شهاب والشعبي. يقال إنه قطع ما بين دمشق والكوفة في خمس ليال لمعرفته بالمفاوز (كان دليل خالد بن الوليد لما سار من العراق إلى الشام فسلك به البر، فقطعه في خمسة أيام)

عن الحسن قال: لما بويع أبو بكر قام خطيبا، فلا والله ما خطب خطبته أحد بعد؛ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني وليت هذا الأمر، وأنا له كاره، ووالله لوددت أن بعضكم كفانيه، ألا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أقم به، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا أكرمه الله بالوحي، وعصمه به، ألا وإنما أنا بشر، ولست بخير من أحد منكم فراعوني؛ فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني، وإذا رأيتموني زغت فقوموني، واعلموا أن لي شيطانا يغيرني، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم. وعن رجل من آل ربيعة أنه بلغه: أن أبا بكر رضي الله عنه حين استخلف قعد في بيته حزينا، فدخل عليه عمر رضي الله عنه فأقبل عليه يلومه وقال: أنت كلفتني هذا الأمر وشكا إليه الحكم بين الناس. فقال له عمر:أو ما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ الْحَقَّ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِنِ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ الْحَقَّ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ﴾ فكأنه سهل على أبي بكر رضي الله عنه، كذا في الكنز أخرج أبو عبيد، والعقيلي، والطبراني، وابن عساكر، وسعيد بن منصور، وغيرهم عن عبد الرحمن بن عوف أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال له في مرض وفاته: إني لا آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني لم أفعلهن. وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهن. وثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن -فذكر الحديث. وفيه: ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: أبي عبيدة بن الجراح أو عمر، فكان أميرا وكنت وزيرا- وذكر: ووددت أني حين وجهت خالدا إلى الشام كنت وجهت عمر إلى العراق، فأكون قد بسطت يدي يمينا وشمالا في سبيل الله. وأما الثلاث التي وددت أني سألت عنهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوددت أني سألته فيمن هذا الأمر فلا ينازعه أهله، وددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر شيء؟ كذا في الكنز . قال الهيثمي: وفيه علوان بن داود البجلي، وهو ضعيف وهذا الأثر مما أنكر عليه.

عن عروة بن الزبير قال: قام أبو بكر خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني وليت أمركم، ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن، وبين النبي صلى الله عليه وسلم السنن وعلمنا فعلمنا فأعلمنا أن أكيس الكيس التقى، وأن أحمق الحمق الفجور، وإن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق؛ أيها الناس إنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن أحسنت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني. قال حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي: في حديث أبي بكر أنه قال: وليتكم، ولست بخيركم: مذهب هذا الكلام وطريقه مذهب التواضع وترك الاعتداد بالولاية، والتباعد من كبرياء السلطنة، ولم يزل من شيم الأبرار، ومذاهب الصالحين الأخيار أن يهتضموا أنفسهم وأن يسوغوا في حقوقهم، وقد كان له برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حين يقول:﴿لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى﴾ وهو صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم، أحمرهم وأسودهم.وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال -يعني الله عز وجل-: ﴿لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ لِي أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى﴾.

عن قيس بن أبي حازم قال:﴿بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرًا عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ إِلَى لَخْمٍ وَجُذَامٍ وَمَسَايِفِ الشَّامِ، قَالَ: وَكَانَ فِي أَصْحَابِهِ قِلَّةٌ، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ عَمْرُو:لاَ يُوقِدَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ نَارًا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَكَلَّمُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُكَلِّمَ عَمْرًا فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ:لاَ يُوقِدُ أَحَدٌ نَارًا إِلاَّ أَلْقَيْتُهُ فِيهَا، فَقَاتَلَ الْعَدُوَّ فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ، وَاسْتَبَاحَ عَسْكَرَهُمْ، فَقَالَ النَّاسُ: أَلاَ نَتْبَعُهُمْ؟ فَقَالَ:لاَ، إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ لَهُمْ وَرَاءَ هَذِهِ الْجِبَالِ مَادَّةٌ يَقْتَطِعُونَ الْمُسْلِمِينَ، فَشَكَوْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَجَعُوا، فَقَالَ: صَدَقُوا يَا عَمْرُو؟قَالَ: كَانَ فِي أَصْحَابِي قِلَّةٌ فَخَشِيتُ أَنْ يَرْغَبَ الْعَدُوُّ فِي قِتْلِهِمْ، فَلَمَّا أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَيْهِمْ،قَالُوا: اتْبَعْهُمْ، قُلْتُ: أَخْشَى أَنْ تَكُونَ لَهُمْ وَرَاءَ هَذِهِ الْجِبَالِ مَادَّةٌ يَقْتَطِعُونَ بِهَا الْمُسْلِمِينَ قَالَ: فَكَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ حَمِدَ أَمْرَهُ﴾وعن بسطام بن مسلم قال:﴿بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عَلَى سَرِيَّةٍ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَلَمَّا قَدِمُوا اشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَمْرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ يَتَأَمَّرُ عَلَيْكُمَا أَحَدٌ بَعْدِي﴾وعن أبي عثمان ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟قَالَ: عَائِشَةُ قُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ قَالَ: أَبُوهَا قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: عُمَرُ، فَعَدَّ رِجَالًا فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ﴾

أخرج الحاكم عن القاسم ابن محمد رحمه الله قال: رمي عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه بسهم في حصار الطائف–حصار الطائف كان بعد انصراف النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين عام الفتح، أي في السنة الثامنة من الهجرة والرجل جريح، ومعلوم السهام كانت تصيب الجسم وتقع فيه والجريح يتناول السهم ويضعه في جيبه، قال: فانتقضت به جراحته بعد أربعين ليلة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات. السهم محفوظ عند أبي بكر فقدم وفد ثقيف وهم أهل الطائف على أبي بكر فأخرج لهم السهم فقال: هل فيكم من أحد يعرف هذا السهم؟ قال أحدهم: أنا يا أمير المؤمنين؛ هذا السهم أنا بريته ورشته وعقبته -أي وضعت له عقبا- وأنا رميت به. فنظر إليه أبو بكر باسما وقال: هذا السهم الذي قتل عبد الله بن أبي بكر، فالحمد لله الذي أكرمه بيدك ولم يهنك بيده.

قال علي بن نايف: انظروا أي إنسان هذا؟ ابنه هو القتيل يحمد الله تعالى أن الله أكرمه بيد هذا المسلم، وأن الله لم يهن المسلم بيد ابنه عبد الله، لو أن عبد الله قتله في ذلك الحين لقتله كافرا ولدخل النار، ولكنه قتل فذهب شهيدا، ورحمة الله أدركت القاتل فدخل في الإسلام فوسعت رحمة الله الناس كلهم. حينما توفي عبد الله هذا دخل أبو بكر على عائشة أم المؤمنين فقال: أي بنية والله لكأنما أخذ بأذن شاة فأخرجت من دارنا، حينما خرجت جنازة الولد، كأنما أخذ باذن شاة فأخرجت من دارنا. قالت: يا أبت الحمد لله الذي ربط على قلبك وعزم لك على رشدك. إن الصبر هو الذي ذلل أبا بكر حتى جعله يحمد الله جل وعلا على أن مات ابنه شهيدا على أن أسلم القاتل أيضا ووسع الجميع حمى الإسلام أيضا. أخرج ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل متوكئا على كتف عبد الرحمن بن عوف، وابنه الوحيد إبراهيم يجود بنفسه أي في النزع قال: فلما مات بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عبد الرحمن بن عوف: أي رسول الله إنك كنت تنهى عن هذا وإنه إذا رآك المسلمون تبكي يبكون. فلما قلصت عبرة النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، إِنَّمَا هَذِهِ رَحْمَةٌ، وإن مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ، يَحْزَنُ الْقَلْبُ وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ وَلاَ نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ جَلَّ وَعَلاَ﴾ فالصبر انصب على نفس تحس وتتألم وتشعر، تحس ألم المصاب ووقع الفجيعة، ولكنها لا تقول شيئا يسخط الله ولا تفعل شيئا يسخط الله جل وعلا، وإنما هو الرضى والتسليم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الوافي بالوفيات/ مسند ابن أبي شيبة/ المغازي/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

قال ابن سعد: كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى المهاجر بن أبي أمية[1] أن يبعث إليه بقيس بن مكشوح[2] في وثاق. فقال: قتلت الرجل الصالح داذويه! [3] وهم بقتله، فكلمه قيس، وحلف أنه لم يفعل، وقال: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، استبقني لحرمك؛ فإن عندي بصرا بالحرب ومكيدة للعدو، فاستبقاه أبو بكر، وبعثه إلى العراق، وأمر ألا يولى شيئا، وأن يستشار في الحرب. وكان عمر[4] رضي الله عنه يقول: لولا ما كان من عفو أبي بكر عنك -يعني عن قتله داذوي- لقتلتك بداذوي، فيقول قيس: يا أمير المؤمنين، قد والله أشعرتني*، ما سمع هذا منك أحد إلا اجترأ علي، وأنا بريء من مقتله. فكان عمر بعد يكف عن ذكره، ويأمر إذا بعثه في الجيوش أن يشاور، ولا يجعل إليه عقد أمر، ويقول: إن له علما بالحرب، وهو غير مأمون. قالوا: إن أبا بكر أوصى أبا عبيدة[5] بقيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي، وقال: إنه قد صحبك رجل عظيم الشرف، فارس من فرسان العرب، لا أظن له حسنة، ولا عظيم نية في الجهاد، وليس في المسلمين غناء عن رأيه ومشورته وبأسه في الحرب، فأدنه، وألطفه، وأره أنك عنه غير مستغن؛ فإنك مستخرج بذلك نصيحته وجهده وجده على عدوك. ودعا أبو بكر قيس بن هبيرة بعدما مضى أبو عبيدة، فقال: إني قد بعثتك مع أبي عبيدة الأمين، الذي إن ظلم لم يظلم، وإذا أسيء إليه غفر، وإذا قطع وصل. رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين؛ فلا تعصه؛ فإنه لن يأمرك إلا بخير. وقد أمرته أن يسمع منك، فلا تأمره إلا بتقوى الله. وقد كنا نسمع أنك سائس حرب، وذلك في زمان الشرك والجاهلية الجهلاء، ليس فيها إلا الإثم والكفر، فاجعل بأسك اليوم في الإسلام على من كفر بالله، وعبد غيره، فقد جعل الله لك فيه الأجر العظيم، والعز للمؤمنين. قال: فقال له قيس: إن بقيت وبقيت لك فسيبلغك من حيطتي على المسلم، وجهادي المشرك ما يسرك ويرضيك. فقال أبو بكر: مثلك فعل هذا! فلما بلغه مبارزة البطريكين بالجابية، وقتله إياهما قال: صدق قيس ووفى. وأمد أبو عبيدة بن الجراح أهل القادسية بتسعة عشر رجلا ممن شهد اليرموك*، منهم: عمرو بن معدي كرب الزبيدي[6]، وطليحة بن خويلد الأسدي[7]، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري[8]، والأشعث بن قيس الكندي[9]، وقيس بن مكشوح المرادي. وعن أبي كبران الحسن بن عقبة: أن قيس بن المكشوح قال مقدمه من الشام مع هاشم، وقام فيمن يليه، فقال: يا معشر العرب، إن الله تعالى قد من عليكم بالإسلام، وأكرمكم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فأصبحتم بنعمة الله إخوانا، دعوتكم واحدة، وأمركم واحد بعد إذ أنتم يعدو بعضكم على بعض عدو الأسد، ويخطف بعضكم بعض اختطاف الذئاب. فانصروا الله ينصركم، وتنجزوا من الله فتح فارس، فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام، وانثيال* القصور الحمر، والحصون الحمر. قال خليفة العصفري في تسمية من قتل مع علي بصفين: قيس بن مكشوح المرادي. وكانت صفين سنة سبع وثلاثين. وعن الزهري قال: قال عمر بن الخطاب لقيس بن مكشوح المرادي: أنبئت أنك تشرب الخمر؟ فقال: قد والله أراك يا أمير المؤمنين أسأت، أما والله ما مشيت خلف ملك قط إلا حدثت نفسي بقتله، قال: فهل حدثت نفسك بقتلي؟ فقال لو هممت لفعلت، فقال عمر: لو قلت نعم لضربت عنقك، أخرج والله لا تبيت الليلة معي، فقال له عبد الرحمن بن عوف يا أمير المؤمنين لو قال نعم لضربت عنقه؟ قال: لا، ولكني استرهبته بذلك.

*(انثيال) استخراج، انتزاع (أشعرتني) أشعر مني: أي جعلت لي علامة أعرف بها في الناس حيث يؤذونني (قعة اليرموك) معركة اليرموك، وقعت عام 15 هـ بين المسلمين والروم أو الإمبراطورية البيزنطية

■ (2) قيس بن هبيرة الملقب بمكشوح ابن هلال البجلي: صحابي، من الشجعان الابطال الشعراء. كان سيد بجيلة في الجاهلية، وفارسها. كنيته أبو شداد. وكان ممن أعان على قتل الاسود العنسي، وقلعت عينه يوم اليرموك. وكان ذا رأي في الحرب ونجدة. له مواقف في الفتوحات، في زمن عمر وعثمان، في القادسية وغيرها. سار إلى العراق على مقدمة سعد بن أبي وقاص، وشهد قتال نهاوند، وحضر معارك صفين مع علي، فقتل في إحداها سنة 37 هـ. وهو ابن أخت عمرو بن معديكرب، وكان يناقضه في الجاهلية. وفي الرواة من يعرفه بالمرادي، وكان حليفا لمراد، وعداده فيهم. قال ابن حجر: بن دريد فرق بين قيس الذي قتل الأسود وبين قيس الذي شهد صفين؟

■ (5) أبو عبيدة بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال. أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام. .ولد سنة 40 ق هـ. ومات بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ.

■ (6) عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي. فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة، ولد سنة 100 ق. هـ وفد على المدينة سنة 9هـ، في عشرة من بني زبير، فأسلم وأسلموا وعادوا. ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم، ارتد عمرو في اليمن، ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية، وكان عصبي النفس، أبيا، فيه قسوة الجاهلية، يكنى أبا ثور. وأخبار شجاعته كثيرة، له شعر جيد أشهره قصيدته التي يقول فيها: إذا لم تستطع شيئا فدعه..وجاوزه إلى ما تستطيع. توفي على مقربة من الري سنة 21 هـ وقيل: قتل عطشا يوم القادسية.

■ (1) المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي. أخو أم سلمة زوج النبي كان اسمه الوليد فكرهه رسول الله وسماه المهاجر وأرسل رسول الله المهاجر إلى الحارث بن عبد كلال الحميري باليمن وتخلف عن رسول الله بتبوك فرجع رسول الله وهو عاتب عليه فشفعت فيه أخته أم سلمة فقبل شفاعتها فأحضرته فاعتذر إلى النبي فرضي عنه . واستعمله رسول الله على صدقات كندة والصدف فتوفي رسول الله ولم يسر إليها فبعثه أبو بكر إلى قتال من باليمن من المرتدين فلما فرغ سار إلى عمله فسار إلى ما ذكره له أبو بكر وهو الذي فتح حصن النجير بحضرموت مع زياد بن لبيد الأنصاري وسير الأشعث ابن قيس إلى أبي بكر أسيرا وله في قتال الردة باليمن أثر كبير توفي بعد 12 هـ

■ (7) طليحة بن خويلد الأسدي من أسد خزيمة متنبئ متوفى سنة 21 هـ . يقال له: طليحة الكذاب كان من أشجع العرب. قدم على النبي في وفد بني أسد سنة 9 هـ وأسلموا ولما رجعوا ارتد طليحة وادعى النبوة ومات النبي فكثر أتباع طليحة من أسد وغطفان وطيئ.وطمع بامتلاك المدينة فهاجر بعض أشياعه فردهم أهلها، غزاه أبو بكر وسير إليه خالد بن الوليد فانهزم طليحة وفر إلى الشام ثم أسلم بعد أن أسلمت أسد وغطفان كافة وفد على عمر وبايعه في المدينة وخرج إلى العراق فحسن بلاؤه في الفتوح واستشهد بنهاوند

■ (8) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص: صحابي، خطيب من الفرسان، يلقب بالمرقال. وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص. أسلم يوم فتح مكة. ونزل الشام بعد فتحها، فأرسله عمر مع ستة عشر رجلا من جند الشام، مددا لسعد بن أبي وقاص، في العراق. وشهد القادسية مع سعد وأصيبت عينه يوم اليرموك فقيل له الاعور وفتح جلولاء. وكان مع علي بن أبي طالب في حروبه. وتولى قيادة الرجالة في صفين، وقتل في آخر أيامها سنة 37 هـ.

■ (9) الأشعث بن قيس رضي الله تعالى عنه اسمه معد يكرب بن قيس وسمي أشعث لشعث رأسه وهو من كندة، وكانت مراد قتلت أباه فخرج ثائراً بأبيه فأسر ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلاً من كندة فأسلم ويكنى أبا محمد، ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى أن يبايع أبا بكر رضي الله عنه، فحاربه عامل أبي بكر حتى استأمنه على حكم أبي بكر وبعث به إليه، فسأل أبا بكر أن يستبقيه لجزية ويزوجه أخته أم فروة ففعل ذلك أبو بكر، ومات سنة أربعين وابنه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الذي خرج على الحجاج وخرج معه القراء والعلماء.

■ (4) أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي صلى الله عليه وسلم، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (3) داذويه بن باذان الساساني هو ابن باذان بن ساسان حاكم اليمن الفارسي الذي أعلن إسلامه للنبي محمد في العام التاسع للهجرة، ثم توفي العام التالي، فقام النبي بتعيين داذويه مكانه على صنعاء. اشترك في قتل الأسود العنسي مع قيس بن مكشوح، وفيروز الديلمي. قتله قيس بعد ذلك ليرضي قوم العنسي، وملك قيس صنعاء، فكتب فيروز إلى الخليفة أبي بكر الصديق فأمده بجند ثم قاتلوا قيساً فهزموه، وحملوه إلى أبي بكر، فوبخه لامه على فعله، فأنكر فعفا عنه. هو أخ مهران بن باذان، أحد قادة الفرس الذين قُتلوا في معركة البويب.[الموسوعة الحرة]

☪

عن محمد بن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: كان عمرو بن معدي كرب قال لقيس بن مكشوح المرادي حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا قيس، أنت سيد قومك اليوم. وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد، قد خرج بالحجاز يقول: إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبيا كما يقول فإنه لن يخفى علينا إذا لقيناه، اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه، فإنه إن يسبق إليه رجل من قومك سادنا، وترأس علينا، وكنا له أذنابا. فأبى عليه قيس، وسفه رأيه؛ فركب عمرو بن معدي كرب في عشرة من قومه حتى قدم المدينة، فأسلم، ثم انصرف إلى بلاده. فلما بلغ قيس بن مكشوح خروج عمر أوعد عمرا، وتحطم عليه، وقال: خالفتني، وتركت رأيي، فقال عمرو في ذلك شعرا: من الوافر: أمرتك يوم ذي صنعا..ء أمرا باديا رشده..أمرتك باتقاء الل..ه والمعروف تأتفده..خرجت من المنى مثل الـ..حمير عاره وتده. وجعل عمرو يقول: لقد خبرتك يا قيس أنك تكون ذنابى تابعا لفروة بن مسيك[1]، وجعل فروة يطلب قيس بن مكشوح كل الطلب، حتى هرب من بلاده، وأسلم بعد ذلك. قال الدارقطني: الغزيل بتشديد الياء، وخففها ابن ماكولا . قال أبو عبيدة الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني: كان قيس بن المكشوح سيد قومه، وهو ابن أخت عمرو بن معدي كرب. وهو القائل لعمر بن معدي كرب -وكانا متباغضين: من الوافر: كلا أبوي من عم وخال..كما ابنئته للمجد نام..ولو لاقيتني لاقيت قرنا..وودعت الحبائب بالسلام..لعلك مودعي ببني زبيد..وما جمعت من نوكى لئام.

عن ابن إسحاق قال: وكان الأسود بن كعب العنسي قد ظهر باليمن، وتنبأ بصنعاء، وتكلم الكذب. فكان سبب قتل الأسود بن كعب أنه كانت عنده امرأة من بني غطيف سباها، وهي عمرة بنت عبد يغوث بن المكشوح، وامرأة من الأبناء ممن استبى، ويقال لها: بهرانة ابنة الديلم أخت فيروز بن الديلم، وكان فيروز يخل عليه إذا شاء لمكان أخته، وكان قيس يدخل عليه إذا شاء لمكان أخته، وكانا نديمين له. فلما قدم قيس على الأسود لقي فيروز، فأخبره الخبر، وأطمعه في قتله؛ وذلك أن قيسا سمع المهاجر بن أبي أمية يخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين:﴿إنكم ستقتلون الأسود﴾، فطمع قيس في قتله، وقد قتل أخاه عمر بن عبد يغوث، ودخل معهما رجل من الأبناء في ذلك يقال له: داذاويه، فاجتمعوا على ذلك من قتله، وأفضى قيس ذلك إلى أخته، فقال لها: قد عرفت عداوته لقومه، وما قدر ركبهم به، والرجل مقتول لا شك فيه، فإن استطعت أن يكون بنا فافعلي، فندرك ثأرنا، وتكون مأثرة لنا، فتحيني لنا غرته إذا سكر. فطاوعته على ذلك وقال فيروز لصاحبته مثل ذلك؛ فقال: قد علمت ما قد ركب هذا الرجل من قومك، وما يريد بهم، وقد كان يريد أن يجليهم من اليمن، فتحيني لنا غرته إذا سكر عندك؛ فإنه مقتول، فليكن ذلك بنا، فندك ثأرنا، وتكون مأثرة لنا. فطاوعته على ذلك. وكان مقتله في بيت الفارسية، وذلك أنها أمرت، فجعل في شراب له البنج، فلما غلب على عقله بعثت إلى أخيها أن شأنك وما تريد، فإن الرجل مغلوب. وأقبلوا ثلاثتهم: قيس، وفيروز، وداذويه حتى أنتهوا إلى الباب، فقالوا: أينا يكفي الباب لا يدخل علينا أحد؟ فقال داذويه: أنا أكفيكم الباب، فكان أشد ثغورهم. فلما دخلا على الرجل قال فيروز لقيس: إن شئت أن تجثم على صدره، وأضربه، وإن شئت أن أجثم على صدره وتضربه. قال قيس: اجثم أنت على صدره، واضبطه أكفك قتله. فجثم فيروز على صدره، وضبطه، وضربه قيس بسيفه، فقتله، واحتز رأسه، فبعث به إلى المهاجر بن أبي أمية. فلما أتاه مقتل الأسود أقبل حتى دخل صنعاء، فقال قيس بن عبد يغوث المرادي حين قتل الأسود العنسي: من الرجز: ضربته بالسيف ضرب الأسفان..ضرب امرئ لم يخشى عقبى العدوان..من زبر شيطان ولا سلطان..فهات لا يبكيه منا إنسان..نشوان لا يعقل وهو يقظان..ضل نبي مات وهو سكران. ثم تنازع هؤلاء النفر الثلاثة في قتله، فقال قيس: أنا قتلت الرجل واحتززت رأسه، وقال فيروز: أنا ضبطته لك، ولولا ذلك لم تصل إلى قتله، وقال داذويه: أنا كفيتكم ألا يدخل عليكم أحد، وكان أشد ثغوركم، ولولا ذلك لم تقدروا على قتله.

والتمس قيس أن يغتالهما، فصنع لهما طعاما، ثم دعاهما واحدا واحدا، فقتل داذويه ونذر فيروز فخرج، وكان في ذلك بينهما أمر تعاظم فيه الشر حتى أصلح بينهما المهاجر بحمالة، فقال قيس في ذلك: من الكامل: زعم ابن حمراء القصاص بأنه..قتل ابن كعب نائما نشوانا..كلا وذي البيت الذي حجت له..شعث المفارق تمسح الأركانا..لأنا النا الذي نبهته فقتلته..ولقد تكبد قائما يقظانا..فعلوته بالسيف لا متهيبا..مما يكون غدا ولا ما كانا..فانصاع شيطان لكعب هاربا..عنه وأدبر ممعنا شيطانا.

■ (1) فروة بن مسيك -أو مسيكة- بن الحارث بن سلمة الغطيفي المرادي، أبو عمر: صحابي، من الولاة. له شعر. وهو من اليمن. كان مواليا لملوك كندة في الجاهلية ووقعت حرب بين قبيلته مراد وهمدان، وأثخنت همدان في قبيلته، فرحل إلى مكة وافدا على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع أو عشر وأسلم. ونزل على سعد بن عبادة، وتعلم القرآن وفرائض الاسلام وشرائعه، وأجزاه النبي صلى الله عليه وسلم بمبلغ من المال، وأعطاه حلة من نسيج عمان، واستعمله على مراد ومذحج وزبيد، وكتب له كتابا فيه فرائض الصدقة، فعاد إلى بلاده. وقاتل أهل الردة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وكان منهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي، فقال فيه عمرو أبياتا، منها: رأينا ملك فروة شر ملك. وبقي إلى خلافة عمر بن الخطاب، وأقره عمر. وسكن الكوفة في أواخر أعوامه، فكان فيها من وجوه قومه. وروى عدة أحاديث.مات نحو 30 هـ

■ (2) عبهلة بن كعب بن غوث العنسي المذحجي المعروف بالأسود وبذي الخمار وهو مدعي للنبوة، قتله فيروز أبو الضحاك الديلمي سنة 11 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ الطبري/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ كنز العمال/

عن ابن مخرمة قال:[1] إني لتحت منبر عمر بن الخطاب[2] رضي الله عنه بالجابية* حين قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، اقرؤوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله. إنه لن يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية الله. ألا إنه لن يبعد من رزق الله ولن يقرب من أجل أن يقول المرء حقا وأن يذكر بعظيم. ألا وإني ما وجدت صلاح ما ولاني الله إلا بثلاث: أداء الأمانة، والأخذ بالقوة، والحكم بما أنزل الله. ألا وإني ما وجدت صلاح هذا المال إلا بثلاث: أن يؤخذ من حق، ويعطى في حق، ويمنع من باطل. ألا وإنما أنا في مالكم هذا كوالي اليتيم إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فقيل له: ما ذلك المعروف يا أمير المؤمنين فقال: لا تقوم البهيمة الأعرابية إلا بالقضم لا الخضم*.

عن أبي حاتم عن العتبي قال: بعث إلى عمر بحلل فقسمها فأصاب كل رجل ثوب فصعد المنبر وعليه حلة، والحلة ثوبان، فقال: أيها الناس ألا تسمعون. فقال سليمان رضي الله عنه:[3] لا نسمع. قال: ولم يا أبا عبد اللهّ؟ قال: لأنك قسمت علينّا ثوباً ثوباً وعليك حلة. قال: لا تعجل يا أبا عبد اللهّ. ثم نادى: يا عبد اللهّ، [4] فلم يجبه أحد، فقال: يا عبد اللهّ بن عمر. قال: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: نشدتكن باللهّ، الثوب الذي اتّزرت به هو ثوبك؟ قال: اللهم، نعم. فقال سليمان: أما الآن فقل نسمع.

*(الجابية): قرية من عمل دمشق(القضم) الأكل بأطراف الأسنان، تقول قضمت الدابة شعيرها بالكسر تقضمه قضما و(الخضم) الأكل بجميع الفم كأنه أشار إلى الاكتفاء بالقليل الذي لا بد للحيوان منه ولا يتعداه

■ (3) سلمان الفارسي، يقال: سلمان بن الإسلام ، وسلمان الخير، أبو عبد الله ولا يعرف اسم أبيه بفارس أصله من رامهر مز. وقيل من أصبهان. كان أبوه ذا رئاسة، وخرج هو يطلب الهدي فلازم بعض علماء النصارى ثم خرج إلى يثرب بإشارة بعضهم. فأسر واسترق وقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم وجاهد معه. وكان ذا رأي. وهو الذي أشار بحفر الخندق. ثم شاهد المشاهد وبعض الفتوح. ولي إمرة المدائن حتى توفي سنة 33 هـ في خلافة عثمان بن عفان بالمدائن. وقيل: توفي سنة36 هـ.

■ (2) أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي صلى الله عليه وسلم، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (4) عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه، وكان من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكل ما تأخذ به نفسه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وهو ابن 84 سنة، وكان قد أوصى أن يدفن في الليل ، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

■ (5) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، كنيته أبو عبد الله أسلم بعد الفتح، وقيل قبل الفتح، وشهد الفتح مسلما، وهو من المؤلفة قلوبهم، وكان من الأعراب الجفاة، وكان ممن ارتد في عهد أبي بكر ثم عاد إلى الإسلام، توفي في خلافة عثمان.

■ (6) الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بن أخي عيينة بن حصن ذكره بن السكن في الصحابة. وهو أحد الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك.

■ (1) أبو عبد الرحمن المسور بن مخرمة الزُهري، صحابي ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 64 هـ

☪

عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال: قال أنس: رأيت عمر بن الخطاب وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع بين كتفية برقاع ثلاث لبد بعضهم على بعض. وعن بديل بن ميسرة قال: خرج عمر بن الخطاب يوما إلى الجمعة وعليه قميص سنبلاني فجعل يعتذر إلى الناس فيقول حبسني قميصي هذا وجعل يمد كمه فإذا تركه رجع إلى أطراف أصابعه. وقال عبد العزيز بن أبي جميلة الأنصاري: أبطأ عمر رضي الله عنه جمعة بالصلاة، فخرج فلما صعد المنبر، اعتذر إلى الناس، قال: إنما حبسني قميصي هذا، لم يكن لي قميص غيره. كان يخاط له أبيض سنبلاني* لا يجاوزكمه رسغ* كفيه. وعن قتادة ابن دعامة السدوسي، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبطأ على الناس يوم الجمعة، قال: ثم خرج فاعتذر إليهم في احتباسه، وقال: إنما حبسني غسل ثوبي هذا، كان يغسل، ولم يكن لي ثوب غيره. وعن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال: حدثني دهقان قرية كذا قال: مر بي عمر فألقى إلي قميصه فقال: اغسل هذا بالأشنان*، فعمدت إلى ثوبين فقطعت منهما قميصين وأتيته بهما فقلت: البس هذين فإنهما أجمل وألين، فقال: أمن مالك؟ قلت: نعم، قال: هل خالطه شيء من مال الذمة؟ قلت: لا إلا خياطته. فقال: أعزب عني، هلم قميصي، قال: فلبسه وإنه لأخضر من الأشنان. وعن عبيد الله بن الوليد عن أنس بن مالك قال: رأيت على عمر إزارا فيه أربع عشرة رقعة بعضها أدم، وما عليه قميص ولا رداء وهو معتم معه الدرة يطوف في سوق المدينة. وفي موطأ الإمام مالك أن عمر بن الخطاب رأى على طلحة بن عبيد الله ثوبا مصبوغا وهو محرم، فقال عمر: ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة؟ فقال طلحة: يا أمير المؤمنين إنما هو مدر، فقال عمر: إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس فلو أن رجلا جاهلا رأى هذا الثوب لقال إن طلحة بن عبيد الله كان يلبس الثياب المصبغة في الإحرام، فلا تلبسوا أيها الرهط شيئا من هذه الثياب المصبغة.

☪

قال علي الصلابي: اشتهر الولاة في عهد عمر بتواضعهم الشديد حتى إن القادمين إلى بلادهم لا يميزون بينهم وبين عامة الناس فهم في لباسهم وبيوتهم ومراكبهم كعامة الناس لا يميزون أنفسهم بشيء، ومن أمثلة ذلك قصة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فقد بعث إليه الروم رجلا ليفاوضه: فأقبل حتى أتى أبا عبيدة، فلما دنا من المسلمين لم يعرف أبا عبيدة من أصحابه، ولم يدر أفيهم هو أم لا ولم يرهبه مكان أمير. فقال لهم: يا معشر العرب، أين أميركم؟ فقالوا ها هو ذا. فنظر فإذا هو بأبي عبيدة جالس على الأرض وهو متنكب القوس وفي يده أسهم وهو يقلبها. فقال له الرسول: أنت أمير هؤلاء؟ قال: نعم. قال فما يجلسك على الأرض؟ أرأيت لو كنت جالسا على وسادة أو كان ذلك وضعك عند الله أو مانعك من الإحسان؟ قال أبو عبيدة: إن الله لا يستحيي من الحق، ولأصدقنك عما قلت ما أصبحت أملك دينارا ولا درهما وما أملك إلا فرسي وسلاحي وسيفي، لقد احتجت أمسي إلى نفقة فلم يكن عندي حتى استقرضت من أخي هذا نفقة كانت عنده يعني معاذا فأقرضنيها، ولو كان عندي أيضا بساط أو وسادة ما كنت لأجلس عليه دون إخواني وأصحابي وأجلس أخي المسلم الذي لا أدري لعله عند الله خير مني على الأرض، ونحن عباد الله نمشي على الأرض، ونجلس على الأرض، ونأكل على الأرض ونضجع على الأرض وليس ذلك ينقصنا عند الله شيئا، بل يعظم الله به أجورنا، ويرفع درجاتنا، ونتواضع بذلك لربنا.

كان عمر رضي الله عنه يحب الجد والقوة في دين الله، ويكره التماوت فيه مخافة أن يبدي فاعله غير ما يخفيه. يروى أن عائشة رحمها الله نظرت إلى رجل متماوت فقالت: من هذا؟ فقالوا: أحد القراء. قالت: فقد كان عمر بن الخطاب قارئا، فكان إذا قال أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع. ويروى أنه نظر إلى رجل.مظهر للنسك متماوت فخفقه بالدرة، وقال: لا تمت علينا ديننا، أماتك الله.وقال للذي يطأطئ رقبته ويظهر للخشوع: يا هذا، ليس الخشوع في الرقبة، إنما الخشوع في القلب.

عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة وذكرت عمر رضي الله عنها: كان والله أحوزيا نسيج وحده، وقد أعد للأمور أقرانها.عن سعيد بن عثمان قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ما أعلمني بطريق الدنيا لولا الموت وخوف الحساب.

روي عن أبي مسعود الأنصاري أنه قال: كنا جلوسا في نادينا، فأقبل رجل على فرس يركضه يجري حتى كاد يوطئنا، فارتعنا لذلك وقمنا، قال: فإذا عمر، فقلنا: فمن بعدك يا أمير المؤمنين؟ قال: وما أنكرتم؟وجدت نشاطا فأخذت فرسا فركضته

☪

حدث سلام بن مسكين قال حدثنا ثابت (ثابت بن أسلم البناني) قال: كان سلمان أميرا على المدائن فجاء رجل من أهل الشام من بني تيم الله معه حمل تين وعلى سلمان أندرورد* وعباءة. فقال لسلمان: تعال احمل وهو لا يعرف سلمان، فحمل سلمان فرآه الناس فعرفوه فقالوا: هذا الأمير. قال: لم أعرفك. فقال سلمان: لا حتى أبلغ منزلك.وعن وهب بن جرير بن حازم قال حدثنا أبي قال: سمعت شيخا من بني عبس عن أبيه قال: أتيت السوق فاشتريت علفا بدرهم فرأيت سلمان ولا أعرفه فسخرته فحملت عليه العلف فمر بقوم. فقالوا: نحمل عنك يا أبا عبد الله. فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا سلمان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: لم أعرفك، ضعه عافاك الله، فأبى حتى أتى منزلي، فقال: قد نويت فيه نية فلا أضعه حتى أبلغ بيتك. وحدث سلام بن مسكين عن ثابت أن سلمان كان أميرا على المدائن وكان يخرج إلى الناس في أندرورد وعباءة فإذا رأوه قالوا: كرك آمد كرك آمد، فيقول سلمان: ما يقولون؟ قالوا: يشبهونك بلعبة لهم، فيقول سلمان: لا عليهم فإنما الخير فيما بعد اليوم. وعن ميمون بن مهران عن رجل من عبد القيس قال كنت مع سلمان الفارسي وهو أمير على سرية فمر بفتيان من فتيان الجند فضحكوا وقالوا هذا أميركم فقلت يا أبا عبد الله ألا ترى هؤلاء ما يقولون قال دعهم فإنما الخير والشر فيما بعد هذا اليوم إن استطعت أن تأكل من تراب فكل منه ولا تكونن أميرا على اثنين واتق دعوة المظلوم المضطر فإنها لا تحجب.وحدث عطاء بن السائب عن ميسرة أن سلمان كان إذا سجدت له العجم طأطأ رأسه وقال: خشعت لله.

وحدث جعفر بن برقان قال بلغني أنه قيل لسلمان الفارسي: ما يكرهك الإمارة؟ قال: حلاوة رضاعتها ومرارة فطامها وعن حبيب بن أبي مرزوق عن هريم قال رأيت سلمان الفارسي على حمار عري وعليه قميص سنبلاني* قصير ضيق الأسفل وكان رجلا طويل الساقين كثير الشعر وقد ارتفع القميص حتى بلغ قريبا من ركبتيه قال ورأيت الصبيان يحضرون خلفه فقلت ألا تنحون عن الأمير فقال دعهم فإنما الخير والشر بعد هذا اليوم. وعن عبادة بن سليم: كان لسلمان خباء من عباء وهو أمير . وحدث هشام بن حسان عن الحسن قال كان عطاء سلمان خمسة آلاف وكان على ثلاثين ألفا من الناس يخطب في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها وكان إذا خرج عطاؤه أمضاه ويأكل من سفيف يديه. قال فضيل بن عياض: لبس جبة صوف فقيل له: لو لبست ألين من هذا فقال: إنما أنا عبد ألبس ما يلبس العبيد، فإذا مت لبست جبة لا تبلى حواشيها.وعن خليفة بن سعيد المرادي عن عمه قال رأيت سلمان الفارسي بالمدائن في بعض طرقها يمشي فزحمته حملة من قصب فأوجعته فتأخر إلى صاحبها الذي يسوقها فأخذ بعضده فحركه ثم قال لا مت حتى تدرك إمارة الشباب. وحدث مالك بن أنس أن سلمان الفارسي كان يستظل بالفيء حيث ما دار ولم يكن له بيت فقال له رجل ألا أبني لك بيتا تستظل به من الحر وتسكن فيه من البرد فقال له سلمان نعم فلما أدبر صاح به فسأله سلمان كيف تبنيه فقال أبنيه إن قمت فيه أصاب رأسك وإن اضطجعت فيه أصاب رجلك فقال سلمان: نعم. وعن أبي سفيان عن أشياخه أنَّ سعد بن أبي وقاص دخل على سلمان يعوده، فبكى سلمان، فقال له سعد: ما يبكيك؟ تلقى أصحابك، وترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحوض، وتُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راضٍ فقال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا؛ ولكنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا فقال:﴿لِيَكُنْ بُلْغَةُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ﴾ وهذه الأساود حولي –وإنما حوله مِطهرة أو إنجانة*ونحوها– فقال له سعد: أعهد إلينا عهداً نأخذ به بعدك، فقال له: أذكر ربَّك عند همِّك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت. وعن سعيد بن سوقة قال: دخلنا على سلمان الفارسي نعوده وهو مبطون فأطلنا الجلوس عنده، فشق عليه فقال لامرأته: ما فعلت بالمسك الذي جئنا به من بلنجر؟ فقالت: هو ذا. قال: ألقيه في الماء ثم اضربي بعضه ببعض ثم أنضحي حول فراشي فإنه الآن يأتينا قوم ليسوا بإنس ولا جن. ففعلت، وخرجنا عنه، ثم أتيناه، فوجدناه قد قبض.

*(أندرورد و أندروردية): نوع من السراويل مشمر فوق التبان أو هي التبان أعجمية استعملوها.قالت أم الدرداء زارنا سلمان من المدائن إلى الشام ماشيا وعليه كساء وأندراورد يعني سراويل مشمرة (إجانة) وعاء لغسل الثياب.وفي رواية الحاكم وإنما حوله إجَّانة وجَفْنة ومِطْهَرة.(سنبلاني) سنبل ثوبه إذا أسبله وجره من خلفه أو أمامه (قميص سنبلاني) سابغ الطول، منسوب إلى بلد بالروم (الأشنان) الحرض، وهو نبات من فصيلة السرمقيات كان يستعمل قديما في غسل الثياب (الرسغ) مفصل ما بين الساعد والكف

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ صفة الصفوة/ أنساب الأشراف/ ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية/ عيون الأخبار/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/ معجم لغة الفقهاء/ القاموس المحيط/ لسان العرب/ موارد الظمآن لدروس الزمان/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

عن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة*،فنزل عن بعيره، ونزع موقيه*، فأمسكهما بيده، وخاض الماء، ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة:[1] صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا، فصك عمر في صدره وقال: أوه! لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذل الناس، وأحقر الناس، وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله عز وجل. في رواية: لما قدم عمر الشام لقيه الجنود، وعليه إزار وخفان وعمامة، وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء، وقد خلع خفيه، وجعلهما تحت إبطيه، قالوا: له يا أمير المؤمنين، الآن يلقاك الجنود وبطارقة الشام، وأنت على هذه الحالة! قال عمر: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فلن نلتمس العز بغيره.ثم سار عمر من الجابية إلى بيت المقدس، وقد تعبت دابته*، فأتوه ببرذون* فجعل يهملج* به، فقال: لمن معه: احبسوا، احبسوا، فنزل عنه، وضرب وجهه، وقال: لا علّم اللهَّ من علّمك، هذا من الخيلاء، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين، هاتوا جملي، ثم نزل وركب الجمل، ثم لم يركب برذوناً قبله ولا بعده. وفي رواية قال عمر: لقد غرني هذا حتى خفت أن أنكر نفسي. وعن قيس بن مسلم قال: لما قدم عمر الشام أتي ببرذون فقيل له: اركب يا أمير المؤمنين، فيراك عظماء أهل الأرض. قال: فقال: وإنكم لهنالك، إنما الأمر من هاهنا وأشار بيده إلى التيهاء* (أو السماء) خلوا سبيلي. وقيل كذاك لما بلغ الشام تلقوه ببرذون وثياب بيض، فكلموه أن يركب البرذون ليراه العدو ليكون ذلك أهيب له عندهم، ويلبس البياض ويطرح الفرو الذي عليه فأبي، ثم ألحوا عليه فركب البرذون بفروه وثيابه، فهملج به البرذون وخطام* ناقته بعد في يده، فنزل وركب راحلته وقال: لقد غير بي هذا حتى خفت أن أنكر نفسي. في رواية قال له معاوية: يا أمير المؤمنين، إن أهل الشام قد اعتادوا أن يروا حكامهم في ملابس فاخرة فهم لا يهابون من يكون متبذلا في لباسه وزيه. فقال له عمر رضي الله عنه: نحن جئنا لنعلمهم كيف نحكم، لا لنتعلم كيف يحكمون. وعن أسلم مولى عمر أنه كان مع عمر رضي الله عنه وهو يريد الشام، حتى إذا دنا من الشام، أناخ عمر، وذهب لحاجة له، قال أسلم: فطرحت فروتي بين شعبتي رحلي، فلما خرج عمر عمد إلى بعير أسلم فركبه على الفور، وركب بعير عمر فخرجا يسيران، حتى لقيهما أهل الأرض، قال أسلم: فلما دنوا منا أشرت لهم إلى عمر، فجعلوا يتحدثون بينهم، فقال عمر: تطمح أبصارهم إلى مراكب من لا خلاق له، كأن عمر يريد مراكب العجم. قيل لما قدم عمر الشام وقف على طور زيتا*، فأرسل البطريق عظيما لهم ثم قال: انظر إلى ملك العرب؛ فرآه على فرس وعليه جبة صوف مرقعة، مستقبل الشمس بوجهه، ومخلاته* في قربوس* سرجه، وعمر يدخل يده فيها فيخرج فلق خبز يابس فوصفه للبطريق، فقال: لا طاقة لنا بمحاربة هذا، أعطوه ما شاء. عن أسلم قال: كتب أبو عبيدة رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من شدة يجعل الله بعدها فرجا، وإنه لن يغلب عسر يسرين، وإن الله تعالى يقول في كتابه:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَّ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران]

*(المخاضة) موضع الخوض في الماء (موقيه) جرموقيه، خفيه. (دابته) سار عمر فقدم الجابية على فرس، قبل وجميع ما قدم الشام أربع مرات: الأولى على فرس، الثانية على بعير، والثالثة على بغل، رجع لأجل الطاعون، والرابعة على حمار (البرذون) يطلق على غير العربي من الخيل والبغال (الهملاج) سير الدابة في سرعة وبختره.(التيهاء) الفلاة الواسعة ويقال أرض تيهاء قفرة مهلكة ونجوم الجوزاء (الخطام) الزمام/الحبل الذي يقاد به البعير.(طور زيتا) بيت المقدس، وقيل هو جبل بالقدس عن يمين المسجد يقال إن الله رفع عيسى عليه السلام منه (القربوس) حنو السرج، وهما قربوسان.(المخلاة) التي يجعل فيها الخلى أي الحشيش.وما يجمع فيه الأعراب بقية الطعام.

■ (1) أبو عبيدة بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال. أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام، .ولد سنة 40 ق هـ. ومات بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ.

عن أبي عثمان قال: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري[1] أن اقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا وألقوا الخفاف واحتزوا النعال وألقوا السراويلات واتزروا وارموا الأغراض وعليكم بلبس المعدية وإياكم وهدي العجم فإن شر الهدي هدي العجم عن حرام بن معاوية قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب: أن أدبوا الخيل ولا يرفعن بين ظهرانيكم الصليب ولا تجاورنكم الخنازير. وعن الحارث بن معاوية أنه قدم على عمر بن الخطاب، فقال له: كيف تركت أهل الشام؟ فأخبره عن حالهم، فحمد الله، ثم قال: لعلكم تجالسون أهل الشرك؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين، فقال: إنكم إن جالستموهم أكلتم معهم وشربتم معهم، ولن تزالوا بخير ما لم تفعلوا ذلك.وعن ضمرة بن حبيب قال: قال عمر بن الخطاب: في أهل الذمة سموهم، ولا تكنوهم، وأذلوهم، ولا تظلموهم ، وإذا جمعتكم وإياهم طريق فألجئوهم إلى أضيقها. وعن مكحول أن عمر بن الخطاب كان يأمر أهل الذمة أن يجزوا نواصيهم ويعقدوا أوساطهم، وأن لا يتشبهوا بالمسلمين في شيء، من أمورهم.

وعن القاسم بن أبي بزة أن رجلا مسلما قتل رجلا من أهل الذمة بالشام، فرفع إلى أبي عبيدة بن الجراح، فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب، فكتب عمر إن كان ذاك فيه خلقا فقدمه فاضرب عنقه، وإن كان هي طيرة طارها فأغرمه دية أربعة آلاف.

قال أبو مخنف: لما قدم عمر الشام فرأى غوطة دمشق ونظر إلى المدينة والقصور والبساتين تلا قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (27) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان] ثم أنشد قول النابغة: هما فتيا دهر يكر عليهما..نهار وليل يلحقان التواليا..إذا ما هما مرا بحي بغبطة..أناخا بهم حتى يلاقوا الدواهيا. وهذا يقتضي بادي الرأي أنه دخل دمشق وليس كذلك، فإنه لم ينقل أحد أنه دخلها في شئ من قدماته الثلاث إلى الشام، أما الأولى وهي هذه فإنه سار من الجابية إلى بيت المقدس، كما ذكر سيف وغيره والله أعلم. قال الواقدي: قولهم: إن عمر دخل الشام في خلافته مرتين، ورجع الثالثة من سرغ* لا يعرف عندنا، إنما قدم عمر الشام في خلافته، قدمه عام الجابية* سنة ست عشرة حين صالح أهل بيت المقدس–العهدة العمرية–، وقسم الغنائم بالجابية، وجاء عام سرغ سنة سبع عشرة فرجع من سرغ من أجل الطاعون، لم يكن غيرها بين الرحلتين. وهم يقولون: دخل في الثالثة دمشق وحمص، وهذه الرحلة لا تعرف عندنا، وسنين عمر معروفة عام الجابية سنة ست عشرة، وسرغ سنة سبع عشرة، والرمادة سنة ثمان عشرة، فكل هذا معروف، ولم يدخل عمر في روايته دمشق ولا حمص في خلافته. قال ابن كثير: قلت: ولا يعرف أنه دخل دمشق إلا في الجاهلية قبل إسلامه كما بسطنا ذلك في سيرته.

أبو عبيدة أحد السابقين الأولين، ومن عزم الصديق رضي الله عنه على توليته الخلافة، وأشار به يوم السقيفة، لكمال أهليته عند أبي بكر. وأبو عبيدة يجتمع في النسب هو والنبي صلى الله عليه وسلم في فهر*.شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وسماه أمين الأمة، ومناقبه شهيرة جمة. روى أحاديث معدودة وغزا غزوات مشهودة. عن علي بن كثير أنا أبا بكر قال لأبي عبيدة: قم أبايعك، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنك أمين هذه الأمة، فقال أبو عبيدة: ما كنت لأفعل أن أصلي بين يدي رجل أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنا حتى قبض. قيل: إن عمر بلغه أبا عبيدة يسبغ على عياله وقد ظهرت شارته، فنقص من عطاياه التي كان يجري عليه، ثم سأل عنه، فقيل: قد شحب لونه، وتغيرت ثيابه، وساءت حاله، فقال: يرحم الله أبا عبيدة، ما أعف وأصبر، هل يؤخذن على رجل أسبغنا عليه فأسبغ على عياله، وأمسكنا عنه فصبر واحتسب، فرد عليه ما كان حبس وأجراه عليه. وقيل: إن عمر حين قدم الشام قال لأبي عبيدة: اذهب بنا إلى منزلك، قال: وما تصنع عندي، ما تريد إلا أن تعصر عينيك علي، قال: فدخل منزله فلم ير شيئا، قال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لبدا وصحفة وشنا وأنت أمير؟ أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة فأخذ منها كسيرات، فبكى عمر. فقال له أبو عبيدة، قد قلت: إنك ستعصر عينيك علي، يا أمير المؤمنين، يكفيك ما بلغك المقيل. قال عمر: غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة. وفي رواية عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: قدم عمر الشام فتلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: يأتيك الآن. قال: فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلم عليه وسأله، ثم قال للناس: انصرفوا عنا. فسار معه حتى أتى منزله، فنزل عليه، فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله، فقال عمر: لو اتخذت متاعا؟ أو قال شيئا. قال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، إن هذا سيبلغنا المقيل.وروي أن أبا عبيدة كان يسير في العسكر فيقول: ألا رب مبيض لثيابه، مدنس لدينه، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها غدا مهين، بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء، ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرهن. وعن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال: قال عمر بن الخطاب لجلسائه: تمنوا، فتمنوا فقال عمر بن الخطاب: لكني أتمنى بيتا ممتلئا رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح قال سفيان: فقال له رجل: ما ألوت* الإسلام، قال: ذاك الذي أردت. وقالوا: لما بلغ عمر ابن الخطاب سرغ*، حدث أن بالشام وباء شديدا، فقال: إن أدركني أجلي، وأبو عبيدة حي، استخلفته، فإن سألني الله عز وجل: لم استخلفته على أمة محمد ؟ قلت: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيناً، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ:أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ﴾ قال: فأنكر القوم ذلك وقالوا: ما بال علياء قريش؟ يعنون بني فهر*. ثم قال: وإن أدركني أجلي، وقد توفي أبو عبيدة، أستخلف معاذ بن جبل، فإن سألني ربي قلت: إني سمعت نبيك يقول: ﴿إِنَّهُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْعُلَمَاءِ بِرَتْوَة*﴾. وعن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال: لما طعن أبو عبيدة بن الجراح بالأردن، وبها قبره، دعا من حضره من المسلمين فقال: إني موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير: أقيموا الصلاة، وأتوا الزكاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدقوا، وحجوا، واعتمروا، وتواصوا، وانصحوا لأمرائكم، ولا تغشوهم، ولا تلهكم الدنيا، فإن أمرأ لو عمر ألف حل ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعي هذا الذي ترون. إن الله كتب الموت على بني آدم فهم ميتون، وأكيسهم أطوعهم لربه، وأعملهم ليوم معاده، والسلام عليكم ورحمة الله. يا معاذ بن جبل: صل بالناس، ومات.

أخرج الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد المقبري قال: لما طعن أبو عبيدة قال: يا معاذ صل بالناس، فصلى معاذ بالناس، ثم مات أبو عبيدة بن الجراح، فقام معاذ في الناس فقال: يا أيها الناس، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحا فإن عبد الله لا يلقى الله تائبا من ذنبه إلا كان حقا على الله أن يغفر له. ثم قال: إنكم أيها الناس، قد فجعتم برجل والله ما أزعم أني رأيت من عباد الله عبدا قط أقل غمرا*، ولا أبرأ صدرا، ولا أبعد غائلة، ولا أشد حبا للعاقبة، ولا أنصح للعامة منه، فترحموا عليه ثم أصحروا للصلاة عليه، فوالله لا يلي عليكم مثله أبدا. فاجتمع الناس وأخرج أبو عبيدة رضي الله عنه وتقدم معاذ رضي الله عنه فصلى عليه، حتى إذا أتي به قبره دخل قبره معاذ بن جبل وعمرو بن العاص والضحاك بن قيس، فلما وضعوه في لحده وخرجوا فشنوا عليه التراب، فقال معاذ بن جبل: يا أبا عبيدة، لأثنين عليك ولا أقول باطلا أخاف أن يلحقني بها من الله مقت: كنت والله ما علمت من ﴿الذَّاكِرِينَ اللهَّ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب] ومن﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان] ومن ﴿الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان] وكنت والله من المخبتين (أي المطمئنين أو الخاشعين)، المتواضعين، الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويبغضون الخائنين المتكبرين.

*(فهر) فهر بن مالك، الجد العاشر للنبي أقرب جد مشترك للعشرة المبشرين بالجنة (ما ألوت) قصرت (سرغ) أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك.وقرية بوادي تبوك (الجابية) قرية من عمل دمشق وعقد عمر مؤتمر الجابية بعد اليرموك(برتوة) رمية بسهم وقيل بحجر وقيل بميل وقيل حد البصر.درجة (الغمر) الحقد والعداوة

■ (1) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من فقهاء الصحابة أصله من اليمن. أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة (قيل: ليس من مهاجرة الحبشة) ثم قدم مع أهل السفينتين (قيل: وافق قدومه قدومهم) ورسول الله بخيبر. وأرسله رسول الله مع معاذ بن جبل إلى اليمن، ولى عمر بن الخطاب أبا موسى البصرة إذ عزل عنها المغيرة في وقت الشهادة عليه وذلك سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ثم لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه فأقره، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ثم كان منه بصفين وفي التحكيم ما كان .ولما خدعه عمرو بن العاص نزل شعبا بمكة فيه شيء من القبور يعرف بشعب أبي الدر وقال أجاور قوما لا يغدرون ولم يزل حتى توفي في سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ وقيل توفي بالكوفة في داره بجانب المسجد.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ المعجم الوسيط/ البداية والنهاية/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/ شرح نهج البلاغة/ تهذيب اللغة/ تهذيب الكمال/ موطأ مالك/ كتاب العين/ معجم البلدان/ الإصابة في تمييز الصحابة/ معجم البلدان/ التذكرة الحمدونية/ المحكم والمحيط الأعظم/ حياة الصحابة للكاندهلوى/

عن ابن عباس أن عمر خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ* لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة[1] وأصحابه فأخبروه أن الوبأ –الطاعون– قد وقع بأرض الشام قال ابن عباس:[2]فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوبأ قد وقع بالشام فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوبإ فقال عمر: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه منهم رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوبإ، فنادى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة: أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة!،وكان عمر يكره خلافه، نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله*، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله، فجاء عبد الرحمن بن عوف[3]وكان غائبا في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ﴾ قال: فحمد الله عمر، ثم انصرف.وفي رواية فسار حتى أتى المدينة فقال: هذا المحل وهذا المنزل إن شاء الله تعالى. قال الحافظ: وذلك دال على جلالة أبي عبيدة عند عمر.وعن أسلم قال: لم كان يوم عام الرمادات وأجدبت بلاد العرب، كتب عمر إلى عمرو بن العاص فذكر الحديث، وقال فيه: ثم دعا أبا عبيدة فخرج في ذلك، فلما رجع بعث إليه بألف دينار، فقال أبو عبيدة: إني لم أعمل لك يا ابن الخطاب إنا عملت لله ولست آخذ في ذلك شيئا؛ فقال عمر: قد أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياء بعثنا لها فكرهنا ذلك فأبى علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلها أيها الرجل، فاستعن بها على دينك ودنياك، فقبلها أبو عبيدة.

*(سرغ) أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك.وقرية ببوادي تبوك.(نفر من قدر الله إلى قدر الله) أي: نفر من القدر الكوني إلى القدر الشرعي، نحن أمرنا بالأخذ بالأسباب، هذه مسألة مهمة فنحن مطالبون بذلك. المسلم يتبع القدر الشرعي وليس القدر الكوني الذي ليس فيه أمر أو نهي

■ (1) أبو عبيدة بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال. أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام. .ولد سنة 40 ق هـ. ومات بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ.

■ (2) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

■ (3) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.

☪

قال الطبري: اختلف في خبر طاعون عمواس –الذي انتشر في الشام والعراق– وفي أي سنة كان، فقال ابن إسحاق ما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عنه، قال: ثم دخلت سنة ثماني عشرة –وعُرفت هذه السنة بعام الرمادة–؛ ففيها كان طاعون عمواس، فتفانى فيها الناس، فتوفى أبو عبيدة بن الجرح؛ وهو أمير الناس، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل، وأشراف الناس.. وحدثني أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا عن إسحاق بن عيسى، عن أبى معشر، قال: كان طاعون عمواس والجابية في سنة ثماني عشرة. وقال الواقدي: وفيها كان طاعون عمواس فمات فيه خمسة وعشرون ألفا.وقال غيره: ثلاثون ألفا. قال ابن كثير:هذا الطاعون منسوب إلى بلدة صغيرة يقال لها عمواس –وهي بين القدس والرملة– لأنها كان أول ما نجم الداء بها، ثم انتشر في الشام منها فنسب إليها. حدث أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، قال: كنا نقول: لو لم يرفع الله المحل* عام الرمادة لظننا أن عمر يموت هما بأمر المسلمين. روى من طريق السائب بن يزيد قال: رأيت على عمر بن الخطاب إزارا في زمن الرمادة فيه ست عشرة رقعة، ورداؤه خمس وشبر، وهو يقول: اللهم، لا تجعل هلكة أمة محمد على رجلي. وحدث نافع، مولى آل الزبير قال: سمعت أبا هريرة يقول: يرحم الله ابن حنتمة لقد رأيته عام الرمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت في يده وإنه ليعتقب هو وأسلم –مولى عمر– فلما رآني قال: من أين يا أبا هريرة ؟ قلت: قريبا فأخذت أعقبه فحملناه حتى انتهينا إلى صرار* فإذا صرم نحو من عشرين بيتا من محارب، فقال عمر: ما أقدمكم ؟ قالوا: الجهد، وأخرجوا لنا جلد الميتة مشويا كانوا يأكلونه ورمة العظام مسحوقة كانوا يستفونها، فرأيت عمر طرح رداءه ثم اتزر فما زال يطبخ لهم حتى شبعوا، فأرسل أسلم إلى المدينة، فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة ثم كساهم، وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك. روى البيهقي في سننه أن عمر أنفق على أهل الرمادة حتى وقع المطر، فترحلوا، فخرج إليهم عمر راكبا فرسا، فنظر إليهم وهم يترحلون بظعائنهم*، فدمعت عيناه، فقال رجل من بني محارب بن خصفة: أشهد أنها انحسرت عنك، ولست بابن أمة –يمتدح عمر– فقال له عمر: ويلك، ذلك لو أنفقت من مالي أو من مال الخطاب، إنما أنفقت من مال الله. قال الحسن: يرحم الله عمر ولي المسلمين فأحسن ولايتهم ثم مات خائفا، هكذا المؤمنون.

☪

قالت العلماء: أقدار الله نافذة، وإرادته ماضية، لا يعجزه شيء، ولا يحول دون مراده حائل، ونحن مطالبون بأن نقابل الأقدار الكونية بالأقدار الشرعية، وكل ذلك داخل في إرادته ومشيئته وقضائه وقدره، فنفر من قدر الله إلى قدر الله . والله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر] والمؤمن لا يزال في قدر الله عز وجل؛ فهل يعمل ويكتسب ويتسبب، وكل هذا من قدر الله عز وجل، أما أن نقول : إن العبد مجبر، وإن كان مقدر له شيء سوف يحصل، وإلا لم يحصل له ! ونترك الأسباب ! هذا هو قول الجبرية الضالة.حكى أنه اجتمع بمكة بجماعة من العلماء كالحسن البصري وعمرو بن دينار ومكحول الشامي وسليمان بن محمد الضحاك وكانوا حينئذ بمسجد الخيف بمنى فتذاكروا القدر حتى ارتفعت أصواتهم وكثر لغطهم فقال طاووس وكان فيهم رضيا: أنصتوا أخبركم ما سمعت، فأنصتوا، فقال: سمعت أبا الدرداء يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ اللهَّ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ فَلاَ تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُودًا فَلاَ تَعْتَدُوهَا، وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلاَ تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلاَ تَكَلَّفُوهَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَاقْبَلُوهَا﴾، نقول ما قال ربنا عز وجل ونبينا صلى الله عليه وسلم الأمور كلها بيد الله ومن عند الله مصدرها وإليه مرجعها ليس للعبد فيها تفويض ولا مشيئة، فقام القوم وهم راضون بقول طاووس. وعن بن طاووس عن أبيه قالا: لقي عيسى بن مريم إبليس فقال: أما علمت أنه لا يصيبك إلا ما قدر لك ! فقال إبليس: فأوف بذروة هذا الجبل فترد منه، فانظر أتعيش أم لا، قال بن طاووس عن أبيه فقال: أما علمت أن الله قال: لا يجربني عبدي فإني أفعل ما شئت، قال: وقال الزهري: قال: إن العبد لا يبتلي ربه ولكن الله يبتلي عبده، قال: فخصمه. قال الحارث: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر، قال: طريق مظلم لا تسلكه، قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر، قال: بحر عميق لا تلجه، قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر، قال: سر الله قد خفي عليك فلا تفشه، قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر، قال: أيها السائل إن الله خلقك لما شاء أو لما شئت؟ قال: بل لما شاء، قال: فيستعملك كما شاء أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء، قال: فيبعثك يوم القيامة كما شاء أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء، قال: أيها السائل، ألست تسأل ربك العافية؟ قال: نعم، قال: فمن أي شيء تسأله العافية: أمن البلاء الذي ابتلاك به غيره؟ قال: من البلاء الذي ابتلاني به، قال: أيها السائل، تقول: لا حول ولا قوة إلا بمن؟ قال: إلا بإذنه العلي العظيم، قال: فتعلم ما تفسيرها؟ قال: تعلمني مما علمك الله يا أمير المؤمنين. قال: إن تفسيرها: لا يقدر على طاعة الله، ولا يكون له قوة في معصية الله في الأمرين جميعا إلا بالله. أيها السائل، ألك مع الله مشيئة، أو فوق الله مشيئة، أو دون الله مشيئة؟ فإن قلت: إن لك دون الله مشيئة فقد اكتفيت بها عن مشيئة الله، وإن زعمت أن لك فوق الله مشيئة فقد ادعيت أن قوتك ومشيئتك عاليتان على قوة الله ومشيئته، وإن زعمت أن لك مع الله مشيئة فقد ادعيت مع الله شركا في مشيئته. أيها السائل، إن الله يشج ويداوي، فمنه الداء، ومنه الدواء. أعقلت عن الله أمره؟ قال: نعم. قال علي: الآن أسلم أخوكم فقوموا فصافحوه، ثم قال علي: لو أن عندي رجلا من القدرية لأخذت برقبته، ثم لا أزال أجأها حتى أقطعها، فإنهم يهود هذه الأمة ونصاراها ومجوسها. قال الأحنف بن قيس: ما سمعت بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن من كلام أمير المؤمنين علي حيث يقول: إن للنكبات نهايات، لابد لأحد إذا نكب من أن ينتهي إليها، فينبغي للعاقل إذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضي مدتها، فإن في دفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهها. قال عكرمة: لما قدم علي من صفين قام إليه شيخ من أصحابه فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن مسيرنا هذا إلى أهل الشام: بقضاء وقدر؟ فقال علي: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما قطعنا واديا، ولا علونا تلعة* إلا بقضاء وقدر، فقال الشيخ: عند الله احتسبت عنائي، فقال علي: ولم بل أعظم الله أجركم في مسيرنا، وأنتم مصعدون، وفي منحدركم وأنتم منحدرون، وما كنتم في شيء من أموركم مكرهين، ولا إليها مضطرين، فقال الشيخ: كيف يا أمير المؤمنين والقضاء والقدر ساقنا إليها؟ قال: ويحك! لعلك ظننته قضاء لازما، وقدرا حاتما، لو كان ذلك لسقط الوعد والوعيد، ولبطل الثواب والعقاب، ولا أتت لائمة من الله لمذنب، ولا محمدة من الله لمحسن، ولا كان المحسن أولى بثوب الإحسان من المذنب. ذلك مقال إخوان عبدة الأوثان، وجنود الشيطان، وخصماء الرحمن، وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها، ولكن الله تعالى أمر بالخير تخيرا، ونهى عن الشر تحذيرا، ولم يعص مغلوبا، ولم يطع مكرها، ولم يملك تعويضا، ولا خلق السموات والأرض، وما أرى فيهما من عجائب آياتهما باطلا،﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص]، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، فما كان القضاء والقدر الذي كان فيه مسيرنا ومنصرفنا؟ قال: ذلك أمر الله وحكمته، ثم قرأ علي:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء] فقام الشيخ تلقاء وجهه ثم قال: البسيط: أنت الإمام الذي نرجو بطاعته..يوم النشور من الرحمن رضوانا..أوضحت من ديننا ما مكان ملتبسا..جزاك ربك عنا فيه إحسانا. قال ابن أبزى: بلغ عمر أن أناساً تكلموا في القدر فقام خطيباً فقال: يا أيها الناس، إنما هلك من كان قبلكم في القدر، والذي نفسي بيده لا أسمع برجلين تكلما فيه إلا ضربت أعناقهما. قال: فأمسك الناس عنه، حتى نبغت نابغة أو نبغة بالشام. قال عبد الله بن الحارث: شهدت عمر بن الخطاب يخطب بالجابية وثم الجاثليق رأس النصارى، فلما قال عمر: من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له قال: برقس* ونفض جيب قميصه، فقال عمر: ما تقول يا عدو الله؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، يقولوا: أن الله يهدي ولا يضل. قال: كذبت، بل الله خلقك ثم أضلك ثم يميتك ثم يدخلك النار، إن شاء الله، والله لولا ولث* من عهد لك لضربت عنقك. إن الله لما خلق آدم بث ذريته في يده فقال: هؤلاء أهل الجنة، وما كانوا عاملين لليمنى، وهؤلاء أهل النار وما كانوا عاملين للأخرى، وهؤلاء لهذه، وهؤلاء لهذه، قال: فافترق الناس، وما يختلف في القدر اثنان. قال الشافعي: لأن يلقى الله المرء بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء. وذلك أنه رأى قوماً يتجادلون في القدر بين يديه، فقال الشافعي: في كتاب الله: المشيئة له دون خلقه، والمشيئة إرادة الله، يقول الله تعالى:﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُّ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُّ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان]، فأعلم عز وجل خلقه أن المشيئة له، وكان يثبت القدر. وكان الشافعي بعد أن ناظر حفصاً الفرد[1] يكره الكلام، وكان يقول: لأن يفتي العالم، فيقال: أخطأ العالم خير له من أن يتكلم، فيقال: زنديق، وما شيء أبغض إلي من الكلام وأهله.

*(المحل) انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلإ يقال بلد ماحل وزمان ماحل وأرض محل وأرض محول(صرار) موضع على3 أميال من المدينة طريق العراق (ظعينة) هودج (ولث) طرف من عقد أو يسير منه (برقس) الجاثليق بجبته ينفضها وقال إن الله لا يضل أحدا.والجاثليق رئيس النصارى (تلعة) لما انحدر من الأرض، ولما ارتفع.

■ (1) أبو يحيى حفص الفرد، من أهل مصر، من المتكلمين وكان يقول بخلق القرآن، وكان الشافعي يسميه المنفرد. وكان قد تلمذ أبا يوسف، وناظر الشافعي.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ المعجم الوسيط/ البداية والنهاية/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/ شرح نهج البلاغة/ تهذيب اللغة/ تهذيب الكمال/ موطأ مالك/ كتاب العين/ معجم البلدان/ مختار الصحاح/ السلوك في طبقات العلماء والملوك/ سنن الدارقطنى/ لسان العرب/ معجم القواعد العربية/

روى ابن شبة النميري: عن صفوان بن عمرو[1] قال، حدثني سليم بن عامر[2] قال: قدم عمر رضي الله عنه الجابية فقضى بين الناس، فلما أظهر توجه إلى أبي عبيدة، ثم قال: نحو منزلك يا أبا عبيدة، فقال: مرحبا وأهلا يا أمير المؤمنين، ثم سبقه أبو عبيدة إلى منزله، فلما دخل، قالت امرأة[3] أبي عبيدة: مرحبا يا أمير المؤمنين، قال: فلانة ؟ قالت: نعم فلانة. قال: والذي نفس عمر بيده لاسوأنك. قالت: إياي تعني؟ وقالت: والله ما تقدر على ذاك، فأعاد عليها مثل قوله، وأعادت عليه مثل قولها، فغضب، فلما رأى أبو عبيدة غضبه، قال: بلى والله يا أمير المؤمنين إنك لتقدر على ذلك، فقالت: والله ما هو على ذلك بقادر، قال عمر رضي الله عنه: إنك لتدلين بدالة. قالت: هل تستطيع أن تسألني الإسلام فتذهب به؟ قال: لا والله، قالت: فلا والله ما أبالي ما كان بعد، فقال عمر رضي الله عنه: أستغفر الله، ثم سلم فانطلق. قال صفوان: فقلت لسليم: ما كان غضبه عليها ؟ قال: بلغني أن امرأة عظيم دمشق من الأعاجم حين فتحت دمشق أهدت إليها عقدا فيه خرزة لؤلؤ وجزع، لعله لا يساوي إلا ثلاثمائة درهم. وقد روي أنه لما قدم عمر نزل على أبي عبيدة، فخرجت بنت أبي عبيدة، وهي جويرية من داخل إلى عمر، فجعل عمر يسترسلها الكلام، ما حليك؟ قالت: كذا وكذا، قال عمر: حليك الذي تخرجين به؟ فسمعت أمها من داخل البيت، فقالت: كأنك تريد التاج، نعم، وقد أهدي له تاج، فقسمه أبو عبيدة بين المسلمين ولم يجعل لنا منه شيئا.

■ (3) تحيفة زوج أبي عبيدة بن الجراح لم تنسب، كانت مع أبي عبيدة بدمشق، وشهدت وفاته.وكان سفيان صحف اسم امرأة أبي عبيدة فقال: حفتة بالحاء.

■ (1) صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي: أبو عمرو الحمصي، مات سنة 155 هـ. وقال سليمان بن سلمة الخبائرى: مات سنة 158 هـ، وقد جاوز الثمانين

■ (2) سليم بن عامر، أبو يحيى الخبائري الكلاعي الحمصي شهد فتح القادسية واستسقاء معاوية بدمشق. كان يقول: استقبلت الإسلام من أوله، وأدرك النبي ولم يره، قال الذهبي: جاوز المئة بسنتين، وقال: فأما قول محمد بن سعد ، وخليفة بن خياط: إنه مات سنة 130 هـ، فهو بعيد، ما أعتقد أنه بقي إلى هذا الوقت، ولو عاش إلى هذا الوقت، لسمع منه إسماعيل بن عياش وأقرانه. والله أعلم. (في رواية ابن منظور وابن عساكر قال: هو سليمان بن عامر؟).

عن عياض بن غطيف قال: دخلنا على أبى عبيدة بن الجراح نعوده من شكوى أصابه وامرأته تحيفة قاعدة عند رأسه قلنا كيف بات أبو عبيدة؟ قالت: والله لقد بات بأجر. فقال أبو عبيدة: ما بت بأجر، وكان مقبلا بوجهه على الحائط فأقبل على القوم بوجهه، فقال: ألا تسألونى عما قلت؟ قالوا: ما أعجبنا ما قلت فنسألك عنه. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فَاضِلَةً فِي سَبِيلِ اللهِّ فَبِسَبْعِمِائَةٍ وَمَنْ أَنْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ أَوْ عَادَ مَرِيضاً أَوْ مَازَ أَذًى فَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا وَمَنِ ابْتَلاَهُ اللهُّ بِبَلاَءٍ فِي جَسَدِهِ فَهُوَ لَهُ حِطَّةٌ﴾ (الجنة) الوقاية (الحطة) أي تحط عنه خطاياه وذنوبه (ماز) نحى وأزال.

حدث عثمان بن عبد الحميد قال: أرسل عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بخمسمائة دينار، فعمد إليها أبو عبيدة فقسمها كلها، فكانت امرأته تقول: والله لقد كان ضرر دخول تلك الدنانير علينا أكثر من نفعها، ثم إن أبا عبيدة عمد إلى خلق ثوب كنا نصلي فيه فشققه، ثم جعل يصر فيه من تلك الدنانير الذهب ويبعث بها إلى مساكين، فقسمها عليهم حتى فنيت.

قال علي الصلابي: كان تفكير عمر قبل مقتله أن يجول على الولايات شخصيا لمراقبة العمال وتفقد أحوال الرعية، والاطمئنان على أمور الدولة المترامية، قال عمر: لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني، أما عمالهم فلا يدفعونها إلي، وأما هم فلا يصلون إلي، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين، ثم والله لنعم الحول هذا. وقد طبق عمر شيئا من هذا خصوصا في ولاية الشام حيث سار إليها عدة مرات وتفقد أحوالها ودخل بيوت ولاتها وأمرائها، ليعرف أحوالهم عن كثب فقد دخل دار أبي عبيدة وشاهد حالته وتقشفه ودار بينه وبين امرأة أبي عبيدة حوار شديد ألقت فيه اللوم على عمر نتيجة ما يعيشون فيه من تقشف، كما زار دار خالد بن الوليد ولم يجد عنده شيئا يلفت النظر سوى أسلحته التي كان منشغلا بإصلاحها، وقد كان عمر أثناء دخوله على هؤلاء يدخل فجأة إذ يصحبه رجل فيطرق الباب على الوالي فيتكلم الرجل ويطلب الأذن بالدخول له ولمن معه دون أن يعلموا أنه عمر وحينما يدخل عمر إلى الدار يقوم بالتمحيص فيها والاطلاع على ما فيها من أثاث، وقد سمع عمر أن يزيد بن أبي سفيان ينوع في طعامه،فانتظر حتى إذا حان وقت عشاء يزيد استأذن عليه عمر، فلما رأى طعامه نهاه عن الإسراف في الطعام، ولم يكتف عمر بالمراقبة عن طريق هذه الزيارات بل عمد إلى طريقة أخرى وهي إرسال كميات من الأموال إلى الولاة وإرسال من يراقبهم حتى يعرف كيف تصرفوا فيها فأرسل إلى أبي عبيدة بخمسمائة دينار فعمد إليها أبو عبيدة فقسمها كلها فكانت امرأته تقول: والله لقد كان ضرر دخول الدنانير علينا أكثر من نفعها ثم إن أبا عبيدة عمد إلى خلق ثوب كنا نصلي فيه فيشققه، ثم جعل يصبر فيه من تلك الدنانير الذهب ويبعث بها إلى مساكين، فقسمها عليهم حتى فنيت، وعمل عمر الشيء نفسه مع ولاة آخرين في سفرته تلك إلى الشام، ولم يكتف عمر بمراقبته للعمال أثناء سفره، بل كان يستقدمهم إلى المدينة ثم يوكل من يراقبهم في أكلهم وشربهم، ولباسهم، ويفعل ذلك بنفسه أيضا. انتهى. أخرج الطبراني في الكبير عن مالك الدار رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة، فقال للغلام: إذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تله في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع؟ فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: إجعل هذه في بعض حاجتك، فقال وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية، إذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفدها. ورجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، فقال: إذهب بها إلى معاذ بن جبل وتله في البيت حتى تنظر ما يصنع؟ فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: إجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله، تعالي يا جارية، إذهبي إلى بيت فلان بكذا، إذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت إمرأة معاذ وقالت: ونحن، والله، مساكين فأعطنا، فلم يبق في الخرقة إلا ديناران، فدحى بهما إليها؛ ورجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك فقال إنهم إخوة بعضهم من بعض. قال الحافظ في الإصابة: مالك بن عياض مولى عمر وهو الذي يقال له مالك الدار، له إدارك وسمع من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، روى عن الشيخين ومعاذ، وأبي عبيدة، روى عنه إبناه عون، وعبد الله، وأبو صالح السمان؛ وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين في أهل المدينة وقال: كان معروفا، وقال علي بن المديني: كان مالك الدار خازنا لعمر. وأخرج البخاري في التاريخ الصغير عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تمنوا، فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها في سبيل الله. فقال: تمنوا، فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهبا فأنفقها في سبيل الله. قال: تمنوا، قال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهرا ،أو نحوه، فأنفقه في سبيل الله. فقال عمر: تمنوا، فقالوا: ما تمنينا بعد هذا، قال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان فأستعملهم في طاعة الله. قال: ثم بعث بمال إلى حذيفة قال: أنظر ما يصنع. قال: فلما أتاه قسمه، ثم بعث بمال إلى معاذ بن جبيل فقسمه، ثم بعث بمال، يعني إلى أبي عبيدة، قال: أنظر ما يصنع. فقال عمر: قد قلت لكم، أو كما قال.

عن عروة بن رويم اللخمي، قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بن الجراح كتابا فقرأه على الناس بالجابية: أما بعد: فإنه لم يقم أمر الله في الناس إلا حصيف العقدة*، بعيد الغرة*، لايطلع الناس منه على عورة ، ولا يحنق في الحق على جرته* ، ولا يخاف في الله لومة لائم، والسلام عليكم. وكتب عمر رضي الله عنه: أما بعد، فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك ونفسي فيه خيرا، ألزم خمس خصال يسلم لك دينك، وتحظ بأفضل حظك، إذا حضرك الخصمان فعليك بالبينات العدول، والأيمان القاطعة، ثم أدن الضعيف حتى ينبسط لسانه ويجترئ قلبه، وتعاهد الغريب فإنه إذا طال حبسه ترك حاجته، وانصرف إلى أهله وإذا الذي أبطل حقه من لم يرفع به رأسا، واحرص على الصلح، ما لم يبن لك القضاء. والسلام.

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي أمامة بن سهل، قال: كتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح، أن علموا غلمانكم العوم، ومقاتلتكم الرومي، فكانوا يختلفون إلى الأغراض*، فجاء بينهم سهم غرب* إلى غلام فقتله، فلم يوجد له أصل، وكان في حجر خاله، فكتب فيه أبو عبيدة إلى عمر: إلى من أدفع عقله*؟، فكتب إليه عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: الله ورسوله مولى من لا مولى له، والخال وارث من لا وارث له. وعن عياض الأشعري قال: شهدت اليرموك، قال عمر:إذا كان قتال فعليكم بأبي عبيدة بن الجراح. قال فكتب: إليه إنه قد جاش* إلينا الموت، واستمددناه، فكتب: إنه قد جاءني كتابكم تستمدونني وأنا أدلكم على من هو أعز نصرا وأحضر جندا، الله عزوجل فاستنصروه، فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا، فقاتلوهم، ولا تراجعوني. قال: فقاتلناهم فهزمناهم، وقتلناهم أربعة فراسخ، وأصبنا أموالا كثيرة.

عن طارق بن شهاب عن أبي موسى أن أمير المؤمنين كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه حيث سمع بالطاعون الذي أخذ الناس بالشام: إني بدت لي حاجة إليك فلا غنى لي عنك فيها، فإن أتاك كتابي ليلا فإني أعزم عليك أن تصبح حتى تركب إلي، وإن أتاك نهارا فإني أعزم عليك أن تمسي حتى تركب إلي. فقال أبو عبيدة رضي الله عنه: قد علمت حاجة أمير المؤمنين التي عرضت، وإنه يريد أن يستبقي من ليس بباق. فكتب إليه: إني في جند من المسلمين لن أرغب بنفسي عنهم، وإني قد علمت حاجتك التي عرضت لك، وإنك تستبقي من ليس بباق، فإذا أتاك كتابي هذا فحللني من عزمك، وائذن لي في الجلوس. فلما قرأ عمر رضي الله عنه كتابه فاضت عيناه وبكى. فقال له من عنده: يا أمير المؤمنين، مات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأن قد. فكتب إليه عمر رضي الله عنه أن الأردن أرض وبئة وكان قد كتب عمقه، وأن الجابية أرض نزهة، فاظهر بالمهاجرين إليها. قال أبو عبيدة حين قرأ الكتاب: أما هذا فنسمع فيه أمر أمير المؤمنين ونطيعه، فأمرني أن أركب وأبوىء الناس منازلهم. فطعنت إمرأتي، فجئت أبا عبيدة فانطلق أبو عبيدة يبوىء الناس منازلهم، فطعن فتوفي، وانكشف الطاعون. قال أبو الموجه: زعموا أن أبا عبيدة كان في ستة وثلاثين ألفا من الجند، فماتوا فلم يبق إلا ستة آلاف رجل. وروى سفيان بن عيينة أخصر منه. كذا في الكنز . وأخرجه الحاكم من طريق سفيان وفي سياقه: فقال أبو عبيدة رضي الله عنه: يرحم الله أمير المؤمنين يريد بقاء قوم ليسوا بباقين. قال: ثم كتب إليه أبو عبيدة: إني في جيش من جيوش المسلمين لست أرغب بنفسي عن الذي أصابهم. قال الحاكم: رواة هذا الحديث كلهم ثقات وهو عجيب بمرة؛ وقال الذهبي: على شرط البخاري، ومسلم. وأخرجه ابن إسحاق من طريق طارق بطوله، كما في الإصابة ، وفي سياقه: يا أمير المؤمنين، إني قد عرفت حاجتك إلي، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيهم أمره وقضاءه، فخلني من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعني في جندي. وأخرجه الطبري أيضا بطوله عن طارق.

----

*(حصيف العقدة) الحصيف: المحكم العقل، والعقدة: الرأي والتدبير (بعيد الغرة) أي: من بعد حفظه لغفلة المسلمين.(ولا يحنق في الحق على جرته) أي لا يحقد على رعيته، والحنق الغيظ. ما يخرجه البعير من جوفه ويمضغه. (الغرض) هدف يرمى فيه (سهم غرب) أي: لا يدرى راميه (العقل) الدية (جاش) أي: فاض وتدفق وأقبل

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ مسند أحمد/ تاريخ المدينة المنورة/ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ تاريخ الإسلام للذهبي/ الوافي بالوفيات/ مغاني الأخبار/ حياة الصحابة للكاندهلوى/

حين قدم عمر الشام وافاه معاوية[1] بموكب عظيم أنكره عليه عمر فقال: أنت صاحب الموكب العظيم؟ قال: نعم. قال: مع ما بلغني عنك من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك. قال: هو ما بلغك من ذلك. قال: ولم تفعل هذا؟ لقد هممت أن آمرك بالمشي حافيا إلى بلاد الحجاز. قال: يا أمير المؤمنين إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن تظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله ويرهبهم فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت، فقال له عمر: ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب* الضرس، لئن كان ما قلت حقا، إنه لرأي أريب، ولئن كان باطلا إنه لخديعة أديب.

وقد روى الناس كلام معاوية لعمر على وجه آخر، قيل لما قدم عمر الشام قدمها وهو راكب حمارا قريبا من الأرض ومعه عبد الرحمن بن عوف[2] راكب حمار قريب أيضا، فتلقاهما معاوية في كوكبة خشناء* فثنى وركه ونزل وسلم بالخلافة فلم يرد عليه. فقال له عبد الرحمن: أحصرت الفتى يا أمير المؤمنين، فلو كلمته! قال: إنك لصاحب الجيش الذي أرى ! قال: نعم، قال: مع شدة احتجابك ووقوف ذوى الحاجات ببابك! قال: أجل، قال: لم ويحك! قال: لانا ببلاد عدو كثير فيها جواسيسهم، فإن لم نتخذ العدة والعدد استخف بنا وهجم على عوراتنا وأنا بعد عاملك فإن استنقصتني نقصت وإن استزدتني زدت وإن استوقفتني وقفت. فقال: إن كنت كاذبا إنه لرأى أريب وإن كنت صادقا إنه لتدبير لبيب، ما سألتك عن شئ قط إلا تركتني منه في أضيق من رواجب الضرس، لا آمرك ولا أنهاك. فلما انصرف، قال عبد الرحمن بن عوف: لقد أحسن الفتى في إصدار ما أوردت عليه، فقال: لحسن إيراده وإصداره جشمناه ما جشمناه*.

في رواية ابن خلدون: عندما لقي معاوية عمر رضي الله عنهما عند قدومه الشام وجد أبهة الملك وزيه من العديد والعدة فاستنكر عليه ذلك وقال له: أكسروية يا معاوية؟ قال: يا أمير المؤمنين أنا في ثغر تجاه العدو وبنا إلى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يخطئه لما اجتمع عليه بمقصد من مقاصد الحق والدين.

----

*(الرواجب): جمع راجبة: وهي ما بين عقد الأصابع من داخل أي: أضيق ما يكون. وفي رواية قال: ما سألتك عن شئ إلا تركتني منه في أضيق من الرواجب. (جشمناه ما جشمناه) يقولون: تجشمت الأمر وتجسمته إذا حملت نفسك عليه (خشناء) أي كثيرة السلاح

- (1) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ
- (2) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.

☪

لما قدم عمر الجابية نزع شرحبيل[1]، وأمر عمرو بن العاص[2] بالمسير إلى مصر، وبقي الشام على أميرين: أبو عبيدة بن الجراح[3] ويزيد بن أبي سفيان[4]؛ ثم توفي أبو عبيدة في طاعون عمواس وأستخلف عياض بن غنم[5]، ثم توفي يزيد بن أبي سفيان، فأمر معاوية بن أبي سفيان مكانه، ثم نعاه عمر لأبي سفيان[6] فقال: يا أبا سفيان! أحتسب يزيد. قال: من أمرت مكانه؟ قال: معاوية. قال: وصلتك يا أمير المؤمنين رحم. فكان على الشام معاوية وعمير بن سعد حتى قتل عمر. فأقر عمر معاوية وولي عمرو بن العاص فلسطين والأردن، ومعاوية دمشق وبعلبك والبلقاء، وولي سعيد بن عامر بن حذيم[7] حمص، ثم جمع الشام كلها لمعاوية، وأقر عثمان[8] معاوية على الشام.

ولما عزيت هند[9] على يزيد بن أبي سفيان قيل: إن الله تعالى قد جعل معاوية خلفا من يزيد وغيره. فقالت: أو مثل معاوية يجعل خلفا من أحد؟! فو الله لو أن العرب أجتمعت متوافرة ثم رمي به فيها لخرج من أي أعراضها شاء. وعزى عمر أبا سفيان بابنه يزيد، فقال له أبو سفيان: من جعلت على عمله؟ قال: جعلت أخاه معاوية؛ وأبناك مصلحان، ولا يحل لنا أن ننزع مصلحا. وعن إسماعيل بن أمية: أن عمر بن الخطاب أفرد معاوية بالشام ورزقه ثمانين دينارا في كل شهر. وقيل: إن الذي أفرد معاوية بالشام عثمان بن عفان. ذكر معاوية عند عمر بن الخطاب فقال: دعونا من ذم فتى قريش وابن سيدها، من يضحك في الغضب، ولا ينال على الرضا، ومن لا يأخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه.

لما ولى عمر بن الخطاب يزيد بن أبي سفيان ما ولاه من الشام خرج إليه معاوية، فقال أبو سفيان لهند: كيف ترين؟ صار ابنك تابعا لابني، فقالت: إن اضطرب حبل العرب فستعلم أين يقع ابنك مما يكون فيه ابني، فمات يزيد بالشام، فولى عمر معاوية موضعه، فقالت هند لمعاوية: والله يا بني إنه لقلما ولدت حرة مثلك وقد استنهضك هذا الرجل فاعمل بموافقه، أحببت ذلك أم كرهته.ثم دخل على أبيه أبي سفيان،فقال له: يا بني، إن هؤلاء الرهط* من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقصر بنا تأخرنا فصاروا قادة وصرنا أتباعا وقد ولوك جسيما من أمورهم فلا تخالفهم فإنك تجري إلى أمد فنافس فيه فإن بلغته أورثته عقبك.قال معاوية: فعجبت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ.

لما شخص أبو سفيان إلى معاوية بالشام ومعه ابناه عتبة[10] وعنبسة[11] كتبت هند إلى معاوية سرا: قد قدم أبوك وأخواك فلا تغذم لهم فيعزلك ابن الخطاب - أي لا تعطهم الكثير، يقال: غذم لهم من المال - احمل أباك على فرس وأعطه أربعة آلاف درهم واحمل عتبة على بغل وأعطه ألفي درهم واحمل عنبسة على حمار وأعطه ألف درهم، ففعل معاوية ذلك، فقال أبو سفيان: أشهد أن هذا رأي هند.

استقرضت هند بنة عتبة من عمر بن الخطاب من بيت المال أربعة آلاف درهم تتجر فيها وتضمنها، فأقرضها، فخرجت إلى بلاد كلب فاشترت وباعت، فبلغها أن أبا سفيان وعمرو بن أبي سفيان[12] قد أتيا معاوية فعدلت إليه من بلاد كلب، فأتت معاوية - وكان أبو سفيان قد طلقها - فقال: ما أقدمك أي أمه؟! قالت: النظر إليك. أي بني، إنه عمر وإنما يعمل لله وقد أتاك أبوك فخشيت أن تخرج إليه من كل شيء، وأهل ذاك هو، فلا يعلم الناس من أين أعطيته فيؤنبونك ويؤنبك عمر فلا تستقيلها أبدا، فبعث إلى أبيه وإلى أخيه بمئة دينار وكساهما وحملهما. فتعظمها عمرو، فقال أبو سفيان: لا تعظمها، فإن هذا عطاء لم تغب عنه هند ومشورة قد حضرتها هند ورجعوا جميعا، فقال أبو سفيان لهند: أربحت؟ قالت: الله أعلم، معي تجارة إلى المدينة. فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيعة عن أمره، فقال لها عمر: لو كان مالي لتركته لك، ولكنه مال المسلمين، هذه مشورة لم يغب عنها أبو سفيان، فبعث إليه فحبسه حتى وفته وقال له: بكم أجازك معاوية؟قال:بمئة دينار.

☪

عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد[13] يوما، فمر به رجل، فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لودنا أنا رأينا ما رأيت، فاستمعت، فجعلت أعجب، ما قال إلا خيرا، ثم أقبل عليه، فقال: ما يحمل أحدكم على أن يتمنى محضرا غيبه الله عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه. والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوام كبهم الله على مناخرهم في جهنم، لم يجيبوه، ولم يصدقوه، أولا تحمدون الله، لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم، وقد كفيتم البلاء بغيركم؟ والله لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم، على أشد حال بعث عليه نبي في فترة وجاهلية، ما يرون دينا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان حتى إن الرجل ليرى والده، أو ولده، أو أخاه كافرا، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان، ليعلم أنه قد هلك من دخل النار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حميمه في النار، وأنها للتي قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان]

وعن المسيب قال: أتيت أبا سعيد الخدري فقلت له: هنيئا لكم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته. فقال: يا بن أخي، لا تدري ما أحدثنا بعده.

----

* (الرهط) الجماعة من الرجال دون العشرة

- (11) عنبسة بن أبي سفيان، واسمه صخر، بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أبو الوليد، ويقال: أبو عثمان، ويقال: أبو عامر المدني، أخو يزيد بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان وأم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي.
- (10) عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، أبو الوليد، أخو معاوية بن أبي سفيان لأبويه ولد على عهد رسول الله وولاه عمر بن الخطاب الطائف ولما مات عمرو بن العاص ولى معاوية أخاه عتبه مصر وأقام عليها سنة ثم توفي بها ودفن فيها سنة 44 هـ وقيل : سنة 43 هـ
- (4) يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية من أبيه، ويقال له يزيد الخير، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة. أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وشهد حنينا، فقيل: إن النبي أعطاه من غنائم حنين مئة من الإبل وأربعين أوقية فضة، وهو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، عقد له أبو بكر، ومشى معه تحت ركابه يسايره، ويودعه، ويوصيه، وما ذاك إلا لشرفه وكمال دينه، ولما فتحت دمشق، أمره عمر عليها. توفي يزيد في الطاعون سنة18 هـ، ولما احتضر، استعمل أخاه معاوية على عمله، فأقره عمر على ذلك احتراما ليزيد، وتنفيذا لتوليته.
- (6) أبو سفيان بن حرب بن أمية واسمه صخر، اسلم في الفتح، لقى رسول الله بالطريق قبل دخوله مكة لفتحها فأسلم هناك، وشهد حنينا، وشهد الطائف، وفقئت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. مات بين سنة 30 هـ وسنة 34 هـ، وصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان، ودفن في البقيع
- (9) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القريشية العبشمية، أم معاوية بن أبى سفيان، أسلمت في الفتح بعد إسلام زوجها أبى سفيان بليلة، وشهدت اليرموك مع أبى سفيان، توفيت في أول خلافة عمر، في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبى بكر الصديق.
- (12) عمرو بن أبي سفيان بن حرب وكان في أساري بدر ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).
- (1) شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن الغطريف، الكندي حليف بني زهرة: صحابي، من القادة. يعرف بشرحبيل بن حسنة وهي أمه أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأوفده رسولا إلى مصر، وتوفي صلى الله عليه وسلم وشرحبيل بمصر. ثم جعله أبو بكر أحد الامراء الذين وجههم لفتح الشام. فافتتح الاردن كلها عنوة، ما خلا طبرية، فان أهلها صالحوه، وذلك بأمر من أبي عبيدة. ولما قدم عمر الجابية عزله، واستعمل معاوية مكانه، فقال شرحبيل: أعن سخط عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكني أردت رجلا أقوى من رجل. وتوفي بطاعون عمواس سنة 18 هـ. قال أحد مترجميه: كان من الفرسان الذين سادوا الناس.
- (3) أبو عبيدة بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال. أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام، .ولد سنة 40 ق هـ. ومات بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ.
- (7) سعيد بن عامر بن حذيم بن سلامان بن ربيعة الجمحي أسلم قبل خيبر وشهدها مع رسول الله وما بعدها. ولاه عمر على حمص والجزيرة بعد وفاة عياض بن غنم ولم تطل مدة ولايته فقد توفي في السنة التي ولي فيها سنة 20 هـ وقيل قبلها بسنة أو بعدها بسنة.
- (8) عثمان بن عفان الأموي،أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.ودفن بالبقيع.
- (13) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة المعروف بـ المقداد بن الأسود المتوفي سنة 33 هـ هو أحد السابقين الأولين إلى الإسلام.
- (5) عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد، أبو سعد الفهري. ممن بايع بيعة الرضوان. واستخلفه قرابته أبو عبيدة بن الجراح، لما احتضر على الشام. وهو الذي افتتح الجزيرة صلحا. أقره عمر على الشام. فعاش بعد نحوا من عامين. وقيل: عاش ستين سنة ومات في سنة 20 بالشام.قال ابن سعد: شهد الحديبية، وكان أحد الأمراء الخمسة يوم اليرموك

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تهذيب اللغة/ تهذيب الكمال/ مصنف ابن أبي شيبة/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ أرشيف ملتقى أهل الحديث / الأعلام لالزركلي/

عن أسلم مولى عمر قال: قدم علينا معاوية بن أبي سفيان[2] وهو أبيض – أو أبض– الناس وأجملهم، فخرج إلى الحج مع عمر وكان عمر ينظر إليه، فيعجب له، ثم يضع أصبعه على متنه ثم يرفعها عن مثل الشراك فيقول: بخ بخ! نحن إذا خير الناس أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة! فقال معاوية: يا أمير المؤمنين! سأحدثك: إنا بأرض الحمامات والريف. فقال عمر: سأحدثك: ما بك إلطافك نفسك بأطيب الطعام ونضيجه حتى نضرت الشمس متنيك، وذو الحاجات وراء الباب!. قال: فلما جئنا ذا طوى أخرج معاوية حلة فلبسها، فوجد عمر منها ريحا كأنه ريح طيب فقال: يعمد أحدكم يخرج حاجا تفلا، حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمة، أخرج ثوبيه كأنهما كانا في الطيب فلبسهما! فقال معاوية: إنما لبستهما لأن أدخل فيهما على عشيرتي –أو قومي– والله لقد بلغني أذاك هنا وبالشام، والله يعلم أني لقد عرفت الحياء فيه. ونزع معاوية الثوبين ولبس ثوبيه اللذين أحرم فيهما.

كان عمر إذا رأى معاوية، قال: هذا كسرى العرب. وقال: تعجبون من دهاء هرقل[3] وكسرى[4] وتدعون معاوية ؟ قيل: دخل معاوية على عمر بن الخطاب وعليه حلة خضراء، فنظر إليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأى ذلك عمر وثب إليه ومعه الدرة، فجعل ضربا لمعاوية ومعاوية يقول: الله الله، يا أمير المؤمنين! فيم فيم؟ قال: فلم يكلمه حتى رجع فجلس في مجلسه فقال له القوم: لم ضربت الفتى، يا أمير المؤمنين؟! ما في قومك مثله. فقال: والله ما رأيت إلا خيرا وما بلغني إلا خير، ولكني رأيته، وأشار بيده، فأحببت أن أضع منه. ويروى أن عمر رضي الله عنه لما قدم الشام رأى معاوية حمل اللحم فقال: يا معاوية ما هذا لعلك تنام نومة الضحى؟! فقال: يا أمير المؤمنين علمني مما علمك الله.

----

*(الرواجب): جمع راجبة: وهي ما بين عقد الأصابع من داخل أي: أضيق ما يكون. وفي رواية قال: ما سألتك عن شيء إلا تركتني منه في أضيق من الرواجب. (جشمناه ما جشمناه) يقولون: تجشمت الأمر وتجسمته إذا حملت نفسك عليه (الرهط) الجماعة من الرجال دون العشرة

■ (1) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (2) هرقل ملك الروم ، واسمه فلافيوس أغسطس هرقل إمبراطور الإمبراطورية البيزنطية توفي سنة 21 هـ أيضا توفي خلفه الإمبراطور قسطنطين الثالث ثم خلفه الاخير الإمبراطور هرقلوناس في نفس السنة.

■ (3) كسرى بن هرمز إبرويز ، كسرى الثاني أو خُسرو الثاني، ملك فارس المعروف بلقب برويز، كان ملك الساسانية في فارس. كان ابن هرمز الرابع، وحفيد كسرى الأول. ملك ثمانيا وثلاثين سنة وأشهر. وقتل سنة 7 هـ. على يد ابنه شيرويه (قباد الثاني)

كان معاوية من المشاركين في معركة اليرموك الشهيرة، وأورد الطبري أن معاوية كان من الموقعين على وثيقة استلام مدينة القدس بعد معركة اليرموك، والتي توجها الخليفة عمر بحضوره إلى فلسطين، وكان معاوية واليا على الشام ذلك الوقت.

عن ابن عمر أنه قال: ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود –من السيادة– من معاوية، فقيل: ولا أبوك ؟ قال: أبي عمر رحمه الله خير من معاوية، وكان معاوية أسود منه. وعنه قال: معاوية من أحلم الناس.قالوا: يا أبا عبد الرحمن! وأبو بكر؟ قال: أبو بكر خير من معاوية، ومعاوية من أحلم الناس. ذكر معاوية عند ابن عباس فقال: لله در ابن هند، ما أكرم حسبه! وأكرم مقدرته! والله ما شتمنا على منبر قط (!)، ولا بالأرض، ضنا منه بأحسابنا وحسبه. قال العتبي: رأى معاوية يزيد يضرب غلاما له، فقال: سوءة لك، أتضرب من لا يستطيع أن يمتنع عليك؟! والله لقد منعتني القدرة من ذوي الإحن*، وإن أحق من عفا لمن قدر!.

سئل المعافى بن عمران: أين عمر بن عبد العزيز من معاوية بن أبي سفيان فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال: لا يقاس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد، أما معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله عز وجل.

سئل ابن المبارك عن معاوية فقيل له: ما تقول فيه؟ قال: ما أقول في رجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سمع الله لمن حمده. فقال معاوية من خلفه: ربنا ولك الحمد. فقيل له: ما تقول في معاوية؟ هو عندك أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لتراب في منخري معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير – أو أفضل– من عمر بن عبد العزيز. قال إبراهيم بن ميسرة: ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنسانا قط إلا إنسانا شتم معاوية، فإنه ضربه أسواطا.وعن الزهري قال: سألت سعيد بن المسيب عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: اسمع يا زهري من مات محبا لأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وشهد للعشرة بالجنة، وترحم على معاوية، كان حقيقا على الله عز وجل أن لا يناقشه الحساب. وعن ابن يزيد قال: ذكر معاوية عند حسن بن حي، فنالوا منه، فقال حسن: لو لم تكفوا عن معاوية، ألا إنه كان من عمال عمر بن الخطاب، وقد كانت له برسول الله صلى الله عليه وسلم مصاهرة. سأل رجلا الحكم بن هشام الكوفي: ما تقول في معاوية؟ قال: ذاك خال كل مؤمن. وجاء رجل سفيان فقال: ما تقول في شتم معاوية؟ قال: متى عهدك بشتيمة فرعون؟ قال: ما خطر ببالي. قال: ففرعون أولى بالشتم. وعن أحمد بن حنبل أنه قال: إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بسوء فاتهمه على الإسلام. قال أبو جعفر الرازي: وقع إلينا شيخ بخراسان ممن لقي بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله يزيد (النحوي!) عن آية من كتاب الله، فقرأ فلحن، فقال يزيد: تلحن؟! فقال: إني سمعت الله عير بالذنب ولم أسمعه عير باللحن. فقال له يزيد: ما شهادتك على معاوية؟ قال: أنا على دين نوح﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء] قال إبراهيم بن الأشعث: ما سمعت الفضيل قط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح إلا بكى وتنفس، أو رئي فيه الحزن. وكان إذا ذكر عليا وعثمان دمعت عيناه وأكثر الترحم عليهما، وسمعته يترحم على معاوية ويقول: كان من العلماء الكبار، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن ابتلي بحب الدنيا.

عن عبد الله بن مسعود، قال: ما كنت أظن أن في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدا يحب الدنيا حتى نزلت: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران]

----

*.(الاحنة) الحقد والغضب ج كعنب: حن

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تهذيب اللغة/ تهذيب الكمال/ مصنف ابن أبي شيبة/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ أرشيف ملتقى أهل الحديث/ الإصابة في تمييز الصحابة/

كان معاوية بن أبي سفيان[1] وهو أمير الشام يلح على عمر بن الخطاب في غزو البحر، ويصف له قرب الروم من حمص ويقول: إن قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم، حتى كان ذلك يأخذ بقلب عمر، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص[2]: صف لي البحر وراكبه، فإن نفسي تنازعني إليه، فكتب إليه عمرو: إني رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير، إن ركن خرق القلب، وإن تحرك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا برق، فلما قرأ عمر بن الخطاب كتاب عمرو بن العاص كتب إلى معاوية: لا والذي بعث محمدا بالحق، لا أحمل فيه مسلما أبدا، وتالله لمسلم أحب إلي مما حوت الروم، فإياك أن تعرض لي، وقد تقدمت إليك، وقد علمت ما لقى العلاء[3] مني، ولم أتقدم إليه في ذلك. ولكن الفكرة لم تبرح نفس معاوية، وقد رأى في الروم ما رأى، فطمع في بلادهم وفي فتحها، فلما تولى الخلافة عثمان عاود معاوية الحديث وألح به على عثمان[4]، فرد عليه عثمان رضي الله عنه قائلا: إني قد شهدت ما رد عليك عمر رحمه الله حين استأذنته في غزو البحر، ثم كتب إليه معاوية مرة أخرى يهون عليه ركوب البحر إلى قبرص فكتب إليه: فإن ركبت معك امرأتك فاركبه مأذونا وإلا فلا. كما اشترط عليه الخليفة عثمان رضي الله عنه أيضا بقوله: لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم، خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه. فلما قرأ معاوية كتاب عثمان نشط لركوب البحر إلى قبرص، فكتب لأهل السواحل يأمرهم بإصلاح المراكب وتقريبها إلى ساحل حصن عكا، فقد رمه ليكون ركوب المسلمين منه إلى قبرص. أعد معاوية المراكب اللازمة لحمل الجيش الغازي، واتخذ ميناء عكا مكانا للإقلاع، وكانت المراكب كثيرة وحمل معه زوجه فاختة بنت قرظة[5]، كذلك حمل عبادة بن الصامت[6] امرأته أم حرام بنت ملحان[7] معه في تلك الغزوة.

وأم حرام هذه هي صاحبة القصة المشهورة، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأطعمته، ثم جلست تفلي من رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال:﴿نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَىَّ غُزَاةً فِى سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ – أَوْ قَالَ: مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ –﴾ قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال:﴿نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَىَّ، غُزَاةً فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كما قال في الأولى، قالت: قلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال:﴿أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ﴾ فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت.

■ (1) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

■ (4) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (5) فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل زوجة معاوية، ولدت له عبد الله وكان محمقا ضعيفا وعبد الرحمن مات صغيرا، وغزت معه قبرس في خلافة عثمان، وقرظة يكنى أبا عمرو وكان أعمى، تزوج ابنة عتبة بن ربيعة، فولدت له فاختة ومات كافرا قبل الفتح (هذا لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله أعلم)

■ (6) عبادة بن الصامت بن قيس ب، الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري، أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدريين، سكن بيت المقدس. شهد العقبة الأولى وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . مات بالرملة في فلسطين سنة34 هـ وهو ابن 72 سنة. وقيل: إنه بقي حتى توفي زمن معاوية. وقيل غير ذلك.

■ (7) أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد النجارية الانصارية: صحابية، كانت تخرج مع الغزاة، وتشهد الوقائع. وحضرت فتح قبرس فسقطت عن بغلتها فاندق عنقها فماتت ودفنت في الجزيرة سنة 27 هـ. وقبرها معروف إلى الآن في جزيرة قبرس، باسم قبر المرأة الصالحة.

■ (3) هل هو: العلاء بن عبد الله الحضرمي: صحابي، من رجال الفتوح في صدر الاسلام. أصله من حضرموت. سكن أبوه مكة، فولد بها العلاء ونشأ. وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم البحرين سنة 8 هـ، وجعل له جباية الصدقة وأعطاه كتابا فيه فرائض الصدقة في الابل والبقر والغنم والثمار والاموال، وأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائهم ويردها على فقرائهم. وبعد وفاة النبي أقره أبو بكر، ثم عمر ووجهه عمر إلى البصرة فمات في الطريق، سنة21 هـ في قرية من أرض تميم اسمها لياس وقيل مات في البحرين. هو الذي بسير عرفجة بن هرثمة إلى شوطئ فارس سنة 14 هـ، بالسفن، فكان في الاسلام. ويقال إن العلاء أول مسلم ركب البحر للغزو

☪

قال علي علي الصلابي: رغم أن معاوية رضي الله عنه لم يجبر الناس على الخروج، فقد خرج معه جيش عظيم من المسلمين، مما يدل على أن المسلمين قد هانت في أعينهم الدنيا بما فيها، فأصبحوا لا يعبأون بها بالرغم من أنها قد فتحت عليهم أبوابها، فصاروا يرفلون في نعيمها. إن المسلمين قد تربوا على أن ما عند الله خير وأبقى، وأن الله اصطفاهم لنصرة دينه وإقامة العدل ونشر الفضيلة، والعمل على إظهار دين الله على كل ما عداه، وهم يعتقدون أن هذه المهمة هي رسالتهم الحقيقية، وأن الجهاد في سبيل الله هو سبيل الحصول على مرضاة الله، فإن هم قصروا في مهمتهم وقعدوا عن أداء واجبهم فيمسك الله عنهم نصره في الدنيا، ويحرمهم مرضاته في الآخرة، وذلك هو الخسران المبين. من أجل هذا هرعوا مع معاوية وتسابقوا إلى السفن يركبونها، ولعل حديث أم حرام قد ألم بخواطرهم فدفعهم إلى الخروج للغزو في سبيل الله تصديقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك بعد انتهاء فصل الشتاء في سنة ثمان وعشرين من الهجرة. وسار المسلمون من الشام وركبوا من ميناء عكا متوجهين إلى قبرص، ونزل المسلمون إلى الساحل، تقدمت أم حرام لتركب دابتها، فنفرت الدابة وألقت أم حرام على الأرض فاندقت عنقها فماتت. وترك المسلمون أم حرام بعد دفنها في أرض الجزيرة عنوانا على مدى التضحيات التي قدمها المسلمون في سبيل نشر دينهم، وعرف قبرها هناك بقبر المرأة الصالحة. واجتمع معاوية بأصحابه وكان فيهم: أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري[1]، وأبو الدرداء[2]، وأبو ذر الغفاري[3]، وعبادة بن الصامت، وواثلة بن الأسقع[4]، وعبد الله بن بشر المازني[5]، وشداد ابن أوس بن ثابت[6]، والمقداد بن الأسود[7]، وكعب الحبر بن ماتع[8]، وجبير بن نفير الحضرمي[9]، وتشاوروا فيما بينهم وأرسلوا إلى أهل قبرص يخبرونهم أنهم لم يغزوهم للاستيلاء على جزيرتهم، ولكن أرادوا دعوتهم لدين الله ثم تأمين حدود الدولة الإسلامية بالشام؛ وذلك لأن البيزنطيين كانوا يتخذون من قبرص محطة يستريحون فيها إذا غزوا ويتمونون منها إذا قل زادهم، وهي بهذه المثابة تهدد بلاد الشام الواقعة تحت رحمتها، فإذا لم يطمئن المسلمون على مسالمة هذه الجزيرة لهم وخضوعها لإرادتهم فإن وجودها كذلك سيظل شوكة في ظهورهم وسهما مسددا في حدودهم، ولكن سكان الجزيرة لم يستسلموا للغزاة ولم يفتحوا لهم بلادهم، بل تحصنوا في العاصمة ولم يخرجوا لمواجهة المسلمين، وكان أهل الجزيرة ينتظرون تقدم الروم للدفاع عنهم، وصد هجوم المسلمين عليها.

تقدم المسلمون إلى عاصمة قبرص (قسطنطينا) وحاصروها، وما هي إلا ساعات حتى طلب الناس الصلح، وأجابهم المسلمون إلى الصلح، وقدموا للمسلمين شروطا واشترط عليهم المسلمون شروطا، وأما شرط أهل قبرص فكان في طلبهم ألا يشترط عليهم المسلمون شروطا تورطهم مع الروم؛ لأنهم لا قبل لهم بهم، ولا قدرة لهم على قتالهم، وأما شروط المسلمين: 1- ألا يدافع المسلمون عن الجزيرة إذا هاجم سكانها محاربون. 2- أن يدل سكان الجزيرة المسلمين على تحركات عدوهم من الروم. 3- أن يدفع سكان الجزيرة للمسلمين سبعة آلاف ومائتي دينار في كل عام. 4- ألا يساعدوا الروم إذا حاولوا غزو بلاد المسلمين، ولا يطلعوهم على أسرارهم. وعاد المسلمون إلى بلاد الشام، وأثبتت هذه الحملة قدرة المسلمين على خوض غمار المعارك البحرية بجدارة، وأعطت المسلمون فرصة المران على الدخول في معارك من هذا النوع مع العدو المتربص بهم سواء بالهجوم على بلاد الشام أم على الإسكندرية.

■ (1) خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، أبو أيوب الانصاري، من بني النجار: صحابي، شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق وسائر المشاهد. وكان شجاعا صابرا تقيا محبا للغزو والجهاد. عاش إلى أيام بني أمية وكان يسكن المدينة، فرحل إلى الشام. ولما غزا يزيد القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية، صحبه أبو أيوب غازيا، فحضر الوقائع ومرض فأوصى أن يوغل به في أرض العدو، فلما توفي دفن في أصل حصن القسطنطينية. سنة 52 هـ

■ (2) أبو الدرداء عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي. وقيل اسمه عامر، ولقبه عويمر. ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب وهو أول قاض بها وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبي، والراجح أنه مات في خلافة عثمان بالشام سنة 32 هـ

■ (3) أبو ذر الغفاري، وهو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار ، وهو رابع أو خامس الإسلام هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول من حيا النبي صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام . مات سنة 32 هـ في خلافة عثمان وقال غيره وقبره في الربذة.

■ (4) واثلة بن الأسقع بن عبد العزيز بن عبد ياليل أبو الأسقع ، وقيل أبو شداد وقيل غير ذلك ، الليثي الكناني . صحابي أسلم قبل تبوك وشهدها. وقيل: أنه خدم النبي ثلاث سنين. وكان من أهل الصفة، ثم نزل الشام، وشهد فتح دمشق وحمص وغيرهما. فسكن دمشق، ثم استوطن بيت جبرين، وهى بلدة بقر بيت المقدس، ودخل البصرة، وكان له بها دار. توفى بدمشق سنة 86 هـ أو 85 هـ، وهو ابن 98 سنة، وقيل: توفى سنة 83 وهو ابن 105، والصحيح الأول.

■ (6) شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري، أبو يعلى وهو ابن أخي حسان بن ثابت، ولاه عمر إمارة حمص، ولما قتل عثمان اعتزل، وعكف على العبادة. كان فصيحا حليما حكيما، نزل الشام بناحية فلسطين ومات بها سنة 58 هـ وهو ابن 75 سنة قيل توفي سنة41 هـ. وقيل سنة 64 هـ

■ (7) المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندي البهراني الحضرمي، أبو معبد، أو أبو عمرو: صحابي، من الأبطال. هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله. وفى الحديث: (إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: علي، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان) وكان في الجاهلية من سكان حضرموت. وولد باليمن سنة 37 ق.هـ واسم أبيه عمرو ابن ثعلبة البهراني الكندي. قيل وقع بين المقداد وابن شمر بن حجر الكندي خصام فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب إلى مكة، فتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فصار يقال له المقداد بن الأسود إلى أن نزلت آية ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب] فعاد يتسمى المقداد بن عمرو وشهد بدرا وغيرها. وسكن المدينة. وتوفي سنة 33 هـ على مقربة منها، فحمل إليها ودفن فيها.له 48 حديثا.

■ (8) كعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، الذي كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر، فجالس الصحابة، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة.توفي كعب بحمص ذاهبا للغزو في أواخر خلافة عثمان سنة32 هـ

■ (9) جبير بن نفير بن مالك بن عامر، أبو عبد الرحمن الحضرمي الحمصي. أدرك حياة النبي وحدث عن أبي بكر - فيحتمل أنه لقيه. توفي سنة 80 هـ

■ (5) عبد الله بن بشر المازني .. وهو عبد الله بن بسر المازني، أبو صفوان، ويقال أبو بسر، من بني مازن ابن منصور: صحابي. كان ممن صلى إلى القبلتين. توفي بحمص سنة 88 هـ عن 95 عاما. وهو آخر الصحابة موتا بالشام.

مراجع: تاريخ الطبري/ صحيح البخاري/ سيرة عثمان بن عفان للصلابي/ الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار/ الأعلام لالزركلي/ سير أعلام النبلاء/ الإصابة في تمييز الصحابة/

عن الحسن رضي الله عنه، قال: حضر باب عمر رضي الله عنه، سهيل بن عمرو[1]، والحارث بن هشام[2]، وأبو سفيان بن حرب[3] في نفر من قريش من تلك الرؤوس، وصهيب[4]، وبلال[5]، وتلك الموالي الذين شهدوا بدرا، فخرج آذن عمر فأذن لهم، وترك أولئك، فقال أبو سفيان: لم أر كاليوم قط، يأذن لهؤلاء العبيد، ويتركنا على بابه لا يلتفت إلينا؟!، فقال سهيل بن عمر -وكان رجلا عاقلا -: أيها القوم، إني -والله- أرى الذي في وجوهكم إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم، دعي القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، وكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم؟!. وعن نوفل بن عمار، قال:جاء الحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، إلى عمر بن الخطاب فجلسا عنده، وهو بينهما، فجعل المهاجرون الأولون يأتون عمر، فيقول: ههنا يا سهيل، ههنا يا حارث، فينحيهما عنه، فجعل الأنصار يأتون، فينحيهما، حتى صار في آخر [الناس] فلما خرجا من عند عمر، قال الحارث بن هشام، لسهيل بن عمرو: ألم تر ما صنع بنا؟، فقال له سهيل: أيها الرجل لا لوم عليه، ينبغي أن نرجع إلى أنفسنا، دعي القوم فأسرعوا، ودعي بنا فأبطأنا، فلما قاما من عند عمر أتياه فقالا له: يا أمير المؤمنين، قد رأينا ما فعلت اليوم، وعلمنا أنا أتينا من أنفسنا، فهل من شيء نستدرك [به]؟، فقال لهما: لا أعلمه إلا هذا الوجه، وأشار لهما إلى ثغر الروم، فخرجا إلى الشام فماتا بها رحمهما الله. قال سفيان الثوري: حضر باب عمر الخطاب جماعة من مشيخة الفتح وغيرهم، فيهم سهيل بن عمرو، وعيينة بن حصن[6]،والأقرع بن حابس[7]،فخرج الإذن: أين صهيب؟ أين عمار[8]؟ أين سلمان[9]؟ ليدخلوا. فتمعرت وجوه القوم (أي تغيرت غيظا وحنقآ)، فقال سهيل: لم تمعر وجوهكم؟ دعوا ودعينا، فأسرعوا وأبطأنا، فلئن حسدتموهم على باب عمر، فما أعد الله لهم في الجنة أكثر من هذا. وعن زهرة عن أبي سلمة ومحمد والمهلب وطلحة قالوا: لما أعطى عمر أول عطاء، أعطاه ذلك سنة خمس عشرة، فلما دعا صفوان بن أمية[10]وقد رأى ما أخذ أهل بدر ومن بعدهم إلى الفتح، فأعطاه في أهل الفتح أقل مما أخذ من كان قبله، أبى أن يقبله وقال: يا أمير المؤمنين! لست معترفا لأن يكون أكرم مني أحد، ولست آخذ أقل مما أخذ من هو دوني أو من هو مثلي! فقال: إنما أعطيتهم على السابقة والقدمة في الإسلام، لا على الأحساب، قال: فنعم إذن، فأخذ وقال: أهل ذلك هم.

■ (8) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم، أبو اليقظان من الولاة الشجعان ومن السابقين إلى الإسلام، ولد بمكة سنة 56 ق.هـ هاجر إلى المدينة وشهد بدرا واحدا وغيرهما، ولاه عمر الكوفة ثم عزله. وشهد الجمل وصفين وقتل فيها سنة 37 هـ

■ (9) سلمان الفارسي، يقال: سلمان بن الإسلام ، وسلمان الخير، أبو عبد الله ولا يعرف اسم أبيه بفارس أصله من رامهر مز. وقيل من أصبهان. كان أبوه ذا رئاسة، وخرج هو يطلب الهدي فلازم بعض علماء النصارى ثم خرج إلى يثرب بإشارة بعضهم. فأسر واسترق وقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم وجاهد معه. وكان ذا رأي. وهو الذي أشار بحفر الخندق. ثم شاهد المشاهد وبعض الفتوح. ولي إمرة المدائن حتى توفي سنة 33 هـ في خلافة عثمان بن عفان بالمدائن.وقيل: توفي سنة36 هـ.

■ (4) صهيب بن سنان أبو يحيى النمري. المعروف بـ صهيب الرومي، من النمر بن قاسط.ويعرف بالرومي لإنه أقام في الروم مدة.ولد سنة 35 ق.هـ وهو من أهل الجزيرة، سبي من قرية نينوى، من أعمال الموصل. وقد كان أبوه، أو عمه، عاملا لكسرى. ثم إنه جلب إلى مكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان القرشي التيمي. ويقال: بل هرب، فأتى مكة، وحالف ابن جدعان. كان من كبار السابقين البدريين. مات صهيب بالمدينة في شوال سنة 38 هـ.عن سبعين سنة. وقال المدائني: عاش ثلاثا وسبعين سنة.وقال الفسوي: عاش أربعا وثمانين سنة.

■ (5) بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق وأمه حمامة، وهو مؤذن رسول الله، من السابقين الأولين الذين عذبوا في الله، شهدا بدرا، وشهد له النبي على التعيين بالجنة، يقال: إنه حبشي، وقيل: من مولدي الحجاز. قيل ولد سنة.42 ق.هـ وفي وفاته أقوال: أحدها بداريا (مدينة قرب دمشق) في سنة 20 هـ. ودفن بباب الصغير وهو ابن بضع وستين سنة. وقيل دفن بباب كيسان. وقيل بمقبرة خولان. وقيل بباب الأربعين. لما احتضر بلال قال: غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه، قال: تقول امرأته: وا ويلاه ! فقال: وا فرحاه !.

■ (3) أبو سفيان بن حرب بن أمية واسمه صخر، اسلم في الفتح، لقى رسول الله بالطريق قبل دخوله مكة لفتحها فأسلم هناك، وشهد حنينا، وشهد الطائف، وفقئت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. مات بين سنة 30 هـ وسنة 34 هـ، وصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان، ودفن في البقيع

■ (1) سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي خطيب قريش وأحد سادتها في الجاهلية أسره المسلمون يوم بدر حتى أسلم بمكة يوم الفتح وسكنها ثم سكن المدينة وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية، مات غازيًا بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ

■ (2) الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، صحابي، أسلم يوم الفتح ثم حسن إسلامه، وتوفي في طاعون عمواس سنة 18 هـ

■ (10) صفوان بن أمية الجمحي، صحابي من المؤلفة. أسلم بعد الفتح، وحسن إسلامه، وشهد اليرموك أميرا على كردوس.قيل توفي أيام قتل عثمان، وقيل: في أوائل خلافة معاوية. قيل سنة41 هـ. ويقال: إنه وفد على معاوية، وأقطعه زقاق صفوان.

■ (6) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، كنيته أبو عبد الله أسلم بعد الفتح، وقيل قبل الفتح، وشهد الفتح مسلما، وهو من المؤلفة قلوبهم، وكان من الأعراب الجفاة، وكان ممن ارتد في عهد أبي بكر ثم عاد إلى الإسلام، توفي في خلافة عثمان.

■ (7) الأقرع بن حابس بن عقال التميمي. شهد فتح مكة وحنينا وحصار الطائف واليمامة ودومة الجندل.شهد مع خالد بن الوليد فتح العراق والأنبار وكان على مقدمى خالد واستعمله عبد الله بن عامر على جيش إلى خراسان، فأصيب بالجوزجان هو والجيش.توفي في خلافة عثمان

☪

عن أبي سعيد الخدري قال: بعث علي إلى النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن ذهبة وفيها تربتها، فقسمها بين يدي أربعة: بين الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم أحد بني مجاشع، وبين عيينة بن حصن الفزاري وبين علقمة بن علاثة العامري وبين زيد الخيل الطائي. فقالت قريش والأنصار: أيقسم بين صناديد أهل نجد ويدعنا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ..﴾ في حديث طويل . وعن ابن عباس قال: كانت المؤلفة قلوبهم خمسة عشر رجلا منهم: أبو سفيان بن حرب، والأقرع بن حابس المجاشعي، وعيينة بن حصن الفزاري، وسهيل بن عمرو من بني عمرو بن لؤي، والحارث بن هشام المخزومي، وحويطب بن عبد العزى من بني عامر بن لؤي، وسهيل بن عمرو الجهني، وأبو السنابل بن بعكك، وحكيم بن حزام من بني أسد بن عبد العزى، ومالك بن عوف النصري، وصفوان بن أمية، وعبد الرحمن بن يربوع من بني مالك، وجد بن قيس السهمي، وعمر بن مرداس السلمي، والعلاء بن الحارث الثقفي، أعطى كل رجل منهم سهما مائة من الإبل، وأعطى ابن يربوع وحويطب خمسين من الإبل. في حديث طويل. وهؤلاء هم المؤلفة قلوبهم.(الصناديد) جمع صنديد وهو كل عظيم شريف رئيس متغلب.

عن سلمان الفارسي قال جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: عيينة بن حصين والأقرع بن حابس وذووهم. فقالوا: يا رسول الله إنك لو جلست في صدر المسجد ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم -يعنون أبا ذر وسلمان وفقراء المسلمين وكان عليهم جباب الصوف لم يكن عندهم غيرها- جلسنا إليك وخالصناك وأخذنا عنك فأنزل الله عز وجل:﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ -حتى بلغ-: نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف] يتهددهم بالنار. فقام نبي الله يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْحَمْدُ للهِّ الذي أَمَرَنِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَ قومٍ من أمّتِي، معكُم المَحْيَا ومَعَكُم المَمَاتُ﴾ وعن سهل بن حنيف قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي ضعفاء المسلمين ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم. وعن أبى مسعود قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فجعل ترعد فرائصه فقال له: ﴿هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّى لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهَّ إِسْمَاعِيلُ وَحْدَهُ وَصَلَهُ﴾ (الفرائص) جمع فريصة وهى اللحمة التى بين الجنب والكتف وترتعد عند الفزع (القديد) اللحم المملح المجفف فى الشمس. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿اللَّهُمَّ، إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ أَوْ شَتَمْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: ﴿اللَّهُمَّ، الْعَنْ أَبَا سُفْيَانَ، اللَّهُمَّ، الْعَنْ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ، الْعَنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، قَالَ فَنَزَلَتْ:لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران] فتاب عليهم، فأسلموا، فحسن إسلامهم. وروى الزهري، عن بعض آل عمر عن عمر بن الخطاب أنه قال: لما كان يوم الفتح، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، أرسل إلى صفوان بن أمية وإلى أبي سفيان بن حرب وإلى الحارث بن هشام، قال عمر: فقلت قد أمكن الله منهم لأعرفنهم بما صنعوا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهَّ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [يوسف]﴾ قال عمر: فانفضحت حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كراهية أن يكون بدر مني، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال. وعن أبي عمرو بن عدي بن الحمراء الخزاعي قال: نظرت إلى سهيل بن عمرو يوم جاء نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة، وقد تقلد السيف ثم قام خطيبا بخطبة أبي بكر التي خطبت بالمدينة كأنه كان يسمعها، فقال: أيها الناس، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقد نعى الله نبيكم إليكم، وهو بين أظهركم، ونعاكم إلى أنفسكم فهو الموت حتى لا يبقى أحد، ألم تعلموا أن الله قال:﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر] وقال:﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران] وقال:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران] ثم تلا:﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص] فاتقوا الله واعتصموا بدينكم، وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم وكلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه، وقد جمعكم الله على خيركم. فلما بلغ عمر كلام سهيل بمكة قال: أشهد أن محمدا رسول الله، وأن ما جاء به حق، هذه هو المقام الذي عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال:﴿لَعَلّهُ يَقُومُ مَقَامًا لَا تَكْرَهُهُ﴾ وفي المغازي قال:﴿وَلَمّا أُسِرَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللهّ انْزِعْ ثَنِيّتَيْهِ يُدْلَعُ لِسَانُهُ فَلَا يَقُومُ عَلَيْك خَطِيبًا أَبَدًا فَقَالَ رَسُولُ اللهّ صَلّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَا أُمَثّلُ بِهِ فَيُمَثّلَ اللهُّ بِي وَإِنْ كُنْت نَبِيّا، وَلَعَلّهُ يَقُومُ مَقَامًا لَا تَكْرَهُهُ. فَقَامَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو حِينَ جَاءَهُ وَفَاةُ النّبِيّ صَلّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِخُطْبَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ بِمَكّةَ. كَأَنّهُ كَانَ يَسْمَعُهَا. قَالَ عُمَرُ حِينَ بَلَغَهُ كَلَامُ سُهَيْلٍ: أَشْهَدُ إنّك لَرَسُولُ اللهّ يُرِيدُ حَيْثُ قَالَ النّبِيّ صَلّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَعَلّهُ يَقُومُ مَقَامًا لَا تَكْرَهُهُ﴾ في حديث بمعناه قال سهيل: والله، لا أدع موقفا وقفته مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقفت على المشركين مثله، ولا أنفقت نفقة مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفقت على المشركين مثله. قال أبو جهم بن حذيفة: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمي ومعي شنة ماء وإناء، فقلت: إن كان به رمق سقيته من الماء، ومسحت به وجهه، قال: فإذا أنا به ينشع، فقلت له: أسقيك؟ فأشار أن نعم، فإذا رجل يقول: آه، فأشار ابن عمي أن انطلق به إليه، فإذا هو هشام بن العاص[1] أخو عمرو بن العاص، فأتيته فقلت: أسقيك؟ فسمع آخر يقول: آه، فأشار هشام أن انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات، ثم رجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، ثم أتيت ابن عمي فإذا هو قد مات.قال ابن الأعرابي: استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل[2]وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وجماعة من بني المغيرة، فأتوا بماء، وهم صرعى، فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه. قال: أتي عكرمة بالماء فنظر إلى سهيل بن عمرو ينظر إليه، فقال: ابدؤوا بذا، فنظر سهيل إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال: ابدؤوا بهذا، فماتوا كلهم قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد بن الوليد[3]فقال: بنفسي أنتم. قالوا : وكان سهيل بن عمرو بعد أن أسلم كثير الصلاة والصوم والصدقة وخرج بجماعة أهله إلا بنته هندا إلى الشام مجاهدا حتى ماتوا كلهم هنالك فلم يبق من ولده أحد إلا بنته هند وفاختة بنت عتبة بن سهيل فقدم بها على عمر فزوجها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وكان الحارث قد خرج مع سهيل فلم يرجع ممن خرج معهما إلا فاختة وعبد الرحمن فقال: زوجوا الشريد الشريدة. ففعلوا فنشر الله منهما عددا كثيرا. قال المديني: قتل سهيل بن عمرو باليرموك وقيل بل مات في طاعون عمواس.

■ (3) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يلي أعنة الخيل في قريش، وقد أسلم سنة 7 هـ ، يكنى أبا سليمان، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول، وله بطولات نادرة في حروب الردة وقتال الفرس،مات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هـ ويقال: توفى بحمص سنة 14 هـ

■ (2) عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. أمه أم جميل بنت مجالد بن عبد مناف من هلال بن عامر بن صعصعة استشهد بالشام في خلافة أبي بكر الصديق يوم مرج الصفر سنة 13 هـ. ويقال: يوم اليرموك في خلافة عمر سنة 15 هـ.

■ (1) هشام بن العاص بن وائل بن هشام: أسلم بمكة قديما، وهاجر إلى بلاد الحبشة في الهجرة الثانية. ثم عاد إلى مكة حين بلغته هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، يريد اللحاق به، فحبسه أبوه وقومه، بمكة. فأقام إلى ما بعد وقعة الخندق ورحل إلى المدينة، فشهد الوقائع. وقتل في أجنادين، وقيل: في اليرموك سنة 13 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ تهذيب الكمال/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ شرح نهج البلاغة/ طبقات خليفة/ المغازي للواقدي/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ سنن ابن ماجة/ أخبار المدينة/

قال إسحاق بن بشر: ثم إن عمر قسم الأموال بين الناس، فآثر أهل بدر على غيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان آثر الناس عنده في القسم بعد أهل بدر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ثم من قتل أبوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا، ثم الذين اتبعوهم بإحسان، وكان ذلك القسم أول فيء قدم على عمر. فلما بلغ القسم سهيل بن عمرو[1] والحارث بن هشام بن المغيرة[2] ولم يبلغ بهما عمر في القسم ما بلغ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا: يا عمر لا تؤثرن علينا أحدا، فإنا قد آمنا بالله ورسوله وشهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. فقال لهما عمر: إني لم أوثر عليكما من آثرت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنهم سبقوكم بالهجرة ولو كنتما من المهاجرين الأولين لم أوثر عليكما أحدا قال: وإن كنا سبقنا بالهجرة فإنا لم نسبق بالجهاد في سبيل الله عز وجل.

قال: ثم تكلم الحارث بن هشام فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا أمير المؤمنين، حق على كل مسلم النصيحة لك والاجتهاد في أداء حقك، لما أفضى إليك من أمر هذه الأمة التي وليت، فعليك بتقوى الله في أمرك كله سره وعلانيته، والاعتصام بما تعرف من أمر الله الذي شرع لك وهداك له، فإن كل راع مسؤول عن رعيته، وكل مؤتمن مسؤول عن أمانته، والحاكم أحوج إلى العدل من المحكوم عليه، فتسأل الله لمن ولك التقوى وللعامة، وتمام النعمة في الدنيا والآخرة، ونستودعك الله. فقال عمر: هداك الله وأعانك وصحبك، عليكما بتقوى الله في أمركما كله:﴿إِنَّ اللهَّ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل] فأمر عمر لكل واحد منهم بأربعة آلاف عونا على جهازهما. فخرجا إلى الشام فلم ير إلا مجاهدين، فقتل الحارث بن هشام يوم اليرموك شهيدا، وتوفي سهيل بن عمرو في طاعون عمواس من أرض فلسطين.

■ (2) الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أبو عبد الرحمن: صحابي، كان شريفا في الجاهلية والاسلام، يضرب المثل ببناته في الحسن والشرف وغلاء المهر. مدحه كعب بن الاشرف، وشهد بدرا مع المشركين فانهزم فعيره حسان بن ثابت بأبيات، فاعتذر بأبيات هي أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار. وأسلم يوم فتح مكة. وخرج في أيام عمر بأهله وماله من مكة إلى الشام، فلم يزل مجاهدا بالشام إلى أن مات في طاعون عمواس سنة 18 هـ، وقد انتهت إليه سيادة بني مخزوم. وكان من المؤلفة قلوبهم. وهو أخو أبي جهل.

■ (1) سهيل بن عمرو بن عبد شمس، القرشي العامري، من لؤي: خطيب قريش، وأحد سادتها في الجاهلية. أسره المسلمون يوم بدر، وافتدي، فأقام على دينه إلى يوم الفتح، بمكة، فأسلم، وسكنها ثم سكن المدينة. وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية، وجاء في مقدمة كتاب الصلح: باسمك اللهم. هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو. وكان عمر بن الخطاب يخشى مواقفه في الخطابة. مات غازيًا بالشام في الطاعون عمواس سنة 18 هـ.

عن أبي المسيب أن الحارث بن هشام هاجر إلى الشام في خلافة عمر.وعن سنان بن أبي سنان الديلي عن أبيه قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقدم عليه سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل فأرسل إلى كل واحد منهم بخمسة آلاف وفرس انتهى. قال الواقدي: هذا أغلظ الأحاديث، إنما قدموا على أبي بكر، وكان أول الناس ضرب خيمة في عسكر أبي بكر بالجرف، عكرمة بن أبي جهل، وقتل بأجنادين في خلافة أبي بكر، فكيف يكون مع عمر، وكان بالشام في خلافة عمر، فهذا لا يعرف، وإنما سهيل بن عمرو، والحارث بن هشام فقد شهدا أجنادين، والحارث بن هشام راية المسلمين يوم أجنادين، فكيف يكون مع عمر، ومات بالشام في طاعون عمواس انتهى.

حدث حبيب بن أبي ثابت: أن الحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل[1] وعياش بن أبي ربيعة[2] ارتثوا يوم اليرموك، فدعا الحارث بماء ليشربه، فنظر غليه عكرمة فقال الحارث: ادفعوه إلى عكرمة، فنظر إليه عياش بن أبي ربيعة فقال عكرمة: ادفعوه إلى عياش، فما وصل إلى عياش ولا إلى أحد منهم حتى ماتوا وما ذاقوه. وروى جماعة من أهل العلم والسيرة: أن عكرمة بن أبي جهل قتل يوم أجنادين*، شهيدا في خلافة أبي بكر الصديق والاختلاف بينهم في ذلك. وأما عياش بن أبي ربيعة فمات بمكة، وأما الحارث بن هشام فمات بالشام في طاعون عمواس، سنة ثمان عشرة، وقيل: إن الحارث بن هشام استشهد في أجنادين ومرج الصفر، سنة ثلاث عشرة، وقيل: إنه بقي إلى زمن عثمان.

وعن أبي بكر بن عبد الرحمن، أن الحارث بن هشام كاتب عبدا له، في كل أجل شيء مسمى. فلما فرغ من كتابته أتاه العبد بماله كله، فأبى الحارث أن يأخذه وقال: لي شرطي ثم إنه رفع ذلك إلى عثمان بن عفان عليه السلام، فقال عثمان: هلم المال اجعله في بيت المال، ونعطيه في كل أجل ما يحل، وأعتق العبد، قال أبو موسى: هذا قول مالك وأهل المدينة.

قال: خرج الحارث بن هشام من مكة للجهاد، فجزع أهل مكة جزعا شديدا، فلم يبق أحد يطعم إلا خرج يشيعه، فلما كان بأعلى البطحاء وقف ووقف الناس حوله يبكون، فلما رأى جزعهم رق فبكى، وقال: يا أيها الناس، إني والله ما خرجت رغبة بنفسي عن أنفسكم، ولا اختيار بلد عن بلدكم، ولكن كان هذا الأمر، فخرجت رجال، والله ما كانوا من ذوي أسنانها، ولا في بيوتاتها، فأصبحنا، والله، ولو أن جبال مكة ذهبا، فأنفقناها في سبيل الله، ما أدركنا يوما من أيامهم، والله لئن فاتونا به في الدنيا لنلتمسن أن نشاركهم به في الآخرة، ولكنها النقلة إلى الله تعالى. وتوجه إلى الشام فأصيب شهيدا.

----

*(أجنادين) معركة أجنادين هي معركة وقعت بين المسلمين والبيزنطيين عام 13 هـ قرب مدينة الرملة في فلسطين.

■ (2) عياش بن أبي ربيعة واسمه عمرو ويقال له ذو الرمحين بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن المخزومي صاحب رسول الله أخو عبد الله بن أبي ربيعة لأبويه وأخو الحارث بن هشام وأبي جهل بن هشام لأمهما وبن عمهما واسم أمهم أسماء الكبرى بنت محربة وهو أحد المستضعفين الذين كان النبي يدعو لهم في الصلاة وهاجر إلى أرض الحبشة ثم هاجر إلى المدينة ومات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب وقيل أنه قتل يوم اليرموك وقيل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق.

■ (1) عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. أمه أم جميل بنت مجالد بن عبد مناف من هلال بن عامر بن صعصعة استشهد بالشام في خلافة أبي بكر الصديق يوم مرج الصفر سنة 13 هـ. ويقال: يوم اليرموك في خلافة عمر سنة 15 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام لالزركلي/ أسد الغابة/

قال أبو زيد النميري البصري: ومما وجدت في كتاب أبي غسان، وقرأه علي ولا أدري أنسبه إلى ابن شهاب أم لا، قال: أقبل عيينة بن حصن[1] يريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه– وعنده رجل من غطفان يدعى مالك بن أبي زفر من فقراء المسلمين وضعفائهم– وكان غائظا لعيينة– يتكلم يوما، فقال عيينة: أصبح الخبأ تامكا والدني متكلما، فقال مالك: يا أمير المؤمنين، هذا يفخر علينا بأعظم حائلة ، وأرواح في النار، فقال عيينة: ما أنت المتكلم، ولكن الذي أقعدك هذا المقعد هو المتكلم، وغضب لعيينة رجال من قومه، فقالوا لمالك: أتقول هذا لسيد مضر.؟ وقام عيينة مغضبا وقال: لهذا اليوم أعظم عندي من قتل الهباءة أو لما جناه أريمص غطفان، يعني ما جناه مالكا أشد مما جنى وقتئذ، فقام إليه عمر رضي الله عنه فضربه بالدرة، وقال: يا عيينة، كن ذليلا في الإسلام، فإنما أنت طليق من أهل الردة، لا والله. لا أرضى عنك أبدا حتى يشفع لك مالك، فرجع عيينة فبات بليلة سوء، وبعث عمر رضي الله عنه عليه العيون فإذا عنده رجال من العرب وهو يقول: العجب لعمرة إن الأشعث بن قيس ارتد مرتين فغفروا له ذنبه، وزوجه أبو بكر أخته ثم تلقفوه بأيديهم، وإنهم قد أولعوا بي حتى ما يلهج رجل من قريش إلا بتعييري، فقال له الهرم بن قطبة: وأين أنت من الأشعث. ملك في الجاهلية سيد في الإسلام، له من الأوس والخزرج ملء المدينة، فأقصد، واعلم أنك مع عمر، قال فبات وهو يتغنى: حلفت يمينا غير ذي مثنوية..لقلب أبي حفص أشد من الحجر..أيشتمني الفاروق والله غافر..له ما مضى إن أصلح اليوم ما غبر..فآلى يمينا لا يراجع قلبه..عيينة حتى يشفع ابن أبي زفر..وللموت خير من شفاعة مالك..إلى عمر لله من كبدي عمر..على غير ذنب غير أن قال قائل..عيينة محمود الزيادين في مضر..وآباؤه الغر البهاليل منهم..حذيفة شمس وابنه حصنها القمر.. فإن يك كانت مني العام ردة..فلست أبا حفص بأول من كفر..وللأشعث الكندي أعظم غدرة..وأنكى بها من حي ذبيان إذ غدر..فأنكحه الصديق واختار قومه..وأمسى يفدى اليوم بالسمع والبصر..وأني له إذ كان قد .... له دون وكان له نفر. فلما بلغ عمر رضي الله عنه قوله قال: يا عيينة إني على حلفتي فاحتل لنفسك، فأتى عيينة مالكا فلم يجده، فقعد على بابه ينتظره، فمر به رجل من قومه فقال: ما بالك هاهنا.؟ قال: انتظر أريمص غطفان، قال: ما كنت أحسب هذا كائنا، ألا بعثت إليه فأتاك. فضحك عيينة وقال: هل يدعنا عمر. حلف لا يرضى حتى يشفع لي مالك، فقبح الله هذا عيشا مع ما ترى، فقال الرجل: يا ابن حصن، من دخل هذا الدين ذل، ومن فزع إلى غيره لم يمنع، وجاء مالك فكلمه عيينة أن يشفع له إلى عمر رضي الله عنه، فمشى معه إلى عمر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن عيينة حرج الصدر ضيق الذرع، يخافه من فوقه ويخيفه من دونه، فارض عنه، فرضي عنه، قال عيينة: هذه شر من الأولى.

----

(1) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، كنيته أبو عبد الله أسلم بعد الفتح، وقيل قبل الفتح، وشهد الفتح مسلما، وهو من المؤلفة قلوبهم، وكان من الأعراب الجفاة، وكان ممن ارتد في عهد أبي بكر ثم عاد إلى الإسلام، توفي في خلافة عثمان.

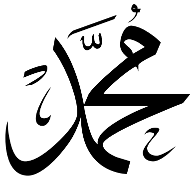

حدث نوفل بن مساحق قال: انتجى عمر بن الخطاب وعثمان بن حنيف[1] في المسجد والناس مختلطون بهما لا يسمع نجواهما معهما أحد، فلم يزالا يتجاولان في الرأي حتى أغضب عثمان بن حنيف عمر في بعض ما يكلمه به، فقبض عمر من حصباء المسجد قبضة، فحصب بها وجه عثمان، فشجه الحصى بجبهته آثارا من شجاج، فلما رأى عمر كثرة انسياب الدم على لحيته قال: امسح عنك الدم، فعرف عثمان أن عمر قد ندم على ما فرط منه، فقال: يا أمير المؤمنين، لا يهولنك الذي أصبت مني، فوالله، إني لأنتهك ممن وليتني أمره من رعيتك التي استرعاك الله أكثر مما فعلت بي، فأعجب بها عمر من رأيه وحلمه، فازداد في عينه خيرا. وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال قال لي عمر رضي الله عنه احجبني لا يدخل علي أحد قال فجاء رجل يريد أن يدخل عليه فمنعته فأرادني فامتنعت عليه فرفع يده فلطمني فدخلت على عمر رضي الله عنه فأخبرته فخرج وفي يده الدرة فعلاه بها وقال: أردتم أن تجرئوا علي كلاب العرب. وعن الحسن البصري: أن عمر رضي الله عنه كان قاعدا وفي يده الدرة والناس عنده، فأقبل الجارود، فلما أتى عمر رضي الله عنه قال له رجل: هذا سيد ربيعة، فسمعها عمر رضي الله عنه وسمعها الجارود وسمعها القوم، فلما دنا الجارود من عمر رضي الله عنه خفقه بالدرة على رأسه، فقال الجارود: بسم الله، مه يا أمير المؤمنين، قال: ذلك، قال: أما والله لقد سمعتها وسمعت ما قال الرجل، قال: فمه، قال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء. وحدث أبو عمرو الجملي عن زاذان: أن عمر رضي الله عنه خرج من المسجد فإذا جمع على رجل فسأل: ما هذا؟ قالوا: هذا أبي بن كعب، كان يحدث الناس في المسجد. فخرج الناس يسألونه، فأقبل عمر رضي الله عنه حردا يعلوه بالدرة خفقا، فقال: يا أمير المؤمنين، انظر ما تصنع، قال: فإني على عمد أصنع، أما تعلم أن هذا الذي تصنع فتنة للمتبوع مذلة للتابع؟! وفي رواية يقول أحد أهل العراق: وفدت المدينة وإذا عمر رضي الله عنه جالس في مجمع من الناس من الصحابة، وحوله شيخ أبيض اللحية، أبيض الرأس، أبيض الثياب، أبيض الجسم، وكان عمر إذا تكلم نظر إليه كالمهاب، أي: يهابه، قلت: يا أمير المؤمنين، من هذا الرجل؟ قال: ثكلتك أمك، ما عرفته؟ قال: لا . قال: هذا سيد المسلمين: أبي بن كعب، أبو المنذر، رفع الله منزلته، وجمعنا به في مقعد صدق عند مليك مقتدر.أتى جبريل بسورة البينة من عند الله، عز وجل: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[البينة] فقال جبريل: يا رسول الله، إن الله يأمرك أن تقرأ هذه السورة على أبي بن كعب. فقام صلى الله عليه وسلم فطرق على أبي، ففتح الباب: يا رسول الله، أهلا وسهلا ما أسعدني هذا اليوم. قال: إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة البينة. قال: وسماني في الملأ الأعلى؟ قال: نعم، سماك. فبكى أبي، وجلس صلى الله عليه وسلم يقرأ عليه البينة حتى ختمها. متفق عليه.

عن يحيى بن سعيد عن القاسم أن عمر رضي الله عنه قال: ليعلم من ولي هذا الأمر من بعدي أن سيريده عنه القريب والبعيد إني لأقاتل الناس عن نفسي قتالا ولو علمت أن أحدا من الناس أقوى على هذا الأمر مني لكنت أن أقدم فيضرب عنقي أحب إلي من أن آتي إليه. وعن حفص بن عمر قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا كثر عليه الخصوم صرفهم إلى زيد بن ثابت، فلقي رجلا ممن صرفه إلى زيد فقال له: ما صنعت؟ قال: قضي علي، يا أمير المؤمنين. قال: لو كنت أنا لقضيت لك، قال: فما يمنعك وأنت أولى بالأمر؟ قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو سنة نبيه فعلت، ولكني إنما أردك إلى رأي والرأي مشير.حدث الحجاج عن نافع أن عمر رضي الله عنه استعمل زيدا على القضاء وفرض له رزقا.

----

(1) عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري . يكنى أبا عبد الله. شهد مع النبي المشاهد كلها بعد بدر، ولاه عمر خراج سواد العراق، ثم ولاه علي على البصرة قبل أن يقدم عليها فغلبه عليها طلحة والزبير فكانت القصة المشهورة في وقعة الجمل، ومات في خلافة معاوية

مراجع: سير أعلام النبلاء/ أخبار المدينة/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) ومعن بن زائدة الكوفي ! 0017

قال الاسود بن شيبان: أخبرنا خالد بن سمير قال: انتقش رجل يقال له معن بن زائدة[1] على خاتم الخلافة. فأصاب مالا من خراج الكوفة على عهد عمر، فبلغ ذلك عمر، فكتب إلى المغيرة بن شعبة[2]: إنه بلغني أن رجلا يقال له معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة، فأصاب به مالا من خراج الكوفة. فإذا أتاك كتابي هذا فنفذ فيه أمري، وأطع رسولي. فلما صلى المغيرة العصر وأخذ الناس مجالسهم خرج ومعه رسول عمر. فاشرأب الناس ينظرون إليه حتى وقف على معن. ثم قال للرسول: إن أمير المؤمنين أمرني أن أطيع أمرك فيه فمرني بما شئت. فقال للرسول: ادع لى بجامعة* أعلقها في عنقه. فأتي بجامعة فجعلها في عنقه وجبذها جبذا شديدا. ثم قال للمغيرة: احبسه حتى يأتيك فيه أمر أمير المؤمنين. ففعل. وكان السجن يومئذ من قصب، فتمحل معن للخروج، وبعث إلى أهله: أن ابعثوا لى بناقتي وجاريتي وعباءتي القطوانية. ففعلوا. فخرج من الليل وأردف جاريته، فسار حتى إذا رهب أن يفضحه الصبح أناخ ناقته وعقلها، ثم كمن حتى كف عنه الطلب. فلما أمسى أعاد على ناقته العباءة وشد عليها وأردف جاريته، ثم سار حتى قدم على عمر، وهو يوقظ المتهجدين لصلاة الصبح، ومعه درته. فجعل ناقته وجاريته ناحية ثم دنا من عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليك.من أنت ؟ قال: معن بن زائدة جئتك تائبا. قال: ائت فلا يحييك الله. فلما صلى صلاة الصبح قال للناس: مكانكم. فلما طلعت الشمس قال: هذا معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة فأصاب فيه مالا من خراج الكوفة، فما تقولون فيه ؟ فقال قائل: اقطع يده. وقال قائل: اصلبه. وعلي[3] ساكت. فقال له عمر: ما تقول أبا الحسن. قال: يا أمير المؤمنين رجل كذب كذبة عقوبته في بشره. فضربه عمر ضربا شديدا – أو قال مبرحا – وحبسه. فكان في الحبس ما شاء الله. ثم إنه أرسل إلى صديق له من قريش: أن كلم أمير المؤمنين في تخلية سبيلي. فكلمه القرشى فقال: يا أمير المؤمنين معن بن زائدة قد أصبته من العقوبة بما كان له أهلا، فإن رأيت أن تخلى سبيله. فقال عمر: ذكرتني الطعن وكنت ناسيا. على بمعن. فضربه، ثم أمر به إلى السجن. فبعث معن إلى كل صديق له: لا تذكروني لامير المؤمنين. فلبث محبوسا ما شاء الله. ثم إن عمر انتبه له، فقال: معن. فأتى به فقاسمه وخلى سبيله.

----

*(الجامعة) الغل يجمع اليدين إلى العنق

■ (1) رجل مجهول يقال له معن بن زائدة ...طبعا هذا ليس معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني، أبو الوليد من أشهر أجواد العرب، وأحد الشجعان الفصحاء. الذي أدرك العصرين الاموى والعباسي.

■ (2) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي. يقال له مغيرة الرأي. ولد في الطائف بالحجاز 20 ق هـ وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك فدخل الاسكندرية وافدا على المقوقس، وعاد إلى الحجاز. فلما ظهر الاسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة 5 هـ فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة. وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة 50 هـ. قال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية للاناة، وعمرو بن العاص للمعضلات، والمغيرة للبديهة، وزياد بن أبيه للصغير والكبير. وللمغيرة 136 حديثا. وهو أول من وضع ديوان البصرة، وأول من سلم عليه بالامرة في الاسلام.

■ (3) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

القرآن الكريم

قال قتادة، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى ملك الروم قيل له: إنهم لا يقرأون الكتاب إلا أن يكون مختوما. قال: فاتخذ خاتما من فضة. فكأني أنظر إلى بياضه في يده. ونقش عليه: محمد رسول الله. وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة، وجعل فصه من باطن كفه. وعن حميد، عن أنس بن مالك قال: كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة كله وفصه منه. وعن الحسن قال: كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورق، وكان فصه حبشيا. وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قد صنعت خاتما فلا ينقشن أحد على نقشه. وعن الزهري وقتادة قالا: اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة، ونقش عليه محمد رسول الله. فكان أبو بكر يختم به، ثم عمر، ثم عثمان، وكان في يده فسقط من يده في البئر، فنزفت فلم يقدر عليه، وذلك في النصف من خلافته. فاتخذ خاتما ونقش عليه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر. قال قتادة: وحربه (كذا). وعن ابن المقفع قال: كان ملك الفرس إذا أمر بأمر وقعه صاحب التوقيع بين يديه، وله خادم يثبت ذكره عنده في تذكرة تجمع لكل شهر، فيختم عليها الملك خاتمه، وتخزن، ثم ينفذ التوقيع إلى صاحب الزمام وإليه الختم، فينفذه إلى صاحب العمل، فيكتب به كتابا من الملك، وينسخ في الاصل، ثم ينفذ إلى صاحب الزمام فيعرضه على الملك، فيقابل به ما في التذكرة، ثم يختم بحضرة الملك أو أوثق الناس عنده. وعن مسلمة بن محارب قال: كان زياد بن أبي سفيان أول من اتخذ من العرب ديوان زمام وخاتم امتثالا لما كانت الفرس تفعله. وعن ابن المقفع قال: كان لملك من ملوك فارس خاتم للسر، وخاتم للرسل، وخاتم للتخليد، يختم به السجلات والاقطاعات وما أشبه ذلك من كتب التشريف، وخاتم للخراج. فكان صاحب الزمام يليها. وربما أفرد بخاتم السر والرسائل رجل من خاصة الملك. وعن ابن المقفع قال: كانت الرسائل بحمل المال تقرأ على الملك، وهى تكتب في صحف بيض. وكان صاحب الخراج يأتي الملك كل سنة بصحف موصلة قد أثبت فيها مبلغ ما اجتبى من الخراج، وما أنفق في وجوه النفقات، وما حصل في بيت المال، فيختمها ويجيزها. فلما كان كسرى بن هرمز ابرويز تأذى بروائح تلك الصحف وأمر أن لا يرفع إليه صاحب ديوان خراجه ما يرفع إلا في صحف مصفرة بالزعفران وماء الورد، وأن لا تكتب الصحف التى تعرض عليه بحمل المال وغير ذلك إلا مصفرة، ففعل ذلك. فلما ولي صالح بن عبد الرحمن خراج العراق تقبل منه ابن المقفع بكور دجلة، ويقال بالبهقباذ، فحمل مالا. فكتب رسالته في جلد وصفرها. فضحك صالح وقال: انكرت أن يأتي بها غيره. يقول: لعلمه بأمور العجم. قال أبو الحسن: وأخبرني مشايخ من الكتاب أن دواوين الشام إنما كانت في قراطيس، وكذلك الكتب إلى ملوك بنى أمية في حمل المال وغير ذلك. فلما ولى أمير المؤمنين المنصور أمر وزيره أبا أيوب الموريانى أن يكتب الرسائل بحمل الاموال في صحف، وأن تصفر الصحف. فجرى الامر على ذلك.

قويت شدة عمر في الدين فصلبت عزائمه فلما حانت الهجرة تسللوا تسلل القطا واختال عمر في مشية الأسد، فقال عند خروجه: ها أنا أخرج إلى الهجرة فمن أراد لقائي فليلقني في بطن هذا الوادي. لما ولي الخلافة شمر عن ساق جده فكظم على هوى نفسه وحمل في الله فوق طوقه: متيقظ العزمات مذ نهضت به..عزماته نحو العلى لم يقعد..ويكاد من نور البصيرة أن يرى..في يومه فعل العواقب في غد.

عن الشعبي قال: كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر أنه تأتينا منك كتب ليس تاريخ. قال: فجمع عمر للمشورة. فقال بعضهم: أرخي لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمر: لا بل نؤرخ لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن مهاجرة فرق بين الحق والباطل. وعن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: جمع الناس فسألهم فقال: من أي يوم نكتب؟ فقال علي: من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترك أرض الشرك، ففعله عمر رحمه الله. وقدم التاريخ على الهجرة، وذلك أول السنة المحرم . فبين التاريخ وهجرة شهران واثنا عشر يوما. وعن عبد الله بن عباس. قال: كان التاريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيها ولد عبد الله بن زبير.وقال الزهري والشعبي: أرخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم إلى البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل، ثم أرخ بنو إسماعيل من بنيان البيت حتى تفرقت. وكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا مخرجهم. ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة بن زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤي فأرخوا من موت كعب بن لؤي إلى الفيل. فكان التاريخ من الفيل حتى أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة، وذلك سنة سبع عشرة أو ثمان عشر. وعن عبيد بن عمير قال: إن المحرم شهر الله تبارك وتعالى وهو رأس فيه يكسى البيت ويؤرخ التاريخ، ويضرب فيه الورق. وفيه يوم كان تاب فيه قوم، فتاب الله عليهم.

عن صفوان بن عمرو قال: سمعت أيفع بن عبد[1] يقول: لما قدم خراج العراق الى عمر بن الخطاب، خرج عمر ومولى له فجعل عمر يعد الإبل، فاذا هي أكثر من ذلك، وجعل عمر يقول: الحمد لله، وجعل مولاه، يقول: يا أمير المؤمنين، هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر: كذبت، ليس هو هذا، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس] يقول بالهدى والسنة والقرآن فبذلك فليفرحوا، هو خير مما يجمعون، وهذا مما يجمعون.

■ (1) أيفع بن عبد الكلاعي شامي روى عن ابن عمر وأرسل حديثين عن النبي صلى الله عليه وسلم. توفي سنة 106 هـ، وقال أبو الفتح الأزدي: أيفع بن عبد كلال له صحبة، روى عنه صفوان بن عمرو. وقيل عن أيفع عن عبد الله بن عمر قال: فإن صح فهما اثنان.

مراجع: المعجم الوسيط/ فتوح البلدان/ التبصرة لإبن الجوزى/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ حلية الأولياء/ الإصابة في تمييز الصحابة/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) وأويس القرني 0018

روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أن لله تعالى من خلقه الأصفياء الأخفياء، الشعثة شعورهم الغبرة وجوههم الخمصة بطونهم، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذنوا، وإن خطبوا المنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا. قالوا: يا رسول الله كيف لنا برجل منهم ؟ قال: ذاك أويس القرني[1] ! قالوا: وما أويس القرني ؟ قال: أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين الكتفين معتدل القامة، آدم شديد الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره، رام ببصره إلى موضع سجوده، واضع بيمينه على شماله، يتلو القرآن، يبكي على نفسه، ذو طمرين لا يؤبه له، متزر بإزار صوف ورداء صوف، مجهول في أهل الأرض معروف في أهل السماء، لو أقسم على الله لأبر قسمه ! الا وان تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، الا وانه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد: ادخلوا الجنة، وقيل لأويس: قف واشفع ! يشفعه الله، عز وجل، في مثل عدد ربيعة ومضر. يا عمرو ويا علي إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما﴾[الحديث منكر جدا].

فكانا يطلبانه عشرين سنة، فلما كان سنة هلك فيها عمر قام على أبي قبيس (الجبل) ونادى بأعلى صوته: يا أهل الحجيج من اليمن، أفيكم أويس؟ فقام شيخ كبير وقال: إنا لا ندري ما أويس، لكن لي ابن أخ يقال له أويس، هو أخمل ذكرا وأقل مالا وأهون أمرا من أن نرفعه إليك ! وإنه ليرعى إبلنا حقين بين أظهرنا ! فقال له عمر: إن ابن أخيك هذا عزمنا ! قال: نعم. قال: فأين يصاب ؟ قال: بأراك عرفات. فركب عمر وعلي سراعا إلى عرفات فإذا هو قائم يصلي إلى شجرة والإبل حوله ترعى، فأقبلا إليه وقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته ! فرد عليهما جواب السلام. قالا له: من الرجل ؟ قال: راعي إبل وأجير قوم ! قالا: ما اسمك ؟ قال: عبد الله. قالا: اسمك الذي سمتك أمك به ؟ قال: يا هذان ما تريدان إلي ؟ قالا: وصف لنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أويسا القرني وقد عرفنا الصهوبة والشهولة، أخبرنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء أوضحها لنا. فأوضح منكبه، فإذا اللمعة فابتدرا يقبلانه وقالا: نشهد أنك أويس القرني ! فاستغفر لنا يغفر الله لك ! فقال: ما أخص باستغفاري نفسي ولا أحدا من ولد آدم، ولكنه من في البحر والبر من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات. يا هذان، قد شهر الله لكما حالي وعرفكما أمري فمن أنتما ؟ قال علي: أما هذا فعمر أمير المؤمنين، وأما أنا فعلي بن أبي طالب ! فاستوى أويس وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وعليك يا علي بن أبي طالب، فجزاكما الله عن هذه الأمة خيرا ! قالا: وأنت جزاك الله عن نفسك خيرا ! فقال له عمر: مكانك يرحمك الله، حتى أدخل مكة وآتيك بنفقة من عطائي وفضل كسوة من ثيابي، هذا المكان ميعاد بيني وبينك. فقال: يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك، لا أراك بعد اليوم تعرفني، ما أصنع بالنفقة وما أصنع بالكسوة ؟ أما ترى علي إزارا ورداء من صوف متى تراني أبليهما ؟ أما ترى أني أخذت رعائي أربعة دراهم متى تراني آكلها ؟ يا أمير المؤمنين، إن بيني يدي ويديك عقبة كؤودا لا يجاوزها إلا ضامر مخف مهزول ! فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرته الأرض ثم قال بأعلى صوته: يا ليت عمر لم تلده أمه ! يا ليتها كانت عاقرا لم تعالج حملها ! قال: يا أمير المؤمنين خذ أنت ها هنا حتى آخذ أنا ها هنا؛ فولى عمر نحو ناحية مكة وساق أويس إبله، فأتى القوم بإبلهم وخلى الرعاية وأقبل على العبادة.

وحكي أن أويسا إذا خرج يرميه الصبيان بالحجارة، وهو يقول: إن كان لا بد فبالصغار حتى لا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلاة. وحدث عبد الرحمن ابن أبي ليلى أنه نادى يوم صفين رجل من أهل الشام: أفيكم أويس القرني ؟ قلنا: نعم ! ما تريد منه ؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول::﴿أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ خَيْرَ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ﴾وعطف دابته ودخل مع أصحاب علي فنادى مناد في القوم: أويس! فوجد في قتلى علي كرم الله وجهه.

قال الألباني في كتاب: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: الحديث بطوله. منكر جدا. أخرجه أبو نعيم في الحلية (2/ 80 – 82) ، ومن طريقه الرافعي في تاريخ قزوين (91/ 1 – 95)، وابن عساكر في تاريخ دمشق.

----

(1) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني من بني قرن بن ردمان بن ناجية ابن مراد أحد النساك العباد المقدمين من سادات التابعين أصله من اليمن يسكن القفار والرمال وأدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، فوفد على عمر بن الخطاب ثم سكن الكوفة وشهد وقعة صفين مع علي ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها سنة 37 هـ

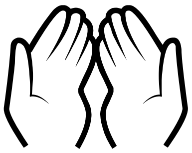

عن أسير بن جابر، عن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿سَيَقْدَمُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَهُ، قَالَ: فَلَقِيَهُ عُمَرُ، فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي!فَاسْتَغْفَرَ لَهُ﴾ وعن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي مِثْلُ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ﴾، قال: حدثني حوشب: قال: فقلنا للحسن: هل سمى لكم، قال: نعم أويس القرني. وعن أسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر: هل ها هنا أحد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال: ﴿إِنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ لاَ يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وعن سعيد الجريرى بهذا الإسناد عن عمر بن الخطاب قال: إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وعن زرارة بن أوفى عن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم . قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم.قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿يَأْتِى عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ﴾. فاستغفر لى. فاستغفر له. فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون فى غبراء الناس أحب إلى. قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال: تركته رث البيت قليل المتاع. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿يَأْتِى عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ﴾ فأتى أويسا فقال: استغفر لى. قال: أنت أحدث عهدا بسفر صالح فاستغفر لى. قال: لقيت عمر قال: نعم. فاستغفر له. ففطن له الناس فانطلق على وجهه. قال: أسير وكسوته بردة فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردة.

----

*(الرث) الخلق البالى (الغَبراء): ضعفاؤهم وفقراؤهم وصعاليكهم وأخلاطهم الذين لا يؤبه لهم

مراجع: مصنف ابن أبي شيبة/ مسند عبد الله بن المبارك/ صحيح مسلم/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) ورجل 0019

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع عمر في مسير فأبصر رجلا يسرع في سيره، فقال: إن هذا الرجل يريدنا، فأناخ ثم ذهب لحاجته، فجاء الرجل فبكى، وبكى عمر رضي الله عنه وقال: ما شأنك؟، فقال: يا أمير المؤمنين، إني شربت الخمر فضربني أبو موسى[1] وسود وجهي، وطاف بي، ونهى الناس أن يجالسوني، فهممت أن آخذ سيفي فأضرب به أبا موسى، أو آتيك فتحولني إلى بلد لا أعرف فيه، أو ألحق بأرض الشرك. فبكى عمر رضي الله عنه، وقال: ما يسرني أنك لحقت بأرض الشرك، وأن لي كذا وكذا، وقال: إن كنت ممن شرب الخمر، فلقد شرب الناس الخمر في الجاهلية، ثم كتب إلى أبي موسى: إن فلانا أتاني فذكر كذا وكذا، فإذا أتاك كتابي هذا فمر الناس أن يجالسوه، وأن يخالطوه وإن تاب فاقبل شهادته، وكساه وأمر له بمائتي درهم.

عن يزيد بن الأصم: أن رجلا كان ذا بأس، وكان يوفد إلى عمر لبأسه، وكان من أهل الشام، وإن عمر فقده فسأل عنه، فقيل: يتابع في هذا الشراب، فدعا كاتبه، فقال: اكتب: من عمر إلى فلان بن فلان، سلام عليكم، فإني أحمد الله إليك الذي ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر] ثم دعا وأمن من عنده، ودعوا له أن يقبل الله عز وجل بقلبه، أن يتوب عليه، فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأها ويقول: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ [غافر] قد وعدني الله عزوجل أن يغفر لي ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر] قد حذرني الله من عقابه: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر] والطول: الخير الكثير ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر] فلم يزل يرددها على نفسه، ثم بكى، ثم نزع، فأحسن النزع، فلما بلغ عمر رضي الله عنه خبره، قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخا لكم زل زلة فسددوه، ووفقوه، وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه.

■ (1) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من فقهاء الصحابة أصله من اليمن. أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة (قيل: ليس من مهاجرة الحبشة) ثم قدم مع أهل السفينتين (قيل: وافق قدومه قدومهم) ورسول الله بخيبر. وأرسله رسول الله مع معاذ بن جبل إلى اليمن، ولى عمر بن الخطاب أبا موسى البصرة إذ عزل عنها المغيرة في وقت الشهادة عليه وذلك سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ثم لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه فأقره، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ثم كان منه بصفين وفي التحكيم ما كان .ولما خدعه عمرو بن العاص نزل شعبا بمكة فيه شيء من القبور يعرف بشعب أبي الدر وقال أجاور قوما لا يغدرون ولم يزل حتى توفي في سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ وقيل توفي بالكوفة في داره بجانب المسجد.

عن ابن مسعود، قال:إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبا فلا تكونوا أعوانا للشيطان عليه تقولوا: اللهم، اخزه، اللهم، العنه، ولكن سلوا الله العافية، فإنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كنا لا نقول في أحد شيئا حتى نعلم على ما يموت، فإن ختم له بخير علمنا أنه قد أصاب خيرا، وإن ختم له بشر خفنا عليه عمله. وعن أبى الأسود قال: قدمت المدينة وقد وقع بها مرض، فجلست إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمرت بهم جنازة فأثنى على صاحبها خيرا فقال عمر رضى الله عنه: وجبت. ثم مر بأخرى فأثنى على صاحبها خيرا، فقال عمر رضى الله عنه وجبت. ثم مر بالثالثة، فأثنى على صاحبها شرا فقال: وجبت. فقال أبو الأسود: فقلت: وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال النبى صلى الله عليه وسلم: ﴿أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ﴾ فقلنا وثلاثة؟ قال: ﴿وَثَلَاثَةٌ﴾ فقلنا واثنان؟ قال: ﴿وَاثْنَانِ﴾ ثم لم نسأله عن الواحد.

عن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي وأبي طعمة مولاهم، سمعا ابن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لُعِنَتِ الْخَمْرَة عَلَى عَشَرَةِ وُجُوهٍ: لُعِنَتِ الْخَمْرُ بِعَيْنِهَا، وَعَاصِرِهَا، وَمُعْتَصِرِهَا، وَبَائِعِهَا، وَمُبْتَاعِهَا، وَحَامِلِهَا وَالْمَحْمُولَةِ إِلَيْهِ، وَآكِلِ ثَمَنِهَا، وَشَارِبِهَا، وَسَاقِيهَا﴾ وعن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال :﴿مُدْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ الْوَثَنِ﴾ وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا مَرَّةً وَاحِدَةً فَكَأَنَّمَا كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا فَسُلِبَهَا وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِّ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، قِيلَ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ يَا رَسُولَ اللهِّ؟ قَالَ: عُصَارَةُ أَهْلِ جَهَنَّمَ﴾ وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي فَيَقْبَلَ اللهُّ مِنْهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا﴾ وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ وَلَا عَاقٌّ وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ﴾ وعن معاوية بن أبي سفيان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿فِي شَارِبِ الْخَمْرِ إِذَا شَرِبَ الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ ثُمَّ إِذَا شَرِبَ فَاجْلِدُوهُ ثُمَّ إِذَا شَرِبَ الثَّالِثَةَ فَاجْلِدُوهُ ثُمَّ إِذَا شَرِبَ الرَّابِعَةَ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ﴾ وعن عبد الرحمن بن عبد عن معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَاضْرِبُوهُ فَإِنْ عَادَ فَاضْرِبُوهُ فَإِنْ عَادَ فَاضْرِبُوهُ فَإِنْ عَادَ فَاقْتُلُوهُ﴾ وعن عائشة، قالت:﴿لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الرِّبَا، قَامَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَتَلَاهُنَّ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ حَرَّمَ التِّجَارَةَ فِي الْخَمْرِ﴾ وعن ابن عباس ، قال: بلغ عمر بن الخطاب، أن فلانا يبيع الخمر فقال: ما له قاتله الله، ألم يعلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:﴿لَعَنَ اللهُّ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمَ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا، فَبَاعُوهَا، وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا﴾ وعن ابن عمر: أن عمر كتب إلى أبي موسى في رجل شرب الخمر: إن تاب فاقبل شهادته. وعن محمد بن كردوس ، عن أبيه: أن رجلا حد في الخمر، فشهد عند شريح، فسألني عنه؟ فقلت: من خير شبابنا، فأجاز شهادته. وعن عيسى بن أبي عزة ، عن الشعبي: أنه أجاز شهادة رجل ضرب في الخمر. وعن سعد بن إبراهيم، عن أبيه؛ أنه سمع عثمان يخطب، فذكر الخمر فقال: هي مجمع الخبائث، أو هي أم الخبائث، ثم أنشأ يحدث عن بني إسرائيل فقال: إن رجلا خير بين أن يقتل صبيا، أو يمحو كتابا، أو يشرب خمرا، فاختار الخمر فما برح حتى فعلهن كلهن. وعن جهم، قال: سأل رجل عطاء، قال: ورثت غرسا، قال: بعه عنبا، قال: فإن لم أجد أحدا يشتريه؟ قال: فبعه عصيرا، قال: فإن لم أجد أحدا يشتريه؟ قال: فلا تبع الخمر فإنه لا يحل بيع الخمر. وعن طلحة، عن مسروق، قال: شارب الخمر كعابد الوثن. وعن أبي عمرو الشيباني ، قال: بلغ عمر بن الخطاب أن رجلا أثرى من بيع الخمر، فقال: اكسروا كل آنية له، وسيروا كل ماشية له. وعن ابن عمر، قال: قال عمر: لعن الله فلانا فإنه أول من أذن في بيع الخمر، وإن التجارة لا تصلح فيما لا يحل أكله وشربه. وعن ابن سيرين قال: جاء رجل إلى ابن عمر فقال: إن أهلنا ينبذون لنا شرابا عشيا فإذا أصبحنا شربنا قال: أنهاك عن المسكر قليله وكثيره وأشهد الله عليك أنهاك عن المسكر قليله وكثيره وأشهد الله عليك إن أهل خيبر ينتبذون شرابا من كذا وكذا ويسمونه كذا وكذا وهي الخمر وإن أهل فدك ينتبذون شرابا من كذا وكذا يسمونه كذا وكذا وهي الخمر حتى عد أشربة أربعة أحدها العسل.

قيل: سقى قوم أعرابية مسكرا، فقالت: أيشرب نساؤكم هذا الشراب؟ قالوا: نعم. قالت: فما يدري أحدكم من أبوه. وقال قصي بن كلاب لبنيه: اجتنبوا الخمر فإنه يصلح الأبدان ويفسد الأذهان. وقيل لعدي بن حاتم: مالك لا تشرب النبيذ؟ قال: معاذ الله أصبح حليم قوم وأمسي سفيههم. وقيل لأعرابي: مالك لا تشرب النبيذ؟ قال: لا أشرب ما يشرب عقلي. وقيل لعثمان بن عفان: ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك؟ قال: إني رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئا يذهب جملة ويعود جملة. وقال عبد العزيز بن مروان لنصيب بن رباح: هل لك فيما يثمر المحادثة؟ يريد المنادمة، فقال: أصلح الله الأمير الشعر مفلفل واللون مرمد، ولم أقعد إليك بكرم عنصر ولا بحسن منظر، وإنما هو عقلي ولساني، فإن رأيت ألا تفرق بينهما فافعل. ودخل مصيب هذا على عبد الملك بن مروان فأنشده فاستحسن عبد الملك شعره فوصله، ثم دعا بالطعام فطعم معه. فقال له عبد الملك: هل لك أن تنادم عليه؟ قال: يا أمير المؤمنين، تأملني. قال قد أراك. قال: يا أمير المؤمنين، جلدي أسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح ولست في منصب، وإنما بلغ بي مجالستك ومؤاكلتك عقلي، وأنا أكره أن أدخل عليه ما ينقصه. فأعجبه كلامه وأعفاه. وقال الحسن: لو كان العقل عرضا لتغالي الناس في ثمنه، فالعجب لمن يشتري بماله شيئا ليشربه فيذهب عقله. وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج بن يوسف في وفدة وفدها عليه وقد أكلا: هل لك في الشراب؟ قال: يا أمير المؤمنين، ليس بحرام ما أحللت، ولكن أمنع أهل عملي، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وهو قوله تعالى:﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود] وقالوا: للنبيذ حدان، حد لا هم معه، وحد لا عقل معه، فعليك بالأول واتق الثاني.

في ما قيل في إباحة المطبوخ. قال: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: والمطبوخ يسمى الطلاء وهو الذي طبخ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. سمي بذلك لأنه شبيه بطلاء الإبل في ثخنه وسواده. وقد اختلف العلماء في المطبوخ، فقال بعضهم: كل عصير طبخ حتى ذهب نصفه فهو حلال إلا أنه يكره، وإن طبخ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه فهو حلال مباح شربه وبيعه إلا أن السكر منه حرام. وحجتهم في ذلك ما روي: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى بعض عماله: أن ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. وعن عبد الله بن يزيد الخطمي قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أما بعد، فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان في عود الكرم، فإن له اثنين ولكم واحد. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن نوحا عليه السلام لما نازعه الشيطان في عود الكرم فقال: هذا لي، وقال: هذا لي، فاصطلحا على أن لنوح ثلثها وللشيطان ثلثيها. وسئل سعيد بن المسيب: ما الشراب الذي أحله عمر رضي الله عنه؟ فقال: الذي يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه. وحكي أن أبا موسى الأشعري وأبا الدرداء كانا يشربان من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. وعلى الجملة فمجموع هذه الأخبار في مثلث لم يسكر البتة. ودليل ذلك ما حكي عن عبد الله بن عبد الملك ابن الطفيل الخزرجي قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: ألا تشربوا من الطلاء حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه، وكل مسكر حرام. هذا الذي عليه أكثر العلماء. وقال قوم: إذا طبخ العصير أدنى الطبخ صار حلالا، وهو قول إسماعيل بن علية وبشر المريسي وجماعة من أهل العراق. وذهب بعضهم إلى أن الطلاء الذي رخص فيه إنما هو الرب والدبس. والله عز وجل أعلم.

مراجع: مصنف ابن أبي شيبة/ مسند عبد الله بن المبارك/ صحيح مسلم/ مكفرات الذنوب في القرآن والسنة/ صحيح البخاري/ نهاية الأرب في فنون الأدب/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) والنجاشي، الشاعر 0020

روي أن بني العجلان[1][2] كان يفخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه في تعجيل قرى الأضياف إلى أن هجاهم به النجاشي[3] فضجروا منه وسبوا به فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين، هجانا فقال: وما قال؟ فأنشدوه: إذا الله عادى أهل لؤم ورقة..فعادى بني عجلان رهط ابن مقبل. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب، فقالوا: إنه قال: قبيلة لا يغدرون بذمة..ولا يظلمون الناس حبة خردل. فقال عمر: ليتني من هؤلاء أو قال: ليت آل الخطاب كذلك أو كلاما يشبه هذا. قالوا: فإنه قال: ولا يردون الماء إلا عشية..إذا صدر الوراد عن كل منهل. فقال عمر: ذلك أقل للسكاك. يعني: الزحام، قالوا فإنه قال: تعاف الكلاب الضاريات لحومهم..وتأكل من كعب بن عوف ونهشل. فقال عمر: كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه. قالوا: فإنه قال: وما سمي العجلان إلا لقولهم..خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل. فقال عمر: كلنا عبد وخير قوم خادمهم. فقالوا: يا أمير المؤمنين هجانا فقال: ما أسمع ذلك. فقالوا: فاسأل حسان بن ثابت[4] فسأله فقال: ما هجاهم ولكن سلح* عليهم. وفي رواية قال أحمد بن يحيى ثعلب: وقال بعض أصحابنا: استعدى تميم بن مقبل عمر بن الخطاب على النجاشي، فقال: يا أمير المؤمنين، هجاني، فأعدني عليه. قال: يا نجاشي، ما قلت؟ قال: يا أمير المؤمنين، قلت ما لا أرى أن علي فيه إثما؛ قلت: قبيلة لا يغدرون بذمة..ولا يظلمون الناس حبة خردل. فقال عمر: ليتني من هؤلاء! قال: ولا يردون الماء إلا عشية..إذا صدر الوراد عن كل منهل. قال عمر: وما على هؤلاء متى وردوا؟ قال: وما سمي العجلان إلا لقوله خذ..القعب فاحلب أيها العبد فاعجل. قال عمر: خير القوم أنفعهم لأهله. قال تميم: سله عن قوله: إذا الله عادى أهل لؤم وذلة..فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل..أولئك أولاد الهجين وأسرة ال..لئيم ورهط العاجز المتذلل..تعاف الكلاب الضاريات لحومهم..وتأكل من كعب عوف ونهشل. فقال عمر: أما هذا فلا أعذرك عليه فحبسه وضربه. وفي رواية: هدده بقطع لسانه إن عاد مرة أخرى للهجاء.

* (السلح) السلح للطائر كالغائط للإنسان وقيل هو خاص بما رق منه

(3) النجاشي الحارثي، قيس بن عمرو بن مالك، من بني الحارث بن كعب، من كهلان: شاعر هجاء مخضرم، اشتهر في الجاهلية والاسلام. أصله من نجران باليمن انتقل إلى الحجاز، واستقر في الكوفة.وهجا أهلها. وهدده عمر بقطع لسانه. وضربه علي على السكر في رمضان. من شعره في مدح معاوية: إني امرؤ قلما أثني على أحد حتى أرى بعض ما يأتي وما يذر . قال البكري: النجاشي من أشراف العرب، إلا أنه كان فاسقا. وكانت أمه من الحبشة فنسب إليها. توفي نحو 40 هـ وقيل سنة 49 هـ

(4) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو . سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس. أبو الوليد؛ ويقال: أبو الحسام. الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، ابن الفريعة (أو الفزيعة). شاعر رسول الله وصاحبه. وحديثه قليل. قال ابن سعد: عاش ستين في الجاهلية، وستين في الإسلام. قال ابن سعد: عن الواقدي: لم يشهد مع النبي مشهدا. كان يجبن وقيل: لعلة أصابته وأمة الفريعة (أو الفزيعة) بنت خنيس. قال مسلم: كنيته أبو عبد الرحمن. وقيل: أبو الوليد. واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته. توفي في المدينة بين سنة35 و40 هـ زمن علي. أو ما بين سنة 50 هـ و 54 هـ زمن معاوية.

(1) بنو العجلان بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية، وهم بنو العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وعامر يأتي نسبه عند ذكره في حرف العين المهملة. منهم تميم بن أبي مقبل الشاعر، وهم الذين هجاهم الحطيئة في أبياته، ومنهم زيد بن اسلم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان العجلاني البلوي ثم الأنصاري حليف بني عمرو بن عوف شهد بدرا واحدا.أيضا: بنو العجلان – بفتح العين وسكون الجيم. بطن من الخزرج من الأزد من القحطانية، وهم بنو العجلان بن زيد بن عصم بن سالم بن عوف بن عمر بن الخزرج ذكرهم في العبر، والخزرج قد مر نسبه في الألف واللام مع الخاء المعجمة من هذا الفصل. أيضا: بنو العجلان بطن من بني قضاعة من القحطانية، وهم بنو العجلان بن حارثة بن ضبيعة. ذكرهم أبو عبيدة في أنسابه ورفع في نسبهم إلى هنا ووقف، منهم ثابت بن أرقم شهد بدرا وقتله طلحة في الردة، وشريك بن سمحا الذي نزلت فيه آية اللعان وهو شريك بن العبدة.

(1) العجلان بن عبد الله بن كعب، من بني عامر بن صعصعة: جد جاهلي. بنوه قبيلة ضخمة، منها الشاعر تميم بن أبي ابن مقبل، قال النجاشي يهجوه: إذا الله عادي أهل لؤمن وذلة فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل.

(2) تميم بن أبى بن مقبل شاعر مجيد مغلب جاهلي أدرك الإسلام وأسلم غير أنه تحسر على الجاهلية ومُثلها، على عكس مجايليه ممن احتفوا بالإسلام وهجوا ما قبله، غلب عليه النجاشي ولم يكن إليه فى الشعر وقد قهره فى الهجاء فقال إذا الله عادى أهل لؤم ودقة..فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل.

☪

قال صاحب زهر الآداب: كان بنو العجلان يفخرون بهذا الاسم إذ كان عبد الله بن كعب جدهم إنما سمي العجلان لتعجيله القرى للضيفان وذلك أن حيا من طيئ نزلوا به فبعث إليهم بقراهم عبداً له وقال له: أعجل عليهم، ففعل العبد فأعتقه لعجلته، فقال القوم: ما ينبغي أن يسمى إلا العجلان، فسمي بذلك، فكان شرفا لهم حتى قال النجاشي هذا الشعر، فصار الرجل إذا سئل عن نسبه قال كعبي ويرغب عن العجلان.

قال ابن رشيق: كان عمر رضي الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشي ولكن أراد أن يدرأ الحد بالشبهات. فرارا من التعرض لأحدهما، فلما قال حسان ما قال، سجن عمر النجاشي وقيل: إنه حده. قال الشعبي رحمه الله: كان أبو بكر شاعرا، وكان عمر شاعرا، وكان علي بن أبي طالب شاعرا. أي: عالما بالشعر وبمعانيه وأغراضه متذوقا له. لأن أهل النقد والأدب والشعر قديما وحديثا لم يذكروا عمر رضي الله عنه في الشعراء ولم تثبت عنه قصائد وأبيات من نظمه، بل روي عنه رضي الله عنه أنه قال لمتمم بن نويرة[1] أخي مالك بن نويرة[2]: لو كنت شاعرا أثنيت على أخي-زيد بن الخطاب[3] – كما أثنيت على أخيك متمم. فقال: لو كان مهلك أخي كمهلك أخيك لتعزيت عنه. فقال عمر: ما رأيت تعزية أحسن من هذه.

روي أنه قال ليلة لابن عباس: أنشدني لشاعر الشعراء: قال: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: ابن أبي سلمة، قال: وبم صار كذلك؟ قال: لأنه لا يتبع حوشي الكلام، ولا يعاظل في المنطق، ولا يقول إلا ما يعرف، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه، أليس هو الذي يقول: إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية..من المجد من يسبق إليها يسود..سبقت إليها كل طلق مبرز..سبوق إلى الغايات غير مزند..ولو كان حمد يخلد الناس لم يمت..ولكن حمد الناس ليس بمخلد.

☪

روى أن قيس بن عمرو بن مالك، وكان فاسقا رقيق الإسلام. خرج في شهر رمضان على فرس له بالكوفة يريد الكناسة*، فمر بأبي سمال الأسدي[4] فوقف عليه، فقال، هل لك في رؤوس حملان في كرش في تنور من أول الليل إلى آخره، قد أينعت وتهرأت؟ فقال له: ويحك أفي شهر رمضان تقول هذا؟ قال: ما شهر رمضان وشوال إلا واحدا! قال: فما تسقيني عليها؟ قال: شرابا كالورس، يطيب النفس، ويجري في العرق، ويكثر الطرق، ويشد العظام ويسهل للفدم الكلام، فثنى رجله فنزل، فأكلا وشربا، فلما أخذ فيهما الشراب تفاخرا، فعلت أصواتهما، فسمع ذلك جار لهما، فأتى علي بن أبي طالب[5] رضي الله عنه فأخبره، فبعث في طلبهما، فأما أبو سمال فشق الخص ونفذ إلى جيرانه فهرب، فأخذ النجاشي فأتى به علي بن أبي طالب فقال له: ويحك، ولداننا صيام وأنت مفطر؟ فضربه ثمانين سوطا وزاده عشرين سوطا، فقال له: هذا الحد فما هذه العلاوة يا أبا الحسن؟ فقال: هذه لجرأتك على الله في شهر رمضان، ثم وقفه للناس ليروه في تبان، فهجا أهل الكوفة فقال: إذا سقى الله قوما صوب غادية..فلا سقى الله أهل الكوفة المطرا..التاركين على طهر نساءهم..والناكحين بشطى دجلة البقرا..والسارقين إذا ما جن ليلهم..والطالبين إذا ما أصبحوا السورا. وقال: ضربونى ثم قالوا قدر..قدر الله لهم شر القدر.

قال أبو الحسن المدائني: ضرب علي بن أبي طالب النجاشي في شرب الخمر، فأتى معاوية[6] يستأمنه، فشاور معاوية مروان[7] فقال: لا تفعل، قال: إذا يقول في شعرا فتكون أنت أول من ترويه! يا غلام، نادى بأمانه. قال: فأذن له، وكان أعورا قصيرا، فلما رآه معاوية استصغره، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الرجال ليست بجزر فتستسمن، وإنما المرء بأصغريه، قلبه ولسانه، ثم خرج يقول: ألم يأتي أهل المشرقين نصيحتي..وأني نصيح لا يبيت على عتب..هلكتم وكان الشر آخر عهدكم..لئن لم تداركهم حلوم بني حرب. وهو القائل في معاوية: ونجى ابن حرب سابح ذو علالة..أجش هزيم والرماح دواني.فلما بلغ الشعر معاوية رفع ثندوته* وقال: لقد علم الناس أن الخيل لا تجري بمثلي، فكيف قال هذا؟. فقال عمرو بن العاص[8]: لقد أعياني أن أعلم أجبان أنت أم شجاع؟ فقال: شجاع إذا ما أمكنتني فرصة..وإلا تكن لي فرصة فجبان.وقيل: الهرب في وقته خير من الصبر في غير وقته. وقيل: من هرب من معركة فعرف مصيره إلى مستقره فهو شجاع.

☪

عن أبي عبد الرحمن بن المبارك قال: شبب* عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري[9] بأخت معاوية، فغضب يزيد فقال لمعاوية: يا أمير المؤمنين اقتل عبد الرحمن بن حسان، قال: ولم يا بني؟ قال: لأنه شبب بعمتي، قال: وما قال؟ قال: قال: طال ليلي وبت كالمخزون..ومللت الثواء في جيرون. قال: وما علينا يا بني من طول ليله وحزنه أبعده الله، قال: إنه يقول: ولذاك اغتربت بالشام حتى..ظن أهلي مرجمات الظنون. قال: وما علينا من ظن أهله؟ قال: إنه يقول: هي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون. قال: صدق يا بني إنها لمن جوهر مكنون، قال: وإنه يقول: وإذا ما نسبتها لن تجدها..في سناء من المكارم دون. قال: صدق وهي بحمد الله كذاك، قال: إنه يقول: ثم خاصرتها إلى القبة الخض..راء نمشي في مرمر مسنون. قال: ولا كل هذا، ثم ضحك وقال: ما قال أيضا؟ قال: قال: قبة من مراجل ضربوها..عند حد الشتاء في قيطون..عن يساري إذا دخلت من البا..ب وإن كنت خارجا عن يميني..تجعل الند والألوة والعو..د صلاء لها على الكانون..وقباب قد أشرجت وبيت..نطفوها بالآس والزرجون. قال: يا بني لا يجب القتل في هذا، والعقوبة دون القتل تغريه فيزيد في قوله، ولكنا نكفه بالتجاوز والصلة، فوصله وصرفه.

* (الكناسة) محلة معروفة بالكوفة(الثندوة) موضع الثديين والمراد مستوى الصدر. وقيل روثة الأنف وهي طرفه ومقدمه (التشبيب) هو في الأصل ذكر أيام الشباب واللهو والغزل ويكون في ابتداء القصائد، سمي ابتداؤها مطلقا وإن لم يكن فيه ذكر الشباب. وشبب بالمرأة: قال فيها الغزل والنسيب

(5) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

(7) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ . قيل نظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك.

(6) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي، من الموصوفين بالدهاء –والحلم-. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة60 هـ

(4) سمعان بن هبيرة بن مساحق بن بجير بن أسامة بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي أبو السمال، وقيل: اسم أبي سمال البراء بن سمعان.الشاعر له إدراك ونزل الكوفة، عاش مائة وسبعا وستين سنة وقيل كان مع طليحة في الردة فلما دهمهم خالد قال لطليحة بم أمرت فذكر القصة وقال مغيرة بن مقسم كان أبو السمال لا يغلق باب داره وكان له مناد ينادي من ليس له خطة فمنزله على أبي السمال قال فبلغ ذلك عثمان فاتخذ دارا لأضيافه وقال المرزباني في معجمه هو الذي شرب في رمضان مع النجاشي الحارثي فأقام الحد على النجاشي وهرب أبو السمال وأنشد له في ذلك شعرا قاله.

(8) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

(3) زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي. أبو عبد الرحمن: صحابي، من شجعان العرب في الجاهلية والاسلام. وهو أخو عمر بن الخطاب، وكان أسن من عمر، وأسلم قبله. شهد المشاهد، ثم كانت راية المسلمين في يده، يوم اليمامة، فثبت إلى أن قتل سنة 12 هـ. وحزن عليه عمر حزنا شديدا. وكان الجهلة في نجد، قبيل قيام محمد بن عبد الوهاب يغالون في تعظيم قبره، باليمامة، ويزعمون أنه يقضي لهم حاجاتهم

(1) متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو نهشل: شاعر فحل، صحابي، من أشراف قومه، اشتهر في الجاهلية والاسلام. وكان قصيرا أعور، أشهر شعره رثاؤه لاخيه مالك وسكن متمم المدينة، في أيام عمر، وتزوج بها امرأة لم ترض اخلاقه لشدة حزنه عل أخيه.توفي نحو سنة 30 هـ

(2) مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد بن عبد ثعلبه بن يربوع التميمي كان شاعرا شريفا فارسا معدودا في فرسان بني يربوع في الجاهلية.وكان النبي صلى الله عليه وسلم استعمله على صدقات قومه، فلما بلغته وفاة النبي أمسك الصدقة وفرقها في قومه. قتله ضرار بن الأزور الأسدي صبرا بأمر خالد بن الوليد بعد فراغه من قتال الردة.

(9) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري الخزرجي: شاعر، ابن شاعر، كان مقيما في المدينة، وتوفي فيها سنة 104 هـ. اشتهر بالشعر في زمن أبيه، قال حسان: فمن للقوافي بعد حسان وابنه ؟ ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت؟ وفي تاريخ وفاته خلاف.

مراجع: دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ تاريخ مدينة دمشق/ الأنساب للصحاري/ الأعلام للزركلي/ الشعر والشعراء/ نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب/ محاضرات الأدباء/ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/ خزانة الأدب/

قال ابن خلكان: إذ ذكرنا متمم بن نويرة[1] وأخاه فلا بد من ذكر طرف من أخبارهما، فإنها مستملحة.كان مالك بن نويرة[2] المذكور رجلا سريا نبيلا يردف الملوك، وللردافة موضعان أحدهما: أن يردفه الملك على دابته في صيد أو غيره من مواضع الأنس، والموضع الثاني أنبل، وهو أن يخلف الملك إذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده.وهو الذي يضرب به المثل فيقال: مرعى ولا كالسعدان، وماء ولا كصداء، وفتى ولا كمالك. وكان فارسا شاعرا مطاعا في قومه، وكان فيه خيلاء وتقدم، وكان ذا لمة كبيرة، وكان يقال له الجفول، وقدم النبي صلى الله عليه وسلم فيمن قدم من العرب فأسلم، فولاه النبي صلى الله عليه وسلم صدقه قومه. ولما ارتدت العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بمنع الزكاة كان مالك المذكور من جملتهم، ولما خرج خالد بن الوليد[3] رضي الله عنه لقتالهم في خلافة أبي بكر الصديق[4] رضي الله عنه نزل على مالك وهو مقدم قومه بني يربوع وقد أخذ زكاتهم وتصرف فيها، فكلمه خالد في معناها، فقال مالك: إني آتي الصلاة دون الزكاة، فقال له خالد: أما علمت أن الصلاة والزكاة معا لا تقبل واحدة دون أخرى، فقال مالك: قد كان صاحبك يقول ذلك، قال خالد: وما تراه لك صاحبا والله لقد هممت أن أضرب عنقك، ثم تجاولا في الكلام طويلا فقال له خالد: إنني قاتلك، قال: أو بذلك أمرك صاحبك قال: وهذه بعد تلك والله لأقتلنك. وكان عبد الله بن عمر[5] رضي الله عنهما وأبو قتادة الأنصاري[6] رضي الله عنه حاضرين فكلما خالدا في أمره، فكره كلامهما، فقال مالك: يا خالد، ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا، فقد بعثت إليه غيرنا ممن جرمه أكبر من جرمنا، فقال خالد: لا أقالني الله إن أقلتك، وتقدم إلى ضرار بن الأزور الأسدي[7] رضي الله عنه بضرب عنقه، فالتفت مالك إلى زوجته أم متمم وقال لخالد: هذه التي قتلتني، وكانت في غاية الجمال، فقال له خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام، فقال مالك: أنا على الإسلام، فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه، فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية لقدر، وكان من أكثر الناس شعرا فكانت القدر على رأسه حتى نضج الطعام، وما خلصت النار إلى شواه من كثرة شعره. قال ابن الكلبي في جمهرة النسب: قتل مالك يوم البطاح، وجاء أخوه متمم فكان يرثيه. وقبض خالد امرأته، فقيل إنه اشتراها من الفيء وتزوج بها، وقيل إنها اعتدت بثلاثة حيض ثم خطبها إلى نفسه فأجابته، فقال لابن عمر وأبي قتادة يحضران النكاح فأبيا، وقال له ابن عمر: تكتب إلى أبي بكر وتذكر أمرها فأبى وتزوجها، فقال في ذلك أبو زهير السعدي: ألا قل لحي أوطئوا بالسنابك..تطاول هذا الليل من بعد مالك..قضى خالد بغيا عليه لعرسه..وكان له فيها هوى قبل ذلك..فأمضى هواه خالد غير عاطف..عنان الهوى عنها ولا متمالك..وأصبح ذا أهل، وأصبح مالك..إلى غير شيء هالكا في الهوالك..فمن لليتامى والأرامل بعده..ومن للرجال المعدمين الصعالك..أصيبت تميم غثها وسمينها..بفارسها المرجو تحت الحوارك. ولما بلغ الخبر أبا بكر وعمر، قال عمر لأبي بكر: إن خالدا قد زنى فارجمه، قال: ما كنت لأرجمه فإنه تأول فأخطأ، قال: فإنه قتل مسلما فاقتله به، قال: ما كنت لأقتله به، إنه تأول فأخطأ، قال فاعزله، قال: ما كنت لأشيم سيفا سله الله عليهم أبدا، هكذا سرد هذه الواقعة وثيمة المذكور والواقدي في كتابيهما، والعهدة عليهما. وكان أخوه متمم بن نويرة، وكنيته أبو نهشل الشاعر المشهور، كثير الانقطاع في بيته قليل التصرف في أمر نفسه اكتفاء بأخيه مالك، وكان أعور دميما، فلما بلغه مقتل أخيه حضر إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى الصبح خلف أبي بكر الصديق، فلما فرغ من صلاته واستند في محرابه قام متمم فوقف بحذائه واتكأ على سية قوسه ثم أنشد: نعم القتيل إذا الرياح تناوحت..خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور..أدعوته بالله ثم غدرته..لو هو دعاك بذمة لم يغدر. وأومأ إلى أبي بكر، فقال: والله ما دعوته ولا غدرته: ولنعم حشو الدرع كان وحاسرا..ولنعم مأوى الطارق المتنور..لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه..حلو شمائله عفيف المئزر. ثم بكى وانحط على سية قوسه، فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء، فقام إليه عمر بن الخطاب، فقال: لوددت أنك رثيت زيدا[8] أخي بمثل ما رثيت به مالكا أخاك، فقال: يا أبا حفص، والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته، فقال عمر: ما عزاني أحد عن أخي بمثل تعزيته. وكان زيد بن الخطاب قتل شهيدا يوم اليمامة، وكان عمر يقول: إني لأهش للصبا أنها تأتيني من ناحية أخي زيد، ويروى عن عمر أنه قال: لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك. ويروى أن متمما رثى زيدا فلم يجد، فقال له عمر: لم ترث زيدا كما رثيت مالكا، فقال: إنه والله ليحركني لمالك ما لا يحركني لزيد. وقال له عمر يوما: إنك لجزل فأين كان أخوك منك، فقال: كان أخي في الليلة ذات الأزيز والصراد يركب الجمل الثفال، ويجنب الفرس الجرور، وفي يده الرمح الثقيل، وعليه الشملة الفلوت، وهو بين المزادتين، حتى يصبح وهو متبسم. وقال له عمر يوما: خبرنا عن أخيك، قال: يا أمير المؤمنين، لقد أسرت مرة في حي من أحياء العرب، فأخبر أخي، فأقبل، فلما طلع على الحاضر ما كان أحد قاعدا إلا قام على رجليه، وما بقيت امرأة إلا وتطلعت من خلال البيوت، فما نزل عن جمله حتى لقوه بي برمتي فحلني هو، فقال عمر: إن هذا لهو الشرف. وقال متمم أيضا لعمر: أغار حي من أحياء العرب على حي أخي مالك وهو غائب، فجاءه الصريخ، فخرج في آثارهم على جمل يسوقه مرة ويركبه أخرى، حتى أدركهم على مسيرة ثلاث وهم آمنون، فما هو إلا أن رأوه فأرسلوا ما في أيديهم من الأسرى والنعم وهربوا، فأدركهم أخي، فاستسلموا جميعا حتى كتفهم، وصدر بهم إلى بلاده مكتوفين، فقال عمر: قد كنا نعلم سخاءه وشجاعته، ولم نعلم كل ما تذكره. وله فيه المراثي النادرة، فمن ذلك أبياته الكافية، وهي في كتاب الحماسة في باب المراثي: لقد لامني عند القبور على البكا..رفيقي لتذراف الدموع السوافك..فقال أتبكي كل قبر رأيته..لقبر ثوى بين اللوى والدكادك..فقلت له إن الشجا يبعث الشجا..فدعني فهذا كله قبر مالك. وله فيه قصيدته العينية، وهي طويلة بديعة، ومن جملتها قوله: وكنا كندماني جذيمة حقبة..من الدهر حتى قيل لن يتصدعا..وعشنا بخير في الحياة، وقبلنا..أصاب المنايارهط كسرى وتبعا..فلما تفرقنا كأني ومالكا..لطول اجتماع لم نبت ليلة معا.

----

*(الأزيز) بفتح الهمزة وزاءين الأولى منها مكسورة وبينهما ياء مثناة من تحتها، صوت الرعد.(الصراد) بضم الصاد المهملة وتشديد الراء وفتحها وبعد الألف دال مهملة، غيم رقيق لا ماء فيه.(الثفال) بفتح الثاء المثلثة والفاء، وهو الجمل البطيء في سيره لا يكاد يمشي من ثقله.(الجرور) بفتح الجيم على وزن فعول، الفرس الذي يمنع القياد.(الشملة الفلوت) التي لا تكاد تثبت على لابسها.(المزادة) الراوية، وهي معروفة.(الرمة) بضم الراء المهملة، الحبل البالي، ومنه قولهم: دفع إليه الشيء برمته. أصله: أن رجلا دفع إلى رجل بعيرا بحبل في عنقه، فقيل ذلك لكل من دفع شيئا بجملته.

■ (1) متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو نهشل: شاعر فحل، صحابي، من أشراف قومه، اشتهر في الجاهلية والاسلام. وكان قصيرا أعور، أشهر شعره رثاؤه لاخيه مالك وسكن متمم المدينة، في أيام عمر، وتزوج بها امرأة لم ترض اخلاقه لشدة حزنه على أخيه.توفي نحو سنة 30 هـ

■ (8) زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي. أبو عبد الرحمن: صحابي، من شجعان العرب في الجاهلية والاسلام. وهو أخو عمر بن الخطاب، وكان أسن من عمر، وأسلم قبله. شهد المشاهد، ثم كانت راية المسلمين في يده، يوم اليمامة، فثبت إلى أن قتل سنة 12 هـ. وحزن عليه عمر حزنا شديدا. وكان الجهلة في نجد، قبيل قيام محمد بن عبد الوهاب يغالون في تعظيم قبره، باليمامة، ويزعمون أنه يقضي لهم حاجاتهم

■ (4) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

■ (2) مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد بن عبد ثعلبه بن يربوع التميمي كان شاعرا شريفا فارسا معدودا في فرسان بني يربوع في الجاهلية.وكان النبي صلى الله عليه وسلم استعمله على صدقات قومه، فلما بلغته وفاة النبي أمسك الصدقة وفرقها في قومه. قتله ضرار بن الأزور الأسدي صبرا بأمر خالد بن الوليد بعد فراغه من قتال الردة.

■ (3) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يلي أعنة الخيل في قريش، وقد أسلم سنة 7 هـ ، يكنى أبا سليمان، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول، وله بطولات نادرة في حروب الردة وقتال الفرس،مات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هـ ويقال: توفى بحمص سنة 14 هـ

■ (5) عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه، وكان من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكل ما تأخذ به نفسه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وهو ابن 84 سنة، وكان قد أوصى أن يدفن في الليل ، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

■ (6) الحارث بن ربعي الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو قتادة، اشتهر بكنيته. وقد اختُلف في اسمه فقيل اسمه الحارث، وقيل النعمان، وقيل عمرو.و يقال له فارس رسول الله.شهد الوقائع مع النبي ابتداء من وقعة أحد. ولما صارت الخلافة إلى علي، ولاه مكة.وشهد صفين معه. ومات بالمدينة سنة 54 هـ

■ (7) ضرار بن مالك الازور بن أوس ابن خزيمة الاسدي: أحد الابطال في الجاهلية والا سلام. وكان شاعرا مطبوعا. له صحبة. وهو الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد. وقاتل يوم اليمامة أشد قتال، حتى قطعت ساقاه، فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل، والخيل تطأه. ومات بعد أيام في اليمامة. وقيل: في غيرها. سنة 11 هـ

☪

ذكر أبو علي القالي في كتابه الذي جعله ذيلا على أماليه أن متمما المذكور قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان به معجبا، فقال: يا متمم، ما يمنعك من الزواج لعل الله تعالى أن ينشر منك ولدا، فإنكم أهل بيت قد درجتم فتزوج امرأة من أهل المدينة، فلم تحظ عنده ولم يحظ عندها، فطلقها ثم قال: أقول لهند حين لم أرض عقلها:..أهذا دلال العشق، أم أنت فارك..أم الصرم تهوين فكل مفارق..علي يسير بعد ما بان مالك. فقال له عمر: ما تنفك تذكر مالكا على كل حال، فلم يمض على هذا الأمر إلا قليل حتى طعن عمر، ومتمم بالمدينة، فرثى عمر. وبالجملة فإنه لم ينقل عن أحد من العرب ولا غيرهم أنه بكى على ميته ما بكى متمم على أخيه مالك. حكى الواقدي في كتاب الردة أن عمر قال لمتمم: ما بلغ من حزنك على أخيك فقال له: لقد مكثت سنة لا أنام بليل حتى أصبح، ولا رأيت نارا رفعت بليل إلا ظننت نفسي ستخرج، أذكر بها نار أخي، كان يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة أن يبيت ضيفه قريبا منه، فمتى يرى النار يأوي إلى الرحل، وهو بالضيف يأتي مجتهدا أسر من القوم يقدم عليهم القادم لهم من السفر البعيد، فقال عمر: أكرم به. وحكى الواقدي أيضا أنه قال له: ما لقيت على أخيك من الحزن والبكاء قال: كانت عيني هذه قد ذهبت، وأشار إليها، فبكيت بالصحيحة وأكثرت البكاء حتى أسعدتها العين الذاهبة وجرت بالدموع، فقال عمر: إن هذا لحزن شديد، ما يحزن هكذا أحد على هالكه. وقد ضربت الشعراء الأمثال بمالك وأخيه متمم في أشعارهم، فمن ذلك قول ابن حيوس المقدم ذكره من جملة قصيدة: وفجعة بين مثل صرعة مالك..ويقبح بي أن لا أكون متمما. ومنه قول أبي بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة في قصيدته التي يرثي بها المعتمد بن عباد[1] صاحب إشبيلية لما قبض عليه يوسف بن تاشفين وهو قوله: حكيت وقد فارقت ملكك مالكا..ومن ولهي أحكي عليك متمما. ومن ذلك أيضا قول بعضهم، وأظنه ابن منير وهو أيضا من جملة أبيات، ثم حققت قاءله وهو نجم الدين أبو الفتح يوسف بن الحسين بن محمد، عرف بابن المجاور الدمشقي: أيا مالكي في القلب نويرة..وإنسان عيني في هواك متمم. ومنه قول أبي الغنائم ابن المعلم الشاعر من جملة أبيات يصف فيها منزلا ويدعو له بالسقيا، فقال: سقاه الحيا قبلي وجئت متمما..فلو مالك فيه دعيت متمما. ومنه قول القاضي السعيد ابن سناء الملك: بكيت بكلتا مقلتي كأنني..أتمم ما قد فات عين متمم. وهذا باب يطول شرحه..، والله أعلم.

■ (1) محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، أبو القاسم، المعتمد على الله: صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولها، وأحد أفراد الدهر شجاعة وحزما وضبطا للامور. ولد في باجة بالاندلس وولي إشبيلية بعد وفاة أبيه سنة 461 هـ وامتلك قرطبة وكثيرا من المملكة الاندلسية، واتسع سلطانه إلى أن بلغ مدينة مرسية وكانت تعرف بتدمير وأصبح محط الرحال، يقصده العلماء والشعراء والامراء، وما اجتمع في باب أحد من ملوك عصره ما كان يجتمع في بابه من أعيان الادب. وكان فصيحا شاعرا وكاتبا مترسلا، بديع التوقيع، ولم يزل في صفاء ودعة إلى سنة 478 هـ. وفيها استولى ملك الروم الاذفونش ألفونس السادس على طليطلة وكان ملوك الطوائف، وكبيرهم المعتمد ابن عباد، يؤدون للاذفونش ضريبة سنوية، فلما ملك طليطلة رد ضريبة المعتمد، وأرسل إليه يهدده ويدعوه إلى النزول له عما في يده من الحصون. فكتب المعتمد إلى يوسف بن تاشفين صاحب مراكش يستنجده، وإلى ملوك الاندلس يستثير عزائمهم. ونشبت سنة 479 هـ المعركة المعروفة بوقعة الزلاقة فانهزم الاذفونش ألفونس بعد أن أبيد أكثر عساكره. قال ابن خلكان: وثبت المعتمد في ذلك اليوم ثباتا عظيما وأصابه عدة جراحات في وجهه وبدنه وشهد له بالشجاعة. وعاد ابن تاشفين بعد ذلك إلى مراكش، وقد أعجب بما رأى في بلاد الاندلس من حضارة وعمران. وزارها بعد عام، فأحسن المعتمد استقباله. وعاد. وثارت فتنة في قرطبة سنة 483 هـ قتل فيها ابن المعتمد، وفتنة ثانية في إشبيلية أطفأ المعتمد نارها، فخمدت. ثم اتقدت، وظهر من ورائها جيش يقوده سير بن أبي بكر الاندلسي من قواد جيش ابن تاشفين وحوصر المعتمد في إشبيلية، قال ابن خلكان: وظهر من مصابرة المعتمد وشدة بأسه وترامية على الموت بنفسه ما لم يسمع بمثله واستولى الفزع على أهل إشبيلية وتفرقت جموع المعتمد، وقتل ولداه المأمون والراضي وفت في عضده، فأدركته الخيل، فدخل القصر، مستسلما للاسر سنة 484 هـ وحمل مقيدا، مع أهله، على سفينة. وأدخل على ابن تاشفين، في مراكش، فأمر بارساله ومن معه إلى أغمات وهي بلدة صغيرة وراء مراكش. وللشعراء في اعتقاله وزوال ملكه قصائد كثيرة. وبقي في أغمات إلى أن مات سنة 488 هـ. وهو آخر ملوك الدولة العبادية.

مراجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ الأعلام للزركلي/

عن مجاهد قال: جاء رجل من بني مخزوم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستعدي على أبي سفيان[1] رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن أبا سفيان ظلمني حدي في مهبط كذا وكذا، فقال له عمر: إني لأعلم الناس بذلك الموضع ولربما لعبت أنا وأنت ونحن غلمان، فإذا قدمت مكة فأتني بأبي سفيان، فلما قدم أتاه المخزومي بأبي سفيان، فقال له عمر: يا أبا سفيان خذ هذا الحجر من ههنا فضعه ههنا، فقال: والله لا أفعل، فقال: والله لتفعلن، فقال: لا أفعل، فعلاه عمر بالدرة*، وقال: خذه لا أم لك من ههنا فضعه ههنا، فأخذه فوضعه، فكأن عمر دخله من ذلك شيء، فاستقبل القبلة، ثم قال: اللهم، لك الحمد إذ لم تمتني حتى غلبت أبا سفيان على رأيه وذللته لي بالإسلام، قال: فاستقبل أبو سفيان، القبلة فقال: اللهم، لك الحمد الذي لم تمتني حتى أدخلت قلبي من الإسلام، ما ذللتني به لعمر.

روى الأزرقي: عن علقمة بن نضلة قال: اصعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، المعلاة* في بعض حاجته فمر بأبي سفيان بن حرب، يهني جملا له، فنظر إلى أحجار قد بناها أبو سفيان شبه الدكان في وجه داره يجلس عليه في فيء الغداة، فقال له عمر: يا أبا سفيان ما هذا البناء الذي أحدثته في طريق الحاج؟ فقال أبو سفيان: دكان نجلس عليه في فيء الغداة، فقال له عمر: لا أرجع من وجهي هذا حتى تقلعه وترفعه، فبلغ عمر حاجته، فجاء والدكان على حاله، فقال له عمر: ألم أقل لك لا أرجع حتى تقلعه؟ قال أبو سفيان: انتظرت يا أمير المؤمنين أن يأتينا بعض أهل مهنتنا، فيقلعه ويرفعه فقال عمر رضي الله عنه: عزمت عليك لتقلعنه بيدك، ولتنقلنه على عنقك، فلم يراجعه أبو سفيان حتى قلعه بيده، ونقل الحجارة على عنقه، وجعل يطرحها في الدار، فخرجت إليه هند[2] ابنة عتبة، فقالت: يا عمر أمثل أبي سفيان تكلفه هذا وتعجله عن أن يأتيه بعض أهل مهنته! فطعن بمخصرة كانت في يده في خمارها، فقالت هند ونفحتها بيدها: إليك عني يابن الخطاب، فلو في غير هذا اليوم تفعل هذا لاضطمت عليك الأخاشب، قال: فلما قلع أبو سفيان الحجارة ونقلها، استقبل عمر القبلة وقال: الحمد لله الذي أعز الإسلام وأهله؛ عمر بن الخطاب رجل من بني عدي بن كعب، يأمر أبا سفيان بن حرب سيد بني عبد مناف بمكة، فيطيعه ثم ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وروى الأزرقي: عن ثابت: أن أبا سفيان ابتنى دارا بمكة، فأتى أهل مكة عمر فقالوا: إنه ضيق علينا الوادي، وسيل علينا الماء، قال: فأتاه عمر، فقال: خذ هذا الحجر فضعه ثمة، وخذ هذا الحجر فضعه ثمة، ثم قال عمر: الحمد لله الذي أذل أبا سفيان بأبطح* مكة.

عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال: قدمنا مكة مع عمر، فأقبل أهل مكة يسعون: يا أمير المؤمنين أبو سفيان حبس مسيل الماء ليهدم منازلنا، فأقبل عمر ومعه الدرة، فإذا أبو سفيان قد نصب أحجارا، فقال: ارفع هذا، فرفعه، ثم قال: وهذا، حتى رفع أحجارا كثيرة، خمسة أو ستة، ثم استقبل عمر الكعبة، فقال: الحمد لله الذي جعل عمر يأمر أبا سفيان ببطن مكة فيطيعه. في رواية عن ثابت قال: أتى عمر على أبي سفيان وهو يبني وقد أضر بالطريق فقال: يا أبا سفيان انزع بناءك هذا، فإنه قد أضر بالطريق، فقال: نعم وكرامة يا أمير المؤمنين، فقال: أما والله لقد كنت أبيا.

عن علقمة بن نضلة قال: وقف أبو سفيان بن حرب على ردم الحذاءين، فضرب برجله فقال: سنام الأرض إن لها سناما، زعم ابن فرقد، يعني عتبة بن فرقد السلمي، أني لأعرف حقي من حقه، له سواد المروة، ولي بياضها، ولي ما بين مقامي هذا إلى تجنى، وتجنى ثنية قريبة من الطائف، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: إن أبا سفيان لقديم الظلم ليس لأحد حق إلا ما أحاطت عليه جدراته.

قال محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي حدثني أبو الحسين ابراهيم بن محمد بن جبير النوفلي قال: بلغني أن جبير بن مطعم خرج هو وعمر بن الخطاب وأبو سفيان بن حرب وعمر رضي الله عنه بينهما فلما كان برأس الردم التفت إلى أبي سفيان فقال: أين حقك مما ها هنا؟ قال له: يا أمير المؤمنين، ما تحت قدميك حتى تجنا، قال: إن ظلمك يا أبا سفيان لقديم، ليس لأحد ها هنا ملك ولا ينقل هذه مذاهب الحاج ومنافذهم، فسر بذلك جبير بن مطعم وله دار على بئر فهدمها وأباح بئره.

عن عبد الرحمن بن حسن عن أبيه قال إن زمعة أو إبن زمعة قال أي لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين أقطعني خيف الأرين أملأه عجوة قال: نعم فبلغ ذلك أبا سفيان فقال: دعوه فليملأه ثم لننظر أينا يأكل جناه فلما سمع بذلك تركه حتى كان معاوية فهو الذي ملأه وجعل له عينا وكان فيه نخل. وفي رواية عن عبد الرحمن بن الحسن بن القاسم، عن أبيه عن علقمة بن نضلة قال: قال رجل من بني سليم لعمر بن الخطاب بمكة: يا أمير المؤمنين أقطعني خيف الأرين حتى أملأه عجوة، فقال له عمر: نعم، فبلغ ذلك أبا سفيان بن حرب، فقال: دعوة فليملأه ثم لينظر أينا يأكل جناه، فبلغ ذلك السلمي فتركه، وكان أبو سفيان يدعيه، فكان معاوية بعد هو الذي عمله وملأه عجوة، قال: وكان له مشرع يرده الناس.

----

*(الدرة) السوط يضرب به (الأبطح) يضاف إلى مكة وإلى منى، لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب، وهو المحصب، وهو خيف بني كنانة (المعلاة) حارة مكيّة تاريخية في مكة المكرمة، تقع فيها مقبرة المعلاة. وكان يقصد بالمعلاة في الزمن القديم أعلى مكة، كما جاء للأزرقي في تاريخ مكة

■ (1) أبو سفيان بن حرب بن أمية واسمه صخر، اسلم في الفتح، لقى رسول الله بالطريق قبل دخوله مكة لفتحها فأسلم هناك، وشهد حنينا، وشهد الطائف، وفقئت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. مات بين سنة 30 هـ وسنة 34 هـ، وصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان، ودفن في البقيع

■ (2) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القريشية العبشمية، أم معاوية بن أبي سفيان، أسلمت في الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان بليلة، وشهدت اليرموك مع أبي سفيان، توفيت في أول خلافة عمر، في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق.

■ (3) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف. أبو محمد، ويقال: أبو عدي، ابن عم النبي. من الطلقاء الذين حسن إسلامهم، وقد قدم المدينة في فداء الاسارى من قومه. وكان أبوه هو الذي قام في نقض صحيفة القطيعة. وكان يحنو على أهل الشعب، توفي سنة 59 هـ.أو 58 هـ

عن عياض بن وهب حدثني خثيم رجل من القارة قال: أتيت عمر بن الخطاب، وهو يقطع الناس عند المروة، فقلت: أقطعني لي ولعقبي، فأعرض عني، وقال: هو حرم الله، سواء العاكف* فيه والبادي*، قال خثيم: فأدركت الذين أقطعوا باع بائعهم وورث مورثهم، ومنعت أنا لأني قلت لي ولعقبي. وعن موسى بن عيسى قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى مكة فقضى نسكه قال: لست بدار مكث ولا إقامة. وعن طلق بن حبيب قال: قال عمر: يا أهل مكة! اتقوا الله في حرم الله، أتدرون من كان ساكن هذا البلد؟ كان به بنو فلان فأحلوا حرمه فأهلكوا حتى ذكر ما شاء الله من قبائل العرب ثم قال: لأن أعمل عشر خطايا بركبة* أحب إلي من أعمل ههنا خطيئة واحدة.

رباع حلفائهم: لآل عتبة بن فرقد السلمي: دارهم وربعهم التي عند المروة، وهو شق المروة السوداء دار الحرشي المنقوشة، وزقاق آل أبي ميسرة يقال لها: دار ابن فرقد. رباع بني عبد شمس بن عبد مناف: لآل حرب بن أمية بن عبد شمس: دار أبي سفيان بن حرب، التي بين الدارين يقال لها: دار ريطة ابنة أبي العباس، وهي الدار التي قال النبي صلى الله عليه وسلم، يوم الفتح: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. حدث سليمان بن المغيرة، عن ثابت قال: أتى عمر رضي الله عنه على أبي سفيان رضي الله عنه وهو يبني بناء له قد أضر بالطريق فقال: يا أبا سفيان انزع بناءك هذا، فإنه قد أضر بالطريق، فقال: نعم وكرامة يا أمير المؤمنين، فقال أما والله لقد كنت أبيا. وعن المغيرة، عن إبراهيم قال: خرج عمر رضي الله عنه ومعه أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه فمر بلبن في الطريق فأمر أبا سفيان أن ينحيه فجعل ينحيه، فقال عمر رضي الله عنه: الحمد لله الذي أدركت زمانا أمر عمر فيه أبا سفيان فأطاعه. قال النضر بن سهيل، سمعت محمد بن عمرو بن علقمة يقول: كان الناس لدرة عمر رضي الله عنه أهيب منكم لسوطكم وسيفكم. قال محمد بن يحيى، حدثني غسان بن عبد الحميد: أن عيينة بن حصن قدم على عمر رضي الله عنه فكلمه في دين عليه، فلم يرد عليه شيئا، فلما كان بعد كسر بعير من الصدقة فنحره عمر رضي الله عنه وجعله طعاما للمسلمين، وقسم جلده قطعا، وبعث إلى عيينة بقطعة من جلده، وقال: اخصف بها فإنه ليس لك في فيء المسلمين حق، قال: ثم إن عثمان رضي الله عنه تزوج بنت عيينة، فقدم عليه فطلب إليه حوائج، فقال: ما لك عندي إلا ما كان لك عند عمر رضي الله عنه، فقال: رحم الله عمر وأثابه الله على ذلك، إن كان ليعطينا حتى يغنينا ويخشينا حتى يتقينا.

----

* (بركبة) ركبه كسمعه ركوبا ومركبا علاه كارتكبه، والاسم الركبة = بالكسر - والذنب اقترفه كارتكبه.(العاكف) عكف في المكان عكفا وعكوفا: أقام فيه ولزمه. (الباد) بدا القوم بدوا: أي خرجوا إلى باديتهم مثل قتل قتلا. وفي الحديث: من بدا جفا. أي: من نزل البادية صار فيه صفاء الأعراب. وتبدى الرجل: أقام بالبادية.

مراجع: أخبار مكة للفاكهي/ أخبار مكة للأزرقي/محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ المصباح المضيء/ الأعلام للزركلي/ تاريخ المدينة المنورة لابن شبة/ الطبقات الكبرى/ الإصابية في تمييز الصحابة/ كنز العمال/

قال أبو هريرة[1] لما قدمت من البحرين قال عمر: يا عدو الله وعدو الإسلام، خنت مال الله. قلت: لست بعدو الله ولا عدو الإسلام ولكني عدو من عاداهما، ولم أخن مال الله، ولكنها أثمان خيل لي تناتجت* عندي، وسهمان لي اجتمعت. قال: فكرر ذلك علي ثلاث مرات. فكل ذلك أرد عليه. زاد في رواية: فنظروا فوجدوه كما قال، فأغرمني اثني عشر ألف درهم قال: فقمت في صلاة الغداة فقلت: اللهم، اغفر لأمير المؤمنين. فأرادني بعد ذلك على العمل فقلت: لا أعمل لك. قال: أوليس يوسف كان خيرا منك وقد سأل العمل؟ قلت: إن يوسف نبي وابن نبي وأنا ابن أميمة وإني أخاف ثلاثا واثنتين. قال: ألا تقول خمسا؟ قلت: لا، أخاف أن أقول بغير حكم، وأقضي بغير علم، وأن يضرب ظهري، ويشتم عرضي، ويؤخذ مالي.

عن السائب بن يزيد[2] قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة: لتتركن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لألحقنك بأرض دوس!* وقال لكعب:[3] لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة!.

عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال: اتهمني عمر بن الخطاب قال: إنك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تسمع منه. هل كنت معنا يوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار فلان؟ قال أبو هريرة: نعم، قد علمت لأي شيء تسألني، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ: ﴿مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ فقال عمر: حدث الآن عن النبي صلى الله عليه وسلم ما شئت. وعن الزهري قال: أراد عمر أن يكتب السنن فاستخار الله شهرا، ثم أصبح وقد عزم له فقال: ذكرت قوما كتبوا كتابا فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله.

عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أنه قدم على عمر من البحرين. قال: فلقيته في صلاة العشاء الآخرة. فسلمت عليه، فسألني عن الناس: ثم قال لي: ما جئت به. قلت: جئت بخمس مئة ألف. قال: هل تدرى ما تقول؟ قلت: جئت بخمس مئة ألف. قال: ماذا تقول؟ قلت: مئة ألف ومئة ألف ومئة ألف فعددت خمسا. فقال: إنك ناعس، فارجع إلى أهلك فنم، فإذا أصبحت فأتني. قال أبو هريرة: فغدوت إليه. فقال: ما جئت به؟ قلت: خمس مئة ألف. قال: أطيب ؟ قلت: نعم، لا أعلم إلا ذاك. فقال للناس: إنه قدم علينا مال كثير. فإن شئتم أن نعده لكم عددا، وإن شئتم أن نكيله لكم كيلا. فقال له رجل: يا أمير المؤمنين ! إني قد رأيت هؤلاء الاعاجم يدونون ديوانا يعطون الناس عليه. قال: فدون الديوان وفرض للمهاجرين الاولين في خمسة آلاف، وللانصار في أربعة آلاف، ولازواج النبي صلى الله عليه وسلم في اثنى عشر ألفا.وحين قسم عمر بن الخطاب المال الذي بعثه إليه أبو موسى، وكان ألف ألف درهم، وفضلت فضلة فاختلفوا أين توضع؟ فخطب عمر الناس، وقال: أيها الناس، قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس. فقام صعصعة بن صوحان[4]، وهو غلام شاب، وقال: يا أمير المؤمنين، إنما تشاور الناس فيما لم ينزل فيه قرآن، فأما ما نزل به القرآن فضعه مواضعه التي وضعه الله عز وجل فيها. فقال: صدقت، أنت مني وأنا منك. فقسمه بين المسلمين.

----

* (تناتجت) نتجت الفرس والناقة : ولدت وأنتجت.(دوس) أي أرض قومه وأهله وهي قبيلة من الأزد بأرض اليمن منها أبو هريرة الدوسي ودوس من فروع قبيلة زهران: في بلاد الزهران

■ (1) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق. ولد سنة 21 ق. هـ تولى ولاية البحرين في خلافة عمر، كما تولى إمارة المدينة.ثم لزم المدينة يعلم الناس الحديث النبوي، ويفتيهم، حتى وفاته سنة 59 هـ

■ (3) كعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، الذي كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر، فجالس الصحابة، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة.توفي كعب بحمص ذاهبا للغزو في أواخر خلافة عثمان سنة32 هـ

■ (2) السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود، وقيل: السائب بن يزيد بن سعيد بن عائذ بن الأسود بن عبد الله بن الحارث وهو المعروف بابن أخت نمر، يكنى أبا يزيد، قيل: إنه كناني ليثي، قيل: أزدي، وقيل: كندي. وقيل: إنه هذلي، وهو حليف أمية بن عبد شمس. ولد سنة 2 هـ، وكان عاملا لعمر بن الخطاب على سوق المدينة، مع عبد الله بن عتبة بن مسعود.وتوفي سنة 80 هـ، وقيل: سنة 82 هـ وقيل: سنة 86 هـ، وقيل: سنة 91 هـ، وكان عمره 94 سنة، وقيل: 96 سنة

■ (4) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي، الكوفي، أبو طلحة، وقيل كنيته أبو عمر، قيل: ولد في دارين قرب القطيف، وكان صعصعة مسلما على عهد رسول الله، ولم يره، وصغر عن ذلك، وكان سيدا من سادات قومه عبد القيس، وكان فصيحا خطيبا، لسنا دينا فاضلا، يعد في أصحاب علي، وشهد معه حروبه، قتل أخواه يوم الجمل، فأخذ صعصعة الراية، أمره على بعض الكراديس. وله مع معاوية مواقف. ونفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوال في البحرين بأمر معاوية فمات فيها سنة56 هـ وقيل مات سنة 60 هـ يقال: وفد على معاوية، فخطب، فقال: إن كنت لابغض أن أراك خطيبا، قال: وأنا إن كنت لابغض أن أراك خليفة..

قال محمد بن شعيب: حدث سعيد بن عبد العزيز أن عمر بن الخطاب كان يقاسم عماله نصف ما أصابوا عند عزلهم، فقاسم خالد بن الوليد حتى إحدى نعليه. قال: وأراد مقاسمة أبي هريرة، فامتنع عليه لإمامته. قلت لسعيد: فما كان يلي؟ قال: البحرين، قلت: ولاه عمر؟ قال: نعم، قلت: فهل قاسم أبا عبيدة؟ قال: قد رد أبو عبيدة عمالته إلى بيت المال، وكان عمر أعمله على ألفي درهم في السنة، قلت: فردها كلها؟ قال: نعم. قال سعيد: ثم لم يزل العمال يقاسمون حتى كان عبد الملك، فكان يقاسمهم. قال: وكان معاوية يقاسمهم، يحاسبهم بنفسه، فقدم عليه أبو راشد[1] من الأسد، من أهل فلسطين. قال سعيد: ويذكرون أن في الأسد أمانة. فلما ذهب يحاسبه بكى أبو راشد، فقال: ما يبكيك؟! قال: ما من المحاسبة أبكي، ولكن ذكرت حساب يوم القيامة، فتركه معاوية، فلم يحاسبه.

قال علي بن نايف: أبي هريرة لم يكن أبدا محل نزاع أو شك عند الصحابة ولا من بعدهم من التابعين.أما ما ورد من أن عمر نهاه عن التحديث، وقال له: لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس، فإنه على افتراض صحة هذه الرواية ، فقد كان ذلك في ظرف معين، فعندما رأى أبو هريرة رضي الله عنه أن من الواجب عليه أن يحدث الناس بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم خروجا من إثم كتمان العلم، ألجأه ذلك إلى أن يكثر من رواية الحديث، فربما سرد في المجلس الواحد الكثير من الأحاديث، وكان عمر رضي الله عنه، يرى أن يشتغل الناس بالقرآن، وأن يقلوا الرواية عن رسول الله في غير أحاديث العمل، وأن لا يحدث الناس بأحاديث الرخص لئلا يتكلوا عليها، إلى غير ذلك من الأمور، ومن أجل ذلك قال لأبي هريرة ما قال، لأنه كان أكثر الصحابة رواية للأحاديث، فلم يقل ذلك تكذيبا له ولا شكا في حديثه – وقد ذكر هذا التوجيه الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية –

قال ابن كثير: بعد أن أورد الخبر: وهذا محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها، وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرخص، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ، فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك.فعن معاذ بن جبل:﴿خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ نَكْتُبُ شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا مُعَاذُ؟ قُلْنَا: سَمِعْنَاهُ مِنْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: لِيَسْلَمْ هَذَا الْقُرْآنُ مِمَّا سِوَاهُ فَمَا كَتَبْنَا شَيْئًا بَعْدُ﴾ وفي جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق، قال محمد رضا: كان أبو بكر الصديق أعلم الصحابة بالقرآن لأن رسول الله قدمه إماما للصلاة بالصحابة مع قوله:﴿يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِّ﴾ وقال: ﴿لَا يَنْبَغِي لِقَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ﴾ ولما رأى كثرة من قتل من كبار الصحابة باليمامة أمر بجمع القرآن من أفواه الرجال وجريد النخل والجلود وترك ذلك المكتوب عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم*. جاء في صحيح البخاري عن زيد بن ثابت قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر . فقال: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني لأخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه وإني لأرى أن يجمع القرآن. قال أبو بكر: فقلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمر. قال زيد: وعمر عنده جالس لا يتكلم. فقال أبو بكر: إنك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فأجمعه. فوالله لو كلفني نقل جبل ما كان أثقل علي مما كلفني به من جمع القرآن. فقلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو بكر: هو والله خير. فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح صدر أبي بكر وعمر. فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إلى آخرها . فكانت الصحف التي فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها.

كان أبو هريرة رضي الله عنه حسن المعشر، طيب النفس، صافي السريرة، كان يحب الفكاهة والمزاح ومع هذا كان يعطي كل شيء حقه، فقد نظر إلى الدنيا بعين الراحل عنها، فلم تدفعه الإمارة إلى الكبرياء، بل أظهرت تواضعه، وحسن خلقه، فربما استخلفه مروان[2] على المدينة، فيركب حماراً قد شدَّ عليه بَرْذعه وفي رأسه خلبة* من ليف، يسير فيلقى الرجل، فيقول: الطريق قد جاء الأمير. ويمر أبو هريرة في السوق، يحمل الحطب على ظهره –وهو يومئذ أمير لمروان– فيقول لثعلبة بن أبي مالك القرظي:[3] أوسع الطريق للأمير يا ابن مالك، فيقول: يرحمك الله يكفي هذا!! فيقول أبو هريرة: أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه. وكان يحب إدخال السرور إلى نفوس الأطفال، فقد يراهم يلعبون بالليل لعبة الإعراب، فلا يشعرون به حتى يلقي نفسه بينهم ويضرب برجليه كأنه مجنون فيفزع الصبيان منه ويفرون، هاهنا وهاهنا يتضاحكون. قال أبو رافع: وربما دعاني أبو هريرة إلى عشائه في الليل، فيقول: دع العُراق* للأمير –يعني قطع اللحم– فأنظر فإذا هو ثريد بزيت.

حدث أبو الزعيزعة، كاتب مروان، قال: بعث مروان إلى أبي هريرة بمئة دينار. فلما كان الغد أرسل إليه فقال: إنه ليس إليك بعثت، وإنما غلطت. فقال: ما عندي منها شيء، وإذا خرج عطائي فاقبضوها. قال: وإنما أراد مروان أن يعلم أينفقها أم يحبسها. كان أبو هريرة يسب مروان، فإذا أعطاه سكت. قال أبو هريرة: ما من أحد من الناس يهدي إلي بهدية إلا قبلتها، فأما المسألة فإني لم أكن أسأل. قال أبو هريرة: درهم يكون من هذا وكأنه يمسح العرق عن جبينه أتصدق به، أحب إلي من مئة ألف ومئة ألف ومئة ألف من مال فلان. عن أبي المتوكل أن أبا هريرة رضي الله عنه كانت له زنجية قد غمتهم بعملها، فرفع عليها السوط يوما فقال: لولا القصاص لأغشيتك به، ولكني سأبيعك ممن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنت لله.

----

*جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد – رواه البخاري. (الخلبة) حبل دقيق صعب الفتل. (العراق) واحده عرق والعرق هو العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم.

■ (3) ثعلبة بن أبي مالك القرظي حليف الأنصار أبو مالك ويقال أبو يحيى إمام مسجد بني قريظة له رؤية من النبي. ولد على عهده واسم أبي مالك عبد الله يكنى أبا يحيى من كندة وقدم أبوه أبو مالك من اليمن على دين اليهود ونزل في بني قريظة فنسب إليهم ولم يكن منهم فأسلم.

■ (2) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ . قيل نظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك.

■ (1) عبد الرحمن بن عبد وقيل بن عبيد وقيل بن أبي عبد الله الأزدي أبو راشد مشهور بكنيته له صحبة وكان عاملا على جند فلسطين وكان اسمه عبد العزي وكنيته أبو مغوية فغير النبي اسمه وكنيته، نزل الأردن يقال إنه نزل داريا، قيل: أبو راشد من ولد رحب بن خولان، وليس بداريا رحبي غيره وولده ومن ولده جماعة بداريا

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ صفة الصفوة/ البداية والنهاية/ الاستيعاب/ أنساب الأشراف/ شبهات الرافضة حول الصحابة رضي الله عنهم وردها/ المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام/ أسد الغابة/ أبو بكر الصديق رضي الله عنه/ إتحاف الخيرة المهرة/ الإصابة في تمييز الصحابة/

عن الزهري[1] وغيره أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: لو كلمنا عمر فزاد في أرزاقه ما يتهيأ به للوفود وملوك الأعاجم، فقد كثرت الفتوح، ثم خافوا أن يتلقوه بذلك، فأتوا حفصة[2] فذكروا لها ذلك. وقالوا: كلميه فإنه منك أسمع، فكلمته، فقال: لو عرفت الذين أشاروا بهذا لسودت وجوههم، أخبريني ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من اللباس؟ قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفود. قال: فأي طعام ناله عندك أرفع؟ قالت: خبزة صببنا عليها أسفل عكة* فأكل منها وتلمظ استطابة لها. قال: فأي بساط بسطه عندك أوطأ؟ قالت: كساء لنا، وأتيناه يوما بطعام على مائدة مرتفعة عن الأرض فقال:﴿أَنَا عَبْدُ اللهِ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ﴾ قال عمر: فأخبريني عن ثلاثة اصطحبوا فمشى سيدهم أمامهم ولحقه الثاني متبعا أثره، هل يبلغهما الثالث إن خالف طريقهما؟ فاعلميهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبلغ بالتجزئة وقدم الفصول فوضعها مواضعها، والله لأتبعن أثره إن شاء الله. في رواية: عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبى إلا شدة وحصرا على نفسه، فجاء الله بالسعة، فأتى المسلمون فدخلوا على حفصة فقالوا لها: أبى عمر إلا شدة، وحصرا على نفسه، وقد بسط الله في الرزق، فليبسط في هذا الفيء أو ما شاء منه، فهو في حل من جماعة المسلمين، فكأنما قاربتهم في هواهم، فلما انصرفوا من عندها دخل عليها عمر فأخبرته بقول القوم فقال عمر: يا حفصة بنت عمر نصحت قومك وغششت أباك، إنما حق أهلي علي في نفسي ومالي، فأما في ديني وأمانتي فلا.

في رواية: دخلت عليه مرة حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها وقد رأت ما هو فيه من شدة العيش والزهد الظاهر عليه فقالت: إن الله أكثر من الخير، وأوسع عليك من الرزق، فلو أكلت طعاما أطيب من ذلك، ولبست ثيابا ألين من ثوبك؟ قال: سأخاصمك إلى نفسك*،فذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان يلقى من شدة العيش، فلم يزل يذكرها ما كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت معه حتى أبكاها، ثم قال: إنه كان لي صاحبان سلكا طريقا، فإن سلكت الشديد، لعلي أن أدرك معهما عيشهما الرخي. وعن سلام بن مسكين قال، سمعت الحسن البصري يقول: أتى عمر رضي الله عنه مال كثير، فجاءت حفصة بنته وأم المؤمنين فقالت: يا أمير المؤمنين حق أقربتك في هذا المال، وقد أوصى الله عز وجل بالاقربين، فقال: أي بنية، إنما حق أقربائي في مالي، فأما هذا ففيء المسلمين، غششت أباك ونصحت لاقربتك، قومي. قال الحسن: فقامت والله تجر ذيلها. وفي رواية عن الحسن البصري أن ناسا كلموا حفصة فقالوا لها: لو كلمت أباك في أن يلين من عيشه، فجاءته فقالت: يا أبتاه، أو يا أمير المؤمنين، إن ناسا من قومك، كلموني في أن أكلمك في أن تلين من عيشك، فقال لها:يا بنية غششت أباك ونصحت لقومك.

----

*(سأخصمك إلى نفسك) أي سأجعلك حكما على نفسك (العكة) وعاء مستدير من الجلد، يحفظ فيه السمن والعسل

■ (2) أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، سنة 2 هـ، وكانت ولادتها قبل البعثة بخمس سنوات، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنها كثيرون منهم أخوها عبد الله، ماتت سنة 45 هـ في زمن معاوية.

■ (1) محمد بن شهاب الزهري وهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث. كنيته أبو بكر وكان من علماء التابعين وفقهائهم أدرك جماعة من الصحابة ولد سنة 51 هـ وقيل سنة 58 هـ ومات سنة 124 هـ

☪

لقد بسطت الدنيا بين يدي عمر رضي الله عنه وتحت قدميه، وفتحت بلاد الدنيا في عهده، وأقبلت إليه الدنيا راغمة، فما طرف لها بعين، ولا اهتز لها قلبه، بل كان كل سعادته، في إعزاز دين الله، وخضد شوكة المشركين، فكان الزهد صفة بارزة في شخصية الفاروق، يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: والله ما كان عمر بن الخطاب بأقدامنا هجرة، وقد عرفت بأي شيء فضلنا، كان أزهدنا في الدنيا. وقد قال عمر رضي الله عنه: نظرت في هذا الأمر، فجعلت إن أردت الدنيا أضر بالآخرة، وإن أردت الآخرة أضر بالدنيا، فإذا كان الأمر هكذا، فأضر بالفانية. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ، أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتِهِ، أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى﴾ وقد خطب رضي الله عنه الناس، وهو خليفة، وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة، وطاف ببيت الله الحرام وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة، إحداهن بأدم أحمر، وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: نظرت في قميص عمر رضي الله عنه فإذا بين كتفيه أربع رقاع لا يشبه بعضها بعضا.وعن زيد بن وهب قال: رأيت عمر بن الخطاب خرج إلى السوق، وبيده الدرة، وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم وعن أبي عثمان النهدي، قال: رأيت عمر قد رقع إزاره بقطعة من أدم. وأبطأ على الناس يوم الجمعة، ثم خرج فاعتذر إليهم في احتباسه، وقال: إنما حبسني غسل ثوبي هذا، كان يغسل، ولم يكن لي ثوب غيره. وعن سالم بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب كان يقول: والله ما نعبأ بلذات العيش أن نأمر بصغار المعزى أن تسمط*لنا، ونأمر بلباب* الخبز فيخبز لنا، ونأمر بالزبيب فينبذ لنا في الأسعان* حتى إذا صار مثل عين اليعقوب*، أكلنا هذا وشربنا هذا، ولكنا نريد أن نستبقي طيباتنا، لأنا سمعنا الله يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف] وعن أبي عمران الجوني قال: قال عمر بن الخطاب لنحن أعلم بلين الطعام من كثير من آكليه، ولكنا ندعه ليوم ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج] وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاجا من المدينة إلى مكة، إلى أن رجعنا، فما ضرب له فسطاطا*، ولا خباء، كان يلقى الكساء والنطع* ،على الشجرة فيستظل تحته، هذا هو أمير المؤمنين الذي يسوس رعية من المشرق والمغرب يجلس على التراب وتحته رداء كأنه أدنى الرعية، أو من عامة الناس، وعن أبي الأشهب قال: مر عمر رضي الله عنه على مزبلة فاحتبس عندها، فكأن أصحابه تأذوا بها، فقال: هذه دنياكم التي تحرصون عليها، وتبكون عليها. وعن عمر: أنه قال اللهم، اغفر لي ظلمي وكفري، قال قائل: يا أمير المؤمنين، هذا الظلم فما بال الكفر؟! قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم] وعن ابن شهاب الزهري أن عمر رضي الله عنه قال، وهو على المنبر، يا أيها الناس، إن الرأي إنما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبا، أن الله كان يريه، وإنما هو منا الظن والتكلف، وروي عنه أنه قال: هذا رأي عمر فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمن عمر.

☪

بعث أبو موسى من العراق إلى عمر بن الخطاب بحلية فوضعت بين يديه، وفي حجره أسماء بنت زيد بن الخطاب وكانت أحب إليه من نفسه، لما قتل أبوها باليمامة عطف عليهم فأخذت من الحلية خاتما، فوضعته في يدها، وأقبل عليها يقبلها، ويلتزمها. فلما غفلت أخذ الخاتم من يدها، فرمى به في الحلية وقال: خذوها عني. قدم مل الروم على عمر بن الخطاب، فاستقرضت امرأة عمر بن الخطاب دينارا فاشترت به عطرا، وجعلته في قوارير، وبعثت به مع البريد إلى امرأة ملك الروم. فلما أتاها فرغتهن وملأتهن جواهر، وقالت: اذهب به إلى امرأة عمر بن الخطاب. فلما أتاها فرغتهن على البساط، فدخل عمر بن الخطاب فقال: ما هذا؟ فأخبرته الخبر، فأخذ عمر الجوهر فباعه، ودفع إلى امرأته دينارا، وجعل ما بقي من ذلك في بيت مال المسلمين. وعن ابن عمر قال: أهدى أبو موسى الأشعري لا مرأة عمر عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل طنفسة، أراها تكون ذراعا وشبرا، فدخل عليها عمر فرآها فقال: أنى لك هذه؟ فقالت: نعم أهداها إلي أبو موسى الأشعري، فقال: أحضروه، وأتعبوه، قال: فأتي به قد أتعب وهو يقول: لا تعجل علي يا أمير المؤمنين، فقال: ما يحملك على أن تهدي لنسائي؟ ثم أخذها فضرب بها فوق رأسه وقال: خذها، فلا حاجة لنا فيها.

عن يحيى بن سعيد قال اشترت امرأة عمر بن الخطاب لعمر فرق* سمن بستين درهما، فقال عمر: ما هذا؟ فقالت امرأته: هو من مالي ليس من نفقتك، فقال عمر: ما أنا بذائقه حتى يحيا الناس.

☪

كانت امرأة عمر كما سلف، يأتيها دقيق، كان عمر يوزع الدقيق في كل صباح، لكل بيت وجبة من الدقيق للبيوت، فكانت امرأة عمر تأخذ قليلا من الدقيق وتحجزه من حصتها، وهي ليست مخطئة وعادلة، فجمعته وجمعته، ولما جمعته أتت بجارية من جواري المدينة ، وقالت: اذهبي إلى عمر في بيت المال، ولا تخبريه أن الدقيق من عندي، وقولي له: يعطيك بدل هذا الدقيق حلوى -تريد أن تأكل حلوى هي- فذهبت الجارية بالدقيق في كيس، جمعته من أشهر، فطرقت الباب على أمير المؤمنين وهو جالس، قال: من أين هذا؟ قالت: من المدينة. قال: جارية من أنت؟ قالت: من آل فلان. قال: من أرسلك بالدقيق؟ قالت: امرأة. قال: أفي الناس من يخزن دقيقا، والناس يموتون جوعا؟ -عام الرمادة- قالت: يا أمير المؤمنين امرأة. قال: من هذه المرأة؟ قالت: اعفني. قال: لا أعفيك. قالت: عاتكة بنت زيد امرأتك فأعاده إلى بيت المال، ونقص من حصتها دائما بمقدار ما نقصتها. وحافظ إبراهيم يقول: لما اشتهت زوجه الحلوى فقال لها من أين لي ثمن الحلوى فأشريها قل للملوك تنحوا عن مناصبكم فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها. أي: يأخذها في ساعة، ويعطيها في ساعة، هذا هو الذي فتح الدنيا، ومع ذلك هكذا نفقته رضي الله عنه وأرضاه.

قال الشيخ صالح بن حميد: أخرج البخاري وغيره عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ فَلاَ يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثَالِثَةٍ وَفِي بَيْتِهِ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ فلما كان العام المقبل قالوا: يا رسول الله! أنفعل كما فعلنا في العام الماضي؟ قال:﴿كُلُوا وَأَطْعِمُوا وَادَّخِرُوا فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَامَ كَانَ بِالنَّاسِ جَهْدٌ -مشقة ومجاعة- فَأَرَدْتُ أَنْ تُعِينُوا فِيهَا﴾ وفي بعض الروايات: ﴿إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ* الَّتِي دَفَّتْ* فَكُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَادَّخِرُوا﴾ أي أن دافة دفت قوما من البادية على المدينة وكانوا في مجاعة وفي جهد، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعينوهم بلحوم الأضاحي ولا يدخروا، وهم قوم محتاجون قدموا من خارج المدينة فأراد النبي صلى الله عليه وسلم مواساتهم. ولئن ظن كثير من الفقهاء رحمهم الله أن هذه الإباحة نسخ للنهي المتقدم، أي حينما قال لهم: ﴿مَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ فَلاَ يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثَالِثَةٍ﴾ فنهاهم ثم أباح لهم، ولئن ظن كثير من الفقهاء رحمهم الله أن هذه الإباحة نسخ للمتقدم فليس الأمر كما ظنوا على التحقيق، وإنما كما قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: بل هو حكم ارتفع لارتفاع علته، فالمنسوخ لا يعود أبدا، والمرفوع بعلة يعود بعود العلة، فلو قدم على أهل بلدة أناس محتاجون في زمان الأضاحي ولم يكن عند أهل ذاك البلد سعة يسدون بها فاقتهم إلا الضحايا، لتعين عليهم ألا يدخروها فوق ثلاثة أيام كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم. وقد وقع مثل ذلك في عهد علي رضي الله عنه، فقد صلى بالناس في يوم عيد، ثم خطبهم، فنهاهم عن ادخار فوق ثلاث تأسيا بنهي النبي صلى الله عليه وسلم، بل قال الحافظ ابن حجر في الفتح: والتقييد بالثلاث واقعة حال وإلا فلو فلم تسد الخلة إلا بتفرقة الجميع لزم على هذا التقدير عدم الإمساك ولو ليلة واحدة. ولعلك بهذا تدرك أن النهي كان من مقتضيات السياسة الشرعية في تقييد المباح، وهي تصرفات من الإمام بوصف الإمامة نظرا لما يجب لأخوة الإسلام وما يقتضيه من ظرف.

----

*(السمط) سمط الجدي: سمطه: نتف صوفه بالماء الحار.(اللباب) الخالص من كل شيء.(الأسعان) جمع سعن، والسعن: قربة تقطع من نصفها وينتبذ فيها. (اليعقوب) الحجل.(الفسطاط) بيت من شعر.(النطع) بساط من الأديم(الفرق) ويحرك: مكيال بالمدينة يسع ثلاثة آصع أو يسع ستة عشر رطلا وهما واحد (الدافة) الجماعة (دف) أسرع والمراد جاءوا مسرعين لضر نزل بهم

مراجع:موسوعة الأعلام/ مختصر تاريخ دمشق/ الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة/ عمر بن الخطاب/ الإصابة في تمييز الصحابة/ مشاهير علماء الأمصار/ تاريخ المدينة/ الروض المعطار في خبر الأقطار/ الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي/ أسد الغابة/ تاج العروس/ تاريخ المدينة/ أنساب الأشراف/ دروس صالح بن حميد/

عن الربيع بن زياد[1] قال:قدمت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وفد من العراق، فأمر لكل رجل منا بعباء* عباء، فأرسلت إليه حفصة[2] رضي الله عنها فقالت: يا أمير المؤمنين، أتاك ألباب* العراق، ووجوه الناس، فأحسن كرامتهم، فقال: ما أزيدهم على العباء، يا حفصة أخبريني بألين فراش فرشت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأطيب طعام أكل عندك، فقالت: كان لنا كساء، من هذه الملبدة*، أصبناه يوم خيبر، فكنت أفرشه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل ليلة وينام عليه، وإني ربعته ذات ليلة، فلما أصبح قال: ياحفصة أعيديه لمرته الأولى، فإنه منعتني وطأته البارحة* من الصلاة ، قال: وكان لي صاع* من سلت* -يعني: من حنطة رديئة- وإني نخلته ذات يوم، وطحنته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لنا قعب* من سمن فصببت عليه، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل إذ دخل أبو الدرداء[3]، فقال: إني أرى سمنكم قليلا، وعندنا قعب من سمن. فأرسل إليه أبو الدرداء، فصب عليه، فأكلا، فقالت حفصة: فهذا ألين فراش فرشته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أطيب طعام أكله. فأرسل عمر عينيه بالبكاء، وقال: والله لا أزيدهم على العباء شيئا، وهذا طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا فراشه.

وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: لما ولي عمر رضي الله عنه قعد على رزق أبي بكر[4] رضي الله عنه الذي كانوا فرضوا له، كان بذلك فاشتدت حاجته، فاجتمع نفر من المهاجرين فيهم عثمان[5]، وعلي[6]، وطلحة[7]، والزبير[8] رضي الله عنهم فقالوا: لو قلنا لعمر في زيادة نزيدها إياه في رزقه. فقال علي: وددنا أنه فعل ذلك، فانطلقوا بنا، فقال عثمان: إنه عمر فهلموا فنسبر* ما عنده من وراء وراء، نأتي حفصة فنكلمها ونستكتمها أسماءنا. فدخلوا عليها وسألوها أن تخبر بالخبر عن نفر، ولا تسمى أحدا إلا أن يقبل، وخرجوا من عندها، فلقيت عمر رضي الله عنه في ذلك، فعرفت الغضب في وجهه، فقال: من هؤلاء؟، قالت: لا سبيل إلى علمهم حتى أعلم ما رأيك؟، فقال: لو علمت من هم لسودت وجوههم، أنت بيني وبينهم، أناشدك بالله ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس؟، قالت: ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد ويخطب فيهما للجمع. قال: فأي طعام ناله عندك أرفع؟ قالت: خبزنا خبزة شعير فصببنا عليها وهي حارة أسفل عكة لنا، فجعلناها هشة دسماء حلوة، فأكل منها، وتطعم منها استطابة لها. قال: فأي مبسط عندك كان أوطأ؟، قالت: كساء لنا ثخين كنا نربعه في الصيف فنجعله ثخينا، فإذا كان الشتاء ابتسطنا نصفه، وتدثرنا نصفه. قال: يا حفصة، فأبلغيهم عني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر فوضع الفضول مواضعها، وتبلغ بالتزجية*، وإنما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة نفر سلكوا طريقا فمضى الأول، وقد تزود زادا فبلغ، ثم تبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه، ثم تبعهما الثالث فإن لزم طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما، وكان معهما، وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما أبدا.

وعن محمد بن قيس قال: دخل ناس على حفصة بنت عمر رضي الله عنهما فقالوا: إن أمير المؤمنين قد بدا علباء* رقبته من الهزال، فلو كلمته أن يأكل طعاما هو ألين من طعامه، ويلبس ثيابا ألين من ثيابه، فقد رأينا إزاره مرقعا برقع غير ثوبه، ويتخذ فراشا ألين من فراشه، فقد أوسع الله على المسلمين فيكون ذلك أقوى على أمرهم، فبعثوا إليه حفصة فذكرت ذلك له، فقال: أخبريني بألين فراش فرشته قط لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: عباه كنا نثنيها له باثنين، فلما غلظت عليه جعلتها له بأربعة، قال: فأخبريني بأجود ثوب لبسه؟، قالت: نمرة* صبغناها له، فرآها إنسان، فقال: أكسنيها يا رسول الله فأعطاه إياه، فقال: ايتوني بمقناع* من تمر، فأمرهم فنزعوا نواه، ثم قال: انزعوا تفاريقه، ففعلوا ثم أكله كله، فقال: تروني لا أشتهي الطعام إني لآكل السمن، وعندي اللحم، وآكل الزيت وعندي السمن، وآكل الملح وعندي الزيت، وآكل البحث* وعندي الملح، ولكن صاحباي سلكا طريقا فأخاف أن أخالفهما فيخالف بي.

قال سفيان: كان عمر رضي الله عنه يشتهي الشيء لعله يكون ثمن درهم فيؤخره سنة.

----

*(السبر) امتحان غور الجرح وغيره (التزجية) دفع الشيء كما تزجي البقرة ولدها، أي: تسوقه (العلباء) عصب العنق، وهما علباوان يمينا وشمالا بينهما منبت العنق (النمرة) الحبرة، وشملة فيها خطوط بيض وسود، أو بردة من صوف تلبسها الأعراب (القنع) والقناع: الطبق الذي يؤكل عليه الطعام (البحث) كل ما أكل وحده، مما يؤدم (ألباب) لب كل شيء، ولبابه: خالصه، وخياره (القعب) القدح الضخم، الغليظ، الجافي (القعب) قدح وإناء يروي رجلا واحدا (العباء) العباءة والعباء والعباية ضرب من الأكسية والجمع أعبئة (الملبد) المرقع، وقيل الملبد الذي ثخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبدة (البارحة) أقرب ليلة مضت (الصاع) مكيال المدينة تقدر به الحبوب وسعته أربعة أمداد، والمد هو ما يملأ الكفين (السلت) ضرب من الشعير أبيض لا قشر له، وقيل هو نوع من الحنطة (سأخصمك إلى نفسك) أي سأجعلك حكما على نفسك

■ (2) أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، سنة 2 هـ، وكانت ولادتها قبل البعثة بخمس سنوات، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنها كثيرون منهم أخوها عبد الله، ماتت سنة 45 هـ في زمن معاوية.

■ (3) أبو الدرداء عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي. وقيل اسمه عامر، ولقبه عويمر. ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب وهو أول قاض بها وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبي، والراجح أنه مات في خلافة عثمان بالشام سنة 32 هـ

■ (1) الربيع بن زياد بن أنس بن الديان الحارثي، له صحبة. استخلفه أبو موسى على قتال مناذر سنة 17 فافتتحها عنوة وقتل وسبى وقتل بها أخوه المهاجر بن زياد.قيل لما أتاه مقتل حجر بن عدي قال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه. فلم يبرح من مجلسه حتى مات سنة 53هـ

■ (6) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى وزوج ابنته.يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن 7 سنين، ويقال 9، ويقال 10، ويقال 15، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد سنة 23 ق هـ، و مات سنة 40 هـ.

■ (4) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

■ (5) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (7) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

■ (8) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي.أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حورايِ رسول الله. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر. أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ

☪

في مسند الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال: ﴿قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يُؤَمَّرُ بَعْدَكَ؟ قَالَ: إِنْ تُؤَمِّرُوا أَبَا بَكْرٍ تَجِدُوهُ أَمِيناً زَاهِداً فِي الدُّنْيَا رَاغِباً فِي الآخِرَةِ، وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عُمَرَ تَجِدُوهُ قَوِيًّا أَمِيناً زَاهِداً فِي الدُّنْيَا رَاغِباً فِي الآخِرَةِ، وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عثمان تَجِدُوهُ قَوِيًّا أَمِيناً لاَ يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عَلِيًّا وَلاَ أُرَاكُمْ فَاعِلِينَ تَجِدُوهُ هَادِياً مَهْدِيًّا يَأْخُذُ بِكُمُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وعن نافع قال: سمعت ابن عمر يقول: والله ما شمل النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، ولا خارج بيته ثلاثة أثواب، ولا شمل أبو بكر في بيته ثلاثة أثواب، غير أني كنت أرى كساهم إذا أحرموا كان لكل واحد منهم مئزر مشتمل، لعلها كلها بثمن درع أحدكم، والله لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه، ورأيت أبا بكر تخلل بالعباء، ورأيت عمر يرقع جبته برقاع من أدم، وهو أمير المؤمنين، وإني أعرف في وقتي من يجيز بالمئة ولو شئت قلت: ألفا. وعن مجاهد بن جبر قال: قال عمر رضي الله عنه: وجدنا خير عيشنا الصبر.وعن محمد بن سعد يرفعه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لقد رأيتني ومالي من أكال– أي: طعاما-يأكله الناس إلا أن لي خالات من بني مخروم كنت استعذب لهن الماء فيقبضن لي القبضات من الزبيب. ثم نزل، فقيل له: ما أردت إلى هذا يا أمير المؤمنين؟، قال: إني وجدت من نفسي شيئا فأردت أن أطأطئ منها.

يقول ابن الجوزي: -عن عمر رضي الله عنه- نبذ الدنيا من وراء ظهره، فتخفف من الأثقال لأجل السباق، كان يخطب وفي إزاره ثنتا عشرة رقعة، كف كفه عن المال زاهدا فيه، حتى أملق أهله. رأى يوما صبية تمشي في السوق، والريح تلقيها لضعفها، فقال: من يعرف هذه؟، فقال ابنه عبد الله: هذه إحدى بناتك، قال: أي بناتي؟، قال: بنت عبد الله بن عمر، قال:فما بلغ بها ما أرى؟، قال: إمساكك ما عندك، قال: إمساكي ما عندي يمنعك أن تطلب لبناتك ما يطلب الناس، أما والله ما لك عندي إلا سهمك مع المسلمين وسعك أو عجز عنك، بيني وبينكم كتاب الله. وقد أنشد فيه: عف عن الدنيا وقد تزخرفت..ممكنة وعافها وقد قدر..محكم في الناس يقضي بينهم..بمحكم الآي ومنصوص السور..حدثت عنه مثل ما تحدثت عن..كرم الأغصان حلواء الثمر. وعن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال: أقبلت فإذا الناس بين أيديهم القصاع*، فدعاني عمر رضي الله عنه فأتيته فدعا بخبز غليظ، وزيت، فقلت له: أمنعتني أن آكل الخبز واللحم، ودعوتني على هذا؟، قال: إنما دعوتك على طعامي، فأما هذا فطعام المسلمين. وعن الأحوص بن حكيم العنسي، أو الهمداني، عن أبيه حكيم بن عمير الحمصي قال: أتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلحم فيه سمن، فأبى أن يأكلها، وقال: كل واحد منهما أدم.

وعن الحسن البصري قال: ما ادهن عمر رضي الله عنه حتى قتل إلا بسمن أو إهالة* وزيت، يريد أنه لم يدهن بطيب، وعن حبيب بن أبي ثابت الأسدي عن عمر رضي الله عنه قال: قدم علينا ناس من أهل العراق منهم جرير بن عبد الله البجلي، قال: فأتاهم بجفنة* قد صنعت بخبز وزيت، فأخذوا أخذا ضعيفا، فقال لهم: قد أرى ما تقرمون*، فأي شيء تريدون؟، أحلوا أو حامضا أو باردا، ثم قذفا في البطون.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري قال: قدم على عمر رضي الله عنه ناس من قراء العراق، فرأى كأنهم يأكلون تعذيرا، فقال: ما هذا يا أهل العراق؟ ولو شئت أن ندهمق* لكم لفعلت، ولكنا نستقبي من دنيانا ما نجده لآخرتنا أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف] الآية. وعن سالم بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب كان يقول: والله ما نعبأ بلذات العيش أن نأمر بصغار المعزى أن تسمط* لنا، ونأمر بلبابه* الخبر فيخبز لنا، ونأمر بالزبيب فينبذ لنا في الأسعان* حتى إذا صار مثل عين اليعقوب* أكلنا هذا وشربنا هذا، ولكنا نريد أن نستبقي طيباتنا؛ لأنا سمعنا الله يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف] الآية. وعن الحسن البصري رحمه الله أن عمر رضوان الله عليه قال: والله إني لو شئت كنت أليّنكم طعاما وأرقكم عيشا، إني والله ما أجهل عن كراكر وأسنمة*، وعن صلاء*، وصناب*، وصلائق*، ولكني سمعت الله عير قوما بأمر فعلوه فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف] الآية.

وعن الأحنف بن قيس، قال: خرجنا مع أبي موسى الأشعري وفودا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان لعمر ثلاث خبزات يأدمهن يوما بلبن وسمن، ويوما بلحم، ويوما بزيت، فجعل القوم يعذرون، فقال عمر: والله إني لأرى تعذيركم وإني لأعلمكم بالعيش، ولو شئت لجعلت كراكر، وأسنمة وصلاء، وصناب، وصلائق، ولكني أستبقي حسناتي، إن الله عزوجل ذكر قوما فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف] الآية.

وعن أنس ابن مالك قال: كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليه قميص فيه أربع رقاع، فقرأ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس]، ثم قال: ما الأب؟*، ثم قال: إن هذا لهو التكلف، وما عليك أن لا تدري ما الأب.

----

*(القصعة) الصحفة(المرجل) القدر من الحجارة والنحاس (الإهالة) للشحم، أو ما أذيب منه أو الزيت وكل ما ائتدم به (الجفنة) القصعة (القرم) الأكل ما كان، وقال ابن السكيت: قرم يقرم قرما: إذا أكل أكلا ضعيفا (دهمق الطعام) طيبه ورققه ولينه (تسمط) سمط الجدي، يسمطه، ويسمطه: نتف صوفه بالماء الحار (اللباب) الخالص من كل شيء (الأسعان) جمع سعن، والسعن: قربة تقطع من نصفها وينتبذ فيها، وقد يستقى بها (اليعقوب) الحجل (ما أجهل عن كراكر وأسنمة) يريد إحضارها للأكل، فإنها من أطايب ما يؤكل من الإبل. وكراكر: واحدتها: كركرة: الصدر من ذي خف. (الصلاء) بالمد والكسر : الشواء (الصناب) الخردل المعمول بالزيت، وهو صباغ يؤتدم به (الصلائق) الرقاق، واحدتها: صليقة. وقيل: هي الحملان المشوية (الأب) الكلأ

مراجع: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني/ الأعلام للزركلي/

روى أبو وائل[1] أن عمر بن الخطاب استعمله على صدقات هوازن، فتخلف عنها ولم يخرج، فلقيه فقال: ما خلفك، أما ترى أن عليك سمعا وطاعة؟ قال: بلى، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا، أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفَ عَلَى جَسْرِ جَهَنَّمَ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَجَا، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْخَرَقَ بِهِ الْجِسْرُ، فَهَوَى فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا﴾ قال: فخرج عمر كئيبا حزينا، فلقيه أبو ذر[2]، فقال: ما لي أراك كئيبا حزينا؟ قال: ما يمنعني أن أكون كئيبا حزينا، وقد سمعت بشر بن عاصم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من ولي من أمور المسلمين شيئا. وذكر الحديث، فقال أبو ذر: وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: من يأخذها مني بما فيها؟ فقال أبو ذر: من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض؛ شقت عليك يا عمر؟ قال: نعم. وعن محمد الراسبي، عن بشر بن عاصم، قال: كتب عمر بن الخطاب عهده، فقال: لا حاجة لي فيه إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ الْوُلاَةَ يُجَاءُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقِفُونَ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَمَنْ كَانَ مِطْوَاعًا لِلَّهِ تَنَاوَلَهُ اللَّهُ بِيَمِينِهِ حَتَّى يُنَجِّيَهُ وَمَنْ عَصَى اللَّهَ انْخَرَقَ بِهِ الْجِسْرُ إِلَى وَادٍ مِنْ نَارٍ يَلْتَهِبُ الْتِهَابًا﴾ قال: فأرسل عمر إلى أبي ذر وإلى سلمان[3]، فقال لأبي ذر: أنت سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم والله وبعد الوادي واد آخر من نار، قال: وسأل سلمان فكره أن يخبر بشيء، فقال عمر: من يأخذها بما فيها، فقال أبو ذر: من سلت الله أنفه وعينيه وأضرع خده إلى الأرض.

عن أبي وائل: أن عمر بن الخطاب بعث بشر بن عاصم المخزومي على الصدقات، فتخلف فخرج عمر رضي الله عنه بالمكيال والميزان ومعه درته، فلقي بشر بن عاصم فقال: يا بشر ما ترى لنا عليك حق سمع ولا طاعة؟، قال: بلى يا أمير المؤمنين، قال: ما يمنعك أن تخرج إلى سمعنا وطاعتنا؟، قال: وكيف وهم يزعمون أنا نظلمهم؟، قال: ولم؟، قال: نحسب ا لسخلة* ولا نأخذها منه، قال: نعم. فاحسبها وإن جاء بها الراعي يحملها على كفه، وأعلمهم أنا نترك لهم الربا* والماخض*، والأكولة*، وفحل الغنم. قال: يا عمر، وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث: ﴿مِنْ وَلِيَ للمسلمين سُلْطَانًا أَوْقَفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَجَا﴾، قال: فانصرف عنه عمر كئيبا حزينا، فلقيه أبو ذر، فقال: يا عمر، أراك كئيبا حزينا؟، وقال: وما يمنعني وقد سمعت بشر بن عاصم يحدث بكذا وكذا، عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو ذر: أو ما سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم؟، قال: لا. قال: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ﴿مَا مِنْ وَالٍ يَلِي الْمُسْلِمِينَ سُلْطَانًا إِلاَّ وَقَفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَجَا﴾، فأي الحديثين أوجع قلبك يا عمر؟، قال: كلاهما قد أحربني، فمن يأخذها بما فيها؟، قال: من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض أما إنا لا نعلم إلا خيرا وعسى إن وليته من لا يقوم بما فيها لا تنجو من إثمها.

----

*(السخلة) تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن والمعز ساعة تولد. والجمع سخال (الربا) التي تربي في البيت من الغنم لأجل اللبن. وقيل: هي الشاة القريبة العهد بالولادة، وجمعها: رباب - بالضم - (الماخض) كل حامل ضربها الطلق (الأكولة) التي تسمن للأكل (سلت أنفه) جدعه وقطعه

■ (1) بشر بن عاصم بن سفيان الثقفي. كذا نسبه أكثر العلماء، وقد جعله بعضهم مخزوميا؛ فقال: بشر بن عاصم بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والأول أصح، وكان عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على صدقات هوازن، وقد أخرج البخاري فقال: بشر بن عاصم بن سفيان بن عبد الله بن ربيعة الثقفي، حجازي أخو عمرو، وقال: قال لي علي: مات بشر بعد الزهري، ومات الزهري سنة 124 هـ.

■ (2) أبو ذر الغفاري، وهو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار ، وهو رابع أو خامس الإسلام هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول من حيا النبي صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام . مات سنة 32 هـ في خلافة عثمان وقال غيره وقبره في الربذة.

■ (3) سلمان الفارسي، يقال: سلمان بن الإسلام ، وسلمان الخير، أبو عبد الله ولا يعرف اسم أبيه بفارس أصله من رامهر مز. وقيل من أصبهان. كان أبوه ذا رئاسة، وخرج هو يطلب الهدي فلازم بعض علماء النصارى ثم خرج إلى يثرب بإشارة بعضهم. فأسر واسترق وقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم وجاهد معه. وكان ذا رأي. وهو الذي أشار بحفر الخندق. ثم شاهد المشاهد وبعض الفتوح. ولي إمرة المدائن حتى توفي سنة 33 هـ في خلافة عثمان بن عفان بالمدائن.وقيل: توفي سنة36 هـ.

عن بشر بن عاصم عن أبيه: أن عمر رضي الله عنه أستعمل أبا سفيان بن عبد الله[1] على الطائف ومخالفيها* فخرج مصدقا* فاعتد* عليهم بالغذي* ولم يأخذ بالغذاء* منهم فقالوا له إن كنت معتدا علينا بالغذي فخذه منا فأمسك حتى لقي عمر فقال له أعلم أنهم يزعمون أنك تظلمهم تعتد عليهم بالغذي ولا تأخذه منهم فقال له عمر فاعتد عليهم بالغذي حتى بالسخلة يروح بها الراعي على يده وقل لهم لا آخذ منكم الربا ولا الماخض ولا ذات الدر ولا الشاة الأكولة ولا فحل الغنم وخذ منهم العناق والجذعة والثنية فذلك عدل بين غذي المال وخياره. والخلاصة أنهم تظلموا من عدها عليهم في نصاب الزكاة وعدم قبولها في المطلوب منهم وقالوا إن حسبتها فاقبلها فلم يقبل وقال: نعدها ولوكانت محمولة على يد الراعي ولم نقبلها فقد روى أنه شكا إليه أهل الماشية تصديق الغذاء وقالوا: إن كنت معتدا علينا بالغذاء فخذ منه صدقته فقال: أنا نعتد بالغذاء حتى السخلة يروح بها الراعي على يده. ولم يأخذ منهم الغذاء فقالوا له : إن كنت معتدا علينا بالغذي فخذ منا فأمسك حتى لقي عمر فقال له: اعلم أنهم يزعمون أنك تظلمهم أتعتد عليهم بالغذي ولا تأخذه منهم فقال له عمر: فاعتد عليهم بالغذي حتى بالسخلة يروح بها الراعي على يده وقل لهم : لا آخذ منكم الربى ولا الماخض ولا ذات الدر ولا الشاة الأكولة ولا فحل الغنم وخذ العناق والجذعة والثنية فذلك عدل بين غذي المال وخياره . وقوله فذلك عدل بين غذي المال وخياره أي بين صغاره وكباره والمراد بالحديث أخذ الوسط لا الصغير ولا الضعيف ولا الجيد الممتاز.

عن عبيد الله بن العيزار عن رجل من أهل الشام: ﴿أَنَّ عُمَرَ أَرَادَ أَنْ يَسْتَعْمِلَ بِشْرَ بْنَ عَاصِمٍ، فَقَالَ: لاَ أَعْمَلُ لَكَ، قَالَ: لِمَ ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يُؤْتَى بِالْوَالِي فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ فَيَهْتَزُّ بِهِ حَتَّى يَزُولَ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ، فَإِنْ كَانَ عَدْلاً مَضَى وَإِنْ كَانَ جَائِرًا أَهْوَى فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَيَدْخُلُ عُمَرُ الْمَسْجِدَ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ: مَا شَأْنُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ حَدِيثٌ حَدَّثَنِيهِ بِشْرُ بْنُ عَاصِمٍ، قَالَ وَمَا هُوَ فَحَدَّثَهُ بِهِ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: نَعَمْ، لَقَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ عُمَرُ: فَمَنْ يَرْغَبُ فِي الْعَمَلِ بَعْدَ هَذَا فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: مَنْ أَسْلَتَ اللهُ أَنْفَهُ*وَأَصْدَعَ خَدَّهُ﴾ وعن بشر بن عاصم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ وَلِيَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَجَا، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْخَرَقَ بِهِ الْجِسْرُ ، فَهَوَى فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَمَا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لا قَالَ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: مَنْ وَلِيَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفَ بِهِ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَجَا، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْخَرَقَ بِهِ الْجِسْرُ، فَهَوَى فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، وَهِيَ سَوَادٌ مُظْلِمَةٌ، فَأَيُّ الْحَدِيثَيْنِ أَوْجَعَ قَلْبَكَ؟ قَالَ: كِلَيْهِمَا قَدْ أَوْجَعَ قَلْبِي، فَمَنْ يَأْخُذُهَا بِمَا فِيهَا؟ قَالَ: يَقُولُ أَبُو ذَرٍّ: مَنْ سَلَتَ اللهُ أَنْفَهُ ، وَأَلْزَقَ خَدَّهُ بِالأَرْضِ، أَمَا إِنَّا لا نَعْلَمُ إِلا خَيْرًا، وَعَسَى إِنْ وَلَّيْتَهَا مَنْ لا يَعْدِلُ فِيهَا، أَنْ لا يَنْجُوَ مِنْ إِثْمِهَا﴾

----

*(مخاليفها) جمع لمخلاف كمفتاح وهو الكورة أو الصقع (المصدق) بفتح الصاد وتشديد الدال: جامع الصدقة وبتشديد الإثنين دافع الصدقة (اعتد) حسب (الغذى) كغنى: السخلة وهي الصغير من أولاد الغنم وجمعها غذاء كفصيل وفصال (الربى كحبلى) الشاة القريبة العهد بالولادة وقيل التي تكون في البيت لأجل اللبن (الماخض) التي قاربت الولادة (ذات الدر) الوالدة (الأكولة) السمينة (العناق) بفتحتين الأنثى من ولد المعز قبل استكمالها الحول (الجذعة) بفتحات ولد الشاة في السنة الثانية (الثنية) من ذوات الظلف (الحافر) هي التي ألقت ثنيتها وذلك لا يكون إلا في السنة الثالثة.(غذاء) جمع غذي: أي: سخال.

■ (1) سفيان بن عبد الله بن ربيعة الثقفي في عداد أهل الطائف. له صحبة وسماع ورواية. كان عاملا لعمر بن الخطاب على الطائف ولاه عليها إذ عزل عنها عثمان بن أبي العاص ونقل عثمان بن أبي العاص إلى البحرين، وروى عنه ابنه عبد الله بن سفيان؛ ويقال: ابنه أبو الحكم بن سفيان، وعروة بن الزبير ومحمد بن عبد الله بن ماعز.

مراجع: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ / الأعلام للزركلي/ أسد الغابة/ مسند الشافعي/ معجم الصحابة لابن قانع/ المتفق والمفترق للخطيب البغدادي/ مصنف ابن أبي شيبة/ إتحاف الخيرة المهرة/

عن محمد بن كعب القرظي قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم جالس إذ مر به رجل، فقيل: يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار؟، قال: ومن هذا؟، قالوا: هذا سواد بن قارب[1] الذي أتاه رئيه* بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال: فأرسل إليه عمر رضي الله عنه فقال له: أنت سواد بن قارب؟، قال: نعم. قال: أنت الذي أتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، قال: فأنت على ما كنت عليه من كهانتك؟، قال: فغضب، وقال:ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين.(فاستحيي عمر ثم) قال: يا سبحان الله، ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك، فأخبرني بإتيانك رئيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: نعم. يا أمير المؤمنين، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رئي فضربني برجله، وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول الله من لؤي بن غالب[2] يدعو إلى الله عزوجل وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول: عجبت للجن وتطلابها..وشدها العيس بأقتابها..تهوي إلى مكة تبغي الهدى..ما صادق الجن ككذابها..فارحل الصفوة من هاشم..ليس قدامها كأذنابها. قال: قلت: دعني أنام، فإني أمسيت ناعسا، فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله عزوجل وإلى عبادته ثم أنشأ يقول: عجبت للجن وتخبارها..وشدها العيس بأكوارها..تهوي إلى مكة تبغي الهدى..ما مؤمن الجن ككفارها..فارحل إلى الصفوة من هاشم..بين روابيها وأحجارها. يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، فإنه قد بعث رسول الله من لؤي بن غالب يدعو إلى الله عزوجل وإلى عبادته ثم أنشأ يقول: عجبت للجن وتجساسها..وشدها العيس بأحلاسها..تهوي إلى مكة تبغي الهدى..ما خير الجن كأنجاسها..فارحل إلى الصفوة من هاشم..واسم بعينيك إلى راسها. فقمت فقلت: قد امتحن الله قلبي، فرحلت ناقتي، ثم أتيت المدينة فإذا رسول الله وأصحابه حوله فدنوت فقلت: اسمع مقالتي يا رسول الله، قال: هات فأنشأت أقول: أتاني نجيبي بين هدء ورقدة..ولم يك فيما قد بلوت بكاذب..ثلاث ليال قوله كل ليلة..أتاك رسول من لؤي بن غالب..فشمرت عن ذيلي الإزار ووسطت..بي الذعلب* الوجناء بين السباسب*..فأشهد أن الله لا شيء غيره..وأنك مأمون على كل غائب..وأنك أدنى المرسلين وسيلة..إلى الله يابن الأكرمين الأطايب..فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى..وإن كان فيما جاء شيب الذوائب..وكن لي شفيعا يوم لا ذي شفاعة..سواك بمغن عن سواد بن قارب. فقال: ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بها فرحا شديدا حتى رئي الفرح في وجوههم، قال: فوثب عمر بن الخطاب فالتزمه وقال: قد كنت أشتهي أن أسمع هذا الحديث منك، فهل يأتيك رئيك اليوم؟، قال: أما منذ قرأت القرآن فلا، ونعم العوض كتاب الله عزوجل من الجن، ثم أنشأ عمر يقول: كنا يوما في حي من قريش يقال له آل ذريح وقد ذبحوا عجلا لهم فالجزار يعالجه إذ سمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيئا: يا آل ذريح، أمر نجيح، صائح يصيح بلسان فصيح، أشهد أن لا إله إلا الله.

عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان أنه حدث أن عمر بن الخطاب بينما هو جالس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما نظر إليه عمر قال: إن الرجل لعلي شركه ما فارقه بعد أو لقد كان كاهنا في الجاهلية فسلم عليه الرجل ثم جلس فقال عمر: هل أسلمت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فهل كنت كاهنا في الجاهلية؟ فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين لقد استقبلتني بامر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليت ما وليت، قال عمر: اللهم غفرا لقد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الأصنام ونعشق الأوثان حتى أكرمنا الله برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالإسلام قال: نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية قال: فأخبرني ما جاءك به صاحبك، قال: جاءني قبل الإسلام بشهر أو سبعة فقال: ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها ولحوقها بالقلاص وأحلاسها*. قال ابن هشام: وهذا الكلام سجع وليس بشعر. الرجل المذكور هو سواد بن قارب.

----

*(رئيه) يقال للتابع من الجن رئي بوزن كمي، وهو فعيل أو فعول، سمي به لأنه يتراءى لمتبوعه، أو هو من الرأي (جمل ذعلب) سريع باق على السير (السبسب) القفر والمفازة (القلاص) من الابل: الفتية منها (الاحلاس) جمع حلس: وهو كساء من جلد يوضع على ظهر البعير ثم يوضع عليه الرحل

■ (1) سواد بن قارب الازدي الدوسي أو السدوسي: كاهن شاعر في الجاهلية، صحابي في الاسلام. له أخبار. عاش إلى خلافة عمر ومات بالبصرة نحو سنة 15 هـ.

■ (2) لؤي بن غالب بن فهر، من قريش، من عدنان: جد جاهلي. من سلسلة النسب النبوي. كنيته أبو كعب. كان التقدم في قريش لبنيه وبني بيته، وهم بطون كثيرة، وتاريخهم حافل ضخم. وفي الرواة من يقول: لوي بغير همز.

عن عبد الله بن عون عن إبراهيم النخعي: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه أن رجلا كتب كتاب دانيال، وقال فكتب إليه يرتفع إلي، فلما قدم عليه جعل عمر رضي الله عنه يضرب بطن كفه بيده، ويقول:﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف] فقال عمر: أقصص أحسن من كتاب الله؟ فقال: يا أمير المؤمنين، اعفني، فوالله لأمحونه.

عن خليفة بن قيس، عن خالد بن عرفطة، قال: كنت جالسا عند عمر، إذ أتي برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس، فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم، فضربه بعصا معه، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: اجلس، فجلس فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف] فقرأها عليه ثلاثا، وضربه ثلاثا فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين، فقال: أنت الذي نسخت كتب دنيال قال: مرني بأمرك أتبعه قال: انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه أنت، ولا تقرئه أحدا من المسلمين، فلئن بلغني عنك أنك قرأته، أو أقرأته أحدا من المسلمين، لأهلكنك عقوبة، ثم قال له: اجلس، فجلس بين يديه، قال: ﴿انْطَلَقْتُ أَنَا ، فَانْتَسَخْتُ كِتَابًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ فِي أَدِيمٍ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ: مَا هَذَا الَّذِي فِي يَدِكَ يَا عُمَرُ ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كِتَابٌ نَسَخْتُهُ لِنَزْدَادَ بِهِ عِلْمًا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، ثُمَّ نُودِيَ بِالصَّلاَةِ جَامِعَةً، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: أَغْضَبَ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السِّلاَحَ السِّلاَحَ فَجَاؤُوا حَتَّى أَحْدَقُوا بِمِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ، وَاخْتُصِرَ لِي الْكَلاَمُ اخْتِصَارًا، وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً فَلاَ تَهَيَّكُوا، وَلاَ يَغُرَّنَّكُمُ الْمُتَهَيِّكُونَ قَالَ عُمَرُ: فَقُمْتُ فَقُلْتُ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِكَ رَسُولاً، ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ هذا إسناد ضعيف ، لضعف خليفة بن قيس.

عن سليم بن عامر أن جبير بن نفير حدثهم أن رجلين تحابا في الله بحمص في خلافة عمر وكانا قد اكتتبا من اليهود ملء صفنين فاخذاهما معهما يستفتيان فيهما أمير المؤمنين وكان أرسل اليهما عمر فيمن أرسل اليه من أهل حمص فقالا: يا أمير المؤمنين إنا بأرض أهل الكتابين وانا نسمع منهم كلاما تقشعر منه جلودنا أفنأخذ منهم أم نترك.قال: لعلكما اكتتبتما منه شيئا؟ فقالا: لا، قال: سأحدثكما إني انطلقت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتيت خيبر فوجدت يهوديا يقول قولا أعجبني فقلت: هل أنت مكتبي مما تقول قال: نعم قال: فأتيته بأديم ثنية أو جذعة فأخذ يملي علي حتى كتبت في الأكرع رغبة في قوله فلما رجعت قلت: يا رسول الله إني لقيت يهوديا يقول قولا لم أسمع مثله بعدك قال: لعلك كتبت منه قلت: نعم قال: إيتني به فانطلقت أرغب عن المشي رجاء أن أكون جئت نبي الله صلى الله عليه وسلم ببعض ما يحبه فلما أتيته قال: اجلس فأقرأ علي فقرأت ساعة ثم نظرت الى وجهه فاذا هو يتلون فحرت من الفرق لا أجيز حرفا منه فلما رأى الذي بي دفعته اليه ثم جعل يتتبعه رسما رسما فيمحوه بريقه وهو يقول: لا تتبعوا هؤلاء فانهم قد هوكوا وتهوكوا حتى محى أخره حرفا حرفا قال عمر: فلو أعلم أنكما اكتتبتما منهم شيئا جعلتكما نكالا لهذه الامة قالا: والله لا نكتب منهم شيئا أبدا فخرجا بصفنيهما فحفرا لهما من الأرض فلم يألوا أن يعمقا ودفنا فكان آخر العهد منهما. تهوكوا (تحيروا).

عن يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه عروة، قال: أراد عمر بن الخطاب أن يكتب السنن فاستشار فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار عامتهم بذلك عليه، فمكث عمر شهرا يستخير الله في ذلك شاكا فيه، ثم أصبح يوما قد عزم الله له، فقال: إني كنت ذكرت لكم من كتاب السنن ما قد علمتم، ثم تذكرت فإذا ناس من أهل الكتاب قد كتبوا مع كتاب الله كتابا ألبسوا عليه، وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا، فترك عمر كتاب السنة. وعن يحيى بن جعدة، أن عمر بن الخطاب، أراد أن يكتب السنة، ثم بدا له أن لا يكتبها، ثم كتب في الأمصار من كان عنده منها شيء فليمحه. وعن القاسم بن محمد، أن عمر بن الخطاب، بلغه أنه قد ظهر في أيدي الناس كتب فاستنكرها وكرهها، وقال: أيها الناس إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها ، فلا يبقين أحد عنده كتاب إلا أتاني به، فأرى فيه رأيي. قال: فظنوا أنه يريد أن ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار، ثم قال: أمنية كأمنية أهل الكتاب؟.

عن عون بن عبد الله رضي الله عنه قال: مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة، فقالوا: يا رسول الله، حدثنا، فأنزل الله تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر] ثم ملوا ملة أخرى فقالوا : يا رسول الله ، حدثنا فوق الحديث ودون القرآن -يعنون القصص- فأنزل الله ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [يوسف]هذه السورة ، فأرادوا الحديث، فدلهم على أحسن الحديث. وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص. وعن إبراهيم النخعي رضي الله عنه قال: كان بالكوفة رجل يطلب كتب دانيال وذلك الضرب، فجاء فيه كتاب من عمر بن الخطاب أن يدفع إليه، فلما قدم على عمر رضي الله عنه علاه بالدرة، ثم جعل يقرأ عليه:﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف] حتى بلغ ﴿الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف] قال: فعرفت ما يريد، فقلت: يا أمير المؤمنين، دعني. فوالله لا أدع عندي شيئا من تلك الكتب إلا حرقته. قال فتركه. وعن قتادة رضي الله عنه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف] : من الكتب الماضية وأمور الله السالفة في الأمم: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف] أي من قبل هذا القرآن. وعن الضحاك رضي الله عنه ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف] قال القرآن. وعن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه ، قال: أصبت أنا وعلقمة، صحيفة فانطلقنا بها إلى عبد الله بن مسعود فجلسنا بالباب وقد زالت الشمس أو كادت أن تزول، فاستيقظ، فأرسل الجارية، فقال: انظري من بالباب. فرجعت إليه، فقالت: علقمة والأسود، فقال: ائذني لهما. فدخلنا، قال كأنكم قد أطلتم الجلوس في الباب؟ قالا : أجل، قال: فما منعكما أن تستأذنا؟ قالا: خشينا أن تكون نائما، قال: ما أحب أن تظنوا بي هذا، إن هذه ساعة كنا نقيسها بصلاة الليل. قلنا: هذه صحيفة فيها حديث عجيب، فقال: هاتها، يا جارية هاتي الطست، اسكبي فيها ماء، فجعل يمحوها بيده، ويقول: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف] قلنا: انظر إليها فإن فيها حديثا حسنا، فجعل يمحوها، ثم قال: إنما هذه القلوب أوعية فأشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره.

مراجع: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ / الأعلام للزركلي/ غوامض الأسماء المبهمة/ حلية الأولياء/ الدر المنثور/ إتحاف الخيرة المهرة/ تقييد العلم للخطيب البغدادي/ الاستيعاب/

قال الحسن البصري:[1] أتيت مجلسا في مسجدنا يعني جامع البصرة فإذا أنا بنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذاكرون زهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وما فتح الله عليهما من الإسلام، وحسن سيرتهما، فدنوت من القوم فإذا فيهم الأحنف بن قيس التميمي[2]،(جالس) معهم، فسمعته يقول: أخرجنا عمر بن الخطاب في سرية إلى العراق، ففتح الله علينا العراق وبلد فارس، فأصبنا فيها من بياض فارس وخراسان فحملناه معنا واكتسبنا منه (فجعلناه معنا واكتسبنا منه). فلما قدمنا على عمر أعرض عنا بوجهه، وجعل لا يكلمنا، فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتينا ابنه عبد الله بن عمر[3]،وهو جالس في المسجد، فشكونا إليه ما نزل بنا من الجفاء من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فقال عبد الله: إن أمير المؤمنين رأى عليكم لباسا لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه، ولا الخليفة من بعده أبو بكر الصديق، فأتينا منازلنا، فنزعنا ما كان علينا، وأتيناه في البزة التي كان يعهدنا فيها، فسلم علينا، على رجل رجل، ويعانقه حتى كأنه لم يرنا قبل ذلك، فقدمنا إليه الغنائم، فقسمها بيننا بالسوية، فعُرض عليه في الغنائم سلال من أنواع الخبيص* من أصفر وأحمر، فذاقه عمر فوجده طيب الطعم، طيب الريح، فأقبل علينا بوجهه وقال: والله. يا معشر المهاجرين والأنصار ليقبلن (ليقتلن) منكم الابن أباه والأخ أخاه على هذا الطعام، ثم أمر به، فحُمل إلى أولاد من قُتلوا بين يديّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار. ثم إن عمر قام منصرفا فمشى وراءه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في إثره، فقالوا: ما ترون يا معشر المهاجرين والأنصار، إلى زهد هذا الرجل، وإلى حِلْته؟ لقد تقاصرت إلينا أنفسنا (منذ) قد فتح الله على يديه ديار كسرى وقيصر، وطرفي المشرق والمغرب، ووفود العرب والعجم يأتونه، فيرون عليه هذه الجبة قد رقعها اثنتي عشرة رقعة، فلو سألتم معاشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم الكبراء من أهل المواقف والمشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والسابقين من المهاجرين والأنصار أن يغير هذه الجبة بثوب لين يُهاب فيه منظره ويُغدى عليه بجفنة من الطعام، ويراح عليه بجفنة يأكله ومن حضره من المهاجرين والأنصار. فقال القوم بأجمعهم: ليس لهذا القول إلا علي بن أبي طالب، فإنه أجرأ الناس عليه وصهره على ابنتيه، أو ابنته حفصة[4]،فإنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُوجب لها لموضعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلموا علياً، فقال علي: لست بفاعل ذلك، ولكن عليكم بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهن أمهات المؤمنين يجترئن عليه.

قال الأحنف بن قيس: فسألوا عائشة [5] وحفصة، وكانتا مجتمعتين، فقالت عائشة: إني سائلة أمير المؤمنين ذلك، وقالت حفصة: ما أراه يفعل، وسيتبين (سيبِينُ) لك ذلك، فدخلتا على أمير المؤمنين، فقربهما، وأدناهما، فقالت عائشة:يا أمير المؤمنين، أتأذن أكلمك؟ قال: تكلمي يا أم المؤمنين، قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مضى لسبيله، إلى جنته ورضوانه، لم يُرد الدنيا ولم تُرده، كذلك مضى أبو بكر على إثره لسبيله بعد إحياء سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقَتَل الكذابين، وأدحض حجة المبطلين، بعد عدله في الرعية، وقسمه بالسوية، وإرضاء رب البرية، فقبضه الله إلى رحمته ورضوانه، وألحقه بنبيه صلى الله عليه وسلم بالرفيع الأعلى، لم يرد الدنيا ولم ترده، وقد فتح الله على يديك كنوز كسرى وقيصر وديارهما، وحُمل إليك أموالهما، ودانت لك طرفا المشرق والمغرب، ونرجو من الله المزيد، وفي الإسلام التأييد، ورسل العجم يأتونك، ووفود العرب يردون عليك، وعليك هذه الجبة قد رقعتها اثنتي عشرة رقعة، فلو غيرتها بثوب لين يُهاب فيه منظرك، ويُغدى عليك بجفنة من الطعام، ويراح عليك بجفنة تأكل أنت ومن حضرك من المهاجرين والأنصار.

فبكى عمر عند ذلك بكاء شديدا، ثم قال: سألتك بالله: هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شبع من خبز برَ عشرة أيام، أو خمسة، أو ثلاثة، أو جمع بين عشاء وغداء حتى لحق بالله؟ فقالتا: لا، فأقبل على عائشة فقال: هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب إليه طعام على مائدة في ارتفاع شبر من الأرض، كان يأمر بالطعام فيوضع على الأرض، ويأمر بالمائدة فتُرفع؟ قالتا: اللهم، نعم، فقال لهما: أنتما زوجتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين، ولكما على المؤمنين حق، وعلي خاصة، ولكن أتيتما ترغباني في الدنيا، وإني لأعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس جبة من الصوف، فربما حك جلده من خشونتها، أتعلمان ذلك؟ قالتا: اللهم، نعم، فقال: هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقد على عباءة على طاقة واحدة، وكان مسجى (مِسْحاً) في بيتك يا عائشة يكون بالنهار بساطا، وبالليل فراشا، فندخل عليه فنرى أثر الحصير في جنبه؟، ألا يا حفصة، أنت حدثتني أنك اسى (أنك ثنيت المسح) له ذات ليلة، فوجد لينها، فرقد عليها، فلم يستيقظ إلا بأذان بلال، فقال لك: يا حفصة، ماذا صنعت؟ اسى المهاد (أثنيت المهاد) ليلتي حتى ذهب بي النوم إلى الصباح؟ ما لي وللدنيا، وما لي شغلتموني بلين الفراش، يا حفصة، أما تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. أمسى جائعا ورقد ساجدا ولم يزل راكعا وساجدا وباكيا ومتضرعا في آناء الليل والنهار إلى أن قبضه الله إلى رحمته ورضوانه. لا أكل عمر طيبا، ولا لبس لينا، فله أسوة بصاحبيه، ولا جمع بين أُدْمين إلا الملح والزيت، وأتى بلحم فيه سمن فأبى أن يأكلهما، وقال: كل واحد منهما أدم، ولا أكل لحما إلا في كل شهر، حتى ينقضي ما انقضى من القوم. فخرجتا فخبرتا بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يزل بذلك حتى لحق بالله عز وجل.

---

*(الخبيص) المعمول من التمر والسمن والعسل؛حلواء

■ (4) أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، سنة 2 هـ، وكانت ولادتها قبل البعثة بخمس سنوات، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنها كثيرون منهم أخوها عبد الله، ماتت سنة 45 هـ في زمن معاوية.

■ (5) أم المؤمنين عائِشة بنت أبي بكر الصِديق التيمية القُرشية. زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وإحدى أمهات المؤمنين.كانت من أعلم النساء بالدين والقرآن والتفسير والحديث والفقه. ولدت رضي الله عنها سنة 19 ق.هـ وتوفيت سنة 58 هـ

■ (3) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه، وكان من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكل ما تأخذ به نفسه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وهو ابن 84 سنة، وكان قد أوصى أن يدفن في الليل ، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

■ (1) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

■ (2) الأحنف بن قيس التميمي،قيل اسمه صخر، وكان سيد قومه، يضرب به المثل في الحلم. أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه، روى عن عمر وعثمان وعلي، ومات سنة67 هـ أو68 هـ وقيل مات في إمارة مصعب بن الزبير، بالكوفة.

عن ابن مسعود ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَسَدِهِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَبْسُطَ لَكَ وَنَفْعَلَ فَقَالَ: مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا﴾ (وقد أثر) أي أثر الحصير في جسده (ما لي وللدنيا؟ وما أنا والدنيا) ما نافية أي ليس لي ألفة ومحبة مع الدنيا ولا للدنيا ألفة ومحبة معي حتى أرغب إليها، وأنبسط عليها، وأجمع ما فيها ولذتها أو استفهامية أي ألفة ومحبة لي مع الدنيا أو أي شيء لي مع الميل إلى الدنيا أو ميلها إلي، فإني طالب الآخرة وهي ضرتها المضادة لها (إلا كراكب) أي إلا كحال راكب (استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها) وهو من التشبيه التمثيلي، وهو التشبيه بسرعة الرحيل وقلة المكث، ومن ثم خص الراكب واللام في للدنيا مقحمة للتأكيد إن كان الواو بمعنى مع وإن كان للعطف، فالتقدير ما لي مع الدنيا وما الدنيا معي.

قال علي بن نايف: لا يخفى على المسلم فضل أمهات المؤمنين* رضي الله تعالى عنهن، وما خصهن الله به من نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيوتهن، وما تمتعن به من منزلة سامية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهن من أحب الناس إليه صلى الله عليه وسلم، وأعزهن عنده، وأعرفهن بمطارح أنظاره، وأسرعهن إلى التعلق بأسباب رضاه في كل ما تقر به عينه صلى الله عليه وسلم. ولا ريب أن الصديقة بنت الصديق، والحبيبة بنت الحبيب، والطاهرة العفيفة المبرأة من فوق سبع سماوات، عائشة رضي الله عنها أولاهن بهذه النعمة، وأحظاهن بهذه الغنيمة، وأخصهن من هذه الرحمة العميمة: فقد حازت قصب السبق إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين سائر أزواجه، فهي الحبيبة المدللة، ابنة حبيبه وصديقه، ولم يتزوج بكرا غيرها، ولم ينزل عليه الوحي في فراش امرأة سواها، كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه بقوله لزوجه أم سلمة رضي الله عنها: ﴿يَا أُمَّ سَلَمَةَ..لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا﴾ وكان لعائشة رضي الله عنها شرف خدمة النبي صلى الله عليه وسلم وتمريضه في أيام حياته الأخيرة، فما إن نزل به مرضه الأخير الذي مات فيه حتى أخذ يسأل: ﴿أَيْنَ أَنَا غَدًا أَيْنَ أَنَا غَدًا﴾ يريد أن يكون في بيت عائشة ثم استأذن أزواجه أن يكون في بيتها، فأذن له، فبقي عندها ترعاه وتخدمه، وتسهر عليه في مرضه إلى أن قبضه الله إليه، وإن رأسه لفي حجرها بين سحرها ونحرها، وحاقنتها وذاقنتها وريقه قد خالط ريقها، فكان موته في بيت أحب الناس إليه، كما ثبت عنه في الصحيح لما سئل:﴿أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ﴾ وقبض وهو راض عنها، وقبر في بيتها، فرضي الله عن عائشة وأرضاها. فهي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرب الناس إلى قلبه وأحبهم إليه. والمؤمن يحب ما يحبه الله ورسوله.

قال الزهري: كنت عند الوليد فكاد يتناول عائشة فقلت له: يا أمير المؤمنين، ألا أحدثك عن رجل من أهل الشام كان قد أوتي حكمة؟ قال: ومن هو؟ قلت: أبو مسلم الخولاني، وسمع أهل الشام كأنهم ينالون من عائشة فقال:ألا أخبركم بمثلكم ومثل أمكم هذه؟ كمثل عينين في رأسه تؤذيان صاحبهما ولا يستطيع أن يعاقبهما إلا بالذي هو خير لهما، قال: فسكت. وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى الطَّعَامِ﴾ وعن أبي عثمان﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، قُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ، قَالَ: أَبُوهَا، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: عُمَرُ، فَعَدَّ رِجَالًا فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ﴾.

في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجا فخرجت معه، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق، عدل إلى الأراك لحاجة له، قال فوقفت له حتى فرغ، ثم سرت معه، قلت له: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم من أزواجه، فقال: تلك حفصة وعائشة، قال: فقلت: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا من سنة، فما أستطيع هيبة لك، قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فاسألني، فإن كان لي علم خبرتك به. وفي رواية: فمكثت سنة لا أجد له موضعا.

---

*(أمهات المؤمنين) يقال لهن أمهات المؤمنين لا أمهات المؤمنات ولا يقال لبناتهن أخوات المؤمنين ولا لآبائهن وأمهاتهن أجداد المؤمنين وجداتهم ولا لإخوتهن وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاتهم.كما أنه صلى الله عليه وسلم أب (للرجال والنساء) عن عائشة رضي الله عنها:﴿أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لَهَا يَا أُمَّهْ فَقَالَتْ أَنَا أُمُّ رِجَالِكُمْ لَسْتُ بِأُمِّكِ﴾

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/ من عقائد الشيعة الإثنا عشرية/ المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام/ شرح نهج البلاغة/ تاج العروس/ شرح البهجة الوردية/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ صحيح البخاري/ السنن الكبرى للبيهقي/ تاريخ الخلفاء/ المحاسن والمساوئ/ الحاوي الكبير/

لما فتحت العراق جيء بالمال إلى عمر. فقال صاحب بيت المال: أأدخله بيت المال؟. قال: لا ورب الكعبة لا يؤوى تحت سقف بيت حتى نقسمه! فأمر به فوضع في المسجد ووضعت عليه الأنطاع وحرسه رجال من المهاجرين والأنصار. فلما أصبح غدا معه العباس بن عبد المطلب[1] وعبد الرحمن بن عوف[2] أخذ بيد أحدهما أو أحدهما أخذ يده فلما رأوه كشطوا الأنطاع عن الأموال فرأى منظرا لم ير مثله رأى الذهب فيه والياقوت* والزبرجد* واللؤلؤ* يتلألأ، فبكى، فقال له أحدهما: إنه والله ما هو بيوم بكاء ولكنه يوم شكر وسرور، فقال: إني والله ما ذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر هذا في قوم قط إلا وقع بأسهم بينهم، ثم أقبل على القبلة ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجا فإني أسمعك تقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف]، ثم قال: أين سراقة بن جعشم[3] فأتى به أشعر الذراعين دقيقهما فأعطاه سواري كسرى، فقال: ألبسهما، ففعل، فقال: قل الله أكبر، قال: الله أكبر، قال: قل الحمد لله الذي سلبهما من كسرى بن هرمز[4] وألبسهما سراقة بن جعشم أعرابيا من بني مدلج وجعل يقلب بعض ذلك بعضا فقال: إن الذي أدى هذا لأمين فقال له رجل: أنا أخبرك أنت أمين الله وهم يؤدون إليك ما أديت إلى الله فإذا رتعت رتعوا، قال: صدقت، ثم فرقه، قال الشافعي: وإنما ألبسها سراقة لأن النبي صلى الله عليه و سلم قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه: ﴿كَأَنِّي بِكَ قَدْ لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَى﴾ قال: ولم يجعل له إلا سوارين.

في رواية الحسن، أن عمر بن الخطاب أتي بفروة كسرى ابن هرمز فوضعت بين يديه، وفي القوم سراقة بن مالك فأخذ عمر سواريه فرمى بهما إلى سراقة، فأخذهما فجعلهما في يديه فبلغا منكبيه، فقال: الحمد لله! سواري كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك بن جشعم أعرابي من بني مدلج، ثم قال: اللهم! إني قد علمت أن رسولك قد كان حريصا على أن يصيب مالا ينفقه في سبيلك وعلى عبادك فزويت عنه ذلك نظرا منك وخيارا، اللهم! إني قد علمت أن أبا بكر كان يحب مالا ينفقه في سبيلك وعلى عبادك فزويت عنه ذلك، اللهم! إني أعوذ بك أن يكون هذا مكر منك بعمر، ثم تلاها: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون]

عن زهير بن حيان. قال: قال ابن عباس:[5] دعاني عمر فأتيته فإذا بين يديه نطع عليه الذهب منثورا، وجثا فقال: هلم فاقسم هذا بين قومك فالله أعلم حيث زوى هذا عن نبيه، وعن أبي بكر وأعطيته، ألخير أعطيته أم لشر، قال فأكببت عليه أقسم وأفرق، قال: فسمعت البكاء فإذا صوت عمر رضي الله تعالى عنه وإذا هو يقول في بكائه: كلا والذي نفسي بيده، ما حبسه الله عن نبيه وأبي بكر إرادة الشر بهما، وأعطاه عمر إرادة الخير به.

قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في بعض خطبه: أيها الناس، إن بعض الطمع فقر حاضر، وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجلون في دار غرور.

عن السائب بن الأقرع:[6] أنه كان جالسا في إيوان كسرى، قال: فنظرت إلى تمثال يشير بإصبعه إلى موضع، قال: فوقع في روعي أنه يشير إلى كنز فاحتفرت ذلك الموضع، فأخرجت (فاستجمعت) منه كنزا عظيما، فكتبت إلى عمر خبره، وكتبت إن هذا شيء أفاءه الله علي من دون المسلمين، فكتب عمر: إنك أمير من أمراء المسلمين فاقسمه بين المسلمين.

حدث أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم، عن راشد بن سعد؛ أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أتي بمال؛ فجعل يقسمه بين الناس، فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص[7] يزاحم الناس؛ حتى خلص إليه، فعلاه عمر بالدرة، وقال: إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض؛ فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك. يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: والله ما كان عمر بن الخطاب بأقدامنا هجرة، وقد عرفت بأي شيء فضلنا، كان أزهدنا في الدنيا.

عن عبد الرحمن بن عوف، قال: أرسل إلي يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتيته فدخلت عليه فإذا أنا بنحيب*، فإذا أمير المؤمنين هكذا بوصف ابن عوف: أنه نائم على وجهه، فقلت: إنا لله، اعترى أمير المؤمنين؟، قال: فوضعت يدي عليه فقلت: يا أمير المؤمنين ليس عليك بأس، فأخذ بيدي فأدخلني بيتا فإذا جفنتان بعضها فوق بعض، فقال: ههنا هان آل الخطاب على الله، أما والله لو كرمنا عليه لكان هذا إلى صاحبي بين يدي، فأقاما لي فيه أمر أقتدي به، فقلت: اجلس نتفكر، قال: فكتبنا المحقين في سبيل الله تعالى، أربعة -يعني آلاف- وأصاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أربعة، وأصاب من دون ذلك ألفين ألفين، حتى وزعنا ذلك المال.

حدث سفيان عن عاصم بن كليب قال أخبرني أبي أنه سمع ابن عباس يقول: كان عمر بن الخطاب إذا صلى صلاة جلس للناس فمن كان له حاجة كلمه وإن لم تكن لأحد حاجة قام ودخل فصلى صلوات لا يجلس للناس فيهن. قال ابن عباس: فحضرت الباب فقلت يا يرفأ[8] أبأمير المؤمنين شكاة ؟ فقال: ما بأمير المؤمنين من شكاة، قال: فجلست فجاء عثمان بن عفان فجلس، فخرج يرفأ فقال: قم يا ابن عفان قم يا ابن عباس، قال: فدخلنا على عمر فإذا بين يديه صبر من مال على كل صبرة منها كتف* (الكتف؟). فقال عمر: إني نظرت في أهل المدينة فوجدتكما من أكثر أهلها عشيرةً فخذا هذا المال فاقسماه فما كان من فضل فرداً. قال: فأما عثمان فحثا، وأما أنا فحبوت على ركبتي وقلت: وإن كان نقصاناً رددت علينا. فقال عمر: شنشنة* أعرفها من أخشن – قال سفيان: يعني حجراً من جبل – أما كان هذا عند الله ومحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون القد*. فقلت: بلى والله لقد كان هذا عند الله عز وجل ومحمد صلى الله عليه وسلم حي ولو عليه فتح صنع فيه غير الذي تصنع. قال: فغضب عمر وقال: إذاً صنع ماذا ؟ قال قلت. إذاً أكل وأطعمنا. قال: فشج عمر حتى اختلفت أضلاعه، ثم قال: وددت أني خرجت منها كفافاً لا علي ولا لي.

----

* (الياقوت) حجر كريم من أجود الأنواع وأكثرها صلابةبعد الماس ، خاصة ذو اللون الأحمر (الزبرجد) حجر كريم يشبه الزمرد (أو هو من أنواع الزمرد !) أصفر، أخضر مصفر، أخضر زيتي إلى البني، وأحيانا أخضر كلسي إلى زمردي اللون (اللؤلؤ) يصنف من الأحجار الكريمة. يتشكل في صدفة بعض أنواع الرخويات والمحار (الكتف) عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدواب. وأما الكتف بفتحتين: الجانب، والكتيف: الساتر ومنه قيل للمذهب كنيف (القد) السير الذي يقد من الجلد (شنش) شنشنة: في حديث عمر قاله لابن عباس: شنشنة أعرفها من أخزم أي شبه من أبيه في الرأي والحزم والذكاء.(النحب) أشد البكاء (بوصف) في مناقب عمر: يصف.

■ (3) سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني، أبو سفيان: صحابي، له شعر. كان ينزل قديدا.وكان في الجاهلية قائفا. وأسلم بعد غزوة الطائف سنة 8 هـ مات سراقة سنة 24 هـ في خلافة عثمان بن عفان، وقيل مات بعد عثمان.

■ (1) العباس بن عبد المطلب جده هاشم بن عبد مناف وكنيته أبو الفضل من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وعم النبي وجد الخلفاء العباسيين وأبو حبر الأمة عبد الله بن عباس.أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه وأقام بمكة يكتب لرسول الله أخبار المشركين توفى بالمدينة سنة 32 هـ

■ (5) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن 71 سنة

■ (7) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة.مات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ..

■ (2) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.

■ (4) كسرى بن هرمز إبرويز ، كسرى الثاني أو خُسرو الثاني، ملك فارس المعروف بلقب برويز، كان ملك الساسانية في فارس. كان ابن هرمز الرابع، وحفيد كسرى الأول. ملك ثمانيا وثلاثين سنة وأشهر. وقتل سنة 7 هـ. على يد ابنه شيرويه (قباد الثاني)

■ (6) السائب بن الأقرع الثقفي كوفي، شهد فتح نهاوند مع النعمان بن مقرن وكان عمر بعثه بكتابه إلى النعمان بن مقرن ثم استعمله عمر على المدائن. قال البخاري: السائب بن الأقرع أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ومسح برأسه ونسبه أبو إسحاق الهمداني.

■ (8) يرفأ مولى عمر، وكان حاجبه (البواب) (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

خطب عمر رضي الله عنه، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم: أيها الناس، إن بعض الطمع فقر، وإن بعض اليأس غني، وإنكم تجمعون مالا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجلون في دار غرور. كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخون بالوحي، فمن أسر شيئا أخذ بسريرته، ومن أعلن شيئا أخذ بعلانيته؛ فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم؛ والله أعلم بالسرائر؛ فإنه من أظهر شيئا وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا. واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق،﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن]

قال عبد الرحمن بن غنم: سمعت عمر يقول: ويل لديان من في الأرض من ديان* من في السماء؛ إلا من أم بالعدل، وقضى بالحق، ولم يقض على رغب، ولا رهب، ولا قرابة، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه. وعن سالم بن عبد الله بن عمر: أن كعبا قال لعمر: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء، قال عمر: إلا من حاسب نفسه. قال كعب: إلا من حاسب نفسه، فكبر عمر، ثم خر ساجدا. وقال عمر بن الخطاب: الوالي إذا طلب العافية ممن هو دونه أعطاه الله العافية ممن هو فوقه.

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: والله لئن بقيت إلى قابل لألحقن آخر الناس بأولهم ولأجعلنهم شيئا واحدا.وعن زيد بن أسلم عن أبيه أنه سمع عمر يقول: لألحقن أسفل الناس بأعلاهم. وعن حارثة بن مضرب عن عمر قال: لئن عشت حتى يكثر المال لأجعلن عطاء الرجل المسلم ثلاثة آلاف ألفا لكراعه* وسلاحه وألفا نفقة له وألفا نفقة لأهله. وعن الحسن قال: قال عمر: لو قد علمت نصيبي من هذا المال لآتي الراعي بسروات حمير نصيبه منه لا يعرق فيه جبينه. وعن هارون البربري عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: قال عمر بن الخطاب: لأزيدنهم ما زاد المال، لأعدنه لهم عدا، فإن أعياني كلته لهم كيلا، فإن أعياني حسوته بغير حساب.ووفي رواية: قال عمر: إني لأرجو أن أكيل لكم المال بالصاع*. وعن حماد بن زيد عن عمرو قال: قسم عمر بن الخطاب بين أهل مكة عشرة عشرة فأعطى رجلا فقيل: يا أمير المؤمنين إنه مملوك فقال: ردوه، ثم قال: دعوه. قال الحسن: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى: اجعل يوما في السنة لا يبقى فيه في بيت المال درهم واحد حتى يكتسح اكتساحا ليعلم الله أن قد أديت إلى كل ذي حق حقه، قال الحسن: فأخذ والله صفوها وترك كدرها، حتى ألحقه الله بصاحبيه.

☪

عن عدي بن حاتم قال:﴿بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟ قُلْتُ لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهَّ، قُلْتُ: فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّءٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلَادَ؟! وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى: قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ!؟ قَالَ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللهَّ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ﴾ (الفاقة) الفقر (الحيرة) بلد معروف قديما مجاور للكوفة (الظعينة) هو في الأصل اسم الهوج ثم قيل للمرأة في الهودج وقد تقال للمرأة مطلقا (دعار) جمع داعر وهو الخبيث المفسد الفاسق والمراد بهم قطاع الطرق (سعروا البلاد) أشعلوا فيها نار الفتنة وأفسدوها.

----

* (الديان) من أسماء الله تعالى معناه الحكم القاضي. وسئل بعض السلف عن علي فقال: كان ديان هذه الأمة بعد نبيها أي قاضيها وحاكمها. والديان أيضا:القهار(الكراع) جماعة الخيل، والكراع من الإنسان ما دون الركبة ومن الدواب ما دون الكعب(الصاع) مكيال المدينة تقدر به الحبوب وسعته أربعة أمداد، والمد هو ما يملأ الكفين

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ لسان العرب / تاريخ الخلفاء/ تاج العروس/ لسان العرب/ السنن الكبرى للبيهقي/ صحيح البخاري/ كنز العمال/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ تاريخ الرسل والملوك/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) وعمرو بن العاص، والي مصر (١) 0030

عن أبي فراس قال: خطب عمر بن الخطاب فقال: يأيها الناس إني والله ما أرسل إليكم عمالا ليضربوا أبشاركم* ولا ليأخذوا أموالكم ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلي فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه فوثب عمرو بن العاص[1] فقال: يا أمير المؤمنين أرأيتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته إنك لتقصه منه؟! قال: إي والذي نفس عمر بيده إذا لأقصنه منه وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم. وفي حديث أخرجه البخاري عن عمر أنه قال: اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار، وإني إنما بعثتهم ليعدلوا، وليعلموا الناس دينهم، وسنة نبيهم، ويقسموا فيهم فيأهم، ويرفعوا إلي ما أشكل من أمرهم. وكانت مراقبة عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص صارمة وحازمة وكان الخليفة الفاروق يتدخل في شئون الولاية المختلفة وحتى عندما اتخذ عمرو بن العاص منبرا كتب إليه: أما بعد فقد بلغني أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين أو ما يكفيك أن تكون قائما والمسلمون تحت عقبك فعزمت عليك إلا ما كسرته.

وقد وجهت ضد عمرو بن العاص بعض الشكاوى أثناء ولايته بعضها من جنوده المسلمين، وبعضها من أهل البلاد من الأقباط، مما دعا عمر رضي الله عنه إلى استدعاء عمرو بن العاص عدة مرات، لمعاتبته بل وأحيانا لمعاقبته على ما بدر منه، ومن ذلك ما تقدم به أحد المصريين ضد ابن لعمرو بن العاص ضربه بالسوط، مما جعل عمر بن الخطاب يستدعي عمرو وابنه ثم يأمر المصري بالقصاص من ابن عمرو بن العاص. عن أنس بن مالك قال: كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك، قال: وما لك؟، قال: أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل فأقبلت، فلما ترآها الناس، قام محمد بن عمرو[2] فقال: فرسي ورب الكعبة، فلما دنا منه عرفته، فقلت: فرسي ورب الكعبة، فقام إلي يضربني بالسوط، ويقول:خذها وأنا ابن الأكرمين. قال: فوالله ما زاده عمر أن قال له: اجلس، ثم كتب إلى عمرو إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل معك بابنك محمد، قال: فدعا عمرو ابنه فقال: أحدثت حدثا؟ أجنيت جناية؟ ، قال: لا، قال: فما بال عمر يكتب فيك؟، قال: فقدم على عمر، قال أنس: فوالله إنا عند عمر حتى إذا نحن بعمرو، وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه؟، فإذا هو خلف أبيه، قال: أين المصري؟، قال: ها أنا ذا، قال: دونك الدرة فاضرب ابن الأكرمين، اضرب ابن الأكرمين. قال فضربه حتى أثخنه (بالغ فيه)، ثم قال: أحلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه، فقال: يا أمير المؤمنين، قد ضربت من ضربني، قال: أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه، يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟، ثم التفت إلى المصري فقال: انصرف راشدا فإن رابك ريب فاكتب إلي.

وكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، سلام عليك، أما بعد. فإنه بلغني أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وغنم وبقر وعبيد، وعهدي بك قبل ذلك أن لا مال لك. فاكتب إلي من أين أصل هذا المال ولا تكتمه. فكتب إليه: من عمرو بن العاص إلى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإنه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه ما فشا لي، وأنه يعرفني قبل ذلك لا مال لي. وإني أعلم أمير المؤمنين أني بأرض السعر فيه رخيص، وأني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج أهله، وفي رزق أمير المؤمنين سعة. والله لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك؛ فأقصر أيها الرجل، فإن لنا أحسابا هي خير من العمل لك، إن رجعنا إليها عشنا بها. ولعمري إن عندك من لا يذم معيشته ولا تذم له [وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير مني] فأنى كان ذلك ولم يفتح قفلك ولم نشركك في عملك؟.

فكتب إليه عمر: أما بعد، فإني والله ما أنا من أساطيرك التي تسطر ونسقك الكلام في غير مرجع، وما يغني عنك أن تزكي نفسك. وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة[3] فشاطره مالك؛ فإنكم أيها الرهط* الأمراء جلستم على عيران المال، لم يعوزكم عذر، تجمعون لأبنائكم، وتمهدون لأنفسكم. أما إنكم تجمعون العار وتورثون النار. والسلام. فلما قدم عليه محمد بن مسلمة صنع له عمرو طعاما كثيرا. فأبى محمد بن مسلمة أن يأكل منه شيئا. فقال له عمرو: أتحرمون طعامنا؟ فقال: لو قدمت إلي طعام الضيف أكلته، ولكنك قدمت إلي طعاما هو تقدمة شر. والله لا أشرب عندك ماء. فاكتب لي كل شيء هو لك ولا تكتمه. فشاطره ماله بأجمعه، حتى بقيت نعلاه، فأخذ إحداهما وترك الأخرى! فغضب عمرو بن العاص فقال: يا محمد بن مسلمة، قبح الله زمانا عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل. والله إني لأعرف الخطاب[4] يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها، وما منهما إلا في نمرة لا تبلغ رسغيه؛ والله ما كان العاص بن وائل[5] يرضى أن يلبس الديباج* مزورا بالذهب. قال له محمد: اسكت، والله إن عمر لخير منك، وأما أبوك وأبوه ففي النار، والله لولا الزمان الذي سبقك به لألفيت مقتعد شاة يسرك غزرها ويسوءك بكؤها*. فقال عمرو: هي عندك بأمانة الله. فلم يخبر بها عمر.

وقد روى الناس الكلام على وجه آخر: بعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة إلى عمرو بن العاص وكتب إليه: أما بعد، فإنكم معاشر العمال قعدتم على عيون الأموال فجبيتم الحرام، وأكلتم الحرام،وأورثتم الحرام، وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك، فأحضره مالك والسلام؛ فلما قدم محمد بن مسلمة أهدى إليه عمرو بن العاص هدية فردها، فغضب عمرو وقال: يا محمد رددت هديتي فقد أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمي من ذات السلاسل فقبل؛ فقال له محمد: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل بالوحي ما شاء ويمنع ما شاء، ولو كانت هدية الأخ لأخيه لقبلتها ولكنها هدية إمام شر من خلفها؛ فقال عمرو: قبح الله يوما صرت فيه لعمر بن الخطاب واليا، والله لقد رأيت العاص بن وائل يلبس الديباج المزرر بالذهب وإن الخطاب بن نفيل ليحمل الحطب بمكة على حماره؛ فقال له محمد بن مسلمة: أبوه وأبوك في النار، وعمر خير منك ولولا اليوم الذي أصبحت تذم لألفيت معتقلا عنزا يسوءك غزرها ويسوءك بكؤها؛ فقال عمرو: هي فلتة المغضب وهي عندك أمانة؛ ثم أحضره ماله فقاسمه.

روي أن عمرو بن العاص قال لرجل من تجيب:[6] يا منافق، فقال التجيبي: ما نافقت منذ أسلمت، ولا أغسل لي رأساً ولا أدهنه، حتى آتي عمر رضي الله عنه، فأتى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن عمراً نفّقني، ولا والله ما نافقت منذ أسلمت، فكتب عمر إلى عمرو، وكان إذا غضب عليه يكتب: إلى العاص بن العاص أما بعد، فإن فلاناً التجيبي ذكر أنك نفقته، وقد أمرته إن أقام عليك شاهدان أن يضربك أربعين أو قال سبعين، فقام الرجل، فقال: أنشد الله رجلاً سمع عمراً نفقني إلا قام فشهد، فقام عامة أهل المسجد، فقال له حَشَمُه: أتريد أن تضرب الأمير؟ قال وعرض عليه الأرض: لو ملئت لي هذه الكنيسة ما قبلت، فقال له حشمه: أتريد أن تضربه؟ فقال التجيبي: ما أرى لعمر ها هنا طاعة، فلما ولى قال عمرو بن العاص: ردوه، فأمكنه من السوط، وجلس بين يديه، قال: أتقدر أن تمتنع مني بسلطانك؟ قال: لا، فامض لما أُمِرت به، قال: فإني أدعك لله.

----

* (أبشاركم) أي جلودكم. والبشرة والبشر ظاهر جلد الإنسان (غزرها) ألبانها (بكؤها) قلة ألبانها (تُجِيب) بطن من كِندة وهو أشرس بن شبيب بن السكون بن كندة، كانوا يسكنون الكَسْر في وسط حضرموت.(الديباج) هو الثياب المتخذة من الإبريسم أي الحرير الرقيق (الرهط) الجماعة من الرجال دون العشرة

■ (1) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

■ (2) محمد بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ابن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي، السهمي من أبناء الصحابة. قدم مع أبيه دمشق بعدما قتل عثمان وشهد صفين، وقاتل فيها، ولم يقاتل أخوه عبد الله.ولا عقب لمحمد بن عمرو.

■ (3) محمد بن مسلمة، ابن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة، أبو عبد الله –وقيل: أبو عبد الرحمن، وأبو سعيد- الأنصاري الأوسي من نجباء الصحابة شهد بدرا والمشاهد. وقيل: إن النبي استخلفه مرة على المدينة وكان ممن اعتزل الفتنة ولا حضر الجمل ولا صفين، بل اتخذ سيفا من خشب وتحول إلى الربذة فأقام بها مديدة. وقد استعمله عمر على زكاة جهينة وقد كان عمر إذا شكي إليه عامل نفذ محمدا إليهم ليكشف أمره. توفي سنة43 هـ..عاش ابن مسلمة سبعا وسبعين سنة.

■ (6) تجيب – بالضم -: بطن من كندة، وهم بنو عدي، وبنو سعد، ابن أبي أشرف ابن شبيب بن السكون بن أشرس بن كندة، أمهما تجيب بنت ثوبان، نسبوا إليها.

■ (4) الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي. من سادات قريش.ومات قبل البعثة بأعوام قليلة

■ (5) العاص بن وائل السهمي والد عمرو، كان من كبراء الجاهلية، ومشيخة قريش. مات كافرا في السنة الأولى من الهجرة.

قال عبد السلام بن محسن آل عيسى: كان عمر يراقب عماله وولاته وينظر كيف عملهم في الرعية، ويعاقب المفرطين منهم، ومن صور مراقبته رضي الله عنه لعماله وولاته سؤاله الوفود التي تقدم عليه من الأمصار المختلفة عن أمرائهم، يسأل كل وفد عن أميرهم، فيقولون خيراً، فيقول: هل يعود مريضكم؟ فيقولون: نعم، فيقول: هل يعود العبد ؟ فيقولون: نعم، فيقول: كيف صنيعه بالضعيف ؟ هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخصلة منها لا، عزله.وأذن عمر رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري أن يستعمل الربيع بن زياد وأمره أن لا تأتي عليه عشراً إلا تعاهد عمله، وكتب إليه بسيرته في عمله حتى كأنه هو الذي استعمله.عن طاووس، أن عمر بن الخطاب قال:﴿أَرَأَيْتُمْ إِنِ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خَيْرَ مَنْ أَعْلَمُ ثُمَّ أَمَرْتُهُ بِالْعَدْلِ، أَفَقَضَيْتُ مَا عَلَيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَا، حَتَّى أَنْظُرَ فِي عَمَلِهِ أَعَمِلَ بِمَا أَمَرْتُهُ أَمْ لَا﴾ وروي أنه رضي الله عنه كان يأمر عماله أن يوافوه بالموسم ليطلع على أخبارهم، وأخبار الرعية. وكتب إلى أهل الكوفة: من ظلمه أميره فلا إمرة له عليه، فكان الرجل يأتي المغيرة بن شعبة، فيقول: إما أن تنصفني من نفسك، وإلا فلا إمرة لك علي. ولكن هل يعارض هذا ما يثبت من قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً﴾ والظاهر أنه لا تعارض بينهما، لأنه – والله أعلم– أن المراد بقوله: فليصبر. يعني: إذا لم يستطع أن يأخذ حقّه بالحسنى والمعروف، ولم يجد أحداً يرد عليه حقّه من غير نزاع وقتال وخروج على الأمير والإمام. أمّا خبر عمر رضي الله عنه فإن صاحب المظلمة تكفل له عمر وهو الإمام برد حقّه وأمره ألا يوافق أميره ولا يقرّه ظلمه له بل يرفع أمره إليه حتى يقتص منه، وحينئذٍ لن يكون هناك خروج ونزاع وقتال، لأن حقّ المظلوم قد ردّ إليه من غير ذلك، والمراد بنفي الإمرة في الأثر عدم طاعة الأمير وإقراره على الظلم، بل يرفع أمره إلى الإمام وهو عمر، وليس المراد أن يشق عصا الطاعة ويعلن الخروج والحرب على الأمير. وفي متن آخر: ﴿مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً﴾ قال ابن حجر رحمه الله: المراد بالمفارقة السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء فكنى عنها بمقدار الشبر لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق..قال الكرماني: الاستثناء هنا بمعنى الاستفهام الإنكاري أي ما فارق الجماعة أحد إلا جرى له كذا أو حذفت ما فهي مقدرة أو الا زائدة أو عاطفة على رأي الكوفيين والمراد بالميتة الجاهلية وهي بكسر الميم حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك..وليس المراد أنه يموت كافرا بل يموت عاصيا.. ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره ومعناه أنه يموت مثل موت الجاهلي وان لم يكن هو جاهليا أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير وظاهره غير مراد.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/ الإصابة في تمييز الصحابة/ رجال مسلم/ أسد الغابة/ مقدمة ابن خلدون/ عمر بن الخطاب للصلابي/ معجم قبائل العرب/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ جمهرة أنساب العرب/ معجم قبائل العرب/ أوصاني خليلي/

عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال:سمعت عمرو بن العاص[1] يوما ذكر عمر رضي الله عنه فترحم عليه، ثم قال: ما رأيت أحداً بعد نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أخوف لله من عمر، لا يبالي على من وقع الحق: على ولد أو والدٍ، ثم قال: إني لفي منزلي ضحى، في مصر إذ أتاني آتٍ فقال: قدم عبد الله[2] وعبد الرحمن[3] ابنا عمر غازيين، فقلت: أين نزلا؟ قال: في موضع كذا وكذا لأقصى مصر وقد كتب إلي عمر: إياك أن يقدم عليك أحد من أهل بيتي فتضعه بأمر لا تصنعه بغيره، فأفعل بك ما أنت أهله، فأنا لا أستطيع أن أهدي لهما، ولا آتيهما في منزلهما للخوف من أبيهما، فإني لعلى ما أنا فيه إذ قال قائل: هذا عبد الرحمن بن عمر وأبو سروعة[4] يستأذنان، فقلت: يدخلان، فدخلا وهما منكران، فقالا: أقم علينا حدّ الله، فإنا قد أصبنا البارحة شراباً فسركنا، قال: فنهرهما وطردهما، فقال عبد الرحمن: إن لم تفعل أخبرت أبي إذا قدمت عليه، قال: يحضرني رأي، وعلمت أني إن لم أقم عليهما الحدّ غضب علي عمر في ذلك وعزلني، وخالفه ما صنعت، فنحن على ما نحن فيه إذ دخل عبد الله بن عمر، فقمت إليه، فرحبت به وأردت أجلسه على صدر مجلسين فأبى علي وقال: إن أبي نهاني أن أدخل عليك إلا ألاّ أجد بداً، وإني لم أجد بداً من الدخول عليك، إن أخي لا يحلق على رؤوس الناس أبداً فأما الضرب فاصنع ما بدا لك. قال: وكانوا يحلقون مع الحدّ. قال: فأخرجتهما إلى صحن الدار فضربتهما الحد، ودخل ابن عمر بأخيه عبد الرحمن بيت في الدار فحلق رأسه ورأس أبي سروعة، فوالله ما كتبت إلى عمر بحرف مما كان، حتى إذا تحينت كتابه إذا هو فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاص ابن العاص، فعجبت لك يا ابن العاص ولجرأتك علي، وخلاف عهدي أما إني قد خالفت فيك أصحاب بدر ممن هو خير منك واخترتك لجرأتك عني(اخترتك لجدالك عني) وإنفاد عهدي، فأراك تلوثت بما قد تلوثت، فما أراني إلا عازلك فمسيء عزلك، تضرب عبد الرحمن في بيتك وتحلق رأسه في بيتك، وقد عرفت أن هذا يخالفني؟ إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلت هو ولد أمير المؤمنين، وقد عرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عند في حق يجب به عليه. فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قتب* حتى يعرف سوء ما صنع، فبعث به كما قال أبوه، وأقرأت ابن عمر كتاب أبيه، وكتبت إلى عمر كتاباً أعتذر فيه، وأخبره أني ضربته في صحن داري، وبالله الذي لا يحلف بأعظم منه إني لأقيم الحدود في صحن دار على الذمي والمسلم، وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر، فقال: أسلمه، فقدم بعبد الرحمن على أبيه، فدخل عليه، وعليه عباءة، ولا يستطيع المشي من مركبه، فقال: يا عبد الرحمن، فعلت وفعلت، السياط، فكلمه عبد الرحمن بن عوف[5] فقال: يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الحد مرة، فما عليه أن تقيمه ثانية؟ فلم يلتفت إلى هذا عمر وزبره، فجعل عبد الرحمن يصيح: إني مريض وأنت قاتلي، فضربه الثانية الحدّ،وحبسه في مرض فمات. وفي حديث بمعناه: إنه جلده وعاقبه من أجل مكانه منه، ثم أرسله، فلبث شهراً صحيحاً، ثم أصابه قدَر، فتحسّب عامة الناس أنه مات من جلد عمر، ولم يمت من جلده. وفي حديث عن عبد الرحمن بن إسحاق أن ابن شهاب الزهير حدثه عن أبيه قال: خرجت أنا وأخي عبد الرحمن بن عمر غازيين إلى مصر، فشرب أخي وأبو سروعة شراباً فأتي بهما عمرو بن العاص، فجلد أبا سروعة ظاهرا وجلد أخي في الدار، فأرسل إليه عمر أن أجمع يديه إلى عنقه وجب عليه مدرعة، واحمله إلي على قتب، فلما قدم على عمر جلده علانية على رؤوس الناس، وحلق رأسه وحبسه ستة أشهر فبرأ من جلده ثم أغزاه، فرجع فمات، ومات أبو سروعة بمكة.

----

*(قتب) القتب والقتب إكاف البعير وقد يؤنث والتذكير أعم ولذلك أنثوا التصغير فقالوا قتيبة. وفي الخلاصة أنه عام في الحمير والبغال والإبل..

■ (1) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

■ (5) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.

■ (2) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

■ (3) عبد الرحمن الأوسط.أبو شحمة، الذي ضربه عمرو بن العاص بمصر في الخمر، ثم حمله إلى المدينة فضربه أبوه عمر بن الخطاب تأديبا، ثم مرض فمات بعد شهر، هكذا رواه معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه.

■ (4) أبو سروعة عقبة بن الحارث بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي، حجازي. يقولون: أبو سروعة بن الحارث، هو أخو عقبة بن الحارث، وذكروا أنه أسلم عام الفتح وله صحبة وشهد فتح مصر. مات بعد الخمسين بمكة. أو في خلافة ابن الزبير.

☪

قال علي الصلابي: هكذا نرى المساواة أمام الشريعة في أسمي درجاتها، فالمتهم هو ابن أمير المؤمنين، ولم يعفه الوالي من العقاب، ولكن الفاروق وجد أن ابنه تمتع ببعض الرعاية، فآلمه ذلك أشد الألم، وعاقب واليه -وهو فاتح مصر- أشد العقاب وأقساه. وأنزل بالابن ما يستحق من العقاب، حرصا على حدود الله، ورغبة في تأديب ابنه وتقويمه وإذا كان هذا منهجه مع أقرب الناس عنده فما بالك بالآخرين؟ عن سالم قال: ﴿كَانَ عُمَرُ إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَنَهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ جَمَعَ أَهْلَهُ فَقَالَ: إِنِّي نَهَيْتُ النَّاسَ عَنْ كَذَا وَكَذَا، وَإِنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ نَظَرَ الطَّيْرِ-يَعْنِي إِلَى اللَّحْمِ-وَأُقْسِمُ بِاللهِّ لا أَجِدُ أَحَدًا مِنْكُمْ فَعَلَهُ إِلا أَضْعَفْتُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ﴾ لقد طبق عمر رضي الله عنه مبدأ المساواة الذي جاءت به شريعة رب العالمين وجعله واقعا حيا يعيش ويتحرك بين الناس، فلم يتراجع أمام عاطفة الأبوة، ولم ينثن أمام ألقاب النبالة، ولا تضيع أمام اختلاف الدين أو مجاملة الرجال الفاتحين، لقد كان ذلك المبدأ العظيم واقعا حيا، شعر به كل حاكم ومحكوم، ووجده كل مقهور وكل مظلوم لقد كان لتطبيق مبدأ المساواة أثره في المجتمع الراشدي فقد أثر الشعور بها على نفوس ذلك الجيل فنبذوا العصبية التقليدية، من الادعاء بالأولية والزعامة، والأحقية بالكرامة، وأزالت الفوارق الحسبية الجاهلية، ولم يطمع شريف في وضيع، ولم ييأس ضعيف من أخذ حقه، فالكل سواء في الحقوق والواجبات، لقد كان مبدأ المساواة في المجتمع الراشدي نورا جديدا أضاء به الإسلام جنبات المجتمع الإسلامي وكان لهذا المبدأ الأثر القوي في إنشائه

قال ابن الجوزي: ينبغي أن لا نظن بعبد الرحمن بن عمر أنه شرب الخمر، وإنما شرب النبيذ متأولا، يظن أن ما شرب منه لا يسكر، وكذلك أبو سروعة، وأبو سروعة من أهل بدر*، فلما خرج بهما الأمر إلى السكر طلبا التطهير بالحد، وقد كان يكفيهما مجرد الندم على التفريط، غير أنهما غضبا لله سبحانه على أنفسهما المفرطة، فأسلمهما إلى إقامة الحد، وأما كون عمر أعاد الحد على ولده فليس ذلك حدا، وإنما ضربه غضبا وتأديبا، وإلا فالحد لا يكرر، قال: وقد أخذ هذا الحديث قوم من القصاص فأبدلوا فيه، وأعادوا، فتارة يجعلون هذا الولد مضروبا على شرب الخمر، وتارة على الزنا، ويذكرون كلاما مرققا ليبكي العوام، لا يجوز أن يصدر عن مثل عمر.

☪

قال سبيع بن ضمرة: كنت مع عمرو بن العاص حين سار إلى قيسارية* فدخلنا قرية من قرى الشام وكان البرد شديدا ونظرنا إلى كرومها ونظرت إلى كرمة في دار من دور القرية وفيها عناقيد مدلاة أكبر ما يكون فأخذنا منها وأكلنا فبردنا ولحقنا البرد الشديد من شدة برد ذلك العنقود فقلت: قبح الله هؤلاء الملاعين بلدهم بارد وعنبهم بارد وماؤهم بارد وأنا أخاف الهلاك من شدة برد بلادهم قال: فسمعني رجل من أهل البلد فأراد أن يقرب إلي لاداعبه فقال لي: يا أخا العرب أن كنت تجد البرد من العنب فاشرب من مائه قال سبيع: ثم إنه دلنا على دن كبير فيه خمر فشربت أنا وجماعة من عرب اليمن فسكرنا فجعلنا نتمايل سكرا فأخبر بذلك عمرو ابن العاص فكتب إلى أبي عبيدة يعلمه بذلك فكتب إليه أبو عبيدة: أما بعد فمن شربها فحده عليها وأقم حدود الله كما أمر ولا تخش لومة لائم فلما وصل الكتاب إلى عمرو دعا بسبيع ابن ضمرة وأصحابه فجلدهم بالسياط قال سبيع: فلما ضربني عمرو وأوجعني قلت: والله لأقتلن العلج الذي دلنا على الخمر حتى شربناها وأكلنا الحد فأخذت سيفي ودخلت القرية أطلب العلج فلما رأيته ووقعت عيني عليه أردت قتله فولى هاربا فتبعته وهو يقول: ما ذنبي عندك؟ فقلت: أنت دللتني على ما يغضب الله حتى أكلت الضرب فقال: والله ما علمت أنه محرم عليكم قال: فناداني عبادة بن الصامت وقال: يا سبيع إياك أن تقتله فإنه تحت الذمة قال: فتركته ومضى العلج وأتى إلي بتين وجوز وزبيب وقال: كل هذا بذاك فإنه يدفئك قال: فأكلته فوجدته طيبا فقلت: لحاك الله أين هذا كان قبل أن أضرب بالسياط!.

☪

روي أن عمرو بن العاص دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو على مائدته جاثيا على ركبتيه، وأصحابه كلهم على تلك الحال، وليس في الجفنة فضل لأحد يجلس، فسلم عمرو على عمر، فرد عليه السلام، قال عمرو بن العاص؟ قال: نعم، فأدخل عمر يده في الثريد فملأها ثريدا ثم ناولها عمرو بن العاص، فقال: خذ هذا، فجلس عمرو، وجعل الثريد في يده اليسرى، ويأكل باليمنى، ووفد أهل مصر ينظرون إليه، فلما خرجوا، قال الوفد لعمرو: أي شيء صنعت؟! فقال عمرو: إنه والله لقد علم أني بما قدمت به من مصر لغني عن الثريد الذي ناولني، ولكن أراد أن يختبرني، فلو لم أقبلها للقيت شرا.

----

*(من أهل بدر) وهم، والصواب أنه من مسلمة الفتح (قيسارية) مدينة بين حيفا ويافا.في فلسطين بناها الكنعانيون وسموها برج ستراتون وقد أعاد بنائها؟ هيرودوس الكبير وأطلق عليها اسم قيصرية نسبة إلى أغسطس قيصر الروماني

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/ أسد الغابة/ أنساب الأشراف/ لسان العرب/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ فتوح الشام/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/

عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال: لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص[1] حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا: يا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها قال: وما ذاك ؟ قالوا: إذا كان إحدى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلي أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون أبدا في الإسلام وإن الإسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا والنيل لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب له: أن قد أصبت بالذي قلت وإن الإسلام يهدم ما كان قبله وبعث بطاقة في داخل كتابه وكتب إلى عمرو: إني قد بعثت إليك ببطاقة في داخل كتابي فألقها في النيل فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد: فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الله يجريك فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم فاصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم.

ذكر بعضهم: أن جاحلا الصدفي[2] هو الذي جاء ببطاقة عمر رضي الله عنه إلى النيل حين توقف، فجرى بإذن الله تعالى. وقال يزيد بن أبي حبيب: أن موسى عليه السلام دعا على آل فرعون، فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء، فطلبوا إلى موسى أن يدعو الله، فدعا الله رجاء أن يؤمنوا، وذلك ليلة الصليب، فأصبحوا، وقد أجراه الله في تلك الساعة ستة عشر ذراعا، فاستجاب الله بطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام.

روى ابن سعد عن موسى بن جبير عن شيوخ من أهل المدينة قالوا : كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أما بعد فإني قد فرضت لمن قبلي في الديوان ولذريتهم ولمن ورد علينا بالمدينة من أهل اليمن وغيرهم ممن توجه إليك وإلى البلدان، فانظر من فرضت له فنزل بك فاردد عليه العطاء وعلى ذريته ومن نزل بك ممن لم أفرض له فافرض له على نحو مما رأيتني فرضت لأشباهه ، وخذ لنفسك مائتي دينار فهذه فرائض أهل بدر من المهاجرين والأنصار ولم أبلغ بهذا أحدا من نظرائك غيرك لأنك من عمال المسلمين فألحقتك بأرفع ذلك، وقد علمت أن مؤنا تلزمك فوفر الخراج وخذه من حقه، ثم عف عنه بعد جمعه، فإذا حصل لك وجمعته أخرجت عطاء المسلمين وما يحتاج إليه مما لا بد منه، ثم انظر فيما فضل بعد ذلك فاحمله إلى واعلم أن ما قبلك من أرض مصر ليس فيها خمس وإنما هي أرض صلح وما فيها للمسلمين فيء تبدأ بمن أغنى عنهم في ثغورهم وأجزأ* عنهم في أعمالهم ثم تفيض ما فضل بعد ذلك على من سمى الله واعلم يا عمرو أن الله يراك ويرى عملك فإنه قال تبارك وتعالى فى كتابه: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان] يريد أن يقتدى به، وأن معك أهل ذمة وعهد وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأوصى بالقبط فقال: ﴿اسْتَوْصُوا بالقبطِ خيرًا فإنَّ لهم ذمةً ورَحِمًا وَرَحِمُهُمْ أَنَّ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ﴾ وقد قال صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ فَأَنَا خَصْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، احذر يا عمرو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لك خصما فإنه من خاصمه خصمه، والله يا عمرو لقد ابتليت بولاية هذه الأمة وآنست من نفسي ضعفا ، وانتشرت رعيتي ورق عظمى، فاسأل الله أن يقبضني إليه غير مفرط، والله إني لأخشى لو مات جمل بأقصى عملك ضياعا أن أسأل عنه يوم القيامة.

عن الليث بن سعد قال: سأل المقوقس[3] عمرو بن العاص أن يبعة سفح المقطم بسبعين ألف دينار، فعجب عمرو من ذلك وقال: أكتب في ذلك إلى أمير المؤمنين، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: سله لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزرع ولا تستنبط به ماء ولا ينتفع بها؟ فسأله فقال: إنا لنجد صفتها في الكتب أن فيها غراس الجنة. فكتب بذلك إلى عمر: فكتب إليه عمر: إنا لا نعلم غراس الجنة إلا للمؤمنين، فاقبر فيها من قبلك من المسلمين ولا تبعه بشيء.

*(أجزا) قضى وأغنى وكفى

■ (2) جاحل أبو مسلم الصدفي ذكره أبو نعيم فقال ليست له عندي صحبة ولم يذكره أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين انتهى وقد ذكره محمد بن الربيع الجيزي في تاريخ الصحابة الذين نزلوا مصر وقال لا نعرف له حضور الفتح ولا خطة بمصر وللمصريين عنه حديث فذكره

■ (3) المقوقس صاحب الإسكندرية الذي راسل النبي صلى الله عليه وسلم وأهدى إليه وفتحت مصر عليه في خلافة عمر بن الخطاب وهو منه قال ولم يذكر أحد من أهل اللغة هذه الكلمة فيما انتهى إلينا والله أعلم.. ويقال إنه لقب لكل من ملك مصر والإسكندرية قبل الإسلام.هو أيضا البطرك كيرس أو سايروس اليوناني وقد كان بطريرك ملكاني متولي كرسي كنيسة الإسكندرية المصري في القرن السابع، وأحد واضعي عقيدة المشيئة الواحدة، وآخر حاكم بيزنطي لمصر.

■ (1) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

☪

قال ربعي بن عامر[1] رضي الله عنه لرستم[2] قائد الفرس –لما سأله: ما جاء بكم؟–قال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه حتى نفيء إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي. وعن ابن عباس قال: ﴿كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ﴾.

روى البيهقي بسنده عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة –اسم موضع– وكانت بها العزى* فأتاها، وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال له: ارجع فإنك لم تصنع شيئا. فرجع خالد، فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها أمعنوا هربا في الجبل وهم يقولون: يا عزى خبليه، يا عزى عوريه، وإلا فموتي برغم! قال: فأتاها خالد، فإذا امرأة عارية ناشرة شعرها، تحثو التراب على رأسها ووجهها، فعممها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: تلك العزى. وروى الواقدي وغيره أنه لما قدمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما رأيت؟ قال: لم أر شيئا؛ فأمره بالرجوع، فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول، فعلاها بالسيف، وجعل يقول: يا عزى كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك.ثم خرب البيت الذي كانت فيه، وأخذ ما كان فيه من الأموال، رضي الله عنه وأرضاه، ثم رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:تلك العزى ولا تعبد أبدا.

☪

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه الوابل الصيب من الكلم الطيب: كنا إذا ضاقت بنا الدنيا وسبلها، ونحن طلقاء قمنا بزيارة الشيخ أحمد بن عبد السلام بن تيمية الحراني وهو مسجون في سجن القلعة في دمشق، يقول: فوالله ما هو إلا أن نراه حتى يسرى ما بنا من هموم، وهو المسجون، لكنه مع الله، تجد المتروكين تأتي لهم الهموم، والذي مع الله وهو مسجون يعيش في آفاق واسعة من الراحة والأمن. يقول: فإذا سلمنا عليه قال لنا: المسجون من سجن عن خالقه، والمأسور من أسره هواه وشيطانه، ويقول: ما يصنع بي أعدائي، ماذا يصنعون بي؟ أغلى ما عندهم هي أقصى أمنية عندي، يقول: إن سجني خلوة بربي، وإن ترحيلي وتسفيري سياحة في أرض ربي، وإن قتلي شهادة للقاء ربي ويقول: ماذا يفعلون بي؟ هل عندهم أعظم من هذا، إما أن يكون سجنا، أو ترحيلا، أو قتلا، وكلها أمنيات للمؤمنين. ويقول أحد السلف: مساكين أهل هذه الدنيا، جاؤوا إليها وخرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها ؟ قال: التلذذ بعبادة الله. ويقول الآخر: والله لو يعلم أهل الجاه والمال والسلطان ما نحن عليه من السعادة لجالدونا عليها بالسيوف! ولذلك يقول ابن تيمية رحمه الله: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

☪

كتب عمرو بن العاص إلى عمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، إن البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف، دود على عود، بين غرق وبرق. فقال عمر: لا يسألني الله عن أحد حملته فيه. وقدم على عمر من مصر، وكان واليه عليها، فقال: كم سرت؟ قال: عشرين. فقال عمر: لقد سرت سير عاشق. فقال عمرو: إني والله ما تأبطتني الإماء ولا حملتني البغايا في غبرات المآلي. فقال عمر: والله ما هذا بجواب الكلام الذي سألتك عنه، وإن الدجاجة لتفحص في الرماد فتضع لغير الفحل، والبيضة منسوبة إلى طرفها. فقام عمرو متربد الوجه. وقال عمر رضي الله عنه يوما لجلسائه، وفيهم عمرو بن العاص : ما أحسن كل شيء؟ فقال كل رجل برأيه وعمرو ساكت، فقال عمر: ما تقول؟ قال: الغمرات ثم ينجلين. وكان يقول: عليكم بكل أمر مزلقة مهلكة. أي عليكم بجسام الأمور. وقال: إن ابن حنتمة بعجت له الدنيا معاها، وأطعمته شحمتها، وأمطرت له جودا سال منها شعابها، ودفقت في محافلها فمص منها مصا، وقمص منها قمصا، وجانب غمرتها ومشى ضحضاحها وما ابتلت قدماه، ألا كذاك أيها الناس؟ قالوا: نعم رحمه الله. وقال لعثمان وهو على المنبر: يا عثمان؟ إنك قد ركبت بهذه الأمة نهابير من الأمر، وزغت وزاغوا فاعتدل أو اعتزل. نصب معاوية قميص عثمان على المنبر، فبكى أهل الشام. فقال: هممت أن أدعه على المنبر. فقال له عمرو: إنه ليس بقميص يوسف، وإنه إن طال نظرهم إليه وبحثوا عن السبب وقفوا على ما لا تحب، ولكن لذعهم بالنظر إليه في الأوقات. وقال لابنه وقد ولي ولاية: انظر حاجبك فإنه لحمك ودمك، فلقد رأينا بصفين وقد اشرع قوم رماحهم في وجوهنا، ما لنا ذنب إليهم إلا الحجاب. وقال: ثلاث لا أملهن: جليسي ما فهم عني، وثوبي ما سترني، ودابتي ما حملت رحلي. وقال: ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، ولكنه الذي يعرف خير الشرين. قال المدائني: جعل لرجل جعل على أن يسأل عمرو بن العاص وهو على المنبر عن أمه، فلما قام على المنبر، قال له: يا عمرو، من أمك؟ قال: سلمى بنت خزيمة، تلقب بالنابغة، من بني جلان من عنزة، أصابتها رماح العرب فصارت للفاكه بن المغيرة، ثم صارت إلى عبد الله بن جدعان، ثم صارت للعاص بن وائل فولدت فأنجبت؛ اذهب فخذ جعلك الذي جعل لك. ونظر إليه على بغلة؟ قد شمط وجهها هرما، فقيل له: أتركب هذه وأنت على أكرم ناخرة بمصر؟ فقال: لا ملل عندي لدابتي ما حملت رحلي، ولا لامرأتي ما أحسنت عشرتي، ولا لصديقي ما حفظ سري، إن الملل من كواذب الأخلاق. وقال لبنيه: اطلبوا العلم، فإن استغنيتم كان جمالا، وإن افتقرتم كان مالا. قال عمرو: يا بني، إمام عادل خير من مطر وابل، واسد حطوم خير من سلطان ظلوم، وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم، ولأن تمازح وأنت مجنون خير من أن يمازحك مجنون، وزلة الرجل عظم يجبر، وزلة اللسان لا تبقي ولا تذر، واستراح من لا عقل له. قلت:بل الظلوم الكافر هو الفتنة التي تدوم.

*(العزى) اسم صنم وقيل العزى سمرة =والسمر: هو ضرب من شجر الطلح، الواحدة سمرة= كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتا وأقاموا لها سدنة فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه و سلم خالد بن الوليد فهدم البيت وأحرق السمرة

■ (1) ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو ، كان من أشراف العرب ، وله ذكر في غزوة نهاوند ، وولاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان ، وكان ممن أمد به عمر بن الخطاب المثنى بن حارثة في فتح العراق

■ (2) رستم بن فرخ هرمز أو رستم بن فرخزاد لقبه هرمزان صاحب جيش العجم الساساني قتل يوم القادسية 13 شعبان 15 هـ على يد هلال بن علفة التميمي

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الإصابة في تمييز الصحابة/ المواعظ والاعتبار/ موسوعة الدين النصيحة/ كنز العمال/ـمجلة المنار/ جامع الأحاديث/ نثر الدر/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) وأبو موسى، والي البصرة (١) 0033

عن جرير بن عبد الله البجلي[1] أن رجلا كان مع أبي موسى الأشعري[2]، وكان ذا سوط، ونكاية في العدو، فغنموا مغنما فأعطاه أبو موسى بعض سهمه، فأبى أن يقبله إلا جميعا، فجلده أبو موسى عشرين سوطا وحلقه، فجمع الرجل شعره ثم ترحل إلى عمر بن الخطاب حتى قدم عليه، فدخل على عمر بن الخطاب، قال جرير: وأنا أقرب الناس من عمر، فأدخل يده فاستخرج شعره ثم ضرب به صدر عمر، ثم قال: أما والله لولا النار، فقال عمر: صدق والله، لولا النار، فقال: يا أمير المؤمنين إني كنت ذا سوط ونكاية، فأخبره بأمره، وقال: ضربني أبو موسى عشرين سوطا، وحلق رأسي، وهو يرى أنه لا يقتص منه. فقال عمر رضي الله عنه: لأن يكون الناس كلهم على صرامة هذا، أحب إلي من جميع ما أفاء الله علينا.

فكتب عمر إلى أبي موسى: السلام عليك، أما بعد: فإن فلانا أخبرني بكذا وكذا، فإن كنت فعلت ذلك في ملاء من الناس، فعزمت عليك لما قعدت له في ملاء من الناس حتى يقتص منك، وإن كنت فعلت ذلك خلاء من الناس، فاقعد له في خلاء الناس حتى يقتص منك. فقدم الرجل، فقال له الناس: أعف عنه، فقال: لا والله، لا أدعه لأحد من الناس، فلما قعد له أبو موسى ليقتص منه، رفع الرجل رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم، إني قد عفوت عنه.

قال عبد الله بن يزيد الباهلي: دخل ضبة بن محصن[3] من الليل، فتحدث عندي، حتى خشيت عليه الحرس، قال: فكان فيما حدثني، قال: شاكيت أبا موسى في بعض ما يشاكي الرجل أميره؟، قال: فانطلقت أثوا عليه -يعني أشي به عند عمر-، قال: وذلك عند حضور وفادة أبي موسى، فكتب أبو موسى إلى عمر رضي الله عنه والبرد* إذ ذاك على الإبل، قال: فكتب: السلام عليك، أما بعد:فإني كتبت إليك وأنا خارج إليك في كذا وكذا، قال: وكتب إليه: وضبة بن محصن قد خرج من عندي بغير إذن، وهو بيني وبينك، فأحببت أن تعلم ذاك يا أمير المؤمنين، قال: فسبقني كتابه، فقدمت المدينة فجئت إلى باب عمر، فقلت: السلام عليك أيدخل ضبة بن محصن، فقال عمر: لا مرحبا ولا أهلا. قال: قلت: أما المرحب فمن الله، وأما الأهل فلا أهل ولا مال، قال فأعدت ذلك ثلاث مرات، فأعاد هو ثلاثا، ثم قال: ادخل، أو قال لي فدخلت، قال: قلت: يا أمير المؤمنين الرجل يظلمه سلطانه فإذا انتهى إلى أمير المؤمنين لم يجده عنده خيرا (غيرا)، فوالله يا أمير المؤمنين، إن الأرض لواسعة، وإن العدو لكثير، قال: فكأنه كشف عن وجهه غطاء، فقال: ادن دونك، فقال: إيه*،ثم قال: إيه، قال: قلت: أبو موسى اصطفى لنفسه أربعين من الأساورة*، قال: فقال: اكتب، فكتب، قال: ثم قال: إيه، قلت: أبو موسى له مكيالان* يكيل الناس بغير الذي يكتال به، قال: اكتب، فكتب، ثم قال: إيه، قلت: عقيلة سريته* لها قصعة* غادية رائحة يأكل منها أشارف الجند، قال: اكتب، فكتب، فما لبث إلا يسيرا حتى قدم أبو موسى، قال: فمشيت إلى جنبه أعطفه، وأذكره أمير المؤمنين، قال: حتى انتهى إلى أمير المؤمنين، فقال له: ما بال أربعين اصطفيتهم لك من أبناء الأساورة؟، قال: يا أمير المؤمنين، اصطفيتهم وخشيت أن يخدع الجند عنهم، ففديتهم واجتهدت في فدائهم، وكنت أعلم بفدائهم، ثم خمست وقسمت. قال ضبة: وصادق والله، ما كذبه أمير المؤمنين وما كذبته، قال: فما بال مكيال تكتال به، وتكيل الناس بغيره؟، قال: مكيال أكيل به قوت أهلي وأرزاق دوابي، وما كلت به لأحد، وما كلته به من أحد. قال ضبة: وصادق والله، فوالله ما كذبه أمير المؤمنين وما كذبته، قال: فما بال قصعة عقيلة الغادية الرائحة؟، قال: فسكت ولم يعتذر منها شيء، قال: فقال لوفده: أنشد الله رجلا أكل منها، قال: فسكت القوم، ثم دعا ثلاث مرات، قال: فقال وكيع بن قشر التميمي:[4]قبح الله تلك القصعة، فإنا أخالنا قد أصبنا منها، قال: فقال عمر:لا جرم* والذي نفسي بيده، لا ترى عقيلة العراق ما دمت أملك شيئا، فاحتبسها عنده.

قال الروي: فذكرت هذا لأبي بردة[5]فقال: ألا أحدثك بنحو من هذا؟، خرج أبو موسى على خمسة أبعرة بعضها بختي*، خرج وافدا إلى عمر، قال: ومعه فتاه فلان المولد، كان يسافر به، قال: وأوقر* البختي دقيقا وسويقا*حتى دبر*، قال: وكان عمر ممن إذا قدم وافدا إليه، أبو موسى ففرغ مما يسأله (يشاكله)، يقول له: أعرض علي ظهرك الذي جئت عليه، قال: فربما قال: أغز به في سبيل الله، فيفعل، قال: فلما دبر البختي، قال فتى أبي موسى له: يا أبا موسى لا تعرض هذا البختي على عمر فيما تعرض، فوالله لئن رأى ما به لا تنالن عنده نالة أبدا، قال أبو بردة: فما أدري أنسي وصية فتاه، أو تأثم أن يكتمه عمر حين يسأله أمير المؤمنين. قال: فعرضه فيما يعرض، فشخصت أو قال: فسمت عينا عمر إليه، فدعا به فإذا به دبرة، قال: فدعا بإناء فيه ماء، فجعل يغسل عنه بيده حتى أنقاها، ثم دعا بذرور* فجعل ينثر بها دبرة البعير، قال: من ولي بختيك هذا يا أبا موسى؟، قال: فتاي فلان؛ قال: لا جرم* والذي نفسي بيده، لا ترى العراق ما دمت أملك شيئا، قال أبو بردة: فما رأت عقيلة ولا فتاة العراق حتى قبض عمر رضي الله عنه.

وروى الناس هذا الكلام على وجه آخر، فقالوا: لما رجع أبو موسى عن أصبهان بعد دخول الجنود الكور* وقد هزم الربيع بن زياد الحارثي[6] أهل بيرود*وجمع السبي والأموال فغدا على ستين غلاما من أبناء الدهاقين* تنقاهم وعزلهم وبعث بالفتح والأخماس إلى عمر ووفد وفدا، فجاءه رجل من عنزة فقال: اكتبني في الوفد، فقال: كتبنا من هو أحق منك، فانطلق مغاضبا مراغما*، وكتب أبو موسى إلى عمر أن رجلا من عنزة، يقال له ضبة بن محصن كان من أمره وقص قصته، فلما قدم الكتاب والفتح والوفد على عمر، قدم العنزي فأتى فسلم عليه، فقال: من أنت؟ فأخبره، فقال: لا مرحبا ولا أهلا، قال: أما المرحب فمن الله وأما الأهل فلا أهل، فاختلف إليه ثلاثا يقول له: هذا ويرد عليه هذا، حتى إذا كان اليوم الرابع، فدخل عليه، فقال: ماذا نقمت على أميرك؟ قال: تنقى نيفا وستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه، وله جارية تدعى عقيلة تغدي جفنة وتعشي جفنة، وليس منا رجل يقدر على ذلك، وله خاتمان، وفوض إلى زياد بن أبي سفيان[7]وكان زياد يلي أمور البصرة، وأجاز الحطيئة بألف، فكتب عمر كلما قال، قال: وبعث إلى أبي موسى، فلما قدم حجبه أياما، ثم دعا به، ودعا ضبة بن محصن، ودفع إليه الكتاب، فقال: اقرأ ما كتب، فقرأ: أخذ ستين غلاما، فقال أبو موسى: وكان لهم فدي ففديتهم فأخذته فقسمته بين المسلمين، فقال ضبة: والله ما كذب، ولا كذبت، فقال له: قفيزان؟ فقال أبو موسى: قفيز لأهلي أقوتهم، وقفيز في أيديهم للمسلمين يأخذون به أرزاقهم، فقال ضبة: والله ما كذب، ولا كذبت، فلما ذكر عقيلة، سكت أبو موسى، فلم يعتذر، وعلم أن ضبة قد صدقه، فقال: وزياد يلي أمور الناس، ولا يعرف هذا ما يلي؟ فقال: وجدت له نبلا ورأيا فأسندت إليه عملي، قال: وأجاز الحطيئة[8]بألف؟ قال: سددت فمه بمالي أن يشتمني، قال: قد فعلت ما فعلت فرده عمر، فقال: إذا قدمت فأرسل إلي زيادا وعقيلة، ففعل، فقدمت عقيلة قبل زياد وقدم زياد، بالباب، فخرج عمر، وزياد قائم بالباب وعليه ثياب بياض كتان، فقال: ما هذه الثياب؟ فأخبره، فقال: كم أثمانها؟ أخبره بشيء يسير، وصدقه، فقال له: كم عطاؤك؟ قال: ألفان، قال: ما صنعت في أول عطاء خرج؟ قال: اشتريت به والدتي فأعتقتها، واشتريت بالثاني ربيبي* عبيدا فأعتقته، قال: وفقت، فسأله عن الفرائض والسنن والقرآن، فوجده فقيها، فرده وأمر أمراء البصرة أن يسيروا برأيه، وحبس عقيلة بالمدينة، وقال عمر: ألا أن ضبة بن محصن العنزي غضب على أبي موسى في الحق أن أصابه فارقه مراغما أن فاته أمر من أمور الدنيا فصدق عليه وكذب فأفسد كذبه صدقه، فإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى النار، وكان الحطيئة قد لقيه فأجازه من غزاة بيروذ*، وكان أبو موسى قد ابتدأ غزاتهم وحصارهم حتى فلهم*، ثم جازهم ووكل بهم الربيع، ثم رجع إليهم بعد الفتح فولي القسم.

----

*(البُرد) الرسل (إيه) كلمة استزادةٍ واستنطاقٍ (السرية) الأمة التي بوأتها بيتا. والتسري هو اتخاذ الجارية سرية وهي الأمة التي اتخذها مولاها للفراش وحصنها (القصعة) الصحفة (البخت) الإبل الخراسانية كالبختية معرب (دبر البعير) بكسر الباء دبرا فهو دبر أصابته الدبرة والدبرة بالتحريك: قرحة الدابة (الذرور) دواء يابس للعين. ما يذر في العين وعطر كالذريرة.وذر على القرح طرحه وداواه به (الأساورة) قوم من العجم نزلوا البصرة، وقيل أساورة الفرس فرسانهم المقاتلون وقيل نسبة إلى أساورة بأصبهان.وعبارة الطبري في تاريخه:تنقى ستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه (الدِهقان) رئيس القرية: رئيس الإقليم. والأساورة، جمع اسوار وهو الجيد الرمي بالسهام وقائد الفرس (أوقر بعيره) من الوقر. وأوقرت النخلة أي كثر حملها (السويق) طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير سمي بذلك لانسياقه في الحلق جمع أسوقة (المكيال) ما كيل به وفي المختصر: مكتالان والمكتل كمنبر: زنبيل يسع خمسة عشر صاعا. وفي الطبري: قفيزان (بيروذ) بيروذ: ناحية بين الأهواز، وبلد الطيب، وبيرود: صقع شامي بين حمص ودمشق، على طريق البرية.(القفيز) مكيال ثمانية مكاكيك والمكوك مكيال يسع صاعا ونصفا (مراغما) أي مغاضبا منابذا.(لا جرم) ولا جرم ككرم، ولا جرم - بالضم- أي: لا بد أو حقا، أو لا محالة، أو هذا أصله، ثم كثر حتى تحول إلى معنى القسم.(الربيب) ابن الزوجة. (فلهم) هزمهم. (الكورة) كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر، يجمع اسمها. والكورة: اسم يقع على جهة من الأرض مخصوصة، كالشام وفلسطين والعراق ونحو ذلك.

■ (2) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من فقهاء الصحابة أصله من اليمن. أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة (قيل: ليس من مهاجرة الحبشة) ثم قدم مع أهل السفينتين (قيل: وافق قدومه قدومهم) ورسول الله بخيبر. وأرسله رسول الله مع معاذ بن جبل إلى اليمن، ولى عمر بن الخطاب أبا موسى البصرة إذ عزل عنها المغيرة في وقت الشهادة عليه وذلك سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ثم لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه فأقره، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ثم كان منه بصفين وفي التحكيم ما كان .ولما خدعه عمرو بن العاص نزل شعبا بمكة فيه شيء من القبور يعرف بشعب أبي الدر وقال أجاور قوما لا يغدرون ولم يزل حتى توفي في سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ وقيل توفي بالكوفة في داره بجانب المسجد.

■ (1) جرير بن عبد الله البجلي، أبو عمرو، وقيل كنيته أبو عبد الله وفد على رسول الله سنة عشر في شهر رمضان، ما حجبه النبي مذ أسلم ولا رآه إلا تبسم في وجهه سكن الكوفة فلما وقعت الفتن خرج من الكوفة هو وعدى بن حاتم وحنظلة الكاتب وقالوا لا نقيم ببلدة يشتم فيها عثمان فخرجوا إلى قرقيسيا وسكنوها فكان جرير يخضب رأسه ولحيته ومات جرير سنة 51 هـ وقيل: بعدها وكان موته بالسراة في ولاية الضحاك بن قيس الكوفة وكانت ولاية الضحاك بن قيس الكوفة سنتين ونصفا.

■ (7) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (6) الربيع بن زياد بن أنس بن الديان الحارثي، له صحبة. استخلفه أبو موسى على قتال مناذر سنة 17 فافتتحها عنوة وقتل وسبى وقتل بها أخوه المهاجر بن زياد.قيل لما أنه مقتل حجر بن عدي قال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه. فلم يبرح من مجلسه حتى مات سنة 53هـ.

■ (3) ضبة بن محصن العنزي البصري روى عن عمر بن الخطاب وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم

■ (8) الحطيئة الشاعر هو جرول بن أوس بن مالك العبسي، يكنى أبا مليكة.وإنما لقب الحطيئة لقصره، قيل توفي في حدود سنة 59 هـ.

■ (4) وكيع بن قشر التميمي (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم).

■ (5) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، ثقة، توفي سنة 104 هـ.

☪

عن ضبة بن محصن قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد: فإن للناس نفرة من سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني وإياك، فأقم الحدود ولو ساعة من النهار، وإذا حضر أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله، فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى، وأخف الفساق، واجعلهم يدا يدا ورجلا رجلا، عد مريض المسلمين، واحضر جنائزهم، وافتح بابك، وباشر أمورهم بنفسك، فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا. وقد بلغني أنه نشأ لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك، ومطعمك، ومركبك ليس للمسلمين مثلها. فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصب فلم يكن لها هم إلا التسمن، وإنما حتفها في السمن واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته، وأشقى الناس من شقيت به رعيته.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر ين الخطاب/ القاموس المحيط/ لسان العرب/ ديوان الأدب المعجم الوسيط/ الثقات لابن حبان/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ كتاب العين/ تهذيب الأسماء/

عن أبي عبد الله بن إدريس، قال: أتيت سعيد بن أبي بردة[1]، فسألته عن رسائل عمر بن الخطاب التي كان يكتب بها إلى أبي موسى[2]، وكان أبو موسى قد أوصى إلى أبي بردة[3]، قال: فأخرج إلي كتبا فرأيت في كتاب منها: أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس* بين الاثنين في مجلسك ووجهك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس وضيع، وربما قال: ضعيف من عدلك، الفهم الفهم مما يتلجلج* في صدرك، وربما قال: في نفسك، فيشكل عليك وما لم ينزل في الكتاب، ولم تجربه السنة، فاعرف الأشباه والأمثال، ثم قس الأمور بعضها ببعض، وانظر أقربها إلى الله عزوجل وأشبهها بالحق فاتبعه واعمد إليه، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس، راجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك، فإن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. المسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجلودا في حد، أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا* في ولاء أو قرابة، اجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهي إليه أو بينة عادلة، فإنه أثبت في الحجة، وأبلغ في العذر، فإن أحضر بينة إلى ذلك الأجل أخذ بحقه، وإلا وجهت عليه القضاء. البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر. إن الله تولى منكم السرائر، ودرأ عنكم الشبهات، وإياك والقلق* والضجر، والتأذي بالناس، والتنكر للخصم في مجالس القضاء التي يوجب الله تعالى بها الأجر، ويحسن فيها الذخر، من خلصت نيته فيما بينه وبين الله عزوجل كفاه ما بينه وبين الناس، والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما، أو حرم حلالا، ومن تزين للناس بما يعلم الله عزوجل غير ذلك شانه الله، فما ظنك بثواب عند الله في عاجل وآجل آخره.

عن أبي سعيد قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه معذور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي، فرجعت، فقال: ما منعك؟ فقلت: استأذنت ثلاثا، فلم يؤذن لي، فرجعت، وقال صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا اسْتَأْذَنَ أحدكم ثَلَاثًا فلم يُؤْذَنْ له فَلْيَرْجِعْ﴾ فقال:والله لتقيمن عليه بينه، أمنكم أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال أبي: فوالله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغرهم فقمت معه، فأخبرت عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك.وفي رواية أن عمر قال له: إن كان هذا شيء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا لأجعلنك عظة، وفيها أنه حين أتى الأنصار جعلوا يضحكون. فقال لهم: يأتيكم أخوكم قد أقرع وتضحكون، فقال: انطلق وأنا شريك في العقوبة فأتاه. وعن ... أن أبا موسى قدم على عمر ومعه كاتب نصراني، فرفع كتابه، فأعجب عمر، وملم يعلم أن نصراني، فقال لأبي موسى: أين كاتبك هذا حتى يقرأ الكتاب على الناس؟ فقال أبو موسى. يا أمير المؤمنين إنه لا يدخل المسجد. قال: لم؟ أجنب هو؟ قال: لا، ولكنه نصراني، فانتهره عمر وقال: لا تدنوهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرموهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنوهم وقد خونهم الله، وقد نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب، فإنهم يستحلون الرشا. وعن ... أن عمر قال لأبي موسى: ائتني برجل ينظر في حسابنا، فأتاه بنصراني فقال: لو كنت تقدمت إليك لفعلت وفعلت، سألتك رجلا أشركه في أمانتي فأتيتني بمن يخالف دينه ديني.

----

*(آس بين الناس) أي: سو بينهم (تلجلج) أي: تردد في صدرك، وقلق ولم يستقر (أو ظنينا في ولاء أو نسب) أي: متهم (القلق) الانزعاج وفي أعلام الموقعين: (فما ظنك بثواب عند الله)، قال ابن القيم: يريد به تعظيم جزاء المخلص، وبيان أن جزاء العاملين كما ذكر في القرآن مرارا لا يقدر قدره عند الله، وأنهم سيوفون أجرهم في هذه الحياة الدنيا وفي الآخر

■ (2) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من فقهاء الصحابة أصله من اليمن. أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة (قيل: ليس من مهاجرة الحبشة) ثم قدم مع أهل السفينتين (قيل: وافق قدومه قدومهم) ورسول الله بخيبر. وأرسله رسول الله مع معاذ بن جبل إلى اليمن، ولى عمر بن الخطاب أبا موسى البصرة إذ عزل عنها المغيرة في وقت الشهادة عليه وذلك سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ثم لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه فأقره، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ثم كان منه بصفين وفي التحكيم ما كان .ولما خدعه عمرو بن العاص نزل شعبا بمكة فيه شيء من القبور يعرف بشعب أبي الدر وقال أجاور قوما لا يغدرون ولم يزل حتى توفي في سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ وقيل توفي بالكوفة في داره بجانب المسجد.

■ (3) أبو بردة بن أبي موسى، عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري، الفقيه، العلامة، قاضي الكوفة.حدث عن أبيه، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن سلام، وأبي هريرة، وآخرين. وكان من أوعية العلم، حجة باتفاق، اسمه عامر فيما قيل، وولي قضاء الكوفة بعد شريح مدة، ثم عزله الحجاج، وولى أخاه أبا بكر بن أبي موسى. مات أبو بردة سنة 104 هـ، وقال الواقدي: مات سنة 103 هـ

■ (1) سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري أحد رواة الحديث النبوي. مات سنة 138 هـ

☪

قال ابن عبد البر[1]: وهذا الخبر روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من وجوه كثيرة، من رواية أهل الحجاز وأهل العراق وأهل الشام ومصر والحمد لله. قال ابن فرحون [2]: قال ابن سهل وقول عمر رضي الله عنه في هذه الرسالة: المؤمنون عدول بعضهم على بعض. رجع عمر رحمه الله عن ذلك بما رواه مالك في الموطأ، قال ربيعة قدم رجل من أهل العراق على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال قد جئتك بأمر لا رأس له ولا ذنب، فقال عمر: وما هو؟ فقال: شهادات الزور ظهرت بأرضنا، فقال عمر رضي الله عنه: لا يؤسر رجل في الإسلام بغير العدول، وهذا يدل على رجوعه عما في هذه الرسالة، ونحو ذلك نقله ابن عبد الحكم عن عمر رضي الله عنه وذكر عن الحسن والليث بن سعد من التابعين الأخذ بما في هذه الرسالة في أمر الشهود، والأكثرون على خلافه بدليل قوله تعالى ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [الطلاق] وقوله تعالى ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة].

☪

عن سعيد بن أبي بردة، قال: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أما بعد: فإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته، وإن أشقى الرعاة عند الله من شقيت به رعيته، إياك أن ترتع، فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة، نظرت إلى خضرة من الأرض، فرعت فيها تبغي بذلك السمن، وإنما حتفها في سمنها، والسلام. وعن أبي البختري: أن عمر كتب إلى أبي موسى: لا تؤخر عمل اليوم إلى غد، فتدال عليك الأعمال فتضيع، فإن للناس نفرة عن سلطانهم، أعوذ بالله أن تدركني وإياكم ضغائن محمولة، ودنيا مؤثرة، وأهواء متبعة. وعن الحسن البصري، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى وهو بالبصرة: بلغني أنك تأذن للناس جما غفيرا، فإذا جاءك كتابي هذا فأذن لأهل الشرف وأهل القرآن، والتقوى، والدين، إذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة. وعن أبي عمران الجوني قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: أنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم للناس، فأكرم وجوه الناس، فيستحيي المسلم الضعيف من العدل والقسمة.وعن أبي عمران الجوني، أن عمر، كتب إلى أبي موسى: أن كاتبك الذي كتب إلي لحن، فاضربه سوطا.وعن يزيد بن أبي حبيب: أن كاتب عمرو بن العاص كتب إلى عمر رضي الله عنه فكتب بسم ولم يكتب فيها سينا، فكتب عمر إلى عمرو: أن اضربه سوطا، فضربه، فقيل له: فيم ضربك؟، قال: في سين.

☪

عن أبي بردة بن أبي موسى، قال: قال لي عبد الله بن عمر: هل تدري ما قال أبي لأبيك؟ قال قلت: لا، قال: فإن أبي قال لأبيك: يا أبا موسى هل يسرك أن إسلامنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتنا معه وجهادنا معه، وعملنا كله معه برد* لنا وأن كل عمل عملناه بعده نجونا منه كفافا رأسا برأس؟ فقال أبي: لا والله قد جاهدنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا، وصمنا وعملنا خيرا كثيرا، وأسلم على أيدينا بشر كثير، وإنا لنرجوا ذلك، فقال أبي: لكني أنا والذي نفس عمر بيده لوددت أن ذلك برد لنا، وأن كل شيء عملناه بعده نجونا منه كفافا رأسا برأس، فقلت: إن أباك والله خير من أبي. وذكر ابن الجوزي عن أبي بردة عن ابن عمر قال: لقي أبي أباك فقال: أيسرك أنك خرجت من عملك خيره وشره، وشره بخيره لا لك ولا عليك؟ قال قلت: والله يا أمير المؤمنين لقد قدمت البصرة وإن الجفا فيهم لفاش، فعلمتهم القرآن والسنة، وغزوت بهم في سبيل الله، وإني لأرجوا بذلك فضيلة، قال: ولكن وددت أني قد خرجت من عملي خيره وشره، وشره بخيره، كفافا لي ولا علي، وخلص لي عملي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إن أباك خير من أبي.

----

*(برد) ثبت

■ (2) إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري: عالم بحاث، وهو من شيوخ المالكية، ولد ونشأ ومات في المدينة. نسبته إلى يعمر بن مالك، من عدنان. رحل إلى مصر والقدس والشام سنة 792 هـ. وتولى القضاء بالمدينة سنة 793 هـ ثم أصيب بالفالج في شقه الايسر، فمات بعلته عن نحو 70 عاما سنة 799 هـ

■ (1) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: المعروف بابن عبد البر ، من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة. ولد بقرطبة. ورحل رحلات طويلة في غربي الاندلس وشرقيها. وولي قضاء لشبونة وشنترين. وتوفي بشاطبة.سنة 463 هـ

مراجع: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ الاستذكار/ تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام/ الأعلام للزركلي/ البهجة في شرح التحفة/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ حياة الصحابة للكاندهلوى/

أخرج ابن أبي حاتم عن عياض أن عمر رضي الله عنه أمر أبا موسى الأشعري[1] رضي الله عنه أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم* واحد، وكان له كتاب نصراني، فرفع إليه ذلك، فعجب عمر وقال: إن هذا لحفيظ، ادع كاتبك يقرأه على الناس في المسجد؟ فقال: إنه لا يستطيع، فقال عمر: أجنب هو؟ قال: لا بل نصراني، قال: فانتهرني وضرب فخذي ثم قال: أخرجوه ثم قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة]

وفي رواية قال: لما ولي أبو موسى الأشعري البصرة، وقدم على عمر بن الخطاب فوجده في المسجد فاستأذن عليه فأذن له، واستأذن لكاتبه، وكان نصرانيا فلما دخل على عمر، ورآه فقال: قاتلك الله يا أبا موسى، وليت نصرانيا على المال أما سمعت قول الله سبحانه وتعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة] فقال: يا أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه فقال عمر: لا أكرمهم بعد أن أهانهم الله، ولا أعزهم بعد أن أذلهم الله، ولا أدنيهم بعد أن أقصاهم الله.

وفي رواية أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه كاتب نصراني، فرفع كتابه، فأعجب عمر، وملم يعلم أن نصراني، فقال لأبي موسى: أين كاتبك هذا حتى يقرأ الكتاب على الناس؟ فقال أبو موسى. يا أمير المؤمنين إنه لا يدخل المسجد. قال: لم؟ أجنب هو؟ قال: لا، ولكنه نصراني، فانتهره عمر وقال: لا تدنوهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرموهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنوهم وقد خونهم الله، وقد نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب، فإنهم يستحلون الرشا. وفي رواية أن عمر قال لأبي موسى: ائتني برجل ينظر في حسابنا، فأتاه بنصراني فقال: لو كنت تقدمت إليك لفعلت وفعلت، سألتك رجلا أشركه في أمانتي فأتيتني بمن يخالف دينه ديني.

---

*(الأديم) الجلد المدبوغ

■ (1) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من فقهاء الصحابة أصله من اليمن. أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة (قيل: ليس من مهاجرة الحبشة) ثم قدم مع أهل السفينتين (قيل: وافق قدومه قدومهم) ورسول الله بخيبر. وأرسله رسول الله مع معاذ بن جبل إلى اليمن، ولى عمر بن الخطاب أبا موسى البصرة إذ عزل عنها المغيرة في وقت الشهادة عليه وذلك سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ثم لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه فأقره، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ثم كان منه بصفين وفي التحكيم ما كان .ولما خدعه عمرو بن العاص نزل شعبا بمكة فيه شيء من القبور يعرف بشعب أبي الدر وقال أجاور قوما لا يغدرون ولم يزل حتى توفي في سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ وقيل توفي بالكوفة في داره بجانب المسجد.

الإسلام

استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء، فأذن له، فلما دخل عليه رأى بين يديه رجلا يهوديا كاتبا، كانت له منزلة وقربه لقيامه بما يصرفه فيه ويتولاه من خدمته، فلما رآه الفقيه قال –وقد كان المأمون أومأ إليه بالجلوس- : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس قال: نعم، فأنشده: إن الذي شرفت من أجله.. يزعم هذا أنه كاذب. وأشار إلى اليهودي، فخجل المأمون ووجم، ثم أمر حاجبه بإخراج اليهودي مسحوبا على وجهه، وأنفذ عهدا باطراحه وإبعاده، وألا يستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله. قال سعود الشريم: قال الشافعي في كتابه الأم : ما ينبغي لقاض ولا وال أن يتخذ كاتبا ذميا، ولا يضع الذمي موضعا يفضل به مسلما، فإذا كان هذا، أيها المسلمون، فإنه يعز علينا جميعا أن يكون لنا حاجة إلى غير مسلم، وإذا كان هذا في حق كاتب القاضي أو الوالي ففي كتاب المسلمين وصحافتهم من باب أولى؛ لعموم النفع أو الضر به، فليت شعري! هل يعي ذلك ممتهن الصحافة قراءة وكتابة؟ وهل سيظلون في دائرة التلقي ممن في صدق انتمائهم للدين شك وريبة؟ أم أننا سنظل أبدا نتذوق مرارة نتجرعها ولا نكاد نسيغها غير مرة من جراء ثقة عمياء كإعماء البله، أو على حد قول بعضهم: اعصب عينيك واتبعني!.

عن استق قال:كنت مملوكا لعمر بن الخطاب وأنا نصراني فكان يعرض علي الإسلام ويقول: إنك إن أسلمت استعنت بك على أمانتي فإنه لا يحل لي أن أستعين بك على أمانة المسلمين ولست على دينهم، فأبيت عليه، فقال: لا إكراه في الدين، فلما حضرته الوفاة أعتقني وأنا نصراني وقال: اذهب حيث شئت.

قال محمد عمر دولة: وقد أفتى علماء الإسلام في لجنة الفتوى والبحوث بجامعة القرآن الكريم بكفر من قال بإيمان اليهود والنصارى، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الباطلة، أو السماح لهم بترويج كفرهم والدعوة إليه ونشره بين المسلمين. ويدخل في ذلك ما يسمى بمؤتمرات حوار الأديان التي تهدف إلى إزالة الفوارق بين الإسلام والديانات المحرفة وتجاوز الخلاف العقدي بين المسلمين وغيرهم. راجع: فقه الولاء والبراء. موسوعة البحوث والمقالات العلمية.

☪

عن بكير بن الأشج أن بسر بن سعيد حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدرى[1] يقول: كنا فى مجلس عند أبى بن كعب[2]، فأتى أبو موسى الأشعري مغضبا حتى وقف، فقال: أنشدكم الله، هل سمع أحد منكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿الاِسْتِئْذَانُ ثَلاَثٌ فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلاَّ فَارْجِعْ﴾ قال أبى: وما ذاك؟ قال: استأذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرات، فلم يؤذن لى، فرجعت، ثم جئته اليوم، فدخلت عليه، فأخبرته أنى جئت أمس، فسلمت ثلاثا ثم انصرفت، قال: قد سمعناك ونحن حينئذ على شغل، فلو ما استأذنت حتى يؤذن لك، قال: استأذنت كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فوالله، لأوجعن ظهرك وبطنك أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا. فقال أبى بن كعب: فوالله لا يقوم معك إلا أحدثنا سنا، قم يا أبا سعيد. فقمت حتى أتيت عمر، فقلت: قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا. وعن أبي سعيد أن أبا موسى أتى باب عمر فاستأذن فقال: عمر واحدة. ثم استأذن الثانية فقال عمر: ثنتان. ثم استأذن الثالثة فقال عمر: ثلاث. ثم انصرف فأتبعه فرده فقال: إن كان هذا شيئا حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فها وإلا فلأجعلنك عظة. قال أبو سعيد: فأتانا فقال: ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿الاِسْتِئْذَانُ ثَلاَثٌ﴾ قال: فجعلوا يضحكون، قال: فقلت: أتاكم أخوكم المسلم، قد أفزع تضحكون، انطلق فأنا شريكك فى هذه العقوبة. فأتاه فقال: هذا أبو سعيد.

■ (1) سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد: صحابي، كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة، وله 1170 حديثا. توفي في المدينة سنة 74 هـ.

■ (2) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن يزيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار النجاري الأنصاري المدني أبو المنذر سمع النبي صلى الله عليه وسلم. قيل مات سنة 30 هـ في خلافة عثمان وهو أثبت الأقاويل. وقيل سنة 22 هـ في خلافة عمر وقيل سنة 19هـ

مراجع: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ الأعلام للزركلي/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ دروس للشيخ سعود الشريم/ صحيح مسلم/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

عن ميمون بن مهران عن ضبة بن محصن العنزي[1] قال: كان علينا أبو موسى[2] أميرا بالبصرة وكان إذا خطب حمد الله عز و جل وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم بدأ يدعو لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فغاظني ذلك منه فقمت إليه وقلت له: أين أنت عن صاحبه أبي بكر الصديق[3] رضي الله عنه تفضله عليه؟ قال: فصنع ذلك ثلاث جمع، وأنا أقول له، فكتب إلى عمر رضي الله عنه يشكوني ويقول: إن ضبة ابن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي، فكتب إليه عمر رضي الله عنه: أن أشخصه إلي، قال: فأشخصني إليه، فقدمت على عمر رضي الله عنه، فضربت عليه الباب فخرج إلي فقال: من أنت؟ فقلت: أنا ضبة بن محصن العنزي، قال: فلا مرحبا ولا أهلا، قال: قلت: أما المرحب فمن الله عز و جل، وأما الأهل فلا أهل ولا مال، فبماذا يا عمر استحللت إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته؟ قال: ما الذي شجر بينك وبين عاملك؟ قال: قلت: الآن أخبرك يا أمير المؤمنين، كان إذا خطبنا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم بدأ يدعو لك، فغاظني ذلك منه، قال: فقمت إليه وقلت له: أين أنت عن صاحبه أبي بكر رضي الله عنه تفضله عليه؟ فصنع ذلك ثلاث جمع، ثم كتب إليك يشكوني، قال: فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا، فجعلت أرثي له، ثم قال: أنت، والله، أوثق منه وأرشد، فهل أنت غافر لي ذنبي، يغفر الله لك؟ قال: قلت: غفر الله لك يا أمير المؤمنين، ثم اندفع باكيا، وهو يقول: والله لليلة من أبي بكر رضي الله عنه ويوم خير من عمر وآل عمر، هل لك أن أحدثك بليلته ويومه، قال: قلت: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: أما ليلته فلما خرج رسول الله هاربا من أهل مكة، خرج ليلا فتبعه أبو بكر رضي الله عنه فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه، ومرة عن يمينه، ومرة عن يساره، فقال رسول الله: ﴿يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَعْرِفُ هَذَا مِن فِعْلِكَ؟﴾ قال: يا رسول الله، أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب، فأكون خلفك، ومرة عن يمينك، ومرة عن يسارك، لا آمن عليك، قال: فمشى رسول الله ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه، فلما رآها أبو بكر قد حفيت حمله على كاهله، وجعل يشتد به حتى أتى به الغار، فأنزله، ثم قال: والله، لا تدخله حتى أدخله، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك، فدخل فلم ير شيئا فحمله، وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاعي، فخشي أبو بكر رضي الله عنه أن يخرج منه شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فألقمه قدمه فجعلن يضربنه أو يلسعنه الحيات والأفاعي، وجعلت دموعه تتحادر ورسول الله يقول له: ﴿يَا أَبَا بَكْرٍ ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة] فأنزل الله سكينته وطمأنينته لأبي بكر رضي الله عنه فهذه ليلته. وأما يومه فلما توفي رسول الله وارتدت العرب وقال بعضهم: نصلي ولا نزكي، وقال بعضهم: نزكي ولا نصلي، فأتيته ولا آلوه نصحا، فقلت: يا خليفة رسول الله، تألف الناس وارفق بهم، فقال: جبار في الجاهلية، خوار في الإسلام؟ فبماذا أتألفهم بشعر مفتعل؟ أم بقول مفترى؟ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي، والله لو منعوني عناقا، كان يعطون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه، قال: فقاتلنا معه، وكان، والله، رشيد الأمر، فهذا يومه. وكتب إلى أبي موسى يلومه.

قلت: فثبت بما أوردناه من صحيح الأخبار وصريح الآثار كمال فضيلته وصحة خلافته وانعقاد الإجماع على مبايعته وانقيادهم لمتابعته وانتظام الأمور بحسن سيرته وصدق سريرته.

وفي رواية عن ضبة بن محصن العنزي قال: كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة، فوجهني في بعثه عمر بن الخطاب، فقدمت على عمر، فضربت عليه الباب، فخرج إلي، فقال: من أنت؟ فقلت: أنا ضبة بن محصن العنزي، قال: فأدخلني منزله، وقدم إلي طعاما، فأكلت، ثم ذكرت له أبا بكر الصديق، فبكى، فقلت له: أنت خير من أبي بكر، فازداد بكاء لذلك، ثم قال وهو يبكي: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر، هل لك أن أحدثك بيومه وليلته؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: فإنه لما خرج النبي هاربا من أهل مكة خرج ليلا، فاتبعه أبو بكر، فجعل مرة يمشي أمامه، ومرة خلفه، ومرة عن يمينه، ومرة عن يساره، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَا هَذَا يَا أَبَا بَكْرٍ؟ مَا أَعْرِفُ هَذَا فِعْلَكَ!﴾ فقال: يا رسول الله، أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك، ومرة عن يسارك، لا آمن عليك، قال: فمشى رسول الله ليله كله، حتى أدغل أطراف أصابعه، فلما رآه أبو بكر حمله على عاتقه، وجعل يشتد به حتى أتى به فم الغار، فأنزله، ثم قال: والذي بعثك بالحق، لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن يك فيه شيء نزل بي دونك، قال: فدخل أبو بكر؛ فلم ير شيئا، فقال له: اجلس، فإن في الغار خرقا أسده، وكان عليه رداء، فمزقه، وجعل يسد به خرقا خرقا، فبقي جحران، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم، فحمله، فأدخله الغار، ثم ألقم قدميه الجحرين، فجعل الأفاعي والحيات يضربنه ويلسعنه إلى الصباح، وجعل هو يتقلى من شدة الألم، ورسول الله لا يعلم بذلك، ويقول له: ﴿يَا أَبَا بَكْرٍ ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة] فأنزل الله عليه وعلى رسوله السكينة، والطمأنينة فهذه ليلته. وأما يومه فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب؛ فقال بعضهم: نصلي ولا نزكي، وقال بعضهم: نزكي ولا نصلي، فأتيته لا ألوه نصحا، فقلت: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ارفق بالناس! وقال غيري ذلك. فقال أبو بكر: قد قبض النبي صلى الله عليه وسلم، وارتفع الوحي، ووالله لو منعوني عقالا مما كانوا يعطون رسول الله لقاتلتهم عليه، قال: فقاتلنا فكان والله سديد الأمر، فهذا يومه.

■ (1) ضبة بن محصن العنزي البصري تابعي مشهور له إدراك وذلك في ترجمة زياد بن أمية من تاريخ ابن عساكر روى عن عمر بن الخطاب وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. والعنزي بفتح المهملة والنون وكسر الزاي نسبة إلى عنزة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان اه لب اللباب.

■ (2) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من فقهاء الصحابة أصله من اليمن. أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة (قيل: ليس من مهاجرة الحبشة) ثم قدم مع أهل السفينتين (قيل: وافق قدومه قدومهم) ورسول الله بخيبر. وأرسله رسول الله مع معاذ بن جبل إلى اليمن، ولى عمر بن الخطاب أبا موسى البصرة إذ عزل عنها المغيرة في وقت الشهادة عليه وذلك سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ثم لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه فأقره، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ثم كان منه بصفين وفي التحكيم ما كان .ولما خدعه عمرو بن العاص نزل شعبا بمكة فيه شيء من القبور يعرف بشعب أبي الدر وقال أجاور قوما لا يغدرون ولم يزل حتى توفي في سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ وقيل توفي بالكوفة في داره بجانب المسجد.

■ (3) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياساتها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

☪

عن البراء بن عازب[1] رضي الله عنه، قال: جاء أبو بكر رضي الله عنه فاشترى من عازب رحلا* بثلاثة عشر درهما ، فقال أبو بكر لعازب: قل للبراء، فليحمله إلى رحلي* ، فقال: لا، حتى تحدثني كيف أنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجتما والمشركون يطلبونكم فقال أبو بكر: خرجنا من مكة بليل وقد أخذ القوم علينا بالرصد*، فاختبأنا يومنا وليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة، فرميت ببصري هل أرى من ظل نأوي إليه، فوقعت إلينا صخرة، فانطلقنا إليها ولها شيء من ظل، فنزلنا فنظرت بقية ظلها فسويته، وأخذت فروة كانت معي، فوطأت بها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قلت: يا رسول الله، اضطجع حتى أنفض ما حولك، وإذا غلام راع قد أقبل في غنم له يريد من الصخرة مثل الذي أردنا، فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش وسماه فعرفته، فقلت: فهل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، فقلت: هل أنت حالب لنا؟ قال: نعم، فأعطيته إناء كان معي، فأخذ ليحلب، فقلت: انفض ضرع الشاة من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا، وضرب إحدى كفيه على الأخرى، ثم حلب لي كثبة* من لبن، وقد رويت معي لرسول الله صلى الله عليه وسلم إداوة*من ماء على فيها خرقة* فصببت على اللبن حتى وجدت برد الماء من تحت الإناء فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافقته قد استيقظ، فقلت:اشرب يا رسول الله، فشرب، قال: قلت:قد آن الرحيل، فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا غير سراقة بن مالك بن جعشم[2] على فرس له،فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، قال: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة] فلما دنا* منه قيد رمحين أو ثلاثة، قلت: هذا الطلب قد لحقنا، وبكيت، فقال:﴿مَا يُبْكِيكَ؟﴾ فقلت: والله ما على نفسي أبكي، ولكني إنما أبكي عليك يا رسول الله، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:﴿اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ﴾ فساخت* فرسه في الأرض إلى بطنها، فوثب عنها، ثم قال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك، فادع الله تعالى أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي*، فخذ سهما منها، فإنك ستمر على غنمي وإبلي بمكان كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لاَ حَاجَةَ لَنَا فِي إِبِلِكَ﴾ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق راجعا إلى أصحابه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه. وما قد حدثنا..، عن البراء بن عازب، ثم ذكر مثله قال هذا القائل: وهذا اضطراب شديد، واختلاف بعيد فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله تعالى وعونه: أنه لا اضطراب ولا اختلاف في ذلك، وأن هذه الآثار كلها صحيحة لعدل رواتها، ولحسن سياقهم لها، وقد يجوز أن يكون كل فريق من طلحة بن عمرو، ومن عائشة، ومن البراء أخبر عن غار غير الغار الذي أخبر عنه الفريق الآخر منهما كانت إقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنه في كل واحد منهما غير إقامته في الآخر منهما، وقد شد إقامته مع صاحبه في أحدهما قول الله تعالى في كتابه:﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة] ثم ما قد روي عن أبي بكر رضي الله عنه فيما كان يخافه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم على نفسه في أحد الغارين اللذين كان معه فيهما من نظره إلى أقدام المشركين على رأس ذلك الغار، ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ما قاله له عنده.وما قد حدثنا..، عن أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثه، قال: نظرت إلى أقدام المشركين، وهم على رءوسنا ونحن في الغار، قال: قلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدمه، أبصرنا تحت قدمه، فقال: ﴿يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تعالى ثَالِثُهُمَا﴾ وكما حدثنا يزيد بن سنان، ثم ذكر بإسناده مثله قال أبو جعفر: وفي ذلك دليل على شدة الجهد الذي كانا فيه، والخوف من أبي بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين، ووقايته إياه بنفسه مما كان يقيه بها عند ذلك حتى أوصل الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم، وأوصله معه إلى دار هجرته التي جعلها الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم معقلا، ولأصحابه رضوان الله عليهم مهاجرا، واختص أهلها منه بالهجرة إليهم، والنصرة منهم له، وبالروضة التي جعلها بين قبره وبين منبره من رياض الجنة، وبنزول الوحي عليه بين أظهرهم، وبمخالطته خيار ملائكته صلوات الله عليهم إياهم بنزولهم عليه من الله تعالى بما كان يرسلهم به إليه، وينزله عليه من قرآنه، ومن وحيه، فصلوات الله تعالى ورحمته وبركاته على رسوله خير الأولين والآخرين، وإمام المتقين، ثم رحمته وبركاته على أبي بكر صاحبه رضي الله عنه بما كان منه في رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتغاء وجهه، وطلبا لما عنده حتى شرفه الله تعالى بذكره إياه في كتابه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكره به معه فيه، ومما أبانه به عن صحابته سواه رضوان الله عليه وعليهم، وفيما ذكرنا ما ينفي ما ظنه هذا الجاهل لنقص علمه وفهمه من اضطراب آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلافها، ودليل ائتلافها وانتفاء الاختلاف والتضاد عنها والله تعالى نسأله التوفيق. [أبو جعفر الطحاوي]

----

*(الرحل) ما يوضع على ظهر البعير للركوب (الرحل) المنزل سواء كان من حجر أو خشب أو شعر أو صوف أو وبر أو غير ذلك (الرصد) الترقب، أو جمع راصد وهو الرقيب (الكثبة) الشيء القليل (الإداوة) إناء صغير من جلد يحمل فيه الماء وغيره (الخرقة) القطعة من الثوب الممزق (الدنو) الاقتراب (ساخت) غاصت (الكنانة) جعبة صغيرة من جلد تحمل فيها السهام

■ (1) البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة: قائد صحابي من أصحاب الفتوح. أسلم صغيرا وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة غزوة، أولها غزوة الخندق. ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميرا على الري بفارس سنة 24 هـ، فغزا أبهر غربي قزوين وفتحها، ثم قزوين فملكها، وانتقل إلى زنجان فأفتتحها عنوة. وعاش إلى أيام مصعب ابن الزبير فسكن الكوفة واعتزل الاعمال. وتوفي في زمنه سنة 71 هـ وعازب هو: عازب بن الحارث بن عدي أبو البراء عاقل بن البكير بن عبد ياليل ابن ناشب كان اسمه غافلا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عاقلا.

■ (2) سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني، أبو سفيان: صحابي، له شعر. كان ينزل قديدا.وكان في الجاهلية قائفا. وأسلم بعد غزوة الطائف سنة 8 هـ مات سراقة سنة 24 هـ في خلافة عثمان بن عفان، وقيل مات بعد عثمان.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/تحفة الصديق لابن بلبان/ الأعلام للزركلي/ مشكل الآثار للطحاوي/.

قال معاوية بن خديج[1]: بعثني عمرو بن العاص[2] إلى عمر رضي الله عنه بفتح الإسكندرية، فقدمت المدينة في الظهيرة، فأنخت راحلتي بباب المسجد ثم دخلت المسجد، فبينا أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب، فرأتني شاحبا علي ثياب السفر، فأتتني، وقالت: من أنت؟ فقلت: أنا معاوية بن خديج، رسول عمرو بن العاص، فانصرفت عني، ثم أقبلت تشد أسمع حفيف إزارها على ساقها، حتى دنت مني، ثم قالت: قم فأجب أمير المؤمنين يدعوك، فتبعتها، فلما دخلت فإذا بعمر يتناول رداءه بإحدى يديه، ويشد إزاره بالأخرى، فقال: ما عندك؟ فقلت: خير يا أمير المؤمنين، فتح الله الإسكندرية فخرج معي إلى المسجد، فقال للمؤذن: أذن في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، ثم قال لي: قم فأخبر أصحابك، فقمت فأخبرتهم ثم صلى ودخل منزله، واستقبل القبلة، فدعا بدعوات، ثم جلس، فقال: يا جارية هل من طعام. فأتت بخبز وزيت، فقال: كل، فأكلت حياء، ثم قال: كل، فإن المسافر يحب الطعام فلو كنت آكلا لأكلت معك، فأصبت على حياء، ثم قال: يا جارية هل من تمر؟ فأتت بتمر في طبق، فقال: كل، فأكلت على حياء، ثم قال: ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟ قال: قلت: أمير المؤمنين قائل*، قال: بئس ما قلت، أو بئس ما ظننت لئن نمت النهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية.

----

*(قائل) يعني لنومة القيلولة

■ (1) أبو نعيم السكوني وقيل الخولا ني، قال في مغانى الأخيار: هو معاوية بن خديج بن جفنة بن قتيرة ابن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد، وسعد هذا أمه تجيب، وقال أبو عمر فى نسبه: حفنة بالحاء المهملة، والفاء، وقال: قنبرة بالنون، والباء الموحدة. قال الرشاطى: هذا تصحيف، والصواب ما ذكرناه.

■ (2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر .وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم)

رضي الله عنه

قيل لابن عباس رضي الله عنهما: أي رجل كان عمر؟ فقال:كان كالطائر الحذر الذي له بكل طريق شركا.وكان رضي الله عنه لم يكن له وقت معين ينام فيه فكان ينعس وهو قاعد، فقيل له: يا أمير المؤمنين، ألا تنام؟ فقال: كيف أنام! إن نمت بالنهار ضيعت أمور المسلمين،وإن نمت بالليل ضيعت حظي من الله عز وجل.

قال علي الصلابي: من هذا الخبر نستنتج أن المسجد في عصر الإسلام الأول كان يمثل أهم وسائل الإعلام حيث يجتمع المسلمون فيه بنداء الصلاة جامعة، وهذا النداء يعني أن هناك أمرا مهما سيتم إبلاغه لعموم المسلمين فإذا اجتمعوا ألقيت عليهم البيانات العسكرية والأمور السياسية والاجتماعية وغير ذلك، كما نستفيد من هذا الخبر وصفا لحياة عمر رضي الله عنه، وهو خليفة المسلمين، حيث يقول لمعاوية بن خديج لئن نمت النهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية وهذا يدل على كمال اليقظة لحق النفس وحقوق الآخرين، وإذا استطاع المسلم أن يجمع بين مراعاة ذلك كله فإنه يكون من المتقين المحسنين.

قال المقريزي: كان حصار الإسكندرية بعد موت هرقل، تسعة أشهر وخمسة أشهر قبل ذلك، وفتحت يوم الجمعة لمستهل المحرم سنة إحدى وعشرين، وقال أبو عمرو الكندي: وحاصر عمرو الإسكندرية ثلاثة أشهر، ثم فتحها عنوة وهو الفتح الأول، ويقال: بل فتحها عمرو لمستهل المحرم سنة إحدى وعشرين. قال القضاعي عن الليث: أقام عمرو بالإسكندرية في حصارها، وفتحها ستة أشهر، ثم انتقل إلى الفسطاط*، فاتخذها دارا في ذي القعدة. وقال ابن عبد الحكم: فلما هزم الله تعالى الروم، وفتح الإسكندرية، هرب الروم في البر والبحر، فخلف عمرو بالإسكندرية ألف رجل من أصحابه ومضى ومن معه في طلب من هرب من الروم في البر، فرجع من كان هرب من الروم في البحر إلى الإسكندرية، فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من هرب منهم، وبلغ ذلك عمرا، فكر راجعا، ففتحها، وأقام بها وكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قد فتح علينا الإسكندرية بغير عقد ولا عهد، فكتب إليه عمر يقبح رأيه، ويأمره أن لا يجاوزها. قال ابن لهيعة: وهو فتح الإسكندرية الثاني، وكان سبب فتحها هذا: أن رجلا يقال له: ابن بسامة كان بوابا، فسأل عمرا أن يؤمنه على نفسه وأرضه وأهل بيته، ويفتح له الباب، فأجابه عمرو إلى ذلك، ففتح له ابن بسامة الباب، فدخل عمرو وقتل من المسلمين من حين كان من آمر الإسكندرية ما كان إلى أن فتحت اثنان وعشرون رجلا، وبعث عمرو بن العاص، معاوية بن خديج وافدا إلى عمر بن الخطاب بشيرا له بالفتح، فقال له معاوية: ألا تكتب معي، فقال له عمرو: وما أصنع بالكتاب ألست رجلا عربيا تبلغ الرسالة، وما رأيت وحضرت. فلما قدم على عمر، أخبره بفتح الإسكندرية فخر عمر ساجدا، وقال: الحمد لله.

☪

عن ابن وهب عن حيوة بن شريح عن بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة إن عمر بن الخطاب أمر مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد يتقدمون إلى الرعية أن عطاءهم قائم وأن رزق عيالهم سائل فلا يزرعون ولا يزارعون. قال ابن وهب: فأخبرني شريك بن عبد الرحمن المرادي قال: بلغنا أن شريك بن سمي الغطيفي[1] أتى إلى عمرو بن العاص فقال: إنكم لا تعطونا ما يحسبنا، أفتأذن لي بالزرع؟ فقال له عمرو: ما أقدر على ذلك، فزرع شريك من غير إذن عمرو فلما بلغ ذلك عمرا، كتب إلى عمر بن الخطاب يخبره أن شريك بن سمي الغطيفي حرث بأرض مصر، فكتب إليه عمر أن ابعث إلي به، فلما انتهى كتاب عمر إلى عمرو، أقرأه شريكا، فقال شريك لعمرو: قتلتني يا عمرو؟! فقال عمرو: ما أنا قتلتك أنت صنعت هذا بنفسك، قال له: إذ كان هذا من رأيك فأذن لي بالخروج إليه من غير كتاب، ولك عهد الله أن أجعل يدي في يده، فأذن له بالخروج، فلما وقف على عمر، قال: تؤمنني يا أمير المؤمنين، قال: ومن أي الأجناد أنت؟قال من جند مصر، قال: فلعلك شريك بن سمي الغطيفي؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: لأجعلنك نكالا لمن خلفك، قال: أو تقبل مني ما قبل الله من العباد؟ قال: وتفعل؟ قال: نعم، فكتب إلى عمرو بن العاص، إن شريك بن سمي جاءني تائبا فقبلت منه.

----

*(الفسطاط) علم مدينة مصر العتيقة التي بناها عمرو بن العاص حين افتتحها، وكان نائب المقوقس إذ ذاك متحصنا في الموضع المعروف الآن بقصر الشمع

■ (1) شريك بن سمي بن عبد يغوث بن جزء بن معاوية بن الذويب بن مالك بن منبه بن غطيف، كان على مقدمة عمرو بن العاص في فتح مصر، وإليه ينسب كوم شريك نحو الاسكندرية.وكان على مقدمة عمرو بن العاص في فتح الإسكندرية الثاني، فعندما كثرت جمائع الروم انحاز شريك إلى هذا الكوم بأصحابه، ودافع الروم حتى أدركه عمرو، وكوم شريك هذا من جملة حوت رمسيس.

مراجع:المواعظ والاعتبار/ الإصابة في تمييز الصحابة/ تاج العروس/ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للصلابي/

عن مجاهد قال: تذاكرنا الناس في مجلس ابن عباس[1] فأخذوا في فضل أبي بكر ثم في فضل عمر فلما سمع ابن عباس ذكر عمر بكى بكاء شديداً حتى أغمي عليه فقال: رحم الله رجلاً قرأ القرآن وعمل بما فيه وأقام حدود الله كما أمر، لا تأخذه في الله لومة لائم، لقد رأيت عمر وقد أقام الحد على ولده فقتله فيه، فقيل له يا بن عم رسول الله حدثنا كيف أقام عمر الحد على ولده؟ فقال: كنت ذات يوم في المسجد وعمر جالس والناس حوله إذ أقبلت جارية فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال عمر: وعليك السلام ورحمة الله ألك حاجة؟ فقالت: نعم خذ ولدك هذا مني، فقال عمر: إني لا أعرفك! فبكت الجارية وقالت: يا أمير المؤمنين، إن لم يكن ولدك من ظهرك فهو ولد ولدك، فقال: أي أولادي؟ قالت أبو شحمة[2]، فقال: أبحلال أم بحرام؟ فقالت: من قبلي بحلال ومن جهته بحرام، قال عمر: وكيف ذاك؟ اتق الله ولا تقولي إلا حقاً، قالت: يا أمير المؤمنين، كنت مارة في بعض الأيام إذ مررت بحائط لبني النجار إذ أتى ولدك أبو شحمة يتمايل سكراً، وكان شرب عند نسيكة اليهودي، قالت: ثم راودني عن نفسي وجرني إلى الحائط ونال مني ما ينال الرجل من المرأة وقد أغمي علي، فكتمت أمري عن أهلي وجيراني حتى أحسست بالولادة فخرجت إلى موضع كذا وكذا ووضعت هذا الغلام وهممت بقتله ثم ندمت على ذلك، فاحكم بحكم الله بيني وبينه، فأمر عمر منادياً فأقبل الناس يهرعون إلى المسجد ثم قام عمر فقال: لا تتفرقوا حتى آتيكم، ثم خرج ثم قال: يا بن عباس أسرع معي، فلم يزل حتى أتى منزله فقرع الباب وقال: ههنا ولدي أبو شحمة؟ فقيل له إنه على الطعام فدخل عليه وقال: كل يا بني فيوشك أن يكون آخر زادك.

قال ابن عباس: فلقد رأيت الغلام وقد تغير لونه وارتعد وسقطت اللقمة من يده، فقال له عمر: يا بني من أنا قال أنت أبي وأمير المؤمنين، قال فلي حق طاعة أم لا؟ قال لك طاعتان مفترضتان: لأنك والدي وأمير المؤمنين، قال عمر: بحق نبيك وبحق أبيك هل كنت ضيفاً لنسيكة اليهودي فشربت الخمر عنده فسكرت؟ قال لقد كان ذلك، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأس مال المؤمن التوبة. قال يا بني: أنشدك الله!! هل دخلت حائط بني النجار فرأيت امرأة فواقعتها؟ فسكت وبكى، قال عمر: يا بني أصدق فإن الله يحب الصادقين قال: قد كان ذلك وأنا تائب نادم، فلما سمع منه عمر قبض على يده ولببه وجره إلى المسجد فقال: يا أبت، لا تفضحني وخذ السيف واقطعني إرباً إرباً، قال: أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور] ثم خرجه وأخرجه إلى بين يدي الصحابة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وقال: صدقت المرأة وأقر أبو شحمة بما قالت، وكان له مملوك يقال له أفلح، فقال: يا أفلح خذ ابني هذا إليك واضربه مائة سوط ولا تقصر في ضربه، فقال: لا أفعل وبكى، فقال: يا غلام إن طاعتي طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فافعل ما آمرك به، قال فنزع ثيابه وضج الناس بالبكاء والنحيب وجعل الغلام يشير إلى أبيه يا أبت ارحمني، فقال له عمر: وهو يبكي ربك يرحمك، وإنما أفعل هذا كي يرحمك ويرحمني، ثم قال: يا أفلح اضرب فضربه وهو يستغيث وعمر يقول: اضربه حتى بلغ سبعين فقال: يا أبت، اسقني شربة من ماء، فقال: يا بني إن كان ربك يطهرك فيسقيك محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا تظمأ بعدها أبداً، يا غلام اضربه فضربه حتى بلغ ثمانين فقال: يا أبت، السلام عليك، فقال: وعليك السلام إن رأيت محمداً فأقره مني السلام وقل له: خلفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود، يا غلام اضربه فلما بلغ تسعين انقطع كلامه وضعف فرأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا عمر انظر كم بقي فأخره إلى وقت آخر، فقال: كما لم يؤخر المعصية لا تؤخر العقوبة، وجاء الصريخ إلى إمه فجاءت باكية صارخة وقالت: يا عمر أحج بكل سوط حجة ماشية وأتصدق بكذا وكذا درهما، فقال: إن الحج والصدقة لا ينوب عن الحد، يا غلام تمم الحد فضربه فلما كان آخر سوط سقط الغلام ميتاً فصام وقال: يا بني محص الله عنك الخطايا، ثم جعل رأسه في حجره وجعل يبكي ويقول: يا بني من قتله الحق، يا بني من مات عن انقضاء الحد، يا بني من لم يرحمه أبوه وأقاربه، فنظر الناس إليه فإذا هو قد فارق الدنيا، فلم ير يوم أعظم منه، وضج الناس بالبكاء والنحيب، فلما كان بعد أربعين يوماً أقبل علينا حذيفة بن اليمان[3] صبيحة يوم الجمعة فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وإذا الفتى معه وعليه حلتان خضراوان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقر عمر من السلام وقل له: هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود، وقال الغلام: يا حذيفة، أقرأ أبي السلام وقل له: طهرك الله كما طهرتني، والسلام. أخرجه شيرويه الديلمي في كتابه المنتقى.

وخرجه غيره مختصراً بتغيير اللفظ وقال فيه: لعمر ابن يقال له أبو شحمة فأتاه يوماً فقال له إني زنيت فأقم علي الحد، قال زنيت؟ قال نعم، حتى كرر عليه ذلك أربعاً، قال: وما عرفت التحريم؟ قال بلى، قال: معاشر المسلمين خذوه، فقال أبو شحمة: معاشر المسلمين من فعل فعلي في جاهلية أو إسلام فلا يحدني فقام علي ابن أبي طالب[4] وقال لولده الحسن:[5] فأخذ بيمينه وقال لولده الحسين:[6] فأخذ بيساره ثم ضربه ستة عشر سوطاً فأغمي عليه ثم قال: إذا وافيت ربك فقل ضربني الحد من ليس لك في جبينه حد، ثم قام عمر حتى أقام عليه تمام المائة سوط، فمات من ذلك فقال: أنا أوثر عذاب الدنيا على عذاب الآخرة، فقيل: يا أمير المؤمنين، ندفنه من غير غسل ولا كفن كمن قتل في سبيل الله؟ قال: بل نغسله ونكفنه وندفنه في مقابر المسلمين، فإنه لم يمت قتيلاً في سبيل الله وإنما مات.

■ (2) عبد الرحمن الأوسط.أبو شحمة، الذي ضربه عمرو بن العاص بمصر في الخمر، ثم حمله إلى المدينة فضربه أبوه عمر بن الخطاب تأديبا، ثم مرض فمات بعد شهر، هكذا رواه معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه. أما الرواية الثانية هذه -أعلاه- فمشكوك في صحتها! والله أعلم

■ (1) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

■ (3) حذيفة بن اليمان العبسي أبو عبد الله،كان عمر يسأله عن المنافقين فهو صاحب سر رسول الله شهد أحدا والخندق ونهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن آخذ الراية وكان فتح همذان والري والدينور على يده استعمله عمر على المدائن مات بالمدينة سنة36 هـ بعد قتل عثمان بأربعين يوما

■ (4) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى وزوج ابنته.يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن 7 سنين، ويقال 9، ويقال 10، ويقال 15، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد سنة 23 ق هـ، و مات سنة 40 هـ.

■ (5) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (6) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

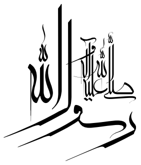

قال ابن الجوزي في كتاب: تلخيص كتاب الموضوعات: يروى عن أبي المغيرة عبد القدوس ثنا صفوان بن عمر وكان لعمر ابن يقال له أبو شحمة أشبه الناس برسول الله تلاوة مرض مرضا شديدا فجعل أمهات المؤمنين يعدنه فقلن لعمر لو نذرت على ولدك كما نذر علي على الحسن والحسين فعوفيا فقال: علي أن أصوم ثلاثة أيام إن عوفي فلما عوفي أضافه نسيكة اليهودي فأتوه بنبيذ التمر فشرب وخرج فدخل حائطا لبني النجار فإذا هو بامرأة راقدة فكابدها وجامعها وهي تشتمه الحديث بطوله وضعه الجهلة ليبكي العوام والنساء. ولقد ذكر الزبير بن بكار أن عبد الرحمن -الأوسط من أولاد عمر- كان يكنى أبا شحمة وكان بمصر فسكر ثم جاء إلى عمرو بن العاص فقال: أقم علي الحد فامتنع ولما قدم المدينة حده أبوه فاتفق أنه مرض ثم مات. وذكر ذلك ابن سعد في الطبقات. قال الدارقطني: حديث مجاهد عن ابن عباس في حد أبي شحمة ليس بصحيح..ثم قال هذا حديث موضوع. كيف روى ومن أي طريق نقل؟ وضعه جهال القصاص ليكون سببا في تبكية العوام والنساء، فقد أبدعوا فيه وأتوا بكل قبيح ونسبوا إلى عمر ما لا يليق به، ونسبوا الصحابة إلى ما لا يليق بهم، وكلماته الركيكة تدل على وضعه وبعده عن أحكام الشرع يدل على سوء فهم واضعه وعدم فقهه. وقد تعجل واضعه قذف ابن عمر بشرب الخمر عند اليهودية، ونسب عمر إلى أنه أحلفه بالله ليقر، وحشى عمر، لأنه لو رأى أمارة ذلك لصدف عنها فإن ما عزا لما أقر أعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أعاد الاقرار أعرض عنه إلى أن قال له: أبك جنون. وقد قال: ﴿ادْرَءُوا*الْحُدُودَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وقال عمر لرجل أقر بذنب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد سترك الله لو سترت نفسك. وكيف يحلف عمر ولده بالله هل زنيت. هذا لا يليق بمثله. وما أقبح ما زينوا كلامه عند كل سوط. وذلك لا يخفى عن العوام أنه صنعه جاهل سوقي. وقد ذكر أنه طلب ماء فلم يسقه، وهذا قبيح في الغاية. وحكوا أن الصحابة قالوا: أخر باقي الحد، وأن أم الغلام قالت: أحج عن كل سوط. وهذا كله يتحاشى الصحابة عن مثله. ومنام حذيفة أبرد من كل شئ. ثم شبهوا أبا شحمة برسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قذفوه بالفاحشة !.

☪

لما جيء برجل يشرب الخمر، وأقيم عليه الحد، فقال رجل: لعنه الله، أو أخزاه الله ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي: ﴿لاَ تَلْعَنْهُ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَّ وَرَسُولَهُ﴾ فالمعين لا يلعن؛ لأنه لا يدرى حاله، فقد يكون المعين ما بلغه النص، وقد يتوب، وقد يعفو الله عنه، وقد يكون ممن غفر الله له، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَعَنَ اللهَّ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ﴾ ولعن آكل الربا، ولعن شارب الخمر، كل ذلك على العموم. ولما رجمت الغامدية حد الزنا تناثر دمها على خالد رضي الله عنه فسبها، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها، فقال: ﴿مَهْلًا، يَا خَالِدُ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً، لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ﴾، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت، وقال بعد رجم ماعز: ﴿اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ﴾، فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ﴾.

----

*(ادرءوا) ادفعوا

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/ نور الأبصار/ تلخيص كتاب الموضوعات للإمام الذهبي لابن الجوزي/ الموضوعات لابن الجوزي/

عن عبد الرحمن بن سابط قال: بلغ عمر رضي الله عنه أن عمالا من عماله اشتكوا، فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه، قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيتها الرعية، إن لنا عليكم حقا، النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، أيتها الرعاة إن للرعية عليكم حقا، اعلموا أنه لا حلم إلى الله، أحب، ولا أعم نفعا من حلم إمام ورفقه، وأنه ليس جهل أبغض إلى الله، ولا أعم من جهل إمام وخرقه، اعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهرانيه، يرزق العافية فيمن هو دونه.

قال محمد بن سيرين: كان عمر بن الخطاب إذا بعث عاملا كتب في عهده: أن اسمعوا له، وأطيعوا ما عدل فيكم. قال: فلما استعمل حذيفة[1] على المدائن كتب في عهده: أن اسمعوا له وأطيعوا، وأعطوه ما سألكم. قال: فخرج حذيفة من عند عمر على حمار موكف، وعلى الحمار زاده. فلما قدم المدائن استقبله أهل الأرض والدهاقين، وبيده رغيف وعرق من لحم على حمار على إكاف. قال: فقرأ عهده عليهم، فقالوا: سلنا ما شئت. قال: أسألكم طعاما آكله وعلف حماري هذا ما دمت فيكم، مرتين. قال: فأقام فيهم ما شاء، ثم كتب إليه عمر أن اقدم. فلما بلغ عمر قدومه كمن له على الطريق في مكان لا يراه. فلما رآه عمر على الحال التي خرج من عنده عليها، أتاه فأكرمه وقال: أنت أخي، وأنا أخوك.

في حديث آخر عنه قال: كان عمر بن الخطاب إذا بعث أميرا كتب إليهم: إني قد بعثت إليكم فلانا وأمرته بكذا وكذا، فاسمعوا له وأطيعوا، فلما بعث حذيفة إلى المدائن كتب إليهم: إني قد بعثت إليكم فلانا فأطيعوه، فقالوا: هذا رجل له شأن، فركبوا ليتلقوه، فلقوه على بغل تحته إكاف، وهو معترض عليه، رجلاه من جانب واحد، فلم يعرفوه فأجازوه، فلقيهم الناس فقالوا: أين الأمير؟ قالوا: هو الذي لقيتم. قال: فركضوا في أثره، فأدركوه وفي يده رغيف وفي الأخرى عرق وهو يأكل، فسلموا عليه، فنظر إلى عظيم منهم فناوله العرق والرغيف. قال: فلما عقل ألقاه. أو قال: أعطاه خادمه.

أخرج بن سعد عن الحسن قال: كتب عمر إلى حذيفة: أن أعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم. فكتب إليه: قد فعلنا ويبقى شيء كثير. فكتب إليه عمر: إنه فيئهم الذي أفاء الله عليهم ليس هو لعمر ولا لآل عمر أقسمه بينهم.

■ (1) حذيفة بن اليمان العبسي أبو عبد الله،كان عمر يسأله عن المنافقين فهو صاحب سر رسول الله شهد أحدا والخندق ونهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن آخذ الراية وكان فتح همذان والري والدينور على يده استعمله عمر على المدائن مات بالمدينة سنة36 هـ بعد قتل عثمان بأربعين يوما

قال الشيخ صالح بن حميد: حينما منع الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس من أكل اللحم يومين متتالين، وكذلك منعه الزواج من الكتابيات، كما في سنن سعيد بن منصور: أن حذيفة بن اليمان تزوج يهودية بالمدائن فكتب إليه عمر أن خل سبيلها، فكتب إليه: أحرام هي يا أمير المؤمنين؟ فكتب إليه عمر: أعزم عليك ألا تضع كتابي هذا حتى تخلي سبيلها، إنها ليست بحرام، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن –وفي رواية أخرى–: أن تعليل المنع خوفا أن يقتدي به المسلمون، فيختاروا نساء أهل الذمة لجمالهن، وكفى بذلك فتنة لنساء المسلمين . ومن المعلوم في الشرع أن نساء أهل الكتاب حل للمؤمنين ولكن الإمام عمر خشي مفسدتين إحداهما: إما التساهل في شرط الإحصان والعفاف المشروط بالمحصنات من الذين أوتوا الكتاب، فيقع المسلم في المومسات والفاجرات، وإما كساد سوق الفتيات المسلمات، وهو باب في سد الذرائع، سلكه الإمام حسب ما تقتضيه السياسة الشرعية.

عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ سَبْعَةَ نُجَبَاءَ رُفَقَاءَ، وَأُعْطِيتُ أنا أَرْبَعَةَ عَشَرَ: سَبْعَةً مِنْ قُرَيْشٍ؛ عَلِيٌّ، الْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ، وَحَمْزَةُ، وَجَعْفَرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَسَبْعَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَسَلْمَانَ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَحُذَيْفَةَ، وَعَمَّارٌ، وَالْمِقْدَادِ، وَبِلَالٍ﴾ رضوان الله عليهم. وفي مسند الطيالسي، عن حذيفة قال:﴿قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوِ اسْتَخْلَفْتَ فَقَالَ: لَوِ اسْتَخْلَفْتُ فَعَصَيْتُمْ نَزَلَ بِكُمُ الْعَذَابُ وَلَكِنْ مَا أَقْرَأَكُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ فَاقْرَءُوا وَمَا حَدَّثَكُمْ حُذَيْفَةُ فَاقْبَلُوا، أَوْ قَالَ: فَاسْمَعُوا﴾ و في حديث، عن النزال بن سبرة الهلالي قال: وافقنا من علي بن أبي طالب ذات يوم طيب نفس ومراح، فقلنا: يا أمير المؤمنين، حدثنا عن أصحابك. وذكر الحديث وفيه قلنا: فحدثنا عن حذيفة. قال: ذاك امرؤ علم المعضلات والمفصلات، وعلم أسماء المنافقين، إن تسألوه عنها تجدوه بها عالما. وعن حذيفة رضي الله عنه قال: دعي عمر لجنازة فخرج فيها أو يريدها، فتعلقت به فقلت: اجلس يا أمير المؤمنين، فإنه من أولئك –أي: من المنافقين–، فقال: نشدتك الله، أنا منهم؟ قال: لا، ولا أبرئ أحدا بعدك. قال الحسن: ما خافه –أي: النفاق– إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق. وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق. وفي رواية عن حذيفة قال: مر بي عمر بن الخطاب وأنا جالس في المسجد فقال لي: يا حذيفة، إن فلانا قد مات فاشهده. قال: ثم مضى حتى إذا كاد أن يخرج من المسجد التفت إلي فرآني وأنا جالس فعرف، فرجع إلي فقال: يا حذيفة، أنشدك الله أمن القوم أنا؟ قال: قلت: اللهم، لا، ولن أبرئ أحدا بعدك. قال: فرأيت عيني عمر جاءتا* ودخل عبد الرحمن بن عوف على أم سلمة فقالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ مِنْ أَصْحَابِي لَمَنْ لَا يَرَانِي بَعْدَ أَنْ أَمُوتَ أَبَدًا، قَالَ: فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ عِنْدِهَا مَذْعُورًا حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ لَهُ: اسْمَعْ مَا تَقُولُ أُمُّكَ! فَقَامَ عُمَرُ حَتَّى أَتَاهَا فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَسَأَلَهَا ثُمَّ قَالَ: أَنْشُدُكِ بِاللَّهِ أَمِنْهُمْ أَنَا؟ فَقَالَتْ:لَا، وَلَنْ أُبَرِّئَ بَعْدَكَ أَحَدًا﴾ وعن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل حذيفة بن اليمان على بعض الصدقة. فلما قدم قال: يا حذيفة، هل رزئ من الصدقة شيء؟ قال: لا يا رسول الله، أنفقنا بقدر إلا أن ابنة لي أخذت جديا من الصدقة. قال: كيف بك يا حذيفة إذا ألقي في النار وقيل لك ائتنا به! فبكى حذيفة، ثم بعث إليها فجيء بها فألقاها في الصدقة. وعن حذيفة قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفاه الله فيه فقلت: يا رسول الله، كيف أصبحت بأبي أنت وأمي؟ قال: فرد علي بما شاء الله، ثم قال:﴿يَا حُذَيْفَةُ، ادْنُ مِنِّي.قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ. قَالَ: يَا حُذَيْفَةُ، إِنَّهُ مَنْ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ بِصَوْمِ يَوْمٍ، أَرَادَ بِهِ اللَّهَ تَعَالَى أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ أَطْعَمَ جَائِعاً، أَرَادَ بِهِ اللَّهَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ كَسَا عَارِيًا، أَرَادَ بِهِ اللَّهَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أسر هَذَا الْحَدِيثَ أَمْ أُعْلِنُهُ؟ قَالَ: بَلْ أَعْلِنْهُ. قَالَ: فَهَذَا آخِرُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾

---

*(جاءتا) كذا ولعله جادتا، وهذه الجملة لا وجود لها في تهذيب تاريخ ابن عساكر.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ المدينة المنورة/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ تاريخ الرسل والملوك/ دروس للشيخ صالح بن حميد/

كان عمر شديد الورع في التعامل مع بيت المال. روى أن عمر استشار الناس في تدوين الدواوين، فقال علي بن أبي طالب: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تمسك منه شيئا. وقال عثمان بن عفان: أرى مالا كثيرا يسع الناس، وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر. فقال خالد بن الوليد:[1] قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون ديوانا وجند جنودا. فأخذ بقوله. ودعا عقيل بن أبي طالب[2]، ومخرمة بن نوفل[3]، وجبير بن مطعم[4]، وكانوا من نبهاء قريش وأعلمهم بأنسابهم فقال: اكتبوا الناس على منازلهم. فبدءوا ببني هاشم فكتبوهم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ثم عمر وقومه، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة، ثم دفعوه إلى عمر، فلما نظر فيه قال: لا، وددت أنه كان هكذا، ولكن ابدؤوا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقرب ثم الأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله تعالى، فشكره العباس[5]على ذلك وقال: وصلتك رحم. وفي رواية قال رضي الله عنه: ابدؤوا بقرابته صلى الله عليه وسلم، ثم الأقرب فالأقرب منه، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله، وابدؤوا من الأنصار من سعد بن معاذ[6]والأقرب فالأقرب منه. فقال العباس رضي الله عنه: وصلتك رحم يا أمير المؤمنين، فقال له: يا أبا الفضل لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه الذي وصفه الله به، لكنا كغيرنا من العرب، إنما تقدمنا بمكاننا منه، فإن لم نعرف لأهل القرابة منه قرابتهم، لم تعرف لنا منه قرابتنا. فروى زيد بن أسلم عن أبيه:[7] أن بني عدي[8]جاؤوا إلى عمر فقالوا: إنك خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفة أبي بكر، وأبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا؟ فقال: بخ بخ يا بني عدي، أردتم الأكل على ظهري وأن أهب حسناتي لكم، لا والله حتى تأتيكم الدعوة وإن انطبق عليكم الدفتر، يعني لو أن تكتبوا آخر الناس – إن لي صاحبين سلكا طريقا، فإن خالفتهما خولف بي، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا، ولا نرجو الثواب في الآخرة على عملنا إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو شرفنا، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب بالأقرب، ووالله لئن جاءت الأعاجم بعمل وجئنا بغير عمل، لهم أولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منا يوم القيامة، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه.

روى عن محمد بن سيرين، قال: نبئت أن رجلا كان بينه وبين عمر قرابة، فسأله فزبره وأخرجه، فكلم فيه، فقيل: يا أمير المؤمنين؛ فلان سألك فزبرته وأخرجته، فقال: إنه سألني من مال الله؛ فما معذرتي إن لقيته ملكا خائنا! فلولا سألني من مالي! قال: فأرسل إليه بعشرة آلاف. وفي راوية عن محمد أن صهراً لعمر قدم على عمر فعرض عليه أن يعطيه من بيت المال فانتهره عمر فقال: أردت أن ألقى الله ملكاً خائناً. فلما كان بعد ذلك أعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم. وعن سلام بن مسكين، قال: حدثنا عمران، أن عمر بن الخطاب كان إذا احتاج أتى صاحب بيت المال فاستقرضه؛ قال: فربما أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه فيحتال له عمر وربما خرج عطاؤه فقضاه.

عن عبيد الله بن موهب قال: سمعت أبا هريرة[9]يقول: قدمت على عمر بن الخطاب من عند أبي موسى الأشعري[10]بثمان مائة ألف درهم فقال لي: بماذا قدمت ؟ قلت: قدمت بثمان مائة ألف درهم. قال: ألم أقل أنك تهامي أحمق، إنما قدمت بثمانين ألف درهم فكم ثمان مائة ألف درهم! فعددت مائة ألف حتى عددت ثمان مائة. فقال: أطيب ويلك ؟ قال: نعم. قال: فبات عمر ليلته أرقا، حتى إذا نوي بصلاة الصبح قالت له امرأته: يا أمير المؤمنين ما نمت الليلة ؟ قال: كيف ينام عمر بن الخطاب وقد جاء الناس ما لم يكن يأتيهم مثله منذ كان الإسلام، فما يؤمن عمر لو هلك وذلك المال عنده فلم يضعه في حقه. فلما صلى الصبح اجتمع إليه نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: إنه قد جاء الناس الليلة ما لم يأتهم مثله منذ كان الإسلام، وقد رأيت رأيا فأشيروا علي، رأيت أن أكيل للناس بالمكيال. فقالوا: لا تفعل يا أمير المؤمنين إن الناس يدخلون في الإسلام ويكثر المال ولكن أعطهم على كتاب، فكلما كثر الناس وكثر المال أعطيتهم عليه. قال فأشيروا علي بمن أبدأ منهم؟ قالوا: بك يا أمير المؤمنين إنك ولي ذلك. ومنهم من قال: أمير المؤمنين أعلم. قال: لا.ولكني أبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأقرب فالأقرب إليه فوضع الديوان على ذلك. قال عبيد الله: بدأ بهاشم والمطلب فأعطاهم جميعا ثم أعطى بني عبد شمس ثم بني نوفل بن عبد مناف، وإنما بدأ ببني عبد شمس لأنه كان أخا هاشم لأمه.قال عبيد الله: فأول من فرق بين بني هاشم والمطلب في الدعوة عبد الملك؛ قدم عليه عبد الله بن قيس بن مخرمة[11]أخو بني المطلب فقال له عبد الملك: أقد رضيت يا أبا عبد الله أن تدعى بغير أبيك فتجيب؟ قال: ومن يدعوني بغير أبي؟ قال: أليس يدعى بنو هاشم ولا يدعى بنو المطلب فتجيب. فقال: أمر صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف لي بذلك؟ قال: تسألني أن أفرقكم على عريف فأفعل. فلما أذن للناس قام عبد الله بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين إنا أصبحنا ليس لنا عريف إنما يدعى بنو هاشم فنجيب، فاجعل لنا عريفا؟ فكتب له أن يفرقوا على عريف ويكون ذلك إلى عبد الله بن قيس يليها ويوليها من أحب.

----

(8) بنو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة يلتقون في النسب مع بني هاشم، وبني مخزوم، وبني سهم في كعب بن لؤي. وبنو عدي من قريش الأباطح الذين تزعمهم قصي بن كلاب جد النبي، وأنزلهم أباطح مكة، وحول الحرم، وأقطعهم الدور، وأما قريش الظواهر فقد ظلوا بدوا خارج مكة، ولم تكن لهم المنزلة التي كانت لقريش الأباطح في الجاهلية والإسلام. وبنو عدي لم يكن لهم من الزعامة والشرف والثراء وكثرة العدد ما لبني هاشم، وبني سهم، وبني مخزوم، ولكنهم لم يكونوا بعيدين عن الساحة القرشية بل كانوا من قبائل قريش التي لها مكانتها ومنزلتها العالية وكلمتها المسموعة. وكانت فيهم السفارة.واشتهر بنو عدي بالبسالة والشجاعة. وكان فيهم من اشتهر برجاحة العقل ومنهم جد عمر رضي الله عنه وهو نفيل بن عبد العزى، فقد كان ممن تتحاكم إليه قريش في الجاهلية..

(5) العباس بن عبد المطلب جده هاشم بن عبد مناف وكنيته أبو الفضل من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وعم النبي وجد الخلفاء العباسيين وأبو حبر الأمة عبد الله بن عباس.أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه وأقام بمكة يكتب لرسول الله أخبار المشركين توفى بالمدينة سنة 32 هـ

(7) أسلم، العدوي، العمري، الفقيه، أبو زيد، ويقال: أبو خالد، مولى عمر بن الخطاب. قيل هو من سبي عين التمر. وقيل هو يماني. وقيل حبشي اشتراه عمر بمكة إذ حج بالناس في العام الذي يلي حجة الوداع زمن الصديق.توفي أسلم سنة 80 هـ. وقيل: مات في خلافة عبد الملك.

(4) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف. أبو محمد، ويقال: أبو عدي، ابن عم النبي. من الطلقاء الذين حسن إسلامهم، وقد قدم المدينة في فداء الاسارى من قومه. وكان أبوه هو الذي قام في نقض صحيفة القطيعة. وكان يحنو على أهل الشعب، توفي سنة 59 هـ.أو 58 هـ

(3) مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف الزهري. من الطلقاء، والمؤلفة قلوبهم. كان والده نوفل ابن عم آمنة بنت وهب والدة النبي. وكان ولده المسور بن مخرمة من صغار الصحابة وعلمائهم، عن أم المؤمنين عائشة، قالت: جاء مخرمة بن نوفل، فلما سمع النبي به، قال: بئس أخو العشيرة. فلما دخل، بش به. قالت: فلما خرج، كلمته في ذلك فقال: يا عائشة أعهدتني فحاشا، إن شر الناس من يتقى شره.بقي مخرمة إلى بعد الخمسين ؛ فمات في سنة 54 هـ

(2) عقيل بن أبي طالب بن عبد مناف،أبو يزيد، أخو علي وجعفر رضي الله عنهم ،شهد غزوة مؤتة وكان أسن من أخيه علي بعشرين سنة، ومن أخيه جعفر الطيار بعشر سنين. مات في خلافة معاوية، وقيل في أول خلافة يزيد قبل الحرة. وكانت خلافة يزيد بن معاوية سنة 64 هـ.

(1) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يلي أعنة الخيل في قريش، وقد أسلم سنة 7 هـ ، يكنى أبا سليمان، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول، وله بطولات نادرة في حروب الردة وقتال الفرس،مات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هـ ويقال: توفى بحمص سنة 14 هـ

(10) أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. من بني الأشعر.التميمي، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذا على زبيد، وعدن. وولي البصرة لعمر، وعثمان، وولي الكوفة، وبها مات سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ.

(11) عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب من عباد أهل المدينة وقرائهم، قيل انه رأى النبي صلى الله عليه و سلم وهو صغير وأبوه صحابي، استعمله عبد الملك بن مروان على الكوفة والبصرة واستقضاه الحجاج على المدينة سنة 73 هـ وبقي على القضاء بها إلى أن مات سنة 76 هـ.

(8) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق. ولد سنة 21 ق. هـ تولى ولاية البحرين في خلافة عمر، كما تولى إمارة المدينة.ثم لزم المدينة يعلم الناس الحديث النبوي، ويفتيهم، حتى وفاته سنة 59 هـ

(6) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، الا وسي الأنصاري: صحابي، من الأبطال. من أهل المدينة. كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر. وشهد أحدا، فكان ممن ثبت فيها. وكان من أطول الناس وأعظمهم جسما. ورمي بسهم يوم الخندق سنة 5 هـ، فمات من أثر جرحه. ودفن بالبقيع، وعمره سبع وثلاثون سنة. وحزن عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ !.

عن علي بن رياح اللخمي، قال: خطب عمر بن الخطاب بالجابية، فقال: أيها الناس، من كان يريد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن كان يريد أن يسال عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن كان يريد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن كان يريد أن يسأل عن المال فليأتني، فإن الله جعلني له خازنا وقاسما، أبدأ بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بالمهاجرين بن الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، أنا وأصحابي، ثم بالأنصار الذين تبوؤا الدار والإيمان، فمن أسرع إلى الهجرة أسرع إليه العطاء ومن أبطأ عن الهجرة فلا يلومن رجل منكم إلا مناخ راحلته. وعن مالك بن أوس بن الحدثان، قال:﴿كَانَ عُمَرُ يَحْلِفُ عَلَى أَيْمَانٍ ثَلَاثٍ، يَقُولُ: وَاللهِ مَا أَحَدٌ أَحَقَّ بِهَذَا الْمَالِ مِنْ أَحَدٍ، وَمَا أَنَا بِأَحَقَّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ، وَاللهِ مَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ فِي هَذَا الْمَالِ نَصِيبٌ إِلَّا عَبْدًا مَمْلُوكًا، وَلَكِنَّا عَلَى مَنَازِلِنَا مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَقَسْمِنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالرَّجُلُ وَبَلَاؤُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَقَدَمُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَغَنَاؤُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَحَاجَتُهُ، وَوَاللهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ، لَيَأْتِيَنَّ الرَّاعِيَ بِجَبَلِ صَنْعَاءَ حَظُّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَهُوَ يَرْعَى مَكَانَهُ﴾ حدث حزام بن هشام الكعبي عن أبيه قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديدا فنأتيه بقديد فلا يغيب عنه امرأة بكر ولا ثيب فيعطيهن في أيديهن ثم يروح فينزل عسفان فيفعل مثل ذلك أيضا حتى توفي. وقال عمر قبل موته: لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف، ألفا يجعلها الرجل في أهله، وألفا يزودها معه، وألفا يتجهز بها، وألفا يترفق بها. فمات قبل أن يفعل.وقال له قائل عند فرض العطاء: يا أمير المؤمنين لو تركت في بيوت الأموال عدة لكون إن كان. فقال: كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرها، وهي فتنة لمن بعدي، بل أعد لهم ما أعد الله ورسوله طاعة الله ورسوله، هما عدتنا التي بها أفضينا إلى ما ترون، فإذا كان المال ثمن دين أحدكم هلكتم.

عن يزيد بن حيان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة، إلى زيد بن أرقم فجلسنا إليه ، فقال حصين: يا زيد لقد لقيت خيرا كثيرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه، وغزوت معه، حدثنا يا زيد بما سمعت منه، قال زيد: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا بماء يدعى خم بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ، وذكر ثم قال:﴿أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُهُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَخُذُوا بِهِ﴾ فرغب في كتاب الله وحث عليه، ثم قال: ﴿وَأَهْلُ بَيْتِي.أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي﴾ ثلاث مرات، فقال له يزيد وحصين: من أهل بيته؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: بلى إن نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة. قال: ومن هم؟ قال: آل علي وآل جعفر وآل العباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم. وروي عن عبد الله بن الحسن بن حسين قال: أتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي: إذا كانت لك حاجة فأرسل إلي أو اكتب فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي. وقال الأوزاعي: دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى إليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها. وروي أن مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فأفاق فقال: أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل، فسئل بعد ذلك فقال: خفت أن أموت فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فأستحي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي. وقال أبو بكر بن عياش: لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أقدمه عليهما.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ أسد الغابة/ تاريخ المدينة/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ موسوعة الأعلام/ طبقات خليفة/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ تاريخ الرسل والملوك/ الإصابة في تمييز الصحابة/ المعرفة والتاريخ/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ الشفا

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما فتحت ميسان* في أيامه ولاها النعمان بن عدي(1) بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي وكان من مهاجرة الحبشة ولم يول عمر أحدا من قوم بني عدي(2) ولاية قط غيره لما كان في نفسه من صلاحة وأراد النعمان امرأته معه على الخروج إلى ميسان فأبت عليه فكتب النعمان إلى زوجته: ألا هل أتى الحسناء أن حليلها.. بميسان يسقى في زجاج وحنتم*.. إذا شئت غنتني دهاقين قرية.. وصناجة* تجثو على حرف منسم*.. فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني..ولا تسقني بالأصغر المتثلم..لعل أمير المؤمنين يسوءه..تنادمنا في الجوسق* المتهدم. فبلغ ذلك عمر قال: إي والله إنه ليسوءني ذلك ومن لقيه فليخبره أني قد عزلته. وكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم﴿حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر] أما بعد فقد بلغني قولك: لعل أمير المؤمنين يسوءه.. تنادمنا في الجوسق المتهدم. وايم الله لقد ساءني ذلك وقد عزلتك. فلما قدم عليه قال له: والله ما كان من ذلك شيء وما كان إلا فضل من شعر وجدته وما شربتها قط. فقال عمر:أظن ذلك، ولكن لا تعمل لي عملا أبدا، فنزل البصرة، فلم يزل يغزو مع المسلمين حتى مات رحمه الله.

وفي رواية قال عمر: علي به، فوفد، قال عمر وقد أخذ العصا، من الذي يقول: لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمنا بالجوسق المتهدم. قال: أنا يا أمير المؤمنين، قال عمر: والله لقد ساءني، فكيف تقول هذا؟! عليك الحد، قال: يا أمير المؤمنين والله ما شربتها، ووالله لا تدخل لي بطنا، وأسأل الله أن يقتلني شهيدا، ولكن الله يقول: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء] قال عمر: أما هذه فقد أسقطت الحد عنك ولكن والله لا تلي لي إمرة بعدها أبدا، فعزله فذهب فقتل في تستر* شهيدا في سبيل الله.

واستعمل عمر رجلا من قريش على عمل، فبلغه عنه أنه قال: اسقنى شربة تروى عظامي واسق بالله مثلها ابن هشام، فاشخصه إليه وفطن القرشى، فضم إليه بيتا آخر، فلما مثل بين يديه قال له: أنت القائل: اسقنى شربة تروى عظامي قال: نعم يا أمير المؤمنين، فهلا ابلغك الواشي ما بعده؟ قال: ما الذى بعده؟ قال: عسلا باردا بماء غمام اننى لا احب شرب المدام، قال آلله آلله ! ثم قال: ارجع الى عملك.

----

* (ميسان) بالفتح ثم السكون وسين مهملة وآخره نون اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان وفي هذه الكورة أيضا قرية فيها قبر عزير النبي عليه السلام مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيه النذور وأنا رأيته وينسب إليه ميساني وميسناني بنونين (الحنتم) جرار خضر تضرب إلى الحمرة (صناجة) الصنج الذي تعرفه العرب هو الذي يتخذ من صفر يضرب أحدهما بالآخر، وقيل: الصنج ذو الأوتار الذي يلعب به (تجذو) جذا: ثبت قائما، وقال الجوهري: الحاذي المقعي، فتنصب القدمين وهو على أطراف أصابعه (المنسم) طرف خف البعير والنعامة والفيل، وقد تطلق على مفاصل الإنسان إتساعا (النديم) الشريب الذي ينادمه، وهو ندمانه أيضا، ونادمني فلان على الشراب فهو نديمي. (الجوسق) القصر(تستر) مدينة بخوزستان فيها قبر البراء بن مالك رضي الله عنه

■ (1) النعمان بن عدي بن نضلة – وقيل : نضيلة – العدوي: شاعر، صحابي، من الولاة. هاجر مع أبيه إلى الحبشة، في بدء ظهور الاسلام. ومات أبوه فيها، فورثه النعمان، فكان أول وارث في الاسلام. ثم ولاه عمر بن الخطاب على ميسان وهي كورة واسعة بين البصرة وواسط. ولم يول عمر أحدا من قومه بني عدي غيره، لما كان في نفسه من صلاحه. ثم بلغه من شعره أبيات قالها في ميسان، آخرها: فإن كنت ندماني فبالاكبر اسقني..ولا تسقني بالاصغر المتثلم..لعل أمير المؤمنين يسوؤه..تنادمنا في الجوسق المتهدم. فكتب إليه عمر: بسم الله الرحمن الرحيم: حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، لا إله إلا هو. أما بعد فقد بلغني قولك: لعل أمير المؤمنين يسوؤه، وأيم الله لقد ساءني ذلك، وقد عزلتك ! فلما قدم عليه، قال النعمان: والله ما كان من ذلك شئ وإنما هو فضل شعر قلته، فقال عمر: إني لاظنك صادقا، ولكن والله لا تعمل لي عملا أبدا، فرحل إلى البصرة، ولم يزل يغزو مع المسلمين حتى مات. نحو 30 هـ قال ابن عبد البر: وهو فصيح، يستشهد أهل اللغة بقوله ندمان في معنى نديم.

■ (2) بنو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة يلتقون في النسب مع بني هاشم، وبني مخزوم، وبني سهم في كعب بن لؤي. وبنو عدي من قريش الأباطح الذين تزعمهم قصي بن كلاب جد النبي، وأنزلهم أباطح مكة، وحول الحرم، وأقطعهم الدور، وأما قريش الظواهر فقد ظلوا بدوا خارج مكة، ولم تكن لهم المنزلة التي كانت لقريش الأباطح في الجاهلية والإسلام. وبنو عدي لم يكن لهم من الزعامة والشرف والثراء وكثرة العدد ما لبني هاشم، وبني سهم، وبني مخزوم، ولكنهم لم يكونوا بعيدين عن الساحة القرشية بل كانوا من قبائل قريش التي لها مكانتها ومنزلتها العالية وكلمتها المسموعة. وكانت فيهم السفارة.واشتهر بنو عدي بالبسالة والشجاعة. وكان فيهم من اشتهر برجاحة العقل ومنهم جد عمر رضي الله عنه وهو نفيل بن عبد العزى، فقد كان ممن تتحاكم إليه قريش في الجاهلية..

☪

قال سلمان العودة: عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، يذكر أنه لم يمزح بعدما ولي الخلافة إلا مرتين، أما فيما عدا ذلك فكان جادا، لم يكن في حياته وقت إلا للجد، إحدى هاتين المرتين: يروى أن هناك رجلا كان اسمه حميد ، وكان يسكن في قرية اسمها أمج قريبة من المدينة المنورة، وكان حميد هذا رجلا فاسدا فاسقا يشرب الخمر، وكان يقول في شعره -يحدث عن نفسه: حميد الذي أمج داره أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع يحدث عن نفسه، فبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وفي ذات يوم كان عمر بن عبد العزيز في مجلس –بعد زمان طويل– فسلم عليه رجل ثم قال: أتعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعرفك، قال: أنا حميد ، فقال عمر بن عبد العزيز : حميد الذي أمج داره؟ –فهو يذكره بذاك البيت– فتبسم الحضور واكفهر هذا الرجل وضاق صدره، وحزن لذلك حزنا شديدا. وقال: والله يا أمير المؤمنين ما شربتها منذ عشرين سنة، لأن هذا فيه تعريض بأنه كان يشرب الخمر؛ لأن آخر البيت أخو الخمر، ففيه تعريض بشرب الخمر، قال: والله يا أمير المؤمنين، ما شربتها منذ عشرين سنة. فقال له عمر بن عبد العزيز : إنما أردت أن أباسطك بهذا، ولم أرد أن أسوءك، وهكذا أيضا يكون المزاح في قصد التعليم.

قال عائض القرني: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه يتفقد أمراءه وولاته، وكان يرسل عيونه، وينظر هل يغدرون هل يخونون، هل يظلمون، وكان يحاسبهم يوم عرفات يوم الحج الأكبر، يجمع الحجاج ويأتي بالأمراء، ويقول: يا أهل العراق ماذا ترون في أميركم؟ والدرة في يد عمر، المحاسبة والجلد، إن جلدوا أناسا جلدهم، وإن أخذوا الأموال ردها.

☪

لبيد بن ربيعة(1) العامري الشاعر. قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة وفد قومه بنو جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، فأسلم وحسن إسلامه، روى عبد الملك ابن عمير عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ﴾ وهو شعر حسن.وفي هذه القصيدة ما يدل على أنه قالها في الإسلام. والله أعلم، وذلك قوله: وكل امرىء يوما سيعلم سعيه..إذا كشفت عند الإله المحاصل. وقد قال أكثر أهل الأخبار: إن لبيدا لم يقل شعرا منذ أسلم. وقال بعضهم: لم يقل في الإسلام إلا قوله: الحمد لله إذ لم يأتني أجلي..حتى اكتسيت من الإسلام سربالا. وقد قيل: إن هذا البيت لقردة بن نفاثة السلولي(2)، وهو أصح عندي، وسيأتي في موضعه من كتابنا هذا إن شاء الله تعالى. وقال غيره: بل البيت الذي قاله في الإسلام قوله: ما عاتب المرء الكريم كنفسه..والمرء يصلحه القرين الصالح. وذكر المبرد وغيره أن لبيد بن ربيعة العامري الشاعر كان شريفا في الجاهلية والإسلام وكان قد نذر ألا تهب الصبا إلا نحر وأطعم، ثم نزل الكوفة، فكان المغيرة بن شعبة(3) إذا هبت الصبا يقول: أعينوا أبا عقيل على مروءته، وليس هذا في خبر المبرد. وفي خبر المبرد أن الصبا هبت يوما وهو بالكوفة مقتر مملق. فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط(4) وكان أميرا عليها لعثمان فخطب الناس، فقال: إنكم قد عرفتم نذر أبي عقيل، وما وكد على نفسه فأعينوا أخاكم. ثم نزل. فبعث إليه بمائة ناقة، وبعث إليه الناس فقضى نذره. وفي خبر غير المبرد. فاجتمعت عنده ألف راحلة، وكتب إليه الوليد: أرى الجزار يشحذ شفرتيه..إذا هبت رياح أبي عقيل..أغر الوجه أبيض عامري..طويل الباع كالسيف الصقيل..وفي ابن الجعفري بحلفتيه..على العلات والمال القليل..بنحر الكوم إذ سحبت عليه..ذيول صبا تجاوب بالأصيل. قال: فلما أتاه الشعر وكان قد ترك قول الشعر قال لابنته: أجيبيه، فقد رأيتني وما أعيا بجواب شاعر فأنشأت تقول: إذا هبت رياح أبي عقيل..دعونا عند هبتها الوليدا..أشم الأنف أصيد عبشميا..أعان على مروءته لبيدا..بأمثال الهضاب كأن ركبا..عليها من بني حام قعودا..أبا وهب جزاك الله خيرا..نحرناها وأطعمنا الثريدا..فعد إن الكريم له معاد..وظني يابن أروى أن يعودا. ثم عرضت الشعر على أبيها فقال: أحسنت لولا أنك استزدته. فقالت: والله ما استزدته إلا لأنه ملك، ولو كان سوقة لم أفعل.

وقالت عائشة: رحم الله لبيدا حيث يقول: ذهب الذين يعاش في أكنافهم..وبقيت في خلف كجلد الأجرب..لا ينفعون ولا يرجى خيرهم..ويعاب قائلهم وإن لم يطرب. ويروى: وإن لم يشغب. قلت: فكيف لو أدرك زماننا هذا. ولبيد بن ربيعة وعلقمة بن علاثة العامريان، من المؤلفة قلوبهم، وهو معدود في فحول الشعراء المجودين المطبوعين. ومما يستجاد من شعره قوله في قصيدته التي يرثي بها أخاه أربد: أعاذل ما يدريك إلا تظنيا..إذا رحل السفار من هو راجع..أتجزع مما أحدث الدهر للفتى..وأي كريم لم تصبه القوارع..لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى..ولا زاجرات الطير ما الله صانع..وما المرء إلا كالشهاب وضوءه..يحور رمادا بعد إذ هو ساطع..وما البر إلا مضمرات من التقى..وما المال إلا معمرات ودائع.

فقال له عمر بن الخطاب يوما: يا أبا عقيل، أنشدني شيئا من شعرك. فقال: ما كنت لأقول شعرا بعد أن علمني الله البقرة وآل عمران، فزاده عمر في عطائه خمسمائة، وكان ألفين، فلما كان في زمن معاوية قال له معاوية: هذان الفودان فما بال العلاوة؟ يعني بالفودين الألفين وبالعلاوة الخمسمائة وأراد أن يحطها فقال: أموت الآن فتبقى لك العلاوة والفودان. فرق له وترك عطاءه على حاله فمات بعد ذلك بيسير. وقد قيل: إنه مات بالكوفة أيام الوليد بن عقبة في خلافة عثمان وهو أصح فبعث الوليد إلى منزله عشرين جزورا فنحرت عنه. وقال الشعبي لعبد الملك: بل تعيش يا أمير المؤمنين ما عاش لبيد بن ربيعة وذلك أنه لما بلغ سبعا وسبعين سنة أنشأ يقول: باتت تشكي إلي النفس مجهشة..وقد حملتك سبعا بعد سبعينا..فإن تزادي ثلاثا تبلغي أملا..وفي الثلاث وفاء للثمانينا. ثم عاش حتى بلغ تسعين سنة، فأنشأ يقول: كأني وقد جاوزت تسعين حجة ... خلعت بها عن منكبي ردائيا. ثم عاش حتى بلغ مائة حجة وعشرا، فأنشأ يقول: أليس في مائة قد عاشها رجل..وفي تكامل عشر بعدها عمر. ثم عاش حتى بلغ مائة وعشرين سنة، فأنشأ يقول: ولقد سئمت من الحياة وطولها..وسؤال هذا الناس كيف لبيد. وقال مالك بن أنس: بلغني أن لبيد بن ربيعة مات وهو ابن مائة وأربعين سنة. وقيل: إنه مات وهو ابن سبع وخمسين ومائة سنة، في أول خلافة معاوية. وقال ابن عفير: مات لبيد سنة إحدى وأربعين من الهجرة يوم دخل معاوية الكوفة ونزل بالنخيلة. وروى يوسف بن عمرو وكان من كبار أصحاب ابن وهب: عن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: رويت للبيد اثني عشر ألف بيت.

■ (1) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة العامري – أبو عقيل المشهور، قال الشعر في الجاهلية ثم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة وفد قومه بنو جعفر فأسلم وحسن إسلامه، وترك قول الشعر وقبل لم يقل غير بيت واحد وهو قوله: ما عاتب المرء الكريم كنفسه ❋ والمرء يصلحه القرين الصالح وقيل بل قال: الحمد لله إذ لم يأتني أجلي ❋ حتى اكتسيت من الاسلام سربالا وقال عمر بن الخطاب يوما له: أنشدني شيئا من شعرك. فقال: ما كنت لاقول شعرا بعد أن علمني الله البقرة وآل عمران فزاد عمر في عطائه خمسمائة.قيل عاش 140 سنة وقيل مات وهو ابن 157 سنة

■ (2) قردة بن نفاثة السلولي، من بني عمرة بن مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن: كان شاعرا قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة بني سلول فأمره عليهم بعدما أسلم وأسلموا

■ (3) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية مع رسول الله، وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية، وكان موصوفا بالدهاء والحلم. وولي البصرة ثم الكوفة لعمر، وولي الكوفة بعد ذلك لمعاوية، فمات بها وهو وال عليها سنة 50 أو51 هـ.

■ (4) الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبو وهب الأموي. من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم فيه ظرف ومجون ولهو، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25هـ فانصرف إليها وأقام هناك إلى سنة 29هـ فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر فحده وحبسه. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية فسكنها واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرص معاوية على الأخذ بثأره، ومات بالرقة سنة61 هـ

مراجع: الوافي بالوفيات/ معجم البلدان/ أسد الغابة/ دروس للشيخ عائض القرني/ سير أعلام النبلاء/ الأعلام للزركلي/ شرح نهج البلاغة/ الإستيعاب في معرفة الأصحاب/ دروس للشيخ سلمان العودة/

روى الدينوري عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قدم بريد ملك الروم على عمر بن الخطاب، فاستقرضت امرأة عمر بن الخطاب دينارا فاشترت به عطرا فجعلته في قوارير، وبعثت به مع البريد إلى امرأة ملك الروم فلما أتاها فرغتهن وملأتهن جواهر وقالت: اذهب إلى امرأة عمر بن الخطاب، فلما أتاها فرغتهن على البساط فدخل عمر فقال: ما هذا؟ فأخبرته بالخبر، فأخذ عمر الجواهر فباعها ودفع إلى امرأته دينارا وجعل ما بقي من ذلك في بيت مال المسلمين. قال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: قدم على عمر رضي الله عنه مسك وعنبر من البحرين فقال عمر: والله لوددت أني وجدت من يقسم هذا المسك والعنبر حتى أقسمه بين المسلمين. فقالت امرأته عاتكة بنت زيد:[1]هلم أزن لك فإني جيدة الوزن. قال: لا، إني أكره أن تصيب يدك. فتقولين هكذا على صدرك بما أصابت يداك فضلا على المسلمين.

وروي أن عمر أتى بمسك فأمر أن يقسم بين المسلمين، ثم سد أنفه فقيل له في ذلك، فقال: وهل ينتفع إلا بريحه؟ ودخل يوم على زوجته فوجد معها ريح المسك، فقال ما هذا؟ قالت: إني بعت في مسك في بيت مال المسلمين وزنت بيدي، فلما وزنت مسحت إصبعي في قناعي، فقال: ناوليني قناعك فأخذه فصب عليه الماء فلم يزل يدلكه في التراب ويصب عليه الماء حتى ذهب ريحه، خرجها الملاء في سيرته. وفي أفراد البخاري أنه قسم مروطا* بين نساء المدينة فبقي منها مرط جيد فقال له بعض من عنده يا أمير المؤمنين أعط هذا المرط ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عندك يريدون أم كلثوم بنت علي[2] قال أم سليط[3]أحق بها فإنها ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تزفر* لنا القرب يوم أحد. وروي أنه أتاه ابن له قد تخرق إزاره فقال: اقطعه وانكسه. وإياك أن تكون من الذين يجعلون ما رزقهم الله على بطونهم وعلى ظهورهم.

وفي رواية عن موسى بن ضمرة بن سعيد، عن أبيه قال: أتي عمر بن الخطاب بمروط، فكان فيها مرط جيد واسع. فقال بعضهم: إن هذا المرط لثمن كذا وكذا، فلو أرسلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد[4]، وذلك حدثان (حدثنا) ما دخلت على ابن عمر فقال: ابعثوا به إلى من هو أحق به منها، إلى أم عمارة نسيبة بنت كعب[5]، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم أحد: ﴿مَا الْتَفَتَ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إلا وأنا أراهما تقاتل دوني﴾ (ابن سعد وفيه الواقدي) وكان أبو بكر عادها حين قدمت من اليمامة، وهو خليفة. وعن أبي سنان الدؤلي أنه دخل على عمر بن الخطاب وعنده نفر من المهاجرين الأولين فأرسل إلى سفط* أتي به من قلعة من العراق فكان فيه خاتم فأخذه بعض بنيه فأدخله في فمه فانتزعه عمر منه ثم بكى عمر، فقال له من عنده: لم تبكي وقد فتح الله لك وأظهرك على عدوك وأقر عينك؟ فقال عمر: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿لاَ تُفْتَحُ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ إِلاَّ أَلْقَى اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَهُمُ الْعَدَوَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ضعيف فأنا أشفق من ذلك.

----

*(السفط) الذى يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء (المرط) بالكسر: كساء من صوف أو خز (تزفر) قال البخاري:تخيط، وفي لسان العرب: تحمل.

■ (1) عاتكة بنت زيد بن عمرو . شاعرة صحابية حسناء، من المهاجرات إلى المدينة تزوجها عبد الله بن أبي بكر ومات فرثته بأبيات وتزوجها عمر بن الخطاب وهو ابن عمها فاستشهد ورثته فتزوجها الزبير بن العوام وقتل فرثته وخطبها علي بن أبي طالب فأرسلت إليه: إني لأضن بك عن القتل وبقيت أيما إلى أن توفيت سنة 41 هـ.

■ (2) أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله وأمها خديجة بنت خويلد تزوجها عمر بن الخطاب وهي جارية لم تبلغ فلم تزل عنده إلى أن قتل وولدت له زيد بن عمر ورقية بنت عمر. قالوا: أم كلثوم أرسلت مرة مع رسول جاء المدينة من قبل ملك الروم هدية من الطاف المدينة إلى إمبراطورة الروم امرأة هرقل وأرسلت لها هذه في نظيرها عقدا نفيسا من الجواهر، فأخذه منها عمر ورده إلى بيت المال وقد جاء في كتب التاريخ أن أم كلثوم أرسلت تلك الهدية مع بريد عمر.

■ (3) أم سليط بن أيوب بن الحكم الأنصارية امرأة من المبايعات. حضرت مع النبي صلى الله عليه وسلم. أسلمت وبايعت وشهدت أحدا وخيبر وحنينا، وهي والدة أبي سعيد الخدري، قال عمر بن الخطاب: كانت تزفر لنا القرب يوم أحد.

■ (5) أم عمارة: نسيبة بنت كعب بن عوف المازنية الانصارية، من بني النجار: صحابية، اشتهرت بالشجاعة. تعد من أبطال المعارك. تزوجها في الجاهلية زيد بن عاصم المازني، ومات عنها فتزوجها غزية بن عمر المازني. ولما ظهر الاسلام أسلمت وشهدت بيعة العقبة وأحدا والحديبية وخيبر وعمرة القضية وحنينا، وسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث. وكانت تخرج إلى القتال، فتسقي الجرحى وتقاتل. وأبلت يوم أحد بلاءا حسنا، وجرحت اثني عشر جرحا، بين طعنة رمح وضربة سيف، وكانت ممن ثبت مع رسول الله حين تراجع الناس. وقد رؤيت في ذلك اليوم تقاتل أشد القتال، وأمها معها تعصب جرحها. وكان رسول الله إذا حدث عن يوم أحد ذكر أم عمارة يقول: ما التفت يمينا ولا شمالا إلا رأيتها تقاتل دوني. وحضرت حرب اليمامة، فقاتلت قتال الابطال، وقطعت يدها وجرحت، فانصرفت إلى المدينة تداوي جراحها، فكان أبو بكر وهو خليفة يعودها ويسأل عن حالها. توفيت نحو 13 هـ.

■ (4) صفية بنت أبي عبيد الثقفي، أخت المختار الكذاب، زوجة ابن عمر؛ لا يصح لها سماع من النبي صلى الله عليه وسلم سمعت عمر وحفصة وعائشة، وتوفيت في حدود 90 هـ، وروى لها مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

☪

عن ابن عمر قال: أهدى أبو موسى الأشعري لامرأة عمر عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل طنفسة* أراها تكون ذراعا وشبرا، فرآها عمر عندها فقال: أنى لك هذه؟ فقالت: أهداها لي أبو موسى الأشعري، فأخذها عمر رضي الله عنه فضرب بها رأسها حتى نفض رأسها، ثم قال: علي بأبي موسى وأتعبوه فأتي به وقد أتعب وهو يقول: لا تعجل علي يا أمير المؤمنين فقال عمر: ما يحملك على أن تهدي لنسائي ثم أخذها عمر فضرب بها فوق رأسه وقال: خذها فلا حاجة لنا فيها.

عن أبي البختري، عن علي رضي الله عنه، قال:﴿قَالَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ: مَا تَرَوْنَ فِي فَضْلٍ عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ؟ فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ شَغَلْنَاكَ عَنْ أَهْلِكَ وَصَنْعَتِكَ، وَتِجَارَتِكَ، فهو لك، قَالَ لِي: مَا تَقُولُ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَشَارُوا عَلَيْكَ، قَالَ: قُلْ، فَقُلْتُ: لِمَ تَجْعَلْ يَقِينَكَ ظَنًّا وَعِلْمَكَ جَهْلاً، قَالَ: لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ، أَوْ لأُعَاقِبَنَّكَ، فَقُلْتُ: أَجَلْ لأَخْرُجَنَّ مِنْهُ، أَمَا تَذْكُرُ حِينَ بَعَثَكَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعِيًا، فَأَتَيْتَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَمَنَعَكَ صَدَقَتَهُ، فَقُلْتَ: انْطَلِقْ مَعِي إِلَى نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلْتُخْبِرَنَّهُ بِالَّذِي صَنَعَ الْعَبَّاسُ، فَانْطَلَقْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدْنَاهُ خَاثِرًا، فَرَجَعْنَا، ثُمَّ غُدْنَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَوَجَدْنَاهُ طَيِّبَ النَّفْسِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي صَنَعَ الْعَبَّاسُ، فَقَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ؟ ذَكَرْنَا لَهُ الَّذِي رَأَيْنَاهُ مِنْ خُثُورٍ فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ، وَمَا رَأَيْنَاهُ مِنْ طِيبِ نَفْسِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، فَقَالَ: إِنَّكُمَا أَتَيْتُمَانِي فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ وَقَدْ بَقِيَ عِنْدِي مِنَ الصَّدَقَةِ دِينَارٌ، فَكَانَ الَّذِي رَأَيْتُمَا لِذَلِكَ، وَأَتَيْتُمَانِي وَقَدْ وَجَّهْتُهُمَا، فَذَلِكَ الَّذِي رَأَيْتُمَانِي مِنْ طِيبِ نَفْسِي، فَقَالَ عُمَرُ: صَدَقْتَ، أَمَا وَاللهِ لأَشْكُرُهُ يَعْنِي: لَكَ الأُولَى وَالآخِرَةُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لِمَ تُعَجِّلُ الْعُقُوبَةَ وَتُؤَخِّرُ الشُّكْرَ﴾.

أخرج أبو عبيد في الأموال عن علي رضي الله عنه أنه أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات ثم أتاه مال من أصبهان فقال: أغدوا إلى عطاء رابع، إني لست بخازنكم، فقسم الحبال فأخذها قوم، وردها قوم. وعن يحيى بن سعيد عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن الأرقم رضي الله عنهما: إقسم بيت مال المسلمين في كل شهر مرة، إقسم مال المسلمين في كل جمعة مرة، ثم قال: إقسم بيت المال في كل يوم مرة، قال: فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين، لو أبقيت في بيت مال المسلمين بقية تعدها لنائبة أو صوت، يعني خارجة، قال: فقال عمر للرجل الذي كلمه: جرى الشيطان على لسانك، لقنني لله حجتها ووقاني شرها، أعد لها ما أعد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم. وعند أبي نعيم في الحلية عن ابن عمر قال: قدم على عمر مال من العراق فأقبل يقسمه، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين لو أبقيت من هذا المال لعدو إن حصر أو نائبة إن نزلت. فقال عمر: ما لك قاتلك الله؟ نطق بها على لسانك شيطان، لقاني الله حجتها، والله لا أعصين الله اليوم لغد، لا، ولكن أعد لهم ما أعد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعند ابن عساكر عن سلمة بن سعيد قال: أتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمال، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين لو حبست من هذا المال في بيت المال لنائبة تكون أو أمر يحدث، فقال: كلمة ما عرض بها إلا شيطان، لقاني الله حجتها ووقاني فتنتها، أعصي الله العام مخافة قابل؟ أعد لهم تقوى الله، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ للهِّ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَّ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق] ولتكون فتنة على من يكون بعدي. وعن الحسن قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى رضي الله عنهما: أما بعد: فأعلم يوما من السنة لا يبقى في بيت المال درهم، حتى يكتسح إكتساحا، حتى يعلم الله أني قد أديت إلى كل ذي حق حقه. وعن الحسن قال: كتب عمر إلى حذيفة رضي الله عنهما أن أعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم فكتب إليه: إنا قد فعلنا وبقي شيء كثير. فكتب إليه عمر: إنه فيئهم الذي أفاء الله عليهم، ليس هو لعمر ولا لآل عمر؛ إقسمه بينهم.

☪

عن أسيد بن حضير[1]قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً﴾ فلما كان زمان عمر قسم حللا فبعث إلي منها بحلة فاستصغرتها فأعطيتها ابني، فبينا أنا أصلي إذ مر بي شاب من قريش عليه حلة من تلك الحلل يجرها، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً﴾ فقلت: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق رجل إلى عمر فأخبره، فجاء وأنا أصلي فقال: صل يا أسيد! فلما قضيت صلاتي قال: كيف قلت؟ فأخبرته، قال: تلك حلة بعثت بها إلى فلان وهو بدري أحدي عقبي* فأتاه هذا الفتى فابتاعها منه فلبسها، فظننت أن ذلك يكون في زماني، قلت: قد والله يا أمير المؤمنين ظننت أن ذلك لا يكون في زمانك.

عن يحيى قيل لسفيان يعنى سمع من أنس يقول: ﴿دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَنْصَارَ لِيُقْطِعَ لَهُمُ الْبَحْرَيْنِ فَقَالُوا لاَ حَتَّى تُقْطِعَ لإِخْوَانِنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَنَا. فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِى أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِى﴾ وعن أنس بن مالك قال: ﴿دَعَانَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَكْتُبَ لَنَا بِالْبَحْرَيْنِ قَطِيعَةً. قَالَ فَقُلْنَا: لاَ إِلاَّ أَنْ تَكْتُبَ لإِخْوَانِنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَهَا. فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِى أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِى. قَالُوا: فَإِنَّا نَصْبِرُ﴾ وعبد الله بن زيد بن عاصم قال:﴿لَمَّا أَفَاءَ اللهُّ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِى النَّاسِ فِى الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُّ بِى، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُّ بِى وَعَالَةً، فَأَغْنَاكُمُ اللهُّ بِى. كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللهُّ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا اللهُّ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا. أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِىِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِىَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِى أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِى عَلَى الْحَوْضِ﴾

----

*(بدري أحدي عقبي) أي حضرا بدرا وأحدا وبيعة العقبة (الدثار) الثوب يكون فوق الشعار أى الأنصار هم الخاصة والناس العامة (الشعار) ما ولى الجسد دون سواه من الثياب والمعنى أن الأنصار الخاصة دون الناس (المرط) كساء من خز أو صوف أو كتان، وقيل الثوب الأخضر، والمرط: كل ثوب غير مخيط (طنفسة) بساط له خمل رقيق وقيل هو ما يجعل تحت الرحل على كتفي البعير والجمع طنافس(خاثر النفس) أي: ثقيلها غير طيب ولا نشيط.

■ (1) أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع ابن امرئ القيس الأنصاري الأشهلي هو أبو عيسى وأبو يحيى وأبو عتيك وأبو الحضير وأبو الحصين وأبو عتيق، ستة أقوال في كنيته أشهرها أبو يحيى وهو قول ابن إسحاق وغيره. أسلم قبل سعد بن معاذ على يدي مصعب بن عمير، وكان ممن شهد العقبة الثانية وهو من النقباء ليلة العقبة، ولم يشهد بدرا في قول ابن إسحاق، وغيره قال: شهد بدرا وأحدا وما بعدهما من المشاهد وجرح يوم أحد سبع جراحات وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انكشف الناس، وكان أحد العقلاء الكملة أهل الرأي. آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة، وكان أحسن الناس صوتا بالقرآن، وحديثه في استماع الملائكة قراءته حين نفرت فرسه حديث صحيح. وتوفي سنة 20 هـ وقيل: سنة 21 هـ. وحمله عمر بن الخطاب بين العمودين حتى وضعه بالبقيع وصلى عليه. وأوصى إلى عمر بن الخطاب، فنظر عمر في وصيته فوجد عليه أربعة آلاف دينار فباع نخله أربع سنين بأربعة آلاف وقضى دينه.

مراجع: حياة الصحابة للكاندهلوى/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ جامع الأحاديث/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/ تاريخ المدينة للنميري/ الوافي بالوفيات/ مسند أحمد/ صفة الصفوة/ المغازي/ أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ كنز العمال/ أنساب الأشراف/محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/

كان عمر إذا أراد أن يأمر المسلمين بشيء أو ينهاهم عن شيء مما فيه صلاحهم بدأ بأهله، وتقدم إليهم بالوعظ لهم، والوعيد على خلافهم أمره. عن عروة بن الزبير، عن معيقيب[1] قال: أرسل إلي عمر رضي الله عنه مع الظهيرة فإذا هو في بيت يطالب ابنه عاصما[2]، فقلت: على رسلك يا أمير المؤمنين، فإنك تأخذ أمرك بالهوينى، وإذا بعاصم في زاوية فقال: أتدري ما صنع هذا ؟ إنه انطلق إلى العراق فأخبرهم أنه ابن أمير المؤمنين فانتفقهم فأعطوه آنية وفضة ومتاعا وسيفا محلى، فقال: ما فعلت، إنما قدمت على أناس من قومي فأعطوني هذا، فقال خذه يا معيقيب فاجعله في بيت المال، فجعلته، فلما كان العشي حدث القوم شأنه، وانطلق عاصم فطلب إلى ناس في السيف. فقالوا: يا أمير المؤمنين، السيف، أما له؟ فإنه ليس له سيف؟ قال: يا معيقيب انزع حليته وأعطه النصل، قال: فما أصنع به؟ قال: ما شئت، فأخذ النصل.

عن عاصم بن عمر قال: لما زوجني عمر، أنفق علي من مال الله شهرا ثم قال: يا يرفأ (مولى عمر، وكان حاجبه) احبس عنه، ثم دعاني فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد يا بني فإني لم أكن أرى شيئا من هذا المال يحل لي قبل أن أليه إلا بحقه، ثم ما كان أحرمه علي منه حين وليته، فعاد أمانتي، وإني كنت قد أنفقت عليك من مال الله شهرا ولن أزيدك عليه، وقد أعنتك بتمر مال بالعالية*، فانطلق إليه فاجذذه ثم بعه، ثم قم إلى جانب رجل من تجار قومك، فإذا ابتاع فاستشركه ثم استنفق وأنفق على أهلك قال فذهبت ففعلت.

عن عاصم بن عمر عن عمر أنه قال: لا أجده يحل لي أن آكل من مالكم هذا إلا كما كنت آكل من صلب مالي الخبز والزيت والخبز والسمن قال: فكان ربما أتي بالجفنة قد صنعت بزيت وما يليه بسمن، فيعتذر إلى القوم فيقول: إني رجل عربي ولست أستمرئ هذا الزيت. وخرج يوما حتى أتى المنبر، وكان قد اشتكى شكوى، فوصفوا له العسل دواء، وكان في بيت المال عسل جاء من بعض البلاد المفتوحة، فلم يتداو عمر بالعسل كما نصحة الأطباء، حتى جمع الناس، وصعد المنبر واستأذن الناس: إن أذنتم لي، وإلا فهو علي حرام، فبكى الناس إشفاقا عليه وأذنوا له جميعا، ومضى بعضهم يقول لبعض، لله درك يا عمر! لقد أتعبت الخلفاء بعدك.

----

*(العالية) اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة إلى ما وراء مكة فهي العالية (قفل) القفول الرجوع من السفر وقيل رجوع الجند بعد الغزو

■ (2) عاصم بن عمر بن الخطاب، أمه جميلة بنت ثابت، كان اسمها عاصية فسماها رسول الله جميلة، وقيل: هي بنت عاصم بن ثابت، لا أخته. ولد عاصم قبل وفاة رسول الله بسنتين، وخاصمت فيه أمه أباه إلى أبي بكر الصديق وهو ابن أربع سنين، وقيل: ابن ثماني سنين، ولما طلق عمر أم عاصم تزوجها يزيد بن جارية الأنصاري، فهي أم عبد الرحمن بن يزيد أيضا، فهو أخو عاصم لأمه. و عاصم هو جد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز لأمه.وكان طويلا جسيما، وكان خيرا فاضلا يكنى أبا عمر.مات سنة 70 هـ قبل وفاة أخيه عبد الله.

■ (1) معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي، من السابقين الأولين هاجر الهجرتين وشهد المشاهد، وولي بيت المال لعمر، وتوفي آخر خلافة عثمان وقيل سنة 40 هـ في خلافة علي.

قال فضيل: ما ينبغي لك أن تتكلم بفمك كله، تدري من كان يتكلم بفمه كله؟ عمر بن الخطاب، كان يطعم الطيب ويأكل الغليظ، ويكسوهم اللين ويلبس الخشن، ويعطيهم الحق ويزيدهم، وأعطى رجلا عطاءه أربعة آلاف درهم وزاده ألفا، فقيل له: ألا تزيد ابنك كما تزيد هذا؟فقال: إن هذا ثبت أبوه يوم أحد، ولم يثبت أبو هذا. قال ابن عمر: تضرعت إلى ربي سنة أن يريني أبي في النوم، حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال: لولا رحمة الله هلك أبوك، إنه سألني عن عقالي بعير الصدقة وعن حياض الأبل، فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز وضرب بيده على رأسه، وقال: فعل هذا بالتقي الطاهر، فكيف بابن المترف عمر بن عبد العزيز؟.

قال علي الصلابي: هذه بعض المواقف التي تدل على ترفع عمر عن الأموال العامة ومنع أقربائه وأهله من الاستفادة من سلطانه ومكانته، ولو أن عمر أرخى العنان لنفسه أو لأهل بيته لرتعوا ولرتع من بعدهم وكان مال الله تعالى حبسا على أولياء الأمور. ومن القواعد الطبيعية المؤيدة بالمشاهد أن الحاكم إذا امتدت يده إلى مال الدولة اتسع الفتق على الراتق واختل بيت المال أو مالية الحكومة وسرى الخلل إلى جميع فروع المصالح وجهر المستسر بالخيانة وانحل النظام، ومن المعلوم أن الإنسان إذا كان ذا قناعة وعفة عن مال الناس زاهدا في حقوقهم دعاهم ذلك إلى محبته والرغبة فيه وإذا كان حاكما حدبوا عليه وأخلصوا في طاعته وكان أكرم عليهم من أنفسهم. ومن خلال حياته مع أسرته وأقربائه يظهر لنا معلم من معالم الفاروق في ممارسة منصب الخلافة وهي القدوة الحسنة في حياته الخاصة والعامة، حتى قال في حقه علي: عففت فعفت رعيتك ولو رتعت لرتعوا، وكان لالتزامه بما يدعو إليه، ومحاسبته نفسه وأهل بيته أكثر مما يحاسب به ولاته وعماله الأثر الكبير في زيادة هيبته في النفوس وتصديق الخاصة والعامة له. هذا هو عمر الخليفة الراشد الذي بلغ الذروة في القدوة رباه الإسلام، فملأ الإيمان بالله شغاف قلبه، إنه الإيمان العميق، الذي صنع منه قدوة للأجيال، ويبقى الإيمان بالله والتربية على تعاليم هذا الدين سببا عظيما في جعل الحاكم قدوة في أروع ما تكون القدوة من هنا إلى يوم القيامة.حدث عبد الله ابن عامر، قال: أعان عمر رجلا على حمل شيء، فدعا له الرجل، وقال: نفعك بنوك يا أمير المؤمنين! فقال: بل أغناني الله عنهم.

في رواية عن عمر: أنه أرسل إلى عبد الرحمن بن عوف، يستسلفه أربعمائة درهم، فقال عبد الرحمن: أتستسلفني وعندك المال، ألا تأخذ منه ثم ترده؟!، فقال عمر: إني أتخوف أن يصيبني قدري، فتقول أنت وأصحابك: اتركوها لأمير المؤمنين، حتى تؤخذ من ميزاني يوم القيامة، ولكن أستلفها منك لما أعلم من شحك، فإذا مت جئت فاستوفيتها من ميراثي، خرجه القلعي. وعن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: ﴿يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، إِنَّكَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَلَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ زَحْفًا، فَأَقْرِضِ اللهَّ يُطْلِقْ قَدَمَيْكَ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: مَا الَّذِي أُقْرِضُ أَوْ أُخْرِجُ، وَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مُرْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَلْيُضِفِ الضَّيْفَ، وَلْيُطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَلْيُعْطِ السَّائِلَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُجْزِيهِ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا هُوَ فِيهِ﴾ ضعيف جدا

☪

قال حماد بن زيد: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بعجوز تبيع لبنا معها في سوق اللبن، فقال لها: يا عجوز لا تغشي المسلمين وزوار بيت الله تعالى ولا تشوبي اللبن بالماء، فقالت: نعم يا أمير المؤمنين، ثم مر بها بعد ذلك، فقال لها: يا عجوز، ألم أتقدم إليك أن لا تشوبي اللبن بالماء فقالت: والله ما فعلت، فقالت ابنة لها من داخل الخباء: أغشا وكذبا جمعت على نفسك فسمعها عمر فهم بمعاقبة العجوز، فتركها لكلام ابنتها، ثم التفت إلى بنيه فقال: أيكم يتزوج هذه، فلعل الله عز وجل يخرج منها نسمة طيبة مثلها فقال عاصم بن عمر: أنا أتزوجها، فزوجها إياه، فولدت له أم عاصم[1] فتزوج أم عاصم عبد العزيز بن مروان[2] فولدت له عمر بن عبد العزيز[3]. ثم تزوج بعدها حفصة وفيها قيل: ليست حفصة من نساء أم عاصم.

وذكر الشيخ شمس الدين أبو المظفر بن قزغلي بن عبد الله، سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي في كتاب جوهرة الزمان في تذكرة السلطان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما أبي يعس بالمدينة إذ سمع امرأة وهي تقول لابنتها: يا بنية، قومي فشوبي اللبن بالماء، فقالت: يا أماه أما سمعت منادي أمير المؤمنين أنه نادى: أن لا يشاب اللبن بالماء فقالت: وأين أنت من مناديه الساعة !؟ فقالت: إذا لم يرني مناديه ألم يرني رب مناديه –وفي رواية أخرى، قالت: والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا، قال: فبكى عمر رضي الله عنه. فلما أصبح دعا بالمرأة وبابنتها وسأل: هل لها زوج فقالت: ليس لها زوج، فقال: يا عبد الله، تزوج هذه، فلو كانت بي حاجة إلى النساء لتزوجتها، فقلت: أنا في غنى عنها، فقال: يا عاصم تزوجها فتزوجها، فجاءت بابنة فحملت بعمر بن عبد العزيز. وروي أنه عسى ليلة من الليالي فأتى على امرأة وهي تقول لابنتها قومي اللبن، فقالت: لا تفعلي، فإن أمير المؤمنين نهى عن ذلك، قالت: ومن أين يدري هو؟ فقالت: فإن لم يعلم هو فإن رب أمير المؤمنين يرى ذلك، فلما أصبح عمر قال لابنه عاصم: اذهب إلى مكان كذا وكذا فإن هناك صبية فإن لم تكن مشغولة فتزوج بها لعل الله أن يرزقك منها نسمة مباركة، فتزوج عاصم بتلك البنية فولدت له أم عاصم بنت عمر، فتزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه.

■ (2) عبد العزيز بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص أمير مصر، أبو الأصبغ المدني ولي العهد بعد أخوه عبد الملك عقد له بذلك أبوه واستقل بملك مصر عشرين سنة وزيادة. وهو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز. يروي عن أبيه، وأبي هريرة وعقبة بن عامر وابن الزبير. روى عنه ابنه؛ عمر بن عبد العزيز، والزهري، وكثير بن مرة، وعلي بن رباح، وابن أبي ملكية، وبحير بن ذاخر. ولد سنة 27 هـ ومات سنة 85 هـ. وقيل سنة 86 هـ والأول أصح، وقد كان مات قبله ابنه أصبغ بستة عشر يوما، فحزن عليه ومرض ومات بحلوان؛ مدينة صغيرة أنشأها على بريد فوق مصر وعاش أخوه عبد الملك بعده فلما جاءه نعيه عقد بولاية العهد لابنيه: الوليد ثم سليمان.

■ (3) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (1) أم عاصم قيل إن اسمها ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب سكنت دمشق مدة تزوجها عبد العزيز بن مروان ولي عهد الخليفة عبد الملك وتوفي في مصر قبل أن يتولاهاأ فأخذ ولاية العهد الوليد بن عبد الملك من بعده. أنجبت له الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز. وقيل أمه أم عاصم حفصة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ المدينة المنورة/ـمحض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ تاريخ الرسل والملوك/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ كنز العمال/ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/ وفيات الأعيان/ ربيع الأبرار/ التذكرة الحمدونية/

قال أسلم [1] مولى عمر: كان عمر إذا بعثني إلى بعض ولده قال لي: لا تخبره لم بعثتك إليه، فلعل الشيطان يعلمه كذبه، فجاءت أم ولد لعبد الرحمن[2] إلى عمر، فقالت: إن أبا عيسى لا ينفق علي ولا يكسوني، فقال: ويحك من أبو عيسى؟ قالت: ابنك عبد الرحمن، فقال: وهل لعيسى من أب؟ قال أسلم: فأرسلني إليه، فقال: قل له أجب، ولا تخبره لأي شيء دعوته، قال: فأتيته، وعنده ديك ودجاجة هنديان، فقلت له: أجب أباك أمير المؤمنين، قال: وما يريد مني؟ فقلت: لا أدري، قال: إني أعطيك هذا الديك والدجاجة على أن تخبرني ما يريد مني، فاشترطت أن لا يخبر عمر، فأخبرته، وأعطاني الديك والدجاجة، فلما جئت عمر، قال لي: أخبرته، فوالله ما استطعت أن أقول لا، فقلت نعم، قال: أرشاك شيئا، قلت: نعم، قال: ما رشاك؟ قلت: ديكا ودجاجة، فقبض بيده اليسرى على يدي، فجعل يضربني بالدرة، وجعلت أنزو، وجعل يضربني وأنا أنزو، فقال: إنك لجدير، ثم جاء عبد الرحمن، فقال هل لعيسى من أب! يكتنى أبا عيسى؟ هل لعيسى من أب؟. وفي رواية عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أن عمر ضرب عبيد الله[3] ابنه بالدرة، وقال: أتكتني بأبي عيسى؟ أو كان له أب؟!.

في رواية الزبير بن بكار قال: إن سرية كانت لعبد الرحمن أو لعبيد الله بن عمر بن الخطاب، جاءت إليه تشكوه، فقالت: يا أمير المؤمنين ألا تعذرني من أبي عيسى؟ قال: ومن أبو عيسى؟ قالت: ابنك عبيد الله، قال: ويحك! وقد تكنى بأبي عيسى! ، ثم دعاه، فقال: إيها، أكتنيت بأبي عيسى! ، فحذر وفزع، وأخذ يده فعضها، ثم ضربه وقال: ويلك! وهل لعيسى أب؟ أتدري ما كنى العرب؟ أبو سلمة، أبو حنظلة، أبو عرفطة، أبو مرة (؟).

■ (3) عبيد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى التابعي، وكان شديد البطش، قتل بصفين مع معاوية. وهو الذي قتل الهرمزان وجفينة النصراني وبنت أبي لؤلؤة في دم عمر..

■ (1) أسلم، العدوي، العمري، الفقيه، أبو زيد، ويقال: أبو خالد، مولى عمر بن الخطاب. قيل هو من سبي عين التمر. وقيل هو يماني. وقيل حبشي اشتراه عمر بمكة إذ حج بالناس في العام الذي يلي حجة الوداع زمن الصديق.توفي أسلم سنة 80 هـ. وقيل: مات في خلافة عبد الملك.

■ (2) في رواية قيل هو: عبيد الله بن عمر. وعبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، هم ثلاثة. الأكبر منهم هو أبو بيهس كنيته أبو عيسى، وبيهس لقب اسمه عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر، وعبد الرحمن الأكبر هذا هو شقيق عبد الله وحفصة أم المؤمنين وأمهما زينب بنت مظعون أدرك بسنه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحفظ عنه.

■ (2) وعبد الرحمن بن عمر الأوسط هو أبو شحمة وأمه لهية أم ولد، وهو الذي ضربه عمرو بن العاص بمصر في الخمر ثم حمله إلى المدينة فضربه أبوه أدب الوالد، ثم مرض ومات بعد شهر. قال ابن عبد البر: هكذا يرويه معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه، وأما أهل العراق فيقولون إنه مات تحت سياط عمر وذلك غلط.

■ (2) وعبد الرحمن بن عمر الأصغر وأمه هي أم عبد الرحمن الأوسط واسمه أيضا عبد الرحمن بن عبد الرحمان بن عمر هو أبو المجبر وإنما سمي بذلك لأنه وقع وهو صغير فتكسر فأتي به إلى عمته حفصة أم المؤمنين فقيل لها انظري إلى ابن أخيك المكسر، فقال: ليس والله بالمكسر ولكنه المجبر. هكذا ذكر العدوي وطائفة. وقال الزبير: هلك عبد الرحمن الأصغر وترك ابنا صغيرا أو حملا، فسمته حفصة بن عمر أم المؤمنين ولقبته المجبر، وقالت: لعل الله يجبره.

وقال ابن منده: كناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا عيسى. وأراد أبوه عمر أن يغير كنيته فقال: يا أمير المؤمنين، والله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كناني بها. قال أبو نعيم: وهم فيه بعض المتأخرين – يعني ابن منده – فعده من الصحابة، وهذه الكنية كنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة، لا عبد الرحمن، وإنما عبد الرحمن قال لأبيه لما أراد أن يغير كنيته – وكانت أبا عيسى – والله: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنى بها المغيرة بن شعبة. أخرجه الثلاثة.

قال أسلم: رأيت عبد الله بن الأرقم[1] صاحب بيت مال المسلمين في زمن أبي بكر وعمر أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إن عندنا حلية من حلية جلولاء*، آنية من ذهب وورق، فانظر أن تفرغ لذلك يومان فترى فيه رأيك، فقال: إذا رأيتني فارغا فآذني، فجاءه يوما فقال: أراك اليوم فارغا فقال: أجل فابسط لي نطعا في الأشاء* –وهو النخل الذي لا يسقى– فبسط له فيه نطعان ثم أتى بذلك المال فصب عليه، فدنا عمر حتى وقف عليه، وقال: اللهم، إنك ذكرت وقلت:﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ [آل عمران] وقلت: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد] وإنا لا نستطيع ألا نفرح بما زينت لنا، اللهم، فاجعلني أنفقه في الحق، وأعذني من شره، قال: وأتى ابن له يقال له عبد الرحمن[2]، فقال: يا أبتاه، هب لي خاتما، فقال عمر: اذهب إلى أمك تسقيك سويقا.

☪

كان سويبط[3] رضي الله عنه من مهاجرة الحبشة وشهد بدرا وأحدا وكان مزاحا وهو الذي ضحك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قصته حولا. وذلك أنه خرج مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه في تجارة إلى بصرى ومعهم نعيمان[4]، وكان نعيمان ممن شهد بدرا وكان على الزاد، فقال له سويبط: أطعمني. فقال: حتى يجيء أبو بكر. فقال: أما والله لأغيظنك، فمروا بقوم فقال لهم سويبط: تشترون مني عبدا لي؟ فقالوا: نعم. فقال: إنه عبد له كلام وهو قائل لكم إني حر فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تفسدوا علي عبدي. قالوا: بل نشتريه منك. قال: فاشتروه بعشرة قلائص ثم جاؤوا فوضعوا في عنقه حبلا فقال نعيمان: إن هذا يستهزئ بكم وإني حر. فقالوا: قد عرفنا خبرك وانطلقوا به، فلما جاء أبو بكر أخبروه فاتبعهم فرد عليهم القلائص وأخذه فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه فضحك هو وأصحابه من ذلك حولا. قال ابن الأثير: سويبط بن حرملة، وقيل: سويبط بن سعد بن حرملة وهو الذي سار مع أبي بكر ونعيمان إلى الشام، فباعه نعيمان، وقد ذكرنا القصة في نعيمان. أخرجه الثلاثة، إلا أن أبا عمر ذكر ها هنا أن سويبطا باع نعيمان، وذكر في ترجمة نعيمان أن نعيمان هو الذي باع سويبطا، وهو الصحيح. وكان نعيمان أيضا مزاحا وجلده النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر أربع مرات، ومر بمخرمة بن نوفل[5] وقد كف بصره فقال: ألا رجل يقودني حتى أبول، فأخذ بيده نعيمان فلما بلغ مؤخر المسجد قال: ههنا فبل، فبال، فصيح به فقال: من قادني؟ قيل: نعيمان. فقال: لله علي أن أضربه بعصاي هذه، فبلغت نعيمان فأتاه فقال له: هل لك في نعيمان. قال: نعم. قال: قم، فقام معه فأتى به عثمان بن عفان وهو يصلي فقال: دونك الرجل فجمع يده بالعصا ثم ضربه، فقال الناس أمير المؤمنين. فقال: من قادني؟ قالوا: نعيمان. قال: لا أعود إلى نعيمان أبدا.

كان النعيمان بن عمرو يذهب إلى السوق، فإذا استطرف شيئا اشتراه وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: ها، أهديته إليك، ويجيئه صاحب الحاجة يطلب ثمنها، فيحضره إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: أعط هذا ثمن متاعه ! فيقول: أو لم تهده لي ؟ فيقول: إنه والله لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببت أن تأكله – ان كان مما يؤكل –فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه. ودخل أعرابي على النبي صلى الله عليه وسلم وأناخ ناقته بفنائه، فقال بعض الصحابة لنعيمان: لو عقرتها فأكلناها ؟ ففعل، وخرج الاعرابي فصاح: واعقراه ! يا محمد ! فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من فعل هذا ؟ قالوا: النعيمان، فتبعه يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب واستخفى تحت أعواد من جريد النخل، فأخرجه وقال: ما حملك على ما صنعت ؟ قال: الذين دلوك علي يارسول الله هم الذين أمروني بذلك، فجعل رسول الله يمسح التراب عن وجهه ويضحك، وغرم ثمن الناقة للاعرابي. وحدث عبد الرحمن بن عبد الله (عبد الرحمن بن عبدان؟) الزهري قال: قال معاوية بن أبي سفيان، يوما وعنده عبد الرحمن بن الأزهر : من لي من مخرمة بن نوفل، ما يضعني من لسانه تنقصا، فقال له عبد الرحمن بن الأزهر: أنا أكفيكه يا أمير المؤمنين، فبلغ ذلك مخرمة بن نوفل، فقال: جعلني عبد الرحمن بن الأزهر يتيما في حجره، يزعم لمعاوية أنه يكفيه إياي، فقال له ابن برصا الليثي: إنه عبد الرحمن بن الأزهر، فرفع عصا في يده فضربه فشجه، وقال: أعداؤنا في الجاهلية وحسدتنا في الإسلام وتدخل بيني وبين ابن الأزهر.

☪

عن عبيد الله بن محمد بن عقيل عن حمزة بن صهيب عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما قال له: يا صهيب[6] اكتنيت وليس لك ولد، وانتميت إلى العرب وأنت رجل من الروم! فقال: يا أمير المؤمنين، أما قولك اكتنيت وليس لك ولد، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كناني بأبي يحيى، وأما قولك انتميت إلى العرب وأنت رجل من الروم، فإني رجل من النمر بن قاسط، سبيت من الموصل بعد أن كنت غلاما قد عرفت أهل ونسبى.

عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: قال عمر لصهيب رضي الله تعالى عنهما: ما وجدت في الإسلام إلا ثلاثا، تكنيت أبا يحيى، وقال الله تعالى:﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم] وإنك لم تمسك شيئا إلا أنفقته، وتدعى إلى النمر بن قاسط وأنت من المهاجرين الأولين، وممن انعم الله عليه، قال: أما قولك إني تكنيت أبا يحيى، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كناني أبا يحيى، وأما قولك إني لا أمسك شيئا إلا أنفقته، فإن الله تعالى قال:﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ] وأما قولك إني أدعى إلى النمر، فإن العرب كانت يسبي بعضهم بعضا، فسبتني طائفة من العرب، فباعوني بسواد الكوفة، فأخذت بلسانهم، ولو كنت من روثة ما ادعيت إلا اليها.

----

*(جلولاء) من نواحي السواد في طريق خراسان يشقها نهر جلولاء وبها كانت موقعة مشهورة على الفرس سنة 16 هـ فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون (الأشاء) صغار النخل، الواحدة أشاءة

■ (3) سويبط بن سعد بن حرملة القرشي العبدري؛ أمه هنيدة من خزاعة؛ كان من مهاجرة الحبشة، ولم يذكره ابن عقبة فيمن هاجر إلى الحبشة، وذكره ابن إسحاق وغيره، وشهد بدرا، وكان مزاحا يفرط في الدعابة، وله قصة ظريفة مع نعيمان وأبو بكر الصديق، وقال أبو حاتم الرازي: سويبط من المهاجرين الأولين؛ هكذا ولم يزد.

■ (4) النعيمان بن عمرو بن رفاعة النجاري الانصاري: مزاح، من الصحابة. من أهل المدينة. وقال ابن الكلبي: أمه فاطمة الكاهنة.كان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا. له أخبار في ذلك. مع ذلك كان من شجعان الانصار، شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها. وتوفي في خلافة معاوية بعد 41 هـ

■ (5) مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف الزهري. من الطلقاء، والمؤلفة قلوبهم. كان والده نوفل ابن عم آمنة بنت وهب والدة النبي. وكان ولده المسور بن مخرمة من صغار الصحابة وعلمائهم، عن أم المؤمنين عائشة، قالت: جاء مخرمة بن نوفل، فلما سمع النبي به، قال: بئس أخو العشيرة. فلما دخل، بش به. قالت: فلما خرج، كلمته في ذلك فقال: يا عائشة أعهدتني فحاشا، إن شر الناس من يتقى شره.بقي مخرمة إلى بعد الخمسين ؛ فمات في سنة 54 هـ

■ (6) صهيب بن سنان أبو يحيى النمري. المعروف بـ صهيب الرومي، من النمر بن قاسط.ويعرف بالرومي لإنه أقام في الروم مدة.ولد سنة 35 ق.هـ وهو من أهل الجزيرة، سبي من قرية نينوى، من أعمال الموصل. وقد كان أبوه، أو عمه، عاملا لكسرى. ثم إنه جلب إلى مكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان القرشي التيمي. ويقال: بل هرب، فأتى مكة، وحالف ابن جدعان. كان من كبار السابقين البدريين. مات صهيب بالمدينة في شوال سنة 38 هـ.عن سبعين سنة. وقال المدائني: عاش ثلاثا وسبعين سنة.وقال الفسوي: عاش أربعا وثمانين سنة.

■ (1) عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ولاّه عمر بيت المال، وتوفي في خلافة عثمان

■ (2) عبد الرحمن الأوسط، وأمه لهية أم ولد، وهو أبو المجبر.

مراجع: تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة النبوية)/ أسد الغاب/ الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/ الوافي بالوفيات/ أسد الغابة/ الإصابة في تمييز الصحابة/ حلية الأولياء/

حدث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن سالم[0] قال: كان عمر رضي الله عنه يمنع أمداد أهل اليمن وينهى الناس أن يشتروا منهم شيئا مما يمنعهم به فعثر مالك بن عياض[1] مولاه وقد اشترى منهم شيئا مما منعهم منه فضربه بالدرة وقال: ما حملك على أن تشتري منهم شيئا مما نهيت الناس عنه؟ قال سالم: فاعتذر بشيء لم أحفظه، وقال: فعلاه عمر رضي الله عنه ضربا بالدرة ثم تحافز من ضربه بالدرة فأخذ برأسها ثم ضربه بجلادها ثم قال: لا أعلم أحدا من آل عمر أتى شيئا مما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة فإنما أعين الناس إليكم كأعين الطير إلى اللحم فإن انتهيتم انتهوا وإن رتعتم رتعوا. وعن ابن شهاب قال: حدثني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان عمر رضي الله عنه إذا نهى الناس عن أمر دعا أهله فقال: لهم قد نهيت الناس عن كذا وكذا وإنما ينظر الناس إليكم نظر الطير إلى اللحم فإن هبتم هاب الناس وإن وقعتم وقع الناس وإنه والله لا يقع أحد منكم في أمر قد نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العذاب لمكانكم مني.

ورأى يوما صبية تمشي في السوق والريح يلقيها لضعفها فقال: من يعرف هذه؟ فقال ابنه عبد الله[2]: هذه إحدى بناتك، قال: أي بناتي؟! قال: بنت عبد الله بن عمر، قال: فما بلغ بها ما أرى؟ قال: إمساكك ما عندك، قال: إمساكي ما عندي يمنعك أن تطلب لبناتك ما يطلب الناس! أما والله مالك عندي إلا سهمك مع المسلمين وسعك أو عجز عنك بيني وبينكم كتاب الله.

قال عبد الله بن عمر: اشتريت إبلا وارتجعتها* إلى اليمن. فلما سمنت قدمت بها، قال: فدخل عمر السوق فرأى إبلا سمانا فقال: لمن هذه؟ قيل: لعبد الله بن عمر، قال: فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر، بخ بخ*، ابن أمير المؤمنين، فجئته أسعى، فقلت: مالك يا أمير المؤمنين قال: ما هذه الإبل؟ قلت: أنا اشتريتها، وبعثت بها إلى الحمى* أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال: فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله بن عمر، أغد على رأس مالك، واجعل باقيه في بيت مال المسلمين.وفي حديث عفان بن مسلم الصفار، عن عبد الله بن عمر أنه ارتجع أنقاضا* عجافا فبعث بها إلى الحمى، فقدمت تطير ويومها ترغي* تكاد تتطط*من السمن إذ سمعه عمر، فجاء إلى السوق، فنادى من أقصى السوق: يا عبد الله بن عمر لم ارتجعت أنقاضك هذه؟، قلت: يا أمير المؤمنين تبعي استردته، قال لي: ألك حيت الحمي؟، إنما حميته لإبل الصدقة والضعيف، أقسم بالله لتخبرني بأثمانها وإلا خلطتها في مال الله كلها. فعلمت أنه سوف يفعل، فأخبرته، بأثمانها، فقال: اذهب إلى مال الله فخذ الذي لك، قال: فأخذته، فتعلق يحمل عليها ابن السبيل، ويعطيها من يراه لذلك أهلا حتى فرغ منها. وعن ابن عمر قال: شهدت جلولاء* فابتعت من المغنم بأربعين ألفا. فلما قدمت على عمر قال: أرأيت لو عرضت على النار فقيل لك: افتده، كنت مفتدي؟ قلت: والله ما من شيء يؤذيك إلا كنت مفتديك منه، فقال: كأني شاهد الناس حين تبايعوا، فقال: عبد الله بن عمر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أمير المؤمنين، وأحب الناس إليه وأنت كذلك فكان أن يرخصوا عليك فإنه أحب إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم، وإني قاسم مسؤول، وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش، لك ربح الدرهم درهما، ثم دعا التجار فابتاعوه منه بأربعة مئة ألف، فدفع إلي ثمانين ألفا، وبعث البقية إلى سعد بن أبي وقاص[3] فقال: اقسمه في الذي شهدوا الوقعة، ومن كان مات فابعثه إلى ورثته. وعن سعيد بن المسيب: أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أصاب يوم جلولاء ثلاثين ألف ألف مثقال واف، وأخذ منها ستة آلاف ألف، فبعث بها مع زياد الذي يدعى ابن أبي سفيان، وهو يومئذ يدعى بابن عبيد، فلما قدم بذلك عليه ونظر إليه، قال: والله لا يكنه سقف بيت حتى أقسمه فبات عبد الله بن الأرقم، وعبد الرحمن بن عوف يحرسانه في سقائف المسجد، فلما أصبح عمر غدا عليه فكشف عن جلابيبه –وهي الأنطاع فنظر إليه ثم بكى، فقال له عبد الرحمن: ما يبكيك، فوالله إن هذا لمن مواطن الشكر؟ قال: والله ما ذاك أبكاني، ولكن والله ما أعطى الله هذا قوما إلا ألقى بأسهم بينهم. ثم جلس عمر فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبدأ بأهل بدر، ثم بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فما فرغ، وأعطى عبد الله بن عمر دون نظرائه، قال: يا أمير المؤمنين، تضرب لي دون نظرائي؟ قال: يا عبد الله، إن لك أسوة في عمر، لا يسألني الله يوم القيامة أني ملت إلى أحد.

حدث ابن عون عن محمد قال: كان عمر رضي الله عنه يقسم حللا ورجل جالس يقدمها بين يديه وفيها حلة قد رآها عمر رضي الله عنه كلما ذكر رجلا يؤخرها ويقدم غيرها حتى ذكر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقدمها فأخذ عمر رضي الله عنه بيده وقال: كذبت والله، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، تقول أعطها رجلا من المهاجرين فعبد الله بن عمر من المهاجرين، فقال عمر رضي الله عنه: أنا أعلم به منك إنما هاجر به أهله ولكن سأعطيها مهاجرا ابن مهاجر فأعطاها سليط بن سليط[4] أو سعيد بن عفان. وعن عاصم الأحول قال: قلت للشعبي: يا أبا عمرو، ما منع عمر رضي الله عنه أن يستخلف عبد الله بن عمر رضي الله عنه؟ وقد كان من هجرته ما قد علمت، ومن ورعه ما قد رأيت؟ قال: أما إنه قد قال: أدخلوه وأشهدوه، وليس منها في شيء فإن يكن خيرا فقد استكثرنا منه، وإن يكن شرا فشر عنا إلى عمر فشر عنا إلى عمر ثلاثا. وعن الأعمش، عن إبراهيم قال، قال عمر رضي الله عنه: يأمرونني أن أبايع لرجل لم يحسن يطلق امرأته. وعن الحسن البصري قال: قال عمر: أعياني أهل الكوفة، إن استعملت وجدت رجلا قويا، أمينا مسلما، أستعمله عليهم، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أنا والله أدلك على الرجل القوي الأمين المسلم، فأثنى عليه عمر، وقال: من هو؟ قال: عبد الله بن عمر، قال عمر: قاتلك الله، والله ما أردت الله بها. وعن حميد بن هلال العدوي قال: نهى عمر رضي الله عنه عن السمن واللحم أن يجمع بينهما، فدخل عبيد الله بن عمر[4] على عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقرب خبزا ولحما، فقال عبيد الله: ما أنا بطاعم من طعامكم حتى تفرغ عليه سمنا، فقال عبد الله: ألم تسمع أمير المؤمنين ؟ فقال: ما أنا بفاعل. فقالت صفية بنت أبي عبيد[5]: لا تحرم أخاك طعامك، قال: فجاء بسمن فأفرغ عليه، فإنه لموضوع ما مسه إذا بصوت عمر رضي الله عنه على الباب، فقال: ما لكم ولطعامكم !! فأهوى عمر بيده فوجد طعم السمن، فمال على الخادم ضربا، فقالت الخادم: لا ذنب لي، إنما أنا خادم أفعل ما أمرت به، فتركها وقال: علي ببنت أبي عبيد فضربها حتى سقط خمارها، ثم جاءت تسعى حتى دخلت البيت وأغلقت الباب دونه، ثم جاء فمثل قائما على عبد الله ثم جاف عنه –يعني انصرف – وهي لغة–

* (الارتجاع) أن يقدم الرجل المصر بإبله فيبيعها ثم يشتري بثمنها مثلها أو غيرها، فتلك الرجعة (الحمى) موضع فيه الكلأ والعشب يحميه الإمام من الناس فلا يرعى فيه أحد ولا يقربه أحد والمعنى لا يحمي شيء من الأرض إلا ما يرصد لرعي خيل الجهاد وإبلها وإبل الزكاة وما في معنى هذا (جلولاء) من نواحي السواد في طريق خراسان يشقها نهر جلولاء وبها كانت موقعة مشهورة على الفرس سنة 16 هـ فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون (بخ بخ) تعني: تعظيم الأمر وتفخيمه. وهي المبخبخة.(النقض) المهزول من الإبل والخيل (إبل مراغي) لألبانها رغوة كثيرة (الأطيط) صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها

■ (2) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

■ (4) سليط بن سليط بن عمرو العامري شهد مع أبيه اليمامة قيل قتل هنالك وقال أبو معشر:لم يقتل هنالك والصواب ما قاله أبو معشر إن شاء الله لأن الزبير ذكرأن عمر لما كسا أصحاب رسول الله الحلل فضلت عنده حلة فقال: دلوني على فتى هاجر هو وأبوه فدلوه على عبد الله بن عمر فقال: لا ولكن سليط بن سليط فكساه إياها

■ (3) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة.مات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ..

■ (1) مالك بن عياض المعروف بمالك الدار المدني مولى عمر بن الخطاب. ويقال: الجبلاني. قدم مع عمر بن الخطاب الشام، وشهد معه فتح بيت المقدس، وخطبته بالجابية. قال علي بن المديني: كان مالك الدار خازنا لعمر.

■ (0) هل هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبو عبد الله، ويقال: أبو عبيد الله ويقال: أبو عمر العدوي المدني الفقيه قدم الشام على عبد الملك بن مروان بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليد بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز. وكان أشبه أولاد أبيه به، عن مالك قال لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. روى عن أبيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ورافع بن خديج وأبي هريرة . توفي سنة 106 هـ. ووافق موته حج هشام، فصلى عليه وكان في طريق عودته من الحج، بالمدينة.ودُفن بالبقيع.

■ (5) صفية بنت أبي عبيد الثقفي، أخت المختار الكذاب، زوجة ابن عمر؛ لا يصح لها سماع من النبي صلى الله عليه وسلم سمعت عمر وحفصة وعائشة، وتوفيت في حدود 90 هـ، وروى لها مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

☪

كان لعمر رضي الله عنه من الولد: عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وعبد الرحمن الأوسط وعبد الرحمن الأصغر وعبيد الله وعاصم وزيد. فأما عبد الله بن عمر فأسلم قديما مع أبيه بمكة، وهو صبي صغير، وهاجر قبل هجرة أبيه، وأجمعوا أنه لم يشهد بدرا، واختلفوا في شهوده أحدا. والصحيح أن أول مشاهده الخندق. ويروي عن نافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد ابن عمر يوم أحد لأنه كان ابن أربع عشرة، وأجازه يوم الخندق، وه ابن خمسة عشرة، وشهد بيعة الرضوان. ولم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الخندق. وروى سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: أدرك ابن عمر الفتح وهو ابن عشرين سنة، يعني فتح مكة. وكان رحمه الله من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكل ما يأخذ به نفسه. وكان مولعا بالحج، ويقولون: إنه كان من أعلم الصحابة بمناسك الحج. وقال ميمون ابن مهران: ما رأيت أروع من ابن عمر ولا أعلم من ابن عباس. وروى ابن وهب عن مالك قال: بلغ عبد الله بن عمر ستا وثمانين سنة، وأفتى في الإسلام ستين سنة، ونشر نافع عنه علما جما. وقال جابر بن عبد الله: ما منا أحد إلا مالت به الدنيا ومال بها ماخلا عمر وابنه عبد الله. وقال عبد الله بن مسعود: إن أملك شباب قريش لنفسه من الدنيا عبد الله بن عمر. وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا قصها على النبي صلى الله عليه وسلم، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي صلى الله عليه وسلم، وكنت شابا أعزب وكنت أنام في المسجد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار فلقيهما ملك آخر، فقال لي: لن تراع، فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ﴾، قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلا. وكان رحمه الله لورعه قد أشكلت عليه حروب علي فقعد عنه، وندم على ذلك حين حضرته الوفاة. وعن ميمون بن مهران، عن ابن عمر أنه دخل عليه رجل فسأله عن تلك المشاهد فقال: كففت يدي فلم أقدم، والمقاتل على الحق أفضل، وحدث عن حبيب بن أبي ثابت قال: قال ابن عمر: ما أجدني آسي علي شيء فاتني، إلا أني لما أقاتل مع علي الفئة الباغية. وعن أبي بكر بن الجهم قال: سمعت ابن عمر يقول: ما آسى على شيء إلا على تركي قتال الفئة الباغية مع علي رضي الله عنه. وكان يرى بيعة ابن الزبير فتنة، ولم يبايعه. وقال له حين وقف على خشبته، وهو مصلوب: السلام عليكم أبا خبيب، ثلاثا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا ثلاثا. وقال حين خرج من مكة معتمرا في الفتنة، وهي فتنة ابن الزبير: إن صددت عن البيت صنعنا كما صنعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبايع، رضي الله عنه، عبد الملك بن مروان. وأوصى عبد الملك بعبد الله بن عمر خيرا الحجاج بعد قتله ابن الزبير وولايته الحرمين، وأن لا يعرض له بسوء، وأن لا يخالفه في مناسك الحج. وعن سالم بن عبد الله أنه قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج ابن يوسف: ألا تخالف عبد الله بن عمر في شيء من أمر الحج، قال: فلما كان يوم عرفة جاء عبد الله بن عمر حين زالت الشمس وأنا معه، فصاح به عند سرادقه: أين هذا؟ فخرج عليه الحجاج، وعليه محلفة معصفرة. فقال: مالك يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: الرواح، إن كنت تريد السنة. قال: أهذه الساعة؟ فقال: الرواح، إن كنت تريد السنة. قال: أهذه الساعة؟ فقالت: نعم. قال: فأنظرني حتى أفيض علي ماء، ثم أخرج. فنزل عبد الله حتى خرج الحجاج، فسار بيني وبين أبي فقلت له: إن كنت تريد أن تصيب السنة اليوم فأقصر الخطبة، وعجل الصلاة. قال: فجعل ينظر إلى عبد الله بن عمر كيما يسمع ذلك منه. فلما رأى ذلك عبد الله قال: صدق.

مراجع: الإستعاب/ تاريخ المدينة/ المغازي/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/

خرج عبد الله [1] وعبيد الله[2] ابنا عمر بن الخطاب في جيش إلى العراق، فلما قفلا مرا على أبي موسى الأشعري[3]، وهو أمير البصرة، فرحب بهما، وسهل، وقال: لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلت، ثم قال: بلى، هاهنا مال من مال الله تعالى أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين، فأسلفكما، فتبتاعان به من متاع العراق، ثم تبيعانه بالمدينة، فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين، ويكون لكما الربح. فقالا: وددنا. ففعل، وكتب إلى عمر بن الخطاب أن يأخذ منهما المال. فلما قدما على عمر قال: أكل الجيش أسلفه كما أسلفكما؟ فقالا: لا، فقال عمر: ابني أمير المؤمنين، فأسلفكما! أديا المال وربحه! قال: فأما عبد الله فسكت،وأما عبيد الله فقال: ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين، لو هلك المال، أو نقص لضمناه، فقال: أدياه. فسكت عبد الله، وراجعه عبيد الله. فقال رجل من جلساء عمر: يا أمير المؤمنين، لو جعلته قراضا*. فقال عمر: قد جعلته قراضا. فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه، وأخذ عبيد الله وعبد الله نصف ربح ذلك المال.

حدثنا عفان، ثنا سليمان بن المغيرة، أنبأ حميد بن هلال قال: قال رجل لابن عمر: هل لك في متجر أدلك عليه تصيب منه؟ فقال: ما عندي مال، قال ائت سعدا فاستقرض منه من مال المسلمين، فاستقرض خمسة آلاف درهم فاشترى بها ديباجا منسوجا بالذهب فأحرقه فأصاب فضلا ورد رأس المال، فلما قدم المدينة قال له عمر: ما هذا الذي جئت به؟ فأخبره كيف صنع، فقال: أكل المسلمين أقرض كما أقرضك؟ قال: لا. قال: فإني أعزم عليك لما رددت هذا الفضل إليهم.

عن البهي: أن عبيد الله بن عمر سب المقداد بن عمرو[4]،فقال عمر: علي نذر أن أقطع لسانه. فمشى إليه ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فكلموه، فقال: دعوني أقطع لسانه، فلا يسب بعدي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

----

*(القراض) والمقارضة: المضاربة وصورته: أن يدفع إليه مالا ليتجر فيه والربح بينهما على ما يشترطان

■ (2) عبيد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى التابعي، وكان شديد البطش، قتل بصفين مع معاوية. وهو الذي قتل الهرمزان وجفينة النصراني وبنت أبي لؤلؤة في دم عمر..

■ (1) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ. وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

■ (3) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من فقهاء الصحابة أصله من اليمن. أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة (قيل: ليس من مهاجرة الحبشة) ثم قدم مع أهل السفينتين (قيل: وافق قدومه قدومهم) ورسول الله بخيبر. وأرسله رسول الله مع معاذ بن جبل إلى اليمن، ولى عمر بن الخطاب أبا موسى البصرة إذ عزل عنها المغيرة في وقت الشهادة عليه وذلك سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ثم لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه فأقره، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ثم كان منه بصفين وفي التحكيم ما كان .ولما خدعه عمرو بن العاص نزل شعبا بمكة فيه شيء من القبور يعرف بشعب أبي الدر وقال أجاور قوما لا يغدرون ولم يزل حتى توفي في سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ وقيل توفي بالكوفة في داره بجانب المسجد.

■ (4) المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندي البهراني الحضرمي، أبو معبد، أو أبو عمرو: صحابي، من الأبطال. هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله. وفى الحديث: (إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: علي، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان) وكان في الجاهلية من سكان حضرموت. وولد باليمن سنة 37 ق.هـ واسم أبيه عمرو ابن ثعلبة البهراني الكندي. قيل وقع بين المقداد وابن شمر بن حجر الكندي خصام فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب إلى مكة، فتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فصار يقال له المقداد بن الأسود إلى أن نزلت آية ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب] فعاد يتسمى المقداد بن عمرو وشهد بدرا وغيرها. وسكن المدينة. وتوفي سنة 33 هـ على مقربة منها، فحمل إليها ودفن فيها.له 48 حديثا.

☪

قال المدائني: أمر عمر ملك الدار أن يكسو عبيد الله ابنه حلة فكساه حلة، فلما رآها عمر قال: هلا كسوته دونها وأمره أن يأتي بها عبد الرحمن بن عوف[1] فيكسوه إياها ففعل، واشترى لعبيد الله بن عمر دونها، وبعث عبد الرحمن بالحلة إلى عبيد الله. وقال: هذه كسوة مني، قالوا: وملك الدار كان على نفقات من في دار عمر، وهو الذي أعتق ذكوان، الذي يقال له ذكوان مولى عمر، وملك هو مالك بن عياض[2].

عن عبد الرحمن بن غنم:[3] أنه خرج إلى عمر فنزل عليه وكانت لعمر ناقة يحلبها، فانطلق غلامه ذات يوم فسقاه لبنا فأنكره، فقال: ويحك من أين هذا اللبن؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الناقة انفلت عليها ولدها فشرب لبنها فحلبت لك ناقة من مال الله، فقال له عمر:ويحك سقيتني نارا، ادع لي علي بن أبي طالب[4]، فدعاه، فقال: إن هذا عمد إلى ناقة من مال الله فسقاني لبنها أفتحله لي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، هو لك حلال ولحمها وأوشك أن يجيء من لا يرى لنا في هذا المال حق.

عن الاحنف: أنه كان جالسا في رهط على باب عمر، فخرجت عليهم جارية فقالوا: سرية* أمير المؤمنين، فقالت: إنها ليست سرية أمير المؤمنين، إنها لا تحل له، إنها من مال الله، قال:فتذاكرنا ما يحل له من مال الله، فبلغه ذلك فدعانا فقال: ما قلتم؟ فقلنا: خيرا يا أمير المؤمنين. خرجت علينا جارية سرية أمير المؤمنين، فقالت: ليست سرية أمير المؤمنين، إنها لا تحل له، إنها من مال الله، فتذاكرنا ما يحل لك من مال الله، قال: وقلنا أمير المؤمنين أعلم، فقال: أنا أنبئكم بما أستحل من هذا المال: يحل لي حلتان حلة للشتاء وحلة للقيظ، وما أحج عليه وأعتمر من الظهر وقوتي وقوت أهلي مثل رجل من قريش ليس بأغناهم ولا أفقرهم، ثم أنا بعد رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم.

قال أبو الفتح الرقي، حدثنا رجل قال: تناول ابن لعمر رضي الله عنه تمرة من تمر الصدقة فوضعها في فمه، فقام عمر فعالجها حتى انتزعها فوضعها في تمر الصدقة، وقال: إني أريد أن أتلقى سلمان[5]فمن أراد أن يتلقاه فليتلقاه، فلما التقيا أخذ كل واحد بيد صاحبه يتحدثان فمر رجل فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال عمر لسلمان رضي الله عنهما: أبا عبد الله أتراني مستحقا لهذا الاسم؟ قال: نعم ما لم تستأثر على الناس بتمرة، فقال عمر: الله أكبر.

☪

عن ابن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر[6] -ولم يجرب عليه كذبة قط- قال حين قتل عمر: إني انتهيت إلى الهرمزان[7] وجفنيه[8] وأبي لؤلؤة[9]،وهم نجي، فبغتهم، فثاروا، فسقط من بينهم خنجر له رأسان، نصابه في وسطه. قال عبد الرحمن: فانظروا بم قتل عمر؟ فنظروا، فإذا الخنجر على النعت الذي نعت عبد الرحمن. قال: فخرج عبيد الله بن عمر مشتملا على السيف حتى أتى الهرمزان، فقال: اصحبني تنظر إلى فرس لي: وكان الهرمزان خبيرا بالخيل، فخرج يمشي بين يديه، فعلاه عبيد الله بالسيف، فلما وجد حز السيف قال: لا إله إلا الله. فقتله، ثم أتى جفنية، وكان نصرانيا، فدعاه، فلما أشرف له علاه بالسيف، فصلب جفنية بين عينيه، ثم أتى أبي لؤلؤة، جارية صغيرة، تدعي بالإسلام، فقتلها، فأظلمت المدينة يومئذ على أهلها ثلاثا. وأقبل بالسيف صلتا، وهو يقول: والله لا أترك بالمدينة سبيا إلا قتلته فجعلوا يقولون له: ألق السيف، ويأبى، ويهابون أن يقربوه حتى أتى عمرو بن العاص[10]فقال: أعطني السيف يا بن أخي، فأعطاه إياه، ثم ثار إليه عثمان[11]، فأخذ برأسه، فتناصيا* حتى حجز الناس بينهما. فلما ولي عثمان قال: أشيروا علي في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق! فأشار عليه المهاجرون أن يقتله. وقال جماعة الناس: قتل عمر أمس، وتريدون أن تتبعوه ابنه اليوم؟! أبعد الله الهرمزان وجفنيه! فقال عمر بن العاص: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الأمر ولك على الناس سلطان، إنما كان هذا ولاسلطان لك، فاصفح عنه يا أمير المؤمنين. فتفرق الناس على خطبة عمرو بن العاص، وودى عثمان الرجلين والجارية. فطعن المسلمون على عثمان، وكان ذلك أول أحداثه، فقال زياد بن لبيد بن بياضة الأنصاري[12]: أبا عمرو عبيد الله رهن..فلا تشكك بدفع الهرمزان..فإنك إن حكمت بغير حق..فمالك بالذي حدثت يدان..كأنك إن فعلت وذاك يجري..وأسباب الخطا فرسا رهان. وقد قيل: إن عثمان إنما ترك قتله لأن ابن هرمزان عفا عنه. ويؤيد ذلك أن الطعانون على عثمان قالوا: عدل ست سنين، ولو لم يكن كذلك لقالوا: استأنف الجور من لدن ولي لأنه تعطيل حد من محارم الله. وكان علي بن أبي طالب لما بويع له أراد قتل عبيد الله بن عمر، فهرب منه إلى معاوية بن أبي سفيان[13]، فلم يزل معه. قال يسار بن عوف[14]: لما قدم عبيد الله بن عمر الكوفة وأتيته أنا وعبد الله بن بديل[15]، وهو في دار المختار، فقال له عبد الله بن بديل: اتق الله ياعبيد الله بن عمر، لاتهريقن دمك في هذه الفتنة، قال : وأنت فاتق الله لا تهريقن دمك في هذه الفتنة. قال ابن بديل: أطلب بدم أخي قتل مظلوما، فقال عبيد الله بن عمر:وأنا أطلب بدم الخليفة المظلوم. قال يسار:لقد رأيتهما صريعين، هذا في هذا الصف، وهذا في هذا الصف ما بينهما إلا عرض الصف.

----

*(السرية) التسري هو اتخاذ الجارية سرية وهي الأمة التي اتخذها مولاها للفراش وحصنه(تناصيا) أي أخذا بالنواصي يعني كل واحد أخذ بناصية الاخر

■ (3) عبد الرحمن بن غنم بن كريز الأشعري: شيخ أهل فلسطين، وفقيه الشام، في عصره. ولد في حياة النبي وبعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه أهلها.قيل هو الذي تفقه عليه التابعون بالشام. مات في خلافة عبد الملك بن مروان سنة 78 هـ.

■ (5) سلمان الفارسي، يقال: سلمان بن الإسلام ، وسلمان الخير، أبو عبد الله ولا يعرف اسم أبيه بفارس أصله من رامهر مز. وقيل من أصبهان. كان أبوه ذا رئاسة، وخرج هو يطلب الهدي فلازم بعض علماء النصارى ثم خرج إلى يثرب بإشارة بعضهم. فأسر واسترق وقدم النبي المدينة فأسلم وجاهد معه. وكان ذا رأي. وهو الذي أشار بحفر الخندق. ثم شاهد المشاهد وبعض الفتوح. ولى إمرة المدائن حتى توفي سنة 33 هـ في خلافة عثمان بن عفان بالمدائن. وقيل: توفي سنة36 هـ.

■ (4) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى وزوج ابنته.يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن 7 سنين، ويقال 9، ويقال 10، ويقال 15، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد سنة 23 ق هـ، و مات سنة 40 هـ.

■ (7) الهرمزان، اسم لبعض أكابر الفرس، وهو دهقانهم الأصغر، حاكم الأهواز أثناء فتح فارس في عهد يزدجرد الثالث.وكان قائد الجيش الفارسي في معركة القادسية، أسره أبو موسى الأشعري وبعثه إلى عمر بن الخطاب،وقيل أرسله أبو سبرة بن أبي رهم. فأسلم سنة 23 هـ قتله عبيد الله بن عمر اتهاما أنه قاتل أبيه أو الآمر به

■ (8) جفينة النصراني كان نصرانيا من أهل الحيرة ظئرا لسعد بن مالك أقدمه المدينة للصلح الذي كان بينه وبينهم، وليعلم بالمدينة الكتابة. والظئر هو: زوج المرضعة،ومنه حديث سيف القين: ظئر إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم.

■ (9) أبو لؤلؤة فيروز النهاوندي الفارسي المجوسي الكافر، كان غلام المغيرة بن شعبة. انتحر بخنجره حين أخذ، بعد طعنه عمر بن الخطاب ومات عمر رضي الله عنه بعده بثلاثة أيام في آخر يوم من ذي الحجة سنة 23 هـ

■ (4) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق شقيق أم المؤمنين عائشة. حضر بدرا مع المشركين؛ ثم إنه أسلم، وهاجر قبيل الفتح. وأما جده أبو قحافة فتأخر إسلامه إلى يوم الفتح. وكان هذا أسن أولاد الصديق، وكان من الرماة المذكورين، والشجعان. قتل يوم اليمامة سبعة من كبارهم. له أحاديث، نحو الثمانية. اتفق الشيخان على ثلاثة منها. روى عنه ابناه؛ عبد الله وحفصة، وابن أخيه؛ القاسم بن محمد، وأبو عثمان النهدي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعمرو بن أوس الثقفي، وابن أبي مليكة، وآخرون. وهو الذي أمره النبي في حجة الوداع أن يعمر أخته عائشة من التنعيم. توفي في سنة 53 هـ. وقيل 55 هـ، وقيل 56 هـ، والأول أكثر.

■ (10) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم أبو عبد الله، وأبو محمد السهمي أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر. توفي سنة 43 هـ في مصر.

■ (11) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (13) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي، من الموصوفين بالدهاء -والحلم-. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة60 هـ

■ (15) عبد الله بن بديل بن ورقاء.كان من الدهاة الفصحاء، انتهت إليه رئاسة خزاعة.أسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وتبوك. وقاتل مع علي بصفين، فكان قائد الرجالة، ولم يزل يضرب حتى انتهى إلى معاوية فأزاله عن موقفه، فتكاثر عليه أصحاب معاوية، فقتل سنة37 هـ

■ (12) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية الأنصاري الخزرجي البياضي كنيته أبو عبد الله من فقهاء الصحابة ممن سكن الشام شهد بيعة العقبة الثانية، وبدر وأحد والخندق وباقي المشاهد، استعمله النبي على حضرموت، وشارك في حروب الردة، وتوفي في أول خلافة معاوية سنة 41 هـ

■ (2) مالك بن عياض المعروف بمالك الدار المدني مولى عمر بن الخطاب. ويقال: الجبلاني. قدم مع عمر بن الخطاب الشام، وشهد معه فتح بيت المقدس، وخطبته بالجابية. قال علي بن المديني: كان مالك الدار خازنا لعمر.

■ (6) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.(14) يسار بن عوف ؟

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ أنساب الأشراف/ تاريخ الإسلام للذهبي/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب 0047

روى أبو عوانة عن هلال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نظر عمر رضي الله عنه الى عبد الرحمن بن عبد الحميد[1] يعني عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب والد عبد الحميد بن عبد الرحمن[2] وكان اسمه محمدا ورجل يقول فعل الله بك يا محمد وفعل وجعل يسبه، فقال أمير المؤمنين عند ذلك: ادن مني، الا أن محمدا يسب بك والله لا تدعى محمدا مادمت حيا، فسماه عبد الحميد ثم دعا بني طلحة ليغير أسماءهم وهم يومئذ سبعة وسيدهم وأكبرهم محمد بن طلحة[3]، فقال محمد بن طلحة: أنشدتك الله يا أمير المؤمنين –وكانت كلمة تقولها إن قال الرجل لامامه ولم يملك رقبته وإن كان شديد– فوالله إن سماني محمد الا محمد صلى الله عليه وسلم.فقال أمير المؤمنين: فلا سبيل الى شئ سماه محمد صلى الله عليه وسلم. رواه غيره عن أبي عوانة فقال: نظر عمر رضي الله عنه الى أبي عبد الحميد وكان اسمه محمدا ورجل يقول له: فعل الله بك وفعل وجعل يسبه. فقال عمر عند ذلك: يا ابن زيد ادن مني ألا أرى محمدا يسب بك فذكر معناه.

قال أبو بكر[4] بن محمد[5] بن عمرو بن حزم: إن عمر بن الخطاب جمع كل غلام اسمه اسم نبي فأدخلهم الدار ليغير أسماءهم، فجاء آباؤهم فأقاموا البينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى عامتهم، فخلى عنهم؛ قال: وكان أبي فيهم.

■ (1) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي: كان من أتم الرجال خلقة. روى الحديث عن أبيه وغيره، وروى عنه ابنه عبد الحميد وآخرون. وزوجه عمر بن الخطاب ابنته فاطمة. وولاه يزيد بن معاوية مكة سنة 63 هـ. توفي نحو 65 هـ وقيل نحو 70 هـ

■ (4) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي أمير المدينة وقاضيها لسليمان بن عبد الملك، ثم لعمر بن عبد العزيز روى عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن مالك قال: لم يكن عندنا بالمدينة احد عنده من علم القضاء ما كان عند أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم وكان ولاه عمر بن عبد العزيز وكتب إليه أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد فكتبه له، ولم يكن على المدينة أنصاري أميرا غير أبي بكر بن حزم، وكان قاضيا.

■ (3) محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي، أبو سليمان: صحابي، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسماه باسمه. ويقال له السجاد لكثرة تعبده. قتل يوم الجمل سنة 36 هـ

■ (5) محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري. ابن حزم، توفي سنة 63 هـ وولد بنجران سنة عشر، وأبوه عامل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكنية محمد أبو سليمان وقيل أبو عبد الملك، روى عنه جماعة من أهل المدينة ويروي هو عن أبيه وغيره من الصحابة.قال:كنت أكنى أبا القاسم عند أخوالي بني ساعدة فنهوني فحولت كنيتي إلى أبي عبد الملك. ووفد على معاوية هو وأخوه عمارة وقتل يوم الحرة ومعه جماعة من أهل بيته ويقال أنه كان أشد الناس على عثمان.قال حبيب مولى أسد بن الأخنس: بعثني عثمان بن عفان إلى محمد بن عمرو بن حزم: أنا نرمى من قبلك بالليل، فقال: ما نرميه ولكن الله يرميه؛ فأخبرت عثمان فقال: كذب لو رماني الله عز وجل ما أخطأني.

■ (2) عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب المدني الأعرج، ولي إمرة الكوفة لعمر بن عبد العزيز، سأل ابن عباس وروى عن مسلم بن يسار، ومقسم، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص، وثقه ابن خراش وغيره، وتوفي بحران في خلافة هشام في حدود 120 هـ وقيل نحو115 هـ وروى له جماعة.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل عمرو بن حزم[1] على نجران اليمن فولد له هنالك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر من الهجرة غلام فأسماه محمدا، وكناه أبا سليمان، وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أن سمه مُحَمَّدًا وكنه أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ﴾ ففعل. قال: وليس يولد من أهل هذا البيت مولود فيسمى محمدا إلا كني أبا عبد الملك. وقيل: إنه كانت كنيته أبا القاسم فزار أخواله في بني ساعدة فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ تَسَمَّى بِاسْمِي فَلَا يَتَكَنَّى بِكُنْيَتِي وَمَنْ تَكَنَّى بِكُنْيَتِي فَلَا يَتَسَمَّى بِاسْمِي﴾ قال: فغيرت كنيتي وتكنيت بأبي عبد الملك. وقتل محمد بن عمرو بن حزم يوم الحرة[2] سنة ثلاث وستين.

☪

كان محمد بن عمرو قد أكثر أيام الحرة القتل في أهل الشام، وكان يحمل على الكردوس منهم فيفض جمعتهم، وكان فارسا، فقال قائل من أهل الشام: قد أحرقنا هذا ونحن نخشى أن ينجو على فرسه، فاحملوا عليه حملة واحدة فإنه لا يفلت من بعضكم، فإنا نرى رجلا ذا بصيرة وشجاعة؛ فحملوا عليه حتى نظموه في الرماح ولقد مال ميتا، ورجل من أهل الشام قد اعتنقه حتى وقعا جميعا.فلما قتل محمد بن عمرو انهزم الناس في كل وجه حتى دخلوا المدينة، فجالت خيلهم فيها ينهبون ويقتلون. وصلى محمد بن عمرو يوم الحرة وجراحه تثعب دما، وما قتل إلا نظما بالرماح، وكان رافعا صوته يقول: يا معشر الأنصار اصدقوهم الضرب فإنهم قوم يقاتلون على طمع الدنيا وأنتم تقاتلون على الآخرة؛ ثم جعل يحمل على الكتيبة فيفضها حتى قتل. وجعل الفاسق مسرف بن عقبة[3] يطوف على فرس له في القتلى ومعه مروان بن الحكم فمر على محمد بن عمرو بن حزم وهو على وجهه، واضعا جبهته في الأرض، فقال: والله لئن كنت على جبهتك بعد الممات لطال ما افترشتها حيا؛ فقال مسرف: والله ما أرى هؤلاء إلا أهل الجنة لا يسمع هذا منك أهل الشام فتكر كرههم عن الطاعة؛ قال مروان: إنهم بدلوا وغيروا.

قال محمد بن عمارة: قدمت الشام في تجارة فقال لي رجل: من أنت؟ قلت: رجل من أهل المدينة، قال: خبيثة قلت: سبحان الله، يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وتقول أنت خبيثة؛ قال: إن لي ولها لشأنا، لما خرج الناس إلى قتال الحرة مع مسلم رأيت في منامي أني أقتل رجلا يقال له: محمد، أدخل بقتلي إياه النار، فجعلت جعالة أن لا أخرج فلم يقبل مني ذلك، فخرجت فلم أطعن برمح ولم أرم بسهم حتى انفض الأمر فإني لفي القتل إذ مررت برجل وبه رمق فقال لي: تنح أيها الكلب؛ قلت: نحن عندكم بعد بمنزلة الكلاب فأسفت فقتلته ونسيت رؤياي، ثم ذكرتها فجئت برجل من أهل المدينة فجعل يتصفح القتلى ويقول: هذا فلان، وهذا فلان، وجعلت أحيد به عن صاحبي، فنظر فرآه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون لا يدخل قاتل هذا الجنة والله أبدا، قلت: ومن هذا؟ قال: هذا محمد بن عمرو بن حزم، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا، وكناه أبا عبد الملك؛ فأتيت أهله فعرضت عليهم أن يقتلوني به فأبوا، فقلت: هذه ديته فخذوها فأبوا.

■ (1) عمرو بن حزم الأنصاري وقيل في نسبه غير ذلك أول مشاهده مع رسول الله الخندق واستعمله الرسول على نجران باليمن وبعث معه كتابا فيه الفرائض والسنن والصدقات والجروح والديات وكتابه هذا مشهور في كتب السنة توفى بالمدينة سنة 51 هـ وقيل 53 هـ وقيل 54 هـ

■ (2) الحرة في الأصل اسم لكل أرض ذات حجارة سود، فمتى كانت بهذه الصفة قيل لها حرة، والحرار كثيرة، والمراد بهذه الحرة حرة واقم، بالقاف المكسورة، وهي بالقرب من المدينة في جهتها. قال ابن كثير: كان سبب وقعة الحرة أن وفدا من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق، فأكرمهم وأحسن جائزتهم، وأطلق لأميرهم، وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر، قريبا من مائة ألف، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في شربه الخمر، وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها بسبب السكر، فاجتمعوا على خلعه، فخلعوه عند المنبر النبوي، فلما بلغه ذلك بعث إليهم سرية يقدمها رجل يقال له: مسلم بن عقبة. وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام، فقتل في غبون هذه الأيام بشرا كثيرا حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها، وزعم بعض علماء السلف أنه افتض في غبون ذلك ألف بكر. فالله أعلم.

■ (3) مسلم بن عقبة المري.وهو الذي سماه الناس بعد وقعة الحرة مجرما ومسرفا = مسرف بن عقبة– بعد أن حصر المدينة وأوقع بأهلها وقعة الحرة، سار إلى مكة ليقاتل ابن الزبير فمات في الطريق سنة 64 هـ ودفن بالمشلل بين مكة والمدينة وقد استخلف الحصين بن نمير السكوني على الجيش فحاصر ابن الزبير ورموا البيت بالمنجنيق ولم يلبثوا أن أخذ الله يزيد بن معاوية فجاءهم الخبر بموته فاخذ حصين الأمان من ابن الزبير ودخلوا الحرم ثم رحلوا إلى الشام وفرق البخاري بين حصين بن نمير الراوي عن بلال وبين حصين بن نمير الأمير.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الطبقات الكبرى/

كان عمر رضي الله عنه إذا بعث عاملا اشترط عليه أربعا لا يركب البراذين* ولا يلبس الرقيق ولا يأكل النقي ولا يتخذ حاجبا ولا يغلق بابا عن حوائج الناس وما يصلحهم ويقول إني لا أستعملك على أبشارهم ولا على أعراضهم وإنما استعملتك لتصلح بينهم وتقضي بينهم بالعدل. قال الحسن: قدم على عمر بن الخطاب وفد من أهل البصرة مع أبي موسى الأشعري[1]، قال: فكنا ندخل عليه وله في كل يوم خبز يلت*، فربما وافقناها مأدومة بسمن وأحيانا بزيت وأحيانا باللبن، وربما وافقنا القديد* اليابس قد دق ثم أغلي عليه بماء، وربما وافقنا اللحم العريض* –وهو قليل–. فقال لهم يوما: إني والله أرى تقذيركم وكراهيتكم لطعامي، وإني لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأرفهكم عيشا، وأما والله ما أجهل كراكر* وأسنمة* وصنابا* وصلائق*، ولكني سمعت الله عير قوما بأمر فعلوه فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف] فكلمنا أبو موسى فقال: لو كلمتم أمير المؤمنين لفرض لكم من بيت المال طعاما تأكلونه. فكلمناه فقال: يا معشر الأمراء، هل ترضون لأنفسكم ما أرضاه لنفسي؟ فقلنا: يا أمير المؤمنين، إن المدينة أرض العيش بها شديد، ولا نرى طعامك يغنينا ولا يؤكل طعامك، وأنا بأرض ذات ريف وإن أميرنا يغنينا وإن طعامه يؤكل! قال: فنظر ساعة ثم رفع رأسه فقال: قد فرضت لكم من بيت المال شاتين وجريبين*. فإذا كان بالغداة فضع إحدى الشاتين على أحد الجريبين، فكل أنت وأصحابك ثم ادع بشراب واسق الذي عن يمينك ثم اسق الذي عن شمالك ثم قم لحاجتك، فإذا كان العشاء فضع الشاة الغابرة على الجريب الآخر فكل أنت وأصحابك، ألا وأشبعوا الناس في بيوتهم وأطعموا عيالهم، والله ما أرى رستاقا*يؤخذ منه كل يوم شاتان وجريبان إلا يسرعان في خرابه! وكان عمر قد أطعم جريبين بالخل والزيت لثلاثين رجلا فكفاهم، فأجراه على كل رجل في كل شهر ممن كان في الدواوين، مكان ما كانت فارس تجريه على خيولهم وأساورتهم.

قال الربيع بن زياد الحارثي[2]: كنت عاملا لأبي موسى الأشعري على البحرين، فكتب إليه عمر بن الخطاب يأمره بالقدوم عليه هو وعماله، وأن يستخلفوا جميعا. فلما قدمت المدينة أتيت برفا[3] فقلت: يا برفأ مسترشد وابن سبيل! أي الهيئات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله؟ فأومأ إلى الخشونة، فعمدت إلى خفين مطارقين* ولبست جبة صوف ولبست عمامتي على رأسي (لثت عمامتي على رأسي*)، فدخلنا على عمر بن الخطاب فصففنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه غيري، فدعاني فقال: من أنت؟ قلت: الربيع بن زياد الحارثي. قال: وما تتولى من أعمالنا؟ قلت: البحرين. قال: وما ترتزق؟ قلت: ألفا. قال: كثير فما تصنع بها؟ قلت: أتقوت منها بشيء وأعود على أقارب لي، فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين. قال: فلا بأس عليك ارجع إلى موضعك. فرجعت إلى موضعي من الصف فصعد فينا وصوب فلم تقع عينه إلا علي فدعاني فقال لي: كم سنك؟ قلت: خمسة وأربعون سنة. قال: الآن استحكمت. ثم دعا بالطعام وأصحابي حديثو عهد بلين العيش وقد تجوعنا له، فأتي بخبز وأعضاء بعير(كسور الابل)* فجعل أصحابي يعافون ذلك، فجعلت آكل وجعلت أنظر إليه يلحظني من بينهم، ثم سبقت مني كلمة تمنيت أني سحت في الأرض ولم أقلها فقلت: يا أمير المؤمنين إن الناس محتاجون إلى سلامك، فلو عمدت إلى طعام ألين من هذا فزجرني وقال: كيف قلت؟ فقلت: أقول يا أمير المؤمنين لو تنظر إلى قوتك من الطحين أن يخبز لك قبل إرادتك إياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذا، فيؤتى بالخبز لينا وباللحم غريضا. فسكن غيظه ثم قال: ههنا زغت (غرت)* قلت: نعم. قال: يا ربيع إنا لو شئنا لملأنا هذه الرحاب من صلائق وسنابك*، وصناب* ولكني رأيت الله تعالى عاب على قوم شهواتهم فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف] ثم أمر أبا موسى بإقراري على عملي وأن يستبدل بأصحابي.

----

* (الغريض) من اللحم الطري منه (القديد) اللحم المملح (كراكر) رحى زور البعير (الصلاء) الشواء (الصناب) الخردل بالزبيب، صباغ يؤتدم به. ويقال فرس صنابي أي لونه لون الصناب (الصلائق) جمع صليقة وهي الرقاقة –أو الخبز الرقائق– وهي من صلقت الشاة إذا شويتها، وكأنه أراد الحملان والجداء المشوية، وتروى: السلائق = بالسين (جريبين) الجريب من الطعام والأرض: مقدار معلوم، وجمعه أجربة وجربان. قال الرازي: قلت الجريب مكيال؛ وهو أربعة أقفزة، والجريب من الأرض: بندر الجريب الذي هو المكيال (الرستاق) والجمع رساتيق وهي قرى السواد (لت) الفعل من اللتات وكل شيء يلت به سويق وغيره نحو السمن وشبهه. إذا بسه بالماء أو غيره.(مطارقين) أي مطبقين، واحدا فوق الآخر، يقال: أطرق النعل وطارقها (كسور الابل) أي أعضاؤها، واحدها كسر، بالفتح والكسر والكسر والوصل: العظم ينفصل بما عليه من اللحم (غرت) ذهبت (السنابك) ما سبك من الدقيق ونخل فأخذ خالصه، يعنى الحوارى، وكانوا يسمون الرقاق السبائك.(لثت عمامتي) يقول: أدرت بعضها على بعض على غير استواء (أسنمة) سنام البعير والناقة أعلى ظهرها والجمع أسنمة (البرذون) الدابة، البراذين من الخيل ما كان من غير نتاج العرب.

■ (2) الربيع بن زياد بن أنس بن الديان الحارثي، له صحبة. استخلفه أبو موسى على قتال مناذر سنة 17 فافتتحها عنوة وقتل وسبى وقتل بها أخوه المهاجر بن زياد.قيل لما أنه مقتل حجر بن عدي قال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه. فلم يبرح من مجلسه حتى مات سنة 53هـ

■ (1) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من فقهاء الصحابة أصله من اليمن. أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة (قيل: ليس من مهاجرة الحبشة) ثم قدم مع أهل السفينتين (قيل: وافق قدومه قدومهم) ورسول الله بخيبر. وأرسله رسول الله مع معاذ بن جبل إلى اليمن، ولى عمر بن الخطاب أبا موسى البصرة إذ عزل عنها المغيرة في وقت الشهادة عليه وذلك سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ثم لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه فأقره، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ثم كان منه بصفين وفي التحكيم ما كان .ولما خدعه عمرو بن العاص نزل شعبا بمكة فيه شيء من القبور يعرف بشعب أبي الدر وقال أجاور قوما لا يغدرون ولم يزل حتى توفي في سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ وقيل توفي بالكوفة في داره بجانب المسجد.

■ (3) يرفأ مولى عمر بن الخطاب، يقال إنه أدرك الجاهلية. وحج مع عمر في خلافة أبي بكر، وكان حاجبا على بابه.

☪

قال البلاذري: حدثني أبو علي الحرمازي عن العتبي عن أبيه: أن رجلا مر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستسقاه فخاض له عسلا بماء وأتاه به فلم يشربه، وقال: قال الله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف] فقال: يا أمير المؤمنين ليست الآية لك قال الله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف] فقال: صدقت وشرب.

عن قتادة قال: قدم عمر الشام، فصنع له طعاما لم ير قبله مثله. قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ فقال خالد ابن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر وقال: لئن كان حظنا في هذا الحطام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا. قال إبراهيم النخعي إن عمر بن الخطاب بعث مصدقين فأبطؤوا عليه، وبا الناس حاجة شديدة. فجاؤوا بالصدقات فقام فيها متزرا بعباءة يختلف في أولها وآخرها: هذه لآل فلان وهذه لآل فلان، حتى انتصف النهار وجاع، فدخل بيته حتى إذا أمكن أكله ثم قال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله. وعن شبابة بن سوار بن عاصم بن محمد العمري عن أبيه قال: كان عمر ذات يوم في إبل الصدقة يمرن أخفافها، فجاع فاشتد عليه الجوع والحر، فدخل منزله فقال: هل عندكم من شيء نأكله؟ قالوا: نعم، قباع من تمر فأتوه به فأكل نمه ثم شرب ماء ومسح بطنه وقال: ويل لمن أدخلته بطنه النار، إنما يكفي الرجل ما يسد جوعته.

عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب كأن يأكل خبز بسمن فدعا رجلا من أهل البادية، فجعل يأكل ويتتبع بالقمة وضر الصحفة*. فقال له عمر: كأنك مقفر*من الودك؟ فقال: والله ما أكلت سمنا ولا رأيت أكلا به منذ كذا وكذا. فقال عمر: لا أكل السمن حتى يحيى الناس من أول ما يحيون*. قال الطاووس: أجدب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فما أكل سمنا ولا سمينا حتى أكل الناس. وعن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب أدرك جابر بن عبد الله[1]، معه حمال لحم فقال: ما هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين قرمنا إلى اللحم، فاشتريت بدرهم لحما. فقال عمر ألا يريد أحدكم أن يطوي بطنه عن جاره أو ابن عمه؟أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف]؟

عن أنس بن مالك قال:رأيت عمر بن الخطاب وهو يومئذ أمير يطرح له صاع من تمر، فيأكله حتى يأكل حشفها*. وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري أنه قال: قال أنس ابن مالك: رأيت عمر بن الخطاب، وهو يومئذ أمير المؤمنين، وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث، لبد بعضها فوق بعض. قال أبو عثمان النهدي: رأيت عمر بن الخطاب يطوف حول البيت، وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة إحداهن بأدم أحمر.

☪

عن أسلم قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: إجتمعوا لهذا المال فانظروا لمن ترونه. ثم قال لهم: إني أمرتكم أن تجتمعوا لهذا المال فتنظروا لمن ترونه، وإني قد قرأت آيات من كتاب الله سمعت الله يقول: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر] والله ما هو لهؤلاء وحدهم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الحشر] الآية. والله ما هو لهؤلاء وحدهم ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر] الآية، والله ما من أحد من المسلمين إلا وله حق في هذا المال أعطي منه أو منع حتى راع بعدن. وأخرج أيضا عن مالك بن أوس بن الحدثان رضي الله عنه في قصة ذكرها قال: ثم تلا: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة] إلى آخر الآية، فقال: هذه لهؤلاء، ثم تلا: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال] إلى آخر الآية، ثم قال: هذ لهؤلاء، ثم تلا: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [الحشر] إلى آخر الآية، ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ [الحشر] إلى آخر الآية، ثم قال: هؤلاء المهاجرون، ثم تلا: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر] إلى آخر الآية، فقال: هؤلاء الأنصار، قال: وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر] إلى آخر الآية. قال: فهذه إستوعبت الناس، ولم يبق أحد من المسلمين إلا وله في هذا المال حق إلا ما تملكون من رقيقكم، فإن أعش، إن شاء الله، لم يبق أحد من المسلمين إلا سيأتيه حقه حتى الراعي بسرو حمير يأتيه حقه ولم يعرق فيه جبينه. وأخرجه أيضا ابن جرير عن مالك بن أوس نحوه، كما في التفسير لابن كثير.

----

* (الحشف) اليابس الفاسد من التمر (فجعل يأكل ويتتبع باللقمة وضر الصحفة) أي دسمها وأثر الطعام فيها (كأنك مقفر) القفار بالفتح الخبز بلا أدم والقفار والقفير الطعام إذا كان غير مأدوم يقال أكلت اليوم طعاما قفارا إذا أكله غير مأدوم قال ولا أرى أصله إلا مأخوذا من القفر من البلد الذي لا شيء به (يحيون) أراد به: الخصب، فإن الخصب سبب الحياة، أو هو من الحيا: المطر، وأراد حتى يمطروا، والمطر سبب الربيع والخصب. (الودك) اسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه

■ (1) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن عمرو بن سواد بن سلمة ويقال ابن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي الأنصاري المديني شهد بدرا مع النبي كنيته أبو عبد الله وقيل شهد العقبة مع أبيه، مات سنة 78 هـ أو 79 هـ بعد أن عمي وكان له يوم مات 94 سنة وصلى عليه أبان بن عثمان وهو والي المدينة. قال عمرو بن علي آخر من مات بالمدينة جابر بن عبد الله في سنة 79 هـ. سمع النبي وروى عن أبي هريرة وأم كلثوم وأبي سعيد الخدري وابي بردة بن نيار وعمر بن الخطاب وأبي حميد الساعدي وأم مالك وأم شريك.

مراجع: سراج الملوك/ الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة/ الإستعاب/ تاريخ المدينة/ المغازي/ الكامل في اللغة والأدب/ شرح نهج البلاغة/ جامع الأصول في أحاديث الرسول/ أنساب الأشراف/ حياة الصحابة للكاندهلوى/

عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان[1]: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعاه يوما بعد ما ارتفع النهار، قال: فدخلت عليه وهو جالس على رمال سرير، ليس بينه وبين الرمال فراش، على وسادة أدم، فقال: يا مالك، إنه قد قدم من قومك أهل أبيات حضروا المدينة، وقد أمرت لهم برضخ* فاقتسمه بينهم. -وفي رواية قال: يا مالك، إنه قد دف على دواف* من قومك، فخذ هذا المال فأقسمه بينهم- فقلت: يا أمير المؤمنين، مر بذلك غيري. قال: اقسمه أيها المرء -أو قال: خذه أيها الرجل- قال: وبينهما نحن على ذلك، إذ دخل يرفأ[2] فقال: هل لك في عثمان[3] وعبد الرحمن[4] وسعد[5] والزبير[6] يستأذنون ؟ قال: نعم. فأذن لهم، قال: فلبث قليلا ثم قال: هل لك في علي[7] والعباس[8] يستأذنان ؟ قال، نعم فأذن لهما، فلما دخلا قال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا -يعني عليا- وهما يختصمان في الصوافي* التي أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير، فاستب علي والعباس عند عمر، فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر. فقال عمر رضي الله عنه: أنشدكما الله الذي بإذنه تقوم السموات والارض، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ﴾ يعني نفسه ؟ قالوا: قد قال ذلك. فأقبل عمر على العباس وعلى علي فقال: أنشدكما الله، هل تعلمان ذلك ؟ قالا: نعم. قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الامر، إن الله اختص رسوله في هذا الفئ بشئ لم يعطه أحدا غيره، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر] فكانت هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فما احتازها دونكم، ولا استأثر به عليكم، لقد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله نفقة سنتهم، ثم يأخذه فيجعله مجعل مال الله، فعمل ذلك حياته. ثم توفي، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد عمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنتما حيين - وأقبل على علي والعباس رضي الله عنهما- تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر، والله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق. ثم توفى الله أبا بكر رضي الله عنه، فقلت: أنا أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي بكر رضي الله عنه، فقبضتها سنتين -أو سنين- من إمارتي، أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبمثل ما عمل فيها أبو بكر رضي الله عنه، وأقبل على علي والعباس رضي الله عنهما، فتزعمان أني فيها ظالم فاجر، والله يعلم أني لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني وكلمتكما واحدة، وأمركما جميع، فجئتني -يعني العباس- تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا -يعني عليا- يسألني نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ﴾، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت: إن شئتما أن أدفعه إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها على ما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه وما علمت به وإلا فلا تكلمان، فقلتما: ادفعها إلينا بذلك، فدفعتها إليكما بذلك، افتلتمسان مني قضاء غير ذلك؟، والله الذي باذنه تقوم السماء والارض لا أقضي فيها بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي، فأنا أكفيكماها.

عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: اجتمعت أنا والعباس وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل العباس رضي الله عنه فقال: يا رسول الله كبرت سني ورق عظمي وقد ركبني مؤونة فإن رأيت أن تأمر لي بكذا وكذا وسقا من طعام فافعل؟ قال: فعل ذلك ثم قالت فاطمة رضي الله عنها: يا رسول الله أنا منك بالمنزل الذي قد علمت فإن رأيت أن تأمر لي كما أمرت لعمك فافعل؟ قال: قد فعل ذلك ثم قال زيد بن حارثة رضي الله عنه : يا رسول الله كنت أعطيتني أرضا أعيش فيها ثم منعتها مني فإن رأيت أن تردها علي؟ قال: فعل ذاك قال: فقلت أنا: يا رسول الله إن رأيت أن توليني حقنا من الخمس في كتاب الله فاقسمه في حياتك لئلا ينازعنيه أحد بعدك فافعل؟ قال: قد فعل ذاك ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت إلى العباس فقال: يا أبا الفضل ألا سألتني الذي سألني ابن أخيك فقال: يا رسول الله انتهت مسألتي إلى الذي سألتك قال: فولانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقسمته حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ولاية أبي بكر رضي الله عنه فقسمته حياة أبي بكر ثم ولاية عمر رضي الله عنه فقسمته حياة عمر حتى كانت آخر سنة من سني عمر فإنه أتاه مال كثير فعزل حقنا ثم أرسل إلي فقال: هذا حقكم فخذه فاقسمه حين كنت تقسمه فقلت: يا أمير المؤمنين بنا عنه العام غناء وبالمسلمين إليه حاجة، فرده عليهم تلك السنة ثم لم يدعني إليه أحد بعد عمر حتى قمت مقامي هذا فلقيت العباس بعدما خرجت من عند عمر فقال: يا علي لقد حرمتنا الغداة شيئا لا يرد علينا أبدا إلى يوم القيامة وكان رجلا ذاهبا.

*(الرضخ) العطاء ليس بالكثير. (الصوافي) في مسند الامام: الصواف ، وحذف الياء في مثل هذا جائز. والصوافي: قال ابن الاثير: هي الاملاك والاراضي التي جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لها، واحدتها صافية (الدواف) جمع دافة للجماعة من الناس تقبل من بلد إلى بلد سائرة سيرا لينا

■ (8) العباس بن عبد المطلب جده هاشم بن عبد مناف وكنيته أبو الفضل من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وعم النبي وجد الخلفاء العباسيين وأبو حبر الأمة عبد الله بن عباس.أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه وأقام بمكة يكتب لرسول الله أخبار المشركين توفى بالمدينة سنة 32 هـ

■ (7) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (6) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي.أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حواري رسول الله. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر. أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ

■ (3) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (1) مالك بن أوس بن الحدثان النصري يكنى أبا محمد من تابعي المدينة يروي عن عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم. توفي سنة 92 هـ وهو ابن أربع وتسعين.

■ (4) هل هو: عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة. ؟؟؟

■ (5) هل هو: سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة.مات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ.

■ (2) يرفأ مولى عمر، وكان حاجبه (البواب). (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

عن الزهري قال، حدثنا مالك بن أوس بن الحدثان بنحوه، قال: فذكرته لعروة بن الزبيرقال: صدق مالك بن أوس، أنا سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه يسأل لهن ميراثهن مما أفاء الله على رسوله، حتي كنت أنا رددتهن عن ذلك، فقلت: ألا تتقين الله ؟ ألم تعلمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:﴿لَا نُورَثُ، فَمَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الْمَالِ﴾؟ فانتهى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما أمرتهن. وكان أبو هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَقْتَسِمُ وَرَثَتِي شَيْئًا مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ﴾ فكانت هذه الصدقة بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطالت فيه خصومتهما فأبى عمر رضي الله عنه أن يقسمها بينهما حتى أعرض عنها عباس ثم كانت بعد علي رضي الله عنه بيد حسن بن علي ثم بيد حسين بن علي ثم بيد علي بن حسين وحسن بن حسن كلاهما كانا يتداولانها ثم بيد زيد بن حسن وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا. نقل ابن الجوزي في تلبيس إبليس قال: وقد روينا عن السفاح، أنه خطب يوما، فقام رجل من آل على رضي الله عنه، قال: إنا من أولاد على رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، أعنى على من ظلمني. قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد على رضي الله عنه، والذي ظلمني أبو بكر رضي الله عنه، حين أخذ فدك من فاطمة رضي الله عنها، وقال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام عبده؟ قال: عمر رضي الله عنه، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عثمان رضي الله عنه قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكانا يهرب منه.

☪

عن عبد الله بن رافع، عن برزة بنت رافع قالت: لما خرج العطاء أرسل عمر رضي الله عنه إلى أم المؤمنين، زينب بنت جحش[1] رضي الله عنها بالذى لها. فلما أدخل إليها قالت: غفر الله لعمر، غيرى من أخواتي كانت أقوى على قسم هذا منى. قالوا: هذا كله لك. قالت: سبحان الله، واستترت منه بثوب. ثم قالت: صبوه واطرحوا عليه ثوبا. ثم قالت لي: ادخلي يديك واقبضى منه قبضة فاذهبي بها إلى بنى فلان من ذوى رحمها وأيتام لها. فقسمته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب. قالت برزة بنت رافع: فقلت غفر الله لك يا أم المؤمنين ! والله لقد كان لنا في هذا المال حق. قالت: فلكم ما تحت الثوب. فوجدنا تحته خمس مئة وثمانين درهما. ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا. قال: فماتت.

عن خلف بن حوشب قال، أدركت رجلا من أصحاب عبد الله شيخا كبيرا قال: خرج علينا علي رضي الله عنه من القصر وعليه بردة يمانية من هذه اليمانية الخمر عتيق منها جيد فجعل القوم يمسونه ويقولون: من أين لك هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا كسانيه حبيبي عمر رضي الله عنه، فلما ذكر عمر قبع* رأسه بالبرد. ثم بكى حتى رحمه من كان ثم. عن أبي إسحاق عن أبي مريم رجل من الموالي قال:أتيت عليا رضي الله عنه وعليه برد سحيق قد تهدب طرفاه فقلت: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة قال: وما حاجتك يا أبا مريم؟ قلت: تلقي هذا البرد عنك. قال: فقعد ثم وضع طرف البرد على عينيه ثم بكى حتى علا صوته. فقلت: يا أمير المؤمنين لو كنت أعلم أنه يبلغ منك ما رأيت ما أمرتك بطرحه. قال: يا أبا مريم إني أزداد له حبا إنه أهداه إلي خليلي. قلت: ومن خليلك يا أمير المؤمنين؟ قال: عمر رضي الله عنه، إن عمر ناصح الله فناصحه. وعن عبد الله بن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنا نترحم على عمر رضي الله عنه حين وضع على سريره، فجاء رجل من خلفي فترحم عليه وقال: ما أحد أحب إلي أن ألقى الله بعمله منك، وإن كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك، فلاني كنت أكثر أن أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: كنت أنا وأبو بكر وعمر، وفعلت أنا وأبو بكر وعمر، فكنت أظن ليجعلنك الله معهما فالتفت فإذا هو علي.

*(قبع رأسه بالبرد) أدخل رأسه فيه

■ (1) زينب أم المؤمنين بنت جحش بن رياب، وابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم. أمها: أميمة بنت عبدالمطلب بن هاشم. وهي أخت حمنة، وأبي أحمد. من المهاجرات الاول. كانت عند زيد، مولى النبي صلى الله عليه وسلم. وهي التي يقول الله فيها: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الاحزاب] فزوجها الله تعالى بنبيه بنص كتابه، بلا ولي ولا شاهد. فكانت تفخر بذلك على أمهات المؤمنين، وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق عرشه. وكانت من سادة النساء، دينا وورعا وجودا ومعروفا، رضي الله عنها. وهي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا﴾ وإنما عنى طول يدها بالمعروف. قالت عائشة: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا. وكانت زينب تعمل وتتصدق. توفيت سنة 20 أو 21 هـ.

مراجع: تاريخ المدينة/ـ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ شرح نهج البلاغة/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ مسند أحمد/ سنن البيهقي الكبرى/ سنن البيهقي الصغرى/ فتوح البلدان/ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب/ـ

عن قتادة، قال: كان معيقيب[1] على بيت مال لعمر، فكسح* بيت المال يوما فوجد فيه درهما، فدفعه إلى ابن عمر، قال معيقيب: ثم انصرفت إلى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاء يدعوني، فجئت فإذا الدرهم في يده، فقال:ويحك يا معيقيب أوجدت علي في نفسك شيئا؟، أو ما لي ولك؟، قلت:وما ذلك؟، قال:أردت أن تخاصمني أمة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الدرهم يوم القيامة؟. وفي رواية عن هشام بن حسان قال: كسح أبو موسى بيت المال فوجد فيه درهما، فمر به ابن لعمر بن الخطاب فأعطاه إياه، فرأى عمر الدرهم مع الصبي فقال: من أين لك هذا؟ فقال: أعطانيه أبو موسى، فأقبل عمر على أبي موسى فقال: أما كان لك في المدينة أهل بيت أهون عليك من آل عمر؟ أردت أن لا تبقي أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا طالبنا بمظلمة في هذا الدرهم! فأخذ الدرهم فألقاه في بيت المال. وحدث عيسى بن حفص بن عاصم، عن أبيه، عن جده[2]: أن عمر قدم عليه مال فأمر به إلى بيت المال، فجئت وأنا غليم وعلي أزير فوجدت درهما فأخذته، فقال لي: من أين هذا الدرهم لك يا عاصم؟ قلت: أعطتنيه أمي، فأرسل إلى أمي: أعطيت عاصما درهما ؟ قالت: لا، قال أخبرني خبره، قلت:وجدته في الحجر وقال في الفناء. فأخذه مني ودفعه إلى رجل وقال: اذهب به فألقه بين الخوخة والباب.

---

*(كسح) كسحت البيت كسحا من باب نفع: كنسته.

■ (1) معيقيب بن أبى فاطمة الدوسي الأزدي، من السابقين الأولين هاجر الهجرتين وشهد المشاهد، وولي بيت المال لعمر، وتوفي آخر خلافة عثمان وقيل سنة 40 هـ في خلافة علي.

■ (2) عاصم بن عمر بن الخطاب، أمه جميلة بنت ثابت، كان اسمها عاصية فسماها رسول الله جميلة، وقيل: هي بنت عاصم بن ثابت، لا أخته. ولد عاصم قبل وفاة رسول الله بسنتين، وخاصمت فيه أمه أباه إلى أبي بكر الصديق وهو ابن أربع سنين، وقيل: ابن ثماني سنين، ولما طلق عمر أم عاصم تزوجها يزيد بن جارية الأنصاري، فهي أم عبد الرحمن بن يزيد أيضا، فهو أخو عاصم لأمه. و عاصم هو جد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز لأمه.وكان طويلا جسيما، وكان خيرا فاضلا يكنى أبا عمر.مات سنة 70 هـ قبل وفاة أخيه عبد الله.

☪

عن مالك بن مغول قال: قال أبو حيان: قال عمر لعبد الله بن الأرقم الزهري: انظر ما اجتمع عندك من مال فاقسمه في كل شهر، وفي كل جمعة، وفي كل يوم، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، لو أبقيت في بيت مال المسلمين مالا تعده لنائبة تحدث أو شيء يكون، فقال عمر: هذه كلمة ألقاها الشيطان على لسانك لقاني الله حجتها ووقاني فتنتها أعصي العام مخافة قابل، أعد لهم ما أعد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أعد لهم طاعة الله.

عن حارثة ابن مضرب، عن عمر رضي الله عنه قال: إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة والي مال اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، ثم قضيت. وعن قتادة عن أبي مجلز قال: قال عمر رضي الله عنه لعمار وابن مسعود رضي الله عنهما، حين ولاهما أعمال الكوفة: إني وإياكم في مال الله كوالي مال اليتيم إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف.وعن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما استخلف عمر أكل هو وأهله من المال، واخترق في مال نفسه قال الحسن حدثني حفص بن أبي العاص قال: كان عمر رضي الله عنه يغدينا بالخبز والزيت والخل، والخبز واللبن، والخبز والقديد، وأول ذلك اللحم الغريض*، يأكل وكنا نغدر*، وكان يقول: لا تنخلوا الدقيق فكله طعام، وكان يقول: ما لكم لا تأكلون ؟ فقلت يا أمير المؤمنين إنا نرجع إلى طعام ألين من طعامك، قال: يا ابن أبي العاص. أما تراني عالما أن أرجع إلى دقيق ينخل في خرقة فيخرج كأنه كذا وكذا ؟ أما تراني عالما أن أعمد إلى أعناق* سمينة فنلقي عنها شعرها فتخرج كأنها كذا وكذا، أما تراني عالما أن أعمد إلى صاع أو صاعين من زبيب فأجعله في سقاء وأصب عليه من الماء فيصبح كأنه دم الغزال ؟ قال قلت: أحسن ما يبعث العيش يا أمير المؤمنين. قال: أجل، والله لولا مخافة أن ينقص من حسناتي يوم القيامة لشاركتكم في لين عيشكم، ولكني سمعت الله ذكر قوما فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف] وعن أبي نضرة، عن الربيع بن زياد الحارثي قال: كنت عند عمر رضي الله عنه فوضع يده على بطنه، فقلت: مالك يا أمير المؤمنين؟ فقال: طعام غليظ أكلته أذيت منه، قلت: يا أمير المؤمنين، إن أولى الناس بالمطعم اللين والملبس اللين لانت، قال: فتناول عصية فقرع بها رأسي وقال: كنت أحسب فيك خيرا يا ربيع بن زياد. قلت: مالك يا أمير المؤمنين؟ قال: والله ما أردت بها إلا مقاربتي، أتدري ما مثلي ومثلهم؟ قال: ما مثلك ومثلهم؟ قال: مثل قوم أرادوا سفرا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل وقالوا: أنفق عليك وعلينا. أفله أن يستأثر عليهم؟ قلت: لا، قال: فكذاك. وقال أبو أمامة بن سهل: مكث عمر رضي الله عنه زمانا لا يأكل من المال شيئا حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة، فأرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشارهم، فقال: قد شغلت نفسي في هذا الأمر، فما يصلح لي منه؟، فقال عثمان رضي الله عنه: كل وأطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد، وقال لعلي: ما تقول أنت؟، قال: غذاء وعشاء، فأخذ عمر بذلك.وعن ابن عمر، قال: جمع عمر الناس بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسية، ودمشق، فقال: إني كنت امرءا تاجرا، وقد شغلتموني بأمركم هذا، فماذا ترون أنه يحل لي من هذا المال؟، فأكثر القوم، وعلي رضي الله عنه ساكت، فقال: يا علي ما تقول؟، قال: ما يصلحك ويصلح عيالك بالمعروف، وليس لك من هذا الأمر غيره. فقال: القول ما قال علي بن أبي طالب. وعن أسلم قال: قام رجل إلى عمر رضي الله عنه فقال: مايحل لك من هذا المال؟، فقال: ما أصلحني وأصلح عيالي بالمعروف، وحلة للشتاء وحلة للصيف، وراحلة عمر للحج، والعمرة، ودابة لحوائجه وجهاده. وعن الحسن: أن عمر وعبد الله ابنه رضي الله عنهما كانا يسيران في مربد لهما، فرأي عمر رضي الله عنه جارية تقوم مرة وتصرع أخرى، فقال: يا بؤس هذه الجارية، أما لها أحد ؟ فقال عبد الله رضي الله عنه: هي والله يا أمير المؤمنين إنها لاحدي بناتك. قال: وأي بناتي ؟ قال بنت عبد الله بن عمر. فقال: أهلكت هذه الجارية هزالا. فقال: يا أمير المؤمنين حبست ما عندك. فقال: وما عندي؟ غرك أن تكسب بناتك كما تكسب الاقوام بناتهم، لا والله ما لك عندي إلا سهمك في المسلمين. قال أنس بن مالك: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، إني اشتريت آنية من ذهب بنصف وزنها ! فقال عمر: ثكلتك أمك أرددها إلى بيت المال وخذ رأس مالك، فان الذهب لا يشترى إلا بوزنه والفضة مثل ذلك. قال عمران بن عبد الله بن طلحة: كان عمر رضي الله عنه يحتاج الحاجة الشديدة فيأتي خازن بيت المال فيستقرض الدريهمات فيقرضه فربما أخذ بخناقه فيها حتى يردها وربما يؤخر حتى يخرج عطاؤه أو سهمه فيعطيه. وعن الأوزاعي عن الوليد بن هشام أنه حدثه عن معدان بن أبي طلحة اليعمري أنه قدم على عمر رضي الله عنه بقطائف وطعام فأمر به فقسم ثم قال: اللهم، إنك تعلم أني لم أرزقهم ولن استأثر عليهم إلا أن أضع يدي مع أيديهم في طعامهم وقد خفت أن تجعله نارا في بطن عمر، قال معدان: ثم لم أبرح رأيته اتخذ صحفة من خالص ماله فجعلها بينه وبين جفان العامة. وحدث الأوزاعي بمثله سواء إلا أنه قال لم أرزأ فيهم. وعن عبد الرحمن بن غنم قال: شهدت عمر ينظر في أمور الناس حتى تعالى النهار وافترق عن الناس وقام إلى منزله فاستتبعني فلما صار فيه قال لجاريته: ويحك يا قريباء آتينا غداءنا فقربت خبزا وزيتا، فقال: ويحك ألا جعلت مكان الزيت سمنا، قالت: يا أمير المؤمنين، إنك جعلت مال الله في أمانتي. وعن يونس بن ميمون عن قاسم قال: خطب عمر رضي الله عنه الناس فقال: إن أمير المؤمنين يشتكي بطنه من الزيت فإن رأيتم أن تحلوا له ثلاثة دراهم ثمن عكة* من سمن من بيت مالكم فافعلوا.

عن أبي يعفور عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه دخل عليه وهو على صدر فراشه ورحب بأمير المؤمنين ووضع يده في الطعام فلقم لقمة وقال: بسم الله ثم ثنى فقال: إني لأجد طعم دسم ما هو بدسم لحم قال: يا أمير المؤمنين، طلبت السمين من اللحم فوجدته غاليا وكنت أحبه أن يتوازى أهل بيتي عظما عظما فاشتريت بدرهم من يهودي وحملت عليه بدرهم سمنا فقال عمر رضي الله عنه: ما اجتمعا عند النبي صلى الله عليه وسلم إلا تصدق بأحدهما وأكل الآخر فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، فوالله لا يجتمعان عندي إلا تصدقت بأحدهما وأكلت الآخر، قال: ما أنا بالذي أعود فيه. وعن حميد بن هلال قال: نهى عمر رضي الله عنه عن السمن واللحم أن يجمع بينهما فدخل عبيد الله بن عمر على عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقرب خبزا ولحما، فقال: ما أنا بطاعم من طعامكم.

☪

عن قتادة قال: آخر مال أتي به النبي صلى الله عليه وسلم ثمانمائة ألف درهم من البحرين فما قام من مجلسه حتى أمضاه ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا أبي بكر وأول من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب فقال ابن شهاب: عمر أول من دون الدواوين. عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: السنة ثلاث مئة وستون يوما، وإن حق الله عز وجل على عمر أن يكسح بيت المال في كل سنة يوما عذرا إلى الله أني لم أدع فيه شيئا. وفي حديث بمعناه:حتى يعلم الله أني قد أديت إلى كل ذي حق حقه. قال الحسن: فأخذ صفوها، وترك كدرها حتى ألحقه الله بصاحبيه.وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقسم ما في بيت المال كل جمعة، حتى لا يترك فيه شيئا، ودخل مرة إلى بيت المال فوجد الذهب والفضة، فقال: يا صفراء اصفري و يا بيضاء ابيضي وأغري غيري، لا حاجة لي فيك. قال محمد بن أبي بكر، الشهير بالبري: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يسير في الفيء، بسير أبي بكر الصديق في القسم. وإذا ورد عليه مال لم يبق منه شيئا إلا قسمه في يومه ذلك. ويقول: يا دنيا غرى غيري. ولم يكن يستأثر بشيء من الفيء، ولا يخص به حميما ولا قريبا. قال أبو صالح السمان: رأيت عليا دخل بيت المال، فرأى فيه شيئا فقال: ألا أرى هذا هاهنا، وبالناس إليه حاجة؟! فأمر به فقسم، وأمر بالبيت فكنس ونضح، فصلى فيه، أو قال فيه، يعني نام. وعن مجمع أن عليا كان يكنس بيت المال، ثم يصلي فيه؛ رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين.

قال علي الصلابي: روى ابن سعد وغيره أن أبا بكر، كان له بيت مال بالسنح* معروف، ليس يحرسه أحد، فقيل له: ألا تجعل على بيت المال من يحرسه؟ فقال: لا يخاف عليه، قيل له: ولم؟ قال: عليه قفل! وكان يعطي ما فيه حتى لا يبقى فيه شيئا، فلما تحول إلى المدينة حوله معه فجعله في الدار التي كان فيها، وقدم عليه مال من معدن من معادن جهينة، فكان كثيرا، وانفتح معدن بني سليم في خلافته، فقدم عليه منه بصدقة فكان يضع ذلك في بيت المال، فيقسمه بين الناس سويا، بين الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير على السواء. قالت عائشة رضي الله عنها: فأعطى أول عام الحر عشرة والمملوك عشرة، وأعطى المرأة عشرة، وأمتها عشرة، ثم قسم في العام الثاني، فأعطاهم عشرين عشرين، فجاء ناس من المسلمين فقالوا: يا خليفة رسول الله: إنك قسمت هذا المال فسويت بين الناس، ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم، فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل. فقال: أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعرفني بذلك وإنما ذلك شئ ثوابه على الله جل ثناؤه، وهذا معاش، فالأسوة فيه خير من الأثرة. فقد كان توزيع العطاء في خلافته على التسوية بين الناس، وقد ناظر الفاروق عمر أبا بكر في ذلك فقال: أتسوي بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين، وبين من أسلم عام الفتح؟ فقال أبو بكر: إنما عملوا لله، وإنما أجورهم على الله، وإنما الدنيا بلاغ للراكب. ورغم أن عمر غير في طريقة التوزيع فجعل التفضيل بالسابقة إلى الإسلام والجهاد إلا أنه في نهاية خلافته قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لرجعت إلى طريقة أبي بكر فسويت بين الناس.

---

*(الغريض) من اللحم الطري منه (نعذر) أي نصنع ما نعذر فيه (العناق) الانثى من أولاد الماعز قبل استكمالها الحول (السنح) منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة، بينها وبين منزل النبي صلى الله عليه وسلم ميل (العكة) وعاء مستدير من الجلد، يحفظ فيه السمن والعسل

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ أبو بكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره/ أسد الغابة/ تاريخ المدينة/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ أخبار المدينة/ لسان العرب/ أنساب الأشراف/

قال ابن شهاب وغيره من أهل العلم: أول ما ابتدأ به عمر من أمره حين جلس على المنبر أنه جلس حيث كان أبو بكر يضع قدميه وهو أول درجة ووضع قدميه على الأرض، فقالوا: لو جلست حيث كان أبو بكر يجلس، قال حسبي أن يكون مجلسي حيث كانت تكون قدما أبي بكر، قالوا: وهاب الناس عمر هيبة عظيمة حتى ترك الناس المجالس بالأفنية قالوا ننتظر ما رأى عمر، وقالوا: بلغ من أبي بكر أن الصبيان كانوا إذا رأوه يسعون إليه ويقولون: يا أبت فيمسح رؤوسهم، وبلغ من هيبة عمر أن الرجال تفرقوا من المجالس هيبة حتى ينتظروا ما يكون من أمره، قالوا: فلما بلغ عمر أن الناس أهابوه فصيح في الناس: الصلاة جامعة. فحضروا ثم جلس من المنبر حيث كان أبو بكر يضع قدميه، فلما اجتمعوا قام قائما فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: بلغني أن الناس قد هابوا شدتي وخافوا غلظتي وقالوا قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه فكيف إذا صارت الأمور إليه؟ ومن قال ذلك فقد صدق، قد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت عبده وخادمه، وكان ممن لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة وقد سماه الله بذلك ووهب له اسمين من أسمائه: رؤوف رحيم. فكنت سيفا مسلولا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عني راضي والحمد لله وأنا أسعد بذلك، ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر فكان ممن لا ينكرون دعته وكرمه ولينه، فكنت خادمه وعونه، أخلط شدتي بلينه فأكون سيفا مسلولا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي، فلم أزل معه كذلك حتى قبض وهو عني راض والحمد لله وأنا أسعد بذلك، ثم إني قد وليت أموركم أيها الناس واعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والفضل فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحدا يظلم أحدا ويتعدى عليه، حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق، ولكم علي أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها، لكم علي أن لا أخبأ شيئا من خراجكم مما أفاء الله عليكم غلا من وجهه ولكم علي إذا وقع عندي أن لا يخرج إلا بحقه، ولكم علي أن أرد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى، ولكم علي أن لا ألقيكم في المهالك، وإذا رغبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

■ (2) أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، سنة 2 هـ، وكانت ولادتها قبل البعثة بخمس سنوات، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنها كثيرون منهم أخوها عبد الله، ماتت سنة 45 هـ في زمن معاوية.

■ (3) أسلم، العدوي، العمري، الفقيه، أبو زيد، ويقال: أبو خالد، مولى عمر بن الخطاب. قيل هو من سبي عين التمر. وقيل هو يماني. وقيل حبشي اشتراه عمر بمكة إذ حج بالناس في العام الذي يلي حجة الوداع زمن الصديق.توفي أسلم سنة 80 هـ. وقيل: مات في خلافة عبد الملك.

■ (1) محمد بن شهاب الزهري وهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث. كنيته أبو بكر وكان من علماء التابعين وفقهائهم أدرك جماعة من الصحابة ولد سنة 51 هـ وقيل سنة 58 هـ ومات سنة 124 هـ.

■ (4) يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية من أبيه، ويقال له يزيد الخير، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة. أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وشهد حنينا، فقيل: إن النبي أعطاه من غنائم حنين مئة من الإبل وأربعين أوقية فضة، وهو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، عقد له أبو بكر، ومشى معه تحت ركابه يسايره، ويودعه، ويوصيه، وما ذاك إلا لشرفه وكمال دينه، ولما فتحت دمشق، أمره عمر عليها. توفي يزيد في الطاعون سنة 18 هـ، ولما احتضر، استعمل أخاه معاوية على عمله، فأقره عمر على ذلك احتراما ليزيد، وتنفيذا لتوليته.

عن محمد بن عجلان[1] أن نفرا كلموا عبد الرحمن بن عوف، فقالوا: كلم عمر فإنه قد أخشانا حتى ما نستطيع أن ندوم فيه أبصارنا، فذكر ذلك عبد الرحمن لعمر، فقال: أو قد قالوها فوالله لقد لنت لهم حتى خفت الله واشتددت عليهم حتى خفت الله، والله لأنا أشد فرقا منهم، منهم مني. وفي رواية عن عمر بن محمد قال، حدثني أبي قال: اجتمع عثمان والزبير وطلحة وابن عوف رضي الله عنهم، فقالوا لعبد الرحمن بن عوف- وكان أجرأهم على عمر رضي الله عنه- لو أنك كلمت أمير المؤمنين فإنه يقدم الرجل فيطلب الحاجة فتمنعه مهابته أن يكلمه حتى يرجع، فليلن للناس، فدخل عليه فقال ذلك له، فقال: أنشدك الله يا عبد الرحمن أفلان وفلان قالوا ذلك؟ قال: فلم يدع منهم إنسانا إلا سماه قال: اللهم نعم، قال: أيا عبد الرحمن والله لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين، ثم اشتددت حتى خشيت الله في الشدة، فأين المخرج؟ فقام عبد الرحمن يبكي يجر إزاره يقول: أف لهم بعدك، أف لهم بعدك.

قال علي بن عمر بادحدح: فماذا يقصد عمر؟ قال:إني ألين ولا أترك اللين إلا عندما أرى أنه ضعف في الدين، وأشتد ولا أطلق الشدة إلا أن أرى أنها غلظة ليست في موضعها، وأجتهد في ذلك رعاية المسلمين ومراقبة لله، فوالله! إني لأشد منهم فرقا منهم مني. وهكذا نجد هذه الفلسفة وهذا الشرح والبيان في موقف عمر في قوته رضي الله عنه، فقد كان كما قال الشاعر: في الجاهلية والإسلام هيبته تثني الخطوب فلا تعدو عواديها في طي شدته أسرار مرحمة للعالمين ولكن ليس يحكيها وبين جنبيه في أوفى صرامته فؤاد والدة ترعى جراريها أغنت عن الصارم المسلول درته فكم أخافت غوي النفس عاديها قد كانت شدة عمر نصرة للحق، وكان لينه تقريبا لأهل الحق، وهكذا كان عمر رضي الله عنه لا تأخذه في الله لومة لائم، وهكذا كان يجسد ما أنبأنا الله عز وجل به في شأن وصف أهل الإيمان الذين يحبهم الله عز وجل ويحبونه، فقد جاء في وصفهم قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة] وقد كان عمر كذلك، فقد كان يعس ويرعى شأن العجائز والأطفال والصغار، بل كان يبكي ويرق لهم، بل كان يخدمهم بنفسه رضي الله عنه، وهكذا جسد المعنى الذي ذكره النبي الكريم في قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ﴾ وكان عمر رضي الله عنه يريد بقوته أن يعز الإسلام، وأن يظهر قوته، ويريد بلينه أن يدعو إلى الإسلام وأن يظهر سماحته، فكان في كل موقف داعيا لله عز وجل، وكان في كل موقف ملتزما أمر الله سبحانه وتعالى، وكان مجسدا لصورة الإسلام الحق في أبهى وأجلى وأنصع صوره، وما أحرانا أن نتلمس مثل هذه القوة بمثل هذا المنهج في سيرة عمر رضي الله عنه. فالله أسأل أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى، والله أسأل أن يجعلنا آخذين بالقوة في الدين، والشدة على أعداء الدين، واللين للمسلمين.

وعن القاسم بن محمد قال: بينما عمر رضي الله عنه يمشي وخلفه عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم بدا له فالتفت فما بقي منهم أحد إلا سقط إلى الأرض على ركبتيه، فلما رأى ذلك بكى، ثم رفع يديه فقال: اللهم، إنك تعلم أني منك منهم أشد فرقا منهم مني. وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما أنا أمشي مع عمر رضي الله عنه ذات يوم وهو يضرب وحشي قدمه بالدرة تنفس تنفسة ظننت أنها قد قضت أضلاعه فقلت: سبحان الله وما أخرج هذا منك يا أمير المؤمنين إلا أمر عظيم؟! قال: ويحك يا ابن عباس والله ما أدري كيف أصنع بأمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟ قلت: والله إنك بحمد الله لقادر على أن تصنع ذاك منها في البقية، قال: إنه والله يا ابن عباس ما يصلح هذا الأمر إلا القوي في غير عنف، اللين في غير ضعف، الجواد في غير سرف، الممسك في غير بخل، يقول ابن عباس: والله ما أعرفه غير عمر. حدث النضر بن سهيل قال: سمعت محمد بن عمرو بن علقمة يقول: كان الناس لدرة عمر رضي الله عنه أهيب منكم لسوطكم وسيفكم.وعن أفلح الثقفي عن أبيه قال: قال مالك بن عوف النصري[2] لعمر: هلم أكلمك. قال: إني عنك لفي شغل، قال: أما والله لقد كنا نهاب عصاك ويدك وأنت سوقة*، فكيف اليوم؟ فقال عمر: اللهم، حببني إليهم وحببهم إلي، قال مالك: فانصرفت وما في الأرض أحد أحب إلي منه. وفي رواية عن عبد الله بن جعفر بن برقان قال: قال رجل لعمر: أدنو منك فإن لي إليك حاجة ؟ قال: لا، قال: إذن أذهب فيغنيني الله عنك، فولى ذاهبا فأتبعه عمر رضي الله عنه فأخذ بثوبه فقال: حاجتك ؟ قال الرجل أبغضك الناس أبغضك الناس، كرهك الناس-ثلاثا- قال عمر له: مم ويحك؟ ! قال: لسانك وعصاك، فرفع عمر رضي الله عنه يديه فقال: اللهم، حببني إليهم وحببهم إلي، ولينى لهم ولينهم لي، قال فما وضع يديه حتى ما على الأرض أحب إلي منه. وعن الحسن البصري أن عمر رضي الله عنه بينما هو يجول في سكك المدينة إذ عرضت له هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (57) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب] فانطلق من وجهه إلى أبي بن كعب فدخل عليه بيته وهو جالس على وسادته فانتزعها أبي من تحته وقال: دونكها يا أمير المؤمنين، فقال: لا: ونبذها برجله، وجلس فقرأ عليه هذه الآية، وقال: أخشى أن أكون أنا صاحب هذه الآية، أوذي المؤمنين والمؤمنات.؟ فقال أبي: لا إن شاء الله أرجو أن لا تكون تفعل، ولكنك رجل مؤدب لا تستطيع إلا أن تعاهد رعيتك فتأمر وتنهى.

عن حميد بن هلال قال، قال عمر رضي الله عنه لرهط فيهم أبي بن كعب: اتل هذه الآية قال: آية المواريث، قال فجعل الرجل يتلوها فإذا فرغ قال له عمر: كذبت، فيسكت ثم يقول لآخر: اتلها، فإذا تلاها قال له: كذبت حتى أتى على أبي بن كعب رضي الله عنه فقال له: اتلها، فتلاها. فقال عمر: كذبت، فقال أبي: لا، بل كذبت، فبكى عمر رضي الله عنه عند ذلك وقال: إنما نظرت هل بقي أحد ينكر منكرا. وحدث مبارك، عن الحسن قال، قال رجل لعمر رضي الله عنه: اتق الله يا أمير المؤمنين، فوالله ما الأمر كما قلت. قال: فأقبلوا على الرجل فقالوا: لا تألت أمير المؤمنين. فلما رآهم أقبلوا على الرجل قال: دعوهم فلا خير فيهم ذا لم يقولوها لنا، ولا خير فينا إذا لم تقل لنا.

حدث خليد بن دعلج، عن قتادة قال، خرج عمر رضي الله عنه من المسجد ومعه الجارود العبدي فإذا امرأة برزة على ظهر الطريق، فسلم عليها عمر رضي الله عنه فردت عليه السلام- أو سلمت عليه، فرد عليها السلام- فقالت: هيها يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرا في سوق عكاظ تصارع الصبيان، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت. فبكى عمر رضي الله عنه، فقال الجارود: هيه فقد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيته!! فقال عمر رضي الله عنه: أما تعرف هذه؟ هذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت، التي سمع الله عز وجل قولها من فوق سمواته، فعمر أحرى أن يسمع لها.

عن عرمو بن مرة عن ابن سابط قال: بلغ عمر رضي الله عنه عن بعض عماله شيء فجمعهم فخطبهم فقال: أيتها الرعية إن للرعاة عليكم حقا، الناصحة بالغيب، والمعاونة على الخير، ألا وإنه ليس شيء أحب إلى الله من حلم إمام عادل ورفقه، ولا جهل أبغض إلى الله من جهل إمام جائر وخرقه ومن يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يعط العافية من فوقه. وحدث محمد بن عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن جده عطاء بن مسلم قال: كتب عمر رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه: أما بعد فإنك لم تؤدب رعيتك بمثل أن تبدأهم بالغلظة والشدة على أهل الريبة بعدوا أو قربوا، فإن اللين بعد الشدة أمنع للرعية وأحشد لها، وإن الصفح بعد العقوبة أرغب لأهل الحزم.

■ (2) مالك بن عوف النصري قائد هوازن يوم حنين، ثم أسلم وصحب.توفي نحو 20هـ.

■ (1) محمد بن عجلان. مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة.ولد في خلافة عبد الملك بن مروان.وكان فقيها مفتيا عابدا صدوقا، كبير الشأن. له حلقة كبيرة في مسجد رسول الله. وقد خرج على المنصور مع ابن حسن، فلما قتل ابن حسن، هم والي المدينة جعفر بن سلميان أن يجلده. فقالوا له، أصلحك الله: لو رأيت الحسن البصري فعل مثل هذا أكنت تضربه ؟ قال: لا. قيل: فابن عجلان في أهل المدينة كالحسن في أهل البصرة، وقيل: إنه هم بقطع يده حتى كلموه، وازدحم على بابه الناس. قال: فعفا عنه.قالوا: ومات ابن عجلان سنة 148 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ تاريخ الخلفاء/ موسوعة الأعلام/ الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة/ عمر بن الخطاب/ الإصابة في تمييز الصحابة/ مشاهير علماء الأمصار/ تاريخ المدينة لابن شبة النميري/ الروض المعطار في خبر الأقطار/ الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي/ دروس للشيخ علي بن عمر بادحدح/

عمر رضي الله عنه، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام:﴿وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ..﴾ هذا الرجل الشديد المهيب لما تولى الخلافة ظهرت المعاني التي كانت مخبوءة في نفسه معاني الشفقة والعطف والإحسان والرحمة في الإسلام؛ ولقد كان رحيما في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لكن لما ولي الخلافة ظهرت رحمته أكثر. هذا الرجل الذي جمع في شخصيته بين الهيبة والرحمة بين الشدة في دين الله والرقة حتى كان يبكي عندما يتلو القرآن ويمرض من قراءة الكتاب العزيز أحيانا فيعاد من مرضه الذي حصل بسبب تأثره بالقرآن، ليست الهيبة يا أيها الناس أن يكون الإنسان صلبا فظا غليظ القلب، ليست الهيبة أن يكون متعجرفا قاسيا، وإنما الهيبة في مكانها محمودة، هذا الرجل الذي شهد التاريخ بفضله،ورحمته برعيته هذه هي القيادة المثلى التي خلفها النبي صلى الله عليه وسلم بعده من أصحابه أمثلة عندما يرى الإنسان حاله ويرى المسلمون واقعهم يشتاقون لخلافة مثل خلافة عمر ويتوقون لقيادة مثل قيادة عمر الذي كان يخرج ليتفقد رعيته، قال أسلم:[1]خرجت مع عمر بن الخطاب إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي وترك صبية صغاراً، والله ما ينضجون كراعاً*، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن يأكلهم الضّبع*، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري[2]،وقد شهد أبي الحديبية مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فوقف معها عمر ولم يمض ثم قال: مرحباً بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير* كان مربوطاً في الدار، فحمل* عليه غرارتين* ملأهما طعاماً، وحمل بينهما نفقة وثياباً، ثم ناولها بخطامه ثم قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرت لها، فقال عمر: ثكلتك أمك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحناه، ثم أصبحنا نستقي بينهما بهماً فيه*. وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: بينما الناس يأخذون أعطيتهم بين يدي عمر إذ رفع رأسه فنظر إلى رجل في وجهه ضربة، قال: فسأله فأخبره أنه أصابته في غزاة كان فيها، فقال: عدوا له ألفا، فأعطى الرجل ألف درهم، ثم حول المال ساعة، ثم قال: عدوا له ألفا، فأعطى الرجل ألفا أخرى؛ قال له أربع مرات كل ذلك يعطيه ألف درهم. فاستحيى الرجل من كثرة ما يعطيه فخرج، قال: فسأل عنه فقيل له: إنا رأينا أنه استحيى من كثرة ما أعطي فخرج؛ فقال عمر: أما والله لو أنه مكث ما زلت أعطيه ما بقي من المال درهم، رجل ضرب ضربة في سبيل الله خضرت وجهه. وعن مسلمة بن محارب عن خالد الحذاء قال: أتى عبد الله بن عمير[3]عمر وهو يفرض للناس، وكان أبوه استشهد يوم حنين فقال: يا أمير المؤمنين افرض لي فلم يلتفت إليه فنخسه، فقال عمر حس وأقبل فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن عمير. قال: يا يرفأ [4] أعطه ستمائة فأعطاه خمسمائة فلم يقبلها عمير ورجع إلى عمر فأخبره، فقال: أعطه ستمائة وحلة، فلما لبس الحلة ألقى الثياب التي كانت عليه فقال له عمر: يا بني خذ ثيابك هذه لتكون لمهنة أهلك وتكون هذه لزينتك. قال هشام بن سعد: سمعت زيد بن أسلم يذكر، عن أبيه، قال: رأيت عمر بن الخطاب استعمل مولاه هنيا [5]على الحمى*، قال: فرأيته يقول هكذا: ويحك يا هني ضم جناحك عن الناس واتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة أدخل رب الصريمة والغنيمة ودعني من نعم ابن عفان، وابن عوف فإن ابن عوف، وابن عفان إن هلكت ماشيتها رجعا إلى المدينة إلى نخل وزرع، وإن هذا المسكين إن هلكت ماشيته جاءني يصيح يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين فالماء والكلأ أهون علي من أن أغرم ذهبا وورقا والله والله والله إنها لبلادهم في سبيل الله قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام ولولا هذا النعم الذي يحمل عليه في سبيل الله ما حميت على الناس من بلادهم شيئا.

ومن أخباره رضي الله عنه في مراقبته لرعيته وتواضعه لهم ما حكاه سنان بن سلمة[6] قال: كنت في أغيلمة نلتقط البلح، ففجئنا عمر، فتبعني الغلمان، فقمت، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنه مما ألقت الريح، فقال: أرنيه، فلما أريته قال: انطلق، قلت: يا أمير المؤمنين فبين هؤلاء الغلمان الساعة؟ فإنك إذا انصرفت عني، انتزعوا ما معي، قال: فمشى معي حتى بلغت مأمني. وفي رواية أخرج ابن سعد عن سنان بن سلمة الهذلي قال: خرجت مع الغلمان ونحن بالمدينة نلتقط البلح، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه معه الدرة، فلما رآه الغلمان تفرقوا في النخل، قال: وقمت وفي إزاري شيء قد لقطته فقلت: يا أمير المؤمنين هذا ما تلقى الريح، قال: فنظر إليه في إزاري فلم يضربني، فقلت: يا أمير المؤمنين الغلمان لأن بين يدي وسيأخذون ما معي، قال: كلا، امش، قال: فجاء معي إلى أهلي. وعن أبي نضرة أن عبدا مملوكا كان على عهد عمر بن الخطاب أصاب لقطة، فاشترى نفسه، ثم جمع مثله فأتى عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي قصة، فأنظر فيها، قال: إني كنت عبدا مملوكا، فأصبت لقطة وابتعت نفسي بها، فعتقت ثم أصبت مثلها، فهوذا بين يديك فما رأيك؟ قال عمر: هذا رجل أراد الله أن يعتقه، فأجاز عتقه، وأخذ المال فجعله في بيت المال.

----

*(كراعا) أي ليس عندهم كراع، حتى ينضجوه، والكراع ما دون الكعب من الدواب. أو لا يكفون أنفسهم معالجة ما يأكلونه.(الضبع) السنة المجدبة.(بعير ظهير) أي قوي الظهر معد للحاجة. (حمل) في الرواية السابقة: وجعل (الغرارة) الجوالق واحدة الغرائر. أي وعاء من الخيش ونحوه ، يوضع فيه القمح ونحوه.(نستقي بينهما بهماً فيه) في رواية: نستفئ سهمانهما فيه /ـ نستقي بيننا بهما فيه (الحمى) بالكسر والقصر: هو ما حماه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثم زاده عمر وعثمان لنعم الصدقة، والخيل المعدة في سبيل الله، والأحمية هي حمى الربذة، وحمى ضربة، وحمى النقيع وغيرها.

■ (2) خفاف بن إيماء بن رخضة الغفاري. أسلم إيماء أبوه قريبا من الحديبية، وشهد خفاف الحديبية. وكان إمام بني غفار وخطيبهم. وتوفي في خلافة عمر بالمدينة، ويقال: إن لخفاف هذا ولأبيه إيماء ولجده رحضة صحبة. وكانوا ينزلقون عيقة من بلاد غفار، ويأتون المدينة كثيرا.و خفاف هو والد الحارث ومخلد ابني خفاف.

■ (1) أسلم، العدوي، العمري، الفقيه، أبو زيد، ويقال: أبو خالد، مولى عمر بن الخطاب. قيل هو من سبي عين التمر. وقيل هو يماني. وقيل حبشي اشتراه عمر بمكة إذ حج بالناس في العام الذي يلي حجة الوداع زمن الصديق.توفي أسلم سنة 80 هـ. وقيل: مات في خلافة عبد الملك.

■ (6) سنان بن سلمة بن المحبق، البصري الهذلي، ولد يوم حنين.فله رؤية، وقد أرسل أحاديث، ومات في آخر إمارة الحجاج كان سنان شجاعا فارسا بطلا ولي غزو الهند سنة 50 هـ

■ (5) هني (بضم الهاء وفتح النون) مولى عمر بن الخطاب كان عامل عمر على الحمى الذي حماه للمسلمين، وكان أول شيء مع معاوية بصفين.

■ (3) عبد الله بن عمير بن عدي بن أمية بن جدارة ؟؟ والده عمير بن عدي الخطمي ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (4) يرفأ مولى عمر، وكان حاجبه (البواب). (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

قال حذيفة: والله ما أعرف رجلا لا تأخذه في الله لومة لائم إلا عمر. كنا جلوسا عند عمر فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة ؟ قلت: أنا، قال هات، إنك لجرئ، فقلت: ذكر﴿فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ يُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ﴾ فقال: ليس هذا أعني إنما أعني التي تموج موج البحر، فقلت: يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابا مغلقا، قال: ويحك، يفتح الله أم يكسر؟ قلت: بل يكسر، قال: إذا لا يغلق أبدا، قلت: أجل، فقلنا لحذيفة: فكان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم، وإني حدثته حديثا ليس بالأغاليط*، قال: فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب، فقلنا لمسروق فسأله، فقال من الباب؟ قال: الباب عمر. وهكذا وقع من بعد مقتل عمر، وقعت الفتن في الناس، وتأكد ظهورها بمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.وعن عبد الله بن دينار عن سعد الجاري مولى عمر بن الخطاب أن عمر بن الخطاب دعا أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وكانت تحته فوجدها تبكي فقال: ما يبكيك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، هذا اليهودي، تعني كعب الأحبار، يقول: إنك على باب من أبواب جهنم، فقال عمر: ما شاء الله، والله إني لأرجو أن يكون ربي خلقني سعيدا، ثم أرسل إلى كعب فدعاه، فلما جاءه كعب قال: يا أمير المؤمنين، لا تعجل علي، والذي نفسي بيده، لا ينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة، فقال عمر: أي شيء هذا؟ مرة في الجنة ومرة في النار، فقال: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده، إنا لنجدك في كتاب الله، على باب من أبواب جهنم، تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة. وقد روى الإمام أحمد: عن سالم عن أبيه قال: أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر ثوبا فقال:﴿أَجَدِيدٌ ثَوْبُكَ أَمْ غَسِيلٌ؟.قَالَ: بَلْ غَسِيلٌ، قَالَ: الْبَسْ جَدِيداً وَعِشْ حَمِيداً وَمُتْ شَهِيداً -أظنه قال- وَيَرْزُقُكَ اللَّهُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ وعن عمرو بن مرة قال: سمعت أبا وائل يحدث عن حذيفة بن اليمان أنه قال: ما بينكم وبين الشر إلا رجل في عنقه الموت، ولو قد مات لقد صب عليكم الشر. قال الحسن: يرحم الله عمر ولي المسلمين فأحسن ولايتهم ثم مات خائفا، هكذا المؤمنون. وعن زيد بن وهب، قال: كنت في حلقة في المسجد، فيها أناس من القراء، فاختلف رجلان في قراءة آية، فبينما هما كذلك إذ دخل عبد الله بن مسعود من أبواب كندة، فقاما إليه يسألانه عنها، وقمت معهما أنظر ما يرجع إليهما. قال: فاحتبسناه في صحن المسجد، وهو قائم، فقالا : آية اختلفنا في قراءتها، فأحببنا أن نعلم موضعها. فقال لأحدهما: اقره؛ فلما قرأ قال: من أقرأكها؟ قال: أقرأنيها معقل بن مقرن المزني. ثم قال للآخر: اقره؛ فلما قرأ قال: من أقرأكها؟ قال: أقرأنيها عمر بن الخطاب. فلما ذكر عمر، بكى حتى نشج، وحتى رأيت في الحصى من دموعه أثرا، ثم قال: إن عمر كان أعلمنا بالله، وأفقهنا في دين الله، وأقرأنا لكتاب الله، فاقرأها كما أقرأكها عمر، فوالله لهي أبين من طريق السيلحين*، و بالله ما من أهل بيت لم يدخل حزن عمر يوم أصيب إلا أهل بيت سوء، كان عمر حصنا حصينا يدخل الإسلام فيه ولا يخرج منه. وزاد في رواية: إن عمر كان حائطا كثيفا يدخله المسلمون ولا يخرجون منه، فمات عمر، فانثلم الحائط فهم يخرجون ولا يدخلون، ولو أن كلبا أحب عمر لأحببته، وما أحببت حبي لأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حبي لهؤلاء الثلاثة. وقال: لقد أحببت عمر حتى لقد خفت الله، ولو أني أعلم أن كلبا يحب عمر لأحببته، ولوددت أني كنت خادما لعمر حتى أموت، ولقد وجد فقده كل شيء حتى العضاه، وإن هجرته كانت نصرا، وإن سلطانه كان رحمة.

☪

في الصحيح عن المسور بن مخرمة الزهري*، وعبد الرحمن بن عبد القاري أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول:سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان، في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره* في الصلاة، فانتظرته حتى سلم، فلببته*، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟، قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له: كذبت، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك، فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوده، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وإنك أقرأتني سورة الفرقان، قال: يا هشام اقرأها، فقرأها القراءة التي سمعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه. وذكره ابن الجوزي من طريق المسور أن عمر رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان، فقرأ فيها حروفا لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأنيها، فأردت أن أساوره وأنا في الصلاة، فلما فرغت قلت: من أقرأك هذه القراءة؟، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، والله ما أقرأك هكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده أقوده، فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إنك أقرأتني سورة الفرقان، إني سمعت هذا يقرأ فيها حروفا لم تكن أقرأتنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ يا هشام، فقرأ كما كان قرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت، فقال:هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

----

*(السوقة) الرعية وأوساط الناس(الأغاليط) جمع الأغلوطة وهو الكلام الذي يغلط فيه ويغالط به (سيلحين) قرية معروفة من سواد بغداد قديمة، والسيلحون موضع قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية (الزهري) له ولأبيه صحبة، توفي سنة أربع وستين (أساوره) ساوره مساورة وسوارا: واثبه (فلببته) لببه تلبيبا: جمع ثيابه عند نحره في الخصومة، ثم جره

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ لسان العرب / تاريخ الخلفاء/ تاج العروس/ لسان العرب/ـ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ حلية الأولياء/ الطبقات الكبرى/ـ

عن زيد بن أسلم[1]، عن أبيه [2]، قال: خرجت مع عمر بن الخطاب إلى حرة واقم* ،حتى إذا كنا بصرار*، إذا نار تؤرث (تسعر)، فقال: يا أسلم، إني أرى هؤلاء ركبا قصر بهم* الليل والبرد، انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا امرأة معها صبيان لها، وقدر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون*، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، وكره أن يقول: يا أصحاب النار. قالت: وعليك السلام، قال: أأدنو؟ قالت: ادن بخير أو دع، فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد، قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع، قال: وأي شيء في هذه القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر! قال: أي رحمك الله، ما يدري عمر بكم! قالت: يتولى أمرنا ويغفل عنا! فأقبل علي، فقال: انطلق بنا، فخرجنا نهرول، حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلا فيه كبه شحم، فقال: احمله علي، فقلت: أنا أحمله عنك، قال: احمله علي، مرتين أو ثلاثا، كل ذلك أقول: أنا أحمله عنك، فقال لي في آخر ذلك: أنت تحمل عني وزري يوم القيامة، لا أم لك! فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه نهرول، حتى انتهينا إليها، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئا، فجعل يقول لها: ذري علي، وأنا أحرك لك، وجعل ينفخ تحت القدر-وكان ذا لحية عظيمة- فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج وأدم القدر ثم أنزلها، وقال: ابغني شيئا، فأتته بصحفة فأفرغها فيها، ثم جعل يقول: أطعميهم، وأنا أسطح لك، فلم يزل حتى شبعوا، ثم خلى عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيرا! أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين! فيقول: قولي خيرا، إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله ثم تنحى ناحية عنها، ثم استقبلها وربض مربض السبع، فجعلت أقول له: إن لك شأنا غير هذا، وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدؤوا، فقام وهو يحمد الله، ثم أقبل علي فقال: يا أسلم، إن الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم.

عن ابن عمر[3] ،قال: قدمت رفقة من التجار، فنزلوا المصلى، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف:[4] هل لك أن نحرسهم الليلة من السرق؟ فباتا يحرسانهم، ويصليان ما كتب الله لهما، فسمع عمر بكاء صبي، فتوجه نحوه، فقال لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صبيك؛ ثم عاد إلى مكانه،فسمع بكاءه، فعاد إلى أمه، فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه؛ فلما كان في آخر الليل سمع بكاءه، فأتى أمه، ويحك، إني لأراك أم سوء، مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة؟ قالت: يا عبد الله، قد أبرمتني-أي أضجرتني- منذ الليلة، إني أريغه* عن الفطام فيأبى. قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفطم. قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهرا. قال: ويحك، لا تعجليه. فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، فلما سلم قال: يا بؤسا لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين!. ثم أمر مناديا فنادى: أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام. وكتب بذلك إلى الآفاق: إنا نفرض لكل مولود في الإسلام.

في رواية قال عبد الرحمن: كنت معه وهو يعس في الليل. فمررنا على بيت فيه صبي يبكي، ثم عدنا والصبي لا يزال يبكي، فدق الباب قال: يا أمة الله! أسكتي غلامك فإنك أم سوء، قالت: كيف أسكته وعمر يفرض للفطيم خراجا، قال: أرضعيه وسنكتب له خراجا.قال عبد الرحمن: فوالله ما عرفنا قراءته في صلاة الفجر من كثرة نحيبه وبكائه ثم نادى في اليوم الثاني مناد أن عمر يكتب خراجا لكل مولود في الإسلام، فلا تفطم المرأة ولدها قبل الموعد وإنما له خراج منذ أن يخرج من بطن أمه

أخرج ابن سعد عن حزام بن هشام عن أبيه قال: رأيت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مر على امرأة وهي تعصد عصيدة لها، فقال: ليس هكذا يعصد، ثم أخذ المسوط فقال: هكذا، فأراها. وعن هشام بن خالد قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لا تذرن إحداكن الدقيق حتى يسخن الماء، ثم تذره قليلا قليلا، وتسوطه بمسوطها؛ فإنه أربع له، وأحرى أن لا يتقرد. وعن ابن شهاب عن سنين أبي جميلة رجل من بني سليم. أنه وجد منبوذا –اللقيط– في زمان عمر بن الخطاب قال فجئت به إلى عمر فقال: ما حملك على أخذ هذه النسمة؟ فقال: وجدتها ضائعة فأخذتها. فقال له عريفه: يا أمير المؤمنين، إنه رجل صالح، فقال له عمر: أكذلك؟ قال: نعم. فقال عمر بن الخطاب: إذهب فهو حر، ولك ولاؤه وعلينا نفقته.

----

*(واقم) أطم من آطام المدينة، -حرة بني قريظة- وحرة واقم مضافة إليه، وتعرف اليوم حرته بحرة المدينة الشرقية (قصر بهم) أي حبسهم. (صرار) موضع على ثلاثة أميال من المدنية على طريق العراق. (التضاغي) الصياح والبكاء (أريغه عن الفطام) أي أريده أن ينفطم.

- (4) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.
- (1) زيد بن أسلم هو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي العمري المدني، والده أسلم مولى عمر بن الخطاب، توفي سنة 136هـ.روى عن عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع وأنس بن مالك وعطاء بن يسار، وتلقى على يديه مالك والثوري والأوزاعي وسفيان بن عيينة
- (2) أسلم، العدوي، العمري، الفقيه، أبو زيد، ويقال: أبو خالد، مولى عمر بن الخطاب. قيل هو من سبي عين التمر. وقيل هو يماني. وقيل حبشي اشتراه عمر بمكة إذ حج بالناس في العام الذي يلي حجة الوداع زمن الصديق.توفي أسلم سنة 80 هـ. وقيل: مات في خلافة عبد الملك.
- (3) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

كان عمر رضي الله عنه لا ينام الليل كما روت السنن والسير أنه لم يكن له فراش، وكان النوم يسبقه ويسرقه إما تحت ظل شجرة، أو تحت حائط، أو في المسجد، كلما غلبه النوم نام قليلا وقام، فقيل له: يا أمير المؤمنين! ألا نتخذ لك فراشا؟ قال: لا. ما لي وللنوم، إن نمت في الليل أضعت نفسي، وإن نمت في النهار أضعت رعيتي. يقول: أنا لا أنام، الليل لربي أصلي، والنهار للرعية أرعى أمورهم.

قال سعيد بن جبير في جواب لعبد الملك عن العدل: العدل على أربعة أنحاء: العدل في الحكم لقوله تعالى:﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ [المائد]، والعدل في القول لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام]، والعدل في الفدية لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة]، والعدل في الإشراك، قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام]

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الله إنما ضرب لكم الأمثال، وصرف لكم القول لتحيي القلوب، فإن القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله، من علم شيئا فلينفع به، إن للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهين واللين. وأما التباشير فالرحمة. وقد جعل الله لكل أمر بابا، ويسر لكل باب مفتاحا، فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت والاستعداد بتقديم الأموال. والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق، والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف، فإن لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء.
- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى اشتري، وبسطوا الجور حتى افتدي.
- قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس، فاذكر قدرة الله تعالى عليك، ونفاد ما تأتي إليهم وبقاء ما يأتون إليك.
- قال ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس –لما سأله: ما جاء بكم؟–قال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه حتى نفيء إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.
- قال عمرو بن العاص رحمه الله ورضي عنه: لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل.
- قال ابن تيمية: إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، وقال: إن الله ينصر الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة.
- قال الإمام الغزالي: إن حظ العبد من العدل أمر ظاهر لا يخفى، فأول شيء يجب عليه من العدل في صفات نفسه أن يجعل الشهوة والغضب أسيرين تحت إشارة العقل والدين، فإنه لو جعل العقل خادما للشهوة والغضب فقد ظلمه، هذا في الجملة، أما تفصيلات ما يجب عليه في العدل في نفسه فمراعاة حدود الشرع كلها، وإن عدله في كل عضو أنه يستعمله على الوجه الذي أذن الشرع فيه. وأما عدله في أهله وذويه فأمر ظاهر يدل عليه العقل الذي وافقه الشرع، وإما إن كان من أهل الولاية فإن العدل في الرعية من أوجب واجباته.
- قال ابن حزم: أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبه وعلى الحق وإيثاره.
- قال ابن الجوزي: الظلم يشتمل على معصيتين: أخذ مال الغير بغير حق، ومبارزة الرب بالمخالفة، والمعصية فيه أشد من غيرها لأنه لا يقع غالبا إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار. وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب ولو استنار بنور الهدى لاعتبر، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم، حيث لا يغني عنه ظلمه شيئا.
- قال ابن القيم: التوحيد والعدل هما جماع صفات الكمال.وقال: الإنسان خلق في الأصل ظلوما جهولا، ولا ينفك عن الجهل والظلم إلا يعلمه الله ما ينفعه، ويلهمه رشده، فمن أراد به خيرا علمه ما ينفعه، فخرج به عن الجهل، ونفعه بما علمه فخرج به عن الظلم ومن لم يرد به خيرا أبقاه على أصل الخلقة. فأصل كل خير هو العلم والعدل، وأصل كل شر هو الجهل والظلم.وقال أيضا: والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئا، وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضا، فإن الله تعالى يستوفيه كله. وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوا، فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك. بخلاف ديوان الشرك، فإنه لا يمحى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها. ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل حرم الجنة على أهله، فلا تدخل الجنة نفس مشركة.
- قال الشيخ محمد بن يحيا الزبيدي: إن المظلوم إذا شكا إلى الله تعالى اقتضى عدل الله عز وجل الإيقاع بظالمه، فيحب الله سبحانه وتعالى أن يجهر المظلوم بالشكوى، ليكون الإيقاع بالظالم مبسوط العذر عند الخلق، وزاجرا لأمثاله عن أمثال فاعله، وإنما يمهل الظالم من جهة أن الخلق إذا ملك أحدكم مملوكين فجني على أحدهم جناية فإن أرشها لسيده، فالخلق ملك لله عز وجل فلا اعتراض عليه.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ لسان العرب / تاريخ الخلفاء/ تاج العروس/ لسان العرب/ دروس للشيخ سعيد بن مسفر/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

أخرج هناد والحارث عن الشعبي أن رجلا أتى عمر[1]، فقال: إن ابنة لي كنت وأدتها في الجاهلية فاستخرجناها قبل أن تموت، فأدركت معنى الإسلام فأسلمت، ثم أصابها حد من حدود الله، فأخذت الشفرة* لتذبح نفسها، وأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها*، فداويتها حتى برأت، ثم أقبلت بعد توبة حسنة، وهي تخطب إلى قوم، فأخبرهم بالذي كان؟ فقال عمر: أتعمد إلى ما ستره الله فتبديه، والله لئن أخبرت بشأنها أحدا لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار، أنكحها نكاح العفيفة المسلمة.

عند سعيد بن منصور والبيهقي عن الشعبي أن جارية فجرت فأقيم عليها الحد، ثم إنهم أقبلوا مهاجرين فتابت الجارية وحسنت توبتها، فكانت تخطب إلى عمها فيكره أن يزوجها حتى يخبر بما كان من أمرها، وجعل يكره أن يفشي ذلك عليها، فذكر أمرها لعمر بن الخطاب، فقال: زوجوها كما تزوجوا صالحي فتياتكم.

أخرج البيهقي عن الشعبي قال: جاءت امرأة إلى عمر، فقالت: يا أمير المؤمنين إني وجدت صبيا ووجدت قبطية* فيها مائة دينار، فأخذته واستأجرت له ظئرا*، وإن أربع نسوة يأتينه ويقبلنه لا أدري أيتهن أمه؟ فقال لها: إذا هن أتينك فأعلميني، ففعلت، فقال لامرأة منهن: أيتكن أم هذا الصبي؟ فقلت: والله ما أحسنت ولا أجملت يا عمر تعمد إلى امرأة ستر الله عليها فتريد أن تهتك سترها، قال: صدقت؛ ثم قال للمرأة: إذا أتينك فلا تسأليهن عن شيء وأحسني إلى صبيهن، ثم انصرف.

أخرج الطبراني في الأوسط، وابن عساكر، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت جارية إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالت: إن سيدي إتهمني فأقعدني على النار حتى احترق فرجي. فقال لها عمر: هل رأى ذلك عليك؟ قالت: لا. قال: فهل اعترفت له بشيء؟ قالت: لا. فقال عمر: علي به. فلما رأى عمر الرجل قال: أتعذب بعذاب الله !؟ قال: يا أمير المؤمنين إتهمتها في نفسها. قال: أرأيت ذلك عليها؟ قال: لا. قال: فاعترفت لك به؟ قال: لا. قال: والذي نفسي بيده لو لم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لاَ يُقَادُ مَمْلُوكٌ مِنْ مَالِكِهِ وَلاَ وَلَدٌ مِنْ وَالِدِهِ﴾ لأقدتها منك، وضربه مائة سوط، وقال للجارية: اذهبي فأنت حرة لوجه الله، وأنت مولاة الله ورسوله؛ أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ حَرَّقَ بِالنَّارِ أَوْ مُثِّلَ بِهِ فَهُوَ حُرٌّ وَهُوَ مَوْلَى اللهِ وَرَسُولِهِ﴾.

عن يونس بن عبيد كان عبيد والد أبي وجزة سبى فباعوه بسوق ذي المجاز في الجاهلية فاشتراه وهب بن خالد[4] فأقام عنده زمانا يرعى ابله ثم إن عبيدا ضرب ضرع ناقة لمولاه فأدماها، فلطم وهب وجهه، فغضب وسار الى عمر مستعديا عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا رجل من ظفر أصابني سبى في الجاهلية، وأنا معروف النسب، ولا رق على عربي في الإسلام، فحضر مولاه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن غلامي كان يقوم على مالي فأساء، فضربته، فوالله، ما أعلم أني ضربته قط غيرها، وإن الرجل ليضرب ابنه أشد منها، فكيف بعبده، وأنا أشهدك أنه حر لوجه الله، فقال عمر: قد امتن عليك، وقطع عنك مؤنة السب، فان أحببت فأقم معه، فان له عليك منة، وإن أحببت فالحق بقومك، فأقام معه ثم تزوج بزينب بنت عرفطة المزنية فولدت له أبا وجزة وأخاه، وقد روى أبو وجزة عن أبيه عن عمر قصة استسقائه في عام الردة. قيل: أسلم غيلان بن سلمة[2] الثقفي من عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿اخْتَرْ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا، وَطَلِّقَ سِتًّا﴾ فلما كان على عهد عمر طلق نساءه الاربع، وقسم ماله بين بنيه فبلغ ذلك عمر، فأحضره فقال له: إني لاظن الشيطان فيما يسترق من السمع، سمع بموتك فقذفه في نفسك، ولعلك لا تمكث إلا قليلا، وإيم الله لتراجعن نساءك ولترجعن في مالك، أو لاورثنهن منك، ولامرن بقبرك فيرجم، كما رجم قبر أبي رغال[3] وقال عمر: أن الجزف في المعيشة أخوف عندي عليكم من العيال، إنه لا يبقى مع الفساد شئ، ولا يقل مع الاصلاح شئ.

عن الحسن البصري قال: بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن امرأة يتحدث عنها الرجال فأرسل إليها، قال: وكان عمر رجلا مهيبا، فلما جاءها الرسول، قالت: يا ويلها ما لها ولعمر، فخرجت فضربها المخاض فمرت بنسوة فعرفن الذي بها، فقدمت بغلام فصاح صيحة ثم طفا* فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فجمع المهاجرين والأنصار واستشارهم، وفي آخر القوم رجل، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنما كنت مؤدبا وإنما أنت راعي، قال: ما تقول يا فلان؟، قال: أقول إن كان القوم تابعوك على هواك فوالله ما نصحو لك، وإن يك اجتهادهم أراهم فوالله لقد أخطأ رأيهم، يا أمير المؤمنين، قال: فعزمت عليك لما قمت فقسمتها على قومك، قال: فقيل للحسن: من الرجل؟ قال: علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

حدث يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار أن رجلا أتى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين إن امرأته زنت فأقم عليها الحد. قال: فبعث عمر عبد الله بن واقد الليثي فقال: أئت امرأة هذا فقل لها إن عبد الله هذا قد رماك بأمر عظيم فأكذبي عدو الله عز وجل. فأتاها وقد لبست كفنها وتحنطت وحفرت حفرتها، وعندها أهلها، فبلغها الذي قال عمر. فقالت: لا أبوء بالفاحشة وبغضب الله، فمضت على قولها ذلك فرجمت.

عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن أبيه قال: لما حضرت حاطبا الوفاة أوصى بأن يعتق كل مملوك له قد صلى وصام، وكانت جارية له سوداء فزنت وكانت ثيبا، فأتيت عمر رضي الله عنه فأخبرته، فقال: مثلك الرجل لا يأتي بخير، فقلت: يا أمير المؤمنين حق لله وقع في أهلي، وأنت محل ذلك فأتيت لذلك، فقال: ائتني بها، فأتيت بها، فقال: زنيت. ويحك؟! قالت: نعم رفش: درهمين بالحبشية –تقول أجري: بدرهمين– وعنده عثمان وعلي وعبد الرحمن رضي الله عنهم، فقال: ما ترون؟ فقال علي وعبد الرحمن رضي الله عنهما: نرى أن تقيم عليهما الحد وعثمان رضي الله عنه ساكت، فقال: ما تقول أنت؟ فاستوى جالسا وكان متكئا فقال: أراها مستهلة بفعلها، كأنها لا ترى به بأسا، وإنما الحد على من عرفه. فقال: صدقت والله ما الحد إلا على من عرفه، فضربها أدنى الحد من مائة جلدة وغربها عاما. وفي مسند الإمام أحمد، عن أبي ظبيان: أن عمر أتي بامرأة قد زنت، فأمر برجمها فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم علي رضي الله عنه فقال:ما هذه؟، قالوا: زنت فأمر عمر برجمها، فانتزعها علي من أيديهم وردهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: ما ردكم؟، قالوا: ردنا علي، فقال: ما فعل هذا إلا لشيء قد علمه، فأرسل إلى علي فجاء هو شبيه المغضب، فقال: ما لك رددت هؤلاء؟، فقال: أما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاَثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبَرَ، وَعَنِ الْمُبْتَلَى حَتَّى يَعْقِلَ﴾ قال علي: هذه مبتلاة بني فلان، فعله* أتاها وهو بها. فقال عمر: لا أدري. قال: وأنا لا أدري، فلم يرجمها. فأرسلها.

رواه سعيد بن منصور في سننه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينا هو يوما يتغدى إذ جاءه رجل يعدو وفي يده سيف ملطخ بدم ووراءه قوم يعدون فجاء حتى جلس مع عمر فجاء الآخرون فقالوا: يا أمير المؤمنين إن هذا قتل صاحبنا فقال له عمر: ما تقول؟ فقال له: يا أمير المؤمنين إني ضربت بين فخذي امرأتي فإن كان بينهما أحد فقد قتلته، فقال عمر: ما تقولون؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين إنه ضرب السيف فوقع في وسط الرجل وفخذي المرأة، فأخذ عمر سيفه فهزه، ثم دفعه إليه، وقال: إن عادوا فعد.فهذا ما نقل عن عمر رضي الله عنه. وأما علي رضي الله عنه فسئل عمن وجد مع امرأته رجلا فقتله فقال: إن لم يأت بأربعة شهداء فليعط برمته.-أي يسلم إلى أولياء المقتول يقتلونه قصاصا-.

*(الودج): عرق في العنق (الظئر) المرضعة غير ولدها ويقع على الذكر والأنثى (القبطية): الثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء، وكأنه منسوب إلى القبط (الشفرة): السكين العريضة (الثيب) والمحصن من ليس ببكر، ويقع علي الذكر والأنثى، رجل ثيب وامرأة ثيب، وقد يطلق على المرأة البالغة وإن كلنت بكرا، مجازا واتساعا (طفا) مات(فعله) في المسند: فلعله.

■ (1) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي، يكنى بالفاروق، ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة،أسلم سنة 6 وقيل 5 من النبوة. تولّى الخلافة بعد الخليفة أبي بكر، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين و6 أشهر.

■ (2) غيلان بن سلمة الثقفي أسلم يوم الفتح وتحته عشر نسوة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا مات في آخر خلافة عمر بن الخطاب

■ (3) أبو رغال، قسي بن منبه بن النبيت بن يقدم، من بني إياد، أبو رغال: صاحب القبر الذي يرجم إلى اليوم بين مكة والطائف. وهو جاهلي، اختلفوا في اسمه ونسبه ومنشأه، حتى ذهب كاتب ترجمته في دائرة المعارف الاسلامية إلى أنه شخصية أسطورية. وكان في الطائف، وهي ديار ثقيف، وكانت ثقيف تعير به، قال حسان بن ثابت: إذا الثقفي فاخركم فقولوا: هلم نعد شأن أبي رغال !. وذلك لما ذكر عنه من أنه كان دليل الحبشة لما غزوا الكعبة، فهلك فيمن هلك منهم، ودفن في المغمس وقبره معروف. ولما ظهر الاسلام كان خبر الحبشة ومحاولتهم احتلال مكة حديث الناس يتناقلوه لقرب عهده = ولم يمض عليه أكثر من نصف قرن – فمر النبي صلى الله عليه وسلم بقبر " أبي رغال " فأمر برجمه فرجم، فكان ذلك سنة. قال جرير: إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال. وقال عمر رضي الله عنه لغيلان بن سلمة: لئن لم ترجع في مالك لارجمن قبرك كما يرجم قبر أبي رغال.توفي نحو 50 ق هـ

■ (4) وهب بن خالد بن عامر بن غاضرة السعدي؟

☪

عن أبي جزي عن داود بن أبي هند قال: كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه في غلام ابن احدى عشرة سنة افتض جارية ابنة تسع، فكتب عمر إليه: إن الحدود والنكال لا يكون إلا لمن بلغ الحلم وعلم ما ذا له في الإسلام وماذا عليه. والسلام

عن علقمة بن قيس: أن رجلا أتى بن مسعود، فقال: رجل زنى بامرأة ثم تابا وأصلحا أله أن يتزوجها ؟فتلا هذه الآية: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل] قال: فرددها عليه مرارا حتى ظن أنه قد رخص فيها. وعن بكير بن الأخنس عن أبيه: قال قرأت من الليل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى] فشككت فلم أدر كيف أقرؤها تفعلون أو يفعلون؟ فغدوت على عبد الله بن مسعود وأنا أريد أن أسأله كيف أقرؤها؟ فبينا أنا جالس عنده إذ أتاه رجل فسأله عن الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها فقرأ عليه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى]

عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: سألت ابن عباس عن رجل فجر بامرأة أينكحها؟ فقال: نعم، ذلك حين أصاب الحلال.وعن عكرمة عن بن عباس: في الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها بعد؟ قال: كان أوله سفاح وآخره نكاح وأوله حرام وآخره حلال. وعن جابر بن عبد الله وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير في الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها ؟ فقالوا: لا بأس بذلك إذا تابا وأصلحا وكرها ما كان.وعن حبيب المعلم قال: جاء رجل من أهل الكوفة إلى عمرو بن شعيب فقال: ألا تعجب أن الحسن يقول: إن الزاني المجلود لا ينكح إلا مجلودة مثله! فقال عمرو: وما يعجبك؟ حدثناه سعيد المقبري عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿الزَّانِى الْمَجْلُودُ لاَ يَنْكِحُ إِلاَّ مِثْلَهُ﴾ وكان عبد الله بن عمرو ينادي بها نداء، فهكذا رواه عمرو، وقد روي عن أبيه عن جده في سبب نزول الآية ما دل على أن المنع وقع عن نكاح تلك البغايا، وروينا عن عبد الله بن عمرو من أوجه أخر ما دل على أن المنع وقع عن نكاحهن إما لشركهن وإما لشرطهن إرسالهن للزنا، والله أعلم.

أخرج عبد الرزاق عن صالح بن كرز أنه جاء بجارية له زنت إلى الحكم بن أيوب[1]. قال: فبينا أنا جالس إذ جاء أنس بن مالك[2] فجلس، فقال: يا صالح ما هذه الجارية معك؟ قلت: جارية لي بغت فأردت أن أرفعها إلى الإمام ليقيم عليها الحد، فقال: لا تفعل، رد جاريتك واتق الله، واستر عليها، قلت: ما أنا بفعل؟ قال: لا تفعل وأطعني، فلم يزل يراجعني حتى رددتها. وزوج خالد بن صفوان مولاه من أمته فقال له العبد: لو دعوت الناس وخطبت؟ قال: ادعهم أنت، فدعاهم العبد، فلما اجتمعوا تكلم خالد بن صفوان فقال: أما بعد، فإن الله أعظم وأجل من أن يذكر في نكاح هذين الكلبين، وأنا أشهدكم أني زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية.

■ (2) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم. أمه أم سليم بنت ملحان ذهبت به أمه إلى رسول الله حين قدم المدينة فكان يخدمه وكان له يومئذ 9 سنين ويقال 8 ويقال 10. مات بالبصرة سنة 92 هـ وقيل 93 هـ وقيل 91 هـ وغسله ابن سيرين وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة.

■ (1) الحكم بن أيوب الثقفي بن عم للحجاج وهو الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر الثقفي كان عامل الحجاج على البصرة حكى عنه أيضا يحيى بن أبي إسحاق والعلاء بن زياد وأبو خلدة وغير واحد من أهل البصرة وإنما أراد أبو حاتم أنه مجهول العدالة لا مجهول العين وقتل الحكم بها بعد موت الحجاج في العذاب في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة بضع وتسعين وقد ذكره بن حبان في الثقات فلم يصب فإن له موبقات كابن عمه ولو لم يكن الا قصة يزيد الضبي التي ذكرها أبو يعلى في مسند أنس من مسنده.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ المدينة/ كنز العمال/ حياة الصحابة/ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ سنن البيهقي الكبرى/ شعب الإيمان/ لسان الميزان/ جامع الأحاديث/ أسد الغابة/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ تعجيل المنفعة/ المعرفة والتاريخ/ مشاهير علماء الأمصار

عن ثور بن يزيد، أن عمر بن الخطاب كان يعس بالمدينة من الليل، فسمع صوت رجل في بيت يتغنى، فتسور عليه، فقال: يا عدو الله، أظننت أن الله يسترك وأنت في معصية؟ فقال: وأنت يا أمير المؤمنين لا تعجل علي؛ إن أكن عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاث! قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات] وقد تجسست، وقال: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة] وقد تسورت علي، ودخلت علي بغير إذن، وقال الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور] قال عمر: فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم، فعفا عنه وخرج وتركه.

عن المسور بن مخرمة عن عبد الرحمن بن عوف[1] أنه حرس مع عمر بن الخطاب ليلة المدينة، فبينما هم يمشون شب لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمونه، فلما دنوا منه إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط. فقال عمر –وأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف–: أتدري بيت من هذا؟ قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف[2] وهم الآن شرب فما ترى؟ قال: أرى أن قد أتينا ما نهى الله عنه، قال الله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات] فقد تجسسنا فانصرف عنهم عمر رضي الله عنه وتركهم.

وفي رواية: وأما ربيعة بن أمية بن خلف، فكان صاحب شراب، فقصد عمر بن الخطاب لمنزله وقد أخبر خبره فدخله، فقال له: نهاك الله عن التجسس، فقال: صدقت، أفلم ينهك عن شرب الخمر؟.

عن أبي قلابة، أن عمر رضي الله عنه حدث أن أبا محجن الثقفي[3] يشرب الخمر في بيته هو وأصحاب له، فانطلق عمر حتى دخل عليه، فإذا ليس عنده إلا رجل، فقال أبو محجن: يا أمير المؤمنين إن هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس؛ فقال عمر: ما يقول؟ فقال له زيد بن ثابت[4] وعبد الرحمن بن الأرقم[5] رضي الله عنهما: صدق، يا أمير المؤمنين، هذا من التجسس، فخرج عمر وتركه.

عن الشعبي أن عمر بن الخطاب فقد رجلا من أصحابه، فقال لابن عوف: انطلق بنا إلى منزل فلان فننظر، فأتيا منزله فوجدا بابه مفتوحا وهو جالس وامرأته تصب له في الإناء فتناوله إياه، فقال عمر لابن عوف: هذا الذي شغله عنا. فقال ابن عوف لعمر: وما يدريك ما في الإناء؟ فقال عمر: أتخاف أن يكون هذا هو التجسس؟ قال: بل هو التجسس. قال: وما التوبة من هذا؟ قال: لا تعلمه بما اطلعت عليه من أمره، ولا يكونن في نفسك إلا خيرا، ثم انصرفا.

أخرج أبو الشيخ عن السدي قال: خرج عمر بن الخطاب فإذا هو بضوء نار ومعه عبد الله بن مسعود[6] فأتبع الضوء حتى دخل دارا فإذا بسراج في بيت، فدخل وذلك في جوف الليل، فإذا شيخ جالس وبين يديه شراب وقينة تغنيه، فلم يشعر حتى هجم عليه عمر، فقال عمر: ما رأيت كالليلة منظرا أقبح من شيخ ينتظر أجله فرفع رأسه إليه، فقال: بلى، يا أمير المؤمنين، ما صنعت أنت أقبح، إنك تجسست وقد نهي عن التجسس، ودخلت بغير إذن؟ فقال عمر: صدقت. ثم خرج عاضا على ثوبه يبكي وقال: ثكلت عمر أمه إن لم يغفر له ربه، يجد هذا كان يستخفي به من أهله فيقول الآن رآني عمر فيتتابع فيه. وهجر الشيخ مجلس عمر حينا، فبينا عمر بعد ذلك جالس إذ به قد جاء شبه المستخفي حتى جلس في أخريات الناس، فرآه عمر فقال: علي بهذا الشيخ، فأتي فقيل له: أجب، فقام وهو يرى أن عمر سيسوءه بما رأى منه، فقال عمر: ادن مني، فما زال يدنيه حتى أجلسه بجنبه، فقال: إدن مني أذنك فالتقم أذنه فقال: أما والذي بعث محمدا بالحق رسولا ما أخبرت أحدا من الناس بما رأيت منك ولا ابن مسعود فإنه كان معي، فقال:يا أمير المؤمنين، أدن مني أذنك فالتقم أذنه فقال: ولا أنا والذي بعث محمدا بالحق رسولا ما عدت إليه حتى جلست مجلسي هذا، فرفع عمر صوته يكبر فما يدري الناس من أي شيء يكبر كان شرحبيل بن السمط[7] على جيش فقال: إنكم نزلتم أرضا فيها نساء وشراب فمن أصاب منكم حدا فليأتنا حتى نطهره. قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فكتب إليه: لا أم لك تأمر قوما ستر الله عليهم أن يهتكوا ستر الله عليهم؟!

----

(1) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.

(6) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي من أكابر الصحابة ومن أقربهم إلى رسول الله وهو من السابقين إلى الإسلام وكان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب سره ولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفى بها.سنة 32 هـ

(5) عبد الرحمن بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب. له صحبة، يقال هو أخو عبد الله بن الأرقم. وكان والي بيت المال زمن عثمان، حتى كان آخر خلافة عثمان.قال الواقدي: كان عبد الرحمن بن الأرقم على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب.

(3) أبو محجن الثقفي، عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف.أحد الأبطال الشعراء الكرماء، أسلم سنة 9هـ وكان منهمكا في شرب النبيذ، فحده عمر مرارا، ثم نفاه إلى جزيرة بالبحر فهرب ولحق بسعد بن أبي وقاص بالقادسية يحارب الفرس فكتب إليه عمر أن يحبسه فحبسه سعد عنده. واشتد القتال في أحد أيام القادسية، فالتمس أبو محجن من امرأة سعد سلمى أن تحل قيده وعاهدها أن يعود إلى القيد إن سلم وأنشد أبياتا في ذلك فخلت سبيله، فقاتل قتالا عجيبا ورجع بعد المعركة إلى قيده وسجنه.فحدثت سلمى سعدا بخبره فأطلقه وقال له: لن أحدك أبدا. فترك النبيذ وقال: كنت آنف أن أتركه من أجل الحد وتوفي بأذربيجان أو بجرجان.سنة30 هـ

(2) ربيعة بن أمية بن خلف الجمحي أخو صفوان، كان أبوه من رؤوس الكفر، أسلم هو في الفتح وشهد حجة الوداع، ثم شرب الخمر في عهد عمر، وهرب منه إلى الشام، ثم هرب إلى قيصر فتنصر ومات عنده. وذكره مسلم في الطبقات فقال يعد في أهل المدينة ولكن عرض له الشقاء بعد ذلك فمات على الكفر فسقط وصفه بالصحبة.

(7) شرحبيل بن السمط بن الأسود أو الأعور أو شرحبيل بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الكندي أبو يزيد، استعمله عمر بن الخطاب على المسلحة دون المدائن، قال البخاري له صحبة وتبعه أبو أحمد الحاكم وأما ابن السكن فقال زعم البخاري أن له صحبة ثم قال يقال إنه وفد على رسول الله ثم شهد القادسية ثم نزل حمص فقسمها منازل وذكره البغوي وابن حبان في الصحابة ثم أعاده في التابعين زاد البغوي سكن الشام. قيل شهد معركة اليرموك ومات في معركة صفين إلى جانب معاوية، وقيل تولى ولاية حمص لعشرين سنة ومات بها سنة 40 هـ

(4) زيد بن ثابت بن الضحاك بن كوزان الأنصاري البخاري أبو سعيد وأبو خارجة صحابي مشهور، كتب الوحي. أمره أبو بكر أن يجمع القرآن وأمره عثمان فكتب المصحف وابي بن كعب يملي عليه. ولد في حدود 12 ق.هـ وتوفي سنة 45 هـ أو 48 هـ وقيل: بعد 50 هـ. عن يحيى بن سعيد قال لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا. وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارحم أمتي أبو بكر واشدها في دين الله عز وجل عمر واصدقها حياء عثمان واعلمها بالفرائض زيد بن ثابت.

☪

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات] (الظن) التوهم وعدم التحقيق في الأمور والحكم على الشيء بدون دليل (بعض الظن) وهو الظن السيئ بالمسلمين (إثم) موقع في الإثم (تجسسوا) من التجسس وهو تتبع عورات الناس والبحث عنها. عن معاوية بن أبي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ﴾ وعن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ﴿إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا﴾ (ولا تحسسوا) بالحاء مكان الجيم من التحسس وهو بمعنى التجسس ومنهم من فرق بأن الذي بالحاء استماع حديث القوم والثاني البحث عن العورات وقيل غير ذلك (لا تناجشوا) من النجش وهو أن يزيد في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها ليوهم غيره بنفاستها. وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لاَ تَهَجَّرُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا﴾ (تهجر) تتكلم بالهجر وهو الكلام القبيح (تدابر) يعطى كل واحد منكم أخاه ظهره.وعن سالم بن عبد الله قال سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ﴾ وعن صفوان بن محرز أن رجلا سأل ابن عمر كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى، قال: ﴿يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ وَيَقُولُ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ فَيُقَرِّرُهُ ثُمَّ يَقُولُ إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ﴾ روي من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الزنا والسرقة ﴿مَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فَهُوَ كَفَّارَةُ ذَنْبِهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ﴾ وعن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لاَ يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لاَ يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ وَسَّعَ عَلَى مَكْرُوبٍ كُرْبَةً فِي الدُّنْيَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ كُرْبَةً فِي الآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُسْلِمٍ فِي الدُّنْيَا سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ فِي الآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْمَرْءِ مَا كَانَ فِي عَوْنِ أَخِيهِ﴾.

☪

عن ابن عمر، قال: وجد عمر في بيت رجل من ثقيف شرابا فأمر به فأحرق، وكان يقال له رويشد فقال: أنت فويسق، قال ابن الجوزي: وأحرق يعني عمر بيت رويشد الثقفي، وكان حانوتا يعني نباذا*، وقال ابن القيم: وحرق عمر بن الخطاب حانوت الخمر بما فيه، وحرق قرية تباع فيها الخمر. وعن سعد بن إبراهيم قال: قال عمر بن الخطاب: الخرق* في المعيشة أخوف عندي عليكم من العوز*، إنه لا يبقى مع الفساد شيء ولا يقل مع الصلاح شيء. عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ فَإِنْ عَادَ فِي الرَّابِعَةِ فَاقْتُلُوهُ﴾ قال ثم أتي النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك برجل قد شرب الخمر في الرابعة فضربه ولم يقتله وكذلك روى عن قبيصة بن ذؤيب عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا قال: فرفع القتل وكانت رخصة والعمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم لا نعلم بينهم اختلافا في ذلك في القديم والحديث. وعن أنس بن مالك قال: ﴿أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ بِنَعْلَيْنِ أَرْبَعِينَ، ثُمَّ أُتِيَ أَبُو بَكْرٍ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَصَنَعَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أُتِيَ عُمَرُ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَاسْتَشَارَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَخَفَّ الْحُدُودِ ثَمَانِينَ، فَضَرَبَهُ عُمَرُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ثَمَانِينَ﴾ وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ﴾ والعلماء قالت: التوبة من الآثام إذا ارتكبت في حق العباد لا بد فيها من أداء الحقوق لأصحابها أو تنازلهم عنها. وعن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ﴾ (يطبع) يخلق ويجبل (على الخلال) الخصال زنة ومعنى (كلها) جميع الأخلاق الذميمة؛لأن الكلام فيها أو الأعم منها (إلا الخيانة والكذب) غيرهما فإن المؤمن يخلق ويجبل على الصدقة والأمانة.وعن علي قال:جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعس في اللذة.قيل:وما التعس في اللذة؟ قال:لا ينال شهوة حلالا إلا جاءه ما ينغصه إياه

☪

عن أبي وائل أن ابن مسعود رضي الله عنه رأى رجلا قد أسبل فقال: ارفع إزارك، فقال: وأنت يا ابن مسعود ارفع إزارك، فقال له عبد الله: إني لست مثلك إن بساقي حموشة وأنا أؤم الناس. فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فجعل يضرب الرجل ويقول: أترد على ابن مسعود؟. وعن العلاء عن أشياخ لهم قال: كان عمر على دار لابن مسعود رضي الله عنه بالمدينة ينظر إلى بنائها. فقال رجل من قريش: يا أمير المؤمنين إنك تكفى هذا، فأخذ لبنة فرمى بها، وقال: أترغب بي عن عبد الله؟.

وأخرج ابن سعد عن حبة ابن جوعين قال: كنا عند علي رضي الله عنه فذكرنا بعض قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأثنى القوم عليه فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما رأينا رجلا كان أحسن خلقا، ولا أرفق تعليما، ولا أحسن مجالسة، ولا أشد ورعا من عبد الله بن مسعود فقال علي: نشدتكم الله إنه لصدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم، فقال:اللهم،إني أشهدك الهم إني أقول فيه مثل ما قالوا أو أفضل، وزاد في رواية أخرى عنه: قرأ القرآن فأحل حلاله وحرم حرامه، فقيه في الدين، عالم بالسنة.

----

*(نباذا) صانع النبيذ.(الخرق) الجهل والحمق، وقد خرق يخرق خرقا فهو أخرق. والاسم: الخرق بالضم (العوز) بالفتح: العد وسوء الحال

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ المدينة المنورة/ كنز العمال/ أسد الغابة/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ مسند أحمد/ حياة الصحابة للكاندهلوى/

روى ثابت عن أنس قال: بينما عمر رضي الله عنه يعس بالمدينة إذ مر برحبة من رحابها فإذا هو ببيت من شعر فدنا منه فسمع أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه فسلم عليه ثم قال: من الرجل؟ فقال رجل: من أهل البادية، جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله، قال: فما هذا الصوت في هذا البيت، قال: امرأة تمخض*، قال: هل عندها أحد؟ قال: لا، فانطلق حتى أتى منزله، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي[1]: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو؟ قال: امرأة غريبة تمخض ليس عندها أحد. قالت: نعم، إن شئت، قال: فخذي ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن وجيئيني ببرمة وشحم وحبوب فجاءت به، فقال: انطلقي وحمل البرمة ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت، فقال لها: ادخلي إلى المرأة وجاء حتى قعد إلى الرجل، فقال له: أوقد لي نارا، ففعل فأوقد تحت البرمة حتى أنضجها، وولدت المرأة، فقالت امرأته: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام، فلما سمع الرجل بأمير المؤمنين هابه، فجعل يتنحى عنه، فقال: مكانك كما أنت، فحمل البرمة عمر رضي الله عنه فوضعها على الباب ثم قال: أشبعيها، ففعلت ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب، فقام عمر فأخذها فوضعها بين يدي الرجل، فقال: كل ويحك فإنك قد سهرت من الليل، ففعل ثم قال لامرأته: أخرجي، وقال للرجل: إذا كان غد فائتنا نأمر لك بما يصلحك، ففعل الرجل فأجازه وأعطاه.وعن الحسن البصري قال : بينما عمر رضي الله عنه يعس بالمدينة ليلا لقيته امرأة تحمل قربة، فسألها فذكرت له أن لها عيالا وليس لها خادم، وأنها تخرج ليلا فتسقي لهم الماء، وتكره أن تخرج نهارا، فحمل عمر عنها القربة حتى بلغ منزلها. ثم قال لها: أغدي إلى عمر غدوة يخدمك خادما، قالت: لا أصل إليه، قال: إنك ستجدينه إن شاء الله تعالى، فغدت عليه، فإذا هي به فعرفت أنه الذي حمل عنها القربة، فاستحيت وذهبت فأرسل في أثرها وأمر لها بخادم ونفقة. ورآه طلحة[2] يدخل بيتا فلما أصبح دخل طلحة ذلك البيت فرأى عجوزا عمياء مقعدة فقال: ما صنع عندك ذلك الرجل؟ فقالت: إنه يتعاهدني منذ كذا ويأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى، فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع.

قال سعيد بن المسيب وأبو سلمة: كان عمر بن الخطاب أبا العيال يسلم على أبوابهن ويقول: ألكن حاجة وأيتكن تريد أن تشتري شيئا؟ فيرسلن معه بحوائجهن، ومن ليس عندها شيء اشترى لها من عنده. وإذا قدم الرسول من بعض الثغور يتبعهن بنفسه في منازلهن بكتب أزواجهن ويقول: أزواجكن في سبيل الله وأنتن في بلدة رسول الله، إن كان عندكن من يقرأ وإلا فاقربن من الأبواب حتى أقرأ لكن. ثم يقول: الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتبن حتى نبعث بكتبكن. ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة ويقول: هذه دواة وقرطاس فادنين من الأبواب حتى أكتب لكن. ويمر بالمغيبات فيأخذ كتبهن فيبعث بها إلى أزواجهن.

أخرج عبد الرزاق، والبيهقي عن الحسن قال: أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى إمرأة مغيبة كان يدخل عليها، فأنكر ذلك، فأرسل إليها فقيل لها: أجيبي عمر؛ فقالت: يا ويلها ما لها ولعمر فبينما هي في الطرق فزعت فضربها الطلق، فدخلت دارا؛ فألقت ولدها؛ فصاح الصبي صيحتين ثم مات: فاستشار عمر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأشار عليه بعضهم أن ليس عليك شيء، إنما أنت وال ومؤدب؛ وصمت علي رضي الله عنه، فأقبل على علي فقال: ما تقول؟ قال: إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأ رأيهم، وإن كانوا قالوا في هواك فلم ينصحوا لك، أرى أن ديته عليك فإنك أنت أفزعتها، وألقت ولدها في سببك؛ فأمر عليا رضي الله عنه أن يقسم عقله على قريش يعني يأخذ عقله من قريش لأنه خطأ.

----

* (تمخض) تمخض وامتخض الولد إذا تحرك في بطن الحامل و المخاض بالفتح وجع الولادة وقد مخضت الحامل بالكسر مخاضا أي ضربها الطلق فهي ماخض

■ (1) أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله وأمها خديجة بنت خويلد تزوجها عمر بن الخطاب وهي جارية لم تبلغ فلم تزل عنده إلى أن قتل وولدت له زيد بن عمر ورقية بنت عمر. قالوا: أم كلثوم أرسلت مرة مع رسول جاء المدينة من قبل ملك الروم هدية من الطاف المدينة إلى إمبراطورة الروم امرأة هرقل وأرسلت لها هذه في نظيرها عقدا نفيسا من الجواهر، فأخذه منها عمر ورده إلى بيت المال وقد جاء في كتب التاريخ أن أم كلثوم أرسلت تلك الهدية مع بريد عمر.

■ (2) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

■ (2) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن عمرو بن سواد بن سلمة ويقال ابن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي الأنصاري المديني شهد بدرا مع النبي كنيته أبو عبد الله وقيل شهد العقبة مع أبيه، مات سنة 78 هـ أو 79 هـ بعد أن عمي وكان له يوم مات 94 سنة وصلى عليه أبان بن عثمان وهو والي المدينة. قال عمرو بن علي آخر من مات بالمدينة جابر بن عبد الله في سنة 79 هـ. سمع النبي وروى عن أبي هريرة وأم كلثوم وأبي سعيد الخدري وابي بردة بن نيار وعمر بن الخطاب وأبي حميد الساعدي وأم مالك وأم شريك.

☪

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب أم كلثوم إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: إنها صغيرة. فقال عمر: زوجنيها يا أبا الحسن، فإني أرصد من كرامتها ما لا يرصد أحد. فقال له علي: أنا أبعثها إليك، فإن رضيتها فقد زوجتكها. فبعثها إليه ببرد، وقال لها: قولي له: هذا البرد الذي قلت لك. فقالت ذلك لعمر، فقال: قولي له: قد رضيته رضي الله عنك، ووضع يده على ساقها فكشفها. فقالت له: أتفعل هذا!؟ لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك، ثم خرجت حتى جاءت أباها فأخبرته الخبر، وقالت: بعثتني إلى شيخ سوء؟ فقال: مهلا يا بنية، فإنه زوجك. فجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مجلس المهاجرين في الروضة، فكان يجلس فيه المهاجرون الأولون. فجلس إليهم فقال: زفئوني –وفي لفظ: رفؤوني، رفؤوني*ـ– فقالوا: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوجت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿كُلُّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ وَصِهْرٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ نَسَبِي وَسَبَبِي وَصِهْرِي﴾ فكان لي به صلى الله عليه وسلم النسب والسبب وأردت أن أجمع إليه الصهر. فزفوه –فرفؤوه–. وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أربعين ألف درهم. وروي مثل ذلك عن عطاء الخراساني أيضا. وعن محمد بن عمر وغيره قالوا: لما خطب عمر الخطاب إلى علي رضي الله عنه أم كلثوم، قال: يا أمير المؤمنين إنها صبية، قال: إنك والله ما بك ذلك، ولكن قد علمنا ما بك، فأمر بها علي فصنعت، ثم أمر ببرد فطواه ثم قال لها: انطلقي بهذا إلى أمير المؤمنين، فقولي: أرسلني أبي يقرؤك السلام، ويقول: إن رضيت البرد فأمسكه، وإن سخطته فرده، فلما أتت عمر، قال: بارك الله فيك وفي أبيك قد رضينا، قال: فرجعت إلى أبيها، فقالت: ما نشر البرد، ولا نظر إلا إلي، فزوجها إياه. وفي أحاديث، أحمد بن مالك القطيعي عن المستظل بن حصين أن عمر بن الخطاب خطب إلى علي بن أبي طالب أم كلثوم فاعتل عليه بصغرها قال: إني لم أرد الباه*، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي، وكل ولد آدم فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم﴾ وقال أبو عبد الله محمد بن سلامة في كتاب المعارف: تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وأصدقها أربعين ألف درهم. وولدت له فاطمة وزيدا –وفي رواية: زيدا ورقية –وماتت عنده. وقال ابن قتيبة: بقيت في نكاحه إلى أن قتل فتزوجها محمد بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

☪

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:بينما أنا أمشي مع عمر رضي الله عنه ذات يوم وهو يضرب وحشي قدمه بالدرة، تنفس تنفسة ظننت أنها قد فضت أضلاعه فقلت: سبحان الله، وما أخرج هذا منك يا أمير المؤمنين إلا أمر عظيم، قال: ويحك يا ابن عباس، والله ما أدري كيف أصنع بأمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم. قلت: والله إنك بحمد الله لقادر على أن تصنع ذاك منها في البقية، قال: إنه والله يا ابن عباس ما يصح هذا الأمر إلا القوي في غير عنف، اللين في غير ضعف، الجواد في غير سرف، الممسك في غير بخل، يقول ابن عباس: والله ما أعرف غير عمر. وروي أن مالك الدار قال: غدوت على عمر رضي الله عنه يوما، فقال لي: يا مالك، كيف أصبح الناس؟ قلت: أصبح الناس بخير، قال: هل سمعت من شيء؟ فقلت: ما سمعت إلا خيرا، قال: ثم غدوت عليه اليوم الثاني فسألني، فأخبرته، واليوم الثالث سألني وأبرمني، فقلت: وما تخشى من الناس؟ فقال: ثكلتك أم مالك، هل خشيت أن يكون عمر يضرب عن بعض حقوق المسلمين فيغدون عليه براياتهم يسألون حقوقهم. وروي أن عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة خطب فقال: يا أيها الناس إني قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدكم استطلاعا بما ينوب من مهم أموركم ما توليت ذلك منكم، ويكفي عمر مهما محزنا انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها، ووضعها أين أضعها، وبالسير فيكم كيف أسير، فربي المستعان، فإن عمر أصبح لا يثق بقوة، ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده.

☪

روي أن عمر رضي الله عنه قال: أحب الناس إلي من رفع إلي عيوبي. وروي أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه دخل على عمر رضي الله عنه وهو قاعد على جذع في داره، وهو يحدث نفسه فدنا منه فقال: ما الذي أهمك يا أمير المؤمنين؟فقال: هكذا بيده، وأشار بها، قال حذيفة: قلت: الذي يهمك، والله لو رأينا منك أمرا ننكره قومناك، قال عمر: آلله الذي لا إله إلا هو لو رأيتم أمرا تنكرونه لقومتوه؟ فقلت: آلله الذي لا إله إلا هو لو رأينا منك أمرا ننكره لقومناك. قال: ففرح بذلك فرحا شديدا، وقال: الحمد لله الذي جعل فيكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من الذي إذا رأى مني أمرا ينكره قومني. وروي أن عمر رضي الله عنه قال: أيها الرعية، إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير.وروي أن عمر رضي الله عنه رد على أبي بن كعب قراءة آية، فقال أبي رضي الله عنه: لقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت يلهيك الصفق بالأسواق بالبقيع، فقال عمر: صدقت، إنما أردت أن أجربكم هل فيكم من يقول الحق، فلا خير في أمير لا يقال عنده الحق ولا يقوله. وعن عبد الله بن بريدة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع الناس لقدوم الوفد فقال لازنة بن أرقم: أنظر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأذن لهم أول الناس، ثم القرن الذين يلونهم. فدخلوا فصفوا قدامه فنظر، فإذا رجل ضخم عليه مقطعة برود، فأومأ إليه عمر رضي الله عنه فأتاه. فقال عمر: إيه ـ ثلاث مرات ـ فقال الرجل: إيه ـ ثلاث مرات ـ فقال عمر: أف، قم، فقام فنظر فإذا الأشعري ـ رجل أبيض، خفيف الجسم، قصير ثبط ـ فأومأ إليه فأتاه فقال عمر؛ إيه، فقال الأشعري: إيه، قال عمر: إيه، فقال: يا أمير المؤمنين إفتح حديثا فنحدثك. فقال عمر: أف، قم، فإنه لن ينفعك راعي ضأن. فنظر فإذا رجل أبيض، خفيف الجسم، فأومأ إليه فأتاه، فقال عمر: إيه، فوثب فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ بالله ثم قال: إنك وليت أمر هذه الأمة، فاتق الله فيما وليت من أمر هذه الأمة وأهل رعيتك في نفسك خاصة، فإنك محاسب ومسؤول، وإنما أنت أمين، وعليك أن تؤدي ما عليك من الأمانة فتعطى أجرك على قدر عملك. فقال: ما صدقني رجل منذ استخلفت غيرك. من أنت؟ قال: أنا ربيع بن زياد[1] . فقال: أخو المهاجر بن زياد؟ قال: نعم. فجهز عمر جيشا واستعمل عليه الأشعري، ثم قال: أنظر ربيع بن زياد فإن يك صادقا فيما قال فإن عنده عونا على هذا الأمر فاستعمله، ثم لا يأتين عليكم عشرة إلا تعاهدت منه عمله، وكتبت إلي بسيرته في عمله حتى كأني أنا الذي استعملته، ثم قال عمر: عهد إلينا نبينا صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي، كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيْمِ اللِّسَانِ﴾

----

*الرفاء) – بالمد– الالتئام والاتفاق، يقال: للمتزوج بالرفاء والبنين(الباءة) النكاح والتزوج (الباءة) النكاح والتزوج

■ (1) الربيع بن زياد بن سابور: ويقال ابن سليم بن سابور الحرشي مولاهم الكاتب، كان بالرصافة كاتبا لهشام ابن عبد الملك على الرسائل، وولي خاتمه وحجابه وحرسه، وحكى عن هشام بن عبد الملك، وحكى عنه علي بن محمد المداري.

مراجع: الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة/ سراج الملوك/ موارد الظمآن لدروس الزمان/ مختار الصحاح/ التبصرة لابن الجوزى/ مختصر تاريخ دمشق/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ـ

ذكر ابن الجوزي عن الأحنف بن قيس قال: وفدنا إلى عمر بفتح عظيم، فقال: أين نزلتم؟، فقلت: في مكان كذا، فقام معنا حتى انتهينا إلى مناخ رواحلنا، فجعل يتخللها ببصره ويقول: ألا اتقيتم الله في ركابكم هذه؟، أما علمتم أن لها عليكم حقا؟، ألا خليتم عنها فأكلت من نبت الأرض؟. فقلنا: يا أمير المؤمنين، إنا قدمنا بفتح عظيم، فأحببنا التسرع إلى أمير المؤمنين، وإلى المسلمين بما يسرهم، ثم انصرف راجعا ونحن معه، فلقيه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، انطلق معي فأعدني على فلان فإنه ظلمني. قال: فرفع الدرة فخفق* بها رأسه، وقال: تدعون عمر وهو معرض لكم حتى إذا اشتغل بأمر من أمور المسلمين أتيتموه: أعدني، أعدني. فانصرف الرجل وهو يتذمر*، فقال عمر: علي بالرجل، فألقى إليه المخفقة*، فقال: أمسك، قال: لا ولكن أدعها لله ولك، قال: ليس كذلك، إما تدعها لله وإرادة ما عنده، أو تدعها لي فأعلم ذلك. قال: أدعها لله، قال: انصرف. ثم جاء يمشي حتى دخل منزله، ونحن معه، فافتتح الصلاة، فصلى ركعتين، ثم جلس، فقال: يا ابن الخطاب، كنت وضيعا فرفعك الله، وكنت ضالا فهداك الله، وكنت ذليلا فأعزك الله، ثم حملك على رقاب المسلمين، لجاء رجل يستعديك فضربته، ما تقول لربك غدا إذا أتيته؟، فجعل يعاتب نفسه.

وعن إياس بن سلمة عن أبيه، قال: مر عمر رضي الله عنه وأنا في السوق، وهو مار في حاجة، ومعه الدرة، فقال: هكذا أمط* عن الطريق يا سلمة. قال: ثم خفقني بها خفقة فما أصاب إلا طرف ثوبي، فأمطت عن الطريق، فسكت عني حتى كان في العام المقبل، فلقيني في السوق، فقال: يا سلمة، أردت الحج العام؟، قلت: نعم. يا أمير المؤمنين، فأخذ بيدي، فما فارقت يدي يده حتى دخل في بيته، فأخرج كيسا فيه ست مئة درهم، فقال: يا سلمة، استعن بهذه، واعلم أنها من الخفقة التي خفقتك عام أول. قلت: والله يا أمير المؤمنين، ما ذكرتها حتى ذكرتنيها، قال: والله ما نسيتها بعد.

وعن عاصم بن عبيد الله، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تحت شجرة في طريق مكة، فلما اشتدت عليه الشمس أخذ عليه ثوبه، فقام فناداه رجل غير بعيد منه: يا أمير المؤمنين، هل لك في رجل قد ربدت* حاجته، وطال انتظاره؟، قال: من ربدها*؟، قال: أنت، فجاراه القول حتى ضربه بالمخفقة، فقال: عجلت علي قبل أن تنظرني، فإن كنت مظلوما رددت إلي حقي، وإن كنت ظالما رددتني، فأخذ عمر طرف ثوبه، وأعطاه المخفقة، وقال له: اقتص، قال: ما أنا بفاعل، فقال: والله لتفعلن كما فعل المنصف من حقه، قال: فإني أغفرها، فأقبل عمر على الرجل، فقال: أنصف من نفسي أصلح من أن ينتصف مني، وأنا كاره، فلو كنت في الأراك* لسمعت حنين عمر – يعني: بكاءه.

وعن سالم بن عبد الله، قال: نظر عمر إلى رجل أذنب ذنبا فتناوله بالدرة، فقال الرجل: يا عمر إن كنت أحسنت فقد ظلمتني، وإن كنت أسأت فما علمتني. قال: صدقت، فاستغفر الله لي فاقتد من عمر، فقال الرجل: أهبها لله وغفر الله لي ولك.

----

* (الخفق) ضربك الشيء بدرة أو بعريض (يتذمر) أي: يجترئ عليه ويرفع صوته في عتابه (المخفقة) الدرة (أمط) ماطه وأماطه: نحاه ودفعه (قال) من القيلولة: وهو نومة نصف النهار (ربدها) ربدتها: يعني: حبستها (الأراك) أي في حجر الأراك كناية عن التستر به وهو شجر من الحمض يستاك به. وهو أيضا موضع بعرفة

■ (1) الأحنف بن قيس التميمي،قيل اسمه صخر، وكان سيد قومه، يضرب به المثل في الحلم. أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه، روى عن عمر وعثمان وعلي، ومات سنة67 هـ أو68 هـ وقيل مات في إمارة مصعب بن الزبير، بالكوفة.

■ (2) سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ويكنى أبا إياس. شهد معركة مؤتة، وكان من أهل بيعة الرضوان. مات سنة 74 هـ بالمدينة وهو ابن ثمانين سنة.عن يزيد بن أبي عبيدة قال: لما قتل عثمان خرج سلمة بن الأكوع من المدينة قبل الربذة، فلم يزل بها حتى كان قبيل أن يموت.

قال يوسف بن المبرد: قال ابن الجوزي أو ابن مرشد الذي اختصر سيرته والظاهر أنه من كلام ابن الجوزي: فإن قال قائل: كيف جاز لعمر أن يقول لمن ضربه: اقتص مني، والقصاص لا يكون في الضرب بالعصا إجماعا.قال: وأبلغ من هذا ما روى محمد بن سعد من حديث الفضل بن العباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أيما رجل كنت أصبت من عرضه شيئا، فهذا عرضي فليقتص مني، أو من بشره شيئا فهذا بشري فليقتص، أو من ماله شيئا فهذا مالي فليأخذ، واعلموا أن أولاكم بي رجل كان له من ذلك شيء فأخذه وحللني، فلقيت ربي وأنا محلل لي﴾. قال: فالجواب أما النبي صلى الله عليه وسلم فإنه منزه أن يكون ضرب أحدا بغير حق، إنما أبان بها قال الواجب على من ضرب أحدا بغير حق يعزر، والتعزير ضرب لكنه لايقع قودا، لكن تعزيرا، وكذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من كنت ضربته بغير حق، فليضربني على وجه التعزير، لا معنى القصاص، فإن عمر هو الإمام، وإذا وجب لبعض رعيته عليه حق جاز أن يأذن له في استيفائه، وإقامته، فأما القصاص في الضرب بالعصا فقد أجمع الفقهاء أنه لا قصاص في ذلك، ولا يعدل عن الإجماع بخبر محتمل، ثم لا يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لعمر أن يبيحا من أنفسهما ما لم يبحه الله تعالى من الضرب، كما لا يجوز لأحد أن يقول لآخر: اجرحني، أو اقتلني، لأن النفوس محترمة لحق الله تعالى، وإنما أبيح القصاص في الجراح والقتل.

قلت: وهذا الكلام مردود من وجهين: الأول: أنه لا يمتنع أن يظن النبي صلى الله عليه وسلم الحق في ضرب رجل فيضربه ثم يظهر الحق في عدم ضربه، فقد قال عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ﴾، وقال: ﴿إِنِّي بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، وإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ﴾. فإذا كان الخطأ في الاجتهاد جائزا في حق النبي صلى الله عليه وسلم ففي حق عمر من باب أولى. الثاني: أن قوله: لا قصاص في العصا بالإجماع، ليس بمسلم، بل يكون فيه القصاص، حتى قال بعض أصحابنا: القصاص في الكلام أيضا، وهو اختيار الشيخ تقي الدين ابن تيمية، أنه إذا شتم، أو لعن، يجوز أن يقتص منه بالكلام، وكذلك إذا ضرب يجوز أن يضرب من ضربه، وقال الله عزوجل: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة] وقوله عزوجل: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة] لا يلزم منه أن لا يكون القصاص في غير الجروح، بل هنا أثبت القصاص في الجروح، وسكت عن غيرها، وأي دليل في ثبوت القصاص في ذلك أعظم من قول النبي صلى الله عليه وسلم وقول عمر، ولو لم يكن قول النبي صلى الله عليه وسلم فقول الصحابي حجة.

وقوله: لا يجوز لهما أن يبيحا من نفسهما ما لم يبحه الله تعالى. نقول: هذا ليس مما لم يبحه الله تعالى، فإن هذا مباح، بل واجب، أي: لأجل الخروج من المظلمة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ كَانَ عِنْدَهُ حَقٌّ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ﴾، وهذا حق فإن ضربه بغير حق فإثم ذلك عليه. وقوله: كما لا يجوز أن يقول لرجل: اقتلني، أو اجرحني. هذا ليس بمسلم، وهذا ليس كهذا، فإنه لا يجوز أن يقول له اقتلني أو اجرحني بغير حق عليه، وهناك عليه حق، بل نقول: لو جرح الإمام رجلا ظلما، وجب عليه أن يقول له: اجرحني، وإذا ضربه وجب أن يقول له: اضربني، وإذا أخذ من ماله شيئا، وجب عليه دفعه إليه، والضرب بالعصا كذلك.

وقوله: إن ذلك تعزير. هذا مردود بل كونه قصاصا أولى، فإن النبي صلى الله عليه وسلم منزه أن يعزر وليس بمنزه عن دفع الحق إلى أهله، وهو محمود عليه، وكذلك عمر، ولأن التعزير لا يكون إلا من الإمام في حق غيره، ولا يكون من غير الإمام في حق الإمام، وما قاله هذا القائل لا معول عليه، ولو سكت عن هذه المقالة كان أولى، بل هي مقالة لا يلتفت إليها، وما أظن ابن الجوزي يقول ذلك.

أخرج أبو نعيم في الحلية عن الحارث بن سويد قال: كان المقداد بن الأسود رضي الله عنه في سرية، فحصرهم (العدو)، فعزم الأمير أن لا يجشر أحد دابته، فجشر رجل دابته لم تبلغه العزيمة، فضربه؛ فرجع الرجل وهو يقول: ما رأيت كما لقيت اليوم قط. فمر المقداد، فقال: ما شأنك؟ فذكر له قصته، فتقلد السيف و انطلق معه حتى انتهى إلى الأمير فقال: أقده من نفسك. فأقاده فعفا الرجل، فرجع المقداد وهو يقول: لأموتن والإسلام عزيز.

مراجع: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ حياة الصحابة للكاندهلوى/

ذكر أبو القاسم الأصفهاني عن حماد بن يحيى المكي عن أبيه[1]، قال: قدمت المدينة أنا وأهلي، فانطلقت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه، ثم أقبلت فلقيتني المرأة في بعض الطريق، فقمت معها أسألها عن بعض الأمر، فبينا أنا أكلمها إذ ضربة على رأسي، فالتفت فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ظلمتني، هذا والله امرأتي، قال: أفلا كلمتها خلف باب أو ستر؟: قلت: يا أمير المؤمنين، لقيتني فسألتها عن بعض الأمر، فألقى إلي الدرة، وقال: اقتص، قلت: لا، قال: فاعف. قلت: لا. فأخذ بيدي، فانطلق بي إلى منزل أبي بن كعب[2]، فاستأذن فخرج إليه ابنه، فقال: حاجتك يا أمير المؤمنين؟، فقال: قل لأبيك يخرج، قال: فخرج إلي أبيض الرأس واللحية، فجلس معه، ثم قال عمر: اقرأ علي: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب] فقرأها عليه، فقال عمر: في عمر نزلت؟، قال: لا، قال: فإني أضرب المؤمنين، ولا يضربونني، وأشتمهم ولا يشتمونني، وأوذيهم ولا يؤذونني، قال: لا ولكن أحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد من قبل الله: ألا لا يرفعن أحد كتابه حتى يرفع عمر بن الخطاب، فيجاء بك مبيض وجهك تزف إلى ربك كتابك بيمينك. فرضي الله عنه ما كان أحذره من المظالم الكبير منها والصغير، وما كان أجهده في الخروج من مظالم الناس، وأن لا يترك لأحد عنده مظلمة، رضي الله عنه.

■ (2) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن يزيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار النجاري الأنصاري المدني أبو المنذر سمع النبي صلى الله عليه وسلم. قيل مات سنة 30 هـ في خلافة عثمان وهو أثبت الأقاويل. وقيل سنة 22 هـ في خلافة عمر وقيل سنة 19هـ

■ (1) حماد بن يحيى المكي /ـ يحيى المكي – لم أعثر له على ترجمة، في المصادر الأخرى

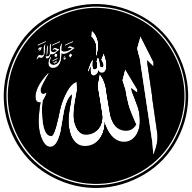

عن أنس﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَعَ إِحْدَى نِسَائِهِ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَدَعَاهُ فَجَاءَ فَقَالَ: يَا فُلَانُ هَذِهِ زَوْجَتِي فُلَانَةُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ كُنْتُ أَظُنُّ بِهِ فَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ﴾ وعن إبراهيم بن محمد الشافعي قال: كنا في مجلس ابن عيينة وعنده الشافعي قال: فحدث ابن عيينة، عن الزهري، عن علي بن حسين، أن النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل ومعه امرأته صفية، فقال: تعال، هذه امرأتي صفية. الحديث قال: فقال ابن عيينة للشافعي: ما فقه هذا الحديث؟ فقال الشافعي: إن كان القوم اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا بتهمتهم إياه كفارا، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أدب من بعده، فقال: إذا كنتم هكذا فافعلوا هكذا كيلا يظن بكم ظن السوء، فقال ابن عيينة: جزاك الله خيرا، ما يجيئنا إلا كل ما نحب.

☪

عن عبد الملك بن أبي بشير قال: حدثني فضالة بن أبي أمية عن أبيه وكان غلاما لعمر قال: كاتبني عمر بن الخطاب على أواق قد سماها ونجمها* علي نجوما فلما فرغ من الكتاب أرسل إلى حفصة فاستقرض منها مائتي درهم ثم أعطانيها فقلت له: خذها من نجومي فأبى فمكثت سنتين أو ثلاثا ثم أتيته بمرط، فقلت: اتخذ هذا فراشا فأبى وقال: استعن به في نجومك، فسألته أن يكتب لي إلى عماله فأبى، وقال: انطلق يسعك ما يسع الناس، قال: فجئت فحدثت عكرمة بهذا الحديث فقال: هذا والله الذي قال الله في كتابه: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور] قال المبارك بن فضالة حدثتني أمي عن أبي عن جدي وحدثني عبيد الله الجحدري عن أبي عن جدي وحدثني ميمون بن جابان عن عمي عن جدي قال: سألت عمر بن الخطاب المكاتبة*، قال: فقال لي: كم تعرض؟ قلت: أعرض مائة أوقية، قال: فما استزادني وكاتبني عليها وأراد أن يعجل لي من ماله طائفة، قال: وليس عنده يومئذ مال، قال: فأرسل إلى حفصة أم المؤمنين: إني كاتبت غلامي وأريد أن أعجل له من مالي طائفة، فأرسلي إلي بمائتي درهم إلى أن يأتينا شيء، فأرسلت بها إليه، قال: فأخذها عمر بن الخطاب بيمينه، قال: فقرأ هذه الآية:﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور] فخذها بارك الله لك فيها، قال: فبارك الله لي فيها، عتقت منها وأصبت منها المال الكثير، فسألته أن يأذن لي إلى العراق، قال: أما إذ كاتبتك فانطلق حيث شئت، قال: فقال لي ناس كاتبوا مواليهم: كلم لنا أمير المؤمنين أن يكتب لنا كتابا إلى أمير العراق نكرم به، قال: وعلمت أن ذلك لا يوافقه فاستحييت من أصحابي، قال: فكلمته فقلت: يا أمير المؤمنين، أكتب لنا كتابا إلى عاملك بالعراق نكرم به، قال: فغضب وانتهرني، ولا والله ما سبني سبة قط ولا انتهرني قط قبلها، فقال: أتريد أن تظلم الناس؟ قال: قلت: لا، قال: فإنما أنت رجل من المسلمين يسعك ما يسعهم، قال: فقدمت العراق، فأصبت مالا وربحت ربحا كثيرا، قال: فأهديت له طنفسة ونمطا*، قال: فجعل يطايبني ويقول: إن ذا الحسن، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما هي هدية أهديتها لك، قال: إنه قد بقي عليك من مكاتبتك شيء فبع هذا واستعن به في مكاتبتك، فأبى أن يقبل.

واخرج البيهقي في المعرفة من طريق سعيد بن أبي سعيد المقبري[1] عن أبيه قال: اشترتني امرأة فكاتبتني على أربعين الفا فأديت إليها عامة ذلك ثم حملت ما بقي إليها فقالت: لا، والله، حتى آخذه شهرا بشهر وسنة بسنة، فذكرت ذلك لعمر فقال: ارفعه الى بيت المال، ثم قال: إن هذا مالك، وقد عتق أبو سعيد، فان شئت فخذين وإن شئت فخذي شهرا بشهر أو سنة بسنة، قال: فأرسلت فاخذته من بيت المال. وعن أبي صخر عن أبي سعيد المقبري قال: أتيت عمر بن الخطاب بمائتي درهم، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه زكاة مالي، قال: وقد عففت، يا كيسان؟ قلت: نعم، قال: اذهب بها أنت فاقسمها.

☪

عن عبد الله بن جعفر قال: رأيت عمر بن الخطاب وإنه ليدعو بالإناء فيه الماء فيعطيه معيقيبا –وكان رجلا قد أسرع فيه ذلك الوجع– فيشرب منه ثم يتناوله عمر من يده فيتيمم بفمه موضع فمه حتى يشرب منه، فعرف أنه إنما يصنع ذلك فرارا من أن يدخل نفسه في شيء من العدوى، قال: وكان يطلب له الطب من كل من يسمع له بطب حتى قدم عليه رجلان من أهل اليمن فقال: هل عندكم من طب لهذا الرجل الصالح فغن هذا الوجع قد أسرع فيه؟ قالا: ما شيء يذهبه، فإنا لا نقدر عله، ولكنا نداويه بدواء يقفه فلا يزيد، قال عمر: عافية عظيمة أن يقف فلا يزيد، قالا: هذا ينبت في أرضك هذا الحنظل، قال نعم، قالا فاجمع لنا منه، قال فأمر عمر فجمع له منه مكتلان عظيما، قال فعمد إلى كل حنظلة فقطعاها باثنين ثم أضجعا معيقيبا فأخذ كل واحد منهما بإحدى قدميه ثم جعلا يدلكان بطون قدميه بالحنظل حتى إذا محقت أخذ أخرى حتى رأينا معيقيبا ينتخمه، أخضر مرا، ثم أرسلاه فقلا لعمر: لا يزيد وجعه هذا أبدا، وقال: فوالله ما زال معيقيبا منها متماسكا ما يزيد وجعه حتى مات. خرجه أبو مسعود أحمد بن الفرات الضبي.

----

* (نمطا) النمط ثوب من صوف ذو لون من الألوان، ولا يكاد يقال للأبيض نمط، والجمع أنماط (النجم) يطلق على الوقت المضروب الذي يحل فيه مال الكتابة: ويطلق على المال المؤدى فيه ويكفي ذكر نجمين،

■ (1) سعيد المقبري، الامام المحدث، الثقة، أبو سعد، سعيد بن أبي سعيد كيسان الليثي، مولاهم المدني المقبري، كان يسكن بمقبرة البقيع. حدث عن أبيه، وعن عائشة، وأبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، وأم سلمة، وابن عمر، وأبي شريح الخزاعي، وأبي سعيد الخدري وعدة وكان من أوعية الحديث. وحديثه مخرج في الصحاح. لكنه اختلط قبل موته بأربع سنين. قلت: ما أحسبه روى شيئا في مدة اختلاطه، وكذلك لا يوجد له شئ منكر. توفي سنة 125 هـ، وقيل: توفي سنة 123 هـ، وقيل: سنة 126 هـ، وكان من أبناء التسعين.

مراجع: مراجع: حلية الأولياء/ الأعلام للزركلي/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ معرفة السنن والآثار للبيهقي/ الطبقات الكبرى/ كنز العمال/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/ الإصابة في تمييز الصحابة/

قال بهاء الدين الكندي: في أيام يعلي[1] كانت قصة أصيل وهي ما أورده الرازي بكتابه بسند حذفته اختصارا وذلك أن رجلا من أهل صنعاء غاب عن امرأة له اسمها زينب وترك معها ابنا له من غيرها اسمه أصيل صبي في سن التمييز وكانت فاسقة ولها سبعة أخلاء فصارت تتبرم من الصبي أن يفضحهم وقالت لخلانها: إن هذا الصبي فاضحنا لا محالة، ولست آمنة أن يفضحني وإياكم، ثم حسنت لهم قتله ولم تزل بهم، حتى دخلوا عليه وهو نائم فخنقوه حتى مات، ثم حملوه فألقوه ببئر الديبانادى وهي بوسط غمدان خلف بئر سام بن نوح، قال الرازي: وهي في عصرنا خراب وعصره في المئة الخامسة، ثم إن المرأة أظهرت بعد ذلك فقد الصبي، وجعلت تدور شوارع صنعاء راكبة على حمار، وهي تقول: اللهم، لا تخف علي من قتل أصيلا، ثم اتصل العلم بيعلي، وأن صبيا فقد، لا يعلم خبره، فشق به ذلك وساءه، ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: انظروا هل تحسون لهذا الصبي خبرا، أو يذكر لكم، فلم يجبه أحد بشيء، ثم بعد أيام مر رجل من أهل صنعاء بالبئر، فظهر له منها ريح منتنة وذباب أخضر يطلع من البئر ويرجع فيها، فغلب على ظنه وجود الغلام بالبئر، فذهب إلى يعلي، وقال: أظنني قد قدرت على طلبتك أيها الأمير، ثم أخبره بما وجد في البئر، فبادر يعلي وركب من فوره حتى وقف برأس البئر ومعه جمع من الحفدة وأهل البلد ومن جملتهم بعض القتلة، فقال: أدلوني أنظر ما في البئر وأكشف الخبر، فربط بحبال وأنزل فلما صار بالقرب من الماء وجد الصبي قد نبذه الماء، وهو على وجه الماء فغيبه في جرف من جروف البئر ثم صاح أطلعوني فإني لم أجد شيئا، فأطلع، فقال الناس له: إنك لما ضربت الماء وحركته اشتدت الرائحة وكثر صعود الذباب، فقال رجل آخر: أدلوني مكانه، فحين قال ذلك أخذت الأول رعدة شديدة، فاستوثقوا به فأدلوا الثاني، فلما صار بالماء تبع الرائحة فوجد الصبي بغار وعليه أثر التقليب فشده بالحبل، وأمر بجره فأطلع أولا، وطلع الصبي الهالك، فلما ظهر الصبي ورآه المنزل الأول اشتدت رعدته، وهذا من قبيل قولهم في المثل: كاد المريب أن يقول خذوني، فأخذ يعلي عليه بالتهديد، فاعترف أنه قتله من جملة سبعة، وأن سبب ذلك زوجة أبيه، فطلبوا جميعا فلما حصلوا، سجنوا، وجعلت المرأة بمعزل عنهم، وكتب يعلي إلى عمر يسأله الحكم فيهم، فحين وصل الكتاب إلى عمر، استحضر جماعة من فقهاء الصحابة، وعرض عليهم كتاب يعلي، واستشارهم، وقال إني: أرى بقتل الرجال والمرأة غير أني أردت لا ينفذ ذلك إلا بعد مشورة منكم، فصوبوا رأيه حتى قال علي[2] كرم الله وجهه: رأيت صوابا يا أمير المؤمنين، أرأيت لو أن جماعة اشتركوا في سرقة جزور، سرق كل واحد منهم عضوا، أكنت قاطعهم بذلك؟ قال: نعم، قال: فهؤلاء كذلك، فقوي عزم عمر وكتب إلى يعلي بذلك، ثم قال: لو تمالأ أهل صنعاء على قتله لقتلتهم به، فحين وصل الكتاب إلى يعلي بادر فقتل الرجال والمرأة، وقد استشهد كثير من مصنفي الفقه على جواز قتل الجماعة بالواحد لهذا الخبر. ثم بعد ذلك أن موالي ليعلي ضربوا رجلا حتى أحدث في ثيابه، فذهب الرجل إلى عمر واشتكى إليه فكتب عمر إلى يعلي أن يأتيه ماشيا على قدميه فخرج من صنعاء كذلك حتى إذا صار على مراحل منها لقيه كتاب عثمان بن عفان يبقيه على عمله ويخبره بوفاة عمر فعاد يعلي إلى صنعاء وعمل فرحة.

■ (1) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي المكي واسمه عبيد، ويقال زيد بن همام التميمي الحنظلي، حليف قريش. وهو يعلى بن منية بنت غزوان، أخت عتبة بن غزوان أول من أرخ الكتب. وهو صحابي، من الولاة. ومن الاغنياء الاسخياء من سكان مكة، كان حليفا لقريش. وأسلم بعد الفتح. وشهد الطائف وحنينا وتبوك مع النبي واستعمله أبو بكر على حلوان في الردة، ثم استعمله عمر على نجران واستعمله عثمان على اليمن فأقام بصنعاء. وهو أول من ظاهر للكعبة بكسوتين، أيام ولايته على اليمن، صنع ذلك بأمر عثمان. ولما قتل عثمان انضم يعلى إلى الزبير وعائشة، ويقال إنه حمل عائشة على الجمل الذي كان تحته، في وقعة الجمل. ويروى عن علي: أسرع الناس إلى فتنة يعلى بن أمية! وعن علي بن أبي طالب أيضا: حاربت أطوع الناس، وأشجع الناس، وأعبد الناس، وأعطى الناس، فأما أطوع الناس فعائشة، وأما أشجع الناس فالزبير بن العوام، لم يرد وجهه شئ قط، وأما أعبد الناس فمحمد ابن طلحة بن عبيد الله، إنما كان عمودا راتبا فاستزله أبوه، وأما أعطى الناس فيعلى بن أمية، كان يعطي الرجل الفرس والسلاح والثلاثين الدينار على أن يخرج فيقاتلني. قال ابن الاثير: ثم صار من أصحاب علي، وقتل،وهو معه في صفين. وعن عمرو بن دينار: أول من أرخ الكتب يعلى بن أمية، وهو باليمن. وزاد غيره: كتب إلى عمر كتابا مؤرخا فاستحسن عمر ذلك، فشرع التاريخ. مات سنة 37 هـ وقيل قبل معاوية أو بعد

■ (2) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

☪

قال علي الصلابي: وهذا الحكم لم يوجد فيه نص من كتاب ولا سنة ولم يوجد أثر عن الصديق أنه قضى بمثله، وإنما بنى حكمه على فهمه لمقاصد الشريعة والتي جاءت لحفظ أمن المجتمع واستقراره، إذ أن الدماء ليست أمرا هينا، ولذلك يقتضي العدل، ومصلحة الأمة، ومقاصد الشريعة القصاص إذا ثبت أن الجميع تواطئوا على قتله وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء من الأئمة الأربعة وسعيد بن المسيب والحسن وأبي سلمة وعطاء وقتادة والثوري، والأوزاعي وغيرهم، وهذا الرأي هو الأرجح والأولى بالاتباع وذلك لقوة الدليل في فعل عمر وإجماع الصحابة ولما فيه من حكمة في ردع وزجر الناس وحفظ النفوس في المجتمع. وحكم عمر رضي الله عنه في من قتل ولده بدفع الدية، وأما المسلم الذي يقتل ذميا فحكمه القتل قصاصا وهذا حدث في عهد عمر حيث قتل مسلم ذميا بالشام، فقتل قصاصا. قال الله تعالى:﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة] ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء] عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ لِدِينِهِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ﴾ وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ﴾ (أهون) أي أحقر وأسهل. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ شَطْرَ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللَّهَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ وعن الحسن، قال: جاء رجل إلى الزبير يوم الجمل، فقال: أقتل لك عليا ، قال: وكيف، قال: آتيه فأخبره أني معه، ثم أفتك به، فقال الزبير: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ الإِيمَانُ قَيْدُ الْفَتْك، لاَ يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ﴾ يعنى بالفتك الخيانة، وعن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ﴾ وعن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عباس قال:﴿أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ رَجُلًا قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مَا جَزَاؤُهُ؟، قَالَ: جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ. الْآيَةَ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، ثُمَّ اهْتَدَى» فَقَالَ: وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، إِنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذًا بِرَأْسِهِ تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ حَتَّى يَقِفَ بِهِ عِنْدَ الْعَرْشِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟﴾وعن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أَوْ مَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾.

☪

روي عن عمر أنه كان يوما يتغدى إذا جاء رجل يعدو وفي يده سيف ملطخ بالدم ووراءه قوم يعدون خلفه فجاء حتى جلس مع عمر فجاء الآخرون فقالوا يا أمير المؤمنين إن هذا قتل صاحبنا فقال له عمر ما تقول فقال يا أمير المؤمنين إني ضربت فخذي امرأتي فإن كان بينهما أحد فقد قتلته فقال عمر ما تقولون قالوا يا أمير المؤمنين إنه ضرب بالسيف فوقع في وسط الرجل وفخذي المرأة فأخذ عمر سيفه فهزه ثم دفعه إليه وقال إن عاد فعد.

قال أصبغ بن نباتة: إن شابا شكا إلى علي رضي الله عنه نفرا فقال: إن هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر فعادوا ولم يعد أبي، فسألتهم عنه، فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله فقالوا: ما ترك شيئا، وكان معه مال كثير؛ وترافعنا إلى شريح فاستحلفهم وخلى سبيلهم، فدعا علي رضي الله عنه بالشرط (الشرطة) فوكل بكل رجل رجلين، وأوصاهم ألا يمكنوا بعضهم أن يدنوا من بعض ولا يمكنوا أحدا يكلمهم، ودعا كاتبه ودعا أحدهم، فقال: أخبرني عن أب هذا الفتى، أي يوم خرج معكم؟ وفي أي منزل نزلتم؟ وكيف كان سيركم؟ وبأي علة مات؟ وكيف أصيب بماله؟ وسأله عمن غسله ودفنه، ومن تولى الصلاة عليه وأين دفن؟ ونحو ذلك، والكاتب يكتب، فكبر علي وكبر الحاضرون، والمتهمون لا علم لهم إلا أنهم ظنوا أن صاحبهم قد أقر عليهم، ثم دعا آخر بعد أن غيب الأول عن مجلسه، فسأل كما سأل صاحبه، ثم الآخر كذلك، حتى عرف ما عند الجميع، فوجد كل واحد منهم يخبر بضد ما أخبر به صاحبه، ثم أمر برد الأول، فقال له: يا عدو الله قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق، ثم أمر به إلى السجن، وكبر علي وكبر معه الحاضرون، فلما أبصر القوم (المتهمون) الحال لم يشكوا أن صاحبهم قد أقر عليهم، فدعا آخر منهم فهدده، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد كنت كارها لما صنعوا، ثم دعا الجميع فأقروا بالقصة، واستدعي الذي بالسجن وقيل له: قد أقر أصحابك ولا ينجيك سوى الصدق، فأقر بكل ما أقر به القوم؛ فأغرمهم المال وأقاد منهم بالقتيل (حكم عليهم بالإعدام).

☪

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أقضي أمتي علي. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أقضانا علي بن أبي طالب. وعن ابن مسعود قال: كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب. وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تختصم الناس بسبع ولا يحاجك أحد من قريش أنت أولهم إيمانا بالله وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزية.

قال جعفر بن محمد: أتى عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة، فألقت صفارها، وصبت البياض على ثوبها وبين فخذها ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله، فسأل عمر النساء فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المنى، فهم بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين تثبت في أمري، فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها، فقد راودتني عن نفسي فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما، فنظر علي رضي الله عنه إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب على الثوب فجمد ذلك البياض ثم أخذه واشتمه، وذاقه، فعرف طعم البيض، وزجر المرأة فاعترفت.

وعن محمد بن الزبير عن شيخ التقت ترقوتاه من الكبر يخبره: أن عمر استفتى في مسألة، فقال: اتبعوني حتى انتهى إلى علي بن أبي طالب، فقال: مرحبا يا أمير المؤمنين، فذكره له المسألة، فقال: ألا أرسلت لي؟ فقال: أنا أحق بإتيانك.

☪

قلت: رحمه الله من قال: إن النساء شياطين خلقن لنا..نعوذ بالله من شر الشياطين..فهن أصل البليات التي ظهرت..بين البرية في الدنيا وفي الدين. وقال سيد السادات ورئيس الرؤساء: ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء. وقال من أجاد في المقال المسامع بالأقوال حيث قال: وما حز أعناق الرجال سوى النسا..وأي بلاء جاء لسن له أهلا..فكم نار شر أحرقت كبد الورى..ولم يك إلا مكرهن لها أصلا. وإنهن أشرك الأشراك وأوهاق الأزهاق واسواق الغساق ومصائد المصائب ومراصد النوائب [..] وكما قال ذاك الشاعر: رأيت الهم في الدنيا كثيرا.. وأكثره يكون من النساء..فلا تأمن لأنثى قط يوما.. ولو قالت نزلت من السماء!.

• تعليق: لا أبالغ إذا قلت:أن كل سموم العالم اجتمعت تحت لسان المرأة؛. لقد حاولت كثيرا أن أجد مبررا لسلوك المرأة الشيطاني أو الحيواني (الكونيي) إلا أن الأحداث تأب إلا فضحها وكشف عوارها، قلت: لو كان هناك حيوان يستحق أن يلجم بلجام الصمت إلى الأبد فهي المرأة مصيبة الإنسانية. فأعوذ بالله من أفعي ناعمة مهلكة للرجال.. مفسدة للشباب.. مشعلة للحروب. فكم من إخوة قتلت؟، وجيران أفسدت؟، وقبائل أحرقت وأقبرت؟!وصدق من قال: إذا وقعت جريمة ما، ففتش عن المرأة ! خاصة حين تحشر (الحمقاء) المتعلمة (؟) نفسها بين ذكران أشبه بالبهائم وما أكثرهم اليوم، والله أعلم.

مراجع: مراجع: السلوك في طبقات العلماء والملوك/ الأعلام للزركلى/ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للصلابي/ القلائد من فرائد الفوائد/

عن عاصم بن بهدلة[1]، قال: كان عمر رضي الله عنه جالسا مع أصحابه، فمر به رجل فقال له: ويل لك يا عمر من النار ! فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ألا ضربته؟، فقال رجل أظنه عليا: ألا سألته؟، فقال عمر: قربوه الى ، فدنا منه، فقال: لم قلت لى ما قلت؟ قال : تستعمل عمالك وتشترط عليهم ثم لا تنظر هل وفوا لك بشروط ام لا ؟ قال: وما ذاك؟، قال: عاملك على مصر اشترطت عليه شروطا فترك ما أمرته به وانتهك ما نهيته عنه، ، ثم شرح له كثيرا من امره. وكان عمر رضي الله عنه إذا استعمل عاملا شرط عليه أن لا يركب دابة، ولا يلبس رقيقا، ولا يأكل نقيا، ولا يغلق بابه دون الناس وحوائجهم، وما يصلحهم، قال: فارسل عمر رجلين من الانصار، فقال لهما: انتهيا إليه، فاسالا عنه، فان كان كذب عليه فأعلماني وإن رأيتما ما يسوءكما فلا تملكاه من أمره شيئا حتى تأتيا به، فذهبا فسألا عنه فوجداه قد صدق عليه، فجاءا إلى بابه فاستأذنا عليه، فقال حاجبه: إنه ليس عليه اليوم اذن، فقالا: ليخرجن الينا أو لنحرقن عليه بابه، وجاء أحدهما بشعلة من نار، فدخل الاذن فاخبره فخرج اليهما، فقالا: إنا رسولا عمر اليك لتأتينه، قال: إن لي حاجة، تمهلانني لاتزود قالا: إنه عزم علينا الا نمهلك، فاحتملاه فأتيا به عمر رضي الله عنه، فلما أتاه سلم عليه فلم يعرفه، وقال: من أنت ويلك؟ وكان رجلا اسمر، فلما اصاب من ريف مصر ابيض وسمن فقال: أنا عاملك على مصر، أنا فلان، قال: ويحك! ركبت ما نهيت عنه، وتركت ما أمرت به! والله لا عاقبنك عقوبة أبلغ إليك فيها، آتونى بكساء من صوف وعصا، وثلاثمائة شاة من غنم الصدقة، فقال: البس هذه الدراعة*، فقد رأيت أباك وهذه خير من دراعته وخذ هذه العصا فهي خير من عصا أبيك، واذهب بهذه الشياه فارعها في مكان كذا –وذلك في يوم صائف– ولا تمنع السائل من ألبانها شيئا الا آل عمر، فإني لا أعلم أحدا من آل عمر أصاب من ألبان غنم الصدقة ولحومها شيئا. فلما ذهب رده، وقال: أفهمت ما قلت لك؟! ورد عليه الكلام ثلاثا فلما كان في الثالثة ضرب بنفسه الأرض، وقال يا أمير المؤمنين، لا أستطيع هذا، فإن شئت فاضرب عنقي، قال: فإن رددتك فأي رجل تكون؟ قال: والله لا يبلغك بعدها الا ما تحب. فرده، فكان خير عامل .

----

*(الدراعة) ثوب، كرمانة: جبة مشقوقة المقدم، ولا تكون إلا من صوف

■ (1) عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي الاسدي بالولاء، أبو بكر: أحد القراء السبعة. تابعي، من أهل الكوفة، ووفاته فيها. كان ثقة في القرآت، صدوقا في الحديث. قيل: اسم أبيه عبيد، وبهدلة اسم أمه. مات سنة 127 هـ

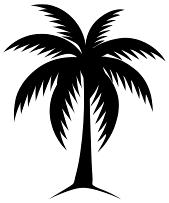

عن الشعبي قال: قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: اتق الله يا أمير المؤمنين، فقال له رجل: أتقول هذا لأمير المؤمنين؟! فقال عمر: دعه فلا خير فيهم إذا لم يقولوها، ولا خير فينا إذا لم تقل لنا. روي عن الإمام أحمد أنه قيل له: إن عبد الوهاب الوراق ينكر كذا وكذا، فقال: لا نزال بخير ما دام فينا من ينكر. كان عمر إذا استعمل عاملا كتب عليه كتابا واشهد عليه رهطا من المسلمين الا يركب برذونا، ولا ياكل نقيا* ولا يلبس رقيقا ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ثم يقول: اللهم اشهد. وكان عمر إذا بعث عاملا كتب ماله. وعن محمد بن سيرين الأنصاري قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:والله لأنزعن عن القضاء فلانا، ولأستعملن على القضاء رجلا إذا رأه الفاجر فرقه. وعن الحسن البصري، قال: قال عمر: هان شيء أصلح به قوما، أبدلهم أميرا مكان أمير.وعن الحسن البصري، قال: قال عمر رضي الله عنه: لئن عشت إن شاء الله تعالى لأسيرن في الرعية حولا، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع عني، أما هم فلا يصلون إلي، وأما عمالهم فلا يرفعونها إلي، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين. وعن عبد العزيز بن سالم عن الحسن قال: كان عمر يقول من اتقى الله وقاه، ومن أقرض الله جزاه، ومن توكل على الله كفاه، ولا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسنة له. قال أبو الحسن: ويروى عن عمر أنه قال: لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لوجدا سواء، ويروى ذلك بعينه عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما. وعن ابن جعدبة قال: قال عمر: كفى سرفا ألا أشتهي شيئا إلا اشتريته. وعن أبي عثمان النهدي قال:استعمل عمر رجلا من بني أسد على عمل فدخل ليسلم عليه، فأتى عمر بعض ولده فقبله، فقال الأسدي:أتقبل هذا يا أمير المؤمنين؟، والله ما قبلت ولدا قط، فقال عمر: فأنت والله بالناس أقل رحمة لا تعمل لي عملا أبدا، فرد عهده. في رواية: أمر عمر بن الخطاب بكتابة عهد لرجل قد ولاه فبينما الكاتب يكتب جاء صبي فجلس في حجر عمر فلاطفه بالكلام فقال الرجل يا أمير المؤمنين لي عشرة أولاد مثله ما دنا مني أحد منهم قال عمر للكاتب مزق الكتاب فإن من لا يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية. وروى ابن شبه: أن عمر عتب على بعض عماله، فكلم امرأة عمر، فقالت له: يا أمير المؤمنين فيم وجدت عليه؟، فقال: يا عدوة الله، وفيم أنت وهذا؟، إنما أنت لعبة يلعب بك ثم تتركين. وكان عمر يقول: أشكوا إلى الله جلد الخائن وعجز الثقة.

نزل عمر بن الخطاب إلى السوق فسمع أعرابيا يبيع ويشتري، ويقول: اللهم، اجعلني من عبادك القليل. فوكزه عمر بالدرة، وهذه الدرة كانت تقوم الذين في رءوسهم وساوس، هذه الدرة تدخل النور في بعض القلوب وتوقظ بعض الأذهان، فضربه ووكزه قائلا: ما لك ولهذا الدعاء؟ فسر لي هذا الدعاء؟ قال: يا أمير المؤمنين! قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود] وقال الله عز وجل: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ] وقال الله عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص] فأسأل الله أن يجعلني من ذاك القليل، قال عمر: صدقت، ثم قال: كل الناس أفقه منك يا عمر !. بل أنت من أفقه الناس ومن أعلم الناس.

زلزلت المدينة في عهد عمر رضي الله عنه وأرضاه، وأصابها زلزال سهل ليس بكبير حتى تساقطت بعض الجدران وبعض البيوت، فجمع عمر الناس في المسجد، فلما اجتمعوا رجالا ونساء وأطفالا، بكى رضي الله عنه عنه وأرضاه ثم قال: والذي نفسي بيده! إن وقع الزلزال مرة ثانية في المدينة لا أجاوركم فيها أبدا، وليكونن آخر العهد بي. قالوا: فما علاقتنا يا أمير المؤمنين بالزلزال؟ قال: أنتم الذين أوقعوا الزلزال، فما وقع إلا بذنوبكم. فبكى المسجد حتى ضج بالبكاء وقالوا: تبنا إلى الله سبحانه وتعالى. روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿لَوْلَا شُيُوخٌ رُكَّعٌ وَأَطْفَالٌ رُضَّعٌ وَبَهَائِمُ رُتَّعٌ لَصُبَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ صَبًّا﴾ قالت العلماء: يعني أن الله تعالى يرفع العذاب بهؤلاء الضعفاء كبار السن، وصغار السن الذين هم أطفال، وأهل الصلاح الذين يديمون العبادة. فلم تقع المصائب التي وقعت في الأمة إلا بسبب ذنوبنا وإعراضنا عن الله.

----

*(النقى) الشحم (الحنتم) الجرة الخضراء.

مراجع: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ شرح نهج البلاغة/ أنساب الأشراف البلاذري/ شرح أخصر المختصرات/ نزهة المجالس ومنتخب النفائس/

روى أبو القاسم الأصفهاني بسنده إلى عمير بن سلمة الديلي[1]، أنه خرج مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو أخبره من كان مع عمر، قال: أتينا عمر نصف النهار، وهو قائل* في ظل شجرة، إذ جاءت أعرابية فتوسمت* الناس فجاءته، فقالت: إني امرأة مسكينة ولي بنون، وإن أمير المؤمنين كان بعث محمد بن مسلمة[2] ساعيا فلم يعطنا، فلعلك -يرحمك الله- أن تشفع لنا إليه، قال: فصاح يا يرفأ[3] ادع لي محمد بن مسلمة، فقالت: إنه أنجح لحاجتي أن تقوم معي إليه، قال:إنه سيفعل إن شاء الله، فجاءه يرفأ فقال: أجب، فجاء فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فاستحيت المرأة، فقال عمر رضي الله عنه: والله ما آلو أن أختار خياركم، فكيف أنت قائل إذا سألك الله عن هذه؟، فدمعت عينا محمد ثم قال عمر: إن الله بعث إلينا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فصدقناه، واتبعناه، فعمل بما أمره الله، فجعل الصدقة لأهلها من المساكين حتى قبضه الله على ذلك، ثم استخلف الله أبا بكر[4]، فعمل بسنته حتى قبضه الله، ثم استخلفني فلم آل أن أختار خياركم، فأد إليها صدقة العام، وعام الأول، وما أدري لعلي لا أبعثك، ثم دعا لها بجمل وأعطاها دقيقا، وزيتا، وقال: خذي هذا حتى تلحقينا بخيبر، فإنا نريدها. فأتت بخيبر فدعا بجملين آخرين، فقال:خذي هذا فإن فيه بلاغا حتى يأتيكم محمد، فقد أمرته أن يعطيك حقك للعام، وعام أول.

----

*(قائل) من القيلولة وهي نومة الظهيرة (وسم) توسم فيه الشيء تخيله يقال توسمت في فلان خيرا أي رأيت فيه أثرا منه وتوسمت فيه الخير أي تفرست مأخذه من الوسم أي عرفت فيه سمته وعلامته

■ (4) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

■ (2) محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الرحمن، من أهل المدينة. شهد بدرا وما بعدها إلا غزوة تبوك.واستخلفه النبي في بعض غزواته.ولاه عمر على صدقات جهينة.اعتزل الفتنة أيام علي فلم يشهد الجمل ولا صفين. كان عند عمر معدا لكشف أمور الولاة في البلاد مات بالمدينة سنة 43 هـ وقيل 46 هـ وله 77 سنة

■ (1) عمير بن سلمة البكري سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه روى عنه أبو الاسود محمد بن عبد الرحمن سمعت ابى يقول ذلك.

■ (3) يرفأ مولى عمر، وكان حاجبه (البواب). (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

يقول عبد السلام بن محسن آل عيسى: القدرة والخبرة والسياسية لازمة لمن يتولى أمر رعاية شؤون المسلمين ومصالحهم. ولا يكفي كونه مستقيما في نفسه وكونه صحابيا إذا كان غير قادر على القيام بأمور الولاية لأي سبب من الأسباب، أو كان قليل الخبرة والحنكة السياسية بحيث يمكن مخادعته واستغفاله واستدراجه. جاء في الحديث الصحيح أن أبا ذر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا﴾ فقد عزل عمر رضي الله عنه عمار بن ياسر رضي الله عنه بعد أن سأل عنه هل هو مجزي في ولايته، فقال جرير بن عبد الله رضي الله عنه: والله لا هو بمجزي ولا عالم بالسياسة، فعزله وولى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. وعزل عمر رضي الله عنه شرحبيل بن حسنة[1] رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، أعن سخطة نزعتني؟ فقال: لا ولكن رأينا من هو أقوى منك، فتحرجنا من الله أن نقرك وقد رأينا من هو أقوى منك. وكان رضي الله عنه يقر الوالي على ولايته ويثبته عليها إذا كان متصفا بالقدرة والخبرة والحنكة السياسية، ومن أمثلة ذلك: إقراره رضي الله عنه عمرو بن العاص على ولاية فلسطين ثم على مصر، ولم يبعث معه معاونا، وذلك لما اتصف به عمرو من الدهاء والحنكة السياسية العالية. قال الشعبي رحمه الله: دهاة العرب في الإسلام أربعة وذكر منهم عمرو بن العاص رضي الله عنه.وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إني لأتحرج أن أستعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه. وروي عنه رضي الله عنه أنه أراد أن يستعمل رجلا فقال: من يدلني على القوي الأمين.

☪

عن عبد الرحمن بن أبزى قال: جاء رجل إلى عمر فقال: إني أجنبت فلم أجد الماء، فقال عمار بن ياسر: أما تذكر أنا كنا في سرية فأجنبت أنا وأنت فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت في التراب وصليت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا﴾ وضرب بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه. أخرجه الشيخان من وجوه عن شعبة هكذا ورواه النضر بن شميل عن شعبة عن الحكم، ويقول الحكم فيه: وقد سمعته من ابن عبد الرحمن بن أبزى، وزاد فيه: فقال عمر: اتق الله يا عمار؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إن شئت لما جعل الله علي من حقك لا أحدث به أحدا. قال بعضهم: كيف ساغ لعمار أن يقول مثل هذا؟! أفيحل له كتمان العلم؟ والجواب: أن هذا ليس من كتمان العلم فإنه حدث به واتصل ولله الحمد بنا وحدث في مجلس أمير المؤمنين وإنما لاطف عمر بهذا لعلمه بأنه كان ينهى عن الإكثار من الحديث خوف الخطاء ولئلا يتشاغل الناس به عن القرآن. [تذكرة الحفاظ]

☪

من العلوم التي وهبها الله تعالى لعمر وعرف بها علم القيافة*، قال الحكم بن أبي العاص[2]: كنت قاعدا مع عمر بن الخطاب، فأتاه رجل فسلم عليه، فقال له عمر: بينك وبين أهل نجران* قرابة؟ قال الرجل: لا، قال عمر: بلى، قال الرجل: لا، قال عمر: بلى والله، أنشد الله كل رجل من المسلمين يعلم أن بين هذا وبين أهل نجران قرابة لما تكلم. فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين بل بينه وبين أهل نجران قرابة من قبل كذا وكذا، فقال له عمر: مه فإنا نقفو الآثار.

ومن الأخبار الدالة على اختصاص عمر رضي الله عنه بذلك، ما رواه ابن عمر رضي الله عنه قال: ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط: إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن. وقال علي رضي الله عنه: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ما رأيت عمر إلا وكأن بين عينيه ملكا يسدده. وقال عبد الله بن سلمة المرادي رحمه الله: دخلنا على عمر معاشر مذحج*، وكنت من أقربهم منه مجلسا، فجعل عمر ينظر إلى الأشتر[3] ويصرف بصره، فقال: أمنكم هذا؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ماله قاتله الله، كفى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم شره، والله إني لأحسب أن للناس منه يوما عصيبا. وروي أن عمر رضي الله عنه مر به رجل ضخم طويل سبط*، ثم اتبعه رجل نحيف جعد أسود، فقال عمر: هما أخوان، فنظر فإذا هما أخوان، وكان عمر قائفا.

----

*(مذحج) هو مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ (الأشتر) كان من شيعة علي رضي الله عنه، وكان ممن سعى في الفتنة، وألب على عثمان رضي الله عنه، وشهد حصره، وروي أن عائشة رضي الله عنها دعت عليه (نجران) من مخاليف اليمن من ناحية مكة، قالوا سمي بنجران بن زيدان بن سبأ ابن يشجب ابن يعرب بن قحطان، كان أول من عمرها ونزلها (السبط من الشعر) المنبسط المسترسل (القيافة) بالكسر : تتبع الأثر . وتقوفه: تتبعه

■ (2) الحكم بن أبي العاص الأموي عم عثمان، ووالد مروان، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد طرده إلى الطائف، وبقي طريدا إلى زمن عثمان، فرده إلى المدينة، واعتذر بأنه قد كان شفع فيه إلى النبي فوعده برده، وهو مؤتمن على ما قال، وهو أحد الأسباب التي نقموا بها على عثمان.

■ (3) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بـ الأشتر. أدرك الجاهلية وكان من أصحاب علي وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها.وحضر خطبة عمر في الجابية، وسكن الكوفة، وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها، وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي، وولاه علي مصر فقصدها فمات في الطريق سنة 37 هـ

■ (1) شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن الغطريف، الكندي حليف بني زهرة: صحابي، من القادة. يعرف بشرحبيل بن حسنة وهي أمه أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأوفده رسولا إلى مصر، وتوفي صلى الله عليه وسلم وشرحبيل بمصر. ثم جعله أبو بكر أحد الامراء الذين وجههم لفتح الشام. فافتتح الاردن كلها عنوة، ما خلا طبرية، فان أهلها صالحوه، وذلك بأمر من أبي عبيدة. ولما قدم عمر الجابية عزله، واستعمل معاوية مكانه، فقال شرحبيل: أعن سخط عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكني أردت رجلا أقوى من رجل. وتوفي بطاعون عمواس سنة 18 هـ. قال أحد مترجميه: كان من الفرسان الذين سادوا الناس.

مراجع: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ شرح نهج البلاغة/ أنساب الأشراف البلاذري/ لسان العرب/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ تاج العروس/ تذكرة الحفاظ/

عن سويد بن غفلة قال: لما قدم عمر الشام قام إليه رجل من أهل الكتاب فقال: يا أمير المؤمنين، إن رجلا من المسلمين صنع بي ما ترى، وهو مشجوج مضروب، فغضب عمر غضبا شديدا ثم قال لصهيب:[1]انطلق فانظر من صاحبه، فأتني به. قال: فانطلق صهيب، فإذا هو عوف بن مالك[2] فقال: إن أمير المؤمنين قد غضب عليك غضبا شديدا، فأت معاذ بن جبل[3] فليكلمه، فإني أخاف أن يعجل إليك. فلما قضى عمر الصلاة قال: أين صهيب؟ أجئت بالرجل؟ قال: نعم. قال: وقد كان عوف بن مالك أتى معاذا وأخبره بقصته، فقام معاذ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه عوف بن مالك، فاسمع منه، ولا تعجل إليه. فقال له عمر: مالك ولهذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، رأيت هذا يسوق بامرأة مسلمة على حمار فنخس بها لتصرع*،فلم تصرع، فدفعها فصرعت، فغشيها –أو أكب عليها– فقال له: ائتني بالمرأة فلتصدق ما قلت. فأتاها عوف فقال له أبوها وزوجها: ما أردت إلى صاحبتنا قد فضحتنا. فقالت: والله لأذهبن معه، فقال أبوها وزوجها: نحن نذهب فنبلغ عنك..فأتيا عمر فأخبراه بمثل قول عوف. فأمر عمر باليهودي فصلب. وقال: ما على هذا صالحناكم، ثم قال: أيها الناس، اتقوا الله في ذمة محمد صلى الله عليه وسلم، فمن فعل منهم هذا فلا ذمة له. قال: سويد: وذلك اليهودي أول مصلوب رأيته في الإسلام.

عن الشعبي أن عمر بن الخطاب كان يطوف الأسواق، ويقرأ القرآن، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم، وكتب إلى الحكام: لا تبتوا القضاء إلا عن ملأ من المسلمين، فإن رأي الواحد يقصر، ومن لزمه القضاء فليصبر وليحتسب، ولا تحملوا على حكامكم ما جر عليكم شهودكم، فإن الحاكم يحكم على ما يسمع أو يشهد به عنده والله حسيب للشاهد والآخذ لغير الحق.

قال عمر بن الخطاب لرجل[4] قاض: من أنت؟ قال: أنا قاضي دمشق. قال: كيف تقضي؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال: فإذا جاء ما ليس في كتاب الله؟ قال: أقضي بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فإذا جاء ما ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال:أجتهد رأيي وأؤامر جلسائي. فقال عمر: أحسنت، وقال له: إذا جلست فقل: اللهم، إني أسألك أن أقضي بعلم، وأن أفتي بحكم، وأسألك العدل في الغضب والرضا. قال: فسار ما شاء الله أن يسير، ثم رجع إلى عمر. قال: ما رجعك؟ قال: رأيت فيما يرى النائم أن الشمس والقمر يقتتلان مع كل واحد منهما جنود من الكواكب. قال: مع أيهما كنت؟ قال: مع القمر.قال عمر: نعوذ بالله:﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء] والله لا تلي لي عملا أبدا. قال: فيزعمون أن ذلك الرجل قتل مع معاوية بصفين. وفي رواية قال لامير من امراء الشام: كيف سيرتك؟ كيف تصنع في القرآن والاحكام؟ فاخبره ، فقال: احسنت اذهب فقد اقررتك على عملك. فلما ولى رجع فقال: يا امير المؤمنين انى رايت البارحة رؤيا اقصها عليك رايت الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما جنود من الكواكب فقال: فمع ايهما كنت؟ قال : مع القمر فقال: قد عزلتك. وذكر الآية.

في رواية ابن الأثير قال: إن عمر بن الخطاب دعا حابس بن سعد الطائي[4]، فقال: إني أريد أن أوليك قضاء حمص، فكيف أنت صانع؟ قال: أجتهد رأيي وأشاور جلسائي، فقال: انطلق فلم يمض إلا يسيرا حتى رجع، فقال: يا أمير المؤمنين، إني رأيت رؤيا فأحببت أن أقصها عليك، قال: هاتها، قال: رأيت كأن الشمس أقبلت من المشرق ومعها جمع عظيم من الملائكة، وكأن القمر قد أقبل من المغرب ومعه جمع عظيم من الكواكب، فقال له عمر: مع أيهما كنت؟ قال مع القمر، قال عمر: كنت مع الآية الممحوة، لا والله لا تعمل لي عملا أبدا، ورده، فشهد صفين مع معاوية ومعه راية طيىء، فقتل يومئذ، وهو ختن عدي بن حاتم[5]، وخال ابنه زيد، وقتل زيد قاتله غدرا، فأقسم أبوه عدي ليدفعنه إلى أولياء المقتول، فهرب إلى معاوية.

روي أن رجلاً من الدهاقين*شخص إلى عمر بن الخطاب في مظلمة له، فلما قدم المدينة سأل عن عمر، فقيل: هو ذاك، وإذا هو مستلق قد جمع إزاره تحت رأسه ودرته إلى جنبه، فقال: إني أريد أمير المؤمنين، قيل: فذاك أمير المؤمنين عمر، فقال في نفسه: لقد غررت بنفسي، وذهبت بنفقتي، ثم دنا من عمر فأخبره بقصته، فأخذ قطعة جلد، فكتب فيها بخطه: لينصفن هذا الدهقان أو لأبعثن من ينصفه، فقال الدهقان: لقد خبت وخسرت، أنفقت مالي، وأتعبت نفسي وتجشمت هذا السفر البعيد الشديد، ثم رجعت بقطعة جلد من صحيفة، وهم أن يلقيها، فلما صار إلى العامل، ودفعها إليه، قام على رجليه، فلم يجلس حتى أنصفه، فقال الدهقان: هذا والله الملك، وهذه الطاعة، لا ما كنا فيه.

وروى ابن شبة: أن عمر استعمل مجاشع بن مسعود[6]على عمل فبلغه أن امرأته تجدد بيوتها فكتب إليه عمر: من عبد الله أمير المؤمنين إلى مجاشع بن مسعود سلام عليك أما بعد فقد بلغني أن الخضيراء[7] تحدث بيوتها، فإذا أتاك كتابي هذا فعزمت عليك ألا تضعه من يدك حتى تهتك ستورها، قال: فأتاه الكتاب والقوم عنده جلوس فنظر في الكتاب، فعرف القوم أنه قد أتاه بشيء يكرهه، فأمسك الكتاب بيده ثم قال للقوم: انهضوا فنهضوا: والله ما يدرون إلى ما ينهضهم، فانطلق بهم حتى أتى باب داره فدخل فلقيته امرأته فعرفت الشر في وجهه فقالت له: مالك؟ فقال إليك عني قد أرمقتني*، فذهبت المرأة، وقال للقوم: ادخلوا، فدخل القوم، فقال: فليأخذ كل رجل منكم ما يليه من هذا النحو واهتكوا، قال فهتكوا جميعاً حتى ألقوها إلى الأرض والكتاب في يده لم يضعه بعد. وفي أثناء زيارة عمر إلى الشام دعاه يزيد بن أبي سفيان[8] إلى الطعام فلما دخل عمر البيت وجد فيه بعض الستائر، فأخذ عمر يقطعها ويقول: ويحك أتلبس الحيطان ما لو ألبسته قوماً من الناس لسترهم من الحر والبرد. وقال ابن عمر: بلغ عمر أن ابنا له ستر حيطانه، فقال: والله لئن كان كذلك لأحرقن بيته. وعن سعيد بن جبير قال: بلغ عمر بن الخطاب أن يزيد بن أبي سفيان يأكل ألوان الطعام فقال عمر لمولى له يقال له: يرفا: إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني، فأعلمه، فأتى عمر فسلم، ورجل يقرب عشاءه، فجاء بثريدة لحم، فأكل عمر معه منها، ثم قرب شواء، فبسط يزيد يده، وكف عمر، وقال: الله يا يزيد، أطعام بعد طعام؟! والذي نفس عمر بيده لئن خالفتهم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم.

عن أبي مسلم قال: غزا يزيد بن أبي سفيان بالناس فغنموا، فوقعت جارية نفيسة في سهم رجل، فاغتصبها يزيد، فأتى الرجل أبا ذر[9]فاستعان به عليه، فقال: رد على الرجل جاريته، فتلكأ عليه ثلاثا فقال: لئن فعلت ذاك لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿أَوَّلُ مَنْ يُبَدِّلُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ﴾، فقال له يزيد بن أبي سفيان: نشدتك بالله أنا منهم؟ قال: لا، قال: فرد على الرجل جاريته.

----

*(نخس) نخس الدابة وغيرها أي غرز جنبها أو مؤخرها بعود أو نحوه (الصرع) الطرح بالأرض (الدِهقان) رئيس القرية (أرمقتني) أوجعتني وأغضبتني.

- (2) عوف بن مالك الأشجعي، له صحبة، أول مشاهده خيبر، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح. وكنيته أبو حماد ويقال أبو عبد الرحمن ويقال أبو عمرو ، ومات بالشام في أيام معاوية، ويقال في سنة 73 هـ.أول ولاية عبد الملك.
- (8) يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية من أبيه، ويقال له يزيد الخير، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة. أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وشهد حنينا، فقيل: إن النبي أعطاه من غنائم حنين مئة من الإبل وأربعين أوقية فضة، وهو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، عقد له أبو بكر، ومشى معه تحت ركابه يسايره، ويودعه، ويوصيه، وما ذاك إلا لشرفه وكمال دينه، ولما فتحت دمشق، أمره عمر عليها. توفي يزيد في الطاعون سنة18 هـ، ولما احتضر، استعمل أخاه معاوية على عمله، فأقره عمر على ذلك احتراما ليزيد، وتنفيذا لتوليته.
- (6) مجاشع بن مسعود بن ثعلبة السلمي صحابي استخلفه المغيرة بن شعبة على البصرة في خلافة عمر غزا كابل وصالحه صاحبها الأصبهذ وقيل: كان على يديه فتح حصن أبرويز بفارس وكان يوم الجمل مع عائشة أميرا على بني سليم فقتل فيه سنة 36 هـ قبل الوقعة ودفن بالبصرة.
- (7) الخضيراء امرأة من بني سليم، أخت عتبة بن غزوان، كانت تحت مجاشع بن مسعود بن ثعلبة السلمي.وكانت أول من نجد البيوت، فأمر عمر بهتك ما نجدت.
- (3) معاذ بن جبل بن عمرو، كنيته أبو عبد الرحمن ويقال أبو عبد الله شهد بدرا والعقبة مع النبي صلى الله عليه وسلم حديثه في أهل الشام ومات بها بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة 18 هـ في خلافة عمر وله 31 سنة وقيل إنه حين مات كان له 33 سنة ومنهم من قال 28 سنة
- (9) أبو ذر الغفاري، وهو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار ، وهو رابع أو خامس الإسلام هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول من حيا النبي صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام . مات سنة 32 هـ في خلافة عثمان وقال غيره وقبره في الربذة.
- (4) قالوا هذا الرجل هو : حابس بن سعد بن المنذر بن ربيعة الطائي، يعد في أهل حمص. يعرف في أهل الشام باليماني، ذكره ابن سعد وأبو زرعة الدمشقي فيمن نزل الشام من الصحابة، قتل بصفين.
- (1) صهيب بن سنان المعروف أيضًا بـ صهيب الرومي ولد سنة 35 ق.هـ توفي سنة 38 هـ.
- (5) عدي بن حاتم بن عبد الله بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي أبوه حاتم الجواد الذي يضرب به المثل، يكنى أبا طريف وقيل يكنى أبا وهب، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع في شعبان وقيل سنة عشر فأسلم وكان نصرانيا، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم على أبي بكر الصديق وقت الردة بصدقة قومه، وثبت على الاسلام ولم يرتد وثبت معه قومه، شهد فتوح العراق ووقعة القادسية ووقعة مهران ويوم الجسر مع أبي عبيدة وكان مع خالد بن الوليد لما سار إلى الشام وشهد معه بعض الفتوح، وشهد مع علي بن أبي طالب وقعة الجمل، وصفين. توفي سنة 67 هـ وقيل غير ذلك وله مائة وعشرون سنة ومات بالكوفة أيام المختار.

☪

قال علي الصلابي: كانت من أهم صفات ولاة عمر؛ سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، والتواضع وقبول النصيحة، والحلم، والصبر وعلو الهمة، والحزم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على حل المشكلات، وغير ذلك من الصفات. انتهى. وكان عمر رضي الله عنه يقول:﴿اللَّهُمَّ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُبَالِي إِذَا قَعَدَ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيَّ عَلَى مَنْ قَالَ الْحَقَّ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ فَلَا تُمْهِلْنِي طَرْفَةَ عَيْنٍ﴾ وجاء رجل[1] إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ رزقه وكان جنديا من جنود المسلمين ولكنه كان في الجاهلية قد قتل أخا لعمر بن الخطاب فلما رآه عمر اربد وجهه ، وقال له : يا هذا إني لا أحبك حتى تحب الأرض الدم ، فقال الرجل لعمر: أو مانعي ذلك عندك حقا من حقوق الله ؟ فقال عمر: اللهم، لا . فقال الرجل ما يضيرني بغضك إياي إنما يأسى على الحب النساء. فقد عرف الرجل من ورع عمر ودينه أن شدة غضبه وغيضه وحنقه عليه وكراهية له لا تخرج به عن العدل إلى الظلم فهو لما علم من عدله وثقته بدينه أمن من بطشه. وحدث المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قال عمر إذا كنت بمنزلة تسعني وتعجز عن الناس فليست تلك لي بمنزلة. قال مجاهد: تذاكر الناس في مجلس ابن عباس، فأخذوا في فضل أبي بكر ثم في فضل عمر، فلما سمع ابن عباس ذكر عمر بكى بكاء شديدا حتى أغمي عليه، ثم قال: يرحم الله عمر، قرأ القرآن، وعمل بما فيه، فأقام حدود الله كما أمر لا تأخذه في الله لومة لائم، لقد رأيت عمر أقام الحد على ولده فقتله. انتهى (راجع الرواية السابقة أعلاه). وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لطليحة الأسدي: قتلت عكاشة فقلبي لا يحبك أبدا. قال: فما عشرة جميلة فإن الناس يتعاشرون على البغضاء.

☪

عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب: أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرءونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة] الآية. قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة.

- (1) إياس بن صبيح بن محرش بن عبد عمرو، أبو مريم الحنفي، كان من أهل اليمامة من أصحاب مسيلمة وهو قتل زيد بن الخطاب يوم اليمامة ثم تاب وأسلم وحسن إسلامه وولى قضاء البصرة بعد عمران بن حصين في زمن عمر وتوفي بناحية الاهواز. وذكر عمر بن شبة أن فتح رامهرمز كان على يديه. وذكروا أن عمر عزل أبا مريم عن القضاء، وكتب إلى المغيرة بن شعبة: أن يقضي بين الناس. قيل: قتل زيدا أبو مريم الحنفي، وقيل: سلمة بن صبيح ابن عم –أو خو– أبي مريم. قال ابن عبد البر: النفس إلى هذا أميل لأن أبا مريم لو كان قتل زيدا لما استقضاه عمر، وقيل: ليس في هذا دليل، ولعله قتله وراه عمر بعد ذلك أهلا للقضاء، وقد جاء أن أبا مريم قال لعمر رضه: إن الله أكرم زيدا ولم يهني بيده

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/ الإصابة في تمييز الصحابة/ رجال مسلم/ أسد الغابة/ مقدمة ابن خلدون/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ لسان العرب/ أنساب الأشراف/ عثمان بن عفان شخصيته وعصره/ تذكرة الحفاظ/ محاضرات الأدباء/

روى خليد بن دعلج عن قتادة قال: خرج عمر رضي الله عنه من المسجد ومعه الجارود العبدي[1] فإذا بامرأة برزة* على ظهر الطريق، فسلم عليها عمر فردت عليه – أو سلمت عليه – فرد عليها، ثم قالت هيه يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميرا في سوق عكاظ* تصارع الصبيان، فلم تذهب الأيام والليالي حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب منه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، فبكى عمر رضي الله عنه، فقال الجارود: هيه، فقد أكثرت وأبكيت أمير المؤمنين، فقال له عمر رضي الله عنه وعنها، أو ما تعرف هذه ؟ هذه خولة بنت ثعلبة*[2] امرأة أوس بن الصامت *[3] التي سمع الله قولها من سمائه، فعمر والله أجدر أن يسمع لها.

وروى من وجوه عن عمر بن الخطاب أنه خرج ومعه الناس فمر بعجوز فاستوقفته فوقف فجعل يحدثها وتحدثه فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز فقال: ويلك تدري من هي. هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيها:﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة] والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة ثم أرجع إليها.

كان عمر رضي الله عنه يقول: أكثروا من ذكر النار، فإن حرها شديد، وقعرها بعيد، ومقامها حديد، وكان رضي الله عنه ربما توقد النار ثم يدلي يده فيها، ثم يقول: ابن الخطاب هل لك على هذا صبر. وجاء ذات يوم أعرابي، فوقف عنده وقال: يا عمر الخير جزيت الجنة..جهز بنياتي وأمهنه..أقسم بالله لتفعلنه. قال: فإن لم أفعل ماذا يكون يا أعرابي؟ قال: أقسم أني سوف أمضينه. قال: فإن مضيت ماذا يكون يا أعرابي؟ قال: والله عن حالي لتسألنه..والواقف المسئول بينهنه..ثم تكون المسألات ثمه..إما إلى نار وإما جنة. فبكى عمر حتى اخضلت* لحيته بدموعه، ثم قال: يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم، لا لشعره، والله ما أملك قميصا غيره. هكذا بكى عمر رضي الله عنه بكاء شديدا تأثرا بشعر ذلك الأعرابي الذي ذكره بموقف الحساب يوم القيامة، مع أنه لا يذكر أنه ظلم أحدا من الناس، ولكنه لعظيم خشيته وشدة خوفه من الله تعالى تنهمر دموعه أمام كل من يذكره بيوم القيامة، وكان عمر من شدة خوفه من الله تعالى يحاسب نفسه حسابا عسيرا، فإذا خيل إليه أنه أخطأ في حق أحد طلبه، وأمره بأن يقتص منه، فكان يقبل على الناس يسألهم عن حاجاتهم، فإذا أفضوا إليه بها قضاها، ولكنه ينهاهم عن أن يشغلوه بالشكاوى الخاصة إذا تفرغ لأمر عام. فذات يوم كان مشغولا ببعض الأمور العامة، فجاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين انطلق معي فأعني على فلان فإنه ظلمني، فرفع عمر الدرة فخفق بها رأس الرجل، وقال: تتركون عمر وهو مقبل عليكم، حتى إذا اشتغل بأمور المسلمين أتيتموه، فانصرف الرجل متذمرا، فقال عمر علي بالرجل: فلما أعادوه ألقى عمر بالدرة إليه، وقال، أمسك الدرة، واخفقني كما خفقتك. قال الرجل: لا يا أمير المؤمنين، أدعها لله ولك. قال عمر: ليس كذلك: إما أن تدعها لله وإرادة ما عنده من الثواب، أو تردها علي، فأعلم ذلك، فقال الرجل: أدعها لله يا أمير المؤمنين، وانصرف الرجل، أما عمر فقد مشى حتى دخل بيته ومعه بعض الناس منهم الأحنف[4] الذي حدثنا عما رأى:فافتتح الصلاة فصلى ركعتين ثم جلس فقال: يا ابن الخطاب كنت وضيعا فرفعك الله، وكنت ضالا فهداك الله، وكنت ذليلا فأعزك الله، ثم حملك على رقاب المسلمين، فجاء رجل يستعديك، فضربته، ما تقول لربك غدا إذا أتيته؟فجعل يعاتب نفسه معاتبة ظننت أنه خير أهل الأرض. قال إياس بن سلمة حدثني أبي [5]فقال: مر عمر بن الخطاب وأنا في السوق، وهو مار في حاجة له ومعه الدِّرَّة، قال: هكذا أَمِط* عن الطريق يا سلمة، قال: ثم خفقني بها خفقة، فما أصاب إلا طرف ثوبي، فأمطتُ عن الطريق، فسكت عني، حتى كان في العام المقبل، فلقيني في السوق، فقال: يا سلمةُ، أردت الحج العام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ بيدي، فما فارقت يدي يده حتى دخل بي بيته فأخرج كيساً فيه ستمائة درهم، فقال:يا سلمة. استعن بهذه، واعلم أنها من الخفقةِ التي خفقتك عام أول، قلت: والله يا أمير المؤمنين، ما ذكرتها حتى ذكرتنيها، قال: وأنا والله ما نسيتها بعد.وعن أبي سلامة[7]قال: انتهيت إلى عمر وهو يضرب رجالا ونساء في الحرم على حوض يتوضؤون منه، حتى فرق بينهم، ثم قال: يا فلان، قلت: لبيك، قال لا لبيك ولا سعديك، ألم آمرك أن تتخذ حياضا للرجال وحياضا للنساء، قال: ثم اندفع فلقيه علي رضي الله عنه فقال: أخاف أن أكون هلكت قال: وما أهلكك؟ قال ضربت رجالا ونساء في حرم الله. قال: يا أمير المؤمنين أنت راع من الرعاة، فإن كنت على نصح وإصلاح فلن يعاقبك الله، وإن كنت ضربتهم على غش فأنت الظالم. وعن عبيد بن عمير قال: بينما عمر يمر في الطريق إذا هو برجل يكلم امرأة، فعلاه بالدرة، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما هي امرأتي، فقام عمر فانطلق، فلقي عبد الرحمن بن عوف[8]، فذكر ذلك له، فقال: يا أمير المؤمنين: إنما أنت مؤدب وليس عليك شيء، وإن شئت حدثتك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: لَا يَرْفَعِنُّ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ كِتَابَهُ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ﴾ ضعيف أخرجه ابن عساكر. عن الحسن البصري[9] أنه قال: بينما عمر رضي الله عنه يجول في سكك المدينة إذ عرضت له هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب] فانطلق إلى أبي بن كعب[10] فدخل عليه بيته وهو جالس على وسادة فانتزعها أبي من تحته وقال: دونكها يا أمير المؤمنين قال: فنبذها برجله وجلس، فقرأ عليه هذه الآية وقال: أخشى أن أكون أنا صاحب الآية، أوذي المؤمنين، قال: لا تستطيع إلا أن تعاهد رعيتك، فتأمر وتنهى فقال عمر: قد قلت والله أعلم. وفي أثناء زيارة عمر إلى الشام دخل على بعض ولاته فوجد عندهم بعض المتاع الزائد، فغضب عمر وأخذ يضربهم بالدرة، ولقيه الأمراء، فكان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان[11]، وأبا عبيدة[12]، ثم خالد [13]على الخيول، عليهم ثياب فاخرة لا تليق بالمجاهدين فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال: ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم، إياي تستقبلون في هذا الزي، وإنما شبعتم مذ سنتين وبالله ولو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنها يلامق* وإن علينا السلاح، قال فنعم إذن.

حدث نوفل بن مساحق قال: انتجى عمر بن الخطاب وعثمان بن حنيف[14] في المسجد والناس مختلطون بهما لا يسمع نجواهما معهما أحد، فلم يزالا يتجاولان في الرأي حتى أغضب عثمان بن حنيف عمر في بعض ما يكلمه به، فقبض عمر من حصباء المسجد قبضة، فحصب بها وجه عثمان، فشجه الحصى بجبهته آثارا من شجاج، فلما رأى عمر كثرة انسياب الدم على لحيته قال: امسح عنك الدم، فعرف عثمان أن عمر قد ندم على ما فرط منه، فقال: يا أمير المؤمنين، لا يهولنك الذي أصبت مني، فوالله، إني لأنتهك ممن وليتني أمره من رعيتك التي استرعاك الله أكثر مما فعلت بي، فأعجب بها عمر من رأيه وحلمه، فازداد في عينه خيرا.

*(برزة) أي كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب، مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتحدثهم(عكاظ) أشهر أسواق العرب كان يوجد في الجهة الشمالية من بلدة الحوية اليوم، ويمكن تحديده بأنه يقع شمال شرقي الطائف في أسفل وادي شرب، وأسفل وادي العرج عندما يلتقيان هناك(خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت؟) في الإصابة: قاله أبو عمر: هكذا في الخبر خولة بنت حكيم امرأة عبادة، وهو وهم، يعني في اسم أبيها وزوجها، وخليد ضعيف سيء الحفظ (اخضلت) ابتلت(أمط) أزل، ماطه وأماطه: نحاه ودفعه (اليلمق) القباء فارسي معرب وجمعه يلامق؛رداء مفتوح عند الرقبة أو يقفل بأزرار ضيق الكمين.

■ (2) خولة بنت ثعلبة، ويقال خويلة، كانت تحت أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت وظاهر منها.ونزلت فيها الآيات الأولى من سورة المجادلة إلى آخر القصة في الظهار.وقيل: إنها جميلة امرأة أوس بن الصامت، والأول أصح.(تنبيه: خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون)

■ (12) أبو عبيدة بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال. أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام، .ولد سنة 40 ق هـ. ومات بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ.

■ (13) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يلي أعنة الخيل في قريش، وقد أسلم سنة 7 هـ ، يكنى أبا سليمان، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول، وله بطولات نادرة في حروب الردة وقتال الفرس،مات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هـ ويقال: توفى بحمص سنة 14 هـ

■ (11) يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية من أبيه، ويقال له يزيد الخير، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة. أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وشهد حنينا، فقيل: إن النبي أعطاه من غنائم حنين مئة من الإبل وأربعين أوقية فضة، وهو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، عقد له أبو بكر، ومشى معه تحت ركابه يسايره، ويودعه، ويوصيه، وما ذاك إلا لشرفه وكمال دينه، ولما فتحت دمشق، أمره عمر عليها. توفي يزيد في الطاعون سنة 18 هـ، ولما احتضر، استعمل أخاه معاوية على عمله، فأقره عمر على ذلك احتراما ليزيد، وتنفيذا لتوليته.

■ (3) أوس بن الصامت الأنصاري الخزرجي له صحبة وهو أخو عبادة بن الصامت شهد بدرا وهو الذي ظاهر من امرأته. توفى في خلافة عثمان بن عفان وله خمس وثمانون سنة.

■ (4) الأحنف بن قيس، أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة التميمي، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وكان سيد قومه، موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس. أدرك عهد النبي ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان و التيمرة، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد.

■ (5) سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ويكنى أبا إياس. شهد معركة مؤتة، وكان من أهل بيعة الرضوان. مات سنة 74 هـ بالمدينة وهو ابن ثمانين سنة.عن يزيد بن أبي عبيدة قال: لما قتل عثمان خرج سلمة بن الأكوع من المدينة قبل الربذة، فلم يزل بها حتى كان قبيل أن يموت.

■ (9) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة

■ (10) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن يزيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار النجاري الأنصاري المدني أبو المنذر سمع النبي صلى الله عليه وسلم. قيل مات سنة 30 هـ في خلافة عثمان وهو أثبت الأقاويل. وقيل سنة 22 هـ في خلافة عمر وقيل سنة 19هـ.

■ (14) عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري . يكنى أبا عبد الله. شهد مع النبي المشاهد كلها بعد بدر، ولاه عمر خراج سواد العراق، ثم ولاه علي على البصرة قبل أن يقدم عليها فغلبه عليها طلحة والزبير فكانت القصة المشهورة في وقعة الجمل، ومات في خلافة معاوية.

■ (8) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.

■ (7) أبي سلامة السلمي، ويقال: الحبيبي. أبو سلامة السلمي الحبيبي من ولد حبيب ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (1) بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى العبدي: سيد عبد القيس وهم بطن من أسد ربيعة كان شريفا في الجاهلية، قيل: لقب الجارود بعد وقعة أغار بها على بني بكر بن وائل، فظفر، وقالت العرب: جردهم ! وأدرك الإسلام، فوفد على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من قومه، وكانوا نصارى، فأسلم، وفرح النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامه وأكرمه. وعاش إلى زمن الردة فثبت على عهده. ووجهه الحكم بن أبي العاص على القتال يوم سهرك فقتل في عقبة الطين موضع بفارس شهيدا سنة 20 هـ وقيل سنة 21 هـ.

☪

كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج، وكان يخافه ملوك فارس والروم وغيرهم، ولما ولي بقي على حاله قبل الولاية في لباسه وزيه، وأفعاله وتواضعه، يسير مفردا في حضره وسفره من غير حرس ولا حجاب لم يغيره الأمر ولم تبطره النعمة ولا استطال على مؤمن بلسانه، ولا حابي أحدا في الحق لمنزلته، لا يطمع الشريف في حيفه ولا ييأس الضعيف من عدله، ولا يخاف في الله لومة لائم، ونزل نفسه من مال الله منزلة رجل من المسلمين وجعل فرضه كفرض رجل من المهاجرين.

كان عمر رضي الله عنه يقول في محاسبة النفس ومراقبتها: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيئوا للعرض الأكبر﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة] وكان من شدة خشيته لله ومحاسبته لنفسه يقول: لو مات جدي بطف* الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر.وكان رضي الله عنه في وجهه خطان أسودان مثل الشراك من البكاء وكان يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ويبقى في البيت حتى يعاد للمرض وكان يصوم الدهر. قال له ابن عباس رضي الله عنهما في مرض موته: يا أمير المؤمنين مصر بك الأمصار وفتح بك الفتوح وفعل وفعل فقال: وددت أن أنجو ولا أجر ولا وزر. وعن علي رضي الله عنه قال: رأيت عمررضي الله عنه على قتب* يعدو، فقلت: يا أمير المؤمنين أين تذهب؟ قال: بعير ند* من إبل الصدقة أطلبه فقلت: أذللت الخلفاء بعدك، فقال يا أبا الحسن لا تلمني فوالذي بعث محمدا بالنبوة لو أن عناقا* أخذت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة. قال طارق: قلت لابن عباس: أي رجل كان عمر؟ قال: كان كالطير الحذر الذي كأن له بكل طريق شركا.

*(طف) الشاطئ. (ند) شرد وهرب. (العناق) الأنثى من المعز ما لم يتم له سنة. (القتب) الرحل الصغير على قدر سنام البعير.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ الخلفاء الراشدين للصلابي/ أنساب الأشراف/محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ الاستيعاب/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

روى هشام عن ابن سيرين: كان عمير بن سعد[1] يعجب عمر؛ فكان من عجبه به يسميه: نسيج وحده. وبعثه مرة على جيش من قبل الشام، فوفد، فقال: يا أمير المؤمنين، إن بيننا وبين عدونا مدينة يقال لها: عرب سوس* تطلع عدونا على عوراتنا، ويفعلون ويفعلون. فقال عمر: خيرهم بين أن ينتقلوا من مدينتهم، ونعطيهم مكان كل شاة شاتين؛ ومكان كل بقرة بقرتين؛ ومكان كل شئ شيئين؛ فإن فعلوا، فأعطهم ذلك، وإن أبوا فانبذ إليهم* على سواء؛ ثم أجلهم سنة. فقال: اكتب لي يا أمير المؤمنين عهدك بذلك. فعرض عمير عليهم، فأبوا. فأجلهم سنة، ثم نابذهم. فقيل لعمر: إن عميرا قد خرب عرب سوس، وفعل. فتغيظ عليه. فلما قدم، علاه بالدرة، وقال: خربت عرب سوس! وهو ساكت. فلما دخل عمر بيته، استأذن عليه، فدخل، فقال يا أمير المؤمنين: أقرأ إلي عهدك في عرب سوس، فقال عمر رحمك الله، فهلا قلت لي وأنا أضربك، فقال:كرهت أن أوبخك يا أمير المؤمنين، فقال عمر: غفر الله لك، ولكن غيرك لو كان.

بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمير بن سعد عاملا على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره فقال عمر لكاتبه: أكتب إلى عمير: فو الله ما أراه إلا قد خاننا إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل بما جبيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا قال: فأخذ عمير جرابه فوضع فيه زاده وقصعته وعلق أدواته وأخذ عنزته* ثم أقبل يمشي من حمص حتى قدم المدينة. قال: فقدم وقد شحب لونه واغبر وجهه وطالت شعرته فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله. قال عمر: ما شأنك ؟ قال ما ترى شأني ألست تراني صحيح البدن ظاهر الدم، معي الدنيا أجرها بقرونها ؟ قال عمر: وما معك؟ وظن عمر أنه قد جاء ه بمال. قال معي جرابي اجعل فيه زادي، وقصعتي آكل فيها. وأدواتي أحمل فيها وضوئي وشرابي وعنزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدوا إن عرض لي، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي. قال عمر: فجئت تمشي ؟ قال: نعم قال: أما كان لك أحد يتبرع لك بدابة لك تركبها؟ قال: ما فعلوا وما سألتهم ذلك. فقال عمر: بئس المسلمون خرجت من عندهم. فقال عمير: اتق الله يا عمر قد نهاك الله عن الغيبة وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة. قال عمر: فأين نصيبك وأي شيء صنعت؟ قال وما سؤالك يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: سبحان الله. فقال عمير: أما أني لولا أني أخشى أن أغمك ما أخبرتك بعثتني حتى أتيت البلد فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم حتى إذا جمعوا مواضعه ولو نالك منه شيء لأتيتك به. قال: فما جئتنا بشيء ؟ قال لا. قال: جددوا لعمير عهدا. قال إن ذلك شيء لا أعمله لك ولا لأحد بعدك، والله ما سلمت بل لم أسلم ، لقد قلت لنصراني أخزاك الله فهذا ما عرضني له يا عمر، وإن أشقى أيامي يوم خلفت معك ثم استأذنه فأذن له فرجع إلى منزله وبينه وبين المدينة أميال.

فقال عمر حين انصرف عمير: ما أراه إلا قد خاننا. فبعث رجلا يقال له الحارث وأعطاه مائة دينار وقال: انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف فإن رأيت أثر شيء فأقبل. وإن رأيت حالا شديدة فادفع إليه هذه المائة دينارا. فانطلق الحارث فإذا هو بعمير جالس يفلي قميصه إلى جنب الحائط فقال له عمير: انزل رحمك الله. فنزل ثم سأله فقال: من أين جئت ؟ فقال: من المدينة. فقال كيف تركت أمير المؤمنين؟ فقال صالحا. قال: فكيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين قال أليس يقيم الحدود؟ قال بلى ضرب ابنا له على فاحشة فمات من ضربه. فقال عمير: اللهم أعن عمر فاني لا أعلمه إلا شديدا حبه لك. قال فنزل ثلاثة أيام وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصونه بها ويطوون حتى أتاهم الجهد. فقال له عمير إنك قد أجعتنا فان رأيت أن تتحول عنا فافعل. قال: فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال: بعث بها أمير المؤمنين فاستعن بها قال: فصاح وقال: لا حاجة لي فيها فردها. فقالت له امرأته إن احتجت إليها وإلا فضعها في مواضعها. فقال عمير: و الله مالي شيء أجعلها فيه. فشقت امرأته أسفل درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء. ثم رجع والرسول يظن أنه يعطيه منها شيئا، فقال له عمير: أقرئ مني لأمير المؤمنين السلام.

فرجع الحارث إلى عمر فقال ما رأيت؟ فقال رأيت يا أمير المؤمنين حالا شديدا. قال: فما صنع بالدنانير؟ قال: لا أدري قال: فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تقبل. فأقبل إلى عمر فدخل عليه فقال له عمر: ما صنعت بالدنانير؟ قال صنعت ما صنعت وما سؤالك عنها ؟ قال أنشد عليك لتخبرني ما صنعت بها قال: قدمتها لنفسي. قال رحمك الله. فأمر له بوسق من طعام وثوبين. فقال: أما الطعام فلا حاجة لي فيه قد تركت في المنزل صاعين من شعير إلى أن آكل ذلك قد جاء الله بالرزق ولم يأخذ الطعام وأما الثوبان فإن أم فلان عارية. فأخذهما ورجع إلى منزله. فلم يلبث أن هلك رحمه الله فبلغ عمر ذلك فشق عليه وترحم عليه وخرج يمشي ومعه المشاؤون إلى بقيع الغرقد*. فقال لأصحابه : ليتمن كل رجل منكم أمنية. فقال رجل: يا أمير المؤمنين وددت أن عندي مالا فأعتق لوجه الله كذا وكذا. وقال آخر: وددت أن لي قوة فأميح بدلو زمزم لحجاج بيت الله. قال عمر بن الخطاب: وددت أن لي رجلا مثل عمير بن سعد استعين به في أعمال المسلمين. رحمه الله ورضي الله عنه. والله أعلم وصلى الله على محمد آله وسلم.

----

* (فانبذ إليهم) فاطرح إليهم عهدهم. (على سواء) أي على عدل وانصاف.(العنزة) عصا في قدر نصف الرمح أو أكبر يتوكأ عليها. (عرب سوس) مدينة ذكر أنها من ثغور الشام، وبعضهم لم يثبتها فيها لأنها من وراء الدرب داخلة في بلاد الروم، ويقال لها أبسس وأفسس وأرب سوس وعربسوس، وهي مدينة دقيانوس، قيل إن أصحاب الكهف، وهم في جبل قريب منها (البقيع) مقبرة أهل المدينة المنورة.

■ (1) عمير بن سعد بن عبيد الأنصاري الأوسي الزاهد. يقال له نسيج وحده. بايع النبي عندما كان غلامًا، شهد فتح دمشق، ولي على دمشق وحمص في خلافة عمر بن الخطاب.مات بالمدينة في خلافة عمر. وأما ابن شهاب فقال: توفي سعيد بن عامر فأمر مكانه عمير بن سعد الأنصاري، وكان على الشام معاوية وعمير بن سعد حتى قتل عمر. وقال: واستخلف عثمان فجمع الشام لمعاوية، ونزع عميرا.

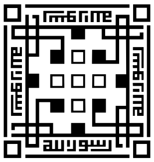

قال أبو نعيم الحافظ: كان عمير بن سعد من زهاد العمال، ولي لعمر سنة على حمص، ثم أشخصه، فقدم عليه بالمدينة، وجدد عهده، فامتنع، وأبى أن يلي له، وكان عمر يقول: وددت أن لي رجلا مثل عمير أستعين به على أعمال المسلمين.

عن عبد الرحمن بن عمير بن سعد، قال لي ابن عمر: ما كان من المسلمين رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من أبيك. قلت أخبارهم رضي الله عنهم في الزهد بالدنيا والادخار للآخرة أكثر من أن تحصى.

عن عمير بن سعد، أنه كان يقول وهو أمير على حمص، وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: ألا إن الإسلام حائط منيع، وباب وثيق؛ فحائط الإسلام العدل، وبابه الحق، فإذا فرض الحائط وحطم الباب استفتح الإسلام، فلا يزال منيعا ما اشتد السلطان، وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط، ولكن قضاء بالحق وأخذا بالعدل. وقال عمير بن سعد: في أنزلت هذه الآية: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ [التوبة] وذلك أن عمير بن سعد كان يسمع أحاديث أهل المدينة، فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيساره، حتى كانوا يتنادون بعمير بن سعد، وكرهوا مجالسته، وقالوا: هو أذن؛ فأنزلت فيه. قال ابن سعد: وكان أبوه سعد بن عبيد ممن شهد بدرا، وهو سعد القارئ، وهو الذي يروي الكوفيون أنه أبو زيد الذي جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتل سعد بالقادسية شهيدا، وصحب ابنه عمير بن سعد النبي صلى الله عليه وسلم، وولاه عمر بن الخطاب على حمص.

قالوا: حين كان عمير واليا على حمص كتب عمر بن الخطاب إلى أهلها: اكتبوا لي فقراءكم. فكتبوا إليه أسماء الفقراء وذكروا فيهم عمير بن سعد، فلما قرأ عمر اسمه قال: من عمير بن سعد؟! فقالوا أميرنا! فقال: أو فقير هو؟! فقالوا: ليس أهل بيت أفقر منه!!.. فقال عمر: فأين عطاؤه؟ فقالوا: يخرجه كله لا يمسك منه شيئا. فوجه إليه عمر بمائة دينار، فأخرجها كلها إلى الفقراء، فقالت له امرأته: لو كنت حبست لنا منها دينارا واحدا! فقال: لو ذكرتني فعلت.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ مسند أحمد/ موسوعة الأعلام/ شرح نهج البلاغة/ كتاب الكليات/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

قال: ولما وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الجيش إلى اليرموك قام إليه أمية بن الأسكر الكناني[1] فقال: يا أمير المؤمنين هذا اليوم من أيامي لولا كبر سني. فقام إليه ابنه كلاب[2]، وكان عابدا زاهدا، فقال: لكني يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي وأبيع دنياي بآخرتي. فتعلق به أبوه وكان في ظل نخل له وقال: لا تدع أباك وأمك شيخين ضعيفين ربياك صغيرا حتى إذا احتاجا إليك تركتهما! فقال: نعم أتركهما لما هو خير لي. فخرج غازيا بعد أن أرضى أباه، فأبطأ وكان أبوه في ظل نخل له، وإذا حمامة تدعو فرخها، فرآها الشيخ فبكى، فرأته العجوز فبكت، وأنشأ يقول: لمن شيخان قد نشدا كلابا..كتاب الله إن ذكر الكتابا..أناديه ويعرض لي حنين..فلا وأبي كلاب ما أصابا..تركت أباك مرعشة يداه..وأمك ما تسيغ لها شرابا..فإن أباك حين تركت شيخ..يطارد أينقا شزبا جذابا..إذا رتعن إرقالا سراعا..أثرن بكل رابية ترابا..طويلا شوقه يبكيك فردا..على حزن ولا يرجو الإيابا..إذا غنت حمامة بطن وج..على بيضاتها ذكرا كلابا. فبلغت هذه الأبيات عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأرسل إلى كلاب فوافاه فقال: إنه بلغني أن أباك وجد لفراقك وجدا شديدا فبماذا كنت تبره؟ قال: كنت أبره بكل شيء حتى أني كنت أحلب له ناقة فإذا حلبتها عرف حلبي. فأرسل عمر رحمه الله، إلى الناقة فجيء بها من حيث لا يعلم الشيخ فقال له: احلبها. فقام إليها وغسل ضرعها ثم حلبها في إناء. فأرسل عمر رحمه الله، بالإناء إلى أبيه فلما أتي به بكى ثم قال: إني أجد في هذا اللبن ريح كلاب. فقال له نسوة كن عنده: قد كبرت وخرفت وذهب عقلك، كلاب بظهر الكوفة وأنت تزعم أنك تجد ريحه! فأنشأ يقول: أعاذل قد عذلت بغير علم..وهل تدري العواذل ما ألاقي..سأستعدي على الفاروق ربا..له حج الحجيج على اتساق..إن الفاروق لم يردد كلابا..إلى شيخين ما لهما تواقي. فقال له عمر: اذهب إلى أبيك فقد وضعنا عنك الغزو وأجرينا لك العطاء. قال: وتغنت الركبان بشعر أبيه. فبلغه فأنشأ يقول: لعمرك ما تركت أبا كلاب..كبير السن مكتئبا مصابا..وأما لا يزال لها حنين..تنادي بعد رقدتها كلابا..لكسب المال أو طلب المعالي..ولكني رجوت به الثوابا.

وكان كلاب من خيار المسلمين، وقتل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بصفين وعاش أبوه أمية دهرا طويلا حتى خرف.

وفي رواية قيل كان أمية بن الأسكر رضي الله عنه وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، شيخا كبيرا قد كف بصره، وكان يسكن الطائف، وكان له ولدان رباهما أحسن تربية فصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرجا في الغزو إلى القادسية وتركاه، فأرسل بقصائده يستقدمهما، فلما بلغت القصيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص[3] أن يرسل إليه كلاب بن أمية بن الأسكر في أسرع وقت، فأرسله سعد إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه سأله: بم كنت تبر أباك؟ فقال: كنت أختار خير نياقنا، فأغسل ضرعها، وأغسل الإناء وأحتلبها فيه، وأمسكها عليها حتى يشرب منها ما شاء، فدعا عمر بـ أمية فأجلسه بين يديه، وأمر كلابا أن يحتلب الناقة دون أن يخبره به، فاحتلب تلك الناقة فأمسكها عمر على أمية، فلما ذاق طعم اللبن قال: حلب كلاب ورب الكعبة، فأمره عمر أن يلزم أباه، وألا يكون منه أبعد من سجر الكلب حتى يلقى الله، ففعل ذلك.

■ (2) كلاب بن أمية، أبو هارون الليثي أدرك النبي فأسلم مع أبيه. وقد سكن كلاب البصرة.استعمله عمر بن الخطاب على (مدينة) الأبلة..لما مات أمية بن الأسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة فكان يغزو مع المسلمين منها مغازيهم وشهد فتوحات كثيرة وبقي إلى أيام زياد بن أبي سفيان فولاه الأبلة فسمع كلاب يوما عثمان بن أبي العاص يحدث أن داود نبي الله عليه السلام كان يجمع أهله في السحر فيقول ادعوا ربكم فإن في السحر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلا غفر له إلا أن يكون عشار أو عريفا فلما سمع ذلك كلاب كتب إلى زياد فاستعفاه من عمله فأعفاه.قال المدائني ولم يزل كلاب بالبصرة حتى مات والمربعة المعروفة بمربعة كلاب بالبصرة منسوبة إليه.

■ (1) أمية بن حرثان بن الأسكر الجندعي الليثي الكناني المضري. شاعر فارس مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان من سادات قومه وفرسانهم، له أيام مذكورة، وهو من أهل الطائف وانتقل إلى المدينة، عاش طويلا حتى خرف، ومات في خلافة عمر سنة 20 هـ وكان له ابنان ففرا منه. وكان أحدهما يسمى كلابا، فبكاهما بأشعار له، وكان شاعرا، فردهما عليه عمر بن الخطاب، وحلف عليهما ألا يفارقاه أبدا حتى يموت.

■ (3) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة.مات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ..

وبالوالدين إحسانا

قال الشيخ الشنقيطي: هذا التنبيه العظيم من أمير المؤمنين رضي الله عنه ينبه به الأبناء على أهمية الوالدين، فإنهما إذا خرجا من هذه الدنيا وماتا لم يستطع الإنسان برهما، ولم يمكنه أن يستغني عما كانا يقدمان له، أتذكر أن أحد الدعاة المشاهير كانت له أم هو بها بر، وكانت امرأة صالحة كثيرة الدعاء والصدقة، وقيام الليل، وقراءة القرآن، فلما ماتت، قال لإخوانه: إنه كانت لي أم كنت أترك بسبب دعائها، وكنت أمهل بسبب صدقتها، وإن الله قد أخذها إليه، فدعوني أتعبد لله وأتحصن؛ فإنني كنت أترك في مقابل ما كانت تلك الأم تقدمه. كذلك ما زاد على هذا من الأرحام الذين بين الله ولايتهم في قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب] فالذين هم أولياء بعض ينبغي أن يتعرف بعضهم على بعض، وأن يقوموا بحقهم وألا يهملوه، وينبغي ألا يغتر أحد بالحفاوة الدنيوية؛ فإن الإنسان يمكن أن يسامح قريبه في هذه الدنيا في حقه، لكنه إذا جاء يوم القيامة حافيا عاريا أغرل ليس مع أحد حينئذ إلا عمله لا ترجى منه المسامحة. فإذا جاء في ذلك الوقت، ورأى الحق بعيني رأسه، وزالت عنه الغمرة، وكان بصره يومئذ حديدا لا يمكن أن يسامح في حقوقه، فالأنساب قد انقطعت كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (103) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون] إن هذه الصلة لابد أن تبل ببلالها، وقد أخرج البخاري من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، لكن لهم رحم أبلها ببلالها﴾.

☪

عن علي بن زيد عن الحسن قال: مر عثمان بن أبي العاص على كلاب بن أمية وهو جالس على مجلس العاشر بالبصرة فقال: ما يجلسك هاهنا؟ قال: استعملني هذا على هذا المكان، أي على المكس، ويعني زيادا، فقال له عثمان: ألا أحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: بلى، فقال عثمان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿كَانَ لِدَاوُدَ نَبِيِّ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَام مِنْ اللَّيْلِ سَاعَةٌ يُوقِظُ فِيهَا أَهْلَهُ فَيَقُولُ يَا آلَ دَاوُدَ قُومُوا فَصَلُّوا فَإِنَّ هَذِهِ سَاعَةٌ يَسْتَجِيبُ اللهُ فِيهَا الدُّعَاءَ إِلَّا لِسَاحِرٍ أَوْ عَشَّارٍ﴾ فركب كلاب بن أمية سفينته فأتى زيادا فاستعفاه فأعفاه. وفي رواية عن حماد بن علي بن زيد، عن الحسن، أن عبد الله بن عامر استعمل كلاب بن أمية على الأبلة*،فمر به عثمان بن أبي العاص، فقال: ما شأنك؟ قال: استعملت على الأبلة، فقال: ألا أخبرك؟ قال: بلى، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً يُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ، وَإِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ: لَا يَسْأَلُ اللهَ أَحَدًا شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ إِلاَّ سَاحِرًا، أَوْ عَشَّارًا﴾ قال: فركب في قرقور فأتى عبد الله بن عامر، فقال: اقبل عملك فإن عثمان بن أبي العاص حدثني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كذا وكذا

☪

جاء رجل إلى الفاروق عمر رضي الله عنه يشكو عقوق ابنه، فجاء به عمر وقرع الابن وذكره بحق أبيه ووجوب بره، فأصغى الفتى حتى انتهى عمر رضي الله عنه، فقال الابن له: يا أمير المؤمنين! أليس للابن حق على أبيه؟ فقال الفاروق : بلى، عليه أن ينتقي أمه، وأن يحسن اسمه، وأن يعلمه القرآن، قال: فإن أبي لم يفعل من ذلك شيئا، فإن أمي زنجية ابنة مجوسي، وقد سماني جعلا –أي: خنفساء–، ولم يعلمني من القرآن حرفا، فالتفت الفاروق إلى الأب وقال: يا هذا! قد عققت ابنك قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك. في رواية: ضرب رجل أباه فقيل له: أما عرفت حقه؟ قال: لا، للأنه لم يعرف حقي. قيل: فما حق الولد على الوالد؟ قال: أن يتخير أمه، ويحسن اسمه، ويختنه، ويعلمه القرآن، ثم كشف عن عورته فإذا هو أقلف، وقال: اسمي برغوث ولا أعلم حرفا من القرآن، وقد استولدني من زنجية، فقيل للوالد: احتمله فإنك تستاهل..

يقول الشيخ محمد حسان:.. كما أن للوالدين حقوقا على الأبناء، فإن للأبناء حقوقا على الوالدين...عقوق متبادل أخرج هذه النبتة السيئة والحصاد المر، وإهمال الوالدين للأبناء لن يضر الأبناء فحسب، بل يضر الآباء قبل الأبناء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم] وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾.

----

*(الأبلة) مدينة قرب البصرة (القرقور) السفينة قيل الصغيرة وقيل الكبيرة

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ المحاسن والمساوئ/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي/ الكنى والأسماء/ إتحاف الخيرة المهرة/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/

روى جبير بن نفير، أن عمر بن الخطاب أتي بمال كثير من الجزية، فقال: إني لأظنكم قد أهلكتم الناس، قالوا: لا والله ما أخذنا إلا عفوا صفوا، قال: بلا سوط ولا نوط*؟ قالوا: نعم، قال: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي، ولا في سلطاني.

عن خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال: كان المسلمون بالجابية*وفيهم عمر بن الخطاب فأتاه رجل من أهل الذمة* يخبره أن الناس قد أسرعوا في عنبه فخرج عمر حتى لقي رجلا من أصحابه يحمل ترسا* عليه عنب، فقال له عمر:وأنت أيضا؟، فقال يا أمير المؤمنين أصابتنا مجاعة فانصرف عمر وأمر لصاحب الكرم بقيمة عنبه. وعن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، قال: لما قدمنا مع عمر بن الخطاب الجابية إذا هو بشيخ من أهل الذمة يستطعم، فسأل عنه؟ فقال: هذا رجل من أهل الذمة كبر وضعف فوضع عنه عمر الجزية* التي في رقبته، وقال: كلفتموه الجزية حتى إذا ضعف تركتموه يستطعم، فأجرى عليه من بيت المال عشرة دراهم وكان له عيال. وعن إسماعيل بن أبي خالد أن عمر رأى شيخا من أهل الذمة يقوم على أبواب الناس يسألهم فقال: ما أنصفناك، أخذنا منك الخراج شابا فلما كبرت خذلناك فأجرى عليه قوته من بيت مال المسلمين. ولما تدانى الأجل به رضي الله عنه لم يفته أن يوصي المسلمين برعاية أهل الذمة فقال: أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا، وأن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتلوا من ورائهم، وألا يكلفوا فوق طاقتهم. وعن عبد الله بن سعيد عن جده قال: سمعت عمر يصالح أهل السواد* فاشترط عليهم الضيافة، وأن يهدوا ابن السبيل. قال: وسمعته يقول: ونحن براء من معرة الجيش*، قالوا: واشترط عليهم ضيافة ثلاثة أيام، فإن حبست الرجل علة أو مطر أضافوه يوما آخر أو يومين، فان زاد استنفق من ماله، وأن لا يتعدى ما عندهم من طعام وعلف. وعن الأحنف بن قيس أن عمر كان يشترط على أهل الذمة ضيافة يوم وليلة وأن يصلحوا القناطر وإن قتل في أرضهم قتيل من المسلمين فعليهم ديته. وعن ابن سيرين أن رجلا من أهل نجران الذين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية أسلم على عهد عمر بن الخطاب، فجاء إلى عمر فقال: إني مسلم ليست علي جزية، فقال: بل أنت متعوذ بالإسلام من الجزية، فقال الرجل: أرأيت إن كنت متعوذا بالإسلام من الجزية كما تقول أما في الإسلام ما يعيذني؟ قال: بلى فوضع عنه الجزية.

عن أبي الحويرث، قال: كان يهود من بيت المقدس، وكانوا عشرين رأسهم يوسف بن نون، فاخذ لهم كتاب أمان، وصالح عمر بالجابية، وكتب كتابا، ووضع عليهم الجزية وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أنتم آمنون على دمائكم وأموالكم و كنائكسم ما لم تحدثوا أو تؤوا محدثا، فمن أحدث منهم أو آوى محدثا فقد برئت منه ذمة الله*، وإني بريء من معرة الجيش؛ شهد معاذ بن جبل، وأبو عبيدة بن الجراح، وكتب أبي بن كعب.

عن بجالة بن عبيدة قال: جاءنا كتاب عمر بن الخطاب أن خذوا من المجوس الجزية، فإن عبد الرحمن بن عوف حدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر. وعن مجالد قال: لم يكن عمر يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر. وعن الحكم قال: كان عمر لا يكتب الجزية على الصابئة* حتى يحتلموا، فيفرض عليهم عشرة دراهم، ثم يزيد عليهم بعد ذلك على قدر ما بأيديهم وقدر أعمالهم.

عن مجالد بن عبد الله: كتب إلينا عمر بن الخطاب: أن اعرضوا على من قبلكم من المجوس أن يدعوا نكاح إمائهم وبناتهم وإخواتهم، وأن يأكلوا جميعا كيما نلحقهم بأهل الكتاب، واقتلوا كل كاهن* وساحر.

عن عياض بن غنم[1] وهو الذي فتح الجزيرة*فلما فتح داراً دعا عظيمها فضربه بالسوط حتى مات، فقال له هشام بن حكيم:[2] أما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا﴾ وأنت تضرب هذا الرجل ؟!.ورأى هشام[2] ناساً من أهل الذمة قياماً في الشمس، فقال: ما هؤلاء؟ فقالوا: من أهل الجزية. فدخل على عمير بن سعد[3]–وكان على طائفة من الشام– فقال هشام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ عَذَّبَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَذَّبَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى﴾ فقال عمير: خلوا عنهم. وفي حديث آخر، أنه مر بناس من أهل الذمة قد أقيموا في الشمس بالشام، فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: بقي عليهم شيء من الخراج، فقال: إني أشهد إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا﴾ كان هشام[2] له فضل، وكان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وليس لأحد عليه إمرة. وكان عمر بن الخطاب إذا أنكر الشيء قال: لا يكون هذا ما عشت أنا وهشام بن حكيم. ومات هشام قبل أبيه. وكان هشام[2] كالسائح ما يتخذ أهلاً ولا ولداً.ودخل هشام[2]على العامل بالشام يريد الوالي أن يعمل به فيتواعده ويقول له: لأكتبن إلى أمير المؤمنين بهذا، فيقوم إليه العامل فيتشبث به ويلزمه ويترضاه

----

*(النوط) العلاوة بين عدلين، والجلة الصغيرة فيها التمر، والمثل: إن أعيا البعير فزده نوطا، أي لا تخفف عنه إذا تلكأ في السير(الجابية) قرية من عمل دمشق (أهل الذمة) أهل العقد.المعاهدون من أهل الكتاب ومن جرى مجراهم. والذمة الأمان، في قول النبي: ويسعى بذمتهم. ويقال أهل الذمة لأنهم أدوا الجزية فأمنوا على دمائهم وأموالهم(الجزية) المال الذي يعقد للكتابي عليه الذمة، وهي فعلة، من الجزاء، كأنها جزت عن قتله، والجزية مقابل إقامتهم في الدولة الإسلامية وحمايتها لهم (أهل السواد) سكان القرى وأراضي الزراعة سموا بذلك لأن العرب تسمي الأخضر أسود لأنه يرى كذلك من بعد ومنه سواد العراق لخضرة أشجاره وزروعه (معرة الجيش) شدته، أي عند نزولهم بقوم فيأكلوا من زروعهم بغير علم وقبل وطأتهم من مروا به من مسلم أو معاهد وإصابتهم إياهم في حريمهم وأموالهم وزروعهم بما لم يؤذن لهم فيه (الصابئة) قوم يعبدون الملائكة، وقيل هم طائفة من اليهود.وقيل من النصارى. وصبأ: ترك دينه ودان بآخر (الجزيرة) الجزيرة الفراتية (برئت منه ذمة الله) حرم من حفظ الله وعنايته، فإن لكل أحد من الله عهدا بالحفظ والكلاءة، فإذا ألقى بيده إلى التهلكة، أو فعل ما حرم عليه، أو خالف ما أمر به خذلته ذمة الله تعالى (ذمة الله) عهده وأمانه في الدنيا والآخرة (الترس) الدرع الذي يحمي المقاتل ويتقي به ضربات العدو (الكاهن) الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار وقد كان في العرب كهنة، كشق وسطيح وغيرهما. وقد يشتمل على إتيان الكاهن والعراف والمنجم وجمع الكاهن: كهنة وكهان. والعرب تسمى كل من يتعاطى علما دقيقا: كاهنا

■ (3) عمير بن سعد الأنصاري الأوسي الزاهد. يقال له نسيج وحده.له حديث واحد.واستعمله عمر على حمص.. بقية الروايات متضاربة: قالوا: قد عزله عمر. وقالوا: عزله عثمان. وقالوا: مات في خلافة عمر. وقالوا: مات في خلافة عثمان. وقالوا: مات بالشام وقالوا:مات بالمدينة؟

■ (2) هشام بن حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي له ولأبيه صحبة وكانا من مسلمة الفتح روى عن النبي. ومات قبل أبيه بمدة طويلة ولا عقب لهشام بن حكيم.

■ (1) عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد، أبو سعد الفهري. ممن بايع بيعة الرضوان. واستخلفه قرابته أبو عبيدة بن الجراح، لما احتضر على الشام. وهو الذي افتتح الجزيرة صلحا. أقره عمر على الشام. فعاش بعد نحوا من عامين. وقيل: عاش ستين سنة ومات في سنة 20 بالشام.قال ابن سعد: شهد الحديبية، وكان أحد الأمراء الخمسة يوم اليرموك

☪

عن أبي زرعة بن سيف بن ذي يزن[1]،قال: كتب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا هذه نسخته فذكرها، وفيه ﴿وَمَنْ يَكُنْ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ عَلَى نَصْرَانِيَّتِهِ فَإِنَّهُ لاَ يُغَيَّرُ عَنْهَا –في لفظ: لاَ يُفْتَنُ عَنْهَا– وَعَلَيْهِ الْجِزْيَةُ عَلَى كُلِّ حَالِمٍ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ دِينَارٌ أَوْ قِيمَتُهُ مِنَ الْمَعَافِرِ﴾ (معافر) قبيلة باليمن. يعني أهْلَ الذمة مِنهم. وعن ابن عباس قال: ﴿صَالَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ نَجْرَانَ عَلَى أَلْفَيْ حُلَّةٍ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ كَمَا مَضَى قَالَ فِيهِ: عَلَى أَنْ لاَ تُهْدَمَ لَهُمْ بِيعَةٌ وَلاَ يُخْرَجَ لَهُمْ قَسٌّ وَلاَ يُفْتَنُونَ عَنْ دِينِهِمْ مَا لَمْ يُحْدِثُوا حَدَثًا أَوْ يَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا﴾ وعن عبد الملك بن عمير قال: أخبرني رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب على بزرج سابور(الأنبار) فقال: لا تضربن رجلا سوطا في جباية درهم ولا تبيعن لهم رزقا ولا كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعملون عليها، ولا تقم رجلا قائما في طلب درهم: قلت: يا أمير المؤمنين إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك، قال: وإن رجعت كما ذهبت، ويحك إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل. وعن ابن أبي ليلى، أن قيس بن سعد وسهل بن حنيف كانا بالقادسية فمرت بهما جنازة فقاما فقيل لهما: إنها من أهل الأرض!، أي من أهل الذمة من النصارى، فقالا: ﴿إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا﴾ عن القاسم بن أبي بزة أن رجلا مسلما قتل رجلا من أهل الذمة بالشام، فرفع إلى أبي عبيدة بن الجراح، فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب، فكتب عمر إن كان ذاك فيه خلقا فقدمه فاضرب عنقه، وإن كان هي طيرة طارها فأغرمه دية أربعة آلاف. ورو ي أن عمر رضي الله عنه مر بدير راهب فوقف، فنودي الراهب، فقيل له: هذا أمير المؤمنين، قال: فاطلع، فإذا إنسان من الضر، والاجتهاد، وترك الدنيا، فلما رآه عمر بكى، فقيل له: إنه نصراني، فقال عمر: قد علمت، ولكن رحمته ذكرت قول الله: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية] فرحمت نصبه واجتهاده وهو في النار.

قال علي الصلابي: يجب على الولاة أن يقوموا بالمساواة بين الناس وأن لا يفرقوا بين العربي وغيره من المسلمين، فقد قدم قوم على عامل لعمر بن الخطاب، فأعطى العرب وترك الموالي، فكتب إليه عمر: أما بعد: فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، وفي رواية، كتب إليه: ألا سويت بينهم. كما أن هناك العديد من الواجبات الأخلاقية الأخرى التي أمر الإسلام بالتزامها مثل الوفاء بالعهد، وإخلاص المرء في عمله، ومراقبة الله سبحانه وتعالى في كل ما يعمل، واستعداده للتعاون مع سائر الجماعة في كل أعمال البر والتقوى، ووجوب النصح لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فإن هذا ولا شك يؤدي إلى إصلاح حال الجماعة، وكان على الوالي، فضلا عن الالتزام بهذه المعاني، نشرها بين الناس في ولايته وذلك من خلال خطبه وكتبه ومواعظه وتصرفاته، وقد كان الولاة في عصر الراشدين –بصفة إجمالية– نموذجا صالحا لهذه الأخلاقيات والواجبات، سواء في أشخاصهم وخصوصياتهم أم في سلوكهم العام مع الرعية.

قال عطية سالم: عرفنا أن أهل الكتاب هم: اليهود والنصارى، فمن المجوس؟ عرف العلماء المجوس كما في كتاب الملل والنحل للشهرستاني أو لـ ابن حزم ، وكذلك عرفهم الشوكاني في نيل الأوطار. المجوس: أمة كان لها كتاب، سئل علي رضي الله تعالى عنه عنهم فقال: أنا أعرف الناس بهم، كانوا أمة لهم كتاب، لكن كتابهم رفع!! نزع الله كتابهم منهم، فأصبح الكتاب ورقا أبيض ليس فيه كتابة، وانتزع من صدورهم ما كان محفوظا منه من صدورهم، والذي كان مكتوبا محاه الله من صحفهم، وأصبحوا بدون كتاب. انتهي. ومن هنا كان فيهم شبه بأهل الكتاب؛ لأنهم باعتبار ما كان أهل كتاب، فقال صلى الله عليه وسلم:﴿سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إذا: الجزية من أهل الكتاب مفروغ منها؛ لأنها بنص القرآن الكريم، والجزية من غيرهم ثبتت بالسنة، أعني بالحديث الفعلي والقولي من رسول الله صلى الله عليه وسلم. والجزية تكون على الأشخاص، والخراج يكون على الأرض. والخراج يكون باجتهاد الإمام على حسب إنتاج الأرض، والآن هناك الأراضي التي فيها القطن أو القصب، وفيها مزروعات ما كانت موجودة من قبل، فيكون خراجها على حسب رأي الإمام. وهل مقدار الجزية بالتوقيف أو باجتهاد؟ باجتهاد، وقيل: على الغني ثمانية وأربعون درهما، وعلى المتوسط أربعة وعشرون، وعلى العامل بيده اثنا عشر درهما. وقد بينا نظام العشر على التجارة، وممن يؤخذ، وكم مقدار المأخوذ، سواء كان المال من الحديد أو الحبوب أو القماش. والتجار ثلاثة أصناف: مسلم، وذمي، وحربي، فالمسلم يدفع ربع العشر زكاة، والذمي: نصف العشر ضعف ما يدفعه المسلم، والحربي: العشر كاملا. انتهى. عن نصر بن عاصم قال: قال فروة بن نوفل الأشجعي: علام تؤخذ الجزية من المجوس وليسوا أهل كتاب؟ فقام إليه المستورد فأخذ بتلبيبه، فقال: يا عدو الله أتطعن على أبي بكر وعمر؟ وذهب به إلى القصر، فخرج عليهما علي رضي الله عنه فقال: البدا، قال سفيان يقول: اجلسا، فجلسا في ظل القصر فأخبره بقوله، فقال علي: أنا أعلم الناس بالمجوس، كان لهم علم يعلمونه، وكتاب يدرسونه، وإن ملكهم سكر يوما فوقع على ابنته وأخته، فاطلع عليه بعض أهل مملكته، فلما صحا جاؤوا يقيمون عليه الحد فامتنع منهم، ودعا أهل مملكته، فقال: أتعلمون دينا خيرا من دين آدم، وقد كان ينكح بنيه بناته، وأنا على دين آدم، فما يرغب بكم عن دينه؟ فبايعوه، وقاتلوا الذين خالفوهم، فأصبحوا وقد أسري على كتابهم، فرفع من بين أظهرهم، وذهب العلم الذي في صدورهم، وهم أهل كتاب وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر منهم الجزية.

■ (1) زرعة بن سيف بن ذي يزن الحميري من مشاهير الملوك، قيل من أقيال اليمن أسلم وكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ كنز العمال/ صحيح البخاري/ موسوعة الخطب والدروس/ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للصلابي/ دروس للشيخ عطية سالم/ صحيح البخاري/ السنن الكبرى للبيهقي/ الإصابة في تمييز الصحابة/ المعجم الوسيط/ مقاييس اللغة/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ كنز العمال/ صحيح ابن حبان/

روي إنه لما قدم عمر من المدين (المدينة؟ / المدين القدس؟) ناهضوهم* القتال بعد قدومه فظهر المسلمون عل أماكن لم يكونوا ظهورا عليها قبل ذلك وظهروا يومئذ على كرم كان في أيديهم لرجل من النصارى له ذمة*مع المسلمين في كرمه عنب فجعلوا يأكلونه فأت الذمي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له: يا أمير المؤمنين كرمي كان في أيديهم فلم يستبيحوه ولم يتعرضوا لي وأنا رجل ذمة مع المسلمين فلما ظهر عليه المسلمون وقعوا فيه فدعا عمر رضي الله عنه برذون له فركبه عريانا من العجلة ثم خرج يركض في أغراض(؟) المسلمين فكان أول من لقيه أبو هريرة[1] يحمل فوق رأسه عنبا فقال له: أنت أيضا يا أبا هريرة ؟! فقال: يا أمير المؤمنين، أصابتنا مخمصة* شديدة فكان أحق من أكلنا من ماله من قاتلنا، فتركه عمر ثم أتى الكرم فنظره فإذا هو قد أسرعت الناس فيه فدعا عمر رضي الله عنه الذمي فقال له: كم كنت ترجو من غلة كرمك هذا؟ فقال له: شيئا قال: فخل سبيله ثم أخرج عمر رضي الله عنه ثمنه الذي قال له فأعطاه إياه ثم أباحه للمسلمين.

عن خالد وعبادة قالا: صالح عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهل ايليا بالجابية وكتب لهم فيها الصلح لكل كورة كتابا واحدا ما خلا أهل ايليا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعط عبد الله أمير المؤمنين عمر أهل ايليا من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم ولصلبانهم ومقيمها وبريها وسائر ملتها إنها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حدها ولا من صليبهم ولا شئ من أموالهم ولا يكرهون عل دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايليا معهم أحد من اليهود وعلى أهل ايليا أن يعطوا الجزية* كما يعطي أهل المدائن وعلى أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم آمن وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية ومن أحب من أهل ايليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعتهم وصليبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وصليبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أرضه فإنه لا يؤخذ منه شئ حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسول الله صل الله عليه وسلم وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد[2] وعمرو بن العاص[3] وعبد الرحمن بن عوف[4] ومعاوية بن أبي سفيان[5] وعن عبد الرحمن بن غنم[6].

----

*((المخمصة) المجاعة (ناهض) فلانا قاومه (تناهض) القوم أسرع كل فريق إلى مقاومة خصمه يقال تناهض القوم في الحرب(الذمة) أهل الذمة: المعاهدون من أهل الكتاب ومن جرى مجراهم. والذمي: المعاهد الذي أعطى عهدا يأمن به على ماله وعرضه ودينه وهي ذمية (الجزية) هي عبارة عن المال الذي يعقد للكتابي عليه الذمة، وهي فعلة، من الجزاء، كأنها جزت عن قتله ، والجزية مقابل إقامتهم في الدولة الإسلامية وحمايتها لهم

■ (1) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق. ولد سنة 21 ق. هـ تولى ولاية البحرين في خلافة عمر، كما تولى إمارة المدينة.ثم لزم المدينة يعلم الناس الحديث النبوي، ويفتيهم، حتى وفاته سنة 59 هـ

■ (4) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.

■ (6) عبد الرحمن بن غنم بن كريز الأشعري: شيخ أهل فلسطين، وفقيه الشام، في عصره. ولد في حياة النبي وبعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه أهلها.قيل هو الذي تفقه عليه التابعون بالشام. مات في خلافة عبد الملك بن مروان سنة 78 هـ

■ (5) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (2) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يلي أعنة الخيل في قريش، وقد أسلم سنة 7 هـ ، يكنى أبا سليمان، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول، وله بطولات نادرة في حروب الردة وقتال الفرس،مات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هـ ويقال: توفى بحمص سنة 14 هـ

■ (3) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

☪

قال شفيق جاسر: أن عمر بن الخطاب عندما اقترب من القدس كان يركب ركوبة غلامه، وكان غلامه يركب جمله الأحر، وقيل كان ماشيا والخادم يركب جملا أحمر، فعندما رآه أهل القدس يركب حمارا صغيرا، أكبروه وسجدوا له، فقال: لا تسجدوا للبشر واسجدوا لله. فتعجب القسيسون والرهبان من ذلك وقالوا:ما رأينا أحدا قط أشبه في وصف الحواريين من هذا الرجل. وقال صفرونيوس باكيا:إن دولتكم باقية على الدهر، فدولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة.

وتذكر المصادر الإسلامية أن الخليفة كتب للبطريك صفرونيوس عندما حضر لاستقباله على جبل الزيتون كتابا، أمنهم فيه على دمائهم وأموالهم وكنائسهم، إلا أن يحدثوا حدثا عاما، شريطة أن يدفعوا الجزية. وقد ذكرت المراجع الإسلامية والنصرانية، نصوصا مختلفة لهذا العهد الذي عرف بالعهدة العمرية لا مجال للتفصيل فيها. ثم دخل الخليفة يرافقه قادة المسلمين وأربعة آلاف جندي منهم، لا يحملون إلا السيوف في أغمادها خوفا من الغدر، فزار كنيسة القيامة وصلى على مقربة منها، ثم طلب من صفرونيوس أن يدله على مسجد داود عليه السلام، الذي أسرى بالرسول صلى الله عليه وسلم إليه حيث صلى فيه وعرج به منه إلى السماء. فطاف به صفرونيوس على عدة أماكن، وعمر ينظر إليها ثم ينكرها، لمخالفتها للوصف الذي وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم يوم سرى به، فلما وصل به صفرونيوس إلى ساحة المسجد الأقصى، وكانت مليئة بالزبل، نظر عمر يمينا وشمالا ثم كبر قائلا: هذا والله مسجد داود عليه السلام الذي وصفه لنا رسول الله.فأزال المسلمون الزبل عن المكان، فصلى فيه وقيل طلب من المسلمين ألا يصلوا فيه حتى تصيبه ثلاث مطرات.

قال محمد بن عبد الكريم: بعد المعارك الحاسمة -اجنادين وفحل واليرموك- والتي شهدتها أرض الشام المباركة قدم أبو عبيدة عامر بن الجراح على عمرو رضي الله عنهما وهو محاصر إيلياء (القدس). ثم طلب أهلها الأمان والصلح على أن يكون الخليفة عمر بن الخطاب هو الذي يتولى بنفسه تسلم بيت المقدس وعقد الصلح فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك فقدم عمر فنزل الجابية من دمشق ثم صار إلى إيلياء فأنفذ صلح أهلها وتسلم بيت المقدس بنفسه من صفرونيوس بطريك القدس عام 16هـ. وصدرت العهدة العمرية ونص فيها على أن لا يسكن إيلياء أحد من اليهود.ودخل عمر رضي الله عنه القدس عن طريق جبل المكبر ثم أتى موضع المسجد الأقصى فصلى فيه تحية المسجد ويروى أنه صلى في محراب داود وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه وفي الثانية ببني إسرائيل (الإسراء) وجعل المسجد في قبلة بيت المقدس.

روى الإمام أحمد عن طريق عبيد بن آدم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب الأحبار: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة وكانت القدس كلها بين يديك فقال عمر: ضاهيت اليهودية. لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم إلى القبلة فصلى ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس. وبعد انقضاء عهد الخلفاء الأربعة الراشدين تلى عهد الأمويين ثم عهد العباسيين ثم الطولونيين والاخشيديين وفي كل تلك العهود كان المسجد الأقصى وبيت المقدس مصانا معظما في أيدي المسلمين قرونا طويلة قام الخلفاء خلالها بإصلاحات وتوسيعات عديدة في مسجد الأقصى.

☪

قال مجير الدين الحنبلي: روي أن أمير المؤمنين عمر لما فتح بيت المقدس وكتب كتاب الأمان والصلح وقبضوا كتابهم وأمنوا دخل الناس بعضهم في بعض وأقام عمر أياما ثم قال لأبي عبيدة: لم يبق أمير من الأمراء الأجناد غيرك إلا استزارني! فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين إني أخاف أن استزيرك فتعصب عينيك في بيتي! قال: فزرني فلما أتاه عمر في بيته فإذا ليس فيه شيء إلا لبد فرسه وإذا هو فراشه وسرجه وإذا هو وسادته وإذا كسر يابسة في كوة بيته فجاء بها فوضعها على الأرض بين يديه وأتاه بملح جريش وكوز خزف فيه ماء فلما نظر عمر إلى ذلك بكى ثم التزمه وقال: أنت أخي وما من أحد من صحابي إلا وقد نال من الدنيا ونالت منه غيرك فقال له أبو عبيدة: ألم أخبرك إنك ستعصب عينيك ثم إن عمر قام في الناس فحمد الله واثن عليه بما هو أهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: يا أهل الإسلام إن الله تعالى قد صدقكم الوعد ونصركم عل الأعداء واورثكم البلاد ومكن لكم في الأرض فلا يكون جزاؤه منكم إلا الشكر وإياكم والعمل بالمعاصي فإن العمل بالمعاصي كفر للنعم وقلما كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط عليهم عدوهم، ثم نزل وحضرت الصلاة فقال: يا بلال، ألا تؤذن لنا رحمك الله، قال بلال: يا أمير المؤمنين والله ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله صل الله عليه وسلم ولكن سأطيعك إذا أمرتني في هذه الصلاة وحدها فلما أذن بلال وسمعت الصحابة صوته ذكروا نبيهم صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديدا ولم يكن من المسلمين يومئذ أطول بكاء من أبي عبيدة ومعاذ ابن جبل حتى قال لهما عمر: حسبكما رحمكما الله، فلما قضى صلاته انصرف أمير المؤمنين راجعا إلى المدينة واجتهد فيما هو بصدده من إقامة شعائر الإسلام والنظر في مصالح المسلمين والجهاد في سبيل الله ولم يزل كذلك حتى توفي رضي الله عنه ونفعنا به وجمع بيننا وبينه في دار كرامته إنه ولي الحسنات وغافر السيئات عنه وكرمه، وقد حكى المصنفون لفضائل بيت المقدس قصة الفتح من طرق كثيرة بروايات وألفاظ مختلفة فأحسن ما رأيته منها ما نقلته هنا والله الموفق.

☪

في الصحيح عن ابن عمر قال: لما فدع أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيبا فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال:﴿نُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمُ اللهُ﴾ وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هنالك، فعدي عليه من الليل ففدع* يداه ورجلاه، وليس لنا هنالك عدو غيرهم هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت إجلاءهم. فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني أبي الحقيق*. فقال: يا أمير المؤمنين، أتخرجنا وقد أقرنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وعاملنا على الأموال، وشرط لنا؟ فقال عمر: أظننت أني نسيت قول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيْبَرَ تَعْدُو بِكَ قَلُوصُكَ*، لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ﴾ فقال: كان ذلك هزيلة* من أبي القاسم فقال:كذبت يا عدو الله، فأجلاهم عمر، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر، مالا وإبلا وعروضا من أقتاب* ورحال* وغير ذلك. وعن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فذكر الحديث، وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرصها* عليهم، ثم يضمنهم الشطر فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه فقال: يا أعداء الله، تطعموني السحت*، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي وأنتم أبغض لي من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم. فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض. وفي حديث آخر: أنهم جمعوا حليا من حلي نسائهم فقالوا: هذا لك وخفف عنا وتجاوز في القسم، فقال عبد الله بن رواحة: يا معشر يهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي، وما ذلك بحاملي على أن أحيف عليكم، وأما الذي عرضتم علي من الرشوة فإنها سحت وإنا لا نأكلها. قالوا: بهذا قامت السماوات والأرض.

----

*((الفدع) اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم إلى إنسيها. في البخاري: ففدعت (أحد بني أبي الحقيق) رأس يهود خيبر. (القلوص من الإبل) الشابة أو القاقي على السير، أو أول ما يركب من إناثها إلى تثني (هزيلة) تصغير الهزل، وهو ضد الجد (القتب) الإكاف الصغير الذي على قدر سنام البعير. (رحال) في نسخ البخاري التي بين يدي: وحبال، والرحل: مركب للبعير. (الخرص) يقال خرص النخلة والكرمة يخرصها خرصا : إذا حزر وقدر ما عليها من الرطب تمرا ومن العنب زبيبا، فهو من الخرص: الظن؛ لأن الحزر إنما هو تقدير بظن (السحت) الحرام الذي لا يحل كسبه؛ لأنه يسحت البركة: أي يذهبها.

مراجع: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل/ المعجم الوسيط/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ـمجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة/ أنساب الأشراف/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/

روى مسلمة بن عبد الله الجهني، عن عمه أبي مسجعة بن ربعي الجهني قال: لما قدم عمر رضي الله عنه الجابية لغرض الخراج -وذلك بعد وقعة اليرموك*- شهدته دعا بكرسي من كراسي الكنيسة فقام عليه فقال: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال: أيها الناس: ﴿أَكْرِمُوا أَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَمْ يُسْتَحْلَفْ، وَيَشْهَدَ وَلَمْ يُسْتَشْهَدْ، فَمَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَلاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ؛ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مسند الطيالسي، قمت فيكم بقدر ما قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم ارتحل حتى نزل أذرعات* وقد ولى على الشام يزيد بن أبي سفيان[1] رضي الله عنه فدعا بغدائه، فلما فرغ من الثريد رفع، فوضعت بين يديه قصعة أخرى فصاح فقال: ما هذا ؟ فأرسل يزيد إلى معاوية بن أبي سفيان[2] رضي الله عنه -وكان صاحب إمرة- فقال معاوية: ما الذي أنكرت يا أمير المؤمنين؟ قال: ما بالي توضع بين يدي قصعة وترفع أخرى؟ قال: إنك هبطت أرضا كثيرة الاطعمة فخفت عليك وخامتها، فأشر إلي إن شئت حتى ألزمكه، فأشار إلى الثريد. فقام قسطنطين -وهو صاحب بصرى*- بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين: إن أبا عبيدة[3] قد فرض علي الخراج، فاكتب له به، فأنكر عمر ذاك وقال: فما فرض عليك ؟ قال: فرض علي أربعة دراهم وعباءة على كل جلهمة* -يعني الجماجم- فقال عمر رضي الله عنه لابي عبيدة: ما يقول هذا ؟ قال: كذب، ولكني صالحته على ما ذكر ليستمتع به المسلمون في شتائهم هذا، ثم تقدم أنت فتكون الذي يفرض عليهم الخراج، فقال عمر رضي الله عنه : أبو عبيدة أصدق عندنا منك، فقال قسطنطين: صدق أبو عبيدة، وكذبت أنا. قال: ويحك، فماذا أردت بمقالتك ؟ قال: أردت أن أخدعك، ولكن افرض علي يا أمير المؤمنين الآن، قال: فجاثاه النبطي مجاثاة الخصم عامة النهار، ففرض على الغني ثمانية وأربعين وعلى الوسط أربعة وعشرين، وعلى الناس اثني عشر درهما، وشرط عليه عمر رضي الله عنه أن يشاطرهم منازلهم فينزل فيها المسلمون، وعلى أن لا يضربوا بناقوس ولا يرفعوا صليبا إلا في جوف كنيسة، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة إلا ما في أيديهم، وعلى أن لا يمر خنزير بين أظهر المسلمين، وعلى أن يقروا ضيفهم يوما وليلة، وعلى أن يحملوا راجلهم من رستاق* إلى رستاق، وعلى أن يناصحوهم ولا يغشوهم، وعلى أن لا يمالئوا عليهم عدوا، فمن وفى وفينا له، ومنعناه مما نمنع منه نساءنا وأبناءنا، ومن انتهك شيئا من ذلك استحللنا بذلك سفك دمه وسباء أهله وماله، فقال له قسطنطين: يا أمير المؤمنين اكتب لي به كتابا، فقال: نعم، ثم وكد عمر رضي الله عنه فقال: إلا أن أستثني عليك ميرة الجيش (معرة الجيش؟)*، فقال له النبطي: لك ثنياك، وقبح الله من أقالك. فلما فرغ قال له قسطنطين: يا أمير المؤمنين، قم في الناس فأعلمهم كتابك لي ليتناهوا عن ظلمي، والعسار علينا، فقام عمر رضي الله عنه فخطب خطبة نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغ: من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. قال النبطي: إن الله لا يضل أحدا، فقال عمر رضي الله عنه ما يقول ؟ قالوا: يا أمير المؤمنين شئ تكلم به، فعاد عمر رضي الله عنه في الخطبة وعاد النبطي، فقال عمر رضي الله عنه: أفترون ما يقول ؟ قالوا: يقول إن الله لا يضل أحدا. فقال عمر رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لئن عدت لها لاضربن الذي فيه عيناك، فمضى عمر رضي الله عنه في خطبته. فلما فرغ قام إليه قسطنطين فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فاقضها لي فإن لي عليك حقا. قال: ما حقك علينا ؟ قال: إني أول من أقر بالصغار، قال: وما حاجتك ؟ إن كان لك فيها منفعة فعلنا. قال غدا* عندي أنت وأصحابك، قال عمر رضي الله عنه: ويحك إن ذلك يضرك. قال: ولكنها مكرمة وشرف أناله. قال: انطلق فتهيأ حتى نأتيك، فانطلق فتهيأ في كنيسة بصرى ونجدها وهيأها وهيأ فيها الاطعمة وقباب الخبيص* وكانوا عليه المجمر، فلما جاء عمر رضي الله عنه وأصحابه نزل في بعض البيادر*، ثم خرج يمشي وتبعه الناس والنبطي بين يديه، ثم بدا لعمر رضي الله عنه فقال: لا يتبعني أحد، ثم مضى هو والنبطي، فلما دخل الكنيسة إذا هو بالستور والبسط وقباب الخبيص والمجمر، فقال للنبطي: ويلك لو نظر من خلفي إلى ما ها هنا، أفسدت علي قلوبهم، اهتك ما أرى، قال: يا أمير المؤمنين: إني أحب أن تنظروا إلى نعمة الله علي. فقال له: إن أردت أن نأكل طعامك فاصنع ما آمرك، فهتك الستور ونزع البسط، وأخرج عنه المجمر، ثم قال له: اخرج إلى رحالنا فأتني بأنطاع، فأخذها عمر رضي الله عنه فبسطها في الكنيسة، ثم عمد عمر رضي الله عنه إلى ذلك الخبيص وما كان هنا فعكس بعضه على بعض، فجعل يحمل بيديه ويجعله على الانطاع، ثم قال: ادع الناس، فجاؤوا فجثوا على ركبهم وأقبلوا يأكلون، فربما وقعت القطعة من الخبيص في فم الرجل فيقول: إن هذا طعام ما رأيناه، فقال عمر رضي الله عنه لقسطنطين: ويحك أما تسمع؟ كيف لو رأوا ما رأيت ؟ ! فلما فرغوا قال النبطي لمعاوية رضي الله عنه: إن الاحبار والرهبان قد اجتمعوا، فهم يريدون أن ينظروا إلى أمير المؤمنين، وإنما عليه أخلاق وسخه مهلهلة فلنحدثه عنها فنعيره ثيابا غير هذه حتى يقضي جمعته. فقال له معاوية رضي الله عنه: أما أنا فلا أدخل في هذا بعد إذ نجوت منه أمس، فقال له النبطي: يا أمير المؤمنين ثيابك قد اتسخت فإن رأيت أن تعطينا إياها نغسلها ونرمها* ؟ قال: نعم، فدفع إليه ثيابه واتزر بكساء، فعمد النبطي فغسل الثياب وتركها في الماء، ثم هيأ له قميصا مرويا* ورداء قصيبا*، فلما حضرته الجمعة قال له عمر رضي الله عنه ايتني بثيابي، قال يا أمير المؤمنين ما جفت، فنحن نعيرك ثوبين حتى تقضي جمعتك، قال: أرني، فلما نظر إلى القميص قال: ويحك كأنما رقي رفوا اغربهما عني وأتني بثيابي. فجاء بها تقطر، فجعل يتناولها، وجعل النبطي يأخذ بطرف الثوب وعمر رضي الله عنه بالطرف الآخر، فجعل يعصرها ويلبسها، ثم دعا بكرسي من كراسي الكنيسة فقام عليه وجعل يخطب الناس وهو يمسح ثيابه ويمددها -قال فسألته أي شئ كانت ثيابه؟ قال غزلي كتان- وجاءت الرهبان فقاموا وراء الناس وعليهم القلانس(البرانس؟)* تبرق بريقا ومعهم عصي عليها صفائح الفضة ومعهم المواكب، فلما نظروا إليه وإلى هيئته قالوا: أنتم الرهبان. لا والله. ولكن هذه الرهبانية ؟! وما أنتم عنده إلا ملوك. ثم ارتحل حتى أتى دمشق فشاطرهم منازلهم وكنائسهم، وجعل يأخذ الحيز القبلي من الكنيسة لمسجد المسلمين لانها أنظف وأطهر وجعل يأخذ هو بطرف الحبل والنبطي بطرف الحبل حتى شاطرهم منازلهم، قال: فربما أرخى فأخذ الحبل منه فأعقبه، ففرغ عمر رضي الله عنه من دمشق وحمص. وبعث أبا عبيدة إلى قنسرين* وحلب ومنبج* ففعل بهم كما فعل عمر رضي الله عنه.

---

*((أذرعات) بالفتح ثم السكون وكسر الراء بلد في طرف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان (جلهمة) وفي تاج العروس العرب يسمون الرجل جلهمة والمرأة جلهم (الرستاق) والجمع رساتيق وهي قرى السواد (غدا عندي أنت وأصحابك) كذا بالاصل ولعلها: غداؤك عندي أنت (قنسرين) مدينة بينها وبين حلب مرحلة. (منبج) بلد قديم بينه وبين الفرات ثلاثة فراسخ وإلى حلب عشرة فراسخ (القلانس) جمع قلنسوة، وهي غشاء مبطن يلبس على الرأس (البيدر) الموضع الذى يداس فيه الطعام (قعة اليرموك) معركة اليرموك، وقعت عام 15 هـ بين المسلمين والروم أو الإمبراطورية البيزنطية (ميرة) أي بطعام و(معرة الجيش) هو نزولهم بقوم فيأكلون من زرعهم شيئا بغير علم (الخبيص) المعمول من التمر والسمن والخبيص: الحلواء (نرمها) يعني نصلحها (مرويا) منسوب إلى مرو (قصيبا) القصب: ثياب تتخذ من كتان وتكون رقاق ناعمة (البرانس) البرانس واحدها برنس وهو قلنسوة طويلة لبسوها في صدر الاسلام خاصة النساك (بصرى) بلدة من بلاد الشام

■ (3) أبو عبيدة بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال. أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام، .ولد سنة 40 ق هـ. ومات بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ.

■ (1) يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية من أبيه، ويقال له يزيد الخير، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة. أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وشهد حنينا، فقيل: إن النبي أعطاه من غنائم حنين مئة من الإبل وأربعين أوقية فضة، وهو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، عقد له أبو بكر، ومشى معه تحت ركابه يسايره، ويودعه، ويوصيه، وما ذاك إلا لشرفه وكمال دينه، ولما فتحت دمشق، أمره عمر عليها. توفي يزيد في الطاعون سنة 18 هـ، ولما احتضر، استعمل أخاه معاوية على عمله، فأقره عمر على ذلك احتراما ليزيد، وتنفيذا لتوليته.

■ (2) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ.

☪

قال عبد الله بن الحارث: شهدت عمر بن الخطاب يخطب بالجابية وثم الجاثليق رأس النصارى، فلما قال عمر: من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له قال: برقس* ونفض جيب قميصه، فقال عمر: ما تقول يا عدو الله؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، يقولوا: أن الله يهدي ولا يضل. قال: كذبت، بل الله خلقك ثم أضلك ثم يميتك ثم يدخلك النار، إن شاء الله، والله لولا ولث* من عهد لك لضربت عنقك. إن الله لما خلق آدم بث ذريته في يده فقال: هؤلاء أهل الجنة، وما كانوا عاملين لليمنى، وهؤلاء أهل النار وما كانوا عاملين للأخرى، وهؤلاء لهذه، وهؤلاء لهذه، قال: فافترق الناس، وما يختلف في القدر اثنان. وعن نافع أن عظيم أنباط الشام قال: يا أمير المؤمنين إنا قد صنعنا لك وللمسلمين طعاما، فإن رأيت أن تحضره، فقال: وأين؟ فقال: في الكنيسة، فقال عمر: إن في كنائسكم الصور، والملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة، وإنا لا ندخل بيتا لا تدخله الملائكة. وفي رواية قالوا: يا أمير المؤمنين قد أنفقنا عليك نفقة، وكلفنا فيه مؤنة. فقال عمر: يا علي انطلق فتغد وغد الناس، ففعل علي، فجعل يتغدى ويغدي الناس، وعلي ينظر إلى تلك الصور التي في كنيستهم ويقول: ما كان على أمير المؤمنين أن لو دخل وتغدى.

☪

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بلغ عمر أن يزيد ابن أبي سفيان رضي الله عنه يأكل ألوان الطعام، فقال لمولى له يقال له يرفأ: إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني، فلما حضر عشاؤه أعلمه،فأتاه عمر فاستأذن فأذن له، فدخل فقرب عشاءه فجاء بثريد لحم فأكل عمر منها، ثم قرب شواء فبسط يزيد يده وكف عمر يده، ثم قال: الله يا يزيد ابن أبي سفيان، أطعام بعد الطعام ؟! والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم. وعن أبي بكر بن حفص: أن عمر رضي الله عنه غزا إلى الشام وعليها يزيد بن أبي سفيان فدعاه إلى طعامه فإذا بيت مستور، فوضع عمر طيلسانه ثم طفق بتلك الستور يقطعها، وأخذ الآخر يقول: أعوذ بالله من غضب الله وغضب أمير المؤمنين، فقال: ويحك أتلبس الحيطان ما لو ألبسته قوما من الناس لسترهم من الحر والقر ؟! وغسان بن عبد الحميد قال: لما قدم عمر رضي الله عنه الشام غدا هو وبلال مولى أبي بكر رضي الله عنهما، فاستأذن بلال على أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فقال: أدخل؟ قال: ادخل، قال: أنا ومن معي؟ قال: أنت ومن معك، فدخل عمر وبلال فوجدا أبا عبيدة جالسا على خص ليس في بيته غيره، ورآه عمر في حال شديدة اشتدت عليه، فكلمه في بعض ذلك. فقال: كفاك ما بلغك المقيل، ثم خرجنا من عنده فذهبنا إلى منزل خالد ابن الوليد رضي الله عنه، فاستأذن بلال فقال: أدخل أنا ومن معي؟ قال: ادخل أنت ومن معك، فدخلا فوجدا خالدا يصلح نبلا له، ورأى عمر في بيته صندوقا فظن أن فيه مالا، ففتحه عمر فإذا فيه أدراع من حديد فسكت.وخرج هو وبلال حتى وقفا على باب عمرو بن العاص رضي الله عنه، فقال بلال: أدخل؟ قال: ادخل. قال: أدخل أنا ومن معي؟ قال: لا، قال: أأدخل أنا ومن معي؟ قال: لا يدخل من معك ولو كان عمر بن الخطاب، فرجعنا عن بابه ولم يدخلا. وعن صفوان بن عمرو قال، حدثني سليم بن عامر قال: قدم عمر الجابية فقضى بين الناس، فلما أظهر توجه إلى أبي عبيدة، ثم قال: نحو منزلك يا أبا عبيدة، فقال: مرحبا وأهلا يا أمير المؤمنين، ثم سبقه أبو عبيدة إلى منزله، فلما دخل قالت امرأة أبي عبيدة: مرحبا يا أمير المؤمنين، قال: فلانة ؟ قالت: نعم فلانة. قال: والذي نفس عمر بيده لاسوأنك. قالت: إياي تعني؟ وقالت: والله ما تقدر على ذاك، فأعاد عليها مثل قوله، وأعادت عليه مثل قولها، فغضب، فلما رأى أبو عبيدة غضبه، قال: بلى والله يا أمير المؤمنين إنك لتقدر على ذلك، فقالت: والله ما هو على ذلك بقادر، قال عمر : إنك لتدلين بدالة. قالت: هل تستطيع أن تسألني الاسلام فتذهب به؟ قال: لا والله، قالت: فلا والله ما أبالي ما كان بعد، فقال عمر: أستغفر الله، ثم سلم فانطلق. قال صفوان: فقلت لسليم: ما كان غضبه عليها ؟ قال: بلغني أن امرأة عظيم دمشق من الاعاجم حين فتحت دمشق أهدت إليها عقدا فيه خرزة لؤلؤ وجزع، لعله لا يساوي إلا ثلاثمائة درهم.

---

* (ولث) طرف من عقد أو يسير منه (برقس) الجاثليق بجبته ينفضها وقال إن الله لا يضل أحدا.والجاثليق رئيس النصارى

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ المدينة/ تاج العروس/ كنز العمال/ معرفة الصحابة/ مسند الطيالسي/ الجليس الصالح/

عن عاصم بن أبي النجود عن زياد بن حدير[1] الأسدي قال: قدمت على عمر وعلي طيلسان* وشاربي عاف*، فرفع رأسه، فنظر إلي ولم يرد السلام، قال: فانصرفت عنه وأتيت ابنه عاصما[2]فشكوت ذلك إليه وقلت له: لقد رميت من أمير المؤمنين في الرأس قال: سأكفيك ذاك. فلقي أباه فقال: يا أمير المؤمنين أخوك زياد بن حدير سلم عليك فلم ترد عليه السلام فقال: إني رأيت عليه طيلسانا ورأيت شاربه عافيا، قال: فأخبرني فقصصت شاربي، وكان معي برد* فحللته وجعلته إزارا، ثم أقبلت إلى عمر فسلمت عليه فقال: وعليك السلام، هذا خير مما كنت فيه يا زياد.

عن أبي حصين عن زياد بن حدير قال: كنت أعشر بني تغلب إذا أقبلوا وإذا أدبروا، فانطلق شيخ منهم إلى عمر فشكا إليه فقال: تكفى ثم أتاه الشيخ بعد ذلك فقال: أنا الشيخ النصراني. قال عمر: وأنا الشيخ المسلم، وكتب إلي ألا تعشرهم في السنة إلا مرة واحة. وعن ابراهيم بن مهادر عن زياد بن جرير الاسدي قال: قال علي رضي الله تعالى عنه: لئن بقيت لنصارى بني تغلب لأقتلن المقاتلة ولأسبين الذرية فاني كتبت الكتاب بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم على أنهم لا ينصروا أبناءهم. وعن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، قال: أوصي الخليفة من بعدي بأهل الأمصار فإنهم جباة المال وغيظ العدو، ورده المسلمين، إن يقسم فيهم بالعدل ولا يحمل من عندهم فضل إلا أن تطيب به أنفسهم، وأوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من وراءهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم.

عن الشعبي عن زياد بن جرير قال: أتيت عمر بن الخطاب فقال: يا زياد أفي هدم أنتم أم في بناء؟! قال: قلت لا بل في بناء، فقال عمر: أما أن الزمان ينهدم بزلة عالم، وجدال منافق، أو أئمة مضلين. وعن الشعبي عن زياد بن جرير قال: أتيت عمر بن الخطاب، قال لي: هل تدري ما يهدم الاسلام؟ يهدمه زلة عالم، أو جدال منافق بالقرآن، وحكم المضلين. وعن خناس بن سحيم قال: أقبلت مع زياد بن جريرمن الكناسة، فقلت في كلامي: لا والامانة، فجعل زياد يبكي ويبكي، حتى ظننت أني أتيت أمرا عظيما، فقلت له: أكان يكره ما قلت؟ قال: نعم، كان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ينهى عن الحلف بالامانة أشد النهي.

----

*(الطيلسان) ثوب يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن ينسج للبس، خال من التفصيل والخياطة (البرد والبردة) الشملة المخططة، وقيل كساء أسود مربع فيه صور (شاربي عاف) كثر وطال

■ (1) زياد بن حدير الأسدى (زياد بن جرير؟): أبو المغيرة، ويقال: أبو عبد الرحمن الكوفى، أخو زيد بن حدير. نزيل الكوفة له إدراك وكان كاتبا لعمر على العشور وأول من عشر في الإسلام

■ (2) عاصم بن عمر بن الخطاب، أمه جميلة بنت ثابت، كان اسمها عاصية فسماها رسول الله جميلة، وقيل: هي بنت عاصم بن ثابت، لا أخته. ولد عاصم قبل وفاة رسول الله بسنتين، وخاصمت فيه أمه أباه إلى أبي بكر الصديق وهو ابن أربع سنين، وقيل: ابن ثماني سنين، ولما طلق عمر أم عاصم تزوجها يزيد بن جارية الأنصاري، فهي أم عبد الرحمن بن يزيد أيضا، فهو أخو عاصم لأمه. و عاصم هو جد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز لأمه.وكان طويلا جسيما، وكان خيرا فاضلا يكنى أبا عمر.مات سنة 70 هـ قبل وفاة أخيه عبد الله.

☪

قال أكرم ضياء العمري: لم تفرض العشور على التجارة في عصر السيرة وخلافة أبي بكر، بل فرضها عمر رضي الله عنه لأول مرة على التجار الأجانب إذا دخلوا ببضاعتهم ديار المسلمين، وذلك لأن دولهم كانت تأخذ ضريبة عشرية من التجار المسلمين فاتبع سياسة المعاملة بالمثل، وتؤخذ من التاجر مرة واحدة في السنة ويعطى إيصالا بذلك لئلا يتكرر أخذها كلما عبر الحدود. وقد نبه عمر رضي الله عنه زياد بن حدير عامله على العشور: أن لا تعشر في السنة إلا مرة واحدة. وكان يعشر كل من أقبل وأدبر. وكان مقدار الضريبة العشرية درهما واحدا من كل عشرة دراهم. وقد شمل ذلك تجار النبط، ولكنه جرى التخفيف عليهم إذا جلبوا الحنطة والزيت فاخذ منهم نصف العشر لحاجة الناس إليهما، وأما إذا جلبوا العدس والحمص واللوبيا وما شاكلها مما لا تشتد الحاجة إليه لتوفره محليا فكان يؤخذ منهم العشر. وكانت العشور تدفع أحيانا لعامل السوق، وكان على سوق المدينة عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ومعه السائب بن يزيد، فكانا يأخذان العشر من النبط. وأخذ نصف العشر من تجارة أهل الذمة إلا بني تغلب من العرب فأخذ منهم العشر. وأما التجار المسلمون فلا يدفعون سوى الزكاة وهي ربع العشر. ولا توجد إحصائيات توضح موارد بيت المال من العشور في عصر الخلافة الراشدة.

☪

عن ابراهيم بن مهاجر قال: سمعت زياد بن حدير يقول: أنا أول من عشر في الإسلام. وعن عبد الله بن خالد عن عبد الرحمن بن معقل قال: سألت زياد بن حدير: من كنتم تعشرون ؟ قال: ما كنا نعشر مسلما ولا معاهدا، كنا نعشر تجار أهل الحرب كما كانوا يعشرون إذا أتيناهم. وعن ابراهيم بن مهاجر عن زياد بن حدير قال: كنا نعشر نصارى بني تغلب. وعن إبراهيم بن مهاجر، عن زياد بن حدير الاسدي قال: بعثني عمر إلى نصارى بنى تغلب آخذ منهم نصف عشر أموالهم، ونهاني أن أعشر مسلما أو ذميا يؤدى الخراج. وعن ربيع بن عتاب قال: كنت أمشي مع زياد بن حدير فسمع رجلا يحلف بالأمانة فبكى فقلت: ما يبكيك ؟ فقال: أما سمعت هذا الحلف بالأمانة. لحك خشاشي حتى تدمى أحب إلي من أن أحلف بالأمانة.وعن حفص بن حميد قال كان الرجل يأتي زياد بن حدير فيقول له إني أريد رستاق كذا وكذا فيقول له اقطع طريقك بذكر الله. وعن أبي صخرة عن زياد بن حدير قال وددت أني في حيز من حديد معي فيه ما يصلحني لا أكلم الناس ولا يكلموني حتى ألقى الله. وعن الشعبي، عن زياد بن حدير، قال: قال عمر رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاثة: منافق يقرأ القرآن لا يخطئ فيه واوا ولا ألفا، يجادل الناس أنه أعلم منهم ليضلهم عن الهدى، وزلة عالم، وأئمة مضلون.

☪

عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي قال: حدثني أشياخ من قريش: أن عمر رضي الله عنه أراد قسمة أثواب للمحمدين، محمد بن حاطب[1]ومحمد بن جعفر بن أبي طالب[2]ومحمد بن الخطاب[3] قال: فأراد بعض الناس يتخير لبعضهم، فقال عمر رضي الله عنه: لا ليس الخداع مرتضى في التنادم*. فدعا بثوب فخمر به الثياب ثم أدخل يده فجعل يخرج فيعطي الكبير فزعم عثمان أنه دعا بمحمد بن حاطب لأنه كان أكبرهم ثم أعطى محمد بن جعفر بن أبي طالب ثم أعطى محمد بن الخطاب وبلغني وليس بهذا الإسناد أن زيد بن ثابت[4] رضي الله عنه كان يريغ أن يجعل أجود الأثواب لمحمد بن حاطب وكانت خالته تحت زيد فأنكر له عمر رضي الله عنه ولما يصنع أو تمثل بشعر عمارة بن الوليد[5]: أسرك لما صرع القوم نشوة..أن أخرج منها سالما غير غانم..خليا كأني لم أكن كنت فيهم..وليس الخداع مرتضى في التنادم. ثم ألقى على الأثواب ثوبا وقال للفتية: ليدخل كل رجل منكم يده فيأخذ ثوبا ففعلوا فوقع الثوب لمحمد بن حاطب وبقية الأبيات:ولسنا بشرب أم عمرو إذا انتشوا..ثياب الندامى بينهم كالغنائم..ولكننا يا أم عمرو نديمنا..بمنزلة الديان ليس بغارم.

في رواية عن عبد الملك بن عمير أنه قال: أتي عمر رضوان الله عليه بحلل من اليمن فأتاه محمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن حاطب، فدخل عليه زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين، هؤلاء المحمدون بالباب يطلبون الكسوة. فقال: ائذن لهم يا غلام. فدعا بحلل فأخذ زيد أجودها وقال: هذه لمحمد بن حاطب وكانت أمه عنده وهو من بني لؤي، فقال عمر رضي الله عنه: أيهات أيهات. وتمثل بشعر عمارة بن الوليد، الطويل: أسرك لما صرع القوم نشوة..خروجي منها سالما غير غارم..بريئا كأني قبل لم أك منهم..وليس الخداع مرتضى في التنادم. ردها ! ثم قال: ائتني بثوب فألقه على هذه الحلل. وقال: أدخل يدك فخذ حلة وأنت لا تراها فأعطهم. قال عبد الملك: فلم أر قسمة أعدل منه. وعن إبراهيم بن حمزة، قال: أتي عمر رضي الله عنه ببرود فقسمها بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وكان فيها برد فاضل لها، فقال: إن أعطيته واحدا منهم غضب أصحابه ورأوا أني فضلته عليهم، فدلوني على فتى من قريش نشأ نشأة حسنة أعطيه إياه. فسموا له المسور بن مخرمة[6]، فدفعه إليه، فنظر إليه سعد بن أبي وقاص[7] رضي الله عنه فقال: تكسوني هذا البرد وتكسوا ابن أخي مسورا أفضل منه؟! قال: يا أبا إسحاق، إني كرهت أن أعطيه واحدا منكم فيغضب أصحابه، فأعطيته فتى نشأ نشأة حسنة لا يتوهم فيه أني أفضله عليكم، فقال سعد: إني قد حلفت لأضربن بالبرد الذي أعطيه رأسك، فخضع له عمر رأسه وقال: عندك يا أبا إسحاق وليرفق الشيخ بالشيخ. فضرب رأسه بالبرد.

----

*(مدة العدة) المقصود في عدة المتوفى عنها غير ذات الحمل.(لا ليس الخداع مرتضى في التنادم) : تمثل بشعر عمارة بن الوليد

■ (2) محمد بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو القاسم: صحابي. ولد بأرض الحبشة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتزوج أم كلثوم بنت علي، بعد عمر. وكان يقول الشعر. وشهد صفين واعترك فيها مع عبيد الله بن عمر بن الخطاب فقتل كل منهما الآخر سنة 37 هـ

■ (4) زيد بن ثابت بن الضحاك بن كوزان الأنصاري البخاري أبو سعيد وأبو خارجة صحابي مشهور، كتب الوحي. أمره أبو بكر أن يجمع القرآن وأمره عثمان فكتب المصحف وابي بن كعب يملي عليه. ولد في حدود 12 ق.هـ وتوفي سنة 45 هـ أو 48 هـ وقيل: بعد 50 هـ. عن يحيى بن سعيد قال لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا. وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارحم أمتي أبو بكر واشدها في دين الله عز وجل عمر واصدقها حياء عثمان واعلمها بالفرائض زيد بن ثابت.

■ (1) محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر القرشي الجمحي: صحابي. عده ابن حبيب من أجواد الاسلام ثم من الحمقى المنجبين وهو أول من سمي محمدا في الاسلام. ولد في سفينة ركبها أبواه مهاجرين إلى الحبشة، في بدء عصر النبوة. شهد مع علي بن أبي طالب مشاهده كلها توفي سنة 74 هـ وفي وفاته رواية ثانية: سنة 86 هـ

■ (3) محمد بن الخطاب العدوي. مولاهم. روى عن: أبي نعيم. روى عنه: ابن قانع. توفي سنة 84 هـ [تاريخ الإسلام للذهبي]

■ (5) عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب وهو أحد أزواد الركب، وقيل هو الذي مشوا به إلى أبي طالب ليدفعوه لهم ويسلمهم ابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم ليقتلوه. وقد بعثته قريش مع عمرو ابن العاص إلى الحبشة ليكلم النجاشي في شأن المهاجرين فيخرجهم من أرضه.

■ (6) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، كنيته أبو عبد الرحمن. ولده بمكة سنة 2 هـ وقدم به المدينة سنة 8 هـ عام الفتح. كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم أدرك النبي وهو صغير وسمع منه وحج معه، وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف ليالي الشورى حفظ عنه أشياء روى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة شهد فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد وهو الذي حرض عثمان على غزوها ثم كان مع ابن الزبير فأصابه حجر من حجارة المنجنيق في الحصار بمكة فقتل سنة 74 هـ

■ (7) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري المديني، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ.

مراجع: أنساب الأشراف/ عصر الخلافة الراشدة/ التاريخ الكبير/ تاريخ الإسلام للذهبي/ فتوح البلدان/ صفة الصفوة/ الرد على مدعي التشديد/ حلية الأولياء/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ حلية الأولياء/ دلائل الإعجاز/

عن الأحنف بن قيس[1] قال: ما كذبت قط إلا مرة، قالوا: وكيف يا أبا بحر؟ قال: وفدنا على عمر بفتح عظيم، فلما دنونا من المدينة قال بعضنا لبعض: لو ألقينا ثياب سفرنا ولبسنا ثياب صوننا فدخلنا على أمير المؤمنين والمسلمين في هيئة وشارة* حسنة كان أمثل، فلبسنا ثياب صوننا وألقينا ثياب سفرنا حتى إذا طفنا في أوائل المدينة لقينا رجل فقال: انظروا إلى هؤلاء أصحاب دنيا ورب الكعبة! قال: فكنت رجلا ينفعني رأيي فعلمت أن ذلك ليس بموافق للقوم فعدلت فلبستها وأدخلت ثياب صوني* العيبة* وأشرجتها* وأغفلت طرف الرداء ثم ركبت راحلتي ولحقت بأصحابي، فلما دفعنا إلى عمر نبت* عيناه عنهم ووقعت عيناه علي فأشار إلي بيده، فقال: أين نزلتم؟ قلت: في مكان كذا وكذا، فقال: أرني يدك، فقام معنا إلى مناخ ركابنا، فجعل يتخللها ببصره ثم قال: ألا اتقيتم الله في ركابكم هذه؟ أما علمتم أن لها عليكم حقا؟ ألا قصدتم بها في المسير؟ ألا حللتم عنها فأكلت من نبت الأرض؟ فقلنا: يا أمير المؤمنين! إنا قدمنا بفتح عظيم فأحببنا أن نسرع إلى أمير المؤمنين وإلى المسلمين بالذي يسرهم، فحانت منه التفاتة فرأى عيبتي فقال: لمن هذه العيبة؟ قلت: لي يا أمير المؤمنين! قال: فما هذا الثوب؟ قلت: ردائي، قال: بكم ابتعته؟ فألقيت ثلثي ثمنه، فقال: إن رداءك هذا لحسن لولا كثرة ثمنه، ثم انطلق راجعا ونحن معه فلقيه رجل فقال: يا أمير المؤمنين! انطلق معي فأعدني على فلان فإنه قد ظلمني، فرفع الدرة فخفق* بها رأسه وقال: تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم حتى إذا شغل في أمر من أمر المسلمين أتيتموه أعدني أعدني*، فانصرف الرجل وهو يتذمر* فقال: علي الرجل، فألقى إليه المخفقة* فقال: امتثل، فقال: لا والله ولكن أدعها لله ولك! قال: ليس هكذا، إما أن تدعها لله إرادة ما عنده أو تدعها لي فأعلم ذلك. قال: أدعها لله، قال: فانصرف ثم مضى حتى دخل منزله ونحن معه فافتتح الصلاة فصلى ركعتين وجلس فقال: يا ابن الخطاب! كنت وضيعا فرفعك الله، وكنت ضالا فهداك الله، وكنت ذليلا فأعزك الله، ثم حملك على رقاب المسلمين فجاءك رجل يستعديك فضربته! ما تقول لربك غدا إذا أتيته؟ قال: فجعل يعاتب نفسه في ذلك معاتبة ظننا أنه من خير أهل الأرض.

عن أبي بكر الهذلي والعباس بن هشام، عن أبيه، عن عوانة قالا: قدم الاحنف بن قيس على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في أهل البصرة.فجعل يسألهم رجلا رجلا والاحنف في ناحية البيت في بت لا يتكلم. فقال له عمر: أما لك حاجة؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين. إن مفاتح الخير بيد الله، وإن إخواننا من أهل الامصار نزلوا منازل الامم الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفة، وإنا نزلنا سبخة نشاشة* لا يجف نداها ولا ينبت مرعاها. ناحيتها من قبل المشرق البحر الاجاج*، ومن قبل المغرب الفلاة، فليس لنا زرع ولا ضرع، تأتينا منافعنا وميرتنا في مثل مرئ النعامة. يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين، وتخرج المرأة لذلك فتربق ولدها كما يربق العنز يخاف بادرة العدو وأكل السبع. فالا ترفع خسيستنا وتجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا. فألحق عمر ذراري أهل البصرة في العطاء، وكتب إلى أبي موسى[2] يأمره أن يحتفر لهم نهرا.

----

*(شارة) الشارة هي الهيئة، وألفها مقلوبة عن الواو (فخفق) خفقة خفقا من باب ضرب إذا ضربه بشيء عريض كالدرة (يتذمر) أي يجترئ عليه ويرفع صوته في عتابه (المخفقة) الدرة (العيبة) وعاء من ادم يكون فيها المتاع (أشرجتها) أي أدخل بعض عراها في بعض(أعدني) أي انصرني عليه أعداه عليه: نصره وأعانه (فنبت عيناه عنهم) أي تجافى ولم ينظر إليهم كأنه حقرهم ولم يرفع لهم رأسا (الصونة) العتيدة

■ (1) أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، وشهد مع علي وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان.وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد.

■ (2) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من فقهاء الصحابة أصله من اليمن. أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة (قيل: ليس من مهاجرة الحبشة) ثم قدم مع أهل السفينتين (قيل: وافق قدومه قدومهم) ورسول الله بخيبر. وأرسله رسول الله مع معاذ بن جبل إلى اليمن، ولى عمر بن الخطاب أبا موسى البصرة إذ عزل عنها المغيرة في وقت الشهادة عليه وذلك سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ثم لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه فأقره، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ثم كان منه بصفين وفي التحكيم ما كان .ولما خدعه عمرو بن العاص نزل شعبا بمكة فيه شيء من القبور يعرف بشعب أبي الدر وقال أجاور قوما لا يغدرون ولم يزل حتى توفي في سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ وقيل توفي بالكوفة في داره بجانب المسجد.

☪

عن قيس بن أبي حازم قال: استعمل عمر رضي الله عنه رجلاً من الأنصار فنزل بعظيم أهل الحيرة عمرو بن حيان بن بقيلة[1]، فأمال عليه بالطعام والشراب ما دعا به، فاحتبس الهزل*،فدعا الرجل فمسح بلحيته، فركب إلى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين، قد خدمت كسرى وقيصر فما أُتي إليّ ما أتي في ملكك، قال: وما ذاك؟ قال: نزل بي عاملك فلان فأمَلْنا عليه بالطعام والشراب، ما دعا به فاحتبس الهزل فدعاني فمسح بلحيتي، فأرسل إليه عمر رضي الله عنه فقال: هيه؟! أمال عليك بالطعام والشراب ما دعوت به، ثم مسحت بلحيته؟ والله لولا أن تكون سنة ما تركت في لحيتك طاقة إلا نتفتها، ولكن اذهب فوالله لا تلي لي عملاً أبداً.

☪

قال علي بن نايف: كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديدا على ولاة الأقاليم، يبتدع الوسائل التي تضمن له استمرار الاطلاع على ما يجرونه في مناطقهم من الأعمال، ويبالغ في الاتصال بالرعايا ومعرفة ما يشكونه من الظلم والحيف. وقد سن دستورا لتصرفات الولاة اشتمل على المبادئ الأساسية الآتية :

- (أ) أنه كان يحصي مكاسب الوالي عقارا ومنقولا ومالا قبل الولاية ليحاسبه بها على ما زاده بعد الولاية مما لا يدخل في عداد الزيادة المعقولة. ومن تعلل بالتجارة لم يقبل منه دعواه لأنه كان يقول للولاة: إنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجارا.
- (ب) أنه كان يرصد لهم الرقباء والعيون من حولهم ليبلغوه ما ظهر وما خفي من أمرهم. حتى كان الوالي من كبار الولاة وصغارهم يخشى من أقرب الناس إليه أن يرفع نبأه إلى الخليفة.
- (ج) أنه بعث وكلاء مختصين يجمعون شكايات الشاكين والمتظلمين ويتولى التحقيق والمراجعة فيها ليستوفي البحث فيما يرفعه إليه الوكلاء والرقباء.
- (د) أمره للولاة والعمال أن يدخلوا إلى أوطانهم نهارا إذا رجعوا إليها من مراكز حكمهم ليظهر معهم ما حملوه في عودتهم ويتصل خبره بالحراس والأرصاد الذين يقيمهم على ملاقي الطريق.
- (هـ) استقدامه للولاة في كل موسم من مواسم الحج ليحاسبهم ويسمع ما يقولون وما يقال فيهم، وعليهم شهود ممن يشاء أن يحضر الموسم من أهل البلاد. فكان العمال يخافون الافتضاح على رؤوس الأشهاد، فيتجنبون ظلم الرعية، ويسيرون بين الناس بالعدل والإنصاف.

ذكر الإمام الطبري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني. أما عمالهم فلا يرفعونها إلى، وأما هم فلا يصلون إلى؛ فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين، والله لنعم الحول هذا !.

لما جاء عام الجوع وأصاب المنطقة قحط شديد، أقسم عمر ألا يذوق السمن ويأكل طيبا حتى يفتح الله على المسلمين. وبقى عامه على هذا الحرمان والمسلمون يرون حاله فيشفقون عليه من الجهد الذي يبذله، حتى بسر وجهه من أكل الزيت مع قلة الطعام الذي يتناوله ورداءته، حتى لقد ذكر أحد الصحابة بالحرف: كنا نقول: لو لم يدفع الله عام الرمادة لظننا أن عمر سيموت هما بأمر المسلمين. ويرجوه أصحابه أن يرأف بنفسه ويشفقون عليه من الجهد الذي يبذله، ويبيحون له –عن طيب خاطر منهم– أن يأخذ من بيت المال ما يصلح به شأنه؛ ولكنه يرفض ذلك ويصر على رفضه الحاسم قائلا: وكيف يعنيني أمر الرعية إذا لم يمسني ما يمسهم؟. إنه هنا يقدم لنا شعارا اجتماعيا، هو جوهر العدل الاجتماعي وروحه الأصيلة. شعارا لا تفسره الكلمات، إنما موقف عمر نفسه وهو يعاني مع أمته من أجل أن يعمق اهتمامه بمآسيها ومتاعبها وأحزانها.

☪

عن أنس بن مالك قال:﴿مَا رُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْءٌ فِيهِ الْقِصَاصُ إِلَّا أَمَرَ فِيهِ بِالْعَفْوِ﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان في بني إسرائيل القصاص* ولم تكن فيهم الدية*، فقال الله تعالى لهذه الأمة:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة] قال ابن عباس:فمن عفي له من أخيه شيء فالعفو أن يقبل الدية في العمد، فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان يتبع هذا بالمعروف ويؤدي هذا بإحسان، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة مما كتب على من كان قبلكم، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم إنما هو القصاص ليس الدية

عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ –أَوْ قَالَ الْعِبَادُ– عُرَاةً غُرْلاً* بُهْماً*. قَالَ قُلْنَا: مَا بُهْماً ؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ وَلاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ وَلاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ. قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً؟ قَالَ: بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أي القصاص بالحسنات والسيئات. وعن أبي فراس الهندي، قال: خطب عمر رضي الله عنه فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذْ بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِذْ يَنْزِلُ الْوَحْيُ، وَإِذْ نَبَّأَ اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ، أَلاَ فَقَدْ مَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدِ انْقَطَعَ الْوَحْيُ، فَإِنَّمَا نَعْرِفُكُمْ بِمَا نَقُولُ لَكُمْ، مَنْ أَظْهَرَ مِنْكُمْ خَيْرًا ظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا، وَأَحْبَبْنَاهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَعْلَنَ مِنْكُمْ شَرًّا، ظَنَنَّا بِهِ شَرًّا، وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ، سَرَائِرُكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ، أَلاَ فَإِنِّي قَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَأَنَا أَحْسَبُ أَنَّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يُرِيدُ بِهِ اللهَ وَمَا عِنْدَهُ، وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ بِآخِرِهِ أَنَّ رِجَالاً يَقْرَؤُونَهُ يُرِيدُونَ بِهِ مَا عِنْدَ النَّاسِ، أَلاَ فَأَرِيدُوا اللهَ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَبِقُرْآنِكُمْ، أَلاَ وَإِنِّي لاَ أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ عُمَّالِي لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ، وَلاَ لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنِّي إِنَّمَا أُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ لِيُعَلِّمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَنَكُمْ، فَمَنْ فُعِلَ بِهِ سِوَى ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَيَّ، فَوَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ لأَقُصَّنَّهُ مِنْهُ، قَالَ: فَوَثَبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَأَيْتَكَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ عَلَى رَعِيَّةٍ فَأَدَّبَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ، إِنَّكَ لَتَقْتَصُّ مِنْهُ، قَالَ: إِي وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، وَكَيْفَ لاَ أَقْتَصُّ وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ يَقْتَصُّ مِنْ نَفْسِهِ، أَلاَ لاَ تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ فَتُذِلُّوهُمْ، وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ حُقُوقَهُمْ فَتُكَفِّرُوهُمْ، وَلاَ تُجَمِّرُوهُمْ فَتَفْتِنُوهُمْ، وَلاَ تُنَزِّلُوهُمُ الْغِيَاضَ فَتُضَيِّعُوهُمْ﴾.

----

*(احتبس الهزل) أكثر من الهزل (عذبها أجاج) وهو الماء الملح الشديد الملوحة (سبخة نشاشة) يعني البصرة، أي نزازة تنز بالماء لأن السبخة ينز ماؤها فينش ويعود ملحا وقيل النشاشة التي لا يجف تربها ولا ينبت مرعاها *(القصاص) أن يوقع على الجاني مثل ما جنى: النفس بالنفس والجرح بالجرح (الدية) مال يعطى لولي المقتول مقابل النفس أو مال يعطى للمصاب مقابل إصابة أو تلف عضو من الجسم (بهم) جمع بهيم وهو الأسود وقيل الذي لا يخالط لونه لون سواه (الغرل) جمع أغرل وهو الذي لم يختتن.

■ (1) عمرو بن حيان بن بقيلة وهم من آل بقيلة (لم أجد له ترجمة)

مراجع: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ مسند أحمد/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ فتوح البلدان/ لسان العرب/

عن أبي ريحانة قال: وفد هلال بن وكيع[1] وزيد بن جلبة[2]، والأحنف بن قيس[3] إلى عمر، فقال هلال بن وكيع: يا أمير المؤمنين إنا غرة من وراءنا، ولباب من خلفنا من قومنا، وإنك إن تصرفنا بالزيادة في أعطياتنا والفريضة لعيالاتنا يزود الشريف منا لك تأميلا، وتكون لذوي الأحساب أبا براء، وإلا تفعل تكن مع ما نمت بفضله، وندلي بأسبابه كالجب لا يحل ولا يرحل، ثم نرجع بأنف مصلومة، وجدود عاثرة فمحنا وأهلينا بسجل من سجالك مترع. وقال زيد بن جلبة: يا أمير المؤمنين زود الشريف، وأكرم الحسيب، وأودعنا من أياديك بما يسد الخصاصة، ويجبر الفاقة فإنا بقف من الأرض يابس الأكناف، مقشعر الذروة لا شجر فيه ولا زرع، وإنا من العرب إذ أتينك بمرأى ومستمع. ثم قال الأحنف: يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله، والحرص قائد الحرمان، فاتق الله فيما ولاك فيما لا يغني عنك يوم القيامة، واجعل بينك وبين رعيتك شيئا يكفيك وفادة الوفود، واستماحة المستميح، فإن كل امرئ يقرى في وعائه إلا الغل ممن عسى أن تقتحمه الأعين، فكان الأحنف أحمدهم قولا عند عمر.

عن عبد الواحد بن السكن عن أبيه أن وفدا من بني تميم قدموا على عمر، وفيهم الأحنف، وعمرو بن الأهتم[4]، والزبرقان بن بدر[5]، فقال الزبرقان: ما في الأرض سعدي إلا ود أني أبوه أو عمه أو خاله. فقال عمر للأحنف: ما يقول هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إني أواب عشيرتي ولا أكذبها، فقال الزبرقان: سألت عني يا أمير المؤمنين، ناجم المروءة، أي حديث العهد بالمروءة، لئيم الخال.

ذكر عمر بني تميم فذمهم، فقال الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين، ائذن لي فلأتكلم. قال: تكلم. قال: إنك ذكرت بني تميم فعممتهم بالذم، وإنما هم من الناس، فيهم الصالح والطالح، فقال: صدقت، وقفى بقول حسن، فقام الحتات –وكان يناوئه– فقال: يا أمير المؤمنين، ائذن لي فلأتكلم. قال: أجلس، فقد كفاكم سيدكم الأحنف. وعن سوار بن عبد الله قال: وفد الأحنف على عمر فقال له: أعمك المتشمس؟ قال: نعم.

قيل للأحنف بن قيس: من أين أوتيت ما أوتيت من الحلم والوقار؟ قال: بكلمات سمعتهن من عمر بن الخطاب. سمعت عمر يقول: يا أحنف، من مزح استخف به، ومن ضحك قلت هيبته، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.

■ (3) أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، وشهد مع علي وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان.وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد.

■ (2) زيد بن جلبة بن مرداس بن بو، كان عظيم القدر سيداً، وكان على وفد بني تميم حين وفدوا على عمر، وفيهم الأحنف من تحت يده. وكان عثمان حين كتب المصاحف بعث إلى زيد بن جلبة بمصحف بني تميم، وكان مع ابن عامر بن كريز له عنده قدر، وكان يلي له، وشهد الجمل مع عائشة، ووفد إلى معاوية بعد ذلك، ولا عقب له.

■ (1) هلال بن وكيع بن بشر التميمي الدارمي: خطيب، من رؤساء بني تميم. كان ممن وفد على عمر بن الخطاب لما ولي. وقاتل يوم الجمل مع عائشة، وقتل فيه سنة 36 هـ.

■ (5) الزبرقان بن بدر التميمي السعدي: صحابي، من رؤساء قومه. قيل اسمه الحصين ولقب بالزبرقان وهو من أسماء القمر لحسن وجهه. ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر، وكف بصره في آخر عمره. وتوفي في أيام معاوية. وكان فصيحا شاعرا، فيه جفاء الاعراب. قال ابن حزم: وله عقب بطلبيرة لهم بها تقدم، وكانوا أول نزولهم بالاندلس نزلوا بقرية ضخمة سميت الزبارقة نسبة إليهم، ثم غلب الافرنج عليها، فانتقلوا إلى طلبيرة، وينسب إليه قول النابغة: تعدو الذئاب على من لا كلاب له. توفي نحو 45 هـ

■ (4) عمرو بن سنان بن سمي التميمي المنقري، أبو ربعي: أحد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والاسلام. من أهل نجد. كان يدعى المكحل لجماله في شبابه. ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، ولقي إكراما وحفاوة. ولما تكلم بين يدي النبي أعجبه كلامه فقال: إن من البيان لسحرا. وشعره جيد، وفي البيان والتبيين: كان شعره في مجالس الملوك حللا منتشرة تأخذ منه ما شاءت، ولم يكن في بادية العرب في زمانه أخطب منه. وهو صاحب البيت المشهور: لعمري ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق. ولقب أبوه بالاهتم لان ثنيته هتمت يوم الكلاب. مات سنة 57 هـ

عن أبي الرحمن العجلاني قال: قيل للأحنف: إنك لتغشى السلطان فتقعد ناحية، فقال: لأن أقعد فأقرب أحب إلي من أن أقرب فأبعد. وكان الأحنف يقول: لأن أدعي من بعيد أحب إلي من أن أدفع من قريب. وعن مسلمة عن علي بن زيد أن الأحنف قال: ثلاث ما أقولهن إلا ليعتبر معتبر، إني لا آتي السلطان حتى يرسل إلي، ولا أخلف جليسي بغير ما أحضره به، ولا أدخل نفسي في أمر لا أدخل فيه. وقال الأحنف: يا بني تميم لا تنقبضوا عن السلطان، ولا تهافتوا عليه، واعلموا أنه من أسرف على السلطان أراده، ومن تضرع له تخطاه. وكان يقول: بعض الذل أبقى للأهل والمال.

عن شقيق وقرة أن عائشة رضي الله عنها قالت للأحنف: بماذا تعتذر إلى الله من تركك جهاد قتلة أمير المؤمنين عثمان، أمن قلة أو لأنك غير مطاع في العشيرة؟ فقال: والله ما طال العهد، ولا عهدي بك إلا عاما أول وأنت تحثيني على جهاده. فقالت: ويحك إنهم ماصوه كما يماص الإناء ثم قتلوه، فقال: آخذ بقولك وأنت راضية ولا آخذ به وأنت ساخطة. وعن بشير بن عبيد الله بن أبي بكر قال: كان زيد بن جلبة يحض بني سعد على القتال مع عائشة، وكان الأحنف يكفهم عن القتال، وجرى بينه وبين الأحنف كلام، فقال زيد: إنما يطاع لذوي الأسنان والقدم والرأي ولا يطاع من لا رأي له، فوثب إليه الأحنف فأخذ بعمامته وتناصيا فقيل للأحنف: أين حلمك؟ فقال: لو كان مثلي أو دوني لم أفعل هذا به وحلمت عنه.

وعن علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف أنه قال: بينا أنا أطوف بالبيت زمن عثمان رضي الله عنه إذ جاءني رجل من بني ليث فقال لي: ألا أبشرك؟ قلت: بلى. قال: هل تذكر إذ بعثني رسول الله إلى قومك فعرضت عليهم الإسلام، فقلت إنه يدعو إلى خير، وما أسمع إلا حسنا إنه ليدعو إلى مكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها؟ قلت: نعم. قال: فإني أبلغت النبي صلى الله عليه وسلم قولك فقال:﴿اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلأَحْنَفِ﴾ فكان الأحنف يقول: إنه لا رجاء ما أرجو. وعن عمر بن السائب عن سعيد بن كرز قال: قدم الجارود العبدي وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر ببلاد بني سعد فوقف على الأحنف طويلا، ومضى أصحابه فقالوا: لقد طال وقوفك مع هذا التميمي؟ فقال: إني رأيت رجلا لا ينزل ببلد إلا ساد أهله. وعن المبارك بن فضالة عن الحسن قال: لم يقارف أحد الفتنة إلا وضعته غير الأحنف، ثم قال: عسى أن يكون قد سبق له من الله شيء. وقال الحسن: لقد اجتمعت في الأحنف خصال: كف زيادا عن قتل الحمراء، وتحمل دماء الأزد وربيعة يوم مسعود، فأصلح أمر الناس، وأطفأ النائرة.

وعن مسلمة قال: جعل قوم لرجل جعلا إن سفه الأحنف وأغضبه، فأتاه فقال: لا حياك الله يا أحنف، فلم يجبه، فأعادها مرارا فلم يجبه، فانصرف الرجل فقال الأحنف: قاتلهم الله لقد علموا أين وضعوا خطرهم. قال: وقال الأحنف: ما قست منزلتي عند أحد بمنزلتي في نفسي إلا وجدتها دونها. وسأل الأحنف قوم فقال: إن شئتم أعطيتكم درهمين، وإن شئتم أعطيتكم ألفين، قالوا: اختر لنا، فلما خرج العطاء حمد الله وألقى لهم درهمين فألقى الناس كلهم درهمين درهمين فقاموا بكساء يحمله أربعة. وعن طفيل بن أبي حفص قال: أتى رجل الأحنف فقال: يا أبا بحر إني أريد مشاورتك، فأقبل الأحنف عليه فقال الرجل: إيه يا أبا بحر. فقال: منك ينتظر الابتداء بالقول رحمك الله. وقال الأحنف: ما يسرني أني نزلت بدار معجزة وإني أسمنت وألبست. فقيل يا أبا بحر وما يراد من دار الجزم غير هذا. قال: إني أخاف سوء العادة. قال: وكان الأحنف إذا أتاه رجل وهو في مجلس ضيق تحفز وتحرك يريه أن يوسع له. وعن الحسن بن دينار عن الحسن قال: دخل الأحنف مع عمه على مسيلمة الكذاب فلما خرج قال له عمه: كيف رأيته؟ قال: رأيته كذابا أحمق، فقال عمه: لأعلمنه. قال: إذا أجحد وأحلف بحقه، فقال الحسن: أمن والله أبو بحر الوحي.

عن الشعبي قال: قدم مصعب الكوفة بعد قتل المختار فقيل: إن أحنف أهل البصرة في المسجد، فجئنا ننظر إليه، فإذا هو محتب حمائل سيفه، واضعا مرفقيه على ركبته، وقد شبك أصابعه، وتميم مطيفة به، وأكب الناس ينظرون إليه. فأراد قومه على شيء فقالوا: لا. فرفع رأسه إلى النظارة فقال: إن بني تميم خيل شمس صعاب تضطرب فلا تنقاد لقائدها، فما لبثا أن كلمهم، فقالوا: نعم، نعم. وقالت بنو تميم للأحنف: منتنا عليك أعظم من منتك علينا لأنا سودناك، فقال: ما أعظم منتكم جزاكم الله خيرا، وهذا شبل بن معبد البجلي ليس بالمصر من قومه غيره فمن سوده؟! وعن عوانة قال: لما نزل أصحاب المختار على حكم المصعب بن الزبير، شاور الأحنف في أمرهم فقال الأحنف: أرى أن تعفو عنهم فإن العفو: أقرب للتقوى. فقال أشراف أهل الكوفة: لا تعف عن هذه الموالي واضرب أعناقهم فقد بدا كفرهم، وعظم كبرهم، وقل شكرهم، وضجوا. فلما قتلوا قال الأحنف: ما أدركتم بقتلهم ثأرا، فليته لا يكون في الآخرة وبالا. وعن المدائني أن رجلا رفع إلى مصعب بن الزبير، وقد اتهم بسرق أو غيره، وعنده الأحنف بن قيس، فقيل للمتهم: أصدق الأمير. فقال الأحنف: بعض الصدق معجزة. وعن مسلمة بن علقمة المازني عن خالد الحذاء عن عبد الله بن صعصعة قال: لما حبس ابن الحنفية قال أبي: انطلق بنا إلى عجوزنا هذه القاعدة على ذيلها، قال: فدخلنا على الأحنف، فقال لأبي: يا أبا الوليد ما كنت لنا بزوار فما بدا لك؟ فقال: إن هذا الرجل محبوس. فقال يا أبا الوليد ما كنت صبا بآل أبي طالب فقال: إنه محبوس مظلوم. فذكر الأحنف رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هدى الله به من الضلالة، وعلم بعد الجهالة، ثم ذكر أبا بكر وعمر، واختلاف الناس من بعدهما، وذكر عثمان ثم قال: قد بلونا آل أبي طالب فلم نجد عندهم إيالة للملك، ولا صيانة للمال، ولا مكيدة في الحرب، والأمر ههنا، وأشار إلى الشام، قال أبي: فما يمنعك؟ قال: أتيتموني فقلتم: ابن الزبير ابن الزبير، فلما بايعت قلتم: انكث، لا انكث. فخرجنا وأبي يقول: لله در ابن الباهلية لقد أنجبت أمه. قال المدائني: وشى رجل برجل عند مصعب بن الزبير، فأغضب ذلك مصعبا على الرجل، وجاء الرجل فجعل يتنصل ويعتذر فقال مصعب: كذبت، أبلغني عنك الثقة، فقال الأحنف: إن الثقة لا يبلغ.

مراجع:/ أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ لسان العرب/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/

قال الشعبي: وفد أبو موسى[1] وفدا من أهل البصرة إلى عمر بن الخطاب فيهم الأحنف بن قيس[2]. فلما قدموا على عمر تكلم كل رجل منهم في خاصة نفسه، وكان الأحنف في آخر القوم، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: أما بعد. يا أمير المؤمنين، فإن أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه، وإن أهل الشام نزلوا منازل قيصر، وإن أهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه في الأنهار العذبة والجنان المخصبة، وفي مثل عين البعير، وكالحوار في السلى. تأتيهم ثمارهم قبل أن تبلغ، وإن أهل البصرة نزلوا في سبخة زعقة نشاشة، لا يجف ثراها، ولا ينبت مرعاها، طرفها في بحر أجاج، والطرف الآخر في الفلاة، لا يأتينا شيء إلا في مثل مريء النعامة، فارفع خسيستنا، وأنعش وكيستنا وزد في عيالنا عيالا، وفي رجالنا رجالا، وأصغر درهمنا وأكثر قفيزنا، ومر لنا بنهر نستعذب منه الماء. فقال عمر: عجزتم أن تكونوا مثل هذا؟! هذا والله السيد. فما زلت أسمعها بعد.

وكان أبو موسى حين قدم على عمر فسأله عما كان رفع إليه من أمره أحب أن يبحث عنه، فلم يقم أحد يكفيه الكلام، فقام الأحنف بن قيس وكان من أشبههم فقال: يا أمير المؤمنين، صاحبك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن الحق، وعاملك ولم نر منه إلا خيرا، وإنا أناس بين سبخة وبين بحر أجاج، لا يأتينا طعامنا إلا في مثل حلقوم النعامة. فأعد لنا قفيزنا ودرهمنا، فأعجب منه ذلك عمر وأعرض عنه لحداثة سنه، فقال له: اجلس يا أحنف، وكان برجله حنف، فلذلك سماه الأحنف، فغلب لقبه على اسمه، فعرض عمر على الأحنف الجائزة، فقال: يا أمير المؤمنين، والله ما قطعنا الفلوات، ودأبنا الروحات العشيات للجوائز! وما حاجتي إلا حاجة من خلفت، فزاده ذلك عند عمر خيرا. فرد عمر أبا موسى ومن معه. وحبس الأحنف عنده سنة، وجعل عليه عيونا، فلم يسمع إلا خيرا، فدعا به فقال: يا أحنف، إنك قد أعجبتني، وإنما حبستك لأعلم علمك، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: احذروا النافق العالم، وأشفقت عليك منه، فوجدتك بريئا مما تخوفت عليك، فسرحه، وأحسن جائزته. ثم قدم على أبي موسى، فعرف ما كان منه إليه، فلم يزل للأحنف شرف يعرف حتى خرج من الدنيا.

حدث الأحنف أنه قدم على عمر بن الخطاب بفتح تستر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله قد فتح عليك تستر، وهي من أرض البصرة. فقال رجل من المهاجرين: يا أمير المؤمنين، إن هذا -يعني الأحنف بن قيس- الذي كف عنا بني مرة حين بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدقاتهم، وقد كانوا هموا بنا. قال الأحنف: فحبسني عمر عنده بالمدينة سنة، يأتيني في كل يوم وليلة، فلا يأتيه عني إلا ما يحب. فلما كان رأس السنة دعاني، فقال: يا أحنف: هل تدري لم حبستك عندي؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرنا كل منافق، فخشيت أن تكون منهم. فاحمد الله يا أحنف. وفي حدث مختصر بمعناه: فقال: يا أحنف، إني قد بلوتك وخبرتك، فرأيت علانيتك حسنة، وأنا أرجو أن تكون سريرتك على مثل علانيتك، وإن كنا نتحدث، إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم.

قال أحمد بن صالح: الأحنف بن قيس بصري، تابعي، ثقة. وكان سيد قومه. وكان أعور، أحنف، دميما، قصرا كوسجا، له بيضة واحدة. قال له عمر: ويحك يا أحنف، لما رأيتك ازدريتك: فلما نطقت فقلت: لعله منافق، صنع اللسان. فلما اختبرتك حمدتك ولذلك حبستك. حبسه سنة يختبره. فقال عمر: هذا والله السيد. وقال له عمر: كنت أخشى أن تكون منافقا عالما. وأرجوا أن تكون مؤمنا، فانحدر إلى مصرك.

كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد. فائذن للأحنف بن قيس، وشاوره، واسمع منه.

عن الحسن أن الأحنف خرج في وفد تستر إلى عمر رضي الله عنه، فلبس الوفد ثيابا جددا، ولبس الأحنف بتا*، فلما رآهم أعرض عن الوفد وأقبل على الأحنف فقال: بكم أخذت البت؟ قال: بأربعين. قال: فهلا بعشرين وقدمت الفضل، قال: يا أمير المؤمنين إن قومي حديث عهدهم بالجاهلية فأردت أن يروا للإسلام علي أثرا حسنا، فطفق عمر يسائل الأحنف، والأحنف يقول: يا أمير المؤمنين أميرنا مجاشع[3]، فلم يكلمهم، فانصرفوا.فقال الأحنف: كره أمير المؤمنين زيكم فالقوه بغير هذا الزي، فغدوا عليه في ثياب الحرب مصدأة، فأقبل على مجاشع فساءله وساءل الوفد ثم انصرفوا إلى أبي موسى، واحتبس الأحنف حولا، ثم دعاه فقال: إني خفت أن تكون منافقا فارجع إلى بلدك وقومك فما بهم غنى عنك، واتق الله ربك.

وعن علي بن زيد أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي موسى أن أدن الأحنف وشاوره واسمع منه.

عن مصعب بن حيان عن جويبرعن الضحاك قال: كتب عمر بن الخطاب إلى موسى رضي الله عنهما في العام الذي مات فيه أن وجه الأحنف في خمسة آلاف إلى خراسان، فتوفي عمر قبل أن يسرحه. قال ابن سيرين: بعث عمر الأحنف بن قيس على جيش قبل خراسان فبيتهم العدو وفرقوا جيوشهم، وكان الأحنف معهم، ففزع الناس، فكان أول من ركب الأحنف ومضى نحو الصوت وهو يقول: الرجز: إن على كل رئيس حقا..أن يخضب الصعدة أو تندقا. ثم حمل على صاحب الطبل فقتله، وانهزم العدو، فتقلوهم وغنموا، وفتحوا مدينة يقال لها: مرورود. قالوا: ثم سار الأحنف بن قيس بن مرورود إلى بلخ فصالحوه على أربع مئة ألف. ثم أتى خوارزم ولم يطقها فرجع.

----

(2) أبو بحر، الضحاك بن قيس بن معاوية، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه: صخر، وقيل: حصين وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه: مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي ودعا له ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، وشهد مع علي وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وهو الذي افتتح مرورود في خلافة عثمان سنة 31.-مرورود/ مرو الروذ من بلاد بني مازن؛من مدينة مرو إلى مرورود خمس مراحل- وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد.

(3) مجاشع بن مسعود بن ثعلبة السلمي صحابي استخلفه المغيرة بن شعبة على البصرة في خلافة عمر غزا كابل وصالحه صاحبها الأصبهذ وقيل: كان على يديه فتح حصن أبرويز بفارس وكان يوم الجمل مع عائشة أميرا على بني سليم فقتل فيه سنة 36 هـ قبل الوقعة ودفن بالبصرة.

(1) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من فقهاء الصحابة أصله من اليمن. أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة (قيل: ليس من مهاجرة الحبشة) ثم قدم مع أهل السفينتين (قيل: وافق قدومه قدومهم) ورسول الله بخيبر. وأرسله رسول الله مع معاذ بن جبل إلى اليمن، ولى عمر بن الخطاب أبا موسى البصرة إذ عزل عنها المغيرة في وقت الشهادة عليه وذلك سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ثم لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه فأقره، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ثم كان منه بصفين وفي التحكيم ما كان .ولما خدعه عمرو بن العاص نزل شعبا بمكة فيه شيء من القبور يعرف بشعب أبي الدر وقال أجاور قوما لا يغدرون ولم يزل حتى توفي في سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ وقيل توفي بالكوفة في داره بجانب المسجد.

قال الأحنف بن قيس: دخلت مسجد دمشق فإذا أنا برجل يصلي يكثر الركوع والسجود، فقلت: لا أنتهي حتى أنظر أيدري على شفع ينصرف أو على وتر؟ فلما انصرف قلت له: أتدري على شفع تنصرف أم على وتر؟ قال: إن لم أدر فإن الله هو يدري. حدثني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ثم بكى، ثم قال: حدثني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ثم بكى، ثم قال: حدثني خليل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ثم بكى قال: ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة، فتقاصرت إلى نفسي فإذا هو أبو ذر. وقد روي أن ذلك كان في مسجد حمص. وقد روي أن ذلك كان في مسجد بيت المقدس، وفيه زيادة: رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة، وكتب له بها حسنة.

حدث الأحنف قال: بينما أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان إذ لقيني رجل من بني ليث، فأخذ بيدي فقال: ألا أبشرك؟ قلت: بلى. قال: أتذكر إذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعيا إلى بني سعد؟ فسألوني عن الإسلام، فجعلت أخبرهم وأدعوهم إلى الإسلام، فقلت:إنك تدعو إلى خير، وما أسمع إلا حسنا، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم، اغفر للأحنف. فكان الأحنف يقول: فما شيء أرجى عندي من ذلك. يعني: دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان الأحنف صديقا لمصعب بن الزبير، فوفد عليه بالكوفة، ومصعب بن الزبير يومئذ وال عليها، فتوفي الأحنف عنده بالكوفة، فرئي مصعب في جنازته يمشي بغير رداء سنة سبع وستين. وقيل سنة اثنتين وسبعين. وصلى عليه مصعب.

وكانت أم الأحنف امرأة من باهلة يقال لها حبة بنت ثعلبة بن قرط بن قرواش. وكان الأحنف أحنف الرجلين جميعا، ولم يكن له إلا بيضة واحدة. وكانت أمه ترقصه وتقول: الرجز: والله لولا حنف برجله..وقلة أخافها من نسله..ما كان في فتيانكم من مثله. وقد اختلف في اسمه، فقيل: الضحاك، وقيل صخر، وقيل: الحارث، وقيل: حصين. ووفد إلى عمر بن الخطاب. وهو الذي افتتح مرورود.

كان الأحنف استعمل على خراسان. فلما أتى فارس أصابته جنابة في ليلة باردة. قال: فلم يوقظ أحدا من غلمانه ولا جنده، وانطلق يطلب الماء. قال: فأتى على شوك وشجر حتى سالت قدماه دما، فوجد الثلج. قال: فكسره واغتسل. قال: فقام فوجد على ثيابه نعلين محذوتين جديدتين فلبسهما. فلما أصبح أخبر أصحاب. فقالوا: والله ما علمنا بك.قال مغيرة: شكا ابن أخي الأحنف بن قيس وجعا بضرسه فقال الأحنب: لقد ذهبت عيني منذ ثلاثين سنة، فما ذكرتها لأحد.

قال عمر بن الخطاب للأحنف بن قيس: أي الطعام أحب إليك؟ قال: الزبد والكمأة، فقال عمر: ما هما بأحب الطعام إليه. ولكنه يحب خصب المسلمين. يعني أن الزبد والكمأة لا تكونان إلا في سنة الخصب.

قال الأحنف بن قيس: سمعت خطبة لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء بعد، فما سمعت الكلام من في مخلوق أفخم ولا أحسن من عائشة أم المؤمنين.

مراجع:/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/

عن الحسن أن الأحنف[1] خرج في وفد تستر إلى عمر رضي الله عنه، فلبس الوفد ثيابا جددا، ولبس الأحنف بتا*، فلما رآهم أعرض عن الوفد وأقبل على الأحنف فقال: بكم أخذت البت؟ قال: بأربعين. قال: فهلا بعشرين وقدمت الفضل، قال: يا أمير المؤمنين إن قومي حديث عهدهم بالجاهلية فأردت أن يروا للإسلام علي أثرا حسنا، فطفق عمر يسائل الأحنف، والأحنف يقول: يا أمير المؤمنين أميرنا مجاشع[4]، فلم يكلمهم، فانصرفوا. فقال الأحنف: كره أمير المؤمنين زيكم فالقوه بغير هذا الزي، فغدوا عليه في ثياب الحرب مصدأة، فأقبل على مجاشع فسأله وساءل الوفد ثم انصرفوا إلى أبي موسى[2]، واحتبس الأحنف حولا، ثم دعاه فقال: إني خفت أن تكون منافقا فارجع إلى بلدك وقومك فما بهم غنى عنك، واتق الله ربك.

حدث الأحنف أنه قدم على عمر بن الخطاب بفتح تستر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله قد فتح عليك تستر، وهي من أرض البصرة. فقال رجل من المهاجرين: يا أمير المؤمنين، إن هذا -يعني الأحنف بن قيس- الذي كف عنا بني مرة حين بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدقاتهم، وقد كانوا هموا بنا. قال الأحنف: فحبسني عمر عنده بالمدينة سنة، يأتيني في كل يوم وليلة، فلا يأتيه عني إلا ما يحب. فلما كان رأس السنة دعاني، فقال: يا أحنف: هل تدري لم حبستك عندي؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرنا كل منافق، فخشيت أن تكون منهم. فاحمد الله يا أحنف. وفي حدث مختصر بمعناه: فقال: يا أحنف، إني قد بلوتك وخبرتك، فرأيت علانيتك حسنة، وأنا أرجو أن تكون سريرتك على مثل علانيتك، وإن كنا نتحدث، إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم.

قال أحمد بن صالح: الأحنف بن قيس بصري، تابعي، ثقة. وكان سيد قومه. وكان أعور، أحنف، دميما، قصرا كوسجا، له بيضة واحدة. قال له عمر: ويحك يا أحنف، لما رأيتك ازدريتك: فلما نطقت فقلت: لعله منافق، صنع اللسان. فلما اختبرتك حمدتك ولذلك حبستك. حبسه سنة يختبره. فقال عمر: هذا والله السيد. وقال له عمر: كنت أخشى أن تكون منافقا عالما. وأرجوا أن تكون مؤمنا، فانحدر إلى مصرك.

كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد. فائذن للأحنف بن قيس، وشاوره، واسمع منه.

----

*(البت) كساء غليظ مهلهل مربع أخضر وقيل هو من وبر وصوف والجمع أبت وبتات التهذيب البت ضرب من الطيالسة يسمى الساج مربع غليظ أخضر والجمع البتوت الجوهري البت الطيلسان من خز ونحوه

■ (1) أبو بحر، الضحاك بن قيس بن معاوية، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه: صخر، وقيل: حصين وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه: مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي ودعا له ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، وشهد مع علي وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وهو الذي افتتح مروروذ في خلافة عثمان سنة 31.-مروروذ/ مرو الروذ من بلاد بني مازن؛من مدينة مرو إلى مروروذ خمس مراحل- وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد.

■ (2) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من فقهاء الصحابة أصله من اليمن. أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة (قيل: ليس من مهاجرة الحبشة) ثم قدم مع أهل السفينتين (قيل: وافق قدومه قدومهم) ورسول الله بخيبر. وأرسله رسول الله مع معاذ بن جبل إلى اليمن، ولى عمر بن الخطاب أبا موسى البصرة إذ عزل عنها المغيرة في وقت الشهادة عليه وذلك سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ثم لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه فأقره، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ثم كان منه بصفين وفي التحكيم ما كان .ولما خدعه عمرو بن العاص نزل شعبا بمكة فيه شيء من القبور يعرف بشعب أبي الدر وقال أجاور قوما لا يغدرون ولم يزل حتى توفي في سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ وقيل توفي بالكوفة في داره بجانب المسجد.

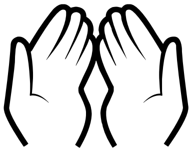

قال الحسن: ما رأيت شريف قوم كان أفضل من الأحنف. قال سفيان: ما وزن عقل الأحنف بعقل أحد إلا وزنه. قيل للأحنف بن قيس: بأي شيء سودك قومك؟ قال: لو عاب الناس الماء لم أشربه. قال مالك بن مسمع للأحنف بن قيس: يا أبا بحر، ما أنتفع بالشاهد إذا غبت، ولا افتقد غائبا إذا شهدت. فكأن البحتري ألم بهذا المعنى فقال: الطويل: رحلت فلم نفرح بأوبة آيب..وأبت فلم نجزع لغيبة غائب..قدمت فأقدمت النهى يحمل الرضى..إلى كل غضبان على الدهر عاتب..فعادت بك الأيام زهرا كأنما..جلا الدهر منها عن خدود الكواعب. قال خالد بن صفوان: كان الأحنف بن قيس يفر من الشرف، والشرف يتبعه. قال الأحنف: ما نازعني أحد قط إلا أخذت في أمري بثلاث خلال: إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه. قال الأحنف بن قيس: من كانت فيه أربع خصال ساد قومه غير مدافع: من كان له دين يحجزه، وحسب يصونه، وعقل يرشده، وحياء يمنعه. قال الأحنف لرجل سأل: ما الحلم؟ فقال: هو الذل تصبر عليه. قال الأحنف: ليس فضل الحلم أن تظلم فتحلم حتى إذا قدرت انتقمت، ولكنه إذا ظلمت فحلمت ثم قدرت فعفوت. قال الأحنف بن قيس: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: شريف من دنيء، وبر من فاجر، وحليم من أحمق. قال الأحنف: ليس لكذوب مروءة، ولا لبخيل حياء، ولا لحاسد راحة، ولا لسيء الخلق سؤدد، ولا لملول وفاء. قال رجل للأحنف بن قيس: يا أبا بحر، دلني على أحمد أمر عاقبة، فقال له: خالق الناس بخلق حسن، وكف عن القبيح. ثم قال له: ألا أدلك على أدوأ الداء؟ قال: بلى. قال: اكتساب الذم بلا منفعة، واللسان البذيء، والخلق الرديء. قال الأحنف بن قيس: من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون. قيل للأحنف: ما المروءة؟ قال: ألا تعمل في السر شيئا تستحي منه في العلانية. سأل يزيد بن معاوية الأنف بن قيس عن المروءة فقال الأحنف: التقى والاحتمال. ثم أطرق الأحنف ساعة وقال: مجزوء الكامل: وإذا جميل الوجه لم..يأت الجميل فما جماله؟..ما خير أخلاق الفتى..إلا تقاه واحتماله. فقال يزيد: أحسن يا أبا بحر، وافق البم زيرا، قال الأحنف: ألا قلت: وافق المعنى تفسيرا؟. قال الأحنف بن قيس: رأس الأدب آلة المنطق، ولا خير في قول إلا بفعل، ولا في منظر إلا بمخبر، ولا في مال إلا بجود، ولا في صديق إلا بوفاء، ولا في فقه إلا بورع، ولا في صدقة إلا بنية، ولا في حياة إلا بأمن وصحة. تذاكر قوم الصمت والكلام، فقال قوم: الصمت أفضل، فقال الأحنف: المنطق أفضل، لأن فضل الصمت لا يعدو صاحبه، والمنطق الحسن ينتفع به من سمعه. قال الأحنف: ثلاث خصال تجتلب بهن المحبة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواء على المودة. قال الأحنف بن قيس: إن غاصب الدنيا وظالمها أهلها، والمدعي ما ليس له منها على قتلها – وإن كان عالي المكان من سلطانها – لأقل منها وأذل. كتب الأحنف إلى صديق له: أما بعد. فإذا قدم عليك أخ لك موافق فليكن منك بمنزلة السمع والبصر، فإن الأخ الموافق أفضل من الولد المخالف. ألم تسمع الله يقول لنوح في ابنه:﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود]. رأى الأحنف في يد رجل درهما فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال: لي، فقال الأحنف: ليس هو لك حتى تخرجه في أجر أو اكتساب شكر. ثم تمثل: الرمل: أنت للمال إذا أمسكته..وإذا أنفقت فالمال لك. قال الأحنف بن قيس: ما خان شريف، ولا كذب عاقل، ولا اغتاب مؤمن. قال الأحنف: الرفق والأناة محبوبة إلا في ثلاث: تبادر بالعمل الصالح، وتعجل إخراج ميتك، وتنكح الكفء أيمك. قال الأحنف: لا ينبغي للعاقل أن ينزل بلدا ليس فيه خمس خصال: سلطان قاهر، وقاض عادل، وسوق قائمة، ونهر جار، وطبيب عالم. قال الأحنف: من السؤدد الصبر على الذل، وكفى بالحلم ناصرا. قال الأحنف بن قيس: جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام، فإني أبغض الرجل أن يكون وصافا لفرجه وبطنه. وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه. قال عتبة بن صعصعة: رأيت مصعب بن الزبير في جنازة الأحنف متقلدا سيفا، ليس عليه رداء وهو يقول: ذهب اليوم الحزم والرأي. توفي الأحنف سنة سبع وستين، وقيل: سنة اثنتين وسبعين. قال عبد الرحمن بن عمارة بن عقبة بن أبي معيط: حضرت جنازة الأحنف بن قيس بالكوفة فكنت فيمن نزل قبره. فلما سويته رأيته قد فسح له مد بصري، فأخبرت بذلك أصحاب فلم يروا ما رأيت.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق / تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

عن هشام بن حبيش[1] قال: أرسل إلي عمر بن الخطاب فرأيته في جماعة من أصحابه نزل عن راحلته ثم حط رحله ثم قيد راحلته كرجل من أصحابه ثم حس ركاب القوم فوجد فيها راحلة مقاربا لها من قيدها فأرخى لها عمر بن الخطاب، ثم أقبل يتغيظ أرى الغيظ في وجهه فقال: أيكم صاحب الراحلة؟ فقال رجل: أنا قال: بئس ما صنعت تبيت على فؤاده وتضرب صدره حتى إذا حان رزقه جمعت بين عظمين من عظامه.وعن رجل من ثقيف قال:سمعت عمر بن الخطاب ينادي أيها الناس أخروا الأحمال فإن الأيدي معلقة والأرجل موثقة. والمعنى: اجعلوا الحمل وسط ظهر الدابة ، فإنه إن قدم عليها أضر بيديها، وإن أخر أضر برجليها. وعن المسيب بن دارم قال: رأيت عمر بن الخطاب ضرب جمالا، فقال: لم يحمل بعيرك ما لا يطيق!. وعن الحسن، قال: قال عمر: لو مات جمل في عملي ضياعا خشيت أن يسألني الله عنه. وعن سالم بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب كان يد خل يده في دبرة* البعير ويقول: إني لخائف أن أسأل عما بك! وعن ابن عمر أن عمر كان ينهى عن اخصاء البهائم ويقول هل النماء إلا في الذكر. وعن عمر قال: لا تلطموا وجوه الدواب فإن كل شيء يسبح الله بحمده. وقد قال عمر: لو ماتت سخلة* بالعراق ضياعا لخشيت أن يسألني الله عز وجل عنها. وقال رضي الله عنه: والله لو عثرت بغلة في العراق لوجدتني مسئولا عنها، فقيل: لماذا يا أمير المؤمنين، فقال: لأنني مكلف بإصلاح الطريق. وقال عمر يوما: لقد خطر على قلبي شهوة السمك الطري، قال: فيرتحل يرفأ[2] راحلة له. فسار ليلتين إلى الجار*مدبرا وليلتين مقبلا، واشترى مكتلا، فجاءه به. قال: ويعمد يرفا إلى الراحلة، فغسلها، فأتى عمر وقال: انطلق حتى أنظر إلى الراحلة، فنظر ثم قال: نسيت أن تغسل هذا العرق الذي تحت أذنها، عذبت بهيمة من البهائم في شهوة عمر، لا والله لا يذوق عمر مكتلك.

أذن عمر يوما للناس، فدخل شيخ كبير يعرج ، وهو يقود ناقه رجيعا*يجاذبها حتى وقف بين ظهرانى الناس، ثم قال: وإنك مسترعى وإنا رعية وإنك مدعو بسيماك يا عمر لدى يوم شر شره لشراره وخير لمن كانت مؤانسه الخير. فقال عمر: لا حول ولا قوة الا بالله من أنت قال : عمرو بن براقة[3] قال: ويحك فما منعك أن تقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال] ثم قرأها إلى آخرها وأمر بناقته فقبضت، وحمله على غيرها وكساه وزوده.

عن قيس بن أبي حازم قال: جاء رجل إلى عمر يستحمله من إبل الصدقة فقال له: إنا ناقتي دبره نقبة فقال عمر: ليست كذلك فسمعه عمر يحدو بالليل وهو يقول: أقسم بالله أبو حفص عمر..ما مسها من نقب ولا دبر..فاغفر له اللهم إن كان فجر. فقال عمر: يا فلان هل علمت أني معكم؟ قال لا، فحمله وقال اللهم اغفر لي.عن الأحنف بن قيس قال: وفدنا إلى عمر بفتح عظيم، فقال: أين نزلتم؟ فقلت: في مكان كذا، فقام معنا حتى انتهينا إلى مناخ رواحلنا، فجعل يتخللها ببصره ويقول: ألا اتقيتم الله في ركابكم هذه؟ أما علمتم أن لها عليكم حقا؟ ألا خليتم عنها فأكلت من نبت الأرض؟. فقلنا: يا أمير المؤمنين، إنا قدمنا بفتح عظيم، فأحببنا التسرع إلى أمير المؤمنين، وإلى المسلمين بما يسرهم، ثم انصرف راجعا ونحن معه..

*(دبرة البعير) قرحة البعير. قرحة الدابة. يقال: دبر البعير. أصابته الدبرة (سخلة)صغار الغنم (الجار) مدينة على ساحل بحر القلزم أو الأحمر بينها وبين المدينة يوم وليلة (رجيعا) ناقة رجيع سفر، أي رجعت فيه مرات

■ (1) هشام بن حبيش بن خالد بن الأشعر الخزاعي حجازي والد حزام بن هشام كان ينزل قديد باصل ثنية لفت، روى عن عمر وسراقة بن مالك وعائشة روى عنه ابنه حزام سمعت أبي يقول ذلك.

■ (3) ابن براقة، عمرو بن الحارث بن عمرو بن منبه النهمي (بكسر النون) من همدان، ويعرف بعمرو بن براقة، وهي أمه: شاعر همدان قبيل الاسلام. له أخبار في الجاهلية. عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب، ووفد عليه. قال الكلبي: أذن عمر للناس فدخل عمرو بن براقة وكان شيخا كبيرا يعرج. توفي بعد 11 هـ.

■ (2) يرفأ مولى عمر، وكان حاجبه (البواب). (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

قال ناصر محمد الأحمد: إن الكثير من آيات القرآن تعرض لذكر الحيوانات، إما مذكرا ببديع خلقه سبحانه، أو منوها بواسع منه وكرمه على الإنسان بتسخير هذه الحيوانات له، أو مشيرا إلى سابغ نعمه وآلائه عليه بجعلها غذاء له وكساء ومالا ومتاعا، إلى غير ذلك، ويكفي أن نشير إلى أن هناك سورا في القرآن سميت بأسماء بعض الحيوانات، كسورة البقرة والأنعام والعنكبوت والفيل والنحل والنمل. والحيوانات أمم شتى، وأجناس مختلفة، تأكل وتشرب وتتناسل، تصح وتمرض، تنمو وتهرم، وأيضا تموت وتبعث ثم تحشر، إلا أنها لم تكلف لأنها لم تمنح نعمة التفكير كالإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام] وقال جل شأنه: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات] وقال تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر] ثم إن لهذه الحيوانات حظها في سكنى الأرض والتنقل فيها والتمتع بخيراتها من ماء ومرعى كما قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات] وقال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس] وقال تعالى:﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ [يونس] إذن للحيوان الحق في سكنى الأرض والتمتع بنعم الله وخيراته، فلا يجوز التضييق عليه ولا يجوز كذلك حرمانه من نعم الله في أرضه. إن الله تبارك وتعالى أوجب علينا حقوقا تجاه هذه الحيوانات، وقد تستنكر علي أخي المسلم أن أحدثك عن حقوق الحيوان في زمن أهدرت فيه حقوق الإنسان، وأهينت فيه كرامة الإنسان، بل وأريقت فيه دم هذا الإنسان بشكل عام ودماء المسلمين بشكل خاص، في أماكن كثيرة من بقاع الأرض، لقد أزهقت أرواح، وأبيدت أمم، ودمرت حضارات، ورملت نساء، وشرد أطفال، كل ذلك مع الأسف تحت عنوان .حماية حقوق الإنسان، ورعاية حقوق الإنسان، وصيانة روحه ودمه وعرضه، والدفاع عن فكره وثقافته ومعتقده- لا أدري هؤلاء يريدون أن يضحكوا على من؟ لقد أصبحت أوراق منظمات حقوق الإنسان مكشوفة حتى للحيوانات، وهو أن المقصود به هو الإنسان النصراني، والإنسان اليهودي، أما الإنسان المسلم فالواقع يشهد لحاله، أصبح الإنسان المسلم يلاحق في كل مكان، وأصبح الإنسان المسلم ينازع حتى في اللقمة التي يضعها في فم أولاده، صار الإنسان المسلم يخاف في بيته الذي يسكن فيه وفي فراشه الذي ينام عليه. لا بأس أخي المسلم أن أحدثك الآن عن بعض حقوق الحيوان في الإسلام، لتدرك أن هذه الشريعة حفظت حقوق الحيوانات والبهائم، مما بالكم بالإنسان، وليخرس بعد ذلك أرباب منظمات حقوق الإنسان.

- أولا: الإحسان إليه حتى حال ذبحه، فعن شداد بن أوس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ﴾
- ثانيا: حرمة دم الحيوان، فدم الحيوان مصان إلا ما أحل الله ذبحه لأكله وقتله لأذيته.عن عمر قال: لا يلطم وجوه الدابة ولا توسم.
- ثالثا: لا يجوز تعذيب الحيوان، عن سعيد بن جبير قال: ﴿مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا﴾ وأظن أنه لا يخفاك أخي المسلم ما تفتق عنه فكر الإنسان المعاصر، المتسربل برداء المدنية المزيفة، المتحضر بحضارة القرن العشرين أن يتلذذ بمشاهدة مصارعة الثيران أو مصارعة الديكة، ومثله أكلة دماغ القردة في الفلبين، أو ما يقدم في بعض مطاعم اليابان من السمك المقلي أو المشوي وهو لا يزال يتقلب حيا في الصحفة إلى ذلك الزبون المفترس.
- رابعا: يحرم حبس الحيوان والتضييق عليه، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ، لَا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ﴾ عن عبيد الله بن عمر قال: مر بعمر بن الخطاب حمار عليه عشر لبنات، فقام فوضع عنه خمسا وترك عليه خمسا، وقال لصاحبه: إذا حملت عليه فأحمل عليه هكذا.
- خامسا: عدم إرهاقه في العمل، فهذا حق للحيوان سوف تحاسب عنه يوم القيامة إذا حملته مالا يطيق، تأمل معي قصة الجمل الذي اشتكى ما يلاقيه من تعب ووجوع إلى المبعوث رحمة للعالمين صلوات ربي وسلامه عليه، فعن عبد الله بن جعفر قال: ﴿أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُخْبِرُ بِهِ أَحَدًا أَبَدًا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ فِي حَاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ فَدَخَلَ يَوْمًا حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ قَدْ أَتَاهُ فَجَرْجَرَ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ قَالَ: بَهْزٌ وَعَفَّانُ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَاتَهُ وَذِفْرَاهُ فَسَكَنَ فَقَالَ: مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَهَا اللَّهُ إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ﴾ (ذفري البعير) أصل أذنه، وهو الموضع الذي يعرق منه الإبل خلف الأذن (وتدئبه) أي تتعبه.ألا فليسمع هذا دعاة حقوق الإنسان وأولئك الذين يظلمون الناس ويأكلون حقوقهم، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان عنده رقيق أن لا يكلفهم مالا يطيقون وأن فعل أن يعيينهم بنفسه، فكيف بمن يرهق عماله وموظفيه الأحرار، ثم يأكل حقوقهم وأموالهم بالباطل.نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، واتباع سنة نبينا.
- سادسا حقوق الحيوان الذي أوجبه الإسلام: استخدامه فيما خلق له، وعدم استخدامه في غير ما سخر له، وفي الصحيحين: ﴿قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً لَهُ قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ الْبَقَرَةُ فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا وَلَكِنِّي إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، تَعَجُّبًا وَفَزَعًا أَبَقَرَةٌ تَكَلَّمُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ﴾ وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رقيق المشاعر، رحيما بالإنسان والحيوان، كتب ذات يوم إلى واليه في مصر قائلا له: بلغني أن الحمالين في مصر يحملون فوق ظهور الإبل فوق ما تطيق، فإذا جاءك كتابي هذا، فامنع أن يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل.
- سابعا: احترام مشاعر الحيوان، نعم احترام مشاعره، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يحد السكين بحضرة الحيوان الذي يذبح، فمرة مر على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال: ﴿أَفَلَا قَبْلَ هَذَا أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَتَيْنِ؟﴾ رواه الطبراني وغيره. بل إن الإسلام راعى حق الأمومة عند الحيوان، فعن ابن مسعود قال: ﴿كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتْ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا، فَقَالَ: مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ قُلْنَا نَحْنُ، قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ﴾.

أيها المسلمون: هذه بعض حقوق الحيوان في الإسلام، ولقد أدرك الرعيل الأول من سلف هذه الأمة حقوق الحيوان وحرمتها وأنها مسؤولية وأمانة، ولذا لما ولاهم الله حقوق الإنسان رعوها حق رعايتها، تأمل في كلام عمر بن الخطاب عندما قال: لو أن بغلة في العراق تعثرت لخشيت أن يسألني الله عنها لم لم أسوي لها الطريق.عمر يخشى المحاسبة أمام الله عز وجل يوم القيامة لعدم تسوية الطريق لبغلة، وأين؟ في العراق وليست عنده (في المدينة)! لذلك لما تولى أمثال عمر الخلافة لم يحتاجوا إلى إنشاء منظمات لحفظ حقوق الإنسان لأن كرامة الإنسان محفوظة ابتداء عندهم، ولم يحتاجوا إلى أن يتبجحوا في وسائل إعلامهم أنهم قد أعطوا الإنسان كامل حقوقه.عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟! قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ﴾.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ موسوعة الخطب والدروس/ كنز العمال/ أسد الغابة/ شرح نهج البلاغة/ أنساب الأشراف/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/

عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي، قال: دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا من بني جمح، يقال له: سعيد بن عامر بن حذيم[1]،من ولاة عمر الذين اشتهروا بزهدهم، فقال له: إني مستعملك على أرض كذا وكذا فقال: أو تقيلني يا أمير المؤمنين؟ قال: فوالله لا أدعك، قلدتموها في عنقي وتتركوني، ثم قال: ألا نفرض لك رزقا؟ فقال: قد جعلت لي في عطائي ما يكفيني دونه فضلا على ما أريد، قال: وكان إذا خرج عطاؤه ابتاع لأهله قوتهم، وتصدق ببقيته، فتقول له امرأته: أين عطاؤك؟ فيقول: قد أقرضته، فأتاه ناس، فقالوا: إن لأهلك عليك حقا، وإن لأصهارك عليك حقا، فقال: ما أنا بمستأثر عليهم، ولا بملتمس رضى أحد من الناس بطلب الحور العين، لو اطلعت خيرة من خيرات الجنة لأشرقت لها الأرض كما تشرق الشمس، وما أنا بمتخلف عن العنق الأول بعد إذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ﴿يُجْمَعُ النَّاسُ لِلْحِسَابِ، فَيَجِيءُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ فَيَزِفُّونَ* كَمَا يَزِفُّ الْحَمَامُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: قِفُوا عِنْدَ الْحِسَابِ، فَيَقُولُونَ: مَا عِنْدَنَا مِنْ حِسَابٍ، وَلاَ أَسَمَّوْنَا، فَيَقُولُ لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ عِبَادِي، فَيُفْتَحُ لَهُمْ بَابُ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُونَهَا قَبْلَ النَّاسِ بِسَبْعِينَ عَامًا﴾ فبلغ عمر أنه يمر به كذا وكذا لا يدخن في بيته فأرسل إليه عمر بمال فأخذه فصرره صررا فتصدق به يمينا وشمالا وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لَوْ أَنَّ حَوْرَاءَ أَطْلَعَتْ إِصْبَعًا مِنْ أَصَابِعِهَا لَوجد رِيحُها كُلُّ ذِي رُوحٍ﴾ فأنا أدعهن لكن فوالله لأنتن أحرى أن أدعكن لهن منهن.

عن حسان بن عطية قال: لما عزل عمر بن الخطاب معاوية بن أبي سفيان عن الشام (حمص؟) بعث سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي، قال: فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه، قال: فما لبث إلا يسيرا حتى أصابته حاجة شديدة، قال: فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بألف دينار، قال: فدخل بها على امرأته، فقال: إن عمر بعث إلينا بما ترين، فقالت: لو أنك اشتريت أدما وطعاما وادخرت سائرها. فقال لها: أو لا أدلك على أفضل من ذلك، نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانها عليه، قالت: فنعم إذا، فاشترى أدما وطعاما واشترى غلامين وبعيرين يمتاران* عليهما حوائجهم وفرقها على المساكين وأهل الحاجة. قال: فما لبث إلا يسيرا حتى قالت له امرأته: إنه قد نفد كذا وكذا فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه، قال: فسكت عنها ثم عاودته فسكت عنها حتى آذته ولم يدخل بيته إلا من ليل إلى ليل، قال: وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله فقال لها: ما تصنعين إنك قد آذيته وإنه قد تصدق بذلك، قال: فبكت أسفا على ذلك المال، قال: ثم إنه دخل عليها يوما فقال: على رسلك إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صددت عنهم وإن لي الدنيا وما فيها ولو أن خيرة من خيرات الجنان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ولنصيف تكسى خير من الدنيا وما فيها فلأنت في نفسي أحرى أن أدعك لهن من أن أدعهن لك، قال: فسمحت ورضيت.

عن مالك بن دينار قال: لما أتى عمر رضي الله عنه الشام طاف بكورها، قال: فنزل بحضرة حمص فأمر أن يكتبوا له فقراءهم، قال: فرفع إليه الكتاب فإذا فيه سعيد بن عامر بن حذيم أميرها، فقال: من سعيد بن عامر؟! قالوا: أميرنا، قال: أميركم! قالوا: نعم، فعجب عمر ثم قال: كيف يكون أميركم فقيرا ؟! أين عطاؤه ؟ أين رزقه ؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، لا يمسك شيئا، قال: فبكى عمر ثم عمد إلى ألف دينار فصرها ثم بعث بها إليه وقال: أقرئوه مني السلام وقولوا بعث بهذه إليك أمير المؤمنين تستعين بها على حاجتك، فقال: فجاء بها إليه الرسول، فنظر فإذا هي دنانير، قال: فجعل يسترجع*، قال: تقول له امرأته: ما شأنك يا فلان؟ أمات أمير المؤمنين؟ قال: بل أعظم من ذلك، قالت: فما شأنك؟ قال: الدنيا أتتني الفتنة دخلت علي، قالت: فاصنع فيها ما شئت، قال: عندك عون؟ قالت: نعم، قال: فأخذ دريعة فصر الدنانير فيها صرارا ثم جعلها في مخلاة ثم اعترض جيشا من جيوش المسلمين فأمضاها كلها، فقالت له امرأته: رحمك الله، لو كنت حبست منها شيئا نستعين به قال: فقال لها: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿لَوْ اطَّلَعَتْ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحَ الْمِسْكِ﴾ وإني والله ما كنت لأختارك عليهن. فسكتت.

عن عبد الله بن زياد: أن عمر بن الخطاب أعطى سعيد بن عامر ألف دينار، فقال: لا حاجة لي فيها؛ أعط من هو أحوج إليها مني، فقال عمر: على رسلك حتى أحدثكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إن شئت فاقبل وإن شئت فدع، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض علي شيئا فقلت مثل الذي قلت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أُعْطِيَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ وَلَا اسْتِشْرَافِ نَفْسٍ فَإِنَّهُ رِزْقٌ مِنْ اللَّهِ فَلْيَقْبَلْهُ وَلَا يَرُدَّهُ﴾ أخرجه ابن عساكر فقال سعيد: أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نعم، فقبله. وعند الحاكم عن زيد بن أسلم أن عمر قال لسعيد بن عامر بن حذيم رضي الله عنه: ما لأوهل الشام يحبونك؟ قال: أراعيهم وأواسيهم؛ فأعطاه عشرة آلاف فردها وقال: إن لي أعبدا وأفراسا وأنا بخير، وأنا أريد أن يكون عملي صدقة على المسلمين، فقال عمر: لا تفعل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني مالا دونها فقلت نحوا مما قلت، فقال لي:﴿إِذَا آتَاكَ اللهُ مَالاً لَمْ تَسْأَلْهُ وَلَمْ تَشْرَهْ نَفْسُكَ إِلَيْهِ فخذه فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقُ اللهِ أَعْطَاكَ إياه﴾.

وعند البيهقي، وابن عساكر عن أسلم كما في الكنز قال: كان رجل من أهل الشام مرضيا فقال له عمر: علام يحبك أهل الشام؟ قال: أغازيهم وأواسيهم، فعرض عليه عشرة آلاف، قال: خذ واستعن بها في غزوك، قال: إني عنها غني، فذكر نحوه.

----

*(يزفون) إن كسرت الزاي فمعناه يسرع، ومن زف في مشيه وأزف إذا أسرع. وإن فتحت فهو من زففت العروس أزفها إذا أهديتها إلى زوجها (يمتاران) الميرة بلا همز:جلب القوم الطعام للبيع وهم يمتارون لأنفسهم ويميرون غيرهم ميرا. يقال ماره يموره إذا أتاه بميرة أي بطعام (الاسترجاع) قول المرء: إنا لله وإنا إليه راجعون.

■ (1) سعيد بن عامر بن حذيم بن سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح القرشي الجمحي، أسلم قبل خيبر وشهدها مع رسول الله وما بعدها. ولاه عمر على حمص والجزيرة بعد وفاة عياض بن غنم ولم تطل مدة ولايته فقد توفي في السنة التي ولي فيها سنة 20 هـ وقيل قبلها بسنة أو بعدها بسنة. قال ابن عبد البر: هذا قول أكثر أهل النسب إلا ابن الكلبي فإنه يدخل بين ربيعة وسعد بن جمح عريجا فيقول : سلامان بن ربيعة بن عريج ابن سعد بن جمح وقال الزبير: هذا خطأ من ابن الكلبي ومن كل من قاله ولا مدخل هاهنا لعريج لأن عريجا ولوذان وربيعة إخوة بنو سعد بن جمح ولم يكن لعريج ولد إلا بنات

■ (2) خبيب بن عدي الأنصاري من بني جحجبا بن عوف بن كلفة، شهد بدرا، وأسر يوم الرجيع في السرية التي خرج فيها مرثد بن أبي مرثد، وعاصم بن ثابت، وخالد ابن البكير في سبعة نفر فقتلوا، وذلك في سنة 3 هـ، ثم قتله عقبة بن الحارث.

عن أبي معشر: أن عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر، فلما أراد أن يسير قال:سعيد لعمر: إني موصيك بكلمات من جوامع الآلام ومعالمه: اخش الله في الناس، ولا تخش الناس في الله، ولا يخالف قولك فعلك، فإن خير القول ما صدقه الفعل، وأحب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك، وخض الغمرات إلى الحق حيث علمته، ولا تخف في الله لومة لائم. قال: ومن يستطع ذلك يا أبا سعيد؟ قال: من ركب في عنقه مثل الذي ركب في عنقك. فقال عمر: جزاك الله خيرا، وأنا أوصيك بتقوى الله، وطاعته ما استطعت. وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كان رجل في أهل الشام مرضيا فقال له عمر: على ما يحبك أهل الشام؟ قال: أغازيهم وأواسيهم. قال فعرض عليه عمر عشرة آلاف قال: خذها واستعن بها فى غزوك قال: إني عنها غنى قال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض على مالا دون الذي عرضت عليك فقلت له مثل الذي قلت لي فقال لي:﴿إِذَا آتَاكَ اللهُ مَالاً لَمْ تَسْأَلْهُ وَلَمْ تَشْرَهْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ فَاقْبَلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْكَ﴾ أخرجه البيهقي

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ الخلفاء الراشدين للصلابي/ أنساب الأشراف/ـمحض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ إتحاف الخيرة المهرة/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ كتاب العين/ أنساب الأشراف/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ـ

عن خالد بن معدان قال: استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحمص سعيد بن عامر بن حذيم[1] فلما قدم عمر حمص قال: يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه وكان يقال لأهل حمص الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال قالوا: نشكو أربعا لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بها، قال: وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحدا بليل، قال: وعظيمة، قال: وماذا؟ قالوا: له يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال: عظيمة، قال: وماذا؟ قالوا: يغبط الغبطة* بين الأيام أي تأخذه موتة. قال: فجمع عمر بينهم وبينه، وقال: اللهم، لا تفيل رأيي فيه اليوم، ما تشتكون منه؟ قالوا: لا يخرج حتى يتعالى النهار، قال: والله إن كنت لأكره ذكره إنه ليس لأهلي خادم فأعجن عجينهم ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم. فقال: ما تشتكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحدا بليل، قال: ما يقولون؟ قال: إن كنت لأكره ذكره إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل، قال: وما تشكون منه؟ قالوا: إن له يوما في الشهر لا يخرج إلينا فيه، قال: ما يقولون ؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار، قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام، قال: ما يقولون؟ قال: شهدت مصرع خبيب الأنصاري[2] بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذع فقالوا: أتحب أن محمدا مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدا شيك بشوكة ثم نادى يا محمد، فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أومن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبدا فتصيبني تلك الغنظة، فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفيل فراستي. فبعث إليه بألف دينار وقال: استعن بها على حاجتك، فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك، فقال لها: فهل لك في خير من ذلك ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها؟ قالت: نعم، فدعا رجلا من أهله يثق به فصررها صررا ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان وإلى مسكين آل فلان وإلى مبتلي آل فلان فبقيت منها ذهيبة فقال: انفقي هذه ثم عاد إلى عمله فقالت: ألا تشتري لنا خادما ما فعل ذلك المال؟ قال: سيأتيك أحوج ما تكونين.

قال ابن عبد البر: يقال: إن سعيد بن عامر بن حذيم هذا اسلم قبل خيبر وشهدها وما بعدها من المشاهد وكان خيرا فاضلا ووعظ عمر، فقال له عمر: من يقوى على ذلك؟! قال : أنت يا أمير المؤمنين، إنما هو أن تقول فتطاع، وولاه عمر بعض أجناد الشام فبلغ عمر أنه يصيبه لمم* فأمره بالقدوم عليه وكان زاهدا فلم ير معه إلا مزودا وعكازا وقدحا، فقال له عمر: ليس معك إلا ما أرى؟ فقال له سعيد: وما أكثر من هذا، عكاز أحمل بها زادي، وقدح آكل فيه!. فقال له عمر: أبك لمم؟ قال: لا . قال: فما غشية بلغني أنها تصيبك؟ قال: حضرت خبيب بن عدي حين صلب فدعا على قريش وأنا فيهم، فربما ذكرت ذلك فأخذتني فترة يغشى علي. فقال له عمر: فارجع إلى عملك. فأبى وناشده إلا أعفاه. فقيل: إنه أعفاه. وقيل: إنه لما مات أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان ولى عمرا سعيد بن عامر حمص فلم يزل عليها حتى مات فحينئذ جمع عمر الشام لمعاوية.وقال الهيثم بن عدي: كان سعيد بن عامر أمير قيسارية. وقال غيره: استخلف عياض بن غنم الفهري سعيد بن عامر بن حذيم فأقره عمر. وروى أنه لما اجتمعت الروم يوم اليرموك واستغاث أبو عبيدة عمر فأمده بسعيد بن عامر بن حذيم فهزم الله المشركين بعد قتال شديد. واختلف في وقت وفاته فقيل توفي سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين وقيل سنة إحدى وعشرين وهو ابن أربعين سنة.

----

*(يغبط) إغبطت عليه الحمى..اللسان: غبط. وفي الحلية: يغنظ الغنظة (اللمم) طرف من الجنون يعترى الإنسان

■ (1) سعيد بن عامر بن حذيم بن سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح القرشي الجمحي، أسلم قبل خيبر وشهدها مع رسول الله وما بعدها. ولاه عمر على حمص والجزيرة بعد وفاة عياض بن غنم ولم تطل مدة ولايته فقد توفي في السنة التي ولي فيها سنة 20 هـ وقيل قبلها بسنة أو بعدها بسنة. قال ابن عبد البر: هذا قول أكثر أهل النسب إلا ابن الكلبي فإنه يدخل بين ربيعة وسعد بن جمح عريجا فيقول : سلامان بن ربيعة بن عريج ابن سعد بن جمح وقال الزبير: هذا خطأ من ابن الكلبي ومن كل من قاله ولا مدخل هاهنا لعريج لأن عريجا ولوذان وربيعة إخوة بنو سعد بن جمح ولم يكن لعريج ولد إلا بنات

■ (2) خبيب بن عدي الأنصاري من بني جحجبا بن عوف بن كلفة، شهد بدرا، وأسر يوم الرجيع في السرية التي خرج فيها مرثد بن أبي مرثد، وعاصم بن ثابت، وخالد ابن البكير في سبعة نفر فقتلوا، وذلك في سنة 3 هـ، ثم قتله عقبة بن الحارث.

حدث عطية بن قيس: أن عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر على جند حمص، فقدم عليه، فعلاه بالدرة، فقال سعيد: سبق سيلك مطرك، إن تستعتب نعتب، وإن تعاقب نصبر، وإن تعف نشكر. قال: فاستحيى عمر، وألقى الدرة، وقال: ما على المؤمن أو المسلم أكثر من هذا، إنك تبطيء بالخراج. فقال سعيد: إنك أمرتنا أن لا نزيد الفلاح على أربعة دنانير، فنحن لا نزيد، ولا ننقص، إلا أنا نؤخرهم إلى غلاتهم. فقال عمر: لا أعزلك ما كنت حيا.

قال البلاذري: حدثني داود بن عبد الحميد عن أبيه عن جده قال: لما احتضر سعيد بن عامر بن حذيم أمر فكتب إلى عمر: إن الغلظة مع النصيحة خير من اللين مع الغش، وقد كنت منكرا لأمر من أمرك فلم أواجهك به إذ لم أجد لذلك موضعا، وقد خفت أن أموت ولم ألقه إليك، إني رأيت منك في أمر قدامة صهرك تحاملا على الشهود الذين شهدوا عليه، ومخاصمة عنه، والحاكم لا يكون خصما، فاحذر مثلها، واستغفر الله منها، واذكر الله عند لسانك إذا نطقت، وعند يدك إذا قسمت وبطشت، وعند همك إذا هممت، فإن الله لا يخادع ولا يقبل إلا نخيلة الأعمال بخالص النيات، ولست تعلم يا أمير المؤمنين من جهل، وأنا أقرأ عليك السلام. فلما قرأ عمر الكتاب بكى وقال: رحمك الله أبا عمرو، فلقد مضيت طاهر الثوب، ناصح الجيب، لا يأخذك في الله لومة لائم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ الخلفاء الراشدين للصلابي/ أنساب الأشراف/محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ إتحاف الخيرة المهرة/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ كتاب العين/ أنساب الأشراف/ حياة الصحابة للكاندهلوى/.

كتب عمر إلى عتبة بن غزوان[1] أن أنزل البصرة الناس، فيكونوا بها، ويغزوا عدوهم من قريب. وقد كان عتبة خطب الناس، فكان أول خطبة خطبها بالبصرة -وكان بدريا- فحمد الله وأثنى عليه فقال: ألا إن الدنيا قد أدبرت وتولت، وآذنت بصرم، فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يصطبها أحدكم، ألا وإنكم منتقلون من هذه الدار لا محالة إلى دار مقامة، فانتقلوا بخير ما يحضرنكم، ولقد بلغني أن الحجر يلقى من شفير جهنم فلا يبلغ قعرها سبعين خريفا، فعجبتم، والله لتملأن! لقد بلغني أن للجنة ثمانية أبواب، عرض ما بين جانبي الباب مسيرة خمس مئة عام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ* من الزحام، ولقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سبعة ما لنا طعام إلا ورق الشجر وشوك القتاد حتى قرحت* أشداقنا*؛ ولقد التقطت يوما تمرة فشققتها بيني وبين سعد بن أبي وقاص، وما منا اليوم رجل إلا وهو أمير على مصر من الأمصار، ألا وإنها لم تكن نبوة فتطاولت، إلا تناسخت ملكا، وأعوذ بالله أن أكون عظيما في نفسي، صغيرا في أعين الناس، وستجربون الأمراء بعدنا وتعرفون منهم وتنكرون؛ يغفر الله لي ولكم.

قال: فبينا عتبة في خطبته إذ أقبل رجل من ثقيف، يكنى أبا عبد الله، بكتاب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن غزوان: أما بعد فإن أبا عبد الله ذكر أنه اقتنى خيلا بالبصرة حين لا يقتنيها أحد، فإذا أتاك كتابي هذا فأحسن جوار أبي عبد الله وأعنه على ما استعانك عليه. فكان أبو عبد الله أول من ارتبط بالبصرة فرسا واتخذه، وكان سعد بن أبي وقاص[2] يكتب إلى عتبة بن غزوان كتاب الأمير عليه، فأنف من ذلك عتبة وكتب إلى عمر أن يقدم عليه، فأذن له واستخلف عتبة على البصرة المغيرة بن شعبة[3] فجاء إلى عمر فشكا إليه تسليط سعد بن أبي وقاص عليه؛ فسكت عمر عنه، فأعاد ذلك مرارا حتى أكثر عليه فقال: وما عليك يا عتبة أن تقر بالإمارة لرجل من قريش له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف! فلما قضى حجه أمره أن يرجع إلى عمله، فأبى أن يفعل، وحلف أن لا يرجع إليه أبدا ولا يلي عملا* [قيل: فأبى عمر إلا رده فسقط عن راحلته في الطريق فمات وذلك في سنة ست عشرة].

فكتب عمر إلى المغيرة فاستعمله على البصرة، وأمره أن يغزو من قبله، فغزى وافتتح نهر تيرى*،ورجع فأقام بالبصرة. وكان بالبصرة امرأة من بني هلال يقال لها أم جميل، وكانت امرأة حادرة*،وكان لها زوج من ثقيف يقال له الحجاج بن عبيد فهلك، فكان المغيرة يدخل عليها، فبلغ ذلك أهل البصرة فأعظموه، حتى أساء به الظن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل عليه الرصد،فخرج المغيرة يوما من الأيام حتى دخل عليها،فانطلق أبو بكرة الثقفي[4] وزياد بن عبيد[5] -أخو أبي بكرة لأمه واستلحقه معاوية؛وأم أبي بكرة وزياد سمية-وشبل بن معبد البجلي[6] وكان شريفا ولم يكن بالبصرة رجل من بجيلة غيره، ونافع بن الحارث بن كلدة[7] فأتوا الباب فكشفوا الستر والمغيرة مع المرأة، فشهدوا أنه قد واقعها وقيل: إن أبا بكرة والمغيرة كانا متجاورين بينهما طريق، وكانا في مشربتين متقابلتين لهما في داريهما، في كل واحدة منهما كوة مقابلة للأخرى. فاجتمع إلى أبي بكرة نفر يتحدثون في مشربته، فهبت ريح ففتحت باب الكوة، فقام أبو بكرة ليسفقها* فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كوة مشربته وهو بين رجلي امرأة، فقال للنفر: قوموا فانظروا. فنظروا، ثم قال: اشهدوا، قالوا: ومن هذه؟ قال: أم جميل بنت الأفقم، وكانت أم جميل إحدى بني عامر بن صعصعة، وكانت غاشية للمغيرة، وتغش الأمراء والأشراف، فقالوا: إنما رأينا أعجازا ولا ندري ما الوجه. ثم إنهم صمتوا حين قامت. فلما خرج المغيرة إلى الصلاة حال أبو بكرة بينه وبين الصلاة وقال: لا تصل بنا. قالوا: فركب أبو بكرة إلى عمر بن الخطاب، فدخل عليه فأخبره. فزعموا أن عمر لما رآه قال: اللهم، إني أسألك خير ما جاء به، وأعوذ بك من شر ما جاء به. ثم قال: أبو بكرة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: لقد جئت بسوءة، قال: إنما جاء بها المغيرة بن شعبة. وقص عليه القصة.

فبعث عمر عبد الله بن قيس[7] وهو أبو موسى الأشعري أميرا على البصرة، وعزم عليه أن يسرح المغيرة إليه وأصحابه الذين يشهدون عليه حتى يقدم. فقال أبو موسى: يا أمير المؤمنين! أعني بنفر من الأنصار، فإني وجدت هذا الأمر لا يصلح إلا بهم، كما لا يصلح العجين إلا بالملح. فبعث معه أنس بن مالك[8] في نفر من الأنصار. فخرج أبو موسى حتى قدم البصرة، فنزل المربد وبعث بكتاب عمر إلى المغيرة بن شعبة وفيه: ثكلتك أمك! إذا نظرت في كتابي هذا فاقدم أنت والنفر الذين سميت معك. فلما جاء الخبر إلى المغيرة أن أبا موسى قد نزل المربد قال: ما جاء الأشعري زائرا ولا تاجرا. ثم أحسن أبو موسى في أمره، ثم رحل أبو موسى النفر الذين يشهدون عليه حتى قدموا على عمر. وقد كان المغيرة أرسل إلى أبي موسى حين قدم عليه بجارية من مولدات الطائف يقال لها عقيلة، وقال: إني رضيتها لك فاتخذها لنفسك.

لما قدم المغيرة والشهود* على عمر سألهم، فشهد ثلاثة فأثبتوا الشهادة، وتقدم الرابع وهو زياد بن عبيد، وكان آخرهم، فشهد، فزعموا أن عمر قال: إني لأرى وجه رجل لا يخزي الله به رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ادْرَؤُوا الْحُدُودَ عَنْ عِبَادِ اللهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فقال زياد لما فحصه عمر: وكع* قليلا، فكبر المغيرة وقال لأبي بكرة حين أثبت عليه الشهادة: لقد حرصت على النظر! قال أبو بكرة: أجل والله، أي عدو الله! على أن يخزيك الله بعملك الخبيث، وقال لعمر: والله لكأني أنظر إلى بثر في فخذ المرأة؛ فسأل عمر زيادا عن شهادته فقال: لقد رأيت منظرا قبيحا ونفسا عاليا، وما رأيت الذي فيه ما فيه الأمر. فكبر عمر وجلد أبا بكرة ونافعا وشبلا. فقال أبو بكرة: أما والذي بعث محمدا بالحق لقد رأى زياد مثل الذي رأيت، ولكنه كتم الشهادة، وإن المغيرة لزان. فأراد عمر أن يعيد عليه الحد مرة أخرى، فقال له علي:[9] يا أمير المؤمنين! إذن تكمل شهادته أربعة ويحل على صاحبك الرجم. فتركه وكتب إلى أبي موسى أن لا تجالسوا أبا بكرة فإنه شيطان. فحلف أبو بكرة أن لا يكلم زيادا أبدا. فولى زياد البصرة بعد ذلك، فلم يكلمه حتى مات.

----

* (كظيظ) الكثير الممتلئ (حلف أن لا يرجع إليه أبدا ولا يلي عملا) كذا وفي معجم البلدان: فأبى عمر إلا رده فسقط عن راحلته في الطريق فمات وذلك في سنة ست عشرة. (حادرة) الحادر: الحسن الخلق الممتلئ البدن (كع) جبن وضعف.(يسفق) أي أغلق (الشهود) وهم أربعة أخوة لأم اسمها سمية، وهم: نافع، وأبو بكرة، وهما أخوان لأبوين، وزياد ابن أبيه، وهو أخوهما لأمها، والرابع شبل بن معبد، لكن زياد لم يجزم بالشهادة بحقيقة الزنا، فلم يثبت، ولم يحد المغيرة، وجلد عمر، رضي الله تعالى عنه، الثلاثة.(نهر تيرى) بكسر التاء الثناة من فوقها وياء ساكنة وراء مفتوحة مقصور بلد من نواحي الأهواز حفره أردشير الأصغر بن بابك.(الشدق) جانب الفم وجمعه أشداق (قرحت) أي صار فيها قروح.

- (1) عتبة بن غزوان بن جابر، كنيته أبو عبد الله.سابع سبعة أسلموا. هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرا والمشاهد.وكان أحد الرماة وأمراء الغزاة، اختط البصرة وأنشأها.والبصرة قبل تسمى أرض الهند. مات بالمدينة ويقال مات سنة 17 هـ في طريق مكة بموضع يقال له معدن بني سليم.
- (9) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى وزوج ابنته.يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن 7 سنين، ويقال 9، ويقال 10، ويقال 15، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد سنة 23 ق هـ، و مات سنة 40 هـ.
- (2) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري المديني، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ.
- (3) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية مع رسول الله، وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية، وكان موصوفا بالدهاء والحلم. وولي البصرة ثم الكوفة لعمر، وولي الكوفة بعد ذلك لمعاوية، فمات بها وهو وال عليها سنة 50 أو51 هـ.
- (4) أبو بكرة الثقفي الطائفي مولى النبي. اسمه نفيع بن الحارث. وقيل نفيع بن مسروح. تدلى في حصار الطائف ببكرة، وفر إلى النبي وأسلم على يده فأعتقه. كان من فقهاء الصحابة، أمه سمية، فهو أخو زياد بن أبيه لامه.مات في خلافة معاوية، بالبصرة. سنة 51 هـ.وقيل سنة 52 هـ
- (5) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ
- (8) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم. أمه أم سليم بنت ملحان ذهبت به أمه إلى رسول الله حين قدم المدينة فكان يخدمه وكان له يومئذ 9 سنين ويقال 8 ويقال 10. مات بالبصرة سنة 92 هـ وقيل 93 هـ وقيل 91 هـ وغسله ابن سيرين وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة.
- (7) أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. من بني الأشعر. التميمي، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذا على زبيد، وعدن. وولي البصرة لعمر، وعثمان، وولي الكوفة، وبها مات سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ.
- (6) شبل بن معبد بن عبيد بن الحارث البجلي، نسبه أبو جعفر الطبري وأبو أحمد العسكري، وقال: لا يصح له سماع من النبي ، وقال ابن السكن: يقال له صحبة، وأمه سمية والدة أبي بكرة وزياد.
- (7) نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي أخو أبي بكرة، أسلم يوم الطائف

☪

عن عروة، عن أم المؤمنين عائشة، قالت:﴿ادْرَؤُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِذَا وَجَدْتُمْ لِلْمُسْلِمِ مَخْرَجًا، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَإِنَّ الإِمَامَ أَنْ يُخْطِىءَ فِي الْعَفْوِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ﴾ وعن ابن عباس موقوفا:﴿ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ، وَأَقِيلُوا الْكِرَامَ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ﴾ وعن إبراهيم ، قال: قال عمر بن الخطاب: لأن أعطل الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها في الشبهات. وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه؛ أن معاذا، وعبد الله بن مسعود، وعقبة بن عامر، قالوا: إذا اشتبه عليك الحد فادرأه. وعن عيسى بن عاصم، قال: خرج قوم في سفر، فمروا برجل فنزلوا به، فطلق امرأته ثلاثا، فمضى القوم في سفرهم، ثم عادوا فوجدوه معها، فقدموه إلى شريح، فقالوا: إن هذا طلق امرأته ثلاثا ووجدناه معها، فأنكر، فقال: تشهدون أنه زان؟ فأعادوا عليه القول كما قالوا، فقال: تشهدون أنه زان؟ فأعادوا عليه، ففرق بينهما، ولم يحدهما، وأجاز شهادتهما. وعن ابن جريج، عن عطاء؛ في رجل طلق امرأته فأشهد شاهدين، ثم قدم القرية التي بها المرأة، فغشيها وأقر بأن قد أصابها، وأنكر أن يكون طلقها، فقال عطاء: تجوز شهادتهما، ويفرق بينهما، ولا يحد. وعن عمرو، عن الحسن؛ في أربعة شهدوا على رجل أنه طلق امرأته ثلاثا، فأنكر، وأقر بغشيان المرأة، فقال: لا حد عليه لأنه مخاصم. وعن جابر بن زيد، وهو قول قتادة ؛ أنهما قالا : يفرق بينهما بشهادة اثنين وثلاثة، ويرجم بشهادة أربعة. وعن الحسن ؛ في الرجل يقول للرجل: أخبرني فلان أنك زنيت، قال: ليس عليه حد لأنه أضافه إلى غيره.

قيل: ساوم عمر بن الخطاب بفرس فركبه ليجربه فعطب، فقال لصاحبه خذ فرسك. فأبى الرجل، فاحتكما إلى شريح، فقال شريح: يا أمير المؤمنين خذ ما ابتعت أو رد كما أخذت. فقال عمر: وهل القضاء إلا هكذا؟ فبعثه إلى الكوفة قاضيا. وكان يتعاهده بالرسائل التي تحتوي على توجيهات بالقضاء وطرقه.

☪

عندما وجه الفاروق عتبة بن غزوان إلى البصرة قال ناصحا إياه ومذكرا له بقوله: اتق الله فيما وليت وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر يفسد عليك إخوتك وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعززت به بعد الذلة، وقويت به بعد ضعف حتى صرت أميرا مسلطا وملكا مطاعا تقول فيسمع منك وتأمر فيطاع أمرك فيا لها من نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك عن من دونك.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ رجال مسلم/ تهذيب الأسماء/ معجم البلدان/مختار الصحاح/

استعمل عمر بن الخطاب المغيرة بن شعبة[1] على البحرين فكرهوه، فعزله، ثم خافوا أن يرد عليهم ثانية، فقال دهقان لهم: إن صنعتم ما آمركم لم يرد عليكم المغيرة. قالوا: مرنا بأمرك. قال: اجمعوا إلي مئة ألف درهم. قال: فجمعوا له مئة ألف، فحمله إلى عمر، فوضعه بين يديه، فقال له عمر: يا دهقان! ما هذا؟ قال: إن المغيرة اختان هذا من مال الله ودفعه إلي. فبعث عمر إلى المغيرة، فدعاه فقال: ما يقول هذا ؟ قال: كذب –أصلحك الله– دفعت إليه مئتي ألف! قال: ما حملك على ذا ؟ قال: العيال والحاجة؛ فقال عمر للدهقان: ما تقول ؟ قال الدهقان: ما دفع إلي شيئا، ولكنا كرهناه فخفنا أن ترده علينا. قال عمر للمغيرة: ما أردت بقولك مئتي ألف؟ قال: كذب علي الخبيث فأحببت أن أخزيه.

كان فتح الأبلة* على يدي عتبة بن غزوان[2] في رجب أو شعبان سنة أربع عشرة، فلما خرج عتبة إلى عمر قال للمغيرة بن شعبة: صل بالناس، فإذا قدم مجاشع بن مسعود[3] من الفرات فهو الأمير. فلما هلك عتبة بن غزوان كتب عمر إلى المغيرة بن شعبة بولايته على البصرة؛ فكان عليها باقي سنة خمس وست وسنة سبع عشرة، حتى كان منه ما كان، فعزله عمر.

حدث الليث بن سعد: أن المغيرة أول من سمى عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه، سمعها من الاقرع بن حابس[4] يقول: استأذنوا على أمير المؤمنين، فدخل المغيرة عليه ساعته فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: ما هذا ؟ فلتخرجن مما قلت، قال: ألست أميرنا ؟ قال: بلى، قال: أفلسنا بمؤمنين ؟ قال: بلى، قال: فأنت أميرنا. وفي رواية ابن شبة: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عامل العراق أن يبعث إليه برجلين جلدين نبيلين يسألهما عن العراق وأهله، فبعث إليه عامل العراق لبيد بن ربيعة [5] وعدي بن حاتم[6]، فقدما المدينة فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد ثم دخلا، فوجدا عمرو بن العاص[7] فيه فقالا: استأذن لنا يا ابن العاص على أمير المؤمنين، فقال عمرو: أنتما والله أصبتما اسمه، هو الامير ونحن المؤمنون، فوثب عمرو فدخل على عمر رضي الله عنه، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين.فقال عمر: يا ابن العاص ما بدالك في هذا الاسم ؟ لتخرجن مما دخلت فيه أو لافعلن..، قال: قدم لبيد بن ربيعة، وعدي بن حاتم فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فهما والله أصابا اسمك، فأنت الامير، ونحن المؤمنون. قال: فجرى الكتاب من ذلك اليوم.

أخرج العسكري في الأوائل والطبراني في الكبير والحاكم من طريق ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة: لأي شيء كان يكتب [من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم] في عهد أبي بكر؟ ثم كان عمر كتب أولا [من خليفة أبي بكر] فمن أول من كتب [من أمير المؤمنين] ؟ فقال: حدثتني الشفاء –وكانت من المهاجرات– أن أبا بكر كان يكتب من خليفة رسول الله وكان عمر يكتب من خليفة خليفة رسول الله حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله فبعث إليه لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم فقدما المدينة ودخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال عمرو: أنتما والله أصبتما اسمه فدخل عليه عمرو فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال: ما بدا لك في هذا الا سم؟ لتخرجن مما قلت فأخبره وقال: أنت الأمير ونحن المؤمنين فجرى الكتاب بذلك من يومئذ. وقال النووي في تهذيبه: سماه بهذا الاسم عدي بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من العراق وقيل: سماه به المغيرة بن شعبة وقيل: إن عمر قال للناس: أنتم المؤمنين وأنا أميركم فسمي أمير المؤمنين وكان قبل ذلك يقال له: خليفة خليفة رسول الله فعدلوا عن تلك العبارة لطولها.

عن ابن شهاب قال: حدثت عن المغيرة بن شعبة قال: قدمت على عمر بن الخطاب فوجدته لا يورث الجدتين: أم الأم ولا أم الأب قال : فقلت له: يا أمير المؤمنين قد عرفت خصماء أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في الجدة فورثها قال: ووجدته لا يورث الورثة من الدية شيئا فقلت: يا أمير المؤمنين كان حمل بن مالك بن النابغة الهذلي تحته امرأتان إحداهما حبلى وأن امرأته الأخرى قتلت الحبلى فرفع أمرهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى أن يعقل عن القاتلة عصبتها وأن يرث المقتولة ورثتها وذكر الحديث قال: فاقبل رجل من هذيل يقال له: شريك بن وائلة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقص عليه حديث امرأتي حمل بن مالك. أخرجه أبو موسى.

----

*(الدهقان) بكسر الدال وضمها:زعيم فلاحي العجم. وقيل: التاجر فارسي معرب. وقيل رئيس القرية ومقدم التناء والتناء: المقيمون بالبلد وهم كأنهم الأصول فيها. وأصحاب الزراعة وهو معرب.(الأبلة) بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة وكان فتح الأبلة أيام عمر رحمه الله، وعلى يد عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة من الهجرة (يفرقونه) أي يفزعون منه.

(1) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية مع رسول الله، وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية، وكان موصوفا بالدهاء والحلم. وولي البصرة ثم الكوفة لعمر، وولي الكوفة بعد ذلك لمعاوية، فمات بها وهو وال عليها سنة 50 أو 51 هـ.

(2) عتبة بن غزوان بن جابر، كنيته أبو عبد الله.سابع سبعة أسلموا. هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرا والمشاهد.وكان أحد الرماة وأمراء الغزاة، اختط البصرة وأنشأها.والبصرة قبل تسمى أرض الهند. مات بالمدينة ويقال مات سنة 17 هـ في طريق مكة بموضع يقال له معدن بني سليم.

(3) مجاشع بن مسعود بن ثعلبة البصري له صحبة. كان يوم الجمل مع عائشة أميرا على بني سليم، فقتل فيه، قبل الوقعة ودفن بداره في بني سدوس بالبصرة.

(4) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي. شهد فتح مكة، وحنينا، وحصار الطائف، واليمامة، ودومة الجندل.شهد مع خالد بن الوليد فتح العراق والأنبار، وكان على مقدمي خالد.واستعمله عبد الله بن عامر على جيش بعثه إلى خراسان، فأصيب بـ الجوزجان هو والجيش.توفي في خلافة عثمان.

(5) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة العامري – أبو عقيل المشهور، قال الشعر في الجاهلية ثم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة وفد قومه بنو جعفر فأسلم وحسن إسلامه، وترك قول الشعر وقيل لم يقل غير بيت واحد وهو قوله: ما عاتب المرء الكريم كنفسه ❊ والمرء يصلحه القرين الصالح وقيل بل قال: الحمد لله إذلم يأتني أجلي ❊ حتى اكتسيت من الاسلام سربالا وقال عمر بن الخطاب يوما له: أنشدني شيئا من شعرك. فقال: ما كنت لاقول شعرا بعد أن علمني الله البقرة وآل عمران فزاد عمر في عطائه خمسمائة.قيل عاش 140 سنة وقيل مات وهو ابن 157 سنة

(6) عدي بن حاتم بن عبد الله بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي أبوه حاتم الجواد الذي يضرب به المثل، يكنى أبا طريف وقيل يكنى أبا وهب، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع في شعبان وقيل سنة عشر فأسلم وكان نصرانيا، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم على أبي بكر الصديق وقت الردة بصدقة قومه، وثبت على الاسلام ولم يرتد وثبت معه قومه، شهد فتوح العراق ووقعة القادسية ووقعة مهران ويوم الجسر مع أبي عبيدة وكان مع خالد بن الوليد لما سار إلى الشام وشهد معه بعض الفتوح، وشهد مع علي بن أبي طالب وقعة الجمل، وصفين. توفي سنة 67 هـ وقيل غير ذلك وله مائة وعشرون سنة ومات بالكوفة أيام المختار.

(7) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

☪

قال علي الصلابي: لقد حرص العديد من ولاة عمر أن يعفى من الأعمال الموكلة إليهم فقد استعفى عتبة بن غزوان عمر من ولاية البصرة فلم يعفه، كما أن النعمان بن مقرن كان واليا على كسكر* فطلب من عمر أن يعفيه من الولاية ويسمح له بالجهاد رغبة في الشهادة، كما رفض بعض الصحابة الولاية حينما طلب منهم عمر أن يعملوا في الولايات، فقد رفض الزبير بن العوام ولاية مصر حينما عرض عليه ذلك قائلا يا أبا عبد الله هل لك في ولاية مصر، فقال: لا حاجة لي فيها ولكن أخرج مجاهدا وللمسلمين معاونا، كما رفض ابن عباس ولاية حمص حينما عرض عليه عمر أن يوليه إياها بعد وفاة أميرها. قلت: ورفض أبو هريرة رضي الله عنه العودة لولاية البحرين. قال عبد السلام بن محسن آل عيسى: كسكر وليها النعمان بن مقرن رضي الله عنه، ولكنه اعتذر عن الولاية خوفا من الافتتان بالدنيا، فكتب إلى عمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، إن مثلي، ومثل كسكر كمثل رجل شاب عند مومسة تلون له وتعطر، وإني أنشدك بالله لما عزلتني عن كسكر، وبعثتني في جيش من جيوش المسلمين، فكتب إليه عمر: سر إلى الناس بنهاوند، فأنت عليهم، فسار إليهم، فالتقوا، فكان أول قتيل. ولم أقف على أسماء ولاة كسكر قبل النعمان أو بعده، ولعلها كانت تابعة لولاية البصرة، أو الكوفة أو المدائن لقربها منها.

☪

قيل: إنه قدم أهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعد بن أبي وقاص، فقال: من يعذرني من أهل الكوفة؟ إن وليتهم التقي ضعفوه، وإن وليتهم القوي فجروه. فقال له المغيرة بن شعبة: يا أمير المؤمنين، إن التقي الضعيف له تقاه ولك ضعفه، وإن القوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره. قال: صدقت أنت القوي الفاجر فاخرج إليهم. فلم يزل عليهم أيام عمر وعثمان رضي الله عنهما وأيام معاوية حتى مات المغيرة، انتهى.

عن صدقة بن المثنى قال:﴿سَمِعْتُ جَدِّي رِيَاحَ بْنَ الْحَارِثِ يَذْكُرُ؛ أَنَّهُ شَهِدَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ وَكَانَ بِالْكُوفَةِ فِي الْمَسْجِدِ الأَكْبَرِ وَكَانُوا أَجْمَعَ مَا كَانُوا يَمِينًا وَشِمَالاً حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يُدْعَى سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عمرو بن نُفَيْلٍ[1] فَرَحَّبَ بِهِ الْمُغِيرَةُ وَأَجْلَسَهُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ عَلَى السَّرِيرِ فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يُدْعَى قَيْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ فَاسْتَقْبَلَ الْمُغِيرَةُ فَسَبَّ وَسَبَّ فَقَالَ لَهُ الْمَدَنِيُّ: يَا مُغِيرَ بْنَ شُعْبَ مَنْ يَسُبُّ هَذَا السَّابُّ؟ قَالَ: يَسُبُّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لَهُ مَرَّتَيْنِ: يَا مُغِيرَ بْنَ شُعْبَ يَا مُغِيرَ بْنَ شُعْبَ أَلاَ أَسْمَعُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَبُّونَ عِنْدَكَ لاَ تُنْكِرُ وَلاَ تُغَيِّرُ فَإِنِّي أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَبِمَا وَعَى قَلْبِي فَإِنِّي لَنْ أَرْوِيَ عَنْهُ مِنْ بَعْدِهِ كَذِبًا فَيَسْأَلُنِي عَنْهُ إِذَا لَقِيتُهُ أَنَّهُ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ وَآخَرُ تَاسِعٌ لَوْ أَشَاءُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ قَالَ: فَخَرَجَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ يُنَاشِدُونَهُ بِاللهِ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ التَّاسِعُ ؟ قَالَ: نَشَدْتُمُونِي بِاللهِ وَاللَّهُ عَظِيمٌ أَنَا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ وَنَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَاشِرُ ثُمَّ أَتْبَعَهَا وَاللهِ لَمَشْهَدٌ شَهِدَهُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَوْمًا وَاحِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغْبَرَّ فيه وَجْهِهِ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ﴾ عن البهي قال: كان بين عبد الله بن عمر وبين المقداد[2] شيء فنال منه عبد الله فشكاه المقداد إلى أبيه، فنذر عمر ليقطعن لسانه! فلما خاف ذلك من أبيه تحمل على أبيه بالرجال، فقال: دعوني فأقطع لسانه فتكون سنة يعمل بها من بعدي، لا يوجد رجل شتم رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قطع لسانه. في رواية عن البهي: أن عبيد الله بن عمر سب المقداد بن عمرو.

☪

ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: كان أفضل من أن يخدع، وأعقل من أن يخدع، وما رأيت مخاطبا له قط إلا رحمته كائنا من كان. وقال: من أخر حاجة الرجل فقد ضمنها. وقال: ملكت النساء على ثلاث طبقات: كنت أرضيهن في شبيبتي بالباه، فلما شبت أرضيتهن بالمداعبة والمفاكهة، فلما كبرت أرضيتهن بالمال. وقيل له: إن بوابك يأذن لأصحابه قبل أصحابك. فقال: إن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور، والجمل الصئول، فكيف بالرجل الكريم؟. وكان يقول: لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب. وقال: السفلة من لا يبالي ما قال وما قيل له، ولا ما فعل ولا ما فعل به. وقال: ما صنعت لرجل حاجة إلا كنت أضن بها منه حتى أربها.

----

*(كسكر) بين واسط والبصرة

(1) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ومن السابقين الأولين البدريين، ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد حصار دمشق، وفتحها، مات سنة 51 هـ وهو ابن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة

(2) المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندي البهراني الحضرمي، أبو معبد، أو أبو عمرو: صحابي، من الأبطال. هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله. وفى الحديث: (إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: علي، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان) وكان في الجاهلية من سكان حضرموت. وولد باليمن سنة 37 ق.هـ واسم أبيه عمرو ابن ثعلبة البهراني الكندي. قيل وقع بين المقداد وابن شمر بن حجر الكندي خصام فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب إلى مكة، فتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فصار يقال له المقداد بن الأسود إلى أن نزلت آية ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب] فعاد يتسمى المقداد بن عمرو وشهد بدرا وغيرها. وسكن المدينة. وتوفي سنة 33 هـ على مقربة منها، فحمل إليها ودفن فيها.له 48 حديثا.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ الأعلام للزركلي/ كنز العمال/ تاريخ المدينة/ تاريخ الخلفاء/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ أسد الغابة/ نثر الدر/

عن القاسم بن عوف، عن أبيه أو عن رجل، عن السائب بن الأقرع[1]، قال: نبئ عمر بن الخطاب بزحف لم يزحف بمثله قط، زحف لهم أهل أصبهان، وأهل ماه، وأهل همذان، وأهل الري، وأهل قومس، وأهل أذربيجان، وأهل نهاوند، قال: فجاء الخبر إلى عمر بن الخطاب فجمع الناس وحمد الله وأثنى عليه وقال: إنه قد زحف للمسلمين زحف لم يزحف لهم بمثله قط فقوموا فتكلموا وأوجزوا ولا تطنبوا، فتفشغ* بنا الأمور فلا ندري بأيها نأخذ، قال: فقام طلحة بن عبيد الله[2]فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فهذا يوم له ما بعده من الأيام وأنت يا أمير المؤمنين أفضلنا رأيا وأعلمنا ثم سكت، ثم قام الزبير بن العوام[3]فحمد الله وأثنى عليه وتكلم بنحو من كلام صاحبه ثم جلس، ثم قام عثمان بن عفان[4]فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن هذا يوم له ما بعده من الأيام وإني أرى من الرأي يا أمير المؤمنين أن تسير بنفسك وبأهل الحجاز، وبأهل الشام، وأهل العراق حتى تلقاهم بنفسك فإنك أبعد العرب صوتا وأعظمهم منزلة، ثم قام علي بن أبي طالب[5] فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فهذا يوم له ما بعده من الأيام وإني لا أرى يا أمير المؤمنين ما رأى هؤلاء أن تسير بنفسك ولا بأهل الحجاز، ولا بأهل الشام ، ولا بأهل العراق فإن القوم إنما جاءوا بعبادة الشيطان، والله أشد تغييرا لما أنكر ولكن أرى أن تبعث إلى أهل الكوفة فتسير ثلثيهم وتدع في حفظ ذراريهم*وجمع جزيتهم*وتبعث إلى أهل البصرة فيوروا* ببعث فإن القوم إنما جاءوا بعبادة الشيطان والله أشد تغييرا لما أنكر، فقال: أشيروا علي من أستعمل عليهم؟، قالوا: يا أمير المؤمنين أنت أفضلنا رأيا وأعلمنا بأهلك. قال: لأستعملن عليهم رجلا يكون أول أسنة يلقاها، اذهب بكتابي هذا يا سائب بن الأقرع إلى النعمان بن مقرن[6]فليسر بثلثي أهل الكوفة ويدع ثلثا في حفظ ذراريهم وجمع جزيتهم، وليبعث إلى أهل البصرة فليوروا ببعث فإن قتل النعمان فحذيفة، فإن قتل حذيفة فجرير، فإن قتل ذلك الجيش فلا أزيد وأنت على ما أصابوا من الغنيمة، فلا يرفعن إلي باطلا ولا يحبسن حقا عن أحد هو له، قال: فأقبلت بكتاب عمر إلى النعمان بن مقرن فسار بثلثي أهل الكوفة وترك ثلثا في حفظ ذراريهم وجمع جزيتهم، وبعث إلى أهل البصرة فوروا ببعثهم ثم سار حتى التقوا بنهاوند، فالتقوا يوم الأربعاء، فكان في المجنبة اليمنى انكشاف وثبتت المجنبة* اليسرى وثبت الصف ثم التقوا يوم الخميس فكان في المجنبة اليسرى انكشاف وثبتت المجنبة اليمنى وثبت الصف ثم التقوا يوم الجمعة فأقبل النعمان بن مقرن على بريذين له أحوى قريب من الأرض يقف على كل أهل راية فيخطبهم ويحضهم ويقول: إن هؤلاء القوم قد أخطروا لكم خطرا وأخطرتم لهم خطرا عظيما أخطروا لكم جواليق ورثة وأخطرتم لهم الإسلام وذراريكم، فلا أعرفن رجلا منكم وكل قرنه إلى قرن صاحبه فإن ذلك لؤم، ولكن شغل كل رجل منكم قرنه ثم إني هاز الدابة فيرم كل رجل من ضيعته وتيسر، ثم هاز الثانية فليقف كل رجل منكم موقفه ثم هازها الثالثة فأحمل فاحملوا على بركة الله ولا يلتفتن منكم أحد، قال: فحملوا فكان النعمان أول مقتول قال: وأخذ حذيفة الراية ففتح الله لهم قال: وجمعت تلك المغانم فقسمتها بين المسلمين فلم أرفع باطلا ولم أحبس عن أحد حقا هو له قال: ثم أتاني ذو العينين[7] فقال: إن كنز النخيرجان* في القلعة قال: فصعدت فإذا بسفطين* من جوهر لم أر مثلهما قط فلم أرهما فيئا* فأقسمهما بينهم ولم أجدهما بجزية قال: ثم أقبلت إلى عمر بن الخطاب وقد راث عليه الخبر وهو يتطوف المدينة يسأل قال: فأقبلت على راحلتي* فلما رآني قال لي: ويلك يا ابن مليكة ما وراءك؟ ويلك يا ابن مليكة ما عندك؟ ويلك يا ابن مليكة ماذا جئتني به؟، قلت: يا أمير المؤمنين الذي تحب قال: فلله الحمد، قال: والله ما أتت علي ليلة منذ اندفعت من عندي أطول علي من هذه الليلة وما جعلت النوم فيها إلا تقديرا، قال: قلت: يا أمير المؤمنين انطلقت بكتابك إلى النعمان بن مقرن فسار بثلثي أهل الكوفة وترك ثلثا في حفظ ذراريهم وجمع جزيتهم وبعث إلى أهل البصرة فوروا ببعث ثم سار حتى التقوا بنهاوند فالتقوا يوم الأربعاء فكان في المجنبة اليمنى انكشاف وثبتت المجنبة اليسرى وثبت الصف ثم التقوا يوم الخميس فكان في المجنبة اليسرى انكشاف وثبتت المجنبة اليمنى وثبت الصف ثم التقوا يوم الجمعة فسار النعمان بن مقرن على برذون* له أحوى قريب من الأرض يخطبهم ويحضهم ويقول لهم ما فعل وقصصته فكان النعمان أول مقتول، فقال: هي له الشهادة التي ساقه الله إليها وأكرمه بها، قال: ثم مه؟، قلت: ثم أخذ حذيفة الراية ففتح الله لهم ثم لم يقتل أحد من المسلمين أحد تعرفه، قال: لا أم لك ما تصنعون بمعرفة ابن أم عمر لكن يعرفهم من هو خير لهم منه معرفة، من ساق إليهم الشهادة وأكرمهم بها. قال: وجعل يبكي ويكررها ويحادر الدموع على خديه ولحيته حتى وددت أن الأرض انشقت عني فسخت فيها ثم أقلع ولم يكد، فقلت: يا أمير المؤمنين قد قسمت الفيء بينهم فلم أرفع باطلا ولم أحبس حقا عن أحد هو له، قال: فقام فقلت: يا أمير المؤمنين رويدك إن لي إليك حاجة، قال: وما هي أليس قد قسمت كما زعمت؟ قلت: بلى ولكن حاجة لا بد من أن تنظر فيها، قال: فقعد فقلت: إنه أتاني ذو العينين فأخبرني أن كنز النخيرجان في القلعة فصعدت فوجدت هذين السفطين فلم أجدهما فيئا فأقسمهما بينهم ولم أجدهما بجزية، قال: فبعث إلى علي بن أبي طالب، وعثمان، وزيد[8] فختموا عليه ثم وضعه في بيت الخزانة ثم ردني إلى الكوفة فلما قدمتها إذا راكب قد أقبل يصوت كتاب من عمر إن كنت قاعدا فقم ولا تقعد حتى تشد الراحلة بكورها، ثم تقبل وإن كنت قائما فلا تقعد حتى تشد الراحلة بكورها ثم تقبل، قال: ففعلت ثم أقبلت إليه فلما رآني قال لي: ويلك يا ابن مليكة ماذا جئتني به يا ابن مليكة؟ ما صنعت بي؟ ويلك يا ابن مليكة، ماذا أوقعتني فيه؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين إن مثلك لا يقتل مثلي غما فما هو؟ قال: أخبرني خبر هذين السفطين، قلت: والله ما أنا بزائدك على ما قلت لك شيئا ولا منقصك منه شيئا وإن الحديث لكما حدثتك، قال: فويلك فوالله ما هو إلا أن اندفعت من عندي فأوقد عليهما حتى صارا نارا، فأخذت لأكوى بهما حتى عاهدتهم أن أردهما من حيث جيء بهما، فاذهب بهما إلى الكوفة فبعهما إن جاءنا بدرهم أو أقل من ذلك أو أكثر واقسمه بينهم، قال: فأقبلت بهما إلى الكوفة فأتاني شاب من قريش يقال له عمرو بن حريث[9] فاشتراهما مني فأعطيته الذرية، والمقاتلة، ثم انطلق بأحديهما إلى الحيرة فباعه بما اشتراها مني وكانت أول لهوة مال أصابها.

----

*(الذرية) اسم يجمع نسل الإنسان من ذكر وأنثى وقد تطلق على الزوجة (الجزية) هي عبارة عن المال الذي يعقد للكتابي عليه الذمة، وهي فعلة، من الجزاء، كأنها جزت عن قتله ، والجزية مقابل إقامتهم في الدولة الإسلامية وحمايتها لهم (مجنبة الجيش) هي التي تكون في الميمنة والميسرة، وهما مجنبتان (الفيء) ما يؤخذ من العدو من مال ومتاع بغير حرب (الراحلة) البعير القوي على الأسفار والأحمال، ويقع على الذكر والأنثى (البرذون) يطلق على غير العربي من الخيل والبغال وهو عظيم الخلقة غليظ الأعضاء قوي الأرجل عظيم الحوافر (فتفشغ) أصله من الظهور والعلو والانتشار، يقال: تفشغ، أي: فشا وانتشر. (فيوروا) في حديث فتح أصبهن تبعث إلى أهل البصرة فيوروا قال هو من وريت النر تورية إذا استخرجتها قال واستوريت فلانا رأيا سألته أن يستخرج لي رأيا قال ويحتمل أن يكون من التورية عن الشيء وهو الكناية عنه. وأيضا يوروا: يوقدوا ويشعلوا (النخيرجان) هو في الأصل اسم خازن كان لكسرى وهو اسم ناحية من نواحي قهستان ولعلها سميت باسم ذلك الخازن أو غيره. (راث) راث على خبرك يريث ريثا، أي أبطأ.انتهى.(سفطين) السفط: واحد الأسفاط، وهو كالجوالق أو كالقفة.

■ (6) النعمان بن مقرن بن عائذ المزني، أبو عمرو: صحابي فاتح. من الامراء القادة الشجعان. كان معه لواء مزينة يوم فتح مكة. وسكن البصرة. ثم تحول عنها إلى الكوفة. ووجهه سعد بن أبي وقاص بأمر عمر إلى محاربة الهرمزان، فزحف بجيش الكوفة إلى الاهواز، وهزم الهرمزان. وتقدم إلى تستر، فشهد وقائعها. وعاد إلى المدينة، بشيرا بفتح القادسية. وقال البلاذري: دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المسجد بالمدينة فرآى النعمان بن مقرن، فقعد إلى جنبه، فلما قضى صلاته، قال: أما إني سأستعملك، فقال النعمان: أما جابيا فلا، ولكن غازيا ! قال: فأنت غاز. وكانت الاخبار قد وصلت باجتماع أهل أصبهان وهمدان والري وأذربيجان ونهاوند، وأقلق ذلك عمر، فولاه قتالهم. وخرج النعمان إلى الكوفة فتجهز، وغزا أصفهان ففتحها، وهاجم نهاوند فاستشهد فيها سنة 21 هـ. ولما بلغ عمر مقتله، دخل المسجد ونعاه إلى الناس على المنبر ثم وضع يده على رأسه يبكي.

■ (1) السائب بن الأقرع الثقفي كوفي، شهد فتح نهاوند مع النعمان بن مقرن وكان عمر بعثه بكتابه إلى النعمان بن مقرن ثم استعمله عمر على المدائن. قال البخاري: السائب بن الأقرع أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ومسح برأسه ونسبه أبو إسحاق الهمداني.وأمه مليكة.

■ (2) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

■ (5) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى وزوج ابنته.يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن 7 سنين، ويقال 9، ويقال 10، ويقال 15، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد سنة 23 ق هـ، و مات سنة 40 هـ.

■ (3) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي.أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حواري رسول الله. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر. أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ

■ (4) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (7) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري كنيته أبو عبد الله أخو أبي سعيد الخدري لامه. شهد المشاهد كلها. كان من الرماة المشهورين. مات بالمدينة سنة 23 هـ وهو بن 65 سنة وصلى عليه عمر بن الخطاب. أصيبت عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله فكانت أحسن وأصح من الأخرى، كانت تعتل الباقية ولا تعتل المردودة. فقيل له ذو العينين، أي له عينان مكان الواحدة.

■ (8) هل هو: زيد بن ثابت بن الضحاك بن كوزان الأنصاري البخاري أبو سعيد وأبو خارجة صحابي مشهور، كتب الوحي. أمره أبو بكر أن يجمع القرآن وأمره عثمان فكتب المصحف وابي بن كعب يملي عليه. ولد في حدود 12 ق.هـ وتوفي سنة 45 هـ أو 48 هـ وقيل: بعد 50 هـ. عن يحيى بن سعيد قال لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا. وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارحم أمتي أبو بكر واشدها في دين الله عز وجل عمر واصدقها حياء عثمان واعلمها بالفرائض زيد بن ثابت.

■ (9) هل هو : عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومي القرشي، أبو سعيد: وال، من الصحابة. ولي إمرة الكوفة لزياد. ثم لابنه عبيد الله. ومات بها سنة 85 هـ. له 18 حديثا. قال أبو علي القالي: له عقب بالكوفة، وذكر عظيم.

عن السائب بن الأقرع أن عمر استعمله على المدائن فبينما هو جالس في إيوان كسرى نظر إلى تمثال يشير بأصبعه إلى موضع قال: فوقع في روعي* أنه يشير إلى كنز فاحتفرت ذلك الموضع فاستخرجت كنزا فكتبت إلى عمر أخبره وكتبت أن هذا شيء أفاءه الله علي دون المسلمين قال: فكتب إلي عمر إنك أمير من أمراء المسلمين فاقسمه بين المسلمين.

عن مدرك بن عوف الأحمسي واختلف في صحبته قال: كنت عند عمر رضي الله عنه إذ جاءه رسول النعمان بن مقرن الصحابي المشهور رضي الله عنه فسأله عمر عن الناس، فقال: أصيب فلان وفلان وآخرون لا أعرفهم. فقال عمر رضي الله عنه: لكن الله يعرفهم. فقال يا أمير المؤمنين، ورجل شرى نفسه، فقال مدرك بن عوف: ذاك والله خالي يا أمير المؤمنين، زعم الناس أنه ألقى بيده إلى التهلكة، فقال عمر: كذب أولئك، ولكنه ممن اشترى الآخرة بالدنيا.

----

*(روعي) الروع بالضم: القلب والعقل، يقال: وقع ذلك في روعي، أي: في خلدي وبالي، وفي الحديث إن الروح الأمين نفث في روعي.

مراجع:طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني/ الأعلام للزركلي/ كنز العمال/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

لما تجمعت جموع الفرس بنهاوند* كتب سعد[1] إلى عمر يخبره بذلك فاجتمع الناس وقام عمرعلى المنبر خطيبا فأخبرهم الخبر واستشارهم وقال: هذا يوم له ما بعده من الأيام ألا وإني قد هممت بأمر وإني عارضه عليكم فاسمعوه ثم أخبروني وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ولا تكثروا ولا تطيلوا فتفشغ بكم الأمور ويلتوى عليكم الرأي أفمن الرأي أن أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه حتى أنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين فأستنفزهم ثم أكون لهم ردءا حتى يفتح الله عليهم ويقضى ما أحب فإن فتح الله عليهم أن أضريهم عليهم في بلادهم ليتنازعوا ملكهم، فقام عثمان بن عفان[2] ورجال من أهل الرأي من أصحاب رسول الله فتكلموا كلاما فقالوا: لا نرى ذلك، ولكن لا يغيبن عنهم رأيك وأثرك، وقالوا: بإزائهم وجوه العرب وفرسانهم وإعلامهم ومن قد فض جموعهم وقتل ملوكهم وباشر من حروبهم ما هو أعظم من هذه وإنما استأذنوك ولم يستصرخوك فأذن لهم واندب إليهم وادع لهم، وقام على بن أبي طالب[3] فقال: أصاب القوم يا أمير المؤمنين الرأي، وفهموا ما كتب به إليك، وإن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلة هو دينه الذي أظهره وجنده الذي أعزه وأيده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ فنحن على موعود من الله، والله منجز وعده وناصر جنده، ومكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه فإن انحل تفرق ما فيه وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا، والعرب اليوم وإن كانوا قليلا فهي كثير عزيز بالإسلام، فأقم واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم ومن لم يحفل بمن هو أجمع وأحد وأجد من هؤلاء فليأتهم الثلثان وليقم الثلث واكتب إلى أهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم، فسر عمر بحسن رأيهم وأعجبه ذلك منهم، وقام طلحة بن عبيد الله[4] وكان من خطباء رسول الله فتشهد ثم قال: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فقد أحكمتك الأمور وعجمتك البلايا واحتنكتك التجارب وأنت وشأنك وأنت ورأيك لا ننبو في يديك ولا نكل عليك إليك هذا الأمر، فمرنا نطع وادعنا نجب واحملنا نركب ووفدنا نفد، وقدنا ننقد، فإنك ولي هذا الأمر وقد بلوت وجربت واختبرت فلم ينكشف شئ من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار ثم جلس، فعاد عمر فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، فتكلموا فقام عثمان بن عفان فتشهد وقال: أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شأمهم وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين البصرة والكوفة فتلقى جميع المشركين بجمع المسلمين، فإنك إذا سرت بمن معك وعندك قل في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم وكنت أعز عزا وأكثر، يا أمير المؤمنين، إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية ولا تمتنع من الدنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام، فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه ثم جلس، فعاد عمر فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، فتكلموا فقام علي بن أبي طالب فقال: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإنك إن أسخصت أهل الشام من شأمهم سارت الروم إلى ذراريهم، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء في أمصارهم واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق، فلتقم فرقة لهم في حرمهم وذراريهم، ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددا لهم، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا قالوا هذا أميرالعرب وأصل العرب، فكان ذلك أشد لكلبهم وألبتهم على نفسك، وأما ما ذكرت من مسير القوم، فإن الله أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، ولكنا كنا نقاتل بالنصر، فقال عمر: أجل، والله، لئن شخصت من هذه البلدة لتنتقضن على الأرض من أطرافها وأكنافها، ولئن نظرت إلى الأعاجم لا يفارقن العرصة وليمدتهم من لم يمدهم وليقولن هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب، فأشيروا على برجل أوله ذلك الثغر غدا؟ قالوا: انت أفضل رأيا وأحسن مقدرة، قال: أشيروا علي به واجعلوه عراقيا، قالوا: يا أميرالمؤمنين، أنت أعلم بأهل العراق وجندك قد وفدوا عليك، ورأيتهم وكلمتهم، فقال: أما والله لأولين أمرهم رجلا ليكونن لأول الأسنة إذا لقيها غدا، فقيل من يا أمير المؤمنين؟ فقال: النعمان بن مقرن المزني[5]، فقالوا: هو لها، والنعمان يومئذ بالبصرة فولاه، ونشب القتال بين المسلمين والفرس وكان النعمان يسير في الناس على برذون أحوى قريب من الأرض فيقف على كل راية ويحمد الله ويثني عليه ويقول: قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين وما وعدكم من الظهور وقد أنجز لكم هوادى ما وعدكم وصدوره وإنما بقيت أعجازه وأكارعه، والله منجز وعده، ومتبع آخر ذلك أوله، واذكروا ما مضى إذكنتم أذلة وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة، فأنتم اليوم عباد الله حقا وأولياؤه، وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة والذي لهم في ظفركم وعزكم والذي عليهم في هزيمتكم وذلكم وقد ترون من أنتم بإزائه من عدوكم وما أخطرتم، وما أخطروا لكم، فأما ما أخطروا لكم فهذه الرثة وما ترون من هذا السواد، وأما ما أخطرتم له فدينكم وبيضتكم، ولا سواء ما أخطرتم وما أخطروا فلا يكونن على دنياهم أحميمنكم على دينكم، واتقى الله عبد صدق الله، وأبلى نفسه فأحسن البلاء، فإنكم بين خيرين منتظرين إحدى الحسنيين من بين شهيد حي مرزوق أوفتح قريب وظفر يسير، فكفى كل رجل ما يليه ولم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه وذلك من الملأمة وقد يقاتل الكلب عن صاحبه، فكل رجل منكم مسلط على ما يليه، فإذا قضيت أمرى فاستعدوا فإني مكبر ثلاثا، فإذا كبرت التكبيرة الأولى، فليتهيأ من لم يكن تهيأ فإذا كبرت الثانية، فليشد عليه سلاحه وليتهيأ للنهوض، فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله، فاحملوا معا، اللهم، أعز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك، ونصر عبادك، وزلق فرسه في دماء القوم فصرع فاستشهد.

----

*(نهاوند) بفتح النون الاولى وتكسر: مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة ايام

■ (5) النعمان بن مقرن بن عائذ المزني، أبو عمرو: صحابي فاتح. من الامراء القادة الشجعان. كان معه لواء مزينة يوم فتح مكة. وسكن البصرة. ثم تحول عنها إلى الكوفة. ووجهه سعد بن أبي وقاص بأمر عمر إلى محاربة الهرمزان، فزحف بجيش الكوفة إلى الاهواز، وهزم الهرمزان. وتقدم إلى تستر، فشهد وقائعها. وعاد إلى المدينة، بشيرا بفتح القادسية. وقال البلاذري: دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المسجد بالمدينة فرآى النعمان بن مقرن، فقعد إلى جنبه، فلما قضى صلاته، قال: أما إني سأستعملك، فقال النعمان: أما جابيا فلا، ولكن غازيا ! قال: فأنت غاز. وكانت الاخبار قد وصلت باجتماع أهل أصبهان وهمدان والري وأذربيجان ونهاوند، وأقلق ذلك عمر، فولاه قتالهم. وخرج النعمان إلى الكوفة فتجهز، وغزا أصفهان ففتحها، وهاجم نهاوند فاستشهد فيها سنة 21 هـ. ولما بلغ عمر مقتله، دخل المسجد ونعاه إلى الناس على المنبر ثم وضع يده على رأسه يبكي.

■ (4) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

■ (3) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى وزوج ابنته.يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن 7 سنين، ويقال 9، ويقال 10، ويقال 15، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد سنة 23 ق هـ، و مات سنة 40 هـ.

■ (2) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (1) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري المديني، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ.

لا إله إلا الله

عن علقمة بن عبد الله المزني، عن معقل بن يسار، أن عمر بن الخطاب، شاور الهرمزان في أصبهان وفارس وأذربيجان بأيهن يبدأ، فقال له الهرمزان: يا أمير المؤمنين أصبهان الرأس وفارس، وأذربيجان الجناحان فإن قطعت إحدى الجناحين مال الرأس بالجناح، وإن قطعت الرأس وقع الجناحان، فدخل عمر المسجد فإذا هو بالنعمان بن مقرن قائم يصلي فانتظره حتى قضى صلاته ثم قال: إني مستعملك، فقال: أما جابيا فلا ولكن غازيا، فقال عمر: فإنك غاز، وسرحه وبعث إلى أهل الكوفة أن يمدوه فذهبوا ومعه حذيفة بن اليمان، والزبير بن العوام، والمغيرة بن شعبة، والأشعث بن قيس، وعمرو بن معد يكرب، وابن عمر، حتى أتوا نهاوند فأتاهم النعمان بن مقرن وبينهم وبينه نهر فبعث إليهم المغيرة بن شعبة رسولا.فذكر القصة.

مراجع: جمهرة خطب العرب/ الأعلام للزركلي/

قال منصور بن عبد الرحمن حدثنا الشعبي: أن كعب بن سور[1] كان جالسا عند عمر بن الخطاب فجاءت امرأة، فقالت: يا أمير المؤمنين: ما رأيت رجلا قط أفضل من زوجي إنه ليبيت ليله قائما، ويظل نهاره صائما في اليوم الحار، ما يفطر، فاستغفر لها، وأثنى عليها، وقال: مثلك أثنى الخير، وقاله: واستحيت المرأة، فقامت راجعة، فقال: كعب: يا أمير المؤمنين، هلا أعديت المرأة على زوجها، إذ جاءتك تستعديك؟ قال: أو ذاك أرادت ؟ قال: نعم فردت؛ فقال: لا بأس بالحق أن تقوليه؛ إن هذا زعم أنك جئت تشتكين زوجك: أنه يجتنب فراشك؛ قالت: أجل إني امرأة شابة، وإني أتتبع ما يتتبع النساء، فأرسل إلى زوجها فجاءه؛ فقال: لكعب: اقض بينهما، فإنك فهمت من أمرهما ما لم أفهمه؛ فقال: كعب: أمير المؤمنين أحق أن يقضي بينهما؛ فقال: عزمت عليك لتقضين بينهما؛ قال: فإني أرى كأنها امرأة عليها ثلاث نسوة؛ هي رابعتهن، فأقضي له بثلاثة أيام ولياليهن، يتعبد فيهن، ولها يوم وليلة؛ فقال عمر: والله ما رأيك الأول بأعجب من الآخر، اذهب فأنت قاض على أهل البصرة.

قال: منصور: فقتل يوم الجمل مع عائشة رضي الله عنها. وفي رواية في سبب تولية عمر لكعب، أن امرأة جاءت إلى عمر رضي الله عنه فقالت: أشكو إليك خير أهل الدنيا إلا رجلا سبقه بعمل، أو عمل بمثل عمله يقوم الليل حتى يصبح، ويصوم النهار حتى يمسي، ثم تجلاها الحياء، فقالت: أقلني يا أمير المؤمنين، فقال: جزاك الله خيرا، قد أحسنت الثناء، قد أقلتك. فلما ولت، قال كعب بن سور: يا أمير المؤمنين، لقد أبلغت إليك في الشكوى، فقال: ما اشتكت؟ قال: زوجها، قال: علي المرأة، فقال لكعب: اقض بينهما، قال: أقضي وأنت شاهد؟! قال: إنك فطنت إلى ما لم أفطن، قال: إن الله يقول:﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء] صم ثلاثة أيام، وأفطر عندها يوما، وقم ثلاث ليال، وبت عندها ليلة، فقال عمر: لهذا أعجب من الأول، فرحل به أو بعثه قاضيا لأهل البصرة.

وعن المغيرة أبي سلمة عن الشعبي: أن امرأة، جاءت إلى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين أعدني على زوجي يقوم الليل ويصوم النهار. قال: فما تأمريني؟ أتأمريني أن أمنع رجلا من عبادة ربه.

وقد روي أنه دخل على الخليفة الفاروق رجل أشعث أغبر ومعه امرأته وهي تقول: لا أنا ولا هذا يا أمير المؤمنين. فعرف عمر كراهية المرأة لزوجها، فأرسل الزوج ليستحم، ويأخذ من شعره، ويقلم أظافره. فلما حضر أمره أن يتقدم من زوجته، فاستغربت ونفرت منه، ثم عرفته فقبلت به ورجعت عن دعواها، فقال عمر: ...وهكذا، فاصنعوا لهن، فوالله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزين لكم.

عن معاوية بن قرة المزني[2] قال: أتيت المربد* زمان الأقط* والسمن، قال: والأعراب تجول بذلك، فإذا أنا برجل طامح* بصره ينظر إلى الناس، فظننته غريبا فدنوت منه، فقال: أمن أهل هذه أنت؟، قلت: نعم. قال: ألا أحدثك حديثا شهدته من عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟، قلت: ومن أنت؟، قال: كهمس[3] رجل من بني هلال، أو من بني سلول، إني كنت عند عمر بن الخطاب أتته امرأته فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي قد كثر شره، وقل خيره. قال لها عمر: ومن زوجك؟، قالت: أبو سلمة[4]، قال: فعرفه عمر رضي الله عنه، فإذا رجل له صحبة، فقال لها عمر: ما نعلم من زوجك إلا خيرا، ثم قال لرجل عنده: ما تقول أنت؟، فقال: يا أمير المؤمنين، لا نعلم إلا ذلك. فأرسل إلى زوجها وأمرها فقعدت خلف ظهره، فلم يلبث أن جاء الرجل مع زوجها، فقال له عمر: أتعرف هذه؟، قال: ومن هذه يا أمير المؤمنين؟، قال: هذه امرأتك، قال: وتقول ماذا؟، قال: تزعم أنه كثر شرك وقل خيرك، قال: بئسما قالت يا أمير المؤمنين، والله إنها لأكثر نسائها كسوة، وأكثره رفاهية بيت، ولكن بعلها بكيء*. فقال: ما تقولين؟، قالت: صدق. فأخذ الدرة فقام إليها فتناولها وهو يقول: يا عدوة نفسها أفنيت شبابه، وأكلت ماله، ثم أنشأت تشنين عليه ما ليس فيه. فقالت: يا أمير المؤمنين، أقلني في هذه المرة، والله لا تراني في هذا المقعد أبدا. فدعا بأثواب ثلاثة فقال لها: اتقي الله وأحسني صحبة هذا الشيخ. ثم أقبل عليه فقال: لا يمنعك ما رأيتني صنعت بها أن تحسن صحبتها. قال: أفعل يا أمير المؤمنين، قال: كأني أنظر إليها أخذت الأثواب منطلقة، ثم إني سمعت عمر رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا مِنْهُ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّالِثُ ثُمَّ يَنْشَأُ قَوْمٌ تَسْبِقُ أَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ يَشْهَدُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا، لَهُمْ لَغَطٌ* فِي أَسْوَاقِهِمْ﴾.

قال : قال لي كهمس: أفتخاف أن يكون هؤلاء من أولئك ثم قال لي كهمس: ﴿إِنِّي أَتَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ بِإِسْلامِي، ثُمَّ غِبْتُ عَنْهُ حَوْلا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، كَأَنَّكَ تُنْكِرُنِي؟ فَقَالَ: أَجَلْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا أَفْطَرْتُ مُنْذُ فَارَقْتُكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله: وَمَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُعَذِّبَ نَفْسَكَ؟ صُمْ يَوْمًا مِنَ الشَّهْرِ، فَقُلْتُ لَهُ: زِدْنِي، قَالَ: صُمْ يَوْمَيْنِ ، حَتَّى قَالَ: صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ﴾.

----

* (المربد) من أشهر محال البصرة، وكان سوق الإبل فيه قديما، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء (طمح بصره إليه) ارتفع (بكيء) بكيء وبكيئة: الناقة والشاة إذا قل لبنها، وكأنه يعني أن زوجها لا يستطيع الجماع (للغط) الصوت والجلبة (الأقط) اللبن المحمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ أو يطبخ به

■ (2) معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رئاب، الامام العالم الثبت أبو إياس المزني البصري والد القاضي إياس. حدث عن والده، وعن عبد الله بن مغفل، وعلي بن أبي طالب إن صح إسناده، وابن عمر، ومعقل بن يسار، وأبي أيوب الانصاري، وأبي هريرة، وابن عباس، وعائذ بن عمرو المزني، والحسن بن علي، وأنس بن مالك، وغيرهم، وعن عبيد بن عمير الليثي، وكهمس صاحب عمر، وطائفة. حدث عنه ابنه إياس، وخلق كثير حتى إن شهر بن حوشب روى عنه. قيل: مولد معاوية يوم الجمل. ومات سنة 113 هـ، ومات هو ابن ست وسبعين سنة.

■ (3) كهمس الهلالي له إدراك وسماع من عمر روى عنه معاوية بن قرة، وسكن البصرة.

■ (4) أبو سلمة غير منسوب قال أبو أحمد الحاكم له صحبة

■ (1) كعب بن سور بن بكر الأزدي: تابعي، من الأعيان المقدمين في صدر الإسلام. بعثه عمر قاضيا لأهل البصرة، وعاملا له عليها. وأقره عثمان. فأقام إلى أن كانت وقعة الجمل (بين علي وعائشة) فاعتزل الفتنة، فقيل لعائشة: إن خرج معك كعب لم يتخلف من الأزد أحد، فركبت إليه، فكلمته، فأخذ مصحفه ونشره، وخرج بين الصفين يذكر الفريقين ويدعوهم إلى السلام، والقتال ناشب، فجاءه سهم فقتله. 36 هـ

☪

كما في قصة سلمان وأبي الدرداء، فعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما فقال: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿صَدَقَ سَلْمَانُ﴾. وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: دخلت علي خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية وكانت عند عثمان بن مظعون قالت: فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذاذة هيئتها فقال لي:﴿يَا عَائِشَةُ مَا أَبَذَّ هَيْئَةَ خُوَيْلَةَ؟! قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، امْرَأَةٌ لَا زَوْجَ لَهَا، يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، فَهِيَ كَمَنْ لَا زَوْجَ لَهَا، فَتَرَكَتْ نَفْسَهَا وَأَضَاعَتْهَا، قَالَتْ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، فَجَاءَهُ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، أَرَغْبَةً عَنْ سُنَّتِي؟ قَالَ: فَقَالَ: لَا، وَاللهِ، يَا رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ، قَالَ: فَإِنِّي أَنَامُ، وَأُصَلِّي، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللهَ يَا عُثْمَانُ، فَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ﴾

☪

قال عبيد بن عمير: فقد رجل في عهد عمر فجاءت امرأته إلى عمر فذكرت ذلك له فقال: انطلقي فتربصي أربع سنين ففعلت ثم أتته فقال: انطلقي فاعتدي أربعة أشهر وعشرا ففعلت ثم أتته فقال: أين ولي هذا الرجل؟ فجاء وليه فقال: طلقها ففعل فقال عمر: انطلقي فتزوجي من شئت فتزوجت، ثم جاء زوجها الأول، فقال له عمر: أين كنت؟ فقال: استهوتني الشياطين، فو الله ما أدري في أي أرض الله كنت كنت عند قوم يستعبدونني حتى اغتزاهم منهم قوم مسلمون فكنت فيما غنموه فقالوا لي: أنت رجل من----؟ وهؤلاء من ----؟ فمالك ومالهم فأخبرتهم خبري فقالوا: بأي أرض الله تحب أن تصبح؟ قلت: المدينة هي أرضي فأصبحت وأنا أنظر إلى الحرة، فخيره عمر إن شاء امرأته وإن شاء الصداق، فاختار الصداق وقال: قد حبلت لا حاجة لي فيه.

قال بعض العلماء (؟): قضى بذلك عثمان وعلي وابن الزبير وهو قول ابن عباس وهذه قضايا انتشرت فلم تنكر فكانت إجماعا وهل يعتبر ابتداء المدة من حين يضربها الحاكم أو من حين ينقطع خبره على وجهين أحدهما من حين يضربها الحاكم لأنها مدة ثبتت بالاجتهاد فافتقرت إلى حكم الحاكم كمدة العنة والثاني من حين انقطع خبره لأن ذلك ظاهر في موته فأشبه ما لو قامت به بينة وهل يفتقر بعد انقضاء العدة إلى أن يطلقها وليه فيه وجهان أحدهما يعتبر لأن ذلك يروى عن عمر وعلي والثاني لا يفتقر لأن الحكم بتقدير المدة حكم بالموت بعد انقضائها ولهذا اعتدت عدة الوفاة وقول عمر قد خالفه قول ابن عباس وابن عمر...

وعن سفيان بن عيينة عن الوليد بن عبد الله وهو ابن جميع عن أبي الطفيل أن امرأة أصابها الجوع فأتت راعيا فينبغي الطعام فأبى عليها حتى تعطيه نفسها قالت فحثى لي ثلاث حثيات من تمر وذكرت أنها كانت جهدت من الجوع فأخبرت عمر فكبر وقال مهر مهر مهر ودرأ عنها الحد. وعن عبد الرحمن بن غنم قال: كنت مع عمر حيث تمس ركبتي ركبته فجاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين تزوجت هذه وشرطت لها دارها وإني أجمع لأمري أو لشاني أن انتقل إلى أرض كذا وكذا فقال: لها شرطها، فقال الرجل: هلك الرجال، إذ لا تشاء امرأة أن تطلق زوجها إلا طلقت، فقال عمر: المؤمنون على شروطهم عند مقاطع حقوقهم. وقد روي عن عمر بخلافه. قال: أن رجلا تزوج امرأة على عهد عمر وشرطا لها أن لا يخرجها فوضع عنه عمر الشرط وقال: المرأة مع زوجها.

مراجع: مجلة المنار/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ الأعلام للزركلي/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ منتدى التخريج ودراسة الأسانيد/

رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تغالي الناس في مهور النساء حين اتسعت دنياهم في عصره، فخاف عاقبة ذلك وهو ما يشكو منه الناس منذ عصور، فنهى الناس أن يزيدوا فيها على أربعمائة درهم، فاعترضت له امرأة [1] من قريش فقالت: أما سمعت ما أنزل الله ؟ يقول: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء] فقال: اللهم، غفرا، كل الناس أفقه من عمر، وفي رواية أنه قال: امرأة أصابت وأخطأ عمر. وصعد المنبر وأعلن رجوعه عن قوله. في رواية مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: أيها الناس ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها فلأعرفن ما زاد الرجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم، قال: ثم نزل فاعترضته امرأة[2] من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم ؟ قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن، قال: وأي ذلك قالت أما سمعت الله يقول ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾ الآية، قال: فقال: اللهم، غفرا، كل الناس أفقه من عمر ثم رجع فركب المنبر، فقال: أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب، قال أبو يعلى: وأظنه قال: فمن طابت نفسه فليفعل.وفي رواية عن الشعبي قال: خطب عمر بن الخطاب فحمد الله وأثنى عليه وقال: ألا لا تغالوا في صداق النساء، وإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر منشيء ساقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال، ثم نزل فعرضت له امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين لكتاب الله أحق أن يتبع أم قولك؟ قال: كتاب الله فما ذاك؟ قالت: نهيت الناس آنفا أن يتغالوا في صداق النساء والله تعالى يقول في كتابه:﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء] فقال عمر: كل أحد أفقه من عمر، مرتين أو ثلاثا، ثم رجع إلى النمبر فقال للناس: إني كنت نهيتكم أن تغالوا في صداق النساء فليفعل رجل في ماله ما بدا له. وعند أبي عمر بن فضالة في أماليه عن عمر قال: لو كان المهر سناء ورفعة في الآخرة كان بنات النبي صلى الله عليه وسلم ونساؤه أحق بذلك.

■ (1) قيل هي: خولة بنت ثعلبة، ويقال خويلة، كانت تحت أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت وظاهر منها.ونزلت فيها الآيات الأولى من سورة المجادلة إلى آخر القصة في الظهار.وقيل: إنها جميلة امرأة أوس بن الصامت، والأول أصح.(تنبيه: خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون)

قالت العلماء: هذه المقولة التي يستدل بها الكثير على عدم جواز تحديد المهور قال عنها علماء الحديث: أنه من الأحاديث المنكرة الضعيفة الإسناد، فالذي قاله عمر رضي الله عنه:﴿لَا تُغَالُوا فِي مُهُورِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللهِ لَكَانَ أَحَقَّكُمْ بِهَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوْلاَكُمْ، مَا زَوَّجَ بِنْتًا مِنْ بَنَاتِهِ وَلاَ تَزَوَّجَ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ إِلاَّ عَلَى اثْنَتَي عَشْرَةَ أُوقِيَّةً﴾..، ثم قالوا: لذلك فلا يوجد دليل على المنع من تحديد المهور، بل أن تحقيق المصلحة العليا للمجتمع الإسلامي ومقاصد الشريعة تقتضي التحديد ؛ إذ هو ارتشاف من فقه الواقع وفقه الأولويات. عن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مُؤْنَةً﴾ وعن أم المؤمنين عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مُؤْنَةً﴾ وعن عمرو بن دينار قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿خَيْرُ النِّكَاحِ أَيْسَرُهُ﴾ وعن عبد الرحمن ابن البيلماني مولى عمر قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿أَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْعَلاَئِقُ* بَيْنَهُمْ؟ قَالَ: مَا تَرَاضَى عَلَيْهِ أَهْلُوهُمْ﴾ وعن نافع قال: تزوج ابن عمر صفية على أربع مئة درهم فأرسلت إليه إن هذا لا يكفينا فزادها مئتين سرا من عمر. وعن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم زوج رجلا امرأة على أن يعلمها سورة من القرآن. وعن أبي جعفر أن النجاشي زوج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة على أربع مئة دينار، وعن المغيرة بن حكيم قال: أول من سن الصداق أربع مئة دينار عمر بن عبد العزيز. وقيل بل عبد الملك أول من فعل ذلك اقتداء بما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما خطب أم حبيبة بنت أبي سفيان، وربما قام عبد الملك بذلك منعا للمغالاة في المهور، وتشجيعا للزواج والإنجاب. وعن عطاء الخراساني أن عمر تزوج أم كلثوم على أربعين ألف درهم. وعن إبراهيم قال: كانوا يكرهون أن يتزوج الرجل على الدرهم والدرهمين مثل مهر البغي، وعن بن المسيب قال: لا بأس أن يتزوج الرجل ولو بسوط، وعن الشعبي عن علي قال: لا يكون المهر أقل من عشرة دراهم قال: وأخبرني مغيرة عن إبراهيم قال: أكره أن يكون المهر مثل أجر البغي ولكن العشرة دراهم والعشرين، وعن الزهري قال: كان صداق كل امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة أوقية ذهبا فذلك أربع مئة وثمانون درهما، وعن أنس قال: خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم فقالت: أما أني فيك لراغبة وما مثلك يرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة فإن تسلم فذلك مهري لا أسألك غيره فأسلم أبو طلحة وتزوجها.

☪

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: فقدت امرأة زوجها فمكثت أربع سنين، ثم ذكرت أمرها لعمر بن الخطاب، فأمرها أن تتربص أربع سنين من حين رفعت أمرها إليه، فإن جاء زوجها وإلا تزوجت فتزوجت بعد أن مضت السنوات الأربع، ولم يسمع له بذكر، ثم جاء زوجها بعد ذلك فبينما هو على بابه يستفتح قال قائل: إن امرأتك؟ قد تزوجت بعدك، فسأل عن ذلك فأخبر خبر امرأته فأتى عمر بن الخطاب فقال: أعدني على من غصبني على أهلي إذ حال بيني وبينهم، ففزع عمر لذلك، وقال: من هذا؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين قال: وكيف؟ قال: ذهبت بي الجن فكنت آتيه في الأرض فجئت وقد تزوجت امرأتي زعموا أنك أمرتها بذلك، قال عمر: إن شئت رددنا إليك امرأتك وإن شئت زوجناك غيرها، قال: بل زوجني غيرها فجعل عمر يسأل عن الجن وهو يخبره.

----

*(علائق) المهور الواحدة علاقة قال وكل ما يتبلغ به من العيش فهو علقة. قال شمر: العلائق ما يتعلقون به على المتزوج يعني المهور

مراجع: مجلة المنار/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ـمحض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ الأعلام للزركلي/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ـ

عن عبد الله بن صالح[1] قال: حدثني الليث [2]قال: أتي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بفتى أمرد قد وجد قتيلا ملقى على وجهه في الطريق، فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف على خبر، ولم يعرف له قاتل، فشق على عمر ذلك، وقال: اللهم، أظفرني بقاتله، حتى إذا كان رأس الحول* أو قريبا من ذلك، وجد صبيا مولودا ملقى موضع القتيل فأتى به عمر، فقال: ظفرت بدم القتيل إن شاء الله، فدفع الصبي إلى امرأة وقال: قومي بشأنه، وخذي منا نفقته وانظري من يأخذه منك، فإذا وجدت امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فأعلميني بمكانها. فلما شب الصبي جاءت جارية فقالت للمرأة: إن سيدتي بعثتني إليك بالصبي لتراه وترده إليك، قالت: نعم اذهبي به إليها وأنا معك، فذهبت بالصبي والمرأة معها حتى دخلت على سيدتها، فلما رأته أخذته فقبلته وضمته إليها، فإذا هي بنت شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرت عمر خبر المرأة. فاشتمل* عمر على سيفه، ثم أقبل إلى منزلها فوجد أباها متكيا على باب داره، فقال: يا أبا فلان ما فعلت ابنتك فلانة؟، قال: يا أمير المؤمنين جزاها الله خيرا هي من أعرف الناس بحق الله تعالى، وحق أبيها مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها، فقال عمر: قد أحببت أن أدخل عليها فأزيدها رغبة في الخير وأحثها على ذلك، فقال:جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين، امكث مكانك حتى أرجع إليك. فاستأذن لعمر، فلما دخل أمر عمر بخروج كل من كان عندها فخرج عنها، وبقيت هي وعمر في البيت ليس معها أحد فكشف عمر عن السيف، وقال: لتصدقيني، وكان عمر لا يكذب، فقالت: على رسلك يا أمير المؤمنين، فوالله لأصدقن، إن عجوزا كانت تدخل علي فاتخذتها أما وكانت تقوم في أمري بما تقوم به الوالدة، وكنت لها بمنزلة البنت، فأمضيت بذلك حينا، ثم إنها قالت: يا بنية إنه عرض لي سفر ولي بنت في موضع أتخوف عليها منه أن تضيع، وقد أحببت أن أضمها إليك حتى أرجع من سفري. فعمدت إلى ابن لها شاب أمرد فهيأته كهيئة الجارية، وأتتني به لا أشك أنه جارية فكان يرى مني ما ترى الجارية من الجارية حتى اعتقلني يوما وأنا نائمة فما شعرت حتى علاني وخالطني، فمددت يدي إلى شفرة كانت إلى جنبي فقتلته، ثم أمرت به فألقي حيث رأيت، فاشتملت منه على هذا الصبي والغلام، فلما وضعته، ألقيته في موضع أبيه، فهذا والله خبرهما، على ما أعلمته. فقال: صدقت بارك الله فيك، ثم أوصاها ووعظها ودعا لها، وخرج، وقال لأبيها: بارك الله في ابنتك، فنعم الابنة، وقد وعظتها وأمرتها، فقال: وصلك الله يا أمير المؤمنين، وجزاك خيرا عن رعيتك. وعن ابن شهاب الزهري، أن القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق[3] أخبره: أن رجلا ضاف ناسا من هذيل فخرجت لهم جارية، واتبعها ذلك الرجل فأرادها عن نفسها فتعافسا* في الرمل فرمته بحجر ففضت* كبده، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال: ذلك قتيل الله لا يؤدى أبدا.

قال حصين بن عبد الرحمن[4]: بلغني أن فتى من أهل المدينة كان يشهد الصلاة كلها مع عمر، وكان عمر يتفقده إذا غاب، فعشقته امرأة من أهل المدينة، فذكرت ذلك بعض نسائها، فقالت: أنا أحتال لك في إدخاله عليك، فقعدت له في الطريق فلما مر بها قالت له: إني امرأة كبيرة السن ولي شاة لا أستطيع أن أحلبها، فلو دخلت فحلبتها لي. -وكانوا أرغب شيء في الخير-، فدخل فلم ير شاة، فقالت: اجلس حتى آتيك بها، فإذا المرأة قد طلعت عليه، فلما رأى ذلك عمد إلى محراب في البيت فقعد فيه، فأرادته عن نفسه فأبى، وقال: اتقي الله أيها المرأة، فجعلت لا تكف عنه ولا تلتفت إلى قوله، فلما أبى عليها صاحت فجاءوا، فقالت: إن هذا دخل علي يريدني عن نفسي، فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه، وأوثقوه، فلما صلى عمر الغداة فقده، فبينا هو كذلك إذ جاؤوا به في وثاق، فلما رآه عمر قال: اللهم لا تخلف ظني به، قال: مالكم؟، قالوا: استغاثت امرأة بالليل فجئنا فوجدنا هذا الغلام عندها فضربناه وأوثقناه، فقال له عمر: أصدقني؟، فأخبره بالقصة على وجهها، فقال عمر: أتعرف العجوز؟، فقال: نعم، إن رأيتها عرفتها. فأرسل إلى نساء جيرانها وعجائزهن، فجاء بهن فعرضهن عليه فلم يعرفها فيهن حتى مرت به العجوز، فقال: هذه يا أمير المؤمنين، فرفع عليها الدرة، وقال:أصدقيني؟، فقصت عليه القصة كما قصها الفتى، فقال عمر: الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف. وعن الحسن أن رجلا تزوج امرأة سرا فكان يختلف إليها فرآه جار له فقذفه بها فاستعدى عليه عمر بن الخطاب فقال له: بينتك على تزويجها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كان أمر دون ما شهدت عليها أهلها فدرأ عمر الحد عن قاذفه وقال: حصنوا فروج هذه النساء وأعلنوا هذا النكاح.

----

*(رأس الحول) أعلى السنة (اشتمل على سيفه) غطاه.(العفس) الجذب إلى الأرض في ضغط شديد، وتعافسا: تعالجوا في الصراع (الفضض) كل ما نفض أي: تفرق وانقطع.

■ (3) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد: أحد الفقهاء السبعة في المدينة. ولد فيها، وتوفي بقديد بين مكة والمدينة حاجا أو معتمرا. سنة 107 هـ وكان صالحا ثقة من سادات التابعين، عمي في أواخر أيامه. قال ابن عيينة: كان القاسم أفضل أهل زمانه.

■ (1) عبد الله بن صالح الجهني المصري، كاتب الليث، صدوق كثير الغلط، توفي سنة اثنتين وعشرين 222 هـ.

■ (4) حصين بن عبد الرحمن السلمي، الكوفي، ثقة تغير حفظه في الآخرة، توفي سنة 136 هـ على الصحيح.

■ (2) الليث ابن سعد الفهمي ثقة ثبت إمام مشهور، توفي سنة 175 هـ.

☪

عن الشعبي قال:بينا عمر يعس ذات ليلة إذ مر بامرأة جالسة على سرير وقد أجافت الباب وهي تقول: تطاول هذا الليل واخضل جانبه..وأرقني أن لا خليل ألاعبه..فوالله لولا الله لا شيء غيره..لحرك من هذا السرير جوانبه. فقال عمر رضي الله عنه: أوه، ثم خرج فضرب الباب على حفصة رضي الله عنها فقالت: يا أمير المؤمنين، ما جاء بك في هذه الساعة؟، فقال: أي بينة كم تحتاج المرأة إلى زوجها؟، قالت: في ستة أشهر، فكان لا يغزي جيشا له أكثر من ستة أشهر. وذكر هذه الحكاية ابن القيم وغيره: وهي أنه بينا هو يعس ذات ليلة سمع امرأة تقول: تطاول هذا الليل واخضل جانبه..وأرقني أن لا خليل ألاعبه..فوالله لولا الله لا شيء غيره..لحرك من هذا السرير جوانبه..مخافة ربي والحياء يكفني..وأكرم بعلي أن تنال مراكبه. فقال: أواه، وقال: لولا أنها افتتحت الكلام بالخوف وختمته بالخوف لأوجعتها ضربا، ثم دق عليها الباب، فقالت:من يدق امرأة مغيبة؟، فقال: افتحي، فقالت: أما والله لو علم بك أمير المؤمنين لأوجعك ضربا، فقال: افتحي، أنا أمير المؤمنين، قالت: كذبت، فرفع لها صوته، فلما عرفته فتحت له فقال: لمن تذكرين؟، قالت: زوجي وجهه أمير المؤمنين في غزاة كذا وكذا، فذهب فدخل على حفصة فقال: أي بنيه كم صبر المرأة عن زوجها؟، قالت: تصبر الشهر، والشهرين والثلاثة في أربعة ينفذ الصبر. وفي رواية: أكثر ما تصبر ستة أشهر، فجعل ذلك أجلا. قال ابن المبرد: لهذا المعنى -والله أعلم- جعلت مدة العدة أربعة أشهر وعشرا*، وجعلت مدة الغيبة التي يجب على الرجل القدوم فيها إلى زوجته إذا طلبته ويفسخ النكاح لغيبته أربعة أشهر. وعن أحمد رواية أخرى: ستة أشهر، وجعلت مدة الإيلاء أربعة أشهر، وما أشبه ذلك.

عن ابن عمر قال: كتب عمر بن الخطاب فيمن غاب من الرجال من أهل المدينة عن نسائهم أن يردوهم: فليرجعوا إليهن أو يطلقوهن أو ليبعثوا إليهن بالنفقة، فمن طلق بعث نفقة ما ترك خرجه الأبهري. وروي أنه كان يطوف ليلة في المدينة فسمع امرأة تقول: ألا طال هذا الليل وازور جانبه..وليس إلى جنبي خليل ألاعبه..فوالله لولا الله تخشى عواقبه..لزعزع من هذا السرير جوانبه..مخافة ربي والحياء يردني..وأكرم بعلي أن تنال مراكبه..ولكنني أخشى رقيبا موكلا..بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه. فسأل عمر نساء: كم تصبر المرأة عن الرجل؟ فقلن شهرين، وفي الثالث يقل الصبر، وفي الرابع ينفذ الصبر، فكتب إلى أمراء الأجناد: أن لا تحبسوا رجلا عن امرأته أكثر من أربعة أشهر.

وعن الشعبي قال: سمع عمر امرأة تقول: دعتني النفس بعد خروج عمرو..إلى اللذات تطلع اطلاعا..فقلت لها عجلت فلن تطاعي..ولو طالت إقامته رباعا..أحاذر أن أطيعك سب نفسي..ومخزاة تجللني قناعا. فقال لها عمر: ما الذي يمنعك من ذلك؟ قالت الحياء وإكرام زوجي، قال عمر: إن في الحياة لهنات ذات ألوان؛ من استحى استخفى، ومن استخفى اتقى، ومن اتقى وقى. خرجه ابن أبي الدنيا.

عن أنس بن مالك قال: كنت عند عمر بن الخطاب فجاءته امرأة من الأنصار فقالت: أكسني يا أمير المؤمنين، فقال: ما هذا أوان كسوتك، قالت: والله ما علي ثوب يواريني، قال: فقام عمر فدخل خزانته فأخرج درعا قد خيط أبيض، وجيب، وألقاه إليها، وقال: هذا لبسي، وانظري خلقك فارقعيه وخيطه، والبسيه على برمتك وعملك فإنه لجديد لمن لا خلق له.وعن الأوزاعي قال: بلغني أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء في بيت، فدخل ومعه غيره، فمال عليهم ضربا حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها، وقال: اضرب فإنها نائحة لا حرمة لها إنها لاتبكي لشجوكم، إنما تهرق دمعها على أخذ دراهمكم، إنها تؤذي أمواتكم في قبورهم وأحياءكم في دورهم، إنها تنهى عن الصبر الذي أمر الله به، وتأمر بالجزع الذي نهى الله عنه. وذكر أبو القاسم الأصفهاني: قال عمر رضي الله عنه: والله لقد لان قلبي في الله حتى لهو ألين من الزبد، واشتد في الله حتى لهو أشد من الحجر. قال: وروي أنه كان في وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطان أسودان من البكاء.

☪

روى بسنده إلى أبي عباد قال: أدركت الخادم الذي كان يقوم على رأس الحجاج، فقلت له: أخبرني بأعجب شيء رأيته من الحجاج قال: كان ابن أخيه أميرا على واسط، وكان بواسط امرأة يقال لها أبة، لم يكن بواسط في ذلك الوقت أجمل منها. فأرسل ابن أخيه إليها يراودها عن نفسها مع خادم له. فأبت عليه وقالت: إن أردتني فاخطبني إلى اخوتي، وكان لها أربعة اخوة فأبى، وقال: لا، إلا كذا. وعاودها فأبت، فراجعها وأرسل إليها بهدية فأخذتها وعزلتها. وأرسل إليها عشية الجمعة: إني آتيك الليلة، فقالت لأمها: إن الأمير بعث إلي بكذا وكذا. فأنكرت أمها ذلك، وقالت أمها لاخوتها إن أختكم قد زعمت كيت وكيت: فأنكروا ذلك وكذبوها. فقالت إنه قد وعدني أن يأتيني الليلة، لترونه. قال: فقعد اخوتها في بيت حيال البيت الذي هي فيه، وجويرية لها على باب الدار تنتظره. فجاء ونزل عن دابته وقال لغلامه: إذا أذن المؤذن في الغلس، فأتني بدابتي، ودخل والجارية أمامه. فوجد أبة على سرير مستلقية. فاستلقى إلى جانبها ثم وضع يده عليها، وقال: إلى كم ذا المطل؟ فقالت له: كف يدك يا فاسق، ودخل اخوتها عليه بأيديهم السيوف فقطعوه ثم لفوه في نطع وجاءوا به إلى سكة من سكك واسط فألقوه فيها. وجاء الغلام بالدابة فجعل يدق الباب دقا رفيقا فلا يكلمه أحد. فلما خشي الضوء وأن تعرف الدابة انصرف. وأصبح الناس فإذا هم به على تلك الصفة. فأتوا به الحجاج فأخذ أهل تلك السكة، فقال أخبروني: ما قصته؟ قالوا: لا نعلم حاله، غير أنا وجدناه ملقى. ففطن الحجاج فقال: علي بمن كان يخدمه، فأتي بذلك الخصي الذي كان الرسول بينهما، فقالوا: هذا كان صاحب سره، فقال له الحجاج: اصدقني عن خبره وقصته، فأبى. فقال: إن صدقتني لم أضرب عنقك، وإن لم تصدقني فعلت بك وفعلت. قال: فأخبره الأمر على جهته. فأمر بالمرأة وأمها واخوتها، فجيء بهم، وعزلت المرأة عنهم. فسألها فأخبرته بمثل ما أخبر به الخصي، ثم سأل اخوتها، فأخبروه بمثل ذلك ولم يختلفوا، وقالوا: نحن صنعنا به الذي ترى، فأمر برقيقه ودوابه للمرأة، فقالت المرأة هديته عندي، فقال: بارك الله لك فيها، وكثر في النساء مثلك، وهي لك، وما ترك من شيء فهو لك، وقال: مثل هذا لا يدفن. فألقوه للكلاب، ودعا بالخصي فقال: أما أنت فقد قلت لك إني لا أضرب عنقك وأمر بضرب وسطه، فقطع نصفين.

----

*(مدة العدة) المقصود في عدة المتوفى عنها غير ذات الحمل.

مراجع: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ الأعلام للزركلي/ شرح نهج البلاغة/ مصارع العشاق/ موارد الظمآن لدروس الزمان/ التذكرة الحمدونية/ ربيع الأبرار/ مصارع العشاق/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/

قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيب: أن فتى من الأنصار كان لزم عمر بن الخطاب[1]، وكان به معجبا وأنه فقده، فقال: ما لي لا أرى فلانا؛ فأرسل إليه فجاءه، فإذا هو بذ الهيئة*، قال: ما لي أراك هكذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن أخوي خيروني بين أمي وبين ميراثي من أبي، فاخترت أمي، ولم أكن لأخرجها على رؤوس الناس، فأخذتها بجميع ميراثي من أبي؛ قال: فخرج عمر مغضبا حتى رقي المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد، أيها الناس، فأي امرئ وطئ امرأة فولدت منه، فله أن يستمتع منها ما عاش، فإذا مات فهي حرة.

وعن بريدة[2] قال: كنت جالسا عند عمر رضي الله عنه إذ سمع صائحة، فقال: يا يرفأ أنظر ما هذا الصوت؟ فنظر ثم جاء فقال: جارية من قريش تبع أمها. فقال عمر رضي الله عنه: أدع لي المهاجرين والأنصار، فلم يمكث إلا ساعة حتى امتلأ الدار والحجرة. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: فهل تعلمونه كان فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم القطيعة؟ قالوا: لا. فإنها أصبحت فيكم فاشية ثم قرأ:﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد] ثم قال: وأي قطيعة أقطع من أن تباع أم إمرأة فيكم وقد أوسع الله لكم؟. قالوا: فاصنع ما بدا لك. فكتب في الآفاق أن لا تباع أم حر فأنها قطيعة رحم وإنه لا يحل.

وعن أبي جعفر أن أبا أسيد جاء النبي صلى الله عليه وسلم بسبي من البحرين، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى إمرأة منهن تبكي. فقال: ما شأنك؟ فقالت: باع إبني. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي أسيد: أبعت إبنها؟ قال: نعم. قال: فيمن؟، قال: في بني عبس. فقال النبي صلى الله عليه وسلم، إركب أنت بنفسك فائت به.

----

*(بذ الهيئة) رثها

■ (1) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (2) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الاسلمي: من أكابر الصحابة. أسلم قبل بدر، ولم يشهدها. وشهد خيبر وفتح مكة، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه. وسكن المدينة. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو فمات بها.سنة 63 هـ. له 167 حديثا.

☪

قال جعفر بن محمد: أتى عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة، فألقت صفارها، وصبت البياض على ثوبها وبين فخذها ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله، فسأل عمر النساء فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المنى، فهم بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين تثبت في أمرى، فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها، فقد راودتني عن نفسي فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما، فنظر علي رضي الله عنه إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب على الثوب فجمد ذلك البياض ثم أخذه واشتمه، وذاقه، فعرف طعم البيض، وزجر المرأة فاعترفت.

عن ابن عمر قال: طلق غيلان بن سلمة[1] نساءه، وقسم ماله بين بنيه في خلافة عمر، فبلغ ذلك عمر فقال له: أطلقت نساءك وقسمت مالك بين بنيك؟ قال: نعم، قال: والله إني لأرى الشيطان فيما يسترق السمع بموتك فألقاه في نفسك، فلعلك لا تمكث إلا قليلا، وأيم الله لئن لم تراجع نساءك وترجع في مالك لأورثهن منك إذا مت، ثم لآمرن بقبرك فليرجمن كما رجم قبر أبي رغال[2]. أبو رغال: أبو ثقيف. قال: فراجع نساءه، ورجع في ماله. قال نافع: فلم يمكث إلا سبعا حتى مات.

وكان غيلان شاعرا، وفد على كسرى، وسأله أن يبني له حصنا بالطائف، فبنى له حصنا بالطائف، ثم جاء الإسلام، فأسلم غيلان وعنده عشر نسوة -زاد في رواية: وأسلمن معه- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اختر منهن أربعا وفارق بقيتهن. فقال: قد كن ولا يعلمن أيتهن آثر عندي وسيعلمن اليوم ذلك. فاختار منهن أربعا، وجعل يقول لمن أراد منهن: أقبلي، ومن لم يرد يقول لها: أدبري حتى اختار منهن أربعة وفارق بقيتهن.

☪

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. حدثنا عمرو بن عون أنبأنا ح وحدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، -والله أعلم أذكر الثالث أم لا- ثُمَّ يَنْشَأُ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَنْذِرُونَ وَلا يُوفُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ ، وَيَفْشُو فِيهِم السِّمَنُ﴾ يقول الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله تعالى: باب في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. هذه الترجمة معقودة لبيان الفضل الذي أكرم الله به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن لهم ميزة تميزوا بها على غيرهم، وهي أنهم وجدوا في القرن الذي بعث فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وأكرمهم الله عز وجل في هذه الحياة الدنيا بصحبته، ومتع أبصارهم بالنظر إلى طلعته صلى الله عليه وسلم، وشنف أسماعهم بسماع حديثه من فمه الشريف، وأكرمهم ووفقهم للجهاد معه ونصرته والذب عنه، فصارت لهم هذه الفضائل وهذه الميزات التي ميزهم الله تعالى بها، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد] ولهذا فإن أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام فضلوا على غيرهم بكونهم القرن الذي بعث فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم خير الناس: ﴿خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ﴾ والمراد بالقرن هنا: المجموعة من الناس الذين رأوا النبي صلى الله عليه وسلم وصحبوه، فهؤلاء هم قرنه أو القرن الذي بعث فيه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، فليس المقصود به مدة معينة محددة لها بداية ولها نهاية، وإنما المقصود منه هؤلاء القوم وهؤلاء الصحب الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم وأكرمهم الله بصحبته، وسمعوا كلامه وحديثه، ورأوا شخصه وطلعته صلى الله عليه وسلم، وتلقوا الحق والهدى منه، وبلغوهما إلى الناس، فجعلهم الله عز وجل الواسطة بين الناس وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، ما عرف الناس حقا ولا هدى، ولا وصل إلى الناس كتاب ولا سنة إلا عن طريق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا اشتهر عند العلماء أن الصحابي لا يحتاج إلى أن يعدل وأن يوثق، ولا يحتاج إلى أن يقال: فلان ثقة، وفلان عدل، وفلان كذا وفلان كذا، إذ يكفيهم تعديل الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وثناء الله وثناء رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. ولهذا كان المجهول فيهم في حكم المعلوم، فجهالة الصحابي لا تؤثر، أما من دون الصحابة فإن جهالتهم تؤثر، ولهذا يأتي في كتب الحديث ذكر الرواية عن الصحابة، فيقال: عن رجل صحب النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك حجة ومتفق عليه عند أهل السنة، ولا خلاف في ذلك، أما من دون الصحابة من التابعين ومن دونهم، فإنه يحتاج إلى معرفة أحوالهم وإلى بيان عدالتهم وبيان جرحهم من تعديلهم، وقد يقال في بعض الصحابة: فلان صحابي من أهل بدر، أو شهد بيعة الرضوان، أو شهد بدرا، وذلك للفضل الذي حصل لأهل بدر والفضل الذي حصل لأهل بيعة الرضوان، أي: ليبين أنه من أهل هذا الفضل وممن دخل في هذا الفضل الذي هو كونه بدريا أو كونه ممن شهد بيعة الرضوان، وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة مبينة قدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان فضلهم ونبلهم، وأثنى الله عليهم وأثنى عليهم رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، وجاء في ذلك آيات كثيرة، وجاء في ذلك أحاديث عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومما جاء في القرآن في فضل الصحابة قول الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة]، وكذلك قول الله عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح] فهذه الآية الكريمة فيها بيان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكروا في التوراة والإنجيل، وأنهم ذكروا في الكتب السابقة قبل أن يوجدوا وقبل أن يأتي زمانهم، وهذا دال على فضلهم ونبلهم رضي الله عنهم وأرضاهم، فهم قد ذكروا في تلك الكتب وأثني عليهم فيها، وهذا مما يدل على فضلهم، وفيه أنهم يغاظ بهم الكفار، وذلك لأنهم يقومون بنصرة الدين بالجهاد في سبيل الله، فالكفار يغاظون بهم، ولهذا قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ثم أخبر أنه وعدهم بمغفرة ورحمة فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ والمقصود من ذلك الصحابة، وقد قال منهم، وليس المقصود (من) التبعيضية، وإنما بيانا للجنس، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾ أي أن هذا الوعد إنما هو لهم، ولو لم يأت بكلمة (منهم) لصار الأمر لا يخصهم، فلو قيل: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة وأجرا عظيما. فيكون لهم ولغيرهم، لكن لما جاءت كلمة (منهم) عرف أن هذا الوعد لهم، لكن ليس لبعضهم وإنما هو لجميعهم، لأن من بيانية، وليست تبعيضية، ونظير ذلك قول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة] فقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ ليس المقصود بعضهم، بل كل الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة توعدوا بهذا الوعيد، فكلمة منهم لبيان الجنس وليست للتبعيض. فقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾ (من) في قوله: (منهم) لبيان الجنس في جانب المدح وفي جانب أهل الحق، وقد تأتي لبيان الجنس في الذم مثل قوله تعالى: ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة] أي: من الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فهذا في جانب الذم وفي جانب السوء، مع أنهم كلهم موعودون بهذا الوعد، وليس بعضهم؛ لأن (من) هنا لبيان الجنس وليست للتبعيض. وكذلك قول الله عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد] فإنه وإن حصل بينهم التفاوت في الدرجات وعلو المنازل إلا أن الكل وعد الحسنى، والحسنى هي: الجنة، كما قال الله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس] أما سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على فضل الصحابة وعظيم منزلتهم.

■ (1) غيلان بن سلمة الثقفي أسلم يوم الفتح وتحته عشر نسوة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا مات في آخر خلافة عمر بن الخطاب

■ (2) أبو رغال، قسي بن منبه بن النبيت بن يقدم، من بني إياد، أبو رغال: صاحب القبر الذي يرجم إلى اليوم بين مكة والطائف. وهو جاهلي، اختلفوا في اسمه ونسبه ومنشأه، حتى ذهب كاتب ترجمته في دائرة المعارف الاسلامية إلى أنه شخصية أسطورية. وكان في الطائف، وهي ديار ثقيف، وكانت ثقيف تعير به، قال حسان بن ثابت: إذا الثقفي فاخركم فقولوا: هلم نعد شأن أبي رغال !. وذلك لما ذكر عنه من أنه كان دليل الحبشة لما غزوا الكعبة، فهلك فيمن هلك منهم، ودفن في المغمس وقبره معروف. ولما ظهر الاسلام كان خبر الحبشة ومحاولتهم احتلال مكة حديث الناس يتناقلوه لقرب عهده = ولم يمض عليه أكثر من نصف قرن – فمر النبي صل الله عليه وسلم بقبر " أبي رغال " فأمر برجمه فرجم، فكان ذلك سنة. قال جرير: إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال. وقال عمر رضي الله عنه لغيلان بن سلمة: لئن لم ترجع في مالك لارجمن قبرك كما يرجم قبر أبي رغال.توفي نحو 50 ق هـ

مراجع: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ / الأعلام للزركلي/ الإصابة في تمييز الصحابة/ الثقات لابن حبان/ شرح سنن أبي داود/ علي بن أبي طالب للصلابي/

عن ابن عباس أنه قال: قدم علينا عمر حاجا، فصنع له صفوان بن أمية[1] طعاما، قال: فجاؤوا بجفنة* يحملها أربعة، فوضعت بين يدي، فأخذ القوم يأكلون وقام الخدم، فقال عمر: ما لي أرى خدامكم لا يأكلون معكم، أترغبون عنهم؟ فقال سفيان بن عبد الله[2]: لا، والله، يا أمير المؤمنين، ولكنا نستأثر عليهم، فغضب عمر غضبا شديدا، ثم قال: ما لقوم يستأثرون على خدامهم، فعل الله بهم وفعل، ثم قال للخدم: اجلسوا فكلوا، فقعد الخدم يأكلون، ولم يأكل أمير المؤمنين. وفي رواية عن أبي محذورة قال: كنت جالسا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ جاء صفوان بن أمية بجفنة يحملها نفر في عناء، فوضعها بين يدي عمر. فدعا عمر ناسا مساكين وأرقاء من أرقاء الناس حوله، فأكلوا معه ثم قال عند ذلك: فعل الله بقوم – أو لحى الله قوما– يرغبون عن أرقائهم أن يأكلوا معهم. فقال صفوان: أما والله ما نرغب عنهم ولكنا نستأثر عليهم. لا نجد من الطعام الطيب ما نأكل ونطعمهم. عن عمرو بن دينار قال: إن عمر قدم مكة فأعطى الناس عشرة دراهم عشرة دراهم فمر به عبد فأعطاه عشرة دراهم فلما ولى قيل له: يا أمير المؤمنين إنه عبد ! فقال: دعه.وعن مكحول: أن عبادة بن الصامت[3] دعا نبطيا* يمسك له دابته عند بيت المقدس، فأبى، فضربه فشجه، فاستعدى عليه عمر بن الخطاب، فقال له: ما دعاك إلى ما صنعت بهذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أمرته أن يمسك دابتي فأبى، وأنا رجل في حدة، فضربته. فقال: اجلس للقصاص. فقال زيد بن ثابت[4]: أتقيد عبدك من أخيك؟ فترك عمر القود*، وقضى عليه بالدية*. قال زيد بن وهب: خرج عمر ويداه في أذنيه وهو يقول: يا لبيكاه، يا لبيكاه قال الناس: ما له؟ قال: جاءه بريد من بعض أمرائه أن نهرا حال بينهم وبين العبور ولم يجدوا سفنا، فقال أميرهم: أطلبوا لنا رجلا يعلم غور النهر، فأتي بشيخ فقال: إني أخاف البرد –وذلك في البرد– فأكرهه فأدخله، فلم يلبثه البرد، فجعل ينادي: يا عمراه فغرق. فكتب إليه، فأقبل، فمكث أياما معرضا عنه، –وكان إذا وجد على أحد منهم فعل به ذلك–ثم قال: ما فعل الرجل الذي قتلته؟ قال: يا أمير المؤمنين ما تعمدت قتله، لم نجد شيئا يعبر فيه، وأردنا أن نعلم غور الماء، ففتحنا كذا وكذا. فقال عمر: لرجل مسلم أحب إلي من كل شيء جئت به، لولا أن تكون سنة لضربت عنقك، فأعط أهل ديته، واخرج فلا أراك. وفي رواية عن زيد بن وهب قال: خرج عمر بن الخطاب ذات يوم إلى سوق المدينة، فجعل يقول: واعمراه، والبيكاه، فسألنا عن خبره فقيل: إن عاملا من عماله أمر رجلا أن ينزل في واد، ينظر كم عمقه، فقال الرجل: إني أخاف، فعزم عليه فنزل، فلما خرج كز* فمات، فنادى: يا عمراه، فبعث عمر إلى الوالي: أما إني لولا أخاف أن تكون سنة بعدي لضربت عنقك، ولكن لا تبرح حتى تؤدي ديته، والله لا أوليك أبدا. وعن عدي بن عدي عن ابن عمر له عن أبي عدي وكانت له صحبة قال: كنا جلوسا في المسجد فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلنا: أين تنطلق يا أمير المؤمنين؟ قال: أنطلق إلى السوق أنظر إليها فأخذ درته فانطلق وقعدنا ننتظره فلما رجع قلنا كيف رأيت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت العبيد والموالي جل أهلها وما بها من العرب إلا قليلا وكأنه ساءه ذلك فقلنا: يا أمير المؤمنين قد أغنانا الله عنها بالفيء ونكره أن نركب الدناءة وتكفينا موالينا وغلماننا قال: والله لئن تركتموهم وإياها ليحتاجن رجالكم إلى رجالهم ونساؤكم إلى نسائهم. قال مصعب الزبيري: مر عمر بصفوان بن أمية بن خلف وهو يقول: أنا ابن بطحائها كدائها وكديها. فقال: إن كنت تقيا فأنت كريم، وإن كنت حسن الخلق فإن لك مروءة، وإن كنت عاقلا فإن لك أصلا، وإلا فأنت شر من كلب أو قال من حمار. أخرج الطبراني في الأوسط، وابن عساكر، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت جارية إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالت: إن سيدي إتهمني فأقعدني على النار حتى احترق فرجي. فقال لها عمر: هل رأى ذلك عليك؟ قالت: لا. قال: فهل اعترفت له بشيء؟ قالت: لا. فقال عمر: علي به. فلما رأى عمر الرجل قال: أتعذب بعذاب الله !؟ قال: يا أمير المؤمنين إتهمتها في نفسها. قال: أرأيت ذلك عليها؟ قال: لا. قال: فاعترفت لك به؟ قال: لا. قال: والذي نفسي بيده لو لم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لاَ يُقَادُ مَمْلُوكٌ مِنْ مَالِكِهِ وَلاَ وَلَدٌ مِنْ وَالِدِهِ﴾ لأقدتها منك، وضربه مائة سوط، وقال للجارية: اذهبي فأنت حرة لوجه الله، وأنت مولاة الله ورسوله ؛ أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ حَرَّقَ بِالنَّارِ أَوْ مُثِّلَ بِهِ فَهُوَ حُرٌّ وَهُوَ مَوْلَى اللهِّ وَرَسُولِهِ﴾. قال الليث : هذا أمر معمول به. وعن فروخ مولى عثمان: أن عمر خرح إلى المسجد، فرأى طعاما منثورا، فقال: بارك الله فيه وفيمن جلبه. قيل: يا أمير المؤمنين فإنه قد احتكر*. قال: ومن احتكره؟ قالوا: فروخ مولى عثمان، وفلان مولى عمر، فقال: ما حملكما على ذلك؟ قالا: نشترى بأموالنا يا أمير المؤمنين ونبيع. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنِ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ ضَرَبَهُ اللهُّ بِالإِفْلاَسِ أَوْ بِجُذَامٍ*﴾ فقال فروخ: أعاهد الله وأعاهدك أنى لا أعود. وأما مولى عمر فلقد رأيته مجذوما. وعن زيد بن أسلم قال: أخبرني أبي[5]قال: كنا نبيت عند عمر أنا ويرفأ (مولى عمر، وكان حاجبه) قال: فكانت له ساعة من الليل يصليها وكان إذا استيقظ قرأ هذه الآية:﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه] حتى إذا كان ذات ليلة قام فصلى ثم انصرف، ثم قال: قوما فصليا فوالله ما أستطيع أن أصلي ولا أستطيع أن أرقد، وإني لأفتتح السورة فما أدري في أولها أنا أم في آخرها، قلنا: ولم يا أمير المؤمنين؟، قال: من همي بالناس مذ جاءني هذا الخبر. و عن بن شهاب قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن أباه عبد الله بن عتبة دخل على عمر فوجده يصلي التطوع فقام إلى يساره فأخره عمر إلى يمينه فجاء يرفأ مولى عمر فتأخرت معه فصليت أنا ويرفا وراءه. وعن الفضل بن عميرة: أن الأحنف بن قيس قدم على عمر في وفد من العراق فقدموا عليه في يوم شديد الحر، وهو محتجز بعباءة يهنأ بعيرا من إبل الصدقة، فقال: يا أحنف ضع ثيابك،وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير، فإنه من إبل الصدقة، فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين، فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك؟، فقال عمر: ثكلتك أمك، وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف ؛ إنه من ولي أمر المسلمين فهو عبد المسلمين، يجب عليه ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة. وعن ابن عون حدثني أبي عن جدي أرطبان (مولى عبد الله بن درة بن سراق المزني) قال: أعتقت فاكتسبت مالا، فأتيت عمر بن الخطاب بزكاته، فقال: ما هذا؟ قلت له: زكاة مالي، فقال لي: أو لك مال؟ قلت: نعم، قال: بارك الله لك في مالك وولدك.

*(القود) القصاص ومجازاة الجاني بمثل صنيعه (الدية) مال يعطى لولي المقتول مقابل النفس أو مال يعطى للمصاب مقابل إصابة أو تلف عضو من الجسم (النبط) جيل ينزلون سواد العراق وهم الأنباط وقيل الأنباط شعب سامي كانت له دولة في شمال شبه الجزيرة العربية وعاصمتهم سلع وتعرف اليوم بالبتراء(الجفنة) القصعة (الكزازة) اليبس، والانقباض .(الجذام) مرض تتساقط منه أطراف الجسم.
(الاحتكار) إمساك السلعة وعدم بيعها حتى يرتفع سعرها

(1) صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، صحابي من المؤلفة قلوبهم، أسلم بعد الفتح، وحسن إسلامه، وشهد اليرموك أميرا على كردوس.قيل توفي أيام قتل عثمان، وقيل: في أوائل خلافة معاوية. قيل سنة41 هـ. ويقال: إنه وفد على معاوية، وأقطعه زقاق صفوان.

(2) سفيان بن عبد الله بن (أبي؟) ربيعة بن الحارث، ويقال سفيان بن عبد الله بن حطيط الثقفي، أبو عمرو ،ويقال أبو عمرة، الطائفي له صحبة وكان عاملا لعمر بن الخطاب على أهل الطائف.

(3) عبادة بن الصامت بن قيس ب، الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري، أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدريين، سكن بيت المقدس. شهد العقبة الأولى وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . مات بالرملة في فلسطين سنة34 هـ وهو ابن 72 سنة. وقيل: إنه بقي حتى توفي زمن معاوية. وقيل غير ذلك.

(4) زيد بن ثابت بن الضحاك بن كوزان الأنصاري البخاري أبو سعيد وأبو خارجة صحابي مشهور، كتب الوحي. أمره أبو بكر أن يجمع القرآن وأمره عثمان فكتب المصحف وابي بن كعب يملي عليه.توفي سنة 45 هـ أو 48 هـ وقيل: بعد 50 هـ. وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعلمها بالفرائض زيد بن ثابت.

(6) أسلم مولى عمر بن الخطاب التابعي القرشي العدوي المديني، أحد رواة الحديث النبوي. وكان يكنى أبا خالد وكان عبدا مملوكا، اشتراه عمر سنة 12 هـ في مكة، وقد اختلف في أصوله، قيل كان من سبي اليمن وقد توفي سنة 80 هـ في المدينة في خلافة عبد الملك بن مروان وكان أروى الناس لسيرة عمر مع علمه بعمر.

☪

قال علي الصلابي: من أبرز المعاني الإنسانية المرعية والمؤكدة في تاريخنا كله: المساواة بين البشر جميعا: بيضا وسودا، عربا وعجما، حكاما ومحكومين، أغنياء وفقراء شرفاء ووضعاء مسلمين وغير مسلمين في إقامة العدل. ومن المعاني الإنسانية العميقة البارزة في تاريخنا الإسلامي البر والإحسان بالناس، وبذل المعروف لهم، وإعانتهم في السراء والضراء، وخصوصا الضعفاء والمحرومين منهم، أيا كان سبب ضعفه، فمنهم من ضعفه بسبب فقد المال كالمسلمين ومنهم من ضعفه بسبب فقد الوطن كابن السبيل، ومنهم من ضعفه بسبب فقد الحرية كالأسير والرقيق وقد أوصى الإسلام بهم جميعا كما قال تعالى في وصف عباده الأبرار: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهَّ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان] وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة] وهؤلاء لهم في الإسلام حقوق بعضها واجبة وبعضها مندوبة وبعضها تطالب به الدولة.. وبعضها من الصدقات المعتادة، وبعضها من الصدقات الجارية، التي تمثلت في نظام الوقف الخيري، الذي رسخت جذوره، وسبقت فروعه، وامتدت ظلاله، وآتى ثماره في الحياة الإسلامية وتميز به تاريخ المسلمين أكثر من غيرهم من الأمم. انتهى. قال سهل بن شعيب بن ربيعة: ركبت البريد إلى عمر بن عبد العزيز فانقطع بي في بعض أرض الشام، فركبت السخرة* حتى أتيته، وهو بـ خناصرة قال: فسايرني، فقال: ما فعل جناح المسلمين؟ قلت: وما جناح المسلمين يا أمير المؤمنين؟ قال: البريد، قلت: انقطع في أرض كذا وكذا. قال: فعلى أي شيء أتيتنا؟ قلت: على السخرة. قال: سخرت دواب النبط في سلطاني؟ فأمر بي فضربت أربعين سوطا.

قال عبد السلام بن محسن آل عيسى: روي أن عمر رضي الله عنه قال لسلمان الفارسي رضي الله عنه: يا سلمان ما أعلم من أمر الجاهلية شيئا إلا وضعه الله عنا بالإسلام إلا أنا لا ننكح إليكم، ولا ننكحكم، فهلم فلنزوجك ابنة الخطاب، أفر والله من الكبر. وروي أن الزبير بن العوام خرج بغلس يريد أرضا له، فلما كان ببعض الطريق إذا هو بعمر رضي الله عنه على عنقه قربة من ماء، فعرفه الزبير، فقال له: والله ما أعلم هذا يسعك، لقد أغناك الله عن هذا وأقتاك بها خولك وأعطاك، فما يحملك على هذا؟ قال عمر: لما رأيت هؤلاء الوفد سامعين لأمري، مطيعين لي، وما كنا نرى أنه لا تنجح لنا بطاعة، ولا تطيع لنا أمرا، دخلتني لذلك نخوة، فأردت أن أكسرها، قال الزبير: فمال بالقربة إلى حجرة أرملة من الأنصار، فأفرغها في جرارها. وروي كذلك أنه رضي الله عنه فقد عمار بن ياسر رضي الله عنه، فجاءه في منزله، وهو يبني داره، فوجده ينقل طينا ولبنا، فنقل عمر رضي الله عنه معه بنفسه طينا ولبنا. ومما لا شك فيه أن تواضع عمر رضي الله عنه لم يكن تواضعا فيه الضعف والخور والتماوت بل كان رضي الله عنه مع تواضعه قويا شديدا ذا وقار وهيبة، وسيرته رضي الله عنه دالة على ذلك، وروي أن الشفاء بنت عبد الله رأت فتيانا يقصدون في المشي، ويتكلمون رويدا، فقالت: ما هؤلاء؟ قالوا: نساك، فقالت: كان والله عمر بن الخطاب إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله الناسك حقا. وروي أن عمر وابنه عبد الله كانا لا يعرف فيهما البر حتى يقولا أو يفعلا، فسئل الزهري عن المراد بذلك؟ فقال: لم يكونا مؤنثين ولا متماوتين في رواية ابن جريج: أن زنباعا أبا روح وجد غلاما مع جارية له، فجدع أنفه، وجبه*، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من فعل هذا بك؟ قال: زنباع، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما حملك على هذا ؟فقال: كان من أمره كذا وكذا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم للعبد: اذهب، فأنت حر. فقال: يا رسول الله، فمولى من أنا؟ قال: مولى الله ورسوله، فأوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين. قال: فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء إلى أبي بكر، فقال: وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نعم نجري عليك النفقة وعلى عيالك، فأجراها عليه، حتى قبض أبو بكر.فلما استخلف عمر جاءه، فقال: وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نعم أين تريد؟ قال : مصر. فكتب عمر إلى صاحب مصر، أن يعطيه أرضاه يأكلها. وفي رواية حجاج: من مثل به، أو حرق بالنار، فهو حر، وهو مولى الله ورسوله. قال: فأتي برجل، قد خصي، يقال له: سندر، فأعتقه. ثم أتي أبا بكر، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنع إليه خيرا، ثم أتى عمر، بعد أبي بكر فصنع إليه خيرا، ثم إنه أراد أن يخرج إلى مصر، فكتب له عمر إلى عمرو بن العاص: أن أصنع به خيرا، أو احفظ وصيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه.

*(السُّخْرةُ) ما تسخرت من دابة أو خادم بلا أجر ولا ثمن ويقال سخرته بمعنى سخرته أي قهرته وذللته(جبه) يقال: جب الخصية: استأصلها(جدع) قطع أطرافه

مراجع:مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ معرفة السنن والآثار/ جامع الأصول في أحاديث الرسول/ حياة الصحابة للكاندهلوي/ لسان العرب/محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر/ أخبار المدينة/ أنساب الأشراف/ تاريخ الإسلام/ ميزان الاعتدال/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/

كان الخلفاء الراشدين يستوون مع الرعية في إجراءات التقاضي، بل إنهم عزوا مكانة القضاة وطالبوهم بأقصى درجات العدل في المساواة بين الناس حاكمهم ومحكومهم. وقد تخاصم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه مع الصحابي الجليل أبي بن كعب[2] في ملكية بستان، فحكما زيد بن ثابت[3]، فأتياه في منزله، فلما دخلا عليه قال له عمر: جئناك لتقضي بيننا، وفي بيته يؤتى الحكم. فتنحى له زيد عن صدر فراشه، فقال: هاهنا يا أمير المؤمنين. فقال عمر: جرت يا زيد في أول قضائك، ولكن أجلسني مع خصمي. فجلسا بين يديه. فادعى أبي وأنكر عمر. فقال زيد لأبي: أعف أمير المؤمنين من اليمين، وما كنت لأسألها لأحد غيره. فحلف عمر. ثم حلف عمر لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواء. وفي رواية عن الشعبي قال: كان بين عمر وأبي بن كعب خصومة فجعلا بينهما زيد بن ثابت، فأتياه فضربا الباب، فخرج إليهما فقال: ألا أرسلت إلي يا أمير المؤمنين ؟ فقال: في بيته يؤتى الحكم، فدخلا فقال: في الرحب والسعة، وألقى له وسادة، فقال: هذا أول جورك، فتكلما، فقال لابي: بينتك، وإن رأيت أن تعفي أمير المؤمنين من اليمين فافعل.فقال أبي: نعفيه ونصدقه.فقال عمر: أيقضى علي باليمين، ثم لا أحلف ؟! فحلف، فلما وجبت له الأرض وهبها لابي.

عن زيد بن أسلم قال: كان للعباس بن عبد المطلب[4] دار إلى جنب مسجد المدينة، فقال له عمر رضي الله عنه: بعنيها، فأراد عمر أن يزيدها في المسجد، فأبى العباس أن يبيعها إياه. فقال عمر: فهبها لي، فأبى. فقال: فوسعها أنت في المسجد، فأبى. فقال عمر: لا بد لك من إحداهن، فأبى عليه. فقال: خذ بيني وبينك رجلا، فأخذ أبي بن كعب، فاختصما إليه. فقال أبي لعمر: ما أرى أن تخرجه من داره حتى ترضيه. فقال له عمر: أرأيت قضاءك هذا في كتاب الله وجدته أم سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبي: بل سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: وما ذاك؟ فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:إن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس جعل كلما بني حائطا أصبح منهدما، فأوحى الله إليه أن لا تبني في حق رجل حتى ترضيه. فتركه عمر، فوسعها العباس بعد ذلك في المسجد. وقال ابن عباس رضي الله عنه: بينما أنا أقرأ آية من كتاب الله عز وجل وأنا أمشي في طريق من طرق المدينة، فإذا أنا برجل ينادي من بعدي، أتبع* ابن عباس، فإذا هو أمير المؤمنين عمر، فقلت: أتبعك على أبي بن كعب، فقال: أهو أقرأكها كما سمعتك تقرأ، قلت: نعم، قال: فأرسل معي رسولا، قال: اذهب معه إلى أبي بن كعب، فانظر أيقرئ أبي كذلك، قال: فانطلقت أنا ورسوله إلى أبي بن كعب، فقلت: يا أبي بن كعب، قرأت آية من كتاب الله، فنادى من بعدي عمر بن الخطاب، أتبع ابن عباس، فقلت أتبعك على أبي بن كعب، فأرسل معي رسوله، أفأنت أقرأتنيها كما قرأت؟ قال أبي رضي الله عنه: نعم، فرجع الرسول إليه، فانطلقت أنا إلى حاجتي، فراح عمر رضي الله عنه إلى أبي، فوجده قد فرغ من غسل رأسه، ووليدته تدري لحيته* بمدراها فقال أبي: مرحبا يا أمير المؤمنين، أزائرا جئت أم طالب حاجة، فقال عمر رضي الله عنه: بل طالب حاجة، فجلس ومعه موليان له، حتى فرغ من لحيته، وأدرت جانبه الأيمن من لمته، ثم ولاها جانبه الأيسر، حتى فرغ أقبل إلى عمر بوجهه، فقال: ما حاجة أمير المؤمنين؟ فقال عمر: يا أبي، علام تقنط الناس؟ فقال أبي: يا أمير المؤمنين، إني تلقيت القرآن من تلقاء جبريل، وهو رطب، فقال عمر: تالله ما أنت بمنته، وما أنا بصابر، ثلاث مرات، ثم قام فانطلق. وقال عمر رضي الله عنه: أبي أقرؤنا، وإنا لندع من لحن* أبي، وأبي يقول: أخذته من في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا أتركه لشيء، قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة] وعن أبي جعفر محمد بن علي، أن العباس بن عبد المطلب قال لعمر بن الخطاب: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع لي البحرين، فقال له عمر: من شهودك؟ قال: المغيرة بن شعبة[5]، قال عمر: ومن معه؟ قال: ليس معه أحد قال عمر: فلا إذن، فأبى عمر أن يأخذ باليمين مع الشاهد، فأغلظ العباس لعمر. فقال عمر: يا عبد الله ![6] خذ بيد أبيك، وقال عمر: والله يا أبا الفضل لأنا بإسلامك كنت أسر مني بإسلام الخطاب لو أسلم لمرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .وعن العباس بن عبد الله بن معبد قال: لما دون عمر بن الخطاب الديوان كان أول من بدأ به في المدعي بني هاشم، ثم كان أول بني هاشم يدعى العباس بن عبد المطلب في ولاية عمر وعثمان.

*(أتبع) أي أسند قراءتك ممن أخذتها، وأحل على من سمعتها منه (تدري لحيته) أي تسرحه وتمشطه (اللحن) أي اللغة

- (2) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن يزيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار النجاري الأنصاري المدني أبو المنذر سمع النبي صلى الله عليه وسلم. قيل مات سنة 30 هـ في خلافة عثمان وهو أثبت الأقاويل. وقيل سنة 22 هـ في خلافة عمر وقيل سنة 19هـ
- (4) العباس بن عبد المطلب جده هاشم بن عبد مناف وكنيته أبو الفضل من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وعم النبي وجد الخلفاء العباسيين وأبو حبر الأمة عبد الله بن عباس.أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه وأقام بمكة يكتب لرسول الله أخبار المشركين توفى بالمدينة سنة 32 هـ
- (6) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله،يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة
- (1) أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل خمس.تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، قتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر والنبي، وعمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين و6 أشهر.
- (3) زيد بن ثابت بن الضحاك بن كوزان الأنصاري البخاري أبو سعيد وأبو خارجة ، كتب الوحي. أمره أبو بكر أن يجمع القرآن وأمره عثمان فكتب المصحف وابي بن كعب يملي عليه. توفي سنة 45 هـ أو 48 هـ وقيل بعد 50 هـ. لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا..
- (5) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية مع رسول الله، وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية، وكان موصوفا بالدهاء والحلم. وولي البصرة ثم الكوفة لعمر، وولي الكوفة بعد ذلك لمعاوية، فمات بها وهو وال عليها سنة 50 أو 51 هـ.

☪

عن أبي نضرة قال: قال رجل منا يقال له: جابر أو جوبير، قال: أتيت عمر وقد أعطيت منطقا فأخذت في الدنيا، فصغرتها، فتركتها لا تسوى شيئا، وإلى جنبه رجل أبيض الرأس واللحية والثياب، فقال: كل قولك مقارب إلا وقوعك في الدنيا، هل تدري ما الدنيا ؟ فيها بلاغنا أو قال: زادنا إلى الآخرة، وفيها أعمالنا التي نجزى بها.قلت: من هذا يا أمير المؤمنين قال: هذا سيد المسلمين أبي بن كعب.

عن خارجة بن زيد قال: كان عمر رضي الله عنه كثيرا ما يستخلف زيد بن ثابت رضي الله عنه إذا خرج إلى شئ من الاسفار، وقلما رجع من سفر إلا أقطع زيدا حديقة من نخل. وعن نافع: أن عمر استعمل زيدا على القضاء، وفرض له رزقا، وعن السائب بن يزيد، عن أبيه: أن عمر قال: اكفني صغار الأمور، فكان يقضي في الدرهم ونحوه، وعن حفص بن عمر قال: كان عمر بن الخطاب إذا كثر عليه الخصوم صرفهم إلى زيد، فلقي رجلا ممن صرفه إلى زيد فقال له: ما صنعت؟ قال: قضي علي يا أمير المؤمنين، قال: لو كنت أنا لقضيت لك، قال: فما يمنعك وأنت أولى بالأمر؟ قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو سنة نبيه فعلت، ولكني إنما أردك إلى رأيي، والرأي مشير.

قال علي الصلابي: لقد كان الفاروق قدوة في عدله أسر القلوب وبهر العقول، فالعدل في نظره دعوة عملية للإسلام به تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول، فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس، وقد نجح في ذلك على صعيد الواقع والتطبيق نجاحا منقطع النظير لا تكاد تصدقه العقول حتى اقترن اسمه بالعدل وبات من الصعب جدا على كل من عرف شيئا يسيرا من سيرته أن يفصل ما بين الاثنين، وقد ساعده على تحقيق ذلك النجاح الكبير عدة أسباب ومجموعة من العوامل منها: إنه كان شديد التمسك بالحق حتى إنه كان على نفسه وأهله أشد منه على الناس. وأن فقه القدوم على الله كان قويا عنده لدرجة أنه كان في كل عمل يقوم به يتوخى مرضاة الله قبل مرضاة الناس ويخشى الله ولا يخشى أحدا من الناس. وأن سلطان الشرع كان قويا في نفوس الصحابة والتابعين بحيث كانت أعمال عمر تلقى تأييدا وتجاوبا وتعاونا من الجميع. انتهى.

عن ابن أبي حدرد الأسلمي:﴿أَنَّهُ كَانَ لِيَهُودِيٍّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ لِي عَلَى هَذَا أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ وَقَدْ غَلَبَنِي عَلَيْهَا، فَقَالَ: أَعْطِهِ حَقَّهُ، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهَا، قَالَ: أَعْطِهِ حَقَّهُ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهَا، قَدْ أَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ تَبْعَثُنَا إِلَى خَيْبَرَ فَأَرْجُو أَنْ تُغْنِمَنَا شَيْئًا فَأَرْجِعُ فَأَقْضِيهِ، قَالَ: أَعْطِهِ حَقَّهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَالَ ثَلَاثًا لَمْ يُرَاجَعْ فَخَرَجَ بِهِ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ إِلَى السُّوقِ وَعَلَى رَأْسِهِ عِصَابَةٌ وَهُوَ مُتَّزِرٌ بِبُرْدٍ فَنَزَعَ الْعِمَامَةَ عَنْ رَأْسِهِ فَاتَّزَرَ بِهَا وَنَزَعَ الْبُرْدَةَ، فَقَالَ: اشْتَرِ مِنِّي هَذِهِ الْبُرْدَةَ، فَبَاعَهَا مِنْهُ بِأَرْبَعَةِ الدَّرَاهِمِ، فَمَرَّتْ عَجُوزٌ، فَقَالَتْ: مَا لَكَ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَأَخْبَرَهَا، فَقَالَتْ: هَا دُونَكَ هَذَا بِبُرْدٍ عَلَيْهَا طَرَحَتْهُ عَلَيْهِ﴾ وهكذا رسخ صلى الله عليه وسلم أصول العدالة في المسلمين بتطبيقها على نفسه وأهله وعامة المسلمين وإيصال الحق لأهله ولو كانوا كافرين، فلما توفي صلى الله عليه وسلم لم يأل الخلفاء من بعده جهدا في حماية أصول العدالة التي وضعها وحراستها حتى تعم جميع الناس، فعن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب اختصم إليه مسلم ويهودي فرأى أن الحق لليهودي فقضى له، فقال اليهودي: والله لقد قضيت بالحق، فضربه عمر بالدرة ثم قال: وما يدريك، فقال اليهودي: إنا نجد أنه ليس قاض يقضي بالحق إلا كان عن يمينه ملك وعن يساره ملك يسددانه ويوفقانه للحق ما دام مع الحق فإذا ترك الحق عرجا وتركاه..انتهى.قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة] وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد] (ولا يجرمنكم شنآن قوم) ولا يحملنكم بغض قوم (على ألا تعدلوا) على ترك العدل فيهم لعدوانهم.(ليقوم الناس بالقسط) أي بالعدل في معاملاتهم. وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء]

☪

يقول علي الصلابي: لا يلجأ القاضي إلى تحليف اليمين إلا عند عجز المدعي عن إقامة البينة ومطالبة المدعي باليمين، فإن حلف قضى بيمينه وقد قضى عمر على وادعة بالقسامة فحلفوا، فأبرأهم من الدم، وقد تحاكم عمر وأبي بن كعب إلى زيد بن ثابت في نخل ادعاه أبي، فتوجهت اليمين على عمر فقال زيد: اعف أمير المؤمنين، قال عمر: ولم يعف أمير المؤمنين؟ إن عرفت شيئا استحققته بيميني، وإلا تركته، والذي لا إله إلا هو إن النخل لنخلي وما لأبي فيه حق فلما خرجا وهب النخل لأبي، فقيل له: يا أمير المؤمنين هلا كان هذا قبل اليمين؟ فقال: خفت أن لا أحلف فلا يحلف الناس على حقوقهم بعدي فتكون سنة، ولا يجوز لمن استحقت عليه اليمين أن يمتنع عنها ورعا، وقد رأينا فيما تقدم كيف أن عمر حلف فلما استحق الحق تنازل عنه. وكان عمر رضي الله عنه يغلظ الأيمان على بعض المتخاصمين بتحليفهم إياها في مكان يوقع الرهبة في نفوسهم فلا يجرؤون على الكذب فيها، فقد حلف جماعة مرة في الحجر، واستحلف آخر بين الركن والمقام.

قال ابن قدامة رحمه الله: فأما الحلف على الحقوق عند الحاكم ، ففيه وجهان، أحدهما أن تركه أولى من فعله فيكون مكروها ، ذكر ذلك أصحابنا وأصحاب الشافعي، لما روي أن عثمان والمقداد تحاكما إلى عمر، في مال استقرضه المقداد، فجعل عمر اليمين على المقداد، فردها على عثمان، فقال عمر: لقد أنصفك. فأخذ عثمان ما أعطاه المقداد ولم يحلف، فقال: خفت أن يوافق قدر بلاء فيقال: يمين عثمان. والثاني أنه مباح فعله كتركه، لأن الله أمر نبيه بالحلف في ثلاثة مواضع، وروى محمد بن كعب القرظي أن عمر قال على المنبر، وفي يده عصاه: أيها الناس لا تمنعكم اليمين عن حقوقكم، فوالذي نفسي بيده إن في يدي لعصا.

يقول علي بن نايف الشحود: جزى الله الإسلام عن عمر كل خير، فقد كان عمر ناصحا أمينا لهذه الأمة، وما فعله هو الراجح، وهو الحق، وهو السنة، وما فعله عثمان رضي الله عنه هو من باب الفضل والورع، وهو أهل لذلك كله، خاصة وكان الدين في النفوس حيا، وكانت الضمائر متقدة ، أما الآن فقد ضعف الوازع الديني، وتجاسر كثير من الناس على حقوق الآخرين، بحيث يحلف المرء اليوم على حقه ثم لا ينله ، بسبب بعض الحيل والثغرات يستغلها نفر من المحامين وغيرهم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ تفسير القرطبي/ تفسير الخازن/ مصنف ابن أبي شيبة/ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للصلابي/ موسوعة الدين النصيحة/

عن محمد بن عمر المخزومي عن أبيه قال: نادى عمر بالصلاة جامعة فلما اجتمع الناس وكبروا صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال: أيها الناس، لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم، فيقبضن لي القبضة من التمر أو الزبيب، فأظل يومي وأي يوم، ثم نزل، فقال له عبد الرحمن بن عوف:[1] يا أمير المؤمنين، ما زدت على أن قميت نفسك، يعني عبت، فقال:ويحك يا بن عوف إني خلوت فحدثتني نفسي قالت أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها نفسها. قال عبد الرحمن بن حاطب[2]: كنت مع عمر بن الخطاب بضجنان* فقال: كنت أرعى للخطاب[3] بهذا المكان، فكان فظا غليظا، فكنت أرعى أحيانا، وأحتطب أحيانا، فأصبحت أضرب الناس، ليس فوقي أحد إلا الله رب العالمين، ثم قال: البسيط: لا شيء مما ترى يبقى بشاشته..يبقى الإله ويفنى المال والولد..زاد في آخر: لم تغن عن هرمز يوما خزائنه..والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا..ولا سليمان إذ تجري الرياح له..والإنس والجن فيما بينها برد..أين الملوك التي كانت نواهلها..من كل أوب إليها راكب يفد..حوضا هنالك مورودا بلا كذب..لابد من ورده يوما كما وردوا.

قال جراد بن شبيط[4]: كنت عند عمر بن الخطاب، فأتاه رجل مسمن مخصب في العين*، فقال: يا أمير المؤمنين، هلكت وهلك عيالي زاد في رواية: فجعل عمر يصعد فيه البصر ويصوبه ثم قال: يجيء أحدهم ينث كأنه حميت* يقول: هلكت وهلك عيالي ثم قرب عمر يحدث عن نفسه، فقال: لقد رأيتني وأختا لي نرعى على أبوينا ناضحا* لهم، قد ألبستنا أمنا نقبية* لنا، وزودتنا من الهبيد* نمتر منها، فنخرج بناضحنا، فإذا طلعت الشمس ألقيت النقبية إلى أختي، وخرجت أسعى عريانا، فترجع أمنا وقد جعلت لنا لفيتة* من ذلك الهبيد فيا خصباه* !. قال: ثم قال: أعطوه ربعة* من نعم الصدقة، قال: فخرجت يتبعها ظئراها*، قال: فما حسدت أحدا ما حسدت ذلك الرجل ذلك اليوم.

قال عبد الرحمن بن عوف: بعث إلي عمر ظهرا، فأتيته. فلما دخلت الدار إذا نحيب شديد، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، اعترى والله أمير المؤمنين اعتراء، فقلت: لا بأس أمير المؤمنين، قال: إنه لا بأس، قال: فوضع يديه على ركبتيه، فكان أول ما كلمني به أن قال: ما أعجبك، بكائي شديد، ثم أخذ بيدين فأدخلني بيتا، فإذا جفنتان! بعضها على بعض، فقال: هاهنا هان آل الخطاب على الله، إن الله لو شاء لجعل هذا إلى صاحبي -يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر- فسنا لي فيه سنة أقتدي بها، فلما رأيت ما حل به قلت: اقعد بنا يا أمير المؤمنين نتفكر. قال: فقعدنا، فكسا أهل المدينة، وكسا المخفين في سبيل الله، وكسا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وكسا من دون ذلك، فأصاب المخفين أربعة أربعة، وأصاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أربعة، وأصاب من دون ذلك اثنان اثنان، حتى وزعنا ذلك المال. روي أن عمر رضي الله عنه قال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أرأيت لو كنت القاضي والوالي، ثم أبصرت إنسانا على حد، أكنت مقيما عليه؟ قال: لا، حتى يشهد معي غيري، قال: أصبت، ولو قلت غير هذا لم نجز. وروي أن عمر رضي الله عنه قال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أرأيت لو رأيت رجلا زنى أو سرق؟ قال: أرى شهادتك شهادة رجل من المسلمين، قال: أصبت.

---

*(ضجنان) جبل ضجنان بين مكة والمدينة على مسيرة بريد من مكة (الهبيد) الحنظل، حب الحنظلة (في العين) أي سمين وآثار النعمة ظاهرة عليه في رأي العين (حميت) بفتح الحاء وكسر الميم الظرف المملوء. الحميت: زق السمن (الناضح) البعير يستقى عليه، ثم استعمل في كل بعير وإن لم يحمل الماء والأنثى ناضحة (الربعة) مؤنث الربع التي ولدت في ربيعة النتاج وهي أوله (ظئراها) أي أمها وأبوها (النقبة) قطعة ثوب يؤتزر بها لها حجزة مخيطة (اللفيتة) العصيدة المغلظة، لأنها تلفت، أي تلوى (فيا خصباه) لعل مراد عمر -والله أعلم- مدحه صلى الله عليه وسلم لهذا الطعام وأنه طعام خصب. أي: لين وناعم من الخصب وهو رفاهية العيش ولينه.

■ (1) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.

■ (3) الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي. من سادات قريش.ومات قبل البعثة بأعوام قليلة

■ (2) عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة وقيل هو من مذحج يكنى أبا يحيى. ولد في زمن النبي له رؤية وعدوه في كبار ثقات التابعين يروى عن عمر، وعثمان، روى عنه ابنه يحيى. مات سنة 68 هـ

■ (4) جراد بن شبيط (أو: نشيط؟) وهو جراد بن طارق بن شبيط التيمي من أهل البصرة روى عن أهل بلده وروى عن عمر رضي الله عنه روى عنه فيل بن عرادة

عن أم بكر بنت المسور أن عبد الرحمن بن عوف بع أرضا له بأربعين ألف دينار، فقسمها في بين زهرة وفقراء المسلمين والمهاجرين وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى عائشة رضي الله عنها بمال من ذلك، فقالت: من بعث هذا المال؟ قلت: عبد الرحمن بن عوف قال:وقص القصة.قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يَحْنُو عَلَيْكُنَّ من بَعْدِي إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة.وعن جعفر بن برقان قال:بلغني أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت

أخرج عن سفيان بن أبي العرجاء قال: قال عمر بن الخطاب: والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكا فهذا أمر عظيم، فقال قائل: يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا قال: ما هو؟ قال: خليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق وأنت بحمد الله كذلك والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا. وعن سلمان أن عمر قال له: أملك أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة فاستعبر*عمر.

قال عروة بن الزبير رضي الله عنهما: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ينبغي لك هذا. فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين – القبائل بأمرائها وعظمائها – دخلت نفسي نخوة، فأردت أن أكسرها.وعن عبيد الله بن عمر: حمل عمر قربة على عنقه فقيل له في ذلك فقال: إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها. قال أنس: دخلت حائطا فسمعت عمر يقول وبيني وبينه جدار:عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ والله لتتقين الله ابن الخطاب أو ليعذبنك الله. وكتب عمر بن الخطاب إلى بعض عماله، فكان في آخر كتابه أن حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد مرجعه إلى الرضا والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته شهواته (هواه) عاد مرجعه إلى الندامة والحسرة، فتذكر ما توعظ به لكي تنتهي عما تنهى عنه.وعن عوانه، قال: كتب عمر إلى ابنه عبد الله بن عمر: أما بعد؛ فإنه من اتقى الله وقاه ومن توكل عليه كفاه ومن أقرضه جزاه ومن شكره زاده؛ فلتكن التقوى عماد عملك، وجلاء قلبك؛ فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خلق له. وعن مالك بن مغول أنه بلغه أن عمر قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون أو قال: أيسر لحسابكم، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، و تجهزوا للعرض الأكبر يوم: ﴿تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة] وعن مسروق، عن عمر، قال: حسب الرجل دينه، وأصله عقله، ومروءته خلقه؛ وإن الشجاع ليقاتل عمن لا يبالي أن لا يعرف، وإن الجبان ليفر عن أبيه. وقال: لا تعرض لما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحتفظ من خليلك إلا الأمين، فإن الأمين ليس شيء يعدله، ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تصحب الفاجر فيحملك على الفجور، ولا تفش لأحد سرك، وشاور في أمرك الذين يخشون الله عز وجل.

قال قتادة: كان عمر بن الخطاب يلبس وهو أمير المؤمنين جبة من صوف، مرقوعة بعضها بأدم، ويطوف في الأسواق، ومعه الدرة يؤدب الناس بها، ويمر بالنكث والنوى فيلتقطه ويلقيه في منازل الناس لينتفعوا بذلك.

وعن أسلم: أن عمر بن الخطاب كان يصلي ما شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله ويقول: الصلاة، الصلاة ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه] الآية. وعن زيد بن أسلم قال: أخبرني أبي قال: كنا نبيت عند عمر أنا ويرفأ، قال: فكانت له ساعة من الليل يصليها وكان إذا استيقظ قرأ هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه]، حتى إذا كان ذات ليلة قام فصلى ثم انصرف، ثم قال: قوما فصليا فوالله ما أستطيع أن أصلي ولا أستطيع أن أرقد، وإني لأفتتح السورة فما أدري في أولها أنا أم في آخرها، قلنا: ولم يا أمير المؤمنين؟، قال: من همي بالناس مذ جاءني هذا الخبر.وعن ابن عمر، قال: خرج عمر إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر، قال: إنما خرجت إلى حائطي فرجعت وقد صلى الناس، حائطي صدقة على المساكين، قال ليث: إنما فاتته الجماعة. قال عبد الله بن عامر بن ربيعة: رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال: ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم أكن شيئا ليت أمي لم تلدني.

عن أم الدرداء قالت: قلت: لأبي الدرداء: ألا تبتغي لأضيافك ما يبتغي الرجال لأضيافهم ؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَئُودًا لَا يُجَاوِزُهَا الْمُثْقِلُونَ﴾ فأحب أن أتخفف لتلك العقبة. قال الحارث بن سالم سمعت أنسا يقول:﴿ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ: إِنَّ بَيْنَ أَيْدِينَا عَقَبَةً كَئُودًا لَا يُجَاوِزُهَا إِلَّا الْمُخِفُّونَ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَكَ قُوتُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْمُخِفِّينَ﴾ وعن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يكون في جهنم عقبة كؤود لا يقطعها إلا المخفون، قلت: أمن المخفين أنا يا رسول الله؟ قال: عندك طعام يوم؟ قلت: نعم، قال: أعندك طعام غد؟ قلت: نعم، قال: أعندك طعام بعد غد؟ قلت: لا، قال: لو كان عندك طعام ثلاثة أيام لكنت من المثقلين. وعن أبي حازم عن أبي هريرة قال:﴿مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ طَعَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى قُبِضَ﴾ وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ﴾ وقال أبو عبد الرحمن: جاء ثلاثة نفر إلى عبد الله بن عمرو بن العاص وأنا عنده فقالوا: يا أبا محمد، إنا والله ما نقدر على شيء لا نفقة ولا دابة ولا متاع فقال: لهم ما شئتم إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسر الله لكم وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان وإن شئتم صبرتم فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا﴾ قالوا: فإنا نصبر لا نسأل شيئا. وعن أبي عثمان عن أسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ﴾ وعن أبي أمامة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ* مَكَّةَ ذَهَباً فَقُلْتُ: لاَ يَا رَبِّ وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْماً وَأَجُوعُ يَوْماً -أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ- فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ وَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ﴾ وعن ابن مسعود ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَسَدِهِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَبْسُطَ لَكَ وَنَفْعَلَ فَقَالَ: مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا﴾ وعن عبد الله قال اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر في جنبه فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه فقلت: يا رسول الله،ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَا لِي وَلِلدُّنْيَا مَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا﴾ وعن عمر قال:﴿قُلْتُ: ادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ. فَاسْتَوَى جَالِسًا وَقَالَ: فِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وعن داود بن فراهيج قال سمعت أبا هريرة قال: ﴿هَجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ قَالَ: وَأَحْسَبُهُ قَالَ شَهْرًا، فَأَتَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ فِي غُرْفَةٍ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ الْحَصِيرُ بِظَهْرِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كِسْرَى يَشْرَبُونَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَنْتَ هَكَذَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُمْ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الشَّهْرُ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَكَسَرَ فِي الثَّالِثَةِ الْإِبْهَامَ﴾.

---

*(استعبر) أي بكى؛ جرت عبرته (البطحاء) صغار الحصى وبطحاء مكة هي ما حاز السيل من الردم إلى الحناطين يمينا مع البيت وليس الصفا من البطحاء

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/ حياة الصحابة/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ مسند أحمد/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/ مغاني الأخيار/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ شرح نهج البلاغة/ لسان العرب/ الفائق في غريب الحديث و الأثر/ معجم المستعجم/

لما فتحت القادسية* على يدي سعد بن أبي وقاص[1]، أبلى فيها عمرو بن معد يكرب[2] بلاء حسنا، فأوفده سعد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكتب إليه معه بالفتح وأثنى في الكتاب على عمرو. فلما قدم على عمر بن الخطاب سأله عن سعد؛ فقال: أعرابي في نمرته، أسد في تأمورته، نبطي في جبايته، يقسم بالسوية، ويعدل في القضية، وينفر في السرية*، وينقل إلينا حقنا نقل الذرة*. فقال عمر: لشد ما تقارضتما* الثناء. وكان عمر قد كتب إلى سعد يوم القادسية أن يعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن. فقال سعد لعمرو بن معد يكرب: ما معك من القرآن؟ قال: ما معي شيء؛ قال: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن؛ فقال عمرو: إذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد..قالت قريش ألا تلك المقادير نعطي السوية من طعن له نفذ..ولا سوية إذ نعطى الدنانير.قال: فكتب سعد بأبياته إلى عمر. فكتب إليه أن يعطى على مقاماته في الحرب.

وحدث يونس وأبو الخطاب قالا: لما كان يوم فتح القادسية أصاب المسلمون أسلحة وتيجانا ومناطق ورقابا فبلغت مالا عظيما فعزل سعد الخمس ثم فض البقية فأصاب الفارس ستة آلاف والراجل ألفان وبقى مال دثر فكتب إلى عمر رضي الله عنه بما فعل فكتب إليه أن رد على المسلمين الخمس وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ففعل فأجراهم مجرى من شهد وكتب إلى عمر بذلك فكتب إليه أن فض ما بقي على حملة القران فأتاه عمرو بن معد كرب فقال به سعد: ما معك من كتاب الله؟ فقال عمرو: إني أسلمت باليمن ثم غزوت فشغلت عن حفظ القرآن، قال: ما لك في هذا المال نصيب، وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمي[3] صاحب جبانة بشر فقال: ما معك من كتاب الله؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم، فضحك القوم ولم يعطه شيئا، فقال عمرو في ذلك: إذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد..قالت قريش ألا تلك المقادير..نعطي السوية من طعن له نفذ..ولا سوية إذ تعطى الدنانير. وقال بشر بن ربيعة: أنخت بباب القادسية ناقتي..وسعد بن وقاص علي أمير..وسعد أمير شره دون خيره..وخير أمير بالعراق جرير..وعند أمير المؤمنين نوافل..وعند المثنى فضة وحرير..تذكر هداك الله وقع سيوفنا..بباب قديس والمكر عسير..عشية ود القوم لو أن بعضهم..يعار جناحي طائر فيطير..إذا ما فرغنا من قراع كتيبة..دلفنا لأخرى كالجبال تسير..ترى القوم فيها واجين كأنهم..جمال بأجمال لهن زفير. فكتب سعد إلى عمر رضي الله عنه بما قال لهما وما ردا عليه وبالقصيدتين، فكتب أن أعطهما على بلائهما فأعطى لكل واحد منهما ألفى درهم.

وفي رواية عن الشعبى أن عمرو بن معدى كرب الزبيدى وفد على عمر بن الخطاب بعد فتح القادسية، فسأله عن سعد وعن رضاء الناس عنه فقال: تركته يجمع لهم جمع الذرة، ويشفق عليهم شفقة الام البرة. أعرابي في نمرته، نبطى في جبايته. يقسم بالسوية، ويعدل في القضية، وينفذ بالسرية. فقال عمر: كأنكما تقارضتما الثناء –وقد كان سعد كتب يثنى على عمرو– قال: كلا يا أمير المؤمنين ! ولكني أنبئت بما أعلم. قال: يا عمرو ! أخبرني عن الحرب. قال: مرة المذاق، إذا قامت على ساق. من صبر فيها عرف، ومن ضعف عنها تلف. قال: فأخبرني عن السلاح، قال: سل يا أمير المؤمنين عما شئت منه. قال: الرمح. قال: أخوك وربما خانك. قال: فالسهام. قال: رسل المنايا تخطى وتصيب. قال: فالترس. قال ذاك المجن عليه تدور الدوائر. قال: فالدرع. قال مشغلة للفارس متعبة للراجل، وإنها لحصن حصين قال: والسيف ؟ قال: هناك ثكلتك أمك. فقال عمر: بل ثكلتك أمك.فقال عمرو: الحمى أضرعتنى إليك.

قال: وعزل عمر سعدا وولى عمار بن ياسر[4].فشكوه وقالوا: ضعيف لا علم له بالسياسة. فعزله. وكانت ولايته الكوفة سنة وتسعة أشهر. فقال عمر: من عذيري من أهل الكوفة ! إن استعملت عليهم القوى فجروه، وإن وليت عليهم الضعيف حقروه. ثم دعى المغيرة بن شعبة[5] فقال: إن وليتك الكوفة أتعود إلى شئ مما قرفت به ؟ فقال: لا. وكان المغيرة حيث فتحت القادسية صار إلى المدينة، فولاه عمر الكوفة، فلم يزل عليها حتى توفى عمر. ثم إن عثمان ابن عفان ولاها سعدا، ثم عزله وولى الوليد بن عقبة[6] بن أبى معيط بن أبى عمرو ابن أميه، فلما قدم عليه قال له سعد: إما أن تكون كست بعدى أو أكون حمقت بعدك. ثم عزل الوليد وولى سعد بن العاص[7] بن سعيد ابن العاص بن أمية.

----

*(البرة) أي مشفقة (الذرة) واحدة الذر، وهو ضرب من صغار النمل (القائم الرائش) هوالمستقيم ذو الريش (الرائش) السهم ذو الريش، إشارة إلى كماله واستقامته (الاعصل) السهم الاعصل: القليل الريش، وفي رواية: الأغضل (الطائش) الزال عن الهدف (العصل) الاعوجاج والميل (الثقاف) بكسر الثاء ما تسوى به الرماح (الجعبة) كنانة النشاب ج جعاب (جلولاء) من نواحي السواد في طريق خراسان يشقها نهر جلولاء وبها كانت موقعة مشهورة على الفرس سنة 16 هـ فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون (الأشاء) صغار النخل، الواحدة أشاءة (القادسية) معركة وقعت في13 شعبان 15 هـ بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص والفرس بقيادة رستم فرخزاد في القادسية بالعراق.

■ (2) عمرو بن معد يكرب بن عبد الله وفد على النبي في وفد مراد؛ لأنه كان فارق قومه سعد العشيرة، ونزل في مراد ووفد معهم فأسلم، وقيل: قدم في وفد زبيد، وأسلم سنة تسع، وقيل: سنة عشر، ورجع إلى بلاده، ثم ارتد مع الأسود العنسي، فسار إليه خالد بن سعيد بن العاصي، فقاتله فضربه خالد على عاتقه فانهزم، فأخذ خالد سيفه، فلما رأى عمرو الإمداد من أبى بكر الصديق إلى اليمن أسلم، ودخل على المهاجر بن أبى أمية بغير أمان، فأوثقه وبعثه إلى أبى بكر. فقال له أبو بكر: أما تستحي كل يوم مأسورا ومهزوما، لو نصرت هذا الدين لرفعك الله تعالى، قال: لا جرم، لا أقيلن ولا أعود، فأطلقه وعاد إلى قومه، ثم عاد إلى المدينة، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، ثم بعثه عمر بن الخطاب إلى العراق، وكتب إلى سعد بن أبى وقاص أن يصدر عن مشورته في الحرب، فشهد القادسية، وله فيها بلاء حسن، واستشهد يوم القادسية، وقيل: بل مات سنة 21 هـ بعد أن شهد وقعة نهاوند مع النعمان بن مقرن، وكان يقول الشعر الحسن.

■ (1) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري شهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة قيل مات سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقد أسلم وهو ابن 19 ومات وهو ابن 74 وقال أبو نعيم مات في سنة 58 هـ

■ (5) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية مع رسول الله، وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية، وكان موصوفا بالدهاء والحلم. وولي البصرة ثم الكوفة لعمر، وولي الكوفة بعد ذلك لمعاوية، فمات بها وهو وال عليها سنة 50 أو 51 هـ.

■ (6) الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبو وهب الأموي. من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم فيه ظرف ومجون ولهو، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25هـ فانصرف إليها وأقام هناك إلى سنة 29هـ فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر فحده وحبسه. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية فسكنها واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرص معاوية على الأخذ بثأره، ومات بالرقة سنة61 هـ.

■ (7) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية، الاموي القرشي: صحابي، من الامراء الولاة الفاتحين.ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات. وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقال الذهبي في تاريخ الاسلام – حوادث سنة 59 – فيها توفي سعيد بن العاص الاموي على الصحيح.

■ (4) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم، أبو اليقظان من الولاة الشجعان ومن السابقين إلى الإسلام، ولد بمكة سنة 56 ق.هـ هاجر إلى المدينة وشهد بدرا واحدا وغيرهما، ولاه عمر الكوفة ثم عزله. وشهد الجمل وصفين وقتل فيها سنة 37 هـ

■ (3) بشر بن ربيعة بن عمرو بن منارة بن قمير بن عامر بن رابية بن مالك بن واهب بن جليحة بن اكلب بن ربيعة بن عفرس بن خلف بن اقيل بن أنمار الخثعمي قال بن الكلبي اختط بالكوفة وخطته بها يقال لها جبانة بشر بالكوفة وشهد القادسية وهو القائل ... أنخت بباب القادسية ناقتي ... وسعد بن وقاص علي أمير وقد تقدم في القسم الأول بشر الجثعمي ويقال الغنوي وأنه وقع في بعض الروايات بشر بن ربيعة الخثعمي فيحتمل أن يكون هذا... فيحتمل أن يكون هو ويحتمل أن يكون : بشر بن ربيعة وهو بشر بن أبي رهم الجهني صاحب جبانة بشر بالكوفة وهو بضم أوله وسكون المهملة ضبطه الأمير وقال هو بشر بن أبي رهم وذكر أنه شهد اليمامة وذكره المرزباني في معجمه كما صدرت به وقال كان أحد الفرسان وهو القائل لعمر بن الخطاب بعد وقعة القادسية ... تذكر هداك الله وقع سيوفنا [الإصابة في تمييز الصحابة]

☪

عن الشعبي: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرض لعمرو بن معدى كرب في الفيء ألفين فقال له: يا أمير المؤمنين، ألف ههنا وأوما إلى شق بظنه الأيمن، وألف ههنا وأوما إلى شق بطنه الأيسر، فما يكون ههنا وأوما إلى وسط بطنه؟ فضحك عمر من كلام عمرو رضوان الله تعالى عليهما وزاده خمسمائة.

☪

لما أصيب عمر رضي الله عنه، قال له عبد الله بن عمر: ألا تستخلف يا أمير المؤمنين؟ قال: ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض. فسمى عليا، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وقال: ليشهدهم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء فمن استخلفوه فهو الخليفة من بعدي، فإن أصابت سعدا وإلا فليستعن به الخليفة من بعدي، فإني لم أنزعه –عن الكوفة – من ضعف ولا خيانة.

وعن محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة: أن عمر بن سعد ذهب إلى أبيه وهو بالعقيق في أرض له معتزل فقال: يا أبتاه، لم يبق من أصحاب بدر غيرك، ولا من الشورى. فلو أنك انبعثت بنفسك فتنصبها للناس ما اختلف عليك اثنان. فقال: ألهذا جئت يا بني؟ أفغدت حتى لم يبق من أجلي إلا مثل ظمأ الدابة، ثم أخرج فأضرب أمة محمد بعضها ببعض؟ إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿خَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي وَخَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ﴾ وعن محمد قال: نبئت أن سعدا قال: ما أزعم أني بقميصي هذا أحق مني بالخلافة، جاهدت وأنا أعرف بالجهاد، ولا أبخع* نفسي إن كان رجلا خيرا مني، لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان، فيقول: هذا مؤمن وهذا كافر. وعن سليمان بن القاسم قال: قال سعد بن أبي وقاص: ما بكيت من الدهر إلا ثلاثة أيام: يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويوم قتل عثمان، واليوم أبكي على الحق، فعلى الحق السلام.

عن أبي عبد الرحيم قال: كان سعد بن أبي وقاص جالسا ذات يوم وعنده نفر من أصحابه، إذ ذكروا عليا فنالوا منه فقال: مهلا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنا أذنبنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذنبا فأنزل الله الآية: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال]، فكنا نرى أنها رحمة من الله سبقت لنا. فقال بعضهم: أما والله إنه ليبغضك ويسميك الأخينس. فضحك سعد حتى استعلاه الضحك، ثم قال: أوليس الرجل يكون في نفسه على أخيه الشيء، ثم لا يبلغ ذلك منه دينه وأمانته!؟ وعن مصعب بن سعد قال: كان سعد إذا خرج يعني في الصلاة يجوز ويخفف، ويتم الركوع والسجود، فإذا دخل البيت أطال. فقيل له فقال: إنا أمة يقتدى بنا. وعن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قالت: سئل سعد عن شيء فاستعجم، فقيل له في ذلك فقال: إني أكره أن أحدثكم حديثا فتجعلوه مئة حديث.

----

*(بخع) بخع نفسه قتلها غيظا أو غما وفي التنزيل: فلعلك باخع نفسك على آثارهم .قال الفراء أي مخرج نفسك وقاتل نفسك

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الاستيعاب/ فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري/ لسان العرب/ العقد الفريد/ تهذيب الأسماء/ مقاييس اللغة/ شرح نهج البلاغة/ الفائق في غريب الحديث و الأثر/ تاج العروس/ غريب الحديث للخطابي/ فتوح البلدان/ معاهدة التنصيص/ الإصابة في تمييز الصحابة/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) وجرير بن عبد الله (١) 0089

قال ابن عبد البر: قدم جرير بن عبد الله[1] على عمر بن الخطاب من عند سعد بن أبي وقاص[2] فقال له: كيف تركت سعدا في ولايته؟ فقال: تركته أكرم الناس مقدرة وأحسنهم معذرة هو لهم كالأم البرة* يجمع لهم كما تجمع الذرة* مع أنه ميمون الأثر مرزوق الظفر أشد الناس عند البأس وأحب قريش إلى الناس. قال: فأخبرني عن حال الناس، قال: هم كسهام الجعبة* منها القائم الرائش* ومنها الاعصل* الطائش وابن أبي وقاص ثقافها* يغمز عصلها* ويقيم ميلها والله أعلم بالسرائر يا عمر. قال: أخبرني عن إسلامهم، قال: يقيمون الصلاة لأوقاتها ويؤتون الطاعة لولاتها، فقال عمر: الحمد الله، إذا أقيمت الصلاة أديت الزكاة وإذا كانت الطاعة كانت الجماعة.

وعن جرير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له –والناس يتحامون العراق وقتال الأعاجم–: سر بقومك، فما غلبت عليه فلك ربعه، فلما جمعت الغنائم غنائم جلولاء*. ادعى جرير أن له ربع ذلك كله، فكتب سعد رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب، فكتب عمر رضي الله عنه: صدق جرير، قد قلت ذلك له، فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جعل فأعطوه جعله، وأن يكون إنما قاتل لله ولدينه وجاهد فهو رجل من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم. وكتب عمر رضي الله عنه بذلك إلى سعد رضي الله عنه، فلما قدم الكتاب على سعد دعا جريرا فأخبره ما كتب به إليه عمر، فقال جرير: صدق أمير المؤمنين، لا حاجة لي به، بل أنا رجل من المسلمين لي مالهم وعلي ما عليهم.

----

*(البرة) أي مشفقة (الذرة) واحدة الذر، وهو ضرب من صغار النمل (القائم الرائش) هوالمستقيم ذو الريش (الرائش) السهم ذو الريش، إشارة إلى كماله واستقامته (الاعصل) السهم الاعصل: القليل الريش، وفي رواية: الأغضل (الطائش) الزال عن الهدف (العصل) الاعوجاج والميل (الثقاف) بكسر الثاء ما تسوي به الرماح (الجعبة) كنانة النشاب ج جعاب (جلولاء) من نواحي السواد في طريق خراسان يشقها نهر جلولاء وبها كانت موقعة مشهورة على الفرس سنة 16 هـ فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون (الأشاء) صغار النخل، الواحدة أشاءة

■ (1) جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي من أعيان الصحابة، قدم على النبي سنة10 هـ في شهر رمضان فبايعه وأسلم، وبايع النبي على النصح لكل مسلم، وبعثه رسول الله إلى صنم خثعم، ذي الخلصة، فخربه ونزل الكوفة ثم تحول إلى قرقيسياء وتوفي بها سنة51 وقيل 54 هـ

■ (2) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري شهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة قيل مات سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقد أسلم وهو ابن 19 ومات وهو ابن 74 وقال أبو نعيم مات في سنة 58 هـ

قال جرير أسلمت قبل موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين يوما، وعن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي قال ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا ضحك وتبسم، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل وافدا عليه:﴿يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ كَأَنَّ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةَ مَلَكٍ﴾ فطلع جرير، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي كلاع وذي رعين باليمن، وفيه فيما روى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ﴾ وروى أنه قال ذلك في صفوان بن أمية الجمحي وفي جرير قال الشاعر: لولا جرير هلكت بجيلة..نعم الفتى وبئست القبيلة. وعن قيس بن أبي حازم عن جرير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ، وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمَ يُسَمَّى كَعْبَةَ الْيَمَانِيَةِ قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ قَالَ: وَكُنْتُ لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: اللَّهُمَّ، ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا، فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا وَحَرَّقَهَا ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُهُ فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْوَفُ أَوْ أَجْرَبُ قَالَ: فَبَارَكَ فِي خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ﴾ وحدث قيس قال: قال جرير لعبد الله بن رباح: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللَّهُ﴾ فكتب معاوية: أن أرسل إلي جريرا على المربد، فأتاه فقال: أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللَّهُ﴾ ؟ قال: نعم. قال: لا جرم لا أغزي جيشا وراء الدرب في شتاء أبدا. وبعث إليهم بطعام ولحف. وجرير القائل: الخرس خير من الخلابة* والبكم خير من البذاء. وكان جرير رسول علي رضي الله عنه إلى معاوية فحبسه مدة طويلة ثم رده برق مطبوع غير مكتوب وبعث معه من يخبره بمنابذته له في خبر طويل مشهور.

----

*(الخلابة) الغش والخديعة

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الاستيعاب/ فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري/ لسان العرب/ العقد الفريد/ تهذيب الأسماء/ مقاييس اللغة/ شرح نهج البلاغة/ الفائق في غريب الحديث و الأثر/ تاج العروس/ غريب الحديث للخطابي/ فتوح البلدان/ معاهدة التنصيص/

عن أوس بن ثريب [1]، قال: أكريت جرير بن عبد الله[2] في الحج، فقدم على عمر، فسأله كيف تجد نساءك؟ فقال: يا أمير المؤمنين؟ ما أستطيع أن أقبل إحداهن في غير يومها إلا اتهمتني الأخرى، ولا أخرج مخرجا إلا قالت كنت عند فلانة، فقال عمر: إن كثيرا منهن لا يؤمن بالله ولا يؤمن للمؤمنين، لعلك أن تكون في حاجة بعضهن، أو تأتي السوق فتشتري الحاجة لبعضهن فتتهمك، فقال ابن مسعود[3]، وهو عنده: يا أمير المؤمنين! أما علمت أن إبراهيم عليه السلام، شكى إلى ربه زرء (درأ/ ذربا)* في خلق سارة، فقال له: يا أبراهيم عليه السلام، إن المرأة كالضلع، إن تركتها اعوجت*، وإن قومتها كسرتها فاستمتع بأهلك على ما فيهن، فضرب عمر بين كتفي عبد الله، وقال: لقد جعل الله في قلبك يا ابن مسعود من العلم غير قليل

----

*(الذرب) الفحش (الاعوجاج) الميل والانحراف والزيغ

■ (2) جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي من أعيان الصحابة، قدم على النبي سنة10 هـ في شهر رمضان فبايعه وأسلم، وبايع النبي على النصح لكل مسلم، وبعثه رسول الله إلى صنم خثعم، ذي الخلصة، فخربه ونزل الكوفة ثم تحول إلى قرقيسياء وتوفي بها سنة 51 وقيل 54 هـ.

■ (3) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي من أكابر الصحابة ومن أقربهم إلى رسول الله وهو من السابقين إلى الإسلام وكان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب سره ولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفى بها.سنة 32 هـ.

■ (1) أوس بن ثريب التغلبي من التابعين، يروي عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، روى عنه حنظلة والد أبي طلق ويقال أوس بن ثويب.

عن أبي حرة الرقاشي عن عمه، فذكر حديثا طويلا فيه: أن رسول الله صلى الله عليه سلم قال: ﴿...اتَّقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا وَإِنَّ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقًّا أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا غَيْرَكُمْ وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِأَحَدٍ تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ خِفْتُمْ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ...﴾ وعن حكيم بن معاوية عن أبيه:﴿أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ قَالَ أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى وَلَا يَضْرِبْ الْوَجْهَ وَلَا يُقَبِّحْ وَلَا يَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ﴾ (ولا يضرب الوجه) أي إن احتاج إلى ضربها للتأديب أو لتركها بعض الفرائض (ولا يقبح) أي سورتها بضرب الوجه. ولا ينسب شيئا من أفعالها وأقوالها إلى القبح. (ولا يهجر إلا في البيت) أي لا يهجرها إلا في المضجع ولا يتحول عنها ولا يحولها إلى دار أخرى.

عن أبي التياح قال كان لمطرف بن عبد الله امرأتان فجاء من عند إحداهما فقالت الأخرى جئت من عند فلانة فقال جئت من عند عمران بن حصين فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ﴾ وعن أبي رجاء العطاردي عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿اطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ﴾ وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فوعظهم ثم قال: ﴿يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنَّكُنَّ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: وَلِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِكَثْرَةِ لَعْنِكُنَّ يَعْنِي وَكُفْرِكُنَّ الْعَشِيرَ قَالَ: وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذَوِي الْأَلْبَابِ وَذَوِي الرَّأْيِ مِنْكُنَّ، قَالَتْ امْرَأَةٌ: مِنْهُنَّ وَمَا نُقْصَانُ دِينِهَا وَعَقْلِهَا؟ قَالَ: شَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ مِنْكُنَّ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ، وَنُقْصَانُ دِينِكُنَّ الْحَيْضَةُ تَمْكُثُ إِحْدَاكُنَّ الثَّلَاثَ وَالْأَرْبَعَ لَا تُصَلِّي﴾ وعن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ. فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِى لُبٍّ مِنْكُنَّ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ، قَالَ: أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَتَمْكُثُ اللَّيَالِي مَا تُصَلِّي وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ﴾ (الجزلة) ذات الرأي (اللب) العقل.

عن عبد الرحمن بن شبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ الْفُسَّاقَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ. قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنِ الْفُسَّاقُ؟ قَالَ: النِّسَاءُ. قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَسْنَ أُمَّهَاتِنَا وَأَخَوَاتِنَا وَأَزْوَاجَنَا.قَالَ: بَلَى وَلَكِنَّهُنَّ إِذَا أُعْطِينَ لَمْ يَشْكُرْنَ وَإِذَا ابْتُلِينَ لَمْ يَصْبِرْنَ﴾ عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال﴿إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خَضْرَاءُ الدِّمَنِ؟ قَالَ: الْمَرْأَةُ الْحَسْنَاءُ فِي الْمَنْبَتِ السُّوءِ﴾ (الدمن) مطارح الزبالة، وما يستقذر، فقد ينبت منها ما يستحسنه الرائي. قال ابن السكيت: شبهها بالبقلة الخضراء في دمنة أرض خبيثة ؛ لأن الأصل الخبيث يحن إلى أصله، فتجيء أولادها لأصلها في الغالب. فيجيب على اللبيب – إن ساعفته الأقدار– أن يختار لزراعته الأرض الطيبة، وهي الأصل الطيب، لتكون الفروع طيبة. وفي الحديث: عن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ لاَ تَضَعُوهَا إِلاَّ فِي الأَكْفَاءِ﴾ وحينما نصح أحدهم رجلا يريد أن يتزوج قال له: لا تتخذها حنانة، ولا منانة، ولا عشبة الدار، ولا كبة القفا. فالحنانة التي لها ولد من غيرك يذكرها دائما بأبيه فتحن إليه، والمنانة التي لديها مال تمن به عليك، وعشبة الدار هي المرأة الحسناء في المنبت السوء والمستنقع القذر، وكبة القفا هي التي لا تعيب الإنسان في حضوره، وتعيبه وتذمه في غيبته.وعن أبي عمرو بن العلاء قال: قال عمر بن الخطاب النساء ثلاثة: هينة عفيفة مسلمة، تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها، وأخرى وعاء للولد، وثالثة غل قمل يلقيه الله في عنق من يشاء من عباده.

عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: لم أزل حريصا على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، اللتين قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم] حتى حج عمر وحججت معه، فلما كنا ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة، فتبرز ثم أتاني، فسكبت على يديه فتوضأ، فقلت، يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، اللتان قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ [التحريم] فقال عمر: واعجبا لك يا ابن عباس: قال الزهري: كره، والله ما سأله عنه ولم يكتمه عنه –قال هي حفصة وعائشة. قال: ثم أخذ يسوق الحديث، قال: كنا معشر قريش قوما نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، قال: وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي، قال: فتغضبت يوما على امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك، فو الله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. قال: فانطلقت، فدخلت على حفصة (بنت عمر)، فقلت: أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: نعم. قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم. قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله ولا تسأليه شيئا، وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك –يريد عائشة–: قال وكان لي جار من الأنصار، وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فينزل يوما، وأنزل يوما، فيأتيني بخبر الوحي وغيره، وآتيه بمثل ذلك، قال: وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا، فنزل صاحبي يوما، ثم أتاني عشاء فضرب بابي، ثم ناداني فخرجت إليه، فقال: حدث أمر عظيم. فقلت: وماذا، أجاءت غسان؟ قال: لا بل أعظم من ذلك وأطول، طلق الرسول نساءه. فقلت: قد خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا كائنا. حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي، ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي، فقلت أطلقكن رسول الله؟ فقالت: لا أدري، هو هذا معتزل في هذه المشربة: فأتيت غلاما له أسود، فقلت: استأذن لعمر، فدخل الغلام ثم خرج إلي، فقال: قد ذكرتك له فصمت، فانطلقت حتى أتيت المنبر، فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم، فجلست قليلا، ثم غلبني ما أجد، فأتيت الغلام فقلت: استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي، فقال: قد ذكرتك له فصمت، فوليت مدبرا، فإذا الغلام يدعوني، فقال: ادخل، فقد أذن لك. فدخلت، فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر في جنبه، فقلت: أطلقت يا رسول الله نساءك؟ فرفع رأسه إلي وقال؟ لا. فقلت: الله أكبر، لو رأيتنا يا رسول الله، وكنا معشر قريش قوما نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، فتغضبت على امرأتي يوما فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. فقلت: قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر، أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله، فإذا هي قد هلكت؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، فدخلت على حفصة، فقلت: لا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، فتبسم أخرى، فقلت: أستأنس يا رسول الله؟ قال: نعم. فجلست، فرفعت رأسي في البيت، فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر إلا أهبة ثلاثة، فقلت: ادع يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله. فاستوى جالسا، ثم قال: أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت: استغفر لي يا رسول الله. وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ قالوا: لا تغتر بالمرأة وإن كانت عفيفة، والنساء حبائل الشيطان. وقيل:المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير.. والمرأة السوء مثل شرك الصياد.لا ينجو منها إلا من رضي الله عنه. وقيل: إذا وقعت جريمة ما، ففتش عن المرأة! حتى قالوا: المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لابد منها. وقال سعيد بن المسيب: ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء. وقال: ما شيء أخوف عندي من النساء.

- قلت: لا شك أن سلوك المرأة المتقلب يعود أغلبه إلى طبيعتها؛ وبنيتها الهرمونية والنفسية (دورتها وبنيتها الحيوانية) وهذا حتما ينعكس في فتنة لسانها وجسدها (فترة شبابها) خاصة حين تحشر (الحمقاء) المتعلمة نفسها بين ذكران أشبه بالبهائم وما أكثرهم اليوم، والله أعلم. عن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِيَّاكُمْ وَحَدِيثُ النِّسَاءِ، وَأَنْ لاَ يَخْلُو بِهِنَّ إِلاَّ مُحْرِمٌ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ لَيْسَتْ لَهُ بِمَحْرَمٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ قلت: المرآة كالنار إذا تحركت أحرقت.قيل: إن الله خلق النساء من عي وعورة؛ فداووا العي بالسكوت واستروا العورة بالبيوت.

----

*(العواني) الأسيرات المحبوسات (يوطئن) يدخلن ويأذن (العصيان) الخروج من الطاعة ومخالفة الأوامر (مبرح) شاق وشديد

مراجع: الكنى والأسماء/ الأعلام للزركلي/ المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ سنن ابن ماجه/ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للصلابي/

عن ابن عمر[1] قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد[2] أحسبه قال: إلى بني جذيمة* فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، وجعل خالد بهم قتلا وأسرا، قال: ثم دفع إلى كل رجل منا أسيرا، حتى إذا أصبح يوما أمرنا فقال: ليقتل كل رجل منكم أسيره. قال ابن عمر: فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره؛ قال: فقدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر له ما صنع خالد، قال: فرفع يديه فقال: ﴿اللَّهُمَّ، إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ﴾ مرتين أو ثلاثا. وروى إياس بن سلمة عن أبيه قال: لما قدم خالد على النبي صلى الله عليه وسلم يعني بعدما صنع ببني جذيمة ما صنع عاب عبد الرحمن بن عوف[3] على خالد ما صنع، قال: يا خالد، أخذت بأمر الجاهلية، قتلتهم بعمك الفاكه*! قاتلك الله، قال: وأعانه عمر بن الخطاب على خالد، فقال خالد: أخذتهم بقتل أبيك*، فقال عبد الرحمن: كذبت والله، لقد قتلت قاتل أبي بيدي، وأشهدت على قتله عثمان بن عفان[4]، ثم التفت إلى عثمان فقال: أنشدك الله، هل علمت أني قتلت قاتل أبي؟ فقال عثمان: اللهم نعم، ثم قال عبد الرحمن: ويحك يا خالد، ولو لم أقتل قاتل أبي كنت تقتل قوما مسلمين بأبي في الجاهلية؟ قال خالد: ومن أخبرك أنهم أسلموا؟ فقال: أهل السرية كلهم يخبرونا أنك وجدتهم قد بنوا المساجد وأقروا بالإسلام ثم حملتهم على السيف، قال: جاءني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أغير عليهم فأغرت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عبد الرحمن: كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وغالظ عبد الرحمن، وأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد، وغضب عليه، وبلغه ما صنع بعبد الرحمن؛ فقال:.﴿يَا خَالِدُ! ذَرُوا لِي أَصْحَابِي، مَتَى يَنْكَأُ أَنْف الْمَرْءِ يَنْكَأُ الْمَرْء، وَلَوْ كَانَ أُحُدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ قِيرَاطًا قِيرَاطًا فِي سَبِيلِ اللَّه لَمْ تُدْرِكْ غَدْوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ مِنَ غَدَوَاتٍ أَوْ رَوْحَات عَبْدُ الرَّحْمَن﴾ (كنز العمال - من غريب الحديث)

قال أبو قتادة:[5] عهد أبو بكر إلى خالد وأمرائه الذين وجه إلى الردة: إذا أتيتم دارا أن يقيموا، فإن سمعوا أذانا أو رأوا مصليا أمسكوا حتى يسألوهم عن الذي نقموا ومنعوا له الصدقة؛ فإن لم يسمعوا أذانا ولم يروا مصليا شنوا الغارة، فقتلوا وحرقوا. ومن حديث آخر: أن خالد بن الوليد مضى، فأوقع بأهل الردة من بني تميم وغيرهم بالبطاح*، وقتل مالك بن نويرة[6]، ثم أوقع بأهل بزاخة، وهم من طيء - معركة بزاخة - وحرقهم بالنار، وذلك أنه بلغه عنهم مقالة سيئة، شتموا النبي صلى الله عليه وسلم، وثبتوا على ردتهم؛ ثم مضى إلى اليمامة فقاتل بها مسيلمة[7] وبني حنيفة* حتى قتل مسيلمة، وصالح خالد أهل اليمامة على الصفراء والبيضاء، والحلقة والكراع*، ونصف السبي؛ وكتب إلى أبي بكر أني لم أصالحهم حتى قتل من كنت أقوى به، وحتى عجف الكراع، ونهك الخف، ونهك المسلمون بالقتل والجراح. وقدم خالد بن الوليد المدينة من اليمامة ومعه سبعة عشر رجلا من وفد بني حنيفة، فيهم مجاعة بن مرارة[8] وإخوته. فلما دخل خالد بن الوليد المدينة دخل المسجد وعليه قباء، عليه صدأ الحديد، متقلدا السيف، معتما في عمامته أسهم، فمر بعمر فلم يكلمه ودخل على أبي بكر، فرأى منه كل ما يحب، وخرج مسرورا، فعرف عمر أن أبا بكر قد أرضاه، فأمسك عن كلامه. وإنما كان عمر وجد عليه فيما صنع بمالك بن نويرة؛ من قتله إياه، وتزوج امرأته، وما كان في نفسه قبل ذلك من أمر بني جذيمة.

قال عروة: لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة جاءه كتاب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه يأمره بالمسير إلى الشام فيمد أهل الإسلام؛ فمضى خالد على وجهه، فسلك عين التمر*، فمر بدومة الجندل*، فأغار عليهم فقتل بها رجالا وهزمهم الله، وسبى بنت الجودي* ومضى حتى قدم الشام، وبها يومئذ أبو عبيدة بن الجراح[9] على جند، ويزيد بن أبي سفيان[10] على جند، عمرو بن العاص[11] على جند، فقدم عليهم خالد بأجنادين، فهزم الله عدوه. وقد كان أبو بكر توفي قبل فتح دمشق وكتب عمر إلى أبي عبيدة بالولاية على الجماعة وعزل خالد، فكتم أبو عبيدة الكتاب من خالد وغيره حتى انقضت الحرب. فكتب خالد الأمان لأهل دمشق وأبو عبيدة الأمير وهم لا يدرون. قال: فكان كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بنعي أبي بكر واستعماله أبا عبيدة وعزله خالدا: بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبيدة بن الجراح. سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد. فإن أبا بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ورحمة الله وبركاته على أبي بكر الصديق العامل بالحق والآمر بالقسط والآخذ بالعرف، اللين السير، الوادع، السهل القريب الحليم، ونحتسب بمصيبتنا فيه ومصيبتكم ومصيبة المسلمين عامة عند الله، وأرغب إلى الله في العصمة والتقى برحمته والعمل بطاعته ما أحيانا، والحلول في جنته إذا توفانا، فإنه لعلى كل شيء قدير. وقد بلغنا حصاركم لأهل دمشق وقد وليتك جماعة الناس، فاثبت سراياك في نواحي أرض حمص ودمشق، وما سواها من أرض الشام، وانظر في ذلك برأيك ومن حضرك من المسلمين، ولا يحملنك قولي هذا على أن تغري عسكرك فيطمع فيك عدوك، ولكن من استغنيت عنه فسيره، ومن احتجت إليه في حصارك فاحتبسه، وليكن فيمن تحتبس خالد بن الوليد فإنه لا غنى بك عنه. قالوا: فدفع ذلك الكتاب إلى خالد بن الوليد بعد فتح دمشق بنحو من عشرين ليلة فأقبل حتى دخل على أبي عبيدة فقال: يغفر الله لك، أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تعلمني، وأنت تصلي خلفي والسلطان سلطانك؟! فقال له أبو عبيدة: وأنت يغفر الله لك، ما كنت لأعلمك ذلك حتى تعلمه من غيري. وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله، ثم قد كنت أعلمك إن شاء الله. وما سلطان الدنيا أريد وما للدنيا أعمل، وأن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوان وقوام بأمر الله عز وجل، وما يضير الرجل أن يلي عليه أخوه في دينه ولا دنياه. بل يعلم الوالي أنه كاد أن يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقعهما في الخطيئة لما يعرض من الهلكة إلا من عصم الله، وقليل ما هم. ودفع أبو عبيدة عند ذلك إلى خالد بن الوليد الكتاب. قال أبو حذيفة: وولي أبو عبيدة حصار دمشق وولي خالد بن الوليد القتال على باب الشرقي وولاه الخيل إذا كان يوم يجتمع فيه المسلمون للقتال، فحاصروا دمشق بعد هلاك أبي بكر حولا كاملا وأياما. وساق الحديث.

----

* (ينك) أي يغلب وينهزم (البطاح) منزل لبني يربوع، وقيل ماء في ديار بني أسد بن خزيمة. ومعركة البطاح حصلت بين المسلمين والمرتدين في عهد الخليفة أبو بكر، وهي جزء من حروب الردة (الفاكه) كان بنو جذيمة قد قتلوا في الجاهلية عوف بن عبد عوف والد عبد الرحمن بن عوف، وقتلوا الفاكه بن المغيرة، عَمَّ خالد (ليلى بنت الجودي) الغسانية كانت ابنة ملك دمشق (الحلقة والكراع) أي السلاح والخيل(بنو حنيفة) قبيلة من بكر بن وائل في إقليم اليمامة، ومسيلمة من بني حنيفة (بنو جذيمة) بطن من بني كنانة كانوا ببلدة يقال لها الغميصاء بأسفل مكة (عين التمر) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة على طرف البادية فتحها خالد بن الوليد عنوة سنة 12هـ بعد معركة جرت بينه وبين العرب المتنصرة (دومة الجندل)حصن وقرى في البادية بين نجد وبلاد الشام قرب جبل طيئ وكانت بنو كنانة تسكن هذه الديار، والحصن هو حصن أكيدر بن عبد الملك بن الحارث الكندي.

- (2) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يلي أعنة الخيل في قريش، وقد أسلم سنة 7 هـ، يكنى أبا سليمان، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول، وله بطولات نادرة في حروب الردة وقتال الفرس،مات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هـ ويقال: توفى بحمص سنة 14 هـ
- (9) أبو عبيدة بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال. أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام، .ولد سنة 40 ق هـ. ومات بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ.
- (3) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.
- (6) مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو حنظلة: فارس شاعر، من أرداف الملوك في الجاهلية. يقال له فارس ذي الخمار، وذو الخمار فرسه، أدرك الإسلام وأسلم وولاه رسول الله صدقات قومه بني يربوع ولما صارت الخلافة إلى أبي بكر اضطرب مالك في أموال الصدقات وفرقها. وقيل: ارتد، فتوجه إليه خالد بن الوليد وقبض عليه في البطاح، وأمر ضرار ابن الازور الأسدي، فقتله سنة 12 هـ
- (10) يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية من أبيه، ويقال له يزيد الخير، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة. أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وشهد حنينا، فقيل: إن النبي أعطاه من غنائم حنين مئة من الإبل وأربعين أوقية فضة، وهو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، عقد له أبو بكر، ومشى معه تحت ركابه يسايره، ويودعه، ويوصيه، وما ذاك إلا لشرفه وكمال دينه، ولما فتحت دمشق، أمره عمر عليها. توفي يزيد في الطاعون سنة 18 هـ، ولما احتضر، استعمل أخاه معاوية على عمله، فأقره عمر على ذلك احتراما ليزيد، وتنفيذا لتوليته.
- (11) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).
- (8) مجاعة بن مرارة بن سلمى الحنفي، صحابي كان بليغا حكيما من رؤساء قومه، في اليمامة. أقطعه النبي أرضا بها. وتزوج خالد بن الوليد ابنته.له شعر فيه حكمة، توفي نحو سنة 45 هـ
- (5) الحارث (أو النعمان، أو عمرو) ابن ربعي الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو قتادة، اشتهر بكنيته. و يقال له فارس رسول الله.شهد الوقائع مع النبي ابتداء من وقعة أحد. ولما صارت الخلافة إلى علي، ولاه مكة.وشهد صفين معه. ومات بالمدينة سنة 54 هـ
- (4) عثمان بن عفان الأموي،أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.ودفن بالبقيع.
- (1) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين
- (7) مسيلمة الكذاب ابن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة: متنبيء، من المعمرين. ولد ونشأ باليمامة، وتلقب في الجاهلية بالرحمن. وعرف برحمان اليمامة. ولما ظهر الإسلام في غربي الجزيرة، وافتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ودانت له العرب، جاءه وفد من بني حنيفة، قيل: كان مسيلمة معهم إلا أنه تخلف مع الرحال، خارج مكة، وهو شيخ هرم، فأسلم الوفد وذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم مكان مسيلمة فأمر له بمثل ما أمر به لهم، وقال: ليس بشركم مكانا.ولما رجعوا إلى ديارهم كتب مسيلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله.سلام عليك، أما بعد فاني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشا قوم يعتدون. فأجابه:(بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى.أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين. وذلك في أواخر سنة 10 هـ، وأكثر مسيلمة من وضع أسجاع يضاهى بها القرآن. وتوفى النبي صلى الله عليه وسلم قبل القضاء على فتنته، فلما انتظم الأمر لابي بكر، انتدب له أعظم قواده خالد بن الوليد على رأس جيش قوي، هاجم ديار بني حنيفة.وصمد هؤلاء، وانتهت المعركة بظفر خالد ومقتل مسيلمة سنة 12هـ ولا تزال إلى اليوم آثار قبور الشهداء، من الصحابة، ظاهرة في قرية الجبيلة حيث كانت الواقعة. وقيل: اسمه هارون ومسيلمة لقبه ويقال: كان اسمه مسلمة وصغره المسلمون تحقيرا له.

قال سليمان بن سحمان رحمه الله: أن العرب افترقت في ردتها فطائفة رجعت إلى عبادة الأصنام وقالوا: لو كان نبيا لما مات وفرقة قالت: نؤمن بالله ولا نصلي وطائفة أقروا بالإسلام وصلوا ولكن منعوا الزكاة وطائفة شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ولكن صدقوا مسيلمة[1] أن النبي صلى الله عليه وسلم أشركه معه في النبوة وذلك: أنه أقام شهودا معه بذلك وفيهم رجل من أصحابه معروف بالعلم والعبادة يقال له الرجال فصدقوه لأجل ما عرفوا فيه من العلم والعبادة.. وقوم من أهل اليمن صدقوا الأسود العنسي[2] في ادعائه النبوة وقوم صدقوا طليحة الأسدي[3] ولم يشك أحد من الصحابة في كفر من ذكرنا ووجوب قتالهم إلا مانع الزكاة ولما عزم أبو بكر على قتالهم قيل له: كيف نقاتلهم؟وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا﴾فقال أبو بكر: فإن الزكاة من حقها، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه

- (2) عبهلة بن كعب بن غوث العنسي المذحجي المعروف بالأسود وبذي الخمار وهو مدعي للنبوة، قتله فيروز أبو الضحاك الديلمي سنة 11 هـ
- (1) مسيلمة الكذاب ابن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة: متنبيء، من المعمرين. ولد ونشأ باليمامة، وتلقب في الجاهلية بالرحمن. وعرف برحمان اليمامة.قيل: اسمه هارون ومسيلمة لقبه ويقال: كان اسمه مسلمة وصغره المسلمون تحقيرا له.أكثر مسيلمة من وضع أسجاع يضاهى بها القرآن. وقتل سنة 12هـ
- (3) طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي الفقعسي. كان من أشجع العرب وكان يعد بألف فارس، كان ممن ارتد في حياة النبي ثم أسلم إسلاما صحيحا، وله في قتال الفرس في القادسية بلاء حسن وقتل في معركة نهاوند سنة21 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ العباب الزاخر/ تاج العروس/ تهذيب الأسماء/ الأعلام للزركلي/ تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير/ مختصر سيرة الرسول/

قال صالح بن كيسان: إن عمر كتب إلى أبي عبيدة[1] في كلام بلغه عن خالد بن الوليد:[2] أن سل خالدا، فإن أكذب نفسه فهو أمير ما يليه، وإن ثبت على قوله فانزع عمامته، وقاسمه ماله نصفين، وقم على الجند قبلك. فكتم أبو عبيدة الكتاب، ولم يقرئه خالدا، حبا وتكرما، حتى فتح الله عليهم دمشق في رجب سنة أربع عشرة، ثم إن بلالا[3] مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي عبيدة: ماذا كتب به إليك عمر في خالد بن الوليد؟ قال: أمرني أن أنصه في كلام بلغه عنه، فإن أكذب نفسه فهو أمير على ما يليه، وإن ثبت على قوله نزعت عمامته، وقاسمته ماله نصفين. فقال بلال: فامض لما أمرك به أمير المؤمنين؛ فقال خالد: أمهلوني حتى أستشير؛ وكانت له أخت لا يكاد يعصيها، فاستشارها فقالت له: والله لا يحبك عمر بن الخطاب أبدا، وما يريد إلا أن تكذب نفسك، ثم يعزلك، فقبل رأسها وقال: صدقت: فثبت على قوله، فنزع أبو عبيدة عمامته، فلم يبق إلا نعلاه، فقال بلال: لا تصلح هذه إلا بهذه، قال خالد: فوالله لا أعطيها أمير المؤمنين، لي واحدة ولكم واحدة.

عن ناشرة بن سمي اليزني قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول يوم الجابية*. فذكر الحديث وقال فيه: إني أعتذر إليكم من خالد بن الوليد، أني أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين، فأعطاه ذا البأس والشرف، وذا اللسان، فنزعته وأمرت أبا عبيدة بن الجراح؛ فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة:[4] ما أعذرت يا عمر، لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأغمدت سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووضعت لواء نصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد قطعت الرحم، وحسدت ابن العم، فقال عمر بن الخطاب: إنك قريب القرابة، حديث السن، مغضب في ابن عمك.

قال محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان: لم يزل خالد بن الوليد مع أبي عبيدة حتى توفي أبو عبيدة، واستخلف عياض بن غنم الفهري[5]،فلم يزل خالد معه حتى مات عياض بن غنم، فاعتزل خالد إلى ثغر حمص، فكان فيه، وحبس خيلا وسلاحا فلم يزل مرابطا بحمص حتى نزل به، فدخل عليه أبو الدرداء[6] عائدا له، فقال خالد بن الوليد: إن خيلي هذه التي حبست في الثغر وسلاحي، هو على ما جعلته عليه، عدة في سبيل الله، وقوة يغزى عليها، ويعلف من مالي، وداري بالمدينة صدقة حبس لا تباع ولا تورث، وقد كنت أشهدت عليها عمر بن الخطاب ليالي قدم الجابية وهو كان أمرني بها، ونعم العون هو على الإسلام، والله يا أبا الدرداء، لئن مات عمر لترين أمورا تنكرها، قال أبو الدرداء: وأنا والله أرى ذلك؛ قال خالد: قد كنت وجدت عليه في نفسي في أمور لما تدبرتها في مرضي هذا عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل: كنت وجدت عليه في نفسي حيث بعث إلي من يقاسمني مالي حتى أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل، فرأيته فعل ذلك بغيري من أهل السابقة ومن شهد بدرا، وكان يغلظ علي، وكانت غلظته على غيري نحوا من غلظته علي، وكنت أدل عليه بقرابة، فرأيته لا يبالي قريبا، ولا لوم لائم في غير الله؛ فذاك الذي أذهب ما كنت أجد عليه، وكان يكبر غلي عنده، وما كان ذلك مني إلا على النظير، كنت في حرب ومكايدة، وكنت شاهدا وكان غائبا، فكنت أعطي على ذلك، فخالفه ذلك من أمري، وقد جعلت وصيتي وتركتي وإنفاذ عهدي إلى عمر بن الخطاب.قال: فقدم بالوصية على عمر، فقبلها وترحم عليه، وأنفذ ما فيها.

ولما حضرت خالد الوفاة قال: لقد طلبت القتل في مظانه*، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس* بترسي، والسماء تهلبني*، ننتظر الصبح حتى نغير على الكفار، ثم قال: إذا أنا مت فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله عز وجل. فلما توفي خرج عمر على جنازته فذكر قوله: ما على نساء آل الوليد أن يسفحن على خالد من دموعهن ما لم يكن نقعا*أو لقلقة*.

قال أبو الزناد: إن خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة بكى وقال: لقيت كذا وكذا زحفا، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء.

قال ثعلبة بن أبي مالك: رأيت ابن الخطاب بقباء ومعه نفر من المهاجرين والأنصار، فإذا أناس من أهل الشام يصلون في مسجد قباء فقال: من القوم؟ قالوا: من اليمن، قال: أي مدائن الشام نزلتم؟ قالوا: حمص، قال: هل كان من مغربة خبر*؟ قالوا: موت خالد بن الوليد يوم رحلنا من حمص؛ قال: فاسترجع عمر مرارا ونكس، وأكثر الترحم عليه وقال: كان والله سدادا لنحور العدو، ميمون النقيبة، فقال له علي بن أبي طالب: فلم عزلته؟ قال: عزلته لبذله الأموال لأهل الشرف وذوي اللسان، قال علي: فكنت تعزله عن التبذير في المال وتتركه على جنده، قال: لم يكن ليرضى، قال: فهلا بلوته.

قال شيخ من بني غفار: سمعت عمر بن الخطاب بعد أن مات خالد بن الوليد يقول: قد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق، فقلت: يا أمير المؤمنين، لم يكن رأيك فيه في حياته على هذا! قال: ندمت على ما كان مني إليه. قال نافع: لما مات خالد بن الوليد لم يوجد له إلا فرسيه وغلامه وسلاحه، فقال عمر: رحم الله أبا سليمان إن كنا لنظنه على غير هذا. قال يزيد بن الأصم: لما توفي خالد بكت عليه أمه، فقال لها عمر: يا أم خالد؛ أ خالدا وأجره ترزئين جميعا! عزمت عليك ألا تبيتي حتى تسود يداك من الخضاب.عن محمد بن إسحاق قال: لما مات خالد بن الوليد خرج عمر في جنازته فإذا أمه تندبه وتقول: أنت خير من ألف ألف من القوم إذا ما كنت في وجوه الرجال قال: فقال عمر: صدقت والله، إن كان كذلك! ولما مات لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها على قبره، أي حلقت شعر رأسها، وكان موته سنة إحدى أو اثنتين وعشرين بحمص.

----

* (النقع) مد الصوت بالنحيب (اللقلقة) حركة اللسان، نحو الولولة (ترس) التستر بالترس:الدرع (تهلبني) تبلني وتمطرني (الجابية) قرية من عمل دمشق وعقد عمر بن الخطاب مؤتمر الجابية بعد معركة اليرموك (المظان) جمع مظنة وهي موضع الشيء ومعدنه (هل من مغربة خبر؟) يعني الخبر الذي يطرأ عليك من بلد سوى بلدك

■ (2) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يلي أعنة الخيل في قريش، وقد أسلم سنة 7 هـ ، يكنى أبا سليمان، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول، وله بطولات نادرة في حروب الردة وقتال الفرس،مات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هـ ويقال: توفى بحمص سنة 14 هـ

■ (5)عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد، أبو سعد الفهري. ممن بايع بيعة الرضوان. واستخلفه قرابته أبو عبيدة بن الجراح، لما احتضر، على الشام. وهو الذي افتتح الجزيرة صلحا.أقره عمر على الشام. فعاش بعد نحوا من عامين. وقيل: عاش 60 سنة، ومات سنة 20 بالشام.قيل شهد الحديبية، وكان أحد الأمراء الخمسة يوم اليرموك

■ (4) أبو عمرو بن حفص بن المغيرة. وقيل: أبو حفص بن المغيرة، وقيل: أبو حفص بن عمرو بن المغيرة المخزومي، زوج فاطمة بنت قيس، وقيل: اسمه أحمد، وقيل: عبد الحميد، وقيل: اسمه كنيته، بعثه النبي إلى اليمن فطلقها هناك، ومات هناك. وقيل:عاش بعد ذلك إلى خلافة عمر

■ (3) بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق وأمه حمامة، وهو مؤذن رسول الله، من السابقين الأولين الذين عذبوا في الله، شهدا بدرا، وشهد له النبي على التعيين بالجنة، يقال: إنه حبشي، وقيل: من مولدي الحجاز. قيل ولد سنة.42 ق.هـ وفي وفاته أقوال: أحدها بداريا (مدينة قرب دمشق) في سنة 20 هـ. ودفن بباب الصغير وهو ابن بضع وستين سنة. وقيل دفن بباب كيسان. وقيل بمقبرة خولان. وقيل بباب الأربعين. لما احتضر بلال قال: غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه، قال: تقول امرأته: وا ويلاه ! فقال: وا فرحاه !.

■ (1) أبو عبيدة بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال. أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام، .ولد سنة 40 ق هـ. ومات بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ.

■ (6) أبو الدرداء عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي. وقيل اسمه عامر، ولقبه عويمر. ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب وهو أول قاض بها وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبي، والراجح أنه مات في خلافة عثمان بالشام سنة 32 هـ

☪

عن السائب بن يزيد المخزومي قال: لما أتى عمر الشام نهى الناس أن يمدحوا خالد بن الوليد، فدخل أبو وجزة السعدي[1]، وخالد عند عمر، فقال: أهمنا خالد فحسر خالد اللثام عنه، فقال له أبو وجزة: والله، إنك لأصبحهم خدا وأكرمهم جدا وأوسعهم مجدا وأبسطهم رفدا، قال: ثم رآه عمر بالمدينة، فقال: ألم أنه عن مدح خالد عندي؟! فقال أبو وجزة: من أعطانا مدحناه ومن حرمنا سببناه كما يسب العبد سيده، فقال عمر: يا أبا وجزة، وكيف يسب العبد سيده؟! قال: من حيث لا يعلم ولا يسمع، يا أمير المؤمنين. وخالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه ما هزم في جاهلية ولا إسلام، وهو في أوج انتصاراته، يأتيه خبر عزله من قبل أمير المؤمنين عمر عن قيادة الجيش لمصلحة يراها أمير المؤمنين، فيقول: والله لو ولى علي أمير المؤمنين عبدا أسود اللون لسمعت له وأطعت، ما دام يقودني بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

☪

عن ابن أبي أوفى قال: ﴿شَكَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا خَالِدُ، لِمَ تُؤْذِي رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا لَمْ تُدْرِكْ عَمَلَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَقَعُونَ فِيَّ فَأَرُدُّ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ تُؤْذُوا خَالِدًا، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، صَبَّهُ اللهُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ قال أبو عثمان النهدي:﴿لَمَّا قَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا غَضِبَ اللهُ عَلَيْكَ وَلاَ رَسُولَهُ وَلَكِنَّكَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ﴾ قال أبو هريرة:﴿قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَقِيلَ مَنَعَ ابْنُ جَمِيلٍ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْعَبَّاسُ عَمُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا نَقَمَ ابْنُ جَمِيلٍ إِلاَّ أَنَّهُ أَنْ كَانَ فَقِيراً فَأَغْنَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِداً فَقَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَهِيَ عَلَيَّ وَمِثْلُهَا - ثُمَّ قَالَ - أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ* أَبِيهِ﴾ قال قيس بن أبي حازم: سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد اندق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة لي يمانية. وقال: ما ليلة يهدى إلي فيها عروس أنا لها محب، أو أبشر فيها بغلام أحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بها العدو. وقال خالد بن الوليد: ما أدري من أي يومي أفر: يوم أراد الله عز وجل أن يهدي لي فيه شهادة، أو من يوم أراد الله أن يهدي لي فيه كرامة.

قال أبو العجفاء السلمي: قيل لعمر: لو عهدت يا أمير المؤمنين، قال: لو أدركت أبا عبيدة ثم وليته ثم قدمت على ربي، فقال لي: لم استخلفته؟ لقلت: سمعت عبدك وخليلك يقول: ﴿إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيناً وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ﴾ ولو أدركت خالد بن الوليد ثم وليته فقدمت على ربي لقلت: سمعت عبدك وخليلك يقول:﴿خَالِدٌ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، سَلَّهُ اللهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ وعن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ﴿مِنْ خَيْرِ مَنَازِلِ النَّاسِ حَابِسٌ نَفْسَهُ، وَفَرَسَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَلْتَمِسُ الْمَوْتَ، أَوِ الْقَتْلَ فِي مَظَانِّهِ، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ فِي رَأْسِ شَعَفٍ مِنَ الشِّعْبِ، أَوْ فِي بَطْنِ وَادٍ مِنَ الأَوْدِيَةِ يُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ﴾.

☪

أخرج أبو عبيد عن قيس بن أبي حازم قال: جاء بلال إلى عمر رضي الله عنهما حين قدم الشام وعنده أمراء الأجناد، فقال: يا عمر، يا عمر، فقال عمر: هذا عمر. فقال: إنك بين هؤلاء وبين الله، وليس بينك وبين الله أحد، فانظر من بين يديك ومن عن يمينك ومن عن شمالك، فإن هؤلاء الذين جاؤوك، والله، إن يأكلوا إلا لحوم الطير، فقال عمر: صدقت، لا أقوم من مجلسي هذا حتى تكفلوا لي لكل رجل من المسلمين بمدي بر وحظها من الخل والزيت، قالوا: تكفلنا لك يا أمير المؤمنين، هو علينا، قد أكثر الله من الخير وأوسع، قال: فنعم إذا.

----

*(الصنو) المثل والنظير

■ (1) يزيد بن عبيد السلمي السعدي، أبو وجزة: شاعر محدث مقرئ من التابعين. أصله من بني سليم. نشأ في بني سعد بن بكر بن هوازن فنسب إليهم. وسكن المدينة، فانقطع إلى آل الزبير، ومات بها سنة 130 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ العباب الزاخر/ تاج العروس/ تهذيب الأسماء/ صحيح مسلم/ لسان العرب/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ الإصابة في تمييز الصحابة/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) وعلقمة بن علاثة 0093

عن ابن الضحاك، أن عمر بن الخطاب كان أشبه الناس بخالد بن الوليد[1] ، فخرج عمر سحرا فلقيه شيخ فقال: مرحبا بك يا أبا سليمان. فنظر إليه عمر فإذا هو علقمة بن علاثة[2] فرد عليه السلام. فقال له علقمة: أعزلك عمر بن الخطاب؟ فقال له عمر: نعم، فقال: ما يشبع لا أشبع الله بطنه. فقال له عمر: فما عندك؟ قال: ما عندي إلا السمع والطاعة. فلما أصبح دعا بخالد وحضره علقمة بن علاثة، فأقبل على خالد فقال له: ماذا قال لك علقمة؟ فقال: ما قال لي شيئا. فقال: أصدقني، فحلف خالد بالله ما لقيته ولا قال له شيئا. فقال له علقمة: حلا أبا سليمان، فتبسم عمر فعلم خالد أن علقمة قد غلط. فنظر إليه ففطن علقمة فقال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فاعف عني عفا الله عنك. فضحك عمر وأخبره الخبر.وفي رواية: أن عمر خرج في جوف الليل فلقي علقمة بن علاثة، وكان عمر يشبه خالدا إلى حد عجيب، فحسبه علقمة خالدا، فقال: يا خالد عزلك هذا الرجل، لقد أبى إلا شحا حتى لقد جئت إليه وابن عم لي نسأله شيئا، فأما إذا فعل فلن أسأله شيئا، فقال له عمر يستدرجه ليعلم ما يخفيه: هيه! فما عندك؟ قال: هم قوم لهم علينا حق فنؤدي لهم حقهم، وأجرنا على الله، فلما أصبحوا قال عمر لخالد وعلقمة مشاهد لهما: ماذا قال لك علقمة منذ الليلة؟ قال خالد: والله ما قال شيئا، قال عمر: وتحلف أيضا؟ فاستثار ذلك علقمة وهو يظن أنه ما كلم البارحة إلا خالدا، فظل يقول: مه*يا خالد؛ فأجاز عمر علقمة وقضى حاجته، وقال لأن يكون من ورائي على مثل رأيك، يعني حرصه على الطاعة لولي الأمر وإن خالفه أحب إلي من كذا وكذا.

وفي رواية: عن ابن عون عن الحسن قال: قدم علقمة بن علاثة على عمر رضي الله عنه فوافق قدومه عليه نزع خالد رضي الله عنه فوافقه في المساء أي وافق علقمة عمر مؤنسا فظن أنه خالد فقال: أبى هذا الرجل إلا شحا لك نزعك لا أبا لغيرك لم نزعك! لقد قدمت عليه في حاجتين لي أريد أن أسألهما إياه فأما إذ فعل ما فعل فلست سائله شيئا أبدا. قال: وادا ما هما ؟ قال: مال هنة لنا ماتت فأردت أن أسأله وابن عم لي كتب إلي أن ألحقه فأردت أن أسأله إياه، فأما إذ فعل ما فعل فلست سائله شيئا أبدا فلم نزعك وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعين بك فلم نزعك قال: نزعني فما عندك في نزعي؟ قال: وماذا عندي في نزعك! هؤلاء قوم ولوا أمرا ولهم علينا حق فنحن مؤدون إليهم الحق الذي جعله الله لهم وأمرنا أو قال: حسابنا على الله. قال: وانسل عمر فدخل في الناس فلما أصبحوا ودخل عليه الناس قال: يا خالد ما كان حديث علقمة إياك وقت البارحة حين يقول: أبى هذا الرجل إلا شحا ؟ قال: ما رأيته، وجعل علقمة يقول: ما أفجره! قال: قلت للحسن: ما يصنع علقمة؟ قال: يعزره. قال عمر رضي الله عنه: إنه قال كلمة لأن يقولها من أصبح من أمة محمد أحب إلي من حمر النعم.

----

* (مه) كلمة زجر بمعنى كف واسكت وانته

■ (2) علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الكلابي، من الصحابة المؤلفة قلوبهم، كان من أشراف قومه، سيدا فيهم، حليما، عاقلا، ثم ارتد علقمة حين عاد النبي من الطائف ولحق بالشام، ثم عاد إلى قومه بعد وفاة النبي، فأرسل إليه أبو بكر، سرية فانهزم، ثم أسلم وحسن إسلامه، واستعمله عمر بن الخطاب على حوران، فتوفى بها سنة 20 هـ وعلقمة بن علاثة هو الذي نافر عامر بن الطفيل عند هرم بن قطبة بن سنان (منافرته الشهيرة مع عامر بن الطفيل)ويقال للمفاخرة المنافرة. والمنافرة المحاكمة في الحسب، وأن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه، ثم يحكما بينهما رجلا.

■ (1) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يلي أعنة الخيل في قريش، وقد أسلم سنة 7 هـ ، يكنى أبا سليمان، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول، وله بطولات نادرة في حروب الردة وقتال الفرس،مات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هـ ويقال: توفى بحمص سنة 14 هـ

☪

قال علي الصلابي: في قنسرين جاء العزل الثاني لخالد، وذلك في السنة السابعة عشرة، فقد بلغ أمير المؤمنين أن خالدا وعياض بن غنم أدربا في بلاد الروم وتوغلا في دروبها ورجعا بغنائم عظيمة، وأن رجالا من أهل الآفاق قصدوا خالدا لمعروفه منهم الأشعث بن قيس الكندي فأجازه خالد بعشرة آلاف، وكان عمر لا يخفى عليه شيء في عمله، فكتب عمر إلى قائده العام أبي عبيدة يأمره بالتحقيق مع خالد في مصدر المال الذي أجاز منه الأشعث تلك الإجازة الغامرة، وعزله عن العمل في الجيش إطلاقا واستقدمه المدينة، وتم استجواب خالد وقد تم استجواب خالد بحضور أبي عبيدة وترك بريد الخلافة يتولى التحقيق وترك إلى مولى أبي بكر يقوم بالتنفيذ، وانتهى الأمر ببراءة خالد أن يكون مد يده إلى غنائم المسلمين فأجاز منها بعشر آلاف ولما علم خالد بعزله ودع أهل الشام، فكان أقصى ما سمحت به نفسه من إظهار أسفه على هذا العزل الذي فرق بين القائد وجنوده أن قال للناس: إن أمير المؤمنين استعملني على الشام حتى إذا كانت بثنية، وعسلا عزلني فقام إليه رجل فقال: اصبر أيها الأمير، فإنها الفتنة فقال: خالد: أما وابن الخطاب حي فلا، وهذا لون من الإيمان القاهر الغلاب، لم يرزقه إلا المصطفون من أخصاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: فأية قوة روحية سيطرت على أعصاب خالد في الموقف الخطير؟ وأي إلهام ألقي على لسان خالد ذلك الرد الهادئ الحكيم. سكن الناس وهدأت نفوسهم بعد أن سمعوا كلمة خالد في توطيد قواعد الخلافة العمرية، وعرفوا أن قائدهم المعزول ليس من طراز الرجال الذين يبنون عروش عظمتهم على أشلاء الفتن والثورات الهدامة وإنما هو من أولئك الرجال الذين خلقوا للبناء والتشييد، فإن أرادتهم الحياة على هدم ما بنوا تساموا بأنفسهم أن يذلها الغرور المفتون. ورحل خالد إلى المدينة فقدمها حتى لقي أمير المؤمنين، فقال عمر متمثلا: صنعت فلم يصنع كصنعك صانع..وما يصنع الأقوام فالله يصنع. وقال خالد لعمر: لقد شكوتك إلى المسلمين، وبالله إنك في أمري غير مجمل يا عمر، فقال عمر: من أين هذا الثراء؟ قال: من الأنفال والسهمان، ما زاد على الستين ألفا فلك، فقوم عمر عروضه فخرجت إليه عشرون ألفا، فأدخلها بيت المال. ثم قال: يا خالد، والله إنك علي لكريم، وإنك إلي لحبيب، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء، وكتب عمر إلى الأمصار: إني لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وألا يكونوا بعرض فتنة. ومن خلال سيرة الفاروق يمكننا أن نجمل أسباب عزل خالد في الأمور التالية: حماية التوحيد: ففي قول عمر: ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، يظهر خشية عمر من فتنة الناس بخالد وظنهم أن النصر يسير في ركاب خالد؛ فيضعف اليقين بأن النصر من عند الله سواء كان خالد على رأس الجيوش أم لا، وهذا الوازع يتفق مع حرص عمر على صبغ إدارته للدولة العقائدية الخالصة وبخاصة وهي تحارب أعداءها حربا ضروسا متطاولة باسم العقيدة وقوتها، وقد يقود الافتتان بقائد كبير مثل خالد خالدا نفسه إلى الافتتان بالرعية وأن يرى نفسه يوما في مركز قوة لا يرتقي إليها أحد، وبخاصة أنه عبقري حرب ومنفق أموال، فيجر ذلك عليه وعلى الدولة أمر خسر، وهو إن كان احتمالا بعيدا في ظل ارتباط الناس بخليفتهم عمر وإعجابهم به، وفي ظل انضباط خالد العسكري وتقواه، فقد يحدث يوما ما بعد عمر، ومع قائد كخالد، مما يستدعي التأصيل لها في ذلك العصر ومع أمثال هؤلاء الرجال، والخوف في هذا الأمر من القائد الكفء أعظم من الخوف من قائد صغير لم يبل أحسن البلاء ولم تتساير بذكره الأنباء. وقد أشار شاعر النيل حافظ إبراهيم رحمه الله إلى تخوف عمر فقال في عمريته في الديوان:وقيل خالفت يا فاروق صاحبنا..فيه وقد كان أعطى القوس باريها..فقال خفت افتتان المسلمين به..وفتنة النفس أعيت من يداويها. اختلاف النظر في صرف المال: كان عمر يرى أن فترة تأليف القلوب، وإغراء ضعفاء العقيدة بالمال والعطاء، قد انتهت، وصار الإسلام في غير حاجة إلى هؤلاء، وأنه يجب أن يوكل الناس إلى إيمانهم وضمائرهم، حتى تؤدي التربية الإسلامية رسالتها في تخريج نماذج كاملة، لمدى تغلغل الإيمان في القلوب، بينما يرى خالد أن ممن معه من ذوي البأس والمجاهدين في ميدانه من لم تخلص نيتهم لمحض ثواب الله، وأن أمثال هؤلاء في حاجة إلى من يقوي عزيمتهم، ويثير حماستهم من هذا المال، كما أن عمر كان يرى أن ضعفة المهاجرين أحق بالمال من غيرهم، فعندما اعتذر إلى الناس بالجابية من عزل خالد قال: أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس، ولا شك أن عمر وخالدا مجتهدان فيما ذهبا إليه ولكن عمر أدرك أمورا لم يدركها خالد. اختلاف منهج عمر عن منهج خالد في السياسة العامة: فقد كان عمر يصر على أن يستأذن الولاة منه في كل صغيرة وكبيرة، بينما يرى خالد أن من حقه أن يعطى الحرية كاملة من غير الرجوع لأحد في الميدان الجهادي وتطلق يده في كل التصرفات إيمانا منه بأن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب. ولعل من الأسباب أيضا، إفساح المجال لطلائع جديدة من القيادات حتى تتوفر في المسلمين نماذج كثيرة من أمثال خالد والمثنى وعمرو بن العاص، ثم ليدرك الناس أن النصر ليس رهنا برجل واحد، مهما كان هذا الرجل. موقف المجتمع الإسلامي من قرار العزل: تلقى المجتمع الإسلامي قرار العزل بالتسليم لحق الخليفة في التولية والعزل، فلم يخرج أحد عن مقتضى النظام والطاعة والإقرار للخلافة بحقها في التولية والعزل. كما دلت الرواية أعلاه، وهذا وقد جاء اعتراض من أبي عمرو بن حفص بن المغيرة بن عم خالد بن الوليد بالجابية، فعندما قال عمر للناس: وإني أعتذر إليكم من خالد بن الوليد، إني أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين، فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف، وذا اللسان، فنزعته وأمرت أبا عبيدة بن الجراح. فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: والله ما أعذرت يا عمر بن الخطاب، لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغمدت سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووضعت لواء نصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد قطعت الرحم وحسدت ابن العم. فقال عمر بن الخطاب: إنك قريب القرابة، حديث السن، مغضب في ابن عمك، وهكذا اتسع صدر الفاروق لابن عم خالد بن الوليد، وهو يذب عن خالد حتى وصل دفاعه إلى دعوى اتهامه للفاروق بالحسد، ومع ذلك ظل الفاروق حليما. وفاة خالد بن الوليد وماذا قال عن الفاروق وهو على فراش الموت: دخل أبو الدرداء على خالد في مرض موته، فقال له خالد: يا أبا الدرداء، لئن مات عمر، لترين أمورا تنكرها. فقال أبو الدرداء: وأنا والله أرى ذلك. فقال خالد: قد وجدت عليه في نفسي في أمور، لما تدبرتها في مرضي هذا وحضرني من الله حاضر عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل، كنت وجدت عليه في نفسي حين بعث من يقاسمني مالي، حتى أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل، ولكنه فعل ذلك بغيري من أهل السابقة، وممن شهد بدرا، وكان يغلظ علي، وكانت غلظته على غيري نحوا من غلظته علي، وكنت أدل عليه بقرابته، فرأيته لا يبالي قريبا ولا لوم لائم في غير الله، فذلك الذي ذهب عني ما كنت أجد عليه، وكان يكثر علي عنده، وما كان ذلك إلا على النظر: فقد كنت في حرب ومكابدة وكنت شاهدا وكان غائبا، فكنت أعطي على ذلك، فخالفه ذلك من أمري، ولما حضرته الوفاة وأدرك ذلك، بكى وقال: ما من عمل أرجى عندي بعد لا إله إلا الله، من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين، بتها وأنا متترس والسماء تنهل علي، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار، فعليكم بالجهاد، لقد شهدت كذا وكذا زحفا، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وها أنذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء لقد طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي، وأوصى خالد أن يقوم عمر على وصيته وقد جاء فيها: وقد جعلت وصيتي وتركتي وإنفاذ عهدي إلى عمر بن الخطاب، فبكى عمر فقال له طلحة بن عبيد الله: إنك وإياه كما قال الشاعر: لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي.فقد حزن عليه الفاروق حزنا شديدا، وبكته بنات عمه، فقيل لعمر أن ينهاهن، فقال: دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة، على مثل أبي سليمان تبكي البواكي.وقال عنه: قد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق، وليته بقي ما بقي في الحمى حجر، كان والله سدادا لنحور العدو، ميمون النقيبة، وعندما دخل على الفاروق هشام بن البختري في ناس من بني مخزوم، وكان هشام شاعرا، فقال له عمر: أنشدني ما قلت في خالد، فلما أنشده قال له: قصرت في الثناء على أبي سليمان رحمه الله، إن كان ليحب أن يذل الشرك وأهله، وإن كان الشامت به لمتعرضا لمقت الله ثم تمثل بقول الشاعر: فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى فما عيش من قد عاش بعدي بنافعي تهيأ لأخرى مثلها فكان قد ولا موت من قد مات بعدي بمخلدي ثم قال: رحم الله أبا سليمان ما عند الله خير له مما كان فيه ولقد مات فقيدا وعاش حميدا. ولقد رأيت الدهر ليس بقائل.

مراجع: الوافي بالوفيات/ المعرفة والتاريخ/ تاريخ المدينة/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ الخلفاء الراشدين فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب/ تاج العروس/ تهذيب الأسماء/ لسان العرب/ الاغاني/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) ونباتة بن الحارث ؟ 0094

عن أصبغ بن نباتة[1] ، قال: خرجت أنا وأبي[2] من زرود* حتى نتهي إلى المدينة في غلس*، والناس في الصلاة فانصرف الناس من صلاتهم وخرج الناس إلى أسواقهم، فدخل إلينا رجل معه دره، فقال: يا أعرابي أتبيع؟، فلم يظل يساوم أبي حتى أرضاه على ثمن، وإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل يطوف في السوق، ويأمرهم بتقوى الله يقبل فيه ويدبر، ثم مر على أبي، فقال: حبستني ليس هذا وعدتني، ثم مر الثانية، فقال له مثل ذلك، فرد عليه عمر: لا أريم حتى أوفيك، ثم مر به الثالثة فوثب أبي مغضبا فأخذ ثياب عمر، فقال له: كذبتني وظلمتني، ولهزه*، فوثب المسلمون إليه: يا عدو الله، لهزت أمير المؤمنين، فأخذ عمر رضي الله عنه ثياب أبي فجره لا يملك من نفسه شيئا وكان شديدا فانتهى إلى قصاب، فقال: عزمت عليك أو أقسمت عليك لتعطين هذا حقه، وأهبك ربحي، وكان عمر باع الغنم منه، فقال: يا أمير المؤمنين لا، ولكن أعطي هذا حقه، وأهبك ربحك، فأخرج حقه، فأعطاه، فقال له عمر: استوفيت؟، فقال: نعم، فقال عمر رضي الله عنه بقي حقنا عليك لهزتك التي لهزتني، قد تركتها لله عزوجل ولك، قال أصبغ: فكأني أنظر إلى عمر أخذ ربحه لحما فعلقه في يده، وفي يده اليمنى الدرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله.

----

*(زرود) من أشهر منازل الحاج العراقي بعد الثعلبية وقبل الأجفر للمتجه إلى مكة، ويبعد عن الإجفر 58 كيلا، وعن مدينة حائل بنحو 170 كيلا، وهي لبني مجاشع من تميم، والآن مياه قبيلة شمر (الغلس) ظلمة آخر الليل (لهزه) ضربه بجمعه في لهازمه ورقبته

■ (2) نباتة بن الحارث بن عمرو بن فاتك بن عامر بن مجاشع بن دارم من بني تميم ؟

■ (1) أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي الكوفي يكنى أبا القاسم متروك رمي بالرفض من الثالثة

ذكر ابن الجوزي عن الشعبي قال: سمع الناس قول عمر رضي الله عنه ورأوا عمله، وكان يمشي في الأسواق ويطوف في الطرقات، ويقضي بين الناس في قبائلهم، ويعلمهم في أماكنهم، ويخلف الغزاة في أهليهم، ذكروا أبا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: كان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بأبي بكر رضي الله عنه، وأبو بكر أعلم بعمر، فكان أبو بكر مع لينه أقواهم فيما لانوا عنه، وألينهم فيما ينبغي، وكان عمر ألينهم فيما ينبغي، وأقواهم على أمرهم. وعن عبد الله بن بريد، قال: ربما أخذ عمر رضي الله عنه بيد الصبي فيجيء به فيقول: ادع لي فإنك لم تذنب بعد. وعن محمد قال: كان عمر رضي الله عنه يشاور حتى المرأة. وعن يوسف بن يعقوب الماجشون، قال: قال لي ابن شهاب ولأخ لي، ولابن عم لي، ونحن صبيان أحداث: لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر رضي الله عنه كان إذا نزل به الأمر دعا الصبيان فاستشارهم، يبتغي حدة عقولهم. وعن أبي عبد الله قال: قال عمررضي الله عنه: من خاف الله لم يشف غيظه، ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون. وعن نعيم بن أبي هند قال: قال عمر رضي الله عنه: من قال: أنا مؤمن، فهو كافر، ومن قال: هو عالم، فهو جاهل، ومن قال: هو في الجنة، فهو في النار.وعن قبيص بن جابر، قال: قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنك رجل حدث السن، فصيح اللسان، فسيح الصدر، وأنه يكون في الرجل عشرة أخلاق حسنة، وخلق سيئ فيغلب الخلق السيئ التسعة الأخلاق الحسنة، فاتق عثرات الأشياء. وعن مسروق قال: تذاكرنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحسب فقال: حسب المرء دينه، وأصله عقله، ومروءته خلقه، وعن يونس بن عبيد أن عمر رضي الله عنه قال: بحسب امرئ من الغي أن يؤذي جليسه فيما لا يعنيه، أو يجد على الناس فيما يأتي، وأن يظهر له من الناس ما يخفى عليه من نفسه.وعن عبيد بن أم كلاب أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس يقول: لا يعجبكم من الرجل طنطنته، ولكن من أدى الأمانة، وكف عن أعراض الناس فهو الرجل. وعن محمد بن عاصم قال: بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا رأى فتى فأعجبه، سأل عنه: هل له حرفة؟، فإن قيل: لا، سقط من عينه وعن عطاء قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن أموت بين شعبتي رحل أسعى في الأرض أبتغي من فضل الله كفاف وجهي أحب إلي من أن أموت غازيا. وعن أبي قلابة: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تنظروا إلى صيام أحد ولا صلاته ولكن انظروا إلى صدق حديثه إذا حدث وإلى أمانته إذا ائتمن، وورعه إذا أشفى.وعن أبي مجلز قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أبالي على ما أصبحت، على ما أحب، أو على ما أكره، لأني لا أدري الخيرة لي فيما أحب أو ما أكره. وعن يحيى بن جعدة قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لولا أن أسير في سبيل الله، أو أضع جنبي لله في التراب أو أجالس قوما يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب الثمر، لأحببت أن أكون قد لحقت بالله.

يقول ابن المبرد: فجميع ما ذكر في سيرته من الأحاديث يدل على شدة تعبده واجتهاده، فإنه كان من الصلاة إلى الغاية القصوى، والصوم فإنه كان يصوم الدهر في آخر أمره، والصدقة كان لا يترك شيئا، والحج كان لما ولي الخلافة يحج كل عام، والجهاد غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم جميع المشاهد، وغزا بعده وجميع ما وقع في خلافته من الغزوات والفتوحات فله أجره، لأنه سببه.

عن ابن عباس: أنه دخل على عمر حين طعن فقال: أبشر يا أمير المؤمنين، أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كفر الناس، وقاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض، ولم يختلف في خلافتك رجلان، فقال عمر: أعد، فأعدت، فقال عمر: المغرور من غررتموه، لو أن لي ما على ظهرها من بيضاء وصفراء لافتديت به من هول المطلع. وعن القاسم بن محمد: أن عمر لما طعن جاء الناس يثنون عليه، ويودعونه، فقال عمر رضي الله عنه: أبالإمارة تزكونني؟، لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عني راض، وصحبت أبا بكر رضي الله عنه فسمعت وأطعت، وتوفي أبو بكر وأنا سامع مطيع، وما أصبحت أخاف على نفسي إلا إمارتكم هذه. وعن أبي سريحة قال: سمعت عليا يقول على المنبر: ألا إن عمر ناصح الله فنصحه. وعن أوفى بن حكيم قال: لما كان اليوم الذي توفي فيه عمر خرج علينا علي رضي الله عنه قال: لله در باكية عمر واعمراه قوم الأود، وأبرأ العمد، واعمراه مات نقي الجيب، قليل العيب، واعمراه ذهب بالسنة وأبقى الفتنة. وعن ابن أبي مليكة قال: لما طعن عمر، جاء كعب، وجعل يبكي بالباب، ويقول: والله لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره. فدخل ابن عباس عليه فقال: يا أمير المؤمنين، هذا كعب، يقول كذا وكذا، قال: إذا والله لا أسأله، ثم قال: ويل لي ولأمي إن لم يغفر الله لي. وذكر أبو القاسم الأصفهاني عن سعيد بن المسيب: أن عمر رضي الله عنه لما نفر من منى أناخ بالأبطح فكوم كومة من بطحاء، فألقى عليها طرف ثوبه، ثم استلقى عليها، ورفع يديه إلى السماء، فقال: اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني غير مضيع، ولا مفرط، ثم قدم المدينة، فخطب الناس فقال: يا أيها الناس، فرضت لكم الفرائض، وسنت لكم السنن وتركتم على الواضحة، ألا لا تضلوا بالناس يمينا وشمالا، فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن فمات. وفي أمالي الجوهري عن عبد خير قال: قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين من أول الناس دخولا الجنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر وعمر. قلت: يا أمير المؤمنين، يدخلان قبلك؟ قال: إي والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنهما ليأكلان من ثمارها ويتكآن على فرشها.

عن أبي سعيد الخدري قال: ﴿جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، حَتَّى قَالَ لَهُ: أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِلَّا قَضَيْتَنِي، فَانْتَهَرَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: وَيْحَكَ تَدْرِي مَنْ تُكَلِّمُ؟ قَالَ: إِنِّي أَطْلُبُ حَقِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلَّا مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ؟ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فَقَالَ لَهَا: إِنْ كَانَ عِنْدَكِ تَمْرٌ فَأَقْرِضِينَا حَتَّى يَأْتِيَنَا تَمْرُنَا فَنَقْضِيَكِ، فَقَالَتْ: نَعَمْ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَأَقْرَضَتْهُ، فَقَضَى الْأَعْرَابِيَّ وَأَطْعَمَهُ، فَقَالَ: أَوْفَيْتَ، أَوْفَى اللهُ لَكَ، فَقَالَ: أُولَئِكَ خِيَارُ النَّاسِ، إِنَّهُ لَا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ﴾ (متعتع) أي غير خائف.وعن خولة بنت قيس امرأة حمزة بن عبد المطلب قالت: ﴿كَانَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسْقٌ مِنْ تَمْرٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ فَأَتَاهُ يَقْضِيهِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَقْضِيَهُ فَقَضَاهُ تَمْرًا دُونَ تَمْرِهِ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ فَقَالَ: أَتَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ أَحَقُّ بِالْعَدْلِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فَاكْتَحَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدُمُوعِهِ، ثُمَّ قَالَ:صَدَقَ، مَنْ أَحَقُّ بِالْعَدْلِ مِنِّي؟! لَا قَدَّسَ اللهُ أُمَّةً لَا يَأْخُذُ ضَعِيفُهَا حَقَّهُ مِنْ شَدِيدِهَا، وَلَا يُتَعْتِعُهُ. ثُمَّ قَالَ: يَا خَوْلَةُ، عُدِّيهِ وَاقْضِيهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ غَرِيمٍ يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِ غَرِيمِهِ رَاضِيًا إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ دَوَابُّ الْأَرْضِ، وَنُونُ الْبِحَارِ، وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَلْوِي غَرِيمَهُ، وَهُوَ يَجِدُ إِلَّا كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِثْمًا﴾ وعن الحسن عن أبي برزة: ﴿أَنَّ رَجُلا أَغْلَظَ لأَبِي بَكْرٍ فَقَالَ عُمَرُ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ: مَهٍ* مَا كَانَتْ لأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ يقول الله تعالى:﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء] (الأمانات) جمع أمانة وهي كل ما اؤتمن عليه من حق مادي أو معنوي (أهلها) أصحابها (بالعدل) هو إعطاء كل ذي حق حقه دون محاباة (نعما يعظكم به) نعم الشيء الذي يعظكم به وهو أداء الأمانات والحكم بالعدل.

مراجع: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ الأعلام للزركلي/ الطبقات الكبرى/.

أخرج عبد الرزاق عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر رضي الله عنه استعمل قدامة بن مظعون[1] على البحرين وهو خال حفصة[2] وعبد الله[3] بني عمر، فقدم الجارود[4]، سيد عبد القيس[5] على عمر من البحرين فقال: يا أمير المؤمنين، إن قدامة شرب فسكر، وإني رأيت حدا من حدود الله حقا علي أن أرفعه إليك. قال: من يشهد معك؟ قال: أبو هريرة[6]، فدعا أبا هريرة فقال: بم تشهد؟ قال: لم أره شرب ولكني رأيته سكران يقيء. فقال: لقد تنطعت في الشهادة ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من البحرين، فقدم، فقال الجارود: أقم على هذا كتاب الله، فقال عمر: أخصم أنت أم شهيد؟ فقال: شهيد، فقال: قد أديت شهادتك. قال: فصمت الجارود ثم غدا على عمر فقال: أقم على هذا حد الله، فقال عمر: ما أراك إلا خصما وما شهد معك إلا رجل واحد، فقال الجارود: أنشدك الله، فقال عمر: لتمسكن لسانك أو لأسوأنك، فقال: يا عمر، ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوؤني؟ فقال أبو هريرة: يا أمير المؤمنين، إن كنت تشك في شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد[7] فاسألها وهي امرأة قدامة. فأرسل عمر إلى هند بنت الوليد ينشدها، فأقامت الشهادة على زوجها. فقال عمر لقدامة: إني حادك، فقال: لو شربت كما تقول ما كان لكم أن تحدوني، فقال عمر: لم؟ قال قدامة: قال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة] الآية. فقال عمر: أخطأت التأويل إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله، ثم أقبل عمر على الناس فقال: ما ترون في جلد قدامة؟ فقالوا: لا نرى أن تجلده ما دام مريضا. فسكت على ذلك أياما ثم أصبح وقد عزم على جلده، فقال: ما ترون في جلد قدامة؟ فقالوا: لا نرى أن تجلده ما دام وجعا. فقال عمر: لأن يلقى الله تحت السياط أحب إلي من أن ألقاه وهو في عنقي، ائتوني بسوط تام، فأمر به فجلد. فغاضبه قدامة، وهجره، فحج عمر وحج قدامة وهو مغاضب له. فلما قفلا من حجهما ونزل عمر بالسقيا نام. فلما استيقظ من نومه قال: عجلوا بقدامة، فوالله لقد أتاني آت في منامي فقال لي: سالم قدامة فإنه أخوك، فعجلوا علي به، فلما أتوه أبى أن يأتي، فأمر به عمر أن يجروه إليه؛ فكلمه واستغفر له، فكان ذلك أول صلحهما.

عن محمد بن جعفر قال: لما توفي العلاء بن الحضرمي[8] وهو عامل البحرين لعمر استعمل عمر قدامة بن مظعون عليها فخرج يغزو بعض بلاد الأعاجم فأصابهم في مسيرهم نصب وعذر فمروا ببيت مفتوح فدخله قدامة والأرقم بن أبي الأرقم[9] وعياش بن أبي ربيعة المخزومي[10] وابن حنظلة الرزقي الأنصاري فوجدوا فيه طعاما كثيرا وخمرا في جرار فأكل قدامة وبعض من معه وشربوا من تلك الخمر ثم لحقهم أبو هريرة فمر بالبيت فدخله فوجدهم فأنكر عليهم ما صنعوا فقال: ما لك ولهذا يا ابن أبيه؟ وقال عياش: إني والله ما كنت من أمرهم بسبيل ولا شربت ما شربوا. قال: فما لك معهم. قال: استظللت بظلهم واستقاء فقاء كسرا أكلها وشرب عليها ماء فركب الجارود العبدلي ورجل من بني رياح بن يربوع بن حنظلة كان خصيا في الجاهلية فكان يقال له خصي بني رباح في نفر من أهل البحرين حتى قدموا على عمر فذكروا له أمر قدامة وشهدوا عليه بشرب الخمر فسبهم وغضب عليهم غضبا شديدا وأبى أن ينزلهم ومنع الناس أن ينزلوهم ومر الجارود بمنزل عمر وابنة له تطلع وهي ابنة أخت قدامة فقالت: والله لأرجو أن يخزيك الله، فقال: إنما يخزي الله العينين اللتين تشبهان عينيك أو يأثم أبوك ورجا عمر أن ينزعوا عن شهادتهم وأعظم ما قالوا وأرسل إلى الجارود: لقد هممت أن أقتلك أو أحبسك بالمدينة فلا تخرج منها أبدا أو أمحوك من العطاء فلا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا. فأرسل إليه الجارود: إن قتلتني فأنت أشقى بذاك وإن حبستني بالمدينة فما بلد أحب إلي من بلد فيه قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره ومهاجره وإن محوتني من العطاء ففي مالي سعة ويكون عليك مأثم ذاك وتباعته فلما رأى عمر أنهم لا ينزعون ولا يزدادون إلا شدة أرسل إليهم وسمع منهم وقال: والله ما استعملت عاملا قط لهوى لي فيه إلا قدامة ثم والله ما بارك الله لي فيه ثم كتب إلى أبي هريرة: إن كان ما شهدوا حقا فاجلد قدامة الحد وأعدل، فلما جاء كتاب عمر أبا هريرة جلد قدامة الحد فقدم قدامة على عمر فتظلم من أبي هريرة فقدم أبو هريرة فأرسل إليه عمر: خاصم قدامة فإنه قد تظلم منك فقال: لا حتى يرجع إلى عقلي ويذهب عني نصب السفر وأنام فإن قد سهدت* في سفري فلبث ثلاثا ثم خاصم قدامة في بيت عمر وعند عمر زينب بنت مظعون[11] وهي أم حفصة وعبد الله ابني عمر فتراجعا فكان أبو هريرة أطولهما لسانا ففزعت بنت مظعون فقالت: لعنك الله من شيخ طويل اللسان ظالم، فقال أبو هريرة: بل لعنك الله من عجوز حمراء رمضاء بديء لسانها فاحشة في بيتها، فقال قدامة: يا أمير المؤمنين سله لم جلدني قال: جلدتك بالذي رأيت منك قال: هل رأيتني أشرب الخمر؟ قال: لا، قال عمر: الله أكبر، قال أبو هريرة: يرحم الله أبا بكر، تشتمني زوجتك وتقضي بيني وبين ختنك في بيتك وتعين علي بالتكبير، فقال عمر: فقوموا. فقاموا جميعا حتى جلسنا في المسجد واجتمع عليهم الناس، فقال قدامة: أنشدك الله هل رأيتني أشرب الخمر؟ قال: لا. قال: فهل رأيتني أشتريها؟ قال: لا. قال: فهل رأيتني أحملها؟ قال: لا. قال: فهل رأيتها تحمل إلي؟ قال: لا. قال: الله أكبر، ففيم جلدتني؟! قال: جلدتك أني رأيتك تقيئها تخرجها من بطنك فمن أين أدخلتها ! قال قدامة: وإنك بالخمر لعالم؟ قال: نعم والله ولقد كنت أشربها ثم ما شربتها بعدما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر: تب إلى الله يا قدامة، اللهم، صدق وكذبت وبر وفجرت تب إلى الله، وكان ابن جندب الهذلي أتاه بالبحرين فوصله فلما ضربه عمر في الشراب قال ابن جندب: أؤمل خيرا من قدامة بعدما..علا السوط منه كل عظم ومفصل.. شربت حراما يا قدامة فأرسلت..عليك سياط الشارب الخمر من عل..فلا تشربن خمرا قدامة إنها..حرام على أهل الكتاب المنزل.

----

*(سهد) قليل النوم: وسهدت فلانا، إذا أطرت نومه.

■ (1) قدامة بن مظعون بن حبيب الجمحي، يكنى أبا عمرو، أو أبو عمر، وهو أخو عثمان بن مظعون، وخال حفصة وعبد الله ابن عمر، وزوج عمتهما صفية بنت الخطاب، وهو من السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة وشهد المشاهد كلها واستعمله عمر على البحرين، ثم عزله لشربه الخمر، وأقام عليه الحد في المدينة. توفي سنة 36 هـ

■ (2) أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، سنة 2 هـ، وكانت ولادتها قبل البعثة بخمس سنوات، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنها كثيرون منهم أخوها عبد الله، ماتت سنة 45 هـ في زمن معاوية.

■ (3) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

■ (6) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق. ولد سنة 21 ق. هـ تولى ولاية البحرين في خلافة عمر، كما تولى إمارة المدينة. ثم لزم المدينة يعلم الناس الحديث النبوي، ويفتيهم، حتى وفاته سنة 59 هـ

■ (7) هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشية العبشمية. وهي ابنة خال معاوية. سماها أبو عمر فاطمة. وقال الدار قطني: سماها مالك فاطمة، وخالفه غيره عن الزهري، فقالوا: هند. وهو الصواب.

■ (4) بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى العبدي: سيد عبد القيس وهم بطن من أسد ربيعة كان شريفا في الجاهلية، قيل: لقب الجارود بعد وقعة أغار بها على بني بكر بن وائل، فظفر، وقالت العرب: جردهم ! وأدرك الإسلام، فوفد على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من قومه، وكانوا نصارى، فأسلم، وفرح النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامه وأكرمه. وعاش إلى زمن الردة فثبت على عهده. ووجهه الحكم بن أبي العاص على القتال يوم سهرك فقتل في عقبة الطين موضع بفارس شهيدا سنة 20 هـ وقيل سنة 21 هـ.

■ (5) عبد القيس قبيلة كبيرة يسكنون البحرين ينسبون إلى عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جليلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، وذكر ابن حجر في الفتح أن لهم وفادتين إحداهما قبل الفتح سنة خمس أو قبلها، ولهذا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: بيننا وبينك كفار مضر، وكانت قريتهم بالبحرين أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة، وكان عددهم ثلاثة عشر، وسألوا عن الايمان والاشربة، وكان فيهم الاشج كما هو مبين في الحديث، أما الوفادة الثانية فكانت في سنة الوفود، وكان عددهم حينئذ أربعين رجلا، وكان فيهم الجارود العبدي، (انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وبهامشه الجامع الصحيح).

■ (8) العلاء بن الحضرمي واسمه العلاء بن عبد الله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مقنع بن حضر موت. كان من حلفاء بني أمية، ومن سادة المهاجرين. وأخوه ميمون بن الحضرمي هو المنسوب إليه بئر ميمون التي بأعلى مكة، احتفرها قبل المبعث. وأخواهما: عمرو وعامر. ولاه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، البحرين، ثم وليها لابي بكر وعمر. وقيل: إن عمر بعثه على إمرة البصرة، فمات قبل أن يصل إليها. وولي بعده البحرين لعمر أبو هريرة.

■ (9) الارقم بن أبي الارقم ابن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة المخزومي. صاحب النبي صلى الله عليه وسلم. من السابقين الاولين. اسم أبيه عبد مناف. كان الارقم أحد من شهد بدرا. وقد استخفى النبي صلى الله عليه وسلم في داره، وهي عند الصفا. وكان من عقلاء قريش. عاش إلى دولة معاوية. وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الارقم يوم بدر سيفا. واستعمله على الصدقة. وقد وهم أحمد بن زهير في قوله: إن أباه أبا الارقم أسلم. وغلط أبو حاتم، إذ قال: إن عبد الله بن الارقم هو ابن هذا، ذاك زهري ولي بيت المال لعثمان؛ وهذا مخزومي. قيل: الارقم عاش بضعا وثمانين سنة. توفي بالمدينة. وصلى عليه سعد بن أبي وقاص بوصيته إليه. وقال عثمان بن الارقم: توفي أبي سنة ثلاث وخمسين، وله ثلاث وثمانون سنة.

■ (10) عياش بن أبي ربيعة واسمه عمرو ويقال له ذو الرمحين بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن المخزومي صاحب رسول الله أخو عبد الله بن أبي ربيعة لأبويه وأخو الحارث بن هشام وأبي جهل بن هشام لأمهما وبن عمهما واسم أمهم أسماء الكبرى بنت مخربة وهو أحد المستضعفين الذين كان النبي يدعو لهم في الصلاة وهاجر إلى أرض الحبشة ثم هاجر إلى المدينة ومات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب وقيل أنه قتل يوم اليرموك وقيل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق.

■ (11) زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشية الجمحية، أخت عثمان بن مظعون. وهي زوج عمر بن الخطاب وأم ولده عبد الله بن عمر، وأم حفصة بنت عمر، وعبد الرحمن بن عمر. قال أبو عمر: ذكر الزبير أنها كانت من المهاجرات. قال أبو عمر: أخشى أن يكون وهما، لأنه قد قيل: إنها ماتت مسلمة بمكة قبل الهجرة، وحفصة ابنتها من المهاجرات.

☪

أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: حرمت الخمر ثلاث مرات قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة] إلى آخر الآية، فقال الناس: ما حرم علينا إنما قال: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ وكانوا يشربون الخمر حتى إذا كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب خلط في قراءته فأنزل الله فيها آية أغلظ منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء] وكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مفيق ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة] فقالوا: انتهينا ربنا. فقال الناس: يا رسول الله، ناس قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجسا ومن عمل الشيطان فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ [المائدة] إلى آخر الآية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَوْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ لَتَرَكُوهَا كَمَا تَرَكْتُمْ﴾. قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة] قال أبو جعفر: قيل (إذا ما اتقوا) الشرك (وآمنوا) وصدقوا (ثم اتقوا وآمنوا) ازدادوا إيمانا (ثم اتقوا) الصغائر حذرا (وأحسنوا) تنفلوا، وقال محمد بن جرير: الاتقاء الاول هو الاتقاء بتلقي أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل والاتقاء الثاني الاتقاء بالثبات على التصديق والثالث الاتقاء بالإحسان والتقرب بالنوافل. وعن عمرو بن شرحبيل أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب أنه قال: اللهم، بين لنا في الخمر بيان شفاء. فنزلت التي في البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الآية، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم، بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في النساء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾، فدعي عمر فقرئت عليه، ثم قال: اللهم، بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: انتهينا انتهينا. وعن منذر بن أبي الاشرس: أن عمر رضي الله عنه لما ضرب قدامة بن مظعون رحمه الله غشي عليه في خمسة وستين، فقال عمر: لو مات لجلدته بقيتها على قبره.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ تاريخ المدينة/ معاني القرآن اللنحاس/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ فضائل الشام/ أسد الغابة/

عن هرم بن حيان[1] أنه قال: إياكم والعالم الفاسق، فبلغ عمر بن الخطاب، فكتب إليه، وأشفق منها: ما العالم الفاسق؟ فكتب إليه هرم: يا أمير المؤمنين، والله ما أردت به إلا الخير، يكون إمام يتكلم بالعلم، ويعمل بالفسق، ويشبه على الناس فيضلوا. قال الإمام الذهبي. قلت: إنما أنكر عليه عمر أنهم لم يكونوا يعدون العالم إلا من عمل بعلمه. وكان هرم بن حيان ثقة وله فضل وعبادة، ولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان بأرض فارس.

استعمل هرم بن حيان فظن أن قومه سيأتونه، فأمر بنار فأوقدت بينه وبين من يأتيه من القوم، فجاء قومه يسلمون عليه من بعيد، فقال: مرحبا بقومي، ادنوا، فقالوا: ما نستطيع أن ندنو منك، قد حالت النار بيننا وبينك، قال: فأنتم تريدون أن تلقوني في نار أعظم منها، في نار جهنم، قال: فرجعوا. قيل: وبعث عمر هرم بن حيان على الخيل فغضب على رجل، فأمر به، فوجئت عنقه*، ثم أقبل على أصحابه فقال: لا جزاكم الله خيرا، ما نصحتموني حين قلت، ولا كفقتموني عن غضبي. والله لا ألي لكم عملا، ثم كتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين، لا طاقة لي بالرعية، فابعث إلى عملك. وعن أبي عمران الجوني أن هرم بن حيان أشرف في ليلة قمراء وإذا صاحب حرسه يلعب الخراج فدعاه فقال: إذا كان غدا فصم، فصنع ذلك به ثلاث ليال، ثم قال: اذهب الآن فالعب الخراج، قال: وكان هرم عاملا لعمر بن الخطاب.

قال أبو عبيدة بن المثنى وغيره: في سنة 18 هـ حاصر هرم بن حيان أهل دست هر*، فرأى ملكهم امرأة (؟) تأكل ولدها، فقال: الآن أصالح العرب، فصالح هرما على أن خلى لهم المدينة. وفيها نزل الناس الكوفة، وبناها سعد[2] باللبن، وكانوا بنوها بالقصب فوقع بها حريق هائل. وفيها كان طاعون عمواس بناحية الأردن، فاستشهد فيه خلق من المسلمين. ويقال إنه لم يقع بمكة ولا بالمدينة طاعون. ووجه عثمان بن أبي العاص[3] أمير البحرين، هرم بن حيان إلى قلعة بجرة، يقال لها: قلعة الشيوخ، فافتتحها عنوة، وسبى أهلها، وصالح أهل قلعة الرهبان من كازرون* سنة 26 في خلافة عثمان. ومات بعدها في إحدى غزواته.

----

* (وجأت عنقه) ضربته. و وجأ: الوجء اللكز و وجأه باليد والسكين وجأ مقصور: ضربه و وجأ في عنقه كذلك (أهل دست هر) في رواية قال: أبر شهر: وهي مدينة نيسابور (كازرون) مدينة بفارس عامرة حصينة كثيرة الغلات وافرة الثمرات، كلها قصور وبساتين ونخيل ممتدة عن يمين وشمال..

■ (1) هرم بن حيان العبدي الربعي ويقال الأزدي. أحد الزهاد الثمانية. من كبار التابعين، وقيل: من صغار الصحابة، ولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان بأرض فارس. قال ابن سعد: كان عاملا لعمر، مات بعد سنة 26 في إحدى غزواته. قال الصفدي: توفي في حدود 80 هـ.

■ (3) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان، من ثقيف، من أهل الطائف. أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله النبي على الطائف، فبقي في عمله إلى أيام عمر. ثم ولاه عمر عمان والبحرين سنة 15 هـ، وكتب له أن يستخلف على الطائف من أحب، فاستخلف أخاه الحكم. واستمر في البحرين إلى أن آلت الخلافة لعثمان بن عفان، فعزله، فسكن البصرة إلى أن توفي سنة 51 هـ. له فتوح وغزوات بالهند وفارس. وفي البصرة موضع يقال له شط عثمان منسوب إليه. وهو الذي منع ثقيفا عن الردة: خطبهم فقال: كنتم آخر الناس إسلاما فلا تكونوا أولهم ارتدادا.

■ (2) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري المديني، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ.

حدث راشد بن سعد أن أبا راشد حدثهم يرده إلى عمرو بن معدي كرب بن عبد كلال: أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سافرت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، آخر سفرة إلى الشام، فلما شارفوا أخبروا أن الطاعون فيها، فقيل له: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك تقحم عليه، كما أنه لو وقع بأرض وأنت فيها ما كان ينبغي لك أن تخرج عنه، فرجع متوجها إلى المدينة، قال: فبينا نحن نسير من الليل إذ قال لي: أعرض عن الطريق فعرضت، وعرض فنزل عن راحلته ثم وضع رأسه على ذراع جمله فنام، فلم أستطع أنام، ثم ذهب يقول: ما لي وهم، ردوني عن الشام، ثم ركب فلم أسأله عن شيء، حتى إذا ظننت أنا نخالط الناس، قلت له: لم قلت ما قلت حين انتبهت من نومك؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ليبعثن من بين حائط حمص والزيتون في البرث الأحمر سبعون ألفا، ليس عليهم عذاب ولا حساب، ولئن رجعني الله من سفري هذا، لأحتملن عيالي وأهلي حتى أنزل حمص، فرجع من سفره ذلك فقتل رضي الله عنه. هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. تعليق الذهبي في التلخيص: بل منكر.

خرج هرم بن حيان وعبد الله بن عامر[1] يريدان الحجاز، فبينا هما يسيران، ورواحلهما ترعيان إذ عرضت لهما صليانة*، فابتدر لها الناقتان، فأكلتها إحداهما، فقال هرم لعبد الله بن عامر: أتحب أن تكون هذه الصليانة تأكلك هذه الناقة فذهبت؟ فقال ابن عامر: ما أحب ذلك، فإني أرجو أن يدخلني الله الجنة، وإني لأرجو، وإني لأرجو، فقال هرم: والله لو علمت أن أطاع في نفسي لأحببت أن أكون هذه الصليانة فأكلتني هذه الناقة فذهبت.

بات هرم بن حيان عند حممة[2]، فبات حممة باكيا حتى أصبح، فقال له هرم: يا أخي، ما أبكاك الليلة؟ قال: ذكرت ليلة صبيحتها تناثر الكواكب. قال: وبات حممة عند هرم ليلة فبات هرم باكيا حتى أصبح، فقال له حممة: ما أبكاك يا أخي؟ قال: ذكرت ليلة صبيحتها تبعثر القبور للمحشر إلى الله. وكانا إذا أصبحا غدوا، فمرا بأكورة الحدادين فنظرا إلى الحديد ينفخ عليه، فيقفان، ويبكيان، ويستجيران بالله من النار، ثم يأتيان أصحاب الرياحين، فيقفان فيسألان الله الجنة، ثم يدعوان بدعوات ثم يتفرقان. قال هرم بن حيان: لو قيل لي: إنك من أهل النار لم أترك العمل لئلا تلومني نفسي، تقول: ألا صنعت؟ ألا فعلت؟. كان هرم بن حيان يقول: اللهم، إني أعوذ بك من زمان يمرد فيه صغيرهم ويأمل فيه كبيرهم وتقترب فيه آجالهم قال فيقال له: أوصنا، فيقول: أوصيكم بخواتيم سورة البقرة. وكان هرم بن حيان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب أهل الإيمان إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم. قال هرم بن حيان: ما عصى الله تعالى كريم، ولا آثر الدنيا على الآخرة حكيم. وقال صالح المري: قال هرم: صاحب الكلام على إحدى منزلتين، إن قصر فيه خصم، وإن أغرق فيه أثم. كان هرم بن حيان يخرج في شطر الليل فينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة، كيف ينام طالبها، وعجبت من النار كيف ينام هاربها ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف] ثم يقرأ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ و﴿وَالْعَصْرِ﴾ وكان يقول: لو أن مناديا ينادي من أهل السماء: أين خير الأرض رجوت أن أكون أنا، ولو نادى مناد: أين شر أهل الأرض خشيت أن أكون أنا هو، ولو قيل لي: إنك من أهل الجنة ما زادني ذلك إلا اجتهادا، شكرا لربي، ولو قيل لي: إنك من أهل النار ما زادني ذلك إلا اجتهادا كيلا ألوم نفسي إن هلكت، لأني لم أهلك إلا بعد الاجتهاد. قيل لهرم بن حيان: أوص، قال: أوصيكم بالآيات الأواخر من سورة النحل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ – إلى قوله–: وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ قيل لهرم بن حيان لما حضره الموت: أوص، قال: ما أدري ما أوصي، ولكن بيعوا درعي واقضوا عني ديني، فإن لم يف فبيعوا فرسي، فإن لم يف فبيعوا غلامي، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل. قال قتادة: أوصى والله بجماع من الأمر، ومن أوصى بها أوصى فقد أبلغ.

قال الحسن: مات هرم بن حيان في يوم صائف. فلما دفن جاءت سحابة فرشت، ثم انصرفت، وأنبت العشب من يومه.

حدث إسماعيل بن أبي زيد الأنطاكي، أخو ثمامة الكاتب، قال: حدثني شيخ لنا قال: أصابت الناس زلزلة، فكتب عمر: أما بعد فإن الله ذو قدرة غالبة وعز قاهر، يعفو عمن يشاء، ويؤاخذ من أراد، وإن هذه الرجفة عتاب من الله لخلقه، فاعتبوه بطاعته، وخافوا عقابه، فإنه يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف]

حدث قتادة عن مطرف: أن عثمان بن أبي العاص، كان يكنى أبا عبد الله، قال محمد بن عمر: فلم يزل عثمان بن أبي العاص على الطائف حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلافة أبي بكر الصديق، وخلافة عمر بن الخطاب، حتى إذا أراد عمر أن يستعمل على البحرين، فسموا له عثمان بن أبي العاص، فقال: ذاك أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف، فلا أعزله، قالوا له: يا أمير المؤمنين، تأمره يستخلف على عمله من أحب، وتستعين به، فكأنك لم تعزله، فقال: أما هذا فنعم، فكتب إليه أن خلف على عملك من أحببت واقدم علي، فخلف أخاه الحكم بن أبي العاص على الطائف، وقدم على عمر بن الخطاب، فولاه البحرين، فلما عزل عن البحرين، نزل البصرة، هو وأهل بيته وشرفوا بها والموضع الذي بالبصرة يقال له شط عثمان، إليه ينسب، وأخوه الحكم بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان وقد صحب النبي صلى الله عليه وسلم.

----

* (الصليان) بقلة، الواحدة صليانة

■ (1) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة، أبو عبد الرحمن، ولد بمكة سنة 4 هـ ولاه سيدنا عثمان البصرة سنة 29 هـ وهو فاتح خراسان وغيرها وشهد وقعة الجمل مع عائشة ولم يحضر وقعة صفين. وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين ثم أقام بالمدينة ومات بمكة 59 هـ ودفن بعرفات.

■ (2) حممة بن أبي حمية الدوسي. يقال إن له صحبة وهرم بن حبان العبدي تلميذه. قيل أنه غزا أصبهان زمان عمر رضي الله عنه فقال: اللهم، إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك. اللهم، إن كان صادقا فاعزم عليه وصدقه وإن كان كاذبا فاحمله عليه وإن كره. اللهم، لا ترجع حممة من سفره هذا. فمات بأصبهان. فقال الأشعري: يا أيها الناس إنا والله ما سمعنا من نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا يبلغ علمنا إلا أن حممة شهيد ودفن بأصبهان.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ الطبقات الكبرى/ لسان العرب/ تاج العروس/ أسد الغابة/ الثقات لابن حبان/ أنساب الأشراف/ المتفق والمفترق للخطيب البغدادي/ المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص/ المتفق والمفترق للخطيب/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) وصبيغ بن شريك 0097

قال صبيغ بن عسل[1]: جئت عمر بن الخطاب زمان الهدنة، وعلي غديرتان* وقلنسية*، فقال عمر: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿يَخْرُجُ مِنَ الْمَشْرِقِ حُلْقَانُ الرُّؤُوسِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلُوهُ، وطُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ﴾ [أخرجه ابن عساكر] ثم أمر عمر ألا أؤوى ولا أجالس. قال سعيد بن المسيب: جاء الصبيغ التميمي إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات] قال: هي الريح، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته. قال: فأخبرني عن ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ قال: السحاب، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما قلته. قال: فأخبرني عن﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ قال: هي الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما قلته، قال: فأخبرني عن ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ قال: هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته. قال: فأمر به عمر رضي الله عنه فضرب مئة، وجعل في بيت، فإذا برىء دعا به فضربه مئة أخرى. ثم حمله على قتب، وكتب إلى أبي موسى[2]: حرم على الناس مجالسته. فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى فحلف له بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان شيئا. فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب إليه: ما أخاله إلا قد صدق، فخل بينه وبين مجالسته الناس.

وفي رواية أخرى بمعناه: واحملوه على قتب، وابلغوا به حيه. ثم ليقم خطيب فيقل: إن صبيغا طلب العلم وأخطأه، فلم يزل وضيعا في قومه بعد أن كان سيدا فيهم. وفي حديث آخر أنه لما سأله قال له عمر: ضع عن رأسك، فإذا له وفرة* فقال عمر: أما والله، لو رأيتك محلوقا لضربت الذي فيه عيناك، ثم كتب إلى أهل البصرة -أو إلينا- لا تجالسوه. قال: فلو جاء ونحن مئة لتفرقنا. قال محمد بن سيرين: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالس صبيغ، وأن يحرم عطاءه ورزقه. وكان صبيغ بالبصرة كأنه بعير أجرب، يجيء إلى الحلقة، ويجلس، وهم لا يعرفونه، فتناديهم الحلقة الأخرى: عزمة أمير المؤمنين عمر، فيقومون ويدعونه. وعن سليمان بن يسار: أن رجلا من بني تميم، يقال له صبيغ بن عسل قدم المدينة، وكان عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر، فبعث إليه، وقد أعد له عراجين* النخل فلما دخل عليه قال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، قال عمر وأنا عبد الله عمر وأومأ إليه، فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجه وجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب الذي أجد في رأسي. قال السائب بن يزيد[3]: أتى عمر بن الخطاب فقيل: يا أمير المؤمنين إنا لقينا رجلا يسأل عن تأويل مشكل القرآن، فقال عمر: اللهم، أمكني منه، فبينما عمر ذات يوم جالس يغدي الناس إذ جاء وعليه ثياب وعمامة صغراء -صفراء ؟-، حتى إذا فرغ قال: يا أمير المؤمنين ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات] فقال عمر: أنت هو، فقام إليه وحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته، فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقا لضربت رأسك، ألبسوه ثيابا واحملوه على قتب، وأخرجوه حتى تقدموا به بلاده، ثم ليقم خطيب، ثم يقول: إن صبيغا ابتغى العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعا في قومه حتى هلك، وكان سيد قومه. وعن أبي عثمان النهدي عن صبيغ أنه سأل عمر عن المرسلات والذاريات والنازعات، فقال له عمر: ألق ما على رأسك فإذا له ضفيرتان، فقال له: وجدتك محلوقا لضربت الذي فيه عيناك، ثم كتب إلى أهل البصرة أن لا تجالسوا صبيغا، قال أبو عثمان: فلو جاء ونحن مائة لتفرقنا عنه. وعن أبي هريرة [4]قال: كنا عند عمر بن الخطاب إذا جاءه رجل يسأله عن القرآن أمخلوق هو أم غير مخلوق؟ فقام عمر فأخذ بمجامع ثوبه حتى قاده إلى علي بن أبي طالب[5]، فقال يا أبا الحسن ألا تسمع ما يقول هذا؟ قال وما يقول؟ قال جاء يسألني عن القرآن؟ أمخلوق هو أم غير مخلوق؟ فقال علي: هذه كلمة وسيكون لها عزة لو وليت من الأمر ما وليت لضربت عنقه.حدث الليث بن سعد عن نافع[6]مولى ابن عمر أن صبيغا العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه قال أين الرجل؟ قال في الرحل فقال عمر ابصر أن يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الموجعة فأتاه به فقال له عمر: عم تسأل؟ فحدثه، فأرسل عمر إلى رطائب الجريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبره ثم تركه حتى برأ ثم عاد له ثم تركه حتى برأ ثم عاد به ليعود له فقال صبيغ يا أمير المؤمنين إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برأت فإذن له إلى أرضه وكتب له إلى أبي موسى الأشعري إلا يجالسه أحد من المسلمين فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى إلى عمر إنه قد حسنت هيئته فكتب عمر أن ائذن للناس في مجالسته.

----

*(العرجون) العذق أو إذا يبس واعوج ج عراجين (الوفرة) الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين منه أو ما جاوز شحمة الأذن (غديرتان) الغدائر: الذوائب، واحدتها غديرة. (قلنسية)، القلنسوة = بفتح القاف = والقلنسية = بضمها = من ملابس الرأس. وجمعها: قلانس. قلاس، أو قلانيس، أو قلاسي.

■ (1) صبيغ بن عسل، حدث عن ابن أخيه عسل بن عبد الله بن عسل. وقال ابن معين : بل هو صبيغ بن شريك. قال ابن حجر قلت: القولان صحيحان؛ وهو صبيغ بن شريك بن المنذر بن قطن بن قشع بن عسل بن عمرو بن يربوع التميمي؛ فمن قال صبيغ بن عسل فقد نسبه إلى جده الأعلى، وله أخ اسمه ربيعة شهد الجمل..وصبيغ بن شريك هو الذي كان يتتبع مشكلات القرآن فضربه عمر بن الخطاب، واتهمه برأي الخوارج، وكتب إلى أهل البصرة ألا يجالسوه. واسمه مشتق من الشيء المصبوغ. قيل: أنه كان يحمق. وفد على معاوية. ولم يزل بشر بعد جلد عمر حتى قتل في بعض الفتن، قيل توفي في خلافة معاوية.

■ (4) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق. ولد سنة 21 ق. هـ تولى ولاية البحرين في خلافة عمر، كما تولى إمارة المدينة.ثم لزم المدينة يعلم الناس الحديث النبوي، ويفتيهم، حتى وفاته سنة 59 هـ

■ (2) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من فقهاء الصحابة أصله من اليمن. أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة (قيل: ليس من مهاجرة الحبشة) ثم قدم مع أهل السفينتين (قيل: وافق قدومه قدومهم) ورسول الله بخيبر. وأرسله رسول الله مع معاذ بن جبل إلى اليمن، ولى عمر بن الخطاب أبا موسى البصرة إذ عزل عنها المغيرة في وقت الشهادة عليه وذلك سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ثم لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه فأقره، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ثم كان منه بصفين وفي التحكيم ما كان .ولما خدعه عمرو بن العاص نزل شعبا بمكة فيه شيء من القبور يعرف بشعب أبي الدر وقال أجاور قوما لا يغدرون ولم يزل حتى توفي في سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ وقيل توفي بالكوفة في داره بجانب المسجد.

■ (5) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (3) السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود، وقيل: السائب بن يزيد بن سعيد بن عائذ بن الأسود بن عبد الله بن الحارث وهو المعروف بابن أخت نمر، يكنى أبا يزيد، قيل: إنه كناني ليثي، قيل: أزدي، وقيل: كندي. وقيل: إنه هذلي، وهو حليف أمية بن عبد شمس. ولد سنة 2 هـ، وكان عاملا لعمر بن الخطاب على سوق المدينة، مع عبد الله بن عتبة بن مسعود.وتوفي سنة 80 هـ، وقيل: سنة 82 هـ وقيل: سنة 86 هـ، وقيل: سنة 91 هـ، وكان عمره 94 سنة، وقيل: 96 سنة

■ (6) نافع مولى ابن عمر يكنى أبا عبد الله، وكان من أهل أبر شهر أصابه عبد الله في غزاته وهلك سنة 117 هـ وكان له من الولد: عمر بن نافع وأبو بكر بن نافع وعبد الله بن نافع. قال الأصمعي:حدثنا العمري عن نافع، قال: دخلت مع عمر على عبد الله بن جعفر فأعطاه بي اثني عشر ألف درهم، فأبى أن يبيعني فأعتقني أعتقه الله تعالى

☪

قال الآجري[1] في الشريعة: فإن قال قائل: فمن سأل عن تفسير:﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ استحق الضرب والتنكيل به والهجر!؟، قيل له: لم يكن ضرب عمر رضي الله عنه له بسبب هذه المسألة، ولكن لما بلغ عمر ما كان يسأل عنه من متشابه القرآن من قبل أن يراه، علم أنه مفتون قد شغل نفسه بما لا يعود عليه نفعه، وعلم أن اشتغاله بطلب علم الواجبات من علم الحلال والحرام أولى به، وتطلب علم سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى به، فلما علم أنه مقبل على ما لا ينفعه، سأل عمر رضي الله عنه ربه أن يمكنه حتى ينكل به وحتى يحذر غيره، لأنه راع يجب تفقد رعيته، في هذا وفي غيره، فأمكنه الله عز وجل منه. قال ابن كثير: هذا الحديث ضعيف رفعه، وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر، فإن قصة صبيغ ابن عسل مشهورة مع عمر، وإنما ضربه لأنه ظهر من أمره فيما يسأل تعنتا وعنادا، والله أعلم. قال الشافعي[2]: حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ. قال الزعفراني وغيره:سمعنا الشافعي يقول:حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر، ينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام. قيل جاء رجل من أهل الكلام إلى الشافعي -وهو في مصر- فسأله عن مسألة من الكلام فقال له: أتدري أين أنت؟ قال الرجل: نعم. قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسؤال عن ذلك؟ قال: لا. قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قال: لا. قال: هل تدري كم نجما في السماء؟ قال: لا. قال: فكوكب منها، تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مم خلق؟ قال: لا. قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟ ثم سأله الشافعي عن مسألة من الوضوء فأخطأ فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم يصب في شيء من ذلك، فقال له: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلف علم الخالق؟ إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة] فاستدل بالمخلوق على الخالق ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك. فتاب الرجل على يد الشافعي من علم الكلام، وأقبل على فقه الكتاب والسنة، وكان يقول بعد التوبة: أنا خلق من أخلاق الشافعي. وقد أصبح هذا الرجل المزني علما من أعلام الإسلام في فقه الشافعي. وفي رواية قال المزني[3]: كنت أنظر في الكلام قبل أن يقدم الشافعي، فلما قدم أتيته، فسألته عن مسألة من الكلام، فقال لي: تدري أين أنت ؟ قلت: نعم، في مسجد الفسطاط. قال لي: أنت في تاران -قال عثمان: وتاران موضع في بحر القلزم لا تكاد تسلم منه سفينة- ثم ألقى علي مسألة في الفقه، فأجبت، فأدخل شيئا أفسد جوابي، فأجبت بغير ذلك، فأدخل شيئا أفسد جوابي، فجعلت كلما أجبت بشي، أفسده، ثم قال لي: هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس، يدخله مثل هذا، فكيف الكلام في رب العالمين، الذي فيه الزلل كثير؟ فتركت الكلام، وأقبلت على الفقه. قال محمد بن عقيل بن الأزهر: جاء رجل إلى المزني يسأله عن شئ من الكلام، فقال: إني أكره هذا، بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي، لقد سمعت الشافعي يقول: سئل مالك[4]عن الكلام والتوحيد، فقال: محال أن نظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه علم أمته الإستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد.

قال الحسين بن إسماعيل المحاملي: قال المزني: سألت الشافعي عن مسألة من الكلام، فقال: سلني عن شئ، إذا أخطأت فيه، قلت: أخطأت، ولا تسألني عن شئ إذا أخطأت فيه، قلت: كفرت. وقال صالح جزرة: سمعت الربيع[5]يقول: قال الشافعي: يا ربيع، اقبل مني ثلاثة: لا تخوضن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن خصمك النبي صلى الله عليه وسلم غدا، ولا تشتغل بالكلام، فإني قد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل. وزاد المزني: ولا تشتغل بالنجوم.

■ (4) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، ربيعة الرأي، أيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع.و حدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

■ (2) محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي الإمام زين الفقهاء وتاج العلماء. ولد في سنة 150 هـ، بغزة من بلاد الشام، وقيل باليمن، ونشأ بمكة، وكتب العلم بها، وبمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقدم بغداد مرتين، وحدث بها، وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته سنة 204 هـ.

■ (3) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني المصري، صاحب الإمام الشافعي. كان زاهدا عالما مجتهدا قوي الحجة. وهو إمام الشافعيين.من كتبه الجامع الكبير والجامع الصغير والمختصر والترغيب في العلم. نسبته إلى مزينة من مضر.قال الشافعي: في قوة حجته: لو ناظر الشيطان لغلبه! توفي سنة264 هـ

■ (1) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري: فقيه شافعي محدث. نسبته إلى آجر من قرى بغداد ولد فيها، وحدث ببغداد، قبل سنة 330 ثم انتقل إلى مكة، فتنسك، وتوفي فيها سنة 360 هـ. له تصانيف كثيرة، منها: أخبار عمر بن عبد العزيز وأخلاق حملة القرآن وأخلاق العلماء والتفرد والعزلة وحسن الخلق والشبهات.

■ (5) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي، بالولاء، المصري، أبو محمد: صاحب الامام الشافعي وراوي كتبه، وأول من أملى الحديث بجامع ابن طولون. كان مؤذنا، مولده سنة 174 هـ ووفاته سنة 270 هـ بمصر . هناك أيضا: الربيع بن سليمان الجيزي كان صاحب الشافعي أبو محمد وهو قليل الرواية عن الشافعي وكان ثقة روى عنه أبو داود والنسائي وتوفي بالجيزة سنة 256 هـ، قبل الربيع المرادي بأربع عشرة سنة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ كنز العمال/ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه/ شرح شافية ابن الحاجب/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى/

عن الحسن البصري: أن قوما أتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن لنا إماما شابا إذا صلى لا يقوم من المحراب حتى يتغنى بقصيدته، قال عمر: فامضوا بنا إليه، إنا إن دعوناه يظن بنا أنا تجسسنا، نريد قبح أمره، فقام عمر رضي الله عنه والقوم معه حتى إن قرعوا بابه عليه، قال: يا أمير المؤمنين، ما الذي جاء بك؟ إن كنت جئتني في حاجتي فقد كان الواجب علي أن آتي، وإن تكن الحاجة لك، فأحق من عظمنا خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: بلغني عنك أمر ساءني، قال: فإني أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ما الذي بلغك عني؟، قال: بلغني عنك أنك تتغني بين يديك، قال: نعم، قال يا أمير المؤمنين، [إنما عظة] أعظ بها نفسي، قال له عمر: قل، قال: إني أخاف الشنعة* أن أفعل بين يديك، قال له: قل فإن كان حسنا قلت معك، وإن كان قبيحا نهيتك عنه. قال: فأطرق الفتى ثم أنشأ يقول: وفؤادي كلما نبهته..عاد في اللذات يبغي تعبي..لا أراه الدهر إلا لاهيا..في تماديه فقد برح بي..يا قرين السوء ما هذا الصبا..فني العمر كذا باللعب..وشباب بان مني فمضى..قبل أن أقضي منه أربي..ما أرجي بعده إلا الفنا..ضيق الشيب علي مطلبي..ويح نفسي لا أراها أبدا..في جميل لا ولا في أدب..نفسي لا كنت ولا كان الهوى..راقبي مولاك وخافي وارهبي. فبكى عمر رضي الله عنه وقال: هكذا ينبغي كل من يكره، قال عمر رضي الله عنه:وأنا أيضا أقول: نفسي لا كنت ولا كان الهوى..راقبي مولاك وخافي وارهبي.

عن السائب بن يزيد[1] قال: كنت مضطجعا -وفي لفظ: كنت قائما- في المسجد فحصبني رجل فعرفت رأسي -وفي لفظ: فنظرت- فإذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أذهب فأتى بهذين الرجلين فجئت بهما فقال: من أنتما، أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد ما فارقتكما حتى أوجعكما جلدا، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم!؟ وليحيي عن نافع نحوه وزاد أن مسجدنا هذا لا ترفع فيه الأصوات، ولأبن زبالة ويحيى عن سعيد بن المسيب أن عمر رضي الله عنه مر بحسان بن ثابت[2] وهو ينشد في المسجد فلحظ إليه*، فقال حسان: قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة[3] فقال: أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ، أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ قال: اللهم، نعم. وهو في الصحيح بنحوه زاد يحيي: فأنصرف عمر رضي الله عنه وقد عرف أنه يريد بمن هو خير منك النبي صلى الله عليه وسلم. وفي الترمذي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب لحسان منبر في المسجد فيقوم عليه يهجو الكفار. والنهي عن تناشد الأشعار في المسجد محمول على أشعار الجاهلية والمبطلين. وعن سالم بن عبد الله أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بنى في ناحية المسجد – جانب المسجد– رحبة فسماها البطيحاء فكان يقول: من أراد أن يلغط* أو ينشد شعرا أو يرفع صوتا فليخرج إلى هذه الرحبة. وعن محمد بن عبد الرحمن ابن حاطب، عن أبيه قال: كان بين عثمان[4] وطلحة[5] تلاح في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ عمر رضي الله عنه، فأتاهم وقد ذهب عثمان وبقي طلحة، فقال: أفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تقولان الهجر* وما لا يصلح من القول ؟ قال: فجثا طلحة على ركبتيه وقال: إني والله لانا المظلوم المشتوم ! فقال: أفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تقولان الهجر وما لا يصلح من القول ؟ ما أنت مني بناج. فقال: الله الله يا أمير المؤمنين، فوالله إني لانا المظلوم المشتوم، فقالت أم سلمة[6] من حجرتها: والله إن طلحة لهو المظلوم المشتوم. قال: فكف عمر رضي الله عنه، ثم أقبل إلى أم سلمة رضي الله عنها فقال: ما تقولين يا هنتاه. إن ابن الخطاب لحديث العهد ولو سب طلحة لسبه طلحة، فلو ضرب طلحة لضربه طلحة، ولكن الله جعل لعمر درة يضرب بها الناس عن عرض.

*(لحظ إليه) لحظانا ولحظا: إذا نظر إليه بمؤخر عينه (يلغط) اللغط الصوت والجلبة (هجر) الإفحاش في المنطق (الشنعة) الفظاعة

(3) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق. ولد سنة 21 ق. هـ تولى ولاية البحرين في خلافة عمر، كما تولى إمارة المدينة.ثم لزم المدينة يعلم الناس الحديث النبوي، ويفتيهم، حتى وفاته سنة 59 هـ

(1) السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود، وقيل: السائب بن يزيد بن سعيد بن عائذ بن الأسود بن عبد الله بن الحارث وهو المعروف بابن أخت نمر، يكنى أبا يزيد، قيل: إنه كناني ليثي، قيل: أزدي، وقيل: كندي. وقيل: إنه هذلي، وهو حليف أمية بن عبد شمس. ولد سنة 2 هـ، وكان عاملا لعمر بن الخطاب على سوق المدينة، مع عبد الله بن عتبة بن مسعود.وتوفي سنة 80 هـ، وقيل: سنة 82 هـ وقيل: سنة 86 هـ، وقيل: سنة 91 هـ، وكان عمره 94 سنة، وقيل: 96 سنة

(2) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو . سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس. أبو الوليد؛ ويقال: أبو الحسام. الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، ابن الفريعة (أو الفزيعة). شاعر رسول الله وصاحبه. وحديثه قليل. قال ابن سعد: عاش ستين في الجاهلية، وستين في الإسلام. قال ابن سعد: عن الواقدي: لم يشهد مع النبي مشهدا. كان يجبن وقيل: لعلة أصابته وأمة الفريعة (أو الفزيعة) بنت خنيس. قال مسلم: كنيته أبو عبد الرحمن. وقيل: أبو الوليد. واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته. توفي في المدينة بين سنة35 و40 هـ زمن علي. أو ما بين سنة 50 هـ و 54 هـ زمن معاوية.

(6) أم المؤمنين، أم سلمة، هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية ويقال اسمه حذيفة، ويعرف بزاد الراكب ابن المغيرة، القرشية المخزومية، أم سلمة من زوجات النبي تزوجها في السنة الرابعة للهجرة. وكانت من أكمل النساء عقلا وخلقا. وهي قديمة الإسلام، هاجرت مع زوجها الاول أبي سلمة بن عبد الاسد بن المغيرة إلى الحبشة، وولدت له ابنه سلمة ورجعا إلى مكة، ثم هاجرا إلى المدينة، فولدت له أيضا بنتين وابنا. ومات أبو سلمة في المدينة من أثر جرح فخطبها أبو بكر، فلم تتزوجه. وخطبها النبي فقالت لرسوله ما معناه: مثلي لا يصلح للزواج، فإني تجاوزت السن، فلا يولد لي، وأنا امرأة غيور، وعندي أطفال. فأرسل إليها النبي بما مؤداه: أما السن فأنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله، وأما العيال فإلى الله ورسوله. وتزوجها. وكان لها يوم الحديبية رأي أشارت به على النبي دل على وفور عقلها. ويفهم من خبر عنها أنها كانت تكتب وعمرت طويلا. واختلفوا في سنة وفاتها، فأخذت بأحد الأقوال. وبلغ ما روته من الحديث 378 حديثا وكانت وفاتها بالمدينة سنة 62 هـ

(4) عثمان بن عفان الأموي،أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.ودفن بالبقيع.

(5) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

☪

قال السري بن يحيى: قلت: للحسن: يا أبا سعيد إن لنا إماما، وهو رجل سوء وهو عربي ولا نستطيع أن نعزله، قال: رب إمام سوء قد صلينا خلفه. وقال رجل للحسن: إن لنا إماما يلحن؟ قال: أميطوه عنكم، فإن الإعراب حلية الكلام وعن الشعبي ؛ أنه سئل عن إمامة ولد الزنا ؟ فقال: إن لنا إماما ما يعرف له أب. قال وكيع حدثنا أبو حنيفة قال: سألت عطاء عن ولد الزنا، يؤم القوم ؟ فقال: لا بأس به، أليس منهم من هو أكثر صوما وصلاة منا. وعن جعفر بن سليمان عن رجل يقال له موسي قال: سمعت الحسن وقال له رجل: يا أبا سعيد إن لنا إماما يكبر في الصلاة إذا رفع وإذا وضع فقال الحسن: والذي لا إله إلا هو إنها لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن عبد الله بن شبرمة قال: سأل رجل أبا وائل قال: كان لنا أئمة إذا رفعوا رؤوسهم من السجود لا يكبرون ثم إن لنا إماما يكبر إذا سجد وإذا رفع فقال: أبو وائل: يا ابن أخي إنها السنة ولكنها درست*؛ فقال أبو وائل: وكان علي ابن أبي طالب وابن مسعود يفعلان ذلك.

☪

عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت:يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلى؟فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، أي أوشكت أن أرد عليهم لكني تمالكت نفسي ولزمت السكوت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فوالله ما كهرني، أي زجرني وعبس في وجهي، ولا ضربني ولا شتمني قال:﴿إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ﴾وعن واثلة بن الأسقع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:﴿جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ وَشِرَارَكُمْ وَبَيْعَكُمْ وَخُصُومَاتِكُمْ وَرَفْعَ أَصْوَاتِكُمْ وَإِقَامَةَ حُدُودِكُمْ وَسَلَّ سُيُوفِكُمْ وَاتَّخِذُوا عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَطَاهِرَ وَجَمِّرُوهَا فِى الْجُمَعِ﴾ وعن ابن عمر أن عمر كان إذا خرج من الصلاة نادى في المسجد إياكم واللغط ويقول ارتفعوا في أعلى المسجد، وعن سالم أبي النضر أن عمر يعني ابن الخطاب اتخذ مكانا إلى جانب المسجد يقال له البطيحاء وقال: من أراد أن يلغط أو يرفع صوتا أو ينشد شعرا فليخرج إليه، وعن عاصم بن عمر بن قتادة أن عمر بن الخطاب سمع ناسا من التجار يذكرون تجاراتهم والدنيا في المسجد فقال: إنما بنيت هذه المساجد لذكر الله فإذا ذكرتم تجاراتكم ودنياكم فاخرجوا إلى البقيع، وعن محمد بن يحيى قال حدثني من نثق به أن عثمان بن عفان دخل المسجد وفيه خياط يخيط فقال: اتخذت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعة أتحترف فيه بصنعتك؟! فحصبه وحصب أصحابه فأخرجهم. ويرون أن أبا جعفر ناظر مالك بن أنس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله عز وجل أدب قوما فقال:﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ومدح قوما فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾وذم أقوما فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات] وإن لحرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر. وفي رواية أن أبا حنيفة كان جالسا في المسجد النبوي، ودخل أمير المؤمنين المنصور في موكب لزيارة رسول الله، فأحدثوا ضجيجا في المسجد، فوقف أبوحنيفة يخاطب المنصور، فقال له: يا أمير المؤمنين اعلم أن الله أدب قوما فقال لهم: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ واعلم أن الله ذم قوما فقال لهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ واعلم أن الله مدح قوما فقال لهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ واعلم أن حرمة رسول الله ميتا كحرمته حيا.

☪

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:﴿إِنَّ مِنْ الشِّعْرِ لَحِكَمًا، وَإِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا﴾ واختلف العلماء في المعنى المقصود بهذا اللفظ قوله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا، هل هو على معنى الذم أو على معنى المدح ؟!. عن أبي بكر الهذلي، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال:﴿ما تَرَخَّصَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فِي شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلاَّ قَصِيدَةَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ فِي أَهْلِ بَدْرٍ وَقَصِيدَةَ الأَعْشَى فِي ذِكْرِ عَامِرٍ، وَعلقمة﴾ إسناد ضعيف؛ لضعف أبي بكر الهذلي وعن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: تعلموا الشعر، فإن فيه محاسن تبتغى، ومساوى تتقى، وحكمة للحكماء، ويدل على مكارم الأخلاق.وعن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب:ما في شعر العرب أحكم من قول العبدين: لقد غرت الدنيا رجالا فأصبحوا..بمنزلة ما بعدها متحول..فساخط أمر لا يبدل غيره..وراض بأمر غيره سيبدل..وبالغ أمر كان يأمل دونه..ومختلج من دون ما كان يأمل. قال إسحاق بن سليمان الهاشمي. دخلت على المنصور يوما والإيوان قد غص بأهله، فقال: بلغني أنك تقول الشعر. قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فأنشدني شيئا منه. فأنشدته قصيدة طويلة فيها مدح له. فلما فرغت قال: يا بني مالك وللمديح إياك وإياه واحذر الهجاء فإنهما لا يشبهانك وعليك من الشعر بالبيتين والثلاثة تقول ذلك تطربا وتذكر فيه فضلا وتحببا. قال: وقال معاوية بن أبي سفيان لعبد الرحمن بن الحكم: يا ابن أخي إنك قد لهجت بالشعر فإياك والتشبيب فتهجن به كريما والهجاء فتثير به لئيما، وإياك والمدح فإنه كسب الخسيس، ولكن افخر بمآثر قومك وقل من الأمثال ما تزين به نفسك وتؤدب به غيرك، فإن لم تجد بدا من المديح فقل كما قال الأول: أحللت رحلي في بني ثعل..إن الكريم للكريم محل.قيل: وسئل رجل عن الشعر فقال: أسرى مروءة الدني وأدنى مروءة السري.

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة أن الأسود بن سريع قال: ﴿أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ حَمِدْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَحَامِدَ وَمِدَحٍ وَإِيَّاكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّ رَبَّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ الْمَدْحَ هَاتِ مَا امْتَدَحْتَ بِهِ رَبَّكَ. قَالَ: فَجَعَلْتُ أُنْشِدُهُ فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَأْذَنَ أَدْلَمُ* أَصْلَعُ أَعْسَرُ أَيْسَرُ -قَالَ: فَاسْتَنْصَتَنِي لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وَوَصَفَ لَنَا أَبُو سَلَمَةَ كَيْفَ اسْتَنْصَتَهُ. قَالَ: كَمَا صَنَعَ بِالْهِرِّ فَدَخَلَ الرَّجُلُ فَتَكَلَّمَ سَاعَةً ثُمَّ خَرَجَ ثُمَّ أَخَذْتُ أُنْشِدُهُ أَيْضًا ثُمَّ رَجَعَ بَعْدُ فَاسْتَنْصَتَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَوَصَفَهُ أَيْضًا- فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ ذَا الَّذِي اسْتَنْصَتَّنِي لَهُ؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ لَا يُحِبُّ الْبَاطِلَ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ﴾ تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف

*(درست) عفت وخفيت آثارها (الأدلم) الأسود الطويل (أعسر يسر) يعمل بيديه جميعا

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ كنز العمال/ خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى/ الأعلام للزركلي/ نقعة الصديان/ مشكل الآثار للطحاوي/ مسند أحمد/ سنن ابن ماجة/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ المحاسن والمساوئ/ إتحاف الخيرة المهرة/ مقاييس اللغة/ تاريخ المدينة/ المواعظ والاعتبار/ مقالات إسلامية/

قال حبيب بن أبي ثابت: أخبرني دهقان* السيلحين* قال: كان لـ سعيد بن مالك[1] إلى جنبي ضيعة وكان رجلا حديدا* فأتيته فقلت له: أعدني على نفسك. فأمر بي فوجئت في عنقي، فقلت: لأرحلن إلى عمر. فدخلت على امرأتي فأعلمتها ذلك فقالت: إني أخاف أن لا تصنع شيئا ويجتريء عليك. فقلت: إني أكره أن تحدث العجم بأني قلت شيئا لم أفعله. قال: فخرجت حتى قدمت المدينة فسألت عن عمر رحمه الله، فدللت عليه وأرشدت إليه. فلما أتيت منزله دخلت فإذا عمر رضي الله عنه، جالس على عباءة، فرفع رأسه إلي وقال: كأنك لست من أهل الملة. فقلت: أنا رجل من أهل الذمة. قال: فما حاجتك؟ قلت: لـ سعيد بن مالك ضيعة إلى جانبي وإني أتيته أستعديه على نفسه فأمر بي فوجئت في عنقي فقلت لأرحلن إلى عمر. فقال: يا يرفا[2] ائتني بالدواة والمكتب. فأتاه بجراب، فأدخل يده وأخرج صحيفة فكتب فيها، ثم أخرج سيرا* يشدها به فلم يقدر عليه فتناول خيطا من العباءة التي تحته وقد تنشرت جوانبها فشدها به، فأردت أن لا آخذها ثم تناولتها متثاقلا، فكأنه عرف ما في نفسي فقال: ائته فإن كفاك وإلا فأقم واكتب إلي. قال: فخرجت حتى قدمت على أهلي فقالوا: ما صنعت؟ قلت: أتيت رجلا لم يقدر على سير يشد به صحيفته حتى تناول خيطا من عباءة كانت تحته قد تفززت* وتنشرت جوانبها فشدها به. قالوا: وما عليك من ذلك إن نفذ أمره؟ قال: فأتيت سعيدا فناولته الكتاب، فلما قرأه أرعدت فرائصه حتى سقط الكتاب من يده وقال: ويلك ما صنعت؟ اذهب فالأرض لك. فقلت: لا أقبلها. فقال: لا والله لا أخذتها أبدا.

قال: وكان نسخة الكتاب: بسم الله الرحمن الرحمن. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى سعيد بن مالك. سلام عليك. أما بعد فإن مهرزاد دهقان السيلحين ذكر أن له ضيعة إلى جانبك وأنه أتاك يستعديك على نفسك فأمرت به فوجئت عنقه فإذا جاءك كتابي هذا فأرضه من حقه وإلا فأقبل إلي راحلا، والسلام.

----

*(الدهقان) بكسر الدال وضمها:زعيم فلاحى العجم. وقيل: التاجر فارسي معرب. وقيل رئيس القرية ومقدم التناء والتناء: المقيمون بالبلد وهم كأنهم الأصول فيها. وأصحاب الزراعة وهو معرب (سيلحين) قرية معروفة من سواد بغداد قديمة، والسيلحون موضع قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية (السير) من الجلد ونحوه ما يقد منه مستطيلا ج سيور وأسيار وسيورة (حديد) الحديد من كل شيء المكتمل الشديد القوي. ورجل حديد وحداد من قوم أحداء وأحدة وحداد يكون في اللسن والفهم والغضب والفعل (الافتزاز) أن يقتطع الشيء فيعدل عن عظم الشيء الذي هو منه (أعدني) انصرني وأعني.

■ (1) هل هو: سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري، أسلم وهو ابن 17 أو 19، وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، ويقال له فارس الإسلام، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وشهد بدار، فاتح العراق، ومدائن كسرى،افتتح القادسية، ونزل أرض الكوفة فجعلها خططا لقبائل العرب، وابتنى بها دارا فكثرت الدور فيها.وظل واليا عليها مدة عمر . وأقره عثمان زمنا ثم عزله فعاد إلى المدينة، فأقام قليلا وفقد بصره..مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة سنة 55 هـ وحمل إليها. وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ

■ (2) يرفأ مولى عمر، وكان حاجبه (البواب) (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال القرطبي: الذمي محقون الدم على التأبيد والمسلم كذلك، وكلاهما قد صار من أهل دار الإسلام، والذي يحقق ذلك أن المسلم يقطع بسرقة مال الذمي، وهذا يدل على أن مال الذمي قد ساوى مال المسلم، فدل على مساواته لدمه، إذ المال إنما يحرم بحرمة مالكه. قال الماوردي: ويلتزم لهم – أي الإمام– ببذل حقين: أحدهما: الكف عنهم. والثاني: الحماية لهم، ليكونوا بالكف آمنين، وبالحماية محروسين. وقال النووي: ويلزمنا الكف عنهم، وضمان ما نتلفه عليهم، نفسا ومالا، ودفع أهل الحرب عنهم.

مراجع: المحاسن والمساوئ/ المعجم الوسيط/ لسان العرب/ المحيط في اللغة/ الأعلام للزركلي/ كنز العمال/ السنن الكبرى/ مسند أحمد/ حياة الصحابة للكاندهلوي/ سنن أبي داود/ موسوعة الخطب والدروس/

أخرج ابن عساكر عن الحرماوي قال: كتب عمر بن الخطاب إلى فيروز الديلمي[1] رضي الله عنهما: أما بعد: فقد بلغني أنه قد شغلك أكل اللباب بالعسل، فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم على بكرة الله، فأغز في سبيل الله. فقدم فيروز فاستأذن على عمر رضي الله عنه فأذن له، فزاحمه فتى من قريش، فرفع فيروز يده فلطم أنف القرشي، فدخل القرشي على عمر مستدمي*. فقال له عمر: من فعل بك؟ قال: فيروز، وهو على الباب، فأذن لفيروز بالدخول فدخل. فقال: ما هذا يا فيروز؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنا كنا حديثي عهد بملك، وإنك كتبت إلي ولم تكتب إليه، وأذنت لي بالدخول ولم تأذن له، فأراد أن يدخل في إذني قبلي، فكان مني ما قد أخبرك. قل عمر رضي الله عنه: القصاص. قال فيروز: لا بد؟ قال: لا بد. فجثى فيروز على ركبتيه وقام الفتى ليقتص منه. فقال له عمر رضي الله عنه: على رسلك أيها الفتى حتى أخبرك بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وهو يقول: ﴿قُتِلَ اللَّيْلَةَ الأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ الْكَذَّابِ قَتَلَهُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ فَيْرُوزِ الدَّيْلَمِيِّ﴾؟ أخرجه ابن عساكر أفتراك مقتصا منه بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال الفتى: قد عفوت عنه بعد إذ أخبرتني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا. فقال فيروز لعمر: أفترى هذا مخرجي مما صنعت إقراري له وعفوه غير مستكره؟ قال: نعم. قال فيروز: فأشهدك أن سيفي، وفرسي، وثلاثين ألفا من مالي هبة له. قال عفوت مأجورا يا أخا قريش، وأخذت مالا.

----

*(المستدمي) الذي يقطر من أنفه الدم المطأطئ رأسه والمستدمي الذي يستخرج من غريمه دينه بالرفق

■ (1) فيروز الديلمي، أبو الضحاك: أمير، صحابي يماني. فارسي الأصل. من أبناء الذين بعثهم كسرى لقتال الحبشة. كان يقال له الحميري لنزوله بحمير، ومحالفته إياهم. وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث. وعاد إلى اليمن، فأعان على قتل الأسود العنسي. ووفد على عمر في خلافته. ثم سكن مصر. وولاه معاوية على صنعاء فأقام بها إلى أن توفي سنة 53 هـ. وكان عاقلا حازما.

عن نافع بن عبد الحارث قال: قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكة، فدخل دار الندوة في يوم الجمعة، وأراد أن يستقرب منها الرواح إلى المسجد، فألقى رداءه على واقف في البيت، فنقع عليه طير من هذا الحمام فأطاره، فانتهزته حية فقتلته. فلما صلى الجمعة دخلت عليه أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: إحكما علي في شيء صنعته اليوم: إني دخلت هذه الدار وأردت أن أستقرب منها الرواح إلى المسجد، فألقيت ردائي على هذا الواقف، فوقع عليه طير من هذا الحمام، فخشيت أن يطلخه بسلحه* فأطرته عنه، فوقع على (ظهر) هذا الواقف الآخر، فانتهزته حية فقتلته. فوجدت في نفسي أني أطرته من من نزل كان فيه آمنا إلى موقعة كان فيها حتفه. فقلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه: كيف ترى في عنز ثنية عفراء تحكم بها على أمير المؤمنين؟ فقال: إني أرى ذلك، فأمر بها عمر رضي الله عنه.

قال الشافعي: فإن قيل كيف حكم عليه بالفدية وهو لم يصد ولا قتل والجواب أنه السبب في القتل بإطارته خوف رزقه فلولا إطارته إياه ما تمكنت منه الحية وقتلته وفهم من الحديث: أن للقتل بسبب حكم القتل العمد في إيجاب الفدية غير معروف أن فدية الحمامة شاة كما في الحديث الآتي والعنز أقل من الشاة ثمنا في المعتاد فتأمل: عن ابن جريج عن عطاء: أن عثمان بن عبيد الله ابن حميد قتل ابن له حمامة فجاء ابن عباس فقال: ذلك له فقال ابن عباس: تذبح شاة فتصدق بها قال ابن جريج: قلت لعطاء: أمن حمام مكة؟ قال: نعم. قال الشافعي: قوله: أمن حمام مكة يريد أن هذه الحمامة قتلت في الحرم فقال له نعم إذ المفهوم أنه لا فرق بين حمام مكة وغيره في هذا الحكم مادام الاعتداء عليه في الحرم.

عن صفية بنت شيبة قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب عام الفتح فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَّ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَهِي حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ يُعْضَدُ شَجَرُهَا وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا وَلاَ يَأْخُذُ لُقَطَتَهَا إِلاَّ مُنْشِدٌ. فَقَالَ الْعَبَّاسُ إِلاَّ الإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لِلْبُيُوتِ وَالْقُبُورِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّم: إِلاَّ الإِذْخِرَ﴾ وعن عياش بن أبي ربيعة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لاَ تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا هَذِهِ الْحُرْمَةَ حَقَّ تَعْظِيمِهَا فَإِذَا ضَيَّعُوا ذَلِكَ هَلَكُوا﴾ قالوا: أي: لا يجوز لك أن تفزع حمامة أمامك وتطيرها، ولا يجوز لك أن تقتل الصيد في الحرم، جرادة موجودة لا يجوز لك أن تقتلها حمامة موجودة لا يجوز لك أن تقتلها شجرة موجودة لا يجوز لك أن تقطع منها ورقة وتعبث بها، هكذا قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وعن عطاء قال: إن عمر رضي الله عنه أبصر رجلا يعضد على بعير* له في الحرم، فقال له: يا عبد الله إن هذا حرم الله عز وجل، ولا ينبغي أن تصنع فيه هذا، فقال الرجل: إني لم أعلم يا أمير المؤمنين، قال: فسكت عنه عمر رضي الله عنه

----

* (الرواح) الذهاب (العنز) العنز كسهم الأنثى من المعز نوع من الغنم خلاف الضأن وهي ذوات الشعور والأذناب القصار (الثنية) ما تم عمره سنتين ودخل في الثالثة من الضأن وما بلغ السنة السادسة من الإبل والبقر (العفرة) بياض ليس بالناصع، ولكن كلون عفر الأرض (السلح) السلح للطائر كالغائط للإنسان وقيل هو خاص بما رق منه (واقف) واقف في البيت لعله يريد جدارا أوسارية أو جذعا (فانتهزته) انتهز الشيء قبله وأسرع إلى تناوله (يعضد) يقطع (المنشد) المعرف (البعير) ما صلح للركوب والحمل من الإبل ، وذلك إذا استكمل أربع سنوات ، ويقال للجمل والناقة (يعضد) أي يقطع. يقال: عضدت الشجر أعضده عضدا.

مراجع: المحاسن والمساوئ/ المعجم الوسيط/ لسان العرب/ المحيط في اللغة/ الأعلام للزركلي/ كنز العمال/ السنن الكبرى/ مسند أحمد/ حياة الصحابة للكاندهلوي/ لسان العرب/ مسند ابن ماجة/ أخبار مكة للأزرقي/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) وعياض بن غنم 00101

حدث جماعة قالوا: كان عمر إذا بعث عماله يشترط عليهم ألا يتخذوا على المجالس التي يجلسون فيها للناس بابا، ولا يركبوا البراذين، ولا يلبسوا الرقاق ولا يأكلوا النقي، ولا يغيبوا عن صلاة الجماعة، ولا يطعموا فيهم السعاة. فمر يوما من طريق من طرق المدينة، وفي ناحيته رجل يسأل، فقال: أبشر يا عمر بالنار! قال: ولم ذاك؟ قال: تستعمل العمال وتعهد إليهم عهدك، ثم ترى أن ذلك قد أجزأك! كلا والله إنك لمأخوذ إذا لم تتعاهدهم. قال: وما ذاك؟ قال: عياض بن غنم[1] يلبس اللين ويفعل ويفعل، فقال: لساعي؟ قال: بل مؤدي الذي عليه، فبعث إلى محمد بن مسلمة[2]، أن الحق بـ عياض بن غنم فأتني به كما تجده؛ فانتهى إلى بابه، وإذا عليه بواب فقال له: قل لـ عياض: على الباب رجل يريد أن يلقاك، قال: ما تقول؟ قال: قل له ما أقول. فذهب كالمتعجب، فأخبره، فعرض عياض أنه أمر حدث، فخرج فإذا محمد فرحب به وقال له: ادخل. فإذا عليه قميص رقيق لين، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن لا يفارق سوادي سوادك حتى أذهب بك لما أجدك؛ ونظر في أمره فوجد الأمر كما حدثه السائل. فلما قدم به على عمر وأخبره دعا بدراعة* وكيسا وحذاء وعصا وقال: أخرجوه من ثيابه؛ فأخرج منها، وألبسه ذلك وقال: انطلق بهذه الغنم فأحسن رعيتها وسقيها والقيام عليها، واشرب من ألبانها واجتز من أصوافها وارفق بها، فإن فضل شيء فاردده علينا. فلما مضى رده، قال: أفهمت؟ قال: نعم، والموت أهون من هذا! قال: ولم كذبت؟ ولكن ترك الفخر أهون من هذا؛ ثم قال له: هل تدري لم سمي أبوك غنما؟ إنه كان راعي غنم، فأنت خير من أبيك، ففعل به ذلك مرتين ثم قال: أفرأيت إن رددتك أتراه يكون فيك خير؟ قال: نعم والله يا أمير المؤمنين، فلا يبلغنك عني شيء بعد هذا. فرده فلم يبلغه عنه شيء إلا ما أحب حتى مات ؛ وقال عمر: ما استخلفه أبو عبيدة[3] إلا وهو صالح.

قالوا: وذلك أنه لما حضر أبو عبيدة استخلفه على عمله وهو خاله وابن عمه وقد كان ولي بالجزيرة عملا فعزله عمر فلحق بأبي عبيدة بالشام فكان معه وكان جوادا مشهورا بالجود ولا ليق به شيئا ولا يمنع أحدا وقد كان صنع بالمزني ما صنع استرعاه فأفاد مالا فكلم عمر في ذلك وقيل له عزلت خالدا وأوعبت عليه العطا وعياض أجود العرب وأعطاهم لا يمنع شيئا يسأله؟ فقال عمر: هذه سيمة عياض في ماله حتى يخلص إلى مالنا، وإني مع ذلك لم أكن مغيرا أمرا قضاه أبو عبيدة.

وفي رواية عن هلال بن أمية: أن عمر رضي الله عنه استعمل عياض بن غنم على الشام، فبلغه أنه اتخذ حماما، واتخذ نوابا، فكتب إليه أن يقدم عليه، فقدم، فحجبه ثلاثا، ثم أذن له، ودعا بجبة صوف فقال: البس هذه، وأعطاه كنف الراعي* وثلاثمائة شاة، وقال: انعق* بها فنعق بها، فلما جاوز هنيهة قال: أقبل، فأقبل يسعى حتى أتاه، فقال: اصنع بها كذا وكذا، اذهب. فذهب حتى إذا تباعد ناداه يا عياض أقبل، فلم يزل يردده حتى عرقه في جبته (جبينه!)، قال: أوردها علي يوم كذا وكذا، فأوردها لذلك اليوم، فخرج عمر رضي الله عنه إليه فقال: انزع عليها. فاستقى حتى ملأ الحوض فسقاها، ثم قال، انعق بها فإذا كان يوم كذا فأوردها، فلم يزل يعمل به حتى مضى شهران، قال: فاندس إلى امرأة عمر رضي الله عنها وكان بينه وبينها قرابة، فقال: سلي أمير المؤمنين فيم وجد علي. فلما دخل عليها قالت: يا أمير المؤمنين فيم وجدت على عياض؟ قال: يا عدوة الله، وفيم أنت وهذا، ومتى كنت تدخلين بيني وبين المسلمين. إنما أنت لعبة يلعب بك، ثم تتركين.. قال: فأرسل إليها عياض: ما صنعت؟ فقالت: وددت أني لم أعرفك ما زال يوبخني حتى تمنيت أن الأرض انشقت فدخلت فيها، قال: فمكث ما شاء الله ثم اندس إلى عثمان رضي الله عنه فقال: سله فيم وجد علي. فقال: يا أمير المؤمنين فيم وجدت على عياض. فقال: إنه مر إليك عياض فقال: شيخ من شيوخ قريش، قال فتركه بعد ذلك شهرين أو ثلاثة ثم دعاه، فقال: هيه، اتخذت نوابا، واتخذت حماما، أتعود؟ قال: لا، قال: ارجع إلى عملك.

في رواية كان عمر جالسا في المسجد فمر به رجل، فقال: ويل لك يا عمر من النار ! فقال: قربوه الى، فدنا منه، فقال: لم قلت لى ما قلت؟ قال: تستعمل عمالك وتشترط عليهم ثم لا تنظر هل وفوا لك بشروط ام لا؟ قال: وما ذاك؟ قال: عاملك على مصر اشترطت عليه فترك ما امرته به، وارتكب ما نهيته عنه، ثم شرح له كثيرا من امره. فارسل عمر رجلين من الانصار، فقال لهما: انتهيا إليه، فاسالا عنه، فان كان كذب عليه فاعلماني وان رأيتما ما يسوء كما فلا تملكاه من امره شيئا حتى تاتيا به، فذهبا فسالا عنه فوجداه قد صدق عليه، فجاءا الى بابه فاستاذنا عليه، فقال حاجبه: انه ليس عليه اليوم اذن قالا: ليخرجن الينا أو لنحرقن عليه بابه وجاء احدهما بشعلة من نار فدخل الاذن فاخبره فخرج اليهما، قالا: انا رسولا عمر اليك لتأتيه، قال: ان لنا حاجة، تمهلانني لاتزود قالا: انه عزم علينا الا نمهلك، فاحتملاه فاتيا به عمر، فلما اتاه سلم عليه فلم يعرفه، وقال: من أنت؟ وكان رجلا اسمر، فلما اصاب من ريف مصر ابيض وسمن فقال: أنا عاملك على مصر، أنا فلان، قال: ويحك! ركبت ما نهيت عنه، وتركت ما امرت به! والله لاعاقبنك عقوبة ابلغ اليك فيها، آتونى بكساء من صوف وعصا، وثلاثمائة شاة من غنم الصدقة، فقال: البس هذه الدراعة، فقد رايت أباك وهذه خير من دراعته وخذ هذه العصا فهى خير من عصا ابيك، واذهب بهذه الشياه فارعها في مكان كذا –وذلك في يوم صائف– ولا تمنع السابلة* من البانها شيئا الا آل عمر، فانى لا اعلم احدا من آل عمر أصاب من البان غنم الصدقة ولحومها شيئا. فلما ذهب رده، وقال: أفهمت ما قلت! فضرب بنفسه الارض، وقال يا امير المؤمنين، لا استطيع هذا، فان شئت فاضرب عنقي، قال: فان رددتك فاى رجل تكون؟ قال: والله لا يبلغك بعدها الا ما تحب. فرده، فكان نعم الرجل.

وقال عمر: والله لا انزعن فلانا من القضاء حتى استعمل عوضه رجلا إذا رآه الفاجر فرق.

----

*(الدراعة) كرمانة: جبة مشقوقة المقدم ، ولا تكون إلا من صوف (كنف الراعي) وعاء طويل يكون فيه متاع الراعي وأدواته (نوابا) أي جماعة من الناس يختصون بالزيارة والمسامرة دون غيرهم (نعق) كلمة تدل على صوت. ونعق الراعي بالغنم ينعق وينعق، إذا صاح به زجرا، نعيقا(السابلة) أبناء السبيل المختلفة في الطرقات

■ (1)عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد، أبو سعد الفهري. ممن بايع بيعة الرضوان. واستخلفه قرابته أبو عبيدة بن الجراح، لما احتضر، على الشام. وهو الذي افتتح الجزيرة صلحا.أقره عمر على الشام. فعاش بعد نحوا من عامين. وقيل: عاش 60 سنة، ومات سنة 20 بالشام.قيل شهد الحديبية، وكان أحد الأمراء الخمسة يوم اليرموك

■ (2) محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الرحمن، من أهل المدينة. شهد بدرا وما بعدها إلا غزوة تبوك.واستخلفه النبي في بعض غزواته.ولاه عمر على صدقات جهينة.اعتزل الفتنة أيام علي فلم يشهد الجمل ولا صفين. كان عند عمر معدا لكشف أمور الولاة في البلاد مات بالمدينة سنة 43 هـ وقيل 46 هـ وله 77 سنة

■ (3) أبو عبيدة بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال. أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام. .ولد سنة 40 ق هـ. ومات بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ.

قال علي الصلابي: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا استعمل عاملا كتب عليه كتابا، وأشهد عليه رهطا من الأنصار: أن لا يركب برذونا*، ولا يأكل نقيا، ولا يلبس رقيقا، ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ثم يقول: اللهم، فاشهد. وهذه الشروط تعني الالتزام بحياة الزهد والتواضع للناس، وهي خطوة أولى في إصلاح الأمة بحملها على التوسط في المعيشة، واللباس والمراكب، وبهذه الحياة التي تقوم على الاعتدال تستقيم أمورها، وهي خطة حكيمة، فإن عمر لا يستطيع أن يلزم جميع أفراد الأمة بأمر لا يعتبر واجبا في الإسلام، ولكنه يستطيع أن يلزم بذلك الولاة والقادة، وإذا التزموا فإنهم القدوة الأولى في المجتمع، وهي خطة ناجحة في إصلاح المجتمع وحمايته من أسباب الانهيار.

وكان عمر رضي الله عنه يختبر عماله قبل أن يوليهم، وقد يطول هذا الاختبار كما يوضحه الأحنف بن قيس حين قال: قدمت على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، فاحتبسني عنده حولا فقال: يا أحنف قد بلوتك وخبرتك فرأيت أن علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك وأنا كنا نتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم، ثم قال له عمر: أتدري لم احتبستك وبين له أنه أراد اختباره ثم ولاه، ومن نصائح عمر للأحنف: يا أحنف، من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.

كان عمر مهيبا متواضعا متقشفا في اللباس والطعام مع وجود اللين منهما بترادف الفتوحات عليه مسدد القول موفقا للصواب فيما يقضي ويفعل.فمن ذلك رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري وهي التي جمع فيها جمل الأحكام، وأختصرها بأجود الكلام. وجعل الناس بعده يتخذونها إماما، ولا يجد محق عنها معدلا ولا ظالم عن حدودها محيطا. وهي: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس. أما بعد، فأن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة. فافهم إذا أدلي إليك، وانفذ إذا تبين لك، فإنه لا ينفع التكلم بحق لا نفاذ له. أس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع الشريف في حيفك، ولا ييأس الضعيف من عدلك. البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلى صلحا أحل حراما أو حرم حلالا. لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعة فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا في سنة. ثم اعرف الأشباه والأمثال؛ فقس الأمور عند ذلك، واعمل إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة، أمدا ينتهي إليه فإن أحضر بينة أخذت له بحقه،وإلا استحللت القضية عليه، فإن ذلك أجلى للشك وأنفى للعمى، والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلى مجلودا في حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ضنينا في ولاء أو نسب فإن الله تولى منكم.. درأ بالبينات والأيمان. وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات؛فإن الحق في موطن الحق يعظم الله به الأجل ويحسن عليه الذخر.فمن صحته نيته واقبل على نفسه كفاه الله ما بينه الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله، فما ظنك لثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته؟ والسلام.

----

*(البرذون) الدابة، البراذين من الخيل ما كان من غير نتاج العرب.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ مقاييس اللغة/ تاريخ المدينة/ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ مختار الصحاح/ شرح نهج البلاغة/

روى عبد الله بن بريدة قال: بينا عمر رضي الله عنه يعس ذات ليلة –في زقاق من أزقة المدينة– انتهى إلى باب متجاف وامرأة[1] تغنى نسوة: هل من سبيل إلى خمر فأشربها..أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج[2] فقال عمر: أما ما عشت فلا. فلما أصبح دعا نصر بن حجاج فأبصره وهو من أحسن الناس وجها، وأصبحهم وأملحهم حسنا، فأمر أن يطم شعره*، فخرجت جبهته فازداد حسنا، فقال له عمر: اذهب فاعتم فاعتم فبدت وفرته* فأمر بحلقها فازداد حسنا ، فقال له: فتنت نساء المدينة يا بن حجاج ! لا تجاورني في بلدة أنا مقيم بها ثم سيره إلى البصرة. قيل وخافت المرأة التي سمع عمر منها ما سمع أن يبدر إليها منه شئ ، فدست إليه ابياتا: قل للامير الذى تخشى بوادره.. مالى وللخمر أو نصر بن حجاج..انى بليت ابا حفص بغيرهما.. شرب الحليب وطرف فاتر ساج..لا تجعل الظن حقا أو تبينه.. إن السبيل سبيل الخائف الراجى.. ما منية قلتها عرضا بضائرة والناس.. من هالك قدما ومن ناج..إن الهوى رعية التقوى تقيده.. حتى أقر بالجام وإسراج. فبكى عمر وقال: الحمد لله الذي قيد الهوى بالتقوى.

واتته يوما أم نصر حين اشتدت عليها غيبة ابنها، فتعرضت لعمر بين الآذان والإقامة فقعدت له على الطريق فلما خرج يريد الصلاة هتفت به، وقالت: يا أمير المؤمنين لاجاثينك* غدا بين يدى الله عز وجل ولا خاصمنك إليه، ييبت عاصم[3] وعبد الله[4] إلى جانبيك وبيني وبين ابني الفيافي والقفار والمفاوز والجبال! فقال: من هذه ؟ قيل: أم نصر بن حجاج، قال: يا أم نصر، إن عاصما وعبد الله لم تهتف بهما العواتق من وراء الخدور.

ويروى أن نصر بن الحجاج لما سيره عمر إلى البصرة نزل بها على مجاشع بن مسعود السلمى[5] وكان خليفة أبى موسى[6] عليها، وكانت له امرأة[7] شابة جميلة فهويت نصرا، وهويها فبينا الشيخ جالس ونصر عنده إذ كتب في الأرض شيئا، فقرأته المرأة، فقالت: (أنا والله) فقال مجاشع: ما قال لك؟ قالت: إنه قال: ما اصفى لقحتكم هذه؟ فقال مجاشع: إن الكلمة التي قلت ليست اختا لهذا الكلام، عزمت عليك لما أخبرتني! قالت: إنه قال: ما أحسن سوار ابنتكم هذه؟ قال: ولا هذه، فإنه كتب في الأرض فرأى الخط فدعا بإناء فوضعه عليه، ثم أحضر غلاما من غلمانه، فقال: اقرأ فقرأه وإذا هو: أنا والله احبك، فقال: هذه لهذه، اعتدى أيتها المرأة وتزوجها يا بن أخي إن أردت. –وأما أبو إسحاق الزجاج فإنه قال: بعد ما قرأ خطها ثم التفت إليه فقال: يا أخي إن يكن الطلاق ثلاثا فهي طالق ألفا فقال: وهي طالق إن جمعني وإياها بيت أبدا ثم ارتحل إلى فارس–ثم غدا على أبى موسى فاخبره، فقال أبو موسى: أقسم ما أخرجه عمر عن المدينة من خير ثم طرده إلى فارس وعليها عثمان بن أبى العاص الثقفي[8] فنزل على دهقانه فأعجبها فأرسلت إليه، فبلغ خبرها عثمان فبعث إليه أن اخرج عن أرض فارس، فانك لم تخرج عن المدينة والبصرة من خير، فقال: والله لئن أخرجتموني لألحقن ببلاد الشرك، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب أن جزوا شعره وشمرروا قميصه والزموه المساجد.

روى عبد الله بن بريدة أن عمر خرج ليلا يعس، فإذا نسوة يتحدثن وإذا هن يقلن: أي فتيان المدينة أصبح؟ فقالت: امرأة منهن أبو ذؤيب والله. فلما أصبح عمر سأل عنه فإذا هو من بني سليم، وإذا هو ابن عم نصر بن حجاج، فارسل إليه، فحضر فإذا هو أجمل الناس واملحهم، فلما نظر إليه، قال: أنت والله ذئبها! يكررها ويرددها، لا والذى نفسي بيده لا تجامعني بأرض ابدا. فقال يا أمير المؤمنين إن كنت لابد مسيرى فسيرني حيث سيرت ابن عمى نصر ابن حجاج فأمر بتسييره إلى البصرة فاشخص إليها، وأمر له بما يصلحه.

قال فروى الأصمعي: ابرد عمر بريدا الى عتبة بن أبي سفيان[9] بالبصرة فأقام بها أياما ثم نادى منادي عتبة: من أراد أن يكتب إلى أهله بالمدينة أو إلى أمير المؤمنين شيئا فليكتب فإن بريد المسلمين خارج فكتب الناس، ودس نصر بن حجاج كتابا فيه: لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصر بن حجاج، سلام عليك، أما بعد، يا أمير المؤمنين: لعمري لئن سيرتني أو حرمتنى.. لما نلت من عرضى عليك حرام.. أئن غنت الذلفاء يوما بمنية.. وبعض أماني النساء غرام.. ظننت بى الظن الذى ليس بعده.. بقاء فما لى في الندى كلام.. وأصبحت منفيا على غير ريبة.. قد كان لى بالمكتين مقام* ..سيمنعنى مما تظن تكرمي..وآباء صدق سالفون كرام.. ويمنعها مما تمنت صلاتها.. وحال لها في دينها وصيام.. فهاتان حالانا فهل أنت راجع.. فقد جب* منى كاهل وسنام. فقال عمر: أما ولى ولاية فلا. وأقطعه أرضا بالبصرة ودارا. فلما قتل عمر ركب راحلته ولحق بالمدينة.

*(طم شعره) عقصه (الوفرة) ما سأل على الاذنين من الشعر (بالمكتين) أي مكة والمدينة، مثنى على التغليب (جب) قطع (الجائل) الشعر الكثير الملتف (الفرعان) جمع أفرع، وهو الوافى الشعر. قال المبرد ، قوله: 'بالفرع بالمتخايل' ليس أنه جعل 'بالفرع' من صلة المتخايل ، فيكون قد قدم الصلة على الموصول، ولكنه جعل قوله: 'بالفرع' تبيننا، فصار بمنزلة 'بك' التى تقع بعد 'مرحبا' للتبيين (الملجاج) من الملاجة، وهى التمادي في الخصومة (المتمنية) ذكروا أن المرأة المتمنيق هي الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي(الجثو) الجلوس على الركبتين للخصومة(بني سليم) سليم بن منصور: قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان، من العدنانية. تنتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان(جفو) إذا كان الستر متجافيا عن وجهه أي متباعدا

■ (2) نصر بن حجاج بن علاط السلمي ثم البهزي: شاعر كانت لأبيه صحبة. من أهل المدينة. كان جميلا. قالت إحدى نساء المدينة: ياليت شعري عن نفسي، أزاهقة..مني، ولم أقض ما فيها من الحاج !. هل من سبيل إلى خمر فأشربها ؟..أم من سبيل إلى نصر بن حجاج ؟ وسمع البيتين أمير المؤمنين عمر، فقال: لا أرى رجلا في المدينة تهتف به العواتق في خدورهن! وطلبه، فجاء، فأمر به فحلق شعر رأسه، ثم نفاه إلى البصرة. ولنصر أبيات في حلق جمته. وأطال ابن أبي الحديد في خبره، فذكر له قصة مع امرأة أخرى في البصرة، نفاه بسببها أبو موسى الاشعري إلى فارس، وأن دهقانة أعجبت به في فارس فكتب أميرها عثمان بن أبي العاص الثقفي بخبره إلى عمر، فجاءه: جزوا شعره وشمروا قميصه وألزموه المساجد. ولما قتل عمر، عاد نصر إلى المدينة.

■ (9) عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، أبو الوليد، أخو معاوية بن أبي سفيان لأبويه ولد على عهد رسول الله وولاه عمر بن الخطاب الطائف ولما مات عمرو بن العاص ولى معاوية أخاه عتبه مصر وأقام عليها سنة ثم توفي بها ودفن فيها سنة 44 هـ وقيل : سنة 43 هـ

■ (3) عاصم بن عمر بن الخطاب، أمه جميلة بنت ثابت، كان اسمها عاصية فسماها رسول الله جميلة، وقيل: هي بنت عاصم بن ثابت، لا أخته. ولد عاصم قبل وفاة رسول الله بسنتين، وخاصمت فيه أمه أباه إلى أبي بكر الصديق وهو ابن أربع سنين، وقيل: ابن ثماني سنين، ولما طلق عمر أم عاصم تزوجها يزيد بن جارية الأنصاري، فهي أم عبد الرحمن بن يزيد أيضا، فهو أخو عاصم لأمه. و عاصم هو جد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز لأمه.وكان طويلا جسيما، وكان خيرا فاضلا يكنى أبا عمر.مات سنة 70 هـ قبل وفاة أخيه عبد الله.

■ (4) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

■ (6) أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. من بني الأشعر. التميمي، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذا على زبيد، وعدن. وولي البصرة لعمر، وعثمان، وولي الكوفة، وبها مات سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ.

■ (8) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان، من ثقيف، من أهل الطائف. أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله النبي على الطائف، فبقي في عمله إلى أيام عمر. ثم ولاه عمر عمان والبحرين سنة 15 هـ، وكتب له أن يستخلف على الطائف من أحب، فاستخلف أخاه الحكم. واستمر في البحرين إلى أن آلت الخلافة لعثمان بن عفان، فعزله، فسكن البصرة إلى أن توفي سنة51 هـ. له فتوح وغزوات بالهند وفارس. وفي البصرة موضع يقال له شط عثمان منسوب إليه. وهو الذي منع ثقيفا عن الردة: خطبهم فقال: كنتم آخر الناس إسلاما فلا تكونوا أولهم ارتدادا.

■ (5) مجاشع بن مسعود بن ثعلبة السلمي صحابي استخلفه المغيرة بن شعبة على البصرة في خلافة عمر غزا كابل وصالحه صاحبها الأصبهبذ وقيل: كان على يديه فتح حصن أبرويز بفارس وكان يوم الجمل مع عائشة أميرا على بني سليم فقتل فيه سنة 36 هـ قبل الوقعة ودفن بالبصرة.

■ (7) وكانت امرأة مجاشع يقال لها: الخضيراء امرأة من بني سليم، أخت عتبة بن غزوان، كانت تحت مجاشع بن مسعود بن ثعلبة السلمي.وكانت أول من نجد البيوت، فأمر عمر بهتك ما نجدت. وقيل إن امرأة مجاشع بن مسعود هي شميلة بنت جنادة بن أبي أزهر (أزيهر) الزهرانية حليف بني مخزوم ؟

■ (1) ذكروا أن المرأة المتمنية هي أم الحجاج، الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي.؟

☪

عن ابن سيرين أنه ألقى إلى عمر كتاب فيه:ألا أبلغ أبا حفص رسولا ..فدى لك من أخي ثقة إزار..قلائصنا هداك الله إنا..شغلنا عنكم زمن الحصار..فلما قلص وجدن معقلات..قفا سلع بمختلف التجار..قلائص من بني جشم بن بكر..وأسلم أو جهينة أو غفار..يعقلهن جعدة من سليم..معيدا يبتغي سقط العذار..يعقلهن أبيض شيظمي..وبئس معقل الذود الظؤار.فأرسل عمر إلى جعدة فضربه مائة معقولا، ونهاه أن يدخل على المغيبات، ولم يضربه حتى أقر. وعن عبد الله بن أبي فروة أن جعدة بن عبد الله السلمي كان يحدث النساء، ويخرج الجواري إلى سلع ويلاعبهن، ويعقل الجارية ثم يقول لها قومي في العقال فإنه لا يصبر في العقال إلا حصان، فتقوم ساعة ثم تسقط فربما انكشفت، فبلغ ذلك رجلا من كنانة يقال له نميلة، فكتب إلى عمر: ألا أبلغ أبا حفص رسولا الأبيات كلها، فدعا بجعدة، وسأله عن الأمر فأقر فقال: أنت كما وصفت أبيض شيظمي فضربه مائة معقولا، ونهاه أن يدخل على المغيبات، وأخرجه من المدينة إلى الشام، فكلم فيه فأذن له فرجع ولم يدخل المدينة، فكلم فيه فأذن له بعد في أن يجمع، ثم يخرج، وكان عمر إذا رآه يوم الجمعة يتوعده إن عاد ويقول له: يا فاسق فقال جعدة: أكل الدهر جعدة مستحق..أبا حفص لشتم أو وعيد..فما أنا بالبرئ براة عذر..ولا بالخالع الرسن الشريد. فأذن له مرتين في الجمعة. وعن يزيد بن عياض بن جعدبة عن عبد الله بن أبي بكر قال: سمع عمر رضي الله تعالى عنه رجلا ينشد: أعوذ برب الناس من شر معقل..إذا معقل راح البقيع مرجلا. فأرسل إليه عمر: جز شعرك فجزه، وكان جميلا حسن الشعر. عن ابن جعدبة عن عبد الله بن أبي بكر قال: سمع عمر امرأة ليلا وهي تقول: تطاول هذا الليل واخضل جانبه..فأرقني إلا حليل ألاعبه..فوالله لولا الله لا شيء غيره..لحرك من هذا السرير جوانبه. فسأل عمر: كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقيل ستة أشهر، فقال: إن ذلك من الحصان لصبر جميل، وأقفل عمر زوج تلك المرأة، وصير القفول في ستة أشهر.

قال أبو بكر: رحم الله عمر ما كان أنظره بنور الله في ذات الله وأفرسه، كان والله كما قال الشاعر:من الطويل:بصير بأعقاب الأمور برأيه..كأنه له في اليوم عينا على غد. وذكر المبرد محمد بن يزيد الثمالي قال: كان عمر أصلع فلما حلق وفرة نصر ابن حجاج قال نصر وكان شاعرا: تضن ابن خطاب على بجمة.. إذا رجلت تهتز هز السلاسل.. فصلع راسا لم يصلعه ربه.. يرف رفيفا بعد اسود جائل* ..لقد حسد الفرعان* اصلع.. لم يكن إذا ما مشى بالفرع بالمتخايل.

☪

قال المشهداني: قال تعالى:﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة] الزاد هو ما يأخذ المسافر معه من متاع، وكلنا في حال سفر إلى الله سبحانه وخير ما نتزود به لذلك اللقاء هي التقوى. فما التقوى؟ ولماذا؟ وكيف يتقي العبد ربه؟ وما موقف المسلم منها؟ أما التقوى: لغة فهي مأخوذة من الوقاية وما يحمي به الإنسان رأسه. واصطلاحا: أن تجعل بينك وبين ما حرم الله حاجبا وحاجزا. عرف علي بن أبي طالب التقوى فقال: هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل. وسأل عمر كعبا فقال له: ما التقوى؟ فقال كعب: يا أمير المؤمنين أما سلكت طريقا فيه شوك؟ قال: نعم. قال: فماذا فعلت؟ فقال عمر: أشمر عن ساقي، وانظر إلى مواضع قدمي وأقدم قدما وأؤخر أخرى مخافة أن تصيبني شوكة. فقال كعب: تلك هي التقوى. تشمير للطاعة، ونظر في الحلال والحرام، وورع من الزلل، ومخافة وخشية من الكبير المتعال سبحانه. وينبغي أن تعلم: أنه ما من خير إلا وعلقه رب العزة سبحانه بالتقوى: تفريج الكروب: ومن يتق الله يجعل له مخرجا.سعة في الرزق: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق] قبول العمل:﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[المائدة] سداد في الرأي وتوفيق في النظر:﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال] حسن العاقبة:﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف] والتقوى محلها القلب للحديث: ﴿التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ فليست التقوى مظهرا يكون عليه العبد للحديث: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ﴾.

*(العقال) الحبل الذي تربط به الإبل ونحوها (عقل الدابة) ربطها بالعقال ، وهو الحبل الذي تربط به الإبل ونحوها

مراجع: شرح نهج البلاغة/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ مقاييس اللغة/ تاريخ المدينة/ خزانة الأدب/ طلبة الطلبة/ أنساب الأشراف/ قافلة الداعيات/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/

روى ابن القيم في إعلام الموقعين: عن ابن حاطب بن أبي بلتعة أن غلمة لأبيه سرقوا ناقة لرجل من مزينة* فأتى بهم عمر فأقروا فأرسل إلى عبد الرحمن بن حاطب[1] فجاء فقال له: إن غلمان حاطب[2] سرقوا ناقة رجل من مزينة وأقروا على أنفسهم فقال عمر: يا كثير بن الصلت[3] اذهب فاقطع أيديهم فلما ولى بهم ردهم عمر؛ ثم قال: أما والله لولا أنى أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له لقطعت أيديهم، وأيم الله إن لم أفعل لأغرمنك غرامة توجعك، ثم قال يا مزني بكم أريدت منك ناقتك ؟ قال بأربعة مئة قال عمر لعبد الرحمن اذهب فأعطه ثمان مئة. في رواية قيل: سرق غلمان حاطب بن أبي بلتعة في عام الرمادة[4]ناقة لرجل مزني فنحروها وأكلوها ورفع الأمر إلى الفاروق، فطلب الغلمان فاعترفوا أنهم سرقوها من حرز والذين سرقوا عقلاء مكلفون ولم يدعوا ضرورة ملجئة للسرقة، فأمر كثير بن الصلت أن يقطع أيديهم – ولكنه– وهو يعيش عام الرمادة ويرى حال الناس التمس لهم عذرا فقال لمولاهم: إني أراك تجيعهم؟ واكتفى بذلك وأوقف القطع وأمر للمزني بثمن ناقته مضاعفة ثمان مئة درهم، فقد درء الحد عنهم للضرورة.

في رواية: حينما جيء بغلمان لحاطب بن أبي بلتعة الصحابي رضي الله عنه سرقوا ناقة لرجل، بعد أن أمر بأن تقطع أيديهم عاد فسألهم: ما الذي دفعكم إلى السرقة ؟ قالوا: يا أمير المؤمنين إن حاطب يتعبنا ويجيعنا، أي لا يطعمنا كما ينبغي. فاستدعى عمر حاطبا وقال له: والله لقد هممت أن أقطع يدك أنت، ثم أمر بأن يغرم لصاحب الناقة ناقته، وخلى عن الغلمان. وعمر هو نفسه رضي الله عنه في عام الرمادة حينما جاع الناس وأقحطوا عطل حد السرقة.

----

*(مزينة) مزينة قبيلة خندفية مضرية من القبائل العربية القديمة وتسكن في الجزيرة العربية وهو موطنها الأصلي وتحديداً الحجاز ونجد

■ (2) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة، اللخمي المكي، حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي. شهد بدرا والمشاهد. وكان رسول النبي إلى المقوقس، صاحب مصر. وكان تاجرا في الطعام، له عبيد. وكان من الرماة الموصوفين. ومات حاطب في المدينة سنة 30 هـ

■ (1) عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة، أبو يحيى، من أهل المدينة، وعدوه في كبار ثقات التابعين، ولد على عهد سيدنا رسول الله وأبوه من أهل بدر حليف لبني أسد. قدم دمشق مع النعمان بن بشير بقميص عثمان حين قتل. كتبت نائلة بنت الفرانصة إلى معاوية وبعثت بالقميص معها. توفي سنة 68 هـ بالمدينة.وقيل عبد الرحمن بن أبي بلتعة قتل يوم الحرة، وكانت الحرة سنة 63 هـ.

■ (3) كثير بن الصلت بن معدي كرب الكندي أبو عبد الله. أصله من اليمن، ومنشأه في المدينة. كان كبيرا مطاعا في قومه، وله بالمدينة دار كبيرة بالمصلى، يقال انه ولد في عهد النبي قيل: إنه أدرك النبي. وهو أخو زبيد بن الصلت. وكان كاتبا لعبد الملك بن مروان على الرسائل. وقيل: أن كثير بن الصلت كان اسمه قليلا فسماه رسول الله كثيرا، وقيل: سماه عمر بن الخطاب كثيرا. ومات بعد أن عمر نحو 70 هـ

■ (4) عام الرمادة كان سنة 18 هـ في خلافة عمر بن الخطاب. أصاب الناس فيه قحط حتى صارت وجوههم في لون الرماد من الجوع. وقيل: كانت الريح تسفي ترابا كالرماد لشدة يبس الأرض. وفي لسان العرب قيل: عام الرمادة معروف سمي بذلك لأن الناس والأموال هلكوا فيه كثيرا وقيل هو لجدب تتابع فصير الأرض والشجر مثل لون الرماد والأول أجود وقيل هي أعوام جدب تتابعت على الناس في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي حديث عمر أنه أخر الصدقة عام الرمادة وكانت سنة جدب وقحط في عهده فلم يأخذها منهم تخفيفا عنهم وقيل سمي به لأنهم لما أجدبوا صارت ألوانهم كلون الرماد ويقال رمد عيشهم إذا هلكوا أبو عبيد رمد القوم بكسر الميم وارمدوا بتشديد الدال قال والصحيح رمدوا وأرمدوا..[..]

قال عبد العزيز الفوزان: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الضرورة شبهة قوية تدرأ حد السرقة، وهو ما فعله عمر مع غلمان حاطب بن أبي بلتعة، حيث درأ عنهم الحد لما سرقوا في عام مجاعة، وقال رضي الله عنه: أما والله ! لولا أني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم، حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه، حل له، لقطعت أيديهم، ولأن من شروط قطع السارق: أن يكون مختارا، ولا اختيار له عند الجوع الموفي على الهلاك، ولأن له أن يأخذه ما دام مضطرا إليه، وقد حكى الماوردي الإجماع على سقوط القطع لشبهة الضرورة، فقال: روي عن مروان بن الحكم أنه أتي بسارق سرق عام مجاعة، فلم يقطعه، وقال: أراه مضطرا، فلم ينكر عليه أحد من الصحابة وعلماء عصره، فكان إجماعا، وعلى الرغم من أن ابن حزم لا يقول بدرء الحد بالشبهة، إلا أنه ذهب في هذه المسألة مذهب الجمهور، فدرأ الحد عن السارق للضرورة، وفي ذلك يقول ابن القيم: وهذا محض القياس، ومقتضى قواعد الشرع، فإن السنة إذا كانت سنة مجاعة وشدة، غلب على الناس الحاجة والضرورة، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد به رمقه، ويجب على صاحب المال بذل ذلك له، إما بالثمن أو مجانا، على الخلاف في ذلك، والصحيح وجوب بذله مجانا، لوجوب المواساة وإحياء النفوس مع القدرة على ذلك، والإيثار بالفضل مع ضرورة المحتاج، وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج، وهي أقوى من كثير من الشبه التي يذكرها كثير من الفقهاء، لا سيما وهو مأذون له في مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد رمقه، وعام المجاعة يكثر فيه المحاويج والمضطرون، ولا يتميز المستغني منهم، والسارق لغير حاجة من غيره، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب عليه، فدري.

قال رفيق بك العظم: أسقط عمر[1]الحد في عام المجاعة للضرورة وتجاوز أبو بكر[2]عن خالد بن الوليد[3]في حادثة مالك بن نويرة[4] إذ قتله دون تثبت من إسلامه كما تجاوز عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بما صنعه ببني جذيمة لما أرسله داعيا لا محاربا، فذهب إليهم وحاربهم وقتل وسبى منهم فبرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمله إلى الله، ولم يؤاخذه به، وما ذلك إلا لحسن بلاء خالد في الحروب وخدمته العظيمة في الإسلام. وكذلك أسقط سعد بن أبي وقاص[5] الحد عن أبي محجن[6] في حرب القادسية في خبر مشهور طويل لا محل لذكره هنا، وقال: والله لا أضرب اليوم رجلا أبلى للمسلمين ما أبلاهم. وعن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أن عمر بن الخطاب أخر الصدقة عام الرمادة فلم يبعث السعاة، فلما كان قابل ورفع الله ذلك الجدب أمرهم أن يخرجوا فأخذوا عقالين فأمرهم أن يقسموا عقالا، ويقدموا عليه بعقال أي صدقة سنة.وعن أبي نجيح عن كردم أن عمر بعث مصدقا عام الرمادة فقال: أعط من أبقت له السنة غنما وراعيا، ولا تعط من أبقت له غنمين وراعيين.

عن أنس، سمع حاطبا يقول: إنه اطلع على النبي صلى الله عليه وسلم بأحد، قال: وفي يد علي الترس والنبي صلى الله عليه وسلم يغسل وجهه من الماء، فقال حاطب: من فعل هذا ؟ قال: عتبة بن أبي وقاص هشم وجهي ودق رباعيتي بحجر! فقلت: إني سمعت صائحا على الجبل: قتل محمد! فأتيت إليك وكأن قد ذهبت روحي –فأين توجه عتبة؟ فأشار إلى حيث توجه. فمضيت حتى ظفرت به، فضربته بالسيف، فطرحت رأسه! فنزلت فأخذت رأسه وسلبه وفرسه، وجئت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسلم ذلك إلي ودعا لي. فقال: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْكَ﴾ مرتين. وعن جابر: ﴿أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو حَاطِبًا، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَبْتَ، لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ﴾ وعن عبيد الله بن أبي رافع قال سمعت عليا يقول: ﴿بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ قَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ صَدَقَكُمْ قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ﴾ وعن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك الإسكندرية. قال: فجئته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلني في منزله، وأقمت عنده، ثم بعث إلي وقد جمع بطارقته وقال: إني سأكلمك بكلام، وأحب أن تفهمه مني. قال: قلت: هلم، قال: أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي؟ قلت: بلى هو رسول الله، قال: فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيره؟ قال: فقلت: عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله؟ فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله عز وجل، حتى رفعه الله إلى السماء الدنيا؟ فقال لي: أنت حكيم جاء من عند حكيم، هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد، وأرسل معك ببذرقة*يبذرقونك إلى مأمنك. قال: فأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جوار، منهن أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهم بن حذيفة العدوي، وواحدة وهبها لحسان بن ثابت الأنصاري، وأرسل إليهم بطرف من طرفهم.

----

*((البذرقة) فارسي معرب الحراسة والخفارة

■ (2) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

■ (1) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي، يكنى بالفاروق، ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة 6 من النبوة وقيل سنة 5. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر والنبي،وعمره 65 سنة.وخلافته 10 سنين و6 أشهر

■ (3) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يلي أعنة الخيل في قريش، وقد أسلم سنة 7 هـ ، يكنى أبا سليمان، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول، وله بطولات نادرة في حروب الردة وقتال الفرس،مات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هـ ويقال: توفى بحمص سنة 14 هـ

■ (5) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة.مات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ..

■ (6) أبو محجن الثقفي، عمرو بن حبيب بن عمرو . أحد الأبطال الشعراء الكرماء، أسلم سنة 9هـ، وكان منهمكا في شرب النبيذ، فحده عمر مرارا، ثم نفاه إلى جزيرة بالبحر. فهرب ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية يحارب الفرس، فكتب إليه عمر أن يحبسه، فحبسه سعد عنده. واشتد القتال في أحد أيام القادسية فالتمس أبو محجن من امرأة سعد (سلمى) أن تحل قيده وعاهدها أن يعود إلى القيد إن سلم وأنشد أبياتا في ذلك، فخلت سبيله، فقاتل قتالا عجيبا ورجع بعد المعركة إلى قيده وسجنه. فحدثت سلمى سعدا بخبره، فأطلقه وقال له: لن أحدك أبدا. فترك النبيذ وقال: كنت آنف أن أتركه من أجل الحد! وتوفي بأذربيجان أو بجرجان.سنة30 هـ

■ (4) مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو حنظلة: فارس شاعر، من أرادف الملوك في الجاهلية. يقال له فارس ذي الخمار، وذو الخمار فرسه، أدرك الإسلام وأسلم وولاه رسول الله صدقات قومه بني يربوع ولما صارت الخلافة إلى أبي بكر اضطرب مالك في أموال الصدقات وفرقها. وقيل: ارتد، فتوجه إليه خالد بن الوليد وقبض عليه في البطاح، وأمر ضرار ابن الازور الأسدي، فقتله سنة 12 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ لسان العرب/ أنساب الأشراف/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

قال الكلبي: ذكروا أنه لما أسلم جبلة بن الأيهم الغساني[1] من ملوك جفنة في خلافة عمر بن الخطاب، كتب إلى عمر يعلمه بإسلامه ويستأذنه في القدوم عليه، فلما وصل كتابه إلى عمر سره ذلك، وكتب إليه يأذن له في القدوم عليه، فخرج جبلة في خمسين ومائة رجل من أهل بيته حتى إذا كانوا من المدينة على ميلين عمد إلى أصحابه فحملهم على الخيل وقلدهم قلائد الفضة وألبسهم الديباج وسرق الحرير، ولبس تاجه فيه قرطا مارية وهي جدته. قال: وبلغ عمر بن الخطاب، فبعث إليه بالنزل هناك، ثم دخل المدينة في هيئته. قال: فلم تبق بكر ولا عانس إلا خرجت تنظر إلى جبلة وموكبه، فأقبل حتى دخل على عمر بن الخطاب، فسلم عليه ورحب به عمر، وسر بإيلامه وقومه، ثم أقام أياما، وأراد عمر الحج من عامة ذلك، فخرج جبلة معه مشهورا بالموسم ينظر إليه الناس ويتعجبون من هيئته وكماله. قال: فبينا جبلة يطوف بالبيت إذ وطئ رجل من بني فزارة إزاره من خلفه فانحل، فما ورع جبلة أن رفع يده فهشم أنف الفزاري، فولى الفزاري والدماء تشخب من أنفه حتى استعدى عليه عمر بن الخطاب، فبعث إلى جبلة فأتاه، فقال له: يا جبلة هشمت أنف الرجل؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، اعتمد حل إزاري، ولولا حرمة الكعبة لضربت بالسيف بين عينيه، فقال له عمر: أما أنت فقد أقررت، فإما أن ترضي الرجل، وإلا أقدته منك، قال: تصنع ماذا؟ قال عمر: إما أن يهشم أنفك كما هشمت أنفه، وإما أن ترضيه. قال جبلة: أو خطير هو لي؟ قال: نعم. قال: وكيف وأنا ملك وهو سوقة؟ قال عمر: الإسلام قد جمعك وإياه، فلست تفضله إلا بالتقوى والعافية. قال جبلة: والله لقد ظننت يا أمير المؤمنين أن سأكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية. قال عمر: هو ما ترى إما أن تقيده أو ترضيه. قال جبلة: إذا أتنصر. قال عمر: إن فعلت قتلتك. قال: لم؟ قال: لأنك قد دخلت في الإسلام فإن ارتددت قتلتك. قال: فلما رأى جبلة أن عمر لا تأخذه في الله لومة لائم وليست له حيلة، واجتمع من حي الفزاري وحي جبلة على باب عمر جمع كثير حتى كادت تكون فتنة عظيمة، فقال: أنا أنظر في هذا الأمر ليلتي هذه، وانصرف إلى منزله، وتفرق الناس فلما ادلهم الليل عليهم تحمل جبلة في أصحابه من ليلته إلى الشام، وأصبحت المدينة منه ومن قومه بلاقع*، ثم أتى الشام فتحمل في خمس مائة أهل بيت من عك وجفنة حتى دخل القسطنطينية في زمن هرقل[2] فتنصر هو وقومه فلما رأى ذلك هرقل أقطعه حيث شاء وأجرى عليه من النزل ما شاء، وجعله من سماره ومحدثيه، وظن أنه فتح من الفتوح عليه عظيم، فمكث دهرا، ثم إن عمر بدا له أن يكتب إلى هرقل كتابا يدعوه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام، فكتب إليه ووجه به مع رجل من أصحابه، فأتى هرقل، فأعطاه كتاب عمر، فسر به وأجاب إلى كل خير من غير أن يجيب إلى الإسلام، ولما أراد صاحب عمر الخروج من عنده، قال هرقل يا عربي قال: قل ما تشاء؟ قال: هل لقيت ابن عمك؟ قال: من ابن عمي؟ قال: جبلة بن أيهم الغساني. قال: لا، قال: فالقه وانظر إلى حاله، قال صاحب عمر: فأتيت جبلة بن أيهم، فما إخالني رأيت بباب هرقل من السرور والبهجة ما رأيت بباب جبلة، فلما استأذنت عليه أذن لي، فدخلت، فقام إلي ورحب بي وألطفني وعانقني وعاتبني في ترك النزول عليه. قال: وإذا هو في بهو عظيم فيه من التماثيل والهول ما لا أحسن أصفه، وإذا هو في جماعة على سرير من ذهب وأربع قوائمه أسد من ذهب، وإذا هو رجل أصهب ذو سبال، وإذا هو قد أمر بالذهب الأحمر فسحك فذر في لحيته، واستقبل مجلسه ذلك عين الشمس، فما أحسبني رأيت شيئا قط أحسن منه، ثم أجلسني على شيء لم أتبينه فلما تبينته إذا هو كرسي من ذهب، فانحدرت عنه، فقال: ما لك؟ قلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا وشبهه، قال: وسألني عن الناس، وألحف في السؤال عن عمر، ثم جعل يتنهد حتى عرف الحزن فيه، فقلت: ما يمنعك من الرجوع إلى قومك وإلى الإسلام؟ قال: بعد الذي كان! قلت: نعم، وكان الأشعث بن قيس الكندي[3] ارتد عن الإسلام فضربهم بالسيف ومنعهم الزكاة ثم دخل في الإسلام وزوجه أبو بكر الصديق، فقال: دع هذا عنك، ثم أومأ إلى وصيف قائم على رأسه فولى يحضر فما شعرنا إلا بالصناديق يحملها الرجال، فوضعت أمامنا مائدة من ذهب فاستعفيت منها، فأمر بمائدة خلنج فوضعت أمامي، وسعى علينا من كل حار وبارد في صحاف ذهب وفضة، قال: وأداروا علينا الخمر فاستعفيت منها، فأمر برفعها، فلما فرغنا من الطعام، أتي بطشت من ذهب وإبريق من ذهب فتوضأ، ثم أومأ إلى وصيف له فولى يحضر، فما كان إلا هنيهة حتى أقبل عشرة جوار فقعد خمس على يمينه وخمس عن يساره على كراسي العاج، قال: ثم سمعت وشوشة خلفي، فإذا عشر أخر لم أر مثلهن حسنا وجمالا أفضل من الأول، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن يساره على كراسي الخز والوشي، ثم أقبلت جارية من أحسن ما تكون من الجواري بطائر أبيض مؤدب، في يدها اليمنى جام ذهب فيه مسك وعنبر سحينان وفي يدها اليسرى جام من فضة فيه ماء ورد وزنبق لم أشم مثله فنفرت بالطائر فانحدر في جام الماورد والزنبق، فأعقب بين ظهره وبطنه وجناحيه فلم يدع منه شيئا إلا احتمله، ثم نفرت به حتى سقط على صليب في تاج جبلة، ثم رفرف بجناحيه فلم يبق عليه شيء إلا كان على جبلة على رأسه ولحيته. قال: ثم دعا بمكوك* طويل من ذهب شرب فيه خمسة خمرا أعدها عدا، ثم استهل واستبشر ثم قال للجواري: أطربنني قال: فخفقنا بعيدانهن، واندفعن يغنين. قال: فطرب ثم قال: هل تعرف هذا الشعر؟ قلت: لا، قال: قاله ابن الفريعة[4]، حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وفي ملكنا، قال: قلت: نعم أما إنه ضرير كبير، قال: ثم سكت هنية ثم قال: أطربنني، فخفقن بعيدانهن واندفعن يغنين. قال: هل تعرف هذه المنازل ومن قائلها؟ قلت: لا، قال: يقولها ابن الفريعة فينا وفي ملكنا ومنازلنا بأكناف غوطة دمشق حسان بن ثابت. قال: ثم سكت طويلا، ثم قال: بكينني.قال: فوضعن عيدانهن، ونكسن رؤوسهن، واندفعن يقلن...قال: وانصرف الجواري وجعل يده على وجهه يبكي حتى نظرت إلى دموعه تحول لحيته كأنها فصيص اللؤلؤ. قال: وبكيت معه، ثم نشف دموعه بكمه ومسح وجهه، ثم قال: يا جارية هاتي، فأتته بخمس مائة دينار هرقلية، قال: ادفع به إلى حسان بن ثابت وأقرئه مني السلام، ثم قال: يا جارية هاتي، فأتته بخمس مائة دينار هرقلية قال: خذها صلة لك، فأبيت عليه، قلت: لا أقبل صلة رجل ارتد عن الإسلام وأمير المؤمنين عليه ساخط، فحرص بي، فأبيت عليه، ثم ودع وقال: أقرئ عمر بن الخطاب مني والمسلمين السلام، ثم خرجت من عنده فأتيت عمر، فقال: هيه ما يصنع هرقل؟ فخبرته، ثم قال: هل لقيت جبلة بن أيهم الغساني؟ قلت: نعم فقال: وتنصر؟ قلت: نعم. فقال: أورأيته يشرب الخمر؟ قلت: نعم، فقال: أبعده الله، تعجل فانية بباقية فما ربحت تجارته، فما الذي سرح به معك؟ قلت: وجه إلى حسان بن ثابت خمس مائة دينار، واقتصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها قال: هاتها، فدفعتها إليه، فقال: يا غلام ادع لي حسان بن ثابت، فدعي، فلما دخل عليه وكان ضريرا ومعه قائده، قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين إني لأجد روائح آل جفنة عندك. قال: نعم، قد أتاك الله من جبلة بمعونة، ونزع لك منه على رغم أنفه، قال: فأخذها وولى وهو يقول شعر من الكامل. وقيل إن جبلة توفي في أول خلافة معاوية بأرض الروم سنة أربعين من الهجرة. ولم ندم على ذلك من تركه الإسلام قال: تنصرت الأشراف من أجل لطمة..وما كان فيها لو صبرت لها ضرر..تكلفني منها لجاج ونخوة..نبعت لها العين الصحيحة بالعور..ويا ليت أمي لم تلدني وليتني..رجعت إلى القول الذي قاله عمر: ويا ليتني أرعى المخاض بقفزة..وكنت أسيرا في ربيعة أو مضر.

----

*(بلاقع) البلاقع جمع بلقع وبلقعة وهي الأرض القفر التي لا شيء بها (المكوك) طاس يشرب فيه، أعلاه ضيق ووسطه واسع. مكوك الشارب وهو ما يكال به الخمر

■ (1) جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر، واسمه المنذر بن الحارث، وهو ابن مارية ذات القرطين، وابن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، واسمه كعب بن عامر بن جارية بن امرئ القيس، ومارية هي بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، ويقال جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، أبو المنذر الغساني الجفني.أدرك النبي وقيل: إنه أرسل إليه شجاع بن وهب يدعوه إلى الإسلام وكان منزله الجولان وغيره من أعمال دمشق، ودخل دمشق غير مرة وأسلم ثم تنصر ولحق ببلاد الروم وكان آخر ملوك غسان، وقيل: إنه لم يسلم قط. توفي سنة 24 أو 25 هـ

■ (4) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو . سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس. أبو الوليد؛ ويقال: أبو الحسام. الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، ابن الفريعة (أو الفزيعة). شاعر رسول الله وصاحبه. وحديثه قليل. قال ابن سعد: عاش ستين في الجاهلية، وستين في الإسلام. قال ابن سعد: عن الواقدي: لم يشهد مع النبي مشهدا. كان يجبن وقيل: لعلة أصابته وأمة الفريعة (أو الفزيعة) بنت خنيس. قال مسلم: كنيته أبو عبد الرحمن. وقيل: أبو الوليد. واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته. توفي في المدينة بين سنة35 و40 هـ زمن علي. أو ما بين سنة 50 هـ و 54 هـ زمن معاوية

■ (3) الأشعث بن قيس رضي الله تعالى عنه اسمه معد يكرب بن قيس وسمي أشعث لشعث رأسه وهو من كندة، وكانت مراد قتلت أباه فخرج ثائراً بأبيه فأسر ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلاً من كندة فأسلم ويكنى أبا محمد، ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى أن يبايع أبا بكر رضي الله عنه، فحاربه عامل أبي بكر حتى استأمنه على حكم أبي بكر وبعث به إليه، فسأل أبا بكر أن يستبقيه لجزية ويزوجه أخته أم فروة ففعل ذلك أبو بكر، ومات سنة أربعين وابنه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الذي خرج على الحجاج وخرج معه القراء والعلماء.

■ (2) هرقل ملك الروم ، واسمه فلافيوس أغسطس هرقل إمبراطور الإمبراطورية البيزنطية توفي سنة21 هـ أيضا توفي خلفه الإمبراطور قسطنطين الثالث ثم خلفه الاخير الإمبراطور هرقلوناس في نفس السنة.

قال علي الصلابي: هنا أدرك جبلة أن الجدال لا فائدة منه، وأن المراوغة مع الفاروق لن تجدي، فطلب من الفاروق أن يمهله ليفكر في الأمر، فأذن له عمر بالانصراف، وفكر جبلة بن الأيهم ووصل إلى قرار، وكان غير موفق في قراره، فقد آثر أن يغادر مكة هو وقومه في جنح الظلام وفر إلى القسطنطينية، فوصل إليها متنصرا، وندم بعد ذلك على هذا القرار أشد الندم، وصاغ ذلك في شعر جميل ما زال التاريخ يردده ويرويه وفي هذه القصة نرى حرص الفاروق على مبدأ المساواة أمام الشرع، فالإسلام قد سوى بين الملك والسوقة، ولا بد لهذه المساواة أن تكون واقعا حيا وليس مجرد كلمات توضع على الورق أو شعار تردده الألسنة. لقد طبق عمر مبدأ المساواة الذي جاءت به شريعة رب العالمين وجعله واقعا حيا يعيش ويتحرك بين الناس، فلم يتراجع أمام عاطفة الأبوة، ولم ينثن أم ألقاب النبالة، ولا تضيع أمام اختلاف الدين أو مجاملة الرجال الفاتحين، لقد كان ذلك المبدأ العظيم واقعا حيا، شعر به كل حاكم ومحكوم، ووجده كل مقهور وكل مظلوم لقد كان لتطبيق مبدأ المساواة أثره في المجتمع الراشدي فقد أثر الشعور بها على نفوس ذلك الجيل فنبذوا العصبية التقليدية، من الادعاء بالأولية والزعامة، والأحقية بالكرامة، وأزالت الفوارق الحسبية الجاهلية، ولم يطمع شريف في وضيع، ولم ييأس ضعيف من أخذ حقه، فالكل سواء في الحقوق والواجبات، لقد كان مبدأ المساواة في المجتمع الراشدي نورا جديدا أضاء به الإسلام جنبات المجتمع الإسلامي وكان لهذا المبدأ الأثر القوي في إنشائه

روي في أحاديث دخل بعضها في بعض قالوا:وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعوه إلى الإسلام، فأسلم، وكتب بإسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهدى له هدية، ثم لم يزل مسلما حتى كان في زمن عمر بن الخطاب، فبينا هو في سوق دمشق إذا وطئ رجلا من مزينة، فوثب المزني فلطمه، فأخذ فانطلق به إلى أبي عبيدة بن الجراح، فقال: هذا لطم جبلة. قال: فيلطمه. قالوا: أوما يقتل؟ قال: لا، فقالوا: أفما تقطع يده؟ قال: لا، إنما أمر الله بالقود، قال جبلة: أترون أني جاعل وجهي ندا لوجه جدي جاء من عمق؟! بئس الدين هذا! ثم ارتد نصرانيا، وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم، فبلغ ذلك عمر، فشق عليه، وقال لحسان بن ثابت: أبا الوليد أما علمت أن صديقك جبلة بن الأيهم ارتد نصرانيا؟ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ولم؟ قال: لطمه رجل من مزينة. قال: وحق له، فقام إليه عمر بالدرة فضربه بها. وقيل إن جبلة أقام على نصرانيته إلى أن شهد اليرموك مع الروم في خلافة عمر، ثم أسلم بعد ذلك.وقيل: إن جبلة لم يسلم البتة، وإنما سأل عمر أن لا يأخذ منه الجزية، ويقبل منه الصدقة، فامتنع عليه، فلحق بالروم، والأظهر أنه أسلم ثم تنصر. وقال سعيد بن عبد العزيز: قال عمر بن الخطاب لجبلة:يا جبلة! فلم يجبه، ثم قال: يا جبلة! فلم يجبه مرتين، ثم قال: يا جبلة! فأجابه. قال: اختر مني إحدى ثلاث: إما أن تسلم فيكون لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، وإما أن تؤدي الخراج، وإما أن تلحق بالروم. قال: فلحق بالروم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ الوافي بالوفيات/ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ المحكم والمحيط الأعظم/ المعارف/ المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب/

كان عمر رضي الله عنه يحرص على أن تكون بيوت الولاة بدون أبواب، وبدون حجاب، فلما بلغه عن سعد بن أبي وقاص[1] رضي الله عنه أنه قد وضع بابا لداره بعث إليه محمد بن مسلمة[2] وأمره بإحراق ذلك الباب، وكان سبب ذلك الباب قرب الأسواق من داره، وكانت الأصوات مرتفعة بالسوق تؤذي سعداً، فوضع بابا يحجز عنه أصوات الناس بالسوق، وبلغ ذلك أسماع عمر عن دار سعد وبابه، وأن الناس يسمّونه قصر سعد، فدعا محمد بن مسلمة وأرسله إلى الكوفة، وقال: اعمد إلى القصر حتى تحرق بابه، ثم ارجع عودك على بدئك، فخرج حتى قدم الكوفة، فاشترى حطباً ثم أتى به القصر، فأحرق الباب. وفي رواية مليح بن عوف السلمي[3] قال: بلغ عمر بن الخطاب أن سعد بن أبي وقاص صنع باباً مبوباً من خشب على باب داره، وخص على قصره خصاً من قصب، فبعث محمد بن مسلمة، وأمرني بالمسير معه، وكنت دليلاً بالبلاد، فخرجنا وقد أمره أن يحرق ذلك الباب وذلك الخص، وأمره أن يقيم سعداً لأهل الكوفة في مساجدهم، وذلك أن عمر بلغه عن بعض أهل الكوفة أن سعداً حابى في بيع خمس باعه. فانتهينا إلى دار سعد، فأحرق الباب والخص، وأقام محمدٌ سعداً في مساجدها، فجعل يسألهم عن سعد ويخبرهم أن أمير المؤمنين أمره بهذا، فلا يجد أحداً يخبره إلا خيراً.

روى عبد الملك بن عمير[4] عن جابر بن سمرة[5] قال: شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عمارا[6]، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي؟ قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرم* عنها، أصلي صلاة العشاء فأركد* في الأولين وأخف في الأخريين. قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه، ويثنون معروفا، حتى دخل مسجدا لبني عبس*، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة السعدي يكنى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدا كان لا يسير بالسرية*، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث، اللهم، إن كان عبدك هذا كاذبا، قام رياء وسمعة فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن.

عن هارون بن عبد الله الحضرمي، عن عفيف بن معدي كرب[7] قال: خرجنا أناس نشي بسعد الاشعث[8] وغير واحد من وجوه أهل الكوفة –حتى قدمنا المدينة فنزلنا في رحبة من رحابها نطلب منزلا، إذ مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ناحية الطريق معه درة في يده فقال بعضنا: هذا أمير المؤمنين، وقال بعضنا: ما هو به، فالقوم يختصمون إذ رأى مكاننا فأقبل إلينا، فسلم. ثم قال الاشعث وأصحابه: يا أمير المؤمنين، إنا قد جئنا نذكر لك ما قد رأينا من عاملنا سعد، فإن أحببت أن نقوم معك قمنا معك، وإن أحببت أن تجلس إلينا فعلت، قال: لا بل أجلس إليكم، هاتوا ما عندكم. قلنا: يا أمير المؤمنين، ظلمنا واعتدى علينا، ومنعنا حقوقنا فلم نجئ في غيبة، ونحن نحب أن تعزله عنا وتستعمل علينا غيره. فقام وقال: لعل ذلك أن يكون، فلما ولى قلنا: والله ما صنعنا شيئا وما أدركنا حاجتنا ولا كفينا أنفسنا، وهو مخبر سعدا الآن بما قلنا، فيكون أخبث ما كان لنا صحبة، يا عفيف أدركه، فسمع حسا خلفه فوقف فقال: ألك حاجة؟ قال: نعم. قال: ما حاجتك؟ قال: أرسلني إليك أصحابنا قالوا: إذا لم تسمع فيه ما قلنا فنحن نحب ألا تذكره له. قال: لعل ذلك أن يكون، قال: ثم تبوأنا منزلنا، ثم غدونا إلى المسجد وسعد عنده في المنزل فمكثنا طويلا فخرج إلينا سعد وهو يذم أهل الحيرة وأهل المخالفة. قال قلنا: إنا لله، استعمله علينا ويكون شر ما كان لنا صحبة، فقال قائل: هذا والله غضب رجل قد عزل، قال: فبينا نحن كذلك إذ جاء رسول عمر رضي الله عنه فأدخلنا عليه فقال: يا أشعث، إني قد عزلت عنكم سعدا، ولكن أخبروني عما أسألكم عنه، إذا كان الامام عليكم فجار عليكم ومنعكم حقوقكم وأساء صحبتكم ما تصنعون به؟ قلنا يا أمير المؤمنين، ما نصنع به إن رأينا خيرا حمدنا الله وقبلنا، وأن رأينا جورا وظلما صبرنا حتى يفرج الله منه، قال: أما هو إلا ما أسمع؟ قالوا: لا والله ما عندنا إلا ما قلنا لك، قال فضرب بيده على جبهته ثم قال: لا والله الذي لا إله إلا هو لا تكونون شهداء في الارض حتى تأخذوهم كأخذهم إياكم، وتضربوهم في الحق كضربهم إياكم وإلا فلا.

عن مصعب بن سعد: أن سعدا خطبهم بالكوفة ثم قال: يا أهل الكوفة، أي أمير كنت لكم؟ فقام رجل فقال: اللهم، إن كنت ما علمتك لا تعدل في الرعية، ولا تقسم بالسوية، ولا تغزو في السرية. قال: فقال سعد: اللهم، إن كان كاذبا فأعم بصره، وعجل فقره، وأطل عمره، وعرضه للفتن. قال: فما مات حتى عمي، فكان يلتمس الجدرات، وافتقر حتى سأل الناس، وأدرك فتنة المختار الكذاب فقتل فيها، فكان إذا قيل له: كيف أنت؟ قال: أعمى فقير، أدركتني دعوة سعد.

عن سعد قال: مررت بعثمان بن عفان في المسجد فسلمت عليه، فملأ عينيه ثم لم يرد علي السلام، فأتيت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقلت: يا أمير المؤمنين، هل حدث في الإسلام شيء؟ قال: وما ذاك؟ قلت: لا، إلا أني مررت بعثمان آنفا في المسجد، فسلمت عليه، فملأ عينيه مني ثم لم يرد السلام! قال: فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه فقال: ما يمنعك أن تكون رددت على أخيك السلام؟ فقال عثمان: ما فعلت؟ قال سعد: بلى. قال: حتى حلف وحلفت. قال: ثم إن عثمان ذكر فقال: بلى! فأستغفر الله وأتوب إليه، إنك مررت بي آنفا وأنا أحدث نفسي بكلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا والله ما ذكرتها قط إلا تغشى بصري وقلبي غشاوة. فقال سعد: فأنا أنبئك بها،﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم ذَكَرَ لَنَا: أَوَّلَ دَعْوَةٍ، ثُمَّ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَشَغَلَهُ ، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم فَاتَّبَعْتُهُ فلما اشْفَقْتُ أَنْ يَسبَقَنِي إِلَى مَنْزِلِهِ ضَرَبْتُ بِقَدَمِي الأَرْضَ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم فَقَالَ: مَنْ هَذَا أَبُو إِسْحَاقَ ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَمَهْ، قُلْتُ: لاَ وَاللهِ إِلاَّ أَنَّكَ ذَكَرْتَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ ثُمَّ جَاءَ هَذَا الأَعْرَابِيُّ فَقَالَ: نَعَمْ، دَعْوَةُ ذِي النُّونِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، [الأنبياء] فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ لَهُ﴾.

عن سعيد بن المسيب قال: خرجت جارية لسعد يقال لها زبرا، وعليها قميص جديد، فكشفتها الريح، فشد عليها عمر بالدرة، وجاء سعد ليمنعه، فتناوله بالدرة، فذهب سعد يدعو على عمر، فناوله الدرة وقال: اقتص. فعفا عن عمر.

----

*(أخرم) أنقص (أركد) أطيل فيهما (بنو عبس) قبيلة عربية قيسية عدنانية، تنحدر من غطفان بن سعد بن قيس عيلان (السرية) هي القطعة من الجيش.

■ (1) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة.مات بالمدينة سنة55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ..

■ (6) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم، أبو اليقظان من الولاة الشجعان ومن السابقين إلى الإسلام، ولد بمكة سنة 56 ق.هـ هاجر إلى المدينة وشهد بدرا واحدا وغيرهما، ولاه عمر الكوفة ثم عزله. وشهد الجمل وصفين وقتل فيها سنة 37 هـ

■ (8) الأشعث بن قيس بن معدي كرب، أبو محمد، الكندي أمير كندة في الجاهلية والإسلام، .ولد في شبوة سنة 23 ق هـ كانت إقامته في حضرموت. وفد على النبي بسبعين رجلا من كندة، وشهد اليرموك والقادسية والمدائن. وكان ارتد ثم رجع في خلافة أبي بكر وزوجه أخته أم فروة. مات سنة 40 هـ.

■ (2) محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الرحمن، من الأمراء، من أهل المدينة. شهد بدرا وما بعدها إلا غزوة تبوك. واستخلفه النبي في بعض غزواته. وولاه عمر على صدقات جهينة. واعتزل الفتنة في أيام علي. وكان عند عمر معدا لكشف أمور الولاة في البلاد. مات بالمدينة سنة 43 هـ وقيل سنة 46 هـ وله 77 سنة

■ (4) عبد الملك بن عمير بن سويد بن جارية اللخمي. أبو عمرو، ويقال: أبو عمر،، ويقال: القرشي الكوفي. رأى علي وأبى موسى، وسمع جرير بن عبد الله، وجابر بن سمرة، وغيرهم من الصحابة، وقيل كان قاضي الكوفة، توفى سنة 136 هـ أو نحوها وبلغ مائة وثلاث سنين.

■ (7) عفيف الكندي، يقال: عفيف بن قيس بن معدي كرب، وقيل: عفيف بن معدي كرب، ويقال: إن عفيفا الكندي الذي له صحبة غير عفيف بن معدي كرب الذي يروي عن عمر. وقيل: إنهما واحد؛ قاله أبو عمر.

■ (5) جابر بن سمرة بن جنادة السوائي، كان حليف بني زهرة. وهو ابن أخت سعد بن أبي وقاص، له ولابيه صحبة. نزل الكوفة ومات بها في ولاية بشر بن مروان على العراق سنة 74 هـ

■ (3) مليح بن عوف السلمي له إدراك وكان دليلا في زمن عمر (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

سعد بن أبي وقاص أحد العشرة الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أنهم في الجنة. وفتح مدائن كسرى، وهو أحد الستة الذين جعل عمر بن الخطاب الشورى إليهم بعده. وكان مستجاب الدعوة. وسعد كوف الكوفة* ونفى الأعاجم، وكان أهل الكوفة قد رفعوا عليه أشياء كشفها عمر فوجدها باطلا، وكان مما رفعوا عليه أنه لا يحسن الصلاة، فقال: نعم حين ذكر ذلك له والله إني لأركد في الأولين وأحذف الأخريين. فقال عمر: ذاك الظن بك أبا إسحاق. وأمره أن يعود إلى الكوفة، فقال: تأمرني أن أعود إلى قوم زعموا أني لا أحسن الصلاة!؟ وأبى، فلما طعن عمر قال في وصيته حيث أسماه في أهل الشورى: إن ولي سعد الإمارة فذاك، وإلا فليستعين به الوالي من بعدي، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة. واعتزل اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قتل عثمان، ونزل قلهي*، واحتفر فيه بئرا فأعذب، وأمر أهله ألا يخبروه من أخبار الناس شيئا، حتى تجتمع الأمة على إمام. ونظر يوما إلى راكب يزول فقال: هذا راكب، فلما دنا قيل له: هذا ابنك عمر بن سعد. فجاء عمر، فأناخ ثم قال لأبيه: أرضيت لنفسك أن تقيم بهذا المنزل، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلفون في الخلافة؟ فقال له: إن جئتني بسيف يعرف المؤمن من الكافر إذا ضربت به فعلت..وذكر بعض أهل العلم: أن ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص جاءه فقال له: هاهنا مئة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر. فقال: أريد من مئة ألف سيف سيفا واحدا، إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئا، وإذا ضربت به الكافر قطع. فانصرف من عنده إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فكان في أصحابه وقاتل معه.

عن سعد بن مالك قال: نزلت هذه الآية في: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان] قال: كنت رجلا برا بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد! ما هذا الدين الذي قد أحدثت!؟ لتدعن دينك هذا أو ولا آكل ولا أشرب حتى أموت، فتعير بي فيقال: يا قاتل أمه.قلت: لا تفعلي يا أمه، إني لا أدع ديني هذا لشيء.قال: فمكثت يوما لا تأكل ولا تشرب وليلة. قال: وأصبحت قد جهدت، قال: فمكثت يوما آخر وليلة لا تأكل، فأصبحت واشتد جهدها. قال: فلما رأيت ذلك قلت: يا أمهن تعلمين والله يا أمه، لو كانت لك مئة نفس، فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء، إن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت، فنزلت هذه الآية.

عن الزهري: أن سعد بن أبي وقاص لما حضره الموت دعا بخلق جبة له من صوف فقال: كفنوني فيها، فإني كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وهي علي، وإنما كنت أخبأها لهذا. قال أبو بكر بن حفص: توفي سعد بن أبي وقاص والحسن بن علي بن أبي طالب في أيام، بعدما مضى من إمارة معاوية عشرة سنين. وكان عامر بن سعد قال: كان سعد آخر المهاجرين وفاة.

☪

عن سعد بن أبي وقاص قال:وقف عمر بالجابية فقال: رحم الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، أما إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في ناس كقيامي فيكم ثم قال: ﴿احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ يَقُولُهَا ثَلَاثًا، ثم يَكْثُرَ الْهَرْجُ* وَالْكَذِبُ، وَيَشْهَدَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، وَيَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، فَمَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَذِّ، وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾

----

*(كوف) يدل على استدارة في شيء. وتكوف الرمل: استدار.لذلك سميت الكوفة. ووقعنا في كوفان وكوفان، أي عناء ومشقة، كأنهم اشتقوا ذلك من الرمل المتكوف، لأن المشي فيه يعني(قلهي) حفيرة لسعد بن أبي وقاص اعتزل بها الناس لما قتل عثمان بن عفان وروي فيها قلهيا: ويقال: قلهي(الهرج) القتل والفتن واضطراب الأمور

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ مقاييس اللغة/ الأعلام للزركلي/ تاريخ المدينة/

قال عبد الرحمن بن كعب: كان معاذ بن جبل[1] شابا جميلا سمحا من خيار شباب قومه، لا يسأل شيئا إلا أعطاه حتى دان عليه دين أغلق ماله، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يكلم له غرماءه، ففعل، فلم يضعوا له شيئا، فلو ترك لأحد بكلام أحد لترك لمعاذ بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبرح أن باع ماله وقسمه بين غرمائه. قال: فقام معاذ ولا مال له. قال: فلما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن ليجبره* قال: فكان أول من اتجر في هذا المال معاذ. قال: فقدم على أبي بكر من اليمن وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه عمر وقال: هل لك أن تعطيني، تدفع هذا المال إلى أبي بكر، فإن أعطاكه فأقبله. قال: فقال معاذ: لم أدفعه إليه؛ وإنما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجبرني؟ فلما أبى عليه انطلق عمر إلى أبي بكر فقال: أرسل إلى هذا الرجل فخذ منه ودع له. فقال أبو بكر: ما كنت لأفعل، إنما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجبره، فلست آخذ منه شيئا. قال: فلما أصبح معاذ انطلق إلى عمر فقال: ما أراني إلا فاعل الذي قلت، إني رأيت البارحة في النوم أجر إلى النار وأنت آخذ بحجزتي. قال: فانطلق إلى أبي بكر بكل شيء جاء به، حتى بسوطه، وحلف له أنه لم يكتمه شيئا. قال: فقال أبو بكر: هو لك، لا آخذ منه شيئا. في رواية عن الشعبي قال: قال عمر بن الخطاب لمعاذ بن جبل: إن عندك مالا أصبته من اليمن؟ فقال: قد طيبه لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يعرض لي فيه أبو بكر، فتركه عمر، فرأى معاذ في منامه كأن الناس يحشرون، فأراد أن ينهض فلم يقدر، فقص ذلك على عمر وقال: ما أظن هذا إلا لمكان المال؟ فقال عمر: اقسمه قسمين فاجعل شطره للمسلمين، فقسمه فيهم.

كان نساء بعض الولاة يقدمن الشكاوى إلى عمر نتيجة زهد أزواجهن، وروى سعيد بن المسيب: أن عمر رضي الله عنه بعث معاذا ساعيا على بني كلاب وعلى بني سعد بن ذبيان، فقسم فيهم حتى لم يدع شيئا، وعاد إلى المدينة بثوبه الذي خرج به منها، فقالت امرأته: أين ما جئت به مما يأتي به العمال من عراضة لأهليهم؟ فقال:كان معي ضاغط*؛ فقالت: كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر فبعث عمر معك ضاغطا؟ فقامت بذلك في نسائها، واشتكت عمر، فبلغ ذلك عمر، فدعا معاذا فقال: أنا بعثت معك ضاغطا؟ قال: لم أجد شيئا أعتذر به إليها إلا ذلك؛ فضحك عمر، وأعطاه شيئا، وقال: أرضها. فائدة: عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ –وفي لفظ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا– مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَتَابَعُوا فِي الْكَذِبِ كَمَا يَتَتَابَعُ* الْفَرَاشُ فِي النَّارِ كُلُّ الْكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا ثَلَاثَ خِصَالٍ رَجُلٌ كَذَبَ عَلَى امْرَأَتِهِ لِيُرْضِيَهَا أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ فِي خَدِيعَةِ حَرْبٍ أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ امْرَأَيْنِ مُسْلِمَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا﴾ روي أن رجلا في عهد عمر قال لامرأته: نشدتك بالله هل تحبينني؟! قالت: أما إذ نشدتني بالله فلا، أي: ما دام المسألة فيها يمين وفيها قضية فاصلة فلا؛ لأنها لا تريد أن تكذب، فخرج حتى أتى عمر فأخبره، فأرسل إليها عمر فقال: أنت التي تقولين لزوجك: لا أحبك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين! نشدني بالله، أفأكذب؟! قال: نعم فاكذبي، ليس كل البيوت تبنى على الحب، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب.

عن أشياخ، قالوا: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، إني غبت عن امرأتي سنتين، فجئت وهي حبلى. فشاور عمر الناس في رجمها، فقال معاذ بن جبل: يا أمير المؤمنين، إن كان لك عليها سبيل، فليس لك على ما في بطنها سبيل، فاتركها حتى تضع، فتركها، فولدت غلاما قد خرجت ثنيتاه، فعرف الرجل الشبه فيه فقال: ابني ورب الكعبة. فقال عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ، رضي الله عنه، لولا معاذ هلك عمر.

*(ضاغط) أي أمين/ مراقب ولم يكن معه أمين ولا شريك وإنما أراد، والله أعلم، إرضاء المرأة بهذا القول، أي أمين حافظ، يعني الله عز وجل المطلع على سرائر العباد.وهذا من معاريض الكلام (يجبره) قيل:جبرت الفقير: أغنيته مثل جبرته من الكسر وهو إصلاحه وعلاجه حتى يبرأ وهو عام في كل شيء على التشبيه والاستعارة (يتتابع) يسرع وأكثر استعماله في الشر

■ (1) معاذ بن جبل بن عمرو، كنيته أبو عبد الرحمن ويقال أبو عبد الله شهد بدرا والعقبة مع النبي صلى الله عليه وسلم حديثه في أهل الشام ومات بها بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة 18 هـ في خلافة عمر وله 31 سنة وقيل إنه حين مات كان له 33 سنة ومنهم من قال28 سنة

☪

وروي أن أبا عبيدة ومعاذ بن جبل كتبا إلى عمر رضي الله عنه يعظانه: سلام عليك أما بعد، فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مهم، وأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها، يجلس بين يديك الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكل حصته من العدل، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر، فإنا نحذرك يوما تعنو فيه الوجوه، وتجف فيه القلوب، وتقطع فيه الحجج، ملك قهرهم بجبروته، والخلق داخرون له، يرجون رحمته، ويخافون عقابه وإنا كنا نحدث أن أمر هذه الأمة سيرجع إلى آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة، وإنا نعوذ بالله أن يترك كتابنا إليك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا، فإنا كتبنا به نصيحة لك، والسلام عليك. فكتب إليهما: من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل سلام عليكما، أما بعد، فإنكما كتبتما إلي تذكران أنكما عهدتماني وأمر نفسي لي مهم وإني قد أصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها يجلس بين يدي الشريف والوضيع، والعدو والصديق ولكل حقه من ذلك، وكتبتما فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر، وأنه لا حول ولا قوة عند ذلك لعمر إلا بالله، وكتبتما تحذراني ما حذرت به الأمم قبلنا، وقديما كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتيان بكل موعود حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار، وكتبتما تحدثان أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة، ولستم بأولئك، ليس هذا بزمان ذلك، وأن ذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرهبة، تكون رغبة بعض الناس إلى بعض لصلاح دنياهم، ورهبة بعض الناس من بعض، كتبتما به نصيحة تعظاني بالله أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما، وإنكما كتبتما به وقد صدقتكما، فلا تدعا الكتاب إلي، فإنه لا غنى بي عنكما، والسلام عليكما.

☪

عن مالك الدار[1]: أن عمر بن الخطاب أخذ أربعمئة دينار فجعلها في صرة ثم قال للغلام: اذهب بها إلى عبيد بن الجراح، ثم تله ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع. فذهب الغلام إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين؛ اجعل هذه في بعض حوائجك. فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها. فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، ووجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل، قال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل، وتله في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع. فذهب بها إليه، قال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: وصله الله ورحمه، تعالي يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، وإلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران، قد جاء بهما إليها. فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، فسر بذلك عمر وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض. وعن نافع، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى عبيدة بن الجراح وإلى معاذ بن جبل حين بعثهما إلى الشام، أن انظروا رجالا من صالحي من قبلكم فاستعملوهم على القضاء، وارزقوهم، وأوسعوا عليهم من مال الله عز وجل.

عن عبد الله بن كعب بن مالك، قال: كان عمر بن الخطاب يقول حين خرج معاذ بن جبل إلى الشام؛ لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وما كان يفتيهم به، ولقد كلمت أبا بكر أن يحبسه لحاجة الناس إليه، فأبى علي وقال: رجل أراد وجها يرد الشهادة فلا أحبسه. فقلت: والله إن الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفي بيته. وعن محمد بن سهل بن أبي حثمة، عن أبيه، قال: كان الذين يفتون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من المهاجرين وثلاثة من الأنصار، عمر وعثمان وعلي، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت. وعن مسروق، قال: انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هؤلاء الستة، إلى عمر وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت. وعن شهر بن حوشب، قال: كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا تحدثوا وفيهم معاذ نظروا إليه هيبة له. وعن مسروق، قال: كنا عند ابن مسعود فقال: إن معاذ بن جبل كان أمة لله حنيفا. قال: فقال له فروة بن نوفل: نسي أبو عبد الرحمن، أإبراهيم خليل الله تعني؟ قال: وهل سمعتني ذكرت إبراهيم؟ إنا نشبه معاذا بإبراهيم، أو إن كان نشبه به.قال: فقال له رجل: ما الأمة؟ قال: الذي يعلم الناس الخير، وكان ابن مسعود يسميه الأمة القانت، والقانت: الذي يطيع الله ورسوله.

قال أبو إدريس الخولاني: دخلت مسجد حمص، فجلست إلى حلقة فيها اثنان وثلاثون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يقول الرجل منهم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحدث، ثم يقول الآخر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحدث، قال: وفيهم رجل أدعج، براق الثنايا، فإذا شكوا في شيء ردوه إليه ورضوا بما يقول فيه. قال: فلم أجلس قبله ولا بعده مجلسا مثله، فتفرق القوم وما أعرف اسم رجل منهم ولا منزله. قال: فبت بليلة ما بت بمثلها.قال:وقلت: أنا رجل أطلب العلم، وجلست إلى أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم لم أعرف اسم رجل منهم ولا منزله! فلما أصبحت غدوت إلى المسجد فإذا أنا بالرجل الذي كانوا إذا شكوا في شيء ردوه إليه يركع إلى بعض اصطوانات المسجد، فجلست إلى جانبه، فلما انصرف قال: قلت: يا أبا عبد الله وإني لأحبك لله. فأخذ حبوتي حتى أدناني منه، ثم قال: إنك لتحبني لله؟ قال: قلت: إي والله، إني لأحبك لله. قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ الْمُتَحَابِّينَ بِجَلَالِ اللهِّ فِي ظِلِّ اللهِّ وَظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ﴾ قال: فقمت من عنده، فإذا أنا برجل من القوم الذين كانوا معه. قال: قلت: حديث حدثنيه الرجل. قال: أما إنه لا يقول لك إلا حقا. قال: فأخبرته. فقال: قد سمعت ذلك، وأفضل منه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يأثر عن ربه عز وجل: ﴿حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ فِيَّ﴾ قال: قلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا عبادة بن الصامت. قال: قلت: من الرجل؟ قال: معاذ بن جبل. وعن عبد الله بن رافع، قال:لما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل، واشتد الوجع، فقال الناس لمعاذ: ادع الله أن يرفع عنا هذا الرجز. قال: إنه ليس برجز؛ ولكنه دعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وشهادة يختص بها الله من يشاء منكم؛ أيها الناس، أربع خلال من استطاع أن لا يدركه شيء منهن فلا تدركه. قالوا: وما هي؟ قال: يأتي زمان يظهر فيه الباطل، ويصبح الرجل على دين ويمسي على آخر، ويقول الرجل: والله ما أدري على ما أنا؛ لا يعيش على بصيرة، ويعطي المال من مال الله على أن يتكلم بكلام الزور الذي يسخط الله. اللهم آت معاذ نصيبهم من هذه الرحمة. فطعن ابناه، فقال: كيف تجدانكما؟ قالا:﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة] وقال: وأنا﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات] ثم طعنت امرأتاه، فهلكتا، وطعن هو في إبهامه فجعل يمسها بفيه ويقول: اللهم إنها صغيرة فبارك بها، فإنك تبارك في الصغير. حتى هلك. وعن عمرو بن قيس، قال: بلغني أن معاذا لما طعن، فجعل سكرات الموت تغشاه، فيفيق الإفاقة ويقول: وعزتك أنت تعلم أني لم أكن أريد البقاء في الدنيا لكر الأنهار وغرس الأشجار، ولكن لمزاحمة العلماء بالركب في المجالس عند حلق الذكر. وعن موسى بن وردان، أن معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعا ولكن أبكي على الجهاد في سبيل الله، وعلى فراق الأحبة. وعن الحسن البصري، قال: لما حضرت معاذا الوفاة جعل يبكي. قال: فقيل له: أتبكي وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت وأنت. فقال: ما أبكي جزعا من الموت أن حل بي ولا دينا تركته بعدي، ولكن إنما هما القبضتان قبضة في النار وقبضة في الجنة، فلا أدري في أي القبضتين أنا. مات معاذ سنة ثمان عشرة في طاعون عمواس بالشام بناحية الأردن، وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة.عن عبد الله بن قرط، قال: حضرت وفاة معاذ بن جبل، فقال: روحوني ألقى الله مثل سن عيسى بن مريم ابن ثلاث وثلاثين أو أربع وثلاثين سنة.

■ (1) مالك بن عياض المعروف بمالك الدار المدني مولى عمر بن الخطاب. ويقال: الجبلاني. قدم مع عمر بن الخطاب الشام، وشهد معه فتح بيت المقدس، وخطبته بالجابية. قال علي بن المديني: كان مالك الدار خازنا لعمر.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ تاج العروس/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/

عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: دخل عمرو بن معد يكرب الزبيدي[1] على عمر بن الخطاب، وعنده الربيع بن زياد[2]، وشريك بن الأعور[3] الحارثيان، فسلم عليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أأبرام بنو مخزوم؟ قال: وما ذاك يا أبا ثور ؟ قال: دخلت على خالك أبي سليمان يعني خالد بن الوليد[4]، فأتاني بثور* وقوس* وكعب*، فأطعمنيه. فقال عمر: إن في ذلك لسعة. فقال: يا أمير المؤمنين، لك أو لي، قال: بل لي ولك. قال: كلا* يا أمير المؤمنين، فلقد رأيتني آكل الجذع* حتى أنقها عظما عظما، وأشرب التبن* من اللبن، رثيئة* وصريفا. قال: فنظر عمر إلى الربيع بن زياد كالمتعجب من قوله. فقال الربيع: يا أمير المؤمنين إنه لكذاك، وإن الخيل لتتقي ذراه إذا كان بين الصفين وانتعلت الخيل الدماء، على أنه قد نقص إلنا، وقطع أواصرنا، فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، جاورت هذا الحي من بني الحارث بن كعب عشرين سنة فمشوا إلي بالضراء، ودبوا إلي الخمر، فلما بدت لي ضباب صدورهم، وحسك قلوبهم، أوجرتهم أمر من نقيع الحنظل، فقال شريك بن الأعور: يا أمير المؤمنين، إن هذا أعجزنا لما أخذته أنيابنا، وكلمته أظافرنا. فقال عمرو: إليك يابن الأعور، فإني لا أجلس على الدبر، ولا أغمز غمز التين، ولا يقعقع لي بالشنان. قال: فلما خشي عمر أن يتفاقم الأمر بينهم، ويخرجوا إلى ما هو أعظم من هذا. قال: إيها عنكم الآن. فأقبل على عمرو، فقال: يا أبا ثور، لقد حدثت عن نفسك بمأكل ومشرب، ولقد لقيت الناس في الجاهلية والإسلام، فأخبرني: هل صدفت* عن فارس قط؟ قال: يا أمير المؤمنين، قد كنت أكره الكذب في الجاهلية وأنا مشرك، فكيف إذ هداني الله للإسلام؟ ولقد قلت ذات يوم لخيل من بني أسد: هل لكم في الغارة؟ قالوا: على من؟ قلت: على بني البكاء. قالوا: مغار بعيد، على شدة كلب وقلة سلب. قلت: فعلى من؟ قالوا: على هذا الحي من كنانة، فإنه بلغنا أن رجالهم خلوف. فخرجت في خيل حتى انتهيت إلى واد من أوديتهم، فدفعت إلى قوم سراة*. فقال عمر: وما أدراك أنهم سراة؟ قال: انتهيت إلى قباب عظيمة من أدم، وقدور متأقة، وإبل وغنم. فقال عمر: هذا لعمري علامة اليسر. وقال عمرو: فانتهيت إلى أعظمها قبة. فأكشفها عن جارية مثل المهاة*، فلما رأتني ضربت يدها على صدرها، وبكت. فقلت: ما يبكيك؟ قالت: ما أبكي لنفسي ولا على المال. فقلت: علام تبكين؟ قالت: على جوار أتراب لي، قد ألفتهن، وهن في هذا الوادي. قال: فهبطت الوادي على فرسي، فإذا أنا برجل قاعد يخصف نعلا له، وإلى جانبه سيف موضوع، فلما رأيته علمت أن الجارية قد خدعتني، وماكرتني. فلما رآني الرجل قام غير مكترث، ثم علا رابية، فلما نظر إلى قباب قومه مطرحة، حمل علي وهو يقول: قد علمت إذ منحتني فاها..ولحقتني بكرة رداها..أني سأحمي اليوم من حماها..يا ليت شعري ما الذي دهاها. قال: فقلت مجيبا له: عمرو على طول السرى دهاها..بالخيل يزجيها على وجاها..حتى إذا حل بها احتواها، ثم حملت عليه وأنا أقول: أنا ابن عبد الله محمود الشيم..مؤتمن الغيب وفي بالذمم..من خير من يمشي بساق وقدم، فحمل علي وهو يقول: أنا ابن ذي الأقيال أقيال البهم..من يلقني يود كما أودت إرم..أتركه لحما على ظهر وضم، قال: فاختلفنا ضربتين، فأضربه أحذر من العقعق، ويضربني أثقف من الهر، فوقع سيفه في قربوس* سرجي فقطع القربوس، وعض بكاثبة الفرس، فوثبت على رجلي قائما، وقلت: يا هذا، ما كان ليلقاني من العرب إلا ثلاثة: الحارث بن ظالم[5] للسن والتجربة، وعامر بن الطفيل[6] للشرف والنجدة، وربيعة بن مكدم[7] للحياء والبأس، فمن أنت، ثكلتك أمك؟ قال: بل من أنت، ثكلتك أمك؟ قلت: أنا عمرو بن معد يكرب، قال: وأنا ربيعة بن مكدم. قلت: فاختر مني إحدى ثلاث خصال: إما أن نضطرب بسيفينا حتى يموت الأعجل منا، وإما أن نصطرع، فأينا صرع صاحبه قتله، وإما المسالمة. قال: ذاك إليك. فاختر. قلت: إن بقومك إليك حاجة، وبقومي إلي حاجة، والمسالمة خير لي ولك. ثم أخذت بيده فأتيت به أصحابي، وقلت لهم: خلوا ما بأيديكم، فلوا رأيتم ما رأيت لخليتم وزدتم. سلوني عن فرسي ما فعل. قال: فتركنا ما بأيدينا وانصرفنا راجعين.

قال الميمني: رواه عمر بن شبة عن رجاله. قال: دخل عمرو على عمر بن الخطاب، فقال له عمر: من أين أقبلت يا أبا ثور؟ قال: من عند سيد بني مخزوم أعظمها هامة، وأمدها قامة، وأقلها ملامة، أفضلها حلما، وأقدمها سلما، قال: من هو؟ قال: سيف الله وسيف رسوله، قال: وأي شيء صنعت عنده؟ قال: أتيته زائرا فدعا لي بكعب وقوس وثور، فقال له عمر: وأبيك إن في هذا لشبعا! قال: ألي أو لك؟ قال: لي ولك، قال: حلا*! فيما تقول يا أمير المؤمنين، فو الله إني لآكل الجذع* من الإبل أنتقيه عظما، وأشرب التبن من اللبن رثيئة وصريفا، فقال له عمر: يا أبا ثور ألك علم بالسلاح؟ قال: على الخبير سقطت سل عما بدا لك، قال: أخبرني عن النبل، قال: منايا تخطىء وتصيب، قال: أخبرني عن الرمح، قال: أخوك وربما خانك، قال: فأخبرني عن الترس، قال: ذاك مجن وعليه تدور الدوائر، قال: فأخبرني عن الدرع، قال: مشغلة للفارس متعبة للراجل، قال: فأخبرني عن السيف، قال: عنه قارع لأمك الهبل! قال له عمر: بل لأمك! فقال له عمرو: بل لأمك! فرفع عمر الدرة فضرب بها يد عمرو، وكان عمرو محتبيا فانحلت حبوته، فاستوى قائما وأنشأ يقول: أتضربني كأنك ذو رعين..بخير معيشة أو ذو نواس!..وكم ملك قديم قد رأينا..وعزا ظاهر الجبروت قاسي..فأضحى أهله بادرا وأضحى..ينقل من أناس في أناس. فقال له عمر: صدقت يا أبا ثور! وقد هدم الإسلام ذلك كله، أقسمت عليك لما جلست، فجلس.

في رواية أسامة بن منقذ: أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال لعمرو بن معدي كرب الزبيدي: أخبرني عن أشجع من رأيت. قال: والله يا أمير المؤمنين لأخبرنك عن أجبن الناس وعن أحيل الناس وعن أشجع الناس. فقال له عمر: هات. فقال: ارتبعت الضبابية –يعني فرسه– فخرجت كأحسن ما رأيت، وكانت شقاء مقاء طويلة الأنقاء، فركبتها، ثم آليت لا لقيت أحدا إلا قتلته! فخرجت وهي تنقز بي، فإذا أنا بفتى، فقلت: خذ حذرك فإني قاتلك! فقال: ألا تنصفني يا أبا ثور؟ أنا كما ترى أعزل أميل عوارة، أمهلني حتى آخذ نبلي! قلت: وما غناؤها عنك؟ قال: أمتنع بها منك، قلت: خذها، قال: لا، أو تعطيني من العهود ما يثلجني أنك لا تروعني أو آخذها، فأثلجته، فقال: وإله قريش لا آخذها أبدا! فسلم والله مني وذهب. فهذا أحيل الناس !! فمضيت حتى اشتمل علي الليل، فوالله إني لأسير في قمر زاهر إذا بفتى على فرس يقود ظعينة وهو يقول: يا لبينا يا لبينا..ليته يعدى علينا..ثم يبلى ما لدينا. ثم يخرج حنظلة من مخلاته فيرمي بها إلى السماء، فلا تبلغ الأرض حتى ينتظمها بمشقص من نبله! فقلت له: خذ حذرك ثكلتك أمك فإني قاتلك! فمال عن فرسه فإذا هو في الأرض مضطجعا، فقلت: إن هذا إلا استخفاف، فصحت به: ويلك ما اجهلك! فلم يتحلحل، فدنوت منه حتى شككت بالرمح إهابه، فإذا به كأنه قد مات منذ سنة !! فمضيت وتركته، فهذا أجبن الناس! ومضيت فأصبحت بين دكادك* ورمال، فنظرت إلى أبيات فعدلت إليها، فإذا فيهن جوار ثلاثة كأنهن نجوم الثريا، فبكين حين رأينني، فقلت: ما يبكيكن؟ قلن: لما ابتلينا به منك، ومن ورائنا أخت لنا هي أجمل منا! فأشرفت من فدفد*، فإذا من لم أر قط أحسن منه ومن وجهه، فإذا بغلام يخصف نعله وعليه ذؤابة يسحبها، فلما نظرني وثب إلى الفرس مبادرا، فسبقني إلى البيوت، فوجد النساء قد ارتعن، فسمعته يقول: مهلا نسياتي إذا لا ترتعن..إن يمنع اليوم نساء تمنعن..أرخين أذيال المروط واربعن. فلما دنوت منه قال: أتطردني أو أطردك؟ قلت: بل أطردك، وركضت في أثره، حتى إذا مكنت السنان من كتفيه أتكأت عليه فإذا هو لبب فرسه، ثم استوى في سرجه، فقلت: أقلني! قال: اطرد، فطردته، حتى ظننت أن السنان في ماضغيه فاعتمدت عليه فإذا هو قائم في الأرض والسنان ماض، واستوى على فرسه، فقلت: أقلني! قال: قد أقلتك فاطرد، فطردته، حتى إذا أمكنت السنان من متنه اتكيت عليه وأنا أظن أن قد فرغ منه جال في سرحه حتى نظرت إلى يده في الأرض، ومضى السنان زالجا، ثم استوى، وقال: أبعد ثلاث تريد ماذا ؟! اطردني ثكلتك أمك! فوليت وأنا مرعوب منه، فلما غشيني التفت فإذا هو يطردني بالرمح بلا سنان، فكف عني واستنزلني، فنزلت ونزل، فجز ناصيتي ثم قال: انطلق فإني أنفس بك عن القتل! فكان ذلك عندي والله يا أمير المؤمنين أشد من القتل، فذاك يا أمير المؤمنين أشجع من لقيت، وسألت عنه؟ فقيل لي: ربيعة بن مكدم الفراسي من بني كنانة.

----

*(الرثيئة) لبن مخلوط، ما صب كما مر (التبن) أعظم الأقداح (القوس) البقية من التمر تبقى في الجلة (الكعب) القطعة من السمن (الثور) القطعة من الأقط (الصريف) اللبن ساعة يصرف عن الضرع (حلا) العرب تقول: حلا في الأمر تكرهه بمعنى كلا. (القربوس) حنو السرج وهما قربوسان. وهما متقدم السرج الشاخص بين يدي الراكب ومؤخره ويقال لهما: حنواه.(صدفت عنه) أعرضت عنه.(سرى) إذا شرف؛ وقولهم: قوم سراة جمع سري (المهاة) الحجارة البيض التي تبرق، وهي البلور (الجدعة) ما بقي منه بعد القطع والجدعة موضع الجدع (الدكداك والدكدك) أرض فيها غلظ ورمل ذو تراب متلبد والجمع دكادك.والدكادك جماعة وموضع في بلاد بني أسد (الفدفد) الأرض الواسعة المستوية لا شيء بها جمعها فدافد (الجذع) ومن الإبل ما استكمل أربعة أعوام ودخل في السنة الخامسة ومن الخيل والبقر ما استكمل سنتين ودخل في الثالثة ومن الضأن ما بلغ ثمانية أشهر أو تسعة ج جذاع وجذعان

■ (1) عمرو بن معد يكرب بن عبد الله وفد على النبي في وفد مراد؛ لأنه كان فارق قومه سعد العشيرة، ونزل في مراد ووفد معهم فأسلم، وقيل: قدم في وفد زبيد، وأسلم سنة تسع، وقيل: سنة عشر، ورجع إلى بلاده، ثم ارتد مع الأسود العنسي، فسار إليه خالد بن سعيد بن العاص، فقاتله فضربه خالد على عاتقه فانهزم، فأخذ خالد سيفه، فلما رأى عمرو الإمداد من أبى بكر الصديق إلى اليمن أسلم، ودخل على المهاجر بن أبى أمية بغير أمان، فأوثقه وبعثه إلى أبى بكر. فقال له أبو بكر: أما تستحي كل يوم مأسورا ومهزوما، لو نصرت هذا الدين لرفعك الله تعالى، قال: لا جرم، لا أقيلن ولا أعود، فأطلقه وعاد إلى قومه، ثم عاد إلى المدينة، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، ثم بعثه عمر بن الخطاب إلى العراق، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص أن يصدر عن مشورته في الحرب، فشهد القادسية، وله فيها بلاء حسن، واستشهد يوم القادسية، وقيل: بل مات سنة21 هـ بعد أن شهد وقعة نهاوند مع النعمان بن مقرن، وكان يقول الشعر الحسن.

■ (4) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يلي أعنة الخيل في قريش، وقد أسلم سنة 7 هـ ، يكنى أبا سليمان، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول، وله بطولات نادرة في حروب الردة وقتال الفرس،مات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هـ ويقال: توفى بحمص سنة 14 هـ

■ (2) الربيع بن زياد بن سابور: ويقال ابن سليم بن سابور الحرشي مولاهم الكاتب، كان بالرصافة كاتبا لهشام ابن عبد الملك على الرسائل، وولي خاتمه وحجابه وحرسه، وحكى عن هشام بن عبد الملك، وحكى عنه علي بن محمد المداري.

■ (3) شريك بن الأعور واسم الأعور الحارث، الحارثي شاعر من أهل البصرة. وقد وفد على عمر بن الخطاب، وكان من أصحاب علي، شهد معه الجمل وصفين، ووفد على معاوية بن أبي سفيان. توفي شريك بالكوفة قبل مقتل الحسين بن علي عليهما السلام بيسير.

■ (5) الحارث بن ظالم بن غيظ المري، أبو ليلى: أشهر فتاك العرب في الجاهلية. ونشأ يتيما، قتل أبوه وهو طفل، وآلت إليه سيادة غطفان بعد مقتل زهير بن جذيمة، ووفد على النعمان بن المنذر ملك الحيرة فالتقى بقاتل أبيه جعفر بن خالد: سيد بني عامر فتنازعا بين يدي النعمان، فلما كان الليل أقبل الحارث على خالد وهو في مبيته فقتله. وعلمت بذلك بنو عامر فجدت في طلب الحارث، فعاد إلى عشيرته من غطفان، فهابوا شر بني عامر فلم يحموه، فانصرف إلى حاجب بن زرارة التميمي فحماه مدة ثم تجهم له، فلحق بعروض اليمامة. وبلغه أن النعمان بعث إلى جارات له فسباهن، فأتى حاضنة ابن للنعمان فأخذه منها وقتله.فطلبه النعمان، فلجأ إلى بني شيبان فآووه قليلا. ورحل، فلحق بطيىء. وكانت له في كل حي يأوي إليه حادثة. وشاع خبره، فتحامت العرب شره، ونشبت من أجله معارك، ورحل عن طيئ فجاور بني دارم، فحموه، فغزاهم الاحوص أخو خالد بن جعفر العامري فانهزم بنو دارم، وانطلق الحارث فجعل يطوف في البلاد حتى أتى الشام، فقتل في حوران. نحو سنة 22 ق هـ

■ (6) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، من بني عامر بن صعصعة: فارس قومه، وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. كنيته أبو علي. ولد ونشأ بنجد. وكان يأمر مناديا في عكاظ ينادي: هل من راجل فنحمله؟ أو جائع فنطعمه؟ أو خائف فنؤمنه؟. وخاض المعارك الكثيرة، وأدرك الاسلام شيخا، فوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة، بعد فتح مكة، يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه. فدعاه إلى الإسلام، فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة، وأن يجعله ولي الأمر من بعده، فرده، فعاد حنقا، وسمعه أحدهم يقول: لأملأنها خيلا جردا ورجالا مردا ولأربطن بكل نخلة فرسا ! فمات في طريقه بالطاعون قبل أن يبلغ قومه سنة 11 هـ. ولم يسلم وكان أعور أصيبت عينه في إحدى وقائعه، عقيما لا يولد له. وهو ابن عم لبيد الشاعر. أخباره كثيرة متفرقة. وقد وهم بعضهم فادعى بقاء عامر بن الطفيل على الإسلام إلى أن مات وذلك إنما هو عامر بن الطفيل الأسلمي فإنه صحابي

■ (7) ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان، من بني كنانة: أحد فرسان مضر المعدودين، في الجاهلية. له أخبار أشهرها حمايته الضعن بعد مقتله. ولا يعلم قتيل حمى الظعن غيره: وذلك أنه خرج في ظعن كنانة فلقيهم نبيشة ابن حبيب السلمي غازيا. فتقدم ربيعة فقاتل نبيشة ومن معه طويلا، فأصابه سهم، فعاد إلى الظعن وأمه فيه فشدت على جرحه عصابة، فكر راجعا يقاتل والدم ينزفه، فهابه القوم، فاختار عقبة واتكأ على رمحه وهو على متن فرسه، يرونه فلا يتقدم أحد منهم، ثم رموا فرسه بسهم فقمصت، وانقلب عنها ميتا سنة 62 ق هـ وكان الظعن قد نجا.

قال الأصمعي: جاء عامر بن الطفيل وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه أن يجعل لهما نصيبا من تمر المدينة فأخذ أسيد بن حضير الرمح فجعل يقرع رؤوسهما ويقول: أخرجا أيها الهجرسان* فقال عامر: من أنت؟ فقال: أنا أسيد ابن حضير، قال: حضير الكتائب؟ قال: نعم، قال: كان أبوك خيرا منك، قال: بل أنا خير منك ومن أبي، مات أبي وهو كافر.(الهجرس) الثعلب.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار/ـ محمد رسول الله/ زهر الأكم في الأمثال و الحكم/ سمط اللآلي للميمني/ لسان العرب/ تهذيب اللغة/ البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها/ لباب الآداب لأسامة بن منقذ/ معجم ما استعجم/ المعجم الوسيط/

عن ابن عباس[1] قال: قدم على عمر رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قرأ منهم القرآن كذا وكذا، فقال ابن عباس: والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة. قال: فزبرني عمر ثم قال: مه*، قال: فانطلقت إلى منزلي مكتئبا حزينا، فقلت: قد كنت نزلت من هذا الرجل بمنزلة ما أراني إلا أني قد سقطت من نفسه، قال: فرجعت إلى منزلي فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع، وما هو إلا الذي نقلني به عمر، قال: فبينا أن كذلك إذ أتاني رجل فقال: أجب أمير المؤمنين، قال: فخرجت فإذا هو قائم قريبا ينتظرني، فأخذ بيدي ثم خلا بي فقال: ما كرهت مما قال الرجل؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إن كنت أسأت فأستغفر الله وأتوب إليه، وأنزل حيث أحببت، قال: لتحدثني ما الذي كرهت مما قال الرجل، فقلت: يا أمير المؤمنين إنهم متى سارعوا هذه المسارعة يحتقوا* ومتى يحتقوا اختلفوا، ومتى اختلفوا يقتتلوا، قال: لله أبوك، والله لقد كنت أكاتمها الناس حتى جئت بها.

عن سعيد بن جبير قال: كان أناس من المهاجرين قد وجدوا على عمر في إدنائه ابن عباس دونهم قال: وكان يسأله، فقال عمر: أما إني سأريكم اليوم منه ما تعرفون فضله، فسألهم عن هذه الصورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر] قال بعضهم: أمر الله نبيه إذا رأى الناس يدخلون في دين الله أفواجا أن يحمدوه ويستغفروه. قال: فقال عمر: يا بن عباس، ألا تكلم قال: فقال: أعلمه متى يموت.أي: فهي آيتك من الموت، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ قال: ثم سألهم عن ليلة القدر فأكثروا فيها. فقال بعضهم: كنا نرى أنها في العشر الأوسط، ثم بلغنا أنها في العشر الأواخر، قال: فأكثروا فيها، فقال بعضهم: ليلة إحدى وعشرين، وقال بعضهم: ثلاث وعشرين، وقال بعضهم: سبع وعشرين، فقال بعضهم لابن عباس: ألا تكلم! قال: الله أعلم. قال: قد نعلم أن الله أعلم، إنما نسألك عن علمك، فقال ابن عباس: الله وتر يحب الوتر، خلق من خلقه سبع سموات فاستوى عليهن، وخلق الأرض سبعا، وخلق عدة الأيام سبعا، ورمي الجمار سبعا، وبين الصفا والمروى سبعا، وخلق الإنسان من سبع، وجعل رزقه من سبع. قال: فقال عمر: وكيف خلق الإنسان من سبع، وجعل رزقه من سبع هذا أمر ما فهمته ؟ قال ابن عباس: إن الله يقول:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ –حتى بلغ إلى قوله–: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون] قال: ثم قرأ: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس] وأما السبعة فلبني آدم، وأما الأب فما أنبتت الأرض للأنعام، وأما ليلة القدر فما نراها إن شاء الله إلا ليلة ثلاث وعشرين يمضين وسبع بقين.

عن ابن عباس قال: كان عمر يجلس مع الأكابر من أصحاب محمد، ويقول لي: لا تكلم حتى يتكلموا، ثم يسألني، ثم يقبل عليهم فيقول: ما يمنعكم أن تأتوني بمثل ما يأتيني به هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه؟! وفي حديث آخر عن ابن عباس قال: كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر، ويأذن لي معهم. فقال بعضهم: يأذن لهذا الفتى معنا ومن أبنائنا من هو مثله، فقال عمر: إنه ممن قد علمتم. قال: فأذن لهم ذات يوم، وأذن لي معهم فسألهم عن هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر] وساق الحديث بمعنى ما تقدم. وعن الزهري قال: قال المهاجرون لعمر: ألا ندعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟ قال: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانا سؤولا وقلبا عقولا.

قال عمر رضي الله عنه يوما لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: فيم ترون هذه الآية نزلت:﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة] قالوا: الله أعلم. فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أولا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك. قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله، وفي رواية قال ابن عباس: عني بها العمل، ابن آدم أفقر ما يكون إلى جنته إذا كبر سنه وكثر عياله، وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم يبعث، فقال عمر: صدقت يا ابن أخي.

اختصم إلى عمر بن الخطاب حسان بن ثابت[2] وخصم له، فسمع منهم، وقضى على حسان، فخرج وهو مهموم، فمر بابن عباس فأخبره بقصته، فقال له ابن عباس: لو كنت أنا الحكم بينكما لحكمت لك، فرجع حسان إلى عمر فأخبره فبعث عمر إلى ابن عباس فأتاه فسأله عما قال حسان، فصدقه، فسأله عن الحجة في ذلك فأخبره، فرجع عمر إلى قول ابن عباس، وحكم لحسان، فخرج وهو آخذ بيد ابن عباس وهو يقول:إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه..رأيت له في كل منزلة فضلا..قضى وشفى ما في النفوس فلم يدع..لذي إربة في القول جدا ولا هزلا. ورويت هذه الأبيات في ابن عباس في قصة أخرى.

في صحيح البخاري عن المسور بن مخرمة، قال: لما طعن عمر جعل يألم، فقال له ابن عباس وكأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين، ولا كان ذلك* لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته، ثم فارقت*وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقت وهو عنك راض، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم*، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون، فقال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه، فإن ذلك من من الله من به علي، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذلك من من الله من به علي، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك ومن أجل أصحابك فوالله لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عزوجل قبل أن أراه.

----

* (يحتقوا) يختصموا، ويقول كل واحد منهم: الحق في يدي (مه) كلمة زجر بمعنى كف واسكت وانته (ولا كان ذلك) أي: لا يكون ما تخافه. وفي رواية الأكثر: ولئن كان ذلك، وفي رواية الكشميهني: ولا كل ذلك، أي: لا تبالغ في الجزع فيما أنت فيه (ثم فارقت) كذا بحذف المفعول، والكشميهني: ثم فارقته (ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم) وفي رواية: ثم صحبتهم فأحسنت صحبتهم. يعني: المسلمين. قال ابن حجر: ثم صحبت صحبتهم. بفتح الصاد والحاء الموحدة، أي: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، وفيه نظر، للإتيان بصيغة الجمع موضع التثنية، قال عياض: يحتمل أن يكون: صحبت، زائدة، وإنما هو ثم صحبته أي: المسلمين، قال: والرواية الأولى هي الوجه.

■ (1) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله،يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

■ (2) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو . سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس. أبو الوليد؛ ويقال: أبو الحسام. الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، ابن الفريعة (أو الفزيعة). شاعر رسول الله وصاحبه. وحديثه قليل. قال ابن سعد: عاش ستين في الجاهلية، وستين في الإسلام. قال ابن سعد: عن الواقدي: لم يشهد مع النبي مشهدا. كان يجبن وقيل: لعلة أصابته وأمة الفريعة (أو الفزيعة) بنت خنيس. قال مسلم: كنيته أبو عبد الرحمن. وقيل: أبو الوليد. واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته. توفي في المدينة بين سنة35 و40 هـ زمن علي. أو ما بين سنة 50 هـ و 54 هـ زمن معاوية.

☪

قال علي بن نايف: وقد وقع ما خشي منه عمر وابن عباس رضي الله عنهما فخرجت الخوارج الذين يقرؤون القرآن؛ لكنه لا يجاوز تراقيهم. روى مالك عن نافع عن ابن عمر قال: تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزورا. وطول المدة ليس عجزا من عمر ولا انشغالا عن القرآن؛ فما بقي إلا أنه التدبر. وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به. وفي هذا المعنى قال ابن مسعود: إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به. قال الحسن البصري:إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، وما تدبر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفا وقد –والله!– أسقطه كله ما يرى القرآن له في خلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس! والله! ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة متى كانت القراء مثل هذا؟ لا كثر الله في الناس أمثالهم. وقال الحسن أيضا: نزل القرآن ليتدبر ويعمل به؛ فاتخذوا تلاوته عملا. أي أن عمل الناس أصبح تلاوة القرآن فقط بلا تدبر ولا عمل به.روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلا يوما فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة وكتابها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما وسأله، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين: إنما نزل القرآن علينا فقرأناه وعلمنا فيما نزل، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤن القرآن ولا يدرون فيما نزل فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان ذلك اختلفوا. قال الإمام الشاطبي معلقا: وما قاله ابن عباس رضي الله عنهما هو الحق، فإنه إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية أو السورة عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها، فلم يتعد ذلك فيها، وإذا جهل فيما أنزلت احتمل النظر فيها أوجها، فذهب كل إنسان مذهبا لا يذهب إليه الآخر.

عن سعد مولى عمرو بن العاص، قال:﴿تَشَاجَرَ رَجُلانِ فِي آيَةٍ فَارْتَفَعَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لاَ تُمَارُوا فِيهِ فَإِنَّ مِرَاءً فِيهِ كُفْرٌ﴾ وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿دَعُوا الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّ الأُمَمَ قَبْلَكُمْ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ ، فَإِنَّ مِرَاءً فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ﴾ وعن جندب بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا﴾ وعن ابن عباس قال: ﴿لاَ تَضْرِبُوا الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يُوقِعُ الشَّكَّ فِي الْقُلُوبِ﴾ وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿جِدَالٌ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ﴾ وعن عبد الملك بن ميسرة، قال: سمعت النزال يقول: قال عبد الله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمَ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَأَهْلَكَهُمْ فَلا تَخْتَلِفُوا فِيهِ يَعْنِي فِي الْقُرْآنَ﴾ (تماروا) الامتراء والتماري: الشك في الأمر. التماري والمماراة : الاختلاف والمنازعة.

☪

عن زر بن حبيش ، قال: سمعت أبيا يقول: ليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين، هي الليلة التي أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس تطلع بيضاء، ترقرق. وعن ربيعة بن كلثوم، قال: سمعت الحسن يقول: ليلة القدر في كل رمضان. وعن أبي قلابة، قال: ليلة القدر تحول في ليالي العشر كلها. وعن معاوية، قال: ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين.وعن الأسود، أن عائشة كانت توقظ أهلها ليلة ثلاث وعشرين. وعن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: رأيت ابن عباس يرش على أهله ماء ليلة ثلاث وعشرين. وعن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ بَلْجَةٌ سَمْحَةٌ، تَطْلُعُ شَمْسُهَا لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ﴾ و عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿تَحَيَّنُوا لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، أَوْ قَالَ: فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ﴾ وعن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَأُنْسِيتهَا، أَوْ نُسِّيتُهَا، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، فِي الْوِتْرِ﴾ وروى عن عبادة بن الصامت أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة وهو يريد أن يخبرهم بليلة القدر، فتلاحى رجلان، فاختلجت منه. فقال عليه السلام:﴿إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلاَحَى هَذَانِ الرَّجُلاَنِ فَاخْتُلِجَتْ مِنِّي. ولَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ فَاطْلُبُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ: فِي التَّاسِعَةِ أَوْ السَّابِعَةِ أَوْ الْخَامِسَةِ﴾ وعن عبد الله بن بريدة أن أم المؤمنين عائشة قالت: ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَبِمَ أَدْعُو قَالَ: قُولِي اللَّهُمَّ، إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي﴾ وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال﴿مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ﴾.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/ المنمق في أخبار قريش/ مصنف ابن أبي شيبة/ صحيح البخاري/ مسند أحمد/ جامع الأصول في أحاديث الرسول/محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس[1] رضي الله عنه قال: بينا أنا أمشي مع عمر يوما إذ تنفس نفسا ظننت أنه قد قضبت أضلاعه، فقلت: سبحان الله، والله ما أخرج منك هذا يا أمير المؤمنين إلا أمر عظيم. فقال: ويحك يا بن عباس، ما أدري ما أصنع بأمة محمد صلى الله عليه وسلم؟. قلت: ولم، وأنت بحمد الله قادر أن تضع ذلك مكان الثقة؟ قال: إني أرك تقول: إن صاحبك أولى الناس بها يعني عليا[2] رضي الله عنه. قلت: أجل والله إني لأقول ذلك في سابقته وعلمه وقرابته وصهره. قال: إنه كما ذكرت ولكنه كثير الدعابة. فقلت: فعثمان[3] رضي الله عنه؟ قال: فوالله لو فعلت لجعل بني أبي معيط على رقاب الناس يعملون فيهم بمعصية الله والله لو فعلت لفعل ولو فعل لفعلوه فوثب الناس عليه فقتلوه. فقلت طلحة بن عبيد الله[4] رضي الله عنه؟ قال: الأكيسع* هو أزهى من ذلك ما كان الله ليراني أوليه أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو على ما هو عليه من الزهو. قلت: الزبير بن العوام[5] رضي الله عنه؟ قال: إذا يلاطم الناس في الصاع والمد. قلت: سعد بن أبي وقاص[6] رضي الله عنه؟ قال: ليس بصاحب ذلك ذاك صاحب مقنب يقاتل به. قلت: عبد الرحمن بن عوف[7] رضي الله عنه ؟ قال: نعم. الرجل ذكرت، ولكنه ضعيف عن ذلك والله يا بن عباس، ما يصلح لهذا الأمر إلا القوي في غير عنف اللين في غير ضعف الجواد في غير سرف. الممسك في غير بخل. قال ابن عباس: كان عمر والله كذلك. وفي حديث آخر عن ابن عباس أن عمر ذكر له أمر الخلافة واهتمامه بها، فقال له ابن عباس: أين أنت عن علي؟ قال: فيه دعابة. قال: فأين أنت والزبير؟ قال: كثير الغضب يسير الرضا. فقال: طلحة؟ قال: فيه نخوة يعني كبرا قال: سعد؟ قال صاحب مقنب خيل. قال: فعثمان؟ قال: كلف بأقاربه. قال: عبد الرحمن بن عوف؟ قال: ذلك رجل لين أو قال ضعيف. وفي رواية أخرى قال في عبد الرحمن: ذلك الرجل لو وليته جعل خاتمه في إصبع امرأته.

في رواية عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما أنا أمشي مع عمر رضي الله عنه ذات يوم وهو يضرب وحشي قدمه بالدرة تنفس تنفسة ظننت أنها قد قضت أضلاعه فقلت: سبحان الله وما أخرج هذا منك يا أمير المؤمنين إلا أمر عظيم؟! قال: ويحك يا ابن عباس والله ما أدري كيف أصنع بأمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟ قلت: والله إنك بحمد الله لقادر على أن تصنع ذاك منها في البقية، قال: إنه والله يا ابن عباس ما يصلح هذا الأمر إلا القوي في غير عنف، اللين في غير ضعف، الجواد في غير سرف، الممسك في غير بخل، يقول ابن عباس: والله ما أعرفه غير عمر.

---

*(الأكيسع) ؟

■ (1) ابن عباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الامة، الصحابي الجليل. سمى البحر لغزارة علمه،ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الاحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ. قال ابن مسعود: نعم، ترجمان عباس. وقال عطاء: كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والانساب، وناس يأتونه لايام العرب ووقائعهم، وناس يأتونه للفقه والعلم، فما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما يشاؤون. وكان كثيرا ما يجعل أيامه يوما للفقه، ويوما للتأويل، ويوما للمغازي، ويوما للشعر، ويوما لوقائع العرب. وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولامثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه. وكان آية في الحفظ، وأخباره كثيرة.

■ (6) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة.مات بالمدينة سنة55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ..

■ (2) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (4) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

■ (5) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي.أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حواري رسول الله. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر. أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ

■ (3) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (7) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.

☪

عن أبي عباس، قال لي أبى: يا بني، اني أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك، ويقدمك على الاكبر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، واني أوصيك بخلال ثلاث، لاتفشين له سرا، ولا يجربن عليك كذبا، ولاتغتأبين عنده أحداً. قال الشعبي: فقلت لابن عباس: كل واحدة منها خير من ألف. فقال: أي والله، ومن عشرة ألاف.

كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إذا صلى الفجر دخل مجلسه ودخل معه حملة القرآن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يدخل معهم عبد الله بن عباس، فيتدارسون القرآن ويتلوه تال، ويؤله مؤول، ويفسره مفسر، فدخل ابن عباس مع أمير المؤمنين عمر ومعه رجال من الصحابة رضي الله عنهم، فبدأ التالي يتلو قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة] وابن عباس ينصت تمام الإنصات ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة] و ابن عباس ينصت، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة] وابن عباس ينصت وينتبه، ثم قرأ القارئ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة] فضرب ابن عباس وبشدة رجل جليسه، وصاح: اقتتلا والله اقتتلا والله، قال عمر متعجبا: ماذا قلت يا ابن عباس؟! فاستحيا أن يتكلم، فأعاد عليه عمر: ماذا قلت يا ابن عباس؟! فاستحيا ابن عباس، فأعاد عليه عمر: ماذا قلت يا ابن عباس؟! قال: يا أمير المؤمنين! قلت: اقتتلا والله، اقتتلا والله. فقال عمر: من هما يا ابن عباس؟! قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين! إن الله ذكر في كتابه رجلا مجرما أصبح واليا أو أميرا، فلما تولى ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ يقتل هذا، ويضرب هذا، ويسمم بهائم هذا، ويحرق ثمر هذا، فقام له قوم يذكرونه ويقولون له: اتق الله، فما يزيده التذكير إلا فسادا، وتأخذه العزة بالإثم، فقام رجل مؤمن محتسب شرى نفسه ابتغاء مرضات الله لوقف زحف هذا العدو الصائل فحصلت المعركة بينهما.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجلسه فأتته امرأة من أهل اليمن تستعديه على زوجها، فقالت: يا أمير المؤمنين! إن بعلي عبد حقي، وترك الوصيد رهوا، ولي عليه مهيمن، فهل لي عليه من مسيطر؟ فقال: لم أفهم ما تقولين. فقال ابن عباس : كلمات كلهن في كتاب الله، إن بعلي، أي: زوجي قال تعالى: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود] ، عبد حقي، أي: تركه وضيعه، قال تعالى: ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف] أي: التاركين لعبادة ذلك الولد، وترك الوصيد رهوا، الوصيد: الباب، ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف] ، رهوا، أي: مفتوحا، قال تعالى: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ [الدخان] ، ولي عليه مهيمن، أي: شاهد قال تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة] ، فهل لي عليه من مسيطر؟ أي: حاكم، قال تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية] .فاستشهد ابن عباس على أن الكلمات التي أطلقتها هذه المرأة كلها في القرآن، ففهم عمر دلالاتها وأعداها على زوجها.

عن أبي الزناد: أن عمر بن الخطاب دخل على ابن عباس يعوده وهو يحم، فقال له عمر: أخل بنا مرضك، فالله المستعان. وعن سعيد بن جبير قال: قال عمر لابن عباس: لقد علمت علما ما علمناه.قال ابن عباس: دخلت على عمر يوما فسألني عن مسألة كتب إليه بها يعلى بن أمية من اليمن، فأجبته فيها، فقال عمر: أشهد أنك تنطق عن بيت نبوة. وعن عبد الله بن عباس قال: قال لي أبي: إن عمر بن الخطاب يدنيك فاحفظ عني ثلاثا: لا تشفين له سرا، ولا تغتابن عنده أحدا، ولا يجربن عليك كذبا. قال الشعبي: قلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف. قال: بل خير من عشرة آلاف. وفي حديث آخر: ولا ابتدأته بشيء حتى يسألك عنه، عوضا عن الكذب.وفي حديث آخر: أن العباس بن عبد المطلب قال لابنه عبد الله بن العباس: يا بني أنت أعلم مني وأنا أفقه منك، إن هذا الرجل يدنيك، يعني: عمر بن الخطاب، فاحفظ عني ثلاثا الحديث. وعن عطاء بن يسار: أن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس فيسير مع أهل بدر، وكان يفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: ما رأيت أحدا أحضر فهما، ولا ألب لبا، ولا أكثر علما، ولا أوسع حلما من ابن عباس. ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات ثم يقول: عندك، قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار. قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: ما رأيت أحدا كان أعلم بالسنة ولا أجلد رأيا، ولا أثقب نظرا حين ينظر من ابن عباس، وإن كان عمر بن الخطاب يقول له: لقد طرأت علينا عضل أقضية أنت لها، ولا منا لها، ثم يقول عبيد الله: وعمر عمر في جده في ذات الله وحسن نظره للمسلمين. وعنه قال: كان ابن عباس قد فات الناس بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم ونسب ونائل. ما رأيت أحدا كان أعلم بما سبقه من حديث النبي صلى الله عليه وسلم منه، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية، ولا بتقسيم القرآن، ولا بحساب، ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى، ولا أثقب رأيا فيما احتيج إليه منه. ولقد كان يجلس يوما ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوما التأويل، ويوما المغازي، ويوما الشعر، ويوما أيام العرب. وما رأيت عالما قط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلا قط سأله إلا وجد عنده علما. وعن مسروق قال: قال عبد الله: لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد. وفي رواية عنه قال: لو أن هذا الغلام من بني عبد المطلب أدرك ما أدركنا ما تعلقنا منه بشيء.

نظر الحطيئة إلى ابن عباس في مجلس عمر وقد فرع بكلامه، فقال: من هذا الذي قد نزل عن القوم في سنه وعلاهم في قوله؟ قالوا: هذا ابن عباس، هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشأ يقول: إني وجدت بيان المرء نافلة..تهدى له ووجدت العي كالصمم..المرء يبلى ويبقى الكلم سائره..وقد يلام الفتى يوما ولم يلم. الكلم ها هنا جمع كلمة، وأصله الكلم بكسر اللام، فسكنه تخفيفا لإقامة الوزن، كما قالوا: ملك في ملك. فأما الكلم الذي عين فعله ساكنة في أصل بنائه فإنه مصدر كلمه يكلمه كلما بمعنى جرحه. وقوله: سائره يعني أنه يبقى سائر الكلام. يريد الحكم السائرة من الكلم.

مراجع: الإستيعاب في معرفة الأصحاب/ـ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ دروس للشيخ مصطفى العدوي/ دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي/ الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل/ـ

روي عن ابن عباس[1] قال: دخلت على عمر[2] رضي الله عنه حين طعن. قال: فتنفس تنفسا عاليا، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما أخرج هذا منك إلا هم. قال: هم شديد لهذا الأمر الذي لا أدري لمن يكون بعدي. قال: ثم قال: لعلك ترى صاحبك لها. يعني عليا. قلت: وما يمنعه في قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسوابقه في الخير، ومناقبه في الإسلام؟ قال: ولكن فيه فكاهة. قلت له: فأين أنت وطلحة[3]؟ قال: الأكنع*؟ ما زلت أعرف فيه بأوا منذ أصيبت يده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: فأين أنت من الزبير[4]؟ قال: فـ وعقة* لقس*. قلت: فأين أنت من سعد[5]؟ قال: صاحب قوس وفرس. قلت: فأين أنت من عبد الرحمن[6]؟ قال: نعم المرء ذكرت، ولكنه ضعيف ولا يقوم بهذا الأمر إلا القوي في غير عنف، واللين في غير ضعف، والجواد من غير سرف، والممسك في غير بخل. قلت: فأين أنت من عثمان[7]؟ قال: أوه، ووضع يده اليمنى على مقدم رأسه، إذا والله ليحملن بني معيط على رقاب الناس، فكأني قد نظرت إلى العرب حتى تأتيه فتقتله، والله لئن فعل ليفعلن، والله لئن فعل ليفعلن، ثم قال: أما إن أحراهم، إن وليهم، أن يحملهم على كتاب الله وسنة نبيهم صاحبك، يعني عليا[8] رضي الله عنه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خدمت عمر رضي الله عنه خدمة لم يخدمها أحد من أهل بيته، ولطفت به لطفا لم يلطفه أحد من أهله؛ فخلت به ذات يوم في بيته، وكان يجلسني ويكرمني، فشهق شهقة ظننت أن نفسه سوف تخرج منها، فقلت: أمن جزع يا أمير المؤمنين؟ قال: من جزع. قلت: وماذا؟ فقال: إقترب، فاقتربت. فقال: لا أجد لهذا الأمر أحدا فقلت: وأين أنت عن فلان، وفلان، وفلان،... فسمى له الستة أهل الشورى، فأجابه في كل واحد منهم بقول، ثم قال: إنه لا يصلح لهذا الأمر لا قوي في غير عنف، لين في غير ضعف، جواد من غير سرف، ممسك في غير بخل.

وعند أبي عبيد في الغريب، والخطيب في رواة مالك قال: إني لجالس مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم إذ تنفس نفسة ظننت أن إضلاعه قد تفرجت. فقلت: يا أمير المؤمنين ما أخرج هذا عنك إلا شر. قال: شر، إني لا أدري إلى من أجعل هذا الأمر بعدي. ثم التفت إلي فقال: لعلك ترى صاحبك لها أهلا. قلت: إنه لأهل ذلك في سابقته فضله. قال: إنه لكما قلت، ولكنه امرؤ فيه دعابة، فذكره إلى أن قال: إن هذا الأمر لا يصلحه إلا الشديد في غير عنف، اللين في غير ضعف، الجواد في غير سرف، الممسك في غير بخل. فكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: ما اجتمعت هذه الخصال إلا في عمر رضي الله عنه.

وعند ابن عساكر قال: خدمت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكنت له هائبا ومعظما، فدخلت عليه ذات يوم في بيته وقد خلا بنفسه، فتنفس نفسا ظننت أن نفسه خرجت، ثم رفع رأسه إلى السماء فتنفس الصعداء. قال: فتحاملت وتشددت وقلت: والله لأسألنه فقلت: والله ما أخرج هذا منك إلا هم يا أمير المؤمنين. قال: هم والله، هم شديد هذا الأمر لم أجد له موضعا، يعني الخلافة. ثم قال: لعلك تقول: إن صاحبك لها، يعني عليا رضي الله عنه، قال قلت: يا أمير المؤمنين، أليس هو أهلها في هجرته، وأهلها في صحبته، وأهلها في قرابته؟ قال: هو كما ذكرت، لكن رجل فيه دعابة، فذكره إلى أن قال: إن هذا الأمر لا يحمله إلا اللين في غير ضعف، والقوي في غير عنف، والجواد في غير سرف، والممسك في غير بخل. قال: وقال عمر رضي الله عنه: لا يطيق هذا الأمر إلا رجل لا يصانع ولا يضارع، ولا يتبع المطامع؛ لا يطيق أمر الله إلا رجل لا يتكلم بلسانه كلمة لا ينتقض عزمه، ويحكم بالحق على حزبه، وفي الأصل، على وجوبه.

وعند عبد الرزاق عن عمر رضي الله عنه قال: لا ينبغي أن يلي هذا الأمر إلا رجل فيه أربع خصال: اللين في غير ضعف، والشدة في غير عنف، والإمساك في غير بخل، والسماحة في غير سرف؛ فإن سقطت واحدة منهم فسدت الثلاث. وعنده أيضا وابن عساكر وغيرهما عن عمر رضي الله عنه قال: لا يقيم أمر الله إلا من لا يصانع، ولا يضارع، ولا يتبع المطامع، يكف عن عزته، ولا يكتم في الحق على حدته.

*(وعقة) قاله الفراء: رجل وعقة: ضجر متبرم ومنه حديث عمر - وذكر له الزبير رضي الله عنه= فقال: وعقة لقس -تاج العروس بتحقيقنا: وعق- واللقس: السيء الخلق الخبيث النفس الفحاش. واللقس ايضا: الحريص على كل شيء -تاج العروس: لقس- (الباو) الكبر والفخر (الأكنع) يعني به الاشل. وقد كانت يده أصيبت يوم أحد لما وقى بها رسول الله، فشلت. والأكنع من الأمور: الناقص

■ (1) ابن عباس، عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، شهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولامثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه.وكان آية في الحفظ رضي الله عنه.

■ (3) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

■ (4) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي.أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حوراي رسول الله. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر. أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ

■ (7) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (9) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (8) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (6) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.

■ (5) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق القرشي الزهري المديني، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة سنة55 هـ وصلى عليه مروان وهو ابن 74 وقيل مات سنة 58 هـ. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن خولة بنت حكيم السلمية.

☪

عن داود بن أبي هند عن الحسن قال خلا عمر رضي الله عنه يوما فجعل الناس يقولون ما الذي خلا له فقال المغيرة بن شعبة: أنا آتيكم بعلم ذاك، فأتاه فقال: يا أمير المؤمنين، إن الناس قد ظنوا بك في خلواتك ظنا، قال: وما ظنوا؟ قال: ظنوا أنك تنظر من يستخلف بعدك، قال: ويحك، ومن ظنوا؟ قال: ومن عسى أن يظنوا إلا هؤلاء علي وعثمان وطلحة والزبير، قال: وكيف لي بعثمان فهو رجل كلف بأقاربه، وكيف لي بطلحة وهو مؤمن الرضا كافر الغضب، وكيف لي بالزبير وهو رجل ضبس، وإن أخلقهم أن يحملهم على المحجة البيضاء الأصلع، يعني عليا رضي الله عنه. وحدث عقبة بن عبد الله العنبري قال: سمعت قتادة يقول: قال المغيرة بن شعبة: هل لكم أن أعلم من يستخلف هذا بعده، يعني عمر رضي الله عنه، قال: وكان عمر رضي الله عنه يغدو كل غداة إلى أرض له على أتان له قال: فانطلق ذات يوم فعرض له المغيرة فقال: يا أمير المؤمنين، ألا أصحبك ؟ قال: بلى، فسار معه، فلما انتهيا إلى أرضه عمد إلى ردائه فجمعه ثم رمى به فوضع عليه رأسه، فقال له عند ذلك يا أمير الآمنين إلا نفس يغدى عليها ويراح وتكون أحداث، فلو أن أمير المؤمنين أعلم للمسلمين علما إن كان حدث انتهوا إليه ورضوا به وكانوا معه، فقال عمر: وما يقولون ؟ قال: يقولون عبد الله بن عمر، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف. فقال: أما عبد الله ابن عمر فلئن يكن خيرا فقد أصاب منه آل عمر، وإن يكن شرا فشر عمهم منه، وأما الزبير فذاك والله الضرس الضبس*، وأما طلحة فمؤمن الرضا كافر الغضب، فكأنه لو ملك شيئا جعل بني أبي معيط على رقاب الناس، وأما عبد الرحمن بن عوف فمؤمن ضعيف، وأما علي فهو أحراهم أن يقيم الناس على الحق على شئ أعييه فيه، فسألنا قتادة ما هو ؟ فقال: خفته. وعن داود ابن أبي هند عن الحسن قال: خلا عمر رضي الله عنه يوما فجعل الناس يقولون: ما الذي خلا له ؟ فقال المغيرة بن شعبة: أنا آتيكم بعلم ذاك. فأتاه فقال: يا أمير المؤمنين، إن الناس قد ظنوا بك في خلواتك ظنا. قال: وما ظنوا ؟ قال: ظنوا أنك تنظر من يستخلف بعدك. قال: ويحك ! ! ومن ظنوا ؟ قال: ومن عسى أن يظنوا إلا هؤلاء: علي، وعثمان، وطلحة، والزبير. قال: وكيف لي بعثمان ؟ فهو رجل كلف بأقاربه ؟ وكيف لي بطلحة وهو مؤمن الرضا كافر الغضب؟ وكيف لي بالزبير وهو رجل ضبس* وإن أخلقهم أن يحملهم على المحجة البيضاء الاصلع، يعني عليا رضي الله عنه. وعن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرجت في غزوة لي فقيل لي: إن عمر رضي الله عنه لا يستخلف، فآليت إن رجعت من غزوتي لاسألنه عن ذلك فلما رجعت دخلت عليه فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الناس يزعمون أنك لا تستخلف، ولو أن راعيا قدم عليك ولم يستخلف رأيت أن قد ضيع بأمر الامة أعظم من ذلك، قال: إن لا أستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف، وإن أستخلف فإن أبا بكر رضي الله عنه قد استخلف، فلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم علمت أنه لم يكن ليعدو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحدث العلاء بن كثير عن بعض أهل المدينة، أن أسلم مولى عمر قال لعمر حين وقف لم يول أحدا بعده: يا أمير المؤمنين ما يمنعك أن تصنع كما صنع أبو بكر رضي الله عنه؟ قال: ويحك يا أسلم !! أرأيت لو كنت غلاما يشانئك غلمان مثلك حتى بلغتم السن اما كان بعضكم يعرف بعضا ؟ قال قلت: بلى، وهؤلاء نشأنا جميعا، ولا أعرف مكان أحد خصه بهذا الامر، ثم قال: إني جاعلها في قوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبهم. وحدث شهر بن حوشب قال، قال عمر رضي الله عنه: لو أدركت أبا عبيدة لاستخلفته، فإن سألني ربي قلت: يا رب إني سمعت نبيك يقول: إنه ﴿أَمِينُ هَٰذِهِ الْأُمَّةِ﴾ ولو أدركت سالما مولى أبي حذيفة لاستخلفته، فإن سألني ربي قلت: يا رب إني سمعت نبيك يقول:﴿إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حُبًّا مِنْ قَلْبِهِ﴾ ولو أدركت معاذ بن جبل لاستخلفته، فإن سألني ربي قلت: يا رب إني سمعت نبيك يقول إذا اجتمع العلماء بين يدي يوم القيامة كان بين أيديهم قذفة بحجر. وعن الشيباني، عن أبي العجفاء (الشامي) قال، قيل لعمر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين لو عهدت؟ قال: لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لوليته، فإن قدمت على ربي فقال لي: من وليت على أمة محمد؟ قلت سمعت عبدك وخليلك صلى الله عليه وسلم يقول: لكل أمة أمين، وأمين هذا الامة أبو عبيدة بن الجراح، ولو أدركت معاذ بن جبل. ثم وليته ثم قدمت على ربي فقال لي: من وليت على أمة محمد؟ قلت: إني سمعت عبدك وخليلك صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿يَأْتِي بَيْنَ الْعُلَمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِرَتْوَةٍ*﴾ ولو أدركت خالد بن الوليد ثم وليته، ثم قدمت على ربي فسألني من وليت على أمة محمد؟ لقلت: سمعت عبدك وخليلك صلى الله عليه وسلم يقول:﴿خَالِدٌ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾.

*(الضبس) الصعب السيئ الخلق (الضرس الضبس) الشرس الذعر، والصعب السيئ الخلق (برتوة) رمية بسهم، وقيل: بحجر، وقيل: بميل، وقيل: حد البصر. درجة

مراجع: نثر الدر/ الأعلام للزركلي/ لسان العرب/ أخبار المدينة/ تاريخ المدينة/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) والعباس بن عبد المطلب (١) 0111

عن عبد الله بن عباس قال: كان للعباس[1] ميزاب على طريق عمر، فلبس عمر[2] ثيابه يوم الجمعة، وقد كان ذبح للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صب فيه من دم الفرخين فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه ثم رجع فطرح ثيابه ولبس غيرها ثم جاء فصلى بالناس، فأتاه العباس فقال: والله إنه للموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال عمر للعباس: عزمت عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ففعل ذلك العباس.

وروى ابن العباس وأنس بن مالك: أن عمر بن الخطاب كان إذا قحط أهل المدينة استسقى بالعباس. قال أبو عمر وكان سبب ذلك أن الأرض أجدبت إجدابا شديدا على عهد عمر زمن الرمادة سنة سبع عشرة فقال: كعب[3] يا أمير المؤمنين إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء فقال: عمر هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه وسيد بني هاشم فمشى إليه عمر وشكا إليه ما فيه الناس من القحط ثم صعد المنبر ومعه العباس فقال: اللهم، إنا قد توجهنا إليك بعم نبينا وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ثم قال عمر: يا أبا الفضل، قم فادع. فقام العباس فقال: بعد حمد الله تعالى والثناء عليه، اللهم، إن عندك سحابا وعندك ماء فانشر السحاب ثم أنزل الماء منه علينا فاشدد به الأصل وأدر به الضرع، اللهم، إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب، ولم تكشفه إلا بتوبة، وقد توجه القوم إليك، فاسقنا الغيث، اللهم، شفعنا في أنفسنا وأهلينا، اللهم، إنا شفعنا بمن لا ينطق من بهائمنا وأنعامنا، اللهم، اسقنا سقيا وادعا نافعا طبقا سحا عاما، اللهم، إنا لا نرجو إلا إياك، ولا ندعو غيرك، ولا نرغب إلا إليك، اللهم، إليك نشكو جوع كل جائع، وعرى كل عار، وخوف كل خائف، وضعف كل ضعيف... في دعاء كثير.قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: وهذه الألفاظ كلها لم تجيء في حديث واحد ولكنها جاءت في أحاديث جمعتها واختصرتها ولم أخالف شيئا منها. وفى بعضها فسقوا والحمد الله وفي بعضها قال: فأرخت السماء عزاليها فجاءت بأمثال الجبال حتى استوت الحفر بالآكام وأخصبت الأرض وعاش الناس.

قال أبو عمر: هذا والله الوسيلة إلى الله عز وجل والمكان منه. وقال حسان بن ثابت في ذلك: سأل الإمام وقد تتابع جدبنا..فسقى الغمام بغرة العباس.. عم النبي وصنو والده الذي..ورث النبى بذاك دون الناس.. أحيا الإله به البلاد فأصبحت..مخضرة الأجناب بعد الياس. وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب: بعمي سقى الله الحجاز وأهله..عشية يستسقي بشيبته عملا..توجه بالعباس في الحدب راغبا..فما كر حتى جاء بالديمة المطر.

وروينا من وجوه عن عمر – أنه خرج يستسقى وخرج معه بالعباس فقال: اللهم أنا نتقرب إليك بعم نبيك ونستشفع به فاحفظ فيه نبيك كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما وأتيناك مستغفرين ومستشفعين . ثم أقبل على الناس فقال:﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح] ثم قام العباس وعيناه تنضحان فطالع عمر ثم قال: اللهم، أنت الراعي لا تهمل الضالة، ولا تدع الكسير بدار مضيعة، فقد ضرع الصغير، ورق الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم، فأغثهم بغياثك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا ييأس من روحك إلا القوم الكافرون، فنشأت طريرة من سحاب، فقال الناس: ترون ترون ! ثم تلاءمت واستتمت ومشت فيها ريح ثم هرت ودرت فوالله ما يرحوا حتى اعتلوا الجدار وقلصوا المآزر وطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه ويقولون: هنيئا لك ساقي الحرمين.

■ (1) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل: من أكابر قريش في الجاهلية والاسلام، وجد الخلفاء العباسيين. وأبو حبر الأمة عبد الله بن عباس. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصفه: أجود قريش كفا وأوصلها، هذا بقية آبائي !. وهو عمه. وكان محسنا لقومه، سديد الرأي، واسع العقل، مولعا بإعتاق العبيد، كارها للرق، اشترى 70 عبدا وأعتقهم. وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وهي أن لا يدع أحد يسب أحد في المسجد ولا يقول فيه هجرا. أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار المشركين. ثم هاجر إلى المدينة، وشهد وقعة حنين فكان ممن ثبت حين انهزم الناس. وشهد فتح مكة. وعمي في آخر عمره. وكان إذا مر بعمر في أيام خلافته ترجل عمر إجلالا له، وكذلك عثمان. وأحصي ولده في سنة 200 هـ فبلغوا 33000 وكانت وفاته في المدينة سنة 32 هـ عن عشرة أولاد ذكور سوى الاناث. وله في كتب الحديث 35 حديثا.

■ (2) أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل خمس.تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، قتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر والنبي، وعمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين و6 أشهر.

■ (3) كعب الاحبار، كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الامم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي كعب بحمص ذاهبا للغزو في أواخر خلافة عثمان سنة 32 هـ عن مئة وأربع سنين.

☪

عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : أصاب الناس سنة، وكان رجل في بادية فخرج فصلى بأصحابه ركعتين واستسقى ثم نام، فرأى في المنام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه وقال: اقرأ عمر السلام وأخبره أن الله قد استجاب لكم، وكان عمر قد خرج فاستسقى أيضا وأمره: فليوف العهد وليشد العقد. قال فانطلق الرجل حتى أتى عمر فقال: استأذنوا لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فسمعه عمر، فقال: من هذا المفتري على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل: لا تعجل علي يا أمير المؤمنين فأخبره الخبر فبكى عمر.

☪

عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمر بن الخطاب ساعيا، فمر بالعباس فأغلظ له، فشكاه عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا عُمَرُ ! إِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ* أَبِيهِ، وَإِنَّا قَدْ تَعَجَّلْنَا مِنَ الْعَبَّاسِ صَدَقَتَهُ لِعَامَيْنِ﴾ وعن ابن العباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه، فأبصر أبو بكر العباس بن عبد المطلب يوما مقبلا فتنحى له عن مكانه ولم يره النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما نحاك يا أبا بكر؟ فقال: هذا عمك يا رسول الله! فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم حتى رؤي ذلك في وجهه. أخرجه ابن عساكر. وعن عائشة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه وبجنبه أبو بكر وعمر، فأقبل العباس فأوسع له أبو بكر، فجلس بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر:﴿إِنَّمَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ لِأَهْلِ الْفَضْلِ ذَوُو الْفَضْلِ﴾، ثم أقبل العباس على النبي صلى الله عليه وسلم يحدثه، فخفض النبي صلى الله عليه وسلم صوته شديدا، فقال أبو بكر لعمر: قد حدث برسول الله صلى الله عليه وسلم علة قد شغلت قلبي، فما زال العباس عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى فرغ من حاجته وانصرف، فقال أبو بكر: يا رسول الله! حدثت بك علة الساعة؟ قال: لا، قال: فإني قد رأيتك قد خفضت صوتك شديدا، قال: إن جبريل أمرني إذا حضر العباس أن أخفض صوتي كما أمركم أن تخفضوا أصواتكم عندي. أخرجه ابن عساكر. وعن ابن عباس أن رجلا وقع في قرابة للعباس كان في الجاهلية فلطمه العباس فجاء قومه فقالوا: والله لنلطمنه كما لطمه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿الْعَبَّاسُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ لَا تَسُبُّوا أَمْوَاتَنَا فَتُؤْذُوا أَحْيَاءَنَا﴾ وعن أبي الضحى مسلم بن صبيح قال: قال العباس: ﴿يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَنَرَى وُجُوهَ قَوْمٍ وَقَائِعَ أَوْقَعْتَهَا فِيهِمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَنْ يُصِيبُوا خَيْرًا حَتَّى يُحِبُّوكُمْ للهِ وَلِقَرَابَتِي أَتَرْجُو سَلْهَبُ شَفَاعَتِي وَلا يَرْجُوهَا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ﴾ وعن ابن شهاب قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، من بدر ومعه العباس أتاه العباس فقال: يا رسول الله! ائذن لي أن أرجع إلى مكة حتى أهاجر كما هاجر المهاجرون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجلس أبا الفضل فأنت خاتم المهاجرين كما أنا خاتم النبيين.أخرجه ابن عساكر. وروى ابن أبي الزناد عن أبيه عن الثقة: أن العباس بن عبد المطلب لم يمر بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلا نزلا حتى يجوز العباس إجلالا له ويقولان: عم النبي صلى الله عليه وسلم. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم العباس بعد إسلامه ويعظمه ويجله. ويقول: هذا عمي وصنو أبي وكان العباس جوادا مطعما وصولا للرحم ذا رأي حسن ودعوة مرجوة. وروى سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿هَذَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَجْوَدُ قُرَيْشٍ كَفًّا وَأَوْصَلُهَا﴾.

☪

قال ابن عبد البر: كان العباس في الجاهلية رئيسا في قريش وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية في الجاهلية فالسقاية معروفة وأما العمارة فإنه كان لا يدع أحدا يسب في المسجد الحرام ولا يقول فيه هجرا يحملهم على عمارته في الخير لا يستطيعون لذلك امتناعا لأنه كان ملأ قريش قد اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك فكانوا له أعوانا عليه وسلموا ذلك إليه ذكر ذلك الزبير وغيره من العلماء بالنسب والخبر.

حدث يزيد بن الأصم أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ممن خرج مع المشركين يوم بدر فأسر فيمن أسر منهم وكانوا قد شدوا وثاقه فسهر النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ولم ينم فقال: له بعض أصحابه ما أسهرك يا نبي الله فقال: أسهر لأنين العباس. فقام رجل من القوم فأرخى من وثاقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مالي لا أسمع أنين العباس. فقال رجل: أنا أرخيت من وثاقه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فافعل ذلك بالأسرى كلهم.

قال أبو عمر: أسلم العباس قبل فتح خيبر وكان يكتم إسلامه وذلك بين في حديث الحجاج بن علاط أنه كان مسلما يسره ما يفتح الله عز وجل على المسلمين ثم أظهر إسلامه يوم فتح مكة وشهد حنينا والطائف وتبوك. وقيل: إن إسلامه قبل بدر وكان رضى الله عنه يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المسلمون يتقوون به بمكة وكان يحب أن يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن مقامك بمكة خير فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: من لقي منكم العباس فلا يقتله فإنه إنما أخرج كارها. وكان العباس أنصر الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبى طالب وحضر مع النبي صلى الله عليه وسلم العقبة يشترط له على الأنصار وكان على دين قومه يومئذ وأخرج إلى بدر مكرها فيما زعم قوم وفدى يومئذ عقيلا ونوفلا ابني أخويه أبى طالب والحارث من ماله وولى السقاية بعد أبي طالب وقام بها وانهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين غيره وغير عمر وعلي وأبي سفيان بن الحارث. وقد قيل: غير سبعة من أهل بيته وذلك مذكور في شعر العباس الذي يقول فيه : ألا هل أتى عرسي مكري ومقدمي..بوادي حنين والأسنة تشرع ..وقولي إذا ما النفس جاشت لها قدى..وهام تدهدى بالسيوف وأدرع..وكيف رددت الخيل وهى مغيرة..بزوراء تعطى في اليدين وتمنع..وهو شعر مذكور في السير لابن إسحاق وفيه..نصرنا رسول الله في الحرب سبعة..وقد فر من قد فر عنه وأقشع..وثامننا لاقى الحمام بسيفه..بما مسه في الله لا يتوجع. وقال ابن إسحاق: السبعة: علي والعباس والفضل بن العباس وأبو سفيان بن الحارث وابنه جعفر وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد والثامن أيمن بن عبيد وجعل غير ابن إسحاق في موضع أبي سفيان عمر بن الخطاب والصحيح أن أبا سفيان بن الحارث كان يومئذ معه لم يختلف فيه واختلف في عمر. وتوفي العباس بالمدينة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من رجب وقيل : بل من رمضان سنة اثنتين وثلاثين قبل قتل عثمان بسنتين وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع وهو ابن ثمان وثمانين سنة . وقيل ابن تسع وثمانين . أدرك في الإسلام اثنتين وثلاثين سنة وفى الجاهلية ستا وخمسين سنة وقال خليفة بن خياط : كانت وفاة العباس سنة ثلاث وثلاثين ودخل قبره ابنه عبد الله بن عباس.

----

*(الصنو) النظير والمثل.والشقيق

مراجع: الاستيعاب/ الأعلام للزركلي/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ مصنف عبد الرزاق/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) والعباس بن عبد المطلب (٢) 0112

يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله: ليس كل ما سكت عنه الوحي فهو عفو، بل الوحي يسكت عن أشياء ولابد من حلها، ومن أمثلة ذلك مسألة العول (في الميراث)، فأول عول نزل في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ماتت امرأة وتركت زوجها وأختيها، فجاء زوجها وأختاها إلى أمير المؤمنين، فقال الزوج: يا أمير المؤمنين، هذه تركة زوجتي ولم تترك ولدا، والله يقول في كتابه: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ [النساء] فهذه زوجتي ولم يكن لها ولد، فلي نصف ميراثها بهذه الآية ولا أتنازل عن نصف الميراث بدانق. فقالت الأختان: يا أمير المؤمنين هذه تركة أختنا ونحن اثنتان، والله يقول: ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء] والله لا نقبل النقص عن الثلثين بدانق. فقال عمر: ويلك يا عمر، والله إن أعطيت الزوج النصف لم يبق للأختين ثلثان، وإن أعطيت الثلثين للأختين لم يبق للزوج النصف. (فهنا الوحي سكت ولا يمكن أن يكون عفوا، فلم يبين أي النصين ماذا نفعل فيهما، فلا بد من حل، فلا نقول لهم: تهارشوا على التركة تهارش الحمر أو ننزعها من واحد إلى الآخر، فلابد من الاجتهاد). فجمع عمر رضي الله عنه الصحابة وأسف كل الأسف أنه لم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العول لمثل هذا. فقال له العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، أرأيت هذه المرأة لو كانت تطالب (مدينة) بسبعة دنانير وتركت ستة دنانير فقط، ماذا كنت فاعلا ؟ قال: أجعل الدنانير الستة سبعة أنصباء، وأعطي كل واحد من أصحاب الدنانير نصيبا من السبعة، قال: كذلك فافعل.

----

(1) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل: من أكابر قريش في الجاهلية والاسلام، وجد الخلفاء العباسيين. وأبو حبر الأمة عبد الله بن عباس. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصفه: أجود قريش كفا وأوصلها، هذا بقية آبائي !. وهو عمه. وكان محسنا لقومه، سديد الرأي، واسع العقل، مولعا بإعتاق العبيد، كارها للرق، اشترى 70 عبدا وأعتقهم. وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وهي أن لا يدع أحد يسب أحد في المسجد ولا يقول فيه هجرا. أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار المشركين. ثم هاجر إلى المدينة، وشهد وقعة حنين فكان ممن ثبت حين انهزم الناس. وشهد فتح مكة. وعمي في آخر عمره. وكان إذا مر بعمر في أيام خلافته ترجل عمر إجلالا له، وكذلك عثمان. وأحصي ولده في سنة 200 هـ فبلغوا 33000 وكانت وفاته في المدينة سنة 32 هـ عن عشرة أولاد ذكور سوى الاناث. وله في كتب الحديث 35 حديثا.

ولقد حمل ابن حزم الظاهري رحمه الله على الأئمة حملة شديدة لأخذهم بالقياس وقال: إن كل ما لم يأت بنص من كتاب أو سنة لا يجوز البحث عنه، فهو مما سكت الله عنه، وهو عفو. يقول الشيخ محمد عطية سالم رحمه الله: كان ابن حزم في هذه المسألة يخطئ جميع الصحابة. ويقول ابن العباس وعامة الصحابة على غلط وأن هذا الفعل الذي فعلوا لا يجوز وأن الحق مع ابن عباس وحده الذي خالف عامة الصحابة في العول. وقال: الذي نعلم أن الله لم يجعل في شيء واحد نصفا وثلثين، فرأي ابن عباس أن ننظر في الورثة اذا كان أحدهما أقوى سببا نقدمه ونكمل له نصيبه ونجعل النقص على الأضعف، فابن عباس في مثل هذا يقول: ابن الزوج يعطى نصفا كاملا لأن الزوج لا يحجبه الأبوان ولا يحجبه الأولاد بخلاف الأختين لأنهما أضعف سببا منه لأنهما يحجبها الأولاد ويحجبها الأب ونعطي للأختين نصفا وهذا تلاعب بكتاب الله، الله يقول: ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء] وهو يقول فلهما النصف فهذا عمل بما يناقض القرآن مع أن ابن حزم ورأي ابن عباس يقضي عليه وتبطله المسألة المعروفة عند الفرضيين بالمنبرية وانما سميت المنبرية لأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه أفتى فيها وهو على المنبر أثناء خطبته لأنه افتتح خطبته على المنبر وقال: الحمد لله الذي يجزي كل نفس بما تسعى واليه المآب والرجعي، فسمع قائلا يقول: ما تقولون فيمن هلك عن زوجة وأبوين وابنتين؟ فقال علي رضي الله عنه: صار ثمنها تسعا، ومضى في خطبته.وقوله: صار ثمنها تسعا لأن هذه الفريضة فيها ابنتان وأبوان وزوجة، الابنتان لهما الثلثان والأبوان لكل واحد منهما السدس وذلك يستغرق جميع التركة لهما الثلثان والأبوان لكل واحد منهما السدس وذلك يستغرق جميع التركة لأن السدسين بثلث وتبقى الزوجة تعول لها بالثمن والفريضة من أربعة وعشرين وثمنها ثلاثة يعال فيها بثمن الزوجة وثمن الأربعة والعشرين ثلاثة واذا ضم الثمن الذي عالت به الفريضة إلى اصل الفريضة أي اذا ضم الثمن الذي هو ثلاثة فريضة الزوجة إلى الأربعة والعشرين التي هي أصل الفريضة صارت سبعة وعشرين. والثلاثة من السبعة والعشرين تسعها ومن الأربعة والعشرين ثمنها، فهذه لو قلنا لابن حزم أيهما يحجب هل الابنتان يحجبان لا والله، هل الأبوان يحجبان لا والله هل الزوجة تحجب لا والله ليس فيهم من يحجبه أحد وكلهم أهل فروض منصوصة في كتاب الله ولا يحجب أحد منهم أبدا فبهذا يطل قوله أن من هو أضعف سببا فانه يحجب ويقدم عليه غيره. ثم لتعلموا أن الحقيقة الفاصلة في هذا أنه ورد عن السلف من الصحابة ومن بعدهم كثير من الآثار المستفيضة في ذم الرأي والقياس. وأجمع الصحابة والتابعون على العمل بالقياس واستنباطه ما سكت عنه مما نطق به الوحي، هذا أمر لا نزاع فيه. فمن جمد على النصوص ولم يلحق المسكوت عنه بالمنطوق به فقد ضل وأضل.

☪

العول في حساب الفرائض من فقه المواريث هو في اللغة بمعنى: الزيادة وفي الإصطلاح هو: زيادة في السهام يلزم عنها نقص في الأنصباء. ويختص بمسائل الإرث التي يكون فيها تزاحم أصحاب الفروض دون أصحاب التعصيب و تذكر المصادر أنّ أوّل ما حكم فيه بالعول في الإسلام كان عمر رضي الله عنه.

وعول الستة إلى سبعة؛ مثل: زوج وأختين شقيقتين، للزوج النصف ومخرجه: اثنان، وللأختين الثلثان ومخرجه ثلاثة، بين الاثنين والثلاثة؛ تباين فيضرب 2×3=6 فيكون أصل المسألة هو: (ستة). ويظهر معنى العول عند قسمة الستة على الورثة في المسألة، فنصيب الزوج النصف وهو(ثلاثة) من أصل المسألة ستة، ونصيب الأختين ثلثان وهو: (أربعة) من ستة، فلو أخذ أحد الورثة حظه كاملاً؛ فهذا يستلزم نقصان سهام الوارث الآخر. فيعطى الزوج ثلاثة، وللأختين أربعة، والناتج هو: (سبعة) مبلغ سهام المسألة -بالعول- وهي عائلة بالسدس منها.[الموسوعة]

مراجع: موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ موسوعة الخطب المنبرية والدروس/ الأعلام للزركلي/

عن عروة بن رويم: بينما عمر بن الخطاب يتصفح الناس يسألهم عن أمراء أجنادهم إذ مر بأهل حمص فقال: كيف أنتم وكيف أميركم؟ قالوا: خير أمير، إلا أنه بنى علية يكون فيها، فكتب كتابا وأرسل بريدا،وأمره إذا جئت باب عليته فاجمع حطبا وأحرق باب عليته، فلما قدم جمع حطبا وأحرق باب العلية، فدخل عليه الناس وذكروا أن ههنا رجلا يحرق باب عليتك فقال: دعوه فإنه رسول أمير المؤمنين. ثم دخل عليه فناوله الكتاب، فلم يضعه من يده حتى ركب إليه، فلما رآه عمر قال: احبسوه عني في الشمس ثلاثة أيام، فلما مضت قال: يا بن قرط[1]، الحقني إلى الحرة –وفيها إبل الصدقة وغنمها – حتى إذا جاء الحرة قال: انزع ثيابك، وألقى إليه نمرة* من أوبار الإبل، ثم قال: امتح*، واسق هذه الإبل! فلم ينزع حتى لغب*، ثم قال: متى عهدك يا بن قرط بهذا؟ قال: مليا* يا أمير المؤمنين، قال: فلذلك بنيت العلية وارتفعت بها على المسكين والأرملة واليتيم؟ ارجع إلى عملك ولا تعد!

عن أبي حذيفة إسحاق بن بشر قال: وقد كان عمر بن الخطاب وجه عبد الله بن قرط إلى حمص، ثم وجد عليه عمر، فعزله، وولى عبادة بن الصامت الأنصاري[2] حمص، فلما قدمها قام في الناس خطيبا، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: ألا إن الدنيا خضرة يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق، يحكم فيه ملك قادر، ألا وإن للدنيا بنين، وللآخرة بنين، فكونوا من بني الآخرة، ولا تكونوا من بني الدنيا؛ فإن كل أم يتبعها بنوها يوم القيامة. قم يا شداد بن أوس[3] فعظ الناس –وكان شداد مفوها، قد أعطي لسانا وحكمة وبيانا– فقال: يا أيها الناس، تعاهدوا كتاب الله عز وجل، وإن تركه كثير من الناس، فإنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه، ثم إن الله عز وجل قد جمع الخير كله بحذافيره، فجعله في الجنة، وجمع الشر كله بحذافيره، فجعله في النار، وإن الجنة حزنة، وإن النار سهلة، ألا وإن الجنة حفت بالمكاره والصبر، ألا وإن النار حفت بالهوى والشهوات، فمن كشف حجاب الكره والصبر أسفر عن الجنة، ومن أسفر عن الجنة كان من أهلها؛ ألا فاعملوا بالحق تنزلوا بالحق منازل أهل الحق يوم لا يقضى إلا بالحق. وكتب إلى عبادة بن الصامت أن يشخص إليه عبد الله بن قرط الثمالي، فلما قدم عليه قال: لأردنك إلى بلادك ورعية الإبل! فرده إلى بلاد ثمالة*، فمكث بها سنة، ثم كتب إليه فقدم عليه، ورضي عنه، وأذن له إلى حمص، فكان بها حتى كان من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاة.

----

* (ثمالة) بنو ثمالة: بطن من الأزد (النمرة) بردة من صوف تلبسها الأعراب، جمعها نمار، كأنها أخذت من لون النمر، لما فيها من السواد والبياض وهي كل شملة مخططة من مآزر الأعراب (امتح) أي استخرج الماء من البئر (لغب) أي تعب، ومنه: وما مسنا من لغوب (مليا) أي زمانا وحينا

■ (1) عبد الله بن قرط الأزدي الثمالي. كان اسمه في الجاهلية شيطانا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله له ولأخيه عبد الرحمن صحبة. وشهد اليرموك وفتح دمشق، وأرسله يزيد بن أبي سفيان بكتابه إلى أبي بكر الصديق. واستعمله أبو عبيدة على حمص مرتين، ولم يزل عليها حتى توفي أبو عبيدة، ثم استعمله معاوية على حمص أيضا. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم. قيل أن عبد الله بن قرط والي حمص خرج يحرس ليلة على شاطئ البحر. فلقيه فاثور الروم، فقتله بين بلنياس ومرقية في الموضع الذي يقال له برج ابن قرط سنة 56 هـ.

■ (2) عبادة بن الصامت بن قيس الا نصاري الخزرجي الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري، من الموصوفين بالورع.أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدريين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم حضر فتح مصر.. ولي القضاء بفلسطين. ومات بالرملة أو ببيت المقدس سنة 34 هـ، وهو ابن 72 سنة. وقيل: إنه بقي حتى توفي زمن معاوية في خلافته. وقيل غير ذلك

■ (3) شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري، أبو يعلى وهو ابن أخي حسان بن ثابت، ولاه عمر إمارة حمص، ولما قتل عثمان اعتزل، وعكف على العبادة. كان فصيحا حليما حكيما، نزل الشام بناحية فلسطين ومات بها سنة 58 هـ وهو ابن 75 سنة قيل توفي سنة 41 هـ. وقيل سنة 64 هـ. قال عبادة بن الصامت: كان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحلم.

قال شريح بن عبيد: مرض ثوبان بحمص وعليها عبد الله بن قرط الأزدي فلم يعده، فدخل على ثوبان رجل من الكلاعيين* عائدا له، فقال له ثوبان: أتكتب؟ فقال: نعم، فقال: أكتب، فكتب: للأمير عبد الله بن قرط من ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد، فإنه لو كان لموسى وعيسى صلى الله عليهما مولى بحضرتك لعدته. ثم طوى الكتاب، وقال له: أتبلغه إياه؟ فقال: نعم. فانطلق الرجل بكتابه فدفعه إلى ابن قرط، فلما قرأه قام فزعا، فقال الناس: ما شأنه؟ أحدث أمر؟ فأتى ثوبان حتى دخل عليه، فعاده وجلس عنده ساعة، ثم قام، فأخذ ثوبان بردائه وقال: اجلس حتى أحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعته يقول:﴿لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً، لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفاً﴾ قال علي الصلابي: كان عمر يقوم بعزل العامل إذا بلغه أنه لا يعود المريض ولا يدخل عليه الضعيف، كما حرص عمر بن الخطاب على أن يظهر عماله بالمظهر المتواضع أمام الناس حتى يشعر الناس بأن ولاتهم منهم ولا يتميزون عنهم، فكان عمر يشترط على عماله مركبا وملبسا مماثلا للناس، وينهاهم عن اتخاذ الأبواب والحجاب.

أخرج ابن جرير والبيهقي عن عبد الله بن نافع قال: عاد أبو موسى الحسن بن علي رضي الله عنهم فقال علي: أما إنه ما من مسلم يعود مريضا إلا وعاد معه سبعون ألف ملك يستغفرون له إن كان مصبحا حتى يمسي، وكان له خريف في الجنة، وإن كان ممسيا خرج له سبعون ألف ملك كلهم يستغفرون له، وكان له خريف في الجنة.وعن عبد الله بن نافع قال: عاد أبو موسى الأشعري الحسن بن علي بن أبي طالب، فقال له علي: أعائدا جئت أم زائرا؟ قال: لا، بل جئت عائدا، قال علي: أما إنه ما من مسلم، فذكر نحوه.وعن أبي فاختة قال: عاد أبو موسى الأشعري الحسن بن علي رضي الله عنهم قال: فدخل علي فقال: أعائدا جئت يا أبا موسى أم زائرا؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا، بل عائدا، فقال علي رضي الله عنه: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَا عَادَ مُسْلِمٌ مُسْلِماً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مِنْ حِينِ يُصْبِحُ إِلَى أَنْ يُمْسِيَ، وَجَعَلَ اللهُّ تَعَالَى لَهُ خَرِيفاً* فِي الْجَنَّةِ﴾ قال: فقلنا: يا أمير المؤمنين وما الخريف؟ قال: الساقية التي تسقي النخل. وعن عبد الله بن يسار أن عمرو بن حريث عاد الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال له علي: أتعود الحسن وفي نفسك ما فيها؟ فقال له عمرو: إنك لست بربي فتصرف قلبي حيث شئت، قال علي رضي الله عنه: أما إن ذلك لا يمنعنا أن نؤدي إليك النصيحة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَا مِنْ مُسْلِمٍ عَادَ أَخَاهُ إِلاَّ ابْتَعَثَ اللهُّ لَهُ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ مِنْ أَيِّ سَاعَاتِ النَّهَارِ كَانَ حَتَّى يُمْسِيَ وَمِنْ أَيِّ سَاعَاتِ اللَّيْلِ كَانَ حَتَّى يُصْبِحَ﴾ وعن عبد الرحمن بن سعيد عن أبيه قال: كنت مع سلمان رضي الله عنه وعاد مريضا في كندة، فلما دخل عليه قال: أبشر فإن مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتبا، وإن مرض الفاجر كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم عقل ولم أرسل. وعن سعيد بن وهب قال: دخلت مع سلمان رضي الله عنه على صديق له من كندة يعوده فقال له سلمان: إن الله تعالى يبتلي عبده المؤمن بالبلاء ثم يعاقبه، فيكون كفارة لما مضى فيستعتب فيما بقي. وإن الله عز اسمه يبتلي عبده الفاجر بالبلاء ثم يعاقبه، فيكون كالبعير عقله أهله ثم أطلقوه؛ فلا يدري فيم عقلوه حين عقلوه ولا فيم أطلقوه حين أطلقوه. وعن نافع رضي الله عنه قال: كان ابن عمرو رضي الله عنهما إذا دخل على مريض يسأله كيف هو، فإذا قام من عنده قال: خار الله لك ولم يزده عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال، سبع مرار:﴿أَسْأَلُ اللهَّ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ﴾ فإن كان في أجله تأخير عوفي من وجعه. وعن علي رضي الله عنه. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دخل على المريض قال: ﴿أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، واشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شَافِيَ إِلاَّ أَنْتَ﴾ ورواه أحمد والترمذي، وقال حسن غريب، والدورقي وابن جرير وصححه بلفظ: ﴿لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَماً﴾ وعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عاد مريضا وضع يده اليمنى على خده اليمنى وقال: ﴿لاَ بَأْسَ، أَذْهِبَ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ يَكْشِفُ الضُّرَّ إِلاَّ أَنْتَ﴾ وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل على مريض قال: ﴿أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لاَ شَافِيَ إِلاَّ أَنْتَ اشْفِ شِفَاءً لاَ يُغادِرُ سَقَماً﴾ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عاد مريضا يضع يده على المكان الذي يألم ثم يقول: ﴿بِسْمِ اللهِ لاَ بَأْسَ﴾ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بهذه الكلمات:﴿أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا﴾ قالت: فلما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه، أخذت بيده فجعلت أمسحها وأقولها، قالت: فنزع يده من يدي، وقال: ﴿اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى﴾ قالت: فكان هذا آخر ما سمعت من كلامه.

----

* (الكلاعيون) من بطون حمير: وهم بنو ذي الكلاع بن النعمان؛ وذو يزن وجرش ابنا أسلم بن زيد، أخي ذي رعين بن زيد.(الخريف) البستان

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ أسد الغابة/ فتوح الشام/ جمهرة اللغة/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ جمهرة أنساب العرب/ مسند أحمد/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ مصنف ابن أبي شيبة/

عن أبي رافع قال: وجه عمر بن الخطاب جيشا إلى الروم وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة[1]، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأسره الروم، فذهبوا به إلى ملكهم[2] فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد فقال له الطاغية: هل لك أن تنصر وأشركك في ملكي وسلطاني؟ قال له عبد الله: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع مملكة العرب على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما فعلت، قال: إذا أقتلك قال: أنت وذاك. قال: فأمر فصلب، وقال للرماة: ارموه قريبا من يديه، قريبا من رجليه، وهو يعرض عليه وهو يأبى، ثم أمر به فأنزل، ثم دعا بقدر، فصب فيها ماء حتى احترقت ثم دعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فألقي فيها، وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم أمر به أن يلقى فيها، فلما ذهب به بكى، فقيل له: إنه قد بكى، فظن أنه جزع فقال: ردوه، يعرض عليه النصرانية فأبى، قال: ما أبكاك إذا؟ قال: أبكاني أني قتلت فهي نفس واحدة تلقى الساعة في هذه القدر فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تلقى هذا في الله. قال له الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ قال له عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين؛ قال: وعن جميع أسارى المسلمين. قال عبد الله: فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله فأقبل رأسه يخلي عني وعن أسارى المسلمين، لا أبالي، فدنا منه فقبل رأسه، قال: فدفع إليه الأسارى، فقدم بهم على عمر، فأخبر عمر بخبره، فقال: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ فقام عمر فقبل رأسه.

وفي رواية عوضا عن القدر والماء: نقرة نحاسا فيها زيت. وفي آخر الحديث: فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازحون عبد الله فيقولون: قبلت رأس علج، فيقول لهم: أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين.

وفي حديث آخر فقال: اتركوه واجعلوه في بيت ومعه لحم خنزير مشوي وخمر ممزوج، فلم يأكل ولم يشرب، وأشفقوا أن يموت فقال: أما إن الله عز وجل قد كان أحله لي، ولكن لم أكن. لأشمتك بالإسلام.

وفي رواية حدث عبد العزيز بن مسلم أن عبد الله بن محمد من ولد عبد الله بن حذافة أخبره أن عبد الله بن حذافة كان بالشام فكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية بن أبي سفيان[3] أغزو الروم وولي عليهم عبد الله بن حذافة السهمي قال: فخرج عبد الله بن حذافة على الناس قال: فقيل له في طريق الروم: أن في ناحية كذا وكذا رجلا من أصحاب هذا الرجل فيهم قال: فحملت الروم على طائفة من المسلمين فاقتطعوهم ومنهم عبد الله بن حذافة السهمي قال: فلما دخل الروم على هرقل قالوا له: إن هذا الرجل من قريش يعنون عبد الله بن حذافة وهو ابن عم محمد قال: فدفعه إلى رجل فقال: أجعه قال: فأجاعه الرجل فكان يأتيه في كل يوم بلحم خنزير فيضعه بين يديه فيعرض عنه عبد الله بن حذافة وقال: هذا طعام لا يحل لنا أكله قال: فدخل الرجل على هرقل فقال له: أتيته بلحم خنزير وخمر فأعرض عنه وقال: هذا طعام لا يحل لنا أكله فإن كان لك في الرجل حاجة فأطعمه قال: فاذهب فأطعمه شيئا قال: فذهب فأتاه بطعام فأكله قال: فلما أخبر هرقل بذلك قال: قد بلوته بالضراء فابتليه بالسراء فأتاه بالجواري وبألطاف وملاهي قال: فلم يلتفت عبد الله بن حذافة إلى شيء من ذلك قال: فأتاه الرجل فأخبره بذلك فقال للجواري: ما كان منه إليكن حركة؟ فقلن لا والله ما التفت إلينا، فأرسل إليه هرقل فأتاه فقال له هرقل: قد بلوتك بالسراء والضراء فصبرت فهل لك أن تقبل رأسي وتنجو بنفسك؟ قال: لا قال: فهل لك أن تقبل رأسي وأدفع لك كل أسير من المسلمين عندي؟ قال: نعم، فقبل رأسه عبد الله بن حذافة فدفع إليه كل أسير عنده من المسلمين قال: فقدم على عمر فسعى به ساع إلى عمر وقال: إن هرقل قد بعث إليك معه مالا فخزنه عنك فدعاه عمر فقال: أين المال الذي بعث معك إلينا؟ قال: يا أمير المؤمنين، ما بعث إليك هرقل شيئا، قال: فكتب عمر إلى معاوية: أن استخرج لي خبره وافحص عن أمره قال: فاستخرج معاوية خبر عبد الله بن حذافة قال: فكتب به إلى عمر قال: فلما قرأ عمر كتاب معاوية قال: إلي بعبد الله بن حذافة فقبل رأسه ثم قال له عمر: يرحمك الله ما منعك إذ بلغ بك الجهد ما بلغ أن تأكل لحم الخنزير؟ فقال له عبد الله بن حذافة: والله يا أمير المؤمنين لقد علمت أن ذلك موسوعا لي ولكني كرهت أن يشعث بالإسلام وأهله.

■ (1) ابن حذافة، عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي القرشي، أبو حذافة: صحابي أسلم قديما، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى. وهاجر إلى الحبشة، وقيل: شهد بدرا. وأسره الروم في أيام عمر، ثم أطلقوه. وشهد فتح مصر. وتوفي بها في أيام عثمان نحو 33 هـ. وكانت فيه دعابة. وله حديث. وعده الجمحي من شعراء مكة.

■ (3) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (2) هرقل ملك الروم ، واسمه فلافيوس أغسطس هرقل إمبراطور الإمبراطورية البيزنطية توفي سنة 21 هـ أيضا توفي خلفه الإمبراطور قسطنطين الثالث ثم خلفه الاخير الإمبراطور هرقلوناس في نفس السنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول ابن منظور: روي عن جماعة دخل حديث بعضهم في حديث بعض قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتبا، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه إليهم، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي، وهو أحد الستة إلى كسرى[1] يدعوه إلى الإسلام وكتب إليه كتابا. قال عبد الله: فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه ثم أخذه فمزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مزق ملكه. وكتب كسرى إلى باذان[2] عامله على اليمن أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز فليأتياني بخبره، فبعث باذان قهرمانه ورجلا آخر، وكتب معهما كتابا. فقدما المدينة فدفعا كتاب باذان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترعد، وقال: ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد، فأخبركما بما أريد، فجاءاه الغد فقال لهما: أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها، وهي ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع، وأن الله سلط عليه ابنه شيرويه[1] فقتله، فرجعا إلى باذان بذلك، فأسلم هو والأبناء الذين باليمن.

☪

يقول علي عبد الخالق القرني:أحبتي في الله لا يملك الإنسان أمام هذه المواقف التي تقف لها الهام إلا أن يقول: إنها النفوس المؤمنة يوم تجاهد في سبيل الله، لا في سبيل قول، ولا في سبيل نفس، ولا في سبيل وطن، بل في سبيل الله؛ لتحقيق منهج الله في أرض الله في سبيل الله؛ لتنفيذ شرع الله على عباد الله، ليس لها لنفسها حظ، بل كلها لله الواحد القهار. لا يخافون لومة لائم. وفيم الخوف من لوم الناس وقد ضمنوا حب وعبودية رب الناس؟ إن ما يخشى الناس ولومهم من يستمد حركاته وسكناته ومقاييسه من أهواء الناس، فهو أرضي طيني دوني، أما من يعود إلى موازين الله ليجعلها فوق كل الموازين فما يبالي بأهواء البشر وشهواتهم وقيمهم، لا يبالي بما يقولون، ولا بما يفعلون، ولا بما يتوعدون، إنها سمة المؤمنين المحبين لله ورسوله، الاطمئنان إلى الله يملأ قلوبهم فهلا أعددت نفسك لتكون من أمثال هؤلاء؟ فإن الينبوع واحد، وإن المورد واحد، وإن النهر واحد، ما أخذوا منه أنت تأخذ منه، ثبات على المبادئ، وصدق مع الباري، وإخلاص في الظاهر والخافي، سماويون لا أرضيون، لا دونيون، لا طينيون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. فيا ضعيف العزم، ويا دنيء الهمة، أين أنت؟ لا تستطل الطريق، الطريق طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف، بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد بكاء داود وعالج الأذى محمد صلى الله عليه وسلم ولكنكم تستعجلون. إنما يقطع الطريق ويصل المسافر بلزوم الجادة وسير الليل، فإذا حاد السائر عن الطريق أو استطاله ونام الليل فمتى يصل إلى المقصود؟ متى! أفيقوا استيقظوا وخذوا من الأسلاف..ممن قبلكم عظة تنير قلوبكم وتبصر..رومان في جبروتها وغرورها..رضخت لمن حملوا الضياء وحرروا..دحر البغاة بظلمهم وشرورهم..فخذوا دروسا منهم واستعبروا.

■ (1) كسرى بن هرمز إبرويز، كسرى الثاني أو خُسرو الثاني، ملك فارس المعروف بلقب برويز، كان ملك الساسانية في فارس. كان ابن هرمز الرابع، وحفيد كسرى الأول. ملك ثمانيا وثلاثين سنة وأشهر. وقتل سنة 7 هـ.على يد ابنه شيرويه (قباد الثاني) الذي مات بعد بضعة شهور من توليه الحكم.

■ (2) باذان بن ساسان، من ولد بهرام جور ، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل اليمن كلها بعد موت كسرى ، فهو أول أمير في الإسلام على اليمن ، وأول من أسلم من ملوك العجم. ثم أمر رسول الله بعد باذان ابنه شهر بن باذان على صنعاء وأعمالها، ثم قتل شهر ، فأمر رسول الله على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ علي القرني محاضرات وخطب/ الأعلام للزركلي/ الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة/ المحن/.

قيل: لما رجع عمر، رضي الله عنه، من الشام إلى المدينة، انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته، فمر بعجوز في خباء لها فقصدها. فقالت: ما فعل عمر؟ قال: قد أقبل من الشام سالما. فقالت: يا هذا! لا جزاه الله خيرا عني! وقال: ولم؟ قالت: لأنه ما أنالني من عطائه منذ ولي أمر المسلمين دينارا ولا درهما. فقال: وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع؟ فقالت: سبحان الله ! والله ما ظننت أن أحدا يلي على الناس، ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها. فبكى عمر رضي الله عنه، وقال: وا عمراه، كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر. ثم قال لها: يا أمة الله! بكم تبيعيني ظلامتك من عمر، فإني أرحمه من النار؟ فقالت: لا تهزأ بنا، يرحمك الله. فقال عمر: لست أهزأ بك. ولم يزل حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا. فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب[1]، وعبد الله بن مسعود[2] رضي الله عنهما، فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت: وا سوأتاه! شتمت أمير المؤمنين في وجهه؟ فقال لها عمر رضي الله عنه: لا بأس عليك، يرحمك الله، ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الخلافة إلى يوم كذا، بخمسة وعشرين دينارا. فما تدعي عليه عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر بريء منه، شهد على ذلك علي وابن مسعود. ثم دفعها إلى ولده وقال له: إذا أنا مت فاجعلها في كفني ألقى بها ربي.

----

(1) علي بن أبي طالب، أبو الحسن ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

(2) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي من أكابر الصحابة ومن أقربهم إلى رسول الله وهو من السابقين إلى الإسلام وكان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب سره ولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفي بها.سنة 32 هـ

جل جلاله

قال الشافعي: أخبرني عمي محمد بن علي بن شافع، عن الثقة –احسبه محمد بن علي بن الحسن أو غيره– عن مولى لعثمان بن عفان قال: بينا أنا مع عثمان[1] في مال له بالعالية في يوم صائف، إذ رأى رجلا يسوق بكرين*، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح. ثم دنا الرجل فقال: انظر من هذا؟ فنظرت فقلت: أرى رجلا معتما بردائه، يسوق بكرين. ثم دنا الرجل فقال: انظر. فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقلت: هذا أمير المؤمنين. فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب فإذا نفح السموم، فأعاد رأسه حتى حاذاه، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: بكران من إبل الصدقة تخلفا، وقد مضي بإبل الصدقة، فأردت أن ألحقها بالحمى*، وخشيت أن يضيعا، فيسألني الله عنهما. فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، هلم إلى الماء والظل ونكفيك. فقال: عد إلى ظلك. فقلت: عندنا من يكفيك! فقال: عد إلى ظلك. فمضى، فقال عثمان: من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا! فعاد إلينا فألقى نفسه.

حدث عمر بن نافع الثقفي، عن أبي بكر العبسي[2] قال: دخلت حير* الصدقة مع عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب[3]، فجلس عثمان في الظل، وقام علي على رأسه يملي عليه ما يقول عمر، وعمر قائم في الشمس في يوم شديد الحر، عليه بردتان سوداوان، متزر بواحدة وقد وضع الأخرى على رأسه، وهو يتفقد إبل الصدقة، فيكتب ألوانها وأسنانها. فقال علي لعثمان: أما سمعت قول ابنة شعيب في كتاب الله عز وجل: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص] وأشار علي بيده إلى عمر، فقال: هذا هو القوي الأمين.

----

* (البكر) الفتي من الإبل (الحمى) هو موضع فيه الكلأ والعشب يحميه الإمام من الناس فلا يرعى فيه أحد ولا يقربه أحد والمعنى لا يحمي شيء من الأرض إلا ما يرصد لرعي خيل الجهاد وإبلها وإبل الزكاة وما في معنى هذا. والأحمية هي حمى الربذة، وحمى ضربة، وحمى النقيع وغيرها (العالية) اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة فهي العالية (الحير) شبه الحظيرة أو الحمى

(1) عثمان بن عفان الأموي،أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.ودفن بالبقيع.

(3) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

(2) أبو بكر العنسي روى عنه عمر بن نافع الثقفي وهو اقدم من شيخ آخر يقال له أبو بكر العنسي للتمييز بينهما قال في التقريب: مجهول الحال، وهو أخو محمد المشهور .

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس/ أسد الغابة/ معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني/ تاريخ دمشق/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) والشاب القاتل، وأبو ذر 0116

قال شرف الدين حسين بن ريان: بينما عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين جالس في بعض الأيام، وعنده أكابر الصحابة، وأهل الرأي والإصابة، وهو يقول في القضايا، ويحكم بين الرعايا، إذ أقبل شاب نظيف الأثواب، يكتنفه شابان من أحسن الشبان، نظيفا الثياب، قد جذباه وسحباه وأوقفاه بين يدي أمير المؤمنين، ولبباه. فلما وقفوا بين يديه، نظر إليهما وإليه، فأمرهما بالكف عنه. فأدنياه منه وقالا: يا أمير المؤمنين، نحن أخوان شقيقان، جديران باتباع الحق حقيقان. كان لنا أب شيخ كبير، حسن التدبير، معظم في قبائله، منزه عن الرذائل، معروف بفضائله، ربانا صغارا، وأعزنا كبارا، وأولانا نعما غزارا، كما قيل: لنا والد لو كان للناس مثله..أب آخر أغناهم بالمناقب. خرج اليوم إلى حديقة له يتنزه في أشجارها، ويقطف يانع ثمارها، فقتله هذا الشاب، وعدل عن طريق الصواب. ونسألك القصاص بما جناه، والحكم فيه بما أراك الله.

قال الراوي: فنظر عمر إلى الشاب وقال له: قد سمعت، فما الجواب؟ والغلام مع ذلك ثابت الجأش*، خال من الاستيحاش*، قد خلع ثياب الهلع، ونزع جلباب الجزع، فتبسم عن مثل الجمان*، وتكلم بأفصح لسان، وحياه بكلمات حسان ثم قال: يا أمير المؤمنين، والله لقد وعيا ما ادعيا، وصدقا فيما نطقا وخبرا بما جرى، وعبرا بما ترى، وسأنهي قصتي بين يديك والأمر فيها إليك: اعلم، يا أمير المؤمنين، أني من العرب العرباء، أبيت في منزل البادية، وأصبح على أسود السنين العادية، فأقبلت إلى ظاهر هذا البلد بالأهل والمال والولد، فأفضت بي بعض طرائقها، إلى المسير بين حدائقها، بنياق حبيبات إلي، عزيزات علي، بينهن فحل كريم الأصل، كثير النسل، مليح الشكل، حسن النتاج، يمشي بينهن كأنه ملك عليه تاج. فدنت بعض النوق إلى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها، فتناولته بمشفرها، فطردتها من تلك الحديقة. فإذا شيخ قد زمجر، وزفر، وتسور الحائط، وظهر وفي يده اليمنى حجر، يتهادى كالليث إذا خطر، فضرب الفحل بذلك الحجر، فقتله وأصاب مقتله. فلما رأيت الفحل قد سقط لجنبه وانقلب، توقدت في جمرات الغضب، فتناولت ذلك الحجر بعينه، فضربته به، فكان سبب حينه، ولقي سوء منقلبه، والمرء مقتول بما قتل به بعد أن صاح صيحة عظيمة، وصرخ صرخة أليمة فأسرعت من مكاني فلم يكن بأسرع من هذين الشابين، فأمسكاني وأحضراني كما تراني. فقال عمر: قد اعترفت بما اقترفت، وتعذر الخلاص، ووجب القصاص، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾* [ص] فقال الشاب: سمعا لما حكم به الإمام، ورضيت بما اقتضته شريعة الإسلام، لكن لي أخ صغير، كان له أب كبير، خصه قبل وفاته بمال جزيل، وذهب جليل، وأحضره بين يدي، وأسلم أمره إلي، وأشهد الله علي، وقال: هذا لأخيك عندك، فاحفظه جهدك، فاتخذت لذلك مدفنا، ووضعته فيه، ولا يعلم به إلا أنا، فإن حكمت الآن بقتلي، ذهب الذهب، وكنت أنت السبب، وطالبك الصغير بحقه، يوم يقضي الله بين خلقه، وإن أنظرتني ثلاثة أيام، أقمت من يتولى أمر الغلام، وعدت وافيا بالذمام، ولي من يضمنني على هذا الكلام.

فأطرق عمر، ثم نظر إلى من حضر، وقال: من يقوم على ضمانه والعود إلى مكانه؟ قال: فنظر الغلام إلى وجوه أهل المجلس الناظرين، وأشار إلى أبي ذر[1] دون الحاضرين، وقال: هذا يكفلني ويضمنني. قال عمر: يا أبا ذر، تضمنه على هذا الكلام؟ قال: نعم، أضمنه إلى ثلاثة أيام. فرضي الشابان بضمانة أبي ذر وأنظراه ذلك القدر. فلما انقضت مدة الإمهال وكاد وقتها يزول أو قد زال، حضر الشابان إلى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر، وأبو ذر قد حضر والخصم ينتظر. فقالا: أين الغريم يا أبا ذر؟ كيف يرجع من فر، لا تبرح من مكاننا حتى تفي بضماننا. فقال أبو ذر: وحق الملك العلام، إن انقضى تمام الأيام، ولم يحضر الغلام، وفيت بالضمان وأسلمت نفسي، وبالله المستعان. فقال عمر: والله، إن تأخر الغلام، لأمضين في أبي ذر، ما اقتضته شريعة الإسلام. فهمت عبرات الناظرين إليه، وعلت زفرات الحاضرين عليه، وعظم الضجيج وتزايد النشيج*، فعرض كبار الصحابة على الشابين أخذ الدية واغتنام الأثنية*، فأصرا على عدم القبول، وأبيا إلا الأخذ بثأر المقتول. فبينما الناس يموجون تلهفا لما مر، ويضجون تأسفا على أبي ذر إذ أقبل الغلام ووقف بين يدي الإمام وسلم عليه أتم السلام ووجهه يتهلل مشرقا ويتكلل عرقا وقال: قد أسلمت الصبي إلى أخواله، وعرفتهم بخفي أمواله وأطلعتهم على مكان ماله. ثم اقتحمت هاجرات الحر، ووفيت وفاء الحر. فعجب الناس من صدقه ووفائه، وإقدامه على الموت واجترائه. فقال: من غدر لم يعف عنه من قدر، ومن وفى، رحمه الطالب وعفا، وتحققت أن الموت إذا حضر، لم ينج منه احتراس، كيلا يقال: ذهب الوفاء من الناس. فقال أبو ذر: والله، يا أمير المؤمنين، لقد ضمنت هذا الغلام، ولم أعرفه من أي قوم، ولا رأيته قبل ذلك اليوم. ولكن نظر إلي دون من حضر فقصدني وقال: هذا يضمنني، فلم أستحسن رده، وأبت المروءة أن تخيب قصده، إذ ليس في إجابة القاصد من بأس، كيلا يقال: ذهب الفضل من الناس. فقال الشابان عند ذلك: يا أمير المؤمنين، قد وهبنا هذا الغلام دم أبينا، فبدل وحشته بإيناس، كيلا يقال: ذهب المعروف من الناس. فاستبشر الإمام بالعفو عن الغلام وصدقه ووفائه، واستغزر مروءة أبي ذر دون جلسائه، واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف، وأثنى عليهما أحسن ثنائه. وتمثل بهذا البيت: من يصنع الخير لم يعدم جوائزه..لا يذهب العرف بين الله والناس. ثم عرض عليهما أن يصرف من بيت المال دية أبيهما. فقالا: إنما عفونا ابتغاء وجه ربنا الكريم، ومن نيته هكذا لا يتبع إحسانه منا ولا أذى.

----

*() عن ابن عباس: في قوله عز و جل:﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص] قال: ليس بحين نزو و لا فرار (الثناء) المدح ج أثنية (جأش) القلب والنفس والجنان وقيل رواع القلب عند الفزع. يقال: إنه لواهي الجأش فإذا ثبت قيل: إنه لرابط الجأش (الاستيحاش) ضد الاستئناس (الجمان) حب من فضة يشبه اللؤلؤ (النشيج) اشد البكاء وقيل هي مأقة يرتفع لها النفس كالفواق وقال ابو عبيد النشيج مثل بكاء الصبى اذا رد صوته فى صدره ولم يخرجه

■ (1) أبو ذر الغفاري، وهو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار ، وهو رابع أو خامس الإسلام هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول من حيا النبي صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام . مات سنة 32 هـ في خلافة عثمان وقال غيره وقبره في الربذة.

حدث الحجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يسأله عن رجل أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر حتى فعل ذلك مرارا أيقبل منه الإسلام فكتب إليه عمر أن اقبل منه اعرض عليه الإسلام فإن قبل فاتركه وإلا فاضرب عنقه حدثنا أسد بن موسى حدثنا محمد بن خازم عن الحجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يسأله عن عبد وجد جرة من ذهب مدفونة فكتب إليه عمر أن ارضخ له منها بشيء فإنه أحرى أن يؤدوا ما وجدوا.

☪

روى أن متمم بن نويرة[1] دخل على عمر بن الخطاب فقال له: ما بلغ من وجدك على أخيك مالك؟ قال: بكيته حولا حتى أسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة، وما رأيت نارا إلا كدت أنقطع لها أسفا عليه، لانه كان يوقد ناره إلى الصبح مخافة أن يأتيه ضيف فلا يعرف مكانه. قال: فصفه لى. قال: كان يركب الفرس الجرور، ويقود الجمل الثفال، وهو بين المزادتين النضوحين في الليلة القرة، وعليه شملة فلوت، معتقلا رمحا خطلا، فيسرى ليلته ثم يصبح، وكان وجهه فلقة قمر. قال: فأنشدني بعض ما قلت فيه. فأنشده مرثيته التى يقول فيها: وكنا كندماني جذيمة حقبة..من الدهر حتى قيل لن يتصدعا. فقال عمر: لو كنت أحسن قول الشعر لرثيت أخى زيدا[2]. فقال: متمم: ولا سواء يا أمير المؤمنين! لو كان أخى صرع مصرع أخيك ما بكيته. فقال عمر: ما عزاني أحد بأحسن مما عزيتنى. بعث أبو موسى من العراق إلى عمر بن الخطاب بحلية فوضعت بين يديه، وفي حجره أسماء بنت زيد بن الخطاب وكانت أحب إليه من نفسه، لما قتل أبوها باليمامة عطف عليهم فأخذت من الحلية خاتما، فوضعته في يدها، وأقبل عليها يقبلها، ويلتزمها. فلما غفلت أخذ الخاتم من يدها، فرمى به في الحلية وقال: خذوها عني.

----

*(من أهل بدر) وهم، والصواب أنه من مسلمة الفتح (قيسارية) مدينة بين حيفا ويافا.في فلسطين بناها الكنعانيون وسموها برج ستراتون وقد أعاد بنائها؟ هيرودوس الكبير وأطلق عليها اسم قيصرية نسبة إلى أغسطس قيصر الروماني

■ (1) متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو نهشل: شاعر فحل، صحابي، من أشراف قومه، اشتهر في الجاهلية والاسلام. وكان قصيرا أعور، أشهر شعره رثاؤه لاخيه مالك وسكن متمم المدينة، في أيام عمر، وتزوج بها امرأة لم ترض اخلاقه لشدة حزنه عل أخيه.توفي نحو سنة 30 هـ

■ (2) زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي. أبو عبد الرحمن: صحابي، من شجعان العرب في الجاهلية والاسلام. وهو أخو عمر بن الخطاب، وكان أسن من عمر، وأسلم قبله. شهد المشاهد، ثم كانت راية المسلمين في يده، يوم اليمامة، فثبت إلى أن قتل سنة 12 هـ. وحزن عليه عمر حزنا شديدا. وكان الجهلة في نجد، قبيل قيام محمد بن عبد الوهاب يغالون في تعظيم قبره، باليمامة، ويزعمون أنه يقضي لهم حاجاتهم.

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس/ المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص/ المعجم الوسيط/ نجعة الرائد/ لسان العرب/ المحكم والمحيط الأعظم/ فتوح مصر وأخبارها / الأعلام للزركلي/

عن ابن شهاب قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة، أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن[1] فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس[2] –وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه، وكان القراء أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاوريه – كهولا كانوا أو شبانا– فقال عيينه لابن أخيه الحر بن قيس: هل لك وجه عند هذا الامير فتستأذن لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فاستأذن الحر لعيينة، فلما دخل عليه قال: يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل*، ولا تحكم بيننا بالعدل (أو قال: والله ما تقسم بالعدل)، قال فغضب عمر رضي الله عنه حتى هم أن يقع به، فقال الحر: يا أمير المؤمنين أن الله تعالى قد قال لنبيه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف] قال فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حتى تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله.

قال ابن شبة النميري: مما وجدت في كتاب أبي غسان، وقرأه علي ولا أدري أنسبه إلى ابن شهاب أم لا، قال: أقبل عيينة بن حصن يريد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وعنده رجل من غطفان يدعى مالك ابن أبي زفر من فقراء المسلمين وضعفائهم –وكان غائظا لعيينة – يتكلم يوما، فقال عيينة: أصبح الخبأ تامكا* والدني متكلما، فقال مالك: يا أمير المؤمنين، هذا يفخر علينا بأعظم حائلة، وأرواح في النار، فقال عيينة: ما أنت المتكلم، ولكن الذي أقعدك هذا المقعد هو المتكلم، وغضب لعيينة رجال من قومه، فقالوا لمالك: أتقول هذا لسيد مضر؟ وقام عيينة مغضبا وقال: لهذا اليوم أعظم عندي من قتل الهباءة* أو لما جناه أريمص غطفان، يعني ما جناه مالكا أشد مما جنى وقتئذ، فقام إليه عمر رضي الله عنه فضربه بالدرة، وقال: يا عيينة، كن ذليلا في الاسلام، فإنما أنت طليق من أهل الردة، لا والله. لا أرضى عنك أبدا حتى يشفع لك مالك، فرجع عيينة فبات بليلة سوء، وبعث عمر رضي الله عنه عليه العيون فإذا عنده رجال من العرب وهو يقول: العجب لعمر، إن الاشعث بن قيس[3] ارتد مرتين فغفروا له ذنبه، وزوجه أبو بكر أخته ثم تلقفوه بأيديهم، وإنهم قد أولعوا بي حتى ما يلهج رجل من قريش إلا بتعييري، فقال له الهرم بن قطبة[4]: وأين أنت من الاشعث ؟ ملك في الجاهلية سيد في الاسلام، له من الاوس والخزرج ملء المدينة، فأقصد، واعلم أنك مع عمر، قال فبات وهو يتغنى: حلفت يمينا غير ذي مثنوية..لقلب أبي حفص أشد من الحجر..أيشتمني الفاروق والله غافر..له ما مضى إن أصلح اليوم ما غبر..فآلى يمينا لا يراجع قلبه..عيينة حتى يشفع ابن أبي زفر..وللموت خير من شفاعة مالك..إلى عمر لله من كبدي عمر..على غير ذنب غير أن قال قائل..عيينة محمود الزيادين في مضر..وآباؤه الغر البهاليل منهم..حذيفة شمس وابنه حصنها القمر..فإن يك كانت مني العام ردة..فلست أبا حفص بأول من كفر..وللاشعث الكندي أعظم غدرة..وأنكى بها من حي ذبيان إذ غدر..فأنكحه الصديق واختار قومه..وأمسى يفدى اليوم بالسمع والبصر..وأني له إذ كان قد..له دون وكان له نفر.

فلما بلغ عمر رضي الله عنه قوله قال: يا عيينة إني على حلفتي فاحتل لنفسك، فأتى عيينة مالكا فلم يجده، فقعد على بابه ينتظره، فمر به رجل من قومه فقال: ما بالك ها هنا ؟ قال: انتظر أريمص غطفان، قال: ما كنت أحسب هذا كائنا، ألا بعثت إليه فأتاك ؟ فضحك عيينة وقال: هل يدعنا عمر؟ حلف لا يرضى حتى يشفع لي مالك، فقبح الله هذا عيشا مع ما ترى، فقال الرجل: يا ابن حصن، من دخل هذا الدين ذل، ومن فزع إلى غيره لم يمنع، وجاء مالك فكلمه عيينة أن يشفع له إلى عمر رضي الله عنه، فمشى معه إلى عمر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن عيينة حرج الصدر ضيق الذرع، يخافه من فوقه ويخيفه من دونه، فارض عنه، فرضي عنه، قال عيينة: هذه شر من الاولى.

----

*(تمكا) يقال تمك السنام تمكا وتموكا إذا طال وارتفع، والتامك السنام المرتفع والمراد أصبح الضعيف قويا والدني مرتفعا (الهباءة) من أيام العرب في الجاهلية في حروب داحس والغبراء وقد كان بين عيس وذبيان وينسب إلى جفر الهباءة وهو مستنقع ببلاد غطفان وانظرخبرة بطوله في الاغاني والعقد الفريد(جزل) من العطاء أي الكثير

■ (1) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، كنيته أبو عبد الله أسلم بعد الفتح، وقيل قبل الفتح، وشهد الفتح مسلما، وهو من المؤلفة قلوبهم، وكان من الأعراب الجفاة، وكان ممن ارتد في عهد أبي بكر ثم عاد إلى الإسلام، توفي في خلافة عثمان.

■ (2) الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بن أخي عيينة بن حصن ذكره بن السكن في الصحابة وهو أحد الوفد الذين قدموا على رسول الله مرجعه من تبوك وكان للحر ابن متشيع وابنة حرورية وامرأته معتزلية وأخت مرجئة فقال لهم:أنا وأنتم كما قال الله:﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [الجن]

■ (4) الهرم بن قطبة بن سنان الفزاري، أدرك الجاهلية، وأسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وثبت في الردة، وذكر وثيمة أنه دعا عيينة بن حصن إلى الثبات على الاسلام وقال له اذكر عواقب البغي يوم الهباءة ولجاج رهان يوم قيس، وهزيمتك يوم الاحزاب –في موعظة طويلة– فلم يقبل منه ففارقه وقال فيه شعرا وكان هرم يقضي بين العرب في الجاهلية وقد تنافر إليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة فاستخفى منهما – ذكر ذلك أبو عبيدة في كتاب الديباج – وأسلم هرم بن قطبة وقال له عمر في خلافته ! لمن كنت حاكما بينهما لو حكمت؟ فقال: أعفني..أعفني فوالله لو أظهرت هذا لعادت الحكومة جذعة. فقال: صدقت والله بهذا الفعل حكمت.

■ (3) الأشعث بن قيس بن معدي كرب، أبو محمد، الكندي أمير كندة في الجاهلية والإسلام. .ولد في شبوة سنة 23 ق هـ كانت إقامته في حضرموت. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفد على النبي بسبعين رجلا من كندة، وشهد اليرموك والقادسية والمدائن. وقال ابن مندة : كان ارتد ثم رجع إلى الإسلام في خلافة أبي بكر وزوجه أخته أم فروة. مات سنة 40 هـ وقال بعضهم بعد علي بن أبي طالب بأربعين ليلة.

☪

قال البري: كان عيينة يعد في الجاهلية من الجرارين، يقود عشر آلاف. وتزوج عثمانرضي الله عنه ابنته فدخل عليه يوما فأغلظ له. فقال له عثمان: لو كان عمر رضي الله عنه ما أقدمت عليه بهذا. فقال: إن عمر أعطانا فأغنانا وأخشانا فأتقانا.

قال ابن قتيبة في المعارف: إن عيينة دخل على عثمان في خلافته، فقال له: يابن عفان، سر فينا بسيرة عمر بن الخطاب، فإنه أعطانا فأغنانا وأخشانا فأتقانا. فقال له عثمان: أما والله على ذلك ما كنت بالراضي بسيرة عمر، هل لك إلى العشاء؟ قال: إني صائم. قال: أمواصل أنت؟ قال: وما الوصال؟ قال: تصوم يومك وليلتك ويومك حتى تمسي. قال: لا ولكني وجدت صيام الليل أيسر علي من صيام النهار. وعيينة هو الذي أغار على سوق عكاظ، فهو الفجار الثاني. وله عقب. وعمي في آخر خلافة عثمان. وروى أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي وائل قال: سمعت عيينة بن حصن يقول لعبد الله: أنا ابن الأشياخ الشم. فقال له عبد الله: ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فسكت.

عن أبي هريرة قال:﴿كَانَ الْبَدَلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ تَنْزِلُ لِي عَنِ امْرَأَتِكَ وَأَنْزِلُ لَكَ عَنِ امْرَأَتِي وَأَزِيدُكَ قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلاَ أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ. قَالَ فَدَخَلَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ عَائِشَةُ فَدَخَلَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عُيَيْنَةُ فَأَيْنَ الاِسْتِئْذَانُ؟. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا اسْتَأْذَنْتُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ مُضَرَ مُنْذُ أَدْرَكْتُ. قَالَ: مَنْ هَذِهِ الْحُمَيْرَاءُ الَّتِي إِلَى جَنْبِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذِهِ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: أَفَلاَ أَنْزِلُ لَكَ عَنْ أَحْسَنِ الْخَلْقِ؟! قَالَ: يَا عُيَيْنَةُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ.قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا أَحْمَقُ مُطَاعٌ وَإِنَّهُ عَلَى مَا تَرَيْنَ لَسَيِّدُ قَوْمِهِ﴾ وعن سهل بن سعد قال: ﴿اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الاِسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ﴾ وعن عامر بن عبد الله أن مولا له ذهبت بابنة الزبير إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: أدخل؟ فقال عمر: لا، فرجعت فقال: ادعوها، فتقولي: السلام عليكم أدخل؟. وعن أسلم قال: قال لي عمر رضي الله عنه: يا أسلم أمسك علي البا فلا تأخذن من أحد شيئا، فرأى علي يوما ثوبا جديدا فقال: من أين لك هذا؟ قلت: كسانيه عبيد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال: أما عبيد الله فخذ منه وأما غيره فلا تأخذ منه شيئا. قال أسلم: فجاء الزبير رضي الله عنه وأنا على الباب فسألني أن يدخل، فقلت: أمير المؤمنين مشغول ساعة، فرفع يده فضرب خلف أذني ضربة صيحني، فدخلت على عمر فقال: مالك؟ فقلت: ضربني الزبير وخبرته خبره، فجعل عمر يقول: الزبير والله أرى، ثم قال: أدخله فأدخلته على عمر، فقال: لم ضربت هذا الغلام؟ فقال الزبير: زعم أنه سيمنعنا من الدخول عليك، فقال: هل ردك عن بابي قط؟ قال: لا، قال عمر: فإن قال لك: اصبر ساعة فإن أمير المؤمنين مشغول لم يتعذرني، إنه والله؟ إنما يدمي السبع للسباع فتأكله.وعن زيد بن ثابت أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه جاءه يستأذن عليه يوما، فأذن له ورأسه في يد جارية له ترجله*، فنزع رأسه، فقال له عمر: دعها ترجلك، فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي جئتك، فقال عمر: إنما الحاجة لي. وأخرج الطبراني عن رجل قال: استأذنا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صلاة الصبح، فأذن لنا وألقى على امرأته قطيفة، وقال: إني كرهت أن أحبسكم. وعن موسى بن طلحة رضي الله عنه قال: دخلت مع أبي على أمي فدخل فاتبعته، فالتفت فدفع في صدري حتى أقعدني على استي، ثم قال: أتدخل بغير إذن؟. وعن مسلم بن نذير قال: اتسأذن رجل على حذيفة رضي الله عنه فاطلع وقال: أدخل؟ قال حذيفة: أما عينك فقد دخلت، وأما استك فلم تدخل وقال رجل: استأذن على أمي؟ قال: إن لم تستأذن رأيت ما يسوءك. وعن أبي سويد العبدي قال: أتينا ابن عمر رضي الله عنهما فجلسنا ببابه ليؤذن لنا، قال: فأبطأ علينا الإذن، فقمت إلى حجحر في الباب فجعلت أطلع فيه ففطن بي، فلما أذن لنا جلسنا، فقال: أيكم اطلع آنفا في داري؟ قلت: أنا، قال: بأي شيء استحللت أن تطلع في داري؟ قلت: أبطأ علينا فنظرت فلم أتعمد ذلك، قال: ثم سألوه عن أشياء، قلت: يا أبا بعد الرحمن ما تقول في الجهاد، قال: من جاهد فإنما يجاهد لنفسه.

☪

قال ابن عمر: ما رأيت عمر غضب قط فذكر الله عنده أو خوف أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن إلا وقف عما كان يريد. وقال بلال لأسلم: كيف تجدون عمر؟ فقال: خير الناس إلا أنه إذا غضب فهو أمر عظيم، فقال بلال: لو كنت عنده إذا غضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه. وعن عمر بن الخطاب أنه قال: من خاف الله لم يشف غيظه، ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون. عن جعفر بن زيد أن عمر خرج يعس بالمدينة ليلة، ومعه غلام له، وعبد الرحمن بن عوف، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه وهو قائم يصلي، فوقف يسمع لقراءته، فقرأ: ﴿وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (5) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ إلى أن يبلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور] فقال عمر: قسم ورب الكعبة حق، امض لحاجتك، فاستند إلى حائط، فمكث مليا، فقال له عبد الرحمن: امض لحاجتك، فقال: ما أنا بفاعل الليلة إذ سمعت ما سمعت.قال: فرجع إلى منزله فمرض شهرا، يعوده الناس لا يدرون ما مرضه. وعن الحسن قال: كان عمر بن الخطاب يمر بالآية من ورده، فيسقط، حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض.

☪

حدث غسان بن عبد الحميد: أن عيينه بن حصن قدم على عمر رضي الله عنه فكلمه في دين عليه، فلم يرد عليه شيئا، فلما كان بعد كسر بعير من الصدقة فنحره عمر رضي الله عنه وجعله طعاما للمسلمين، وقسم جلده قطعا، وبعث إلى عيينة بقطعة من جلده، وقال: اخصف بها فإنه ليس لك في فئ المسلمين حق، قال: ثم إن عثمان رضي الله عنه تزوج بنت عيينة، فقدم عليه فطلب إليه حوائج، فقال: ما لك عندي إلا ما كان لك عند عمر رضي الله عنه، فقال: رحم الله عمر وأثابه الله على ذلك، إن كان ليعطينا حتى يغنينا ويخشينا حتى يتقينا.

----

*(ترجله) الترجل الترجيل: تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه

مراجع: تاريخ المدينة/ الأعلام للزركلي/ الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة/ سنن الدارقطنى/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/

قال العسكري أخبرنا غير واحد أن الزبرقان بن بدر لقي الحطيئة[1] فقال: من أنت؟ فقال: أنا حسب موضوع أبو مليكة. فقال له الزبرقان[2]: إني أريد وجها فصر إلى منزلي، وكن هناك حتى أرجع ففعل، فأنزلته امرأة الزبرقان وأكرمته، فحسده بنو عمه بنو لأي فدسوا إلى الحطيئة فقالوا: إن تحولت إلينا أعطيناك مائة ناقة ونشد إلى كل طنب من أطناب بيتك حلة تحويه، وقالوا لامرأة الزبرقان: إنما قدم الزبرقان هذا الشيخ ليتزوج ابنته فقدح ذلك في نفسها، فلما أراد القوم النجعة* تخلف الحطيئة وتغافلت المرأة، فاحتمله القريعيون -بني قريع بن عوف- ووفوا له بما قالوا، فأخذ في مدحهم وهجا الزبرقان فقال: أزمعت يأسا مبينا من نوالكم..ولا يرى طاردا للحر كالياسي..دع المكارم لا ترحل لبغيتها..واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي..من يفعل الخير لا يعدم جوازيه..لا يذهب العرف بين الله والناس. فاستعدى الزبرقان عليه عمر، فحكم عمر حسان ابن ثابت[3] فقال ما هجاه ولكن سلح* عليه فحبس عمر الحطيئة في بئر فقال يستعطفه: ما ذا تقول لأفراخ بذي مرخ..حمر الحواصل لا ماء ولا شجر..ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة..فاغفر عليك سلام الله يا عمر..ما آثروك بها إذ قدموك لها..لكن لأنفسهم كانت بك الأثر. فأخرجه عمر وجلس على كرسي وأخذ شفرة وأوهمه أنه يريد قطع لسانه، فصاح وقال: إني يا أمير المؤمنين والله قد هجوت أمي وأبي ونفسي وامرأتي، فتبسم عمر وقال: ما الذي قلت؟ قال: قلت لأبي وأمي: ولقد رأيتك في النساء فسؤتني..وأبا بنيك فساءني في المجلس. وقلت أيضا: تنحي واجلسي مني بعيدا..أراح الله منك العالمين..ولم أظهر لك البغضاء مني..ولكن لا أخالك تعقلين..أغربالا إذا استودعت سرا..وكانونا على المتحدثين. وقد أخذ هذا المعنى من كعب بن زهير[4] حيث يقول: ولا تمسكت بالوعد الذي وعدت..إلا كما يمسك الماء الغرابيل. قال: وقلت لامرأتي: أطوف ما أطوف ثم آوي..إلى بيت قعيدته لكاع. وقلت لنفسي: أبت شفتاي اليوم ألا تكلما..بسوء فما أدري لمن أنا قائله..أرى لي وجها شوه الله خلقه..فقبح من وجه وقبح حامله. وقد هجا من أحسن إليه فقال: سمحت ولم تبخل ولم تعط طائلا..فسيان لا ذم عليك ولا حمد. فخلى سبيله عمر بعد أن أخذ عليه ألا يهجو أحدا، وجعل له ثلاثة آلاف درهم اشترى بها منه أعراض المسلمين، فقال يذكر ذلك: وأخذت أطوار الكلام فلم تدع..شتما يضر ولا مديحا ينفع..ومنعتني عرض البخيل فلم يخف..شتمي وأصبح آمنا لا يجزع. وفي كتاب المؤرخ جواد علي قال: هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر، وكان سبب ذلك أن الحطيئة لقي الزبرقان بـ قرقرى* ومعه ابناه أوس وسوادة وبناته وامرأته فعرفه الزبرقان وسأله أين تريد؟ قال: العراق لأصادف من يكفيني عيالي وأصفيه مدحي، فقال له: لقيته، قال: من؟ قال: أنا، قال: من أنت؟ قال الزبرقان بن بدر. وكتب له كتابا إلى امرأته، لتعطيه وتنفق عليه، فبلغ ذلك: بغيض بن عامر[5] وإخوته وبني عمه، وكانوا ينازعون الزبرقان الرياسة، فدسوا إلى أم بدرة[6] امرأة الزبرقان أن الزبرقان ير يد أن يتزوج بنت الحطيئة، ولذلك أمرك أن تكرميه، فجفته أم بدرة، فأرسل بغيض وأهله إلى الحطيئة أن ائتنا فنحن أحسن لك جوارا من الزبرقان، وأطمعوه ووعدوه، فتحول إليهم، فلما جاء الزبرقان بلغه الخبر فركب إليهم، فقال لهم: ردوا علي جاري، فأبوا حتى كاد أن يكون بينهم حرب، فحضرهم أهل الحي فاصطلحوا على أن يخيروه فاختار بغيضا ورهطه، فجعل الحطيئة يمدحهم من غير أن يتعرض بالزبرقان، فلم يزل كذلك حتى أرسل الزبرقان إلى شاعر من النمر بن قاسط[7] يقال له: دثار بن شيبان[؟] فهجا بغيضا وآل بيته، فقال من جملة أبيات: وقد وردت مياه بني قريع..فما وصلوا القرابة مذ أساؤوا. فلما سمع الحطيئة شعر دثار، حمي لجيرانه، فقال شعره في الزبرقان معرضا به، فاستعدى الزبرقان عمر عليه، فحبس الحطيئة أياما، فقال وهو محبوس: ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ..زغب الحواصل لا ماء ولا شجر..ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة..فاغفر عليك سلام الله يا عمر. وشفع له عمرو بن العاص[8] فأطلقه. انتهى. وفي رواية أسلم[9] قال: أرسل عمر إلى الحطيئة الشاعر وأنا عنده، وقد كلمه عمرو بن العاص وغيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخرجه من السجن فقال: ماذا تقول لأفراخ بذي أمج..زغب الحواصل لا ماء ولا شجر..ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة..فاغفر هداك مليك الناس يا عمر..أنت الإمام الذي من بعد صاحبه..ألقت إليك مقاليد النهى البشر..لم يؤثروك* بها إذ قدموك لها..لكن لأنفسهم كانت بك الأثر..فامنن على صبية بالرمل مسكنهم..بين الأباطح يغشاهم بها القرر..أهلي فداؤك كم بيني وبينهم..من عرض داوية تعيا بها الخبر. قال: فبكى عمر.. فقال عمرو: ما أظلت الخضراء* ولا أقلت الغبراء* أعدل من رجل يبكي على تركه الحطيئة، فقال عمر: علي بالكرسي، فوضع له فجلس عليه وقال: أشيروا علي في الشاعر فإنه يقول الهجر* ويشبب* بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بما ليس فيهم، ما أراني إلا قاطعا لسانه. ثم قال: علي بالطست* فأتي به، ثم قال: علي بالمخصف*، علي بالسكين، لا بل علي بالموسى* فهو أوجى، فقالوا: لا يعود يا أمير المؤمنين، وأشاروا عليه قل. لا أعود يا أمير المؤمنين، فقال لا أعود يا أمير المؤمنين. قال له: النجاء*. فلما أدبر قال: يا حطيئة، كأني بك وأنت عند فتى من فتيان قريش، قد بسط لك نمرقة* وكسر لك أخرى وأنت تغنيه بأعراض المسلمين! قال أسلم: فدخلت على عبيد الله بن عمر[10] بعد أن توفي عمر وعنده الحطيئة، وقد بسط له نمرقة وكسر له أخرى وهو يغنيه. فقلت: يا حطيئة، أما تذكر ما قاله عمر؟ قال: فارتاع لها وقال: رحم الله ذلك المرء، لو كان حيا ما فعلنا هذا. فقال عبيد الله: وما قال؟ قلت: قال: كذا وكذا، فكنت أنت ذلك الفتى. ولما أطلق عمر بن الخطاب الحطيئة من حبسه قال له: يا أمير، المؤمنين، اكتب لي كتابا إلى علقمة بن علاثة[11] لأقصده به، فقد منعتني التكسب بشعري، فقال: لا أفعل. فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما عليك من ذلك علقمة ليس بعاملك فتخشى أن تأثم، وإنما هو رجل من المسلمين، قال: فشفع له إليه، فكتب له ما أراد. فمضى الحطيئة بالكتاب، فصادف علقمة قد مات، والناس منصرفون عن قبره، فوقف عليه ثم أنشده قوله: لعمري لنعم المرء من آل جعفر.. بحوران أمسى أعلقته الحبائل..فإن تحي لا أملك حياتي وإن تمت..فما في حياة بعد موتك طائل..وما كان بيني لو لقيتك سالما..وبين الغنى إلا ليال قلائل. فقال له ابنه: كم ظننت علقمة يعطيك؟ قال: مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها. فأعطاه إياها. وقيل إنه بلغه أنه في الطريق يريده، فأوصى له بمثل سهم من سهام ولده. ولما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له: أوص يا أبا مليكة، قال: نعم، أخبروا الشماخ[12] أنه أشعر غطفان. قالوا: فأوص في مالك، قال: نعم، ما لي للذكور دون الإناث. قالوا: فأوص للمساكين. قال: أوصيهم بإلحاف المسألة. قالوا: فأعتق غلامك يسارا. قال: اشهدوا أنه مملوك ما بقي. قالوا: فما توصينا بشيء؟ قال: بلى، احملوني على حمار، فإنه لم يمت عليه كريم قط، فلعلي لا أموت. قالوا: يا أبا مليكة، أي العرب أشعر؟ قال: هذا الجحير إذا طمع في خير، وأشار إلى فيه ولسانه، ثم استعبر وبكى، فقالوا: ما يبكيك؟؟ أفزعا من الموت؟ سوءة لك؟ قال: لا، ولكني أبكي للشعر من راوية السوء. ثم لم يلبث أن مات، فبلغ ذلك الشماخ فقال: ليبك على الشعر الرواة فقد مضى..وفارق إذ مات الحطيئة جرول؟..وأودى فما أبقى مقالا لشاعر يقوم ليبلى من يشا أو يعدل..مضى ذا وهذا والسلام عليهما..وكل عليه سوف يبكي ويعول.

----

*(الذرق) إخراج ما في البطن كذرق الطائر: زرقه، قال حسان، لما سأله عمر عن هجاء الحطيئة الزبرقان: ما هجاه، بل ذرق عليه.(الهجر) وهو الكلام القبيح (التشبيب) هو في الأصل ذكر أيام الشباب واللهو والغزل ويكون في ابتداء القصائد، سمي ابتداؤها مطلقا وإن لم يكن فيه ذكر الشباب. وشبب بالمرأة: قال فيها الغزل والنسيب.(الزغب) جمع الأزغب وهو ما يعلو جسمه الزغب شعيرات الريش الصفر(الخضراء) السماء (الغبراء) الأرض (الطست) إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه (النمرقة) المخدة والوسادة و(النمار) جلود النمور، وهي السباع المعروفة، واحدها : نمر. والنمار أيضا : كل شملة مخططة من مآزر وسراويل الأعراب فهي نمرة، وجمعها : نمار.(آثر) أعطى وأفرد وخص وفضل وقدم وميز(الموسى) ما يحلق به (المخصف) المخرز.(غطفان) بنو غطفان قبيلة عربية كبيرة من قبائل الجاهلية وصدر الإسلام (النجاء) أسرع وانجوا بنفسك و(النجا) النجاءك النجاءك ويقصران: أي أسرع أسرع (قرقرى) أرض باليمامة (النجعة) النجع بضم النون وفتح الجيم جمع النجعة بضم النون وسكون الجيم وهي طلب الكلأ في مواضعه (السلح) السلح للطائر كالغائط للإنسان وقيل هو خاص بها رق منه

■ (1) الحطيئة، هو جرول بن أوس بن مالك العبسي، يكنى أبا مليكة.وإنما لقب الحطيئة لقصره، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والاسلام. كان هجاءا عنيفا، لم يكد يسلم من لسان أحد. وهجا أمه وأباه ونفسه. وأكثر من هجاء الزبرقان ابن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس، فقال: إذا تموت عيالي جوعا !. توفي نحو 45 هـ وقيل في حدود سنة 59 هـ

■ (2) الزبرقان بن بدر التميمي السعدي: صحابي، من رؤساء قومه. قيل اسمه الحصين ولقب بالزبرقان وهو من أسماء القمر لحسن وجهه. ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر، وكف بصره في آخر عمره. وتوفي في أيام معاوية. وكان فصيحا شاعرا، فيه جفاء الاعراب. قال ابن حزم: وله عقب بطلبيرة Talavera لهم بها تقدم، وكانوا أول نزولهم بالاندلس نزلوا بقرية ضخمة سميت الزبارقة نسبة إليهم، ثم غلب الافرنج عليها، فانتقلوا إلى طلبيرة، وينسب إليه قول النابغة: تعدو الذئاب على من لا كلاب له. توفي نحو 45 هـ

■ (4) كعب بن زهير بن أبي سلمى، المازني، أبو المضرب. شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم، دمه فجاءه كعب مستأمنا وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول. فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وخلع عليه بردته. وهو من أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوام كلهم شعراء. وقد كثر مخمسو لاميته ومشطروها وترجمت إلى غير العربية. توفي سنة26 هـ

■ (3) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو . سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس. أبو الوليد؛ ويقال: أبو الحسام. الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، ابن الفريعة (أو الفزيعة). شاعر رسول الله وصاحبه. وحديثه قليل. قال ابن سعد: عاش ستين في الجاهلية، وستين في الإسلام. قال ابن سعد: عن الواقدي: لم يشهد مع النبي مشهدا. كان يجبن وقيل: لعلة أصابته وأمة الفريعة (أو الفزيعة) بنت خنيس. قال مسلم: كنيته أبو عبد الرحمن. وقيل: أبو الوليد. واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته. توفي في المدينة بين سنة35 و40 هـ زمن علي. أو ما بين سنة 50 هـ و 54 هـ زمن معاوية.

■ (6) أم بدرة –في رواية أم شذرة – وهي بنت صعصعه بن ناجية عمة الفرزدق وهي امرأة الزبرقان

■ (7) بني النمر بن قاسط: بطن من أسد بن ربيعة، من العدنانية، وهم: بنو النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى ابن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان. كانت ديارهم رأس العين من أعمال الجزيرة الفراتية. ومن أوديتهم: العلاة باليمامة. وملك عليهم معد يكرب بن الحارث بن عمرو. وكانوا مع سلمة يوم الكلاب الاول. وكانت فيهم كثرة.

■ (5) بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن أنف الناقة جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي كان من رؤساء بني تميم في الجاهلية وأدرك الإسلام ولم يرد في شيء من الطرق أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وله ذكر في خلافة عمر

■ (9) أسلم، العدوي، العمري، الفقيه، أبو زيد، ويقال: أبو خالد، مولى عمر بن الخطاب. قيل هو من سبي عين التمر. وقيل هو يماني. وقيل حبشي اشتراه عمر بمكة إذ حج بالناس في العام الذي يلي حجة الوداع زمن الصديق.توفي أسلم سنة 80 هـ. وقيل: مات في خلافة عبد الملك.

■ (11) علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الكلابي، من الصحابة المؤلفة قلوبهم، كان من أشراف قومه، سيدا فيهم، حليما، عاقلا، ثم ارتد علقمة حين عاد النبي من الطائف ولحق بالشام، ثم عاد إلى قومه بعد وفاة النبي، فأرسل إليه أبو بكر، سرية فانهزم، ثم أسلم وحسن إسلامه، واستعمله عمر بن الخطاب على حوران، فتوفى بها سنة 20 هـ وعلقمة بن علاثة هو الذي نافر عامر بن الطفيل عند هرم بن قطبة بن سنان (منافرته الشهيرة مع عامر بن الطفيل) ويقال للمفاخرة المنافرة. والمنافرة المحاكمة في الحسب، وأن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه، ثم يحكما بينهما رجلا

■ (8) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

■ (10) عبيد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي التابعي، وكان شديد البطش، قتل بصفين مع معاوية. وهو الذي قتل الهرمزان وجفينة النصراني وبنت أبي لؤلؤة في دم عمر..قال هشام بن محمد: الذي قتل عبيد الله بن عمر رضي الله عنه محرز بن الصحصح، وأخذ سيفه ذا الوشاح، سيف عمر يوم صفين

■ (12) الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والاسلام. وهو من طبقة لبيد والنابغة. كان شديد متون الشعر، ولبيد أسهل منه منطقا. وكان أرجز الناس على البديهة. وتوفي في غزوة موقان ستة 22 هـ . وأخباره كثيرة. قال البغدادي وآخرون: اسمه معقل بن ضرار، والشماخ لقبه.

قال الشعبي: كان الحطيئة وكعب عند عمر فأنشد الحطيئة: من يفعل الخير لا يعدم جوازيه..لا يذهب العرف بين الله والناس. فقال كعب: هي والله في التوراة، لا يذهب العرف بين الله وبين خلقه. لما نزل بـ عبد الله بن شداد الموت، دعا ابنا له يقال له محمد فأوصاه، وكان فيما أوصاه أن قال: يا بني أرى دواعي الموت لا تقلع، ومن مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزع. وإني أوصيك بوصية فاحفظها: عليك بتقوى الله، وليكن أولى الأمر بك الشكر لله وحسن الثناء عليه في السر والعلانية، واعلم أن الشكور مزيد والتقوى خير زاد، فكن يا بني كما قال الحطيئة العبسي: ولست أرى السعادة جمع مال..ولكن التقي هو السعيد..وتقوى الله خير الزاد ذخرا..وعند الله للأتقى مزيد..وما لا بد أن يأتي قريب..ولكن الذي يمضي بعيد.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ تاريخ المدينة/ الأعلام للزركلي/ مساوئ الأخلاق للخرائطي/ فوائد حديث أبي ذر الهروي/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ الأوائل للعسكري/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ بنضرة الإغريض في نصرة القريض/ الاغاني/ معجم قبائل العرب/ معجم البلدان/ المنمق في أخبار قريش/

عن محمد بن زياد قال كان عمر حاجا فجاءه رجل قد لطمت عينه فقال: من لطم عينك؟ قال: علي بن أبي طالب[1] فقال: لقد وقعت عليك عين الله؛ ولم يسأل ما جرى منه ولم لطمه. فجاء علي والرجل عند عمر فقال علي: هذا الرجل رأيته يطوف وهو ينظر إلى الحرم في الطواف، فقال عمر: لقد نظرت بنور الله.في رواية:كان عمر يطوف بالبيت وعلي يطوف أمامه إذ عرض رجل لعمر فقال:يا أمير المؤمنين خذ حقي من علي بن أبي طالب. قال:وما باله؟ قال: لطم عيني، قال: فوقف عمر حتى لحق به علي فقال ألطمت عين هذا يا أبا الحسن؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين.قال ولم؟ قال:لأني رأيته يتأمل حرم المؤمنين في الطواف فقال عمر:أحسنت يا أبا الحسن.ثم أقبل على الرجل فقال:وقعت عليك عين من عيون الله عز وجل، فلا حق لك.

عن حنش بن المعتمر: أن رجلين أتيا امرأة من قريش فاستودعاها مائة دينار وقالا: لا تدفعيها إلى أحد منا دون صاحبه حتى نجتمع، فلبثا حولا ثم جاء أحدهما إليها وقال: إن صاحبي قد مات فادفعي إلي الدنانير، فأبت فثقل عليها بأهلها فلم يزالوا بها حتى دفعتها إليه، ثم لبثت حولا آخر، فجاء الآخر فقال: ادفعي إلي الدنانير، فقالت إن صاحبك جاءني وزعم أنك قد مت فدفعتها إليه فاختصما إلى عمر، فأراد أن يقضي عليها. وروي أنه قال لها، ما أراك إلا ضامنة! فقالت، أنشدك الله أن تقضي بيننا، وارفعنا إلى علي بن أبي طالب، فرفعها إلى علي وعرف أنهما قد مكرا بها، فقال: أليس قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه، قال بلى. قال: فإن مالك عندنا اذهب فجيء بصاحبك حتى ندفعها إليكما.

عن موسى بن طلحة أن عمر اجتمع عنده مال فقسمه ففضلت منه فضلة، فاستشار أصحابه في ذلك الفضل، فقالوا: نرى أن تمسكه، فإن احتجت إلى شيء كان عندك -وعلي في القوم لا يتكلم- فقال عمر: مالك لا تتكلم، يا علي؟ قال: قد أشار عليك القوم، قال: وأنت فأشر. قال، فإني أرى أن تقسمه، ففعل. وعن حارثة بن مضرب أن عمر أراد أن يقسم السواد، فقال له علي: إن للناس نسلا من أولادهم وموادة من أعرابهم، فدعهم كما هم.

عن زيد بن علي عن أبيه عن جده قال: أتى عمر بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور فأمر برجمها، فتلقاها علي فقال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر عمر برجمها. فردها علي وقال: هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها؟ ولعلك انتهرتها أو أخفتها. قال: قد كان ذلك. قال: أو ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا حَدَّ عَلَى مُعْتَرِف بَعْدَ بَلَاء﴾؟ إنه من قيد أو حبس أو تهدد فلا إقرار له. فخلى سبيلها. وعن عبيد الله بن الحسن قال: دخل علي على عمر وإذا امرأة حبلى تقاد ترجم، فقال: ما شأن هذه؟ قالت: يذهبون بي يرجموها فقال: يا أمير المؤمنين لأي شيء ترجم؟ إن كان لك سلطان عليها فما لك سلطان على ما في بطنها. فقال عمر: كل أحد أفقه مني. ثلاث مرات. فضمنها علي حتى وضعت غلاما، ثم ذهب بها إليها فرجمها، فهذه غير تلك. والله أعلم. لأن اعتراف تلك كان بعد تخويف فلم يصح فلم ترجم، وهذه رجمت كما تضمنه الحديثان.

وعن عبد الرحمن السلمي قال: أتي عمر بامرأة اجهدها العطش فمرت على راع فاستسقته فأبى أن يسقيها إلا أن تمكنه من نفسها، ففعلت. فشاور الناس في رجمها فقال لي علي: هذه مضطرة إلى ذلك فخل سبيلها ففعل. وفي رواية: أن امرأة أتت عمر فقالت: إني زنيت فارجمني فردها حتى شهدت أربع شهادات فأمر برجمها، فقال علي: يا أمير المؤمنين، ردها فاسألها ما زناها لعل لها عذرا؟ فردها فقال: ما زناك؟ قالت: كان لأهلي إبل فخرجت في إبل أهلي فكان لنا خليط* فخرج في إبله فحملت معي ماء ولم يكن في إبلي لبن، وحمل خليطنا ماء وكان في إبله لبن، فنفد مائي فاستسقيت فأبى أن يسقيني، حتى أمكنه من نفسي، فأبيت حتى كادت نفسي تخرج أعطيته، فقال علي: الله أكبر، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة]، أرى لها عذرا، وزيد في رواية: فأعطاها عمر شيئا وتركها، وقد ذكر الفقهاء هذه الحادثة ضمن الإكراه على الزنا فلم يختلفوا في سقوط الحد بالإكراه ولكن الإكراه غير الاضطرار لأن الاضطرار فيه الإقدام على الفعل اختيارا، أما الإكراه فلا إقدام فيه وإنما يساق إلى الفعل جبرا، بدليل أن الله تعالى ذكر الإكراه مستقلا عن الاضطرار كما في قوله تعالى:﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور] وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة] وقد استدل علي رضي الله عنه بالآية الأخيرة، ووجه الدلالة أن الاضطرار لإنقاذ الحياة يرفع العقوبة الأخروية عن المضطر، فهو يسقط العقوبة الدنيوية من باب أولى في حقوق الله تعالى، ويؤخذ من هذه المسألة: عمل علي بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات. وعن علي أن امرأة أتته فقالت: إني زنيت، فقال: لعلك أتيت وأنت نائمة في فراشك أو أكرهت؟ قالت: أتيت طائعة غير مكرهة، قال: لعلك غصبت على نفسك، قالت: ما غصبت، فحبسها فلما ولت وشب ابنها جلدها لأنها لم تكن متزوجة ولذلك جلدت.

وعن أبي طبيان قال: شهدت عمر بن الخطاب أتي بامرأة قد زنت فأمر برجمها، فذهبوا بها ليرجموها فلقيهم علي فقال لهم: ما بال هذه؟ قالوا: زنت فأمر عمر برجمها: فانتزعها علي من أيديهم فردهم فرجعوا إلى عمر فقالوا: ردنا علي. قال: ما فعل هذا إلا لشيء، فأرسل اليه فجاء فقال: ما لك رددت هذه؟ قال: أما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبَرَ وَعَنِ الْمُبْتَلَى حَتَّى يَعْقِلَ﴾ [مسند أحمد] قال: بلى قال: فهذه مبتلاة بني فلان فلعله أتاها وهوبها. قال له عمر: لا أدري. قال: وأنا لا أدري؛ فترك رجمها. وعن مسروق أن عمر أتي بامرأة قد نكحت في عدتها ففرق بينهما وجعل مهرها في بيت المال، وقال: لا يجتمعان أبدا. فبلغ عليا فقال: إن كلا جهلا فلها المهر بما استحل من فرجها ويفرق بينهما. فإذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب. فخطب عمر وقال: ردوا الجهالات إلى السنة فرجع إلى قول علي. أخرج جميع ذلك ابن السمان في الموافقة، أخرج حديث أبي ظبيان أحمد. وعن ابن سيرين أن عمر سأل الناس: كم يتزوج المملوك؟ وقال لعلي: إياك أعني يا صاحب المعافري. رداء كان عليه. قال اثنتين.

----

*(خليط) الشريك الذي يخلط ماله بمال غيره.

■ (1) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

☪

عن علي رضي الله عنه قال:﴿بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ فقلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَبْعَثُنِي إِلَى قَوْمٍ يَكُونُ بَيْنَهُمْ أَحْدَاثٌ وَلاَ عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي لِسَانَكَ وَيُثَبِّتُ قَلْبَكَ. قَالَ: فَمَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ بَعْدُ﴾ وعن علي رضي الله عنه قال:﴿بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ وَلاَ عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ فَلاَ تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الآخَرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الأَوَّلِ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ. قَالَ: فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا أَوْ مَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَعْدُ﴾ وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿أقضي أُمَّتِي عَلِي﴾ اخرجه في المصابيح في الحسان. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أقضانا علي بن أبي طالب. أخرجه السلفي. وعن ابن مسعود قال: كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب. وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تختصم الناس بسبع ولا يحاجك أحد من قريش أنت أولهم إيمانا بالله وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزية. أخرجه الحاكمي. وعن سعيد بن المسيب أنه قال: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول. سلوني إلا عليا. أخرجه أحمد في المناقب والبغوي في المعجم، وأبو عمر ولفظه. ما كان أحد من الناس يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب. وعن أبي الطفيل قال: شهدت عليا يقول: سلوني والله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل. أخرجه أبو عمر.

عن أذينة العبدي قال: أتيت عمر فسألته: من أين أعتمر؟ قالت: ائت عليا فسله. أخرجه أبو عمر وابن السمان في الموافقة. وعن أبي حازم قال: جاء رجل إلى معاوية فسأله عن مسألة فقال: سل عنها علي بن أبي طالب، فهو أعلم. قال: يا أمير المؤمنين جوابك فيها أحب إلي من جواب علي. قال: بئس ما قلت، لقد كرهت رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزره بالعلم غزرا، ولقد قال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذه منه أخرجه أحمد في المناقب. وعن عائشة رضي الله عنها. وقد سئلت عن المسح على الخفين فقال أئت عليا فسله. أخرجه مسلم. وعن محمد بن يحيى بن حبان بن منقذ كان تحته امرأتان هاشمية، وأنصارية، فطلق الأنصارية ثم مات على رأس الحول؛ فقالت: لم تنقض عدتي، فارتفعوا إلى عثمان فقال: هذا ليس لي به علم، فارتفعوا إلى علي، فقال علي: تحلفين عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم أنك لم تحيضي ثلاث حيضات ولك الميراث؟ فحلفت فأشركت في الإرث. أخرجه ابن حرب الطائي. وعن أبي سعيد الخدري سمع عمر يقول لعلي -وقد سأله عن شيء فأجابه- أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن. وعن يحيى بن عقيل قال: كان عمر يقول لعلي -إذا سأله ففرج عنه- لا أبقاني الله بعدك يا علي.وعنه عن علي أنه قال لعمر: يا أمير المؤمنين إن سرك أن تلحق بصاحبيك فأقصر الأمل وكل دون الشبع واقصر الإزار. وارفع القميص واخصف النعل تلحق بها أخرج جميع ذلك ابن السمان.

☪

يقول علي الصلابي: كان علي رضي الله عنه عضوا بارزا في مجلس شورى الدولة العمرية بل كان هو المستشار الأول، فقد كان عمر رضي الله عنه يعرف لعلي فضله، وفقهه، وحكمته، وكان رأيه فيه حسنا، فقد ثبت فيه قوله فيه: أقضانا علي، وكان لعلي اجتهادات في الأمور القضائية، والمالية والإدارية في عهد الفاروق أخذ بها أمير المؤمنين عمر، وكان الفاروق يستشير علي في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي موضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور، وكان علي رضي الله عنه طيلة حياة عمر مستشارا ناصحا لعمر محبا له خائفا عليه، وكان عمر يحب عليا وكانت بينهم مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أعداء الإسلام إلا أن يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التي تناسب أمزجتهم ومشاربهم ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن: أن كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر لينقض عليه، وكل أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس، إن من أبرز ما يلاحظه المتأمل في خلافة عمر تلك الخصوصية في العلاقة وذلك التعاون المتميز الصافي، بين عمر وعلي رضي الله عنهما، فقد كان علي هو المستشار الأول لعمر في سائر القضايا والمشكلات وما اقترح علي على عمر رأيا إلا واتجه عمر إلى تنفيذه عن قناعة، وكان علي رضي الله عنه يمحضه النصح في كل شئونه وأحواله، فلا شك أن تلك العلاقة بين علي وعمر رضي الله عنهما لها انعكاساتها الثقافية والعلمية والتربوية على أبناء ذلك الجيل والمواقف التي تدل على قوة العلاقة بين عمر وعلي كثيرة [..]

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ ذخائر العقبى/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب/.

قال الشعبي: استأذن عدي[1] على عمر فقال له: تعرفني؟ قال عمر: نعم، فحباك الله أحسن المعرفة، أسلمت إذ كفروا، ووفيت إذ غدروا، وأعطيت إذ منعوا. وفي حديث آخر: وأقبلت إذ أدبروا. فقال: حسبي يا أمير المؤمنين حسبي.

وعن عدي بن حاتم قال: أتيت عمر بن الخطاب في أناس من قومي، فجعل يفرض للرجل من طيئ في ألفين ويعرض عني، قال: فاستقبلته فأعرض عني، ثم أتيته من حيال وجهه فأعرض عني، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتعرفني؟ قال: فضحك حتى استلقى لقفاه، ثم قال: نعم والله إني لأعرفك، آمنت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وإن أول صدقة بيضت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة طيئ، جئت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أخذ يعتذر ثم قال: إنما فرضت لقوم أجحفت بهم الفاقة وهم سادة عشائرهم لما ينوبهم من الحقوق.

■ (1) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، أبو وهب وأبو طريف: صحابي، وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل كان رئيس طيئ في الجاهلية والإسلام. أسلم سنة 9 هـ، وشهد فتح العراق، وشهد الجمل وصفين والنهروان مع علي. وفقئت عينه،قيل مات سنة 67 هـ، وله 120 سنة. وتوفي بالكوفة بين 66=69 هـ قيل قدم عدي على عمر بن الخطاب فكأنه رأى منه جفاء، فقال له: أما تعرفني؟ قال: بلى والله أعرفك أكرمك الله بأحسن المعرفة أسلمت إذ كفروا وعرفت إذ أنكروا ووفيت إذ غدروا وأقبلت إذ أدبروا. فقال: حسبي يا أمير المؤمنين حسبي.

☪

قال أبو عبيدة بن حذيفة[2]: كنت أسأل عن عدي بن حاتم وهو إلى جنبي بالكوفة، فلقيته فقلت: ما حديث بلغني عنك؟ قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث وأنا أشد الناس له كراهية، فلحقت بأقصى الشام مما يلي بلاد الروم، فكنت أنا بمكاني الذي به أشد كراهية لذلك من الأمر الأول، فقلت: والله لآتين هذا الرجل فإن كان صادقا لا يضرني، وإن كان كاذبا لا يخفى علي. قال: فأقبلت حين قدمت المدينة، فاستشرفني الناس وقالوا: عدي بن حاتم، عدي بن حاتم، فأتيته فقال: يا عدي بن حاتم، أنا الهارب من الله ورسوله؟! يا عدي بن حاتم، أسلم تسلم. قلت: إن لي دينا. قال: أنا أعلم بدينك منك. قلت: أنت أعلم بديني مني؟! قال: نعم، ألست ركوسيا؟ أولست رئيس قومك؟ أولست تأخذ المرباع (أي تأخذ ربع الغنيمة)؟ فإن ذلك لا يحل لك في دينك. قال: فأخذتني لذلك خصاصة، قال: إنه لا يمنعك أن تسلم إلا أنك ترى بمن حولنا خصاصة، وترى الناس علينا إلبا واحدا. ثم قال: هل أتيت الحيرة حتى تأتي البيت بغير جوار، وأوشك أن يخرج علينا كنوز كسرى[3]. قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز، ويوشك أن يخرج الرجل الصدقة من ماله فلا يجد من يقبلها. قال عدي: فقد رأيت الظعينة تخرج من الحيرة حتى تأتي البيت بغير جوار، وكنت في أول خيل غارت على كنوز كسرى، وأيم الله لتكونن الثالثة، إن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لحق.

وعن عامر الشعبي قال: قدم عدي بن حاتم الكوفة، فأتيته في أناس من أهل الكوفة فقلت له: حدثنا بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: بعث رسول الله بالنبوة فلا أعلم أحدا من العرب كان أشد له بغضا ولا أشد له كراهية مني حتى لحقت بالروم فتنصرت فيهم، فلما بلغني ما يدعو إليه من الأخلاق الحسنة وما قد اجتمع الناس إليه ارتحلت أتيته،فوقفت عليه وعنده صهيب[4] وبلال[5] وسلمان[6] فقال: يا عدي بن حاتم، أسلم تسلم.فقلت: إخ إخ، فأنخت، فجلست، فألزمت ركبتي بركبته فقلت: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، يا عدي بن حاتم، لا تقوم الساعة حتى تفتح خزائن كسرى وقيصر، يا عدي بن حاتم، لا تقوم الساعة حتى تأتي الظعينة من الحيرة ولم يكن يومئذ كوفة حتى تطوف بهذه الكعبة بغير خفير، يا عدي بن حاتم، لا تقوم الساعة حتى يحمل الرجل جراب المال فيطوف به فلا يجد يقبله، فيضرب به الأرض فيقول: ليتك لم تكن، ليتك كنت ترابا.

قال عدي بن حاتم: ما دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قط إلا توسع لي أو قال: تحرك لي قال: فدخلت عليه ذات يوم وهو يوم في بيت مملوء من أصحابه، فلما رآني توسع لي حتى جلست إلى جانبه. وفي رواية: فلما رآني تحرك لي.

ومن حديث: أن عديا حين قدم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام وأسلم قال: الصدقة يا عدي. فقال: ليست لنا سائمة إنما هي ركاب نركبها وأفراس نلجمها إن ألجم علينا. فقال: لابد من الصدقة. قال: نعم. فلما أجمع على الرجوع وقد ولاه على طائفة من طيئ، فسأله ظهرا. فبعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم يعتذر إليه أن لم يجد عنده حاجته، وقال: لكن ترجع ويفعل الله خيرا. فأتى عدي قومه فدعاهم فصدقهم، فقبض النبي صلى الله عليه وسلم وهي في يده، فوفى وأقبل بها إذا كان بالغمر ماء لبني أسد عليه جمع، ناداه رجل من بني أسد أشهد أن الصريح تحت الرغوة، وإن أبا الفضل لكاذب، يا بن حاتم فارجع فاقسم هذه الإبل بين قومك فتكون سيد الحيين ما بقيت. فقال عدي: إن يكن محمد قد مات فإن الذي أسلمت له حي لم يمت. فساق الصدقة، فلما دنا من المدينة لقيته خيل لأبي بكر[7] عليها عبد الله بن مسعود[8]، فابتدروه فأخذوه وقالوا: أين الفوارس التي كانت معك؟ قال: ما كان معي فوارس. قالوا: بلى. فقال ابن مسعود: خلوا عنه، فما كذب ولا كذبتم، أعوان الله ولم يرهم. فكانت ثالثة ثلاث صدقات أو ثانية صدقتين قدمتا على أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطى منه عديا ثلاثين بعيرا.

ومن حديث آخر: قدم عليه بثلاث مئة بعير وقال: إن عديا لما أسلم وأراد أن يرجع إلى بلاده بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعذر من الزاد ويقول: والله ما أصبح عند آل محمد سفة من طعام، ولكنك ترجع ويكون خير. فلما قدم على أبي بكر أعطاه ثلاثين فريضة، فقال عدي: يا خليفة رسول الله، أنت اليوم أحوج وأنا عنها غني. فقال أبو بكر: خذها فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعذر إليك ويقول: ترجع ويكون خير. فقد رجعت وجاء الله بخير، فأنا منفذ ما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته. فأنفذها، فقال عدي: آخذها الآن فهي عطية من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال أبو بكر فذاك. قالوا: وكانت تلك الصدقات مما جهز أبو بكر بها من نهض لقتال أهل الردة.

قالوا: وكان عدي بن حاتم أحزم رأيا وأفضل في الإسلام رغبة ممن كان فرق الصدقة في قومه، فقال لقومه: لا تعجلوا، فإنه إن يقم لهذا الأمر قائم ألفاكم ولم تفرقوا الصدقة، وإن كان الذي تظنون، فلعمري إن أموالكم بأيديكم لا يغلبكم عليها أحد، فسكتهم بذلك وأمر ابنه أن يسرح نعم الصدقة، فإذا كان المساء روحها، وإنه جاء بها ليلة عشاء فضربه، وقال: ألا عجلت بها، ثم أراحها الليلة الثانية فوق ذلك قليلا، فجعل يضربه ويكلمونه فيه، فلما كان اليوم الثالث قال: يا بني، إذا سرحتها فصح في أدبارها وأم بها المدينة، فإن لقيك لاق من قومك أو من غيرهم فقل: أريد الكلأ تعذر علينا ما حولنا، فلما جاء الوقت الذي كان يروح فيه لم يأت الغلام، فجعل أبوه يتوقعه ويقول لأصحابه، العجب لحبس ابني! فيقول بعضهم: نخرج يا أبا طريف فنبتغيه؟ فيقول: لا والله، فلما أصبح تهيأ ليغدو، فقال قومه: نغدو معك؟ فقال: لا يغدون معي منكم أحد، إنكم إن رأيتموه حلتم بيني وبين أن أضربه وقد عصى أمري كما ترون، أقول له: تروح الإبل بسفر، فليلة يأتي بها عتمة وليلة يعزب بها! فخرج على بعير له سريعا حتى لحق ابنه ثم حدر النعم إلى المدينة، فلما كان ببطن قناة، لقيته خيل لأبي بكر الصديق عليها عبد الله بن مسعود، ويقال: محمد بن مسلمة[9] وهو أثبت فلما نظروا إليه ابتدروه فأخذوه وما كان معه، وقالوا له: أين الفوارس الذين كانوا معك؟ فقال: ما معي أحد. فقالوا: بلى لقد كان معك فوارس. الحديث وسار عدي بن حاتم مع خالد بن الوليد[10] إلى أهل الردة، وقد انضم إلى عدي من طيئ ألف رجل، وكانت جديلة معرضة عن الإسلام، وهم بطن من طيئ، وكان عدي من الغوث، فلما همت جديلة أن ترتد ونزلت ناحية، جاءهم مكنف بن زيد الخيل الطائي[11] فقال: أتريدون أن تكون سبة على قومكم لم يرجع واحد من طيئ! وهذا أبو طريف معه ألف من طيئ، فكسرهم. فلما نزل خالد بن الوليد بزاخة قال لعدي: يا أبا طريف، ألا تسير إلى جديلة؟ فقال: يا أبا سليمان، لا تفعل أقاتل معك بيدين أحب إليك أم بيد واحدة؟ فقال خالد: بل بيدين. قال عدي: فإن جديلة إحدى يدي. فكف خالد عنهم، فجاءهم عدي فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، فسار بهم إلى خالد، فلما رآهم خالد فزع منهم وظن أنهم أتوا لقتال، فصاح في أصحابه بالسلاح، فقيل له: إنما هي جديلة أتت تقاتل معك. فجاءهم خالد فرحب بهم، واعتذروا إليه من اعتزالهم، وقالوا: نحن لك بحيث أحببت. فجزاهم خيرا فلم يرتد من طيئ رجل واحد، فسار خالد على بغيته، فقال عدي: اجعل قومي مقدمة أصحابك. فقال: أبا طريف، إن الأمر قد اقترب ولحم، وأنا أخاف إن تقدم قومك ولحمهم القتال انكشفوا فانكشف من معنا، ولكن دعني أقدم قوما صبرا لهم سوابق وثبات. فقال عدي: فالرأي رأيت. فقدم المهاجرين والأنصار.

----

*(المرباع) كان الملك فى الجاهلية يأخذ الربع من الغنيمة دون أصحابه (الركوسى) الركوسية دين بين النصارى والصابئين

■ (4) صهيب بن سنان بن مالك، من بني النمر بن قاسط: صحابي، من أرمى العرب سهما، وله بأس. وهو أحد السابقين إلى الاسلام. كان أبوه من أشراف الجاهليين. ولاه كسرى على الابلة –البصرة– وكانت منازل قومه في أرض الموصل، على شط الفرات مما يلي الجزيرة والموصل، وبها ولد صهيب، فأغارت الروم على ناحيتهم، فسبوا صهيبا وهو صغير، فنشأ بينهم، فكان ألكن. واشتراه منهم أحد بني كلب وقدم به مكة، فابتاعه عبد الله ابن جدعان التيمي، ثم أعتقه. فأقام بمكة يحترف التجارة، إلى أن ظهر الاسلام، فأسلم ولم يتقدمه غير بضعة وثلاثين رجلا. فلما أزمع المسلمون الهجرة إلى المدينة، كان صهيب قد ربح مالا وفيرا من تجارته، فمنعه مشركو قريش، وقالوا: جئتنا صعلوكا حقيرا، فلما كثر مالك هممت بالرحيل؟ فقال: أرأيتم إن تركت مالي تخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. فجعل لهم ماله أجمع. فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فقال: ربح صهيب، ربح صهيب!. وشهد بدرا وأحد والمشاهد كلها. وتوفي في المدينة سنة 38 هـ. وكان يعرف بصهيب الرومي، وفي الحديث: (أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة).

■ (5) بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق وأمه حمامة، وهو مؤذن رسول الله، من السابقين الأولين الذين عذبوا في الله، شهدا بدرا، وشهد له النبي على التعيين بالجنة، يقال: إنه حبشي، وقيل: من مولدي الحجاز. قيل ولد سنة.42 ق.هـ وفي وفاته أقوال: أحدها بداريا (مدينة قرب دمشق) في سنة 20 هـ. ودفن بباب الصغير وهو ابن بضع وستين سنة. وقيل دفن بباب كيسان. وقيل بمقبرة خولان. وقيل بباب الأربعين. لما احتضر بلال قال: غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه، قال: تقول امرأته: وا ويلاه ! فقال: وا فرحاه !.

■ (6) سلمان الفارسي، يقال: سلمان بن الإسلام ، وسلمان الخير، أبو عبد الله ولا يعرف اسم أبيه بفارس أصله من رامهر مز. وقيل من أصبهان. كان أبوه ذا رئاسة، وخرج هو يطلب الهدي فلازم بعض علماء النصارى ثم خرج إلى يثرب بإشارة بعضهم. فأسر واسترق وقدم النبي المدينة فأسلم وجاهد معه. وكان ذا رأي. وهو الذي أشار بحفر الخندق. ثم شاهد المشاهد وبعض الفتوح. ولى إمرة المدائن حتى توفي سنة 33 هـ في خلافة عثمان بن عفان بالمدائن. وقيل: توفي سنة36 هـ.

■ (8) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى من أكابر الصحابة ومن أقربهم إلى رسول الله وهو من السابقين إلى الإسلام وكان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب سره ولى بعد وفاة النبي بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفى بها.سنة 32 هـ

■ (10) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يلي أعنة الخيل في قريش، وقد أسلم سنة 7 هـ ، يكنى أبا سليمان، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول، وله بطولات نادرة في حروب الردة وقتال الفرس،مات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هـ ويقال: توفى بحمص سنة 14 هـ

■ (9) محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الرحمن، من الأمراء، من أهل المدينة. شهد بدرا وما بعدها إلا غزوة تبوك. واستخلفه النبي في بعض غزواته. وولاه عمر على صدقات جهينة. واعتزل الفتنة في أيام علي. وكان عند عمر معدا لكشف أمور الولاة في البلاد. مات بالمدينة سنة 43 هـ وقيل سنة 46 هـ وله 77 سنة

■ (11) مكنف بن زيد الخيل بن مهلهل الطائى: صحابي، له شعر. شهد قتال أهل الردة مع خالد بن الوليد في أوائل عهد أبى بكر. وشارك في فتح الري فكان والد حماد الراوية من سبيه، وحماد من مواليه. وكان مكنف أكبر إخوته وهم: عروة، وحنظلة، وحريث. وبه كان أبوه يكنى: زيد الخيل، أبو مكنف. مات بعد 22 هـ

■ (7) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

■ (3) كسرى بن هرمز إبرويز، كسرى الثاني أو خُسرو الثاني، ملك فارس المعروف بلقب برويز، كان ملك الساسانية في فارس. كان ابن هرمز الرابع، وحفيد كسرى الأول. ملك ثمانيا وثلاثين سنة وأشهر. وقتل سنة 7 هـ.على يد ابنه شيرويه (قباد الثاني) الذي مات بعد بضعة شهور من توليه الحكم.

■ (2) أبو عبيدة بن حذيفة بن اليمان العبسي الكوفي روى عن أبيه حذيفة بن اليمان، وعدي بن حاتم وأبي موسى الأشعري وعمته فاطمة ولها صحبة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ تاريخ المدينة/ الأعلام للزركلي/

عن عبد الله بن عمر قال: ما سمعت عمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه يقول لشيء قط: إني لأظن كذا وكذا إلا كان كما يظن: بينما عمر بن الخطاب جالسا إذ مر رجل جميل، فقال له: لقد أخطأ ظني، وإن هذا الرجل على دينه في الجاهلية، أول قد كان كاهنا في الجاهلية، علي الرجل، فدعي له، فقال له عمر: لقد أخطأ ظني، وإنك لعلى دينك في الجاهلية، أول قد كنت كاهنهم، قال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم، فقال عمر: فإني أعزم عليهم إلا ما أخبرتني، قال: كنت كاهنهم في الجاهلية، قال: فماذا أعجب ما جاءتك به جنيتك؟ قال: بينا أنا يوما في السوق أعرف منه الفزع قالت: ألم تر إلى الجن وإبلاسها، وإياسها من بعد إيناسها، ولحوقها بالقلاس وأحلاسها*. قال عمر: صدق. بينا أنا عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل يذبح، فصرخ منه صارخ، لم أسمع صارخا أشد صوتا منه يقول: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله، وثب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله، فقلت: لا أبرح، فما نشبنا أن قيل: هذا نبي.

----

*(القلاص) من الابل: الفتية منها (الاحلاس) جمع حلس: وهو كساء من جلد يوضع على ظهر البعير ثم يوضع عليه الرحل

■ (1) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

عن غضيف بن الحارث[1] رجل من أيلة قال: مررت بعمر بن الخطاب فقال: نعم الغلام، فاتبعني رجل ممن كان عنده، فقال: يا بن أخي، ادع الله لي بخير، قال: وقلت: ومن أنت رحمك الله؟ قال: أنا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: غفر الله لك، أنت أحق أن تدعو لي مني لك، قال: يا بن أخي، إني سمعت عمر بن الخطاب حين مررت به آنفا يقول: نعم الغلام، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به. وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله نقل الحق على قلب عمر وعلى لسانه وما نزل الناس أمر قط يقال فيه الرأي، وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بما قال فيه عمر. الصحيح أن آخره من قول ابن عمر، فإنه رواه جماعة ولم يذكروه.

قال غضيف: كنت صبيا أرمي نخل الأنصار، فأتوا بي النبي صلى الله عليه وسلم، فمسح برأسي فقال: ﴿كُلْ مَا يَسْقُطُ وَلَا تَرْمِي نَخْلَهُمْ﴾ وعن غضيف بن الحارث أنه مر بعمر بن الخطاب قال: نعم الفتى غضيف. فلقيت أبا ذر بعد ذلك فقال: أي أخي استغفر لي، قال: أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت أحق أن تستغفر لي، قال: إني سمعت عمر يقول: نعم الفتى غضيف. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله ضرب الحق على سان عمر وقلبه. وفي رواية: وضع الحق على لسان عمر يقول به. وفي حديث مختصر أن الله جعل السكينة على لسان عمر وقلبه يقول بها. قال ابن منظور: بعث عبد الملك بن مروان إلى غضيف بن الحارث فقال: يا أبا أسماء، إنا قد جمعنا الناس على أمرين، قال: وما هما؟ قال رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة، والقصص بعد الصبح والعصر، قال: أما إنهما أمثل بدعتكم عندي، ولست مجيبك إلى شيء منهما، قال: ولم؟ قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة. فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة.

عن ابن عباس قال: قام رجل إلى أبي بكر الصديق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خليفة رسول الله، من خير الناس؟ قال: عمر بن الخطاب، قال: ولأي شيء قدمته على نفسك؟ قال: بخصال: لأن الله باهى به الملائكة ولم يباه بي، ولأن جبريل أقرأه السلام ولم يقرئني، وإن جبريل قال: يا رسول الله، اشدد الإسلام بعمر بن الخطاب، القول ما قال عمر، ولأن الله صدقه في آيتين من كتابه ولم يصدقني، قال: لتنتهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليتزلن الله فيكن كتابا، فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التحريم] الآية. ولأن عمر قال: يا رسول الله، إنه يدخل البر والفاجر، فلو ضربت عليهن الحجاب، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب] ولأن عمر قال: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة] فلما قبض أبو بكر قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، من خير الناس؟ قال: أبو بكر الصديق، فمن قال غيره فعليه ما على المفتري. قال وهب السوائي: خطب الناس علي رضي الله عنه فقال: من خير هذه الأمة بعد نبيها؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين. قال: لا، بل أبو بكر، ثم عمر. إن كنا لنظن أن السكينة لتنطق على لسان عمر. وعن طارق بن شهاب قال: كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسان ملك. وعن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب: وافقت ربي في أربع: قلت: يا رسول الله، لو صلينا خلف المقام، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة] وقلت: يا رسول الله، لو اتخذت على نسائك حجابا، فإنه يدخل عليك البر والفاجر، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب] وقلت لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم: لتنتهن أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن، فنزلت: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التحريم] الآية. ونزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون] إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون] فقلت: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون]
جلس عمر رضي الله عنه فترة من الفترات فنزل سواد بن قارب من الجبل، قال: هذا رجل ترك وديعة في رأس الجبل، قالوا: من أخبرك يا أمير المؤمنين؟ قال: أقول هكذا، فأتوا إلى الرجل، وقالوا: أتركت شيئاً؟ قال: دفنت ولدي في رأس الجبل وأتيت. وجاءه سواد بن قارب بجمله من الصحراء قال: هذا الرجل كان كاهنا في الجاهلية، قالوا: من أخبرك؟ قال: من مشيته وحركاته، فأتوا إلى سواد بن قارب فقالوا: أكنت كاهنا؟ قال: نعم. كنت أتعاطى الكهانة، وهو صاحب القصيدة الرنانة الطنانة بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام يوم قال له: فكن لي شفيعا يوم لا ذو قرابة بمغن فتيلا عن سواد بن قارب.

عن الأسود بن شيبان عمن حدثه قال: أقبل قوم غزاة من الشام يريدون اليمن، وكانت لعمر جفنات* يضعها إذا صلى الغداة، فجاء رجل منهم فجلس يأكل فجعل يتناول بشماله، فقال له عمر، وكان يتعهد الناس عند طعامهم: كل بيمينك، فلم يجبه، فأعاد عليه فقال: هي مشغولة. فلما فرغ من طعامه دعا به فقال: ما شغل يدك اليمين؟ فأخرجها فإذا هي مقطوعة فقال: ما هذا؟ فقال: أصيبت يدي يوم اليرموك*. قال: فمن يوضئك؟ قال: أتوضأ بشمالي ويعين الله، قال: فأين تريد؟ قال: اليمن إلى أم لي لم أرها منذ كذا وكذا سنة. قال: وبر أيضا، فأمر له بخادم وخمسة أباعر من إبل الصدقة وأوقرها له.

عن عبد الواحد بن عون الدوسي قال: رجع الطفيل بن عمرو رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معه بالمدينة حتى قبض. فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل[2]، فقتل الطفيل باليمامة شهيدا، وجرح معه ابنه عمرو بن الطفيل وقطعت يده، فبينا هو عند عمر بن الخطاب إذ أتي بطعام فتنحى عنه، فقال عمر: مالك (لعلك) تنحيت لمكان يدك؟ قال: أجل، قال: لا والله لا أذوقه حتى تسوطه بيدك (حتى تخلطه بيدك المقطوعة)، فوالله ما في القوم أحد بعضه في الجنة غيرك (يريد يده) ثم خرج عام اليرموك مع المسلمين فقتل شهيدا.

ظل حلم الشهادة يلوح لعمرو منذ فارق أباه، وهو يتمنى الاستشهاد في سبيل الله واللحاق بأبيه في الجنة، فما أعظمها من أمنية ومنافسة بين الولد وأباه. فلما كانت معركة اليرموك بادر إليها عمرو مع المبادرين، وما زال يقاتل حتى أدرك الشهادة التي مناه بها أباه . رحم الله الطفيل الدوسي، فهو الشهيد وأبو الشهيد.

----

*(الجفن) جفن العين والجفن أيضا غمد السيف والجفنة كالقصعة وجمعها جفان و جفنات (قعة اليرموك) معركة اليرموك، وقعت عام 15 هـ بين المسلمين والروم أو الإمبراطورية البيزنطية

■ (1) غضيف بن الحارث بن زنيم، أبو أسماء السكوني اليماني، ويقال الثمالي، ويقال الكندي الشامي. عداده في صغار الصحابة، وله رواية. وروى أيضا عن: عمر، وأبي عبيدة، وبلال، وأبي ذر، وأبي الدرداء وطائفة. توفي في حدود سنة 80 هـ.

■ (2) عمرو بن الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص الأزدي،الدوسي وهو عمرو بن ذي النور، هو ابن الطفيل الدوسي، كان النبي دعا له، واستشهد يوم اليرموك سنة 18 هـ، وذو النور هو أبوه الطفيل بن عمرو، وابنه عمرو مختلف في صحبته.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ـمختار الصحاح/ أنساب الأشراف/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ كنز العمال/ ثمر الخاطر/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) ورجل (؟) 0122

قال خرشة بن الحر: شهد رجل عند عمر بن الخطاب[1] شهادة، فقال له: لست أعرفك،ولا يضرك أن لا أعرفك، ائت بمن يعرفك، فقال رجل من القوم: أنا أعرفه قال: بأي شيء تعرفه؟ قال: بالعدالة والفضل قال: فهو جارك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره، ومدخله ومخرجه؟قال: لا قال: فمعاملك بالدينار والدرهم اللذين بهما يستدل على الورع* ؟قال: لا.قال: فرفيقك في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا. قال: فلست تعرفه، ثم قال للرجل: ائت بمن يعرفك.

----

*(الورع) في الأصل: الكف عن المحارم والتحرج منه، ثم استعير للكف عن المباح والحلال .

■ (1) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

عزَّ وجلَّ

خباب بن مروان الحمد: ومن هنا نعلم علم اليقين خطورة الحذر من التزكية الظاهرة، والنظرة السطحية العابرة، التي نزكي بها فلانا وعلانا، من خلال نظرات عامة. وما الأخبار التي تأتينا أو نسمع بها من حالات الخصام الزوجي أو الطلاق من أناس كانت المرأة أو الرجل يحسب كل أحد منهم الآخر أنه – أو أنها – من أهل الخير والبر والصلاح لمظهرهم الحسن؛ بيد أنها حين تعاملت معه – أو حين تعامل الرجل معها – انكشفت حقائق ما كان مستورا، وبدت مكنونات قلبيهما تظهر وتبدو، إلى أن حصل الشقاق والخلاف. عن ابن أبى نجيح قال: مر رجل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال:﴿مَنْ يَعْرِفُهُ؟. فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَعْرِفُهُ بِوَجْهِهِ وَلاَ أَعْرِفُهُ بِاسْمِهِ، قَالَ:لَيْسَتْ تِلْكَ بِمَعْرِفَةٍ﴾.

وروى سفيان وشعبة عن الأعمش عن أبي وائل عن زيد بن صوحان قال قال عمر: ما يمنعكم إذا رأيتم الرجل يخزن أعراض الناس أن تعرفوني به؟ قالوا: نخاف سفهه وشره. قال: ذلك أدنى ألا تكونوا شهداء. وعن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فكنت فيمن سار معه فأقام عليهم ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء فبعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالد ومن اتبعه إلا من أراد البقاء مع علي رضي الله عنه فيتركه قال البراء: فكنت فيمن قعد مع علي، فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر فجمعوا له، فصلى بنا علي الفجر فلما فرغ صففنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان كلها في يوم واحد وكتب بذلك علي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ كتابه خر ساجدا ثم جلس، فقال: السلام على همدان، وتتابع أهل اليمن على الإسلام.

مراجع: السنن الكبرى/ الأعلام للزركلي/ تفسير الطبري/ مقالات موقع الألوكة/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) ورجل (؟) 0123

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنه وأنبه على عقوقه لأبيه. فقال الابن: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟. قال: بلى. فقال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ . قال: أن ينتقي أمه، وأن يحسن اسمه، وأن يعلمه الكتاب، القرآن. فقال الابن: يا أمير المؤمنين إنه لم يفعل شيئا من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جعلا، أي خنفساء، ولم يعلمني من الكتاب حرفا واحدا. فالتفت أمير المؤمنين إلى الرجل وقال له: أجئت تشكو عقوق ابنك، لقد عققته قبل أن يعقك، وأسئت إليه قبل أن يسىء إليك؟.

■ (1) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

إذا الحديث النبوي الشريف: ﴿رَحِمَ اللهُ وَالِدًا أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بِرِّهِ﴾ قال محمد راتب النابلسي: هذا النص أن ينتقي أمه، وأن يحسن اسمه، وأن يعلمه القرآن، فإذا أهمل الأب هذه الأشياء يكون قد عق ابنه قبل أن يعقه ابنه، ويكون الأب قد أساء إليه قبل أن يسيء الابن إلى أبيه. فأول واجب على الآباء تجاه الأبناء أن يحسن الأب اختيار الزوجة، إن هذا الواجب يسبق وجود الولد. النبي عليه الصلاة والسلام يقول:﴿خَيْرُ فَائِدَةٍ أَفَادَهَا الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَهَا وَتَحْفَظُهُ فِي غَيْبَتِهِ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهَا﴾ من كنز العمال. عن يحيى بن جعدة مرسلا. فأثمن شيء أن تحسن اختيار الزوجة، ينبغي أن تكون الزوجة صالحة: تسره إذا نظر إليها. أي أنها نظيفة، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه في غيبته في ماله ونفسها. وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قيل يا رسول الله:﴿أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ ؟ قَالَ: الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَهَا وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَلَا فِي مَالِهِ بِمَا يَكْرَهُ﴾ في هذا الحديث ليس فيه كلمة إليها، أي إذا نظر إلى غرفة النوم تسره، منظمة ومرتبة، والملاءة نظيفة، وإذا نظر إلى المطبخ تسره، وإذا نظر إلى أولاده تسره، وإذا نظر إلى البيت إجمالا تسره، أي أنها تقوم بواجبها خير قيام، أي تحسن تبعل زوجها. والنبي عليه الصلاة والسلام كما تعرفون يقول: اعلمي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها يعدل ذلك كله، يعني الجهاد في سبيل الله، تسره إذا نظر، ولا تعصيه إذا أمر ، ولا تخالفه بما يكره في نفسها وماله (من المأثور: عن معاذ) هذه صفات الزوجة الصالحة ، لأن اختيار الزوجة الصالحة أول واجب على الآباء تجاه الأبناء الذين سوف يأتون إلى الدنيا . وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال عليه الصلاة والسلام:﴿تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى إِحْدَى خِصَالٍ ثَلَاثٍ : تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى مَالِهَا ، عَلَى جَمَالِهَا ، تُنْكَحُ عَلَى دِينِهَا ، عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ وَالْخُلُقِ تَرِبَتْ يَمِينُكَ﴾ وفي حديث آخر عن النبي عليه الصلاة والسلام، يقول عليه الصلاة والسلام:﴿تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ﴾ أي إن لم تفعل ما نلت إلا التراب، والتراب شيء لا قيمة له إطلاقا، إذا جهدت، وتحمست، وانقضضت، وأمسكت بشيء فإذا هو تراب، يقال تربت يمينك، أي لن تأخذ شيئا، لم تنل شيئا، لم تفلح في هذا الزواج .

العلماء قالوا :يستحب أن تختار امرأة تسرك إذا نظرت إليها. هذا من السنة، لكن العلماء أيضا ومنهم الماوردي يقول: كره العلماء أن يختار الإنسان امرأة ذات جمال بارع لأنها متعبة إلى أقصى الحدود، فإنها تزهو بجمالها، وتحب أن ينظر الناس إليها، وربما تعاند زوجها، وربما تتفلت من أوامر الشرع تفلت البعير. لذلك هذا رأي بعض العلماء ، أنه يجب أن تختار زوجة تسرك إذا نظرت إليها ، أما أن تختارها فائقة فائقة فهذا ربما عاد عليك بالمتاعب التي لا حصر لها. في حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام :﴿مَنْ تَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ لِجَمَالِهَا أَذَلَّهُ اللهُ... ﴾هي تزهو عليه بجمالها وهو يتصاغر أمام هذا الجمال، فكأنها هي الآمرة الناهية، وكأنها هي القيمة، وكأن لها القوامة، لذلك:﴿مَنْ تَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ لِجَمَالِهَا أَذَلَّهُ اللهُ﴾ أي لجمالها فقط، ومن تزوجها لمالها أفقره الله، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءة فعليك بذات الدين تربت يداك. لكن لو أنك تزوجت امرأة غنية وطابت لك عن بعض مالها، فهذا يأكله الزوج هنيئا مريئا، كما قال الله عز وجل في القرآن الكريم: (سورة النساء) والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:﴿إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ ﴾ الدمن جمع دمنة وهي المزبلة، وخضراء الدمن أحيانا تنبت نبتة في هذه القمامة، فإذا هي نضرة، لأنها كلها سماد، هذه سماها النبي عليه الصلاة والسلام خضراء الدمن، قال عليه الصلاة والسلام: ﴿إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ، قِيلَ: وَمَا خَضْرَاءُ الدِّمَنِ، قَالَ: ذَلِكَ مَثْلُ الْمَرْأَةِ الْحَسْنَاءِ مِنْ أَصْلٍ خَبِيثٍ﴾، الشاعر الحكيم قال : ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والأدب.

الواجب الذي يلي هذا الواجب هو: أن يتخير له اسما حسنا ذكرا كان أو أنثى. ففي الحديث الشريف: ﴿إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ﴾ هكذا قال عليه الصلاة والسلام. بعضهم يسمي ابنه جعيفص مثلا ، ما هذه جعيفص؟ عبد الرحمن ، عبد اللطيف مثلا ، عبد الله ، حسن ، حسين كذلك ، هناك أسماء كثيرة جدا ؛ أسماء إسلامية ، وأسماء أخلاقية ، من ذلك اسم مجيب أحيانا ، واسم همام ، لدينا أسماء كثيرة فيها معنى الشجاعة وغيرها. طبعا سبب هذه الأسماء القبيحة جهل قائم بالأهل..، هذه أسماء مزرية بأصحابها. وهناك أسماء مستوردة ؛ ميمي، وشونو، وسونا، وفيفي، وشوشو ، هذه أسماء لا تليق بالمسلم أساسا، لا تسمي اسما خشنا ولا اسما مستوردا، نريد اسما إسلاميا..، فاختيار الاسم شيء مهم جدا، هذا الاسم سوف يكون علما على هذا الابن في حله وترحاله، في علاقاته، في حركاته وسكناته، في نشاطاته. وعن ابن عمر رضي الله عنه، وفيما رواه الإمام مسلم يقول: ﴿إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ﴾ وكان عليه الصلاة والسلام إذا لم يعرف اسم إنسان قال له:﴿ادْنُ مِنِّي يَا عَبْدَ اللهِ﴾ هذا اسم يطلق على الكل، يا عبد الله. وعن جابر رضي الله عنه قال: ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم، فقلنا لا نكنيك أبا القاسم ولا كرامة، رسول الله أبا القاسم، فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿أَسْمِ ابْنَكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ﴾ وفي حديث آخر: ﴿تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ﴾ الحقيقة الأسماء القبيحة أسبابها عادة قبيحة، وعقلية قبيحة، وتصور قبيح إذ يزعم الجهلة أن هذه الأسماء القبيحة تقي صاحبها من الضرر، والهلاك، والموت، والآفة ، والمرض، والحق أنه لا يقي الإنسان إلا الله عز وجل، لكن النبي قال:﴿العين حق﴾ إن العين، أي عين الحسود، تضع الجمل في القدر، والرجل في القبر. المحسود الغافل عن الله عز وجل تؤثر فيه عين الحسود، أما المحسود المقبل على الله لا تؤثر فيه عين الحسود .

مراجع: / الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/ موسوعة الدين النصيحة/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) ومن أهل مصر (؟) 0124

عن الحسن: أن ناسا لقوا عبد الله بن عمرو[1] بمصر، فقالوا: نرى أشياء من كتاب الله، أمر أن يعمل بها، لا يعمل بها، فأردنا أن نلقى أمير المؤمنين في ذلك، فقدم وقدموا معه، فلقيه عمر[2] رضي الله عنه فقال: متى قدمت؟ قال: منذ كذا وكذا، قال: أبإذن قدمت؟ قال: فلا أدري كيف رد عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن ناسا لقوني بمصر فقالوا: إنا نرى أشياء من كتاب الله تبارك وتعالى أمر أن يعمل بها لا يعمل بها؛ فأحبوا أن يلقوك في ذلك، فقال: اجمعهم لي، قال: فجمعتهم له.. فأخذ أدناهم رجلا، فقال: أنشدك بالله وبحق الإسلام عليك، أقرأت القرآن كله؟ قال: نعم. قال: فهل أحصيته في نفسك؟ قال: اللهم، لا، قال: ولو قال نعم لخصمه. قال: فهل أحصيته في بصرك؟ هل أحصيته في لفظك؟ هل أحصيته في أثرك؟ قال: ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم، فقال: ثكلت عمر أمه، أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله؟! قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئات. قال: وتلا: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:] هل علم أهل المدينة – أو قال: هل علم أحد بما قدمتم؟ – قالوا: لا. قال: لو علموا لوعظت بكم.

----

(1) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل. أسلم قبل أبيه واستأذن النبي في كتابه ما يسمع منه فأذن له فكان عبد الله يسمي صحيفته الصادقة. قال قد حفظت عن رسول الله ألف مثل. توفي بالشام سنة 65 هـ. وقد زعم قوم أنه مات بمكة ويقال بالطائف ويقال بمصر.

(2) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

قال محمود محمد الطناحي: قال شيخنا أبو فهر محمود محمد شاكر: وقوله: لوعظت بكم؛ أي: لأنزلت بكم من العقوبة ما يكون عظة لغيركم من الناس، وذلك أنهم جاؤوا في شكاة عاملهم على مصر، وتشددوا ولم ييسروا، وأرادوا أن يسير في الناس بما لا يطيقون هم في أنفسهم من الإحاطة بكل أعمال الإسلام وما أمرهم الله به، وذلك من الفتن الكبيرة، ولم يريدوا ظاهر الإسلام وأحكامه، وإنما أرادوا بعض ما أدب الله به خلقه، وعمر أجل من أن يتهاون في أحكام الإسلام، إنما قلت هذا وشرحته مخافة أن يحتج به محتج من ذوي السلطان والجبروت في إباحة ترك أحكام الله غير معمول بها، كما هو أمر الطغاة والجبابرة من الحاكمين في زماننا هذا. ولهذه الغايات كلها أمرنا بترتيل القرآن في قوله عز وجل مخاطبا وآمرا نبيه صلى الله عليه وسلم، والأمر لأمته معه: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل]، قال القرطبي: أي: لا تعجل بقراءة القرآن؛ بل اقرأه في مهل وبيان، مع تدبر المعاني، والترتيل: التنضيد والتنسيق وحسن النظام، ومنه ثغر رتل ورتل، بكسر التاء وفتحها، أي: حسن التنضيد. وحكي عن أبي بكر بن طاهر قال: تدبر في لطائف خطابه، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه، وقلبك بفهم معانيه، وسرك بالإقبال عليه. وروي أن علقمة بن قيس قرأ على عبدالله بن مسعود، فكأنه عجل؛ فقال ابن مسعود: فداك أبي وأمي، رتل؛ فإنه زين للقرآن. لكن قوما من أهل الصدق والإخلاص، في زماننا ومن قبل زماننا، حسنت نياتهم، وسلمت صدورهم، يرغبون في إحراز الأجر ومضاعفة الثواب، يشتدون في هذا الشهر المبارك، ويبالغون في ختم القرآن أكثر من مرة، ويتباهون في ذلك؛ فيقول أحدهم: ختمته عشرين مرة، ويقول آخر: بل ختمته ثلاثين، ثم يزيد بعضهم وينقص بعضهم، وما يدرون أنهم بذلك يبتعدون عن السنة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته الأكرمين. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله، وروي عنه أيضا أنه قال: لأن أقرأ القرآن في ثلاث أحب إلي من أن أقرأه في ليلة كما يقرأ هذرمة، والهذرمة: السرعة في الكلام والمشي، ويقال: هذرم في كلامه هذرمة: أي خلط، ويقال للتخليط: الهذرمة.وسئل مجاهد عن رجل قرأ البقرة وآل عمران، ورجل قرأ البقرة، قيامهما واحد، وركوعهما واحد، وسجودهما واحد، وجلوسهما واحد، أيهم أفضل؟ فقال: الذي قرأ البقرة، ثم قرأ: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء]؛ وانظر بيان ذلك كله في: المرشد الوجيز (ص 197)، والتبيان في آداب حملة القرآن للنووي: (ص 71).

عن أبي هريرة قال: بينما عمر بن الخطاب يخطب الناس يوم الجمعة إذ دخل عثمان بن عفان فعرض به عمر: ما بال رجال يتأخرون بعد النداء أفقال عثمان: يا أمير المؤمنين ما زدت حين سمعت النداء أن توضأت ثم أقبلت فقال عمر: والوضوء أيضا ألم تسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ﴾ ولهذه الأحاديث والآثار وغيرها كره العلماء للخطيب أن يتكلم في أثناء الخطبة إلا لمصلحة فيجوز حينئذ .جاء في بدائع الصنائع : ويكره للخطيب أن يتكلم في حالة الخطبة، ولو فعل لا تفسد الخطبة، لأنها ليست بصلاة فلا يفسدها كلام الناس، لكنه يكره لأنها شرعت منظومة كالآذان، والكلام يقطع النظم إلا إذا كان الكلام أمرا بالمعروف فلا يكره.

وقد وردت آثار عن الصحابة تدل على وجوب الجماعة؛ من ذلك: ما جاء عن عمر رضي الله عنه أنه فقد رجلا في الصلاة، فأتى منزله فصوت به، فخرج الرجل قال: ما حبسك عن الصلاة؟ قال: علة يا أمير المؤمنين، ولولا أني سمعت صوتك ما خرجت، أو قال: ما استطعت أن أخرج، فقال عمر لقد تركت دعوة من هو أوجب عليك إجابة مني: منادي الله إلى الصلاة، وجاء عن عمر أيضا أنه فقد أقواما في الصلاة فقال: ما بال أقوام يتخلفون عن الصلاة، فيتخلف لتخلفهم آخرون، ليحضرن إلى المسجد أو لأبعثن إليهم من يجافي رقابهم، ثم يقول: احضروا الصلاة، ثلاث مرات.

مراجع: السنن الكبرى/ الأعلام للزركلي/ تفسير الطبري/ مقالات موقع الألوكة/ الإيضاح والتبيين لبعض صفات المؤمنين/

عن ابن بن مليكة قال: بينما عمر قد وضع بين يديه طعاما إذ جاء الغلام فقال: هذا عتبة بن فرقد[1] بالباب، قال: وما أقدم عتبة؟ ائذن له. فلما دخل رأى بين يدي عمر طعامه: خبز وزيت. قال: اقترب يا عتبة فأصب من هذا. قال: فذهب يأكل فإذا هو طعام جشب* لا يستطيع أن يسيغه. قال: يا أمير المؤمنين، هل لك في طعام يقال له: الحواري*؟ قال: ويلك، ويسع ذلك المسلمين كلهم؟ قال: لا والله. قال: ويلك يا عتبة، أفأردت أن آكل طيبا في حياتي الدنيا وأستمتع؟.

عن عتبة بن فرقد السلمي قال: وفدت إلى عمر بن الخطاب من العراق، فقلت: يا أمير المؤمنين، أهديت لك هدية أحب أن تقبلها، فدعا بها، فأتيته بها، فأمرني ففتحت سلة من خبيص*، فأكل منه، فأعجبته فقال: عزمت عليك إلا رزقت الجند من هذا سلة سلة، أو سلتين، فقلت: إن النفقة تكثر فيه، فقال: اقبض عني سلالك فلا حاجة لي فيما لا يسع العامة، ثم أتي بقصعة من ثريد ولحم، فأكل وأكلت، ثم جعلت أهوي إلى القصعة أراها شحما، فألوكها ساعة فأجدها عصبا، وعمر يأكل أكلا شهيا، ثم أتي بعس من نبيذ، فشرب وسقاني، ثم قال: إننا ننحر كل يوم جزورا، فيكون بطنها وأطايبها من غشيها من المسلمين وأهل الفاقة، ويكون العنق لأهل عمر، ثم نشرب عليه من هذا النبيذ فيقطعه في بطوننا.

وفي حديث آخر عن ابن فرقد أنه لما أتاه بالخبيص جعل يخرج من الخبيص ألوانا: أصفر وأحمر وأخضر، فطفق عمر ينظر إليه ويقول: بخ بخ ما أحسن هذا! فقال: اردده في جونته التي أخرجته منها، ثم ارجع من حيث جئت. قال ابن فرقد: ما يمنعك يا أمير المؤمنين أن تأكل؟ فقال عمر: إني آكل مما يأكل الناس، وألبس مما يلبس الناس، وأستبقي دنياي لآخرتي. وعن أبي عثمان النهدي أن عمر بن الخطاب رأى على عتبة بن فرقد قميصا طويل الكم فدعا بشفرة ليقطعه من عند أطراف أصابعه، فقال: أنا أكفيكه يا أمير المؤمنين! إني أستحيي أن تقطعه عند الناس، فترك

----

* (الحوارى) الدقيق وأجوده وأخلصه وهو المرخوف. الحوارى: كل ما حور أي بيض من طعام وقد حور الدقيق وحورته فاحور أي ابيض. وعجين محور الذي مسح وجهه بالماء حتى صفا (جشب الطعام) طحنه طحنا سيئا. وطعام جشب وجشب غليظ أو بلا أدم(الخبيص) المعمول من التمر والسمن والخبيص: الحلواء

■ (1) عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب السلمي، أبو عبد الله. وقال الكلبي: اسم فرقد: يربوع، أمه بنت عباد بن علقمة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، له صحبة ورواية، وكان شريفا. وقال ابن منده: عتبه فرقد السلمي، من بني مازن. غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوتين. قال ابن عبد البر وينسبونه عتبة بن يربوع بن حبيب بن مالك وهو فرقد بن اسعد وذكر أبوزكرياء صاحب تاريخ الموصل أنه هو الذي فتح الموصل زمن عمر سنة ثمان عشرة.قال وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم له منها وعن حصين قال كان عتبة بن فرقد يعطي سهمه لبني عمه عاما ولاخواله عاما.

عن أسلم[1] أن عمر بن الخطاب كان يؤتى بنعم كثيرة من نعم الجزية، وأنه قال لعمر بن الخطاب: إن في الظهر لناقة عمياء، فقال عمر: ندفعها إلى أهل بيت ينتفعون بها، فقلت: وهي عمياء؟ قال: يقطرونها بالإبل، قلت: كيف تأكل من الأرض؟ فقال: أمن نعم الجزية هي أم من نعم الصدقة؟ فقلت من نعم الجزية، فقال: أردتم والله أكلها، فقلت: إن عليها وسم الجزية، فأمر بها فنحرت، وكان عنده صحاف تسع فلا تكون فاكهة ولا طرفة إلا جعل في تلك الصحاف منها فيبعث بها إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون الذي يبعثه إلى حفصة من آخر ذلك، فإن كان فيه نقصان كان من حظ حفصة، قال فجعل في تلك الصحاف من لحم الجزور فبعث به إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بما بقي من اللحم فصنع فدعا عليه المهاجرين والأنصار. وعن هشام بن عروة عن أبيه عن أم المؤمنين عائشة قالت: كان عمر يرسل إلينا بأحاظينا حتى من الرؤوس والأكارع.

قال الحسن حدثني حفص بن أبي العاص[2] قال: كان عمر يغدينا بالخبز والزيت والخل، والخبز واللبن، والخبز والقديد، وأول ذلك اللحم الغريض*، يأكل وكنا نغدر*، وكان يقول: لا تنخلوا الدقيق فكله طعام، وكان يقول: ما لكم لا تأكلون؟ فقلت يا أمير المؤمنين إنا نرجع إلى طعام ألين من طعامك، قال: يا ابن أبي العاص. أما تراني عالما أن أرجع إلى دقيق ينخل في خرقة فيخرج كأنه كذا وكذا ؟ أما تراني عالما أن أعمد إلى أعناق* سمينة فنلقي عنها شعرها فتخرج كأنها كذا وكذا، أما تراني عالما أن أعمد إلى صاع أو صاعين من زبيب فأجعله في سقاء وأصب عليه من الماء فيصبح كأنه دم الغزال؟ قال قلت: أحسن ما يبعث العيش يا أمير المؤمنين. قال: أجل، والله لولا مخافة أن ينقص من حسناتي يوم القيامة لشاركتكم في لين عيشكم، ولكني سمعت الله ذكر قوما فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف]

في أثناء زيارة عمر إلى الشام، قال له يزيد بن أبي سفيان:[3] يا أمير المؤمنين إن الثياب والدواب عندنا كثير، والعيش عندنا رفيغ* والسعر رخيص، وحال المسلمين كما تحب فلو أنك لبست من هذه الثياب البيض وركبت من هذه الدواب الفره وأطعمت المسلمين هذا الطعام الكثير كان أبعد في الصوت وأزين لك في هذا الأمر وأعظم لك في الأعاجم، فقال له: يا يزيد والله لا أدع الهيئة التي فارقت عليها صاحبي ولا أتزين للناس. بما أخاف أن يشينني عند ربي، ولا أريد أن يعظم أمري عند الناس ويصغر عند الله تعالى، فلم يزل عمر رضي الله عنه على الأمر الأول الذي كان عليه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة أبي بكر رضي الله عنه حتى خرج من الدنيا.

عن الربيع بن زياد الحارثي[4] قال: كنت عند عمر فوضع يده على بطنه، فقلت: مالك يا أمير المؤمنين؟ فقال: طعام غليظ أكلته أذيت منه، قلت: يا أمير المؤمنين، إن أولى الناس بالمطعم اللين والملبس اللين لانت، قال: فتناول عصية فقرع بها رأسي وقال: كنت أحسب فيك خيرا يا ربيع بن زياد. قلت: مالك يا أمير المؤمنين؟ قال: والله ما أردت بها إلا مقاربتي، أتدري ما مثلي ومثلهم ؟ قال: ما مثلك ومثلهم؟ قال: مثل قوم أرادوا سفرا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل وقالوا: أنفق عليك وعلينا. أفله أن يستأثر عليهم ؟ قلت: لا، قال: فكذاك.

عن عمر بن سعد عن سعد قال: أراد عمر أن يستعمل رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من عمل المسلمين فكان الرجل يكره ذلك، فغضب عمر وقال: إنه لا بد لهذا الأمر الذي نحن فيه من أعوان عليه، فبمن نستعين؟! فلما رأى ذلك من عمر سمح له وقال: أنطلق الآن فآتي أهلي فأوصيهم، ثم أروح إن شاء الله، قال: فنهاه عمه، وقال: إذا أتيت، فقل: يا أمير المؤمنين، فاني أستخيرك، فأتاه فقال: يا أمير المؤمنين، إني أستخيرك، قال: من نهاك؟ قال: عمي فلان، قال: لم نهيته؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأراد أن يستعمل رجلا، فقال الرجل: يا رسول الله، فاني أستخيرك، قال: فاني أختار لك أن تجلس، فإنه لن يؤمر رجل على االمسلمين، إلا أتى الله مغلولا يوم القيامة، حتى يكون عمله هو الذي يحل عنه، وكان عمر متكئا فاستوى جالسا، ثم جعل ينادي وا عمراه، وأي عمل يحل عني، فدعا بذلك ثلاث مرات.

----

*(عيش رفيغ) يقال عيش رفيغ ورافغ إذا كان واسعا (الغريض) من اللحم الطري منه (نعذر) أي نصنع ما نعذر فيه (العناق) الانثى من أولاد الماعز قبل استكمالها الحول

■ (1) أسلم، العدوي، العمري، الفقيه، أبو زيد، ويقال: أبو خالد، مولى عمر بن الخطاب. قيل هو من سبي عين التمر. وقيل هو يماني. وقيل حبشي اشتراه عمر بمكة إذ حج بالناس في العام الذي يلي حجة الوداع زمن الصديق.توفي أسلم سنة 80 هـ. وقيل: مات في خلافة عبد الملك.

■ (3) يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية من أبيه، ويقال له يزيد الخير، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة. أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وشهد حنينا، فقيل: إن النبي أعطاه من غنائم حنين مئة من الإبل وأربعين أوقية فضة، وهو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، عقد له أبو بكر، ومشى معه تحت ركابه يسايره، ويودعه، ويوصيه، وما ذاك إلا لشرفه وكمال دينه، ولما فتحت دمشق، أمره عمر عليها. توفي يزيد في الطاعون سنة 18 هـ، ولما احتضر، استعمل أخاه معاوية على عمله، فأقره عمر على ذلك احتراما ليزيد، وتنفيذا لتوليته.

■ (4) الربيع بن زياد بن أنس بن الديان الحارثي، له صحبة. استخلفه أبو موسى على قتال مناذر سنة 17 فافتتحها عنوة وقتل وسبى وقتل بها أخوه المهاجر بن زياد.قيل لما أته مقتل حجر بن عدي قال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه. فلم يبرح من مجلسه حتى مات سنة 53هـ.

■ (2) حفص بن أبي العاص بن بشر بن عبيد بن دهمان الثقفي أخو عثمان بن أبي العاص الصحابي ، وفيمن نزل البصرة من الصحابة، وكان يحضر طعام عمر.

مراجع: موسوعة الأعلام/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ جرجان/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) وأبو عقيل، شيخ من بني مليل 0126

عن المسور بن مخرمة الزهري[1]، قال: خرجنا حجاجا مع عمر بن الخطاب[2]، فنزلنا منزلا بطريق مكة يقال له: الأبواء، فإذا نحن بشيخ على قارعة الطريق؛ فقال الشيخ: يا أيها الركب، قفوا. فقال عمر: قفوا. فوقفنا؛ فقال عمر: قل يا شيخ. قال: أفيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر: أمسكوا لا يتكلمن أحد، ثم قال: أتعقل يا شيخ؟ قال: العقل ساقني إلى هاهنا.قال: توفي النبي صلى الله عليه وسلم. قال: وقد توفي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم. قال: فبكى حتى ظننا أن نفسه ستخرج من بين جنبيه؛ ثم قال: فمن ولي أمر الأمة من بعده؟ قال: أبو بكر[3]. قال: نحيف بني تيم؟ قال: نعم. قال: أفيكم هو؟ قال: لا. قال: وقد توفي؟ قال: نعم. قال فبكى حتى سمعنا لبكائه شحيجا؛ ثم قال: فمن ولي أمر الأمة بعده؟ فقال: عمر بن الخطاب. قال: فأين كانوا عن أبيض بني أمية؟ يريد عثمان بن عفان[4] فإنه كان ألين جانبا، وأقرب. قال: قد كان ذلك. قال: إن كانت صداقة عمر لأبي بكر لمسلمه إلى خير، أفيكم هو؟ قال: هو الذي يكلمك منذ اليوم. قال: أغثني، فإني لم أجد مغيثا. قال: ومن أنت بلغك الغوث ؟ قال: أنا أبو عقيل، أحد بني مليل، لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ردهة بني جعل، دعاني إلى الإسلام، فآمنت به، وصدقت بما جاء به، فسقاني شربة من سويق شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولها و شربت آخرها، فما برحت أجد شبعها إذا جعت، وريها إذا عطشت، وبردها إذا أصبحت، ثم تيممت في رأس الأبيض أنا و قطعة غنم لي، أصلي في يومي وليلتي خمس صلوات، وأصوم شهرا وهو رمضان، وأذبح شاة لعشر ذي الحجة، أنسك بها؛ ذاك علمي، حتى ألفت بها السنة فما أبقت لنا منها إلا شاة واحدة، كنا ننتفع بدرتها، فعسها الذيب البارحة الأولى، فأدركنا ذكاتها، فأكلنا و بلغناك ببعض. فأغثنا أغاثك الله. فقال عمر: بلغك الغوث، بلغك الغوث، أدركني على الماء. قال المسور بن مخرمة: فنزلنا المنزل، وأصبنا من فضل زادنا، وكأني أنظر إلى عمر متعبا على قارعة الطريق، آخذا بزمام ناقته، لم يطعم طعاما، ينتظر الشيخ ويرمقه. فلما رحل الناس، دعا عمر صاحب الماء فوصف له الشيخ وحلاه له، وقال: إذا أتى عليك فأنفق عليه وعلى آله حتى أعود إليك إن شاء الله. قال المسور: فقضينا حجنا، وانصرفنا، فلما نزلنا المنزل دعا عمر صاحب الماء، فقال: هل أحسست الشيخ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أتاني وهو موعوك، فمرض عندي ثلاثا، فمات، و دفنته، وهذا قبره. فكأني أنظر إلى عمر وقد وثب مباعدا بين خطاه حتى وقف على القبر، فصلى عليه، ثم اعتنقه، وبكى، حتى سمعنا لبكائه شحيجا، ثم قال: كره الله له منتكم، وسيق به، واختار له ما عنده إن شاء الله. ثم أمر بأهله فجعلوا معه؛ فلم يزل ينفق عليهم حتى قبض رضي الله عنه.

■ (2) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص: ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل. كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، وله السفارة فيهم، ينافر عنهم وينذر من أرادوا إنذاره. وهو أحد العمرين اللذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه أن يعز الاسلام بأحدهما. أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع. قال ابن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر. وقال عكرمة: لم يزل الاسلام في اختفاء حتى أسلم عمر. وكانت له تجارة بين الشام والحجاز. وبويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر سنة 13 هـ بعهد منه. وفي أيامه تم فتح الشام والعراق، وافتتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة. حتى قيل: انتصب في مدته اثنا عشر ألف منبر في الاسلام. وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري، وكانوا يؤرخون بالوقائع. واتخذ بيت مال المسلمين، وأمر ببناء البصرة والكوفة فبنيتا. وأول من دون الدواوين في الاسلام، جعلها على الطريقة الفارسية، لاحصاء أصحاب الاعطيات وتوزيع المرتبات عليهم. وكان يطوف في الاسواق منفردا. ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم. وكتب إلى عماله: إذا كتبتم لي فابدأوا بأنفسكم. وروى الزهري: كان عمر إذا نزل به الامر المعضل دعا الشبان فاستشارهم، يبتغي حدة عقولهم. وله كلمات وخطب ورسائل غاية في البلاغة. وكان لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر. وكان أول ما فعله لما ولي، أن رد سبايا أهل الردة إلى عشائرهن وقال: كرهت أن يصير السبي سبة على العرب. وكانت الدراهم في أيامه على نقش الكسروية، وزاد في بعضها الحمد لله وفي بعضها لا إله إلا الله وحده وفي بعضها محمد رسول الله. له في كتب الحديث 537 حديثا. وكان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظا يا عمر. وفي الحديث: اتقوا غضب عمر، فإن الله يغضب لغضبه. لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاروق، وكناه بأبي حفص. وكان يقضي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالوا في صفته: كان أبيض عاجي اللون، طوالا مشرفا على الناس، كث اللحية، أنزع منحسر الشعر من جانبي الجبهة يصبغ لحيته بالحناء والكتم. قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غلام المغيرة بن شعبة غيلة، بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح. وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال سنة 23 هـ.. ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (3) عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر ابن كعب التيمي القرشي، أبو بكر: أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال، وأحد أعاظم العرب. ولد بمكة، ونشأ سيدا من سادات قريش، وغنيا من كبار موسريهم، وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش. وحرم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها. ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الاموال. وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ، فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة. وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق. واتفق له قواد أمناء كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح، والعلاء بن الحضرمي، ويزيد ابن أبي سفيان، والمثنى بن حارثة. وكان موصوفا بالحلم والرأفة بالعامة، خطيبا لسنا، وشجاعا بطلا. مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، وتوفي في المدينة سنة 13 هـ. له في كتب الحديث 142 حديثا. قيل: كان لقبه الصديق في الجاهلية، وقيل: في الاسلام لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم في خبر الاسراء. وأخباره كثيرة رضي الله عنه.

■ (4) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، من قريش: أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين. من كبار الرجال الذين اعتز بهم الاسلام في عهد ظهوره. ولد بمكة، وأسلم بعد البعثة بقليل. وكان غنيا شريفا في الجاهلية. ومن أعظم أعماله في الاسلام تجهيزه نصف جيش العسرة بماله، فبذل ثلاث مئة بعير بأقتابها وأحلاسها وتبرع بألف دينار. وصارت إليه الخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب سنة 23 هـ، فافتتحت في أيامه أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبس، وأتم جمع القرآن، وكان أبو بكر قد جمعه وأبقى ما بأيدي الناس من الرقاع والقراطيس، فلما ولي عثمان طلب مصحف أبي بكر فأمر بالنسخ عنه وأحرق كل ما عداه. وهو أول من زاد في المسجد الحرام ومسجد الرسول، وقدم الخطبة في العيد على الصلاة، وأمر بالاذان الاول يوم الجمعة. واتخذ الشرطة. وأمر بكل أرض جلا أهلها عنها أن يستعمرها العرب المسلمون وتكون لهم. واتخذ دارا للقضاء بين الناس، وكان أبو بكر وعمر يجلسان للقضاء في المسجد وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم 146 حديثا. نقم عليه الناس اختصاصه أقاربه من بني أمية بالولايات والاعمال، فجاءته الوفود من الكوفة والبصرة ومصر، فطلبوا منه عزل أقاربه، فامتنع، فحصروه في داره يراودونه على أن يخلع نفسه، فلم يفعل، فحاصروه أربعين يوما، وتسور عليه بعضهم الجدار فقتلوه صبيحة عيد الاضحى وهو يقرأ القرآن في بيته، بالمدينة. سنة 35 هـ ولقب بذي النورين لانه تزوج بنتي النبي صلى الله عليه وسلم رقية ثم أم كلثوم.

■ (1) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، أبو عبد الرحمن: من فضلاء الصحابة وفقهائهم. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير وسمع منه. وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف، ليالي الشورى، وحفظ عنه أشياء. وروى عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من أكابر الصحابة. وشهد فتح إفريقية مع عبد الله ابن سعد. وهو الذى حرض عثمان على غزوها. ثم كان مع ابن الزبير، فأصابه حجر من حجارة المنجنيق في الحصار بمكة فقتل سنة 64 هـ

☪

عن جهم بن أبي جهم، قال: قدم خالد بن عرفطة العذري[1] على عمر، فسأله عما وراءه، فقال: يا أمير المؤمنين، تركت من ورائي يسألون الله أن يزيد في عمرك من أعمارهم، ما وطئ أحد القادسية إلا عطاؤه ألفان أو خمس عشرة مئة، و ما من مولود يولد إلا ألحق على مئة وجريبين كل شهر ذكرا كان أو أنثى، وما يبلغ لنا ذكر إلا ألحق على خمسمئة أو ستمئة، فإذا خرج هذا لأهل بيت، منهم من يأكل الطعام ومنهم من لا يأكل الطعام، فما ظنك به؟ فإنه لينفقه فيما ينبغي ومالا ينبغي. قال عمر: فالله المستعان، إنما هو حقهم أعطوه، وأنا أسعد بأدائه إليهم منهم بأخذه، فلا تحمدني عليه، فإنه لو كان من مال الخطاب ما أعطيتموه، ولكني قد علمت أن فيه فضلا و لا ينبغي أن أحبسه عنهم، فلو أنه إذا خرج عطاء أحد هؤلاء العريب ابتاع منه غنما فجعلها بسوادهم، ثم إذا خرج العطاء الثانية ابتاع الرأس فجعله فيها، فإني ويحك يا خالد بن عرفطة أخاف عليكم أن يليكم بعدي ولاة لا يعد العطاء في زمانهم مالا، فإن بقي أحد منهم أو أحد من ولده كان لهم شيء قد اعتقدوه، فيتكئون عليه، فإن نصيحتي لك وأنت عندي جالس كنصيحتي لمن هو بأقصى ثغر من ثغور المسلمين، وذلك لما طوقني الله من أمرهم؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ مَاتَ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ، لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ﴾.

☪

عن الحسن، قال: أتى عمر بن الخطاب أعرابي، فقال: يا أمير المؤمنين، إني رجل من أهل البادية، وإن لي أشغالا، وإن لي وإن لي، فأوصني بأمر يكون لي ثقة وأبلغ به. فقال عمر: أرني يدك، فأعطاه يده، فقال: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتوتي الزكاة المفروضة، وتحج وتعمر، وتسمع وتطيع، وعليك بالعلانية، وإياك والسر، وعليك بكل شيء إذا ذكر ونشر لم تستحي منه ولم يفضحك، وإياك وكل شيء إذا ذكر ونشر استحييت وفضحك. فقال: يا أمير المؤمنين، أعمل بهن، فإذا لقيت ربي أقول: أمرني بهن عمر بن الخطاب. فقال: خذهن، فإذا لقيت ربك فقل له ما بدا لك.

☪

عن زيد بن وهب، قال: كنت في حلقة في المسجد، فيها أناس من القراء، فاختلف رجلان في قراءة آية، فبينما هما كذلك إذ دخل عبد الله بن مسعود من أبواب كندة، فقاما إليه يسألانه عنها، وقمت معهما أنظر ما يرجع إليهما. قال: فاحتبسناه في صحن المسجد، وهو قائم، فقالا: آية اختلفنا في قراءتها، فأحببنا أن نعلم موضعها. فقال لأحدهما: اقرء؛ فلما قرأ قال: من أقرأكها؟ قال: أقرأنيها معقل بن مقرن المزني. ثم قال للآخر: اقرء؛ فلما قرأ قال: من أقرأكها؟ قال: أقرأنيها عمر بن الخطاب. فلما ذكر عمر، بكى حتى نشج، وحتى رأيت في الحصى من دموعه أثرا، ثم قال: إن عمر كان أعلمنا بالله، و أفقهنا في دين الله، و أقرأنا لكتاب الله، فاقرأها كما أقرأكها عمر، فوالله لهي أبين من طريق السيلحين، و بالله ما من أهل بيت لم يدخل حزن عمر يوم أصيب إلا أهل بيت سوء، كان عمر حصنا حصينا يدخل الإسلام فيه ولا يخرج منه. وزاد في رواية: إن عمر كان حائطا كثيفا يدخله المسلمون ولا يخرجون منه، فمات عمر، فانثلم الحائط فهم يخرجون ولا يدخلون، ولو أن كلبا أحب عمر لأحببته، وما أحببت حبي لأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حبي لهؤلاء الثلاثة. وقال: لقد أحببت عمر حتى لقد خفت الله، ولو أني أعلم أن كلبا يحب عمر لأحببته، ولوددت أني كنت خادما لعمر حتى أموت، ولقد وجد فقده كل شيء حتى العضاه، وإن هجرته كانت نصرا، وإن سلطانه كان رحمة. وعن عمار بن ياسر، قال: من فضل على أبي بكر وعمر أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقد أزرى بالمهاجرين و الأنصار، وطعن على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. قال: فقال علي: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا وقد أنكر حقي وحق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

■ (1) خالد بن عرفطة العذري يقال له صحبة ورواية. روى عنه: مولاه مسلم، وأبو عثمان النهدي، وعبد الله بن يسار. وكان أحد الأبطال المذكورين. توفي بالكوفة في حدود 60 هـ. قال ابن سعد: وكان سعد ولى خالدا القتال يوم القادسية، وهو الذي قتل الخوارج يوم النخيلة، وله بالكوفة دار وعقب. قال ابن الأثير: خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان الليثي، ويقال: البكري، من بني ليث بن بكر بن عبد مناة، ويقال: بل هو من قضاعة، ثم من عذرة، ومن هذا قال: هو خالد بن عرفطة بن صعير، وهو ابن أخي ثعلبة بن صعير، عذري من بني حزاز بن كاهل بن عذرة، حليف لبني زهرة، ومنهم من قال: هو خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان بن صيفي بن الهائلة بن عبد الله بن غيلان بن أسلم بن حزاز بن كاهل بن ذعرة، فهو عذري وحزازي أيضا. هذا كلام أبي عمر، وفيه سهو نذكره آخر الترجمة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/

حدث سعيد بن عامر قال، حدثنا جويرية بن أسماء قال، بعضه عن نافع وبعضه عن رجل من ولد أبي الدرداء[1] قال: دخل أبو الدرداء رضي الله عنه مالا له ومعه ناس من أصحابه، فطافوا فيه، فلما خرجوا قالوا: ما رأينا كاليوم مالا أحسن! قال: فإني أشهدكم أن ما خلفت خلف ظهري في سبيل الله، وأن ذلك إلى أمير المؤمنين يضعه حيث رأى. ثم أتى عمر فاستأذن في أن يأتي الشام فقال: لا آذن لك إلا أن تعمل؛ قال: فإني لا أعمل، قال فإني لا آذن لك، قال: فأنطلق فإعلم الناس سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وأصلي بهم؛ فأذن له، فكان الناس في الصيف يتفرقون في المغزي، فإذا كان الشتاء اجتمعوا في المشتى فصلى بهم أبو الدرداء. فخرج عمر إلى الشام وقد اجتمعوا في المشتى، فلما كان قريبا منهم أقام حتى أمسى، فلما جنة الليل قال: يا يرفأ[2]، انطلق إلى يزيد بن أبي سفيان[3]، أبصره، عنده سمار ومصباح، مفترشا ديباجا وحريرا من فيء المسلمين، فتسلم عليه، فيرد عليك، وتستأذن فلا يأذن لك حتى يعلم من أنت –فذكر جويرية كراهيته ولم يحفظ أبو محمد لفظه– قال: فانطلقا حتى انتهيا إلى بابه، فقال: السلام عليكم، فقال: وعليكم السلام قال: أدخل؟ قال: ومن أنت؟ قال يرفأ: هذا من يسوؤك، هذا أمير المؤمنين. ففتح الباب، فإذا سمار ومصباح، وإذا هو مفترش ديباجا وحريرا، قال:يا يرفأ، الباب الباب؛ ثم وضع الدرة بين أذنيه ضربا، وكور المتاع فوضعه في وسط البيت، ثم قال للقوم: لا يبرح أحد حتى أرجع إليكم. ثم خرجنا من عنده، فقال: يا يرفأ، انطلق بنا إلى عمرو بن العاص[4]، أبصره، عنده سمار ومصباح، مفترشا ديباجا من فيء المسلمين فتسلم عليه، فيرد عليك، وتستأذن عليه فلا يأذن لك حتى يعلم من أنت –فذكر جويرية مشقة ذلك على عمر، وذكر خلفه واعتذاره– قال: فانتهينا إلى بابه، فقال عمر: السلام عليكم، قال: وعليك السلام، قال: أدخل؟ قال: ومن أنت؟ قال يرفأ: هذا من يسوؤك، هذا أمير المؤمنين. قال: ففتح الباب، فإذا سمار ومصباح، وإذا هو مفترش ديباجا وحريرا، قال:يا يرفأ، الباب الباب؛ ثم وضع الدرة بين أذنيه ضربا، فجعل عمرو يحلف، ثم كور المتاع فوضعه في وسط البيت، ثم قال للقوم: لا تبرحوا حتى أعود إليكم. فخرجنا من عنده، فقال: يا يرفأ، انطلق بنا إلى أبي موسى[5]، أبصره، عنده سمار ومصباح، مفترشا صوفا من مال في المسلمين فتستأذن عليه فلا يأذن لك حتى يعلم من أنت، قال: فانطلقنا إليه وعنده سمار ومصباح، مفترشا صوفا، فوضع الدرة بين أذنيه ضربا وقال: أنت أيضا يا أبا موسى! قال:يا أمير المؤمنين، هذا وقد رأيت ما صنع أصحابي، أما والله لقد أصبت مثل ما أصابوا، قال فما هذا؟ قال: زعم أهل البلد أنه لا يصلح إلا هذا؛ فكور المتاع فوضعه في وسط البيت، وقال للقوم: لا يبرح منكم أحد حتى أعود إليكم. فلما خرجنا من عنده قال: يا يرفأ، انطلق بنا إلى أخي لتبصر به ليس عنده سمار ولا مصباح، وليس لبابه غلق، مفترشا بطحاء، متوسدا برذعة، عليه كساء رقيق قد أذلقه البرد، فتسلم عليه فيرد عليك السلام، وتستأذن فيأذن لك من قبل أن يعلم من أنت. فانطلقنا، حتى إذا قمنا على بابه قال: السلام عليكم، قال: وعليك السلام، قال: أدخل؟ قال: ادخل، فدفع الباب، فإذا ليس له غلق، فدخلنا إلى بيت مظلم، فجعل عمر يلمسه حتى وقع عليه، فجس وساده فإذا برذعة، وجس فراشه فإذا بطحاء؛ وجس دثاره فإذا مساء رقيق، فقال أبو الدرداء: من هذا؟ أمير المؤمنين؟ قال نعم، قال: أما والله لقد استبطأتك منذ العام، قال عمر رحمه الله: أو لم أوسع عليك؟ ألم أفعل بك؟ فقال له أبو الدرداء: أتذكر حديثا حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر؟ قال أي حديث؟ قال: ﴿أَلاَ لِيَكُنْ بَلاَغُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ﴾ قال: نعم، قال فماذا فعلنا بعده يا عمر؟ قال فما زالا يتجاوبان بالبكاء حتى أصبحا.

■ (1) أبو الدرداء عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي. وقيل اسمه عامر، ولقبه عويمر. ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب وهو أول قاض بها وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبي، والراجح أنه مات في خلافة عثمان بالشام سنة 32 هـ

■ (3) يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية من أبيه، ويقال له يزيد الخير، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة. أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وشهد حنينا، فقيل: إن النبي أعطاه من غنائم حنين مئة من الإبل وأربعين أوقية فضة، وهو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، عقد له أبو بكر، ومشى معه تحت ركابه يسايره، ويودعه، ويوصيه، وما ذاك إلا لشرفه وكمال دينه، ولما فتحت دمشق، أمره عمر عليها. توفي يزيد في الطاعون سنة18 هـ، ولما احتضر، استعمل أخاه معاوية على عمله، فأقره عمر على ذلك احتراما ليزيد، وتنفيذا لتوليته.

■ (4) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

■ (5) أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري من فقهاء الصحابة أصله من اليمن. أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة (قيل: ليس من مهاجرة الحبشة) ثم قدم مع أهل السفينتين (قيل: وافق قدومه قدومهم) ورسول الله بخيبر. وأرسله رسول الله مع معاذ بن جبل إلى اليمن، ولى عمر بن الخطاب أبا موسى البصرة إذ عزل عنها المغيرة في وقت الشهادة عليه وذلك سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ثم لما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان يسألونه أن يوليه فأقره، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ثم كان منه بصفين وفي التحكيم ما كان .ولما خدعه عمرو بن العاص نزل شعبا بمكة فيه شيء من القبور يعرف بشعب أبي الدر وقال أجاور قوما لا يغدرون ولم يزل حتى توفي في سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ وقيل توفي بالكوفة في داره بجانب المسجد.

■ (2) يرفأ مولى عمر، وكان حاجبه (البواب) (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

قال محمد بن كعب القرظي: جمع القرآن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل[1]، وعبادة بن الصامت[2]، وأبي بن كعب[3]، وأبو أيوب[4]، وأبو الدرداء؛ فلما كان زمان عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا وربلوا* وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم؛ فأعني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم. فدعا عمر أولئك الخمسة فقال لهم: إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، فأعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم، إن أحببتم فاستهموا وإن انتدب منكم ثلاثة فليخرجوا. فقالوا: ما كنا لنتساهم، هذا شيخ كبير –لأبي أيوب– وأما هذا فسقيم –لأبي بن كعب– فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء، فقال عمر: ابدؤوا بحمص، فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلقن، فإذا رأيتم ذلك فوجهوا طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم، فليقم بها واحد وليخرج واحد إلى دمشق والآخر إلى فلسطين. فقدموا حمص فكانوا بها، حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين. فأما معاذ فمات عام طاعون عمواس؛ وأما عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها: وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات.

حدث يحيى بن سعيد قال: استعمل أبو الدرداء (عويمر) رضي الله عنه على القضاء فأصبح الناس يهنئونه، فقال: أتهنئوني بالقضاء، وقد جعلت على رأس مهواة منزلتها أبعد من عدن أبين، ولو علم الناس ما في القضاء لأخذوه بالدول رغبة عنه وكراهية له، ولو يعلم الناس ما في الأذان لأخذوه بالدول رغبة فيه وحرصا عليه. وعن معاوية بن قرة أن أبا الدرداء اشتكى (مرض) فدخل عليه أصحابه. فقالوا: يا أبا الدرداء ما تشتكي؟ قال: أشتكي ذنوبي. قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة.. قالوا: أفلا ندعو لك طبيبا؟ قال: هو الذي أضجعني.. جزاك الله خيرا. وحدث أبو معشر القرظي قال: لما حضر أبا الدرداء الموت جاءه حبيب بن مسلمة فقال: كيف تجدك يا أبا الدرداء؟ قال: أجدني ثقيلا. قال: ما أراه إلا الموت. قال: أجل. قال: جزاك الله خيرا. وعن عمرو بن مرة قال: سمعت شيخا يتحدث عن أبي الدرداء أنه قال: أحب الفقر تواضعا لربي، وأحب الموت اشتياقا إلى ربي، وأحب المرض تكفيرا لخطيئتي.

قال علي بن نايف الشحود: ومن وصاياه الجامعة التي تحس فيها أثر مدرسة الوحي، وترى من خلالها ما كان من صدق الأخذ عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وحبه أكثر من الوالد والولد والنفس، ووعي مقالاته ووصاياه وعيا أمينا يدل على صدق التمثل والانطباع، قوله رضي الله عنه: اعبدوا الله كأنكم ترونه، وعدوا أنفسكم من الموتى، واعلموا أن قليلا يغنيكم خير من كثير يلهيكم. واعلموا أن البر لا يبلى، وأن الإثم لا ينسى. ويقول في موعظة لأهل دمشق:.. مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تكفل لكم به، وتركتم ما أمرتم به. ألا إن قوما بنوا شديدا، وجمعوا كثيرا، وأملوا بعيدا، فأصبح بنيانهم قبورا، وأملهم غرورا، وجمعهم بورا. ألا فتعلموا وعلموا؛ فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير في الناس بعدهما. إنها موعظة جاءت بالدعوة الحارة الصادقة إلى العلم والتعليم –وذلك خصلة من أوليات خصال الإسلام؛ فلا خير في الناس بعد العالم والمتعلم، كما دعت إلى الزهادة الصادقة في الدنيا، ولفت النظر إلى العبرة بالماضين ماذا صنعوا. وما الذي آلوا إليه. فنعم الواعظ ونعمت الموعظة، وطوبى لأولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. ولما كان أبو الدرداء دائم التفكر والتذكر، تملأ قلبه خشية الله، ويخاف أن يدركه الموت وهو مفرط في جنب الله.. رأيناه كثيرا ما يسائل نفسه عن العمل بما علم، ويهاذا يجيب رب العزة حين يسأله عن ذلك يوم الحشر ويبدي خوفه الشديد من ذلك؛ فمن كلامه رضي الله عنه: أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر أعلمت أم جهلت؟ فإن قلت علمت! لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أخذت بفريضتها، الآمرة هل ائتمرت؟ والزاجرة هل ازدجرت؟ وأعوذ بالله من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع. ألا يا ليت لمن يدعون العلم والمعرفة آذانا تسمع وقلوبا تعي، ولكن الدنيا بزخرفها وبهرجها تلهي وتلهي، والنفس بشهواتها وغرورها تشغل وتشغل، حتى كأن بعضنا لا يؤمن بيوم الحساب، اليوم الذي يكشف الله عما ذا يكون فيه، من انقطاع الحيلة، وتعطل وسائل التمويه التي كانت في الدنيا فيقول: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس] وفي كلمة أخرى يقول:إنما أخشى على نفسي أن يقال لي على رؤوس الخلائق: يا عويمر هل علمت؟ فأقول: نعم!! فيقال: ماذا عملت فيما علمت؟. اللهم عفوك وسترك، إذا كان أبو الدرداء صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام، يخاف على نفسه هذه المخافة ويراقب هذه المراقبة؟ فماذا نحن فاعلون، وما الذي أعده أولئك الحمقى الذين يأكلون الدنيا بالدين، بل ماذا سيصير إليه أحمق الحمقى الذين يبيعون دينهم بدنيا غيرهم. اللهم، يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك، ويا مصرف القلوب، صرف قلوبنا إلى طاعتك، واجعلنا برحمتك –ونحن المقرون بالتقصير– في عداد أولئك الذين يعملون بما يعلمون ولا حول ولا قوة إلا بالله..

----

*(ربلوا) وربلوا يربلون ويربلون : كثروا ونموا أو كثر أموالهم وأولادهم. وقيل ربلوا أي غلظوا

■ (1) معاذ بن جبل بن عمرو، كنيته أبو عبد الرحمن ويقال أبو عبد الله شهد بدرا والعقبة مع النبي صلى الله عليه وسلم حديثه في أهل الشام ومات بها بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة 18 هـ في خلافة عمر وله 31 سنة وقيل إنه حين مات كان له 33 سنة ومنهم من قال28 سنة

■ (3) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن يزيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار النجاري الأنصاري المدني أبو المنذر سمع النبي صلى الله عليه وسلم. قيل مات سنة 30 هـ في خلافة عثمان وهو أثبت الأقاويل. وقيل سنة 22 هـ في خلافة عمر وقيل سنة 19هـ.

■ (2) عبادة بن الصامت بن قيس الا نصاري الخزرجي الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري، من الموصوفين بالورع.أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدريين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم حضر فتح مصر.. ولي القضاء بفلسطين. ومات بالرملة أو ببيت المقدس سنة 34 هـ، وهو ابن 72 سنة. وقيل: إنه بقي حتى توفي زمن معاوية في خلافته. وقيل غير ذلك

■ (4) أبو أيوب الأنصاري، اسمه خالد بن زيد الخزرجي من بني مالك بن النجار شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله وتوفي بالقسطنطينية من أرض الروم سنة 50 هـ وقيل سنة 51 هـ في خلافة معاوية تحت راية يزيد . روي هذا عن مجاهد وقد قيل إن الروم قالت للمسلمين في صبيحة دفنهم لأبي أيوب لقد كان لكم الليلة شأن عظيم فقالوا هذا رجل من أكابر أصحاب نبينا صلى الله عليه و سلم وأقدمهم إسلاما وقد دفناه حيث رأيتم والله لئن نبش لأضرب لكم ناقوس أبدا في أرض العرب ما كانت لنا مملكة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ تاريخ المدينة/ أخبار المدينة/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ القاموس المحيط/

عن معمر عن عبد الملك بن عمير[1] عن قبيصة بن جابر الأسدي[2] قال : كنت محرما فرأيت ظبيا فرميته فأصبت خشاءه* ، يعني أصل قرنه، فمات فوقع في نفسي من ذلك فأتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسأله فوجدت إلى جنبه رجلا أبيض رقيق الوجه وإذا هو عبد الرحمن بن عوف[3] فسألت عمر فالتفت إلى عبد الرحمن فقال: ترى شاة تكفيه؟ قال: نعم، فأمرني أن أذبح شاة، فلما قمنا من عنده قال صاحب لي : إن أمير المؤمنين لم يحسن أن يفتيك حتى سأل الرجل، فسمع عمر رضي الله عنه بعض كلامه فعلاه بالدرة ضربا، ثم أقبل علي ليضربني فقلت : يا أمير المؤمنين إني لم أقل شيئا إنما هو قاله، قال فتركني ثم قال: أردت أن تقتل الحرام وتتعدى الفتيا، ثم قال أمير المؤمنين: إن في الإنسان عشرة أخلاق تسعة حسنة وواحدة سيئة ويفسدها ذلك السيئ ثم قال: وإياك وعثرة الشباب.

■ (2) قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك بن عميرة، أبو العلاء الأسدي الكوفي، له إدراك وصحب عمر بن الخطاب، وشهد خطبته بالجابية، وله معه قصة، قال يعقوب بن شيبة: يعد في الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة وكان أخا معاوية من الرضاعة، وقال خليفة بن خياط: مات سنة 69 هـ وذكره في الطبقة الأولى من التابعين

■ (1) عبد الملك بن عمير بن سويد بن جارية اللخمي..أبو عمرو، ويقال: أبو عمر، الكوفي. يلقب بالقبطي، رأى عليا وروى عن طائفة كثيرة من الصحابة والتابعين. ولي قضاء الكوفة بعد الشعبي.وعزل عن القضاء، وولي بعده ابن أبي ليلى.ضعفه أحمد لغلطه..ووثقه آخرون. توفى سنة 136 هـ أو نحوها وبلغ 103 ويقال 163 سنة

■ (3) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أبو محمد، الزهري القرشي: صحابي، من أكابرهم. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم، وأحد السابقين إلى الاسلام، قيل: هو الثامن. وكان من الاجواد الشجعان العقلاء. اسمه في الجاهلية عبد الكعبة أو عبد عمرو وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن. ولد بعد الفيل بعشر سنين. وأسلم، وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها. وجرح يوم أحد 21 جراحة. وأعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا. وكان يحترف التجارة والبيع والشراء، فاجتمعت له ثروة كبيرة. وتصدق يوما بقافلة، فيها سبع مئة راحلة، تحمل الحنطة والدقيق والطعام. ولما حضرته الوفاة أوصى بألف فرس وبخمسين ألف دينار في سبيل الله. له 65 حديثا. ووفاته في المدينة سنة 32 هـ

في حديثه عن الحذر من الاندفاع أمام الحماس والعاطفة، قال الداعية والمفكر سلمان العودة: روى الإمام البيهقي في سننه في كتاب الحج، جماع أبواب جزاء الصيد قصة عن قبيصة بن جابر الأسدي رضي الله عنه وأرضاه قال: خرجنا حجاجا فكثر مراؤنا ونحن محرمون -يعني جدلنا- أيهما أسرع شدا الظبي أم الفرس، فبينما نحن كذلك إذ سنح* لنا ظبي -وهم على خيولهم أو فرسانهم- فرماه رجل منا بحجر فما أخطأ خششاءه -العظم الناشز خلف الأذن- فقتله، فأسقط في أيدينا، فلما قدمنا مكة انطلقنا إلى عمر رضي الله عنه وأرضاه -وعمر هو الخليفة يومئذ- قال: فدخلت أنا وصاحب الظبي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، فذكر له أمر الظبي الذي قتل قال: فقال عمر رضي الله عنه: عمدا أصبته أم خطأ؟ قال: تعمدت رميه وما أردت قتله، زاد رجل -راو في القصة- فقال: عمر رضي الله عنه: لقد شرك العمد الخطأ ثم اجتنح إلى رجل -كان عمر بجواره رجل من الصحابة فمال عمر أو التفت إليه -فوالله لكأن وجهه قلب -يعني فضة- وربما قال: ثم التفت إلى رجل إلى جنبه فكلمه ساعة ثم التفت إلى صاحب الظبي، فقال: خذ شاة من الغنم فأهرق دمها وأطعم لحمها وربما قال: فتصدق بلحمها واسق* إهابها سقاء، فلما خرجنا من عنده أقبلت على الرجل، والآن قبيصة بن جابر في موقف المتحمس رضي الله عنه، ومن كمال عدله وإنصافه أنه ذكر لنا القصة حتى نأخذ منها الدرس، فـ قبيصة بن جابر لم يعجبه أسلوب الخليفة في حل هذه المشكلة، حيث إن عمر بن الخطاب تعرض له مشكلة في الدين فيلتفت إلى واحد من الناس ويتحدث معه ساعة، ثم يلتفت على صاحب الشأن ويقول: خذ شاة فأهرق دمها وتصدق بلحمها واسق إهابها سقاء، فلم يعجبه هذا الأسلوب، بل تصور أن عمر سيقول له: قال الله كذا وقال الرسول صلى الله عليه وسلم كذا، أو أن يقول له على الأقل انحر ناقتك. أيها الإخوة: قال قبيصة : أقبلت على الرجل فقلت: أيها المستفتي عمر بن الخطاب، إن فتيا عمر لن تغني عنك من الله شيئا، والله ما علم عمر حتى سأل الذي إلى جنبه، فانحر راحلتك فتصدق بها -هذا نموذج للتشديد- وعظم شعائر الله، وأنا أضع تحت هذه الكلمة خطا (وعظم شعائر الله) إذا كم وكم على مدار التاريخ وفي واقعنا القريب من يشددون على الناس بما لم يشدد الله، من باب تعظيم شعائر الله في ظنهم، والحقيقة أن تعظيم شعائر الله يكون بمخالفة الهوى في طاعة الله. يقول: فنما هذا ذو العوينتين إليه -يعني الجاسوس سمع الكلمة وأخبر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه- والله ما شعرت إلا به يضرب بالدرة علي -ودرة عمر لها شأن وخبر في التاريخ، فيضرب عمر بالدرة على رأسه- ويقول: قاتلك الله! تعدى على الفتيا، وتقتل الحرام، وتقول والله ما علم عمر حتى سأل الذي إلى جنبه، أما تقرأ كتاب الله، فإن الله عز وجل يقول: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة] ثم أقبل علي وأخذ بمجامع ردائي أو قال ثوبي -وكان هذا الشاب ذكيا فطنا، فلما رأى هذا الشأن من عمر خاف فقال:- يا أمير المؤمنين! إني لا أحل لك مني أمرا حرمه الله عليك -أي: والله لا أحل لك أن تضربني ضربا لا يحل لك، أو تعاقبني بأي لون من ألوان العقوبة لا يجوز لك- فسكت عمر وأطلقه -ولكنه لم يرض حتى لقنه درسا تربويا هو في الحقيقة درس لنا جميعا وللأجيال كلها- فقال له عمر: إني أراك شابا فصيح اللسان، فسيح الصدر وقد يكون في الرجل عشرة أخلاق، تسعة حسنة -أو صالحة- وواحدة سيئة، فيفسد الخلق السيئ التسع الصالحة، فاتق طيرات الشباب. وفي الرواية الأخرى عند البيهقي أيضا: وإياك وعثرة الشباب.

☪

عن قبيصة بن جابر، قال: صحبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فما رأيت رجلا أقرأ لكتاب الله، ولا أفقه في دين الله، ولا أحسن مدارة منه؛ وصحبت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فما رأيت رجلا أعطى لجزيل عن غير مسألة منه؛ وصحبت معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فما رأيت رجلا أثقل حلما منه؛ وصحبت عمرو بن العاص رضي الله عنه فما رأيت رجلا أبين أو قال: أنصع طرفا منه، ولا أكرم جليسا، ولا أشبه سريرة بعلانية منه؛ وصحبت المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بالمكر لخرج من أبوابها كلها. وعن قبيصة بن جابر قال: ما رأيت أحدا أرأف برعيته ولا خيرا من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولم أر أحدا أقرأ لكتاب الله، ولا أفقه في دين الله، ولا أقوم بحدود الله، ولا أهيب في صدور الرجال من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولا رأيت أحدا أشد حياء من عثمان بن عفان رضي الله عنه. وعن قبيصة بن جابر قال: خطبنا عمر رضي الله عنه بباب الجابية، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ﴾ وعن قبيصة بن جابر قال: أتى علي رضي الله عنه بزنادقة فقتلهم، ثم حفر لهم حفرتين، فقال قبيصة شعرا: من الوافر: لترم بي الحوادث حيث شاءت..إذا لم ترم بي في الحفرتين. قال يعقوب بن سفيان في تسمية أمراء الجمل من أصحاب علي: وعلى خيول بني أسد قبيصة بن جابر.

☪

أخرج ابن سعد عن الشعبي قال: دخل خباب بن الأرت[1] رضي الله عنه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجلسه على متكئه فقال: ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد. قال له خباب: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال : بلال[2]. فقال خباب: ما هو أحق مني إن بلالا كان له في المشركين من يمنعه الله به، ولم يكن لي أحد يمنعني ، فلقد رأيتني يوما، أخذوني فأوقدوا لي نارا، ثم سلقوني فيها ثم وضع رجل رجله على صدري، فما اتقيت الأرض - أو قال: برد الأرض- إلا بظهري ، ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص، أي من أثر التعذيب بالنار. وأخرج أحمد عن خباب رضي الله عنه قال: كنت رجلا قينا وكان لي على العاص بن وائل[3] دين فأتيته أتقاضاه. فقال: لا والله لا أقضينك حتى تكفر بمحمد، صلى الله عليه وسلم. فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى تموت ثم تبعث. قال: فإني إذا مت ثم جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيك. فأنزل الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم] وعند أبي نعيم في الحلية عن الشعبي قال: سأل عمر رضي الله عنه بلالا عما لقي من المشركين. فقال خباب: يا أمير المؤمنين! انظر إلى ظهري. فقال عمر: ما رأيت كاليوم. قال: أوقدوا لي نارا فما أطفأها إلا ودك ظهري.

----

*(خششاءة) هو العظم الناتئ خلف الأذن (ردعه) الردع العنق: أي سقط على رأسه فاندقت عنقه (ذو العوينتين) الجاسوس (فنماها) يقال: نميت الحديث أنميه إذا بلغته على وجه الإصلاح وطلب الخير فإذا بلغته على وجه الإفساد والنميمة، قلت: نميته، بالتشديد. (السقاء) القربة للماء واللبن. وأسقيته إهابا: إذا وهبته له ليتخذ منه سقاء، وفي الحديث: خذ شاة من الغنم فتصدق بلحمها وأسق إهابها: أي اجعل إهابها لغيرك سقاء. والسقاية: الموضع الذي يتخذ فيه الشراب في المواسم وغيرها.(سنح) قال والسنوح هكذا وأشار بيمينه والبروح هكذا وأشار بيده يعني اليسرى/ أي إذا مر من مياسرك إلى ميامنك.

■ (1) خباب بن الارت بن جندلة بن سعد التميمي، أبو يحيى أو أبو عبد الله: من السابقين، قيل أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه. كان في الجاهلية قينا يعمل السيوف، بمكة. ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه، فصبر، شهد المشاهد كلها، ونزل الكوفة فمات فيها سنة 37 هـ وهو ابن 73 سنة.

■ (2) بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق وأمه حمامة، وهو مؤذن رسول الله، من السابقين الأولين الذين عذبوا في الله، شهدا بدرا، وشهد له النبي على التعيين بالجنة، يقال: إنه حبشي، وقيل: من مولدي الحجاز. قيل ولد سنة.42 ق.هـ وفي وفاته أقوال: أحدها بداريا (مدينة قرب دمشق) في سنة 20 هـ. ودفن بباب الصغير وهو ابن بضع وستين سنة. وقيل دفن بباب كيسان. وقيل بمقبرة خولان. وقيل بباب الأربعين. لما احتضر بلال قال: غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه، قال: تقول امرأته: وا ويلاه ! فقال: وا فرحاه !.

■ (3) العاص بن وائل السهمي والد عمرو، كان من كبراء الجاهلية، ومشيخة قريش. مات كافرا في السنة الأولى من الهجرة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ سنن البيهقي الكبرى/ الإصابة في تمييز الصحابة/ كنز العمال/ دروس للشيخ سلمان العودة/ سنن الترمذي/ موارد الظمآن لدروس الزمان/

حدث أبو المخارق زهير ابن سالم، أن كعب الأحبار[1]، قال: نزلت على رجل يقال له مالك –وكان جارا لعمر بن الخطاب– فقلت له: كيف بالدخول على أمير المؤمنين؟ فقال: ليس عليه باب ولا حجاب، يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء. وعن الحسن، قال: قال عمر: لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني؛ أما عمالهم فلا يرفعونها إلي؛ وأما هم فلا يصلون إلي، فأسير إلى الشأم، فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين، والله لنعم الحول هذا! وعن أبي إدريس قال: قدم علينا عمر بن الخطاب الشام فقال: إني أريد آتي العراق، فقال له كعب الأحبار: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من ذلك. قال: وما تكره من ذلك؟ قال: بها تسعة أعشار الشر وكل داء عضال، وعصاة الجن، وهاروت وماروت وبها باض إبليس وفرخ. وعن سليمان بن يسار قال: كتب عمر بن الخطاب إلى كعب الأحبار أن اختر لي المنازل فكتب إليه: يا أمير المؤمنين، إنه بلغنا أن الأشياء اجتمعت فقال السخاء: أريد اليمن، فقال حسن الخلق: أنا معك. وقال الجفاء: أريد الحجاز، فقال الفقر: وأنا معك، وقال البأس: أريد الشام، فقال السيف: وأنا معك. وقال العلم: أريد العراق، فقال العقل: وأنا معك. وقال الغني: أريد مصر، فقال الذل: وأنا معك. فاختر لنفسك يا أمير المؤمنين. فلما ورود الكتاب على عمر بن الخطاب قال: فالعراق إذا، فالعراق إذا. ورواه بن عائشة أيضا: قال ابن عساكر: والمحفوظ عن كعب سوء القول في العراق، وضعف هذه الأحاديث.

حدث كعب أن عمر قال له: يا كعب، خوفنا. قال: قلت: يا أمير المؤمنين، أليس فيكم كتاب الله تبارك وتعالى وحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: بلى، ولكن خوفنا، قال: قلت: يا أمير المؤمنين، اعمل عمل رجل واحد، لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لا زدريت بعملك مما ترى. قال: فأطرق عمر مليا، ثم أفاق، وقال: زدنا يا كعب، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من شدة حرها. قال: فأطرق عمر، ثم أفاق، فقال: زدنا يا كعب، فقلت: يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة ما يبقى ملك مقرب، ولا نبي مصطفى إلا خر جاثيا على ركبتيه، حتى أن إبراهيم خليل الله، عليه السلام، ليخر جاثيا على ركبتيه، ويقول: يا رب، لا أسألك إلا نفسي. قال: فأطرق عمر مليا، ثم أفاق ، فقلت: يا أمير المؤمنين، أليس هذا في كتاب الله تبارك وتعالى؟ قال:أين؟ قلت:﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل] الآية.فسكت عمر.وعن عمير بن ربيعة أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار: كيف تجد نعتي؟ قال : أجد نعتك قرنا من حديد قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم قال: ثم مه؟ قال: ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة قال: ثم مه؟ قال: ثم يكون البلاء. قال أبو صالح السمان: قال كعب الأحبار لعمر: أجدك في التوراة تقتل شهيدا قال: وأنى لي بالشهادة وأنا بجزيرة العرب؟ روى عن عمر بن الخطاب قال: أسر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:﴿إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّةً مُضِلِّينَ﴾ قال كعب: فقلت: والله ما أخاف على هذه الأمة غيرهم. وعن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال: ويل لملك الأرض من ملك السماء، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه. فقال كعب: والذي نفسي بيده إنها محبرة في التوراة كما قلت، فخر عمر ساجدا لله سبحانه. وعن عبد الله بن دينار عن سعد مولى عمر بن الخطاب أن كعب الأحبار قال لعمر بن الخطاب: إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا مت لم يزالوا يقتحمونها إلى يوم القيامة. وعن السائب بن يزيد قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة: لتتركن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لألحقنك بأرض دوس. وقال لكعب: لتتركن الأحاديث، أو لألحقنك بأرض القردة. وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع معاوية بن أبي سفيان يحدث رهطا من قريش، وهو بالمدينة، فذكر كعب الأحبار فقال: إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين، الذين يحدثون عن الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب.كان كعب عند عمر بن الخطاب، فتباعد في مجلسه، فأنكر ذلك عليه، فقال كعب: يا أمير المؤمنين، إن في حكمة لقمان ووصيته لابنه: يا بني، إذا جلست إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل، فلعله يأتيه من عو آثر عنده منك، فتنحى عنه، فيكون ذلك نقصا عليك

---

(1) كعب الاحبار، كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الامم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي كعب بحمص ذاهبا للغزو في أواخر خلافة عثمان سنة 32 هـ عن مئة وأربع سنين.

☪

أقوال العلماء: جاء في كتاب محمد بن علي بن صالح الغامدي (في فصل: ثناء العلماء عليه) قال: قال معاوية رضي الله عنه: ألا إن أبا الدرداء أحد الحكماء، ألا إن عمرو بن العاص أحد الحكماء، ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عنده لعلم كالثمار وإن كنا فيه لمفرطين. وأطبقت كلمة العارفين به على قبوله وعدم التعرض له إلا ما سوف يأتي: يقول العلامة عبد الرحمن المعلمي رحمه الله: لكعب ترجمة في تهذيب التهذيب، وليس فيها عن أحد من المتقدمين توثيقه، إنما فيها ثناء بعض الصحابة عليه بالعلم، وكان المزي علم عليه علامة الشيخين مع أنه إنما جرى ذكره في الصحيحين عرضا لم يسند من طريقه شيء من الحديث فيهما ولا أعرف له رواية يحتاج إليها أهل العلم فأما ما كان يحكيه عن الكتب القديمة فليس بحجة عن أحد من المسلمين وإن حكاه بعض السلف لمناسبته عنده لما ذكر في القرآن. وبعد فليس كل ما نسب إلى كعب في الكتب بثابت عنه فإن الكذابين من بعده قد نسبوا إليه أشياء كثيرة لم يقلها، وما صح عنه من الأقوال ولم يوجد في كتب أهل الكتاب الآن ليس بحجة واضحة على كذبه فإن كثيرا من كتبهم انقرضت نسخها ثم لم يزالوا يحرفون ويبدلون وممن ذكر ذلك السيد رشيد رضا في مواضع من التفسير وغيره.

شبهة وجوابها: احتج بعض من طعن في كعب بما رواه البخاري عن معاوية رضي الله عنه: أنه ذكر كعب الأحبار فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب. وقد أجاب العلماء عن هذه بأجوبة منها ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله: قال ابن التين: وهذا نحو قول ابن عباس في حق كعب المذكور بدل من قبله فوقع في الكذب قال: والمراد بالمحدثين: أنداد كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم فكان يحدث عنهم وكذا من نظر في كتبهم فحدث عما فيها، قال: ولعلهم كانوا مثل كعب إلا أن كعبا كان أشد منهم بصيرة وأعرف بما يتوقاه. وقال ابن حبان في كتاب الثقات: أراد معاوية إنه يخطئ أحيانا فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذابا. وقال غيره: الضمير في قوله (لنبلو عليه) للكتاب لا لكعب؛ وإنما يقع في كتابهم الكذب لكونهم بدلوه وحرفوه، وقال عياض: يصح عوده على الكتاب ويصح عوده على كعب وعلى حديثه وإن لم يقصد الكذب ويتعمده إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه وليس فيه تجريح لكعب بالكذب. وقال ابن الجوزي: المعنى أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا أنه يتعمد الكذب وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار. ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: وهذا الذي أنكره معاوية رضي الله عنه على كعب الأحبار هو الصواب، والحق مع معاوية في هذا الإنكار فإن معاوية كان يقول عن كعب: إن كنا لنبلو عليه الكذب يعني: فيما نقله لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس في صحفه ولكن الشأن في صحفه أنها من الإسرائيليات التي غالبها مبدل مصحف محرف مختلق ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شيء منها بالكلية فإنه دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض. قلت: وعامة من طعن في كعب يتذرع بأن ما نقله كعب فيه دس وتشويش والحق أن النبي صلى الله عليه وسلم قد وضع لنا قاعدة محكمة نرجع إليها في عامة الروايات الإسرائيلية سواء ما رواه كعب أو رواه غيره من أهل الكتاب وهي ما رواه البخاري مرفوعا –كما مضى: ﴿لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ:وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت] وجماع هذه القاعدة: تصديق ما صدقه الشرع الإسلامي –مما جاء عنهم، وتكذيب ما كذبه–مما جاء عنهم، والتوقف فيما سوى ذلك [..]

☪

عن المقبري عن أبي هريرة وغيرهما: أن كعب الأحبار ذكر بدء ما رزقه الله الإسلام حين أسلم مقدم عمر وذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كان أبي من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى، وكان لا يدخر عني شيئا مما يعلم، فلما حضره الموت دعاني فقال لي: يا بني، قد علمت أني لم أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم، إلا أني كنت قد حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث قد أظل زمانه، وكرهت أن أخبرك بذلك، فلا آمن أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتطيعه، وقد جعلتهما في هذه الكوة التي ترى وطينت عليهما، فلا تعرض لهما، ولا تنظرن فيهما حينك هذا، فإن كان الله يريد بك خيرا ويخرج ذلك النبي بعينه فأخرجهما، قال: ثم مات، فلم يكن شئ أحب إلي من أن ينقضي المأتم حتى أنظر في الورقتين، فلما انقضى المأتم فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين، فإذا فيهما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، خاتم النبيين لا نبي بعده، مولده بمكة ومهاجره طيبة، لا فظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، يجزي بالسيئة الحسنة، ويعفو ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال، ألسنتهم بالتهليل والتكبير رطبة، وينصر نبيهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجهم، ويأتزرون على أوساطهم، أناجيلهم في صدورهم، وتراحمهم بينهم تراحم الأم، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة، فلما قرأت ذلك قلت في نفسي: وهل علمني أبي شيئا هو أحب إلي من هذا ! فمكثت بذلك ما شاء الله، ثم بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بمكة، فهو يظهر مرة ويستخفي أخرى، فقلت: هوذا، فلم يزل بذلك حتى قيل إنه قد أتى المدينة، فقلت في نفسي: إني لأرجو أن يكون إياه، فبلغتني وقائعه مرة له ومرة عليه، ثم بلغني أنه قد توفي صلوات الله عليه، فقلت في نفسي: لعله ليس الذي كنت أظن، حتى بلغني أن خليفة قد قام مقامه، ثم لم يلبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنوده، فقلت في نفسي: ألا أدخل في هذا الدين، ثم قلت: حتى أعلم أنه هو الذي أرجو، وأنظر سيرتهم وأعمالهم، فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره حتى استنبت حين قام علينا عمر بن الخطاب، فلما رأيت وفاءهم بالعهد، وما صنع الله لهم على الأعداء، أوقع الله تعالى ذلك في نفسي، وعدت لصفتهم، فعلمت أنهم الذين كنت أنتظر، فحدثت نفسي بالدخول في دينهم، فوالله إني لذات ليلة فوق سطح إذا رجل من المسلمين يتلو قول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء] فلما سمعت هذه الآية خشيت أن لا أصبح حتى يحول وجهي في قفاي، فما كان شئ أحب إلي من الصباح فغدوت، فسألت عن أمير المؤمنين حتى دخلت عليه، فأخبرته هذا الخبر، وأسلمت، وقربني وأحببت المسلمين، وأحبوني، فسألتهم عن الخير والشر فزادني الله يقينا، قال: ثم قلت لعمر: يا أمير المؤمنين، إنه مكتوب في التوراة أن هذه البلاد التي كان بنو إسرائيل أهلها مفتوحة على رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين، سره مثل علانيته، وقوله لا يخالف فعله، والقريب والبعيد سواء في الحق، عنده أتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار، متراحمون متواصلون متبارون، فقال له عمر: ثكلتك أمك، يا كعب الأحبار، أحق ما تقول؟ قال: فقلت: أي والذي يسمع ما أقول، قال: فالحمد لله الذي أعزنا وشرفنا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ورحمته التي وسعت كل شئ، وقد قيل إنه أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على يدي علي وتأخرت هجرته إلى زمن عمر. ويقال: في خلافة أبي بكر.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الرسل والملوك/ البدء والتاريخ/ الكامل في التاريخ/ تاريخ أبي زرعة الدمشقي/ تاريخ الخلفاء/ مسلمو أهل الكتاب من اليهود في صدر الإسلام الأول والطعون التي وجهت إليهم/

عن محمد بن مسلمة[1]، قال: توجهت إلى المسجد فرأيت رجلا من قريش عليه حلة، قلت: من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين؛ قال: فجاوزت فرأيت رجلا من قريش عليه حلة فقلت: من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين، قال: فدخل المسجد فرفع صوته بالتكبير فقال: الله أكبر، صدق الله ورسوله، الله أكبر صدق الله ورسوله، قال: فسمع عمر صوته فبعث إليه أن ائتني؛ فقال: حتى أصلي ركعتين؛ قال: فرد عليه الرسول يعزم عليه لما جاء؛ فقال محمد بن مسلمة: وأنا أعزم على نفسي أن لا آتيه حتى أصلي ركعتين؛ ودخل في الصلاة، وجاء عمر فقعد إلى جنبه، فلما قضى صلاته قال: شيء أردت أن تخبرني عنه؛ قال: أو غير ذلك تسألني، فإن شئت أن أخبرك أخبرتك وإلا لم أخبرك؛ قال: وذاك أخبرني عن رفعك صوتك في مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكبير، وقولك: صدق الله ورسوله ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين أقبلت أريد المسجد فاستقبلني فلان بن فلان القرشي، عليه حلة قلت: من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين، فجاوزت فاستقبلني فلان بن فلان الأنصاري عليه حلة دون الحلتين فقلت: من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً﴾وإني لم أكن أحب أن يكون على يديك يا أمير المؤمنين؛ قال: فبكى عمر، ثم قال: أستغفر الله، والله لا أعود؛ فما رؤي بعد ذلك اليوم فضل رجلا من قريش على رجل من الأنصار.

بعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة إلى عمرو بن العاص[2] وكتب إليه: أما بعد، فإنكم معاشر العمال قعدتم على عيون الأموال فجنيتم الحرام، وأكلتم الحرام، وأوكيتم الحرام، وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك، فأحضره مالك والسلام؛ فلما قدم محمد بن مسلمة أهدى إليه عمرو بن العاص هدية فردها، فغضب عمرو وقال: يا محمد رددت هديتي فقد أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمي من ذات السلاسل فقبل؛ فقال له محمد: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل بالوحي ما شاء ويمنع ما شاء، ولو كانت هدية الأخ لأخيه لقبلتها ولكنها هدية إمام شر من خلفها؛ فقال عمرو: قبح الله يوما صرت فيه لعمر بن الخطاب واليا، والله لقد رأيت العاص بن وائل يلبس الديباج المزرر بالذهب وإن الخطاب ليحمل الحطب بمكة على حماره؛ فقال له محمد بن مسلمة: أبوه وأبوك في النار، وعمر خير منك ولولا اليوم الذي أصبحت تذم لألفيت معتقلا عنزا يسوؤك غزرها ويسوؤك بكؤها؛ فقال عمرو: هي فلتة المغضب وهي عندك أمانة؛ ثم أحضره ماله فقاسمه.

بلغ عمر بن الخطاب أن سعدا[3] اتخذ قصرا وجعل عليه بابا وقال: انقطع الصويت؛ فأرسل عمر محمد بن مسلمة، وكان عمر إذا أحب أن يؤتى بالأمر كما يريد بعثه، فقال له: إيت سعدا فأحرق عليه بابه؛ فقدم الكوفة، فلما أتى الباب أخرج زنده فاستورى نارا ثم أحرق الباب فأتي سعد فأخبره به ووصفت له صفته، فعرفه، فخرج إليه سعد فقال محمد: إنه بلغ أمير المؤمنين عنك أنك قلت: انقطع الصويت؛ فحلف سعد بالله أنه ما قال ذلك، فقال محمد: نقصد الذي أمرنا ونؤدي عنك ما تقول؛ ثم ركب راحلته، فلما كان ببطن الرمة أصابه من الخمص والجوع ما الله به أعلم، فأبصر غنما فأرسل غلامه بعمامته فقال: اذهب فابتغ بها شاة؛ فجاء الغلام بشاة وهو يصلي، فأراد ذبحها فأشار إليه أن يكف؛ فلما قضى صلاته قال: اذهب فإن كانت مملوكة مسنمة فاردد الشاة وخذ العمامة، وإن كانت حرة فاردد الشاة؛ فذهب فإذا هي مملوكة، فرد الشاة وأخذ العمامة، وأخذ بخطام راحلته أو زمامها لا يمر ببقلة إلا حطمها حتى آواه الليل إلى قوم فأتوه بخبز ولبن وقالوا: لو كان عندنا شيء أفضل من هذا أتيناك به؛ فقال: بسم الله كل حلال أذهب السغب* خير من مأكل السوء؛ حتى قدم المدينة، فبدأ بأهله فابترد من الماء ثم راح، فلما أبصره عمر قال: لولا حسن الظن بك ما رأينا أنك أديت؛ فذكر أنه أسرع السير، وقال: قد فعلت وهو يعتذر ويحلف بالله ما قال ذلك؛ فقال عمر: فهل أمر لك بشيء؟ قال: قد رأيت مكانا أن يأمر لي؛ قال ابن عيينة: أبى أن يأخذ منه؛ قال عمر: إن أرض الله العراق أرض رفيقة وإن أهل المدينة يموتون حولي من الجوع، فخشيت إن أمر لك فتكون لك النار دون الجار؛ أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿لاَ يَشْبَعُ المؤمنُ دُونَ جَارِهِ﴾ أو قال: ﴿الرَّجُلُ دُونَ جَارِهِ﴾ وفي آخر بمعناه: فقال: هلا قبلت من سعد؟ فقال: لو أردت ذلك كتبت لي به وأذنت لي فيه؛ فقال عمر: إن أكمل الرجال رأيا من إذا لم يكن عنده عهد من صاحبه أن يعمل بالحزم أو يقول به ولا يتكل عليه؛ وأخبره بيمين سعد وقوله فصدق سعدا وقال: هو أصدق ممن روى عنه وممن أبلغني.

عن موسى بن أبي عيسى، قال: أتى عمر بن الخطاب مشربة* بني حارثة فوجد محمد بن مسلمة فقال عمر: كيف تراني يا محمد؟ فقال: أراك والله كما أحب وكما يحب من يحب لك الخير، أراك قويا على جمع المال، عفيفا عنه، عدلا في قسمه، ولو ملت عدلناك كما يعدل السهم في الثقاف؛ فقال عمر: هاه؛ فقال: لو ملت عدلناك كما يعدل السهم في الثقاف؛ فقال عمر: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملت عدلوني.

----

*(السغب) الجوع (المشرفة) الغرفة والعلية. والمشربة: أرض لينة لا يزال فيها نبت أخضر ريان

■ (1) محمد بن مسلمة، ابن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة، أبو عبد الله –وقيل: أبو عبد الرحمن، وأبو سعيد– الأنصاري الأوسي من نجباء الصحابة شهد بدرا والمشاهد. وقيل: إن النبي استخلفه مرة على المدينة وكان ممن اعتزل الفتنة ولا حضر الجمل ولا صفين، بل اتخذ سيفا من خشب وتحول إلى الربذة فأقام بها مديدة. وقد استعمله عمر على زكاة جهينة وقد كان عمر إذا شكي إليه عامل نفذ محمدا إليهم ليكشف أمره. توفي سنة43 هـ..عاش ابن مسلمة سبعا وسبعين سنة.

■ (3) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة.مات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ..

■ (2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

☪

قال مروان بن الحكم وهو على المدينة وعنده ابن يامين البصري[1]: كيف كان قتل ابن الأشرف[2]؟ قال ابن يامين: كان غدرا ومحمد بن مسلمة جالس شيخ كبير فقال: يا مروان أيغدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عندك؟!، والله ما قتلناه إلا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لا يؤويني وإياك سقف بيت إلا المسجد، وأما أنت يا بن يامين فلله علي إن أفلت، فلا قدرت عليك وفي يدي سيف إلا ضربت به رأسك؛ فكان ابن يامين لا ينزل من بني قريظة حتى يبعث رسولا ينظر محمد بن مسلمة، فإن كان في بعض ضياعه نزل فقضى حاجته ثم صدر، وإلا لم ينزل؛ فبينا محمد بن مسلمة في جنازة وابن يامين في البقيع فرأى محمد نعشا عليه جرائد رطبة لامرأة، جاء فحله فقام إليه الناس فقالوا: يا أبا عبد الرحمن ما تصنع؟ نحن نكفيك؛ فقام إليه فلم يزل يضربه بها جريدة جريدة حتى كسر ذلك الجريد على وجهه ورأسه حتى لم يترك فيه مصحا، ثم أرسله ولا طباخ به، ثم قال: والله لو قدرت على السيف لضربتك به. وعن محمد بن مسلمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثا.

عن الزهري عن ابي حدرد أو ابن أبي حدرد الأسلمي قال: قدمت المدينة في خلافة عمر بن الخطاب فأردت الحج، فلما أتيت ملل* قلت: اللهم، قيض لي رجلا من أصحاب نبيك صلى الله عليه وسلم صالحا، كان نبيك يحبه وكان يحب نبيك صلى الله عليه وسلم فإذا أنا بغلام أسود على حمار يقود ناقة خلفها شيخ على حمارة، فقلت للأسود: يا غلام، من هذا الشيخ؟ قال: محمد بن مسلمة الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فرافقت خير رفيق ونازلت خير نزيل. قال جابر بن عبد الله: بعثنا عثمان بن عفان في خمسين راكبا أميرنا محمد بن مسلمة الأنصاري فتكلم الذين جاؤوا من مصر، فاستقبلنا رجل منهم في يده مصحف متقد سيفا تذرف عيناه فقال: ها إن هذا يأمرنا أن نضرب بهذا على ما في هذا فقال محمد بن مسلمة: اسكت فنحن ضربنا بهذا على ما في هذا قبلك، أو قبل أن تولد.

عن أبي بردة قال دخلت على محمد بن مسلمة فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال::﴿إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وَفُرْقَةٌ وَاخْتِلاَفٌ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأْتِ بِسَيْفِكَ أُحُدًا فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَنْقَطِعَ ثُمَّ اجْلِسْ فِى بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ﴾ فقد وقعت وفعلت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث بمعناه: وكان محمد بن مسلمة يقال له: حارس نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: فاتخذ سيفا من عود قد نحته وصيره في الجفن معلقا في البيت وقال: إنما علقته أهيب به ذاعرا. وعن الحسن، قال: قال محمد بن مسلمة: ﴿أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم سَيْفًا ، فَقَالَ : قَاتِلْ بِهِ الْمُشْرِكِينَ مَا قُوتِلُوا ، فَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا فَاعْمِدْ بِهِ إِلَى صَخْرَةٍ فَاضْرِبْهُ بِهَا حَتَّى يَنْكَسِرَ ، ثُمَّ أُقْعُدْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ ، أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ﴾ و عن أبي بردة ، قال:﴿ دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، فَقُلْتُ لَهُ : رَحِمَك اللهٌ ، إنَّك مِنْ هَذَا الأَمْرِ بِمَكَانٍ ، فَلَوْ خَرَجْتَ إِلَى النَّاسِ فَأَمَرْتَ وَنَهَيْتَ ، فَقَالَ : إنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: إنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وَفُرْقَةٌ وَاخْتِلاَفٌ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأْتِ بِسَيْفِكَ أُحُدًا فَاضْرِبْهُ حَتَّى تَقْطَعَهُ ، ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَك يَدٌ خَاطِئَةٌ، أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ، فَقَدْ وَقَعَتْ وَفَعَلْتُ مَا قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم﴾ وعن محمد ، قال: قال حذيفة : ﴿مَا أَحَدٌ تُدْرِكُهُ الْفِتْنَةُ إِلاَّ وَأَنَا أَخَافُهَا عَلَيْهِ إِلاَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ ، فَإِنِّي سَمِعْت رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَهُ : لاَ تَضُرُّك الْفِتْنَةُ﴾. وعن علي بن زيد، أن عليا أرسل إلى محمد بن مسلمة أن يأتيه ، فأرسل إليه، وقال: إن هو لم يأتني فاحملوه، فأتوه فأبى أن يأتيه، فقالوا: إنا قد أمرنا إن لم تأته أن نحملك حتى نأتيه بك، قال: ارجعوا إليه فقولوا له: إن ابن عمك وخليلي عهد إلي، أنه ستكون فتنة وفرقة واختلاف، فإذا كان ذلك فاجلس في بيتك واكسر سيفك حتى تأتيك منية قاضية، أو يد خاطئة، فاتق الله يا علي ولا تكن تلك اليد الخاطئة، فأتوه فأخبرو، فقال: دعوه. وعن جابر بن عبد الله، قال: قدم معاوية ومعه أهل الشام فبلغ رجلا شقيا من أهل الأردن صنيع محمد بن مسلمة جلوسه عن علي ومعاوية، فاقتحم عليه المنزل فقتله؛ قال: وأرسل معاوية إلى كعب؛ ما تقول في محمد بن مسلمة؟ يعني كعب بن مالك.

----

* (ملل) وضع في طريق مكة بين الحرمين

■ (2) كعب بن الاشرف الطائي، من بني نبهان: شاعر جاهلي. كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية. وكان سيدا في أخواله. يقيم في حصن له قريب من المدينة، ما زالت بقاياه إلى اليوم، يبيع فيه التمر والطعام. أدرك الاسلام، ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، والتشبيب بنسائهم. وخرج إلى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها، وحض على الاخذ بثأرهم. وعاد إلى المدينة. وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتله، فانطلق إليه خمسة من الانصار، فقتلوه في ظاهر حصنه، وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة سنة 3 هـ.

■ (1) يامين بن عمير بن كعب، أبو كعب، أو كعب النضري، فهو من بني النضير. وقد ساعد اثنين من فقراء أصحاب رسول الله على تجهيزهما بشيء من التمر ليتمكنا بذلك من الالتحاق بالجيش الذي سار في السنة التاسعة من الهجرة لغزوة تبوك. أسلم فأحرز ماله من بني النضير، ولم يحرز ماله من بني النضير غيره وغير أبي سعيد بن عمرو بن وهب، فأحرزا أموالهما.

مراجع: تاريخ دمشق /ـمختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ كنز العمال/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ مصنف بن أبي شيبة/

◆ أبو حفص عمر بن الخطاب (الفاروق، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) وعقيل بن أبي طالب 0131

جاء عقيل بن أبي طالب[1] رضي الله عنه وأرضاه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد آذته امرأته بلسانها، فجاء إلى عمر لعله أن يشتكيها إليه، فلما وقف بباب عمر في الظهيرة سمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فعجب وقال: إذا كان هذا أمير المؤمنين فما حال عقيل ؟! فرجع من ساعته ورآه عمر فناداه فقال: يا عقيل ! ما شأنك؟ قال: خيرا يا أمير المؤمنين، قال: عزمت عليك أن تخبرني، قال: يا أمير المؤمنين! ما هو إلا أن فلانة آذتني وأسمعتني ما أكره فقلت: آتي أمير المؤمنين وأشتكي إليه، فلما وقفت بالباب سمعت امرأة أمير المؤمنين تستطيل على أمير المؤمنين، فقلت: إذا كان هذا أمير المؤمنين فكيف بـ عقيل ؟ فقال عمر رضي الله عنه: يا عقيل ! إنها امرأتي ترضع صغيري وتغسل ثوبي فأنا أمسكها من أجل ذلك.

ذكر الشبلنجي رحمه الله في كتابه نور الأبصار، قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره، فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل قائلا: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر فكيف حالي؟، فخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك يا أخي؟، فقال: يا أمير المؤمنين، جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها علي، فسمعت زوجتك كذلك، فرجعت وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟، فقال له عمر: تحملتها لحقوق لها علي، فإنها طباخة لطعامي، خبازة لخبزي، غسالة لثيابي، مرضعة لولدي، وليس ذلك بواجب عليها!، وسكن قلبي بها عن الحرام، فأنا أتحملها لذلك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكذلك زوجتي، قال: فتحملها يا أخي، فإنها هي مدة يسيرة (يعني الفراق بالموت). وعن جابر بن عبد الله: أنه جاء إلى عمر يشكو إليه ما يلقى من النساء، فقال عمر: إنا لنجد ذلك، حتى إني لأريد الحاجة فتقول لي: ما تذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن!، فقال له عبد الله بن مسعود: أما بلغك أن إبراهيم عليه السلام، شكا إلى الله خلق سارة، فقيل له: إنها خلقت من ضلع، فألبسها على ما كان فيها ما لم تر عليه خربة في دينها؟.

■ (1) عقيل بن أبي طالب بن عبد مناف، أبو يزيد، أخو علي وجعفر، شهد غزوة مؤتة وكان أسن من أخيه علي بعشرين سنة، ومن أخيه جعفر الطيار بعشر سنين. مات في خلافة معاوية، وقيل في أول خلافة يزيد قبل الحرة. وكانت خلافة يزيد بن معاوية سنة 64 هـ.

قال محمد المختار الشنقيطي: يعني: إذا ذكرت لها المعروف وإذا ذكرت لها الإحسان غفرت إساءتها، وهذا معنى لطيف مستنبط من الحديث الشريف الذي ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا خُلُقًا﴾ لا يفرك: أي: لا يبغض مؤمن مؤمنة. ولذلك كان من وصايا الحكماء: أن الإنسان إذا رأى الزلة غفرها بما هو أعظم منها، فإذا وجد كلامها غير مستقيم، أو تسبه أو لا تحسن الخطاب معه غفر لها ذلك بإحسانها في طعامها وشرابها وتذكر من يسيء بالقول الذي هو أشد، وإذا كانت تسيء بالقول الذي هو أشد فتذكر من يسيء ويؤذي الأبناء، ثم هكذا فما من مصيبة إلا وهناك ما هو أعظم منها.

ومن حكمة الله تبارك وتعالى أنه ما من زوج يصبر على أذى زوجته إلا كانت له العاقبة، بعض الأزواج بلوا بزوجات آذينهم أذية عظيمة فصبروا، فمنهم من رزقه الله هداية زوجته وأصبحت في شجن وحزن وندم لا يعلمه إلا الله، وأصبحت تستحي منه وتخجل منه خجلا شديدا، ومنهم من يعوضه الله عز وجل بصلاحها وصلاح أبنائها، فالخلف من الله مضمون، وما من إنسان يصبر ويعاشر بالمعروف مع إساءة الزوجة وأذيتها إلا كان له من الله أجر عظيم، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي﴾ فمن أراد أن يكون من الأخيار فليحسن إلى زوجته ويكرمها. ولذلك أثر في كثير من قصص العلماء والصالحين أنهم كانوا مبتلين بإساءة زوجاتهم وكانوا على وفاء وتذمم وصبر.

يقول جل شأنه وتقدست أسماؤه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء] قال بعض السلف وهو قول مأثور عن ابن عباس وغيره: ﴿وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء] أي ولدا صالحا. ولذلك قالوا: إن الزوج إذا صبر على أذية زوجته وعاشرها بالمعروف مع أذيتها وإساءتها قد يرزقه الله منها ولدا صالحا، وقد ذكروا عن رجل من السلف الصالح رحمه الله أنه دخل عليه طالب من طلابه فرأى ابنا بارا فعجب ببره فلما خرج الابن قال ذلك العالم الجليل: أتعجب من بره؟ قال: إي والله، قال: والله لقد عاشرت أمه عشرين أو ثلاثين عاما ما تبسمت في وجهي يوما قط فصبرت فعوضني الله ما ترى، وعن بعض السلف -وهو أبو زيد محمد القيرواني رحمة الله عليه إمام جليل من أئمة العلم والدين- أنه كانت امرأته فظة غليظة تؤذيه بلسانها، فلما أكثرت عليه اشتكى طلابه وقالوا له: كيف تصبر عليها؟ وكيف تعاشرها بالمعروف وهي تسيء إليك؟ فقال رحمه الله -أقوام يعرفون كيف يعاملون الله-: إني أعاشرها بالمعروف، وأما قولها فبلاء لعلي أصبت ذنبا فعوقبت بها، فلو طلقتها لعاقبني الله عقوبة أشد منها. فلذلك كان السلف رحمهم الله يعاشرون بالمعروف مع إساءة الزوجة وإعراضها، فأصدق معاشرة من الزوج لزوجه وأصدق معاشرة من الزوجة لزوجها إذا أساء إليها، لن تكون معاشرا بالمعروف إلا إذا كانت زوجتك تسيء إليك، ولن تكون المرأة معاشرة بالمعروف الحق الذي تؤجر عليه من الله ويعظم فيه ثوابها إلا إذا كان زوجها يسيء إليها، فالمعاشرة الكاملة بالمعروف التي يعظم ثوابها عند رب العالمين إذا كانت الإساءة من الزوجة، فعلاج هذه المشكلة وهي سوء المعاشرة أن يعاشر الزوج أهله بالمعروف وأن يصبر ويتحمل.

فلذلك -أحبتي في الله!- من أراد أن ينجو من تلك المشاكل التي تقع بسوء المعاشرة؛ فعليه بالصبر والتحمل ما استطاع إلى ذلك سبيلا خاصة الزوج؛ لأن الرجل فضله الله على المرأة بالقوة، ولذلك أعطاه من الصبر والتحمل ما لم يعطه للزوجة، فإذا بلي الزوج بزوجة لا تحسن معاشرته فعليه بالصبر والتحمل.

- تعليق: .. قلت: لا يكون ذلك إلا بشروط حددها الشرع. ويتوقف ذلك عن نوع الاذى.. أيضا إذا كان هناك مخلوق يستحق التقويم والتأديب فهي المرأة. وما أدراك ما المرأة .. مصيبة آدم والبشرية. وهي كما قيل شر لابد منه. كالعقارب، والشياطين، والامراض..

مراجع:الأعلام للزركلي/ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار/ دروس للشيخ محمد المختار الشنقيطي/

عن إسماعيل بن عمر رضي الله عنه قال: لما فرض عمر رضوان الله عليه الدواوين جاء طلحة بن عبيد الله[1] رضي الله عنه بنفر من بني تميم يستفرض لهم، وجاء رجل من الأنصار بغلام مصفر سقيم، فقال: من هذا الغلام ؟ قال: هذا ابن أخيك البراء بن النضر(؟) [2]، فقال عمر رضي الله عنه: مرحبا وأهلا، وضمه إليه، وفرض له في أربعة آلاف، فقال طلحة: يا أمير المؤمنين، انظر في أصحابي هؤلاء، قال: نعم، ففرض لهم في ستمائة ستمائة، فقال طلحة: ما رأيت كاليوم شيئا أبعد من شيء ! أي شيء هذا ؟! فقال عمر رحمه الله عليه: أنت يا طلحة تظن أنني منزل هؤلاء بمنزلة هذا ؟! إني رأيت أبا هذا جاء يوم أحد وأنا وأبو بكر[3] قد تحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل، فقال: يا أبا بكر، ويا عمر، ما لي أراكما جالسين ؟! إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل فإن الله حي لا يموت، ثم ولى بسيفه، فضرب عشرين ضربة، أعدها في وجهه وصدره، ثم قتل(؟) رحمه الله، وهؤلاء قتل آباؤهم على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطفاء نور الله تعالى، فمعاذ الله أن أجعلهم بمنزلته.(... البراء بن مالك استشهد يوم فتح تستر؟)

■ (1) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني، أبو محمد: صحابي، شجاع، من الاجواد. وهو أحد العشرة المبشرين، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الاسلام. قال ابن عساكر: كان من دهاة قريش ومن علمائهم. وكان يقال له ولابي بكر القرينان وذلك لان نوفل بن حارث وكان أشد قريش رأى طلحة، وقد أسلم، خارجا مع أبي بكر من عند النبي صلى الله عليه وسلم فأمسكها وشدهما في حبل. ويقال له طلحة الجود وطلحة الخير وطلحة الفياض وكل ذلك لقبه به رسول الله صلى الله عليه وسلم في مناسبات مختلفة، ودعاه مرة الصبيح المليح الفصيح. شهد أحدا وثبت مع رسول الله، وبايعه على الموت، فأصيب بأربعة وعشرين جرحا، وسلم، فشهد الخندق وسائر المشاهد. وكانت له تجارة وافرة مع العراق، ولم يكن يدع أحدا من بني تيم عائلا إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله ووفى دينه. قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة. ودفن بالبصرة. سنة 36 هـ له 38 حديثا.

■ (3) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

■ (2) البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، الأنصاري النجاري المدني. البطل الكرار صاحب رسول الله وأخو خادم النبي، أنس بن مالك. شهد أحدا، وبايع تحت الشجرة.استشهد يوم فتح تستر سنة 17 هـ أو 20 هـ (؟) (2) البراء بن النضر؟

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: البراء بن مالك رضي الله عنه، حضر القتال يوم مسيلمة الكذاب وقد قتل أكثر أصحاب مسيلمة والتجأ منهم نحو من سبعة آلاف إلى حديقة الموت. وإنما سميت حديقة الموت لكثرة من قتل بها، وكان اسمها قبل ذلك أباض. فامتنعوا فيها، فقال البراء بن مالك رحمه الله: احملوني على الجدار حتى تطرحوني عليهم، فقالوا: لا نفعل يا براء، قال: والله لتفعلن، فحملوه على الجدار، فرأى كثرتهم، فقال: أنزلوني، فأنزلوه، ثم قال: احملوني على الجدار، فحملوه، فقال: أف لهذا جشعا ! ثم اقتحم عليهم الحديقة، فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين، ودخلوا عليهم فقتلوهم أجمعين، وكانوا في سبعة آلاف رجل، وقتل من بني حنيفة في الفضاء سبعة آلاف وفي الطلب مثلها، وقتل من المسلمين نحو من تسع مائة رجل رضي الله عنهم.

مراجع: لباب الآداب لأسامة بن منقذ/ الأعلام للزركلي/

عن المسور[1]: أنه خرج تاجرا إلى سوق ذي المجاز أو عكاظ، فإذا رجل من الأنصار يؤم الناس أرت أو ألثغ فأخره وقدم رجلا، فغضب الرجل المؤخر فأتى عمر رضي الله عنه ، فقال: يا أمير المؤمنين، إن المسور أخرني وقدم رجلا. فغضب عمر وجعل يقول: واعجبا لك يا مسور؛ وجعل يرسل إلى بيته. فلما قدم المسور أخبر بذلك، فأتاه. فلما رآه طالعا قال: واعجبا يا مسور. فقال: لا تعجل يا أمير المؤمنين، فوالله ما أردت إلا الخير. قال: وأي خير في هذا ؟ فقال: إن سوق عكاظ – أو ذا المجاز – اجتمع فيها ناس كثير، عامتهم لم سمع القرآن، وكان الرجل أرت أو ألثغ فخشيت أن يتفرقوا بالقرآن على لسانه، فأخرته وقدمت رجلا عربيا بينا. فقال عمر: جزاك الله خيرا. وعن عمرو بن دينار قال: كان رجل وكان فيه عجمة وكان في الحج إماما خلف على الناس وكان ذلك بأعلى مكة فتقدم فصلى فأخره رجل، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، كان الحج فخشيت أن يتفرق الناس عنه وقد سمعوا منه شيئا في قراءته، فلم ينكر ذلك عمر رضي الله عنه. وعن إبراهيم بن حمزة، قال: أتى عمر بن الخطاب ببرود من اليمن، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، وكان فيها برد فائق لها، فقال: إن أعطيته أحدا منهم غضب أصحابه ورأوا أني فضلته عليهم، فدلوني على فتى من قريش نشأ نشأة حسنة أعطيه إياها. فأسموا له المسور بن مخرمة، فدفعه إليه، فنظر إليه سعد بن أبي وقاص على المسور، فقال: ما هذا ؟ فقال: كسانيه أمير المؤمنين. فجاء سعد إلى عمر فقال: تكسوني هذا البرد وتكسو ابن أخي مسورا أفضل منه. قال له: يا أبا إسحاق، إني كرهت أن أعطيه أحدا منكم فيغضب أصحابه، فأعطيته فتى نشأ نشأة حسنة لا يتوهم فيه أني فضلته عليكم. فقال سعد: فإني قد حلفت لأضربن بالبرد الذي أعطيتني رأسك. فخضع له عمر رأسه، وقال: عندك يا أبا إسحاق، وليرفق الشيخ بالشيخ. فضرب رأسه بالبرد.

----

(1) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، كنيته أبو عبد الرحمن. ولده بمكة سنة 2 هـ وقدم به المدينة سنة 8 هـ عام الفتح. كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم أدرك النبي وهو صغير وسمع منه وحج معه، وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف ليالي الشورى حفظ عنه أشياء روى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة شهد فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد وهو الذي حرض عثمان على غزوها ثم كان مع ابن الزبير فأصابه حجر من حجارة المنجنيق في الحصار بمكة وهو يصلي في الحجر، فأقام خمسة أيام ثم هلك في اليوم الذي جاء فيه نعي يزيد بن معاوية سنة 64 هـ وصلى عليه ابن الزبير بالحجون

☪

عن أم بكر بنت المسور أن مروان دعا المسور يشهده حين تصدق بداره على عبد الملك بن مروان، فقال المسور: وترث فيها القيسية؟ قال: لا، قال: فلا أشهد، قال: ولم؟ قال: إنما أخذت من إحدى يديك فجعلته في الأخرى، قال: وما أنت وذاك؟ أحكم أنت؟ إنما أنت شاهد! قال المسور: وكلما فجرتم فجرة شهدت عليها. قال عبد الله: وكانت القيسية امرأة مروان.

وعن عمرو بن راشد الليثي قال: والله إني لأصلي أمام المسور بن مخرمة، فصليت صلاة الشاب كنقر الديك، فزحف إلي، فقال: قم فصل، فقلت: قد صليت عافاك الله، قال: كذبت، والله، ما صليت، والله لا تريم* حتى تصلي، فقمت فصليت، وأتممت، فقال المسور: والله، لا تعصون الله ونحن ننظر ما استطعنا.

وعن محمد بن الضحاك قال: قال مالك: كان المسور بن مخرمة مع مروان بن الحكم على سريره في الدار والناس عنده وهو أمير المدينة، فقضى مروان بقضاء خالفه فيه المسور، فركضه* مروان برجله حتى نحاه عن السرير، فأمر به حتى أخرج من الدار، قال مالك: فأتي مروان في النوم، فقيل له: ما لك وللمسور،﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ [الإسراء] فلما أصبح مروان، قال: والله، لقد نهيت عن هذا الرجل، فأرسل إليه، فجاء فأخبره بذلك، فقال: والله، لقد نهيت عني في النوم واليقظة وما أراك منتهيا. وعن أم بكر بنت المسور عن أبيها أنه وجد يوم القادسية إبريق ذهب عليه الياقوت والزبرجد، فلم يدر ما هو، فلقيه فارسي، فقال: آخذه بعشرة آلاف، فعرف أنه شيء، فذهب به إلى سعد بن أبي وقاص، وأخبره خبره، فنفله إياه، وقال: لا تبعه بعشرة آلاف، فباعه له بمائة ألف، فدفعها إلى المسور ولم يخمسها. وعن الزهري عن عروة عن المسور بن مخرمة قال: لقد وارت القبور رجالا، لو رأوني مجالسكم في هذا المجلس لاستحييت من ذلك.

وعن عطاء بن يزيد الليثي عن سفيان أو سقير مولى مروان بن الحكم قال: لحق المسور بابن الزبير بمكة فأقام معه هناك وابن الزبير لا يقطع أمرا دونه.

عن أم بكر بنت المسور وأبي عون قالا: أصاب المسور بن مخرمة حجر من المنجنيق ضرب البيت فانفلق منه فلقة فأصابت خد المسور وهو قائم يصلي فمرض منها أياما ثم هلك في اليوم الذي جاء فيه نعي يزيد بن معاوية وابن الزبير يومئذ لا يسمى بالخلافة الأمر شورى، وعن أم بكر بنت المسور قالت: كنت أرى العظام تنزع من صفحته وما مكث إلا خمسة أيام حتى مات.

قال محمد بن عمر فذكرت ذلك لشرحبيل بن أبي عون فقال أخبرني أبي قال: قال لي المسور بن مخرمة: يا مولى عبد الرحمن صب لي وضوءا، فقلت: أين تذهب؟ قال: إلى المسجد، فصببت له وضوءا، فأسبغ الوضوء وخرج وعليه درع له خفيفة يلبسها إذا لم يكن له قتال، فلم بلغ الحجر، قال: خذ درعي، قال: فأخذتها ولبستها وجلست قريبا منه والحجارة يرمى بها البيت، وهو يصلي في الحجر، فجئت فقمت إلى جنبه، فقلت: أي مولاي، إني أرى الحجارة اليوم كثيرة، فلو لبست درعك ومغفرك أو تحولت عن هذا الموضع أو رجعت إلى منزلك، فإني لا آمن عليك، فوالله ما يغني شيئا إنهم لعالون علينا، وإنما نحن لهم أغراض، فقال: ويحك، وهل بد من الموت على أي حال، والله، لأن يموت الرجل وهو على بصيرته، ناكبا لعدوه أو مبليا عذرا، حتى يموت أحسن وآجر له من أن يدخل مدخلا، فيدخل عليه فيساق إلى الموت فتضرب عنقه على المذلة والصغار، ثم قال: هات درعي، فأخذها فلبسها، وأبى أن يلبس المغفر، قال: وتقبل ثلاثة أحجار من المنجنيق فيضرب الأول الركن الذي يلي الحجر فخرق الكعبة حتى تغيب ثم اتبعه الثاني في موضعه ثم اتبعه الثالث في موضعه وقد سد الحجر الحجر ثم رمى فينا الحجر وتكسر منه كسرة فتضرب خد المسور وصدغه الأيسر فهشمه هشما، قال: فغشي عليه واحتملته أنا ومولى له يقال له سليم، وجاء الخبر ابن الزبير، فأقبل يعدو إلينا، فكان فيمن يحمله وأدركنا مصعب بن عبد الرحمن وعبيد بن عمير فمكث يومه ذلك لا يتكلم حتى كان من الليل فأفاق، وعهد ببعض ما يريد وجعل عبيد بن عمير يقول: يا أبا عبد الرحمن كيف ترى في قتال من ترى ؟ فقال: على ذلك قتلنا، فقال عبيد بن عمير: أبسط يدك فضرب عليها عبيد بن عمير فكان ابن الزبير لا يفارقه بمرضه حى مات.

وعن أبي عون قال: جاءنا نعي يزيد بن معاوية ليلا وكان أهل الشام يودون ابن الزبير وعدة ممن معه، فقال ابن الزبير: اسكتوا عن هذا الخبر حتى نصبح، قال أبو عون: فخرجت حتى قمت في مشربة لنا في دار مخرمة بن نوفل، فصحت بأعلى صوتي يا أهل الشام، يا أهل النفاق، يا أهل الشؤم، قد والله الذي لا إله إلا هو مات يزيد، فصاح أهل الشام، وسبوا وانكسروا، فلما أصبحنا جاءنا فتى شاب فاستأمن، فأمناه فجاء إلى ابن الزبير وعبد الله بن صفوان في أشياخ من قريش جلوس في الحجر والمسور بن مخرمة في البيت يموت فخطب فقال: إنكم يا معشر قريش إنما هذا الأمر أمركم والسلطان سلطانكم وإنما خرجنا في طاعة رجل منكم، وقد هلك ذلك الرجل، فإن رأيتم أن تأذنوا لنا فنطوف بالبيت وننصرف إلى بلادنا حتى يجتمع رأيكم على رجل منكم فندخل في طاعتكم، فقال ابن الزبير: لا، ولا كرامة، فقال عبد الله بن صفوان: لم، بلى نفعل ذلك، ثم قال ابن الزبير: انطلق بنا إلى المسور، فإنا لا نقطع أمرا دونه، فقاما حتى دخلا على المسور، فقال ابن الزبير: ما ترى يا أبا عبد الرحمن في أهل الشام، فإنهم استأذنوا أن يطوفوا بالبيت وينصرفوا إلى بلادهم؟ فقال المسور: أجلسوني، فأجلس، فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة] ، الآية وقد خربوا بيت الله وأخافوا عواذه، فأخفهم كما أخافوا عواذ الله، فتراجعوا شيئا من مراجعة وغلب المسور فاضطجع ومات ذلك اليوم رحمه الله تعالى.

----

* (الركض) تحريك الرجل والدفع (لا تريم) أي لا تبرح

مراجع: تاريخ دمشق/الأعلام للزركلي/

حدث عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: دخل فرات بن زيد الليثي[1] على عمر بن الخطاب وكان ذا مال كثير وكان يبخل وكان من ألباء* العرب وذوي العلم والرأي فوجد عمر يعطى المهاجرين والأنصار فقال له فرات: من الذي يقول: الفقر يزري بالفتى في قومه..والعين يغضيها الكريم على القذى..والمال يبسط للئيم لسانه..حتى يصير كأنه شيء يرى..والمال جد بفضوله ولتعلمن..ان البخيل يصير يوما للثرى؟. قال: لا أدري، يا أمير المؤمنين، غير اني عرفت أن أخا بني ضبيعة اشعر الناس حيث يقول: وإصلاح القليل يزيد فيه..ولا يبقى الكثير مع الفساد. فقال عمر، قول الله عز و جل: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر] أفضل، قال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى يقول:﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء] قال عمر: فبين ذلك قواما، يا فرات، اتق الله، وانما لك من مالك ما أنفقت، يا فرات، اطعم السائل، وكن سريعا الى داعي الله، إن الله جواد يحب الجود واهله، وإن البخل بئس شعار المسلم، يا فرات، أتدري من الذي يقول: سأبذل مالي للعفاة فانني..رأيت الغنى والفقر سيان في القبر..يموت أخو الفقر القليل متاعه..ولا تترك الأيام من كان ذاو فر..وليس الذي جمعت عندي بنافع..إذا حل بي يوما جليل من الأمر. قال: لا أدري، يا أمير المؤمنين: قال: هذا شعر أخيك قسامة بن زيد[2] قال: ما علمته، قال: بل هو انشدنيه وعنه أخذته، وإن لك فيه لعبرة، قال: يا أمير المؤمنين، وفقك الله وسددك أمرت بخير، وحضضت عليه، وترك فرآت كثيرا مما كان عليه.

----

*(اللبيب) العاقل ذو لب ومن أولى الألباب ج ألباء.

- (1) فرات بن زيد الليثي له إدراك ؟
- (2) قسامة بن زيد الليثي أخوه فرات بن زيد روى عمر عنه شعرا قاله؟

روى أسامة بن زيد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: أخبرني عمر بن الخطاب قال: خرجت مع أناس من قريش في الجاهلية في تجارة إلى الشام، فبينما أنا في سوق من أسواقها بدمشق إذ أنا ببطريق قد جاءني فأخذ بعنقي، فذهبت أنازعه نفسي، فقيل لي: لا تفعل فليس لك منه النصف، قال: فخرجت معه فأدخلني كنيسة فإذا تراب كثير متراكم بعضه على بعض، فدفع إلى بمجرفة وفأسا وزنبيلا، فقال لي: انقل هذا التراب واحفر لي هاهنابئرا، قال: فجلست أفكر في أمري كيف أصنع، قال: فأتاني في الهاجرة وعليه سبنية قصب، أرى سائر جسده منها، ولم أحرك شيئا، فقال لي: وإنك على ما أرى ما حركت شيئا، ثم ضم كفه وأصابعه يضرب بها وسط رأسي، فقلت في نفسي: ثكلتك أمك يا عمر، أو قد بلغت ما أرى! قال: فقمت إليه بالمجرفة فضربت بها رأسه فنثرت دماغه وخر ميتا، وخرجت إلى الطريق، وأنا لا أدري أين أسلك من بلاد الله تعالى، فمشيت بقية يومي وليلتي من الغد حتى أصبحت، ثم انتهيت إلى دير فاستظللت بظله، فخرج إلى رجل من أهل الدير، فقال: يا عبد الله! ما يقعدك ها هنا؟: فقلت: أضللت أصحابي. قال: والله ما أنت على طريق، وإنك لتنظر بعين خائف، قم فادخل الدير فأصب من الطعام والشراب، وأقم ما بدا لك، قال: فدخلت فأتاني بطعام وشراب وألطف لي، ثم صعد في النظر وخفضه، ثم قال: يا هذا! لقد علم أهل الكتاب أنه لم يبق على وجه الأرض رجل أعلم مني اليوم، وإني أجد صفتك، إنك الذي تخرجنا من هذا الدير، وتغلب على هذا البلاد. فقلت: أيها الرجل! ذهبت من الأمر في غير مذهب. قال: ما اسمك؟ قلت: عمر بن الخطاب. قال: أنت والله الذي لا إله إلا هو صاحبنا من غير شك، فاكتب لي على ديري هذا وأهله وما فيه أمانا، قال: قلت: أيها الرجل! قد صنعت معروفا فلا تكدره، قال: إنما هو كتاب في رق، وليس عليك فيه مؤونة ولا شيء، فإن كنت صاحبنا فهو الذي أريد، وإن تكن الأخرى فأي شيء يضرك؟ قلت: هات، فكتبت له أمانا ثم ختمته ودفعته إليه. قال: فدعا بنفقة وثوب فدفعها إلي، ثم دعا بأتان قد أوكفت، فقال: أتسمع؟ قلت: نعم. قال: اخرج على هذه الأتان فإنها لا تمر بقوم ولا أهل دير إلا علفوها، حتى إذا بلغت مأمنك فخل عنها واضرب وجهها مدبرة، فإنها تعلف وتسقي حتى تصل. قال: فركبتها ثم سرت عليها حتى أدركت أصحابي وهم متوجهون، فلم أمر بقوم إلا سقوها وعلفوها حتى لحقت أصحابي، فنزلت عنها، وضربت وجهها مدبرة، ثم سرت معهم حتى قدمت على أهلي. قال أسلم: فلما قدم عمر بن الخطاب الشام أتاه ذلك الراهب في خلافته، وهو صاحب دير العدس بذلك الكتاب، فلما قرأه عمر عرفه، فقال له الراهب: ف لي بشرطي، فقال له عمر: جاء أمر غير ذلك، جاء ما ليس لعمر ولا لأبي عمر فيه شيء، فاستشار فيه عمر المسلمين، فقالوا: نرى أن تفي له يا أمير المؤمنين، قال عمر: هل عندك للمسلمين منفعة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فأنشأ عمر يحدثنا حديثه حتى أتى على آخره، ثم قال عمر للراهب: إن أضفتم المسلمين، وأرشدتموهم الطريق، وهديتم الضال، ومرضتم المرضى ممن يمر بكم من المسلمين فعلنا، قال: نعم يا أمير المؤمنين نفعل. قال: فوفي له عمر.

مراجع: الإصابة في تمييز الصحابة/ الأعلام للزركلي/ بهجة المجالس وأنس المجالس/

حدث ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عنه؛ أن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص[1]: إن الله قد فتح على المسلمين الشام والعراق، فابعث من عندك جندا إلى الجزيرة*، وأمر عليهم أحد الثلاثة: خالد بن عرفطة[2]، أو هاشم بن عتبة[12]، أو عياض بن غنم[3]. فلما انتهى إلى سعد كتاب عمر، قال: ما أخر أمير المؤمنين عياض بن غنم آخر القوم إلا أنه له فيه هوى أن أوليه؛ وأنا موليه. فبعثه وبعث معه جيشا، وبعث أبا موسى الأشعرى، وابنه عمر بن سعد [4]– وهو غلام حدث السن ليس إليه من الأمر شئ – وعثمان بن أبى العاص بن بشر الثقفي[5]، وذلك في سنة تسع عشرة. فخرج عياض إلى الجزيرة، فنزل بجنده على الرهاء* فصالحه أهلها على الجزية*، وصالحت حران* حين صالحت الرهاء، فصالحه أهلها على الجزية. ثم بعث أبا موسى الأشعرى إلى نصيبين*، ووجه عمر بن سعد إلى رأس العين* في خيل ردءا للمسلمين، وسار بنفسه في بقية الناس إلى دارا*، فنزل عليها حتى افتتحها، فافتتح أبو موسى نصيبين، وذلك في سنة تسع عشرة. ثم وجه عثمان بن أبى العاص إلى أرمينية الرابعة* فكان عندها شئ من قتال؛ أصيب فيه صفوان بن المعطل السلمى شهيدا. ثم صالح أهلها عثمان بن أبى العاص على الجزية، على كل أهل بيت دينار. ثم كان فتح قيسارية* من فلسطين وهرب هرقل. وأما في رواية سيف؛ فإن الخبر في ذلك، فيما كتب به إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد؛ قالوا: خرج عياض بن غنم في أثر القعقاع[11]، وخرج القواد – يعنى حين كتب عمر إلى سعد بتوجيه القعقاع في أربعة آلاف من جنده مددا لأبى عبيدة حين قصدته الروم وهو بحمص – فسلكوا طريق الجزيرة على الفراض* وغيرها، فسلك سهيل بن عدي[6] وجنده طريق الفراض حتى انتهى إلى الرقة*، وقد ارفض أهل الجزيرة عن حمص إلى كورهم حين سمعوا بمقبل أهل الكوفة، فنزل عليهم، فأقام محاصرهم حتى صالحوه؛ وذلك أنهم قالوا فيما بينهم: أنتم بين أهل العراق وأهل الشأم؛ فما بقاؤكم على حرب هؤلاء وهؤلاء! فبعثوا في ذلك إلى عياض وهو في منزل واسط من الجزيرة؛ فرأى أن يقبل منهم؛ فبايعوه وقبل منهم؛ وكان الذي عقد لهم سهيل بن عدي عن أمر عياض، لأنه أمير القتال وأجروا ما أخذوا عنوة، ثم أجابوا مجرى أهل الذمة، وخرج الوليد بن عقبة[7] حتى قدم على بنى تغلب وعرب الجزيرة، فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلا إياد ابن نزار[8]، فإنهم ارتحلوا بقليتهم، فاقتحموا أرض الروم، فكتب بذلك الوليد إلى عمر بن الخطاب. ولما أعطى أهل الرقة ونصيبين الطاعة ضم عياض سهيلا وعبد الله إليه فسار بالناس إلى حران، فأخذ ما دونها. فلما انتهى إليهم اتقوه بالإجابة إلى الجزية فقبل منهم، وأجرى من أجاب بعد غلبه مجرى أهل الذمة. ثم إن عياضا سرح سهيلا وعبد الله إلى الرهاء، فاتقوهما بالإجابة إلى الجزية، وأجرى من دونهم مجراهم؛ فكانت الجزيرة أسهل البلدان أمرا، وأيسره فتحا، فكانت تلك السهولة مهجنة عليهم وعلى من أقام فيهم من المسلمين. ولما نزل عمر الجابية*، وفرغ أهل حمص أمد عياض بن غنم بحبيب ابن مسلمة[9]، فقدم على عياض مددا، وكتب أبو عبيدة إلى عمر بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضم إليه عياض بن غنم إذ ضم خالدا إلى المدينة، فصرفه إليه، وصرف سهيل بن عدى وعبد الله بن عبد الله إلى الكوفة ليصرفهما إلى المشرق، واستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها، والوليد بن عقبة على عرب الجزيرة، فأقاما بالجزيرة على أعمالهما. قالوا: ولما قدم الكتاب من الوليد على عمر كتب عمر إلى ملك الروم: إنه بلغني أن حيا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك؛ فو الله لتخرجنه أو لننبذن إلى النصارى؛ ثم لنخرجنهم إليك. فأخرجهم ملك الروم، فخرجوا فتم منهم على الخروج أربعة آلاف مع أبى عدى بن زياد، وخنس* بقيتهم، فتفرقوا فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم؛ فكل إيادى في أرض العرب من أولئك الأربعة الآلاف؛ وأبى الوليد بن عقبة أن يقبل من بنى تغلب إلا الإسلام؛ فقالوا له: أما من نقب على قومه في صلح سعد ومن كان قبله فأنتم وذاك، وأما من لم ينقب عليه أحد ولم يجر ذلك لمن نقب فما سبيلك عليه! فكتب فيهم إلى عمر، فأجابه عمر: إنما ذلك لجزيرة العرب لا يقبل منهم فيها إلا الإسلام، فدعهم على ألا ينصروا وليدا، وأقبل منهم إذا أسلموا. فقبل منهم على ألا ينصروا وليدا، ولا يمنعوا أحدا منهم من الإسلام، فأعطى بعضهم ذلك فأخذوا به، وأبى بعضهم إلى الجزاء، فرضى منهم بما رضى من العباد وتنوخ*.

عن أبي سيف التغلبي، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عاهد وفدهم على ألا ينصروا وليدا، فكان ذلك الشرط على الوفد وعلى من وفدهم، ولم يكن على غيرهم، فلما كان زمان عمر قال مسلموهم: لا تنفروهم بالخراج فيذهبوا، ولكن أضعفوا عليهم الصدقة التي تأخذونها من أموالهم فيكون جزاء؛ فإنهم يغضبون من ذكر الجزاء على ألا ينصروا مولودا إذا أسلم آباؤهم. فخرج وفدهم في ذلك إلى عمر؛ فلما بعث الوليد إليه برءوس النصارى وبديانيهم، قال لهم عمر: أدوا الجزية، فقالوا لعمر: أبلغنا مأمننا، والله لئن وضعت علينا الجزاء لندخلن أرض الروم، والله لتفضحنا من بين العرب، فقال لهم: أنتم فضحتم أنفسكم، وخالفتم أمتكم فيمن خالف وافتضح من عرب الضاحية، وتالله لتؤدنه وأنتم صغرة قمأة*، ولئن هربت إلى الروم لأكتبن فيكم، ثم لأسبينكم. قالوا: فخذ منا شيئا ولا تسمه جزاء، فقال: أما نحن فنسميه جزاء، وسموه أنتم ما شئتم. فقال له على بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين، ألم يضعف عليهم سعد بن مالك الصدقة؟ قال: بلى، وأصغى إليه، فرضى به منهم جزاء، فرجعوا على ذلك، وكان في بنى تغلب عز وامتناع، ولا يزالون ينازعون الوليد، فهم بهم الوليد، وقال في ذلك: إذا ما عصبت الرأس منى بمشوذ..فغيك منى تغلب ابنة وائل. وبلغت عنه عمر، فخاف أن يحرجوه وأن يضعف صبره فيسطو عليهم، فعزله وأمر عليهم فرات بن حيان وهند بن عمرو الجملى[10]، وخرج الوليد واستودع إبلا له حريث بن النعمان، أحد بنى كنانة بن تيم من بنى تغلب، وكانت مائة من الإبل فاختانها بعد ما خرج الوليد.

*(صغرة قمأة) يعني حقيرين(الجزيرة) الجزيرة الفراتية (خنس) خنس عنه تأخر وبابه دخل و أخنسه غيره أي خلفه ومضى عنه و الخناس الشيطان لأنه يخنس إذا ذكر الله عز و جل (الجابية) قرية من عمل دمشق (الجزية) المال الذي يعقد للكتابي عليه الذمة، وهي فعلة من الجزاء، كأنها جزت عن قتله، والجزية مقابل إقامتهم في الدولة الإسلامية وحمايتها لهم (راس عين) مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر (نصيبين) من مدن الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام (الرقة) من مدن الجزيرة على الفرات (الرهاء) بضم أوله والمد والقصر مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ، والرهاء القبيلة ـ بفتح الراء (حران) قصبة ديار مضر بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم (قيسارية) مدينة بين حيفا ويافا.في فلسطين بناها الكنعانيون وسموها برج ستراتون وقد أعاد بنائها؟ هيرودوس الكبير وأطلق عليها اسم قيصرية نسبة إلى أغسطس قيصر الروماني (الفراض) جمع الفرضة وهي المشرعة والفراض موضع بين البصرة واليمامة قرب فليج (تنخ) تنخ بالمكان وتنأ تنوخا وتنخ إذا أقام به فهو تانخ وتانئ أي مقيم وفي حديث عبدالله بن سلام أنه آمن ومن معه من يهود فتنخوا على الإسلام أي ثبتوا وأقاموا

- (7) الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبو وهب الأموي. من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم فيه ظرف ومجون ولهو، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25هـ فانصرف إليها وأقام هناك إلى سنة 29هـ فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر فحده وحبسه. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية فسكنها واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرص معاوية على الأخذ بثأره، ومات بالرقة سنة 61 هـ
- (1) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة.مات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ..
- (2) خالد بن عرفطة العذري له صحبة ورواية توفي في حدود 60 هـ لما سلم الأمر الحسن بن علي إلى معاوية خرج عليه عبد الله بن أبي الحوساء وقيل ابن أبي الحمساء بالميم بالنخيلة فبعث إليه الحسن خالد بن عرفطة في جمع من أهل الكوفة فقتل ابن أبي الحوساء سنة 41 هـ
- (12) هاشم بن عتبة بن أبي وقاص: صحابي، خطيب من الفرسان، يلقب بالمرقال. وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص. أسلم يوم فتح مكة. ونزل الشام بعد فتحها، فأرسله عمر مع ستة عشر رجلا من جند الشام، مددا لسعد بن أبي وقاص، في العراق. وشهد القادسية مع سعد وأصيبت عينه يوم اليرموك فقيل له الاعور وفتح جلولاء. وكان مع علي بن أبي طالب في حروبه. وتولى قيادة الرجالة في صفين، وقتل في آخر أيامها سنة 37 هـ.
- (3) عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد، أبو سعد الفهري. ممن بايع بيعة الرضوان. واستخلفه قرابته أبو عبيدة بن الجراح، لما احتضر على الشام. أقره عمر. وافتتح الجزيرة صلحا.. فعاش بعد نحوا من عامين. وقيل: عاش ستين سنة ومات في سنة 20 بالشام.قال ابن سعد: شهد الحديبية، وكان أحد الأمراء الخمسة يوم اليرموك
- (4) عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني نزيل الكوفة عن أبيه وعنه الزهري مقته الناس لكونه أميرا على الجيش الذي قتلوا الحسين بن علي رضي الله عنهما قتله المختار سنة 65 هـ أو بعدها.
- (11) القعقاع بن حكيم، المدني، الكناني.من متقنى أهل المدينة وصالحيهم، روى عن جابر بن عبد الله، وذكوان أبي صالح السمان وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن وعلة المصري، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وقيل لم يلقه، وأبي يونس مولى عائشة، ورميثة بنت حكيم، وسلمى أم رافع، وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. روى عنه أبان بن صالح، وجعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري، وزيد بن أسلم، وسعيد المقبري، وسمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن، وسهيل بن أبي صالح، وعمرو بن دينار،ومحمد بن عجلان. قال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء.
- (9) حبيب بن مسلمة الفهري مختلف في صحبته وله عن أبي ذر وعنه زياد بن جارية (حارثة؟) وابن أبي مليكة يقال شهد اليرموك أميرا مات بأرمينية واليا عليها سنة 42 هـ
- (5) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان، من ثقيف، من أهل الطائف. أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله النبي على الطائف، فبقي في عمله إلى أيام عمر. ثم ولاه عمر عمان والبحرين سنة 15 هـ، وكتب له أن يستخلف على الطائف من أحب، فاستخلف أخاه الحكم. واستمر في البحرين إلى أن آلت الخلافة لعثمان بن عفان، فعزله، فسكن البصرة إلى أن توفي سنة51 هـ. له فتوح وغزوات بالهند وفارس. وفي البصرة موضع يقال له شط عثمان منسوب إليه. وهو الذي منع ثقيفا عن الردة: خطبهم فقال: كنتم آخر الناس إسلاما فلا تكونوا أولهم ارتدادا.
- (6) سهيل بن عدي الأزدي. من أزد شنوءة، حليف بني عبد الأشهل من الأنصار، قتل يوم اليمامة شهيدا. أخرجه أبو عمر مختصرا
- (8) إياد بن نزار بن معد بن عدنان: من أجداد العرب في الجاهلية. ينسب إليه بنو إياد وهم قبائل كثيرة
- (10) هند بن عمرو الجملي (من بني جمل بن كنانة بن ناجية) المرادي: تابعي، يقال: له صحبة. أدرك الجاهلية. وولاه عمر سنة 17 على نصارى بني تغلب. وصحب عليا. وروى عنه. وشهد معه وقعة الجمل فقتله عمرو بن يثربي الضبي سنة 36 هـ.

☪

قال علي الصلابي: من هذا الخبر نأخذ درسا في معاملة المتكبرين من الأعداء الذين يخاطبون المسلمين بعزة وأنفة ويهددون باللجوء إلى دول الكفر، فنجد أمير المؤمنين خاطبهم بعنف وحقرهم وهددهم إذا لجأوا إلى الكفار بالسعي في إحضارهم ومعاملتهم كمعاملة الحربيين من سبي ذراريهم ونسائهم، وهذا أشد عليهم كثيرا من دفع الجزية، فهذا الجواب القوي أزال ما في رؤوسهم من الكبرياء والتعاظم فرجعوا متواضعين يطلبون من أمير المؤمنين أن يوافق على أخذ ما يريد من غير أن يسمي ذلك جزية، وهنا تدخل علي رضي الله عنه وكان لرأيه مكانة عند عمر لفقهه في الدين، فأشار عليه بأن يضعف الصدقة كما فعل سعد بن أبي وقاص بأمثالهم، فقبل ذلك أمير المؤمنين تألفا لهم ومنعا من محاولة اللجوء إلى دول الكفر، وقد أصبح هذا الرأي مقبولا حينما وقع موقعه، وذلك بعد ما أزال أمير المؤمنين ما في نفوسهم من العزة والكبرياء، فأما لو قبل ذلك منهم في بداية العرض فإنهم سيعودون بكبريائهم ولا يؤمن منهم بعد ذلك أن ينقضوا العهد ويسيئوا إلى المسلمين.

وقد جاء في رواية عن قصة بني تغلب، بأنهم دعوا إلى الإسلام فأبوا، ثم إلى الجزية فلم يطمئنوا إليها، وولوا هاربين يريدون اللحاق بأرض الروم، فقال النعمان بن زرعة لعمر: يا أمير المؤمنين، إن بني تغلب قوم عرب، يأنفون من الجزية، وليست لهم أموال إنما هم أصحاب حروث ومواشي، ولهم نكاية في العدو فلا تعن عدوك عليك بهم قال: فصالحهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على أن ضاعف عليهم الصدقة.. وقال: هي جزية وسموها ما شئتم، فقال بنوا تغلب: أما إذا لم تكن جزية كجزية الأعلج فإنا نرضى ونحفظ ديننا، والسر في قبول الخليفة عمر رضي الله عنه، الصدقة من بني تغلب وهل تعد صدقة أم جزية؟ يرجع إلى أن الاختلاف في التسمية أمر قد تسوهل فيه ورضي الخليفة به مادام في ذلك المصلحة العامة، والذي دفعه إلى ذلك خشية انضمام بني تغلب إلى الروم وما كان يرجوه من إسلامهم ليكونوا عونا للمسلمين على أعدائهم ولأن هؤلاء قوم من العرب لهم من العزة والأنفة ما يبرر حفظ كرامتهم وأن ما يرد إلى بيت المال من أموالهم خير للمسلمين وأجدى على خزانة الدولة من هربهم وانضمامهم إلى صفوف الروم، أما من ناحية هل هي صدقة أم جزية؟ فهي جزية لأنها تصرف في مصارف الخراج ولأن الصدقة لا تجب على غير المسلمين، ولأن الجزية في نظير الحماية وكان بنو تغلب في حماية المسلمين، وفي الوقت نفسه يمكننا أن نقول إنها ليست بجزية عمليا، لأن ما فرض على نصارى بني تغلب كان على الأموال التي تفرض عليها الزكاة، فكل شيء على المسلمين فيه زكاة كالزروع والثمار والماشية والنقدين.. فهو عليهم مضاعف يؤخذ من النساء كما يؤخذ من الرجال ولم يكن على الأشخاص وهذا ينافي معنى الجزية عرفا، والمهم في كلتا الحالتين باعتبارها صدقة أو جزية فهي ضريبة بينت مدى خضوعهم لسلطة الإسلام، هذا وقد كانت هنالك حقوق والتزامات كثيرة للعرب على البلاد المفتوحة عدا الجزية، وقد تنوعت هذه الحقوق وتطورت أيام الخليفة عمر رضي الله عنه [..][أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لعلي علي الصلابي]

مراجع: تاريخ الطبري/ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للصلابي/ الأعلام للزركلي/

قال طارق بن شهاب الزهري: كان عمر بن الخطاب[1] رضي الله تعالى عنه، قد قضى في ميراث الجد مع الإخوة في قضايا مختلفة، ثم إنه جمع الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وأخذ كتفا ليكتب فيه، وهم يرون أنه يجعله أبا، فخرجت حية فتفرقوا، فقال: لو أراد الله تعالى أن يمضيه لأمضاه، ثم إنه أتى منزل زيد بن ثابت[2] رضي الله تعالى عنه، فاستأذن عليه ورأسه في يد جارية له ترجله فنزع رأسه، فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: دعها ترجلك. فقال زيد: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي جئتك؟ فقال عمر: إنما الحاجة لي إني جئتك في أمر الجد وأريد أن أجعله أبا، فقال له زيد: لا أوافقك على أن تجعله أبا. فخرج عمر رضي الله تعالى عنه مغضبا، ثم أرسل إليه في وقت آخر، فكتب إليه زيد رضي الله تعالى عنه مذهبه فيه، في قطعة قتب وضرب له مثلا بشجرة نبتت على ساق واحد، فخرج منها غصن ثم خرج من الغصن غصن آخر، فالساق يسقي الغصن فإن قطع الغصن الأولى رجع الماء إلى الغصن الثاني، وإن قطع الغصن الثاني رجع الماء إلى الغصن الأول. فلما أتى عمر رضي الله تعالى عنه كتاب زيد، خطب الناس ثم قرأ قطعة القتب عليهم، ثم قال: إن زيدا قد قال في الجد قولا وقد أمضيته.

■ (2) زيد بن ثابت بن الضحاك بن كوزان الأنصاري البخاري أبو سعيد وأبو خارجة صحابي مشهور، كتب الوحي. أمره أبو بكر أن يجمع القرآن وأمره عثمان فكتب المصحف وابي بن كعب يملي عليه. ولد في حدود 12 ق.هـ وتوفي سنة 45 هـ أو 48 هـ وقيل: بعد 50 هـ. عن يحيى بن سعيد قال لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا. وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارحم أمتي أبو بكر واشدها في دين الله عز وجل عمر واصدقها حياء عثمان واعلمها بالفرائض زيد بن ثابت.

■ (1) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

قال الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود: قال المناوي: على قسم الجد، أي على الإفتاء، أوالحكم بتعيين ما يستحقه من الإرث، أجرؤكم على النار. أي أقدمكم على الوقوع فيها يوم القيامة، تسوقه الزبانية إليها، لأن الجد يختلف ما يأخذه من فرض، وتعصيب، وثلث، وسدس، وتتفاوت مراتبه بحسب القرب والبعد، وفي شأنه من الاضطراب ما يحير الألباب، فمن تساهل وأقدم على القضاء أوالإفتاء بقدر ما يستحقه بغير تثبت وتحقق فقد عرض نفسه إلى النار، ومن ثم نقل عن عمر رضي الله عنه أنه لما احتضر قال: احفظوا عني، لا أقول في الكلالة ولا في الجد شيئا، ولا أستخلف؛ وأخرج يزيد بن هارون عن ابن سيرين عن عبيدة قال: إني لأحفظ عن عمر في الجد مائة قضية كلها ينقض بعضها بعضا؛ قال ابن الأثير: وفي حديث علي: من سره أن يقتحم جراثيم جهنم فليقض في الجد؛ أي يرمي بنفسه في معاظم عذابها. إذا كان هذا الوعيد وهذا الحذر والتثبت في الفتيا في ميراث الجد، فكيف بمن يتجرأ ويفتي في تضلل وتكفير وتبديع وقتل أحد من أهل الإسلام، مهما كان الدافع لذلك؟!.

وقد خالف ابن عباس زيدا في الفرائض وفي مسائل عدة، في ميراث الجد، وقال: ألا يتقي الله زيد! يجعل ابن الابن يحل محل الابن ولا يجعل الجد يحل محل الأب؟. وفي العول حتى قال ابن عباس: لوددت أني وهؤلاء الذين يخالفونني في الفريضة نجتمع فنضع أيدينا على الركن ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين. مع كل ذلك مسك ابن عباس بركاب دابة زيد فقال له: خل عنك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا. وعندما مات زيد قال ابن عباس: هكذا ذهاب العلم، لقد دفن اليوم علم كبير.

قال العلامة أبو الحسن الماوردى في الحاوى الكبير؛ قال الماوردي: الأصل في ميراث الجدة السنة وأنه ليس لها في كتاب الله عز وجل فرض مسمى، روى عثمان بن إسحاق بن خرشة عن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر رضوان الله عليه تسأله ميراثها ، فقال : ما لك في كتاب الله عز وجل شيء ، وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، فارجعي حتى أسأل الناس ، فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس. فقال أبو بكر : هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذه لها أبو بكر، ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمررضوان الله عليه تسأله ميراثها، فقال: ما لك في كتاب الله شيء، وما كان القضاء الذي قضي به إلا لغيرك، وما أنا بزائد في الفرائض، ولكن هو ذلك السدس، فإن اجتمعتما فيه فهو بينكما، وأيتكما خلت به فهو لها. وحكي أن الجدة التي ورثها أبو بكر أم الأم، والجدة التي جاءت إلى عمر فتوقف عنها أم الأب، فقالت أو قال بعض من حضره: يا أمير المؤمنين، ورثتم التي لو ماتت لم يرثها ولا تورثون من لو ماتت ورثها ، فحينئذ ورثها عمر.

وروى سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل للجدة السدس إذا لم يكن دونها أتم، وأجمعوا على توريث الجدات وأن فرض الواحدة والجماعة منهن السدس لا ينقصن منه ولا يزيدن عليه إلا ما حكي عن طاوس أنه جعل للجدة الثلث في الموضع الذي ترث فيه الأم الثلث تعلقا بقول ابن عباس الجدة بمنزلة الأم إذا لم تكن أم ، فمنهم من جعل هذا مذهبا لابن عباس أيضا ، ومنهم من منع أن يكون له مذهبا وتأول قوله: إنها بمنزلة الأم. في الميراث لا في قدر الفرض ، لما روي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ورث الجدة السدس وهو لا يخالف ما رواه ، ولأن قضية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في إعطائها السدس مع سؤال الناس عن فرضها ورواية المغيرة ومحمد بن مسلمة ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقبول الصحابة ذلك منهما مع العمل به إجماع منعقد لا يسوغ خلافه. وروى قاسم بن محمد قال: جاءت جدتان إلى أبي بكر رضي الله عنه فأعطى التي من قبل الأم السدس، فقال عبد الله بن شرحبيل أخو بني حارثة: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ورثت التي لو ماتت لم يرثها ، فجعله أبو بكر بينهما. والله أعلم .

----

*(العول) العول في حساب الفرائض من فقه المواريث هو في اللغة بمعنى: الزيادة وفي الإصطلاح هو: زيادة في السهام يلزم عنها نقص في الأنصباء. ويختص بمسائل الإرث التي يكون فيها تزاحم أصحاب الفروض دون أصحاب التعصيب و تذكر المصادر أنّ أوّل ما حكم فيه بالعول في الإسلام كان عمر رضي الله عنه.

مراجع: موسوعة الدين النصيحة/ حياة الحيوان الكبرى/ الأعلام للزركلي/ مصنف عبد الرزاق/ الحاوي الكبير/

روى أسامة بن زيد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: أخبرني عمر بن الخطاب[1] قال: خرجت مع أناس من قريش في الجاهلية في تجارة إلى الشام، فبينما أنا في سوق من أسواقها بدمشق إذ أنا ببطريق* قد جاءني فأخذ بعنقي، فذهبت أنازعه نفسي، فقيل لي: لا تفعل فليس لك منه النصف، قال: فخرجت معه فأدخلني كنيسة فإذا تراب كثير متراكم بعضه على بعض، فدفع إلى بمجرفة وفأسا وزنبيلا، فقال لي: انقل هذا التراب واحفر لي هاهنا بئرا، قال: فجلست أفكر في أمري كيف أصنع، قال: فأتاني في الهاجرة وعليه سبنية قصب، أرى سائر جسده منها، ولم أحرك شيئا، فقال لي: وإنك على ما أرى ما حركت شيئا، ثم ضم كفه وأصابعه يضرب بها وسط رأسي، فقلت في نفسي: ثكلتك أمك يا عمر، أو قد بلغت ما أرى! قال: فقمت إليه بالمجرفة فضربت بها رأسه فنثرت دماغه وخر ميتا، وخرجت إلى الطريق، وأنا لا أدري أين أسلك من بلاد الله تعالى، فمشيت بقية يومي وليلتي من الغد حتى أصبحت، ثم انتهيت إلى دير فاستظللت بظله، فخرج إلي رجل من أهل الدير، فقال: يا عبد الله! ما يقعدك ها هنا؟: فقلت: أضللت أصحابي. قال: والله، ما أنت على طريق، وإنك لتنظر بعين خائف، قم فادخل الدير فأصب من الطعام والشراب، وأقم ما بدا لك، قال: فدخلت فأتاني بطعام وشراب وألطف لي، ثم صعد في النظر وخفضه، ثم قال: يا هذا! لقد علم أهل الكتاب أنه لم يبق على وجه الأرض رجل أعلم مني اليوم، وإني أجد صفتك، إنك الذي تخرجنا من هذا الدير، وتغلب على هذا البلاد. فقلت: أيها الرجل! ذهبت من الأمر في غير مذهب. قال: ما اسمك؟ قلت: عمر بن الخطاب. قال: أنت، والله الذي لا إله إلا هو، صاحبنا من غير شك، فاكتب لي على ديري هذا وأهله وما فيه أمانا، قال: قلت: أيها الرجل! قد صنعت معروفا فلا تكدره، قال: إنما هو كتاب في رق، وليس عليك فيه مؤونة ولا شيء، فإن كنت صاحبنا فهو الذي أريد، وإن تكن الأخرى فأي شيء يضرك؟ قلت: هات، فكتبت له أمانا ثم ختمته ودفعته إليه. قال: فدعا بنفقة وثوب فدفعها إلي، ثم دعا بأتان* قد أوكفت، فقال: أتسمع؟ قلت: نعم. قال: اخرج على هذه الأتان فإنها لا تمر بقوم ولا أهل دير إلا علفوها، حتى إذا بلغت مأمنك فخل عنها واضرب وجهها مدبرة، فإنها تعلف وتسقي حتى تصل. قال: فركبتها ثم سرت عليها حتى أدركت أصحابي وهم متوجهون، فلم أمر بقوم إلا سقوها وعلفوها حتى لحقت أصحابي، فنزلت عنها، وضربت وجهها مدبرة، ثم سرت معهم حتى قدمت على أهلي. قال أسلم: فلما قدم عمر بن الخطاب الشام أتاه ذلك الراهب في خلافته، وهو صاحب دير العدس* بذلك الكتاب، فلما قرأه عمر عرفه، فقال له الراهب: أوف لي بشرطي، فقال له عمر: جاء أمر غير ذلك، جاء ما ليس لعمر ولا لأبي عمر فيه شيء، فاستشار فيه عمر المسلمين، فقالوا: نرى أن تفي له يا أمير المؤمنين، قال عمر: هل عندك للمسلمين منفعة؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: فأنشأ عمر يحدثنا حديثه حتى أتى على آخره، ثم قال عمر للراهب: إن أضفتم المسلمين، وأرشدتموهم الطريق، وهديتم الضال، ومرضتم المرضى ممن يمر بكم من المسلمين فعلنا، قال: نعم، يا أمير المؤمنين، نفعل. قال: فوفى له عمر.

----

* (أتن) الأتان الحمارة والجمع آتن مثل عناق وأعنق وأتن وأتن (دير العدس) القرية التي في الثنية من أعمال دمشق (بطريق) البطارقة جمع بطريق، وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم، وهو ذو منصب وتقدم عندهم ورئيس رؤساء الأساقفة

■ (1) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبيه[1]، قال: خرجت في الجاهلية بتجارة إلى الشام فنزلت في بعض الطريق لقضاء حاجة، وتقدمتني القافلة، فإني لكذلك إذ أقبل إلى راهب على أتان له قد خرج في بعض الزيارات يريد فلسطين وهو يذهب عطشا، وكان يوما صائفا، فسلم علي واستسقاني ماء. ولم يكن معي غير فضلة في إداوة معلقة على كفل الفرس، فآثرته بها، وتبين له ذلك، فشكر لي فعلي، وشكا تعبا لحقه، وأنه يريد النزول والراحة قليلا، وهو خائف من الوحدة وفساد الطريق، وكأنه أراد الأنس بي. فقلت له: انزل فإني أونسك ولا أتركك. وكنت عارفا بالطريق، فعرجنا إلى ظل شجرة أرز فعرسنا* تحتها، وقلت: أعينه، ثم ألحق القافلة بعد تعريسها بساعة، وكان له غلام ورحل قد تأخرا عنه، فكان مع ذلك ينتظر، فلما نزلنا استلقى على جنبه ونام، وركبت فرسي أطلب بعض الحياض* التي كنت أعرفها لأملأ إداوتي منها، فوجدت واحدا منها فملأت الإداوة، ورجعت والراهب نائم بحاله، وإذا بثعبان عظيم يسير إليه لينهشه، فاخترطت سيفي ونزلت إليه فلحقته، وقد كاد ينقره فقتلته، وجلست أخفر الراهب إلى أن قام وقد استراح من تعبه، فعرضت عليه الماء فشرب، ونظر إلى الثعبان فهاله أمره، فعرفته أنه قصده وأني قتلته فشكر، وقال: قد أحييتني مرتين، ووجب حقك علي، قد حبست نفسك علي، ونزلت معي حتى استرحت، وآنستني من الوحدة ووحشة الطريق، وأنا مع ذلك في غربة. ولا أدري بماذا أكافئك، ثم ركبنا وسرنا فما لحقنا القافلة إلا مساء، وطلبت رحلي وغلاما كان معي إلى أن وجدته، فأنزلت الراهب معي إلى أن أصبحنا، فجاءه غلامه ورحله، فقال لي: أين تريد؟ فعرفته أني أريد دمشق بتجارة معي، فسألني عنها فأخبرته، فقال لي: أي تريد؟ تدخل معي إلى مصر فإن لي بها حالا جميلة وجاها عريضا، ولعلي أكافئك على ما أوليتني، فإن يدي تقصر هاهنا عن مكافأتك، وعلي أن أربحك في تجارتك ضعف ما تأمله من الربح منها، فوقع كلامه بقلبي، فقلت له: على أن تخرج معي من يكفلني ويحملني في طريقي، أو تضيفني إلى من يبلغني هذا المكان، فإني إذا بلغته عرفت الطريق إلى موضعي. قال: بل أردك إليه من طريق هو أقرب من طريقك هذا. فسرت معه فرأيت رجلا جميل الصحبة والمرافقة، وكان فيه مع ذلك فهم وعلم، وكان من أبناء القبط الأولين، وكان يخبرني عن مصر وأهلها في القديم، وعن عجائبها وطلسماتها وملوكها، وخبر بخت نصر[2] وكيف دخل البلد وأخذه بالحيلة التي تمت له حتى وصل إليه وما كان بعد ذلك، ولم نزل في أنس إلى أن دخلنا مصر، فلم نكن نمر بموضع ولا دير إلا تلقونا بالإكرام والجميل، وعدينا النيل، وسرنا حتى دخلنا الإسكندرية، فأنزلني عنده وأتاه جماعة من أهله وذوي قرابته وجماعة من وجوه أهل البلد، وكان مقدما عندهم، فسلموا عليه وهنأوه بالسلامة وقضوا حوائجه وأكرموه وأتحفوه، ولم يكن يدخل إليه أحد من أهله وغيرهم إلا أخبرهم بخبري، وأني خلصته من العطش بما كان معي من الماء، وأني آثرته على نفسي، وخبرهم بما كان من أمر الثعبان. فما منهم أحد إلا برني وأكرمني. واجتمعت لي دنانير كثيرة، ووجه أقاربه وباع منهم ومن غيرهم البضاعة التي كانت معي، وأفضلت فيها فضلا كثيرا، وأقمت أكثر من شهر وأنا أطوف بالإسكندرية، وأنظر إلى عجائبها ومنارها ثم استأذنته للخروج، فقال لي: إن لنا عيدا وقد حضر، فأقم عندي حتى تشاهده وأوجه معك من يخفرك إلى حدود أرض الحجاز، فأجبته إلى ذلك، وحضر العمد، وزينت كنائس الإسكندرية، وخصوا منها كنيسة مرخمة عظيمة كانوا يجتمعون إليها بأحدث الزي، وكان خارج الكنيسة أسطوان كبير واسع مفروش بالبسط، وقد جلس عليه رؤساؤهم وبطارقتهم، وكان من عاداتهم أن يضربوا خارج الأسطوان في فسيح هناك بصولجان وكرة تطير إلى ذلك الأسطوان، فمن وقعت في حجره الكرة من أولئك البطارقة والرؤساء، حكم له بولاية مصر، قال عمرو: فأجلسني وسط أولئك الوجوه والبطارقة فإني لمشغول بالنظر إليهم وإلى زيهم، وأولئك خارج الأسطوان يضربون تلك الكرة إذ طارت إلى فسقطت في حجري فأكبروا ذلك، وجعلوا يتأملوني ويعجبون مني، ومن سقوط الكرة في حجري، ثم ردوا الكرة إلى خارج، وضربوها أيضا مرة أخرى، فطارت حتى سقطت ثانية، فازدادوا عجبا، وجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويزمزمون بكلامهم، وأنا لا أعرف ما يقولون. ثم أخوجوا الكرة وضربوها مرة ثالثة فسقطت في حجري ودخلت في كمي، فزاد تعجبهم وقالوا: إن هذا الأمر يراد أو بطل فعل الكرة. وأقمت حتى انقضت أيام عيدهم، فسألته أن يأذن لي في الخروج إلى الحجاز، فأذن لي في ذلك، بعد أن شرط على أن لا أترك زيارته في كل وقت يمكني، وأنفذني مع غلام له وجهزني بطريف من ثياب الوشي التي كانت تعمل بالإسكندرية، وثياب من دبيق دمياط، وأكسية رقيقة من صوف، وفصوص وغير ذلك، فانصرفت إلى أهلي بوفر حال، وأخرجني الغلام من ناحية أستغني فيها عن الخفير، وكان الغلام الذي وجهه معي يدري أمرهم، فسألته عن أمرة الكرة فعرفني أن من عاداتها ذلك اليوم، ألا يقع في حجر أحد إلا ولي مصر، وأنهم عجبوا من ذلك، وقالوا: هذا رجل عربي وغريب. وكيف يلي هذا مصر؟! وصرفوا الأمر إلى فساد فعل الكرة، قال عمرو: فوقع في نفسي من ذلك أمر لم أعرف الوجه فيه، وسرت إلى منزلي وأنا أوفر التجار الذين خرجت معهم إلى الشام وأحسنهم حالا، وعرض في نفسي شيء من أمر مصر، فقلت: أحمل تجارة إلى بلد الروم، وأدخل إلى الملك ولعله أن يقلدني أمر مصر، ثم قلت: إن هذا النظر فاسد، وهل يترك الملك بطارقته وأصحابه ويوليني أنا وأنا عربي على غير دينه؟ فسمعت قائلا يقول: لابد لفلان من ذلك ويصير منه إلى ما يجب. فزاد ذلك في قوة أملي في الولاية على مصر إلى أن كان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ما كان، وجاءته هدية المقوقس[3]، وقال:﴿ إنكم ستفتحون مصر فاستوصوا بالقبط خيرا، وجازوا أهلها بالجميل، فإنهم خؤولة إبراهيم﴾، فلما سمعت ذلك تحققت أنه سيكون لي يد على مصر.

----

* (فعرسنا) عرس القوم: نزلوا في السفر في آخر الليل للاستراحة (حيض) الماء سيله: الحوض واحد الأحواض و الحياض وحاض الرجل اتخذ حوضا وبابه قال واستحوض الماء اجتمع. والنضيح من الحياض: ما قرب من البئر حتى يكون الإفراغ فيه من الدلو ويكون عظيما

■ (1) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

■ (2) بخت نصر بختنصر البابلي، نبوخذ نصر الثاني أحد الملوك الكلدان الذين حكموا بابل، مات سنة 562 قبل الميلاد

■ (3) المقوقس صاحب الإسكندرية الذي راسل النبي صلى الله عليه وسلم وأهدى إليه وفتحت مصر عليه في خلافة عمر بن الخطاب وهو منه قال ولم يذكر أحد من أهل اللغة هذه الكلمة فيما انتهى إلينا والله أعلم.. ويقال إنه لقب لكل من ملك مصر والإسكندرية قبل الإسلام.هو أيضا البطرك كيرس أو سايروس اليوناني وقد كان بطريرك ملكاني متولي كرسي كنيسة الإسكندرية المصري في القرن السابع، وأحد واضعي عقيدة المشيئة الواحدة، وآخر حاكم بيزنطي لمصر.

مراجع: بهجة المجالس وأنس المجالس/ الأعلام للزركلي/ لسان العرب/ مختار الصحاح/

روى محمد بن عبد المنعم: أن عمر رضي الله عنه قال وهو يخطب يوم جمعة: يا سارية[1]، الجبل الجبل، ثم دعا في خطبته، فعجب الناس لندائه سارية على بعده، وقضى الله سبحانه أن كان سارية وأصحابه في ذلك الوقت مواقفين للمشركين، وقد ضايقهم المشركون من كل جانب، وإلى جانب المسلمين جبل إن لجؤوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد، فسمعوا صوتا يقول: يا سارية بن زنيم، الجبل الجبل، كما قال عمر رضي الله عنه في ذلك الوقت بعينه، فلجؤوا إلى الجبل فنجوا وهزموا العدو وأصابوا مغانم كثيرة، وأصاب سارية في المغانم سفطا* فيه جوهر، فاستوهبه المسلمين لعمر رضي الله عنه، فوهبوه له، فبعث به وبالفتح رجلا وقال له: استقرض ما تتبلغ به وما تخلفه في أهلك على جائزتك، وكان الرسل والوفد يجازون، فقدم الرجل البصرة، ثم خرج فقدم على عمر رضي الله عنه، فوجده يطعم الناس ومعه عصاه التي يزجر بها بعيره، فقصده، فأقبل عليه بها وقال: اجلس، فجلس، حتى إذا أكل انصرف عمر رضي الله عنه وقام الرجل فاتبعه، فظن عمر أنه لم يشبع، فقال حين انتهى إلى باب داره: ادخل، فلما جلس في البيت أتي بغدائه: خبز وزيت وملح جريش، فوضع له، ثم قال للرجل: ادن فكل، فأكلا حتى إذا فرغا قال له الرجل: رسول سارية بن زنيم، يا أمير المؤمنين، قال: مرحبا وأهلا، ثم أدناه حتى مست ركبته ركبته، ثم سأله عن المسلمين وعن سارية، فأخبره، ثم أخبره بقصة الدرج*، فنظر إليه ثم صاح به وقال: لا ولا كرامة حتى تقدم على ذلك الجيش فتقسمه بينهم، وطرده، فقال: يا أمير المؤمنين، إني أنضيت إبلي، واستقرضت جائزتي، فأعطني ما أتبلغ به، فما زال عنه حتى أبدله بعيره ببعير من إبل الصدقة، وأخذ بعيره فأدخله في إبل الصدقة، ورحل الرجل مغضوبا عليه محروما حتى قدم البصرة، فنفذ لما أمر به عمر رضي الله عنه، وكان أهل المدينة سألوه عن سارية وعن الفتح، وهل سمعوا شيئا يوم الوقعة، فقال: نعم سمعنا: يا سارية، الجبل الجبل، وقد كدنا نهلك، فلجأنا إليه ففتح الله تعالى علينا.

وعن عمرو بن الحارث قال : بينما عمر على المنبر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة فقال: يا سارية الجبل مرتين أو ثلاثا ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين: لقد جن إنه لمجنون فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف[2] وكان يطمئن إليه فقال: لشد ما ألومهم عليك إنك لتجعل لهم على نفسك مقالا بينا أنت تخطب إذ أنت تصيح يا سارية الجبل أي شيء هذا؟ قال: إني والله ما ملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت: يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه: إن القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى إذا حضرت الجمعة و دار حاجب الشمس سمعنا مناديا ينادي: يا سارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم فقال أولئك الذين طعنوا عليه: دعوا هذا الرجل فإنه مصنوع له.

وعن ابن عمر قال: كان عمر يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته أن قال: يا سارية الجبل! من استرعى الذئب ظلم؛ فالتفت الناس بعضهم إلى بعض فقال لهم علي[3]: ليخرجن مما قال! فلما فرغ سألوه، فقال: وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يمرون بجبل، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد، وإن جازوا هلكوا؛ فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه، فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم، قال: فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا.

وعن أبي بلج علي بن عبيد الله قال: بينا عمر بن الخطاب قاعد على المنبر يوم الجمعة يخطب قال بأعلى صوته: يا سارية الجبل! يا سارية الجبل! ثم أخذ في خطبته، فأنكر الناس ذلك منه، فلما نزل وصلى قيل: يا أمير المؤمنين! قد صنعت اليوم شيئا ما كنا نعرفه، قال: وما ذاك؟ قيل: قلت كذا وكذا، وذكروا ما نادى به، فقال: ما كان شيء من هذا، قالوا: بلى والله لقد كان ذلك! قال: فأثبتوا من هذا اليوم من هذا الشهر ثم أبصروا، وكان بعث سارية في بعث العراق فطف*العدو فحيز إلى الجبل، وقال سارية لما انصرف: بينا نحن نقاتل العدو إذ سمعنا صوتا لا ندري ما هو: يا سارية الجبل، ثلاثا، فدفع الله عنا به، فنظروا في ذلك اليوم فإذا هو اليوم الذي قال عمر فيه ما قال.

وفي خبر آخر: قصد سارية بن زنيم فسا* ودرابجرد* حتى أفضى إلى عسكرهم فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله، ثم استمدوا فتجمعت عليهم أكراد فارس، فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كبير، ورأى عمر رضي الله عنه في تلك الليلة معتركهم وعدوهم فنادى من الغد: الصلاة جامعة، حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم، وكان أريهم والمسلمون بصحراء إن أقاموا بها أحيط بهم، وإن أرزوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد، ثم قام فقال: أيها الناس إني رأيت هذين الجمعين، وأخبر بحالهما، ثم قال: يا سارية، الجبل الجبل، ثم أقبل عليهم وقال: إن لله عز وجل جنودا، ولعل بعضها أن يبلغهم، ولما كان تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الإسناد إلى الجبل، وقاتلوا القوم من وجه واحد فهزمهم الله تعالى، وكتبوا بذلك إلى عمر رضي الله عنه وباستيلائهم على البلاد.

----

* (فسا) من أنزه مدن درابجرد في فارس بينها وبين شيراز سبعة وعشرون فرسخا (دارابجرد) ويقال: درابجرد: كروة بفارس من مدنها فسا وهي أكبر من درابجرد (فطف) طف الشيء يطف طفا وأطف واستطف: دنا وتهيأ وأمكن وقيل: أشرف وبدا ليؤخذ والمعنيان متجاوران (الدرج) بالضم: سفيط صغير (سفطا) وعاء أو كالقفة

■ (1) سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر الكناني الدئلي: صحابي، من الشعراء، القادة، الفاتحين. كان في الجاهلية لصا، يسبق الفرس عدوا على رجليه. ولما ظهر الإسلام أسلم. وجعله عمر أميرا على جيش، وسيره إلى بلاد فارس سنة 23 هـ، ففتح بلادا، منها أصبهان، في رواية؟ وهو المعني بقول عمر: يا سارية، الجبل! توفي نحو 30 هـ

■ (2) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.

■ (3) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع ويقال عشر ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم وهو أحد الخلفاء الراشدين ولد سنة 23 ق هـ ومات سنة 40 هـ

☪

- قال علي مشاعل: قد يختلط على البعض الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة، حتى يظنوا أنها شيء واحد. وفي هذا المقال نحاول أن نبين أهم الفروق بين تلك الأمور، فالمعجزة: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي أو رسول تحديا للمنكرين، وعظة للمؤمنين ودلالة على صدق النبي ورسالته. مثل: سلب صفة الإحراق من النار التي ألقي فيها نبي الله إبراهيم عليه السلام، حيث قال الله عز وجل: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء] ومثل عصا موسى عليه السلام التي حولها الله إلى حية تسعى تبطل سحر سحرة فرعون ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه] وأما السحر فقد عرفنا –في مقال سابق: موسوعة البحوث والمقالات العلمية– أنه تمويه وتخييل ورقى وعزائم وصلة بالجن والشياطين وخداع للأعين وتدجيل. وأما الكرامة فهي مثل المعجزة إلا أنها غير مقرونة بدعوى النبوة وغير واقعة من نبي، بل من عبد صالح، وصاحبها يحرص على إخفائها. والمعجزة باقية إلى قيام الساعة، و تتقبلها النفوس المنصفة غير المعاندة طواعية بغير إكراه، باقتناع وعقلانية بخلافة السحر وما يأتي به الساحر باطل وزائل وخداع منكشف ومفضوح. ومن الكرامات الثابتة بالقرآن الكريم: قصة الكهف التي فصلها القرآن في سورة سميت باسم الكهف. وقصة مريم بنت عمران حيث ذكرها القرآن في أكثر من سورة ومنها سورة مريم. وقصة عزير التي أوضحها القرآن في سورة البقرة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [البقرة] وغيرها من القصص القرآني والنبوي الكثير الكثير.. وقد ورد في السنة كرامات كثيرة، ففي صحيح البخاري وغيره، في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل كرامات كثيرة وفي كتب السير والتاريخ والعقائد أيضا كرامات كثيرة، و لابن تيمية كتاب الفرقان بين أوليا ء الرحمن وأولياء الشيطان. و قد حدثت كرامات للصحابة والتابعين ومن بعدهم. فمن كرامات الصحابة ما ورد في الصحيح أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه ذهب بثلاثة ضيوف معه للبيت فجعلوا لا يأكلون لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فشبعوا والطعام أكثر مما كان فرفعها أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها أقوام كثيرون. ونداء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كان له جيش في نهاوند من بلاد العجم وكان أميره سارية وكان العدو كامنا في أصل الجيل ولا يعلم به جيش المسلمين فنادي عمر وهو على المنبر في المدينة يخطب يوم الجمعة: يا سارية الجبل الجبل فسمعوا صوته فنجاهم الله. [الإصابة لابن حجر] .
- قال إبراهيم إبراهيم هلال: لا يجوز للولي أن يعتقد في كل ما يقع له من الواقعات والمكاشفات أن ذلك كرامة من الله سبحانه. فقد يكون من تلبيس الشيطان ومكره. بل الواجب عليه أن يعرض أقواله وأفعاله على الكتاب والسنة، فإن كانت موافقة لها فهي حق وصدق وكرامة من الله سبحانه. وإن كانت مخالفة لشيء من ذلك، فليعلم أنه مخدوع ممكور به قد طمع منه الشيطان فلبس عليه. إمكان وقوع المكاشفات وليس لمنكر أن ينكر على أولياء الله ما يقع منهم من المكاشفات الصادقة الموافقة للواقع. فهذا باب قد فتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ﴾ وفي لفظ في الصحيح:﴿إِنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ محدثين وإِنَّ عُمَرَ مِنْهُمْ﴾ والمحدث الصادق الظن المصيب الفراسة. وحديث: ﴿اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ﴾ أخرجه الترمذي وحسنه. الواجب على الولي فيما يصدر من أعمال: وقد كان عمر رضي الله عنه مع كونه مشهودا له بأنه من المحدثين بالنص النبوي يشاور الصحابة ويشاورونه، ويراجعهم ويراجعونه، ويحتج عليهم بالكتاب والسنة، ويرجعون جميعا إليهما، ويردون ما اختلفوا فيه إلى ما أمر الله بالرد إليه من الرد إلى الله سبحانه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، فالرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته هو الرد إلى ما صح من سنته. فحق على الولي وإن بلغ في الولاية إلى أعلى مقام وأرفع مكان، أن يكون مقتديا بالكتاب والسنة، وازنا لأفعاله وأقواله بميزان هذه الشريعة المطهرة، واقفا على الحد الذي رسم فيها غير زائغ عنها في شيء من أموره، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ﴾ وقال: ﴿مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ﴾ وإذا ورد عليه وارد يخالف الشريعة رده، واعتقد أنه من الشيطان، ويدافع ذلك بحسب استطاعته، وبما تبلغ إليه قدرته [..]

عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لَوْ كَانَ مِنْ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ﴾ قال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مشرح بن هاعان.وقال الألباني: حسن. وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿رَأَيْتُ كَأَنِّي أُتِيتُ بِقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ فَأَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، قَالُوا فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: الْعِلْمَ﴾ قال هذا حديث حسن صحيح غريب.قال الألباني: صحيح.

وحدث خارجة بن عبد الله هو الأنصاري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ﴾ وقال ابن عمر: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر أو قال ابن الخطاب فيه شك خارجة إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر. وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿اللَّهُمَّ، أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ﴾ وعن أبي سلمة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول﴿قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ﴾ وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ﴾ المحدث: الصادق الظن الملهم الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به فراسة. قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون.

مراجع: الروض المعطار في خبر الأقطار/ الأعلام للزركلي/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ سنن الترمذي/ مسند أحمد/ ولاية الله والطريق إليها/ مسند الحميدي/ تاريخ دمشق/ـمختصر تاريخ دمشق/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/

أخرج البيهقي عن أنس بن مالك[1] قال: حاصرنا تستر*، فنزل الهرمزان[2] على حكم عمر رضي الله عنه، فقدمت به على عمر، فلما انتهينا إليه، قال له عمر: تكلم. قال: كلام حي أو كلام ميت؟ قال: تكلم لا بأس. قال: إنا وإياكم معاشر العرب؛ ما خلى الله بيننا وبينكم، كنا نتعبدكم، ونقتلكم، ونغصبكم. فلما كان الله معكم لم يكن لنا يدان. فقال عمر: ما تقول؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، تركت بعدي عدوا كثيرا، وشوكة شديدة، فإن قتلته ييأس القوم من الحياة ويكون أشد لشوكتهم. فقال عمر: أستحيي* قاتل براء بن مالك[3]، ومجزأة بن ثور[4]؟ فلما خشيت أن يقتله قلت: ليس إلى قتله سبيل، قد قلت له تكلم لا بأس. فقال عمر: ارتشيت* وأصبت منه؟ فقال: والله ما ارتشيت ولا أصبت منه. قال: لتأتيني على ما شهدت به بغيرك أو لأبدأن بعقوبتك. قال: فخرجت فلقيت الزبير بن العوام[5]، فشهد معي، وأمسك عمر، وأسلم -يعني الهرمزان- وفرض* له..

وقد روى الناس هذا الكلام على وجه آخر، فقالوا: أرسل أبو سبرة بن أبي رهم[6] قائد المسلمين في تلك المعارك وفدا إلى أمير المؤمنين عمر، وأرسل معهم الهرمزان، حتى إذا دخلوا المدينة هيأوا الهرمزان في هيئته، فألبسوه كسوته من الديباج* الذي فيه الذهب، ووضعوا على رأسه تاجا يدعى الأذين مكللا بالياقوت وعليه حليته، كيما يراه عمر والمسلمون في هيئته، ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله فلم يجدوه، فسألوا عنه فقيل لهم: جلس في المسجد لوفد قدموا عليه من الكوفة، فانطلقوا يطلبونه في المسجد، فلم يروه، فلما انصرفوا مروا بغلمان من أهل المدينة يلعبون، فقالوا لهم: ما تلددكم*؟ أتريدون أمير المؤمنين؟ فإنه نائم في ميمنة المسجد، متوسدا برنسه. وكان عمر قد جلس لوفد أهل الكوفة في برنس-فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه وأخلوه نزع برنسه ثم توسده فنام- فانطلقوا ومعهم النظارة حتى إذا رأوه جلسوا دونه وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره، والدرة في يده معلقة، فقال الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا، وجعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكتوا عنه وأصغى الهرمزان إلى الوفد، فقال: أين حرسه وحجابه عنه؟ قالوا: ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان، قال: فينبغي له أن يكون نبيا، فقالوا: بل يعمل عمل الأنبياء، وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالسا ثم نظر إلى الهرمزان، فقال الهرمزان؟ قالوا: نعم، فتأمله وتأمل ما عليه، وقال: أعوذ بالله من النار؟ واستعن الله، وقال: الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا و أشياعه، يا معشر المسلمين، تمسكوا بهذا الدين، واهتدوا بهدي نبيكم، ولا تبطرنكم الدنيا فإنها غرارة. فقال الوفد: هذا ملك الأهواز فكلمه، فقال: لا حتى لا يبقى عليه من حليته شيء، فرمي عنه بكل شئ عليه إلا شيئا يستره، وألبسوه ثوبا صفيقا، فقال عمر: هيه يا هرمزان! كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله؟ فقال: يا عمر إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم، فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم غلبتمونا، فقال عمر: إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا، ثم قال عمر: ما عذرك وما حجتك في انتقاضك مرة بعد مرة؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك، قال:لا تخف ذلك. واستسقى ماء، فأتى به في قدح غليظ، فقال: لو مت عطشا لم أستطع أن أشرب في مثل هذا، فأتي به في إناء يرضاه، فجعلت يده ترجف، وقال: إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء، فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفأه، فقال عمر: أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش، فقال: لا حاجة لي في الماء، إنما أردت أن أستأمن به، فقال له عمر: إني قاتلك، قال: قد آمنتني، فقال: كذبت، فقال أنس: صدق أمير المؤمنين، قد آمنته، قال ويحك يا أنس أنا أؤمن قاتل مجزأة والبراء، والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك، قال: قلت له: لا بأس عليك حتى تخبرني، وقلت: لا بأس عليك حتى تشربه، وقال له من حوله مثل ذلك، فأقبل على الهرمزان وقال: خدعتني، والله لا أنخدع إلا لمسلم، فأسلم، ففرض له على ألفين، وأنزله المدينة.

---

*(تستر) وهو تعريب شوشتر وهي أعظم مدينة بـ خوزستان. فيها قبر البراء بن مالك. كانت مشهورة بصناعة الثياب والعمائم. وعند ما فتحت جعلها عمر بن الخطاب من أرض البصرة لقربها منها.(أستحيي) استحياه: أبقاه حيا (ارتشيت) الرشوة الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة والراشي من يعطي الذي يعينه على الباطل والمرتشي الآخذ. (ما تلددكم) يعني: لماذا تلتفتون يمينا وشمالا (الفرض) الحز في الشيء والفرض أيضا ما أوجبه الله تعالى ويقال فرض له في العطاء قدر له نصيبا (الديباج) هو الثياب المتخذة من الإبريسم أي الحرير الرقيق

■ (2) الهرمزان، اسم لبعض أكابر الفرس، وهو دهقانهم الأصغر، حاكم الأهواز أثناء فتح فارس في عهد يزدجرد الثالث.وكان قائد الجيش الفارسي في معركة القادسية، أسره أبو موسى الأشعري وبعثه إلى عمر بن الخطاب،وقيل أرسله أبو سبرة بن أبي رهم. فأسلم سنة 23 هـ قتله عبيد الله بن عمر اتهاما أنه قاتل أبيه أو الآمر به

■ (1) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم. أمه أم سليم بنت ملحان ذهبت به أمه إلى رسول الله حين قدم المدينة فكان يخدمه وكان له يومئذ 9 سنين ويقال 8 ويقال 10. مات بالبصرة سنة 92 هـ وقيل 93 هـ وقيل 91 هـ وغسله ابن سيرين وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة.

■ (6) أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس القرشي الغامري، قديم الإسلام هاجر الهجرتين جميعا.وشهد أبو سبرة بدرا وأحدا وسائر المشاهد كلها مع رسول الله، أمه برة بنت عبد المطلب فهو أخو أبي سلمة بن عبد الأسد لأمه وقد اختلف في هجرته إلى الحبشة وتوفي أبو سبرة في خلافة عثمان.

■ (3) البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، الأنصاري النجاري المدني. البطل الكرار صاحب رسول الله وأخو خادم النبي، أنس بن مالك. شهد أحدا، وبايع تحت الشجرة.استشهد يوم فتح تستر سنة 17 هـ أو 20 هـ

■ (5) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي. أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حواري رسول الله . هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى بعد عمر . أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله روى عنه ابناه عبد الله وعروة ، وروى عنه أيضا الأحنف بن قيس ومالك بن أوس وغيرهم . قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة .سنة 36 هـ

■ (4) مجزأة بن ثور بن عفير بن زهير بن كعب بن عمرو بن سدوس السدوسي وهو أخو منجوف بن ثور. قتل يوم فتح تستر مائة من الفرس سنة 17 هـ فقتله الهرمزان وقتل معه البراء بن مالك فلما أسر الهرمزان وحمل إلى عمر أراد قتله فقيل: قد أمنته. قال: لا أؤمن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك فأسلم الهرمزان فتركه عمر.

☪

كان عبيد الله بن عمر بن الخطاب لما قتل أبوه؛ إتهم الهرمزان، ورجلا من أهل الحيرة -نصرانيا كان سعد بن أبي وقاص أقدمه المدينة معه فكان يعلم ولده والناس الكتاب والحساب يقال له: جفينة[1]- بالموالاة لأبي لؤلؤة[2]، فقتلهما وقتل ابنة أبي لؤلؤة، فوقع بينه وبين عثمان في ذلك كلام حتى تناصيا ثم بويع علي فقال: لأقيدن منه من قتل ظلما. فهرب إلى الكوفة، فلما قدمها علي نزل الموضع الذي يعرف بكويفة ابن عمر -وإليه ينسب- ودس من طلب له من علي الأمان؛ فلم يؤمنه وقال: لئن ظفرت به فلا بد لي من أن أقيد منه وأقتله بمن قتل، فأتاه الأشتر -وكان أحد من طلب له الأمان- فأعلمه بما قال علي، فهرب إلى معاوية، وشهد معه صفين فقتل. وعن عبد الله بن مصعب قال قتل عبيد الله، جفينة والهرمزان وبنت أبي لؤلؤة وأراد قتل العجم حتى حال المسلمون بينه وبين ذلك وكان اتهمهم في قتل عمر كان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق شهد أنه طلع على أبي لؤلؤة والهرمزان وجفينة وهم نجي، ففزعوا منه فسقط منهم خنجر له طرفان مقبضه في وسطه، فأتى عبد الرحمن بن أبي بكر بالخنجر الذي قتل به عمر، فقال: هو هذا. وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: لما طعن عمر وثب عبيد الله بن عمر على الهرمزان فقتله، فقيل لعمر: إن عبيد الله بن عمر قتل الهرمزان، قال: فلم قتله؟ قال: إنه قتل أبي قال: وكيف ذاك؟ قال: رأيته قبل ذاك مستخليا بأبي لؤلؤة وهو أمره بقتل أبي، قال عمر: ما أدري ما هذا؟ انظروا إذا أنا مت فسلوا عبيد الله البينة على الهرمزان، هو قتلني؟ فإن أقام البينة فدمه دمي، وإن لم تقم البينة فأقيدوا عبيد الله من الهرمزان، فلما ولي عثمان، قيل له: ألا تمضي وصية عمر في عبيد الله، قال: من ولي الهرمزان قالوا: أنت يا أمير المؤمنين، قال: فقد عفوت عن عبيد الله بن عمر، لفظهما سواء وقيل: إنه إنما قتلهم بعد دفن عمر وهو الصحيح. قال المغيرة بن شعبة: لما دفن عمر أتيت عليا وأنا أحب أن أسمع منه في عمر شيئا، فخرج ينفض رأسه ولحيته وقد اغتسل وهو ملتحف بثوب لا يشك أن الأمر يصير إليه، فقال: يرحم الله ابن الخطاب، لقد صدقت ابنة أبي حنتمة، ذهب بخيرها ونجا من شرها، أما والله ما قالت ولكن قولت. وعن أبي منصور قال: سمعت القماذبان بن الهرمزان يحدث عن قتل أبيه، قال: كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض، فمر فيروز بأبي ومعه خنجر له رأسان، فتناوله منه، وقال: ما تصنع بهذا في هذه البلاد؟ فقال: آنس به، فرآه رجل، فلما أصيب عمر قال: رأيت هذا مع الهرمزان، دفعه إلى فيروز، فأقبل عبيد الله فقتله، فلما ولي عثمان دعاني فأمكنني منه، ثم قال: يا بني، هذا قاتل أبيك، وأنت أولى به منا، فاذهب فاقتله، فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي، إلا أنهم يطلبون إلي فيه، فقلت لهم: ألي قتله؟ قالوا: نعم (وسبوا عبيد الله)، فقلت: أفلكم أن تمنعوه؟ قالوا: لا، وسبوه، فتركته لله ولهم، فاحتملوني، فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفهم. يقول علي الصلابي: ولا يوجد تعارض بين هذه الرواية والرواية الأخرى التي تذكر أن الخليفة عثمان عفا عن عبيد الله بن عمر وتحمل هو الدية الشرعية لورثة الهرمزان؛ لأنه يوجد في فهم جميع الصحابة حق لابن الهرمزان في القصاص، وقد استجاب لرجائهم له في العفو على النحو السالف ذكره، كما أن عفو الخليفة يرجع إلى سلطة التحقيق في الجريمة والحكم فيها هو للخليفة وليس لابن المقتول، فيكون عبيد الله قد اعتدى على حق الخليفة، ومن ثم فرواية العفو منه تنصرف إلى العفو بسبب هذا الحق، وهذه المخالفة من عبيد الله حيث أضاع على الدولة أمرا هاما هو معرفة الخلايا التي تتصل بالجريمة من الجناة والأشخاص والجهات التي كانت خلف هذه المؤامرة، كما ينصرف العفو من الخليفة إلى من ليس لهم ولي وهم جفينة وابنة المجوسي القاتل،.. وبعد قتل عمر وجدوا أنه نفس الخنجر الذي وصفه الشاهدان وبالتالي فالهرمزان وجفينة يستحقان القتل، أما ابنة أبي لؤلؤة الذي قتل نفسه ليخفي المشتركين معه فهذه قتلت خطأ ولا يقتل فيها أحد وقد رأى عبيد الله أنها من المشاركين في القتل؛ حيث كانت تخفى السلاح لأبيها

☪

تستر مدينة بخوزستان فيها قبر البراء بن مالك رضي الله عنه. عن أنس مرفوعا قال:﴿كَمْ مِنْ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ذِي طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ*﴾ وفي لفظ:﴿كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ﴾وإنه لفي الغزو فأوجع العدو من المسلمين فقالوا: يا براء إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ﴾ فأقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، قال: فمنحونا أكتافهم والتقوا على قنطرة كذا وكذا قد سماها حسين فنسيتها، قال: فأوجعوا في المسلمين، فقال القوم: أقسم على ربك. قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك صلى الله عليه وسلم، قال: فمنحونا أكتافهم واستشهد البراء بن مالك. قيل: كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الجيش: لا تستعملوا البراء على جيش، فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم. وبلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحتملوه على ترس، على أسنة رماحهم، ويلقوه في الحديقة، فاقتحم إليهم، وشد عليهم وقاتل حتى افتتح باب الحديقة، فجرح يومئذ بضعة وثمانين جرحا، ولذلك أقام خالد بن الوليد عليه شهرا يداوي جراحه. وقد اشتهر أن البراء قتل في حروبه مئة نفس من الشجعان مبارزة. قال الأشعري -يعني في حصار تستر- للبراء بن مالك: إن قد دللنا على سرب يخرج إلى وسط المدينة، فانظر نفرا يدخلون معك فيه، فقال البراء لمجزأة بن ثور: انظر رجلا من قومك طريفا جلدا فسمه لي، قال: ولم ؟ قال: لحاجة، قال: فإني أنا ذلك الرجل، قال: دللنا على سرب، وأردنا أن ندخله، قال: فأنا معك، فدخل مجزأة أول من دخل، فلما خرج من السرب، شدخوه بصخرة، ثم خرج الناس من السرب، فخرج البراء فقاتلهم في جوف المدينة، وقتل رضي الله عنه وفتح الله عليهم.

---

*(متضعف) متواضع متذلل خامل واضع من نفسه (الطمر) الثوب الخلق الرث القديم (أبر الله قَسَمَه) صدقه وأجابه وأمضاه

■ (1) جفينة النصراني كان نصرانيا من أهل الحيرة ظئرا لسعد بن مالك أقدمه المدينة للصلح الذي كان بينه وبينهم، وليعلم بالمدينة الكتابة. والظئر هو: زوج المرضعة،ومنه حديث سيف القين: ظئر إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم.

■ (2) أبو لؤلؤة فيروز النهاوندي الفارسي المجوسي الكافر، كان غلام المغيرة بن شعبة. انتحر بخنجره حين أخذ، بعد طعنه عمر بن الخطاب ومات عمر رضي الله عنه بعده بثلاثة أيام في آخر يوم من ذي الحجة سنة 23 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ أنساب الأشراف/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ أسد الغابة/ الاستيعاب/ عثمان بن عفان علي الصلابي/

عن عمرو بن ميمون [1] قال: رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان[2] وعثمان بن حنيف[3] قال: كيف فعلتما أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق قالا: حملناها أمرا هي له مطيقة ما فيها كبير فضل قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق قال: قالا: لا فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدا قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس[4] غداة أصيب وكان إذا مر بين الصفين قال استووا حتى إذا لم ير فيهن خللا تقدم فكبر وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه فطار العلج* بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين* طرح عليه برنسا* فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف[5] فقدمه فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله، سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس، انظر من قتلني فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفا الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس[6] أكثرهم رقيقا، فقال: إن شئت فعلت، أي إن شئت قتلنا، قال: كذبت، بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم، فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه قال: إن وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت، فاحملوني ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين، وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف قال: ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط* الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى: عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر] أن يقبل من محسنهم وأن يعفى عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم، فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي، فسلم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي؟ والله علي أن لا آل عن أفضلكم، قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له: مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه.

----

* (العلج) الرجل الضخم من كبار العجم وبعض العرب يطلقه على الكافر مطلقا والجمع: علوج وأعلاج (رجل من المسلمين) حطان التميمي اليربوعي (البرنس) بالضمن: قلنسوة طويلة، أو كل ثوب رأسه منه(الرهط) الجماعة من الرجال دون العشرة

■ (0) أبو لؤلؤة فيروز النهاوندي الفارسي المجوسي الكافر، كان غلام المغيرة بن شعبة. انتحر بخنجره حين أخذ، بعد طعنه عمر بن الخطاب ومات عمر رضي الله عنه بعده بثلاثة أيام في آخر يوم من ذي الحجة سنة 23 هـ

■ (1) عمرو بن ميمون الأودي المذحجي الكوفي، أبو عبد الله. أدرك الجاهلية، وأسلم أيام النبوية وقدم الشام مع معاذ بن جبل ثم سكن الكوفة. مات سنة خمس 75 هـ، وقيل سنة 76 هـ . وقيل سنة 74 هـ.

■ (2) حذيفة بن اليمان العبسي أبو عبد الله،كان عمر يسأله عن المنافقين فهو صاحب سر رسول الله شهد أحدا والخندق ونهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن آخذ الراية وكان فتح همذان والري والدينور على يده استعمله عمر على المدائن مات بالمدينة سنة36 هـ بعد قتل عثمان بأربعين يوما

■ (3) عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري . يكنى أبا عبد الله. شهد مع النبي المشاهد كلها بعد بدر، ولاه عمر خراج سواد العراق، ثم ولاه علي على البصرة قبل أن يقدم عليها فغلبه عليها طلحة والزبير فكانت القصة المشهورة في وقعة الجمل، ومات في خلافة معاوية.

■ (6) العباس بن عبد المطلب جده هاشم بن عبد مناف وكنيته أبو الفضل من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وعم النبي وجد الخلفاء العباسيين وأبو حبر الأمة عبد الله بن عباس.أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه وأقام بمكة يكتب لرسول الله أخبار المشركين توفى بالمدينة سنة 32 هـ.

■ (4) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله،يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

■ (5) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أبو محمد، الزهري القرشي: صحابي، من أكابرهم. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم، وأحد السابقين إلى الاسلام، قيل: هو الثامن. وكان من الاجواد الشجعان العقلاء. اسمه في الجاهلية عبد الكعبة أو عبد عمرو وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن. ولد بعد الفيل بعشر سنين سنة 44 ق هـ. وأسلم، وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها. وجرح يوم أحد 21 جراحة. وأعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا. وكان يحترف التجارة والبيع والشراء، فاجتمعت له ثروة كبيرة. وتصدق يوما بقافلة، فيها سبع مئة راحلة، تحمل الحنطة والدقيق والطعام. ولما حضرته الوفاة أوصى بألف فرس وبخمسين ألف دينار في سبيل الله. له 65 حديثا. ووفاته في المدينة سنة 32 هـ. وهو ابن 75 سنة.

☪

في مسند البزار، عن حذيفة، قال: ﴿قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلا تَسْتَخْلِفُ عَلَيْنَا ؟ قَالَ: إِنِّي إِنِ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ فَتَعْصُونَ خَلِيفَتِي يُنَزَّلْ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ، قَالُوا: أَلا تَسْتَخْلِفُ أَبَا بَكْرٍ ؟ قَالَ: إِنْ تَسْتَخْلِفُوهُ تَجِدُوهُ ضَعِيفًا فِي بَدَنِهِ، قَوِيًّا فِي أَمْرِ اللهِ، قَالُوا: أَلا تَسْتَخْلِفُ عُمَرَ ؟ قَالَ: إِنْ تَسْتَخْلِفُوهُ تَجِدُوهُ قَوِيًّا فِي بَدَنِهِ، قَوِيًّا فِي أَمْرِ اللهِ، قَالُوا: أَلا تَسْتَخْلِفُ عَلِيًّا ؟ قَالَ: إِنْ تَسْتَخْلِفُوهُ وَلَنْ تَفْعَلُوا يَسْلُكْ بِكُمُ الطَّرِيقَ وَتَجِدُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا﴾ قال المغيرة بن شعبة لعمر: ألا أدلك على القوي الأمين؟ قال: بلى، قال: عبد الله بن عمر، قال: ما أردت بقولك هذا؟ ولأن يموت فأكفنه بيدي أحب إلي من أوليه وأنا أعلم أن في الناس من هو خير منه. وعن سماك أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما احتضر قال: إن استخلف فسنة، وإن لم استخلف فسنة، توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف، وتوفي أبو بكر فاستخلف، فقال علي بن أبي طالب: عرفت والله أنه لم يعدل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذاك حين جعلها شورى بين: علي، وعثمان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن، وسعد، وقال للأنصار: أدخلوهم بيتا ثلاثة أيام، فإن استقاموا، وإلا فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم. وعن أبي رافع أن عمر بن الخطاب كان مسندا إلى ابن عباس، وكان عنده ابن عمر وسعيد بن زيد، فقال: اعلموا أني لم أقل في الكلالة شيئا، ولم أستخلف بعدي أحدا، وأنه من أدرك وفاتي من سبي العرب فهو حر من مال الله، فقال سعيد بن زيد: أما أنك لو أشرت برجل من المسلمين ائتمنك الناس. فقال عمر: قد رأيت من أصحابي حرصا سيئا، وإني جاعل هذا الأمر إلى هؤلاء النفر الستة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، ثم قال: لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لوثقت به: سالم مولى أبي حذيفة، وأبو عبيدة بن الجراح، فقال له رجل –قال عفان: يعني بالرجل المغيرة بن شعبة–: يا أمير المؤمنين فأين أنت عن عبد الله بن عمر؟ فقال له: قاتلك الله. والله ما أردت الله بها. أستخلف رجلا لم يحسن يطلق امرأته؟!. وعن عبد الله بن أبي مليكة أن ابن عمر قال لعمر: لو استخلفت. قال: من؟ قال: تجتهد. لو أنك بعثت إلى قيم أرضك ألم تكن تحب أن تستخلف مكانه حتى يرجع إلى الأرض؟ قال: بلى، قال أرأيت لو بعثت راعي غنمك ألم تكن تحب أن تستخلف رجلا حتى يرجع؟ قال ابن شهاب: أخبرني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال: دخل الرهط* على عمر قبل أن ينزل به فنظر إليهم فقال: إني نظرت لكم في أمر الناس فلم أجد عند الناس شقاقا إلا أن يكون منكم، وإنما الأمر إلى هؤلاء الستة، وكان طلحة غائبا في ماله بالشراة، وإنما يؤم قومكم أحدكم أيها الثلاثة: عبد الرحمن، وعثمان، وعلي، فإن كنت على شيء من أمر الناس يا عبد الرحمن فلا تحملن ذوي قرابتك على رقاب الناس، وإن كنت يا عثمان على شيء من أمر الناس فلا تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، وإن كنت يا علي على شيء من أمر الناس فلا تحملن بني هاشم على رقاب الناس، ثم قال: قوموا فتشاوروا وأمروا أحدكم. قال عبد الله بن عمر: فقاموا يتشاورون، فدعاني عثمان ليدخلني في الأمر، ولا والله ما أحب أني كنت دخلت فيه، علما أنه سيكون في أمرهم ما قال آبي، فوالله لقلما رأيته يحرك شفتيه بشيء قط إلا كان حقا، فلما أكثر علي عثمان قلت له: ألا تعقلون؟ أتؤمرون وأمير المؤمنين حي؟ فوالله لكأنما أيقظت عمر من رقدة فقال: أمهلوا فإن حدث بي حدث فليصل بكم صهيب ثلاث ليال، ثم اجمعوا أمركم فمن تأمر على غير مشورة من المسلمين فاضربوا عنقه. وعن أنس بن مالك قال: أرسل عمر بن الخطاب إلى أبي طلحة قبل أن يموت بساعة فقال: يا أبا طلحة، كن في خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى فلا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم، اللهم، أنت خليفتي عليهم. وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال: أوفى أبو طلحة في أصحابه ساعة قبر عمر فلزم أصحاب الشورى فلما جعلوا أمرهم إلى عبد الرحمان بن عوف يختار لهم منهم لزم أبو طلحة باب عبد الرحمان عوف بأصحابه حتى بايع عثمان، وعن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمان عن أبيه قال أول من بايع لعثمان عبد الرحمان ثم علي بن أبي طالب.وعن عمر بن عميرة بن هني مولى عمر بن الخطاب عن أبيه عن جده قال: أنا رأيت عليا بايع عثمان أول الناس ثم تتابع الناس فبايعوا. وقالوا بويع عثمان بن عفان يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فاستقبل بخلافته المحرم سنة اربع وعشرين. وعن الزهري قال: لما ولي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميرا يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئا وأنه لأحب إلى قريش من عمر رضي الله عنه لأنه كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان رضي الله عنه لان لهم ووصلهم ثم توانى في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر وكتب لمروان بخمس أفريقية وأعطى أقرباءه المال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها واتخذ الأموال واستسلف من بيت المال وقال أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما تركا من ذلك ما هو لهما وأني أخذته فقسمته في أقربائي فأنكر الناس ذلك عليه.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ أنساب الأشراف/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ أسد الغابة/ الاستيعاب/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ صحيح البخاري/ أنساب الأشراف/ مقتل الشهيد عثمان/

◆ سعد بن أبي وقاص، أمير القادسية (عامل عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين) وحرقة بنت النعمان بن المنذر 0141

لما قدم سعد بن أبي وقاص[1] القادسية أميرا عليها من عند عمر بن الخطاب أتته حرقة بنت النعمان بن المنذر[2] في خدمها ووصائفها، فلما وقفن بين يديه قال: أيكن حرقة بنت النعمان؟ قالت: هأناذه، فما أردت بتكرارك الاستفهام، إن الدنيا دار زوال لا تدوم لأهلها على حال، تنتقل بهم انتقال الظلال، وتعقبهم حالا بعد حال، إنا كنا ملوك هذا المصر قبلك، يجبي إلينا خراجة ويطيعنا أهله مدة من الدهر، فلما أدبر عنا الأمر صاح بنا صائح الأيام، فصدع شملنا، وشتت ملأنا، وكذلك الدهر يا سعد، فلا تغتر بحال الدنيا، فإنها زائلة عنك كما زالت إليك. ثم سألته حوائجها فقضاها، فدعت: لا أزال الله عنك نعمة أتمها عليك.

■ (2) حرقة بنت النعمان بن المنذر بن امرئ القيس، من بني لخم: شاعرة، من بيت الملك في قومها بالحيرة. قال الآمدي: وهي القائلة: وبينا نسوس الناس والامر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف..فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف.

■ (2) المناذرة أو اللخميون: سلالة عربية حكمت العراق قبل الإسلام: 300=602م. المنذر بن المنذر (الثاني) بن امرئ القيس بن النعمان هو ملك الحيرة حكم أربع سنين في زمن أنوشروان (وابنه هرمز)، قتل في حدود سنة 42 ق هـ. والنعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي، أبو قابوس. من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية وكانت متابعة للفرس، وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى، نقم عليه كسرى أمرًا فعزله وسجنه حتى مات، وقيل ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته، فهلك نحو 15 ق. هـ

■ (1) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق: الصحابي الامير، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ويقال. له فارس الاسلام. أسلم وهو ابن 17 سنة، وشهد بدار، وافتتح القادسية، ونزل أرض الكوفة فجعلها خططا لقبائل العرب، وابتنى بها دارا فكثرت الدور فيها. وظل واليا عليها مدة عمر بن الخطاب. وأقره عثمان زمنا، ثم عزله. فعاد إلى المدينة، فأقام قليلا وفقد بصره. وقالوا في وصفة: كان قصيرا دحداحا، ذا هامة، شثن الاصابع، جعد الشعر. مات في قصره سنة 55 هـ بالعقيق على عشرة أميال من المدينة وحمل إليها. له في كتب الحديث 271 حديثا.

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله، في خطبة له: أيها الناس! إنما الدنيا أجل محترم، وأمل منتقص، وبلاغ إلى دار غيرها، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج، فرحم الله من فكر في أمره، ونصح لنفسه، وراقب ربه، واستقال ذنبه. أيها الناس! قد علمتم أن أباكم أخرج من الجنة بذنب واحد، وأن ربكم وعد على التوبة خيرا، فليكن أحدكم من ذنبه على وجل، ومن ربه على أمل. قال بعض الحكماء. إنما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر. قال أبو حفص عمر بن علي الفلاس: كتبت إلى صديق لي أشاوره في شيء من أمر الدنيا، فكتب إلى رقعة فيها سطران، أحدهما: بسم الله الرحمن الرحيم، والآخر: اطلب الدنيا على قدر مكثك فيها، واطلب الآخرة على قد حاجتك إليها. كتب أبي بن كعب إلى أخ له: أما بعد، فإن الدنيا دار فناء، ومنزل قطيعة، رغب عنها السعداء، وانتزعت من أيدي الأشقياء، فغناها فقر، والعلم بها جهل. كان يقال: الدنيا والآخرة ضرتان، إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى. كان يقال: مثل الذي يريد أن تجتمع له الدنيا والآخرة، مثل عبد له ربان فلا يدري أيهما يطيع. قيل لراهب: كيف سخت نفسك بالخروج عن الدنيا؟ قال: أيقنت أني خارجها منها كارها، فأحببت أن أخرج منها طائعا. قال بزرجمهر: من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحدا ما يستحق، إما زادته وإما نقصته. قال أبو حازم: وجدت الدنيا شيئين: شيئا لي وشيئا لغيري، فما كان لي منها لم ينله غيري، ولو رامه بحيلة السموات والأرض، ففيم العناء والغم والتعب. ذكرت الدنيا لأبي حازم فقال أبو حازم: الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على مهارشة الكلاب. قال أبو حازم: تكدرت الدنيا وتعذرت، ما تمد يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاسقا قد سبقك إليه. كان سفيان الثوري يقول: الدنيا داء التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، من عرفها لم يفرح برخائها، ولم يحزن لشقائها. قال وهيب بن الورد: من أراد الدنيا فليتهيأ للذل. سمع المسعودي رجلا يقول: أين الزاهدون في الدنيا، الراغبون فيما عند الله. قال: اقلب المعنى وضع يدك على من شئت. كان سفيان الثوري يتمثل: أرى أشقياء الناس لا يسأمونها..على أنهم فيها عراة وجوع..أراها وإن كانت تحب فإنها..سحابة صيف عن قليل تقشع. وقال أبو العتاهية: يا ساكن الدنيا لقد أوطنتها..وأمنتها عجبا وكيف أمنتها..وشغلت قلبك عن معادك بالمنى..وشغلت نفسك بالهوى وفتنتها. وأشعار أبي العتاهية في ذم الدنيا كثيرة جدا.،. قيل لعامر بن عبد قيس: لقد رضيت من الدنيا باليسير. قال: أخبرك بمن رضي بدون ما رضيت. قيل: من؟ قال: من رضي بالدنيا حظا عن الآخرة. قال المأمون: لو سئلت الدنيا عن نفسها ما زادت في وصفها عن وصف أبي نواس حيث يقول: إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت..له عن عدو في ثياب صديق. قال الحسن البصري، لست أعجب ممن هلك كيف هلك، إنما أعجب ممن نجا كيف ونجا، شيطان مريد يحرس منه السماء، ونفس أمارة بالسوء، ودنيا مزينة.

قال عبد الله بن الأرقم لعمر بن الخطاب: قد اجتمع عندي في بيت المال حلي كثير ومناطق من أموال فارس أفلا تقسمه؟ قال: بلى، فأتني به، فنقلته إليه في القفاف، فلما نظر إليه رأى شيئا عجبا، فقال: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نحب ما حببت إلينا، ثم تلا هذه الآية: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران] الآية. ثم قال: اللهم، قني شره، وارزقني أن أنفقه في حقه. قال يحيى بن خالد بن برمك: دخلنا في الدنيا دخولا أخرجنا عنها. قال رجل لداود الطائي: عظني. فقال له: أرض من الدنيا إذا سلم لك دينك بما رضى به أهل الدنيا من الآخرة حين سلمت لهم دنياهم، وأنشد في ذلك شعرا، ذكر أن سليمان الأعمش تمثل به: أرى رجالا بدون الدين قد قنعوا..ولا أراهم رضوا في العيش بالدون..فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما اس..تغنى الملوك بدنياهم عن الدين.

مراجع: بهجة المجالس وأنس المجالس/ الأعلام للزركلي/

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص[1] وهو على فتح العراق يأمره أن يبعث إلى يزدجرد[2] ملك الفرس رجالا من أهل المنظرة والرأي والجلد يدعونه فاختارهم وأنفذهم إليه بالمدائن فلما دخلوا عليه أمر الترجمان بينه وبينهم فقال: سلهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا، أمن أجل أنا أجممناكم وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟ فقال لهم النعمان بن مقرن[3]: إن شئتم أجبت عنكم ومن شاء آثرته، فقالوا: بل تكلم، فتكلم النعمان فقال: إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير، ويأمرنا به، ويعرفنا الشر وينهانا عنه، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين، فرقة تقاربه وفرقة تباعده، ولا يدخل معه في دينه الا الخواص، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب، وبدأ بهم وفعل، فدخلوا معه جميعا على وجهين، مكره عليه فاغتبط، وطائع أتاه، فازداد فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق، ثم امرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم، فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حسن الحسن، وقبح القبيح كله، فإن أبيتم، فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه، الجزاء*، فإن أبيتم، فالمناجزة، فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله، وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن اتقيتمونا بالجزاء، قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم، فقال يزدجرد: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم، قد نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونناكم، لا تغزوكم فارس، ولا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان غرور لحقكم، فلا يغرنكم منا وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم، وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم، فقام المغيرة بن زرارة[4] فقال: أيها الملك، إن هؤلاء رءوس العرب ووجوههم، وهم أشراف يستحيون من الأشراف، وإنما يكرم الأشراف الأشراف، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف، ويفخم الأشراف الأشراف، وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم الا ذلك، فجاوبني لأكون الذي أبلغك، ويشهدون على ذلك إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالما، فأما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالا منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات فنرى ذلك طعامنا، واما المنازل فإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم، ديننا أن يقتل بعضنا بعضا، ويغير بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك، فبعث الله إلينا رجلا معروفا، نعرف نسبه، ونعرف وجهه ومولده، فأرضه خير أرضنا، وحسبه خير أحسابنا، وبيته أعظم بيوتنا، وقبيلته خير قبيلتنا، وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها، أصدقنا وأحلمنا، فدعانا إلى أمر فلم يجب أحد أول من ترب كان له، وكان الخليفة من بعده، فقال وقلنا، وصدق وكذبنا، وزاد ونقصنا، فلم يقل شيئا الا كان، فقذف الله في قلوبنا التصديق له، واتباعه، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين، فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله، فقال لنا إن ربكم يقول: إني أنا الله وحدي لا شريك لي، كنت إذ لم يكن شئ، وكل شئ هالك الا وجهي، وأنا خلقت كل شئ، وإلي يصير كل شئ، وإن رحمتي أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي، ولأحلكم داري دار السلام، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق، وقال من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية، ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم، ومن أبي فقاتلوه، فأنا الحكم بينكم فمن قتل منكم أدخلته جنتي، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناوأه، فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف أو تسلم فتنجي نفسك، فقال يزدجرد: أتستقبلني بمثل هذا؟ لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم، لا شئ لكم عندي ثم قال: ائتوني بوقر من تراب، فقال: احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن.

■ (3) النعمان بن مقرن بن عائذ المزني، أبو عمرو: صحابي فاتح. من الامراء القادة الشجعان. كان معه لواء مزينة يوم فتح مكة. وسكن البصرة. ثم تحول عنها إلى الكوفة. ووجهه سعد بن أبي وقاص بأمر عمر إلى محاربة الهرمزان، فزحف بجيش الكوفة إلى الاهواز، وهزم الهرمزان. وتقدم إلى تستر، فشهد وقائعها. وعاد إلى المدينة، بشيرا بفتح القادسية. وقال البلاذري: دخل أمير المؤنين عمر بن الخطاب المسجد بالمدينة فرآى النعمان بن مقرن، فقعد إلى جنبه، فلما قضى صلاته، قال: أما إني سأستعملك، فقال النعمان: أما جابيا فلا، ولكن غازيا ! قال: فأنت غاز. وكانت الاخبار قد وصلت باجتماع أهل أصبهان وهمدان والري وأذربيجان ونهاوند، وأقلق ذلك عمر، فولاه قتالهم. وخرج النعمان إلى الكوفة فتجهز، وغزا أصفهان ففتحها، وهاجم نهاوند فاستشهد فيها سنة 21 هـ. ولما بلغ عمر مقتله، دخل المسجد ونعاه إلى الناس على المنبر ثم وضع يده على رأسه يبكي.

■ (2) كسرى آخر الاكاسره مطلقا. يزدجرد الثالث اسمه يزدجرد بن شهريار بن برويز بن أنوشروان وهو آخر ملوك الدولة الساسانية، وحفيد ملك الدولة الساسانية كسرى الثاني. انهزم من جيش عمر فاستولوا على العراق، وانهزم هو إلى مرو وولت أيامه، ثم ثار عليه أمراء دولته وقتلوه سنة 30 هـ.أو 31 هـ وقيل، بل بيته الترك وقتلوا خواصه، وهرب هو واختفى في بيت، فغدر به صاحب البيت فقتله، ثم قتلوه به.

■ (4) المغيرة بن زرارة =زرار- بن النباش بن حبيب الأسيدى وكان أحد الوفد الذين أرسلهم سعد إلى يزدجرد

■ (1) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري المديني، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ.

أرسل رستم[0] قائد جيش الفرس إلى سعد بن أبي وقاص أن ابعث إلينا رجلا نكلمه ويكلمنا فبعث إليه ربعي بن عامر[1] فلما انتهى إليه قال له الترجمان واسمه عبود من أهل الحيرة ما جاء بكم قال: الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عباد الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضى إلى موعود الله، قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبل، والظفر لمن بقي.

وبعث إليه أيضا المغيرة بن شعبة[2] فتكلم بحضرته فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله خالق كل شيء ورازقه فمن صنع شيئا فإنما هو يصنعه، والذى له وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء والتمكن في البلاد وعظم السلطان في الدنيا فنحن نعرفه ولسنا ننكره، فالله صنعة بكم ووضعه فيكم، وهوله دونكم، وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال وضيق المعيشة واختلاف القلوب، فنحن نعرفه ولسنا ننكره والله ابتلانا بذلك وصيرنا إليه، والدنيا دول، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه، ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ويصيروا إليها، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوي شكر كان شكركم يقصر عما أوتيتم وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر كان عظيم ما تتابع علينا مستجلبا من الله رحمة يرفه بها عنا، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه أو كنتم تعرفوننا به، إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا ثم ذكر مثل الكلام الأول.

لما اجتمعت جيوش المسلمين بنهاوند سنة21 هـ وأميرهم النعمان بن مقرن المزني أرسل بندار العلج إليهم: أن أرسلوا إلينا رجلا نكلمه، فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبة، فأدخل إليه وترجم له قوله. إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير، وأطول الناس جوعا، وأشقى الناس شقاء، وأقذر الناس قذرا، وأبعده دارا، وما منعني أن آمر هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنشاب إلا تنجسا لجيفكم، فإنكم أرجاس، فإن تذهبوا نخل عنكم، وإن تأبوا نركم مصارعكم، قال: فحمدت الله وأثنيت عليه، فقلت: والله ما أخطأت من صفتنا شيئا ولا من نعتنا إن كنا لأبعد الناس دارا، وأشد الناس جوعا، وأشقى الناس شقاء، وأبعد الناس من كل خير حتى بعث الله عز و جل إلينا رسوله فوعدنا النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة، فوالله ما زلنا نتعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله بالفتح والنصر حتى أتيناكم، وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبدا حتى نغلبكم على ما في أيديكم أو نقتل بأرضكم.

■ (1) ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو ، كان من أشراف العرب ، وله ذكر في غزوة نهاوند ، وولاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان ، وكان ممن أمد به عمر بن الخطاب المثنى بن حارثة في فتح العراق

■ (0) رستم بن فرخ هرمز أو رستم بن فرخزاد لقبه هرمزان صاحب جيش العجم الساساني قتل يوم القادسية 13 شعبان 15 هـ على يد هلال بن علفة التميمي

■ (2) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية مع رسول الله، وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية، وكان موصوفا بالدهاء والحلم. وولي البصرة ثم الكوفة لعمر، وولي الكوفة بعد ذلك لمعاوية، فمات بها وهو وال عليها سنة 50 أو 51 هـ.

مراجع: جمهرة خطب العرب/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الطبري/

كان عمرو بن العاص[1] صاحب السلطة في مصر زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان قائد الجيش وصاحب الخراج* لكن عمر كان يستبطئ عمرا في جمع الخراج ويستقل ما يجبيه من مصر. ومما كتبه له في هذا الشأن: وأعجب ما عجبت أنها – أي مصر – لا تؤدي نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحط ولا جدب. لكن يلاحظ أن عمرو بن العاص ألغى كثيرا من الضرائب التي كانت تجبى في عهد الدولة الرومانية وكانت سبب شكوى المصريين وتألمهم من الحكم الروماني وعلى كل حال لم يفكر عمر بن الخطاب في نزع الخراج من عمرو وقصره على الحرب مع تشدده عليه في جباية الخراج. فلما ولي عثمان[2] رضي الله عنه رأى إسناد الخراج إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح[3] وكان أخا عثمان من الرضاعة (أرضعت أمه عثمان) فكتب عبد الله إلى عثمان يقول: إن عمرا كسر علي الخراج وكتب عمرو يقول: إن عبد الله قد كسر علي مكيدة الحرب فعزل عثمان عمرا واستقدمه واستعمل بدله عبد الله على حرب مصر وخراجها أي أنه أعطاه السلطة التي كانت مخولة لعمرو من قبل فقدم عمرو مغضبا فدخل على عثمان وعليه جبة محشوة فقال له: ما حشو جبتك ؟ قال: عمرو!. فقال عثمان: قد علمت أن حشوها عمرو ولم أرد هذا إنما سألتك أقطن هو أم غيره؟ ثم بعث عبد الله بن سعد إلى عثمان بمال من مصر قد حشد فيه فدخل عمرو على عثمان فقال عثمان: يا عمرو هل تعلم أن تلك اللقاح* درت بعدك ؟ فقال عمرو: إن فصالها هلكت. يريد عثمان أن مصر قد كثر خراجها على يد عبد الله بن سعد فقال له عمرو: إن فصالها هلكت أي أن أولاد اللقاح قد هلكت بحرمانها من اللبن يريد أن في ذلك إرهاقا لأهالي مصر وتحميلهم ما لا يطاق.

----

*(الخراج) الخرج والخراج واحد وهو شيء يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم. نوع من الضريبة.(اللقاح) جمع اللقحة وهي الناقة الحلوب الغزيرة اللبن وقد شبه مصر بها ودرت أي أخرجت لبنها.

■ (1) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

■ (2) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (3) عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري من بني عامر بن لؤي من قريش فاتح أفريقية فارس بني عامر من أبطال الصحابة أسلم قبل فتح مكة وهو من أهلها وكان من كتاب الوحي كان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر وولي مصر سنة 25 هـ بعد عمرو بن العاص فاستمر نحو 12 عاما اعتزل الحرب بين علي ومعاوية في صفين توفي بعسقلان فجأة وهو قائم يصلي سنة 37 هـ وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاع.

كان عمر رضي الله عنه قد ولى عمرو بن العاصي بعد موت يزيد بن أبي سفيان[1] فلسطين والأردن، وولى معاوية دمشق وبعلبك والبلقاء، وولى سعيد بن عامر بن حذيم[2] حمص، ثم جمع الشام كلها لمعاوية، وكتب إلى عمرو فسار إلى مصر فافتتحها في سنة عشرين للهجرة، فلم يزل عليها واليا حتى مات عمر رضي الله عنه، فأقره عثمان رضي الله عنه عليها أربع سنين أو نحوها، ثم عزله وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، وكان أخا عثمان من الرضاعة، فاعتزل عمرو بن العاصي في ناحية فلسطين وكان يأتي المدينة أحيانا. فلما قتل عثمان رضي الله عنه سار إلى معاوية باستجلاب معاوية إياه، وشهد صفين مع معاوية وكان منه في صفين وقضية التحكيم ما هو مشهور عند أهل العلم بهذا الفن، وكان قد طلب من معاوية أنه إذا تم له الأمر يوليه مصر، ثم ولاه معاوية مصر، فلم يزل بها أميرا إلى أن مات يوم عيد الفطر من سنة ثلاث وأربعين للهجرة، وقيل سنة اثنتين وأربعين، وقيل سنة ثمان وأربعين، وقيل سنة إحدى وخمسين، والأول أصح، وعمره تسعون سنة، ودفن بسفح المقطم، وصلى عليه ابنه عبد الله[3] . ولما رجع صلى بالناس العيد، ثم عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاصي، وولى أخاه عتبة بن أبي سفيان[4]،فمات عتبة بعد سنة أو نحوها فولى معاوية مسلمة بن مخلد[5] .

توضيح: في رواية ابن خلدون [6] قال: دخل عمرو بن العاص الفسطاط وملك مصر إلى سنة 43 فتوفي وملك مكانه ابنه عبد الله ثم عزله معاوية وولى أخاه عتبة بن أبي سفيان وتوفى سنة 44 وولى مكانه عقبة بن عامر الجهني[7] ثم عزله سنة 47 وولى مكانه معاوية بن خديج[8] ثم اقتطع عنه إفريقية سنة 50 وولى عليها عقبة بن نافع ثم جمع مصر وإفريقية لمسلمة بن مخلد الأنصاري فبعث مسلمة على إفريقية مولاه أبا المهاجر واساء عزل عقبة كما هو معروف... [تاريخ ابن خلدون].

ذكر أبو العباس المبرد في كتاب الكامل، أن عمرو بن العاصي لما حضرته الوفاة دخل عليه ابن عباس رضي الله عنهما، فقال له: يا أبا عبد الله، كنت أسمعك كثيرا ما تقول: وددت لو رأيت رجلا عاقلا حضرته الوفاة حتى أسأله عما يجد، فكيف تجد فقال: أجد كأن السماء مطبقة على الأرض وكأني بينهما، وكأنما أتنفس من خرت إبرة، ثم قال: اللهم، خذ مني حتى ترضى. فدخل عليه ولده عبد الله فقال له: يا ولدي، خذ ذلك الصندوق قال: لا حاجة لي به، فقال: إنه مملوء مالا، فقال: لا حاجة لي به، فقال: ليته مملوء بعرا، ثم رفع يديه وقال: اللهم، إنك أمرت فعصينا، ونهيت فارتكبنا، فلا بريء فأعتذر، ولا قوي فأنتصر، ولكن لا إله إلا أنت – ثلاثا – ، ثم فاظ*.

وفي رواية قال عمرو بن العاص –عند إحضاره– لابنه: يا بني، من يأخذ هذا المال بما فيه؟ قال: من جدع الله أنفه؛ فقال: احملوه إلى بيت مال المسلمين. ثم دعا بالغل والقيد فلبسهما، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ التَّوْبَةَ مَبْسُوطَةٌ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ ابْنُ آدَمَ بِنَفْسِهِ﴾؛ ثم استقبل القبلة فقال: اللهم، أمرتنا فعصينا، ونهيتنا فارتكبنا؛ هذا مقام العائذ بك، فإن تعف فأهل العفو أنت، وإن تعاقب فبما قدمت يداي، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء] فمات وهو مغلول مقيد. فبلغ الحسن بن علي[9] فقال: استسلم الشيخ حين أيقن بالموت، ولعلها تنفعه.

----

*(فاظ) يقال فاظ وفاض، بالظاء والضاد، أي مات

■ (4) عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، أبو الوليد، أخو معاوية بن أبي سفيان لأبويه ولد على عهد رسول الله وولاه عمر بن الخطاب الطائف ولما مات عمرو بن العاص ولى معاوية أخاه عتبه مصر وأقام عليها سنة ثم توفي بها ودفن فيها سنة 44 هـ وقيل : سنة 43 هـ

■ (2) سعيد بن عامر بن حذيم بن سلامان بن ربيعة الجمحي أسلم قبل خيبر وشهدها مع رسول الله وما بعدها. ولاه عمر على حمص والجزيرة بعد وفاة عياض بن غنم ولم تطل مدة ولايته فقد توفي في السنة التي ولي فيها سنة 20 هـ وقيل قبلها بسنة أو بعدها بسنة.

■ (3) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل. أسلم قبل أبيه واستاذن النبي في كتابه ما يسمع منه فأذن له فكان عبد الله يسمي صحيفته الصادقة. وكان عالما متعبدا. توفي بالشام سنة 65 هـ وهو ابن 72 سنة. وقد زعم قوم أنه مات بمكة ويقال بالطائف ويقال بمصر.

■ (1) يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية من أبيه، ويقال له يزيد الخير، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة. أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وشهد حنينا، فقيل: إن النبي أعطاه من غنائم حنين مئة من الإبل وأربعين أوقية فضة، وهو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، عقد له أبو بكر، ومشى معه تحت ركابه يسايره، ويودعه، ويوصيه، وما ذاك إلا لشرفه وكمال دينه، ولما فتحت دمشق، أمره عمر عليها. توفي يزيد في الطاعون سنة18 هـ، ولما احتضر، استعمل أخاه معاوية على عمله، فأقره عمر على ذلك احتراما ليزيد، وتنفيذا لتوليته.

■ (7) عقبة بن عامر الجهني. أبو عبس ويقال: أبو حماد، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو عامر، ويقال: أبو الأسد المصري، قيل: شهد صفين مع معاوية.و قيل: شهد فتح مصر، واختط بها. وولي الجند بمصر لمعاوية، ثم عزله بعد ثلاث سنين، وأغزاه البحر. مات سنة 58 هـ وقبره بالمقطم.

■ (8) معاوية بن حديج بن جفنة، أبو نعيم الكندي ثم السكوني: الأمير الصحابي. قائد الكتائب (كما نعته الذهبي) والي مصر. كان ممن شهد حرب صفين في جيش معاوية وولاه إمرة جيش جهزه إلى مصر، وكان الوالي عليها محمد بن أبى بكر الصديق، من قبل علي بن أبى طالب، فقتل محمدا، وأخذ بيعة أهل مصر لمعاوية. ثم ولي إمرة مصر ليزيد. وولي غزو المغرب مرارا، آخرها سنة 50 هـ واستول على صقلية، وفتح بنزرت. وأعيد إلى ولاية مصر. وعزل عنها سنة 51 هـ وتوفي بها سنة 52 هـ

■ (5) مسلمة بن مخلد الأنصاري الخزرجي نائب مصر لمعاوية له صحبة ولا صحبة لأبيه.قال مجاهد: كنت أرى أني أحفظ الناس للقرآن حتى صليت خلف مسلمة بن مخلد الصبح فقرأ سورة البقرة فما أخطأ فيها واوا ولا ألفا. قال الليث: عزل عقبة بن عامر عن مصر في سنة 47 هـ فوليها مسلمة حتى مات زمن يزيد سنة 62 هـ

■ (6) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر. الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس سنة 732 هـ، رحل إلى فارس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس، ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق، وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزين بزي القضاة محتفظا بزي بلاده، وعزل، وأعيد، وتوفي فجأة في القاهرة سنة 808 هـ. كان فصيحا، جميل الصورة، عاقلا، صادق اللهجة، عزوفا عن الضيم، طامحا للمراتب العالية، ولما رحل إلى الأندلس اهتز له سلطانها، وأركب خاصته لتلقيه، وأجلسه في مجلسه. اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر) مجلدات، أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع.

■ (9) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ وفيات الأعيان/ عثمان بن عفان شخصيته وعصره للصلابي/ لسان العرب/ موسوعة الأعلام/ الوافي بالوفيات/ أسد الغابة/ تاريخ ابن خلدون/ سير أعلام النبلاء/

عن حميد بن هلال العدوي قال: قام صعصعة بن صوحان العبدي[1] إلى عثمان بن عفان[2]،وهو على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين، ملت فمالت أمتك، يا أمير المؤمنين، أعتدل تعتدل أمتك. قال: أسامع أنت مطيع؟ قال: نعم. قال: فاخرج إلى الشام. قال: فطلق امرأته كراهة أن يعضلها، وكانوا يرون الطلقة عليهم حقا. وفي رواية: عن حميد بن هلال قال: قام زيد بن صوحان[3] إلى عثمان بن عفان...

وعن صعصعة بن صوحان قام ذات يوم فتكلم فأكثر، فقال عثمان: يا أيها الناس، إن هذا البجباج النفاج*،لا يدري من الله، ولا أين الله، فقال صعصعة: أما قولك: ما أدري من الله، فإن الله ربنا ورب أبائنا الأولين. وأما قولك: لا أدري أين الله، فإن الله بالمرصاد ثم قرأ:﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَّ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِير﴾ [الحج] حتى فرغ من هذه الآيات فقال -يعني عثمان-: ويحك ما نزلت هذه الآية إلا في وفي أصحابي. أخرجنا من مكة بغير حق.

أرسل المغيرة بن شعبة[4] إلى صعصعة فسأله عن عثمان، فذكر صعصعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزره وأثنى عليه بما هو أهله. ثم ذكر أبا بكر فقال: هو أول من جمع المصحف، وورث الكلالة. ثم ذكر عمر فقال: هو أول من دون الدواوين ومصر الأمصار، وخلط الشدة باللين. ثم ذكر عثمان فقال: كانت إمارته قدرا، وكان قتله قدرا (كان قتله ضررا). فقال له المغيرة: اسكت، كانت إمرته قدرا وكان قتله قدرا. فقال له صعصعة: دعوتني فأجبت، واستنطقتني فنطقت، وأسكتني فسكت.

----

*(البجباج) الأحمق، أو الرجل البادن الممتلئ (النفاج) المتكبر. يتمدح بما ليس فيه.

■ (1) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي، الكوفي، قيل: ولد في دارين قرب القطيف وشهد صفين مع علي، أمره على بعض الكراديس. وله مع معاوية مواقف. ونفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوال في البحرين بأمر معاوية فمات فيها سنة56 هـ وقبل مات سنة 60 هـ

■ (3) زيد بن صوحان بن حجر العبدي، من بني عبد القيس، من ربيعة: تابعي، من أهل الكوفة، له رواية عن عمرو وعلي. كان أحد الشجعان الرؤساء، وشهد وقائع الفتح فقطعت شماله يوم نهاوند. ولما كان يوم الجمل قاتل مع علي حتى قتل سنة 36 هـ.

■ (4) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية مع رسول الله، وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية، وكان موصوفا بالدهاء والحلم. وولي البصرة ثم الكوفة لعمر، وولي الكوفة بعد ذلك لمعاوية، فمات بها وهو وال عليها سنة 50 أو 51 هـ.

■ (2) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

☪

ذكر البلاذري في كتاب جمل أنسب الأشراف قال: قالوا: ولما خرج المسيرون من قراء أهل الكوفة فاجتمعوا بدمشق نزلوا مع عمرو بن زرارة[1]، فبرهم معاوية، وأكرمهم، ثم إنه جرى بينه وبين الأشتر[2] قول حتى تغالظا فيه، فحبسه معاوية، فقام عمرو بن زرارة فقال: لئن حبسته لتجدن من يمنعه. فأمر بحبس عمرو، فتكلم سائر القوم فقالوا: أحسن جوارنا يا معاوية، ثم سكتوا، فقال لهم معاوية: ما لكم لا تكلمون؟ فقال زيد بن صوحان: وما نصنع بالكلام؟ لئن كنا ظالمين فنحن نتوب إلى الله، وإن كنا مظلومين فإنا نسأل الله العافية. فقال معاوية: يا أبا عائشة، أنت رجل صدق، وأذن له في اللحاق بالكوفة، وكتب إلى سعيد بن العاص[3]: أما بعد. فإني قد أذنت لزيد بن صوحان في المصير إلى منزله بالكوفة لما رأيت من فضله وقصده وحسن هديه، فأحسن جواره، وكف الأذى عنه، وأقبل إليه بوجهك وودك، فإنه قد أعطاني موثقا ألا ترى منه مكروها. فشكر زيد معاوية، وسأله عند وداعه إخراج من حبس ففعل.عن الحارث الأعور قال: كان ممن ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير، وهو زيد بن صوحان. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿سيكون بعدي رجل من التابعين وهو زيد الخير يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة بعشرين سنة﴾ ابن عساكر فقطعت يده اليسرى بنهاوند، ثم عاش بعد ذلك عشرين سنة، ثم قتل، يوم الجمل بين يدي علي، وقال قبل أن يقتل: إني رأيت يداً خرجت من السماء تشير إلي أن تعال، وأنا لاحق بها يا أمير المؤمنين، فادفنوني في دمي: فإني مخاصمٌ القوم. وحدث جماعة من الرواة قال: كانوا في مسير مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسوق بهم، فقال:﴿زيد وما زيد! جندب، وما جندب! ثم قال: رجلان من أمتي أحدهما يسبقه بعض جسده إلى الجنة ثم يتبعه سائر جسده إلى الجنة، وأما الآخر فيفرق بين الحق والباطل﴾ ابن عساكر وجندب هو الذي قتل الساحر بالكوفة. حدث هشام بن محمد: أن زيد بن صوحان أصيبت يده في بعض فتوح العراق، فتبسم والدماء تشخب، فقال له رجل من قومه: ما هذا موضع تبسم! فقال زيد: ألم حل يفوته ثواب الله عز وجل عليه، أفأردفه بألم الجزع الذي لا جدوى فيه، ولا دريكة لفائت معه؟ وفي تبسمي تعزية لبعض المؤتسين من المؤمنين. فقال الرجل: أنت أعلم بالله مني. وعن إبراهيم قال: كان زيد بن صوحان يحدث، فقال أعرابي: إن حدثتك ليعجبني، وإن يدك لتريبني، فقال: أو ما تراها الشمال؟. فقال: والله ما أدري، اليمين يقطعون أم الشمال. فقال زيد: صدق الله:﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُّ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُّ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة] فذكر الأعمش أن يد زيدٍ قطعت يوم نهاوند. وعن الحكم بن عتيبة: أن زيد بن صوحان كان عند عمر، فقام إليه عمر، وهو يريد أن يركب دابته، فأمسك بركابه، ثم قال لمن حضره: هكذا فاصنعوا بزيد وإخوته وأصحابه. قال حميد بن هلال: كان زيد بن صوحان يقوم الليل، ويصوم النهار، وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها، وإن كان ليكرهها إذا جاءت مما يلقى فيها. فبلغ سلمان ما كان يصنع، فأتاه فقال: أين زيد؟ قالت امرأته: ليس ههنا. قال: فإني أقسم عليك لما صنعت طعاماً ولبست محاسن ثيابك. ثم بعث إلى زيد، قال: فجاء زيد، فقرب الطعام، فقال سلمان: كل يا زيد. قال: إني صائم. قال: كل يا زييد لا تنقص أو تبغض دينك، إن شر السير الحقحقة، إن لعينك عليك حقاً، وإن لبدنك عليك حقاً، وإن لزوجتك عليك حقاً، كل يا زييد. فأكل، وترك ما كان يصنع. قال سلمان لزيد بن صوحان: كيف أنت يا زيد إذا اقتتل القرآن والسلطان؟ قال: أكون مع القرآن. قال: نعم الزيد أنت إذا، قال أبو قرة: إذا أجلس في بيتي. فقال: لو كنت في أقصى تسعة أبيات لكنت مع أحد الفريقين. وكان أبو قرة يكره القتال. حدث جابر عن محمد بن علي ومحمد بن المطلب وزيد بن حسن قالوا: شهد مع علي بن أبي طالب في حربه من أصحاب بدر سبعون رجلا، وشهد معه ممن بايع تحت الشجرة سبع مئة رجل فيما لا يحصى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد معه من التابعين ثلاثة بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد لهم بالجنة: أويس القرني، وزيد بن صوحان، وجندب الخير: فأما أويس القرني فقتل في الرجالة يوم صفين، وأما زيد بن صوحان فقتل يوم الجمل.

☪

قال ابن خلدون: وإذا نظرت بعين الإنصاف عذرت الناس أجمعين في شأن الاختلاف في عثمان واختلاف الصحابة من بعده وعلمت أنها كانت فتنة ابتلى الله بها الأمة.. إلخ ، قال أحد العلماء: نحن لا نشك ولا نرتاب أبدًا في نزاهة الصحابة وحسن نيتهم وسلامة طويتهم كما هو معلوم من ضروريات الدين كما نعلم وجوب محبتهم على المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ، فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ﴾ ولكن لا بأس أن يلاحظ المسلم الباحث الغيور أنهم رضي الله عنهم كانوا مخطئين في السكوت كما أخطأ عثمان في استسلامه للثوار وكف جماعة من الصحابة عن نصرته والدفاع عنه؛ لأن حق الخلافة وفائدتها غير مقصورة على الخليفة وحده، بل الدفاع عن نصرته وحفظه حفظ للإسلام والمسلمين ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهَّ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة] وقد فسدت أمور المسلمين فعلاً باستسلامه وعدم الدفاع عنه ونشأت عن ذلك فتن لا تزال آثارها ماثلة للعيان فكان مقتضى الشريعة أن يقوم رضي الله عنه لحماية الخلافة التي هي حماية للإسلام والمسلمين ويقابل الثوار ويستنصر عليهم بكل ما يمكن إن كانوا محاربين كما هو الواقع الذي أيدته الأخبار الصحيحة أو يعتزل الخلافة إن كانت معهم شبهة حق أو عجز عن حماية بيضة الإسلام فهو راع للأمة يجب أن ينظر لها بما فيه صلاحها، فقد أخرج البخاري في كتاب الأحكام من صحيحه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾ الحديث. فأنت ترى استسلامه رضي الله عنه كيف جر على المسلمين رزايا متسلسلة إلى الآن لا زلنا نرزح من شدة ثقلها.

وقد دافع الإمام أبو بكر بن العربي المعافري في كتابه: العواصم والقواصم، عن استسلام سيدنا عثمان دفاعًا مجيدًا بقلمه السيال وبلاغته النادرة مستندًا في دفاعه هو وغيره على ما جاء في الحديث الصحيح في البخاري وغيره بأن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿بَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ﴾،وهي الشهادة.. إلخ. ونقول: إنه صلى الله عليه وسلم لم يأمره بالاستسلام بل غاية الأمر أنه بشره بالشهادة ولو دافع عن نفسه وقاتل الثوار المحاربين واستشهد في قتالهم لحصلت النتيجة؛ لأنها غير متوقفة على الاستسلام فهو رضي الله عنه مجتهد (مخطئ) في استسلامه. وأما سكوت الصحابة رضي الله عنهم فهم مخطئون فيه أيضًا؛ لأن الله جلت عظمته بين لنا ما نفعل في مثل هذه الأزمة في قوله تعالى:﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهَّ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات] ثم أكد ذلك بقوله:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَّ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات] وفي صحيح مسلم عن عرفجة عنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ﴾ فكان الواجب كما هو صريح الآية والحديث أن يدافعوا عنه بقوة السيف أو بحكمة السياسة والموعظة الحسنة، ولا يساعدوه في الاستسلام ؛ لأن الدفاع عنه كما قلنا دفاع عن الإسلام والمسلمين، فظهر بذلك أنهم مخطئون في سكوتهم، والله أعلم بغيبه.

☪

قال الواقدي: خطب عثمان رضي الله عنه الناس فقال: الحمد الله أحمده وأستعين وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى؛ إني أيها الناس قد وليت أمركم فأستعين الله ولو كنت بمعزل عن الأمر كان خيرا لي وأسلم، مضى قبلي صاحباي رحمهما الله فهماني سلف وقدوة فإنما أنا متبع، وأرجو القوة من القوي العزيز، فادعوا لي بالله العون والتسديد، فدعا الناس له ثم بايعوه.

قال الواقدي في رواية له: خطب عثمان فقال: الحمد لله الذي لا ينبغي الحمد إلا له الحمد لله الذي هدانا للإسلام وأكرمنا بمحمد عليه الصلاة والسلام، أما بعد أيها الناس، فاتقوا الله في سر أمركم وعلانيته، وكونوا أعوانا على الخير والبر والصلة ولا تكونوا أخوانا في العلانية أعداء في الستر فإنا قد كنا نحذر أولئك، من رأى منكم منكرا فليغيره فإن كان لا قوة له به فليرفعه إلي، وكفوا سفهائكم وشدوا بهم أيديكم فإن السفيه قمع إنقمع وإذا ترك تتايع*، ثم جلس وبايعه الناس.

----

* (تيع) وهو اضطراب الشيء. يقال تتايع البعير في مشيته إذا حرك ألواحه والسكران يتتايع في مشيته، إذا رمى بنفسه. والتتايع التهافت في الشر، ويقال هو اللجاج. وفي الحديث: ما يحملكم أن تتايعوا في الكذب كما يتتايع الفراش في النار. ولا يكون التتايع في الخير.

■ (2) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بـ الأشتر. أدرك الجاهلية وكان من أصحاب علي وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها.وحضر خطبة عمر في الجابية، وسكن الكوفة، وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها، وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي، وولاه علي مصر فقصدها فمات في الطريق سنة 37 هـ

■ (1) عمرو بن زرارة ويقال ابن اغر قال وقف على عبد الله وانا اقص، روى عنه أبو اسحاق الهمداني سمعت ابى يقول ذلك.؟ هو: عمرو بن زرارة بن قيس بن الحارث بن عدي بن الحارث بن عوف بن جشم بن كعب بن قيس ابن سعد بن مالك بن النخع النخعي.

■ (3) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية، صحابي، من الامراء الولاة الفاتحين.ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات. وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقال الذهبي في حوادث سنة 59 فيها توفي سعيد بن العاص الاموي على الصحيح.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ مجلة المنار/ حقيقة الإسلام وأصول الحكم/ شرح السنة للبغوي/ صحيح البخاري/ أنساب الأشراف/ أسد الغابة/ الجرح والتعديل/ كنز العمال/

قال أبو عوانة، قال حصين: قلت لعمر بن جاوان:[1] لم اعتزل الأحنف[2]؟ قال، قال الأحنف: انطلقنا حجاجا فمررنا بالمدينة، فبينما نحن بمنزلنا إذ جاءنا آت فقال: إن الناس قد فزعوا إلى المسجد. فانطلقت أنا وصاحبي، فإذا الناس مجتمعون على نفر وسط المسجد، فتخللتهم حتى قمت عليهم فإذا علي وطلحة[3]، والزبير[4]،وسعد بن أبي وقاص[5] قعود، فلم يك ذاك بأسرع أن جاء عثمان رضي الله عنه يمشي في المسجد عليه ملاءة له صفراء قد رفعها على رأسه، قال فقلت لصاحبي: كما أنت حتى ننظر ما جاء به. فلما دنا منهم قالوا: هذا ابن عفان. قال: أهاهنا علي؟ قالوا: نعم. قال: أهاهنا الزبير؟ قالوا: نعم. قال: أهاهنا طلحة. قالوا: نعم. قال: أهاهنا سعد؟ قالوا: نعم، قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ يَبْتَاعُ مِرْبَدَ بَنِي فُلَانٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ﴾ قال فابتعته بعشرين أو بخمسة وعشرين ألفا، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له: إني قد ابتعت مربد بني فلان. قال:﴿اجْعَلْهُ فِي مَسْجِدِنَا وَأَجْرُهُ لَكَ﴾ قالوا: نعم، ولكنك بدلت. قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ يَبْتَاعُ رُومَةَ غَفَرَ اللهُ لَهُ﴾ فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني قد ابتعت بئر رومة. فقال:﴿اجْعَلْهَا سِقَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَأَجْرُهَا لَكَ﴾ قالوا: نعم، ولكنك بدلت. قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال: ﴿مَنْ جَهَّزَ هَؤُلَاءِ غَفَرَ اللهُ لَهُ﴾ فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاما ولا عقالا. قالوا: نعم، ولكنك بدلت. قال: اللهم، اشهد ثلاث مرات، ثلاث مرات ثم انصرف.

عن حصين بن عبد الرحمن قال، حدثني جهيم قال: أنا شاهد للأمر، قالوا لعثمان: ننقم عليك أنك جعلت الحروف حرفا واحدا. قال: جاءني حذيفة[6]فقال: ما كنت صانعا إذا قيل قراءة فلان وقراءة فلان كما اختلف أهل الكتاب. فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمن حذيفة. قالوا: وننقم عليك أنك حميت الحمى، قال: جاءتني قريش فقالوا: إنه ليس من العرب قوم إلا لهم حمى يرعون فيه عرباء، ففنلت ذلك لهم، فإن رضيتم فأقروا، وإن كرهتم فغيروا أو فلا نقروا. قالوا: وننقم عليك أنك استعملت سفهاء أقاربك. قال: فليقم أهل كل مصر فليسألوني صاحبهم الذي يحبون فأستعمله عليهم، وأعزل عنهم الذي يكرهون. فقال أهل البصرة: رضينا بعبد الله بن عامر[7] فأقره علينا. وقال أهل الكوفة: اعزل عنا سعيدا[8] أو قال الوليد[9]، شك أبو محصن واستعمل علينا أبا موسى الأشعري[10]،ففعل. وقال أهل الشام: رضينا بمعاوية[11]فأقره علينا. وقال أهل مصر: اعزل عنا ابن أبي سرح[12]،واستعمل علينا عمرو بن العاص[13]،ففعل، فما جاؤوا بشيء إلا خرج عنه

قال موسى بن إسماعيل، حدثنا سلام بن مسكين قال، سمعت الحسن قال: خرج عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة فخطب الناس فقام رجل من تلقاء اليسار فقال: أسألك كتاب الله. فقال: ويحك، أليس عندك كتاب الله؟ قال: فأمر رجلا فنهاه، فقام معه رجل وقام مع هذا رجل آخر، وقام مع هذا رجل وقام مع هذا رجل آخر حتى كثروا، ثم تحاصبوا حتى ما أرى أديم الناس، وكأني أنظر إلى رجل معه مصحف بعثته إحدى أمهات المؤمنين فصعد سور المسجد ثم نادى الناس: ألا إن هذا ينهاكم عما تفعلون، إن محمدا قد بريء ممن فرق دينه، وكان شيعا.

عن هشام. بن عروة، عن أبيه قال: خرج عثمان رضي الله عنه من داره يوم جمعة، عليه حلة حبرة، ومعه ناس من مواليه، قد صفر لحيته، فدخل المسجد فجذب الناس ثيابه يمينا وشمالا، وناداه بعضهم يا نعثل*، وكان حليما حييا فلم يكلمهم حتى صعد المنبر، فشتموه فسكت حتى سكتوا، ثم قال: أيها الناس، اسمعوا وأطيعوا ﴿فَإِنَّ السَّامِعَ الْمُطِيعَ لَا حُجَّةَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ السَّامِعَ الْعَاصِيَ لَا حُجَّةَ لَهُ﴾ فناداه بعضهم: أنت السامع العاصي. وقام جهجاه بن سعد الغفاري[14] وكان ممن بايع تحت الشجرة فقال: هلم إلى ما ندعوك إليه. قال: وما هو؟ قال: نحملك على شارف* جرباء ونلحقك بجبل الدخان. لست هناك لا أم لك. وتناول جهجاه عصا كانت في يد عثمان رضي الله عنه، وهي عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسرها على ركبته، ودخل عثمان داره، وصلى بالناس يوم الجمعة سهل بن حنيف[15]،ووقعت في رجل جهجاه الأكلة.

----

*(نعثل) النعثل الشيخ الأحمق ويقال فيه نعثلة أي حمق. ونعثل رجل من أهل مصر كان طويل اللحية قيل إنه كان يشبه عثمان رضي الله عنه وكان أعداء عثمان يسمونه نعثلا تشبيها بالرجل المصري المذكور (شارف) الشارف من النوق هي المسنة الهرمة.

■ (7) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة، أبو عبد الرحمن، ولد بمكة سنة 4 هـ ولاه سيدنا عثمان البصرة سنة 29 هـ وهو فاتح خراسان وغيرها وشهد وقعة الجمل مع عائشة ولم يحضر وقعة صفين.وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين ثم أقام بالمدينة ومات بمكة سنة 59 هـ ودفن بعرفات.

■ (13) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

■ (12) عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري من بني عامر بن لؤي من قريش فاتح أفريقية فارس بني عامر من أبطال الصحابة أسلم قبل فتح مكة وهو من أهلها وكان من كتاب الوحي كان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر وولي مصر سنة 25 هـ بعد عمرو بن العاص فاستمر نحو 12 عاما اعتزل الحرب بين علي ومعاوية في صفين توفي بعسقلان فجأة وهو قائم يصلي سنة 37 هـ وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاع.

■ (10) أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. من بني الأشعر. التميمي، استعمله النبي ومعاذا على زبيد، وعدن. وولي البصرة لعمر، وعثمان، وولي الكوفة، وبها مات سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ.

■ (3) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

■ (4) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي. أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حوراي رسول الله . هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر . أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله روى عنه ابناه عبد الله وعروة ، وروى عنه أيضا الأحنف بن قيس ومالك بن أوس وغيرهم . قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة .سنة 36 هـ

■ (6) حذيفة بن اليمان العبسي أبو عبد الله،كان عمر يسأله عن المنافقين فهو صاحب سر رسول الله شهد أحدا والخندق ونهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن آخذ الراية وكان فتح همذان والري والدينور على يده استعمله عمر على المدائن مات بالمدينة سنة36 هـ بعد قتل عثمان بأربعين يوما

■ (2) الأحنف، أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وكان سيد قومه (زعيم قائد)، موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، روى عن عمر وعثمان وعلي، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ، عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد

■ (11) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (15) أسعد أبو أمامة بن سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري سماه النبي أسعد ولم يسمع من النبي شيئا مات سنة 100 هـ وهو ابن نيف وتسعين سنة. وقيل أكثر روايته عن أصحاب رسول الله. و يعد في كبار التابعين. في الروايات قالوا هو الابن. والأب هو: سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث الأوسى الأنصاري أبو ثابت ويقال أبو سعيد ويقال أبو سعد ويقال أبو عبد الله ويقال أبو الوليد المدني. قال ابن عبد البر شهد بدرا والمشاهد كلها وثبت مع رسول الله يوم أحد وكان بايعه على الموت ثم صحب عليا من حين بويع فاستخلفه على البصرة ثم شهد معه صفين وولاه فارس ومات سنة 38 هـ وصلى عليه علي وكبر ستا.

■ (4) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري المديني، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ.

■ (8) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

■ (9) الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبو وهب الأموي. من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم فيه ظرف ومجون ولهو، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25هـ فانصرف إليها وأقام هناك إلى سنة 29هـ فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر فحده وحبسه. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية فسكنها واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرص معاوية على الأخذ بثأره، ومات بالرقة سنة 61 هـ

■ (14) جهجاه بن سعد الغفاري ؟ هو جهجاه بن مسعود بن سعد بن حرام بن غفار، شهد بيعة الرضوان تحت الشجرة وشهد غزوة المريسيع –غزوة بني المصطلق– وكان أجيرا لعمر بن الخطاب.وقال الطبري المحدثون يزيدون فيه الهاء والصواب جهجا دون هاء.وجهجاه هذا هو الذى جاء وعثمان رضي الله عنه يخطب وبيده عصا النبي صلى الله عليه وسلم فأخذها وكسرها على ركبته اليمنى فدخلت فيها شظية منها فبقى الجرح وأصابته الأكلة وشدت العصا وكانت مضببة.

■ (1) عمر بن جاوان من بنى سعد بن زيد مناة وقد قيل عمرو بن جاوان يروى عن الأحنف بن قيس روى عنه حصين بن عبد الرحمن فأما أكثر الناس فقد رووا عن حصين عن عمر بن جاوان وقال سليمان التيمي وأبو عوانة عن حصين عن عمرو بن جاوان.

☪

اعلم أخي القارىء أن أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه فضائلة كثيرة ومناقبه شهيرة فهو جامع القرآن ومن استحيت منه ملائكة الرحمن رضي الله عنه. عن عبد الله بن عمر قال: جاءني رجل من الأنصار في خلافة عثمان، فكلمني أن أعيب على عثمان فتكلم كلاما طويلا وفي لسانه ثقل فلم يكد يقضي كلامه في سريح* فلما قضى كلامه قلت: إنا قد كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي: أفضل أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان. وإنا والله، ما نعلم عثمان فعل شيئا بغير حق، ولا جاء من الكبائر شيئا، ولكن هو هذا المال: إن أعطاكموه رضيتم، وإن أعطى إلى قرابته سخطتم، إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم لا يتركون لهم أميرا إلا قتلوه. قال: ففاضت عيناه من الدموع، فقال: اللهم، لا نريد ذاك. قال إبراهيم بن المنذر: يريد حبان بن منقذ[1]، كان ألثغ يقول لا خرابة يريد لا خلابة. وعن ابن سمعان، أن ابن شهاب أخبره، أن سالم بن عبد الله أخبره قال: دخل على عبد الله بن عمر رجل من الأنصار يجر النطق جرا، فذكر عثمان وطعن عليه، فقال ابن عمر: ما كنا نفضل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم على هؤلاء الرهط الثلاثة أحدا أبو بكر، وعمر، وعثمان، وإنا لا نعلم عثمان كفر بعد إيمانه، ولا زنى، ولا قتل– بقية الحديث مثل الأول.

ذكر مصعب بن عبد الله الزبيري أن أباه عبد الله بن مصعب أخبره أن الرشيد قال له: ما تقول في الذين طعنوا على عثمان؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، طعن عليه ناس وكان معه ناس، فأما الذين طعنوا عليه فتفرقوا عنه فهم أنواع الشيع وأهل البدع وأنواع الخوارج، وأما الذين كانوا معه فهم أهل الجماعة إلى اليوم، فقال لي: ما أحتاج أن أسأل بعد هذا اليوم عن هذا.قال مصعب وقال أبي وسألني عن منزلة أبي بكر وعمر كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: كانت منزلتهما في حياته منه منزلتهما في مماته فقال: كفيتني ما أحتاج إليه.

----

*(السريح) والسرح إخراج ما في الصدر سهلا سريعا.

■ (1) حبان بن منقذ بن عمرو بن مالك الانصاري له صحبه شهد احدا. توفي حبان في خلافة عثمان بن عفان

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ مصنف ابن أبي شيبة/ ثقات ابن حبان/ الأعلام للزركلي/

حدث أبو ندرة (أبو نضرة ؟)، عن أبي سعيد مولى أبي أسيد: أن عثمان رضي الله عنه نهى عن الحكرة*، قال فلم يزل الرجل يستشفع حتى بدل مولاه. فدخل الزبير[1] رضي الله عنه السوق فإذا هو بموال لبني أمية يحتكرون* فأقبل عليهم ضربا، فبينما هو كذلك إذا هو بعثمان مقبل على بغلة له، فمشى إليه فأخذ بلجام* البغلة فهزها هزا شديدا –قال وأراه قال: إنك وإنك– فقال: إنك ضال مضل، غير أنه قد اشتد عليه في القول ثم تركه. فلما نزل ألقيت له وسادة فجلس عليها، وجاءه الزبير فسلم عليه وقال: والله يا أمير المؤمنين إني لاعلم أن لك حقا ولكني رجل إذا رأيت المنكر لم أصبر. فقال له عثمان: اجلس هاهنا. فأجلسه على الوسادة إلى جنبه.

----

*(الحكرة) حبس الطعام والسلع عن البيع حتى يرتفع سعرها فيبيعها وهو الا حتكار (احتكر الطعام) اشتراه وحبسه ليقل فيغلو (اللجام) الحديدة التي توضع في فم الفرس وما يتصل بها من سيور(أبو نضرة) هو المنذر بن مالك بن قطعة – أبو ندرة العبدي العوفي البصري من ثقات التابعين وهو بكنيته أشهر.توفي سنة 108 هـ

■ (1) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي.أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حورای رسول الله. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر. أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ

الإسلام

عن هشام بن هروة، عن أبيه قال، حدثني مروان بن الحكم وما إخاله يتهم علينا قال أصاب عثمان بن عفان رضي الله عنه رعاف شديد سنة الرعاف حتى حبسه عن الحج. وأوصى، فدخل عليه رجل من قريش فقال له: استخلف. قال: وقالوه؟ قال: نعم. قال: ومن هو؟ فسكت. ثم دخل عليه آخر فقال: استخلف قال أراه الحارث بن الحكم فقال عثمان: وقالوه؟ قال: نعم. قال: ومن هو؟فسكت. قال عثمان: فلعلهم قالوا الزبير. قال: نعم. قال: أما والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمت، وإنه كان أحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

☪

عن أبي سعيد مولى بني أسيد أن عثمان بن عفان كان ينهى عن الحكرة ، قال أبي: وكانوا لا يرون الحكرة إلا في الطعام والأدم. وعن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:﴿مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ، وَاللهِ بَرِيءٌ مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلِ عَرْصَةٍ ظَلَّ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعًا، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللهِ﴾ وعن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ جَمَعَ طَعَامًا وَتَرَبَّصَ بِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ، وَبرِئَ اللهِ مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلِ عَرْصَةٍ ظَلَّ فِي نَادِيهِمْ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَائِعًا، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللهِ﴾ وحدث أبو يحيى المكي، عن فروخ مولى عثمان، أن عمر خرج ذات يوم من المسجد فرأى طعاما منتشرا على باب المسجد، فأعجبه كثرته، فقال: ما هذا الطعام؟ قالوا: طعام جلب إلينا فقال: بارك الله فيه، وفي من جلبه إلينا فقال له بعض أصحابه الذين يمشون معه: يا أمير المؤمنين، إنه قد احتكر قال: ومن احتكر؟ قالوا: فلان مولى عثمان، وفلان مولاك فأرسل إليهما، وقال لهما: ما حملكما على أن تحتكرا طعام المسلمين؟ قالا: يا أمير المؤمنين، نشتري بأموالنا ونبيع إذا شئنا فقال عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ضَرَبَهُ اللهِ بِالْجُذَامِ ، أَوْ بِالإِفْلاَسِ﴾ قال فروخ : يا أمير المؤمنين، أعاهد الله أن لا أعود في طعام بعد هذه أبدا، فتحول إلى مصر وأما مولى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، أموالنا نشتري بها إذا شئنا، ونبيع إذا شئنا، فزعم أبو يحيى، أنه رأى مولى عمر مجذوما مخدوجا. قال أبو داود الطيالسي : حدثنا زيد بن أبي ليلى أبو المعلى العدوي سمعت الحسن، يقول: دخل عبيد الله بن زياد على معقل بن يسار، قال معقل بن يسار: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِّيَهُ عَلَيْهِمْ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَقْذِفَهُ فِي مُعْظَّمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وحدث زيد يعني: ابن مرة أبو المعلى، عن الحسن، قال: ثقل معقل بن يسار، فركب إليه عبيد الله بن زياد يعوده، فقال: هل تعلم يا معقل، أني سفكت دما حراما؟ قال: ما علمت قال: هل علمت أني دخلت في شيء من أسعار المسلمين؟ قال: ما علمت قال: أجلسوني ثم قال: اسمع يا عبيد الله، حتى أحدثك شيئا لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة، ولا مرتين، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول:﴿مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِّيَهُ عَلَيْهِمْ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُقْعِدَهُ فِي مُعْظَّمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال : أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم غير مرة، ولا مرتين.وعن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ذَرُوا عِبَادَ اللهِ، فَلْيَرْزُقِ اللهِ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَإِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُشِرْ عَلَيْهِ﴾.

☪

حدث حصين بن عبد الرحمن قال حدثني جهيم قال أنا شاهد للأمر سعد وعمار فأرسلوا إلى عثمان أن ائتنا فإنا نريد أن نذاكرك أشياء أحدثتها وأشياء فعلتها فأرسل إليهم أن انصرفوا اليوم فإني مشتغل وميعادكم يوم كذا وكذا حتى أتشوف لكم فانصرف سعد وأبى عمار أن ينصرف فتناوله رسول عثمان فضربه فلما اجتمعوا للميعاد ومن معهم قال لهم عثمان ما تنقمون قالوا ننقم عليك ضربك عمارا فقال جاء سعد وعمار فأرسلت إليهما فانصرف سعد وأبى عمار أن ينصرف فتناوله رسولي عن غير أمري فوالله ما أمرت ولا رضيت فهذي يدي لعمار فليصطبر قال أبو محصن يعني يقتص.

قدم تميم بن مقبل العجلاني المدينة وقد اشتد الطعن على عثمان رضي الله عنه فسمعهم يذكرون أن عليا رضي الله عنه رأس ذلك الطعن فدخل يوما على عثمان وعلي إلى جانبه متكئ على وسادة وهو لا يعرف عليا فسأل عن المتكئ فأخبر أنه علي فقال حين رجع إلى بلاده: خرجنا وغادرنا ابن عفان مدنفا..من السيف لا يسلك إلى السيف ضاربه..وذو دائه مستحجن بوساده..إذا شاء غاداه وغابت طبائبه..وبالمصر طب إن أرادوا دواءه..وبالشام ليث تقشعر مناحبه..فإن تقتلوه وتلفظ الأرض بطنها..على الناس فيه فرثه وأقاتبه.

وعن ميمون بن مهران قال: بلغ عليا أن عثمان يريد أن يذكره ويذكر جلساءه إذا صلى الظهر فجاء علي إلى عمه العباس بن عبد المطلب فقال: يا عم إنه بلغني أن أمير المؤمنين يريد أن يذكرني إذا صلى الظهر وجلسائي وإن الناس قد كثروا وأنا أتقي أن يذكرني فأته فانهه عن ذلك فدخل العباس على عثمان وهو على وسادة له فحين رآه تنحى عنها حتى جلس العباس فقال له: ما حاجتك يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أخول في دينك وابن عمك في النسب بلغه أنك تريد ذكره إذا صليت الظهر وأصحابه فلا تفعل. قال: لا آتي ما تكرهون، فإن شئت فمر أخي في ديني وابن عمي في النسب فلئن شاء فليكن أول داخل وآخر خارج وأدناهم مجلسا فلقي العباس عليا فقال: ابن أخي أحب لك أن تكف فإن أخاك في دينك وابن عمك في النسب قال بعد أن قلت ذاك ولكن لا أفعل ما تكرهون جهرا في الإسلام وابن عمي في النسب فليكن أول داخل وآخر خارج وأدناهم مجلسا مني فقال له علي: يا عم لو أردت ذلك لفعله لي ولكن أبى علي وعليه الكتاب. قال عطاء وحدثني بعض أصحابنا قال فقال العباس: اللهم لا تبقني لقتله فمات قبله بشيء.

مراجع: تاريخ المدينة/ الأعلام للزركلي/ إتحاف الخيرة المهرة/ المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني/ ميزان الاعتدال،/ الخلاصة للخزرجي/

حدث إسماعيل بن مجالد بن سعيد قال، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد: أن الوليد بن عقبة[1] كتب إلى عثمان رضي الله عنه يبغضه على ابن مسعود[2]، وأن عثمان سيره من الكوفة إلى المدينة وحرمه عطاءه ثلاث سنين. وعن الأعمش، عن زيد بن وهب قال، بعث عثمان رضي الله عنه إلى عبد الله: إما أن تدع هؤلاء الكلمات* وإما أن تخرج؟ فخرج عبد الله، فبلغ ذلك أهل الكوفة فخرجوا في السلاح حتى وصلوا الجبانة، فقالوا له: ارجع فإنا لا نأمن هذا الرجل عليك والله لا يصل إليك أحد ونحن أحياء. فقال عبد الله: إن له علي بيعة، وإنه كائن أمر، وإني أكره أن أكون أول من فتحه عزمت عليكم لترجعن. فرجعوا. حدث إسماعيل بن أبي خالد قال: لما بلغ عثمان أن عبد الله مريض حمل إليه عطاءه خمسة عشر ألفا، وكان عطاء البدريين خمسة آلاف، فدخل عليه عثمان فقال: كيف تجدك ؟ قال: مردود إلى مولاي الحق. قال: يرحمك الله، كأنها ظنة، هذا عطاؤك خمسة عشر ألفا فاقبضه. قال: منعتنيه إذ كان ينفعني! فأنا آخذه منك يوم القيامة. فانصرف ولم يقبل عطاءه.وحدث إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر قال: دخل عثمان على عبد الله يعوده وقال: هذا عطاؤك فخذه. قال: لا حاجة لي فيه، منعتني إذ كان ينفعني وكان حرمه عطاءه عامين. وعن القاسم، وعمران بن عمر قالا: دخل عثمان على عبد الله يعوده، فاستغفر كل واحد منهما لصاحبه. وعن القاسمي بمثله، وزاد: فلما قام نال رجل من عثمان. فقال عبد الله: ما سرني أني أردت عثمان بسهم فأخطأه وأن لي مثل أحد ذهبا. حدث إسماعيل بن مجالد قال، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد قال: أوصى عبد الله إلى الزبير[3] وأمره ألا يصلي عليه عثمان، فلما مات عجله، وانتهى عثمان إلى القبر حين رفعوا أيديهم من التراب فقال: يا زبير لم لم تؤذن أمير المؤمنين ولم تعلمه. قال الزبير: إنما كرامة الميت تعجيله. فقال عثمان: فعلت هذا عمدا، لم يكن بك تعجيله، لولا أن تكون سنة لنبشته حتى أصلي عليه. فقال الزبير: ما كنت تصل إلى ذاك. وتفرقا. ثم أتى على ذلك ما شاء الله، ثم كلم الزبير عثمان فقال: يا أمير المؤمنين عيال عبد الله أحق بعطائه من بيت المال. فدفع إليه عطاءه. وعن قيس قال: قال الزبير لعثمان بعد ما مات عبد الله: أعطني عطاء عبد الله فعيال عبد الله أحق بعطائه من بيت المال، فأعطاه خمسة عشر ألف درهم. وعن مالك بن الحارث عن أبي خالد من أصحاب عمر قال: وفدنا إلى عمر، فأجازنا ففضل أهل الشام علينا في الجائزة، فقلنا: يا أمير المؤمنين، أتفضل أهل الشام علينا؟! فقال: يا أهل الكوفة، أجزعتم أن فضلت أهل الشام عليكم لبعد شقتهم، لقد آثرتكم بابن أم عبد. وعن أبي وائل أن ابن مسعود رضي الله عنه رأى رجلا قد أسبل فقال: ارفع إزارك، فقال: وأنت يا ابن مسعود ارفع إزارك، فقال له عبد الله: إني لست مثلك إن بساقي حموشة وأنا أؤم الناس. فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فجعل يضرب الرجل ويقول: أترد على ابن مسعود؟. وعن العلاء عن أشياخ لهم قال: كان عمر على دار لابن مسعود رضي الله عنه بالمدينة ينظر إلى بنائها. فقال رجل من قريش: يا أمير المؤمنين إنك تكفى هذا، فأخذ لبنة فرمى بها، وقال: أترغب بي عن عبد الله؟.

----

*(هذه الكلمات) هي: إن أصدق القولِ كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد، وشر الامور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. وكان يقولها كل جمعة بالكوفة جاهرا معلنا معرضا بعثمان (شرح نهج البلاغة وأنساب الا شراف) وقيل هي: أيها الناس لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو يسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم (الرياض النضرة وتاريخ الخميس)

■ (2) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي من أكابر الصحابة ومن أقربهم إلى رسول الله وهو من السابقين إلى الإسلام وكان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب سره ولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفى بها.سنة 32 هـ

■ (3) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي.أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حواري رسول الله. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر. أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ

■ (1) الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبو وهب الأموي. من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم فيه ظرف ومجون ولهو، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25هـ فانصرف إليها وأقام هناك إلى سنة 29هـ فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر فحده وحبسه. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية فسكنها واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرص معاوية على الأخذ بثأره، ومات بالرقة سنة 61 هـ

☪

عن عطاء بن السائب، عن عامر الشعبي: أن رجلا من بني أميه غصب رجلا من أهل اليمن إبلا له، فجاء الرجل إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين، إن فلانا غصبني إبلي. فقال عثمان: نحن نرد عليك إبلك بفضالها. قال: إذن لا تبلغوا وادي حتى تهلك فصالها وتنقطع ألبانها. فأومى إليه بعض القوم فقال: قل اجعل بيني وبينك عبد الله بن مسعود. فنظر عثمان فإذا هو بابن مسعود في غمار الناس، فقال: قل فيها يا أبا عبد الرحمن. فقال: كدت* أقول فيها، وإنك تزعم أني كافر. قال: قلت ذاك ولكني وجدت عليك فيما يجد فيه الاخ على أخيه.فقال عبد الله: إنك إن دفعت إليه إبله هاهنا لم تبلغ واديه حتى تنقطع ألبانها وتهلك فصالها، ولكن ادفع إليه إبله بألبانها وفصالها بواديه.

☪

عن عبد الله قال: مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وأنا أمجد الله وأعظمه وأصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال:﴿سَلْ تُعْطَهُ﴾، ولم أسمعه، فأدلج إلي أبو بكر يبشرني بما قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتاني عمر فأخبرني بما قال لي النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: قد سبقك إليها أبو بكر، فقال عمر: يرحم الله أبا بكر، ما استبقنا بخير قط إلا سبقني إليه، إنه كان سباقا بالخيرات. قال: فقال عبد الله: قد صليت منذ كذا وكذا، ما صليت فريضة ولا تطوعا إلا دعوت الله في دبر كل صلاة:﴿اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لاَ يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْلَى دَرَجَةِ الْجَنَّةِ جَنَّةِ الْخُلْدِ﴾ فأنا أرجو أن اكون قد دعوت بهن البارحة. وفي حديث آخر بمعناه عن قيس بن مروان أنه أتى عمر فقال: جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة، فتركت بها رجلا يملي المصاحف عن ظهر قلبه. فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرجل، فقال: ومن هو ويحك؟ قال: عبد الله بن مسعود، فما زال يطفأ ويسير عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها، ثم قال: ويحك، والله ما أعلم بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه. الحديث. وعن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بين أبي بكر وعمر، وعبد الله يصلي، فافتتح سورة النساء، ويسجلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ﴾ ثم سأل في الدعاء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿سَلْ تُعْطَهُ، سَلْ تُعْطَهُ، سَلْ تُعْطَهُ﴾ فقال فيما قال:﴿اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لاَ يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْلَى دَرَجَةِ الْجَنَّةِ جَنَّةِ الْخُلْدِ﴾ فأتى عمر عبد الله ليبشره فوجد أبا بكر خارجا قد سبقه فقال: إن فعلت إنك لسباق بالخير.

☪

عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين الزبير وابن مسعود. وعن هشام بن عروة، عن أبيه قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين عبد الله وبين ابن الزبير بالاخوة التي كانوا يتوارثون بها قبل أن تنزل آية المواريث.وعن القاسمي قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين الزبير وبين عبد الله، وأوصى عبد الله إلى الزبير: في طبقات ابن سعد: عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن ابن مسعود أنه أوصى فكتب في وصيته: بسم الله الرحمن الرحيم، إن حدث به حدث في مرضه هذا فإن مرجع وصيته إلى الله وإلى الزبير بن العوام وإلى ابنه عبد الله بن الزبير: أنهما في حل وبل مما ولي وقضيا، وأنه لا تزوج امرأة من بنات عبد الله إلا بإذنهما لا تحظر عن ذلك زينب -زوجه- وفي رواية أخرى عنه فقضيا لا حرج عليهما في شئ منه، وأنه لا تزوج امرأة من بناته إلا بعلمهما، ولا يحجر ذلك عن امرأته زينب بنت عبد الله الثقفية وكان مما أوصى به في رقيقه إذا أدى فلان خمسمائة فهو حر. وفي الغدير ومجمع الزوائد وأنساب الاشراف: إن وصيه عمار بن ياسر.

☪

حدث مطرف بن أبي بكر الهذلي، عن أبيه، عن الزهري قال، كان أمراء الاجناد يقدمون على عثمان في كل عام، فقدم عليه ابن أبي سرح[1] من مصر، ومعاوية[2] من الشام، وعبد الله بن عامر[3] من البصرة وسعيد بن العاص[4] من الكوفة، فقال لهم عثمان: يا بني أمية أنتم باطنتي دون ظاهري، وقد أكثر الناس شكايتي حتى تناولني بها البعيد، وآذاني بها القريب، فأشيروا علي؟ فأشار عبد الله بن عامر -وكان امرأ سخيا- فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس إنما يرضيهم ما أسخطهم، وهي هذه الاموال، فأعطهم منها تستل بذلك سخائم صدورهم وضغائن قلوبهم وضبابها. ثم تكلم ابن أبي سرح فقال: يا أمير المؤمنين إن لك عليهم حقا ولهم عليك حقا، فأعطهم حقهم عليك وخذهم بحقك عليهم، واتبع سنة الدين قبلك يجتمعوا بالرضا عليك. ثم تكلم سعيد بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس قد أمروا وجوا حتى كبرت كبراهم، فابعثهم جيوشا وجرهم* في المغازي حتى تكون دبرة دابة أحدهم أهم إليه من التفكر في أمر الائمة. ثم تكلم معاوية فقال: إني سمعت الذي قالوا فليسمعوا الذي أقول.ليكلفك كل رجل منهم مصره، وأكفيك الشام، فلن تؤتى من الشام أبدا.وعن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن أبيه بنحوه.

قال المدائني: ويقال إن سعيد بن العاص هو قائل المقالة التي رويت عن ابن أبي سرح، قال المدائني وهو الذي أعتقد.قال: وقال معاوية: يا أمير المؤمنين إنك قد بلغت من صلتنا ما يبلغه كريم قوم من صلة قوم، حملتنا على رقاب الناس، وجعلتنا أوتاد الارض، فخذ كل رجل منا بعمله وما يليه يكفك. قال: فأخذ بقول معاوية ورد عماله إلى أمصارهم. فقال له معاوية: اخرج معي إلى الشام فهم سيعتك وأنصارك. فقال: ما كنت لا فارق مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجده ومنازل أزواجه. قال: فإذ أبيت فإذن لي أجهز إليك جيشا من الشام تطأ بهم من رابك. قال: لا أكون أول من أذل المهاجرين. قال: فلا تخرج ولا تأذن لي أوجه إليك جيشا ؟! أنت مقتول. ثم خرج إلى المسجد وفيه نفر من المهاجرين فقال: أوصيكم بشيخي هذا خيرا، والله لئن أحدثتم فيه حدثنا لا أعطيكم إلا السيف. فقال بعضهم: ألا تسمعون لما يقول هذا؟ فرد عليهم آخرون: لا تلوموه أن يتكلم في ابن عمه.

----

* (كدت أقول فيها)كذا في الاصل، ولعلها كيف أقول فيها؟ (جرهم) جر الجيش في المغازي: حبسه في أرض العدو ولم يقفله – وفي الحديث الشريف: لا تجمروا الجيش فتفتنوهم.

■ (2) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (1) عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري من بني عامر بن لؤي من قريش فاتح أفريقية فارس بني عامر من أبطال الصحابة أسلم قبل فتح مكة وهو من أهلها وكان من كتاب الوحي كان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر ولي مصر سنة 25 هـ بعد عمرو بن العاص فاستمر نحو 12 عاما اعتزل الحرب بين علي ومعاوية في صفين توفي بعسقلان فجأة وهو قائم يصلي سنة 37 هـ وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاع.

■ (3) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عامر بن كريز، فاتح خراسان وغيرها، ولد بمكة سنة4 هـ عندما عزل عثمان أبا موسى عن البصرة، وعثمان بن أبي العاص عن فارس، جمعهما لابن عامر سنة 29 هـ فوجه جيشا إلى سجستان فافتتحها صلحا، وافتتح الداور، وبلادا من دار ابجرد وهاجم مرو الروذ فافتتحها، وبلغ سرخس فانقادت له، وفتح أبرشهر عنوة، وطوس وطخارستان ونيسابور وأبيورد وبلخ والطالقان والفارياب. وافتتحت له رساتيق هراة وآمل وبست وكابل.وقتل عثمان، وهو على البصرة. وشهد وقعة الجمل مع عائشة، وقيل لم يحضر وقعة صفين. وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس على خلافته (أي بعد تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة حقنا لدماء المسلمين) ثم صرفه عنها فأقام بالمدينة ومات بمكة قبل معاوية بعام ودفن بعرفات سنة 59هـ.

■ (4) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

مراجع: تاريخ المدينة/ الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ الطبقات الكبرى/

◆ عثمان بن عفان (ذو النورين، ذو الهجرتين، أمير المؤمنين، ثالث الخلفاء الراشدين) وعبيد الله بن عدي 0148

عن الزهري، عن عروة، عن عبيد الله بن عدي ابن الخيار[1] قال: جلست إلى المسور بن مخرمة[2] وعبد الرحمن بن الاسود ابن عبد يغوث[3] فقالا لي: ألا تكلم خالك في شأن هذا الرجل[4] الذي قد أكثر الناس فيه؟ فعرضت لعثمان رضي الله عنه حين انصرف من الصلاة فقلت: يا أمير المؤمنين إن لك عندي نصيحة. فقال: أعوذ بالله منك أيها المرء. فرجعت حتى جلست إلى المسور وعبد الرحمن فأخبرتهما بما قلت وقال لي. فقالا: قد قضيت ما عليك، فوافاني رسول عثمان رضي الله عنه فقال: أجب. فقالا لي: قد ابتليت. فأتيته، فقال لي: ما هذه النصيحة التي ذكرت لي آنفا ؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إنك كنت ممن استجاب لله ولرسوله، وهاجرت الهجرتين جميعا، والثالثة صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه وسيرته. فقال: يا ابن أخت، وهل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت: لا، ولكنه قد خلص إلي من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها*. فقال: أنا كما قلت ممن استجاب لله ولرسوله، وهاجرت الهجرتين جميعا، والثالثة صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عني راض، ثم بايعت أبا بكر[5] رضي الله عنه، فسمعت وأطعت حتى توفاه الله، ثم بايعت عمر[6] رضي الله عنه فسمعت وأطعت حتى توفاه الله وهو عني راض، إنما لي عليكم من الحق مثل الذي كان لهم علي: قلت: بلى. قال: فما هذه الاحاديث التي تبلغني عنكم؟ فأما ما ذكرت من أمر هذا الرجل الوليد بن عقبة فسنأخذ فيه إن شاء الله بالحق، فدعا عليا[7] وأمره بضربه أربعين.

وفي رواية عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن قوما قالوا لعدي بن الخيار: أما تريد أن تكلم خالك فيما يقول الناس؟ قال: بلى..قال عدي: فعرضت له عند الظهر فكأنه علم ما أريد، فأخذ بيدي فقال: أيا عدي، والله إني لمظلوم منعي علي، لقد أسلمت وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما خالفته ولا غششته، ثم صحبت أبا بكر، ثم عمر رضي الله عنهما فما خالفتهما ولا غششتهما حتى ماتا، أفما ترون لي مثل ما رأيت لمن قبلي؟ قلت: إنه لك حق، ولكن الناس يأتونني. قال: فدفع في صدري وقال: فأنا أنا.

عن أبي الضحى قال: كان أبو زينب الازدي[8]، وأبو مروع[9] يلتمسان عثرة الوليد، فجاءا يوما –ولم يحضر الصلاة– فسألا عنه وتلطفا حتى علما أنه يشرب، فاقتحما الدار فوجداه يقيء، فاحتملاه وهو سكران فوضعاه على سريره، وأخذا خاتمه وخرجاه، فأفاق، فتفقد خاتمه، فسأل، فقالوا: قد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك فقال: صفوهما، فوصفوهما. فقال: هذان أبو زينب وأبو مروع. ولقي أبو زينب وأبو مروع عبد الله بن جبير الاسدي[10]، وعقبة بن يزيد البكري[11] وغيرهما فأخبراهم، فقالوا: اشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلموه فشخصوا فقالوا له: إنا جئناك لامر نحن مخرجوه إليك من أعناقنا. قال: وما هو؟ قالوا: رأينا الوليد سكران من خمر قد شربها، وهذا خاتمه أخذناه وهو لا يعقل، فأرسل إلى علي رضي الله عنه يشاوره، فقال، أرى أن تشخصه فإن شهدوا عليه بمحضر منه حددته، فكتب إليه عثمان رضي الله عنه فقدم فشهدوا عليه –أبو زينب وأبو مروع وجندب[12] وسعد بن مالك الاشعري[13]– ثم شهد عليه الايمان، فقال عثمان رضي الله عنه لعلي: قم فاضربه. فقال علي للحسن[14]: قم فاضربه. فقال الحسن: ومالك ولهذا؟ يكفيك هذا غيرك –فقال علي لعبد الله بن جعفر[15]: قم فاضربه. فضربه بمخصرة* لها رأسان، فلما بلغ أربعين قال له: أمسك.

----

*(ما يخلص إلى العذراء في سترها) أي وصل إليه – والمراد بيان حال وصول علمه صلى الله عليه وسلم كما وصل علم الشريعة إلى العذراء من وراء الحجاب لكونه كان شائعا ذائعا. فوصوله إليه بطريق الاولى لحرصه على ذلك، كذا قاله القسطلاني في إرشاد الساري، وانظر الخبر في فتح الباري، وصحيح البخاري بشرح الكرماني ومسند أحمد، والبداية والنهاية، والرياض النضرة(مخصرة) قضيب أو عصا

■ (1) عبيد الله بن عدي بن الخيار بكسر المعجمة ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف النوفلي المدني ولد في حياة النبي روى عن عمر وعثمان وعلي وعنه عطاء بن يزيد وجعفر بن أمية الضمري، مات بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك في حدود التسعين.وعدي بن الخيار بن عدي بن نوفل كان من الطلقاء وقد قتل في غزوة بدر سنة 2 هـ

■ (4) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب، الاموي القرشي: وال.من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم. فيه ظرف ومجون ولهو. وهو أخو عثمان ابن عفان لامه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25 هـ فانصرف إليها، وأقام إلى سنة 29 هـ فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر، فعزله ودعا به إلى المدينة، فجاء، فحده وحبسه. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية، فسكنها. واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرض معاوية على الاخذ بثأره. ومات بالرقة سنة 61 هـ.

■ (2) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، كنيته أبو عبد الرحمن. ولده بمكة سنة 2 هـ وقدم به المدينة سنة 8 هـ عام الفتح. كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم أدرك النبي وهو صغير وسمع منه وحج معه، وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف ليالي الشورى حفظ عنه أشياء روى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة شهد فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد وهو الذي حرض عثمان على غزوها ثم كان مع ابن الزبير فأصابه حجر من حجارة المنجنيق في الحصار بمكة فقتل سنة 74 هـ

■ (3) عبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري روى عن أبي بكر وعمر وعمرو بن العاص وأبي بن كعب وعائشة.عداده في أهل المدينة روى عنه أهلها ومن زعم أنه عبد الله بن الاسود فقد وهم قاله إبراهيم بن سعد وهو يعد في الصحابة أيضا أمه آمنة بنت نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة يروى عن عمر وعثمان روى عنه ابنه يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة مات عبد الرحمن سنة 68 هـ. وقد قيل إنه ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

■ (8) زهير بن عوف بن الحارث ويقال زهير بن الحارث بن عوف أبو زينب مشهور بكنيته الذي شهد على الوليد بن عقبة، قال أبوعمر: من أخرجه في الصحابة فقد أخطأ، ليس له شيء يدل على ذلك. أخرجه أبو عمر.

■ (15) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم. السيد، العالم، أبو جعفر القرشي، الهاشمي، ولد في الحبشة سنة 1 هـ ، وله صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وروى أيضا عن عمه؛ علي، وعن أمه؛ أسماء بنت عميس. حدث عنه أولاده، وآخرون. وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم. وله وفادة على معاوية.ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ. ويقال: سنة 90 هـ

■ (6) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (5) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

■ (7) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (14) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (12) جندب بن عبد الله، ويقال: جندب بن كعب، أبو عبد الله الا زدي صاحب النبي صلى الله عليه وسلم. روى عن النبي، وعن علي، وسلمان الفارسي. قدم دمشق، ويقال له: جندب الخير، وهو الذي قتل المشعوذ. وجندب بن عبد الله بن زهير، وقيل: جندب بن زهير بن الحارث الغامدي الازدي الكوفي. قيل: له صحبة وما روى شيئا. شهد صفين مع علي أميرا، كان على الرجالة، فقتل يومئذ. وقال أبو عبيد: جندب الخير: هو جندب بن عبد الله بن ضبة، وجندب بن كعب: هو قاتل الساحر، وجندب بن عفيف، وجندب بن زهير قتل بصفين، وكان على الرجالة، فالاربعة من الازد. وجندب بن جندب بن عمرو بن حممة الدوسي الازدي، قتل يوم صفين مع معاوية. نقله ابن عساكر، وأن جده من المهاجرين.

■ (9) ومورع بن أبي مورع الأسدي ؟؟ (10) عبد الله بن جبير الاسدي ؟؟ (11) عقبة بن يزيد البكري ؟؟ (13) سعد بن مالك الاشعري ؟؟

☪

روى خالد الحذاء، عن أبي عثمان النهدي: أن ساحرا كان يلعب عند الوليد بن عقبة الامير، فكان يأخذ سيفه، فيذبح نفسه ولا يضره، فقام جندب إلى السيف، فأخذه، فضرب عنقه، ثم قرأ: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الانبياء] وعن الحسن، عن جندب الخير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ﴾ ضعيف – السنن الكبرى للبيهقي وعن أبي الاسود، أن الوليد كان بالعراق، فلعب بين يديه ساحر، فكان يضرب رأس الرجل، ثم يصيح به، فيقوم خارجا، فيرتد إليه رأسه، فقال الناس: سبحان الله سبحان الله، ورآه رجل من صالحي المهاجرين، فلما كان من الغد اشتمل على سيفه، فذهب ليلعب، فاخترط الرجل سيفه، فضرب عنقه، وقال: إن كان صادقا، فليحي نفسه. فسجنه الوليد، فهربه السجان لصلاحه. وعن أبي مخنف لوط، عن خاله، عن رجل، قال: جاء ساحر من بابل، فأخذ يري الناس الاعاجيب، يريهم حبلا في المسجد وعليه فيل يمشي، ويري حمارا يشتد حتى يجئ فيدخل في فمه ويخرج من دبره، ويضرب عنق رجل، فيقع رأسه، ثم يقول له: قم، فيعود حيا. فرأى جندب بن كعب ذلك، فأخذ سيفا، وأتى والناس مجتمعون على الساحر، فدنا منه، فضربه، فأذري رأسه، وقال: أحي نفسك، فأراد الوليد بن عقبة قتله، فلم يستطع، وحبسه.

وعن بجالة قال: كنت كاتبا لجزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: أن اقتلوا كل ساحر، وربما قال: وساحرة، وفرقوا بين كل محرم من المجوس، وانهوهم عن الزمزمة*. فقتلنا ثلاث سواحر، وجعلنا نفرق بين الرجل وحريمته في كتاب الله، وصنع جزء طعاما كثيرا، وعرض السيف على فخذه ودعا المجوس، فألقوا وقر* بغل أو بغلتين من ورق وأكلوا بغير زمزمة، ولم يكن عمر رضي الله عنه أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر.

☪

عن أبي إسحاق خلف المذحجي قال: حدثني هرار بن موسى الهمذاني قال: كان من أمر الوليد بن عقبة ما كان حيث شهدوا عليه أنه شرب الخمر فأتى به عثمان رضي الله عنه فلما ثبتت عليه الشهادة قال علي أنا جلاد قريش سائر اليوم فضربه الحد ثم قال: لا تجزعن أبا وهب فإنما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود وذاك أن امرأة منهم ذات شرف وهيئة فجرت فأرادوا أن يقيموا عليها الحد وكانت في عدد فقال أهلها: أيقام على فلانة الحد فلم يزالوا حتى تركت فلم يقم عليها الحد وفجرت امرأة منهم دونها من الحسب فأرادوا أن يقيموا عليها الحد فقال أهلها: ما بالكم تقيمون على فلانة الحد وتركتم الأخرى فتركوها فعطلوا الحدود.

☪

عن أبي محمد القرشي قال: ذكرعند معاوية قول حذيفة بن اليمان[1]: إني لم أشرك في دم عثمان فقال: بلى لقد شرك في دمه، فقال عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث: الرجل كان أعلم بنفسه، قال معاوية: وأنت أيضا قد شركت في دمه بطعنك عليه وخذلانك له، فقال: إني كنت أنهى عثمان عما قيل فيه وكنت تأمره به، فلما اشتد الأمر والتقت حلقتا البطان كتب إليك يستنصرك، فأبطأت عنه حتى قتل. لما حصر عثمان اطلع من فوق داره، فذكر أنه يستعمل عبد الرحمن بن الأسود على العراق، فبلغ ذلك عبد الرحمن فقال: والله لركعتان أركعهما أحب إلي من الإمرة على العراق. كان عبد الرحمن بن الأسود رجلا صالحا، يعتبر من كبار التابعين.

----

*(الزمزمة) كلام يقوله المجوس عند أكلهم بصوت خفي (الوقر) بكسر الواو، الحمل، وأكثر ما يستعمل في حمل البغل والحمار.

■ (1) حذيفة بن اليمان العبسي أبو عبد الله،كان عمر يسأله عن المنافقين فهو صاحب سر رسول الله شهد أحدا والخندق ونهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن آخذ الراية وكان فتح همذان والري والدينور على يده استعمله عمر على المدائن مات بالمدينة سنة36 هـ بعد قتل عثمان بأربعين يوما

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ مصنف ابن أبي شيبة/ ثقات ابن حبان/ الأعلام للزركلي/ الثقات لابن حبان/ تهذيب التهذيب/ أسد الغابة/ أخبار المدينة/محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/

عن أبي عبيدة ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أزهر، عن أبيه، عن جده: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه اشتكى رعافا فدعا حمران[1] فقال: اكتب لعبد الرحم[2] العهد من بعدي. فكتب له، فانطلق حمران فقال: لي البشرى. قال: لك البشرى، وذاك ماذا؟ قال: إن عثمان قد كتب لك العهد من بعده. فأقبل عبد الرحمن إلى عثمان فقال: أكان يصلح لك أن تكتب لي العهد من بعدك، والله يعلم أني أخشى أن يحاسبني في أهلي ألا أكون أعدل بينهم، فكيف بأمة محمد؟! فقال عثمان: عزمت عليك، أحمران أخبرك؟ قال: نعم. فقال: يا حمران فأعاهد الله ألا تساكنني أبدا، فأخرجه. وأما أنت يا أبا محمد فهل وليتني هذا الامر يوم وليته وأنت تقدر على أن تصرف ذلك إلى نفسك، أو توليه من بدا لك، وفي القوم من هو أمس بك يومئذ رحما مني إلا رجاء الصلة والاحسان فيما بيني وبينك؟ فقال عبد الرحمن: وليتك ما وليتك والله يعلم أني قد اجتهدت ولم آل أن أجد خير عباده. أما أنا فكان يعلم الله موضعي ما لم أكن لاليها، وأما أنا فاجتهدت لامة محمد فوليت أمرهم خيرهم، فإذا سألني قلت: يا رب وليت أمرهم خيرهم فيما أعلم. قال عثمان: فاجتهدت أنت لنفسك وحرصت، وأنا والله ما آلو أن أجتهد وأحرص في أفضل من أعلم، والله لا أفتك هذا من رقبتك أبدا. فلما رأى ذلك عبد الرحمن انصرف، فقام بين المنبر والقبر فدعا فقال: اللهم إن كان من تولية عثمان إياي ما ولاني فأمتني قبل عثمان فلم يمكث إلا ستة أشهر حتى قبضه الله.

حدث ابن وهب قال، حدثني الليث بن سعد: أن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه خرج إلى العمرة في خلافة عثمان رضي الله عنه فاشتكى عثمان بعده حتى خاف على نفسه، وأوصى ودعا مولاه حمران فكتب عهد في الناس، واستخلف عبد الرحمن بن عوف في عهده، وأمر حمران ألا يذكر لبشر، فلم يرجع عبد الرحمن من العمرة حتى عوفي عثمان، فانطلق حمران إلى ابن عوف حين قدم فرحب به، ثم أخبره بالذي كان من استخلافه إياه على الامة واستكتمه، فقال عبد الرحمن: ما يسعني أن أكتم ذلك عنك، وما لي بد أن أخبره إياه ليحذرك. قال: أهلكتني. قال: إني لم أفعل حتى أستأمن لك منه. فأتاه عبد الرحمن مسلما ودعا له فيما رزقه الله من العافية، ثم قال: إن لبعض الناس ذنبا لا إثم عليك في العفو عنه، فهب ذلك لي. قال: ما أنا بفاعل حتى تخبرني ما هو، قال: ما أنا بمخبرك، ولكن أعطني ذلك. فلم يزل به حتى فعل، فقال: قد عفوت عنه إن كان شيئا لا إثم فيه. فذكر له أمر حمران. فقال: أخيره في العقوبة أو فراقي. فقال: حمران أفشيت سري؟! قال: قد كان ذلك. قال: فاختر أي ذلك شئت، إن شئت أن أجلدك مائة سوط، وإن شئت أن تخرج فلا أراك ولا تراني. فاختار الخروج إلى العراق، فأصاب هنالك –لمكانته من عثمان– مالا وولدا، فلهم بالعرق عدد وشرف وأموال.

حدث الليث بن سعد، أن يزيد بن أبي حبيب حدثه، عمن حدثه: أن عبد الرحمن بن عوف أرسل إلى عثمان رضي الله عنه وهو مريض يعاتبه في بعض ما عتب الناس عليه فيه، وقال لرسوله: اقرأ على أمير المؤمنين السلام، وقل له: لقد وليتك ما وليتك من أمر الناس، وإن لي لامورا ما هي لك، لقد شهدت بدرا وما شهدتها، وشهدت بيعة الرضوان* وما شهدتها، ولقد فررت يوم أحد وصبرت. فقال عثمان لرسوله: اقرأ على أخي السلام وقل له: أما ما ذكرت من شهودك بدرا وغيبتي عنه، فقد خرجت للذي خرجت له فردني رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطريق إلى ابنته التي كانت تحتي لما بها من المرض، ووليت من ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يحق علي حتى دفنتها، ثم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من بدر فبشرني بأجر عند الله مثل أجوركم، وأعطاني سهما مثل سهمانكم، فأنا أفضل أم أنتم؟ وأما بيعة الرضوان فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعثني إلى قريش لاستأذن له بالدخول بالهدي، يطوف بالبيت، وينحر بدنه، يحل من عمرته، فاستبطأني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخاف أن يكون غدر بي فهاجه مكاني على بيعة الرضوان، فلما فرغ من بيعتكم ضرب بإحدى يديه على الاخرى وقال: هذه بيعة عثمان، أفأيديكم أفضل أم يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! وأما ما ذكرت من صبرك يوم أحد وفراري فقد كان ذاك، فأنزل الله العفو عني في كتاب، فعيرتني بذنب غفره الله لي، ونسيت من ذنوبك ما لا تدري أغفر لك أم لم يغفر. فلما جاءه الرسول بهذا بكى. وقال: صدق والله أخي: لقد عيرته بذنب غفره الله له، ونسيت من ذنوبي ما لا أدري أغفرت لي أم لم تغفر.

----

*(بيعة الرضوان) كانت بيعة الشجرة في مستهل ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، تحت شجرة سمرة في مكان بالقرب من مكة يسمى بالحديبية.

■ (2) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أبو محمد، الزهري القرشي: صحابي، من أكابرهم. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم، وأحد السابقين إلى الاسلام، قيل: هو الثامن. وكان من الاجواد الشجعان العقلاء. اسمه في الجاهلية عبد الكعبة أو عبد عمرو وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن. ولد بعد الفيل بعشر سنين 43 أو 44 ق هـ. وأسلم، وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها. وجرح يوم أحد 21 جراحة. وأعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا. وكان يحترف التجارة والبيع والشراء، فاجتمعت له ثروة كبيرة. وتصدق يوما بقافلة، فيها سبع مئة راحلة، تحمل الحنطة والدقيق والطعام. ولما حضرته الوفاة أوصى بألف فرس وبخمسين ألف دينار في سبيل الله. له 65 حديثا. ووفاته في المدينة سنة 32 هـ.

■ (1) حمران بن أبان الفارسي الفقيه، مولى أمير المؤمنين عثمان. كان من سبي عين التمر، ابتاعه عثمان من المسيب بن نجبة. حدث عن عثمان، ومعاوية. وهو قليل الحديث. قال صالح بن كيسان: كان ممن سباه خالد من عين التمر. وقال مصعب الزبيري: إنما هو حمران بن أبا. فقال بنوه: ابن أبان. وقال ابن سعد: نزل البصرة وادعى ولده أنه من النمر بن قاسط. قال قتادة: كان حمران يصلي خلف عثمان، فإذا أخطأ فتح عليه. وعن الزهري أن حمران كان يأذن على عثمان. وقيل كان كاتب عثمان. وكان وافر الحرمة عند عبد الملك. طال عمره وتوفي سنة نيف وثمانين.

عن أم بكر بنت المسور عن أبيها قال لما ولي عبد الرحمن بن عوف الشورى كان أحب الناس إلي أن يليه فإن تركه فسعد بن أبي وقاص فلحقني عمرو بن العاص فقال ما ظن خالك بالله أن ولى هذا الأمر أحدا وهو يعلم أنه خير منه قال: فقال لي: ما أحب فأتيت عبد الرحمن فذكرت ذلك له فقال: من قال ذلك لك؟ فقلت: لا أخبرك، فقال: لئن لم تخبرني لا أكلمك أبدا، فقلت: عمرو، فقال عبد الرحمن: فو الله لأن تؤخذ مدية فتوضع في حلقي ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر أحب إلي من ذلك.

عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه قال قال المسور بن مخرمة بينما أنا أسير في ركب بين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وعبد الرحمن قدامي عليه خميصة*سوداء فقال عثمان من صاحب الخميصة السوداء قالوا عبد الرحمن بن عوف فناداني عثمان يا مسور فقلت لبيك يا أمير المؤمنين فقال من زعم أنه خير من خالك في الهجرة الأولى وفي الهجرة الثانية الآخرة فقد كذب. وعن أنس بن مالك:﴿أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَآخَى رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: أَيْ أَخِي أَنَا أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَالًا فَانْظُرْ شَطْرَ مَالِي فَخُذْهُ وَتَحْتِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَيُّهُمَا أَعْجَبُ إِلَيْكَ حَتَّى أُطَلِّقَهَا؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللهُّ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ فَدَلُّوهُ عَلَى السُّوقِ فَذَهَبَ فَاشْتَرَى وَبَاعَ وَرَبِحَ فَجَاءَ بِشَيْءٍ مِنْ أَقِطٍ* وَسَمْنٍ ثُمَّ لَبِثَ مَا شَاءَ اللهُّ أَنْ يَلْبَثَ فَجَاءَ وَعَلَيْهِ رَدْعُ زَعْفَرَانٍ* ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْيَمْ* فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِّ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَقَالَ: مَا أَصْدَقْتَهَا؟ قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَلَوْ رَفَعْتُ حَجَرًا لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً﴾ وعن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الدور بالمدينة فخط لبني زهرة في ناحية من مؤخر المسجد فكان لعبد الرحمن بن عوف الحش والحش نخل صغار لا يسقى، وعن هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف قال: أشهد أن رسول الله أقطعني وعمر بن الخطاب أرض كذا وكذا فذهب الزبير إلى آل عمر فاشترى منهم نصيبهم وقال الزبير لعثمان: إن بن عوف قال كذا وكذا فقال: هو جائز الشهادة له وعليه. وعن الحسن قال كان عبد الرحمن بن عوف رجلا شريا فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميص حرير فأذن له قال الحسن وكان المسلمون يلبسون الحرير في الحرب وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: شكا عبد الرحمن بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة القمل وقال يا رسول الله تأذن لي أن ألبس قميصا من حرير قال: فأذن له فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وقام عمر أقبل بابنه أبي سلمة وعليه قميص من حرير فقال عمر: ما هذا؟ ثم أدخل يده في جيب القميص فشقه إلى سفله، فقال له عبد الرحمن: ما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحله لي؟! فقال: إنما أحله لك لأنك شكوت إليه القمل فأما لغيرك فلا. وعن سعد بن إبراهيم قال: كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يلبس البرد أو الحلة تساوي خمسمائة أو أربعمائة. وعن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال كان عبد الرحمن بن عوف إذا أتى مكة كره أن ينزل منزله الذي هاجر منه قال يزيد في حديثه منزله الذي كان ينزله في الجاهلية حتى يخرج منه، و عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، إِنَّكَ مِنَ الأَغْنِيَاءِ وَلَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ زَحْفًا ، فَأَقْرِضِ اللهَّ يُطْلِقْ قَدَمَيْكَ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: مَا الَّذِي أُقْرِضُ أَوْ أُخْرِجُ، وَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مُرْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَلْيُضِفِ الضَّيْفَ، وَلْيُطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَلْيُعْطِ السَّائِلَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُجْزِيهِ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا هُوَ فِيهِ﴾ضعيف جدا وعن أم بكر بنت المسور: ﴿أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ بَاعَ أَرْضًا لَهُ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَسَمَهُ فِي فُقَرَاءِ بَنِي زُهْرَةَ وَفِي الْمُهَاجِرِينَ وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ الْمِسْوَرُ: فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ بِنَصِيبِهَا فَقَالَتْ: مَنْ أَرْسَلَ بِهَذَا؟ فَقُلْتُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَتْ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: وَقَالَ الْخُزَاعِيُّ: إِنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَحْنُو عَلَيْكُنَّ بَعْدِي إِلَّا الصَّابِرُونَ، سَقَى اللهُّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ﴾ وعن كثير بن عبيد قال: دخلت على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقالت: أمسك حتى أخيط نقبتي، فأمسكت، فقلت: يا أم المؤمنين لو خرجت فأخبرتهم لعدو منك بخلا، قالت: أبصر شأنك. إنه لا جديد لمن لا يلبس الخلق. وعن أبي سعيد أن داخلا دخل على عائشة وهي تخيط نقبة لها فقال: يا أم المؤمنين أليس قد أكثر الله الخير؟ قالت: دعنا منك، لا جديد لمن لا خلق له. وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين إن درعي مخرق، قال: ألم أكسك؟ قالت: بلى ولكنه تخرق، فدعا لهابدرع نجيب وخيط، وقال لها: البسي هذا ـ يعني الخلق ـ إذا خبزت وإذ جعلت البرمة، والبسي هذا إذا فرغت؛ فإنه لا جديد لمن لا يلبس الخلق.

----

*(الخميصة) كساء أسود مربع له علمان أو أحمر فإن لم يكن معلما فليس بخميصة (ردع من زعفران) أي لطخ لم يعمه كله. ويقال: بالثوب ردع من زعفران أي شيء يسير في مواضع شتى (مهيم) ما شأنك وما خبرك؟ (الأقط) اللبن المحمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ أو يطبخ به

مراجع: تاريخ المدينة المنورة/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ مصنف ابن أبي شيبة/ ثقات ابن حبان/ الأعلام للزركلي/ فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه/ الطبقات الكبرى/ مسند أحمد/ مسند البزار/ تاج العروس/ حياة الصحابة للكاندهلوى/

عن عيسى بن يزيد، عن شيخ من أهل مكة، عن عبد الملك بن حذيفة قال: قدم المغيرة بن شعبة[1] على عثمان رضي الله عنه بمال من الكوفة، فقال له أصحابه: كيف رأيت سرور أمير المؤمنين بما قدمت به عليه؟ قال: رأيت له وجها لا يردني على الكوفة أبدا. قال: وما يدريك؟ قال: هو ما أقول لكم. وجعل المغيرة لبحران[2] حاجب عثمان جعلا على أن يأتيه بخبر من يستعمل عثمان، إذا استعمل أحدا على الكوفة. فأتاه فقال: فقد استعمل سعد بن أبي وقاص[3] فأتى المغيرة عثمان فقال: يا أمير المؤمنين هل شكاني إليك أحد، أو بلغك عني أمر كرهته؟ قال: لم عزلتني واستعملت سعدا؟ قال: وما ذاك؟ قال: وكان ذاك؟ قال: نعم. قال: ومن أخبرك؟ قال: الامر أشيع من ذاك. فأرسل عثمان إلى سعد فأتاه، فقال: هل أعلمت أحدا؟ قال: لا. فأرسل إلى المغيرة فقال:والله لتخبرني من أخبرك أو لاسيلن دمك قال: لاقصن لك، فأخبره. فدعا ببحران فضربه ستين سوطا، وحلق رأسه، وأمر أن يطاف به في السوق. فقال هوذة السلمي[4]: لا بعد بحران يفشي سرنا ملك..ستون سوطا ورأس بعد محلوق..وطيف في السوق أعلاها وأسفلها..لم يلقه قبله في الناس مخلوق، قال: فعاب ذلك ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه.

---

(2) حمران بن أبان الفارسي الفقيه، مولى أمير المؤمنين عثمان. كان من سبي عين التمر، ابتاعه عثمان من المسيب بن نجبة. حدث عن عثمان، ومعاوية. وهو قليل الحديث. قال صالح بن كيسان: كان ممن سباه خالد من عين التمر. وقال مصعب الزبيري: إنما هو حمران بن أبا. فقال بنوه: ابن أبان. وقال ابن سعد: نزل البصرة وادعى ولده أنه من النمر بن قاسط. قال قتادة: كان حمران يصلي خلف عثمان، فإذا أخطأ فتح عليه. وعن الزهري أن حمران كان يأذن على عثمان. وقيل كان كاتب عثمان. وكان وافر الحرمة عند عبد الملك. طال عمره وتوفي سنة نيف وثمانين.

(1) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي. يقال له مغيرة الرأي. ولد سنة 20 ق هـ في الطائف بالحجاز وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك فدخل الاسكندرية وافدا على المقوقس، وعاد إلى الحجاز. فلما ظهر الاسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة 5 هـ فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة. وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة سنة 50 أو 51 هـ.. قال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية للاناة، وعمرو بن العاص للمعضلات، والمغيرة للبديهة، وزياد بن أبيه للصغير والكبير . وللمغيرة 136 حديثا. وهو أول من وضع ديوان البصرة، وأول من سلم عليه بالامرة في الاسلام.

(3) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق: ولد سنة 23 ق هـ الصحابي الامير، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ويقال له فارس الاسلام. أسلم وهو ابن 17 سنة، وشهد بدار، وافتتح القادسية، ونزل أرض الكوفة فجعلها خططا لقبائل العرب، وابتنى بها دارا فكثرت الدور فيها. وظل واليا عليها مدة عمر بن الخطاب. وأقره عثمان زمنا، ثم عزله. فعاد إلى المدينة، فأقام قليلا وفقد بصره. مات في قصره سنة 55 هـ بالعقيق على عشرة أميال من المدينة وحمل إليها. وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ.

(4) هوذة بن الحارث بن عجرة السلمي، ابن حمامة: شاعر قوي العارضة. من الصحابة، أو ممن كانوا في عصر النبوة. والحمامة أمه، اشتهر بنسبته إليها. كان من سكان البصرة. ووفد على عمر في خلافته ليأخذ عطاءه، فدعي قبله أناس من قومه، فأغضبه تقديمهم عليه، فقال: لقد دار هذا الامر في غير أهله!..فأبصر، أمين الله، كيف تريد..أيدعي خثيم والشريد أمامنا؟..ويدعي رباح قبلنا، وطرود؟..فان كان هذا في الكتاب، فهم إذا..ملوك، بنو حر، ونحن عبيد!. فدعا به عمر، وأعطاه. لكن الزركلي قال توفي نحو سنة 20 هـ ؟؟؟

عن أبي صالح ذكوان عن زاذان قال أتيت ابن عمر وقد أعتق مملوكا له فأخذ من الأرض عودا أو شيئا فقال ما لي فيه من الأجر ما يسوى هذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ﴾ وعن أبو هريرة. يرفعه: ﴿مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِئٍ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا﴾ (خبب) خدع وأفسد. أعتق عبد الله بن جعفر غلاما، وأخذ يكتب كتاب العتق، فقال الغلام: اكتب كما أملي: كنت بالأمس لي فوهبتك لمن وهبك لي، فأنت اليوم مني. فكتب ذلك واستحسنه وزاده خيرا. مر ابن عمر براع مملوك فاستباعه شاة، فقال: ليست لي، فقال: أين العلل؟ فقال: أين الله؟ فاشتراه فأعتقه، فقال: اللهم، قد رزقتني العتق الأصغر فارزقني العتق الأكبر. كان لعثمان بن عفان رضي الله عنه عبد، فاستشفع بعلي أن يكاتبه، فكاتبه: ثم دعا عثمان بالعبد فقال: إن كنت عركت أذنك فاقتص مني، فأخذ بأذنه، ثم قال عثمان: شد شد، يا حبذا قصاص الدنيا لا قصاص الآخرة. وعنه رضي الله عنه: ما ملك رقيقا من لم يتجرع بغيظ ريقا. أراد رجل بيع جارية فبكت، فسألها، فقالت: لو ملكت منك ما ملكت مني ما أخرجتك من يدي. فأعتقها. تغدى سليمان عند يزيد بن المهلب، فقيل له: صف لنا أحسن ما كان في منزله، فقال: رأيت غلمانه يخدمونه بالإشارة دون القول. قال ابن الزبير لرجل كان يتعاطى بيع الرقيق: ما أشد إقدامك على ركوب الغرر وإضاعة المال! قال: بماذا؟ قال: بضاعتك الملعونة، قال: وما لها؟ قال هي ضمان نفس ومؤونة ضرس.

طرفة: كان لرجل غلام من أكسل الناس، فأمره بشرى عنب وتين، فأبطأ حتى نوط الروح، ثم جاء بأحدهما، فضربه وقال: ينبغي لك إذا استقضيتك حاجة أن تقضي حاجتين، ثم مرض فأمره أن يأتي بطبيب، فجاء به وبرجل آخر، فسأله: فقال: أما ضربتني وأمرتني أن أقضي حاجتين في حاجة؟ جئتك بطبيب، فإن رجاك وإلا حفر هذا قبرك. فهذا طبيب وهذا حفار.

قال عكرمة: إن الله تعالى قال ليوسف عليه السلام: بعفو عن إخوتك، رفعت ذكرك في الذاكرين. وقال جعفر بن محمد: لأن أندم على العفو أحب إلي من أن أندم على العقوبة.

كتب الحجاج إلى عبد الملك: يا أمير المؤمنين، إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون إلى الله عز وجل، وإذا عززت بالله فاعفو لله، فإنك به تعز وإليه ترجع، وغضب سليمان بن عبد الملك على خالد بن عبد الله القسري فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين إن القدرة تذهب الحفيظة، وإنك تجل عن العقوبة، فإن تعف فأهل ذلك أنت، وإن تعاقب فبما كان منا. كان المأمون يقول: ليس على الحلم مؤونة ولوددت أن أهل الجرائم علموا رأيي في العفو فيذهب عنهم الخوف، فيخلص إلى قلوبهم وأنشد الحسن بن رجاء في المأمون يقول: صفوح عن الإجرام حتى كأنه..من العفو لم يعرف من الناس مجرما..وليس يبالي أن يكون به الأذى..إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما.

لما ظفر المأمون بعمه إبراهيم بن المهدي قال لأحمد بن أبي خالد الكاتب: يا أحمد ما تقول في هذا الرجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن تقتله فقد وجدت مثلك قتل مثله، وإن تعف لم تجد مثلك عفا عن مثله، فقال المأمون: لا رأي لنا في الشركة، وأمر بإطلاقه وعفا عنه. كان معاوية يقول: إن أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وإن أنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه.

احتال يزيد بن راشد في الدخول على سليمان متنكرا بعد أو لي الخلافة فقعد في السماط، وكان سليمان قد نذر أنه إن أفضت إليه الخلافة قطع لسانه لأنه كان ممن دعا إلى خلع سليمان والبيعة لعبد العزيز، فقال: يا أمير المؤمنين كن كنبي الله أيوب عليه السلام، ابتلي فصبر وأعطي فشكر وقدر فغفر، قال: ومن أنت قال: يزيد بن راشد، فعفا عنه.

قال: المدائني: لما ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث فغدا يضرب أعناقهم عامة النهار، فأتي برجل في آخرهم من بني تميم فقال: يا حجاج لئن كنا أسأنا في الذنب ما أحسنت أنت في العقوبة. فقال الحجاج: أف لهذه الجيف، ما كان فيهم رجل يحسن مثل هذا وعفا عنه. قال الشاعر: إذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا..إليك فلم تغفر له فلك الذنب.

قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت العفو وحسن الخلق، قال: من قيس بن عاصم المنقري، فقيل له: وكيف ذلك؟ وما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره، إذ جاءت خادم له بسفود عليه شواء فسقط من يديها فوقع على ابن له فمات، فدهشت الجارية، فقال: لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى.

أتي المنصور برجل ليعاقبه فقال: يا أمير المؤمنين الانتقام عدل، والتجاوز فضل، ونحن نعيذ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين، دون أن يبلغ أرفع الدرجتين، فعفا عنه.

كانت جارية لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم تسكب الماء على يده، فنعست فسقط الإبريق من يدها فشجه فرفع رأسه، فقالت: إن الله يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران] قال: كظمت غيظي، قالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران] قال: عفا الله عنك، قالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران] قال: فاذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى.قال بعض الشعراء في هذا المعنى: تموت أضغانه أيام قدرته..ومكنة الحر تنسى فاحش الخطل..إذا الجرائم هاجته تغمدها..بالصفح منه حليما غير ذي فشل.

جنى عبد أسود على عمر بن عبد العزيز رحمه الله في عنفوان حداثته جناية، فشده ليضربه، فقال له: يا مولاي لم تضربني؟ قال: لأنك جنيت كذا، وكذا، فقال العبد: هل جنيت أنت جناية قط، فغضب عليك مولاك؟ قال: نعم، قال: فهل عجل عليك؟ فقال له: قم فأنت حر لوجه الله تعالى، فكان ذلك سبب توبته. لأبي محمد القاسم الحريري يقول: أحمد بحلمك ما أذكاه ذو سفه..من غيظك، واصفح إن جنى جاني..فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به..والأخذ بالعفو أحلى ما جنى جاني.

مراجع: تاريخ المدينة المنورة/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ الأعلام للزركلي/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ ربيع الأبرار/

◆ عثمان بن عفان (ذو النورين، ذو الهجرتين، أمير المؤمنين، ثالث الخلفاء الراشدين) ورجلا من بني تميم 0151

حدث سلام بن مسكين، عن عمران بن عبد الله بن طلحة[1]: أن عثمان رضي الله عنه خرج لصلاة الغداة فدخل من الباب الذي كان يدخل منه. فزحمه الباب فقال: انظروا. فنظروا فإذا رجل معه خنجر أو سيف، فقال له عثمان: ما هذا؟ قال: أردت أن أقتلك. قال: سبحان الله، ويحك علام تقتلني؟ قال ظلمني عاملك باليمن. قال: أفلا رفعت ظلامتك إلي، فإن لم أنصفك أو أعديك على عاملي أردت ذاك مني؟ فقال لمن حوله: ما تقولون؟ فقالوا يا أمير المؤمنين، عدو أمكنك الله منه. فقال: عبد هم بذنب فكفه الله عني، آتني بمن يكفل بك: لا تدخل المدينة ما وليت أمر المسلمين. فأتاه برجل من قومه فكفل به، فخلى عنه. قال عمران: فو الله ما ضربه سوطا، ولا حبسه يوما.

عن يزيد بن أبي حبيب، عن مرة بن أبي قيس أنه حدثه: أن رجلا رصد عثمان رضي الله عنه بخنجر، فلما جاء عثمان ليدخل تلقاه فوجأ* عثمان وجهه فوقع على إسته وقال: أوجعتني يا أمير المؤمنين. قال: أو لست بفاتك؟ قال: لا. والذي لا إله إلا هو فقال عثمان: خذوا الرجل ولا تقتلوه. فقال: ما ترون فيه؟ قالوا: اقتله يا أمير المؤمنين فإن فتتك كثيرة. قال: لم؟ قالوا: لانه أراد قتلك. فقال: أراد قتلي ولم يرد الله. فتركه ولم يقتله. والاصح في خبره أنه رده إلى محبسه حتى مات، فلما أتي الحجاج[2] بابنه عمير بن ضابئ[3] قال له عنبسة بن سعيد[4]: هذا أتى أمير المؤمنين عثمان قتيلا فلطمه. فقال له الحجاج: أفعلت؟ قال: نعم. قال: ولم؟ قال: لانه قتل أبي. قال: أو ليس أبوك الذي يقول: هممت ولم أفعل وكدت وليتني..تركت على عثمان تبكي حلائله ثم أمر بضرب عنقه، وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الاسدي[5]: تخير فإما أن تزور ابن ضابئ..عميرا وإما أن تزور المهلبا.

وحدث أبو الأسود، أن بكير بن الاشج حدثه عن سليمان بن يسار: أن رجلا من بني تميم جلس لعثمان بن عفان بخنجر، فأخذ عثمان فسأل عنه عليا رضي الله عنه، واستشارهم فيه. فقالوا بئسما صنع، ولم يقتلك، ولو قتلك قتل. فأرسله عثمان.

----

* (وجأ) الوجء اللكز ووجأه باليد والسكين وجأ مقصور ضربه ووجأ في عنقه كذلك وقد توجأته بيدي ووجئ فهو موجوء ووجأت عنقه وجأ ضربته

■ (2) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

■ (3) عمير بن ضابئ بن الحارث البرجمي: شاعر، من سكان الكوفة. وكان أبوه قد مات في سجن عثمان بن عفان رضي الله عنه، لقتله صبيا بدابته، ولهجائه قوما من الانصار. وعلم الحجاج الثقفي بعد ذلك، وهو في الكوفة، أن عميرا هذا كان ممن دخل على عثمان يوم مقتله، ووطئه برجله، وأنه القائل: هممت ولم أفعل، وكدت، وليتني..تركت على عثمان تبكي حلائله. فأمر به فضربت رقبته وأنهب ماله سنة 75 هـ.

■ (4) عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد (أبي أحيحة) بن العاص بن أمية، أبو أيوب، ويقال أبو خالد، وهو أخو يحيى وعمرو الاشدق. وهو عم أبي إسماعيل بن أمية.وأمه أمة يقال لها عصماء، وكان عنبسة أثيرا عند الحجاج. ومات وقد هرم، تقريبا سنة 100 هـ.

■ (5) عبد الله بن الزبير بن الاشيم الاسدي: من شعراء الدولة الاموية، ومن المتعصبين لها. كوفي المنشأ والمنزل. كان هجاءا، يخاف الناس شره. ولما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة جئ به أسيرا، فأطلقه وأكرمه، فمدحه، وانقطع إليه، وعمي بعد مقتل مصعب. ومات في خلافة عبد الملك بن مروان نحو سنة 75 هـ.

■ (1) عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعي يروى عن سعيد بن المسيب عداده في أهل البصرة روى عنه سلام بن مسكين

قال علي الصلابي: هذا تسامح كبير من أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ حيث عفا عمن أراد قتله، والعفو عند المقدرة صفة من صفات الكمال في الرجال، وهو دليل على التجرد من حظ النفس وتقلص الأنانية، وضعف الارتباط بالدنيا، وقوة الارتباط بالآخرة، وهذا الخلق إضافة إلى أنه عمل صالح يرفع من درجات صاحبه في الآخرة فإنه سياسة حكيمة في الدنيا؛ إذ أن هذا الرجل الذي أراد الاعتداء لو أنه قتل أو عوقب عقوبة بليغة لربما أحدث فتنة بإيغار صدور أفراد قبيلته واستعدادهم للانتقام إذا سنحت لهم الفرصة، لكن العفو عنه يجعل أفراد قبيلته وأبناء بلده يعذلونه ويعنفونه على ما حاول الإقدام عليه، وبذلك تنطفئ الفتنة قبل تصاعدها، ويكسب صاحب العفو قلوب الناس وولاءهم.

مراجع: تاريخ المدينة المنورة/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ مصنف ابن أبي شيبة/ ثقات ابن حبان/ الأعلام للزركلي/ لسان العرب/ سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه شخصيته وعصره/

◆ عثمان بن عفان (ذو النورين، ذو الهجرتين، أمير المؤمنين، ثالث الخلفاء الراشدين) وسعيد بن سفيان القاري 0152

أخرج ابن عساكر عن سعيد بن سفيان القاري[1] قال: توفي أخي وأوصى بمئة دينار في سبيل الله، [فوافق ذلك صلح ابن فرعون[2] فلم يكن عامئذ غازية]، فقدمت المدينة في حج أو عمرة، فدخلت على عثمان بن عفان، وعنده رجل قاعد، وعلي قباء من بزيون* وكان أصاب من الغنيمة بأرض الروم وكان جيبه وفروجه مكفوفة بحرير. فلما رآني ذلك الرجل أقبل علي يجاذبني قبائي ليخرقه. فلما رأى ذلك عثمان قال: دع الرجل فتركني ثم قال: لقد عجلتم. فسألت عثمان فقلت: يا أمير المؤمنين، توفي أخي وأوصى بمئة دينار في سبيل الله [فوافق ذلك صلح ابن فرعون فلم تجئنا غازية]، فما تأمرني؟ قال: هل سألت أحداً قبلي؟ قلت: لا. قال: لئن استفتيت أحداً قبلي فأفتاك غير الذي أفتيتك به ضربت عنقه. إن الله عز وجل أمرنا بالإسلام فأسلمنا كلنا فنحن المسلمون. وأمرنا بالهجرة فهاجرنا فنحن المهاجرون أهل المدينة، ثم أمرنا بالجهاد فجاهدتم. فأنتم المجاهدون أهل الشام. أنفقها على نفسك، أو على أهلك وعلى ذوي الحاجة ممن حولك فإنك لو خرجت بدرهم ثم اشتريت به لحماً فأكلت أنت وأهلك كتب لك بسبع مئة درهم. فخرجت من عنده فسألت عن الرجل الذي جاذبني، فقيل: هو علي بن أبي طالب[3] رضي الله عنه. فأتيته في منزله، فقلت: ما رأيت مني؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿أَوْشَكَ أَنْ تَسْتَحِلَ أُمَّتِي فُرُوجُ النِّسَاءَ وَالْحَرِير﴾ حديث ضعيف،وهذا أول حرير رأيت على أحد من المسلمين، فخرجت من عنده فبعته من الخياط.

----

*(البزيون) من ثياب الروم وقيل هو السندس. (ابن فرعون) زيادة في بعض الكتب، وفي رواية قال: صالح بن فرعون؟ (المكفوفة) التي عمل على ذيلها وأكمامها وجيبها حواشي حرير

■ (1) سعيد بن سفيان القاري، من قارة، يروي عن علي، روى عنه يحيى بن أبي عمرو السيباني، وعنه عبد الله بن ناشرة، ويقال: ناشر الكناني.

■ (3) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى وزوج ابنته.يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن 7 سنين، ويقال 9، ويقال 10، ويقال 15، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد سنة 23 ق هـ، و مات سنة 40 هـ.

■ (2) ابن فرعون صاحب الروم؟ (لم أقف له على ترجمة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

عن أبي الأفلح الهمداني عن عبد الله بن زرير الغافقي سمعته يقول سمعت علي بن أبي طالب يقول: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حريرا بشماله وذهبا بيمينه، ثم رفع بهما يديه فقال: ﴿إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، حِلٌّ لِإِنَاثِهِمْ﴾ وعن البراء قال: ﴿أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ، قَالَ: فَذَكَرَ مَا أَمَرَهُمْ: مِنْ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَرَدِّ السَّلَامِ وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ. وَنَهَانَا عَنْ آنِيَةِ الْفِضَّةِ، وَعَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ، أَوْ قَالَ: حَلْقَةِ الذَّهَبِ، وَالْإِسْتَبْرَقِ*، وَالْحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ*، وَالْمِيْثَرَةِ*، وَالْقَسِّيِّ*﴾ وعن علي؛ أنه أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة* مسيرة بحرير إما سداها*، أو لحمتها*، فأرسل بها إلي، فأتيته فقلت: يا رسول الله، ما أصنع بها، ألبسها ؟ قال: ﴿لَا، إِنِّي لَا أَرْضَى لَكَ مَا أَكْرَهُ لِنَفْسِي، وَلَكِنِ اجْعَلْهَا خُمُرًا* بَيْنَ الْفَوَاطِمِ*﴾ وعن علي قال: أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حلة سيراء*، فأرسل بها إلي فرحت فيها، فرأيت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضب وقال:إني لم أبعث بها إليك لتلبسها؛ فقسمتها بين نسائي. وعن علي: إن أكيدر دومة أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حلة أو ثوب حرير، فأعطانيه وقال:شققه خمرا بين النسوة. وعن علي أنه أتي ببرذون* عليه صفة ديباج، فلما وضع رجليه في الركاب وأخذ بالسرج زلت يده عنه، فقال: ما هذا؟ قالوا: ديباج، قال: لا والله لا أركبه. وعن ابن عامر قال: استأذن علي علي وتحتي مرافق من حرير، فقال: نعم الرجل أنت يا ابن عامر! إن لم تكن ممن قال الله عز وجل ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف] والله! لأن أضطجع على جمر الغضا أحب إلي من أن أضطجع عليها. أخرج ابن جرير عن عبيدة بن أبي لبابة قال: بلغني أن عمر بن الخطاب مر في المسجد ورجل قائم يصلي عليه طيلسان* مزرر بالديباج. فقام إلى جنبه فقال: طول ما شئت فما أنا ببارح حتى تنصرف. فلما رأى ذلك الرجل انصرف إليه، قال: أرني ثوبك، فأخذه فقطع ما عليه من أزرار الديباج وقال: دونك ثوبك. وعن ابن سيرين أن خالد بن الوليد دخل على عمر وعلى خالد قميص حرير، فقال له عمر: ما هذا يا خالد؟ قال: وما باله يا أمير المؤمنين؟ أليس قد لبسه ابن عوف؟ قال: فأنت مثل ابن عوف ولك مثل ما لابن عوف! عزمت على من في البيت إلا أخذ كل واحد منهم طائفة مما يليه! فمزقوه حتى لم يبق منه شيء.وعن جبير بن صخر خارص عن أبيه قال: كان خالد بن سعيد بن العاص باليمن زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بها، وقدم بعد وفاته بشهر وعليه جبة ديباج فلقي عمر، فصاح عمر بمن يليه: مزقوا عليه جبته، أيلبس الحرير وهو في رحالنا في السلم! فهجموا فمزقوا عليه جبته. وعن عكرمة قال: مر رجل بأبي هريرة وعلى قميصه لبنة حرير فقال أبو هريرة: لو كانت برصا لكانت خيرا. وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: دخل عبد الرحمن ابن عوف على عمر ومعه محمد ابنه وعليه قميص من حرير، فقام عمر فأخذ بجيبه فشقه، فقال عبد الرحمن: غفر الله لك! لقد أفزعت الصبي فأطرت قلبه، قال: تكسوهم الحرير! قال: فإني ألبس الحرير، قال: فإنهم مثلك؟. وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: شكا عبد الرحمن ابن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة القمل فقال: يا رسول الله! تأذن لي أن ألبس قميصا من حرير! فأذن له، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وقام عمر أقبل بابنه أبي سلمة وعليه قميص من حرير، فقال عمر: ما هذا؟ ثم أدخل عمر يده في جيب القميص فشقه إلى أسفله، فقال عبد الرحمن: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحله لي، فقال: إنما أحله لك لأنك شكوت إليه القمل، فأما لغيرك فلا. وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص للزبير بن العوام في الحرير ولعبد الرحمن بن عوف لحكة كانت بجلودهما. وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: دخل ابن عوف على عمر وعليه قميص حرير، فقال عمر: ذكر لي أنه من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، قال عبد الرحمن: إني لأرجو أن ألبسه في الدنيا والآخرة. وعن سويد بن غفلة قال: أقبلنا من الشام وفتح الله لنا فتوحا وعمر ابن الخطاب قاعد بظهر المدينة يتلقانا، ولبسنا الحرير والديباج وثياب العجم، فلما رآه عمر جعل يرمينا، فلبسنا برودا* يمانية، فلما انتهينا إليه قال: مرحبا بأولاد المهاجرين! إن الحرير لم يرضه الله لمن كان قبلكم فيرضاه لكم، إن الحرير لا يصلح منه إلا هكذا وهكذا – يعني إصبعا وإصبعين وثلاثا وأربعا. وعن سويد بن غفلة قال: هبطنا مع عمر بن الخطاب الجابية فلقينا قوم من أهل الشام عليهم الحرير، فقال عمر: إن الله أهلك قوما بلباسكم هذا، ثم رماهم حتى تفرقوا، ثم أتوه في ثياب قطربة، فقال: هذا أعرف ثيابكم. وعن عمر قال: وجدت حلة إستبرق تباع في السوق، فأتيت بها النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: أشتريها أتجمل بها؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿هَذِهِ لِبَاسُ مَنْ لَا خَلَاقَ* لَهُ﴾ وعن عمر أنه قال: لا يصلح من الحرير إلا ما كان في تكفيف أو تزرير. وعن أبي عثمان النهدي، قال: أتانا كتاب عمر بن الخطاب ونحن بآذربيجان مع عتبة بن أما بعد، فاتزروا وانتعلوا وارموا بالخفاف، وألقوا السراويلات، وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل، وإياكم والتنعم وزي العجم! وعليكم بالشمس فإنها حمام العرب، وتمعددوا* واخشوشنوا* واخلولقوا* واقطعوا الركب، وارموا الأغراض، وانزوا* وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير إلا هكذا – وأشار بأصبعه الوسطى. وعن أبي عثمان النهدي: أن عمر رضي الله عنه قال: اتزروا* وارتدوا* وانتعلوا* وألقوا الخفاف* السراويلات وألقوا الركب*، وانزوا نزوا*، وعليكم بالمعدية*، وارموا الأغراض وذروا التنعم وزي العجم، وإياكم والحرير، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عنه، وقال: لا تلبسوا من الحرير إلا ما كان هكذا، وأشا ر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإصبعيه. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا مشى كأنما ينحط من صبب* وفي صحيح البخاري عن أبي عثمان النهدي قال: كنا مع عتبة بن فرقد فكتب إليه عمر رضي الله عنه: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يلبس أحد الحرير في الدنيا إلا لم يلبس في الآخرة منه. وفي رواية: أتانا كتاب عمر ونحن مع عتبة بن فرقد بأذربيجان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير إلا هكذا، وأشار بإصبعيه اللتين تليان الإبهام، قال: فيما علمنا أنه يعني الأعلام* وفي رواية: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير إلا هكذا، وصف لنا النبي صلى الله عليه وسلم إصبعيه، ورفع زهير الوسطى والسبابة، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اكتبوا عن الزاهدين في الدنيا، فإن الله عزوجل وكل بهم ملائكة واضعة أيديهم على أفواههم لا يتكلمون إلا بما هيأ الله لهم. وعن عمر قال: إن الحرير لم يرضه الله لمن كان قبلكم فيرضاه لكم. وعن عمرو بن مرة قال: رأى حذيفة رجلا عليه طيلسان فيه أزرار من ديباج فقال: تتقلد قلائد الشيطان في عنقك. وعن سعيد بن جبير أن حذيفة رأى على حسان قميصا من حرير، فأمر فنزع عنه، وترك على الجواري. وعن قيس بن النعمان السكوني قال: خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع بها أكيدر دومة الجندل، فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إن خيلك انطلقت وإني خفت على أرضي ومالي، فاكتب لي كتابا لا يعرضوا من شيء لي بإني مقر بالذي علي من الحق؛ فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إن أكيدر أخرج قباء من ديباج منسوج مما كان كسرى يكسوهم فقال: يا رسول الله! اقبل مني هذا، فإني أهديته لك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ارْجِعْ بِقَبَائِكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَلْبَسُ هَذَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ حُرِمَهُ فِي الآخِرَةِ﴾، فرجع به حتى أتى منزله وإنه وجد في نفسه أن يرد عليه هديته فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ! إنا أهل بيت يشق علينا أن ترد علينا هديتنا فاقبل مني هديتي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿انْطَلِقْ فَادْفَعْهُ إِلَى عُمَرَ﴾ قال: وقد كان قد سمع ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكى فدمعت عيناه، فظن أنه قد لحقه شيء، فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله! أحدث في أمر قلت في هذا القباء ما قلت ثم بعثت به إلي! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وضع يده أو ثوبه على فيه ثم قال: ﴿مَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِتَلْبَسَهُ، وَلَكِنْ تَبِيعُهُ فَتَسْتَعِينُ بِثَمَنِهِ﴾.

----

*(الميثرة) المياثر : جمع ميثرة وهو غطاء للسرج من الحرير أو الديباج يوضع على ظهر الفرس ورحل البعير (القسية) ثياب من كتان مخلوط بالحرير منسوبة إلى قرية قس بمصر(سداها) السدى من الثوب خلاف اللحمة. وهو ما يمد طولا في النسج (لحمتها) لحمة الثوب بالفتح ما ينسج عرضا (خمرا) جمع خمار وهو ما يوضع على رأس المرأة (الحلة) ثوبان من جنس واحد (السيراء) بكسر السين وفتح الياء والمد : نوع من البرود والثياب يخالطه حرير (تمعددوا) تمعدد الغلام إذ شب وغلظ والمراد: دعوا التنعم وزي العجم (اخشوشنوا) إذا لبس الخشن (اخلولقوا) أصل الخلق التقدير قبل القطع من أخلاق الثوب وتقطيعه (انزوا) نزوت على الشيء أنزوا نزوا إذا وثبت عليه (الفواطم) قال الهروي قال الأزهري:والجمهور إنهن ثلاث: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفاطمة بنت أسد. وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب.(الخلاق) الحظ والنصيب (الإستبرق) ما غلظ من الديباج (الديباج) هو الثياب المتخذة من الإبريسم أي الحرير الرقيق (الطيلسان) ثوب يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن ينسج للبس، خال من التفصيل والخياطة (البرد والبردة) الشملة المخططة، وقيل كساء أسود مربع فيه صور.(قطريتان) ثياب قطرية بالكسر: على غير قياس(البرذون) يطلق على غير العربي من الخيل والبغال. (اتزروا) أي: شدوا الأزر، (وارتدوا) صغوا عليكم الأردية. (وانتعلوا) ألبسوا النعال، (وألقوا الخفاف) يعني: من الثياب.في اللسان: الخفاخف: صوت الثوب الجديد إذا لبس وحركته. (وألقوا الركب) حتى يعتادوا ركوب الخيل بغير ركب. الركاب للسرج: كالفرز للرحل، والجمع: ركب. وقال أصحابنا: يستحب للإنسان أن يعتاد الوثوب من الأرض إلى ظهر الدابة؛ لأنه ربما حضر في الحرب وليس ما يركب به، فيفعل ذلك (وانزوا نزوا) قال بعضهم: ثبوا وثبا، والمراد أسرعوا في المشي. وقال أصحابنا:يستحب الإسراع في المشي بحيث لا يتعب نفسه.(عليكم بالمعدية) هي لبسة خشنة نسبة إلى معد بن عدنان.(الصبب) أي موضع منحدر (الأعلام) أي: الذي حصل في علمنا أن المراد بالمستثنى الأعلام. وهو ما يكون في الثياب من تطريف وتطريز ونحوهما (زهير) ابن معاوية أبو خيثمة الجعفي، الكوفي، نزيل الجزيرة، ثقة ثبت، إلا أن سماعه عن أبي إسحاق بأخرة، توفي سنة اثنتين وسبعين ومئة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الانساب للسمعاني/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ إتحاف الخيرة المهرة/ مصنف ابن أبي شيبة/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ مشكل الآثار للطحاوي/.

قال موسى بن عبيدة: أخبرني ابن نفيع، عن ابن عباس[1] قال:استأذن أبو ذر[2] على عثمان[3] وأنا عنده، فتغافلوا عنه ساعة، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا أبو ذر بالباب يستأذنك، فقال: ائذن له إن شئت، إنه يؤذينا ويبرح بنا، قال: فأذنت له، فجلس على سرير مرمول* من هذه البحرية، فرجف به السرير، وكان عظيما طويلا، فقال له عثمان: أما إنك الزاعم أنك خير من أبي بكر وعمر؟ قال: ما قلت: قال عثمان: إني أنزع عليك بالبينة، قال: والله ما أدري ما بينتك، وما تأتي به؟ وقد علمت ما قلت، قال: فكيف قلت إذا؟ قال: قلت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي الَّذِي يَلْحَق بِي عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدْته عَلَيْهِ﴾وكلكم قد أصاب من الدنيا، وأنا على ما عاهدني عليه، وعلى الله تمام النعمة. وسأله عن أشياء، فأخبره بالذي يعلمه، فأمره أن يرتحل إلى الشام فيلحق بمعاوية.

فكان يحدث بالشام، فاستهوى قلوب الرجال، فكان معاوية ينكر بعض شأن رعيته، وكان يقول: لا يبيتن عند أحدكم دينار ولا درهم، ولا تبر، ولا فضة إلا شيء ينفقه في سبيل الله، أو يعده لغريم. وإن معاوية بعث إليه بألف دينار في جنح الليل فأنفقها، فلما صلى معاوية الصبح دعا رسوله الذي أرسله إليه فقال: اذهب إلى أبي ذر فقل: أنقذ جسدي من عذاب معاوية أنقذك الله من النار، فإني أخطأت بك. قال: يا بني، قل له: يقول لك أبو ذر: والله ما أصبح عندنا منه دينار، ولكن أنظرنا ثلاثا حتى نجمع لك دنانيرك. فلما رأى معاوية أن قوله صدق فعله كتب إلى عثمان: أما بعد، فإن كان لك بالشام حاجة أو بأهله فابعث إلى أبي ذر، فإنه قد أوغل صدور الناس. فكتب إليه عثمان: أقدم علي. فقدم عليه المدينة.

حدث غزوان أبو حاتم قال: بينا أبو ذر عند باب عثمان ليؤذن له إذ مر به رجل من قريش، فقال: يا أبا ذر، ما يجلسك ها هنا؟ قال: يأبى هؤلاء أن يأذنوا لنا. فدخل الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين، ما بال أبي ذر على الباب لا يؤذن له؟ فأمر فأذن له، فجاء حتى جلس ناحية القوم وميراث عبد الرحمن[4] يقسم، فقال عثمان لكعب:[5] يا أبا إسحاق، أرأيت المال إذا أدي زكاته هل يخشى على صاحبه فيه تبعة؟ فقال: لا، فقام أبو ذر ومعه عصا، فضرب بها بين أذني كعب، ثم قال: يا بن اليهودية، أنت تزعم أنه ليس عليه حق في ماله إذا أدى* الزكاة، والله تعالى يقول:﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِم﴾ [الحشر] ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [الإنسان]﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج] فجعل يذكر نحو هذا من القرآن.

فقال عثمان للقرشي: إنما نكره أن نأذن لأبي ذر من أجل ما ترى!.

وفي رواية عن ابن عباس قال: كان أبو ذر يختلف من الربذة إلى المدينة مخافة الأعرابية*، فكان يحب الوحدة والخلوة. فدخل على عثمان وعنده كعب الأحبار، فقال عثمان: ألا ترضون من الناس بكف الأذى حتى يبذلوا المعروف، وقد ينبغي للمؤدي الزكاة ألا يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والإخوان، ويصل القرابات. فقال كعب: من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه، فرفع أبو ذر محجنة*، فضربه، فشجه، فاستوهبه عثمان، فوهبه له، وقال: يا أبا ذر، اتق الله، واكفف يدك ولسانك. وقد كان قال له: يا بن اليهودية، ما أنت وما ها هنا؟! والله لتسمعن مني أو لا أدخل عليك، والله لا يسمع أحد من اليهود إلا فتنوه.

قال عبد بن سيدان السلمي: تناجى أبو ذر وعثمان حتى ارتفعت أصواتهما، ثم انصرف أبو ذر مبتسما، فقال الناس: مالك ولأمير المؤمنين؟ قال: سامع مطيع، ولو أمرني أن آتي صنعاء أو عدن ثم استطعت أن أفعل لفعلت. وأمره عثمان أن يخرج إلى الربذة* وفي رواية: لو أن عثمان أمرني أن أمشي على رأسي لمشيت، وفي رواية: لو أمرني ألا أجلس ما جلست ما حملتني رجلاي ولو كنت على بعير يعني موثقا ما أطلقت نفسي حتى يكون هذا الذي يطلقني.

عن زيد بن خالد الجهني[6]، قال: كنت جالسا عند عثمان إذ جاء شيخ، فلما رآه القوم ، قالوا: أبو ذر فلما رآه عثمان، قال: مرحبا وأهلا يا أخي، قال أبو ذر: مرحبا وأهلا بأخي، لعمري لقد غلظت في العزمة، وايم الله لو أنك عزمت علي على أن أحبو لحبوت ما استطعت أن أحبو، إني خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فتوجهنا نحو حائط بني فلان، فأتيته بطهور، فلما جاء وضعته له فجعل يصعد بصره في ويصوبه، قال:﴿وَيْحَكَ بَعْدِي فَبَكَيْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنِّي لَبَاقٍ بَعْدَكَ ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَإِذَا رَأَيْتَ الْبِنَاءَ عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ*، فَالْحَقْ بِالْغَرْبِ، من أَرْضِ قُضَاعَةَ﴾ قال عثمان: أحببت أن أجعلك مع أصحابك خفت عليك جهال الناس قال: كلا ولكنه أمر من معاوية ويوم ما لكم من معاوية.

قال الحافظ أبو القاسم: ولم يسير عثمان أبا ذر، لكنه خرج هو إلى الربذة لما تخوف من الفتنة التي حذره النبي صلى الله عليه وسلم، فلما خرج عقيب ما جرى بينه وبين أمير المؤمنين عثمان ظن أنه هو الذي أخرجه.عن عبد الرحمن بن غنم قال: كنت عند أبي الدرداء إذ جاءه رجل من أهل المدينة، فسأله فقال: إني تركت أبا ذر يسير إلى الربذة، فقال أبو الدرداء: إنا لله وإنا إليه راجعون ! لو أن أبا ذر قطعني عضوا عضوا ما هجته مما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه.

حدثنا عبد الله بن الصامت[7] قال: دخلت مع أبي ذر في رهط من غفار على عثمان من الباب الذي لا يدخل عليه منه، فتخوفنا عثمان عليه، فانتهى إليه، فسلم عليه وقال: أحسبتني منهم يا أمير المؤمنين؟ -يريد الخوارج- والله ما أنا منهم، ولا أدركهم، لو أمرتني أن آخذ بعرقوتي* قتب لأخذت بهما حتى أموت. ثم استأذنه إلى الربذة، فقال: نعم نأذن لك. وعن عبد الله بن الصامت ابن أخي أبي ذر قال: دخلت مع أبي ذر على عثمان، فلما دخل إليه حسر عن رأسه وقال: والله ما أنا منهم يا أمير المؤمنين قال ابن شوذب: سيماهم التسبيت يعني الحلق- فقال له عثمان: صدقت يا أبا ذر، إنما أرسلت إليك لتجاورنا بالمدينة، قال: لا حاجة لي في ذلك، ائذن لي إلى الربذة، قال: نعم، ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة تغدو عليك وتروح، قال: لا حاجة لي في ذلك، تكفي أبا ذر صريمته*. فلما خرج من عنده قال: دونكم معاشر قريش دنياكم فاخذموها*، ودعونا وربنا.

----

*(مرمول) منسوج بالسعف والحبال وأيضا: سرير مرمول: إذا كان مزينا بالجواهر.(المحجنة) العصا المعوجة.(الربذة) موقع شرق المدينة؛ إحدى محطات القوافل بين الكوفة ومكة. أبو ذر كان أول من سكنه (الأعرابية) يعني توطن البادية بعد الهجرة.(أدى الزكاة) أو قال: آتى الزكاة.(الصريمة) تصغير صرمة وهي القطيع من الإبل والغنم (فاعذموها واخذموها) يعني اقطعوها والخذم: سرعة القطع.(العرقوتان) خشبتان تضمان ما بين واسط الرحل والمؤخرة وقال: الليث: وللقتب عرقوتان وهما خشبتان على عضديه من جانبيه.(سلع) جبل بسوق المدينة.

- (2) أبو ذر الغفاري، وهو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار ، وهو رابع أو خامس الإسلام هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول من حيا النبي صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام . مات سنة 32 هـ في خلافة عثمان وقال غيره وقبره في الربذة.
- (3) عثمان بن عفان الأموي،أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.ودفن بالبقيع.
- (1) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة
- (5) كعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، الذي كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر، كان يأخذ السنن عن الصحابة ويحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، توفي كعب بحمص ذاهبا للغزو في أواخر خلافة عثمان سنة 32 هـ.
- (6) زيد بن خالد الجهني، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو طلحة. صحابي مشهور، نزل الكوفة بعد المدينة. وحدث عن النبي، توفي بالكوفة فيما قيل ولم أر للكوفيين عنه رواية. وتوفي سنة 78 هـ.
- (4) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.
- (7) عبد الله بن الصامت الغفاري البصري: ابن أخي أبي ذر، روى عن الصحابة. توفي بعد 70 هـ.

☪

جاء في كتاب قصة الفتن: لما علم عثمان من معاوية بأمر أبي ذر رضي الله عنهم جميعا، أرسل إليه، فجاءه، وتناقش معه عثمان رضي الله عنه وأرضاه في هذا الأمر، وقال أبو ذر ابتداءً: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا*. وهو مكان في أطراف المدينة لم يكن البناء قد بلغه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم الخبير بالرجال يعلم جيدا أنه إذا انتشرت الحضارة في المدينة ووصل الناس إلى هذه الدرجة من المعيشة فلن يستطيع أبو ذر أن يعيش بين الناس نظرا لطبيعة الورع، والزهد التي يعيش عليها ويلزم نفسه بها، ولو عاش بين الناس بهذا الأسلوب لأرهق نفسه وأرهقهم، ومن ثَم ينصحه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه النصيحة. فقال عثمان لأبي ذر رضي الله عنه: فما الرأي؟ قال أبو ذر رضي الله عنه: أريد الربذة. إذن فأبو ذر رضي الله عنه هو الذي يريد الخروج إلى الربذة. قال عثمان رضي الله عنه: فافعل. أي أنه وافقه على ما يريد. فخرج رضي الله عنه بإرادته، واختياره، وباقتراحه إلى الربذة، ولم يكن هذا نفيا أو طردا كما ادعى أصحاب الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه ، وكما ادعى الشيعة بعد ذلك في كتبهم حتى هذا الوقت، ووقع في ذلك الكثير من جهال المسلمين الذين ينقلون دون علم أو وعي، ويؤكد على ذلك ما رواه عبد الله بن الصامت قال:قالت أم ذر: والله ما سير عثمان أبا ذر، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِذَا بَلَغَ الْبُنْيَانَ سَلْعًا* فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

عن إبراهيم بن الأشتر، عن أبيه، عن أم ذر، قالت: لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: ما لي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض، وليس عندي ثوب يسعك كفنا، قال: فلا تبكي وأبشري، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم: ﴿لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك في قرية جماعة، وأنا الذي أموت بفلاة، والله ما كذبت ولا كذبت، فأبصري الطريق، قالت: وأنى وقد ذهب الحاج وانقطعت الطرق، قال: اذهبي فتبصري، قالت: فكنت أجيء إلى كثيب، فأتبصر، ثم أرجع إليه فأمرضه، فبينما أنا كذلك إذا أنا برجال على رحالهم*، كأنهم الرخم* فأقبلوا حتى وقفوا علي وقالوا: ما لك أمة الله؟ قلت لهم: امرؤ من المسلمين يموت، تكفنونه؟ قالوا: من هو؟ فقلت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: نعم، قالت: ففدوه بآبائهم وأمهاتهم، وأسرعوا إليه، فدخلوا عليه، فرحب بهم، وقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم: ﴿لَيَمُوتَنَّ مِنْكُمْ رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وليس من أولئك النفر أحد إلا هلك في قرية وجماعة، وأنا الذي أموت بفلاة أنتم تسمعون إنه لو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي أو لامرأتي، لم أكفن إلا في ثوب لي أو لها، أنتم تسمعون إني أشهدكم أن يكفنني رجل منكم كان أميرا أو عريفا* أو بريدا* أو نقيبا*، فليس أحد من القوم إلا قارف* بعض ذلك إلا فتى من الأنصار، فقال: يا عم، أنا أكفنك لم أصب مما ذكرت شيئا، أكفنك في ردائي هذا، وفي ثوبين في عيبتي* من غزل أمي حاكتهما لي، فكفنه الأنصاري في النفر الذين شهدوه منهم حجر بن الأدبر، ومالك بن الأشتر في نفر كلهم يمان.

----

*(الرخم) بالتحريك، واحد الرخمة؛ وهو طائر أبقع من الجوارح، يشبه النسر في الخلقة. (عيبتي) أي خاصتي وموضع سري. وذلك أن الرجل إنما يضع في عيبته حر متاعه وثيابه.(سلع) جبل بسوق المدينة(الرحل) ما يوضع على ظهر البعير للركوب (العريف) القيم الذي يتولى مسئولية جماعة من الناس (البريد) الرسول الذي تبعث معه الرسائل (النقيب) كالعريف على القوم المقدم عليهم الذي يتعرف أخبارهم وينقب ويفتش عن أحوالهم (قارفه) قاربه وخالطه (العيبة) مستودع الثياب والصندوق الذي يحفظ فيه كل شيء نفيس

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ مغاني الأخيار/ مشاهير علماء الأمصار لا بن حبان/ عمر بن عبد العزيز/ لسان العرب/ موسوعة الأعلام/ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة/ مسند أحمد/ أنساب الأشراف/ رجال مسلم/ جمهرة اللغة/ سير أعلام النبلاء/ مولد العلماء ووفياتهم/ معرفة الصحابة/

◆ عثمان بن عفان (ذو النورين، ذو الهجرتين، أمير المؤمنين، ثالث الخلفاء الراشدين) والمغيرة بن شعبة 0154

أخرج أحمد عن المغيرة بن شعبة[1] رضي الله عنه أنه دخل على عثمان[2] رضي الله عنه وهو محصور، فقال: إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى، وإني أعرض عليك خصالا ثلاثا اختر إحداهن: إما أن تخرج فتقاتلهم فإن معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل. وإما أن تخق بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق مكة فإنهن لن يستحلوك وأنت بها. وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية[3] فقال عثمان: أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة فإنهم لن يستحلوني بها؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم. ولن أكون أنا، وأما أن ألحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

■ (1) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي. يقال له مغيرة الرأي. ولد سنة 20 ق هـ في الطائف بالحجاز وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك فدخل الاسكندرية وافدا على المقوقس، وعاد إلى الحجاز. فلما ظهر الاسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة 5 هـ فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة. وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة سنة 50 أو 51 هـ.. قال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية للاناة، وعمرو بن العاص للمعضلات، والمغيرة للبديهة، وزياد بن أبيه للصغير والكبير . وللمغيرة 136 حديثا. وهو أول من وضع ديوان البصرة، وأول من سلم عليه بالامرة في الاسلام.

■ (3) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم.أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (2) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

☪

أخرج ابن سعد وابن عساكر عن أبي هريرة[1] رضي الله عنه قال: دخلت على عثمان يوم الدار فقلت: يا أمير المؤمنين طاب الضرب فقال: يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعا وإياي؟ قلت: لا، قال: فوالله إنك إن قتلت رجلا واحدا فكأنما قتلت الناس جميعا. فرجعت ولم أقاتل. و أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن عليا[2] رضي الله عنه أرسل إلى عثمان: إن معي خمسمائة دارع فأذن لي فأمنعك من القوم فإنك لم تحدث شيئا يستحل به دمك، فقال له: جزيت خيرا، ما أحب أن يهراق دم في سببي. وعن عاصم بن كليب الجرمي، عن أبي قلابة، قال: جاء الحسن بن علي[3] إلى عثمان، فقال: أخترط سيفي؟ قال: لا أبرأ إلى الله إذا من دمك، ولكن، شم سيفك وارجع إلى أبيك. وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن الزبير[4] رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين إن معك في الدار عصابة مستنصرة بنصر الله بأقل منهم لعثمان، فأذن لي فلأقاتل. فقال: أنشدك الله رجلا، أو قال: أذكر بالله رجلا إهراق في دمه أو إهراق في دما. وعنده أيضا قال: قلت لعثمان رضي الله عنه يوم الدار: قاتلهم، فوالله لقد أحل الله لك قتالهم، فقال: لا والله لا أقاتلهم أبدا، فذكر الحديث. وأخرج أيضا عن ابن سيرين قال: جاء زيد بن ثابت[5] إلى عثمان رضي الله عنهما فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصارا لله، مرتين. قال فقال عثمان: أما القتال فلا. وأخرج أيضا عن ابن سيرين قال: كان مع عثمان يومئذ في الدار سبع مائة لو يدعهم لضربوهم إن شاء الله حتى يخرجوهم من أقطارها، منهم ابن عمر، والحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، رضي الله عنهم. وأخرج أيضا عن عبد الله بن ساعدة رضي الله عنه قال: جاء سعيد بن العاص[6] إلى عثمان رضي الله عنهما فقال: يا أمير المؤمنين إلى متى تمسك بأيدينا؟ قد أكلنا أكلا هؤلاء القوم، منهم من قد رمانا بالنبل، ومنهم من قد رمانا بالحجارة، ومنهم شاهر سيفه، فمرنا بأمرك. فقال عثمان: إني والله ما أريد قتالهم، ولو أردت قتالهم لرجوت أن أمتنع منهم، ولكني أكلهم إلى الله وأكل من ألبهم علي إلى الله، فإنا سنجتمع عند ربنا. فأما قتال فوالله ما آمرك بقتال. فقال سعيد: والله لا أسأل عنك أحدا أبدا. فخرج فقاتل حتى أم. وأخرج ابن عساكر عن محمد بن سيرين قال: قال سليط بن سليط[9]: نهانا عثمان عن قتالهم، ولو أذن لنا لضربناهم، حتى نخرجهم من أقطارنا.

☪

يقول ابن سيرين: لقد قتل عثمان يوم قتل وإن الدار لغاصة، منهم ابن عمر وفيهم الحسن بن علي في عقنه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم ألا يقاتلوا. وبذلك يظهر زيف ما اتهم به الصحابة مهاجرين وأنصارا من تخاذل عن نصرة عثمان رضي الله عنه، وكل ما روي في ذلك فإنه لا يسلم من علة إن لم تكن عللا قادحة في الإسناد والمتن جميعا. وأخرج أيضا عن عبد الله بن عامر[10] رضي الله عنهما قال: قال عثمان رضي الله عنه يوم الدار: إن أعظمكم عني غناء رجل كف يده وسلاحه في تاريخ الطبري قال عبد الله بن عامر بن ربيعة: كنت مع عثمان في الدار فقال: أعزم على كل من رأى أن لي عليه سمعا وطاعة إلا كف يده وسلاحه، فإن أفضلكم غناء من كف يده وسلاحه. وثبت أن الحسن والحسين[11] وابن الزبير وابن عمر ومروان[12] كلهم شاك في السلاح حتى دخلوا الدار، فقال عثمان: أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم. فلما قضى الله من أمره ما قضى، ومضى في قدره ما مضى، علم أن الحق [ألا] يترك الناس سدى، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه، ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرا وعلما وتقى ودينا.

أخرج أحمد عن ابن عرم أن عثمان رضي الله عنه أشرف على أصحابه وهو محصور فقال: علام تقتلونني؟ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ فَعَلَيْهِ الرَّجْمُ، أَوْ قَتَلَ عَمْدًا فَعَلَيْهِ الْقَوَدُ، أَوْ ارْتَدَّ بَعْدَ إِسْلَامِهِ فَعَلَيْهِ الْقَتْلُ﴾ فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام، ولا قتلت أحدا فأقيد نفسي منه، ولا ارتددت منذ أسلمت، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار وهو محصور. قال: وكنا ندخل مدخلا إذا دخلناه سمعنا كلام من على البلاط. قال: فدخل عثمان يوما لحاجته فخرج إلينا منتقعا لونه، فقال: إنهم ليتواعدوني بالقتل آنفا. قال: قلنا: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين، قال: ولم يقتلونني؟ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، أَوْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا تمنيت بدلا بديني منذ هداني الله له، ولا قتلت نفسا؛ فبم يقتلونني؟ وعن أبي ليلى الكندي قال: شهدت عثمان رضي الله عنه وهو محصور فاطلع من كوة وهو يقول: يا أيها الناس لا تقتلوني واستتيبوني، فوالله لئن قتلتموني لا تصلون جميعا أبدا، ولا تجاهدون عدوا جميعا أبدا، ولتختلفن حتى تصيروا هكذا، وشبك بين أصابعه، ثم قال: يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم ببعيد.وأرسل إلى عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقال: ما ترى؟ فقال: الكف، الكف، فإنه ألغ لك في الحجة.

عن محمد بن مسكين قال: قالت امرأة عثمان رضي الله عنه حين أطافوا به: تريدون قتله؟ إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيي الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن. وعن محمد بن سيرين مثله إلا أن في روايته: حين أطافوا به يريدون قتله. وعنده أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قالت امرأة عثمان بن عفان رضي الله عنه حين قتلوه: لقد قتلتموه وإنه ليحيي الليلة بلقرآن في ركعة؟ قال أبو نعيم: كذا قال أنس بن مالك ورواه الناس فقالوا: أنس بن سيرين. وأخرج أبو نعيم في الحلية عن عثمان بن عبد الرحمن التيمي قال: قال أبي: لأغلبن الليلة على المقام، قال فلما صليت العتمة تخلصت إلى المقام حتى قمت فيه، قال:فبينا أنا قائم إذارجل وضع يده بين كتفي، فإذا عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: فبدأ بأم القرآن فقرأ حتى ختم القرآن، فرجع وسجد، ثم أخذ نعليه فلا أدري أصلى قبل ذلك شيئا أم لا . وعن عبد الرحمن بن عثمان التيمي قال: رأيت عثمان عند المقام ذات ليلة قد تقدم، فقرأ القرآن في ركعة ثم انصرف. وعن عطاء ابن أبي رباح أن عثمان صلى بالناس، فقام خلف المقام فجمع كتاب الله في ركعة كانت وتره، وعن محمد بن سيرين أن عثمان كان يحيي الليل فيختم القرآن في ركعة.

■ (1) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق. ولد سنة 21 ق. هـ تولى ولاية البحرين في خلافة عمر، كما تولى إمارة المدينة.ثم لزم المدينة يعلم الناس الحديث النبوي، ويفتيهم، حتى وفاته سنة 59 هـ

■ (2) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى وزوج ابنته.يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن 7 سنين، ويقال 9، ويقال 10، ويقال 15، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد سنة 23 ق هـ، و مات سنة 40 هـ.

■ (3) الحسن بن علي بن أبي طالب، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (4) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (10) أبو محمد عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزي المدني تابعي وأحد رواة الحديث النبوي، توفي سنة 85 هـ

■ (5) زيد بن ثابت بن الضحاك بن كوزان الأنصاري البخاري أبو سعيد وأبو خارجة ، كتب الوحي. أمره أبو بكر أن يجمع القرآن وأمره عثمان فكتب المصحف وابي بن كعب يملي عليه. توفي سنة 45 هـ أو48 هـ وقيل بعد 50 هـ. لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا..

■ (6) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

■ (9) سليط بن سليط بن عمرو العامري شهد مع أبيه اليمامة قيل قتل هنالك وقال أبو معشر:لم يقتل هنالك والصواب ما قاله أبو معشر إن شاء الله لأن الزبير ذكرأن عمر لما كسا أصحاب رسول الله الحلل فضلت عنده حلة فقال: دلوني على فتى هاجر هو وأبوه فدلوه على عبد الله بن عمر فقال: لا ولكن سليط بن سليط فكساه إياها

■ (11) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (12) مروان بن الحكم بن أبي العاص أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الأموية.. قيل نظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك. ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ.

مراجع: حياة الصحابة للكاندهلوى/ الأعلام للزركلي/

عن الزهري قال: قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان؟وما كان شأن الناس وشأنه؟ ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقال ابن المسيب: قتل عثمان مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذورا فقلت: كيف كان ذلك؟ قال: إن عثمان لما ولي كره ولايته نفر من الصحابة لأن عثمان كان يحب قومه فولي الناس اثنتي عشرة سنة وكان كثيرا ما يولي بني أمية ممن لم يكن له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبه فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحابه محمد وكان عثمان يستعتب فيهم فلا يعزلهم وذلك في سنة خمس وثلاثين فلما كان في الست الأواخر استأثر بني عمه فولاهم وما أشرك معهم وأمرهم بتقوى الله فولى عبد الله بن أبي سرح[1] مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه وقد كان قبل ذلك من عثمان هنات إلى عبد الله بن مسعود[2] وأبي ذر[3] وعمار بن ياسر[4] فكانت بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لحال ابن مسعود وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح فكتب إليه كتابا يتهدد فيه فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر ممن كان أتى عثمان فقتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح بهم فقام طلحة بن عبيد الله[5] فكلم عثمان بكلام شديد وأرسلت عائشة[6] رضي الله عنها إليه فقالت: تقدم إليك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت؟ فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك ودخل عليه علي بن أبي طالب[7] فقال: إنما يسألونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه فقال لهم: اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر[8] فقالوا: استعمل علينا محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح فخرج محمد ومن معه فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير يخبط البعير خبطا يطلب أو يطلب فقال له أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: ما قصتك وما شأنك؟ كأنك هارب أو طالب فقال لهم: أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر فقال له رجل: هذا عامل مصر قال: ليس هذا ما أريد وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر فبعث في طلبه رجلا فأخذه فجاء به إليه فقال: غلام من أنت؟ فأقبل مرة يقول: أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول: أنا غلام مروان[9] حتى عرفه رجل أنه لعثمان فقال له محمد: إلى من أرسلت؟ قال: إلى عامل مصر قال: بماذا؟ قال: برسالة قال: معك كتاب؟ قال: لا، ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الإداوة فإذا بها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء إلي يتظلم منك ليأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله تعالى فلما قرأوا الكتاب فزعوا وأزمعوا فرجعوا إلى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ودفع الكتاب إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير[10] وعليا وسعدا[11] ومن كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام وأقرؤوهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر حنقا وغيظا وقام أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلحقوا بمنازلهم ما منهم أحد إلا وهو مغتم لما قرؤوا الكتاب وحاصر الناس عثمان سنة خمس وثلاثين وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم فلما رأى ذلك علي بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة كلهم بدري ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له علي: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم قال: والبعير بعيرك؟ قال: نعم، قال: فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا، و حلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لي به، قال له علي: فالخاتم خاتمك؟ قال: نعم، قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم به؟ فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان وشكوا في أمر عثمان وسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى وكان مروان عنده في الدار فخرج أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من عنده غضابا وشكوا في أمره وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل، إلا أن قوما قالوا: لن يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحثه ونعرف حال الكتاب وكيف يأمر بقتل رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق؟ فإن يكن عثمان كتبه عزلناه وإن يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان ولزموا بيوتهم وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان وخشي عليه القتل وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال: أفيكم علي؟ فقالوا: لا، قال: أفيكم سعد؟ قالوا: لا، فسكت ثم قال: ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء؟ فبلغ ذلك عليا فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء إليه فبلغ عليا أن عثمان يراد قتله فقال: إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا، وقال للحسن[12] والحسين[13]: اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه وبعث الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه وبعث عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان فلما رأى ذلك الناس رموا باب عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن علي بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وخضب محمد بن طلحة[14] وشج قنبر[15] مولى علي فخشي محمد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيروها فتنة فأخذ بيد الرجلين فقال لهما: إن جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشف الناس عن عثمان وبطل ما نريد ولكن اذهبوا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم به أحد فتسور محمد وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان ولا يعلم أحد ممن كان معه لأن كل من كان معه كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلا امرأته فقال لهما محمد: مكانكما فإن معه امرأته حتى أبدأكما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجآه حتى تقتلاه فدخل محمد فأخذ بلحيته فقال له عثمان: والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني فتراخت يده ودخل يده الرجلان عليه فتوجآه حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان في الدار من الجلبة وصعدت امرأته إلى الناس فقالت: إن أمير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحا وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا -وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم- حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا وقال علي لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وخرج -وهو غضبان- حتى أتى منزله وجاء الناس يهرعون إليه فقالوا له: نبايعك فمد يدك فلا بد من أمير فقال علي: ليس ذلك إليكم إنما ذلك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليا فقالوا له: ما نرى أحدا أحق بها منك؟ مد يدك نبايعك فبايعوه وهرب مروان وولده وجاء علي إلى امرأة عثمان فقال لها: من قتل عثمان؟ قالت: لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد بن أبي بكر وأخبرت عليا والناس بما صنع محمد فدعا علي محمدا فسأله عما ذكرت امرأة عثمان؟ فقال محمد: لم تكذب قد والله دخلت عليه وأن قتله فذكرني أبي فقمت عنه وأنا تائب إلى الله تعالى والله ما قتلته ولا أمسكته فقالت امرأته صدق ولكنه أدخلهما. وعن كنانة مولى صفية وغيره قالوا: قتل عثمان رجل من أهل مصر أزرق أشقر يقال له: حمار.

- (2) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي من أكابر الصحابة ومن أقربهم إلى رسول الله وهو من السابقين إلى الإسلام وكان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب سره ولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفى بها.سنة 32 هـ
- (4) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم، أبو اليقظان من الولاة الشجعان ومن السابقين إلى الإسلام، ولد بمكة سنة 56 ق.هـ هاجر إلى المدينة وشهد بدرا واحدا وغيرهما، ولاه عمر الكوفة ثم عزله. وشهد الجمل وصفين وقتل فيها سنة 37 هـ
- (3) أبو ذر الغفاري، وهو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار ، وهو رابع أو خامس الإسلام هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول من حيا النبي صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام . مات سنة 32 هـ في خلافة عثمان وقال غيره وقبره في الربذة.
- (1) عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري، من بني عامر بن لؤي، من قريش: فاتح إفريقية، وفارس بني عامر. من أبطال الصحابة. أسلم قبل فتح مكة، وهو من أهلها. وكان من كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم وكان على ميمنة عمر وبن العاص حين افتتح مصر. وولي مصر سنة 25 هـ، بعد عمر وبن العاص، فاستمر نحو 12 عاما، زحف في خلالها إلى إفريقية بجيش فيه الحسن والحسين ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعقبة بن نافع. ولحق بهم عبد الله بن الزبير. فافتتح ما بين طرابلس الغرب وطنجة، ودانت له إفريقية كلها. وغزوا الروم بحرا، وظفر بهم في معركة ذات الصواري سنة 34 هـ، وعاد إلى المشرق. ثم بينما كان في طريقه، بين مصر والشام، علم بمقتل عثمان وأن عليا أرسل إلى مصر واليا آخر هو قيس بن سعد بن عبادة فتوجه إلى الشام، قاصدا معاوية، واعتزل الحرب بينه وبين علي بصفين ومات سنة 37 هـ بعسقلان فجأة، وهو قائم يصلي. وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاع. وأخباره كثيرة.
- (5) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي، أبو محمد، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ولد سنة 28 هـ ويقال له: طلحة الجود وطلحة الخير وطلحة الفياض وكل ذلك لقبه به رسول الله في مناسبات مختلفة ودعاه مرة: الصبيح المليح الفصيح. شهد أحدا وثبت مع رسول الله وبايعه على الموت وأصيب بأربعة وعشرين جرحا وسلم شهد الخندق وسائر المشاهد. كانت له تجارة وافرة مع العراق. قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة 36 هـ ودفن في البصرة.
- (6) أم المؤمنين عائِشة بنت أبي بكر الصِديق التيمية القُرشية. زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وإحدى أمهات المؤمنين.كانت من أعلم النساء بالدين والقرآن والتفسير والحديث والفقه. ولدت رضي الله عنها سنة 19 ق.هـ وتوفيت سنة 58 هـ
- (7) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.
- (8) محمد بن أبي بكر الصديق، شهد مع علي وقعتي الجمل وصفين. وولاه علي إمارة مصر، بعد موت الأشتر فدخلها سنة 37 هـ. ولما اتفق علي ومعاوية على تحكيم الحكمين فات عليا أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر. وانصرف علي يريد العراق، فبعث معاوية عمرو بن العاص بجيش من أهل الشام إلى مصر، فدخلها حربا، بعد معارك شديدة، واختفى ابن أبي بكر، فعرف معاوية بن حديج مكانه، فقبض عليه وقتله وأحرقه سنة38 هـ، لمشاركته في مقتل عثمان بن عفان، وقيل: لم يحرق. ودفنت جثته مع رأسه في مسجد يعرف بمسجد زمام خارج مدينة الفسطاط.ومدة ولايته خمسة أشهر.
- (9) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ . قيل نظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك.
- (10) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي.أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حوراي رسول الله. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر. أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ
- (11) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري المديني، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة58 هـ.
- (12) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.
- (13) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.
- (14) محمد بن طلحة بن عبيدالله القرشي التيمي، أبو سليمان: صحابي، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسماه باسمه. ويقال له السجاد لكثرة تعبده. قتل يوم الجمل سنة 36 هـ.
- (15) قنبر مولى علي رضي الله عنه لم يثبت حديثه قاله الأزدي يقال كبر حتى كان لا يدري ما يقوله أو يروي. ويقال إن قنبر قتله الحجاج وقتل ابنه.

☪

عن عبد الرحمن بن مهدي قال: خصلتان لعثمان رضي الله عنه ليستا لأبي بكر ولا لعمر رضي الله عنهما:صبره على نفسه حتى قتل وجمعه الناس على المصحف. قلت: المصريون هم من قتل عثمان رضي الله عنه وهم من أنشاء ما تسمى اليوم دولة إسرائيل.

مراجع: تاريخ المدينة المنورة/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/

حدث أنس بن مالك: أن حذيفة بن اليمان[1] قدم على عثمان بن عفان، وكان يغزو مع أهل العراق قبل إرمينية في غزوهم ذلك فيمن اجتمع من أهل العراق وأهل الشام فتنازعوا في القرآن حتى سمع حذيفة من اختلافهم فيه ما يكره، فركب حذيفة حتى قدم على عثمان فقال: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى في الكتب، ففزع لذلك عثمان بن عفان، فأرسل إلى أم المؤمنين، حفصة بنت عمر أن أرسلي إلي بالصحف التي جمع فيها القرآن، فأرسلت إليه بها حفصة، فأمر عثمان زيد بن ثابت[2]وسعيد بن العاص[3]وعبد الله بن الزبيروعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[4] أن ينسخوها في المصاحف، وقال لهم: إذا اختلفتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن إنما نزل بلسانهم. ففعلوا، حتى كتبت المصاحف، ثم رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل به. فذلك زمان حرقت فيه المصاحف بالنار. قال يزيد بن معاوية الأشجعي: إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة[5] في حلقة فيها حذيفة، قال: فليس إذ ذاك حجزة ولا جلاوزة، إذ هتف هاتف: من كان يقرأ على قراءة أبي موسى[6]فليأت الزاوية التي عند أبواب كندة، ومن كان يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعودفليأت هذه الزاوية التي عند دار عبد الله، فاختلفا في آية في سورة البقرة، قرأ هذا: وأتموا الحج والعمرة للبيت، وقرأ هذا: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة] فغضب حذيفة واحمرت عيناه، ثم قام فغرز قميصه في حجزته وهو في المسجد وذلك في زمن عثمان فقال: إما أن تركب إلى أمير المؤمنين، وإما أن أركب، فهكذا كان من قبلكم، ثم أقبل فجلس فقال: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فقاتل بمن أقبل من أدبر حتى أظهر الله دينه، ثم إن الله قبضه فطعن الناس في الإسلام طعنة جوادا ثم إن الله استخلف أبا بكر، فكان ما شاء الله، ثم إن الله قبضه فطعن الناس في الإسلام طعنة جوادا، ثم إن الله استخلف عمر، فنزل وسط الإسلام، ثم إن الله قبضه فطعن الناس في الإسلام طعنة جوادا، ثم إن الله استخلف عثمان، وأيم الله ليوشكن أن تطعنوا فيه طعنة تحلقونه كله. وعن محمد وطلحة قالا: وصرف حذيفة عن غزو الري إلى غزو الباب مددا لعبد الرحمن بن ربيعة[7]، وخرج معه سعيد بن العاص، فبلغ معه أذربيجان، فأقام حتى قفل حذيفة ثم رجعا. قال له حذيفة: إني سمعت في سفرتي هذه أمرا لئن ترك الناس ليضلن القرآن ثم لا يقومون عليه أبدا، قال: رأيت أمداد أهل الشام حين قدموا علينا، فرأيت أناسا من أهل حمص يزعمون لأناس من أهل الكوفة أنهم أصوب قراءة منهم، وأن المقداد أخذها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول الكوفيون مثل ذلك، ورأيت من أهل دمشق قوما يقولون لهؤلاء: نحن أصوب منكم قراءة وقرآن، ويقول هؤلاء لهم في مثل ذلك. فلما رجع إلى الكوفة دخل المسجد فحذر الناس مما سمع في غزاته، فساعده على ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أخذ عنهم وعامة التابعين، وقال له قوم ممن قرأ على عبد الله: وما تنكر؟ ألسنا نقرأ على قراءة ابن أم عبد؟ وأهل البصرة يقرؤون على قراءة أبي موسى ويسمونها لباب الفؤاد، وأهل مصر يقرؤون على قراءة المقداد[8] وسالم (مولى أبي حذيفة)؟ فغضب حذيفة من ذلك وأصحابه وأولئك التابعون، وقالوا: إنما أنتم أعراب، وإنما بعث عبد الله إليكم ولم يبعث إلى من هو أعلم منه، فاسكتوا فإنكم على خطأ. وقال حذيفة: والله لئن عشت حتى آتي أمير المؤمنين لأشكون إليه ذلك، ولأشيرن عليه أن يحول بينهم وبين ذلك حتى ترجعوا إلى جماعة المسلمين والذي عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة. وقال الناس مثل ذلك، فقال عبد الله: والله إذا ليصلين الله وجهك نار جهنم. فقال سعيد بن العاص: أعلى الله تألى والصواب مع صاحبك؟ فغضب سعيد وقام، وغضب ابن مسعود فقام، فغضب القوم فتفرقوا، وغضب حذيفة فرحل إلى عثمان فأخبره بالذي حدث في نفسه من تكذيب بعضهم بعضا بما يقرأ، ويقول: أنا النذير العريان فأدركوا. فجمع عثمان الصحابة، وأقام حذيفة فيهم بالذي رأى وسمع، فأعظموا ذلك، ورأوا جميعا مثل الذي رأى، قالوا: إن يتركوا ويمضي هذا القرن لا يعرف القرآن. فسأل عثمان: مالباب الفؤاد؟ فقيل: مصحف كتبه أبو موسى، وكان قرأ على رجال كثير ممن لم يكن جمع على النبي صلى الله عليه وسلم . وسأل عن مصحف ابن مسعود فقيل له: قرأ على مجمع بن جارية[10]وخباب بن الأرت[11]، وجمع القرآن بالكوفة، فكتب مصحفا وسأل عن المقداد فقيل له: جمع القرآن بالشام، فلم يكونوا قرؤوا على النبي صلى الله عليه وسلم إنما جمعوا القرآن في أمصارهم، فاكتتب المصاحف وهو بالمدينة، وفيها الذين قرؤوا القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وبثها في الأمصار، وأمر الناس أن يعمدوا إليها وأن يدعوا ما يعلم في الأمصار. فكل الناس عرف فضل ذلك، أجمعوا عليه وتركوا ما سواه إلا ما كان من أهل الكوفة، فإن قراء قراءة عبد الله نزوا في ذلك حتى كادوا يتفضلون على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وعابوا الناس، فقام فيهم ابن مسعود فقال: ولا كل هذا، إنكم قد سبقتم سبقا بينا، فاربعوا على ظلعكم. ولما قدم المصحف الذي بعث به عثمان على سعيد، وأجمع عليه الناس، وفرح به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعث سعيد إلى ابن مسعود يأمره أن يدفع إليه مصحفه، فقال: هذا مصحفي، تستطيع أن تأخذ ما في قلبي؟ فقال له سعيد: يا عبد الله، ما أنا عليك بمسيطر، إن شئت تابعت أهل دار الهجرة وجماعة المسلمين، وإن شئت فارقتهم، وأنت أعلم. قال مصعب بن سعد: قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناس، عهدكم بنبيكم صلى الله عليه وسلم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون قراءة أبي وقراءة عبد الله، يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك، فأعزم على رجل منكم ماكان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فناشدهم: أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أمله عليك؟ فيقول: نعم. فلما فرغ من ذلك عثمان قال:من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت. قال: فأي الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد، فكتب مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقول:قد أحسن.

(1) حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، واليمان لقب حسل: صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين. كان صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره. وولاه عمر على المدائن وهاجم نهاوند سنة 22 هـ فصالحه صاحبها على مال يؤديه في كل سنة. وغزا الدينور، وماه سندان، فافتتحها عنوة، وكان سعد بن أبي وقاص قد فتحها ونقضتا العهد. ثم غزا همذان والري، فافتتحها عنوة. واستقدمه عمر إلى المدينة، فلما قرب وصوله اعترضه عمر في ظاهرها، فرآه على الحال التي خرج بها، فعانقه وسر بعفته. ثم أعاده إلى المدائن، فتوفي فيها سنة 36 هـ

(8) المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندي البهراني الحضرمي، أبو معبد، أو أبو عمرو: صحابي، من الأبطال. هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله. وكان في الجاهلية من سكان حضرموت واسم أبيه عمرو ابن ثعلبة البهراني الكندي. قيل وقع بين المقداد وابن شمر بن حجر الكندي خصام فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب إلى مكة، فتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فصار يقال له المقداد بن الأسود إلى أن نزلت آية ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب] فعاد يتسمى المقداد بن عمرو وشهد بدرا وغيرها. وسكن المدينة. وتوفي سنة 33 هـ على مقربة منها، فحمل إليها ودفن فيها.له 48 حديثا.

(6) أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. من بني الأشعر. التميمي، استعمله النبي ومعاذا على زبيد، وعدن. وولي البصرة لعمر، وعثمان، وولي الكوفة، وبها مات سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ.

(7) عبد الرحمن بن ربيعة بن يزيد الباهلي: وال، من الصحابة، كان يلقب ذا النور. ولاه عمر بن الخطاب قضاء الجيش الذي وجهه إلى القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص، وعهد إليه بقسمة الغنائم. ثم ولاه الباب، وقتال الترك والخزر، فاستمر في ولايته هذه إلى أن استشهد في بعض وقائعه ببنجر سنة 32 هـ

(4) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي المدني، أبو محمد: تابعي، ثقة، جليل القدر، من أشراف قريش. وهو أحد الاربعة الذين عهد إليهم عثمان بن عفان بنسخ المصاحف، لتوزيعها على الامصار. توفي في المدينة سنة 43 هـ.

(10) مجمع بن جارية أو ابن يزيد بن جارية بن عامر، من بني العطاف ابن ضبيعة الاوسي الانصاري: أحد من جمع القرآن، إلا يسيرا منه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وكان ذلك في صباه. ويقال: إن عمر بعثه أيام خلافته إلى أهل الكوفة، يعلمهم القرآن. ومات بالمدينة نحو سنة 50 هـ في خلافة معاوية.

(11) خباب بن الارت بن جندلة بن سعد التميمي، أبو يحيى أو أبو عبد الله: من السابقين، قيل أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه. كان في الجاهلية قينا يعمل السيوف، بمكة. ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه، فصبر، شهد المشاهد كلها، ونزل الكوفة فمات فيها سنة 37 هـ وهو ابن 73 سنة.

(2) زيد بن ثابت بن الضحاك بن كوزان الأنصاري البخاري أبو سعيد وأبو خارجة ، كتب الوحي. أمره أبو بكر أن يجمع القرآن وأمره عثمان فكتب المصحف وابي بن كعب يملي عليه. توفي سنة 45 هـ أو48 هـ وقيل بعد 50 هـ. لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا..

(3) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، من الأمراء الولاة الفاتحين.ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

(5) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب،: من فتيان قريش وشعرائهم فيه ظرف ومجون ولهو. وهو أخو عثمان بن عفان لامه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25 هـ فانصرف إليها، وأقام إلى سنة 29 هـ فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر، فعزله ودعا به إلى المدينة، فجاء، فحده وحبسه. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية، فسكنها. واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرض معاوية على الاخذ بثأره. ومات بالرقة سنة 61 هـ.

☪

لما نسخ عثمان المصاحف قال له أبو هريرة: أصبت ووفقت، أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أشد أمتي حبا لي قوم يأتون من بعدي، يؤمنون بي ولم يروني، يعملون بما في الورق المعلق. فقلت: أي ورق؟ حتى رأيت المصاحف، فأعجب ذلك عثمان وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف، وقال: والله ما علمت إنك لتحبس علينا حديث نبينا صلى الله عليه وسلم. وعن علي كرم الله وجهه أنه قال: إياكم والغلو في عثمان، تقولون: حرق المصاحف، والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ولو وليت مثلما ولي لفعلت مثل الذي فعل. وعن إسماعيل بن أبي خالد قال: لما نزل أهل مصر الجحفة يعاتبون عثمان صعد عثمان المنبر فقال: جزاكم الله يا أصحاب محمد عني شرا، أذعتم السيئة، وكتمتم الحسنة، وأغريتم بي سفهاء الناس، أيكم يأتي هؤلاء القوم فيسألهم ما الذي نقموا، وما الذي يريدون؟ ثلاث مرات لا يجيبه أحد، فقام علي فقال: أنا، فقال عثمان: أنت أقربهم رحما وأحقهم بذلك، فأتاهم فرحبوا به وقالوا: ما كان يأتينا أحد أحب إلينا منك، فقال: ما الذي نقمتم؟ قالوا: نقمنا أنه محا كتاب الله، وحمى الحمى، واستعمل أقرباءه، وأعطى مروان مئة ألف، وتناول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. فرد عليهم عثمان: أما القرآن فمن عند الله، إنما نهيتكم لأني خفت عليكم الاختلاف، فاقرؤوا على أي حرف شئتم، وأما الحمى فوالله ما حميته لإبلي ولا غنمي، وإنما حميته لإبل الصدقة لتسمن وتصلح وتكون أكثر ثمنا للمساكين، وأما قولكم: إني أعطيت مروان مئة ألف فهذا بيت مالهم فليستعملوا عليه من أحبوا، وأما قولهم: تناول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فإنما أنا بشر أغضب وأرضى، فمن ادعى قبلي حقا أو مظلمة فهذا أنا، فإن شاء قود، وإن شاء عفو، وإن شاء أرضي، وفرضي الناس واصطلحوا ودخلوا المدينة، وكتب بذلك إلى أهل البصرة وأهل الكوفة فمن لم يستطع أن يجيء فليوكل وكيلا.وعن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر وعمر وخلافة عثمان ثم قال: عمل بما عمل صاحباه ست سنين، وكان في ست فيه وفيه، غفر الله لنا وله ورحمنا وإياه وخلافة علي، فنظرنا فوجدناها ثلاثين سنة. قال الشعبي: كان عثمان في قريش محببا، يوصون إليه، ويعظمونه، وإن كانت المرأة من العرب لترقص صبيها، وهي تقول: من المجتث: أحبك والرحمان..حب قريش عثمان. قال الزهري: لما ولي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميرا، يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئا، وإنه لأحب إلى قريش من عمر بن الخطاب لأن عمر كان شديدا عليهم، فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم، ثم توانى في أمرهم واستعمل أقرباءه أهل بيته في الست الأواخر، وكتب لمروان بخمس مصر، وفي نسخة أخرى بخمس إفريقية، وأعطى أقرباءه المال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتخذ المال واستسلف من بيت المال، وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإني أخذته فقسمته في أقربائي، فأنكر الناس عليه ذلك. وعن عروة قال: استخلف عثمان ففتح الله عليه إفريقية وخراسان، فعزل عمير بن سعد عن حمص، وجمع الشام لمعاوية، ونزع عمرو بن العاص عن مصر وأمر عليها عبد الله بن سعد ابن أبي سرح، أحد بني عامر بن لؤي، ونزع أبا موسى الأشعري عن البصرة وأمر عليها عبد الله بن عامر بن كريز، ونزع المغيرة بن شعبة عن الكوفة وأمر عليها سعيد بن العاص، فلم يزل أميرها حتى استعرت الفتنة في الناس، ففصل سعيد من عند عثمان إلى الكوفة، فلقيته خيل أهل الكوفة بالعذيب، فردوه فرجع إلى عثمان، فلم تزل الفتنة تستعر حتى قتل عثمان.

مراجع: تاريخ المدينة المنورة/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/

عن شداد بن أوس قال: لما اشتد الحصار بعثمان يوم الدار أشرف على الناس فقال يا عباد الله – قال: فرأيت علي بن أبي طالب[1] خارجا من منزله معتما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه، أمامه الحسن[2] وعبد الله بن عمر[3] في نفر من المهاجرين والأنصار حتى حملوا على الناس وفرقوهم ثم دخلوا على عثمان فقال له علي: السلام عليك يا أمير المؤمنين: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المدبر، وإني والله لا أرى القوم إلا قاتلوك فمرنا فلنقاتل فقال عثمان: أنشد الله رجلا رأى الله حقا وأقر أن لي عليه حقا أن يهريق في سبيلي ملء محجمة من دم أم يهريق دمه في، فأعاد علي عليه القول فأجابه بمثل ما أجابه. قال: فرأيت عليا خارجا من الباب وهو يقول: اللهم، إنك تعلم أنا بذلنا المجهود، ثم دخل المسجد وحضرت الصلاة، فقالوا له: يا أبا الحسن تقدم فصل بالناس، فقال: لا أصلي بكم والإمام محصور، ولكن أصلي وحدي، فصلى وحده وانصرف إلى منزله فلحقه ابنه وقال: والله يا أبت قد اقتحموا عليه الدار، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هم والله قاتلوه قالوا: أين هو يا أبا الحسن؛ قال في الجنة والله زلفى: قالوا: وأين هم يا أبا الحسن؟ قال: في النار والله ثلاثا.

■ (1) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (3) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

■ (2) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

في فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: روى المحب الطبري: تقدم أنه أول من أسلم وأول من صلى، وأجمعوا أنه صلى إلى القبلتين وهاجر، وشهد بدرا والحديبية وبيعة الرضوان والمشاهد كلها غير تبوك. استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها على المدينة وعلى عيال بها، وأنه أبلى ببدر وأحد والخندق وخيبر بلاء عظيما، وأنه أغنى في تلك المشاهد وقام القيام الكريم، وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في مواطن كثيرة منها يوم بدر على خلف فيه؛ ولما قتل مصعب بن عمير يوم أحد وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي أخرجه أبو عمر. وقد تقدم في خصائصه أن لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بيده في كل زحف فيحمل الكل على الأكثر تغليبا للكثرة، وهو شائع في كلامهم، توفيقا بين الروايتين. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يغز لم يعط سلاحه إلا عليا أو أسامة. أخرجه أحمد في المناقب، وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة في حديث: تحرك حرا. وثبت له أفضل فضيلة بالمصاهرة وأقرب القرابة، وقد تقدمت أحاديثها. ومن أدل دليل على عظيم منزلته من رسول الله صلى الله عليه وسلم صنيعه في المؤاخاة كما تقدم، فإنه صلى الله عليه وسلم جعل يضم الشكل إلى الشكل يؤلف بينهما إلى أن آخى بين أبي بكر وعمر، وادخر عليا لنفسه وخصه بذلك، فيالها مفخرة وفضيلة!! [..]

ذكر خبر عن علي رضي الله عنه يوهم ظاهره أنه مضاد لما تقدم عنه: عن عطاء أن عثمان دعا عليا، فقال: يا أبا الحسن، إنك لو شئت لاستقامت علي هذه الأمة فلم يخالفني واحد، فقال علي: لو كانت لي أموال الدنيا وزخرفها ما استطعت أن أدفع عنك أكف الناس، ولكني سأدلك على أمر هو أفضل مما سألتني: تعمل بعمل أخويك أبي بكر وعمر، وأنا لك بالناس لا يخالفك أحد منهم، خرجه ابن السمان. قال المحب الطبري: ولا تضاد بينهما، بل ذلك في حالين مختلفين، فكان هذا في مبتدأ الأمر قبل اجتماع الناس عليه في وقت يتمكن فيه من العمل بسنة الشيخين بحيث يشتهر عنه فلا يبقى لأحد عليه حجة، وقال له علي هذه المقالة رجاء عمله بسنة الشيخين ولم يكن قطعا يخطئه فيما هو عليه، فلذلك لم ينكر عليه ولا كان مصوبا له، وإلا فما كان أمره باتباع غيره مع رؤيته أنه إمام حق لا محالة، وإلا كان مع المتمالئين عليه ولما دعت الضرورة إلى الدفع عنه واجتمع الناس عليه –عرض عليه الدفع عنه ولم ير أن يفتات عليه في ذلك، بل رأى طواعيته له أولى من الدفع، وكذلك كل من عزم عليه عثمان في ترك الدفع عنه، والله أعلم. وسيأتي في فصل خلافة علي ما يدل على أنه نهض بنصرته فوجده قد مات. [الرياض النضرة في مناقب العشرة]

عن علي رضي الله عنه قال: من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الإيمان. والله ما أعنت على قتله ولا أمرت ولا رضيت. خرجه أبو عمر وابن السمان وزاد –ولا شاركت. وعن قيس بن عباد قال: سمعت عليا يوم الجمل يقول: اللهم، إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاءوني للبيعة فقلت: ألا أستحي من الله أن أبايع قوما قتلوا رجلا، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَلَا أَسْتَحِي مِمَّنْ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ!﴾؟؟. وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل في الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس يسألون البيعة فقلت: اللهم، إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، قال: فقالوا يا أمير المؤمنين؛ فكأنما صدع قلبي وقلت: اللهم، خذ مني حتى ترضى. خرجه ابن السمان في الموافقة والخجندي في الأربعين. وعن ابن عباس عن علي قال: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله ولكني نهيت؛ والله ما قتلت عثمان ولا أمرت ولكني غلبت. قالها ثلاثا. وفي رواية ولكني غلبت في قتل عثمان. وعن محمد بن سيرين قال: لما قدم علي البصرة اعتذر على المنبر من قتل عثمان فقال: والله ما مالأت ولا شاركت ولا رضيت. خرجه ابن السمان. وعن محمد بن الحنفية قال: لما كان يوم الدار أرسل عثمان إلى علي فأراد إتيانه فتعلقوا به ومنعوه، قال: فلوى عمامة له سوداء ونادى ثلاثا: اللهم، إني لا أرضى قتل عثمان ولا آمر به. خرجه ابن السمان أيضا.

عن أم عمرو بنت حسان بن يزيد بن أبي الغض – قال أحمد بن حنبل وكانت عجوز صدق– قالت حدثني أبي قال: دخلت المسجد الأكبر – مسجد الكوفة– وعلي قائم على المنبر يخطب الناس وهو ينادي بأعلى صوته ثلاث مرات: يا أيها الناس!! يا أيها الناس!! إنكم تكثرون في عثمان وإن مثلي ومثله كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر] أيها الناس، هذه لنا خاصة. وعنه –وقد قيل له إنهم يقولون إن عليا قتل عثمان– فقال: قتله الذي قتله، لعن الله قتلة عثمان. قال علي: أنا وطلحة وعثمان والزبير كما قال الله تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر] خرجهما ابن السمان. وعن محمد بن حاطب قال: دخلت على علي وهو بالكوفة فقلت: يا أمير المؤمنين إني أريد الحجاز وإن الناس سائلي عنك، فما تقول في؟ –وكان متكئا– فجلس وقال تسائلني يا ابن حاطب عما أقول في عثمان؟ والله إني لأرجو أن أكون أنا وأخي عثمان ممن قال الله تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر] خرجه ابن السمان. وعنه عن علي قال: عثمان من الذين آمنوا، ثم قرأ ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة] الآية خرجه ابن حرب الطائي. وعن ثابت بن عبد قال: جاء رجل من آل حاطب إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين إني راجع الى المدينة، وإنهم سائلي عن عثمان، فماذا أقول لهم؟ قال: أخبرهم أن عثمان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين. وعن محمد بن الحنفية قال: قال علي: لو سيرني عثمان إلى كذا لسمعت وأطعت. وعن عروة بن الزبير قال: لما زاد عثمان في المسجد قال علي: ما أحسن ما صنع! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿من بني مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة﴾ وعن أبي سعيد قال: رأيت غلاما ما أدرى غلام هو أم جارية ما رأيت أحسن منه جالسا إلى جنب علي بن أبي طالب، فقلت له: عافاك الله!! من هذا الفتى إلى جانبك؟ قال: هذا عثمان بن علي، سميته بعثمان بن عفان، وقد سميت بعمر وبالعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسميت بخير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، وأما حسن وحسين ومحسن فإنما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتق عنهم أو حلق رءوسهم وتصدق بزنتها ذهبا، وأمر بهم فسموا. خرجه ابن السمان في الموافقة. وعن سعيد بن المسيب أنه جرى بين عثمان وعلي نزغ من الشيطان فما ترك أحدهما من الآخر شيئا ثم لم يقوما حتى استغفر أحدهما للآخر. خرجه ابن السمان. وعن محمد بن الحنفية قال: جاء إلى علي ناس من الناس فشكوا سعاة عثمان. قال فقال لي أبي: اذهب بهذا الكتاب إلى عثمان فقل له: إن الناس قد شكوا من سعاتك، وهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقة فلتأخذ به. قال: فأتيت عثمان فذكرت له ذلك، فلو كان ذاكرا عثمان بشيء لذكره –يعني بسوء– خرجه أحمد في المناقب.

عن ابن عمر أنه سئل عن علي وعثمان فقال للسائل: قبحك الله! تسائلني عن رجلين كلاهما خير مني!؟ تريد أن أخفض من أحدهما وأرفع من الآخر! خرجه أبو عمر. وعن سعيد بن عبد قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان فذكر محاسن عمله ثم قال: لعل ذاك يسوءك!! قال: نعم. قال: فأرغم الله أنفك، ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله ثم قال: ذاك بيته أوسط بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: لعل ذلك يسوءك! قال: نعم. قال: فأرغم الله أنفك! انطلق فاجهد على جهدك. خرجه البخاري. وعن البراء بن عازب قال: لا تسبوا عثمان فإنه أخي وخليلي، لا تسبوا عليا فإنه أخي وخليلي. والذي نفسي محمد بيده لموقف أحدهم ساعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من الدنيا وما فيها. خرجه ابن البختري هكذا موقوفا على البراء، ولعله مرفوع. وأسقط الناسخ ذكر النبي صلى الله عليه وسلم . وعن ابن عمر قال: جاءني رجل في خلافة عثمان فإذا هو يأمرني أن أعتب على عثمان، فلما قضى كلامه قلت له: إنا كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة محمد بعده أبو بكر وعمر ثم عثمان، وإنا والله ما نعلم عثمان قتل نفسا بغير حق ولا جاء من الكبائر شيئا، ولكنه هذا المال، إن أعطاكموه رضيتم وإن أعطاه قرابته سخطتم. إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم، لا يتركون لهم أميرا إلا قتلوه، ففاضت عيناه بأربعة من الدمع ثم قال: اللهم، لا ترد ذلك. خرجه الحافظ الدمشقي.

عن أذينة العبدي قال: أتيت عمر فسألته: من أين أعتمر؟ قالت: ائت عليا فسله. أخرجه أبو عمر وابن السمان في الموافقة. وعن أبي حازم قال: جاء رجل إلى معاوية فسأله عن مسألة فقال: سل عنها علي بن أبي طالب، فهو أعلم. قال: يا أمير المؤمنين جوابك فيها أحب إلي من جواب علي. قال: بئس ما قلت، لقد كرهت رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزره بالعلم غزرا، ولقد قال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذه منه أخرجه أحمد في المناقب.

مراجع: الرياض النضرة في مناقب العشرة/ الأعلام للزركلي/

عن زيد بن السائب عن خالد مولى أبان بن عثمان قال: كان مروان[1] قد ازدرع بالمدينة في خلافة عثمان على ثلاثين جملا، فكان يأمر بالنوى أن يشتري فينادي: إن أمير المؤمنين يريده، وعثمان لا يشعر بذلك فدخل عليه طلحة[2] وكلمه في أمر النوى فحلف أنه لم يأمر بذلك، فقال طلحة: هذا أعجب أن يفتأت عليك* بمثل هذا، فهلا صنعت كما صنع ابن حنتمة[3]، يعني عمر بن الخطاب، خرج يرفأ[4] بدرهم يشتري لحما فقال للحام، إني أريده لعمر، فبلغ ذلك عمر فأرسل إلى يرفأ فأتي به وقد برك عمر على ركبتيه وهو يفتل شاربه، فلم أزل أكلمه فيه حتى سكنته، فقال له: والله لئن عدت لأجعلنك نكالا، أتشتري السلعة ثم تقول هي لأمير المؤمنين؟.

----

*(الافتئات) من فات، وهو السبق إلى الشيء، يقال: افتأت بأمره وبرأيه: استبد به، ولم يستشر من له الرأي فيه..فلان لا يفتأت عليه، أي: لا يعمل شئ دون أمره.

■ (2) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

■ (3) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة 6 من النبوة وقيل سنة 5. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر، قتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي وكان عمره 65 سنة وخلافته 10 سنين و6 أشهر.

■ (1) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ . قيل نظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك.

■ (4) يرفأ مولى عمر، وكان حاجبه (البواب) (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

عن عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن أبيها قال: سمعت عثمان يقول: أيها الناس إن أبا بكر وعمرو كانا يتأولان في هذا المال ظلف أنفسهما وذوي أرحمهما وإني تأولت فيه صلة رحمي. وعن الزهري قال: لما ولي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميرا، فمكث ست سنين لا ينقم الناس عليهم شيئا إنه لأحب إلى قريش من عمر لشدة عمر ولين عثمان لهم ورفقه بهم، ثم توانى في أمرهم واستعمل أقاربه وأهل بيته في الست الأواخر وأهملهم وكتب لمروان بن الحكم بخمس إفريقية، وأعطى أقاربه المال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتخذ الأموال واستسلف من بيت المال مالا وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من هذا المال ما كان لهما وإني آخذه فأصل به ذوي رحمي، فأنكر الناس ذلك عليه.

وعن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: لما ولي عثمان كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن عثمان كان يحب قومه، فولي الناس اثنتي عشرة حجة وكان كثيرا ما يولي من بني أمية من لم يكن له مع النبي صلى الله عليه وسلم صحبه، فكان يجيء من أمرائه ما ينكره، أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم، فلما كان في الست الأواخر استأثر ببني عمه فولاهم وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر فمكث عليهم سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه، وقد كانت من عثمان قبل هنات إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر، فكان في قلوب هذيل وبني زهرة وبني غفار وأحلافها من غضب لأبي ذر ما فيها، وحنقت بنو مخزوم لحال عمار بن ياسر، فلما جاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح كتب إليه كتابا يتهدده فيه، فأبى أن ينزع عما نهاه عثمان عنه وضرب بعض من كان شكاه إلى عثمان من أهل مصر حتى قتله، فخرج من أهل مصر سبعمائة إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا ما صنع بهم ابن أبي سرح في مواقيت الصلاة إلى أصحاب محمد، فقام طلحة إلى عثمان فكلمه بكلام شديد، وأرسلت إليه عائشة رضي الله تعالى عنها تسأله أن ينصفهم من عامله، ودخل عليه علي بن أبي طالب –وكان متكلم القوم– وقال له: إنما يسألك القوم رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم وأقض بينهم فإن وجب عليه حق فانصفهم منه، فقال لهم: اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه، فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر الصديق، فقالوا: استعمل علينا محمد بن أبي بكر، فكتب عهده على مصر ووجه معهم عدة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح.

وعن محمد بن عبد الله الزهري أن عثمان كان يأخذ من الخيل الزكاة، فأنكر ذلك من فعله وقالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿عَفَوْتُ لَكُمْ عَنْ صَدَقَةِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ﴾ ليس على الرجل في فرسه ولا في عبده صدقة.

قال الزهري، حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده – وفي أحد الحديثين زيادة عن الآخر فسقتها ورددت بعضهما على بعض– أن الحكم بن أبي العاص بن أمية عم عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية كان جارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أشد جيرانه أذى له في الإسلام وكان قدومه المدينة بعد فتح مكة، وكان مغموصا عليه في دينه، فكان يمر خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغمز به ويحكيه ويخلج بأنفه وفمه وإذا صلى قام خلفه فأشار بأصابعه، فبقي تخليجه وأصابته خبلة، واطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في بعض حجر نسائه فعرفه وخرج إليه بعنزة وقال: من عذيري من هذا الوزغة اللعين، ثم قال: لا يساكنني ولا ولده، فغربهم جميعا إلى الطائف، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم عثمان أبا بكر وسأله ردهم فأبى ذلك وقال: ماكنت لآوي طرداء رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم لما استخلف عمر كلمه فيهم فقال مثل قول أبي بكر. فلما استخلف عثمان أدخلهم المدينة وقال: قد كنت كلمت رسول الله فيهم وسألته ردهم فوعدني أن يأذن لهم فقبض قبل ذلك، فأنكر المسلمون عليه إدخاله إياهم المدينة. قال الواقدي: ومات الحكم بن أبي العاص بالمدينة في خلافة عثمان فصلى عليه وضرب على قبره فسطاطا. وعن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: خطب عثمان فأمر بذبح الحمام وقال: إن الحمام قد كثر في بيوتكم حتى كثر الرمي ونالنا بعضه، فقال الناس: يأمر بذبح الحمام، وقد آوى طرداء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن أسامة بن زيد بن أسلم عن نافع مولى الزبير عن عبد الله بن الزبير قال: أغزانا عثمان سنة سبع وعشرين إفريقية، فأصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح غنائم جليلة، فأعطى عثمان مروان بن الحكم خمس الغنائم.

وعن لوط بن يحيى أبي مخنف عمن حدثه قال: قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخا عثمان من الرضاعة وعامله على المغرب، فغزا إفريقية سنة سبع وعشرين فافتتحها وكان معه مروان بن الحكم، فابتاع خمس الغنيمة بمائة ألف أو مائتي ألف دينار، فكلم عثمان فوهبها له، فأنكر الناس ذلك على عثمان.

وعن عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور قالت: لما بنى مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه، وكان المسور فيمن دعا، فقال مروان وهو يحدثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهما فما فوقه، فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكت لكان خيرا لك، لقد غزوت معنا إفريقية وإنك لأقلنا مالا ورقيقا وأعوانا وأخفنا ثقلا فأعطاك ابن عفان خمس إفريقية، وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين؛ فشكاه مروان إلى عروة وقال: يغلظ لي وأنا له مكرم متق.

وعن عبد الله بن جعفر عن أم بكر عن أبيها قالت: قدمت إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص.

وعن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: كان مما أنكروا على عثمان أنه ولى الحكم بن أبي العاص صدقات قضاعة فبلغت ثلاثمائة ألف درهم، فوهبها له حين أتاه بها.

وقال أبو مخنف والواقدي في روايتهما: أنكر الناس على عثمان إعطاءه سعيد بن العاص مائة ألف درهم، فكلمه علي والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك، فقال: إن له قرابة ورحما، قالوا: أفما كان لأبي بكر وعمرو قرابة وذوو رحم؟ فقال: إن أبا بكر وعمرو كانا يحتسبان في منع قرابتهما، وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي، قالوا: فهديهما والله أحب إلينا من هديك، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وعن ابن أبي سبرة عن أشياخه قالوا: كان عثمان يبعث السعاة لقبض الصدقات إذا حضر الناس المياه، ثم يعهد إليهم فيتعدون حدوده فلا يكون منه لذلك تغيير ولا نكير، فاجترأوا عليه ونسب فعلهم إليه وتكلم الناس في ذلك وأنكروه.

قال هشام بن سعد: سمعت زيد بن أسلم يذكر، عن أبيه، قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولاه هنيا[1] على الحمى*، قال: فرأيته يقول هكذا: ويحك يا هني ضم جناحك عن الناس واتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة أدخل رب الصريمة والغنيمة ودعني من نعم ابن عفان، وابن عوف فإن ابن عوف، وابن عفان إن هلكت ماشيتها رجعا إلى المدينة إلى نخل وزرع، وإن هذا المسكين إن هلكت ماشيته جاءني يصيح يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين فالماء والكلأ أهون علي من أن أغرم ذهبا وورقا والله والله والله إنها لبلادهم في سبيل الله قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام ولولا هذا النعم الذي يحمل عليه في سبيل الله ما حميت على الناس من بلادهم شيئا. وعن عامر بن عبد الله بن الزبير –قال أبو عبيد: أحسبه عن أبيه– قال: أتى أعرابي عمر رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، بلادنا، قاتلنا عليها في الجاهلية، وأسلمنا عليها في الإسلام، علام تحميها ؟ قال: فأطرق عمر، وجعل ينفخ ويفتل شاربه –وكان إذا كربه أمر فتل شاربه ونفخ– فلما رأى الأعرابي ما به، جعل يردد ذلك عليه، فقال عمر: المال مال الله، والعباد عباد الله، والله لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حميت من الأرض شبرا في شبر. وعن زيد بن أسلم، عن أبيه: أن ناسا من بني ثعلبة أتوا عمر رضي الله عنه فقالوا: أرضنا قاتلنا في الجاهلية، وأسلمنا عليها في الإسلام، حميت علينا، فجعل عمر رضي الله عنه يقول: البلاد بلاد الله، تحمى لنعم مال الله، وما أنا بفاعل، وجعل يفتل شاربه، وكان مل ذلك إذا هم.

----

*(الحمى) بالكسر والقصر: هو ما حماه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثم زاده عمر وعثمان لنعم الصدقة، والخيل المعدة في سبيل الله، والأحمية هي حمى الربذة، وحمى ضربة، وحمى النقيع وغيرها.

■ (1) هني (بضم الهاء وفتح النون) مولى عمر بن الخطاب كان عامل عمر على الحمى الذي حماه للمسلمين، وكان أول شيء مع معاوية بصفين.

مراجع: أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ معجم لغة الفقهاء- محمد قلعجي/

لما فتح عبد الله بن عامر[1] –ابن خال عثمان– خراسان، وقتل كسرى يزدجرد[2] في ولايته، قال: لأجعلن شكري لله أن أخرج من موضعي محرما، فأحرم من نيسابور. فلما قدم على عثمان لامه على ما صنع وقال: ليتك تضبط من الوقت الذي يحرم فيه الناس. وفي رواية قيل: كتب إليه عثمان يتوعده ويضعفه ويقول: تعرضت للبلاء، حتى قدم على عثمان، فقال له: صل قومك من قريش ففعل، وأرسل إلى علي[3] بثلاثة آلاف درهم وكسوة، فلما جاءته قال: الحمد لله، إنا نرى تراث محمد يأكله غيرنا، فبلغ ذلك عثمان فقال لابن عامر: قبح الله رأيك أترسل إلى علي بثلاثة آلاف درهم؟! قال: كرهت أن أغرق* ولم أدر ما رأيك. قال: فأغرق. قال: فبعث إليه بعشرين ألف درهم وما يتبعها. قال: فراح علي إلى المسجد فانتهى إلى حلقته وهم يتذاكرون صلات ابن عامر هذا الحي من قريش، فقال علي: هو سيد فتيان قريش غير مدافع*، قال: وتكلمت الأنصار، فقالوا: أبت الطلقاء* إلا عداوة، فبلغ ذلك عثمان فدعا ابن عامر فقال: أبا عبد الرحمن، عرضك ودار الأنصار، فألسنتهم ما علمت، قال: فأفشى فيهم الصلات والكسا فأثنوا عليه، فقال له عثمان: انصرف إلى عملك، فانصرف والناس يقولون: قال ابن عامر، وفعل ابن عامر. وكان كثير المناقب، وهو الذي عمل السقايات بعرفة وكان سخيا كريما.

قال زياد بن كسيب العدوي: كان ابن عامر يخطب الناس عليه ثياب رقاق مرجل شعره*. قال: فصلى يوما ثم دخل. قال: وأبو بكرة[4] جالس إلى جنب المنبر، فقال مرداس أبو بلال:[5] ألا ترون إلى أمير الناس وسيدهم يلبس الرقاق، ويتشبه بالفساق؟! فسمعه أبو بكرة فقال لابنه الأصيلع: أدع لي أبا بلال، فدعاه فقال له أبو بكرة: أما أني قد سمعت مقالتك للأمير آنفا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللَّهِ أَكْرَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ أَهَانَهُ اللَّهُ﴾*

قال مغراء الضبي: لما قدم عبد الله بن عامر الشام أتاه من شاء الله أن يأتيه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم إلا أبو الدرداء[6]، فإنه لم يأته، فقال: لا أرى أبا الدرداء أتاني فيمن أتى، فلآتينه ولأقضين من حقه، فأتاه فسلم عليه وقال له: أتاني أصحابك ولم تأتني فأحببت أن آتيك وأقضي من حقك، فقال له أبو الدرداء: ما كنت قط أصغر في عين الله ولا في عيني منك اليوم، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نتغير عليكم إذا تغيرتم.

قال مصعب بن سعد: مرض ابن عامر فجعلوا يثنون عليه وابن عمر[7] ساكت، فقال: ألا تدعو الله لي يا ابن عمر؟ فقال: أما إني لست بأغشهم لك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ وَلَا صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ﴾وكنت على البصرة. يعني عاملا. ولاه عثمان البصرة ثم وليها لمعاوية. وفي رواية عن عمرو بن ميمون بن مهران أن عبد الله بن عامر حين مرض مرضه الذي مات فيه، دخل عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم ابن عمر قال: ما ترون في حالي؟ فقالوا: ما نشك أن لك في النجاة، قد كنت تقري الضيف وتعطي المختبط*.وفي لفظ آخر عن ميمون قال: بعث عبد الله بن عامر حين حضرته الوفاة إلى مشيخة أهل المدينة وفيهم ابن عمر، فقال: أخبروني كيف كانت سيرتي؟ قال: كنت تصدق وتعتق، وتصل رحمك. قال: وابن عمر ساكت، فقال: يا أبا عبد الرحمن، ما يمنعك أن تتكلم؟ قال: قد تكلم القوم. قال: عزمت عليك لتكلمن، فقال ابن عمر: إذا طابت المكسبة زكت النفقة، وستقدم فترى*.

----

*(المختبط) الذي يسأله عن غير معرفة كانت بينهما ولا يد سلفت منه إليه ولا قرابة. (أغرق) أغرق في الشيء جاوز الحد.(..غير مدافع) فلان سيد قومه غير مدافع أي: غير مزاحم فيه ولا مدفوع عنه.(مرجل شعره) رجل شعره ترجيلا قلت ترجيل الشعر تجعيده وترجيله أيضا إرساله بمشطه (الطلقاء) الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وفي الحديث الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف كأنه ميز قريشا بهذا الاسم. (ستقدم فترى) في رواية قال: وسترد فتعلم.(سُلْطَانَ اللَّهِ) هم لا غير أمثال: أبو بكر وعمر وعلي وعثمان والحسن ومعاوية ومعاوية بن يزيد وعمر بن عبد العزيز والمهتدي بالله بن الواثق، ونور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي..رضي الله عنهم.

■ (1) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عامر بن كريز، فاتح خراسان وغيرها، ولد بمكة سنة4 هـ عندما عزل عثمان أبا موسى عن البصرة، وعثمان بن أبي العاص عن فارس، جمعهما لابن عامر سنة 29 هـ فوجه جيشا إلى سجستان فافتتحها صلحا، وافتتح الداور، وبلادا من دار ابجرد وهاجم مرو الروذ فافتتحها، وبلغ سرخس فانقادت له، وفتح أبرشهر عنوة، وطوس وطخارستان ونيسابور وأبيورد وبلخ والطالقان والفارياب. وافتتحت له رساتيق هراة وآمل وبست وكابل.وقتل عثمان، وهو على البصرة. وشهد وقعة الجمل مع عائشة، وقيل لم يحضر وقعة صفين. وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس على خلافته (أي بعد تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة حقنا لدماء المسلمين) ثم صرفه عنها فأقام بالمدينة ومات بمكة قبل معاوية بعام ودفن بعرفات سنة 59هـ

■ (3) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى وزوج ابنته.يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن 7 سنين، ويقال 9، ويقال 10، ويقال 15، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد سنة 23 ق هـ، و مات سنة 40 هـ.

■ (7) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

■ (6) أبو الدرداء عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي. وقيل اسمه عامر، ولقبه عويمر. ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب وهو أول قاض بها وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبي، والراجح أنه مات في خلافة عثمان بالشام سنة 32 هـ

■ (2) يزدجرد بن فيروز بن شهريار بن كسرى... يزدجرد الثالث اسمه يزدجرد بن شهريار بن برويز بن أنوشروان وهو آخر ملوك الدولة الساسانية، وحفيد ملك الدولة الساسانية كسرى الثاني. قتل سنة 30 هـ أو 31 هـ

■ (4) أبو بكرة الثقفي الطائفي، مولى النبي. اسمه: نفيع بن الحارث.وقيل: نفيع بن مسروح. تدلى في حصار الطائف ببكرة، وفر إلى النبي وأسلم على يده، وأعلمه أنه عبد، فأعتقه. سكن البصرة، وكان من فقهاء الصحابة، مات في خلافة معاوية بالبصرة سنة 51 هـ. وقيل: سنة 52 هـ

■ (5) مرداس أبو بلال بن أدية من بني ربيعة بن حنظلة ، من الخوارج الأزارقة وكان قد شهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنكر التحكيم، وشهد النهروان.

عن سفيان بن عبدة الحميري وعبيد بن يحيى الهجري قالا: خرج إلي عبد الله بن عامر بن كريز، وهو عامل العراق لعثمان بن عفان، رجلان من أهل المدينة أحدهما ابن جابر بن عبد الله الأنصاري والآخر من ثقيف فكتب به إلى عبد الله بن عامر فيما يكتب به من الأخبار فأقبلا يسيران حتى إذا كانا بناحية البصرة قال الأنصاري للثقفي: هل لك في رأي رأيته؟ قال أعرضه، قال رأيت أن تنيخ رواحلنا ونتناول مطاهرنا ونمس ماء ثم نصلي ركعتين ونحمد الله على ما قضى من سفرنا، قال: هذا الذي لا يرد، فتوضيا ثم صليا ركعتين ركعتين، فالتفت الأنصاري إلى الثقفي، فقال: يا أخا ثقيف ما رأيك؟ قال: وأي موضع رأي هذا قضيت سفري وانصبت بدني وأنضبت* راحلتي ولا مؤمل دون ابن عامر فهل لك رأي غير هذا؟ قال: نعم، قال: إني لما صليت هاتين الركعتين فكرت فاستحييت من ربي أن يراني طالبا رزقا من غيره، اللهم، رازق ابن عامر ارزقني من فضلك، ثم ولى راجعا إلى المدينة ودخل الثقفي البصرة فمكث أياما فأذن له ابن عامر فلما رآه رحب به ثم قال: ألم أخبر أن ابن جابر خرج معك؟ فخبره خبره، فبكى ابن عامر، ثم قال: أما والله ما قالها أشرا ولا بطرا ولكن رأى مجرى الرزق ومخرج النعمة فعلم أن الله الذي فعل ذلك فسأله من فضله، فأمر للثقفي بأربعة آلاف درهم وكسوة وطرف وأضعف ذلك كله للأنصاري فخرج الثقفي وهو يقول: أمامة ما حرص الحريص بزائد..فتيلا ولا زهد الضعيف بضائر*..خرجنا جميعا من مساقط رؤوسنا..على ثقة منا بخير ابن عامر فلما أنخنا الناعجات ببابه..تأخر عني اليثربي ابن جابر وقال ستكفيني* عطية قادر..على ما يشاء اليوم بالخلق قاهر وإن الذي أعطى العراق ابن عامر..لربي الذي أرجو لسد مفاقري فلما رأني سال عنه صبابة..إليه كما حنت طراب الأباعر فأضعف عبد الله إذ غاب حظه..على حظ لهفان من الحرص فاغر فأبت وقد أيقنت أن ليس نافعي..ولا ضائري شيء خلاف المقادر. وقال عبد الله بن محمد الفروي: اشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق يشرع بها داره عن السوق* بثمانين أو بسبعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله: ما هؤلاء؟ قال: يبكون دارهم قال: يا غلام فأتهم فأعلمهم أن الدار والمال لهم جميعا.

قال الحسن البصري: خرج هرم بن حيان[1] وعبد الله بن عامر بن كريز، فبينما رواحلهما ترعى إذ قال هرم: أيسرك أنك كنت هذه الشجرة؟ قال: لا والله لقد رزقني الله الإسلام، وإني لأرجو، قال: والله لوددت أني كنت هذه الشجرة، فأكلتني هذه الناقة ثم بعرتني، فاتخذت جلة* ولم أكابد الحساب. يا ابن أبي عامر، ويحك، إني أخاف الداهية الكبرى. قال الحسن: كان والله أفقههما وأعلمهما بالله.

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن بكر ثنا حميد بن مهران ثنا سعد بن أوس عن زياد بن كسيب العدوى عن أبي بكرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا أَهَانَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف سعد بن أوس ضعفه ابن معين ووثقه ابن حبان وزياد بن كسيب روى عنه اثنان ولم يوثقه غير ابن حبان فهو مجهول.

وقال: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن بكر ثنا حميد بن مهران الكندي حدثني سعد بن أوس عن زياد بن كسيب العدوى عن أبي بكرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا أَهَانَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف. [مسند أحمد بن حنبل].

- قلت: إذا افترضنا صحة هذا الحديث فليس المراد أن نطيعه في المعصية إذا أمر بها ونقتدي فيه بها بل المراد به أن السلطان (الذي إذا أخطأ رجع، وإذا أساء أحسن) لم يخرج بذلك عن أن تكون طاعته واجبة في سائر الأحكام التي لا معصية فيها. ولا شك أن المقصود بـ سلطان الله: الأمراء من الصحابة والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين: أبو بكر، وعمر، وعلي، وعثمان، والحسن، وحتى معاوية ثم تابعيهم: كـ معاوية بن يزيد، وعمر بن عبد العزيز، والمهتدي بالله، ونور الدين زنكي، وصلاح الدين..وأمثال هؤلاء طاعتهم واجبة لأنهم لم يكونوا أبدا في عداء مع الدين كطغاة العرب اليوم الذين لم يعرفوا الله طرفة عين، وفي حرب على الإسلام (جهلا وكفرا) منذ أن زرعهم الغرب في أرض المسلمين. فعليهم لعائن الله من مغربهم إلى مشرقهم (وكيف لا، وهم صنيعة: العجوز الحقود فرنسا العلمانية المتطرفة وبريطانيا أم المصائب وأم الدسائس).

----

*(الجلة) البعر الذي لم ينكسر، يستعمل في الوقود (وأنضبت) بالأصل وأنصبت (بضائر) بالأصل بصاير (ستكفيني) بالأصل: سيكفيني (يشرع بها داره عن السوق) وفي مختصر ابن منظور: ليشرع بها داره على السوق.

■ (1) هرم بن حيان العبدي، ويقال: الأزدي، البصري، أحد العابدين. ولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان ببلاد فارس.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ لسان العرب/ مسند أحمد/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ مصنف ابن أبي شيبة/ كنز العمال/ سير أعلام النبلاء/ مختار الصحاح/ كتاب العين/

عن أبي اليمان قال: لما قفل الناس عام غزوة قبرس* وعليهم معاوية[1] ،ومعه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا بالشام، فخرج إلى الكنيسة التي إلى جانب أنطرسوس* التي يقال لها كنيسة معاوية، وبمقامه عندها دعيت كنيسة معاوية، فقام في الناس قبل أن يتفرقوا إلى أجنادهم، فقال: إنا قاسموا غنائمكم على ثلاثة أسهم: سهم للسفن فإنها مراكبكم، وسهم للقبط، فإنكم لم يكن لكم حيلة إلا بهم، وسهم لكم. فقام أبو ذر، فقال: كلا والله لا نقسم سهامنا على ذلك، أتقسم للسفن وهي مما أفاء الله علينا؟ وتقسم للقبط وإنما هم خولنا؟ والله ما أبالي من قال أو ترك، لقد بايعني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا، وأوثقني سبعا، وأشهد الله علي سبعا: ألا تأخذني في الله لومة لائم. فقال معاوية: تقسم الغنائم جميعا على المسلمين. قال أبو ذر: أوصاني حبي بخمس: أرحم المساكين وأجالسهم، وأنظر إلى من تحتي ولا أنظر إلى من فوقي، وأن أصل الرحم وإن أدبرت، وأن أقول الحق وإن كان مرا، وأن أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال عبيد الله بن شميط: سمعت أبي يقول: بلغنا أن أبا ذر كان يقول وهو في مجلس معاوية: لقد عرفنا خياركم من شراركم، ولنحن أعرف بكم من البياطرة بالخيل. فقال رجل: يا أبا ذر، أتعلم الغيب؟ فقال معاوية: دعوا الشيخ فالشيخ أعلم منكم، من خيارنا يا أبا ذر؟ قال: خياركم أزهدكم في الدنيا، وأرغبكم في الآخرة، وشراركم أرغبكم في الدنيا وأزهدكم في الآخرة. وذكر أبو بكر البلاذري قال: بنى معاوية الخضراء* بدمشق، فقال له أبو ذر:[2] إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف. فسكت معاوية.

قال الأحنف بن قيس:[3] أتيت المدينة، ثم أتيت الشام، فجمعت، فإذا أنا برجل لا ينتهي إلى سارية إلا فر أهلها، يصلي ويخف صلاته. فجلست إليه، قال: قم عني لا أغرك بشر، فقلت: كيف تغرني بشر؟ قال: إن هذا يعني معاوية نادى مناديه أن لا يجالسني أحد. وفي رواية: كنت جالسا في حلقة بمسجد المدينة، فأقبل رجل لا تراه حلقة إلا فروا حتى انتهى إلى الحلقة التي كنت فيها، ففروا، وثبت، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: فما يفر الناس منك؟ قال: إني أنهاهم عن الكنوز* بالذي كان ينهاهم عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: فإن أعطيتنا قد بلغت وارتفعت، أفتخاف علينا منها؟ قال: أما اليوم فلا، ولكن يوشك أن يكون أثمان دينكم، فإذا كان أثمان دينكم فدعوهم وإياها.

وقال: قدمت المدينة، فبينما أنا في حلقة فيها ملأ من قريش إذ جاء رجل أخشن الثياب، أخشن الجسد، أخشن الوجه، فقام عليهم، فقال:﴿بَشِّرِ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُوضَعُ عَلَى حَلَمَةِ ثَدْيِ أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ كَتِفَيْهِ وَيُوضَعُ عَلَى نُغْضِ كَتِفَيْهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيَيْهِ يَتَزَلْزَلُ –وفي رواية– يَتَجَلْجَلُ﴾ قال: فوضع القوم رؤوسهم، فما رأيت أحدا منهم رجع إليه شيئا، فأدبر، فتبعته حتى جلس إلى سارية، فقلت: ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم، فقال: إن هؤلاء لا يعقلون شيئا، إن خليلي أبا القاسم دعاني، فقال:﴿يَا أَبَا ذَرٍّ: فَأَجَبْتُهُ،قَالَ: أَتَرَى أُحُدًا، قَالَ: فَنَظَرْتُ مَا عَلَيَّ مِنَ الشَّمْسِ وَأَنَا أَظُنُّهُ يَبْعَثُنِي لِحَاجَةٍ لَهُ،فَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي مِثْلَهُ ذَهَبًا أُنْفِقُهُ كُلَّهُ غَيْرَ ثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ﴾، ثم هؤلاء يجمعون الدنيا، لا يعقلون شيئا ! فقلت: مالك ولإخوانك قريش، لا تعتريهم، وتصيب منهم؟ قال: لا وربك ما أسألهم دنيا، ولا أستفتيهم عن دين حتى ألحق بالله ورسوله.

قال مالك بن أوس بن الحدثان:[4] قدم أبو ذر من الشام، فدخل المسجد وأنا جالس، فسلم علينا، وأتى سارية، فصلى ركعتين تجوز فيهما، ثم قرأ:﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر] حتى ختمها، واجتمع الناس عليه، فقالوا له: يا أبا ذر، حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿فِي الإِبِلِ صَدَقَتُهَا، وَفِي الْغَنَمِ صَدَقَتُهَا، وَفِي الْبَقَرِ صَدَقَتُهَا، وَفِي الْبُرِّ صَدَقَتُهُ، مَنْ جَمَعَ دِينَارًا أَوْ دِرْهَمًا أَوْ تِبْرًا أَوْ فِضَّةً، وَلاَ يُعِدُّهُ لِغَرِيمٍ، وَلاَ يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَهُوَ كَيٌّ يُكْوَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قلت: يا أبا ذر، انظر ما تخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن هذه الأموال قد فشت. فقال: من أنت يا بن أخي؟ فانتسبت له، قال: قد عرفت نسبك الأكبر، ما تقرأ:﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة] وفي رواية: قدم أبو ذر من الشام وأنا جالس مع عثمان بن عفان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء أبو ذر فسلم عليه، فقال عثمان: كيف أنت يا أبا ذر؟ قال: بخير، فكيف أنت؟ ثم ولى وهو يقول:﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر] ،ورفع صوته وكان صلب الصوت حتى ارتج المسجد بقراءة السورة كلها، حتى مالت القراءة إلى سارية من سواري المسجد. فصلى ركعتين فتجوز فيهما، فاحتوشه الناس وقالوا: حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلست قبالة وجهه.فذكر نحو ما تقدم.

قال زيد بن وهب:[5] حدثني أبو ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا بَلَغَ الْبُنْيَانُ سَلْعًا* فَارْتَحِلْ إِلَى الشَّامِ﴾ فلما بلغ البناء سلعا قدمت الشام، وكنت بها، فتلوت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة] فقال معاوية: هذه للكفار، فقلت: هي لأهل الإسلام. فكتب إلى عثمان: إن هذا يفسد، فكتب إلي عثمان، فقدمت المدينة، فأجفل الناس ينتظرونني، كأنهم لم يروني قط، فقال لي عثمان: لو ارتحلت إلى الربذة؟ قال: فارتحلنا إلى الربذة.

وفي رواية: مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر، فقلت: ما أنزلك هذا؟ قال: كنت بالشام، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية:﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة] فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، وقلت: نزلت فينا وفيهم. فكان بيني وبينه في ذلك كلام، فكتب يشكوني إلى عثمان، فكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة، فقدمت المدينة، فكثر الناس علي كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكر ذلك لعثمان، فقال: إن شئت تنحيت، فكنت قريبا. قال: فذلك أنزلني هذا المنزل، ولو أمر علي حبشي لسمعت وأطعت. قال ابن سعد: يسنده إلى ابن بريدة، قال: لما قدم أبو موسى الأشعري[6] لقي أبا ذر، فجعل أبو موسى يلزمه، وكان الأشعري رجلا خفيف اللحم، قصيرا، وكان أبو ذر اسود كث الشعر، فجعل الأشعري يلزمه ويقول أبو ذر: إليك عني، ويقول الأشعري: مرحبا بأخي، ويدفعه أبو ذر ويقول: لست بأخيك، إنما كنت أخاك قبل أن تستعمل. قال: ثم لقي أبا هريرة[7] ،فالتزمه، وقال: مرحبا بأخي، فقال له أبو ذر: إليك عني، هل كنت عملت لهؤلاء؟ قال: نعم. قال: قد تطاولت في البناء، واتخذت زرعا وماشية؟ قال: لا، قال: أنت أخي، أنت أخي. وعن سفيان الثوري قال قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة فقال: يا أيها الناس، أنا جندب الغفاري هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق فاكتنفه الناس، فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه، قالوا: بلى، قال: فان سفر طريق القيامة أبعد ما تريدون فخذوا ما يصلحكم، قالوا: وما يصلحنا؟ قال: حجوا حجة لعظائم الأمور وصوموا يوما شديدا حره لطول النشور وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور، كلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوم عظيم، تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها، اجعل الدنيا مجلسين مجلسا في طلب الحلال ومجلسا في طلب الآخرة والثالث يضرك ولا ينفعك لا ترده، اجعل المال درهمين درهما تنفقه على عيالك من حله ودرهما تقدمه لآخرتك والثالث يضرك ولا ينفعك لا ترده ثم نادى بأعلى صوته يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه أبدا.

----

*(الخضراء) من قصور دمشق الأموية، بناه معاوية. اشترى عبد الملك بن مروان هذا القصر من خالد بن يزيد بن معاوية، وجعله دار الإمارة كما يرويه ابن عساكر(أنطرسوس) بلد من سواحل بحر الشام وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص (قبرس) هي الجزيرة المعروفة اليوم باسم قبرص، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان، ومعه أبو ذر، وأبو الدرداء، وغيرهما من الصحابة، سنة 27 هـ قيل تلك كانت غزوة قبرس الأولي. والثانية كانت في سنة 33 هـ. وقيل غير ذلك والله أعلم (سلعا) مكان في أطراف المدينة لم يكن البناء قد بلغه في عهد رسول الله(الكنوز) في الحديث عن ابن عمر قال:﴿كُلُّ مَالٍ لاَ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَهُوَ كَنْزٌ﴾

■ (2) أبو ذر الغفاري، وهو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار ، وهو رابع أو خامس الإسلام هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول من حيا النبي صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام . مات سنة 32 هـ في خلافة عثمان وقال غيره وقبره في الربذة.

■ (3) أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، وشهد مع علي وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان.وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد.

■ (1) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم.أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (7) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق. ولد سنة 21 ق. هـ تولى ولاية البحرين في خلافة عمر، كما تولى إمارة المدينة.ثم لزم المدينة يعلم الناس الحديث النبوي، ويفتيهم، حتى وفاته سنة 59 هـ

■ (6) أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. من بني الأشعر. التميمي، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذا على زبيد، وعدن. وولي البصرة لعمر، وعثمان، وولي الكوفة، وبها مات سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ.

■ (4) مالك بن أوس بن الحدثان النصري يكنى أبا محمد من تابعي المدينة يروي عن عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم. توفي سنة 92 هـ وهو ابن أربع وتسعين.

■ (5) زيد بن وهب، أبو سليمان ، الجهني. كان في عهد النبي ولم يره، ورحل إليه في طائفة من قومه ، فبلغته وفاته في الطريق وهو معدود في كبار التابعين بالكوفة. توفى في ولاية الحجاج بعد الجماجم ، وقيل توفي سنة 96 هـ أو 90 هـ

☪

عن عبد الله الرومي قال: دخلت على أم طلق بيتها فإذا سمكه قصير يكاد يناله رأسي فقلت لها يا أم طلق، ما أقصر سقف بيتك! فقالت: أي بني أو ما علمت ما كتب به عمر بن الخطاب إلى الأمصار والآفاق، كتب لا تطيلوا بيوتكم فإنه من شر أعمالكم. قلت: هل رأيت أبا ذر؟ قالت: رأيته أشعث أغبر وبيده عودان قد خالف بينهما وإلى جانبه صوف منقوش فهو يأخذ منه ويغزل، فأعطيته شيئا من دقيق أو سويق كان معي فأخذه في طرف ثوبه، ثم قال لي: ثوابك أو أجرك على الله. وفي رواية: قالت أم طلق: دخلت على أبي ذر فرأيته شعثا شاحبا بيده صوف، قد جعل عودين وهو يغزل به ذلك الصوف، فنظرت يمنة ويسرة فلم أر في بيته شيئا، فناولته شيئا من دقيق وسويق، فجعله في طرف ثوبه، فقال: أما ثوابك فعلى الله. قال عيسى بن عميلة الفزاري: أخبرني من رأى أبا ذر يحلب غنيمة له، فيبدأ بجيرانه وأضيافه قبل نفسه، ولقد رأيته ليلة حلب حتى ما بقي في ضروع غنمه شيء إلا مصره، وقرب إليهم تمرا وهو يسير، ثم تعذر إليهم، وقال: لو كان عندنا ما هو أفضل من هذا لجئنا به. قال: وما رأيته ذاق تلك الليلة شيئا. قال جعفر بن سليمان: دخل رجل على أبي ذر، فجعل يقلب بصره في بيته. فقال له: يا أبا ذر، أين متاعك؟ وفي رواية: ما أرى في بيتك متاعا، ولا غير ذلك من الأثاث فقال: إن لنا بيتا نوجه إليه صالح متاعنا. قال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت ها هنا، فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه. وعن ابن جدعان، عمن سمع أبا ذر في مسجد المدينة يقول لرجل: بم تخوفني؟ فوالله للفقر أحب إلي من الغنى، ولبطن الأرض أحب إلي من ظهرها. وقال أبو ذر: أحب الإسلام وأهله، وأحب الفقراء، وأحب الغريب من كل قلبك. وادخل في هموم الدنيا واخرج منها بالصبر، ولا يأمن رجل أن يكون على خير فيرجع إلى شر فيموت بشر، ولا ييأس رجل أن يكون على شر فيرجع إلى خير فيموت بخير، وليردك عن الناس ما تعرف من نفسك.وقال: يا أيها الناس، إني بكم ناصح، إني عليكم شفيق، صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبر، وصوموا في الدنيا لحر يوم النشور، وتصدقوا مخافة يوم عسير لعظائم الأمور. وقال: وددت أني شجرة تعضد، وددت أني لم أخلق. وعن أبي الطفيل، عن ابن أخي أبي ذر قال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لن يسلط أحد على قتلي، ولن يفتنونني عن ديني وأخبرني أني أسلمت فردا، وأموت فردا، وأبعث يوم القيامة فردا.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ مغاني الأخيار/ مشاهير علماء الأمصار/ عمر بن عبد العزيز/ لسان العرب/ موسوعة الأعلام/ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة/ مسند أحمد/ أنساب الأشراف/ رجال مسلم/ جمهرة اللغة/ سير أعلام النبلاء/ مولد العلماء ووفياتهم/ قصة الفتن/ صفة الصفوة/ السنن الكبرى

عن عطية بن قيس قال: خرج أبو الدرداء[1]،حتى أتى الدرج، رفع يديه وأصحابه. قال: فعاب الناس ذلك عليه، وأبو الجلاس[2] قال: فقال أبو الدرداء: أن تعيبوا علينا أن نرفع أيدينا في الدنيا خير من أن تسلك في الأغلال يوم القيامة.

قال أبو الدرداء: إنا لنعرف خياركم من شراركم. فذهب أبو الجلاس إلى معاوية[3]،فقال: هذا أبو الدرداء يزعم أنه يعلم الغيب، يزعم أنه يعرف خيارنا من شرارنا. فبعث إليه معاوية فقال: يا أبا الدرداء، ما هذا الذي يقول أبو الجلاس؟ زعم أنك تعلم الغيب؛ أنك تعلم خيارنا من شرارنا ! فقال أبو الدرداء: نعم، خياركم الذين إذا ذكرنا أعانونا، وإذا نسينا ذكرونا. وشراركم الذين إذا ذكرنا لم يعينونا وإذا نسينا لم يذكرونا، والذين يتخذون مجالس الذكر هجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً.

قال: فقال معاوية لأبي الجلاس: خذها إليك حكمة غير جلاسية. كان أبو الدرداء يقول: من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ولهم بذلك أجر، ومن الناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير وعليهم بذلك إصر؛ وتفكر ساعة خير من قيام ليلة.

عن كلثوم بن زياد أنه سمع سليمان بن حبيب يخبر أن أبا الدرداء كان ممن تقدم إلى حمص، فبلغ عمر رضي الله عنه أنه أحدث بها بناء، فكتب برده إلى دمشق، فرده فكان بها. فلما قتل عمر أتاه جلساؤه من أهل حمص يسألونه الرجعة إلى حمص، فتأبى عليهم فاستشفعوا عليه بمعاوية، فقال أبو الدرداء: يا معاوية، أتأمرني بالخروج من عقر* دار الإسلام؟!. وحجب معاوية أبا الدرداء ؟ فقيل لابي الدرداء: حجبك معاوية ! فقال : من يغش أبواب الملوك يهن ويكرم، ومن صادف بابا مغلقا عليه وجد إلى جانبه بابا مفتوحا، إن سأل أعطى، وإن دعا أجيب، وإن يكن معاوية قد احتجب فرب معاوية لم يحتجب.

خطب يزيد بن معاوية[4] إلى أبي الدرداء ابنته الدرداء،فرده وأنكحها غيره، فقيل لأبي الدرداء: أتركت يزيد وتنكح فلانا. فقال أبو الدرداء: ما ظنكم بابنة أبي الدرداء إذا قام على رأسها الخصيان، ونظرت في بيوت يلتمع منها بصرها، أين دينها يومئذ زار عبد الرحمن بن غنم[5] أبا الدرداء بحمص، فمكث عنده ليالي، فأمر بحماره فأوكف* له. فقال أبو الدرداء: لا أراني إلا مشيعك. فأمر بحماره فأسرج؛ فسارا جميعا على حماريهما، فلقيا رجلا شهد الجمعة بالأمس عند معاوية في الجابية، فعرفها الرجل ولم يعرفاه، فأخبرهما خبر الناس، ثم إن الرجل قال: وخبر آخر كرهت أن أخبركما، أراكما تكرهانه، فقال أبو الدرداء: فلعل أبا ذر توفي؟ قال: نعم والله، فاسترجع أبو الدرداء وصاحبه قريبا من عشر مرات. ثم قال أبو الدرداء:﴿فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ [القمر] كما قيل لأصحاب الناقة، اللهم، إن كذبوا أبا ذر فإني لا أكذبه، وإن اتهموه فإني لا أتهمه، وإن استغشوه فإني لا أستغشه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتمنه حين كان لا يأتمن أحدا، ويسر إليه حين لا يسر إلى أحد، أما الذي نفس أبي الدرداء لو أن أبا ذر قطع يميني ما أبغضته بعد الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلاَ أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ﴾*

----

*(أوكف) وضع عليه الإكاف (الخضراء) السماء (أقلت) حملت (الغبراء) الأرض (اللهجة) لغة الإنسان وكلامه.(عقر) أصله: وسط الدار ، عقر الدار: أصلها، في لغة الحجاز، وبه فسر حديث: عقر دار الإسلام الشام أي أصله وموضعه، كأنه أشار به إلى وقت الفتن، أي يكون الشام يومئذ آمنا منها، وأهل الإسلام به أسلم.

■ (1) أبو الدرداء عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي. وقيل اسمه عامر، ولقبه عويمر. ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب وهو أول قاض بها وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبي، والراجح أنه مات في خلافة عثمان بالشام سنة 32 هـ

■ (5) عبد الرحمن بن غنم بن كريز الأشعري: شيخ أهل فلسطين، وفقيه الشام، في عصره. ولد في حياة النبي وبعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه أهلها.قيل هو الذي تفقه عليه التابعون بالشام. مات في خلافة عبد الملك بن مروان سنة 78 هـ

■ (3) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (4) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (2) أبو الجلاس العبدي، كانت له قطيعة بدمشق. وكان في عقله شيء.

كان إياس بن معاوية بن قرة المزني[1]،أبو واثلة: قاضي البصرة، أحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء. قيل دخل مدينة واسط فقال لأهلها بعد أيام: قدمنا بلادكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين. قيل له: كيف؟ قال: كان معنا خيارا وشرارا، فلحق خيارنا بخياركم، وشرارنا بشراركم، فألف كل شكله. قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ﴾ وقد روي عن أم المؤمنين عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ﴾ وعن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول في خطبته:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوشِكُونَ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ – أَوْ قَالَ: خِيَارَكُمْ مِنْ شِرَارِكُمْ – فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّءِ، أَنْتُمْ شُهُودٌ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

☪

خرج أبو الدرداء من دمشق فنظر إلى الغوطة، وقد شقت أنهارها، وغرست شجرا وبنيت قصورا؛ فرجع إليهم فقال: يا أهل دمشق، يا أهل دمشق، فلما أقبلوا عليه، قال: ألا تستحيون؟ ثلاث مرات؛ تجمعون مالا تأكلون، وتأملون مالا تدركون، وتبنون مالا تسكنون! ألا إنه قد كان قبلكم قرون يجمعون فيوعون، ويأملون فيطيلون، ويبنون فيوثقون، فأصبح جمعهم بورا، وأصبح أملهم غرورا، واصبحت منازلهم قبورا؛ ألا إن عادا ملأت ما بين عدن وعمان نعما وأموالا، فمن يشتري مني مال عاد بدرهمين؟ وعن أبي الدرداء قال: إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتخير الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه؛ وثلاثة لا ينالون الدرجات العلا؛ من تكهن، أو استقسم، أو رجع من سفر من طيرة. قال مولى لأبي الدرداء: سمعت أبا الدرداء وهو يوصي حبيب بن مسلمة فقال: إياك ودعوة المظلوم، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا ظُلِمَ فلم يَنْتَصِرْ، ولم يكنْ له من ينصرْهُ، فرفعَ طرفَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَدَعَا الله فلبَاهُ، فقال: لَبَّيْك، وَإِنَّ الله يلبّيه وَيَقُولُ: يَا عَبْدِي أَنَا أَنْتَصِر لك عَاجِلًا وَآجِلًا﴾ ومر رجل بأبي الدرداء وهو يغرس غرسا بدمشق فقال له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! قال: لا تعجل علي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ غَرَسَ غَرْساً لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ آدَمِيٌّ وَلاَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةً﴾ وعن أم الدرداء قالت: قلت لأبي الدرداء: ألا تبتغي لأضيافك ما يبتغي الرجال لأضيافهم! فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إنّ أمامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً لا يَجُوزُها الْمُثْقِلونَ﴾ فأحب أن أتخفف لتلك العقبة. وعن حدير الأسلمي أنه دخل على أبي الدرداء وتحته فراش جلد وسبنية صوف، وهو وجع وقد عرق، فقال له حدير: ما يمنعك أن تكتسب فراشا بورق وكساء خز* وقطيفة خز مما يعطيك معاوية؟! فقال أبو الدرداء: إن لنا دارا لها نعمل، وإليها نظعن، وإن المخف فيها أفضل من المثقل. وعن خالد بن معدان قال: قال أبو الدرداء: الدنيا ملعونة؛ ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما أوى إليه؛ والعالم والمتعلم في الخير شريكان، وسائر الناس همج لا خير فيهم. وقال أبو الدرداء: لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين: منصت واع، أو متكلم عالم. وعن أبي الرباب القشيرش، قال: دخلنا على أبي الدرداء نعوده، فدخل عليه أعرابي، فقال: ما لأميركم؟ –وأبو الدرداء يومئذ أمير– قلنا: هو شاك. قال: والله ما اشتكيت قط– أو قال ما صدعت قط– فقال أبو الدرداء: أخرجوه عني، ليمت بخطاياه، ما أحب أن لي بكل وصب وصبته حمر النعم، وإن وصب المؤمن يكفر خطاياه. عن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا مِنْ مَرَضٍ أَوْ وَجَعٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ إِلاَّ كَانَ كَفَّارَةً لِذَنْبِهِ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا أَوْ النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا﴾ وسأل رجل أبا الدرداء وهو مريض، فقال: يا أبا الدرداء، إنك قد أصبحت على جناح فراق الدنيا، فمرني بأمر ينفعني الله به، وأذكرك به. فقال: إنك من أمة معافاة، فأقم الصلاة، وأد زكاة مال إن كان لك، وصم رمضان، واجتنب الفواحش، ثم أبشر. فأعاد الرجل على أبي الدرداء، فقال له مثل ذلك. قال شعبة: أحسبه ثلاث مرات، ورد عليه ثلاث مرات. وقال رجل من أصحاب أبي الدرداء: حدثنا أبو الدرداء، قال: عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّةٌ مُضلُّون﴾ قال ميمون: مرض أبو الدرداء ففزع إلى نفقة كانت عنده، فوجدها خمسة عشر درهما فقال: ما كانت هذه مبقية مني شيئا، إن كانت لمحرقة ما بين عانتي إلى ذقني. وعن الحسن بن علي قال: قال لي أبي علي بن أبي طالب: أي بني، لا تخلفن وراءك شيئا من الدنيا، فإنك تخلفه لأحد رجلين: إما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما سعيت به، وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فكنت عونا له على ذلك. وليس أحد هذين بحقيق أن تؤثره على نفسك.وقال رجل نخعي من أهل الكوفة: شهدت أبا الدرداء حين حضره الموت، قال: إني محدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أكن لأحدثكم به حتى أعلم أني ميت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿اعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لم تكنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك، وَعُدَّ نَفْسَكَ مَعَ الْمَوْتَى، وَاتَّقِ دَعَوَاتَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا مُسْتَجَابات، ومَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يشهد الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ وصَلَاةَ الْغَدَاةِ فِي جَمَاعَةٍ فَلْيَفْعَلْ وَلَوْ حَبْوًا﴾.

----

*(الخز) ثياب تنسج من صوف وحرير

■ (1) أبو واثلة إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني. كان مشهورا بفرط الذكاء، وبه يضرب المثل في الذكاء، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه قضاء البصرة. وكان لإياس جد أبيه صحبة مع رسول الله، توفي سنة 122 هـ، أو سنة 121 هـ، وعمره 76 سنة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ مغانى الأخيار/ لسان العرب/ مسند أحمد/ مسند ابن أبي شيبة/ تاج العروس/

عن الوليد* بن داود بن محمد بن عبادة بن الصامت عن ابن عمه عبادة بن الوليد، قال: كان عبادة بن الصامت[1] مع معاوية، فأذن يوما، فقام خطيب يمدح معاوية، ويثني عليه، فقام عبادة بتراب في يده، فحشاه في فم الخطيب، فغضب معاوية، فقال له عبادة: إنك لم تكن معنا حين: ﴿بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَقَبَةِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَأَنْ نَقُولَ -أَوْ نَقُومَ- بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي أَفْوَاهِهِمَ التُّرَابَ﴾ كذلك في رواية عن همام بن الحارث أن رجلا جعل يمدح عثمان فعمد المقداد[2] فجثا على ركبتيه وكان رجلا ضخما فجعل يحثو في وجهه الحصباء فقال له عثمان: ما شأنك فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ﴾.

كان عبادة بن الصامت بالشام فرأى آنية من فضة يباع الإناء بمثلي ما فيه أو نحو ذلك، فمشى إليهم عبادة فقال: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا عبادة بن الصامت، ألا وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس من مجالس الأنصار ليلة الخميس في رمضان لم يصم رمضان بعده يقول: ﴿الذَّهَبُ بالذَّهَبِ مِثْلاً بمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، وَزْنًا بِوَزْنٍ، يَدًا بِيَدٍ فَمَا زَادَ فَهُوَ رِبًا، وَالْحِنْطَةُ بِالْحِنْطَةِ، قَفِيزٌ* بِقَفِيزٍ، يَدًا بِيَدٍ فَمَا زَادَ فَهُوَ رِبًا، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، قَفِيزٌ بِقَفِيزٍ، يَدًا بِيَدٍ فَمَا زَادَ فَهُوَ رِبًا،﴾ قال: فتفرق الناس عنه فأتى معاوية فأخبر بذلك، فأرسل إلى عبادة فأتاه فقال له معاوية: لئن كنت صحبت النبي صلى الله عليه وسلم وسمعت منه، لقد صحبناه وسمعنا منه، فقال له عبادة: لقد صحبته وسمعت منه، فقال له معاوية: فما هذا الحديث الذي تذكره؟ فأخبره، فقال له: اسكت عن هذا الحديث ولا تذكره. فقال له عبادة: بلى، وإن رغم أنف معاوية. قال: ثم قام فقال له معاوية: ما نجد شيئا أبلغ فيما بيني وبين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من الصفح عنهم.

عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة، عن أبيه: أن عبادة بن الصامت مرت عليه قطارة*، وهو بالشام، تحمل الخمر، فقال: ما هذه ؟ أزيت ؟ قيل: لا، بل خمر يباع لفلان. فأخذ شفرة* من السوق، فقام إليها، فلم يذر فيها راوية إلا بقرها – وأبو هريرة[3] إذ ذاك بالشام – فأرسل فلان إلى أبي هريرة، فقال: ألا تمسك عنا أخاك عبادة، أما بالغدوات، فيغدو إلى السوق يفسد على أهل الذمة متاجرهم، وأما بالعشي، فيقعد في المسجد ليس له عمل إلا شتم أعراضنا وعيبنا ! قال: فأتاه أبو هريرة، فقال: يا عبادة، مالك ولمعاوية ؟ ذره وما حمل* فقال: ﴿إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ مَعَنَا إِذْ بَايَعْنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وألاَ تَأْخُذَنَا فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فسكت أبو هريرة، وكتب فلان إلى عثمان: إن عبادة قد أفسد علي الشام.

في رواية عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة، قال: كتب معاوية إلى عثمان: إن عبادة بن الصامت قد أفسد على الشام وأهله، فإما أن تكفه إليك، وإما أن أخلي بينه وبين الشام. فكتب إليه: أن رحل عبادة حتى ترجعه إلى داره بالمدينة. قال: فدخل على عثمان، فلم يفجأه إلا به وهو معه في الدار، فالتفت إليه، فقال: يا عبادة ما لنا ولك؟ فقام عبادة بين ظهراني الناس، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿سَيَلِي أُمُورَكُمْ مِنْ بَعْدِي رِجَالٌ يُعَرِّفُونَكُمْ مَا تُنْكِرُونَ، وَيُنْكِرُونَ عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ فَلا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللهَ، وَلاَ تَضِلُّوا بِرَبِّكُمْ﴾.

*(الوليد بن داود) في الجرح والتعديل قال: النعمان بن داود (القفيز) مكيال معروف لأهل العراق (قطارة) القطارة والقطار: أن تشد الإبل على نسق، واحد خلف واحد.(ذره وما حمل) في رواية: قال: قال: ذره وما حمل فإن الله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة](الشفرة) السكين العريضة

■ (1) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري، أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدريين، سكن بيت المقدس. شهد العقبة الأولى وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان عبادة رجلا طوالا جسيما جميلا. مات بالرملة في فلسطين سنة34 هـ، وهو ابن 72 سنة. وقيل: إنه بقي حتى توفي زمن معاوية في خلافته. وقيل غير ذلك.

■ (2) المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندي البهراني الحضرمي، أبو معبد، أو أبو عمرو: صحابي، من الأبطال. هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله. وولد باليمن سنة 37 ق.هـ واسم أبيه عمرو ابن ثعلبة البهراني الكندي. قيل وقع بين المقداد وابن شمر بن حجر الكندي خصام فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب إلى مكة، فتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فصار يقال له المقداد بن الأسود إلى أن نزلت آية ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب] فعاد يتسمى المقداد بن عمرو وشهد بدرا وغيرها. وسكن المدينة. وتوفي سنة 33 هـ على مقربة منها، فحمل إليها ودفن فيها.له 48 حديثا.

■ (3) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق. ولد سنة 21 ق. هـ تولى ولاية البحرين في خلافة عمر، كما تولى إمارة المدينة.ثم لزم المدينة يعلم الناس الحديث النبوي، ويفتيهم، حتى وفاته سنة 59 هـ

☪

قال المحب الطبري: قضية عبادة بن الصمت دعوى باطلة وكذب مختلق؛ وما شكا معاوية عبادة ولا أشخصه عثمان، والأمر على خلاف ذلك فيما رواه الثقات الأثبات من اتفاقهم ورجوع بعضهم إلى بعض في الحق. ويشهد لذلك ما روي: أن معاوية لما غزا جزيرة قبرص كان معه عبادة بن الصامت، فلما فتحوا الجزيرة وأخذوا غنائمها أخرج معاوية خمسها وبعثه إلى عثمان وجلس يقسم الباقي بين جنده، وجلس جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ناحية، منهم عبادة بن الصامت وأبو الدرداء[1] وشداد بن أوس[2] وواثلة بن الأسقع[3] وأبو أمامة الباهلي[4] عبد الله بن الصامت:[5] [..] قال: ما هذان الحماران؟ فقالا: إن معاوية أعطاناهما من المغنم، وإنا نرجو أن نحج عليهما، فقال لهما عبادة: لا يحل لكما ذلك ولا لمعاوية أن يعطيكما فرد الرجلان الحمارين على معاوية: وسأل معاوية عبادة بن الصامت عن ذلك فقال عبادة: ﴿شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ وَالنَّاسُ يُكَلِّمُونَهُ فِي الْغَنَائِمِ، فَأَخَذَ وَبَرَةً مِنْ بَعِيرٍ وَقَالَ: مَا لِي مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكُمْ وَلَا مِثْلُ هَذِهِ إِلَّا الْخُمُسُ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ﴾ فاتق الله يا معاوية واقسم الغنائم على وجهها ولا تعط منها أحداً أكثر من حقه، فقال له معاوية: قد وليتك قسمة الغنائم ليس أحد بالشام أفضل منك ولا أعلم، فاقسمها بين أهلها واتق الله فيها فقسمها عبادة بين أهلها وأعانه أبو الدرداء وأبو أمامة، وما زالوا على ذلك إلى آخر زمن عثمان، فهذه قصة عبادة في التزامه طاعة عثمان وطاعة عامله بالشام، بضد ما رووه، قاتلهم الله.

قال محمد زياد بن عمر التكلة: وروى الحسن بن سفيان في مسنده، وابن مندة (الإصابة)، وابن قانع، وأبو نعيم في معرفة الصحابة وابن عساكر من طريق أبي تميلة يحيى بن واضح، عن محمد بن اسحاق، عن بريدة بن سفيان، عن محمد بن كعب القرظي، قال غزا عبد الرحمن بن سهل الأنصاري[6] في زمان عثمان، ومعاوية أمير على الشام، فمرت به روايا خمر تحمل لمعاوية، فقام إليها عبد الرحمن برمحه فنقر كل راوية منها، فناوشه غلمانه، حتى بلغ شأنه معاوية، فقال: دعوه، فإنه شيخ قد ذهب عقله! فقال: كلا والله! ما ذهب عقلي، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندخل بطوننا وأسقيتنا خمرا، وأحلف بالله لئن أنا بقيت حتى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبقرن بطنه، أو لأموتن دونه.

وهذا خبر باطل وسنده مسلسل بالعلل: ابن إسحاق مدلس وقد عنعن، وبريدة واه وكان غاليا في التشيع (تهذيب الكمال وحاشيته) ومحمد بن كعب لم يدرك الواقعة كما يظهر من ترجمته وطبقته (تهذيب الكمال وغيره) وضعفه ابن حجر في الإصابة

☪

قال محمد بن كعب القرظي: جمع القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم خمسة من الأنصار: معاذ، وعبادة، وأبي، وأبو أيوب، وأبو الدرداء. فلما كان عمر، كتب يزيد بن أبي سفيان إليه: إن أهل الشام كثير، وقد احتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم. فقال: أعينوني بثلاثة. فقالوا: هذا شيخ كبير – لابي أيوب – وهذا سقيم – لابي – فخرج الثلاثة إلى الشام. فقال: ابدؤوا بحمص، فإذا رضيتم منهم، فليخرج واحد إلى دمشق، وآخر إلى فلسطين. وعن ثور بن يزيد، حدثنا مالك بن شرحبيل، قال: قال عبادة بن الصامت: ألا تروني لا أقوم إلا رفدا* -يعني إنه يساعد على القيام-، ولا آكل إلا مالوق -يعني لين وسخن- وقد مات صاحبي منذ زمان -يعني ذكره – وما يسرني أني خلوت بامرأة لا تحل لي، وإن لي ما تطلع عليه الشمس، مخافة أنى يأتي الشيطان، فيحركه، على أنه لا سمع ولا بصر.

☪

عن عبادة بن الصامت قال: ﴿بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أي ليلة العقبة- عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَأَنْ نَقُولَ -أَوْ نَقُومَ- بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ وثمة بيعة أخرى، رواها عبادة، تمت بعد فتح مكة بعد أن نزلت الآية التي في الممتحنة، عن عبادة بن الصامت قال: ﴿كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ: تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ.وفي رواية: فتلا علينا آية النساء: أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا. وفي رواية: أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَخَذَ عَلَى النِّسَاءِ..﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي أَفْوَاهِهِمَ التُّرَابَ﴾ قال الخطابي: المداحون: الذين اتخذوا مدح الناس عادة، وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح ويفتونه، فأما من مدح الرجل على الفعل الحسن والأمر المحمود، يكون منه ترغيبا له في أمثاله وتحريضا للناس على الاقتداء به في أشباهه فليس بمداح، وإن كان قد صار مادحا بما تكلم به من جميل القول فيه، وقد استعمل المقداد الحديث على ظاهره. وحمله على وجهه في تناول عين التراب بيده، وحثيه في وجه المادح. وقد يتأول أيضا على وجه آخر، وهو أن يكون معناه: الخيبة والحرمان، أي من تعرض لكم بالثناء والمدح، فلا تعطوه، واحرموه كنى بالتراب عن الحرمان.

قال إبراهيم بن أدهم: بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد بن صفوان: عظني وأوجز، فقال خالد: يا أمير المؤمنين إن أقواما غرهم ستر الله عز وجل، وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعن ما افترض الله متخلفين مقصرين، وإلى الأهواء مائلين؛ قال: فبكى ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى. كان ابن محيريز إذا مدح قال: وما يدريك؟! وما علمك؟! كان يزيد بن ميسرة يقول: إذا زكاك رجل في وجهك فأنكر عليه واغضب ولا تقر بذلك، وقل: اللهم، لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون. قال الحسن: كم من مستدرج بالاحسان إليه، وكم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه.

*(فناوشه) ناشه ينوشه نوشا، إذا تناوله وأخذه (لأبقرن) البقر: الشق والتوسعة

■ (1) أبو الدرداء عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي. وقيل اسمه عامر، ولقبه عويمر. ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب وهو أول قاض بها وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبي، والراجح أنه مات في خلافة عثمان بالشام سنة 32 هـ

■ (4) صدي بن عجلان بن وهب بن عمرو، أبو أمامة الباهلي من قيس بن غيلان، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزيل حمص.وهو آخر من مات فيها من الصحابة وهو أحد من بايع تحت الشجرة. روى علما كثيرا، توفي سنة 86 هـ. وقيل: مات سنة 81 هـ.

■ (2) شداد بن أوس بن ثابت بن حرام بن زيد مناة وهو ابن أخي حسان بن ثابت. يكنى أبا يعلى نزل الشام بناحية فلسطين ومات بها سنة 58 هـ وهو ابن 75 سنة.قيل: توفي سنة 41 هـ. وقيل: توفي سنة 64 هـ. قال عبادة بن الصامت: كان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحلم.

■ (3) واثلة بن الأسقع بن عبد العزيز بن عبد ياليل أبو الأسقع ، وقيل أبو شداد وقيل غير ذلك ، الليثي الكناني . صحابي أسلم قبل تبوك وشهدها. وقيل: أنه خدم النبي ثلاث سنين. وكان من أهل الصفة، ثم نزل الشام، وشهد فتح دمشق وحمص وغيرهما. فسكن دمشق، ثم استوطن بيت جبرين، وهى بلدة بقر بيت المقدس، ودخل البصرة، وكان له بها دار. توفى بدمشق سنة 86 هـ أو 85 هـ، وهو ابن 98 سنة، وقيل: توفى سنة83 وهو ابن 105، والصحيح الأول.

■ (5) عبد الله بن الصامت الغفاري ابن أخي أبي ذر يروي عن أبي ذر روى عنه أبو عمران الجوني وحميد بن هلال عداده في أهل البصريين، مات بعد السبعين.

■ (6) عبد الرحمن بن سهل بن زيد الأنصاري. نسبه الواقدي، وأمه ليلى بنت نافع بن عامر. شهد المشاهد كلها مع النبي. وهو المنهوش، فأمر النبي عمارة بن حزم فرقاه. استعمله عمر بن الخطاب على البصرة. وقيل: هو أخو المقتول بخيبر، وهو الذي بدر بالكلام في قتل أخيه قبل عميه حويصة ومحيصة، فقال له رسول الله: كبر، كبر !!.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ عثمان بن عفان/ سير أعلام النبلاء/ المسند للشاشي/ الرياض النضرة في مناقب العشرة/ موسوعة الأعلام/ تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية/ أبحاث من مسودة كتاب من فضائل وأخبار معاوية بن أبي سفيان/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ أسد الغابة/ المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين/

عن محمد وطلحة، قالا: كان سعيد بن العاص[1] لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه وأهل القادسية وقراء أهل البصرة، وكان هؤلاء دخلته إذا خلا، فأما إذا جلس للناس فإنه يدخل عليه كل أحد، فجلس للناس يوما، فدخلوا عليه؛ فبينما هم جلوس يتحدثون قال خنيس بن فلان الأسدي:[2] ما أجود طلحة بن عبيد الله [3]! فقال سعيد ابن العاص: إن من له مثل النشاستج* لحقيق أن يكون جوادا، والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشا رغدا. فقال عبد الرحمن بن خنيس[4] –وهو حدث: والله لوددت أن هذا الملطاط* لك – يعني ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة – قالوا: فض الله فاك*! والله لقد هممنا بك، فقال خنيس: غلام فلا تجازوه، فقالوا: يتمنى له من سوادنا! قال: ويتمنى لكم أضعافه، قالوا: لا يتمنى لنا ولا له، قال: ما هذا بكم! قالوا: أنت والله أمرته بها، فثار إليه الأشتر[5] وابن ذي الحبكة[6] وجندب[7] وصعصعة[8] وابن الكواء[9] وكميل بن زياد[10] وعمير بن ضابئ[11]؛ فأخذوه. فذهب أبوه ليمنع منه فضربوهما حتى غشي عليهما، وجعل سعيد يناشدهم ويأبون، حتى قضوا منهما وطرا*، فسمعت بذلك بنو أسد، فجاؤوا وفيهم طليحة[12] فأحاطوا بالقصر، وركبت القبائل، فعاذوا بسعيد، وقالوا: أفلتنا وخلصنا. فخرج سعيد إلى الناس، فقال: أيها الناس، قوم تنازعوا وتهاووا وقد رزق الله العافية. ثم قعدوا وعادوا في حديثهم، وتراجعوا، وأفاق الرجلان؛ فقال: أبكما حياة ؟ قالا: قتلتنا غاشيتك* قال: لا يغشوني والله أبدا، فاحفظا علي ألسنتكما ولا تجرئا علي الناس، ففعلا، ولما انقطع رجاء أولئك النفر من ذلك قعدوا في بيوتهم وأقبلوا على الإذاعة* والضعة* حتى لامه أهل الكوفة في أمرهم. فقال : هذا أميركم وقد نهاني أن أحرك شيئا فمن أراد أن يحرك شيئا فليحركه إن هؤلاء النفر لما قعدوا في بيوتهم تكلموا في حق الخليفة عثمان وشتموه.

وقيل : بل كان السبب في ذلك أنه كان يسمر* عند سعيد بن العاص وجوه أهل الكوفة منهم مالك بن كعب[13] والأسود بن يزيد[14] وعلقمة بن قيس[15] ومالك الأشتر وغيرهم. فقال سعيد: إنما هذا السواد بستان قريش، فقال الأشتر: أتزعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك! وتكلم القوم معه. فقال عبد الرحمن الأسدي[16] وكان على شرطة سعيد-: أتردون على الأمير مقالته؟ وأغلظ عليهم. فقال الأشتر: من ههنا ؟ لا يفوتنكم الرجل فوثبوا عليه فوطأوه وطأ شديدا حتى غشي عليه. ثم جروه برجله، فنضح بماء فأفاق. فقال: قتلتني من انتخبت. فقال: والله لا يسمر عندي أحد أبدا، فجعلوا يجلسون في مجالسهم يشتمون عثمان وسعيدا. واجتمع إليهم الناس حتى كثروا، فكتب سعيد وأشراف أهل الكوفة إلى عثمان في إخراجهم، فكتب: إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية.وكتب عثمان إلى معاوية: إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرا خلقوا للفتنة فرعهم وقم عليهم فإن آنست منهم رشدا فاقبل منهم وإن أعيوك فاردد عليهم.

فلما قدموا على معاوية رحب بهم وأنزلهم كنيسة تسمى مريم، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق وجعل يتغدى ويتعشى معهم فقال لهم يوما: إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة وقد أدركتم بالإسلام شرفا وغلبتم الأمم وحويتم مراتبهم ومواريثهم . وقد بلغني أنكم نقمتم قريشا وإن قريشا لو لم تكن عدتم أذلة كما كنتم إن أئمتكم لكم إلى اليوم جنة* فلا تسدوا عن جنتكم. وإن أئمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور ويحتملون منكم المؤونة. والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم ثم لا يحمدكم على الصبر لم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم. فقال رجل من القوم : أما ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا. وأما ما ذكرت من الجنة فإن الجنة إذا اخترقت (في رواية: اخترمت/ احترقت) خلص إلينا.فقال معاوية: لآن عرفتكم وعلمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول، وأنت خطيبهم ولا أرى لك عقلا أعظم عليك أمر الإسلام وأذكرك به وتذكرني الجاهلية، أخزى الله أقواما أعظموا أمركم افقهوا عني، ولا أظنكم تفقهون: إن قريشا لم تعز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله عز و جل لم تكن بأكثر العرب ولا أشدهم ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا ومحضهم أنسابا وأعظمهم أخطارا وأكملهم مروءة ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا إلا بالله الذي لا يستذل من أعز ولا يوضع من رفع فبوأهم حرما آمنا يتخطف الناس من حولهم . هل تعرفون عربا أو عجما أو سودا أو حمرا إلا قد أصابهم الدهر في بلدهم وحرمتهم بدولة إلا ما كان من قريش فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خده الأسفل حتى أراد الله أن ينتقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه ثم ارتضى له أصحابا فكان خيارهم قريشا ثم بني هذا الملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم. ولا يصلح ذلك إلا عليهم فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم بالله أفتراه لا يحوطهم وهم على دينه وقد حاطهم في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم. أف لك ولأصحابك. ولو أن متكلما غيرك تكلم ولكنك ابتدأت. فأما أنت يا صعصعة فإن قريتك شر القرى وأنتنها نبتا وأعمقها واديا وأعرفها بالشر وألأمها جيرانا، لم يسكنها شريف قط ولا وضيع إلا سب بها وكانت عليه هجنة* ثم كانوا أقبح العرب ألقابا وألأمهم أصهارا، نزاع* الأمم، وأنتم جيران الخط، وفعلة فارس، حتى أصابتكم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ونكبتك دعوته وأنت نزيع شطير* في عمان لم تسكن البحرين فتشركهم في دعوة النبي صلى الله عليه و سلم. فأنت شر قومك حتى إذا أبرزك الإسلام وخلطك بالناس وحملك على الأمم التي كانت عليك أقبلت تبغي دين الله تعالى عوجا وتنزع إلى اللامة والذلة ولا يضع ذلك قريشا ولن يضرهم ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم. إن الشيطان عنكم غير غافل. قد عرفكم بالشر من بين أمتكم فأغرى بكم الناس وهو صارعكم لقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاء قضاه الله تعالى ولا أمرا أراده الله ولا تدركون بالشر أمرا إلا فتح الله تعالى عليكم شرا منه وأخزى. ثم قام وتركهم؛ فتذامروا. فتقاصرت إليهم أنفسهم، فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال: إني قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم؛ لا والله لا ينفع الله بكم أحدا ولا يضره؛ ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة؛ ولكنكم رجال نكير. وبعد، فإن أردتم النجاة فألزموا جماعتكم؛ وليسعكم ما وسع الدهماء، ولا يبطرنكم الإنعام، فإن البطر لا يعتري الخيار؛ اذهبوا حيث شئتم، فإني كاتب إلى أمير المؤمنين فيكم.. وهناك في الطبري وغيره روايات أخرى.

----

*(نشاستج) ضيعة أو نهر بالكوفة. قال ياقوت: اشتراها طلحة بن عبيد الله التميمي من أهل الكوفة المقيمين بالحجاز بمال كان له في خيبر، وعمرها حتى عظم دخلها حتى قيل إن من له مثل النشاستج لحقيق أن يكون جوادا.قال الواقدي: أول من أقطع بالعراق عثمان بن عفان قطائع مما كان من صوافي آل كسرى ومما جلا عنه أهله فقطع لطلحة بن عبيد الله النشاستج.وقيل بل أعطاه إياها عوضا عن مال كان له بحضرموت (الملطاط) قال ابن النجار: وكان يقال لظهر الكوفة: اللسان وما ولى الفرات منه الملطاط (غاشيتك) أي الذين يترددون عليك (يسمر) يتحدث ليلا (الجنة) وقاية (الهجنة من الكلام) ما يلزمك منه العيب تقول: لا تفعل كذا فيكون عليك هجنة (الوطر) النهمة، يقلل: قضى فلان من كذا وطرا، إذا قضى نهمته، وليس له فعل يتصرف (فض الله فلك) يقال:لا يفض الله فاك ولا يفضض الله فاك. أي لا كسر الله أسنانك وقيل: أي لا صيره فضاء (الضعة) خلاف الرفعة في القدر والانحطاط واللؤم والخسة والدناءة يقال في حسبه ضعة والفرق بين الضعة والذل: أن الضعة لا تكون إلا بفعل الإنسان بنفسه ولا يكون بفعل غيره وضيعا كما يكون بفعل غيره ذليلا..(ذيع) أن يشيع الأمر يقال: أذاع الشيء وأذاع به: إذا أفشاه وأظهره وفي التنزيل العزيز:﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء] (النزاع) جمع نزيع وهو الغريب (الشطير) الغريب (تذامر) تذامر القوم، إذا حث بعضهم بعضا.

- (1) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.
- (3) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي، أبو محمد، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ولد سنة28 هـ ويقال له: طلحة الجود وطلحة الخير وطلحة الفياض وكل ذلك لقبه به رسول الله في مناسبات مختلفة ودعاه مرة: الصبيح المليح الفصيح. شهد أحدا وثبت مع رسول الله وبايعه على الموت وأصيب بأربعة وعشرين جرحا وسلم شهد الخندق وسائر المشاهد. كانت له تجارة وافرة مع العراق. قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة 36 هـ ودفن في البصرة.
- (12) طليحة بن خويلد الأسدي من أسد خزيمة متنبئ متوفى سنة21 هـ . يقال له: طليحة الكذاب كان من أشجع العرب. قدم على النبي في وفد بني أسد سنة 9 هـ وأسلموا ولما رجعوا ارتد طليحة وادعى النبوة ومات النبي فكثر أتباع طليحة من أسد وغطفان وطيئ.وطمع بامتلاك المدينة فهاجر بعض أشياعه فردهم أهلها، غزاه أبو بكر وسير إليه خالد بن الوليد فانهزم طليحة وفر إلى الشام ثم أسلم بعد أن أسلمت أسد وغطفان كافة وفد على عمر وبايعه في المدينة وخرج إلى العراق فحسن بلاؤه في الفتوح واستشهد بنهاوند
- (5) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بـ الأشتر كان رئيس قومه أدرك الإسلام وسكن الكوفة كان ممن ألب على عثمان وحضر حصره، شهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي وولاه على مصر فقصدها فمات في الطريق سنة 37 هـ.
- (11) عمير بن ضابئ بن الحارث البرجمي التميمي، من الكوفة. قتله الحجاج لما دخل الكوفة سنة 75 هـ كان أبوه قد مات في سجن عثمان بن عفان، قيل لقتله صبياً بدابته ولهجائه قوماً من الأنصار. وعمير هذا جاء إلى عثمان بعد ما قتل فلطم وجهه وقيل كسر ضلعا من أضلاعه.
- (10) كميل بن زياد النخعي الصهباني الكوفي. حدث عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة. وكان شريفا مطاعا ثقة عابدا على تشيعه قليل الحديث.قتله الحجاج في حدود 90 هـ.
- (9) عبد الله بن الكواء اليشكري، المعروف بابن الكوا، وقيل: ابن الكواء. أول أمير للخوارج من حين اعتزلوا جيش علي وخرجوا عليه، وكان قبل من أصحاب علي ومن المحرضين على القتال. وقيل: إنه قد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي.
- (6) كعب بن ذي الحبكة النهدي: شاعر من أهل الكوفة، في صدر الإسلام. اتهم بما يسمى النيرنج من أنواع السحر. وبلغ خبره الخليفة عثمان. فأرسل إلى الوليد ابن عقبة (والي الكوفة) ليسأله فإن أقر بذلك فليوجعه ضربا ويغربه ففعل الوليد وأقر كعب فضربه وعزبه إلى دنباوند (وهو جبل شاهق قرب الري) ظل فيه إلى أن عزل الوليد سنة 29 فأطلقه خلفه وأكرمه. فلما كانت الفتنة في المدينة، وقتل عثمان، مات بعد 35 هـ.
- (8) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي، الكوفي، قيل: ولد في دارين قرب القطيف وشهد صفين مع علي، أمره على بعض الكراديس. وله مع معاوية مواقف. ونفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوال في البحرين بأمر معاوية فمات فيها سنة56 هـ وقبل مات سنة 60 هـ
- (15) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمدانى تابعي كان فقيه العراق ولد فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وشهد صفين وغزا خراسان وسكن الكوفة وتوفى بها سنة 62 هـ
- (7) جندب بن عبد الله بن زهير، وقيل: جندب بن زهير بن الحارث الغامدي الأزدي الكوفي. قيل: له صحبة وما روى شيئا. شهد صفين مع علي أميرا، كان على الرجالة، فقتل يومئذ.
- (14) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي أبو عمرو المتوفى سنة 75 هـ تابعي فقيه من الحفاظ كان عالم الكوفة في عصره ثقة مكثر.
- (2) (4) خنيس بن فلان الأسدي ، وأبنه عبد الرحمن بن خنيس ؟ (لم أقف لهما على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (16) عبد الرحمن الأسدي صاحب شرطته ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (13) مالك بن كعب الهمداني ثم الأرحبي (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

إن هذا الأمر يستدعي الوقوف عنده وقفة شك فكيف لهؤلاء الرهط أن يتطاولوا على عامل الخليفة وهو موكل بتأديبهم لا سيما أن المعني بالأمر هو معاوية..وقال علي الصلابي: وفي نظرنا أن سبب هذه الفتنة كما أورده الطبري وابن الأثير تافه لا يدعو إلى كل ما حدث. شاب يتمنى أن تكون لسعيد بن العاص هذه الناحية من الفرات..ومع هذا تعدوا عليه وضربوه وأباه. وذكر سبب غير ذلك وهو قول سعيد: إنما هذا السواد بستان قريش. فأغلظوا عليه القول فغضب صاحب شرطته ولامهم فأوسعوه ضربا. فلا بد أن هؤلاء الذين قربهم سعيد كانوا يحقدون عليه ويتحينون الفرص للانتقام منه لكنه حسب حسابهم ولم يعاقبهم بنفسه خشية اتساع الخرق واشتداد الفتنة فكتب إلى الخليفة في شأنهم وفوض إليه الأمر.

عن سلمة بن أبي اليقظان قال: لما ولى عثمان سعيد بن العاص الكوفة كتب إلى أهلها من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة سلام أما بعد فإني استعملت عليكم الوليد بن عقبة حتى تولت منعته واستقامت طريقته وكان من صالحي أهله وأوصيته بكم ولم أوصكم به فلما بذل لكم خيره وكف عنكم شره وغلبتكم علانيته طعنتم في سريرته والله أعلم بكم وبه وقد بعثت عليكم سعيد بن العاص أميرا وهو شرف أهله ومن لا يطغى في سريرته ولا علانيته وقد أوصيته بكم خيرا فاستوصوا به خيرا والسلام.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ المدينة/ عثمان بن عفان شخصيته وعصره للصلابي/ جمهرة اللغة/ معجم الفروق اللغوية للعسكري/ المعجم الوسيط/ الأعلام للزركلي/ أخبار المدينة/

◆ معاوية بن أبي سفيان، والي الشام (عامل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ثالث الخلفاء الراشدين) وعامر بن عبد الله، المعروف بابن عبد قيس 0164

حدث بلال بن سعد أن عامر بن عبد قيس[1] وشي به إلى زياد[2] –وقيل: إلى ابن عامر[3]– فقيل له أن ها هنا رجل قيل له: ما إبراهيم عليه السلام خير منك، فسكت، وقد ترك النساء، فكتب فيه إلى عثمان رضي الله عنه، فكتب إليه أن انفه إلى الشام على قتب*. فلما جاءه الكتاب أرسل إلى عامر، فقال: أنت الذي قيل لك: ما إبراهيم خير منك فسكت؟ فقال: والله ما سكوتي إلا تعجبا، لوددت أني كنت غبارا على قدميه فيدخل بي الجنة. قال: ولم تركت النساء؟ قال: والله ما تركتهن إلا أني قد علمت أنها متى تكن امرأة فعسى أن يكون ولد، ومتى يكن ولد تشعبت* الدنيا قلبي، فأحببت التخلي من ذلك، فأجلاه على قتب إلى الشام. فلما قدم أنزله معاوية معه الخضراء*، وبعث إليه بجارية وأمرها أن تعلمه ما حاله، فكان يخرج من السحر فلا تراه إلا بعد العتمة، فيبعث إليه معاوية بطعام، فلا يعرض لشيء منه، ويجيء معه يكسر، فيجعلها في ماء فيأكلها منها، ويشرب من ذلك الماء، ثم يقوم، فلا يزال ذلك مقامه حتى يسمع النداء، فيخرج فلا تراه إلى مثلها. فكتب معاوية إلى عثمان يذكر له حاله، فكتب إليه أن أجعله أول داخل، وآخر خارج، ومر له بعشرة من الرقيق، وعشرة من الظهر. فلما أتى معاوية الكتاب أرسل إليه فقال له: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن آمر لك بعشرة من الرقيق، فقال: إن علي شيطانا قد غلبني، فكيف أجمع علي عشرة؟ قال: وأمر لك بعشرة من الظهر، فقال: إن البغلة واحدة، وإني لمشفق أن يسألني الله عن فضل ظهرها يوم القيامة. قال: وأمرني أن أجعلك أول داخل وآخر خارج، قال: لا أرب لي في ذلك. قال: فحدث بلال بن سعد عمن رآه بأرض الروم على بغلته تلك يركبها عقبة ويحمل المهاجرين عقبة*.

قال الحسن[4]: كتب معاوية إلى عبد الله بن عامر: انظر عامر بن قيس فأحسن إذنه، ومره أن يخطب إلى ما شاء، وأمهر عنه من بيت المال. قال: فأرسل إليه: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أحسن إذنك، قال: ما اصنع بالإذن؟ فأنتم أحوج إلى ذلك مني، وأمرني أن تخطب إلى من شئت وأمهرك من بيت المال، قال: أنا في الخطبة دائب*. قال: إلى من؟ قال: إلى من يقبل مني التمرة والفلقة، ثم أقبل على جلسائه فقال: إني سائلكم، فأخبروني، قالوا: سل، قال: هل منكم أحد إلا لماله من قلبه شعبة؟ قالوا: اللهم، نعم، قال: هل منكم أحد إلا لولده من قلبه شعبة؟ قالوا: اللهم، نعم قال: هل منكم أحد إلا لأهله من قلبه شعبة؟ قالوا: اللهم، نعم.قال: والذي نفسي بيده لأن تختلف الخناجر في جوارحي أحب إلي من أن أكون هكذا. أما والله لئن استطعت أن أجعل الهم هما واحدا لأفعلن. قال الحسن: ففعل، ورب الكعبة.وقال أبو سعيد بن الأعرابي[5]: وهذا أعلى ما قيل في الزهد: أن يكون الهم هما واحدا لله عز وجل، ليس ذكر دنيا ولا آخرة، هو غاية الزهد، وهو خروج قدر الدنيا وقلتها من قلبه أن يزهد فيها، وخروج قدر غيرها فيرغب فيها إذا كانت دون الله عز وجل. هذا لمن كان الله همه وحده خالصا.

قال الجريري: لما سير عامر بن عبد الله الذي يقال له: ابن عبد قيس، شيعه إخوانه، وكان بظهر المربد*، فقال: إني داع فأمنوا: اللهم، من وشى بي، وكذب علي وأخرجني من مصري، وفرق بيني وبين إخواني، فأكثر ماله، وأصح جسمه وأطل عمره. قال الحسن البصري: بعث بعامر بن عبد قيس إلى الشام، فقال: الحمد لله الذي حشرني راكبا. قال قتادة: لما احتضر عامر بكى، فقيل: ما يبكيك ؟ قال: ما أبكي جزعا من الموت، ولا حرصا على الدنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام الليل. وفي رواية: بكى عامر بن عبد الله في مرضه الذي مات فيه بكاء شديدا، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: آية في كتاب الله:﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة] قيل: قبر عبادة بن الصامت وعامر بن عبد الله في بيت المقدس. وتوفي في زمن معاوية.

----

*(القتب) الرحل الصغير على قدر سنام البعير (تشعب) يقال: شعب الرجل أمره: إذا شتته وفرقه (الخضراء) هي دار الامارة بدمشق، بناها معاوية بالطوب ثم نقضها وبناها بالحجارة. وموقعها حذاء سوق الصفارين سوق القباقبية اليوم من الجنوب، قبلي الجامع الاموي، ويقال: إنه كان لها باب يفضي إلى المسجد مما يلي المقصورة. انظر أخبارها في تاريخ ابن عساكر المجلدة الثانية.(عقبة) أي نوبة.(دأب) دائب، وهو الجاد المجتهد المتعب، دأب في عمله أي جد وتعب (المربد) من أشهر محال البصرة، وكان سوق الإبل فيه قديما، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء

■ (1) عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس بن ناشب بن أسامة بن خدينة بن معاوية ابن شيطان بن معاوية بن أسعد بن جدن بن العنبر ابن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة أبو عبد الله ويقال:أبو عمرو العنبري البصري الزاهد قدم دمشق في خلافة عثمان لما سعي به إليه.قبر عامر في بيت المقدس.قيل: توفي في زمن معاوية.

■ (2) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (3) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عامر بن كريز، فاتح خراسان وغيرها، ولد بمكة سنة4 هـ عندما عزل عثمان أبا موسى عن البصرة، وعثمان بن أبي العاص عن فارس، جمعهما لابن عامر سنة 29 هـ فوجه جيشا إلى سجستان فافتتحها صلحا، وافتتح الداور، وبلادا من دار ابجرد وهاجم مرو الروذ فافتتحها، وبلغ سرخس فانقادت له، وفتح أبرشهر عنوة، وطوس وطخارستان ونيسابور وأبيورد وبلخ والطالقان والفارياب. وافتتحت له رساتيق هراة وآمل وبست وكابل.وقتل عثمان، وهو على البصرة. وشهد وقعة الجمل مع عائشة، وقيل لم يحضر وقعة صفين. وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس على خلافته (أي بعد تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة حقنا لدماء المسلمين) ثم صرفه عنها فأقام بالمدينة ومات بمكة قبل معاوية بعام ودفن بعرفات سنة 59هـ.

■ (4) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد؛ كان من سادات التابعين، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، روي أن أم سلمة أخرجته إلى عمر فدعا له فقال: اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس. وسئل أنس بن مالك عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن فإنه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا. سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين وصار كاتبا في إمرة معاوية للربيع بن زياد متولي خراسان ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة.

■ (5) أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم، أبو سعيد ابن الاعرابي: مؤرخ من علماء الحديث. من أهل البصرة. تصوف وصحب الجنيد، وانتقل إلى الحجاز فكان شيخ الحرم المكي وتوفي بمكة سنة 340 هـ. وهو غير ابن الاعرابي اللغوي المتوفى قبل ولادة هذا بأعوام.

☪

عن مضارب بن حزن التميمي قال: قلنا لمعاوية كيف وجدتم من أوفدنا إليكم من قرائنا؟ قال: يثنون ويتقفعون يدخلون بالكذب ويخرجون بالغش، غير رجل واحد فإنه رجل نفسه، قلنا من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: عامر بن عبد قيس.

قال: وكان عامر إذا فصل غازيا وقف يتوسم الرفاق، فإذا رأى رفقة توافقه قال: يا هؤلاء، إني اريد أن أصحبكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلاث خلال، فيقولون: ما هي؟ قال: أكون لكم خادما لا ينازعني أحد منكم الخدمة، وأكون مؤذنا لا ينازعني أحد منكم الأذان، وأنفق عليكم بقدر طاقتي. فإذا قالوا: نعم انضم إليهم. فإن نازعه أحد منهم شيئا من ذلك ارتحل منهم إلي غيرهم.

كان عامر بن عبد الله قد فرض على نفسه كل يوم ألف ركعة، فكان إذا صلى العصر جلس قد انتفخت قدماه من طول القيام، فيقول: يا نفس، بهذا أمرت، ولهذا خلقت، يوشك أن يذهب العناء ثم يقرأ إلى المغرب، فإذا صلى المغرب قام فصلى إلى العتمة، فإذا صلى العتمة أفطر ثم يقول: يا نفس، قومي، ثم يقوم إلى الصلاة، فلا يزالا راكعا وساجدا حتى الصبح، وكان يقول في جوف الليل: اللهم، إن النار منع النوم مني فاغفر لي.

قال عامر بن عبد قيس: وجدت أمر الدنيا يصير إلى أربع: إلى المال، والنساء، ولا حاجة لي بالمال ولا النساء، والنوم والأكل، وايم الله لئن استطعت لأضرن بهما. وفي رواية: وجدت الدنيا أربع خصال: النساء، واللباس والطعام والنوم. فأما النساء فوالله ما أبالي امرأة رأيت أو جدارا، وأما اللباس فو الله ما أبالي ما واريت به عورتي، وأما الطعام والنوم فقد غلباني إلا أن أصبت منهما، والله لأضرن بهما ما استطعت. قال الحسن: ففعل والله.

قال محمد بن سيرين: قيل لعامر بن عبد قيس: ألا تزوج؟ قال: والله ما عندي من نشاط، وما عندي من مال، فبم أغر امرأة مسلمة؟ وعن قتادة قال: سأل عامر بن عبد الله ربه أن يهون عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء له بخار، وسأل ربه عز وجل أن ينزع شهوة النساء من قلبه، فكان لا يبالي ذكرا لقي أم أنثى، وسأل ربه أن يحول بين الشيطان وبين قلبه في الصلاة فلم يقدر على ذلك. وكان إذا غزا فيقال له: إن هذه الأجمة يخاف عليك فيها الأسد قال: إن لأستحيي من ربي أن أخشى غيره. وقد روي أن ذلك ذهب عنه. قيل لعامر بن عبد قيس: أتحدث نفسك في الصلاة؟ قال: نعم. فلما ولوا قال للذين سألوه أو قال لهم: أحدث نفسي بالوقوف بين يدي الرب عز وجل ومنصرفي من بين يديه.

كان عامر بن عبد الله بن عبد قيس يدخل بيتا يطيل فيه الصلاة، قال: وكان الرمث نابتا حولهم، قال: والبصرة إذ ذاك شديدة الحر، قال: فانساب أسود سالخ (يعني ثعبان أسود قد سلخ جلده واستبدل آخر!) فدخل البيت، فتطوى في مصلاه، ما يشعر به. فلما انحط للسجود رآه فنفضه بيده، فانساب فخرج. فقال بعض من رآه من أهله: أما رهبت هذا؟ إنه حتف فقال: لا، والله، لولا أني قذرته لسجدت عليه، والله إني لأستحيي من الله أن يطلع من قلبي على أني أرهب شيئا سواه.

وهبط واديا يقال له وادي السباع، وفي الوادي عبد حبشي يقال له حممة، فانفرد عامر في ناحية، وحممة في ناحية، يصليان، لا هذا ينصرف إلى هذا، ولا هذا ينصرف إلى هذا أربعين يوما وأربعين ليلة. إذا جاء وقت الفريضة صليا، ثم أقبلا يتطوعان. ثم انصرف عامر بعد أربعين يوما فجاء إلى حممة فقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: دعني وهمي، قال: أقسمت عليه، قال: أنا حممة، قال عامر: لئن كنت أنت حممة الذي ذكر لي لأنت أعبد من في الأرض، فأخبرني عن أفضل خصلة، قال: إني لمقصر، ولولا مواقيت الصلاة تقطع علي القيام والسجود لأحببت أن أجعل عمري راكعا، ووجهي مفترشا حتى ألقاه، ولكن الفرائض لا تدعني أفعل ذلك. فمن أنت يرحمك الله؟ قال: أنا عامر بن عبد قيس، قال: إن كنت عامر بن عبد قيس الذي ذكر لي فأنت أعبد الناس، فأخبرني بأفضل خصلة، قال: إني لمقصر، ولكن واحدة عظمت هيبة الله في صدري حتى ما أهاب شيئا غيره، فاكتنفته السباع، فأتاه سبع منها، فوثب عليه من خلفه، فوضع يديه في منكبيه وعامر يتلو هذه الآية: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود] فلما رأى السبع أنه لا يكترث له ذهب، فقال حممة: بالله يا عامر، ما هالك ما رأيت؟ قال: إني لأستحيي من الله أن أهاب شيئا غيره، قال حممة: لولا أن الله ابتلانا بالبطن، فإذا أكلنا لا بد لنا من الحدث ما رآني ربي عز وجل إلا راكعا وساجدا. وكان يصلي في اليوم والليلة ثماني مئة ركعة، وكان يقول: إني لمقصر في العبادة، فكان يعاتب نفسه.

قال عامر بن عبد القيس: إذا عقلك عقلك عما لا ينبغي فأنت عاقل. قال: وإنما سمي العقل عقلا من عقال الإبل. كان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاء فيجعله في طرف ثوبه، فلا يلقاه أحد من المساكين إلا أعطاه. فإذا دخل بيته رمى به إليهم، فيعدونها فيجدونها سواء كما أعطيها.

قال الحسن البصري: كان لعامر بن قيس مجلس في المسجد الجامع، فكنا نجتمع إليه، ففقدناه أياما حتى حسبنا أن يكون قد ضارع أصحاب الأهواء، فأتيناه في أهله، فقلنا: يا أبا عبد الله، تركت أصحابك، وجلست ها هنا وحدك! فقال: إنه مجلس كثير الأغاليط والتخليط. فلما كان هذا حققنا الذي كنا ظنناه به. فقلنا: يا أبا عبد الله، وإذا كان هكذا فما تقول فيهم؟ قال: وما عسى أن أقول فيهم: لقيت ناسا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروني أن أخلص الناس إيمانا يوم القيامة أشدهم محاسبة في الدنيا لنفسه، وإن أشد الناس فرحا يوم القيامة أشدهم حزنا في الدنيا، وإن أكثر الناس ضحكا يوم القيامة أكثرهم بكاء في الدنيا، وأخبروني أن الله عز وجل فرض فرائض، وسن سننا، وحد حدودا، فمن عمل بفرائض الله وسننه، واجتنب حدوده أدخله الجنة بغير حساب. ومن عمل بفرائض الله وسننه وارتكب حدوده، ثم تاب، ثم ارتكب، ثم تاب، ثم ارتكب، ثم تاب، ثم ارتكب استقبل أهوال يوم القيامة وزلازلها وشدائدها، ثم يدخله الله الجنة. ومن عمل بفرائض الله وسننه وارتكب حدوده لقي الله يوم القامة وهو عليه غضبان، فإن شاء عذبه، وإن شاء غفر له. قال: وقمنا من عنده وخرجنا. وكان عامر ثقة من كبار التابعين وعبادهم. رآه كعب فقال: هذا راهب هذه الأمة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ الطبقات الكبرى/

◆ الوليد بن عقبة بن أبي معيط، والي الكوفة (عامل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ثالث الخلفاء الراشدين) وأبو زينب، وأبو مورع، وجندب 0165

عن محمد وطلحة، قالا: كان عمر بن الخطاب استعمل الوليد بن عقبة[1] على عرب الجزيرة، فنزل في تغلب، وكان أبو زبيد[2] في الجاهلية والإسلام في بني تغلب حتى أسلم، وكانت بنو تغلب أخواله، فاضطهده أخواله دينا له، فأخذ له الوليد بحقه، فشكرها له أبو زبيد وانقطع إليه، وغشيه بالمدينة. فلما ولي الوليد الكوفة أتاه مسلما ومعظما على مثل ما كان يأتيه بالجزيرة والمدينة، فنزل دار الضيفان، وتلك آخر قدمة قدمها أبو زبيد على الوليد، وقد كان ينتجعه ويرجع. وكان نصرانيا، فأسلم في آخر إمارة الوليد، وحسن إسلامه، فاستدخله الوليد، وكان عربيا شاعرا، حتى أقام على الإسلام. فأتى آت أبا زينب[3] وأبا مورع[4] وجندبا[5] وهم يحفرون له (يحقدون له؟) مذ قتل أبناءهم(❋)، ويصنعون له العيوب (ويضعون له العيون؟)، فقال لهم: هل لكم في الوليد يشارب أبا زبيد؟ فثاروا في ذلك، فقال أبو زينب وأبو مورع وجندب لأناس من أهل الكوفة: هذا أميركم وأبو زبيد خيرته وهما عاكفان على الخمر. فقاموا معهم، ومنزل الوليد في الرحبة مع عمارة بن عقبة بن أبي معيط، ليس عليه باب. فاقتحموا عليه من المسجد، وبابه إلى المسجد، فلم يفجأ الوليد إلا بهم، فنحى شيئا، فأدخله تحت السرير، فأدخل بعضهم يده، فأخرجه لا يؤامره، فإذا طبق، عليه تفاريق عنب، وإنما نحاها استحياء أن يروا طبقه وليس عليه إلا تفاريق. فقاموا فخرجوا على الناس، وأقبل بعضهم يلوم بعضا، وسمع الناس بذلك؛ فأقبلوا عليهم يسبونهم ويلعنونهم، ويقولون: أقوام غضب بعضهم لعمله، وبعضهم أرغمهم الكتاب، فدعاهم ذلك إلى التجسس والخبث (والبحث؟). فستر عنهم الوليد ذلك، وطواه عن عثمان، ولم يدخل بين الناس في ذلك بشيء، وكره أن يفسد بينهم، وسكت عن ذلك، وصبر. وفي حديث آخر: أن جندبا ورهطا معه جاؤوا إلى ابن مسعود[6]، فقالوا: الوليد يعكف على الخمر، وأذاعوا ذلك حتى طرح على ألسن الناس، فقال ابن مسعود: من استتر منا بشيء لم نتبع عورته، ولم نهتك ستره. فأرسل إلى ابن مسعود: فأتاه، فعاتبه في ذلك، وقال: يرضى من مثلك بأن تجيب أقواما موتورين؟ على أي شيء أستتر به؟ إنما يقال هذا للملجلج*، فتلاحنا، وافترقا على تغاضب، ولم يكن بينهما أكثر من ذلك.

قال محمد وطلحة: أتي الوليد بساحر، فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حده، قال: وما يدريك أنه ساحر؟ قال: زعم هؤلاء النفر أنه ساحر، فقالوا: أساحر أنت؟ قال: نعم، قالوا: وتدري ما السحر؟ قال: نعم. وثار إلى حمار، فجعل يركبه من قبل ذنبه وينزل من قبل رأسه، ومن قبل رأسه فينزل من قبل ذنبه، ويريهم أنه يخرج من فيه واسته. فقال ابن مسعود: فاقتله. فانطلق الوليد، فنادوا في المسجد أن رجلا يلعب بالسحر عند الوليد، فأقبلوا، وأقبل جندب، واغتنمها، يقول: أين هو؟ أين هو؟ حتى أريه، فضربه. وأجمع عبد الله والوليد على حبسه حتى كتب إلى عثمان، فأجابهم عثمان أن: استحلفوه بالله ما علم برأيكم فيه، وأنه لصادق لقوله فيما ظن من تعطيل حده، وعزروه وخلوا سبيله. وتقدم إلى الناس في ألا يعملوا بالظنون، أو يقيموا الحدود دون السلطان، فإنا نقيد المخطئ، ونؤدب المصيب. ففعل ذلك به، وترك، لأنه أصاب حدا. وغضب لجندب أصحابه؛ فخرجوا إلى المدينة، فاستعفوا من الوليد، فقال لهم عثمان: تعملون بالظنون، وتخطئون في الإسلام، وتخرجون بغير إذن، ارجعوا. فرجعوا إلى الكوفة، فلم يبق موتور* في نفسه إلا آتاهم، فاجتمعوا على رأي فأصدروه، فتغفلوا الوليد، وكان ليس عليه حجاب. فدخل عليه أبو زينب الأزدي وأبو مورع الأسدي، فسلا خاتمه، ثم خرجا إلى عثمان، فشهدا عليه، ومعهما نفر. فبعث إليه عثمان، فلما قدم أمر به سعيد بن العاص[7]، فقال: يا أمير المؤمنين أنشدك الله، فوالله أنهما لخصمان موتوران، فقال: لا يضرك ذلك، إنما نعمل بما ينتهي إلينا، فمن ظلم فالله ولي انتقامه، ومن ظلم فالله ولي جزائه.

وقيل: إنهم لما غشوا الوليد، وله امرأتان في المخدع، بينهما وبين القوم ستر، إحداهما بنت ذي الخمار، والأخرى بنت أبي عقيل. فنام الوليد، وتفرق القوم وثبت أبو زينب أبو مورع، فتناول أحدهما خاتمه، وخرجا. فاستيقظ الوليد، وامرأتاه عند رأسه فلم ير خاتمه، فسألهما عنه، فلم يجد عندهما منه علما، قال: فأي القوم تخلف عنهم؟ قالتا: رجلان لا نعرفهما، ما غشياك إلا منذ قريب، قال: حلياهما. قالتا: على أحدهما خميصة، وعلى الآخر مطرف. صاحب المطرف أبعدهما منك، قال: الطوال؟ قالتا: نعم. وصاحب الخميصة أقربهما إليك، قال: القصير؟ قالتا: نعم، وقد رأيناه يده على يدك، قال: ذاك أبو زينب، والآخر أبو مورع، وقد أرادا داهية، فليت شعري ما يريدان؟ فطلبهما فلم يقدر عليهما وكان وجههما إلى المدينة فقدما على عثمان، ومعهما نفر ممن قد عزل الوليد عن الأعمال، فقالوا له: فقال: من يشهد منكم؟ قالوا: أبو زينب أبو مورع، وكاع الآخرون. فقال: كيف رأيتماه؟ قالا: كنا من غاشيته، فدخلنا عليه وهو يقيء الخمر. فقال: ما يقيء الخمر إلا شاربها.

وفي حديث آخر قال: أتشهدان أنكما رأيتماه يشرب؟ فقالا: لا، وخافا، قال: فكيف؟ قالا: اعتصرنا من لحيته وهو يقيء الخمر. فبعث إليه، فلما دخل على عثمان رآهما، فقال متمثلا: من البسيط: مهما خشيت على أمر خلوت به..فلم أخفك على أمثالها جار . فحلف له الوليد، وأخبره خبرهم، فقال: نقيم الحدود ويبوء شاهد الزور بالنار، فاصبر يا أخي. فأمر سعيد بن العاص، فجلده، فأورث ذلك عداوة بين ولدهما حتى اليوم. وكان على الوليد يوم أمر به أن يجلد خميصة، فنزعها عنه علي بن أبي طالب. وفي حديث: فكلمه في ذلك علي، فقال له عثمان: دونك ابن عمك فأقم عليه الحد. قال: قم يا حسن فاجلده، قال: فيم أنت من هذا؟ ولهذا غيرك. قال: بل ضعفت ووهنت. قم يا عبد الله بن جعفر[8] فاجلده. فجعل يجلده، ويعد علي حتى بلغ أربعين، فقال: كف أو أمسك أو أرسله. جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين، وأبو بكر أربعين، وكملها عمر ثمانين، وكل سنة.

قال علقمة: كنا في جيش بالروم، ومعنا حذيفة، وعلينا الوليد، فشرب الوليد الخمر؛فأردنا أن نحده. فقال حذيفة: أتحدون أميركم وقد دنوتم من عدوكم؛ فيطمعوا فيكم؟ فبلغه، فقال: لأشربن وإن كانت محرمة، ولأشربن على رغم أنف من رغم.

---

* (للملجلج) وفي الطبري: للمريب. وعنه يأخذ المصنف والملجلج: اللجلجة ثقل اللسان ونقص الكلام وألا يخرج بعضه في إثر بعض، واللجلجة: التردد في الكلام (الموتور) المقطوع أي الذي قطع حقه ولم يدركه وقد تطلق على صاحب الدم الذي لم يأخذ بثأره

■ (1) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب،: من فتيان قريش وشعرائهم فيه ظرف ومجون ولهو. وهو أخو عثمان بن عفان لامه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25 هـ فانصرف إليها، وأقام إلى سنة 29 هـ فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر، فعزله ودعا به إلى المدينة، فجاء، فحده وحبسه. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية، فسكنها. واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرض معاوية على الاخذ بثأره. ومات بالرقة سنة 61 هـ.

■ (2) المنذر بن حرملة الطائي القحطاني، أبو زبيد ويقال حرملة بن المنذر بن زبيد: شاعر نديم معمر، من نصارى طيء. عاش زمنا في الجاهلية، وكان يزور الملوك ولا سيما ملوك العجم لعلمه بسيرهم. وأدرك الاسلام ولم يسلم. وكان يدخل مكة متنكرا. واستعمله عمر على صدقات قومه. قال البغدادي: ولم يستعمل نصرانيا غيره. وكانت إقامته على الاكثر عند أخواله بني تغلب بالجزيرة الفراتية. وانقطع إلى منادمة الوليد بن عقبة أيام ولايته الكوفة، في عهد عثمان. وكان يفد على عثمان فيقربه ويدني مجلسه، لاطلاعه على أخبار من أدركهم من ملوك العرب والعجم. ومات بالكوفة أو في باديتها، في زمن معاوية. وقيل: دفن على البليخ إلى جانب قبر الوليد بن عقبة. والبليخ نهر بالرقة. قال خيرالدين الزركلي: مات نحو 62 هـ

■ (6) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي من أكابر الصحابة ومن أقربهم إلى رسول الله وهو من السابقين إلى الإسلام وكان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب سره ولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفى بها.سنة 32 هـ

■ (3) زهير بن عوف بن الحارث ويقال زهير بن الحارث بن عوف أبو زينب مشهور بكنيته الذي شهد على الوليد بن عقبة، قال أبوعمر: من أخرجه في الصحابة فقد أخطأ، ليس له شيء يدل على ذلك. أخرجه أبو عمر.

■ (5) جندب بن عبد الله، ويقال: جندب بن كعب، أبو عبد الله الازدي صاحب النبي صلى الله عليه وسلم. روى عن النبي، وعن علي، وسلمان الفارسي. قدم دمشق، ويقال له: جندب الخير، وهو الذي قتل المشعوذ. وجندب بن عبد الله بن زهير، وقيل: جندب بن زهير بن الحارث الغامدي الازدي الكوفي. قيل: له صحبة وما روى شيئا. شهد صفين مع علي أميرا، كان على الرجالة، فقتل يومئذ. وقال أبو عبيد: جندب الخير: هو جندب بن عبد الله بن ضبة، وجندب بن كعب: هو قاتل الساحر، وجندب بن عفيف، وجندب بن زهير قتل بصفين، وكان على الرجالة، فالاربعة من الازد. وجندب بن جندب بن عمرو بن حممة الدوسي الازدي، قتل يوم صفين مع معاوية. نقله ابن عساكر، وأن جده من المهاجرين.

■ (7) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

■ (8) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم. السيد، العالم، أبو جعفر القرشي، الهاشمي، ولد في الحبشة سنة 1 هـ ، وله صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وروى أيضا عن عمه؛ علي، وعن أمه؛ أسماء بنت عميس. حدث عنه أولاده، وآخرون. وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم. وله وفادة على معاوية.ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ. ويقال: سنة 90 هـ (4) ومورع بن أبي مورع الأسدي ؟

☪

لما ولي الوليد الكوفة بعد سعد، وقدم على سعد، قال له سعد: يا أبا وهب، والله ما أدري، أكست بعدي أم استحمقت أنا بعدك؟ فقال الوليد: ما كسنا بعدك ولا حمقت، ولكن القوم استأمروا عليك بسلطانهم. قال: صدقت: وخرج سعد، وأقام الوليد على الكوفة خمس سنين. وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿سَيَلِي أُمُورَكُمْ بَعْدِي رِجَالٌ يُطْفِئُونَ السُّنَّةَ وَيَعْمَلُونَ بِالْبِدْعَةِ وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُهُمْ كَيْفَ أَفْعَلُ قَالَ تَسْأَلُنِي يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ كَيْفَ تَفْعَلُ لَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللَّهَ﴾ ثلاث مرار حسبت. فلما كان الوليد بن عقبة بالكوفة أخر الصلاة يوما، فقام ابن مسعود، فأقام الصلاة، وصلى بالناس. فأرسل إليه الوليد: ما حملك على ما صنعت اليوم؟ أجاءك عهد من أمير المؤمنين؟ فسمع وطاعة، أم ابتدعت؟ فقال: ما جاءني من صاحبك أمر، ولم أبتدع، ولكن أبى الله ورسوله أن ننتظرك بصلاتنا، وأنت في حاجتك. قال حضين بن المنذر: صلى الوليد بن عقبة بالناس الفجر أربعا، وهو سكران، ثم انفتل، فالتفت إليهم، فقال: أزيدكم؟ فرفع ذلك إلى عثمان... الحديث. كان الناس في الوليد فرقتين: العامة معه، والخاصة عليه، فما زال عليهم من ذلك خشوع حتى كانت صفين، فولي معاوية، فجعلوا يقولون: عنته عثمان بالباطل، فقال لهم علي: إنكم وما تعيرون بع عثمان كالطاعن نفسه ليقتل ردفه، وما ذنب عثمان من رجل قد ضربه بقولكم، وعزله؟! وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا؟. ولما حضر الموت الوليد بن عقبة قال: اللهم إن كان أهل الكوفة صدقوا علي فلا تبارك لي فيما أقدم عليه، واجعل مردي شر مرد، وإن كانوا كذبوا علي فاجعله كفارة لما لا يعلمون من ذنوبي. مر مسلمة بن عبد الملك بقبر الوليد بن عقبة بالرقة، فقال: قبر من هذا؟ قيل: قبر الوليد بن عقبة، قال: رحم الله أبا وهب، وأثنى عليه، فقيل: قبلا من هذا الآخر؟ قيل: قبر أبي زبيد الطائي الشاعر، قال: وهذا فيرحمه الله. فقيل: إنه كان نصرانيا، قال: إنه كان كريما.

- (❋) قال ابن الاثير: في سنة ثلاثين عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة وولاها سعيد بن العاص، وقد تقدم سبب ولاية الوليد على الكوفة في السنة الثانية من خلافة عثمان وأنه كان محبوبا إلى الناس، فبقي كذلك خمس سنين وليس لداره باب، ثم إن شبابا من أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعي وكاثروه، فنذر بهم وخرج عليهم بالسيف وصرخ، فأشرف عليهم أبو شريح الخزاعي، وكان قد انتقل من المدينة إلى الكوفة للقرب من الجهاد، فصاح بهم أبو شريح فلم يلتفتوا وقتلوا ابن الحيسمان، وأخذهم الناس وفيهم زهير بن جندب الأزدي ومورع بن أبي مورع الأسدي، وشبيل بن أبي الأزدي وغيرهم، فشهد عليهم أبو شريح وابنه، فكتب فيهم الوليد إلى عثمان، فكتب عثمان بقتلهم، فقتلهم على باب القصر [..]

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ الكامل في التاريخ/ تاريخ الطبري/ تاريخ دمشق/

عن عمر بن سعد عن أبى ورق، أن ابن عمر بن مسلمة الأرحبى أعطاه كتابا في إمارة الحجاج بكتاب من معاوية إلى على.قال: وإن أبا مسلم الخولانى[1] قدم إلى معاوية [2] في أناس من قراء أهل الشام، قبل مسير أمير المؤمنين علي إلى صفين، فقالوا له: يا معاوية علام تقاتل عليا، وليس لك مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته؟ قال لهم: ما أقاتل عليا وأنا أدعى أن لى في الإسلام مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته، ولكن خبروني عنكم، ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما ؟ قالوا: بلى. قال: فليدع إلينا قتلته فنقتلهم به، ولا قتال بيننا وبينه. قالوا: فاكتب إليه كتابا يأتيه به بعضنا. فكتب إلى علي هذا الكتاب مع أبى مسلم الخولانى، فقدم به على علي، ثم قام أبو مسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنك قد قمت بأمر وتوليته، والله ما أحب أنه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك، إن عثمان قتل مسلما محرما* مظلوما، فادفع إلينا قتلته، وأنت أميرنا، فإن خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة، وألسنتنا لك شاهدة، وكنت ذا عذر وحجة. فقال له علي: اغد على غدا، فخذ جواب كتابك. فانصرف ثم رجع من الغد ليأخذ جواب كتابه فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه، فلبست الشيعة أسلحتها ثم غدوا فملؤوا المسجد وأخذوا ينادون: كلنا قتل ابن عفان وأكثروا من النداء بذلك، وأذن لأبى مسلم فدخل على علي أمير المؤمنين فدفع إليه جواب كتابه معاوية، فقال له أبو مسلم: قد رأيت قوما ما لك معهم أمر. قال: وما ذاك ؟ قال: بلغ القوم أنك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان فضجوا واجتمعوا ولبسوا السلاح وزعموا أنهم كلهم قتلة عثمان. فقال علي: والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين، لقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينيه ما رأيته ينبغى لى أن أدفعهم إليك ولا إلى غيرك. فخرج بالكتاب وهو يقول: الآن طاب الضراب. وكان كتاب معاوية إلى علي: بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن أبى سفيان إلى علي بن أبى طالب. سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإن الله اصطفى محمدا بعلمه، وجعله الأمين على وحيه، والرسول إلى خلقه، واجتبى له من المسلمين أعوانا أيده الله بهم، فكانوا في منار لهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام. فكان أفضلهم في إسلامه، وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة من بعده، وخليفة خليفته، والثالث الخليفة المظلوم عثمان، فكلهم حسدت، وعلى كلهم بغيت. عرفنا ذلك في نظرك الشزر*، وفى قولك الهجر*، وفي تنفسك الصعداء، وفي إبطائك عن الخلفاء، تقاد إلى كل منهم كما يقاد الفحل المخشوش* حتى تبايع وأنت كاره. ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم حسدا منك لابن عمك عثمان، وكان أحقهم ألا تفعل به ذلك في قرابته وصهره، فقطعت رحمه، وقبحت محاسنه، وألبت الناس عليه، وبطنت وظهرت، حتى ضربت إليه آباط الإبل، وقيدت إليه الخيل العراب، وحمل عليه السلاح في حرم رسول الله، فقتل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهائعة*، لا تردع الظن والتهمة عن نفسك فيه بقول ولا فعل. فأقسم صادقا أن لو قمت فيما كان من أمره مقاما واحدا تنهنه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحدا، ولمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغى عليه. وأخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين: إيواؤك قتلة عثمان، فهم عضدك وأنصارك ويدك وبطانتك*. وقد ذكر لى أنك تنصل من دمه، فإن كنت صادقا فأمكنا من قتلته نقتلهم به، ونحن أسرع الناس إليك. وإلا فإنه فليس لك ولا لأصحابك إلا السيف. والذي لا إله إلا هو لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال، والبر والبحر، حتى يقتلهم الله، أو لتلحقن أرواحنا بالله والسلام. فكتب إليه علي: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان. أما بعد فإن أخا خولان قدم على بكتاب منك تذكر فيه محمد صلى الله عليه وسلم، وما أنعم الله عليه به من الهدى والوحى. والحمد لله الذى صدقه الوعد، وتمم له النصر، ومكن له في البلاد، وأظهره على أهل العداء والشنآن، من قومه الذين وثبوا به، وشنفوا* له، وأظهروا له التكذيب، وبارزوه بالعداوة، وظاهروا على إخراجه وعلى إخراج أصحابه وأهله، وألبوا عليه العرب، وجامعوهم على حربه، وجهدوا في أمره كل الجهد، وقلبوا له الأمور حتى ظهر أمر الله وهم كارهون. وكان أشد الناس عليه ألبة* أسرته والأدنى فالأدنى من قومه إلا من عصمه الله، يا ابن هند. فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبا، ولقد قدمت فأفحشت، إذ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تعالى في نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفينا، فكنت في ذلك كجالب التمر إلى هجر، أو كداعي مسدده إلى النضال. وذكرت أن الله اجتبى له من المسلمين أعوانا أيده الله بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، فكان أفضلهم –زعمت– في الإسلام، وأنصحهم لله ورسوله الخليفة، وخليفة الخليفة. ولعمري إن مكانهما من الإسلام لعظيم، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد. رحمهما الله وجزاهما بأحسن الجزاء. وذكرت أن عثمان كان في الفضل ثالثا، فإن يكن عثمان محسنا فسيجزيه الله بإحسانه، وإن يك مسيئا فسيلقى ربا غفورا لا يتعاظمه ذنب أن يغفره. ولعمر الله إنى لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الإسلام ونصيحتهم لله ورسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر. إن محمدا صلى الله عليه وسلم لما دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد كنا –أهل البيت– أول من آمن به، وصدق بما جاء به، فلبثنا أحوالا مجرمة* وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا، فأراد قومنا قتل نبينا، واجتياح أصلنا، وهموا بنا الهموم، وفعلوا بنا الأفاعيل، فمنعونا الميرة*، وأمسكوا عنا العذب*، وأحلسونا الخوف*، وجعلوا علينا الأرصاد والعيون، واضطرونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب، وكتبوا علينا بينهم كتابا لا يواكلونا ولا يشاربونا ولا يناكحونا ولا يبايعونا ولا نأمن فيهم حتى ندفع النبي صلى الله عليه وسلم فيقتلوه ويمثلوا به. فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى موسم، فعزم الله لنا على منعه، والذب عن حوزته، والرمى من وراء حرمته، والقيام بأسيافنا دونه في ساعات الخوف بالليل والنهار، فمؤمننا يرجو بذلك الثواب، وكافرنا يحامى به عن الأصل. فأما من أسلم من قريش بعد فإنهم مما نحن فيه أخلياء، فمنهم حليف ممنوع، أو ذو عشيرة تدافع عنه فلا يبغيه أحد بمثل ما بغانا به قومنا من التلف، فهم من القتل بمكان نجوة وأمن. فكان ذلك ما شاء الله أن يكون، ثم أمر الله رسوله بالهجرة، وأذن له بعد ذلك في قتال المشركين، فكان إذا احمر البأس ودعيت نزال أقام أهل بيته فاستقدموا، فوقى بهم أصحابه حر الأسنة والسيوف، فقتل عبيدة[3] يوم بدر، وحمزة[4] يوم أحد، وجعفر[5] وزيد[6] يوم مؤتة، وأراد لله من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذى أرادوا من الشهادة مع النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة، إلا أن آجالهم عجلت، ومنيته أخرت. والله مولى الإحسان إليهم، والمنان عليهم، بما قد أسلفوا من الصالحات. فما سمعت بأحد ولا رأيت فيهم من هو أنصح لله في طاعة رسوله، ولا أطوع لرسوله في طاعة ربه، ولا أصبر على اللأواء والضراء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبي صلى الله عليه وسلم من هؤلاء النفر الذين سميت لك. وفي المهاجرين خير كثير نعرفه، جزاهم الله بأحسن أعمالهم. وذكرت حسدي الخلفاء، وإبطائي عنهم، وبغيى عليهم. فأما البغى فمعاذ الله أن يكون، وأما الإبطاء عنهم والكراهة لأمرهم فلست أعتذر منه إلى الناس، لأن الله جل ذكره لما قبض نبيه صلى الله عليه وسلم قالت قريش: منا أمير، وقالت الأنصار: منا أمير. فقالت قريش: منا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنحن أحق بذلك الأمر. فعرفت ذلك الأنصار فسلمت لهم الولاية والسلطان. فإذا استحقوها بمحمد صلى الله عليه وسلم دون الأنصار فإن أولى الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم أحق بها منهم. وإلا فإن الأنصار أعظم العرب فيها نصيبا فلا أدرى أصحابي سلموا من أن يكونوا حقى أخذوا، أو الأنصار ظلموا. بل عرفت أن حقي هو المأخوذ، وقد تركته لهم تجاوز الله عنهم. وأما ما ذكرت من أمر عثمان وقطيعتي رحمه، وتأليبى عليه فإن عثمان عمل ما قد بلغك، فصنع الناس به ما قد رأيت وقد علمت. إني كنت في عزلة عنه، إلا أن تتجنى، فتجن ما بدا لك. وأما ما ذكرت من أمر قتله عثمان فإني نظرت في هذا الأمر وضربت أنفه وعينيه فلم أر دفعهم إليك ولا إلى غيرك. ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك، ولا يكلفونك أن تطلبهم في بر ولا بحر، ولا جبل ولا سهل. وقد كان أبوك أتاني حين ولى الناس أبا بكر فقال: أنت أحق بعد محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر، وأنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك. ابسط يدك أبايعك. فلم أفعل. وأنت تعلم أن أباك قد كان قال ذلك وأراده حتى كنت أنا الذي أبيت، لقرب عهد الناس بالكفر، مخافة الفرقة بين أهل الإسلام. فأبوك كان أعرف بحقي منك. فإن تعرف من حقي ما كان يعرف أبوك تصب رشدك، وإن لم تفعل فسيغنى الله عنك والسلام.

----

*(محرما): أي له حرمة وذمة، أو أراد أنهم قتلوه في آخر ذى الحجة، وقال أبو عمرو: أي صائما، ويقال أراد لم يحل بنفسه شيئا يوقع به، فهو محرم. (المخشوش) الذى جعل في عظم أنفه الخشاش، وهو بالكسر، عويد يجعل في أنف البعير يشد به الزمام ليكون أسرع في انقياده (شزر) نظر شزر فيه إعراض كنظر المعادي المبغض وقيل هو نظر على غير استواء بمؤخر العين وقيل هو النظر عن يمين وشمال (الهجر) القبيح من القول (الهائعة) الصوت الشديد (بطانة الرجل): خاصته وصاحب سره. (وشنفوا له) شنف له يشنف شنفا، من باب تعب: أبغضه.وفي الحديث في إسلام أبى ذر: فإنهم قد شنفوا له، أي أبغضوه(الألبة) المرة من الألب، وهو التحريض (التسديد): التعليم. أي كمن يدعو من علمه النضال إلى النضال (مجرمة) أي كاملة (الميرة)، بالكسر: ما يجلب من الطعام. (العذب) عنى به الماء العذب.(وأحلسونا الخوف) أي ألزمونه.

■ (2) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (1) أبو مسلم الخولا ني الداراني الزاهد، سيد التابعين بالشام. و اسمه: عبد الله بن ثوب، وقد أسلم في حياة النبي، وقدم المدينة في خلافة أبي بكر.قال سعيد بن عبد العزيز: توفي أبو مسلم بأرض الروم، وكان قد شتى مع بسر بن أبي أرطأة، فأدركه أجله، فأتاه بسر في مرضه، فقال له أبو مسلم: اعقد لي على من مات في هذه الغزاة من المسلمين، فإني أرجو أن آتي بهم يوم القيامة على لوائهم. قال المفضل بن غسان: توفي علقمة وأبو مسلم الخولاني سنة 62 هـ

■ (3) عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، أبو الحارث: من أبطال قريش في الجاهلية والاسلام. ولد بمكة سنة 62 ق هـ ، وأسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وعقد له النبي ثاني لواء عقده بعد أن قدم المدينة، وبعثه في ستين راكبا من المهاجرين، فالتقى بالمشركين وعليهم أبو سفيان بن حرب، في موضع يقال له ثنية المرة وكان هذا أول قتال جرى في الاسلام. ثم شهد بدرا وقتل فيها سنة 2 هـ. و عبيدة بن الحارث بن المطلب وهو أول من عقدت له راية في الإسلام وقد تزوج الرسول الكريم زوجته زينب بنت خزيمة بعده

■ (6) زيد بن حارثة بن شراحيل (أو شرحبيل) الكلبي: صحابي. أختطف في الجاهلية صغيرا، واشترته خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين تزوجها، فتبناه النبي ـ قبل الاسلام ـ وأعتقه وزوجه بنت عمته. واستمر الناس يسمونه زيد بن محمد حتى نزلت آية: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ) [الأحزاب] وهو من أقدم الصحابة إسلاما. وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يبعثه في سرية إلا أمره عليها، وكان يحبه ويقدمه. وجعل له الامارة في غزوة مؤتة، فاستشهد فيها سنة 8 هـ

■ (5) جعفر بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم: صحابي هاشمي. من شجعانهم. يقال له جعفر الطيار وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وكان أسن من علي بعشر سنين. وهو من السابقين إلى الاسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم ويدعو فيها، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فلم يزل هنالك إلى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فقدم عليه جعفر، وهو بخيبر سنة 7 هـ وحضر وقعة مؤتة بالبلقاء من أرض الشام فنزل عن فرسه وقاتل، ثم حمل الراية وتقدم صفوف المسلمين، فقطعت يمناه، فحمل الراية باليسرى، فقطعت أيضا، فاحتضن الرايه إلى صدره، وصبر، حتى وقع شهيدا سنة 8 هـ وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية، فقيل: إن الله عوضه عن يديه جناحين في الجنة، وقال حسان: فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة، منهم ذو الجناحين جعفر.

■ (4) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم. أبو عمارة، من قريش: عم النبي صلى الله عليه وسلم وأحد صناديد قريش وسادتهم في الجاهلية والاسلام.ولد ونشأ بمكة سنة 54 ق هـ. وكان أعز قريش وأشدها شكيمة. ولما ظهر الاسلام تردد في اعتناقه، ثم علم أن أبا جهل تعرض للنبي صلى الله عليه وسلم ونال منه، فقصده الحمزة وضربه وأظهر إسلامه، فقالت العرب: اليوم عز محمد وإن حمزة سيمنعه. وكفوا عن بعض ما كانوا يسيئون به إلى المسلمين. وهاجر حمزة مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وحضر وقعة بدر وغيرها. قال المدائني: أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لحمزة. وكان شعار حمزة في الحرب ريشة نعامة يضعها على صدره، ولما كان يوم بدر قاتل بسيفين، وفعل الافاعيل. وقتل يوم أحد فدفنه المسلمون في المدينة سنة 3 هـ، وانقرض عقبه.

عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجل إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء القوم الذين نقاتلهم: الدعوة واحدة، والرسول واحد، والصلاة واحدة، والحج واحد فبم نسميهم؟ قال: تسميهم بما سماهم الله في كتابه. قال: ما كل ما في الكتاب أعلمه. قال: أما سمعت الله قال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ –إلى قوله:– وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ [البقرة] فلما وقع الاختلاف كنا نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبي وبالحق. فنحن الذين آمنوا، وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم فقاتلناهم هدى، بمشيئة الله ربنا وإرادته.

مراجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد/ وقعة صفين لابن مزاحم المنقري/ صبح الأعشى/ أنساب الأشراف/ العقد الفريد/ الأعلام للزركلي/

عن قيس بن مسلم، أنه سمع طارق بن شهاب[1] يقول: خرجت لبالي جاءنا قتل عثمان[2] رضي الله عنه فأنا أتعرض للدنيا وأنا رجل شاب أظن عندي قتالا فأخرج قلت: أحضر الناس وأنباءهم، فخرجت حتى آتي الربذة* فإذا علي يؤم العثمة في صلاة العصر، فصلى، وأسند ظهره إلى القبلة واستقبل القوم فقام الحسن بن علي[3] رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إني لا أستطيع أن أكلمك وبكى. فقال علي رضي الله عنه: لا تبك وتكلم ولا تحن* خنين الجارية. قال: إن الناس حصروا عثمان رضي الله عنه يطلبونه بما يطلبون إما ظالمين وإما مظلومين، فأمرتك أن تعتزل الناس وتلحق بمكة حتى تؤوب إلى العرب غير آذن لكلامها، فأبيت، ثم حصروه فقتلوه، فأمرتك أن تعتزل الناس، فو الله لو كنت في جحر ضب لضربت العرب إليك آباط الابل حتى تستخرج منه، فغلبتني، وأنا آمرك اليوم أن لا تقدم العراق، وأذكرك الله أن تقتل بمضيعة. فقال علي رضي الله عنه: أما قولك تأتي مكة، فو الله ما كنت لاكون الرجل تستحل به مكة، وأما قولك حصر الناس عثمان، فما ذنبي إن كان بين الناس وبين عثمان ما كان. وأما قولك اعتزل العراق، فو الله ما كنت لاكون مثل الضبع تستمع للدم*. وعن مالك بن الحويرث قال: قام علي بن أبي طالب بالربذة فقال: من أحب أن يلحقنا فليلحقنا، ومن أحب أن يرجع فليرجع، مأذون له غير حرج، فقام الحسن بن علي فقال: يا أبه أو يا أمير المؤمنين لو كنت في جحر، وكان للعرب فيك حاجة لاستخرجوك من جحرك، فقال: الحمد لله الذي يبتلي من يشاء بما يشاء، ويعافي من يشاء مما يشاء، أما والله لقد ضربت هذا الأمر ظهرا لبطن أو ذنبا ورأسا، فوالله إن وجدت له إلا القتال، أو الكفر بالله، يحلف بالله عليه، اجلس يا بني ولا تحن خنين الجارية.

وفي رواية عن صفوان بن قبيصة، عن طارق بن شهاب قال: لما قتل عثمان رضي الله عنه قلت: ما ينتهي بالعراق وإنما الجماعة بالمدينة عند المهاجرين والانصار، فخرجت فأخبرت أن الناس قد بايعوا عليا رضي الله عنه، فانتهت إلى الربذة وإذا علي رضي الله عنه يقرأ، فوضع له رحل فقعد عليه فكان كقيام الرحل، فتكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن طلحة[4] والزبير[5] بايعا طائعين غير مكرهين، ثم أرادا أن يفسدا الامر ويشقا عصا المسلمين، وحرض على قتالهم، فقام الحسن بن علي رضي الله عنه فقال: ألم أقل لك إن العرب ستكون لها جولة عند قتل هذا الرجل، فلو أقمت بدارك التي أنت بها –يعني المدينة– فإني أخاف عليك أن تقتل بحال مضيعة لا ناصر لك. فقال علي رضي الله عنه: اجلس فإنما تحن كما تحن الجارية، فو الله لا أجلس في المدينة كالضبع يستمتع اللدم، لقد ضربت هذا الامر ظهره وبطنه ورأسه وعينيه فما وجدت إلا السيف أو الكفر.

حدث زهدم الجرمي قال، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لاحدثنكم حديثا ما هو بسر ولا علانية، أما أنا فلا أسره دونكم وأما أنتم فلا أحب أن تعلنوه، لما قتل عثمان رضي الله عنه قلت لعلي رضي الله عنه: اعتزل هذا الامر، قال: ألاقي استقداما فيه، وأيم الله ليظهرن عليه معاوية[6] تصديق قول الله:﴿مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء] وأيم الله لتحملنكم قريش على فارس والروم، فإن تكونوا قوما تكفرون وإلا هلكوا وتكونوا كقرن من القرون هلك.

عن زهدم قال: قال ابن عباص: لاحدثنكم حديثا ما أدري أحديث سر هو أم حديث علانية، إني قلت لعلي رضي الله عنه لما قتل عثمان رضي الله عنه: اركب رواحلك فالحق بمكة، فإن الناس سيتبعونك ولا يجدون منك بدا. فعصاني، وأيم الله ليظهرن عليه معاوية، لان الله قضى ﴿مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء]، ثم لتملكنكم قريش ولتركبن بكم دبه..فارس والروم، فمن أخذ بها يعرف نجا، ومن ترك – وأنتم تاركون – كان كقرن من القرون هلك.

----

*(اللدم) صوت الحجر أو الشئ يقع على الارض (الربذة) موقع شرق المدينة؛ إحدى محطات القوافل بين الكوفة ومكة. أبو ذر كان أول من سكنه. والربذة من قرى المدينة على ثلاثة أميال وبها قبر أبي ذر أقام بها إلى أن مات سنة 32 هـ وقد تطاول عثمان في البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة: دارا لنائلة ودارا لعائشة وغيرهما من أهله وبناته وبنى مروان القصور بذي خشب فلما شاهد أبو ذر كثرة البنيان لم يطق الإقامة بالمدينة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. (خن) أخرج الصوت من خياشيمه.

■ (3) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (2) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (6) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة.وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (1) طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلمة البجلي الاحمسي، أبو عبد الله: من الغزاة. أدرك النبي وغزا في خلافة أبي بكر وعمر، ثلاثا وثلاثين غزوة. وسكن الكوفة. مات سنة 86 هـ. وقيل: بل توفي سنة 82 هـ. فأما ما رواه أحمد بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين، من أنه مات في سنة ثلاث وعشرين مئة، فخطأ بين، أو سبق قلم.

■ (4) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

■ (5) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي.أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حوراي رسول الله. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر. أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ

☪

عن قتادة: أن ابن عباس رضي الله عنهما خطب بالبصرة فذكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، فعظم أمره وقال: لو أن الناس لم يطلبوا بدمه لامطر الله عليهم حجارة من السماء.

عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبيه عن علي قال: أتاني عبد الله بن سلام[1] –وقد وضعت رجلي في الغرز– فقال لي : لا تقدم العراق فإني أخشى أن يصيبك فيها ذباب السيف*. قال علي: وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الأسود : فما رأيت كاليوم قط محارب يخبر بذا عن نفسه. وعن عبد الله بن سبع قال: خطبنا علي بن أبي طالب فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه – يعني لحيته من دم رأسه – فقال رجل: والله لا يقول ذلك أحد إلا أبرنا عترته ! فقال أذكر الله وأنشد أن يقتل مني إلا قاتلي. وعن صهيب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: لا علم لي يا رسول الله، قال: الذي يضربك على هذه وأشار بيده إلى يافوخه يخضب هذه من هذه يعني: لحيته. فكان علي يقول: ألا يخرج الأشقى الذي يخضب هذه يعني: مفرق رأسه. وعن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري[2] وكان أبو فضالة من أهل بدر قال: خرجت مع أبي عائدا لعلي من مرض أصابه ثقل منه، قال: فقال له أبي: ما يقيمك بمنزلك هذا؟ لو أصابك أجلك لم تك إلا أعراب جهينة تحمل لك المنية، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك، فقال علي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي ألا أموت حتى أؤمر، ثم تخضب هذه يعني: لحيته من هذه يعني: هامته فقتل، وقتل أبو فضالة مع علي يوم صفين.

☪

عن يزيد بن أبي زياد ، عن رجل من قريش قال : ذهبت مع عمي إلى بيت المقدس فمررنا على عبد الله بن عمرو بن العاص، وكان عبد الله أول من نزل الرملة، فقال له: ما رأيت مثل ما صنعت بنفسك، نزلت بهذه الأرض، أفلا كنت قريبا من ابن عمك معاوية؟ قد كان لك مكرما، فإن كرهت ذلك أفلا نزلت مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره؟ فإن كرهت ذلك أفلا كنت مع قومك في حرم الله تعالى؟ فقال: أما ما ذكرت من ابن عمي فهو كما قلت، ولكن أجد في كتاب الله أميرا يلقى الله وليس له عذر ولا لجلسائه، فيدعوه الله تعالى يقول: ألم أكرمك ؟ ألم أسلحك ؟ ألم أعطك نحو هذا ؟ فيؤمر به وبجلسائه إلى النار، فأخاف أن يكون ذلك وأما ما ذكرت من أمر المدينة فإنها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أهل المدينة قد أترفوا، وسيصيبهم وبال ذلك وأما ما ذكرت من أمر مكة فإنها كما قلت، ولكن أجد في كتاب الله تعالى (؟): رجلا يستحلها وتستحل به، عليه نصف عذاب الأمة. قال: فسمعت غير هذا القرشي يقول: اسمه عبد الله.

☪

روى سفينة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تكون ملكا أو ملوكا. وكان آخر ولاية الحسن رضي الله عنه تمام ثلاثين سنة وثلاثة عشر يوما من أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولم يزل الحسن بالمدينة إلى أن مات بها في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وله سبع وأربعون سنة، وقيل مات سنة خمسين، وهو أشبه بالصواب، وصلى عليه سعيد بن العاص ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها. وقال القتبي: يقال ان امرأته جعدة بنت الأشعث سمته ومكث شهرين، وأنه ليرفع من تحته كل يوم كذا وكذا طست من دم. وكان يقول: سقيت السم مرارا ما أصابني ما أصابني في هذه المرة. وخلف عليها رجل من قريش فأولدها غلاما، فكان الصبيان يقولون له: يا ابن مسممة الأزواج.

☪

وقف محمد بن الحنفية رضي الله عنه على قبر أخيه الحسن بن علي رضوان الله عليهما حين دفن، فاغرورقت عيناه، وقال:رحمك الله يا أبا محمد، فلئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك، ولنعم الروح روح تضمنه بدنك، ولنعم البدن بدن تضمنه كفنك، وكيف لا يكون هذا وأنت سليل الهدى، وحليف أهل التقوى، وخامس أصحاب الكساء، غذتك أكف الحق، وربيت في حجر الإسلام، ورضعت ثدي الإيمان،فطبت حيا وميتا، وإن كانت نفسنا غير طيبة بفراقك، ولا شاكة في الخير لك.

----

*(ذباب السيف) حد طرفه الذي شفرتيه

■ (2) أبو فضالة الأنصاري صاحب رسول الله، بدري، شهد صفين مع علي، وقتل بها، روى عنه ابنه فضالة

■ (1) عبد الله بن سلام بن الحارث الاسرائيلي: أبو يوسف: صحابي، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب. أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان اسمه الحصين فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله. وفيه الآية:﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأحقاف] والآية ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد] وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، اتخذ سيفا من خشب، واعتزلها. وأقام بالمدينة إلى أن مات سنة 43 هـ

مراجع: سير أعلام النبلاء/ تاريخ المدينة/ الأعلام للزركلي/ أخبار مكة للفاكهي/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ أسد الغابة/ تاريخ الإسلام للذهبي/ عثمان بن عفان شخصيته وعصره علي الصلابي/ مختصر تاريخ دمشق/ لباب الآداب لأسامة بن منقذ/

نزل بالحسن بن علي[1] ضيف، فاستسلف درهما اشترى له به خبزا، واحتاج إلى الأدام فطلب من قنبر أن يفتح له زقا من زقاق عسل جاءت من اليمن، فاخذ منه رطلا. فلما قعد علي رضي الله عنه ليقسمها قال: يا قنبر قد حدث في هذا الدن الحدث، قال: صدق فوك، وأخبره الخبر، فغضب وقال: علي به: فرفع عليه الدرة، فقال: بحق عمي جعفر، وكان إذا سئل بحق جعفر سكن، وقال: ما حملك على أن أخذت منه قبل القسمة؟ قال: إن لنا فيه حقا، فإذا أعطيناه رددناه، قال: فداك أبوك! وإن كان لك فيه حق فليس لك أن تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم، لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ثنيتك لأوجعتك ضربا. ثم دفع إلى قنبر درهما وقال: اشتر به أجود عسل تقدر عليه. قال الراوي: فكأني أنظر إلى يدي علي على فم الزق، وقنبر يقلب العسل فيه، ثم شده وجعل يبكي ويقول: اللهم، اغفرها للحسن فإنه لا يعلم.

■ (1) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿اللَّهُمَّ، إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا﴾ يعني حسنا وحسينا. وعن زيد بن أرقم، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال لفاطمة وحسن وحسين: ﴿أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ﴾ وعن ابن أبي نعم، قال: كنت جالسا عند ابن عمر فأتاه رجل من أهل العراق (وسأله عن المحرم؟)، فقال ابن عمر: ها انظروا هذا يسألني عن دم البعوض وهم قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿هُمَا رَيْحَانَتِي مِنَ الدُّنْيَا﴾ وعن الحسن، سمع أبا بكرة قال، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، على المنبر والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة، ويقول: ﴿ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وفي حديث عن أبي بكرة قال: ﴿قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ أُمَّتِي، وَقَالَ فِي حَدِيثِ حَمَّادٍ: وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَظِيمَتَيْنِ﴾ وعن أبي سعيد، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ﴾ وعن عاصم، عن زر، قال: كان الحسن والحسين يثبان على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يصلي، فجعل الناس ينحونهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿دَعُوهُمَا بِأَبِي هُمَا وَأُمِّي، مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ هَذَيْنِ﴾ وعن ابن عباس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين[1] يقول: ﴿أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ. وَيَقُولُ: هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ ابْنَيْهِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾.

■ (1) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

مراجع: ربيع الأبرار/ الأعلام للزركلي/

عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبي قال: خرج علي بن أبي طالب[1] رضي الله عنه إلى السوق، فإذا هو بنصراني يبيع درعا فعرف علي الدرع، فقال: هذه درعي، بيني وبينك قاضي المسلمين. وكان قاضي المسلمين شريح[2]،كان علي استقضاه. فلما رأى شريح أمير المؤمنين قام من مجلس القضاء وأجلس عليا في مجلسه وجلس شريح قدامه إلى جنب النصراني، فقال علي: أما يا شريح لو كان خصمي مسلما لقعدت معه مجلس الخصم ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿لَا تُصَافِحُوهُمْ، وَلَا تَبْدَؤُوهُمْ بِالسَّلَامِ، وَلَا تَعُودُوا مَرْضَاهُمْ وَلَا تُصَلُّوا عَلَيْهِمْ، وَأَلْجِئُوهُمْ إِلَى مَضَايِقِ الطُّرُقِ، وَصَغِّرُوهُمْ كَمَا صَغَّرَهُمُ اللهُ﴾ اقض بيني وبينه يا شريح. قال: فقال شريح: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ قال: فقال علي: هذه درعي ذهبت مني منذ زمان. قال: فقال شريح: ما تقول يا نصراني؟ فقال النصراني: ما أكذب أمير المؤمنين، الدرعي هي درعي. قال: فقال شريح: ما أرى أن تخرج من يده فهل من بينة؟ فقال علي: صدق شريح. قال: فقال النصراني: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يجيء إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه، هي والله يا أمير المؤمنين درعك اتبعتك من الجيش وقد زالت عن جملك الأورق* فأخذتها، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. قال: فقال علي رضي الله عنه: أما إذ أسلمت فهي لك وحمله على فرس عتيق. قال الشعبي: لقد رأيته يقاتل المشركين. وفي رواية: وفرض له ألفين وأصيب معه يوم صفين*. (في رواية: وخرج يقاتل مع علي الشُّراة*بـ النهروان فقتل)

أخرج الدارج في جزئه المشهور بسند مجهول عن مسيرة عن شريح القاضي قال: لما توجه علي إلى صفين افتقد درعا له فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة أصاب الدرع في يد يهودي فقال لليهودي: الدرع درعي لم أبع و لم أهب فقال اليهودي: درعي وفي يدي فقال: نصير إلى القاضي فتقدم علي فجلس إلى جنب شريح وقال: لولا أن خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿وَأَصْغِرُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَصْغَرَهُم اللهُ﴾ فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين فقال: نعم هذه الدرع التي في يد هذه اليهودي درعي لم أبع ولم أهب فقال شريح: أيش تقول يا يهودي؟ قال: درعي وفي يدي فقال شريح: ألك بينة يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم: قنبر[3] والحسن يشهدان أن الدرع درعي فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب فقال علي: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ﴾ فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه أشهد أن هذا هو الحق وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن الدرع درعك.

وروي أن يهوديا شكا عليا إلى عمر في خلافته رضي الله عنهما ، فقال عمر لعلي بن أبي طالب: قف بجوار خصمك يا أبا الحسن، فوقف وقد علا وجهه الغضب فبعد أن قضى الخليفة بينهما بالعدل قال: أغضبت يا علي أن قلت لك قف بجوار خصمك ؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، لكن من كونك كنيتني بأبي الحسن فخشيت من تعظيمك إياي أمام اليهودي أن يقول ضاع العدل بين المسلمين.

وفي رواية ابن العديم عن عبد الله بن عباس قال: استعدى رجل على علي بن أبي طالب إلى عمر بن الخطاب، وكان علي جالسا في مجلس عمر ابن الخطاب، فالتفت عمر إلى علي فقال: قم يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك فقام علي فجلس مع خصمه فتناظرا، وانصرف الرجل ورجع علي إلى مجلسه فجلس فيه، فتبين عمر التغير في وجهه فقال له: يا أبا الحسن مالي أراك متغيرا، أكرهت ما كان؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ولم؟ قال: لأنك كنيتني، بحضرة خصمي، فالا قلت لي: قم يا علي فاجلس مع خصمك، فأخذ عمر برأس علي فقبل بين عينيه، ثم قال: بأبي أنتم، بكم هدانا الله، وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور.

عن يحيى بن عقيل الخزاعي عن أبيه عن علي بن أبي طالب: أنه أتاه يهودي فقال: يا أمير المؤمنين متى كان ربنا عزوجل؟ قال: فتمعر* وجه علي فقال: يا يهودي لم يكن فكان؟! هو كان ولا كينونة، كان بلا كيف، .كان ليس قبل ولا غاية، انقطعت الغايات دونه، فهو غاية كل غاية، فأسلم اليهودي، قال: فحسن إسلامه، وحج مرة، وغزا مرة، حتى قتل بأرض الروم في زمن معاوية.

[قالوا: هذه القصة ذكرها الجوزقاني في الأباطيل وهذا حديث باطل تفرد به أبو سمير وهو منكر الحديث.وعمرو بن شمر أحد التلفى.فقد تركه النسائي والدار قطني وغيرهما وقال البخاري منكر الحديث.وأما السند الثاني ففيه سقط أو تصحيف]

----

*(صفين) اسم موضع بين الشام والعراق. كانت به الوقعة المشهورة.(الشُّراة) فرقة من فرق الخوارج (الأورق) الأسمر(تمعر) تغير

■ (1) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (2) شريح القاضي، هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام. أصله من اليمن. ولى قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية، أستعفى زمن الحجاج توفى بالكوفة سنة 78 هـ

■ (3) قنبر مولى علي رضي الله عنه لم يثبت حديثه قاله الأزدي يقال كبر حتى كان لا يدري ما يقوله أو يروي. ويقال إن قنبر قتله الحجاج وقتل ابنه.

قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي. في تحقيق الرواية: هذه القصة قرأتها في سبل السلام للصنعاني عازيا لها إلى الحلية ، وأعجبت بها، وكنت آنذاك لا أميز بين الصحيح والموضوع، وقد ارتسمت في ذهني، لما اشتملت عليه من العدل والإنصاف من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقاضيه شريح بن الحارث الكندي رحمه الله ، وبعد زمن طويل طالعت في كتاب الأباطيل للجوزقاني فإذا هو يذكر القصة في الأباطيل. ولما رأيت الناس معجبين بهذه القصة كما أعجبت بها، فذاك يلقيها في محاضرته، وآخر ينشرها في مجلته، وآخر يذكرها في كتابه، والقصة لا تصح؛ رأيت أن أذكر ما قال أهل العلم في هذه القصة، فالجوزقاني رحمه الله-ذكرها في الأباطيل (197/ 2) وقال (ص 198): هذا حديث باطل تفرد به أبو سمير وهو منكر الحديث. إلى آخر ما ذكره. وذكرها ابن الجوزي في العلل المتناهية (388/ 2) وذكر نحو ما ذكره الجوزقاني. وذكرها الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة أبي سمير حكيم ابن خذام (وقد تصحف في الحلية والأباطيل إلى حزام) وذكر الحافظ الذهبي أن أبا حاتم قال: إنه متروك الحديث. وقال البخاري منكر الحديث، يرى القدر. وقال القواريري: وكان من عباد الله الصالحين. فعلم بهذا أنها ضعيفة جدا من طريق أبي سمير حكيم بن خذام. وأما السند الثاني ففيه سقط أو تصحيف، وهو من طريق علي بن عبد الله بن ميسرة عن شريح ، وعلي بن عبد الله بن معاوية لم يرو عن أبيه عن جده عن شريح كما في الميزان واللسان، فعلم بهذا أن في السند سقطا أو تصحيفا، ثم علي ابن عبد الله ذكر الإمام الذهبي عن أبي حاتم أنه كتب عنه قصة غير هذه أخبره بها. وقال: كتبت هذا لأسمعه من هذا الشيخ، ثم تركته لأنه موضوع. ثم وجدت القصة بالسند الثاني في أخبار القضاة لمحمد بن خلف الملقب بوكيع (2 / 194) فقال: حدثني علي بن عبد الله بن ميسرة بن شريح القاضي قال: حدثني أبي عن أبيه معاوية بن ميسرة عن شريح قال: لما رجع علي من قتال معاوية وجد درعا له افتقده بيد يهودي يبيعها فقال علي: درعي، لم أبع ولم أهب. فقال اليهودي: درعي وفي يدي، فاختصما إلى شريح فقال له شريح: هل لك بينة؟ قال: نعم قنبر والحسن أبني. فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب. قال: سبحان الله رجل من أهل الجنة. فعلم بهذا أن في نعيم سقطا أو تصحيفا. وسندها مظلم لم أجد في كتب الجرح والتعديل إلا ترجمة علي بن عبد معاوية بن ميسرة في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم قال أبو حاتم: شيخ. فعلم أن هذه القصة لا تثبت وعدالة الإسلام معلومة من غير هذه القصة الباطلة والحمد لله.

قال علي بن ربيعة: جاء جعدة بن هبيرة إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من نفسه، أو قال: من أهله وماله، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك، فتقضي لهذا على هذا قال: فلهزه* علي رضي الله عنه وقال: إن هذا شيء لو كان لي فعلت، ولكن إنما ذا شيء لله. أيها الإخوة المؤمنون، العدل هو هدف وغاية الحكم الإسلامي، قال الله تعالى:﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء] وقال الله تعالى:﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة] وأمثلة تطبيق العدل في الإسلام كثيرة لا حصر لها منها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر يمشي بين الصفوف لتعديلها، وفي يده قدح، فمرّ برجل خارج عن الصف فطعنه بالقدح في بطنه ليعتدل فقال الرجل، وهو سواد بن زمعة، لقد أوجعتني يا رسول الله وقد بعثك الله بالحق والعدل فاستخلص لي حقي منك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: هذا بطني فاقتص منه:فاعتنقه الرجل، وقبّل بطنه، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ما الذي دفعك إلى هذا يا سواد ؟ فقال: أحببت أن يكون آخر عهدي بالدنيا هو ملامسة جلدي لجلدك، فدعا له رسول الله. ومن أعظم فضائل الإسلام أنّه أوجب العدل مع الأعداء، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة] عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب اختصم إليه مسلم ويهودي فرأى عمر أن الحق لليهودي فقضى له فقال له اليهودي والله لقد قضيت بالحق فضربه عمر بالدرة ثم قال وما يدريك فقال له اليهودي إنا نجد أنه ليس قاض يقضي بالحق إلا كان عن يمينه ملك وعن شماله ملك يسددانه ويوفقانه للحق ما دام مع الحق فإذا ترك الحق عرجا وتركاه.

حدث شريح أن عمر بن الخطاب كتب إليه: إن جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلفتنك عنه الرجال، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن به سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر ما أجمع عليه الناس فخذ به، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله، ولم يكن به سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي الأمرين شئت: إن شئت أن تجتهد رأيك ثم تقدم فتقدم، وإن شئت أن أتأخر فتأخر. ولا أرى التأخير إلا خيرا لك. وعن هبيرة بن يريم أن عليا جمع الناس في الرحبة* وقال: إني مفارقكم فاجتمعوا في الرحبة، رجال أيما رجال، فجعلوا يسألونه حتى نفد ما عندهم ولم يبق إلا شريح فجثا على ركبتيه وجعل يسأله، فقال له علي: اذهب فأنت أقضى العرب.وقال لشريح: لسانك عبدك ما لم تتكلم، فإذا تكلمت فأنت عبده فانظر ما تقضي، وفيم تقضي، وكيف تقضي، وفيم تمضي، وإليه تفضي.

----

*(اللهز) الضرب بجمع اليد في الصدر (الرحبة) رحبة مسجد الكوفة وهو المكان الواسع أمام بابه

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ موسوعة الأعلام/ تاريخ الخلفاء/ الأعلام للزركي/ سير أعلام النبلاء/ موطأ مالك/ السنن الكبرى للبيهقي/ مجلة البيان/ أرشيف ملتقى أهل الحديث/ الاغتباط بمن رمي بالاختلاط/ موارد الظمآن لدروس الزمان/ مقاييس اللغة/ الصحاح في اللغة/ بغية الطلب في تاريخ حلب/

◆ علي بن أبي طالب (الإمام، أسد الله، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين) ونفر من اليهود 0170

عن محمد بن اسحاق عن النعمان بن سعد قال: كنت بالكوفة، في دار الإمارة، دار علي بن أبي طالب[1]؛ إذ دخل علينا نوف بن عبد الله[2] فقال: يا أمير المؤمنين بالباب أربعون رجلا من اليهود. فقال علي: علي بهم؛ فلما وقفوا بين يديه قالوا له: يا علي! صف لنا ربك هذا الذي في السماء؛ كيف هو؟ وكيف كان؟ ومتى كان؟ وعلى أي شيء هو؟ فاستوى علي جالسا، وقال: معشر اليهود اسمعوا مني، ولا تبالوا أن لا تسألوا أحدا غيري، إن ربي عز وجل هو الأول لم يبد مما، ولا ممازج معما، ولا حال وهما، ولا شبح يتقصى، ولا محجوب فيحوى، ولا كان بعد أن لم يكن؛ فيقال: حادث بل جل أن يكيف المكيف للأشياء كيف كان بل لم يزل ولا يزول؛ لاختلاف الأزمان، ولا لتقلب شأن بعد شأن. وكيف يوصف بالأشباح؟ وكيف ينعت بالألسن الفصاح؟ من لم يكن في الأشياء فيقال بائن، ولم يبن عنها فيقال: كائن؛ بل هو بلا كيفية، وهو أقرب من حبل الوريد، وأبعد في الشبه من كل بعيد، لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة، ولا كرور لفظة، ولا ازدلاف رقوة، ولا انبساط خطوة، في غسق ليل داج ولا ادلاج، لا يتغشى عليه القمر المنير، ولا انبساط الشمس ذات النور بضوئهما في الكرور، ولا إقبال ليل مقبل، ولا إدبار نهار مدبر إلا وهو محيط بما يريد من تكوينه؛ فهو العالم بكل مكان، وكل حين وأوان، وكل نهاية ومدة والأمد إلى الخلق مضروب، والحد إلى غيره منسوب لم يخلق الأشياء من أصول أولية، ولا بأوائل كانت قبله بدية؛ بل خلق ما خلق فأقام خلقه، وصور ما صور فأحسن صورته، توحد في علوه؛ فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة شيء من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة في السموات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البائدين كعلمه بالأحياء المتقلبين، وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الأرض السفلى، وعلمه بكل شيء. لا تحيره الأصوات، ولا تشغله اللغات، سميع للأصوات المختلفة؛ بلا جوارح له مؤتلفة، مدبر بصير، عالم بالأمور، حي قيوم سبحانه، كلم موسى تكليما، بلا جوارح، ولا أدوات، ولا شفة، ولا لهوات، سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات. من زعم أن إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود، ومن ذكر أن الأماكن به تحيط لزمته الحيرة والتخليط، بل هو المحيط بكل مكان. فإن كنت صادقا أيها المتكلف لوصف الرحمن بخلاف التنزيل والبرهان فصف لي جبريل وميكائيل واسرافيل، هيهات.. أتعجز عن صفة مخلوق مثلك، وتصف الخالق المعبود ؟! وأنت تدرك صفة رب الهيئة والأدوات؛ فكيف من لم تأخذه سنة ولا نوم، له ما في الأرضين والسموات، وما بينهما، وهو رب العرش العظيم ؟!.

■ (1) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (2) نوف بن عبد الله يروى عن علی بن أبی طالب القصة الطويلة رواها عنه فرقد السبخي روى عنه سالم بن ابی حفصة سمعت ابی يقول ذلك. قال أبو محمد كان البخاري جعل نوف بن عبد الله اسمين.

☪

قال أبو نعيم عقبه: هذا حديث غريب من حديث النعمان كذا رواه ابن اسحاق عنه مرسلا. قال الشيخ أبو عمر السمرقندي –في رشيف ملتقى أهل الحديث-: قال أبو نعيم عقبه: هذا حديث غريب من حديث النعمان ؛ كذا رواه ابن اسحاق عنه مرسلا. قال أبو عمر السمرقندي: هذا أثر غريب ضعيف، وفي إسناد المطبوع من الحلية تصحيف؛ من عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبة الكوفي، إلى محمد بن إسحاق. وعبد الرحمن هو الراوي عن النعمان بن سعد: ضعفوه، بل اتهم. قال ابن معين / رواية الدوري: عبد الرحمن بن إسحاق صاحب النعمان بن سعد: ضعيف. وفي سؤالات أبي داود لأحمد: سمعت أحمد قال: النعمان بن سعد الذي يحدث عن علي: مقارب الحديث لا بأس به، ولكن الشأن في عبد الرحمن بن إسحاق له أحاديث مناكير. ويضاف إلى غرابة سنده غرابة ألفاظه؛ ففي ذا الأثر الغريب ألفاظ غريبة حادثة؛ لم تكن في زمن الصحابة ولا في زمن أتباعهم؛ بل نشأت لدن المناطقة ومن ناظرهم من الكلاميين؟!

☪

عن أبي علي الصيقل عن عبد الأعلى عن نوف البكالي[1] قال: رأيت علي بن أبي طالب خرج فنظر إلى النجوم، فقال: يا نوف، أراقد أنت أم رامق؟ قلت: بل رامق، يا أمير المؤمنين، فقال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا، وترابها فراشا، وماءها طيبا، والقرآن والدعاء دثارا وشعارا، قرضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام، يا نوف، إن الله تعالى أوحى إلى عيسى أن مر بني اسرائيل أن لا يدخلوا بيتا من بيوتي إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيد نقية، فإني لا أستجيب لأحد منهم، ولأحد من خلقي عنده مظلمة، يا نوف لا تكن شاعرا، ولا عريفا، ولا شرطيا، ولا جابيا، ولا عشارا، فإن داود عليه السلام قام في ساعة من الليل، فقال: إنها ساعة لا يدعو عبد إلا أستجيب له فيها إلا أن يكون عريفا، أو شرطيا، أو جابيا، أو عشارا، أو صاحب عرطبة، وهو الطنبور، أو صاحب كوبة، وهو الطبل.

عن كميل بن زياد[2] قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصحرنا جلس، ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد، القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك. الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع اتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق. العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه بالنفقة، العلم حاكم والمال محكوم عليه وصنيعة المال تزول بزواله. ومحبة العالم دين يدان بها العلم يكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد مماته، مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة. إن ها هنا وأومأ بيده إلى صدره علما لو أصبت له حملة بلى أصبته لقنا غير مأمون عليه، يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بنعم الله على عباده، وبحججه على كتابه. أو معاندا لأهل الحق لا بصيرة له في إحيائه، ينقدح الشك في قلبه، عارض من شبهة. لا ذا ولا ذاك. أو منهوما باللذات سلس القياد للشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والادخار، ليسا من دعاة الدين في شيء، أقرب شبها بهم الأنعام السائمة. كذلك يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلى، لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة لكي لا تبطل حجج الله وبيناته أولئك هم الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدرا. بهم يحفظ الله حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعونها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاستلانوا ما استوعر المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون. صحبوا الدنيا بأبدان أروحها معلقة في المحل الأعلى آه آه شوقا إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك إذا شئت فقم.

☪

أتى برجل إلى أمير المؤمنين على من خربة بيده سكين ملطخة بدم، وبين يديه قتيل يتشحط في دمه، فسأله، فقال: أنا قتلته، قال: اذهبوا به فاقتلوه، فلما ذهب به أقبل رجل مسرعا فقال: يا قوم لا تعجلوا ردوه إلى علي، فردوه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه، أنا قتلته، فقال علي للأول: ما حملك على أن قلت أنا قاتله، ولم تقتله؟ قال: يا أمير المؤمنين، وما أستطيع أن أصنع، وقد وقف العسس على الرجل يتشحط في دمه، وأنا واقف بين يدي سكين، وفيها أثر الدم، وقد أخذت في الخربة، فخفت ألا يقبل منى، وأن يكون قسامة، فاعترفت بما لم أصنع، واحتسبت نفسي عند الله، فقال علي: بئس ما صنعت، فكيف كان حديثك؟ قال: إني رجل قصاب، خرجت إلى حانوتي في الغلس، فذبحت البقرة وسلختها، فبينما أنا أسلخها، والسكين في يدي أخذني البول، فأتيت خربة كانت بقربي، فدخلتها لقضاء حاجتي، وعدت أريد حانوتي، فإذا أنا بهذا المقتول يتشحط في دمه، فراعني أمره، ووقفت أنظر إليه، والسكين في يدي، فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا علي، فأخذوني، فقال الناس: هذا قتل هذا، ما له من قاتل سواه، فأيقنت أنك لا تترك قولهم بقولي، فاعترفت بما لم أجنه، فقال علي للمقر للثاني: فأنت كيف كانت قصتك؟ فقال: أغواني إبليس فقتلت الرجل طمعا في ماله، ثم سمعت حس العسس فخرجت من الخربة، واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصفها، فاستترت منه ببعض الخربة، حتى أتى العسس فأخذوه وأتوك به، فلما أمرت بقتله علمت أني سأبوء بدمه أيضا، فاعترفت بالحق، فقال علي للحسن: ما الحكم في هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن كان قد قتل نفسا فقد أحيا نفسا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعً﴾ [المائدة] فخلى علي عنهما، وأخرج دية القتيل من بيت المال،ولعله فعل ذلك بعد أن أسقط أولياء القتيل حقهم بالقصاص.

وعن علقمة بن وائل عن أبيه أن امرأة وقع عليها رجل في سواد الصبح وهي تعمد إلى المسجد بمكروه على نفسها، فاستغاثت برجل مر عليها وفر صاحبه –الفاعل فر وهذا المستغاث به صار هو في المشهد- فمر أناس فاستغاثت بهم، فأدركوا الرجل الذي استغاثت به فأخذوه وسبقهم الآخر وهرب، فجاءوا بهذا المستغاث به يقودونه فقال: أنا الذي أغثتك وقد ذهب الآخر، فقالت: كذب هو الذي وقع علي، فقالوا: انطلقوا به فارجموه، فقال رجل: لا ترجموه وارجموني؛ جاء الفاعل واعترف فأنا الذي فعلت هذا الفعل. قال محمد صالح المنجد: ولذلك فإن القاضي عليه ألا يستعجل فإنه ربما ظهر الحق بعد مدة وأن يتأمل في الموضوع، فإنه ربما يظهر بالتأمل حال جديدة، أو يظهر فيها حق ولو استعجل لأزهقت روح بريئة.

☪

عن محمد بن زياد قال: كان عمر حاجا فجاءه رجل قد لطمت عينه فقال: من لطم عينك؟ قال: علي بن أبي طالب. فقال: لقد وقعت عليك عين الله، ولم يسأل ما جرى منه ولم لطمه؟، فجاء علي والرجل عند عمر، فقال علي: هذا الرجل يطوف وهو ينظر إلى الحرم في الطواف، فقال عمر: أحسنت يا أبا الحسن. ثم أقبل على الرجل فقال: وقعت عليك عين من عيون الله عز وجل؛ فلا حق لك.

عن أبي سعيد الخدري، سمع عمر يقول لعلي – وقد سأله عن شيء فأجابه: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن. وعن يحيى بن عقيل قال: كان عمر يقول لعلي إذا سأله ففرج عنه: لا أبقاني الله بعدك يا علي. وعن محمد بن يحيى بن حبان بن منقذ، كان تحته امرأتان هاشمية وأنصارية، فطلق الأنصارية، ثم مات على رأس الحول، فقالت: لم تنقض عدتي، فارتفعوا إلى عثمان، فقال: هذا ليس لي به علم، فارتفعوا إلى علي بن أبي طالب فقال: تحلفين عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لم تحيضي ثلاث حيضات ولك الميراث، فحلفت فاشتركت في الميراث. أخرجه ابن حرب الطائي.

■ (1) نوف بن فضالة الحميري البكالي أبو يزيد ويقال أبو الرشيد ويقال أبو رشدين ويقال أبو عمرو الشامي من أهل دمشق ويقال من أهل فلسطين وهو بن امرأة كعب الأحبار روى عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم وعبد الله بن عمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب وكعب الأحبار وأبي أيوب الأنصاري. رأى نوف البكالي صاحب علي رضي الله عنه كأنه يسوق جيشا، ومعه رمح طويل في رأسه شمعة تضيء للناس. فتأولها بالشهادة، فخرج إلى الغزو، فلما وضع رجله في الركاب قال: اللهم أرمل المرأة رأيتم الولد وأكرم نوفا بالشهادة. فوجدوه وفرسه مقتولين مختلطا دمه بدم فرسه بقباقب وقد قتل رجلين. وقباقب ماء لبني تغلب من الجزيرة وقباقب: نهر بالثغر قرب ملطية يدفع في الفرات.

■ (2) كميل بن زياد النخعي الصهباني الكوفي. حدث عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة. وكان شريفا مطاعا ثقة عابدا على تشيعه قليل الحديث.قتله الحجاج في حدود 90 هـ.

مراجع: حلية الأولياء/ رشيف ملتقى أهل الحديث/ الأعلام للزركي/ الجرح والتعديل/ الثقات لابن حبان/ موارد الظمآن لدروس الزمان/ تاريخ مدينة دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ دروس للشيخ محمد المنجد/

عن سويد بن غفلة [1] قال: مررت بنفر من الشيعة[2] وهم يتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وينتقصونهما، قال: فدخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت له: يا أمير المؤمنين إني مررت آنفا بنفر من أصحابك وهم يذكرون أبا بكر وعمر بغير الذي هما له من الأمر أهل، ولولا أنهم يرون أنك تضمر لهما بمثل ما أعلنوا ما اجترؤوا على ذلك، فقال علي: أعوذ بالله أن أضمر لهما، إلا الحسن الجميل، لعن الله من أضمر لهما، إلا الحسن الجميل، أخوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما ثم نهض دامعا عيناه يبكي قابضا على يدي حتى دخل المسجد، وصعد المنبر فجلس عليه متمكنا قابضا على لحيته ينظر فيها - وهي بيضاء - حتى اجتمع له الناس، ثم قام فتشهد بخطبة بليغة موجزة، ثم قال: ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش، وأبوي المسلمين بما أنا عنه متنزه وعما يقولون بريء وعلى ما يقولون معاقب، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر رديء؛ صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوفاء والصدق، يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان، ولا يجاوزان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى مثل رأيهما رأيا، ولا يحب كحبهما أحدا، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهما راض، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على صلاة المؤمنين فصلى بهم تسعة أيام في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم واختار له ما عنده، ولاه المؤمنون ذلك، ثم أعطوه البيعة طائعين غير كارهين، أنا أول من سن ذلك من بني عبد المطلب، وهو لذلك كاره، يود لو أن أحدنا كفاه ذلك، كان والله خير من بقي وأرحمه رحمة وأرأفه رأفة وأبينه ورعا وأقدمه سنا وإسلاما، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بميكائل رحمة، وبإبراهيم عفوا ووقار، فسار بنا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه، ثم ولي الأمر بعده عمر بن الخطاب واستأمر المسلمين في ذلك، فمنهم من رضي ومنهم من كره فكنت فيمن رضي، فلم يفارق الدنيا حتى رضي من كان كرهه وأقام الأمر على منهاج النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه، يتبع آثارهما كاتباع الفصيل أثر أمه، كان والله رفيقا رحيما بالضعفاء والمؤمنين، عونا وناصرا للمظلومين على الظالمين، لا تأخذه في الله لومة لائم، ثم ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه حتى إن كنا لنظن أن ملكا ينطق على لسانه، أعز الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قواما*، ألقى الله له في قلوب المنافقين الرهبة، وفي قلوب المؤمنين المحبة، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل: فظا غليظا على الأعداء، وبنوح حنقا مغتاظا على الكفار، الضراء في طاعة الله آثر عنده من السراء في معصية الله. من لكم بمثلهما رحمة الله عليهما ورزقنا المضي على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما، والحب لهما، فمن أحبني فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه بريء، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة، إنه لا ينبغي أن أعاقب قبل التقدم، ألا فمن أتيت به يقول هذا بعد اليوم فإن عليه ما على المفتري، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق وعمر الفاروق، ثم الله أعلم بالخير أين هو، أقول قولي هذا ويغفر الله لي ولكم. وعن علقمة بن قيس، قال: سمعت عليا على المنبر، فضرب بيده على منبر الكوفة، يقول: بلغني أن قوما يفضلوني على أبي بكر وعمر، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه، ولكني أكره العقوبة قبل التقدمة، من قال شيئا من هذا فهو مفتر، عليه ما على المفتري، أن خيرة الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر، وقد أحدثنا أحداثا يقضي الله فيها ما أحب. وعن أبي سعيد الخدري: نظرت إلى غلام أيفع* له ذؤابة* وجمة* والله يعلم أني منه حينئذ لفي شك، ما أدري غلام هو أم جارية، فمررنا بأحسن منه وهو جالس إلى جنب علي فقلت: عافاك الله، من هذا الفتى إلى جانبك؟ قال: هذا عثمان بن علي سميته بعثمان بن عفان، وقد سميت بعمر بن الخطاب، وسميت بعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سميت بخير البرية محمد، فأما حسن وحسين ومحسن فإنما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعق عنهم وحلق رءوسهم وتصدق وزنها وأمر بهم فسموا وختنوا فقد ولدوا في عهده عليه الصلاة والسلام ورسول الله هو الذي سماهم وعق عنهم.

*(قواما): قوام الشيء: عماده الذي يقوم به. يقال: فلان قوام أهل بيته (أيفع) شارف الاحتلام. (الذؤابة) هي الشعر المضفور من شعر الرأس (الجمة) الجمة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين

■ (2) الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على وجه الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن ولده وهم فرق شتى. ورغم إمانهم بالله تعالى لهم تصرفات شركية مخرجة عن الملة أحياناً. أنظر: الشَّهْرَسْتانيّ : الملل والنحل.

■ (1) سويد بن غفلة الجعفي كوفي تابعي ثقة وكان جاهليا يكنى أبا أمية سمع من عبد الله. ولد عام الفيل أو بعده بسنتين. كان يذكر أن مصدق النبي أتاهم وليست له صحبة. مات سنة80 هـ أو 81 هـ أو 82 هـ وهو بن 127 سنة.

■ (3) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمداني تابعي كان فقيه العراق ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وشهد صفين وغزا خراسان وسكن الكوفة وتوفى بها سنة 62 هـ

☪

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لِي وَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ: جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَوَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ﴾ قال حذيفة بن اليمان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَبْعَثَ رِجَالًا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّنَنَ وَالْفَرَائِضَ كَمَا بَعَثَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ الْحَوَارِيِّينَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقِيلَ لَهُ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمر؟ قَالَ: لَا غِنَى لِي عَنْهُمَا -أو بِي عَنْهُمَا- فَإِنَّهُمَا مِنَ الدِّينِ كَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ﴾ وعن سهيل عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ نِعْمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَنِعْمَ الرَّجُلُ عَمرو بْنِ الْجَمُوحِ وَنِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ﴾ وعن بسطام بن مسلم قال:﴿بَعَثَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عَلَى سَرِيَّةٍ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَلَمَّا قَدِمُوا اشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَمْرًا فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ يَتَأَمَّرُ عَلَيْكُمَا أَحَدٌ بَعْدِي﴾ وعن علي قال:﴿بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ: يَا عَلِي هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلاَّ مَا كَانَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَلاَ تُخْبِرْهُمَا﴾ وعن حذيفة قال: ﴿كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَدْرِي مَا قَدْرُ بَقَائِي فِيكُمْ اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ﴾وعن ابن الحنفية قال: قلت لأبي:﴿مَنْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ قَالَ ثُمَّ عُمَرُ قَالَ: قُلْتُ: فَأَنْتَ قَالَ: أَبُوك رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾وعن أبي جحيفة قال: قال علي:﴿خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ عُمَرُ وَلَوْ شِئْتَ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ بِالثَّالِثِ فَعَلْتَ﴾وعن ابن عمر قال: ﴿كنا نَقُولُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ النَّاسِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ﴾ وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَوْنَ مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الطَّالِعَ فِي الأُفُقِ مِنْ آفَاقِ السَّمَاءِ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا﴾ وعن الربيع قال:﴿مَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ الأَوَّلِ: مَثَلُ أَبِي بَكْرٍ مَثَلُ الْقَطْرِ حَيْثُمَا وَقَعَ نَفَعَ﴾ وعن جابر قال: ﴿قَالَ عُمَرُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يَعْنِي بِلالاً﴾وعن ابن عباس قال: قال عمر: ﴿لأَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَقَدَّمَ قَوْمًا فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ﴾ وعن عامر أن عمر قال: ﴿لاَ أَسْمَعُ بِأَحَدٍ فَضَّلَنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ إِلاَّ جَلَدْته أَرْبَعِينَ﴾ وعن الحسن قال: ﴿قَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ: يَا خَيْرَ النَّاسِ فَقَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِخَيْرِ النَّاسِ فَقَالَ: وَاللهَّ مَا رَأَيْت قَطُّ رَجُلاً خَيْرًا مِنْك قَالَ: مَا رَأَيْتَ أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: لَوْ قُلْتَ: نَعَمْ لَعَاقَبْتُكَ قَالَ وَقَالَ عُمَرُ: [يلهم] بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ يَوْمٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ﴾ وعن عمرو بن ميمون عن أبيه قال:﴿قَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَك قَالَ: رَأَيْتَ أَبَا بَكْرٍ ؟ قَالَ: لاَ قَالَ: لَوْ قُلْتَ نَعَمْ إِنِّي رَأَيْته لأَوْجَعْتُكَ﴾ وعن جبير بن نفير: أن نفرا قالوا لعمر: ما رأينا رجلا أقضى بالقسط، ولا أقول للحق ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين، فأنت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عوف بن مالك: كذبتم والله لقد رأينا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: من هو؟ فقال: أبو بكر. فقال عمر: صدق عوف، وكذبتم، والله لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك، وأنا أضل من بعير أهلي، يعني قبل أن يسلم، لأن أبا بكر أسلم قبله بست سنين.وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لِكُلِّ أَهْلِ عَمَلٍ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُدْعَوْنَ مِنْهُ بِذَاكَ الْعَمَلِ فَلأَهْلِ الصِّيَامِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ الله فَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: نَعَمْ وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ﴾ وعن سالم قال:﴿قلت لابْنِ الْحَنَفِيَّةِ: أَبُو بَكْرٍ كَانَ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلاَمًا ؟ قَالَ: لاَ، قُلْتُ مِمَّ عَلاَ أَبُو بَكْرٍ وَبَسَقَ حَتَّى لاَ يُذْكَرَ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ؟ فَقَالَ: كَانَ أَفْضَلَهُمْ إِسْلاَمًا حِينَ أَسْلَمَ حَتَّى لَحِقَ بِالله﴾ وعن أنس أن أبا بكر حدثه قال:﴿قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَنْظُرُ إِلَى قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّك بِاثْنَيْنِ اللهُّ ثَالِثُهُمَا﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَا نَفَعَنِي مَالٌ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلاَّ لَكَ يَا رَسُولَ الله﴾ وعن أبي سعيد الخدري قال:﴿خَطَبَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ فَقَالَ: إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلاً لاَتَّخَذْت أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ لاَ يَبْقَى فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ إِلاَّ بَابَ أَبِي بَكْرٍ﴾ وعن أبي الهذيل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا مِنْ أَحَدٍ أَمَنُّ عَلَيْنَا فِي ذَاتِ يَدِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي وَعَلَى دِينِي وَصَاحِبُكُمْ قَدِ اتَّخَذَ خَلِيلاً يَعْنِي نَفْسَهُ﴾ وعن أبي سلمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِيمَنْ مَضَى رِجَالٌ مُحَدَّثون فِي غَيْرِ نُبُوَّةٍ فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ مِنْهُمْ فَعُمَرُ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَّ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ﴾ وعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنِّي لأَحْسَبُ الشَّيْطَانَ يَفْرَقُ مِنْك يَا عُمَرُ!﴾ وعن محمد بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا سَلَكْتَ فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ الشَّيْطَانُ فَجًّا سِوَاهُ يَقُولُهُ لِعُمَرَ﴾ وعن الشعبي قال: قال علي: ﴿مَا كُنَّا نُبْعِدُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ بِلِسَانِ عُمَرَ﴾ وعن مجاهد قال: ﴿كَانَ عُمَرُ إِذَا رَأَى الرَّأْيَ نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ﴾ وعن المسيب بن رافع قال: قال عبد الله:﴿مَا كُنَّا نَتَعَاجَمُ* أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَلَكًا يَنْطِقُ بِلِسَانِ عُمَرَ﴾ وعن عبد الله قال: ﴿إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّ هَلاً بِعُمَرَ إِنَّ إِسْلاَمَهُ كَانَ نَصْرًا وَإِنَّ إِمَارَتَهُ كَانَتْ فَتْحًا وَايْمُ الله مَا أَعْلَمُ عَلَى الأَرْضِ شَيْئًا إِلاَّ وَقَدْ وَجَدَ فَقْدَ عُمَرَ حَتَّى الْعِضَاهُ، وَايْمُ الله إِنِّي لأَحْسَبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ وَيُرْشِدُهُ، وَايْمُ الله إِنِّي لأَحْسَبُ الشَّيْطَانَ يَفْرَقُ أَنْ يُحْدِثَ فِي الإِسْلاَمِ فَيَرُدَّ عَلَيْهِ عُمَرُ، وَايْمُ الله لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ كَلْبًا يُحِبُّ عُمَرَ لأَحْبَبْته﴾ وعن قيس قال:﴿قَالَ عَبْدُ الله: مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ﴾ وعن أنس قال: ﴿قَالَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَ مَاتَ عُمَرُ: مَا أَهْلُ بَيْتٍ حَاضِرٍ وَلا بَادٍ إِلاَّ وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ نَقْصٌ﴾ وعن أبي السفر قال: ﴿رُؤِيَ عَلَى عَلِيٍّ بُرْدٌ كَانَ يُكْثِرُ لُبْسَهُ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إِنَّك لَتُكْثِرُ لُبْسَ هَذَا الْبُرْدِ* فَقَالَ: إِنَّهُ كَسَانِيهِ خَلِيلِي وَصَفِيِّي وَصَدِيقِي وَخَاصَّتِي عُمَرُ إِنَّ عُمَرَ نَاصَحَ اللهَّ فَنَصَحَهُ اللهُّ ثُمَّ بَكَى﴾وعن سالم قال: ﴿جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابُك بِيَدِكَ وَشَفَاعَتُك بِلِسَانِكَ أَخْرَجَنَا عُمَرُ مِنْ أَرْضِنَا فَارْدُدْنَا إِلَيْهَا، فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ: وَيْحَكُمْ إِنَّ عُمَرَ كَانَ رَشِيدَ الأَمْرِ وَلا أُغَيِّرُ شَيْئًا صَنَعَهُ عُمَرُ، قَالَ الأَعْمَشُ: فَكَانُوا يَقُولُونَ: لَوْ كَانَ فِي نَفْسِهِ عَلَى عُمَرَ شَيْءٌ لاغْتَنَمَ هَذَا عَلِيٌّ﴾ وعن علي، قال:﴿لاَ أَجِدُ رَجُلاً يُفَضلُنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلاَّ جَلَدْتُهُ حَدِّ الْمُفْتَرِي﴾ وعن الشعبي قال: ﴿قَالَ عَلِيٌّ حِينَ قَدِمَ الْكُوفَةَ: مَا قَدِمْت لأَحُلَّ عُقْدَةً شَدَّهَا عُمَرُ﴾ وعن يونس قال: ﴿كَانَ الْحَسَنُ رُبَّمَا ذُكِرَ عُمَرَ فَقَالَ: وَالله مَا كَانَ بِأَوَّلِهِمْ إِسْلاَمًا وَلاَ أَفْضَلِهِمْ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ الله وَلَكِنَّهُ غَلَبَ النَّاسَ بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالصَّرَامَةِ فِي أَمْرِ الله وَلاَ يَخَافُ فِي الله لَوْمَةَ لاَئِمٍ﴾ وعن زبيد قال:﴿لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا بَكْرٍ الْوَفَاةُ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ لِيَسْتَخْلِفَهُ قَالَ فَقَالَ النَّاسُ: اسْتَخْلَفْت عَلَيْنَا فَظًّا غَلِيظًا فَلَوْ مَلَكَنَا كَانَ أَفَظَّ وَأَغْلَظَ مَاذَا تَقُولُ لِرَبِّكَ إِذَا أَتَيْته وَقَدِ اسْتَخْلَفْت عَلَيْنَا قَالَ: أَتُخَوِّفُونِي بِرَبِّي أَقُولُ: اللَّهُمَّ، أَمَّرْت عَلَيْهِمْ خَيْرَ أَهْلِك﴾.

*(نتعاجم) أي ما كنا نتكنى ونورى. وكل من لم يفصح بشيء فقد أعجمه.(البرد) والبردة: الشملة المخططة، وقيل كساء أسود مربع فيه صور

مراجع: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ـمجلة جامعة أم القرى/ تاريخ دمشق/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ مفهوم العدالة الاجتماعية/ طبقات خليفة/ طبقات الحفاظ/ مصنف بن أبي شيبة/ لسان العرب/ موسوعة الأعلام/ أرشيف ملتقى أهل الحديث/ علي بن أبي طالب/

قال ابن سعد: بويع علي بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة فبايعه جميع من كان بها من الصحابة رضي الله عنهم وقال: إن طلحة والزبير بايعا كارهين غير طائعين، ثم خرجا إلى مكة وأم المؤمنين عائشة بها، فأخذاها وخرجا بها إلى البصرة يطلبون بدم عثمان، وبلغ ذلك عليا فخرج إلى العراق، فلقي بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم، وهي وقعة الجمل، وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقتل بها طلحة والزبير وغيرهما وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا، وأقام علي بالبصرة خمس عشرة ليلة، ثم انصرف إلى الكوفة، ثم خرج عليه معاوية بن أبي سفيان ومن معه بالشام، فبلغ عليا فسار إليه، فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين، ودام القتال بها أياما، فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها، مكيدة من عمرو بن العاص[1]،فكره الناس الحرب، وتداعوا إلى الصلح، وحكموا الحكمين*، فحكم علي أبا موسى الأشعري[2]،وحكم معاوية عمرو بن العاص، وكتبوا بينهم كتابا على أن يوافوا رأس الحول بـ أذرح*، فينظروا في أمر الأمة فافترق الناس، ورجع معاوية إلى الشام، وعلي إلى الكوفة، فخرجت عليه الخوارج* من أصحابه ومن كان معه وقالوا: لا حكم إلا لله، وعسكروا بـ حروراء[3]، فبعث إليهم ابن عباس، فخاصمهم وحجهم، فرجع منهم قوم كثير، وثبت قوم، وساروا إلى النهروان*، فعرضوا للسبيل، فسار إليهم علي فقتلهم بـ النهروان، وقتل منهم ذا الثدية[4]،ذلك سنة ثمان وثلاثين، اجتمع الناس بـ أذرح في شعبان من هذه السنة، وحضرها سعد بن أبي وقاص (وأنكر حضوره آخرون) وابن عمر وغيرهما من الصحابة فقدم عمرو أبا موسى الأشعري مكيدة منه، فتكلم فخلع عليا، وتكلم عمرو فأقر معاوية، وبايع له، فتفرق الناس على هذا، وصار علي في خلاف مع أصحابه حتى صار يعض على أصبعه ويقول: أعصى ويطاع معاوية؟.

وانتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادي[5]،والبرك بن عبد الله التميمي[6]،وعمرو بن بكير التميمي[7]،فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة: علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ويريحوا العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلي، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، وتعاهدوا على أن ذلك يكون في ليلة واحدة ليلة حادي عشر أو ليلة سابع عشر رمضان، ثم توجه كل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه، فقدم ابن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريدون إلى ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين، فاستيقظ علي سحرا، فقال لابنه الحسن، رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد؟ فقال لي: ادع الله عليهم، فقلت: اللهم، أبدلني بهم خيرا لي منهم، وأبدلهم بي شرا لهم مني، ودخل ابن النباح[8]المؤذن على علي، فقال: الصلاة، فخرج علي من الباب ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة، فاعترضه ابن ملجم، فضربه بالسيف، فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه، فشد عليه الناس من كل جانب، فأمسك وأوثق، وأقام علي الجمعة والسبت، وتوفي ليلة الأحد وغسله الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلا، ثم قطعت أطراف ابن ملجم، وجعل في قوصرة وأحرقوه بالنار. وهذا كله كلام ابن سعد، وقد أحسن في تلخيصه هذه الوقائع، ولم يوسع فيها الكلام كما صنع غيره؛ لأن هذا هو اللائق بهذا المقام، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا﴾ وقال: ﴿بِحَسْبِ أَصْحَابِي الْقَتْلُ﴾ وفي المستدرك عن السدي، قال: كان عبد الرحمن بن ملجم المرادي عشق امرأة من الخوارج يقال لها: قطام، فنكحها وأصدقها ثلاثة آلاف درهم وقتل علي.

*(الحكمين) وهما أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، فكانوا مع الذين اجتمعوا بدومة الجندل بأذرح –بين الشام والكوفة– وشهد ذلك معهم جماعة من رؤوس الناس (النهروان) موقع بين بغداد وحلوان.

■ (3) الحرورية طائفة من الخوارج ينسبون إلى قرية على بعد ميلين من الكوفة تسمى حروراء أين اجتمع الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي حين جرى أمر المحكمين، فسموا حرورية نسبة إلى هذا الموضع.

■ (4) ذو الثديَّة أو المخدج . ظهرت روايات مختلفة في تحديد شخصية ذي الثدية، وهذه الرواية منها ما هو ضعيف الإسناد ومنها ما هو قوي، وقد جاء في الأحاديث النبوية أوصاف ذو الثدية، فمن ذلك أنه أسود البشرة، وفي رواية حبشي، وأنه مخدج اليد، أي ناقص اليد، ويده صغيرة مجتمعة، فهي من المنكب إلى العضد فقط، أي بدون ذراع، وفي نهاية عضده مثل حلمة الثدي وعليها شعيرات بيض، وعضده ليست ثابتة، كأنها بلا عظم إذ إنها تدردر أي تتحرك تذهب وتجيء، أما مخدج اليد، أو مودون اليد أو مثدون اليد، فكلها بمعنى واحد وهو ناقص اليد، وأما اسمه فقد أخطأ من قال أن ذا الثدية هو حرقوص بن زهير السعدي، فحرقوص رجل مشهور كان له دور في الفتوح الإسلامية، ثم خرج على عثمان، وقد فر إثر معركة الجمل الصغرى التي قتل فيها الزبير وطلحة قتلة عثمان بالبصرة، وقد صار حرقوص من زعماء الخوارج المميزين، إلا أنه قد ورد في رواية أن اسمه (حرقوس) أما أبوه فلا يعرفه أحد، وجاء في رواية أن اسمه مالك، وذلك أنهم بحثوا عنه فلما وجدوه قال علي: الله أكبر، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟، فجعل الناس يقولون هذا مالك هذا مالك، فقال علي: ابن من؟ فلم يعرف أحد أباه. وقد ورد في رواية صححها الطبري أن اسمه نافع ذو الثدية كما جاء عند ابن أبي شيبة وأبي داود، إلا أن طريقهما واحد، فبعد ما جاء في المصادر الثلاثة رواية واحدة ذات طريق واحد، كان علي رضي الله عنه يتحدث عن الخوارج منذ ابتداء بدعتهم، وكثيرا ما كان يتعرض إلى ذكر ذي الثدية، وأنه علامة هؤلا ء، ويسرد أوصافه، وبعد نهاية المعركة الحاسمة أمر علي أصحابه بالبحث عن جثة المخدج، لأن وجودها من الأدلة على أن عليا على حق وصواب، وبعد مدة من البحث مرت على علي وأصحابه وجد أمير المؤمنين علي جماعة مكومة بعضها على بعض عند شفير النهر قال: أخرجوهم، فإذا المخدج تحتهم جميعا مما يلي الأرض، فكبر علي ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله وسجد سجود الشكر، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا.

■ (2) أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. من بني الأشعر. التميمي، استعمله النبي ومعاذا على زبيد، وعدن. وولي البصرة لعمر، وعثمان، وولي الكوفة، وبها مات سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ.

■ (1) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

■ (5) عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي الحميري. فاتك ثائر من أشداء الفرسان، أدرك الجاهلية، وهاجر في خلافة عمر وقرأ على معاذ بن جبل فكان من القراء، وأهل الفقه والعبادة. ثم فتح مصر وسكنها ، فكان فيها فارس بني تدؤل، وكان من شيعة علي بن أبي طالب وشهد معه صفين. ثم خرج عليه، فاتفق مع البرك وعمرو بن بكر على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص . في ليلة واحدة، وكان هو قاتل علي حيث كمن له هو وآخر يدعى شبيب فضربه شبيب فأخطأه ، وضربه ابن ملجم فأصابه ومات علي على أثرها، قتله الحسين بعد ذلك.سنة 40 هـ

■ (6) البرك بن عبد الله التميمي ثم الصريمي، اسمه حجاج بن يزيد من كبار الخوارج وهو رفيق عبد الرحمن بن ملجم ليلة قتل علي رضي الله عنه.

■ (8) عامر بن النباح مؤذن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، روى عنه جعفر بن أبي ثروان. حرقوص (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (7) عمرو بن بكير التميمي– ويقال: بكر أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

في صفة اجتماع الحكمين وهما أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، بدومة الجندل*. قال ابن الجوزي: بعث علي رضي الله عنه أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثي[1]،وفيهم أبو موسى، وبعث معهم عبد الله بن عباس يصلي ويلي أمورهم، ولم يحضر علي وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام، ثم جاء معاوية، واجتمعوا بأذرح، وشهد معهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، أوالمغيرة بن شعبة في جماعة كثيرة.والتقى الحكمان، فقال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، أرأيت أول ما يقضى به من الحق أن يقضى لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال: وما ذاك؟ قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وافوا وقدموا للموعد؟ قال: بلى، قال عمرو: اكتبها، فكتبها أبو موسى، قال: ألست تعلم أن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما؟ قال: أشهد، قال: أفلست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ قال: بلى، قال: فإن الله عز وجل قال:﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء] فما يمنعك من معاوية ولي عثمان، وبيته في قريش كما قد علمت، فإن قال الناس ليس له سابقة فلك حجة، وهي أن تقول: إني وجدته ولي عثمان المظلوم، والطالب بدمه، وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني لم أكن لأوليه، وأدع المهاجرين الأولين والأنصار، ولو خرج لي من سلطانه ما كنت لأرتشي في حكم الله، ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب. فأبى عمرو وقال: أخبرني عن رأيك، قال: رأيي أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا، فقال له عمرو: فإن الرأي ما رأيت، فأقبلا إلى الناس فقال عمرو: يا أبا موسى أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع، فتكلم أبو موسى فقال: رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة، فقال عمرو: صدق وبر، يا أبا موسى، تقدم فتكلم. فتقدم أبو موسى ليتكلم فدعاه ابن عباس فقال له: ويحك، والله إني لأظنه قد خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلم بذلك قبلك، فإني لا آمن أن يخالفك، فقال: إنا قد اتفقنا. فتقدم أبو موسى، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد اجتمع عليه رأيي ورأي عمرو، وهو أن نخلع عليا ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر، فيولوا منهم ما أحبوا عليهم، وإني قد خلعت عليا ومعاوية، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا، ثم تنحى. وأقبل عمرو فقام مقامه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية، فإنه ولي عثمان، والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه، فقال له أبو موسى: مالك، لا وفقك الله، غدرت وفجرت، إنما مثلك ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف]. قال عمرو: إنما مثلك ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة] وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقنعه بالسوط، وحمل على شريح ابن لعمرو فضربه بالسوط، وقام الناس فحجزوا بينهم. فالتمس أهل الشام أبا موسى فركب راحلته ولحق بمكة. وكان يقول: اطمأننت إلى عمرو وظننت أنه لن يؤثر شيئا على نصح الأمة، ولقد حذرنيه ابن عباس. وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة وقام معاوية عشية في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، من كان متكلما في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، قال ابن عمر: فأطلعت حويتي فأردت أن أقول: يتكلم فيه رجال قاتلوك وأباك على الإسلام، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجماعة ويسفك فيها دم وأحمل فيها على غير رأيي، وذكرت ما وعد الله في الجنان فأمسكت.

قال عمرو بن العاص: بلغني أن عتبة بن أبي سفيان قال لعبد الله بن عباس: ما منع عليا أن يبعثك مكان أبي موسى، فقال عبد الله: منعه والله من ذلك حاجز القدر، وقصر المدة، ومحنة الابتلاء، أما والله لو بعثني لاعترضت في مدارج نفس عمرو ناقضا ما أبرم ومبرما لما نقض، أسف إذا طار وأطير إذا أسف، ولكن مضى قدر وبقي أسف، والآخرة خير لأمير المؤمنين. حدث عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي قلت: ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: يا بني، إيش أقول فيهما، أعلم أن عليا كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيبا فلم يجدوا، فجاؤوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فوضعوا له فضائل كيدا منهم له. أو كما قال.

☪

لما أراد أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسافر لقتال الخوارج، عرض له منجم، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تسافر، فإن القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك–أو كما قال– فقال على: بل أسافر ثقة بالله وتوكلا على الله وتكذيبا لك، فسافر فبورك له في ذلك السفر، فقتل عامة الخوارج، وجاء في رواية:..فلما فرغ من النهروان حمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون: سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر. وفي ذلك يقول علي الصلابي: انظر إلى حرص أمير المؤمنين على رضي الله عنه على سلامة عقيدة أصحابه مما ادعاه المنجم من ذلك الاعتقاد الفاسد، فعلى رضي الله عنه مع ما كان فيه من الأمر المهم من قتال الخوارج، وانشغاله بنتيجة المعركة، فإنه لم ينس تلك الكلمة التي قالها ذلك المنجم له في بداية مسيره، فكان منه بيان فساد ذلك المعتقد في الوقت المناسب بعد انتهاء قتاله للخوارج وانتصاره عليهم.

*(دومة الجندل) حصن وقرى في البادية بين نجد وبلاد الشام قرب جبل طيئ وكانت بنو كنانة تسكن هذه الديار، والحصن هو حصن أكيدر بن عبد الملك بن الحارث الكندي.

■ (1) شريح بن هانئ أبو المقدام الحارثي، المذحجي، الكوفي، الفقيه، هو من أمراء جيش علي رضي الله عنه. وقد شهد تحكيم الحكمين، ووفد على معاوية شافعا في كثير بن شهاب، فأطلقه له. يقال عاش 120 سنة قتل بسجستان في سنة 78 هـ وقيل بعدها بسنوات.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ جمهرة خطب العرب/ تاريخ الرسل والملوك/ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب/ لسان الميزان/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم/

عن عمارة بن ربيعة، قال: لما قدم عليٌّ الكوفة (من صفين) وفارقته الخوارج (المحكمة)، وثبت إليه الشيعة فقالوا: في أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت؛ فقالت الخوارج: استبقتم أنتم وأهل الشأم إلى الكفر كفرسي رهان، بايع أهل الشام معاوية على ما أحبوا وكرهوا، وبايعتم أنتم علياً على أنكم أولياء من والى وأعداء من عادى؛ فقال لهم زياد بن النضر[1]:والله ما بسط عليٌّ يده فبايعناه قط إلا على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته، فقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت؛ ونحن كذلك، وهو على الحق والهدى، ومن خالفه ضالٌّ مضل. وبعث علي ابن عباس[2] إليهم، فقال: لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك. فخرج إليهم حتى أتاهم، فأقبلوا يكلمونه، فلم يصبر حتى راجعهم، فقال: ما نقمتم من الحكمين*، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء]! فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم! فقالت الخوارج: قلنا: أما ما جعل حكمه إلى الناس، وأمر بالنظر فيه والإصلاح له فهو إليهم كما أمر به، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه؛ حكم في الزاني مائة جلدة، وفي السارق بقطع يده، فليس للعباد أن ينظروا في هذا. قال ابن عباس: فإن الله عز وجل يقول: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة]، فقالوا: أو تجعل الحكم في الصيد، والحدث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين! وقالت الخوارج: قلنا له: فهذه الآية بيننا وبينك، أعدلٌ عندك ابن العاص[3]وهو بالأمس يقاتلنا ويسفك دماءنا! فإن كان عدلاً فلسنا بعدول ونحن أهل حربه. وقد حكمتم في أمر الله الرجال، وقد أمضى الله عز وجل حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا، وقيل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عز وجل فأبوه، ثم كتبتم بينكم وبينه كتاباً، وجعلتم بينكم وبينه الموادعة* والاستفاضة*، وقد قطع عز وجل الاستفاضة والموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة*، إلا من أقر بالجزية. وبعث علي زياد بن النضر إليهم فقال: انظر بأي رؤوسهم هم أشد إطافة، فنظر فأخبره أنه لم يرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس[4].فخرج علي في الناس حتى دخل إليهم، فأتى فسطاط يزيد بن قيس، فدخله فتوضأ فيه وصلى ركعتين، وأمره على أصبهان والري، ثم خرج حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس، فقال: انته عن كلامهم، ألم أنهك رحمك الله! ثم تكلم فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال: اللهم، هذا مقام من يفلج* فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة، ومن نطق فيه وأوعث* فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً. ثم قال لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء[5]. قال عليٌّ: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتكم يوم صفين. قال: أنشدكم بالله، أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله قلت لكم: إني أعلم بالقوم منكم؛ إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال. امضوا على حقكم وصدقكم، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعةً ودهناً ومكيدة. فرددتم علي رأيي، وقلتم: لا، بل نقبل منهم. فقلت لكم: اذكروا قولي لكم، ومعصيتكم إياي، فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكماً يحكم بما في القرآن، وإن أبيا فنحن من حكمهما برآء. قالوا له: فخبرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إنا لسنا حكمنا الرجال، إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين، لا ينطق، إنما يتكلم به الرجال، قالوا: فخبرا عن الأجل، لم جعلته فيما بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل، ويثبت العالم، ولعل الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة. ادخلوا مصركم رحمكم الله! فدخلوا من عند آخرهم. قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي، عن أبيه بمثل هذا.

وأما الخوارج فيقولون: قلنا: صدقت، قد كنا كما ذكرت، وفعلنا ما وصفت، ولكن ذلك كان منا كفراً، فقد تبنا إلى الله عز وجل منه، فتب كما تبنا نبايعك، وإلا فنحن مخالفون. فبايعنا علي وقال: ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى يجبى المال، ويسمن الكراع*، ثم نخرج إلى عدونا. ولسنا نأخذ بقولهم؛ وقد كذبوا. وقدم معن بن يزيد بن الأخنس السلمي[6] في استبطاء إمضاء الحكومة وقال لعلي: إن معاوية قد وفى. فف أنت لا يلتفتنك عن رأيك أعاريب بكر وتميم. فأمر عليٌّ بإمضاء الحكومة، وقد كانوا افترقوا من صفين على أن يقدم الحكمان في أربعمائة أربعمائة إلى دومة الجندل. وزعم الواقدي أن سعداً[7]قد شهد مع من شهد الحكمين، وأن ابنه عمر[8] لم يدعه حتى أحضره أذرح*، فندم، فأحرم من بيت المقدس بعمرة. اجتماع الحكمين بدومة الجندل وفي هذه السنة كان اجتماع الحكمين.

----

*(الحكمين) وهما أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، فكانوا مع الذين اجتمعوا بدومة الجندل بأذرح -بين الشام والكوفة- وشهد ذلك معهم جماعة من رؤوس الناس (براءة) سورة التوبة سميت بها لافتتاحها بالبراءة (فلج) انتصر. في رواية: من أفلح فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة. (أوعث) أوعث فلان إيعاثا ، إذا خلط.

(أَذْرُح) قرية في ما يسمى اليوم دويلة الأردن (الكراع) اسم جماعة الخيل، والكراع من الإنسان ما دون الركبة ومن الدواب ما دون الكعب (الموادعة) المصالحة والتوادع: التصالح (الاستفاضة) الانتشار والشيوع.

■ (2) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

■ (3) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

■ (5) عبد الله بن الكواء اليشكري أول أمير للخوارج من حين اعتزلوا جيش علي وخرجوا عليه، وكان قبل من أصحاب علي ومن المحرضين على القتال وقد قال شعرا في مدح علي وتحريض جيش صفين. وقال الحافظ ابن حجر: إنه قد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي. قيل هو عبد الله بن أوفى ويقال عبد الله بن عمرو ابن النعمان بن ظالم بن مالك بن أبي بن عصر بن سعد بن عمرو بن جشم أبو عمرو ويقال: ابن الكوا اليشكري، المعروف بابن الكوا، وقيل: ابن الكواء.

■ (4) يزيد بن قيس بن تمام بن حاجب الأرحبي، من بني صعب بن دومان، من همدان: من الرؤساء الكبار في اليمانيين. أدرك النبي وسكن الكوفة. ولما ثار أهلها على سعيد بن العاص، أميرهم من قبل عثمان، وتوجه سعيد إلى المدينة، اجتمع قراء الكوفة فأقاموا صاحب الترجمة أميرا عليها. ثم كان مع علي في حروبه. وولي شرطته. ولما دخل علي الكوفة، قادما من البصرة ولاه أصبهان والري وهمذان. وفي سنة وفاته خلاف. قيل قتل في صفين سنة 37 هـ وله خطبة في التحريض على القتال بصفين، يقول فيها: إن هؤلاء القوم والله، ما إن يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيعناه، ولا إحياء عدل رأونا أمتناه، ولن يقاتلونا إلا على إقامة الدنيا، ليكونوا جبابرة فيها ملوكا.

■ (1) زياد بن النضر بن بشر بن مالك بن الديان، كان شريفا، شهد المشاهد مع علي بن أبي طالب وبعثه على مقدمته يوم صيفين ومعه شريح أبن هاني الحارثي، فاختلفا وكتبا إلى علي بن أبي طالب فكتب أن يصلي كل واحد منهم على حاله، وأن جمعتهم الحرب فزياد على شريح. وأذينه بن النضر، شريف بالشام.(لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (6) معن بن يزيد بن الأخنس بن حبيب،صحابي، نزل الكوفة وشهد فتح مصر، ودمشق، وشهد صفين إلى جانب معاوية. وشارك في معركة مرج راهط إلى جانب الضحاك بن قيس ضد مروان بن الحكم، وقُتل فيها سنة 64 هـ

■ (7) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري المديني، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ.

■ (8) عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني نزيل الكوفة عن أبيه وعنه الزهري مقته الناس لكونه أميرا على الجيش الذي قتلوا الحسين بن علي رضي الله عنهما، وعمر بن سعد هذا قتله المختار سنة 65 هـ أو بعدها

الخوارج: ويقال لهم النواصب، والحرورية نسبة إلى حروراء، موضع خرج فيه أولهم على علي رضي الله عنه، وهم الغلاة في حب أبي بكر وعمر وبغض علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين، ولا أجهل منهم،فإنهم القاسطون المارقون، خرجوا على علي رضي الله عنه وانفصلوا عنه بالجملة وتبرؤوا منه، ومنهم من صحبه ومنهم من كان في زمنه، وهم جماعة قد دون الناس أخبارهم وهم عشرون فرقة: الأولى يقال لهم الحكمية، لأنهم خرجوا على علي رضي الله عنه في صفين، وقالوا لاحكم إلا لله ولا حكم للرجال، وانحازوا عنه إلى حروراء، ثم إلى النهروان، وسبب ذلك أنهم حملوه على التحاكم إلى من حكم بكتاب الله، فلما رضي بذلك وكانت قضية الحكمين أبي موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، غضبوا من ذلك ونابذوا عليا وقالوا في شعارهم، لا حكم إلا لله ولرسوله، وكان إمامهم في التحكيم عبد الله بن الكواء. والثانية الأزارقة أتباع أبي راشد نافع بن الأزرق بن قيس، الخارج بالبصرة في أيام عبد الله بن الزبير. والثالثة النجدات، ولم يقل فيهم النجدية، ليفرق بينهم وبين من انتسب إلى بلاد نجد، فإنهم أتباع نجد بن عويمر، وهو عامر الحنفي الخارج باليمامة. والرابعة الصفرية أتباع زياد بن الأصفر، ويقال أتباع النعمان بن صفر، وقيل بل نسبوا إلى عبد الله بن صفار، وهو أحد بني مقاعس، وقيل عبد الله بن الصفار من بني صويمر بن مقاعس، وقيل سموا بذلك لصفرة علتهم، وزعم بعضهم أن الصفرية بكسر الصاد، ويقال للصفرية أيضا الزيادية، ويقال لهم أيضا النكار. والخامسة العجاردة أتباع عبد الكريم بن عجرد. والسادسة الميمونية أتباع ميمون بن عمران، وهم طائفة من العجاردة. والسابعة الشعيبية، وهم طائفة من العجاردة. والثامنة الحمزية، أتباع حمزة بن أدرك الشامي الخارج بخراسان في خلافة هارون الرشيد. والتاسعة الحازمية، وهم فرقة من العجاردة. والعاشرة المعلومية مع المجهولية، تباينا في مسألتين إحداهما قالت المعلومية من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه فهو كافر وقالت المجهولية لا يكون كافرا.والثانية وافقت المعلومية أهل السنة في مسألة القدر والمشيئة والمجهولية وافقت القدرية في ذلك. والحادية عشر الصلتية، أتباع عثمان بن أبي الصلت، وهم طائفة من العجاردة. والثانية عشر والثالثة عشر الأحسنية والمعبديه، وهما فرقتان من الثعالبة أتباع ثعلبة بن عامر. والرابعة عشر الشيبانية، أتباع شيبان بن سلمة الخارج في أيام أبي مسلم الخراساني القائم بدعوة الخلفاء العباسيين. والخامسة عشر الشبيبية، أتباع شبيب بن يزيد بن أبي نعيم الخارج في خلافة عبد الملك بن مروان. والسادسة عشر الرشيدية: أتباع رشيد، يقال لهم أيضا العشرية من أجل أنهم كانوا يأخذون نصف العشر مما سقت الأنهار. والسابعة عشر المكرمية: أتباع أبي المكرم. والثامنة عشر الحفصية: أتباع حفص بن المقدام أحد أصحاب عبد الله بن أباض. والتاسعة عشر الإباضية أتباع عبد الله بن أباض ويقال بل ينسبون إلى أباض وهي قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجد بن عامر، وخرج عبد الله بن أباض في أيام مروان. والفرقة العشرون اليزيدية، أتباع يزيد بن أبي أنيسة، وكان أباضيا.

ومن فرق الخوارج أيضا الحارثية، والأصومية، أتباع يحيى بن أصوم، والبيهسية أتباع أبي البيهس الهيصم بن خالد،كان في زمن الحجاج، واليعقوبية أتباع يعقوب بن علي الكوفي، ومن فرقهم الفضلية،أتباع فضل بن عبد الله،والشمراخية أتباع عبد الله بن شمراخ، والضحاكية أتباع الضحاك. والخوارج يقال لهم الشراة، وأحدهم شاري، مشتق من شرى الرجل إذا ألح، أو معناه يستشري بالشر،أو من قول الخوارج شرينا أنفسنا لدين الله فنحن لذلك شراة، وقيل أنه من قولهم شاريته أي لاححته وماريته، وقيل شرى الرجل غضبا إذا استطار غضبا، وقيل لهم هذا لشدة غضبهم على المسلمين.

- قلت: اليوم أحفاد فرق الخوارج وفرق الشيعةوالسنة المنحرفة وعلى رأسهم شياطين بدعة التصوف وعلماء السلطان وعلماء طغاة العرب الخونة الكفرة.. لسان حالهم يقول:﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف]

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ ذيل جمهرة خطب العرب/ تاريخ الرسل والملوك/ تاريخ الطبري/ الأعلام للزركلي/ نسب معد واليمن الكبير/ الطبقات الكبرى/ لسان الميزان/ الصحاح في اللغة/ معجم لغة الفقهاء/

روى صاحب العقد، المناظرة بين علي وبين الخوارج بصورة أخرى وهاكها: قالوا: إن عليا لما اختلف عليه أهل النهروان* والقرى وأصحاب البرانس* ونزلوا قرية يقال لها حروراء* وذلك بعد وقعة الجمل* رجع إليهم علي بن أبي طالب فقال لهم: يا هؤلاء من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء[1] قال: فليبرز إلى فخرج إليه ابن الكواء. فقال له علي: يابن الكواء ما أخرجكم علينا بعد رضاكم بالحكمين ومقامكم بالكوفة؟ قال: قاتلت بنا عدوا لا نشك في جهاده فزعمت أن قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقا وحكمت كافرا وكان من شكك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم كتاب الله بيني وبينكم فإن قضى علي بايعتكم وإن قضى عليكم بايعتموني فلولا شكك لم تفعل هذا والحق في يدك.

قال علي: يا بن الكواء إنما الجواب بعد الفراغ أفرغت فأجيبك؟ قال: نعم. قال علي: أما قتالك معي عدوا لا نشك في جهاده فصدقت ولو شككت فيهم لم أقاتلهم وأما قتلانا وقتلاهم فقد قال الله في ذلك ما يستغنى به عن قولي وأما إرسالي المنافق وتحكيمي الكافر فأنت أرسلت أبا موسى مبرنسا ومعاوية حكم عمرا أتيت بأبي موسى مبرنسا فقلت: لا نرضى إلا أبا موسى، فهلا قام إلي رجل منكم فقال: يا علي لا تعط هذه الدنية فإنها ضلالة، وأما قولي لمعاوية إن جرني إليك كتاب الله تبعتك وإن جرك إلى تبعتني زعمت أني لم أعط ذلك إلا من شك فقد علمت أن أوثق ما في يديك هذا الأمر فحدثني ويحك عن اليهودي والنصراني ومشركي العرب أهم أقرب إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشأم؟! قال: بل معاوية وأهل الشأم أقرب.

قال علي: أفرسول الله كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو أنا؟ قال: بل رسول الله. قال: أفرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِّ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص] أما كان رسول الله يعلم أنه لا يؤتى بكتاب هو أهدى مما في يديه؟ قال: بلى. قال: فلم أعطى رسول الله القوم ما أعطاهم؟ قال: إنصافا وحجة. قال: فإني أعطيت القوم ما أعطاهم رسول الله. قال ابن الكواء: فإني أخطأت هذه واحدة زدني. قال علي: فما أعظم ما نقمتم علي؟ قال: تحكيم الحكمين نظرنا في أمرنا فوجدنا تحكيمهما شكا وتبذيرا. قال علي: فمتى سمي أبو موسى حكما حين أرسل أو حين حكم ؟ قال: حين أرسل. قال: أليس قد سار وهو مسلم وأنت ترجو أن يحكم بما أنزل الله؟ قال: نعم. قال علي: فلا أرى الضلال في إرساله. فقال ابن الكواء: سمي حكما حين حكم؟ قال: نعم. إذن فإرساله كان عدلا أرأيت يابن الكواء لو أن رسول الله بعث مؤمنا إلى قوم مشركين يدعوهم إلى كتاب الله فارتد على عقبه كافرا كان يضر نبي الله شيئا؟ قال: لا. قال علي: فما كان ذنبي إن كان أبو موسى قد ضل هل رضيت حكومته حين حكم أو قوله إذ قال؟ قال ابن الكواء: لا، ولكنك جعلت مسلما وكافرا يحكمان في كتاب الله! قال علي: ويلك يا بن الكواء هل بعث عمرا غير معاوية؟ وكيف أحكمه وحكمه على ضرب عنقي؟ إنما رضي به صاحبه كما رضيت أنت بصاحبك وقد يجتمع المؤمن والكافر يحكمان في أمر الله أرأيت لو أن رجلا مؤمنا تزوج يهودية أو نصرانية فخافا شقاق بينهما ففزع الناس إلى كتاب الله وفي كتابه: فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها. فجاء رجل من اليهود أو رجل من النصارى ورجل من المسلمين اللذين يجوز لهما أن يحكما في كتاب الله فحكما؟. قال ابن الكواء: وهذه أيضا أمهلنا حتى ننظر فانصرف عنهم علي.

فقال له صعصعة بن صوحان:[2] يا أمير المؤمنين، ائذن لي في كلام القوم؟ قال: نعم. ما لم تبسط يدا فنادى صعصعة ابن الكواء فخرج إليه.فقال: أنشدكم الله يا معشر الخارجين أن لا تكونوا عارا على من يغزو لغيره وأن لا تخرجوا بأرض تسمون بها بعد اليوم ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل.فقال له ابن الكواء: إن صاحبك لقينا بأمر قولك فيه صغير فأمسك. قالوا إن عليا خرج بعد ذلك إليهم فخرج إليه ابن الكواء فقال له علي: يابن الكواء إنه من أذنب في هذا الدين ذنبا يكون في الإسلام حدثا استتبناه من ذلك الذنب بعينه وإن توبتك أن تعرف هدى ما خرجت منه وضلال ما دخلت فيه. قال ابن الكواء: إننا لا ننكر أنا قد فتنا. فقال له عبد الله بن عمرو بن جرموز:[3] أدركنا والله هذه الآية:﴿الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت] وكان عبد الله من قراء أهل حروراء فرجعوا فصلوا خلف علي الظهر وانصرفوا معه إلى الكوفة ثم اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم ولام بعضهم بعضا ثم خرجوا على علي فقتلهم بالنهروان. فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم وتاب منه ورآه ضلالا فأتى الأشعث بن قيس[4] عليا فقال يا أمير المؤمنين، إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضلالا والإقامة عليها كفرا وتبت، فخطب علي الناس فقال: من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو أضل منها، فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت، فقيل لعلي: إنهم خارجون. فقال: لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون فوجه إليهم عبد الله بن العباس فلما سار إليهم رحبوا به وأكرموه فرأى منهم جباها قرحت لطول السجود وأيديا كثفنات الإبل* وعليهم قمص مرحضة* وهم مشمرون. قالوا: ما جاء بك يا بن عباس؟ قال: جئتكم من عند صهر رسول الله وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ومن عند المهاجرين والأنصار. فقالوا: إنا أتينا عظيما حين حكمنا الرجال في دين الله فإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا. فقال ابن عباس: نشدتكم الله إلا ما صدقتم أنفسكم أما علمتم أن الله أمركم بتحكيم الرجال في أرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم وفي شقاق امرأة ورجلها؟ فقالوا: اللهم، نعم. قال: أنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين الحديبية؟ قالوا: نعم. ولكن عليا محا نفسه من خلافة المسلمين. قال ابن عباس: أذلك يزيلها عنه وقد محا رسول الله اسمه من النبوة ؟ قال سهيل بن عمرو:[5] لو علمت أنك رسول الله ما حاربتك. فقال للكاتب اكتب محمد بن عبد الله وقد أخذ على الحكمين أن لا يجورا فعلي أولى من معاوية وغيره. قالوا: إن معاوية يدعي مثل دعوى علي. قال: فأيها رأيتموه أولى فولوه. قالوا: صدقت قال ابن عباس: ومتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما. فأتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي[6].

*(الحكمين) وهما أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، فكانوا مع الذين اجتمعوا بدومة الجندل بأذرح -بين الشام والكوفة- وشهد ذلك معهم جماعة من رؤوس الناس (براءة) سورة التوبة سميت بها لافتتاحها بالبراءة (فلج) انتصر. في رواية: من أفلح فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة. (النهروان) موقع بين بغداد وحلوان.(البرنس) قلنسوة طويلة، أو كل ثوب رأسه منه. (الحرورية) هم الخوارج، و حروراء قرية بظاهر الكوفة نزل فيها الخوارج الذين خالفوا عليا رضي الله عنه، فنسبوا إليها. (وقعة الجمل) وقعت في البصرة عام 36 هـ بين قوات أمير المؤمنين علي وجيش يقوده الصحابيان طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة.(ثفنات البعير) ما أصاب الأرض من أعضائه فغلظ كالركبتين وغيرهما.(قمص مرحضة) أي مغسولة.

■ (5) سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي خطيب قريش وأحد سادتها في الجاهلية أسره المسلمون يوم بدر حتى أسلم بمكة يوم الفتح وسكنها ثم سكن المدينة وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية، مات غازيًا بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ

■ (1) عبد الله بن الكواء اليشكري أول أمير للخوارج من حين اعتزلوا جيش علي وخرجوا عليه، وكان قبل من أصحاب علي ومن المحرضين على القتال وقد قال شعرا في مدح علي وتحريض جيش صفين. وقال الحافظ ابن حجر: إنه قد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي. قيل هو عبد الله بن أوفى ويقال عبد الله بن عمرو ابن النعمان بن ظالم بن مالك بن أبي بن عصر بن سعد بن عمرو بن جشم أبو عمرو ويقال: ابن الكوا اليشكري، المعروف بابن الكوا، وقيل: ابن الكواء.

■ (2) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي، الكوفي، قيل: ولد في دارين قرب القطيف وشهد صفين مع علي، أمره على بعض الكراديس. وله مع معاوية مواقف.ونفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوال في البحرين، بأمر معاوية فمات فيها سنة56 هـ وقبل مات سنة 60 هـ

■ (4) الأشعث بن قيس بن معدي كرب، أبو محمد ، الكندي أمير كندة في الجاهلية والإسلام، .ولد في شبوة سنة 23 ق هـ كانت إقامته في حضرموت. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفد على النبي بسبعين رجلا من كندة، وشهد اليرموك والقادسية والمدائن. وقال ابن مندة : كان ارتد ثم رجع إلى الإسلام في خلافة أبي بكر وزوجه أخته أم فروة. مات سنة 40 هـ وقال بعضهم بعد علي بن أبي طالب بأربعين ليلة.

■ (6) عبد الله بن وهب الراسبي من بني راسب قبيلة معروفة وهو كان أمير الخوارج بالنهروان لما قاتلهم علي رضي الله عنه وقتل في المعركة.

■ (3) عبد الله بن عمرو بن جرموز....؟ هل هو شخص أخر أما هو ابن عمرو بن جرموز السعدي التميمي الذي قتل غدراً الصحابي الجليل الزبير بن العوام بعد معركة الجمل (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

عن عباد بن عبد الله، قال: سمعت عليا يقول:﴿أَنَا عَبْدُ اللهِ وَأَخُو رَسُولِهِ وَأَنَا الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ، لاَ يَقُولُهَا بَعْدِي إِلاَّ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ، وَلَقَدْ صَلَّيْتُ قَبْلَ النَّاسِ بِسَبْعِ سِنِينَ﴾ وعن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال لعلي بن أبي طالب: ﴿أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي ، وَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنْتَ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ ، وَأَنْتَ الْفَارُوقُ تَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَأَنْتَ يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْكُفَّارِ﴾ هذه كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظين مختلفين، تارة: (أنت يعسوب الدين) وتارة: (أنت يعسوب المؤمنين)، والكل راجع إلى معنى واحد، كأنه جعله رئيس المؤمنين وسيدهم، أو جعل الدين يتبعه، ويقفو أثره، حيث سلك كما يتبع النحل اليعسوب. وهذا نحو قوله: ﴿رَحِمَ اللهُّ عَلِيًّا، اللَّهُمَّ، أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ﴾ وعن أبي سعيد الخدري قال: ﴿كُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ إِلَيْنَا وَلَكَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ لاَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ مِنَّا، فَقَالَ: إِنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً يُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قُوتِلْتُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: لاَ، فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: لاَ، وَلَكِنَّهُ خَاصِفُ النَّعْلِ فِي الْحُجْرَةِ، قَالَ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا عَلِيٌّ وَمَعَهُ نَعْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْلِحُ مِنْهَا﴾ وعن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل عليا رضي الله عنه عن قول الله جل وعز: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف] قال: هم أهل حروراء. قال أبو جعفر: وهم الذين قاتلهم علي على تأويل القرآن. وعن أبي صالح الحنفي قال: رأيت علي بن أبي طالب أخذ المصحف فوضعه على رأسه حتى أني لأرى ورقه يتقعقع قال: ثم قال: اللهم، إنهم منعوني أن أقوم في الأمة بما فيه فأعطني ثواب ما فيه، ثم قال: اللهم، إني قد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني، وحملوني على غير طبيعتي وخلقي وأخلاق لم تكن تعرف لي، اللهم، فأبدلني بهم خيرا منهم، وأبدلهم بي شرا مني، اللهم، أمت قلوبهم موت الملح في الماء. قال إبراهيم: - يعني أهل الكوفة - وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال لي الحسن بن علي، قال لي علي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة في منامي فقلت: يا رسول الله، ما لقيت من أمتك من الاود واللد* ؟ قال: ادع عليهم، فقلت: اللهم، أبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلهم بي من هو شر مني، فخرج فضربه الرجل*. عن عمر ذي مر قال: لما أصيب علي بالضربة دخلت عليه وقد عصب رأسه قال قلت: يا أمير المؤمنين أرني ضربتك. قال: فحلها فقلت: خدش وليس بشيء. قال: إني مفارقكم. فبكت أم كلثوم من وراء الحجاب فقال لها: اسكتي فلو ترين ما أرى لما بكيت. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين ما ذا ترى قال: هذه الملائكة وفود والنبيون وهذا محمد صلى الله عليه وسلم يقول: يا علي أبشر فما تصير إليه خير مما أنت فيه. هذه أم كلثوم هي ابنة علي زوج عمر بن الخطاب. ذكر ابن الجوزي في الأذكياء وغيره: أن عمران بن حطان، كان أحد الخوارج، وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنهما الله تعالى، على قتل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجه: يا ضربة من تقي ما أراد بها..إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا..إني لأذكره يوما فأحسبه..أو في البرية عند الله ميزانا..أكرم بقوم بطون الأرض أقبرهم..لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا. فبلغت القاضي أبا الطيب الطبري[1] رحمه الله، هذه الأبيات فقال مجيبا له: إني لأبرأ مما أنت قائله..عن ابن ملجم الملعون بهتانا..إني لأذكره يوما فألعنه..دينا وألعن عمران بن حطان..عليك ثم عليه الدهر متصلا..لعائن الله إسرارا وإعلانا..فأنتمو من كلاب النار جاء لنا..نص الشريعة برهانا وتبيانا.أشار أبو الطيب رحمه الله إلى قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْخَوَارِجُ كِلاَبُ النَّارِ﴾، انتهى وعن جندب الأزدي قال: لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع علي، قال: فانتهينا إلى معسكرهم فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن، وفيهم ذوو الثفنات وأصحاب البرانس، وساق الحديث إلى أن قال: ثم قام علي فأمسكت له بالركاب ثم عدلت إلى درعي فلبستها والى فرسي فركبته وأخذت رمحي وسرت معه حتى إذا نظر إلى رابية قال: يا جندب ترى تلك الرابية قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين قال: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني أنهم يقتلون عندها وذكر بقية الحديث.

*(الاود) العوج و(اللد) الخصومة.(الرجل) يعني: ابن ملجم الخارجي؟

■ (1) طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري، أبو الطيب: قاض، من أعيان الشافعية. ولد في آمل طبرستان سنة 348 هـ، واستوطن بغداد، وولي القضاء بربع الكرخ، وتوفي ببغداد سنة 450 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ لسان الميزان/ المواعظ والاعتبار/ لسان العرب/ مصنف ابن أبي شيبة/ مشكل الآثار للطحاوي/ مسند البزار/ شرح نهج البلاغة/ تاريخ بغداد/ أسد الغابة/

جاء الأشعث بن قيس[1] إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين ما أرى الناس إلا وقد رضوا وسرهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن، فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد، ونظرت ما الذي يسأل. قال: ائته إن شئت. فأتاه فسأله فقال: يا معاوية، لأي شئ رفعتم هذه المصاحف ؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه. فابعثوا منكم رجلا ترضون به، ونبعث منا رجلا، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما أتفقا عليه. فقال الأشعث: هذا هو الحق. فانصرف إلى علي فأخبره بالذي قال. وقال الناس: قد رضينا وقبلنا. فبعث علي قراء من أهل العراق، وبعث معاوية قراء من أهل الشام، فاجتمعوا بين الصفين ومعهم المصحف، فنظروا فيه وتدارسوه، وأجمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن، وأن يميتوا ما أمات القرآن. ثم رجع كل فريق إلى أصحابه، وقال الناس: قد رضينا بحكم القرآن. فقال أهل الشام: فإنا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص[2] .وقال الأشعث والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد: فإنا قد رضينا واخترنا أبا موسى الأشعري[3] . فقال لهم علي: إني لا أرضى بأبي موسى، ولا أرى أن أوليه. فقال الأشعث، وزيد بن حصين[4]، ومسعر بن فدكي[5]،في عصابة من القراء: إنا لا نرضى إلا به، فإنه قد حذرنا ما وقعنا فيه. قال علي: فإنه ليس لي برضا، وقد فارقني وخذل الناس عنى ثم هرب، حتى أمنته بعد أشهر. ولكن هذا ابن عباس[6] أوليه ذلك. قالوا: والله ما نبالي، أكنت أنت أو ابن عباس، ولا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء، وليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر. قال علي: فإني أجعل الأشتر[7] . قال الأشعث: وهل سعر الأرض علينا غير الأشتر، وهل نحن إلا في حكم الأشتر. قال له علي: وما حكمه ؟ قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد.

عن عكرمة قال: لما كان يوم الحكمين، فحكم معاوية من قبله عمرو بن العاص، قال الأحنف بن قيس[8]لعلي: يا أمير المؤمنين، حكم ابن عباس، فإنه نحوه وابن عباس رجل مجرب، قال علي: فأنا أفعل، فحكم ابن عباس، فأتت اليمانية، وقالوا: لا، حتى يكون منا رجل، ودعوا إلى أبي موسى الأشعري،فجاء ابن عباس إلى علي فقال: علام تحكم أبا موسى؟ فوالله لقد عرفت رأيه فينا، فوالله ما نصرنا وهو يرجو ما نحن فيه، فتدخله الآن في معاقد الأمر، مع أن أبا موسى ليس بصاحب ذاك، فإذا أبيت أن تجعلني مع عمرو فاجعل الأحنف بن قيس، فإنه مجرب من العرب، وهو قرن لعمرو بن العاص، فقال علي: فأنا أجعل الأحنف، فأتت اليمانية أيضا، وقالوا: لا يكون فيها إلا يمان*، فلما غلب علي جعل أبا موسى.

قال ابن عباس: قلت لعلي يوم الحكمين: لا تحكم الأشعري، فإنه معه رجلا حذر مرس قارح* من الرجال، فلزني إلى جنبه*، فإنه لا يحل عقدة إلا عقدتها، ولا يعقد عقدة إلا حللتها، قال: يا بن عباس، فما أصنع؟ إنما أوتى من أصحابي، قد ضعفت بينهم، وكلوا في الحرب، هذا الأشعث بن قيس يقول: لا يكون فيها مضريان أبدا حتى يكون أحدهما يمان، قال ابن عباس: فعذرته، وعرفت أنه مضطهد، وأن أصحابه لا نية لهم.

قال المدائني: ذكر الأشتر النخعي عند معاوية، فقال رجل من النخع للذي ذكره: اسكت فإن موته أذل أهل العراق، وإن حياته أذلت أهل الشام، فسكت معاوية ولم يقل شيئا.

----

*(يمان) منسوب إلى اليمن كان في الأصل يمني فزادوا ألفا وحذفوا ياء النسبة.(لزني إلى جنبه) أي: ألزمني إياه (المرس) الشديد الذي مارس الأمور وجربها، والقارح من الخيل: الذي استتم الخامسة، ودخل في السادسة، ونبت نابه، وليس بعد القروح نبات سن ولا سقوط سن، يشبه به الرجل المجرب.

■ (6) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

■ (8) أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، وشهد مع علي وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان.وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد.

■ (2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

■ (3) أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. من بني الأشعر. التميمي، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذا على زبيد، وعدن. وولي البصرة لعمر، وعثمان، وولي الكوفة، وبها مات سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ.

■ (1) الأشعث بن قيس بن معدي كرب، أبو محمد ، الكندي أمير كندة في الجاهلية والإسلام، .ولد في شبوة سنة 23 ق هـ كانت إقامته في حضرموت. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفد على النبي بسبعين رجلا من كندة، وشهد اليرموك والقادسية والمدائن. وقال ابن مندة : كان ارتد ثم رجع إلى الإسلام في خلافة أبي بكر وزوجه أخته أم فروة. مات سنة 40 هـ وقال بعضهم بعد علي بن أبي طالب بأربعين ليلة.

■ (7) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بـ الأشتر. أدرك الجاهلية وكان من أصحاب علي وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها.وحضر خطبة عمر في الجابية، وسكن الكوفة وكان له نسل فيها، وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها، وكان ممن ألّب على عثمان وحضر حصره في المدينة، وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي، وولاه علي مصر فقصدها فمات في الطريق، لما كان بالقلزم شرب شربة عسل فمات سنة 37 هـ فقال علي: رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله.

■ (4) زيد بن حصين الطائي، وكان من أصحاب البرانس المجتهدين. وكان في عصابة من الذين صاروا خوارج (البرنس)، بالضم: قلنسوة طويلة، أو كل ثوب رأسه منه. (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (5) مسعر بن فدك التميمي، صاحب الخوارج (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قال عمار بن ياسر: يا أبا موسى، أنشدك الله، ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ وأنا سائلك عن حديث، فإن صدقت، وإلا بعثت عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقررك به، أنشدك الله، أليس إنما عناك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:﴿إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ بَيْنَ أُمَّتِي، -أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى فِيهَا- نَائِمًا خَيْرٌ قَاعِدًا، وَقَاعِدًا خَيْرٌ مِنْك قَائِمًا، وَقَائِمًا خَيْرٌ مِنْك مَاشِيًا﴾ فخصك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعم الناس؟ فخرج أبو موسى ولم يرد عليه شيئا.(قال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف) وعن عبد الله بن الحسن قال: قال علي في الحكمين: أحكمكما على أن تحكما بكتاب الله، وكتاب الله كله لي، فإن لم تحكما بكتاب الله فلا حكومة لكما.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات] في قوله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) قال علي الصلابي: أي إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فيجب على ولاة الأمور الإصلاح بالنصح والدعوة إلى حكم الله، والإرشاد وإزالة الشبهة وأسباب الخلاف، والتعبير بـ (إن) للإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع القتال بين المسلمين، وأنه إن وقع فإنه نادر قليل، والخطاب في الآية لولاة الأمور، والأمر فيها للجوب، وقد استدل البخاري وغيره بهذا على أن المعصية وإن عظمت لا تخرج من الإيمان، خلافا للخوارج القائلين بأن مرتكب الكبيرة كافر وهو في النار، وثبت في صحيح البخاري عن أبى بكرة قال:﴿رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾، فكان كما قال صلى الله عليه وسلم أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب التي وقعت بينهما.

وفي قوله تعالى: (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله)، أي فإن اعتدت وتجاوزت الحد إحدى الفئتين على الأخرى، ولم تذعن لحكم الله وللنصيحة، فعلى المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية، حتى ترجع إلى حكم الله، وما أمر به من عدم البغي، والقتال يكون بالسلاح وبغيره، ويفعل الوسيط ما يحقق المصلحة، وهي الفيئة، فإن تحقق المطلوب بها دون السلاح كان ذلك، وإن تعين السلاح وسيلة فعل حتى الفيئة.

وفي قوله تعالى: (فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) أي رجعت الفئة الباغية في بغيها، بعد القتال، ورضيت بأمر الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدى ما يجب عليها للأخرى، حتى لا يتجدد القتال بينهما مرة أخرى، واعدلوا أيها الوسطاء في الحكم بينهما. إن الله يحب العادلين، ويجازيهم أحسن الجزاء، وهذا أمر بالعدل في كل الأمور. قال صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ -وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ- الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ مَا وَلُوا﴾ (المقسطين) أي العادلين، ضد القاسطين؛ أي الجائرين، ثم أمر الله تعالى بالإصلاح في غير حال القتال، ولو في أدنى اختلاف فقال: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم)، فهذه الآية أصل من الأصول التي تنظم علاقة المسلم بأخيه المسلم. إن الله تعالى لم ينف صفة الإيمان عن إحدى الطائفتين أو كلتيهما مع وقوع القتال بينهما، وإن أولى الناس بالدخول تحت معنى هذه الآية هم سادات المؤمنين الصحابة الكرام، سواء ما وقع في معركة الجمل أو صفين، وقد قام أمير المؤمنين على رضي الله عنه بتطبيق هذه الآية من حرصه على الإصلاح. وقد استجاب طلحة والزبير لذلك، إلا أن أتباع عبد الله بن سبأ[1] أنشبوا الحرب بين الطرفين، وحرص أمير المؤمنين على الإصلاح مع أهل الشام، وبذل ما في وسعه، من طرق سلمية، وجرد سيفه بعد فشل كل المحاولات الإصلاحية لكي يفئ معاوية (والي الشام) إلى السمع والطاعة، ووحدة الخلافة الإسلامية، إلا أن معاوية اشترط تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه، فاجتهد وأخطأ، وكان الحق مع أمير المؤمنين علي ووقع القتال..

قال معاوية: أعنت على علي بأربعة، كنت أكتم سري وكان رجلا يظهره، وكنت في أصلح جند وأطوعه وكان في أخبث جند وأعصاه، وتركته وأصحاب الجمل وقلت: إن ظفروا به كانوا أهون علي منه، وإن ظفر بهم اغتر بها في دينه، وكنت أحب إلى قريش منه. فيالك من جامع إلي ومفرق عنه!. قال معاوية لابن الكوا: أخبرني عن أهل الشام قال: جند أمير المؤمنين ولا أقول فيهم شيئا.قال: لتقولن، قال: أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخالق، ولا يحسبون للسماء ساكنا.

■ (1) عبد الله بن سبأ،رأس الطائفة السبئية.والتي تقول بألوهية علي.أصله من اليمن قيل كان يهوديا وأظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان، فأخرجه أهلها فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته.ومن مذهبه رجعة النبي فكان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب برجوع محمد! ونقل ابن عساكر عن الصادق: لما بويع علي قام إليه ابن سبأ فقال له: أنت خلقت الأرض وبسطت الرزق ! فنفاه إلى ساباط المدائن، حيث القرامطة وغلاة الشيعة.وكان يقال له ابن السوداء لسواد أمه.وفي كتاب البدء والتاريخ: يقال للسبئته: الطيارة. لزعمهم أنهم لا يموتون وإنما موتهم طيران نفوسهم في الغلس، وأن عليا حي في السحاب، وإذا سمعوا صوت الرعد قالوا: غضب علي! ويقولون بالتناسخ والرجعة.وقال ابن حجر: ابن سبأ من غلاة الزنادقة أحسب أن عليا حرقه بالنار. توفي نحو 40 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ ملاق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية/ لسان العرب/ سير أعام النبلاء/ صحيح البخاري/ الأعلام للزركلي/ تهذيب التهذيب/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ مسند أبي يعلي/ أنساب الأشراف/

قال زيد بن وهب:[1] قدم على علي رضي الله عنه وفد من اليمن، فجمع الناس، وحضرته الصلاة، فنادى: الصلاة جامعة، فقام رجل من الوفد الذين قدموا، فتكلم، فحمد الله وأثنى عليه، حتى فرغ من خطبته ثم قام آخر، فتكلم، فخطب نحوا من خطبة صاحبه ثم قال في آخر كلامه: إن طاعة هذا طاعة للرب تعالى، ومعصيته معصية للرب تعالى، يعني: عليا، فقال له علي: كذبت، فما هزه قول علي حين كذبه أن مضى في خطبته حتى فرغ، ثم قام الثالث فتكلم، وخطب نحوا من خطبة صاحبيه، غير أنه لم يذكر شيئا من ذكر علي، ثم قام علي فحمد الله، وأثنى عليه، فأجاب الأول في خطبته حتى فرغ، ثم أجاب الثاني، ثم أجاب الثالث، ثم قال: كل خطبائكم قد أحسن إلا ما كان من كلام هذا الخطيب الثاني الذي زعم أن طاعتي طاعة للرب تعالى، وأن معصيتي معصية للرب تعالى، ولست كذلك، إنما ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي طاعته طاعة للرب، ومعصيته معصية للرب تعالى.

عن عثمان بن أبي عثمان قال: جاء أناس إلى علي بن أبي طالب من الشيعة، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أنت هو؟ قال: من أنا؟ قالوا أنت هو، قال: ويلكم! من أنا؟! قالوا: أنت ربنا، أنت ربنا، قال: ارجعوا فأبوا، فضرب أعناقهم، ثم خد لهم في الأرض أخدودا، ثم قال: يا قنبر[2]،ائتني بحزم الحطب، فأتاه بحزم الحطب، فأحرقهم بالنار ثم قال: الرجز: لما رأيت الأمر أمرا منكرا..أوقدت نارا ودعوت قنبرا.

عن عبد الله بن شريك العامري[3] عن أبيه[3] قال: قيل لعلي:إن هنا قوما على باب المسجد يدعون أنك ربهم. فدعاهم فقال لهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، فقال:ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء وإن عصيته خشيت أن يعذبني فاتقوا الله وارجعوا. فأبوا، فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم. فقالوا كذلك، فلما كان الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة. فأبوا إلا ذلك، فقال: يا قنبر ائتني بفعلة* معهم مرورهم فخد لهم أخدودا بين باب المسجد والقصر، وقال: احفروا فأبعدوا في الأرض. وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا فقذف بهم حتى إذا احترقوا قال: إني إذا رأيت أمرا منكرا أوقدت ناري ودعوت قنبرا.

----

*(الفعلة) العملة وهم قوم يستعملون الطين والحفر وما يشبه ذلك من العمل (الرافضة) فرقة من شيعة الكوفة سموا بذلك لأنهم رفضوا أي تركوا زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن في الصحابة فلما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب وأجاز الطعن في الصحابة.

■ (2) قنبر مولى علي رضي الله عنه لم يثبت حديثه قاله الأزدي يقال كبر حتى كان لا يدري ما يقوله أو يروي. ويقال إن قنبر قتله الحجاج وقتل ابنه.

■ (1) زيد بن وهب، أبو سليمان ، الجهني. كان في عهد النبي ولم يره، ورحل إليه في طائفة من قومه ، فبلغته وفاته في الطريق وهو معدود في كبار التابعين بالكوفة. توفى في ولاية الحجاج بعد الجماجم ، وقيل توفي سنة 96 هـ أو 90 هـ

■ (3) عبد الله بن شريك العامري الكوفي، صدوق يتشيع، أفرط الجوزجاني فكذبه وقال عنه: مختاري كذاب. وقيل كان في أوائل أمره من أصحاب المختار الثقفي ولكنه تاب. وقال النسائي: ليس به بأس. قال ابن عيينة: جالسناه وكان ابن مائة سنة.. و شريك العامري لم أجد له ترجمة.

☪

عن علي بن محمد النوفلي عن مشيخته، أن عليا رضي الله عنه مر بقوم وهم يأكلون في شهر رمضان نهارا، فقال: أسفر أم مرضى؟ قالوا: لا ولا واحدة منهما، قال: فمن أهل الكتاب أنتم فتعصمكم الذمة والجزية؟ قالوا: لا، قال: فما بال الأكل في نهار رمضان ؟ فقاموا إليه، فقالوا : أنت أنت! يومئون إلى ربوبيته، فنزل رضي الله عنه عن فرسه، فألصق خده بالأرض، وقال: ويلكم ! إنما عبد من عبيد الله، فاتقوا الله وارجعوا إلى الإسلام. فأبوا فدعاهم مرارا، فأقاموا على كفرهم فنهض إليهم، وقال: شدوهم وثاقا وعلي بالفعلة* والنار والحطب ثم أمر بحفر بئرين فحفرتا فعجل أحداهما سربا والأخرى مكشوفة، وألقى الحطب في المكشوفة، وفتح بينهما فتحا، وألقى النار في الحطب، فدخن عليهم، وجعل يهتف بهم ويناشدهم ليرجعوا إلى الإسلام ، فأبوا، فأمر بالحطب والنار فألقى عليهم، فأحرقوا، قال : فلم يبرح رضي الله عنه حتى صاروا حمما. وعن أنس أن عليا، رضي الله عنه، أتي بناس من الزط* فأراد أن يحرقهم فقال ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ﴾ وعن عكرمة أن عليا حرق قوما ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ﴾ ولم أكن لأحرقهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ فبلغ ذلك عليا فقال: صدق ابن عباس. وفي رواية: قال: ويح ابن أم الفضل أنه لغواص على الهنات. قال سفر الحوالي: من الناحية الفقهية البحتة -لا شك- أن ما ذهب إليه عبد الله بن عباس هو الأرجح وهو الصحيح، فالذي يفعل بهؤلاء الناس ليس الحرق وإنما هو القتل، فلا حرق ولا تعذيب بالنار في الإسلام. وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح حسن والعمل على هذا عند أهل العلم في المرتد واختلفوا في المرأة إذا ارتدت عن الإسلام فقالت طائفة من أهل العلم: تقتل، وهو قول الأوزاعي وأحمد وإسحاق وقالت طائفة منهم: تحبس ولا تقتل، وهو قول سفيان الثوري وغيره من أهل الكوفة. وعن عبد الرحمن بن محمد، عن أبيه قال: لما أتي عمر بفتح تستر قال: هل كان شيء؟، قالوا: نعم. رجل ارتد عن الإسلام، قال: فما صنعتم به؟، قالوا: قتلناه، قال: فهلا أدخلتموه بيتا وأغلقتم عليه، وأطعمتموه كل يوم رغيفا فاستتبتموه فإن تاب وإلا قتلتموه، ثم قال: اللهم، لم أشهد، ولم آمر، ولم أرض، ولم أسر إذ بلغني.

قال علي بن نايف: ومذهب الرافضة شر من مذهب الخوارج المارقين ؛ فإن الخوارج غايتهم تكفير عثمان وعلي وشيعتهما. والرافضة تكفير أبي بكر وعمر وعثمان وجمهور السابقين الأولين وتجحد من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم مما جحد به الخوارج وفيهم من الكذب والافتراء والغلو والإلحاد ما ليس في الخوارج وفيهم من معاونة الكفار على المسلمين ما ليس في الخوارج.. إلى أخر كلامه. عن علي رضي الله عنه قال: تفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تنتحلنا وتفارق أمرنا. جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فأطراه، وكان يبغضه، فقال له: إني ليس كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك. وعن عمرو بن الأصم قال: دخلت على الحسن بن علي وهو في دار عمرو بن حريث فقلت: إن ناسا يزعمون أن عليا رضي الله عنه يرجع قبل يوم القيامة! فضحك، وقال: سبحان الله، لو علمنا ما زوجنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه.وعن زيد بن وهب قال: قدم على علي وفد من البصرة فيهم رجل من رؤوس الخوارج يقال له: الجعد بن نعجة، فخطب الناس فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: يا علي، اتق الله، فإنك ميت، وقد علمت سبيل المحسن والمسيء، ثم وعظه وعاتبه في لبوسه، فقال: ما لك وللبوسي؟! إن لبوسي أبعد من الكبر، وأجدر أن يقتدي به المسلم. وفي راية قال زيد بن وهب الجهني: خرج علينا علي بن أبي طالب ذات يوم وعليه بردان، متزر بأحدهما، مرتد الآخر، قد أرخى جانب إزاره، ورفع جانبا، قد رفع إزاره بخرقة، فمر به أعرابي فقال: أيها الإنسان، البس من هذه الثياب، فإنك ميت أو مقتول، فقال: أيها الأعرابي، إنما ألبس هذين الثوبين ليكونا أبعد لي من الزهو، وخيرا لي في صلاتي وسنة للمؤمن. وعن ابن عباس أنه قال: لا يصلى إلا على نبي، أو لا يسلم إلا على نبي. انتهى.

☪

عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: رأيت على علي قميصا رازيا إذا مد يده بلغ أطراف الأصابع، وإذا تركه رجع إلى قريب نصف الذراع. وعن عمرو بن قيس قال قيل لعلي: يا أمير المؤمنين لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع (به) القلب، ويقتدي به المؤمن.

قال أبو أراكة: صليت مع علي بن أبي طالب صلاة الفجر. فلما سلم انفتل عن يمينه ثم مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح قال: وحائط المسجد يومئذ أقصر مما هو الآن ثم قلب يده ثم قال: والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما أرى اليوم شيئا يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفرا، شعثا، غبرا، بين أعينهم كأمثال ركب المعز، قد باتوا لله سجدا وقياما، يتلون كتاب الله، يراوحون بين جباههم وأقدامهم. فإذا أصبحوا، فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين، ثم نهض فما رئي بعد ذلك مفترا يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق. قال هشام بن حسان: بينا نحن عند الحسن إذ أقبل رجل من الأزارقة، فقال له: يا أبا سعيد، ما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: فاحمرت وجنتا الحسن، وقال: رحم الله عليا، إن عليا كان سهما لله، صائبا أعدائه، وكان في محلة العلم أشرفها، وأقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رهباني هذه الأمة، لم يكن لمال الله بالسروقة*، ولا في أمر الله بالنؤومة*، أعطى القرآن عزيمة علمه، فكان منه في رياض مونقة*، وأعلام بينة. ذاك علي بن أبي طالب، يا لكع. وعن علي بن أبي طالب أنه قال: تعلموا العلم، تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه الحق تسعة أعشاره، وإنه لا ينجو منه إلا كل نومة* منتت* الداء، يعني الميت الذكر، أولئك أئمة الهدى، ومصابيح العلم، ليسوا بالمساييح*، المذاييع* البذر*. ثم قال: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة. وإن الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا. ألا وإن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا، والتراب فراشا، والماء طيبا. ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات. ألا إن لله عبادا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وأهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسهم عفيفة، وجوانحهم خفيفة، صبروا أيام العقبى لراحة طويلة، أما الليل فصافون أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم يجأرون إلى ربهم، ربنا ربنا، يطلبون فكاك رقابهم، وأما النهار فعلماء، حلماء بررة، أتقياء، كأنهم القداح، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرض، وخولطوا، ولقد خالط القوم أمر عظيم.

أيهما أصح عند ذكر أمير المؤمنين علي: هل نقول رضي الله عنه أم كرم الله وجهه أم عليه السلام؟ إن الأصل عند ذكر الصحابة الترضي عنهم جميعا كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح] لذلك اصطلح أهل السنة على الترضي على كل صحابي يجري ذكره أو يروى عنه الحديث، فيقال مثلا: عن أبي بكر رضي الله عنه ولم يستعمل السلام، فيما أعلم، عند ذكر أحد منهم، مع أن السلام تحية المسلمين فيما بينهم، كما تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً﴾ [النور] على هذا فالترضي أفضل من السلام، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة] وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: ﴿أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا﴾ ولكن اصطلح العلماء على أن السلام يختص بالأنبياء لقوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات] ولقوله:﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم] ولما ورد في حق علي﴿أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى﴾ أخذ الغلاة كالرافضة يستعملون في حق أمير المؤمنين علي: عليه السلام، أو كرم الله وجهه، ولا شك أنه أهل لذلك، لكن يشركه في ذلك جميع الصحابة وقد وقع هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب ومن بعض علماء أهل السنة أن يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال: عليه السلام من دون سائر الصحابة، أو كرم الله وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحا لكن ينبغي أن يساوى بين الصحابة في ذلك.

----

*(الزط) جيل من السودان والزط أعراب جت بالهندية وهم جيل من أهل الهند إليهم تنسب الثياب الزطية (سرق) وهو سروقة أيضا والتاء للمبالغة (نؤومة) يقال رجل نؤوم و نؤومة: كثير النوم. ويقال للخامل الذكر الذي لا يؤبه له: نومه (أنق) لكل شيء أعجبك حسنه.روضة أنيق في معنى مأنوقة: أي محبوبة وأنيقة بمعنى مؤنقة (النومة) الخامل الذكر الذي لا يؤبه له وقيل الغامض في الناس الذي لا يعرف الشر (من) الميم والنون أصلان. أحدهما يدل على قطع وانقطاع، والآخر على اصطناع خير.الأول [المن]: القطع، ومنه يقال: مننت الحبل: قطعته. قال الله تعالى:﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين] والمنون المنية، لأنها تنقص العدد وتقطع المدد. والمن: الإعياء، وذلك أن المعيي ينقطع عن السير (المذاييع) جمع المذياع من أذاع الشيء إذا أفشاه وقيل أراد الذين يشيعون الفواحش (البذر) كثير الكلام (المساييح) الذين يسعون بالشر والنميمة

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ المعجم الوسيط/ شرح نهج البلاغة/ المجروحين/ كنز العمال/ علي بن أبي طالب/ مغاني الأخيار/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/

◆ علي بن أبي طالب (الإمام، أسد الله، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين) وعبد الله بن سبأ 0177

قال النوبختي: حكى جماعه من أهل العلم أن عبد الله بن سبأ[1] كان يهوديا فأسلم، ووالى عليا، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون[2] بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة، فقال في إسلامه في علي بن أبي طالب بمثل ذلك، وهو أول من أشهر القول بفرض إمامة علي رضي الله عنه، وأظهر البراءة من أعدائه. وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وقال إن عليا رضي الله عنه أمره بذلك، فأخذه علي فسأله عن قوله هذا فأقر به فأمر بقتله فصاح الناس إليه يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتكم والبراءة من أعدائكم؟ فسيره علي إلى المدائن، ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن، قال للذي نعاه: كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلا، لعلمنا أنه لم يمت، ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض. وفي رواية عن شباك قال: بلغ عليا أن ابن السوداء يبغض أبا بكر وعمر قال: فدعاه ودعا بالسيف أو قال: فهم بقتله فكلم فيه فقال:لا يساكنني ببلد أنا فيه فنفاه إلى المدائن. وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أم موسى قالت: بلغ عليا رضي الله عنه أن ابن سبأ يفضله على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فهم علي بقتله، فقيل له: أتقتل رجلا إنما أجلك وفضلك؟ فقال: لا جرم لا يساكنني في بلدة أنا فيها. وأخرج العشاري واللألكائي عن إبراهيم قال: بلغ عليا رضي الله عنه أن عبد الله بن الأسود ينتقص أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فدعا بالسيف فهم بقتله، فكلم فيه، فقال: لا يساكنني في بلد أنا فيه، فنفاه إلى الشام.

----

(1) عبد الله بن سبأ: رأس الطائفة السبئية. وكانت تقول بألوهية علي. أصله من اليمن، قيل: كان يهوديا وأظهر الاسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة. ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته. ومن مذهبه رجعة النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب برجوع محمد! ونقل ابن عساكر عن الصادق: لما بويع علي قام إليه ابن سبأ فقال له: أنت خلقت الارض وبسطت الرزق ! فنفاه إلى ساباط المدائن، حيث القرامطة وغلاة الشيعة. وكان يقال له ابن السوداء لسواد أمه. وفي كتاب البدء والتاريخ: يقال للسبئته الطيارة لزعمهم أنهم لا يموتون وإنما موتهم طيران نفوسهم في الغلس، وأن عليا حي في السحاب، وإذا سمعوا صوت الرعد قالوا: غضب علي ! ويقولون بالتناسخ والرجعة. وقال ابن حجر العسقلاني ابن سبأ، من غلاة الزنادقة، أحسب أن عليا حرقه بالنار. مات نحو 40 هـ

(2) يوشع بن نون بن أفرائم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم السلام. عاش بين القرنين 13 و12 قبل الميلاد. يُرجح أنه فتى موسى المذكور في سورة الكهف. ويُرجح أنه النبي المذكور في قصة طالوت.

أخرج العشاري عن الحسن بن كثير عن أبيه قال: أتى عليا رضي الله عنه رجل فقال: أنت خير الناس، فاقل: هل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا، قال: ما رأيت أبا بكر؟ قال: لا، قال: أما إنك لو قلت إنك رأيت النبي صلى الله عليه وسلم لقتلتك، ولو قلت رأيت أبا بكر وعمر لحددتك. وأخرج ابن أبي عاصم وابن شاهين واللألكائي والأصبهاني وابن عساكر عن علقمة قال: خطبنا علي رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه بلغني أن ناسا يفضلوني على أبي بكر وعمر، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه، ولكني أكره العقوبة قبل التقدم، فمن قال شيئا من ذلك بعد مقامي هذا فهو مفتر، عليه ما على المفتري. خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر، ثم عمر، ثم أحدثنا بعدهم أحداثا يقضي الله فيها ما يشاء. وعند خيثمة واللألكائي وأبي الحسن البغدادي والشيرازي وابن منده وابن عساكر عن سويد بن غفلة قال: مررت بقوم يذكرون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وينتقصونهما. فأتيت عليا رضي الله عنه فذكرت له ذلك فقال: لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل، أخوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيراه ثم صعد المنبر فخطب خطبة بليغة فقال: ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين بما أنا عنه متنزه، ومما يقولون بريء، وعلى ما يقولون معاقب؟ والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر رديء، صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدق والوفاء يأمران وينهيان ويعاقبان، فما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كرأيهما رأيا، ولا يحب حبهما حبا، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهما راض والناس راضون، ثم ولي أبو بكر الصلاة، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ولاه المسلمون ذلك وفوضوا إليه الزكاة لأنهما مقرونتان، وكنت أول من يسمى له من بني عبد المطلب، وهو لذلك كاره، يود أن بعضنا كفاه، فكان، والله، خير من بقي، أرأفه رأفة، وأرحمه رحمة، وأكيسه ورعا، وأقدمه إسلاما، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بميكائيل رأفة ورحمة، وبإبراهيم عفوا ووقارا، فسار بسيرة رسول الله حتى قبض رحمة الله عليه. ثم ولي الأمر من بعده عمر بن الخطاب، واستأمر في ذلك الناس، فمنهم من رضي ومنهم من كره، فكنت ممن رضي. فوالله ما فارق عمر الدنيا حتى رضي من كان له كارها، فأقام الأمر على منهاج النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه، وناصر المظلوم على الظالم. ثم ضرب الله بالحق على لسانه حتى رأينا أن ملكا ينطلق على لسانه، وأعز الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قواما، وقذف في قلوب المؤمنين الحب له وفي قلوب المنافقين الرهبة له، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل فظا غليظا على الأعداء، وبنوح حنقا ومغتاظا على الكافرين. فمن لكم بمثلهما؟ لا يبلغ مبلغهما إلا بالحب لهما واتباع آثارهما، فمن أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني وأنا منه بريء. ولو كنت تقدمت في أمرهما لعاقبت أشد العقوبة، فمن أتيت به بعد مقامي هذا فعليه ما على المفتري. ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ثم الله أعلم بالخير أين هو. أقول قولي هذا ويغفر الله لي ولكم.

عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي[1] قال: قلت لأبي: يا أبت لو كنت سمعت رجلا يسب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالكفر أكنت تضرب عنقه؟ قال: نعم. رواه الإمام أحمد وغيره ورواه ابن عيينة عن خلف ابن خوشب عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال: قلت لأبي: لو أتيت برجل يسب أبا بكر ما كنت صانعا؟ قال: أضرب عنقه، قلت: فعمر؟ قال: أضرب عنقه، وعبد الرحمن بن أبزى من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أدركه وصلى خلفه وقره عمر رضي الله عنه عاملاً على مكة وقال: هو ممن رفعه الله بالقرآن بعد أن قيل له: إنه عالم بالفرائض قارئ لكتاب الله واستعمله علي رضي الله عنه على خراسان.

روى قيس بن الربيع عن وائل بن البهي قال: وقع بين عبد الله بن عمر وبين المقداد كلام فشتم عبيد الله المقداد فقال عمر: علي بالحداد أقطع لسانه لا يجترئ أحد بعده يشتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وفي رواية: فهم عمر بقطع لسانه فكلمه فيه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. فقال: ذروني أقطع لسان ابني لا يجترئ أحد بعده يسب أحدا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، رواه حنبل و ابن بطة واللالكائي وغيرهم ولعل عمر إنما كف عنه لما شفع فيه أصحاب الحق وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولعل المقداد كان فيهم. وعن عمر بن الخطاب أنه أتي بأعرابي يهجو الأنصار فقال: لولا أن له صحبة لكفيتكموه. رواه أبو ذر الهروي. ويؤيد ذلك ما روى الحكم بن حجل قال: سمعت عليا يقول لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلا جلدته حد المفتري. وعن علقمة بن قيس قال: خطبنا علي رضي الله عنه فقال: إنه بلغني أن قوما يفضلونني على أبي بكر وعمر ولو كنت تقدمت في هذا لعاقبت فيه ولكني أكره العقوبة قبل التقدم ومن قال شيئا من ذلك فهو مفتر عليه ما على المفتري، خير الناس كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر. وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن ابن أبي ليل قال: تداروا في أبي بكر وعمر، فقال رجل من عطارد: عمر أفضل من أبي بكر فقال الجارود : بل أبو بكر أفضل منه، قال: فبلغ ذلك عمر، قال: فجعل يضربه ضربا بالدرة حتى شغر برجله ثم أقبل إلى الجارود، فقال: إليك عنى ثم قال عمر: أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام في كذا وكذا ثم قال عمر: من قال غير هذا أقمنا عليه ما نقيم على المفتري. فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري من يفضل عليا على أبي بكر وعمر أو من يفضل عمر على أبي بكر – مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سب و لا عيب– علم أن عقوبة السب عندهما فوق هذا بكثير.

قال علي الصلابي: كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء أمه سوداء. أسلم (؟)زمن عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم بالبصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فقال لهم : العجب ممن يصدق أن عيسى يرجع ويكذب أن محمدا يرجع فوضع لهم الرجعة –رجعة محمد رسول الله آخر الزمان– فقبلت منه* ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان لكل نبي وصي وعلي وصي محمد فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق. وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدأوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس. وادعوهم إلى هذا الأمر. وبث دعاته وكاتب من استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس. وإنا لا ندري السبب الذي حمل ابن السوداء على نشر هذه الدعاية ضد عثمان وتحزبه لعلي بن أبي طالب وإن الإنسان ليعجب من ارتحال هذا الرجل من مصر إلى مصر واحتماله المشقات واختلاقه المذاهب وحض الناس على بث الدعوة إلا إذا كان قد أراد بذلك هدم الإسلام وحدوث الفتن والثورات ولو أن عثمان استعمل الشدة مع أمثال عبد الله بن سبأ وأدبهم لما اجترأوا على بث بذور الفتن لكنه لان لهم فلم يخشوا بأسه.

----

* واستشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص] وهذا تضليل لأن المعاد هنا مكة فكان الله تعالى وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أن يهاجر منها ويعيده إليها ظاهرا ظافرا فتأمل.

(1) عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي مولى نافع بن عبد الحارث مختلف في صحبته سكن الكوفة واستعمل عليها وهو الذي استخلفه نافع بن عبد الحارث على أهل مكة حين لقي عمر بن الخطاب بعسفان وقال إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض روى عن النبي صلى الله عليه.ذكر أن عبد الرحمن عاش إلى نحو نيف وسبعين هجرية تقريبا

مراجع: الوجيز المفيد في تبيان أسباب ونتائج قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه/ موسوعة للخطب المنبرية والدروس/ تهذيب الكمال/ الإصابة في تمييز الصحابة/ عثمان بن عفان شخصيته وعصره علي الصلابي/ حياة الصحابة للكاندهلوى/

قال عمرو بن يحيى بن سلمة: سمعت أبي يحدث عن أبيه عمرو قال: كان علي بن أبي طالب استعمل يزيد بن قيس[1] على الري، ثم استعمل مخنف بن سليم[2] على أصبهان، واستعمل على أصبهان عمرو بن سلمة[3]، فلما أقبل عمرو بن سلمة عرض له الخوارج فتحصن في حلوان* ومعه الخراج والهدية فلما انصرف عنه الخوارج أقبل بالهدية وخلف الخراج بحلوان فلما قدم عمرو بن سلمة على علي رضي الله عنه أمره فليضعها في الرحبة* ويضع عليها أمناءه حتى يقسمها بين المسلمين فبعثت إليه أم كلثوم بنت علي:[4]أرسل إلينا من هذا العسل الذي معك فبعث إليها بزقين*من عسل، وزقين من سمن، فلما أن خرج علي إلى الصلاة عدها فوجدها تنقص زقين، فدعاه فسأله عنهما، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تسألني عنهما، فإنا نأتي بزقين مكانهما، قال: عزمت* عليك لتخبرني ما قصتهما، قال: بعثت إلي أم كلثوم فأرسلت بهما إليها، قال: أمرتك أن تقسم فيء* المسلمين بينهم، ثم بعثت إلي أم كلثوم أن ردي الزقين، فأتي بهما مع ما نقص منهما، فبعث إلى التجار: قوموهما مملوءين وناقصين فوجدوا فيهما نقصان ثلاثة دراهم وشيء، فأرسل إليها أن أرسلي إلينا بالدراهم ثم أمر بالزقاق فقسمت بين المسلمين.

وعن أبي رافع وقد كان خازنا لعلي رضي الله عنه على بيت المال، وقال: دخل يوما وقد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قد كان عرفها، فقال: من أين لها هذه؟ لله على أن أقطع يدها، قال: فلما رأيت جده في ذلك قلت: أنا والله يا أمير المؤمنين زينت بها ابنة أخي، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها، فسكت.

عن هارون بن عنترة عن أبيه[5] قال: أتيت عليا بالرحبة* يوم نيروز أو مهرجان وعنده دهاقين وهدايا، قال: فجاء قنبر[6] فأخذ بيده، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك رجل لا تليق شيئا* وإن لأهل بيتك في هذا المال نصيبا، ولقد خبأت لك باسنة* –أو قال: خبيئة–، قال: وما هي؟ قال: انطلق فانظر ماهي. قال: فأدخله بيتا فيه باسية –ناسية؟– مملوءة آنية ذهب وفضة مموهة بالذهب، فلما رآها علي قال: ثكلتك أمك لقد أردت أن تدخل بيتي نارا عظيمة، ثم جعل يزنها ويأتي –ويعطي– كل عريف بحصته ثم قال: لا تغريني وغري غيري. ثم قال: هذا جناي وخياره فيه..وكل جان يده إلى فيه.

قال عبد الله بن أبي سفيان:[7] أهدى إلي دهقان من دهاقين السواد بردا، وإلى الحسن[8] أو الحسين[9] بردا مثله، فقام علي يخطب بالمدائن يوم الجمعة، فرآه عليهما، فبعث إلي وإلى الحسين فقال: ما هذان البردان؟! قال: بعث إلي وإلى الحسين دهقان من دهاقين السواد، قال: فأخذهما فجعلهما في بيت المال.

كان أبو رافع[10] مولى رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، خازنا لعلي على بيت المال، فدخل علي يوما وقد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة كان عرفها لبيت المال فقال: من أين لها هذه؟ لأقطعن يدها! فلما رأى أبو رافع جده في ذلك قال: أنا والله يا أمير المؤمنين زينتها بها. فقال علي: لقد تزوجت بفاطمة وما لي فراش إلا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار وما لي خادم غيرها.

----

*(لا يليق شيئا) يقال: فلان لا يليق شيئا من سخائه أي لا يمسك (باسنة) رسمها بالأصل: اسيه. ولعل الصواب ما أثبت. والباسنة:كالجوالق تتخذ من مشاقة الكتان أغلظ ما يكون. وفي المختصر: خبيئة (الزق) وعاء من جلد يجز شعره ولا ينتف للشراب وغيره (الرحبة) رحبة مسجد الكوفة وهو المكان الواسع أمام بابه (عزم) أقسم (الفيء) ما يؤخذ من العدو من مال ومتاع بغير حرب (حلوان) مدينة قديمة في منطقة جبال زاغروس وهي اليوم بغرب إيران.وقد فتحها المسلمون سنة 16 هـ

■ (10) أبو رافع مولى رسول الله، اسمه إبراهيم أو أسلم أو ثابت ويقال هرمز ، شهد أحدا والخندق وقيل كان قبطيا مدنيا، مات في خلافة علي بن أبي طالب

■ (1) يزيد بن قيس بن تمام بن حاجب الأرحبي، من بني صعب بن دومان، من همدان: من الرؤساء الكبار في اليمانيين. أدرك النبي وسكن الكوفة. ولما ثار أهلها على سعيد بن العاص، أميرهم من قبل عثمان، وتوجه سعيد إلى المدينة، اجتمع قراء الكوفة فأقاموا صاحب الترجمة أميرا عليها. ثم كان مع علي في حروبه. وولي شرطته. ولما دخل علي الكوفة، قادما من البصرة ولاه أصبهان والري وهمذان. فلما مات يزيد فرقه على ثلاثة نفر فجعل أصبهان إلى مخنف بن سليم، وعمرو بن سلمة إلى همذان وآخر إلى الري. وفي سنة وفاته خلاف. قيل قتل في صفين سنة 37 هـ وله خطبة في التحريض على القتال بصفين، يقول فيها: إن هؤلاء القوم والله، ما إن يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيعناه، ولا إحياء عدل رأونا أمتناه، ولن يقاتلونا إلا على إقامة الدنيا، ليكونوا جبابرة فيها ملوكا.

■ (2) مخنف بن سليم بن الحارث بن عوف بن ثعلبة الأزدي الغامدي. له صحبة. يعد في الكوفيين، وكان نقيب الأزد بالكوفة. وقيل: إنه بصري. واستعمله علي بن أبي طالب على مدينة أصفهان، وشهد معه صفين، وكان معه راية الأزد.

■ (3) عمرو بن سلمة الهمداني الكوفي، تابعي كبير من أصحاب علي. وكان شريفا نبيها ذهنا كليما، وهو الذي بعثه الحسن بن علي عليهما السلام وبعث محمد بن الأشعث في الصلح بينه وبين معاوية،مات سنة 85 هـ. ودفن هو وعمرو بن حريث في يوم واحد.

■ (6) قنبر مولى علي رضي الله عنه لم يثبت حديثه قاله الأزدي يقال كبر حتى كان لا يدري ما يقوله أو يروي. ويقال إن قنبر قتله الحجاج وقتل ابنه.

■ (7) عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث (عم النبي) بن عبد المطلب بن هاشم، أبو الهياج الهاشمي.وقيل: إنه لم تصح له صحبة. وخلف أبو الهياج بن أبي سفيان على أمامة بنت أبي العاص بعد علي بن أبي طالب. وقيل: إنه قتل مع الحسين بن علي يوم عاشوراء سنة 61 هـ.

■ (8) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (9) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (4) أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله وأمها خديجة بنت خويلد تزوجها عمر بن الخطاب وهي جارية لم تبلغ فلم تزل عنده إلى أن قتل وولدت له زيد بن عمر ورقية بنت عمر. قالوا: أم كلثوم أرسلت مرة مع رسول جاء المدينة من قبل ملك الروم هدية من الطاف المدينة إلى إمبراطورة الروم امرأة هرقل وأرسلت لها هذه في نظيرها عقدا نفيسا من الجواهر، فأخذه منها عمر ورده إلى بيت المال وقد جاء في كتب التاريخ أن أم كلثوم أرسلت تلك الهدية مع بريد عمر.

■ (5) عنترة بن عبد الرحمن الشيباني، أبو وكيع الكوفي والد هارون بن عنترة وجد عبد الملك بن هارون بن عنترة روى عن زاذان أبي عمر وعبد الله بن عباس وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وأبي الدرداء. مات سنة 42 هـ

أخرج أبو نعيم في الحلية عن علي بن ربيعة الوالبي عن علي بن أبي طالب قال: جاءه ابن النباح فقال: يا أمير المؤمنين إمتلأ بيت مال المسلمين، من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر فقام متوكئا على ابن النباح حتى قام على بيت مال المسلمين، فقال: هذا جني وخياره فيه..وكل جان يده إلى فيه . يا ابن النباح لي بأشياع الكوفة، قال: فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء، ويا بيضاء، غري غيري، ها، وها؛ حتى ما بقي منه دينار ولا درهم. ثم أمره بنضحه وصلى فيه ركعتين. وعن مجمع التيمي قال: كان علي رضي الله عنه يكنس بيت المال ويصلي فيه يتخذه مسجدا رجاء أن يشهد له يوم القيامة. وأخرجه ابن عبد البر في الإستيعاب عن مجمع التيمي نحوه. وعن معاذ بن العلاء عن أبيه عن جده قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ما أصبت من فيئكم إلا هذه القارورة أهدها إلي الدهقان، ثم نزل إلى بيت المال ففرق كل ما فيه، ثم جعل يقول: أفلح من كانت له قوصرة..يأكل منها كل يوم مرة. وعن عنترة الشيباني قال: كان علي رضي الله عنه يأخذ في الجزية والخراج من أهل كل صناعة من صناعته وعمل يده، حتى يأخذ من أهل الابر، الإبر، والمسال، والخيوط، والحبال، ثم يقسمه بين الناس؛ وكان لا يدع في بيت المال مالا يبيت فيه حتى يقسمه؛ إلا أن يغلبه شغل فيصبح إليه، وكان يقول: يا دنيا، لا تغريني وغري غيري، وينشد: هذا جناي وخياره فيه..وكل جان يده إلى فيه. وأخرج أبو عبيد عن عنترة قال: أتيت عليا رضي الله عنه يوما فجاءه قنبر، فقال: يا أمير المؤمنين إنك رجل لا تليق شيئا، وإن لأهل بيتك في هذا المال نصيبا، وقد خبأت لك خبيئة، قال: وما هي؟ قال: إنطلق فانظر ما هي، قال: فأدخله بيتا فيه باسنة مملوءة آنية ذهب وفضة مموهة بالذهب، فلما رآها علي قال: ثكلتك أمك لقد أردت أن تدخل بيتي نارا عظيمة؟ ثم جعل يزنها ويعطي كل عريف بحصته؛ ثم قال: هذا جني وخياره فيه..وكل جان يده إلى فيه. لا تغريني، وغري غيري. كذا في منتخب الكنز وأخرج أحمد في الزهد ومسدد عن مجمع نحو ما تقدم عن أبي نعيم في الحلية كما في المنتخب.

قال محمد بن أبي بكر، الشهير بالبري: كان علي رضي الله عنه، يسير في الفيء، بسير أبي بكر الصديق في القسم. وإذا ورد عليه مال لم يبق منه شيئا إلا قسمه في يومه ذلك. ويقول: يا دنيا غرى غيري. ولم يكن يستأثر بشيء من الفيء، ولا يخص به حميا ولا قريبا. قال أبو صالح السمان: رأيت عليا دخل بيت المال، فرأى فيه شيئا فقال: ألا أرى هذا هاهنا، وبالناس إليه حاجة؟! فأمر به فقسم، وأمر بالبيت فكنس ونضح، فصلى فيه، أو قال فيه، يعني: نام. وعن مجمع أن عليا كان يكنس بيت المال، ثم يصلي فيه؛ رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين. وعن أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن أبيها قال: قدمت على علي بالكوفة، وهو يعطي الناس في بيت له بابا على غير كتاب، فقال: يا ابن مخرمة: هذا جناي وخياره فيه..إذ كل جان يده إلى فيه. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الناس يتراجعون عليك! قال: أوقد فعلوا ؟ قلت: نعم، قال: فاكتبوهم، فكتبوا. قال موسى بن طريف: دخل علي بيت المال، فأضرط به* ثم قال: لا أمسي وفيك درهم، ثم أمر رجلا من بني أسد، فقسمه حتى أمسى، فقيل: يا أمير المؤمنين، لو عوضته شيئا، فقال: إن شاء الله ولكنه سحت* . وعن أبي حكيم صاحب الحفاء عن أبيه أن عليا أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات ثم أتاه مال من اصبهان فقال: اغدوا إلى العطاء الرابع إني لست لكم بخازن. قال وقسم الحبال*فأخذها قوم وردها قوم. وعن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: لم يرزأ * علي بن أبي طالب من بيت مالنا يعني بالبصرة حتى فارقنا غير جبة محشوة أو خميصة* درابجردية* . وعن عبد العزيز بن محمد عن أبيه، أن عليا أوتي بالمال فأقعد بين يديه الوزان والنقاد، فكوم كومة من ذهب وكومة من فضة وقال: يا حمراء يا بيضاء احمري وابيضي وغري غيري ثم قال: هذا جناي وخياره فيه..وكل جان يده إلى فيه.

وعن هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بالخورنق* وعليه سمل* قطيفة وهو يرعد فيها فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال نصيبا وأنت تفعل هذا بنفسك! قال: فقال: إني والله ما أرزأكم شيئا وما هي إلا قطيفتي اللتين أخرجتهما من بيتي أو قال: من المدينة. وعن ابن عباس قال: اشترى علي بن أبي طالب قميصا بثلاثة دراهم وهو خليفة وقطع كميه من موضع الرصغين*وقال: الحمد الله الذي هذا من رياشه* . وعن مولى لآل عصيفر قال: رأيت عليا خرج فأتى رجلا من أصحاب الكرابيس* فقال له: عندك قميص سنبلاني؟ قال: فأخرج إليه قميصا، فلبسه فإذا هو إلى نصف ساقيه، فنظر عن يمينه وعن شماله، فقال: ما أرى إلا قدرا حسنا بكم هو قال: بأربعة دارهم يا أمير المؤمنين، قال: فحلها من إزاره فدفعها إليه ثم انطلق. وعن سعيد الرجاني قال: اشترى علي قميصين سنبلانيين* أنبجانيين* بسبعة دراهم، فكسا قنبر أحدهما، فلما أراد يلبس قميصه فإذا إزاره مرقوع برقعة من أديم. وعن معاذ بن العلاء أخي أبي عمرو بن العلاء عن أبيه عن جده قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: ما أصبت من فيئكم إلا هذه القارورة أهداها إلي الدهقان ثم أتى بيت المال فقال: خذه وأنشأ يقول: طوبى لمن كانت له قوصرة* ..يأكل منها كل يوم مرة.. وفي نسخة: أفلح من كانت..

----

*(أضرط به) قال أبو زيد وفي حديث علي رضي الله عنه أنه دخل بيت المال فأضرط به أي استخف به وسخر منه وفي حديثه أيضا كرم الله وجهه أنه سئل عن شيء فأضرط بالسائل أي استخف به وأنكر قوله وهو من قولهم تكلم فلان فأضرط به فلان وهو أن يجمع شفتيه ويخرج من بينهما صوتا يشبه الضرطة على سبيل الاستخفاف والاستهزاء (الخميصة) كساء أسود مربع له علمان (درابجردية) نسبة إلى داربجرد كورة بفارس (الحبال) لعله يريد بها ضرب من الحلي راجع تاج العروس: حبل (السحت) ما خبث من المكاسب وحرم (رزأت) أي ما أخذت (القوصرة) وعاء من قصب يرفع فيه التمر (الرصغ) المفصل ما بين الساعد والكف أو الساق والقدم (رياش) الريش والرياش واحد، وهو الكسوة. وقيل: الريش الزينة والرياش كل اللباس (الكرابيس) ضرب من الثياب، فارسي معرب (السنبلاني) الثوب وقد تكون هذه النسبة إلى أحد المواضع والثوب السنبلاني السابغ الطويل الذي قد أسبل (الكساء الانبجاني) هو الذي يتخذ من الصوف والذي له خمل ولا علم له وهو من أدون الثياب الغليظة منسوب إلى موضع اسمه انبجان (هذا جناي وخياره فيه..إذا كان جان يده إلى فيه) عمرو بن عدي هو أبو ملوك الحيرة هو القائل وهو صبي لخاله جذيمة وقد تبدى فأقبل عمرو والصبيان معه من خول جذيمة يجنون الكمأة فيأكل الصبيان خيار ما يجنون ويدفعون إلى جذيمة رذالته وجعل عمرو يدفع إليه ما يجنيه على حاله ولا يأكل منه شيئا ويقول: هذا جناي وخياره فيه..إذا كان جان يده إلى فيه. وتمثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بهذا البيت عند قسمته ما كان في بيت المال.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ أصبهان/ أخبار أصبهان/ النهاية البداية/ تهذيب الكمال/ تقريب التهذيب/ طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني/ علي بن أبي طالب للصلابي/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ـ

عن أبي مطر [1] قال: خرجت من المسجد، فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك فإنه أنقى لثوبك، وأنقى لك، وخذ من رأسك إن كنت مسلما، فمشيت خلفه، وهو بين يدي مؤتزر بإزار، مرتد برداء، ومعه الدرة كأنه أعرابي بدوي، فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريبا بهذا البلد، فقلت: أجل، رجل من البصرة، فقال: هذا علي أمير المؤمنين، حتى انتهى إلى دار ابن أبي معيط، وهو سوق الإبل فقال: بيعوا ولا تحلفوا، فإن اليمين تنفق السلعة، وتمحق البركة، ثم أتى صاحب التمر، فإذا خادم تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمرا بدرهم، فرده موالي فأبى أن يقبله، فقال له علي: خذ تمرك وأعطها درهمها، فإنها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدري من هذا؟ فقال: لا، فقلت: هذا علي أمير المؤمنين، فصبت تمره وأعطاها درهمها، قال: أحب أن ترضى عني يا أمير المؤمنين، قال: ما أرضاني عنك إذا أوفيتهم حقوقهم، ثم مر مجتازا بأصحاب التمر، فقال: يا أصحاب التمر، أطعموا المساكين يرب كسبكم، ثم مر مجتازا معه المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك، فقال: لا يباع في سوقنا طافيا*، ثم أتى دار فرات وهي سوق الكرابيس* فأتى شيخا، فقال: يا شيخ، أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم. فلما عرفه لم يشتر منه شيئا، ثم أتى آخر. فلما عرفه لم يشتر منه شيئا، فأتى غلاما حدثا، فاشترى منه قميصا بثلاثة دراهم، ولبسه ما بين الرصغين* إلى الكفين، يقول في لبسه: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَزَقَنِي مِنْ الرِّيَاشِ مَا أَتَجَمَّلُ بِهِ فِي النَّاسِ، وَأُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي﴾ ضعيف فقيل له: يا أمير المؤمنين، هذا شيء ترويه عن نفسك، أو شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: لا، بل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله عند الكسوة، فجاء أبو الغلام صاحب الثوب، فقيل له: يا فلان، قد باع ابنك اليوم من أمير المؤمنين قميصا بثلاثة دراهم، قال: أفلا أخذت منه درهمين؟! فأخذ أبوه درهما، ثم جاء به إلى أمير المؤمنين وهو جالس مع المسلمين على باب الرحبة*، فقال: أمسك هذا الدرهم، فقال: ما شأن هذا الدرهم؟ فقال: ما كان قميصا ثمن درهمين، فقال: باعني رضاي، وأخذ رضاه. وعن الحر بن جرموز المرادي قال: رأيت عليا وهو يخرج من القصر وعليه قطيتان*، إزار إلى نصف الساق، ورداء مشمر قريب منه، ومعه درة له، يمشي بها في الأسواق ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول: أوفوا الكيل والميزان، ويقول لا تنفحوا* اللحم.

حدث رجل من ثقيف أن عليا أستعمله على عكبراء* قال: ولم يكن السواد يسكنه المصلون، فقال لي بين أيديهم: لتستوفي خراجهم، ولا يجدون فيك رخصة، ولا يجدون فيك ضعفا، ثم قال لي: إذا كان عند الظهر فرح إلي، فرحت إليه فلم أجد عليه حاجبا يحجبني دونه ووجدته جالسا وعنده قدح وكوز فيه ماء فدعا بظبية* فقلت في نفسي: لقد امنني حتى يخرج إلي جوهرا، إذ لا أدري ما فيها، فإذا عليها خاتم فكسر الخاتم، فإذا فيها سويق، فأخرج منه وصب في القدح، فصب عليه ماء فشرب وسقاني، فلم أصبر أن قلت له: يا أمير المؤمنين، أتصنع هذا بالعراق! طعام العراق أكثر من ذلك، قال: أما والله ما أختم عليه بخلا عليه، ولكني أبتاع قدر ما يكفيني، فأخاف أن يفنى فيصنع فيه من غيره، فإنما حفظي لذلك، وأكره أن أدخل بطني إلا طيبا، وإني لم أستطع أن أقول لك إلا الذي قلت لك بين أيديهم إنهم قوم خدع ولكني آمرك الآن بما تأخذهم به، فإن أنت فعلت وإلا أخذك الله به دوني، فإن يبلغني عنك خلاف ما أمرتك عزلتك، فلا يتبعن لهم رزقا يأكلونه ولا كسوة شتاء ولا صيف ولا تضربن رجلا منهم سوطا في طلب درهم ولا تقبحه* في طلب درهم، فإنا لم نؤمر بذلك، ولا تبيعن لهم دابة يعملون عليها إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو، قال: قلت: إذا أجيئك كما ذهبت! قال: وإن فعلت، قال: فذهبت فتتبعت ما أمرني به، فرجعت والله ما بقي علي درهم واحد إلا وفيته.

عن ناجية عن أبيه، قال: كنا قياما على باب القصر، إذ خرج علي علينا، فلما رأيناه تنحينا عن وجهه هيبة له، فلما جاز صرنا خلفه، فبينا هو كذلك إذ نادى رجل يا غوثا بالله! فإذا رجلان يقتتلان، فلكز صدر هذا وصدر هذا، ثم قال لهما: تنحيا، فقال أحدهما: يا أمير المؤمنين، إن هذا اشترى مني شاة، وقد شرطت عليه ألا يعطيني مغموزا* ولا مقطوعا فأعطاني درهما مغموزا، فرددته عليه فلطمني؛ فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صدق يا أمير المؤمنين، قال: فأعطه شرطه، ثم قال للاطم: اجلس، وقال للملطوم: اقتص. قال: أو أعفو يا أمير المؤمنين؟ قال: ذاك إليك؛ قال: فلما جاز الرجل قال علي: يا معشر المسلمين، خذوه؛ قال: فأخذوه، فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضربه خمس عشرة درة، ثم قال: هذا نكال لما انتهكت من حرمته. وفي رواية: قيل: خرج من همذان* فرأى رجلين يقتتلان ففرق بينهما ثم مضى، فسمع صوتا: يا غوثاه بالله! يحضر نحوه وهو يقول: أتاك الغوث. فإذا رجل يلازم رجلا. فقال: يا أمير المؤمنين بعت هذا ثوبا بسبعة دراهم وشرطت أن لا يعطيني مغموزا ولا مقطوعا، وكان شرطهم يومئذ، فأتاني بهذه الدراهم، فأتيت ولزمته فلطمني. فقال للاطم: ما تقول؟ فقال: صدق يا أمير المؤمنين. فقال: أعطه شرطه. فأعطاه. وقال للملطوم: اقتص. قال: أو أعفو يا أمير المؤمنين؟ قال: ذلك إليك. ثم قال: يا معشر المسلمين خذوه، فأخذوه، فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضربه خمس عشرة درة وقال: هذا نكال لما انتهكت من حرمته، وفي رواية أنه قال: هذا حق السلطان.

----

* (عكبرا) يمد ويقصر بليدة من نواحي دجيل قرب صريفين وأوانا بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (ظبية) الظبية جراب صغير أو هي شبه الخريطة والكيس(ظبية) في الحلية : فدعا بطينة (الرحبة) رحبة مسجد الكوفة وهو المكان الواسع أمام بابه (الكرابيس) ضرب من الثياب، فارسي معرب (الرصغ) المفصل ما بين الساعد والكف أو الساق والقدم (رياش) الريش والرياش واحد، وهو الكسوة. وقيل:الريش الزينة والرياش كل اللباس (الطافي) هو الذي يعلو الماء ولا يرسب (تنقيح) تنقيح العظم استخراج مخه، وتنقح شحم الناقة أي قل، ونقح الشيء أي قشرة، والمراد- والله أعلم - لا تخرجوا مخ العظام المكسو باللحم.وفي رواية قال: لا تنفخوا اللحم (همذان) أكبر مدينة في إقليم الجبال.وأيضا همذان: مدينة باليمن في شمإله الغربي قرب صعدة (مغموز) يعنى الدراهم المعيبة (قبطيتان) في رواية: قطريتان (تقبحه) في والمختصر وفي الخراج : لا تقمه على رجله في طلب درهم، وفي المطبوعة : ولا تهيجه

■ (١) أبو مطر، عمرو بن عبد الله الجهني البصري.روى عن علي رضي الله عنه وعنه مختار بن نافع التيمي قال أبو حاتم مجهول تركه حفص بن غياث وقال أبو زرعة لا يعرف اسمه.

☪

قال علي الصلابي: هذا الخبر -أعلاه- ليعتبر مثلا عاليا للتواضع حيث يخرج أمير المؤمنين من بيته إلى السوق يتفقد أحوال الناس، ويقوم بنفسه في حل مشكلاتهم، وهو نوع من السلوك العالي الذي يبرز وجود الولاة في واقع حياة الرعية، سواء قام بذلك الوالي الأكبر أو من دونه، ولا يلزم تكرار هذا الوجود كل يوم، إذ يكفي شعور الناس بأن الولاة معهم في مشكلاتهم ليطمئن صاحب الحق على بقاء حقه في حوزته، وعودته إليه فيما لو اعتدى عليه، وليرتدع من تسول له نفسه الاعتداء على حقوق الناس، وقبل ذلك وأهم منه أن يردعه كل من يحدث نفسه بالاعتداء على حق الله تعالى، وهذا الوجود المتلاحم بين الوالي والرعية يظهر بصور متعددة تتناسب مع أنماط الحياة في كل عصر، فلا يقولن قائل: إن ما قام به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يعتبر سائغا في عصره، ولكنه بعيد التصور في هذا العصر، فإنه لا عبرة بالأشكال والصور، وإنما العبرة بالأهداف والمقاصد التي بها تحقق الحياة السعيدة للمسلمين، وذلك برعاية حق الله أولا، ثم حقوق الناس العامة والخاصة، وفيما أمر به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من إجراء العقوبة على المعتدي مع تنازل صاحب الحق دلالة على إدراكه رضي الله عنه لمقاصد الإسلام من حفظ الأمن، وإشاعة السلام بين المؤمنين، وبذلك سيرتدع من تميل نفسه إلى الاعتداء على غيره إذا عرف بأن العقوبة ستجري عليه ولو عفا عنه خصمه.

☪

قال عمرو بن ميمون: لما ضرب عمر بن الخطاب وجعل الخلافة في الستة من الصحابة، فلما خرجوا من عنده قال: إن يولوها الأجلح* يسلك بهم الطريق، فقال له ابنه عبد الله: فما يمنعك يا أمير المؤمنين من توليته؟ قال: أكره أن أتحملها حيا وميتا. عن صالح بن أبي الأسود عمن حدثه. أنه رأى عليا قد ركب حمارا، ودلى رجليه إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا. وعن حسن بن صالح قال: تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال قائلون: فلان، وقال قائلون: فلان، فقال عمر بن عبد العزيز: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب. وعن زاذان عن علي أنه كان يمشي في الأسواق وحده، وهو وال، يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال، فيفتح عليه القرآن ويقرأ:﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص] ويقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة، وأهل القدرة من سائر الناس. وعن أبي سعيد قال: كان علي أتى السوق فقال: يا أهل السوق، اتقوا الله وإياكم والحلف، فإن الحلف ينفق السلعة، ويمحق البركة، وإن التاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطى الحق، والسلام عليكم ثم ينصرف، ثم يعود إليهم فيقول لهم مثل مقالته. وعن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البقيع، والناس يتبايعون، فنادى:يا معشر التجار، فاستجابوا له ورفعوا إليه أبصارهم فقال:﴿إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللهَّ وَبَرَّ وَصَدَقَ﴾ وعن ابن المسيب أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ﴾ وفي لفظ: ﴿الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ﴾ وعن أبى قتادة الأنصاري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ﴾.

☪

عن عبد الله بن أبي الهذيل، قال: ﴿سَأَلَ أَبُو بَكْرٍ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ مَوْضِعِ الإِزَارِ؟ فَقَالَ: مُسْتَدَقَّ السَّاقِ، لاَ خَيْرَ فِيمَا أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ، وَلاَ خَيْرَ فِيمَا فَوْقَ ذَلِكَ﴾ وعن مسلم بن نذير، عن حذيفة، قال:﴿ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِأَسْفَلِ عَضَلَةِ سَاقِي، أَوْ سَاقِهِ، فَقَالَ: هَذَا مَوْضِعُ الإِزَارِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَأَسْفَلَ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَأَسْفَلَ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَلاَ حَقَّ لِلإِزَارِ فِي الْكَعْبَيْنِ﴾ وعن ابن مسعود، قال: دخل شاب على عمر، فجعل الشاب يثني عليه، قال: فرآه عمر يجر إزاره، قال: فقال له: يا ابن أخي، ارفع إزارك، فإنه أتقى لربك وأنقى لثوبك، قال: فكان عبد الله يقول: يا عجبا لعمر أن رأى حق الله عليه، فلم يمنعه ما هو فيه أن تكلم به. يعني لما طعن غدرا. وعن عون بن المعتمر: أن عمر بن عبد العزيز رأى رجلا يشير بشماله، فقال: يا هذا، إذا تكلمت فلا تشر بشمالك، أشر بيمينك، فقال الرجل: ما رأيت كاليوم، أن رجلا دفن أعز الناس إليه ثم إنه يهمه يميني من شمالي، فقال عمر: إذا استأثر الله بشيء قاله عنه. وعن مجاهد، قال: كان يقال: من مس إزاره كعبيه لم تقبل له صلاة، قال: وقال ذر: من مس إزاره الأرض لم تقبل له صلاة. وعن أبي وائل ، عن ابن مسعود؛ أنه كان يسبل إزاره، فقيل له، فقال: إني رجل حمش الساقين. وعن محمد بن عبد الرحمن، أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لاَ يَنْظُرُ اللهَّ إِلَى الَّذِي يَجُرُّ إِزَارَهُ خُيَلاَءَ﴾ وعن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:﴿ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمَ اللهَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ؛ الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ﴾ وعن عبيد الله بن مقسم قال سأل الحسن بن محمد جابر بن عبد الله عن الغسل من الجنابة فقال: تبل الشعر وتغسل البشرة قال: فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل؟ قال: كان يصب على رأسه ثلاثا، قال: إن رأسي كثير الشعر، قال: كان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من رأسك وأطيب، وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ﴾ قيل يدهنه ويمشطه كل يوم. وحدث جرير بن حازم، أنه سمع قتادة يقول: قلت لأنس: كيف كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كان شعرا رجلا*، ليس بالجعد*، ولا بالسبط* بين أذنه وعاتقه*. وعن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سدل* ناصيته ثم فرق*.

----

* (الجلح) محركة: انحسار الشعر عن جانبي الرأس. وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.. وفي رواية قال: الأصيلع (الحمش أو الحموشة) دقة الساقين (الشعر الرجل) ليس شديد النعومة ولا الخشونة (الجعد) في صفات الرجال يكون مدحا وذما: فالمدح معناه أن يكون شديد الأسر والخلق، أو يكون جعد الشعر أي خشنه، وأما الذم فهو القصير المتردد الخلق. وقد يطلق على البخيل أيضا (الشعر السبط) المنبسط المسترسل (العاتق) ما بين العنق والمنكب (سدل الثوب أو الشعر أو الستر) أرخاه وأرسله (الفرق) يعني فرق شعر الرأس

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ صحيح البخاري/ من له رواية في مسند أحمد/ الكامل غي التاريخ/ البداية النهاية/ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب/ تاريخ الطبري/ مصنف بن أبي شيبة/ مشكل الآثار للطحاوي/ حلية الأولياء/

ذكر الحافظ ابن كثير من خبر الأصبغ بن نباته[1]: أن رجلا جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله تعالى قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال علي: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكتب: إني محتاج، فقال لي: علي بحلة، فأتى بها، فأخذها الرجل فلبسها، ثم أنشأ يقول: كسوتني حلة تبلي محاسنها..فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا..إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة..ولست أبغي بما قد قلته بدلا..إن الثنا ليحيي ذكر صاحبه..كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا..لا تزهد الدهر في خير تواقعه..فكل عبد سيجزي بالذي عملا. فقال علي: علي بالدنانير، فأتى بمائة دينار فدفعها إليه، فقال الأصبغ: يا أمير المؤمنين، حلة ومائة دينار قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ﴾ وهذه منزلة هذا الرجل عندي.

أخرج البيهقي عن عيسى بن عبد الله الهاشمي عن أبيه عن جده قال: أتت عليا رضي الله عنه إمرأتان تسألانه، عربية ومولاة لها، فأمر لكل واحدة منهما بكر من طعام، وأربعين درهما، أربعين درهما. فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت. وقالت العربية: يا أمير المؤمنين تعطيني مثل الذي أعطيت هذه وأنا عربية وهي مولاة؟ قال لها علي رضي الله عنه: إني نظرت في كتاب الله عز وجل فلم أر فيه فضلا لولد إسماعيل على ولد إسحاق عليهما الصلاة والسلام.

وأخرج أبو عبيد في الأموال عن الأصبغ بن نباتة قال: خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى السوق، فرأى أهل السوق قد جاوزوا أمكنتهم. فقال: ما هذا؟ قالوا: أهل السوق قد جاوزوا أمكنتهم. فقال: أليس ذلك إليهم، سوق المسلمين كمصلى المصلين؟ من سبق إلى شيء فهو له يومه حتى يدعه.

أتى عليا رضي الله عنه أعرابي فقال: والله يا أمير المؤمنين ما تركت في بيتي لا سيدا ولا لبدا، ولا ثاغية ولا راغية. فقال: والله ما أصبح في بيتي فضل عن قوتي. فولى الأعرابي وهو يقول: والله ليسألنك الله عن موقفي بين يديك. فبكى بكاء شديدا. وأمر برده واستعادة كلامه. ثم بكى فقال: يا قنبر أئتني بدرعي الفلانية، ودفعها ذلك الأعرابي وقال: لا تخدعن عنها فلِمَ كسفت بها الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.ثم قال قنبر: كان يجزيه عشرون درهما. قال: يا قنبر والله ما يسرني أن لي زنة الدنيا ذهبا أو فضة فتصدقت وقبله الله مني، وأنه سألني عن موقف هذا بين يدي.

----

(1) الأصبغ بن نباتة المشاجعي. كان على شرطة الخميس. قيل: أصبغ بن نباته: أبو القاسم التميمي المجاشعي الحنظلي الدارمي الكوفي، شهد صفين مع علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وروى عنه وعن الحسن بن علي رضي الله عنه وأبي أيوب الأنصاري.

القرآن الكريم

قالت العلماء: من الأخلاق القرآنية الكريمة التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خلق الكرم والجود، وقد كان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم عظيما، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه في مستهل ثاني سورة بعد البسملة: ﴿الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة]. وقال تعالى:﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد] وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ مبلغ الكمال والعظمة في كافة الأخلاق، ولا سيما خلق الكرم، وقد وصفته خديجة رضي الله عنها بقولها: ﴿إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ﴾ فهي تصفه بهذه الصفات البالغة العظمة والقدر، والتي كان عليها قبل بعثته ورسالته، ولم يكن قد تحمل أعباء أمته، ولقد أضفت عليه النبوة زيادة كمال وعظمة، فكيف به بعد ذلك كله؟ لا جرم أن كرمه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك سيكون بالغا ذروة الذرا في كرم الأنبياء وسائر البشر، وهو ما دلت عليه الدلائل النقلية الكثيرة.

وقد تأثر أمير المؤمنين على بن أبي طالب بالتربية القرآنية والنبوية، وترك لنا آثارا بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم في شخصيته العظيمة.

، فهذا موقف جليل لأمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه في الوقوف عند حاجات المحتاجين والاهتمام بأمورهم ورعاية مشاعرهم، وإن أروع ما في هذا الخبر قوله:«اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك. فكم يعاني المحتاجون من الذل بين يدي من يعرضون عليهم حوائجهم، وقدم يتلعثمون فلا يستطيعون النطق، ولقد كانت مشاعر ذلك المحتاج عظيمة حينما واجهه أمير المؤمنين على بهذه المعاملة السامية، ولقد صاغ هذه المشاعر بالأبيات المذكورة وقد كان رضي الله عنه يفرح بقدوم الضيف، ويكرم إخوانه في الله ويتفقدهم، فعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام، أخاف أن يكون الله قد أهانني.

وقال: لعشرون درهما أعطيها أخي في الله أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين، وعندما سئل عن السخاء، قال: ما كان منه ابتداء، فأما ما كان من مسألة فحياء وتكرم، وقد جعل في حياته أوقافا لله تعالى، حيث جعل أرضه بينبع وقفا، وكتب فيها كتابا: هذا ما أمر به على بن أبي طالب، وقضى في ماله: إني تصدقت بينبع ووادي القرى والأذينة وراعة في سبيل الله وذى الرحم القريب والبعيد، ولا يوهب ولا يورث، حيا أنا أو ميتا، وقد قال عن صدقته: لقد رأيتنى وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار، ولم يرد بقوله أربعة آلاف دينار زكاة ماله، وإنما أراد الأوقاف التي جعلها صدقة، وكان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد، فإن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يدخر مالا، ودليل ذلك ما قاله ابنه الحسن بعد مقتله: لقد فارقكم رجل ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم، بقيت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادما، يعنى عليا رضي الله عنه. وكان يحث الناس على إكرام العشيرة فيقول: أكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي به تطير، وإنك بهم تصول، وبهم تطول، وهم العدة عند الشدة، أكرم كريمهم، وعد سقيمهم، وأشركهم في أمورك، ويسر عن معسرهم. ومن مواقف عدله رضي الله عنه:ما رواه عاصم بن كليب عن أبيه قال: قدم على على ابن أبي طالب مال من أصبهان فقسمه سبعة أسباع، فوجد فيه رغيفا، فقسمه سبع كسر، وجعل على كل جزء كسرة، ثم أقرع بينهم، أيهم يعطي أول.

عن ابن أبي مليكة قال: لما أرسل عثمان إلى علي في اليعاقيب وجده مؤتزرا بعباءة محتجزا بعقال وهو يهنأ بعيرا له. يهنأ: أي يطليه بالهنا وهو القطران. وعن عمر بن قيس قال: قيل لعلي: يا أمير المؤمنين، لم ترفع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن. وعن زيد بن وهب أن الجعد بن بعجة عاتب عليا في لبوسه، فقال: ومالك واللبوس؟ أن لبوسي هذا أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي به المسلم. وعن عدي بن ثابت أن عليا أتي بالفالوذج فلم يأكله. وعن حبة العرني أن عليا أتي بالفالوذج فوضع قدامه فقال والله إنك لطيب الريح حسن اللون طيب المطعم، ولكني أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده.وعن زاذان قال: رأيت عليا يمشي في الأسواق فيمسك الشسوع بيده فيناول الرجل الشسع، ويرشد الضال ويعين الحمال على الحمولة وهو يقرأ الآية: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص] ثم يقول كهذه الآية نزلت في ذي القدرة من الناس. أخرجه أحمد في المناقب. وعن أبي مطر البصري أنه شهد عليا أتي أصحاب التمر وجارية تبكي عند التمار، فقال: ما شأنك؟ قال: باعني تمرا بدرهم فرده مولاي، فأبى أن يقبله، فقال: يا صاحب التمر خذ تمرك وأعطها درهمها، فإنها خادم وليس لها أمر، فدفع عليا، فقال المسلمون: تدري من دفعت؟ قال: لا. قالوا: أمير المؤمنين. فصب تمرها وأعطاها درهمها، وقال: أحب أن ترضى عني فقال: ما أرضاني عنك إذا أوفيت الناس حقوقهم! أخرجه أحمد في المناقب. وعن ابن حبان التيمي عن أبيه قال: رأيت علي بن أبي طالب على المنبر يقول: من يشتري مني سيفي هذا؟ فلو كان عندي ثمن إزار ما بعته. فقام إليه رجل وقال: أسلفك ثمن إزار. قال عبد الرزاق: وكانت بيده الدنيا كلها إلا ما كان من الشام.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان علي يخرج في الشتاء في إزار ورداء ثوبين خفيفين وفي الصيف في القباء المحشو والثوب الثقيل فقال الناس لعبد الرحمن: لو قلت لأبيك فإنه يسمر معه فسألت أبي فقلت: إن الناس قد رأوا من أمير المؤمنين شيئا استنكروه قال: وما ذاك؟ قال: يخرج في الحر الشديد في القباء المحشو والثوب الثقيل ولا يبالي ذلك ويخرج في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين والملاءتين لا يبالي ذلك ولا يتقي بردا فهل سمعت في ذلك شيئا فقد أمروني أن أسألك أن تسأله إذا سمرت عنده فسمر عنده فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس قد تفقدوا منك شيئا قال: وما هو؟ قال: تخرج في الحر الشديد في القباء المحشو أو الثوب الثقيل وتخرج في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين وفي الملاءتين لا تبالي ذلك ولا تتقي بردا قال: وما كنت معنا يا أبا ليلى بخيبر؟ قال: قلت بلى والله قد كنت معكم قال: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر فسار بالناس فانهزم حتى رجع إليه وبعث عمر فانهزم بالناس حتى انتهى إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُّ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللهُّ لَهُ لَيْسَ بِفَرَّارٍ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَدَعَانِي فَأَتَيْته وَأَنَا أَرْمَدُ لاَ أُبْصِرُ شَيْئًا فَتَفَلَ فِي عَيْنِي وَقَالَ: اللَّهُمَّ، اكْفِهِ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ﴾ قال فما آذاني بعد حر ولا برد.

مراجع: علي بن أبي طالب للصلابي/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ مصنف بن أبي شيبة/ ربيع الأبرار/

أخرج ابن عساكر عن الحسن قال: لما قدم علي البصرة –في إثر طلحة وأصحابه – قام إليه ابن الكواء[1]،وقيس بن عباد[2]فقالا له: ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه، تتولى على الأمة، تضرب بعضهم ببعض، أعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده إليك، فحدثنا فأنت الموثوق المأمون على ما سمعت، فقال، أما أن يكون عندي عهد من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فلا، والله إن كنت أول من صدق به، فلا أكون أول من كذب عليه، ولو كان عندي من النبي صلى الله عليه وسلم عهد في ذلك، ما تركت أخا بني تيم بن مرة، وعمر بن الخطاب يقومان على منبره، ولقاتلتهما بيدي، ولو لم أجد إلا بردي هذا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلاً، ولم يمت فجأة، مكث في مرضه أياماً وليالي، يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس، وهو يرى مكاني، ثم يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس، وهو يرى مكاني، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال:﴿أَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّ بِالنَّاسِ﴾ فلما قبض الله نبيه، نظرنا في أمورنا، فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله لديننا. وكانت الصلاة أصل الإسلام، وهي أعظم الأمر، وقوام الدين. فبايعنا أبا بكر، وكان لذلك أهلاً، لم يختلف عليه منا اثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم نقطع منه البراءة، فأديت إلى أبي بكر حقه، وعرفت له طاعته، وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي، فلما قبض، ولاها عمر، فأخذ بسنة صاحبه، وما يعرف من أمره، فبايعنا عمر، لم يختلف عليه منا اثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم نقطع البراءة منه. فأديت إلى عمر حقه، وعرفت طاعته، وغزوت معه في جيوشه، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي. فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وسالفتي وفضلي، وأنا أظن أن لا يعدل بي، ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده ذنباً إلا لحقه في قبره، فأخرج منها نفسه وولده، ولو كانت محاباة منه لآثر بها ولده فبرئ منها إلى رهط من قريش ستة، أنا أحدهم. فلما اجتمع الرهط* تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي، وأنا أظن أن لا يعدلوا بي، فأخذ عبد الرحمن مواثقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا، ثم أخذ بيد ابن عفان فضرب بيده على يده، فنظرت في أمري، فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي، وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري، فبايعنا عثمان، فأديت له حقه، وعرفت له طاعته، وغزوت معه في جيوشه، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي. فلما أصيب نظرت في أمري، فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهما بالصلاة قد مضيا، وهذا الذي قد أخذ له الميثاق، قد أصيب، فبايعني أهل الحرمين، وأهل هذين المصرين.. روى إسحاق بن راهوية نحوه، عن عبدة بن سليمان، ثنا أبو العلاء سالم المرادي، سمعت الحسن، وروى نحوه وزاد في آخره: فوثب فيها من ليس مثلي، ولا قرابته كقرابتي، ولا علمه كعلمي، ولا سابقته كسابقتي، وكنت أحق بها منه، قالا: صدقت، فأخبرنا، عن قتالك هذين الرجلين يعنيان: طلحة والزبير صاحباك في الهجرة، وصاحباك في بيعة الرضوان، وصاحباك في المشورة. قال: بايعاني بالمدينة، وخلعاني بالبصرة، ولو أن رجلا ممن بايع أبا بكر خلعه لقاتلناه، ولو أن رجلا ممن بايع عمر خلعه لقاتلناه.

----

*(الرهط) الجماعة من الرجال دون العشرة

■ (2) قيس بن عباد أبو عبد الله الضبعي القيسي البصري. قدم المدينة في خلافة عمر، وكان ثقة قليل الحديث.

■ (1) عبد الله بن الكواء اليشكري أول أمير للخوارج من حين اعتزلوا جيش علي وخرجوا عليه، وكان قبل من أصحاب علي ومن المحرضين على القتال وقد قال شعرا في مدح علي وتحريض جيش صفين. وقال الحافظ ابن حجر: إنه قد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي. قيل هو عبد الله بن أوفى ويقال عبد الله بن عمرو ابن النعمان بن ظالم بن مالك بن أبي بن عصر بن سعد بن عمرو بن جشم أبو عمرو ويقال: ابن الكوا اليشكري، المعروف بابن الكوا، وقيل: ابن الكواء.

في الطيوريات بسنده إلى جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال رجل لعلي بن أبي طالب: نسمعك تقول في الخطبة: اللهم، أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم؟ فاغرورقت عيناه فقال: هم حبيباي أبو بكر وعمر إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن اتبع آثارهما هدي الصراط المستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله. وعن أبي حيان التيمي، عن أبيه عن علي قال: ﴿قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ، زَوَّجَنِي ابْنَتَهُ، وَحَمَلَنِي إِلَى دَارِ الْهِجْرَةِ، وَأَعْتَقَ بِلالا مِنْ مَالِهِ، رَحِمَ اللهُ عُمَرَ، يَقُولُ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، تَرَكَهُ الْحَقُّ مَا لَهُ صِدِّيقٌ، رَحِمَ اللهُ عُثْمَانَ، تَسْتَحْيِيهُ الْمَلائِكَةُ، رَحِمَ اللهُ عَلِيًّا، اللَّهُمَّ، أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ﴾ عن علي قال: قيل: يا رسول الله، من نؤمر بعدك؟ قال: إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهدا في الدنيا، راغبا في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قويا، أمينا، لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا عليا، ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا، يأخذ بكم الطريق المستقيم. قال البيهقي: وهذا لأن أمير المؤمنين عليا عاش بعد سائر الخلفاء حتى ظهر له مخالفون، وخرج عليه خارجون، فاحتاج من بقي من الصحابة إلى رواية ما سمعوه في فضائله، وقرابته، ومناقبه، ومحاسنه ليردوا بذلك عنه ما لا يليق به من القول والفعل، وهو أهل كل فضيلة ومنقبة، ومستحق لكل سابقة ومرتبة، ولم يكن أحد في وقته أحق بالخلافة منه، وكان في قعوده عن الطلب قبله محقا، وفي طلبه في وقته مستحقا، وهو كما قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله: لم يزل علي بن أبي طالب مع الحق، والحق معه حيث كان. وحدث سعيد عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وكانت ابنته تحت واقد بن عبد الله بن عمر: فدخل عبد الله بن عياش على ابنته، فقلت: يا أبا الحارث، ألا تخبرني عن علي بن أبي طالب؟ قال: أما والله يا ابن أخي إني به لخابر، قلت: وتقول ذاك ما هو؟ قال: كان رجلا تلعابة، وكان إن شاء أن يقطع له ضرس قاطع قطع، قلت: وضرسه ذاك ما هو؟ قال: قراءة القرآن، وعلم بالقضاء، وبأس، وجود، لا ينكس. قال الأسود بن قيس: فقلت له: ما تلعابة؟ قال: فيه مضاحكة. وعن أبي الطفيل قال: قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد كان لعلي بن أبي طالب من السوابق ما لو أن سابقة منها بين الخلائق لوسعتهم خيرا. قال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وقال مسروق: انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة وعالم بالشام وعالم بالعراق، فعالم المدينة علي بن أبي طالب، وعالم الكوفة عبد الله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء.فإذا التقوا ساءل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة ولم يسألهم. قال عبد الملك بن أبي سليمان: قلت لعطاء بن أبي رباح: أكان في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم من علي بن أبي طالب؟ قال: لا والله، ما أعلمه. وعلي مناقبه أشهر من أن تذكر، وفضائله أكثر.

عن قيس بن عباد قال: كنا مع علي، فكان إذا شهد مشهدا، أو أشرف على أكمة، أو هبط واديا قال: سبحان الله، صدق الله ورسوله، فقلت لرجل من بني يشكر: انطلق بنا إلى أمير المؤمنين حتى نسأله عن قوله: صدق الله ورسوله، قال: فانطلقنا إليه، فقلنا: يا أمير المؤمنين، رأيناك إذا شهدت مشهدا أو هبطت واديا، أو أشرفت على أكمة قلت: صدق الله ورسوله، فهل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا في ذلك؟ قال: فأعرض عنا، وألححنا عليه. فلما رأى ذلك قال: والله ما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا إلا شيئا عهده إلى الناس، ولكن الناس وقعوا على عثمان فقتلوه، فكان غيري فيه أسوأ حالا وفعلا مني ثم إني رأيت أني أحقهم بهذا الأمر، فوثبت عليه، فالله أعلم أصبنا أم أخطأنا.

وعن علي بن أبي طالب قال: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أرى أني أحق الناس بهذا الأمر، فاجتمع الناس على أبي بكر، فسمعت وأطعت، ثم إن أبا بكر حضر فكنت أرى أن لا يعدلها عني، فولى عمر فسمعت وأطعت، ثم إن عمر أصيب فظننت أنه لا يعدلها عني فجعلها في ستة أنا أحدهم، فولاها عثمان فسمعت وأطعت، ثم إن عثمان قتل فجاؤوني فبايعوني طائعين غير مكرهين. فوالله ما وجدت إلا السيف أو الكفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

قالت العلماء: لما طالب علي معاوية ومن معه من الصحابة والتابعين أن يبايعوه احتكموا إليه في قتلة عثمان وطلبوا منه أن يقيم حد الله عليهم أو أن يسلمهم إليهم فيقيموا عليهم حد الله. وقد اعتذرنا* عن أمير المؤمنين علي بأن قتلة عثمان لما صاروا مع علي في العراق صاروا في معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم، فكان علي يرى- بينه وبين نفسه- أن قتلهم يفتح عليه بابا لا يستطيع سده بعد ذلك. وقد انتبه لهذه الحقيقة الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي[1] وتحدث بها مع أم المؤمنين عائشة وصاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة والزبير فأذعنوا له وعذروا عليا ووافقوا على التفاهم معه على ما يوصلهم إلى الخروج من هذه الفتنة، فما لبث قتلة عثمان أن أنشبوا الحرب بين الفريقين. فالمطالبون بإقامة حد الله على قتلة عثمان معذورون لأنهم يطالبون بحق، سواء كانوا من أصحاب الجمل، أو من أهل الشام. وتقصير علي في إقامة حد الله كان عن ضرورة قائمة ومعلومة..

وقالوا : ليس في أهل السنة رجل واحد يتهم عليا بقتل عثمان، لا في زماننا ولا في زمانه. وقد مضى الكلام على ذلك في هذا الكتاب* . وكل ما في الأمر وجود قتلة عثمان مع علي، وموقف علي منهم، وعذره بينه وبين الله في موقفه هذا. فنحن جميعا على رأي القعقاع بن عمرو بأن موقف علي موقف ضرورة. غير أن الحمقى من إخباري الشيعة دسوا على علي أخبارا تشعر بغير ما كان في قلبه من المحبة والرضا والموالاة والتأييد لعثمان أثناء محنته، فأساؤوا بذلك إلى علي من حيث يريدون الإساءة إلى عثمان. أما معاوية وفريقه فلم يذكروا عليا في أمر البغي على عثمان إلا لمناسبة انضواء قتلة عثمان إليه واستعانته بهم. فقتلة عثمان هم الذين أساؤوا إلى الإسلام وإلى عثمان وإلى علي أيضا. فالله حسيبهم. *(كتاب العواصم من القواصم)

أخرج ابن عساكر عن أبي إسحاق قال: قال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن عثمان –رضي الله عنه– في النار. قال: ومن أين علمت؟ قال: لأنه أحدث أحداثا، فقال له علي: أتراك لو كانت لك بنت أكنت تزوجها حتى تستشير؟ قال: لا، قال: أفرأي هو خير من رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنتيه؟ وأخبرني عن النبي صلى الله عليه وسلم أكان إذا أراد أمرا يستخير الله أو لا يستخيره؟ قال: لا، بل كان يستخيره، قال: أفكان الله يخير له أم لا؟ قال: بل يخير له، قال: فيخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختار الله له في تزويجه عثمان أم لم يختر له؟ ثم قال: لقد تجردت لك لأضرب عنقك فأبى الله ذلك، أما والله لو قلت غير ذلك لضربت عنقك.

■ (1) القعقاع بن عمرو التميمي.أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والإسلام، له صحبة، شهد اليرموك، وفتح دمشق وأكثر وقائع أهل العراق مع الفرس. سكن الكوفة، أدرك وقعة صفين فحضرها مع علي، وكان يتقلد في أوقات الزينة سيف هرقل ملك الروم، ويلبس درع بهرام ملك الفرس وهما مما أصابه من الغنائم في حروب فارس، وكان شاعرا فحلا. قال أبو بكر: صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل. توفي سنة 40 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الفتنة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم/ العواصم من القواصم/ الأعلام للزركلي/ حياة الصحابة للكاندهلوى/

قالوا*: خرج علي رضي الله عنه حاسرا*على بغلة رسول الله يوم الجمل فنادى: يا زبير[1] اخرج إلي، فخرج إليه الزبير شاكا سلاحه*، فقيل ذلك لعائشة رضي الله عنها فقالت: واحزنك يا أسماء[2]، فقيل لها إن عليا حاسر* فاطمأنت، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، فقال له علي رضي الله عنك: ويحك يا زبير، ما الذي أخرجك؟ قال: دم عثمان رضي الله عنه، قال: قتل الله تعالى أولانا بدم عثمان، أوما تذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب حماره، فضحك إلي وضحكت إليه وأنت معه، فقلت أنت: يا رسول الله ما يدع علي زهوه، فقال:﴿لَيْسَ بِهِ زَهْو، أَتُحِبُّهُ يَا زُبَيْرُ؟﴾ قلت: والله إني لأحبه، فقال:﴿إِنَّك سَتُقَاتِلُهُ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ وَلَيَنْصُرَنَّ عَلَيْك﴾ فقال الزبير: أستغفر الله، لو ذكرته ما خرجت، فكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان*؟ هذا والله العار الذي لا يغسل أبدا، فقال: يا زبير ارجع بالعار قبل أن ترجع بالعار والنار، فرجع الزبير وهو يقول: اخترت عارا على نار مؤججة..أنى يقوم لها خلق من الطين..نادى علي بأمر لست أجهله..عار لعمرك في الدنيا وفي الدين..فقلت حسبك من عذل أبا حسن..فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني. ورجع الزبير إلى عائشة رضي الله عنها فقال: ما كنت في موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا، قالت: فما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أدعهم وأذهب، فقال له ابنه عبد الله[3]: جمعت هذين حتى إذا حدد بعضهم إلى بعض أردت أن تتركهم وتذهب؟! قال: ذكرني يا بني أمرا كنت أنسيته، فقال: لا والله ولكن فررت من سيوف بني عبد المطلب فإنها طوال حداد تحملها فتية أنجاد، فقال: لا والله ولكن ذكرني ما أنسانيه الدهر فاخترت العار على النار، أفبالجبن تعيرني لا أبا لك!؟ ثم قلع سنانه* وشد على ميمنة علي رضي الله عنه فقال: افرجوا له فقد هاجوه، وشد في الميسرة، ثم مضى منصرفا حتى أتى وادي السباع*،

والأحنف بن قيس[4] معتزل في قومه من بني تميم، فقال له رجل: هذا الزبير مارا، فقال الأحنف: ما أصنع بالزبير وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس فقتل بعضهم بعضا، وهو مار إلى منزله سالما، ما رأيت مثل هذا، أتى بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يسوقها فهتك عنها حجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وستر حرمته في بيته، ألا رجل يأخذ لله منه؟ فلحقه نفر من بني تميم سبقهم إليه عمرو بن جرموز[5]،وقد نزل الزبير رضي الله عنه للصلاة، فأتاه من خلفه فطعنه، وهو في الصلاة، فمات رحمه الله، فاحتز رأسه وأتى به وسيفه وخاتمه إلى علي رضي الله عنه فقال علي: يا أعرابي تبوأ مقعدك من النار، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ فِي النَّارِ﴾ وقال علي: هذا سيف طالما جلا الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن حلول الحين ومقدار السوء!..وقيل: إن عمرو بن جرموز لما قتل الزبير أتى بلبسه إلى علي واستأذن عليه، فلم يأذن له. وقال: بشروه بالنار. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿بَشِّرُوا قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ﴾ وكيف لا يبشر بالنار من قتل حواري*رسول الله صلى الله عليه وسلم غدرا؟ لقد جاء شيئا نكرا، وباء بإثم عظيم لقتل حواري كريم.

قالوا: ثم نادى علي رضي الله عنه طلحة[6] حين رجع الزبير: يا أبا محمد، ما الذي أخرجك؟ قال: الطلب بدم عثمان، قال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿اللَّهُمَّ، وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ﴾ وأنت أول من بايعني ثم نكثت، وقد قال الله عز وجل:﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح] فقال: أستغفر الله، ثم رجع واعتزل في بعض الصفوف. فرمي بسهم في رجله فقطع عرق النسا، فلم يزل دمه ينزف حتى مات رضي الله عنه؛ ويقال إن السهم أصاب ثغرة نحره، وأن الذي رماه مروان بن الحكم[7] بسهم فقتله، وقال: لا أطلب بثأري بعد اليوم، وذلك أن طلحة كان -فيما زعموا- ممن حاصر عثمان واشتد عليه. قيل: إن عليا انتهى إلى طلحة وقد مات، فنزل عن دابته، وأجلسه، فجعل يمسح الغبار عن وجهه ولحيته، وهو يترحم عليه، ويقول: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة، ويقول:﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِّ قَدَرًا مَقْدُورً﴾ [الأحزاب] ولما قتل طلحة والزبير جعل علي وأصحابه يبكون.

----

*(قالوا) مروج الذهب-من كتب الشيعة-، وفي ما هنا بعض زيادة (الحاسر) من لا درع له ولا جنة (الدارع) لابس الدرع (وادي السباع) موضع بين البصرة ومكة (شك) يقال رجل شاك السلاح وشاك في السلاح وهو اللابس السلاح التام ولم يدع منه شيئا (الحوارى) خاصة النبى وناصره (التقت حلقتا البطان) قولهم التقى حلقتا البطان والتقى البطان والحقب: يضرب مثلا للأمر يبلغ الغاية في الشدة والصعوبة وأصله ان يحوج الفارس إلى النجاء مخافة العدو فينجو فيضطرب حزام دابته حتى يمس الحقب ولا يمكنه أن ينزل فيصلحه والبطان حزام الرحل وأكثر ما يستعمل للقتب (قلع سنانه) أنصل سنان رمحه، أي نزعه.

■ (4) الأحنف بن قيس التميمي،قيل اسمه صخر، وكان سيد قومه، يضرب به المثل في الحلم. أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه، روى عن عمر وعثمان وعلي، ومات سنة 67 هـ أو 68 هـ وقيل مات في إمارة مصعب بن الزبير، بالكوفة.

■ (6) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

■ (1) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي.أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حواري رسول الله. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر. أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ

■ (5) عمرو بن جرموز بن قيس بن الذيال التميمي قاتل الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه، وكان الذي أنذر بالزبير رجل من بني حمان يقال له ابن قرتنا، أخبر الأحنف بانصرافه فقال الأحنف ما قال حتى لحقه ابن جرموز بعد معركة الجمل فقتله غيلةً وغدراً وهو يصلي

■ (2) أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة، الملقبة بذات النطاقين صحابية جليلة، أخت السيدة عائشة لأبيها، وزوج الصحابي الجليل الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأم عبد الله بن الزبير الذي قتله الحجاج بن يوسف. ولدت أسماء بمكة قبل الهجرة سنة 27 ق.هـ، وأسلمت بعد سبعة عشر مسلما، وقد شاركت رضي الله عنها في أحداث الهجرة، فكانت تحمل الزاد والماء والأخبار إلى النبي وأبيها الصديق رضي الله عنه، أثناء وجودهما في غار ثور ولقبت خلالها بذات النطاقين؛ لأنها اضطرت إلى شق نطاقها نصفين لتضع في أحدهما الطعام وتستر بالآخر رأسها. وكانت رضي الله عنها مثالا في الجود والكرم، كثيرة البذل والعطاء، وكانت تقول لبناتها: أنفقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن انتظرتن الفضل لم تفضلن شيئا. روت أسماء الحديث عن النبي؛ حيث روى عنها علماء الحديث ثمانية وخمسين حديثا. وتوفيت رضي الله عنها بمكة في جمادى الأولى سنة 73 هـ بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير بثلاثة أشهر.

■ (3) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (7) مروان بن الحكم بن أبي العاص أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الأموية.. قيل نظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك. ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ.

☪

قال إدريس بن حسكة:قال الأحنف لعلي:يا أمير المؤمنين بلغني أن هذه الذئاب من الكوفة يأتوا يعنفونك في قتل المقاتلة،وسبي الذرية،وقسم الفيء،ولن يكفهم عنك إلا شيء تقذفه في أفواههم،وفي بيت المال ههنا شيء فاقذفه في أفواههم،وايم الله لئن رمت ما يريدونك عليه لا يكون الأولى عند الأخرى إلا كلقعة ببعرة.وعن مبارك بن فضالة عن الحسن قال: كانت لعلي رضي الله عنه قبة لا يدخلها إلا هاشمي والأحنف، وكان لا يعدل برأيه رأيا فقال له: إنا لو رأينا أحدا أحق بهذا الأمر منك بايعناه، فلا تمح أمير المؤمنين من كتاب القضية: فقال بعض أصحابه:قد فعل مثل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين محا رسول الله وكتب محمد بن عبد الله، فقال الأحنف: إن الله أبى إلا أن يكون النبي رسوله،وأنت يا أمير المؤمنين تريد أخذ هذا الأمر بالسيف. وعن أبي ريحانة قال: قال الأحنف، وهو بصفين مع علي رضي الله عنه:ويل للعرب إن غلبنا أو غلبنا، قيل: وكيف ذاك يا أبا بحر؟ قال: إن غلبنا لم يعلم إمام بمعصية إلا قتل وإن غلبنا لم يعج إمام عن معصية.

☪

عن النعمان بن بشير قال: كنا مع علي بن أبي طالب في مسجد الكوفة وهو مجتنح لشقه، فخضنا في عثمان وطلحة والزبير، فاجتنح لشقه الآخر، فقال: فيم خضتم؟ قلنا: خضنا في عثمان وطلحة والزبير وحسبناك نائما، فقال علي:﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُون﴾ [الأنبياء] وإن ذاك عثمان وطلحة والزبير، وأنا من شيعة عثمان وطلحة والزبير.ثم قال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر] ذاك عثمان وطلحة والزبير، وأنا من شيعة عثمان وطلحة والزبير. وعن يوسف بن سعد مولى عثمان بن مظعون قال: قال لي ابن حاطب: لو شهدت اليوم شهدت عجبا. قال: قلت: ما هو؟ قال: فإن عليا وعمارا ومالكا وصعصعة اجتمعوا في دار نافع فذكروا عثمان، فقال علي: يا أبا اليقظان، لقد سبق في عثمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم سوابق، لا يعذبه الله بعدها أبدا. وعن عبد الرحمن ومحمد ابني حاطب: أن رجلا أتى عليا يسأله عن عثمان وعنده أصحابه فكلهم قال: كافر. فقال الرجل: إني لست أسألكم إنما أسأل أمير المؤمنين. فقال علي: في عثمان وأصحابه نزلت:﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُون﴾ [الأنبياء] وعن قيس بن عباد قال: سمعت عليا يوم الجمل يقول: اللهم، إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوما قتلوا رجلا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلَا أَسْتَحِي مِمَّنْ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ!﴾ وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل الأرض لم يدفن بعد. فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس يسألوني البيعة فقلت: اللهم، إني لمشفق مما أقدم عليه، ثم جاء عزمة فبايعت. فلما قالوا: أمير المؤمنين، فكأن صدع قلبي وانسكبت بعبرة. وفي لفظ: فكأنكما صدع قلبي وقلت: اللهم، خذ مني لعثمان حتى ترضى. قال سالم بن أبي الجعد: كنت جالسا عند محمد بن الحنفية في الشعب، قال: فذكروا عثمان، قال: فنهانا محمد وقال: كفوا عن هذا الرجل، قال: ثم غدونا يوما آخر، قال: فنلنا منه أكثر مما كان قبل ذلك، فقال: ألم أنهكم عن هذا الرجل؟ قال: وابن عباس جالس عنده فقال: يا بن عباس، تذكر عشية الجمل وأنا على يمين علي في يدي الراية، وأنت عن يساره إذ سمع هدة في المربد، فأرسل رسولا، فجاء الرسول فقال: هذه عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد، قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه، مرتين أو ثلاثا، قال: وأنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله في السهل والجبل. قال: فصدقه ابن عباس، ثم أقبل علينا فقال: في وفي هذا لكم شاهدا عدل. وعن سليمان بن عبد الله بن فروخ قال: قيل لعلي يوم الجمل وهو في فسطاط صغير، وقد بلغنا النبل فقال: شيموا سيوفكم حتى صاحوا: يا ثارات عثمان! فقال علي، لقد نعوه، يا قنبر ائتني بلامتي. فلبسها فقال: ترسوا لي. فترسوه، فقال: ما قلتم؟ قال: قلنا: يا ثارات عثمان. فقال علي: أكب الله قتلة عثمان على مناخرهم.

☪

عن طلحة بن يحيى عن جدته سعدى رضي الله عنها قالت: دخلت يوما على طلحة، تعني ابن عبيد الله رضي الله عنه، فرأيت منه ثقلا، فقلت له: ما لك؟ لعله رابك منا شيء فنعتبك قال: لا، ولنعم حليلة المرء المسلم أنت ولكن إجتمع عندي مال ولا أدري كيف أصنع به قالت: وما يغمك منه أدع قومك فاقسمه بينهم، فقال: يا غلام علي بقومي، فسألت الخازن كم قسم؟ قال: أربع مائة ألف. وعن الحسن قال: باع طلحة رضي الله عنه أرضا له بسبع مائة ألف، فبات ذلك المال عنده ليلة، فبات أرقا من مخافة ذلك المال حتى أصبح ففرقه. وعن سعدى إمرأة طلحة رضي الله عنهما قالت: دخل علي طلحة فوجدته مغموما فقلت: ما لي أراك كالح الوجه، أرابك من أمرنا شيء؟ قال: لا والله ما رابني من أمرك شيء، ولنعم الصاحبة أنت ولكن مالا إجتمع عندي قالت: فابعث إلى أهلك وقومك فاقسم فيهم، قالت: ففعل فسألت الخازن كم قسم فقال: أربع مائة ألف، وكانت غلته كل يوم ألف واف. قال: وكان يسمى طلحة الفياض.وعن سعيد بن (عبد) العزيز قال: كان للزبير بن العوام رضي الله عنه ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فكان يقسمه كل ليلة، ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء.وعن مغيث بن سمي قال: كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، ما يدخل بيته من خراجهم درهما.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ الروض المعطار في خبر الأقطار/ مروج الذهب/ البداية والنهاية/ شرح شافية ابن الحاجب/ شرح نهج البلاغة/ أنساب الأشراف/ لسان العرب/ جمهرة الأمثال/ حياة الصحابة للكاندهلوى/.

قال أبو حبيبة مولى طلحة: دخلت على علي[0] مع عمران بن طلحة[1] بعدما فرغ من أصحاب الجمل، قال: فرحب به، وأدناه، وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وإياك من الذين قال الله:﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر] فقال: يا بن أخ، كيف فلانة كيف فلانة؟ قال: وسأله عن أمهات أولاد أبيه، قال: ثم قال: لم نقبض أرضكم هذه السنين إلا مخافة أن ينتهبها الناس، يا فلان، انطلق معه إلى ابن قرظة[2]، مره فليعطه غلته هذه السنين، ويدفع إلي أرضه. قال: فقال رجلان جالسان ناحية، أحدهما الحارث الأعور[3]: الله أعدل من ذلك: أن تقتلهم ويكونوا إخوانا في الجنة. قال: قوما أبعد أرض الله، وأسحقها، فمن هو إذا لم أكن أنا وطلحة[4]؟ يا بن أخي، إذا كانت لك حاجة فأتنا.

وعن ربعي بن خراش[5] قال: إني لعند علي جالس إذ جاء ابن طلحة يسلم على علي، فرحب به علي، فقال: ترحب بي يا أمير المؤمنين وقد قتلت والدي، وأخذت مالي؟! قال: أما مالك فهو معزول في بيت المال، فاغد إلى مالك فخذه، وأما قولك: قتلت أبي، فإني أرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر] فقال رجل من همدان أعور: الله أعدل من ذلك، فصاح علي صيحة تداعى لها القصر، قال: فمن ذاك إذا لم نكن أولئك؟ وفي رواية أن الذي قال ذلك ابن الكوا[6]. فقام إليه بدرته فضربه، وقال: أنت لا أم لك وأصحابك تنكرون هذا؟

وعن إبراهيم بن محمد بن طلحة[7] قال: كان قدر ما ترك طلحة بن عبيد الله من العقار والأموال، وما ترك من الناض ثلاثين ألف ألف درهم، ترك من العين إلى ألف ومئتي ألف درهم، ومئتي ألف دينار، والباقي عروض.

وعن النعمان بن بشير[8]، وكان ممن يسمر مع علي أن عليا خرج فتلا هذه الآية:﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء] قال: أنا منهم وأبو بكر[9] وعمر[10] وعثمان[11] وطلحة والزبير[12] فما زال يتلو حتى دخل في الصلاة.

قتل طلحة رضي الله عنه يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن أربع وستين سنة. وقيل: هو ابن اثنتين وستين سنة. وقيل: ابن ثلاث وستين، وقيل: ابن ستين سنة.

وفي رواية كان عمران بن طلحة قد لحق بمعاوية[13]، فقال له معاوية: ارجع إلى علي فإنه يرد عليك مالك، فرجع عمران، فأتى الكوفة، فدخل على علي في المسجد، فقال له علي: مرحبا يا بن أخي، إني لم أقبض مالكم لآخذه. ولكني خفت عليه من السفهاء، فانطلق إلى عمك قرظة بن كعب فمره فليرد عليك ما أخذنا من إلى أرضكم، أما والله إني لأرجو أن أكون أن وأبوك من الذين ذكرهم الله في كتابه وتلا هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر] فقال الحارث الأعور: لا، والله، الله أعدل من أن يجمعنا وإياهم في الجنة. قال: فمن ذا يا أعور؟ أنا وأبوك؟!

■ (1)عمران بن طلحة بن عبيدالله، قديم الوفاة. حدث عن أبيه، وأمه حمنة، وعلي. وعنه ابنا أخيه: إبراهيم بن محمد، ومعاوية بن إسحاق، وسعد بن طريف. وكان تابعي ثقة. وقيل: انقرض عقبه. ويقال: ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وأمه حمنة بنت جحش بن رئاب. وله وفادة إلا معاوية، وعمران بن طلحة أخو محمد بن طلحة لأمه، هو الذي قدم على علي بن أبي طالب بعد يوم الجمل؛ فسأله أن يرد عليه أموال أبيه بالنشاستج، فقربه علي، وأجلسه معه، ورحم على أبيه، وقال له: لا نقبض أموالكم إلا لنحفظها عليكم، فأمر بها فدفعت إليه بغلاتها وجميع ما اجتمع منها.

■ (4) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

■ (12) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي.أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حواري رسول الله. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر. أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ

■ (2) قرظة بن كعب الأنصاري الخزرجي: أحد فقهاء الصحابة، وهو أحد العشرة الذين وجههم عمر إلى الكوفة ليعلموا الناس. وشهد قرظة أحدا وما بعدها من المشاهد، وكان فاضلا، وفتح الري سنة 23 في خلافة عمر وولاه علي الكوفة لما سار إلى الجمل، فلما خرج إلى صفين أخذه معه، وجعل على الكوفة أبا مسعود البدري. وتوفي في خلافة علي في داره بالكوفة، وصلى عليه علي، وقيل توفي في إمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة، أول أيام معاوية. والأول أصح في حدود 40 هـ.

■ (3) الحارث الاعور هو العلامة الامام أبو زهير، الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد الهمداني الكوفي صاحب علي وابن مسعود، كان فقيها كثير العلم على لين في حديثه. حدث عنه الشعبي، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن مرة، وأبو إسحاق السبيعي، وغيرهم. وتوفي سنة 65 هـ بالكوفة.

■ (5) ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو العبسي، أبو مريم: تابعي. من أهل الكوفة. ثقة في الحديث. كان أعور. يقال إنه لم يكذب قط. وكان له ابنان عصيا الحجاج بن يوسف، واختفيا، فطلبه الحجاج وقال: ما فعل ابناك يا ربعي؟ فقال ربعي: هما في البيت، والله المستعان! فقال الحجاج: قد عفونا عنهما لصدقك! مات سنة 101 هـ

■ (6) عبد الله بن الكواء اليشكري أول أمير للخوارج من حين اعتزلوا جيش علي وخرجوا عليه، وكان قبل من أصحاب علي ومن المحرضين على القتال وقد قال شعرا في مدح علي وتحريض جيش صفين. وقال الحافظ ابن حجر: إنه قد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي. قيل هو عبد الله بن أوفى ويقال عبد الله بن عمرو ابن النعمان بن ظالم بن مالك بن أبي بن عصر بن سعد بن عمرو بن جشم أبو عمرو ويقال: ابن الكوا اليشكري، المعروف بابن الكوا، وقيل: ابن الكواء.

■ (0) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (10) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (9) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

■ (11) عثمان بن عفان الأموي،أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.ودفن بالبقيع.

■ (8) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الانصاري، أبو عبد الله: أمير، خطيب، شاعر، من أجلاء الصحابة. من أهل المدينة. وجهته نائلة زوجة عثمان بقميص عثمان، إلى معاوية، فنزل الشام. وشهد صفين مع معاوية. وولي القضاء بدمشق، بعد فضالة بن عبيد سنة 53 هـ وولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة، تسعة أشهر، وعزله وولاه حمص. واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية، فبايع النعمان لابن الزبير. وتمرد أهل حمص، فخرج هاربا، فاتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله سنة 65 هـ. وهو أول مولود ولد في الانصار بعد الهجرة. قال ابن حزم: افتتح مروان دولته بقتله، وسيق إليه رأسه من حمص. وقيل: قتل يوم مرج راهط. قال سماك بن حرب: كان من أخطب من سمعت.

■ (13) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (7) إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي المدني أبو إسحاق. قتل أبوه محمد السجاد يوم الجمل.استعمله عبد الله بن الزبير على خراج الكوفة وبقي حتى أدرك هشاما، وكان يقال له: أسد الحجاز، قوالا بالحق، بليغا، وقورا، كبير القدر.وفد على عبد الملك، فأجلسه على فرشه فنصحه ووعظه. مات بالمدينة سنة 110 هـ.

☪

قال علي الصلابي: كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه حريصا على وحدة الصف، واحترام رعايا الدولة، ومعاملتهم المعاملة الكريمة، وكان لهذه المعاملة أثر بالغ في مبايعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي، وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى في مساء يوم الجمل في موضع خاص، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله[1]، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره وسأله عن أحواله وأحوال إخوته، ثم قال له: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها، إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس، ودفع له غلتها وقال: يا ابن أخي وأتنا في الحاجة إذا كانت لك، وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه، فلما رأى الأسارى ذلك دخلوا على علي رضي الله عنه يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين على راياتهم قبيلة قبيلة، كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفني عليه رحم ماسة، وهو مع ذلك سيد من شباب قريش، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم ليكلموا عليا فقال علي: هو آمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه، كما أن مروان رضي الله عنه أثنى على فعال أمير المؤمنين علي، فقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولينا يوم الجمل حتى نادى مناديه: ألا لا يتبع مدبر، ولا يذفف* على جريح. وبذلك تمت بيعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي، وولى عليهم ابن عمه عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، وولى على خراجها زياد بن أبيه، وأراد على رضي الله عنه أن يمكث فيها مدة أطول، لولا أن مالكا (الأشتر) أعجلة من ذلك؛ وذلك أن الأشتر كان يطمع في أن يلي ولاية، فلما علم بأن ابن عباس ولي إمارة البصرة غضب وسار في قومه، فخشي على رضي الله عنه منه شرا وفتنة، فاستعجل ببقية جيشه، وأدركه، وعاتبه على سيره وأظهر أنه لم يسمع عنه شيئا. وعن عبد الملك بن عمير قال: كان فصحاء الناس أربعة: موسى بن طلحة، وقبيصة بن جابر الأسدي، وعبد الله بن هريم السلولي، والحسن البصري. قال محمد بن الصلت الأسدي حدثنا قطري عن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال: كنت في سجن علي بن أبي طالب، فلما كان ذات يوم، نودي بالباب أين موسى بن طلحة؟ فقلت: هو ذا أنا، قال: أجب أمير المؤمنين، قال: فاسترجع أهل السجن، فخرجتك، فكنت بين يديه، فقال: يا موسى بن طلحة، قال: قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: استغفر الله، وتب إليه ثلاث مرات، انطلق إلى العسكر، فما وجدت من سلاح أو ثوب أو دابة أو شيء فاقبضه، واتق الله واجلس في بيتك.

حديث أبى بكرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ﴾ قال القرطبى: قال علماؤنا: ليس هذا الحديث حديث أبى بكرة، في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات] فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله. وهذا يدل على أن قوله:﴿فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ﴾، ليس في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لأنهم إنما قاتلوا على التأويل. قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلا إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبي نسائهم، وسفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها. وقال النووي: وأما كون القاتل والمقتول فمحمولة على من لا تأويل له ويكون قتالهما عصبية ونحوها، ثم كونه في النار معناه مستحق لها وقد يجازى بذلك، وقد يعفو الله تعالى عنه، هذا مذهب أهل الحق.. وعلى هذا يتأول كل ما جاء من نظائره. واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم، ليست بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيبا وبعضهم مخطئا معذورا في الخطأ في الاجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان على رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب، هذا هو مذهب أهل السنة، وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدتهم. *(لا يذفف) لا يجهز.

■ (1) موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمى، أبو عيسى: تابعي، من أفصح أهل عصره. كان يقال له المهدى لفضله. سكن الكوفة. ولما غلب عليها المختار تحول إلى البصرة. ويقال: إنه شهد وقعة الجمل مع أبيه وعائشة، وأسر، وأطلقه علي. قال الواقدي: كان ثقة، كثير الحديث. توفي سنة 106 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للصلابي/ الأعلام للزركلي/ تهذيب الكمال/

قال جواد علي: ذكر ابن الأنباري، أن من وضع علم العربية، وأسس قواعده، وحدد حدوده، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخذ عنه أبو الأسود[1] وسبب وضع علي رضي الله عنه لهذا العلم، ما روى أبو الأسود، قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء -يعني الأعاجم- فأردت أن أضع لهم شيئا يرجعون إليه، ويعتمدون عليه، ثم ألقى إلي الرقعة، وفيها مكتوب: الكلام كله اسم، وفعل، وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبئ به، والحرف ما جاء لمعنى. وقال لي: أنح هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك، وأعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر، وأراد بذلك الاسم المبهم. قال أبو الأسود: فكان ما وقع إلي: إن وإخواتها ما خلا لكن فلما عرضتها على علي رضي الله عنه قال لي: وأين لكن؟ فقال ما حسبتها منها، فقال: هي منها فألحقها، ثم قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت، فلذلك سمي النحو نحوا؟.وتذكر رواية أن أبا الأسود وضع بابي العطف والنعت، ثم بابي التعجب والاستفهام؛ إلى أن وصل إلى باب إن وإخواتها.

وهناك رواية تنسب إلى الأصمعي تذكر أنه قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: جاء أعرابي إلى علي رضي الله عنه فقال، السلام عليك يا أمير المؤمنين، كيف تقرأ هذه الحروف؟ لا يأكله إلا الخاطون. كلنا والله يخطو، قال: فتبسم أمير المؤمنين رضي الله عنه، وقال: يا أعرابي: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة] قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين، ما كان الله ليظلم عباده، ثم التفت أمير المؤمنين إلى أبي الأسود الدؤلي، فقال: إن الأعاجم قد دخلت في الدين كافة فضع للناس شيئا يستدلون به على صلاح ألسنتهم، ورسم له الرفع والنصب والخفض. وروي من حديث علي رضي الله عنه مع الأعرابي الذي أقرأه المقرئ:﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة] رسولِهِ بالجر، حتى قال الأعرابي: برئت من رسول الله، فأنكر ذلك علي رضي الله عنه ورسم لأبي الأسود من عمل النحو ما رسمه ما لا يجهل موضعه.

---

(1) أبو الأسود الديلي ويقال الدؤلي البصري قاضيها اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان ويقال اسمه عمرو بن ظالم ويقال عمرو بن سفيان ويقال عثمان بن عمرو ويقال اسمه عويمر بن ظويلم، ولي قضاء البصرة وهو أول من تكلم في النحو وكان ممن اسلم على عهد النبي وقاتل مع علي يوم الجمل هلك في ولاية عبيد الله بن زياد ويقال مات في طاعون الجارف سنة 69 هـ .هو ابن خمس وثمانين. وقيل: إنه مات قبل الطاعون. وهو الأشبه، لأنه لم يسمع له في فتنة مصعب وأمر المختار خبر.

☪

قال جواد علي: نجد رواية أخرى تذكر أن أبا الأسود كان أول من وضع العربية، وأول من أملى في الفاعل والمفعول به، والمضاف، والنصب، والرفع، والجر، والجزم، وكان قد أخذ العلم من علي بن أبي طالب. وحدث أن ابنته لحنت في فعل التعجب، فقالت لأبيها وكان اليوم حارا شديد الحر: ما أشد الحرُّ، وكانت تقصد: ما أشد الحرَّ، أي على باب التعجب. فلما علم أبو الأسود بخطئها، نبهها إلى موضع الخطأ. ثم ذهب إلى زياد[1] والي البصرة، وطلب منه السماح بوضع علم النحو، فلم يسمح له. ولما أخطأ رجل أمام زياد كبر عليه ذلك فوضع أبو الأسود قواعد النحو فأخذ عنه الليثي[2] هذا العلم ووسعه، ثم وسع عيسى بن عمر[3] في كتابيه الجامع والمكمل.

ورويت قصة وضع النحو بشكل آخر، روي أيضا أن زياد بن أبيه بعث إلى أبي الأسود، وقال له: يا أبا الأسود، إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم، ويعرب به كتاب الله تعالى! فأبى أبو الأسود، وكره إجابة زياد إلى ما سأل، فوجه زياد رجلا وقال له: اقعد على طريق أبي الأسود، فإذا مر بك، فاقرأ شيئا من القرآن، وتعمد اللحن فيه. فقعد الرجل على طريق أبي الأسود، فلما مر به رفع صوته فقرأ:﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة] رسولِهِ بالجر، فاستعظم أبو الأسود ذلك، وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله! ورجع من حاله إلى زياد، وقال: يا هذا، قد أجبتك إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن، فابعث إلي ثلاثين رجلا، فأحضرهم زياد، فاختار منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس، فقال: خذ المصحف وصبغًا يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف. وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإذا أتبعت شيئًا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين.وقيل: إنه دخل إلى منزله، فقالت له بعض بناته: ما أحسن السماءِ ! قال: أي بنية نجومها، فقالت: إني لم أرد أي شيء منها أحسن؟ وإنما تعجبت من حسنها، فقال: إذًا فقولي ما أحسن السماءَ! فحينئذ وضع كتابًا. وقيل: وأتى أبو الأسود، عبد الله بن عباس[4] فقال: إني أرى ألسنة العرب قد فسدت؛ فأردت أن أضع شيئًا لهم يقومون به ألسنتهم. قال: لعلك تريد النحو؛ أما إنه حق، واستعن بسورة يوسف. وقال أبو حرب بن أبي الأسود: أول باب رسم أبي من النحو باب التعجب. وقيل: أول باب رسم باب الفاعل والمفعول، والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم. ومن الرواة من يقول: إن أبا الاسود هو أول من استنبط النحو، واستخرجه من العدم إلى الوجود، وأنه رأى بخطه ما استخرجه، ولم يعزه إلى أحد قبله.وكان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها.وروي عن أبي سلمة موسى بن إسماعيل عن أبيه، قال: كان أبو الأسود أول من وضع النحو بالبصرة.

وتذكر رواية أن أبا الأسود الدؤلي إنما وضع النحو بأمر من الخليفة عمر[5] روت أن أعرابيًّا قدم المدينة في خلافته، فقال: من يقرئني شيئًا مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأقرأه رجل سورة براءة فقال:﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة] بالجر، فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه! فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الأعرابي، فدعاه فقال: يا أعرابي: أتبرأ من رسول الله! فقال: يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرأني، فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة] بالجر،فقلت: أو قد برئ الله تعالى من رسوله؟ إن يكن برئ من رسوله، فأنا أبرأ منه. فقال له عمر رضي الله عنه: ليس هكذا يا أعرابي، فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منه. فأمر عمر رضي الله عنه ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود أن يضع النحو. وذكر أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي موسى الأشعري، كتابًا فيه: أما بعد: فتفقهوا في الدين وتعلموا السنة، وتفهموا العربية، وتعلموا طعن الدرية، وأحسنوا عبارة الرؤيا، وليعلم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب.

ويفهم من هذا الكتاب، أن أبا الأسود كان على علم بالنحو وبالإعراب قبل أيام علي، ولهذا طلب الخليفة من عامله أن يكلف أبا الأسود بتعليم أهل البصرة الإعراب. ويظهر من الرواية التي ذكرتها عن التقاء أبي الأسود بعبد الله بن عباس، وقوله له: أني أرى ألسنة العرب قد فسدت، فأردت أن أضع شيئًا لهم يقومون به ألسنتهم، ومن رد عبد الله بن عباس عليه بقوله له: لعلك تريد النحو. إن ابن عباس، كان على علم بالنحو، ودليل على ذلك نصه على اسمه، مما يدل على أنه كان معروفًا. وذلك إن جاز لنا التصديق بصحة هذه الروية، التي أرى أنها من المصنوعات. وكان أبو الأسود مثل غيره من العرب الفصحاء يكره اللحن واللحانين. روي عنه أنه ذكر اللحن، فقال: إني لأجد للحن غمزًا كغمز اللحم.

☪

قال الدكتور جواد علي: زعموا أن الوليد بن عبد الملك، وأخاه محمد بن عبد الملك[6] كانا لحانين. ذكر أن الوليد، خطب الناس يوم عيد، فقرأ في خطبته ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة] بضم التاء، فقال عمر بن عبد العزيز: عليك وأراحنا منك. ورووا قصصا عن لحنه. وذكر أن عبد الملك قال: أضر بالوليد حبنا له فلم نوجهه إلى البادية، يقصد أنه كان يلحن بسبب عدم إرساله إلى الأعراب ليأخذ عنهم اللسان الفصيح. وقد كان أخوه محمد لحانا كذلك، وذكر أنه لم يكن في ولد عبد الملك أفصح من هشام ومسلمة. قال المدائني: خطب الوليد يوم جمعة وكان لحانا فقال أعرابي: لقد خلط بين وبر وصوف – أو أخطأ وأصاب –. قال الجاحظ: وكان الوليد بن عبد الملك لحنة، فدخل عليه أعرابي يوما، فقال: أنصفني من ختني يا أمير المؤمنين. فقال: ومن ختنك؟بفتح النون قال: رجل من الحي لا أعرف اسمه. فقال عمر بن عبد العزيز: إن أمير المؤمنين يقول لك: من ختنك؟وضم النون فقال: هو ذا بالباب. فقال الوليد لعمر: ما هذا؟ قال: النحو الذي كنت أخبرتك عنه. قال: لا جرم فإني لا أصلي بالناس حت أتعلمه. وذكر الجاحظ أمثلة على اللحن. في رواية عاتبه أبوه على ذلك وقال: إنه لا يلي العرب إلا من يحسن كلامهم. فجمع أهل النحو ودخل بيتا فلم يخرج منه ستة أشهر ثم خرج وهو أجهل منه يوم دخل. فقال عبد الملك: قد أعذر.فقيل: إنه لما ولي الخلافة يختم القرآن في كل ثلاث، وكان يقرأ في رمضان كل يوم ختمة. وفي رواية قال محمد بن الحارث المخزوي: دخل رجل على عبد العزيز[7] في ولايته على مصر يشكو إليه صهرا له، فقال: إن ختني ظلمني؛ فقال له عبد العزيز: من ختنك؟ فقال: الرجل الختان الذي يختن الناس؛ فقال عبد العزيز لكاتبه: ما هذا الجواب؟ فقال: أيها الأمير، إنك لحنت والرجل يعرف اللحن، وكان ينبغي أن تقول: من ختنك بالضم؛ فقال عبد العزيز: أتراني أتكلم بكلام لا تعرفه العرب؟ والله لا شاهدت الناس حتى أعرف اللحن؛ فأقام في بيت جمعة لا يظهر ومعه من يعلمه النحو؛ فصلى بالناس الجمعة الأخرى وهو أفصح الناس.

---

(6) محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموي: أمير، من بني أمية في الشام. له رواية للحديث، أخذ عنه الاوزاعي وآخرون. ولي الديار المصرية لاخيه هشام، وقال لهشام: أنا إليها على أنك إن أمرتني بخلاف الحق تركتها ! فقال: لك ذلك. وأقام فيها شهرا سنة 105 هـ فأتاه كتاب لم يعجبه، فرفض العمل، وانصرف إلى الاردن وكان منزله بها في قرية يقال لها ريسون. ولما قتل الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك، والي دمشق، من قبل مروان ابن محمد سنة 132 هـ استقل محمد بالاردن. وظفر به عبد الله بن علي العباسي الهاشمي يوم نهر أبي فطرس قرب الرملة بفلسطين، فذبحه صبرا سنة 132 هـ

(7) عبد العزيز بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص أمير مصر، أبو الأصبغ المدني ولي العهد بعد أخوه عبد الملك عقد له بذلك أبوه واستقل بملك مصر عشرين سنة وزيادة. وهو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز. يروي عن أبيه، وأبي هريرة وعقبة بن عامر وابن الزبير. روى عنه ابنه؛ عمر بن عبد العزيز، والزهري، وكثير بن مرة، وعلي بن رباح، وابن أبي ملكية، وبحير بن ذاخر. ولد سنة 27 هـ ومات سنة 85 هـ. وقيل سنة 86 هـ والأول أصح، وقد كان مات قبله ابنه أصبغ بستة عشر يوما، فحزن عليه ومرض ومات بحلوان؛ مدينة صغيرة أنشأها على بريد فوق مصر وعاش أخوه عبد الملك بعده فلما جاءه نعيه عقد بولاية العهد لابنيه: الوليد ثم سليمان.

(1) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

(3) عيسى بن عمر الثقفي بالولاء، أبو سليمان: من أئمة اللغة. وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء، وأول من هذب النحو ورتبه. وعلى طريقته مشى سيبويه وأشباهه. وهو من أهل البصرة. ولم يكن ثقفيا وإنما نزل في ثقيف فنسب إليهم، وسلفه من موالي خالد بن الوليد المخزومي. وكان صاحب تقعر في كلامه، مكثرا من استعمال الغريب. له نحو سبعين مصنفا احترق أكثرها، منها الجامع والاكمال في النحو، قال الانباري: لم نرهما ولم نر أحدا رآهما. توفي سنة 149 هـ

(2) نصر بن عاصم الليثي: من أوائل واضعي النحو. قال أبو بكر الزبيدي: أول من أصل ذلك أي علم العربية وأعمل فكره فيه، أبو الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي، ونصر ابن عاصم، و عبد الرحمن بن هرمز، فوضعوا للنحو أبوابا، وأصلوا له أصولا، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف. وقال ياقوت: كان فقيها، عالما بالعربية، من فقهاء التابعين، وله كتاب في العربية. وهو أول من نقط المصاحف. وكان يرى رأي الخوارج ثم ترك ذلك، وله في تركه أبيات، وقيل: أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدواني، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء. مات بالبصرة سنة 89 هـ.

(4) ابن عباس، عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، شهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولامثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه.وكان آية في الحفظ رضي الله عنه.

(5) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة 6 من النبوة وقيل سنة 5. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر، قتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

مراجع:المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام/ الأعلام للزركلي/

قال الطبري: حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني جماعة عن أبي مخنف، عن سليمان ابن أبي راشد، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود، قال: مر عبد الله بن عباس[1] على أبي الأسود الدؤلي[2]، فقال: لو كنت من البهائم كنت جملا، ولو كنت راعيا ما بلغت من المرعى، ولا أحسنت مهنته في المشي. قال: فكتب أبو الأسود إلى علي[3] رضي الله عنه : أما بعد، فإن الله جل وعلا جعلك واليا مؤتمنا، وراعيا مستوليا، وقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة، ناصحا للرعية، توفر لهم فيئهم، وتظلف نفسك عن دنياهم، فلا تأكل أموالهم، ولا ترتشي في أحكامهم. وإن ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك، فلم يسعني كتمانك ذلك، فانظر رحمك الله فيما هناك، واكتب إلي برأيك فيما أحببت أنته إليك. والسلام. فكتب إليه علي: أما بعد، فمثلك نصح الإمام والأمة، وأدى الأمانة، ودل على الحق، وقد كتبت إلى صاحبك فيما كتبت إلي فيه من أمره، ولم أعلمه أنك كتبت، فلا تدع إعلامي بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاح، فإنك بذلك جدير، وهو حق واجب عليك؛ والسلام.

وكتب إلى ابن عباس في ذلك، فكتب إليه ابن عباس: أما بعد، فإن الذي بلغك باطل، وإني لما تحت يدي ضابط قائم له وله حافظ، فلا تصدق الظنون؛ والسلام. قال: فكتب إليه علي: أما بعد، فأعلمني ما أخذت من الجزية، ومن أين أخذت؟ وفيم وضعت؟ قال: فكتب إليه ابن عباس: أما بعد، فقد فهمت تعظيمك مرزأة* ما بلغك أن رزأته* من مال أهل هذا البلد، فابعث إلى عملك من أحببت، فإني ظاعن* عنه. والسلام.

ثم دعا ابن عباس أخواله بني هلال بن عامر، فجاءه الضحاك بن عبد الله[4] وعبد الله بن رزين بن أبي عمر[5] والهلاليان، ثم اجتمعت معه قيس كلها فحمل مالا.

قال أبو زيد: قال أبو عبيدة: كانت أرزاقا قد اجتمعت، فحمل معه مقدار ما اجتمع له، فبعث الأخماس كلها، فلحقوه بالطف، فتواقفوا يريدون أخذ المال، فقالت قيس: والله لا يوصل إلى ذلك وفينا عين تطرف. وقال صبرة بن شيمان الحداني[6]: يا معشر الأزد، والله إن قيسا لإخواننا في الإسلام، وجيراننا في الدار، وأعواننا على العدو، وإن الذي يصيبكم من هذا المال لو رد عليكم لقليل، وهم غدا خير لكم من المال. قالوا: فما ترى؟ قال: انصرفوا عنهم ودعوهم، فأطاعوه فانصرفوا؛ فقالت بكر وعبد القيس: نعم الرأي رأي صبرة لقومه، فاعتزلوا أيضا، فقالت بنو تميم: والله لا نفارقهم؛ نقاتلهم عليه. فقال الأحنف[7]: قد ترك قتالهم من هو أبعد منكم رحما؛ فقالوا: والله لنقاتلنهم؛ فقال: إذا لا أساعدكم عليهم، فاعتزلهم؛ قال: فرأسوا عليهم ابن المجاعة[8] من بني تميم، فقاتلوهم، وحمل الضحاك على ابن المجاعة فطعنه، واعتنقه عبد الله بن رزين، فسقطا إلى الأرض يعتركان، وكثرت الجراح فيهم، ولم يكن بينهم قتيل؛ فقالت الأخماس: ما صنعنا شيئا، اعتزلناهم وتركناهم يتحاربون، فضربوا وجوه بعضهم عن بعض، وقالوا لبني تميم: لنحن أسخى منكم أنفسا حين تركنا هذا المال لبني عمكم، وأنتم تقاتلونهم عليه، إن القوم قد حملوا وحموا، فخلوهم، وإن أحببتم فانصرفوا. ومضى ابن عباس ومعه نحو من عشرين رجلا حتى قدم مكة. وحدثني أبو زيد، قال: زعم أبو عبيدة – ولم أسمعه منه – أن ابن عباس لم يبرح من البصرة حتى قتل علي رضي الله عنه، فشخص إلى الحسن[9]، فشهد الصلح بينه وبين معاوية، ثم رجع إلى البصرة وثقله بها، فحمله ومالا من بيت المال قليلا؛ وقال: هي أرزاقي. قال أبو زيد: ذكرت ذلك لأبي الحسن فأنكره، وزعم أن عليا قتل وابن عباس بمكة، وأن الذي شهد الصلح بين الحسن ومعاوية عبيد الله بن عباس[10] .

----

*(رزأت) أي ما أخذت، والإرتزاء: انتقاص الشيء (رزأ) الرزء و المرزئة والرزيئة بالمد والرزية المصيبة والجمع الرزايا وقد رزأته رزيئة أي أصابته مصيبة (الظاعن) المسافر

■ (1) ابن عباس، عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، شهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولامثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه.وكان آية في الحفظ رضي الله عنه.

■ (2) أبو الأسود الديلي ويقال الدؤلي البصري قاضيها اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان ويقال اسمه عمرو بن ظالم ويقال عمرو بن سفيان ويقال عثمان بن عمرو ويقال اسمه عويمر بن ظويلم، ولي قضاء البصرة وهو أول من تكلم في النحو وكان ممن اسلم على عهد النبي وقاتل مع علي يوم الجمل هلك في ولاية عبيد الله بن زياد ويقال مات في طاعون الجارف سنة 69 هـ .هو ابن خمس وثمانين. وقيل: إنه مات قبل الطاعون. وهو الأشبه، لأنه لم يسمع له في فتنة مصعب وأمر المختار خبر

■ (7) الأحنف، أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وكان سيد قومه (زعيم قائد)، موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، روى عن عمر وعثمان وعلي، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ، عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد

■ (9) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (6) صبرة بن شيمان الازدي، من بني حدان، من شنوءة، من قحطان: رأس الازد في أيامه، وقائدهم في وقعة الجمل. كان فيها مع عائشة، على يسارها. وقيل: قتل في تلك الوقعة. والصواب أنه عاش إلى خلافة معاوية. وتوفي بعد 40 هـ قال المبرد: دخل صبرة على معاوية والوفود عنده، فتكلموا فأكثروا، فقام صبرة، فقال: يا أمير المؤمنين، إنا حي فعال ولسنا بحي مقال، ونحن بأدنى فعالنا، عند أحسن مقالهم ! فقال: صدقت.

■ (4) الضحاك بن عبد الله أبو محمد – وقيل: أبو شيبة = الهندي مولى أبي منصور المطرز الهروي. قدم دمشق، وحدث بها وبصور.

■ (5) عبد الله بن رزين بن أبي عمر ؟ (8) ابن المجاعة ؟

قال خالد بن عمر (في منتدى التخريج ودراسة الأسانيد): هذه الرواية المكذوبة من بلايا أبي مخنف لوط بن يحيى الغامدي الأزدي،وسليمان بن أبي راشد لم أجد له ترجمة...و إسناد الطبري تالف كما رأيت وليس كما أوهم هذا الرافضي الأحمق أنه ثابتا ودقيقا.أما استشهاده بورودها في كتاب الخبيث طه حسين فأقول إن سلم هذا الهالك من الردة فإن الاستشهاد به لا يساوي بعرة إلا عند السفهاء والحمقى كالروافض وأشباههم قبحهم الله.

قال الدكتور خالد كبير علال (في كتاب الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد أركون و محمد عابد الجابري): وأما الخطأ الأخير –الرابع من المجموعة الثالثة– فيتعلق بالصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنه، فذكر الجابري –نقلا عن الطبري– أنه لما كان عبد الله بن عباس واليا على البصرة لعلي وحدث بينه وبين أبي الأسود الدؤلي نزاع، كتب هذا الأخير إلى علي يتهم ابن عباس بالإنفاق على نفسه من بيت المال؛ فكتب إليه علي يطلب منه أن يخبره بما حدث، فنفى ابن عباس أن يكون صرف شيئا من بيت المال، فشدد علي الخناق عليه، فغضب وجمع ما في بيت مال البصرة، ثم دعا أخواله، فاجتمعت معه قيس كلها وحمل المال تحت حمايتهم، و ذهب به حتى وصل مكة واستقر بها.

والجابري قد أخطأ هنا في اعتماده على هذه الرواية من دون تشكيك ولا تحقيق لها، فهي رواية لا تصح إسنادا، ومستنكرة ومستبشعة متنا. فأما إسنادا فإن الطبري قال في إسنادها: حدثني عمر بن شبة قال: حدثني جماعة عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد ، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود، قال ... وإسناده هذا فيه مجاهيل وضعيف، فأما المجاهيل فهم الجماعة الذين حدث عنهم عمر بن شبة، فلا نعرف عنهم شيئا، فهم مجهولو الذوات والأحوال. ومنهم أيضا سليمان بن أبي راشد ، وعبد الرحمن بن عبيد، فهم في عداد المجهولين على ما يبدو، فقد بحثت عنها طويلا في كتب، والجرح والتعديل التواريخ والتراجم، فلم أعثر على أي جرح ولا تعديل يتعلق بهما. وأما الضعيف فهو أبو مخنف لوط، قال فيه نقاد الحديث: إنه شيعي محترق صاحب أخبارهم، وأخباري تالف لا يوثق به، وضعيف ليس بشيء و لا بثقة، و رجل هذا حاله لا تقبل روايته، خاصة وأنها تتعلق بخبر يتفق مع مذهبه، وفيه طعن في ابن عباس والعباسيين من بعده، وهو يندرج ضمن العداء القائم بين العباسيين والعلويين في صراعهم المرير على الملك. وأما متنا، فهو متن مستبعد تماما ومستنكر جدا، لأن عبد الله بن عباس الصحابي الجليل القدر، المشهود له بالإيمان والعلم والعمل الصالح، لا يقدم على ذلك العمل الذي هو خيانة للمسلمين في أموالهم وأماناتهم، وهو عمل لا يصدر عن عوام المؤمنين فكيف يصدر عن خواصهم؟! . لذا فهو اتهام باطل افتراه بعض رواة الخبر المجروحين الذين أشرنا إليهم في نقدنا للإسناد.

قال البلاذري: كتب علي رضي الله عنه إلى زياد[1] –وهو خليفة عبد الله بن العباس بالبصرة– يستحثه بحمل مال مع سعد مولاه، فاستحثه فأغلظ له زياد وشتمه، فلما قدم سعد على علي شكا إليه وعابه عنده، وذكر منه تجبرا وإسرافا، فكتب علي رضي الله عنه إليه: إن سعدا ذكر لي أنك شتمته ظالما، وجبهته تجبرا وتكبرا؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْكِبْرِيَاءُ وَالْعَظَمَةُ لِلَّهِ، فَمَنْ تكبر سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ وأجبرني أنك مستكثر من الألوان في الطعام، وأنك تدهن في كل يوم. فماذا عليك لو صمت لله أياما؛ وتصدقت ببعض ما عندك محتسبا وأكلت طعامك في مرة مرارا أو أطعمته فقيرا، أتطمع –وأنت متقلب في النعيم تستأثر به على الجار المسكين، والضعيف الفقير والأرملة واليتيم– أن يجب لك أجر الصالحين المتصدقين، وأخبرني أنك تتكلم بكلام الأبرار، وتعمل عمل الخطائين فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت؛ وعملك أحبطت، فتب إلى ربك وأصلح عملك، واقتصد في أمرك، وقدم الفضل ليوم حاجتك إن كنت من المؤمنين، وادهن غبا ولا تدهن رفها، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ادهِنُوا غِبًّا وَ لا تدهنوا رَفْهًا﴾ والسلام . فكتب إليه زياد: إن سعدا قدم علي فعجل فانتهرته وزجرته، وكان أهلا لأكثر من ذلك، فأما ما ذكر من الإسراف في الأموال والتنعم واتخاذ الطعام فإن كان صادقا فأثابه الله ثواب الصادقين، وإن كان كاذبا فلا آمنه الله عقوبة الكاذبين. وأما قوله: إني أتكلم بكلام الأبرار وأخالف ذلك في الفعل. فإني إذا من الأخسرين عملا، فخذه بمقام واحد قلت فيه عدلا ثم خالفته إلى غيره، فإن أتاك عليه بشهيد عدل؛ وإلا تبين لك كذبه وظلمه. ووجه رضي الله عنه إلى زياد رسولا ليأخذه لحمل ما اجتمع عنده من المال، فحمل زياد ما كان عنده وقال للرسول: إن الأكراد قد كسروا من الخراج، وأنا أداريهم، فلا تعلم أمير المؤمنين ذلك فيرى أنه اعتلال مني فقدم رسول فأخبر عليا بما قال زياد؛ فكتب إليه: قد بلغني رسولي عنك ما أخبرته به عن الأكراد، واستكامك إياه ذلك، وقد علمت أنك لم تلق ذلك إليه إلا لتبلغني إياه، وإني أقسم بالله عز وجل قسما صادقا لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئا صغيرا أو كبيرا لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر؛ ثقيل الظهر والسلام.

----

*(ادهنوا غبا) أي يوما بعد يوم

■ (1) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

مراجع: أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ تاريخ اليعقوبي/ نثر الدر للآبي/ البداية والنهاية/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ العقد الفريد/ تاريخ الطبري- تاريخ الرسل والملوك/ الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد أركون و محمد عابد الجابري -دراسة نقدية تحليلية هادفة- الدكتور خالد كبير علال/

قال العلامة المسعودي في كتابه المسمى مروج الذهب ومعادن الجوهر: قال ابن عباس[1]: قدمت من مكة إلى المدينة بعد قتل عثمان[2] بخمسة أيام، فجئت لأدخل على علي، فقيل لي: عنده المغيرة بن شعبة[3]، فجلست بالباب ساعة، فخرج المغيرة علي، وقال: متى قدمت؟ قلت: الساعة، فدخلت على علي، فسلمت عليه، فقال لي: أين لقيت الزبير[4] وطلحة[5]؟ قلت: بالمراصف، وكانا قد استأذنا عليا في العمرة، فقال لهما: لعلكما تريدان البصرة أو الشام، فأقسما أنهما لا يقصدان غير مكة للعمرة، وكانت عائشة[6] بها قد خرجت من قبل حاجة، ثم قال علي: ومن معهما؟ قلت: أبو سعيد بن الحارث بن هشام المخزومي[7] في فتية من قريش، فقال علي: أما إنهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون: نطلب بدم عثمان، والله يعلم إنهم قتلة عثمان، فقلت له: أخبرني عن شأن المغيرة ودخوله عليك، فقال: جاءني بعد مقتل عثمان بيومين، فقال: إنني ناصح لك، وإني أشير عليك بإبقاء عمال عثمان، فأكتب إليهم بإبقائهم على أعمالهم، فإذا بايعوك، واطمأن أمرك عزلت من كرهت، وأبقيت من أحببت، فقلت: والله لا أداهن في ديني، ولا أعطي الرياء في أمري. قال: فإن كنت قد أبيت فانزع من شئت، وأثبت معاوية[8] فإن له جرأة وهو في أهل الشام مسموع منه، ولك حجة في إبقائه فقد كان عمر[9] ولاه الشام كلها، وعثمان بعده، فقلت: والله لا أستعمل معاوية يومين، فخرج من عندي على إشارته، ثم عاد إلي بعد يوم، فقال: إني أشرت عليك بما علمت، فنظرت في الأمر فإذا أنت مصيب لا ينبغي أن تأخذ أمرك بخدعة، ولا يكون لك فيه دلسة*. قال ابن عباس، فقلت لعلي: أما أول ما أشار به عليك: فقد نصحك، وأما الآخر: فقد غشك. وإني أشير عليك بتثبيت معاوية فإن بايع لك فلك على أن أنقله من منزله. فقال علي: والله لا أعطي معاوية إلا السيف حتى يدخل في الحق، وتمثل بقول القائل: من الطويل: فما ميتة إن متها غير عاجز..بعار إذا ما غالت النفس غولها. فقلت: وهو والله لا يعطيك إلا السيف حتى يغلب بباطله حقك، قال علي: وكيف ذاك؟! قلت: إنك تطاع اليوم، وتعصى غدا، وإنه يطاع، ولا يعصى. فلما انتشر علي على أصحابه وكان ابن عباس إذ ذاك بالبصرة قال علي كرم الله وجهه: لله در ابن عباس!! كأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق. وفي رواية: فقلت له بعد تمثله بالبيت: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع، أما سمعت قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْحَرْبُ خَدْعَةٌ﴾؟ قال: بلى، فقلت: أما والله لئن أطعتني لأصدرن لهم بعد ورد، ولأتركنهم ينظرون في أدبار الأمور كما لا يدرون ما كان وجهها في غير نقص ولا إثم، فقال لي: يا بن عباس، لست من هناتك ولا هنات معاوية في شيء، تشير علي برأي فيه فإذا عصيتك، فأطعني، فقلت فأنا أفعل، وأيسر ما لك عندي الطاعة، فقال: سر إلى الشام فقد وليتكها. قلت:؟ ما هذا برأي، يضرب عنقي بعثمان؟ وأدنى ما هو صانع أن يخلصني. قال علي: ولم.؟ قلت: لقرابتي منك، فإن كل من حمل عليك حمل علي، ولكن اكتب إلى معاوية: فمنه، وعده، فأبى علي، وقال: والله لا كان هذا أبدا، ثم تلا: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف]

----

*(الدلسة) بالضم الخديعة والدلسة: الظلمة قال الأزهري سمعت أعرابيا يقول ليس لي في الأمر ولس ولا دلس أي لا خيانة ولا خديعة والدلسة بالضم الخديعة أيضا وقال ابن فارس وأصله من الدلس وهو الظلمة .

- (1) ابن عباس، عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، شهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولامثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه.وكان آية في الحفظ رضي الله عنه.
- (3) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي. يقال له مغيرة الرأي. ولد سنة 20 ق هـ في الطائف بالحجاز وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك فدخل الاسكندرية وافدا على المقوقس، وعاد إلى الحجاز. فلما ظهر الاسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة 5 هـ فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة. وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة سنة 50 أو 51 هـ.. قال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية للاناة، وعمرو بن العاص للمعضلات، والمغيرة للبديهة، وزياد بن أبيه للصغير والكبير . وللمغيرة 136 حديثا. وهو أول من وضع ديوان البصرة، وأول من سلم عليه بالامرة في الاسلام.
- (7) أبو سعد أو أبو سعيد بن الحارث بن هشام المخزومي ذكر أبو الفرج الأصبهاني أن خالد بن العاص بن هشام تزوج بنته فاطمة وأولدها الحارث بن خالد الذي ولي إمرة مكة والعاص بن هشام قتل ببدر فلولده صحبة والحارث بن هشام صحابي مشهور استشهد في خلافة عمر فكأن أبا سعد كان في العهد النبوي صغيرا وقد ذكر الزبير بن بكار أن صخرة بنت أبي جهل بن هشام كانت تحت أبي سعيد هذا وولدت له القسم الثالث.
- (4) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.
- (5) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي.أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حوراي رسول الله. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر. أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ
- (2) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.
- (8) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة.وتوفي بدمشق سنة 60 هـ
- (6) أم المؤمنين عائِشة بنت أبي بكر الصِديق التيمية القُرشية. زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وإحدى أمهات المؤمنين.كانت من أعلم النساء بالدين والقرآن والتفسير والحديث والفقه. ولدت رضي الله عنها سنة 19 ق.هـ وتوفيت سنة 58 هـ
- (9) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

☪

عن عبيد الله بن عبد الله قال: كان ابن عباس قد فات الناس بخصال: بعلم ما سبق، وفقه ما احتيج إليه، وحلم ونسب ونائل، ولا رأيت أحدا أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان ولا أعلم بشعر منه. روي من وجوه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم، علمه الحكمة وتأويل القرآن ففي بعض الروايات: اللهم، فقهه في الدين وعلمه التأويل. وفي حديث: اللهم، بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين، وفي حديث: اللهم، زده علما وفقها. قال ابن عبد البر: وهي كلها أحاديث صحاح. وكان عمر رضي الله عنه يحبه ويدنيه ويقربه ويشاوره مع جلة الصحابة. وكان عمر يقول: ابن عباس فتى الكهول، له لسان سئول وقلب عقول. وقال طاووس: أدركت نحو خمسمائة من الصحابة إذا ذاكروا ابن عباس فخالفوه لم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله.

☪

وعن سفيان بن أبي العوجاء قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: والله ما أدري خليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكا فهذا أمر عظيم. قال قائل: يا أمير المؤمنين، إن بينهما فرقا، فإن الخليفة لا يأخذ إلا حقا، ولا يضعه إلا في حق، وأنت بحمد الله كذلك؛ والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا، فسكت عمر. وعنده أيضا عن سلمان أن عمر رضي الله عنه قال له: أملك أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة، فاستعبر عمر. وعند نعيم بن حماد في الفتن عن رجل من بني أسد أنه شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أصحابه وفيهم طلحة، وسلمان، والزبير، وكعب رضي الله عنهم فقال: إني سائلكم عن شيء فإياكم أن تكذبوني فتهلكوني وتهلكوا أنفسكم، أنشدكم بالله، أخليفة أنا أم ملك؟ فقال طلحة، والزبير: إنك لتسألنا عن أمر ما نعرفه ما ندري ما الخليفة من الملك. فقال سلمان: يشهد بلحمه ودمه، إنك خليفة ولست بملك. فقال عمر: إن تقل فقد كنت تدخل فتجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سلمان: وذلك أنك تعدل في الرعية، وتقسم بينهم بالسوية، وتشفق عليهم شفقة الرجل على أهله، وتقضي بكتاب الله تعالى. فقال كعب: ما كنت أحسب أن في المجلس أحدا يعرف الخليفة من الملك غيري، ولكن الله ملأ سلمان حكما وعلما، ثم قال كعب: أشهد أنك خليفة ولست بملك. فقال له عمر رضي الله عنه وكيف ذاك؟ قال: أجدك في كتاب الله. قال عمر: تجدني باسمي؟ قال: لا، ولكن بنعتك أجد: نبوة، ثم خلافة ورحمة على منهاج نبوة، ثم خلافة ورحمة على منهاج نبوة، ثم ملكا عضوضا.

مراجع: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ الأعلام للزركلي/ الإصابة في تمييز الصحابة/ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/ حياة الصحابة للكاندهلوي/ كنز العمال/ منتخب الكنز/

◆ علي بن أبي طالب (الإمام، أسد الله، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين) ومصقلة بن هبيرة (١) 0187

قال اليعقوبي: كتب علي رضي الله عنه إلى مصقلة بن هبيرة[1]، وبلغه أنه يفرق ويهب أموال أردشير خره*، وكان عليها: أما بعد، فقد بلغني عنك أمر أكبرت أن أصدقه إنك تقسم فيء المسلمين في قومك ومن اعتراك من السألة والأحزاب وأهل الكذب من الشعراء، كما تقسم الجوز، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لأفتش عن ذلك تفتيشا شافيا، فإن وجدته حقا لتجدن بنفسك علي هوانا، فلا تكونن من الخاسرين أعمالا،﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف] فكتب مصقلة إليه: أما بعد، فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين فليسأل إن كان حقا فليعجل عزلي بعد نكالي، فكل مملوك لي حر، وعلى أيام ربيعة ومضر إن كنت رزأت من عملي دينارا، ولا درهما، ولا غيرهما، منذ وليته إلى أن ورد علي كتاب أمير المؤمنين، ولتعلمن أن العزل أهون علي من التهمة. فلما قرأ كتابه قال: ما أظن أبا الفضل إلا صادقا.

----

*(أردشير خره) كورة من كور فارس ومعناها: بهاء أردشير وهو ملك من ملوك الفرس

■ (1) مصقلة بن هبيرة بن شبل الثعلبي الشيباني، من بكر بن وائل: قائد، من الولاة. كان من رجال علي بن أبي طالب. وأقامه علي عاملا له في بعض كور الاهواز. وتحول إلى معاوية ابن أبي سفيان، في خبر أورده المسعودي، فكان معه في صفين. ولما استقر الامر لمعاوية جهزه في عشرة آلاف مقاتل ويقال في عشرين ألفا وولاه طبرستان قبل فتحها فتوجه إليها، وتوغل في بلادها ومضايقها، وأهمل ما يسميه العسكريون خط الرجعة فبينما هو عائد يجتاز بعض عقباتها تسلط عليه العدو، فقذفوه بالحجارة وبالصخور من الجبال، فقتل، نحو 50 هـ وهلك أكثر من معه. وضرب الناس به المثل لا يكون هذا حتى يرجع مصقلة من طبرستان! قال الاخطل: دع المغمر لا تسأل بمصرعه واسأل بمصقلة البكري: ما فعلا ؟

قال البلاذري: كتب علي رضي الله عنه إلى عمرو بن سلمة الأرحبي[1]: أما بعد فإن دهاقين* بلادك شكوا منك قسوة وغلظة؛ واحتقانا فنظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم، ولم أر أن يقصوا ويجفوا لعهدهم، فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة، في غير ما أن يظلموا ولا ينقض لهم عهد، ولكن تفرغوا لخراجهم ويقاتل من وارءهم، ولا يؤخذ منهم فوق طاقتهم فبذلك أمرتهم؛ والله المستعان والسلام.

وكتب علي رضي الله عنه إلى قرظة بن كعب[2]: أما بعد فإن قوما من أهل عملك أتوني فذكروا أن لهم نهرا قد عفا ودرس، وأنهم إن حفروه واستخرجوه عمرت بلادهم وقووا على خراجهم وزاد فيء المسلمين قبلهم؛ وسألوني الكتاب إليك لتأخذهم بعمله وتجمعهم لحفزه والإنفاق، ولست أرى أن أجبر أحدا على عمل يكرهه، فادعهم إليك؛ فإن كان الأمر في النهر على ما وصفوا؛ فمن أحب أن يعمل فمره بالعمل، والنهر لمن عمله دون من كرهه، ولأن يعمروا ويقووا أحب إلي من أن يضعفوا والسلام.

وكتب رضي الله عنه إلى مالك بن كعب الأرحبي[3]: إني وليتك معونة بهقباذات*، فآثر طاعة الله، واعلم أن الدنيا فانية، والآخرة آتية واعمل صالحا تجز خيرا، فإن عمل ابن آدم محفوظ عليه وإنه مجزيء به؛ فعل الله بنا وبك خيرا والسلام.

وكتب علي رضي الله عنه إلى الأشعث بن قيس الكندي[4] وهو بأذربيجان، وكان عثمان ولاه إياها، فأقره عليه يسيرا ثم عزله: إنما غرك من نفسك إملاء الله لك، فما زلت تأكل رزقه، وتستمتع بنعمته، وتذهب طيباتك في أيام حياتك، فأقبل واحمل ما قبلك من الفيء ولا تجعل على نفسك سبيلا. ويقال: ولاه بعد قدومه من أذربيجان حلوان ونواحيها؛ فكتب إليه هذا الكتاب وهو فيها.

وكتب علي رضي الله عنه إلى قدامة بن عجلان[5] الأزدي –قدامة بن مظعون؟– عامله على كسكر: أما بعد فاحمل ما قبل من مال الله فإنه فيء للمسلمين، لست بأوفر حظا فيه من رجل منهم ولا تحسين يا بن أم قدامة أن مال كسكر مباح لك كمال ورثته عن أبيك وأمك، فعجل حمله، وأعجل في الإقبال إلينا إن شاء الله.

وكتب علي رضي الله عنه إلى سهل بن حنيف[6] عامله على المدينة: أما بعد فإنه بلغني أن رجالا من أهل المدينة يخرجون إلى معاوية؛ فلا تأسف عليهم، فكفى لهم غيا، ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق، وإيضاعهم إلى العمى والجهل، وإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها، قد علموا أن الناس يقبلون في الحق أسوة؛ فهربوا إلى الأثرة، فسحقا لهم وبعدا أما لو بعثرت القبور وحصل ما في الصدور، واجتمعت الخصوم وقضى الله بين العباد بالحق؛ لقد عرف القوم ما يكسبون، وقد أتاني كتابك تسألني الإذن لك في القدوم، فاقدم إذا شئت عفا الله عنا وعنك السلام .

وكتب رضي الله عنه إلى سعد بن مسعود الثقفي[7] عامله على المدائن وجوخى. أما بعد فقد وفرت على المسلمين فيئهم، وأطعت ربك، ونصحت، إمامك فعل المتنزه العفيف، فقد حمدت أمرك ورضيت هديك، وأبيت رشدك غفر الله لك والسلام.

وكتب رضي الله عنه إلى عمر بن أبي سلمة[8] حين عزله عن البحرين واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي[9]: إني قد وليت النعمان بن عجلان البحرين من غير ذمك، ولا تهمة فيما تحت يدك، ولعمري لقد أحسنت الولاية وأديت الأمانة، فأقبل إلي غير ظنين ولا ملوم، فإني أريد المسير إلى ظلمة أهل الشام؛ وأحببت أن تشهد معي أمرهم، فإنك ممن استظهر به على إقامة الدين، وجهاد العدو، جعلنا الله وإياك من الذين﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف]

وكتب رضي الله عنه إلى النعمان بن عجلان: أما بعد فإن من أدى الإمانة؛ وحفظ حق الله في السر والعلانية؛ ونزه نفسه ودينه عن الخيانة؛ كان جديرا بأن يرفع الله درجته في الصالحين، ويؤتيه أفضل ثواب المحسنين، ومن لم ينزه نفسه ودينه عن ذلك أخل بنفسه في الدنيا وأوبقها في الآخرة، فخف الله في سرك وجهرك، ولا تكن من الغافلين عن أمر معادك، فإنك من عشيرة صالحة ذات تقوى وعفة وأمانة، فكن عند صالح ظني بك والسلام.

وكتب رضي الله عنه إلى يزيد بن قيس الأرحبي: أوصيك بتقوى الله وأحذرك أن تحيط أجرك، وتبطل جهادك، فإن خيانة المسلمين مما يحبط الأجر ويبطل الجهاد؛ فاتق الله ربك.﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص] أما بعد فإن العالمين بالله العاملين له خيار الخلق عند الله، وإن المسلمين لغير الرباء والسمعة لفي أجر عظيم وفضل مبين، وقد سألني عبد الله بن شبيل الأحمسي[11] الكتاب إليك في أمره، فأوصيك به خيرا فإني رأيته وادعا متواضعا حسن السمت والهدي، فألن حجابك واعمد للحق ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص] والسلام.

وكتب رضي الله عنه إلى سليمان بن صرد[12] وهو بالجبل: ذكرت ما صار في يديك من حقوق المسلمين، وأن من قبلك وقبلنا في الحق سواء، فأعلمني ما اجتمع عندك من ذلك؛ فأعط كل ذي حق حقه، وابعث إلينا بما سوى ذلك لنقسمه فيمن قبلنا إن شاء الله.

----

*(الدِهقان) رئيس القرية: رئيس الإقليم (بهقباذات) هن ثلاث بهقباذات ذكرها ياقوت في معجمه. وبهقباذ، بالكسر ثم السكون وضم القاف وباء موحدة وألف وذال معجمة. ثلاث كور ببغداد منسوبة إلى قباذ بن فيروز والد أنو شروان.

■ (1) عمرو بن سلمة الهمداني الكوفي، تابعي كبير من أصحاب علي. وكان شريفا نبيها ذهنا كليما، وهو الذي بعثه الحسن بن علي عليهما السلام وبعث محمد بن الأشعث في الصلح بينه وبين معاوية،مات سنة 85 هـ. ودفن هو وعمرو بن حريث في يوم واحد.

■ (8) عمر بن أبي سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو حفص القرشي المخزومي المدني الحبشي المولد. ولد قبل الهجرة بسنتين أو أكثر، فإن أباه توفي في سنة ثلاث من الهجرة، وخلف أربعة أولاد، هذا أكبرهم وهم: عمر، وسلمة، وزينب، ودرة. ثم كان عمر هو الذي زوج أمه بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو صبي. ثم إنه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم تزوج وقد احتلم، وكبر، فسأل عن القبلة للصائم، فبطل ما نقله أبو عمر في الاستيعاب من أن مولده بأرض الحبشة سنة اثنتين. ثم إنه كان في سنة اثنتين أبواه – بل وسنة إحدى – بالمدينة، وشهد أبوه بدرا. فأنى يكون مولده في الحبشة في سنة اثنتين؟ بل ولد قبل ذلك بكثير. وقد علمه النبي صلى الله عليه وسلم إذ صار ربيبه أدب الاكل، وقال: يا بني! ادن، وسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك. وحفظ ذلك وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم.ورويء عن ابن الزبير قال: عمر أكبر مني بسنتين. وقيل: طلب علي من أم سلمة أن تسير معه نوبة الجمل، فبعثت معه ابنها عمر. وطال عمره وصار شيخ بني مخزوم.قال محمد بن سعد: توفي في خلافة عبدالملك بن مروان. ونقل ابن الاثير: أن موته كان في سنة ثلاث 83 هـ

■ (2) قرظة بن كعب الأنصاري الخزرجي: أحد فقهاء الصحابة، وهو أحد العشرة الذين وجههم عمر إلى الكوفة ليعلموا الناس. وشهد قرظة أحدا وما بعدها من المشاهد، وكان فاضلا، وفتح الري سنة 23 في خلافة عمر وولاه علي الكوفة لما سار إلى الجمل، فلما خرج إلى صفين أخذه معه، وجعل على الكوفة أبا مسعود البدري. وتوفي في خلافة علي في داره بالكوفة، وصلى عليه علي، وقيل توفي في إمارة المغيرة بن شعبة على الكوفة، أول أيام معاوية. والأول أصح في حدود 40 هـ.

■ (5) قدامة بن مظعون بن حبيب الجمحي، يكنى أبا عمرو، أو أبو عمر، وهو أخو عثمان بن مظعون، وخال حفصة وعبد الله ابن عمر، وزوج عمتها صفية بنت الخطاب، وهو من السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة وشهد المشاهد كلها واستعمله عمر على البحرين،ثم عزله لشربه الخمر، وأقام عليه الحد في المدينة. توفي سنة 36 هـ

■ (4) الأشعث بن قيس رضي الله تعالى عنه اسمه معد يكرب بن قيس وسمي أشعث لشعث رأسه وهو من كندة، وكانت مراد قتلت أباه فخرج ثائراً بأبيه فأسر ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلاً من كندة فأسلم ويكنى أبا محمد، ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى أن يبايع أبا بكر رضي الله عنه، فحاربه عامل أبي بكر حتى استأمنه على حكم أبي بكر وبعث به إليه، فسأل أبا بكر أن يستبقيه لجزية ويزوجه أخته أم فروة ففعل ذلك أبو بكر، ومات سنة أربعين وابنه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الذي خرج على الحجاج وخرج معه القراء والعلماء.

■ (6) سهل بن حنيف بن وهب الانصاري الاوسي، أبو سعيد: صحابي، من السابقين. شهد بدرا وثبت يوم أحد. وشهد المشاهد كلها. وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين علي بن أبي طالب. واستخلفه علي على البصرة بعد وقعة الجمل. ثم شهد معه صفين. وتوفي بالكوفة سنة 38 هـ فصلى عليه علي.

■ (7) سعد بن مسعود الثقفي،الكوفي قال البخاري: هو عم المختار بن أبي عبيد بن مسعود، وقال الطبراني: له صحبة. شهد صفين مع علي رضي الله عنه، وكان عامله على المدائن وكان من أمراء الأسباع من أهل الكوفة، على قيس وعبد القيس. وقد كان له دور رئيسي في مجابهة الخوارج، ودارت بينه وبين على وقواده العديد من المراسلات في شأنهم، حيث حاولوا الوصول إلى المدائن وقد اشتهر عن سعد توليته ابن أخيه– المختار بن أبى عبيد الثقفي(6) – على المدائن في حالة غيابه، وقد غضب علي على المختار الثقفي نتيجة تصرفه تصرفا غير شرعي في أموال الخراج

■ (9) النعمان بن عجلان بن النعمان بن عامر بن زريق الانصاري الزرقي: صحابي كان لسان الانصار وشاعرهم. شهد وقعة صفين مع علي. واستعمله علي على البحرين، فكان يعطي كل من جاءه من أقاربه بني زريق. ولاحد الشعراء بيتان في ذلك، قيل: هما لابي الاسود الدؤلي، ولم أجدهما في ديوانه المطبوع ولا ذيله. توفي بعد 37 هـ

■ (11) عبد الله بن شبيل الأحمسي ذكره أبو عمر فقال في صحبته نظر قال وقدم أذربيجان سنة 28 غازيا في خلافة عثمان فأعطوه الصلح وذكره الطبري وقال كان على مقدمة الوليد بن عقبة لما غزا أذربيجان فأغار على أهل موقان ففتح وغنم فطلب أهل أذربيجان الصلح قلت وقد تقدم غيره مرة أنهم كانوا لا يؤمرون إلا الصحابة

■ (12) سليمان بن صرد بن الجون، السلولي الخزاعي، أبو مطرف: صحابي، من الزعماء القادة. شهد الجمل وصفين مع علي، وسكن الكوفة. ثم كان ممن كاتب الحسين وتخلف عنه. وخرج بعد ذلك مطالبا بدمه، فترأس التوابين وكانوا يطلبون قتل عبيد الله بن زياد، وأن يخرج من في العراق من أصحاب ابن الزبير، ويردوا الامر لاهل البيت. وكانت عدتهم نحو خمسة آلا ف. وعرفوا بالتوابين لقعودهم عن نصرة الحسين حين دعاهم، وقيامهم بطلب ثأره بعد مقتله. ونشبت معارك بين سليمان وعبد الله بن زياد، فقتل سليمان بعين الوردة، قتله يزيد بن الحصين. سنة 65 هـ

■ (3) مالك بن كعب الهمداني ثم الأرحبي (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

مراجع:أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ الوافي بالوفيات/ أسد الغابة/ تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير/ وقعة صفين– لابن مزاحم المنقريي/ سير أعلام النبلاء/ وقعة صفين لابن مزاحم المنقري/ـ

عن عمار، قال: كانت الخوارج تقول: إن عليا سبى المسلمين، فلم يكن أحد أدرك عليا ولا ذلك إلا أبو الطفيل[1]. قال: فلما قدمت سألت أبا الطفيل، فقال: إن عليا لم يسب مسلما، إن عليا سبى بني ناجية* وكانوا نصارى أسلموا ثم ارتدوا ثم ارتدوا عن الإسلام ورجعوا إلى النصرانية، فقتل علي مقاتلتهم وسبى ذراريهم، وباعهم من مصقلة بن هبيرة[2] بمئة ألف، فأعطاه خمسين ألفا وبقيت عليه خمسون، فأعتقهم مصقلة ولحق بمعاوية، فأجاز علي عتقهم. عن عبد الله بن فقيم، قال: ثم إنه -يعني معقل بن قيس[3]- أقبل بهم -يعني نصارى بني ناجية- حتى مر بهم على مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامل أردشيرخره*، وهم خمسمئة إنسان، فبكى النساء والصبيان وصاح الرجال: يا أبا الفضل، يا حامي الرجال، ومأوى المعضب، وفكاك العناة، امنن علينا واشترنا فأعتقنا. فقال مصقلة: أقسم بالله لأتصدقن عليكم، إن الله يجزي المتصدقين. فبلغها عنه علي، فقال: والله لولا أني أعلمه قالها توجعا لهم لضربت عنقه، ولو كان في ذلك تفاني تميم وبكر بن وائل. ثم إن مصقلة بعث ذهل بن الحارث الذهلي إلى معقل بن قيس فقال له: بعني بني ناجية. فقال: نعم، أبيعكم بألف ألف فأبى عليه، فلم يزل يراوضه حتى باعهم بخمسمئة ألف، ودفعهم إليه، وقال له: عجل بالمال فأبى عليه، فلم يزل يراوضه حتى باعهم بخمسمئة ألف، ودفعهم إليه، وقال له: عجل بالمال إلى أمير المؤمنين، فقال: أنا باعث الآن بصدر*، ثم أبعث بصدر آخر، ثم كذلك حتى لا يبقى منه شيء إن شاء الله؛ وأقبل معقل بن قيس إلى أمير المؤمنين فأخبره بما كان منه، فقال له: أحسنت وأصبت. وانتظر علي مصقلة أن يبعث إليه بالمال، فأبطأ به، وبلغ عليا أن مصقلة خلى سبيل الأسارى، ولم يسألهم أن يعينوه في فكاك أنفسهم بشيء، فقال علي: ما أظن مصقلة إلا وقد تحمل حمالة، لا أراكم إلا سترونه عن قريب منها ملبدا (المبلدح*)؛ ثم إنه كتب إليه: أما بعد، فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة، وأعظم الغش على أهل المصر غش الإمام، وعندك من حق المسلمين خمسمئة ألف، فابعث بها إلي ساعة يأتيك رسولي، وإلا فأقبل حين تنظر في كتابي، فإني قد تقدمت إلى رسولي إليك ألا يدعك تقيم ساعة واحدة بعد قدومه عليك إلا أن تبعث بالمال، والسلام عليك. وكان الرسول أبو جرة الحنفي، فقال له أبو جرة: إن بعثت بالمال الساعة، وإلا فاشخص إلى أمير المؤمنين. فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة، فمكث بها أياما؛ ثم أن ابن عباس[6] سأله المال -وكان عمال البصرة يحملون من كور البصرة إلى ابن عباس، فيكون ابن عباس هو الذي يبعث به إلى علي- فقال له: نعم، انظرني أياما، ثم أقبل حتى أتى عليا، فأقره علي أياما ثم سأله المال، فأدى إليه مئتي ألف، ثم إنه عجز عنها ولم يقدر عليها. قال ذهل ابن الحارث: دعاني مصقلة إلى رحله، فقدم عشاؤه، فطعمنا منه، ثم قال: والله إن أمير المؤمنين ليسألني هذا المال وما أقدر عليه. فقلت: والله ما كنت لأحملها قومي، ولا أطلب فيها إلى أحد. ثم قال: أما والله لو أن ابن هند هو طالبني بها -أو ابن عفان- لتركها لي، ألم تر ابن عفان حيث أطعم الأشعث[7] من خراج أذربيجان مئة ألف في كل سنة. فقلت له، إن هذا لا يرى ذاك الرأي، لا والله ما هو بتارك شيئا. فسكت ساعة، وسكت عنه، فلا والله ما مكث إلا ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية. وبلغ ذلك عليا فقال: ما له -برحه الله- فعل فعل السيد، وفر فرار العبد، وخان خيانة الفاجر! أما إنه لو أقام فعجز ما زدنا على حبسه، فإن وجدنا له شيئا أخذناه، وإن لم نقدر على مال تركناه. ثم سار علي إلى داره فهدمها، وكان أخوه نعيم بن هبيرة[8] شيعيا، ولعلي مناصحا، فكتب إليه مصقلة من الشام مع رجل من النصارى من بني تغلب يقال له: حلوان: أما بعد، فإني كلمت معاوية فيك، فوعدك الإمارة، ومناك الكرامة، فأقبل إلي ساعة يلقاك رسولي إن شاء الله، والسلام. فيأخذه مالك بن كعب الأرحبي[9]، فيسرحه إلى علي، فأخذ كتابه فقرأه، فقطع يده فمات، وكتب نعيم إلى مصقلة: من البسيط: لا ترمين هداك الله معترضا..بالظن منك فما بالي وحلوانا..ذاك الحريص على ما نال من طمع..وهو البعيد فلا يحزنك إن خانا..ماذا أردت إلي بإرساله سفها..ترجو سقاط امرئ لم يلف وسنانا..حتى تقحمت أمرا كنت تكرهه..للراكبين له سرا وإعلانا..عرضته لعلي إنه أسد..يمشي العرضنة من آساد خفانا..قد كنت في منظر عن ذا ومستمع..تحمي العراق وتدعى خير شيبانا..لو كنت أديت ما للقوم مصطبرا..للحق أحييت أحيانا وموتانا..لكن لحقت بأهل الشام ملتمسا..فضل ابن هند وذاك الرأي أشجانا..فاليوم تقرع سن العجز من ندم..ماذا تقول وقد كان الذي كانا..أصبحت تبغضك الأحياء قاطبة..لم يرفع الله بالبغضاء إنسانا. فلما وقع الكتاب إليه علم أنه قد هلك، ولم يلبث التغلبيون إلا قليلا حتى بلغهم هلاك صاحبهم حلوان، فأتوا مصقلة فقالوا: إنك بعثت صاحبنا فأهلكته، فإما أن تحييه وإما أن تديه. فقال: أما أن أحييه فلا أستطيع، ولكن سأديه. فوداه. وبلغني أن مصقلة قال في ذلك: من المتقارب: لعمري لئن عاب أهل العراق..علي انتعاشي بني ناجيه..لأعظم من عتقهم رقهم..وأكفى بعتقهم عاليه..وزايدت فيهم لإطلاقهم..وغاليت إن العلى غاليه. ثم إن معاوية بعد ذلك ولى مصقلة طبرستان، وبعثه في جيش عظيم، فأخذ العدو عليه المضايق، فهلك وجيشه، فقيل في المثل: حتى يرجع مصقلة من طبرستان.

----

*(ناجية) في قريش: بنو ناجية بنت جرم بن ربان، وهم بنو سامة بن لؤي (أردشير خره) كورة من كور فارس ومعناها: بهاء أردشير وهو ملك من ملوك الفرس (المبلدح) الملقى على الارض من الضرب.

■ (2) مصقلة بن هبيرة بن شبل الثعلبي الشيباني، من بكر بن وائل: قائد، من الولاة. كان من رجال علي بن أبي طالب. وأقامه علي عاملا له في بعض كور الاهواز. وتحول إلى معاوية ابن أبي سفيان، في خبر أورده المسعودي، فكان معه في صفين. ولما استقر الامر لمعاوية جهزه في عشرة آلاف مقاتل ويقال في عشرين ألفا وولاه طبرستان قبل فتحها فتوجه إليها، وتوغل في بلادها ومضايقها، وأهمل ما يسميه العسكريون خط الرجعة فبينما هو عائد يجتاز بعض عقباتها تسلط عليه العدو، فقذفوه بالحجارة وبالصخور من الجبال، فقتل، نحو 50 هـ وهلك أكثر من معه. وضرب الناس به المثل لا يكون هذا حتى يرجع مصقلة من طبرستان! قال الاخطل: دع المغمر لا تسأل بمصرعه واسأل بمصقلة البكري: ما فعلا ؟

■ (3) معقل بن قيس (أو عبد قيس) الرياحي، من بني يربوع: قائد، من الشجعان الاجواد. أدرك عصر النبوة. وأوفده عمار بن ياسر على عمر، بشيرا بفتح تستر، ووجهه علي بني ناجية حين ارتدوا. ثم كان من أمراء الصفوف يوم الجمل. وولي شرطة علي بن أبي طالب. ثم كان مع المغيرة بن شعبة في الكوفة، فلما خرج المستورد بن علفة جهز المغيرة معقلا في ثلاثة آلاف وسيره لقتاله، فنشبت بينهما معركة على شاطئ دجلة، فتبارزا، فقتلا معا، سنة 43 هـ قال جرير: ومنا فتى الفتيان والجود معقل ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا.

■ (1) أبو الطفيل، عامر بن واثلة الكناني. وقيل عمرو بن واثلة، قاله معمر والأول أكثر وأشهر وهو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جحش ولد عام أحد وأدرك من حياة النبي ثماني سنين. نزل الكوفة وصحب عليا في مشاهده كلها فلما قتل علي انصرف إلى مكة فأقام بها حتى مات سنة 100 هـ وقيل بعدها، وقيل إنه أقام بالكوفة ومات بها والأول أصح والله أعلم ويقال: إنه آخر من مات ممن رأى النبي. وخرج على بني أمية مع المختار الثقفي، مطالبا بدم الحسين. ولما قتل المختار، انزوى عامر إلى أن خرج ابن الأشعث، فخرج معه. وعاش بعد ذلك إلى أيام عمر بن عبد العزيز. وقيل كان أبو الطفيل من أصحاب محمد بن الحنفية، وكان ثقة، وكان متشيعا. وابنه الطفيل بن عامر قتل مع ابن الأشعث الكندي يوم دير الجماجم. وسئل مم بن يعقوب الأخرم: لم ترك البخاري حديث أبي الطفيل؟ قال: لأنه كان يفرط في التشيع.

■ (7) الأشعث بن قيس رضي الله تعالى عنه اسمه معد يكرب بن قيس وسمي أشعث لشعث رأسه وهو من كندة، وكانت مراد قتلت أباه فخرج ثائراً بأبيه فأسر ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلاً من كندة فأسلم ويكنى أبا محمد، ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى أن يبايع أبا بكر رضي الله عنه، فحاربه عامل أبي بكر حتى استأمنه على حكم أبي بكر وبعث به إليه، فسأل أبا بكر أن يستبقيه لجزية ويزوجه أخته أم فروة ففعل ذلك أبو بكر، ومات سنة أربعين وابنه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الذي خرج على الحجاج وخرج معه القراء والعلماء.

■ (6) ابن عباس، عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، شهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولامثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه.وكان آية في الحفظ رضي الله عنه.

■ (8) نعيم بن هبيرة بن شبل بن يثربي الشيباني: قائد، من الشجعان. كان مع المختار الثقفي، في ثورته بالكوفة. وقتل في وقعة مع شبث بن ربعي سنة 66 هـ

■ (9) مالك بن كعب الهمداني ثم الأرحبي (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: قيل لعلي رضي الله عنه حين هرب مصقلة: اردد الذين سبوا ولم تستوف أثمانهم في الرق، فقال: ليس ذلك في القضاء بحق، قد عتقوا إذ أعتقهم الذى اشتراهم، وصار مالى دينا على الذى اشتراهم . وعن عمار الدهنى، قال: لما هرب مصقلة قال أصحاب علي رضي الله عنه له: يا أمير المؤمنين، فيئنا ! قال : إنه قد صار على غريم من الغرماء، فاطلبوه.

عن عوانة، قال: وخرج زياد من القلعة حتى قدم على معاوية فصالحه على ألفي ألف، ثم أقبل فلقيه مصقلة بن هبيرة وافدا إلى معاوية في الطريق، فقال له: يا مصقلة متى عهدك بأمير المؤمنين؟ قال: عاما أول. قال: كم أعطاك؟ قال: عشرين ألفا. قال: فهل لك أن أعطيكها على أن أعجل لك عشرة آلاف، وعشرة آلاف إذا فرغت، على أن تبلغه كلاما؟ قال: نعم. قال: قل له إذا انتهيت إليه: أتاك زياد وقد أكل بر العراق وبحره، فخدعك، فصالحته على ألفي ألف؟ والله ما أرى الذي يقال إلا حقا. قال: نعم. ثم أتى معاوية فقال له ذلك، فقال له معاوية: وما يقال يا مصقلة؟ قال: يقال: إنه ابن أبي سفيان. فقال معاوية: وإن ذلك ليقال؟ قال: نعم. قال: أبي قائلها إلا إثما. فزعم أنه نقد مصقلة العشرة آلاف الأخرى بعدما ادعاه معاوية.

وعن مسلمة بن محارب، قال: مرض معاوية فأرجف به مصقلة بن هبيرة، وساعده قوم على ذلك، ثم تماثل معاوية وهم يرجفون به، فحمل زياد مصقلة إلى معاوية، وكتب إليه: إن مصقلة كان يجمع مراقا من مراق العراق فيرجفون بأمير المؤمنين. وقد حملته إليك ليرى عافية الله إياك. فقدم مصقلة، وجلس معاوية للناس، فلما دخل مصقلة قال له معاوية: ادن، فدنا، فأخذ بيده وجيده، فسقط مصقلة، فقال معاوية: من مجزوء الكامل: أبقى الحوادث من خلي..لك مثل جندلة المراجم..قد رامني الأقوام قب..لك فامتنعت من النظالم. فقال مصقلة: يا أمير المؤمنين، قد أبقى الله منك ما هو أعظم من ذلك، حلما وكلا ومرعى لأوليائك، وسما ناقعا لعدوك، فمن يرومك، كانت الجاهلية وأبوك سيد المشركين، وأصبح الناس مسلمين وأنت أمير المؤمنين. وأقام مصقلة، فوصله معاوية، وأذن له فانصرف إلى الكوفة، فقيل له: كيف تركت معاوية؟ قال: زعمتم أنه لما به، والله لغمز يدي غمزة كاد يحطمها، وجبذني جبذة كاد يكسر مني غضوا. وعن كليب بن خلف، قال: ثم غزا مصقلة خراسان أيام معاوية في عشرة آلاف، فأصيب وجنده بالرويان، وهي متاخمة طبرستان، فهلكوا في واد من أوديتها، أخذ العدو عليهم بمضايقة، فقتلوا جميعا، فهو يسمى وادي مصقلة. قال: وكان يضرب به المثل: حتى يرجع مصقلة من طبرستان. والله أعلم.

قال أبو إسحاق القيرواني: مرض معاوية مرضا شديدا فأرجف به مصقلة بن هبيرة وساعده قوم على ذلك ، ثم تماثل وهم في إرجافهم ، فحمل زياد مصقلة إلى معاوية وكتب إليه: إنه يجمع مراقا من العراق فيرجفون بأمير المؤمنين، وقد حملته إليه ليرى رأيه فيه. يفقدم مصقلة وجلس معاوية للناس؛ فلما دخل عليه قال: ادن مني فدنا منه، فأخذه بيده فجذبه فسقط مصقلة، فقال معاوية: مجزوء الكامل: أبقى الحوادث من خلي..لك مثل جندلة المراجم..صلبا إذا خار الرجا..ل أبل ممتنع الشكائم..قد رامني الأعداء قب..لك فامتنعت عن المظالم. قال مصقلة: يا أمير المؤمنين ، قد أبقى الله منك ما هو أعظم من ذلك بطشا وحلما راجحا وكلأ ومرعى لأوليائك، وسما ناقعا لأعدائك ، كانت الجاهلية فكان أبوك سيد المشركين، وأصبح الناس مسلمين؛ وأنت أمير المؤمنين، وقام. فوصله معاوية، وأذن له في الانصراف إلى الكوفة. فقيل له: كيف تركت معاوية؟ فقال: زعمتم أنه لما به، والله لقد غمزني غمزة كاد يحطمني، وجذبني جذبة كاد يكسر عضوا مني.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ / الأعلام للزركلي/ مختلف القبائل ومؤتلفها/ شرح نهج البلاغة/ زهر الأداب وثمر الألباب/

◆ علي بن أبي طالب (الإمام، أسد الله، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين) والمنذر بن الجارود 0189

كتب علي رضي الله عنه إلى المنذر بن الجارود[1] وبلغه أنه يبسط يده في المال، ويصل من أتاه، وكان على اصطخر*: إن صلاح أبيك غرني منك وظننت أنك تتبع هديه وفعله؛ فإذا أنت فيما رقي إلي عنك لا تدع الانقياد لهواك؛ وإن أزرى ذلك بدينك، ولا تصغي إلى الناصح وإن أخلص النصح لك؛ بلغني أنك تدع عملك كثيرا وتخرج لاهيا متنزها متصيدا، وأنك قد بسطت يدك في مال الله لمن أتاك من أعراب قومك، كأنه تراثك عن أبيك وأمك، وإني أقسم بالله لئن كان ذلك حقا لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك، وأن اللعب واللهو لا يرضاهما الله، وخيانة المسلمين أعمالهم مما يسخط ربك، ومن كان كذلك فليس بأهل لأن يسد به الثغر، ويجبىء به الفيء، ويؤتمن على مال المسلمين، فأقبل حين يصل كتابي هذا إليك. فقد فشكاه قوم ورفعوا عليه أنه أخذ ثلاثين ألفا، فسأله فجحد، فاستحلفه فلم يحلف، فحبسه. ومرض صعصعة بن صوحان العبدي[2] فعاده علي، فكلمه صعصعة وقال: أنا أضمن ما على المنذر. قال علي: كيف تضمن ذلك وهو يزعم أنه لم يأخذ شيئا؛ فليحلف. فقال صعصعة: هو يحلف. قال علي: وأنا أظنه سيفعل، إنه نظار في عطفيه*، مختال في برديه، تفال في شراكيه. فأخرجه علي فخلى سبيله. وقال علي لصعصعة: إنك ما علمت لخفيف المؤونة، حسن المعونة. قال وأنت: والله يا أمير المؤمنين ما علمت بالله لعالم وله خائف فلم يشكر المنذر لصعصعة ما صنع في أمره، فقال الأعور الشني: هلا سألت بني الجارود أي فتى..عند الشفاعة والثار ابن صوحانا..هل كان إلا كأم أرضعت ولدا..عقت فلم تجز بالإحسان إحسانا..لا تأمنن على سوء فتى ذمرا..يجزي المودة من ذي الود كفرانا.

----

*(اصطخر) إحدى المناطق التي يتألف منها إقليم فارس ، وتقع في القسم الشمالي من الإقليم(عطف) جانب، والمراد إعجابه بنفسه (نظار في عطفيه) أي جانبيه، ينظر تارة هكذا وتارة هكذا، ينظر لنفسه، ويستحسن هيئته ولبسته، وينظر هل عنده نقص في ذلك أو عيب فيستدركه بإزالته، كما يفعل أرباب الزهو ومن يدعى لنفسه الحسن والملاحة. (مختال في برديه) يمشى الخيلاء عجبا (تفال في شراكيه) الشراك : السير الذى يكون في النعل على ظهر القدم. و(التفل) بالسكون: مصدر تفل أي بصق، والتفل محركا البصاق نفسه، وإنما يفعله المعجب والتائه في شراكية ليذهب عنهما الغبار والوسخ، يتفل فيهما ويمسحهما ليعودا كالجديدين

■ (1) المنذر بن الجارود واسمه بشر ابن عمرو بن خنيس العبدي: أمير، من السادة الاجواد. ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وشهد الجمل مع على وولاه على إمرة إصطخر. ثم بلغه عنه ما ساءه، فعزله. ثم ولاه عبيد الله بن زياد ثغر الهند سنة 61 هـ فمات فيها، آخر السنة. ويقال إنه كان يرى رأي الخوارج.

■ (2) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي: من سادات عبد القيس. من أهل الكوفة. مولده في دارين قرب القطيف كان خطيبا بليغا عاقلا، له شعر. شهد صفين مع علي، وله مع معاوية مواقف. قال الشعبي: كنت أتعلم منه الخطب. ونفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوال في البحرين، بأمر معاوية، فمات فيها عن نحو 70 عاما. سنة 56 هـ وقيل: مات بالكوفة.

قال علي الصلابي: عندما تولى علي رضي الله عنه أمر الخلافة كانت وظيفة الشرطة إحدى الوظائف المهمة المعروفة في الدولة، والقصص والآثار التي تحدثت عن دور الشرطة في عهد علي رضي الله عنه كثيرة منها، ما رواه أصبغ بن نباته، أن شابا شكا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفرا، فقال: إن هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر فعادوا ولم يعد أبي فسألتهم عنه، فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله: فقالوا: ما ترك شيئا، وكان معه مال كثير، وترافعنا إلى شريح، فاستحلفهم وخلى سبيلهم، فدعا علي بالشرطة، فوكل بكل رجل رجلين، وأوصاهم ألا يمكنوا بعضهم يدنو من بعض، ولا يمكنوا أحدا يكلمهم، ودعا كاتبه، ودعا أحدهم، فقال: أخبرني عن أبي هذا الفتى، أي يوم خرج معكم؟ وفي أي منزل نزلتم؟ وكيف كان سيركم؟ وبأي علة مات؟ وكيف أصيب بماله؟ وسأله عمن غسله ودفنه، ومن تولى الصلاة عليه، وأين دفن، ونحو ذلك، والكاتب يكتب، فكبر علي، وكبر الحاضرون والمتهمون لا علم لهم إلا أنهم ظنوا أن صاحبهم قد أقر عليهم، ثم دعا آخر بعد أن غيب الأول عن مجلسه، فسأله كما سأل صاحبه، ثم الآخر كذلك، حتى عرف ما عند الجميع، فوجد كل واحد منهم يخبر بضد ما أخبر به صاحبه، ثم أمر برد الأول فقال: يا عدو الله، قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق، ثم أمر به إلى السجن، وكبر وكبر معه الحاضرون، فلما أبصر القوم الحال لم يشكوا أن صاحبهم أقر عليهم فدعا آخر منهم، فهدده، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد كنت كارها لما صنعوا، ثم دعا الجميع فأقروا بالقصة واستدعى الذي في السجن وقيل له: قد أقر أصحابك ولا ينجيك سوى الصدق، فأقر بكل ما أقر به القوم، فأغرمهم المال، وأقاد منهم القتيل.

فهذه القصة تحوى معان ودلالات كثيرة تفيد المحققين، وتدل في الوقت نفسه على وجود السجن، ورجال الشرطة هذا وقد بنى أمير المؤمنين سجنا في الكوفة سماه نافعا لم يكن مستوثق البناء، فكان المسجونون يخرجون منه، فهدمه وبنى بدلا منه سجنا سماه مخيسا وقد أجرى على أهل السجون ما يقوتهم من طعامهم وأدمهم وكسوتهم في الشتاء، والصيف وكان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب شرطة منهم، أبو الهياج الأسدى[1]، وقيس بن سعد بن عبادة[2]ومعقل بن قيس الرياحى[3]، ومالك بن خبيب اليربوعى[4]، والأصبغ بن نباته المشاجعى[5]، وسعيد بن سارية بن مرة الخزاعى[6]، وكان من ضمن الوظيفة الاجتماعية للشرطة، مساعدة المحتاج، وإغاثة الملهوف، وإرشاد التائه، وإطعام المساكين، وتقديم العون، وإظهار الرفق، وغير ذلك من المساعدات الإنسانية التي يراد بها وجه الله تعالى. ومن هنا يظهر لنا أن الأمن في العصر الراشدي كان يقوم بدور حضاري في تقديم خدمات عامة للمجتمع، ولم يقتصر دوره فقط على الجانب الأمني وإن كان للجانب الأمني الأهمية الكبرى.

----

*(مخيسا) وهذه التسمية ليست اعتباطا بل لها غرض، فإن النافع من النفع وهو ضد الضرر..المخيس وهو التذليل والتهذيب.. التسميتان تحققان أغراض السجن.

■ (2) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الانصاري الخزرجي المدني: وال، صحابي: من دهاة العرب، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب، والنجدة. وأحد الاجواد المشهورين. كان شريف قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم. وكان يحمل راية الانصار مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويلي أموره، وفي البخاري أنه كان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة الشرطي من الامير. وصحب عليا في خلافته، فاستعمله على مصر سنة 36 - 37 هـ، وعزل بمحمد بن أبي بكر. وعاد إلى علي، فكان على مقدمته يوم صفين. ثم كان مع الحسن بن علي حتى صالح معاوية، فرجع إلى المدينة. وتوفي بها في آخر خلافة معاوية. سنة 60 هـ وقيل: هرب من معاوية سنة 58 هـ وسكن تفليس فمات فيها. ولم يكن في وجهه شعر. وكان من أطول الناس ومن أجملهم.

■ (3) معقل بن قيس (أو عبد قيس) الرياحي، من بني يربوع: قائد، من الشجعان الاجواد. أدرك عصر النبوة. وأوفده عمار بن ياسر على عمر، بشيرا بفتح تستر، ووجهه على بني ناجية حين ارتدوا. ثم كان من أمراء الصفوف يوم الجمل. وولي شرطة على بن أبى طالب. ثم كان مع المغيرة بن شعبة في الكوفة، فلما خرج المستورد بن علقة جهز المغيرة معقلا في ثلاثة آلاف وسيره لقتاله، فنشبت بينهما معركة على شاطئ دجلة، فتبارزا، فقتلا معا، سنة 43 هـ قال جرير: ومنا فتى الفتيان والجود معقل ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا.

■ (5) الأصبغ بن نباتة المشاجعى. كان على شرطة الخميس. قيل: أصبغ بن نباته: أبو القاسم التميمي المجاشعي الحنظلي الدارمي الكوفي، شهد صفين مع علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وروى عنه وعن الحسن بن علي رضي الله عنه وأبي أيوب الأنصاري.

■ (6) سعيد بن سارية بن مرة بن عمران بن رباح بن سالم بن غاضرة بن حبشية بن كعب الخزاعي له إدراك وكان على شرطة علي وولاه أذربيجان ذكره بن الكلبي

■ (1) حيان بن حصين أبو الهياج الأسدى الكوفي روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الجنائز روى عنه أبو وائل، توفي في سنة 80 هـ.

■ (4) مالك بن خبيب اليربوعى أو مالك بن حبيب، كان على ماه.

مراجع:أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ الوافي بالوفيات/ أسد الغابة/ تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير/ شرح نهج البلاغة/ علي بن أبي طالب/ـ

قال ابن الأثير: كان أبو الطفيل[1] فاضلا عاقلا حاضر الجواب فصيحا وكان من شيعة علي رضي الله عنه ويثني على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم. قال سيف بن وهب[2]: دخلت على أبي الطفيل بمكة فقال: أتى علي تسعون سنة ونصف فكم أتى عليك؟ قلت: أنا ابن ثلاث وثلاثين سنة. قال سيف بن وهب: دخلت شعب بن عامر [3] على أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: فإذا شيخ كبير قد وقع حاجبه على عينيه، قال: فقلت له: أحب أن تحدثني بحديث سمعته من علي ليس بينك وبينه أحد؛ قال: أحدثك به إن شاء الله، وتجدني له حافظا: أقبل علي يتخطى رقاب الناس بالكوفة، حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله ما بين لوحي المصحف آية تخفى علي، فيم أنزلت ولا أين نزلت، ولا ما عنى بها؛ والله لا تلقون أحدا يحدثكم ذلك بعدي حتى تلقوا نبيكم صلى الله عليه وسلم . قال: فقام رجل يتخطى رقاب الناس، فنادى: يا أمير المؤمنين، قال: فقال علي: ما أراك بمسترشد، أو ما أنت مسترشد، قال: يا أمير المؤمنين؛ حدثني عن قول الله عز وجل: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾؟ [الذاريات] قال: الرياح، ويلك، قال: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾؟ [الذاريات] قال: السحاب ويلك، قال: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾؟ [الذاريات] قال: السفن ويلك، قال: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾؟ [النازعات] قال: الملائكة ويلك، قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ ؟ [الطور] قال: ويلك بيت في ست سماوات، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، وهو الضراح، وهو حذاء الكعبة من السماء؛ قال: يا أمير المؤمنين؛ حدثني عن قول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾؟ [إبراهيم] قال: ويلك ظلمة قريش، قال: يا أمير المؤمنين! حدثني عن قول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ؟ [الكهف] قال: ويلك منهم أهل حروراء، قال: يا أمير المؤمنين، حدثني عن ﴿ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف]، أنبيا كان أو رسولا؟ قال: لم يكن نبيا ولا رسولا ولكنه عبد ناصح الله عز وجل، فناصحه الله عز وجل وأحب الله فأحبه الله، وإنه دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فهلك، فغبر زمانا، ثم بعثه الله عز وجل فدعاهم إلى الله عز وجل، فضربوه على قرنه الآخر، فهلك فذلك قرناه. وفي حديث آخر: ولا نعلم أحدا من الناس كان له قرنان. وقال ابن شهاب: إنما سمي ذو القرنين أنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها فسمي ذا القرنين.

قال حبيب بن حماز: كنت عند علي بن أبي طالب وسأله رجل عن ذي القرنين قال: كيف بلغ المشرق والمغرب؟ فقال: سخر له السحاب ومدت له الأسباب، وبسط له في النور؛ قال: أزيدك؟ قال: فسكت الرجل، وسكت علي رضي الله عنه.

■ (1) أبو الطفيل، عامر بن واثلة الكناني. وقيل عمرو بن واثلة، قاله معمر والأول أكثر وأشهر وهو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جحش، ولد عام أحد وأدرك من حياة النبي ثماني سنين. نزل الكوفة وصحب عليا في مشاهده كلها فلما قتل علي انصرف إلى مكة فأقام بها حتى مات سنة 100 هـ وقيل بعدها، وقيل إنه أقام بالكوفة ومات بها والأول أصح والله أعلم ويقال: إنه آخر من مات ممن رأى النبي. وخرج على بني أمية مع المختار الثقفي، مطالبا بدم الحسين. ولما قتل المختار، انزوى عامر إلى أن خرج ابن الأشعث، فخرج معه. وعاش بعد ذلك إلى أيام عمر بن عبد العزيز. وقيل كان أبو الطفيل من أصحاب محمد بن الحنفية، وكان ثقة، وكان متشيعا. وابنه الطفيل بن عامر قتل مع ابن الأشعث الكندي يوم دير الجماجم. وسئل محمد بن يعقوب الأخرم: لم ترك البخاري حديث أبي الطفيل؟ قال: لأنه كان يفرط في التشيع.

■ (2) سيف بن وهب التميمي أبو وهب البصري عن أبي الطفيل وعنه سعيد وغيره ضعفه احمد قال النسائي: ليس بثقة.

■ (3) شعب بن عامر؟

قال جعفر بن عبد الله: كنا عند مالك فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه] كيف استوى ؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء، ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال: الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة، وأمر به فأخرج.

قال علي بن المديني: آخر من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سهل بن سعد الساعدي، وآخر من بقي بالبصرة أنس بن مالك، وآخر من بقي بالكوفة أبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي، من بني سواءة بن عامر، وآخر من بقي بالشام عبد الله بن بسر المازني، من بني مازن بن منصور، وآخر من بقي بمصر عبد الله بن الحارث بن جزء، وآخر من مات بمكة ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي، ويقال: الحماني. وكان أبو الطفيل يقول: ما بقي على وجه الأرض أحد يقدر يقول إنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري. وتوفي أبو الطفيل سنة مئة. وقيل: بعد المئة من الهجرة. وقيل: سنة اثنتين ومئة. وقيل: سنة سبع ومئة. وقيل: سنة عشر ومئة. وقيل إنه لم يزل باقيا حتى أدركته إمرة عمر بن عبد العزيز، فكتب يستأذنه في القدوم عليه: فقال عمر: ألم تؤمر بلزوم البلد؟.

☪

عن أبي الضحاك الحضرمي ، عن أبي حكيمة، قال: كنا في المسجد فجاء رجل فتنقص أبا بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه، وأظهر لعثمان رضي الله عنه الشتيمة ، قال : فدخلت على علي رضي الله عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين هذا رجل في المسجد تنقص أبا بكر وعمر وأظهر لعثمان الشتيمة، فقال: علي به، فقال: من يشهد على هذا ؟ قال: فشهدت ومن كان معي، فأمر به فديس، ثم قال: أخرجوا هذا إلى السوق حتى يراه الناس فيعرفونه، ثم أخرجوه فلا يساكنني، ثم قام وقمنا معه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، ولشئت أن أسمي الثالث لسميته.

☪

عن قتادة عن خلاس بن عمرو قال: كنا جلوسا عند علي بن أبي طالب إذ أتاه رجل من خزاعة فقال: يا أمير المؤمنين هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعت الإسلام قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بني الإسلام على أربعة أركان على الصبر واليقين والجهاد والعدل وللصبر أربع شعب الشوق والشفقة والزهادة والترقب فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن الحرمات ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات ولليقين أربع شعب تبصرة الفطنة وتأويل الحكمة ومعرفة العبرة واتباع السنة فمن أبصر الفطنة تأول الحكمة ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة اتبع السنة ومن اتبع النسة فكأنما كان في الأولين وللجهاد أربع شعب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه وأحرز دينه ومن شنأ الفاسقين فقد غضب لله ومن غضب الله يغضب الله له وللعدل أربع شعب غوص الفهم وزهرة العلم وشرائع الحكم وروضة الحلم فمن غاص الفهم فسر جمل العلم ومن رعى زهرة العلم عرف شرائع الحكم ومن عرف شرائع الحكم ورد روضة الحلم ومن ورد روضة الحلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس وهم في راحة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ / الأعلام للزركلي/ الكنى والأسماء/ تسهيل الوصول/ حلية الأولياء/

◆ علي بن أبي طالب (الإمام، أسد الله، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين) ورجل(؟) 0191

عن جعفر ابن محمد عن أبيه عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب[1]: أنه خطب الناس يوما فقال في خطبته: وأعجب ما في الإنسان قلبه، وله مواد من الحكمة، وأضداد من خلافها، فإن سنح له الرجاء أوله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعد بالرضا نسي التحفظ، وإن ناله الخوف شغله الحزن، وإن أصابته مصيبة قصمه الجزع، وإن أفاد مالا أطغاه الغنى، وإن عضته فاقة شغله البلاء، وإن جهده الجوع قعد به الضعف، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد قال: فقام إليه رجل ممن كان شهد معه الجمل فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن القدر؟ فقال: بحر عميق فلا تلجه. قال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن القدر؟ قال: سر الله فلا تتكلفه. قال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن القدر؟ قال: أما إذ أبيت فإنه أمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض. قال: يا أمير المؤمنين، إن فلانا يقول بالاستطاعة، وهو حاضرك، فقال: علي به، فأقاموه، فلما رآه سل سيفه قد أربع أصابع، فقال: الاستطاعة تملكها مع الله أو من دون الله؟ وإياك أن تقول أحدهما فترتد، فأضرب عنقك، قال: فما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: قل أملكها بالله الذي إن شاء ملكنيها.

■ (1) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

الجمعة

عن يعلى بن مرة قال: كان علي يخرج بالليل إلى المسجد يصلي تطوعا فجئنا نحرسه فلما فرغ أتانا فقال: ما يجلسكم؟ قلنا نحرسك. فقال: أمن أهل السماء تحرسون أم من أهل الأرض؟ قلنا: بل من أهل الأرض. قال: إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء، وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلآنه حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره، وإن علي من الله جنة حصينة، فإذا جاء أجلي كشف عني، وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. وعن قتادة قال:إن آخر ليله أتت على علي جعل لا يستقر فارتاب به أهله فجعل يدس بعضهم إلى بعض حتى أجمعوا فناشدوه قال: إنه ليس من عبد إلا ومعه ملكان يدفعان عنه ما لم يقدر أو قال: ما لم يأت القدر فإذا أتى القدر خليا بينه وبين القدر ثم خرج إلى المسجد فقتل.

☪

عن زر بن حبيش قال: جلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم فقالا : اجلس للغداء فجلس وأكل معهما واستوفوا في أكلهم الأرغفة الثمانية فقام: الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم وقال: خذا هذا عوضا مما أكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازعا وقال صاحب الخمسة الأرغفة: لي خمسة دراهم ولك ثلاث فقال صاحب الثلاثة الأرغفة: لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين. وارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقصا عليه قصتهما فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة: قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بثلاثة. فقال: لا والله لا رضيت منه إلا بمر الحق. فقال علي رضي الله عنه: ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد وله سبعة. فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين وهو يعرض علي ثلاثة فلم أرض وأشرت علي بأخذها فلم أرض وتقول لي الآن: إنه لا يجب في مر الحق إلا درهم واحد فقال له علي: عرض عليك صاحبك الثلاثة صلحا، فقلت: لم أرض إلا بمر الحق ولا يجب لك بمر الحق إلا واحد. فقال له الرجل: فعرفني بالوجه في مر الحق حتى أقبله، فقال علي رضي الله عنه: أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثا أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يعلم الأكثر منكم أكلا ولا الأقل فتحملون في أكلكم على السواء قال: بلى. قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث وإنما لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثا أكل منها ثمانية ويبقى له سبعة وأكل لك واحدا من تسعة فلك واحد بواحدك وله سبعة بسبعته. فقال له الرجل: رضيت الآن.

☪

في التنقيح قال سعيد بن منصور: ثنا أبو معشر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه، قال: حضرت علي بن أبي طالب أتي برجل مقطوع اليد والرجل، قد سرق، فقال لأصحابه: ما ترون في هذا؟ قالوا: اقطعه يا أمير المؤمنين، قال: قتلته إذا، وما عليه القتل، بأي شيء يأكل الطعام؟! بأي شيء يتوضأ للصلاة؟! بأي شيء يغتسل من جنابته؟! بأي شيء يقوم على حاجته؟!، فرده إلى السجن أياما، ثم أخرجه، فاستشار أصحابه، فقالوا مثل قولهم الأول، وقال لهم مثل ما قال أول مرة، فجلده جلدا شديدا، ثم أرسله، وقال سعيد أيضا: حدثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن عبد الرحمن بن عائذ، قال: أتي عمر بن الخطاب بأقطع اليد والرجل، قد سرق، فأمر أن تقطع رجله، فقال علي: قال الله تعالى: إنما جزاء الذين يحاربون الله الآية، فقد قطعت يد هذا، فلا ينبغي أن تقطع رجله، فتدعه ليس له قائمة يمشي عليها، إما أن تعزره، وإما أن تودعه السجن، فاستودعه السجن، انتهى. وهذا الثاني رواه البيهقي في سننه.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ كنز العمال/ الإستيعاب في معرفة الأصحاب/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

لما بويع علي بن أبي طالب بلغه عن حسان بن ثابت[1]، وكعب بن مالك[2]، والنعمان بن بشير[3]، وكانوا عثمانية، أنهم يقدمون بني أمية على بني هاشم، ويقولون: الشام خير من المدينة، واتصل بهم أن ذلك قد بلغه، فدخلوا عليه، فقال له كعب بن مالك: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن عثمان، أقتل ظالما فنقول بقولك، أو قتل مظلوما فتقول بقولنا، ونكلك إلى الشبهة، والعجب من يقيننا وشكك! وقد زعمت العرب أن عندك علم ما اختلفنا فيه، فهاته لنعرف، ثم قال: من الطويل: كف يديه ثم أغلق بابه..وأيقن أن الله ليس بغافل..وقال لمن في داره لا تقاتلوا..عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل..فكيف رأيت الله صب عليهم ال..عداوة والبغضاء بعد التواصل..وكيف رأيت الخير أدبر عنهم..وولى كإدبار النعام الجوافل. فقال لهم علي: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثر عثمان وأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة. فقالوا: لا ترضى بهذا العرب، ولا تعذرنا به، فقال علي: أيرد علي بين ظهراني المسلمين بلا نية صادقة، ولا حجة واضحة؟ اخرجوا، فلا تجاوروني في بلد أنا فيه أبدا. فخرجوا من يومهم، فساروا حتى أتوا معاوية[4]، فقال لهم: لكم الكفاية أو الولاية، فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار، وكعب بن مالك ألف دينار، وولى النعمان بن بشير حمص، ثم نقله إلى الكوفة بعد.

في رواية: دخل عليه كعب بن مالك الأنصاري، فقال: يا أمير المؤمنين بلغك عنا أمر لو كان غيرك لم يحتمله، ولو كان غيرنا لم يقم معك عليه. ما في الناس من هو أعلم منك، وفي الناس من نحن أعلم منه. وأوضع العلم ما وقف عليه اللسان، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان. ونحن أعرف بقدر عثمان من قاتليه، وأنت أعلم بهم وبخاذليه. فإن قلت إنه قتل ظالما قلنا بقولك، وإن قلت إنه قتل ظالما قلنا بقولك، وإن قلت إنه قتل مظلوما قلت بقولنا، وإن وكلتنا إلى الشبهة أيأستنا بعدك من إصابة البنة.فقال رضي الله عنه: عندي في عثمان أربع: استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله عز وجل حكم عادل في المستأثر والجازع.

■ (1) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو . سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس. أبو الوليد؛ ويقال: أبو الحسام. الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، ابن الفريعة (أو الفزيعة). شاعر رسول الله وصاحبه. وحديثه قليل. قال ابن سعد: عاش ستين في الجاهلية، وستين في الإسلام. قال ابن سعد: عن الواقدي: لم يشهد مع النبي مشهدا. كان يجبن وقيل: لعلة أصابته وأمة الفريعة (أو الفزيعة) بنت خنيس. قال مسلم: كنيته أبو عبد الرحمن. وقيل: أبو الوليد. واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته. توفي في المدينة بين سنة35 و40 هـ زمن علي. أو ما بين سنة 50 هـ و 54 هـ زمن معاوية.

■ (2) كعب بن مالك بن أبي كعب، عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الانصاري، الخزرجي العقبي الاحدي. شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلفوا، فتاب الله عليهم. شهد العقبة، وقيل: كانت كنيته في الجاهلية: أبا بشير. وقال ابن أبي حاتم: كان كعب من أهل الصفة. وذهب بصره في خلافة معاوية. وقد ذكره عروة في السبعين الذين شهدوا العقبة. وروى صدقة بن سابق، عن ابن إسحاق، قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين طلحة بن عبيد الله، وكعب بن مالك. وقيل: بل آخى بين كعب والزبير. وعن الهيثم، والمدائني: أن كعبا مات سنة 40 هـ. وروى الواقدي: أنه مات سنة 50 هـ. وعن الهيثم بن عدي أيضا: أنه توفي سنة 51 هـ. وقصة توبة الثلاثة في الصحيح، وشعره منه في السيرة.

■ (3) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الانصاري، أبو عبد الله: أمير، خطيب، شاعر، من أجلاء الصحابة. من أهل المدينة. وجهته نائلة زوجة عثمان بقميص عثمان، إلى معاوية، فنزل الشام. وشهد صفين مع معاوية. وولي القضاء بدمشق، بعد فضالة بن عبيد سنة 53 هـ وولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة، تسعة أشهر، وعزله وولاه حمص. واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية، فبايع النعمان لابن الزبير. وتمرد أهل حمص، فخرج هاربا، فاتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله. سنة 65 هـ وهو أول مولود ولد في الانصار بعد الهجرة. قال ابن حزم: افتتح مروان دولته بقتله، وسيق إليه رأسه من حمص. وقيل: قتل يوم مرج راهط. قال سماك بن حرب: كان من أخطب من سمعت.

■ (4) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة.وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

☪

قال إدريس أبو عبد الله بن إدريس: أتيت سعيد بن أبي بردة فسألته عن رسائل عمر التي كان يكتب بها إلى أبي موسى، وكان أبو موسى قد أوصى إلى أبي بردة، فأخرج لي كتابا فرأيت في كتاب منها: أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، واس بين الاثنين في مجلسك، ووجهك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يأيس وضيع، وربما قال: ضعيف من عدلك؛ الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك، وربما قال: في نفسك؛ ويشكل عليك ما لم ينزل في الكتاب، ولم تجر به سنة، وأعرف الأشباه، والأمثال، ثم قس الأمور بعضها ببعض، فانظر أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق فاتبعه، واعمد إليه؛ لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس، راجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك، فإن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل؛ المسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجلودا أو مجربا عليه شهادة زور، أو ظنينا في ولاء قرابة، اجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهي إليه، أو بينة عادلة فإنه أثبت للحجة، وأبلغ في العذر، فإن أحضر بينته إلى ذلك الأجل أخذ حقه، وإلا وجهت عليه البينة على من أدعى، واليمين على من أنكر، إن الله عز وجل تولى منكم السرائر، ودرأ عنكم بالشبهات، وإياك والغلق، والضجر، والتأذي بالناس، والتنكر للخصم في مجالس القضاء التي يوجب الله فيها الأجر، ويحسن فيها الذخر؛ من حسنت نيته، وخلصت فيما بينه وبين الله، كفاه الله ما بينه وبين الناس؛ والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما، أو حرم حلالا، ومن تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شانه الله، فما ظنك بثواب عند الله في عاجل دنيا، وآجر آخرة، والسلام.

☪

عن يونس بن ميسرة بن حلبس قال: لما قدم علي اليمن خطب بها، وبلغ كعب الأخبار قيامه بخطبته فأقبل على راحلته في حلة ومعه حبر من أحبار يهود حتى استمعا له، فوافقاه وهو يقول: أن من الناس من يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار. فقال كعب: صدق، فقال علي: ومنهم من لا يبصر بالليل، ولا يبصر بالنهار، فقال كعب: صدق. ومن يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة. فقال كعب: صدق. فقال الحبر: وكيف تصدقه؟! قال: أما قوله: من الناس من يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار فهو المؤمن بالكتاب الأول، ولا يؤمن بالكتاب الآخر. وأما قوله: منهم من لا يبصر بالليل، ولا يبصر بالنهار، فهو الذي لا يؤمن بالكتاب الأول ولا الآخر. وأما قوله من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة فهو ما يقبل الله من الصدقات، قال: وهو مثل رأيته بين. قالوا: وجاء كعباص سائلا فأعطاه حلته – ومضى الحبر مغضبا. ومثلت بين يدي كعب امرأة تقول: من يبادل راحلة براحلة؟ فقال كعب: وزيادة حلة؟ قالت: نعم. فأخذ كعب وأعطى، وركب الراحلة، ولبس الحلة، وأسرع المسير حتى لحق الحبر وهو يقول: من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة!. قال كعب الأحبار: لما قدم علي اليمن لقيته، فقلت: أخبرني عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، فجعل يخبرني عنه، وجعلت أتبسم، فقال: مم تتبسم؟ فقال: مما يوافق ما عندنا في صفته، فقلت: ما يحل وما يحرم؟ فأخبرني، فقلت: هو عندنا كما وصفت. وصدقت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآمنت به، ودعوت من قبلنا من أحبارنا، وأخرجت إليهم سفرا فقلت: هذا كان أبي يختمه علي ويقول: لا تفتحه حتى تسمع بنبي يخرج بيثرب. قال: فأقمت باليمن على إسلامي حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي أبو بكر فقدمت في خلافة عمر بن الخطاب، ويا ليت أني كنت تقدمت في الهجرة! عن كعب قال: يلومني أحبار بني إسرائيل أني دخلت في أمة فرقهم الله أولا ثم جمعهم، فأدخلهم الجنة جميعا. ثم تلا هذه الآية:﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ حتى بلغ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر] قال ابن جريج: سمعت عطاء يقول:﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر]، وزعم أن هؤلاء الأصناف الثلاثة نحن أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وزعم أن قوله:﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر] في هؤلاء الأصناف الثلاثة، وأن كعبا قال: هم أمة محمد هؤلاء الأصناف الثلاثة. فأنا أقيم على اليهودية، وأدع هذا الدين!؟. وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كعب الأحبار لأي ابنى آدم كان النسل؟ قال: ليس لواحد منهما نسل، فأما المقتول فقد درج، وأما القاتل فهلك نسله في الطوفان، والناس من بني نوح، ونوح من بني شيث بن آدم، فسكن حام الجنوب ومنه السودان، وسكن يافث الشمال ومنه الشقران، وسكن سام وسط الأرض ومنه العرب وفارس.

مراجع: : مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ نثر الدر/

عن عامر الشعبي، أن عليا بعد قدومه الكوفة نزع جرير بن عبد الله البجلي[1] عن همدان فأقبل جرير حتى قدم الكوفة على علي بن أبي طالب فبايعه، ثم إن عليا أراد أن يبعث إلى معاوية[2] بالشام رسولا وكتابا، فقال له جرير: يا أمير المؤمنين، ابعثني إليه فإنه، لم يزل لي مستنصحا ودا*، فآتيه فأدعوه على أن يسلم هذا الأمر لك، ويجامعك على الحق، وأن يكون أميرا من أمرائك وعاملا من عمالك، ما عمل بطاعة الله، واتبع ما في كتاب الله، وأدعو أهل الشام إلى طاعتك، وولايتك، فإن جلهم قومي وقد رجوت ألا يعصوني، فقال له الأشتر[3]: لا تبعثه، ولا تصدقه، فوالله إني لأظن هواه هواهم، ونيته نيتهم، فقال له: دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا، فبعثه علي إلى معاوية، فقال له: حين أراد أن يوجهه، إن حولي من قد علمت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أهل الدين والرأي، وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك: ﴿مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ﴾ فائت معاوية بكتابي فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون، وإلا فانبذ إليه على سواء، وأعلمه أني لا أرضى به أميرا، وإن العامة لا ترضى به خليفة، فانطلق جرير حتى نزل بمعاوية، فدخل عليه، فقام جرير، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، يا معاوية، فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين، وأهل المصرين، وأهل الحجاز، واليمن، ومصر، وعمان، والبحرين، واليمامة، فلم يبق إلا أهل هذه الحصون التي أنت فيها، لو سال عليها من أوديته سيل غرقها، وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى متابعة (مبايعة؟) أمير المؤمنين علي، ودفع إليه كتابه، قال: وكانت نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي، أمير المؤمنين، إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد، فإن بيعتي لزمتك وأنت بالشام، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر، وعمر، وعثمان، علي ما بايعوا عليه، فلم يكن لشاهد أن يختار ولا لغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين، والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل وسموه إماما، كان ذلك رضا، فإن خرج من أمرهم، خارج بطعن أو رغبة، ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى ويصله جهنم وساءت مصيرا، وإن طلحة [4] والزبير[5] بايعاني، ثم نقضا بيعتي وكان نقضها كردهما، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق، وظهر أمر الله وهم كارهون، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإن أحب الأمور إلي فيك العافية، إلا أن تعرض للبلاء، فإن تعرضت له قاتلتك، واستعنت الله عليك، وقد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل في الناس ثم حاكم القوم إلي، أحملك وإياهم على كتاب الله، فأما تلك التي تريدها يا معاوية فهي خدعة الصبي عن اللبن، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان، واعلم يا معاوية، أنك من الطلقاء* الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى، وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله، وهو من أهل الإيمان والهجرة، فبايع ولا قوة إلا بالله، فلما قرأ معاوية الكتاب وعنده جماعة من الناس، قام جرير خطيبا، فقال: الحمد لله المحمود بالعوائد المأمول منه الزوائد، المرتجى منه الثواب والمختشى منه العقاب، المستعان على النوائب أحمده، وأستعينه في الأمور التي تحير دونها الألباب، وتضمحل عندها الأسباب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كل شئ هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بعد الفترة* والرسل الماضية، والقرون الخالية، والأبدان البالية، والجبلة الطاغية، فبلغ الرسالة ونصح الأمة، وأدى الحق الذي استودعه وأمر بأدائه إلى أمته صلى الله عليه وسلم، من رسول الله ومنتخب، أيها الناس، إن أمر عثمان قد أعيا من شهده، فما ظنكم بمن غاب عنه، وإن الناس بايعوا عليا، غير واتر ولا موتور، وكان طلحة والزبير ممن بايعه، ثم نقضا بيعته على غير حدث، ألا وإن الدين لا يحتمل الفتق (الفتن؟) وإن العرب لا تحتمل السيف، وقد كانت بالبصرة (يشير إلى وقعة الجمل* أمس ملحمة، إن يشفع بمثلها، فلا بقاء للناس بعدها، وقد بايعت العامة عليا، ولو أنا ملكنا أمورنا لم نختر لها غيره، فمن خالف هذا استعتب، فأدخل يا معاوية فيما دخل الناس فيه، فإن قلت: استعملني عثمان، ثم لم يعزلني فإن هذا أمر لو جاز لم يقم لله دين، وكان لكل امرئ ما في يديه، ولكن الله جعل للذخر من الولاة حق الأول، وجعل تلك الأمور موطأة وحقوقا ينسخ بعضها بعضا. فقال معاوية: أنظر وأنتظر، وأستطلع رأي أهل الشام، فأمر معاوية، مناديا فنادى الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس صعد المنبر فخطب، فقال: الحمد لله، الذي جعل الدعائم للإسلام أركانا والشرائع للإيمان برهانا يتوقد قابسه (قبسه؟) في الأرض المقدسة، التي جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده، فأحلها الشام، ورضيهم لها، ورضيها لهم، بما سبق من مكنون علمه من طاعتهم، ومناصحتهم أولياءه فيها، والقوام بأمره، الذابين عن دينه وحرماته، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاما، وفي أعلام الخير عظاما يردع الله به الناكثين، ويجمع بهم ألفة المؤمنين، والله نستعين على ما تشعب من أمور المسلمين، وتباعد بينهم بعد القرب والألفة، اللهم، انصرنا على قوم يوقظون نائمنا ويخيفون آمننا، ويريدون هراقة دمائنا وإخافة سبيلنا، وقد يعلم الله أنا لا نريد لهم عقابا، ولا نهتك لهم حجابا، غير أن الله الحميد، كسانا من الكرامة ثوبا، لن ننزعه طوعا، ما جاوب الصدى وتسقط الندى، وعرف الهدى حملهم على خلافنا البغي، والحسد، فالله نستعين عليهم، أيها الناس، قد علمتم أني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأني خليفة أمير المؤمنين عثمان عليكم، وأني لم أقم رجلا منكم على خزاية قط، وأني ولي عثمان وابن عمه، وقد قال الله في كتابه:﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء] وقد علمتم أنه قتل مظلوما، وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقال أهل الشام بأجمعهم: بل نطلب بدمه، فأجابوه إلى ذلك، وبايعوه، ووثقوا له أن يبذلوا في ذلك أنفسهم، وأموالهم أو يدركوا بثأره، أو يفني الله أرواحهم، قبل ذلك. قال الشعبي: وكان علي استشار الناس، فأشاروا عليه بالقيام بالكوفة، غير الأشتر، وعدي بن حاتم[6]، وشريح بن هانئ الحارثي[7] وهانئ بن عروة المرادي[8] فإنهم قالوا لعلي: إن الذين أشاروا عليك بالمقام بالكوفة، إنما خوفوك حرب الشام، وليس في حربهم شئ أخوف من الموت، وإياه نريد، فدعا علي الأشتر وعديا وشريحا وهانئا، فقال: إن استعدادي لحرب الشام، وجرير بن عبد الله عند القوم صرف لهم عن غي إن أرادوه، ولكني قد أرسلت رسولا، فوقت لرسولي وقتا لا يقيم بعده، والرأي مع الأناة، فاتئدوا، ولا أكره لكم الأعذار، فأبطأ جرير على علي حتى آيس منه وإن جريرا لما أبطأ عليه معاوية بالبيعة لعلي كلمة في ذلك، وقال له: إن هذا أمر له ما بعده، فدعا معاوية ثقاته فاستشارهم، فقال له عتبة بن أبي سفيان[9] : وكان نظير معاوية استعن في هذا الأمر بعمرو بن العاص، فإنه من عرفت وقد اعتزل عثمان في حياته، وهو لأمرك أشد اتباعا، فكتب إليه معاوية، وعمرو بفلسطين: أما بعد فإنه قد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد سقط الشام مروان بن الحكم[10] في رافضة أهل البصرة، وقد قدم علي جرير بن عبد الله ببيعة علي، فأقدم علي على بركة الله، فإني قد حبست نفسي ولا غنى بنا عن رأيك. وإن معاوية قال لجرير: قد رأيت أن أكتب إلى صاحبك، أن يجعل لي مصر والشام حياته (جبابة) فإن حضرته الوفاة لم يجعل لأحد من بعده في عنقي بيعة، وأسلم له هذا الأمر، وأكتب إليه بالخلافة.فقال جرير: اكتب ما شئت، وأكتب معك إليه، فكتب معاوية بذلك فلما أتى عليا كتابه عرف أنما هي خديعة منه، وكتب علي إلى جرير: أما بعد، فإن معاوية، إنما أراد بما طلب ألا تكون في عنقه بيعة، وأن يختار من أمره ما أحب وأراد أن يريثك حتى يذوق أهل الشام، وقد كان المغيرة بن شعبة[11] أشار علي وأنا بالمدينة، أن استعمل معاوية على الشام، فأبيت ذلك، ولم يكن الله ليراني أن أتخذ المضلين عضدا، فإن بايعك، وإلا فأقبل. وفشا كتاب معاوية في الناس، فكتب إليه الوليد بن عقبة[12]: معاوي إن الشام شامك فاعتصم..بشامك لا تدخل عليك الأفاعيا وحام عليها بالقبائل والقنا..ولا تك محشوش الذراعين وانيا فإن عليا ناظر ما تجيبه..فأهد له حربا تشيب النواصيا.

----

* (الود) بضم الواو : الصديق على حذف المضاف (الفترة) الفترة ما بين كل رسولين من رسل عزوجل من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة (الطلقاء) الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وفي الحديث الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف كأنه ميز قريشا بهذا الاسم(وقعة الجمل) سنة 36 هـ قتل بها طلحة والزبير وغيرهما.

■ (2) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة.وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (6) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، أبو وهب وأبو طريف: صحابي، وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل كان رئيس طيئ في الجاهلية والإسلام. أسلم سنة 9 هـ، وشهد فتح العراق، وشهد الجمل وصفين والنهروان مع علي. وفقئت عينه،قيل مات سنة 67 هـ وله 120 سنة. وتوفي بالكوفة بين 66-69 هـ قيل قدم عدي على عمر بن الخطاب فكأنه رأى منه جفاء، فقال له: أما تعرفني؟ قال: بلى والله أعرفك أكرمك الله بأحسن المعرفة أسلمت إذ كفروا وعرفت إذ أنكروا ووفيت إذ غدروا وأقبلت إذ أدبروا. فقال: حسبي يا أمير المؤمنين حسبي.

■ (7) شريح بن هانئ بن يزيد الحارثي: راجز، شجاع، من مقدمي أصحاب علي، كان من أمراء جيشه يوم الجمل. ولما كان يوم التحكيم بعث علي أبا موسى، ومعه أربعمائة رجل، عليهم شريح بن هانئ. قتل غازيا بسجستان سنة 78 هـ. أيام الحجاج

■ (8) هانئ بن عروة بن الفضفاض المرادي الغطيفي، مخضرم سكن الكوفة وكان من خواص علي ولما بايع أهل الكوفة مسلم بن عقيل للحسين نزل على هانئ المذكور فلما قدم عبيد الله بن زياد قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة.سنة 60 هـ والقصة مشهورة في جزء مقتل الحسين.

■ (9) عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية: ولي مصر من قبل أخيه معاوية، فقدمها سنة 43 هـ. ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطا، فابتنى دارا في حصنها القديم، وتوفي بها سنة 44 هـ كان عاقلا فصيحا مهيبا، شهد مع عثمان يوم الدار، وشهد يوم الجمل مع عائشة، وفقئت عينه. وحج بالناس سنة 41 وسنة 42 .

■ (11) المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي. يقال له مغيرة الرأي. ولد سنة 20 ق هـ في الطائف بالحجاز وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك فدخل الاسكندرية وافدا على المقوقس، وعاد إلى الحجاز. فلما ظهر الاسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة 5 هـ فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة. وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة سنة 50 أو 51 هـ.. قال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية للاناة، وعمرو بن العاص للمعضلات، والمغيرة للبديهة، وزياد بن أبيه للصغير والكبير . وللمغيرة 136 حديثا. وهو أول من وضع ديوان البصرة، وأول من سلم عليه بالامرة في الاسلام.

■ (12) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب، الاموي القرشي: وال.من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم. فيه ظرف ومجون ولهو. وهو أخو عثمان ابن عفان لامه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25 هـ فانصرف إليها، وأقام إلى سنة 29 هـ فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر، فعزله ودعا به إلى المدينة، فجاء، فحده وحبسه. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية، فسكنها. واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرض معاوية على الاخذ بثأره. ومات بالرقة سنة 61 هـ.

■ (10) مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثم عزله ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية. ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ.

■ (3) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بـ الأشتر. أدرك الجاهلية وكان من أصحاب علي وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها.وحضر خطبة عمر في الجابية، وسكن الكوفة وكان له نسل فيها، وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها، وكان ممن ألّب على عثمان وحضر حصره في المدينة، وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي، وولاه علي مصر فقصدها فمات في الطريق، لما كان بالقلزم شرب شربة عسل فمات سنة 37 هـ فقال علي: رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله.

■ (4) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

■ (1) جرير بن عبد الله البجلي أبو عمرو وكان ممن هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسكن الكوفة فلما وقعت الفتن خرج هو وعدى بن حاتم وحنظلة الكاتب وقالوا لا نقيم ببلدة يشتم فيها عثمان فخرجوا إلى قرقيسياء وسكنوها ومات جرير سنة 51 هـ ويقال مات سنة 54 هـ

■ (5) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي.أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حواري رسول الله. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر. أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ

☪

عن قيس بن أبي حازم قال: جاء رجل إلى معاوية فسأله عن مسألة فقال: سل عنها علي بن أبي طالب فهو أعلم. فقال: أريد جوابك يا أمير المؤمنين فيها. فقال: ويحك! لقد كرهت رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغره بالعلم غرا ولقد قال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي. ولقد كان عمر بن الخطاب يسأله فيأخذ عنه، وكان إذا أشكل على عمر شيء قال: ها هنا علي. ثم قال معاوية:قم لا أقام الله رجليك. ومحا أسمه من الديوان، فبلغ ذلك عليا فقال: جزاه الله خيرا، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذني وإلا صمتا يقول له: أنت يا معاوية أحد أمناء الله، اللهم علمه الكتاب ومكن له في البلاد. تعليق: قلت بعيدا عن موثوقية راوي الحديث، هكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ وقعة صفين/

◆ علي بن أبي طالب (الإمام، أسد الله، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين) وعلماء من اليهود والنصارى 0194

عن أبي الصهباء البكري قال: سمعت علي بن أبي طالب[1]، وقد دعا رأس الجالوت* وأسقف* النصارى. فقال: إني سائلكم عن أمر، وأنا أعلم به منكما، فلا تكتماني. يا رأس الجالوت، أنشدتك الله، الذي أنزل التوراة على موسى، وأطعمكم المن والسلوى، وضرب لكم في البحر طريقا، وأخرج لكم من الحجر اثنتي عشرة عينا، لكل سبط من بني إسرائيل عين، إلا ما أخبرتني على كم افترقت بنو إسرائيل بعد موسى؟ فقال له: ولا فرقة واحدة. فقال له، ثلاث مرار: كذبت. والله الذي لا إله إلا هو لقد افترقت على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة. ثم دعا الأسقف فقال: أنشدك الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى، وجعل على رحله البركة، وأراكم العبرة، فأبرأ الأكمه، وأحيا الموتى، وصنع لكم من الطين طيورا، وأنبأكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم. فقال: دون هذا أصدقك يا أمير المؤمنين. فقال: على كم افترقت النصارى بعد عيسى من فرقة؟ فقال: لا والله ولا فرقة. فقال، ثلاث مرار: كذبت. والله الذي لا إله إلا هو لقد افترقت على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة. فأما أنت يا يهودي فإن الله يقول: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف] فهي التي تنجو. وأما أنت يا نصراني فإن الله يقول: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة] فهي التي تنجو. وأما نحن فيقول: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف] وهي التي تنجو من هذه الأمة.

عن شريك البرجمي، قال حدثني زاذان أبو عمر[2]، قال: قال علي رضي الله عنه : يا أبو عمر. أتدري على كم افترقت اليهود؟.قلت:الله أعلم. فقال: افترقت على إحدى وسبعين فرقة، كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية. والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في الهاوية إلا واحدة هي الناجية. يا أبا عمر. أتدري على كم تفترق هذه الأمة؟. قلت: الله أعلم. قال:تفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية. ثم قال علي: أتدري كم تفترق في؟. قلت: وإنه يفترق فيك يا أمير المؤمنين؟!. قال: نعم. اثنتا عشرة فرقة، كلها في الهاوية إلا واحدة في الناجية وهي تلك الواحدة -يعني الفرقة التي هي من الثلاث والسبعين- وأنت منهم يا أبا عمر.

----

*(الجالوت) اسم زعيم اليهود الروحي أو رئيس علماء اليهود، ورأس الجالوت هو اسم الحاكم على اليهود بعد خراب بيت المقدس الخراب الثاني، وفي كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي قال:رأس الجالوت: هو رئيسهم، والجالوت، هم الجالية، أعني الذين جلوا عن أوطانهم ببيت المقدس، ويكون رأس الجالوت من ولد داود عليه السلام، وتزعم عامتهم أنه لا يرأس حتى يكون طويل الباع، تبلغ أنامل يديه ركبتيه إذا مدهما. ومن الواضح في سياق الرواية أنه من كبار زعماء اليهود في بلاد الإسلام (الأسقف) بضم الهمزة والقاف وتشديد الفاء أو تخفيفها، رئيس النصارى، أو كبير علماء النصارى. وقيل: هو فوق القسيس، ودون المطران. ولعله المعبر عنه في الحديث بالجاثليق.

■ (2) زاذان أبو عمرو، ويقال أبو عبد الله الكندي، مولاهم.توفي زاذان بالكوفة أيام الحجاج بن يوسف، وذلك سنة 82 هـ.

■ (1) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

☪

قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رحمه الله: ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم. وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريبا من مبلغ الفرقة الناجية فضلا عن أن تكون بقدرها بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة. وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع . فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة. وأما تعيين هذه الفرق فقد صنف الناس فيهم مصنفات وذكروهم في كتب المقالات ؛ لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة . . . هي إحدى الثنتين والسبعين لا بد له من دليل فإن الله حرم القول بلا علم عموما ؛ وحرم القول عليه بلا علم خصوصا ؛... [الكتاب: مجموع الفتاوى]

عن أبى عامر عبد الله بن لحى قال حججنا مع معاوية بن أبى سفيان فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِى دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً -يَعْنِى الأَهْوَاءَ- كُلُّهَا فِى النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً وَهِىَ الْجَمَاعَةُ وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِى أُمَّتِى أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لاَ يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلاَ مَفْصِلٌ إِلاَّ دَخَلَهُ﴾ والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به. (يتجارى) يدخل ويسري. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفَرَّقَتْ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً﴾ وعن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي﴾ قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. وعن عبد الله بن قيس قال: اجتمع عند علي رضي الله عنه جاثليتو النصارى ورأس الجالوت. فقال الرأس: تجادلون على كم افترقت اليهود؟ قال: على إحدى وسبعين فرقة. فقال علي رضي الله عنه: لتفترقن هذه الأمة على مثل ذلك، وأضلها فرقة وشرها: الداعية إلينا -أهل البيت-، آية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تفرقت اليهود على واحدة وسبعين فرقة؛ كلها في النار، وتفرقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة؛ كلها في النار، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة؛ كلها في النار؛ إلا واحدة، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله! أخبرنا من هم؟ قال: السواد الأعظم. وعن أبو خلف الأعمى قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ أُمَّتِي لَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلاَلَةٍ فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلاَفًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ﴾.

قالت العلماء: هذه الأحاديث عن هذا الجمع من الصحابة تجعل من المتيقن -عند من اطلع عليها وعلى طرقها- صدور هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه بيان حتمية افتراق الأمة، واختلافها هذا الاختلاف الواسع العريض؛ كما افترقت واختلفت الأمم الكتابية قبلها؛ بل أشد من ذلك. وهذا تخويف وتحذير لها من ذلك.وأن هذه الفرق كلها مذمومة متوعدة بالنار؛ إلا فرقة واحدة، وهي الفرقة الناجية الغريبة بين هذه الأهواء المختلفة. وهذا تبشير وتبصير.وفيه بيان أن الحق لا يزال الله يقيض له من يحمله، ويصبر عليه.وفيه حث للمسلم على معرفة سبيل الناجين، وسلوكها.

☪

عن زاذان قال: قدم علينا عمر بن الخطاب بالجابية على بعير مقتب بقتب عليه عباء قطوانية، وبيده عنزة فقال: أيها الناس، فثاب الناس إليه، فقال لهم: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، ثم بكى، ثم قال: سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بكى. قال: أيها الناس، عليكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثلاثة قرون؛ ثم يجيء قوم لا خير فيهم، يشهدون ولا يستشهدون، ويحلفون ولا يستحلفون، من سره أن ينزل بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة، ألا إن الواحد شيطان، وهو من الاثنين أبعد، ألا ومن ساءته سيئته، وسرته حسنته فهو مؤمن.

قال زاذان: دخلت على عبد الله بن مسعود، فوجدت أصحاب الخز واليمنية قد سبقوني إلى المجالس، فناديت: يا عبد الله، من أجل أني رجل أعجمي أقصيتني وأدنيت هؤلاء؟ قال: ادن، فدنوت منه حتى ما كان بيني وبينه جليس، فسمعته يقول: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصبان على رؤوس الأولين والآخرين، ثم ينادي مناد: هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه، فتفرح المرأة أن يدور لها الحق على أبيها أو ابنها أو على أخيها وزوجها، ثم قرأ عبد الله: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون] فيقول الرب تبارك وتعالى للعبد: آت هؤلاء حقوقهم، فيقول: يا رب، من أين أؤتيهم؟ فيقول الملائكة: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل إنسان بقدر ماله، فإن يكن وليا لله عز وجل، فضلت له مثقال حبة من خردل ضاعفها الله له حتى يدخل الجنة؛ ثم قرأ عبد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء] وإن كان عبدا شقيا قالت الملائكة: يا ربنا، فنيت حسناته وبقي طالبون كثير، فيقول: خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى عمله السيئ، ثم صكوا له صكا إلى النار.

☪

قال المعرور بن سويد: صليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بطريق مكة صلاة الصبح ثم رأى الناس يذهبون مذاهب فقال: أين يذهب هؤلاء فقيل يا أمير المؤمنين ! مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم فهم يصلون فيه فقال إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم و يتخذونها كنائس و بيعا، فمن أدركته الصلاة في المساجد فليصل و من لا فليمض و لا يتعمدها.

قال ابن وضاح سمعت عيسى بن يونس يقول: أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة. وفي الصحيح عن ابن عمر أن الشجرة أخفيت، والحكمة في ذلك أن لا يحصل الافتتان بها لما وقع تحتها من الخير فلو بقيت لما أمن تعظيم الجهال لها حتى ربما اعتقدوا أن لها قوة نفع أو ضر كما نشهده الآن فيم دونها، ولذلك أشار ابن عمر بقوله كان خفاؤها رحمة من الله، كذا في فتح الباري. في الصحيحين عن عائشة عن أم سلمة و أم حبيبة ذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتاها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله. وقولته رضي الله عنه عند تقبيله الحجر الأسود: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ...قالت العلماء وهذا دليل واضح على المتابعة الدقيقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإبعاد لأي اعتقاد ينشأ عند بعض الناس بأن الحجر ينفع أو يضر بذاته. وكذلك قطعه للشجرة التي بايع تحتها رسول صلى الله عليه وسلم أهل الحديبية بيعة الرضوان، عندما بلغه أن بعض الناس يقصدها بعبادة كالصلاة عندها أو الدعاء والتبرك بها.

مراجع: أرشيف ملتقى أهل الحديث ـ/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ مفاتيح العلوم للخوارزمي/ الأعلام للزركلي/ سنن الترمذي/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ السنة للمروزي/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ تفسير القرطبي/

قال الآبي: كتب إلى زياد[1] وهو خليفة ابن عباس على البصرة، وكان أخرج إليه سعدا مولاه يستحثه على حمل مال فعاد وشكاه وعابه: أما بعد، فإن سعدا ذكر أنك شتمته ظلما له، وتهددته وجبهته، تجبرا وتكبرا. فما دعاك إلى التكبر؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الْكِبْرُ رِدَاءَ اللهَّ فمن نَازَعَ اللهَّ رِدَاءَهُ قَصَمَهُ﴾ وأخبرني أنك تكثر من الطعام والألوان، وتدهن في كل يوم؛ فما عليك لو صمت لله أياما؟ وتصدقت ببعض ما عندك محتسبا، وأكلت طعامك مرارا قتارا؛ فإن ذلك دثار الصالحين، أتطمع وأنت تتقلب في النعيم تستأثر به على الجار المسكين، والضعيف الفقير، والأرملة واليتيم أن يجب لك أجر المتصدقين؟. وأخبرني أنك تتكلم بكلام الأبرار وتعمل عمل الخطائين؛ فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت، وعملك أحبطت؛ فتب إلى ربك يصلح عملك، واقصد في أمرك، وقدم الفضل ليوم حاجتك إليه إن كنت من المؤمنين، وادهن غبا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ادهنوا غبا ولا تدهنوا رفها.. فكتب إليه زياد: أما بعد يا أمير المؤمنين فإن سعدا قدم فعجل فانتهرته وزجرته. وكان أهلا لأكثر من ذلك. فأما ما ذكر من الإسراف، واتخاذ ألوان الطعام، والتنعم؛ فإن كان صادقا فأثابه الله ثواب الصادقين، وإن كان كاذبا فوقاه الله عقوبة الكاذبين. وأما قوله: إني أصف العدل وأخالفه إلى غيره، فإني إذا لمن الأخسرين أعمالا، فخذه يا أمير المؤمنين بمقال قلته في مقام قمته. فإن أتاك بشاهدي عدل، وإلا تبين لك كذبه وظلمه.

----

(1) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

قال الأحنف: دخلت على معاوية، فقدم لي من الحار والبارد، والحلو والحامض ما كثر تعجبي منه، ثم قدم لي لونا لم أدر ما هو، فقلت: ما هذا؟ قال: مصارين البط محشوة بالمخ قد قلي بدهن الفستق وذر عليه الطبرزد. فبكيت. فقال: ما يبكيك؟ قلت: ذكرت عليا رضي الله عنه. بينا أنا عنده وحضر وقت إفطاره فسألني المقام، إذ دعا بجراب مختوم، قلت: ما في الجراب؟ قال: سويق شعير، قلت: ختمت عليه أن يؤخذ أو بخلت به؟ قال: لا ولا أحدهما، ولكني خفت أن يلته الحسن أو الحسين بسمن أو زيت. قلت: محرم هو يا أمير المؤمنين؟ قال: لا ولكن يجب على أئمة الحق أن يعتدوا أنفسهم من ضعفة الناس؛ لئلا يطغي الفقير فقره، فقال معاوية: ذكرت من لا ينكر فضله.

وجاءه يهودي، فقال: أين كان ربنا قبل أن يخلق العرش؟ قال: حيث هو اليوم، قال: فأين هو اليوم؟ قال: حيث كان ذلك اليوم، لا تخطر عليه القلوب، ولا تقع عليه الأوهام: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام] وروى عن نوف قال: رأيت عليا عليه السلام قد خرج؟ فنظر إلى النجوم، فقال: أراقد أم رامق؟ قلت: بل رامق يا أمير المؤمنين. قال: يا نوف طوبى للزاهدين في هذه الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذو الأرض بساطا، وترابها فراشا، وماءها طيبا، والقرآن شعارا ودثارا، وقرضوا للدنيا قرضا على منهاج المسيح عيه السلام. يا نوف، إن داود عليه السلام قام ساعة من الليل، فقال: إنها ساعة لا يدعو عبد إلا استجيب له فيها إلا أن يكون عشارا أو عريفا أو شرطيا أو صاحب عرطبة – وهو الطنبور – أو صاحب كوبة – وهو الطبل.

وقال رضي الله عنه: إن الله فرض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحد لكم حدودا فلا تعدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت لكم عن أشياء، فلم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها.

ودخل عليه قوم فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو أعطيت هذه الأموال، وفضلت بها هؤلاء الأشراف ومن تخاف فراقه، حتى إذا استتب لك ما تريد عدت إلى أفضل ما عودك الله عز وجل من العدل في الرعية، والقسم بالسوية، فقال رضي الله عنه: أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من أهل الإسلام! والله لا أفعل ذلك ما سمر بنا سمير، وما آب في السماء نجم، فلو كان هذا المال لي لسويت بينهم، فكيف؟ وإنما هي أموالهم، ثم أرم طويلا ثم قال: من كان منكم له مال فإياه والفساد، فإن إعطاء المال في غير حله تبذير وإسراف وفساد، وهو يرفع ذكر صاحبه، ويضعه عند الله عز وجل، ولن يضع ارمؤ ماله ف يغير حقه، وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم، وكان لغيره ودهم، فإن بقي معه منهم من يريد الود، ويظهر له الشكر فإنما هو ملق وكذب؛ فإن زلت بصاحبه النعل واحتاج إلى معونته ومكافأته فشر خليل، والأم خدين، فمن آتاه الله مالا فليصل به القرابة، وليحسن منه الضيافة، وليفك به العاني والأسير، وليعط منه الغارم وابن السبيل، والفقراء والمجاهدين، وليصبر نفسه على الحقوق وابتغاء الثواب، فإنه ينال بهذه الخصال مكارم الدنيا وفضائل الآخرة إن شاء الله.

وكتب إلى سهل بن حنيف وهو عامله على المدينة: بلغنى أن رجالا يخرجون إلى معاوية ؛ فلا تأسف على ما فاتك منهم ؛ فكفى لهم غيا فرارهم من الحق والهدى، وإيضاعهم في الجهالة والعمى ؛ إنما هم أهل دنيا، مكبون عليها، قد علموا أن في الحق أسوة فهربوا منه إلى الأثرة ؛ فبعدا لهم وسحقا، أما لو قد بعثرت القبور، واجتمعت الخصوم، وقضى بين العباد لتبين لهم ما يكسبون.

وكتب إلى مصقلة بن هبيرة: بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أتيت شينا ؛ إذ بلغني أنك تقسم فئ المسلمين فيمن اعتفاك من أعراب بكر بن وائل، فو الذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقا لتجدن بك علي هوانا. فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من: ﴿الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف] الآية.

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أنه قال: يأيها الناس، احفظوا عني خمسا: اثنين واثنتين وواحدة: ألا لا يخافن أحد منكم إلا ذنبه، ولا يرجون إلا ربه. ولا يستحي أحد منكم إذا لم يعلم أن يتعلم، ولا يستحي أحد منكم إذا سئل وهو لا يعلم أن يقول: لا أعلم. واعلموا أن الصبر من الأمور بمنزلة الرأس من الجسد، فاذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد، وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور. ثم قال: ألا أدلكم على الفقيه كل الفقيه ؟ قالوا: بلى، يا أمير المؤمنين. قال: من لم يؤنس الناس من روح الله، ولم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمن الناس من مكر الله، ولم يزين للناس المعاصي، ولا ينزل العارفين الموحدين النار، حتى يكون الرب عز وجل هو الذي يقضي بينهم. لا يأمنن خير هذه الأمة من عذاب الله تعالى، والله عز وجل يقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهَّ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف] ولا ييأس شر هذه الأمة من روح الله تعالى، فالله سبحانه يقول:﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهَّ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف]

مراجع :نثر الدر/ الأعلام للزركلي/ لباب الآداب لأسامة بن منقذ/

ولي الحسن[1] رضي الله عنه الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعته أهل الكوفة فأقام فيها ستة أشهر وأياما ثم سار إليه معاوية[2] -والأمر إلى الله- فأرسل إليه الحسن يبذل له تسليم الأمر إليه على أن تكون له الخلافة من بعده (؟) وعلى أن لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه وعلى أن يقضي عنه ديونه فأجابه معاوية إلى ما طلب فاصطلحا على ذلك فظهرت المعجزة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم:﴿يُصْلِحَ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ونزل له عن الخلافة. وقد استدل البلقيني بنزوله عن الخلافة -التي هي أعظم المناصب- على جواز النزول عن الوظائف.وكان نزوله عنها في سنة إحدى وأربعين في شهر ربيع الأول، وقيل: الآخر وقيل: في جمادى الأولى، وقد صرح الحسن قبل ذلك بأنه ترك الخلافة ابتغاء وجه الله، ولحقن دماء الأمة، وفي لفظ لا يهراق على يدي محجمة من دم، وكسرت بذلك ظهور كثيرين من شيعته، من الغيظ، بحيث قيل له: يا عار المؤمنين فيقول: العار خير من النار، وقال له رجل يكنى أبا عامر: السلام عليك يا مذل أعناق المؤمنين، فقال: لا تقل ذلك، إني كرهت أن أقتلكم في طلب الملك، والتمس منه معاوية الصعود معه على المنبر ويخبر الناس: أنه قد بايع معاوية، فصعد، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإني قد أخذت لكم على معاوية أن يعدل فيكم، وأن يوفر عليكم غنائمكم، وأن يقسم فيكم فيئكم، ثم أقبل على معاوية، فقال: أكذلك ؟ قال: نعم، ثم هبط من المنبر، وهو يقول ويشر بإصبعه إلى معاوية ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأنبياء] فاشتد على معاوية ذلك، فقالوا له: لو دعوته فاستنطقته، يعني استفهمته، ما عني بالآية ؟ فقال: مهلاً، فأبوا عليه ودعوه، فأجابهم فأقبل عليه عمرو بن العاص[3]، فقال له الحسن: أما أنت فقد اختلف فيك رجلان رجل من قريش وجزار أهل المدينة، فادعياك، فلا أدري أيهما أبوك؟ وأقبل عليه أبو الأعور السلمي[4]، فقال له الحسن: ألم يلعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رعلاً*، وذكوان*، وعمرو بن سفيان؟ يعني اسم أبي الأعور، ثم أقبل عليه معاوية يعين القوم، فقال له الحسن: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن قائد الأحزاب وسائقهم، وكان أحدهما أبو سفيان[5] والآخر أبو الأعور السلمي؟،وهذا كان قبل إسلامهما والإسلام يجب ما كان قبله، ثم أن الحسن رجع بآل بيته من الكوفة ونزل المدينة.

في رواية عن الشعبي[6]، قال: لما كان الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية أراد الحسن الخروج إلى المدينة، فقال له معاوية: ما أنت بالذي تذهب حتى تخطب الناس، قال: قال الشعبي: فسمعته على المنبر حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن أكيس الكيس التقى، وإن أعجز العجز الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت أنا فيه ومعاوية حق كان لي، فتركته لمعاوية، أو حق كان لامرىء أحق به مني، وإنما فعلت هذا لحقن دمائكم ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[الأنبياء] ثم نزل.

----

*(رعلاً، وذكوان) هذه أسماء قبائل من العرب. عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ، وَغِفَارٌ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَعُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ، اللهُمَّ الْعَنْ رِعْلًا وَذَكْوَانَ وَبَنِي لِحْيَانَ﴾

■ (2) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة.وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (1) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (4) عمرو بن سفيان بن عبد شمس أبو الأعور السلمي وهو مشهور بكنيته كان من أعيان أصحاب معاوية وعليه كان مدار الحرب بصفين. توفي أبو الأعور السلمي في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان.

■ (3) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، أبو عبد الله وأبو محمد.أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر وهاجر واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل وفيه أبو بكر وعمر لخبرته بمكيدة الحرب ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر ثم افتتح مصر ووليها لعمر.توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم

■ (5) أبو سفيان بن حرب بن أمية واسمه صخر، اسلم في الفتح، لقى رسول الله بالطريق قبل دخوله مكة لفتحها فأسلم هناك، وشهد حنينا، وشهد الطائف، وفقئت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. مات بين سنة 30 هـ وسنة 34 هـ، وصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان، ودفن في البقيع

■ (6) عامر بن شراحيل الشعبي، شعب همدان، أبو عمرو. ولد لأربع بقين من خلافة عمر. وقال خليفة: ولد سنة 21 هـ، وقيل غير ذلك. عن الشعبي قال: أدركت خمس مائة من أصحاب رسول الله أو أكثر. عن ابن سيرين، قال: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة، والصحابة يومئذ كثير. قال إسماعيل بن مجالد: توفي الشعبي سنة 104 هـ، وله اثنتان وثمانون سنة. وقال الواقدي: سنة 105 هـ.وقال الفلاس: مات في أول سنة 106 هـ، وقيل غير ذلك.

☪

قال علي الصلابي: قيل ومما اتفق الجانبان عليه من الشروط أن يكون الأمر من بعد معاوية للحسن، وإن معاوية وعد أن حدث به حدث والحسن حي يسمينه وليجعلن الأمر إليه، ولكن ابن أكثم روى في هذا الخصوص عن الحسن إنه قال: إما ولاية الأمر من بعده، فما أنا بالراغب في ذلك ولو أردت هذا الأمر لم أسلمه، وجاء في نص الصلح الذي ذكره ابن الحجر الهيثمي:.. بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، وعند التدقيق في روايات طلب الحسن الخلافة بعد معاوية، نجد أنها تتنافى مع أنفة وقوة وكرم الحسن، فكيف يتنازل عن الخلافة حقنا لدماء المسلمين وابتغاء مرضاة الله ثم يوافق على أن يكون تابعا يتطلب أسباب الدنيا، وتشرأب عنقه للخلافة مرة أخرى، والدليل على أن هذا غير صحيح ما ذكر جبير بن نفير[1] قال: قلت للحسن بن علي أن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء مرضاة الله، ومن الملاحظ أن أحدا من أبناء الصحابة أو الصحابة لم يذكروا خلال بيعة يزيد شيئا من ذلك، فلو كان الأمر كما تذكر الروايات عن ولاية عهد الحسن بن معاوية، لاتخذها الحسين بن علي رضي الله عنه حجة، ولكن لم نسمع شيئا من ذلك على الإطلاق مما يؤكد على أن مسألة خلافة الحسن لمعاوية لا أساس لها من الصحة، ولو كان الحسن رضي الله عنه أسند إليه منصب ولاية العهد في الشروط لكان قريبا في عهد معاوية من إدارة الدولة أو تولي إحدى الأقاليم الكبرى، لا أن يذهب إلى المدينة وينعزل عن إدارة شئون الحكم، كما أن روح ذلك العصر يشير إلى مبدأ اختبار الأمة للحاكم عن طريق الشورى هو الأصل. انتهى.

عن الحسن، سمع أبا بكرة قال، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، على المنبر والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة، ويقول:﴿ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَّ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وعنه قال: ﴿كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِنَا، فَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَجِيءُ وَهُوَ صَغِيرٌ، كُلَّمَا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثَبَ عَلَى رَقَبَتِهِ وَظَهْرِهِ، فَيَرْفَعُ النَّبِيُّ رَأْسَهُ رَفْعًا رَفِيقًا حَتَّى يَضَعَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتَصْنَعُ بِهَذَا الصَّبِيِّ شَيْئًا مَا رَأَيْنَاكَ تَصْنَعُهُ، قَالَ: إِنَّهُ رَيْحَانَتِي مِنَ الدُّنْيَا، أَنَّ ابْنِيَ هَذَا سَيِّدٌ، عَسَى أَنْ يُصْلِحَ اللهُّ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وعن زيد بن أرقم، ﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِفَاطِمَةَ وَعَلِيٍّ وَحَسَنٍ وَحُسَيْنٍ: أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ﴾ كان الحسن رضي الله عنه سيدا حليما ذا سكينة ووقار وحشمة جوادا ممدوحا يكره الفتن والسيف تزوج كثيرا وكان يجيز الرجل الواحد بمائة ألف. أخرج ابن سعد عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال علي: يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق فقال رجل من همدان: والله انزوجنه فما رضي امسك وما كره طلق. وأخرج ابن عساكر عن المبرد قال: قيل للحسن بن علي: إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة فقال: رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختارها الله له وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء.

دخل الحسن بن علي على معاوية فقال معاوية: أبوك الذي كان يقاتل أهل البصرة، فإذا كان آخر النهار مشى في طرقها! قال: علم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.فقال معاوية: صدقت. قال أبو هاشم الجعفي: فاخر يزيد بن معاوية الحسن بن علي، فقال معاوية ليزيد: فاخرت الحسن؟ قال: نعم. قال: لعلك تقول: إن أمك مثل أمه، وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعلك تقول: إن جدك مثل جده، وكان جده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما أبوك وأبوه فقد تحاكما إلى الله جل وعز فحكم لأبيك على أبيه. قال أبو الحسن المدائني: قال معاوية وعنده عمرو بن العاص وجماعة من الأشراف: من أكرم الناس أبا وأما وجدا وجدة وخالا وخالة وعما وعمة؟ فقام النعمان بن العجلان الزرقي، فأخذ بيد الحسن فقال: هذا، أبوه علي، وأمه فاطمة، وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجدته خديجة، وعمه جعفر، وعمته أم هانيء بنت أبي طالب، وخاله القاسم، وخالته زينب. فقال عمرو بن العاص: أحب بني هاشم دعاك إلى ما عملت؟ قال ابن العجلان: يابن العاص أما علمت أنه من التمس رضا مخلوق بسخط الخالق حرمه الله أمنيته وختم له بالشقاء في آخر عمره؟ بنو هاشم أنضر قريش عودا، وأقعدها سلفا، وأفضل أحلاما.

أخرج ابن سعد عن عمير بن إسحاق قال: كان مروان[2] أميرا علينا فكان يسب عليا كل جمعة على المنبر والحسن يسمع فلا يرد شيئا ثم أرسل إليه رجلا يقول له: بعلي وبعلي وبعلي وبك وبك وما وجدت إلا مثل البغلة يقال لها: من أبوك ؟ فتقول: أمي الفرس فقال له الحسن: ارجع إليه فقل له: إني والله لا أمحو عنك شيئا مما قلت بأن أسبك ولكن موعدي وموعدك الله فإن كنت صادقا جزاك الله بصدقك وإن كنت كاذبا فالله أشد نقمة. وأخرج ابن سعد عن زريق بن سوار قال: كان بين الحسن و بين مروان كلام فأقبل عليه مروان فجعل يغلظ له والحسن ساكت فامتخط مروان بيمينه فقال له الحسن: ويحك! أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج؟ أف لك! فسكت مروان. أخرج ابن عساكر عن جويرية بن أسماء قال: لما مات الحسن بكى مروان في جنازته فقال له الحسين:[3] أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه؟ فقال: إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا وأشار بيده إلى الجبل.

قال ابن عبد البر: وروينا من وجوه أنه لما احتضر قال لأخيه: يا أخي إن أباك استشرف لهذا الأمر فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر ثم استشرف لها وصرفت عنه إلى عمر ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعدوه فصرفت عنه إلى عثمان فلما قتل عثمان بويع علي ثم نوزع حتى جرد السيف فما صفت له و إني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة فلا أعرفن ما استخفلك سفهاء الكوفة فأخرجوك وقد كنت طلبت من عائشة رضي الله عنها أن أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: نعم فإذا مت فاطلب ذلك إليها وما أظن القوم إلا سيمنعوك فإن فعلوا فلا تراجعهم فلما مات أتى الحسين إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت: نعم وكرامة فمنعهم مروان فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده أبو هريرة ثم دفن بالبقيع إلى جنب أمه رضي الله عنها. وصلى عليه سعيد بن العاص، وكان أمير المدينة، قدمه الحسين للصلاة عليه، وقال: هي السنة، ولولا أنها سنة ما قدمتك.قيل؟: توفي الحسن رضي الله عنه بالمدينة مسموما سمته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس دس إليها يزيد بن معاوية أن تسمه فيتزوجها ففعلت فلما مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال: إنا لم نرضك للحسن أفنرضاك لنفسنا ؟ وكانت وفاته سنة تسع وأربعين وقيل: سنة خمسين وقيل: سنة إحدى وخمسين وجهد به أخوه أن يخبره بمن سقاه فلم يخبره وقال: الله أشد نقمة إن كان الذي أظن وإلا فلا يقتل بي والله بريء. قال ابن تيمية: يقال: إن امرأته سمته، وكان مطلاقا رضي الله عنه، فلعلها سمته لغرض؛ والله أعلم بحقيقة الحال؛ وقد قيل: إن أباها الأشعث بن قيس أمرها بذلك، فإنه كان يتهم بالانحراف في الباطن عن علي وابنه الحسن. وإذا قيل إن معاوية أمر أباها: كان هذا ظنا محضا، والنبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ﴾.

■ (1) جبير بن نفير بن مالك بن عامر، أبو عبد الرحمن الحضرمي الحمصي. أدرك حياة النبي وحدث عن أبي بكر = فيحتمل أنه لقيه. توفي سنة 80 هـ

■ (3) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (2) مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثم عزله ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية. ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ مصنف أبن أبي شيبة/ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/

عن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال: لما بايع الحسن بن علي[1] معاوية[2] أقبلت الشيعة تتلاقى باظهار الأسف والحسرة على ترك القتال، فخرجوا إليه بعد سنتين من يوم بايع معاوية فقال له سليمان بن صرد الخزاعي[3]: ما ينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة كلهم يأخذ العطاء، وهم على أبواب منازلهم ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز ثم لم تأخذ لنفسك ثقة في العقد ولا حظا من العطية، فلو كنت إذ فعلت ما فعلت أشهدت على معاوية وجوه أهل المشرق والمغرب، وكتبت عليه كتابا بأن الأمر لك من بعده كان الأمر علينا أيسر، ولكنه أعطاك أشياء بينك وبينه ثم لم يف به، ثم لم يلبث أن قال على رؤوس الناس: إني كنت شرطت شروطا ووعدت عداة إرادة لإطفاء نار الحرب ومداراة لقطع هذه الفتنة، فأما إذا جمع الله لنا الكلمة والإلفة وآمننا من الفرقة فإن ذلك تحت قدمي، فوالله ما اغترني بذلك إلا ما كان بينك وبينه وقد نقض، فإذا شئت فأعد الحرب جذعة، وأنذر لي في تقدمك إلى الكوفة، فأخرج عنها عامله وأظهر خلعه وتنبذ إليه: ﴿عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال] وتكلم الباقون بمثل كلام سليمان، فقال الحسن: أنتم شيعتنا وأهل مودتنا، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أربض وأنصب ما كان معاوية بأبأس مني بأسا، ولا أشد شكيمة ولا أمضى عزيمة، ولكني أرى غير ما رأيتم. وما أردت فيما فعلت إلا حقن الدم، فارضوا بقضاء الله وسلموا لأمره، والزموا بيوتكم وأمسكوا -أو قال: كفوا أيديكم- حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر.

■ (1) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (2) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة.وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ () سليمان بن صرد بن الجون، السلولي الخزاعي، أبو مطرف: صحابي، من الزعماء القادة. شهد الجمل وصفين مع علي، وسكن الكوفة. ثم كان ممن كاتب الحسين وتخلف عنه. وخرج بعد ذلك مطالبا بدمه، فترأس التوابين وكانوا يطلبون قتل عبيد الله بن زياد، وأن يخرج من في العراق من أصحاب ابن الزبير، ويردوا الامر لاهل البيت. وكانت عدتهم نحو خمسة آلاف. وعرفوا بالتوابين لقعودهم عن نصرة الحسين حين دعاهم، وقيامهم بطلب ثأره بعد مقتله. ونشبت معارك بين سليمان وعبد الله بن زياد، فقتل سليمان بعين الوردة، قتله يزيد بن الحصين. سنة 65 هـ

في حديث عن أبي بكرة قال: ﴿قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ أُمَّتِي، وَقَالَ فِي حَدِيثِ حَمَّادٍ: وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَظِيمَتَيْنِ﴾.

خرج عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب إلى الناس بعد وفاة علي ودفنه فقال: إن أمير المؤمنين رحمه الله تعالى قد توفي برا تقيا، عدلا مرضيا، أحيا سنة نبيه وابن عمه، وقضى بالحق في أمته. وقد ترك خلفا رضيا مباركا حليما فإن أحببتم خرج إليكم فبايعتموه، وإن كرهتم ذلك فليس أحد على أحد. فبكى الناس وقالوا: يخرج مطاعا عزيزا، فخرج الحسن فخطبهم فقال: اتقوا الله أيها الناس حق تقاته فإنا امراؤكم وأضيافكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله:﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب] والله لو طلبتم ما بين جابلق وجابرس مثلي في قرابتي وموضعي ما وجدتموه، ثم ذكر ما كان عليه أبوه من الفضل والزهد والأخذ بأحسن الهدى، وخروجه من الدنيا خميصا لم يدع إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، فأراد أن يبتاع بها خادما. فبكى الناس ثم بايعوه، وكانت بيعته التي أخذ على الناس أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم، فقال بعض من حضر: والله ما ذكر السلم إلا ومن رأيه أن يصالح معاوية أو كما قال.

ثم مكث أياما ذات عدد يقال خمسين ليلة، ويقال أكثر منها وهو لا يذكر حربا ولا مسيرا إلى الشام، وكتب إليه عبد الله بن عباس كتابا يعلمه فيه أن عليا لم يجب إلى الحكومة، إلا وهو يرى أنه إذا حكم بالكتاب يرد الأمر إليه، فلما مال القوم إلى الهوى فحكموا به ونبذوا حكم الكتاب رجع إلى أمره الأول فشمر للحرب ودعا إليها أهل طاعته، فكان رأيه الذي فارق الدنيا عليه جهاد هؤلاء القوم، ويشير عليه أن ينهد إليهم وينصب لهم ولا يعجز ولا يهن.

قالوا: ووجه معاوية إلى الحسن عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، فقال ابن عامر: اتق الله في دماء أمة محمد أن تسفكها لدنيا تصيبها وسلطانا تناله لعل أن يكون متاعك به قليلا، إن معاوية قد لج، فنشدتك الله أن تلج فيهلك الناس بينكما، وهو يوليك الأمر من بعده، ويعطيك كذا. وكلمه عبد الرحمن بن سمرة بمثل كلام عبد الله أو نحوه، فقبل ذلك منهما، وبعث معهما عمرو بن سلمة الهمداني ثم الأرحبي ومحمد بن الأشعث الكندي ليكتبا على معاوية الشرط ويعطياه الرضى. فكتب معاوية كتابا نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب للحسن بن علي من معاوية بن أبي سفيان، إني صالحتك على أن لك الأمر من بعدي، ولك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأشد ما اخذه الله على أحد من خلقه من عهد وعقد، لا أبغيك غائلة ولا مكروها، وعلى أن أعطيك في كل سنة ألف ألف درهم من بيت المال، وعلى أن لك خراج فسا، ودرأبجرد، تبعث إليهما عمالك وتصنع بهما ما بدا لك. شهد عبد الله بن عامر، وعبد الله بن سلمة الهمداني وعبد الرحمن بن سمرة ومحمد بن الأشعث الكندي. وكتب في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين. فلما قرأ الحسن الكتاب قال: يطمعني معاوية في أمر لو أردت لم أسلمه إليه. ثم بعث الحسن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمه هند بنت أبي سفيان فقال له: ائت خالك فقل له إن أمنت بالناس بايعتك، فدفع معاوية إليه صحيفة بيضاء قد ختم في أسفلها وقال: اكتب فيها ما شئت، فكتب الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين، وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى والناس آمنون حيث كانوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم، وعلى أن لا يبغي الحسن بن علي غائلة سرا ولا علاهية، ولا يخيف أحدا من أصحابه.شهد عبد الله بن الحارث. وعمرو بن سلمة. وردهما إلى معاوية ليشهدا ويشهدا عليه.

حدثنا خلف بن سالم، ثنا وهب قال: قال أبي، وأحسب رواه عن الحسن البصري قال: لما بايع أهل الكوفة الحسن أطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه، واجتمع له خمسون ألفا، فخرج بهم حتى أتى المدائن، وسرح بين يديه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في عشرين ألفا، فنزل بمسكن، وأقبل معاوية من الشام في جيش، ثم إن الحسن خلا ناحية الحسين فقال: يا هذا إني نظرت في أمري فوجدتني لا أصل إلى الأمر حتى يقتل من أهل العراق والشام من لا أحب أن احتمل دمه، وقد رأيت أن أسلم الأمر إلى معاوية فأشاركه في إحسانه ويكون عليه إساءته، فقال الحسين: أنشدك الله أن تكون أول من عاب أباك وطعن عليه ورغب عن أمره، فقال: إني لا أرى ما تقول، ووالله لئن لم تتابعني لأشدنك في الحديد فلا تزال فيه حتى أفرغ من أمري. قال: فشأنك، فقام الحسن خطيبا فذكر رأيه في الصلح والسلم لما كره من سفك الدماء وإقامة الحرب فوثب عليه أهل الكوفة وانتهبوا ماله وخرقوا سرادقه وشتموه وعجزوه ثم انصرفوا عنه ولحقوا بالكوفة، فبلغ الخبر قيسا فخرج إلى أصحابه فقال: يا قوم إن هؤلاء القوم كذبوا محمدا وكفروا به ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، فلما أخذتهم الملائكة من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم دخلوا في الإسلام كرها وفي أنفسهم ما فيها من النفاق، فلما وجدوا السبيل إلى خلافه أظهروا ما في أنفسهم، وإن الحسن عجز وضعف وركن إلى صلح معاوية، فإن شئتم أن تقاتلوا بغير إمام فعلتم، وإن شئتم أن تدخلوا في الفتنة دخلتم، قالوا: فإنا ندخل في الفتنة، وأعطى معاوية حسنا ما أراد في صحيفة بعث بها إليه مختومة اشترط الحسن فيها شروطا فلما بايع معاوية لم يعطه مما كتب شيئا، فانصرف الحسن إلى المدينة ومعاوية إلى الشام.

عن ابن عون عن أبيه قال: لما ادعى معاوية زيادا وولاه، طلب زياد رجلا كان دخل في صلح الحسن وأمانه، فكتب الحسن فيه إلى زياد ولم ينسبه إلى أب، فكتب إليه زياد: أما بعد فقد أتاني كتابك في فاسق يؤوي مثله الفساق من شيعتك وشيعة أبيك، وأيم الله لأطلبنه ولو بين جلدك ولحمك فإن أحب لحم إلي آكله للحم أنت منه. فلما قرأ الحسن الكتاب قال: كفر زياد، وبعث بالكتاب إلى معاوية فلما قرأه غضب فكتب إليه: أما بعد يا زياد فإن لك رأيين، رأي أبي سفيان ورأي سميه، فأما رأيك من أب سفيان فحزم وحلم، وأما رأيك من سمية فما يشبهها فلا تعرض لصاحب الحسن فإني لم أجعل لك عليه سبيلا، وليس الحسن مما يرمي به الرجوان، وقد عجبت من تركك نسبه إلى أبيه أفإلى أمه، وكلته وهي فاطمة بنت رسول الله، فالآن اخترت له والسلام.

قال أبو مخنف: بويع الحسن في شهر رمضان سنة أربعين، وصالح معاوية في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين فكان أمره ستة أشهر وأياما. وقال الواقدي وغيره: وكان صالح الحسن في سنة إحدى وأربعين واجتمع الناس على معاوية في هذه السنة قالوا: وطال مرض الحسن بعد قدومه المدينة من العراق حتى قيل إنه السل. ثم إنه شرب شربة عسل فمات منها، ويقال إنه سم أربع دفعات فمات في أخراهن، وأتاه الحسين وهو مريض فقال له: أخبرني من سقاك السم ؟ قال: لتقتله ؟ قال: نعم. قال: ما أنا بمخبرك إن كان صاحبي الذي أظن فالله أشد له نقمة وإلا فوالله لا يقتل بي بريئ. وقد قيل أن معاوية دس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس امرأة الحسن، وأرغبها حتى سمته وكانت شانئة له. وقال الهيثم بن عدي: دس معاوية إلى ابنة سهيل بن عمرة امرأة الحسن مائة ألف دينار على أن تسقيه شربة بعث بها إليها ففعلت. وحدثني روح بن عبد المؤمن قال حدثني عمي عن أزهر بن عون قال: خرج الحسن بن علي على من كان يجالسه فقال: لقد لفظت الساعة طائفة من كبدي أقلها هذا العود، ولقد سقيت السم غير مرة وما سقيته أشد من مرتي هذه. ثم دخل عليه من الغد وهو يكيد بنفسه.

مراجع: أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/

لما سلم الحسن الأمر إلى معاوية، قالت الخوارج: قد جاء الآن ما لا شك فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه. فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل[1] حتى حلوا بـ النخيلة* عند الكوفة، وكان الحسن ابن علي قد سار يريد المدينة، فكتب إليه معاوية يدعوه إلى قتال فروة، فلحقه رسوله بالقادسية أو قريبا منها، فلم يرجع وكتب إلى معاوية: لو آثرت أن أقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك، فإني تركتك لصلاح الأمة وحقن دمائها. فأرسل إليهم معاوية جمعا من أهل الشام، فقاتلوهم، فانهزم أهل الشام، فقال معاوية لأهل الكوفة: والله لا أمان لكم عندي حتى تكفوهم. فخرج أهل الكوفة فقاتلوهم. فقالت لهم الخوارج: أليس معاوية عدونا وعدوكم؟ دعونا حتى نقاتله، فإن أصبنا كنا قد كفيناكم عدوكم، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا. فقالوا: لابد لنا من قتالكم. فأخذت أشجع صاحبهم فروة فحادثوه ووعظوه فلم يرجع، فأخذوه قهرا وأدخلوه الكوفة، فاستعمل الخوارج عليهم عبد الله بن أبي الحوساء[2]،رجلا من طيء، فقاتلهم أهل الكوفة فقتلوهم في ربيع الأول، وقيل: في ربيع الآخر، وقتل ابن أبي الحوساء، وكان ابن أبي الحوساء حين ولي أمر الخوارج قد خوف من السلطان أن يصلبه، فقال: ما إن أبالي إذا أرواحنا قبضت..ماذا فعلتم بأوصال وأبشار..تجري المجرة والنسران عن قدر..والشمس والقمر الساري بمقدار..وقد علمت، وخير القول أنفعه..أن السعيد الذي ينجو من النار.

في تاريخ الطبري قال في أحداث عام 41 هـ: وفيها خرجت الخوارج التي اعتزلت أيام علي رضي الله عنه بـ شهرزور* على معاوية، وقال: حدثت عن زياد عن عوانه، قال: قدم معاوية قبل أن يبرح الحسن من الكوفة حتى نزل النخيلة*، فقالت الحرورية*، الخمسمائة التي كانت اعتزلت بـ شهرزور مع فروة ابن نوفل الأشجعي: قد جاء الآن مالا شك فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه، فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى دخلوا الكوفة، فأرسل إليهم معاوية خيلا من خيل أهل الشام، فكشفوا أهل الشام، فقال معاوية لأهل الكوفة: لا أمان لكم والله عندي حتى تكفوا بوائقكم*، فخرج أهل الكوفة إلى الخوارج فقاتلوهم، فقالت لهم الخوارج: ويلكم ما تبغون منا، أليس معاوية عدونا وعدوكم، دعونا حتى نقاتله، وإن أصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم، وإن أصابنا كنتم كفيتمونا، قالوا: لا والله حتى نقاتلكم، فقالوا: رحم الله إخواننا من أهل النهر، هم كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة، وأخذت أشجع صاحبهم فروة بن نوفل –وكان سيد القوم– واستعملوا عليهم عبد الله بن أبي الحر(؟)[2] –رجلا من طيء كان ممن اعتزل قتل علي يوم النهروان– فقاتلوهم فقتلوا. وفروة بن نوفل الأشجعي هو القائل قبيل معركة النهروان: والله ما أدري على أي شيء نقاتل عليا، لا أرى إلا أن انصرف حتى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو أتباعه، وانصرف في خمسمائة فارس. وذكر ابن حجر رواية هامة تبين موقف معاوية من الخوارج بعد توليه الخلافة، وفيما يلي نص رواية ابن حجر:..فرجع الناس فبايعوا معاوية ولم يكن لمعاوية هم إلا الذين بـ النهروان –أي الخوارج–، فجعلوا يتساقطون عليه فيبايعونه، حتى بقي منهم ثلاثمائة أو نيف*، وهم أصحاب النخيلة*.

قيل أتي عبيد الله بن زياد[3] بجارية خماسية* من الخوارج، كان يطلب أباها بذحل*، فقال: أين أبوك؟ قالت: لو كان تحت أخمصي ما رفعته عنه. قال: حبك له لأنه يفعل بأمك، قالت: إن فعل فبنكاح استحله بكتاب الله وسنة رسوله، ليس كمن جاء من سفاح لا نكاح. فقال بعض جلسائه: لعلك تعنيني؟ قالت: لا والله، ولكني أعني صاحب السرير. قال: ما تقولين في الشيخين؟ قالت: سبقا وفازا، واتبعا ما به أمرا. قال: ما تقولين في عثمان وعلي؟ قالت: إن كانا أحسنا فالله ولي إحسانهما، وإن كانا أساءا فالله غفور رحيم، قال: ما تقولين في معاوية وعمرو؟ فلعنتهما، قال: فما تقولين في يزيد؟ قالت: ما أقول فيمن أنت سيئة من سيئاته؟ عليك وعليه لعنة الله. فما تقولين فيّ؟ قالت أولك لزنية وآخرك لدعوة، وأنت فيما بين ذلك جبار عنيد.

----

*(شهرزور) كورة واسعة تقع بين إربل وهمذان، أهلها أكراد، وهي في العراق اليوم والكورة : كل صقع يشتمل على عدة قرى، ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر، يجمع اسمها (الحرورية) هم الخوارج، وحروراء قرية بظاهر الكوفة نزل فيها الخوارج الذين خالفوا عليا رضي الله عنه، فنسبوا إليها. (النيف) من واحد إلى ثلاثة.(النخيلة) سمو بذلك لأنهم قتلوا في النخيلة.والنخيلة تصغير نخلة موضع قرب الكوفة.(الذحل) الثار (خماسية) الخماسي والخماسية من الوصيف والوصيفة ما كان طوله خمسة أشبار، ولا يقال سداسي ولا سباعي إذا بلغ ستة أشبار أو سبعة وفي غير ذلك الخماسي ما بلغ خمسة وكذلك السداسي والعشاري، وغلام خماسي طوله خمسة أشبار وفوق الخماسي قليلا يفضله أدرك عقلا والرهان عمله والأنثى خماسية.(البوق) الذي ينفخ فيه والبائقة الداهية وفي الحديث ﴿لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه﴾ قال قتادة أي ظلمه وغشمه وقال الكسائي غوائله وشره والباقة من البقل حزمة منه.

■ (1) فروة بن نوفل الأشجعي. من الخوارج، اعتزل القتال يوم النهروان في خمسمائة ونزل ناحية البندنيجين و الدسكرة ثم أتى شهرزور. فلما بلغه أمر الصلح بين الحسن ومعاوية وولاية معاوية قال لأصحابه: قد جاء من لا نرتاب بأن الحق في قتاله وأقبل فنزل النخيلة. فندب معاوية أهل الكوفة لقتاله، فجاءه قومه وأدخلوه الكوفة وحبسوه ثم هرب من حبسه وخرج على المغيرة بن شعبة فقاتله وقتل فروة وأصحابه سنة 45 هـ وقيل: سنة 41 هـ وليس لفروة بن نوفل صحبة ولا رؤية وإنما يروي عن أبيه وعن عائشة.

■ (2) عبد الله بن أبي الحوساء الطائي. من الخوارج، وهو أحد بني ثعل، ولاه الخوارج أمرهم بوصية من فروة بن نوفل الأشجعي. وذلك بعد أن أخذت نوفلا قبيلته وحبسوه في الكوفة، فبايع أصحابه ابن أبي الحوساء، وقد قتل عام 41 مع جل أصحابه

■ (3) عبيد الله بن زياد بن عبيد، المعروف بابن زياد، وابن مرجانة وهي أمه، (أبوه: زياد بن أبي سفيان ويقال له: زياد بن أبيه، وابن سمية) كان والي العراق بعد أبيه ليزيد بن معاوية. قتله إبراهيم بن مالك سنة 67 هـ وكان شمر بن ذي الجوشن قائد الميسرة في جيش ابن زياد. وهو قاتل الحسين بن علي.

قال علي الصلابي: عرف الخوارج بهذا الاسم بعد التحكيم في معركة صفين، وكانوا قبلها من أشد أنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه وحضروا معه موقعة الجمل وصفين، ولكنهم أنشقوا عليه بعدها، ورفضوا التحكيم، وحاول علي إقناعهم وردهم إلى الجماعة ولكنهم تشبثوا بموقفهم، وبالغوا في شقاقهم وتطرفوا، حتى عاثوا في الأرض فسادا، مما جعل عليا يقاتلهم ويقض على معظمهم في معركة النهروان، وهم لا يرضون عن تسميتهم خوارج، لأن هذه التسمية أطلقها عليهم خصومهم لخروجهم على الإمام، وعلى جماعة المسلمين، أما هم فيسمون أنفسهم الشراة، لأنهم باعوا أنفسهم لله تعالى، على أن لهم الجنة يبشرون بذلك إلى قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة] ويسمون المحكمة، لأنهم قالوا: لا حكم إلا لله، وكان يطلق عليهم أيضا الحرورية، نسبة إلى قرية حروراء التي انحازوا إليها بظاهر الكوفة لأول خروجهم على علي، ولما كان سبب خروجهم هو قبول علي التحكيم بينه وبين معاوية رحمها الله، فقد صاغوا لأنفسهم نظرية في الخلافة تقوم على مبدأين عامين يجمعان بين فرقهم المتباينة، المبدأ الأول: أن الخلافة ليست وقفا على قريش كما يذهب أهل السنة، بل تجوز لكل مسلم يكون أهلا لها حتى ولو كان عبدا حبشيا، ويجب أن يكون الخليفة باختيار حر من المسلمين، وأنه إذا تم اختياره لا يصح له أن يتنازل عنها، أو يقبل التحكيم، وفي ضوء هذا المبدأ اعترفوا بخلافة أبي بكر وعمر، أما عثمان فقد اعترفوا بخلافته في شطرها الأول، ثم تبرؤوا منه وكفروه في بقية عهده، وأما علي فقد اعترفوا بخلافته من بدايتها إلى أن قبل التحكيم، وبعد قبوله التحكيم لم يعترفوا بخلافته بل كفروه، وكذلك لم يعترفوا بخلافة معاوية وبني أمية، وكفروهم، كما كفروا أم المؤمنين عائشة، وطلحة والزبير وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري. وعلى الجملة كفروا كل من لم ير رأيهم ويذهب مذهبهم من المسلمين، واعتبروا دارهم دار كفر، وأباحوا أموالهم ودماءهم، حتى قتل أطفالهم.المبدأ الثاني: الذي قامت عليه نظرية الخوارج، هو وجوب الخروج على الإمام الجائر، وهنا وجوه الخطورة في حركتهم كلها، فلو اقتصروا على الخلاف النظري في الرأي، أو الجدال بالحجة والبرهان، لكان الأمر أهون، ولكنهم شهروا السلاح في وجه مخالفيهم، بدءا من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحاولوا فرض آرائهم ومذهبهم بالقوة، وكما تطرفوا إلى أبعد حد في الرأي والمذهب، فقد تطرفوا في اللجوء إلى القوة والعنف، وكبدوا الأمة وأنفسهم خسائر فادحة، وعكروا صفو الدولة الأموية، وكانوا من أشد مناوئيها، ..ولشدة إيمانهم بمبادئهم فقد ضحوا في سبيلها بأرواحهم وأبدوا كثيرا من ضروب الشجاعة والإقدام في حروبهم مع الدولة الأموية، وكانوا أشبه بالفرق الانتحارية، فكثيرا ما كانت أعداد قليلة منهم تهزم جيوشا جرارة للدولة، ولو أن هذه الشجاعة والإقدام والتضحية اتجهت اتجاها سليما، ووحد الخوارج جهودهم مع جهود الدولة في محاربة أعداء الإسلام لربما تغير وجه التاريخ الإنساني كله بشكل جذري، والحقيقة أنهم لم يكونوا طلاب دنيا، ولم يجروا وراء المادة، وإنما أخلصوا للفكرة التي آمنوا بها وملكت عليهم جوانب حياتهم، وأفنوا أنفسهم، وكلفوا الأمة الكثير من الجهد والوقت والمال والأرواح، وإذا كان الخوارج قد خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وكفروه وحاربوه، فسيكون موقفهم من الدولة الأموية أعنف وبغضهم لها أشد، فقد شهروا السلاح في وجهها من أول لحظة فثاروا على معاوية رحمه الله قبل أن يغادر الكوفة عام 41 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ العقد الفريد/ الإستيعاب في معرفة الأصحاب/ البداية والنهاية/ عيون الأخبار/ تاريخ أبي الفداء/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ تهذيب التهذيب/ تاريخ الطبري/ عمر بن عبد العزيز للصلابي/ مروج الذهب/ مختار الصحاح/

عن محمد بن عبد الله بن الحارث الطائي ثم أحد بني عفان، قال: لما انصرف علي من الجمل* قال لآذنه: من بالباب من وجوه العرب؟ قال: محمد بن عمير بن عطارد التيمي[1] والأحنف بن قيس[2]، وصعصعة بن صوحان العبدي[3]،في رجال سماهم، فقال: ائذن لهم، فدخلوا فسلموا عليه بالخلافة، فقال لهم: أنتم وجوه العرب عندي، ورؤساء أصحابي، فأشيروا علي في أمر هذا الغلام المترف -يعني معاوية- فافتنت بهم المشورة عليه، فقال صعصعة: إن معاوية أترفه الهوى، وحببت إليه الدنيا، فهانت عليه مصارع الرجال، وابتاع آخرته بدنياهم، فإن تعمل فيه برأي ترشد وتصب، إن شاء الله، والتوفيق بالله وبرسوله وبك يا أمير المؤمنين، والرأي أن ترسل له عينا من عيونك وثقة من ثقاتك، بكتاب تدعوه إلى بيعتك، فإن أجاب وأناب كأن له مالك وعليه ما عليك، وإلا جاهدته وصبرت لقضاء الله حتى يأتيك اليقين، فقال علي: عزمت عليك يا صعصعة إلا كتبت الكتاب بيديك، وتوجهت به إلى معاوية، واجعل صدر الكتاب تحذيرا وتخويفا، وعجزه استتابة واستنابة وليكن فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية سلام عليك، أما بعد ثم اكتب ما أشرت به علي، واجعل عنوان الكتاب:﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى] قال: أعفني من ذلك، قال. عزمت عليك لتفعلن، قال: أفعل، فخرج بالكتاب وتجهز وسار حتى ورد دمشق، فأتى باب معاوية فقال لآذنه: استأذن لرسول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -وبالباب أزفلة من بني أمية- فأخذته الأيدي والنعال لقوله، وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وكثرت الجلبة واللغط، فاتصل ذلك بمعاوية فوجه من يكشف الناس عنه، فكشفوا، ثم أذن لهم فدخلوا، فقال لهم: من هذا الرجل؟ فقالوا: رجل من العرب يقال له صعصعة بن صوحان معه كتاب من علي، فقال: والله لقد بلغني أمره، هذا أحد سهام علي وخطباء العرب، ولقد كنت إلى لقائه شيقا، ائذن له يا غلام، فدخل عليه، فقال: السلام عليك يا ابن أبي سفيان، هذا كتاب أمير المؤمنين، فقال معاوية: أما إنه لو كانت الرسل تقتل في جاهلية أو إسلام لقتلتك.

ثم اعترضه معاوية في الكلام، وأراد أن يستخرجه ليعرف قريحته أطبعا أم تكلفا فقال: ممن الرجل؟ قال: من نزار، قال: وما كان نزار؟ قال: كان إذا غزا نكس، وإذا لقي افترس، وإذا انصرف احترس، قال: فمن أي أولاده أنت؟. قال: من ربيعة، قال: وما كان ربيعة؟. قال: كان يطيل النجاد، ويعول العباد، ويضرب ببقاع الأرض العماد، قال: فمن أي أولاده أنت؟. قال: من جديلة، قال: وما كان جديلة؟ قال: كان في الحرب سيفا قاطعا، وفي المكرمات غيثا نافعا، وفي اللقاء لهبا ساطعا، قال: فمن أي أولاده أنت؟. قال: من عبد القيس، قال: وما كان عبد القيس؟ قال كان حسنا أبيض وهابا يقدم لضيفه ما وجد ولا يسأل عما فقد، كثير المرق، طيب العرق، يقوم للناس مقام الغيث من السماء، قال: ويحك يا ابن صوحان! فما تركت لهذا الحي من قريش مجدا ولا فخرا، قال: بلى والله يابن أبى سفيان، تركت لهم ما لا يصلح إلا بهم، ولهم تركت الأبيض والأحمر، والأصفر والأشقر، والسرير والمنبر، والملك إلى المحشر، وأنى لا يكون ذلك كذلك وهم منار الله في الأرض ونجومه في السماء. ففرح معاوية وظن أن كلامه يشتمل على قريش كلها، فقال: صدقت يا ابن صوحان، إن ذلك لكذلك، فعرف صعصعة ما أراد، فقال: ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد بعدتم عن أنف المرعى وعلوتم عن عذب الماء قال: ولم ذلك؟ ويلك يا ابن صوحان! فقال: الويل لأهل النار ، ذلك لبنى هاشم، قال: قم، فأخرجوه، فقال صعصعة: الصدق ينبيء عنك لا الوعيد، من أراد المشاجرة قبل المحاورة، فقال معاوية: لشيء ما سوده قومه، وددت والله إني من صلبه، ثم التفت إلى بني أمية فقال: هكذا فلتكن الرجال. وفي رواية قال له: أما والله يا بن صوحان، إن كنت لأبغض أن أراك خطيبا. قال: وأنا والله إن كنت لأبغض أن أراك أميرا.

----

*(وقعة الجمل) سنة 36 هـ قتل بها طلحة والزبير وغيرهما.

■ (3) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي، الكوفي، قيل: ولد في دارين قرب القطيف وشهد صفين مع علي، أمره على بعض الكراديس.وله مع معاوية مواقف. ونفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوال في البحرين، بأمر معاوية فمات فيها سنة56 هـ وقبل مات سنة 60 هـ

■ (1) محمد بن عمير بن عطارد بن صاحب الدارين أرسل شيئا قال بن حبان في الثقات وقد ذكر خليفة بن خياط محمد بن عمير هذا في امراء علي بصفين وكان من أجواد أهل الكوفة و اشرافهم وله قصص مع الحجاج.

■ (2) أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، وشهد مع علي وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان.وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد.

عن بريدة بينا هو جالس بالكوفة في مجلس مع أصحابه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلاً وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْمًا وَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ عِيَالاً﴾ قال: فقال صعصعة بن صوحان -وهو أحدث القوم سنا- صدق الله ورسوله. ولو لم يقلها كان كذلك: فتوسمه* رجل من الجلساء فقال له بعد ما تصدع القوم من مجلسهم: ما حملك على أن قلت: صدق نبي الله، ولو لم يقلها كان كذلك؟ قال: بلى، أما قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن من البيان سحرا؛ فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه، فيذهب بالحق وهو عليه. وأما قوله: إن من العلم صاحب جهلا؛ تكلف العالم إلى علمه ما لا يعلم، فيجهله ذلك. وأما قوله: إن من الشعر حكما: فهي هذه المواعظ والأمثال التي يعظ بها الناس. وأما قوله: إن من القول عيالا: فعرضك كلامك وحديثك على من ليس من شأنه، ولا يريده. وفي تفسير قالوا: أما قوله:(إن من البيان سحرا). فالرجل يكون عليه الحق، وهو ألحن بحجته من خصمه. فيقلب الحق ببيانه إلى نفسه. لأن معنى السحر قلب الشيء في عين الإنسان. وليس بقلب الأعيان. ألا ترى أن البليغ يمدح إنسانا حتى يصرف قلوب السامعين إلى حب الممدوح. ثم يذمه حتى يصرفها إلى بغضه. وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وإن من العلم جهلا) فهو تكلف الرجل ما لا يعلم. فيجهله عند غيره.وقيل: هو أن يتعلم ما لا يحتاج إليه كالنجوم وعلوم الأوائل ويدع ما يحتاجه في دينه من علم القرآن والسنة.. وأما قوله: (وإن من الشعر حكما) فهي هذه المواعظ والأمثال التي يتعظ الإنسان بها. وأما قوله: (وإن من القول عيالا) فعرضك كلامك وحديثك على من لا يريده، وعلى من ليس من شأنه ولا يريده. وقد نهى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:﴿لَا تُحَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقوله: ﴿لَا تُعْطُوا الْحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتَظْلِمُوهَا وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ﴾ قال: وقد ضرب لذلك مثل: أنه:﴿كَتَعْلِيقِ اللَّآلِيءِ فِي أَعْنَاقِ الْخَنَازِيرِ﴾ وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿لاَ تُعَلِّقُوا الدُّرَّ فِي أَعْنَاقِ الْخَنَازِيرِ﴾ يريد تعليم الفقه من ليس من أهله. قيل: مر صعصعة بن صوحان بقوم – وهو يريد مكة – فقالوا له: ما أين أقبلت؟ قال: من الفج العميق، قالوا: ما تريد؟ قال: البيت العتيق. قالوا: هل كان من مطر؟ قال: نعم. عفى الأثر، وانضر الشجر، ودهده الحجر. قالوا: أي آية في كتاب الله أحكم؟ قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة] وقال معاوية لصعصعة: ما المروءة؟ قال: الصبر والصمت. فالصبر على ما ينوبك، والصمت حتى تحتاج إلى الكلام.

قال زياد: ما غلبني معاوية في السياسة إلا في أمر واحد، استعمل رجلا من بني تميم، فكسر الخراج، ولحق بمعاوية. فكتب إليه إن هذا أدب سوء، فابعث به إلي. فكتب إليه: لا يصلح أن نسوس الناس أنا وأنت بسياسة واحدة؛ فإنا إن نشتد نهلك الناس، ونخرجهم إلى أسوأ أخلاقهم، وإن لنا جميعا أبطرهم ذلك، ولكن ألين وتشتد، وتلين وأشتد، فإذا خاف خائف وجد بابا يدخله. وفي حديث آخر: ولتكن للشدة والفظاظة والغلظة، وأكون أنا للين والألفة والرحمة.

كتب عمرو بن العاص إلى معاوية يعاتبه في التأني، فكتب إليه معاوية: أما بعد؛ فإن التفهم زيادة ورشد، وإن الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائب من خاب عن الأناة، وإن المتثبت مصيب، أو كاد يكون مصيبا، وإن العجل يخطيء، أو كاد يكون مخطئا، وإنه من لا ينفعه الرفق يضره الخرق، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي، ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم. وقال: آفة الحلم الذل. قال ابن عباس: قد علمت بما كان معاوية يغلب الناس، كانوا إذا طاروا وقع، وإذا وقعوا طار.وقال: العقل عقلان، عقل تجارب، وعقل نحيزة*؛ فإذا اجتمعا في رجل، فذاك الذي لا يقام انفرادا له، وإذا انفردا كانت النحيزة أولاهما. وقال: يا بني أمية! قاربوا قريشا بالحلم، فو الله إن كنت لألقى الرجل منهم في الجاهلية فيوسعني شتما وأوسعه حلما، فأرجع وهو صديقي، أستنجده فينجدني، وأثور به فيثور معي، وما رفع الحلم عن شريف شرفه ولا زاده إلا كرما. وقيل لمعاوية: إنا نراك تقدم حتى نقول يقبل، وتتأخر حتى نقول لا يرجع! قال: أتقدم ما كان التقدم غنما، وأتأخر ما كان التأخر حزما. كان الرجل يقول لمعاوية: فو الله لتستقيمن يا معاوية، أو لنقومنك، فيقول: بماذا؟ فيقول: بالخشب، فيقول: إذا أستقيم.

عن الشعبي والاصمعي عن أبيه قالا: جرى بين رجل يقال له أبو الجهم وبين معاوية كلام فتكلم أبو الجهم بكلام فيه غمر لمعاوية، فأطرق معاوية. ثم رفع رأسه فقال: يا أبا الجهم إياك والسلطان فإنه يغضب غضب الصبيان، ويأخذ أخذ الأسد، وإن قليله يغلب كثير الناس. ثم أمر معاوية لابي الجهم بمال فقال: أبو الجهم في ذلك يمدح معاوية: نميل على جوانبه كأنا..نميل إذا نميل على أبينا نقلبه لنخبر حالتيه..فنخبر منهما كرما ولينا. وقال معاوية إني لأرفع نفسي من أن يكون ذنب أعظم من عفوي وجهل أكثر من حلمي أو عورة لا أواريها بستري أو إساءة أكثر من إحساني. وقال عبد الرحمن بن أبي الحكم لمعاوية: يا أمير المؤمنين! إن فلانا يشتمني. قال: تطأطأ لها، تمر، فتجاوزك. وقال رجل لمعاوية: ما رأيت أنذل منك! قال: بلى من واجه الرجال بمثله. وقال معاوية: ما يسرني بذل الكرم حمر النعم. وفي رواية عن يزيد بن عياض قال: قال معاوية لأبي الجهم بن حذيفة: أيما أسن أنا أم أنت؟ فقال أبو الجهم: والله إني لأذكر دخول أمك على زوجها، قال: أي أزواجها؟ فوالله إن كانت لكريمة المناكح، فإياك يا أبا الجهم والإقدام بعدي على السلطان بمثل هذا، فإنما أمر السلطان كاللعب وصولته كصولة الأسد، فاحذر أن يؤمر بك فيؤتى على نفسك.

----

*(فتوسمه) تفرسه، تأمله (النحيزة) الطبيعة ونحيزة الرجل:طبيعته.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ العقد الفريد/ الإستيعاب في معرفة الأصحاب/ البداية والنهاية/ عيون الأخبار/ تاريخ أبى الفداء/ جامع الأصول في أحاديث الرسول/ سنن أبي داود/ الآداب الشرعية/ أنساب الأشراف/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وصعصعة بن صوحان (٢) 0200

عن الحارث بن مسمار البهراني، قال: حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي[1] وعبد الله بن الكواء اليشكري[2] ورجالا من أصحاب علي مع رجال من قريش، فدخل عليهم معاوية يوما فقال: نشدتكم بالله إلا ما قلتم حقا وصدقا، أي الخلفاء رأيتموني؟ فقال ابن الكواء: لولا أنك عزمت علينا ما قلنا لأنك جبار عنيد، لا تراقب الله في قتل الأخيار، ولكنا نقول: إنك ما علمنا واسع الدنيا، ضيق الأخرى، قريب الثرى، بعيد المرعى، تجعل الظلمات نورا، والنور ظلمات*، فقال معاوية: إن الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام الذابين عن بيضته، التاركين لمحارمه، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله، والمحلين ما حرم الله، والمحرمين ما أحل الله، فقال عبد الله بن الكواء: يا ابن أبي سفيان، إن لكل كلام جواب، ونحن نخاف جبروتك، فإن كنت تطلق ألسنتنا ذببنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا تأخذها في الله لومة لائم، وإلا فإنا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه قال: والله لا يطلق لك لسان، ثم تكلم صعصعة فقال: تكلمت يا ابن سفيان فأبلغت، ولم تقصر عما أردت، وليس الأمر على ما ذكرت أن يكون الخليفة من ملك الناس قهرا، ودانهم كبرا، واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا؟ أما والله مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمى وما كنت فيه إلا كما قال القائل: لا حلي ولا سيري ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنى تصلح الخلافة لطليق؟. فقال معاوية: لولا إني أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول: قابلت جهلهم حلما ومغفرة..والعفو عن قدرة ضرب من الكرم. لقتلتكم.

قال زرارة بن أوفى: إن معاوية خطب الناس فقال: أيها الناس، إنا نحن أحق بهذا الأمر، نحن شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيضته التي انفلقت عنه، ونحن ونحن، فقال صعصعة: فأين بنو هاشم منكم؟ قال: نحن أسوس منهم، وهم خير منا. قال: أمرنا بالطاعة الطاعة. وقال فيها: إنا لكم جنة*. قال: فقال صعصعة: فإذا احترقت الجنة فكيف نصنع؟ قال: أيها الناس، أما إن هذا ترابي، فقال: إني ترابي. خلقت من التراب، وإلى التراب أصير. ودخل صعصعة بن صوحان على معاوية ومعه عمرو بن العاص[3] جالس على سريره، فقال: وسع له على ترابية فيه. فقال صعصعة: إني والله لترابي، منه خلقت، وإليه أعود، ومنه أبعث، وإنك لمارج من مارج من نار.

قيل: قدم وفد أهل العراق على معاوية، فلما دخلوا عليه قال: مرحبا بكم يا أهل العراق، قدمتم أرض الله المقدسة، منها المنشر، وإليها المحشر، قدمتم على خير أمير: يبر كبيركم، ويرحم صغيركم، ولو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حكماء عقلاء! فأشار الناس إلى صعصعة بن صوحان فقام فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: أما قولك يا معاوية: إنا قدمنا الأرض المقدسة. فلعمري ما الأرض تقدس الناس، ولا يقدس الناس إلا أعمالهم. وأما قولك: إن منها المنشر وإليها المحشر. فلعمري ما ينفع قربها كافرا، ولا يضر بعدها مؤمنا. وأما قولك: لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حكماء عقلاء. فقد ولدهم من هو خير من أبي سفيان: آدم صلى الله عليه، فمنهم الحليم والسفيه، والجاهل والعالم.

قال معاوية لرجل من اليمن: ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال: أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله:﴿اللَّهُمَّ، إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال] ولم يقولوا: اللهم، إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه. وفي رواية اليوسي: قال معاوية لرجل من أهل اليمن: ما كان أحمق قومك حين قالوا: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ] وكان اجتماع الشمل خيرا لهم، فقال اليماني: يا أمير المؤمنين: قومك أحمق حين قالوا: ﴿اللَّهُمَّ، إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال] ولم يقولوا: فاهدنا له.

----

* في رواية: قالا المدائني وابن الكلبي: قال معاوية لابن الكواء اليشكري: نشدتك الله كيف تعلمني؟ فقال: أما إذ نشدتني الله فإني أعلمك واسع الدنيا ضيق الآخرة، قريب الرشا بعيد المدى، تجعل الظلمة نورا والنور ظلمة.(الجنة) وقاية. وكالستر.

■ (1) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي، الكوفي، قيل: ولد في دارين قرب القطيف وشهد صفين مع علي، أمره على بعض الكراديس. وله مع معاوية مواقف.ونفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوال في البحرين، بأمر معاوية فمات فيها سنة 56 هـ وقبل مات سنة 60 هـ

■ (2) عبد الله بن الكواء اليشكري أول أمير للخوارج من حين اعتزلوا جيش علي وخرجوا عليه، وكان قبل من أصحاب علي ومن المحرضين على القتال وقد قال شعرا في مدح علي وتحريض جيش صفين. وقال الحافظ ابن حجر: إنه قد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي. قيل هو عبد الله بن أوفى ويقال عبد الله بن عمرو ابن النعمان بن ظالم بن مالك بن أبي بن عصر بن سعد بن عمرو بن جشم أبو عمرو ويقال: ابن الكوا اليشكري، المعروف بابن الكوا، وقيل: ابن الكواء .

■ (3) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. يقال له: ابن النابغة، أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

لما قدم معاوية المدينة قال: أيها الناس، إن أبا بكر رضي الله عنه لم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته ولم يردها، وأما عثمان فنال منها ونالت منه، وأما أنا فمالت بي وملت بها، وأنا ابنها فهي أمي وأنا ابنها فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم ثم نزل.

عن عوانة وابن جعدبة قالا: قال معاوية لابن عباس: إن عثمان أصاب من هذه الدنيا وأصابت منه، وإنها قد مالت بي وملت بها، فما ترى يا أبا عباس؟ فقال: إن الدنيا قد أمكنتك فهي في يدك ولك درها، وإن الآخرة ممكنة لك إن أردتها، ولما نقصك من دنياك وزادك في آخرتك خير لك مما نقصك من آخرتك وزادك في دنياك.

قال إبراهيم بن سويد: قلت لأحمد بن حنبل: من الخلفاء؟ قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. قلت: فمعاوية؟ قال: لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي رضي الله عنه، ورحم الله معاوية. وقال علي بن المديني: سمعت سفيان يقول: ما كانت في علي خصلة تقصر به عن الخلافة، ولا كانت في معاوية خصلة ينازع عليا بها.وسأل النضر أبو عمر الحسن فقال: أبو بكر أفضل أم علي؟ قال: سبحان الله! ولا سواء سبقت لعلي سوابق شركه فيها أبو بكر، وأحدث علي أحداثا لم يشركه فيها أبو بكر، أبو بكر أفضل. قال: فعمر أفضل أم علي؟ فذكر مثل قوله الأول. قال: عمر أفضل. قال: فعلي أفضل أم عثمان؟ فذكر مثل قوله الأول ثم قال: عثمان أفضل. فطمع السائل قال: علي أفضل أم معاوية؟ قال: سبحان الله! ولا سواء، سبقت لعلي سوابق لم يشركه فيها معاوية وأحدث علي أحداثا شركه معاوية في أحداثه، علي أفضل من معاوية. وقال محمد بن سعيد: ذكر قوم معاوية عند شريك، فقال بعضهم: كان حليما. فقال: ليس بحليم من سفه الحق وقاتل علي بن أبي طالب

قال أبو القاسم ابن أخي أبي زرعة الرازي: جاء رجل إلى عمي أبي زرعة فقال له: يا أبا زرعة! أنا أبغض معاوية. قال: لم؟ قال: لأنه قاتل علي بن أبي طالب. فقال له عمي: إن رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فأيش دخولك أنت بينهما رضي الله عنهم أجمعين؟ وقال يزيد بن الأصم: لما وقع الصلح بين علي ومعاوية خرج علي فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة. ثم مشى في قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، وليصير الأمر إلي وإلى معاوية، فيحكم لي ويغفر لمعاوية؛ هكذا اخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَوَّلُ مَنْ يَخْتَصِمِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بَيْنَ يَدَيْ الرَّبَّ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ،وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ﴾ أخرجه الديلمى وأخرجه أيضا: أبو الشيخ في طبقات المحدثين. وروى ابن الجوزي، عن الحسن البصري، إنه قال: أربع خصال كن في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة وهي: أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة وفي الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه يزيد وكان سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياد أخا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ﴾، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، فيا ويلا له من حجر وأصحاب حجر.

عن عبادة بن نسي، وثمامة بن كلثوم: أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال: أيها الناس! إني من زرع قد استحصد وقد طالت إمرتي عليكم حتى مللتموني ومللتكم وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي، وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدي إلا من هو شر مني، كما كان من قبلي خيراً مني، وقد قيل: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. اللهم، إني قد أحببت لقاءك فأحب لقائي؛ ويا يزيد! إذا وفى أجلي فول غسلي رجلاً لبيباً، فإن اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد إلى منديل في الخزانة، فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم، وقراضة من شعره وأظفاره فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني واجعل الثوب يلي جلدي دون أكفاني؛ ويا يزيد! احفظ وصية الله في الوالدين فإذا أدرجتموني في جريدتي ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وأرحم الراحمين. وفي رواية:وقطعوا تلك القلامة واسحقوها واجعلوها في عيني، فعسى الله أن يرحمني ببركتها.ولما احتضر معاوية جعل يقول: من الطويل: لعمري لقد عمرت في الملك برهة..ودانت لي الدنيا بوقع البواتر

☪

عن شداد بن أوس ، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ﴾ هذا حديث حسن ومعنى قوله من دان نفسه: حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة ويروى عن عمر بن الخطاب قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا، ويروى عن ميمون بن مهران قال: لا يكون العبد تقيا حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه. كما قال الحسن البصري: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال. وقيل: الرجاء لابد أن يكون له عمل يبنى عليه أما الرجاء من دون عمل يبنى عليه فإنه تمن لا يستفيد منه العبد.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ العقد الفريد/ الإستيعاب في معرفة الأصحاب/ البداية والنهاية/ عيون الأخبار/ تاريخ أبى الفداء/ لباب الآداب لأسامة بن منقذ/ المحاضرات في اللغة و الأدب/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وصعصعة بن صوحان (٣) 0201

دخل صعصعة بن صوحان[1] على معاوية[2] فقال له: يا بن صوحان، أنت ذو معرفة بالعرب وبحالها، فأخبرني عن أهل البصرة، وإياك والحمل على قوم لقوم، قال: البصرة واسطة العرب ومنتهى الشرف والسودد، وهم أهل الخطط في أول الدهر وآخره، وقد دارت بهم سروات العرب كدوران الرحى على قطبها. قال: فأخبرني عن أهل الكوفة. قال: قبة الإسلام، وذروة الكلام، ومصان ذوي الأعلام، إلا أن بها أجلافا تمنع ذوي الأمر الطاعة، وتخرجهم عن الجماعة، وتلك أخلاق ذوي الهيئة والقناعة. قال: فأخبرني عن أهل الحجاز. قال: أسرع الناس إلى فتنة، وأضعفهم عنها، وأقلهم غناء فيها، غير أن لهم ثباتا في الدين، وتمسكا بعروة اليقين، يتبعون الأئمة الأبرار، ويخلعون الفسقة الفجار. فقال معاوية: من البررة والفسقة؟ فقال: يا بن أبي سفيان، ترك الخداع من كشف القناع، علي[3] وأصحابه من الأئمة الأبرار، وأنت وأصحابك من أولئك، ثم أحب معاوية أن يمضي صعصعة في كلامه بعد أن بان فيه الغضب، فقال: أخبرني عن القبة الحمراء في ديار مضر. قال: أسد مضر بسلاء بين غيلين، إذا أرسلتها افترست وإذا تركتها احترست. فقال معاوية: هنالك يا بن صوحان، العز الراسي، فهل في قومك مثل هذا؟ قال: هذا لأهله دونك يا بن أبي سفيان، و﴿مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُشِرَ مَعَهُمْ﴾. قال: فأخبرني عن ديار ربيعة، ولا يستخفنك الجهل وسابقة الحمية بالتعصب لقومك. قال: والله، ما أنا عنهم براض، ولكني أقول فيهم وعليهم، هم والله، أعلام الليل وأذناب في الدين والميل لن تغلب رايتها إذا رشحت خوارج الدين برازخ اليقين، من نصروه فلج ومن خذلوه زلج. قال: فأخبرني عن مضر. قال: كنانة العرب ومعدن العز والحسب يقذف البحر بها آذيه والبر رديه، ثم أمسك معاوية، فقال له صعصعة: سل يا معاوية، وإلا أخبرتك بما تحيد عنه، قال: وما ذاك يا بن صوحان؟ قال: أهل الشأم. قال: فأخبرني عنهم، قال: أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخالق، عصاة الجبار وخلفة الأشرار، فعليهم الدمار ولهم سوء الدار، فقال معاوية: والله، يا بن صوحان، إنك لحامل مديتك منذ أزمان إلا أن حلم ابن أبي سفيان يرد عنك، فقال صعصعة: بل أمر الله وقدرته إن أمر الله كان قدرا مقدورا. ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب]

■ (1) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي، الكوفي، قيل: ولد في دارين قرب القطيف وشهد صفين مع علي، أمره على بعض الكراديس. وله مع معاوية مواقف.ونفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوال في البحرين، بأمر معاوية فمات فيها سنة 56 هـ وقيل مات سنة 60 هـ

■ (2) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (3) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

☪

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يُحْشَرُ الْمَرْءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مع مَنْ أَحَبَّ﴾. ويقول: ﴿مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُشِرَ مَعَهُمْ﴾ وذلك حين سئل عن رجل يحب القوم لما يلحق بهم، إنه إنسان يحب الصالحين ولكنه لم يعمل عملهم، هل تحب أن تحشر مع المطرب فلان أو اللاعب فلان؟ أو أن تحشر مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومع الناس الأخيار والصالحين، لقد قال صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ قَالَ وَمَاذَا يَسْأَلُونِي قَالُوا يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ قَالَ وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا لَا أَيْ رَبِّ قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي قَالُوا وَيَسْتَجِيرُونَكَ قَالَ وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي قَالُوا مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ قَالَ وَهَلْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا لَا قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي قَالُوا وَيَسْتَغْفِرُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا قَالَ فَيَقُولُونَ رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ فَيَقُولُ وَلَهُ غَفَرْتُ هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ﴾ قال علي بن نايف: إظهار بلاد الكفر بأنها بلاد الحرية، و الديموقراطية والعدالة: وذلك بما يتاح للفرد فيها ما لا يجده في بلاد المسلمين، كحرية الكتابة، وإبداء الرأي، والمظاهرات، وأسلوب المحاكمات، وبعض هذه الأمور أوجه حسنة- ولا شك- وفي ديننا ما هو أفضل منها، ولكن إبراز هذا الأمر يعطي صورة غير حقيقية عن تلك البلاد، مما يجعل بعض المسلمين يتعلق بها، بل ربما يدخل في روعه أن سبب ذلك بسبب عدم تمسكهم بدين، وأن تأخر المسلمين بسبب دينهم، وقد سمعنا مثل ذلك ممن ذهب إلى الغرب، وفتن بحضارته. قال أيضا علي بن نايف: إن هناك أسماء كثيرة لمعت بفضل النفوذ الأجنبي ووضعت في موضع القيادة الفكرية يجب أن يعاد النظر فيها على ضوء الحقائق التاريخية التي ظهرت ووفق مفهوم الأوضاع التي كانت تحجب الأضاليل. فسعد زغلول ولطفي السيد وعبد العزيز فهمي وجرجي زيدان وطه حسين وسلامه موسى وتوفيق الحكيم، كل هؤلاء يجب أن يعاد النظر إليهم في ضوء الحقائق التي عرفت، وخاصة ما يتصل بها الماسونية وبروتوكولات صهيون، وأن هناك أسماء أخرى ظلت تحت تأثير الموجة الطارئة يجب أن يعاد النظر إليها أمثال المتنبي والغزالي وعمر الخيام والسلطان عبد الحميد...[بقية النص في : موسوعة البحوث والمقالات العلمية] يقول الإمام الشافعي رحمه الله:﴿إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ وَيَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ فَلَا تَغْتَرُّوا بِهِ حَتَّى تَعْرِضُوا أَمْرَهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ﴾ يقول الشيخ علي بادحدح -في معرض حديثه عن محنة خلق القرآن -: إن سبب هذه الفتنة أن المأمون تتلمذ على المعتزلة. واليوم في هذه الأعصر يتتلمذ بعض كبار القوم وأبناء الحكام والسلاطين في بلاد الكفر فوقع لهم مثل ما وقع لأولئك، نقول: نعم قد حرص المستخربون أن يأخذوا أبناء أكابر القوم وأبناء أهل الحكم ليغرسوا في عقولهم الشبهات والشهوات، وليجعلوهم تابعين لملل الكفر وموالين لأعداء الله عز وجل، حتى إذا كانت في أيديهم سلطة أو حكم أو قدرة على فعل أمر من الأمور فعلوا فيه فعلا يناقض الإسلام ويضر بأهله، ولذلك جعلوا التولية في أمور كثيرة من الإعلام أو التعليم أو غيرها من المجالات لمن صنع على أعينهم وربي في ديارهم وتغذى بأفكارهم، وخفق قلبه بحبهم وتعظيمهم والولاء لهم، وهذا أمر شائع معروف. قلت: مثال على ذلك ما يسمى قيس سعيد (زعيم انقلاب العلمانيين في تونس/ طابور فرنسا وأحذيتها). سئل الشيخ سفر الحوالي عن رأيه في الأفغاني ومحمد عبده فأجاب بما نصه: نحن لا يهمنا الأشخاص بأعيانهم، فقد قدموا على ربهم وأفضوا إلى ما قدموا، ولكن عندما نتعرض إلى أي أثر سيئ لأي شخص فلا يجوز أن نكتمه مراعاة لذلك الشخص؛ لأن الحق عندنا فوق الرجال، ومن هنا قد نتعرض لسيرة بعض الناس بل لابد أن نبينه. أما الأفغاني فهو رجل رافضي تلبس بلباس السنة، وسمى نفسه الأفغاني رغم أنه إيراني الأصل، وهو رجل باطني يقول بوحدة الأديان، كما أنه عميل للسياسة الإنجليزية، وتلقن علومه في بلاطات ملوك أوروبا ، فهو رجل -نستطيع أن نقول- لا صلة له بالإسلام. وأما الشيخ محمد عبده فإن لديه مواقف يُعرف منها الغيرة على الدين، والحرص على أوضاع المسلمين، ولكن هناك جوانب صريحة وقطعية في سيرته تدل على خلل في عقيدته، منها أنه تعلم اللغة الفرنسية ليعرف القوانين الفرنسية، ثم جاء بهذه القوانين الفرنسية وأقامها وطبقها بنفسه في مصر يوم أن كان رئيساً لمحكمة النقض ومفتياً للبلاد، وكان من دعاة خروج المرأة وسفورها، هذا لا شك فيه، وكان أيضاً في عقيدته أقرب إلى منهج المعتزلة وفي بعض الأمور إلى منهج الفلاسفة، [..] وغير ذلك من الضلالات التي نسأل الله العفو والعافية.وعلى أي حال: إذا تعرضنا لأي أمر من أمور الدين والعقيدة، فلا مجاملة لأحد كائناً من كان، ولا ننظر إلى البشر، وإنما نراقب الخالق سبحانه وتعالى. قلت: لا تستغربوا، نحن في معركة وجود، الضرب فيها تحت الحزام وفوقه..

وسام النسر الأبيض من الروس
وسام النسر الأسود من البروسيون
وسام "المخلص" من اليونانيون
وسام "موريس واليعازر" من الإيطاليون
ووسام من أمريكا، وفرنسا، ...إلى آخره

نجيب محفوظ تطاول على الإسلام في كتبه فلفت انتباه الغرب العدو، ومحمد أنور السادات استسلم للعدو وخان الوطن وتنازل عن الأرض (كما فعل قرينه في سوريا مع هضبة الجولان وفي مملكة الحشيش المراكشية مع مدينتي سبتة ومليلية وجزيرة ليلى) ومحمد البرادعي كان ذيلا وعميلا للغرب في العراق ثم (لعب دوره القذر) في مصر زمن الانقلاب على الشرعية وإرادة الشعب..

نحن نعلم أن الغرب (العدو الأزلي) يدعم هؤلاء وأمثلهم من اللادينيين والزنادقة والعملاء الخونة للوطن! لأنهم المعاول التي كانت دائما وما زالت تهدم أية أمة أو تعطلها. وفي تاريخنا أمثلة من هؤلاء الشواذ كثيرة. كالحبيب بورقيبة في تونس (الجاهل الأكبر/ العلماني المتطرف) وجمال الدين الأفغاني (قيل عنه العميل المزدوج؟/ المهزوم فكريًا) والزنديق المدعو الأمير عبد القادر، صاحب الأوسمة الكثيرة (تارك الجهاد وصديق فرنسا؟) الذي عاهد فرنسا ألا يرفع في وجهها سيفاً مادام حياً. وتقريبا جميع شيوخ زوايا بدعة التصوف وغيرهم من الخونة للدين والوطن؛ أصحاب البدع والشذوذ الفكري في هذه القوميات القُطرية الزائفة اليوم المسماة: تونس ومصر والجزائر والمغرب (المخرب) وبقية "شوارع الخليج"؛ حظائر البهائم - الجملوكيات (العسكريتارية) والملكيات الدخيلة الصنيعة (عار الإنسانية).

أمثلة من رواد التغريب والتخريب في العقل والفكر العربي الإسلامي: • محمد علي باشا 1769-1849 =والي مصر - الدولة العثمانية • أحمد باشا باي الأول 1806-1855 - باي تونس - الدولة العثمانية • ناصيف اليازجي 1800-1871 =الشاعر • رفاعة الطهطاوي 1801-1873 =مترجم، وكاتب • بطرس البستاني 1819-1883 - مترجم الكتاب المقدس • سليم النقاش 1876-1884 - كاتب - صحيفة المقتطف • خير الدين التونسي 1820-1890 - سياسي - الدولة العثمانية • الخديوي إسماعيل 1830-1895 =والي مصر =الدولة العثمانية • الخديوي توفيق 1852-1892 - والي مصر - الدولة العثمانية • جمال الدين الأفغاني 1838-1897 =عالم عقيدة • الشيخ قاسم أمين 1865-1908 - أديب • سليم تقلا 1849-1892 - كاتب - صحيفة الأهرام • جورجي زيدان 1861-1914 =كاتب، ومدرس • شبلي شميل 1860-1917 - كاتب • سعد زغلول 1858-1927 - سياسي - الاحتلال البريطاني لمصر • أحمد لطفي السيد 1872-1963 - مفكر، سياسي • طه حسين 1889-1973 =وزير، وكاتب • علي عبد الرازق 1888-1966 =كاتب • محمود عزمي 1889-1954 =صحفي من دعاة الفرعونية في مصر • منصور فهمي 1886-1959 =كاتب • زكي مبارك 1892-1952 =أديب من تلاميذ طه حسين • محمد حسين هيكل 1888-1956 - أديب وسياسي • إسماعيل مظهر 1891-1962 =مترجم من أئمة مدرسة التغريب • الشيخ أمين الخولي 1895-1966 =أديب ومدرس.... اليوم أشباه هؤلاء المهزومين فكريا الكثير.

مراجع: جمهرة خطب العرب/ الأعلام للزركلي/ صحيح مسلم/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وأبو موسى الأشعري 0202

عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري[1]، عن أبيه أن معاوية كتب إليه: سلام عليك، أما بعد فإن عمرو بن العاص[2] قد تابعني على ما أريد، وأقسم بالله لئن بايعتني على الذي بايعني لأستعملن ابنيك، أحدهما على الكوفة والآخر على البصرة، ولا يغلق دونك باب، ولا تقضى دونك حاجة، وقد كتبت إليك بخط يدي، فاكتب إلي بخط يدك. قال: فقال لي أبي: يا بني إنما تعلمت المعجم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فكتب إليه كتابا مثل العقارب، فكتب: سلام عليك، أما بعد فإنك كتبت إلي في جسيم أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فماذا أقول لربي عز وجل إذا قدمت عليه؟ ليس لي فيما عرضت من حاجة، والسلام عليك.

وكتب معاوية بن أبي سفيان بعد الحكومة إلى أبي موسى الأشعري، وهو يومئذ عائذ بمكة من علي، وأراد بكتابه إليه أن يضمه إلى الشام: أما بعد، فلو كانت النية تدفع خطأً لنجا المجتهد، وأعذر الطالب، ولكن الحق لمن قصد له فأصابه، ليس لمن عارضه فأخطأه، وقد كان الحكمان إذا حكما على رجل لم يكن له الخيار عليهما، وقد اختار القوم عليك، فاكره منهم ما كرهوا منك؛ وأقبل إلى الشام؛ فإنها أوسع لك.وكتب إليه بهذه الأبيات: من الطويل: وفي الشام أمر واسع ومعول..وعذرك مبسوط وقولك جائز..وإن كنت قد أعطيت عقلا فشبته..بتركك وجه الحق والحق بارز..وإن كنت أبصرت الهدى فاتبع الهدى..وإن كنت لم تبصر فإنك عاجز..جمعت بخرق منك خلعي وخلعه..كما جمع السيرين في الخرز خارز..فأصبحت فيما بيننا متذبذبا..تهادى بها قد كان منك العجائز.

قدم أبو موسى على معاوية بعد الجماعة، فقال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله، قال: فرحب به معاوية؛ ثم قال: بايع يا أبا موسى، قال: لنا وعلينا؟ فقبض معاوية يده، وخرج أبو موسى من عنده، فأتى منزله، فأتاه عبد الله بن عضاه[3]، فدخل عليه منزله، فقال: يا أبا موسى إنك والله ما أنت في زمان أبي بكر، ولا زمان عمر، ولا عثمان، فاتق على نفسك؛ فإني أخاف أن تقتل، وخرج ابن عضاه، فقال أبو موسى لأبي بردة:[4] اتبع الرجل، فانظر أين يدخل؟ قال: فتبعه، فدخل ابن عضاه إلى معاوية، فرجع أبو بردة إلى أبي موسى، فأخبره، فقال أبو موسى: معاوية أرسله، ثم راح أبو موسى إلى معاوية، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم قال: ما الذي أنكرت من سلامي عليك بالأمس؟ قد كنا نسلم على عمر، وعلى عثمان بأمير المؤمنين، وبالأمير، إذا سلمنا عليك بالإمرة فنحن المؤمنون، وأنت أمير المؤمنين، وإن لم نقلها لك، وما الذي أنكرت من قولي لك: لنا وعلينا؟ لنا أجرها، وعلينا الوفاء بها! ثم قال: امدد يدك يا أبا موسى، قد علمت أنك لم تأتنا حتى زممتها، وخطمتها ! قال: ثم بايع، فأمر له بعطاء خمس سنين كان حرمه إياها.

■ (1) أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. من بني الأشعر. التميمي، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذا على زبيد، وعدن. وولي البصرة لعمر، وعثمان، وولي الكوفة، وبها مات سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ.

■ (2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

■ (4) أبو بردة بن أبي موسى، عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري، الفقيه، العلامة، قاضي الكوفة.حدث عن أبيه، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن سلام، وأبي هريرة، وآخرين. وكان من أوعية العلم، حجة باتفاق، اسمه عامر فيما قيل، وولي قضاء الكوفة بعد شريح مدة، ثم عزله الحجاج، وولى أخاه أبا بكر بن أبي موسى. مات أبو بردة سنة 104 هـ، وقال الواقدي: مات سنة 103 هـ.

■ (3) عبد الله بن عصام الأشعري شامي روى عبد الله بن محيريز. وفي تاريخ بن عساكر عبد الله بن عضاه الأشعري وأبوه عضاه بضاد معجمة وآخره هاء عوض الميم وذكر أنه شهد صفين مع معاوية وكان رسول يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن الزبير في طلب البيعة له وأنه كان ممن استخلفه مسلم بن عقبة لما فرغ من وقعة الحرة وقصد مكة فأدركته الوفاة ولم يذكر من أمره غير ذلك ولا ذكر لعبد الله بن محيريز عنه رواية.

☪

قال القاضي التنوخي: أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية 20 ق-60 هـ:مؤسس الدولة الأموية بالشام وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، حكم الشام حكما مستمرا دام ما يزيد على الأربعين سنة قضى بعضها 18-35 أميرا وقضى الباقي متغلبا، ولاه على الشام الخليفة عمر، ولما ولي عثمان جمع له الديار الشامية كلها، ولما ولي علي عزله، فخرج على علي بحجة المطالبة بدم عثمان [الأعلام] حتى إذا قتل علي، وتمكن من السيطرة ترك المطالبة بدم عثمان [البصائر والذخائر] وهو أول من لعن المسلمين على المنابر [العقد الفريد] وأول من حبس النساء بجرائر الرجال، إذ طلب عمرو بن الحمق الخزاعي، لموالاته عليا، وحبس امرأته بدمشق، حتى إذا قطع عنقه، بعث بالرأس إلى امرأته وهي في السجن، وأمر الحرسي أن يطرح الرأس في حجرها [بلاغات النساء][اليعقوبي][الديارات] وكان يفرض على الناس لعن علي والبراءة منه، ومن أبى، قتله، أو بعث به إلى عامله زياد ليدفنه حيا [العقد الفريد][الأغاني][ابن الأثير] وهو أول من سخر الناس، واستصفى أموالهم، وأخذها لنفسه [اليعقوبي] وهو أول من حبس على معارضيه أعطياتهم [أدب الكتاب للصولي] محتجا بأن العطاء ينزل من خزائن الله، فقال له الأحنف: إنا لا نلومك على ما في خزائن الله، ولكن على ما أنزله الله من خزائنه، فجعلته في خزائنك، وحلت بيننا وبينه [البصائر والذخائر] وقيل لشريك بن عبد الله، إن معاوية كان حليما، فقال: كلا، لو كان حليما ما سفه الحق ولا قاتل عليا [كتاب الآداب لجعفر] وروى ابن الجوزي، عن الحسن البصري، إنه قال: أربع خصال كن في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدة، لكانت موبقة، وهي: أخذه الخلافة بالسيف، من غير مشاورة، وفي الناس بقايا الصحابة، وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه يزيد، وكان سكيرا خميرا، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياد أخا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ﴾ وقتله حجر بن عدي وأصحابه، فيا ويلا له من حجر، وأصحاب حجر [خزانة الأدب للبغدادي] وقال نيكلسون (؟): اعتبر المسلمون انتصار بني أمية، وعلى رأسهم معاوية، انتصارا للأرستقراطية الوثنية، التي ناصبت الرسول وأصحابه العداء، والتي جاهدها رسول الله حتى قضى عليها، وصبر معه المسلمون على جهادها ومقاومتها حتى نصرهم الله، فقضوا عليها. وأقاموا على أنقاضها دعائم الإسلام، لذلك، لا ندهش إذا كره المسلمون بني أمية، وغطرستهم، لا سيما أن جمهور المسلمين كانوا يرون بين الأمويين رجالا كثيرين، لم يعتنقوا الإسلام إلا سعيا وراء مصالحهم الشخصية، ولا غرو، فقد كان معاوية يرمي إلى جعل الخلافة ملكا كسرويا، وليس أدل على ذلك من قوله: أنا أول الملوك [تاريخ الإسلام] وكان مصروف الهمة إلى تدبير أمر الدنيا، يهون عليه كل شيء إذا انتظم أمر الملك [الفخري] ولما استولى على الملك، استبد على جميع المسلمين، وقلب الخلافة ملكا [رسائل الجاحظ] وكان يقول: إنا لا نحول بين الناس وألسنتهم، ما لم يحولوا بيننا وبين السلطان [محاضرات الأدباء] وختم معاوية أعماله، بإرادته أن يظهر العهد ليزيد، فقال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه، ورق جلده، ودق عظمه، واقترب أجله ويريد أن يستخلف عليكم، فمن ترون ؟ فقالوا: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فسكت وأضمرها، ودس ابن أثال الطبيب إلى عبد الرحمن، فسقاه سما، فمات [الأغاني] ثم فرض ولده يزيد على الناس فرضا، وحملهم على بيعته قسرا، وأوعز إلى رجل من الأزد، اسمه يزيد بن المقفع، فقام خطيبا وقال: أمير المؤمنين هذا وأشار إلى معاوية، فإذا مات فهذا وأشار إلى يزيد، ومن أبى فهذا وأشار إلى السيف، فقال له معاوية: أقعد، فأنت سيد الخطباء [العقد الفريد][مروج الذهب] .قلت: حتى وإن كانت الفئة الباغية معروفة فليست كل الروايات موثوقة؟

☪

قالت العلماء: واجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم مسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وهو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنهم ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم. وكتب أهل السنة مملوءة ببيان عقيدتهم الصافية النقية في حق أولئك الصفوة المختارة وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في أقوالهم الحسنة والتي منها :

1- سئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عن القتال الذي حصل بين الصحابة، فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر بها لساني، مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل العيون ودواء العيون ترك مسها. قال البيهقي: معلقا على قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب.

2- سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن قتال الصحابة فيما بينهم، فقال: قتال شهده أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغبنا وعلموا وجهلنا واجتمعوا فاتبعنا واختلفوا فوقفنا. ومعنى قول الحسن هذا: أن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه ونقف عندما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأيا منا ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل إذ كانوا غير متهمين في الدين.

3- سئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة، فأجاب بقوله: أقول ما قال الله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه]

4 - قال الإمام أحمد رحمه الله بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: ما أقول فيهم إلا الحسنى، وعن إبراهيم بن آرز الفقيه قال: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه، فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم، فأقبل عليه فقال: اقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة]

5- قال ابن تيمية في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة:ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما هو زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون.

6- قال ابن كثير: أما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام فمنه ما وقع من غير قصد كيوم الجمل ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين والاجتهاد يخطئ ويصيب ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضا: وأما المصيب فله أجران

7- قال ابن حجر : واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرا واحدا وأن المصيب يؤجر أجرين فأهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان، والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر محاسنهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الإصابة في تمييز الصحابة/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ الفرج بعد الشدة للتنوخي/ـمجلة البيان/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) ورجل شجاع 0203

روى أبي قبيل [1] أن معاوية بن أبى سفيان، صعد المنبر يوم الجمعة فقال: إنما المال مالنا والفيء* فيئنا فمن شئنا أعطيناه ومن شئنا منعناه، فلم يجبه أحد فلما كان في الجمعة الثانية قال مثل ذلك فلم يجبه أحد، فلما كان في الجمعة الثالثة قال مثل مقالته، فقام إليه رجل ممن حضر فقال: كلا إنما المال مالنا والفيء فيئنا فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بأسيافنا، فنزل معاوية فأرسل إلى الرجل فأدخله. فقال القوم: هلك الرجل. ثم دخل الناس فوجدوا الرجل معه على السرير فقال معاوية للناس: إن هذا أحياني أحياه الله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿سَتَكُونُ أَئِمَّةٌ مِنْ بَعْدِي يَقُولُونَ فَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ قَوْلُهُمْ يَتَقَاحَمُونَ فِي النَّارِ كَمَا تَقَاحَمُ الْقِرَدَةُ –وفي لفظ-: يَكُونُ أُمَرَاءُ يَقُولُونَ وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ، يَتَهَافَتُونَ فِي النَّارِ، يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ وإني تكلمت أول جمعة فلم يرد علي أحد فخشيت أن أكون منهم ثم تكلمت في الجمعة الثانية فلم يرد أحد فقلت: في نفسي إني من القوم. ثم تكلمت في الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فرد علي فأحياني أحياه الله.

عن أبي قلابة قال: أرسل معاوية إلى أمير الطائف عنبسة بن أبي سفيان [2] أن يأخذ الوهط*،فبلغ ذلك عبد الله بن عمرو [3] فلبس سلاحه هو ومواليه وغلمته وقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ مَظْلُومًا فَهُوَ شَهِيدٌ﴾ فكتب الأمير إلى معاوية أن قد تيسر للقتال وقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ﴾ فكتب معاوية: أن خل بينه وبين ماله.

----

* قال ابن الهمام: والفيء مال مأخوذ من الكفار بغير قتال؛ كالخراج، والجزية، وأما المأخوذ بقتال فيسمى غنيمة. والغنيمة تقسم أخماسا: أربعة أخماس منها تكون للغانمين، وخمس يكون للمصارف التي ذكرها الله عز وجل في آية الأنفال (الوهط) حائط بالطائف/ بستان عظيم بالطائف

■ (3) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل. أسلم قبل أبيه واستاذن النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه ما يسمع منه فأذن له فكان عبد الله يسمي صحيفته الصادقة. وكان عالما متعبدا. توفي بالشام سنة 65 هـ وهو ابن 72 سنة.وقد زعم قوم أنه مات بمكة ويقال بالطائف ويقال بمصر.

■ (2) عنبسة بن أبي سفيان، واسمه صخر، بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أبو الوليد، ويقال: أبو عثمان، ويقال: أبو عامر المدني، أخو يزيد بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان وأم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

■ (1) حيي بن هانئ بن ناضر بن يمنع، أبو قبيل المعافري ثم من بني سريع المصري. أدرك مقتل عثمان، وهو باليمن، وقدم مصر زمن معاوية، وغزا روذس (رودس)، وهي من بلاد المغرب مع جنادة بن أبي أمية، والمغرب مع حسان بن النعمان. توفي بالبرلس سنة 128 هـ

☪

أيها الإخوة، لا شك أن الخلافة الراشدة انقلبت إلى طبيعة المُلك بالبدعتين اللتين ابتدعهما معاوية في جعل الأَمر تابعا لقوة العصبية، وجعل الخلافة تراثا ينتقل من المالك إلى ولده أو غيره من عصبته..[هذا ما قاله محمد رشيد رضا]. ومعاوية هو القائل: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به ومن أبيه..الخ [أخرجه البخاري] ولا شك أن في الصحابة من كان أحق بالخلافة من معاوية وآله، لكنهم رضوان الله عليهم جميعا خافوا الفتنة والانشقاق، وكانوا مع البيعة للإمام علي أولاً ثم الاقتصاص من قتلة عثمان فيما بعد، توحيدا لصفوف المسلمين.قال الزهري: لما قتل عثمان: برز علي بالناس، فدعاهم إلى البيعة، فبايعه الناس، ولم يعدلوا به لا طلحة ولا غيره..

ويبدوا أن الاختلاف بين معاوية وعلي خلاف أولويات، إلا أن طائفة من العلماء، ذهبت إلى القول بأن: دوافع معاوية وعمرو لم تكن مجرد شبهة الاقتصاص للخليفة الشهيد، بل خالطتها شهوة الملك وحب الدنيا. وإن كل النصوص تدل على أن معاوية سعى إلى الملك بالفعل وبالقول، وصرح بمطامعه في قيادة الأمة دون لبس. وأن دور معاوية أكبر من مجرد الخروج على الجماعة ومنازعة الأمر أهله. فهو الذي أرسى نظام الملك بديلا عن دولة الخلافة، فسن في الإسلام تلك السنة السيئة، وفتح بها أبوابا من المظالم التي لم تتوقف ومن الدماء التي لم تجف منذ أربعة عشر قرنا، وأخرج بناء السلطة من إطار مبادئ الشرع: كالشورى والبيعة والعدل..إلى منطق القوة وقانون الغاب، وهو أمر لا يزال المسلمون يعيشون مساوئه إلى اليوم. فسواء تأولنا لمعاوية في مواقفه خلال الفتنة أم لم نتأول فإن سلوكه السياسي اللاحق ليس مما يمكن التأويل له، وهو سلوك كان أبعد على الإسلام والمسلمين من الفتنة ذاتها، بل من أي حدث تاريخي خلال أربعة عشرة المنصرمة. فقد كانت الفتنة التي قادها معاوية هدما لأركان الخلافة الراشدة، لكن ما فعله معاوية بعد الفتنة من توريث السلطة لابنه بالترغيب والترهيب كان أسوأ أثرا، لأنه إرساء لبناء جديد منحرف على أنقاض تلك الخلافة، وسد لأبواب استردادها. فليتكلف المتكلفون ما شاءوا في تأويلهم لما حدث أثناء الفتنة لكنهم لن يجدوا ما يتأولونه لما حدث بعد ذلك، إذا كانوا حقا ممن يجعل قدسية المبادئ فوق مكانة الأشخاص.

عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ﴾ وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ أَوْ يَدْعُو لِعَصَبِيَّةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ﴾ (عصبة) أقارب الرجل من جهة الأب سموا بذلك لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم أي يحيطون به ويشتد بهم والمعنى يغضب ويقاتل ويدعو غيره كذلك لا لنصرة الدين والحق بل لمحض التعصب لقومه ولهواه كما يقاتل أهل الجاهلية فإنهم إنما كانوا يقاتلون لمحض العصبية. وفكرة التوريث في حد ذاتها انحرف عن الدين القويم والمنهج المستقيم الذي كانت عليه سيرة الصديق والفاروق رضي الله عنهما، لأن البيعة لا تكون إلا على منهاج النبوة. بل إن من شروط الصلح بين الحسن ومعاوية أن لا يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين. وعن أبي العالية. قال: كنا مع أبي ذر بالشام فقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿أَوَّلُ مَنْ يُغَيِّرُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ﴾ ولعل المراد بالحديث تغيير نظام اختيار الخليفة، وجعله وراثة. قيل لما جاء كتاب معاوية إلى مروان (والي المدينة) بالبيعة ليزيد بن معاوية قال له عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق: يا مروان إنما هي هرقلية كل ما مات هرقل كان هرقل مكانه، ما لأبي بكر لم يستخلفني، وما لعمر لم يستخلف عبد الله!. يقول عمر: ﴿مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَوَلَّى رَجُلًا لِمَوَدَّةٍ أَوْ قَرَابَةٍ بَيْنَهُمَا، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُسْلِمِينَ﴾ وعمر رحمه الله هو القائل: ألا وإنه بلغني أن فلانا قال لو قد مات عمر بايعت فلانا، فمن بايع امرأ من غير مشورة من المسلمين، فإنه لا بيعة له، ولا للذي بايعه، فلا يغترن أحد فيقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، ألا وإنها كانت فلتة، إلا أن الله وقى شرها، وليس منكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، ألا وإنه كان من خيرنا يوم توفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال الحسن: لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه، جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ما ترون، وإني لأظنني إلا المأتي (ميتا لما بي)، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدي، ورد عليكم أمركم، فأمروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمرتم عليكم في حياة مني كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي، فقاموا في ذلك وحلوا عليه، ولم يستقم لهم فقالوا: أرأى لنا يا خليفة رسول الله، قال: فلعلكم تختلفون؟، قالوا: لا، قال: فعليكم عهد الله على الرضي، قالوا: نعم، قال: فأمهلوني أنظر لله ولدينه ولعباده، فأرسل أبو بكر إلى عثمان بن عفان قال: أشر علي برجل، والله إنك عندي لها لأهل وموضع، قال:عمر، فقال:اكتب، وكتب حتى انتهى إلى الاسم فغشي عليه ثم أفاق، فقال: اكتب عمر. وعن الواقدي عن أشياخه: أن أبا بكر لما اشتد به المرض دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال:أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإن، فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان فقال: أخبرني عن عمر، فقال: أنت أخبرنا به، قال: على ذلك يا أبا عبد الله، فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله. فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عدوتك. وشاور معهما سعيد بن زيد، وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، وسمعه بعضهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا على أبي بكر، فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلاف عمر علينا وقد ترى غلظته؟، فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تخوفوني! خاب من تزود من أمركم بظلم أقول:اللهم، استخلفت عليهم خير أهلك، أبلغ عني ما قلت من ورائك، ثم اضطجع. عن أم المؤمنين عائشة قالت: كتب أبي وصيته سطرين:﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَة، عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الدُّنْيَا، حِينَ يُؤْمِنُ الْكَافِرُ، وَيَنْتَهِي الْفَاجِرُ، وَيصدُق الْكَاذِبُ: إِنِّي اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَإِنْ يَعْدِلْ فَذَاكَ ظَنِّي بِهِ، وَرَجَائِي فِيهِ، وَإِنْ يَجُرْ وَيُبَدِّلْ فَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ:وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ [الشعراء]﴾ فلم يزل عمر على الأمر الأول الذي كان عليه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة أبي بكر حتى خرج من الدنيا. والروايات تدل على أن عمر وعليا رضي الله عنهما لم يستخلفا أحدا تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم، عن ابن عمر،قال:﴿حَضَرْتُ أَبِي حِينَ أُصِيبَ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، وَقَالُوا: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَقَالَ: رَاغِبٌ وَرَاهِبٌ، قَالُوا: اسْتَخْلِفْ، فَقَالَ: أَتَحَمَّلُ أَمْرَكُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا، لَوَدِدْتُ أَنَّ حَظِّي مِنْهَا الْكَفَافُ، لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، فَإِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي - يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ- وَإِنْ أَتْرُكْكُمْ فَقَدْ تَرَكَكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حِينَ ذَكَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ﴾ ثم مات عمر رضي الله عنه وترك الأمر شورى بين ستة من الصحابة، يختاروا رجلا منهم. فكان ذلك الرجل عثمان رضي الله عنه، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب] ولما ضرب ابن ملجم عليا رضي الله عنه قال علي: فزت ورب الكعبة. عن شقيق بن سلمة قال:﴿قِيلَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا تَسْتَخْلِفُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: مَا اسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْتَخْلِفَ عَلَيْكُمْ، وَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالنَّاسِ خَيْرًا، فَسَيَجْمَعُهُمْ عَلَى خَيْرِهِمْ كَمَا جَمَعَهُمْ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَيْرِهِمْ﴾.

عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ سَكَتَ﴾ قال حبيب: فلما قام عمر بن عبد العزيز كتبت إليه بهذا الحديث أذكره إياه، وقلت: أرجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الملك العاض والجبرية، فسر به وأعجبه، يعني عمر بن عبد العزيز. وللحديث شاهد عن سفينة مولى أم سلمة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ ثم قال سفينة: امسك عليك خلافة أبي بكر، ثم قال: وخلافة عمر وخلافة عثمان، ثم قال لي: امسك خلافة علي قال: فوجدناها ثلاثين سنة. وعن ابن شوذب قال: كان معاوية يقول أنا أول الملوك وآخر خليفة، قلت: والسنة أن يقال لمعاوية ملك، ولا يقال له خليفة لحديث سفينة.

أما عن معنى الحديث: فالخلافة على منهاج النبوة هي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، كما هو ظاهر الروايات. أما الملك العضوض، فالمراد به التعسف والظلم. قال ابن الأثير في النهاية: ﴿ثُمَّ يَكُونُ مُلْك عَضُوضٌ﴾ أي يصيب الرعية فيه عسْفٌ وظُلْم، كأنَّهم يُعَضُّون فيه عَضًّا. والعَضُوضُ: من أبْنية المُبالغة. وفي رواية وهو جمع عِضٍّ بالكسر، وهو الخَبِيثُ الشَّرِسُ. ومن الأول حديث أبي بكر رضي الله عنه ﴿وسَتَرَون بَعْدي مُلْكا عَضُوضاً﴾ وأما الملك الجبري، فالمراد به الملك بالقهر والجبر. قال ابن الأثير في النهاية: ﴿ثُمَّ يَكُونُ مُلْك وجَبَرُوت﴾ أي عُتُوّ وقَهْر. أما عن تحقق ما في الحديث، فقد تقدم أن من السلف من جعله قد تحقق في جميع مراحله، وأن الخلافة الأخرى التي على منهاج النبوة، هي خلافة عمر بن عبد العزيز. لكن الألباني قال: ومن البعيد عندي جعل الحديث على عمر بن عبد العزيز؛ لأن خلافته كانت قريبة العهد بالخلافة الراشدة، ولم يكن بعد ملكان ملك عاض وملك جبري، والله أعلم.. انتهى

- قلت: يبدوا أننا قد تجاوزنا (منذ بضعة قرون) الملكان العضوض والجبري ونحن الآن في حالة غريبة من الانحطاط (هي امتداد للاستدمار الغربي) يقودها عسكر مجرم كافر مريض النفس والعقل وعائلات غريبة دخيلة هجينة (صنيعة الغرب) أي ما زلنا تحت نير العدو الأول.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مسند أحمد/ سير أعلام النبلاء/ سراج الملوك/ صحيح البخاري/ تفسير الخازن/ البداية والنهاية/ صحيح مسلم/ صحيح ابن حبان/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ صحيح ابن حبان/ تاريخ مدينة دمشق/ السلسلة الصحيحة/ فتاوى الشبكة الإسلامية/ مسند البزار/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وأبي مسلم الخولاني (١) 0204

تذكر كتب التاريخ موقف أبي مسلم الخولاني[1] رحمه الله ،من الخليفة معاوية [2]عندما حبس العطاء شهرين أو ثلاثة عن بعض المسلمين. فقام إليه أبو مسلم وقال: يا معاوية، إنه ليس من كدك ولا كد أبيك ولا من كد أمك. فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال للحاضرين: مكانكم، وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل. فقال: إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني، وإني سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم يقول:﴿الْغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالشَّيْطَانُ مِنَ النَّارِ وَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ﴾ وإني دخلت فاغتسلت، وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدي ولا من كد أبي، هلموا إلى عطائكم.

عن شرحبيل بن مسلم[3] قال: أن الأسود العنسي[4] تنبأ باليمن، فبعث إلى أبي مسلم، فأتاه بنار عظيمة، ثم ألقى أبا مسلم فيها، فلم تضره، فقيل للأسود: إن تنف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك، فأمره بالرحيل، فقدم المدينة وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأناخ راحلته ودخل المسجد يصلي، فبصر به عمر، فقام إليه فقال: ممن الرجل؟ قال: من اليمن، فقال: ما فعل الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبد الله بن ثوب، قال: فنشدتك بالله أنت هو؟ قال: اللهم نعم، فاعتنقه عمر وبكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين الصديق وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من صنع به كما صنع بإبراهيم الخليل.

عن شرحبيل بن مسلم الخولاني أنه كان إذا دخل الروم لا يزال في المقدمة، حتى يؤذن للناس، فإذا أذن لهم كان في الساقة، وكانت الولاة يتيمنون به، فيؤمرونه على المقدمات. قال عطية بن قيس:[5]دخل أناس من أهل دمشق على أبي مسلم وهو غاز في أرض الروم، وقد احتفر جورة في فسطاطه*،وجعل فيها نطعا، وأفرغ فيه الماء، وهو يتصلق فيه*، قالوا: ما حملك على الصيام وأنت مسافر؟ قال: لو حضر قتال لأفطرت ولتهيأت له وتقويت، إن الخيل لا تجري الغايات* وهي بدن، إنما تجري وهي ضمر، ألا وإن أمامنا باقية جائية*،لها نعمل.

----

*(الفسطاط) البيت من الشعر (تصلق) تقلب وتلوى على جنبيه (الغايات) النهايات. (جورة) حفرة . جاء في كتاب تاريخ الإسلام: (ألا وإن أيامنا باقية جائية، لها نعمل). وفي كتاب الحلية: (بين أيدينا أياما لها نعمل)

■ (1) أبو مسلم الخولا ني الداراني الزاهد، سيد التابعين بالشام. و اسمه: عبد الله بن ثوب، وقد أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة في خلافة أبي بكر. قال سعيد بن عبد العزيز: توفي أبو مسلم بأرض الروم، وكان قد شتى مع بسر بن أبي أرطأة، فأدركه أجله، فأتاه بسر في مرضه، فقال له أبو مسلم: اعقد لي على من مات في هذه الغزاة من المسلمين، فإني أرجو أن آتي بهم يوم القيامة على لوائهم. قال المفضل بن غسان: توفي علقمة وأبو مسلم الخولاني سنة 62 هـ.

■ (3) شرحبيل بن مسلم الخولاني الشامي. روى عن عتبة بن عبد، والمقدام بن معدي كرب، وأبي أمامة الباهلي، وجماعة. وروى عنه: ثور بن يزيد، وحريز بن عثمان، وإسماعيل بن عياش. [الوفاة: 121 – 130 هـ]

■ (5) عطية بن قيس الكلابي مولى لابي بكر بن كلاب، أبويحيى. الإمام، القانت، مقرئ دمشق مع ابن عامر، أبو يحيى الكلبي، الدمشقي، المذبوح. ولد سنة 7 هـ، وتوفي سنة 110 هـ. وقيل سنة 121 هـ. وهو بن مائة سنة وأربع سنين.

■ (2) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام، وهم أربعة عشر ملكا ومدة حكمهم نيف وتسعون سنة ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر وقيل بسبع وقيل بثلاث عشرة وتوفي بدمشق سنة 60 هـ.

■ (4) عبهلة بن كعب بن غوث العنسي المذحجي المعروف بالأسود وبذي الخمار وهو مدعي للنبوة، قتله فيروز أبو الضحاك الديلمي سنة 11 هـ.

☪

روى أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له:﴿يَا مُحَمَّدُ املأ لِي هَذِهِ تَمراً وَسَوِيْقاً فإنك لَسْت تُعْطِي مِنْ مَالِكَ وَلاَ مِن مَالِ أَبِيكَ. فَقَالَ لهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعِدْ عَلَيَّ مَا قُلْتَ، فَأَعَادَ كَلاَمَه. فَقَالَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقْتَ امْلَئُوا لهُ تَمراً وَسَوِيْقاً لَسْتُ أُعْطِيَ مِنْ مَالِي، إِنَّمَا هُوَ مِن مَالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ (السويق) طعام يتخذ من مدقوق الحنطة -القمح- والشعير. وعن سعيد بن المسيب، قال: قسم عمر رضي الله عنه يوما مالا، فجعلوا يثنون عليه، فقال: ما أحمقكم، لو كان هذا لي ما أعطيتكم منه درهما واحدا. ومن حقوق الرعية التي أوجبها عمر رضي الله عنه على ولاته عدم الاستئثار عليهم في مآكلهم ومشاربهم وسائر أحوالهم وأن لا يمنعوهم ولا يحرموهم شيئاً يستمتعون به. وعن أبي عثمان، قال:﴿لَمَّا قَدِمَ عُتْبَةُ أَذْرَبِيجَانَ بِالْخَبِيصِ-وهو نوع جيد من الحلوى- فَذَاقَهُ فَوَجَدَهُ حُلْوًا، فَقَالَ: لَوْ صَنَعْتُمْ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذَا، قَالَ: فَجَعَلَ لَهُ سَفَطَيْنِ عَظِيمَيْنِ، ثُمَّ حَمَلَهُمَا عَلَى بَعِيرٍ مَعَ رَجُلَيْنِ فَبَعَثَ بِهِمَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمَا عَلَى عُمَرَ، قَالَ: أَيَّ شَيْءٍ هَذَا، قَالَ: هَذَا خَبِيصٌ فَذَاقَهُ فَإِذَا هُوَ حُلْوٌ، فَقَالَ: أَكُلَّ الْمُسْلِمِينَ يُشْبِعُ مَنْ هَذَا فِي رَحْلِهِ ؟ قَالُوا: لاَ قَالَ: فَرُدَّهُمَا، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ، وَلاَ مِنْ كَدِّ أَبِيكَ، وَلاَ مِنْ كَدِّ أُمِّكَ أَشْبِعَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ﴾ وعن أبي عثمان، قال: ﴿كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ: يَا عُتْبَةُ بْنَ فَرْقَدٍ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أَبِيكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أُمِّكَ، فَأَشْبِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَلَبُوسَ الْحَرِيرَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ لَبُوسِ الْحَرِيرِ، قَالَ: إِلَّا هَكَذَا، وَرَفَعَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةَ وَضَمَّهُمَا، قَالَ زُهَيْرٌ: قَالَ عَاصِمٌ: هَذَا فِي الْكِتَابِ، قَالَ: وَرَفَعَ زُهَيْرٌ إِصْبَعَيْهِ﴾ وعن أبي عثمان النهدي قال: كنت مع عتبة بن فرقد حين افتتح أذربيجان، فصنع سفطين من خبيص ألبسهما الجلود واللبود، ثم بعث بهما إلى عمر مع سحيم مولى عتبة، فلما قدم عليه قال: ما الذي جئت به أذهب أم ورق؟ وأمر به فكشف عنه فذاق الخبيص فقال: إن هذا لطيب لين، أفكل المهاجرين أكل منه شبعه؟ قال: لا، انما هو شيء خصك به، فكتب إليه: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عتبة بن فرقد، أما بعد فليس من كدك، ولا كد أمك، ولا كد أبيك، لا تأكل إلا ما شبع به المسلمون في رحالهم. وروى بعضهم هذا الحديث وزاد فيه: ورد الخبيص على عتبة.

وعن أبي عثمان أن عتبة بن فرقد قدم على عمر، فدعا عمر بشفرة ليقطع بها كمه، وكان عليه قميص سنبلاني في كمه طول، فقال: دعه يا أمير المؤمنين فأنا أقطعه فأني أستحيي من الناس فقطعه.وعن خولة بنت ثامر الأنصارية، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِّ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (رجالا) أي من العمال وغيرهم (يتخوضون) يشرعون ويدخلون ويتصرفون (مال الله) أي ما في بيت المال (بغير حق) أي بغير إذن من الإمام، فيأخذون منه أكثر من أجرة عملهم، وعن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ، فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ﴾ (استعملناه) أي جعلناه عاملا (على عمل) أي من أعمال الولاية والإمارة (فرزقناه) أي فأعطيناه (رزقا) أي مقدارا معينا (فما أخذ بعد ذلك) جزاء الشرط، (فهو غلول) أي خيانة في الغنيمة وفى مال الفيء. وعن أبي حميد الساعدي قال:﴿اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ الْأَزْدِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ يُدْعَى ابْنَ الْأُتْبِيَّةِ فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ قَالَ هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا ثُمَّ خَطَبَنَا فَحَمِدَ اللهَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللهُّ فَيَأْتِي فَيَقُولُ هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا وَاللهَّ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللهَّ تَعَالَى يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَّ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةً تَيْعَرُ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ بَصُرَ عَيْنِي وَسَمِعَ أُذُنِي﴾ وعن معاذ، قال:﴿بَعَثَنِي رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ، فَلَمَّا سِرْتُ، أَرْسَلَ فِي أَثَرِي، فَرُدِدْتُ. فَقَالَ: أَتَدْرِي لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ؟ لَا تُصِيبَنَّ شَيْئًا بِغَيْرِ إِذْنِي، فَإِنَّهُ غُلُولٌ: وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [آل عمران]. لِهَذَا دَعَوْتُكَ فَامْضِ لِعَمَلِكَ﴾ (لا تصيبن) أي لا تأخذن (شيئا بغير إذني فإنه) أي ذلك الأخذ (غلول) أي خيانة. قال الطيبي: أراد بها غل الحديث: عن أبي هريرة ، قال:﴿قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ﴾(لا ألفين) أي لا أجدن أحدكم على هذه الصفة ومعناه لا تعملوا عملا أجدكم بسببه على هذه الصفة (رغاء) الرغاء صوت البعير (حمحمة) صوت الفرس دون الصهيل (ثغاء) صوت الشاة (صياح) صوت الإنسان (رقاع) جمع رقعة والمراد بها هنا الثياب (تخفق) تضطرب (صامت) الصامت من المال الذهب والفضة، والمعنى إن كل شيء يغله الغال يجيء يوم القيامة حاملا له ليفتضح به على رؤوس الأشهاد سواء كان هذا المغلول حيوانا أو إنسانا أو ثيابا أو ذهبا وفضة وهذا تفسير وبيان لقوله تعالى:﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران] وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ شَفَعَ لِأَحَدٍ شَفَاعَةً، فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا، فَقَبِلَهَا؛ فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا﴾ (فقد أتى) أي القابل (بابا) أي نوعا. وعن المستورد بن شداد، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ كَانَ لَنَا عَامِلًا فَلْيَكْتَسِبْ زَوْجَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَكْتَسِبْ خَادِمًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسْكَنٌ فَلْيَكْتَسِبْ مَسْكَنًا -وفي رواية-: مَنِ اتَّخَذَ غَيْرَ ذَلِكَ فَهُوَ غَالٌّ﴾ قال المظهر: أي يحل له أن يأخذ مما في تصرفه في مال بيت المال قدر مهر زوجة ونفقتها وكسوتها، وكذلك ما لابد منه من غير إسراف وتنعم، فإن أخذ أكثر ما يحتاج إليه ضرورة فهو حرام عليه. قال الطيبي: وإنما وضع الاكتساب موضع العمالة والأجرة حسما لطمعه. عن عبد الله بن عباس أنه قال: ﴿مَا ظَهَرَ الْغُلُولُ*فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا أُلْقِيَ فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْبُ وَلَا فَشَا الزِّنَا فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا كَثُرَ فِيهِمْ الْمَوْتُ وَلَا نَقَصَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا قُطِعَ عَنْهُمْ الرِّزْقُ وَلَا حَكَمَ قَوْمٌ بِغَيْرِ الْحَقِّ إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الدَّمُ* وَلَا خَتَرَ* قَوْمٌ بِالْعَهْدِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُّ عَلَيْهِمْ الْعَدُوَّ﴾وعن عدي بن عميرة الكندي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عُمِّلَ مِنْكُمْ لَنَا عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِنْهُ مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ فَهُوَ غَالٌّ، يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ. قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ سَمِعْتُكَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا قَالَ: وَأَنَا أَقُولُ ذَلِكَ، مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ؛ فَلْيَأْتِ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَهُ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى﴾ (من عمل) أي جعل عاملا (منكم لنا على عمل فكتمنا منه) أي دس عنا من حاصل عمله (مخيطا) أي إبرة (فما فوقه) أي في القلة، أو الكثرة إلى الصغر، أو الكبر(غال) أي خائن (يأتي به) أي بالمخيط فما فوقه، أو بما غل به (يوم القيامة) أي على عنقه تفضيحا وتشهيرا له بين العباد على رؤوس الأشهاد (فقام رجل من الأنصار) خوفا على نفسه من الهلاك والبوار (اقبل عني عملك) أي أقلني منه (قال: وما ذاك؟) إشارة إلى ما في الذهن: ما حملك على هذا القول؟ (قال: سمعتك تقول كذا وكذا) أي في الوعيد على العمل وهو لا يخلو عن الزلل (قال: وأنا أقول ذلك) يعني أنا أقول ذلك ولا أرجع عنه، فمن استطاع أن يعمل فليعمل، ومن لم يستطع فليترك. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ذكر غنائم هوازن وقال:﴿ثُمَّ دَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعِيرٍ فَأَخَذَ وَبَرَةً مِنْ سَنَامِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ لِي مِنْ هَذَا الْفَيْءِ شَيْءٌ وَلَا هَذَا وَرَفَعَ أُصْبُعَيْهِ: إِلَّا الْخُمُسُ وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، فَأَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمِخيطَ، فَقَامَ رَجُلٌ فِي يَدِهِ كُبَّةٌ مِنْ شَعَرٍ فَقَالَ: أَخَذْت هَذِهِ لِأُصْلِحَ بِهَا بُرْدَةً، فَقَالَ سُولِ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَك فَقَالَ: أَمَّا إِذْ بَلَغَتْ مَا أَرَى فَلَا أَرَبَ لِي فِيهَا، وَنَبَذَهَا﴾.

----

*(الغلول) بالضم وهو السرقة من الغنيمة قبل القسمة (فشا فيهم الدم) أي ظهر فيهم القتال وسيل الدماء (ختر) أي غدر وخالف العهد

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ سراج الملوك/ مسند أحمد/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ صحيح مسلم/ سنن أبي داود/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ سير أعلام النبلاء/ أنساب الأشراف/

عن أبي عبد الله الحرسي [1]،وكان من حرس عمر بن عبد العزيز [2]، قال: دخل أبو مسلم الخولاني[3]على معاوية بن أبي سفيان[4]،فقال: السلام عليك أيها الأجير. فقال الناس: مه، الأمير يا أبا مسلم. ثم قال: السلام عليك أيها الأجير. فقال الناس: الأمير. فقال معاوية: دعوا أبا مسلم فهو أعلم بما يقول. فقال أبو مسلم: إنما مثلك مثل رجل استأجر أجيرا فولاه ماشيته وجعل له الأجر على أن يحسن الرعية، ويوفر جزازها وألبانها، فإن هو أحسن رعيتها ووفر جزازها حتى تلحق الصغيرة وتسمن العجفاء أعطاه أجره وزاده زيادة، وإن هو لم يحسن رعيتها وأضاعها حتى تهلك العجفاء وتعجف السمينة ولم يوفر جزازها وألبانها غضب عليه فعاقبه ولم يعطه الأجر. فقال معاوية: ما شاء الله كان. قال هشام بن الغاز، حدثني يونس بن الهرم، أن أبا مسلم الخولاني قام إلى معاوية وهو على المنبر، فقال: يا معاوية، إنما أنت قبر من القبور، إن جئت بشيء كان لك شيء، وإلا فلا شيء لك، يا معاوية، لا تحسب أن الخلافة جمع المال وتفرقته، إنما الخلافة القول بالحق، والعمل بالمعدلة، وأخذ الناس في ذات الله، يا معاوية، إنا لا نبالي بكدر الأنهار إذا صفا لنا رأس عيننا، إياك أن تميل على قبيلة، فيذهب حيفك بعدلك، ثم جلس. فقال له معاوية: يرحمك الله يا أبا مسلم. وعن أبي إدريس الخولاني، قال: دخل معاوية على أبي مسلم الخولاني يعوده، فلم يعرفه فقال: يا أبا مسلم، أما تعرفني؟ أتجهلني؟ سل يا أبا مسلم أمير المؤمنين؟ قال: فقال له: اعلم أنك لو وليت أمر الأمة فعدلت، إلا على قبيلة هي أذلها وأحقرها، مال حيفك بعدلك، فاستقم كما أمرت.

عن أبي قلابة [5]،عن أبي مسلم الخولاني، قال: مثل الإمام كمثل عين عظيمة صافية طيبة الماء يجري منها إلى نهر عظيم فيخوض الناس النهر فيكدرونه ويعود عليهم صفو العين فإن كان الكدر من قبل العين فسد النهر قال: ومثل الإمام ومثل الناس كمثل فسطاط لا يستقل إلا بعمود لا يقوم العمود إلا بالأطناب أو قال بالأوتاد فكلما نزع وتدا زاد العمود وهنا لا يصلح الناس إلا بالإمام ولا يصلح الإمام إلا بالناس.

عن عوانة وابن جعدبة قالا: قال معاوية لابن عباس: إن عثمان أصاب من هذه الدنيا وأصابت منه، وإنها قد مالت بي وملت بها، فما ترى يا أبا عباس؟ فقال: إن الدنيا قد أمكنتك فهي في يدك ولك درها، وإن الآخرة ممكنة لك إن أردتها، ولما نقصك من دنياك وزادك في آخرتك خير لك مما نقصك من آخرتك وزادك في دنياك. وكان معاوية يقول عن نفسه فيما رواه خيثمة عن هارون بن معروف عن ضمرة عن ابن شوذب: أنا أول الملوك وآخر خليفة.

عن الزهري قال: سلم عثمان بن حنيف[7]على معاوية رحمه الله فقال: السلام عليك أيها الأمير وعنده رهط من أهل الشام فقالوا : من هذا المنافق الذي قصر في تحية أمير المؤمنين؟ فقال عثمان لمعاوية: إن هؤلاء قد عابوا علي شيئا أنت أعلم به أما إني قد حييت بها أبا بكر و عمر و عثمان رحمهم الله، فقال معاوية: إني لأخاله قد كان بعض الذي يقول ولكن أهل الشام حين وقعت الفتنة قالوا: والله لنعرفن ديننا ولا نقصر تحية خليفتنا وإني لأخالكم يا أهل المدينة تقولون لعامل الصدقة أمير.

قيل: لما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه سعد بن أبي وقاص [8]،فقال: السلام عليك أيها الملك! فضحك معاوية وقال: ما كان عليك يا أبا إسحاق لو قلت: يا أمير المؤمنين؟ فقال: أتقولها جذلان ضاحكا؟ والله ما أحب أني وليتها بما وليتها به!

وحدث محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فقال: دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية فقال: السلام عليك أيها الملك، فقال معاوية: فهلا غير ذلك، أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فقال سعد: نعم، إن كنا أمرناك، فقال معاوية: لا يبلغني أن أحدا يقول: إن سعدا ليس من قريش إلا فعلت به وفعلت. فقال محمد بن علي: لعمري إن سعدا لموسط من قريش، ثابت النسب.

عن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبيه عن جده المسور[9]قال: دخلت على معاوية فقلت: السلام عليك أيها الملك، فقال: قد علمت أحسن ما قلت فكيف طعنك على الأمراء؟ فلم أدع شيئا إلا بكته* به، فقال: يا مسور إنا غير متبرئين من الذنوب*ونرجو رحمة الله ؛ إني لعلى شريعة يقين يقبل الله معها الحسنى ويتجاوز عن السوآى، ولو خيرت بين الله وما سواه لاخترته، ثم قضى حوائجه.

----

*(بكته) بكت: الغلبة بالحجة، يقال: بكته، وبكته، حتى أسكته. وفي الأساس: ألزمه بالسكت، لعجزه عن الجواب عنه. وبكته تبكيتا إذا قرعه بالعذل تقريعا.(غير متبرئين من الذنوب) عن شداد بن أوس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ﴾

■ (3) أبو مسلم الخولا ني الداراني الزاهد، سيد التابعين بالشام. و اسمه: عبد الله بن ثوب، وقد أسلم في حياة النبي، وقدم المدينة في خلافة أبي بكر.قال سعيد بن عبد العزيز: توفي أبو مسلم بأرض الروم، وكان قد شتى مع بسر بن أبي أرطأة، فأدركه أجله، فأتاه بسر في مرضه، فقال له أبو مسلم: اعقد لي على من مات في هذه الغزاة من المسلمين، فإني أرجو أن آتي بهم يوم القيامة على لوائهم. قال المفضل بن غسان: توفي علقمة وأبو مسلم الخولاني سنة 62 هـ.

■ (8) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري المديني، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ.

■ (9) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، كنيته أبو عبد الرحمن. ولده بمكة سنة 2 هـ وقدم به المدينة سنة 8 هـ عام الفتح. كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم أدرك النبي وهو صغير وسمع منه وحج معه، وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف ليالي الشورى حفظ عنه أشياء روى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة شهد فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد وهو الذي حرض عثمان على غزوها ثم كان مع ابن الزبير فأصابه حجر من حجارة المنجنيق في الحصار بمكة فقتل سنة 74 هـ

■ (2) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (5) أبو قلابة، عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي الأزدي، البصري، من عباد التابعين وزهادهم، ثقة فاضل كثير الإرسال، أسند أبو قلابة عن أنس وغيره من الصحابة. ومات بالشام هاربا من القضاء سنة 104هـ وقيل: بعدها. في ولاية يزيد بن عبد الملك.

■ (7) عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري . يكنى: أبا عبد الله. شهد مع النبي المشاهد كلها بعد بدر، ولاه عمر خراج سواد العراق، ثم ولاه علي على البصرة قبل أن يقدم عليها فغلبه عليها طلحة والزبير فكانت القصة المشهورة في وقعة الجمل، ومات في خلافة معاوية.

■ (4) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام، وهم أربعة عشر ملكا ومدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (1) محمد بن موسى بن نفيع الحرشي البصري، أبو عبد الله. روى عنه طائفة. توفي سنة 248هـ.

☪

قالت العلماء: أول من نهى الناس عن الكلام بحضرة الخلفاء عبد الملك بن مروان، وكان الناس قبله يراجعون الخليفة فيما يقول، ويعترضون عليه فيما يفعل، وأكثروا من ذلك على عثمان، ثم على معاوية، وكان يجري في مجلسه من المنازعات والخصومات ما يجل وصفه، وكان يحتمل ذلك تحلما وإبقاء على ملكه، فلما صار الأمر إلى عبد الملك، أخذ الناس مأخذ ملوك الأعاجم، فنهاهم عن الكلام بحضرته، والمنازعة في مجلسه،وتوعدهم على مخالفة رسمه في ذلك، وكان يقول:لست بالخليفة المستضعف يعني عثمان،ولا الخليفة المداهن يعني معاوية،ولا الخليفة المأفون*يعني يزيد.وأشرف عبد الملك على أصحابه وهم يذكرون سيرة عمر فغاظه ذلك فقال: أيها عن ذكر عمر فإنه إزراء على الولاة –أو مرارة للأمراء– مفسدة للرعية

قال بكر بن عبد الله المزني: أسلم يهودي اسمه يوسف وكان قرأ الكتب فمر بدار مروان فقال: ويل لأمة محمد من أهل هذه الدار فقلت له: إلى متى؟ قال: حتى تجيء رايات سود من قبل خراسان.وكان صديقا لعبد الملك بن مروان فضرب يوما على منكبه وقال: اتق الله في أمة محمد إذا ملكتهم فقال: دعني ويحك ما شأني و شأن ذلك؟فقال: اتق الله في أمرهم قال: وجهز يزيد جيشا إلى أهل مكة فقال عبد الملك:أعوذ بالله أيبعث إلى حرم الله؟ فضرب يوسف منكبه وقال:جيشك إليهم أعظم

عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَا مِنْ نَبِيٍ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ﴾ وعن هشام، عن الحسن قال:﴿أَتَيْنَا مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ نَعُودُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ وعنه قال:﴿مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ﴾ (لو علمت أن لي حياة ما حدثتك) وفي رواية أخرى(لولا أني في الموت لم أحدثك به)، يحتمل أنه كان يخافه على نفسه قبل هذا الحال ورأى وجوب تبليغ العلم عنده قبل موته لئلا يكون مضيعا له وقد أمرنا كلنا بالتبليغ (يسترعيه رعية) يستحفظه عليها (لم يحطها) لم يتعهد أمرها ويحفظها (لم يجد رائحة الجنة) لم يشم رائحتها وهو كناية عن عدم دخولها إن استحل ذلك أو تأخر دخوله إن اعتقد حرمة فعله (غاش لهم) لم يقم فيهم بالعدل ولم يأخذهم بشرع الله عز وجل وأمره ونهيه (حرم. .) أنفذ عليه الوعيد ولم يرض عنه المظلومين. قال ابن بطال هذا وعيد شديد على أئمة الجور فمن ضيع من استرعاه الله أو خانهم أو ظلمهم فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة. وعن جابر بن عبد الله قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلي ثم سرت إليه شهرا حتى قدمت الشام فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري فأتيت منزله فأرسلت إليه أن جابرا على الباب فرجع إلي الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم فرجع إليه فخرج فاعتنقته واعتنقني قال: قلت: ما حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعه قال:﴿سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهَّ صَلَّى اللَّهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يَحْشُرُ اللَّهُّ الْعِبَادَ- أَوْ قَالَ النَّاسَ، شَكَّ هَمَّامٌ [1]،وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ- عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا. قُلْنَا: مَا بُهْمٌ؟ قَالَ: لَيْسَ معهم شي فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ وَمَنْ بَعُدَ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ حَتَّى اللَّطْمَةِ. قَالَ قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَّ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا؟. قَالَ: بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ وعن أبي أمامة قال:﴿يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ بَيْنَ الظُّلْمَاءِ وَالْوُعْرَةِ، لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ، وَعَرَّفَهُ، وَعَرَّفَ مَا ظَلَمَهُ بِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الَّذِينَ ظُلِمُوا بِالَّذِينَ ظَلَمُوا حَتَّى يَنْتَزِعُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا حَسَنَاتِهِمْ رُدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مِثْلُ مَا ظَلَمُوا حَتَّى يُورَدُوا فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يَسْتَرْعِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدًا رَعِيَّةً، قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ، إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَقَامَ فِيهِمْ أَمْرَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمْ أَضَاعَهُ؟ حَتَّى يَسْأَلَهُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ خَاصَّةً﴾.

☪

لقي كعب أبا مسلم الخولاني فقال: كيف كرامتك على قومك؟ قال: إني عليهم لكريم. قال: إني أجد في التوارة غير ما تقول. قال: فصدقت التوراة، وكذب أبو مسلم. قال: فما وجدت في التوراة؟ قال: وجدت في التوراة أنه لم يكن حكيم من قوم إلا كان أزهدهم فيه قومه ثم الأقرب فالأقرب، فإذا كان في حسبه شيء عيروه به، وإن كان عمل برهة من دهره ذنبا عيروه به، فقالوا: فلان يعيرنا وابن فلان يعيرنا. وفي رواية: إذا، ما كان رجل حكيم في قوم إلا بغوا عليه وحسدوه.

رأى كعب أبا مسلم الخولاني فقال: من هذا؟ قالوا: أبو مسلم. فقال: هذا حكيم هذه الأمة.كان أبو مسلم الخولاني يعلق سوطه في مسجده، فإذا غلبه النوم مشق ساقيه، ويقول: أنت أحق بالضرب من البهائم، فإذا غلبه النوم. قال: منك لا مني.

----

* (همام) هو همام بن يحيى، أحد رجال سند هذا الحديث (مأفون) الضعيف، رجل مأفون، وأفين، اي ناقص العقل وفي رواية: المأبون: رجل مأبون: مقروف بخلة من السوء، المتهم، الدعبوث، المخنث

مراجع: صحيح مسلم/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ صحيح البخاري/ مسند أحمد/ هل يعتبر الفراعنة بمصرع من سبقهم؟/ كنز العمال/ العقد الفريد/ تفسير القرطبي/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ مسند الطيالسي/ تاج العروس/ تهذيب اللغة/ تاريخ الخلفاء/

عن أبي مسلم الخولاني:[1] أنه مر به رجال من أهل المدينة قدموا منها، وهو عند معاوية بدمشق، فلقيهم أبو مسلم فقال لهم: هل مررتم بإخوانكم من أهل الحجر*؟ فقالوا: نعم، فقال: كيف رأيتم صنيع الله عز وجل بهم؟ قالوا: بذنوبهم، قال: فإني أشهدكم أنكم عند الله مثلهم. فدخلوا على معاوية فقالوا: ما لقينا من هذا الشيخ الذي خرج من عندك؟! فبعث إليه فجاءه فقال له: يا أبا مسلم، مالك ولبني أخيك؟ قال: قلت لهم: مررتم على أهل الحجر؟ قالوا: نعم، قلت: كيف رأيتم صنيع الله بهم؟ قال: صنع الله ذلك بهم بذنوبهم، فقلت: أشهد أنكم عند الله مثلهم. فقال: وكيف يا أبا مسلم؟ قال: قتلوا ناقة الله، وقتلتم خليفة الله، وأشهد على ربي لخليفته أكرم عليه من ناقته.

قيل: جاء أبو مسلم الخولاني وأناس معه إلى معاوية فقالوا له: أنت تنازع عليا أم أنت مثله؟ فقال معاوية: لا والله إني لأعلم أن عليا أفضل مني، وإنه لأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما وأنا ابن عمه؟ وإنما أطلب بدم عثمان، فأتوه فقولوا له فليدفع إلي قتلة عثمان، وأسلم له. فأتوا عليا فكلموه بذلك، فلم يدفعهم إليهم.

وعن عبد الله بن أبي سفيان أن عليا قال –وهو الصادق البار-: إن بني أمية يقاتلوني يزعمون أني قتلت عثمان، فكذبوا، إنما يلتمس الملك، فلو أعلم أن ما يذهب ما في قلوبهم أن أحلف لهم عند المقام: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله، لفعلت، ولكن إنما يريدون الملك، وإني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر] وعن سعيد بن المسيب قال: شهدت عليا وعثمان كان بينهما نزغ من الشيطان، وما يبقي واحد منهما لصاحبه شيئا، فلو شئت أن أقص عليكم ما كان بينهما لفعلت، ثم لم يبرحا حتى استغفر كل واحد منهما لصاحبه.

وعن مروان بن الحكم[2] أنه قال:ما كان أحد أدفع عن عثمان من علي؟ قيل له:فما بالكم تسبونه على المنابر؟ قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك.

وعن ابن أبي الزناد قال: نظر علي إلى ولد عثمان كأنهم مستوحشون فسألهم فقالوا: نرمى بالليل. فقال: من أين يأتيكم الرمي؟ قالوا: من ههنا. فصعد علي ولف رأسه ثم جعل يرمي وقال: إذا عاد فافعلوا مثل هذا. فانقطع الرمي.

* (أهل الحجر) هم قوم صالح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر] والحِجْر: اسم ديار ثمود عند وادي القرى بين المدينة والشام

■ (1) أبو مسلم الخولا ني الداراني الزاهد، سيد التابعين بالشام. و اسمه: عبد الله بن ثوب، وقد أسلم في حياة النبي، وقدم المدينة في خلافة أبي بكر.قال سعيد بن عبد العزيز: توفي أبو مسلم بأرض الروم، وكان قد شتى مع بسر بن أبي أرطأة، فأدركه أجله، فأتاه بسر في مرضه، فقال له أبو مسلم: اعقد لي على من مات في هذه الغزاة من المسلمين، فإني أرجو أن آتي بهم يوم القيامة على لوائهم. قال المفضل بن غسان: توفي علقمة وأبو مسلم الخولاني سنة 62 هـ.

■ (2) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.. قيل نظر إليه علي بن أبي طالب يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك. ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ.

☪

قال علي الصلابي: اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتص من أحد ويأخذ حقه دون السلطان، أو من نصبه السلطان لهذا الأمر، لأن ذلك يفضي إلى الفتنة وإشاعة الفوضى.ويمكن القول: إن معاوية كان مجتهدا، متأولا يغلب ظنه أن الحق معه، فقد قام خطيبا في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكرهم أنه ولي عثمان ـ ابن عمه ـ وقد قتل مظلوما، وقرأ عليهم الآية الكريمة:﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء] ثم قال: أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفنى الله أرواحهم. وإذا قارنا بين طلحة والزبير، ومعاوية لاحظنا أنهما أقرب إلى الصواب من معاوية ومن معه من أربعة أوجه كان أولها: مبايعتهما لعلي طائعين مع اعترافهما بفضله، ومعاوية لم يبايعه وإن كان معترفا بفضله. والثاني: منزلتهما في الإسلام وعند المسلمين وسابقتهما على معاوية ولا شك أن معاوية دونهما فيها. الثالث: أنهما أرادا قتل الخوارج على عثمان فقط ولم يتعمدا محاربة علي ومن معه في وقعة الجمل، بينما أصر معاوية على حرب علي ومن معه في صفين، والرابع: لم يتهما عليا بالهوادة في أخذ القصاص من قتلة عثمان، ومعاوية ومن معه اتهموه بذلك. ونضيف نقطة خامسة: أن طلحة والزبير اقتنعا بصواب موقف علي ودخلا في الطاعة عندما اتفقا مع القعقاع بن عمرو وإنما الحرب بإثارة الغوغاء والسبائية لها.

قال ابن عبد البر النمري: ومن حديث صالح بن كيسان عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق والشعبي وابن أبي ليلى وغيرهم أن عليا رضي الله عنه قال في خطبته حين نهوضه إلى الجمل: إن الله عز و جل فرض الجهاد وجعله نصرته وناصره وما صلحت دنيا ولا دين إلا به وإني منيت بأربعة: أدهى الناس وأسخاهم طلحة، وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس في الناس عائشة، وأسرع الناس فتنة يعلى بن منبه، والله ما أنكروا علي منكرا، ولا استأثرت بمال، ولا ملت بهوى، وإنهم ليطلبون حقا تركوه، ودما سفكوه. ولقد ولوه دوني، ولو أني كنت شريكهم فيما كان لما أنكروه، وما تبعة دم عثمان إلا عليهم، وإنهم لهم الفئة الباغية، بايعوني ونكثوا بيعتي، وما استأنوا بي حتى يعرفوا جوري من عدلي، وإني لراض بحجة الله عليهم، وعلمه فيهم، وإني مع هذا لداعيهم ومعذر إليهم، فإن قبلوا فالتوبة مقبولة، والحق أولى مما أفضوا إليه. وإن أبوا أعطيتهم حد السيف، وكفى به شافيا من باطل وناصرا، والله، إن طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أني على الحق وأنهم مبطلون.

☪

عن كثير بن مروان الفلسطيني[1] قال: سألت جعفر بن برقان[2] عما اختلف الناس فيه من أمر عثمان وعلي وطلحة والزبير ومعاوية، وعن قول العامة في ذلك، فقال جعفر بن برقان، قال ميمون بن مهران:[3] قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم أبا بكر رضي الله عنه وساق الحديث إلى قتل عثمان. قال كثير بن مروان: فقلت لجعفر بن برقان: فما الذي نقموا على عثمان؟ قال جعفر: قال ميمون: إن أناسا أنكروا على عثمان، وجاؤوا بما هو أنكر منه، أنكروا عليه أمرا هم فيه كذبة، وإنهم عاتبوه، فكان فيما عاتبوه أنه ولى رجالاً من أهل بيته، فأعتبهم وأرضاهم، وعزل من كرهوا واستعمل من أرادوا، ثم إن فساقا من أهل مصر، وسفهاء من أهل المدينة دعاهم أشقاهم إلى قتل عثمان، فدخلوا عليه منزله، وهو جالس يتلو فيه كتاب الله، ومعهم السلاح فقتلوه صابرا محتسبا، رحمه الله. وإن الناس افترقوا عن قتله أربع فرق، ثم فصل منهم صنف آخر، فصاروا خمسة أصناف: شيعة عثمان، وشيعة علي، والمرجئة، ومن لزم الجماعة، ثم خرجت الخوارج بعد، حيث حكم علي الحكمين، فصاروا خمسة أصناف. فأما شيعة عثمان فأهل الشام وأهل البصرة، قال أهل البصرة: ليس أحد أولى بطلب دم عثمان من طلحة والزبير لأنهما من أهل الشورى، وقال أهل الشام: ليس أحد أولى بطلب دم عثمان من أسرة عثمان وقرابته، ولا أقوى على ذلك يعنون من معاوية، وإنهم جميعا برئوا من علي وشيعته. وأما شيعة علي فهم أهل الكوفة. وأما المرجئة فهم الشكاك الذين شكوا، وكانوا في المغازي، فلما قدموا المدينة بعد قتل عثمان، وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحد ليس فيهم اختلاف، فقالوا: تركناكم وأمركم واحد ليس فيكم اختلاف، وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون، فبعضكم يقول: قتل عثمان مظلوما، وكان أولى بالعدل وأصحابه، وبعضكم يقول: كان علي أولى بالحق، وأصحابه كلهم ثقة، وعندنا مصدق، فنحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما ولا نشهد عليهما، ونرجئ أمرهما إلى الله حتى يكون الله هو الذي يحكم بينهما. وأما من لزم الجماعة فهم: سعد بن أبي وقاص[4]،وأبو أيوب الأنصاري[5]، وعبد الله بن عمر[6]، وأسامة بن زيد[7]، وحبيب بن مسلمة الفهري[8]، وصهيب بن سنان[9]، ومحمد بن مسلمة[10]، في أكثر من عشرة آلاف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان، قالوا جميعا: نتولى عثمان وعليا، ولا نتبرأ منهما، ونشهد عليهم وعلى شيعتهما بالإيمان، ونرجو لهم ونخاف عليهم. وأما الصنف الخامس فهم الحرورية، قالوا: نشهد على المرجئة بالصواب، ومن قولهم حيث قالوا: لا نتولى عليا ولا عثمان ثم كفروا بعد، حيث لم يتبرؤوا ونشهد على أهل الجماعة بالكفر.

قال ميمون بن مهران: وهذا أول ما وقع الاختلاف، وقد بلغوا أكثر من سبعين صنفا. وقد كان بعض من خرج من هذه الأصناف دعوا سعد بن أبي وقاص إلى الخروج معهم، فأبى عليهم سعد وقال: لا، إلا أن تعطوني سيفا له عينان بصيرتان، ولسان ينطق بالكافر فأقتله، وبالمؤمن فأكف عنه، وضرب لهم سعد مثلا فقال: مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة، والمحجة البيضاء الواضحة، فبينا هم كذلك يسيرون هاجت ريح عجاجة، فضلوا الطريق، فقال بعضهم: الطريق ذات اليمين، فأخذوا فيه، فتاهوا وضلوا، وقال آخرون: الطريق ذات الشمال، فأخذوا فيه فتاهوا وضلوا، وقال آخرون: كنا على الطريق حيث هاجت الريح، فننيخ، فأناخوا وأصبحوا، فذهبت الريح وتبين الطريق. فهؤلاء هم أهل الجماعة. قالوا: نلزم ما فارقنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نلقاه، ولا ندخل في شيء من الفتن، فصارت الجماعة والفئة التي تدعى فئة الإسلام، ما كان عليه سعد بن أبي وقاص وأصحابه الذين اعتزلوا الفتن، حتى أذهب الله الفرقة وجمع الألفة، فدخلوا الجماعة، ولزموا الطاعة وانقادوا لها، فمن فعل ذلك ولزمه نجا، ومن لم يلزمه وشك فيه وقع في المهالك.

■ (5) أبو أيوب الأنصاري، اسمه خالد بن زيد الخزرجي من بني مالك بن النجار شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله وتوفي بالقسطنطينية من أرض الروم سنة 50 هـ وقيل سنة 51 هـ في خلافة معاوية تحت راية يزيد . روي هذا عن مجاهد وقد قيل إن الروم قالت للمسلمين في صبيحة دفنهم لأبي أيوب لقد كان لكم الليلة شأن عظيم فقالوا هذا رجل من أكابر أصحاب نبينا صلى الله عليه و سلم وأقدمهم إسلاما وقد دفناه حيث رأيتم والله لئن نبش لأضرب لكم ناقوس أبدا في أرض العرب ما كانت لنا مملكة.

■ (10) محمد بن مسلمة، ابن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة، أبو عبد الله –وقيل: أبو عبد الرحمن، وأبو سعيد- الأنصاري الأوسي من نجباء الصحابة شهد بدرا والمشاهد. وقيل: إن النبي استخلفه مرة على المدينة وكان ممن اعتزل الفتنة ولا حضر الجمل ولا صفين، بل اتخذ سيفا من خشب وتحول إلى الربذة فأقام بها مديدة. وقد استعمله عمر على زكاة جهينة وقد كان عمر إذا شكي إليه عامل نفذ محمدا إليهم ليكشف أمره. توفي سنة 43 هـ..عاش ابن مسلمة سبعا وسبعين سنة.

■ (6) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

■ (4) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري المديني، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ.

■ (3) ميمون بن مهران مولى بني أسد كان مملوكا لامرأة بالكوفة فأعتقته وبها نشأ وكنيته أبو أيوب،كان مؤدب أولاه الخليفة عمر، سكن الجزيرة بعد وقعة الجماجم، وتولى قضاء الرقة لعمر، يروي عن ابن عمر، ولد سنة 40 هـ سنة المجاعة ومات بالرقة سنة 118 هـ وقيل سنة 117 هـ

■ (7) أسامة بن زيد بن حارثة حبيب رسول الله وابن حبيبه. كنيته أبو محمد. ولد بمكة ونشأ على الإسلام لأن أباه كان من أول الناس إسلاما أمَّره رسول الله قبل أن يبلغ العشرين فكان مظفرا مات بالجرف ضاحية المدينة سنة 54 هـ

■ (8) حبيب بن مسلمة الفهري مختلف في صحبته وله عن أبي ذر وعنه زياد بن جارية (حارثة؟) وابن أبي مليكة يقال شهد اليرموك أميرا مات بأرمينية واليا عليها سنة 42 هـ

■ (2) جعفر بن برقان الكلابي الجزري صاحب ميمون بن مهران، من علماء أهل الرقة. مات سنة 154 هـ وهو ذاهب إلى بيت المقدس وهو ابن أربع وأربعين سنة.

■ (9) صهيب بن سنان المعروف أيضًا بـ صهيب الرومي ولد سنة 35 ق.هـ توفي سنة 38 هـ.

■ (1) كثير بن مروان السلمي الفهري المقدسي، أبو محمد. من أهل فلسطين. ضعفوه؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

مراجع:مختصر تاريخ دمشق/ الاستيعاب/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ عيون الأخبار/

لما استقر الأمر لمعاوية دسّ عمرو بن العاص[1] وهو يريد أن يعلم ما في نفس ابن عمر[2] من أمر الخلافة، فقال عمرو: يا أبا عبد الرحمن! ما يمنعك أن تخرج تبايعك الناس وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أمير المؤمنين، وأنت أحق الناس بهذا الأمر؟ فقال ابن عمر: قد اجتمع الناس كلهم على ما تقول؟ قال: نعم إلا نفر يسير. قال: لو لم يبق إلا ثلاثة أعلاج بهجر لم يكن لي فيها حاجة فعلم أن لا مطمع له في الخلافة، فقال عمرو: هل لك أن تبايع لمن قد كاد الناس أن يجتمعوا عليه، ويكتب لك من الأرضين ومن الأموال ما لا تحتاج أنت ولا ولدك إلى ما بعده؟، فغضب ابن عمر، وقال: أُفٍّ لك. اخرج من عندي. ويحك! إن ديني ليس بديناركم ولا درهمكم وإني أرجو أن أخرج من الدنيا ويدي بيضاء نقية.

قال نافع[3]: دخل ابن عمر الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك.

قال خالد بن سمير:[4] قيل لابن عمر: لو أقمت للناس أمرهم فإن الناس قد رضوا بك كلهم. فقال لهم: أرأيتم إن خالف رجل بالمشرق؟ قالوا: إن خالف رجل قتل. وما قتل رجل في صلاح الأمة؟ فقال: والله ما أحب لو أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخذت بقائمة رمح وأخذت بزجه فقتل رجل من المسلمين ولي الدنيا وما فيها. قال أيوب عن أبي العالية البراء: كنت أمشي خلف ابن عمر وهو لا يشعر وهو يقول: واضعين سيوفهم على عواتقهم يقتل بعضهم بعضا يقولون يا عبد الله بن عمر أعط بيدك. قال أبو عوانة عن مغيرة عن قطن: أتى رجل ابن عمر فقال: ما أحد شر لأمة محمد منك. قال: لم؟ فو الله ما سفكت دماءهم ولا فرقت جماعتهم ولا شققت عصاهم. قال: إنك لو شئت ما اختلف فيك اثنان.قال: ما أحب أنها أتتني ورجل يقول لا وآخر يقول بلى.

روى البخاري[5] في صحيحه: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا جاءه، فقال: يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات] إلى آخر الآية، فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي، أعير بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أعير بهذه الآية التي يقول الله تعالى:﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ [النساء] إلى آخرها. قال: فإن الله يقول:﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال] قال ابن عمر: قد فعلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان الإسلام قليلا، فكان الرجل يفتن في دينه: إما يقتلونه، وإما يوثقونه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة. فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال ابن عمر: ما قولي في علي وعثمان؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه، فكرهتم أن يعفو عنه. وأما علي فابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه* – وأشار بيده – وهذه ابنته، أو بنته حيث ترون. وفي رواية: قال: هذا بيته حيث ترون. قال النضر بن عمر المقرائي الحميري: سألت الحسن البصري: أي الرجلين أفضل: علي أم عثمان؟ فقال: شارك عثمان عليا في سوابقه، ولم يشاركه في حدثه.قلت: علي ومعاوية؟ فقال: هيهات! لم يشارك معاوية عليا في سوابقه، وشاركه في أحداثه.

قال سلام بن مسكين: سمعت الحسن يحدث قال: لما قتل عثمان بن عفان قالوا لعبد الله بن عمر: إنك سيد الناس وابن سيد فاخرج نبايع لك الناس. قال: إني والله لئن استطعت لا يهراق في سببي محجمة من دم. فقالوا: لتخرجن أو لنقتلنك على فراشك. فقال لهم مثل قوله الأول. قال الحسن: فأطمعوه وخوفوه فما استقبلوا منه شيئا حتى لحق بالله. (المحجمة) الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة عند المص.

أتى رجلان في فتنة ابن الزبير إلى ابن عمر فقالا: إن الناس قد صنعوا ما ترى وأنت ابن عمر بن الخطاب وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني الله أن حرم علي دم المسلم، قالوا: أو لم يقل الله:﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال] قال: قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله. وعن زيد بن أسلم، عن أبيه: أن معاوية لما قدم المدينة حاجا، جاء عبد الله بن عمر، فقال له معاوية: حاجتك يا أبا عبد الرحمن؟ فقال له عبد الله: حاجتي عطاء المحررين*، فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه شيء لم يبدأ بأول منهم. (المحررين) هم الموالي. وعن محمد بن عجلان قال سمعت القعقاع بن حكيم[6] يحدث عن عبد الله بن عمر أن عبد العزيز بن مروان[7] كتب إليه أن ارفع إلى حاجتك فكتب إليه عبد الله بن عمر يقول إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى﴾ وإني لا أحسب اليد العليا إلا المعطية ولا السفلى إلا السائلة وإني غير سائلك شيئا ولا رادا رزقا ساقه الله إلي منك، والسلام. وعن جعفر بن محمد، عن نافع، قال: كان المختار يبعث بالمال إلى ابن عمر فيقبله ويقول: لا أسأل أحدا شيئا، ولا أرد ما رزقني الله.

----

*(الختن) الصهر المتزوج ابنة الرجل أو أخته.

(2) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

(5) محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف. الجعفي بالولاء، البخاري الحافظ الإمام في علم الحديث، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ.كنيته أبو عبد الله، كانت ولادته يوم الجمعة بعد الصلاة، لثلاث عشرة، وقيل 12 ليلة خلت من شوال سنة 194 هـ. وتوفي ليلة السبت بعد صلاة العشاء، وكانت ليلة عيد الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، سنة 256 هـ بخرتنك (قرية في سمرقند)، وقد اختلف في اسم جده، فقيل إنه يزذبه. وقيل هو: يزدزبه، والله أعلم، وقال غيره: هذا الجد مجوسيا مات على دينه، وأول من أسلم منهم المغيرة، ووجدته في موضع آخر عوض يزذبه الأحنف ولعل يزذبه كان أحنف الرجل، والله أعلم.

(6) القعقاع بن حكيم، المدني، الكناني.من متقنى أهل المدينة وصالحيهم، روى عن جابر بن عبد الله، وذكوان أبي صالح السمان وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وقيل لم يلقه، وأبي يونس مولى عائشة، ورميثة بنت حكيم، وسلمى أم رافع، وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. روى عنه أبان بن صالح، وجعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري، وزيد بن أسلم، وسعيد المقبري، وسمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن، وسهيل بن أبي صالح، وعمرو بن دينار،ومحمد بن عجلان. قال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء.

(1) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

(3) نافع مولى ابن عمر أبو عبد الله المدني، أصله من نيسابور، وقيل من كابل، وقيل غير ذلك. روى عن مولاه عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة، قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، وقال غيره كان عمر بن عبد العزيز قد بعثه إلى مصر يعلم الناس السنن، مات سنة 117 هـ على المشهور

(7) عبد العزيز بن مروان ابن الحكم، أبو الأصبغ المدني ولي العهد بعد أخوه عبد الملك. استقل بملك مصر 20 سنة وزيادة. ولد سنة 27 هـ ومات سنة 85 هـ.أو 86 هـ والأول أصح، وعاش أخوه عبد الملك بعده فلما جاءه نعيه عقد بولاية العهد لابنيه: الوليد ثم سليمان.

(4) خالد بن سمير السدوسي بصرى يروي عن بن عمر وأنس بن مالك روى عنه الأسود بن شيبان

☪

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين حفصة بنت عمر:﴿إِنِ أَخَاكِ عَبْدُ اللهِ رَجُلٌ صَالِحٌ، لَوْ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ؛ فَمَا ترك بعْدَهَا ابْنُ عُمَرَ قِيَامُ اللَّيْلِ﴾ وعن محمد بن زيد أن أباه أخبره أن عبد الله بن عمر كان له مهراس فيه ماء فيصلي ما قدر له ثم يصير إلى الفراش فيغفي اغفاء الطير ثم يثب فيتوضأ ثم يصلي يفعل ذلك الليلة أربع مرار أو خمس مرار. وعن نافع عن ابن عمر أنه كان يحيي الليل صلاة ثم يقول يا نافع اسحرنا؟ فأقول لا فيعاود الصلاة ثم يقول يا نافع اسحرنا؟ فأقول نعم فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح وعنه عن ابن عمر أنه كان يحيي ما بين الظهر والعصر. وعن جابر بن عبد الله قال ما ادركنا أحدا أو قال ما رأينا أحدا إلا قد مالت به الدنيا أو مال بها إلا عبد الله بن عمر. وعن نافع قال كان ابن عمر إذا قرأ:﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد] بكى حتى يغلبه البكاء. وعن عبد الله بن سبرة قال كان ابن عمر إذا اصبح قال: اللهم اجعلني من اعظم عبادك نصيبا في كل خير تقسمه الغداة ونور تهدي به ورحمة تنشرها ورزق تبسطه وضر تكشفه وبلاء ترفعه وفتنة تصرفها. قال ميمون بن مهران: ما رأيت أورع من ابن عمر، ولا أعلم من ابن عباس. قال سعيد بن المسيب: لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة، لشهدت لعبد الله بن عمر. وعنه قال كان أشبه ولد عمر بعمر عبد الله وأشبه ولد عبد الله بعبد الله سالم. وعن أم المؤمنين عائشة قالت ما رأيت أحدا الزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر. وعنها قالت ما رأيت أحدا أشبه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين دفنوا في النمار من عبد الله بن عمر.

وعن قتادة قال سئل ابن عمر عن لا اله إلا الله هل يضر معها عمل كما ينفع مع تركها عمل؟ قال ابن عمر: عش ولا تغير. وعن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحب في الله وابغض في الله وعاد في الله فانك لن تنال ولاية الله إلا بذلك ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك وصارت مؤاخاة الناس في أمر الدنيا وإن ذلك لا يجزي عند الله شيئا. قال: وقال لي ابن عمر: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا. وقال:﴿أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي أَوْ بِبَعْضِ جَسَدِي فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا غَرِيبًا أَوْ عَابِرَ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ﴾ وعن أبي الزناد قال اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر فقالوا تمنوا. فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فاتمنى الخلافة. وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم. وقال مصعب: أما أنا فاتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. قال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة. قال فنالوا ما تمنوا ولعل ابن عمر غفر له. وعن نافع أن رجلا سأل ابن عمر عن مسالة فطأطأ رأسه ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته فقال له يرحمك الله أما سمعت مسألتي قال بلى ولكنكم كأنكم ترون أن الله تعالى ليس بسائلنا عما تسألونا عنه اتركنا رحمك الله حتى نتفهم في مسألتك فان كان لها جواب عندنا وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به. وعن عبد الله بن أبي عثمان قال كان عبد الله بن عمر اعتق جاريته التي يقال لها رميثة وقال إني سمعت الله عز وجل قال في كتابه:﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران] واني والله إن كنت لاحبك في الدنيا اذهبي فانت حرة لوجه الله. قال سويد بن قيس: بعثني عبد العزيز بن مروان بألف دينار إلى ابن عمر، فجئته بها ففرقها. وعن نافع قال: كان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه عز وجل. قال نافع: كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر أحدهم فلزم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة اعتقه فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم إلا أن يخدعوك فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله انخدعنا له. وعنه قال: اتي ابن عمر ببضعة وعشرين ألفا فما قام من مجلسه حتى أعطاها وزاد عليها. قال: ولم يزل يعطي حتى انفد ما كان عنده فجاءه بعض من كان يعطيه فاستقرض من بعض من كان أعطاه فأعطاه إياه. وعن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه قال: جاء سائل إلى ابن عمر فقال لابنه: اعطه دينارا فلما انصرف قال له ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه فقال: لو علمت أن الله يقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحب إلي من الموت أتدري ممن يتقبل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة] وعن ابن دينار، عن ابن عمر: أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة، وعمامة يشد بها رأسه، فبينا هو يوما على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي، فقال: ألست فلان بن فلان؟ قال: بلى. فأعطاه الحمار، فقال: اركب هذا، وأعطاه العمامة وقال: اشدد بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حمارا كنت تروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك؟ فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ﴿إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ﴾ وإن أباه كان صديقا لعمر رضي الله عنه.

مراجع: صفة الصفوة/ وفيات الأعيان/ الطبقات الكبرى/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ حياة الصحابة/ فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه/ـمختصر تفسير ابن كثير/ مشكل الآثار للطحاوي/ـ

عن زياد بن رسم قال: كتب معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب[1] خاصة، وإلى سعد بن أبي وقاص[2]، ومحمد بن مسلمة[3]، دون كتابه إلى أهل المدينة، فكان في كتابه إلى ابن عمر: أما بعد فإنه لم يكن أحد من قريش أحب إلى أن يجتمع عليه الأمة –الناس– بعد قتل عثمان منك. ثم ذكرت خذلك إياه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك، وقد هون ذلك علي خلافك على علي، ومحا عنك بعض ما كان منك فأعنا رحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم، فإني لست أريد الإمارة عليك، ولكني أريدها لك. فإن أبيت كانت شورى بين المسلمين. قال: فأجابه ابن عمر: أما بعد فإن الرأي الذي أطمعك في هو الذي صيرك إلى ما صيرك إليه. أني تركت عليا في المهاجرين والأنصار، وطلحة والزبير، وعائشة أم المؤمنين، واتبعتك. أما زعمك أني طعنت على علي فلعمري ما أنا كعلي في الإيمان –الإسلام– والهجرة، ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونكايته في المشركين. ولكن حدث أمرا لم يكن من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فيه عهد، ففزعت فيه إلى الوقوف، وقلت: إن كان هدى ففضل تركته، وإن كان ضلالة فشر نجوت منه. فأغن عنا نفسك.

قال: وكان من كتاب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص: أما بعد فإن أحق الناس بنصر عثمان أهل الشورى من قريش، الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره، وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك في الأمر والشورى، ونظيراك في الإسلام، وخفت لذلك أم المؤمنين. فلا تكرهن ما رضوا، ولا تردن ما قبلوا، فإنا نردها شورى بين المسلمين. فأجابه سعد: أما بعد فإن عمر لم يدخل في الشورى إلا من يحل له الخلافة من قريش، فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلا باجتماعنا عليه، غير أن عليا قد كان فيه ما فينا ولم يك فينا ما فيه. وهذا أمر قد كرهنا أوله وكرهنا آخره. فأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما كان خيرا لهما. والله يغفر لأم المؤمنين ما أتت.

وكان كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة: أما بعد فإني لم أكتب إليك وأنا أرجو مبايعتك، ولكني أردت أن أذكرك النعمة التي خرجت منها والشك الذي صرت إليه. إنك فارس الأنصار، وعدة المهاجرين، ادعيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا لم تستطع إلا أن تمضي عليه، فهذا نهاك عن قتال أهل الصلاة، فهلا نهيت أهل الصلاة عن قتال بعضهم بعضا. وقد كان عليك أن تكره لهم ما كره لك رسول الله صلى الله عليه وسلم .أو لم تر عثمان وأهل الدار من أهل الصلاة –القبلة–؟ فأما قومك فقد عصوا الله وخذلوا عثمان، والله سائلك وسائلهم عن الذي كان، يوم القيامة. فكتب إليه محمد بن مسلمة: أما بعد فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل الذي في يدي. فقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو كائن قبل أن يكون، فلما كان كسرت سيفي، وجلست في بيتي* واتهمت الرأي على الدين، إذ لم يصح لي معروف آمر به، ولا منكر أنهى عنه. وأما أنت فلعمري ما طلبت إلا الدنيا، ولا اتبعت إلا الهوى. فإن تنصر عثمان ميتا فقد خذلته حيا. فما أخرجني الله من نعمة ولا صيرني إلى شك. إن كنت أبصرت خلاف ما تحبني به ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار، فنحن أولى بالصواب منك.

قال: فلما أجاب القوم معاوية بما أجابوه من الخلاف إلى ما دعاهم إليه قال له عمرو[4]: كيف رأيت يا معاوية رأيي ورأيك أخبرتك بالأمر قبل أن يقع؟ قال معاوية: رجوت ما خفت.

عن جعفر بن سليمان الضبعي قال: ذكر محمد بن مسلمة الأنصاري عند معاوية قتل كعب بن الأشرف اليهودي[5]، فقال يهودي كان عند معاوية: غدر به، فقال محمد: يا معاوية أتمسك عنه وقد نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغدر؟ فقال لليهودي: اخرج عنا، وطلبه محمد فلم يقدر عليه، وقال لمعاوية: والله لا كلمتك أبدا ولأقتلن اليهودي إن قدرت عليه.

* (كان كسرت سيفي، وجلست في بيتي) يروى عن محمد بن مسلمة أنه قال: أعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله سيفا فقال: قاتل به المشركين ما قوتلوا، فإذا رأيت أمتي يضرب بعضهم بعضا فائت به أحدا فاضرب به حتى ينكسر، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية خاطئة.

■ (1) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

■ (2) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري شهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة قال عمرو بن علي مات سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقد أسلم وهو ابن 19 ومات وهو ابن 74 وقال أبو نعيم مات في سنة 58 هـ

■ (3) محمد بن مسلمة، ابن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة، أبو عبد الله –وقيل: أبو عبد الرحمن، وأبو سعيد– الأنصاري الأوسي من نجباء الصحابة شهد بدرا والمشاهد. وقيل: إن النبي استخلفه مرة على المدينة وكان ممن اعتزل الفتنة ولا حضر الجمل ولا صفين، بل اتخذ سيفا من خشب وتحول إلى الربذة فأقام بها مديدة. وقد استعمله عمر على زكاة جهينة وقد كان عمر إذا شكي إليه عامل نفذ محمدا إليهم ليكشف أمره. توفي سنة 43 هـ..عاش ابن مسلمة سبعا وسبعين سنة.

■ (4) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

■ (5) كعب بن الأشرف من طيء أمه من بني النضير وكان عدوا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه و سلم فحض رسول الله صلى الله عليه و سلم على قتله. فقتله محمد بن مسلمة الأنصاري.

☪

عن حفص بن عمر بن ميمون قال: بعث معاوية إلى عبد الله بن عمر بمال فدعا بصحيفة دينه فقضى ما فيها، ثم دعا بصحيفة العيال فأعطاهم، ثم أمر بصدقة فتصدق بها، وقسم في أصحابه قطعة من المال، وبعث إلى عبد الله بن الزبير بمال فدعا بصندوق فوضعه فيه، فأخبر معاوية رسوله بفعلهما فقال: هكذا هما لو وليا. وعن نافع[1] قال: قدم معاوية المدينة، فحلف على المنبر ليقتلن ابن عمر، فلما دنا من مكة تلقاه الناس، فقال له عبد الله بن صفوان[2]: إيها، جئتنا لتقتل ابن عمر. قال: ومن يقول هذا، ومن يقول هذا. زاد ابن عون، عن نافع قال: والله لا أقتله. قال معاوية لعبد الله بن جعفر[3]: بلغني أن ابن عمر يريد هذا الأمر، وفيه ثلاث خصال لا يصلحن في خليفة: هو رجل غيور، وهو رجل عيي وهو رجل بخيل، قال: فذهب ابن جعفر فأخبر ابن عمر، فقال ابن عمر: أما قوله: إني رجل غيور، فإني كنت أغلق بابي على أهلي، فما حاجة الناس إلى ما وراء ذلك؟ وأما قوله: إني لرجل عيي فإني كنت أعلم الناس بكتاب الله، ولا كلام أبلغ منه، وأما قوله: إني رجل بخيل؛ فإني كنت أقسم على الناس فيئهم بكتاب الله، فإذا فعلت ذلك فما حاجة الناس إلى ما أورثني ابن الخطاب؟ فأخبر ابن جعفر معاوية بها، فقال معاوية: عزمت عليك ألا يسمع هذا منك أحد. وقد روي نحو هذه المقالة عن الحجاج. قال مسعود بن سليمان: أتينا معاوية بالأبطح مجلسا، فجلس عليه، ومعه ابنة قرظة[4] فإذا هو بجماعة على رحال لهم، وإذا شاب قد رفع عقيرته يغني: من الرمل: من يساجلني يساجل ماجدا..أخضر الجلدة في بيت العرب. فقال: من هذا؟ قالوا: عبد الله بن جعفر، قال: خلوا له الطريق فليذهب، قال: ثم إذا هو بجماعة فيهم غلام يغني: من الرمل: بينما يذكرنني أبصرنني..عند قيد الميل يسعى بي الأغر..قلن: تعرفن الفتى؟ قلن: نعم.. قد عرفناه، وهل يخفى القمر؟. قال: من هذا؟ قالوا: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة[5]، قال: خلوا له الطريق، فليذهب، ثم إذا هو بجماعة، فإذا رجل منهم يسأل، فقال له: رميت قبل أن أحلق، وحلقت قبل أن أرمي؛ لأشياء أشكلت عليهم من مناسك الحج: فقال: من هذا؟ فقالوا: عبد الله بن عمر، فالتفت إلى ابنة قرظة، فقال: هذا وأبيك الشرف، هذا والله شرف الدنيا والآخرة. قال أبو إسحق الهمذاني: كنا عند ابن أبي ليلى في بيته وكانوا يجتمعون إليه فجاءه أبو سلمة بن عبد الرحمن فقال: عمر رضي الله عنه كان عندكم أفضل أم ابنه؟ فقالوا: لا بل عمر. فقال أبو سلمة: إن عمر كان في زمان له فيه نظير، وإن ابن عمر كان في زمان ليس له فيه نظير. قال خالد بن أسلم مولى عمر: آذى رجل من قريش عبد الله بن عمر، فأبى عبد الله أن يقول له شيئا، فجئت، فقلت: أبا عبد الرحمن، بلغني أن فلانا آذاك، فإما أن تنصر وإما أن ننتصر لك منه، فقال عبد الله: إني وأخي عاصما لا نساب الناس. قال قطن: أتى رجل ابن عمر، فقال: ما أحد شر لأمة محمد منك، فقال: لم؟ فوالله ما سفكت دماءهم، ولا فرقت جماعتهم، ولا شققت عصاهم! قال: إنك لو شئت ما اختلف فيك اثنان، قال: ما أحب أنها أتتني ورجل يقول: لا،وآخر يقول: بلى. وكتب إلى عبد الله بن الزبير: إنك انبريت على رقاب الناس بغير شورى، فدع ما أنت فيه، فإنك لست في شيء. وعن الأوزاعي: أن ابن عمر قال: لقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما نكثت، ولا بدلت إلى يومي هذا، ولا بايعت صاحب فتنة، ولا أيقظت مؤمنا من مرقده. وعن عبد الرحمن بن يسار قال: سمعت الحجاج وهو يقول: إن عبد الله بن الزبير قد بدل كلام الله، فقال ابن عمر: كذبت، ليس تبديل كلام الله بيدك، ولا بيد ابن الزبير، كتاب الله أعز من أن يبدل، قال: فقال الناس لابن عمر: اخرج، فأبى أن يخرج حتى صلى معه. قال سلام بن مسكين سمعت الحسن يقول: أتوا ابن عمر فقالوا: أنت سيد الناس وابن سيدهم والناس بك راضون اخرج نبايعك، قال: لا والله لا يهراق في محجمة دم. وعن أبي بردة عن أبيه قال: صليت إلى جانب ابن عمر، فسمعته حين سجد يقول: اللهم، اجعل حبك أحب الأشياء إلي، وخوفك أخوف الأشياء عندي، وسمعته حين سجد يقول:﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص] وقال: ما صليت صلاة مذ أسلمت إلا وأنا أرجو أن تكون كفارة. قال نافع: دخلت مع ابن عمر الكعبة وهو يومئذ مضيق، فسمعته وهو ساجد يتضرع إلى ربه، يقول: يا رب، وقد تعلم، لولا خوفك لزاحمنا قريشا على هذه الدنيا. قال ابن سيرين: قال رجل: اللهم، أبقني ما أبقيت ابن عمر أقتدي به، وقال رجل: لقد رأيت هذه الفتنة وما فينا أحد إلا فيه غير عبد الله بن عمر. وما أحسن قول سفيان الثوري: يقتدى بعمر في الجماعة وبابنه في الفرقة. عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما إشتكى فاشتري له عنقود عنب بدرهم، فجاء مسكين فقال: يعطوه إياه، فخالف إليه إنسان، فاشتراه منه بدرهم. ثم جاء به إليه، فجاءه المسكين فسأل، فقال: أعطوه أياه. فخالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم. ثم جاء به إليه، فجاءه المسكين يسأل فقل: أعطوه إياه. ثم خالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم، فأراد أن يرجع فمنع. ولو علم ابن عمر بذلك العنقود ما ذاقه. حديث نافع من وجه آخر في ذلك أن ابن عمر إشتهى عنبا وهو مريض، فاشتريت له عنقودا بدرهم فجئت به فوضعته في يده، فذكر بمعناه.وفي آخره: فما زال يعود السائل ويأمر بدفعه إليه حتى قلت للسائل في الثالثة أو الرابعة؛ ويحك ما تستحيي؟فاشتريته منه بدرهم فجئت به إليه فأكله

* (عيي) بطيء الكلام إذا تكلم ملأ لسانه فاه

■ (2) عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف القرشي من عباد أهل مكة وصالحيهم وأفاضل التابعين ومتقنيهم. يقال: ولد أيام النبوة.وروى عن أبيه، وعمر، وأبي الدرداء، وحفصة.قتل وهو متعلق بأستار الكعبة مع ابن الزبير سنة73 هـ.

■ (1) نافع مولى ابن عمر أبو عبد الله المدني، أصله من نيسابور، وقيل من كابل، وقيل غير ذلك. روى عن مولاه عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة، قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، وقال غيره كان عمر بن عبد العزيز قد بعثه إلى مصر يعلم الناس السنن، مات سنة 117 هـ على المشهور

■ (3) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم. السيد، العالم، أبو جعفر القرشي، الهاشمي، ولد في الحبشة سنة 1 هـ ، وله صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وروى أيضا عن عمه؛ علي، وعن أمه؛ أسماء بنت عميس. حدث عنه أولاده، وآخرون. وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم. وله وفادة على معاوية.ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ. ويقال: سنة 90 هـ.

■ (5) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب. أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق، ولم يكن في قريش أشعر منه. ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه. وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه. رُفع إلى عمر بن عبد العزيز أنه يتعرض للنساء ويشبب بهن، فنفاه إلى دهلك، ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقاً سنة93 هـ.

■ (4) فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل زوجة معاوية، ولدت له عبد الله وكان محمقا ضعيفا وعبد الرحمن مات صغيرا، وغزت معه قبرس في خلافة عثمان، وقرظة يكنى أبا عمرو وكان أعمى، تزوج ابنة عتبة بن ربيعة، فولدت له فاختة ومات كافرا قبل الفتح (هذا لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله أعلم)

مراجع: وقعة صفين/ الإمامة والسياسة/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ أنساب الأشراف/ حياة الصحابة للكاندهلوى/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وعبد الله بن العباس (١) 0209

ذكر أنه اجتمع من بني هاشم[1] جماعة عند معاوية يوما فأقبل عليهم فقال: يا بني هاشم والله إن خيري لممنوح وإن بابي لكم لمفتوح فلا يقطع خيري عنكم علة ولا يوصد بأبي دونكم مسألة، وإني نظرت في أمري وأمركم فرأيت أمرا مختلفا: إنكم ترون أنكم أحق بما في يدي مني، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم: أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا، فصرت كالمسلوب، والمسلوب لا حمد له، هذا مع إنصاف قائلكم وإسعاف سائلكم. قال:فأقبل ابن عباس[2] فقال: أما والله ما منحتنا شيئا حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه، ولئن قطعت عنا خيرك فالله أوسع خيرا منك، ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفن أنفسنا عنك، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل واحد من المسلمين، ولنا في كتاب الله حقان: حق في الغنيمة وحق في الفيء فالغنيمة ما غلبنا عليه والفيء ما احتسبناه ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر كفاك أم أزيدك قال: كفاني فإنك لا تهر ولا تنبح. وفي رواية قال: حسبك يا ابن عباس فإنك تكوي ولا تعوي.

وقال معاوية لابن عباس رضى الله عنهم: ما بالكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم؟ فقال: كما تصابون في بصائركم* يا بني أمية. وعن أبان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط قال: قدم عبد الله بن عباس على معاوية وأنا حاضر، فأجازه فأحسن جائزته ثم قال: يا أبا العباس، هل يكون لكم دولة؟ قال: أعفني يا أمير المؤمنين، قال: لتخبرني، قال: نعم، قال: فمن أنصاركم؟ قال: أهل خراسان، ولبني أمية من بني هاشم نطحات.

----

*(البصيرة) عقيدة القلب وقيل البصيرة الفطنة تقول العرب أعمى الله بصائره أي فطنه

■ (2) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله،يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

■ (1) الهاشميون أو بنو هاشم إحدى أفخاذ قريش، نسبة إلى هاشم بن عبد مناف (عمرو بن عبد مناف) الجد الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنو هاشم هم الذين لا تحل لهم الصدقة، والمراد بهم: آل العباس، وآل الحارث بن عبد المطلب، وآل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، فهؤلاء هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قصر بعض العلماء المنع على بني هاشم، وألحق بهم بعضهم بني المطلب، والمطلب بن عبد مناف هو أخو هاشم بن عبد مناف، ويستدلون على ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من الخمس من سهم ذوي القربى.

☪

قال الشيخ خالد بن محمد الماجد رحمه الله: اتفق الفقهاء على أن مالك المال العام هم المسلمون، مسلمو الدولة الإسلامية، وأنه لا يختص به أحد دون أحد، وأن ولي الأمر ليس بمالك للمال العام، وأنه فيه بمنزلة أحد الرعية، سوى ما له من حق الأخذ منه قدر كفايته ومن يعول، وحق التصرف فيه بالمصلحة.قال ابن قدامة: مال بيت المال مملوك للمسلمين، وقال أبو عبيد: ومال بيت المال ليس مال الخليفة بل فيء الله، وقال الشوكاني: بيت المال هو بيت مال المسلمين، وهم المستحقون له. قال ابن رجب: الخراج والجزية تصرف في المصالح العامة وقال الكشناوي: المأخوذ بغير إيجاف.. كالخمس والخراج.. يأخذ الإمام كفايته بالمعروف ويصرف الباقي بالاجتهاد في مصالح المسلمين فإذا كان مصرفه مصالحهم، كان ملكهم، إذ المال يصرف عادة في مصالح المالك لا مصالح غيره. ويجب لولي الأمر من المال العام كفايته، وكفاية من يعول، وما زاد على ذلك فحرام عليه استئثاره به دون المسلمين، فإن فعل كان غلولاً؛ عن المستورد بن شداد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ كَانَ لَنَا عَامِلًا فَلْيَكْتَسِبْ زَوْجَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَكْتَسِبْ خَادِمًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسْكَنٌ فَلْيَكْتَسِبْ مَسْكَنًا﴾ قال أبو بكر: أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنِ اتَّخَذَ غَيْرَ ذَلِكَ فَهُوَ غَالٌّ، أَوْ سَارِقٌ﴾ فلو كان ولي الأمر يملك المال العام لما حرم أن يأخذ منه ما زاد على كفايته. وولي الأمر لا يملك ما أهدي إليه في حال كونه ولي أمر المسلمين، بل يكون فيئاً؛ لأنه إنما أهدي إليه من أجل مكانه من المسلمين، لا من أجل شخصه، فلم يكن أولى بالهدية منهم، واحتجوا بحديث أبي حميد الساعدي في قصة ابن اللتبية حيث أنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليه أخذ ما أهدي إليه بسبب ولايته، وعدَّه غلولاً.عن أبي حميد الساعدي، قال:﴿اسْتَعْمَلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْأَسْدِ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ – قَالَ عَمْرٌو: وَابْنُ أَبِي عُمَرَ – عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا لِي، أُهْدِيَ لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٌ تَيْعِرُ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ، هَلْ بَلَّغْتُ؟. مَرَّتَيْنِ﴾ فإذا لم يملك ولي الأمر ما خصه به المهدي فأولى ألا يملك غيره من المال العام. وفرق الفقهاء بين جناية ولي الأمر المتعدية وغير المتعدية، فجعلوا ضمان المتعدية على العاقلة، وغير المتعدية على بيت المال. فلو كان المال العام ملك ولي الأمر لكان ضمان الجناية على بيت المال في الحالين. وميَّز الفقهاء بين المال العام وبين مال ولي الأمر الخاص به، فأجازوا له التصرف في ماله بما شاء، فله أن يعطي ويمنع، كما يشاء، وأجازوا له التصرف في ماله بغير الأصلح، كما يجوز لغيره، بخلاف المال العام، فلم يبيحوا له التصرف فيه وفق مشيئته، بل أوجبوا عليه فعل الأصلح، فدل ذلك على عدم ملكه المال العام؛ لأنه لو كان كذلك لكان حكمه حكم ماله الخاص. وحكم الفقهاء برد تصرف ولي الأمر في المال العام إذا خالف فيه الحق، فوضعه في مصارف غير مشروعة، قال الشافعي – بعد ذكره ما يجب على ولي الأمر فعله في أرض العنوة–: وكل ما وصفت أنه يجب قسمه فإن تركه الإمام ولم يقسمه، فوقفه المسلمون، أو تركه لأهله، رُدَّ حكم الإمام فيه؛ لأنه مخالف للكتاب والسنة معاً. فلو كان المال العام ملكه لنفذ تصرفه هذا، ولما رد.

واتفق الفقهاء على أن وظيفة ولي الأمر في المال العام وظيفة النائب، وهي فرع وظيفته العامة على شؤون المسلمين، قال ابن العربي: الأمير.. نائب عن الجميع في جلب المنافع، ودفع المضار وقال ابن تيمية: وليس لولاة الأمور أن يقسموها بحسب أهوائهم، كما يقسم المالك ملكه، فإنما هم أمناء ونواب.. ليسوا ملاكاً، وقال ابن رجب: والإمام هو النائب لهم، والمجتهد في تعيين مصالحهم، وقال الدسوقي: الإمام.. إنما هو نائب عن المسلمين، وربما عبر بعض أهل العلم عن تلك الوظيفة بتعبير مقارب، وهو أنه وكيل عن المسلمين، أو وصي، وهذه الألفاظ الثلاثة وإن قدر أن بينها اختلافاً في الأحكام، غير أنها تشترك في الدلالة على أمر هو المقصود هنا وهو أن ولي الأمر حين يتصرف في المال العام فإنه لا يتصرف فيه بالأصالة، وإنما بالنيابة، أو الوكالة. الأدلة على أن مالك المال العام المسلمون، وأن وظيفة ولي الأمر فيه وظيفة النائب لا المالك. الدليل الأول: قال الله تعالى:﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر] بين عز وجل في هذه الآيات مصارف الفيء وهو من موارد المال العام فاستوعب المسلمين جميعاً، وعلل صرفه إلى هؤلاء بقوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ومن هذا البيان والتعليل نستفيد أمرين: أن الفيء ليس بملك فرد، ولا يجوز لفرد ولا طائفة الاختصاص بتملكه أو الانتفاع بشيء منه دون المسلمين، سواء أكان هذا الفرد ولي الأمر أم غيره. وأن مالك الفيء المسلمون جميعاً؛ لأن مصرفه إليهم جميعاً. ويدل لهذا أن عمر لما قرأ هذه الآيات قال: استوعبت هذه الآية الناس، فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق– أو قال حظ – إلا بعض من تملكون من أرقائكم، وإن عشت إن شاء الله ليؤتين كل مسلم حقه – أو قال حظه – حتى يأتي الراعي بِسَرْوِ حِمْيَر، ولم يعرق فيه جبينه. الدليل الثاني: عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَا أُعْطِيكُمْ، وَلَا أَمْنَعُكُمْ، أَنَا قَاسِمٌ، أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ﴾ وفي لفظ:﴿إِنْ أَنَا إِلَّا خَازِنٌ﴾ دل الحديث على عدم ملك النبي صلى الله عليه وسلم المال العام بنفيه ملك إعطاء أحد، أو منعه، وأن وظيفته فيه الحفظ والقسم؛ إذ لو كان ملكه لملك حق الإعطاء والمنع كسائر المالكين. قال ابن تيمية – بعد إيراده هذا الحديث–: فهذا رسول رب العالمين قد أخبر أنه ليس المنع والعطاء بإرادته واختياره، كما يفعل المالك الذي أبيح له التصرف في ماله.. فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم – على عظم منزلته – لا يملك المال العام، كان من بعده من ولاة الأمور أولى بذلك؛ لأن غاية منزلتهم أن يكونوا خلفاءه. الدليل الثالث: عن خولة الأنصارية قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وفي رواية:﴿إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ* حُلْوَةٌ مَنْ أَصَابَهُ بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِيمَا شَاءَتْ نَفْسُهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ المراد بالمال هنا المال العام؛ لأنه يسمى مال الله وتوضح ذلك رواية الترمذي من مال الله ورسوله؛ إذ هذه الإضافة خاصة بالمال العام الذي لا يملكه فرد بعينه، والمراد بالتخوض: أخذه وتملكه والتصرف فيه تصرف المالكين، ففي الحديث الوعيد الشديد للمتخوضين في المال العام، وأولى من يتوجه له هذا الوعيد ولي الأمر؛ إذ الغالب أنه لا يقدر على التخوض في المال العام إلا هو، أو من له به صلة، فلو كان المال ماله لما توجه إليه الوعيد، ولجاز له التصرف فيه، كما يتصرف المالك في ملكه، فلما كان ممنوعاً من ذلك دل على أنه لا يملكه. الدليل الرابع: دلت سيرة الخلفاء الراشدين في المال العام على أنهم لم يكونوا يرون لهم فيه حقاً دون المسلمين، فضلاً عن أن يروه ملكهم، ومما جاء في هذا: عن أم المؤمنين عائشة:﴿لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَئُونَةِ أَهْلِي، وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَيَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ﴾ أفاد اعتذار أبي بكر عن الأخذ من المال الذي وليه للمسلمين بانشغاله بأمرهم، واحترافه لهم فيه أمرين: الأول: أنه ليس بماله؛ إذ لو كان ماله لما احتاج أن يعتذر عن الأخذ منه. والثاني: أنه مال المسلمين؛ لأنه علل الأخذ منه بانشغاله بأمرهم، وإلا لم تظهر مناسبة بين العلة والمعلول، فكأنه قال: إنما أخذت من مالهم عوض عملي لهم. عن يرفأ قال: قال لي عمر: ﴿إِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ وَالِي الْيَتِيمِ، إِنِ احْتَجْتُ أَخَذْتُ مِنْهُ، فَإِذَا أَيْسَرْتُ رَدَدْتُهُ، وَإِنِ اسْتَغْنَيْتُ اسْتَعْفَفْتُ﴾ وفي رواية: ﴿وإِنَّمَا أَنَا وَمَالُكُمْ كَوَلِيِّ الْيَتِيمِ﴾ في هذا دلالتان، الأولى: في قوله مالك فأضافه إليهم، فدل على ملكهم له، والمراد بالمال هنا المال العام، الذي وليه لهم، لا الخاص بهم؛ لأنه لا ولاية له عليهم فيه. والثانية: في قوله بمنزلة ولي اليتيم نص على وظيفة الإمام في مال المسلمين العام، التي تشبه وظيفة ولي اليتيم في مال اليتيم، وولي اليتيم نائب عن اليتيم، فكذلك ولي الأمر نائب عن المسلمين.عن عبيد بن عمير أن عمر قال:﴿وَاللَّهِ لَأَزِيدَنَّ النَّاسَ مَا زَادَ الْمَالُ، لَأَعُدَّنَّ لَهُمْ عَدًّا، فَإِنْ أَعْيَانِي كَثْرَتُهُ لَأَحْثُوَنَّ لَهُمْ حَثْوًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُوَ مَالُهُمْ يَأْخُذُونَهُ﴾ فسماه مالهم، لا ماله.عن ناشر بن سُمَي قال: سمعت عمر يقول يوم الجابية: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي خَازِنًا لِهَذَا الْمَالِ وَقَاسِمًا له﴾ فنص على أن وظيفته فيه حفظه وقسمه بين أهله على وفق شرع الله لا وظيفة المالك الذي يصرفه كيف شاء...

----

*(الخضرة) الثمرة الناضرة والمراد أن المال مرغوب فيه مثل الفاكهة الخضرة الحلوة الجاذبة للنفس والشهوة.

مراجع: وفيات الأعيان/ فضائل الصحابة/ صفة الصفوة/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ البداية والنهاية/ صحيح البخاري/ـالسياسة الشرعية/ صحيح مسلم/ سلطة ولي الأمر في المال العام/ شرح سنن أبي داود/ المحكم والمحيط الأعظم/ لسان العرب/ تاريخ دمشق/

عن ربعي بن حراش قال: استأذن عبد الله بن العباس[1] على معاوية بن أبي سفيان، وقد تحلقت عنده بطون قريش، وسعيد بن العاص[2] جالس عن يمينه. فلما نظر إليه معاوية مقبلا قال لسعيد: والله لألقين على ابن عباس مسائل يعيا بجوابها فقال سعيد: ليس مثل ابن عباس يعيا بمسائلك. فلما جلس قال له معاوية: ما تقول في أبي بكر الصديق[3] قال: رحم الله أبا بكر، كان والله للقرآن تاليا، وللشر قاليا، وعن المثل نائيا، وعن الفحشاء ساهيا، وعن المنكر ناهيا، وبدينه عارفا، ومن الله خائفا، ومن المهلكات جانفا، يخاف فلتة الدهر، وإحياء بالليل قائما، وبالنهار صائما، ومن دنياه سالما، وعلى عدل البرية عازما، وبالمعروف آمرا، وإليه صائرا، وفي الأحوال شاكرا، والله بالغدو والآصال ذاكرا، ولنفسه في المصالح قاهرا، فاق أصحابه ورعا وكفافا، وزهدا وعفافا، وبرا وحياطة، فأعقب الله من ثلبه اللعائن إلى يوم التغابن.

قال معاوية: فما تقول في عمر بن الخطاب[4]؟ فقال رحم الله أبا حفص، كان والله حليف الإسلام، ومأوى الأيتام، ومحل الإيمان، وملاذ الضعفاء، ومعقل الحنفاء، للخلق حصنا، وللناس عونا قال بحق الله صابرا محتسبا حتى أظهر الدين وفتح الديار وذكر الله في الإقطار والمنار، وعلى التلال وفي الضواحي والبقاع. عبد الجبار في الرخاء والشدة شكورا، له في كل وقت وآن ذكورا، فأعقب الله من يبغضه اللعنة إلى يوم الحسرة.

قال معاوية: فما تقول في عثمان[5]؟ قال: رحم الله أبا عمرو، كان والله أكرم الحفدة، وأفضل البررة، وأصبر القراء، هجادا بالأسحار، كثير الدموع عند ذكر الدار دائب الفكر فيما يعنيه بالليل والنهار، نهاضا إلى كل مكرمة، سعاء إلى كل منقبة، فرارا من كل موبقة، صاحب جيش العسرة، وصاحب البئر، وختن* المصطفى عليه السلام على ابنتيه، فأعقب الله من ثلبه الندامى إلى يوم القيامة.

قال معاوية: فما تقول في علي بن أبي طالب[6]؟ قال: رحم الله أبا الحسن، كان والله علم الهدى، وكهف التقى، ومحل الحجا، وطود الندى، ونور السفر في ظلم الدجى، وداعيا إلى المحجة العظمى، وعالما بما في الصحف الأولى، وقائما بالتأويل والذكرى متعلقا بأسباب الهدى، وتاركا للجور والأذى وحائدا عن طرقات الردى، وخير من آمن واتقى، وسيد من تقمص وارتدى، وأفضل من حج وسعى، وأسمح من عدل وسوى، وأخطب أهل الدنيا سوى الأنبياء والمصطفى، وصاحب القبلتين وزوج خير النساء، وأبو السبطين، لم تر عين مثله، ولا ترى أبدا حتى القيام واللقاء. فعلى من لعنه لعنة الله والعباد إلى يوم القيامة.

قال معاوية: فما تقول في طلحة[7] والزبير[8]؟ قال: رحمة الله عليهما، كانا والله عفيفين، مسلمين، برين، طاهرين، مطهرين، شهيدين، عالمين بالله، لهما النصرة القديمة والصحبة الكريمة، والأفعال الجميلة وفي حديث آخر: زلا زلة الله غافرها لهما.

قال: ما تقول في العباس بن عبد المطلب[9]؟ قال: رحم الله أبا الفضل، كان والله صنو أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرة عين صفي الله، همهيم الأقوام، وسيد الأعمام، قد علا بصرا للأمور، ونظرا في العواقب. علم تلاشت الأحساب عند ذكر فضيلته، وتباعدت الأنساب عند فخر عشيرته، ولم لا يكون كذلك؟ وقد ساسه اكرم من ذهب وهب: عب المطلب أفخر من مشى من قريش وركب.

قال معاوية: فلما سميت قريش قريشا؟ قال: لدابة تكون في البحر هي أعظم دواب البحر خطرا، لا تظفر بشيء من دواب البحر إلا أكلته، فسميت قريش لأنها أعظم العرب فعالا. فقال: هل تروي في ذلك شعرا؟ فأنشده قول الجمحي:

وقريش هي التي تسكن البحر به..ا سميت قريش قريشا..تأكل الغث والسمين ولا تترك ل..ذي الجناحين ريشا..هكذا في البلاد حي قريش..يأكلون البلاد أكلا كشيشا..ولهم آخر الزمان نبي..يكثر القتل فيهم والخموشا..يملأ الأرض خيله ورجال..يحشرون المطي حشرا كميشا. فقال معاوية: صدقت يا بن عباس، أشهد أنك لسان أهل بيتك. فلما خرج ابن عباس من عنده قال معاوية لمن عنده: ما كلمته قط إلا وجدته مستعدا.

وفي حديث آخر قال: فأمر له معاوية بأربعة آلاف درهم فقبضها ثم صرفها في بني عبد المطلب. فقالوا له: لا نقبل صدقة. قال: إنها ليست بصدقة. وإنما هي هدية لم يبق منها شيء، فبلغ ذلك معاوية فكتب إليه يلومه وأن يقصر عن ذلك فكتب إليه يقول: بخيل يرى بالجود عارا وإنما..على المرء عار أن يضن ويبخلا..إذا المرء أثرى ثم لم يرج نفعه..صديق فلاقته المنية أولا.

----

*(ختن) الختن بالتحريك: كل من كان من قبل المرأة، مثل الأب والأخ، وهم الأختان، هكذا عند العرب، وأما عند العامة فختن الرجل زوج ابنته وختنت الصبي من باب ضرب ونصر والاسم الختان والختانة والختان أيضا موضع القطع من الذكر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ﴿إذا التقى الختانان﴾ وقد تسمى الدعوة للختان ختانا

■ (1) ابن عباس، عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، شهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولامثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه.وكان آية في الحفظ رضي الله عنه.

■ (2) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

■ (3) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

■ (4) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (5) عثمان بن عفان الأموي،أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.ودفن بالبقيع.

■ (6) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى وزوج ابنته.يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن 7 سنين، ويقال 9، ويقال 10، ويقال 15، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد سنة 23 ق هـ، و مات سنة 40 هـ.

■ (7) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

■ (8) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي. أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حوراي رسول الله . هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر . أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله روى عنه ابناه عبد الله وعروة ، وروى عنه أيضا الأحنف بن قيس ومالك بن أوس وغيرهم . قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة .سنة 36 هـ

■ (9) العباس بن عبد المطلب جده هاشم بن عبد مناف وكنيته أبو الفضل من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وعم النبي وجد الخلفاء العباسيين وأبو حبر الأمة عبد الله بن عباس.أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه وأقام بمكة يكتب لرسول الله أخبار المشركين توفى بالمدينة سنة 32 هـ

عن الكوثر بن حكيم أبو محمد الحلبي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: عن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿إن أرأف أمتي بها أبو بكر، وإن أصلبها في أمر الله لعمر، وإن أشدها حياء لعثمان، وإن أقرأها لأبي، وإن أفرضها لزيد، وإن أقضاها لعلي، وإن أعلمها بالحلال والحرام لمعاذ، وإن أصدقها لهجة لأبو ذر، وإن أمير هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وإن حبر هذه الأمة لعبد الله بن عباس﴾ تعليق الذهبي في التلخيص: كوثر بن حكيم ساقط وعن ابن عمر قال: دعا النبي لعبد الله بن العباس فقال: ﴿اللهم، بارك فيه وانشر منه﴾ أخرجه أبو نعيم في الحلية. وأخرجه أيضا: ابن عدى قال معمر: عامة علم ابن عباس عن ثلاثة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب. وعن عكرمة قال: كان ابن عباس أعلمهما بالقرآن، وكان علي أعلمهما بالمبهمات، وسئل إسحاق بن إبراهيم الحنظلي عن معنى قول عكرمة: إن ابن عباس أعلم بتفسير القرآن من علي، فقال: لم سمع ابن عباس عامة التفسير من علي فوعاه وجمعه، ثم ضم إليه ما سمعه من غيره مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وعامة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. فلما ضم علم هؤلاء في التفسير إلى علم علي كان أعلم منه بالتفسير. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له فقال : اللهم، علمه الكتاب وفهمه التأويل، وعلي أعلم منه بالمبهمات ومن غيره، فقد شهد عامة التنزيل فروى فيم نزل، وفي أي أمر كان. قال شقيق: خطب ابن عباس وهو على الموسم، فافتتح سورة البقرة، فجعل يقرأها ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله. لو سمعت فارس والروم لأسلمت. وفي حديث بمعناه: فقرأ سورة النور. وعن عبيد الله بن أبي يزيد قال: كان ابن عباس إذا سئل عن شيء، فإن كان في كتاب الله عز وجل قال به، وإن لم يكن في كتاب الله عز وجل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيء قال به، فإن لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيء قال بها قال به أبو بكر وعمر، فإن لم يكن لأبي بكر وعمر، فيه شيء قال برأيه.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/

روي عن ابن عباس[1] أنه قال: قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع أصحابه ووفود العرب عنده، فدخلت فسلمت وقعدت، فقال: من الناس يا ابن عباس؟ فقلت: نحن. قال: فإذا غبتم؟ قلت: فلا أحد.قال: ترى أني قعدت هذا المقعد بكم؟ قلت: نعم، فبمن قعدت؟ قال: بمن كان مثل حرب بن أمية[2]قلت: من أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه. قال فغضب وقال: وار شخصك مني شهرا فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك. فلما خرج ابن عباس قال لخاصته: ألا تسألوني ما الذي أغضب معاوية؟ إنه لم يلتق أحد من رؤساء قريش في عقبة ولا مضيق مع قوم إلا لم يتقدمه أحد حتى يجوزه، فالتقى حرب بن أمية مع رجل من بني تميم في عقبة فتقدمه التميمي، فقال حرب: أنا حرب بن أمية، فلم يلتفت إليه وجازه، فقال: موعدك مكة. فبقي التميمي دهرا ثم أراد دخول مكة فقال: من يجيرني من حرب بن أمية؟ فقالوا: عبد المطلب[3] قال: عبد المطلب أجل قدرا من أن يجير على حرب، فأتى ليلا دار الزبير بن عبد المطلب[4]فدق عليه، فقال الزبير للغيداق[5]: قد جاءنا رجل إما طالب حاجة وإما طالب قرى*وإما مستجير وقد أعطيناه ما أراد قال: فخرج إليه الزبير، فقال التميمي:لاقيت حربا في الثنية مقبلا..والصبح أبلج ضوءه للساري..فدعا بصوت واكتنى ليروعني..ودعا بدعوته يريد فخاري..فتركته كالكلب ينبح وحده..وأتيت أهل معالم وفخار..ليثا هزبرا يستجار بقربه..رحب المباءة مكرما للجار..ولقد حلفت بزمزم وبمكة..والبيت ذي الأحجار والأستار..إن الزبير لمانعي من خوفه..ما كبر الحجاج في الأمصار.فقال: تقدم فإنا لا نتقدم من نجيره. فتقدم التميمي فدخل المسجد، فرآه حرب فقام إليه فلطمه، فحمل عليه الزبير بالسيف فعدا حتى دخل دار عبد المطلب فقال: أجرني من الزبير، فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس، فبقي هناك ساعة ثم قال له: اخرج. فقال: كيف أخرج وتسعة من ولدك قد احتبوا بسيوفهم على الباب؟ فألقى عليه رداء كان كساه إياه سيف بن ذي يزن[6]له طرتان خضراوان، فخرج عليهم فعلموا أنه قد أجاره فتفرقوا عنه.

----

*(الطرة) طرف كل شيء وحرفه، ومنه طرة الأرض، وهي حاشيتها.والطرة:الناصية(القرى) ما يقدم إلى الضيف**قال المسعودي: فهم عمرو أن يتكلم، فمنعه معاوية من ذلك، وقال عبد الله بن الحارث:لا يبق المرء إلا على نفسه، والله إن لساني لحديد وإن جوابي لعتيد، وإن قولي لسديد، وإن أنصاري لشهود، فقام معاوية وتفرق القوم

■ (1) ابن عباس، عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، شهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولامثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه.وكان آية في الحفظ رضي الله عنه.

■ (6) سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري: من ملوك العرب اليمانيين، ودهاتهم. قيل اسمه معد يكرب. ولد ونشأ بصنعاء. وكان الحبشة قد ملكوا اليمن في أوائل القرن السادس للميلاد، وقتلوا أكثر ملوكها من آل حمير، فنهض سيف، وقصد أنطاكية وفيها قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما أصاب اليمن، فلم يلتفت إليه، فقصد النعمان بن المنذر عامل كسرى على الحيرة والعراق فأوصله إلى كسرى أنو شروان ملك الفرس فحدثه بأمره، فبعث كسرى معه نحو ثماني مئة رجل ممن كانوا في سجونه، وأمر عليهم شريفا من العجم اسمه وهرز فسار بهم إلى الابلة غرب البصرة وركبوا البحر، وخرجوا بساحل عدن، فأقبل عليهم رجال اليمن يناصرونهم، فقتلوا ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة الاشرم، ودخلوا صنعاء، وكتبوا إلى كسرى بالفتح، فألحقت اليمن ببلاد الفرس على أن يكون ملكها والمتصرف في شؤونها سيف بن ذي يزن. واتخذ الملك سيف غمدان قصرا له، وعاد الفرس إلى بلادهم، واستبقى سيف جماعة من الحبشان أشفق عليهم وجعلهم خدما له. ووفدت عليه أمراء العرب تهنئه، فمكث في الملك نحو خمس وعشرين سنة، أو دون ذلك. وائتمر به بقايا الاحباش، فقتلوه بصنعاء سنة 50 ق هـ. وهو آخر من ملك اليمن من قحطان.

■ (3) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث: زعيم قريش في الجاهلية، وأحد سادات العرب ومقدميهم. مولده في المدينة ومنشأه بمكة. كان عاقلا، ذا أناة ونجدة، فصيح اللسان، حاضر القلب، أحبه قومه ورفعوا من شأنه، فكانت له السقاية والرفادة. قال سيديو في خلاصة تاريخ العرب: مارس الحكومة العظمى بمكة من سنة 520 إلى سنة 579 م، خلص وطنه من غارة الحبشة. وهو جد رسول الله قيل: اسمه شيبة وعبد المطلب لقب غلب عليه. وهو ممن وفد على الملك سيف ابن ذي يزن في وجوه قريش يهنؤنه بالنصر على الحبشة، كما في كتاب ملوك حمير.وكان أبيض مديد القامة. مات بمكة عن نحو ثمانين عاما أو أكثر.نحو 127 ق ه = 45 ق هـ

■ (2) حرب بن أمية بن عبد شمس، من قريش، كنيته أبو عمرو: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن سادات قومه. وهو جد معاوية بن أبي سفيان بن حرب. كان معاصرا لعبد المطلب بن هاشم. وشهد حرب الفجار. ومات بالشام سنة 36 ق هـ. وتزعم العرب أن الجن قتلته بثأر حية ! قال زياد ابن أنعم المعافري لعبد الله بن عباس: هل كنتم معاشر قريش تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي ؟ قال: نعم.قال: فمن علمكم ؟ قال: حرب بن أمية.

■ (4) الزبير بن عبد المطلب، كنيته أبو طاهر، وكان من أجلة قريش وفرسانها، وكان من المبارزين، وهو أكبر أعمام النبي أدركه النبي في طفولته.

■ (5) الغيداق بن عبد المطلب، واسمه نوفل، وأمه: ممنعة بنت عمرو بن مالك بن مؤمل، امرأة من خزاعة، وقيل: إن قثم كان أخا الغيداق لأمه، ولم يكن أخا الحارث لأمه.لم يسلم من أعمامه إلا حمزة والعباس، وأسلمت عمته صفية إجماعا، واختلفوا في أروى وعاتكة على ما ذكرناه في اسميهما. والغيداق العام الكثير المطر، والغيداق أيضا الغلام قبل بلوغ الحلم، ويقال أيضا لفرخ الضب غيداق. ومات الغيداق بعد وفاة أبيه بخمس سنين نحو 40 ق هـ. وقال الكلبي: الغيداق من أكابر ولد عبد المطلب، تزوج أمه أيام حالفته خزاعة وهي ممنعة بنت عمرو بن مالك بن مؤمل من خزاعة. وأخو الغيداق لأمه عوف بن عبد عوف، أبو عبد الرحمن بن عوف الزهري. وزعم بعضهم أن الغيداق هو حجل، وذلك غلط ولا عقب للغيداق.

قال العتبي: قدم معاوية المدينة، فخرج إلى العقيق*وخرج الناس إليه، فضربت له أبنية، فجاء أبو غليظ بن عتبة بن أبي لهب[1]، فعمد إلى جمل أجرب، فهنأه* بالقطران، وركب وأداره في الشمس حتى هرج*، ثم قصد به نحو معاوية، فلما نظر إلى الأبنية حمل الجمل عليها، والناس عنده جلوس فأقبل الجمل يقطع تلك الأبنية، وفزع الناس! فقال معاوية: أيها الناس! اجلسوا، إن هذا بعض جنون آل أبي لهب. فقال أبو غليظ: والله ما أنا بالمجنون، وما أتانا الجنون إلا من قبل حرب بن أمية! ما زال الشيطان يخنقه حتى مات. وكان حرب بن أمية مات مخنوقا، ذكروا أن الجن خنقته فمات.

☪

عن عيسى بن يزيد الكناني قال: كان بين الوليد بن عقبة بن أبي معيط[1]وعمرو بن العاص لحاء* بين يدي معاوية، فقصبه* عمرو، فقال له الوليد: اسكت يا عبد السلطان وأخا الشيطان، يا منزوع الحياء وطوع النساء، يا ألأم أهل بيته وأذل عشيرته، لقد بلغ بك اللؤم الغاية القصوى المذلة لأهلها في الآخرة والأولى، فمنعت الحقوق ولزمت العقوق وما ريت أهل الفضل، فقال عمرو: إنك لتعلم أني مر المذاقة وأن ليس لك بي طاقة، وأني حية الوادي، وداهية الأعادي، لا أتبع الأفياء ولا أنتمي إلى غير الآباء، أحمي الذمار في المضمار، غير هيوبة للوعيد ولا فروقة رعديد، أطعم الطعام وأضرب الهام، أفبالبخل تعيرني وإياه حالفت وعليه جبلت؟! فقال معاوية: أقسمت لما سكتما، ثم أنشد: وليد إذا ما كنت في القوم جالسا..فهن وليكن منك الوقار على بال..ولا يأتين الدهر من فيك منطق..بلا نظر قد كان منك وإعمال..لرأيك فيه، خوف ما ليس راجعا..فما كل من تلقى ابن عم ولا خال.

يقول البلاذري في أنساب الأشراف (تحقيق العظم): قال لي هشام بن عمار: نظرت في أحاديث معاوية عندكم فوجدت أكثرها مصنوعا، وذكر هذا الحديث.

عن جويرية بن أسماء قال: ذكر معاوية يوما الوليد بن عقبة فتنقصه أسامة بن زيد[2]رضي الله تعالى عنه وقال: إنه يرى أنه أحق بها أنت فيه منك لمكانه من عثمان، أخيه لأمه، فلم يجبه معاوية، وبلغ الوليد فدخل عليه فقال: يا معاوية إذا دبت الرجال إليك فينا بالباطل فلا تقبل منهم مالا تعرفنا به، وخذ منا عفو طاعتنا، ولا تجشمنا ما لا نريد، فقال معاوية: إني لا أقبل فيكم إلا ما أعرفكم به، وكل ذنب عنكم موضوع ما خلا القدح في هذا الملك.

----

*(اللحاء) مصدر تلاحى الرجلان تلاحيا ولحاء، إذا تشاتما (قصب) قصب فلانا شتمه وعابه

■ (1) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب، الاموي القرشي: وال.من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم. فيه ظرف ومجون ولهو. وهو أخو عثمان ابن عفان لامه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25 هـ فانصرف إليها، وأقام إلى سنة 29 هـ فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر، فعزله ودعا به إلى المدينة، فجاء، فحده وحبسه. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية، فسكنها. واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرض معاوية على الاخذ بثأره. ومات بالرقة سنة 61 هـ.

■ (2) أسامة بن زيد بن حارثة حبيب رسول الله وابن حبيبه. كنيته أبو محمد. ولد بمكة ونشأ على الإسلام لأن أباه كان من أول الناس إسلاما أمَّره رسول الله قبل أن يبلغ العشرين فكان مظفرا مات بالجرف ضاحية المدينة سنة 54 هـ

مراجع: أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ تاريخ مدينة دمشق/ مختصر تاريخ مدينة دمشق/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وعبد الله بن العباس (٤) 0212

أخرج العسكري في كتاب الأوائل عن سليمان بن عبد الله بن معمر قال: قدم معاوية مكة أو المدينة فأتى المسجد فقعد في حلقة فيها ابن عمر[1] وابن عباس[2] وعبد الرحمن بن أبي بكر[3] فأقبلوا عليه وأعرض عنه ابن عباس فقال: وأنا أحق بهذا الأمر من هذا المعرض وابن عمه فقال ابن عباس: ولم؟ ألتقدم في الإسلام أم سابقة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قرابة منه ؟! قال: لا و لكني ابن عم المقتول، قال: فهذا أحق به يريد، ابن أبي بكر، قال: إن أباه مات موتا قال: فهذا أحق به يريد ابن عمر قال: إن أباه قتله كافر قال: فذاك أدحض لحجتك إن كان المسلمون عتبوا على ابن عمك فقتلوه.

قال عبد الله بن محمد بن عقيل: قدم معاوية المدينة فلقيه أبو قتادة الأنصاري[4] فقال معاوية: تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار قال: لم يكن لنا دواب قال: فأين النواضح*؟ قال: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر ثم قال أبو قتادة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: ﴿إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً﴾ قال معاوية: فما أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر. قال: فاصبروا فبلغ ذلك عبد الرحمن بن حسان بن ثابت[5] فقال: ألا أبلغ معاوية بن حرب..أمير المؤمنين نبا كلامي..فإنا صابرون ومنظروكم..إلى يوم التغابن والخصام.

لما جاء معاوية نعي الحسن بن علي[5] استأذن ابن عباس على معاوية، وكان ابن عباس قد ذهب بصره، فكان يقول لقائده: إذا دخلت بي على معاوية فلا تقدني، فإن معاوية يشمت بي. فلما جلس ابن عباس قال معاوية: لأخبرنه بما هو أشد عليه من أن أشمت به. فلما دخل قال: يا أبا العباس، هلك الحسن بن علي، فقال ابن عباس: إنا لله وإنا إليه راجعون. وعرف ابن عباس أنه شامت به، فقال: أما والله يا معاوية لا تسد حفرتك، ولا تخلد بعده، ولقد أصبنا بأعظم منه، فخرنا الله بعده، ثمقام. فقال معاوية: لا والله، ما كلمت أحدا قط أعد جوابا ولا أعقل من ابن عباس.

----

*(الأثرة) تقديم حظ النفس على الآخرين والانفراد بالشيء وتفضيل البعض على غيرهم (الناضح) جمل يستقى عليه الماء للقرى في الحوض أو سقي أرض وجمعه النواضح

■ (2) ابن عباس، عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، شهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولامثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه.وكان آية في الحفظ رضي الله عنه.

■ (4) أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاريفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم. شهد أحدا، والحديبية والخندق. اسمه الحارث بن ربعي، على الصحيح، وقيل: اسمه: النعمان، وقيل: عمرو.قيل: مات أبو قتادة سنة 54 هـ بالمدينة. وروى أهل الكوفة أنه توفي بها، وأن عليا صلى عليه.

■ (1) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

■ (3) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق شقيق أم المؤمنين عائشة. حضر بدرا مع المشركين؛ ثم إنه أسلم، وهاجر قبيل الفتح. وأما جده أبو قحافة فتأخر إسلامه إلى يوم الفتح. وكان هذا أسن أولاد الصديق، وكان من الرماة المذكورين، والشجعان. قتل يوم اليمامة سبعة من كبارهم. له أحاديث، نحو الثمانية. اتفق الشيخان على ثلاثة منها. روى عنه ابناه؛ عبد الله وحفصة، وابن أخيه؛ القاسم بن محمد، وأبو عثمان النهدي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعمرو بن أوس الثقفي، وابن أبي مليكة، وآخرون. وهو الذي أمره النبي في حجة الوداع أن يعمر أخته عائشة من التنعيم. توفي في سنة 53 هـ. وقيل 55 هـ، وقيل 56 هـ، والأول أكثر.

■ (5) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري الخزرجي: شاعر، ابن شاعر، كان مقيما في المدينة، وتوفي فيها سنة 104 هـ. اشتهر بالشعر في زمن أبيه، قال حسان: فمن للقوافي بعد حسان وابنه ؟ ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت؟ وفي تاريخ وفاته خلاف.

■ (5) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

الله أكبر

عن جويرية أن عمرو بن العاص[1] قال لعبد الله بن عباس: يا بني هاشم، أما والله لقد تقلدتم من دم عثمان كفرم الإماء العوارك، وأطعتم فساق أهل العراق في عيبه، واجزرتموه مراق أهل مصر، وآويتم قتلته، وإنما نظر الناس إلى قريش، ونظرت قريش إلى بني عبد مناف، ونظر بنو عبد مناف إلى بني هاشم، فقال ابن عباس لمعاوية: ما تكلم عمرو إلا عن رأيك، وإن أحق الناس أن لا يتكلم في قتل عثمان لأنتما، أما أنت يا معاوية فزينت له ما صنع، حتى إذا حصر طلب نصرك، فأبطأت وتثاقلت وأحببت قتله، وتربصت لتنال ما نلت، وأما أنت يا عمرو فأضرمت المدينة عليه نارا، ثم هربت إلى فلسطين، فأقبلت تحرض عليه الوارد والصادر، فلما بلغك قتله دعتك عداوة علي إلى أن لحقت بمعاوية، فبعت دينك منه بمصر، فقال معاوية: حسبك يرحمك الله، عرضني لك ونفسه فلا جزي خيرا. قالوا: وكان عمرو بن العاص قال لعثمان حين حضر الحصار الأول: إنك يا عثمان ركبت بالناس النهابير فاتق الله وتب إليه فقال له: يا بن النابغة وأنك لممن تاؤلب علي الطغام لأن عزلتك عن مصر، فخرج إلى فلسطين فأقام بها في ماله هناك، وجعل يحرض الناس على عثمان حتى رعاة الغنم، فلما بلغه مقتله قال: أنا أبو عبد الله إني إذا حككت قرحة أدميتها*.

قالوا: وقال أسامة بن زيد بن حارثة لعلي بن أبي طالب: والله يا أبا الحسن والله لأنت أعز علي من سمعي وبصري فأطعني وأخرج إلى أرضك بينبع فإن عثمان إن قتل وأنت بالمدينة رميت بدمه، وإن أنت لم تشهد أمره لم يعدل الناس بك، فقال ابن عباس لأسامة: يا أبا محمد أتطلب أثرا بعد عين؟ أبعد ثلاثة من قريش ينبغي لعلي أن يعتزل؟ وقال أبو مخنف: صلى على علي بالناس يوم النحروعثمان محصور، فبعث إليه عثمان ببيت الممزق: إن كنت مأكولا فكن أنت آكلي..وإلا فأدركني ولما أمزق وكان رسوله به عبد الله بن الحارث، ففرق علي الناس عن طلحة، فلما رأى ذلك طلحة دخل عثمان فاعتذر فقال له عثمان: يا بن الحضرمية ألبت علي الناس ودعوتهم إلى قتلي حتى إذا فاتك ما تريد جئت معتذرا، لا قبل الله ممن قبل عذرك.

وقال أبو مخنف في روايته: نظر مروان بن الحكم إلى الحسين بن علي فقال: ما جاء بك؟ قال: الوفاء ببيعتي، قال: اخرج عنا، أبوك يؤلب الناس علينا وأنت هاهنا معنا؛ وقال له عثمان: انصرف فلست أريد قتالا ولا آمر به. وعن إسحاق بن راشد عن أبي جعفر أنبأنا عثمان قال: لما كثر علينا الرمي بالحجارة أتيت عليا فقلت: يا عم قد كثرت علينا الحجارة، فمشى معي فرماهم حتى فترت يده، ثم قال: يا بن أخي اجمع مواليكم ومن كان منكم ببسبيل ثم لتكن هذه حالكم.

عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال: لما رجع أهل مصر وأحاطوا بالدار بعث إلى عثمان إلى علي بن أبي طالب أن ائتني، فبعث إليه حسينا ابنه، فلما جاء قال له عثمان: يا بن أخي ما جاء بك؟ قال جئت لأفي ببيعتي، قال: يا بن أخي أتقدر على أن تمنعني من الناس؟ قال: لا، قال: فأنت في حل من بيعتي، فقل لأبيك يأتني، فجاء الحسين إلى علي فأخبره بقول عثمان، فقام علي ليأتيه فقام إليه ابن الحنفية فأخذ بضبعيه يمنعه من ذلك، قال ابن أبزى: فأنا رأيت عليا يطرف له ويقول: لا أم لك، حتى جاء الصريخ أن قد قتل عثمان فمد علي يده إلى القبلة ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان. وعن أبي محمد الأنصاري قال: شهدت عثمان في الدار، والحسن بن علي يضارب عنه فخرج الحسن، فكنت فيمن حمله جريحا، قال: وجاء رجل فضرب عثمان فرأيت الدم يتشعب على المصحف.

عن عبد الرحمن بن معاوية قال، قال عامر بن مسعود الجمحي: إنا لبمكة إذ مر بنا بريد ينعى معاوية، فنهضنا إلى ابن عباس وهو بمكة وعنده جماعة وقد وضعت المائدة ولم يؤت بالطعام فقلنا له: يا ابا العباس، جاء البريد بموت معاوية فوجم طويلا ثم قال: اللهم، أوسع لمعاوية، أما والله ما كان مثل من قبله ولا يأتي بعده مثله، وإن ابنه يزيد لمن صالحي أهله فالزموا مجالسكم وأعطوا طاعتكم وبيعتكم، هات طعامك يا غلام، قال: فبينا نحن كذلك إذ جاء رسول خالد بن العاص وهو على مكة يدعوه للبيعة فقال: قل له أقض حاجتك فيما بينك وبين من حضرك فإذا أمسينا جئتك، فرجع الرسول فقال: لا بد من حضورك فمضى فبايع.

روى إياس بن سلمة بن الاكوع، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:﴿خَيْرُ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ وَخَيْرُ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ بن الاكوع﴾ قال: قال أبو قتادة: إني لاغسل رأسي، قد غسلت أحد شقيه، إذ سمعت فرسي جروة تصهل، وتبحث بحافرها. فقلت: هذه حرب قد حضرت. فقمت، ولم أغسل شق رأسي الآخر، فركبت، وعلي بردة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيح: الفزع ! الفزع ! قال: فأدرك المقداد، فسايرته ساعة، ثم تقدمه فرسي، وكان أجود من فرسه. وأخبرني المقداد بقتل مسعدة محرزا - يعني ابن نضلة - فقلت للمقداد: إما أن أموت، أو أقتل قاتل محرز. فضرب فرسه، فلحقه أبو قتادة، فوقف له مسعدة، فنزل أبو قتادة فقتله، وجنب فرسه معه. قال: فلما مر الناس، تلاحقوا، ونظروا إلى بردي، فعرفوها، وقالوا: أبو قتادة قتل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا، ولكنه قتيل أبي قتادة عليه برده، فخلوا بينه وبين سلبه وفرسه. قال: فلما أدركني، قال: اللهم بارك له في شعره وبشره، أفلح وجهك! قتلت مسعدة؟ قلت: نعم. قال: فما هذا الذي بوجهك؟ قلت: سهم رميت به؛ قال: فادن مني. فبصق عليه، فما ضرب علي قط ولا قاح. فمات أبو قتادة وهو ابن سبعين سنة؛ وكأنه ابن خمس عشرة سنة.قال: وأعطاني فرس مسعدة وسلاحه.

----

*(إذا حككت قرحة أدميتها) هو مثل يريد : إذا يممت غاية تقصيتها وبلغتها

■ (1) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

مراجع: تاريخ الخلفاء/ سير أعلام النبلاء/ الأعلام للزركلي/ أنساب الأشراف/مختصر تاريخ دمشق/

لما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه يوما الأحنف بن قيس[1] فقال له معاوية: والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين* إلا كانت حزازة في قلبي إلى يوم القيامة، فقال له الأحنف: والله يا معاوية إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإن السيوف التي قاتلناك بها لفي أغمادها، وإن تدن من الحرب فترا ندن منها شبرا، وإن تمش إليها نهرول إليها، ثم قام وخرج. وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه فقالت: يا أمير المؤمنين، من هذا الذي يتهدد ويتوعد قال: هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب. وفي رواية، عدد معاوية بن أبي سفيان على الأحنف ذنوبا، فقال: يا أمير المؤمنين، لم ترد الأمور على أعقابها؛ أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا، والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا؛ ولئن مددت فترا من غدر لنمدن باعا من ختر؛ ولئن شئت لنستصفين كدر قلوبنا بصفو حلمك. قال: فإني أفعل! في رواية دخل الأحنف على معاوية فقال: أنت الشاهر علينا سيفك يوم صفين، والمخذل عن أم المؤمنين؟! فقال: يا معاوية، لا ترد الأمور على أدبارها فإن السيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا والقلوب التي أبغضناك بها بين جوانحنا والله لا تمد إلينا شبرا من غدر إلا مددنا إليك ذراعا من ختر ولئن شئت لتستصفين كدر قلوبنا بصفو من عفوك. قال: فإني أفعل.

حدث الأحنف بن قيس: وكان وافدا لأهل البصرة على معاوية وقد دخل النمر بن قطبة[2]، وعلى النمر عباءة قطوانية*، وعلى الأحنف مدرعة* وشملة، فاقتحمتها عين معاوية -أي ازدراه-. فقال النمر: يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك، وإنما يكلمك من فيها، فقال: اجلس، ثم أقبل على الأحنف، فقال: ثم مه؟ فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين أهل البصرة عدد يسير، وعظم كسير، مع تتابع من المحول* واتصال من الذحول*، فالغني قد أطرق، والمقل قد أملق، وبلغ منه المخنق، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر الكسير، ويسهل العسير ويصفح عن الذحول، ويداوي من المحول، ويكشف البلاء لتزول الأواء، ألا وإن للسيد نعما فلا تخص، ومن يدعو الجفلى*، ولا يدعو النقرى*، إن أحسن إليه شكر، وإن أسيء إليه غفر، ثم يكون من وراء ذلك لرعيته عمادا يرفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات. فقال له معاوية: ههنا يا أبا بحر، وتلا هذه الآية: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد]

روي أن معاوية أيضا لما نصب ولده يزيد[3] لولاية العهد أقعده في قبة حمراء، فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى يزيد، حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها، والأحنف بن قيس جالس، فقال له معاوية: ما بالك لا تقول يا أبا بحر فقال: أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت، فقال له معاوية: جزاك الله عن الطاعة خيرا، وأمر له بألوف؛ فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له: يا أبا بحر، غني لأعلم أن الشركة المتعهدة من خلق الله سبحانه وتعالى نطمع في استخراجها إلا بما سمعت، فقال له الأحنف: أمسك عليك فإن ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله تعالى وجيها.

حدث أبي الجناب الكندي عن أبيه، أن معاوية بن أبي سفيان بينا هو جالس وعنده وجوه الناس، إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا، فكان آخر كلامه أن لعن عليا؛ فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا القائل ما قال آنفا لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم، فاتق الله ودع عنك عليا، فقد لقي ربه، وأفرد في قبره، وخلا بعمله؛ وكان والله- ما علمنا- المبرز بسبقه*، الطاهر خلقه، الميمون نقيبته، العظيم مصيبته فقال له معاوية: يا أحنف، لقد أغضيت العين على القذى*، وقلت ما ترى! وايم الله* لتصعدن المنبر فتلعننه طوعا أو كرها، فقال له الأحنف يا أمير المؤمنين، إن تعفني فهو خير لك، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجري فيه شفتاي أبدا! قال: قم فاصعد المنبر. قال الأحنف: أما والله مع ذلك لأنصفنك في القول والفعل. قال: وما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتني؟ قال: أصعد المنبر فأحمد الله بما هو أهله، وأصل على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم أقول: أيها الناس، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليا، وإن عليا ومعاوية اختلفا فاقتتلا، وادعى كل واحد منهما أنه بغي عليه وعلى فئته؛ فإذا دعوت فأمنوا رحمكم الله. ثم أقول: اللهم، العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه؛ والعن الفئة الباغية*؛ اللهم، العنهم لعنا كبيرا! أمنوا رحمكم الله. يا معاوية، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفا ولو كان فيه ذهاب نفسي؛ فقال معاوية: إذا نعفيك يا أبا بحر. قال الراوي: وخطب معاوية يوما فقال: أيها الناس إن الله تعالى قال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر]، فعلام تلومونني إذا قصرت عنكم في عطاياكم؟ فقال له الأحنف بن قيس: إنا والله ما نلومك فيما في خزائن الله، ولكن وضعت يدك على ما أنزل الله من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه، قال: فكأنما ألقمه حجرا.

* (صفين) موضع بين الشام والعراق.كانت بها الوقعة المشهورة. في رواية (وكان والله المبرز سيفه، الطاهر ثوبه الميمون نقيبته)، (قطوانية) نسبة إلى قطوان موضع بالكوفة (مدرعة)، ثوب لا يكون إلا من الصوف (المحول) من المحل وهو الجدب (الذحول)، جمع ذحل وهو الثأر أو هو العدواة والحقد (الجفلى) الدعوة العامة، (النقرى) الدعوة الخاصة(القذى) ما يقع في العين وما ترمي به وجمعه أقذاء وقذي.(أغضيت العين على القذى) أغمض جفونه على القذى: تحمل الظلم- يغضي على القذى: يسكت على الذل والضيم دون أن يشكو.(وايم الله) يمين الله

■ (1) أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، أدرك عهد النبي ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات، وشهد مع علي وقعة صفين،وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ عن 70 سنة، والأول أشهر.

■ (3) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، ويروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (2) النمر بن قطبة، وفد على معاوية (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

عن زر بن حبيش قال: قال علي رضي الله عنه: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي:﴿أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ﴾ (برأ النسمة) أي خلق الإنسان وقيل النفس. وعن عمرو بن شاس، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿قَدْ آذَيْتَنِي. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ أُوذِيَكَ، قَالَ: مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي﴾ وعن أبي سعيد الخدري، قال: كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليًّا. وعن الحسن بن علي، أنه خطب الناس بعد وفاة علي رضي الله عنه فقال: لقد فارقكم رجل أمس، ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون. وعن زيد بن يثيع قالا: نشد علي الناس في الرحبة* من سمع رسول الله صلى الله عيه وسلم يوم غدير خم فقام ستة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم:﴿أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ قَالُوا بَلَى قَالَ: أَوَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ قَالُوا: بَلَى قَالَ: اللَّهُمَّ، مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ، وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ﴾ يقول ابن كثير: وأما ما يفتريه كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء، من أنه أوصى إلى علي بالخلافة، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم به خطأ كبير، من تخوين الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره، لا لمعنى ولا لسبب، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق، يعلم بطلان هذا الافتراء، لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمة، التي هي أشرف الأمم بنص القرآن، وإجماع السلف والخلف، في الدنيا والآخرة، ولله الحمد.

عن هشام بن عروة عن أبيه قال:﴿قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبُّوهُمْ﴾ قال القاضي الظاهر أنها قالت هذا عندما سمعت أهل مصر يقولون في عثمان ما قالوا وأهل الشام في علي ما قالوا والحرورية في الجميع ما قالوا وأما الأمر بالاستغفار فهو قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر] سئل عمر بن عبد العزيز عن القتال الذي حصل بين الصحابة فقال تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر بها لساني مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل العيون ودواء العيون ترك مسها. قال الإمام أحمد بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية قال: ما أقول فيهم إلا الحسنى، قال إبراهيم بن آرز الفقيه: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه فقال اقرأ:﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة] ونقل أحمد بن الحسن الترمذي وقد سأله ما يقول فيما كان من أمر طلحة والزبير وعلي وعائشة فقال من أنا حتى أقول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بينهم شيء الله أعلم به. وسئل الحسن البصري عن قتالهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا. قال المحاسبي: فنحن نقول كما قال الحسن ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، ونتبع ما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأيا منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل، إذ كانوا غير متهمين في الدين.

قال ابن قتيبة في كتاب المعارف ما صورته: ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم بني تميم يدعوهم إلى الإسلام كان الأحنف فيهم، ولم يجيبوا إلى اتباعه، فقال لهم الأحنف: إنه ليدعوكم إلى مكارم الأخلاق وينهاكم عن ملائمها، فأسلموا وأسلم الأحنف ولم يفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان زمن عمر رضي الله عنه وفد عليه. ومن كلام الأحنف: في ثلاث خصال ما أقولهن إلا ليعتبر: ما دخلت بين اثنين قط حتى يدخلاني بينهما، ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم أدع إليه، يعني الملوك، ولا حللت حبوتي إلى ما يقوم الناس إليه. ومن كلامه: ألا أدلكم على المحمد بلا مرزئة الخلق السجيح* والكف على التسبيح، ألا أخبركم بأدوإ الداء الخلق الدنيء واللسان البذيء. ومن كلامه: ما خان شريف ولا كذب عاقل ولا اغتاب مؤمن. وقال ما ادخرت الآباء للأبناء ولا أبقت الموتى للأحياء أفضل من اصطناع معروف عند ذوي الأحساب والآداب. وقال: كثرة الضحك تذهب الهيبة، وكثرة المزاح تذهب المروءة، ومن لزم شيئا عرف به. وسمع الأحنف رجلا يقول: ما أبالي أمدحت أم ذممت، فقال له: لقد استرحت من حيث تعب الكرام. ومن كلامه: جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام، فإني أبغض الرجل يكون وصافا لفرجه وبطنه، وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه.

قال هشام بن عقبة أخو ذي الرمة الشاعر المشهور: شهدت الأحنف بن قيس وقد جاء إلى قوم يتكلمون في دم، احكموا، فقالوا: نحكم بديتين. قال: ذلك لكم، فلما سكتوا قال: أنا أعطيكم ما سألتم غير أني قائل لكم شيئا، إن الله عز وجل قضى بدية واحدة، وإن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بدية واحدة، وأنتم اليوم طالبون، وأخشى أن تكونوا غدا مطلوبين، فلا يرضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم لأنفسكم، فقالوا: فردها إلى دية واحدة؛ فحمد الله وأثنى عليه وركب.

وسئل عن الحلم ما هو فقال: هو الذل مع الصبر. وكان يقول إذا عجب الناس من حلمه: إني لأجد ما تجدون، ولكني صبور. وكان يقول: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. ويقول: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري، لأنه قتل ابن أخر له بعض بنيه فأتي بالقاتل مكتوفيا يقاد إليه، فقال: ذعرتم الفتى، ثم أقبل على الفتى فقال: يا بني، بئس ما صنعت: نقصت عددك وأوهنت عضدك وأشمت عودك وأسأت بقومك؛ خلو سبيله، واحملوا إلى أم المقتول دينه فإنها غريبة. ثم انصرف القاتل وما حل قيس حبوته ولا تغير وجهه. وكان الأحنف بن قيس يقول: عجبت لمن جرى في مجرى البول كيف يتكبر؛ وكان يقول: اكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار والنار. وقال رجل للأحنف: أخبرني الثقة عنك بسوء، قال: الثقة لا ينم. وقال الأحنف: شكوت إلى عمي مصيبة نزلت بي فأسكتني ثلاثا ثم قال لي: يا أبا بحر، لا تشك الذي نزل بك إلى مخلوق فإنما هو صديق تسوءه أو عدو تسره.

* (الخلق السجيح) لين سهل.(الباغية) الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام العادل (الرحبة)، رحبة مسجد الكوفة وهو المكان الواسع أمام بابه

مراجع: سراج الملوك / وفيات الأعيان/ إحياء علوم الدين/ حياة التابعين/ البداية والنهاية/ لسان العرب/ معجم اللغة العربية المعاصرة/ العقد الفريد/ نهاية المحتاج/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/

عن عمر بن ميمون أن الضحاك بن قيس الفهري[1] قال لمعاوية، وقد أخذ الناس مجالسهم، وكان ذلك بأمر معاوية: يا أمير المؤمنين اجمع شمل هذه الأمة بيزيد[2]فإنه أفضلنا حلما، وأحكمنا علما، فقال الأحنف[3]: يا أمير المؤمنين: اعص من يأمرك ويشير عليك، ولا ينظر لك، فإنك أعلم بالجماعة، وأعرف بالاستقامة، فضحك معاوية وقال: حسبك رحمك الله، ويقال إنه قال له: أنت أعلم بليل يزيد ونهاره منا، وإنا نخافكم إن صدقناكم، ونخاف الله إن كذبناكم، فأسكت معاوية.

وعن مسلمة بن محارب عن عيينة بن عبد الرحمن الجوشني أن معاوية قال للأحنف: أتراني نسيت لك اعتزالك بالبصرة وقريش تذبح في نواحيها كما يذبح الحيران لا تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر، أو تراني أنسى طلبك الحيل في أمر أتانيه الله لتبطلة، يعني يوم الحكمين. فقال الأحنف: صدقني سن بكره*، لا آتيه في حاجة أبدا.

قال المنذر بن الجارود[4]: أعطي الأحنف ما لم يعطه أحد. وفدنا على معاوية فلم أدع شيئا من حسن الزي والهيئة إلا اتخذته، وخرج متخففا رث الهيئة، فكنا إذا نزلنا منزلا أظهرت ما عندي من الهيئة وتلبست، وخرج الأحنف في بت، ولا يراني أحد ممن لا يعرفنا إلا قال: هذا الأحنف، والأحنف في بت ولا أذكر أنا.

قال معاوية: ما شيء يعدل الأناة فقال الأحنف: إلا في ثلاث يا أمير المؤمنين. قال: وما هي؟ قال: تبادر بعملك الصالح أجلك، وتعجل إخراج ميتك وتنكح الكفء إليك. قال: صدقت أبا بحر. ووجد معاوية على يزيد في بعض الأمر، فقال للأحنف، ودخل عليه: ما قولك في الولد؟ قال: يا أمير المؤمنين هم عماد ظهورنا، وثمار قلوبنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة فلا تمنعهم رفدك فيملوا قربك، وتثقل عليهم حياتك، فأعجبه قوله وقال: لقد كنت واجدا على يزيد فسللت سخيمتي، وأمر له بصلة. وعن عوانة: أن معاوية قال للأحنف: ما تعدون المروءة؟ قال: الفقه في الدين، وبر الوالدين، وإصلاح المال، فقال معاوية ليزيد ابنه: اسمع ما يقول عمك.وروى وضاح بن خيثمة أنه قال: الفقه في الدين.

عن العلاء بن لبيد قال: قدم وفد من أهل العراق على معاوية فقال آذنة: إن أمير المؤمنين يعزم عليكم ألا يتكلم أحد منكم إلا لنفسه، فدخلوا فقال الأحنف: لولا عزمة أمير المؤمنين لأخبرته أن رادفة ردفت، ونازلة نزلت، ونائبة نابت، كلهم به فاقة إلى رفد أمير المؤمنين. قال: حسبك يا أبا بحر فقد كفيت من غاب وشهد.

دخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان فأشار له إلى الوساد فقال له: اجلس فجلس على الارض! فقال معاوية: ما منعك يا أحنف من الجلوس على الوساد؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقري ولده أن قال: لا تغش السلطان حتى يملك ولا تقطعه حتى ينساك ولا تجلس له على فراش ولا وساد، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين فإنه عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له فيكون قيامك زيادة له ونقصا عليك؛ حسبي بهذا المجلس يا أمير المؤمنين، لعله أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس مني؛ فقال معاوية: لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشي الكلام وأنشأ يقول: يا أيها السائل عما مضى..وعلم هذا الزمن العائب..إن كنت تبغي العلم أو أهله..أو شاهدا يخبر عن غائب..فاعتبر الارض بسكانها..واعتبر الصاحب بالصاحب.

وذكر المدائني أن الأحنف بن قيس وفد على معاوية، مع أهل العراق، فخرج الآذن، فقال: إن أمير المؤمنين يعزم عليكم ألا يتكلم أحد إلا لنفسه. فلما وصلوا إليه قال الأحنف: لولا عزمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافة دفت، ونازلة نزلت، ونابتة نبتت، كلهم بهم حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبره، قال: حسبك يا أبا بحر، فقد كفيت الشاهد والغائب. ولما عزم معاوية على البيعة ليزيد كتب إلى زياد[5] أن يوجه إليه بوفد أهل العراق ، فبعث إليه بوفد البصرة والكوفة، فتكلمت الخطباء في يزيد ، والأحنف ساكت ، فلما فرغوا قال : قل يا أبا بحر ، فإن العيون إليك أشرع منها إلى غيرها ، فقام الأحنف فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا أمير المؤمنين ، إنك أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره ، وإعلانه وإسراره ، فإن كنت تعلمه لله رضا فلا تشاور فيه أحدا ، ولا تقم له الخطباء والشعراء ، وإن كنت تعلم بعده من الله فلا تزوده من الدنيا وترحل أنت إلى الآخرة ، فإنك تصير إلى يوم يفر فيه المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه . قال : فكأنه أفرغ على معاوية ذنوب ماء بارد . فقال له : اقعد يا أبا بحرة فإن خيرة الله تجري ، وقضاء الله يمضي، وأحكام الله تنفذ، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه ؛ وإن يزيد فتى قد بلوناه ، ولم نجد في قريش فتى هو. أجدر بأن يجتمع عليه منه . فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت تحكي عن شاهد ، ونحن نتكلم على غائب ، وإذا أراد الله شيئا كان.

----

* (صدقني سن بكره) يضرب مثلا للرجل يكذب في الأمر يدل بعض احواله على الصدق فيه وأصله ان رجلا ساوم رجلا ببعير وسأل عن سنه فأخبره انه بكر ففر عنه فوجده هرما فقال صدقني سن بكره وكذبني هو والبكر الفتى من الإبل بمنزلة الفتى من الناس والجمع أبكار والأنثى بكرة والجمع بكرات

■ (3) الاحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي، أبو بحر: سيد تميم، وقد اختلف في اسمه، فقيل: الضحاك، وقيل صخر، وقيل: الحارث، وقيل: حصين. أحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين. يضرب له المثل في الحلم. ولد في البصرة وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم. ولم يره. ووفد على عمر، حين آلت الخلافة إليه، في المدينة، فاستبقاه عمر، فمكث عاما، وأذن له فعاد إلى البصرة، فكتب عمر إلى أبي موسى الاشعري: أما بعد فأدن الاحنف وشاوره واسمع منه الخ. وشهد الفتوح في خراسان واعتزل الفتنة يوم الجمل، ثم شهد صفين مع علي. ولما انتظم الامر لمعاوية عاتبه، فأغلظ له الاحنف في الجواب، فسئل معاوية عن صبره عليه، فقال: هذا الذي إذا غضب غضب له مئة ألف لا يدرون فيم غضب. وولي خراسان. وكان صديقا لمصعب بن الزبير أمير العراق فوفد عليه بالكوفة فتوفي فيها وهو عنده. أخبار كثيرة جدا، وخطبه وكلماته متفرقة في كتب التاريخ والادب والبلدان، حرية بالجمع. توفي سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ قيل 72 هوقيل 77 هـ، عن 70 سنة، والأول أشهر.

■ (1) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي، أبو أمية، أو أبو أنيس: سيد بني فهر، في عصره. وأحد الولاة الشجعان. شهد فتح دمشق، وسكنها. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية على الكوفة سنة 53 هـ بعد موت زياد بن أبيه فتفقد الخورنق قصر النعمان وأصلحه. ونقل إلى ولاية دمشق، فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد. ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه، انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق. ومات معاوية سنة 64 هـ فأقبل أهل دمشق على الضحاك، فبايعوه على أن يصلي بهم، ويقيم لهم أمرهم، حتى يجتمع الناس على خليفة وانعقدت البيعة العامة لمروان بن الحكم، والضحاك في مرج راهط، فامتنع على مراون، فقتل في مرج راهط سنة 65 هـ.

■ (2) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (4) المنذر بن الجارود واسمه بشر ابن عمرو بن خنيس العبدي: أمير، من السادة الاجواد. ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وشهد الجمل مع علي وولاه على إمرة إصطخر. ثم بلغه عنه ما ساءه، فعزله. ثم ولاه عبيد الله بن زياد ثغر الهند سنة 61 هـ فمات فيها، آخر السنة. ويقال إنه كان يرى رأي الخوارج.

■ (5) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

سأل معاوية بن أبي سفيان الأحنف بن قيس عن الولد ،فقال: يا أميرالمؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة ، وبهم نصول عند كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم قفلا فيتمنوا موتك ويكرهوا قربك ويملوا حياتك. فقال له معاوية: لله أنت! لقد دخلت علي وإني لمملوء غيظا على يزيد ولقد أصلحت من قلبي له ما كان فسد. فلما خرج الأحنف من عند معاوية بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم، فبعث يزيد إلى الأحنف بنصفها.ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة، فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه تفاحة القلب، قال: انبذها عنك، فإنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء، ويورثن الضغائن. قال: لا تقل يا عمرو، فوالله ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأحزان إلا هن، وإنك لواجد خالا قد نفعه بنو أخته، فقال عمرو: ما أراك يا أمير المؤمنين إلا قد جبهتهن إلي.

قال مسلمة بن محارب: سأل رجل من بني صريم معاوية حاجة، فأمر بها له، وقالوا: ابن الصريمي، فقال رجل كان يطلب أمرا فطال مقامه: كلنا صريمي، يعرض بمعاوية، يقول: فرقت من الصريمي لأن الخارجي الذي ضربك صريمي. ففطن معاوية وضحك وقال له: اتق السلطان فإنهم يغضبون غضب الصبيان، ويصولون صيال الأسد.

حدث الأحنف أنه قدم على عمر بن الخطاب بفتح تستر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله قد فتح عليك تستر، وهي من أرض البصرة. فقال رجل من المهاجرين: يا أمير المؤمنين، إن هذا - يعني الأحنف بن قيس - الذي كف عنا بني مرة حين بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدقاتهم، وقد كانوا هموا بنا. قال الأحنف: فحبسني عمر عنده بالمدينة سنة، يأتيني في كل يوم وليلة، فلا يأتيه عني إلا ما يحب. فلما كان رأس السنة دعاني، فقال: يا أحنف: هل تدري لم حبستك عندي؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرنا كل منافق، فخشيت أن تكون منهم. فاحمد الله يا أحنف. وفي حدث مختصر بمعناه: فقال: يا أحنف، إني قد بلوتك وخبرتك، فرأيت علانيتك حسنة، وأنا أرجو أن تكون سريرتك على مثل علانيتك، وإن كنا نتحدث، إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم.

مراجع: أنساب الأشراف/ كتاب جمهرة الأمثال/ الأعلام للزركلي/ـمختصر تاريخ دمشق/ المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين/ زهر الآداب وثمر الألباب/ بهجة المجالس وأنس المجالس/ـ

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) والأحنف بن قيس (٣) 0215

لما كانت سنة ثلاث وخمسين أظهر معاوية عهدا مفتعلا فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد[1] بعده فلم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين ويشاور ويعطي الأقارب ويداني الأباعد حتى استوثق له من أكثر الناس، فقال لعبد الله بن الزبير: ما ترى في بيعة يزيد؟ قال: يا أمير المؤمنين، إني أناديك ولا أناجيك، إن أخاك من صدقك، فانظر قبل أن تتقدم وتفكر قبل أن تندم، فإن النظر قبل التقدم، والتفكر قبل التندم، فضحك معاوية وقال: ثعلب رواغ، تعلمت السجاعة عند الكبر في دون ما سجعت به على ابن أخيك ما يكفيك، ثم التفت إلى الأحنف بن قيس[2] فقال: ما ترى في بيعة يزيد قال: نخافكم إن صدقناكم، ونخاف الله إن كذبنا.فلما كانت سنة خمس وخمسين كتب معاوية إلى سائر الأمصار: أن يفدوا عليه، فوفد عليه من كل مصر قوم، وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم، فخلا به معاوية، وقال له: ما ترى في بيعة يزيد؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما أصبح اليوم على الأرض أحد هو أحب إلي رشدا من نفسك سوى نفسي، وإن يزيد أصبح غنيا في المال وسطا في الحسب، وإن الله سائل كل راع عن رعيته فاتق الله وانظر من تولي أمر أمة محمد، فأخذ معاوية بهر حتى تنفس الصعداء، وذلك في يوم شات، ثم قال: يا محمد، إنك امرؤ ناصح، قلت برأيك، ولم يكن عليك إلا ذاك، ثم قال معاوية: إنه لم يبق إلا ابني وأبناؤهم، فابني أحب إلي من أبنائهم، اخرج عني. ثم دعا الضحاك بن قيس الفهرى، فقال له: إذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتي وكلامي، فاستأذني للقيام، فإذا أذنت لك فاحمد الله تعالى، واذكر يزيد، وقل فيه الذي يحق له من حسن الثناء عليه، ثم ادعني إلى توليته من بعدي، فإني قد رأيت وأجمعت على توليته، فأسأل الله في ذلك وفي غيره الخيرة، وحسن القضاء، ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفي، وعبد الله بن مسعدة الفزاري، وثور بن معن السلمي، وعبد الله بن عصام الأشعرى، فأمرهم أن يقوموا إذا فرغ الضحاك، وأن يصدقوا قوله ويدعوه إلى يزيد، وجلس معاوية في أصحابه وأذن للوفود، فدخلوا عليه فخطبهم فلما فرغ من بعض موعظته، وهؤلاء النفر في المجلس، قد قعدوا للكلام. قام الضحاك بن قيس فاستأذن فأذن له، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين، وأمتع به، إنا قد بلونا الجماعة والألفة فوجدناها أحقن للدماء، وآمن للسبل، وخيرا في العاقبة والآجلة، ولا خير لنا أن نترك سدى والأيام عوج رواجع والأنفس يغدى عليها ويراح، والله يقول: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن] ولسنا ندري ما يختلف به العصران، وأنت يا أمير المؤمنين ميت كما مات من كان قبلك من أنبياء الله وخلفائه، نسأل الله تعالى بك المتاع، وقد رأينا من دعة يزيد ابن أمير المؤمنين، وحسن مذهبه وقصد سيرته ويمن نقيبته مع ما قسم الله له من المحبة في المسلمين، والشبه بأمير المؤمنين في عقله وسياسته وشيمته المرضية، ما دعانا إلى الرضا به في أمورنا والقنوع به في الولاية علينا، فليوله أمير المؤمنين أكرمه الله عهده وليجعله لنا ملجأ ومفزعا بعده نأوي إليه إن كان كون، فإنه ليس أحد أحق بها منه فاعزم على ذلك عزم الله لك في رشدك ووفقك في أمورنا. ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين، إنا قد أصبحنا في زمان مختلفة أهواؤه، قد احدودبت علينا سيساؤه، واقطوطبت علينا أدواؤه، وأناخت علينا أنباؤه ونحن نشير عليك بالرشاد وندعوك إلى السداد، وأنت يا أمير المؤمنين، أحسننا نظرا وأثبتنا بصرا، ويزيد ابن أمير المؤمنين قد عرفنا سيرته وبلونا علانيته ورضينا ولايته، وزادنا بذلك انبساطا، وبه اغتباطا مع ما منحه الله من الشبه بأمير المؤمنين والمحبة في المسلمين، فاعزم على ذلك ولا تضق به ذرعا، فالله تعالى يقيم به الأود ويردع به الألد، ويؤمن به السبل ويجمع به الشمل، ويعظم به الأجر ويحسن به الذخر، ثم جلس. فقام ثور بن معن السلمي، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين، إنا قد أصبحنا في زمان صاحبه مشاغب، وظله ذاهب مكتوب علينا فيه الشقاء والسعادة، وأنت يا أمير المؤمنين ميت نسأل الله بك المتاع، ويزيد ابن أمير المؤمنين أقدمنا شرفا، وأبذلنا عرفا، وقد دعانا إلى الرضا به والقنوع بولايته، والحرص عليه، والاختيار له ما قد عرفنا من صدق لسانه ووفائه وحسن بلائه، فاجعله لنا بعدك خلفا، فإنه أوسعنا كنفا وأقدمنا سلفا، وهو رتق لما فتق، وزمام لما شعث، ونكال لمن فارق ونافق، وسلم لمن واظب، وحافظ للحق، أسأل الله لأمير المؤمنين أفضل البقاء والسعادة والخيرة فيما أراد والتوطن في البلاد وصلاح أمر جميع العباد ثم جلس. فقام عبد الله بن عصام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به، إنا قد أصبحنا في دنيا منقضية، وأهواء منجذمة، نخاف حدها، وننتظر جدها، شديد منحدرها، كثير وعرها، شامخة مراقبها، ثابتة مراتبها، صعبة مراكبها، فالموت يا أمير المؤمنين وراءك ووراء العباد، لا يخلد في الدنيا أحد، ولا يبقى لنا أمد، وأنت يا أمير المؤمنين مسئول عن رعيتك، ومأخوذ بولايتك، وأنت أنظر الجماعة وأعلى عينا بحسن الرأي لأهل الطاعة، وقد هديت ليزيد في أكمل الأمور، وأفضلها رأيا، وأجمعها رضا، فاقطع بيزيد قالة الكلام ونخوة المبطل، وشعث المنافق، واكبت به الباذخ المعادي، فإن ذلك ألم للشعث وأسهل للوعث، فاعزم على ذلك ولا تترامى بك الظنون. ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزاري، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به، إن الله قد آثرك بخلافته، واختصك بكرامته، وجعلك عصمة لأوليائه، وذا نكاية لأعدائه، فأصبحت بأنعمه جذلا، ولما حملك محتملا، يكشف الله تعالى بك العمى، ويهدي بك العدا، ويزيد ابن أمير المؤمنين أحسن الناس برعيتك رأفة، وأحقهم بالخلافة بعدك، قد ساس الأمور وأحكمته الدهور، ليس بالصغير الفهيه، ولا بالكبير السفيه، قد احتجن المكارم، وارتجي لحمل العظائم، وأشد الناس في العدو نكاية، وأحسنهم صنعا في الولاية، وأنت أغنى بأمرك، وأحفظ لوصيتك، وأحرز لنفسك، أسأل الله لأمير المؤمنين العافية في غير جهد، والنعمة في غير تغيير، فقال معاوية لعمرو بن سعيد الأشدق: قم يا أبا أمية، فقام فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن يزيد بن معاوية أمل تأملونه، وأجل تأمنونه، طويل الباع، رحب الذراع، إن استضفتم إلى حلمه، وسعكم وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم، وإن افتقرتم إلي ذات يده أغناكم جذع قارح سوبق فسبق، وموجد فمجد، وقورع ففاز سهمه، فهو خلف أمير المؤمنين، ولا خلف منه، فقال له معاوية: اجلس أبا أمية، فلقد أوسعت وأحسنت، فقال معاوية: أوكلكم قد أجمع على هذا رأيه؟ فقالوا: كلنا قد أجمع رأيه على ما ذكرنا، قال: فأين الأحنف؟ فأجابه، قال: ألا تتكلم؟ فقام الأحنف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين، إن الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف، ومعروف زمان مؤتنف، ويزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف، فإن توله عهدك فعن غير كبر مفن أو مرض مضن، وقد حلبت الدهور وجربت الأمور، فاعرف من تسند إليه عهدك، ومن توليه الأمر من بعدك، واعص رأي من يأمرك ولا يقدر لك، ويشير عليك، ولا ينظر لك، وأنت أنظر للجماعة، وأعلم باستقامة الطاعة مع أن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا، ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيا. فغضب الضحاك بن قيس، فقام الثانية، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين، إن أهل النفاق من أهل العراق، مروءتهم في أنفسهم الشقاق، وألفتهم في دينهم الفراق، يرون الحق على أهوائهم كأنما ينظرون بأقفائهم، اختالوا جهلا وبطرا، لا يرقبون من الله راقبة، ولا يخافون وبال عاقبة، اتخذوا إبليس لهم ربا، واتخذهم إبليس حزبا، فمن يقاربوه لا يسروه، ومن يفارقوه لا يضروه، فادفع رأيهم يا أمير المؤمنين في نحورهم، وكلامهم في صدورهم، ما للحسن وذوي الحسن في سلطان الله الذي استخلف به معاوية في أرضه، هيهات لا تورث الخلافة عن كلالة، ولا يحجب غير الذكر العصبة، فوطنوا أنفسكم يأهل العراق على المناصحة لإمامكم، وكاتب نبيكم وصهره يسلم لكم العاجل، وتربحوا من الآجل. ثم قام الأحنف بن قيس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنا قد فررنا عنك قريشا، فوجدناك أكرمها زندا، وأشدها عقدا، وأوفاها عهدا، وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة، ولم تظهر عليها قعصا، ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد علمت، ليكون له الأمر من بعدك، فإن تف فأنت أهل الوفاء، وإن تغدر تعلم والله أن وراء الحسن خيولا جيادا، وأذرعا شدادا، وسيوفا حدادا، إن تدن له شبرا من غدر تجد وراءه باعا من نصر، وإنك تعلم أن أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك، ولا أبغضوا عليا وحسنا منذ أحبوهما، وما نزل عليهم في ذلك خبر من السماء، وإن السيوف التي شهروها عليك مع علي يوم صفين لعلى عواتقهم، والقلوب التي أبغضوك بها لبين جوانحهم، وايم الله إن الحسن لأحب إلى أهل العراق من علي. ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين، إن رأي الناس مختلف، وكثير منهم منحرف، لا يدعون أحدا إلى رشاد، ولا يجيبون داعيا إلى سداد، مجانبون لرأي الخلفاء، مخالفون لهم في السنة والقضاء، وقد وقفت ليزيد في أحسن القضية، وأرضاها لحمل الرعية، فإذا خار الله لك، فاعزم ثم اقطع قالة الكلام، فإن يزيد أعظمنا حلما وعلما وأوسعنا كنفا وخيرنا سلفا، قد أحكمته التجارب، وقصدت به سبل المذاهب، فلا يصرفنك عن بيعته صارف، ولا يقفن بك دونها واقف ممن هو شاسع عاص ينوص للفتنة كل مناص، لسانه ملتو وفي صدره داء دوي، إن قال فشر قائل، وإن سكت فداء غائل، قد عرفنا من هم أولئك، وما هم عليه لك من المجانبة للتوفيق، والتكلف للتفريق، فاجل ببيعته عنا الغمة، واجمع به شمل الأمة، ولا تحد عنه إذ هديت له، ولا تنبش عنه إذ وفقت له، فإن ذلك الرأي لنا ولك، والحق علينا وعليك، أسأل الله العون وحسن العاقبة لنا ولك بمنه. فقام معاوية فقال: أيها الناس، إن لإبليس من الناس إخوانا، وخلانا بهم يستعد وإياهم يستعين، وعلى ألسنتهم ينطق، إن رجوا طمعا أو جفوا وإن استغني عنهم أرجفوا، ثم يلقحون الفتن بالفجور، ويشققون لها حطب النفاق عيابون مرتابون، إن لووا عروة أمر حنفوا، وإن دعوا إلى غي أسرفوا، وليسوا أولئك بمنتهين، ولا بمقلعين، ولا متعظين حتى تصيبهم صواعق خزي وبيل، وتحل بهم قوارع أمر جليل، تجتث أصولهم كاجتثاث أصول الفقع، فأولى لأولئك ثم أولى فإنا قد قدمنا وأنذرنا إن أغنى التقدم شيئا أو نفع النذر. ثم قام يزيد بن المقنع، فقال: أمير المؤمنين، هذا وأشار إلى معاوية فإن هلك فهذا وأشار إلى يزيد، فمن أبى فهذا وأشار إلى سيفه، فقال معاوية: اجلس فإنك سيد الخطباء، ثم تكلم الأحنف بن قيس، فقال: يا أمير المؤمنين، أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلانيته، ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله رضا، ولهذه الأمة، فلا تشاور الناس فيه وإن كنت تعلم منه غير ذلك، فلا تزوده الدنيا، وأنت صائر إلى الآخرة، فإنه ليس لك من الآخرة إلا ما طاب، واعلم أنه لا حجة لك عند الله إن قدمت يزيد على الحسن والحسين، وأنت تعلم من هما وإلى ما هما، وإنما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

■ (2) الأحنف بن قيس التميمي،قيل اسمه صخر، وكان سيد قومه، يضرب به المثل في الحلم. أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه، روى عن عمر وعثمان وعلي، ومات سنة 67 هـ أو68 هـ وقيل مات في إمارة مصعب بن الزبير، بالكوفة.

■ (1) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

☪

قال صاحب العقد: فتفرق الناس ولم يذكروا إلا كلام الأحنف، ثم بايع الناس ليزيد بن معاوية، فقال رجل، وقد دعي إلى البيعة: اللهم، إني أعوذ بك من شر معاوية، فقال له معاوية: تعوذ من شر نفسك، فإنه أشد عليك، وبايع، فقال: إني أبايع وأنا كاره للبيعة، فقال له معاوية: بايع أيها الرجل فإن الله يقول: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء]

مراجع:جمهرة خطب العرب/ الأعلام للزركلي/ الكامل في التاريخ/ الغقد الفريد/

قال ابن قتيبة: قالوا: استخار الله معاوية، وأعرض عن ذكر البيعة حتى قدم المدينة سنة خمسين فتلقاه الناس، فلما استقر في منزله أرسل إلى عبد الله بن عباس[1]، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب[2]، وعبد الله بن عمر[3] وعبد الله بن الزبير[4]، وأمر حاجبه ألا يأذن لأحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر فلما جلسوا تكلم معاوية فقال: الحمد لله الذي أمرنا بحمده، ووعدنا عليه ثوابه، نحمده كثيرا كما أنعم علينا كثيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد، فإني قد كبر سني، ووهن عظمي، وقرب أجلي، وأوشكت أن أدعى فأجيب، وقد رأيت أن أستخلف عليكم بعدي يزيد[5]، ورأيته لكم رضا، وأنتم عبادلة قريش، وخيارها، وأبناء خيارها، ولم يمنعني أن أحضر حسنا[6] وحسينا[7]، إلا أنهما أولاد أبيهما، على حسن رأيي فيهما، وشديد محبتي لهما، فردوا على أمير المؤمنين خيرا يرحمكم الله، فتكلم عبد الله بن عباس، فقال: الحمد لله الذي ألهمنا أن نحمده، واستوجب علينا الشكر على آلائه، وحسن بلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله وآل محمد، أما بعد، فإنك قد تكلمت فأنصتنا، وقلت فسمعنا، وإن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه اختار محمد لرسالته، واختاره لوحيه، وشرفه على خلقه، فأشرف الناس من تشرف به، وأولاهم بالأمر أخصهم به، وإنما على الأمة التسليم لنبيها إذ اختاره الله لها، فإنه إنما اختار محمدا بعلمه، وهو العليم الخبير، وأستغفر الله لي ولكم.

فقام عبد الله بن جعفر، فقال: الحمد لله أهل الحمد ومنتهاه، نحمده على إلهامنا حمده، ونرغب إليه في تأدية حقه، وأشهد أن لا إله إلا الله واحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد، فإن هذه الخلافة إن أخذ فيها بالقرآن: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال] وإن أخذ فيها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأولو رسول الله، وإن أخذ بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأي الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول، وايم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر موضعه لحقه وصدقه ولأطيع الله وعصي الشيطان، وما اختلف في الأمة سيفان فاتق الله يا معاوية، فإنك قد صرت راعيا ونحن رعية، فانظر لرعيتك فإنك مسئول عنها غدا. وأما ما ذكرت من ابني عمي وتركك أن تحضرهما فوالله ما أصبت الحق، ولا يجوز لك ذلك إلا بهما، وإنك لتعلم أنهما معدن العلم والكرم، فقل أودع، وأستغفر الله لي ولكم.

فتكلم عبد الله بن الزبير فقال: الحمد لله الذي عرفنا دينه وأكرمنا برسوله، أحمده على ما أبلى وأولى، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد، فإن هذه الخلافة لقريش خاصة تتناولها بمآثرها السنية وأفعالها المرضية مع شرف الآباء وكرم الأبناء، فاتق الله يا معاوية، وأنصف من نفسك، فإن هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله، وهذا عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ابن عم رسول الله، وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمة رسول الله، وعلي خلف حسنا وحسينا، وأنت تعلم من هما وما هما، فاتق الله يا معاوية، وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك، فتكلم عبد الله بن عمر فقال: الحمد لله الذي أكرمنا بدينه وشرفنا بنبيه، أما بعد، فإن هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصرية ولا كسروية يتوارثها الأبناء عن الاباء، ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبي، فوالله ما أدخلني مع الستة من أصحاب الشورى إلا على أن الخلافة ليست شرطا مشروطا، وإنما هي في قريش خاصة لمن كان لها أهلا ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم من كان أتقى وأرضى، فإن كنت تريد الفتيان من قريش فلعمري إن يزيد من فتيانها، واعلم أنه لا يغنيني عنك من الله شيئا، فتكلم معاوية فقال: قد قلت وقلتم، وإنه قد ذهبت الآباء وبقيت الأبناء، فابني أحب إلي من أبنائهم، مع أن ابني إن قاولتموه وجد مقالا، وإنما كان هذا الأمر لبني عبد مناف لأنهم أهل رسول الله، فلما مضى رسول الله ولي الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة، غير أنهما سارا بسيرة جميلة ثم رجع الملك إلى بني عبد مناف، فلا يزال فيهم إلي يوم القيامة، وقد أخرجك الله يا بن الزبير، وأنت يا بن عمر منها، فأما ابنا عمي هذان فليسا بخارجين من الرأي إن شاء الله، ثم أمر بالرحلة وأعرض عن ذكر البيعة ليزيد، ولم يقطع عنهم شيئا من صلاتهم وأعطياتهم، ثم انصرف راجعا إلى الشام، وسكت عن البيعة فلم يعرض لها إلى سنة إحدى وخمسين.

قال ابن قتيبة: ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله سنة 51 هـ إلا يسيرا حتى بايع ليزيد بالشام وكتب ببيعته إلى الآفاق، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم[8]، فكتب إليه بذلك وأمره أن يجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة، ثم يبايعوا ليزيد، فلما قرأ كتاب معاوية أبى من ذلك وأبته قريش، وكتب إلى معاوية إن قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنك، فأرني رأيك، فكتب إليه يأمره أن يعتزل عمله ويخبره أنه قد ولى المدينة سعيد بن العاص[9]، فخرج مروان مغاضبا في أهل بيته وأخواله من بني كنانة، حتى أتى دمشق ودخل على معاوية، فسلم عليه بالخلافة، ثم قال: إن الله عظيم خطره، لا يقدر قادر قدره، خلق من خلقه عبادا، جعلهم لدعائم دينه أوتادا، هم رقباؤه على البلاد، وخلفاؤه على العباد، أسفر بهم الظلم، وألف بهم الدين، وشدد بهم اليقين، ومنح بهم الظفر، ووضع بهم من استكبر، فكان من قبلك من خلفائنا يعرفون ذلك في سالف زمامنا، وكنا نكون لهم على الطاعة إخوانا، وعلى من خالف عنها أعوانا، يشد بنا العضد، ويقام بنا الأود، ونستشار في القضية، ونستأمر في أمر الرعية، وقد أصبحنا اليوم في أمور مستحيرة ذات وجوه مستديرة، تفتح بأزمة الضلال، وتحلس بأسوأ الرحال، يؤكل جزورها، وتمتق أحلابها، فما لنا لا نستأمر في رضاعها ونحن فطامها وأولاد فطامها، وأيم الله لولا عهود مؤكدة، ومواثيق معقدة، لأقمت أود وليها، فأقم الأمر يا بن أبي سفيان، واعدل عن تأميرك الصبيان، واعلم أن لك في قومك نظراء، وأن لهم على مناوأتك وزراء، فغضب معاوية من كلامه غضبا شديدا، ثم كظم غيظه بحلمه، وأخذ بيد مروان، ثم قال: إن الله قد جعل لكل شيء أصلا، وجعل لكل خير أهلا، ثم جعلك في الكرم مني محتدا، والعزيز مني والدا، اخترت من قروم قادة، ثم استللت سيد سادة، فأنت ابن ينابيع الكرم فمرحبا بك وأهلا من ابن عم، ذكرت خلفاء مفقودين، شهداء صديقين ،كانوا كما نعت وكنت لهم كما ذكرت، وقد أصبحنا في أمور مستحيرة ذات وجوه مستديرة، وبك والله يا بن العم، نرجو استقامة أودها وذلولة صعوبتها، وسفور ظلمتها، حتى يتطأطأ جسيمها، ويركب بك عظيمها، فأنت نظير أمير المؤمنين، وعدته في كل شديدة وعضده، والثاني بعد ولي عهده، فقد وليتك قومك وأعظمت في الخراج سهمك، وأنا مجيز وفدك ومحسن رفدك، وعلى أمير المؤمنين غناك، والنزول عند رضاك.

----

(1) ابن عباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الامة، الصحابي الجليل. سمى البحر لغزارة علمه،ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الاحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ. قال ابن مسعود: نعم، ترجمان عباس. وقال عطاء: كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والانساب، وناس يأتونه لايام العرب ووقائعهم، وناس يأتونه للفقه والعلم، فما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما يشاؤون. وكان كثيرا ما يجعل أيامه يوما للفقه، ويوما للتأويل، ويوما للمغازي، ويوما للشعر، ويوما لوقائع العرب. وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولامثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه. وكان آية في الحفظ، وأخباره كثيرة.

(2) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم. السيد، العالم، أبو جعفر القرشي، الهاشمي، ولد في الحبشة سنة 1 هـ ، وله صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وروى أيضا عن عمه؛ علي، وعن أمه؛ أسماء بنت عميس. حدث عنه أولاده، وآخرون. وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم. وله وفادة على معاوية.ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ. ويقال: سنة 90 هـ.

(3) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

(4) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

(6) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، وثاني الائمة الاثني عشر عند الامامية ولد في المدينة المنورة، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أكبر أولادها وأولهم. كان عاقلا حليما محبا للخير، فصيحا من أحسن الناس منطقا وبديهة حج عشرين حجة ماشيا. وقال أبو نعيم: دخل أصبهان غازيا مجتاز إلى غزاة جرجان، ومعه عبد الله بن الزبير. وبايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة 40 هـ وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان، فأطاعهم وزحف بمن معه. وبلغ معاوية خبره، فقصده بجيشه. وتقارب الجيشان في موضع يقال له مسكن بناحية من الانبار، فهال الحسن أن يقتتل المسلمون، ولم يستشعر الثقة بمن معه، فكتب إلى معاوية يشترط شروطا للصلح، ورضي معاوية، فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الامر لمعاوية في بيت المقدس سنة 41 هـ، وسمي هذا العام عام الجماعة لاجتماع كلمة المسليمن فيه. وانصرف الحسن إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفي مسموما -في قول بعضهم- سنة 50 هـ ومدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام. وولد له أحد عشر ابنا وبنت واحدة. وإليه نسبة الحسنيين كافة وكان نقش خاتمه: الله أكبر وبه أستعين.

(7) الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي العدناني، أبو عبد الله: السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء، وفي الحديث: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. ولد في المدينة، ونشأ في بيت النبوة، وإليه نسبة كثير من الحسينيين. وهو الذي تأصلت العداوة بسببه بين بني هاشم وبني أمية حتى ذهبت بعرش الامويين. وذلك أن معاوية ابن أبي سفيان لما مات، وخلفه ابنه يزيد، تخلف الحسين عن مبايعته، ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه، فأقام فيها أشهرا، ودعاه إلى الكوفة أشياعه وأشياع أبيه وأخيه من قبله فيها، على أن يبايعوه بالخلافة، وكتبوا إليه أنهم في جيش متهيئ للوثوب على الامويين. فأجابهم، وخرج من مكة مع مواليه ونسائه وذراريه ونحو الثمانين من رجاله. وعلم يزيد بسفره فوجه إليه جيشا اعترضه في كربلاء بالعراق - قرب الكوفة فنشب قتال عنيف أصيب الحسين فيه بجراح شديدة، وسقط عن فرسه، فقتله سنان بن انس النخعي وقيل الشمر بن ذي الجوشن وأرسل رأسه ونساؤه وأطفاله إلى دمشق عاصمة الامويين فتظاهر يزيد بالحزن عليه. واختلفوا في الموضع الذي دفن فيه الرأس فقيل في دمشق، وقيل في كربلاء، مع الجثة، وقيل في مكان آخر، فتعددت المراقد، وتعذرت معرفة مدفنه. وكان مقتله يوم الجمعة عاشر المحرم، سنة 61 هـ وقد ظل هذا اليوم يوم حزن وكآبة عند جميع المسلمين ولا سيما الشيعة.

(5) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

(8) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.. قيل نظر إليه علي بن أبي طالب يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك. ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ.

(9) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

☪

لا شك أن الخلافة الراشدة انقلبت إلى طبيعة المُلك بالبدعتين اللتين ابتدعهما معاوية في جعل الْأَمر تابعا لقوة العصبية، وجعل الخلافة تراثا ينتقل من المالك إلى ولده أو غيره من عصبته..وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى القول أن دور معاوية أكبر من مجرد الخروج على الجماعة ومنازعة الأمر أهله. فهو الذي أرسى نظام الملك بديلا عن دولة الخلافة، فسن في الإسلام تلك السنة السيئة، وفتح بها أبوابا من المظالم التي لم تتوقف ومن الدماء التي لم تجف منذ أربعة عشر قرنا، وأخرج بناء السلطة من إطار مبادئ الشرع: كالشورى والبيعة والعدل..إلى منطق القوة وقانون الغاب، وهو أمر لا يزال المسلمون يعيشون مساوئه إلى اليوم.

مراجع:جمهرة خطب العرب/ الأعلام للزركلي/

قدم وفد العراق على معاوية وفيهم دغفل[1] فقال له معاوية: يا دغفل، أخبرني عن ابني نزار ربيعة، ومضر، أيها كان أعز جاهلية وعالية؟ فقال: يا أمير المؤمنين، مضر بن نزار كان أعز جاهلية وعالية، قال معاوية: وأي مضر كان أعز؟ قال: بنو النضر بن كنانة، كانوا أكثر العرب أمجادا، وأرفعهم عمادا، وأعظمهم رمادا، قال: فأي بني كنانة كان بعدهم أعز؟ قال: بنو مالك بن كنانة، كانوا يعلمون من ساماهم، ويكفون من ناواهم، ويصدقون من عاداهم، قال: فمن بعدهم؟ قال: بنو الحرث بن عبد مناة بن كنانة، كانوا أعز بنيه، وأمنعهم وأجودهم وأنفعهم، قال: ثم من بعدهم؟ قال: بنو بكر بن عبد مناة، وكان بأسهم مرهوبا، وعدوهم منكوبا، وثأرهم مطلوبا، قال: فأخبرني عن مالك بن عبد مناة بن كنانة، وعن مرة، وعامر ابني عبد مناة؟ قال: كانو أشرافا كراما، وليس للقوم أكفاء ولا نظراء، قال: فأخبرني عن بني أسد؟ قال: كانوا يطعمون السديف، ويكرمون الضيوف، ويضربون في الزحوف، قال: فأخبرني عن هذيل؟ قال: كانوا قليلا أكياس، أهل منعة وبأس، ينتصفون من الناس، قال: فأخبرني عن بني ضبة؟ قال: كانوا جمرة من جمرات العرب الأربع، لا يصطلي بنارهم، ولا يفاتون بثارهم، قال: فأخبرني عن مزينة؟ قال: كانوا في الجاهلية أهل منعة، وفي الإسلام أهل دعة، قال: فأخبرني عن تميم؟ قال: كانوا أعز العرب قديما، وأكثرها عظيما، وأمنعها حريما، قال: فأخبرني عن قيس؟ قال: كانوا لا يفرحون إذا أديلوا، ولا يجزعون إذا ابتلوا، ولا يبخلون إذا سئلوا؛ قال: فأخبرني عن أشرافهم في الجاهلية؟ قال: غطفان بن سعد، وعامر بن صعصعة، وسليم بن منصور، فأما غطفان فكانوا كراما سادة، وللخمبس قادة، وعن البيض ذادة، وأما بنو عامر فكثير سادتهم، مخشية سطوتهم، ظاهرة نجدتهم، وأما بنو سليم فكانوا يدركون الثار، ويمنعون الجار، ويعظمون النار، قال: فأخبرني عن قومك بكر بن وائل واصدقني؟ قال: كانوا أهل عز قاهر، وشرف ظاهر ،ومجد فاخر، قال: فأخبرني عن إخوتهم تغلب؟ قال: كانوا أسودا ترهب، وسهاما لا تقرب، وأبطالا لا تكذب، قال: فأخبرني كم أديلوا عليكم في قتلكم كليبا؟ قال: أربعين سنة، لا ننتصف منهم في موطن نلقاهم فيه، حتى كان يوم التحاليق يوم الحرث بن عباد بعد قتلة ابنه بجير، وكان أرسله في الصلح بين القوم فقتله مهلهل، وقال بؤ بشسع: نعل كليب، فقال الغلام: إن رضيت بهذا بنو بكر رضيت، فبلغ الحرث، فقال: نعم القتيل قتيلا إن أصلح الله به بين بكر وتغلب، وباء بكليب، فقيل له: إنما قال مهلهل ما قال الكلمة، فتشمر الحرث للحرب، وأمرنا بحلق رءوسنا أجمعين، وهو يوم التحاليق وله خبر طويل، وقال: قربا مربط النعامة مني..لقحت حرب وائل عن حيال..
لم أكن من جناتها علم الله..وإني بحرها اليوم صالي.. قربا مربط النعامة منى..إن بيع الكرام بالشسع غالى. فأدلنا عليهم يومئذ، فلم نزل منهم ممتنعين إلى يومنا هذا، قال: فمن ذهب يذكر ذلك اليوم؟ قال: الحرث بن عباد أسر مهلهلا في ذلك اليوم، وقال له: دلني على مهلهل بن ربيعة، قال: مالي إن دللتك عليه؟ قال: أطلقك، قال: على الوفاء؟ قال: نعم، قال له: أنا مهلهل، قال: ويحك دلني على كفء كريم، قال: امرؤ القيس وأشار بيده إليه عن قرب، فأطلقه الحرث، وانطلق إلى امرئ القيس، فقتله وبكر كلها صبرت وأبلت فحسن بلاؤها، إلا ما كان من ابني لجيم حذيفة، وعجل، ويشكر ابن بكر، فإن سعد بن مالك بن ضبيعة جد طرفة بن العبد هجاهم في ذلك اليوم فقال: إن لجيما عجزت كلها..أن يرفدوني فارسا واحدا..ويشكر العام على خترهاة..لم يسمع الناس لهم حامدا. وقال فيهم أيضا: يا بؤس للحرب التي..وضعت أراهط فاستراحوا..إنا وإخوتنا غدا..كثمود حجر يوم طاحوا..بالمشرفية لا نفر..ولا نباح ولن تباحوا..من صد عن نيرانها..فأنا ابن قيس لا براح. فقال معاوية: أنت والله يا دغفل أعلم الناس قاطبة بأخبار العرب.

---

(1) دغفل الناسب، دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة الذهلي الشيباني: نسابة العرب. يضرب به المثل في معرفة الانساب. يقال: إن له صحبة، ويقال: لا صحبة له. استقدمه معاوية، فقدم عليه، وأمره أن يعلم ابنه يزيد. قال الجاحظ: لم يدرك الناس مثله لسانا وعلما وحفظا. قيل: اسمه حجر ولقبه دغفل. وفد على معاوية في أيام خلافته، فسأله عن العربية وعن أنساب الناس وعن النجوم، فأعجبه عمله، فأمره أن يتولى تعليم ابنه يزيد، ففعل. وغرق يوم دولاب بفارس في وقعة مع الازارقة. سنة 65 هـ

وقف جماعة من الأنصار على دغفل بعد ما كف فسلموا عليه، فقال: من القوم؟ قالوا: سادة اليمن، فقال: أمن أهل مجدها القديم وشرفها العميم كندة؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الطوال قصبا الممحصون نسبا بنو عبد المدان؟ قالوا: لا، قال: فأنتم أقودها للزحوف وأخرقها للصفوف وأضربها بالسيوف رهط عمرو بن معد يكرب؟ قالوا: لا، قال: فأنتم أحضرها قراء وأطيبها فناء وأشدها لقاء رهط حاتم بن عبد الله؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الغارسون للنخل والمطعمون في المحل والقائلون بالعدل الأنصار؟ قالوا: نعم.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم أخبرنا حرب بن إسماعيل فيما كتب الي قال قلت لأحمد بن حنبل دغفل بن حنظلة له صحبة قال ما اعرفه قال بن أبي حاتم يعني ما يعرف له صحبة أم لا. قال أبو القاسم بلغني ان دغفل بن حنظلة غرق في يوم دولاب من فارس في قتال الخوارج

مراجع: جمهرة خطب العرب/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وأبو بكرة الثقفي 0218

حكي أن أبا بكرة [1] دخل على معاوية، فقال: اتق الله يا معاوية، واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك، لا تزداد من الدنيا إلا بعدا، ومن الآخرة إلا قربا، وعلى أثرك طالب لا تفوته، وقد نصب لك علم لا تجوزه، فما أسرع ما تبلغ العلم، وما أوشك أن يلحقك الطالب، وإنا وما نحن فيه وأنت زائل، والذي صائرون إليه باق، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

في عام 41 هـ وثب حمران بن ابان [2] على البصرة، فأخذها وتغلب عليها، فبعث معاوية إليه جيشا ليقتلوه ومن معه، فجاء أبو بكرة الثقفي إلى معاوية، فسأله في الصفح عنهم والعفو، فعفا عنهم وأطلقهم وولى على البصرة بسر بن أبي أرطأة.. وقد قال معاوية لأبي بكرة: هل من عهد تعهده إلينا؟ قال: نعم، أعهد إليك يا أمير المؤمنين أن تنظر لنفسك ورعيتك وتعمل صالحا، فإنك قد تقلدت عظيما، خلافة الله في خلقه، فاتق الله، فإن لك غاية لا تعدوها، ومن ورائك طالب حثيث، وأوشك أن تبلغ المدى، فيلحق الطالب، فتصير إلى من يسألك عما كنت فيه، وهو أعلم به منك، وإنما هي محاسبة وتوقيف، فلا توثرن على رضا الله شيئا.

عن الحسن البصري [3] قال مر بي أنس بن مالك [4] وقد بعثه زياد [5] إلى أبي بكرة (وهو أخو زياد لأمه) يعاتبه فانطلقت معه فدخلنا على الشيخ وهو مريض فأبلغه عنه فقال إنه يقول ألم أستعمل عبيد الله [6] على فارس ألم استعمل روادا على دار الرزق ألم أستعمل عبد الرحمن [7] على الديوان وبيت المال فقال أبو بكرة هل زاد على أن أدخلهم النار. فقال أنس إني لا أعلمه إلا مجتهدا. فقال الشيخ أقعدوني إني لا اعلمه إلا مجتهدا وأهل حروراء [8] قد اجتهدوا فأصابوا أم اخطؤوا. قال أنس فرجعنا مخصومين. وعن أبي عثمان النهدي [9]،قال: كنت خليلا لأبي بكرة، فقال لي: أيرى الناس أني إنما عتبت على هؤلاء للدنيا، وقد استعملوا ابني عبيد الله على فارس، واستعملوا روادا [10] على دار الرزق، واستعملوا عبد الرحمن على بيت المال؛ أفليس في هؤلاء دنيا؟ إني إنما عتبت عليهم لأنهم كفروا.

■ (1) أبو بكرة الثقفي الطائفي، مولى النبي. اسمه: نفيع بن مسروح. وقيل: نفيع بن الحارث.وقيل: نفيع بن مسروح. تدلى في حصار الطائف ببكرة، وفر إلى النبي وأسلم على يده، وأعلمه أنه عبد، فأعتقه. سكن البصرة، وكان من فقهاء الصحابة، مات في خلافة معاوية بالبصرة سنة 51 هـ. وقيل: سنة 52 هـ

■ (7) عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي، يكنى أبو بحر ، قيل: أبو حاتم الثقفي البصري التابعي، وهو أول مولود ولد بالبصرة سنة 14هـ استخلفه زياد أمير البصرة على بعض أعمالها وتوفي فيها بعد الثمانين وقيل: مات سنة 96 هـ

■ (6) عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي الأمير، من أبناء الصحابة. مولده في سنة أربع عشرة. وقد ولي قضاء البصرة، وولي إمرة سجستان سنة 50 هـ ثم عزل بعد ثلاث سنين ثم وليها الحجاج. مات بسجستان سنة 79 هـ.

■ (10) رواد بن أبي بكرة الثقفي أخو عبد الرحمن وعبيد الله ويزيد وعبد العزيز ومسلم روى عنه ابن سيرين ذكره ابن حبان في الثقات

■ (4) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم رضي الله عنه. أمه: أم سليم بنت ملحان ذهبت به أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكان يخدمه وكان له يومئذ 9 سنين ويقال 8 ويقال 10 .عن حميد عن أنس قال أخذت أم سليم بيدي مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاتت بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت هذا ابني وهو غلام كاتب. قال فخدمته 9. قال أهل السير مات أنس بالبصرة سنة 92 هـ وقيل 93 هـ وقيل 91 هـ وهو ابن تسع وتسعين.وقد قيل أنه مات ابن مائة وثلاث سنين وقيل تسع سنين وغسله محمد بن سيرين وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة رضي الله عنهم أجمعين.

■ (3) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

■ (5) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (9) أبي عثمان النهدي، هو أبو عثمان عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدي بن وهب إلى بني نهد بن زيد، التابعي، توفي في البصرة، سنة 95 هـ

■ (8) الحرورية طائفة من الخوارج ينسبون إلى قرية على بعد ميلين من الكوفة تسمى حروراء اجتمع فيها الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين، فسموا حرورية نسبة إلى هذا الموضع.

■ (2) حمران بن ابان مولى عثمان بن عفان القرشي الأموي المدني، سمع عثمان، سمع منه عروة بن الزبير وعطاء بن يزيد وأبو سلمة وجامع بن شداد ومعاذ بن عبد الرحمن والحسن والوليد أبو بشر ومعبد الجهنى ونافع، ومن روى عنه فلم يذكر سماعا مسلم بن كيسان وابن المنكدر وزيد بن اسلم وبكير والمطلب بن حنطب وابن ابى المخارق وعبد الملك بن عبيد وعثمان بن موهب.

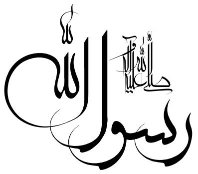

عن شباك عن عامر، عن رجل: ﴿أَنَّ ثَقِيفًا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَبَا بَكْرَةَ عَبْدًا، فَقَالَ:لَا، هُوَ طَلِيقُ اللَّهِ، وَطَلِيقُ رَسُولِهِ﴾ وعن الأحنف، قال: بايعت عليا رضي الله عنه فرآني أبو بكرة وأنا متقلد السيف، فقال: ما هذا يا ابن أخي؟ قلت: بايعت عليا. قال: لا تفعل، إنهم يقتتلون على الدنيا؛ وإنما أخذوها بغير مشورة. وحدث عبد العزيز بن أبي بكرة: أن أباه تزوج امرأة، فماتت، فحال إخوتها بينه وبين الصلاة عليها، فقال: أنا أحق بالصلاة عليها. قالوا: صدق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.ثم إنه دخل القبر، فدفعوه بعنف، فغشي عليه، فحمل إلى أهله، فصرخ عليه عشرون من ابن وبنت -وأنا أصغرهم- فأفاق، فقال: لا تصرخوا، فوالله ما من نفس تخرج أحب إلي من نفسي، ففزع القوم، وقالوا: لم يا أبانا؟! قال: إني أخشى أن أدرك زمانا لا أستطيع أن آمر بمعروف، ولا أنهى عن منكر، وما خير يومئذ.عن عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن الغطفاني، قال: لما اشتكى أبو بكرة، عرض عليه بنوه أن يأتوه بطبيب، فأبى، فلما نزل به الموت، قال: أين طبيبكم؟ ليردها إن كان صادقا!.

☪

قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل. وعن عبد الله بن مسعود، ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَسَدِهِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَبْسُطَ لَكَ وَنَفْعَلَ فَقَالَ: مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا﴾ (وقد أثر) أي أثر الحصير (في جسده) (ما لي وللدنيا؟ وما أنا والدنيا) ما نافية أي ليس لي ألفة ومحبة مع الدنيا ولا للدنيا ألفة ومحبة معي حتى أرغب إليها، وأنبسط عليها، وأجمع ما فيها ولذتها أو استفهامية أي ألفة ومحبة لي مع الدنيا أو أي شيء لي مع الميل إلى الدنيا أو ميلها إلي، فإني طالب الآخرة وهي ضرتها المضادة لها. هذا وقال الطيبي رحمه الله، قوله: ونعمل متعلقة محذوف، فيقدر من جنس الكلام السابق، وهو وجود التنعم والتلذذ بالأغراض الدنيوية أعم من أن يكون بساطا، ومن ثم طابقه قوله: ما لي وللدنيا أي ليس حالي مع الدنيا. (إلا كراكب) أي إلا كحال راكب (استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها) وهو من التشبيه التمثيلي، وهو التشبيه بسرعة الرحيل وقلة المكث، ومن ثم خص الراكب واللام في للدنيا مقحمة للتأكيد إن كان الواو بمعنى مع وإن كان للعطف، فالتقدير ما لي مع الدنيا وما الدنيا معي.

عن سهل بن سعد، قال:﴿جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، قَالَ: ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ﴾ وعن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ، أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتِهِ، أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى﴾ وعن أبي سفيان، عن أشياخه، أن سعد بن أبي وقاص، دخل على سلمان يعوده فبكى سلمان، فقال له سعد: ما يبكيك تلقى أصحابك وترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحوض، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض؟ فقال: ما أبكي جزعا من الموت، ولا حرصا على الدنيا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا فقال:﴿لِيَكُنْ بُلْغَةُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ﴾ وهذه الأساود* حولي، وإنما حوله مطهرة -أو إنجانة- ونحوها، فقال له سعد: اعهد إلينا عهدا نأخذ به بعدك، فقال له: اذكر ربك عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت. وعن ابن مسعود، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لأصحابه:﴿اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحِي يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ، وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ﴾. في رواية حدث عامر بن عبد الله: أن سلمان الخير حين حضره الموت عرفوا منه بعض الجزع. قالوا: وما يجزعك يا أبا عبد الله، وقد كانت لك سابقة في الخير، شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغازي حسنة، وفتوحا عظاما؟ قال: يجزعني أن حبيبنا صلى الله عليه وسلم حين فارقنا عهد إلينا قال:﴿ليكف الرجل منكم كزاد الراكب﴾ فهذا الذي أجزعني، فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر دينارا.

----

*(الأساود) جمع الأسود، وهي الحيات. فأما قوله: وهذه الأساود حولي، فإنما أراد شخص آلات كانت عنده؛ وما حوله إلا مطهرة وإجانة وجفنة. والسواد: العدد الكثير، وسمي بذلك لأن الأرض تسواد له.

مراجع: سنن الترمذي/ وفيات الأعيان/ سير أعلام النبلاء/ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار/ كنز العمال/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية/ لسان الميزان/مختصر تاريخ دمشق/

عن عوانة أنه قال: دخل سعد بن أبي وقاص[1] على معاوية فسلم عليه، ولم يسم بإمرة المؤمنين، فقال له معاوية: لو شئت أن تقول غيرها لقلت، قال: فنحن المؤمنون ولم نؤمرك، كأنك معجب بما أنت فيه يا معاوية! والله ما يسرني أني على الذي أنت عليه وأني هرقت محجمة من دم. قال: لكني وابن عمك عليا يا أبا إسحاق قد هرقنا فيه أكثر من محجمة ومحجمتين، تعال فاجلس معي على السرير..

حكى عن الزهري أنه قال: قدم معاوية المدينة، فدخل المسجد وسعد بن أبي وقاص جالس إلى ركن المنبر فصعد معاوية المنبر فجلس في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال له سعد: يا معاوية؛ أجهلت فنعلمك، أم جننت فنداويك؟ فقال: يا أبا إسحاق؛ إني قدمت على قوم على غير تأهب لهم، وأنا باعث إليهم بأعطياتهم إن شاء الله. فسمع الناس كلام معاوية ولم يسمعوا كلام سعد وانصرف الناس وهم يقولون: كلمه سعد في العطاء فأجابه إليه.

عن عبد الله بن أبي نجيح[2] عن أبيه قال:لما حج معاوية وأخذ بيد سعد بن أبي وقاص فقال يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجفانا هذا الغزو عن الحج حتى كدنا أن ننسى بعض سننه فطف نطف بطوافك، قال: فلما فرغ أدخله دار الندوة فأجلسه معه على سريره ثم ذكر علي[3] فوقع فيه فقال: أدخلتني دارك وأجلستني على سريرك ثم وقعت في علي تشتمه؟ والله لأن يكون في إحدى خلاله الثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غز تبوكا:﴿أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي؟﴾ أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: ﴿لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُّ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْهِ لَيْسَ بِفَرَارٍ﴾ أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، لا أدخل عليك دارا بعد هذا اليوم، ثم نفض رداءه وخرج.

وفي رواية عامر بن سعد بن أبي وقاص[4] عن أبيه قال له: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ فقال أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول – وخلفه في بعض مغازيه – فقال له علي يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلاَّ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي؟﴾ وسمعته يقول يوم خيبر: ﴿لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُّ وَرَسُولُهُ قَالَ: فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ: ادْعُوا لِي عَلِيًّا فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ فَفَتَحَ اللهُّ عَلَيْهِ﴾ ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [آل عمران] دَعَا رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ، هَؤُلَاءِ أَهْلِي﴾.

حج معاوية بن أبي سفيان فمر بالمدينة، فجلس في مجلس فيه سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر[5]، وعبد الله بن عباس[6]، فالتفت إلى عبد الله بن عباس فقال: يا أبا عباس، إنك لم تعرف حقنا من باطل غيرنا، فكنت علينا ولم تكن معنا، وأنا ابن عم المقتول ظلما، يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكنت أحق بهذا الأمر من غيري. فقال ابن عباس: اللهم، إن كان هكذا فهذا وأومأ إلى ابن عمر أحق بها منك لأن أباه قتل قبل ابن عمك.فقال معاوية: ولا سواء، إن أبا هذا قتله المشركون وابن عمي قتله المسلمون. فقال ابن عباس: هم والله أبعد لك وأدحض لحجتك. فتركه وأقبل على سعد فقال: يا أبا إسحاق، أنت الذي لم يعرف حقنا، وجلس فلم يكن معنا ولا علينا. قال: فقال سعد: إني رأيت الدنيا أظلمت فقلت لبعيري: إخ، فأنخته حتى انكشفت. قال: فقال معاوية: لقد قرأت ما بين اللوحين، ما قرأت في كتاب الله عز وجل إخ. قال: فقال سعد: أما إذا أبيت فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي: ﴿أَنْتَ مَعَ الحَقِّ وَالحَقُّ مَعَكَ حَيْثُمَا دَارَ﴾ قال: فقال معاوية: لتأتيني على هذا ببينة. قال: فقال سعد: هذه أم سلمة[7] تشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقاموا جميعا فدخلوا على أم سلمة فقالوا: يا أم المؤمنين، إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا سعد يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ما لم نسمعه أنه قال يعني لعلي:﴿أَنْتَ مَعَ الحَقِّ وَالحَقُّ مَعَكَ حَيْثُمَا دَارَ﴾ فقالت أم سلمة: في بيتي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي. قال: فقال معاوية لسعد: يا أبا إسحاق، ما كنت ألوم الآن إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست عن علي. لو سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنت خادما لعلي حتى أموت. وفي رواية عن عبد الله بن بديل[8] قال: دخل سعد على معاوية فقال له: مالك لم تقاتل معنا؟ فقال: إني مرت بي ريح مظلمة فقلت: أخ أخ. فأنخت راحلتي حتى انجلت عني ثم عرفت الطريق فسرت، فقال معاوية: ليس في كتاب الله: أخ أخ. ولكن قال الله تعالى:﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهَّ﴾ [الحجرات] فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة، ولا مع العادلة على الباغية. فقال سعد: ما كنت لأقاتل رجلا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي﴾ فقال معاوية: من سمع هذا معك؟ فقال: فلان وفلان وأم سلمة. فقال معاوية: أما إني لو سمعته منه صلى الله عليه وسلم لما قاتلت عليا.

عن ابن الكلبي عن عوانة عن أبيه قال: قال سعد بن أبي وقاص لمعاوية في كلام جرى: قاتلت عليا وقد علمت أنه أحق بالأمر منك، فقال معاوية: ولم ذاك؟ قال: لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿اللَّهُمَّ، مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ، وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ﴾، ولفضله في نفسه وسابقته، قال: فما كنت قط أصغر في عيني منك الآن، قال سعد: ولم؟ قال: لتركك نصرته وقعودك عنه وقد علمت هذا من أمره.

عن ابن سيرين قال: لما قيل لسعد بن أبي وقاص: ألا تقاتل، إنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك؟ فقال: لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد.

وفي اجتماع الحكمين وهما أبو موسى الأشعري[9] ،وعمرو بن العاص، بدومة الجندل بـ أذرح –بين الشام والكوفة– وشهد ذلك معهم جماعة من رؤوس الناس. زعم بعض الناس أن سعد بن أبي وقاص شهدهم أيضا، وأنكر حضوره آخرون.

وقد ذكر ابن جرير أن عامر بن سعد بن أبي وقاص خرج إلى أبيه وهو بماء لبني سليم معتزل بالبادية، فقال: يا أبه، قد بلغك ما كان من الناس بصفين، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، وقد شهدهم نفر من قريش، فاشهدهم فإنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد أصحاب الشورى، ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة، فاحضر إنك أحق الناس بالخلافة. فقال: لا أفعل، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّهُ سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، خَيْرُ النَّاسِ فِيهَا الخَفِيُّ التَّقِيُّ﴾ والله لا أشهد شيئا من هذا الأمر أبدا.

----

*(أَذْرُح) قرية في ما يسمى اليوم دويلة الأردن (دومة الجندل) حصن وقرى في البادية بين نجد وبلاد الشام قرب جبل طيئ وكانت بنو كنانة تسكن هذه الديار، والحصن هو حصن أكيدر بن عبد الملك بن الحارث الكندي

■ (1) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة، أبو إسحاق الزهري المديني، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ

■ (4) عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهري، إمام ثقة، سمع أباه وأسامة بن زيد وعائشة وأبا هريرة وجابر بن سمرة. روى عنه ابنه؛ داود بن عامر وابنا إخوته وعمرو بن دينار والزهري وموسى بن عقبة، وآخرون. مات في خلافة الوليد بن عبد الملك، سنة 96 هـ وقيل سنة 104 هـ

■ (2) عبد الله بن أبي نجيح يسار. الإمام، المفسر، تكنيته أبو يسار الثقفي، المكي. واسم أبيه: يسار، مولى الأخنس بن شريق الصحابي. حدث عن: مجاهد، وطاووس، وعطاء، ونحوهم. قال ابن عيينة: هو مفتي أهل مكة بعد عمرو بن دينار. توفي سنة 131 هـ

■ (8) عبد الله بن بديل بن ورقاء.كان من الدهاة الفصحاء، انتهت إليه رئاسة خزاعة.أسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وتبوك. وقاتل مع علي بصفين، فكان قائد الرجالة، ولم يزل يضرب حتى انتهى إلى معاوية فأزاله عن موقفه، فتكاثر عليه أصحاب معاوية، فقتل سنة37 هـ

■ (3) أبو الحسن ، علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (9) أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. من بني الأشعر. التميمي، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذا على زبيد، وعدن. وولي البصرة لعمر، وعثمان، وولي الكوفة، وبها مات سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ.

■ (5) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

■ (6)عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله،يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

■ (7) أم المؤمنين، أم سلمة، هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية ويقال اسمه حذيفة، ويعرف بزاد الراكب ابن المغيرة، القرشية المخزومية، أم سلمة من زوجات النبي تزوجها في السنة الرابعة للهجرة. وكانت من أكمل النساء عقلا وخلقا. وهي قديمة الإسلام، هاجرت مع زوجها الاول أبي سلمة بن عبد الاسد بن المغيرة إلى الحبشة، وولدت له ابنه سلمة ورجعا إلى مكة، ثم هاجرا إلى المدينة، فولدت له أيضا بنتين وابنا. ومات أبو سلمة في المدينة من أثر جرح فخطبها أبو بكر، فلم تتزوجه. وخطبها النبي فقالت لرسوله ما معناه: مثلي لا يصلح للزواج، فإني تجاوزت السن، فلا يولد لي، وأنا امرأة غيور، وعندي أطفال. فأرسل إليها النبي بما مؤداه: أما السن فأنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله، وأما العيال فإلى الله ورسوله. وتزوجها. وكان لها يوم الحديبية رأي أشارت به على النبي دل على وفور عقلها. ويفهم من خبر عنها أنها كانت تكتب وعمرت طويلا. واختلفوا في سنة وفاتها، فأخذت بأحد الأقوال. وبلغ ما روته من الحديث 378 حديثا وكانت وفاتها بالمدينة سنة 62 هـ

☪

قال النووي: قول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمرا سعدا بسبه وإنما سأله عن السبب المانع له من السب كأنه يقول هل امتنعت تورعا أو خوفا أو غير ذلك فإن كان تورعا وإجلالا له عن السب فأنت مصيب ومحسن وإن كان غير ذلك فله جواب آخر ولعل سعدا قد كان في طائفة يسبون فلم يسب معهم وعجز عن الإنكار أو أنكر عليهم فسأله هذا السؤال، قالوا: ويحتمل تأويلا آخر أن معناه: ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه خطأ.

قال الرحيلي: والذي يظهر لي في هذا، والله أعلم: أن معاوية رحمه الله إنما قال ذلك على سبيل المداعبة لسعد، وأراد من ذلك استظهار بعض فضائل علي رضي الله عنه فإن معاوية كان رجلا فطنا ذكيا، يحب مطارحة الرجال واستخراج ما عندهم، فأراد أن يعرف ما عند سعد في علي رضي الله عنه فألقى سؤاله بهذا الأسلوب المثير. وهذا مثل قوله لابن عباس: أنت على ملة علي؟ فقال له ابن عباس ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فظاهر أن قول معاوية هنا لابن عباس جاء على سبيل المداعبة، فكذلك قوله لسعد هو من هذا الباب، وأما ما ادعى الشيعة من الأمر السب، فحاشا معاوية أن يصدر منه مثل ذلك والمانع من ذلك عدة أمور..

راجع: رجال صحيح مسلم/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ صحيح مسلم/ صحيح البخاري/ البداية والنهاية/ تاريخ الخلفاء الراشدين سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه/ الوافي بالوفيات/ سير أعلام النبلاء/ السلوك في طبقات العلماء والملوك/ العقد الفريد/ شرح أصول اعتقاد/ أنساب الأشراف/ نثر الدر/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وعمرو بن العاص(١) 0220

عن الشعبي أن عمرو بن العاص[0] دخل على معاوية وعنده ناس فلما رآه مقبلا استضحك فقال: يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك وأدام سرورك وأقر عينك، ما كل ما أرى يوجب الضحك! فقال معاوية: خطر ببالي يوم صفين*يوم بارزت أهل العراق فحمل عليك علي بن أبي طالب[1] رضي الله عنه ، فلما غشيك طرحت نفسك عن دابتك وأبديت عورتك كيف حضرك ذهنك في تلك الحال، أما والله لقد واقفته هاشميا منافيا ولو شاء أن يقتلك لقتلك! فقال عمرو: يا معاوية إن كان أضحكك شأني فمن نفسك فاضحك، أما والله لو بدا له من صفحتك مثل الذي بدا له من صفحتي لأوجع قذالك* وأيتم عيالك وأنهب مالك وعزل سلطانك، غير أنك تحرزت منه بالرجال في أيديها العوالي، أما إني قد رأيتك يوم دعاك إلى البراز فاحولت عيناك وأزبد شدقاك وتنشر منخراك وعرق جبينك وبدا من أسفلك ما أكره ذكره. فقال معاوية: حسبك حيث بلغت لم نرد كل هذا. وعن الهيثم بن عدي عن شيخ من حمير قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية: والله ما تقاتل عليا ولا يقاتلك ليدخل الجنة أغلبكما لصاحبه، وما تقاتلان إلا على الدنيا، فأطعمنا مما تأكل لنناضل عنك نضال من يريد الأكل.

قال الهيثم بن عدي: أراد معاوية أن يأخذ أرضا لعمرو بن العاص، فكتب اليه عمرو بشعر هجي به خفاف بن ندبة[2]: أبا خراشة إما كنت ذا نفر..فإن قومي لم تأكلهم الضبع..وكل قومك يخشي منك بائقة..فانظر قليلا وأبصرها بمن تقع..فالسلم تأخذ منها ما رضيت به..والحرب يكفيك من أنفاسها الجرع. وعن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران عن أبيه أن معاوية قال لعمرو بن العاص: أحب أن تصفح لي عن الوهط*، ضيعتك، فقال: يا أمير المؤمنين أحب أن تعرض لي عنها، قال: لا، فأبى عمرو أن يفعل، فقال معاوية: مثلك يا عمرو كمثل ثور في روضة، إن ترك رتع، وإن هيج نطح، فقال عمرو: ومثلك يا أمير المؤمنين مثل بعير في روضة يصيب من أخلاط الشجر فيها، فرأى شجرة على صخرة زلاء، فرغب عما هو فيه وتعاطى الشجرة فتكسر.

عن أبي اسحاق التميمي قال: كتب معاوية إلى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة[3] في القدوم، فقدم عمرو من مصر والمغيرة من الكوفة، فقال عمرو للمغيرة بن شعبة: ما جمعنا إلا ليعزلنا، فإذا دخلت عليه فاشك الضعف واستأذنه في إتيان المدينة أو الطائف، فإني سأسأله إتيان مكة أو المدينة، فسيقع في قلبه أنا إنما نريد إفساد الناس عليه، ففعل المغيرة ذلك، ثم دخل عمرو فسأله أن يأذن له في إتيان مكة أو المدينة فقال: قد تواطأتما على أمر وإنكما لتريدان شرا فارجعا الى عملكما.

وعن فليح بن سليمان قال: وفد عمرو بن العاص على معاوية ومعه قوم من أهل حمص فأمرهم إذا دخلوا أن يفوا ولا يسلموا بالخلافة، فلما دخلوا قالوا: السلام عليك يا رسول الله، وتتابعوا على ذلك، فضحك معاوية وقال: اغربوا وزجرهم، فلما خرجوا قال لهم عمرو: نهيتكم عن أن تسلموا بالخلافة فسلمتم بالنبوة؟! عليكم لعنة الله. وعن مسلمة وغيره قالوا: قال معاوية لعمرو بن العاص: ما بلغ من دهائك؟ قال: لم أدخل في أمر قط إلا خرجت منه، قال معاوية: لكني لم أدخل في أمر قط فأردت الخروج منه. وعن عبد الله بن سلم الفهري قال: قال معاوية لعمرو: أينا أدهى؟ قال: أما في البديهية فأنا، وأما في الأناة فأنت، قال معاوية: أصغ إلي أسارك بشيء، فأدنى عمرو رأسه وكانا خلوين يتسايران، فقال معاوية: غلبتك أيها الداهية هل هاهنا أحد أسارك دونه. وقال له عمرو بن العاص: قد أعياني أن أعلم شجاع أنت أم جبان؟ فقال: شجاع إذا ما أمكنتني فرصة..فإن لم تكن لي فرصة فجبان. قال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية للاناة، وعمرو بن العاص للمعضلات، والمغيرة للبديهة، وزياد بن أبيه للصغير والكبير. وعن مسلمة قال: قال معاوية يوما: ما أعجب الأشياء؟ فقال يزيد[4]ابنه: أعجب الأشياء هذا السحاب الراكد بين السماء والأرض لا يدعمه شيء من تحته ولا هو منوط بشيء من فوقه، وقال الضحاك بن قيس[5]: أعجب الأشياء إكداء العاقل وحظ الجاهل، وقال سعيد بن العاص[6]: أعجب الأشياء ما لم ير مثله، وقال عمرو بن العاص: أعجب الأشياء غلبة من لا حق له ذا الحق على حقه، فقال معاوية: أعجب من ذلك إعطاء من لا حق له ما ليس له بحق من غير غلبة. وإنما عرض عمرو بمعاوية وعرض معاوية بعمرو في أمر مصر.

----

* (صفين) موضع بين الشام والعراق.كانت به الوقعة المشهورة في رواية (الوهط) حلئط بالطائف/ بستان عظيم بالطائف (الأناة) الحلم والفعل: تمهل وترفق (بده) أجاد وأحسن القول على البديه (البداهة) أول كل شيء وما يفجأ من الأمر وفي الفلسفة وضوح الأفكار والقضايا بحيث تفرض نفسها على الذهن (البديهة) البداهة والابتداء وسداد الرأي عند المفاجأة والمعرفة يجدها الإنسان في نفسه من غير إعمال الفكر ولا علم بسببها (البديهية) قضية اعترف بها ولا يحتاج في تأييدها إلى قضايا أبسط منها مثل أنصاف الأشياء المتساوية متساوية (القذال) جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق القفا والقذالان ما اكتنفا القفا عن اليمين وعن الشمال وقذال الفرس معقد سيري اللجام خلف الناصية الجمع قذل وأقذلة

■ (0) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل. أسلم قبل أبيه واستأذن النبي في كتابه ما يسمع منه فأذن له فكان عبد الله يسمي صحيفته الصادقة. قال قد حفظت عن رسول الله ألف مثل. توفي بالشام سنة 65 هـ. وقد زعم قوم أنه مات بمكة ويقال بالطائف ويقال بمصر.

■ (1) أبو الحسن ، علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (2) خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي، من مضر، أبوخراشة: شاعر فارس، من أغربة العرب. كان أسود اللون أخذ السواد من أمه ندبة وعاش زمنا في الجاهلية، وله أخبار مع العباس بن مرداس ودريد بن الصمة. وأدرك الاسلام فأسلم. وشهد فتح مكة وكان معه لواء بني سليم، وشهد حنينا والطائف. وثبت على إسلامه في الردة، ومدح أبا بكر وبقي إلى أيام عمر. أكثر شعره مناقضات له مع ابن مرداس وكانت قد ثارت بينهما حروب في الجاهلية، وله يقول العباس بن مرداس: أبا خراشة إما أنت ذانفر =البيت.قال الاصمعي: خفاف، ودريد بن الصمة، أشعر الفرسان. توفي نحو 20 هـ

■ (3) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي. يقال له مغيرة الرأي. ولد سنة 20 ق هـ في الطائف بالحجاز وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك فدخل الاسكندرية وافدا على المقوقس، وعاد إلى الحجاز. فلما ظهر الاسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة 5 هـ، فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة. وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة سنة 50 أو 51 هـ.. قال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية للاناة، وعمرو بن العاص للمعضلات، والمغيرة للبديهة، وزياد بن أبيه للصغير والكبير . وللمغيرة 136 حديثا. وهو أول من وضع ديوان البصرة، وأول من سلم عليه بالامرة في الاسلام.

■ (4) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (5) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي، أبو أمية، أو أبو أنيس: سيد بني فهر، في عصره. وأحد الولاة الشجعان. شهد فتح دمشق، وسكنها. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية على الكوفة سنة 53 هـ بعد موت زياد بن أبيه فتفقد الخورنق –قصر النعمان– وأصلحه. ونقل إلى ولاية دمشق، فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد. ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه، انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق. ومات معاوية سنة 64 هـ فأقبل أهل دمشق على الضحاك، فبايعوه على أن يصلي بهم، ويقيم لهم أمرهم، حتى يجتمع الناس على خليفة وانعقدت البيعة العامة لمروان بن الحكم، والضحاك في مرج راهط، فامتنع على مراون، فقتل في مرج راهط سنة 65 هـ.

■ (6) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

عن أبي زكريا العجلاني قال: دخل عبد الله بن العجلان أخو يعمر بن العجلان الزرقي على معاوية فشكا عمرا فقال: يا أمير المؤمنين إن ابن العاص بمصر ينبعق منه كلام لهو أشد من وخز الأشافي، لا يرعوي عن إساءة، ولا يرجو الله في عاقبة، فقال معاوية: يا أبا سعيد إن عمرا رجل حديد، فاحمل له قوله فإنه يفيء إلى خير، فقال: اكففه يا أمير المؤمنين فإنه راع ونحن رعية، وربما ساق السيء الرعي الثلة إلى مجزرها، قال معاوية: أجل ثم تفلت، قال عبد الله: ذاك إذا كنت أنت الجازر، فأما اذا كان الجازر من قد كدحته السنة الحمراء فمن أنيابه تفلت؟ فقال معاوية: أويخالف أمري ويهمط رعيتي؟ إني إذا لغافل مضيع، ألي تقول هذا يا عبد الله؟! ثم تمثل: ألم تك قد جربتني قبل هذه..وعضك مني حد ناب ومخلب. قال: فحلما يا أمير المؤمنين وصفحا، فضحك ثم قال: ذاك لك، وتقدم إلى عمرو في أمره.

قال هشام بن عمار: قال معاوية لعمرو بن العاص رضي الله عنهما : من أبلغ الناس؟ قال؛ أتركهم للفضول، قال: فمن أصبر الناس؟ قال: أردهم هواه برأيه، قال: فمن أسخاهم؟ قال: من بذل دنياه لدينه، قال: فمن أشجع الناس؟ قال: من رد جهله بحلمه، قال: فمن أعلم الناس؟ قال: من آثر دينه، قال: صدقت.وفي رواية قال معاوية لعمرو بن العاص: من أبلغ الناس؟ قال: من ترك الفضول واقتصر على الايجاز. قال: فمن أصبر الناس؟ قال: من ترك دنياه في إصلاح دينه. قال: فمن أشجع الناس؟ قال: من رد جهله بحلمه. وقال عمرو بن العاص: لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل. قيل: إن عمرو بن العاص قال لمعاوية: يا أمير المؤمنين، ما بقي من شبابك وتلذذك؟ قال: والله، ما بقى شيء يصيبه الناس من الدنيا إلا وقد أصبته أما النساء، فلا أرب لي فيهن ولا لهن، وأما الطيب، فقد شممته حتى ما أبالي به، وأما الطعام، فقد طعمت الحلو والحامض حتى لا أجد فرق ما بينهما، وأما الثياب، فقد لبست من لينها وجيدها حتى ما أبالي ما ألبس، فما شيء ألذ عندي من شربة ماء بارد في يوم صائف، ونظري إلى بني وبني بني يدرجون حولي، فأنت يا عمرو، ما بقي من لذتك؟ قال: أرض أغرسها وآكل من ثمرتها وأنتفع بغلتها.ثم التفت معاوية إلى وردان مولى عمرو بن العاص، فقال: يا وردان، ما بقي من لذتك؟ قال: صنائع كريمة أعقدها في أعناق الرجال لا يكافئوني عليها تكون لأعقابي من بعدي، فقال معاوية: تبا لهذا المجلس؛ يغلبنا عليه هذا العبد. قال المدائني: قال عمرو بن العاص لمعاوية: غلبتك امرأتك، فقال: إنهن يغلبن الكرام، ويغلبهن اللئام.وعن عامر بن الأسود قال، قال عمرو بن العاص لمعاوية: أريتك في منامي وقد ألجمك العرق وأنت تحاسب، فقال معاوية: فما رأيت ثم دنانير مصر؟

قال عمرو بن العاص – عند إحضاره – لابنه: يا بني، من يأخذ هذا المال بما فيه؟ قال: من جدع الله أنفه؛ فقال: احملوه إلى بيت مال المسلمين. ثم دعا بالغل والقيد فلبسهما، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن التوبة مبسوطة ما لم يغرغر ابن آدم بنفسه ؛ ثم استقبل القبلة فقال: اللهم، أمرتنا فعصينا، ونهيتنا فارتكبنا ؛ هذا مقام العائذ بك، فإن تعف فأهل العفو أنت، وإن تعاقب فبما قدمت يداي، سبحانك لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين. فمات وهو مغلول مقيد. فبلغ الحسن بن علي فقال: استسلم الشيخ حين أيقن بالموت، ولعلها تنفعه. وعن مسلمة قال: مات عمرو بن العاص بمصر، فقال معاوية حين أتاه خبر لامرأته ابنة قرظة؛ قد مات رجل كان الأمر بمصر أمره، هلك عمرو وأتتك قباطي مصر.

قال معاوية بن حديج: أتيت عمرو بن العاص وقد ثقل فقلت: كيف تجدك؟ قال: أجدني أذوب ولا أثوب، وأجد نجوي أكثر من رزئي، فما بقاء الكبير الفاني على هذا؟ فلما مات قال معاوية: مات ربع رأي الناس وإربهم. وقال المغيرة بن شعبة: ذهب نصف دهاء قريش، أراد أن النصف الباقي معاوية ولم يعد زيادا. قال المدائني: قال عمرو بن العاص: أنا للبديهة، ومعاوية للأناة، والمغيرة للمعضلات، وزياد لصغار الأمور وكبارها.

مراجع: أنساب الأشراف/ عيون الأخبار/ المعجم الوسيط/ الأعلام للزركلي/ المحاسن والمساوئ/

عن عبد الله بن المبارك قال: أراد عمرو بن العاص معاوية[1] على أن يكتب له مصر طعمة ويبايعه، فقال معاوية: إني لا أحب أن يقول الناس إنك إنما بايعتني على تأمير لك وشكم*، فقال له مروان[2]: أبا عبد الله إن هذا ليس بيوم مسألة، وقد تدانت الأمور بك فلا تدبرن بعد إقبالها، فقال عمرو: يا مروان قدمت على معاوية وأمره زلق دحض منفرج انفراج القتب، فما برحت أبرمه قوة بعد قوة حتى تركته على مثل دائرة الفلكة، ولعمر الله إن تركته والشبه المشكلات لتهنن قواه حتى يدبر عنه ما قد تدانى منه، فقال مروان: إن يكن الله قد سهل بك أمرا، فمثلك سهل الله به الوعر وأعان به على حسن العاقبة، فقاربه فإنه مؤاتيك، ثم قال لمعاوية: أيها الرجل إن الأمور قد لزم بعضها بعضا، فاكمش أمرك، واكتب له بما أراد، فليس مثل عمرو يبخل عليه بالجزيل يطلبه، فكتب له؛ وقال معاوية للكاتب: اكتب لا ينقض شرط طاعة، فقال عمرو: لا ولكن اكتب ولا تنقض طاعة شرطا. فلما قتل محمد بن أبي بكر[3] رضي الله تعالى عنهما بمصر، غلب عمرو عليها، واستقامت الأمور لمعاوية، فلم يحمل عمرو إليه منها شيئا، فكان أهل معاوية يسألونه أن يكتب إلى عمرو في هدايا مصر فيقول: عمرو جموح طموح منوع، فاعفوني من الكتاب إليه واكتبوا انتم، فكانوا يكتبون إليه فلا يبعث إليهم بشيء، فقالوا لمعاوية: اعزله، فقال: أما عزله فلا، ولكني أروعه بالقدوم فإنه شبيه بالعزل له، فكتب إليه فقدم، فقال معاوية: يا عمرو بلغني أنك تقوم على منبر مصر فتذكر بلاءك بصفين، فإن كان ذلك لله فأجرك عليه، وإن كان للدنيا فقد أعظمنا مكافأتك، فهل علمت أنك قد نقضت شرطك لردك كتبي؟ قال: ما رددت لك كتابا أعلم أنه منك، ولكنه كانت تأتيني كتب على لسانك؛ فأما قيامي على المنبر فلم أرد به منا عليك، وأما قولك إني أعظمت مكافأتك بمصر فعليها بايعتك، قال: انصرف إلى رحلك، فانصرف ثم عاد إليه من الغد، فقال: يا أمير المؤمنين لم أزل أقدح في غارب خير بمصر حتى رجعت إليك، وقد رأيت أن أحضرك ما قدمت به لترى فيه رأيك، فقال معاوية: أمسك عليك مالك، واعلم أنك اذا دعيت إلى مأدبة قوم أو قال مائدة قوم فقد عدك أهلها ممن يأكل، فإن شئت فكل وإن شئت فجع، وما أعطيتك مصر إلا لأنفعك، فارجع إلى عملك.

----

* (شكم) الشكم بالضم العطاء وقيل الجزاء

■ (1) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، أبو عبد الله، وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

■ (2) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ . قيل نظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك.

■ (3) محمد بن أبي بكر الصديق، شهد مع علي وقعتي الجمل وصفين. وولاه علي إمارة مصر، بعد موت الأشتر فدخلها سنة 37 هـ. ولما اتفق علي ومعاوية على تحكيم الحكمين فات عليا أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر. وانصرف علي يريد العراق، فبعث معاوية عمرو بن العاص بجيش من أهل الشام إلى مصر، فدخلها حربا، بعد معارك شديدة، واختفى ابن أبي بكر، فعرف معاوية بن حديج مكانه، فقبض عليه وقتله وأحرقه سنة38 هـ، لمشاركته في مقتل عثمان بن عفان، وقيل: لم يحرق. ودفنت جثته مع رأسه في مسجد يعرف بمسجد زمام خارج مدينة الفسطاط.ومدة ولايته خمسة أشهر.

☪

قال علي الصلابي: تتعدد الروايات التي تنص على أن معاوية أعطى مصر طعمة لعمرو بن العاص لقاء تأييد الأخير له في حربه ضد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وجل هذه الأخبار تحوي روحا عدائية لعمرو ومعاوية وتصور اتفاقهما على حرب علي كما لو كانت مؤامرة دنيئة أو صفقة مريبة، خان فيها الرجلان ربهما ودينهما، وتاريخهما مقابل عرض زائل أو نصر سريع، وكأنه من المستحيل أن يبذل ابن العاص نصره لقضية اجتمع حولها آلاف الرجال في الشام وغيرها ـ وهي الطلب بدم عثمان ـ إلا إذ نال ولاية مصر وخراجها لنفسه، وبعض هذه الروايات تحوي سبابا لهذين الصحابيين، كأن تزعم أن عمرو فضل ولاية مصر على حسنى الآخرة وصرح بذلك فقال: إنما أردنا هذه الدنيا، أو أنه قال لمعاوية: لا أعطيك من ديني حتى آخذ من دنياك، أو قوله: إنما أبايعك بها ديني (أي بمصر)، أو قوله لمعاوية: ولولا مصر وولايتها لركبت المنجاة منها، فإني أعلم أن علي بن أبي طالب على الحق وأنت على ضده، إلى غير ذلك من الروايات، وهكذا روايات باطلة وموضوعة عند المسعودي وكتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة وغيرها تمسخ عمرو بن العاص إلى رجل مصالح، وصاحب مطامع وراغب دنيا، وقد تأثر بالروايات الضعيفة والموضوعة والسقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين، فأهووا بعمرو إلى الحضيض، كالذي كتبه محمود شيت خطاب وعبد الخالق سيد أبو رابية، وعباس محمود العقاد الذي يتعالى عن النظر في الإسناد، ويستخف بقارئه، ويظهر له صورة معاوية وعمرو رضي الله عنهما بأنهما: انتهازيان، صاحبا مصالح، ولو أجمع الناقدون التاريخيون على بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله فهذا لا يعني للعقاد شيئا، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة، واهية، لا تقوم بها حجة:... وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقولوا في صدق هذا الحوار، وصحة هذه الكلمات، وما ثبت نقلة، ولم يثبت منه سنده، ولا نصه فالذي لا ريب فيه، ولو أجمعت التواريخ قاطبة على نقضه: أن الاتفاق بين الرجلين، كان اتفاق مساومة، ومعاونة على الملك، والولاية، وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آل على كل منهما، ولولاه لما كان بينهما اتفاق... وهناك عدة دلائل ترد على الروايات الضعيفة والموضوعة والسقيمة التي لاقت رواجا واستقرار في تشويه عمرو بن العاص ومعاوية بالظلم والبهتان منها ما عرف من صحة إسلام وتقوى معاوية وعمرو، وتاريخهما المضيء في خدمة دين الله منذ أسلما، ففي معاوية يكفي دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: ﴿اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم ﴿اللَّهُمَّ عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَقِهِ الْعَذَابَ﴾ وأما عمرو بن العاص رضي الله عنه فقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيمان حيث قال:﴿أَسْلَمَ النَّاسُ وَآمَنَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ﴾ وفي حديث آخر قال: ﴿ابْنَا الْعَاصِ مُؤْمِنَانِ عَمْرٌو وَهِشَامٌ﴾ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :..﴿وَصَدَقَ عَمْرُو، وَإِنَّ لِعَمْرٍو عِنْدَ اللهِ تَعَالَى خَيْرًا كَثِيرًا﴾... كانت بيعة عمرو لمعاوية في عهد علي على الطلب بدم عثمان، فقد كان تأثر عمرو بمقتل عثمان عظيما، فعندما سمع خبر مقتل عثمان... ارتحل راجلا يبكي، ويقول: يا عثماناه: أنعي الحياء والدين... حتى قدم دمشق، فقد كان من أقرب أصحابه، وخلانه، ومستشاريه، وكان يدخل في الشورى – في عهد عثمان– من غير ولاية، ومضى إلى معاوية رضي الله عنهما ليتعاونا معا على الاقتصاص من قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد، لقد كان مقتل عثمان كافيا لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين، وكان لابد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرؤوا على حرم رسول الله، وقتلوا خليفته على أعين الناس، وأي غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟ وإن كان هناك من يشك في هذا الموضوع، فمداره على الروايات المكذوبة التي تصور عمرا: كل همه السلطة والحكم... ومن الدلائل على بطلان فرية إعطاء مصر طعمة لعمرو بن العاص، ما ذكره أبو مخنف أحد رواة الفرية السابقة، أن دفع معاوية جيشه إلى فتح مصر وأخذها من يد أنصار علي بن أبي طالب سنة 38هـ –وكان عمرو قائده في هذه الحملة– أنه كان: يرجو أن يكون إذا ظهر عليها ظهر على حرب علي لعظم خراجها... فكيف يهب معاوية ذلك الخراج كله لعمرو وهو في مسيس الحاجة إليه؟ ... ومن الدلائل أيضا: أن معاوية كتب بعد استخلافه إلى عامله على خراج مصر –وردان– أن زد على كل امرئ من القبط قيراطا، فرد عليه: كيف وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم؟ ولم يل وردان خراج مصر لمعاوية إلا في ولاية عمرو بن العاص لأن من ولوا مصر بعد موت عمرو –وهم عتبة بن أبي سفيان وعقبة بن عامر ومسلمة بن خالد– كانوا يتولون صلاتها وخراجها، وهذه الرواية صريحة قاطعة في الدلالة على اهتمام معاوية بزيادة حصيلة الخراج في مصر، وفي ولاية عمرو بن العاص عليها، وهذا الاهتمام لا معنى له إلا إذا كان فائض الخراج في مصر يحمل إلى معاوية في دمشق ليواجه به وجوه الإنفاق المتنوعة. كما أن معاوية لم يكن يستحل أن يتنازل عن خراج مصر–وهي من أغنى أقاليم الدولة الإسلامية آنذاك– لفرد واحد وهو يعلم أنه حق الأمة كلها، وأنه لا يملك التنازل عنه، وقد روى ابن تيمية عن عطية بن قيس قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان يخطبنا يقول: إن في بيت مالكم فضلا بعد أعطياتكم وإني قاسمه بينكم، فإن كان يأتينا فضل عاما قابلا قسمناه عليكم، وإلا فلا عتبة علي، فإنه ليس بمالي وإنما هو مال الله الذي أفاءه عليكم، وإذا أضفنا إلى ذلك ما نعرفه من تنافس الأمصار الإسلامية مع بعضها، ووجود معارضة للأمويين في مصر كانت حديثة العهد منذ تبعية مصر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى – دخلها– عمرو بن العاص سنة 38هـ لازددنا يقينا أن أهلها لم يكونوا يقبلون ما يزعمه الرواة حول إعطائها طعمة لابن العاص وعلى ذات السبيل نذكر أن من رجال مصر من بذل في سبيل نصرة معاوية مثلما بذل عمرو بن العاص، إن لم يفقه، كمعاوية بن حديج وأصحابه من العثمانية، وهؤلاء لا يقبلون بحال أن يمتاز عمرو عليهم كل هذا الامتياز، قد مر بنا فيما مضى أن معاوية بن حديج هذا قد أرجع ابن أخت معاوية – عبد الرحمن بن أم الحكم– الذي ولاه معاوية مصر، من قبل أن يدخلها، ورفض أن يتولى إمارتهم ورده إلى الشام على نحو غير كريم، فما استطاع معاوية أن يغضب بن حديج. [الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار]

☪

عن أبي الهيثم الرحبي قال: قال لي عبد الملك بن عمير وأنا أماشيه عند الباب الصغير بدمشق: مررنا بقبر معاوية فوقف عليه عبد الملك بن مروان فقيل له: لمن القبر؟ فقال: لرجل كان والله ما علمته يسكته الحلم وينطقه العلم، إذا أعطى أغنى، وإذا حارب أفنى، ثم عجل له الدهر ما أخر لغيره، وإنما لله ما يصنع الزمان، هذا قبر معاوية. وروى المدائني عن أبي بكر الهذلي أنه قال: وقف عبد الملك بن مروان على قبر معاوية ومعه محمد بن جبير بن مطعم، فرأى على القبر ثمامة* أبو عوسجة تهتز، فقال عبد الملك: يرحمك الله أبا عبد الرحمن. ثم قال لابن جبير: يا أبا سعيد ما كان علمك به؟ قال: كان والله ممن ينطقه العلم ويسكته الحلم، فقال عبد الملك: كذلك كان وولى وهو يقول: وما الدهر والأيام إلا كما أرى..رزيئة مال أو فراق حبيب.

دخل عبد الله بن العباس على عبد الملك بن مروان يوم قر وهو على فرش يكاد يغيب فيها فقال يا بن عباس: إني لاحسب اليوم باردا! قال: أجل وإن ابن هند عاش في مثل ما ترى عشرين اميرا وعشرين خليفة – أي أربعين سنة– ثم هو ذاك على قبره ثمامة تهتز .فيقال إن عبد الملك ارسل الى قبر معاوية فوجد عليه ثمامة نابتة.

☪

دخل عمرو بن العاص على معاوية في مرضه، فقال: أعائدا جئت أم شامتا؟ فقال عمرو: لم تقول هذا؟ فوا الله ما كلفتني رهقا، ولا أصعدتني زلقا، ولا جرعتني علقا، فلم استثقل حياتك؟ ولم استبطئ وفاتك؟ فقال معاوية: فهل من خالد إما هلكنا..وهل بالموت يا للناس عار . قيل كان حبيب في جيش معاوية يوم صفين ولم يزل مع معاوية في حروبه وكان حبيب يلح على معاوية بالعمل بسيرة أبي بكر وعمر، روى ابن عساكر عن ابن عجلان قال: لما أتى معاوية موت حبيب بن مسلمة سجد، ولما أتاه موت عمرو بن العاص سجد، فقال له قائل: يا أمير المؤمنين سجدت لوفدين وهما مختلفان، فقال: أما حبيب فكان يأخذني بسنة أبي بكر وعمر، وأما عمرو فيأخذني بالإمرة الإمرة؛ فلا أدري ما أصنع.

----

* (الثمامة) واحد الثمام، نبت ضعيف، يضرب به المثل لما هو هين

مراجع: أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار/ شرح نهج البلاغة/ ربيع الأبرار/

بلغ عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث[1] أن عمرو بن العاص[2] يعيب بني هاشم، ويقع فيهم وينتقضهم، وكان يكنى أبا الهياج، فغضب لذلك، وزور كلاما يلقى به عمرا، ثم قدم على معاوية، ليس أكثر سفره إلا ليشتم عمرو بن العاص، فدخل على معاوية مرارا لم يتفق له ما يريد، وعنده عمرو فجاء الإذن، فقال: هذا عبد الله بن جعفر[3] قد قدم وهو بالباب قال: ائذن له. قال عمرو: يا أمير المؤمنين، لقد أذنت لرجل كثير الخلوات للتمني، والطربات للتغني، صدوف عن السنان، محب للقيان، كثير مزاحه شديد طماحه، ظاهر الطيش، لين العيش، أخاذ للسلف، صفاق للشرف، فقال عبد الله بن أبي سفيان: كذبت يا عمرو. وأنت أهله، ليس هو كما وصفت، ولكنه لله ذكور، ولبلائه شكور، وعن الخنا زجور، سيد كريم، ماجد صميم، جواد حليم، إن ابتدأ أصاب، وإن سئل أجاب، غير حصر ولا هياب، ولا فاحش عياب، كذلك قضي في الكتاب، فهو كالليث الضرغام، الجريء المقدام، في الحسب القمقام، ليس بدعي ولا دنيء، كمن اختصم فيه من قريش شرارها، فعلت عليه جرارها، فأصبح ينوء بالذليل، ويأوي فيها إلى القليل، مذبذب بين حيين، كالساقط بين المهدين، لا المعتزي إليهم قبلوه، ولا الظاعن عنهم فقدوه، فليت شعري، بأي حسب تنازل النضال؟ أم بأي قديم تعرض للرجال؟ أبنفسك فأنت الجبان الوغد الزنيم، أم بمن تنتهي إليه؛ فأهل السفه والطيش والدناءة في قريش، لا بشرف في الجاهلية شهر، ولا بقديم في الإسلام ذكر، غير أنك تنطق بغير لسانك، وتنهض بغير أركانك، وايم الله إن كان لأسهل للوعث، وألأم للشعث أن يكمعك معاوية عن ولوغك بأعراض قريش كعام الضبع في وجارها، فإنك لست لها بكفي، ولا لأعراضها بوفي. قال: فتهيأ عمرو للجواب فقال له معاوية: نشدتك الله أبا عبد الله إلا كففت. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، دعني أنتصر، فإنه لم يدع شيئا، فقال معاوية: أما في مجلسك هذا فدع الانتصار، وعليك بالاصطبار. وخلف أبو الهياج بن أبي سفيان على أمامة بنت أبي العاص بعد علي بن أبي طالب.وقيل: إنه قتل مع الحسين بن علي يوم عاشوراء سنة إحدى وستين.

وفي رواية ذكر المبرد والمدائني والعتبي وغيرهم من الأخباريين أن عبد الله عوتب على كثرة إفضاله، فقال: إن الله تعالى عودني أن يفضل علي، وعودته أن أفضل على عباده، فأكره أن أقطع العادة عنهم فيقطع العادة عني ووفد عبد الله على معاوية، بدمشق، فعلم به عمرو بن العاص قبل دخوله دمشق، أخبره بذلك مولى له كان سار مع ابن جعفر من الحجاز فتقدمه بمرحلتين إلى دمشق، فدخل عمرو على معاوية وعنده جماعة من قريش من بني هاشم وغيرهم: منهم عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب، فقال عمرو: قد أتاكم رجل كثير الخلوات بالتمني، والطرقات بالتغني، آخذ للسلف، منقاد بالسرف، فغضب عبد الله بن الحارث، وقال لعمرو: كذبت وأهل ذلك أنت، ليس عبد الله كما ذكرت، ولكنه لله ذكور، ولبلائه شكور، وعن الخنا نفور، ما جد مهذب كريم سيد حليم، إن ابتدأ أصاب، وإن سئل أجاب، غير حصر ولا هياب، ولا فحاش ولا سباب كالهزبر الضرغام، الجريء المقدام، والسيف الصمصام، والحب القمقام، وليس كمن اختصم فيه من قريش شرارها، فغلب علب جزارها، فأصبح ألأمها حسبا، وأدناها منصبا، يلوذ منها بذليل، ويأوى، إلى قليل، وليت شعري بأي حسب تتناول. أو بأي قدم تتعرض. غير أنك تعلو بغبر أركانك، وتتكلم بغير لسانك، ولقد كان أبر في الحكم وأبين في الفضل، أن يكفك ابن أبي سفيان عن ولوعك بأعراض قريش وأن يكعمك كعام الضبع في وجارها، ولست لأعراضها بوفي، لأحسابها بكفي، وقد أتيح لك ضيغم شرس، للأقران مختلس وللأرواح مفترس، فهم عمرو أن يتكلم، فمنعه معاوية من ذلك، وقال عبد الله بن الحارث: لا يبق المرء إلا على نفسه، والله إن لساني لحديد وإن جوابي لعتيد، وإن قولي لسديد، وإن أنصاري لشهود، فقام معاوية وتفرق القوم.

في رواية إبراهيم البيهقي قال: حضر مجلس معاوية عبد الله بن عباس[4] وابن العاص فأقبل عبد الله بن جعفر فلما نظر إليه ابن العاص قال: قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمني والمطربات بالتغني، محب للقيان، كثير مزاحه، شديد طماحه، صدوف عن السنان، ظاهر الطيش، لين العيش، أخاذ بالسلف، منفاق بالسرف. فقال ابن عباس: كذبت والله أنت، وليس كما ذكرت، ولكنه لله ذكور، ولنعمائه شكور، وعن الخنا زجور، جواد كريم، سيد حليم، ماجد لهميم (لهيم؟)، إن ابتدأ أصاب، وإن سئل أجاب، غير حصر ولا هياب، ولا فحاش عياب، حل من قريش في كريم النصاب، كالهزبر الضرغام، الجريء المقدام، في الحسب القمقام، ليس يدعي لدعي، ولا يدني لدني، كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها، فأصبح ألأمها حسبا، وأدناها منصبا، ينوء منها بالذليل ويأوي منها إلى القليل، يتذبذب بين الحيين كالساقط بين الفراشين، لا المضطر إليهم عرفوه، ولا الظاعن عنهم فقدوه، وليت شعري بأي قدم تتعرض للرجال وبأي حسب تبارز عند النضال، أبنفسك فأنت الوغد الزنيم، أم بمن تنتمي إليه، فأهل السفه والطيش والدناءة في قريش، لا بشرف في الجاهلية شهروا، ولا بقديم في الإسلام ذكروا، غير أنك تتكلم بغير لسانك، وتنطق بالزور بغير أركانك (أقرانك؟)، والله لكان أبين للفضل، وأطهر للعدوان (أظهر للعدل؟) أن ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق (العبد الحقيق؟)، فإنه طالما سلس داؤك (أسلس دلوك؟)، وطمح بك رجاؤك إلى الغاية القصوى التي لم يخضر بها رعيك ولم يورق بها غصنك. قال عبد الله بن جعفر: أقسمت عليك لما أمسكت فإنك عني ناضلت ولي فاوضت. فقال ابن عباس: دعني والعبد فإنه قد كان يهدر خاليا إذ لا يجد مراميا (راميا)؟ وقد أتيح له ضيغم شرس، وللأقران مفترس، وللأرواح مختلس. فقال عمرو بن العاص لمعاوية: دعني يا أمير المؤمنين انتصف منه، فوالله ما ترك شيئا. قال ابن عباس (عبد الله بن الحارث**): دعه فلا يبقي المبقي إلا على نفسه، فوالله إن قلبي لشديد، وإن جوابي لعتيد، وبالله الثقة، فإني كما قال نابغة بني ذبيان[5]: وقبلك ما قذعت وقاذعوني..فما نزر الكلام ولا شجاني..يصد الشاعر العراف عني..صدود البكر عن قرم هجان.

----

*(الطرة) طرف كل شيء وحرفه، ومنه طرة الأرض، وهي حاشيتها.والطرة:الناصية(القرى) ما يقدم إلى الضيف

**في رواية المسعودي: فهم عمرو أن يتكلم، فمنعه معاوية من ذلك، وقال عبد الله بن الحارث:لا يبق المرء إلا على نفسه، والله إن لساني لحديد وإن جوابي لعتيد، وإن قولي لسديد، وإن أنصاري لشهود، فقام معاوية وتفرق القوم

■ (2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، أبو عبد الله، وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

■ (1) عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي القرشي: وال، من أشراف قريش. من أهل المدينة. أمه هند أخت معاوية. كانت ترقصه وتسميه ببة. وكان ورعا ظاهر الصلاح. ولاه ابن الزبير على البصرة ولما قامت فتنة ابن الاشعث، خرج إلى عمان هاربا من الحجاج، فتوفي فيها سنة 84 هـ.

■ (4) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، شهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولامثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه.وكان آية في الحفظ رضي الله عنه.

■ (3) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم. السيد، العالم، أبو جعفر القرشي، الهاشمي، ولد في الحبشة سنة 1 هـ ، وله صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وروى أيضا عن عمه؛ علي، وعن أمه؛ أسماء بنت عميس. حدث عنه أولاده، وآخرون. وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم. وله وفادة على معاوية.ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ. ويقال: سنة 90 هـ.

■ (5) النابغة الذبياني، هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. كان حظيا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة زوجة النعمان فغضب منه النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمنا. ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه. شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. عاش عمرا طويلا. توفي سنة 18 ق. هـ.

لما بلغ غانمة بنت غانم القرشية ثلب معاوية وعمرو بن العاص بني هاشم، قالت لأهل مكة: أيها الناس، إن قريشا سادت فجادت، وملكت فملكت، وفضلت ففضلت، واصطفيت فاصطفت، ليس فيها كدر عيب، ولا أفن ريب، ولا حشروا طاغين، ولا جادوا نادمين، ولا المغضوب عليهم ولا الضالين، إن بني هاشم أطول الناس باعا، وأمجد الناس أصلا، وأوسع الناس حلما، وأكثر الناس عطاء، منا عبد مناف.ثم منا عبد المطلب الذي سقينا به الغيث، ومنا العباس بن عبد المطلب، أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعطاه ماله؛ ومنا حمزة سيد الشهداء؛ ومنا جعفر ذو الجناحين، أحسن الناس حسبا، وأتمهم كمالا، ليس بغدار ولا ختال، بدله الله تعالى بكل يد جناحا يطير بهما في الجنة؛ ومنا أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفرس بني هاشم، وأكرم من احتفى وانتعل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومنا الحسن بن علي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيد شباب أهل الجنة ؛ ومنا الحسين بن علي حمله جبريل على عاتقه، وكفى بذلك فخرا؛ ثم قالت: يا معشر قريش، والله ما معاوية بأمير المؤمنين، ولا هو كما يزعم، هو والله شانئ* رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني آتية معاوية، وقائلة له ما يعرق منه جبينه، ويكون منه أنينه.فكتب عامل معاوية إليه بذلك، فلما بلغ معاوية أن غانمة قربت منه، أمر بدار ضيافة، فنظفت، وألقى فيها فرش، فلما دنت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه ومماليكه، فلما دخلت المدينة، نزلت دار أخيها عمرو بن غانم، فقال لها يزيد: إن أبا عبد الرحمن يأمرك أن تصيري إلى ضيافته، وكانت لا تعرف يزيد، فقالت: من أنت كلأك الله؟ قال: يزيد بن معاوية، قالت: فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد، فتمعر لون يزيد، فأتى أباه فأخبره، فقال: هي أسن قريش، وأعظمهم حالا، قال يزيد: كم تعد لها يا أمير المؤمنين. قال: كانت تعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام(؟)، وهي بقية الكرام. فلما كان من الغد، أتاها معاوية فسلم عليها، فقالت: على أمير المؤمنين السلام، وعلى الكافرين الهوان، ثم قالت: من منكم ابن العاص؟ قال عمرو: ها أنا ذا، فقالت له: رأيتك تسب قريشا وبني هاشم، وأنت أهل السب، وفيك السب، وإليك يعود السب، يا عمرو، إني والله لعارفة بعيوبك وعيوب أمك، وإني أذكر لك ذلك عيبا عيبا: ولدت من أمة سوداء... وأما أنت فقد رأيتك غاويا غير راشد، ومفسدا غير مصلح... وأما أنت يا معاوية، فما كنت في خير ولا ربيت في نعمة، فما لك وبني هاشم؟! أنساء أمية كنسائهم، أم أعطى أمية في الجاهلية والإسلام ما أعطى هاشم؟ فكفى فخرا برسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال معاوية: أيتها الكبيرة، أنا كاف عن هاشم، قالت: فإني أكتب عليك عهدا، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم دعا ربه أن يستجيب لي خمس دعوات، فأجعل تلك الدعوات كلها فيك، فخاف معاوية، وحلف لها ألا يسب بني هاشم أبدا. فهذا آخر ما كان من أمرها معه.

----

*(الشانئ) المبغض (هنأ بالقطران) طلاه به (هرج البعير) سدر من شدة الحر وكثرة الطلاء بالقطرآن (العقيق) عقيق المدينة، واد ، قيل: هما عقيقان: الاكبر مما يلى الحرة إلى قصر المراجل، والاصغر ما سفل عن قصر المراجل. وفي بلاد العرب مواضع كثيرة تسمى العقيق

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ المحاسن والأضداد/ المحاسن والمساوئ/ مختار الصحاح/ شرح نهج البلاغة/

قال الضحاك بن زمل: إن معاوية قال لزياد[1]: ما بلغ من سياستك يا أبا المغيرة؟ قال: أقمتهم بعد جنف، وكففتهم عما لا يعرف بما يعرف، فأذعن المعاند عن الحق رغبة، وخضع المبتدع رهبة. قال: وبم صيرتهم إلى ذلك؟ قال: بالمرهفات القواضب، أمضيتها بالعزم، يتبعه الحزم. قال:لكني ضبطت ملكي بالحلم عند انبراء القوي الألد مع تودّدي إلى العامة، وأداء حقوقهم، وتعقيب بعوثهم، فسلمت لي الصدور عفوا، وانقادت الإحنة طوعا. فأنا أسوس منك. قال: صدقت.

قال المدائني، قال معاوية للأحنف: من اعز أهل العراق؟ قال: بنو الحارث بن كعب: الربيع بن زياد[2]على خراسان، وقطن بن عبد الله [3]على أذربيجان، وشريك بن الأعور [4] على فارس وكرمان، وكثير بن شهاب [5]على الري، والسري بن وقاص[6] على أعمال الكوفة، وزياد بن النضر[7] على أصبهان، فكتب معاوية إلى زياد: رايت جل عمالك بني الحارث بن كعب[8]، فكتب إليه زياد: وجدت فيهم خلتين لو كانتا في الزنج لوليتهم، معهما الأمانة والكفاية.

عن الشعبي قال: كتب زياد إلى معاوية: إن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلي بسيرة أسيرها في العرب، فكتب إليه معاوية: يا أبا المغيرة قد كنت لهذا منك منتظرا، انظر أهل اليمن فأكرمهم في العلانية وأهنهم في السر، وانظر هذا الحي من ربيعة فأكرم أشرافهم وأهن سفلتهم، فإن السفلة تبع للأشراف، فأما هذا الحي من مضر فإن فيهم فظاظة وغلظة، فاحمل بعضهم على رقاب بعض، ولا ترض بالظن دون اليقين، وبالقول دون الفعل، واترك الأمور بينك وبين الناس على أشدها، والسلام.

■ (1) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (2) الربيع بن زياد بن أنس الحارثي، من بني الديان: أمير فاتح، أدرك عصر النبوة، وولي البحرين، وقدم المدينة في أيام عمر، وولاه عبد الله بن عامر سجستان سنة 29 هـ ففتحت على يديه. له مع عمر بن الخطاب أخبار. وكان شجاعا تقيا، قال عمر لاصحابه يوما: دلوني على رجل إذا كان في القوم أميرا فكأنه ليس بأمير وإذا لم يكن بأمير فكأنه أمير. فقالوا: ما نعرفه إلا الربيع بن زياد. فقال: صدقتم. استخلفه أبو موسى على قتال مناذر سنة 17 فافتتحها عنوة وقتل وسبى وقتل بها أخوه المهاجر بن زياد.قيل لما أته مقتل حجر بن عدي قال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه. فلم يبرح من مجلسه حتى مات في إمارته سنة 53 هـ

■ (5) كثير بن شهاب بن الحصين ذي الغصة ويقال: الحصين ذو الغصة – سمي بذلك لغصة كانت في حلقه– بن يزيد بن شداد بن قنان بن سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب بن مذحج أبو عبد الرحمن الحارثي المذحجي يقال: إن له صحبة، ولا يصح. وفد على معاوية حين أتى بحجر بن عدي. وكان قد ولي الري في أيام معاوية، وهو الذي تولى فتح قزوين، وقيل: تولى فتحها البراء بن عازب. قدم أصبهان مع أبي موسى الأشعري.

■ (7) زياد بن النضر بن بشر بن مالك بن الديان، كان شريفا، شهد المشاهد مع علي بن أبي طالب وبعثه على مقدمته يوم صيفين ومعه شريح أبن هاني الحارثي، فاختلفا وكتبا إلى علي بن أبي طالب فكتب أن يصلي كل واحد منهم على حاله، وأن جمعتهم الحرب فزياد على شريح. وأذينه بن النضر، شريف بالشام.

■ (4) شريك بن الأعور واسم الأعور الحارث، الحارثي شاعر من أهل البصرة. وقد وفد على عمر بن الخطاب، وكان من أصحاب علي، شهد معه الجمل وصفين، ووفد على معاوية بن أبي سفيان.توفي شريك بالكوفة قبل مقتل الحسين بن علي عليهما السلام بيسير.

■ (8) الحارث بن كعب بن عمرو بن علة، من مذحج، من كهلان: جد جاهلي، من نسله بنو الديان رؤساء نجران وشريح ابن هانئ من أصحاب علي ومطرف بن طريف، وآخرون، كلهم حارثيون كهلانيون، من قحطان.

■ (3) قطن بن عبد الله بن الحصين ذي الغصة الحارثي، ذهبت عينه بأذربيجان، كان واليا عليها فلقي العدو فذهبت عينه.

■ (6) السري بن وقاص من آل الحارث بن كعب ؟

☪

عن مسلمة قال: أوفد زياد عبيد الله بن كعب النميري إلى معاوية فقال معاوية: أخبرني عن زياد، قال: يستعمل على الجرأة والأمانة دون الهوى والمحاباة، ويعاقب فلا يعدو بالذنب قدره، ويسمر ويحب السمر ليستجم بحديث الليل تدبير النهار، قال: أحسن، إن التثقيل على القلب مضرة بالرأي، فكيف رأيه في حقوق الناس؟ قال: يأخذ ماله عفوا ويعطي ما عليه عفوا، قال: فكيف عطاياه؟ قال: يعطي حتى يقال جواد ويمنع حتى يقال بخيل، قال معاوية: إن العدل ضيق وفي البذل عوض من العدل، فكيف الشفاعة عنده؟ قال: ليس فيها بمطمع، ما أراد من خير جعله لك أو له. قال المدائني: كتب معاوية إلى زياد: إن حولك مضر وربيعة واليمن، فأما مضر فولهم الأعمال واحمل بعضهم على رقاب بعض، وأما ربيعة فأكرم أشرافهم فإن أتباعهم منقادون لهم، وأما اليمن فأكرمهم في العلانية وتجاف عنهم في السر. وعن عوانة قال: قدم زياد على معاوية ومعه شريك بن تمام الحارثي، فقال معاوية: ما هذا الرجل يا أبا المغيرة؟ فقال شريك: لم أر لك هفوة قبل هذه، قال: ما رأيت رحمك الله؟ قال: إنكارك مثلي من رعيتك، فقال معاوية: عسى أن تكون معرفتي إياك متفرقة، أعرف وجهك إذا حضرت في الوجوه الحاضرة، وأعرف اسمك إذا ذكرت في الأسماء الكافية، فلا أعلم أن هذا الوجه هو لذلك الاسم، فما اسمك تجتمع لي معرفتك؟ قال: أنا شريك بن تمام الحارثي، فقال معاوية: الآن عرفتك. يروى أن زياد بن أبيه كتب إلى معاوية: يا أمير المؤمنين، قد ضبطت لك العراق بشمالي، وفرغت يميني لطاعتك، فولني الحجاز ، فبلغ ذلك عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، وكان مقيما بمكة، فقال: اللهم اشغل عنا يمين زياد، فأصابه الطاعون في يمينه، فجمع الأطباء واستشارهم، فأشاروا عليه بقطعها، فاستدعى القاضي شريحا وعرض عليه ما أشار به الأطباء، فقال لهك لك رزق معلوم وأجل مقسوم وإني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش في الدنيا بلا يمين، وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فإذا سألك: لم قطعتها قتل: بغضا في لقائك وفرارا من قضائك. فمات زياد من يومه، فلام الناس شريحا على منعه من القطع، لبغضهم له، فقال: إنه استشارني والمستشار مؤتمن، ولولا الأمانة في المشورة لوددت أنه قطع يده يوما ورجله يوما وسائر جسده يوما يوما.وفي رواية قالوا: وكتب زياد إلى معاوية: إني قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة، فولني الحجاز والعروض أكفك هذا الحي من قريش، فبلغ ذلك ابن عمر فقال: اللهم اشغله، فما مكث إلا أياما حتى طعن في إصبعه، فلما مات وبلغ ابن عمر موته قال: يا بن سمية لا في الدنيا بقيت ولا الآخرة أدركت.

وعن مسلمة قال: شكا الناس إلى زياد نقصان المكاييل التي يرزقون بها، فدس من اتبع خدمهم الذين يتولون قبض أرزاقهم لهم، فوجدهم يشترون من أرزاقهم الطير وما يلعب به والحلواء، فخطب الناس فقال: انكم تحملون علينا ذنب أنفسكم في أرزاقكم، يبعث أحدكم خادمه لقبض رزقه، فيشتري من رزقه ما اشتهى فتعهدوا أرزاقكم وتولوا قبضها بأنفسكم. وكان زياد يوقل: ما بال أحدكم يأخذ عطاءه ومؤونته خفيفة ثم يدان؟ تعهدوا معايشكم وأصلحوا ما تحتاجون إليه من أموركم.

قال المدائني: خطب زياد فلما فرغ قام عبد الله بن الأهتم فقال: أشهد أيها الأمير أنك قد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب، فقال: كذبت، ذاك نبي الله داود؛ فقام الأحنف فقال: إن الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء، فقال زياد: صدقت، وقام أبو بلال الخارجي فجعل يهمس فقال زياد: إنا لا نبلغ ما تريد وأصحابك حتى نخوض إليه الدماء. قال المدائني: أمر زياد حاجبه أن يدخل من على بابه في وقت انتصاف النهار فأدخلهم، فتمثل زياد: وهاجرة تحلب الناعجات..ماء حميا إذا الشاة قالا . ثم قال لهم: ما الذي تخافون على أهل البصرة؟ فقال بعضهم: الحرق، وقال بعضهم: الغرق، قال زياد: أخوف من ذلك عدو يأتيكم لارهج له، أو رجل يأتيكم فيشتد شدتي ولا يلين ليني، فجاء الحجاج فاشتد شدته ولم يلن لينه، وكان عدوا لا رهج له، فكان يسيء بصالحهم، ويحسدهم على نعمهم، فينتزعها منهم. قال المدائني: أهدي إلى زياد خوان بايزهر قوائمه منه، فاقتلع نافع بن خالد قائمة وجعل مكانها قائمة ذهب فحبسه، فكلمه فيه سيف بن وهب الأزدي، فقال زياد: أذكرتنا موقف أفراسنا..بالجو إذ إنت فقير . ثم وهبه له. وعن مسلمة وغيره قالوا: كان زياد يؤخر العشاء الآخرة حتى يكون آخر من يصلي، ثم يأمر رجلا فيقرأ سورة البقرة أو غيرها من الطوال ويرتل القرآن، فإذا أمهل بقدر ما يرى أن إنسانا يبلغ الخريبة أمر صاحب شرطته بالخروج، فيخرج فلا يرى انسانا إلا قتله. وعن أبي المعلى الجناني عن أبيه قال: كنت واقفا على رأس سمرة بن جندب[1]فقدم إليه بضعة عشر رجلا، يسأل الرجل منهم مادينك؟ فيقول الإسلام ديني ومحمد نبيي فيقول: قدماه فاضربا عنقه، فإن يك صادقا فهو خير له. عن معمر عن قتادة قال: كان زياد سيئة من سيئات معاوية، وكان سمرة بن جندب سيئة من سيئات زياد. قالوا: ومات زياد وعلى الكوفة من قبله عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى البصرة سمرة، فأقر معاوية سمرة على البصرة ستة أشهر، ويقال ثمانية عشر شهرا، ثم عزله فقال سمرة: لعن الله معاوية لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذبني أبدا.

قال أنس بن سيرين: استخلف زياد سمرة على البصرة وخرج إلى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف، فقال له: هل تخاف أن تكون قتلت بريئا؟ فقال: لو قتلت مثلهم لم أخف أن أقتل بريئا. وعن ابن سيرين عن ابن سمرة قال: من عرض لنا عرضنا له، ومن مشى على الكلاء ألقيناه في النهر. وعن عوانة وغيره قالوا: لما جمع معاوية لزياد الكوفة والبصرة في سنة خمسين كان يخلف سمرة بن جندب الفزاري حليف الأنصار بالبصرة إذا خرج إلى الكوفة، ويخلفه بالكوفةإذا خرج إلى البصرة عمرو بن حريث، وكان يقيم بالبصرة ستة أشهر وبالكوفة ستة أشهر، وكان سمرة يحدث أحداثا عظيمة من قتل الناس وظلمهم، أعطى رجل زكاة ماله ثم صلى ركعتين فأمر به سمرة فقتل، فقال أبو بكرة: ما شأن هذا؟ فأخبروه فقال: لقد قتله سمرة عند أحسن عمله فاشهدوا أنه مني وأنا منه، ثم قال لسمرة: ويلك لم قتلت رجلا عند احسن عمله؟ فقال: هذا عمل أخيك زياد هو يأمرني بهذا، فقال: أنت وأخي في النار، أنت وأخي في النار، وتلا أبو بكرة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى] ويزعمون أن زيادا نهاه بعد ذلك عن القتل. وعن علي بن زيد حدثنا أوس بن خالد قال: كنت أقدم على أبي محذورة فيسألني عن سمرة، وأقدم على سمرة فيسألني عن أبي محذورة، فقلت لأبي محذورة: إنك لتسألني عن سمرة فلم ذاك؟ فقال: كنت أنا وسمرة وأبو هريرة في بيت واحد فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بعضادتي الباب ثم ثال: إن آخركم موتا في النار، قال: فمات أبو هريرة ثم مات أبو محذورة ثم سمرة. وعن أبي السوار العدوي، قال: قتل سمرة بن جندب من قومي في غداة واحدة سبعة وأربعين رجلا كلهم قد جمع القرآن. وعن جعفر بن سليمان الضبعي، حدثنا عوف قال: أقبل سمرة من المربد فخرج رجل من بعض الأزرقة فتلقى الخيل فحمل عليه رجل من القوم فأوجره الحربة ثم مضت الخيل، ومر به سمرة وهو يتشحط في دمائه، فقال: ما هذا؟ فقيل: رجل أصابته أوائل خيل الأمير، فقال: إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أسنتنا. وعن ابن سيرين قال: كان سمرة صدوق الحديث عظيم الأمانة يحب الإسلام وأهله حتى أحدث ما أحدث.

☪

عن عوانة عن عبد الملك بن عمير قال: قال قبيصة بن ذؤيب الأسدي: ما رأيت أحدا قط أعلم بالله من عمر بن الخطاب، ولا رأيت أحدا أطول بلاء في الله من علي بن أبي طالب، ولا رأيت أحدا قط أعطى من طلحة، ولا رأيت أحدا قط أحمل لأحد من معاوية لمصقلة بن هبيرة، ولا رأيت أحدا قط أظهر جلدا وظرفا من عمرو بن العاص، ولا رأيت أحدا أيسر لصديق في عداوة العامة من المغيرة بن شعبة، ولا رأيت أحدا قط أخصب رفيقا ولا أقل أذى لجليسه من زياد. ويقال: إن زياد ابن أبيه أراد أن يتشبه بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ضبط الأمور والحزم والصرامة وإقامة السياسات إلا أنه أسرف وتجاوز الحد، وأراد الحجاج أن يتشبه بزياد فأهلك ودمر.

عن عوانة وابن عياش قالوا: ولى معاوية زيادا العراق، فلما مات ولى سمرة ثم ولى بعده عبد الله بن عمرو بن غيلان بن سلمة بن المحبق، ثم ولى عبيد الله بن زياد؛ وولى الكوفة بعد زياد الضحاك بن قيس الفهري، وكان زياد استخلف على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد فأقره معاوية أشهرا ثم ولى الضحاك، ثم ولى بعده ابن أم الحكم، ثم النعمان بن بشير.

■ (1) سمرة بن جندب بن هلال الفزاري: نشأ في المدينة. ونزل البصرة، فكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة. ولما مات زياد أقره معاوية عاما أو نحوه، ثم عزله. وكان شديدا على الحرورية. وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وكتب (رسالة) إلى بنيه، قال ابن سيرين: فيها علم كثير. مات بالكوفة سنة 60 هـ وقيل بالبصرة

مراجع: أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ تاريخ مدينة دمشق/ مختصر تاريخ مدينة دمشق/ من فضائل وأخبار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/

قال الحكم بن عوانة: وفد زياد[1] إلى معاوية ومعه أشراف أهل العراق فرجز به ابن حنيق العبادي[2] فقال: قد علمت ضامرة الجياد..أن الأمير بعده زياد. فلم يصل زياد إلى معاوية حتى أتاه الخبر، وما قاله ابن حنيق وإقرار زياد بذلك ومعاوية يربص لابنه ما يربص من الخلافة ثم أذن للناس، فأخذوا مجالسهم، ثم دخل زياد فلم يدعه إلى مجلس حتى قام له رجل من أهل العراق فجلس في مجلسه، فحمد الله معاوية وأثنى عليه، ثم قال: هذه الخلافة أمر من أمر الله، وقضاء من قضاء الله، وإنها لا تكون لمنافق، ولا لمن صلى خلف إمام منافق يعرض بزياد حتى عرف زياد وقام الناس، حتى إذا كان الليل أرسل معاوية إلى حضين بن المنذر الذهلي[3]، فدعاه وأدناه حتى كان قريبا منه، ثم أجلسه، وألقيت تحته وسادة، ثم قال له معاوية: بلغني أن لك عقلا ورأيا وعلما بالأمور، فأخبرني: ما فرق ملأها؟ قال: قتل أمير المؤمنين عثمان[4]. قال: ما صنعت شيئا. قال: مسير علي[5] إلى عائشة[6] وطلحة[7] والزبير[8]، ومسير علي إليك وقتالكم بصفين والذي كان بينكم من سفك الدماء والاختلاف. قال: ما صنعت شيئا. قال: فأخبرني يا أمير المؤمنين، فحمد الله معاوية ثم قال: إن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق. فدعا الناس إلى الإسلام، فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الله عز وجل حتى قبضه الله، وعصمه بالوحي، ثم استخلف المسلمون أبا بكر[9] فكان أفضل من تعلم وتعلمون، فعمل أبو بكر بكتاب الله وسنة رسوله حتى قبضه الله إليه، ثم استخلف أبو بكر على المسلمين عمر[10] فعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة أبي بكر، حتى أصاب عمر من قضاء الله ما أصابه، فخير بين ستة فجعلها شورى، ولم تجب إلا بجعلها بينهم، وكانوا خير من يعلم على الأرض، فلما جلسوا لها، وتنازعوها دعا كل رجل منهم إلى نفسه، فقال عبد الرحمن[11]: أيكم يخرج منها ويستخلف فأبى القوم وكان أزهدهم فيها فقلدوها إياه فاستخلف عثمان فما زال كل رجل من أهل الشورى يطمع فيها ويطمع له فيها أحباؤهم حتى وثبوا على عثمان فقتلوه واختلفوا بينهم حتى قتل بعضهم بعضا.فهذا الذي سفك دماء هذه الأمة وشق عصاها وفرق ملأها.

----

(1) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

(3) حضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الذهلي الشيباني الرقاشي، أبو ساسان أو أبو اليقظان: تابعي، من سادات ربيعة وشجعانهم، ومن ذوي الرأي. كان صاحب راية علي بن أبي طالب يوم صفين وفيه يقول الشاعر: لمن راية سوداء يخفق ظلها..إذا قلت قدمها حضين تقدما. من أبيات تنسب لعلي وولاه اصطخر. ولما استتب الامر لمعاوية وفد عليه فأكرمه. وكان قتيبة بن مسلم – وهو بمرو – يستشيره في أموره، قال قتيبة فيه: هو باقعة العرب وداهية الناس. مات سنة 97 هـ

(11) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.

(7) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

(8) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي.أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حوراي رسول الله. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر. أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ

(9) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

(10) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة 6 من النبوة وقيل سنة 5. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر، قتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي وكان عمره 65 سنة وخلافته 10 سنين و6 أشهر

(4) عثمان بن عفان الأموي،أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.ودفن بالبقيع.

(6) أم المؤمنين عائِشة بنت أبي بكر الصِديق التيمية القُرشية. زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وإحدى أمهات المؤمنين.كانت من أعلم النساء بالدين والقرآن والتفسير والحديث والفقه. ولدت رضي الله عنها سنة 19 ق.هـ وتوفيت سنة 58 هـ

(5) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

(2) بن حنيق العبادي ؟

الجمعة

عن الشعبي قال: كان القضاة أربعة والدهاة أربعة، فأما القضاة فعمر، وعلي، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأما الدهاة فمعاوية، وعمرو، والمغيرة، وزياد. قال قميصة بن جابر: صحبت عمر بن الخطاب، فما رأيت رجلا أقرأ لكتاب الله تعالى ولا أفقه في دين الله منه، ولا أحسن مدارسة منه. وصحبت طلحة بن عبيد الله، فما رأيت رجلا أعطى الجزيل من مال عن غير مسألة منه، قيل: وكان يسمى الفياض. قال: وصحبت معاوية بن أبي سفيان، فما رأيت رجلا أثقل حلما، ولا أبطأ جهلا، ولا أبعد أناة منه، وصحبت عمرو بن العاص، فما رأيت رجلا أبين ظرفا ولا أحلم جليسا منه، وصحبت زيادا، فما رأيت رجلا أخصب ناديا، ولا أكرم جليسا، ولا أشبه سريرة بعلانية منه، وصحبت المغيرة بن شعبة، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج من أبوابها كلها. قال الشعبي: ما رأيت أحدا يتكلم إلا أحببت أن يسكت مخافة أن ينقطع إلا زيادا فإنه لا يخرج من حسن إلا إلى حسن. قال الشعبي: ما رأيت أحدا أخطب من زياد. قال أحمد بن صالح: زياد أمير البصرة تابعي، ولم يكن يتهم بالكذب قال الأصمعي: مكث زياد على العراق تسع سنين لم يضع لبنة على لبنة، ولم يغرس شجرة. قال أبو رجاء العطاردي: ولي زياد البصرة سنة خمس وأربعين، وكان زياد يصيف بالكوفة ويشتو بالبصرة، ومات زياد بالكوفة وهو على المصرين: البصرة والكوفة، وكان إذا غاب عن البصرة استخلف سمرة بن جندب[1].ومات سنة ثلاث وخمسين في رمضان قريبا من الكوفة. قال أبو إسحاق: غزوت في زمن زياد ست غزوات أو سبع غزوات، ومات زياد قبل معاوية، وما رأيت قط خيرا من زمن زياد. فقال له رجل: ولا زمن عمر بن عبد العزيز؟ فقال: ما كان زمن زياد إلا عرسا. قال الزهري سمعت رجلا من أهل الري يقول: سمعت زيادا على المنبر يقول: إن أكذب الناس من قام على رأس مئة ألف فكذبهم. إني والله لا أعدكم خيرا إلا أنجزته لكم، ولا شرا إلا أنجزته لكم، ولا أعاقبكم بذنب حتى أتقدم إليكم فيه، فاتقوا غضب السلطان، فإنه يغضبه ما يغضب الوليد، ويأخذ أخذ الأسد، وله ملك مؤجل، فإذا انقضت مدته كشفه الله عنكم. قال يونس: كان زياد إذا ولى رجلا عملا قال له: خذ عهدك، وسر إلى عملك، واعلم أنك مصروف رأس ستتكن وأنك تصير إلى أربع خلال، فاختر لنفسك: إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلناك لضعفك، وسلمتك منا أمانتك، وإن وجدناك قويا خائنا استهنا بقوتك، وأحسنا على خيانتك أدبك، وأوجعنا ظهرك، وثقلنا غرمك، وإن جمعت علينا الحرمين عليك المصرين، وإن وجدناك أمينا قويا زدنا في عملك، ورفعنا ذكرك، وكثرنا مالك، وأوطأنا عقبك. قال عجلان مولى زياد وكان حاجبه، قال: كان زياد إذا خرج من منزله مشيت أمامه إلى المسجد، فإذا دخل مشيت أمامه إلى مجلسه، فدخل مجلسه ذات يوم فإذا هو بهر في زاوية، فذهبت أزجره فقال: دعه. فأرب ماله، ثم صلى الظهر، ثم عاد إلى مجلسه، كل ذلك يلاحظ الهر، فلما كان قبل غروب الشمس خرج جرذ، فوثب إليه فأخذه، فقال زياد: من كانت له حاجة فليواظب عليها مواظب الهر يظفر بها. قال عجلان: قال لي زياد: أدخل علي ويحك رجلا عاقلا قال: قلت: لا أعرف من تعني: قال: لا يخفى العاقل في وجهه وقده. فخرجت، فإذا أنا برجل حسن الوجه، مديد القامة، فصيح اللسان. قلت: ادخل. فدخل، فقال زياد: يا هذا، إني قد أردت مشورتك في أمر، فما عندك؟ فقال: أنا حاقن، ولا رأي لحاقن. قال: يا عجلان، أدخله المتوضأ، قال: ثم خرج فقال: ما عندك؟ فقال: إني جائع، ولا رأي لجائع. قال: يا عجلان، ائت بطعام، فأتي به. قال: فطعم فقال: سل عما بدا لك. فما سأله عن شيء إلا وجد عنده بعض ما يريد. فكتب إلى عماله: لا تنظروا في حوائج الناس وأحد منكم حاقن أو جائع. قال أبو الحسن المدائني: لما ولي زياد العراق صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني قد رأيت خلالا ثلاثا نبذت إليكم فيهن النصيحة: رأيت إعظام ذوي الشرف، وإجلال أهل العلم، وتوقير ذوي الأسنان. وإني أعاهد الله عهدا: لا يأتيني شريف بوضيع لم يعرف له حق شرفه إلا عاقبته، ولا يأتيني كهل بحدث لم يعرف له حق فضل سنه على حداثته إلا عاقبته، ولا يأتيني عالم بجاهل لا حاه في علمه ليهجنه عليه إلا عاقبته، فإنما الناس بأشرافهم وعلمائهم وذوي أسنانهم. قال زياد: ثلاثة لا يستخف بهم: عامل السلطان، والعالم، والصديق. فإنه من استخف بالسلطان أفسد دنياه، ومن استخف بالعالم أفسد دينه، ومن استخف بالصديق أفسد مروءته. قال سفيان بن عيينة: قال زياد: ليس العاقل الذي يحتال للأمر إذا وقع فيه، ولكن العاقل الذي يحتال للأمر ألا يقع فيه. قال أبو سفيان القرشي: قال زياد: إن مما يجب لله عز وجل على ذي النعمة بحق نعمته ألا يتوصل بها إلى معصيته. قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: قال رجل في مجلس يونس: قال عمر بن الخطاب ذات يوم: لئن بقيت لأمنعن فروج العربيات إلا من الأكفاء. فقال يونس: رحم الله عمر، لو أدرك تلاعب زياد وبنيه لساءه ذلك. قال زياد: ما جلست مجلسا قط إلا تركت منه ما لو آخذته لكان لي، وترك بعض ما لي أحب إلي من أخذ ما ليس لي. قال زياد: أكرم الناس مجلسا من إذا أتى مجلسا عرف قدره فجلس مجلسه، وإذا ركب دابة حملها على ما يريد، ولا يدعها تحمله على ما تريد. قال زياد: لو أن لي عشرة دراهم لا أملك غيرها ما تركت نائبة يلزمني فيها حق، ولو أن لي مائة ألف ولي بعير أجرب ما ضيعته لكثرة ما لي. قال زياد لجلسائه: من أغبط الناس عيشا؟ قالوا: الأمير وجلساؤه. فقال: ما صنعتم شيئا، إن لأعواد المنبر هيبة، وإن لقرع لجام البريد لفزعة، ولكن أغبط الناس عندي رجل له دار لا يجري عليه كراؤها، وله زوجة صالحة قد رضيته فهما راضيان بعيشهما، لا يعرفنا ولا نعرفه، فإنه إن عرفنا وعرفناه أتعبنا ليله ونهاره، وأذهبنا دينه ودنياه. كان الشافعي رحمه الله يقول: تعلموا النحو فإنه والله يزري بالرجل ألا يكون فصيحا، ولقد بلغني أن رجلا دخل على زياد بن أبيه فقال له: أصلح الله الأمير، إن أبينا هلك، وإن أخينا غصبنا على ما خلفه لنا. فقال له زياد: ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك. قال العتبي: قال زياد: ما من كلام إلا له عندي جواب، فمر به مجنون فقال له: أيسرك أنك من الحور العين؟ فتحير وبهت ثم قال: إن من السكوت جوابا، وإن جواب هذا الكلام السكوت. قال سلمة بن كهيل: أول من وطىء على سماح الإسلام زياد.

----

(1) سمرة بن جندب بن هلال الفزاري: نشأ في المدينة. ونزل البصرة، فكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة. ولما مات زياد أقره معاوية عاما أو نحوه، ثم عزله. وكان شديدا على الحرورية. وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وكتب (رسالة) إلى بنيه، قال ابن سيرين: فيها علم كثير. مات بالكوفة سنة 60 هـ وقيل بالبصرة

مراجع: مختصر تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وواثلة بن الأسقع الكناني 0225

عن محمد بن علي بن الحكم قال: حضر ناجذ بن سمرة[1] وواثلة بن الأسقع الكناني[2] باب معاوية فقال معاوية لآذنه، وهو أبو أيوب يزيد مولاه: ايذن لناجذ، فأذن له، فمنعه واثلة، وواثلة أحد بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وناجذ أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فدخل الآذن فأعلم معاوية، فأمره أن يدخلها معا، فقال واثلة: يا أمير المؤمنين لم أذنت لهذا قبلي ولي صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولي السن عليه؟ قال معاوية: إني وجدت برد أسنانك بين ثديي، ووجدت كف هذا تدفع ذلك البرد، يعني يوم الفجار الذي كان بسبب البراض*، وهو يوم نخلة، فقال: يا معاوية أبثأر الجاهلية تطالبني؟! أفلا آخذت الذي قال: أغرك أن كانت لبطنك عكنة..وأنك مكفي بمكة طاعم. فقال معاوية: إذا جاءك البكري يحمل قصبه..فقل قصب كلب صاده وهو نائم. فقال واثلة: فما منع العير الضروط ذماره..ولا منعت مخزاة والدها هند.فقال معاوية: نزلت قديدا فالتوت بذراعها..يكر كل أطلح أفحج*. قال واأسفاه. قال معاوية: واسوأتاه أجهلتنا وأجهلناك وأسأنا إليك ولنا المقدرة عليك ارفع حاجتك.

----

*(الافحج) الذي في رجليه اعوجاج وقيل المتباعد ما بين الفخذين وقيل : المتباعد ما بين أوساط الساقين من الانسان والدابة –تاج العروس: فحج– (حروب الفجار) بين كنانة وقيس، وسميت الفجار لانها كانت في الاشهر الحرم، وهي الشهور التي يحرمونها ففجروا فيها، وهي فجاران، الفجار الاول ثلاثة أيام، والفجار الثاني خمسة أيام في أربع سنين، وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم يوم عكاظ مع أعمامه وكان يناولهم النبل، وانتهت سنة 589 م وتعرف أيام الفجار الثاني يوم نخلة يوم شمطة يوم العبلاء يوم عكاظ يوم الحريرة. وأغلب حروب الفجار معارك ومناوشات، ولم تكن حروبا بالمعنى المفهوم من كلمة حرب. (البراض) يوم البراض أو يوم نخلة هو أعظم أيام الفجار

■ (2) واثلة بن الأسقع بن عبد العزيز بن عبد ياليل أبو الأسقع ، وقيل أبو شداد وقيل غير ذلك ، الليثي الكناني . صحابي أسلم قبل تبوك وشهدها. وقيل: أنه خدم النبي ثلاث سنين. وكان من أهل الصفة، ثم نزل الشام، وشهد فتح دمشق وحمص وغيرهما. فسكن دمشق، ثم استوطن بيت جبرين، وهى بلدة بقر بيت المقدس، ودخل البصرة، وكان له بها دار. توفى بدمشق سنة 86 هـ أو 85 هـ وهو ابن 98 سنة، وقيل: توفى سنة 83 وهو ابن 105، والصحيح الأول.

■ (1) ناجذ بن سمرة أخي بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ؟

قال الدكتور جواد علي: وتعد أيام الفجار من الحوادث المؤثرة في تأريخ مكة وهي أفجرة. وإنما سميت بذلك؛ لأنها كانت في الأشهر الحرم، ومن أهمها :فجار البراض، نسبت إلى البراض بن قيس الذي قتل عروة الرحال. عروة بن عتبة الرحال، إلى جانب فدك بأرض يقال لها أوارة، فأهاج مقتله الحرب بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان، وكانت الدبرة على قيس. وذكر في رواية أخرى، أن الفجارات الأربعة: فجار الرجل، أو فجار بدر بن معشر الغفاري، وهو الفجار الأول، وفجار القرد، وفجار المرأة، والفجار الرابع هو فجار البراض وأن يوم البراض أو يوم نخلة هو أعظم أيام الفجار وكان البراض قد قدم باللطيمة إلى مكة فأكلها وهي لطيمة النعمان بن المنذر، التي وضع النعمان زمامها بيد عروة بن عتبة الرحال، وكان سمي الرحال لرحلته إلى الملوك، فكان ذلك مما أهاج الحرب. وقد رأس قريشا: حرب بن أمية، وكان موضعه في القلب، وعبد الله بن جدعان في إحدى المجنبتين، وهشام بن المغيرة في الأخرى، فالتقوا بـ نخلة، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم، وجن عليهم الليل فكان اليوم لهوازن. وذكر أن هذا اليوم قد وقع بعد عشرين سنة من عام الفيل وقد شهده الرسول صلى الله عليه وسلم وعمره عشرون سنة. ثم إن قريشا وبني كنانة لقوا هوازن بشمطة وعلى بني هاشم: الزبير بن عبد المطلب، وعلى بني عبد شمس وأحلافها: حرب بن أمية، وعلى بني عبد الدار وحلفائها: عكرمة بن هاشم، وعلى بني أسد بن عبد العزى: خويلد بن أسد، وعلى بني زهرة: مخرمة بن نوفل، وعلى بني تيم: عبد الله بن جدعان، وعلى بني مخزوم: هاشم بن المغيرة وعلى بني سهم: العاص بن وائل وعلى بني جمح: أمية بن خلف، وعلى بني عدي: زيد بن عمرو بن نفيل، وعلى بني عامر بن لؤي: عمرو بن شمس، وعلى بني فهر: عبد الله بن الجراح، وعلى بني بكر: بلعاء بن قيس، وعلى الأحابيش: الحليس الكناني، فالتقوا أول النهار على هوازن، فصبروا ثم استحر القتل في قريش، وانهزم الناس. وروي أن البراض بن قيس لقي بشر بن أبي خازم الأسدي الشاعر، فأخبره الخبر، وأمر أن يعلم ذلك عبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة، وحرب بن أمية، ونوفل بن معاوية الديلي، وبلعاء بن قيس، فوافى عكاظا، فأخبرهم فخرجوا إلى الحرم، وبلغ قيسا الخبر، فخرجوا في آثارهم فأدركوهم وقد دخلوا الحرم، ولم تقم في تلك السنة عكاظ. ومكثت قريش وغيرها من كنانة وأسد بن خزيمة ومن لحق بهم من الأحابيش، وهم الحارث بن عبد مناة وعضل والقارة وديش والمصطلق من خزاعة لحلفهم بالحارث بن عبد مناة، سنة يتأهبون للحرب، لإنذار قيس لها. وتأهبت قيس عيلان وسارت على قريش، وكان فيها أبو براء عامر بن مالك بن جعفر وسبيع بن ربيعة بن معاوية النصري ودريد بن الصمة، ومسعود بن معتب الثقفي وأبو عروة بن مسعود وعوف بن أبي حارثة المري وعباس بن رعل السلمي. واستعدت قريش ورؤساؤها عبد الله بن جدعان، وهشام بن المغيرة، وحرب بن أمية وأبو أحيحة سعيد بن العاص، وعتبة بن ربيعة، والعاص بن وائل، ومعمر بن حبيب الجمحي، وعكرمة بن هاشم، وخرجوا متساندين ويقال: بل أمرهم إلى عبد الله بن جدعان. فالتقوا فكانت الدبرة أول النهار لقيس على قريش وكنانة ومن ضوى إليهم، ثم صارت الدبرة آخر النهار لقريش وكنانة على قيس، فقتلوهم قتلا ذريعا فاصطلحوا على أن عدوا القتلى، وردت قريش لقيس ما قتلت فضلا عن قتلاهم، وانتهت الحرب. وقد شهد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الفجار، ورمى فيها بسهم، فكان يوم حضر ابن عشرين سنة، وكان الفجار بعد الفيل بعشرين سنة. وأغلب حروب الفجار معارك ومناوشات، ولم تكن حروبا بالمعنى المفهوم من كلمة حرب. أما أهميتها وسبب اشتهارها فلوقوعها في شهور حرم ولخروج المتحاربين فيها على سنة قريش ودينهم في تحريم القتال في هذه الشهور ولهذا السبب حفظ ذكرها وجاء خبرها في كتب أهل الأخبار. وقد كان النصر فيها على كنانة وقريش في الغالب وهو شيء مفهوم معقول؛ فقد كانت قيس عيلان كما كانت هوازن قبائل محاربة تعيش على الغزو والقتال، بينما كانت قريش قبيلة مستقرة اتخذت التجارة لها رزقا، كما عاشت على الأرباح التي تجنيها من مجيء الأعراب إليها في مواسم الحج أو أيام العمرة ومن الامتيار من أسواقها. وقوم هذا شأنهم في حياتهم وفي تعاملهم لا يمكن أن يميلوا إلى الغزو والقتال، بل كانوا يحبون حياة السلم والاستقرار؛ يشترون السلم ولو عن طريق ترضية الأعراب بتقديم الأموال لهم والهدايا والهبات؛ لذلك لم يصر رجالها رجال حروب وقتال، بل صاروا رجال سياسة ومساومة ومفاوضات تنتهي بنتائج طيبة بالنسبة لهم، لا يمكن أن يحصلوا عليها من القتال. وقد رأس الزبير بن عبد المطلب بني هاشم، غير أن رئاسته هذه لم تكن متينة وقد كان في جملة من شهدحلف الفضول في دار عبد الله بن جدعان كما رأس بني هاشم في حرب الفجار. وذكر أنه كان نديما لمالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار وقد تاجر الزبير مع بلاد الشام إلا أنه لم ينجح في تجارته على ما ظهر، بدليل أنه لم يكن موسرا، وذكر أنه كان أحد حكام العرب الذين يتحاكمون إليهم.[..]

مراجع: أنساب الأشراف/ تاريخ دمشق/ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام/ نسب قريش/

قال الواقدي: كان عبد الله بن صفوان[1] يكنى أبا صفوان، وكان سيدا من سادات أهل مكة، وقدم معاوية مكة فقال له: كيف أنت أبا صفوان؟ فقال: خير لمن أراد الخير وشر لمن أراد الشر، وأهدى إلى معاوية غنما كثيرة فقال له: سل حاجتك؟ فقال: قد قدمت على قومك فصل أرحامهم واقض حوائجهم فقال: افعل ذلك، فسلني حاجتك في خاصة نفسك؟ فقال: حاجتي أن تنظر من بمكة من العرب فتحسن جوائزهم وتنظر في أمورهم، قال: أفعل، فسل حاجتك؟، قال: تحسن إلى من بمكة من الموالي. فقال: أفعل، فما حاجتك؟ قال: ما لي بعد الذي سألت حاجة. قال يزيد بن عياص بن جعدية: لما قدم معاوية مكة لقيته رجال قريش، فلقيه عبد الله بن صفوان على بعير في خفين وعمامة وبت. فساير معاوية، فقال أهل الشام: من هذا الأعرابي الذي يساير أمير المؤمنين؟ فلما انتهى إلى مكة إذا الجبل أبيض من غنم عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه ألفا شاة أحرزتكها، فقسمها معاوية في جنده. فقالوا: ما رأينا أسخى من ابن عم أمير المؤمنين هذا الأعرابي.

وعن جويرية قال: قالت بنات أبي سفيان لمعاوية: يقدم عليك ابن أختك يعنين: عبد الرحمن بن صفوان بن أمية[2] فتؤخره، ويقدم عليك عبد الله بن صفوان فتقدمه؟! قال: فأقعدهن مقعدا جعل بينه وبينهن سدا، فقال: ائذنوا لابن أختي، فأذن له: فلما دخل قال: مرحبا وأهلا، حاجتك؟! قال: يا أمير المؤمنين، أقطعني كذا وأقطعني كذا، قال: هيه. قال: أقطعني وافعل بي كذا، ثم قال: ائذنوا لعبد الله بن صفوان. فلما أراد أن يدخل قام إليه رجل فقال: حاجتك إلى أمير المؤمنين في هذا القرطاس. فلما دخل قال: هيه، قال: آل فلان بيننا وبينهم من القرابة، وبهم حاجة قال: هيه حسبك لنفسك! قال: لو لم أفد إليك إلا لنفسي ما وفدت أبدا. فلما قدم قال: يا أمير المؤمنين، حاجة هذا الرجل. قال: حسبك، قال: لا والله لا أقبل منك بواحدة إلا بهذه. قال: فدخل على أخوته فقال: أذنت لذاك فما سألني إلا لنفسه، وأذنت لهذا فما سألني إلا لقرابتي. وعن عامر بن حفص التميمي قال: قدم رجل من مكة على معاوية فقال: من يطعم اليوم بمكة؟ قال: عبد الله بن صفوان قال: تلك نار قديمة.

عن علي بن سليم قال: حضر قوم من قريش مجلس معاوية فيهم عمرو بن العاص[3]، وعبد الله بن صفوان بن أمية، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي[4]، فقال عمرو بن العاص: احمدوا الله يا معشر قريش إذ جعل والي أمركم من يغضي على القذى ويتصام عن العوراء ويجر ذيله على الخدائع، فقال عبد الله بن صفوان: لو لم يكن كذلك لمشينا إليه الضراء، ودببنا إليه الخمر، وقلبنا له ظهر المجن، ورجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مال مصر. قال معاوية: يا معشر قريش، حتى متى لا تنصفون من أنفسكم، فقال عبد الرحمن بن الحارث: إن عمرا وذويه أفسدوك علينا وأفسدونا عليك، ما ضارك لو أغضيت على هذا؟ فقال: إن عمرا لي ناصح، فقال عبد الرحمن بن الحارث: أطعمنا مثل ما أطعمته ثم خذنا بمثل نصيحته، إنا يا معاوية رأيناك تضرب عوام قريش بأياديك في خواصها، كأنك ترى أن كرامها جازوك عن لئامها، وايم الله إنك لتفرغ في وعاء ضخم من إناء فعم ولكأنك بالحرب قد أطلق عليك عقالها ثم لا تنظر إليك، فقال معاوية: يا بن أخي ما أحوج أهلك إلى حياتك وأنشد: أغر رجالا من قريش تتابعوا..على سعة مني الحيا والتكرم.

قال أبو الحسن المدائني: قدم على معاوية وفد من قريش فيهم عبد الله بن جعفر[5]، وعبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف، وابن الزبير[6] فوصلهم، وفضل عبد الله بن جعفر عليهم، أعطاه ألف ألف درهم، فقال عبد الله بن صفوان: يا معاوية إنما صغر حقوقنا عليك وهون أمرنا عندك أنا لم نقاتلك كما قاتلك غيرنا، ولو كنا فعلنا كنا كابن جعفر! فقال معاوية: إني أعطيكم فتكونون بين رجلين إما معد بها أعطيه لحربي، وإما مضم له مع بخل به، وإن عبد الله بن جعفر يعطي أكثر مما يأخذ، ثم لا يأتيني حتى يدان أكثر مما أعطى، فخرج عبد الله بن صفوان وهو يقول: والله إن معاوية ليحرمنا حتى نيأس، ويعطينا حتى نطمع.

----

(1) عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف القرشي من عباد أهل مكة وصالحيهم وأفاضل التابعين ومتقنيهم. يقال: ولد أيام النبوة.وروى عن أبيه، وعمر، وأبي الدرداء، وحفصة.قتل وهو متعلق بأستار الكعبة مع بن الزبير سنة 73 هـ.

(4) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي المدني، أبو محمد: تابعي، ثقة، جليل القدر، من أشراف قريش. وهو أحد الاربعة الذين عهد إليهم عثمان بن عفان بنسخ المصاحف، لتوزيعها على الامصار. توفي في المدينة سنة 43 هـ.

(5) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم. السيد، العالم، أبو جعفر القرشي، الهاشمي، ولد في الحبشة سنة 1 هـ ، وله صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وروى أيضا عن عمه؛ علي، وعن أمه؛ أسماء بنت عميس. حدث عنه أولاده، وآخرون. وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم. وله وفادة على معاوية.ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ. ويقال: سنة 90 هـ. كما تناقل المؤرخون أخبار تنعّمه، وحبه للغناء؟؟.

(3) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، أبو عبد الله، وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

(6) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

(2) عبد الرحمن بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة القرشي الجمحي المكي أخو عبد الله بن صفوان يقال ان له صحبة، روى عنه عبد الله بن أبي مليكة.

قال أبو مجلز: سأل رجل ابن عمر عن أعور فقئت عينه الصحيحة، فقال عبد الله بن صفوان: قضى عمر بن الخطاب فيها بالدية. فقال: إياك أسأل! قال: تسألني؛ وهذا يخبرك أن عمر قضى بذلك؟!

قال أبو عبد الله الأزدي: وفد المهلب بن أبي صفرة على عبد الله بن الزبير، فأطال الخلوة معه، فجاء ابن صفوان فقال: من هذا الذي قد شغلك منذ اليوم يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا سيد العرب بالعراق، قال: ينبغي أن يكون المهلب، قال: فهو المهلب بن أبي صفرة، فقال المهلب: من هذا الذي يسألك عني يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا سيد قريش بمكة. قال: ينبغي أن يكون عبد الله بن صفوان.

قال ابن مليكة: كان عمر بن عبد العزيز يقول لي: ما بلغ ابن صفوان ما بلغ؟ قلت: أجل، سأخبرك، والله لو أن عبدا وقف عليه يسبه ما استنكف عنه ابن صفوان، وسأخبرك عنه: إنه لم تكن تأتيه قط إلا كان أول خلق الله تسرعا إليه الرجال، ولم يسمع بمفازة إلا حفرها ولا ثنية إلا سهلها، وكنتم تقدمون علينا هاهنا فيكون أولنا عليكم دخولا، وآخرنا من عندكم خروجا، وكنتم تحسبوننا بعطائنا، فيصيح بكم وأنتم بالشام ونحن بمكة فتخرجونها له، فبهذا بلغ.

أقبل أبو حميد بن داود بن قيس بن السائب المخزومي على عبد الله بن صفوان بن أمية يشتمه ويقع فيه، وهو جالس في المسجد، وحوله بنوه وأهله فقال: عزمت على رجل منكم أن يجيبه، ثم انصرف، فقالوا له: لم نر مثل تركك هذا يشتمك، فأمر له بصلة مكانه. فأقبل عليه بعد ذلك فقال: أشتمك وتصلني؟! قال: تريد أن تزيل الجبال؟. وتناول رجل من أهل مكة ابنا لعبد الله بن صفوان ببعض ما يكره، فأمسك عنه الفتى. فقال مجاهد: لقد أشبه أباه في الحلم والاحتمال.

كان محمد بن الحنفية عند ابن عباس وقد جاءهم نعي الحسين بن علي رضي الله عنه، وعزاهم الناس، فقال ابن صفوان: إنا لله وإنا إليه راجعون، أي مصيبة! يرحم الله أبا عبد الله، وآجركم الله في مصيبتكم. فقال ابن عباس: يا أبا القاسم، ما هو إلا أن أخرج من مكة، فكنت أتوقع ما أصابه. قال ابن الحنفية: وأنا والله. فعند الله نحتسبه، ونسأله الأجر وحسن الخلف. قال ابن عباس: يا أبا صفوان، أما والله لا يخلد بعد صاحبك الشامت بموته، فقال ابن صفوان: يا أبا العباس، والله ما رأيت ذلك منه، ولقد رأيته محزونا بمقتله، كثير الترحم عليه. قال: يريك ذلك لما يعلم من مودتك لنا، فوصل الله رحمك، لا يحبنا ابن الزبير أبدا. قال ابن صفوان: فجد بالفضل فأنت أولى به منه.

كان عبد الله بن صفوان ممن يقوي أمر عبد الله بن الزبير، فقال له عبد الله بن الزبير: قد أذنت لك وأقلتك بيعتي. قال: إني والله ما قاتلت معك لك، ما قاتلت إلا عن ديني، فأبى أن يقبل الأمان حتى قتل هو وابن الزبيرمعا في يوم واحد، وهو متعلق بأستار الكعبة. وله يقول الشاعر: كرهت كتيبة الجمحي لما..رأيت الموت سال به كداء..فليت أبا أمية كان فينا..فيعذر أو يكون له غناء. قال يحيى بن سعد: رأيت رأس عبد الله بن مطيع أتي به إلينا إلى المدينة ورأس عبد الله بن الزبير ورأس عبد الله بن صفوان. ولم يؤت من الرؤوس بغير رؤوس هؤلاء.

قال عبد الله بن صفوان لعبد الله بن جعفر: ما نعاتب أحدا من فتياننا على اللهو إلا قال: هذا ابن جعفر يلهو، فقال ابن جعفر: وما نأخذ أحدا من فتياننا بتعلم القرآن إلا قال: هذا ابن صفوان لا يقرأ من كتاب الله شيئا.

مراجع: أنساب الأشراف/ تاريخ دمشق/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) ورجل من كنانة 0227

عن يعقوب بن داود قال: خطب معاوية فقال: إن عمر ولاني ما ولاني من الشام ثم عثمان بعده، فوالله ما غششت ولا استأثرت، ثم ولاني الله الأمر فأحسنت وأسأت، فقام اليه رجل فقال: يا معاوية بل استأثرت وأسأت ولم تحسن ولم تنصف، فقال له معاوية أجلس فما أنت والكلام؟! والله لكأني أنظر إلى بيتك بفخ تهفو الريح بجوانبه، بفنائه تيس وبهمة وأعنز، درهن نزر يحلبن في مثل محارة ألقاها الموج، فقال: يا معاوية رأيت ذلك في شر زمان، وكان تحت ما رأيت حسب كريم غير دنس، فهل رأيتني قتلت مسلما وانتهكت محرما؟ فقال معاوية : وأين أنت حتى أراك وأنت لا تبرز إلا في خمار، وأي مسلم تقوى عليه حتى تقتله، اجلس لا جلست، قال: لا أجلس ولكني سأذهب عنك إلى أبعد أرض وأسحقها، وقام الرجل فولى، فقال معاوية: ردوه، فردوه فقال: أستغفر الله، أما لقد رأيتك أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فرد عليك، وأهديت إليه فقبل منك، وأسلمت فحسن إسلامك، ولق غلظ عليك منا القول، فأذكر حاجتك فإني أعطيك حتى ترضى. وعن عبد الله بن سلم قال: خطب معاوية الناس فذكر تولية عمر أياه ثم قال: فوالله ما خنت ولا كذبت، ثم وليت هذا الأمر فتقدمت وتأخرت، وأصبت وأخطأت، وأحسنت وأسأت، فقام اليه رجل من كنانة[1] يقال له سلمة فرد قوله، فقال له: وما أنت وذاك؟! كأني أنظر إلى حفش بيتك مربوطا بطنب منه تيس، وبطنب بهمة، والريح تخفق به كأنه جناح نسر، ولك أعنز تحتلب في مثل قواره حافر عير، قال: رأيت ذلك في زمن علينا لا لنا، أما والله إن حشوه لحسب غير دنس؛ ثم ذكر باقي الحديث.

■ (1) بني كنانة قبيلة خندفية مضرية عدنانية ينتمي إليها النبي محمد عليه الصلاة والسلام

☪

عن مسلمة قال: قال رجل من ولد أمية بن خلف الجمحي[1] لمعاوية: إنا تركنا الحق وعلي[2] يدعونا إليه، وبايعناك على ما تعلم، فلما تسهلت لك الأمور جعلت الدنيا لأربعة: سعيد بن العاص[3]، وعمرو بن العاص السهمي[4]، ومروان بن الحكم[5]، والمغيرة بن شعبة[6]، وتركتنا لا في عير ولا في نفير، فأطرق معاوية طويلا ثم قال: يا بن أخي إني ميلت بين معاتبتك وتركك فوجدت معاتبتك أبقى لك، إني أراك شديد التقحم رحب الذراع بالقول، ولست كلما شئت وجدت من يحمل لك سفهك. وعن مجالد عن الشعبي أن معاوية بعث إلى رجل من الأنصار بخمسمائة دينار فاستقلها، وأقسم على ابنه أن يأتي معاوية فيضرب بها وجهه، فانطلق حتى دخل على معاوية، فملا رآه قال: ما جاء بك يا بن أخي؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن لأبي طيرة وفيه حدة، وقد قال لي كيت وكيت، وعزمه الشيخ على ما قد علمت، فوضع معاوية يده على وجهه وقال: افعل ما أمرك به أبوك وارفق بعمك، فرمى الدنانير، وأمر معاوية للأنصاري بألف دينار، وبلغ الخبر يزيد فدخل على معاوية مغضبا وقال: لقد أفرطت في الحلم حتى خفت أن يعد ذلك منك ضعفا وجبنا، فقال: أي بني إنه لا يكون مع الحلم ندامة ولا مذمة، فامض لشأنك.

☪

عن إبراهيم بن محمد قال: قال معاوية: لو كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل: وكيف يا أمير المؤمنين؟ قال: إن جبذوها أرسلتها، وإن خلوها جبذتها. وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قد علمت بما كان معاوية يغلب الناس، كان إذا طاروا وقع وإذا وقعوا طار، وإذا قعدوا قام وإذا قاموا قعد. قال معاوية: معروف زماننا هذا منكر زمان قد مضى، و منكر زماننا هذا معروف زمان لم يأت. وقال يوما على المنبر: يا أهل الشام، ما أنتم بخير من أهل العراق ثم ندم فتداركها، فقال: إلا أنكم أعطيتم بالطاعة، وحرموا بالمعصية. ومن كلامه: الفرصة خلسة، والحياء يمنع الرزق، والهيبة خيبة و الحكمة ضالة المؤمن. وقال ذات يوم لابنه يزيد: يا بني، لا تستفسد الحر فسادا لاتصلحه أبدا. قال: بماذا؟ قال: لاتشتمن له عرضا، ولا تضربن له ظهرا، فإن الحر لا يرى الدنيا عوضا من هذين، ولكن خذ ما له، و متى شئت أن تصلحه فمال بمال. و أتي بسارق، فقال: أسرقت؟ فقال بعض من حضر: اصدق أمير المؤمنين. فقال معاوية: الصدق في بعض المواطن عجز. وخطب فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخلق للدنيا ولا خلقت له، وإن أبا بكر لم يرد الدنيا و لم ترده، وإن عمر أرادته الدنيا ولم يردها، وإن عثمان أصاب من الدنيا و ترك، وإن ابن هند تمرغ فيها ظهرا لبطن، ولو كانت راية أحق بنصر و أقرب إلى هدى كانت راية ابن أبي طالب، وقد رأيتم إلام صارت. وقال لعامل له: كل قليلا تعمل طويلا، إلزم العفاف يلزمك العمل، وإياك والرشا يشتد ظهرك عند الخصام. ورفع يوما ثندوتيه بيديه، ثم قال: لقد علم الناس أن الخيل لا تجري بمثلى، فكيف قال النجاشي: ونجى ابن حرب سابح ذو علالة..أجش هزيم والرماح دوان نثر الدر .وعن مروان بن جناح قال: قال عمرو بن العاص وذكر معاوية وهو بمصر: إن إمامكم لمن سهل الله خليقته، قوم طريقته، وأحسن صيغته، فمن كانت النعمة تبطره إنها لتذلله وتوقره. عن عبد الله بن سلام قال: كتب معاوية إلى مروان والله لفلان أهون علي من ذرة، أو كلب من الحرة ثم قال للكاتب: امح الحرة واكتب من كلب من الكلاب. وعن اسحاق بن أيوب قال: شهد أعرابي عند معاوية بشهادة فقال: كذبت، قال: الكاذب والله المتزمل في ثيابك، فقال معاوية: هذا جزاء من عجل. وعن هشام بن عمار قال: قال معاوية: خير الصنائع ما أبقى ذكرا حسنا، وخير الجود ما لم يعد سرفا، وخير السلطان ما لم يورث صاحبه كبرا، ورب المعروف أفضل من ابتدائه

☪

قال علي الصلابي: يقول ابن خلدون في مقدمته: كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل، غثا أو سمينا... وقد طفحت كتب الأخباريين والتواريخ بأخبار عن معاوية، وجلها مقاطيع ومراسيل، وهي ضعيفة، فهذا أكثر من نقل أخبار معاوية، وهو البلاذري في أنساب الأشراف (تحقيق العظم) يقول: قال لي هشام بن عمار: نظرت في أحاديث معاوية عندكم فوجدت أكثرها مصنوعا.، وذكر أحدها. ناهيك عن مصادر الأخبار غير الموثوقة أصلا، كتواريخ الضعفاء المتروكين؛ أمثال أبي مخنف لوط بن يحيى الكوفي، والكلبي، والواقدي، والعباس بن بكار، ومثل كتابي الأغاني ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني، أو كتب الرافضة: كالمسعودي، وابن أبي الحديد، أو الكتب الموضوعة المنحولة: كالإمامة والسياسة، وتاريخ اليعقوبي، وكتاب السقيفة المنسوب للجوهري، أو الكتب غير المسندة، أو غير المختصة: كالعقد الفريد، فضلا عن كتابات أمثال طه حسين والعقاد ! قلت: وبمثل هذه الأخبار يتعلق أعداء معاوية رضي الله عنه، وقد شاء الله أن يرفع درجات معاوية بكثرة من يسبه من الرافضة ومن لا خلاق له، وقد قام أولئك بوضع الكثير من الحكايات التي تطعن فيه، بل وصل الأمر إلى وضع أحاديث في ثلبه رضي الله عنه، ولا يستغرب ذلك من أكذب الناس، وهم الرافضة [..] قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر أن الرافضة أعظم الطوائف كذبا وجهلا، وأن دينهم يدخل على المسلمين كل زنديق ومرتد: إنهم.. يعمدون إلى الصدق الظاهر يدفعونه، وإلى الكذب المختلق الذي يعلم فساده يقيمونه، فهم كما قال فيهم الشعبي –وكان من أعلم الناس بهم: لو كانوا من البهائم لكانوا حمرا، ولو كانوا من الطيور لكانوا رخما. ولهذا كانوا أبهت الناس وأشدهم فرية، مثل ما يذكرون عن معاوية. (مجموع الفتاوى) قلت: ومن أمثلة هذه الأخبار الباطلة جزء مطبوع باسم: أخبار الوافدين من الرجال من أهل البصرة والكوفة على معاوية بن أبي سفيان. المنسوب للعباس بن بكار الضبي، وهو رافضي كذاب (لسان الميزان)، بينما أراه للحسن بن الحسين بن عاصم الهسنجاني، وهو كذاب أيضا (الجرح والتعديل ولسان الميزان)، وقد أورد أخباره بلا سند! ومثله كتاب وقعة صفين: لنصر بن مزاحم الكوفي، وهو رافضي جلد، تركه الحفاظ، ومنهم من كذبه. (لسان الميزان).. فإذا كان أحاديث وأخبار قد وضعت لها أسانيد تطعن في الصحابي الجليل معاوية، فكيف بالحكايات التي لا سند لها أصلا؟ ولا شك أن تاريخ معاوية خاصة، وخلفاء بني أمية عامة، قد أصابه ظلم عظيم من قبل أعدائه المختلفين –سياسيين وعقائديين– وعلى الباحثين من أهل السنة الاجتهاد في تخليص الأكاذيب عن ذلك العهد –بل القرن المفضل– وتجلية واقعه عبر المنهج الحديثي العلمي. قال شيخي المؤرخ محمود شاكر رحمه الله تعالى:إن هذه الافتراءات على بني أمية ليس لها سند صحيح، ومعظمها مجهول المصدر، الأمر الذي يدل على كذبها، وبهذا لا يمكن الاعتماد عليها أبدا، وإذا أخذنا بمنهج الحديث في الجرح والتعديل، وهو أفضل منهج للوصول إلى صحة الخبر، فإننا سنطرح هذه الروايات كلها التي تقولت على بني أمية. وأختم بالتنبيه على أن الأحاديث التي رويت في ذم بني أمية مطلقا لا يصح منها شيء ألبتة، ويكفي للدلالة على بطلانها أنها تشمل عثمان بن عفان: ثالث الأمة فضلا ومنزلة، وأم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان، وغيرهما من الصحابة الأجلاء، ومن بعدهم، كعمر بن عبد العزيز، مع ما حصل من التصاهر بين الأمويين والهاشميين وغيرهم، مع قرابتهم أصلا. فهذه الأحاديث من وضع أعداء الأمويين السياسيين والعقائديين.

■ (1) أمية بن خلف بن وهب، من بني لؤي: أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن ساداتهم. أدرك الاسلام، ولم يسلم. وهو الذي عذب بلالا الحبشي في بداءة ظهور الاسلام. أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر، فرآه بلال فصاح بالناس يحرضهم على قتله. فقتلوه سنة 2 هـ

■ (2) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (3) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

■ (5) مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.. قيل نظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك. ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ.

■ (4) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم)

■ (6) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية مع رسول الله، وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية، وكان موصوفا بالدهاء والحلم. وولي البصرة ثم الكوفة لعمر، وولي الكوفة بعد ذلك لمعاوية، فمات بها وهو وال عليها سنة 50 أو 51 هـ

مراجع: أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/

حدث حنظلة بن خويلد [1]– وكان ناس عند علي ومعاوية – قال: بينا هو عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في قتل عمار[2]،فقال لهما عبد الله بن عمرو:[3]ليطب كل واحد منكما نفسا لصاحبه بقتل عمار، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ﴾* فقال معاوية لعمرو:[4] ألا تنهى عنا مجنونك هذا؟ ثم أقبل معاوية على عبد الله فقال له: فما بالك معنا؟ فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بطاعة والدي ما كان حيا وأنا معكم ولست أقاتل.

عن سهل بن سعد الساعدي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لعبد الله بن عمرو بن العاص:﴿كَيْفَ بِكَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا فَصَارُوا كَذَا – وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ؟ قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: اعْمَلْ بِمَا تَعْرِفْ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَإِيَّاكَ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللهِ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَوَامَّهُمْ﴾.

قال هني[5] مولى عمر بن الخطاب: كنت أول شيء مع معاوية على علي، فكان أصحاب معاوية يقولون: والله لا نقتل عمارا أبدا، إن قتلناه فنحن كما يقولون، فلما كان يوم صفين ذهبت أنظر في القتلى فإذا عمار بن ياسر مقتول. قال هني: فجئت إلى عمرو بن العاص، وهو على سريره، فقلت: أبا عبد الله، قال: ما تشاء؟ قلت: انظر أكلمك، فقام إلي، فقلت: عمار بن ياسر، ما سمعت فيه؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ﴾، فقلت: هوذا والله مقتول، فقال: هذا باطل، فقلت: بصر عيني مقتول، قال: فانطلق فأرينيه، فذهبت. فأوقعته عليه، فساعة رآه امتقع، ثم أعرض في شق، وقال: إنما قتله الذي خرج به. وفي رواية: إنما قتله أصحابه.

عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، قال: لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم [6]على عمرو بن العاص، فقال: قتل عمار، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ﴾، فقام عمرو بن العاص [فزعا]، يرجع حتى دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما شأنك؟ قال: قتل عمار، فقال معاوية: قد قتل عمار، فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ﴾ فقال له معاوية: دحضت في بولك، أونحن قتلناه؟ إنما قتله على وأصحابه، جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا.

قال ابن سيرين: وفد عمرو بن حزم على معاوية فقال له: أذكرك الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بمن تستخلف عليها فقال: نصحت وقلت برأيك وإنه لم يبق إلا ابني وأبناؤهم وابني أحق.

جاء في عقائد الشيخ الإمام أبو إسحاق الفيروزآبادي[7] أن عمرو بن العاص كان وزير معاوية فلما قتل عمار بن ياسر أمسك عن القتال وتابعه على ذلك خلق كثير فقال له معاوية لم لا تقاتل قال قتلنا هذا الرجل وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ﴾ فدل على أنا نحن بغاة قال له معاوية: اسكت فو الله لا تزال تدحض في بولك أنحن قتلناه إنما قتله علي وأصحابه جاؤوا به حتى ألقوه بيننا –وفي رواية– قال قتله من أرسله إلينا يقاتلنا وإنما دافعنا عن أنفسنا فبلغ ذلك عليا فقال إن كنت قتلته أنا فالنبي صلى الله عليه وسلم قتل حمزة حين أرسله إلى قتال الكفار. فتأويل معاوية بعيد جدا، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون في سبيل الله، حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء.

عن أبي قبيل، قال: لما توفي معاوية واستخلف يزيد كره عبد الله بن عمرو أن يبايع ليزيد ومسلمة[8]بالإسكندرية، فبعث إليه مسلمة كريب بن أبرهة، وعابس بن سعيد، فدخلا عليه ومعهما سليم بن عتر[9]وهو يومئذ قاض وقاص، فوعظوا ابن عمرو في بيعة يزيد، فقال عبد الله: والله لأنا أعلم بأمر يزيد منكم، وإني لأول الناس. أخبر به معاوية، أنه يستخلف ولكن أردت أن يلي هو بيعتي، وقال لكريب: أتدري ما مثلك: إنما مثلك مثل قصر عظيم في صحراء غشيه ناس قد أصابهم الحر، فدخلوا يستظلون فيه، فإذا هو ملآن من مجالس الناس، وإن صوتك في العرب كريب بن أبرهة وليس عندك شيء، وأما أنت يا عابس بن سعيد فبعت آخرتك بدنياك، وأما أنت يا سليم بن عتر قاصا، فكان معك ملكان يفتيانك ويذكرانك، ثم صرت قاضيا، فمعك شيطانان يزيغانك عن الحق ويفتنانك.

■ (3) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل. أسلم قبل أبيه واستأذن النبي في كتابه ما يسمع منه فأذن له فكان عبد الله يسمي صحيفته الصادقة. قال قد حفظت عن رسول الله ألف مثل. توفي بالشام سنة 65 هـ. وقد زعم قوم أنه مات بمكة ويقال بالطائف ويقال بمصر.

■ (6) عمرو بن حزم الأنصاري وقيل في نسبه غير ذلك أول مشاهده مع رسول الله الخندق واستعمله الرسول على نجران باليمن وبعث معه كتابا فيه الفرائض والسنن والصدقات والجروح والديات وكتابه هذا مشهور في كتب السنة توفى بالمدينة سنة51 هـ وقيل 53 هـ وقيل 54 هـ

■ (5) هني (بضم الهاء وفتح النون) مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان عامل عمر على الحمى الذي حماه للمسلمين، وكان أول شيء مع معاوية بصفين.

■ (4) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

■ (1) حنظلة بن خويلد العنزي. روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قصة عمار تقتله الفئة الباغية. روى عنه الأسود بن مسعود العنزي.

■ (8) مسلمة بن مخلد الأنصاري الخزرجي، نائب مصر لمعاوية له صحبة ولا صحبة لأبيه.قال مجاهد: كنت أرى أني أحفظ الناس للقرآن، حتى صليت خلف مسلمة بن مخلد الصبح، فقرأ سورة البقرة، فما أخطأ فيها واوا ولا ألفا. قيل:عزل عقبة بن عامر عن مصر سنة 47 هـ فوليها مسلمة حتى مات زمن يزيد وقد توفي سنة 62 هـ

■ (2) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم، أبو اليقظان من الولاة الشجعان ومن السابقين إلى الإسلام، ولد بمكة سنة 56 ق.هـ هاجر إلى المدينة وشهد بدرا واحدا وغيرهما، ولاه عمر الكوفة ثم عزله. وشهد الجمل وصفين وقتل فيها سنة 37 هـ

■ (7) إبراهيم بن علي بن يوسف الشيخ أبو إسحاق الشيرازي الفيروزآبادي شيخ الشافعية في زمانه لقبه جمال الدين. مولده بفيروزاباد سنة 393 هـ تفقه بشيراز على أبي عبد الله البيضاوي وعلى أبي أحمد عبد الوهاب بن رامين وقدم البصرة فأخذ عن الجزري، ودخل بغداد سنة 415 هـ فلازم القاضي أبا الطيب وصحبه وبرع في الفقه حتى ناب عن ابن الطيب ورتبه معيدا في حلقته، وصار أنظر أهل زمانه وكان يضرب به المثل في الفصاحة. مات سنة 476 هـ ببغداد ودفن بباب أبرز.

■ (9) سليم بن عتر بن سلمة بن مالك بن عتر بن وهب بن عوف بن معاوية ابن الحارث بن أيدعان بن سعد بن تجيب التجيبي، هاجر في خلافة عمر وحضر خطبته بالجابية، وشهد فتح مصر وكان يدعى سليما الناسك، روى عن عمر وحفصة بنت عمر. توفي سنة 175 هـ أو 176 هـ.

روي أن بني عبس قالت لحذيفة: إن أمير المؤمنين عثمان قد قتل فما تأمرنا؟ قال: آمركم أن تلزموا عمارا، قالوا: إن عمارا لا يفارق عليا، قال: إن الحسد هو أهلك الحسد، وإنما ينفركم من عمار قربه من علي، فوالله لعلي أفضل من عمار أبعد ما بين التراب والسحاب، وإن عمارا لمن الأخيار، وهو يعلم أنهم إن لزموا عمارا كانوا مع علي.وعن عبد الله بن سلمة ، قال: رأيت عمارا يوم صفين شيخا آدم طوالا ويداه ترتعش وبيده الحربة، فقال: لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت أن مصلحينا على الحق وأنهم على الباطل. وحدث رجل من بني سعد قال: كنت واقفا بصفين إلى جنب الأحنف، والأحنف إلى جنب عمار، فسمعت عمارا يقول: عهد إلي خليلي صلى الله عليه وسلم أن آخر زادي من الدنيا ضيحة لبن. فبينا نحن كذلك إذ سطع الغبار، وقالوا: جاء أهل الشام، جاء أهل الشام، وقامت السقاة يسقون الناس، فجاءته جارية، معها قدح، فناولته عمارا، فشرب ثم ناول عمار فضله الأحنف بن قيس ثم ناولني الأحنف وفي رواية: فإذا هو لبن فقلت: إن كان صاحبك صادقا فخليق أن يقتل الآن، قال: فغشينا القوم، فتقدم عمار، فسمعته يقول: الجنة الجنة تحت الأسنة، اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه، ثم كان آخر العهد.

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ابْنُ سُمَيَّةَ مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَرْشَدَهُمَا﴾ وعن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه علي انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد فقال: ﴿كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ فَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ: وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ* يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ، قَالَ يَقُولُ عَمَّارٌ أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الْفِتَنِ﴾ عن عبد الله بن سلمة، قال: رأيت عمارا يوم صفين شيخا آدم طوالا ويداه ترتعش وبيده الحربة، فقال: لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت أن مصلحينا على الحق وأنهم على الباطل. وعن رياح بن الحارث قال: قال عمار بن ياسر: لا تقولوا كفر أهل الشام، قولوا ظلموا، فسقوا. وعنه قال: سمع عمار رجلا يقول: كفر أهل الشام، قال: لم يكفروا، إن حجتنا وحجتهم واحدة، وقبلتنا وقبلتهم واحدة، ولكنهم قوم مفتونون جاروا عن الحق، فحق علينا أن نردهم إلى الحق. وعن هشام بن عروة، قال: أخبرني عبد الله بن عروة، قال: أخبرني رجل شهد صفين، قال: رأيت عليا خرج في بعض تلك الليالي، فنظر إلى أهل الشام، فقال: اللهم اغفر لي ولهم، فأتي عمار فذكر ذلك له، فقال: جروا له الخطير ما جره لكم*، يعني سعدا رحمه الله. قال ابن عثيمين: ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما صادر عن اجتهاد وتأويل. لكن لا شك أن عليا أقرب إلى الصواب فيه من معاوية، بل قد نكاد نجزم بصوابه، ويدل على أن عليا أقرب إلى الصواب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ويح عمارا تقتله الفئة الباغية، فكان الذي قتله أصحاب معاوية، وبهذا عرفنا أنها فئة باغية خارجة على الإمام، لكنهم متأولون، والصواب مع علي إما قطعا وإما ظنا.

عن عبد الله بن عمرو، قال: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت علي جعلت لا أنحاش لها مما بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة، فجاء عمرو بن العاص إلى كنته حتى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال – أو كخير البعولة – من رجل لم يفتش لنا كنفا، ولم يقرب لنا فراشا فأقبل علي فعذمني* وعضني بلسانه فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلتها وفعلت، ثم انطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاني: فأرسل إلي النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقال لي:﴿أَتَصُومُ النَّهَارَ؟. قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَتَقُومَ اللَّيْلَ؟. قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَمَسُّ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشَرَةِ أَيَّامٍ، قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ ثَلاثٍ، ثُمَّ قَالَ: صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، قُلْتُ: إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُنِي حَتَّى قَالَ: صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الصِّيَامِ، وَهُوَ صِيَامُ أَخِي دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ﴾ قال حصين في حديثه: ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ لِكُلِّ عَابِدٍ شِرَّةً *، وَإِنَّ لِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً، فَإِمَّا إِلَى سُنَّةٍ وَإِمَّا إِلَى بِدْعَةٍ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ﴾ قال مجاهد: وكان عبد الله بن عمرو حين ضعف وكبر يصوم الأيام كذلك يصل بعضها إلى بعض ليتقوى بذلك، ثم يفطر بعد ذلك الأيام، قال: وكان يقرأ من أحزابه كذلك يزيد أحيانا وينقص أحيانا، غير أنه يوفي به العدة إما في سبع وإما في ثلاث، ثم كان يقول بعد ذلك: لأن أكون قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي مما عدل به، أو عدل، لكني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره. وعن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو وقال لو تعلمون حق العلم لسجدتم حتى تنقصف ظهوركم ولصرختم حتى تنقطع أصواتكم فابكوا فان لم تجدوا البكاء فتباكوا. وعن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لان ادمع دمعة من خشية الله عز وجل أحب إلي من أن تصدق بألف دينار.

----

* في حديث علي: (جروا له الخطير ما انجر لكم). معناه: اتبعوه ما كان فيه موضع متبع لكم، وتوقوا ما لم يكن فيه موضع. والخطير زمام البعير.وقيل: الحبل: وقيل المعنى: اصبروا لعمار ما صبر لكم. (عذم) إذا عنف في لومه. وأصل العذم العض (شرة) أي نشاط ورغبة (الباغية) الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام العادل

مراجع: صفة الصفوة/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا/ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار/ الوافي بالوفيات/ غاية المقصد في زوائد المسند/ موسوعة الأعلام/ مصنف ابن أبي شيبة/ تهذيب اللغة/ كتاب العين/

عن أبي كثير مولى لآل الزبير قال: جاء كتاب من معاوية إلى مروان [1] بن الحكم[2] وهو على المدينة في سيد المسلمين وشيخ أمير المؤمنين يزيد بن أمير المؤمنين وإنا قد بايعنا له قال فمسح مروان إحدى يديه على الأخرى. فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[3] يا مروان إنما هي هرقلية كل ما مات هرقل كان هرقل مكانه ما لأبي بكر لم يستخلفني وما لعمر لم يستخلف عبد الله؟! فقال له مروان: أنت الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ [الأحقاف] إلى آخر الآية. قال: فقام عبد الرحمن حتى دخل على أم المؤمنين عائشة [4] فأخبرها، فضربت بستر على الباب فقالت: يا ابن الزرقاء*، أعلينا تأول القرآن ؟ لولا أني أرى الناس كأنهم أيد يرتعشون لقلت قولا يخرج من أقطارها. فقال مروان: ما يومنا منك بواحد.

عن سعيد بن المسيب [5] قال:حدثني عبد الرحمن بن أبي بكر ذكر عنه حكاية أنه لما جاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة، قال عبد الرحمن لمروان: جعلتموها والله هرقلية وكسروية. - يعني جعلتم ملك الملك لمن بعده من ولده-. فقال له مروان: اسكت فإنك أنت الذي أنزل الله فيك: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾فقالت عائشة: ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن، إلا أنه أنزل عذري، ويروى أنها بعثت إلى مروان تعتبه وتؤنبه وتخبره بخبر فيه ذم له ولأبيه لا يصح عنها

قال عبد الله بن البهي:[6] كنت في المسجد ومروان يخطب، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: والله ما استخلف أحدا من أهله، فقال مروان: أنت الذي نزلت فيك: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ فقال عبد الرحمن: كذبت ولكن رسول الله لعن أباك.

حدث إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري[7] عن أبيه عن جده قال: بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بمائة ألف درهم بعد إذ أبى البيعة ليزيد بن معاوية، فردها عبد الرحمن وأبى أن يأخذها وقال: أبيع ديني بدنياي! وخرج إلى مكة فمات بها، قبل أن تتم البيعة ليزيد، وكان موته فجأة من نومة نامها، بمكان اسمه حبشي على نحو عشرة أميال من مكة، وحمل إلى مكة فدفن بها، ولما اتصل خبر موته بأخته عائشة ظعنت* إلى مكة حاجة، فوقفت على قبره، فبكت عليه وتمثلت: وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل: لن يتصدعا..فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا. أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت، ولو حضرتك ما بكيتك. وكان موته سنة 53 هـ.

*(الزرقاء) إحدى أمهات مروان بن الحكم، وكان يسب بها (الظعن) هو الرحيل في الهوادج

■ (3) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق شقيق أم المؤمنين عائشة. حضر بدرا مع المشركين؛ ثم إنه أسلم، وهاجر قبيل الفتح. وأما جده أبو قحافة فتأخر إسلامه إلى يوم الفتح. وكان هذا أسن أولاد الصديق، وكان من الرماة المذكورين، والشجعان. قتل يوم اليمامة سبعة من كبارهم. له أحاديث، نحو الثمانية. اتفق الشيخان على ثلاثة منها. روى عنه ابناه؛ عبد الله وحفصة، وابن أخيه؛ القاسم بن محمد، وأبو عثمان النهدي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعمرو بن أوس الثقفي، وابن أبي مليكة، وآخرون. وهو الذي أمره النبي في حجة الوداع أن يعمر أخته عائشة من التنعيم. توفي في سنة 53 هـ. وقيل 55 هـ، وقيل 56 هـ، والأول أكثر.

■ (1) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.. قيل نظر إليه علي بن أبي طالب يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك. ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ.

■ (2) الحكم بن أبي العاص الأموي عم عثمان، ووالد مروان، كان النبي قد طرده إلى الطائف، وبقي طريدا إلى زمن عثمان، فرده إلى المدينة، واعتذر بأنه قد كان شفع فيه إلى النبي فوعده برده، وهو مؤتمن على ما قال، وهو أحد الأسباب التي نقموا بها على عثمان.

■ (4) أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصِديق التيمية القُرشية. زوجة النبي وإحدى أمهات المؤمنين.كانت من أعلم النساء بالدين والقرآن والتفسير والحديث والفقه. ولدت رضي الله عنها سنة 19 ق.هـ وتوفيت سنة 58 هـ

■ (6) البهي، عبد الله بن يسار مولى الزبير بن العوام ويكنى أبا محمد. من تابعي أهل المدينة من الموالي. ممن روى عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس. وقد كان نزل الكوفة وروى عنه الكوفيون.وكان ثقة معروفا قليل الحديث.

■ (7) إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف مدني، يكنى أبا إسحاق.قال الشيخ: وإبراهيم بن محمد هذا ليس بكثير الحديث، وعامة ما يرويه مناكير..وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

■ (5) سعيد بن المسيب بن حزن ، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، عالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة. روى عنه الزهري، وقتادة، وعمرو بن دينار، ويحيى بن سعيد، وبكير بن الأشج، وشريك بن أبي نمر، وآخرون. قيل توفي سعيد في سنة 94 هـ ، وقيل سنة 93 هـ، وقيل توفي سنة إحدى أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم : فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ.

☪

الحكم بن أبي العاص، روى في لعنه ونفيه أحاديث كثيرة، لا حاجة إلى ذكرها، إلا أن الأمر المقطوع به أن النبي صلى الله عليه وسلم مع حلمه وإغضائه على ما يكره، ما فعل به ذلك إلا لأمر عظيم، ولم يزل منفيا حياة النبي صلى الله عليه وسلم فلما ولي أبو بكر الخلافة قيل له في الحكم ليرده إلى المدينة، فقال: ما كنت لأحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك عمر، فلما ولي عثمان الخلافة رده، وقال: كنت قد شفعت فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده.

عن قيس بن حبتر قال: قالت ابنة مروان لجدها الحكم: ما رأيت قوما كانوا أضعف في أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني أمية، فقال لها: لا أحدث إلا ما رأت عيناي، قال: قلنا والله ما تزال قريش تعلى على هذا الصابئ في مسجدنا فتواعدنا نأخذه فجئنا حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد فوقعنا مغشيا علينا فوالله ما أفقنا حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ورجع إلى أهله، فواعدنا ليلة أخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه، فوالله ما نفعنا ذلك حتى رزقنا الله الإسلام.

عن ابن عباس، قال:﴿قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ [الأنبياء] أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى، يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ، كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [المائدة] قَالَ: فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ – وفي حديث وكيع ومعاذ – فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ﴾ وعن أبي هريرة قال:﴿اللَّهُمَّ، أَنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ رَأْسِ السِّتِّينَ وَإِمَارَةِ الصِّبْيَانِ﴾ (رأس الستين) أي سنة ستين هجرية، ففي سنة ستين هجرية صار يزيد بن معاوية هو الأمير، فهذه هي إمارة الصبيان. واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات سنة 58 هـ، وفي رواية: سنة 59 هـ. وهذا من العلم الذي كتمه أبو هريرة، لا يهم العامة ولا ينبني عليه عمل يذكر، إنما هو في الفتن والملاحم وفي دلائل النبوة. وعن خليفة بن سعد، قال: رأيت عثمان في بعض طرق المدينة وهو يقول: ﴿مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ فَيَدْعُوا عَلَيْهِمْ خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ قَالَ: وَرَحْمَتُهُ حَمَلَهُ فَأَخَذَ بِعَضُدَيْهِ فَقَالَ: لَا أَمُوتُ حَتَّى تُدْرِكَنِي إِمَارَةُ الصِّبْيَانِ﴾ عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿يَكُونُ خَلْفٌ مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ سَنَةً أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ثُمَّ يَكُونُ خَلْفٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةٌ مُؤْمِنٌ وَمُنَافِقٌ وَفَاجِرٌ﴾ قال الوليد بن قيس: المنافق كافر به، والفاجر يتأكل به، والمؤمن يعمل به. وعن علي بن أبي طالب أنه قال: يا حملة القرآن، اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل بما علم، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقا، فيباهي بعضهم بعضا، حتى إن الرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه. أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله.

☪

حدث القاسم بن محمد سليمان بن يسار أن يحيى بن سعيد بن العاص طلق بنت عبد الرحمن بن الحكم البتة، فانتقلها عبد الرحمن بن الحكم، فأرسلت عائشة أم المؤمنين إلى مروان بن الحكم – وهو أمير المدينة – فقالت: اتق الله يا مروان، ورد المرأة إلى بيتها، فقال مروان: أو ما بلغك شأن فاطمة بنت قيس؟ فقالت عائشة: لا يضرك أن لا تذكر حديث فاطمة، قال مروان: فإن كان بك الشر فحسبك ما بين هذين من الشر. عرض على معاوية فرس وعنده عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان، فقال: كيف ترى هذا يا أبا مطرف؟ فقال: أراه أجش هزيما، قال: أجل، ولكنه لا يطلع على الكنائن، قال: يا أمير المؤمنين، لم استوجبت هذا الجواب؟ قال: قد عوضتك منه عشرين ألفا. ومعنى قوله: أجش هزيم: قول النجاشي: الطويل: ونجى ابن حرب سابح ذو علالة..أجش هزيم والرماح دوان. وأما قوله: لا يطلع على الكنائن فإنه كان يتهم بنساء إخوته. لما ادعى معاوية زيادا كتب بذلك إلى الآفاق، فكتب إليه عبد الرحمن بن الحكم: الوافر: ألا أبلغ معاوية بن حرب..فقد ضاقت بما تأتي اليدان..أتغضب أن يقال أبوك عف..وترضى أن يقال أبوك زان؟..فأشهد أن رحمك من زياد..كرحم الفيل من ولد الأتان..وأشهد أنها حملت زيادا..وصخر من سمية غير دان. فلما قرأ معاوية الكتاب رمى به، وغضب على عبد الرحمن غضبا شديدا، وقال: والله لا أرضى عنه حتى يرضى زياد، وغضب على مروان بن الحكم، ومنع سعيد بن العاص عطاءه، وقال: لا أرضى عنهم حتى يرضى زياد، فأتى عبد الرحمن بن الحكم العراق. فلما دخل على زياد أنشأ يقول: ألا من مبلغ عني زيادا..مغلغلة من الرجل الهجان..حلفت برب مكة والمطايا..ورب العرش أحلف والقران..لأنت زيادة في آل حرب..أحب إلي من وسطى بناني. من أبيات، فقال زياد: أراك شاعرا، فقبلها، وكتب إلى معاوية بالرضى، فرضي عنه. قال معاوية بن أبي سفيان لعبد الرحمن بن الحكم: أراك تعجب بالشعر، فإن فعلت فإياك والتشبيب بالنساء، فإنه تعر به الشريفة، وترمي به العفيفة، وتقر على نفسك بالفضيحة، وإياك والهجاء، فإنك تحنق به كريما، وتستثير به لئيما، وإياك والمدح، فإنه كسب الوقاح، وطعمه السواد، ولكن افخر بمفاخر قومك، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك وشعرك، وتودد به إلى غيرك. ويقال: الشعر أدنى مروءة السري وأفضل مروءة الدني.

لما أدخل ثقل الحسين بن علي رضي الله عنه على يزيد بن معاوية ووضع رأسه بين يديه بكى يزيد وقال: الطويل: نفلق هاما من رجال أحبة..إلينا وهم كانوا أعق وأظلما. أما والله لو كنت أنا صاحبك ما قتلتك أبدا، فقال علي بن حسن: ليس هكذا. قال:فكيف يا بن أم؟ فقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد.وعنده عبد الرحمن بن الحكم، فقال عبد الرحمن: الطويل: لهام بجنب الطف أدنى قرابة..من ابن زياد العبد ذي النسب الوغل..سمية أمسى نسلها عدد الحصى..وبنت رسول الله ليس لها نسل . فرفع يزيد يده فضرب صدر عبد الرحمن وقال: اسكت. مر عبد الرحمن بن الحكم بناس من بني جمح، فنالوا منه، فبلغه ذلك، فمر بهم وهم جلوس فقال: يا بني جمح قد بلغني شتمكم إياي وانتهاككم ما حرم الله، وقديما شتم اللئام الكرام، وأبغضوهم. وايم الله، ما يمنعني منكم إلا شعر عرض لي، فذلك الذي حجزني عنكم، فقال له رجل منهم: وما الشعر الذي نهاك عن شتمنا؟ فقال عبد الرحمن:الطويل: فوالله ما بقيا عليكم تركتكم..ولكنني أكرمت نفسي عن الجهل..بأوت بها عنكم وقلت لعاذلي..على الحلم دعني قد تداركني عقلي..وجللني شيب القذال ومن يشب.. يكن قمنا أن يستفيق عن العذل..وقلت لعل القوم أخطأ رأيهم..فقالوا وخالوا الوعث كالمنهج السهل..فمهلا أريحوا الحكم بيني وبينكم..بني جمح لا تشربوا كدر الضحل. ولعبد الرحمن بن الحكم: الوافر: وأكرم ما تكون على نفسي!..إذا ما قل في الكربات مالي..فتحسن سيرتي وأصون عرضي..ويجمل عند أهل الرأي بالي. أرسل عبد الرحمن أخاه مروان ليخطب له إلى رجل شريف، فتزوج مروان وترك أخاه، فكان يشبب بنسائه، فوجهت إليه امرأة مروان فقالت: أما تستحي وأنا أختك من الرضاعة؟! فقال عبد الرحمن من أبيات: الطويل: وما خلت أمي حرمتك صغيرة..علي ولا أرضعت لي بلبان..دعتني أخاها بعدما كان بيننا..من الأمر مالا يفعل الأخوان. منها: تقول وقد جردتها من ثيابها..وقلص عن أنيابها الشفتان..تعلم يقينا أم مروان قاتلي..ومنزوعة من ظهرك العضدان.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ السنن الكبرى للنسائي/ أسد الغابة/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ مسند أحمد/ المعجم الأوسط/ أسد الغابة/ صحيح الغابة/ صحيح مسلم/ صحيح البخاري/ مصنف ابن أبي شيبة/ قصة موسى والخضر/ الطبقات الكبرى/ معجم الفروق اللغوية/ تاج العروس/.

قال الفضل بن سويد:[1] وفد الأحنف بن قيس[2] وجارية بن قدامة[3]، والحتات بن يزيد المجاشعي(عم الفرزدق)[4]على معاوية، فقال لجارية: يا جارية أنت الساعي مع علي بن أبي طالب، والموقد النار في شعلك، تجوس قرى عربية تسفك دماءهم؟ قال جارية: يا معاوية دع عنك عليا، فما أبغضنا عليا مذ أحببناه، ولا غششناه مذ نصحناه. قال: ويحك يا جارية، ما كان أهونك على أهلك، إذ سموك جارية! قال: أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك إذ سموك معاوية.قال: لا أم لك. قال: أم ما ولدتني. إن قوائم السيوف التي لقيناك بها بصفين في أيدينا. قال: إنك لتهددني. قال: أنك لم تملكنا قسرا، ولم تفتحنا عنوة، ولكن أعطيتنا عهودا ومواثيق، فإن وفيت لنا، وفينا لك، وإن نزعت إلى غير ذلك، فقد تركنا وراءنا رجالا أنجادا، وأذرعا شدادا، وأسنة حدادا، فإن بسطت إلينا فترا من غدر، دلفنا* إليك بباع من ختر*.قال معاوية: لا كثر الله في الناس أمثالك.قال: قل معروفا يا أمير المؤمنين، فقد بلونا قريشا، فوجدناك أوراها زندا وأكثرها رفدا، فارعنا رويدا، فإن شر الرعاء الحطمة.

قال معاوية لجارية بن قدامة: ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية. قال: ما كان أهونك على أهلك إذ سموك معاوية، وهي الأنثى من الكلاب. قال: لا أم لك! قال: أمي ولدتني للسيوف التي لقيناك بها في أيدينا. قال: إنك لتهددني! قال: إنك لم تفتتحنا قسرا ولم تملكنا عنوة، ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة، فإن وفيت لنا وفينا لك، وإن فزعت إلى غير ذلك، فإنا تركنا وراءنا رجالا شدادا وألسنة حدادا. قال له معاوية: لا كثر الله في الناس أمثالك. قال جارية: قل معروفا وراعنا؛ فإن شر الدعاء المحتطب (فإن شر الدعاء محيط بأهله).

وفي رواية قال عبد الملك بن عمير: قدم جارية بن قدامة السعدي على معاوية، ومع معاوية على سريره الأحنف بن قيس والحتات المجاشعي، فقال له معاوية: من أنت؟ قال: جارية بن قدامة – قال: وكان قليلا – قال: وما عسيت أن تكون؟ هل أنت إلا نحلة؟ قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فقد شبهتني بها حامية اللسعة، حلوة البساق، والله ما معاوية إلا كلبة تعاوي الكلاب، وما أمية إلا تصغير أمة، قال معاوية: لا تفعل، قال: إنك فعلت، قال: إذا فاجلس معي على السرير، قال: لا، قال: لم؟ قال: رأيت هذين قد أماطاني عن مجلسك فلم أكن لأشركهما، قال: إذا أسارك، فدنا، قال: إني اشتريت من هذين دينهما. قال: ومني فاشتر يا أمير المؤمنين، قال: لا تجهر.

عن عامر بن حفص أن الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة والجون بن قتادة العبشمي[5] والحتات بن يزيد المجاشعي وفدوا على معاوية، فوصلهم وفضل الأحنف وجارية، أعطاهما مائة ألف، وكان الأحنف بن قيس وجارية علويين وكان الحتات مع عائشة يوم الجمل: فقال: يا أمير المؤمنين فضلت من كان عليك على من كان لك، قال: إني اشتريت دينهم، قال: ومني فاشتر ديني، فألحقه بهما، فعرضت له علة مات منها قبل قبضه صلته، فحبس معاوية المال، فقال الفرزدق: أبوك وعمي يا معاوي أورثا..تراثا فيحتاز التراث أقاربه..فما بال ميراث الحتات حبسته..وميراث حرب جامد لك ذائبه..ولو كان إذ كنا وللكف بسطة..لصمم عضب فيك ماض ضرائبه..فلو كان هذا الأمر في جاهلية..علمت من المولى القليل حلائبه..ولو كان في دين سوى ذا عرفتم..لنا حقنا أو غص بالماء شاربه..وكم من أب لي يا معاوي لم يزل..أغر يباري الريح مذ طر شاربه..نمته فروع المالكين ولم يكن..أبوك الذي من عبد شمس يخاطبه..تراه كنصل السيف يهتز للندى..جوادا منيع الجار جزلا مواهبه. فأنشد معاوية الشعر، فلما بلغ إلى قوله: ولم يكن أبوك الذي من عبد شمس يخاطبه قال: صدق والله، ما كان قدره أن يخاطبه أبي. وزعموا أن الفرزدق كان باع جملا وصر ثمنه، فعيره رجل بصره وقال: لو كنت كريما ما صررت هذا الصر، فرمى بالدراهم ونثرها حتى انتهبها الناس، وبلغ ذلك زيادا[6] فقال: هذا أحمق يضري الناس بالنهب، فطلبه فلم يوجد وبلغه هذا الشعر فقال: من صاحبه؟ فقيل: الذي نثر الدراهم، فجد في طلبه، فكان يهرب من البصرة إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى البصرة، وذلك أن زيادا كان يأتي هذه مرة وهذه مرة. وكان المنصور أمير المؤمنين إذا ذكر شعر الفرزدق في معاوية قال: قبح الله معاوية ورأيه، ما كان هذا الحلم وما كان إلا ضعفا.

----

* (دلفنا) تقدمنا (الختر) شبه الغدر وقيل: هو الخديعة بعينها أو هو أقبح الغدر وأسوؤه كالختور (معاوية) الأنثى من الكلاب

■ (3) جارية بن قدامة التميمي السعدي. وقال بعضهم جارية بن قدامة بن مالك بن زهير ويقال جارية بن مالك بن زهير بن حصن. وهو ابن عم الأحنف بن قيس وقيل عمه، وقيل ليس بعمه ولا ابن عمه أخي أبيه، وإنما سماه عمه توقيراً، وكان صاحب علي بن أبي طالب في حروبه. قال ابن عبد البر ومن قال إنه عم الأحنف فلعله عمه لأمه وإلا فلا يجتمعان إلا في سعد بن زيد مناة وتوفي في حدود 50 هـ وله صحبة.

■ (6) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (2) الأحنف، أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وكان سيد قومه (زعيم قائد)، موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، روى عن عمر وعثمان وعلي، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ، عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد (وهو اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم، وفيه ماء).

■ (4) الحتات بن يزيد بن علقمة بن حوي بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي الدارمي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم، فأسلموا. وآخى رسول الله بينه وبين معاوية.

■ (5) جون بن قتادة بن الأعور بن ساعدة بن عوف بن كعب بن عبد شمس بن سعد بن زيد مناه بن تميم العبشمي قيل: إن له صحبة. وشهد الجون وقعة الجمل مع طلحة والزبير.

■ (1) الفضل بن سويد. روى عن سعيد بن جبير، وأبي سفيان طلحة بن نافع، وأبي المليح الهذلي. روى عنه محمد بن حمران . ولم يرو عنه غيره.ويعد في البصريين.

☪

صحب جارية أمير المؤمنين عليا، وكان يقال له محرق لأنه أحرق ابن الحضرمي بالبصرة، وكان ابن الحضرمي وجه به معاوية إلى البصرة ينعى قتل عثمان ويستنفر أهل البصرة على قتال علي، فوجه علي جارية بن قدامة إليه، فتحصن منه ابن الحضرمي بدار تعرف بدار سنبل، فأضرم جارية الدار عليه، فاحترقت بمن فيها، وكان جارية شجاعا مقداما فاتكا وكان عم الأحنف بن قيس. وكان معاوية في سنة أربعين بعث بسر بن أرطأة أحد بني عامر بن لؤي إلى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس، فتنحى عبيد الله وأقام بسر عليها، فبعث علي جارية بن قدامة السعدي فهرب بسر، ورجع عبيد الله بن عباس إليها، فلم يزل عليها حتى قتل علي رضي الله عنه.

حدث أحمد بن عبيد قال: بين الأحنف في الجامع بالبصرة، إذا رجل قد لطمه، فأمسك الأحنف يده على عينه وقال: ما شأنك؟ فقال: اجتعلت جعلا على أن ألطم سيد بني تميم، فقال: لست سيدهم، إنما سيدهم جارية بن قدامة – وكان جارية في المسجد – فذهب الرجل فلطمه، قال: فأخرج جارية من حقه سكينا وقطع يده وناوله، فقال الرجل: ما أنت قطعت يدي، إنما قطعها الأحنف بن قيس.

عن عطاء بن السائب قال: غضب معاوية على ابنه، فهجره، فقال له الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين، أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة؛ إن غضبوا فأرضهم، وإن سألوا فأعطهم، ولا تكن عليهم قفلا يملوا حياتك، ويتمنوا موتك. وروى عمرو بن جبلة هذه الحكاية، وزاد فيها: فقال معاوية: لله درك، يا أبا بحر، ثم قال معاوية: يا غلام، ائت يزيد، فأقره مني السلام، وقل له: إن أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة ألف درهم، ومائة ثوب. فقال يزيد للرسول: من عند أمير المؤمنين؟ قال: الأحنف، فقال يزيد: لا جرم، لأقاسمنه. فبعث إلى الأحنف بخمسين ألفا، وخمسين ثوبا.

☪

في ذكر ابتداء وقعة صفين.. قيل إن عليا دعا أبا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري[1] وسعيد بن قيس الهمداني[2] وشبث بن ربعي التميمي[3]، فقال لهم: ائتوا هذا الرجل وادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة. فقال له شبث: يا أمير المؤمنين ألا تطمعه في سلطان توليه إياه أو منزلة تكون له بها أثرة عندك إن هو بايعك؟ قال: انطلقوا إليه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه. وهذا في أول ذي الحجة. فأتوه فدخلوا عليه، فابتدأ بشير بن عمرو الأنصاري فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، وإن الله محاسبك بعملك ومجازيك عليه، وإني أنشدك الله أن لا تفرق جماعة هذه الأمة وأن لا تسفك دماءها بينها. فقطع عليه معاوية الكلام وقال: هلا أوصيت بذلك صاحبك؟ فقال أبو عمرو: إن صاحبي ليس مثلك، إن صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقرابة بالرسول صلى الله عليه وسلم، قال: فماذا يقول؟ قال: يأمرك بتقوى الله وأن تجيب ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك في دنياك وخير لك في عاقبة أمرك! قال معاوية: ونترك دم ابن عفان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبدا. قال: فذهب سعيد بن قيس يتكلم، فبادره شبث بن ربعي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معاوية قد فهمت ما رددت على ابن محصن، إنه والله لا يخفى علينا ما تطلب، إنك لم تجد شيئا تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلا قولك: قتل إمامكم مظلوما فنحن نطلب دمه، فاستجاب لك سفهاء طغام، وقد علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب، ورب متمني أمر وطالبه يحول الله دونه، وربما أوتي المتمني أمنيته وفوق أمنيته، ووالله ما لك في واحدة منها خير! والله إن أخطأك ما ترجو إنك لشر العرب حالا! ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلي النار! فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله. قال: فحمد معاوية الله ثم قال: أما بعد فإن أول ما عرفت به سفهك وخفة حلمك أن قطعت على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ثم اعترضت بعد فيما لا علم لك به، فقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما ذكرت ووصفت! انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلا السيف. وغضب، وخرج القوم. فقال له شبث بن ربعي: أتهول بالسيف؟ أقسم بالله لنعجلنها إليك.

فأتوا عليا فأخبروه بذلك، فأخذ علي يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة من أصحابه ويخرج إليه آخر من أصحاب معاوية ومعه جماعة، فيقتتلان في خيلهما ثم ينصرفان، وكرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام لما خافوا أن يكون فيه من الاستئصال والهلاك،..، فاقتتلوا أيام ذي الحجة كلها، وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين.

■ (3) شبث بن ربعي التميمي اليربوعي، أحد الاشراف والفرسان، كان ممن خرج على علي، وأنكر عليه التحكيم، ثم تاب وأناب. وحدث عن علي، وحذيفة.

■ (1) بشير بن عمرو بن محصن أبو عمرة الأنصاري وقد اختلف في اسمه؛ فقيل: بشير، وقيل: بشر، وقيل اسمه ثعلبة بن عمرو بن محصن، غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أعطى عليا يوم الجمل مائة ألف درهم أعانه بها وقتل يوم صفين

■ (2) سعيد بن قيس بن زيد من بني زيد بن مريب من همدان فارس من الأجواد الدهاة من سلالة ملوك همدان كان خاصا بالإمام علي قاتل معه يوم صفين كان إليه أمر همدان بالعراق وإليه ينسب السعيدين في بيت زود باليمن

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ أسد الغابة/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ المعجم الأوسط/ أسد الغابة/ معجم الفروق اللغوية/ تاج العروس/.

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وجويرية بنت أبي سفيان 0231

دخلت جويرية بنت أبي سفيان[1] على أخيها معاوية تشكو إليه الأرق. فقال: ولم ذاك يا أخته؟ قالت: أم والله إنه لمن غير ألم، وما هو إلا تفكر فيك وفي علي بن أبي طالب، وتفضيل الناس عليا عليك، وأنت ابن صخر بن حرب بن أمية، وكان أمية من قريش لنابها* الذي تقضى عنده آرابها، وأنت ابن صخر بن حرب بن أمية، القائل الفاعل. ابن ماء المزن الحلاحل*، وأنت بعد ذلك كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذو صهره من أمته ونجيبه من عترته. فقال لها معاوية: فعلى علي تعولين* بالشرف! وهو ابن عبد المطلب، المطعم في الكرب، الفراج للكرب، مع ما كان له من الفواضل والسوابق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما إني سأريك التي حاولت وحاولت، حتى تعلمي فضل رأيي وحلمي، فادخلي القبة، وأرخي عليك السجف*. ثم قال لآذنه: انظر من بالباب. فإذا هو بأربعة من بني تميم، الأحنف بن قيس[2]، وزيد بن جلبة[3]، وجارية بن قدامة[4]، وسماك بن مخرمة[5]، فقال: ائذن لـ لأحنف بن قيس فدخل وقضى سلامه فقال: إيها يا حنيف بني قيس! قال: مهلا يا أمير المؤمنين، بل الأحنف بن قيس. قال: أأنت المطلع غدرا، الناظر في عطفيه شزرا، تحمل قومك على مدلهات الفتن، وتذكرهم بقديات الإحن*، مع قتلك أمير المؤمنين عثمان، وخذلانك أم المؤمنين، وورودك علي بالخيل يوم صفين! فقال: والله يا أمير المؤمنين، إن منه ما أعرف، ومنه ما أنكر، فأما قولك قتل أمير المؤمنين، فأنتم معشر قريش نحرتم ودجه*،وسقيتم الأرض دمه. وأما قولك خذلاني أم المؤمنين عائشة، فإني نظرت في كتاب الله فلم أر لها علي حقا إلا أن تقر في بيتها وتستتر بسترها. فلما برزت عطلت ما كان لها علي من حق. وأما قولك ورودي عليك بالخيل يوم صفين، حين أردت أن تقطع أعناقهم عطشا وتقتلهم غرثا*.وايم الله لو أحد الأعجمين غلب كانوا أنكى شوكة وأشد كلبا. قال: اخرج عني ثم قال: ائذنوا لـ زيد بن جلبة. فدخل وقضى سلامه. فقال له: إيها يا زييد بني جليبة! قال: مهلا يا أمير المؤمنين، بل زيد بن جلبة يا أمير المؤمنين. إنا فررنا قريشا كلها، فوجدناك آمنها عهدا، وأوفاها عقدا، فإن تف فأهل الوفاء أنت، وإن تغدر فإنا خلفنا خلفنا خيلا جيادا، وأذرعة شدادا، وأسنة حدادا، وإن شئت لتصفين روعة صدورنا بفضل رأيك وحلمك. قال: إذا نفعل. قال: إذا نقبل. قال: اخرج عني.

ثم قال: ائذن لجارية بن قدامة. فدخل وقضى سلامه، فقال له: إيها يا جويرية بني قدامة! قال مهلا يا أمير المؤمنين، بل جارية بن قدامة يا أمير المؤمنين. إنا كنا نصار حرب يوم الفجار، حين حزمتم الغبار، وهمت قريش بالفرار. فقال له مه*، لا أرضى لك (الأرض لك)، أنت الذي قريت أهل الشام ظباة* السيوف وأطراف الرماح، قال: إي والله يا أمير المؤمنين إني لأنا هو، ولو كنت بالمكان الذي كان فيه أهل الشام لقريتك بمثل ما قريتهم به، قال: فحاجتك يا أبا فندش؟ (قدس؟) قال: أما إنها إليك غير طويلة، تقر الناس في بيوتهم فلا توفدهم إليك، إنما يوفد إليك الأغنياء وتذرون الفقراء.

قال: ائذن لسماك بن مخرمة. فدخل وقضى سلامه. فقال: إيها يا سميك بني مخرمة! قال: مهلا يا أمير المؤمنين، بل سماك بن خرمة، والله يا أمير المؤمنين ما أحببناك منذ أبغضناك، ولا أبغضنا عليا منذ أحببناه، وإن السيوف التي ضربناك بها لعلى عواتقنا، وإن القلوب التي قاتلناك بها لبين جوانحنا، ولئن قدمت إلينا شبرا من غدر، لنقدمن إليك باعا من ختر*، قال: اخرج عني. ثم قال لأخته: الذي عانيت من قبيله* واحدة، فماذا رأيت! قالت: والله يا أمير المؤمنين لقد ضاق بي مجلسي حتى أردت أن أكلمهم لنا (لما) كلموك به. قال: إذا والله كانوا إليك أسرع، وعليك أجرا، هم العرب لا تفروها (تغروها)

----

* (الناب) سيد القوم وكبيرهم جمع أنياب (الحلاحل) السيد الشجاع (عول عليه) أدل (السجف) جمع السجاف وهو الستر والسجف: الستران المقرونان بينهما فرجة أوكل باب ستر بسترين مقرونين (الختر) أقبح الغدر (الذي عانيت من قبيله واحدة) في أخبار الوافدين: الذي عاينت من قبله واحدة (نحرتم ودجه) في أخبار الوافدين: وجررتم أفلاذه (مه) كلمة زجر بمعنى كف واسكت وانته (الودج)عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة ويقال في الجسد عرق واحد حيثما قطع مات صاحبه وله في كل عضو اسم فهو في العنق الودج والوريد أيضا وفي الظهر النياط وهو عرق ممتد فيه والأبهر وهو عرق مستبطن الصلب والقلب متصل به والوتين في البطن والنسا في الفخذ والأبجل في الرجل والأكحل في اليد والصافن في الساق (الغرث) أيسر الجوع وقيل شدته وقيل هو الجوع عامة (الظباة) جمع ظبة، وهي حد السيف (قريت) جمع(الإحنة) الحقد وجمعها إحن ولا تقل حنة وقد أحن عليه بالكسر يأحن إحنة، الإحن: الضغائن.

■ (1) جويرية بنت أبي سفيان صخر بن حرب أخت أم حبيبة ويزيد ومعاوية بني أبي سفيان أسلمت بعد الفتح وبايعت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت اليرموك، وسكنت دمشق، وأمهم جميعا هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

■ (4) جارية بن قدامة التميمي السعدي. أبو أيوب، وقال بعضهم جارية بن قدامة بن مالك بن زهير ويقال جارية بن مالك بن زهير بن حصن. وهو ابن عم الأحنف بن قيس وقيل عمه، وقيل ليس بعمه ولا ابن عمه أخي أبيه، وإنما سماه عمه توقيراً، وكان صاحب علي بن أبي طالب في حروبه. قال ابن عبد البر ومن قال إنه عم الأحنف فلعله عمه لأمه وإلا فلا يجتمعان إلا في سعد بن زيد مناة وتوفي في حدود 50 هـ وله صحبة.

■ (3) زيد بن جلبة بن مرداس بن بو، كان عظيم القدر سيداً، وكان على وفد بني تميم حين وفدوا على عمر، وفيهم الأحنف من تحت يده. وكان عثمان حين كتب المصاحف بعث إلى زيد بن جلبة بمصحف بني تميم، وكان مع ابن عامر بن كريز له عنده قدر، وكان يلي له، وشهد الجمل مع عائشة، ووفد إلى معاوية بعد ذلك، ولا عقب له.

■ (5) سماك بن مخرمة بن حمين الأسدي الهالكي الكوفي. يقال إن له صحبة. وقد على عمر بن الخطاب ودعا له، وكان من وجوه أهل العراق وإليه تنسب السيوف الهالكية، وإليه ينسب مسجد سماك بالكوفة، وهو خال سماك بن حرب. وقدم على معاوية، كان سماك بالكوفة فلما قدمها علي هرب منه إلى الجزيرة وقيل مات بالرقة

■ (2) الأحنف، أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وكان سيد قومه (زعيم قائد)، موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، روى عن عمر وعثمان وعلي، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد (وهو اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم، وفيه ماء).

☪

اشتهر أمير المؤمنين معاوية بصفة الحلم وكان يضرب به المثل في حلمه وكظم غيظه وعفوه عن الناس وقد ذكر ابن كثير ما كان يتصف به أمير المؤمنين معاوية من الحلم حيث قال: وقال بعضهم: أسمع رجل معاوية كلاما سيئا شديدا غضب منه أهله، فقيل له: لو سطوت عليه: فقال: إني لأستحي من الله أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي، وفي رواية قال له رجل: يا أمير المؤمنين ما أحلمك!! فقال: إني لا ستحي أن يكون جرم أحد أعظم من حلمي، وعنه أنه قال: إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أوزن من حلمي، وقال: ما شيء أحمد عاقبة من جرعة غيظ أتجرعها.وعن سفيان الثوري قال: قال معاوية: إني لأستحي أن يكون ذنب أعظم من عفوي أو جهل أكبر من حلمي أو تكون عورة لا أواريها بستري. وقال معاوية: يا بني أمية فارقوا قريشا بالحلم فوالله لقد كنت ألقى الرجل في الجاهلية فيوسعني شتما وأوسعه حلما وأرجع وهو لي صديق إن استنجدته أنجدني وأثور به فيثور معي وما وضع الحلم عن شريف شرفه ولا زاده إلا كرما وقال: لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ الرجل ذلك إلا بقوة الحلم، وسئل معاوية: من أسود الناس؟ فقال : أسخاهم نفسا حين يسأل وأحسنهم في المجالس خلقا وأحلمهم حين يستجهل. وعن ابن عمر قال: معاوية من أحلم الناس. قالوا: يا أبا عبد الرحمن! وأبو بكر؟ قال: أبو بكر خير من معاوية، ومعاوية من أحلم الناس. وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت رجلا أعظم حلما، ولا أكثر سؤددا، ولا ألين مخرجا في أمر من معاوية. وقال: أيضا: صحبت معاوية بن أبي سفيان، فما رأيت رجلا أثقل حلما، ولا أبطأ جهلا، ولا أبعد أناة منه! قال همام بن قبيصة النميري: إن كنا لنعد عقل معاوية يفضل ألف رجل، فما زال به النساء والبنون والشفاعات حتى صار عقله إلى عقل مئة رجل.

قيل لشريك بن عبد الله، إن معاوية كان حليما، فقال: كلا، لو كان حليما ما سفه الحق ولا قاتل عليا رضي الله عنه. وكان عبد الملك يقول: لست بالخليفة المستضعف، يعني عثمان، ولا الخليفة المداهن، يعني معاوية، ولا الخليفة المأفون، يعني يزيد.

قيل: قال رجل من قريش: ما أظن معاوية أغضبه شيء قط، فقال بعضهم: إن ذكرت أمه، غضب، فقال مالك ابن أسماء القرشي؛ أنا أغضبه إن جعلتم لي جعلا، ففعلوا فأتاه في الموسم فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عينيك لتشبهان عيني أمك، قال: نعم، كانتا عينين طالما أعجبتا أبا سفيان، ثم دعا معاوية مولاه شقران، فقال له: أعدد لأسماء دية ابنها، فإني قد قتلته. وهو لا يدري، فرجع وأخذ الجعل، فقيل له: إن أتيت عمرو بن الزبير[1]، فقلت له مثل ما قلت لمعاوية، أعطيناك كذا وكذا، فأتاه فقال له ذلك، فأمر بضربه حتى مات، فبلغ معاوية موته، فقال: أنا والله قتلته، وبعث إلى أمه بتلك الدية التي أعدها، وأنشأ يقول: من الطويل: ألا قل لأسماء المنى أم مالك..فإني لعمر الله أهلكت مالكا.

☪

عن علي بن صالح عن عيسى بن يزيد المدني قال: قالت فاختة بنت قرظة[2] امرأة معاوية: يا أمير المؤمنين، لم تصانع الناس وترى أنهم منصفون منك، فلو أخذتم من عل كانوا الأذلين وكنت لهم قاهرا، فقال: ويحك إن في العرب بقية بعد، ولولا ذلك لجعلت عاليها سافلها، فقالت: والله ما بقي أحد إلا وأنت عليه قادر، قال: فهل لك في أن أريك بعض ذلك منهم؟ قالت: نعم، فأدخلها بيتا وأسبل عليها ستره، ثم أمر حاجبه أن يدخل عليه رجلا من أشراف من بالباب، فأدخل عليه رجلا من قيس يقال له الحارث، فقال له معاوية: يا حويرث، إيه أنت الذي طعنت في الخلافة وتنقصت أهلها؟ والله لقد هممت أن أجعلك نكالا، فقال: يا معاوية إنما دعوتني لهذا؟ والله إن ساعدي لشديد، وإن رمحي لمديد، وإن سيفي لحديد، وإن جوابي لعتيد، ولئن لم تأخذ ما أعطيت بشكر لتنزعن عما نكره بصغر، فقال: أخرجوه عني، فأخرج فقالت فاختة: ما أجرأ هذا وأقوى قلبه؟! فقال معاوية: ما ذاك إلا لإدلاله بطاعة قومه له، ثم أمر الحاجب فأدخل عليه رجلا من ربيعة يقال له جارية، فقال له معاوية، إيه يا جويرية، أنت الذي بلغني عنك تخبيب للجند وقلة من الشكر؟ فقال: وعلام نشكر؟ ما تعطي إلا مداراة ولا تحلم إلا مصانعة، فاجهد جهدك، فإن ورائي من ربيعة ركنا شديدا لم تصدا أدرعهم مذ جلوها، ولا كلت سيوفهم مذ شحذوها، فقال: أخرجوه، ثم أمر معاوية حاجبه فأدخل إليه رجلا من أهل اليمن يقال له عبد الله، فقال له: إيه يا عبيد السوء، ألحقتك بالأقوام وأطلقت لسانك بالكلام، ثم يبلغني عنك ما يبلغني من سوء الإرجاف؟! لقد هممت أن أخرجك وأنت عبرة لأهل الشام، فقال: أيا معاوية ألهذا دعوتني، ثم صغرت اسمي ولم تنسبني إلى أبي؟ وإنما سميت معاوية باسم كلبة عاوت الكلاب، فاربع على ظلعك فذلك خير لك، فقال لحاجبه: أخرجه، فقالت فاختة: صانع الناس بجهدك، وسسهم برفقك وحلمك، فأخزى الله من لامك.

- قلت: صدق من قال: إذا وقعت جريمة ما، ففتش عن المرأة..وما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء..أعوذ بالله من شياطين الإنس. فالمرأة (التي في الحديث توعدها الله بجهنم) لا وظيفة لها إلا : الولد، والخدمة (وهي الغرائز المتأصلة في المرأة = مصيبة آدم).

■ (2) فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل زوجة معاوية، ولدت له عبد الله وكان محمقا ضعيفا وعبد الرحمن مات صغيرا، وغزت معه قبرس في خلافة عثمان، وقرظة يكنى أبا عمرو وكان أعمى، تزوج ابنة عتبة بن ربيعة، فولدت له فاختة ومات كافرا قبل الفتح (هذا لم أقف لها على ترجمة كاملة، والله أعلم)

■ (1) عمرو بن الزبير بن العوام الاسدي القرشي: أخو عبد الله بن الزبير. كان مع بني أمية على أخيه. وامتنع عن البيعة بولاية العهد ليزيد، لما دعا إليها معاوية. ثم استعمله والي المدينة عمرو ابن سعيد الاشدق على شرطتها سنة 60 هـ، في بدء خلافة يزيد. واستشاره الاشدق فيمن يرسله إلى مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير فقال: لن تجد رجلا توجهه أنكأ له مني ! فاستأذن فيه يزيد، فأذن. وزحف عمرو بألفي مقاتل من المدينة إلى مكة، فنزل بالابطح. وقاتله مصعب بن عبد الرحمن فأسره وأخذه إلى أخيه عبد الله، فأمر بضربه، فقيل: مات تحت السياط، وقيل: صلب بمكة، بعد الضرب، ثم أنزل. وقال ابن حزم: قتله أخوه عبد الله قودا أي قصاصا سنة 60 هـ

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ أخبار الوافدين من الرجال من أهل البصرة والكوفة/ تهذيب الكمال/ لسان العرب/ شرح نهج البلاغة/ أنساب الأشراف/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وفضالة بن عبيد 0232

كان أبو الدرداء[1] يقضي على أهل دمشق، ولما احتضر أتاه معاوية عائدا له فقال: من ترى لهذا الأمر بعدك؟ قال: فضالة بن عبيد[2].فلما توفي أبو الدرداء قال معاوية لفضالة: إني قد وليتك القضاء، فاستعفى منه، فقال له معاوية: والله ما حابيتك بها، ولكني استترت بك من النار، فاستتر منها ما استطعت. ولما خرج معاوية إلى صفين استخلف فضالة بن عبيد على دمشق.

قال أبو يوسف[3] حاجب معاوية: بينما أنا يوماً على باب الخضراء*،وقد ارتفع معاوية للقائلة، وافترق عنه الناس، إذا برجل أناخ بعيره وقال: استأذن لي على أمير المؤمنين. فقلت: إنه ليس عليه الساعة إذن. فقال: ما بد من الدخول. فلم يزل مني كلمة ومنه كلمة حتى محكني*،وارتفعت أصواتنا، فسمعنا معاوية فبعث إلي فقال: ما هذا؟ فأعلمته بالقصة. فقال معاوية: صفه لي. فوصفته. فقال: هذا فلان جاء يتظلم من عاملنا فلان. أدخله. فدخل، فإذا هو، فقال له معاوية: بيني وبينك رجل. قال: نعم. فاتفقوا على فضالة بن عبيد.فقال معاوية: يا أبا يوسف، ادع لنا فضالة. فذهبت إليه وقلت له: أجب أمير المؤمنين. قال: لماذا؟ فأخبرته فقال: قل له: قال لك فضالة: في بيته يؤتى الحكم يا معاوية. فانطلقت إليه فأخبرته فقال: صدق. فقام معاوية وذلك الرجل، فخرج الرجل يمشي ومعاوية يمشي معه آخذ بخطام ناقته. فقال لي معاوية: تقدم يا أبا يوسف فأخبره أنا قد جئنا. فتقدمت فأخبرته، فألقى لهما وسادة وبين يديه بالعرض فدخلا عليه فقال له فضالة: اجلس أنت وخصمك. فجلسا بين يديه، فقضى على معاوية وقال: انته يا معاوية، فإنك ظالم. وكتب معاوية إلى فضالة بن عبيد يخطب ابنته على ابنه يزيد[4]؛ فكتب إليه: أما بعد فقد جاءني كتابك تخطب ابنتي على ابنك يزيد، وإني كتبت إليك ببيتي شعر فاعرفهما وتدبرهما: فلو أن نفسي طاوعتني لأصبحت..لها حفد من ما يعد كثير..ولكنها نفس علي كريمة..عيوف لأصهار اللئام قذور.

قال الواقدي: حدثني أصحابنا عن ابن جعدبة وغيره قالوا: كان لعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب[5] أرض إلى جانب أرض لمعاوية، وكان وكيل معاوية بالمدينة النضير[6] مولاه، فعمد إلى أرض عبد الرحمن فضمها إلى أرض معاوية وقال: هذه لأمير المؤمنين، فقال عبد الرحمن: عندي البينة أن أبا بكر بن أبي قحافة قطعها لي مقتل أبي[7] باليمامة، فقال النضير: هذه قطيعة أمير المؤمنين، فخاصمه إلى مروان بن الحكم[8] فقال: اصطلحا، وكره أن يجزم القضاء على معاوية، فأتى عبد الرحمن بن زيد الشام فلما صار إلى باب معاوية ألفاه جالسا بالخضراء بدمشق، فقال لأبي يوسف:[3] استأذن لي على أمير المؤمنين، فاعتل عليه، فرفع صوته فقال: ما لي بد من الوصول إليه، فإنا إلى أن توصل أرحامنا وتثمر لنا أموالنا أحوج منا إلى أن يؤخذ منا ما في أيدينا، فسمعه معاوية فقال: أدخله، فدخل فسلم وقال: إن وكيلك بالمدينة تعدى علي، وعمد إلى ما قطع لي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازه لي عمر فألجأه إلى أرضك، وزعم أن عنده كتابا من عثمان بأنه قطعه لك، وكيف يقطع لك عثمان حقا هو لي؟ فقال معاوية: تركت أرضك لم تعمرها حتى عملتها، فلما غرست فيها خمسة آلاف ودية* قلت: قطيعة أبي بكر، وقد روي عن عمر أنه بلغه أن قوما يتحجرون الأرض ثم يدعونها عطلا فيجيء آخرون فيزرعونها، أنها لمن زرعها، فقال: والله ما قلت الحق يا معاوية فأنصفني فقال: علي بالقاضي، وهو فضالة بن عبيد الأنصاري ثم الزرقي، فلم يأته وقال: في بيته يؤتى الحكم، فصار معاوية وعبد الرحمن إليه، فألقيت لهما وسادة وقيل اجلسا عليها، فتكلم عبد الرحمن بقوله الأول، وتكلم معاوية بقوله الأول، فرأى فضالة أن القول قول عبد الرحمن والحق معه، فقضى به، فقال معاوية: نقبل ما قلت، أرأيت ما غرست فيها؟ قال: يقوم ذلك لك، فإن شاء عبد الرحمن دفع إليك قيمة غراسك، وإن شاء ضمنك قيمة الأرض. فقال عبد الرحمن: قد أنصفت، فقال فضالة: يا أمير المؤمنين أو بمثل زيد بن الخطاب[7] وعمر يفعل هذا بعقبهما؟! فقال معاوية: فالغراس له، وما مد إليه يده من أرضي فهو له صلة لرحمه، وكتب له بذلك إلى وكيله وقضى دينه وألحقه في شرف العطاء وقال: أنت مستحق لذلك يا بن أخي الفاروق والشهيد، وأعطاه مالا ، فقال فضالة لمعاوية حين مضى عبد الرحمن: والله لو فعلت غير هذا فقدم على أهل مدينة الهجرة وبقية الناس فشكاك لكان في ذلك ما لا يحسن ولا يجمل، فقال معاوية: جزاك الله على المعاونة على الحق خيرا، وانصرف ابن زيد فأخذ ماله.

----

*(محك) المحك المشارة والمنازعة في الكلام والمحك التمادي في اللجاجة عند المساومة والغضب ونحو ذلك. (الخضراء) من القصور الأموية في مدينة دمشق، بناه معاوية.اشترى عبد الملك بن مروان هذا القصر من خالد بن يزيد بن معاوية، وجعله دار الإمارة (الودي) فسيل النخل الذي يقلع للغرس الواحدة ودية

■ (2) فضالة بن عبيد بن نافذ الأنصاري الأوسي، صحابي شهد أحدا، ولى القضاء بدمشق بعد أو بترشيح أبي الدرداء مات بها سنة 53 هـ في ولاية معاوية بن أبى سفيان وكان معاوية فيمن حمل سريره. وكان معاوية يستخلفه على دمشق عندما يخرج منها.

■ (7) زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، أخو عمر بن الخطاب، كنيته أبو عبد الرحمن، وكان أسن من عمر، وأسلم قبله. شهد بدرا والمشاهد، قتل يوم اليمامة في عهد أبي بكر الصديق، وكانت راية المسلمين معه، فلم يزل يقدم بها في نحر العدو، ثم قاتل حتى قتله أبو مريم الحنفي في الحديقة، فوقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة.وحزن عليه عمر، وكان يقول: أسلم قبلي، واستشهد قبلي. استشهد سنة 12 هـ.

■ (8) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، الأموي القرشي، أبو عبد الملك. بايع نفسه بالخلافة من غير عهد ولا مشورة، بعد خلع معاوية بن يزيد. وقيل: بعد خلع خالد بن يزيد.ولقب: المؤتمن بالله.والحكم والده هو طريد النبي صلى الله عليه وسلم نفاه إلى الطائف؛ فأقام بالطائف حتى تخلف عثمان أذن له بالعود إلى المدينة. قال ابن سعد: كانوا ينقمون على عثمان تقريب مروان وتصرفه في الأمور. بعد أن شارك في وقعة الجمل أقام بالمدينة حتى استخلف معاوية. مات سنة 65 هـ بدمشق، وقيل: مات مطعونا. وكان مروان كاتبا لعثمان بن عفان. وهو من أعظم الأسباب في زوال دولة عثمان وكانت خلافته نحو تسعة أشهر. وقيل أكثر من ذلك.وتخلف من بعده ابنه عبد الملك.

■ (1) أبو الدرداء عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي. وقيل: اسمه عامر، ولقبه عويمر. من الحكماء ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب وهو أول قاض بها وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد النبي، ومات بالشام سنة 32 هـ.

■ (4) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (5) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ابن أخي عمر بن الخطاب، وهو صحابي، ولد سنة هاجر رسول الله إلى المدينة وتوفى أيام الزبير سنة 70 هـ وهو بن 66 سنة.

■ (6) نضير مولى معاوية ويقال نصير ومنهم من يقول بصير.ويقال مولى خالد بن يزيد بن معاوية تابعي (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (3) أبو يوسف قيل كان حاجب معاوية ثم يزيد ثم مروان ثم عبد الملك.

قالت العلماء: ليس مما يستغرب أن يكون معاوية رحمه الله هو أول الملوك، فقد أمضى شطر عمره في بيت السيادة في قريش، وشطره الثاني على حدود دولة الروم. ثم ختم معاوية أعماله بعقد البيعة لولده يزيد بن معاوية مجسداً لمبدأ التوريث، لأول مرة في تاريخ الدولة الإسلامية. عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: خطب معاوية فقال: أيها الناس والله لنقل الجبال الراسيات أيسر من اتباع أبي بكر وعمر في سيرتهما، ولكني سالك بكم طريقا تقصر عمن تقدمني ولا يدركني فيها في بعدي. قلت: ولذلك كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: تشبثوا بصدغي معاوية، اللهم، لا تدركني سنة ستين. وقال الحارث عن علي: لا تكرهوا إمرة معاوية، فلو قد فقدتموه لرأيتم الرؤوس تندر على كواهلها كأنها الحنظل.

☪

كان فضالة بن عبيد يقول: لأن أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها، لأن الله يقول:﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة] قال ابن محيريز: صحبت فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: أوصني رحمك الله، فقال: احفظ عني ثلاث خلال ينفعك الله بهن: إن استطعت أن تعرف ولا تعرف فافعل، وإن استطعت أن تسمع ولا تكلم فافعل، وإن استطعت أن تجلس ولا يجلس إليك فافعل.

قيل: وقعت لرجل مئة دينار فعرفها فقال: من وجدها فله عشرون دينارا، فأقبل الذي وجدها فقال: هذا مالك فأعطني الذي جعلت لي، فقال صاحب المال: كان مالي عشرين ومئة دينار، فاختصما إلى فضالة، فقال فضالة لصاحب المال: أليس كان مالك عشرين ومئة دينار كما تذكر؟ قال: بلى، فقال للرجل الذي وجد المال: أليس الذي وجدت مئة؟ قال: بلى، قال: فاحبس هذا المال ولا تدفعه إليه، فليس بماله، حتى يجيء صاحبه.وقضى فضالة بدرء الحد عندما أتاه رجل بسارق يحمل سرقته، فقال له فضالة: لعلك وجدتها، لعلك التقطتها، فقال له الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، إنه ليلقنه، قال: إي والله، أصلحك الله، وجدتها، فخلا سبيله، وأجاز الفقهاء تلقين المتهم في الحدود، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ماعز.

وسأل رجل فضالة بن عبيد أن يكتبه في أصحابه حين ولي، فلم يجبه، فقال له الرجل: أتمنعني ذلك وقد انقطعت إليك ورغبت في قربك؟! فقال فضالة: امحوه من عمل الله واكتبوه في عمال فضالة. فأنكر الرجل ذلك، فقال فضالة: هو على ذلك، تدعون وتحشرون يوم القيامة مع من كنتم تعملون. وكان فضالة بن عبيد إذا أتاه أصحابه قال: تدارسوا وأسندوا وزيدوا، زادكم الله خيرا وأحبكم وأحب من يحبكم، ردوا علينا المسائل فإن أجر آخرها كأجر أولها، واخلطوا حديثكم بالاستغفار.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ مغاني الأخيار/ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان/ عمر بن عبد العزيز/ لسان العرب/ موسوعة الأعلام/ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة/ مسند أحمد/ أنساب الأشراف/ رجال مسلم/ عصر الخلافة الراشدة/ تاريخ المدينة/ الثقات لابن حبان/ تهذيب الكمال/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وأم سنان المذحجية 0233

حبس مروان بن الحكم غلاماً من بني ليث في جناية جناها بالمدينة، فأتته جدة الغلام أم أبيه، وهي أم سنان بنت خيثمة[1]،فكلمته فيه، فزبرها وأغلظ لها، وكانت أم سنان من أنصار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقدمت إلى دمشق واستأذنت على معاوية فأذن لها، فانتسبت له فعرفها، وأمرها بالجلوس، فلما جلست قال لها: مرحبا يا ابنة خيثمة، ما أقدمك أرضنا وقد عهدتك تبغضين قومي، وتحضين علي عدوى؟ قالت: يا أمير المؤمنين، إن لبني عبد مناف أخلاقا طاهرة، وأعلاما ظاهرة، وأحلاما وافرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا يتعقبون بعد عفو، وإن أولى الناس باتباع سنن آبائه لأنت. قال معاوية صدقت يا أم سنان، نحن كذلك. ثم سادت فترة صمت، قطعها بسؤال لأم سنان يذكرها فيها بشعرها وتحريضها عليه، فقال لها: كيف قولك: عزب الرقاد فمقلتي ما ترقد..والليل يصدر بالهموم ويورد..يا آل مذحج لا مقام فشمروا..إن العدو لا أحمد يقصد..هذا علي كالهلال تحفه..وسط السماء من الكواكب أسعد..ما زال مذ شهد الحروب مظفرا..والنصر فوق لوائه ما يفقد.وكانت أم سنان تصغي لما ينشده معاوية من شعرها، ولما انتهى قالت له: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، وإنا لنطمع أن تكون لنا خلفا بعده، فمثلك جدير بذلك وقبل أن يتكلم معاوية بكلمة، قال رجل من جلسائه: كيف يا أمير المؤمنين، وأنا أحفظ من شعرها خلاف ما تقول لك الآن فهي القائلة: إما هلكت أبا الحسين فلم تزل..بالحق تعرف هاديا مهديا..فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت..فوق الغصون حمامة قمريا..فاليوم لا خلف يؤمل بعده..هيهات نمدح بعده إنسيا. عندئذ قالت أم سنان وعلائم الحزم والصدق ترتسم على وجهها وهي تعرض بجلسائه: يا أمير المؤمنين، لسان نطق، وقول صدق، ولئن تحقق فيك، ما ظننا فحظك الأوفر، والله ما ورثك الشناءة - البغض- في قلوب المسلمين إلا هؤلاء- وأشارت إلى بعض جلسائه، فادحض مقالتهم، وأبعد منزلتهم، فإنك إن فعلت ذلك ازددت من الله عز وجل قربا ومن المسلمين حبا. وتعجب معاوية مما تقول، فقطع عليها مقالتها قائلا:وإنك لتقولين ذلك يا أم سنان؟. قالت: سبحان الله يا أمير المؤمنين، والله ما مثلك مدح بباطل، ولا اعتذر إليه بكذب، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا، كان والله علي أحب إلينا منك إذ كان حيا، وأنت أحب إلينا من غيره إذ أنت باق. فسألها معاوية: وممن أنا أحب إليكم ما دمت باقيا؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، أنت أحب إلينا من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص. قال: وبم استحققت بذلك عليهما؟. قالت بحسن حلمك، وكرم عفوك. قال: وإنهما ليطمعان في ذلك؟ قالت: هما والله لك من الرأي على مثل ما كنت عليه لعثمان.قال: والله لقد قاربت، فما حاجتك؟ قالت: إن مروان بن الحكم تبنك* بالمدينة تبنك من لا يريد البراح منها، لا يحكم بعدل، ولا يقضي بسنة، يتبع عثرات المسلمين، ويكشف عورات المؤمنين، حبس ابن ابني، فأتيته فقال كيت وكيت، فألقمته أخشن من الحجر، وألعقته أمر من الصاب والصبر، ثم رجعت إلى نفسي بالائمة، وأتيتك يا أمير المؤمنين لتكون في أمري ناظراً، وعليه معدياً. قال: صدقت، لا أسألك عن ذنبه، ولا أسألك القيام بحجته، اكتبوا لها بإخراجه. قالت: يا أمير المؤمنين، وأنى لي بالرجعة وقد نفد زادي، وكلت راحلتي. فأمر لها براحلة موطأة، وخمسة آلاف درهم.

----

*(تبنك) تبنك بالمكان أقام به

■ (1) أم سنان بنت خيثمة بن خرشة (حرشة؟) المذحجية من أهل المدينة، شاعرة، وفدت على معاوية متظلمة من مروان بن الحكم عامله على المدينة.(لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قال علي الصلابي: هذه أم سنان المذحجية، إحدى نساء عصر التابعين وممن فطرت نفسها على الصفاء والصراحة، وأوتيت شطرا من البلاغة والحكمة ما جعلها في سجل ناصع يحكي خلودها وخلود أمثالها ولم تكن أم سنان المذحجية وحدها التي كانت تعبر عن رأيها، وتتكلم بوضوح عن معتقداتها، بل كانت مثيلاتها كثير مثل، الزرقاء بنت عدي، وأم الخير بنت الحريش، لقد كان معاوية، يجريء الناس على الصدع بمعتقداتهم وآرائهم، ويشجعهم على حرية الرأي والتعبير وحق النقد والمعارضة السلمية.

قال الزهراوي رحمه الله: لقد كان كثير من نساء العرب يشاركن في السياسة والأمور العمومية وناهيك أن الحرب التي ظلت مستمرة نحوا من أربعين سنة بين بني ذبيان وبني عبس لم يتفكر في إطفاء نارها إلا امرأة ولم تتمكن من إطفائها إلا بما لها من المكانة وحسن الرأي وذلك أن بيهسة بنت أوس بن حارثة بن لام الطائي لما زوجها أبوها من الحارث بن عوف المري وأراد أن يدخل عليها قالت: أتتفرغ للنساء والعرب يقتل بعضها بعضا ؟ -تعني بني عبس وبني ذبيان- فقال لها: ماذا تقولين ؟ قالت: اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ثم ارجع إلي. فخرج وعرض الأمر لخارجة بن سنان فاستحسن ذلك وقاما كلاهما بهذا الأمر فمشيا بالصلح ودفعا الديات من أموالهم. وحسبك من اشتهرن من العربيات في السياسة، منهن اللاتي كن من شيعة الإمام علي أيام مناصبة معاوية له كـ سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية، وبكارة الهلالية، والزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية، وأم سنان بنت جشمة بن خرشة المذحجية، وعكرشة بنت الأطرش بن رواحة، ودارمية الحجونية، وأم الخير بنت الحريش بنت سراقة البارقي وأروى بنت الحارث بن عبد المطلب الهاشمية.

قال أحمد بن يوسف الكاتب: وصلت إلى المأمون وهو ممسك كتابا بيده، وقد أطال النظر فيه زمانا، وأنا ملتفت إليه، فقال: يا أحمد، أراك مفكرا فيما تراه مني، قلت: نعم، وقى أمير المؤمنين المكاره وأعاده من المخلوف، قال: فإنه لا مكروه فيه، ولكني قرأت كلاما وجدته نظير ما سمعته من الرشيد، يقول في البلاغة، كان يقول: البلاغة التباعد عن الإطالة والتقرب من معنى البغية، والدلالة بالقليل من اللفظ على المعنى، أو قال: على الكثير من المعنى، وما كنت أتوهم أن أحدا يقدر على المبالغة في هذا المعنى، حتى قرأت هذا الكتاب، قال: ورمى به إلي، وقال: هذا الكتاب من عمرو بن مسعده إلي، فإذا فيه كتابي إلى أمير المؤمنين، ومن قبلي من قواده وسائر أخياره في الأنقياد والطاعة على أحسن ما يكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم وانقياد كفاة تراخت عطياتهم، واختلت، كذلك أحوالهم، والثابت معهم أمورهم، فلما قرأته قال: إن استحساني إياه بعثني على أن أمرت للجند بعطياتهم بسبعة أشهر، وأنا على مجازاة الكاتب لما يستحقه من جل محله في صياغته أو صناعته.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ عمر بن عبد العزيز/ أرشيف ملتقى أهل الحديث/ـمجلة المنار/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وأم الخير البارقية 0234

قال الشعبي: كتب معاوية بن أبي سفيان إلى واليه بالكوفة أن أوفد علي أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية[1] برحلة محمودة الصحبة، غير مذمومة العاقبة، واعلم أني مجازيك بقولها فيك بالخير خيرا، وبالشر شرا. فلما ورد الكتاب عليه ركب إليها، فأقرأها إياه. قالت: أما أنا فغير راغبة عن طاعة، ولا معتلة بكذب، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تلجلج مني بمجرى النفس، يغلي بها صدري غلي المرجل بحب البلس* يوقد (تحته) بجزل السمر*. فلما قدمت على معاوية أنزلها بيتا مع الحرم ثلاثة أيام، ثم أذن لها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، قال: وعليك السلام، وبالرغم منك دعوتني بهذا الاسم، قالت: مه* يا هذا، فإن بديهة السلطان مدحضة لما يجب علمه، فقال: صدقت، كيف حالك، وكيف رأيت مسيرك؟ قالت: لم أزل في عافية وسلامة حتى أدتني إلى ملك جزل، ذي عطاء، بذل، فإنا في عيش أنيق، وعند ملك رفيق. فقال معاوية: بحسن نيتي والله ظفرت بكم، وأعنت عليكم. قالت: مه* يا هذا، والله لك من دحض المقال ما تردى عاقبته. قال: ليس لهذا أردناك، قالت: إنما أجري في ميدانك، إذا أجريت شيئا أجريته؛ فسل عما بدا لك. قال: كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر؟[2] قالت: لم أكن والله رويته قبل، ولا رويته بعد، وإنما كانت كلمات نفثهن لساني حين الصدمة، فإن شئت أحدثت لك مقالا غير ذلك، قال: لا أشاء، ثم التفت إلى بعض أصحابه فقال: أيكم يحفظ كلام أم الخير؟ فقال رجل من القوم: أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي لسورة الحمد، قال: فهاته، قال: نعم، كأني بها يا أمير المؤمنين في ذلك اليوم وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول: يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم. إن الله قد أوضح الحق، وأبان الدليل، ونور السبيل، ورفع العلم، فلم يدعكم في عمياء مبهمة، ولا شعواء مدلهمة، فإلى أين تريدون رحمكم الله؟ أفرارا عن أمير المؤمنين، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتدادا عن الحق؟! أما سمعتم الله يقول:﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد] ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول: اللهم، إنه قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشرت الرغبة، وبيدك اللهم أزمة القلوب، فاجمع اللهم الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى، وأردد الحق إلى أهله، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل، إنها أحن بدرية، وضغائن أحدية، وأحقاد جاهلية، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بثارات بني عبد شمس. ثم قالت:﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة] صبرا معاشر المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربكن، وثبات من دينكم، فكأني بكم غدا قد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة. لا تدري ما يسلك بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وباعوا البصيرة بالعمى و﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ [المؤمنون]، حين تحل بهم الندامة، فيطلبون الإقالة إنه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل، ومن لم يسكن الجنة نزل النار. أيها الناس، إن الأكياس أستقصروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطالوا مدة الآخرة فسعوا لها. والله أيها الناس لولا أن يبطل الحق، ويظهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان لما اختاروا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه. إلى أين تريدون حرمكم الله أيها الناس عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته، وأبي ابنيه، خلق من طينته، وتفرع من نبعته، وخصه بسره، وجعله باب مدينته، وأعلم بحبه المسلمين، وأبان ببغضه المنافقين، فلم يزل كذلك حتى أيده الله بمعونته، يمضي على سنن استقامة، لا يفرح لراحة اللذات بها، وهو مفلق الهام، مكسر الأصنام، صلى والناس مشركون، وأطاع والناس مرتابون، فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أحد، وهزم الله به الأحزاب، وقتل أهل حنين، وفرق جمع هوازن. فيالها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقا، وردة وشقاقا. قد اجتهدت في القول، وبالغت في النصيحة، وبالله التوفيق. والسلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية:والله يا أم الخير ما أردت بهذا القول إلا قتلي ولو قتلتك ما حرجت في ذلك، فقالت: والله ما يسوؤني أن يجري الله قتلي على يدي من يسعدني الله بشقائه! قال: هيهات يا كثيرة الفضول ما تقولين في عثمان؟[3] قالت: وما عسيت أن أقول في عثمان استخلفه الناس وهم به راضون وقتلوه وهم له كارهون، قال معاوية: يا أم الخير هذا والله أصلك الذي تبنين عليه، قالت: لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ما أردت بعثمان نقصا ولكن كان سابقا إلى الخير وإنه لرفيع الدرجة غدا، قال: فما تقولين في طلحة؟[4] قالت: وما عسى أن أقول في طلحة اغتيل من مأمنه وأتى من حيث لم يحذر وقد وعده رسول الله الجنة قال: فما تقولين في الزبير؟[5] قالت: وما أقول في ابن عمة رسول الله وحواريه وقد شهد له رسول الله بالجنة وقد كان سباقا إلى كل مكرمة في الإسلام وأنا أسألك بحق الله يا معاوية فإن قريشا تحدثت أنك أحلمها أن تسعني بفضل حلمك وأن تعفيني من هذه المسائل عما شئت من غيرها قال: نعم ونعمة عين قد أعفيتك منها ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة.

----

*(البلس) العدس، قيل: البلس ثمر التين، والعدس وهو البلسن.(الجزل) الكثير العظيم من كل شيء وما عظم من الحطب ويبس (السمر) ضرب من شجر الطلح واحدته سمرة (ج) أسمر.(مه) كلمة زجر بمعنى كف واسكت وانته (مه) كلمة زجر بمعنى كف واسكت وانته

- (1) أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية الكوفية، كانت من أنصار علي رضي الله عنه وشهدت وقعة صفين مع قومها. وقدمت على معاوية، وحاورها محاورة تدل على فصاحتها وجزالتها.توفيت سنة 50 هـ بالكوفة.
- (4) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.
- (2) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم، أبو اليقظان من الولاة الشجعان ومن السابقين إلى الإسلام، ولد بمكة سنة 56 ق.هـ هاجر إلى المدينة وشهد بدرا واحدا وغيرهما، ولاه عمر الكوفة ثم عزله. وشهد الجمل وصفين وقتل فيها سنة 37 هـ
- (3) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.
- (5) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي. أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حواري رسول الله . هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر . أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله روى عنه ابناه عبد الله وعروة ، وروى عنه أيضا الأحنف بن قيس ومالك بن أوس وغيرهم . قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة .سنة 36 هـ

قال النضر بن عمر المقرائي الحميري: سألت الحسن البصري: أي الرجلين أفضل: علي أم عثمان؟ فقال: شارك عثمان عليا في سوابقه، ولم يشاركه في حدثه. قلت: علي ومعاوية؟ فقال: هيهات! لم يشارك معاوية عليا في سوابقه، وشاركه في أحداثه. قال جرير: سألت يحيى بن سعيد، فقلت: أرأيت من أدركت من الأئمة؟ ما كان قولهم في أبي بكر، وعمر، وعلي؟ فقال: سبحان الله! ما رأيت أحدا يشك في تفضيل أبي بكر وعمر على علي، إنما كان الاختلاف في علي وعثمان. وعن أبي جعفر محمد الباقر، أنه قيل له: إن فلانا حدثني أن علي بن الحسين قال:﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر] نزلت في أبي بكر وعمر وعلي، قال: والله فيهم نزلت؛ ففيمن نزلت إلا فيهم؟! قيل: فأي غل هو؟ قال: غل الجاهلية؛ إن بني تيم وبني عدي وبني هاشم، كان بينهم شيء في الجاهلية، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة، فجعل علي يسخن يده ويكمد بها خاصرة أبي بكر، فنزلت هذه الآية فيهم. وعن علي أن هذه الآية نزلت في هذه البطون الثلاثة: تيم، وعدي، وبني هاشم، وقال: منهم أنا وأبو بكر وعمر. وعن محمد بن حاطب، من طرق؛ قال: دخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين، إني أردت الحجاز، وإن الناس يسألوني، فما تقول في قتل عثمان؟ وكان علي متكئا فجلس، فقال: يا بن حاطب، والله! إني لأرجو أن أكون أنا وهو كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر] وعن محمد بن حاطب، قال: ذكر عثمان عند الحسن والحسين، فقال: هذا أمير المؤمنين – أي: علي – أتاكم الآن يخبركم عنه، إذ جاء علي قال الزهري: ما أدري: أسمعهم يذكرون عثمان، أم سألوه عنه فقال علي رضي الله تعالى عنه: عثمان من الذين ﴿اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة] وعن سالم بن أبي الجعد، قال: كنت جالسا عند محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، فذكروا عثمان، فنهانا محمد وقال: كفوا. فغدونا يوما آخر، فنلنا منه أكثر مما كان قبل، فقال: ألم أنهكم عن هذا الرجل؟! قال: وابن عباس جالس عنده، فقال: يا بن عباس، أتذكر عشية الجمل وأنا عن يمين علي، وفي يدي الراية، وأنت عن يساره إذ سمع هدة في المربد، فأرسل رسولا، فجاء الرسول، فقال: هذه عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد، فرفع علي يديه حتى بلغ بهما وجهه مرتين أو ثلاثا، وقال: أنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله في السهل والجبل! قال: فصدقه ابن عباس.ثم أقبل علينا، فقال: في وفي هذا لكم شاهد عدل. وعن قيس بن عباد قال: سمعت عليا يوم الجمل يقول: اللهم، إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوما قتلوا رجلا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلَا أَسْتَحِي مِمَّنْ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ!﴾ وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل الأرض لم يدفن بعد. فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس يسألوني البيعة فقلت: اللهم، إني لمشفق مما أقدم عليه، ثم جاء عزمة فبايعت. فلما قالوا: أمير المؤمنين، فكأن صدع قلبي وانسكبت بعبرة. وفي لفظ: فكأنكما صدع قلبي وقلت : اللهم، خذ مني لعثمان حتى ترضى. وعن ابن عباس قال: أشهد على علي بثلاث: أنه قال في عثمان: ما قتلت ولا أمرت، ولقد كنت كارها. وفي رواية: ما أمرت ولا قتلت، ولقد نهيت. وفي رواية: ولكني غلبت. قال خليد بن شريك: سمعت علي بن أبي طالب وهو على منبر الكوفة يقول: أي بني أمية، من شاء نفلت له يميني بين المقام والركن: ما قتلت عثمان ولا شركت في دمه.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار/ ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية/ لسان العرب/

سمر معاوية بن أبي سفيان ذات ليلة. فذكر كلاماً للزرقاء بنت عدي بن مرة[1] من أهل الكوفة وكانت ممن يعين علياً يوم صفين* فقال لأصحابه: أيكم يحفظ كلام الزرقاء بنت عدي؟ قال القوم: كلنا يحفظه. قال: فما تشيرون علي فيها؟ قالوا: نشير بقتلها. قال: بئس الذي أشرتم به، أيحسنن بمثلي أن يتحدث الناس أني قتلت امرأة بعد أن ملكت وصار الأمر إلي؟ ثم دعا كاتبه في الليل، فكتب إلى واليه بالكوفة أن أوفد علي الزرقاء بنت عدي مع ثقةٍ من محرمها وعدة من فرسان قومها ومهد لها وطاء ليناً، واسترها بستر خصيف. فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها، فأقرأها إياها فقالت: أما أنا فغير زائغةٍ عن طاعة، وإن كان أمير المؤمنين جعل المشيئة إلي لم أرم من بلدي هذا، وإن كان حتم الأمير فالطاعة له أولى بي. فحملها في عمارية*، وجعل غشاءها خزاً أدكن مبطناً بقوهي*، ثم أحسن صحبتها. فلما قدمت على معاوية قال لها: مرحباً وأهلاً، خير مقدمٍ قدمه وافدٌ، كيف حالك يا خالة، وكيف كان مسيرك؟ قالت: خير مسير، كأني كنت ربيبة بيت أو طفلاً ممهداً له. قال: بذاك أمرتهم، هل تعلمين لم بعثت إليك؟ قالت: يا سبحان الله وأنى لي بعلم ما لم أعلم؟ وهل يعلم ما في القلوب إلا الذي خلقها. قال: بعثت إليك لأسألك هل أنت الراكبة الجمل الأحمر يوم صفين، وأنت بين الصفين توقدين الحرب وتحضين على القتال؟ فما حملك على ذلك؟ قالت: يا أمير المؤمنين، إنه قد مات الرأس وبتر الذنب، والدهر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر. فقال لها: صدقت فهل تحفظين كلامك يوم صفين؟ قالت: والله ما أحفظه. قال: لكني أحفظه، لله أبوك، لقد سمعتك تقولين: أيها الناس، قد أصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجة، فيا لها من فتنة عمياء صماء لا تسمع لقائلها، ولا تنقاد لسائقها. أيها الناس، إن المصباح لا يضيء في الشمس، ولا الكواكب تبصر في القمر، وإن البغل لا يسبق الفرس، ألا من استرشده أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار، فكأن قد اندمل شعب الشتات، والتأمت كلمة العدل، وغلب الحق باطله، فلا يعجلن أحد فيقول: كيف وأنى، ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال] ألا إن خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، وللصبر في الأمور عواقب، إيهاً* إلى الحرب قدماً غير ناكصين، وهذا يوم له ما بعده. ثم قال معاوية: يا زرقاء، لقد شركت علياً في كل ما فعل. قالت له الزرقاء: أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك، فمثلك بشر بخير وسر جليسه. فقال له: وقد سرك ذلك؟ قالت: نعم، والله لقد سرني قولك، فأنى لي بتصديق الفعل؟ فقال لها معاوية: لوفاؤكم له بعد موته أعجب إلي من حبكم له في حياته، اذكري حاجتك. قالت: يا أمير المؤمنين، إني امرأة آليت ألا أسأل امرأ أعنت عليه شيئاً، فمثلك أعطى عن غير مسألة وجاد عن غير طلب، قال: صدقت. فأقطعها ضيعةً أغلتها في أول سنةٍ ستة عشر ألف درهم، وأحسن صفدها*، وردها مكرمة.

----

*(صفين) اسم موضع بين الشام والعراق. كانت به الوقعة المشهورة. (إيهاً) قالوا: إذا أسكته وكففته قلت: إيها عنا، فإذا أغريته بالشيء قلت: ويها يا فلان، فإذا تعجبت من طيب شيء قلت: واها له ما أطيبه.(العمارية) هودج يجلس فيه.(القوهي) ضرب من الثياب بيض.(الصفد) العطاء.

■ (1) الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية: خطيبة، من ذوات الشجاعة. من أهل الكوفة. شهدت مع قومها واقعة (صفين) وخطبت فيها مرات تحرض.استقدمها معاوية فقدمت عليه.توفيت سنة 60 هـ؟

روى عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن عمر استعمل معاوية بن أبي سفيان على عمل أخيه، وكتب إليه: إني قد وليتك عمل يزيد بن أبي سفيان الذي كان يلي. في كتاب طويل أمره فيه بتقوى الله وما يعمل به في عمله. فكتب إليه معاوية جواب كتابه. فلم يزل معاوية واليا لعمر حتى قتل عمر واستخلف عثمان بن عفان، فأقره على عمله وأفرده بولاية الشام جميعا، فاستقضى فضالة بن عبيد بن نافذ الأنصاري. وشخص أبو سفيان بن حرب إلى معاوية بالشام ومعه ابناه عتبة وعنبسة، فكتبت هند إلى معاوية : قد قدم عليك أبوك وأخواك، فاحمل أباك على فرس وأعطه أربعة آلاف درهم، واحمل عتبة على بغل وأعطه ألفي درهم، واحمل عنبسة على حمار وأعطه ألف درهم، ففعل معاوية ذلك. فقال أبو سفيان: أشهد بالله أن هذا لعن رأي هند.

فلما قتل عثمان كتبت نائلة بنت الفرافصة[1] إلى معاوية كتابا تصف فيه كيف دخل على عثمان وكيف قتل، وبعثت إليه بقميصه الذي قتل وهو عليه فيه دمه. فقرأ معاوية الكتاب على أهل الشام، وأمر بقميص عثمان فطيف به في أجناد الشام، ونعى إليهم عثمان وأخبرهم بما أتي إليه واستحل من حرمته وحرضهم على الطلب بدم عثمان فبايعوه على الطلب بدم عثمان. وبويع علي بن أبي طالب بالمدينة، فقال له عبد الله بن العباس والحسن بن علي: اكتب إلى معاوية فأقره على عمله ولا تحركه وأطمعه فإنه سيطمع ويكفيك نفسه وناحيته فإذا بايع الناس لك أقررته أو عزلته. قال: فإنه لا يرضى حتى أعطيه عهد الله وميثاقه أن لا أعزله. فقالا:لا تعطه عهدا ولا ميثاقا.فبلغ ذلك معاوية فقال: والله لا ألي له شيئا أبدا ولا أبايعه ولا أقدم عليه وأظهر بالشام أن الزبير بن العوام قادم عليهم وأنه يبايع له . فلما بلغه خروج الزبير وطلحة إلى الجمل أمسك عن ذكره ، فلما بلغه قتل الزبير قال: يرحم الله أبا عبد الله ، أما إنه لو قدم علينا لبايعنا له، وكان أهلا أن نقدمه لها.

فلما انصرف علي من البصرة أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية، فكلمه وعظم عليه أمر علي وسابقته في الإسلام ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس عليه. وأراده على الدخول في طاعته والبيعة له فأبى، وجرى بينه وبين جرير كلام كثير، فانصرف جرير إلى علي بن أبي طالب فأخبره بذلك، فذلك حين أجمع على الخروج إلى صفين وبعث معاوية أبا مسلم الخولاني إلى علي بأشياء يطلبها منه، ويسأله أن يدفع إليه قتلة عثمان حتى يقتلهم به، فإنه إن لم يفعل ذلك أنهج للقوم، يعني أهل الشام، بصائرهم لقتاله. فأبى علي أن يفعل، فرجع أبو مسلم إلى معاوية فأخبره بما رأى من علي وأصحابه، وجرت بين علي ومعاوية كتب ورسائل كثيرة. ثم أجمع علي على الخروج من الكوفة يريد معاوية بالشام، وبلغ ذلك معاوية فخرج في أهل الشام يريد عليا، فالتقوا بصفين لسبع ليال بقين من المحرم سنة سبع وثلاثين، فلما كان هلال صفر نشبت الحرب بينهم فاقتتلوا أيام صفين قتالا شديدا حتى هر* الناس القتال وكرهوا الحرب، فرفع أهل الشام المصاحف وقالوا : ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه. وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتابا على أن يوافوا رأس الحول أذرح*،ويحكموا حكمين ينظران في أمر، فيرضون بحكمهما، فحكم علي أبا موسى الأشعري، وحكم معاوية عمرو بن العاص. وتفرق الناس، فرجع علي إلى الكوفة بالاختلاف والدغل*، واختلف عليه أصحابه، فخرج عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكم إلا لله.

ورجع معاوية إلى الشام بالألفة واجتماع الكلمة عليه. ووافى الحكمان بعد الحول بأذرح في شعبان سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس إليهما، فكان بينهما كلام اجتمعا عليه في السر ثم خالفه عمرو بن العاص في العلانية، فقدم أبا موسى فتكلم وخلع عليا ومعاوية، ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع عليا وأقر معاوية، فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما، وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين. وبعث معاوية على الحج سنة تسع وثلاثين يزيد بن شجرة الرهاوي، وبعث علي بن أبي طالب في هذه السنة على الموسم عبيد الله بن العباس، فاجتمعا بمكة وسأل كل واحد منهما صاحبه أن يسلم إليه، فأبيا جميعا واصطلحا على أن يصلي بالناس ويحج بهم تلك السنة شيبة بن عثمان العبدري، فحج بالناس تلك السنة. وكان معاوية يبعث الغارات فيقتلون من كان في طاعة علي ومن أعان على قتل عثمان، فبعث بسر بن أرطأة العامري إلى المدينة ومكة واليمن يستعرض الناس، فقتل باليمن عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله بن العباس. ثم قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شهر رمضان سنة أربعين، فحج بالناس تلك السنة المغيرة بن شعبة بكتاب افتعله من معاوية بن أبي سفيان، وصالح الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان، وسلم له الأمر، وبايعه الناس جميعا فسمي عام الجماعة.

----

*(هر) كره.(الدغل) عيب في الأمر يفسده (أَذْرُح) قرية في ما يسمى اليوم دويلة الأردن

■ (1) نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة. زوجة عثمان بن عفان، أسلمت بعد أن أسلم أخوها ضب، وبقي أبوها على النصرانية، شهدت مقتل عثمان ودافعت عنه فقطعت بعض أصابعها، ورثته ببعض أبيات من شعرها (نسبت للوليد بن عقبة بن أبي معيط).

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ تهذيب اللغة/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/

حدث عبد الله بن سليمان بن داود عن أبيه عن عكرمة قال دخلت عكرشة بنت الاطش [1] على معاوية وهي متوكئة على عكاز لها فسلمت عليه بالخلافة. فقال لها معاوية: هيه يا عكرشة الآن صرت أمير المؤمنين. قالت: نعم اذ لا علي حي. فقال لها معاوية: الست صاحبة الكور المسدول والوسط المشدود والمتقلدة بالسيف ذي الحمائل وأنت واقفة بين الصفين يوم صفين* تقولين أيها الناس:﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة] إن الجنة دار لا يرحل من قطنها ولا يحزن من سكنها ولا يموت من دخلها فلا تبيعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تتصرم همومها* فكونوا قوما مستبصرين إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب غلف القلوب* لا يعرفون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة دعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم إلى الباطل فلبوه فالله الله عباد الله في دين الله وإياكم والتواكل فان ذلك نقض عرى الإسلام وإطفاء نور الحق وإظهار الباطل وذهاب للسنة هذه بدر الصغرى والعقبة الأخرى يا معاشر المهاجرين والأنصار أمضوا على بصيرتكم واصبروا على نياتكم* فكأني بكم غدا وقد لقيتم أهل الشأم وهم كالحمر الناهقة والبغال الشاحجة* يضجون ضجيج البقر* ولا يروثون روث العتاق*.

فقال معاوية وكأني أراك على عكازتك هذه وقد انكفأ عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الاطش فان كدت لتؤلبين* علي أهل الشام لولا ما قدر الله وما جعل لنا من هذا الأمر ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب] ثم قال ما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين، يقول الله عز وجل:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة] إن اللبيب إذا كره شيئا لا يحب إعادته. قال: صدقت، اذكري حاجتك. قالت: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى جعل صدقاتنا على فقرائنا ومساكيننا ورد أموالنا فينا إلا بحقها وإنا فقدنا ذلك فما ينتعش لنا فقير ولا ينجبر لنا كسير فإن كان ذلك من رأيك فمثلك من أنتبه من الغفلة وراجع العقل وان كان عن غير رأيك فما مثلك من استعان بالخونة واستعمل الظلمة. قال معاوية: يا هذه إنه تنوبنا النوائب هي أولى بنا منكم من بحور* تنبثق وثغور تنفتق*. قالت: يا سبحان الله ما فرض الله لنا حقا جعل فيه ضررا على غيرنا ولو علم جل ثناؤه أن في ما جعل لنا ضررا على غيرنا لما جعله لنا وهو علام الغيوب. قال معاوية: هيهات يا أهل العراق قد فقهكم علي بن أبي طالب فلن تطاقوا ثم أمر لها برد صدقاتها وأنصافها وضيفها واطرفها وردها إلى أهلها مكرمة.

أسر معاوية يوم صفين رجلا من أصحاب علي صلوات الله عليه، فلما أقيم بين يديه قال: الحمد الله الذي أمكن منك. قال: لا تقل ذاك فإنهم مصيبة. قال: وأية نعمة أعظم من أن يكون الله أظفرني برجل قتل في ساعة واحدة جماعة من أصحابي. اضربا عنقه. فقال: اللهم، اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لأنك ترضى قتلي، ولكن قتلني في الغلبة على حطام هذه الدنيا، فإن فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله. فقال: قاتلك الله! لقد سببت فأوجعت في السب ودعوت فأبلغت في الدعاء. خليا سبيله.وقيل جلس معاوية يبايع الناس على البراءة من علي؛ فقال له رجل من بني تميم: يا أمير المؤمنين، نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم. فالتفت معاوية إلى زياد [2]،فقال: هذا رجل فاستوص به.

----

*(صفين) موضع بين الشام والعراق. كانت به الوقعة المشهورة.(غلف القلوب) على قلوبهم أكنة لا يفقهون ولا يسمعون (نياتكم) عزيمتكم.(شحج) الشحيج والشحاج بالضم صوت البغل وبعض أصوات الحمار. (العتاق) من الخيل ومن الإبل: النجائب منها. وقيل:العتاق التي لا تحبس في المرعى ولكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو. اختلفت الألفاظ التالية في كتاب تاريخ دمشق وكتاب العقد الفريد: (يضجون ضجيج البقر): تصفق صفق البقر/ تضفق ضفق البقر/ تصقع البعير. (همومها): غمومها. (لتؤلبين): لتقتلين/ لتلتفتين. (بحور تنبثق): أمور تنبثق وبحور تنفهق/ نحور تنبثق وثغور تنفتق.

■ (1) عكرشة بنت الاطش (الاطرش؟) بن رواحة من الوافدات على معاوية.(لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (2) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

☪

قال أبو عياض مولى عياض بن ربيعة الأسدي: أتيت علي بن أبي طالب، وأنا مملوك، فقلت: يا أمير المؤمنين، ابسط يدك أبايعك. فرفع رأسه إلي، فقال: ما أنت؟ قلت: مملوك، قال: لا، إذا، قلت: يا أمير المؤمنين، إنما أقول: إني إذا شهدتك نصرتك، وإن غبت نصحتك، قال: نعم، إذا، قال: فبسط يده فبايعني. قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: إنه سيأتيكم رجل يدعوكم إلى سبي، وإلى البراءة مني، فأما السب فإنه لكم نجاة، ولي زكاة، وأما البراءة فلا تبرؤوا مني، فإني على الفطرة.

ذكر الحافظ أبو نعيم بسند إليه أن عليا قال له يوما كنت بك يا حجر* إذا أمرت بلعني فقال: أو كائن ذلك قال: نعم قلت: فكيف أصنع قال: العني ولا تبرأ مني، فلما كانت ولاية محمد بن يوسف لمخلافي الجند وصنعاء وحجر إذ ذاك خطيب بإحدى البلدين صعد في بعض الجمع المنبر ثم خطب فلما فرغ من الخطبة ومحمد بن يوسف إذ ذاك حاضر ناداه لا تنزل حتى تلعن عليا فتلكأ لحظة وذكر قول علي فرفع صوته وقال: إن الأمير محمد بن يوسف أمرني أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله وتفرق أهل المسجد وتفرقوا شغر بغر* كراهية لذلك إلا ما كان من شيخ فإنه فهمها وقال: لعنه الله وكان ذلك على منبر صنعاء وقيل: على منبر الجند وهو الذي حققه الحافظ العرشاني رحمه الله. وعن عبد الله بن ظالم المازني قال: لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة قال: فأقام خطباء يقعون في علي، قال: وأنا إلى جنب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال: فغضب فقام فأخذ بيدي فتبعته، فقال: ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم لنفسه الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنة! فأشهد على التسعة أنهم في الجنة، ولو شهدت على العاشر لم آثم؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿اثْبُتْ حِرَاءُ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ﴾ قال: قلت: من هم فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك، قال: ثم سكت، قال: قلت: ومن العاشر؟ قال: قال: أنا. قال أبو عبد الله الجدلي: دخلت على أم سلمة فقالت: يا أبا عبد الله، أيسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم وأنتم أحياء؟ قال: قلت:سبحان الله! وأنى يكون هذا؟ قالت: أليس يسب علي ومن يحبه؟ قلت: بلى، قالت: أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه؟ وفي رواية قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ سَبَّ عَلِيًّا، فَقَدْ سَبَّنِي﴾ وعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: من سب عليا وأحباءه فقد سب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحبه. وعن علي رضي الله عنه قال: حسب حسب النبي صلى الله عليه وسلم، وديني دين النبي صلى الله عليه وسلم، ومن نال مني شيئا فإنما يناله من النبي صلى الله عليه وسلم. وعن عروة أن رجلا وقع في علي بمحضر من عمر رضي الله عنه، فقال عمر: تعرف صاحب هذا القبر، محمد بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب ابن عبد المطلب. لا تذكر عليا إلا بخير، فإنك إن آذيته آذيت هذا في قبره. وفي رواية: فإنك إن أبغضته آذيت هذا في قبره.

☪

عن صفوان بن عبد الله بن صفوان: أن رجلاً قال يوم صفين: اللهم، العلن أهل الشام، فقال علي: لا تسبوا أهل الشام جماً غفيراً، فإن فيهم قوماً كارهين لما يرون، وإن فيهم يكون الأبدال. وعن أبي هريرة قال: لا تسبوا أهل الشام، فإنهم جند الله المقدم. وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: سمع علي يوم الجمل أو يوم صفين رجلا يغلو في القول يقول: الكفرة، قال: لا تقولوا، فإنهم زعموا أنا بغينا عليهم، وزعمنا أنهم بغوا علينا، فقاتلناهم على ذلك. وعن سالم بن عبيد الأشجعي قال: رأيت علياً بعد صفين، وهو آخذ بيدي ونحن نمشي في القتلى، فجعل علي يستغفر لهم حتى بلغ قتلى أهل الشام فقلت له: يا أمير المؤمنين، إنا في أصحاب معاوية، فقال علي: إنما الحساب علي وعلى معاوية.وسئل علي رضي الله عنه عن قتلى يوم صفين فقال: قتلانا وقتلاهم في الجنة، ويصير الأمر إلي وإلى معاوية. أي أنه يرى نفسه ومعاوية مسئولين عما حدث وهما يحاسبان على ذلك. وعن عبد الرحمن بن نافع القاري عن أبيه قال: قدمت العراق فدخلت دار علي بن أبي طالب التي كان يسكن فإذا الوالي حلقتان يتحدثون، فجلست معهم، فخرج علي وهم يذكرون قتلى علي ومعاوية فقالوا: قبلتنا واحدة، والهنا واحد ونبينا واحد فأين قتلانا وقتلاهم؟ فأقبل علي، فلما رآهم قصد إليهم فسكتوا، فقال علي: ما كنتم تقولون؟ فسكتوا، فقال علي: عزمت عليكم لتخبرني، فقالوا: ذكرنا قتلانا وقتلى معاوية، وأن قبلتنا واحدة، وإلهنا واحد وديننا واحد، فقال علي: فإني أخبركم عن ذلك، إن الحساب علي وعلى معاوية. وعن سعد بن إبراهيم قال: خرج علي بن أبي طالب ذات يوم ومعه عدي بن حاتم الطائي، فإذا رجل من طيء (قبيلة) قتيل قد قتله أصحاب علي، فقال عدي: يا ويح هذا كان أمس مسلما واليوم كافرا، فقال علي: مهلا كان أمس مؤمنا، وهو اليوم مؤمن. وعن عمرو بن دينار عن أبي فاخته قال: أتيت عليا يوم صفين بأسير، فقال له الأسير: لا تقتلني، فقال له علي: لا أقتلك صبرا إني أخاف الله رب العالمين، ثم قال له علي: أفيك خير، أتبايع؟ فقال الرجل: نعم، فقال علي للذي جاء به: خذ سلاحه وخل سبيله. وعن النضر بن منصور عن أبي الجنوب قال: شهدت مع علي صفين، قال: فاسر علي من أصحاب معاوية خمسة عشر رجلا جرحى فلم يزل يداويهم يموت واحد بعد واحد، يكفنهم ويصلي عليهم ويدفنهم. وعن عمرو بن ميمون عن أبي أمامه قال: شهدت مع علي بن أبي طالب صفين، فكانوا لا يجهزون على جريح ولا يتبعون موليا. قلت: وهذا كله حكم أهل البغي، ولهذا قال أبو حنيفة: لولا ما سار علي فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين. وعن محمد بن راشد عن مكحول قال: سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن من قتل بصفين ما هم؟ قال: هم المؤمنون. وعن أبي أسد الفقعسي عن عمه قال: قال رجل يوم صفين من دعا إلى البغلة يوم كفر أهل الشام؟ قال: فقال علي: من الكفر فروا.

قال ابن العديم: كان رجل من أهل الشام يقال له الأصبغ بن ضرار الأزدي يخرج من الليل من عسكر معاوية فيكون حارسا وطليعة لمعاوية، قال فبدر له علي رضوان الله عليه الأشتر، وقال: إن قدرت عليه فخذه ولا تقتله وجئني به، قال: فاحتال عليه الأشتر فأخذه أسيرا من غير أن يقاتله ثم جاء به إلى رحله ليلا فشد وثاقه ينتظر به الصباح قال: وأيقن الرجل بالقتل، وكان مفوها شاعرا فأنشأ يقول... قال: فلما سمع الأشتر الأبيات كأنها حركته، ثم غدا به الأشتر على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فقال: يا أمير المؤمنين هذا رجل اخذته البارحة أسيرا بلا قتال، والله لو عملت أن قتله الحق لقتلته وقد بات عندي البارحة، وحركني بأبيات قالها، فإن أحببت قتله فأقتله، وإن كنت فيه بالخيار فهبه لي، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هو لك يا مالك، فإذا أصبت أسيرا فلا تقتله، فإن أسير أهل القبله لا يقتل ولا يقاد قال: فرده الأشتر إلى رحله، فأحسن إليه ورد عليه ما كان وأخذ منه وأطلقه.

----

*(المدري) في المختصر قال: حجرا المدني. حجر المدري يماني تابعي ثقة وكان من خيار التابعين. المدري هذه النسبة إلى مدر – كجبل = بلد باليمن (شغر بغر) وشذر مذر ، وجذع مذع، أي تفرقوا في كل وجه.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان/ العقد الفريد/ عيون الأخبار/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ عصر الخلافة الراشدة/ السلوك في طبقات العلماء والملوك/ تاج العروس/

حج معاوية فطلب امرأة يقال لها دارمية الحجونية[1] من شيعة علي رضي الله عنه، وكانت سوداء ضخمة (كثيرة اللحم)، فقال: كيف حالك يا بنت حام؟ قالت: بخير، ولست بحام أدعى،(إن عبتني) إنما أنا امرأة من كنانة، قال: صدقت، هل تعلمين لم دعوتك؟ قالت: يا سبحان الله! وأنى لي بعلم الغيب؟ قال: لأسألك لم أحببت علياً وأبغضتني؟ وواليته وعاديتني؟ قالت: أو تعفيني؟ قال: لا، قالت: أما إذ أبيت فإني أحببت علياً على عدله في الرعية، وقسمة السوية، وأبغضتك على قتال من هو أولى بالأمر منك، وطلب ما ليس لك. وواليته على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء، وحبه للمساكين، وإعظامه لأهل الدين. وعاديتك على سفك الدماء، وشق العصا. قال: فلذلك انتفخ بطنك وكبر ثديك، وعظمت عجيزتك. قالت: يا هذا، بهند يضرب بي المثل لا بي. قال: لا تغضبي فأنا لم نقل إلا خيراً، إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها، وإذا كبر ثدي المرأة حسن غذاء ولدها، وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها، فسكتت. فسألها عن كلام علي، فقالت: كان كلامه يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الطست. فقال: هل من حاجة؟ قالت: أو تفعل إذا سألت؟ قال: لك الله علي بالوفاء. قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها. قال: تصنعين بها ماذا؟ قالت: أغذو بها لصغار، واستحيي بها للكبار، واكتسب بها المكارم، وأصلح بها من العشائر. قال: فإن أعطيتكها لأحل عندك محل علي؟ قالت: يا سبحان الله! أو دونه، أو دونه، أو دونه. فأنشأ يقول:إذا لم أجد بالحلم مني عليكم..فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم..خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجد..حباك على طول العداوة والصرم أما والله لو كان علي لما أعطاك! فقالت: لا والله، ولا برة واحدة من مال المسلمين. فضحك معاوية، وأمر لها بما سألت وردها مكرمة.

■ (1) دارمية الحجونية ؟ (لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم). قالوا: هي امرأة سوداء من كنانة كانت تنزل بالحجون (أو تنزل الجحفة)، وكانت من شيعة علي رضي الله عنه. ومن الوافدات على معاوية.

عن مجالد عن عامر الشعبي قال: سئل عن أهل الجمل وأهل صفين فقال: أهل الجنة لقي بعضهم بعضا، فاستحيوا أن يفر بعضهم عن بعض. وعن العوام بن حوشب عن بعض أشياخه قال: لما كان الموادعه بين علي ومعاوية توادعا إلى رأس الحول بدومة الجندل*. قال: وكان أصحاب علي يصلون خلف أصحاب معاوية، وكان أصحاب معاوية لا يصلون خلف أصحاب علي، فذكر ذلك أصحاب علي لعلي، فقال لهم: إذا استقبلوا بكم القبلة، وقرؤوا بكم القرآن، فصلوا خلفهم. وعن سفيان عن فضيل بن غزوان عن أبي معشر عن أن تميم قال: كان إذا سئل عن أهل الجمل وأهل صفين قال: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة] وعن عثمان بن عمر التيمي قال: بلغني أنه قدم ناس من أهل المشرق المدينة فاستدلوا على من يسألونه فأشاروا لهم إلى عبد الله بن عتبة، فجلسوا إليه فقالوا: يا أبا محمد: ما تقول في أهل صفين؟ فقال: أقول فيهم ما قال من هو خير مني لمن هو شر منهم، عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة]

قال ابن عباس: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية إذ أقبل علي بن أبي طالب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاوية: أتحب عليا يا معاوية؟ فقال معاوية: إي والله الذي لا إله إلا هو إني لأحبه في الله حبا شديدا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها ستكون بينكم هنيهة. قال معاوية: ما يكون بعد ذلك يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عفو الله ورضوانه، والدخول إلى الجنة. قال معاوية: رضينا بقضاء الله. فعند ذلك نزلت هذه الآية: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة] [الحديث في: تاريخ دمشق]

عن عبادة بن الصامت قال: كنا ننور أولادنا بحب علي بن أبي طالب، فإذا رأينا أحدا لا يحب علي بن أبي طالب علمنا أنه ليس منا، وأنه لغير رشده. وعن أبي الزبير قال: سئل جابر عن علي، فقال: ما كنا نعرف منافقي هذه الأمة إلا ببغضهم عليا.

وعن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد ان يشهر عليا في مواطن أو مشهد علا على راحلته، وأمر الناس أن ينخفضوا دونه، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهر عليا يوم خيبر فقال: يا أيها الناس من أراد أن ينظر إلى آدم في خلقه، وإلي في خلقي، وإلى إبراهيم في خلته، وإلى موسى في مناجاته، وإلى يحيى في زهده، وإلى عيسى في سنته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب إذا خطر بين الصفين، كأنما يتقلع من صخر، أو يتحدر من صبب، يا أيها الناس، امتحنوا أولادكم بحبه، فإن عليا لا يدعو إلى ضلالة، ولا يبعد عن هدى، فمن أحبه فهو منكم، ومن أبغضه فليس منكم.

----

*(دومة الجندل) حصن وقرى في البادية بين نجد وبلاد الشام قرب جبل طيئ وكانت بنو كنانة تسكن هذه الديار، والحصن هو حصن أكيدر بن عبد الملك بن الحارث الكندي.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ ربيع الأبرار للزمخشري/ لسان العرب/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ صبح الأعشى/

احتجم معاوية بمكة فأمسى أرقا فقال: من يقرب منا من فصحاء العرب؟ فقالوا: جروة بنت مرة[1]، من بني تميم، وكانت مجاورة. فأرسل إليها فجاءته، فلما دخلت قال: مرحبا يا بنت مرة، أرعناك. قالت: أي والله، لقد طرقت في ساعة لا تطرق فيها الطير في أوكارها، فأرعت قلبي، وريع صبياني، وأفزعت عشيرتي، فتركت بعضهم يموجون في بعض، يديرون الكلام فرقا منك وشفقة علي، فقال معاوية: ليفرخ روعك*، ولتطب نفسك، فإن الأمر يجري على محبتك، قالت: أحسن الله بشارتك، وأدام لنا سلامتك. ثم قال لها: إني احتجمت الليلة فأعقبني ذاك أرقا فأرسلت إليك لأستمتع بكلامك. قالت: أحسن الله أبدا استمتاعك، وأطال بالسلامة إمتاعك. قال: أخبريني عن قومك. قالت: عن أيهم تسألني؟ قال: عن بني تميم. قالت: يا أمير المؤمنين، إنهم أكثر الناس عددا، وأوسعهم بلدا، وأبعدهم أمدا. هم الذهب الأحمر، والعدد الأكثر، والجند الأفخر. قال: صدقت فنزليهم منازلهم. قالت: يا أمير المؤمنين، أما بنو عمرو بن تميم فأصحاب بأس ونجدة، وتحاشد وشدة، لا يتخاذلون عند اللقاء، ولا يطمع فيهم الأعداء. سلمهم فيهم، وسيفهم على عدوهم. قال: صدقت، ونعم القوم لأنفسهم. قالت: وأما بنو سعد بن زيد مناة ففي العدد الأكثرون، وفي النسب الأطيبون، يصبرون إذا غضبوا، ويدركون إن طلبوا، أصحاب سيوف وحجف*، ونزال ودلف*، على أن بأسهم فيهم، وسيفهم عليهم. وأما حنظلة فالبيت الرفيع البديع، والعز المنيع، المكرمون للجار، والطالبون بالثأر، والناقضون للأوتار. فقال معاوية: إن حنظلة شجرة تفرعت. قالت: صدقت، أما بنو طهية فقوم هوج، وقرن لجج. وأما البراجم فأصابع مجتمعة، وأكف ممتنعة. وأما بنو ربيعة فصخرة صماء، وحية رقشاء، يعتزون بعزهم، ويفخرون بقومهم. وأما بنو يربوع ففرسان الرماح، وأسود الصباح، يعتنقون الأقران ويقتلون الفرسان. وأما بنو مالك فجمع غير مفلول*، وعز غير مخذول، وليوث هرارة، وخيول كرارة. وأما بنو دارم فكرم لا يداني، وشرف لا يباري، وعز لا يوازي.قال لها معاوية: أنت أعلم الناس ببني تميم فكيف علمك بقيس؟ قالت: كعلمي بقومي (بنفسي). قال: فأخبريني عنهم. قالت: أما غطفان فأكثر الناس سادة، وأمنعهم قادة. وأما فزارة فبيتها المشهور وحسبها المذكور، وأما ذبيان فخطباء شعراء أعزة أقوياء. وأما عبس فجمرة لا تطفأ وعقبة لا تعلى، وحية لا ترقى، وأما هوازن فحلم ظاهر، وعز قاهر، وأما سليم ففرسان الملاحم، وأسود ضراغم*. وأما نمير فشوكة مسمومة، وهامة ملمومة*، وراية مرفوعة، وعزة ممنوعة. وأما هلال فاسم فخم، وعز ضخم. وأما بنو كلاب فعدد كثير، وحلم كبير، وقمر منير. قال: لله أبوك، فما قولك في قريش؟ قالت: هم ذروة الإسلام (ذروة السنام) وأصله، وبيانه وفصله، وسادة الأنام وفضله. قال: فما قولك في علي بن أبي طالب ؟ قالت: جاز في الشرف حد الوصف، وما له غاية تعرف، وبالله أسألك إعفائي مما أتخوف. قال: فعلت، وأجازها. وفي رواية: وأمر لها بضيعة فاخرة نفيسة غلتها عشرة آلاف درهم وردها إلى أهلها مكرمة.

----

* (ليفرخ روعك) معناه: ليذهب فزعك، ليخرج عنك روعك وليفارقك، كما يخرج الفرخ عن البيضة.و أفرخ روعك يا فلان، أي سكن جأشك. ويقولون: أفرخ الأمر: استبان بعد اشتباه(الحجفة) الترس الصغير يطارق بين جلدين وتجعل منهما حجفة. والجمع حجف (الدلف) الشجاع، التقدم (مفلول) أي مهزوم (هامة ملمومة) مجتمعة (الضرغام) الأسد الضاري الشديد والشجاع والجمع: ضراغم وضراغمة

■ (1) جروة بنت مرة بن غالب التميمية وكانت مجاورة بمكة وهي من بني اسيد بن عمرو بن تميم (لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ* وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، قَالَ اللَّهُ: يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات]﴾ قال بعض العلماء: التقوى اجتماع الطاعات، وأوله ترك الشرك، وآخره اتقاء كل ما نهى الله تعالى عنه. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ﴾ وأشار بأصابعه إلى صدره. قيل: استعمل عمر بن عبد العزيز رجلا على الصدقة يقال له زريق، أحمر كريه المنظر فرجع إلى عمر، ولم يأته بشيء، فقال: أين ما بعثناك فيه؟ قال: أخذته من حيث أمرتني وجعلته حيث أمرتني فقال عمر:﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود] وعن أبي هريرة ﴿قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ، قَالَ: أَتْقَاهُمْ، فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا﴾ وعن أبي ريحانة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ انْتَسَبَ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءٍ كُفَّارٍ يُرِيدُ بِهِمْ عِزًّا وَكَرَمًا فَهُوَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ﴾ قال محمود الألوسي: في الآية -أعلاه- إشارة إلى وجه رد التفاخر بالنسب حيث أفادت أن شرف النسب غير مكتسب ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم] وأنه لا فرق بين النسيب وغيره من جهة المادة لاتحاد ما خلقا منه، ولا من جهة الفاعل لأنه هو الله تعالى الواحد، فليس للنسب شرف يعول عليه ويكون مداراً للثواب عند الله تعالى ، ولا أحد أكرم من أحد عنده سبحانه إلا بالتقوى وبها تكمل النفس وتتفاضل الأشخاص. قيل بلغ عمر رضي الله عنه أن رجلا قال: يا آل بني تميم، فحرم عمر رضي الله عنه بني تميم العطاء سنة، ثم أعطاهم في رأس السنة عطاءين، وذلك تأديبا لهذا الرجل الذي أراد إثارة العصبيات والحميات الجاهلية. وروي أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد، فإنه بلغني أنه دعي في جندك بدعوى الجاهلية، وأنه قيل: يا آل ضبة، إن ضبة لم تجز خيرا قط، ولم تدفع سوءا قط، فإذا جاءك كتابي هذا، فأنزل بهم عقوبة في أشعارهم وأبشارهم، لعلهم يعرفون إن لم يفقهوا. وروي أن رجلا من قبيلة بلي حي من قضاعة بالشام نادى: يا آل قضاعة، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فكتب إلى عامل الشام، أن يسير ثلث قضاعة إلى مصر. وروي أن عمر رضي الله عنه قال: من اعتز بالقبائل فأعضوه*. وعاب عمر رضي الله عنه على من احتقر أهل النسب الوضيع من الموالي وغيرهم وتوعده بالعقوبة. فقد روي عن عمر رضي الله عنه ما يدل بمجموعه على ذلك. روي أن قوما قدموا على عامل لعمر رضي الله عنه، فأجاز العرب وترك الموالي، فكتب إليه عمر رضي الله عنه:﴿بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ﴾ وروي أن سعد بن أبي وقاص كان بينه وبين سلمان الفارسي شيء، فقال سعد وهم في مجلس: انتسب يا فلان، فانتسب ثم قال للآخر: انتسب، حتى بلغ سلمان، فقال: انتسب يا سلمان، فقال: ما أعرف لي أبا في الإسلام، ولكني سلمان ابن الإسلام، فنمى* ذلك إلى عمر رضي الله عنه، فقال لسعد ولقيه: انتسب يا سعد، فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين وكأنه قد عرف، فأبى أن يدعه حتى انتسب، ثم قال للآخر: انتسب حتى بلغ سلمان فقال: انتسب يا سلمان، فقال: أنعم الله علي بالإسلام، فأنا سلمان ابن الإسلام. قال عمر: قد علمت قريش أن الخطاب كان أعزهم في الجاهلية، وأنا عمر ابن الإسلام أخو سلمان في الإسلام، أما والله لولا شيء لعاقبتك عقوبة يسمع بها أهل الأمصار، أما علمت -أو أما سمعت- أن رجلا انتمى إلى تسعة آباء في الجاهلية، فكان عاشرهم في النار، وانتمى رجل إلى رجل في الإسلام، وترك ما فوق ذلك، فكان معه في الجنة. وروي أن رجلا استأذن على عمر رضي الله عنه فقال: استأذنوا لابن الأخيار، فقال عمر رضي الله عنه: ائذنوا له، فلما دخل قال له عمر رضي الله عنه: من أنت؟ قال: أنا فلان بن فلان بن فلان، فجعل يعد رجالا من أشراف الجاهلية، فقال له عمر رضي الله عنه: أنت يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم؟ قال: لا، قال: ذلك ابن الأخيار، وأنت ابن الأشرار، إنما تعد علي رجالا من أهل النار. وروي أن عمر رضي الله عنه خرج يمشي وإذا رجل يخطر بين يديه وهو يقول: أنا ابن بطحاء مكة كديا فكداها*، فوقف عليه عمر رضي الله عنه فقال: إن يك لك دين فلك كرم، وإن يكن لك عقل فلك مروءة، وإن يكن لك مال، فلك شرف وإلا فأنت والحمار واحد. وعن عمرو بن قيس قال: قيل لسلمان الفارسي: ما حسبك؟ قال: كرمي ديني، وحسبي التراب، ومن التراب خلقت، و إلى التراب أصير، ثم أبعث وأصير إلى الموازين، فإن ثقلت موازيني فما أكرم حسبي وما أكرمني على ربي يدخلني الجنة، وإن خفت موازيني فما ألأم حسبي وما أهونني على ربي ويعذبني إلا أن يعود بالمغفرة والرحمة على ذنوبي.

روى سليمان بن حبيب المحاربي، قال: دخلت مسجد حمص، فإذا مكحول وابن أبي زكرياء جالسان، فقال مكحول: لو قمنا إلى أبي أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأدينا من حقه، وسمعنا منه، قال: فقمنا جميعا، حتى أتيناه، فسلمنا عليه، فرد السلام، ثم قال: إن دخولكم علي رحمة لكم وحجة عليكم، ولم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيء أشد خوفا على هذه الأمة من الكذب والعصبية، ألا وإياكم والكذب والعصبية، ألا وإنه أمرنا أن نبلغكم ذلك عنه، ألا وقد فعلنا فأبلغوا عنا ما بلغناكم. وعن واثلة بن الأسقع، قال:﴿تَرَاءَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَليه وسَلَّم بِمَسْجِدِ الْخِيفِ، فَقَالَ لِي أَصْحَابُهُ: إِلَيْكَ يَا وَاثِلَةُ – أَيْ: تَنَحَّ عَنْ وَجْهِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَليه وسَلَّم- فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهُ، فَإِنَّمَا جَاءَ لِيَسْأَلَ، قَالَ: فَدَنَوْتُ، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، لِتَفْتِنَا عَنْ أَمْرٍ نَأْخُذُهُ عَنْكَ مِنْ بَعْدِكَ، قَالَ: لِتُفْتِكَ نَفْسُكَ قُلْتُ: وَكَيْفَ لِي بِذَاكَ ؟ قَالَ: دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يُرِيبُكَ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ، قُلْتُ: وَكَيْفَ لِي بِعِلْمِ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَضَعُ يَدَكَ عَلَى فُؤَادِكَ، فَإِنَّ الْقَلْبَ يَسْكُنُ لِلْحَلاَلِ، وَلاَ يَسْكُنُ لِلْحَرَامِ، وَإِنَّ وَرَعَ الْمُسْلِمِ يَدَعُ الصَّغِيرَ مَخَافَةَ أَنْ يَقَعَ فِي الْكَبِيرِ، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا الْعَصَبِيَّةُ ؟ قَالَ: الَّذِي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ قُلْتُ: فَمَنِ الْحَرِيصُ؟ قَالَ: الَّذِي يَطْلُبُ الْمَكْسَبَةَ فِي غَيْرِ حِلِّهَا قُلْتُ: فَمَنِ الْوَرِعُ؟ قَالَ: الَّذِي يَقِفُ عِنْدَ الشُّبْهَةِ قُلْتُ: فَمَنِ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَدِمَائِهِمْ قُلْتُ: فَمَنِ الْمُسْلِمُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ. قُلْتُ: فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ﴾ وعمرو بن دينار أنه سمع جابرا يقول: ﴿غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ فَكَسَعَ* أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ. فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ. ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ. فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. فَقَالَ عُمَرُ: أَلاَ نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ لِعَبْدِ اللَّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ﴾ (كسع) ضرب دبره بيده.

----

*(عبية الجاهلية) العُبِّيَّة والعِبِّيَّةُ: الكِبْرُ والفَخْرُ (أعضوه) أي أعيبوا عليه(كدي وكداء) موضعان، وقيل جبلان بمكة.(فنمي) يقال: نميت الحديث أنميه؛ إذا بلغته على وجه الإصلاح وطلب الخير، فإذا بلغته على وجه الإفساد والنميمة، قلت: نميته – بالتشديد –

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ التذكرة الحمدونية/ بلاغات النساء/ أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان/ مجمع الأمثال/ مقاييس اللغة/ الصحاح/ إتحاف الخيرة المهرة/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ تفسير الألوسي/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ البخاري/ كنز العمال/ المعجم الوسيط/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وأروى بنت الحارث 0239

دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب[1] على معاوية بالموسم وهي عجوز كبيرة فلما رأها قال: مرحبا بك يا خالة، كيف كنت بعدي؟ قالت: بخير، كيف حالك؟ وكيف أنت؟ يا ابن أخي لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك لا نبلا منك ولا من أبيك في دنيا ولا سابقة كانت لكم في الإسلام لكن كفرتم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فاتعس الله منكم الجدود واضرع منكم الخدود ورد الحق إلى أهله وكانت كلمتنا العليا ونبينا المنصور ولو كره المشركون على من ناوأه* فوثبتم علينا من بعده واحتججتم على سائر العرب بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن اقرب إليه من حبل الوريد واحق بهذا الأمر منكم فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم؛ وكان سيدنا –علي بن أبي طالب رحمه الله– منكم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى وغايتنا الجنة وغايتكم النار(؟). فقال لها عمرو بن العاص:[2] كفى أيتها العجوز وغضي طرفك واقصري من شر لفظك، فإنه أمير المؤمنين قالت له: ايه عنك يا بن اللخناء* النابغة* فوالله لعهدي بأمك بأبيات مكة وهي باكية من الخطيئة من كل عبد لنا عاهر ولقد احتكم فيك خمسة من قريش كلهم يدعيك ابنه وغلب عليك جزار قريش فقال لها سعيد بن العاص:[3] أيتها العجوز الضالة اقصري من قولك مع ذهاب عقلك إنه لا تجوز شهادتك وحدك. قالت: وأنت يا ابن الباغية تتكلم وأمك اشهر بغيا فان أباك قد راودها فادعاك، فقال لها مروان بن الحكم:[4] كفى أيتها المرأة واقصدي لما جئت له. قالت له: وأنت يا ابن الزرقاء* تتكلم ووالله لأنت أشبه ببشر مولى الحارث بن كلدة[5] منك بالحكم بن أبي العاص[6] ولقد رأيت الحكم سبط الشعر مديد القامة فان بينكما من القرابة إلا كقرابة الفرس الضامر من الأتان* المقرب فسل عما أخبرتك به أمك فإنها تعلمك ذلك ثم التفتت إلى معاوية وقالت: ما عرضني وما جرأ علي هؤلاء أحد غيرك يا بن القائلة في قتل حمزة: نحن جزيناكم بيوم بدر..والحرب بعد الحرب ذات سعر..ما كان لي عن عتبة من صبر..ولا أخي وعمتي وبكري..سكن وحشي غليل صدري..سليت همي وشفيت صدري..فشكر وحشي علي دهري..حتى توارى اعظمي في قبري..فأجابتها ابنة عمي وهي تقول: جزيت في بدر وغير بدر..يا ابنة وقاع عظيم الكفر..صبحك الله غداة النحر..بالهاشميين الطوال الزهر..بكل قطاع حسام يفري..حمزة ليثي وعلي صقري..اعطيت وحشيا ضمير الصدر..هتك وحشي حجاب الستر..ما للبغايا بعدها من فخر. فالتفت معاوية إلى عمرو ومروان فقال: ما جلب علي هذا أحد غيركما ولا اسمعني هذا الكلام إلا أنتما لا حييتما ثم قال: يا خالة اقصدي أنا الفداء لك لحاجتك ودعي الأساطير عنك، قالت: تعطيني ألفي دينار وألفي دينار وألفي دينار قال لها: ما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: اشتري بها عينا خرارة* في ارض خوارة* تكون لفقراء بني الحارث بن عبد المطلب، قال: هي لك، قال: وما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: أزوج بها فقراء بني الحارث بن عبد المطلب، قال: هي لك، قال: وما تصنعين بألفي دينار أخري. قالت: استعين بها على شدة الزمان وزيارة بيت الله الحرام، قال: قد أمرت لك بها يا خالة ثم قال: أما والله لو كان علي حيا ما أمر لك بهذا، قالت: أتذكر عليا فض الله فاك، واجهد بلاءك ثم علا نحيبها وبكاؤها وأنشأت تقول: ألا يا عين ويحك اسعدينا..ألا ابكي أمير المؤمنينا..رزينا خير من ركب المطايا..وحبسها ومن ركب السفينا..ومن لبس النعال ومن حذاها..ومن قرا المثاني المئينا..ألا ابلغ معاوية بن حرب..فلا قرت عيون الشامتينا..أفي شهر الصيام فجعتموه..بخير الناس طرا اجمعينا..ومن بعد النبي فدته نفسي..أبو حسن وخير الصالحينا..كان الناس اذ فقدوا عليا.نعام جال في بلد سنينا..لقد علمت قريش حيث كانت..بانك خيرها حسبا ودينا..إذا استقبلت وجه أبي حسين..رأيت البدر راق الناظرينا..فلا والله لا أنسى عليا..وحسن صلاته في الراكعينا.فبكى معاوية وقال: كان والله يا خالة كما قلت وافضل وأمر لها بالذي سالت ثم قامت فانصرفت.

----

*(ناوأه) عاداه، ناهضه (الزرقاء) إحدى أمهات مروان بن الحكم، وكان يسب بها (الأتان)الحمارة ولا تقل أتانة وثلاث آتن.(أتم به) اقتدى (الخرير) صوت الماء (الخوارة) الناقة الغزيرة اللبن السهلة الدر ومن النخل الكثيرة الحمل ومن الأرضين اللينة السهلة جمعها خور (اللخن) نتن الريح عامة، ويقال: اللخناء: التي لم تختن..

وقوله: يا ابن اللخناء: قيل معناه يا دنيء الأصل أو يا لئيم الأم. (النابغة) أمه: النابغة بنت خزيمة بن الحارث.

■ (1) أروى بنت الحارث بن عبد المطلب. صحابية اشتهرت بالفصاحة، تزوجها أبو وداعة بن صبرة بن سعيد فولدت له المطلب وأبا سفيان وأم جميل وأم حكيم والربعة بنت أبي وداعة.وعاشت إلى زمن معاوية بن أبي سفيان، وكان مقامها بالمدينة، فوفدت عليه إلى دمشق وهي عجوز، فعاتبته على خصومته لعلي بن أبي طالب (ابن عمها) وفاخرته ببني هاشم وفضلتهم على بني أمية، فقال معاوية لأصحابه: إن نساء بني هاشم لأفصح من رجال غيرهم! وبعث لها قبل رحيلها فأكرمها، وعادت إلى المدينة فتوفيت بها في أيامه سنة 50 هـ.

■ (3) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين.ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

■ (4) مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة مرتين ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية. ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ. وقيل: مات مطعونا.

■ (2) عمرو بن العاص بن وائل، أبو عبد الله، وأبو محمد. يقال له: ابن النابغة، أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر. توفي سنة 43 هـ و العاص بن وائل السهمي والد عمرو، كان من كبراء الجاهلية، ومشيخة قريش. مات كافرا في السنة الأولى من الهجرة.

■ (6) الحكم بن أبي العاص الأموي عم عثمان، ووالد مروان، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد طرده إلى الطائف، وبقي طريدا إلى زمن عثمان، فرده إلى المدينة، واعتذر بأنه قد كان شفع فيه إلى النبي فوعده برده، وهو مؤتمن على ما قال، وهو أحد الأسباب التي نقموا بها على عثمان.

■ (5) سفيان بن الحارث بن كلدة ؟ بشر مولى الحارث بن كلدة ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

أروى بنت الحارث التي قادت كتيبة من النساء وقد عقدت لواء من خمارها كخدعة حربية، ففعلت من معها من النساء مثلها واندفعت بالكتيبة إلى حيث كان المسلمون يواجهون عدوهم في ميسان* ،فلما رأى الأعداء الرايات مقبلات عن بعد ظنوا أن مددا للمسلمين في الطريق إلى أرض المعركة ،ففروا مولين الأدبار،وتبعهم المسلمون يطاردونهم حتى قتلوا منهم أعدادا كبيرة. ؟

☪

عن جعفر العبدي، قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَيْلٌ لِلْمُتَأَلِّينَ مِنْ أُمَّتِي يَقُولُونَ: فُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفُلَانٌ فِي النَّارِ﴾ وعن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث:﴿أَنَّ رَجُلاً قَالَ: وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلاَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ﴾ أو كما قال. وعن يحيى بن سعيد عن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن أن أمه عمرة بنت عبد الرحمن قالت سمعت أم المؤمنين عائشة تقول﴿سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ﴾ (يستوضع) يطلب منه أن يضع ويحط عنه شيئا من دينه (يسترفقه) يطلب منه أن يرفق به في الاستيفاء والمطالبة (المتألي) الحالف المبالغ في اليمين (المعروف) الخير والإحسان (وله أي ذلك أحب) لخصمي ما رغب وأحب من الحط أو الرفق. وعن كعب بن عجرة قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم يوما، فرأيته متغيرا، قلت: بأبي وأمي، مالي أراك متغيرا ؟ قال: ما دخل جوفي شئ منذ ثلاث، فذهبت، فإذا يهودي يسقي إبلا له فسقيت له على كل دلو بتمرة، فجمعت تمرا، فأتيته به. فقال: أتحبني يا كعب ؟ قلت: –بأبي أنت– نعم، قال: إن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى معادنه، وإنك سيصيبك بلاء فأعد له تجفافا. قال: ففقده النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: مريض، فأتاه، فقال له: أبشر يا كعب. فقالت أمه: هنيئا لك الجنة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من هذه المتألية على الله ؟ قال: هي أمي. قال: ما يدريك يا أم كعب، لعل كعبا قال مالا ينفعه، أو منع مالا يغنيه. وعن عبد الله بن مسعود قال: لا تعجلوا بحمد الناس، ولا بذمهم، فإنك لعلك ترى من أخيك اليوم شيئا يسرك، ولعلك يسوءك منه غدا؛ ولعلك ترى منه اليوم شيئا يسوءك ولعلك يسرك منه غدا. وعن المقداد بن الأسود أنه قال:﴿لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ(؟) خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُخْتَمُ لَهُ يَعْنِي بَعَدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنْ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا﴾ وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾ وعن الحسن قال: قلت: يا أبا سعيد! إن ناسا يشهدون على معاوية وذويه أنهم في النار! فقال: لعنهم الله، وما يدريهم أنهم في النار؟ وعن الزهري قال: سألت سعيد بن المسيب عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: اسمع يا زهري من مات محبا لأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وشهد للعشرة بالجنة، وترحم على معاوية، كان حقيقا على الله عز وجل أن لا يناقشه الحساب. وعن ابن يزيد قال: ذكر معاوية عند حسن بن حي، فنالوا منه، فقال حسن: لو لم تكفوا عن معاوية، ألا إنه كان من عمال عمر بن الخطاب، وقد كانت له برسول الله صلى الله عليه وسلم مصاهرة. قال عبد الله بن المبارك: معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إلى معاوية شزرا اتهمناه على القوم، أعني على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. قال الربيع بن نافع: معاوية ستر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه. وعن أحمد بن حنبل أنه قال: إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بسوء فاتهمه على الإسلام. وسئل أبو عبد الله عن رجل انتقص معاوية وعمرو بن العاص، أيقال له رافضي؟ قال: إنه لم يجتر عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما يبغض أحد أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وله داخلة سوء. قال نبيح الغنزي: كنت عند أبي سعيد الخدري وهو متكئ، فذكرنا عليا ومعاوية، فتناول رجل معاوية، فاستوى جالسا ثم قال: كنا ننزل رفاقا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت في رفقة أبي بكر، فنزلنا على أهل أبيات –أو قال: بيت– قال: وفيهم امرأة حبلى، ومعنا رجل من أهل البادية، فقال لها البدوي: أيسرك أن تلدي غلاما إن جعلت لي شاة؟ فولدت غلاما فأعطته شاة، فسجع لها أساجيع، فذبحت الشاة وطبخت، فأكلنا منها ومعنا أبو بكر، فذكر أمر الشاة، فرأيت أبا بكر متبرزا مستنتلا* يتقيأ، ثم أتي عمر بذلك الرجل البدوي يهجو الأنصار فقال عمر: لولا أن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدري ما نال فيها لكفيتكموه، ولكن له صحبة. قال محمد بن الحسن: بينما أنا فوق جبل الأسود بالشام ناحية البحر إذ هتف هاتف وهو يقول: من أبغض الصديق فذاك زنديق، من أبغض عمر إلى جهنم زمر، من أبغض عثمان فذاك خصمه الرحمان، من أبغض عليا فذاك خصمه النبي، من أبغض معاوية تسحبه الزبانية، إلى نار الله الحامية، في السر والعلانية، ويرمى به في الهاوية، هكذا جزاء الرافضة، احذروا سلم العشرة، ممن سبقوا إلى الله وإلى الرسول، فهم خيرة الله من خلقه.

----

*(ميسان) كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان من أعظم المدن التي قامت في صدر الإسلام، اختطها المسلمون عند فتح العراق (نتل) يدل على تقدم وسبق.واستنتل إذا تهيأ له.روي عن أبي بكر الصديق:أنه سقي لبنا ارتاب به أنه لم يحل له شربه فاستنتل يتقيأ أي تقدم(؟) في لفظ:لأحد أنه من أهل الجنة

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ التذكرة الحمدونية/ بلاغات النساء/ أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ الأعلام للزركلي/ـمختار الصحاح/ المعجم الوسيط/ معجم البلدان/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وأم البراء بنت صفوان 0240

استأذنت أم البراء بنت صفوان بن هلال[1] على معاوية فأذن لها فدخلت وعليها ثلاثة دروع تسحبها قد كارت على رأسها كورا كهيئة المنسف فسلمت وجلست فقال لها معاوية: كيف حالك؟ قالت: ضعفت بعد قوة وكسلت بعد نشاط، قال: شتان بينك اليوم وحين تقولين: يا عمرو دونك صارما ذا رونق..عضب المهزة ليس بالخوار..اسرج جوادك مسرعا ومشمرا..للحرب غير مولي فرار..اجب الإمام وذب تحت لوائه..وافر العدو بصارم بتار..يا ليتني أصبحت ليس بعورة..فأذب عنه عساكر الفجار. قالت: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ومثلك من عفا والله يقول:﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة] قال: هيهات أما والله لو عاد لعدت ولكن اخترم* دونك فكيف قولك حين قتل؟ قالت: انسيته، فقال بعض جلسائه: هي والله حين قتل تقول يا أمير المؤمنين: يا للرجال لعظم هول مصيبة..فدحت فليس مصابها بالهازل..الشمس كاسفة لفقد إمامنا..خير الخلائف والإمام العادل..يا خير من ركب المطي ومن مشى فوق التراب لمحتف أو ناعل..حاشا النبي لقد هددت قواءنا..فالحق أصبح خاضعا للباطل. فقال معاوية: قاتلك الله يا بنت صفوان ما كان حسان بن ثابت[2] يحسن مثل هذا وما تركت لقائل مقالا، اذكري حاجتك، قالت: بعد هذا والله لا أسالك شيئا ثم نهضت فعثرت، فقالت: تعس شانئ علي، فقال معاوية: يا بنت صفوان زعمت أن لا تسالي شيئا؟! قالت: هو والله ما علمت، فلما كان من الغد بعث إليها بكسوة فاخرة حسنة وقال: إذا أنا ضيعت الحلم فمن يحفظه.

في رواية: استأذنت أم البراء بنت صفوان على معاوية فأذن لها فدخلت عليه وعليها ثلاثة دروع برود تسحبها ذراعا قد لاثت على رأسها كورا كالمنسف فسلمت وجلست فقال لها معاوية كيف أنت يا بنة صفوان قالت بخير يا أمير المؤمنين قال كيف حالك قالت ضعفت بعد جلد وكسلت بعد نشاط قال شتان بينك اليوم وحين تقولين: يا زيد دونك صارما ذا رونق..عضب المهزة ليس بالخوار.. أسرج جوادك مسرعا ومشمرا..للحرب غير معرد لفرار.. أجب الإمام وذب تحت لوائه..والق العدو بصارم بتار.. يا ليتني أصبحت لست قعيدة..فأذب عنه عساكر الفجار. قالت: قد كان ذلك ومثلك من عفا والله تعالى يقول:﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة] قال: هيهات، أما والله، لو عاد لعدت، ولكنه اخترم منك، قالت: أجل، والله، إني لعلى بينة من ربي وهدى من أمري، قال: كيف كان قولك حين قتل؟ قالت: أنسيته، قال بعض جلسائه، هو والله حين تقول: يا للرجال لعظم هول مصيبة..فدحت فليس مصابها بالحائل.. الشمس كاسفة لفقد إمامنا..خير الخلائق والإمام العادل..يا خير من ركب المطى ومن مشى..فوق التراب لمحتف أو ناعل..حاشا النبي لقد هددت قواءنا..فالحق أصبح خاضعا للباطل. فقال معاوية: قاتلك الله، فما تركت مقالا لقائل، اذكري حاجتك؟ قالت: أما الآن فلا، وقامت فعثرت، فقالت: تعس شانئ علي، فقال: زعمت أن لا؟ قالت: هو كما علمت، فلما كان من الغد بعث إليها بجائزة، وقال: إذا ضيعت الحلم فمن يحفظه.

----

*(تخترم) اخترم فلان عنا مات وذهب (جعدة بن هبيرة) في الكتاب أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان قال: عن جعدة بنت هبيرة.

■ (1) أم البراء بنت صفوان بن هلال من النسوة الفصيحات.شاعرة إسلامية. من نصيرات علي بن أبي طالب، لها شعر في مؤازرته في جهاده والسير تحت لوائه، والحث على ذلك. كما أن لها أبياتاً في رثائه.(لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (2) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو . سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس. أبو الوليد؛ ويقال: أبو الحسام. الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، ابن الفريعة (أو الفزيعة). شاعر رسول الله وصاحبه. وحديثه قليل. قال ابن سعد: عاش ستين في الجاهلية، وستين في الإسلام. قال ابن سعد: عن الواقدي: لم يشهد مع النبي مشهدا. كان يجبن وقيل: لعلة أصابته وأمة الفريعة (أو الفزيعة) بنت خنيس. قال مسلم: كنيته أبو عبد الرحمن. وقيل: أبو الوليد. واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته. توفي في المدينة بين سنة35 و40 هـ زمن علي. أو ما بين سنة 50 هـ و 54 هـ زمن معاوية.

قال جعدة بن هبيرة[1] في مرضه الذي هلك فيه لعواده وجلسائه: إني قد علمت ما لم تعلموا، وأدركت ما لم تدركوا، وإنه سيجيء بعد هذا -يعني معاوية- أمراء ليسوا من رجاله، ولا من ضربائه، ليس فيهم إلا أصعر أو أبتر، حتى تقوم الساعة. هذا السلطان سلطان الله جعله، وليس أنتم تجعلونه، ألا وإن للراعي على الرعية حقا، وللرعية على الراعي حق، فأدوا إليهم حقهم، وإن ظلموكم فكلوهم إلى الله تبارك وتعالى، فإنكم وإياهم تختصمون يوم القيامة، ألا وإن الخصم لصاحبه الذي أدى إليه الحق الذي عليه في الدنيا ثم قرأ: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (6) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (7) وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف] قال كعب الأحبار: لن يملك أحد من هذه الأمة ما ملك معاوية. قال معاوية: أنا أول الملوك. وقال: أنا أول ملك وآخر خليفة. قال الذهبي: توفي كعب قبل أن يستخلف معاوية قال: وصدق كعب فيما نقله فإن معاوية بقي خليفة عشرين سنة لا ينازعه أحد الأمر في الأرض بخلاف غيره ممن بعده فإنه كان لهم مخالف، وخرج عن أمرهم بعض الممالك، خرج معاوية على علي رضي الله عنه كما تقدم وتسمى بالخلافة، ثم خرج على الحسن رضي الله عنه، فنزل له الحسن عن الخلافة، فاستقر فيها من ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة إحدى و أربعين فسمي هذا العام عام الجماعة لاجتماع الأمة فيه على خليفة واحد.

■ (1) جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي ابن أخت علي بن أبي طالب وهو ابن أم هانئ بنت أبي طالب، ولد على عهد النبي وأرسل عنه وولى خراسان لعلي قال بن منده مختلف في صحبته وقال البخاري له صحبة. مات في زمن معاوية.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان/ تاريخ الخلفاء/ تاريخ دمشق/ جمهرة خطب العرب/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) والمرأة من بني ذكوان 0241

عن خالد بن سعيد عن رجل من بني أمية قال: حضرت معاوية بن أبي سفيان في منزله وقد أذن للناس إذنا عاما فدخلوا عليه لمظالمهم وحوائجهم فدخلت عليه امرأة كأنها قلعة بين جاريتين لها فحدرت اللثام عن لون كأنه أشرب ماء الدر في حمرة التفاح ثم قالت: الحمد لله يا معاوية الذي خلق اللسان فجعل فيه البيان فدل به على النعم وأجرى به القلم وحتم وذرأ وبرأ وحكم وقضى صرف الكلام باللغات المختلفة على المعاني المتفرقة آلفها بالتقديم والتأخير والأشباه والمناكير (التناكر) والموافقة والتزايد، وأدته الآذان إلى القلوب بالأفهام، وأدته الألسن بالبيان فاستدل به على العلم وعبد به الرب، وأبرم الأمر وعرفت به الأقدار، وتمت به النعمة، فكان من قضاء الله ومشيئته أن قربت زيادا[(1)] وجعلت له من أبي سفيان نسبا ثم وليته أحكام العباد بسفك الدماء بغير حلها ولا حقها، وبهتك الحريم بلا مراقبة لله فيها، خؤون* ظلوم غشوم يتخير من المعاصي أعظمها، لا يرى لله وقارا، ولا يظن أن له معادا وغدا يعرض عمله عليك في صحيفتك وتوقف (تقف) على ما اجترم بين يدي ربك ولك برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وبينك وبينه صهر وقرابة، فلا الماضين من أئمة الهدى اتبعت ولا طريقهم سلكت، حملت عبد ثقيف -تعني زياد بن أبيه- على رقاب أمة محمد صلى الله عليه وسلم، يدبر أمورهم ويسفك دماءهم فماذا تقول لربك وقد مضى من أجلك أكثره وذهب خيره وبقي وزره ؟ إني امرأة من بني ذكوان، وثب زياد الدعي إلى أبي سفيان على ضيعتي وتركتي على أبي وأمي فغصبنيها وحال بيني وبينها، وقتل من نازعه فيها من رجالي فأتيتك مستصرخة، فإن أنصفت وعدلت وإلا وكلتك وزيادا إلى الله، فلن يطل ظلامتي عندك وعنده والمنتصف بيننا وبينكم حكم عدل، فبهت معاوية ينظر إليها متعجبا من كلامها ثم قال: ما لزياد لعن الله زيادا فإنه لا يزال يبعث على مثالبه من ينشرها وعلى مساوئه من يثيرها ؟ ثم أمر كاتبه بالكتاب إلى زياد يأمره بالخروج من حقها وإلا صرفه مذموما مدحورا ثم أمر لها معاوية بعشرة آلاف درهم، وعجب هو وجميع من كان حوله من مقالتها وبلوغها حاجتها.

----

*(الخون) أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح، فهو خائن وخائنة وخؤون وخوان ج: خانة وخونة وخوان.

■ (1) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

قال ابن نافع الصائغ: كتب مالك إلى بعض الخلفاء كتابا فيه: اعلم أن الله تعالى قد خصك من موعظتي إياك بما نصحتك به قديما وأتيت لك فيه ما أرجو أن يكون الله تعالى جعله لك سعادة وأمرا جعل به سبيلك إلى الجنة، فلتكن، رحمنا الله وإياك، فيما كتبت إليك مع القيام بأمر الله وما استدعاك الله في رعيته، فإنك المسؤول عنهم صغيرهم وكبيرهم. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾ وروي في بعض الحديث أنه يؤتى بالوالي ويده مغلولة إلى عنقه فلا يفك عنه إلا العدل. وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول:﴿وَاللهِّ إِنْ هَلَكَتْ سَخْلَةٌ بِشَطِّ الْفُرَاتِ ضَيَاعًا لَكُنْت أَرَى اللهَّ تَعَالَى سَائِلًا عَنْهَا عُمَر﴾ وحج عشر سنين وبلغني أنه كان ما ينفق في حجه إلا اثني عشر دينارا. وكان ينزل في ظل الشجرة ويحمل على عنقه الدرة ويدور في الأسواق يسأل عن أحوال من حضره وغاب عنه. وبلغني أنه وقت أصيب حضر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليه، فقال: المغرور من غررتموه، لو أن ما على الأرض ذهبا لافتديت به من أهوال المطلع، فعمر رحمه الله تعالى كان مسددا موفقا مع ما قد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، ثم مع هذا خائف لما تقلد من أمور المسلمين فكيف من قد علمت. فعليك بما يقي بك من الله إلى الله وينجيك منه غدا، واحذر يوما لا ينجيك فيه إلا عملك. ويكون لك أسوة بما قد مضى من سلفك، وعليك بتقوى الله، فقدمها حيث هممت، وتطلع فيما كتبت به إليه في أوقاتك كلها وخذ به نفسك فتعاهدها في الأخذ به والتأديب عليه، واسأل الله التوفيق والرشاد إن شاء الله تعالى.

عن عبيد الله بن العيزار عن رجل من أهل الشام: ﴿أَنَّ عُمَرَ أَرَادَ أَنْ يَسْتَعْمِلَ بِشْرَ بْنَ عَاصِمٍ، فَقَالَ: لاَ أَعْمَلُ لَكَ، قَالَ: لِمَ ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يُؤْتَى بِالْوَالِي فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ فَيَهْتَزُّ بِهِ حَتَّى يَزُولَ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ، فَإِنْ كَانَ عَدْلاً مَضَى وَإِنْ كَانَ جَائِرًا أَهْوَى فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَيَدْخُلُ عُمَرُ الْمَسْجِدَ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرٍّ: مَا شَأْنُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ حَدِيثٌ حَدَّثَنِيهِ بِشْرُ بْنُ عَاصِمٍ، قَالَ وَمَا هُوَ فَحَدَّثَهُ بِهِ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: نَعَمْ، لَقَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ عُمَرُ: فَمَنْ يَرْغَبُ فِي الْعَمَلِ بَعْدَ هَذَا فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: مَنْ أَسْلَتَ اللهُّ أَنْفَهُ*وَأَصْدَعَ خَدَّهُ﴾.

عن عبد الرحمن بن عمرة الأنصاري: أن عمر بن الخطاب استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيماً فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله. قال: لا. قال: وكيف ذلك؟ قال: إنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَا مِنْ وَالٍ يَلِي مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا إِلَّا أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ عَلَى جِسْرٍ مِنْ نَارٍ فَيَنْتَفِضُ بِهِ الْجِسْرُ انْتِفَاضًا يُزِيلُ كُلَّ عُضْوٍ مِنْهُ عَنْ مَوْضِعِهِ، ثُمَّ يُعَادُ فَيُحَاسَبُ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَجَا بِإِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْخَرَقَ بِهِ ذَلِكَ الْجِسْرُ فَهَوَى بِهِ فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا﴾ فقال له عمر ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي ذر[(1)] وسلمان[(2)].فأرسل إليهما عمر فسألهما. فقالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمر: واعمراه من يتولاها بما فيها ؟ فقال أبو ذر: من سلت الله أنفه* وألصق خده بالأرض. قال: فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني.

عن العتبي قال: وفد زياد على معاوية، فأتاه بهدايا، وأموال عظام، وسفط مملوء جوهرا لم ير مثله، فسر معاوية بذلك سرورا شديدا، فلما رأى زياد ذلك صعد المنبر، فقال: أنا والله أمير المؤمنين أقمت لك صعر العراق، وجبيت لك مالها، وألفظت لك بحرها. فقام يزيد بن معاوية، فقال: إن تفعل ذلك يا زياد فنحن نقلناك من ولاء ثقيف إلى قريش، ومن القلم إلى المنابر، ومن زياد بن عبيد إلى حرب بن أمية. فقال له معاوية: اجلس، فداك أبي وأمي!.

وقدم زياد على معاوية، فلما طال بهم المجلس حدثه زياد بحديث، فقال له معاوية: كذبت. فقال: مهلا يا أمير المؤمنين فوالله ما حللت للكلام حبوة إلا على بيعة الصدق ولم أكذب، وحياة الكذب عندي موت المروءة، فاستحياه معاوية وقال: يغفر الله لك يا أخي، فكأني أرى بك حرب بن أمية في جميل شيمه وكرم أخلاقه.

----

* (سلت أنفه) جدعه وقطعه

■ (1) أبو ذر الغفاري، وهو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار ، وهو رابع أو خامس الإسلام هاجر إلى النبي وهو أول من حيا النبي صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام . مات سنة 32 هـ في خلافة عثمان وقال غيره وقبره في الربذة.

■ (2) سلمان الفارسي، يقال: سلمان بن الإسلام ، وسلمان الخير، أبو عبد الله ولا يعرف اسم أبيه بفارس أصله من رامهر مز. وقيل من أصبهان. كان أبوه ذا رئاسة، وخرج هو يطلب الهدي فلازم بعض علماء النصارى ثم خرج إلى يثرب بإشارة بعضهم. فأسر واسترق وقدم النبي المدينة فأسلم وجاهد معه. وكان ذا رأي. وهو الذي أشار بحفر الخندق. ثم شاهد المشاهد وبعض الفتوح. ولي إمرة المدائن حتى توفي سنة 33 هـ في خلافة عثمان بن عفان بالمدائن. وقيل: توفي سنة36 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ صبح الأعشى/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان/ التذكرة الحمدونية/ بلاغات النساء/ القاموس المحيط/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

وفدت سودة بنت عمارة [1] الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه فأذن لها فلما دخلت عليه سلمت فقال لها: هيه يا بنة الأشتر(؟) ألست القائلة لأخيك يوم صفين: شمر كفعل أبيك يا بن عماره.. يوم الطعان وملتقى الأقران.. وانصر عليا والحسين ورهطه..واقصد لهند وابنها بهوان..إن الإمام أخا النبي محمد..علم الهدى ومنارة الإيمان.. فقد الجيوش وسر أمام لوائه..قدما بأبيض صارم وسنان؟ قالت: أي والله ما مثلي من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب، قال: فما حملك على ذلك؟ قالت: حب علي واتباع الحق، قال فوالله ما أري عليك من أثر علي شيئا.قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين وإعادة ما مضى وتذكار ما نسي، قال: هيهات ما مثل مقام أخيك ينسى ولا لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك، قالت صدقت والله يا أمير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام ذليل المكان ولكن كما قالت الخنساء: وإن صخرا ليأتم الهداة به..كأنه علم في رأسه نار. قال: صدقت لقد كان كذلك، فقالت: مات الرأس وبتر الذنب وبالله أسأل أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيت منه، قال: قد فعلت فما حاجتك؟ قالت: يا أمير المؤمنين، إنك أصبحت للناس سيدا ولأمورهم متقلدا والله سائلك عن أمرنا وعما افترض عليك من حقنا ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصاد السنبل، ويدوسنا دياس البقر ويسومنا الخسف* ويسألنا الجليلة هذا ابن أرطأة[2] –بسر بن أرطأة– قدم بلادي فقتل رجالنا وأخذ أموالنا يقول لي فوهى بما استعصم بالله منه والجأ إليه فيه، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة، فإما عزلته فشكرناك وإما لا فعرفناك، فقال معاوية إياي تهددين بقومك، لقد هممت أن أحملك على قتب* أشرس –وهو المائل المعرج– فأردك إليه فينفذ فيك حكمه، فأطرقت تبكي ثم رفعت رأسها وأنشأت تقول: صلى الإله على روح تضمنها..قبر فأصبح فيه العدل مدفونا..قد حالف الحق لا يبغي به بدلا..فصار بالحق والإيمان مقرونا. قال: ومن ذلك؟ قالت: علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى، قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟ قالت: أتيته يوما في رجل ولاه صدقاتنا لم يكن بيننا وبينه إلا كما بين الغث والسمين، فوجدته قائما يصلي، فلما نظر إلي انفتل* من مصلاه ثم قال: لي برأفة وتعطف ألك حاجة؟ فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم، أنت الشاهد علي وعليهم إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجراب ثم كتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [يونس] ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف] ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة] ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [هود] إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام، فأخذته منه والله ما خزمه* بخزام ولا ختمه بختام فعزلته به، فقال: رحم الله أبا الحسن اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها، فقالت: ألي خاصة أم لقومي عامة؟ قال: وما أنت وغيرك! قالت: هي والله إذا الفحشاء واللؤم فإن كان عدلا شاملا وإلا فأنا كسائر قومي، فقال: هيهات يا أهل العراق لمظكم* ابن أبي طالب الجرأة على السلطان فبطيئا ما تفطمون، وغركم قوله: فلو كنت بوابا على باب جنة..لقلت لهمدان ادخلوا بسلام، وقوله: ناديت همدان والأبواب مغلقة..ومثل همدان سني فتحه الباب..كالهندواني لم تفلل مضاربه..وجه جميل وقلب غير وجاب. اكتبوا لها ولقومها.

----

*(لمظ) إنه تحريك اللسان في الفم بعد الأكل كأنه يتتبع بقية من الطعام بين أسنانه، والتمطق بالشفتين أي تضم إحداهما بالأخرى مع صوت يكون منها. أبو زيد: ما عندنا لماظ أي طعام يتلمظ. ومنه ما يستعمله الكتبة في كتبهم وفي الديوان: قد لمظناهم أي أعطيناهم شيئا يتلمظونه قبل حلول الوقت ويسمى ذلك اللماظة. (فتل) يقال انفتل فلان عن صلاته أي انصرف (الخسف/ الخسيسة) الإذلال وتحميل الإنسان ما يكره يقال سام فلانا الخسف وسامه خسفا أولاه ذلا. وفي رواية: يسومنا الخسيسة: الدناءة والدنية. (دياس البقر) في رواية: درس العصفر، أو دوس الحرمل.(يسألنا الجليلة) في رواية: ويسلبنا الحيل.(السوم) أن تجشم إنسانا مشقة أو سوءا أو ظلما. وسام: إذا عذب: يسومونكم سوء العذاب أي يبغونكم أو يولونكم سوء العذاب: أي شديد العذاب. (قتب) القتب والقتب إكاف البعير وقد يؤنث والتذكير أعم ولذلك أنثوا التصغير فقالوا قتيبة. وفي الخلاصة أنه عام في الحمير والبغال والإبل..(الخزم) نوع من الختم أخذا من خزم البعير وهو أن يثقب أنفه ويجعل فيه خيطا أو نحوه

■ (1) سودة بنت عمارة الهمدانية، شاعرة من همدان شهدت معركة صفين مع علي بن أبي طالب. ويقع شعرها في ثلاثة مقطعات تدور جميعها في الحث على نصرة علي والدفاع عن حقه وحق ابنيه الحسن والحسين في خلافة المسلمين ولها موقف يتسم بالجرأة والشجاعة وقفته بين يدي معاوية بن أبي سفيان بعد أن صارت إليه الخلافة، إذ فضلت عليه علياً. وكانت ممن وضعوا الأسس الأولى في شعر الاحتجاج لآل البيت. وقد اختلفوا في اسم جدها (؟) قيل: سودة بنت عمارة بن الأشتر وقيل: سودة بنت عمارة بن الأسك. وقيل: سودة بنت عمارة بن الأسد الهمداني

■ (2) بسر بن أرطأة، ويقال: بن أبي أرطأة بن عويمر، يكنى أبا عبد الرحمن.مختلف في صحبته، شهد فتح مصر واختط بها وكان من شيعة معاوية وقد وجهه معاوية إلى اليمن والحجاز في أول سنة أربعين وله دار بالبصرة ومات بالمدينة وقد خرف في ولاية عبد الملك بن مروان.

قال عوانة: أرسل معاوية بعد تحكيم الحكمين بسر بن أرطأة في جيش فساروا من الشام حتى قدموا المدينة وعامل المدينة يومئذ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففر أبو أيوب ولحق بعلي رضي الله عنه ودخل بسر المدينة فصعد منبرها فقال: أين شيخي الذي عهدته هنا بالأمس يعني عثمان رضي الله عنه ثم قال: يا أهل المدينة والله لولا ما عهد إلي معاوية ما تركت فيها محتلما إلا قتلته ثم أمر أهل المدينة بالبيعة لمعاوية وأرسل إلى بني سلمة –قبيلة معروفة من الأنصار– فقال: ما لكم عندي أمان ولا مبايعة حتى تأتوا بجابر بن عبد الله فأخبر جابر فانطلق حتى جاء إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: ماذا ترين فإن خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة فقالت: أرى أن تبايع وقد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع فأتى جابر بسرا فبايعه لمعاوية وهدم بسر سورا بالمدينة ثم انطلق حتى أتى مكة وبها أبو موسى الأشعري فخافه أبو موسى على نفسه أن يقتله فهرب فقيل ذلك لبسر فقال: ما كنت لأقتله وقد خلع عليا ولم يطلبه. وكتب أبو موسى إلى اليمن إن خيلا مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس من أبي أن يقر بالحكومة. ثم مضى بسر إلى اليمن وعامل اليمن لعلي رضي الله عنه عبيد الله بن العباس –ابن عم النبي– فلما بلغه أمر بسر فر إلى الكوفة حتى أتى عليا واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي رضي الله عنه فأتى بسر فقتله وقتل ابنه ولقي ثقل عبيد الله بن العباس وفيه ابنان صغيران لعبيد الله بن العباس فقتلهما ورجع إلى الشام.

قال أبو عمرو الشيباني: لما وجه معاوية بسر بن أرطأة الفهري لقتل شيعة علي رضي الله عنه قام إليه معن أو عمرو بن يزيد بن الأخنس السلمي وزياد بن الأشهب الجعدي فقالا: يا أمير المؤمنين نسألك بالله والرحم ألا تجعل بسر على قيس سلطانا فيقتل قيسا بما قتلت بنو سليم من بني فهر وكنانة يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فقال معاوية: يا بسر لا إمرة لك على قيس فسار حتى أتى المدينة فقتل ابني عبيد الله ابن العباس وفر أهل المدينة ودخلوا الحرة حرة بني سليم وفي هذه الخرجة التي ذكر أبو عمر الشيباني أغار بسر بن أرطأة على همدان وسبى نساءهم فكان أول مسلمات سبين في الإسلام وقتل أحياء من بني سعد.

ذكر ابن الكلبي في كتابه في أخبار صفين: أن بسر بن أرطأة بارز عليا رضي الله عنه يوم صفين فطعنه علي رضي الله عنه فصرعه فانكشف له فكف عنه كما عرض له فيما ذكروا مع عمرو بن العاص. قال أبو عمر: إنما كان انصراف علي رضي الله عنه، عنهما وعن أمثالهما من مصروع ومنهزم لأنه كان يرى في قتال الباغين عليه من المسلمين ألا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح ولا يقتل أسير وتلك كانت سيرته في حروبه في الإسلام رضي الله عنه. وعلى ما روى عن علي رضي الله عنه في ذلك مذاهب فقهاء الأمصار في الحجاز والعراق إلا أبا حنيفة قال: إن انهزم الباغي إلى فئة من المسلمين اتبع وإن انهزم إلى غير فئة لم يتبع.

عن الشعبي أن عمرو بن العاص دخل على معاوية وعنده ناس فلما رآه مقبلا استضحك فقال: يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك وأدام سرورك وأقر عينك، ما كل ما أرى يوجب الضحك! فقال معاوية: خطر ببالي يوم صفين يوم بارزت أهل العراق فحمل عليك علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلما غشيك طرحت نفسك عن دابتك وأبديت عورتك كيف حضرك ذهنك في تلك الحال، أما والله لقد واقفته هاشميا منافيا ولو شاء أن يقتلك لقتلك! فقال عمرو: يا معاوية إن كان أضحكك شأني فمن نفسك فاضحك، أما والله لو بدا له من صفحتك مثل الذي بدا له من صفحتي لأوجع قذالك وأيتم عيالك وأنهب مالك وعزل سلطانك، غير أنك تحرزت منه بالرجال في أيديها العوالي، أما إني قد رأيتك يوم دعاك إلى البراز فاحولت عيناك وأزبد شدقاك وتنشر منخراك وعرق جبينك وبدا من أسفلك ما أكره ذكره. فقال معاوية: حسبك حيث بلغت لم نرد كل هذا.

عن أبي الرباب وصاحب له أنهما سمعا أبا ذر رضي الله عنه يدعو ويتعوذ في صلاة صلاها أطال قيامها وركوعها وسجودها، قال: فسألناه مم تعوذت وفيم دعوت؟ فقال: تعوذت بالله من يوم البلاء ويوم العورة، فقلنا: وما ذاك؟ قال: أما يوم البلاء فتلتقي فتيان من المسلمين فيقتل بعضهم بعضا، وأما يوم العورة فإن نساء من المسلمات ليسبين فيكشف عن سوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقا اشتريت على عظم ساقها فدعوت الله ألا يدركني هذا الزمان ولعلكما تدركانه، قال: فقتل عثمان ثم أرسل معاوية بسر بن أرطأة إلى اليمن فسبى نساء مسلمات فأقمن في السوق. وعن المقداد بن الأسود أنه قال:﴿لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُخْتَمُ لَهُ يَعْنِي بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا﴾ وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾ وروى شعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال:﴿إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا*: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ [الأنبياء] فَأَوَّلُ الْخَلَائِقِ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ .قَالَ: ثُمَّ يُؤْخَذُ بِقَوْمٍ مِنْكُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ –قال ابن جعفر–: وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي! قَالَ: فَيُقَالُ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُذْ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ –الآية إلى–: فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [المائدة]﴾.

----

*(الغرل) جمع أغرل وهو الذي لم يختتن

مراجع: تاريخ دمشق/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ تهذيب اللغة/ لسان العرب/ تهذيب الرياسة وترتيب السياسة/ العقد الفريد/ مثر الدر/ التذكرة الحمدونية/ جمهرة خطب العرب/ مجلة المنار/ بلاغات النساء/ صبح الأعشى/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وبكارة الهلالية 0243

قدم معاوية المدينة فاستأذنت عليه بكارة الهلالية[1] وكان أخوها زيد وقد شهد مع علي بن أبي طالب صفين فأذن لها فدخلت وكانت امرأة فصيحة قد أسنت وعشي بصرها وضعفت قوتها بيدها عكازها فسلمت فرد معاوية عليها السلام وقال لها: كيف أنت يا خالة؟ قالت: بخير، قال لها: غيرك الدهر، قالت: كذلك هو ذو غير، من عاش كبر، ومن مات قبر، فقال عمرو بن العاص:[2] هي والله القائلة يا أمير المؤمنين لأخيها زيد: يا زيد دونك فاحتفر من دارنا..سيفا حساما في التراب دفينا..قد كنت أذخره ليوم كريهة..فاليوم أبرزه الزمان مصونا. فقال مروان بن الحكم:[3] وهي القائلة يا أمير المؤمنين: أترى ابن هند للخلافة مالكا..هيهات ذاك وإن أراد بعيد..منتك نفسك في الخلاء ضلالة..أغراك عمرو للشقا وسعيد. وقال سعيد بن العاص[4] وهي القائلة يا أمير المؤمنين: قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى..فوق المنابر من أمية خاطبا..فالله أخر مدتي فتطاولت..حتى رأيت من الزمان عجائبا..في كل يوم لا يزال خطيبهم..بين الجموع لآل أحمد عائبا. ثم سكتوا، فقالت: يا معاوية نبحتني كلابك بعد أن عشي بصري وقصرت محجتي وأنا والله القائلة ما قالوا وما خفي عليك مني أكثر، فضحك معاوية وقال: ليس ذاك بالذي يمنعنا من برك يا خالة، فاذكري حاجتك، قالت: أما الساعة فلا وقامت وخرجت مغضبة. وقيل إنه قد أرسل خلفها واسترضاها، وأعطاها عشرة آلاف درهم.

----

(1) بكارة الهلالية خالة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، كانت شاعرة إسلامية. من نصيرات علي بن أبي طالب، ولها شعر في الحث على نصرته، كما أن لها شعرا في التعريض بالحكم الأموي. (لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

(4) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

(3) مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.. قيل نظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك. ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ.

(2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

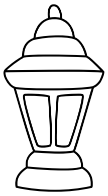

عن أبي الحويرث أنه سمع الحكم بن ميناء يقول: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه: ﴿اجْمَعْ لِي مَنْ هَا هُنَا مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَخْرُجُ إِلَيْهِمْ أَوْ يَدْخُلُونَ ؟ قَالَ: أَخْرُجُ إِلَيْهِمْ فَخَرَجَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَلْ فِيكُمْ مِنْ غَيْرِكُمْ ؟ قَالُوا: لا، إِلا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِنَا قَالَ: ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اعْلَمُوا أَنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ، فَأَبْصِرُوا أَنْ لا يَأْتُوا النَّاسُ بِالأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَأْتُونَ بِالدُّنْيَا تَحْمِلُونَهَا فَأَصُدُّ عَنْكُمْ بِوَجْهِي، ثُمَّ قَرَأَ: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران] عن مهاجر العامري، قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى: فيصد عن الحق، وأما طول الأمل: فينسي الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحد منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وامرأة أبي الأسود الدؤلي 0244

كان أبو الأسود الدؤلي[1] من أبر (أكثر) الناس عند معاوية بن أبي سفيان وأقربهم مجلسا، وكان لا ينطق إلا بعقل، ولا يتكلم إلا بعد فهم، فبينا هو ذات يوم جالس وعنده وجوه قريش وأشراف العرب – وكان معاوية قد حج المدينة – إذ أقبلت امرأة أبي الأسود الدؤلي[2] حتى حاذت معاوية وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، إن الله جعلك خليفة في البلاد، ورقيبا على العباد، يستسقي بك المطر، ويستنبت بك الشجر، وتؤلف بك الأهواء، ويأمن بك الخائف، ويردع بك الجانف* فأنت الخليفة المصطفى، والإمام المرتضى، فأسأل الله لك النعمة في غير تغيير والعافية من غير تعذير، قد ألجأني إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق علي فيه المنهج، وتفاقم علي منه المخرج، لأمر كرهت عاره لما خشيت إظهاره، فلينصفني أمير المؤمنين من الخصم فإني أعوذ بعقوته* من العار الوبيل، والأمر الجليل الذي يشتد على الحرائر ذوات البعول الأخيار، فقال معاوية :من هذا الذي شعرك شناره*؟ قالت: أمر طلاق جاءني من بعل عاد لا تأخذه من الله مخافة ولا يجدي خذارفة*.فقال لها معاوية: ومن بعلك هذا الذي تصفين من أمره المنكر ومن فعله المشهر؟ فقالت: هو أبو الأسود الدؤلي، فالتفت إليه فقال: يا أبا الأسود، ما تقول هذه المرأة ؟! فقال أبو الأسود: هي تقول من الحق بعضا ولن يستطيع أحد عليها نقصا، أما ما ذكرت من طلاقها فهو حق وأنا مخبر أمير المؤمنين عنه بالصدق، والله يا أمير المؤمنين، ما طلقتها عن ريبة ظهرت ولا لأي هفوة (ولا في هفوة) حضرت ولكني كرهت شمائلها فقطعت عني حبائلها، فقال معاوية: وأي شمائلها يا أبا الأسود كرهت؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنك مهيجها علي بجواب عتيد ولسان شديد، فقال معاوية: لا بد لك من محاورتها فاردد عليها قولها عند مراجعتها، فقال أبو الأسود: يا أمير المؤمنين، إنها كثيرة الصخب، دائمة الذرب، مهينة للأهل، مؤذية للبعل، مسيئة إلى الجار، مظهرة للعار، إن رأت خيرا كتمته، وإن رأت شرا أذاعته، فقالت: والله لولا مكان أمير المؤمنين، وحضور من حضره من المسلمين لرددت عليك بوادر كلامك بنوادر تردع كل سهامك. وإن كان لا يجمل بالمرأة الحرة أن تشتم بعلا ولا أن تظهر لأحد جهلا، فقال معاوية: عزمت عليك لما أجبته، فقالت: يا أمير المؤمنين، ما علمته إلا سؤولا جهولا ملحا بخيلا، إن قال فشر قائل، وإن سكت فذو دغائل، ليث حين يأمن، وثعلب حين يخاف، شحيح حين يضاف، إن ذكر الجود انقمع* لما يعرف من قصر رشاته (قصور شأنه) ولؤم آبائه، ضيفه جائع، وجاره ضائع، لا يحفظ جارا، ولا يدرك ثارا، أكرم الناس عليه من أهانه، وأهونهم عليه من أكرمه، فقال معاوية: سبحان الله، لما تأتي به هذه المرأة من السجع*، فقال أبو الأسود: أصلح الله أمير المؤمنين إنها مطلقة ومن أكثر كلاما من مطلقة، فقال لها معاوية: إذا كان رواحا* فتعالى أفصل بينك وبينه بالقضاء، فلما كان الرواح جاءت ومعها ابنها قد احتضنته، فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينتزع ابنه منها، فقال له معاوية: يا أبا الأسود، لا تعجل المرأة أن تنطق بحجتها، قال: يا أمير المؤمنين، أنا أحق بحمل ابني منها، فقال له معاوية: يا أبا الأسود، دعها تقل، فقال: يا أمير المؤمنين، حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه، فقالت: صدق، والله، يا أمير المؤمنين، حمله خفا، وحملته ثقلا، ووضعه شهوة، ووضعته كرها، لم أحمله في غبر ولم أرضعه غيلا، فبطني له وعاء وحجري له وقاء. فقال معاوية: سبحان الله، لما تأتين به، فقال أبو الأسود: إنها تقول الأبيات من الشعر فتجيدها، فقال معاوية: إنها قد غلبتك في الكلام فتكلف لها أبياتا لعلك تغلبها، فأنشأ أبو الأسود يقول: مرحبا بالتي تجور علينا..ثم سهلا بالحامل المحمول..أغلقت بابها علي وقالت..إن خير النساء ذات البعول..شغلت نفسها علي فراغا..هل سمعتم بالفارغ المشغول. فأجابته وهي تقول: ليس من قال بالصواب وبالحق..كمن جار عن منار السبيل..كان ثديي سقاءه حين يضحي..ثم حجري فناؤه بالأصيل..لست أبغي بواحدي يابن حرب..بدلا ما علمته والخليل. فأجابها معاوية: ليس من غداه حينا صغيرا..وسقاه من ثديه بخذول..هي أولى به وأقرب رحما..من أبيه بالوحي والتنزيل..أمه ما حنت عليه وقامت..هي أولى بحمل هذا الضئيل. فقضي لها معاوية عليه واحتملت ابنها وانصرفت.

وقد روى الناس هذا الكلام على وجه آخر، فقالوا :جرى بين أبي الأسود الدؤلي وبين امرأته كلام في ابن كان لها منه وأراد أخذه منها فسار إلى زياد بن أبيه[3] وهو والي البصرة، فقالت المرأة: أصلح الله الأمير هذا ابني كان بطني وعاءه وحجري فناءه وثديي سقاءه أكلؤه إذا نام وأحفظه إذا قام فلم أزل بذلك سبعة أعوام حتى إذا استوفى فصاله وكملت خصاله واستوكعت* أوصاله وأملت نفعه ورجوت دفعه أراد أن يأخذه مني كرها فآدني* أيها الأمير فقد رام قهري وأراد قسري، فقال أبو الأسود: أصلحك الله، هذا ابني حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، وأنا أقوم عليه في أدبه، وأنظر في أوده، وأمنحه علمي، وألهمه حلمي، حتى يكمل عقله ويستحكم فتله، فقالت المرأة: صدق أصلحك الله ؛ حمله خفا، وحملته ثقلا، ووضعه شهوة، ووضعته كرها، فقال له زياد: اردد على المرأة ولدها فهي أحق به منك، ودعني من سجعك أو قال: إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود فادفع ابنها إليها فأخلق أن تحسن أدبه.

----

*(عقوة الدار) ساحتها يقال : نزل بعقوته. (جنف) الميل في الكلام وفي الأمور كلها. وإذا مال وجار. تقول: جنف فلان علينا وأجنف في حكمه وهو شبيه بالحيف إلا أن الحيف من الحاكم خاصة والجنف عام. والمجنف المائل عن الحق (يشعرك شناره) اشعره البسه الشعار وهو ما يلبس تحت الثياب والشنار اقبح العيب.(قمع) قمعت فلانا فانقمع: أي ذللته فذل واختبأ فرقا (انقمع) تغيب ودخل وراء ستر وفي البيت قمع وجلس وحده (سجع) يدل على صوت متوازن، من ذلك السجع في الكلام، وهو أن يؤتى به وله فواصل كقوافي الشعر، كقولهم: من قل ذل، ومن أمر فل. (ذماره) ما تلزم حمايته من أهل ومال وغيرهما. (الرواح) العشي؛ وسمي بذلك روح لروح الريح، فإنها في الأغلب تهب بعد الزوال.(استوكعت)، أي: اشتدت. (فآدني) أي قوني وأعني.

■ (2) أم عوف، امرأة أبي الأسود الدؤلي (لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (3) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (1) أبو الأسود الديلي ويقال الدؤلي البصري قاضيها اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان ويقال اسمه عمرو بن ظالم ويقال عمرو بن سفيان ويقال عثمان بن عمرو ويقال اسمه عويمر بن ظويلم، ولي قضاء البصرة وهو أول من تكلم في النحو وكان ممن اسلم على عهد النبي وقاتل مع علي يوم الجمل هلك في ولاية عبيد الله بن زياد ويقال مات في طاعون الجارف سنة 69 هـ .

قال علي بن نايف: إن للأم وظيفة مهمة في التربية النفسية للطفل الصغير خاصة؛ إذ إن بناءها الجسمي والنفسي مهيأ لتحمل أعباء التربية والحضانة والاعتناء بالطفل، فلا يستطيع الرجل أن يسد مكان الأم ودورها في التربية، وأقرب مثل لهذا الموضوع ما يشاهد في عالم الحيوان؛ إذ ينتهي دور الذكر بالتلقيح في معظم الحيوانات، أما الأم فلا ينتهي عملها ووظيفتها التربوية حتى يكتمل البناء الجسمي للصغير، ويصبح معتمدا على نفسه في جميع شئونه. أما في الإنسان؛ فالقضية أعمق من ذلك؛ نظرا لوجود عامل العقل والتفكير فإن رعاية الأم للطفل يأخذ سنوات طويلة غير الحيوانات التي قد تستغرق عاما أو أقل. فالطفل يولد وهو كائن في غاية الضعف، فهو أضعف الكائنات جميعا؛ إذ يحتاج إلى رعاية تستغرق سنوات طويلة حتى يصل إلى مرحلة يستطيع أن يعتمد فيها على نفسه، فمن الثابت علميا أن طفولة الفرد الإنساني أطول من طفولة أي كائن آخر. والطفل يظل في رعاية الأم منذ الولادة حتى ستة سنوات ثم يدخل بعد ذلك عنصر الأسرة والمدرسة وتأثير المجتمع من ستة إلى اثني عشر سنة وتستمر في مرحلة المراهقة إلى أن يكتمل نضجه ونموه النفسي والجسمي.

حدثنا العباس بن هشام عن أبيه قال أخبرني مولى لزياد قال: حج أبو الأسود الدؤلي ومعه امرأته وكانت جميلة فبينا هي تطوف بالبيت إذ عرض لها عمر بن أبي ربيعة فأتت أبا الأسود فأخبرته فأتاه أبو الأسود فعاتبه فقال له عمر: ما فعلت شيئا فلما عادت إلى المسجد عاد فكلمها فأخبرت أبا الأسود فأتاه في المسجد وهو مع قوم جالس فقال له:وإني ليثنيني عن الجهل والخنا..وعن شتم أقوام خلائق أربع..حياء وإسلام وبقيا وأنني..كريم ومثلي قد يضر وينفع..فشتان ما بيني وبينك إنني..على كل حال أستقيم وتظلع. فقال له عمر: لست أعود يا عم لكلامها بعد هذا اليوم ثم عاود فكلمها فأتت أبا الأسود فأخبرته فجاء إليه فقال له: أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى..وسيدنا لولا خلائق أربع..نكول عن الجلى وقرب من الخنا..وبخل عن الجدوى وأنك تبع. ثم خرجت وخرج معها أبو الأسود مشتملا على سيف فلما رآهما عمر أعرض عنها فتمثل أبو الأسود: تعدو الذئاب على من لا كلاب له..وتتقي صولة المستأسد الحامي.

قال أبو الأسود الديلي:أتيت المدينة وقد وقع بها مرض، فهم يموتونا موتا ذريعا، فجلست إلى عمر بن الخطاب، فمرت به جنازة، فأثنوا على صاحبها خيرا، فقال عمر: وجبت، ثم مر بأخرى فأثني على صاحبها شرا، فقال عمر: وجبت. قال أبو الأسود: قلت: ما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ، فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ؟ قَالَ: وَثَلَاثَةٌ، فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: وَاثْنَانِ، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنْ الْوَاحِدِ﴾

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تهذيب الكمال/ جمهرة خطب العرب/ لسان العرب/ تاج العروس/ نجعة الرائد وشرعة الوارد/ المعجم الوسيط/ كتاب العين/ مقاييس اللغة/ نور القبس/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

عن ابن داب قال:قدم أبو الأسود الديلي[1] على معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل علي بن أبي طالب رحمه الله. وقد استقامت له البلاد، فأدنى معاوية مجلسه، وأعظم جائزته، فحسده عمرو بن العاص[2]، فقدم على معاوية، فاستأذن عليه في غير مجلس الإذن، فأذن له. فقال له معاوية: يا أبا عبد الله، ما أعجلك قبل وقت الإذن؟ قال: يا أمير المؤمنين، أتيتك لأمر قد أوجعني، وأرقني، وغاظني، وهو من بعد ذلك نصيحة لأمير المؤمنين. قال: وما ذاك يا عمرو؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن أبا الأسود رجل مفوه، له عقل وأدب، من مثله الكلام يذكر، وقد أذاع بمصرك من الذكر لعلي، والبغض لعدوه، وقد خشيت عليك أن يثري في ذلك حتى تؤخذ بعنقك، وقد رأيت أن ترسل إليه فترهبه وترعبه، وتسبره وتخبره ولك من مسألته على إحدى خبرتين: إما أن يبدي لك صفحته فتعرف مقالته، وإما أن يستقبلك، فيقول ما ليس من ورائه، فيحتمل ذلك عنه، فيكون لك في ذلك عافية صلاح إن شاء الله، فقال معاوية: أم والله لقلما تركت رأيي لرأي امرىء قط إلا كنت فيه وبين أن أرى ما أكره، ولكن إن أرسلت إليه فساءلته، فخرج من مساءلتي بأمر لا أحد عليه مقدما، ويملأني غيظا لمعرفتي بما تريد، وإن الرأي فيه أن نقبل منه ما أبدى من لفظه، فليس لنا أن نشرح عن صدره، وندع ما وراء ذلك يذهب جانبا. قال عمرو: أنا صاحبك يوم رفع المصاحف بصفين. وقد عرفت رأيي، ولست أرى لك خلافي، وما آلوك خيرا، فأرسل إليه ولا تفترش مهاد العجز فتتخذه وطيئا. فأرسل معاوية إلى أبي الأسود، فجاء حتى دخل عليه فكان ثالثا، فرحب به معاوية وقال: يا أبا الأسود، خلوت أنا وعمرو وتشاجرنا في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أحببت أن أكون من رأيك على يقين، قال: سل يا أمير المؤمنين عما بدا لك، قال: يا أبا الأسود، أيهم كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: يا أمير المؤمنين، أشدهم كان حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأوقاهم له بنفسه؛ فنظر معاوية إلى عمرو، وحرك رأسه، ثم تمادى في مسألته، فقال: يا أبا الأسود، فأيهم كان أفضلهم عندك؟ قال: أتقاهم لربه، وأشدهم خوفا لدينه، فاغتاظ معاوية على عمرو، ثم قال: يا أبا الأسود، فأيهم أعلم؟ قال: أقولهم للصواب، وأفصلهم للخطاب، قال: يا أبا الأسود، فأيهم كان أشجع؟ قال: أعظمهم بلاء، وأحسنهم غناء، وأصبرهم على اللقاء، قال: فأيهم كان أوثق عنده؟ قال: من أوصى إليه فيما بعده، قال: فأيهم كان للنبي صلى الله عليه وسلم صديقا؟ قال: أولهم به تصديقا فأقبل معاوية على عمرو وقال: لا جزاك الله خيرا، هل تستطيع أن ترد مما قال شيئا ؟! فقال أبو الأسود: يا أمير المؤمنين، إني قد عرفت من أين أتيت، فهل تأذن لي فيه ؟ قال: نعم، فقل ما بدا لك، فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الذي ترى هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبيات من الشعر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم، إني لا أحسن أن أقول الشعر، فالعن عمرا، بكل بيت لعنة (؟). أفتراه بعد هذا نائلا فلاحا، أو مدركا رباحا؟وأيم الله إن أمرأ لم يعرف إلا بسهم أجيل عليه فجال لحقيق أن يكون كليل اللسان، ضعيف الجنان، مستشعرا للاستكانة، مقارنا للذل والمهانة، غير ولوج فيما بين الرجال، ولا ناظر في تسطير المقال، إن قالت الرجال أصغى، وإن قامت الكرام أقعى، مبصبص بذنبه لعظيم ذنبه*، غير ناظر في أبهة الكرام، ولا منازع لهم، ثم لم يزل في دجنة ظلماء مع قلة حياء، يعامل الناس بالمكر والخداع، ﴿والمكرُ والخِداعُ في النار﴾ فقال عمرو: يا أخا بني الدئل*والله لأنت الذليل القليل، ولولا ما تمت به من نسب كنانة لاختطفتك من حولك اختطاف الأجدل الجدية، غير أنك بهم تطول، وبهم تصول، والله لقد أعطيت مع هذا لسانا قوالا، سيصير عليك وبالا. وايم الله إنك لأعدى الناس لأمير المؤمنين، قديما وحديثا، وما كنت قط بأشد عداوة له منك الساعة، وإنك لتوالي عدوه، وتعادي وليه، وتبغيه الغوائل، ولئن أطاعني ليقطعن عنه لسانك، ولتخرجن من رأسك شيطانك، فأنت العدو المطرق له إطراق الأفعوان في أصل السخبر*. قال: فتكلم معاوية فقال: يا أبا الأسود، أغرقت في النزع، ولم تدع رجعة لصالحك، وقال لعمرو: لم يغرق كما أغرقت، ولم يبلغ ما بلغت غير أنه كان منه الابتداء والاعتداء، والبادي أظلم، والثالث أحلم، فانصرفا عن هذا القول إلى غيره، وقوما غير مطرودين، فقام عمرو وهو يقول: الطويل: لعمري لقد أعيا القرون التي مضت..تحول غش في الفؤاد كمين. وقام أبو الأسود وهو يقول: الطويل: ألا إن عمرا رام خفية..وكيف ينال الذئب ليث عرين؟. فانصرفا إلى منازلهما، وذاع حديثهما في البلاد، فبينا أبو الأسود في بعض الطريق إذ لقيه شاب من كلب يقال له: كليب بن مالك[؟]، شديد البغض لعلي وأصحابه، شديد الحب لمعاوية وأصحابه، فقال له: يا أبا الأسود، أنت المنازل عمرا أمس بين يدي أمير المؤمنين ؟ أم والله لو شهدتك لأغرقت جبينك، فقال أبو الأسود: من أنت يا بن أخي الذي بلغ بك خطرك كل هذا، وممن أنت ؟ قال: أنا ممن لا ينكر، أنا امرؤ من قضاعة ثم من كلب، ثم أنا كليب بن مالك، فقال أبو الأسود: أراك كلبا من كلب، ألا أرى للكلب شيئا؛ إذا هو نبح أفضل من أن يقطع باخسا، فاخسأ ثم اخسأ كلبا، فانصرف وخلاه. فبلغ ذلك القول معاوية فأكثر التعجب والضحك. ثم إنهما اجتماعا بعد ذلك عنده، فقال معاوية للكلبي:يا أخا كلب، ما كان أغناك من منازعة أبي الأسود، فقال الكلبي: ولم لا أنازعه ؟ والله لأنا أكثر نفيرا، وأعز عشيرا، وأطلق لسانا، وإن شاء لأنافرنه* بين يديك، فقال معاوية: والله يا أخا كلب، ما صدقت في واحدة من الثلاث، فقال أبو الأسود: والله لولا هذا الجالس يعني: يزيد بن معاوية[3] فإنكم أخواله، لقطعت عني لسانك، فقال يزيد: يا أبا الأسود، قل، فأعمامي أحب إلي من أخوالي، فقال أبو الأسود: سل هذا يا أمير المؤمنين بمن ينافرني*، بحمير أو معد؟ (أسماء قبائل).

قال أبو حمزة الثمالي: لما بويع معاوية وفد عليه الأحنف بن قيس[4] وأبو الأسود الديلي في أهل البصرة، فقال معاوية للأحنف حين دخل عليه: أنت القاتل أمير المؤمنين، -يريد عثمان-، والخاذل أم المؤمنين، ومقاتلها بصفين؟ فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين، لا تردد الأمور على أدبارها، فإن القلوب التي أبغضناك بها في صدورنا، والسيوف التي قاتلناك بها في عواتقنا، فلا تمد لنا شبرا من الغدر إلا مددنا لك باعا من الختر*، وإن كنت يا أمير المؤمنين لجدير أن تستصفي كدر قلوبنا بفضل حلمك. قال: إني فاعل إن شاء الله. ثم أقبل على أبي الأسود الديلي فقال له: أنت القائل لعلي: ابعثني حكما، فوالله ما أنت هناك، إنك لفهيه المحاورة، عيي بالجواب، فكيف كنت صانعا؟ قال: كنت جامعا أصحاب محمد فأقول لهم: أبدري، أحدي، شجري، عقبي أحب إليكم أم رجل من الطلقاء*؟ فقال معاوية: ماله قاتله الله، والله لقد خلعني خلع الوصيف. وقيل: إن أبا الأسود قال لمعاوية: لو كنت بمكان أبي موسى[5] ما صنعت ما صنع. قال: وما كنت تصنع؟ قال: كنت أنظر رهطا من المهاجرين ورهطا من الأنصار فأناشدهم الله، المهاجرون أحق بالخلافة أو الطلقاء؟ فقال معاوية: أقسمت عليك لا تذكرن هذا الحديث ما عشت. في رواية قال معاوية لأبي الأسود: لو كنت أحد الحكمين ما كنت صانعا؟ قال: كنت أقول: أليس أحق الناس أن يتخير منهم المهاجرون والأنصار؟ فإنه كان يقال: بلى: فكنت أقول: فاعتزلوا من ليس منهم. قال معاوية الحمد لله الذي كفاناك.

*(سخبر) السخبر ضرب من الشجر سبيل الأفاعي أن تكون في أصوله والأفعوان ذكر الأفاعي (مبصبص بذنبه لعظيم ذنبه) في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: متعيض لدينه لعظيم دينه (بني الدئل) أو بني الديل أو بني الدؤل قبيلة عربية تتفرع من قبائل كنانة (الطلقاء) الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وفي الحديث الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف كأنه ميز قريشا بهذا الاسم (الختر) شبه الغدر وقيل: هو الخديعة بعينها أو هو أقبح الغدر وأسوؤه كالختور.(المنافرة) المحاكمة إلى من يقضي في خصومة أو مفاخرة بين اثنين.قالوا: معناه أن المبتغى تفضيل نفر على نفر. وأنفرت أحدهما على الآخر. والنفر أيضا من قياس الباب لأنهم ينفرون للنصرة.

■ (1) أبو الأسود الديلي ويقال الدؤلي البصري قاضيها اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان ويقال اسمه عمرو بن ظالم ويقال عمرو بن سفيان ويقال عثمان بن عمرو ويقال اسمه عويمر بن ظويلم، ولي قضاء البصرة وهو أول من تكلم في النحو وكان ممن اسلم على عهد النبي وقاتل مع علي يوم الجمل هلك في ولاية عبيد الله بن زياد ويقال مات في طاعون الجارف سنة 69 هـ .هو ابن خمس وثمانين. وقيل: إنه مات قبل الطاعون. وهو الأشبه، لأنه لم يسمع له في فتنة مصعب وأمر المختار خبر.

■ (2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر وهاجر واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل وفيه أبو بكر وعمر لخبرته بمكيدة الحرب ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر ثم افتتح مصر ووليها لعمر.توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم

■ (4) الأحنف بن قيس التميمي،قيل اسمه صخر، وكان سيد قومه، يضرب به المثل في الحلم. أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه، روى عن عمر وعثمان وعلي، ومات سنة 67 هـ أو 68 هـ وقيل مات في إمارة مصعب بن الزبير، بالكوفة.

■ (5) أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. من بني الأشعر. التميمي، استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذا على زبيد، وعدن. وولي البصرة لعمر، وعثمان، وولي الكوفة، وبها مات سنة 44 هـ وقيل سنة 50 هـ.

■ (3) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي.الملك الأموي الثاني. ولد سنة 26 هـ وتوفي سنة 64 هـ وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

☪

كان أبو الأسود الدئلي ينزل في بني قشير، وكانوا عثمانية، وكان أبو الأسود علوي الرأي، فكان بنو قشير يسيئون جواره، ويؤذونه، ويرجمونه بالليل، فعاتبهم على ذلك فقالوا: ما رجمناك، ولكن الله رجمك، قال: كذبتم، لأنكم إذا رجمتموني أخطأتموني، ولو رجمني الله ما أخطأني. ثم انتقل عنهم إلى هذيل، وقال فيهم: الكامل:شتموا عليا ثم لم أزجرهم..عنه وقلت مقالة المتردد..الله يعلم أن حبي صادق..لبني النبي وللإمام المهتدي.وقال في بني قشير من أبيات: الوافر: يقول الأرذلون بنو قشير..طوال الدهر لا تنسى عليا!..أحب محمدا حبا شديدا..وعباسا وحمزة والوصيا..بنو عم النبي وأقربوه..أحب الناس كلهم إليا..فإن يك حبهم رشدا أنله..أوليس بضائري إن كان غيا. فكتب معاوية إلى عبيد الله بن زياد: إن عرفت أبا الأسود، وإلا فاسأل عنه، ثم أخبره أنه قد شك في دينه، فإذا قال: بماذا؟ فأخبره بقوله:فإن يك حبهم رشدا أنله البيت. فبعث عبيد الله إلى أبي الأسود فأخبره بمقالة معاوية، فقال أبو الأسود: فأقرئه السلام، وأخبره بأني إنما قلت ما قال العبد الصالح: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ] افتراه شك في دينه؟.

قال صعصعة بن صوحان: جاء أعرابي إلى علي بن أبي طالب فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، كيف نقرأ هذا الحرف: لا يأكله إلا الخاطون؟ كل والله يخطو؟ قال: فتبسم علي وقال: يا أعرابي:﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة] قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين، ما كان الله ليسلم عبده. ثم التفت علي إلى أبي الأسود فقال: إن الأعاجم قد دخلت في الدين كافة، فضع للناس شيئا يستدلون به على صلاح ألسنتهم. فرسم لها الرفع والنصب والخفض. وروي عن أبي الأسود أنه سئل فقيل له: من أين لك هذا النحو؟ فقال: لفقت حدوده من علي بن أبي طالب، واختلف في السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو، فقال أبو عبيدة: أخذ أبو الأسود العربية عن علي رضي الله عنه، فكان لا يخرج شيئا مما أخذه عن علي إلى أحد، حتى بعث إليه زياد: اعمل شيئا تكون فيه إماما ينتفع الناس به ويعرف به كتاب الله، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئا يقرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة] رسولِهِ بالجر، فقال: ما ظننت أن أمر الناس صار إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما رسمه الأمير، فليبغني كاتبا لقنا يفعل ما أقول، فأتي بكاتب من عبد القيس، فلم يرضه، فأتي بآخر، فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضمت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئا من ذلك غنة فاجعل ما كان النقطة نقطتين. فهذا نقط أبي الأسود. وقيل: إن أعرابيا قدم في زمن عمر، فقال: من يقرئني مما أنزل الله على محمد؟ قال: فأقرأه رجل براءة فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ رسولِهِ بالجر، فقال الأعرابي: أوقد برىء الله من رسوله؟ إن يكن الله برىء من رسوله فأنا أبرأ منه. فبلغ عمر مقاله فدعاه، فقال: يا أعرابي، أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني، فأقرئني هذا سورة براءة، فقال:﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ رسولِهِ بالجر، فقلت: أوقد برىء الله من رسوله؟ إن يكون الله برىء من رسوله، فأنا أبرأ منه. فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي، قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال:﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برىء الله ورسوله منه. فأمر عمر بن الخطاب ألا يقرىء القرآن إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود فوضع النحو. وقيل: إن رجلا جاء إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير، توفي أبانا، وترك بنوناً، فقال زياد: توفي أبانا، وترك بنونا؟! ادع لي أبا الأسود، فقال: ضع للناس الذي كنت نهيتك أن تضع لهم، أبو الأسود استأذنه في أن يضع للعرب كلاما يقيمون به كلامهم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تهذيب الكمال/ لسان العرب/ الزاهر في معاني كلمات الناس/ كتاب العين/ مقاييس اللغة/ نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ الطنطاوي/ نثر الدر/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وأخت عبد الله بن عامر 0246

حدث سهيل بن أبي سهيل التميمي عن أبيه قال: استعدت أخت[1] لعبد الله بن عامر [2]معاوية على أخيها فلم يعدها، وأراد معاوية الركوب يوما فقال له عبد الله: إني والله يا أمير المؤمنين، ما أخاف عليك من الناس كلهم إلا من هذه المرأة فإنها بذيئة اللسان، فوكل معاوية بنفسه من يحفظه منها، وخرج في الناس، فلم يفجأه إلا المرأة قد بلغت موكبه واعترضت ضيفيه، وأخذت بلجام بغلته، فقالت: يا أمير المؤمنين، اعني على شبه البغل الذي لم يشبه أباه ولا أمه، فاعترضها الضحاك بن قيس[3]،فقال: أسكتي يا عدوة الله، فأقبلت على معاوية وقالت: يا أمير المؤمنين، من هذا ؟ قال: أوما تعرفينه ؟ قالت: لا، فمن هو؟ قال: الضحاك بن قيس الفهري، فضحكت ثم قالت: غير كثير ولا طيب، هذا الذي يقول فيه الشاعر: قصير القميص فاحش عند بيته..وشر قريش في قريش مركبا. فاعترضها مروان بن الحكم[4]فقال: أسكتي يا عدوة الله، فأقبلت على معاوية فقالت: يا أمير المؤمنين، من هذا ؟ قال: أوما تعرفينه؟ قالت: لا، فمن هو؟ قال: مروان بن الحكم، قالت: غير كثير ولا طيب، يابن الزرقاء، أما والله لو كانت أمك قرشية لحميت لي، قال: فخفق معاوية على قربوسه* ثم قال: قولي جعلني الله فداك، لا كنت لهم اليوم رابعا.وفي رواية: فتطأطأ معاوية على بغلته وقال: هات حاجتك والله لا كنت اليوم رابعا.

----

*(القربوس) حنو السرج وهما قربوسان. وهما متقدم السرج الشاخص بين يدي الراكب ومؤخره ويقال لهما:حنواه

■ (1) أخت عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، غير مسماة شكت أخاها إلى معاوية.

■ (2) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة، أبو عبد الرحمن، ولد بمكة سنة 4 هـ ولاه سيدنا عثمان البصرة سنة 29 هـ وهو فاتح خراسان وغيرها وشهد وقعة الجمل مع عائشة ولم يحضر وقعة صفين.وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين ثم أقام بالمدينة ومات بمكة سنة 59 هـ ودفن بعرفات.

■ (3) الضحاك الفهري، الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي، أبو أمية، أو أبو أنيس: سيد بني فهر، في عصره. وأحد الولاة الشجعان. شهد فتح دمشق، وسكنها. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية على الكوفة سنة 53 هـ بعد موت زياد بن أبيه فتفقد الخورنق قصر النعمان وأصلحه. ونقل إلى ولاية دمشق، فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد. ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه، انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق. ومات معاوية سنة 64 هـ فأقبل أهل دمشق على الضحاك، فبايعوه على أن يصلي بهم، ويقيم لهم أمرهم، حتى يجتمع الناس على خليفة وانعقدت البيعة العامة لمروان بن الحكم، والضحاك في مرج راهط، فامتنع على مراون، فقتل في مرج راهط سنة65 هـ

■ (4) مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.. قيل نظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك. ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ.

قال البلاذري حدثني عباس بن هشام ابن الكلبي عن أبيه – وذكره المدائني – قالا: كان يقع بين ابن عامر وبين مروان الكلام فيظفر به ابن عامر، فقال معاوية لعبد الله بن عامر: إنه يكون بينك وبين مروان الشيء فتظفر به. فقال: إنه يجدني عضا شديد الخصومة. فقال: لو لقيت رجلا عرفك نفسك. فقال ابن عامر: فكن أنت ذلك الرجل يا أمير المؤمنين. قال: أنا ابن هند بنت عتبة. قال: وأنا ابن أم حكيم بنت عبد المطلب. قال: ارتفعت جدا. قال: وانخفضت يا أمير المؤمنين، فقال معاوية: اذكر دجاجة بنت الصلت –أم عبد الله بن عامر : دجاجة بنت اسماء بن الصلت السلمية.–. قال: وأنت فاذكر حمامة – وحمامة امرأة من بني غفار نالت معاوية ولادتها وكان يقال فيها.

قالوا: وضعف أمر ابن عامر، فكتب إليه معاوية في القدوم عليه، وذلك في سنة أربع وأربعين فاستخلف على البصرة قيس بن الهيثم[1]وقدم فرده على عمله، فلما ودعه قال له معاوية: إني سائلك ثلاثا فقل هي لك. قال: هي لك وأنا ابن حكيم. قال معاوية: ترد علي عملي ولا تغضب. قال: قد فعلت. قال: وتهب لي مالك بعرفة. قال: قد فعلت. قال: وتهب لي دارك بمكة. قال: قد فعلت، قال: وصلتك رحم. فقال ابن عامر: يا أمير المؤمنين إني سائلك ثلاثا. قال: هي لك وأنا ابن هند. قال: ترد علي مالي بعرفة. قال: قد فعلت. قال: ولا تحاسب لي عاملا، قال: قد فعلت. قال: وأنكحني هند ابنتك. قال: قد فعلت. ويقال إن معاوية قال له: اختر بين أن أردك إلى عملك وأحاسبك فاتبع عليك، وبين أن أسوغك ما أصبت وأعزلك. فاختار أن يسوغه ذلك. وعن مسلمة وغيره قال: كان ابن عامر لين الولاية لا يقطع في ولايته ولا يعاقب، وكان أتوه أحمق. وشكا ابن عامر إلى زياد فساد الناس، فقال: جرد فيهم سيفك. فقال: أصلحهم بفساد نفسي.

■ (1) قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب السلمي: من الخطباء الشجعان، من أعيان البصرة في صدر الاسلام. كان من أنصار بني أمية فيها ثم قام بدعوة عبد الله بن الزبير وصحب أخاه مصعبا في ثورته، إلى أن قتل، فتوجه إلى عبد الملك بن مروان، فعفا عنه وأكرمه. توفي بالبصرة نحو 85 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ الثقات لابن حبان/ الأعلام للزركلي/ مسند الشهاب/ اللباب في علوم الكتاب/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ مسند أحمد/ صحيح مسلم/ البحر المديد/ إتحاف الخيرة المهرة/ المستطرف/ أنساب الأشراف/ شعب الإيمان/ أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان/

قال عن جويرية بن أسماء: قال معاوية لشداد بن أوس:[1] أنا أفضل أم علي، وأينا أحب أليك؟ قال: علي أقدم إسلاما وهجرة، وأكرم بيتا وعترة، وأقدم لنبي الله نصرة، وأشد إلى الخير سبقا، وأشجع نفسا وأسلم قلبا، وأما الحب فقد مضى علي رحمه الله، وأنت اليوم عند الناس أرجى منه. وفي رواية المنهال بن عمرو قال: قال معاوية لشداد بن أوس: قم فاذكر علياً فتنقّصه.فقام شدّاد فقال: الحمد اللهّ الذي افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى أثر من رضا غيره. على ذلك مضى أوّلهم وعليه يمضي آخرهم. أيها الناس إن الآخرة وعد صادق يحكم فيهم ملك قادر، وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منهم البرّ والفاجر، ﴿وَإِنَّ السَّامِعَ الْمُطِيعَ لَا حُجَّةَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ السَّامِعَ الْعَاصِي لَا حُجَّةَ لَهُ﴾ وإن اللهّ جل وعز إذا أراد بالناس صلاحاً عمّل عليهم صلحاءهم وقضّى بينهم فقهاءهم وجعل المال في سمحائهم، وإذا أراد بالعباد شراً عمّل عليهم سفهاءهم وقضّى بينهم جهلاءهم وجعل المال عند بخلائهم. وإن من صلاح الولاة أن يصلح قرناؤهم. نصحك يا معاوية من أسخطك بالحق وغشّك من أرضاك بالباطل، فقال له معاوية: اجلس. وأمر له بمال، وقال: ألست من السمحاء؟ فقال: إن كان مالك دون مال المسلمين تعمّدت جمعه مخافة تبعته فأصبته حلالاً وأنفقته إفضالاً، فنعم. وإن مما شاركك فيه المسلمون فاحتجنته دونهم، أصبته اقترافاً وأنفقته إسرافاً، فإن اللهّ عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء]

وفي رواية: أوفد زياد إلى معاوية وفدا من أهل البصرة، فيهم رجل من بني تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل، فلما دخلوا على معاوية قام التيمي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين، ﴿إِنَّ السَّامِعَ الْمُطِيعَ لَا حُجَّةَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ السَّامِعَ الْعَاصِي لَا حُجَّةَ لَهُ﴾ وإن الله إذا أراد بقوم خيرا ولي أمرهم علماؤهم، وقضى بينهم فقهاؤهم، وجعل الأموال في سمحائهم، وإذا أراد بقوم سوءا، ولي أمرهم سفهاؤهم، وقضى في الأحكام جهلاؤهم، وجعل الأموال في بخلائهم.قال فاحفظ معاوية ثم دعا له على رؤوس الناس بعطية جزيلة. فقال: خذها يا أخا بني تيم، أبخيل أنا؟ فقال: سبحان الله، إذا لم تكن بخيلا فأخاف أن تكون مبذرا، أو لكل الناس أعطيت كما أعطيتني؟ قال: لا، ولا يمكن هذا. فقال التيمي: فاجعل نصيبي في هذا الفيء أكثر من نصيب رجل من المسلمين. ففرق معاوية في ذلك الوفد مالا عظيما، وأمرهم بالشخوص إلى بلدهم، وكتب إلى زياد:[2] لا تزال توجه إلي الرجل بعد الرجل فيقف بين يدي مؤنبا، أولى لك، فلما قرأ زياد الكتاب قال: علي نذر لأصلبن التيمي على أربع جذوع. ثم جعل ينتظر قدومه يوما يوما، ويعد له المراحل حتى انتهى التيمي إلى بعض المنازل، فمات به. وبلغ زيادا موته، فبعث إلى ابن أخ له من أهل البصرة فقال: عمك الحروري يؤنب أمير المؤمنين؟ فقال التميمي: أيها الأمير ما استأمرتني فيه حين أردت توجيهه، ولا ضمنت لك سقطة إن جاءت على لسانه، ولقد انتخبه بعلمك واخترته برأيك، فإن جاءتك فلا عليك بل على نفسه، وبعد، فمهما كنت صانعا به أيها الأمير لو ظفرت به، أهو أكثر من أن تقتله؟ فقد قتله الله وكفاك أمره. فقال زياد: يا سلم، انطلق به فاحبسه الليلة حتى ينكل به غدا على رؤوس الناس. فدفعه سلم إلى غلام له فقال: امض به إلى الحبس. فمضى به الغلام، فلما كانوا في بعض الطريق أفلته الفتى وفر هاربا وأنشأ يقول: من الطويل:

وأيقنت أني إن لبثت ساعة..على باب سلم سار جسمي إلى قبري..جميعا وشتى مدرجا في عباءة..فرأسي بعيد وهو أقرب من شبر..وجاء البخاريون يبتدرونني..عيون لهم خرز توقد كالجمر..عكوف على الأبواب من يؤمروا به..فليس براء أهله آخر الدهر...عشية يدعوهم دويد ومن يجب..دويدا فقد لاقى العظيم من الأمر..ولله أيام أتين ثلاثة..غلبن علينا القوم من كل ذي صبر..تحدر فيهن المنايا تحدرا..كأن دماء القوم من راحهم تجري. وكان زياد تواعد الناس بالقتل في ثلاثة أيام، فقتل منهم خلقا كثيرا، ودويد هذا رجل كان من البخاريين على عذاب زياد.

قال عبد الرحمن بن السائب الأنصاري[3]: جمع زياد أهل الكوفة فملاء منهم المسجد والرحبة* والقصر ليعرض عليهم البراءة من علي بن أبي طالب، قال عبد الرحمن: فإني لمع نفر من أصحابي من الأنصار، والناس في أمر عظيم من ذلك وفي حصر، قال: فهومت تهويمة – أي نعست نعسة – فرأيت شيئا أقبل طويل العنق، له عنق مثل عنق البعير، أهدب أهدل فقلت: ما أنت ؟ فقال: أنا النقاد ذو الرقبة، بعثت إلى صاحب هذا القصر، فاستيقظت فزعا فقلت لأصحابي: هل رأيتم ما رأيت ؟ قالوا: لا ! فأخبرتهم، وخرج علينا خارج من القصر فقال: إن الأمير يقول لكم: انصرفوا عني: فإني عنكم مشغول. وإذا الطاعون قد أصابه.

----

*(الرحبة) رحبة مسجد الكوفة وهو المكان الواسع أمام بابه

(1) شداد بن أوس بن ثابت بن حرام بن زيد مناة وهو ابن أخي حسان بن ثابت. يكنى أبا يعلى نزل الشام بناحية فلسطين ومات بها سنة 58 هـ وهو ابن 75 سنة.قيل: توفي سنة 41 هـ. وقيل: توفي سنة 64 هـ. قال عبادة بن الصامت: كان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحلم. في عيون الأخبار قال هو: شداد بن عمرو؟

(2) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

(3) عبد الرحمن بن السائب الأنصاري بن أبي السائب أخوه عبد الله بن السائب قتل يوم الجمل واختلف في إسلام أبيه السائب.

قال بعض العلماء لولده: يا بني، إن الدنيا لم تبن شيئا إلا هدمه الدين، وإن الدين لم يبن شيئا فهدمته الدنيا، ألا ترى أن قوما لعنوا عليا ليخفضوا منه فكأنما أخذوا بناصيته جرا إلى السماء. قال حجر المدري*: قال لي علي: كيف بك إذا أمرت أن تلعنني؟ قال: أو كائنٌ ذلك؟ قال: نعم؛ قلت: فكيف أصنع؟ قال: العن ولا تتبرأ مني؛ فأقامه محمد بن يوسف إلى جنب المنبر يوم الجمعة، فقال له: العن علياً، فقال: إن الأمير محمد بن يوسف أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله؛ قال: فعماها على أهل المسجد وتفرقوا وما فطن له إلا رجلٌ واحد. وعن سلمة بن الأكوع قال: كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه رأينا أنه قد أتى بابا من الكبائر. قال رجل كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز، فذكر الحجاج فشتمته، فقال عمر:﴿إِنَّ الرَّجُلَ لِيَظْلِمُ بِالْمَظْلَمَةِ فَلَا يَزَالُ الْمَظْلُومُ يُشَتِّمُ الظَّالِمَ وَيَسُبُّهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ حَقَّهُ فَيَكُونُ لِلظَّالِمِ الفَضْلَ عَلَيْهِ﴾ وسمع ابن سيرين رجلا يسب الحجاج فأقبل عليه فقال:﴿مَهْ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَإِنَّكَ لَوْ قَدْ وَافَيْتَ الْآخِرَةَ كَانَ أَصْغَرُ ذَنْبٍ عَمِلْتَهُ قَطُّ أَعْظَمَ عَلَيْكَ مِنْ أَعْظَمِ ذَنْبٍ عَمِلَهُ الْحَجَّاجُ وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى حَكَمٌ عَدْلٌ إِنْ أَخَذَ مِنَ الْحَجَّاجِ لِمَنْ ظَلَمَهُ فَسَوْفَ يَأْخُذُ لِلْحَجَّاجِ مِمَّنْ ظَلَمَهُ فَلَا تَشْغِلَنَّ نَفْسَكَ بِسَبِّ أَحَدٍ﴾ ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر: إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها، وقال يزيد بن ميسرة: إن ظللت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول: إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسعكما عفوي. وعن رجل من آل عمر قال:﴿قُلْتُ لِسَعِيدِ بنِ الْمُسَيِّبِ: ادْعُ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ. قَالَ: اللَّهُمَّ، أَعِزَّ دِينَكَ، وَأَظْهِرْ أَوْلِيَاءَكَ، وَاخْزِ أَعْدَاءَكَ فِي عَافِيَةٍ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين قال:﴿إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً﴾ وعنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿اللهُمَّ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً﴾ وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلَا بِلَعَّانٍ، وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَمَالِهِ، فَلْيَسْتَحِلَّهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَهُ بِهِ حِينَ لَا دِينَارَ وَلَا دِرْهَمَ، فَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ﴾ (فليستحله) أي ليسأله أن يجعله في حل من قبله، يقال: تحللته: إذا سالته أن يجعلك في حل، معناه: أن يقطع دعواه، ويترك مظلمته.وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّهُ لَيَأْتِيَ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ سَرَّتْهُ حَسَنَاتُهُ، فَيَجِيءُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، ظَلَمَنِي هَذَا، فَيُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَيُجْعَلُ فِي حَسَنَاتِ الَّذِي سَأَلَهُ، فَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى مَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِذَا جَاءَ مَنْ يَسْأَلُهُ، نَظَرَ إِلَى سَيِّئَاتِهِ فَجُعِلَتْ مَعَ سَيِّئَاتِ الرَّجُلِ، فَلَا يَزَالُ يُسْتَوْفَى مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَتُرَدُّ عَلَيْهِ سَيِّئَاتُ مَنْ ظَلَمَهُ، فَمَا يَزَالُ يُسْتَوْفَى مِنْهُ حَتَّى يَدْخُلَ النَّارَ﴾ وعن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم﴿يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ بَيْنَ الظُّلْمَةِ، وَالْوَعْرَةِ لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ فَعَرَفَهُ، وَعَرَفَ مَا ظَلَمَهُ بِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الَّذِينَ ظُلِمُوا يَقُصُّونَ مِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا، حَتَّى يَنْزِعُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَسَنَاتٌ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مِثْلَ مَا ظَلَمُوا، حَتَّى يُورِدُوا الدَّرْكَ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الدَّوَاوِينُ عِنْدَ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، ثَلَاثَةٌ: دِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ؛ فَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ فَالشِّرْكُ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ [المائدة] وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا، فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، مِنْ صَوْمِ يَوْمٍ تَرَكَهُ، أَوْ صَلَاةٍ تَرَكَهَا، فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ ذَلِكَ، وَيَتَجَاوَزُ إِنْ شَاءَ، وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ﴾ وعن أبي فراس قال: خَطَبَ عمر بن الخطاب فقال: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَاللهِ مَا أُرْسِلُ عُمَّالِي إِلَيْكُمْ لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ، وَلا لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنِّي أُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ لِيُعَلِّمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَّتَكُمْ، فَمَنْ فُعِلَ بِهِ شَيْءٌ سِوَى ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَيَّ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِذَاً لَأُقِصَّنَّهُ مِنْهُ، فَوَثَبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَعِيَّةٍ، فَأَدَّبَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ، أَئِنَّكَ لَمُقْتَصُّهُ مِنْهُ؟ قَالَ: إِي وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، إِذَاً لَأُقِصَّنَّهُ مِنْهُ، أَنَّى لا أُقِصَّنَّهُ مِنْهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقِصُّ مِنْ نَفْسِهِ؟ أَلا لَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ فَتُذِلُّوهُمْ، وَلا تُجَمِّرُوهُمْ فَتَفْتِنُوهُمْ، وَلا تَمْنَعُوهُمْ حُقُوقَهُمْ فَتُكَفِّرُوهُمْ، وَلا تُنْزِلُوهُمُ الْغِيَاضَ فَتُضَيِّعُوهُمْ﴾ وعنه أنه قال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ عَظَّمَ حَقَّهُ فَوْقَ حَقِّ خَلْقِهِ فَقَالَ فِيمَا عَظَّمَ مِنْ حَقِّهِ: وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران] أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَبْعَثْكُمْ أُمَرَاءَ وَلَا جَبَّارِينَ وَلَكِنَّ بَعَثْتُكُمْ أَئِمَّةَ الْهُدَى يَهْتَدِي بِكُمْ فَأَدِرُّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ حُقُوقَهُمْ وَلَا تَضْرِبُوهُمْ وَلَا تَحْمَدُوهُمْ فَتَفْتِنُوهُمْ وَلَا تُغَلِّقُوا الْأَبْوَابَ دُونَهُمْ فَيَأْكُلُ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهُمْ، وَلَا تَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ فَتَظْلِمُوهُمْ وَلَا تَجْهَلُوا عَلَيْهِمْ وَقَاتِلُوا بِهِمُ الْكُفَّارَ طَاقَتَهُمْ فَإِذَا رَأَيْتُمْ بِهِمْ كَلَالَةً فَكُفُّوا عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ أَبْلَغُ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُشْهِدُكُمْ عَلَى عُلَمَاءِ الأمصار أَنِّي لَمْ أَبْعَثْهُمْ إِلَّا لِيُفَقِّهُوا النَّاسَ فِي دِينِهِمْ وَيُقَسِّمُوا عَلَيْهِمْ فيئهم وَيَحْكُمُوا بَيْنَهُمْ فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ رَفَعُوهُ إِلَيَّ﴾ وعن سالم أنه قال: ﴿كَانَ عُمَرُ إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَنَهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ جَمَعَ أَهْلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي نَهَيْتُ النَّاسَ عَنْ كَذَا وَكَذَا، وَإِنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ نَظَرَ الطَّيْرِ- يَعْنِي إِلَى اللَّحْمِ- وَأُقْسِمُ بِاللهِ لَا أَجِدُ أَحَدًا مِنْكُمْ فَعَلَهُ إِلا أَضْعَفْتُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ﴾ وكان عمر يقول: لا يصلح أن يلي أمور الناس إلا حصيف العقل وافر العلم قليل الغرة بعيد الهمة، شديد في غير عنف لين في غير ضعف، جواد في غير سرف لا يخاف في الله لومة لائم.

----

*(المدري) في المختصر: المدني. حجر المدري يماني تابعي ثقة وكان من خيار التابعين. المدري هذه النسبة إلى مدر – كجبل – بلد باليمن. (القليب) اسم بئر يقع في غزوة بدر. وقال ابن الأثير: القليب: البئر التي لم تطو ويذكر ويؤنث.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ عيون الأخبار/ أنساب الأشراف/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ معجم الصحابة/ أسد الغابة/ البداية والنهاية/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث/

قال معاوية يوما: أيها الناس، إن الله فضل قريشا بثلاث: فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء] فنحن عشيرته؛ وقال:﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف] فنحن قومه؛ وقال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش] ونحن قريش! فأجابه رجل من الأنصار[1] فقال: على رسلك يا معاوية، فإن الله يقول: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ [الأنعام] وأنتم قومه؛ وقال: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف] وأنتم قومه، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان] وأنتم قومه؛ ثلاثة بثلاثة، ولو زدتنا لزدناك! فأفحمه.

قالوا: وصعد معاوية المنبر فحمد الله وأثنى عليه، فلما أراد الكلام قطع عليه غلام من الأنصار قام فقال: يا معاوية ما جعلك وأهل بيتك أحق بهذه الأموال منا؟ وإنما أفاءها الله على المسلمين بسيوفنا ورماحنا، ومالنا عندك ذنب نعلمه إلا أنا قتلنا خالك وليدا[2] وجدك عتبة[3] وأخاك حنظلة[4]،فقال معاوية: لا والله يا بن أخي، ما أنتم قتلتموهم ولكن الله قتلهم بملائكة بعد ملائكة، على يدي بني أبيهم، وما ذاك بعار ولا منقصة، قال الأنصاري: فأين العار والمنقصة إذا؟ قال: صدقت، أفلك حاجة؟ قال: نعم لي عجوز كبيرة وأخوات عواتق وقد عضنا الدهر وحل بنا الحدثان، فقال له معاوية: خذ من المال ما استطعت، وكان مالا ورد من بعض النواحي، فحمل الغلام وقره، ومضى معاوية في خطبته حتى فرغ.

عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان قال: دخل قوم من الأنصار على معاوية فقال لهم: يا معشر الأنصار! قريش لكم خير منكم لها؛ فإن يكن ذلك لقتلي أحد، فقد نلتم يوم بدر مثلهم؛ وإن يكن ذلك للأثرة، فو الله ما تركتم إلى صلتكم سبيلا، لقد خذلتم عثمان يوم الدار، وقتلتم أنصاره يوم الجمل*،وصليتم بالأمر يوم صفين*.فتكلم رجل منهم فقال: أقلت قريش خير لنا منا لها؟ فإن فعلوا فقد أسكناهم الدار، وقاسمناهم الأموال، وبذلنا لهم الديار، ودفعنا عنهم العدو وأنت سيد قريش، فهل لهذا عندك جزاء؟ وأما قولك إن يكن ذلك لقتلى أحد، فإن قتيلنا وحينا ثائر؛ وأما ذكرك الأثرة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالصبر عليها، وأما خذلان عثمان فإن الأمر في عثمان ما كان إلا جفلي* - يريد الجمع- وأما قتل أنصاره يوم الجمل فما لا يعتذر منه؛ وأما قولك إنا صلينا بالأمر يوم صفين فإنا كنا مع رجل لم نأله خيرا. وقاموا وخرجوا، فقال معاوية: ردوهم، فو الله ما فرغ من كلامه حتى ضاق بي مجلسي! أما كان فيكم رجل يجيبه؟! فردوهم فترضاهم ووصلهم.

وفي رواية قال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان: إن رهطا من الأنصار دخلوا على معاوية، فقال: يا معشر الأنصار، قريش خير لكم منكم لهم، فإن يكن ذلك لقتلى أحد، فقد قتلتم يوم بدر مثلهم؛ وإن يكن لإمرة فوالله ما جعلتم لي إلى صلتكم سبيلا ؛ خذلتم عثمان يوم الدار، وقتلتم أنصاره يوم الجمل، وصليتم بالأمر يوم صفين. فتكلم رجل منهم، فقال: يا أمير المؤمنين، أما قولك إن يكون لقتلى أحد فإن قتيلنا شهيد وحينا تائق، وأما ذكرك الإمرة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالصبر عليه. وأما قولك إنا خذلنا عثمان، فإن الأمر في عثمان إلى قتلته؛ وأما قولك إنا قتلنا أنصاره يوم الجمل فذلك ما لا نعتذر منه، وأما قولك إنا صلينا بالأمر يوم صفين، فإنما كنا مع رجل لم نأله خيرا، فإن لمتنا فرب ملوم لا ذنب له. ثم قام هو وأصحابه يجر ثوبه مغضبا، فقال معاوية: ردوهم، فردوا فترضاهم حتى رضوا، ثم انصرفوا. وأقبل معاوية على رهط من قريش، فقال: والله ما فرغ من منطقه حتى ضاق بي مجلسي.

----

*(بدر) غزوة بدر الكبرى، و يوم الفرقان وقعت في 17 من رمضان في العام الثاني من الهجرة بين المسلمين بقيادة رسول الله، وقريش. في منطقة بها بئر ماء تقع بين مكة والمدينة.(وقعة الجمل) سنة 36 هـ قتل بها طلحة والزبير وغيرهما (صفين) اسم موضع بين الشام والعراق. كانت به الوقعة المشهورة.(الاجفلي) الجماعة من كل شئ

■ (1) الأنصار هم أهل المدينة من الأوس والخزرج الذين نصروا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

■ (3) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية. ولد سنة 57 ق.هـ.كان موصوفا بالرأي والحلم والفضل، خطيبا، نافذ القول. نشأ يتيما في حجر حرب بن أمية. وأول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجار (بين هوازن وكنانة) وقد رضي الفريقان بحكمه، وانقضب الحرب على يده. وكان يقال: لم يسد من قريش مملق إلا عتبه وأبو طالب، فانهما ساداد بغير مال. أدرك الإسلام، وطغى فشهد بدرا مع المشركين. وكان ضخم الجثة، عظيم الهامة، طلب خوذة يلبسها يوم بدر فلم يجد ما يسع هامته، فاعتجر على رأسه بثوب له، وقاتل قتالا شديدا، فأحاط به علي بن أبي طالب والحمزة وعبيدة بن الحارث، فقتلوه سنة 2 هـ.

■ (4) حنظلة بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي القرشي: جاهلي، من الشجعان الأشداء القساة.أدرك الإسلام. وكان شديد الأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل المسلمين فقتلوه يوم بدر كافرا سنة 2 هـ.

■ (2) الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، قتله علي رضي الله عنه، يوم بدر كافرا سنة 2 هـ.

قال الرشيد لشريك القاضي: آية في كتاب الله ليس لك ولا لقومك فيها شيء. قال: وما هي؟ قال قوله تعالى: :﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف] فقال: آية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء، قال: وما هي؟ قال: قول الله جل وعلا: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ [الأنعام]

عن الحكم بن ميناء أن يزيد بن جارية الأنصاري أخبره أنه كان جالسا في نفر من الأنصار، فخرج عليهم معاوية، فسألهم عن حديثهم، فقالوا: كنا في حديث من حديث الأنصار فقال معاوية: ألا أزيدكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ أَحَبَّ الأَنْصَارَ أَحَبَّهُ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ أَبْغَضَ الأَنْصَارَ أَبْغَضَهُ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ﴾ وعن حمزة بن أبي أسيد قال سمعت الحارث بن زياد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَحَبَّ الأَنْصَارَ أَحَبَّهُ اللهُّ حتى يَلْقَاهُ وَمَنْ أَبْغَضَ الأَنْصَارَ أَبْغَضَهُ اللهُّ حِينَ يَلْقَاهُ﴾ وعن همام بن منبه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ وَلَوْ يَنْدَفِعُ النَّاسُ فِي شُعْبَةٍ أَوْ فِي وَادٍ وَالأَنْصَارُ فِي شُعْبَةٍ لاَنْدَفَعْتُ مَعَ الأَنْصَارِ فِي شُعْبَتِهِمْ﴾ وعن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري - وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم- أنه أخبره بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما عاصبا رأسه فقال في خطبته:﴿أَمَّا بَعْدُ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ فَإِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ تَزِيدُونَ وَأَصْبَحَتِ الأَنْصَارُ لاَ تَزِيدُ عَلَى هَيْئَتِهَا الَّتِي هِي عَلَيْهَا الْيَوْمَ وَإِنَّ الأَنْصَارَ عَيْبَتِي الَّتِي أَوَيْتُ إِلَيْهَا فَأَكْرِمُوا كَرِيمَهُمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ﴾ وعن قدامة بن إبراهيم قال رأيت الحجاج يضرب عباس بن سهل في أمر ابن الزبير فأتاه سهل بن سعد وهو شيخ كبير له ضفيرتان وعليه ثوبان إزار ورداء فوقف بين السماطين فقال يا حجاج ألا تحفظ فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم قال:﴿أُوصِي أَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِ الأَنْصَارِ، وَيُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ﴾ قال: فأرسله.

وحدث معاذ بن رفاعة الزرقي عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَلِذَرَارِيِّ الأَنْصَارِ وَلِذَرَارِيِّ ذَرَارِيِّهِمْ وَلِمَوَالِيهِمْ وَجِيرَانِهِمْ﴾ وعن هشام بن عروة عن أبيه عن أم المؤمنين عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا يَضُرُّ امْرَأَةً نَزَلَتْ بَيْنَ بَيْتَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ أَوْ نَزَلَتْ بَيْنَ أَبَوَيْهَا﴾ وعن عبد الله بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ فَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ فَبَلَغَهُ أَنَّ الأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ فَقَامَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللهَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُّ بِي وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُّ بِي وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللهُّ بِي. وَيَقُولُونَ اللهُّ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. فَقَالَ: أَلاَ تُجِيبُونِي. فَقَالُوا اللهُّ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. فَقَالَ: أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا وَكَانَ مِنَ الأَمْرِ كَذَا وَكَذَا. لأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا. زَعَمَ عَمْرٌو أَنْ لاَ يَحْفَظُهَا فَقَالَ: أَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالإِبِلِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهَّ إِلَى رِحَالِكُمُ الأَنْصَارُ شِعَارٌ* وَالنَّاسُ دِثَارٌ* وَلَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِىَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِى أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِى عَلَى الْحَوْضِ﴾ وعن أبى التياح قال سمعت أنس بن مالك قال: ﴿لَمَّا فُتِحَتْ مَكَّةُ قَسَمَ الْغَنَائِمَ فِي قُرَيْشٍ فَقَالَتِ الأَنْصَارُ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعَجَبُ إِنَّ سُيُوفَنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ وَإِنَّ غَنَائِمَنَا تُرَدُّ عَلَيْهِمْ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَهُمْ فَقَالَ: مَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ. قَالُوا هُوَ الَّذِي بَلَغَكَ. وَكَانُوا لاَ يَكْذِبُونَ. قَالَ: أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا إِلَى بُيُوتِهِمْ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهَّ إِلَى بُيُوتِكُمْ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِىَ الأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَ الأَنْصَارِ﴾.

عن محمود بن لبيد عن شفيع وكان طبيبا قال: دعاني أسيد بن حضير فقطعت له عرق النسا فحدثني بحديثين قال أتاني أهل بيتين من قومي أهل بيت من بني ظفر وأهل بيت من بني معاوية فقالوا كلم النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لنا أو يعطينا فكلمت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: نعم أقسم لكل أهل بيت منهم شطرا وإن عاد الله علينا عدنا عليهم. قال قلت جزاك الله خيرا يا رسول الله قال:وأنتم فجزاكم الله خيرا فإنكم ما علمتكم أعفة صبر. وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنكم ستلقون أثرة بعدي. فلما كان عمر بن الخطاب قسم حللا بين الناس فبعث إلي منها بحلة فاستصغرتها فأعطيتها ابني فبينا أنا أصلي إذ مر بي شاب من قريش عليه حلة من تلك الحلل يجرها فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم ستلقون بعدي أثرة. فقلت صدق الله ورسوله فانطلق رجل إلى عمر فأخبره فجاء وأنا أصلي، فقال: يا أسيد، فلما قضيت صلاتي، قال: كيف قلت فأخبرته، قال: تلك حلة بعثت بها إلى فلان بن فلان وهو بدري أحدي عقبي(أي حضرا بدرا وأحدا وبيعة العقبة) فأتاه هذا الفتى فابتاعها منه فلبسها أفظننت أن يكون ذلك في زماني؟ قال: قلت: والله يا أمير المؤمنين ظننت أن لا يكون ذلك في زمانك.

----

*(الدثار) الثوب يكون فوق الشعار أي الأنصار هم الخاصة والناس العامة. (الشعار) ما ولى الجسد دون سواه من الثياب والمعنى أن الأنصار الخاصة دون الناس.

مراجع: تهذيب الأسماء واللغات/ مختصر تاريخ دمشق/ معجم الصحابة/ الأعلام للزركلي/ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان/ الإمتاع والمؤانسة/ تاريخ الطبري/ مسند أحمد/ إيقاظ أولي الهمم العالية/

قال جويرية بن أسماء[1] نال بسر بن أرطأة[2] من علي بن أبي طالب عند معاوية، وزيد بن عمر بن الخطاب[3] جالس، فعلا بسرا ضربا حتى شجه. فقال معاوية: يا زيد، عمدت إلى شيخ قريش وسيد أهل الشام فضربته! وأقبل على بسر وقال: تشتم عليا وهو جده وأبوه الفاروق على رؤوس الناس! أفكنت تراه يصبر على شتم علي! وكانت أم زيد أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب[4] وفي رواية الأصمعي عن نافع قال: ذكر بشر بن أرطأة[2] عليا فنال منه فضرب زيد بن عمر – وأمه ابنة علي بن أبي طالب – على رأسه بعصا فشجه فبلغ ذلك معاوية فبعث إلى زيد بن عمر: أتدري ما صنعت؟ وثبت على بشر بن أرطأة وهو شيخ أهل الشام فضربت رأسه بعصا، لقد أتيت عظماء. ثم بعث إلى بشر فقال: أتدري ما صنعت؟ وثبت على ابن الفاروق وابن علي بن أبي طالب تسبه وسط الناس وتزدريه، ولقد أتيت عظيما. ثم بعث إلى هذا بشيء وإلى هذا بشيء.

وفي رواية ابن المنظور قال: وفد إلى معاوية بن أبي سفيان فأجلسه على السرير، وهو يومئذ من أجمل الناس وأشبههم، فبينا هو جالس قال له بسر بن أرطأة: يا بن أبي تراب. فقال له: إياي تعني؟ لا أم لك، أنا والله خير منك وأزكى وأطيب، فما زال الكلام بينهما حتى نزل زيد إليه فخنقه حتى صرعه وبرك على صدره. فنزل معاوية عن سريره فحجز بينهما، وسقطت عمامة زيد فقال زيد: والله يا معاوية ما شكرت الحسنى، ولا حفظت ما كان منا إليك، تسلط علي عبد بني عامر!؟ فقال معاوية: أما قولك يا بن أخي أني كفرت الحسنى فوالله ما استعملني أبوك إلا من حاجة إلي، وأما ما ذكرت من الشكر فوالله لقد وصلنا أرحامكم وقضينا حقوقكم وإنكم لفي منازلكم. فقال زيد: أنا ابن الخليفتين، والله لا تراني بعدها أبدا عائدا إليك، وإني لأعلم أن هذا لم يكن إلا عن رأيك. قال: وخرج زيد وقد تشعث رأسه وسقطت عمامته فدعا بإبله فارتحل، فأتاه آذن معاوية، فقال: إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول: عزمت عليك لما أتيتني فإن أبيت أتيتك. قال زيد: لولا العزيمة ما أتيت. فلما رجع إليه أجلسه على سريره وقبل بين عينيه، ثم أقبل عليه فقال: من نسي بلاء عمر فإني والله ما أنساه. لقد استعملني وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون وأنا يومئذ حديث السن، فأخذت بأدبه واقتديت بهديه واتبعت أثره، فوالله ما قويت على العامة إلا بمكاني كان منه. حاجتك يا بن أخي؟ قال الراوي: فوالله ما ترك له حاجة، ولا لمن معه إلا قضاها، وأمر له بمئة ألف، وأمر لنا بأربعة آلاف أربعة آلاف، ونحن عشرون رجلا، وقال: هذه لك عندي في كل عام.

----

(3) زيد بن عمر بن الخطاب هو ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، من زوجته أم كلثوم بنت علي بن أبى طالب من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنهم. توفى زيد وأمه أم كلثوم في ساعة واحدة، وهو صغير، ولا يدرى أيهما مات أولا. سنة 49 هـ.

(4) أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله وأمها خديجة بنت خويلد تزوجها عمر بن الخطاب وهي جارية لم تبلغ فلم تزل عنده إلى أن قتل وولدت له زيد بن عمر ورقية بنت عمر. قالوا: أم كلثوم أرسلت مرة مع رسول جاء المدينة من قبل ملك الروم هدية من الطاف المدينة إلى إمبراطورة الروم امرأة هرقل وأرسلت لها هذه في نظيرها عقدا نفيسا من الجواهر، فأخذه منها عمر ورده إلى بيت المال وقد جاء في كتب التاريخ أن أم كلثوم أرسلت تلك الهدية مع بريد عمر.

(2) بسر بن أرطأة، ويقال: بن أبي أرطأة بن عويمر، يكنى أبا عبد الرحمن.مختلف في صحبته، شهد فتح مصر واختط بها وكان من شيعة معاوية وقد وجهه معاوية إلى اليمن والحجاز في أول سنة أربعين وله دار بالبصرة ومات بالمدينة وقد خرف في ولاية عبد الملك بن مروان

(1) جويرية بن أسماء بن عبيد من متقنى البصريين كنيته أبو مخراق مات سنة 173 هـ.

قال الحسن[1] رضي الله عنه لحبيب بن مسلمة الفهري:[2] رب مسير لك في غير طاعة الله، قال: أما مسيري إلى أبيك فلا، قال: بلى، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة، فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك، فلو كنت إذ فعلت شرا قلت خيرا كنت كما قال الله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة] ولكنك كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففون] (قيل كان حبيب في جيش معاوية يوم صفين ولم يزل مع معاوية في حروبه وكان حبيب يلح على معاوية بالعمل بسيرة أبي بكر وعمر، روى ابن عساكر عن ابن عجلان قال: لما أتى معاوية موت حبيب بن مسلمة سجد، ولما أتاه موت عمرو بن العاص سجد، فقال له قائل: يا أمير المؤمنين سجدت لوفدين وهما مختلفان، فقال: أما حبيب فكان يأخذني بسنة أبي بكر وعمر، وأما عمرو فيأخذني بالإمرة الإمرة؛ فلا أدري ما أصنع). روى ابن الأصم عن عمه قال: كنت عند معاوية فذكر ربيعة الجرشي[3] عليا، فقام إليه سعد، فجعل يحثي عليه التراب، وقال لمعاوية: أيذكر علي عندك؟! قال: وحثا على ربيعة التراب وقال: وعليك وعليك. ولما مات الحسن بن علي حج معاوية، فدخل المدينة وأراد أن يلعن عليا على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقيل له: إن هاهنا سعد بن أبي وقاص[4]،ولا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخذ رأيه. فأرسل إليه وذكر له ذلك. فقال: إن فعلت لأخرجن من المسجد، ثم لا أعود إليه. فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد. فلما مات لعنه على المنبر، وكتب إلى عماله أن يلعنوه على المنابر، ففعلوا. فكتبت أم سلمة[5]زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى معاوية: إنكم تلعن الله ورسوله على منابركم، وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله، فلم يلتفت إلى كلامها.

عن زيد بن أرقم ﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِفَاطِمَةَ وعَلِيٍّ وَحَسَنٍ وَحُسَيْنٍ: أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ﴾ قال عمرو بن الحمق: إني والله يا أمير المؤمنين ما أجبتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا إرادة مال تؤتينيه، ولا التماس سلطان يرفع ذكرى به، ولكن أجبتك لخصال خمس: أنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول من آمن به، وزوج سيدة نساء الأمة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعظم رجل من المهاجرين سهما في الجهاد. فلو أنى كلفت نقل الجبال الرواسي، ونزح البحور الطوامي حتى يأتي على يومي في أمر أقوى به وليك وأوهن به عدوك، ما رأيت أني قد أديت فيه كل الذي يحق علي من حقك. فقال أمير المؤمنين علي: اللهم، نور قلبه بالتقى، واهده إلى صراط مستقيم، ليت أن في جندي مائة مثلك، فقال حجر: إذا والله يا أمير المؤمنين صح جندك، وقل فيهم من يغشك. وعن عبد الله بن شريك قال: خرج حجر بن عدى، وعمرو بن الحمق، يظهران البراءة واللعن من أهل الشام، فأرسل إليهما علي: أن كفا عما يبلغني عنكما فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا محقين؟! قال: بلى. قالا: أو ليسوا مبطلين؟! قال: بلى. قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟! قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين، تشتمون وتتبرؤون. ولكن لو وصفتم مساوي أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن عملهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر. ولو قلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم، احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق منهم من جهله، ويرعوى عن الغي والعدوان من لهج به، كان هذا أحب إلى وخيرا لكم. فقالا: يا أمير المؤمنين، نقبل عظتك، ونتأدب بأدبك.

قال زهير بن الأقمر الزبيدي: خطبنا علي فقال: أنبئت بسرا –يعني ابن أرطأة– قد اطلع اليمن* ، وإني والله قد خشيت أن يدخل هؤلاء القوم عليكم وما بي إن يكونوا أولى بالحق منكم، ولن تطيعوني في الحق كما يطيعون إمامهم في الباطل ما ظهروا عليكم، ولكن بصلاحهم في أرضهم، وفسادكم في أرضكم، وطواعيتهم إمامهم، وعصيانكم إمامكم، وبأدائهم الأمانة وخيانتكم. استعملت فلانا فخان وغدر، واستعملت فلانا فخان وغدر، واستعملت فلانا فخان وغدر، واستعملت فلانا فخان وغدر، وحمل المال إلى معاوية. فوالله، لو أني أمنت أحدكم على قدح لخشيت أن يذهب بعلاقته. اللهم، قد كرهتهم وكرهوني، وسئمتهم وسئموني، اللهم، فأرحني منهم وأرحهم مني.

وكان السبب في قتل زيد بن عمر بن الخطاب أن حربا وقعت فيما بين عدي بن كعب، فخرج عبد الله بن مطيع يطلع ما سببه، وبلغ ذلك عبد الله وسليمان ابني أبي جهم، فخرجا يرصدانه لرجعته، وأتى الخبر أخويهما فخرجوا إليهما، وتداعى الفريقان، وانصرف عبد الله بن مطيع مشيا، فالتقوا بالبقيع، فاقتتلوا، وتنوول ابن مطيع بعصا، فأدركت مؤخر السرج فكسرته، وأقبل زيد بن عمر ليحجز بينهم وبين بعضهم عن بعض، فخالطهم، فضربه رجل منهم في الظلمة، وهو لا يعرفه، على رأسه، فشجه، وصرع عن دابته، وتنادى القوم: زيد.. زيد، فتفرقوا، وأسقط في أيديهم، وأقبل عبد الله بن مطيع فلما رآه صريعا نزل، فأكب عليه، وناداه: يا زيد، بأبي أنت وأمي، مرتين أو ثلاثا، ثم أجابه فكبر ابن مطيع، وأخذه فحمله على بغلته حتى آداه إلى منزله، فدوي زيد من شجته حتى أقبل، وقيل: قد برأ، وكان يسأل عمر ضربه فلا يسميه، ثم إن الشجة انتقضت بزيد بن عمر، فلم يزل منها مريضا، وأصابه بطن فهلك. رحمة الله عليه.

قال محمد بن الحسن المخزومي: لما استعز بزيد بن عمر جعل الحسين بن علي عليهما السلام يقول له: يا زيد، من ضربك؟ فيقول له عبد الله بن عمر: يا زيد، اتق الله فإنك كنت في اختلاط لا تعرف فيه من ضربك. قال: وكانت في زيد وأمه سنتان: ماتا في ساعة واحدة، لم يعرف أيهما مات قبل الآخر، فلم يورث كل واحد منهما من صاحبه، ووضعا معا في موضع الجنائز، فأخرت أمه وقدم هو مما يلي الإمام، فجرت السنة في الرجل والمرأة بذلك بعد.وقال الحسين بن علي لعبد الله بن عمر: تقدم فصل على أمك وأخيك. فتقدم فصلى عليهما. وقيل: إن خالد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب هو الذي أصاب زيدا تلك الليلة برمية ولا يعرفه. وقيل: إن سعيد بن العاص صلى عليهما. والمحفوظ أن عبد الله بن عمر هو الذي صلى عليهما في إمارة سعيد بن العاص، وكبر أربعا، وخلفه الحسن، والحسين، وابن الحنفية، وابن عباس، وغيرهم.

*(قد طلع اليمن) أي قصدها من نجد وأطلع رأسه إذا أشرف على شيء وكذلك اطلع وأطلع غيره واطلعه (الهوى) كل ما يريده الإنسان ويختاره ويرضاه ويشتهيه ويميل إليه

----

(1) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

(4) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق القرشي الزهري المديني، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وهو ابن 74 وقيل مات سنة 58 هـ. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن خولة بنت حكيم السلمية.

(5) أم المؤمنين، أم سلمة، هند بنت سهيل المخزومية، تزوجها النبي في السنة الرابعة للهجرة.وهي قديمة الإسلام، وكان لها يوم الحديبية رأي أشارت به على النبي دل على وفور عقلها ويفهم من خبر عنها أنها كانت تكتب وعمرت طويلا.واختلفوا في سنة وفاتها فقيل بالمدينة سنة 62 هـ

(3) ربيعة بن عمر الجرشي، أبو الغاز. ويقال: ابن الحارث الجرشي، أدرك النبي، وقيل له صحبة. وكان فقيه الناس في زمن معاوية. وقال غيره: فقئت عين ربيعة الجرشي يوم صفين مع معاوية، وقتل يوم مرج راهط مع الضحاك بن قيس سنة 64 هـ

(2) حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري القرشي، أبو عبد الرحمن: قائد من كبار الفاتحين، يقرنه بعضهم بخالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح. ولد بمكة و(قيل) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج إلى الشام مجاهدا في أيام أبي بكر، فشهد اليرموك، ودخل دمشق مع أبي عبيدة، فولاه أبو عبيدة أنطاكية، ثم أمره عمر بن الخطاب بامداد سراقة بن عمرو، وكان قد ولي غزو الباب، فسار حبيب، وتوغل في أرمينية، واشتهرت أعماله وشجاعته فيها. ثم قصد المدينة حاجا فأكرمه عمر، وعاد إلى الشام في ولاية معاوية، فكان يغزيه الروم إلى أن ولاه عمر على الجزيرة، وضم إليه أرمينية وأذربيجان. ثم عزله فأقام في الشام. ولما استخلف عثمان بعثه هو وسلمان بن أبي ربيعة لا خضاع جماعة انتقضوا في أذربيجان، فأخضعاهم. وكان معاوية يستشيره في كثير من شؤونه. وكان يقال له حبيب الروم لكثرة دخوله بلادهم ونيله منهم. وأخباره في سير الفتوح كثيرة، وهو فاتح كثير من بلاد أرمينية حتى بلغ القوقاس من جهة البحر الاسود. وكان عثمان يريد توليته أرمينية كلها إلا أنه خاف أن تشغله السياسة عن القيادة، فاكتفى بأن ناط به غزو ثغور الشام والجزيرة. ولما صفا الملك لمعاوية ولاه أرمينية فتوفي فيها سنة 42 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ العقد الفريد/ الإستيعاب في معرفة الأصحاب/ البداية والنهاية/ عيون الأخبار/ الأعلام للزركلي/ نهج البلاغة/ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وعبادة بن الصامت 0250

عن حميد بن زياد أبو صخر أنه بلغه أن عبادة بن الصامت[1]حين ذكر لناس من شأن عثمان ما ذكروا قال: والله، لا أحضر هذا الأمر أبدا فخرج من المدينة حتى لحق بعسقلان* فمكث حتى فرغ من عثمان ثم أقام حتى استخلف معاوية، فقام معاوية على المنبر فخطب الناس فذكر أبا بكر بن أبي قحافة فصلى عليه، ثم قال: إنه وطىء عقب نبيه صلى الله عليه وسلم واتبع أمر صاحبه، ثم مات، له الفضل من ذلك، لا عليه، ثم ولي عمر فوطىء عقب نبيه صلى الله عليه وسلم واتبع أثر صاحبه ثم مات، له الفضل من ذلك لا عليه، ثم مكث عثمان ثمان سنين لا يخالف أمر نبيه وصاحبيه، ثم أخذ وترك فمات، فالله أعلم به، ثم وليت فأخذت حتى خالط لحمي ودمي، فهو خير مني وأنا خير ممن بعدي، ويا أيها الناس إنما أنا لكم جنة. فقام عبادة بن الصامت فقال: أرأيت إن احترقت الجنة* قال: إذا تخلص إليها النار، قال: من ذلك افر، قال: فأمر به فأخذ، فأضرط*بمعاوية، ثم قال: علمت كيف كانت البيعتان حين عينا إليهما، دعيت على أن تبايع على ألا نزني ولا نسرق، ولا نخاف في الله لومة لائم فقلت: أما هذه فاعفني يا رسول الله، ومضيت أنا عليها، فبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنت يا معاوية أصغر في عيني من أن أخافك في الله عز وجل، فقال معاوية: صدقت، قد كان هذا شأن البيعتين، فأمر به فارسل.

عن عبادة بن الصامت أنا معاوية قال لهم: يا معشر الأنصار، مالكم لم تلقوني مع إخوانكم من قريش؟ قال عبادة: الحاجة. قال: هلا على النواضح*. قال: أنضيناها* مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، فما أجابه. قال: وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّهَا سَتَكُونُ أَثَرَةٌ *بَعْدِي﴾ قال معاوية: فما أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر. قال: فاصبروا حتى تلقوه. وفي رواية: لما قدم معاوية حاجا في خمس وأربعين تلقته قريش بوادي القرى، وتلقته الأنصار بأجزاع المدينة، فقال: يا معشر الأنصار، ما منعكم أن تتلقوني حيث تلقتني قريش؟ قالوا: لم يكن لنا دواب. قال: فأين النواضح؟ قالوا: أنضيناها يوم بدر في طلب أبي سفيان.

عن يعلى بن شداد قال: ذكر معاوية الفرار من الطاعون في خطبته فقال عبادة: أمك هند أعلم منك. فأتم خطبته ثم صلى، ثم أرسل إلى عبادة فنفذت رجال الأنصار معه فاحتبسهم، ودخل عبادة فقال له معاوية: ألم تتق الله وتستحي إمامك؟ فقال عبادة: أليس قد علمت أني بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أني لا أخاف في الله لومة لائم؟ ثم خرج معاوية عند العصر فصلى العصر، ثم أخذ بقائمة المنبر فقال: أيها الناس، إن ذكرت لكم حديثا على المنبر فدخلت البيت فإذا الحديث كما حدثني عبادة فاقتبسوا منه فهو أفقه مني.

----

*(الأثرة) تقديم حظ النفس على الآخرين والانفراد بالشيء وتفضيل البعض على غيرهم. (عسقلان) مدينة في فلسطين (أضرط) يقال: تكلم فلان فأضرط به فلان، أي أنكر عليه قوله (أنضيناها) أنصبناها: فرغنا منها. (الناضح) جمل يستقى عليه الماء للقرى في الحوض أو سقي أرض وجمعه النواضح. (الجنة) وقاية.

(1) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري، أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدريين، سكن بيت المقدس. شهد العقبة الأولى وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان عبادة رجلا طوالا جسيما جميلا. مات بالرملة في فلسطين سنة34 هـ وهو ابن 72 سنة. وقيل: إنه بقي حتى توفي زمن معاوية في خلافته. وقيل غير ذلك.

عن ربيعة بن ناجد، عن عبادة بن الصامت، قال:﴿كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم يَأْخُذُ الْوَبَرَةَ مِنْ جَنْبِ الْبَعِيرِ، ثُمَّ يَقُولُ: مَالِي فِيهِ إِلاَّ مِثْلُ مَا لأَحَدِكُمْ ، ثُمَّ يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَالْغُلُولَ، فَإِنَّ الْغُلُولَ خِزْيٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَدُّوا الْخَيْطَ، وَالْمِخْيَطَ، وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ، وَجَاهِدُوا فِي الله الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ يُنْجِي صَاحِبَهُ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَأَقِيمُوا الْحُدُودَ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَلاَ تَأْخُذْكُمْ فِي الله لَوْمَةَ لاَئِمٍ﴾.

قال عبادة بن الصامت: كنا أحد عشر رجلا في العقبة الأولى، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النساء قبل أن تفرض علينا الحرب، بايعناه على ألا نشرك بالله تعالى، ولا نسرق ولا نزني ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نقتل أولادنا، ولا نعصيه في معروف، فمن وفى فله الجنة، ومن غشي شيئا من ذلك فأمره إلى الله عز وجل إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له. وفي حديث آخر قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، ولا ننازع الأمر أهله، نقول في الحق حيثما كنا، لا نخاف لومة لائم ما لم نر كفرا بواحا. وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على الصدقة فقال له:﴿اتَّقِ اللهَّ يا أبا الوَلِيدِ، لا تَأْتِي يومَ القيامَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ على رَقَبَتِكَ لَهُ رُغَاءٌ أو بَقَرَةٌ لها خُوَارٌ أو شَاةٌ تَيْعِرُ لها ثُوَاجٌ فقالَ: يا رَسُولَ اللهَّ، وإنَّ ذَلِكَ لِكَذَا ؟ فقالَ: إِيْ والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهْ، إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُّ، قال: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَعْمَلُ على شئٍ أَبَداً﴾ وعن عبادة بن الوليد عن أبيه قال: لقد أهديت لعبادة بن الصامت هدية وإن معه في الدار اثني عشر أهل بيت، فقال عبادة: اذهبوا بهذه إلى آل فلان فهم أحوج إليها منا. قال: فما زالوا كلما جئت إلى أهل بيت يقولون: اذهبوا إلى آل فلان، هم أحوج إليه منا، حتى رجعت الهدية إليه قبل الصبح.

روى عبادة بن الصامت أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة وهو يريد أن يخبرهم بليلة القدر، فتلاحى رجلان، فاختلجت منه. فقال عليه السلام:﴿إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَاحَى هَذَانِ الرَّجُلانِ فَاخْتُلِجَتْ مِنِّي. وَلَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ فَاطْلُبُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ: فِي التَّاسِعَةِ أَوْ السَّابِعَةِ أَوْ الْخَامِسَةِ﴾ قال ابن غنم لما دخلنا مسجد الجابية أنا وأبو الدرداء، لقينا عبادة بن الصامت فأخذ يميني بشماله وشمال أبى الدرداء بيمينه فخرج يمشى بيننا ونحن ننتجى والله أعلم فيما نتناجى وذاك قوله، فقال عبادة بن الصامت: لئن طال بكما عمر أحدكما أو كلاكما ليوشكان أن تريا الرجل من ثبج المسلمين – يعنى من وسط – قرأ القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فأعاده وأبداه وأحل حلاله وحرم حرامه ونزل عند منازله أو قرأه على لسان أخيه قراءة على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فأعاده وأبداه وأحل حلاله وحرم حرامه ونزل عند منازله لا يحور فيكم إلا كما يحور رأس الحمار الميت. قال: فبينا نحن كذلك إذ طلع شداد بن أوس وعوف بن مالك فجلسا إلينا فقال شداد: إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مِنَ الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ وَالشِّرْكِ﴾ فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء: اللهم، غفرا، أولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد حدثنا:﴿أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ﴾ فأما الشهوة الخفية فقد عرفناها هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد؟ فقال شداد: أرأيتكم لو رأيتم رجلا يصلى لرجل أو يصوم له أو يتصدق له أترون أنه قد أشرك؟ قالوا: نعم، والله إنه من صلى لرجل أو صام له أو تصدق له لقد أشرك. فقال شداد: فإني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ صَلَّى يُرَائِى فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ صَامَ يُرَائِى فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِى فَقَدْ أَشْرَكَ﴾ فقال عوف بن مالك عند ذلك: أفلا يعمد إلى ما ابتغى فيه وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ما خلص له ويدع ما يشرك به. فقال شداد عند ذلك: فإني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ أَنَا خَيْرُ قَسِيمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِى مَنْ أَشْرَكَ بِى شَيْئاً فَإِنَّ حَشْدَهُ عَمَلَهُ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ لِشَرِيكِهِ الَّذِي أَشْرَكَ بِهِ وَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ﴾ (الثبج) الوسط (يحور) لا يرجع بخير ولا ينتفع بما حفظه من القرآن كما لا ينتفع بالحمار الميت. وعن عبادة بن الصامت قال: خلوت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: أي أصحابك أحب إليك حتى أحب من تحب كما تحب؟ قال: اكتم علي حياتي أحبابي يا عبادة، فقلت: نعم. فقال: أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم علي، ثم سكت، فقلت: ثم من يا رسول الله؟ قال: من عسى أن يكون إلا الزبير، وطلحة، وسعد، وأبو عبيدة، ومعاذ بن جبل، وأبو طلحة، وأبو أيوب، وأنت يا عبادة، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وابن مسعود، وابن عوف، وابن عفان. ثم هؤلاء الرهط* من الموالي: سلمان، وصهيب، وبلال، وعمار بن ياسر. وحدث أبو الأشعث الصنعاني أنه راح إلى مسجد دمشق فلقي شداد بن أوس الأنصاري والصنابحي فقالا له: اذهب بنا إلى أخ لنا نعوده، فدخلا على عبادة بن الصامت فقالا: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بنعمة من الله وفضل. قال له شداد: أبشر بكفارات السيئات وحط الخطايا، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿ إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ نِى إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْداً مِنْ عِبَادِي مُؤْمِناً فَحَمِدَنِي وَصَبَرَ عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا وَيَقُولُ الرَبُّ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي وَابْتَلَيْتُهُ وَأَجْرُوا لَهُ كَمَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ وَهُوَ صَحِيحٌ﴾ وعن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء. فلما كان عمر كتب يزيد بن أبي سفيان أن أهل الشام كثير، وقد احتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فقال: أعينوني بثلاثة. فقالوا: هذا شيخ كبير، لأبي أيوب، وهذا سقيم لأبي، فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء فقال: ابدؤوا بحمص، فإذا رضيتم منهم فليخرج واحد إلى دمشق وآخر إلى فلسطين، فأقام بها عبادة وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين. ومات معاذ عام طاعون عمواس، وصار عبادة بعد إلى فلسطين فمات بها، ولم يزل أبو الدرداء بدمشق حتى مات.

☪

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ﴾ (جنة) أي كالستر لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي بيضة الإسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته ومعنى يقاتل من ورائه أي يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد وينصر عليهم ومعنى يتقى به أي شر العدو وشر أهل الفساد والظلم مطلقا والتاء في يتقى مبدلة من الواو لأن أصلها من الوقاية. وعن أبي المليح، أن عبيد الله بن زياد، دخل على معقل بن يسار في مرضه، فقال له معقل: إني محدثك بحديث لولا أني في الموت لم أحدثك به، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ﴿مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ﴾.

----

*(الرهط) الجماعة من الرجال دون العشرة

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ معرفة الصحابة لأبي نعيم/ جمهرة اللغة/ إتحاف الخيرة المهرة/ مسند الشافعي/

روي أن عدي بن حاتم[1] دخل على معاوية فقال: يا عدي أين الطرفات؟ يعني بنيه طريفا وطارفا وطرفة. قال: قتلوا يوم صفين بين يدي علي. فقال: ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قدم بنيك وأخر بنيه! قال: بل ما أنصفت أنا عليا إذ قتل وبقيت! قال: صف لي عليا. فقال: إن رأيت أن تعفيني. قال: لا أعفيك. قال: كان والله بعيد المدى وشديد القوى، يقول فضلا* ويحكم عدلا، تتفجر الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته، وكان والله غزير الدمعة طويل الفكرة، يحاسب نفسه إذا خلا ويقلب كفيه على ما مضى، يعجبه من اللباس القصير ومن المعاش الخشن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويدنينا إذا أتيناه، ونحن مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه لهيبته ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته، فإن تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، يتحبب إلى المساكين، لا يخاف القوي ظلمه ولا ييأس الضعيف من عدله، فأقسم لقد رأيته ليلة وقد مثل في محرابه وأرخى الليل سرباله وغارت نجومه ودموعه تتحادر على لحيته وهو يتململ تململ السليم* ويبكي بكاء الحزين، فكأني الآن أسمعه وهو يقول: يا دنيا أ إلي تعرضت أم إلي أقبلت؟ غري غيري، لا حان حينك، قد طلقتك ثلاثا لا رجعة لي فيك، فعيشك حقير وخطرك* يسير، آه من قلة الزاد وبعد السفر وقلة الأنيس! قال: فوكفت*عينا معاوية ينشفهما بكمه ثم قال: يرحم الله أبا الحسن! كان كذا فكيف صبرك عنه؟ قال: كصبر من ذبح ولدها في حجرها فهي لا ترقأ* دمعتها ولا تسكن عبرتها.قال: فكيف ذكرك له؟ قال: وهل يتركني الدهر أن أنساه!. وزاد في رواية بمعناه: قال له معاوية: أليس زعمت أنه لا تحبق في قتل عثمان عنز؟ قال: قد والله حبق فيه التيس الأكبر. قال معاوية: إلا أنه قد بقي من دمه قطرة ولا بد من أن أتتبعها، قال عدي: لا أبا لك شم السيف، فإن سل السيف يسل السيف. فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة فقال: اجعلها في كنانتك فإنها حكمة.

----

*(السليم) الملدوغ (خطر) بمعنى: القدر والمنزلة (فوكفت) أي سالت (لا يرقأ) لا يسكن ولا يجف. (فضلا) في رواية قال: فصلا. وفي المحاسن والمساوئ لإبراهيم البيهقي قال: دخل ابن عباس على معاوية.

■ (1) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، أبو وهب وأبو طريف: صحابي، وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل كان رئيس طيئ في الجاهلية والإسلام. أسلم سنة 9 هـ، وشهد فتح العراق، وشهد الجمل وصفين والنهروان مع علي. وفقئت عينه،قيل مات سنة 67 هـ، وله 120 سنة. وتوفي بالكوفة بين 66=69 هـ قيل قدم عدي على عمر بن الخطاب فكأنه رأى منه جفاء، فقال له: أما تعرفني؟ قال: بلى والله أعرفك أكرمك الله بأحسن المعرفة أسلمت إذ كفروا وعرفت إذ أنكروا ووفيت إذ غدروا وأقبلت إذ أدبروا. فقال: حسبي يا أمير المؤمنين حسبي.

☪

لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية رحمهما الله جعل يبكي فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم. وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب عن ذلك فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب. فقال له أخوه عتبة:[1]لا يسمع هذا منك أهل الشام فقال له: دعني عنك. قال عتبة بن أبي سفيان: العجب من علي بن أبي طالب ومن طلبه الخلافة، وما هو وهي!؟ فقال له معاوية: اسكت يا وره*، فوالله إنه منها كخاطب الحرة إذ يقول: من الطويل: لئن كان أدلى خاطب فتعذرت..عليه وكانت رائدا فتخطت..لما تركته رغبة عن حباله..ولكنها كانت لآخر خطت. وعن قيس بن أبي حازم قال: سأل رجل معاوية عن مسألة، فقال: سل عنها علي بن أبي طالب فهو أعلم مني، قال: قولك يا أمير المؤمنين أحب إلي من قول علي، قال: بئس ما قلت، ولؤم ما جئت به، لقد كرهت رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغره بالعلم غرا، ولقد قال له:﴿أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي﴾ وكان عمر بن الخطاب يسأله ويأخذ عنه، ولقد شهدت عمر إذا أشكل عليه أمر قال: هاهنا علي بن أبي طالب. ثم قال للرجل: قم لا أقام الله رجليك، ومحا اسمه من الديوان.وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل عليا، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فإيش دخولك أنت بينهما؟رضي الله عنهما. وأخرج الدولابي وأبو عمرو قال ابن عباس: أعطى علي تسعة أعشار العلم، ووالله لقد شاركهم في العشر الباقي(العشر العاشر)، وإذا ثبت لنا الشيء عن علي لم نعدل عنه إلى غيره. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كنا إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به. وسأل شريح بن هانيء عائشة أم المؤمنين عن المسح على الخفين فقالت: إئت عليا فسله. وروى عبد الرحمن بن أذينة عن أبيه أذينة ابن مسلمة العبدي قال: أتيت عمر بن الخطاب فسألته: من أين أعتمر؟ قال: إئت عليا فسله. وذكر الحديث. قلت: لا شك أن علي رضي الله عنه يعتبر مرجعا للصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

كتب معاوية إلى علي بن أبي طالب: يا أبا الحسن، إن لي فضائل كثيرة، وكان أبي سيدا في الجاهلية، وصرت ملكا في الإسلام، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي، فقال علي: أبا الفضائل يفخر علي ابن آكلة الأكباد؟ ثم قال: اكتب يا غلام: الوافر: محمد النبي أخي وصهري..وحمزة سيد الشهداء عمي..وجعفر الذي يمسي ويضحي..يطير مع الملائكة ابن أمي..وبنت محمد سكني وعرسي..مسوط لحمها بدمي ولحمي..وسبطا أحمد ولداي منها..فأيكم له سهم كسهمي؟..سبقتكم إلى الإسلام طرا..صغيرا ما بلغت أوان حلمي. فقال معاوية: أخفوا هذا الكتاب، لا يقرأه أهل الشام، فيميلون إلى ابن أبي طالب.

☪

عن نابل مولى عثمان بن عفان وحاجبه قال: جاء عدي بن حاتم إلى باب عثمان وأنا عله فنحيته عنه، فلما خرج عثمان إلى الظهر عرض له، فلما رآه عثمان رحب به وانبسط إليه، فقال عدي: انتهيت إلى بابك وقد غم آذنك الناس فحجبني عنك. فالتفت إلي عثمان فانتهرني وقال: لا تحجبه واجعله أول من تدخله، فلعمري إنا لنعرف له حقه وفضله، ورأي الخليفتين فيه وفي قومه، فقد جاءنا بالصدقة يسوقها والبلاد تضطرم كأنها شعل النار من أهل الردة، فحمده المسلمون على ما رأوا منه.

وفي حديث ذكروه في استنقاذ عدي بن حاتم من ارتد من طيئ، فكان خير مولود ولد في طيئ، وأعظمه عليهم بركة.

قال عدي بن حاتم: ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء. وعنه قال: ما جاء وقت الصلاة قط إلا وقد أخذت لها أهبتها، وما جاءت إلا وأنا إليها بالأشواق. أرسل الأشعث بن قيس إلى عدي بن حاتم يستعير قدور حاتم، فملأها وحملتها الرجال إليه، فأرسل إليه الأشعث: إنما أردناها فارغة. فأرسل إليه عدي: إنا لا نعيرها فارغة. حدث من رأى عدي بن حاتم يفت الخبز للنمل ويقول: إنهن لجارات، ولهن حق.

خطب عمرو بن حريث إلى عدي بن حاتم. فقال: لا أزوجك إلا على حكمي، فرجع عمرو وقال: امرأة من قريش على أربعة آلاف درهم أعجب إلي من امرأة من طيئ على حكم أبيها. فرجع، ثم أبت نفسه، فرجع إليه فقال: على حكمي؟ قال: نعم، فرجع عمرو بن حريث، فلم ينم ليلته مخافة أن يحكم عليه بما لا يطيق، فلما أصبح بعث إليه أن عرفني ما حكمت به علي؟ فأرسل إليه: إني حكمت بأربع مئة درهم وثمانين درهماً سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي رواية: مهر عائشة. فبعث إليه بعشرة آلاف درهم وكسوة، فردها وفرق الثياب في جلسائه وقال: من الطويل: يرى ابن حريث أن همي ماله..وما كنت موصوفاً بحب الدراهم..وقالت قريش: لا تحكمه إنه..على كل ما حال عدي بن حاتم..فيذهب منك المال أول وهلة..وحمامها والنخل ذات الكمائم..فقلت: معاذ الله من ترك سنة..جرت من رسول الله والله عاصمي..وقلت: معاذ الله من سوء سنة ... تحدثها الركبان أهل المواسم.

أخذ رجل بلجام عدي بن حاتم فقال له: أتفخر بأبيك وهو جمر في النار؟ وتتفخر على قومك بأن تجلس على وطاء دونهم؟ وذكر أشياء تقصر به، وهو واقف لا يحرك بغلته، فقال له لما سكت: إن كان بقي عندك شيء تريد أن تذكره فافعل قبل أن يأتي شباب الحي، فإنهم إن سمعوك تقول هذا لشيخهم لم يرضوا. قال عدي بن حاتم: كان أبي يقول: ما بدأت أحداً بشر، ولا تذمرت على جار لي، ولا سألني أحد شيئاً فرددته. قيل لعدي بن حاتم: أي الأشياء أثقل عليك؟ قال: تجربة الصديق، ومسلة اللئيم، ورد سائلي بلا نيل. قيل: فأي الأشياء أوضع للرجال؟ قال: كره الإسلام، وإضاعة الأسرار، والثقة بكل أحد. قال عدي بن حاتم: لسان المرء ترجمان عقله. قال عدي بن حاتم: إن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى، وإن منكركم اليوم معروف زمان ما أتى، وإنكم لن تبرحوا بخير ما دمتم تعرفون ما كنتم تنكرون، ولا تنكرون ما كنتم تعرفون، وما دام عالمكم يتكلم بينكم غير مستخف. قال محمد بن سيرين: لما قتل عثمان قال عدي بن حاتم: لا ينتضح في قتلة عنزان، فلما كان يوم صفين فقئت عينه، فقيل له: لا ينتطح في قتل عثمان عنزان! قال: بلى، وتفقأ عيون كثيرة. هكذا ورد يوم صفين، وإنما فقئت عين عدي يوم الجمل، فإنه حضر الدار، فلما خرج الناس يقولون: قتل عثمان، قال عدي: لا تحبق في فتله عناق حوليه. فلما كان يوم الجمل فقئت عينه، وقتل ابنه محمد مع علي، وقتل ابنه الآخر مع الخوارج، فقيل له: يا أبا طريف، هل حبقت في قتل عثمان عناق حوليه؟ فقال: بلى وربك، والتيس الأعظم.

وكان يوم صفين من أصحاب علي على قضاعة وطيئ بن عدي بن حاتم الطائي. نظر علي بن أبي طالب إلى عدي بن حاتم كئيبا حزينا، فقال: ما لي أراك كئيبا حزينا؟ فقال: وما يمنعني يا أمير المؤمنين! وقد قتل ابني وفقئت عيني؟ فقال: يا عدي، إنه من رضي بقضاء الله جزي عليه وكان له أجر، ومن لم يرض بقضاء الله جزي عليه وحبط عمله.

----

*(الوره) الأحمق

■ (1) عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية: ولي مصر من قبل أخيه معاوية، فقدمها سنة 43 هـ. ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطا، فابتنى دارا في حصنها القديم، وتوفي بها سنة 44 هـ كان عاقلا فصيحا مهيبا، شهد مع عثمان يوم الدار، وشهد يوم الجمل مع عائشة، وفقئت عينه. وحج بالناس سنة 41 وسنة 42 .

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للصلابي/ الأعلام للزركلي/ المحاسن والمساوئ/ مروج الذهب/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ تهذيب الكمال/

روى أبو نعيم في حلية الأولياء عن أبي صالح قال: دخل ضرار بن ضمرة الكناني[1] على معاوية فقال له: صف لي عليا، فقال: أو أعفيتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعفيك، فقال له: إذ لا بد فإنه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته. كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، ويعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشبه*. كان والله كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إلى سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له. فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم. يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله. فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، يتمثل في محراب قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم*، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا، يا ربنا، يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: إلي تعرضت أم لي تشوفت؟ هيهات هيهات، غري غيري، قد بتتك* ثلاثا، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك* قليل يسير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق. فوكفت* دموع معاوية على لحيته، ما يملكها، وجعل ينشفها بكمه، وقد أختنق القوم بالبكاء، فقال: هكذا كان أبو الحسن رحمه الله، فكيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذبح أو حدها في حجرها لا ترقأ* دمعتها، ولا تسكن حسرتها. ثم قام فخرج. زاد في حديث آخر بمعناه قال: فقال معاوية: لكن أصحابي لو سئلوا عني بعد موتي ما أخبروا بشيء مثل هذا. وفي رواية عن العصامي: أن معاوية قال لضرار يا ضرار: صف لي عليا. قال: أعفني يا أمير المؤمنين. قال معاوية: لتصفنه. قال ضرار: أما إذ لابد من وصفه: كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، وتتفجر ينابيع العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس إلى الليل ووحشته، كان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا ولربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مرافقه –وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه– قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيري، إلي تعرضت أم إلي تشوقت، يا صفراء اصفري، ويا بيضاء بيضي، هيهات قد طلقتك ثلاثا لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وخطرك حقير،، من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق . قال: فبكى معاوية، وقال: رحم الله أبا حسن كان والله كذلك، فكيف حزنكم عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح واحدها في حجرها.

----

*(جشب الطعام) طحنه طحنا سيئا. وطعام جشب وجشب غليظ أو بلا أدم (السليم) الملدوغ (بتتك) أي طلقتك (فوكفت) أي سالت (لا يرقأ) لا يسكن ولا يجف

■ (1) ضرار بن ضمرة الكناني، ويقال: النهشلي، و الصدائي. رجل من كنانة وفد على معاوية وكان من خواص علي. وفي رواية قالوا: ضرارة بن ضمرة الصدائي وقيل: ضرار بن صخرة الصدائي وقيل: ضرار بن الحارث وقيل: ضرار بن حمزة. (لم أقف له على ترجمة كاملة)

عن ثور بن زيد الديلي أن عمر بن الخطاب استشار في الخمر يشربها الرجل. فقال له علي بن أبي طالب: نرى أن تجلده ثمانين، فإنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، أو كما قال. فجلد عمر في الخمر ثمانين. دخل الأشتر النخعي على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو قائم يصلي بالليل، فقال له: يا أمير المؤمنين، صوم بالنهار وسهر بالليل، وتعب فيما بين، فلما فرغ علي من صلاته قال له: سفر الآخرة طويل، فيحتاج إلى قطعه بسير الليل. وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يحث الناس على تقوى الله ومراقبته، وخشيته، فقد قال: أيها الناس، اتقوا الذي إن قلتم سمع، وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم، وإن أقمتم أخذكم، وكان يقول: يا أيها الناس خذوا عني هذه الكلمات، فلو ركبتم المطي* حتى تنضوها– يعني تهزلوها– ما أصبتم مثلها: لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له. وفي رواية: فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، فإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان.

وفي وصف الدنيا. كان علي بن أبي طالب يقول: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، الدنيا مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحيه، ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، ومن ذا يذمها وقد آذنت ببينها، ونادت بفراقها، ونعت نفسها وأهلها، ومثلت لهم ببلائها البلاء، وشوقت بسرورها إلى السرور، وراحت بفجيعة، وابتكرت بعافية؛تحذيرا وترغيبا وتخويفا، فذمها رجال غب الندامة، وحمدها آخرون غب المكافأة، ذكرتهم فذكروا تصاريفها، وصدقتهم فصدقوا حديثها، فيا أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها، متى استدامت لك الدنيا؟ بل متى غرتك من نفسها؛ أبمضاجع آبائك من البلى؟ أم بمصارع أمه آتك من الثرى؟ كم قد عللت بكفك ومرضت بيدك من تبغي له الشفاء وتستوصف له الدواء من الأطباء! لم تنفعه بشفاعتك، ولم تسعف له بطلبتك، وقد مثلت ذلك به الدنيا نفسك، وبمصرعه مصرعك: غدا لا ينفعك بكاؤك، ولا يغني عنك أحباؤك –ولا تسمع في مدح الدنيا أحسن فن هذا.

وقال: ألا إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد دنت مقبلة، ولهذه أبناء، ولهذه أبناء، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا، والراغبين في الآخرة، إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا، وقوضوا الدنيا تقويضا، ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن راقب الآخرة سارع في المخيرات، ألا وإن لله عبادا كأنهم يرون أهل الجنة في الجنة منعدين مخلدين، ويرون أهل النار في النار معذبين قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، أنفسهم عفيفة، وحاجتهم خفيفة صبروا أياما قليلة فصارت لهم العقبى، راحة طويلة، أما الليل فصافو أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم، ويسعون في فكاك رقابهم، وأما النهار فعلماء حكماء بررة أتقياء، كأنهم القداح براهم الخوف والعبادة ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرض، إن خولطوا فقد خالطهم أمر عظيم من ذكر النار ومن فيها.

وقال لابنه الحسن: يا بني، استغن عمن شئت تكن نظيره، وسل من شئت تكن حقيره، وأعط من شئت تكن أميره. ودخل عليه رجل من أصحابه فقال: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ قال: أصبحت ضعيفا مذنبا، أكل رزقي، وأنتظر أجلي، قال: وما تقول في الدنيا؟ قال: وما أقول في دار أولها هم، وآخرها موت، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، حلالها حساب، ومراحها عقاب، قال: فأي الخلق أنعم؟ قال: أجساد تحت التراب، قد أمنت من العقاب، وهي تنتظر الثواب.

----

*(المطي) المطا مقصور الظهر و المطية واحدة المطي و المطايا و المطي واحد وجمع يذكر ويؤنث.المطية التي تمط في سيرها

■ (1) عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية: ولي مصر من قبل أخيه معاوية، فقدمها سنة 43 هـ. ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطا، فابتنى دارا في حصنها القديم، وتوفي بها سنة 44 هـ كان عاقلا فصيحا مهيبا، شهد مع عثمان يوم الدار، وشهد يوم الجمل مع عائشة، وفقئت عينه. وحج بالناس سنة 41 وسنة 42 .

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للصلابي/ الأعلام للزركلي/ المحاسن والمساوئ/ مروج الذهب/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ تهذيب الكمال/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) ونصير بن عبد الرحمن 0253

قال بعض العلماء إن موسى بن نصير[1] كان عاملا شجاعا كريما تقيا لله تعالى ولم يهزم له قط جيش وكان والده نصير[2] على جيوش معاوية ومنزلته لديه مكينة ولما خرج معاوية لصفين لم يخرج معه فقال له: ما منعك من الخروج معي ولي عندك يد لم تكافئني عليها؟! فقال: لم يمكنني أن أشكرك بكفري من هو أولى بشكري منك، فقال: من هو؟ فقال: الله عز وجل، فأطرق مليا ثم قال: أستغفر الله، ورضي عنه.

■ (2) نصير بن عبد الرحمن بن زيد. قيل: كان مولى من موالي قبيلة لخم، و كان على حرس معاوية بن أبي سفيان ومنزلته عنده مكينة، وقيل كان على شرطة معاوية عندما كان واليًا على الشام في خلافة عمر وعثمان، ثم أصبح وصيفًا لعبد العزيز بن مروان، فأعتقه.وقيل: نصير كان من الذين أسرهم خالد بن الوليد في معركة عين التمر عام 12 هـ. وذكر آخرون أنه من أراشة من قبيلة بلي سبي أبوه من جبل الخليل من الشام في أيام الصديق، وكان اسمه نصرا فصغر. تاريخ الوفاة ..؟

■ (1) موسى بن نصير، أبو عبد الرحمن، اللخمي بالولاء، صاحب فتح الأندلس؛ كان من التابعين، ولد بالشام سنة19 هـ وروى عن تميم الداري، وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا لله تعالى، لم يهزم له جيش قط.وتوفي بوادي القرى بالحجاز سنة97 هـ

قال اللهّ عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهّ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهّ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء] عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ﴾ قال المظهر: يعني سمع كلام الحاكم وطاعته واجب على كل مسلم سواء أمره بما يوافق طبعه أو لم يوافقه بشرط أن لا يأمره بمعصية فإن أمره بها فلا تجوز طاعته. وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ﴾ وعن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ﴾ (لا طاعة) أي لأحد كما في رواية الجامع الصغير أي من الإمام وغيره كالوالد والشيخ (في معصية) وفي رواية الجامع: في معصية الله (في المعروف) أي ما لا ينكره الشرع.

عن أبي الدرداء قال: إياكم وما شغل من الدنيا؛ فالدنيا كثيرة الأشغال؛ لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب، وعن قيس أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بكى، فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، فقال: إني أنبئت أني وارد، ولم أنبأ أني صادر ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم] وعن زياد بن ماهك قال: كان شداد بن أوس يقول: إنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه، ولن تروا من الشر إلا أسبابه. الخير كله بحذافيره في الجنة، والشر بحذافيره في النار، وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر، ولكل بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا. وأخرج أبو نعيم عن شداد بن أوس الأنصاري أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه، لا يأتيه النوم فيقول: اللهم، إن النار أذهبت مني النوم، فيقوم يصلي حتى يصبح. وعن عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك، قال: بكى عمر بن عبد العزيز، فبكت فاطمة، فبكى أهل الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء. فلما تجلى عنهم العبر قالت فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين! مم بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة منصرف القوم من بين يدي الله: فريق في الجنة، وفريق في السعير، ثم صرخ وغشي عليه. وعن الحسن أن رجلا من الصدر الأول حضره الموت فجعل يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما والله ما أبكي على شيء تركته بعدي إلا ثلاث خصال: ظمأ الهاجرة في يوم بعيد ما بين الطرفين، أو ليلة أبيت فيها أراوح بين جبهتي وقدمي، أو غدوة وروحة في سبيل الله عز وجل. وعن عون بن عبد الله بن عتبة قال: إن من كان قبلكم كانوا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم، وإنكم اليوم تجعلون لآخرتكم ما فضل من دنياكم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

عن سعيد بن عمرو قال: وفد عبد الله بن جعفر[1] على معاوية بن أبي سفيان فأنزله في داره، فقالت له ابنة قرظة[2] امرأته: إن جارك هذا يسمع الغناء! قال: فإذا كان ذلك فأعلميني، فأعلمته فاطلع عليه وجارية له تغنيه وهي تقول: إنك والله لذو ملة..يطرفك* الأدنى عن الأبعد. وهو يقول: يا صدقكاه قال: ثم قال: اسقيني، قالت: ما أسقيك؟ قال: ماء وعسلا، قال: فانصرف معاوية وهو يقول: ما أرى بأسا، فلما كان بعد ذلك، قالت له: إن جارك هذا لا يدعنا نام الليل من قراءة القرآن قال: هكذا قومي رهبان بالليل ملوك بالنهار. قال أبان بن تغلب[3] ذكر لنا أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قدم على معاوية وكانت له منه وفادة في كل سنة يعطيه ألف ألف درهم ويقضي له مائة حاجة فقال: يا أمير المؤمنين اقضي عني ديني فإني إنما أخذته عليك، وابسط أملي بإعطاء يومك، ودعني وعدا فأنك غدا خير منك اليوم، كما أنك اليوم خير منك أمس ثم قال: يوماك يوم يفيض نائله..وخير يوميك ما بقيت غدا. ولا يمنعك من قضاء حاجتنا، وصلة أرحامنا حاجتنا إليك، وغناك عنا فإنه ليس كل حاجة تتم ولا كل غنى يدوم، وقد عودتنا من نفسك عادة صارت لنا عليك فريضة إن تقف بنا عندها رضينا بها، وإن زدتنا عليها حملنا زيادتها، ونحن وأنت كما قال الأعشى لقيس بن النمر: عودت كندة عادة فاصبر لها.. اغفر لجاهلها ورو سجالها. واعلم أنك لا تقضي لنا حاجة إلا قضينا لك مثلها، ولا تقبض عنا يدك فوالله إنه لتجئ منك ألفلتة من الحرمان فكأنما جاءت من غيرك، يشك فيها الشاهد، ويكذب فيها الغائب، ويطلب لها أهل الرأي المخرج لك منها حتى ييأسوا (يبتغوا) لك من العذر ما يجوز الحرمان، وكذلك بحظك الغالب وقدرك الجالب. فقال معاوية: حسبك فما يتسع بيت مالي لمكافأتك، والله ما في قريش رجل أحب أن يكون ابن هند منك، ولكني إذا ذكرت مكانك من علي ومكان علي منك انقبضت عنك، ثم أذكر أني لا أقيس بك رجلا من قريش إلا عظمت عنه، ولا أزنك إلا رجحت به فعطفت عليك، فالغالب على ذلك الأوليان بك مني وسيلة لا أحب (أخيب) دالتها، وأثرة لا أستكثر عطيتها وأما ما عودتكم فقولكم (فهو لكم) ما كنتم لي، وأما أن تقضي من حقي ما أقضي من حقك فإني لا أكون على حال إلا وفي يديك شئ (مني) أكثر ما في يدي منك، وأما البخل فكيف أبخل بمال، إنما تغيب عني أربعة أشهر حتى يرجع إلى بيت مالي، فقد اعتقدت به المنن، وما أحسبه إلا لأعطيه، وما أجمعه لأمنعه، ولأنا بإعطائه اشد سرورا منكم بأخذه، وقد قدمت علي وقد خلفت الحقوق في المال ولك عودة والدهر بيني وبينك أطرق مشتت، فلا تضربن بيني وبينك بالإساءة. كم دينك يا ابن جعفر؟ قال: ألف ألف درهم، فقال معاوية: يا سعد، اقضها عنه، واجبها غدا من فسا ودرابجرد*، فغضبت قريش الشام حين أعطاه ألف ألف درهم، فقالت: يظن معاوية هائبا لابن جعفر، فقال معاوية: تقول قريش حين خفت حلومها.. نظن ابن هند هائبا لابن جعفر فمن ثم يقضي ألف ألف ديونه..وحاجته مقضية لم تؤخر..فقلت دعوا لي لا أبا لأبيكم..فما منكم فيض له غير أعور.. أليس فتى البطحاء ما تنكرونه..وأول من أثنى بتقواه خنصر.. وكان أبوه جعفر ساد قومه..ولم يك في الحرب العوان بحيدر..فما ألف ألف فاسكتوا لابن جعفر كثير.. ولا أمثالها لي بمنكر.. ولا تحسدوه وافعلوا كفعاله.. ولن تدركوه كل ممشى ومحضر. وعن الكلبي قال: قالت بنو أمية لمعاوية: يا أمير المؤمنين أتعطي أحدنا مائة ألف درهم إذا أسنيت له، وتعطي ابن جعفر ما تعطيه؟ فقال: لست أعطي ابن جعفر ما أعطيه له وحده وإنما أعطيه وأعطي الناس لأنه يقسم ما يصير إليه ويجود به، وأنتم تأخذون المال فتحبسونه وتدخرونه وإنما نعطي كل امرىء على قدر مروءته وتوسعه.

وعن أبي الحسن الأنصاري قال: قدم على معاوية عبد الله بن جعفر؛ وعدة من قومه من قريش فوصلهم وفضل عبد الله بن جعفر، أعطاه ألف ألف درهم فقال عبد الله بن صفوان[4]: إنما صغرت أمورنا عندك وخفت حقوقنا عليك لأنا لم نقاتلك كما قاتلك غيرنا، ولو كنا فعلنا كنا كابن جعفر، فقال معاوية إني أعطيكم فتكونون بين رجلين: إما معد بها أعطيه لحربي؛ وإما مضم له بخيل به، وإن عبد الله بن جعفر يعطي أكثر مما يأخذ، ثم لا يأتيني حتى يدان أكثر مما أخذ. فخرج ابن صفوان فقال: إن معاوية ليحرمنا حتى نيأس، ويعطينا حتى نطمع. قال الشعبي: دخل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على معاوية وعنده يزيد ابنه، فجعل يزيد يعرض بعبد الله في كلامه وينسبه إلى الإسراف في غير مرضاة الله، فقال عبد الله ليزيد: إني لأرفع نفسي عن جوابك، ولو صاحب السرير يكلمني لأجبته. فقال معاوية: كأنك تظن أنك أشرف منه؟ قال: أي والله ومنك ومن أبيك وجدك. فقال معاوية: ما كنت أحسب أن أحدا في عصر حرب بن أمية أشرف من حرب بن أمية! فقال عبد الله: بلى والله يا معاوية إن أشرف من حرب من أكفأ عليه أناءه، وأجاره برداءه. قال: صدقت يا أبا جعفر، سل حاجتك فقضى حوائجه وخرج. قال المدائني: دخل عبد الله بن جعفر على يزيد فقال: كم كان أبي يعطيك في كل سنة؟ قال: ألف ألف، قال: فإني قد أضعفتها لك، فقال ابن جعفر: فداك أبي وأمي ووالله ما قلتها لأحد قبلك، قال: فقد أضعفتها لك، فقيل أتعطيه أربعة آلاف ألف؟! فقال: نعم إنه يفرق ماله، فإعطائي أياه إعطائي أهل المدينة. قال: وقيل لابن جعفر: بماذا حسن رأيك في يزيد بن معاوية؟ قال: شخصت أريد معاوية، فلما صرت بالشام لقيني خبر وفاته، ففكرت في القدوم على يزيد أو الرجوع، وقلت: فتى من فتيان قريش وغطريف من عطارفتها لعله يجهل حقي ويحطني عن مرتبتي فيكون علي في ذلك غضاضة تلحقني، ثم استخرت الله عز وجل، وقدمت عله فلما رآني أعظمني وأخلاني، وقال: كأني بك حين بلغتك وفاة أبي تحيرت فميلت بين النفوذ إلي والانصراف عني، فقلت والله ما أخطأت يا أمير المؤمنين، فأضعف لي وفادني وأعطاني رواحل كثيرة حملت لي زيتا وألطافا وكسى.

----

*(يطرفك) أي يصرفك. ونسب البيت بحاشية المطبوعة لعمر بن أبي ربيعة (فسا ودرابجرد) درابجرد كورة بفارس اكبر مدنها فسا

■ (1) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، العالم، أبو جعفر، ولد في الحبشة سنة 1 هـ ، استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وروى عن عمه علي، وعن أمه أسماء بنت عميس. وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم وله وفادة على معاوية.ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ.أو سنة 90 هـ

■ (2) فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل زوجة معاوية، ولدت له عبد الله وكان محمقا ضعيفا وعبد الرحمن مات صغيرا، وغزت معه قبرس في خلافة عثمان، وقرظة يكنى أبا عمرو وكان أعمى، تزوج ابنة عتبة بن ربيعة، فولدت له فاختة ومات كافرا قبل الفتح (لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله أعلم)

■ (3) أبان بن تغلب بن رباح البكري الجريري بالولاء، أبو سعيد: قارئ لغوي، من غلاة الشيعة. من أهل الكوفة. كان جده رباح مولى لجرير بن عباد البكري من بكر بن وائل فنسب إليه. من كتبه غريب القرآن ولعله أول من صنف في هذا الموضوع، والقراآت وصفين والفضائل ومعاني القرآن. توفي سنة 141 هـ

■ (4) عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف القرشي من عباد أهل مكة وصالحيهم وأفاضل التابعين ومتقنيهم. يقال: ولد أيام النبوة. وروى عن أبيه، وعمر، وأبي الدرداء، وحفصة.قتل وهو متعلق بأستار الكعبة مع بن الزبير سنة73 هـ.

☪

قال الشعبي: ومعنى قول عبد الله لمعاوية: إن أشرف من حرب من أكفا عليه أناءه وأجاره برداءه، لأن حرب بن أمية كان إذا كان في سفر وعرضت له ثنية أو عقبة تنحنح، فلم يجترئ أحد أن يربأها (يرقاها) حتى يجوز حرب بن أمية، فكان في سفر، فعرضت له ثنية فتنحنح، فوقف الناس ليحوز، فجاء غلام من بني تميم فقال: ومن حرب؟ ثم تقدمه فنظر إليه حرب فتهدده وقال: سيمكنني الله تعالى منك إذا دخلت مكة. فضرب الدهر من ضربه. ثم إن التميمي بدت له حاجة بمكة فسأل عن أعز أهل مكة، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم[1]، فقال: أردت دون عبد المطلب، فقيل له: الزبير بن عبد المطلب[2]،فقدم إلى مكة فأتى باب الزبير بن عبد المطلب فقرع عليه بابه، فخرج إليه الزبير فقال ما أنت إن كنت مستجيرا أجرناك، وإن كنت طالب قرى قريناك، فأنشأ التميمي يقول: لاقيت حربا بالثنية مقبلا..والصبح أبلج ضوؤه للساري..قف لا تصاعد واكتنى ليروعني..ودعا بدعوة معلن وشعار..فتركته خلفي وسرت أمامه..وكذاك كنت أكون في الأسفار..فمضى يهددني الوعيد ببلدة..فيها الزبير كمثل ليث ضاري..فتركته كالكلب ينبح وحده..وأتيت قوم مكارم وفخار.. قرما هزبرا يستجار بقربه..رحب المياه مكرما للجار..وحلفت بالبيت العتيق وركنه..وبزمزم والحجر ذي الأستار.. إن الزبير لما نعى بمهند..عضب المهزة صارم بتار.فقال ابن الزبير: قد أجرتك وأنا ابن عبد المطلب، فسر أمامي فأنا معشر بني عبد المطلب إذا أجرنا رجلا لم نتقدمه، فمضى بين يديه والزبير في أثره فلقيه حرب، فقال التميمي: ورب الكعبة، ثم شد عليه ثم اخترط سيفه الزبير، ونادى في إخوته، ومضى حرب يشتد، والزبير في أثره حتى صار إلى دار عبد المطلب، فلقيه عبد المطلب خارجا من الدار، فقال: مهيم* يا حرب، فقال: آتيك. قال: أدخل الدار، فدخل فأكفأ عليه جفنة هاشم التي كان يهشم فيها الثريد. وتلاحق بنو عبد المطلب بعضهم على أثر بعض، فلم يجترئوا أن يدخلوا دار أبيهم فاحتبوا بحمائل سيوفهم، وجلسوا على الباب فخرج إليهم عبد المطلب فلما نظر إليهم سره ما رأى منهم، فقال: يا بني أصبحتم أسود العرب. ثم دخل إلى حرب، فقال له: قم فاخرج، فقال: يا أبا الحارث هربت، من واحد وأخرج إلى عشرة ؟! فقال: خذ ردائي هذا فالبسه، فإنهم إذا رأوا ردائي عليك لم يهيجوك فلبس، رداءه وخرج فرفعوا رؤوسهم، فلما نظروا إلى الرداء عليه نكسوا رؤوسهم، ومضى حرب فهو قوله: إن أشرف من حرب من أكفأ عليه أناءه وأجاره برداءه. روى محمد بن سلام الجمحي عن أبيه قال: قال عمرو بن العاص لعبد الله بن جعفر: عند معاوية ليصغر منه يا ابن جعفر، فقال له عبد الله: لئن نسبتني إلى جعفر فلست بدعي ولا أبتر ثم ولى وهو يقول: تعرضت قرن الشمس وقت ظهيرة..ليستر منه ضوءه بظلامكا..كفرت أختيارا ثم آمنت خيفة..وبغضك إيانا شهيد بذلكا.وقال ابن طاووس: ضوءها. قال: وإنما قال: لست بدعي ولا أبتر لأن العاص قال محمد صلى الله عليه وسلم: أبتر، فأنزل الله تعالى:﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر]

خرج عبد الله بن جعفر إلى حيطان المدينة، فبينا هو كذلك إذ نظر إلى غلام أسود على بعض الحيطان وهو يأكل وبين يديه كلب، وعبد الله بن جعفر واقف على دابته ينظر إليه، فلما فرغ دنا منه فقال له: يا غلام لمن أنت؟ فقال: لورثة عثمان بن عفان فقال: لقد رأيت منك عجبا فقال له: وما الذي رأيت من العجب؟ قال: رأيتك تأكل، فكلما أكلت لقمة رميت للكلب لقمة، فقال: يا مولاي، هو رفيقي منذ سنين، ولا بد أن أجعله كأسوتي في الطعام، فقال له: فدون هذا يجزئك؟ فقال له: يا مولاي، إني لأستحي من الله أن آكل، وعين تنظر إلي لا تأكل. ثم مضى عنه حتى ورثة عثمان بن عفان فنزل عندهم فقال: جئت في حاجة، تبيعوني الحائط الفلاني قالوا: قد وهبناه لك فقال: لست آخذه إلا بضعف فباعوه، فقال لهم: وتبيعوني الغلام الأسود؟ فقال له: إن الأسود ربيناه وهو كأحدنا، فلم يزل بهم حتى باعوه، فلما أصبح غدا على الغلام وهو في الحائط، فخرج إليه فقال له: أشعرت أني قد اشتريتك واشتريت الحائط من مواليك؟ فقال: بارك الله لك فيما اشتريت، ولقد غمني مفارقتي لموالي، إنهم ربوني، فقال له: فأنت حر والحائط لك فقال: إن كنت صادقا يا مولاي فاشهد أني أوقفته على ورثة عثمان بن عفان. فتعجب عبد الله بن جعفر منه وقال: ما رأيت كاليوم، فقال: بارك الله فيه ودعا له ومضى.

قال الهيثم: كلم عبد الله بن جعفر علي بن أبي طالب في حاجة لبعض الدهاقين؛ فقضاها فحمل إليه أربعين ألف درهم ورقا، فردها وقال: إنا قوم لا نأخذ على معروف ثمنا.

----

*(مهيم) ما شأنك وما خبرك ؟

■ (2) الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، كنيته أبو طاهر، وكان من أجلة قريش وفرسانها، وكان من المبارزين، وهو كبر أعمام النبي صلى الله عليه وسلم أدركه النبي، في طفولته. وكان يعد من شعراء قريش إلا أن شعره قليل، يقال: منه البيتان اللذان أولهما: إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه

■ (1) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث. زعيم قريش في الجاهلية، وأحد سادات العرب ومقدميهم. مولده في المدينة ومنشأه بمكة. كان عاقلا، ذا أناة ونجدة، فصيح اللسان، حاضر القلب، أحبه قومه ورفعوا من شأنه، فكانت له السقاية والرفادة. وهو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو عبد الله وأبو طالب وحمزة.قيل: اسمه شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف وعبد المطلب لقب غلب عليه.وهو ممن وفد على الملك سيف ابن ذي يزن في وجوه قريش يهنؤنه بالنصر على الحبشة، كما في كتاب ملوك حمير. قال سيديو في خلاصة تاريخ العرب: مارس الحكومة العظمى بمكة من سنة 520 إلى سنة 579 م، خلص وطنه من غارة الحبشة. وقيل: هو أول من خضب بالسواد من العرب. وكان أبيض مديد القامة. مات بمكة سنة 45 ق هـ عن نحو ثمانين عاما أو أكثر.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب/

قال جويرية بن أسماء:حج معاوية فتلقاه الناس ولم يتلقه ابن الزبير[1]،وبعث مولى له فقال: اذهب فانظر ما يقولك لك معاوية، فأتاه: فلما رآه معاوية قال: أين ابن الزبير؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنه كان وكان، يعذره. قال: لا والله، ولكن ما في نفسه. فلما كان بمنى مر به ابن الزبير وقد حلق معاوية رأسه، فقال:يا أمير المؤمنين، ما أكبر جحرة رأسك،قال: اتق، لا تخرج عليك حية من بعض هذه الجحرة*فتقتلك.فلما أفاض من منى لم يدخل عليه. فلما أراد معاوية أن يطوف قام إليه ابن الزبير فأخذ بيده فطاف معه حتى فرغ من طوافه فقال له: يا أمير المؤمنين إني أريد أن تنطلق معي، فتنظر إلى بنائي فانطلق معه إلى قعيقعان* فنظر إلى بنائه ودوره ثم رجع معه حتى إذا كان بالباب قال: يا أمير المؤمنين، قالوا جاء معه أمير المؤمنين فنظر إلى بنائه ودوره ففعل ماذا؟، لا والله لا ادعك حتى تعطيني مائة ألف فأعطاه. فجاءه مروان[2]فقال: والله ما رأيت مثلك، جاءك رجل قد سمى بيت مال الديوان وبيت الخلافة وبيت كذا وبيت كذا فأعطيته مئة ألف! قال: ويلك فكيف أصنع بابن الزبير؟ ودخل عبد الله بن الزبير على معاوية، وعنده جماعة فيهم مروان وسعيد بن العاص[3]، فأوسع له معاوية على سريره. فلما انصرف عبد الله بن الزبير أقبل مروان على معاوية فقال له: لله درك من رئيس قبيلة يضع الكبير ولا يدني إلا صغيرا فقال معاوية: نفس عصام سودت عصاما*. فضحك مروان وقال: يا أمير المؤمنين، إنما كلمتك مازحا، فقال معاوية: ترسلها شقراء غبراء ثم تتبعها ضحكة يا مروان ؟! وحدث هشام بن عروة: أن مروان بن الحكم نازع ابن الزبير، فكان هوى معاوية مع مروان، فقال ابن الزبير: يا أمير المؤمنين، إن لك حقا وطاعة، فأطع الله نطعك، فإنه لا طاعة لك علينا إلا في حق الله عز وجل، ولا تطرق إطراق الأفعوان* في أصول السخبر* فإنه أقر صامت.

قال سعيد بن يزيد: دخل عبد الله بن الزبير على معاوية وعنده ابن له، فأمره فلطم ابن الزبير لطمة دوخ منها رأسه، فلما أفاق قال له: ادن مني فدنا منه فقال له: الطم معاوية، قال: لا أفعل. قال: ولم؟ قال: لأنه أبي. قال: فرفع عبد الله يده فلطمه لطمة دار الصبي على البساط كما تدور الدوامة، فقال له معاوية: تفعل هذا بغلام لم تجب عليه الأحكام؟! قال: رأيته قد عرف ما ينفعه مما يضره، فأحببت أن أحسن أدبه.

قال عبد الله بن أبي بكر: قدم معاوية المدينة فأقام بها، فأكثر الناس، وعرضوا له يسألونه، فقال يوما لبعض غلمانه: أسرج لي بغلتي إذا قامت صلاة العصر، فأسرج له البغلة. فلما صلى العصر جلس عليها، ثم توجه قبل الشام وصيح في الأثقال* والناس، وتبع معاوية من تبعه، ويدركه ابن الزبير في أولمن أدركه فسار إلى جنبه ليلا وهو نائم، ففزع له فقال: من هذا؟ فقال: ابن الزبير، أما إني لو شئت أن أقتلك لقتلتك. قال: لست هناك، لست من قتال الملوك، إنما يصيد كل طائر قدره. فقال ابن الزبير: أما والله لقد سرت تحت لواء أبي إلى علي بن أبي طالب[4]وهو من تعلم. فقال: لا جرم والله لقد قتلكم بشماله. فقال: أما إن ذلك كان في نصرة عثمان، ثم لم نجز بها. قال: والله ما كان بك نصرة عثمان، ولولا بغض علي بن أبي طالب لجررت برجلي عثمان مع الضبع، قال: لقد فعلتها، إنا قد أعطيناك عهدا، فنحن وافون لك به ما عشت، فإذا مت فسيعلم من بعدك. فقال: والله ما أخافك إلا على نفسك، ولكأني بك قد خبطت في الحبالة، واستحكمت عليك الأنشوطة فذكرتني وأنت فيها فقلت: ليت أبا عبد الرحمن لها، ليتني والله لها، أما والله لحللتك رويدا، ولأطلقتك سريعا، ولبئس الولي أنت تلك الساعة.

وفي حديث مختصر بمعناه: إنما يصيد كل طير على قدره، إنما أنت يا بن الزبير ثعلب رواغ، تدخل من جحر وتخرج من جحر، والله لكأني بك قد ربقت كما يربق الجدي، فيا ليتني لك حيا فأخلصك، وبئس المخلص كنت. قالوا: ولم يدعو ابن الزبير بالخلافة حتى هلك يزيد[5].

----

*(السخبر) شجر يشبه الاذخر تألفه الحيات فتسكن في أصوله والأفعوان ذكر الأفاعي. قالوا:لا تطرق إطراق الأفعوان في أصول السخبر.أي لا تتغافل عما نحن فيه (ربقت) ربقة يربقه جعل راسه في الربقة وربقه في الأمر: اوقعه والربق: حبل فيه عدة عري (الجحرة) جمع جحر، وهو ما تحتفره السباع أو الهوام لتسكنه (نفس عصام سودت عصاما) ينسب الرجز للنابغة الذبياني وبعده فيه: وعلمته الكر والاقداما وهو مثل قيل أول من قاله: عصام بن شهبر الجرمي وكان من اشد الناس باسا وأبينهم لسانا واحزمهم رأيا وكان على جل أمر لنعمان ولم يكن في بيت قومه أدنى منه فقال له رجل: كيف نزلت هذه المنزلة من الملك وأنت دنئ الأصل فقاله.(الثقل) متاع المسافر وحشمه والثقلان الإنس والجن

■ (1) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (2) مروان بن الحكم أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان،واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثم عزله ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.توفي سنة 65 هـ

■ (4) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى وزوج ابنته.يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن 7 سنين، ويقال 9، ويقال 10، ويقال 15، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد سنة 23 ق هـ، و مات سنة 40 هـ.

■ (5) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (3) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان.اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة.

☪

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ﴾ (إنكم ستحرصون) حرص كضرب ومنع (على الإمارة وستكون) أي الإمارة المقرونة بالحرص (ندامة يوم القيامة) أي عند العجز عن الجواب في المحاسبة وحصول العتاب في مقابلة الحقوق والمطالبة (فنعم المرضعة) وفي نسخ المصابيح: فنعمت المرضعة (وبئست الفاطمة) قال القاضي: شبه الولاية بالمرضعة وانقطاعها بالموت، أو العزل بالفاطمة؛ أي نعمت المرضعة الولاية؛ فإنها تدر عليك المنافع واللذات العاجلة، وبئست الفاطمة المسيئة فإنها تقطع عنك اللذائذ والمنافع وتبقي عليك الحسرة والندامة، فلا ينبغي للعاقل أن يلم بلذات يتبعها حسرات. وقيل جعل الإمارة في حلاوة أوائلها ومرارة أواخرها، كمرضعة تحسن بالإرضاع وتسيء بالفطام،قال الملا علي القاري: قلت فيه إشارة لطيفة إلى أن حلاوة الإمارة ومرارة الولاية المشبهتين بالرضاع والفطام، إنما هو بالنسبة إلى أطفال الطريقة دون الرجال الواصلين إلى مرتبة الحقيقة ولذا قال بعضهم: أضغاث أحلام وظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع ولكن أكثر أهل الجنة البله الواقفون على الباب وللعليين أرباب الألباب. قال الحسن البصري من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره.

وعن حقيقة الدنيا يقول علي بن نايف: قال الله تعالى:﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد]وقال تعالى:﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران] ويبين القرآن حقيقة الحياة، ويحذر من فتنتها، فيقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر] كما يقرر القرآن الكريم أشياء كثيرة من زينة الحياة الدنيا، ثم يدعو الناس إلى عدم الوقوف عندها، ويطلب منهم تجاوزها إلى ما هو خير وأشمل، وأحسن وأدوم وأثمن وأبقى، فيقول تعالى:﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف] فالدنيا جميلة، وفيها من المسليات والملاهي الشيء الكثير، ولكن ذلك إلى زوال، وأن الحياة الحقيقية، والسعادة الحقة هي في الدار الآخرة، فيقول تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت] ثم يحذر الرسول الكريم من مفاتن الدنيا، والانشغال بمالها وخيراتها، والتنافس فيها، والغفلة عن الله والآخرة، فيقول عليه الصلاة والسلام في حديث طويل رواه البخاري ومسلم عن عمرو بن عوف الأنصاري:﴿فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ﴾ وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قيمة الدنيا، وهوانها عند الله تعالى، وأنه لا قدر لها إذ ا قصدت لذاتها، وإنما تظهر قيمتها إذا جعلت طريقا إلى الآخرة، ومزرعة للأعمال، فقال عليه الصلاة و السلام فيما رواه الترمذي وابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدي:﴿لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ﴾ وحذر الرسول الكريم المؤمنين من استعباد الدنيا وزينتها لهم، فالعاقل لا يكون عبدا للدرهم والدينار، وإلا استحق السخط والغضب، يروي البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ﴾ وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ﴾ وروى البخاري ومسلم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿اللَّهُمَّ، لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ﴾ وهذه الآيات والأحاديث، وغيرها كثير، تحذير للمسلمين من الفتنة بالدنيا، والتعلق بها، والاغترار بزينتها، وليكون ذلك وقاية لهم من الانغماس فيها، ولكن ذلك لا يعني التخلي عن الدنيا وترك ما فيها، واعتبارها نجسا كما يحلو لأتباع بعض الديانات المحرفة، بل الدنيا مزرعة للآخرة، وأن الدنيا ميراث وتركة للمؤمن، ينفقها في سبيل الآخرة، ويشترى بها الدرجات العليا في الجنة. قال محمد العبدة: إن ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم من ذكر للدنيا لا يفهم منه إلا التحذير أن يتنافسها المسلمون فتهلكهم، وإلا أنها لا تساوي شيئا بالنسبة للآخرة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم اشتغل بها، فقد دعا وجاهد وأسس دولة الإسلام، وكان بعض كبار الصحابة من الأغنياء، ولم يدعهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ترك المال وترك الاشتغال بالتجارة. وكذلك ذم الدنيا الوارد على لسان بعض العلماء إنما هو راجع إلى أفعال بني آدم التي تقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ شرح شافية ابن الحاجب/ تاج العروس/ لسان العرب/ أنساب الأشراف/ القاموس المحيط/ البداية والنهاية/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ موسوعة الخطب والدروس/_محاضرات مفرغة للشيخ سليمان اللهيميد/ مسند أحمد/ هل تخلى الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم/

عن سحيم بن حفص قال: كانت لعبد الله بن الزبير[1] أرض إلى جانب أرض لمعاوية، فاقتتل غلمان معاوية وغلمان ابن الزبير: فكتب ابن الزبير: إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد فقد غلبتنا بحمرانك وسودانك، ولو قد التقت حلقتا البطان* واستوت بنا وبك الأقدام علمت من عبد الله أن سودانك وحمرانك لا يغنون عنك شيئا، فقرأ معاوية الكتاب ثم رمى به إلى ابنه يزيد[2] فقال: ما عندك؟ قال: تبعث إليه من يقتله فتستريح من حمقه وعجبه، قال: يا بني له بنون وعشيرة تمنعه، إن بعثت بمائة رجل وأعطيت كل رجل ألفا بلغ ذلك مائة ألف، ولا أدري على من تكون الدبرة، فإن غلبوا بعثت ألفا وأعطيتهم ألف ألف، ولكني أكتب إليه،فكتب إليه: من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى عبد الله بن الزبير، أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر أنا غلبناك بحمراننا وسوداننا وانه إن التقت حلقتا البطان واستوت بنا وبك الأقدام علمنا أن حمراننا وسوداننا لا يغنون عنا شيئا، وإن أمير المؤمنين قد وهب لك ذلك المال بحمرانه وسودانه فخذه خضرا نضرا والسلام. فكتب إليه عبد الله بن الزبير: لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير، أما بعد، فقد غلبتنا بحلمك وجدت لنا بمالك، فجزاك الله يا أمير المؤمنين خير جزاء، فلما أتى معاوية الكتاب قال ليزيد: يا بني أهذا خير أم ما أردت؟

في رواية أنه كان لعبد الله بن الزبير أرض قريبة لأرض معاوية فيها عبيد له من الزنوج ويعمرونها فدخلوا في أرض عبد الله فكتب إلى معاوية أما بعد فإنه يا معاوية إن لم تمنع عبيدك من أرضي وإلا كان لي ولك شأن فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه إلى ابنه يزيد فلما قرأه قال له ما ترى قال أرى أن تنفذ إليه جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه قال يا بني عندي خير من ذلك علي بداوة وقرطاس وكتب، وقفت على كتابك يا ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءني والله ما ساءك والدنيا هينة عندي في جنب رضاك وقد كتبت على نفسي رقما بالأرض والعبيد وأشهدت علي فيه ولتضف الأرض إلى أرضك والعبيد إلى عبيدك والسلام فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب إليه وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فلا عدم الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه إلى ابنه يزيد فلما قرأه أسفر وجهه فقال يا بني إذا رميت بهذا الداء فداوه بهذا الدواء.

قال هشام بن عروة: سأل عبد الله بن الزبير معاوية شيئا فمنعه فقال: والله ما أجهل أن ألزم هذه البنية فلا أشتم لك عرضا، ولا أقصب لك حسبا، ولكني أسدل عمامتي من بين يدي ذراعا، ومن خلفي ذراعا في طريق أهل الشام، وأذكر سيرة أبي بكر وعمر، فيقول الناس من هذا؟ فيقولون: ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن الصديق. فقال معاوية: حسبك بهذا شرا. ثم قال: هات حوائجك.

عن علي بن سليم قال: قال ابن الزبير: يا معاوية إذا استعتبناك من أمر فأعتبناه منه، ولا تحملنا على ما نكره، فإنك إن لم تحتمل رجال قريش عابوك وخذلوك وقاتلوك، وإذا هممت لنا بخير فهنئناه قبل المسألة، فإنك إذا ألجأتنا إلى المسألة أخذت ثمن عطيتك، فقال معاوية: والله ما استعتبموني من أمر قط إلا وجدتموني قد استعتبتكم من أعظم منه، وأما إعطائي إياكم قبل المسألة فمن سألنا أعطيناه ومن استغنى عنا وكلناه إلى غناه، وأحبكم إلينا السائل، فاعترفوا بذنوبكم، فقال عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه: ما لنا إليك ذنب فتعتذر منه، وإن خيرك علينا لقليل فقال معاوية متمثلا: إذا العفو لم ينفع ولم يشكر امرؤ..وجاشت صدور منكم حشوها الغمر..فكيف أداوي داءكم ودواؤكم..يكون لكم داء فقد عسر الأمر.

----

*(التقت حلقتا البطان) قولهم التقى حلقتا البطان والتقى البطان والحقب: يضرب مثلا للأمر يبلغ الغاية في الشدة والصعوبة

■ (1) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (2) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

إن مع العسر يسرا

حدث أبو مسعود عن عوانة قال: دخل عدي بن حاتم الطائي[1] على معاوية فقال له ابن الزبير: يا أبا طريف متى ذهبت عينك؟ قال: يوم فر أبوك وقتل خالك- يعني طلحة لأنه من بني تيم- وضربت على قفاك، وأنا مع الحق وأنت مع الباطل فقال معاوية: ما بقي من حبك لعلي؟ قال: هو على ما كان وكلما ذكر زاد، فقال معاوية: يا أبا طريف ما نريد بذكرك له إلا خلافه، قال: إن القلوب إذا بيدك يا معاوية، فقال معاوية: إن طيئا كانوا لا يحجون البيت ولا يعظمون حرمته، فقال عدي: كنا كما قلت إذ كان البيت لا ينفع حجة ولا يضر تركه، فأما إذ نفع وضر تركه فإنا نغلب الناس عليه، وكانت طيء وخثعم لا يحجون فكانوا يدعون الأفجران.

قال ابن قتيبة: قال معاوية رضي الله عنه: لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت. قيل: وكيف ذاك؟ قال: كنت إذا مدوها خليتها وإذا خلوها مددتهم. ونحو هذا قول الشعبي فيه: كان معاوية كالجمل الطب، إذا سكت عنه تقدم وإذا رد تأخر. وقول عمر فيه: احذروا آدم قريش وابن كريمهم، من لا ينام إلا على الرضا ويضحك في الغضب ويأخذ ما فوقه من تحته. وأغلظ له رجل فحلم عنه فقيل له: أتحلم عن هذا؟ فقال: إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا. كان يقال: لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة . وقال زياد: أحسنوا إلى المزارعين فإنكم لا تزالون سمانا ما سمنوا. وفخر سليم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية: اسكت ما أدرك صاحبك شيئا قط بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني . وقال الوليد لعبد الملك: يا أبت ما السياسة؟ قال: هيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصنائع. وفي كتب العجم: قلوب الرعية خزائن ملوكهم فما أودعتها من شيء فلتعلم أنه فيها. ووصف بعض الملوك سياسته فقال: لم أهزل في وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهي ولا عاقبت للغضب واستكفيت على الجزاء وأثبت على العناء لا الهوى، وأودعت القول هيبة لم يشبهم مقت وودا لم تشبه جرأة وعممت بالقوت ومنعت الفضول. وقال عمر بن الخطابرضي الله عنه: إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف والقوي في غير عنف. وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إني لأجمع أن أخرج للمسلمين أمرا من العدل فأخاف أن لا تحتمله قلوبهم فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فإن فرت القلوب من هذا سكنت إلى هذا.

قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مليكة: صف لنا عبد الله بن الزبير، فإنه ترمرم على أصحابنا فتغشمروا عليه؛ فقال: والله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم، ولا لحما على عصب، ولا عصبا على ركبت بين جنبيه؛ ولقد قام يوما إلى الصلاة، فمر حجر من حجارة المنجنيق بين لحيته وصدره، فو الله ما خشع لها بصره، ولا قطع لها قراءته، ولا ركع دون الركوع الذي كان يركع. أن ابن الزبير كان إذا دخل في الصلاة خرج من كل شيء إليها؛ ولقد كان يركع ويسجد كأنه ثوب مطروح.

كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في غلمة منهم عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير وعمر بن أبي سلمة، فقيل: يا رسول الله لو بايعتهم فتصيبهم بركتك ويكون لهم ذكرا؛ فأتي بهم، فكأنهم تلعلعوا، فأقتحم ابن الزبير أولهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أنه ابن أبيه.

■ (1) عدي بن حاتم بن عبد الله بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي أبوه حاتم الجواد الذي يضرب به المثل، يكنى أبا طريف وقيل يكنى أبا وهب، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع في شعبان وقبل سنة عشر فأسلم وكان نصرانيا، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم على أبي بكر الصديق وقت الردة بصدقة قومه، وثبت على الاسلام ولم يرتد وثبت معه قومه، شهد فتوح العراق ووقعة القادسية ووقعة مهران ويوم الجسر مع أبي عبيدة وكان مع خالد بن الوليد لما سار إلى الشام وشهد معه بعض الفتوح، وشهد مع علي بن أبي طالب وقعة الجمل، وصفين. توفي سنة 67 هـ وقيل غير ذلك وله مائة وعشرون سنة ومات بالكوفة أيام المختار.

مراجع: أنساب الأشراف/ مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ عيون الأخبار/ ربيع الأبرار/ ثمرات الأوراق/

عن أبي عبد الرحمن العجلاني قال: قال معاوية يوما وهو في جماعة من أهل بيته: من يكفيني ابن الزبير[1]، فوالله ما أردت أمرا إلا عاند فيه، ولا تكلمت في شيء إلا اعترض في قولي، وهو بعد غلام من غلمان قريش، إلا أنه غير معروف بالأفن وإن كان حديث السن، فقال عمرو بن العاص[2]: ضمنت لك يا أمير المؤمنين أن ألين عريكته، وأذهب نخوته، وأخرس لسانه، وأعدمه بيانه، حتى أدعه ألين من خميرة مريثة، وأذل من نقدة على أن ترفدني وتقضي حوائجي، قال: نعم؛ وجاء ابن الزبير وقد بلغه الخبر، فنكت عمرو بن العاص في الأرض ثم قال: إني لنار ما يرام آصطلاؤها..لدى كل أمر معضل متفاقم. فقال ابن الزبير مجيبا له: وإني لبحر ما يسامى عبابه..متى يلق بحري حر نارك تخمد.

فقال عمرو: مهلا يا بن الزبير فإنك لا تزال متجلببا جلابيب التيه، مؤتزرا بوصائل التهكم، تعاطى الأقورين ولست من قريش في لباب حسبها ولا مؤنق جوهرها، فقال ابن الزبير: أما ما ذكرت من تجلببي جلابيب التيه وائتزاري بوصائل التهكم فمعاذ الله من ذلك، لقد عرف من عرفني أن الأبهة ليست من شأني، وإنك لأنت المتوه في وادي الضلالة، المستشعر جخائف الكبر، اللابس للسبة، المتجرثم جراثيم البطالة، الساهي عن كل مروءة وخير، وأيم الله لتنتهين عن تناولك القلل الشامخة والذرى الباسقة أو لأرمينك بلسان صارم من أريب مراجم، يلدغك بحسبان، فإنك ذو خدع ومكر، قتات عياب مغتاب، تقلب لسانك في قريش كتقليب المحالة، ووالله لتدعن وقيعتك في الرجال أو لأسمنك بسمة تدعك شنارا وتكسبك عارا، فقال عمرو: كلا يا بن الزبير لقد أحكمتني التجارب، وجرستني الدهور، وعرفت نظائر الأمور، وحلبت الزمان أشطره، ورضعت أفاويقه، فأغرق سهمي نزعا، ولم تعرف لي نبوة في شدة، ولا جهالة عند الحدة، ولقد ضربت أمور الباطل بذرب الحق حتى أقمت ميلها، وثقفتها بعد اعوجاجها. فقال ابن الزبير: لقد قرب غورك، وضاق صدرك، فانتفخ سحرك، والتوى عليك أمرك، فأما ما ذكرت من تعاطي ما أتعاطاه فإني امرؤ سما بي إلى ذلك مالا تصول بمثله: أنفي حمي، وحسبي زكي، وقلبي ذكي، وأمري سديد، ورأيي رشيد، ولقد قعد بك عن ذلك ضعف جنانك، وصغير همتك، وأما ذمك نسبي وحسبي فقد حضرني وإياك النظراء الأكفاء العلماء بي وبك وأنشد: تعالوا فإن العلم عند ذوي النهي..من الناس كالبلقاء باد حجولها..ننافركم بالحق حتى تبينوا..على أينا تلقي الفروع أصولها . فقال معاوية ومن حضر: أنصفك، فقال ابن الزبير: أما والله لأغصنك بريقك، ولألينن أخدعيك، ولأقيمن صعر خديك، ولأبينن للناس كهامة لسانك، يا معشر قريش أأنا في نفسي خير أم هو، قالوا: أنت: قال: فأبي خير أم أبوه،قالوا: اللهم، أبوك حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أفامي خير أم أمه؟ قالوا أمك والله أسماء بنت الصديق، قال: أفجدتي خير أم جدته؟ قالوا: جدتك صفية عمة محمد صلى الله عليه وسلم، قال: فظفر به ابن الزبير فأنشد: قضت الغطارف من قريش بيننا..فاصبر على رغم لفصل قضائها..وإذا جريت فلا تجار مهذبا..بذ الجياد لدى احتفال جرائها.ثم قال: والله يا عمرو لو أن الذي أمرك بهذا إياي واجه، لقصرت من سامي طرفه، ولجرجرت الغيظ في صدره، فوالله ما استغاث بكهف ولا لجأ إلى وزر، يعني معاوية. فلما خرج ابن الزبير قال معاوية لعمرو: والله لقد علاك بخصومته. وفلج عليك بحجته، وما زدت على أن فضحتنا ونفسك، فقال: يا أمير المؤمنين عجل علي بالمقالة، فقطعتم علي الشهادة، فقال معاوية: لله أبوك أفأردت أن نبهته لك؟!

■ (1) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر وهاجر واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل وفيه أبو بكر وعمر لخبرته بمكيدة الحرب ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر ثم افتتح مصر ووليها لعمر.توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم

عن عبد الله بن سلام عن عبد الملك بن نوفل عن محمد بن كعب قال: تنازع عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم فمال معاوية مع مروان، فقال ابن الزبير: يا معاوية إن لنا حقا وحرمة وطاعة، ما أطعت الله نطعك، إنا يا معاوية لا ندع مروان يركبنا في جماهير* قريش بمشاقصه* . وعن ابن سيرين قال: دخل معاوية البيت الحرام ومعه عبد الله بن الزبير، فكلمه ابن الزبير في حاجة للحسين بن علي فأباها معاوية، فأخذ ابن الزبير بيده فغمزها، فقال له معاوية: خلني ويحك، قال: لا والله أو تقضي حاجة الحسين وإلا كسرتها، قال: فإني أفعل، فخلى يده، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أكنت ترى أنني أكسر يدك؟ قال: وما يؤمنني ذلك منك؟ قال: وما يؤمنني ذلك منك؟ وعن أبي الهيثم الرحبي، قال: دخل ابن الزبير على معاوية وهو خال، فأخذ يده فغمزها غمزة شديدة تأوه لها معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين ما يؤمنك أن أقتلك؟ قال: لست من قتالي الملوك، إنما يصيد كل طائر قدره، قال: يا أمير المؤمنين إني قد استجفيتك، قال: ولم؟ فسأله حوائج فقضاها.وقد قيل: إن معاوية خرج من مكة ليلا مستخفيا، وبلغ ابن الزبير خروجه فلحقه وسايره ساعة، ثم قال: لو شئت يا أمير المؤمنين لقتلتك مذ الليلة، قال: كلا لست من قتالي الملوك، إنما يصيد كل طائر قدره.

☪

عن عيسى بن عمر قال وفد أبو جهم بن حذيفة[1] على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية: يا أبا جهم، أما والله إن لك حقا وقرابة وشرفا، وإن مع حقك لحقوقا وإن مع قرابتك لقرابة، وأنه ليلزمنا مؤن عظيمة، ولكن هذه مائة ألف درهم فخذها واعذر، قال أبو الجهم: فقبضتها على مضض، وقلت في نفسي: ما عسى أن أقول له؟! رجل ناء عن بلاد قومه وقد تخلق بأخلاق أهل الشام الجفاة الأغفال* فأخذتها على أنه قد قصر بي، فلما توفى معاوية واستخلف يزيد[2] صرت إليه وافدا، فأقمت أياما، ثم قال: يا أبا جهم، إني بحقك عارف وقرابتك وشرفك، وإن مع حقك علينا لحقوقا ومؤنا لا نستطيع دفعها، وأنت أولى من عذر ابن أخيه، هذه خمسون ألف درهم، فاقبضها واعذر، فقلت في نفسي: غلام حدث نشأ مع غير قومه، وسكن غير بلده، وهو مع هذا فابن كلبية، فأي خير يرجى منه؟! ثم أخذتها على أنه قد قصر بي، وانصرفت، فلما استخلف عبد الله بن الزبير، قلت في نفسي: هذا بقية قريش البطاح* فأتيته وافدا فأقمت أياما، ثم قال لي: يا أبا الجهم، مهما جهلت فلم أجهل حقك وقرابتك وشرفك، غير أن مؤنا علينا وغرما وحمالات* وأمورا يطول شرحها، ولكن مع ذلك فغير مخيب بسفرك، هذه ألف درهم خذها فاستعن بها على أمورك، قال أبو الجهم: فقبضتها فرحانا بها، ثم مثلت بين يديه، فقلت: يا أمير المؤمنين، مد الله لقريش في بقائك ودافع لنا عن حوبائك* ولا امتحننا بفقدك، فوالله، لا زالت قريش بخير ما مد الله لها في عمرك، فقال ابن الزبير: جزاك الله عن الرحم خيرا، فوالله ما قلت هذا لمعاوية وقد أعطاك مائة ألف درهم، ولا قلته ليزيد وقد أعطاك خمسين ألف، وقد قلت لنا وإنما أعطيناك ألف درهم! فقال: نعم يا أمير المؤمنين، من أجل ذاك قلت ذاك وخفت إن أنت هلكت لا يلي أمر الناس بعدك إلا الخنازير، فأحببت أن يبقيك الله لقريش، فإنك على كل حال خير لها من غيرك. قال الزبير وفد أبو جهم على معاوية وكان بينه وبين ثقيف لحاء فقال معاوية: يا أبا جهم، مالك ولثقيف يشكونك إلي؟! قال: ما أعجب أمرك، والله لا أصالحهم حتى يقولوا قريش وثقيف ولية ووج لا يحبنا منهم إلا أحمق ولا يحبهم منا إلا أحمق.

----

*(جماهير قريش) أي جماعاتها واحدها جمهور (المشاقص) جمع مشقص، وهو نصل السهم إذا كان طويلا (الغفل) من لا حسب له ومن لا يرجى خيره (قريش البطاح) هم الذين نزلوا أباطح مكة وبطحاءها (الغرم) الدين (الحمالات) واحدتها حمالة كسحابة الدية يحملها قوم عن قوم (الحوباء) النفس

■ (1) أبو جهم بن حذيفة القرشي العدوي، المذكور في قول النبي: اذهبوا بهذه الخميصة، وائتوني بأنبجانية أبي جهم. قيل: اسمه: عبيد. وهو من مسلمة الفتح. وكان ممن بنى البيت في الجاهلية، ثم عمر حتى بنى فيه مع ابن الزبير. وبين العمارتين أزيد من ثمانين سنة. وكان علامة بالنسب، أحضر يوم الحكمين. وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم مرة مصدقا.وكان قوي النفس.سر بمصاب عمر؛ لكونه أخافه، وكف من بسط لسانه، وهو الذي قال فيه النبي لفاطمة بنت قيس، إذ خطبها: أما أبو جهم، فإنه ضراب للنساء، وأما معاوية فصعلوك.ولما وفد على معاوية، أقعده معه على السرير، ووصله بمئة ألف، فاستقلها. قيل: إن أبا جهم مات في آخر خلافة معاوية.

■ (2) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

مراجع: أنساب الأشراف/ مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ عيون الأخبار/ لسان العرب/ معجم ما استعجم/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وعبد الله بن الزبير (٤) 0258

دخل الحسين بن علي[1] رضي الله عنه يوما على معاوية ومعه مولى له يقال له ذكوان وعند معاوية جماعة من قريش فيهم ابن الزبير[2] فرحب معاوية بالحسين وأجلسه على سريره وقال: ترى هذا القاعد يعني ابن الزبير فإنه ليدركه الحسد لبني عبد مناف فقال ابن الزبير لمعاوية: قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن إن شئت أعلمتك فضل الزبير على أبيك أبي سفيان[3] فعلت فتكلم ذكوان مولى الحسين بن علي فقال: يا بن الزبير إن مولاي ما يمنعه من الكلام إلا أن يكون طلق اللسان رابط الجنان فإن نطق نطق بعلم وإن صمت صمت بحلم غير أنه كف الكلام وسبق إلى السنام فأقرت بفضله الكرام وأنا الذي أقول: فيم الكلام لسابق في غاية..والناس بين مقصر ومبلد..إن الذي يجري ليدرك شأوه..ينمي لغير مسود ومسدد..بل كيف يدرك نور بدر ساطع..خير الأنام وفرع آل محمد. فقال معاوية: صدق قولك يا ذكوان، أكثر الله في موالي الكرام مثلك، فقال ابن الزبير: إن أبا عبد الله سكت وتكلم مولاه، ولو تكلم لأجبناه أو لكففنا عن جوابه إجلالا له، ولا جواب لهذا العبد، قال ذكوان: هذا العبد خير منك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مولى القوم منهم، فأنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت ابن العوام بن خويلد فنحن أكرم ولاء وأحسن فعلا، قال ابن الزبير: إني لست أجيب هذا، فهات ما عندك، فقال معاوية: قاتلك الله، يا بن الزبير، ما أعياك وأبغاك، أتفخر بين يدي أمير المؤمنين وأبي عبد الله، إنك أنت المتعدي لطورك الذي لا تعرف قدرك، فقس شبرك بفترك ثم تعرف كيف تقع بين عرانين بني عبد مناف، أما والله لئن دفعت في بحور بني هاشم وبني عبد شمس لتقطعنك بأمواجها، ثم لتوهين بك في أجاجها، فما بقاؤك في البحور إذا غمرتك، وفي الأمواج إذا بهرتك، هنالك تعرف نفسك، وتندم على ما كان من جرأتك، وتمسي ما أصبحت إليه من أمان، وقد حيل بين العير والنزوان، فأطرق ابن الزبير مليا، ثم رفع رأسه فالتفت إلى من حوله، ثم قال: أسألكم بالله، أتعلمون أن أبي حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن أباه أبا سفيان حارب رسول الله، وأن أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق[4]، وأمه هند[5] آكلة الأكباد، وجدي الصديق[6]، وجده المشدوخ(؟) ببدر ورأس الكفر، وعمتي خديجة[7] ذات الخطر والحسب، وعمته أم جميل[8] حمالة الحطب، وجدتي صفية[9]، وجدته حمامة، وزوج عمتي خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم، وزوج عمته شر ولد آدم أبو لهب[10] سيصلى نارا ذات لهب، وخالتي عائشة[11] أم المؤمنين، وخالته أشقى الأشقين، وأنا عبد الله وهو معاوية ؟! فقال له معاوية: ويحك يا بن الزبير، كيف تصف نفسك بما وصفتها، والله مالك في القديم من رياسة، ولا في الحديث من سياسة، ولقد قدناك وسدناك قديما وحديثا، لا تستطيع لذلك إنكارا، ولا عنه فرارا، وإن هؤلاء الحضور ليعلمون أن قريشا قد اجتمعت يوم الفجار* على رياسة حرب بن أمية[12]، وأن أباك وأسرتك تحت رايته راضون بإمارته، غير منكرين لفضله، ولا طامعين في عزله، إن أمر أطاعوا، وإن قال أنصتوا، فأنزل فينا القيادة، وعز الولاية، حتى بعث الله عز و جل محمدا صلى الله عليه وسلم فانتخبه من خير خلقه من أسرتي لا أسرتك، وبني أبي لا بني أبيك، فجحدته قريش أشد الجحود، وأنكرته أشد الإنكار، وجاهدته أشد الجهاد، إلا من عصم الله من قريش، فما ساد قريشا وقادهم إلا أبو سفيان بن حرب، فكانت الفئتان تلتقيان ورئيس الهدى منا ورئيس الضلالة منا، فمهديكم تحت راية مهدينا، وضالكم تحت راية ضالنا، فنحن الأرباب وأنتم الأذناب، حتى خلص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شركه وعصمه بالإسلام من عبادة الأصنام، فكان في الجاهلية عظيما شأنه وفي الإسلام معروفا مكانه، ولقد أعطي يوم الفتح ما لم يعط أحد من آبائك، وإن منادي رسول الله نادى: من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وكانت داره حرما لا دارك ولا دار أبيك، وأما هند فكانت امرأة من قريش في الجاهلية، عظيمة الخطر، وفي الإسلام كريمة الخبر، وأما جدك الصديق فبتصديق عبد مناف سمي صديقا، لا بتصديق عبد العزى، وأما ما ذكرت من جدي المشدوخ ببدر، فلعمري لقد دعا إلي البراز هو وأخوه وابنه، فلو برزت إليه أنت وأبوك ما بارزوكم، ولا رأوكم لهم أكفاء، كما قد طلب ذلك غيركم، فلم يقبلوهم حتى برز إليهم أكفاؤهم من بني أبيهم، فقضي الله مناياهم بأيديهم، فنحن قتلنا، ونحن قتلنا، وما أنت وذاك، وأما عمتك أم المؤمنين فبنا شرفت وسميت أم المؤمنين، وخالتك عائشة مثل ذلك، وأما صفية فهي أدنتك من الظل، ولولا هي لكنت ضاحيا، وأما ما ذكرت من ابن عمك وخال أبيك سيد الشهداء فكذلك كانوا رحمهم الله، وفخرهم وإرثهم لي دونك، ولا فخر لك فيهم ولا إرث بينك وبينهم، وأما قولك أنا عبد الله وهو معاوية، فقد علمت قريش أينا أجود في الإزم وأحزم في القدم، وأمنع للحرم، لا والله ما أراك منتهيا حتى تروم من بني عبد مناف ما رام أبوك، فقد طالعهم الذحول*، وقدم إليهم الخيول، وخدعتم أم المؤمنين، ولم تراقبوا رسول الله إذ مددتم على نسائكم السجوف* وأبرزتم زوجته للحتوف ومقارعة السيوف، فلما التقى الجمعان نكص أبوك هاربا فلم ينجه ذلك أن طحنه أبو الحسين بكلكله طحن الحصيد بأيدي العبيد، وأما أنت فأفلت بعد أن خمشتك* براثنه ونالتك مخاليبه، وايم الله ليقومنك بنو عبد مناف بثقافها أو لتصبحن منها صباح أبيك بوادي السباع، وما كان أبوك المدهن حده ولكنه كما قال الشاعر: تناول سرحان فريسة ضيغم..فقضقضه بالكف منه وحطما.

----

*(حروب الفجار) بين كنانة وقيس، وسميت الفجار لانها كانت في الاشهر الحرم، وهي الشهور التي يحرمونها ففجروا فيها، وهي فجاران، الفجار الاول ثلاثة أيام، والفجار الثاني خمسة أيام في أربع سنين، وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم يوم عكاظ مع أعمامه وكان يناولهم النبل، وانتهت سنة 589 م وتعرف أيام الفجار الثاني يوم نخلة يوم شمطة يوم العبلاء يوم عكاظ يوم الحريرة. وأغلب حروب الفجار معارك ومناوشات، ولم تكن حروبا بالمعنى المفهوم من كلمة حرب. ويوم البراض أو يوم نخلة هو أعظم أيام الفجار(السجف) الستر والجمع سجوف (خمش) خمشت المرأة وجهها إذا قشرته بالأظفار .وخمشت فلانا قطعت عضوا منه، والخموش: الخدوش (البراثن) أظفار مخالب الأسد وقد تستعار البراثن لأصابع الإنسان (ذحل) الذحل الثأر وقيل طلب مكافأة بجناية جنيت عليك أو عداوة أتيت إليك وقيل هو العداوة والحقد وجمعه أذحال وذحول وهو الترة يقال طلب بذحله أي بثأره

■ (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (6) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

■ (9) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم: سيدة قرشية، شاعرة باسلة، وهي عمة النبي صلى الله عليه وسلم. أسلمت قبل الهجرة، وهاجرت إلى المدينة. وكان رسول الله إذا خرج لقتال عدوه من المدينة، يرفع أزواجه ونساءه في حصن حسان بن ثابت، فلما كان يوم أحد صعدت صفية معهن، وتخلف عندهن حسان، فجاء يهودي فلصق بالحصن يتجسس، فقالت صفية لحسان: أنزل إليه فاقتله. فتوانى حسان، فأخذت عمودا ونزلت، ففتحت الباب بهدوء، وحملت على الجاسوس فقتلته. ورأت المسلمين يتراجعون يوم أحد فتقدمت، وبيدها رمح، تضرب في وجوه الناس وتقول: أانهزمتم عن رسول الله! فأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الزبير بن العوام أن يبعدها عن أخيها الحمزة وكان قد بقر بطنه فكره رسول الله أن تراه. فناداها الزبير أن تنتحى، فزجرته، وأقبلت حتى رأت أخاها. لها مراث رقيقة. وفي شعرها جودة.ماتت في المدينة سنة 20 هـ

■ (4) أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة، الملقبة بذات النطاقين صحابية جليلة، أخت السيدة عائشة لأبيها، وزوج الصحابي الجليل الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأم عبد الله بن الزبير الذي قتله الحجاج بن يوسف. ولدت أسماء بمكة قبل الهجرة سنة 27 ق.هـ، وأسلمت بعد سبعة عشر مسلما، وقد شاركت رضي الله عنها في أحداث الهجرة، فكانت تحمل الزاد والماء والأخبار إلى النبي وأبيها الصديق رضي الله عنه، أثناء وجودهما في غار ثور ولقبت خلالها بذات النطاقين؛ لأنها اضطرت إلى شق نطاقها نصفين لتضع في أحدهما الطعام وتستر بالآخر رأسها. وكانت رضي الله عنها مثالا في الجود والكرم، كثيرة البذل والعطاء، وكانت تقول لبناتها: أنفقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن انتظرتن الفضل لم تفضلن شيئا. روت أسماء الحديث عن النبي؛ حيث روى عنها علماء الحديث ثمانية وخمسين حديثا. وتوفيت رضي الله عنها بمكة في جمادى الأولى سنة 73 هـ بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير بثلاثة أشهر.

■ (12) حرب بن أمية بن عبد شمس، من قريش، كنيته أبو عمرو: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن سادات قومه. وهو جد معاوية بن أبي سفيان بن حرب. كان معاصرا لعبد المطلب بن هاشم. وشهد حرب الفجار. ومات بالشام سنة 36 ق هـ. وتزعم العرب أن الجن قتلته بثأر حية ! قال زياد ابن أنعم المعافري لعبد الله بن عباس: هل كنتم معاشر قريش تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي؟ قال: نعم. قال: فمن علمكم؟ قال: حرب بن أمية.

■ (7) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قريش: زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى، وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة. ولدت بمكة، ونشأت في بيت شرف ويسار، ومات أبوها يوم الفجار، وتزوجت بأبي هالة بن زرارة التميمي فمات عنها. وكانت ذات مال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام، تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة. فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخامسة والعشرين خرج في تجارة لها إلى سوق بصرى بحوران وعاد رابحا، فدست له من عرض عليه الزواج بها، فأجاب، فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسعد بن عبد العزى فحضر وتزوجها رسول الله قبل النبوة فولدت له القاسم وكان يكنى به وعبد الله وهو الطاهر والطيب وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وكان بين كل ولدين سنة. وكانت تسترضع لهم وتهيء ذلك قبل أن تلد. ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها إلى الإسلام، فكانت أول من أسلم من الرجال والنساء. ومكثا يصليان سرا إلى أن ظهرت الدعوة. كانت تكنى بأم هند (وهند من زوجها الاول) وأولاد النبي صلى الله عليه وسلم كلهم منها، غير إبراهيم ابن مارية. وكانت وفاة خديجة بمكة سنة 3 ق هـ

■ (11) أم المؤمنين عائِشة بنت أبي بكر الصِديق التيمية القُرشية. زوجة النبي وإحدى أمهات المؤمنين.كانت من أعلم النساء بالدين والقرآن والتفسير والحديث والفقه. ولدت رضي الله عنها سنة 19 ق.هـ وتوفيت سنة 58 هـ

■ (3) أبو سفيان بن حرب بن أمية واسمه صخر، اسلم في الفتح، لقى رسول الله بالطريق قبل دخوله مكة لفتحها فأسلم هناك، وشهد حنينا، وشهد الطائف، وفقئت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. مات بين سنة 30 هـ وسنة 34 هـ، وصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان، ودفن في البقيع

■ (5) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القريشية العبشمية، أم معاوية بن أبى سفيان، أسلمت في الفتح بعد إسلام زوجها أبى سفيان بليلة، وشهدت اليرموك مع أبى سفيان، توفيت في أول خلافة عمر، في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبى بكر الصديق.

■ (1) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (8) أم جميل، زوجة أبي لهب بن عبد المطلب، هي أروى بنت حرب بن أمية بن عبد شمس. وهي التى أُطلق عليها حمالة الحطب.وفيها الآية " وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ"

■ (10) أبو لهب، عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش: عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأحد الاشراف الشجعان في الجاهلية، ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الا سلام. كان غنيا عتيا، كبر عليه أن يتبع دينا جاء به ابن أخيه، فآذى أنصاره وحرض عليهم وقاتلهم. وفيه الآية " تبت يدا أبي لهب، وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب". وكان أحمر الوجه، مشرقا، فلقب في الجاهلية بأبي لهب. مات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهدها سنة 2 هـ.

دخل عبد الله بن الزبيرعلى معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تدعن مروان يرمي جماهير قريش* بمشاقصه* ويضرب صفاتهم بمعوله، أما والله لولا مكانك لكان أخف على رقابنا من فراشة، وأقل في أنفسنا من خشاشة، وأيم الله لئن ملك أعنة خيل تنقاد له لتركبن منه طبقا تخافه، فقال معاوية: إن يطلب مروان[1] هذا الأمر فقد طمع فيه من هو دونه، وإن يتركه يتركه لمن فوقه، وما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله عليكم من لا يعطف عليكم بقرابة، ولا يذكركم عند ملمة، يسومكم خسفا ويسوقكم عسفا، فقال ابن الزبير: إذن والله يطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد، حافاتها الأسل، لها دوي كدوي الريح، تتبع غطريفا من قريش لم تكن أمه راعية ثلة، فقال معاوية: أنا ابن هند، أطلقت عقال الحرب فأكلت ذروة السنام وشربت عنفوان المكرع، وليس للآكل بعدي إلا الفلذة، ولا للشارب إلا الرنق، فسكت ابن الزبير.

----

*(جماهير قريش) أي جماعاتها واحدها جمهور (المشاقص) جمع مشقص، وهو نصل السهم إذا كان طويلا

■ (1) مروان بن الحكم أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان،واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثم عزله ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.توفي سنة 65 هـ

مراجع: / الأعلام للزركلي/ جمهرة خطب العرب/ لسان العرب/

قدم عبد الله بن الزبير[1] على معاوية وافدا، فرحب به وأدناه حتى أجلسه على سريره ثم قال: حاجتك، أبا خبيب؟ فسأله أشياء ثم قال له: سل غير ما سألت، قال: نعم المهاجرون والأنصار، ترد عليهم فيئهم وتحفظ وصية نبي الله فيهم، تقبل من محسنهم وتتجاوز عن مسيئهم، فقال معاوية: هيهات هيهات، لا والله، ما تأمن النعجة الذئب وقد أكل أليتها، فقال ابن الزبير: مهلا يا معاوية، فإن الشاة لتدر للحالب، وإن المدية في يده، وإن الرجل الأريب ليصانع ولده الذي خرج من صلبه، وما تدور الرحاء إلا بقطبها، ولا تصلح القوس إلا بعجبها، فقال: يا أبا خبيب، لقد أجررت الطروقة قبل هباب الفحل، هيهات وهي لا تصطك لحيائها اصطكاك القروم السوامى، فقال ابن الزبير: العطن بعد العل، والعل بعد النهل، ولا بد للرحاء من الثفال، ثم نهض ابن الزبير، فلما كان العشاء أخذت قريش مجالسها، وخرج معاوية على بني أمية، فوجد عمرو بن العاص[2] فيهم، فقال: ويحكم يا بني أمية، أفيكم من يكفيني ابن الزبير؟ فقال عمرو: أنا أكفيكه، يا أمير المؤمنين، قال: ما أظنك تفعل، قال: بلى، والله، لأربدن وجهه ولأخرسن لسانه، ولأردنه ألين من خميلة، فقال: دونك فاعرض له إذا دخل، فدخل ابن الزبير وكان قد بلغه كلام معاوية وعمرو، فجلس نصب عيني عمرو، فتحدثوا ساعة ثم قال عمرو: وإني لنار ما يطاق اصطلاؤها..لدي كلام معضل متفاقم. فأطرق ابن الزبير ساعة ينكت في الأرض ثم رفع رأسه وقال: وإني لبحر ما يسامى عبابه..متي يلق بحري حر نارك تخمد. فقال عمرو: والله، يا بن الزبير، إنك ما علمت لمتجلبب جلابيب الفتنة متأزر بوصائل التيه تتعاطى الذرى الشاهقة والمعالي الباسقة، وما أنت من قريش في لباب جوهرها، ولا مؤنق حسبها، فقال ابن الزبير: أما ما ذكرت من تعاطي الذرى، فإنه طال بي إليها وسما مالا يطول بك مثله أنف حمي، وقلب ذكي، وصارم مشرفي في تليد فارع، وطريف مانع، إذ قعد بك انتفاخ سحرك ووجيب قلبك، وأما ما ذكرت مع أني لست من قريش في لباب جوهرها ومؤنق حسبها، فقد حضرتنى وإياك الأكفاء العالمون بي وبك فاجعلهم بيني وبينك، فقال القوم: قد أنصفك يا عمرو، قال: قد فعلت، فقال ابن الزبير: أما إذا أمكنني الله منك، فلأربدن وجهك ولأخرسن لسانك ولترجعن في هذه الليلة وكأن الذي بين منكبيك مشدود إلى عروق أخدعيك، ثم قال: أقسمت عليكم يا معاشر قريش، أنا أفضل في دين الإسلام أم عمرو؟ فقالوا: اللهم، أنت، قال: فأبي أفضل أم أبوه؟ قالوا: أبوك حواري رسول الله وآله وابن عمته؟ قال: فأمي أفضل أم أمه؟ قالوا: أمك أسماء بنت أبي بكر الصديق وذات النطاقين، قال: فعمتي أفضل أم عمته؟ قالوا: عمتك سلمى بنة العوام صاحبة رسول الله وآله أفضل من عمته، قال: فخالتي أفضل أم خالته؟ قالوا: خالتك عائشة أم المؤمنين، قال: فجدتي أفضل أم جدته؟ قالوا: جدتك صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله وآله، قال: فجدي أفضل أم جده؟ قالوا: جدك أبو بكر الخليفة بعد رسول الله وآله، فقال: قضت الغطارف من قريش بيننا..فاصبر لفضل خصامها وقضائها..وإذا جريت فلا تجار مبرزا..بذ الجياد على احتفال جرائها. أما والله يا بن العاص لو أن الذي أمرك بهذا واجهني بمثله لقصرت إليه من سامي بصره، ولتركته يتلجلج لسانه وتضطرم النار في جوفه، ولقد استعان منك بغير واف ولجأ إلى غير كاف، ثم قام فخرج.

■ (1) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر وهاجر واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل وفيه أبو بكر وعمر لخبرته بمكيدة الحرب ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر ثم افتتح مصر ووليها لعمر.توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم

■ (4) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

رضي الله عنه

لما قتل الحسين[1] رضي الله عنه قام عبد الله بن الزبير في أهل مكة وعظم مقتله وعاب على أهل الكوفة خاصة ولام أهل العراق عامة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم: إن أهل العراق غدر فجر إلا قليلا، وإن أهل الكوفة شرار أهل العراق، وإنهم دعوا حسينا لينصروه ويولوه عليهم، فلما قدم عليهم ثاروا إليه، فقالوا له: إما أن تضع يدك في أيدينا، فنبعث بك إلى ابن زياد بن سمية[2] سلما فيمضي فيك حكمه، وإما أن تحارب، فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل في كثير، وإن كان الله عز و جل لم يطلع على الغيب أحدا أنه مقتول، ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله حسينا وأخزى قاتل حسين، لعمري لقد كان من خلافهم إياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناه عنهم، ولكنه ما حم نازل، وإذا أراد الله أمرا لن يدفع، أفبعد الحسين نطمئن إلى هؤلاء القوم، ونصدق قولهم، ونقبل لهم عهدا، لا، ولا نراهم لذلك أهلا، أما والله، لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه كثيرا في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل، أما والله، ما كان يبدل بالقرآن الغناء ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد، يعرض بيزيد[3]، فسوف يلقون غيا، فثار إليه أصحابه فقالوا له: أيها الرجل، أظهر بيعتك فإنه لم يبق أحد إذ هلك حسين ينازعك هذا الأمر، وقد كان يبايع الناس سرا ويظهر أنه عائذ بالبيت.

■ (2) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (1) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (3) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

مراجع: الأعلام للزركلي/ جمهرة خطب العرب/

حدث أبي ذئب عن أبي سهيل: أن معاوية لما أراد أن يظهر العقد ليزيد[1] قال لأهل الشام: أن أمير المؤمنين قد كبرت سنه، ورق جلده، ودق عظمه، واقترب أجله، يريد أن يستخلف عليكم فمن ترون؟ فقالوا: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد[2]، فسكت وأضمرها، ودس ابن أثال[؟] النصراني الطبيب إليه، فسقاه سما، فمات، وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد[3] خبره وهو بمكة وكان أسوأ الناس رأيا في عمه لأن أباه المهاجر، كان مع علي رضي الله عنه، بصفين، وكان عبد الرحمن بن خالد مع معاوية، وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه، هاشمي المذهب، فلما قتل عمه عبد الرحمن مر به عروة بن الزبير[4] فقال له: يا خالد اتدع لابن أثال نقى أوصال عمك بالشام، وأنت بمكة مسيل أزارك تجره وتخطر فيه متخائلا؟ فحمي خالد ودعى مولى له يقال له نافع فاعلمه الخبر وقال له: لا بد من قتل ابن أثال، وكان نافع جلدا شهما، فخرجا حتى قدما دمشق، وكان ابن أثال يتمسى عند معاوية، فجلس له في مسجد دمشق إلى اسطوانة، وجلس غلامه إلى أخرى حتى خرج، فقال خالد لنافع: إياك أن تعرض له أنت، فإني أضربه، ولكن احفظ ظهري واكفني من ورائي، فإن رأيت شيئا يريدني من ورائي فشأنك، فلما حاذاه وثب إليه فقتله، وثار إليه من كان معه فصاح بهم نافع فانفرجوا، ومضى خالد ونافع وتبعهما من كان معه، فلما غشوهما حملا عليهم فتفرقوا، حتى دخل خالد ونافع زقاقا ضيقا ففاتا الناس. وبلغ معاوية الخبر فقال: هذا خالد بن المهاجر، انظروا الزقاق الذي دخل فيه، ففتش عليه وأتي به فقال له: لا جزاك الله من زائر خيرا قتلت طبيبي؟ فقال: قتلت المأمور وبقي الآمر، فقال له: عليك لعنة الله، أما والله لو كان تشهد مرة واحدة لقتلتك به، أمعك نافع؟ قال: لا، قال: بلى والله، وما اجترأت إلا به، ثم أمر بطلبه فوجد، فأتي به فضرب مائة سوط ولم ينح خالدا بشيء أكثر من أن حبسه، وألزم بني مخزوم دية ابن أثال اثني عشر ألف درهم؛ أدخل بيت المال منها ستة آلاف وأخذ ستة آلاف، فلم يزل ذلك يجري في دية المعاهد حتى ولي عمر بن عبد العزيز[5]،فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه، وأثبت الذي يدخل بيت المال، قال: لما حبس معاوية خالد بن المهاجر، قال في السجن: إما خطاي تقاربت مشي..المقيد في الحصار..فيما أمشي في الأ باط..ح يقتفي أثري إزاري..دع ذا ولكن هل ترى..نارا تشب بذي مرار..ما أن تشب لقرة..بالمصطلين ولا قتار..ما بال ليلك ليس ين..قص طولها طول النهار..أتقاصر الأمان أم غرض..الأسير من الأسار. قال: فبلغت أبياته معاوية فأطلقه، فرجع إلى مكة، فلما قدمها لقي عروة بن الزبير، فقال له: أما ابن أثال فقد قتلته، وهذاك ابن جرموز[6] نقي أوصال الزبير بالبصرة فاقتله إن كنت ثائرا، فشكاه عروة إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام[7]،فأقسم عليه أن يمسك عنه، ففعل، أقول (السيوطي): كان الزبير بن العوام[8] رضي الله عنه مع عائشة[9] رضي الله عنها يوم الجمل، فقتله ابن جرموز، ولذلك قال خالد بن المهاجر لعروة بن الزبير عن قتل ابن جرموز لأبيه يعيره بذلك، ومما يحقق هذا، أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل[10] زوجة الزبير بن العوام قالت ترثيه لما قتله ابن جرموز: الكامل: غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرد يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشا رعش الجنان ولا اليد الله ربك، أن قتلت لمسلما وجبت عليك عقوبة المتعمد إن الزبير، لذو بلاء صادق، سمح سجيته، كريم المشهد كم غمرة قد خاضها، لم يثنه عنها طرادك، يا ابن فقع القردد فاذهب فما ظفرت يداك بمثله فيما مضى مما يروح ويغتدي.

■ (2) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة المخزومي، ابن سيف رسول الله أدرك سيدنا رسول الله وكان مع أبيه يوم اليرموك، وسكن حمص، وشهد صفين مع معاوية، وكان معه اللواء، واستعمله معاوية على غزو الروم، وله معهم وقائع، وكان شريفا ممدحا، استعمله معاوية على جماعة الناس في غزوة أرمينية سنة 42 هـ فشتا بهم سنة أربع وخمس وست؛ وقدم حمص في سنة 46 هـ قافلا، فدس ابن أثال النصراني طبيب معاوية بعض أولئك المماليك فسقاه شربة فمات بحمص، فاعترض لابن أثال خالد بن عبد الرحمن بن خالد فضربه بالسيف، فقتله فرفع إلى معاوية فحبسه أياما، وأغرمنه ديته، ولم يقده منه. وكان عبد الرحمن بطلا شجاعا. وقيل: مات بأرض الروم. وقيل: مات سنة 49 هـ.

■ (3) خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. وهو حفيد خالد بن الوليد المخزومي. حدث عن عمر بن الخطاب وابن عباس وابن عمر وغيرهم، وقد دمشق بعد وفاة عمه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وقتل اليهودي الطبيب ابن أثال لأنه كان قد سقى عمه عبد الرحمن سما فقتله، فضربه معاوية أسواطا وحبسه وأغرمه ديتين ألفي دينار. فألقى ألفا في بيت المال وأعطى ورثة ابن أثال ألفا. ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد حتى ولي عمر بن عبد العزيز فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه، وبقي الذي يدخل بيت المال. ولم يخرج خالد من الحبس حتى مات معاوية. وكان شاعرا، ولذلك يقول ما انصرف من دمشق إلى المدينة، وقال الزبير بن بكار: وقد انقرض ولد خالد بن الوليد ولم يبق منهم أحد. وكان وفاة خالد هذا في حدود 100 هـ، وروى له مسلم.

■ (7) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام تابعي، وأحد فقهاء المدينة السبعة من التابعين، ولد سنة 23 هـ وتوفي سنة 94 هـ

■ (6) عمير بن جرموز المجاشعي قاتل حواري رسول الله، قتله تقربا بذلك إلى علي، وقال لما جاء يستأذن عليه بشر قاتل الزبير بالنار، فندم وسقط في يده، وبقي كالبعير الأجرب، كل يتجنبه ويهول عليه ما صنع، ورأى منامات مزعجة. ولما ولي مصعب بن الزبير إمرة العراق خافه ابن جرموز، ثم جاء بنفسه إلى مصعب وقال: أقدني بالزبير، فكاتب أخاه ابن الزبير في ذلك، فكتب إلى مصعب: أنا أقتل ابن جرموز بالزبير ولا بشسع نعله أقتل أعرابيا بالزبير، خل سبيله، فتركه، فكره الحياة لذنبه، وأتى بعض السواد، وهنالك قصر عليه زج فأمر إنسانا أن يطرحه عليه، فطرحه عليه فقتله. وقيل قتل بن جرموز الزبير ثم أتى عليا يخبره فقال علي سمعت رسول الله يقول قاتل بن صفية بالنار فقال بن جرموز إن قتلنا معكم فنحن في النار وإن قاتلناكم فنحن في النار ثم بعج بطنه بسيفه فقتل نفسه.

■ (4) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة من التابعين. ولد سنة 23 هـ كان عالما بالدين، صالحا كريما، لم يدخل في شئ من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين. وعاد إلى المدينة فتوفي فيها سنة 93 هـ. وهو أخو عبد الله بن البير لابيه وأمه.

■ (8) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي. أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حواري رسول الله . هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر . أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله روى عنه ابناه عبد الله وعروة ، وروى عنه أيضا الأحنف بن قيس ومالك بن أوس وغيرهم . قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة .سنة 36 هـ

■ (5) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي رضي الله عنه بدير سمعان سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

■ (1) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي.الملك الأموي الثاني. ولد سنة 26 هـ وتوفي سنة 64 هـ وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (9) أم المؤمنين عائِشة بنت أبي بكر الصِديق التيمية القُرشية. زوجة النبي وإحدى أمهات المؤمنين.كانت من أعلم النساء بالدين والقرآن والتفسير والحديث والفقه. ولدت رضي الله عنها سنة 19 ق.هـ وتوفيت سنة 58 هـ

■ (10)عاتكة بنت زيد بن عمرو العدوية.شاعرة صحابية حسناء من المهاجرات إلى المدينة تزوجها عبد الله بن أبي بكر ومات فرثته بأبيات وتزوجها عمر بن الخطاب وهو ابن عمها فاستشهد ورثته فتزوجها الزبير بن العوام وقتل فرثته وخطبها علي بن أبي طالب فأرسلت إليه إني لأضن بك عن القتل وبقيت أيما إلى أن توفيت سنة41 هـ

☪

قال أبو عبيد القاسم: إن معاوية كان خاف أن يميل الناس إلى عبد الرحمن بن خالد، فاشتكى عبد الرحمان فسقاه الطبيب شربة عسل فيها سم فأخرقته، فعند ذلك قال معاوية: لا جد إلا ما أقعص عنك من تكره، قال: وقال معاوية أيضا حين بلغه أن الأشتر سقي شربة عسل فيها سم فمات: إن لله جنودا منها العسل.ونقلت من تاريخ الواقدي قال: لما كان في سنة 38 هـ بعث علي رضي الله عنه الأشتر واليا على مصر، بعد قتل محمد بن أبي بكر، وبلغ معاوية مسيره فدس إلى دهقان بالعريش فقال: إن قتلت الأشتر فلك خراجك عشرين سنة، فلطف له الدهقان فسأل أي الشراب أحب إليه؟ فقيل: العسل فقال: عندي عسل من عسل برقة فسمه وأتاه به فشربه فمات، وفي تاريخ الطبري أن الحسن بن علي مات مسموما في أيام معاوية وكان عند معاوية كما قيل دهاء؛ فدس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس، وكانت زوجة الحسن رضي الله عنه شربة وقال لها: إن قتلت الحسن زوجتك بيزيد، فلما توفي الحسن بعثت إلى معاوية تطلب قوله فقال لها في الجواب: أنا أضن بيزيد وقال كثير يرثي الحسن: يا جعد أبكيه ولا تسأمي بكاء حق ليس بالباطل إن تستري الميت على مثله في الناس من حاف ومن ناعل، وقال عوانة بن الحكم: لما كان قبل موت الحسن بن علي رضي الله عنهما ، كتب معاوية إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة: أن أقبل المطي فيما بيني وبينك بخبر الحسن بن علي، قال: فلم يلبث إلا يسيرا حتى كتب مروان بموته، وكان ابن عباس إذا دخل على معاوية أجلسه معه على سريره فأذن معاوية للناس فأخذوا مجالسهم، وجاء ابن عباس فلم يمهله معاوية أن يسلم حتى قال: يا ابن عباس هل أتاك موت الحسن بن علي؟ قال: لا، قال: فإنه قد أتانا موته، فاسترجع ابن عباس، وقال: إن موته يا معاوية لا يزيد في عمرك ولا يدخل عمله معك في قبرك، وقد بلينا بأعظم، فقدنا منه جده محمد صلى الله عليه وسلم، فجبر الله مصابنا ولم يهلكنا بعده فقال له معاوية: اقعد يا ابن عباس فقال: ما هذا بيوم قعود وأظهر معاوية الشماتة بموت الحسن فقال قثم بن عباس في ذلك: أصبح اليوم ابن هند شامتا..ظاهر النخوة أن مات حسن..رحمة الله عليه أنه طال..ما أشجى ابن هند وأذن..ولقد كان عليه عمره..عدل رضوى وثبير وحضن..وإذا أقبل حيا رافعا صوته..والصدر يغلي بالإحن..فارتع اليوم ابن هند آمنا..إنما يغمص بالعير السمن..واتق الله وأحدث توبة أن..ما كان كشيء لم يكن.

قال علي الصلابي: حاول بعض الإخباريين أن يوجدوا علاقة بين وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وبين بيعة يزيد بن معاوية فذكر البعض أن معاوية رضي الله عنه لما رأى مكانة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد عند أهل الشام – بسبب مآثر عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ولغنائه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه– خافه معاوية فأمر ابن أثال الطبيب النصراني فدس إليه السم، في حين يرجح ابن الكلبي سبب القتل إلى أمر آخر وهو: أن معاوية لما أراد أن يولي الأمور رجلا من بعده فماذا ترون؟ فقالوا عليك بعبد الرحمن بن خالد، وكان فاضلا فسكت معاوية وأضمرها في نفسه ثم إن عبد الرحمن اشتكى، فدعا معاوية طبيبه بن اثال وأمره بدس السم إلى عبد الرحمن. فهذه الروايات بالإضافة إلى ضعف سندها يوجد اختلاف في متنها مع الواقع الملموس فمعاوية رضي الله عنه بيده عزل الأمراء أو توليتهم كما هو معروف، وليس بالصعوبة على معاوية أن يطلب من عبد الرحمن بن خالد أن يتنحى عن قيادة الصوائف على الثغر الرومي، ويهمل عبد الرحمن بن خالد ثم لا يكون له أي مكانة يخشى منها وقد ورد أن معاوية عزله وولى بدلا منه سفيان بن عوف الغامدي[1] على إحدي الصوائف، وليس هذا يشكل صعوبة على معاوية، بل إن معاوية كان يعزل عن الإمارة من هو أعظم وأقوى من عبد الرحمن بن خالد ثم كيف يقوم معاوية بقتله وقد أورد الطبري ذكر غزوة البحر سنة 48 هـ وكان قائد أهل مصر عقبة بن عامر الجهني، وعلى أهل المدينة المنذر بن زهير، وعلى جميعهم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فكيف يرضى معاوية أن يكون ولده قائدا كبيرا من بعد أبيه هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كيف يرضى أن يقوم ولده بقيادة الجيش لمعاوية إن كان معاوية قاتل أبيه، وهل يمكن أن يخفى على ولده هذا الأمر وهو أقرب الناس إليه؟ فهذه أكاذيب واضحة حاولت أن توجد علاقة بين موت عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والبيعة ليزيد، ومثلها مثل الأكاذيب التي حاولت أن تربط بين موت الحسن بن علي رضي الله عنهما والبيعة ليزيد. إن خبر وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالسم أورده القاسم بن سلام، وابن حبيب البغدادي، وذكر أن الدافع هو الخوف من منافسة عبد الرحمن ليزيد في ولاية العهد (وهذا تعليل فاسد، لأن ترشيح يزيد بن معاوية لولاية العهد ظهر عام 56 هـ بعد وفاة الحسن بن علي، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد)، كذلك أورد الخبر البلاذري، وأبو الفرج الأصفهاني، وأبو هلال العسكري، وخبر اتهام معاوية رحمه الله بحادثة سم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لم يرد بإسناد صحيح، بل هو من الأخبار المكذوبة على هذا الصحابي الكريم وفي ذلك يقول ابن كثير: وقد ذكر بن جرير وغيره، أن رجلا يقال له: ابن أثال، وكان رئيس الذمة بأرض حمص، سقاه شربة فيها سم فمات، وزعم بعضهم أن ذلك عن أمر معاوية له في ذلك ولا يصح.

■ (1) سفيان بن عوف الازدي الغامدي: قائد، صحابي، من الشجعان الابطال. كان مع أبي عبيدة ابن الجراح بالشام حين افتتحت، وولاه معاوية الصائفتين، فظفر واشتهر. ثم سيره بجيش إلى بلاد الروم فأوغل فيها إلى أن بلغ أبواب القسطنطينية، فتوفي في مكان يسمى الرنداق سنة 52 هـ، قال ابن عساكر: لما بلغت وفاته معاوية كتب إلى أمصار المسلمين وأجناد العرب ينعاه، فبكى الناس عليه في كل مسجد. وكان معاوية بعد ذلك إذا رأى في الصوائف خللا قال: واسفياناه، لاسفيان لي!.

مراجع: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ تاريخ الخلفاء/ مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار/ الوافي بالوفيات/

قال عيسى بن عمر: وفد أبو الجهم بن حذيفة[1] على معاوية بن أبي سفيان فقال له: يا أبا الجهم إن لك حقا وقرابة وشرفا، وإن مع حقك لحقوقا، وإن مع قرابتك لقرابة، وإنه ليلزمنا مؤن عظيمة، ولكن هذه مئة ألف درهم، فخذها واعذر. فقبضها على مضض قال أبو الجهم: قلت في نفسي: ما عسى أن أقول له، رجل ناء عن بلاد قومه، وقد تخلق بأخلاق أهل الشام الجفاة الأغفال، فأخذتها على أنه قد قصر بي، فلما استخلف يزيد[2]، صرت إليه وافدا، فأقمت أياما، ثم قال: إني بحقك عارف وقرابتك وشرفك، وإن مع حقك علينا لحقوقا ومؤنا لا نستطيع دفعها، وأنت أولى من عذر ابن أخيه، هذه خمسون ألف درهم فاقبضها واعذر. فقلت في نفسي: غلام حدث نشأ مع غير قومه، وسكن غير بلده، وهو مع هذا فابن كليبة[3]، فأي خير يرجى منه؟ فأخذها على أنه قد قصر بي، فلما استخلف عبد الله بن الزبير[4] قلت: هذا بقية قريش البطاح*، فوفدت عليه فأقمت أياما، ثم قال لي: يا أبا الجهم، مهما جهلت فلم أجهل حقك وقرابتك وشرفك، غير أن مؤنا علينا وغرما وحمالات وأمورا يطول شرحها، ومع ذلك فغير مخيب لسفرك، هذه ألف درهم فاستعن بها على أمورك. فقبضها فرحانا بها، قال أبو الجهم: ثم مثلت بين يديه فقلت: يا أمير المؤمنين مد الله لقريش في بقائك، ودافع لنا عن حوبائك*، ولا امتحننا بفقدك، فوالله لا زالت قريش بخير ما مد الله لها في عمرك. فقال ابن الزبير: جزاك الله عن الرحم خيرا، فما قلت هذا لمعاوية وقد أعطاك مئة ألف، ولا قلته ليزيد وقد أعطاك خمسين ألفا، وقد قلت لنا وإنما أعطيناك ألف درهم! فقال: نعم يا أمير المؤمنين، من أجل ذلك قلت ذلك، وخفت إن أنت هلكت أن لا يلي أمر المسلمين بعدك إلا الخنازير، فأحببت أن يبقيك الله لقريش، فإنك على كل حال خير لها من غيرك. وفي رواية حدثني رجل من ولد عمر بن الخطاب عن أبيه قال، قال أبو الجهم: أمر لي معاوية بمائة ألف درهم فذممته وقلت: أراحنا الله منك، فلما ولي يزيد أعطاني خمسين ألف درهم، ثم أتيت ابن الزبير فأعطاني ألفا فقلت: أبقاك الله فإنا لا نزال بخير ما بقيت، فقيل لي: أتدعو لا بن الزبير بالبقاء ولم تدع به لمعاوية ولا يزيد؟ فقلت: أخشى والله أن لا يأتي بعده إلا خنزير.

قال عبد الله بن محمد بن حبيب: لما حج معاوية لقيه ابن الزبير فقال: آدني* على الوليد بن عتبة[5] فقد تزايد خطله*، وذهب به جهله إلى غاية يقصر عنها الأنوق*، ودون قرارها العيوق، فقال معاوية: والله ما يزال أحدكم يأتيني، يغلي جوفه كغلي المرجل على ابن عمه، فقال ابن الزبير: أم والله ما ذلك عن فرار منه ولا جبن عنه، ولقد علمت قريش أني لست بالفه الكهام*، ولا بـ الهلباجة النغر*. فقال له معاوية: إنك لتهددني وقد عجزت عن غلام من قريش لم يبر في سباق، ولم يضرب في سياق. إن شئت خلينا بينك وبينه. فقال ابن الزبير: ما مثلي يهارش* به، ولكن عندك من قريش والأنصار، ومن ساكن الحجون* في الآطام* من إن سألته حملك على محجة أبين من ظهر الجفير*. قال: ومن ذلك؟ قال: هذا، يعني:أبا الجهم بن حذيفة، فقال معاوية: تكلم يا أبا الجهم.فقال أعفني، قال:عزمت عليك لتقولن، قال: نعم، أمك هند وأمه أسماء بنت أبي بكر، وأسماء خير من هند وأبوك أبو سفيان وأبوه الزبير،ومعاذ الله أن يكون مثل الزبير. وأما الدنيا فلك؛ وأما الآخرة فله إن شاء الله.

عن سعيد بن أبي سعيد قال: اغلظ أبو الجهم بن حذيفة العدوي لمعاوية وقال: أراحنا الله منك يا معاوية، فقال: ويحك إلى من: إلى بني زهرة* فما عندهم نصر ولا فضل، أم إلى بني مخزوم* فوالله لو نالوا من الأمر شيئا ما كلموكم كبرا، أم إلى بني هاشم* فوالله لو نالوها لا ستأثروا عليكم، وإنا على ما فينا لنعطي السائل ونجود بالنائل، ولا تزال العرب غلب الرقاب ما رأوا أشياخنا على المنابر.

----

*(قريش البطاح) الذين ينزلون بطحاء مكة، وقريش الظواهر الذين ينزلون ما حول مكة (الحوباء) النفس (آدني) قوله: آدني على الوليد. معناه: أعدني. وفلان استأدى على فلان أفصح من استعدى، وهما سواء (خطل) الخطل خفة وسرعة ويقال للأحمق خطل. والخطل المنطق الفاسد.(الفه) الفه الرجل العيى عن حجته وامرأة فهة (الهلباجة) الأحمق المائق(النغر) كذاب. وفي الجليس الصالح: بالهلباجة النثر (كهم) يدل على كلال وبطء. من ذلك الفرس الكهام: البطيء. والسيف الكهام: الكليل. واللسان الكهام: العيي (الحجون) موضع بمكة معروف (الآطام) جمع أطم والعرب تسمي ما كان من البيوت مربعا كعبة وما كان مدورا اطما (الجفير) الكنانة وجعبة جفر (يهارش) المهارشة من الكلاب وغيرها كالمحارشة. ويقال: فلان يهارش بين الكلبين.(الأنوق) الرخمة، وقيل: ذكر الرخم (العيوق) نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الايمن، يتلو الثريا لا يتقدمها (بنو زهرة) هم بطن من بطون قبيلة قريش. ينتسبون إلى زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش (بنو مخزوم) بطن من بني قريش من قبيلة كنانة ينتسبون إلى مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش (بنو هاشم) إحدى أفخاذ قريش، ينتسبون إلى هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش

■ (1) عبيد بن حذيفة بن غانم بن عامر، أبو جهم العدوي القرشي، مشهور بكنيته: ويقال: اسمه عامر، أسلم يوم فتح مكة، وقدم المدينة بعد ذلك، فابتنى بها دارا، واستعمله سيدنا رسول الله على بعض الصدقات، وشهد اليرموك، وأشخص في تحكم الحكمين بدومة الجندل من الشام،وكان عالما بالنسب، وقيل كان أبو جهم من المعمرين بنى الكعبة مرتين: في الجاهلية حين بنتها قريش وحين بناها ابن الزبير، وهو أحد الأربعة الذين دفنوا عثمان. وأبو جهم هذا هو الذي أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة لها علم فشغلته في الصلاة فردها عليه.وقدم على معاوية في خلافته غير مرة، وكان شديد العارضة، فكان عمر بن الخطاب قد أشرف عليه وأخافه، حتى كف من غرب لسانه عن الناس، ومات بالمدينة في خلافة معاوية، ويقال: بقي أبو جهم إلى فتنة ابن الزبير، وفيها مات.

■ (4) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (5) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان. استعمله معاوية على المدينة حين صرف عنها مروان، سنة 57هـ توفي سنة 64 هـ وقيل إنهم أرادوه على الخلافة بعد معاوية بن يزيد، فأبى وقيل فطعن فمات بعد موت معاوية بن يزيد. ويقال: قدم للصلاة على معاوية بن يزيد، فلم يرفع إلا وهو ميت.

■ (3) ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن حارثة الكلبية زوج معاوية بن أبي سفيان، وأم يزيد بن معاوية كانت لبيبة. وطلقها وهي حامل بيزيد، وألحقها بأهلها.

■ (2) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

قالت العلماء: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأبو الجهم بن حذيفة العدوي، وجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، من أعلم الناس بالأنساب. وكان عمر، وعثمان، وعلي، به علماء رضي الله عنهم، وإنما ذكرنا أبا بكر، وأبا الجهم بن حذيفة، وجبيرا قبلهم، لشدة رسوخهم في العلم بجميع أنساب العرب. وعن أم المؤمنين عائشة: ﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلَامٌ فَنَظَرَ إِلَى أَعْلَامِهَا نَظْرَةً فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ وَأْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عَنْ صَلَاتِي﴾ (الخميصة) ثوب أسود أو أحمر له أعلام (الأنبجاني) كساء يتخذ من الصوف وهو من أدون الثياب الغليظة منسوب إلى موضع اسمه أنبجان (العلم) رسم في الثوب.

عن أبي بكر بن أبي الجهم قال سمعت فاطمة بنت قيس تقول:﴿أَرْسَلَ إِلَيَّ زَوْجِي أَبُو عَمْرِو بْنُ حَفْصِ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ بِطَلَاقِي وَأَرْسَلَ مَعَهُ بِخَمْسَةِ آصُعِ تَمْرٍ وَخَمْسَةِ آصُعِ شَعِيرٍ فَقُلْتُ: أَمَا لِي نَفَقَةٌ إِلَّا هَذَا وَلَا أَعْتَدُّ فِي مَنْزِلِكُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَتْ: فَشَدَدْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي وَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: كَمْ طَلَّقَكِ؟ قُلْتُ: ثَلَاثًا، قَالَ: صَدَقَ لَيْسَ لَكِ نَفَقَةٌ اعْتَدِّي فِي بَيْتِ ابْنِ عَمِّكِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ فَإِنَّهُ ضَرِيرُ الْبَصَرِ تُلْقِي ثَوْبَكِ عِنْدَهُ فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُكِ فَآذِنِينِي، قَالَتْ: فَخَطَبَنِي خُطَّابٌ مِنْهُمْ مُعَاوِيَةُ وَأَبُو الْجَهْمِ، فَقَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ تَرِبٌ خَفِيفُ الْحَالِ وَأَبُو الْجَهْمِ مِنْهُ شِدَّةٌ عَلَى النِّسَاءِ أَوْ يَضْرِبُ النِّسَاءَ أَوْ نَحْوَ هَذَا وَلَكِنْ عَلَيْكِ بِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ﴾

لما اتصلت ميسون بنت بحدل الكلبية[1] بمعاوية ونقلها من البدو إلى الشام كانت تكثر الحنين على ناسها والتذكر لمسقط رأسها، فاستمع عليها ذات يوم فسمعها تنشد وتقول: لبيت تخفق الأرواح فيه..أحب إلي من قصر منيف..وأكل كسيرة في كسر بيتي..أحب إلي من أكل الرغيف..وأصوات الرياح بكل فج..أحب إلي من نقر الدفوف..ولبس عباءة وتقر عيني..أحب إلي من لبس الشفوف..وكلب ينبح الطراق حولي..أحب إلي من قط ألوف..وبكر يتبع الأظعان صعب..أحب إلي من بغل زفوف..وخرق من بني عمي نحيف..أحب إلي من علج عنيف.قال الراوي: فلما سمع معاوية الأبيات قال: ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتني علجا عنيفا.

■ (1) ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن حارثة الكلبية زوج معاوية بن أبي سفيان، وأم يزيد بن معاوية كانت لبيبة. وطلقها وهي حامل بيزيد، وألحقها بأهلها.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ شرح شافية ابن الحاجب/ تاج العروس/ لسان العرب/ أنساب الأشراف/ القاموس المحيط/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/ مقاييس اللغة/ شرح ديوان الحماسة/ شرح نهج البلاغة/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/

عن الزهري وسهل بن أبي سهل التميمي عن أبيه قالا: لما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعث معاوية في طلب شيعته فكان في من طلب عمر بن الحمق الخزاعي[1] فراغ* منه فأرسل إلى امرأته آمنة بنت الشريد[2] فحبسها في سجن دمشق سنتين ثم أن عبد الرحمن بن الحكم[3] ظفر بعمر بن الحمق في بعض الجزيرة فقتله وبعث برأسه إلى معاوية وهو أول رأس حمل في الإسلام فلما أتى معاوية الرسول بالرأس بعث به إلى آمنة في السجن وقال للحرسي: احفظ ما تكلم به حتى تؤديه إلي واطرح الرأس في حجرها، ففعل هذا، فارتاعت له ساعة ثم وضعت يدها على رأسها وقالت: واحزنا لصغره في دار هوان وضيق من ضيمه سلطان نفيتموه عني طويلا وأهديتموه إلي قتيلا فأهلا وسهلا بمن كنت له غير قالية وأنا له اليوم غير ناسية* ارجع به أيها الرسول إلى معاوية فقل له ولا تطوه دونه: أيتم الله ولدك وأوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك، فرجع الرسول إلى معاوية فأخبره بما قالت، فأرسل إليها فأتته وعنده نفر فيهم إياس بن حسل أخو مالك بن حسل وكان في شدقيه نتوء عن فيه لعظم كان في لسانه وثقل إذا تكلم، فقال لها معاوية: أأنت يا عدوة الله، صاحبة الكلام الذي بلغني! قالت: نعم، غير نازعة عنه ولا معتذرة منه ولا منكرة له فلعمري لقد اجتهدت في الدعاء إن نفع الاجتهاد وإن الحق لمن وراء العباد وما بلغت شيئا من جزائك وإن الله بالنقمة من ورائك، فأعرض عنها معاوية، فقال إياس: اقتل هذه يا أمير المؤمنين، فوالله ما كان زوجها أحق بالقتل منها، فالتفتت إليه فلما رأته ناتئ الشدقين ثقيل اللسان، قالت: تبا لك ويلك بين لحيتيك كجثمان الضفدع ثم أنت تدعوه إلى قتلي كما قتل زوجي بالأمس: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص] فضحك معاوية ثم قال: لله درك أخرجي ثم لا أسمع بك في شيء من الشام، قالت: وأبي لأخرجن ثم لا تسمع لي في شيء من الشام فما الشام لي بحبيب ولا أعرج فيها على حميم وما هي لي بوطن ولا أحن فيها إلى سكن ولقد عظم فيها ديني وما قرت فيها عيني وما أنا فيها إليك بعائدة ولا حيث كنت بحامدة، فأشار إليها ببنانه أخرجي، فخرجت وهي تقول: واعجبي لمعاوية يكف عني لسانه ويشير إلى الخروج ببنانه أما والله ليعارضنه عمرو بكلام مؤيد سديد أوجع من نوافذ الحديد أو ما أنا بابنة الشريد فخرجت، وتلقاها الأسود الهلالي[4] وكان رجلا أسود أصلع أسلع* أصعل* فسمعها وهي تقول ما تقول، فقال: لمن تعني هذه ألأمير المؤمنين تعني؟ عليها لعنة الله، فالتفتت إليه فلما رأته قالت: خزيا لك وجدعا أتلعنني واللعنة بين جنبيك وما بين قرنيك إلى قدميك اخسأ يا هامة الصعل ووجه الجعل فأذلل بك نصيرا وافلل بك ظهيرا، فبهت الأسلع ينظر إليها ثم سأل عنها، فأخبر فأقبل إليها معتذرا خوفا من لسانها، فقالت: قد قبلت عذرك وإن تعد أعد ثم لا أستقيل ولا أراقب فيك، فبلغ ذلك معاوية فقال: زعمت يا أسلع أنك لا تواقف من يغلبك أما علمت أن حرارة المتبول ليست بمخالسة نوافذ الكلام عند مواقف الخصام أفلا تركت كلامها قبل البصبصة منها والاعتذار إليها ؟! قال: أي والله يا أمير المؤمنين، لم أكن أر شيئا من النساء يبلغ من معاضيل الكلام ما بلغت هذه المرأة جالستها فإذا هي تحمل قلبا شديدا ولسانا حديدا وجوابا عتيدا وهالتني رعبا وأوسعتني سبا، ثم التفت معاوية إلى عبيد بن أوس[5] فقال: ابعث لها ما تقطع به عنا لسانها وتقضي به ما ذكرت من دينها وتخف به إلى بلادها وقال: اللهم، اكفني شر لسانها، فلما أتاها الرسول بما أمر به معاوية، قالت: يا عجبي لمعاوية يقتل زوجي ويبعث إلي بالجوائز فليت أبي كرب سد عني حره صله خذ من الرضعة ما عليها فأخذت ذلك وخرجت تريد الجزيرة فمرت بحمص فقتلها الطاعون، فبلغ ذلك الأسلع فأقبل إلى معاوية كالمبشر له فقال: افرخ روعك يا أمير المؤمنين قد استجيبت دعوتك في ابنة الشريد وقد كفيت شر لسانها، قال: وكيف ذلك؟ قال مرت بحمص فقتلها الطاعون، فقال له معاوية: فنفسك فبشر بما أحببت فإن موتها لم يكن على أحد أروح منه عليك ولعمري ما انتصفت منها حين أفرغت عليك شؤبوبا وبيلا، فقال الأسلع: ما أصابني من حرارة لسانها شيء إلا وقد أصابك مثله أو أشد منه.

----

*(راغ) راغ الرجل يروغ روغا وروغانا ومراوغة ورواغا، إذا حاد عن الشيء. والروغان: الفرار والهرب واللوذ (السلع) البرص والأسلع الأبرص. والسلع آثار النار بالجسد ورجل أسلع تصيبه النار فيحترق فيرى أثرها فيه.(الأصعل) الدقيق الرأس والعنق. (قالية) في رواية قالت: غير قالية ولا مقيلة.

■ (1) عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو الخزاعي، هاجر بعد الحديبية وقيل أسلم عام حجة الوداع، والأول أصح. سكن الكوفة ثم انتقل إلى مصر.والصحيح أنه انتقل من مصر إلى الكوفة.وقيل كان ممن سار إلى عثمان وهو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار وصار من شيعة علي، قيل قتله عبد الرحمن بن عثمان الثقفي بأمر من معاوية طعنه تسع طعنات وقيل: بل كان مريضا لم يطق الحركة، وكان معه رفاعة بن شداد، فأمره بالنجاء لئلا يؤخذ معه، فأخذ رأس عمرو، وحمل إلى معاوية بالشام سنة 50 أو 51 وفي رواية قيل: كان من جملة من أعان حجر بن عدي فتطلبه زياد فهرب إلى الموصل، وكان العامل عبد الرحمن بن أم الحكم، وهو ابن أخت معاوية. فبعث معاوية إلى نائبها فوجدوه قد اختفى في غار فنهشته حية فمات فقطع رأسه فبعث به إلى معاوية، فطيف به في الشام وغيرها، فكان أول رأس طيف به. والله أعلم بالصواب.

■ (2) آمنة بنت الشريد، زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي: فصيحة من أهل الكوفة.اشتهرت بخبر لها مع معاوية، وكان قد حبسها في سجن دمشق سنتين، لفرار زوجها (انظر ترجمته) ثم قتل زوجها وجيء ؟ برأسه إليها فألقوه في حجرها، فدعت على معاوية، فطلبها، وسألها، فلم تنكر ما قالت، فأمرها بالخروج فخرجت، وقال: يحمل إليها ما يقطع به لسانها عني ويخف بها إلى بلدها. فلما أعطيت ما أمر لها به قالت: يا عجبي لمعاوية يقتل زوجي ويبعث إلي بالجوائز ! ورحلت تريد الكوفة فماتت بالطاعون بحمص سنة 50 هـ.

■ (3) عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان، ،ابن أم الحكم، أحد الأمراء في العصر الأموي. أمه أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان. ولد في عهد النبي وغزا الروم سنة53 هـ. وولاه خاله معاوية الكوفة بعد موت زياد سنة 57 هـ، فلم تحمد سيرته، فأخرجه أهل الكوفة. وعاد إلى الشام، فولاه معاوية مصر، فقصدها، فمنعه ابن خديج من دخولها. فعاد، فولاه خاله الجزيرة. فاستمر فيها إلى أن مات معاوية. وتوفي بعد ذلك في أول خلافة عبد الملك. سنة66 هـ وقال ابن الأثير: عبد الرحمن بن أم الحكم لا صحبة له وهو غير عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي

■ (5) عبيد بن أوس الغساني، كاتب لمعاوية.وهو سيد أهل الشام. ما حدث عنه إلا ابنه محمد بن عبيد بن أوس الغساني. (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (4) الأسود الهلالي؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قالت العلماء: لا أحد يملك إثبات تورط عمرو بن الحمق رضي الله عنه في قتل عثمان رضي الله عنه بإسناد صحيح. وقالوا: ثبت عن الحسن البصري -وهو شاهد عيان كان عمره وقتها أربع عشرة سنة-، عندما سئل: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ فقال:لا، كانوا أعلاجا من أهل مصر. وكذلك الثابت الصحيح عن قيس بن أبي حازم أن الذين قتلوا عثمان ليس فيهم من الصحابة أحد. قال الحسن البصري -وهو شاهد على ذلك الحادث-: ما علمت أحدا أشرك في دم عثمان ولا أعان عليه، إلا قتل. وفي رواية أخرى: لم يدع الله الفسقة (قتلة عثمان)، حتى قتلهم بكل أرض. هذا مع أني لا أبرئ كل الصحابة من الكلام على عثمان وبعضهم حمل عليه، وهو خير منهم. والحساب عند الله. أما الإعانة على قتله فلا.

روي أن معاوية كان يقول: ما أعد نفسي حليما بعد قتلي حجرا[1] وأصحاب حجر. وبلغ عبد الرحمن بن أم الحكم، وكان عامل معاوية على الموصل، مكان عمرو بن الحمق الخزاعي، ورفاعة بن شداد[2]، فوجه في طلبهما، فخرجا هاربين، وعمرو بن الحمق شديد العلة، فلما كان في بعض الطريق لدغت عمرا حية، فقال: الله أكبر! قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا عَمْرُو ليشترك فِي قَتْلِكَ الْجِنَّ وَالإِنْسَ﴾ ثم قال لرفاعة: امض لشأنك، فإني مأخوذ ومقتول. ولحقته رسل عبد الرحمن ابن أم الحكم، فأخذوه وضربت عنقه، ونصب رأسه على رمح، وطيف به، فكان أول رأس طيف به في الإسلام. وقد كان معاوية حبس امرأته بدمشق، فلما أتى رأسه بعث به، فوضع في حجرها، فقالت للرسول: أبلغ معاوية ما أقول: طالبه الله بدمه، وعجل له الويل من نقمه، فلقد أتى أمرا فريا، وقتل برا نقيا. وكان معاوية أول من حبس النساء بجرائر الرجال.

لما حج معاوية دخل على أم المؤمنين عائشة فقالت له: يا معاوية، قتلت حجر بن الأدبر!. قال: أقتل حجرا، أحب إلي من أن أقتل معه مئة ألف. وفي رواية قالت أم المؤمنين عائشة لمعاوية حين حج، ودخل إليها: يا معاوية! أقتلت حجرا وأصحابه، فأين عزب حلمك عنهم؟ أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿يُقْتَلُ بِمَرْجِ عَذْرَاءَ نَفَرٌ يَغْضَبُ لَهُمْ أَهْلُ السَّمَوَاتِ﴾ قال: لم يحضرني رجل رشيد، يا أم المؤمنين. روى ابن جرير أن معاوية لما حضره الموت جعل يغرغر بروحه وهو يقول: إن يومي بك يا حجر بن عدي لطويل. قالها ثلاثا. فالله أعلم.

عن يوسف بن سليمان ، عن جدته ، عن عمرو بن الحمق: ﴿أَنَّهُ سَقَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبَنًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، أَمْتِعْهُ بِشَبَابِهِ، فَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ سَنَةً لا يَرَى شَعَرَةً بَيْضَاءَ﴾ وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عمرو بن الحمق الخزاعي سمعه، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَّلَهُ، قِيلَ: وَمَا عَسَّلَهُ ؟ قَالَ: يَفْتَحُ لَهُ عَمَلا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ مَنْ حَوْلَهُ﴾ وعن رفاعة بن شداد، قال: حدثني عمرو بن الحمق، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِذَا أَمِنَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ عَلَى نَفْسِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا﴾ وعن عبد الملك بن عمير، عن رفاعة بن شداد، قال: كنت أبطن شيء بالمختار -يعني الكذاب- قال: فدخلت عليه ذات يوم فقال: دخلت وقد قام جبريل قبل من هذا الكرسي قال: فأهويت إلى قائم سيفي فقلت: ما أنتظر أن أمشي بين رأس هذا وجسده حتى ذكرت حديثا حدثنيه عمرو بن الحمق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِذَا أَمِنَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ عَلَى دَمِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ رُفِعَ لَهُ لِوَاءُ الْغَدْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَكَفَفْتُ عَنْهُ﴾ (لواء) المراد علامة يشهر بها في الناس.

■ (2) رفاعة بن شداد بن عبد الله بن قيس. قتله المختار سنة 66 هـ. وقيل بل كان ممن انفلت من عين الوردة حين قتل الحسين بن علي في تسعة آلاف من أصحاب الحسين فتلقاهم عبيد الله بن زياد في أهل الشام فقتلهم عن آخرهم.

■ (1) حجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندي الكوفي. ويقال له: حجر الخير. ويقال له: حجر بن الأدبر. لأن أباه عديا طعن موليا فسمي الأدبر، ويكنى حجر بأبي عبد الرحمن، وهو من كندة من رؤساء أهل الكوفة. قال ابن عساكر: وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع عليا وعمارا وشراحيل بن مرة. ويقال: شرحبيل بن مرة. وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء وشهد صفين مع علي أميرا، وقتل بعذراء من قرى دمشق سنة51 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ البداية والنهاية/ أسد الغابة/ توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم/ لسان العرب/ مسند أحمد/ طبقات خليفة/ ثقات ابن حبان/ مسند البزار/ تاريخ خليفة/ تاج العروس/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) ومعاوية بن خديج 0263

قال أبو معشر والواقدي: في سنة ثمان وخمسين ولى معاوية الكوفة لعبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان[1]،وعزل عنها الضحاك بن قيس[2]، فولى ابن أم الحكم[1] على شرطته زائدة بن قدامة[3]، وخرجت الخوارج في أيام ابن أم الحكم، وكان رئيسهم في هذه الوقعة حيان بن ضبيان السلمي[4]،فبعث إليهم جيشا فقتلوا الخوارج جميعا، ثم إن ابن أم الحكم أساء السيرة في أهل الكوفة فأخرجوه من بين أظهرهم طريدا، فرجع إلى خاله معاوية فذكر له ذلك، فقال: لأولينك مصرا هو خير لك، فولاه مصر، فلما سار إليها تلقاه معاوية بن خديج[5] على مرحلتين من مصر، فقال له: ارجع إلى خالك معاوية، فلعمري لا ندعك تدخلها فتسير فيها وفينا سيرتك في إخواننا أهل الكوفة، فرجع ابن أم الحكم إلى معاوية ولحقه معاوية بن خديج وافدا على معاوية، فلما دخل عليه وعنده أخته أم الحكم[6]، وهي أم عبد الرحمن الذي طرده أهل الكوفة وأهل مصر، فلما رآه معاوية قال: بخ بخ، هذا معاوية بن خديج، فقالت أم الحكم: لا مرحبا به، تسمع بالمعيدي* خير من أن تراه*، فقال معاوية بن خديج: على رسلك يا أم الحكم، أما والله لقد تزوجت فما أكرمت، وولدت فما أنجبت، أردت أن يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا أهل الكوفة، فما كان الله ليريه ذلك، ولو فعل ذلك لضربناه ضربا يطأطئ منه رأسه، وإن كره ذلك الجالس – يعني معاوية – فالتفت إليها معاوية فقال: كفى.

قال ابن عياش الهمداني: قدم وفد أهل الكوفة على معاوية يشكون ابن أم الحكم إليه وزعيمهم هانئ بن عروة[7]، فقال: عليكم لعنة الله من أهل بلد لا ترضون عن أمير، فقال أبو بردة:[8]قد سمعتم وأنا أعزله لكم، فدخلوا على يزيد[9]، فقال هانئ: ما ننقم على عبد الرحمن أن لا نكون أحظى أهل المصر عنده، ولكنا غضبنا لك، وذلك أنه أتي ببجام* من مها*، أي بلور، فقال: ارفعوها حتى نهديها إلى يزيد يشرب فيها الخمر بهاء بردى، فقال يزيد: ومن سمع ذلك؟ قال أبو بردة: أنا، وقال غيره: أنا، فقام يزيد فدخل إلى معاوية فأخبره بقولهم، فقال هذا أمر مصنوع، فالله في ابن عمتك، فقال: ما شاء فليكن، أليس قد سمع به الناس؟ فعزل ابن أم الحكم وولى النعمان بن بشير الأنصاري[10].

في رواية قال ابن عياش: ولى معاوية ابن أم الحكم مصر فقال له معاوية بن حديج الكندي: يا بن أخي إنما بعث بك أهلك ليفكهوك بها. الحق بأهلك؛ ثم إن ابن حديج قدم على معاوية فقالت له أم الحكم: يا أمير المؤمنين دعني اكلمه قال: لا تفعلي، قالت: بالقرابة لما فعلت، قال: فأنت وذاك، فقالت: يا بن حديج، ولا جزاك الله خيرا عن واحدي، قال ابن حديج: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: أم الحكم بنت أبي سفيان، قال: اسكتي أيتها الورهاء، فقد تزوجت فما استكرمت، وولدت فما أنجبت، فقال معاوية: قد والله نهيتها فأبت.

----

*(لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) أول من قاله النعمان بن المنذر، أو المنذر بن ماء السماء. فذهبت مثلا. قاله سيبويه: يضرب المثل لمن تراه حقيرا، وقدره خطير. وخبره أجل من خبره. (المعيدي) تصغير معدي منسوب إلى معد وإنما خففت الدال استثقالا للجمع بين الشديدتين مع ياء التصغير يضرب للرجل الذي له صيت وذكر في الناس فإذا رأيته ازدريت مرآته. (الجام) إناء من الذهب أو الفضة (المها) جمع المهاة، وهي البلورة؛ سميت بذلك لصفائها كأنها ماء.

■ (5) معاوية بن حديج بن جفنة، أبو نعيم الكندي ثم السكوني: الأمير الصحابي. قائد الكتائب (كما نعته الذهبي) والي مصر. كان ممن شهد حرب صفين في جيش معاوية وولاه إمرة جيش جهزه إلى مصر، وكان الوالي عليها محمد بن أبى بكر الصديق، من قبل علي بن أبى طالب، فقتل محمدا، وأخذ بيعة أهل مصر لمعاوية. ثم ولي إمرة مصر ليزيد. وولي غزو المغرب مرارا، آخرها سنة 50 هـ واستولى على صقلية، وفتح بنزرت. وأعيد إلى ولاية مصر. وعزل عنها سنة51 هـ وتوفي بها سنة 52 هـ

■ (1) عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان، ،ابن أم الحكم، أحد الأمراء في العصر الأموي. أمه أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان. ولد في عهد النبي وغزا الروم سنة53 هـ. وولاه خاله معاوية الكوفة بعد موت زياد سنة 57 هـ، فلم تحمد سيرته، فأخرجه أهل الكوفة. وعاد إلى الشام، فولاه معاوية مصر، فقصدها، فمنعه ابن خديج من دخولها. فعاد، فولاه خاله الجزيرة. فاستمر فيها إلى أن مات معاوية. وتوفي بعد ذلك في أول خلافة عبد الملك. سنة66 هـ وقال ابن الأثير: عبد الرحمن بن أم الحكم لا صحبة له وهو غير عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي

■ (6) أم الحكم بنت أبي سفيان صخر بن حرب، أخت أم حبيبة أم المؤمنين لأبيها، وأخت معاوية لأبيه وأمه، أمها هند بنت عتبة. أدركت النبي، وكانت ممن أسلم يوم الفتح، وبايعت رسول الله، وحكت عن أخيها. وكانت ممن نزل فيه﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة] ففارقها عياض بن غنم وتزوجها عبد الله بن عثمان الثقفي فهي والدة عبد الرحمن بن أم الحكم اشتهر بالنسبة إليها.

■ (7) هانئ بن عروة بن الفضفاض المرادي الغطيفي، مخضرم سكن الكوفة وكان من خواص علي ولما بايع أهل الكوفة مسلم بن عقيل للحسين نزل على هانئ المذكور فلما قدم عبيد الله بن زياد قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة.سنة 60 هـ والقصة مشهورة في جزء مقتل الحسين.

■ (2) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري، أبو أمية، أو أبو أنيس: سيد بني فهر في عصره وأحد الولاة الشجعان شهد فتح دمشق، وسكنها. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية على الكوفة سنة 53 هـ بعد موت زياد بن أبيه فتفقد الخورنق قصر النعمان وأصلحه ونقل إلى ولاية دمشق فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق ومات معاوية سنة 64 هـ فأقبل أهل دمشق على الضحاك فبايعوه على أن يصلي بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة وانعقدت البيعة العامة لمروان، والضحاك في مرج راهط، فامتنع على مراون، فقتل في مرج راهط سنة65 هـ

■ (3) زائدة بن قدامة بن مسعود الثقفي: قائد، من الشجعان. من أهل الكوفة. هو ابن عم المختار بن أبي عبيد. آخر ما وليه إمرة جيش سيره به الحجاج الثقفي لقتال شبيب بن يزيد، فنشبت بينهما معارك قتل فيها زائدة بأسفل الفرات.76 هـ

■ (10) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري أبو عبد الله سكن الكوفة مدة وكان يليها لمعاوية ثم خرج إلى الشام فسكنها وولى قضاء دمشق، قيل وولي الكوفة ليزيد بن معاوية، وقتل بحمص وكان عاملا لابن الزبير على حمص سنة 65 هـ

■ (8) أبو بردة بن أبي موسى، عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري، الفقيه، العلامة، قاضي الكوفة.حدث عن أبيه، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن سلام، وأبي هريرة، وآخرين. وكان من أوعية العلم، حجة باتفاق، اسمه عامر فيما قيل، وولي قضاء الكوفة بعد شريح مدة، ثم عزله الحجاج، وولى أخاه أبا بكر بن أبي موسى. مات أبو بردة سنة 104 هـ، وقال الواقدي: مات سنة 103 هـ

■ (9) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (4) حيان بن ضبيان السلمي ؟ من الخوارج.

☪

عن علي بن طلحة مولى بني أمية قال: حج معاوية بن أبي سفيان وحج معه معاوية بن حديج، وكان من أسب الناس لعلي، قال: فمر في المدينة وحسن بن علي ونفر من أصحابه جالس، فقيل له هذا معاوية بن حديج الساب لعلي، فقال: علي بالرجل، قال: فأتاه الرسول، وقال ابن حمدان رسول: فقال: أجب قال: من؟ قال: الحسن بن علي يدعوك، فأتاه فسلم عليه، وقال له الحسن: أنت معاوية بن حديج؟ قال: نعم، قال:فردد ذلك عليه، ثلاثا، قال: فأنت الساب عليا؟ قال: فكأنه استحيا، فقال له الحسن: أما والله لئن وردت عليه الحوض*، وما أراك ترده لتجدنه مشمر الإزار* على ساق، يذود* عنه رايات المنافقين ذود غريبة الإبل، قول الصادق المصدوق:﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه]

☪

قال هشام بن الكلبي والهيثم بن عدي: كان سبب عزل معاوية ابن أم الحكم، وهو عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي، أنه قيل لمعاوية: إن ابن أختك خطب في يوم جمعة قاعدا، وإن كعب بن عجرة[1] رآه فقال: ألا ترون هذا الأحمق وما فعل، والله يقول: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة] وإنه اشتد في أمر الخراج حتى قتل ابن صلوبا[2]، وكان صاحب شراب يشرب مع سعد بن هبار من ولد أسد بن عبد العزى بن قصي، فقال حارثة بن بدر الغداني فيه: نهاره في قضايا غير عادلة..وليله في هوى سعد بن هبار..لا يسمع الناس أصواتا لهم خفيت..إلا دويا دوي النحل في الغار..فيصبح القوم أطلاحا أضر بهم..سير المطي وما كانوا بسفار..لا يرقدون ولا تغضي عيونهم..ليل التمام وليل المدلج الساري. فبلغ الشعر خاله معاوية، وقدم أبو بردة بن أبي موسى الأشعري على معاوية فقال له: أيشرب عبد الرحمن؟ قال: لا، قال: أفيسمع الغناء؟ قال: لا، قال: فما تنقمون عليه؟ قال: إنكاره بيعة يزيد ابن أمير المؤمنين، وظنه أن الفيء له وأنه أحق به، قال معاوية: فما نصنع بأبيات ابن همام؟ قال: كذب عليه، قال: أنشدني إياها إن كنت ترويها، فأنشده فقال معاوية: شربها والله الخبيث، وعزله وولى النعمان بن بشير الأنصاري الكوفة.

عن ثابت بن عبيد قال: قتل عبد الرحمن بن أم الحكم ابن صلوبا، فجاء الشيخ صلوبا، فدخل المسجد آخذا بلحية له بيضاء، فقال: يا معشر المسلمين، علام قتل ابني؟ على هذا صالحت عمر بن الخطاب؟ قال: فقال الناس: ذمتكم ذمتكم، فاجتمع الناس، وجاء جرير، قال: فجاء عبد الرحمن ناس فقالوا له: إنا نخاف عليك فأغلق باب المقصورة. ولما اشتد بلاء عبد الرحمن بن أم الحكم على أهل الكوفة قال عبد الله بن همام السلولي شعرا، وكتبه في رقاع وطرحها في مسجد الجامع الوافر:

ألا أبلغ معاوية بن صخر.. فقد خرب السواد فلا سوادا..أرى العمال أفتننا علينا..بعاجل نفعهم ظلموا العبادا..فهل لك أن تدارك ما لدينا..وتدفع عن رعيتك الفسادا؟..وتعزل تابعا أبدا هواه..يخرب من بلادته البلادا..إذا ما قلت أقصر عن مداه..تمادى في ضلالته وزادا. فبلغ الشعر معاوية فعزله.

☪

قال سيف بن عمر في تسمية الأمراء يوم اليرموك*: ومعاوية بن حديج على كردوس. وقال أبو سعيد ابن يونس: شهد فتح مصر، وكان الوافد بفتح الإسكندرية إلى عمر بن الخطاب، وكان أعور ذهبت عينه يوم دمقلة من بلد النوبة (السودان) مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة إحدى وثلاثين، ولي الإمرة على غزو المغرب سنة أربع وثلاثين، وسنة أربعين، وسنة خمسين. قال علي بن رباح: وفدنا مع معاوية بن حديج على معاوية بن أبي سفيان من إفريقية، فجعل معاوية يسأل ابن حديج عن أهل مصر، ويخبره عنهم، فقال معاوية بن أبي سفيان: يا بن حديج، إني وجدت أهل مصر على ثلاثة أصناف: فثلث ناس، وثلث أشبه الناس بالناس، وثلث لا ناس. فقال معاوية بن حديج: فسّر لنا يا أمير المؤمنين هذا. قال: أما الثلث الذين هم الناس فالعرب، والثلث الذين يشبهون الناس فالموالي، والثلث الذين لا ناس فالمسالمة. حدث أبو قبيل، قال: لما قتل حجر بن أدبر[3] وأصحابه، ومعاوية بن حديج بإفريقية، بلغ معاوية بن حديج قتله، قام في أصحابه فقال: يا أشقائي في الرحم، ويا أصحابي في السفر ويا جيرتي في الحضر، أنقاتل لقريش في الملك حتى إذا استقام لهم وقعوا يقتلوننا، أم والله لئن أدركتها ثانية بمن أطاعني من أهل اليمن لأقولن لهم: اعتزلوا بنا ودعوا قريشا يقتل بعضها بعضا. فأيهم غلب أتبعناه. قال المدائني: قال معاوية لمعاوية بن حديج: ما جرأك على قتل محمد بن أبي بكر؟ قال: الذي جرأك على قتل حجر بن عدي، أفتقتل حلماءنا وتلومنا على قتل سفهائكم؟!

----

*(الحوض) نهر الكوثر (الإزار) ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن (يذود) يمنع ويطرد (قعة اليرموك) معركة اليرموك، وقعت عام 15 هـ بين المسلمين والروم أو الإمبراطورية البيزنطية

■ (3) حجر بن عدي بن الأدبر الكندي الكوفي. ويقال له: حجر الخير. ويقال له: حجر بن الأدبر. لأن أباه عديا طعن موليا فسمي الأدبر، ويكنى حجر بأبي عبد الرحمن، وهو من كندة من رؤساء أهل الكوفة. قال ابن عساكر: وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع عليا وعمارا وشراحيل بن مرة. ويقال: شرحبيل بن مرة. وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء وشهد صفين مع علي أميرا، وقتل بعذراء من قرى دمشق سنة51 هـ.

■ (1) كعب بن عجرة الانصاري السالمي المدني، من أهل بيعة الرضوان. له عدة أحاديث. حدث بالكوفة وبالبصرة فيما أرى. مات سنة اثنتين وخمسين.

■ (2) ابن صلوبا السوادي المعروف بـ بصبرى بن صلوبا أحد أهل الذمة

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ البداية والنهاية/ أنساب الأشراف/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ مقاييس اللغة/ شرح نهج البلاغة/ السنة لابن أبي عاصم/ المعجم الكبير/ إتحاف الخيرة المهرة/

زعموا أن معاوية جلس ذات يوم، بين يديه السماطان*، فدخل الناس وأشراف العرب، ودخل فيمن دخل شريك بن الأعور الحارثي[1] وافدا -في رواية: وهو يختال في مشيته-، فلما أن اطمأن به مجلسه نظر إليه معاوية فقال: ما اسمك؟ قال: شريك، فقال معاوية: ما لله من شريك، وإنك لأعور، الصحيح خير من الأعور، وإنك لدميم والجميل خير من الدميم، فبم سدت قومك؟ فقال له شريك: والله لقد أحميت أنفي ولا بد من إجابتك، فوالله إنك لمعاوية، وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت، و إنك لابن صخر، والسهل خير من الصخر، وإنك لابن حرب، السلم خير من الحرب، وإنك لابن أمية وما أمية إلا أمة صغرت فاستصغرت، فبم سدت قومك؟ -أو فكيف صرت أمير المؤمنين!- فقال: يا غلام، أقمه، فقام شريك وأنشأ يقول: من الوافر: أيشتمني معاوية بن صخر..وسيفي صارم ومعي لساني..وحولي من ذوي يمن ليوث..ضراغمة تهش إلى الطعان..تعيرني الدمامة من سفاه..وربات الحجال من الغواني..ذوات الدل في خيرات عصب..يحيون الهجان مع الحسان..فلا تبسط لسانك يا بن حرب..علينا إذا بلغت مدى الأماني..فإن تك للشقاء لنا أميرا..فإنا لا نقر على الهوان..وإن تك أمية في ذراها..فإني في ذوي عبد المدان. وقد روى الناس هذا الكلام على وجه آخر، فقالوا: دخل على معاوية بن أبي سفيان، وكان شريك رجلا قصيرا، وأراد معاوية أن يضع من قدره فقال له معاوية -وقد دخل عليه ذات يوم- إنك لشريك، وماالله من شريك، وإنك لابن الأعور، والبصير خير من الأعور، وإنك لقصير، والطويل خير من القصير. فقال له شريك: مهلا يا معاوية، مهلا يا معاوية، إنك لابن حرب والسلم خير من الحرب، وإنك لابن صخر. والسهل خير من الصخر، وإنك لمعاوية وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت. ثم استشاط غيظا، وسل من سيفه شبرا، وأنشأ يقول: أيشتمني معاوية بن حرب..وسيفي صارم ومعي لساني..وحولي من ذوي يمن رجال..غطارفة تهش إلى الطعان..فإن يك من أمية في ذراها.. فإني في ذرى عبد المدان..وإن يكن الخليفة من قريش..فإنا لا نقر على الهوان. ثم خرج مغضبا، فخرج وراءه خلق كثير من اليمانية كانوا حضروا، فغضبوا لغضبه. فعند ذلك قام معاوية ماشيا خلفه، خوفا من الفتنة، فترضاه واعتذر إليه من الذي كان منه، ولم يزل به حتى رضي ورجع معه، وحباه وولاه على بلد قومه.

في رواية عندما دخل شريك الحارثي على معاوية قال له: من أنت؟ فقال: يا أمير المؤمنين مارأيت لك هفوة قبل هذه مثلك ينكر مثلي من رعيته، فقال له معاوية: إن معرفتك متفرقة أعرف وجهك إذا حضرت الوجوه، وأعرف إسمك في الأسماء إذا ذكرت، ولا أعلم أن ذلك الاسم هو هذا الوجه ما ذكر لي اسمك تجتمع معرفتك. ونظر معاوية إلى رجل وقف بين يديه يخاطبه وعليه عباءة، فجعل يزدريه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك لا تخاطب العباءة، إنما يخاطبك من فيها.

* (السماطان) من الناس والنخل الجانبان ويقال مشى بين السماطين (المعاوية) الكلبة المستحرمة التي تعوي إلى الكلاب إذا صرفت ويعوين إليها ؛ والمعاوية أيضا: جرو الثعلب.

■ (1) شريك بن الأعور واسم الأعور الحارث، الحارثي شاعر من أهل البصرة. وقد وفد على عمر بن الخطاب، وكان من أصحاب علي، شهد معه الجمل وصفين، ووفد على معاوية بن أبي سفيان.توفي شريك بالكوفة قبل مقتل الحسين بن علي عليهما السلام بيسير.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[الحجرات] قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ هذه الآية نزلت على ثلاثة أسباب فأما أولها: إلى قوله تعالى:﴿خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ فنزلت على سبب وفيه قولان: أحدهما: أن ثابت بن قيس بن شماس جاء يوما يريد الدنو من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في أذنه وقر فقال لرجل بين يديه: افسح، فقال له الرجل: قد أصبت مجلسا، فجلس مغضبا ثم قال للرجل: من أنت؟ قال: أنا فلان، فقال ثابت: أنت ابن فلانة، فذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية، فأغضى الرجل ونكس رأسه ونزل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ قاله أبو صالح عن ابن عباس.والثاني: أن وفد تميم استهزؤوا بفقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما رأوا من رثاثة حالهم فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك ومقاتل. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾ فنزلت على سبب وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر فنزلت هذه الآية، قاله أنس بن مالك وزعم مقاتل أن عائشة استهزأت من قصر أم سلمة.والثاني: أن امرأتين من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم سخرتا من أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أم سلمة قد خرجت ذات يوم وقد ربطت أحد طرفي جلبابها على حقوها وأرخت الطرف الآخر خلفها ولا تعلم، فقالت إحداهما للأخرى: انظري ما خلف أم سلمة كأنه لسان كلب، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلا قلت إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس. وأما قوله تعالى:﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ فنزلت على سبب وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولهم ألقاب يدعون بها فجعل الرجل يدعو الرجل بلقبه فقيل له يا رسول الله: إنهم يكرهون هذا فنزل قوله تعالى:﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ قاله أبو جبيرة بن الضحاك. والثاني: أن أبا ذر كان بينه وبين رجل منازعة فقال له: يا ابن اليهودية، فنزلت:﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ قاله الحسن. والثالث: أن كعب بن مالك الأنصاري كان بينه وبين عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي كلام فقال له: يا أعرابي، فقال له عبد الله: يا يهودي، فنزلت فيهما:﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ قاله مقاتل.وأما التفسير فقوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ أي لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر عليه ولا ذو حسب بلئيم الحسب وأشباه ذلك مما ينقصه به عسى أن يكون عند الله خيرا منه وقد بينا * في﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ..﴾ [البقرة] أن القوم اسم الرجال دون النساء ولذلك قال: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾ وتلمزوا بمعنى تعيبوا وقد سبق بيانه*﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ..﴾ [التوبة] والمراد بالأنفس هاهنا الإخوان والمعنى لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسكم، والتنابز التفاعل من النبز وهو مصدر، والنبز الاسم، والألقاب جمع لقب وهو اسم يدعى به الإنسان سوى الاسم الذي سمي به، قال ابن قتيبة:﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي لا تتداعوا بها والألقاب والأنباز واحد ومنه الحديث ﴿نَبَزَهُمْ الرَّافِضَةَ﴾ أي لقبهم وللمفسرين في المراد بهذه الألقاب أربعة أقوال: أحدها: تعيير التائب بسيئات قد كان عملها، رواه عطية العوفي عن ابن عباس.والثاني: أنه تسميته بعد إسلامه بدينه قبل الإسلام كقوله لليهودي إذا أسلم يا يهودي وهذا مروي عن ابن عباس أيضا وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني والقرظي.والثالث: أنه قول الرجل للرجل يا كافر يا منافق قاله عكرمة. والرابع: أنه تسميته بالأعمال السيئة كقوله يا زاني يا سارق يا فاسق، قاله ابن زيد.قال أهل العلم والمراد بهذه الألقاب ما يكرهه المنادى به أو يعد ذما له فأما الألقاب التي تكسب حمدا وتكون صدقا فلا تكره كما قيل لأبي بكر عتيق ولعمر فاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك. وقوله:﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ﴾ أي تسميته فاسقا أو كافرا وقد آمن﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾ من التنابز﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: الضارون لأنفسهم بمعصيتهم، قاله ابن عباس، والثاني: هم أظلم من الذين قالوا لهم ذلك، قاله ابن زيد

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات] قال بعض العلماء: التقوى اجتماع الطاعات، وأوله ترك الشرك، وآخره اتقاء كل ما نهى الله تعالى عنه. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ قال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس. وقوله في الرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من الذاكر فلانة ؟ قال ثابت: أنا رسول الله، قال: انظر في وجوه القوم، فنظر، فقال: ما رأيت يا ثابت ؟ قال: رأيت أبيض وأحمر وأسود، قال: فإنك لا تفضلهم إلا بالدين والتقوى، فنزلت في ثابت هذه الآية ونزل في الذي لم يفسح له:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة] الآية. وقيل: لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد: الحمد لله الذي قبض أبي ولم ير هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا، وقال سهيل بن عمرو: إن يكره الله شيئا يغيره. وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئا أخاف أن يخبره رب السماء، فنزل جبريل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا وسألهم عما قالوا فأقروا، فأنزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والإزراء بالفقراء فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ يعني آدم وحواء. والمعنى: إنكم متساوون في النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة. وقيل: يحتمل أن يكون المعنى إنا خلقنا كل واحد منكم أيها الموجودون من أب وأم فإن كل واحد منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب.﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شعب بفتح الشين وهي رؤوس القبائل مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم ﴿وَقَبَائِلَ﴾ جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدتها بطن وهم كبني غالب ولؤي من قريش ودون البطون الأفخاذ واحدتها فخذ وهم كبني هاشم وبني أمية من لؤي ودون الأفخاذ الفصائل واحدتها فصيلة بالصاد المهملة كبني العباس من بني هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدتها عشيرة وليس بعد العشيرة شيء يوصف. وقيل: الشعوب للعجم والقبائل: للعرب والأسباط: من بني إسرائيل. وقيل: الشعوب الذين لا ينسبون إلى أحد بل ينسبون إلى المدائن والقرى والقبائل الذين ينتسبون إلى آبائهم.﴿لِتَعَارَفُوا﴾ أي ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالأنساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الإنسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال:﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ قيل: أكرم الكرم التقوى وألأم اللؤم الفجور. وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة ابن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الْحَسَبُ الْمَالُ وَالْكَرَمُ التَّقْوَى﴾ أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب. عن أبي هريرة قال: ﴿ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ قَالَ: أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ. قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ. قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِى. قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَخِيَارُكُمْ فِى الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِى الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا﴾ فقهوا بضم القاف على المشهور وحكى كسرها ومعناه إذا تعلموا أحكام الشرع عن ابن عمران أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجته فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَكَبُّرَهَا بِآبَائِهَا، النَّاسُ رَجُلاَنِ: بَرٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ ، ثُمَّ تَلا: يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، ثُمَّ قَالَ: أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ﴾ والمحجن عصا محنية الرأس كصولجان وقوله: غبية الجاهلية، يعني كبرها وفخرها.﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ أي بظواهركم ويعلم أنسابكم ﴿خَبِيرٌ﴾ أي ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم إلى معادكم، وقيل التقى هو العالم بالله المواظب على الوقوف ببابه المتقرب إلى جنابه، وقيل حد التقوى أن يجتنب العبد المناهي ويأتي بالأوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فان اتفق أن يرتكب منهيا لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولمن يتب في الحال واتكل على المهلة وغره طول الأمل فليس بمتق لأن المتقي لم يترك ما أمر به ويترك ما نهي عنه وهو مع ذلك خاش لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فإن التفت لحظة إلى نفسه وأهله وولده جعل ذلك ذنبا واستغفر منه وجدد له توبة جعلنا الله وإياكم من المتقين. *التفسير لابن الجوزي.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ ربيع الأبرار/ المستطرف/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/ المحيط في اللغة/ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي/ تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل/ ثمرات الأوراق/ عيون الاخبار/

عن عبد الله بن عبد الرحمن الهمداني قال: دخل أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني[(1)] على معاوية، فقال له معاوية: أبو الطفيل؟ قال: نعم، قال: أنت من قتلة عثمان؟ قال: لا ولكن ممن حضره فلم ينصره، قال: ما منعك من نصهر؟ قال: لم ينصره المهاجرون، والأنصار (؟)، ولم تنصره أنت، قال معاوية: أما طلبي بدمه نصرة له؟ فضحك أبو الطفيل وقال: أنت وعثمان كما قال الشاعر: لا ألفينك بعد الموت تندبني..وفي حياتي ما زودتني زادي [البسيط- أخو جعفي] قال معاوية: يا أبا الطفيل، ما أبقى لك الدهر من ثكلك علي بن أبي طالب؟ قال: ثكل العجوز المقلات*، والشيخ الرقوب*، قال: فكيف حبك له؟ قال: حب أم موسى لموسى، وأشكو إلى الله التقصير. في رواية قال الهيثم: لما دخل عمرو بن واثلة الكناني وسلم رحب به معاوية فقال القوم هذا الذي رحبت به يا أمير المؤمنين هو خليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفارس العراق وشاعرهم ولقد انضج أكبادنا وأحرق جلودنا بنبله وفضحنا بطعناته وضرباته علام رحبت به وقربته منك فهل نسيت ما جرى علينا يوم صفين ولقد كدر علينا الحيرة وأفحش أعراضنا بلسانه وصار الجماعة ينالون منه ومن عرضه، فغضب عمرو بن واثلة وقال يا معاوية ما سبني هؤلاء وأنهم لأقل من ذلك وما سبني غيرك فإن لم تجزني من سبني وإلا حق علي سبك وشتمك، فقال معاوية هذا عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص فقال عمرو بن واثلة أما عمرو بن العاص فأنطقته خيانة أمه وما أتت به من الزنا وأما مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فأنطقتهما خيانة الحجاز وأما ابن أبيه فإنه انطقته حياته تهامة وأما ابن اخيك فوهبته لك فقال له معاوية يا بن واثلة ما ابقى لك الدهر من حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال كحب الفاقد لأخيها وزوجها وولدها وإلى الله تعالى اشكو التقصير، فقال ما ابقى لك الدهر من الوجد عليه قال كوجد العجوز المقلات، فقال ما بلغ من بغضك لنا قال بغض آدم لإبليس لعنه الله ثم بكى وهو يقول: أيشتمني عمرو ومروان ضلة..بحكم ابن هند والشقي سعيد..وحول ابن هند سامرون كأنهم..إذا ما استقاموا للحديث قرود..يعضون من غيظ علي اكفهم..ودرؤك من لا يستجيب شديد..وماسبني إلا ابن هند وانني..لتلك التي يسخو بها لنكود..كما بلغت أيام صفين نفسه..تراقيها والشامتون شهود..فلم يمنعوه والرماح تنوشه..وما قل حرب للسان عقود..وطارت بعمرو في العجاج وسبطه..ومروان من وقع السيوف بعيد..وما لسعيد غير همة نفسه..وعل التي نسخو بها فنعود..تخطفهم في الحرب خطفا كأنه..وقد ثار نقع للقتال صفود. فقال معاوية كأنك ممن خذل أمير المؤمنين عثمان يوم الدار والشاهر علينا سيفك يوم صفين، فقال عمرو بن واثلة: أما قولك في قتل عثمان وتركي نصرته لأنا رأيناك وأنت ابن عمه ونازل بإزائه وقد استغاث بك، فتركت إجابته وأنت ابن عمه فهان علينا ذلك، وتربصت بنفسك عنه فزعا من المنون، ولو انك اظهرت في ذلك اليوم ما قد اعلنته اليوم لما كنت تقعد هذه القعدة، ولقد كنت أول طريح لمحمد بن أبي بكر، ورأيت من خذله من المهاجرين والأنصار فوسعني ما وسعهم، فقال معاوية: أليس طلبتي بدمه نصرة له؟ فقال له عمرو بن واثلة: بعذره في ذلك، ولكن يصيبك كقول عبيد حيث يقول: فإن قتلت فلا تطلب بثائرتي..وان مرضت فلا الزمك عوادي.فقال القوم اقتله يا أمير المؤمنين فقد اجلى نفسه، فقال كلا قد جعلت له الأمان أخرجه ايها الحاجب.

----

*(المقلات) التي لا يعيش لها ولد، (الرقوب) الرجل الذي قد يئس أن يولد له.

■ (1) أبو الطفيل، عامر بن واثلة الكناني. وقيل عمرو بن واثلة، قاله معمر والأول أكثر وأشهر وهو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جحش ولد عام أحد وأدرك من حياة النبي ثماني سنين. نزل الكوفة وصحب عليا في مشاهده كلها فلما قتل علي انصرف إلى مكة فأقام بها حتى مات سنة 100 هـ وقيل بعدها، وقيل إنه أقام بالكوفة ومات بها والأول أصح والله أعلم ويقال: إنه آخر من مات ممن رأى النبي. وخرج على بني أمية مع المختار الثقفي، مطالبا بدم الحسين. ولما قتل المختار، انزوى عامر إلى أن خرج ابن الأشعث، فخرج معه. وعاش بعد ذلك إلى أيام عمر بن عبد العزيز. وقيل كان أبو الطفيل من أصحاب محمد بن الحنفية، وكان ثقة، وكان متشيعا. وابنه الطفيل بن عامر قتل مع ابن الأشعث الكندي يوم دير الجماجم. وسئل محمد بن يعقوب الأخرم: لم ترك البخاري حديث أبي الطفيل؟ قال: لأنه كان يفرط في التشيع.

☪

قال علي بن المديني: آخر من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سهل بن سعد الساعدي، وآخر من بقي بالبصرة أنس بن مالك، وآخر من بقي بالكوفة أبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي، من بني سواءة بن عامر، وآخر من بقي بالشام عبد الله بن بسر المازني، من بني مازن بن منصور، وآخر من بقي بمصر عبد الله بن الحارث بن جزء، وآخر من مات بمكة ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي، ويقال: الحماني. وكان أبو الطفيل يقول: ما بقي على وجه الأرض أحد يقدر يقول إنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري. وتوفي أبو الطفيل سنة مئة. وقيل: بعد المئة من الهجرة. وقيل: سنة اثنتين ومئة. وقيل: سنة سبع ومئة. وقيل: سنة عشر ومئة. وقيل إنه لم يزل باقيا حتى أدركته إمرة عمر بن عبد العزيز، فكتب يستأذنه في القدوم عليه: فقال عمر: ألم تؤمر بلزوم البلد؟

قالت العلماء: أجمع أهل السنة على أن عثمان كان إماما على شرط الاستقامة إلى أن قتل. وأجمعوا على أن قاتليه قتلوه ظلما فإن كان فيهم من استحل دمه فقد كفر. ومن تعمد قتله من غير استحلال كان فاسقا غير كافر. والذين هجموا عليه واشتركوا في دمه معروفون بقطع بفسقهم.. وأما الذين قعدوا عن نصرة عثمان فهم فريقان: فريق كانوا معه في الدار فدفعوا عنه كالحسن بن علي وعبد الله بن عمر والمغيرة بن الأخنس وسعيد بن العاص وسائر من كان في الدار من موالي عثمان إلى أن أقسم عليهم بترك القتال وقال لغلمانه: من وضع السلاح فهو حر. فهؤلاء أهل طاعة وبر وإحسان.والفريق الثاني من القعدة عن نصرته فريقان: فريق أرادوا نصرة عثمان فنهاهم عثمان عنها كعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وأسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن سلام. فهؤلاء معذورون لأنهم قعدوا عنه بأمره.والفريق الثاني: قوم من السوقة أعانوا الهاجمين فشاركوهم في الفسق والله حسبهم. ودليلنا على براءة عثمان مما قذف به ورود الروايات الصحيحة بشهادة الرسول له صلى الله عليه وسلم بالجنة عند تجهيز جيش العسرة وما روي من أنه يدخل الجنة بلا حساب، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن.وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد جبل حراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فقال:﴿اسْكُنْ حِرَاءُ فَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ﴾وفي هذا دليل على أن عثمان قتل شهيدا ودليل صحة إمامته إجماع الأمة بعد عمر أن الإمامة لواحد من أهل الشورى وكانوا ستة فاجتمع خمسة عليه فحصل إجماع الأمة على إمامته. وإليكم بعض مواقف الصحابة:

- علي بن أبي طالب: فقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله أن عليا أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسمائة دارع، فأذن لي فأمنعك من القوم، فإنك لم تحدث شيئا يستحل به دمك، فقال: جزيت خيرا، ما أحب أن يهراق دم في سببي.
- الزبير بن العوام: عن أبي حبيبة قال: بعثني الزبير إلى عثمان وهو محاصر فدخلت عليه في يوم صائف* وهو على كرسي، وعنده الحسن بن علي، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فقلت: بعثني إليك الزبير بن العوام وهو يقرئك السلام ويقول لك: إني على طاعتي لم أبدل ولم أنكث، فإن شئت دخلت الدار معك، وكنت رجلا من القوم، وإن شئت أقمت، فإن بني عمرو بن عوف وعدوني أن يصبحوا على بابي، ثم يمضون على ما آمرهم به، فلما سمع -يعني عثمان- الرسالة قال: الله أكبر، الحمد لله الذي عصم* أخي، أقرئه السلام، ثم قل له: أحب إلي، وعسى الله أن يدفع بك عني، فلما قرأ الرسالة أبو هريرة قام فقال: ألا أخبركم ما سمعت أذناي من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: بلى، قال: أشهد لسمعت رسول الله يقول:﴿تَكُونَ بَعْدِي فِتَنٌ وَأُمُورٌ، فَقُلْنَا: فَأَيْنَ المنجى مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِّ؟ قَالَ: إِلَى الْأَمِينِ وَحِزْبِهِ.وَأَشَارَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ﴾، فقام الناس فقالوا: قد أمكنتنا البصائر، فأذن لنا في الجهاد؟ فقال: أعزم على من كانت لي عليه طاعة ألا يقاتل.
- المغيرة بن شعبة: فقد ورد أن المغيرة دخل عليه وهو محاصر، فقال: إنك إمام العامة، وقد نزل بك ما ترى، وإني أعرض عليك خصالا ثلاثة اختر إحداهن: إما أن تخرج فتقاتلهم، فإن معك عددا وقوة، وأنت على الحق وهم على الباطل، وإما أن تخرق بابا سوى الباب الذي هم عليه، فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة، فإنهم لن يستحلوك بها، وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية، فقال عثمان: أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة فإنهم لن يستحلوني فإني سمعت رسول الله يقول:﴿يُلْحِدُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ يَكُونُ عَلَيْهِ نِصْفُ عَذَابِ الْعَالَمِ﴾، ولن أكون أنا، وأما أن ألحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة الرسول.
- عبد الله بن الزبير: عزم الصحابة على الدفاع عن عثمان، ودخل بعضهم الدار، ولكن عثمان رضي الله عنه عزم عليهم بشدة، وشدد عليهم في الكف عن القتال دفاعا عنه، مما حال بين رغبتهم الصادقة في الدفاع عنه وبين تحقيقها، وكان من ضمن أولئك عبد الله بن الزبير، فقد قال لعثمان: قاتلهم، فوالله لقد أحل الله لك قتالهم، فقال عثمان: لا والله، لا أقاتلهم أبدا. وفي رواية: يا أمير المؤمنين، إنا معك في الدار عصابة مستبصرة ينصر الله بأقل منها فأذن لنا، فقال عثمان: أنشد الله رجلا أهراق في دمه، ثم أمره على الدار، وقال: من كانت لي عليه طاعة فليطع عبد الله بن الزبير.
- كعب بن مالك، وزيد بن ثابت الأنصاريان : حث كعب بن مالك الأنصار على نصرة عثمان وقال لهم: يا معشر الأنصار، كونوا أنصار الله مرتين، فجاءت الأنصار عثمان ووقفوا بابه، ودخل زيد بن ثابت وقال له: هؤلاء الأنصار بالباب، إن شئت كنا أنصار الله مرتين. فرفض القتال وقال: لا حاجة لي في ذلك، كفوا.
- الحسن بن علي بن أبي طالب: وعن أبي قلابة قال: جاء الحسن بن علي إلى عثمان، فقال: أخترط* سيفي؟ قال: لا أبرأ* -إلى- الله إذا من دمك، ولكن، شم* سيفك وارجع إلى أبيك.
- عبد الله بن عمر بن الخطاب : ولما رأى الصحابة أن الأمر استفحل، وأن السيل بلغ الزبى عزم بعضهم على الدفاع عنه دون استشارته، فدخل بعضهم الدار مستعدا للقتال، فقد كان ابن عمر معه في الدار، متقلدا سيفه لابسا درعه ليقاتل دفاعا عن عثمان، ولكن عثمان عزم عليه أن يخرج من الدار خشية أن يتقاتل مع القوم عند دخولهم عليه فيقتل، كما لبسه مرة أخرى.
- أبو هريرة: دخل الدار على عثمان يقول: يا أمير المؤمنين، طاب الضرب، فقال له: يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعا وإياي؟ قال: لا، قال: فإنك والله إن قتلت رجلا واحدا فكأنما قتل الناس جميعا، فرجع ولم يقاتل. وفي رواية: أن أبا هريرة كان متقلدا سيفه حتى نهاه عثمان.
- سليط بن سليط : قال: نهانا عثمان عن قتالهم، ولو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها.

يقول ابن سيرين: لقد قتل عثمان يوم قتل وإن الدار لغاصة، منهم ابن عمر وفيهم الحسن بن علي في عقنه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم ألا يقاتلوا. وبذلك يظهر زيف ما اتهم به الصحابة مهاجرين وأنصارا من تخاذل عن نصرة عثمان رضي الله عنه، وكل ما روي في ذلك فإنه لا يسلم من علة إن لم تكن عللا قادحة في الإسناد والمتن جميعا.

----

*(الصائف) الشديد الحر (عصم) حمى ومنع وحفظ (اخترط السيف) سله من غمده (لا أبرأ) ولعلها: أبرأ إلى الله (ثم) الثم هو: إصلاح الشيء وإحكامه، ويحتمل أن تكون مصحفة من شم، والشم هو: إعادة السيف إلى غمده.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ صحيح مسلم/ المستدرك/ كنز العمال/ مسند أحمد/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وخالد بن المعمر 0266

قال أبو عبيدة:[1] لما قتل علي بن أبي طالب[2] أراد معاوية الناس على بيعة يزيد[3]، فتثاقلت ربيعة[4]، ولحقت بعبد القيس[5] بالبحرين، واجتمعت بكر بن وائل* إلى خالد بن المعمر[6]، فلما تثاقلت ربيعة تثاقلت العرب أيضا، فضاق معاوية بذلك ذرعا، فبعث إلى خالد، فقدم عليه، فلما دخل إليه رحب به وقال: كيف ما نحن فيه ؟ قال: أرى ملكا طريفا*وبغضا تليدا*. فقال معاوية: قل ما بدا لك فقد عفونا عنك، ولكن ما بال ربيعة أول الناس في حربنا وآخرهم في سلمنا ؟ قال له خالد: إنما أتيتك مستأمنا ولم آتك مخاصما، وإن ربيعة إن تدخل في طاعتك تنفعك، وإن تدخل كرها تكن قلوبها عليك وأبدانها لك، فأعط الأمان عامتهم، شاهدهم وغائبهم، وأن ينزلوا حيث شاؤوا، فقال: أفعل، فانصرف خالد إلى قومه بذلك. ثم إن معاوية بدا له فبعث إلى خالد فدعاه، فلما دخل إليه قال: كيف حبك لعلي ؟ قال: اعفني يا أمير المؤمنين مما أكره، فأبى أن يعفيه فقال: أحبه والله على حلمه إذا غضب، ووفائه إذا عقد، وصدقه إذا أكد، وعدله إذا حكم. ثم انصرف ولحق بقومه، وكتب إلى معاوية: من الطويل: معاوي لا تجهل علينا فإننا..يد لك في اليوم العصيب معاويا..متى تدع فينا دعوة ربعية..يجبك رجال يخضبون العواليا..أجابوا عليا إذ دعاهم لنصرة..وجروا بصفين عليك الدواهيا..فإن تصطنعنا يا بن حرب لمثلها..نكن خير من تدعو إذا كنت داعيا..ألم ترني أهديت بكر بن وائل.. إليك، وكانوا بالعراق أفاعيا..إذا نهشت قال السليم لأهله..رويدا فإني لا أرى لي راقيا..فأضحوا وقد أهدوا ثمار قلوبهم..إليك، وأفراق الذنوب كما هيا..ودع عنك شيخا قد مضى لسبيله..على أي حاليه مصيبا وخاطيا..فإنك لا تسطيع رد الذي مضى..ولا دافعا شيئا إذا كان جائيا..وكنت امرأ تهوى العراق وأهله..إذ أنت حجازي فأصبحت شاميا.

قال أبو عبيدة: وفد خالد بن المعمر السدوسي على معاوية فسأله مداجاة* علي رضي الله عنه وكان معاوية قد وصله وولاه أرمينية فوصل إلى نصيبين* فيقال : إنه احتيل له بشربه فمات فقبره بنصيبين .

----

*(نصيبين) مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام بينها وبين سنجار تسعة فراسخ وبينها وبين الموصل ستة أيام (الطارف) المال المستحدث (التليد) المال القديم الأصلي الذي ولد عندك وهو نقيض الطارف ابن سيده. أيضا الأتلاد بطون من عبد القيس يقال لهم أتلاد عمان لأنهم سكنوها قديما (المداجاة) المداراة ويقال داجاه إذا داراه كأنه ساتره العداوة (بكر بن وائل) قبيلة كبيرة كانت تمتد فروعها وبطونها في شرق الجزيرة من وادي الفرات إلى اليمامة.وهي بطن من ربيعة.

■ (6) خالد بن المعمر بن سلمان بن الحارث الذهلي السدوسي ، رأس بكر بن وائل في خلافة عمر، وشهد الجمل وصفين مع علي أميرا، وهو الذي غدر بالحسن وبايع معاوية، فقال الشاعر: معاوي أكرم خالد بن معمر..فإنك لولا خالد لم تؤمر. قدم خالد على معاوية فسأله مداجاة على علي، وكان معاوية قد وصله وولاه أرمينية، فوصل إلى نصيبين، فيقال: إنه احتيل له شربة فمات، فقبره بنصيبين وقيل فمات بقصر مقاتل أو بعين التمر، ويقال إن معاوية ندم على توليته فبعث إليه بثوب مسموم، ويقال بل دخلت في رجله زجاجة فنزف منها حتى مات.

■ (2) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى وزوج ابنته.يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن 7 سنين، ويقال 9، ويقال 10، ويقال 15، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد سنة 23 ق هـ، و مات سنة 40 هـ.

■ (4) قبيلة ربيعة: هؤلاء ممن حاربهم خالد أيام مسيره إلى العراق. فانه بعد أن حارب تغلبا سار إلى حي منهم فغلبه...وربيعة كانت هي التي ابلت في وقعة ذي قار مع مشتقاتها...وربيعة يقال لهم ربيعة الفرس. لأن ربيعة المذكور ورث عن أبيه نزار ابن معد الخيل وهذا تفرعت منه قبائل وبطون ومن قبائلهم: بكر، وتغلب، وعبد القيس، والنمر بن قاسط، ويشكر، وعجل، و جشم، وحنيفة، وقيس بن ثعلبة، وضبيعة، وشيبان، وذهل، وسدوس. وكان بنو بكر وبنو عبد القيس يقيمون بالبحرين، وكان ملكهم المنذر بن ساوى أسلم على يد العلاء بن الحضرمي في سنة 9 هـ ومات المنذر في الشهر الذي مات فيه النبي فارتد أهل البحرين عن الإسلام إلا بنو عبد القيس تمكن سيدهم الجارود من إقناعهم بالثبات على الإسلام.

■ (3) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (1) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري اللغوي الحافظ: صاحب التصانيف. كان يرى رأي الخوارج، وله مصنفات حسان في أيام العرب وغيرها. مات بالبصرة سنة 211 هـ أو 210 وقيل سنة 209 هـ، وبلغ نحوا من مائة سنة.قال الجاحظ: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة.

■ (5) عبد القيس قبيلة كبيرة يسكنون البحرين ينسبون إلى عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جليلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، وذكر ابن حجر في الفتح أن لهم وفادتين إحداهما قبل الفتح سنة خمس أو قبلها، ولهذا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: بيننا وبينك كفار مضر، وكانت قريتهم بالبحرين أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة، وكان عددهم ثلاثة عشر، وسألوا عن الإيمان والاشربة، وكان فيهم الاشج كما هو مبين في الحديث، أما الوفادة الثانية فكانت في سنة الوفود، وكان عددهم حينئذ أربعين رجلا، وكان فيهم الجارود العبدي، (انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وبهامشه الجامع الصحيح).

قال رجل لشريك: خبرني عن قول علي رضي الله عنه للحسن يوم الجمل: ليت أباك مات قبل هذا بعشرين سنة، أقاله إلا وهو شاك في أمره، فقال له شريك: خبرني عن قول مريم: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ [مريم] أقالته شاكة في عفتها ؟ فسكت الرجل. وعن حبة قال: سمعت عليا يقول: نحن النجباء، وأفراطنا أفراط الأنبياء، وحزبنا حزب الله، والفئة الباغية حزب الشيطان، ومن سوى بيننا وبني عدونا فليس منا. وعن أبي ليلى الغفاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سَتَكُونُ مِنْ بَعْدِي فِتْنَةٌ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْزَمُوا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِب، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَرَانِي، وَأَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ مَعِي فِي السَّمَاءِ الأعلى،وَهُوَ الْفَارُوقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ» وروي أن بني عبس قالت لحذيفة: إن أمير المؤمنين عثمان قد قتل فما تأمرنا؟ قال: آمركم أن تلزموا عمارا، قالوا: إن عمارا لا يفارق عليا، قال: إن الحسد هو أهلك الجسد، وإنما ينفركم من عمار قربه من علي، فوالله لعلي أفضل من عمار أبعد ما بين التراب والسحاب، وإن عمارا لمن الأخيار، وهو يعلم أنهم إن لزموا عمارا كانوا مع علي. وعن حبة العرني؛ قال: دخلنا مع أبي مسعود الأنصاري على حذيفة بن اليمان أسأله عن الفتن؟ فقال: دوروا مع كتاب الله حيثما دار، وانظروا الفئة التي فيها ابن سمية؛ فاتبعوها؛ فإنه يدور مع كتاب الله حيثما دار.

قال علي الصلابي: صحيح أن النظام الإسلامي للحكم لم ينص على طريقة معينة لاختيار ولي الأمر، ولكنه وضع الأساس التي لا تجوز الحيدة عنه، إلا في حالات الضرورة والاضطرار، وهو الشورى وليس للشورى أسلوب خاص، وطريقة واحدة، لا تتحقق إلا بها، ولكن تتحقق بأساليب شتى كما مر معنا في اختيار الأمة للخلفاء الراشدين، ولئن قصد معاوية رحمه الله بإحداث ولاية العهد في نظام الحكم الإسلامي جمع كلمة المسلمين، وحقن دمائهم، فهو إن شاء الله تعالى مأجور على أنه كان قادرا على أن يجعل العهد بعده لغير ولده من كبار الصحابة الموجودين في تلك الفترة، وكان فيهم كفاءات لو أسند إليهم الأمر، فقد كان الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر وغيرهم موجودين في هذا الوقت ولكن معاوية رحمه الله عدل عن هؤلاء وقصد لولده ليكون خليفة بعده، وبذلك حصل التغير الحقيقي في نظام الحكم الإسلامي، فليس التغيير في إيجاد نظام ولاية العهد..ولكن التغيير في أن يكون ولي العهد ولد الخليفة أو أحد أقاربه، حتى أصبحت الحكومة ملكية بعد أن كانت خلافة راشدة، وإذا كنا مأمورين باتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، فإن التزام نظام الوراثة ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا من سنة خلفائه الراشدين، كما أن ترشيح يزيد لم يكن موفقا لأسباب منها: إن المجتمع الإسلامي يومئذ كان فيه من أحق وأولى بالخلافة من يزيد في سابقته وعلمه وعمله ومكانه وصحبته كعبد الله بن عمر وابن عباس وغيرهم فأين الثرى من الثرية؟ ومهما مبدأ توريث الحكم من الأب لابنه. وعلى كل تقدير فهذا لا يقدح فيما عليه أهل السنة، فإنهم لا ينزهون معاوية ولا من هو أفضل منه من الذنوب، فضلا عن تنزيههم عن الخطأ في الاجتهاد، بل يقولون إن للذنوب أسباب تدفع عقوبتها من التوبة والاستغفار والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وغير ذلك وهذا أمر يعم الصحابة وغيرهم، ومعاوية رحمه الله من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم وما هو بريء من الهنات والله يعفو عنه، والذي يجب أن نعتقده في معاوية أن قلوبنا لا تنضوي على غل لأحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بل نقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر] ونقول بأن معاوية اجتهد للأمة خوفا عليها من الانقسام والفتن، ولا يمكن أن يحمل تبعات كل أخطاء الملوك والأمراء الذين جاؤوا من بعده، كما قرره عبد القادر عوده رحمه الله: حيث يقول: وأقام معاوية أمر الأمة الإسلامية على المحجات والظلم وإهدار الحقوق، وقضى على الشورى وعطل قول الله تعالى:﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى] وحول الحكم العادل النظيف إلى حكم قذر قائم على الأهواء والشهوات، ووجه الناس إلى النفاق والذلة والصغار، ولا شك فيه أن كل من جاؤوا بعده إلى عصرنا هذا قد عمل بسنته وتثبتوا ببدعته حاشا عمر بن عبد العزيز، فعلى معاوية وقد استن هذه السنة السيئة إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة. وإذا كان معاوية أو الخلفاء الأمويين قد حول الخلافة من الشورى إلى الملك، فإن حفيده معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ثالث خلفاء الأمويين قد أعاد الخلافة من الملك العضوض إلى الشورى الكاملة.. وإنه لما يستوجبه الإنصاف أن تصاغ القضية على هذا النحو بدلا من التركيز على الشق الأول الخاص بتوريث الخلافة فقط ولم تستطع الأمة التي أعطيت حقها في اختيار خليفتها أن تعود إلى شكل من أشكال الاختيار السابق في عصر الراشدين، وبرز بوضوح دور العصبية الإقليمية والقبلية وحسم في النهاية الصراع الدائر حول منصب الخلافة لمصلحة البيت الأموي واستطاعت الشام أن تحقق الحسم التاريخي بعمق الالتحام بين بنائها القبلي والوجود الأموي بها، وسيأتي بإذن الله التفصيل عن حديثنا عن معاوية الثاني والحقيقة أن بيعة يزيد قد قبلها الكثير حتى الصحابة رضوان الله عليهم فقد بايعه ستون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيهم ابن عمر خوفا من الفتنة وحرصا على وحدة الصف، فقد توفي عبد الرحمن بن أبي بكر بعيد خروج معاوية من المدينة ولم يبق من المعارضين إلا ثلاثة هم ابن عمر وابن الزبير والحسين بن علي، أما ابن عمر فلما رأى الناس مجتمعة على يزيد بايعه وأرسل بيعته بعد وفاة معاوية رحمه الله وقال: إن كان خيرا رضينا به وإن كان بلاء صبرنا، وانحصرت المعارضة في شخص ابن الزبير والحسين بن علي رضي الله عنهما، وقد حاول بعض الناس أن يلفقوا على معاوية رحمه الله تحسره من بيعة يزيد فنقلوا عنه أنه قال: لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي. والسند من طريق الواقدي وهو متروك، ونسبوا إليه أيضا أنه قال ليزيد: ما ألقى الله بشيء أعظم من نفسي من استخلافك. والسند من الطريق الهيثم بن عدي وهو كذاب، ولقد اعتمد محمد رشيد رضا رحمه الله على هذه الرواية وتحامل على معاوية تحاملا قاسيا، ولقد تورط الكثير من الباحثين في الروايات الضعيفة والموضوعة فيما يتعلق بتاريخ صدر الإسلام وبنوا عليها تصورات وأفكار وأحكام تحتاج إلى إعادة نظر من جديد. ومع ما وقع من انحراف في تغيير النموذج الأعلى لنظام الحكم الإسلامي، الذي تتمثل فيه روح الإسلام كاملة وهو الخلافة واستبدال الملك العضوض به، إلا أن الطابع الإسلامي هو الصفة الغالبة على مظهر الدولة، وتصرفات الحكام، فالصلاة تؤدي في أوقاتها، والزكاة تحصل من أربابها والصوم فريضة لا يعارض في أدائها، وإقامة الحدود دون هوادة لم يقف شيء دون تنفيذها، والجهاد في سبيل الله فريضة ماضية بين رجالها، وبالجملة كانت تعاليم الإسلام مطبقة بحذافيرها.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ عشائر العراق/ لسان العرب/ مختار الصحاح/ تذكرة الحفاظ وذيوله/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار للصلابي/ عمر بن عبد العزيز للصلابي/

عن وائل بن حجر[1] رضي الله عنه قال: لما بلغنا ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت وافدا عن قومي، حتى قدمت المدينة، فلقيت أصحابه قبل لقائه، فقالوا: قد بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أن تقدم علينا بثلاثة أيام. فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ وَائِلُ بْنُ حُجْرٌ﴾ ثم لقيته عليه السلام، فرحب بي، وأدنا مجلسي، وبسط لي رداءه، فأجلسني عليه، ثم دعا في الناس فاجتمعوا إليه، ثم طلع المنبر، وأطلعني معه، وأنا من دونه، ثم حمد الله وقال: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا وَائِلُ بْنُ حُجْرٌ أَتَاكُمْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ، مِنْ بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ.طَائِعًا غَيْرَ مَكْرُوه، بَقِيَّةُ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ يَا وَائِلُ وَفِي وَلَدِكَ﴾، ثم نزل، وأنزلني معه، وأنزلني منزلا شاسعا* عن المدينة، وأمر معاوية بن أبي سفيان أن يبوئني* إياه، وخرجت وخرج معي حتى إذا كنا ببعض الطرق قال: يا وائل إن الرمضاء* قد أصابت باطن قدمي، فأردفني خلفك. فقلت: ما أضن عليك بهذه الناقة، ولكن لست من أرداف الملوك، وأكره أن أعير بك. قال: فألق إلي حذاءك أتوقى به من حر الشمس. قال: ما أضن عليك بهاتين الجلدتين، ولكن لست ممن يلبس لباس الملوك وأكره أن أعير بك. فلما أردت الرجوع إلى قومي. أمر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتب ثلاثة فيها كتاب لي خالص: فضلني فيه على قومي. وكتاب لأهل بيتي بأموالنا هناك، وكتاب لي ولقومي. في كتابي الخالص: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبي أمية[2] أن وائلا يستسعى* ويترفل* على الأقوال* (الاقيال) حيث كانوا من حضرموت -أي يستعمل على الصدقات ويتولى استخراجها من أربابها -. وفي كتابي الذي لي ولأهل بيتي: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبي أمية. لأبناء معشر وأبناء ضمعج أقوال شنوءة (شبوة ؟)بما كان لهم فيها من ملك وعمران ومزاهر* وعرمان* وملح ومحجر*، وما كان لهم من مال أثرناه بأرض اليمن، وما كان لهم من مال اترثوه بأبغث* وما لهم فيها من مال بحضرموت أعلاها وأسفلها، مني الذمة والجوار، الله جار لهم، والمؤمنون على ذلك أنصار إن كانا صادقين، يعني إن كان وائل وقومه صادقين. وفي الكتاب الذي لي ولقومي: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى وائل بن حجر، والأقوال العباهلة* من حضرموت.بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من الصدقة التيمة* ولصاحبها التيعة* لا جلب* ولا جنب* ولا شغار* ولا وراط* في الإسلام. لكل عشرة من السرايا ما تحمل القراب من التمر، من أجبا فقد أربا. وكل مسكر حرام.

فلما ملك معاوية ، بعث رجلا من قريش، يقال له: بسر بن أبي أرطأة[3]، فقال له: قد ضممت إليك الناحية، فاخرج بجيشك، فإذا تخلفت أفواه الشام، فضع سيفك، فاقتل من أبى بيعتي، حتى تصير إلى المدينة، ثم ادخل المدينة، فاقتل من أبى بيعتي، ثم اخرج إلى حضرموت، فاقتل من أبى بيعتي، وإن أصبت وائل بن حجر فأتني به. ففعل وأصاب وائلا حيا، فجاء به إليه، فأمر معاوية أن يتلقى، وأذن له فجلس معه على سرير. فقال معاوية: أسريري هذا أفضل أم ظهر ناقتك؟. فقلت : يا أمير المؤمنين. كنت حديث عهد بجاهلية وكفر، وكانت تلك سيرة الجاهلية. وقد أتانا الله اليوم بالإسلام، فبسيرة الإسلام ما فعلت. قال: فما منعك من نصرنا؛ وقد اتخذك عثمان ثقة وصهرا؟ قلت: إنك قاتلت رجلا هو أحق بعثمان منك. قال: وكيف يكون أحق بعثمان مني وأنا أقرب إلى عثمان في النسب؟ قلت: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان آخى بين علي وعثمان فالأخ أولى من ابن العم، ولست أقاتل المهاجرين. قال: أولسنا مهاجرين!؟ قلت: أولسنا قد اعتزلناكما جميعا. وحجة أخرى: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رفع رأسه نحو المشرق، وقد حضره جمع كثير، ثم رد إليه بصره فقال:﴿أَتَتْكُمَ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، فَشُدِّدَ أَمْرَهَا، وَعَجِلَهُ وَقَبِحهُ﴾ فقلت له من بين القوم: يا رسول الله. وما الفتن؟ فقال: ﴿يَا وَائِلُ إِذَا اخْتَلَفَ سَيْفَانِ فِي الْإِسْلَامِ فَاعْتَزِلْهُمَا﴾ فقال: أصبحت شيعيا؟ قلت: لا . ولكن أصبحت ناصحا للمسلمين. فقال معاوية: لو سمعت ذا وعلمته ما أقدمتك. قلت: أو ليس قد رأيت ما صنع محمد بن مسلمة[4] عند مقتل عثمان. انتهى بسيفه إلى صخرة فضربه بها حتى انكسر، فقال: أولئك قوم يحملون علينا. فقلت: فكيف تصنع بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَحَبَّ الْأَنْصَارَ فَبِحُبِّي، وَمَنْ أَبْغَضَ الْأَنْصَارَ فَبِبُغْضِي﴾ فقال: اختر أي البلاد شئت، فإنك لست براجع إلى حضرموت. فقلت: عشيرتي بالشام. وأهل بيتي بالكوفة. فقال:رجل من أهل بيتك خير من عشرة من عشيرتك. فقلت: ما رجعت إلى حضرموت سرورا بها، وما ينبغي للمهاجر أن يرجع إلى الموضع الذي هاجر منه إلا من علة. قال: وما علتك؟ قلت: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتن. فحيث اختلفتم اعتزلناكم وحيث اجتمعتم جئناكم، فهذه العلة. فقال: إني قد وليتك الكوفة فسر إليها، فقلت: ما إلي بعد النبي صلى الله عليه وسلم لأحد حاجة. أما رأيت أن أبا بكر قد أرادني فأبيت، وأرادني عمر فأبيت، وأرادني عثمان فأبيت،ولم أدع بيعتهم. قد جاءني كتاب أبي بكر:حيث ارتد أهل ناحيتنا، فقمت فيهم حتى ردهم الله إلى الإسلام بغير ولاية، فدعا عبد الرحمن بن الحكم[5] فقال له: فقد وليتك الكوفة. وسر بوائل بن حجر، فأكرمه، واقض حوائجه. فقال: يا أمير المؤمنين أسأت بي الظن، تأمرني بإكرام رجل قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرمه وأبا بكر، وعمر، وعثمان، وأنت. فسر معاوية بذلك منه. فقدمت معه الكوفة. فلم يلبث أن مات.

في رواية أخرى: أنه لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه، ودعا له، ورفله على قومه. ثم خطب الناس، فقال: أيها الناس، هذا وائل بن حجر أتاكم من حضرموت، ومد بها صوته، راغبا في الإسلام، ثم قال لمعاوية: انطلق به، فأنزله منزلا بالحرة. قال معاوية: فانطلقت به، وقد أحرقت رجلي الرمضاء، فقلت: أردفني، قال: لست من أرداف الملوك، قلت: فأعطني نعليك أتوقى بهما من الحر، قال: لا يبلغ أهل اليمن أن سوقة لبس نعل ملك، وإن شئت قصرت عليك ناقتي، فسرت في ظلها. قال معاوية: وأنبأت النبي صلى الله عليه وسلم بقوله، فقال:﴿إِنَّ فِيهِ لَعُبِّيَّةٌ مِنْ عُبِّيَّة الْجَاهِلِيَّة﴾، فلما أراد الانصراف كتب له كتابا. وفي رواية أخرى: لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، خطب الناس، وقال: ارفقوا به، فإنه حديث عهد بالملك، فقال: إن أهلي غلبوني على الذي لي، فقال: أنا أعطيك وأعطيك ضعفه. قال سويد بن حنظلة: خرجنا نريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا وائل بن حجر، فأخذه عدو له، فتحرج قوم أن يحلفوا وحلفت أنه أخي، فخلى عنه، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فقال:﴿أَنْتَ أَبَرُّهُمْ وَأَصْدَقُهُمْ، وَصَدَقْتَ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ﴾.

----

* (شاسعا) بعيدا (بوء) وتبوأ الرجل دارا أي اتخذها مسكنا (الرمضاء) الرمل الحار والأرض الشديدة الحرارة، عادة: الرمل الذي اشتدت حرارته في الظهيرة (الاستسعاء) أن يسعى العبد المملوك في فكاك ما بقي من رقه، فيعمل ويكسب ويصرف ثمنه إلى مولاه، فسمى تصرفه في كسبه سعاية. والسعي: الوالي على أي أمر وقوم كان. وفي حديث وائل بن حجر: إن وائلا يستسعى ويترفل على الاقيال. أي يستعمل على الصدقات ويتولى استخراجها من أربابها (يترفل) أي يتسود ويترأس مستعار من ترفيل الثوب وهو إسباغه وإسباله (الأقيال العباهلة) الأقيال جمع قيل وهو الملك بلغة حمير أو اسم للملك من ملوك حمير. والعباهلة الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه (التيمة) الشاة التي تزيد على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى (التيعة) أدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان نسميه التيعة (الجلب) هو أن لا تجلب الصدقة إلى المياه والأمصار ولكن يتصدق بها في مراعيها أو أن ينزل إليه (الجنب) في الزكاة هو أن ينزل العامل بأقصى مواضع الصدقة ثم يأمر بالأموال أن تجنب إليه (الشغار) بالكسر أن تزوج الرجل امرأة على أن يزوجك أخرى بغير مهر صداق كل واحدة بضع الأخرى (الوراط في الصدقة) الجمع بين متفرق أو عكسه أو أن يخبأها في إبل غيره (محجر) قرية، وقيل: المحجن، ومحاجن النخل: حضائر تتخذ حولها، والاحتجار: الاحتصار للشيء، والمحجر: الحديقة، والمحاجر: الحدائق. (العرمان) المزارع، والعرنة أيضا: الكديس، وهو حصيد الزرع إذا دق قبل أن يذرى. (المزاهر) الرياض لأنها تجمع أصناف الزهر والنبات. (أبغث) مكان ذو رمل وحجارة. وفي معجم الطبراني الكبير: من مال أثرتوه وماء ينابعت.

■ (1) وائل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل بن ضمعج، من أقيال حضر موت وكان أبوه من ملوكهم، وفي نسبه خلاف أبو هنيد ويقال: أبو هنيدة الحضرمي له صحبة، وفد على النبي فرحب به. واستعمله على أقيال من حضر موت، وأقطعه أرضا، وأرسل معه معاوية بن أبي سفيان إلى قومه يعلمهم القرآن والإسلام. ثم شارك في الفتوح. ويقال: كان على راية قومه يوم صفين مع علي.ونزل الكوفة. وزار معاوية لما ولي الخلافة، واستقر في الكوفة. وكان له عقب بها. وانتقل أحد أحفاده خالد المعروف بخلدون بن عثمان إلى الأندلس فكان من ولده بنو خلدون بإشبيلية، ومنهم المؤرخ الفيلسوف عبد الرحمن بن محمد.وتوفي نحو 50 هـ

■ (2) المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي. أخو أم سلمة زوج النبي كان اسمه الوليد فكرهه رسول الله وسماه المهاجر وأرسل رسول الله المهاجر إلى الحارث بن عبد كلال الحميري باليمن وتخلف عن رسول الله بتبوك فرجع رسول الله وهو عاتب عليه فشفعت فيه أخته أم سلمة فقبل شفاعتها فأحضرته فاعتذر إلى النبي فرضي عنه . واستعمله رسول الله على صدقات كندة والصدف فتوفي رسول الله ولم يسر إليها فبعثه أبو بكر إلى قتال من باليمن من المرتدين فلما فرغ سار إلى عمله فسار إلى ما ذكره له أبو بكر وهو الذي فتح حصن النجير بحضرموت مع زياد بن لبيد الأنصاري وسير الأشعث ابن قيس إلى أبي بكر أسيرا وله في قتال الردة باليمن أثر كبير توفي بعد 12 هـ

■ (3) بسر بن أرطأة، ويقال: بن أبي أرطأة بن عويمر، يكنى أبا عبد الرحمن.مختلف في صحبته، شهد فتح مصر واختط بها وكان من شيعة معاوية وقد وجهه معاوية إلى اليمن والحجاز في أول سنة أربعين وله دار بالبصرة ومات بالمدينة وقد خرف في ولاية عبد الملك بن مروان.

■ (4) محمد بن مسلمة، ابن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة، أبو عبد الله –وقيل: أبو عبد الرحمن، وأبو سعيد– الأنصاري الأوسي من نجباء الصحابة شهد بدرا والمشاهد. وقيل: إن النبي استخلفه مرة على المدينة وكان ممن اعتزل الفتنة ولا حضر الجمل ولا صفين، بل اتخذ سيفا من خشب وتحول إلى الربذة فأقام بها مديدة. وقد استعمله عمر على زكاة جهينة وقد كان عمر إذا شكي إليه عامل نفذ محمدا إليهم ليكشف أمره. توفي سنة 43 هـ..عاش ابن مسلمة سبعا وسبعين سنة.

■ (5) عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان، ،ابن أم الحكم، أحد الأمراء في العصر الأموي. أمه أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان. ولد في عهد النبي وغزا الروم سنة53 هـ. وولاه خاله معاوية الكوفة بعد موت زياد سنة 57 هـ، فلم تحمد سيرته، فأخرجه أهل الكوفة. وعاد إلى الشام، فولاه معاوية مصر، فقصدها، فمنعه ابن خديج من دخولها. فعاد، فولاه خاله الجزيرة. فاستمر فيها إلى أن مات معاوية.وتوفي بعد ذلك في أول خلافة عبد الملك. سنة66 هـ وقال ابن الأثير: عبد الرحمن بن أم الحكم لا صحبة له وهو غير عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي

عن عبد الله بن وهب قال أخبرني ابن لهيعة قال: قدم وائل بن حجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه وهو بمكة يومئذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاوية: اخرج معه. قال: وذلك في يوم حار، فركب وائل راحلته ومعاوية رضي الله عنه يمشي، فقال له معاوية: أردفني خلفك فإن الحر شديد، قال: إنك لست من أرداف الملوك، قال: فأعطني نعليك ألبسهما، قال: ليس لمثلك لبس نعلي، فلما استخلف معاوية، قدم عليه فأقعده على سريره فقال رجل من مضر: من هذا الذي أقعدت معك على السرير، يا أمير المؤمنين ؟ قال: هذا رجل ما كان يرانا قبل اليوم على جلسة، ثم أنشأ في خبره، فقال وائل: نحن السوقة وأنت اليوم الملك.

عن محمد بن مسلمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَقْتَتِلُونَ عَلَى الدُّنْيَا فَاعْمِدْ بِسَيْفِكَ عَلَى أَعْظَمِ صَخْرَةٍ فِي الْحَرَّةِ فَاضْرِبْهُ بِهَا حَتَّى يَنْكَسِرَ،ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ. فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ وعن الحسن: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ سَيْفًا فَقَالَ: قَاتِلْ بِهِ الْمُشْرِكِينَ مَا قُوتِلُوا فَإِذَا رَأَيْتَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَأْتِ بِهِ أُحُدًا فَاضْرِبْهُ بِهِ حَتَّى تَقْطَعَهُ ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ﴾ وعند ابن سعد عن محمد بن مسلمة قال: أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا فقال: ﴿يَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ جَاهَدَ بِهَذَا السَّيْفِ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فِئَتَيْنِ تقتتلان فَاضْرِبْ بِهِ الْحَجَرَ حَتَّى تَكْسِرْهُ، ثُمَّ كَفَّ لِسَانَكَ وَيَدَكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ أَوْ يَدٌ خَاطِئَةٌ﴾ فلما قتل عثمان رضي الله عنه وكان من أمر الناس ما كان؛ خرج إلى صخرة في فنائه فضرب الصخرة بسيفه حتى كسره. قال أبو الأشعث الصنعاني بعثنا يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير فلما قدمت المدينة دخلت على فلان نسي زياد اسمه فقال: إن الناس قد صنعوا ما صنعوا فما ترى فقال: ﴿أَوْصَانِي خَلِيلِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ أَدْرَكْتَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْفِتَنِ فَاعْمَدْ إِلَى أُحُدٍ فَاكْسِرْ بِهِ حَدَّ سَيْفِكَ ثُمَّ اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ قَالَ: فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَى الْبَيْتِ فَقُمْ إِلَى الْمَخْدَعِ فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْكَ الْمَخْدَعَ فَاجْثُ عَلَى رُكْبَتَيْكَ وَقُلْ: بُؤْ: بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ [المائدة]، فَقَدْ كَسَرْتُ حَدَّ سَيْفِي وَقَعَدْتُ فِي بَيْتِي﴾.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ الفائزون بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم/ سير أعلام النبلاء/ المحكم والمحيط الأعظم/ كتاب العين/ البداية والنهاية/ صبح الأعشى/ أخبار المدينة/

قال أبي إسحاق: جاء ابن احور التميمي[1] إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، جئتك من عند ألأم الناس، وأبخل الناس، وأعيا الناس، وأجبن الناس، فقال: ويلك وأنى أتاه اللؤم؟ ولكنا نتحدث أن لو كان لعلي بيت من تبن، وآخر من تبر لأنفد التبر قبل التبن، وأنى أتاه العي؟ وإن كنا لنتحدث أنه ما جرت المواسي على رأس رجل من قريش أفصح من علي، ويلك وأنى أتاه الجبن؟ وما برز له رجل قط إلا صرعه. والله يا بن أحور لولا أن الحرب خدعة لضربت عنقك، اخرج فلا تقيمن في بلدي. قال عطاء[2]: وإن كان يقاتله فإنه كان يعرف فضله. وفي رواية: قام رجل في أيام صفين إلى معاوية فقال: اصطنعني فقد قصدتك من عند أجبن الناس وأبخلهم وألكنهم! فقال: من الذي تعنيه؟ قال: علي بن أبي طالب! فقال: كذبت يا فاجر! أما الجبن فلم يكن قط فيه، وأما البخل فلو كان له بيتان بيت من تبر وبيت من تبن لأنفق تبره قبل تبنه، وأما اللكن فما رأيت أحدا يخطب ليس محمدا صلى الله عليه وسلم أحسن من علي إذا خطب، قم قبحك الله! ومحا اسمه من الديوان.

عن يحيى بن زيد بن علي قال: قال عتبة بن أبي سفيان[3] ليلة لمعاوية: يا أمير المؤمنين، بم يطلب علي هذا الأمر؟ فوالله ما كان من أهله، ولا آله، فقال معاوية: علي والله كما قال الشاعر: الطويل: لئن كان إذ لا خاطبا فتعذرت..عليه وكانت عاتبا فتخطت..فما تركته رغبة عن حبالة..ولكنها كانت لآخر خطت.

قال قيس بن أبي حازم: سأل رجل معاوية عن مسألة، فقال: سل عنها علي بن أبي طالب فهو أعلم مني، قال: قولك يا أمير المؤمنين أحب إلي من قول علي، قال: بئس ما قلت، ولؤم ما جئت به، لقد كرهت رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغره بالعلم غرا، ولقد قال له:﴿أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي﴾، وكان عمر بن الخطاب يسأله ويأخذ عنه، ولقد شهدت عمر إذا أشكل عليه أمر قال: هاهنا علي بن أبي طالب. ثم قال للرجل: قم لا أقام الله رجليك، ومحا اسمه من الديوان.

■ (1) هلال بن أحور التميمي ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (2) عطاء بن مسلم الخفاف الكوفي ثم الحلبي، أبو مخلد، قال أبو حاتم: كان شيخا صالحا يشبه يوسف بن أسباط، وكان دفن كتبه، فلا يثبت حديثه.قال ابن معين ثقة وفي رواية ليس به بأس أحاديثه منكرة وضعفه أبو داود، مات سنة 190 هـ

■ (3) عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، أبو الوليد، أخو معاوية بن أبي سفيان لأبويه ولد على عهد رسول الله وولاه عمر بن الخطاب الطائف ولما مات عمرو بن العاص ولى معاوية أخاه عتبه مصر وأقام عليها سنة ثم توفي بها ودفن فيها سنة 44 هـ وقيل: سنة 43 هـ

لما جاء معاوية نعي علي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا فقدوا من العلم والخير والفضل والفقه! قالت امرأته: بالأمس تطعن في عينيه، وتسترجع اليوم عليه؟ قال: ويلك، لا تدرين ما فقدنا من علمه وفضله وسوابقه. وروى أبو القاسم الزجاجي في أخباره عن عمر بن شبة قال: كان لمعاوية بن أبي سفيان عين ببلاد الروم، قال: فكتب إليه: إن هذا الطاغية –أي قيصر الروم– قال في مجلسه: إن هذا أوان أستأصل فيه العرب، لأنها قد اختلفت. فكتب إليه معاوية كتابا يحلف له فيه ويقول: لئن عزمت على ما أظهرته في مجلسك لأصالحن صاحبي، ولأصيرن مقدمته إليك، فأنزل قسطنطينية الجرامقة*، ولأردنك أرلسيا* كما كنت ترعى الخنانيص*. فكتب إليه ملك الروم يحلف له بالبراءة من المعمودية والدخول في الحنيفية: ما هم بهذا ولا تكلم، وأهدى إليه هدايا كثيرة، أكثرها اليزبون. وذكره الخطابي في الغريب وابن كثير وغيرهما من المؤرخين وأصحاب اللغة بمعناه. وفي رواية:جاء في كتاب معاوية إلى قيصر ملك الروم لما بلغه أنه أراد أن يغزو بلاد الشام أيام فتنة صفين : لئن تممت على ما بلغني من عزمك لأصالحن صاحبي، ولأكونن مقدمته إليك، ولأجعلن القسطنطينية البخراء حممة سوداء ، ولأنتزعنك من الملك انتزاع الإصطفلينة*، ولأردنك إريسا من الأرارسة ترعى الدوبل، أي الخنزير.

وعن أبي فاختة قال:أقبل علي وعمر جالس في مجلسه، فلما رآه عمر تضعضع وتواضع وتوسع له في المجلس، فلما قام علي قال بعض القوم: يا أمير المؤمنين، إنك تصنع بعلي صنيعا ما تصنعه بأحد من أصحاب محمد، قال عمر: وما رأيتني أصنع به؟ قال رأيتك كلما رأيته تضعضعت وتواضعت وأوسعت حتى يجلس. قال: وما يمنعني؟ والله إنه لمولاي ومولى كل مؤمن. قال ابن الأعرابي: المولى: المالك وهو الله، والمولى: ابن العم، والمولى: المعتق، والمولى: المعتق، والمولى: الجار، والمولى: الشريك، والمولى: الحليف، والمولى: المحب، والمولى: اللوي، والمولى: الولي، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ﴾، معناه: من تولاني فليتول عليا. قال ثعلب: وليس هو كما يقول الرافضة: إن عليا مولى الخلق ومالكهم، وكفرت الرافضة في هذا، لأنه يفسد من باب المعقول: لأنا رأيناه يشتري ويبيع، فإذا كانت الأشياء ملكه فممن يشتري ويبيع؟ ولكنه من باب المحبة والطاعة.

عن رقبة بن مصقلة العبدي عن أبيه عن جده قال: أتى رجلان عمر بن الخطاب في ولايته يسألانه عن طلاق الأمة، فقام معتمدا يمشي بينهما حتى أتى حلقة في المسجد، وفيها رجل أصلع، فوقف عليه فقال: يا أصلع: ما قولك في طلاق الأمة؟ فرفع رأسه إليه، ثم أومأ إليه بإصبعيه، فقال عمر للرجلين: تطليقتان، فقال أحدهما: سبحان الله جئنا لنسألك وأنت أمير المؤمنين، فمشيت معنا حتى وقفت على الرجل فسألته فرضيت منه بأن أومأ إليك؟ فقال: أو تدريان من هذا؟ قالا: لا، قال: هذا علي بن أبي طالب، أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لسمعته وهو يقول: ﴿لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وُضِعْنَ فِي كِفَّةِ مِيزَان، وَوَضَعَ إِيمَان علي فِي كِفَّةِ مِيزَان لَرَجَحَ بِهَا إِيمَان علي﴾ وعن عطاء قال: كان عمر يقول: علي أقضانا للقضاء، وأبي أقرأنا للقرآن. وعن علي قال:﴿بَعَثَنِي رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا؛ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ: تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَّ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ؛ إِذَا تَقَاضَى إِلَيْكَ رَجُلَانِ فَلَا تَقْضِ لِلْأَوَّلِ حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ الْآخَرِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ، قَالَ: فَمَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَعْدُ﴾ وعن علي رضي الله عنه﴿حِينَ بَعَثَهُ بِبَرَاءَةٌ فَقَالَ: يَا نَبِي اللهَّ إِنِّي لَسْتُ بِاللَّسِنِ وَلاَ بِالْخَطِيبِ، قَالَ: مَا بُدٌّ أَنْ أَذْهَبَ بِهَا أَنَا أَوْ تَذْهَبَ بِهَا أَنْتَ، قَالَ: فَإِنْ كَانَ وَلاَ بُدَّ فَسَأَذْهَبُ أَنَا، قَالَ: فَانْطَلِقْ فَإِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُثَبِّتُ لِسَانَكَ وَيَهْدِى قَلْبَكَ، قَالَ: ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَمِهِ، وَقَالَ انْطَلِقْ فَاقْرَأْهَا عَلَى النَّاسِ، وَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ سَيتقاضونَ إِلَيْكَ، فَإِذَا أَتَاكَ الْخَصْمَانِ فَلاَ تَقْضِيَنَّ لِوَاحِدٍ حَتَّى تَسْمَعَ كَلاَمَ الآخَرِ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ تَعْلَمَ لِمَنْ الْحَق﴾ والرسالة هي براءة ليقرأها على الناس في الحج. وعن علي رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُّ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة] فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد، والناس يصلون بين راكع وقائم يصلي، فإذا سائل فقال: يا سائل، هل أعطاك أحد شيئا؟ فقال: لا، إلا هذاك الراكع لعلي أعطاني خاتمه.

----

*(الخنوص) ولد الخنزير وجمعه: خنانيص (الأراريس) يقال الزراعون. واحدهم إريس.وحكى عن ثعلب انه قال: الارلس: الاكار (الجرامقة) قوم من العجم سكنوا الموصل في أوائل الإسلام. الواحد: جرمقى ، وجرمقانى. وجرامقة الشام: أنباطها. قسطنطينية الجرامقة ؟؟ (الإصطفلينة) كالجزرة ، وليست بعربية محضة.

(القسطنطينية البخراء حممة سوداء) وصفها بذلك لبخار البحر وتبخر بالطيب ونحوه تدخن والبخور.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ محاضرات الأدباء/ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال/ من فضائل وأخبار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه/ النهاية في غريب الأثر/ ميزان الاعتدال للذهبي/ تاج العروس/ لسان العرب

قال جابر بن عبد الله الأنصاري[1]: كنا ذات يوم عند معاوية بن أبي سفيان وقد جلس على سريره واعتجر* بتاجه واشتمل بساجه* وأومى* بعينيه يمينا وشمالا وقد تفرشت جماهير قريش وسادات العرب أسفل السرير من قحطان ومعه رجلان على سريره عقيل بن أبي طالب[2] والحسن بن علي[3] وامرأة من وراء الحجاب تشير بكميها يمينا وشمالا، فقالت: يا أمير المؤمنين ما بت الليلة أرقة. قال لها معاوية: أمن ألم؟ قالت: لا، ولكن من اختلاف رأي الناس فيك وفي علي بن أبي طالب، وأبوك أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية وكان أمية من قريش لبابها، فقالت في معاوية فأكثرت وهو مقبل على عقيل والحسن، فقال معاوية: رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ صَلَّى أَرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعاً بَعْدَ الظُّهْرِ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَهُ أَبَدًا﴾ ثم قال لها: أفي علي تقولين المطعم في الكربات المفرج للكربات مع ما سبق لعلي من العناصير السرية والشيم الرضية والشرف فكان كالأسد الحاذر* والربيع النائر والفرات الذاخر والقمر الزاهر فأما الأسد فأشبه علي منه صرامته ومضاءه وأما الربيع فأشبه علي منه حسنه وبهاءه وأما الفرات فأشبه علي منه طيبه وسخاءه فما تغطمطت* عليه قماقم* العرب الشادة* من أول العرب عبد مناف وهاشم وعباس القماقم والعباس صنو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوه وعمه أكرم به أبا وعما ولنعم ترجمان القرآن ولده، يعني عبد الله بن عباس، كهل الكهول له لسان سؤول وقلب عقول خيار خلق الله وعترة نبيه خيار ابن خيار. فقال عقيل بن أبي طالب: يا بنت أبي سفيان لو أن لعلي بيتين بيت من تبر والأخر تبن بدأ بالتبر وهو الذهب فقال معاوية: يا أبا يزيد كيف لا أقول هذا في علي بن أبي طالب وعلي من هامات قريش وذوائبها وسنام قائم عليها وعلي علامتها في شامخ. فقال له عقيل: وصلتك رحم يا أمير المؤمنين.

حدث إسحاق بن سعد عن أبيه: أن عقيل بن أبي طالب لزمه دين فقدم على علي بن أبي طالب الكوفة فأنزله وأمر ابنه الحسن فكساه فلما أمسى دعا بعشائه فإذا خبز وملح وبقل فقال عقيل: ما هو إلا ما أرى! قال: لا. قال: فتقضي ديني. قال: وكم دينك؟ قال: أربعون ألفا. قال: ما هي عندي. ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فإنه أربعة آلاف فأدفعه إليك. فقال له عقيل: بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بعطائك! فقال: أتأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها! قال: فإني آت معاوية. فأذن له فأتى معاوية فقال له: يا أبا يزيد كيف تركت عليا وأصحابه قال: كأنهم أصحاب محمد إلا أني لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وكأنك وأصحابك أبو سفيان وأصحابه إلا أني لم أر أبا سفيان فيكم. فلما كان الغد قعد معاوية على سريره وأمر بكرسي إلى جنب السرير ثم أذن للناس فدخلوا وأجلس الضحاك بن قيس[4] معه على سريره ثم أذن لعقيل فدخل عليه فقال: يا معاوية من هذا معك قال: الضحاك بن قيس. فقال: الحمد لله الذي رفع الخسيسة وتمم النقيصة! هذا الذي كان أبوه يخصي بهمنا* بالأبطح لقد كان بخصائها رفيقا. فقال الضحاك: إني لعالم بمحاسن قريش وإن عقيلا عالم بمساويها. وأمر له معاوية بخمسين ألف درهم فأخذها ورجع.

وفي رواية قال حميد بن هلال: أتى عقيل عليا، فقال: يا أمير المؤمنين إني محتاج، وإني فقير فأعطني، قال: اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم، فألح عليه، فقال لرجل: خذ بيده فانطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقل: دق هذه الأقفال وخذ ما في هذه الحوانيت. قال: يريد علي أن يتخذني سارقا، فرجع إليه، فقال: يا أمير المؤمنين: أردت أن تتخذني سارقا! قال: أنت والله أردت أن تتخذني سارقا، أن آخذ أموال الناس فأعطيكها دونهم، قال: لآتين معاوية، قال؛ أنت وذاك، فأتى معاوية فسأله فأعطاه مئة ألف ثم قال: اصعد المنبر فاذكر ما أولاك علي من نفسه، وما أوليتك من نفسي. قال: فصعد فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إني أخبركم أني أردت عليا على دينه، فاختار دينه، وإني أردت معاوية على دينه فاختارني على دينه. فقال معاوية: هذا الذي تزعم قريش أنه أحمق، وأنها أعقل منه!..

كان عقيل ممن خرج مع المشركين إلى بدر مكرها فأسر يومئذ وكان لا مال له ففداه عمه العباس. ثم أتى مسلما قبل الحديبية وهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثمان وشهد غزوة مؤتة ثم رجع فعرض له مرض فلم يسمع له بذكر في غزوة الفتح ولا حنين ولا الطائف. وقد أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر مائة وأربعين وسقا كل سنة وقد قيل: إنه ممن ثبت يوم حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان سريع الجواب المسكت للخصم وله فيه أشياء حسنة لا نطول بذكرها. وكان أعلم قريش بالنسب وأعلمهم بأيامها ولكنه كان مبغضا إليهم لأنه كان يعد مساويهم. وكانت له طنفسة* تطرح له في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجتمع الناس إليه في علم النسب وأيام العرب. وكان يكثر ذكر مثالب* قريش فعادوه لذلك وقالوا فيه بالباطل ونسبوه فيه إلى الحمق واختلقوا عليه أحاديث مزورة وكان مما أعانهم عليه مفارقته أخاه عليا رضي الله عنه ومسيره إلى معاوية بالشام فقيل: إن معاوية قال له يوما: هذا أبو يزيد لولا علمه بأني خير له من أخيه لما أقدم عندنا. فقال عقيل: أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي وقد آثرت دنياي وأسأل الله خاتمة خير بمنه. وإنما سار إلى معاوية لأنه كان زوج خالته فاطمة بنت عتبة بن ربيعة[5]. ورواية: عن الأصمعي قال: ترك عقيل عليا وذهب إلى معاوية، فقال معاوية: يا أهل الشأم، ما ظنكم برجل لم يصلح لأخيه. فقال عقيل: يا أهل الشأم، إن أخي خير لنفسه وشر لي، وإن معاوية شر لنفسه وخير لي.

في رواية: لما التحق عقيل بمعاوية بالغ في إكرامه إرغاما لعلي. فلما قتل علي واستقل معاوية بالأمر، ثقل عليه أمر عقيل. فكان يسمعه ما يكره، لينصرف عنه. فبينما هو يوما في مجلس حفل بأعيان الناس من الشاميين إذ قال معاوية: أتعرفون أبا لهب الذي أنزل الله في حقه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد] من هو؟ فقال أهل الشام: لا. فقال معاوية: هو عم هذا. وأشار إلى عقيل. فقال عقيل: أتعرفون أرملته التي قال الله في حقها: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [المسد] من هي؟ فقالوا: لا ؟ فقال عقيل: هي عمة هذا. وأشار إلى معاوية. وكانت عمته أم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وهي زوجة أبي لهب عبد العزي. وفي رواية قيل كان مع معاوية يوم صفين فقال له معاوية يمازحه: يا أبا يزيد أنت اليوم معنا. فقال عقيل: ويوم بدر كنت أيضا معكم وكان عقيل يوم بدر مع المشركين هو وعمه العباس.

كتب معاوية إلى عقيل بن أبي طالب، يعتذر إليه من شيء جرى وبينهما: من معاوية ابن أبي سفيان إلى عقيل بن أبي طالب، أما بعد يا بني عبد المطلب فأنتم والله فروع قصي ولباب عبد مناف وصفوة هاشم، فأين أحلامكم الراسية، وعقولكم الكاسية، وحفظكم الأواصر، حبكم العشائر؟ ولكم الصفح الجميل، والعفو الجزيل، مقرونان بشرف النبوة، وعز الرسالة؛ وقد والله ساء أمير المؤمنين ما كان جرى، ولن يعود لمثله إلى أن يغيب في الثرى. فكتب إليه عقيل: صدقت وقلت حقا غير أني..أرى أن لا أرك ولا تراني..ولست أقول سوء في صديقي..ولكني أصد إذا جفاني. فركب إليه معاوية، وناشده في الصفح، وأجازه بمائة ألف درهم، حتى رجع.

----

*(الاعتجار) هو أن يلف العمامة على رأسه ويرد طرفها على وجهه بحيث لا يعمل منها شيئا تحت ذقنه (الساج) الطيلسان (أومى) لغة في أومأ (تغطمطت) لفظ مستعار عن الغطمطة، وهو صوت غليان القدر (القماقم من الرجال) السيد الكثير الخير الواسع الفضل (الشادة) وفي المختصر: السادة (الحاذر) المستعد، الفاعل للحذر.عن أم حبيبه قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حُرِّمَ عَلَى النَّارِ﴾ (البهم) جمع بهيم وهو ما لا شية فيه من الخيل للذكر والانثى (طنفسة) بساط له خمل رقيق وقيل هو ما يجعل تحت الرحل على كتفي البعير والجمع طنافس (المثالب) العيوب الواحدة مثلبة بفتح اللام.

■ (2) عقيل بن أبي طالب بن عبد مناف، أبو يزيد، أخو علي وجعفر، شهد غزوة مؤتة وكان أسن من أخيه علي بعشرين سنة، ومن أخيه جعفر الطيار بعشر سنين. مات في خلافة معاوية، وقيل في أول خلافة يزيد قبل الحرة. وكانت خلافة يزيد بن معاوية سنة 64 هـ.

■ (3) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (1) جابر بن عبد الله بن عمرو الإمام، المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله، أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن، الأنصاري الخزرجي السلمي المدني الفقيه. من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتا. وكان مفتي المدينة في زمانه.وقد ورد أنه شهد بدرا. وقيل: إنه عاش أربعا وتسعين سنة.مات جابر بن عبد الله سنة 78 هـ أو 77 هـ. وهو ابن أربع وتسعين سنة. وكان قد ذهب بصره، وصلى عليه أبان بن عثمان وهو والي المدينة.

■ (4) الضحاك الفهري، الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي، أبو أمية، أو أبو أنيس: سيد بني فهر، في عصره. وأحد الولاة الشجعان. شهد فتح دمشق، وسكنها. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية على الكوفة سنة 53 هـ بعد موت زياد بن أبيه فتفقد الخورنق قصر النعمان وأصلحه. ونقل إلى ولاية دمشق، فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد. ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه، انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق. ومات معاوية سنة 64 هـ فأقبل أهل دمشق على الضحاك، فبايعوه على أن يصلي بهم، ويقيم لهم أمرهم، حتى يجتمع الناس على خليفة وانعقدت البيعة العامة لمروان بن الحكم، والضحاك في مرج راهط، فامتنع على مراون، فقتل في مرج راهط سنة 65 هـ

■ (5) فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشية العبشمية. أخت هند بنت عتبة وهي خالة معاوية. أسلمت يوم الفتح وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم.

☪

عن أبي إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن أبي طالب: ﴿يَا أَبَا يَزِيدَ،إِنِّي أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبًّا لِقَرَابَتِكَ، وَحُبًّا لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيَّاكَ﴾ قالوا: كان الذين يتحاكم إليهم ويوقف عند قولهم في علم النسب أربعة: عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل الزهري، وأبا جهم بن حذيفة العدوي، وحويطب بن عبد العزي. وعقيل أكثرهم ذكرا لثالب قريش. فعادوه لذلك، وقالوا فيه بالباطل ونسبوه إلى الحمق، واختلفوا عليه أحاديث مزورة. وكان مما أعانهم عليه في ذلك مغاضبته لأخيه علي وخروجه إلى معاوية وإقامته معه. وقد كلف الخليفة عمر بن الخطاب ثلاثة من نسابي قريش وهم جبير بن مطعم وعقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل رضى الله عنهم عمل جدول بالأنساب.

عن عبد الله بن محمد ابن عقيل قال: تزوج عقيل بن أبي طالب فخرج علينا فقلنا له: بالرفاء والبنين. فقال: مه*! لا تقولوا ذلك؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك وقال: قولوا: بارك الله لك وبارك عليك وبارك لك فيها. وعن زيد بن أسلم: أن عقيلا دخل على امرأته فاطمة بنت عتبة بن ربيعة وسيفه متلطخ بالدماء، فقالت: إني قد عرفت أنك قد قاتلت، فما أصبت من غنائم المشركين؟ فقال: دونك هذه الإبرة فخيطي بها ثيابك، ودفعها إليها. فسمع منادي النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من أصاب شيئا فليرده، وإن كانت إبرة، فرجع عقيل إلى امرأته فقال: ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت منك. فأخذ عقيل الإبرة فألقاها في الغنائم. وعن عباس: في قول الله عز وجل:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال] نزلت في الأسارى يوم بدر، ومنهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب.

----

*(مه) كلمة زجر بمعنى كف واسكت وانته

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ محاضرات الأدباء/ تاج العروس/ أسد الغابة/ نكث الهميان في نكت العميان/ عيون الأخبار/ـمختار الصحاح/ الطبقات الكبرى/ ربيع الأبرار/

روى يزيد بن أبي حبيب: أن عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان كان قد شق عليهما وعلى أهل الشام ما يصنع قيس بن سعد[1] من مناصحة علي، وما ضيق على أهل الشام، فلا يحمل إليهم طعام. فكان عمرو بن العاص[2] ومعاوية جاهدين أن يخرجا قيسا من مصر، ويغلبا عليها، وكان قيس قد امتنع منهما بالمكيدة والدهاء، فمكرا بعلي في أمره، فكتب معاوية كتابا في قيس إليه يذكر فيه ما أتى إلى عثمان من الأمر العظيم، وأنه على السمع والطاعة. ثم نادى معاوية: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس في السلاح، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: يا أهل الشام إن الله ينصر خليفته المظلوم، ويخذل عدوه. أبشروا، هذا قيس بن سعد، ناب العرب* قد أبصر الأمر، وعرفه على نفسه، ورجع إلى ما عليه من السمع والطاعة، والطلب بدم خليفتكم. وكتب إلي بذلك كتابا –وأمر بالكتاب فقرئ– وقد أمر بحمل الطعام إليكم، فادعوا الله لقيس بن سعد، وارفعوا أيديكم، وابتهلوا له في الدعاء بالبقاء والصلاح. فعجوا، وعج معاوية وعمرو، ورفعوا أيديهم ساعة، ثم افترقوا، فأخذ معاوية بيد عمرو بن العاص، فقال: تحين خروج العيون اليوم إلى علي؛ يسير الخبر إليه سبعا، أو ثمانيا، يكون أول من يعزل قيس بن سعد، فكل من ولي يكون أهون علينا من قيس، فتحينوا خبر علي؛ فلما ورد عليه الخبر كان أول من حمله إليه محمد بن أبي بكر[3]، فأخبره بما صنع، ورفده الأشتر[4]، ونالا من قيس، وقال: ألا استعملت رجلا له حق، فجعل علي لا يقبل هذا القول على قيس بن سعد، ويقول: إن قيسا في سر* وشرف في جاهلية وإسلام، وقيس رجل العرب. فيأبى محمد بن أبي بكر أن يقصر عنه، فعزله علي. وعن يحيى بن عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة قال: قدم قيس بن سعد المدينة، فأرسلت إليه أم سلمة[5] تلومه وتقول: فارقت صاحبك، قال: أنا لم أفارقه طائعا هو عزلني. فأرست إليه: إني سأكتب إلى علي في أمرك. وراح قيس إليها، فأخبرها الخبر، فكتبت إلى علي تخبره بنصيحة قيس وأبيه في القديم والحديث، وتلومه على ما صنع، فكتب علي إلى قيس يعزم عليه إلا لحق به، قال: والله ما أخرج إليه إلا استحياء، وإني لأعلم أنه مقتول؛ معه جند سوء لا نية لهم. فقدم على علي فأكرمه وحباه. وأخبره قيس بخبره، وما كان يعمل بمصر، فعرف علي أن قيسا كان يداري أمرا عظيما من المكيدة التي قصر عنها رأي غيره، وأطاع علي قيسا في الأمر كله، وجعله على شرطة الخميس الذين كانوا يبايعون للموت.فكتب معاوية بن أبي سفيان إلى مروان بن الحكم[6]، والأسود بن أبي البختري[7] يتغيظ عليهما، وأنبهما أشد التأنيب وقال: أمددتما عليا بقيس بن سعد، برأيه ومكيدته؟ والله لو أمددتماه بمائة ألف مقاتل ما كان أغيظ لي بإخراج قيس بن سعد إليه!وكان قيس بن سعد لما قدم المدينة تآمر فيه الأسود بن أبي البختري، ومروان بن الحكم أن يبيتاه فيمن معهما، وبلغ ذلك قيسا، فقال: والله إن هذا لقبيح؛ أن أفارق عليا وإن عزلني، والله لألحقن به. وكان قيس بن سعد بن عبادة مع علي بن أبي طالب في مقدمته، ومعه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم بعدما مات علي. فلما دخل الحسن[8] في بيعة معاوية أبى قيس بن سعد أن يدخل، وقال لأصحابه: ما شئتم؟ إن شئتم جالدت بكم أبدا حتى يموت الأعجل*، وإن شئتم أخذت لكم أمانا. فقالوا: خذ لنا. فأخذ لهم: أن لهم كذا وكذا، ولا يعاقبون بشيء، وأنا رجل منهم، وأبى أن يأخذ لنفسه خاصة شيئا. فلما ارتحل نحو المدينة ومعه أصحابه جعل ينحر كل يوم جزورا حتى بلغ صرارا*. قالوا: لما تم الصلح بين الحسن ومعاوية، أرسل إلى قيس بن سعد يدعوه إلى البيعة فأتى به، وكان رجلا طويلا يركب الفرس المسرف، ورجلاه تخطان في الأرض، وما في وجهه طاقة شعر، وكان يسمى خصي الأنصار، فلما أرادوا أن يدخلوه إليه قال: إني قد حلفت أن لا ألقاه إلا وبيني وبينه الرمح أو السيف، فأمر معاوية برمح أو سيف فوضع بينه وبينه ليبر يمينه. وعن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان قال: دخل قيس بن سعد بن عبادة مع رهط من الأنصار على معاوية، فقال لهم معاوية: يا معشر الأنصار، بم تطلبون ما قبلي* ؟ فوالله لقد كنتم قليلا معي كثيرا علي، ولفللتم* حدي يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى في أسنتكم، ولهجوتموني بأشد من وخز الأشافي*، حتى إذا أقام الله ما حاولتم ميله، قلتم: ارع فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، هيهات، يأبى الحقين العذرة*! فقال قيس: نطلب ما قبلك بالإسلام الكافي به الله ما سواه، لا بما تمت به إليك الأحزاب، وأما عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك، وأما هجاؤنا إياك فقول يزول باطله، ويثبت حقه، وأما استقامة الأمر عليك فعلى كره كان منا، وأما فلنا حدك يوم صفين فإنا كنا مع رجل نرى طاعته لله طاعة، وأما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا فمن آمن به رعاها بعده، وأما قولك: يأبى الحقين العذرة. فليس دون الله يد تحجرك، فشأنك يا معاوية! فقال معاوية: سوءة*، ارفعوا حوائجكم، فرفعوها فقضاها. في رواية اليعقوبي قال: قدم معاوية بن أبي سفيان الكوفة فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد ذلكم، فإنه لم تختلف أمه بعد نبيها إلا غلب باطلها حقها، إلا ما كان من هذه الأمة، فإن حقها غلب باطلها. ثم نزل. وأحضر الناس لبيعته، وكان الرجل يحضر فيقول: والله يا معاوية! إني لأبايعك، وإني لكاره لك، فيقول: بايع، فإن الله قد جعل في المكروه خيرا كثيرا، ويأبى الآخر فيقول: أعوذ بالله من شر نفسك! وأتاه قيس بن سعد بن عبادة فقال: بايع قيس! قال: إن كنت لأكره مثل هذا اليوم، يا معاوية. فقال له: مه، رحمك الله! فقال: لقد حرصت أن أفرق بين روحك وجسدك قبل ذلك، فأبى الله، يا ابن أبي سفيان، إلا ما أحب. قال: فلا يرد أمر الله. قال: فأقبل قيس على الناس بوجهه، فقال: يا معشر الناس! لقد اعتضتم الشر من الخير، واستبدلتم الذل من العز، والكفر من الإيمان، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وابن عم رسول رب العالمين، وقد وليكم الطليق ابن الطليق يسومكم الخسف، ويسير فيكم بالعسف، فكيف تجهل ذلك أنفسكم، أم طبع الله على قلوبكم، وأنتم لا تعقلون؟ فجثا معاوية على ركبتيه ثم أخذ بيده وقال: أقسمت عليك! ثم صفق على كفه، ونادى الناس: بايع قيس! فقال، كذبتم، والله، ما بايعت، ولم يبايع لمعاوية أحد إلا أخذ عليه الأيمان، فكان أول من استحلف على بيعته، ودخل إليه سعد بن مالك[9] فقال: السلام عليك أيها الملك. فغضب معاوية فقال: أ لا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذاك إن كنا أمرناك إنما أنت منتزع (مغتصب!). قال المدائني: كتب معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة حين أبى المصير إليه، وكان مع الحسن بن علي رضي الله عنهما: يا يهودي بن اليهودي إنما أنت عبد من عبيدنا، فكتب إليه: يا وثن يا بن الوثن دخلتم في الإسلام كارهين وخرجتم منه طائعين. وعن علي بن سليم التميمي قال: قال معاوية لقيس بن سعد بن عبادة: والله يا قيس لقد كنت أكره أن تنجلي هذه الغمة وتنكشف هذه الهبوة وأنت حي، فقال قيس: وأنا والله يا معاوية قد كنت أكره أن تنجلي وأنت أمير المؤمنين.

---

*(ناب العرب) أي سيدهم (في سر) فلان في سر قومه أي في أفضلهم (يموت الأعجل) حتى يموت أعجلنا أجلا (صرار) موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق (الاشافي) واحدها إشفى وهو المثقب الذي يخرز به (أبى الحقين العذرة) يضرب مثلا للرجل يعتذر ولا عذر له. وأصله أن أعرابيا أتى حيا فسألهم اللبن فقيل له: ما عندنا لبن فالتفت إلى سقاء فيه لبن فقال: يأبى الحقين العذرة أي يأبى الحقين أن أقبل عذركم. أي هذا الحقين يكذبكم. والحقين: اللبن المحقون في محقن(فلل) فللت السيف فلا، إذا ثلمت حده. وكل شيء رددت حده أو ثلمته فقد فللته. والفل: القوم المنهزمون. والفل: الأرض القفر (السوءة) الفاحشة، وكل عمل وأمر شائن (ولفللتم حدي) في كتاب الإمتاع والمؤانسة قال: ولقد فللتم جندي (لم تطلبون ما قبلي؟) في رواية قال: لم تطلبون ما عندي

■ (1) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني من دهاة العرب، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب، والنجدة. وأحد الأجواد المشهورين. كان شريف قومه غير مدافع، وكان يحمل راية الأنصار مع النبي ويلي أموره، وفي البخاري أنه كان بين يدي النبي بمنزلة الشرطي من الأمير. وصحب عليا في خلافته، فاستعمله على مصر سنة 36 = 37 هـ، وعزل بمحمد بن أبي بكر. وعاد إلى علي، فكان على مقدمته يوم صفين. ثم كان مع الحسن بن علي حتى صالح معاوية، فرجع إلى المدينة. وتوفي بها في آخر خلافة معاوية سنة 60 هـ وقيل: هرب من معاوية سنة 58 هـ وسكن تفليس فمات فيها. ولم يكن في وجهه شعر. وكان من أطول الناس ومن أجملهم.

■ (8) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، أبو عبد الله، وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

■ (3) محمد بن أبي بكر الصديق، شهد مع علي وقعتي الجمل وصفين. وولاه علي إمارة مصر، بعد موت الأشتر فدخلها سنة 37 هـ. ولما اتفق علي ومعاوية على تحكيم الحكمين فات عليا أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر. وانصرف علي يريد العراق، فبعث معاوية عمرو بن العاص بجيش من أهل الشام إلى مصر، فدخلها حربا، بعد معارك شديدة، واختفى ابن أبي بكر، فعرف معاوية بن حديج مكانه، فقبض عليه وقتله وأحرقه سنة38 هـ، لمشاركته في مقتل عثمان بن عفان، وقيل: لم يحرق. ودفنت جثته مع رأسه في مسجد يعرف بمسجد زمام خارج مدينة الفسطاط.ومدة ولايته خمسة أشهر .

■ (5) أم المؤمنين، أم سلمة، هند بنت سهيل المخزومية، تزوجها النبي في السنة الرابعة للهجرة.وهي قديمة الإسلام، وكان لها يوم الحديبية رأي أشارت به على النبي دل على وفور عقلها ويفهم من خبر عنها أنها كانت تكتب وعمرت طويلا.واختلفوا في سنة وفاتها فقيل بالمدينة سنة 62 هـ

■ (4) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بـ الأشتر. أدرك الجاهلية وكان من أصحاب علي وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها.وحضر خطبة عمر في الجابية، وسكن الكوفة، وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها، وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي، وولاه علي مصر فقصدها فمات في الطريق سنة 37 هـ

■ (1) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة.مات بالمدينة سنة55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ..

■ (6) مروان بن الحكم أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان،واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثم عزله ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.توفي سنة 65 هـ

■ (7) الأسود بن أبي البختري واسمه العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي أمة عاتكة بنت أمية بن الحارث بن أسد قتل أبوه يوم بدر كافرا وأسلم هو يوم الفتح..؟

■ (9) سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد: صحابي، كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة، وله 1170 حديثا. توفي في المدينة سنة 74 هـ.

☪

قال ابن شهاب: كان يعدون دهاة العرب حين ثارت الفتنة خمسة رهط، يقال لهم: ذوو رأي العرب في مكيدتهم: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وقيس بن سعد، والمغيرة بن شعبة[1]. ومن المهاجرين عبد الله بن بديل بن ورقاء[2]. وكان قيس، وابن بديل مع علي رضي الله عنهم وكان المغيرة معتزلا بالطائف حتى حكم الحكمان واجتمعوا بأذرح*. عن قيس بن سعد قال: لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿المَكْرُ والخَدِيعَةُ في النَّارِ﴾، لكنت من أمكر هذه الأمة. قال ابن شهاب: كان قيس بن سعد يحمل راية الأنصار مع النبي صلى الله عليه وسلم. قيل: إنه كان في سرية فيها أبو بكر وعمر، فكان يستدين ويطعم الناس، فقال أبو بكر وعمر: إن تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه! فمشيا في الناس، فلما سمع سعد قام خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من يعذرني من ابن أبي قحافة وابن الخطاب؟ يبخلان علي ابني. قال سفيان: أقرض قيس بن سعد رجلا ثلاثين ألفا، فجاء يقضيه، فقال له قيس: إنا قوم إذا أعطينا شيئا لم نرجع فيه. وعن يحيى بن سعيد قال: كان قيس بن سعد بن عبادة يطعم الناس في أسفاره مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت لقيس بن سعد صحفة يدار بها حيث دار. قال: وكان إذا نفذ ما معه تدين، وكان ينادي في كل يوم: هلموا إلى اللحم والثريد. وعن موسى بن عقبة قال: وقفت على قيس بن سعد عجوز، فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان، فقال قيس: ما أحسن هذه الكناية! املؤوا بيتها خبزا، ولحما، وسمنا، وتمرا.

قال قيس بن سعد: تمنيت أن أكون في حال رجل رأيته؛ أقبلنا من الشام، فإذا نحن بخباء، فقلنا: لو نزلنا هاهنا، فإذا امرأة في الخباء، فلم نلبث أن جاء رجل بذود له، فقال لامرأته: من هؤلاء؟ قالت: قوم نزلوا بك، فجاء بناقة، فضرب عرقوبيها، ثم قال: دونكم، وقال: يا هؤلاء، انحروها. قال: فنحرناها ، فأصبنا من أطايبها. فلما كان من الغد جاءنا بأخرى، فضرب عرقوبيها، وقال: يا هؤلاء، انحروها. قال: فنحرناها، فقلنا اللحم عندنا كما هو! قال: إنا لا نطعم أضيافنا الغاب. قال: فقلت لأصحابي: إن هذا الرجل إن أقمنا عنده لم يبق عنده بعير، فارتحلوا بنا. وقلت لقيمي: اجمع ما عندك، قال: ليس إلا أربعمائة درهم، قلت: هاتها، وهات كسوتي. فجمعناه، فقلت: بادروه، فدفعنا إلى امرأته، ثم سرنا، فلم نلبث أن رأينا شخصا، فقلت: ما هذا؟ قالوا: لا ندري! فدنا، فإذا رجل على فرس يجر رمحه، فإذا صاحبنا، فقلت: واسوأتاه! استقل والله ما أعطيناه. قال: فدنا، فقال: دونكم متاعكم، فخذوه، فقلت: والله ما كان إلا ما رأيت، ولقد جمعنا ما كان عندنا، قال: إني والله لم أذهب حيث تذهبون، فخذوه، قلنا: فلا نأخذه، قال: والله لأميلن عليكم برمحي ما بقي منكم رجل أو تأخذونه، قال: فأخذناه، فولى وقال: إنا لا نبيع القرى*.(أَذْرُح) قرية في ما يسمى اليوم دويلة الأردن (القرى) ما يقدم إلى الضيف.

■ (2) عبد الله بن بديل بن ورقاء.كان من الدهاة الفصحاء، انتهت إليه رئاسة خزاعة.أسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وتبوك. وقاتل مع علي بصفين، فكان قائد الرجالة، ولم يزل يضرب حتى انتهى إلى معاوية فأزاله عن موقفه، فتكاثر عليه أصحاب معاوية، فقتل سنة37 هـ

■ (1) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية مع رسول الله، وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية، وكان موصوفا بالدهاء والحلم. وولي البصرة ثم الكوفة لعمر، وولي الكوفة بعد ذلك لمعاوية، فمات بها وهو وال عليها سنة 50 أو 51 هـ.

مراجع: تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ مجمع الأمثال/ مقاتل الطالبيين/ تهذيب اللغة/ جمهرة اللغة/ تاريخ اليعقوبي/ أنساب الأشراف/

روى شهاب الدين النويري: كان معاوية بن أبي سفيان[1] من الدهاة ؛ وله أخبار في الدهاء تدل على بعد غوره وحدة ذهنه. و من مكايد معاوية أن رجلا من قريش أسر فحمل إلى صاحب القسطنطينية*، فكلمه ملك الروم فجاوبه القرشي بجواب لم يوافقه؛ فقام إليه رجل من بطارقة* صاحب القسطنطينية فوكزه، فقال القرشي: وا معاوياه لقد أغفلت أمورنا وأضعتنا. فوصل الخبر إلى معاوية –عن طريق جواسيسه– فطوى عليه واحتال في فداء الرجل. فلما وصل إليه سأله عن أمره مع صاحب القسطنطينية وعن اسم البطريق الذي وكزه ؛ فلما عرفه أرسل إلى رجل من قواد صور الذين كانوا قواد البحر ممن عرف بالنجدة وغزو الروم، وقال له: أنشئ مركبا يكون له مجاديف في جوفه، واستعمل السفر إلى بلاد الروم، وأظهر أنك إنما تسافر لبلادهم على وجه السر والاستتار منا، وتوصل إلى صاحب القسطنطينية ومكنه من المال واحمل إليه الهدايا وإلى جميع أصحابه، ولا تعرض لفلان يعني الذي لطم الرجل القرشي واعمل كأنك لا تعرفه، فإذا كلمك وقال لك: لأي معنى تهادي أصحابي وتتركني، فاعتذر إليه وقل له: أنا رجل أدخل هذه المواضع مستترا ولا أعرف إلا من عرفت به، فلو عرفت أنك من وزراء الملك لهاديتك كما هاديت أصحابك، ولكني إذا انصرفت إليكم مرة أخرى سأعرف حقك. ففعل القائد ذلك. ولما انصرف إليهم ثانية هاداه وألطفه وأربى في هديته على أصحابه، ولم يزل حتى اطمأن إليه العلج*. فلما كان في إحدى سفراته قال له البطريق: كنت أحب أن تجلب لي من بلاد المسلمين وطاء* ديباج يكون على ألوان الزهر؛ قال: نعم. فلما انصرف أخبر معاوية بما طلبه البطريق؛ فأمر له ببساط على ما وصف، وقال: إذا دخلت وادي القسطنطينية فأخرجه وابسطه على ظهر المركب وتربص في الوادي حتى يصل الخبر إلى ذلك العلج، وابعث له في السر وتحين خروجه إلى ضيعته التي له على ضفة وادي القسطنطينية، فإذا وصلت إلى حد ضيعته فابتدئ بها، لعل يحمله الشره على الدخول إليك؛ فإذا حصل عندك في المركب فمر الرجال بإشارة تكون بينك وبينهم أن يستعملوا المجاديف التي في جوف المركب، وكر به راجعا إلى الشام. ففعل ما أمره به معاوية. وصادف وصول ذلك القائد وجود البطريق في ضيعته، فبسط ذلك البساط على ظهر المركب ووصل إلى عرض ضيعة العلج؛ فلما عاين البساط حمله الشره والحرص على أن دخل المركب، فلما صار في المركب أشار القائد إلى رجاله فرجعوا بالمركب بعد أن أوثق البطريق ومن معه، وسار بهم حتى قدم على معاوية. فأحضر معاوية البطريق ووقفه بين يديه، وأحضر القرشي وقال: هذا صاحبك ؟ قال: نعم؛ قال : قم فاصنع به ما صنع بك ولا تزد؛ فقام القرشي فوكزه كما كنا فعل به العلج. ثم قال معاوية للبطريق: ارجع إلى ملكك وقل له: تركت ملك الإسلام يقتص من أصحاب بساطك، وقال للذي ساقه: انصرف به إلى أول أرض الروم وأخرجه، واترك له البساط وكل ما سألك أن تجمل له من هدية. فانصرف به إلى فم وادي القسطنطينية، فوجد ملك الروم قد صنع سلسلة على فم الوادي ووكل بها الرجال، فلا يدخل أحد إلى الوادي إلا بإذنه؛ فأخرج العلج ومن معه وما معه. فلما وصل إلى ملكه ووصف له ما صنع به معاوية قال: هذا ملك كبير الحيلة. فعظم معاوية في أعينهم وفي نفوسهم فوق ما كان.

حدث عن عمر بن عبد العزيز قال: حدثني حرسي معاوية أنه قدم على معاوية بطريق من الروم، يعرض عليه جزية الروم عن كل من بأرض الروم من كبير أو صغير جزية دينارين دينلرين، إلا عن رجلين: الملك وابنه، فإنه لا ينبغي للملك وابنه أن يجزيا. فقال معاوية وهو في كنيسة من كنائس دمشق: لو صببتم لي دنانير جزية حتى تملؤوا هذه الكنيسة، ولا يجزى الملك وابنه؛ ما قبلتها منكم. قال الرومي: لا تماكرني، فإنه لا يماكر أحد مكرا إلا ومعه كذب. فقال معاوية: أراك تمازحني! قال الرومي: إنك اضطررتني إلى ذلك، وغزوتني في البر والبحر، والصيف والشتاء. أما والله يا معاوية لا تغلبونا لا بعدد ولا عدة، ولوددت أن الله جمع بيننا وبينكم في مرج، ثم خلى بيننا، ورفع عنا وعنكم النصر حتى ترى. قال معاوية: ما له، قاتله الله؟ إنه ليعرف أن النصر من عند الله!!

----

*(البطارقة) جمع بطريق، وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم، وهو ذو منصب وتقدم عندهم ورئيس رؤساء الأساقفة (الوطاء) البساط (العلج) الرجل الضخم من كبار العجم وبعض العرب يطلقه على الكافر مطلقا والجمع: علوج وأعلاج (الصائفة) الغزوة في الصيف (قسطنطينة) أو قسطنطينية بزيادة ياء مشددة، وقد تضم الطاء الأولى منها: دار ملك الروم، وفتحها من أشراط الساعة، وتسمى بالرومية بوزنطيا وتعرف الآن باسطنبول. وفاتح القسطنطينية.هو السلطان الغازي محمد الثاني.

■ (1) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

الإسلام

قال علي بن نايف: قال ابن العربي رحمه الله: روي أن بعض الملوك عاهد كفارا على أن لا يحبسوا أسيرا، فدخل رجل من المسلمين جهة بلادهم، فمر على بيت مغلق، فنادته امرأة: أني أسيرة، فأبلغ صاحبك خبري؛ فلما اجتمع به واستطعمه عنده وتجاذبا ذيل الحديث، انتهى الخبر إلى هذه المعذبة، فما أكمل حديثه حتى قام الأمير على قدميه وخرج غازيا من فوره، ومشى إلى الثغر حتى أخرج الأسيرة واستولى على الموضع رضي الله عنه. وبضدها تتميز الأشياء، فقد نقل ابن العربي عن نقيض هذا الأمير، فقال: ولقد نزل بنا العدو – قصمه الله – سنة سبع وعشرين وخمسمائة، فجاس ديارنا، وأسر خيراتنا، وتوسط بلادنا، في عدد هال الناس عدده، وكان كثيرا وإن لم يبلغ ما حددوه، فقلت للوالي والمولي عليه: هذا عدو الله قد حصل في الشرك والشبكة، فلتكن عندكم بركة، ولتظهر منكم إلى نصرة الدين المتعينة عليكم حركة، فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع الأقطار فيحاط به، فإنه هالك لا محالة إن يسركم الله له؛ فغلبت الذنوب، ورجفت القلوب بالمعاصي، وصار كل أحد من الناس ثعلبا يأوي إلى وجاره وإن رأى المكيدة بجاره، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل. قلت: كأن ابن العربي يحكي حالنا، وكانه مشاهد لواقعنا. رب وامعتصماه انطلقت ملأ أفواه الضحايا اليتم صادفت أسماعهم لكنها لم تصادف نخوة المعتصم.

قال الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ﴿لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِّ إِلَّا ضَرَبَهُمْ اللهُّ بِالذُّلِّ﴾ وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته[1] الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة[2]، وضرب على قلبه بالأسداد[3]، وأديل الحق منه[4]بتضييع الجهاد، وسيم الخسف[5]، ومنع النصف[6]..فو الله ما غزي قوم في عقر دارهم[7] إلا ذلوا. وعن طارق بن شهاب، قال: ﴿لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُّ تَعَالَى عَنْهُ الشَّامَ عَرَضَتْ لَهُ مَخَاضَةٌ، فَنَزَلَ عَنْ بَعِيرِهِ وَنَزَعَ خُفَّيْهِ فَأَمْسَكَهُمَا، وَخَاضَ الْمَاءَ وَمَعَهُ بَعِيرُهُ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ صَنِيعًا عَظِيمًا عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَصَكَّ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ: أَوْهِ لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ النَّاسِ فَأَعَزَّكُمُ اللهُ بِرَسُولِهِ، فَمَهْمَا تَطْلُبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِهِ يُذِلُّكُمُ اللهُ﴾ والمعنى: ينبغي أن يكون طلبكم العز بالدين، لا بصور الأفعال. وعن ثوبان مولى النبي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا، قُلْنَا: مِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: لا، أَنْتُم يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْزَعُ اللهُّ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوب عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ ، قِيلَ: وَمَا الْوَهَنُ ؟ قَالَ: حُبُّكُمُ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتُكُمُ الْقِتَالَ﴾ وعن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:﴿يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهَّ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهَّ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُّ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهَّ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُّ، إِلَّا جَعَلَ اللهُّ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ قالت العلماء: هذه المهلكات الخمس، هي فينا شاخصة، تكاد تراها حيث وقع بصرك.

----

*(بابك الخرمي) زعيم الخرمية قاد ثورة على العباسيين في أذربيجان، أسره المعتصم بالله ثم صلبه في سامراء (1) الوقاية (2) ديث: ذلل، الصغار: الذل والصغر، القماءة: الذل والصغار (3) الأسداد: الحجب التي تحجب عنه الهدي والرشاد (4) أديل الحق منه: تحول الأمر عنه إلى الحق فألمت به الكوارث (5) سيم الخسف: أصبح محل الإذلال و المهانة (6) منع النصف: النصف: العدل: أي حرم العدل (7) عقر الدار: وسطها وأصلها، تواكلتم: وكل كل منكم أمر الجهاد إلا الآخر.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام/ موسوعة الخطب والدروس/.

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) والمسور بن مخرمة 0272

عن عروة بن الزبير[1]: أن المسور بن مخرمة[2] أخبره أنه قدم وافدا على معاوية بن أبي سفيان، فقضى حاجته، ثم دعاه فأخلاه، فقال: يا مسور،ما فعل طعنك على الأئمة؟ قال مسور: دعنا من هذا وأحسن فيما قدمنا له. قال معاوية: لا والله لا تكلمني بذات نفسك بالذي تعيب علي. قال لمسور: فلم أترك شيئا أعيبه عليه إلا بينته له. فقال معاوية: لا براء من الذنب، فهل تعد يا مسور مما تلي من الإصلاح في أمر العامة، فإن الحسنة بعشر أمثالها، أم تعد الذنوب وتترك الإحسان ؟ قال المسور: لا والله ما نذكر إلا ما ترى من هذه الذنوب. فقال له معاوية: فإنا نعترف لله كل ذنب أذنبناه، فهل لك يا مسور ذنوب في خاصتك تخشى أن تهلك إن لم غفرها الله لك ؟ قال مسور: نعم. قال: فما يجعلك برجاء المغفرة أحق مني؟ فوالله لما ألي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولكن والله لا أخير بين أمرين بين الله وغيره إلا اخترت الله على سواه، وإني لعلي دين يبل فيه العمل، ويجزي فيه بالحسنات، ويجزي فيه بالذنوب، إلا أن يعفو الله عنها، وإني أحتسب كل حسنة عملتها بأضعافها من الأجر، وألي أمورا عظاما لا أحصيها ولا يحصيها من عمل الله بها في إقامة الصلاة للمسلمين، والجهاد في سبيل الله، والحكم بما أنزل الله، والأمور التي لست أحصيها عددا فيكفي في ذلك. قال المسور: فعرفت أن معاوية قد خصمني حين ذكر ما ذكر.

وفي رواية عن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبيه عن جده المسور قال: دخلت على معاوية فقلت: السلام عليك أيها الملك، فقال: قد علمت أحسن ما قلت فكيف طعنك على الأمراء؟ فلم أدع شيئا إلا بكته* به، فقال: يا مسور إنا غير متبرئين من الذنوب*ونرجو رحمة الله ؛ إني لعلى شريعة يقين يقبل الله معها الحسنى ويتجاوز عن السوآى، ولو خيرت بين الله وما سواه لاخترته، ثم قضى حوائجه. قال عروة بن الزبير: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلى عليه.

عن الوقاصي قال: قدم المسور بن مخرمة على معاوية فقال له: بلغني أنك تنتقصني، فإذا نقمت فيه علي؟ هل تعلم أني أقاتل عدو المسلمين وأجبي فيئهم وأعنى بأمورهم، وأصل وافدهم؟ فقال: اللهم نعم، قال: فنشدتك الله أتذنب؟ قال: نعم، قال: فما جعلك أحق برجاء المغفرة مني: قال: غفر الله لك يا أمير المؤمنين.

----

*(بكته) بكت: الغلبة بالحجة، يقال: بكته، وبكته، حتى أسكته. وفي الأساس: ألزمه بالسكت، لعجزه عن الجواب عنه. وبكته تبكيتا إذا قرعه بالعذل تقريعا.(غير متبرئين من الذنوب) عن شداد بن أوس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ﴾

■ (2) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، كنيته أبو عبد الرحمن. ولده بمكة سنة 2 هـ وقدم به المدينة سنة 8 هـ عام الفتح. كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم أدرك النبي وهو صغير وسمع منه وحج معه، وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف ليالي الشورى حفظ عنه أشياء روى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة شهد فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد وهو الذي حرض عثمان على غزوها ثم كان مع ابن الزبير فأصابه حجر من حجارة المنجنيق في الحصار بمكة وهو يصلي في الحجر، فأقام خمسة أيام ثم هلك في اليوم الذي جاء فيه نعي يزيد بن معاوية سنة 64 هـ وصلى عليه ابن الزبير بالحجون.

■ (1) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة من التابعين. ولد سنة 23 هـ كان عالما بالدين، صالحا كريما، لم يدخل في شئ من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين. وعاد إلى المدينة فتوفي فيها سنة 93 هـ. وهو أخو عبد الله بن البير لابيه وأمه.

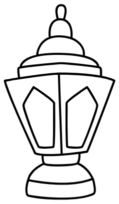

المسور بن مخرمة أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو عثمان، له صحبة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث، وقدم دمشق برسالة عثمان إلى معاوية يستدعيه إليه لأجل الذين حصروه، ثم قدمها ثانية وافدا على معاوية في خلافته. قال الزبير بن بكار: وكان المسور ممن يلزم عمر بن الخطاب ويحفظ عنه، وكان من أهل الفضل والدين، ولم يزل مع خاله عبد الرحمن مقبلا ومدبرا في أمر الشرى حتى فرغ عبد الرحمن، ثم انحاز إلى مكة حين توفي معاوية، وكره بيعة يزيد، فلم يزل هناك حتى قدم الحصين بن نمير، وحضر حصار عبد الله بن الزبير وأهل مكة، وكانت الخوارج تغشى المسور بن مخرمة وتعظمه، وينتحلون رأيه، حتى قتل تلك الأيام، أصابه حجر المنجنيق، فمات في ذلك. وعن زيد بن أسلم، قال: أغمي على المسور بن مخرمة، ثم أفاق فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أحب إلي من الدنيا وما فيها، عبد الرحمن بن عوف في الرفيق الأعلى: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء]، عبد الملك والحجاج يجران أمعاءهما في النار. وعن المسور، قال: لقد وارت القبور رجالا لو رأوني مجالسكم في هذا المجلس لاستحييت من ذلك.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

عن الحسن قال: دخل أبو سعيد الخدري[1] على معاوية فسلم، ثم جلس فقال: الحمد لله الذي أجلسني منك هذا المجلس، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا رَأَى الْحَقَّ أَوْ عَلِمَهُ أَنْ يَقُولَ بِهِ﴾ وإنه بلغني عنك يا معاوية كذا وكذا، وفعلت كذا وكذا. قال: فعدد عليه أشياء من فعاله، ومما بلغه عنه، فقال له معاوية: أفرغت؟ قال: نعم. قال: فانصرف، فخرج أبو سعيد من عنده وهو يقول: الحمد لله، الحمد لله.

عن أبي سعيد الخدري قال: عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿لاَ أَعْرِفَنَّ رَجُلاً مِنْكُمْ عَلِمَ عِلْمًا فَكَتَمَهُ فَرَقًا مِنَ النَّاسِ﴾ قال: فحملني ذلك إلى أن سرت إلى معاوية فقلت: ما بالكم تأخذون الصدقة على غير وجهها، ثم تضعونها في غير أهلها؟ فقال: مه* يا أبا سعيد! قلت: وما بالكم يكون لكم الأولاد فتؤثرون بعضهم على بعض والله يوصيكم في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين!؟ قال: فدعا كاتبه وكتب بها إلى الآفاق ونهى عن الأولى.

----

*(مه) كلمة زجر بمعنى كف واسكت وانته

■ (1) سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد: صحابي، كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة، وله 1170 حديثا. توفي في المدينة سنة 74 هـ.

عن سهل بن سعد قال: بايعت النبي صلى الله عليه وسلم أنا، وأبو ذر، وعبادة بن الصامت، وأبو سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، وسادس، على أن لا تأخذنا في الله لومة لائم، وأما السادس فاستقاله فأقاله. وكان أبو سعيد من أفاضل الأنصار، وورد المدائن في حياة حذيفة بن اليمان، وبعد ذلك مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما حاب الخوارج بـ النهروان.

عن يزيد بن عبد الله بن الشخير قال: لما استفتحت المدينة يعني يوم الحرة دخل أبو سعيد الخدري غارا، فدخل عليه رجل من أهل الشام فقال: لا أخرج وإن تدخل علي أقتلك. فدخل عليه، فوضع أبو سعيد السيف وقال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة] قال: أنت أبو سعيد؟ قال: نعم. قال: استغفر لي غفر الله لك. وعن أبي سعيد الخدري قال: لزمت بيتي ليالي الحرة فلم أخرج، فدخل علي نفر من أهل الشام فقالوا: أيها الشيخ، أخرج ما عندك. فقلت: والله ما عندي مال. قال: فنتفوا لحيتي وضربوني ضربات، ثم عمدوا إلى بيتي فجعلوا ينقلون ما خف لهم من المتاع، حتى إنهم يعمدون إلى الوسادة والفراش فينفضون صوفهما ويأخذون الظرف، حتى لقد رأيت بعضهم أخذ زوج حمام كان في البيت. ثم خرجوا.

عن أبي سعيد الخدري أنه قال: لما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه أمراء الأجناد والدهاقين، وعمر على جمل عليه رحل رثة، مثرته مسك جدي، فأتى على نهر فنزل عن بعيره وأخذه بخطامه وخطامه من ليف فرفع ثوبه على ساقيه، فأخاض بعيره فقال له بعض من معه: يا أمير المؤمنين، قد أعدت لك مراكب وكسوة، فلو ركبت بعض تلك المراكب ولبست بعض تلك الكسوة كانت أرعب للعدو وأبعد في الصوت. فقال: أنتعزز بغير ما أعزنا الله به!؟ قال: ثم قام خطيبا فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا مقامي فيكم فقال: ﴿أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي والَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَمَا اسْتُحْلِفَ، وَيَشْهَدَ وَمَا اسْتَشْهَدَ، فَمَنْ سَرَّهُ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنْ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَإِيَّاكُمْ وَحَدِيثُ النِّسَاءِ، وَأَنْ لاَ يَخْلُو بِهِنَّ إِلاَّ مُحْرِمٌ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو رَجُلٌ بِامْرَأَة لَيْسَتْ لَهُ بِمَحْرَمٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، وَمَنْ سَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ وَسَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ فَذَلِك الْمُؤْمِنُ﴾.

عن أبي نضرة العبدي قال: كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة وخمسا بالعشي، ويخبر أن جبريل صلى الله عليه وسلم نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات. وعنه قال: قلت لأبي سعيد: إنك تحدثنا أحاديث معجبة، وإنا نخاف أن نزيد أو ننقص فلو أنا كتبنا؟ قال: لن نكتبكم، ولن نجعله قرآنا، ولكن احفظوا عنا كما حفظناه. وفي رواية قال: أتريدون أن تجعلوها مصاحف!؟ إن نبيكم صلى الله عليه وسلم كان يحدثنا الحديث، فاحفظوا منا كما حفظناه منه.وزاد في حديث آخر: فكان أبو سعيد يقول: تحدثوا فإن الحديث يذكر بعضه بعضا.

وعن ابنة أبي سعيد الخدري قالت: لما حضر أبو سعيد بعث إلى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم: ابن عباس، وابن عمر، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله فقال: لا يغلبنكم ولد أبي سعيد، إذا أنا مت، فكفنوني فيها، وأجمروا علي بوقية مجمر، ولا تضربوا على قبري فسطاطا، ولا تتبعوني بنار، واجعلوا في سريري قطيفة أرجوان، ولا تتبعني باكية. قال: ففعلوا ما أمرهم.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: دخلت على أبي سعيد الخدري عند موته فدعا بثياب جدد فلبسها ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ الْمَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا﴾ فإذا مت فلا تتبعوني بنار، ولا تجعلوا علي قطيفة حمراء، ولا تبك علي باكية. وعن أم عبد الرحمن بنت أبي سعيد قالت: لما احتضر أبو سعيد حضره ابن عمر وابن عباس فقال لهم: إذا حملتم فأسرعوا، أي أسرعوا بي. وعن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: قال لي أبي: يا بني، إني قد كبرت سني وحان مني، خذ بيدي. فاتكأ علي حتى جاء البقيع مكانا لا يدفن فيه فقال: إذا هلكت فادفني هاهنا، ولا تضربن علي فسطاطا، ولا تمشين معي بنار، ولا تبك علي باكية، ولا تؤذن أحدا، وليكن مشيك بي خببا، فجعل الناس يأتوني فيقولون: متى تخرج به؟ فأكره أن أخبرهم وقد نهاني، فقلت: إذا فرغت من جهازه، فخرجت به من صدر يوم الجمعة، فوجدت البقيع قد ملىء علي ناسا. توفي أبو سعيد بعد الحرة، وكانت الحرة سنة إحدى وستين، وتوفي أبو سعيد سنة ثلاث وستين، وقيل: توفي سنة أربع وستين، وقيل: توفي سنة أربع وسبعين.

مراجع: المحاسن والمساوئ/ الأعلام للزركلي/

كان أهل المدينة إذا نسبوا رجلا إلى الإقبال قالوا: لقي ليلة كثير بن الصلت[1] .قال أبو مسكين:فسألت شيخاهم عن ذلك فقالوا: أمر معاوية رجلا من آل أبي بكر أن يبتني له منزلا بالمدينة، ينزله إذا اجتاز إلى مكة، ففعل، وأقبل معاوية والبكري يسايره، إذ نظر من القبة (الثنية) إلى منزل كثير بن الصلت الكندي أحد بني وليعة*، وهم أخوال علي بن عبد الله بن العباس[2]، فقال معاوية للبكري، أمنزلي هذا؟ فقال: ليس به يا أمير المؤمنين، ومنزلك قريب، ولو قد صرت إلى قرار المصلى لقد رأيته، وهذا منزل كثير بن الصلت.فقال معاوية: إن منزل كثير لهنيء، أفتراه بائعه؟ ونظر إلى كثير في موكبه على بعير له، فبعث إليه، فدعاه، وسايره، وسأله عن رأيه في المنزل، فقال: لست أقدر على بيعه يا أمير المؤمنين. قال: أوليس لك؟ قال: بلى، ولكن قدمنا هذا الحرم ونحن ننسب إلى آبائنا ونعرف بأحسابنا، فاستولى على ذلك هذا المنزل، وصرنا نعرف به، وفيه بعد سبعون مختمرة*، ليس يحول بين الناس وبين معرفة حالهن إلا حائطه، ولو خرجن منه كشف منهن ما لا نقدر على احتماله. فقال: إني أيمنك، وأنيخ بعيرك فأصب على هامته وسنامه حتى أواريهما. فقال: يا أمير المؤمنين، إني لا أجد إلى ذلك سبيلا لما أعلمتك، وكانت له نفس شديدة. فقضى معاوية حجه، وفيه عنه إعراض، وقد كان أسلفه مئتي ألف درهم في غرم له فلما نفذ معاوية أوصى مروان بن الحكم[3] بقبض المال منه،وقال: إن استأجلك فأجله أجلا قصيرا، فإن وافاك بالمال، وإلا فبع ربعه وملكه حتى تستوفي ذلك منه. وكان الذي بين مروان وكثير قبيحا. فلما نفذ معاوية أرسل مروان إلى كثير، فأعلمه ما أمر به فيه، فاستأجله شهرا فقبل وقال: في شهر ما كفى. ورجع كثير إلى منزله وقد ضاقت به الأرض، فدعا ابنه الزبير[4]وكان به يكنى، وقال: يا بني، إنا لسنا نجد لنا خيرا من أمير المؤمنين وإن كان قد أمر فينا بها أمر، فكتب له ووجهه وعظم الحق فلما كان في آخر يوم في الأجل، ولم يأته عن ابنه خبر، علم أن مروان سيهجم عليه بما يكره، فأتى سعيد بن العاص[5]، فقال له: ما جاء بك؟ قال: الشر، قال: لا شر عليك، فأخبره بخبره، فقال له سعيد: إن أحببت أن أتولى المال ودفعه، واكتتاب البراءة لك بذلك فعلت، وإن شئت حمل إليك. فجزاه خيرا، وانصرف. حتى إذا كان ببعض الطريق ذكر قيس بن سعد بن عبادة[6]، فقال: قيس سيد هذا الحرم من ذي يمن، وقد ابتليت بها علم، فلو أتيته، وأسندت أمري إليه لكان لي عون صدق. فجاء إلى قيس، فقال له: ما جاء بك؟ قال: الشر. قال: لا شر عليك. فأخبره خبره، فقال له قيس: أمسيت عن حاجتك وهي مصبحتك غدا إلى منزلك، وإن أحببت ولينا حملها عنك إلى مروان. فانصرف كثير حتى إذا أخذ بحلقة باب داره ذكر عبد الله بن جعفر[7] ذي الجناحين، فقال: ما فيهم أحد أشد إكراما لي منه، وإن بلغه ما صنعت، وما صنع الرجلان لم أستقله منه أبدا، فدخل إليه، وهو يتعشى وبين يديه شمعة عظيمة، فسمع وطء كثير، وكان جسيما، فلما دخل عليه قال: يا أبا الزبير، العشاء. قال: قد أصبت منه ما كفى، قال: ما جاء بك؟ قال: الشر. قال: لا شر عليك، فأخبره الخبر، فالتفت إلى هانيء وكيله قال: ما عندك؟ قال: مئة ألف. قال: ما جاء من شيء نصفه إلا تم بإذن الله، ثم نظر في وجوه جلسائه، ومعه رجل من بني الأرقط من ولد علي، فضحك وقال: هي عندي. قال: من أين لك؟ قال: من فضول صلاتك أجمعها، لأفتكك بها مما أنت فيه. فانصرف كثير إلى منزله، فبات آمنا وأمن نساؤه وحرمه. فلما كان في السحر ضرب عليه الباب، فإذا ابنه الزبير قد قدم بكتاب معاوية إلى مروان ألا يعرض له، وكتب براءة له، فأصبح غاديا إلى مروان، فدفع كتبه إليه، وانصرف إلى سعيد بن العاص، فإذا البدر* على ظهر الطريق، فلما نظر إليه قال: أحوجنا أبا الزبير إلى الغدو. قال: ما لذلك جئت، ولكني أتيتك لأسرك، وأشكرك، وأقرك مالك. هذا كتاب أمير المؤمنين. فقرأه، وقال: أتراني راجعا في شيء أمرت لك به؟ لا يكون هذا أبدا. ارجع وحمل معه المال. فأتى قيس بن سعد فإذا المال مجموع، فأخبره خبره، فقال: أفأرده يا أبا الزبير في مالي، وقد أمرت لك به؟! والله لا يكون هذا! احملها يا غلام معه. ثم أتى عبد الله بن جعفر، فأخبره خبره، فقال: ما كنت أرجع في شيء أمرت لك به. فقال كثير: أما ما كان من عندك قبضته، وأما ما استقرضته فلا أريده. فقال عبد الله: أنا على قضاء الديون أقوى منك على اكتساب المال، ولك خروق فارقعها به فانصرف بها، فصار مثلا في المدينة.

----

*(مختمرة) اختمرت: غطت رأسها بثوب (البدرة) كيس فيه ألف، أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار. والجميع: البدور وثلاث بدرات (بني وليعة) هم أخواله من الكندة، وأمه زرعة بنت مشرح الكندية، ثم أحد بني وليعة،

■ (1) كثير بن الصلت بن معدي كرب الكندي أبو عبد الله. أصله من اليمن، ومنشأه في المدينة. كان كبيرا مطاعا في قومه، وله بالمدينة دار كبيرة بالمصلى، يقال انه ولد في عهد النبي قيل: إنه أدرك النبي. وهو أخو زبيد بن الصلت. وكان كاتبا لعبد الملك بن مروان على الرسائل. وقيل: أن كثير بن الصلت كان اسمه قليلا فسماه رسول الله كثيرا، وقيل: سماه عمر بن الخطاب كثيرا. ومات بعد أن عمر نحو 70 هـ

■ (3) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، الأموي القرشي، أبو عبد الملك. بايع نفسه بالخلافة من غير عهد ولا مشورة، بعد خلع معاوية بن يزيد. وقيل: بعد خلع خالد بن يزيد.ولقب: المؤتمن بالله.والحكم والده هو طريد النبي صلى الله عليه وسلم نفاه إلى الطائف؛ فأقام بالطائف حتى تخلف عثمان أذن له بالعود إلى المدينة. قال ابن سعد: كانوا ينقمون على عثمان تقريب مروان وتصرفه في الأمور. بعد أن شارك في وقعة الجمل أقام بالمدينة حتى استخلف معاوية. مات سنة 65 هـ بدمشق، وقيل: مات مطعونا. وكان مروان كاتبا لعثمان بن عفان. وهو من أعظم الأسباب في زوال دولة عثمان وكانت خلافته نحو تسعة أشهر. وقيل أكثر من ذلك.وتخلف من بعده ابنه عبد الملك.

■ (5) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

■ (6) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني من دهاة العرب، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب، والنجدة. وأحد الأجواد المشهورين. كان شريف قومه غير مدافع، وكان يحمل راية الأنصار مع النبي ويلي أموره، وفي البخاري أنه كان بين يدي النبي بمنزلة الشرطي من الأمير. وصحب عليا في خلافته، فاستعمله على مصر سنة 36 = 37 هـ، وعزل بمحمد بن أبي بكر. وعاد إلى علي، فكان على مقدمته يوم صفين. ثم كان مع الحسن بن علي حتى صالح معاوية، فرجع إلى المدينة. وتوفي بها في آخر خلافة معاوية سنة 60 هـ وقيل: هرب من معاوية سنة 58 هـ وسكن تفليس فمات فيها. ولم يكن في وجهه شعر. وكان من أطول الناس ومن أجملهم.

■ (7) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، الحبشي المولد. له صحبة، ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وله وفادة على معاوية، وعلى عبد الملك. ولد سنة1 هـ ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ. ويقال سنة 90 هـ.

■ (2) أبو محمد، علي بن عبد الله بن العباس، وهو جد السفاح والمنصور؛ كان سيدا شريفا بليغا، وهو أصغر ولد أبيه، وكان أجمل قرشي على وجه الأرض وأوسمه وأكثره صلاة، وكان يدعى السجاد لذلك. وذكر الطبري في تاريخه إنه دخل على عبد الملك بن مروان فأكرمه وأجلسه على سريره وسأله عن كنيته فأخبره، فقال: لا يجتمع في عسكري هذا الاسم وهذه الكنية لأحد، وسأله: هل له من ولد وكان قد ولد له يومئذ محمد بن علي، فأخبره بذلك فكناه أبا محمد.وكانت وفاة علي بن عبد الله سنة 117 أو 118 هـ بالشراة بالحميمة وهو ابن ثمانين سنة. وقيل ولد في الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب سنة 40 هـ ، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

■ (4) الزبير بن كثير بن الصلت الكندي المدني. هو الذي توجه بكتاب أبيه إلى معاوية بسبب بيع دراهم (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

في رواية عبد الله بن المبارك عن جويرية قال: كتب معاوية إلى مروان: أن اشتر دار كثير بن الصلت منه فأبى عليه فكتب معاوية إلى مروان: أن خذه بالمال الذي عليه فإن جاء به وإلا بع عليه داره. فأرسل إليه مروان فأخبره وقال: إني أؤجلك ثلاثا، فإن جئت بالمال وإلا بعت عليك دارك. قال: فجمعها إلا ثلاثين ألفا فقال: من لي بها؟ ثم ذكر قيس بن سعد بن عبادة فأتاه فطلبها منه فأقرضه فجاء بها إلى مروان، فلما رآه أنه قد جاءه بها ردها إليه ورد عليه داره فرد كثير الثلاثين ألفا على قيس فأبى أن يقبلها. قال ابن المبارك: فزعم لي سفيان بن عيينة عن موسى بن أبي عيسى أن رجلا استقرض من قيس بن سعد بن عبادة ثلاثين ألفا فلما ردها عليه أبى أن يقبلها وقال: إنا لا نعود في شيء أعطيناه. وهو القائل بصفين: هذا اللواء الذي كنا نحف به..مع النبي وجبريل لنا مدد..ما ضر من كانت الأنصار عيبته..ألا يكون له من غيرهم أحد..قوم إذا حاربوا طالت أكفهم..بالمشرفية حتى يفتح البلد.

عن همام سمع أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَوْ كَانَ عِنْدِي أُحُدٌ ذَهَبًا لَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا يَأْتِيَ عَلَيَّ ثَلَاثٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ لَيْسَ شَيْءٌ أَرْصُدُهُ فِي دَيْنٍ عَلَيَّ أَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهُ﴾ وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ وَلَمْ يَتْرُكْ وَفَاءً فَعَلَيْنَا قَضَاؤُهُ وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ﴾ وعن عبد الله بن جعفر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الدَّائِنِ حَتَّى يُقْضَى دَيْنُهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِيمَا يَكْرَهُ اللَّهُ، قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ يَقُولُ لِخَازِنِهِ: اذْهَبْ فَخُذْ لِي بِدَيْنٍ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَبِيتَ لَيْلَةً إِلَّا وَاللَّهُ مَعِي بَعْدَمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ وعن جابر بن عبد الله قال: ﴿أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ غُلَامًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ وَكَانَ مُحْتَاجًا وَكَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَبَاعَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: اقْضِ دَيْنَكَ وَأَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ﴾.

عن ضرار بن صرد* حدثنا عاصم بن حميد عن أبى حمزة الثمالي عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا سبحان الله، ما أزهد كثيرا من الناس في خير! عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم في الحاجة، فلا يرى نفسه للخير أهلا، فلو كان لا يرجو ثوابا، ولا يخشى عذابا لكان ينبغي أن يسارع في مكارم الأخلاق، فإنها تدل على سبيل النجاح. فقام إليه رجل وقال: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين، أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، وما هو خير منه، لما أتي بسبايا طيىء، وقعت جارية حمراء لعساء ذلفاء عيطاء شماء الأنف، معتدلة القامة والهامة، درماء الكعبين*، خدلجة الساقين*، لفاء الفخذين، خميصة الخصرين، ضامرة الكشحين، مصقولة المتنين، قال: فلما رأيتها أعجبت بها وقلت: لأطلبن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعلها في قبتي فلما تكلمت أنسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها، فقالت: يا محمد، إن رأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بي أحياء العرب، فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيىء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا جَارِيَةُ، هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا، لَوْ كَانَ أَبُوك مُسْلِمًا لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ، خَلُّوا عَنْهَا فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ﴾. فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله، والله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِحُسْنِ الْخُلُقِ﴾.

----

* (درماء الكعبين) درم كفرح معناه: الساق والكعب أو العظم، وأراه اللحم حتى لم يبين له حجم، (وخدلة الساقين) بفتح الخاء وسكون الدال: معناه المرأة الغليظة الساق المستديرتها. (عن ضرار بن صرد...) أخرجه ابن عساكر وفيه ضرار بن صرد متروك

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ الأعلام للزركلي/ مسند الصحابة في الكتب التسعة / كنز العمال/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وسلمة بن الخطل الكناني العرجي 0275

قال يعقوب بن داود: خطب معاوية يوما بدمشق، فقال: إن الله عز وجل ولى عمر بن الخطاب، فولاني بعض ما ولاه الله، فوالله ما خنته، ولا كذبته، ولا حالفت عليه، ثم ولاني الله الأمر فتقدمت وتأخرت، وأخطأت وأحسنت، فمن أنكرني فقد عرفت نفسي، فقام إليه سلمة بن الخطل[1] أحد بني عريج بن عبد مناة بن كنانة فقال: والله يا معاوية لقد أنصفت، وما كنت منصفا، قال: وما أنت وذاك يا احدب؟ فكأني أنظر إلى حفش بيتك* من مهيعة* مربوطا بطنب* منه تيس، وبطنب منه بهمة*، تخفق فيه الريح بمثل جناح النسر، بفنائه أعنز عشر، درهن قليل تحلبهن في مثل قوارة* حافر حمار. قال: رأيت والله ذلك في زمن علينا ولا لنا، والله إن حشوه يومئذ لحسب غير دنس، فهل رأيتني قتلت مسلما أو كسبت محرما؟ قال: وأين أنت حتى أراك؟ أنت لا تبرز إلا في غمار الناس، وأي مسلم تقوى عليه حتى تقتله، وأي مكسب تقدر عليه حتى تكسبه، اجلس لا جلست، قال: لا والله، وكني أذهب حيث لا أسمع صوتك. قال: إلى أبعد الأرض لا إلى أقربها. قال: فمضى ساعة وهو ينظر في قفاه ويقول: اللهم، لا تصحبه، ثم قال: كروه علي فكروه، فقال: أستغفر الله منك، بلى والله، لقد رأيتك حيث أعرفك، قد أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فرد عليك، وأهديت إليه فقبل منك، وأسلمت، فكنت من صالحي قومك، وإنك لفي شرف منهم، وإنك لخالي، وإن أباك يوم طرف البلقاء لذو عناء، اجلس حتى أفرغ لك، ثم مضى في خطبته. فلما فرغ وصله، وأحسن إليه.

---

*(حفش بيتك) في القاموس: احفاش البيت: قماشه ورذال متاعه (مهيعة) مضع قريب من الجحفة (الطنب) حبل طويل يشد به سرادق البيت (البهمة) ولد الضأن (القوارة) ما استدار من باطن الحافر

■ (1) سلمة بن الخطل الكناني. أحد بني عريج بن عبد مناة بن كنانة، من ساكني الحجاز. يقال: إن له صحبة، وفد إلى معاوية. قال الحافظ: ولا أعرف له حديثا مسندا.

قال بعض العلماء: معاوية ممن حسن إسلامه باتفاق أهل العلم ولهذا ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه موضع أخيه يزيد بن أبي سفيان لما مات أخوه يزيد بالشام وكان يزيد بن أبي سفيان من خيار الناس وكان أحد الأمراء الذين بعثهم أبو بكر وعمر لفتح الشام يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل ابن حسنة وعمرو بن العاص مع أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد فلما توفي يزيد بن أبي سفيان ولى عمر مكانه أخاه معاوية وعمر لم يكن تأخذه في الله لومة لائم وليس هو ممن يحابي في الولاية ولا كان ممن يحب أبا سفيان أباه بل كان من أعظم الناس عداوة لأبيه أبي سفيان قبل الإسلام حتى أنه لما جاء به العباس يوم فتح مكة كان عمر حريصا على قتله حتى جرى بينه وبين العباس نوع من المخاشنة بسبب بغض عمر لأبي سفيان فتولية عمر لابنه معاوية ليس لها سبب دنيوي ولولا استحقاقه للإمارة لما أمره ثم إنه بقى في الشام عشرين سنة أميرا وعشرين سنة خليفة ورعيته من أشد الناس محبة له وموافقة له وهو من أعظم الناس إحسانا إليهم وتأليفا لقلوبهم حتى أنهم قاتلوا معه على بن أبي طالب وصابروا عسكره حتى قاوموهم وغلبوهم وعلي رضي الله عنه أفضل منه وأعلى درجة وهو أولى بالحق منه باتفاق الناس وعسكر معاوية يعلمون أن عليا أفضل منه وأحق بالأمر ولا ينكر ذلك منهم إلا معاند أو من أعمى الهوى قلبه ولم يكن معاوية قبل تحكيم الحكمين يدعى الأمر لنفسه ولا يتسمى بأمير المؤمنين بل إنما ادعى ذلك بعد حكم الحكمين وكان غير واحد من عسكر معاوية يقول له: لماذا تقاتل عليا وليس لك سابقته ولا فضله ولا صهره وهو أولى بالأمر منك؟ فيعترف لهم معاوية بذلك، لكن قاتلوا مع معاوية لظنهم أن عسكر علي رضي الله عنه فيه ظلمة يعتدون عليهم كما اعتدوا على عثمان رضي الله عنه وأنهم يقاتلونهم دفعا لصيالهم عليهم وقتال الصائل جائز ولهذا لم يبدؤوهم بالقتال حتى بدأهم أولئك ولهذا قال الأشتر النخعي: إنهم ينصرون علينا لأنا نحن بدأناهم بالقتال.

وقال: فلم يكن من ملوك المسلمين ملك خير من معاوية ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيرا منهم في زمن معاوية إذا نسبت أيامه إلى أيام من بعده وأما إذا نسبت إلى أيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ظهر التفاضل وقد روى أبو بكر الأثرم ورواه ابن بطة من طريقه حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة حدثنا محمد بن مروان عن يونس عن قتادة قال: لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم هذا المهدي، وكذلك رواه ابن بطة بإسناده الثابت من وجهين عن الأعمش عن مجاهد قال: لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي، ورواه الأثرم حدثنا محمد بن حواش حدثنا أبو هريرة المكتب قال: كنا عند الأعمش فذكروا عمر بن عبد العزيز وعدله فقال الأعمش: فكيف لو أدركتم معاوية قالوا: في حلمه، قال: لا والله بل في عدله وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق قال: لما قدم معاوية فرض للناس على أعطيه آبائهم حتى انتهى إلي فأعطاني ثلاثمائة درهم، وقال عبد الله: أخبرنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة ثنا الثقفي عن أبي إسحاق يعني السبيعي أنه ذكر معاوية فقال: لو أدركتموه أو أدركتم أيامه لقلتم كان المهدي، وروى الأثرم حدثنا محمد بن العلاء عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق قال: ما رأيت بعده مثله يعني معاوية، وقال البغوي: حدثنا سويد بن سعيد حدثنا ضمام بن إسماعيل عن أبي قيس قال: كان معاوية قد جعل في كل قبيل رجلا وكان رجل منا يكنى أبا يحيى يصبح كل يوم فيدور على المجالس هل ولد فيكم الليلة ولد هل حدث الليلة حدث هل نزل اليوم بكم نازل قال: فيقولون: نعم نزل رجل من أهل اليمن بعياله يسمونه وعياله فإذا فرغ من القبيل كله أتى الديوان فأوقع أسماءهم في الديوان، وروى محمد بن عوف الطائي حدثنا أبو المغيرة حدثنا أبن أبي مريم عن عطية بن قيس قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان يخطبنا يقول: إن في بيت مالكم فضلا بعد أعطياتكم وإني قاسمه بينكم فإن كان يأتينا فضل عاما قابلا قسمناه عليكم وإلا فلا عتبة علي فإنه ليس بمالي وإنما هو مال الله الذي أفاء عليكم، وفضائل معاوية في حسن السيرة والعدل والإحسان كثيرة وفي الصحيح أن رجلا قال لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية إنه أوتر بركعة، قال: أصاب إنه فقيه، وروى البغوي في معجمه بإسناده ورواه ابن بطة من وجه آخر كلاهما عن سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر عن قيس بن الحارث عن الصنابحي عن أبي الدرداء قال: ما رأيت أحدا أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من إمامكم هذا يعني معاوية فهذه شهادة الصحابة بفقهه ودينه والشاهد بالفقه ابن عباس وبحسن الصلاة أبو الدرداء وهما هما والآثار الموافقة لهذا كثيرة.

كان المنصور يقول: الملوك ثلاثة: معاوية وكفاه زياد، وعبد الملك وكفاه الحجاج، وأنا ولا كافي لي. وكان يذكر بني أمية فيقول: رجلهم هشام. وكان يقول: الخلفاء أربعة والملوك أربعة، فالخلفاء: أبو بكر، وعمر، وعلي، وعثمان على ما نال وقد نيل منه أعظم، والملوك: معاوية، وعبد الملك، وهشام، وأنا، ولنعم الرجل كان عمر بن عبد العزيز، وكان أعور بين عميان. وكان يقول: نعم صاحب الحرب حمار الجزيرة من رجل لم يكن عليه طابع الخلافة، يعني مروان. وعن شبيب بن شبة قال: قال أمير المؤمنين المنصور –وذكر بني أمية– أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي ما أقدم عليه، وأما الوليد فكان مجنونا، وأما سليمان فكان همه بطنه، وأما عمر بن عبد العزيز فكان أعور بين عميان، وأما يزيد بن عبد الملك فكان ركيكا ماجنا، ورجل القوم هشام. وعن المدائني وغيره قالوا، قال معاوية: ثلاث من السؤدد: الصلع واندحاق البطن وترك الإفراط في الغيرة. وعن يزيد بن واقد قال: قال معاوية: أفضل ما أعطيه الرجل العقل والحلم، فإن ذكر ذكر، وإن أعطي شكر، وإن ابتلي صبر، وإن غضب كظم، وإن قدر غفر، وإن أساء استغفر، وإن وعظ ازدجر. وعن سحيم بن حفص قال: قال معاوية: إذا ذهب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب الورع، وإذا ذهب من بقي من أهل الجاهلية ذهب الحلم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ أسد الغابة/ الأعلام للزركلي/ أرشيف ملتقى أهل الحديث/ أنساب الأشراف/

عن عبد الله بن مصعب عن أبيه قال: خرج الحسين[1] من عند معاوية، فلقي عبد الله بن الزبير[2]، والحسين مغضب، فذكر الحسين أن معاوية ظلمه في حق له، فقال له الحسين: أخيره في ثلاث خصال، والرابعة الصيلم*: أن يجعلك أو ابن عمر بيني وبينه، أو يقر بحقي ثم يسألني فأهبه له، أو يشتريه مني، فإن لم يفعل فو الذي نفسي بيده لأهتفن بحلف الفضول*. فقال ابن الزبير: والذي نفسي بيده لئن هتف به وأنا قاعد لأقومن، أو قائم لأمشين، أو ماش لأشتدن، حتى تفنى روحي مع روحك، أو ينصفك. ثم ذهب ابن الزبير إلى معاوية فقال: لقيني الحسين فخيرني في ثلاث خصال، والرابعة الصيلم. قال معاوية: لا حاجة لنا بالصيلم، إنك لقيته مغضبا، فهات الثلاث خصال. قال: تجعلني أو ابن عمر بينك وبينه. فقال: قد جعلتك بيني وبينه أو ابن عمر، أو جعلتكما جميعا. قال: أو تقر له بحقه. قال: فأنا أقر له بحقه وأسأله إياه. قال: أو تشتريه منه. قال: فأنا أشتريه منه. قال: فلما انتهى إلى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين: إن دعاني إلى حلف الفضول أجبته. قال معاوية: لا حاجة لنا بهذه. قال: وبلغني أن عبد الرحمن بن أبي بكرة[3] ومسور بن مخرمة[4] قالا للحسين مثل قول ابن الزبير، فبلغ ذلك معاوية وعنده جبير بن مطعم[5]، فقال له معاوية: يا أبا محمد! كنا في حلف الفضول. قال له جبير: لا. وحكى الزبير نحو هذه القصة للحسن بن علي مع معاوية. وعن عكرمة بن خالد قال: قدم معاوية المدينة يريد الحج، فلقيه الحسين رضي الله عنه فقال له: يا معاوية قد بلغني ذكرك وذكر ابن النابغة[6] بني هاشم بالعيوب، فارجع إلى نفسك وسلط الحق عليها، فإنك تجد أعظم عيوبها أصغر عيب فيك، لقد تناولتنا بالعداوة وأطعت فينا عمراً، فوالله ما قدم إيمانه ولا حدث نفاقه، والله ما ينظر لك ولا يبقي عليك، فانظر لنفسك أو دع. قال مسافع بن شيبة: حج معاوية، فلما كان عند الردم أخذ حسين بخطامه فأناخ به ثم ساره طويلا، ثم انصرف، وزجر معاوية راحلته فسار، فقال عمرو بن عثمان[7]: ينيخ بك الحسين وتكف عنه وهو ابن أبي طالب ؟ فقال معاوية: دعني من علي، فوالله ما فارقني حتى خفت أن يقتلني، ولو قتلني لما أفلحتم، وإن لكم من بني هاشم ليوما عصيبا. كتب يزيد بن الأصم[8] إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما حين خرج: أما بعد. فإن أهل الكوفة قد أبوا إلا أن يبغضوك، وقل من أبغض إلا قلق، وإني أعيذك بالله أن تكون كالمغتر بالبرق، أو كالمسبق للسراب،﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ - أهل الكوفة - الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم].

----

*(الصيلم) القطيعة المنكرة وقيل: ألأمر الشديد والداهية والسيف (حلف الفضول) كان في الجاهلية وحضره النبي صلى الله عليه وسلم سمي بالفضول لان ثلاثة من جرهم كلهم يسمى الفضل وهم: الفضل بن فضالة وفضل بن وداعة والفضل بن الحارث. راجع تفاصيل حول حلف الفضول في سيرة ابن هشام

■ (1) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو ابن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (8) يزيد بن الأصم وهو يزيد بن عمرو – ويقال: يزيد بن عبد عمرو – بن عدس ابن معاوية بن عبادة، أبو عوف العامري. وهو ابن أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وابن خالة ابن عباس.توفي يزيد بن الأصم سنة 103 هـ أو 104 هـ، وقيل: سنة 101 هـ.

■ (6) ابن النابغة – يعني: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

■ (7) عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي، وقيل: عبد الله بن عمر. كان يسكن عرج الطائف وهو من شعراء قريش المشهورين بالغزل، وكان مشغوفا باللهو والصيد، وكان ذا مروءة، ولم تكن له نباهة في أهله.وفد على عبد الملك بن مروان. مات بمصر سنة 96 هـ.

■ (3) عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي، يكنى أبو بحر ، قيل: أبو حاتم الثقفي البصري التابعي، وهو أول مولود ولد بالبصرة سنة 14هـ استخلفه زياد أمير البصرة على بعض أعمالها وتوفي فيها بعد الثمانين وقيل: مات سنة 96 هـ

■ (4) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، كنيته أبو عبد الرحمن. ولده بمكة سنة 2 هـ وقدم به المدينة سنة 8 هـ عام الفتح. كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم أدرك النبي وهو صغير وسمع منه وحج معه، وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف ليالي الشورى حفظ عنه أشياء روى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة شهد فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد وهو الذي حرض عثمان على غزوها ثم كان مع ابن الزبير فأصابه حجر من حجارة المنجنيق في الحصار بمكة فقتل سنة 74 هـ

■ (5) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف. أبو محمد، ويقال: أبو عدي، ابن عم النبي. من مسلمة الفتح، الطلقاء الذين حسن إسلامهم، وقد قدم المدينة في فداء الاسارى من قومه. وكان أبوه هو الذي قام في نقض صحيفة القطيعة. وكان يحنو على أهل الشعب، توفي سنة 59 هـ.أو 58 هـ ويقال: إن أول من لبس بالمدينة طيلسانا جبير بن مطعم ويروى عن ابنه محمد ونافع الحديث.

قال عبد الله بن بريدة: دخل الحسن والحسين رضي الله عنهما على معاوية، فأمر لهما في وقته بمئتي ألف درهم وقال: خذاها وأنا ابن هند، ما أعطاها أحد قبلي، ولا يعطيها أحد بعدي. قال: فأما الحسن رضي الله عنه فكان رجلا سكيتا، وأما الحسين رضي الله عنه فقال: والله ما أعطى أحد قبلك ولا أحد بعدك لرجلين أشرف ولا أفضل منا. قال الحسين بن علي رضي الله عنهما : سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لاَ تَسُبُّوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَإِنَّهُمَا سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَلاَ تَسُبُّوا الحَسَنَ وَالْحُسَيْنُ فَإِنَّهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَلاَ تَسُبُّوا عَلِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي، وَمَنْ سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ اللهَّ، وَمَنْ سَبَّ اللهَّ عَذَّبَهُ اللهَّ﴾ أخرجه ابن عساكر وفي رواية قال الأتليدي: روي أن معاوية رضي الله عنه خرج عاما حاجا، فمر بالمدينة ففرق على أهلها أموالا جزيلة، ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله عنهما، فلما حضر قال له معاوية: مرحبا مرحبا برجل تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا ؟ فقال الحسن رضي الله عنه: كيف ينفد ما عندك، وخراج الدنيا يجيء إليك؟ فقال له معاوية: قد أمرت لك بمثل ما أمرت به لأهل المدينة، وأنا ابن هند. فقال الحسن: قد رددته عليك، وأنا ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها. وعن سحيم: قال معاوية: من أكرم الناس أبا وأما وجدا وجدة وعما وخالا وخالة؟ فقال صعصعة بن صوحان[1]، ويقال عبد الله بن عجلان: هذا الجالس بين يديك، يعني الحسن بن علي، جده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجدته خديجة بنت خويلد الطاهرة، وأبوه علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمه جعفر بن أبي طالب، وعمته أم هانئ بنت أبي طالب، وخاله القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه علي ابن الحسين، قال: قدم على عمر رضي الله عنه حلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صار بين عينيه، ثم قال: والله ما هنأ لي ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى والي اليمن أن ابعث بحلتين لحسن وحسين، وعجل، فبعث إليه بحلتين فكساهما. وعن يحيى بن سعيد، قال: أمر عمر رضي الله عنه حسين بن علي رضي الله عنهما أن يأتيه في بعض الحاجة، قال حسين: فلقيت عبد الله بن عمر فقلت: من أين جئت؟، قال: استأذنت على عمر فلم يأذن لي، فرجع حسين، فلقيه عمر فقال: ما منعك يا حسين أن تأتيني؟، قال: قد أتيتك ولكن أخبرني عبد الله بن عمر أنه لم يؤذن له عليك، فرجعت، فقال عمر: وأنت عندي مثله !، وهل أنبت الشعر على الرأس غيركم. ورواية عبيد بن حنين قال:حدثني الحسين بن علي قال: أتيت على عمر بن الخطاب، وهو على المنبر فصعدت إليه، فقلت له: انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك، فقال عمر: لم يكن لأبي منبر، وأخذني فأجلسني معه، فجعلت أقلب حصى بيدي، فلما نزل انطلق بي إلى منزله، فقال لي: من علمك؟ فقلت: والله ما علمنيه أحد، قال: يا بني، لو جعلت تغشانا. قال: فأتيته يوما وهو خال بمعاوية، وبن عمر بالباب فرجع بن عمر ورجعت معه، فلقيني بعد، فقال: لم أرك؟فقلت:يا أمير المؤمنين، إني جئت وأنت خال بمعاوية وبن عمر بالباب، فرجع بن عمر، ورجعت معه، فقال: أنت أحق بالإذن من بن عمر، وإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله، ثم أنتم. عن أبي جعفر: أنه لما أراد عمر رضي الله عنه أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بنى هاشم رهط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتى والى بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بنى عدى بن كعب، فكتب: من شهد بدرا من بنى هاشم، ثم من شهد بدرا من بنى أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال إبراهيم بن الحارث التيمي: قدم محمد بن جبير بن مطعم[2] على عبد الملك بن مروان، وكان من علماء قريش، فقال له عبد الملك: يا أبا سعيد، ألم نكن -يعني بني عبد شمس- وأنتم-يعني بني نوفل- في حلف الفضول؟ قال: أنت أعلم يا أمير المؤمنين. قال: لتخبرني بالحق من ذلك، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، لقد خرجنا نحن وأنتم منه*، وما كانت يدنا ويدكم إلا جميعا في الجاهلية والإسلام.حدث محمد بن جبير بن مطعم، أنه بلغ معاوية -وهو عنده في وفد من قريش- أن عبد الله بن عمرو بن العاص حدث أنه سيكون ملك من قحطان. فغضب معاوية، فقام، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإنه بلغني أن رجالا منكم يتحدثون أحاديث -وفي رواية: بأحاديث- ليست في كتاب الله، ولا تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأولئك جهالكم. فإياكم والأماني التي تضل أهلها. فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللهُّ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ﴾.

كان حلف الفضول قبل البعث بعشرين سنة وقيل في سبب تسميته بحلف الفضول: أنهم لما تحالفوا قرروا أن ترد الفضول إلى أهلها وعلى ألا يغزو ظالم مظلوما.وقيل إن سبب تسميته بحلف الفضول أن جرهما سبقت قريشا إلى مثل هذا الحلف فتحالف ثلاثة منهم وكلهم يسمى الفضل وهم: الفضل بن وداعة والفضل بن فضالة والفضيل بن الحارث ولما تحالفت قريش وأشبه حلفها حلف الجرهميين قيل له: حلف الفضول.

وقد تداعت قريش فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان لشرفه وسنه فكان حلفهم عنده : بنو هاشم وبنو المطلب وأسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة (راجع سيرة ابن هشام والروض الانف)

■ (1) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي، الكوفي، أبو طلحة، وقيل كنيته أبو عمر، قيل: ولد في دارين قرب القطيف، وكان صعصعة مسلما على عهد رسول الله، ولم يره، وصغر عن ذلك، وكان سيدا من سادات قومه عبد القيس، وكان فصيحا خطيبا، لسنا دينا فاضلا، يعد في أصحاب علي، وشهد معه حروبه، قتل أخواه يوم الجمل، فأخذ صعصعة الراية، أمره على بعض الكراديس. وله مع معاوية مواقف. ونفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوال في البحرين بأمر معاوية فمات فيها سنة56 هـ وقبل مات سنة 60 هـ يقال: وفد على معاوية، فخطب، فقال: إن كنت لابغض أن أراك خطيبا، قال: وأنا إن كنت لابغضن أن أراك خليفة.

■ (2) محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل، أبو سعيد القرشي ثم النوفلي، من أهل مكة، وفد دمشق على معاوية وعلى عبد الملك بن مروان. وفي وفاته ذكرت روايتان ، الأولى توفي بالمدينة زمن عمر بن عبد العزيز. . والرواية الأخرى: توفي محمد في خلافة سليمان بن عبد الملك. وكان محمد ثقة قليل الحديث.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس/ أنساب الأشراف/ علي بن أبي طالب/ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب/ تهذيب الكمال/ تاريخ دمشق/

قالوا: كتب معاوية إلى الحسين بن علي[1] رضي الله تعالى عنهم: أما بعد، فقد انتهت إلي عنك أمور أرغب بك عنها، فإن كانت حقا لم أقارك عليها، ولعمري إن من أعطى صفقة يمينه وعهد الله وميثاقه لحري بالوفاء، وإن كانت باطلا فأنت أسعد الناس بذلك، وبحظ نفسك تبدأ، وبعهد الله توفي، فلا تحملني على قطيعتك والإساءة بك، فإني متى أنكرك تنكرني، ومتى تكدني أكدك، فاتق شق عصا هذه الأمة وأن يرجعوا على يدك إلى الفتنة، فقد جربت الناس وبلوتهم، وأبوك كان أفضل منك، وقد كان اجتمع عليه رأي الذين يلوذون بك، ولا أظنه يصلح لك منهم ما كان فسد عليه، فانظر لنفسك ودينك ولا يستخفنك الذين لا يوقنون.

فكتب إليه الحسين: أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر أنه بلغتك عني أمور ترغب عنها، فإن كانت حقا لم تقارني عليها، ولن يهدي إلى الحسنات ويسدد لها إلا الله، فأما ما نمي إليك فإنما رقاه الملاقون المشاؤون بالنمائم المفرقون بين الجميع، وما أريد حربا لك ولا خلافا عليك، وأيم الله لقد تركت ذلك وأنا أخاف الله في تركه، وما أظن الله راضيا عني بترك محاكمتك إليه، ولا عاذري دون الإعذار إليه فيك وفي أوليائك القاسطين الملحدين، حزب الظالمين وأولياء الشياطين، ألست قاتل حجر بن عدي[2] وأصحابه المصلين العابدين، الذين ينكرون الظلم ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم، ظلما وعدوانا، بعد إعطائهم الأمان بالمواثيق والأيمان المغلظة؟ أولست قاتل عمرو بن الحمق[3] صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أبلته العبادة وصفرت لونه وأنحلت جسمه؟! أولست المدعي زياد بن سمية[4] المولود على فراش عبيد عبد ثقيف، وزعمت أنه ابن أبيك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْوَلَدَ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ﴾ فتركت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالفت أمره متعمدا، وابتعت هواك مكذبا، بغير هدى من الله، ثم سلطته على العراقين فقطع أيدي المسلمين وسمل أعينهم، وصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من الأمة وكأنها ليست منك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿من ألحق بقوم نسبا ليس لهم فهو ملعون﴾ أولست صاحب الحضرميين الذين كتب إليك ابن سمية أنهم على دين علي، فكتبت إليه: اقتل من كان على دين علي ورأيه، فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي دين محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان يضرب عليه أباك، والذي انتحالك إياه أجلسك مجلسك هذا، ولولا هو كان أفضل شرفك تجشم الرحلتين في طلب الخمور، وقلت: انظر لنفسك ودينك والأمة واتق شق عصا الألفة وأن ترد الناس إلى الفتنة، فلا أعلم فتنة على الأمة أعظم من ولايتك عليها، ولا أعلم نظرا لنفسي وديني أفضل من جهادك، فإن أفعله فهو قربة إلى ربي، وإن أتركه فذنب أستغفر الله منه في كثير من تقصيري، وأسأل الله توفيقي لأرشد أموري؛ وأما كيدك إياي فليس يكون على أحد أضر منه عليك، كفعلك بهؤلاء النفر قتلتهم ومثلت بهم بعد الصلح من غير أن يكونوا قاتلوك ولا نقضوا عهدك، إلا مخافة أمر لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوه، وأماتوا قبل أن يدركوه، فأبشر يا معاوية بالقصاص، وأيقن بالحساب، واعلم أن لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله بناس لك أخذك بالظنة، وقتلك أولياءه على الشبهة والتهمة، وأخذك الناس بالبيعة لابنك، غلام سفيه يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ولا أعلمك إلا خسرت نفسك، وأوبقت دينك، وأكلت أمانتك، وغششت رعيتك، وبتوأت مقعدك من النار ف بعدا للقوم الظالمين.

■ (1) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (2) حجر بن عدي بن الأدبر الكندي الكوفي. ويقال له: حجر الخير. ويقال له: حجر بن الأدبر. لأن أباه عديا طعن موليا فسمي الأدبر، ويكنى حجر بأبي عبد الرحمن، وهو من كندة من رؤساء أهل الكوفة. قال ابن عساكر: وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع عليا وعمارا وشراحيل بن مرة. ويقال: شرحبيل بن مرة. وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء وشهد صفين مع علي أميرا، وقتل بعذراء من قرى دمشق سنة51 هـ.

■ (3) عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو الخزاعي، هاجر بعد الحديبية وقيل أسلم عام حجة الوداع، والأول أصح. سكن الكوفة ثم انتقل إلى مصر. والصحيح أنه انتقل من مصر إلى الكوفة. وقيل كان ممن سار إلى عثمان وهو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار وصار من شيعة علي، قيل قتله عبد الرحمن بن عثمان الثقفي بأمر من معاوية طعنه تسع طعنات وقيل: بل كان مريضا لم يطق الحركة، وكان معه رفاعة بن شداد، فأمره بالنجاء لئلا يؤخذ معه، فأخذ رأس عمرو، وحمل إلى معاوية بالشام سنة 50 أو51 وفي رواية قيل: كان من جملة من أعان حجر بن عدي فتطلبه زياد فهرب إلى الموصل، وكان العامل عبد الرحمن بن أم الحكم، وهو ابن أخت معاوية. فبعث معاوية إلى نائبها فوجدوه قد اختفى في غار فنهشته حية فمات فقطع رأسه فبعث به إلى معاوية، فطيف به في الشام وغيرها، فكان أول رأس طيف به. والله أعلم بالصواب.

■ (4) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف. اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ. فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

☪

قال المدائني: قال معاوية لرجل من اليهود: هل تروي من شعر أبيك شيئا؟ قال: أي شعره أردت؟ قال: أبياتا كانت قريش تستحسنها، فأنشده: هل أضرب الكبش في ملمومة قدما..أم هل سمعت بشر كان لي نشرا..أم هل يلومنني قوم إذا نزلوا..أم هل يقولن يوما قائل بسرا..نقربهم الوجه ثم البشر يتبعه..لا يمنع العرف منا قل أو كثرا. فقال معاوية: أنا أحق بهذا الشعر من أبيك، فقال اليهودي: لا لعمرو الله لأبي أحق بها إذا سبق إليها، فاستلقى معاوية ووضع ساعده على وجهه، فقال الوليد بن عقبة وعبد الرحمن بن أم الحكم، اسكت يا بن اليهودية، وشتماه، فقال: كفا عن شتمي وإلا شتمت صاحب السرير، فرفع معاوية رأسه ضاحكا ثم قال: كفا عنه يكف عني، ثم قال لليهودي: إنكم أهل بيت تجيدون صنعة الهريسة في الجاهلية، فكيف صنعتكم لها اليوم؟ قال: نحن اليوم يا أمير المؤمنين لها أجود صنعة، قال: فاغد بها علي، وأمر له بأربعة آلاف درهم. فخرج، فقال الوليد وعبد الرحمن: كذبك وتأمر له بجائزة؟! قال:أنتما أجزتماه بما شتمتماه، فأردت أن أسل سخيمته؛ وغدا بالهريسة فأكلها معاوية.

قال العتبي: دخل عبد الرحمن بن شيحان، وكان أبوه حليفا لحرب، على سعيد بن العاص فقال له سعيد: قلت: إني لأشربها حتى تميل بنا..كما تمايل وسنان بوسنان. قال: معاذ الله أن أشرب الخمر وأصفها، ولكني الذي أقول: عمدت بحلفي للطوال وللذرى..ولم تلقني كالنسي في ملتقى الحرب. فقال عمرو بن سعيد لأبيه: ما يمنعك من ضربه مائة سوط؟ قال؛ أي بني أضربه وهو حليف معاوية؟! فقال معاوية لسعيد: أمرك أحمقك أن تضرب حليفي، والله لو ضربته مائة سوط لضربتك مائتين، ولو قطعت يده لقطعت يديك، قال: غفرا يا أمير المؤمنين، فإنك ضربت حليفك عمرو بن جبلة، قال: إني آكل لحمي ولا أوكله.

عن عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن عوانة قال: أغزى معاوية الناس، فحمل اليمانية في البحر، وحمل مضر في البر، فقال رجل من صداء متهددا لمعاوية: يا أيها القوم الذين تجمعوا..بعكا أناس أنتم أم أباعر..أتترك قيس ترتعي في بلادكم..ونحن نسامي البحر والبحر زاخر..فوالله ما أدري وإني لسائل..أكندة تحمي أصلنا أم يحابر..أم الغر من حيي قضاعة إنهم..هم أصلنا لو تستمر المرائر..أما كان في همدان حامي حقيقة..ولا كان في عك ولا في الأشاعر. فبلغ معاوية الشعر فقال: حتى صداء تهددني! ويقال إن معاوية غرب قوما من اليمانية فحملهم في البحر، فقال شاعرهم هذا الشعر، وكان يقال ليزيد بن يزيد بن حرب بن علة: صداء. عن سلام بن أبي مطيع عن قتادة قال: حرم مروان بن الحكم ابنا لصهيب عطاءه، فبلغ ذلك معاوية فكتب إليه معاوية: إنك حفظت على ابن صهيب ما كان من أبيه في أمر عثمان، ونسيت ما كان من سابقته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاردد عليه عطاءه وأكرمه وأحسن مجاورته، إن شاء الله. وقال معاوية لخالد بن معمر: كيف حبك لعلي؟ قال: شديد، أحبه لحلمه إذا غضب، وصدقه إذا قال، ووفائه إذا وعد، وجوده إذا سئل. وقال عمرو بن العاص: عقم النساء أن يلدن مثل معاوية، وما استدر لمعاوية كلام قط فقطعه حتى يأمر بخير ويصيب الناس بفضل.

حدث هشام بن عمار عن أبيه أو غيره قال: قدمت رملة بنت معاوية الشام من المدينة، وكانت عند عمرو بن عثمان بن عفان، وكان عمرو لها محبا إلا أنه كان ربما أغارها، فقال لها: أطلقك ابن عمي؟ فقالت: كلا، الكلب أضن بالشحمة، قال: ويقال: قالت بشحمته.

المدائني قال، قال معاوية لصحار بن عياش العبدي: يا أزرق، قال: البازي أزرق، قال: يا أحمر، قال: الذهب أحمر، قال: يا صحار ما هذه البلاغة في عبد القيس؟ قال: شيء يعتلج في صدورنا فنلفظه كما يلفظ البحر الزبد، قال: فما رأس البلاغة؟ قال: أن تقول فلا تخطئ وتعجل فلا تبطئ؛ ثم قال: يا أمير المؤمنين، ومنا أعقل أهل زمانه، اشترط على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم الجنة؛ ومنا الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله الأناة والحلم﴾ ؛ ومنا أزهد اهل زمانه هرم بن حيان؛ ومنا أشجع أهل زمانه حكيم بن جبلة العبدي الذي قطعت رجله فرمى بها قاطعه فقتله ثم توسده، فقيل له: من بك يا أبا نجيد؟ فقال: وسادي؛ ومنا أبلغ الناس في زمانه صعصعة بن صوحان؛ ومنا الحارث بن مرة، جمل في غزاة على خمسمائة دابة؛ ومنا عبد الله بن سوار خرج في أربعة آلاف إلى ثغر السند ولم يوقد أحد في عسكره نارا لطعام حتى أتى البلاد، ورأى في عسكره نارا فسأل عنها فقيل امرأة ولدت فاتخذ لها خبيص، فأمر أن يطعم أهل العسكر كلهم الخبيص ثلاثة أيام، ومنا أرمى أهل زمانه عمرو بن مساور النكري؛ ومنا أيمن الناس في زمانه شعرا: الممزق، غزا النعمان بن المنذر بلاد عبد القيس فسايره وحدثه وأنشده فاعجبه فكلمه فيهم فعدل عنهم.

وعن ابن عياش عن أبي الهيثم الرحبي قال: قال لي عبد الملك بن عمير وأنا أماشيه عند الباب الصغير بدمشق: مررنا بقبر معاوية فوقف عليه عبد الملك بن مروان فقيل له: لمن القبر؟ فقال: لرجل كان والله ما علمته يسكته الحلم وينطقه العلم، إذا أعطى أغنى، وإذا حارب أفنى، ثم عجل له الدهر ما أخر لغيره، وإنا لله ما يصنع الزمان، هذا قبر معاوية.

----

*(الحلم) الأناة وضبط النفس (الأناة) التمهل والتثبت والانتظار والتأخر

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/

قال دياب الإتليدي: من ثمرات الأوراق عن الأجوبة الهاشمية وبلاغتها في المحل الرفيع؛ فمن أجل ذلك أنه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص[1]، والوليد بن عقبة[2]، وعتبة بن أبي سفيان[3]، والمغيرة بن شعبة[4]، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ابعث إلى الحسن بن علي[5] –رضي الله عنهما– يحضر لدينا، قال لهم: ولم؟ قالوا: كي نوبخه ونعرفه أن أباه قتل عثمان. فقال لهم معاوية: إنكم لن تطيقوه ولن تنتصفوا منه، ولا تقولوا له شيئا إلا كذبكم ولا يقول لكم ببلاغته شيئا إلا صدقه الناس. فقالوا: أرسل إليه فإنا نكفيه. فأرسل له معاوية، فلما حضر قال: يا حسن! إني لم أرسل إليك، ولكن هؤلاء أرسلوا إليك، فاسمع مقالتهم. فقال الحسن رضي الله عنه: فليتكلموا ونحن نسمع. فقام عمرو بن العاص، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا حسن، هل تعلم أن أباك أول من أثار الفتنة وطلب الملك، فكيف رأيت صنع الله تعالى به؟ ثم قام الوليد بن عقبة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا بني هاشم! كنتم أصهار عثمان بن عفان[6]، فنعم الصهر كان لكم لقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقربكم ويفضلكم، ثم بغيتم عليه وقتلتموه، وقد أردنا قتل أبيك فأنقذنا الله منه، ولو قتلناه ما كان علينا ذنب. ثم قام عتبة بن أبي سفيان فقال: يا حسن، إن أباك قد تعدى على عثمان فقتله حسدا على الملك والدنيا، فسلبهما الله منه، ولقد أردنا قتل أبيك، حتى قتله الله تعالى. ثم قام المغيرة بن شعبة، وقال كلاما سبا لعلي وتعظيما لعثمان. فقام الحسن، رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: بك أبدأ يا معاوية! لم يشتمني هؤلاء ولكن أنت تشتمني بغضا وعداوة وخلافا لجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت إلى الناس، وقال: أنشدكم الله إن الذي شتمه هؤلاء أما كان أبي، وهو أول من آمن بالله وصلى إلى القبلتين، وأنت يا معاوية كافر تشرك بالله؟ وكان مع أبي لواء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، ولواء المشركين مع معاوية؛ ثم قال: أنشدكم الله تعالى، أما كان معاوية يكتب لجدي صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليه يوما فرجع الرسول، وقال: هو يأكل. فرد إليه الرسول ثلاث مرات، كل ذلك يقول هو يأكل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ﴾، يا معاوية! أما تعرف ذلك من بطنك؟ ثم قال: وأنشدكم الله أما تعلمون أن معاوية كان يقود بأبيه، وهو على جمل، وأخوه هذا يسوقه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال، وأنت تعلم ذلك. هذا كله لك يا معاوية. وأما أنت يا عمرو. فقد تنازعك خمسة من قريش. فغلب عليك شبه الأبهم(؟)[7]، وهو أقلهم حسبا وأسوأهم منصبا، ثم قمت وسط قريش فقلت: إني شانيء محمدا بثلاثين بيتا من الشعر. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿اللَّهُمَّ، إِنِّي لاَ أَحْسَنَ الشِّعْرَ، اللَّهُمَّ، الْعَنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِكُلِّ بَيْتٍ لَعْنَة﴾ (؟)، ثم انطلقت إلى النجاشي[8] بما عملت وعلمت. فكذبك وردك خائبا، فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام. فلا نلومك على بغضك الآن. وأما أنت يا ابن أبي معيط فكيف نلومك على سبك لأبي، وقد جلدك أبي في الخمر ثمانين جلدة، وقتل أباك صبرا بأمر جدي، وقتله جدي بأمر ربي، ولما قدمه للقتل قال: من للصبية بعدي يا محمد؟ فقال جدي: لهم النار، فلم يكن لهم عند جدي غير النار، ولم يكن لهم عند أبي غير السوط والسيف. وأما أنت يا عتبة فكيف تعيب أحدا بالقتل ولا تعيب نفسك، فلم لا قتلت الذي وجدته على فراشك مضاجعا لزوجتك؟ ثم أمسكتها بعد أن بغت. وأما أنت يا أعور ثقيف، ففي أي شيء تسب عليا؟ أفي بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم لحكم جائر في رعيته في الدنيا؟ فإن قلت في شيء من ذلك كذبت وكذبك الناس، وإن زعمت أن عليا قتل عثمان فقد كذبت وكذبك الناس، وإنما مثلك كمثل بعوضة وقعت على نخلة فقالت لها: استمسكي فإني أريد أن أطير. فقالت لها النخلة: ما علمت بوقوعك فكيف يشق علي طيرانك؟ فكيف يا أعور ثقيف يشق علينا سبك؟ ثم نفض ثيابه وقام. فقال لهم معاوية: ألم أقل لكم لا تنتصفوا منه، فوالله لقد أظلم علي البيت حتى قام.

- (5) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.
- (1) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، أبو عبد الله، وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.
- (2) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب، الاموي القرشي: وال.من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم. فيه ظرف ومجون ولهو. وهو أخو عثمان ابن عفان لامه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25 هـ فانصرف إليها، وأقام إلى سنة 29 هـ فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر، فعزله ودعا به إلى المدينة، فجاء، فحده وحبسه. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية، فسكنها. واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرض معاوية على الاخذ بثأره. ومات بالرقة سنة 61 هـ.
- (3) عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، أبو الوليد، أخو معاوية بن أبي سفيان لأبويه ولد على عهد رسول الله وولاه عمر بن الخطاب الطائف ولما مات عمرو بن العاص ولى معاوية أخاه عتبه مصر وأقام عليها سنة ثم توفي بها ودفن فيها سنة 44 هـ وقيل : سنة 43 هـ
- (4) المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي. يقال له مغيرة الرأي. ولد سنة 20 ق هـ في الطائف بالحجاز وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك فدخل الاسكندرية وافدا على المقوقس، وعاد إلى الحجاز. فلما ظهر الاسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة 5 هـ، فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة. وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة 50 أو 51 هـ.. قال الشعبى: دهاة العرب أربعة: معاوية للاناة، وعمرو بن العاص للمعضلات، والمغيرة للبديهة، وزياد بن أبيه للصغير والكبير . وللمغيرة 136 حديثا. وهو أول من وضع ديوان البصرة، وأول من سلم عليه بالامرة في الاسلام.
- (6) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.
- (8) النجاشي أصحمة بن أبجر كان أحد ملوك الحبشة. استقبل الصحابة المهاجرين إليه، وهو الوحيد الذي صلى عليه رسول الإسلام صلاة الغائب لما علم بوفاته سنة 9 هـ. وقيل في رواية مصحمة وهو أصحمة بن بحر وكان عبدا صالحا لبيبا زكيا وكان عادلا عالما رضي الله عنه وأرضاه.
- (7) الأبهم ؟... العاص أو العاصي بن وائل بن هاشم السهمي، من قريش: أحد الحكام في الجاهلية. كان نديما لهشام بن المغيرة. وأدرك الاسلام، وظل على الشرك. ويعد من المستهزئين ومن الزنادقة الذين ماتوا كفارا وثنيين. وكان على رأس بني سهم، في حرب الفجار 33 ق هـ، وقيل في خبر موته: خرج يوما على راحلته، ومعه أبناء له، يتنزه، ونزل في أحد الشعاب، فلما وضع قدمه على الارض، صاح، فطافوا فلم يروا شيئا. وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير، ومات، فقالوا: لدغته الارض ! قال الزبيدي: وهو الذي منع عمر بن الخطاب من قريش، حين أظهر عمر الاسلام. قلت: كان إسلام عمر، نحو سنة 5 قبل الهجرة، فيكون هلاك العاص، حوالي 3 ق هـ. وكان ذلك في الابواء بين مكة والمدينة. وكانت أمه من بني بلي من قضاعة، واسمها سلمى وفيه يقول ابن الزبعري، من أبيات: أصاب ابن سلمى خلة من صديقه ولولا ابن سلمى لم يكن لك راتق، وهو والد عمرو بن العاص الصحابي فاتح مصر.

☪

ذكروا أنه اجتمع عند معاوية عتبة بن أبى سفيان والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم[1]، وعبد الله بن عامر[2]، وابن طلحة الطلحات[3]، فقال عتبة: إن أمرنا وأمر علي لعجب، ليس منا إلا موتور محاج. أما أنا فقتل جدى، واشترك في دم عمومتي يوم بدر. وأما أنت يا وليد فقتل أباك يوم الجمل، وأيتم إخوتك. وأما أنت يا مروان فكما قال الأول[4]: وأفلتهن علباء[5] جريضا*..ولو أدركنه صفر الوطاب*. قال معاوية: هذا الإقرار فأين الغير*؟ قال مروان: أي غير تريد ؟ قال: أريد أن يشجر بالرماح. فقال: والله إنك لهازل، ولقد ثقلنا عليك. فقال الوليد بن عقبة في ذلك: يقول لنا معاوية بن حرب..أما فيكم لواتركم طلوب يشد على أبى حسن على..بأسمر لا تهجنه الكعوب فيهتك مجمع اللبات منه..ونقع القوم مطرد يثوب فقلت له أتلعب يا ابن هند..كأنك وسطنا رجل غريب أتأمرنا بحية بطن واد.. إذا نهشت فليس لها طبيب..وما ضبع يدب ببطن واد..أتيح له به أسد مهيب..بأضعف حيلة منا إذا ما..لقيناه وذا منا عجيب دعا للقاه في الهيجاء لاق..فأخطأ نفسه الأجل القريب سوى عمرو وقته خصيتاه.. نجا ولقلبه منها وجيب كأن القوم لما عاينوه..خلال النقع ليس لهم قلوب لعمر أبى معاوية بن حرب..وما ظنى بملقحة العيوب لقد ناداه في الهيجا على..فأسمعه ولكن لا يجيب فغضب عمرو وقال: إن كان الوليد صادقا فليلق عليا، أو ليقف حيث يسمع صوته. وقال عمرو: يذكرنى الوليد دعا علي..وبطن المرء يملؤه الوعيد متى يذكر مشاهده قريش..يطر من خوفه القلب الشديد فأما في اللقاء فأين منه..معاوية بن حرب والوليد وعيرني الوليد لقاء ليث..إذا ما زار هابته الأسود* لقيت ولست أجهله عليا..وقد بلت من العلق الكبود فأطعنه ويطعنني خلاسا..وماذا بعد طعنته أريد فرمها منه يابن أبى معيط..وأنت الفارس البطل النجيد فإقسم لو سمعت ندا علي..لطار القلب وانتفخ الوريد ولو لاقيته شقت جيوب..عليك ولطمت فيك الخدود. ثم إنهم التقوا بصفين واقتتلوا أشد القتال حتى كادوا أن يتفانوا.

----

*(قفد) صفع رأسه ببسط الكف من قبل القفا (الغير) جمع غيور، والغيرة: الحمية والأنفة (زار) زأر وصاح (الجريض) الذى يأخذ بريقه. (صفر وطابه) قتل

- (5) علباء هذا هو قاتل والد امرئ القيس، وهو علباء بن حارث الكاهلي.
- (3) طلحة الطلحات، طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي: أحد الاجواد المقدمين. كان أجود أهل البصرة في زمانه. ذهبت عينه بسمرقند. وكان يميل إلى بني أمية، فيكرمونه. وولاه زياد بن مسلمة على سجستان، فتوفي فيها واليا نحو سنة 65 هـ.
- (4) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الاطلاق. يماني الاصل. مولده بنجد نحو 130 ق هـ أو بمخلاف السكاسك باليمن. أشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي. وكان أبوه ملك أسد وغطفان. وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته. فأبعده إلى دمون بحضرموت، موطن آبائه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. فأقام زهاء خمس سنين، ثم جعل يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي ! ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لاصحو اليوم ولا سكر غدا ! اليوم خمر وغدا أمر !، ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لابيه من بني أسد، وقال في ذلك شعرا كثيرا. وكانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار، آباء امرئ القيس، فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرئ القيس، فطلبه، فابتعد، وتفرق عنه أنصاره، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل، فأجاره. فمكث عنده مدة. ثم رأى أن يستعين بالروم على الفرس. فقصد الحارث ابن أبي شمر الغساني والي بادية الشام فسيره هذا إلى قيصر الروم يوستينيانس Justinianus ويسمى Justinien Ier في القسطنطينية. فوعده ومطله.ثم ولاه إمرة فلسطين البادية ولقبه فيلارق Phylarck أي الوالي، فرحل يريدها.فلما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح. فأقام إلى أن مات في أنقرة سنة 80 ق هـ.
- (2) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عامر بن كريز، فاتح خراسان وغيرها، ولد بمكة سنة4 هـ عندما عزل عثمان أبا موسى عن البصرة، وعثمان بن أبي العاص عن فارس، جمعهما لابن عامر سنة 29 هـ فوجه جيشا إلى سجستان فافتتحها صلحا، وافتتح الداور، وبلادا من دار ابجرد وهاجم مرو الروذ فافتتحها، وبلغ سرخس فانقادت له، وفتح أبرشهر عنوة، وطوس وطخارستان ونيسابور وأبيورد وبلخ والطالقان والفارياب. وافتتحت له رساتيق هراة وآمل وبست وكابل.وقتل عثمان، وهو على البصرة. وشهد وقعة الجمل مع عائشة، وقيل لم يحضر وقعة صفين. وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس على خلافته (أي بعد تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة حقنا لدماء المسلمين) ثم صرفه عنها فأقام بالمدينة ومات بمكة قبل معاوية بعام ودفن بعرفات سنة 59هـ.
- (1) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، الأموي القرشي، أبو عبد الملك. بايع نفسه بالخلافة من غير عهد ولا مشورة، بعد خلع معاوية بن يزيد. وقيل: بعد خلع خالد بن يزيد.ولقب: المؤتمن بالله.والحكم والده هو طريد النبي صلى الله عليه وسلم نفاه إلى الطائف؛ فأقام بالطائف حتى تخلف عثمان أذن له بالعود إلى المدينة. قال ابن سعد: كانوا ينقمون على عثمان تقريب مروان وتصرفه في الأمور. بعد أن شارك في وقعة الجمل أقام بالمدينة حتى استخلف معاوية. مات سنة 65 هـ بدمشق، وقيل: مات مطعونا. وكان مروان كاتبا لعثمان بن عفان. وهو من أعظم الأسباب في زوال دولة عثمان وكانت خلافته نحو تسعة أشهر. وقيل أكثر من ذلك.وتخلف من بعده ابنه عبد الملك.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس/ صحيح مسلم/ ثمرات الأوراق/ البداية والنهاية/ أنساب الأشراف/

قال البيهقي في كتابه المحاسن والمساوئ: أتى الحسن بن علي[1] رضي الله عنهما إلى معاوية بن أبي سفيان، وقد سبقه ابن عباس[2]، فأمر معاوية بإنزالهما في محل فأنزلا، فبينما معاوية مع عمرو بن العاص[3] ومروان بن الحكم[4] وزياد بن أبيه[5]، يتذاكرون قديمهم وحديثهم ومجدهم إذ قال معاوية: أكثرتم الفخر، فلو حضر الحسن بن علي وابن عباس لقصرا من أعينكم. فقال زياد: وكيف ذاك يا أمير المؤمنين؟! ما يقومان لمروان في غرب منطقه، ولا لنا في بواذخنا، فابعث إليهما حتى تسمع كلامهما. فقال معاوية لعمرو: ما تقول؟ قال: هذا إليك، فابعث إليهما في غد. فبعث معاوية ابنه يزيد[6] إليهما فأتياه فدخلا عليه، وبدأ معاوية فقال: إني أجلكما وأرفع قدركما، عن المسامرة بالليل، ولا سيما أنت يا أبا محمد، فإنك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيد شباب أهل الجنة. فتشكرا له. فلما استويا في مجلسهما وعلم عمرو أن الجرة ستقع به قال: والله لا بد أن أقول: فإن قهرت فسبيلي ذاك، وإن قهرت أكون قد ابتدأت. فقال: يا حسن، إنا تفاوضنا فقلنا: إن رجال بني أمية أصبر عند اللقاء، وأمضى في الوغى، وأوفى عهدا، وأكرم خيما، وأمنع ذمارا لما وراء ظهورها من بني عبد المطلب. ثم تكلم مروان فقال: وكيف لا نكون كذلك وقد قارعناكم فغلبناكم، وحاربناكم فملكناكم، فإن شئنا عفونا وإن شئنا بطشنا. ثم تكلم زياد فقال: ما ينبغي لهم أن ينكروا الفضل لأهله، ويجحدوا الخير في مظانه، نحن الحملة في الحروب، ولنا الفضل على سائر الناس قديما وحديثا.

فتكلم الحسن رضي الله عنه فقال: ليس من العجز أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة، ولكن من الإفك أن ينطق بالخنا، ويصور الباطل بصورة الحق. يا عمرو افتخارا بالكذب وجرأة على الإفك، ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديها مرة وأمسك أخرى، فتأبى إلا انهماكا في الضلالة، أتذكر مصابيح الدجى وأعلام الهدى، وفرسان الطراد وحتوف الأقران، وأبناء الطعان، وربيع الضيفان، ومعدن النبوة، ومهبط العلم. وزعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم، وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الأبطال، وتساورت الأقران، واقتحمت الليوث، واعتركت المنية، وقامت رحاها على قطبها وافترت عن نابها، وطار شرار الحرب، فقتلنا رجالكم، ومن النبي صلى الله عليه وسلم على ذراريكم، فكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم. ثم قال: وأما أنت يا مروان، فما أنت والإكثار في قريش، وأنت طليق وأبوك طريد، تتقلب من خزية إلى سوءة، ولقد جئ بك إلى أمير المؤمنين، فلما رأيت الضرغام قد دميت براثنه واشتبكت أنيابه كما قال: من الكامل: ليث إذا سمع الليوث زئيره..بصبصن ثم قذفن بالأبعار. فلما من عليك بالعفو، وأرخى خناقك بعد ما ضاق عليك، وغصصت بريقك، لا تقعد منا مقعد أهل الشكر، ولكن تساوينا وتحاربنا، ونحن ممن لا يدركنا عار، ولا تلحقنا خزاية. ثم التفت إلى زياد فقال: وما أنت يا زياد وقريشا، ما أعرف لك فيها أديما صحيحا، ولا فرعا ثابتا، ولا قديما بائتا، ولا منصبا كريما، كانت أمك بغيا تداولها رجالات قريش وفجار العرب، فلما ولدت لم يعرف لك العرب والدا فادعاك هذا –يعني معاوية– بعد ممات أبيه ما لك افتخار، تكفيك سمية، ويكفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي علي بن أبي طالب، سيد المؤمنين، الذي لم يرتد على عقبيه، وحمزة سيد الشهداء، وجعفر الطيار، وأنا وأخي سيدا شباب أهل الجنة.ثم التفت إلى ابن عباس فقال: يا بن عم، إنما هي بغاث الطير انقض عليها أجدل. فأراد ابن عباس أن يتكلم، فأقسم عليه معاوية أن يكف فكف، ثم خرجا. فقال معاوية: أجاد عمرو الكلام لولا أن حجته دحضت، وقد تكلم مروان لولا أنه يكفر، ثم التفت إلى زياد فقال: ما دعاك إلى محاورتهما. ما كنت إلا كالحجل في كف العقاب. فقال عمرو لمعاوية: ألا رميت من ورائنا. فقال معاوية: إذا أشرككم في الجهل؟ أفاخر رجلا رسول الله جده؟!، وهو سيد من مضى ومن بقي، وأمه فاطمة سيدة نساء العالمين. ثم قال لعمرو: والله لئن سمع به أهل الشام لهى السوأة السوءاء. فقال عمرو: لقد أبقى عليك، ولكنه طحن مروان وزيادا، طحن الرحى بثفالها، ووطئها وطء البازل القراد بمنسمه. فقال زياد: قد والله فعل، ولكن معاوية يأبى إلا الإغراء بيننا وبينهم، لا جرم. والله لا شهدت مجلسا يكونان فيه إلا كنت معهما علي من فاخرهما.فخلا ابن عباس بالحسن، فقبل بين عينيه وقال: أفديك يا بن عم، والله ما زال بحرك يزخر، وأنت تصور، حتى شفيتني من أولاد البغايا.

ثم إن الحسن رضي الله عنه غاب أياما ثم رجع حتى دخل على معاوية، وعنده عبد الله بن الزبير[7] فقال معاوية: يا أبا محمد، إني أظنك تعبا نصبا، فأت المنزل فأرح نفسك. فقام الحسن، فلما خرج قال معاوية لعبد الله بن الزبير: لو افتخرت على الحسن، فإنك ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن عمته، ولأبيك في الإسلام نصيب وافر، فقال ابن الزبير: أنا له. فرجع وهو يطلب ليلته الحجج، فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضي الله عنه، فحياه معاوية وسأله عن مبيته فقال: خير مبيت وأكرم مستفاض. فلما استوى به مجلسه قال ابن الزبير: لولا أنك خوار في الحرب غير مقدام ما سلمت الأمر لهذا –يعني معاوية– وكنت لا تحتاج إلى اختراق الآفاق، وقطع المفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه، وكنت حريا ألا تفعل ذلك، وأنت ابن علي ونائبه ونجدته، فما أدري ما الذي حملك على ذلك؟ ضعف رأي، أم وهدة مخبر؟ فما أظن لك مخرجا من هاتين الخلتين. أما والله لو استجمع لي ما استجمع لك لعلمت أني ابن الزبير، وأني لا أنكس عن الأبطال، وكيف لا أكون كذلك، وجدتي صفية بنت عبد المطلب، وأبي الزبيرحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد الناس بأسا، وأكرمهم حسبا في الجاهلية، وألوطهم برسول الله صلى الله عليه وسلم. فالتفت إليه الحسن وقال: أما والله لولا أن بني أمية تنسبني إلى العجز عن المقال لكففت عنك تهازيا، ولكن سأبين ذلك لتعلم أني لست بالعيي ولا الكليل اللسان، إياي تعير وعلي تفتخر؟ ولم يكن لجدك بيت في الجاهلية ولا مكرمة، فزوجه جدي صفية فتفاخر على جميع العرب بها وشرف بمكانها، فكيف تفاخر من هو من القلادة واسطتها، ومن الأشراف سادتها. نحن أكرم أهل الأرض، لنا الشرف الثاقب، والكرم الغالب. ثم تزعم أني سلمت الأمر، فكيف يكون –ويحك– كذلك، وأنا ابن أشجع العرب، وقد ولدتني فاطمة سيدة نساء العالمين، لم أفعل –ويحك– ذلك جبنا ولا ضعفا، ولكنه بايعني مثلك وهو يطلبني بترة، ويداجيني المودة، فلم أثق بنصرته لأنكم أهل بيت غدر، وكيف لا يكون كما أقول. وقد بايع أبوك أمير المؤمنين، ثم نكث بيعته، ونكص على عقبيه، واختدع حشية عن حشايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضل بها الناس، فلما خلف إلى الأعنة قتل بمضيعة لا ناصر له، وأتى بك أسيرا وقد وطئتك الكماة بأظلافها والخيل بسنابكها، واعتلاك الأشتر[8] فغصصت بريقك، وأقعيت على عقبيك كالكلب إذا احتوشته الليوث. فنحن –ويحك– نور البلاد وملاكها، وبنا يفتخر الأئمة، وإلينا تلقى مقاليد الأزمة. أتصول وأنت بمختدع الشاء؟، ثم أنت تفتخر على بني الأنبياء. لم تزل الأقاويل منا مقبولة، وعيك وعلى أبيك مردودة، دخل الناس في دين جدي طائعين وكارهين، ثم بايعوا أمير المؤمنين، فساروا إلى أبيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل أبوك وطلحة، وأتي بك أسيرا فبصبصت بذنبك وناشدته الرحم ألا يقتلك، فعفا عنك، فأنت عتاقة أبي، وأنا سيدك وسيد أبيك فذق وبال أمرك. فقال ابن الزبير: اعذرنا يا أبا محمد، فإنما حملني على محاورتك هذا، وأحب الإغراء بيننا، فهلا إذ جهلت أمسكت عني؛ فإنكم أهل بيت سجيتكم الحلم والعفو. فقال الحسن: يا معاوية، انظر هل أكيع عند محاورة أحد؟ ويحك، أتدري من أي شجرة أنا، وإلى من أنتهي. انته قبل أن أسمك بميسم تتحدث به الركبان في الآفاق والبلدان. فقال ابن الزبير: هو لذلك أهل. فقال معاوية: فلا أراك تفتخر على أحد بعدها.

■ (1) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (2) ابن عباس، عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، شهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولامثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه.وكان آية في الحفظ رضي الله عنه.

■ (3) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، أبو عبد الله، وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

■ (5) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (4) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، الأموي القرشي، أبو عبد الملك. بايع نفسه بالخلافة من غير عهد ولا مشورة، بعد خلع معاوية بن يزيد. وقيل: بعد خلع خالد بن يزيد.ولقب: المؤتمن بالله.والحكم والده هو طريد النبي صلى الله عليه وسلم نفاه إلى الطائف؛ فأقام بالطائف حتى تخلف عثمان أذن له بالعود إلى المدينة. قال ابن سعد: كانوا ينقمون على عثمان تقريب مروان وتصرفه في الأمور. بعد أن شارك في وقعة الجمل أقام بالمدينة حتى استخلف معاوية. مات سنة 65 هـ بدمشق، وقيل: مات مطعونا. وكان مروان كاتبا لعثمان بن عفان. وهو من أعظم الأسباب في زوال دولة عثمان وكانت خلافته نحو تسعة أشهر. وقيل أكثر من ذلك.وتخلف من بعده ابنه عبد الملك.

■ (7) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (8) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بـ الأشتر. أدرك الجاهلية وكان من أصحاب علي وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها.وحضر خطبة عمر في الجابية، وسكن الكوفة، وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها، وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي، وولاه علي مصر فقصدها فمات في الطريق سنة 37 هـ

■ (6) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

ذكر هذا البيهقي في كتابه المسمى المحاسن والمساوئ: كان لرجل على أبي عتيق مال فتقاضاه، فقال أبو عتيق: ائتني العشية في مجلس كذا –في رواية: مجلس القلادة، وكان مجلس القلادة مجلسا لقريش يتذاركون الفقه وأصناف العلوم– فسلني عن بيت قريش، فأتاه الغريم في ذلك المجلس وفيه وجوه قريش والحسن بن علي، فقال الغريم: يا أبا عتيق إنا تلاحينا في بيت قريش ورضينا بك حكما، فقال: آل حرب. فقال الغريم: ثم من؟ فقال: آل أبي العاص. فشق ذلك على الحسن. فقال الغريم: فأين بنو عبد المطلب. فقال: لم أكن أظن أن تسألني عن غير بيت الآدميين؛ فأما إذ صرت تسألني عن بيت الملائكة، وعن رسول رب العالمين، وسيد كل شهيد، والطيار مع الملائكة، فمن يسامي هؤلاء فخرا إلا وهو منقطع دونهم. فانجلي عن الحسن رضي الله عنه. ثم قال لأبي عتيق: إني لأحسب أن لك حاجة. قال: نعم يا بن رسول الله، لهذا علي كذا وكذا. فاحتملها عنه، ووصله بمثلها. وقد رويت الحكاية من وجه آخر فيه ابن عباس بدل الحسن.

■ (1) ابن أبي عتيق، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، التيمي المدني: وهو ابن أبي عتيق كنية والده ووالد محمد وعبد الله،يروي عن أم المؤمنين عائشة عمة أبيه وعن عبد الله بن عمر، وتوفي في حدود 110 هـ، وعبد الله بن أبي عتيق صاحب النوادر المشهورة

مراجع: سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي/ الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ المحاسن والمساوئ/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) والحسن بن علي(٣) 0280

قال السجستاني: حدثونا، أن معاوية رحمه الله عليه فخر يوما والحسن ر[1] جالس. فقال معاوية: أنا ابن بطحاء مكة، أنا ابن أغزرها جودا، وأكرمها جدودا، أنا ابن من ساد قريشا فضلا، ناشيا وكهلا. فقال الحسن رضي الله عنه، أعلي تفتخر يا معاوية؟ أنا ابن عروق الثرى، أنا ابن مأوى التقى، أنا ابن من جاء بالهدى، أنا ابن من ساد الدنيا بالفضل السابق والجود الرائق والحيب الفائق، أنا ابن من طاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله، صلى الله عليه وسلم فهل لك أب كأبي تتباهى به، أو قديم كقديمي تساميني به؟ قل، نعم؛ أو، لا. قال: بلى أقول، لا، وهي لك تصديق. فقال الحسن: الحق أبلج ما يخيل سبيله..والحق ذوو الألباب.

وروي أن معاوية رحمه الله خرج عاما حاجا، فمر بالمدينة ففرق على أهلها أموالا جزيلة، ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله عنهما، فلما حضر قال له معاوية: مرحبا مرحبا برجل تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا؟ فقال الحسن رضي الله عنه: كيف ينفد ما عندك، وخراج الدنيا يجيء إليك؟ فقال له معاوية: قد أمرت لك بمثل ما أمرت به لأهل المدينة، وأنا ابن هند. فقال الحسن: قد رددته عليك، وأنا ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

قال المدائني: قال معاوية لابن الزبير[2]: ألا تعجب من الحسن وتثاقله عني؟ فقال ابن الزبير: مثلك ومثل الحسن كما قال الشاعر: أجامل أقواما حياء وقد أرى..قلوبهم تأرى علي مراضها. فقال معاوية: والله، ما جامل ولقد أعلن، قال: بلى والله، لقد جامل، ولو شاء أن يطلق عليك عقال حرب زبون لفعل، فقال: أراك يا بن الزبير تجول في ضلالتك، أما والله، لو ظفر بك لقتلك كما قتل أبوه أباك أو لغربك ونفاك.

قالوا: وتداق الحسن ومعاوية في أمر فقال الحسن: بيني وبينك سعد بن أبي وقاص[3]، فقال معاوية: لا أحكم رجلا من أهل بدر، قال الحسن: فترضى عبيد الله بن أبي بكرة [4]بالعراق ؟ قال معاوية: لا أرضى به.

■ (1) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (3) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري، أسلم وهو ابن 19 وشهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة.مات بالمدينة سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقيل مات سنة 58 هـ..

■ (4) عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي الأمير، من أبناء الصحابة. مولده في سنة أربع عشرة. وقد ولي قضاء البصرة، وولي إمرة سجستان سنة 50 هـ ثم عزل بعد ثلاث سنين ثم وليها الحجاج. مات بسجستان سنة 79 هـ.

قال البلاذري: حدثني علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة عن يونس بن حبيب قال: مدح شاعر الحسن بن علي فأعطاه عشرة آلاف درهم، فقيل: أتعطيه عشرة آلاف درهم؟! قال: إن خير المال ما وقى العرض واكتسب به حسن الأحدوثة، والله ما أخاف أن يقول لست بابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابن علي ولا ابن فاطمة، ولكني أخاف أن يقول إنك لا تشبه رسول الله ولا عليا ولا فاطمة والله إنهم لخير مني، وأخرى إن الرجل أملني ورجاني.

وعن ابن أبي مليكة قال: تزوج الحسن بن علي خولة بنت منظور بن زبان بن سيار بن عمرو الفزاري، فبات ليلة على سطح له أجم لا ستر له فشدت خمارها برجله والطرف الآخر بخلخالها فقام من الليل فقال: ما هذا ؟ فقالت: خفت أن تقوم بوسنك في الليل فتسقط فأكون أشأم سخلة على العرب، فأحبها فأقام عندها سبعة أيام، فقال ابن عمر: لم نر أبا محمد منذ أيام فانطلقوا بنا إليه، فأتوه فقالت خولة: احتبسهم حتى نهيء لهم غداء، فقال: نعم. قال ابن عمر: فابتدأ الحسن حديثا ألهانا بالاستاع إعجابا به حتى جاءنا بالطعام وكانت خولة عند محمد بن طلحة فخلف عليها، وكانت أختها عند عبد الله بن الزبير، فعبد الله زوجة إياها، واسم أختها تماضر بنت منظور، فغضب أبوها ثم رضي. وقال قوم: الذي شدت خمارها برجله هند بنت سهيل بن عمرو، والأول أثبت. وقالوا: وتزوج الحسن امرأة من أهل اليمن فبعث إليها بعشرة آلاف درهم وطلاقها، فقالت: متاع قليل من حبيب مفارق، فقال الحسن: لو راجعت امرأة راجعت هذه.

و عن أبي صالح قال: أحصن الحسن بن علي تسعين امرأة. فقال علي رضي الله عنه: لقد تزوج الحسن وطلق حتى خفت أن يجني بذلك علينا عداوة أقوام. قال المدائني: بلغنا أن الحسن كان إذا أراد أن يطلق امرأة جلس إليها فقال: أيسرك أني أهب لك كذا ؟ فتقول: ما شئت، أو تقول: نعم. فيقول: هو لك، فإذا قام أرسل إليها بمالها الذي سماه وبالطلاق. وعن ابن سيرين قال: كان الحسن بن علي يقول: الطعام أيسر من أن يقسم عليه إذا دعي الرجل إلى أكله فلم يأكله. وعن أبي زكريا العجلاني قال: قال مخرمة بن نوفل: بنو هاشم أكمل سخاء من بني أمية. وقال جبير بن مطعم: بنو أمية أسخى، فقال له مخرمة: امتحن ذلك ونمتحنه، فأتى جبير سعيد بن العاص، وابن عامر، ومروان فسألهم فأعطاه كل امرئ منهم عشرة آلاف، وأتى مخرمة الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر فأعطاه كل واحد منهم مائة ألف درهم فردها وقال: إنما أردت امتحانكم.

مراجع: / أنساب الأشراف/ المعمرون والوصايا/ الأعلام للزركلي/

قال عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عتبة بن أبي سفيان: جلست ميسون بنت بحدل الكلبية[1] ترجل ابنها يزيد بن معاوية[2]، وميسون يومئذ مطلقة، ومعاوية وفاختة بنت قرظة[3]ينظران إليها، ويزيد وأمه لا يعلمان، فلما فرغت من ترجيله نظرت إليه فأعجبها، وقبلت بين عينيه، فقال معاوية بيتا من شعر، ومضى يزيد، فأتبعته فاختة بصرها، وقالت: لعن الله سواد ساقي أمك ! فقال معاوية: أقد رأيتها؟ أما والله على ذلك لما فرجت عنه وركاها خير مما تفرجت عنه وركاك وكان لمعاوية من بنت قرظة عبد الله[4]، وكان أحمق الناس قالت فاختة: لا والله، ولكنك تؤثر هذا عليه، فقال: سوف أبين لك ذلك حتى تعرفيه قبل أن تقومي من مجلسك؛ يا غلام، ادع لي عبد الله، فدعاه، فقال له معاوية: أي بني، إني قد أردت أن أسعفك، وأن أصنع بك ما أنت أهله، فاسأل أمير المؤمنين، فلست سائلا شيئا إلا أعطاه، فقال: حاجتي أن تشتري لي كلبا فارها، وحمارا، فقال معاوية: يا بني، أنت حمار، ويشترى لك حمار ! قم فاخرج. قال: كيف رأيت؟ يا غلام، ادع لي يزيد، فدعاه، فقال: يا بني، إن أمير المؤمنين قد أراد أن يسعفك، ويوسع عليك، ويصنع بك ما أنت أهله، فاسأله ما بدا لك. قال: فخر ساجدا، ثم قال حين رفع رأسه: الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة، وأراه في هذا الرأي. حاجتي أن تعقد لي العهد من بعدك، وتوليني العام صائفة المسلمين، وتحسن جهازي، وتقويني، فتكون الصائفة أول أسفاري. وتأذن لي في الحج إذا رجعت، وتوليني الموسم، وتزيد أهل الشام عشرة دنانير لكل رجل، وتجعل ذلك بشفاعتي، وتفرض لأيتام بني جمح، وأيتام بني سهم، وأيتام بني عدي. قال: مالك ولبني عدي؟ قال: لأنهم حالفوني، وانتقلوا إلى داري. قال معاوية: قد فعلت، إذا رجعت، ذلك بك، وقبل وجهه، وقال لابنه قرظة: كيف رأيت؟؟ قالت: يا أمير المؤمنين، أوصه بي، فأنت أعلم به. ففعل.وقد روي هذا الخبر من طريق آخر، وفيه: أن عبد الله سأل مالا ، وأرضا، وأن يزيد قال لمعاوية: أعتقني من النار، أعتق الله رقبتك منها، فقال له: وكيف؟ قال: لأني وجدت في الأثر أنه من تلقد أمر الأمة ثلاثة أيام حرمه الله على النار؛ فاعهد إلي من بعدك.

■ (2) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (3) فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل زوجة معاوية، ولدت له عبد الله وكان محمقا ضعيفا وعبد الرحمن مات صغيرا، وغزت معه قبرس في خلافة عثمان، وقرظة يكنى أبا عمرو وكان أعمى، تزوج ابنة عتبة بن ربيعة، فولدت له فاختة ومات كافرا قبل الفتح (هذا لم أقف لها على ترجمة كاملة، والله أعلم)

■ (3) ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن حارثة الكلبية زوج معاوية بن أبي سفيان، وأم يزيد بن معاوية كانت لبيبة. وطلقها وهي حامل بيزيد، وألحقها بأهلها.

■ (4) عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان، أبو الخير، ويقال: أبو سليمان كان يلقب بمبقت. وكان مضعف العقل ؟

قال الخياط المتكلم: ما قطعني إلا غلام، قال لي: ما تقول في معاوية؟ قلت: أني أقف فيه؛ قال: فما تقول في ابنه يزيد؟ قلت: ألعنه؛ قال: فما تقول فيمن يحبه؟ قلت: ألعنه؛ قال: أفترى معاوية كان لا يحب ابنه؟

عن العتبي قال: رأى معاوية يزيد يضرب غلاما له، فقال: سوءة لك، أتضرب من لا يستطيع أن يمتنع عليك؟! والله لقد منعتني القدرة من ذوي الاحن*، وإن أحق من عفا لمن قدر ! وعن العتبي قال: وفد زياد[1]على معاوية، فأتاه بهدايا، وأموال عظام، وسفط مملوء جوهرا لم ير مثله، فسر معاوية بذلك سرورا شديدا، فلما رأى زياد ذلك صعد المنبر، فقال: أنا والله أمير المؤمنين أقمت لك صعر العراق، وجبيت لك مالها، وألفظت لك بحرها. فقام يزيد بن معاوية، فقال: إن تفعل ذلك يا زياد فنحن نقلناك من ولاء ثقيف إلى قريش، ومن القلم إلى المنابر، ومن زياد بن عبيد إلى حرب بن أمية. فقال له معاوية: اجلس، فداك أبي وأمي!. وعن عطاء بن السائب قال: غضب معاوية على ابنه، فهجره، فقال له الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين، أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة؛ إن غضبوا فأرضهم، وإن سألوا فأعطهم، ولا تكن عليهم قفلا يملوا حياتك، ويتمنوا موتك. وروى عمرو بن جبلة هذه الحكاية، وزاد فيها: فقال معاوية: لله درك، يا أبا بحر، ثم قال معاوية: يا غلام، ائت يزيد، فأقره مني السلام، وقل له: إن أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة ألف درهم، ومائة ثوب. فقال يزيد للرسول: من عند أمير المؤمنين؟ قال: الأحنف، فقال يزيد: لا جرم، لأقاسمنه. فبعث إلى الأحنف بخمسين ألفا، وخمسين ثوبا.

مر عبد الله بن معاوية يوما بطحان قد شد بغله في الرحى للطحن، وجعل في عنقه جلاجل فقال له: لم جعلت في عنق بغلك هذا هذه الجلاجل؟ فقال الطحان: جعلتها في عنقه لأعلم أن قد قام فلم يدر الرحى، فقال له: أرأيت إن هو قام وحرك رأسه؟ كيف تعلم إنه لا يدير الرحى؟ فقال له الطحان: إن فعل هذا أصلح الله الأمير فليس له عقل مثل عقل الأمير. قال الأصمعي: خرجت ابنة لمعاوية صبية، وجماعة من قريش جلوس. فقال شاب من قريش: ما أكبر عجيزتها! فدخلت إلى معاوية تبكي. فقال: ما يبكيك؟ قالت: سفل بي أحد القوم الذين بالباب. فخرج عليهم معاوية وهو مغضب فقال: أيكم سفل بالصبية؟ فسكت القوم. فأعادها. فقال الشاب: أنا مازحتها يا أمير المؤمنين. فقال معاوية: أما والله لقد رأيت أمك وهي تضرب بصحنها فتؤذي جليسها وما نظرت نفسها، وإني لأعلم قريش بقريش. فقال له الرجل: مهلا فوالله إني لأعلم قريش بقريش. فقال معاوية: واحدة بواحدة، ولكم جوائزكم.

قال أبو إسحاق القيرواني: لما توفي معاوية رحمه الله واستخلف يزيد ابنه اجتمع الناس على بابه، ولم يقدروا على الجمع بين تهنئة وتعزية، حتى أتى عبد الله بن همام السلولي[2]، فدخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، آجرك الله على الرزية وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية، فقد رزئت عظيما، وأعطيت جسيما، فاشكر الله على ما أعطيت، واصبر له على ما رزيت ؛ فقد فقدت خليفة الله، ومنحت خلافة الله ؛ ففارقت جليلا، ووهبت جزيلا ؛ إذ قضى معاوية نحبه، فغفر الله ذنبه؛ ووليت الرياسة، فأعطيت السياسة؛ فأوردك الله موارد السرور، ووفقك لصالح الأمور، وأنشده: البسيط: اصبر ، يزيد ، فقد فارقت ذا ثقة..واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا..لا رزء أصبح في الأقوام نعلمه..كما رزئت ولا عقبى كعقباكا..أصبحت والي أمر الناس كلهم..فأنت ترعاهم والله يرعاكا..وفي معاوية الباقي لنا خلف..إذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا.وعبد الله بن همام هو أول من فتح الباب في الجمع بين تهنئة وتعزية فولجه الناس كما روي من غير وجه.

- تعليق: لا أشد ما أكره في الانسان ازدراءه واحتقاره الإنسان الفقير أو المريض.. أحيانا ما يظنه الناس أحمق (أحيانا لأن فكره وسلوكه مختلف) يكون في الحقيقة هو أذكاهم في الناس بل وقد يكون أكرمهم ﴿ رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرِينَ لَا يُؤْبَهُ بِهِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ ﴾ أي: لو حلف على الله لأبر يمينه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَا تُظْهِرْ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ﴾ من منتقى الدعاء: اللهم، اجعل رزقي رغدا، ولا تشمت بي أحدا.

----

*.(الاحنة) الحقد والغضب ج كعنب: حن

■ (1) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (2) عبد الله بن همام بن نبيشة بن رياح السلولي، من بني مرة بن صعصعة: شاعر إسلامي. أردك معاوية، وبقي إلى أيام سليمان بن عبد الملك، أو بعده. له أخبار. ويقال: إنه هو الذي بعث يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية. وكان يقال له العطار لحسن شعره. توفي نحو سنة 100 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ زهر الآداب وثمر الألباب/ ربيع الأبرار/

عن رجل، قال: اجتمع عند معاوية الوليد بن عقبة[1]، والمغيرة[2]، وصعصعة بن صوحان[3]، ومالك بن البرصاء[4]، ويزيد بن معاوية[5]، وغيرهم؛ فقال: ألا تخبرني ما المروءة يا مغيرة؟ قال: سخاوة النفس، وحسن الخلق. قال: بخ بخ، وما هي في نفسي بتلك، ألا تخبرني يا وليد ما المروءة؟ قال: العفة والحرفة. قال: وكيف؟ أن تعف عما حرم الله عليك، وتحترف فيما أحل الله لك. قال: بخ، وما هي في نفسي بتلك، ألا تخبرني يا فلان ما المروءة؟ قال: المال والولد. قال: وكيف ذاك؟ قال: لا يكون المال إلا نوال، ولا نوال* إلا بمال. قال: بخ، وما هي في نفسي بتلك: حتى انتهى إلى يزيد، فقال: يا يزيد، ألا تخبرني ما المروءة؟ قال: بلى. قال: وما هي؟ قال: إذا أعطيت شكرت، وإذا ابتليت صبرت، وإذا قدرت غفرت، وإذا وعدت أنجزت. قال: صدقت، أنت مني وأنا منك.

وفي كتاب عبد الله بن جعفر العامري قال: ذكروا أنه كان عند معاوية بن أبي سفيان خطباء العرب، فسألهم عن المروءة، فقال له المغيرة بن شعبة: الدماثة، والرماثة، فقال معاوية: وكيف ذاك؟ قال: الدماثة في الأخلاق سنة أخلاقك، والرماثة حين تستهل في الحكم، فقال معاوية: بخ بخ، وليست هناك. فقال صعصعة بن صوحان: الصبر والصمت، فقال معاوية: وكيف ذاك؟ قال: أن تصبر على ما غاظك، وأن تصمت إلى حين ينبغي لك الكلام. فقال معاوية: بخ بخ، وليست هناك. فقال أبو الأسود الدؤلي: سخاء النفس، وحسن الخلق، فقال: بخ بخ، وليست هناك. فقال عمرو بن العاص[6]: المال، والوالي، قال: وكيف ذاك؟ قال: لا يصلح المال إلا بوال، ولا وال إلا بمال، قال: بخ بخ، وليست هناك. فقال يزيد بن معاوية: أنا أخبرك، فأعرض عنه، ثم أعاد الثانية، فأعرض عنه، ثم أعاد الثالثة، فقال: وكيف ذاك؟ قال: الحلم إذا ذكرت، وإذا أعطيت شكرت، وإذا ابتليت صبرت، وإذا عصيت غفرت، وإذا أحسنت استبشرت، وإذا أسأت استغفرت، وإذا وعدت أنجزت. فقال معاوية: بأبي أنت وأمي، أنت مني وأنا منك. وقيل: قدم وفد من وفود العرب على معاوية، فقال لهم: ما تعدون المروءة فيكم؟ قالوا: العفاف، والدين، والإصلاح في المعيشة. فقال معاوية: اسم يا يزيد.

----

*(نوال) أي عطاء، وقيل: نوال جمع : نول: فضل

■ (5) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (1) الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب، الاموي القرشي: وال.من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم. فيه ظرف ومجون ولهو. وهو أخو عثمان ابن عفان لامه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة 25 هـ فانصرف إليها، وأقام إلى سنة 29 هـ فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر، فعزله ودعا به إلى المدينة، فجاء، فحده وحبسه. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية، فسكنها. واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ولكنه رثى عثمان وحرض معاوية على الاخذ بثأره. ومات بالرقة سنة 61 هـ.

■ (2) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي. يقال له مغيرة الرأي. ولد سنة 20 ق هـ في الطائف بالحجاز وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك فدخل الاسكندرية وافدا على المقوقس، وعاد إلى الحجاز. فلما ظهر الاسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة 5 هـ، فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة. وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة سنة 50 أو 51 هـ.. قال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية للاناة، وعمرو بن العاص للمعضلات، والمغيرة للبديهة، وزياد بن أبيه للصغير والكبير . وللمغيرة 136 حديثا. وهو أول من وضع ديوان البصرة، وأول من سلم عليه بالامرة في الاسلام.

■ (3) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي، الكوفي، أبو طلحة، وقيل كنيته أبو عمر، قيل: ولد في دارين قرب القطيف، وكان صعصعة مسلما على عهد رسول الله، ولم يره، وصغر عن ذلك، وكان سيدا من سادات قومه عبد القيس، وكان فصيحا خطيبا، لسنا دينا فاضلا، يعد في أصحاب علي، وشهد معه حروبه، قتل أخواه يوم الجمل، فأخذ صعصعة الراية، أمره على بعض الكراديس. وله مع معاوية مواقف. ونفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوال في البحرين بأمر معاوية فمات فيها سنة56 هـ وقيل مات سنة 60 هـ يقال: وفد على معاوية، فخطب، فقال: إن كنت لابغض أن أراك خطيبا، قال: وأنا إن كنت لابغضن أن أراك خليفة.

■ (4) مالك بن قيس بن عوذ الليثي، من بني ليث بن بكير.والبرصاء أمه وهي البرصاء بنت ربيعة بن رباح بن ذي البردين من بني هلال بن عامر واسم البرصاء ريطة ؟

■ (6) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم (سفح المقطم).

قال معاوية لابنه يزيد وهو ابن تسع سنين: في أي سورة أنت يا بني؟ وكان في سورة القتال (سورة محمد)، فكره أن يذكرها فقال: ﴿أنا في السورة التي تلي: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح] يا أمير المؤمنين، فقال معاوية: هذه السورة تليها سورتان، وهي بينهما، ففي أيتهما أنت؟ قال: في السورة التي فيها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد] فتمثل معاوية حينئذ بقول الشاعر: ملوك وأبناء الملوك وسادة..تفلق عنها بيضة الطائر الصقر..متى تلق منهم ناشئا في شبابه..تجده على آثار والده يجري.

حدث هشام بن عمار عن الوليد قال: بلغنا أن يزيد بن معاوية ضرب غلاما له، فقال له معاوية: يا بني كيف طوعت لك نفسك ضرب من لا يستطيع امتناعا منك؟! وعن ابن الزناد عن أبيه قال: لما بايع معاوية ليزيد قال رجل: أعوذ بالله من شر معاوية، فقال معاوية: تعوذ بالله من شر نفسك فشرها أضر عليك، وبايع رحمك الله فإن الله جعل في الكثرة خيرا كثيرا.

عن عوانة قال، قال معاوية ليزيد: يا بني احفظ عني ما أقول لك: أكرم أهل مكة والمدينة فإنهم أصلك ومنصبك، ومن أتاك منهم فأكرمه، ومن لم يأتك فابعث إليه بصلة، وانظر أهل العراق فإنهم أهل طعن على أمرائهم وملالة لهم، فإن سألوك أن تبدل كل يوم أميرا فافعل، وانظر أهل الشام فليكونوا عيبتك وحصنك، فمن رابك أمره فارمه بهم، فإذا فرغوا فأقفلهم فإني لا آمن الناس على إفسادهم، وقد كفاك الله عبد الرحمن بن أبي بكر، فليس يخالف عليك غير الحسين وابن الزبير فأما ابن عمر فقد وقذه الإسلام وأما ابن الزبير فخب خدع، فإذا هو شخص لك فالبد له فإنه ينفسخ على المطاولة، وأما الحسين فلست أشك في وثوبه، ثم يكفيكه الله بمن قتل أباه وجرح أخاه؛ إن بني أبي طالب مدوا أعناقهم إلى غاية أبت العرب أن تعطيهم أياها، وهم محدودون.حدث أبو حفص السامي قال: بلغنا أن يزيد بن معاوية قال لأبيه: يا أمير المؤمنين متى يكون العلم ضارا؟ قال: إذا نقصت القريحة وفصلت الرواية.

عن الهيثم بن عدي قال: دخل الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية، فلما أخذ مجلسه قال معاوية: عجبا لعائشة رضي الله عنها تزعم أني في غير ما أنا أهله، وأن الذي أصبحت فيه ليس لي بحق، ما لها ولهذا يغفر الله لها، إنما كان ينازعني في هذا الأمر أبوك، وقد استأثر الله به، فقال الحسن: أو عجب هذا يا معاوية؟قال: أي والله إن هذا لعجب: قال: أفلا أنبئك بأعجب منه؟ قال: وما هو؟ قال: جلوسك في صدر المجلس، وأنا عند رجليك، فضحك معاوية ثم قال: يا بن أخي بلغني أن عليك دينا، قال: إن علي دينا، قال: وكم هو؟ قال: مائة ألف، قال: فقد أمرنا لك بثلاثمائة ألف، ثم قال: مائة ألف لقضاء دينك، ومائة ألف تقسمها في أهل بيتك، ومائة ألف لخاصة بدنك، فاقبض صلتك؛ فلما خرج الحسن قال يزيد: تالله ما رأيت رجلا استقبلك بما أستقبلك به، ثم أمرت له بثلاثمائة ألف درهم، فقال: يا بني إن الحق حقهم، فمن أتاك منهم فاحث له واحتفل.

عن أبي عبد الملك بن عمير قال: قال رجل لسعيد بن المسيب: أخبرني عن خطباء قريش قال: معاوية، وابنه يزيد، ومروان، وابنه، وسعيد بن العاص وابنه، وما ابن الزبير بدونهم. قالوا: وأخطأ يزيد في شيء فقال له مؤدبه: اخطأت يا غلام فقال يزيد: الجواد يعثر، فقال المؤدب: أي والله ويضرب فيستقيم، فقال يزيد: أي والله ويضرب أنف سائسه.

عن عبد الرحمن بن معاوية قال، قال عامر بن مسعود الجمحي: إنا لبمكة إذ مر بنا بريد ينعى معاوية، فنهضنا إلى ابن عباس وهو بمكة وعنده جماعة وقد وضعت المائدة ولم يؤت بالطعام فقلنا له: يا ابا العباس، جاء البريد بموت معاوية فوجم طويلا ثم قال: اللهم أوسع لمعاوية، أما والله ما كان مثل من قبله ولا يأتي بعده مثله، وإن ابنه يزيد لمن صالحي أهله فالزموا مجالسكم وأعطوا طاعتكم وبيعتكم، هات طعامك يا غلام، قال: فبينا نحن كذلك إذ جاء رسول خالد بن العاص وهو على مكة يدعوه للبيعة فقال: قل له أقض حاجتك فيما بينك وبين من حضرك فإذا أمسينا جئتك، فرجع الرسول فقال: لا بد من حضورك فمضى فبايع.

عن قبيصة بن جابر قال: بعثني زياد إلى معاوية في حوائج، فلما فرغت منها قلت له: يا أمير المؤمنين، كل ما جئت له فقد فرغت منه، وبقيت لي حاجة، أصدرها في مصادرها. قال: وما هي؟ قلت: من لهذه الأمة بعدك؟ قال: وما أنت من ذاك؟ فقلت: ولم يا أمير المؤمنين؟ فوالله إني لقريب القرابة، عظيم الشرف، ناصح الجيب، واد الصدر، فسكت ساعة، ثم قال: بين أربعة من بني عبد مناف: كرمة قريش سعيد بن العاص، وفتى قريش حياء ودهاء وسخاء عبد الله بن عامر، وأما الحسن بن علي فرجل سيد كريم، وأما القارىء لكتاب الله، الفقيه في دين الله، الشديد في حدود الله فمروان بن الحكم، وأما رجل نفسه فعبد الله بن عمر، وأما رجل يرد الشريعة مع دواهي السباع، ويروغ روغان الثعلب فعبد الله بن الزبير.

قال زياد بن النضر الحارثي[1]: كنت صديقا ليزيد بن معاوية قبل أن تفضي الخلافة إليه، فلما أفضت إليه أتيته فأكرمني، وأنزلني في الدار معه، فلما كان ذات يوم استحم ثم جاء يخطر في مشيته، عليه سبتية مضلعة كأن جلده يقطر دما، فما رأيت منظرا أحسن منه، فألقي له كرسي، فجلس عليه، ثم قال: يا أبا عمر قم فاستحم. ففكرت في نفسي وفي غضون جلدي فقلت: لا يراها مني أبدا، فقلت: يا أمير المؤمنين، إذا أفضت علي الماء أخذتني قشعريرة. فقال: لا عليك، يا جارية، اسقيني، قال: فأتته جارية حسناء في يدها إناء فيه شراب ما رأيت شرابا أحسن منه. قال: فشرب حتى أتى عليه، ثم قال: يا جارية، اسقي أبا عمر. قال: فقلت في نفسي: إنا لله إنا إليه راجعون، الخمر ورب الكعبة! قال: فقلت في نفسي: شربة وأتوب. قال: فجاءتني بالقدح، فشربت، فوالله ما سلسلت شرابا قط مثله. قال: فلما فرغت قال: أبا عمر، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: أتدري ما هذا الشراب؟ قلت: لا والله إلا أني لم أسلسل شرابا مثله. قال: هذا رمان حلوان، بعسل أصبهان، بزبيب الطائف، بسكر الأهواز، بماء بردى.

■ (1) زياد بن النضر أبو الأوبر ويقال أبو عائشة. ويقال: أبو عمر الحارثي من أهل الكوفة، وفد على يزيد بن معاوية. له إدراك ورواية عن أبي هريرة وعنه الشعبي وعبد الملك بن عمير وغيرهما وذكر الهيثم بن عدي أن زياد بن النضر يكنى أبا عائشة

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/ الوافي بالوفيات/ أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ المحاضرات في اللغة و الأدب لليوسي/ تهذيب الكمال/

قال السجستاني: قالوا: وأخبروني أن معاوية[1] لما حضرته الوفاة قال لابنه يزيد[2]: إني كفيتك الحل والترحال، أو قال الرحل والترحال، ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأعزاء، وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك ما جمع واحد، فانظر أهل الحجاز، فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعهد من غاب عنك منهم، وانظر أهل العراق، فإن سألوك أن تعزل عنهم في كل يوم عاملا فافعل، فإن عزل عامل أحب إليك من أن يشهر عليك مائة ألف سيف؛ وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، وإذا أصبت بهم عدوك فارددهم إلى بلادهم، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم. وإني لست أخاف عليك من قريش إلا الحسين بن علي[3]، وعبد الله بن عمر[4]، وعبد الله بن الزبير[5]، رضي الله عنهم؛ فأما الحسين، فإن له رحما وحقا عظيما، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو أتي به عفوت عنه؛ وأما ابن عمر، فيقيده إيمانه؛ وأما ابن الزبير فخب، ضب، يجثم لك جثوم الأسد، ويروغ روغان الثعلب، فإن أمكنته الفرصة وثب، فإن فعل فقدرت عليه أن تقطعه إربا فافعل.

قال، وحدثونا عن ابن عياش المنتوف قال، لما حضر معاوية الموت، ويزيد ابنه غائب بيت المقدس، وقال آخرون، بل في الصيد، دعا معاوية مسلم ابن عقبة المري[6]، والضحاك بن قيس الفهري[7]، فقال: أبلغا يزيد عني قولا، قولا له، انظر أهل العراق فإن سألوا عزل عامل في كل يوم فاعزل عنهم، فإن عزل عامل أهون من أن يشهر عليك مائة ألف سيف، ثم لا تدري على ما أنت منهم، وانظر أهل الشام فاجعلهم الشعار والدثار، فإن رابك من عدوك ريب فارمهم بهم، فإن أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، ولا يقيموا في بلاد غيرهم، فيتأدبوا بغير أدبهم. إني لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر، وحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع، ولا والله، لا تؤتى من قبله، وأما حسين بن علي فأرجوا أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه، وأما ابن الزبير فإنه خب ضب، فإذا طلع فأثبت له، فقلما مارست رجلا مثله، فوالله لو قذفته في بئر مملوء زفتا لخرج منه متملسا. قال، فمات معاوية.

فقام الضحاك بن قيس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن معاوية كان حد العرب، وفخر العرب، وهذه أكفانه، نحن مدرجوه فيها، ومخلون بينه وبين ربه، فمن أراد حضوره فليحضر بعد الظهر. فصلى عليه الضحاك بن قيس. وقال ابن خريم الأسدي[8]: أتى الحدثان نسوة آل حرب..بمقدار صمدن له صمودا..فرد شعورهن السود بيضا..ورد وجوههن البيض سودا.

وقال ابن الكلبي عن أبى عبد الرحمن المدني قال: لما حضر معاوية الموت جعل يقول: إن تناقش يكن نقاشك يا رب..عذابا لا طوق لي بالعذاب..أو تجاوز فأنت رب رحيم..عن مسي، ذوبه كالتراب.

وأما ابن داب فقال، لما ثقل معاوية بعث إلى يزيد ابنه، وهو في بعض ضياعه، فأتاه غلام له، يقال له عجلان، فأخبر بثقله، فأقبل، وقال في ذلك شعرا : جاء البريد بقرطاس يخب به..فأوجس القلب من قرطاسة جزعا..قالوا، لك الويل، ما في كتابكم..قالوا، الخليفة أمسى مدنفا وجعا..فمادت الأرض أو كادت تميد بنا..كأن أغبر من أركانها انصدعا..من لا تزل نفسه توفى على شرف..توشك مقادير تلك النفس أن تقعا..لما انتهينا وباب الدار منصفق..لصوت رملة ريع القلب فانصدعا.

فلما دخل على معاوية خلا به، وأخرج عنه أهل بيته. فقال: يا بني، قد جاء أمر الله، وهذا أوان هلاكي، فما أنت صانع بهذه الأمة من بعدي؟ فمن أجلك آثرت الدنيا على الآخرة، وحملت الوزر على ظهري لتعلو بني أبيك. قال يزيد: آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، آخذهم به، وأقتلهم عليه. فقال: أو لا تسير بسيرة أبي بكر الذي قاتل أهل الردة، ومضى والأمة عنه راضون؟ قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه، آخذهم به، وأقتلهم عليه. قال: أولا تسير بسيرة عمر الذي مصر الأمصار، وجند الأجناد، وفرض العطية، وجبي الفيء، وقاتل العدو، ومضى والأمة عنه راضون. قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة رسوله، آخذهم به، وأقتلهم عليه. قال: أولا تأخذ بسيرة عثمان عمك الذي أكل في حياته، وورث في مماته، واستعمل أقاربه؟ قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه، آخذهم به وأقتلهم عليه. قال: أولا تسير بسيرة أبيك الذي أكل في حياته وورث بعد وفاته، واحتمل الوزر على ظهره؟ قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه، آخذهم به وأقتلهم عليه. قال: يا يزيد، انقطع منك الرجاء، أظنك ستخالف هؤلاء، جميعا، فتقتل خيار قومك، وتغزو حرم ربك بأوباش الناس، فتطعمهم لحومهم بغير الحق فتدركك مرته فجأة، فلا دنيا أصبت ولا آخرة أدركت.

يا يزيد، إذا لم تصب الرشد وتطلع ذا الحق فإني قد أوطأت لك المنابر، وأذللت لك أهل العز، وأخضعت لك رقاب العرب، وكفيتك الرحلة والترحال، وجمعت لك ما لم يجمع واحد، وإني لست أخاف أن ينازعك في هذا الأمر إلا ثلاثة نفر، الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير. فأما ابن عمر فرجل وقذته العبادة، وتخلى من الدنيا وشغل نفسه بالقرآن، ولا أظنه يقاتل إلا أن يأتيه الأمر عفوا، وأما الذي يجثم جثوم الأسد، ويروغ روغان الثعلب، وإن أمكنته فرصة وثب فابن الزبير، فإن هو فعل فاستمكنت منه فقطعه إربا إربا إلا أن يلتمس منك صلحا، فإن فعل فاقبل منه، واحقن دماء قومك تقبل قلوبهم إليك، وأما الحسين بن علي فإن له رحما وحقا وولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه عليك، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو كنت صاحبه لعفوت عنه.

وحدثونا، أنه كان عند معاوية خمسة رهط حين حضرته الوفاة، الضحاك ابن قيس الفهري، ومسلم بن عقبة المري، وثور بن معن السلمي[9]، وزياد بن عمرو ابن معاوية العقيلي[10]، والنعمان بن بشير الأنصاري[11]، فقال: بلغوا يزيد عني السلام، وقولوا له، انظر أهل الحجاز فإنهم قومك وعشرتك، فأكرم من قدم عليك منهم، وصل من غاب، وانظر أهل الشام فإنهم جندك، فأكرمهم، وإذا هاجك هيج فارمه بهم، فإن فتح عليك فارددهم إلى بلادهم، فإنهم إن يسكنوا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم. وزعموا أنه كان يحول في مرضه الذي مات فيه، وهو يقول: إنكم لتحولون جسدا حولا قلبا إن ينج من النار غدا فهو الرجل كل الرجل، وله يوم من ابن الأدبر طويل، يعني حجرا رضي الله عنه وأصحابه. ثم أنشد: لقد جمعت لكم من جمع ذي حسب..وقد كفيتكم الترحال والنصبا. وابن الأدبر حجر بن يويد الكندي. فلما مات معاوية، فدفن، دخل زياد بن عمرو العقيلي على يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين، مضى ابن أبي سفيان فردا لشأنه، وخلفت، فانظر بعده كيف تصنع، أقمنا على المنهاج، واركب محجة السداد، فأنت المرتجي والمفزع.فقال يزيد: لا حول ولا قوة إلا بالله، إياه أستعين، وعليه توكلت، ونعم الوكيل.

(2) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

(1) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

(4) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

(5) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

(3) الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي العدناني، أبو عبد الله: السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء، وفي الحديث: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. ولد في المدينة، ونشأ في بيت النبوة، وإليه نسبة كثير من الحسينيين. وهو الذي تأصلت العداوة بسببه بين بني هاشم وبني أمية حتى ذهبت بعرش الامويين. وذلك أن معاوية ابن أبي سفيان لما مات، وخلفه ابنه يزيد، تخلف الحسين عن مبايعته، ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه، فأقام فيها أشهرا، ودعاه إلى الكوفة أشياعه وأشياع أبيه وأخيه من قبله فيها، على أن يبايعوه بالخلافة، وكتبوا إليه أنهم في جيش متهيئ للوثوب على الامويين. فأجابهم، وخرج من مكة مع مواليه ونسائه وذراريه ونحو الثمانين من رجاله. وعلم يزيد بسفره فوجه إليه جيشا اعترضه في كربلاء بالعراق – قرب الكوفة فنشب قتال عنيف أصيب الحسين فيه بجراح شديدة، وسقط عن فرسه، فقتله سنان بن انس النخعي وقيل الشمر بن ذي الجوشن وأرسل رأسه ونساؤه وأطفاله إلى دمشق عاصمة الامويين فتظاهر يزيد بالحزن عليه. واختلفوا في الموضع الذي دفن فيه الرأس فقيل في دمشق، وقيل في كربلاء، مع الجثة، وقيل في مكان آخر، فتعددت المراقد، وتعذرت معرفة مدفنه. وكان مقتله يوم الجمعة عاشر المحرم، سنة 61 هـ وقد ظل هذا اليوم يوم حزن وكآبة عند جميع المسلمين ولا سيما الشيعة.

(6) مسلم بن عقبة المري.وهو الذي سماه الناس بعد وقعة الحرة مجرما ومسرفا بعد أن حصر المدينة وأوقع بأهلها وقعة الحرة، سار إلى مكة لقتال ابن الزبير فمات في الطريق سنة 64 هـ ودفن بالمشلل بين مكة والمدينة وقد استخلف الحصين بن نمير السكوني على الجيش لقتال ابن الزبير

(7) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي، أبو أمية، أو أبو أنيس: سيد بني فهر، في عصره. وأحد الولاة الشجعان. شهد فتح دمشق، وسكنها. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية على الكوفة سنة 53 هـ بعد موت زياد بن أبيه فتفقد الخورنق قصر النعمان وأصلحه. ونقل إلى ولاية دمشق، فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد. ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه، انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق. ومات معاوية سنة 64 هـ فأقبل أهل دمشق على الضحاك، فبايعوه على أن يصلي بهم، ويقيم لهم أمرهم، حتى يجتمع الناس على خليفة وانعقدت البيعة العامة لمروان بن الحكم، والضحاك في مرج راهط، فامتنع على مراون، فقتل في مرج راهط سنة 65 هـ

(9) ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس السلمي من أصحاب الضحاك بن قيس وممن دعا إلى بيعة ابن الزبير قتل مع الضحاك بمرج راهط سنة أربع 64 هـ

(11) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الانصاري، أبو عبد الله: أمير، خطيب، شاعر، من أجلاء الصحابة. من أهل المدينة. وجهته نائلة زوجة عثمان بقميص عثمان، إلى معاوية، فنزل الشام. وشهد صفين مع معاوية. وولي القضاء بدمشق، بعد فضالة بن عبيد سنة 53 هـ وولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة، تسعة أشهر، وعزله وولاه حمص. واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية، فبايع النعمان لابن الزبير. وتمرد أهل حمص، فخرج هاربا، فاتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله. سنة 65 هـ وهو أول مولود ولد في الانصار بعد الهجرة. قال ابن حزم: افتتح مروان دولته بقتله، وسيق إليه رأسه من حمص. وقيل: قتل يوم مرج راهط. قال سماك بن حرب: كان من أخطب من سمعت.

(8) أيمن بن خريم بن فاتك، من بني أسد: شاعر كان من ذوي المكانة عند عبد العزيز بن مروان بمصر، ثم تحول عنه إلى أخيه بشر بن مروان بالعراق. وكان يشارك في الغزو، وله رأي في السياسة. عرض عليه عبد الملك مالا ليذهب إلى الحجاز ويقاتل ابن الزبير، فأبى وقال أبياتا منها: ولست بقاتل رجلا يصلي على سلطان آخر من قريش. له سلطانه وعلي وزري..معاذ الله من سفه وطيش!. وكان يرى اعتزال الفتن ويقول: إنما يسعرها جاهلها حطب النار، فدعها تشتعل!. وكان به برص، وهو ابن خريم الصحابي. مات نحو سنة 80 هـ

(10) زياد بن عمرو بن معاوية العقيلي كان على ميمنة الضحاك بن قيس الفهري يوم مرج راهط له ذكر. قتل سنة 64 هـ في وقعة مرج راهط بالشام

☪

روي البلاذري أن محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفية، دخل يوما على يزيد بن معاوية بدمشق ليودعه بعد أن قضى عنده فترة من الوقت ، فقال له يزيد ، وكان له مكرما : يا أبا القاسم، إن كنت رأيت مني خلقا تنكره نزعت عنه، و أتيت الذي تشير به علي؟ فقال: والله لو رأيت منكرا ما وسعني إلا أن أنهاك عنه، وأخبرك بالحق لله فيه، لما أخذ الله على أهل العلم عن أن يبينوه للناس ولا يكتموه، وما رأيت منك إلا خيرا.

(1) محمد بن علي بن أبي طالب، أبو القاسم، ابن الحنفية، أمه الحنفية خولة بنت جعفر. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي سنة 81 هـ أو83 هـ وقيل72 هـ أو 73 هـ بالمدينة، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان وكان والي المدينة، ودفن بالبقيع، وقيل إنه خرج إلى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات هناك، وقيل إنه مات ببلاد أيلة.

مراجع: المعمرون والوصايا/ الأعلام للزركلي/ تاريخ دمشق/ أنساب الأشراف/

قال ابن منظور: خرج محمد بن عمرو[1] وأخوه عمارة[2] فقدما على معاوية فرآهما ذات يوم فقال: متى قدمتما؟ قالا: منذ كذا وكذا؛ قال: أفلا تلقياني بحاجتكما؟ قالا: وددنا؛ قال: فميعادكما غدا بالغداة؛ فلما أصبحا جعل محمد يتهيأ للغدو ويقول عمارة: اذكر كذا واذكر كذا؛ قال: فحضرا الباب وأذن لهما ومعاوية جالس على كرسي فتشهد محمد ثم قال: أما بعد، فإنه والله ما في الأرض اليوم نفس هي أعز علي من نفسك سوى نفسي، وما في الأرض اليوم نفس هي أحب إلي رشدا من نفسك سوى نفسي، وإن يزيد بن معاوية[3] أصبح غنيا إلا عن كل خير، أصبح واسط الحسب في قريش، وأصبح غنيا في المال، وإن الله سائل كل راع عن رعيته، وإنك مسؤول عن رعيتك فانظر عباد الله من تولي أمرهم، ثم استغفر، ولقد رأيت معاوية أخذه بهر وإنا لفي يوم شات، ثم تنفس، ثم تشهد، ثم قال: أما بعد، فإنك امرؤ ناصح وإنما قلت برأيك، والله ما كان عليك إلا ذلك، وإنما بقي ابني وأبناؤهم، فابني أحق من أبنائهم، ارتفعا راشدين. فلما خرجا أقبل عمارة على أخيه فقال: فما ضربنا أكباد الإبل من المدينة إلا لهذا؟ أفي يزيد بن معاوية؟ ما كنت تستقبله بشيء أشد مما استقبلته به؛ فلما أكثر عليه قال: حسبك، أكل هذا ليظنك أنك ستعطى؟ قال: فتركنا كذا وكذا لا يلتفت إلينا، ثم أرسل إلينا: ارفعا حوائجكما؛ قال: فرفعنا حوائجنا وأعطانا ما شاء لنا وزادنا.

في رواية حدث الجمحي أن عمارة بن حزم وأخاه قدما في وفد على معاوية. فلما أذن لهم قالا: إنا نحب أن ندخل عليه خاليا، نذكر له حاجتنا، فقيل له، فقال: نعم، فليأتيا في ساعة كذا وكذا، فدخل أكبرهما فقال: يا أمير المؤمنين، قد كبرت سنك، ورق عظمك، واقترب أجلك، فأحببت أن أسألك عن رجال قومك وعن الخليفة من بعدك وكان معاوية يشتد عليه أن يقال: كبرت سنك أن يشك في الخليفة أنه يزيد فقال معاوية: نعيت لأمير المؤمنين نفسه، وسألته عن خبي سره، وشككت أنه الخليفة بعده، أخرجوه. فلما خرج قال له أخوه: ما أردت بهذا، ما لهذا قدمت، قال معاوية: نبئوه يرجع إلى أهل المدينة فيقول: سألت أمير المؤمنين عن شيء يعنى به، فقال: أدخلوه، فدخل فقال: سألتني عن رجال قومي، فأعظمهم حلما الحسن بن علي[4]، وفتاهم عبد الله بن عامر[5]، وأشدهم خبا هذا الضب يعني: ابن الزبير[6] والخليفة بعدي يزيد، قال: وقال له أبو أيوب الأنصاري[7]: اتق الله، ولا تستخلف يزيد، قال: امرؤ ناصح، وإنما أشرت برأيك، وإنما هم أبناؤهم فابني أحب إلي من أبنائهم، ثم قال: يا أبا أيوب، أرأيت الفرس البلقاء التي كان من أمرها يوم كذا وكذا، من قتل صاحبها؟ قال: أنا قتلت صاحبها، وأنت وأبوك يومئذ بأيديكما لواء الكفر. قال معاوية: عمرك الله ما أردت بهذا.

----

*(البهر) انقطاع النفس من الإعياء ؟ والبهر الفخر والبهر الغلبة

■ (1) محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري.ابن حزم، توفي سنة 63 هـ وولد بنجران سنة عشر، وأبوه عامل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكنية محمد أبو سليمان وقيل أبو عبد الملك، روى عنه جماعة من أهل المدينة ويروي هو عن أبيه وغيره من الصحابة.قال:كنت أكنى أبا القاسم عند أخوالي بني ساعدة فنهوني فحولت كنيتي إلى أبي عبد الملك. ووفد على معاوية هو وأخوه عمارة وقتل يوم الحرة ومعه جماعة من أهل بيته ويقال أنه كان أشد الناس على عثمان.قال حبيب مولى أسد بن الأخنس: بعثني عثمان بن عفان إلى محمد بن عمرو بن حزم: أنا نرمى من قبلك بالليل، فقال: ما نرميه ولكن الله يرميه؛ فأخبرت عثمان فقال: كذب لو رماني الله عز وجل ما أخطأني

■ (2) عمارة بن عمرو بن حزم النجاري: وقيل غير ذلك في نسبه. كان من أكابر أصحاب ابن الزبير. وشهد معه حروبه مع بني مروان.قيل قتل بالحرة سنة 63 هـ وقيل قتل بمكة يوم قتل ابن الزبير سنة 73 هـ، وحمل رأسه مع رأسي عبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان إلى المدينة، فنصبت مدة، ثم أرسلت إلى عبد الملك بن مروان.

■ (3) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (7) أبو أيوب الأنصاري، اسمه خالد بن زيد الخزرجي من بني مالك بن النجار شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله وتوفي بالقسطنطينية من أرض الروم سنة 50 هـ وقيل سنة 51 هـ في خلافة معاوية تحت راية يزيد . روي هذا عن مجاهد وقد قيل إن الروم قالت للمسلمين في صبيحة دفنهم لأبي أيوب لقد كان لكم الليلة شأن عظيم فقالوا هذا رجل من أكابر أصحاب نبينا صلى الله عليه و سلم وأقدمهم إسلاما وقد دفناه حيث رأيتم والله لئن نبش لأضرب لكم ناقوس أبدا في أرض العرب ما كانت لنا مملكة.

■ (4) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، وثاني الائمة الاثني عشر عند الامامية ولد في المدينة المنورة، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أكبر أولادها وأولهم. كان عاقلا حليما محبا للخير، فصيحا من أحسن الناس منطقا وبديهة حج عشرين حجة ماشيا. وقال أبو نعيم: دخل أصبهان غازيا مجتاز إلى غزاة جرجان، ومعه عبد الله بن الزبير. وبايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة 40 هـ وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان، فأطاعهم وزحف بمن معه. وبلغ معاوية خبره، فقصده بجيشه. وتقارب الجيشان في موضع يقال له مسكن بناحية من الانبار، فهال الحسن أن يقتتل المسلمون، ولم يستشعر الثقة بمن معه، فكتب إلى معاوية يشترط شروطا للصلح، ورضي معاوية، فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الامر لمعاوية في بيت المقدس سنة 41 هـ، وسمي هذا العام عام الجماعة لاجتماع كلمة المسلمين فيه. وانصرف الحسن إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفي مسموما –في قول بعضهم– سنة 50 هـ ومدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام. وولد له أحد عشر ابنا وبنت واحدة. وإليه نسبة الحسنيين كافة وكان نقش خاتمه: الله أكبر وبه أستعين.

■ (5) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عامر بن كريز، فاتح خراسان وغيرها، ولد بمكة سنة4 هـ عندما عزل عثمان أبا موسى عن البصرة، وعثمان بن أبي العاص عن فارس، جمعهما لابن عامر سنة 29 هـ فوجه جيشا إلى سجستان فافتتحها صلحا، وافتتح الداور، وبلادا من دار ابجرد وهاجم مرو الروذ فافتتحها، وبلغ سرخس فانقادت له، وفتح أبرشهر عنوة، وطوس وطخارستان ونيسابور وأبيورد وبلخ والطالقان والفارياب. وافتتحت له رساتيق هراة وآمل وبست وكابل.وقتل عثمان، وهو على البصرة. وشهد وقعة الجمل مع عائشة، وقيل لم يحضر وقعة صفين. وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس على خلافته (أي بعد تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة حقنا لدماء المسلمين) ثم صرفه عنها فأقام بالمدينة ومات بمكة قبل معاوية بعام ودفن بعرفات سنة 59هـ

■ (6) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي له صحبة ورواية عن النبي وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو ابن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر وتخلف بعده ابنه عبد الملك ووقع بينه وبين عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب حروب دامت سنين إلى أن قتل عبد الملك مصعب متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا وطوف برأسه سنة 73 هـ

جاء في كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر: قال القاضي أبو القاسم في كتابي بخط أبي حامد بن نعيم أنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم نا عبد العزيز بن أحمد أنا أبو محمد بن أبي نصر أنا أبو الميمون نا أبو زرعة حدثني أحمد بن شبوية حدثني سليمان بن صالح حدثني عبد الملك بن المبارك حدثني الجمحي أن عمارة بن حزم وأخاه عمرو بن حزم قدما على معاوية كذا جاء في هذه الرواية والمحفوظ عند أهل السيرة أن عمارة استشهد في حياة أبي بكر سنة اثنتي عشرة قبل فتح الشام وقبل ولاية معاوية بسنتين وأما القادم على معاوية فهو عمارة بن عمرو بن حزم ابن أخي عمارة بن حزم وأخوه محمد بن عمرو بن حزم وسيأتي ذكر ذلك وقد رواه غير أبي زرعة عن أحمد بن شبوية فلم يسم أخا عمارة عمرا وقال إن عمارة بن حزم وأخاه قدما فنسب عمارة إلى جده وهو عمارة بن عمرو بن حزم [..]

حدث عمارة بن حزم عن أبي بن كعب قال: ﴿ بَعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم عَلَى صَدَقَةِ بِلِّيَ وَعُذْرَةَ ، فَمَرَرْتُ بِرَجُلٍ مِنْ بِلِّيَ لَهُ ثَلاثُونَ بَعِيرًا ، فَقُلْتُ : إِنَّ عَلَيْكَ فِي إِبِلِكَ هَذِهِ ابْنَةَ مَخَاضٍ فَقَالَ : ذَاكَ مَا لَيْسَ فِيهِ ظَهْرٌ ، وَلاَ لَبَنٌ ، وَمَا قَامَ فِي مَالِي لِرَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم يُؤْخَذُ مِنْهُ قَالَ : وَإِنِّي لأَكْرَهُ أَنْ أُقْرِضَ الله شَرَّ مَالِي فَتُجِيزُهُ فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ : مَا كُنْتُ لآخُذَ فَوْقَ مَا عَلَيْكَ ، وَهَذَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم فَأَتَاهُ ، فَقَالَ نَحْوَ مَا قَالَ لأُبَيٍّ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم : هَذَا مَا عَلَيْكَ فَإِنْ جِئْتَ فَوْقَهُ قَبِلْنَا مِنْكَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله هَذِهِ نَاقَةٌ عَظِيمَةٌ سَمِينَةٌ فَمَنْ يَقْبِضُهَا ، فَأَمَرَ مَنْ يَقْبِضُهَا ، وَدَعَا لَهُ فِي مَالِهِ بِالْبَرَكَةِ. قَالَ عُمَارَةُ : فَضَرَبَ الدَّهْرُ مِنْ ضَرَبَاتِهِ وَوَلاَّنِي مَرْوَانُ صَدَقَةَ بِلِّيَ وَعُذْرَةَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ ، فَمَرَرْتُ بِهَذَا الرَّجُلِ وَصَدَقَةُ مَالِهِ ثَلاَثُونَ حِقَّةً فِيهَا فَحْلُهَا عَلَى أَلْفٍ وَخَمْسِمِئَةِ بَعِيرٍ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : قُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ : مَا فَحْلُهَا ؟ قَالَ : إِلاَّ أَنْ تَكُونَ فِي السَّنَةِ إِذَا بَلَغَ صَدَقَةَ الرَّجُلِ ثَلاَثِينَ حِقَّةً أُخِذَ مَعَهَا فَحْلُهَا﴾ رواه أبو يعلى بسند صحيح ورواه أبو داود في سننه مختصرا، وصرح بتحديث ابن إسحاق وكذا رواه أحمد بن حنبل ، وابن خزيمة في صحيحه.

عن الأصمعي قال: خرج معاوية إلى مال له بمكة، ومعه عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي[1]، وكان معاوية قد غرس في ذلك المال غروسا وزرع، فقال له: يا بن صفوان كيف ترى؟ قال: أرى أن الله يوقل بواد غير ذي زرع..وقد زرعت فيه كأنك تريد الخلاف. فقال معاوية: متى قرأت هذه الآية يا بن صفوان؟ قال: أما أنا فقد أحرقت قلبك بها فلا عليك أن تعلم متى قرأتها.

قال ابن عياش: دخل مالك بن هبيرة السكوني[2] على معاوية، فلما طلع قال لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله ما أحب أن هذا من قريش، قال: وما يهولك منه؟ قال: أقسم بالله لو كان منهم لأهمتك نفسك وما خلوت بمصر، فلما دنا سلم وجلس، قال: وخدرت رجله فمدها فقال له معاوية: يا أبا سعيد وددت أن لي جارية لها مثل ساقيك، قال: في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين، قال: حجبة بلبجة والبادئ أظلم، فلما نهض قال معاوية لعمرو: إن الله قد أحسن بك إذ جعل هذا من كندة عن عبد الملك بن مسلم قال: قدم مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم بن الحارث بن المخصف السكوني على معاوية فقال له: كيف رأيت قومي بالحجاز؟ قال: رأيت ابن عمر فرأيته رجل نفسه، ورأيت الحسن بن علي فرأيته ظاهر الجهال طاهر القلب، ورأيت عبد الله بن مطيع العدوي فرأيت سفيها يريد أن يعد فقيها ورأيت ابن الزبير فرأيت رجلا تكفيه واحدة فيصيرها عشرا وهو يحاول أمرا ليس من أهله، قال معاوية: فمن سيد قومك؟ قال: من سودته يا أمير المؤمنين، قال: فأنت سيدهم، قال: فقرب مجلسي واقض حاجتي والقني ببشر حسن. وقال هشام بن عمار: سأل بعض قريش معاوية شيئا فأعطاه إياه، ثم سأله شيئا آخر فأعطاه، ثم سأله ثالثا فمنعه، فلم يزل ملحا عليه حتى أعطاه ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين إن الضجور تحلب العلبة، فقال معاوية: نعم وربما زبنت الحالب وكسرت أنفه.

■ (1) ابن صفوان الاكبر، عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف. الجمحي: رئيس مكة وابن رئيسها. شجاع، من أصحاب عبد الله بن الزبير، حارب معه الحجاج بن يوسف. ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وقتل بمكة يوم مقتل ابن الزبير،سنة 73 هـ فبعث الحجاج برأسه إلى عبد الملك بن مروان. وعرفه ابن حزم بعبد الله الاكبر، تمييزا له عن ابن صفوان الاصغر. وعبد الله بن صفوان الجمحي: وال، من الاعيان القادة. ولي إمرة المدينة في أيام المنصور العباسي، وتوفي فيها سنة 160 هـ عرفه ابن حزم بعبد الله الاصغر للتفريق بينه وبين المترجم قبله.

■ (2) مالك بن هبيرة بن خالد السكوني الكندي: من رؤساء كندة في العصر الا موي، بالشام. ومن الخطباء. أدرك النبي صلى الله عليه وآله وروي أحاديث. وكان مع معاوية أيام صفين.ولما بويع معاوية على كتاب الله وسنة نبيه، جاءه، فخطب بين يديه، وقال: ابسط يدك أبايعك على ما أحببنا وكرهنا ! فكان أول من بايع على ذلك. وغزا في البحر سنة 48 وولي حمص لمعاوية. ثم لما بويع مروان ابن الحكم بالشام في أواخر سنة 64 وسار إلى مصر، كان مالك معه. مات سنة – 65 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/ الوافي بالوفيات/ أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ المحاضرات في اللغة و الأدب لليوسي/

عن أبي أيوب بن عبد الله قال: كان معاوية يحسد الناس على النكاح، فقال لرجل من جلسائه من كلب*، وكان شيخا كبيرا، كيف أنت والنساء؟ قال: ما أشاء أن أفعل إلا فعلت، فجفاه وحرمه صلته، فدس الكلبي امرأته الى ابنة قرطة[1] امرأة معاوية فشكت وقالت: ما أنا وهو في اللحاف الا بمنزلة امرأتين، ودخل معاوية على ابنة قرطة فقال: من المرأة التي عندك؟ قالت: امرأة فلان الكلبي، قال: وما قالت؟ قالت: شكت حالها وكبر زوجها وأنه لا ينال منها شيئا ولا يقدر عليه، فقال: ما كذا يزعم، فأرسل إليه وتوارت امرأته عند النساء، فقال له معاوية: يا فلان كيف قوتك على الجماع؟ فقال: ما أشاء أن أفعل إلا فعلت، فقالت امرأته: كذب يا أمير المؤمنين، فقال الشيخ: أقلني هذه الكذبة، فضحك معاوية وقال: أنا أبو عبد الرحمن، وأمره فانصرف، وعاد إلى ما كان عليه من بره وصلته.

في رواية: كانت لأيمن بن خزيم الأسدي[2] منزلة عند معاوية، وكان معاوية قد ضعف عن النساء، فكان يكره أن يذكر عنده رجل يوصف بالجماع فجلس ذات يوم وفاختة قريبة منه حيث تسمع الكلام فقال: يا أيمن؛ ما بقي من طعامك وشرابك وجماعك وقوتك؟ فقال: أنا والله يا أمير المؤمنين آكل الجفنة الكثيرة الدرمك والقدر، وأشرب الرفد العظيم ولا أنقع بالغمر، وأركض بالمهر الأرن ما أحضر، وأجامع من أول الليل إلى السحر. قال: فغم ذلك معاوية، وكلامه هذا بأذني فاختة، فجفاه معاوية. فشكا أيمن ذلك إلى امرأته فقالت: أذنبت ذنبا. فوالله ما معاوية بعابث ولا متجن قال: لا والله إلا كذا وكذا. قالت: هذا والله الذي أغضبه عليك قال: فأصلحي ما أفسدت. قالت: كفيتك. فأتت معاوية فوجدته جالسا للناس، فدخلت على فاختة فقالت: مالك؟ قالت: جئت أستعدي على أيمن. قالت: وماله؟ قالت: ما أدري أرجل هو أم امرأة. وما كشف لي ثوبا منذ تزوجني. قالت: فأين قوله لأمير المؤمنين؟ وحكت لها ما قال. فقالت: ذاك والله الباطل. وأقبل معاوية فقال: من هذه عندك يا فاختة. قالت: هذه امرأة أيمن جاءت تشكوه. قال: ومالها؟ قالت: زعمت أنها لا تدري أرجل هو أم امرأة، وأنه لم يكشف لها ثوبا منذ تزوجها. قال: كذاك هو؟ قالت: نعم ففرق بيني وبينه فرق الله بينه وبين روحه! قال معاوية: أو خيرا من ذلك، هو ابن عمك، وقد صبرت عليه دهرا. فأبت فلم يزل بها يطلب إليها حتى سمحت له بذلك فأعطاها وأحسن إليها وعادت منزلة أيمن عند معاوية كما كانت.

----

* (بنو كلب) بطن من قضاعة، وقضاعة تقدم نسبه عند ذكره في حرف القاف.(بنو كلب) بطن من خثعم ذكرهم الحمداني، ثم قال: وهم من ربيعة من خثعم ومساكن قومهم بأرض الحجاز.(بنو كلب) بطن من العرب، ذكرهم الحمداني في الديار المصرية ولا أدري هل هم من البطون المتقدمة الذكر، ام من كلب آخر غيرهم.

■ (2) أيمن بن خزيم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة الأسدي قال المبرد في الكامل له صحبة وأنشد له شعرا قاله في قتل عثمان

■ (1) فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل زوجة معاوية، ولدت له عبد الله وكان محمقا ضعيفا وعبد الرحمن مات صغيرا، وغزت معه قبرس في خلافة عثمان، وقرظة يكنى أبا عمرو وكان أعمى، تزوج ابنة عتبة بن ربيعة، فولدت له فاختة ومات كافرا قبل الفتح (هذا لم أقف لها على ترجمة كاملة، والله أعلم)

زعم العمري عن عطا بن مصعب قال، حدثني عبيد بن أبان النميري قال، قدم فضالة بن زيد العدواني[1] على معاوية، فقال له معاوية: كيف أنت والنساء يا فضالة؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا باه لي إلا المنى وأخو المنى.. جدير بأن يلحي ابن حرب ويشتما..(الرواية، ولا قمط لي، والقمط الجماع، ومن قال باه فقد أخطأ، لأن الباءة ممدودة، وهي تاء في الإدراج) وفيم تصابي الشيخ والدهر دائب..بمبراته يلحو عروقا وأعظما..رمتني صروف الدهر حتى تركتنب..أجب السنام بعدما كنت أيهما..فخلت سهول الأرض وعثا ووعثها..سهولا، وقد أجررت أن أتكلما..شذاه، فصرت اليوم ملعي أبكما..كذلك ريب الدهر يترك سهمه..أخا العز والأد الذليل المذمما. الأد الأيد ذو القوة.وملعي من العي. وحرب يحيد القوم عن لهباتها..شهدت، فكنت المستشار المقدما..توسطتها بالسيف إذ هاب حميها ال..كماة،فلم يغشوا من الحرب معظما..فلما رأيت الموت ألقي بعاعه..علي تعمدت امرءا كان معلما..فيممت سيفي رأسه وتركته..يهر عليه الذئب أفضح قشعما..نفدت فما لي حيلة غير أنني..أجود إذا سيل البخيل فهمهما..وأبذل عفوا ما ملكت تكرما..وأجبر في اللأواء كلا ومعدما. فقال له معاوية: كم أتت لك من سنة يا فضالة؟ قال: عشرون ومائة سنة. قال: فأي الأشياء بك منذ كنت بها أسر، وأي شيء بوقوعه كنت أشد اكتئابا؟ قال: يا أمير المؤمنين، لم يقطع الظهر قطع الولد شيء، ولا دفع البلاء والمصائب مثل إفادة المال، والله يا أمير المؤمنين إن المال ليقع من القلب موقعا ما يقعه شيء، وإن الولد الصالح ليمثل منزلة المال، ولكن للمال فضيلة عليه، وإن كان طلب المال إنما يجمعه لولده، فإنه آثر عنده منه، لأنه قد يمنعه المال إذا طلبه منه، وإن كان يثمره له فهو أحلى متاع الدنيا عند أهل الدنيا. فقال معاوية: ليس كل أحد على رأيك، للمال حال، والولد حبة القلب ووتد النفس، وقطبة العيش، لا خير في المال لمن لا ولد له إلا أن يكون مالا ينفقه في سبيل الله. فقال فضالة: يا أمير المؤمنين، وما العيش إلا المال فاحفظ فضوله..ولا تهلكنه في الضلال فتندم..فإني وجدت المال عزا إذا التقت..عليك ظلال الحرب ترهم بالدم..إذا جل خطب صلت بالمال حيثما..توجهت من أرضي فصيح وأعجم..وهابك أقوام وإن لم تصبهم..بنفع، ومن يستغن يحمد ويكرم..وتعطي الذي يبغي وإن كان باخلا..بما في يديه من متاع ودرهم..وفي الفقر ذل للرقاب وقل ما..رأيت فقيرا غير نكس مذمم..يلام وإن كان الصواب بكفه..ويحمد آلاء البخيل المدرهم..كذلك هذا الدهر يرفع ذا الغنى..بلا كرم منه ولا بتحلم..ولكن بما حازت يداه من الغنى..يصير أميرا للئيم الملطم.فقال معاوية: قاتل الله أخا بني أسيد حين يقول: بني أم المال الكثير يرونه..وإن كان عبدا سيد الأمر جحفلا..وهم لمقل المال أولاد علة..وإن كان محضا في العمومة مخولا.

■ (1) فضالة بن زيد العدواني أحد الشعراء المعمرين وفد على معاوية ذكره أبو حاتم السجستاني في المعمرين

مراجع: أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ المعمرون والوصايا لالسجستاني/ نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب لالقلقشندي/ الإصابة في تميز الصحابة/ تاريخ دمشق/ نثر الدر/

عن أبي حرب بن أبي الأسود الدولي قال: وجه معاوية روح بن زنباع الجذامي[1] إلى بعض الملوك في صلح جرى بينه وبينه ليكتب بينهما كتابا، فلما قدم روح على الملك تشدد في الشرط فقال له الملك: ما هذا التشدد، وقد بلغني أنك من صعاليك العرب، وأنك تريد الركوب إلى صاحبك فتستعير الدواب، وأنك لست تبصر أمرك ولا تقصد لما فيه الحظ لك، فأصب من هذا المال واعمل لنفسك، فأعطاه عشرين ألف دينار، ولين له الشرط، فلما قدم على معاوية نظر في الشرط فقال: ويحك ما علمت إلا له علي، ولقد خنتني وغششتني، والله لأعاقبنك عقوبة أجعلك فيها نكالا لمن بعدك، خذاه، فقال روح، أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تبدي مني خسيسة أنت رفعتها، أو تهدم مني ركنا أنت بنيته، أو تنقض لي مريرة أنت أبرمتها، وأن تشمت بي عدوا أنت وقمته وكبته، ليأت حلمك على جهلي، وعفوك على ذنبي، وإحسانك على إساءتي، فرق له معاوية رضي الله عنه وقال: خلوه: إذا الله سنى حل عقد تيسرا.

■ (1) روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، حدث عن أبيه، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وكعب الأحبار، وغيرهم. وعنه ابنه روح بن روح، وشرحبيل بن مسلم، ويحيى الشيباني، وعبادة بن نسي، وجماعة. وكان ذا اختصاص بعبد الملك، لا يكاد يغيب عنه، وهو كالوزير له وصاحب الشرطة. ولأبيه زنباع بن روح بن سلامة صحبة، وكان لروح دار بدمشق في طرف البزوريين، أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقال مسلم: له صحبة. ولم يتابع مسلما أحد. وروى ضمرة، عن عبد الحميد بن عبد الله قال: كان روح بن زنباع إذا خرج من الحمام أعتق رقبة. قال ابن زبر: مات سنة 84 هـ.

ذكر ابن عبد ربه في العقد أن الحجاج وأباه كان يعلمان الصبيان بالطائف، ثم لحق الحجاج بروح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان، فكان في عديد شرطته إلى أن رآى عبد الملك انحلال عسكره وأن الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله، فشكا ذلك إلى روح بن زنباع، فقال له: إن في شرطتي رجلا لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحل الناس برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج ابن يوسف، قال: فإنا قد قلدناه ذلك، فكان لا يقدر أحد أن يتخلف عن الرحيل والنزول إلا أعوان روح بن زنباع، فوقف عليهم يوما وقد أرحل الناس وهم على طعام يأكلون فقال لهم: ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين قالوا له: انزل يا ابن اللخناء فكل معنا، قال لهم: هيهات، ذهب ما هنالك، ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم في العسكر وأمر بفساطيط روح فأحرقت بالنار، فدخل روح على عبد الملك باكيا، وقال: يا أمير المؤمنين، إن الحجاج الذي كان في شرطتي ضرب غلماني وأحرق فساطيطي، قال: علي به، فلما دخل عليه قال له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: أنا ما فعلت، قال: ومن فعل؟! قال: أنت فعلت، إنما يدي يدك، وسوطي سوطك، وما على أمير المؤمنين أن يخلف لروح عوض الفسطاط فسطاطين، وعوض الغلام غلامين ولا يكسرني فيما قدمني له، فأخلف لروح ما ذهب له، وتقدم الحجاج في منزلته، وكان ذلك أول ما عرف من كفايته.

☪

عن أبي خالد التميمي عن أبي لؤلؤة المازني أن عياش بن الزبرقان دخل على عبد الملك، وعنده روح بن زنباع، وأبو الزعيزعة مولى بني مروان فقال عبد الملك: يا عياش أما ترى هذا اليماني -يعني روحا- يفخر بملوك اليمن ؟ فقال عياش: يا أمير المؤمنين نحن بنو إسماعيل بن ابراهيم فملك إخوتنا بني اسحق بن ابراهيم أعظم من ملكهم، ملك سليمان بن داود مع النبوة، ونحن بنو إسماعيل ففينا النبوة والملك، فملكنا وملك إخوتنا أعظم من ملكهم، والله يا أمير المؤمنين لو مت ولم أدع وارثا، لكان أبو الزعيزعة أولى بي من روح فقام أبو الزعيزعة فقبل رأس عياش وألقى عليه مطرفه فأسكت روح.

☪

عن بكر بن الأسود عن سعيد بن عمرو بن سعيد قال: قال عبد الرحمن بن الحكم لمعاوية: والله يا معاوية لو لم تجد إلا الزنج لتكثرت بهم علينا قلة وذلة، كأنا لسنا بني أبيك؟! فأقبل معاوية على مروان فقال: ألا تغني عنا أخاك هذا الخليع! فقال مروان: قد عملت يا أمير المؤمنين أنه لا يطاق، فقال معاوية: والله لولا حلمي لعلمت أنه يطاق.

عن مسلمة بن محارب قال: استأذن نافع بن جبير بن مطعم على معاوية فمنعه الحاجب، فكسر أنفه ومعاوية ينظر، فلما دخل عليه قال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: وما يمنعني من ذلك وأنا بالمكان الذي أنا به من أمير المؤمنين؟ فقال له أبوه: ويحك، ألا قلت وأنا بالمكان الذي أنا به من عبد مناف بن قصي؟!

المدائني عن عبد الله بن سلام عن عبد الملك بن نوفل عن محمد بن كعب قال: تنازع عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم فمال معاوية مع مروان، فقال ابن الزبير: يا معاوية إن لنا حقا وحرمة وطاعة، ما أطعت الله نطعك، إنا يا معاوية لا ندع مروان يركبنا في جماهير قريش بمشاقصه.

المدائني عن حفص بن عمر عن معاوية بن عمرو عن ابن سيرين قال: دخل معاوية البيت الحرام ومعه عبد الله بن الزبير، فكلمه ابن الزبير في حاجة للحسين بن علي فأباها معاوية، فأخذ ابن الزبير بيده فغمزها، فقال له معاوية: خلني ويحك، قال: لا والله أو تقضي حاجة الحسين وإلا كسرتها، قال: فإني أفعل، فخلى يده، ثم قال: يا أمير المؤمنين أكنت ترى أنني أكسر يدك؟ قال: وما يؤمنني ذلك منك؟

المدائني عن حفص بن عمر عن معاوية بن عمرو عن ابن سيرين قال: دخل معاوية البيت الحرام ومعه عبد الله بن الزبير، فكلمه ابن الزبير في حاجة للحسين بن علي فأباها معاوية، فأخذ ابن الزبير بيده فغمزها، فقال له معاوية: خلني ويحك، قال: لا والله أو تقضي حاجة الحسين وإلا كسرتها، قال: فإني أفعل، فخلى يده، ثم قال: يا أمير المؤمنين أكنت ترى أنني أكسر يدك؟ قال: وما يؤمنني ذلك منك؟

قال: وما يؤمنني ذلك منك؟ حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال حدثني ابن عياش عن أبي الهيثم الرحبي، قال: دخل ابن الزبير على معاوية وهو خال، فأخذ يده فغمزها غمزة شديدة تأوه لها معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين ما يؤمنك أن أقتلك؟ قال: لست من قتالي الملوك، إنما يصيد كل طائر قدره، قال: يا أمير المؤمنين إني قد استجفيتك، قال: ولم؟ فسأله حوائج فقضاها.

وقد قيل: إن معاوية خرج من مكة ليلا مستخفيا، وبلغ ابن الزبير خروجه فلحقه وسايره ساعة، ثم قال: لو شئت يا أمير المؤمنين لقتلتك مذ الليلة، قال: كلا لست من قتالي الملوك، إنما يصيد كل طائر قدره.

☪

قال رجل لبعض الأمراء: أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلا نظرت في أمري نظر من برئي أحب إليه من سقمي وبراءتي أحب إليه من جرمي.

ونحوه قول آخر: قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة. وفي مثله: أتى الأحنف بن قيس مصعب بن الزبير فكلمه في قوم حبسهم، فقال: أصلح الله الأمير، إن كانوا حبسوا في باطل فالحق يخرجهم، وإن كانوا حبسوا في حق فالعفو يسعهم. فخلاهم. وفي مثله: أمر معاوية بعقوبة روح بن زنباع فقال له روح: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع مني خسيسة أنت رفعتهم أو تنقض مني مرة أنت أبرمتهم أو تشمت بي عدوا أنت وقمته وإلا أتى حلمك وعفوك على جهلي وإساءتي. فقال معاوية: خليا عنه. ثم أنشد: إذا الله سنى عقد أمر تيسرا وفي مثله: أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نذر إن أمكنه الله منه ليفعلن به وليفعلن. فقال له رجاء بن حيوة: قد فعل الله ما تحب من الظفر فافعل ما يحب الله من العفو. وفي مثله: قال ابن القرية للحجاج في كلام له: أقلني عثرتي وأسغني ريقي فإنه لا بد للجواد من كبوة ولا بد للسيف من نبوة ولا بد للحليم من هفوة. فقال الحجاج: كلا، والله حتى أوردك جهنم. ألست القائل برستقباذ: تغدوا الجدي قبل أن يتعشاكم. وفي مثله: أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أعز ما تكون أحوج ما تكون إلى الله، فاعف له فإنك به تعان وإليه تعود. فخلى سبيله. وفي مثله: قال خالد بن عبد الله لسليمان بعد أن عذبه " بما عذبه به " : إن القدرة تذهب الحفيظة وقد جل قدرك عن العتاب ونحن مقرون بالذنب، فإن تعف فأهل العفو وإن تعاقب فبما كان منا. فقال: " أولى لك " أما حتى تأتي الشأم راجلا فلا عفو. وفي مثله: ضرب الحجاج أعناق أسارى أتي بهم، فقال رجل منهم: والله لئن كنا أسأنا في الذنب فما أحسنت في المكافأة. فقال الحجاج: أف لهذه الجيف! أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا! وكف عن القتل.

مراجع: أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ عيون الأخبار/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وأبو سمال الأسدي 0287

لما أراد معاوية أن يبايع أهل الأمصار ليزيد[1] كتب إلى زياد[2] أن يوفد عليه وجوه أهل الكوفة، فلما اجتمع أهل البصرة والكوفة عند معاوية قام أبو سمال الأسدي[3] فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا أمير المؤمنين، لا ينفع الحذر القدر، ولا يغلب الجهل القضاء، ولا يملك الناس تغيير النعماء، وليس أمير المؤمنين بالذي يعطينا ولا يمنعنا، ولا بالذي يضعنا ولا يرفعنا، ولكن الله هو الرافع الخافض، المعطي المانع، والأمور بيده وهو يديرها في خلقه كما يشاء، نحن يا أمير المؤمنين رعية أنت مسؤول عنها ومجازى بها عملت فيها، ولا تعذر بفسادها، فقال له معاوية وهو يستنطقه: لكن أهل بيتك أنت راع عليهم ومسؤول عنهم، قال أبو سمال: والله إني لأضرب جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأقوم جائرهم، وإنه ليدركني لهم رأفة الوالد ولده، والبعل زوجته، قال معاوية له: حاجتك يا أبا سمال؟ فما عرضت بذكر الولد والزوجة إلا لذلك، قال: مسألتي إياك يسيرة، وعطيتك إياي جليلة، فأخر معاوية عطية أبو سمال حتى كان اليوم الذي أذن للوفود برجوعهم إلى أمصارهم، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم وثلاثة مطارف وعشرة برود وعشر رواحل ونعلين وبرذون وفرس وغلام سائس ووصيف خباز وجارية بربرية.

■ (3) سمعان بن هبيرة بن مساحق بن بجير بن أسامة بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي أبو السمال، وقيل: اسم أبي سمال البراء بن سمعان.الشاعر له إدراك ونزل الكوفة، عاش مائة وسبعا وستين سنة وقيل كان مع طليحة في الردة فلما دهمهم خالد قال لطليحة بم أمرت فذكر القصة وقال مغيرة بن مقسم كان أبو السمال لا يغلق باب داره وكان له مناد ينادي من ليس له خطة فمنزله على أبي السمال قال فبلغ ذلك عثمان فاتخذ دارا لأضيافه وقال المرزباني في معجمه هو الذي شرب في رمضان مع النجاشي الحارثي فأقام الحد على النجاشي وهرب أبو السمال وأنشد له في ذلك شعرا قاله.

■ (2) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (1) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي.الملك الأموي الثاني. ولد سنة 26 هـ وتوفي سنة 64 هـ وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

كان أبو السمال ينادي مناديه في السوق والكتاتيب: من كان هاهنا من بني فلان وفلان ممن ليست له بها خطة فمنزله على أبي سمال، فاتخذ عثمان للأضياف منازل. و أبو السمال الأسدي هو الذي يقول من أبيات: من الطويل: وللموت خير لامرئ من حياته..بدارة ذل غل بلايا يوقر . يريد: على البلايا، قال أبو حاتم: وآخر حرف في كتاب سيبويه: عل ماء بنو فلان، يريد الماء.

شهد أبو سمال القادسية وكان سيدا من ساداتهم يومئذ، وكان يشرب الخمر في شهر رمضان مع النجاشي الحارثي، فحد وذلك حين يقول النجاشي:ضربوني ثم قالوا قدر..قدر الله لهم شر قدر.قال: وكان أبو سمال عظيم الأنف، فقال: لقد حضر القادسية من بني أسد سبعون رجلا كلهم أعظم أنفا مني. وقال أبو اليقظان: حضر أبو سمال طعام عبيد الله بن زياد وهو مسن، فقال له يوما: ابعث إلي بخبازك يهيئ لي طعاما ففعل فلما أتاه الخباز أقعده عند التنور ولم يعطه دقيقا ولا شيئا يصنعه، ودعا قومه ثم قال للخباز: غدنا. فقال: والله ما أعطيتني شيئا أعمل منه غداء فقال: لو كان عندنا دقيق أو لحم أو تابل لكفتنا أم سمال، فبلغ الخبر ابن زياد فأعطاه مالا وأمر له بدقيق وما يصلحه، وقال: ادع قومك. فقال الناس: أفرغ من خباز أبي سمال، وأفقر من خباز أبي سمال. وكانت أم واصل بن حيان الأحدب الأسدي أحد بني سعد بن الحارث بن ثعلبة الفقيه من ولد أبي سمال، ومات واصل في سنة عشرين ومائة.وقال أبو اليقظان: كان من ولد أبي سمال عبد الله النجاشي، وولي الأهواز لأبي جعفر المنصور، وكان رافضيا غاليا، وولي ابنه محمد بن عبد الله اصطخر.

☪

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: وأبو السمال العدوي قعنب المقرئ، روى عنه أبو زيد حروفا. وأبو سمال الأسدي: شاعر كان في الردة مع طليحة؛ وآخرون لا يعرفون: كأبي السمال الذي جلده علي في الخمر حدين. وسيال بن سمال بن الحريش اليمامي، حدث عنه ابنه محمد. وأبو عبد الرحيم خالد بن أبي يزيد بن سمال صاحب زيد بن أبي أنيسة. وحسين بن عياش الباجدائي مولى بني سمال، عن جعفر بن برقان. قلت : اسم أبي سمال الأسدي سمعان بن هبيرة. وأبو سمال العدوي، وأبو سمال العبدي، شاعران. وأما أبو سمال الذي ضربه علي فهو النجاشي، شاعر مشهور له أخبار وأشعار بصفين وغيرها.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ أنساب الأشراف/ الإصابة في تمييز الصحابة/ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه/

قال ابن حمدون: دخل على معاوية بعض كنانة* فقال له: هل شهدت بدرا؟ قال: نعم قال: مثل من كنت يومئذ؟ قال: غلام ممدود مثل عصا الجلمود، قال: فحدثني ما رأيت وحضرت، قال: ما كنا إلا شهودا كأعياب، وما رأيت ظفرا كان أوشك منه، قال: فصف لي من رأيت، قال: رأيت في سرعان الناس علي بن أبي طالب[1]غلاما ليثا عبقريا يفري الفري*، لا يلبث له أحد إلا قتله، ولا يضرب شيئا إلا هتكه، لم أر من الناس أحدا قط أثقف منه، يحمل حملة ويلتفت التفاتة كأنه ثعلب رواغ، وكأن له عينين في قفاه، وكأن وثوبه وثوب وحشي، يتبعه رجل معلم بريش نعامة، كأنه جمل يحطم يبيسا، لا يستقبل شيئا إلا هده، ولا يثبت له شيء إلا ثكلته أمه، شجاع ابله يحمل بين يديه، قيل هذا حمزة بن عبد المطلب[2]عم محمد صلى الله عليه وسلم قال: فرأيت ماذا؟ قال: رأيت ما وصفت لك، ورأيت جدك عتبة [3]وخالك الوليد[4] حيث قتلا، ورأيت من حضر من أهلك لم يغنوا عنه شيئا، قال: فكنت من المنهزمين؟ قال: نعم لما انهزمت عشيرتك، قال: فأين كنت منهم؟ قال: لما انهزمنا كنت في سرعانهم*، قال: فأين أرحت؟ قال: ما أرحت حتى نظرت إلى الهضبات، قال: لقد أحسنت الهرب، قال: قبلي ما أحسنه أبوك وبعد ما اتعظت بمصرع كمصرع جدك وخالك وأخيك، قال: إنك لغليظ الكلام، قال: إنني ممن تعرف، قال: إنكم لتبغضون قريشا، قال: أما من كان أهله منهم فنبغضه، قال: ومن الذين هم أهله؟قال: من قطع القرابة واستأثر بالفيء وطلب الحق فلما أعطيه منعه، قال: ما فيك خير من أن نسكت عنك، قال: ذاك إليك قال: قد فعلت، قال:فقد سكت

وفي رواية الشعبي قال: قدم على معاوية رجل يقال له هوذة[5]فقال له معاوية : يا هوذة، هل شهدت بدرا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين علي لا لي، قال: فكم أتى عليك؟ قال: أنا يومئذ قمد قمدود* مثل الصفاة الجلمود* كأني أنظر إليهم وقد صفوا لنا صفا طويلا وكأني أنظر إلى بريق سيوفهم كشعاع الشمس من خلل السحاب فما استفقت حتى غشيتنا عادية القوم* في أوائلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليثا عفريا* يفري الفريا وهو يقول: لن تأكلوا التمر ببطن مكة، يتبعه حمزة بن عبد المطلب في صدره ريشة بيضاء قد أعلم بها كأنه جمل يحطم يبيسا (يحطم بناء؟) فرعت منهما (فرغت عنهما؟)، وأحالا على حنظلة[6] –يعني أخا معاوية–، فقال له معاوية: رضي الله عنك ولا كفران لله زلت فليت شعري* متى أرحت يا هوذة؟ قال: والله يا أمير المؤمنين ما أرحت حتى نظرت إلى الهضبات من أرثد* فقلت: ليت شعري ما فعل حنظلة؟ فقال معاوية: أنت بذكرك حنظلة كذكر الغني أخاه الفقير فإنه لا يكاد يذكره إلا وسنانا (واسنا؟) أو متواسنا.

----

*(قمد قمدود) شديد قوي (الصفاة الجلمود) الصخر أو الحجر الصلد الضخم (يفري الفري) يقال هو يفري الفري إذا جاء بالعجب من كلام أو عمل، أو في سرعة عدو (في سرعانهم) أي في أوائلهم (وليت شعري) أي ليتني علمت (كنانة) بني كنانة قبيلة خندفية مضرية عدنانية ينتمي إليها النبي محمد عليه الصلاة والسلام (أرثد) واد بين مكة والمدينة وهو وادي الأبواء (العادية القوم) يعدون على أرجلهم (ليثا عفريا) أي قويا داهيا يقال أسد عفر وعفر بوزن طمر أي قوي عظيم

- (5) هوذة شهد بدرا مع المشركين، وأسلم بعد ذلك، ووفد على معاوية، روى الشعر.قالوا: ولا يصح لهوذة صحبة، لأن إسلامه كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. هوذة بن خالد الكناني ذكره أبو موسى في الذيل وقال روى حديثه أبو الزبير عن جابر في قصة مع معاوية
- (2) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم. أبو عمارة، من قريش: عم النبي صلى الله عليه وسلم وأحد صناديد قريش وسادتهم في الجاهلية والاسلام.ولد ونشأ بمكة. وكان أعز قريش وأشدها شكيمة. ولما ظهر الاسلام تردد في اعتناقه، ثم علم أن أبا جهل تعرض للنبي صلى الله عليه وسلم ونال منه، فقصده الحمزة وضربه وأظهر إسلامه، فقالت العرب: اليوم عز محمد وإن حمزة سيمنعه. وكفوا عن بعض ما كانوا يسيئون به إلى المسلمين. وهاجر حمزة مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وحضر وقعة بدر وغيرها. قال المدائني: أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لحمزة. وكان شعار حمزة في الحرب ريشة نعامة يضعها على صدره، ولما كان يوم بدر قاتل بسيفين، وفعل الافاعيل. وقتل يوم أحد فدفنه المسلمون في المدينة،سنة 3 هـ، وانقرض عقبه.
- (1) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.
- (6) حنظلة بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي القرشي: جاهلي، من الشجعان الأشداء القساة.أدرك الإسلام. وكان شديد الأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل المسلمين فقتلوه يوم بدر كافرا سنة 2 هـ
- (3) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية. ولد سنة 57 ق.هـ.كان موصوفا بالرأي والحلم والفضل، خطيبا، نافذ القول. نشأ يتيما في حجر حرب بن أمية. وأول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجار (بين هوازن وكنانة) وقد رضي الفريقان بحكمه، وانقضب الحرب على يده. وكان يقال: لم يسد من قريش مملق إلا عتبه وأبو طالب، فانهما ساداد بغير مال. أدرك الإسلام، وطغى فشهد بدرا مع المشركين. وكان ضخم الجثة، عظيم الهامة، طلب خوذة يلبسها يوم بدر فلم يجد ما يسع هامته، فاعتجر على رأسه بثوب له، وقاتل قتالا شديدا، فأحاط به علي بن أبي طالب والحمزة وعبيدة بن الحارث، فقتلوه سنة 2 هـ.
- (4) الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، قتله علي رضي الله عنه، يوم بدر كافرا سنة 2 هـ.

قال الواقدي: كان على رضي الله عنه يحدث، فيقول إني يومئذ بعد ما متع (ارتفع) النهار، ونحن والمشركون قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم، خرجت في أثر رجل منهم، فإذا رجل من المشركين على كثيب رمل وسعد بن خيثمة[1]،وهما يقتتلان حتى قتل المشرك سعد بن خيثمة، والمشرك مقنع في الحديد، وكان فارسا، فاقتحم عن فرسه، فعرفني وهو معلم، فناداني هلم يا بن أبى طالب إلى البراز فعطفت إلى البراز، فعطفت عليه، فانحط إلى مقبلا، وكنت رجلا قصيرا، فانحططت راجعا لكي ينزل إلى، كرهت أن يعلونى، فقال يا بن أبى طالب، فررت فقلت: قريبا مفر ابن الشتراء.- وهو مثل تضربه العرب- فلما استقرت قدماي وثبت أقبل فاتقيت فلما دنا منى ضربني بالدرقة، فوقع سيفه، فلحج (يعني لزم) فأضربه على عاتقه وهو دارع فارتعش ولقد قط سيفى درعه، فظننت أن سيفى سيقتله، فإذا بريق سيف من ورائي فطاطت رأسي، ويقع السيف، فاطن قحف*رأسه بالبيضة، وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب، فالتفت من ورائي، فإذا هو حمزة عمى، والمقتول طعيمة ابن عدى. قلت في رواية محمد بن إسحاق بن يسار أن طعيمة بن عدى[2] قتله على بن أبى طالب رضي الله عنه، ثم قال: وقيل قتله حمزة. وفي رواية الشيعة قتله على بن أبى طالب ، شجرة بالرمح، فقال له: والله لا تخاصمنا في الله بعد اليوم ابدا، وهكذا روى محمد بن إسحاق.

في رواية مصعب الزبيري: إن علي بن أبي طالب قال: رأيت طعيمة قد علا رأس كثيب يوم بدر، وقد ساواه سعد بن خيثمة؛ فصمدت له، ولم آته حتى قتل سعد؛ فلما رآني أصعد الكثيب إليه، انحط علي، وكان رجلا جسيما؛ فخشيت أن يعلو علي؛ فانحططت في السهل؛ فظن أنني فررت منه؛ فصاح بأعلى صوته: فرا ابن أبي طالب ، فقلت له: قريبا مفر ابن الشتراء ، وهذا مثل تضربه العرب. فلما استوت قدماي بالأرض، وقفت له؛ فانحدر إلي، وأهويت إليه؛ فسمعت قائلا من خلفي يقول: طأطئ رأسك ، فجعلت رأسي في صدر طعيمة، وإذا برقة من السيف، فأخذت قحف طعيمة؛ فسقط ميتا. وإذا حمزة بن عبد المطلب.

----

*(قحف) القحف العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة والجمجمة التي فيها الدماغ

- (1) سعد بن خيثمة بن الحارث الاوسي الانصاري، أبو عبد الله، أو أبو خيثمة: صحابي. كان أحد النقباء الاثني عشر بالعقبة. واستشهد يوم بدر سنة 2 هـ.
- (2) طعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف أحد مشركي وسادت قريش كان ممن يؤذي رسول الله وقتل يوم بدر وكان الذي قتل طعيمة هو حمزة بن عبد المطلب

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ المعجم الكبير/ التذكرة الحمدونية/ أسد الغابة/ الإصابة في تمييز الصحابة/ حلية الأولياء/ـمجمع الزوائد/ الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الامكنة/ لسان العرب/ مقلييس اللغة/ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة/ المناقب المزيدية في اخبار الملوك الاسدية/ المغازي/ـ

قدم أعرابي من بني هلال دمشق في خلافة معاوية، فأتى همام بن قبيصة النميري[1]، فقال له رجل من بني هلال: أصابتني السنة*، فأذهبت مالي، فجئت أطلب الفريضة*، فكلم لي معاوية، فقال له: إن معاوية علي غضبان، ولست أدخل عليه، ولكني أكلم لك أذنه يدخلك عليه، فإذا وضع الطعام فكل، ثم علمه كلاما يكلمه به إن لم يفرض له، فكلم له الآذن، فأدخله. فلما وضع الطعام أكل الأعرابي ثم قام فقال: يا أمير المؤمنين، إنني من بني هلال أصابتني السنة، فأذهبت مالي، فجئت أطلب الفريضة، فقال: وكلما أصابت السنة أعرابيا أردنا أن نفرض له؟ فقال:يا أمير المؤمنين، إن جل من معك أهل اليمن، وقد كان فيهم ملك، فهم، لكنه صور، وقد حدثوا بأنه سيرجع إليهم، فإن رأيت إن تفرض لهذا الحي من مضر فتستظهر بهم، فافعل، فقال له معاوية: هذا كلام همام –فعرفه– أبالدوائر تخوفني؟! عليك وعلى همام لعنة الله ودائرة السوء، ثم أمر ففرض له. وبلغ هماما الخبر، فقال: إن كنا لنعد عقل معاوية يفضل ألف رجل، فما زال به النساء والبنون والشفاعات حتى صار عقله إلى عقل مئة رجل.

عن المغيرة بن عطية قال: خرج معاوية من دمشق هاربا من الطاعون، فلما كف الطاعون رجع إليها، فبينا هو يسير وقد قرب من الغوطة وقيس بن ثور الكندي[2] وابن زمل السكسكي[3] يسايرانه أقبل همام بن قبيصة النميري فأراد أن يدخل بين معاوية وبينهما، فقال معاوية: ألا أخبركم عن صدرنا؟ قالوا بلى، قال: إن الله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فضله لا يوصف ولا يبلغ حتى توفاه الله إليه، ثم ولي أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، ثم ولي عمر فأرادته الدنيا ولم يردها، ثم ولي عثمان فأرادته الدنيا وأرادها حتى قتل، ثم صار الأمر إلي فوالله ما بلغ من حسن عملي ما يكون مثل سيئ عثمان الذي قتل عليه. ثم بكى، فقال همام بن قبيصة: ما بكاؤك من أمر أنت مقيم عليه لا تنزع عنه؟! فلم يكلمه معاوية ومضى حتى أشرف على الغوطة فقال: أي بستان رجل، فقال همام: يا معاوية ملكت الشرق والغرب فلم تكتف بذلك حتى أردت أن تأخذ أموالنا، لا أشبع الله بطنك. فضحك معاوية ثم حرك دابته فقال: حتى نمير تحاقني في الغوطة.

----

* (السنة) السنة المجدبة. قاله أبو عبيد، وقال أيضا: يقال أرض بني فلان سنة، إذا كانت مجدبة (الفريضة) ما أوجبه الله على عباده من حدوده التي بينها بما أمر به ونهى عنه، والحصة المفروضة بقدر معلوم في الزكاة أو في الميراث ونحوهما والفرض أيضا ما أوجبه الله تعالى ويقال فرض له في العطاء قدر له نصيبا

■ (1) همام بن قبيصة بن مسعود بن عمير العامري ثم النميري: سيد قومه في زمن يزيد بن معاوية، وأحد شجعان العصر الاموي. كان من أنصار عثمان. وقاتل مع معاوية في صفين وارتجز فيها وهو يحمل لواء هوازن: كل تلادي وطريف مالي..في نصر عثمان ولا أبالي. ثم كان ممن أبى بيعة مروان بن الحكم، وانفرد مع الضحاك بن قيس في جمع كبير، فقاتلهم مروان، فقتل همام بمرج راهط بنواحي دمشق. سنة 65 هـ

■ (3) الضحاك بن زمل بن عبد الرحمن ويقال ابن زمل بن عبد الله ويقال ابن زمل بن عمرو السكسكي من أهل بيت لهيا من قرى دمشق حدث عن أبيه وأبي أسماء السكسكي

■ (2) قيس بن ثور بن مازن بن خيثمة أبو بكر الكندي السكوني من تابعي أهل حمص أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم وسمع أبا بكر الصديق وعبد الله بن عمرو بن العاص. شهد فتح مصر، ثم انتقل إلى حمص فسكنها، وهو والد عمرو بن قيس.

وفد على معاوية، الهيثم بن رياب[1] والأحنف بن قيس[2] عليه، والهيثم ملتف بعباء، فازدراه معاوية، فلم يملأ عينيه منه، فقال الهيثم: يا أمير المؤمنين، ليس العباء يكلمك، ولكن من فيها، فقربه إليه، وقال للأحنف: مه، فقال: يا أمير المؤمنين، قصدنا إليك نعرفك أحوالنا: إن أهل العراق يسير، وعظمهم كسير، وماؤهم زعاق، وأرضهم سبخة، فإن رأى أمير المؤمنين، أن يطيب شربهم ويجبر كسرهم ويكثر جمعهم ويحفر لهم نهر يستعذبون به فقال: ارتفع يا أبا بحر ورفعه إلى قربه وقضى حوائجه.

وقيل وفد نخار بن أوس[3] على معاوية، وكان أنسب العرب، فازدراه معاوية، وكان عليه عباءة، فكلمه، فأعرض عنه؛ فقال: يا معاوية، إن العباءة لا تكلمك، إنما يكلمك من فيها؛ فأقبل عليه. وفي رواية دخل النخار العذري على معاوية في عباءة؛ فاحتقره، فرأى ذلك النخار في وجهه، فقال له: يا أمير المؤمنين، ليست العباءة تكلمك، إنما يكلمك من فيها. ثم تكلم فملأ سمعه، ثم نهض ولم يسأله، فقال معاوية: ما رأيت رجلا أحقر أولا ولا أجل آخرا منه.قالوا ثم كان من ندمائه.

لما بلغ يزيد بن معاوية[4] أن أهل مكة أرادوا ابن الزبير[5] على البيعة، فأبى، فأرسل النعمان بن بشير الأنصاري[6] وهمام بن قبيصة النميري إلى ابن الزبير إلى البيعة ليزيد على أن يجعل له ولاية الحجاز، أو ما شاء، وما أحب لأهل بيته من الولاية، فقدما على ابن الزبير فعرضا عليه ما أمرهما يزيد، فقال ابن الزبير: أتأمروني ببيعة رجل يشرب الخمر ويدع الصلاة ويتبع الصيد؟ فقال همام: أنت أولى بذلك منه فلطمه رجل من قريش فرجعا إلى يزيد فغضب وحلف لا يقبل بيعته إلا وفي يده جامعة.

قال الحجاج لـ وازع بن ذؤالة الكلبي[7]: كيف قتلت همام بن قبيصة؟ قال: مر بي والناس منهزمون، فلو شاء أن يذهب لذهب، فلما رآني تصدني فضربته وضربني وسقط فحاول القيام فلم يقدر، فقال وهو في الموت: تعست ابن ذات النوف أجهز على فتى..يرى الموت خيرا من فرار وأكرما..ولا تتركني بالحشاشة إنني..صبور إذا ما النكس مثلك أحجما. فدنوت منه فقال: أجهز علي، قبحك الله، فقد كنت أحب أن يلي هذا مني من هو أربط جأشا منك فاحتززت رأسه وأتيت به مروان[8].

وكان مروان يقاتل الضحاك بن قيس[9] بمرج راهط، فجاء روح بن زنباع الجذلي[10] فبشره بقتل الضحاك بن قيس، وقتل همام بن قبيصة، وقتل ابن معن السلمي[11]،وقال ابن مقبل: يا جذع آنف قيس بعد همام..بعد المذبب عن أحسابها الحامي.يعني همام بن قبيصة.

دخل الأحنف بن قيس على معاوية فقال له معاوية: ما الشيء الملفف في البجاد؟ قال: السخينة يا أمير المؤمنين، أشار معاوية إلى قول الشاعر يهجو بني تميم بحب الطعام: إذا ما مات ميت من..وسرك أن يعيش فجئ بزاد..بخبز أو بلحم أو..أو الشيء الملفف في البجاد. وأصل ذلك أن عمرو بن هند لما حلف ليحرقن من بني تميم مائة في ثأره أخذهم فجعل يلقيهم في النار، حتى بقي له واحد من العدة، فإذا برجل تميمي من البراجم قد ذهب في حاجة فشم روائح المحترقين فقال: إن هذا شواء اتخذه الملك، فمال إليه، فلما وقف عليه قال له: من أنت؟ قال: برجمي، فقال الملك: إن الشقي وافد البراجم. وأمر به فقذف في النار تكميلا للعدد، فمن ذلك عيرت العرب تميما بحب الطعام، وقال الشاعر: ألا أبلغ لديك بني تميم..بآية ما يحبون الطعاما. وأشار الأحنف بذكر السخينة، وهي أغلظ من الحساء، وأرق من العصيدة كانت قريش تتخذه في الشدة ويعيرون به. والملفف في البجاد : وطب اللبن، والبجاد: الكساء يلفف فيه ذلك.

■ (2) الأحنف، أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وكان سيد قومه (زعيم قائد)، موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، روى عن عمر وعثمان وعلي، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ، عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد (وهو اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم، وفيه ماء).

■ (9) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري، أبو أمية، أو أبو أنيس: سيد بني فهر، في عصره. شهد فتح دمشق، وسكنها. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية على الكوفة سنة 53 هـ بعد موت زياد بن أبيه فتفقد الخورنق قصر النعمان وأصلحه. ونقل إلى ولاية دمشق، فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد. ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه، انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق. ومات معاوية سنة 64 هـ فأقبل أهل دمشق على الضحاك، فبايعوه على أن يصلي بهم، ويقيم لهم أمرهم، حتى يجتمع الناس على خليفة وانعقدت البيعة العامة لمروان بن الحكم، والضحاك في مرج راهط، فامتنع على مراون، فقتل في مرج راهط سنة 65 هـ

■ (5) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي له صحبة ورواية عن النبي وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر وتخلف بعده ابنه عبد الملك ووقع بينه وبين عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب حروب دامت سنين إلى أن قتل عبد الملك مصعب متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (8) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، الأموي القرشي، أبو عبد الملك. بايع نفسه بالخلافة من غير عهد ولا مشورة، بعد خلع معاوية بن يزيد. وقيل: بعد خلع خالد بن يزيد.ولقب: المؤتمن بالله.والحكم والده هو طريد النبي صلى الله عليه وسلم نفاه إلى الطائف؛ فأقام بالطائف حتى تخلف عثمان أذن له بالعود إلى المدينة. قال ابن سعد: كانوا ينقمون على عثمان تقريب مروان وتصرفه في الأمور. بعد أن شارك في وقعة الجمل أقام بالمدينة حتى استخلف معاوية. مات سنة 65 هـ بدمشق، وقيل: مات مطعونا. وكان مروان كاتبا لعثمان بن عفان. وهو من أعظم الأسباب في زوال دولة عثمان وكانت خلافته نحو تسعة أشهر. وقيل أكثر من ذلك.وتخلف من بعده ابنه عبد الملك.

■ (10) روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، حدث عن أبيه، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وكعب الأحبار، وغيرهم. وكان ذا اختصاص بعبد الملك، لا يكاد يغيب عنه، وهو كالوزير له. وكان لروح دار بدمشق في طرف البزوريين، أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقال مسلم: له صحبة. ولم يتابع مسلما أحد. مات سنة 84 هـ.

■ (6) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الانصاري، أبو عبد الله: أمير، خطيب، شاعر، من أجلاء الصحابة. من أهل المدينة. وجهته نائلة زوجة عثمان بقميص عثمان، إلى معاوية، فنزل الشام. وشهد صفين مع معاوية. وولي القضاء بدمشق، بعد فضالة بن عبيد سنة 53 هـ وولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة، تسعة أشهر، وعزله وولاه حمص. واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية، فبايع النعمان لابن الزبير. وتمرد أهل حمص، فخرج هاربا، فاتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله. سنة 65 هـ وهو أول مولود ولد في الانصار بعد الهجرة. قال ابن حزم: افتتح مروان دولته بقتله، وسيق إليه رأسه من حمص. وقيل: قتل يوم مرج راهط. قال سماك بن حرب: كان من أخطب من سمعت.

■ (3) النخار بن أوس بن أبير بن عمرو، من بني الحارث بن سعد هذيم، من قضاعة: خطيب، عالم بالانساب. قال ابن حزم: كان أنسب العرب. وكان معاصرا لجميل بثينة، وله خبر معه تجده في الاغاني ودخل على معاوية، ثم كان من ندمائه. توفي نحو سنة 60 هـ

■ (11) ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس السلمي من أصحاب الضحاك بن قيس وممن دعا إلى بيعة ابن الزبير قتل مع الضحاك بمرج راهط سنة أربع 64 هـ

■ (4) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي.الملك الأموي الثاني. ولد سنة 26 هـ وتوفي سنة 64 هـ وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (7) الوازع بن ذؤالة الكلبي. ينتسب إلى قبيلة كلب بن وبرة، ربما كان أخا للأصبع بن ذؤالة بن لقيم بن عجا بن زامل من بني عامر الأكبر من فرسان كلب وسادتها، كان قد قتله مروان بن محمد بحمص

■ (1) الهيثم بن رياب ؟

مراجع:: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ المحاضرات في اللغة و الأدب/ تاريخ دمشق/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وملك الروم، قسطنطين الرابع (؟) 0290

روى ابن قتيبة عن أبي حاتم قال: حدثنا العتبي قال: حدثنا إبراهيم قال: لما أسن معاوية اعتراه أرق فكان إذا هو نام أيقظته نواقيس الروم، فلما أصبح يوما ودخل عليه الناس قال: يا معشر العرب، هل فيكم فتى يفعل ما آمره وأعطيه ثلاث ديات أعجلهم وديتين إذا رجع؟ فقام فتى من غسان فقال: أنا يا أمير المؤمنين. قال: تذهب بكتبي إلى ملك الروم[1]، فإذا صرت على بساطه أذنت. قال: ثم ماذا؟ قال: فقط. فقال: لقد كلفت صغيرا وآتيت كبيرا (وأعطيت كثيراً). فكتب له وخرج، فلما صار على بساط قيصر أذن، فتناجزت* البطارقة* وآخترطوا* سيوفهم فسبق إليه ملك الروم فجثا عليه وجعل يسألهم بحق عيسى وبحقهم عليه (وبحقه عليهم) لما كفوا، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ثم جعله بين رجليه، ثم قال: يا معشر البطارقة، إن معاوية رجل قد أسن وقد أرق وقد آذته النواقيس، فأراد أن نقتل هذا على الأذان فيقتل من قبله منا ببلاده على النواقيس، و الله ليرجعن إليه بخلاف ما ظن. فكساه وحمله فلما رجع إلى معاوية قال: أو قد جئتني سالما؟ قال: نعم، أما من قبلك فلا. وكان يقال: ما ولي المسلمين أحد إلا ملك الروم مثله إن حازما وإن عاجزا. وكان الذي ملكهم على عهد عمر هو الذي دون لهم الدواوين ودوخ لهم العدو، وكان ملكهم على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وحلمه.

حدث يوسف بن مهران عن ابن عباس[2] قال: كتب قيصر إلى معاوية بن أبي سفيان: سلام عليك أما بعد: فأتني(فأنبئني) بأحب كلمة إلى الله عز وجل وثانية وثالثة ورابعة وخامسة وبأكرم عباده عليه، وأكرم إمائه عليه، وبأربعة أشياء فيهم الروح لم يركضوا في رحم، وبقبر يسير بصاحبه، وبمكان لم تصبه الشمس إلا مرة وبالمجرة ما موضعها من السماء، وبقوس قزح وما بدء أمره؟. فلما قرأ كتابه قال: اللهم ألعنه! وما يدريني ما هذا !. قال: فأرسل إلي يسألني عن ذلك، فقلت: أما أحب كلمة إلى الله عز وجل فلا إله إلا الله لا يقبل عمل إلا بها، والثانية التحية سبحان الله وصلاة الخلق، والثالثة الحمد كلمة الشكر، والرابعة الله أكبر فواتح الصلاة والركوع والسجود، والخامسة لا حول ولا قوة إلا بالله فأكتب إليه بذلك فإنهم سيعرفون. فأما لا إله إلا الله فإذا قالها العبد يقول الله عز وجل: أخلص عبدي، وإذا قال سبحان الله، قال عبدني عبدي، وإذا قال الحمد لله، قال: شكرني عبدي، وإذا قال الله أكبر، قال صدق عبدي أنا أكبر، وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله، قال ألقى إلي عبدي السلم. فأما أكرم عباده عليه فآدم عليه السلام الذي خلقه بيده وعلمه الاسماء كلها، وأما أكرم إمائه فمريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها، وأما الأربعة الذين فيهم الروح لم يركضوا في رحم فآدم عليه السلام وحواء وعصا موسى عليه السلام حين ألقاها وكانت ثعبانا مبينا، والكبش الذي ذبح عن إسماعيل عليه السلام وأما مكان لم تصبه الشمس إلا مرة فالبحر حين انفلق عن بني إسرائيل وأما القبر الذي يسير بصاحبه فبطن الحوت الذي كان فيه يونس عليه السلام، وأما المجرة فباب من أبواب السماء، وأما قوس قزح فأمان من الغرق بعد قوم نوح، فلما قرأ قيصر كتابه قال: أيم الله ما علمتها وما كنت تعلمها إلا من رجل من أهل بيت نبي.

----

*(ناجزه) الشيء عاجله وأسرع به يقال ناجزه الحرب ونحوها نازله وقاتله (البطارقة) جمع بطريق، وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم، وهو ذو منصب وتقدم عندهم ورئيس رؤساء الأساقفة (اخترط السيف) سله من غمده

■ (1) ملك الروم هل هو قسطنطين الرابع ؟ قال المسعودي في كتابه: ملك مورق بن مورق (ويعني: قسطنطين الثاني) في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأيام معاوية بن أبي سفيان. ثم ملك بعده قلفط بن مورق (ويعني: قسطنطين الرابع) بقية أيام معاوية، وكان بينه وبين معاوية مراسلات ومهادنات، وكان المختلف بينهما فناق الرومي غلام كان لمعاوية، وقد كان معاوية هادن أباه مورق بن مورق حين سار إلى حرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان بشره بالملك، وأعلمه أن المسلمين تجتمع كلمتهم على قتل صاحبهم يعني عثمان، ثم يؤول الملك إلى معارية، وقد كان معاويه يومئذ أميرا على الشام لعثمان في خبر طويل قد أتينا على ذكره في الكتاب الأرسط، وأن ذلك من علم الملاحم يتوارثه ملوك الروم عن أسلافهم، وكان ملك قلفط بن مورق في الأخر من أيام معاوية وأيام يزيد بن معاوية وأيام معاوية بن يزيد وأيام مروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك بن مروان.

■ (2) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله،يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

☪

في رواية عن علي بن زيد: أن عمر رضي الله عنه لما قدم من الشام قال: لقد رأيت بالشام أشياء كرهتها: الشماسة* والنواقيس. فلو استطعت منعتها: فقال عبد الله بن الطليب الهلالي: أنا أذهب يا أمير المؤمنين إلى مدينة قيصر فأصعد فأؤذن ببرج من بروجها، فإن قتلت برئت إليك ذمتهم واستحللت قتالهم، فذهب فأذن ببرج من بروجها، فأقبلوا نحوه ليقتلوه فقال قيصر: علي بالرجل لا يقتل، فقال: إنما أراد عمر أن لا يكون بالشام شماسة ونواقيس فأجازه بألف دينار وألحقه بعمر.

☪

قال الراوي: بهذا الإسناد: كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب -أرض مصر- وتأتي من قبلهم الدنانير، وكان عبد الملك أول من كتب:﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] وذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الطوامير*، فكتب إليه ملك الروم[1]: إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئا من ذكرنبيكم نكرهه فاتركوه وإلا أتاكم في دنانيرنا من ذكره ما تكرهون -وكان العرب يتعاملون بالدنانير الرومانية/ البيزنطية-. فعظم ذلك في صدر عبد الملك وكره أن يدع شيئا من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه في الدنانير من ذكر الرسول ما يكره، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية[2] -وكان أديبا عالما- فقال: يا أبا هشام، إحدى بنات طبق* -أي ألمت بنا إحدى الدواهي-، وأخبره الخبر. فقال: ليفرخ روعك*، حرم دنانيرهم وآضرب للناس سككا ولا تعفهم مما يكرهون. فقال عبد الملك: فرجتهم عني فرج الله عنك. فضرب الدنانير سنة خمس وسبعين، وكانت الدراهم العشرة منها وزن عشرة مثاقيل، والعشرة منها وزن ستة، فتقدم عبد الملك بذلك واستمر.

يقول توفيق سلطان البوزبكي: بدأت أولى المحاولات للتعريب في العهود الإسلامية بـ(تعريب النقود) وذلك منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب فقد ضرب الدراهم على نقش الكسروية وجعل نقش بعضها (الحمدلله) ونقش بعضها الآخر (محمد رسول الله) أو (لا إله إلا الله وحده) وثبت معيارها وأوزانها. وضرب عثمان بن عفان دراهم عربية بنقش (الله أكبر). أما علي بن أبي طالب فقد شغلته الفتنة عن ضرب عملة جديدة، ولما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة كتب إلى زياد بن أبيه والي العراق ليضرب عملة جديدة غير عملة عمر ينقش عليها إسمه. ولما أعلن عبدالله بن الزبير نفسه خليفة في الحجاز ضرب دراهم ونقش على أحد وجهي الدرهم (محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (أمر الله بالوفا والعدل) وضرب أخوه مصعب سنة 70 هـ دراهم في العراق أعطاها للناس في العطاء. نقش على أحد وجهي الدرهم (بركه) وعلى الوجه الآخر كلمة: (الله). ولم يكن في الأمصار الإسلامية في بداية العهد الأموي سكة عربية إسلامية معترف بها قبل مجيئ عبدالملك بن مروان بل كان لأمراء الولايات دور سك خاصة يسكون فيها العملة حسب إحتياجاتهم ولهذا كانت قيم النقد غير مستقرة الأمر الذي شجع على التزييف والتلاعب.

قال عوانة بن الحكم: كانت الاقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير وتنسبه إلى الربوبية، تعالى الله علوا كبيرا، وتجعل الصليب مكان بسم الله الرحمن الرحيم. فلذلك كره ملك الروم ما كره، واشتد عليه تغيير عبد الملك ما غيره.

☪

روى خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه قال: لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق -البيعة- كتب إليه الأخرم[1] ملك الروم: إنك قد هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها فإن كان حقا فقد خالفت أباك وإن كان باطلا فقد أخطأ أبوك. فلم يدر ما جوابه، فكتب إلى الكوفة والبصرة وسائر البلدان أن يجيبوه فلم يجبه أحد، فوثب الفرزدق فقال: أنا أبو فراس أصلح الله الأمير قد رأيت رأيا فإن يك حقا فخذه وإن يك خطأ فدعه وهو قول الله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء] قال فكتب به الوليد إلى ملك الروم فلم يجبه فأنشأ الفرزدق يقول: فرقت بين النصارى في كنائسهم..والعابدين مع الأسحار والعتم وهم جميعا إذا صلوا وأوجههم..شتى إذا سجدوا لله والصنم وكيف يجتمع الناقوس يضربه..أهل الصليب له القراء لم تنم فهمك الله تحويلا لبيعتهم..عن مسجد فيه يتلى طيب الكلم فهمت تحويلها عنه كما فهما..إذ يحكمان له في الحرث والغنم داود والملك المهدي إذ جزءا..أولادها واجتزاز الصوف بالجلم والله ما من أب في الناس نعلمه..خير بنين ولا خير من الحكم. وفي رواية قال محمد بن حبيب: صعد الوليد بن عبد الملك المنبر، فسمع صوت ناقوس فقال: ما هذا قيل البيعة، فأمر بهدمها، وتولى بعض ذلك بيده، فتتابع الناس يهدمون.. إلى آخر القصة.

☪

قال بعض العلماء: ثلاثة أبيات من قريش توالت خمسة خمسة في الشرف، كل رجل منهم من أشرف أهل زمانه: خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب؛ وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة، وعمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف. قال الزبير بن بكار: كان خالد وأخواه عبد الله وعبد الرحمن[3] من صالحي القوم. جاءه رجل فقال له: قد قلت فيك بيتين، قال: فأنشدهما، قال: على حكمي؟ قال: نعم، فأنشده: من الطويل: سألت الندى والجود حران أنتما؟..فقالا جميعا إننا لعبيد..فقلت: فمن مولاكما؟ فتطاولا..علي وقالا: خالد بن يزيد. فأعطاه مائة ألف درهم. قال الأصمعي: قيل لخالد بن يزيد بن معاوية: ما أقرب شيء؟ قال: الأجل، قيل: فما أبعد شيء؟ قال: الأمل، قيل: فما أرجى شيء؟ قال: العمل، قيل: فما أوحش شيء؟ قال: الموت، قيل: فما آنس شيء؟ قال: الصاحب المؤاتي. كان خالد بن يزيد يقول: إذا كان الرجل مماريا، لجوجا، معجبا برأيه، فقد تمت خسارته. قال العتبي: لزم خالد بن يزيد بيته، فقيل له: كيف تركت مجالسة الناس وقد عرفت فضلها ولزمت بيتك؟! فقال: وهل بقي إلا حاسد على نعمة، أو شامت بنكبة! روي أن خالد بن يزيد كان عند عبد الملك بن مروان، فذكروا الماء، فقال خالد بن يزيد: منه من السماء، ومنه ماء يستقيه الغيم من البحر، فيعذبه الرعد والبرق؛ فأما ما يكون من البحر فلا يكون له نبات، وأما النبات فما كان من ماء السماء، وقال: إن شئت أعذبت ماء البحر. قال: فأمر بقلال من ماء، ثم وصف كيف يصنع به حتى يعذب. توفي خالد بن يزيد سنة تسعين، وشهده الوليد بن عبد الملك وهو يومئذ خليفة، فصلى عليه وقال: لتلق بنو أمية الأردية على خالد، فلن يتحسروا على مثله.

----

*(الطامور) الصحيفة والجمع طوامير (ليفرخ روعك) معناه: ليذهب فزعك، ليخرج عنك روعك وليفارقك، كما يخرج الفرخ عن البيضة (إحدى بنات طبق) الداهية، وقيل: الحية سميت بذالك لتلويها حتى تصير كالطبق.(الشماس) من رؤساء النصارى الذي يحلق وسط رأسه لازما للبيعة، والجميع الشمامسة.

■ (1) إمبراطور الروم جستنيان الثاني، الأخرم: الذي ملك حتى سنة 93 هـ، وكان معاصرا للوليد.

■ (2) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي القرشي، هو أول من اهتم من العرب بعلم الكيمياء وترجم الكتب. ولد 51 هـ وتوفي سنة 90 هـ وهو أخو معاوية بن يزيد ثالث ملوك بني أمية.

■ (3) عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي الدمشقي، كان من خيار بني أمية وصلحائهم. سمع ثوبان. وعنه: أبو طوالة عبد الله بن عبد الرحمن، وأبو حازم سلمة بن دينار، ومحمد بن قيس، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وغيرهم.مات على رأس المائة

راجع: عيون الأخبار/ الأذكياء لابن الجوزي/ الأعلام للزركلي/ وسوعة البحوث والمقالات العلمية/ تاج العروس/ الأوائل للعسكري/ المعجم الوسيط/ مقالات موقع الألوكة/ وفيات الأعيان/ فتوح البلدان/ المعرفة والتاريخ/ مروج الذهب/ـمجلة التاريخ العربي/ تهذيب اللغة/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) والسلميان 0291

عن محمد بن سيرين أن معاوية بن أبي سفيان قال ذات يوم: إنه قد ذهب مني لذة كل شيء إلا الحديث، فانظروا من بالباب، قالوا: معن بن يزيد[1] ونصر بن حجاج[2] السلميان*، فأذن لهما. فلما دخلا، قال: أتدريان لم بعثت إليكما؟ قالا: نعم، لم يبق لك رحم في العرب إلا وصلتها؛ فأردت أن تصلنا، قال: ليس لهذا بعثت إليكما، ولكنه قد ذهب مني لذة كل شيء إلا لذة الحديث، فقالا: فقرئنا فيما شئت من أمر الجاهلية والإسلام، فإن شئت أن نرقق لك رققنا، وإن شئت أن نصدقك صدقناك. قال: فحمد الله معاوية وأثنى عليه، ثم قال: أنا خير قريش لقريش، ولو أن أبا سفيان[3] ولد الناس لكانوا أكياسا. قال: فحمد الله السلميان، ثم قالا: قد ولد الناس من هو خير من أبي سفيان آدم عليه السلام، فمنهم الأحمق والكيس، وأما خير قريش لقريش فمحمد صلى الله عليه وسلم، فما أنت فيه فمن ذلك، وأما أنت فشر قريش لقريش، أطغيت برها، وأكفرت فاجرها، كأنا بهم قد سألوا من بعدك ما سألوك فضربت أعناقهم، ثم ألقوا في السكك، فكانوا كالرقاق المنتفخة. فقال معاوية: هل سمع منكما هذا الكلام أحد غيري؟ قالا: لا، قال: فاخرجا، ولا يسمعنه منكما أحد.

وعن بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة قال: قال معاوية لآذنه: ابغني قوما يتحدثون عندي ويحدثوني، فأدخل إليه أربعة من سليم فيهم نصر بن الحجاج، فقال معاوية: أتدرون لم دعوتكم؟ فقال نصر: دعوتنا لأمر حزب ونازلة نزلت فأردت أهل النصيحة والرأي، قال: ما كان بحمد الله إلا خير ولا جاءنا إلا ما نحب، قال: فدعوتنا لأنك روأت* فقلت ما تركت رحما إلا وصلتها وزيدتها إلا رحم هذا الحي من سليم، فدعوتنا للصلة وقضاء الحق، قال: إنكم لذلك لأهل وما لذلك دعوتكم، قالوا: فدعوتنا لأمر عراك فأردت أن نحدثك ليذهب غمك، فإن أردت حديث الجاهلية وأيام العرب وأنسابها فنحن بنوها، وإن أردت حديث الإسلام فنحن أهله، قرأنا كتاب الله وفقهنا في الدين، وإن أردت علم العجم فقد غزوناهم ولنا بأمورهم علم، قال: فأطرق معاوية طويلا ثم قال: أنا خير قريش لها حيا وميتا، قال نصر: ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم، هداها الله به من الضلالة، وبصرها بعد الحيرة، وأعزها بعد الذلة، وأغناها من الفقر، وجمع لها به الحسنيين الخلافة في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة، وأورثها كتاب الله فصرتم به علينا أربابا، ولكن إن شئت أخبرناك أنك شر قريش لها حيا وميتا، قال: وكيف؟ قال: لانت لها أكنافك، وانثنت لها أعطافك، وجادت لها كفك، وعودتها بحلمك عادة لا يحملها لها من بعدك، فأطغيت برها وأكفرت فاجرها، فكأني بهم إذا فقدوا ما عودتهم قد ثاروا إلى القنا فعقدوا فيها خمرهم، فأصبحوا مصرعين شائلة أرجلهم بأفواه السكك، فقام معاوية وخرجوا، فدعا آذنه فقال: والله ما استرحت من هؤلاء إلى مستراح، ويحك أردت قوما يحدثوني حديثا سهلا فجئتني بشيطان.

ويروى أن معاوية قال لسعد مولاه: إن جلسائي قد ثقلوا علي ونازعوني الكلام فأدخل إلي غيرهم، فأدخل إليه أبا الأعور السلمي[4] ورجلا آخر، فجرى بينه وبين معاوية ما نسب إلى نصر بن الحجاج، قالوا: فلما قال أبو الأعور: وأضحوا شائلة أرجلهم بأفواه السكك، قال معاوية: وأبو الأعور فيهم، فقال: أغضبت يا معاوية أن صدقتك؟! ذلك إلى الله فإن شاء كنت فيهم.

----

*(بني سليم) سليم بن منصور: قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان، من العدنانية. تنتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان (روأت) روأت في الأمر، وريأت: فكرت، بمعنى واحد.

■ (1) معن بن يزيد بن الأخنس بن حبيب، صحابي، نزل الكوفة وشهد فتح مصر، ودمشق، وشهد صفين إلى جانب معاوية. وشارك في معركة مرج راهط إلى جانب الضحاك بن قيس ضد مروان بن الحكم، وقُتل فيها سنة 64 هـ

■ (2) نصر بن حجاج بن علاط السلمي ثم البهزي: شاعر كانت لأبيه صحبة. من أهل المدينة. كان جميلا. قالت إحدى نساء المدينة: ياليت شعري عن نفسي، أزاهقة..مني، ولم أقض ما فيها من الحاج !. هل من سبيل إلى خمر فأشربها ؟..أم من سبيل إلى نصر بن حجاج ؟ وسمع البيتين أمير المؤمنين عمر، فقال: لا أرى رجلا في المدينة تهتف به العواتق في خدورهن! وطلبه، فجاء، فأمر به فحلق شعر رأسه، ثم نفاه إلى البصرة. وأطال ابن أبي الحديد في خبره، فذكر له قصة مع امرأة أخرى في البصرة، نفاه بسببها أبو موسى الاشعري إلى فارس، وأن دهقانة أعجبت به في فارس فكتب أميرها عثمان بن أبي العاص الثقفي بخبره إلى عمر، فجاءه: جزوا شعره وشمروا قميصه وألزموه المساجد. ولما قتل عمر، عاد نصر إلى المدينة.

■ (3) أبو سفيان بن حرب بن أمية واسمه صخر، اسلم في الفتح، لقي رسول الله بالطريق قبل دخوله مكة لفتحها فأسلم هناك، وشهد حنينا، وشهد الطائف، وفقئت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. مات بين سنة 30 هـ وسنة 34 هـ، وصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان، ودفن في البقيع

■ (4) عمرو بن سفيان بن عبد شمس أبو الأعور السلمي وهو مشهور بكنيته كان من أعيان أصحاب معاوية وعليه كان مدار الحرب بصفين. توفي أبو الأعور السلمي في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان.

قال علي الصلابي: أسلم معاوية مع أبيه وأخيه يزيد رضي الله عنهم يوم الفتح هذا على المشهور، ولكن يروى عنه أنه قال: أسلمت يوم القضية -أي عمرة القضاء* سنة 7 هـ- ولكن كتمت إسلامي من أبي، ثم علم بذلك، فقال لي: هذا أخوك يزيد وهو خير منك على دين قومه فقلت له: لم آل نفسي جهد، ولقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء وإني لمصدق به، ثم لما دخل عام الفتح أظهرت إسلامي، فجئته فرحب بي وكتبت بين يديه، وشهد معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وأعطاه مائة من الأبل وأربعين أوقية من الذهب وقد ذكر العلماء لمعاوية رحمه الله فضائل كثيرة من هذه الفضائل: من القرآن الكريم: ..فقد اشترك معاوية في غزة حنين قال تعالى:﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة] ومعاوية رحمه الله من الذين شهدوا غزوة حنين وكان من المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، كما أنه ممن وعدهم الله الحسنى: قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد] ومعاوية رحمه الله ممن أنفق في حنين والطائف وقاتل فيهما. ومن السنة: دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاوية رحمه الله، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:﴿اللَّهُمَّ، اجْعَلْهُ هَادِيًا، مَهْدِيًّا، وَاهْدِ بِهِ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿اللَّهُمَّ، عَلِّمْ مُعَاوِيَةَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَقِهِ الْعَذَابَ﴾ وما أخرجه مسلم من طريق عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال:﴿كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ، قَالَ: فَجَاءَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً* وَقَالَ: اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ. قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِيَ: اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، فَقَالَ: لَا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ﴾ قال النووي معلقا على هذا الحديث. وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقا للدعاء عليه، فلهذا أدخله في هذا الباب، وجعله غيره من مناقب معاوية لأنه في الحقيقة دعاء له، ولذلك قال ابن عساكر عن حديث لا أشبع الله بطنه: أصح ما روي في فضل معاوية.. وبعده حديث.. اللهم علمه الكتاب، وبعده حديث.. اللهم اجلعه هاديا مهديا. وعن الحديث نفسه قال الذهبي: قلت: لعل أن يقال، هذه منقبة لمعاوية لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿اللَّهُمَّ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً﴾ وقال الألباني: قد يستغل بعض الفرق هذا الحديث ليتخذوا منه مطعنا في معاوية رحمه الله، وليس فيه ما يساعدهم على ذلك، كيف وفيه أنه كان كاتب النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل في لا أشبع الله بطنه: أنها كلمة جرت على عادة العرب نحو قاتله الله ما أكرمه، ويل أمه وأبيه ما أجوده، مما لا يراد معناه.

عمرة القضاء: ويقال لها عمرة القصاص، قال محمد رضا: قد اختلف في تسمية هذه العمرة عمرة القضاء. فقال مالك والشافعي والجمهور لأنه قاضي قريشا سنة الحديبية فالمراد بالقضاء الفصل الذي وقع عليه الحكم لا لأنها قضاء عن العمرة التي صد عنها لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة . وقال أبو حنيفة وأحمد أن من صد عن البيت فعليه القضاء فتسميتها قضاء على ظاهره. لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجب. وشعبان ورمضان وشوالا . ثم خرج في ذي القعدة في السنة السابعة في الشهر الذي صده فيه المشركون بالحديبية معتمرا عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه عنها واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الديلي ويقال لها عمرة القصاص لأنهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست فاقتص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وأمر أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية وخرج معهم غيرهم أيضا. فكانوا ألفين سوى النساء والصبيان وساق معه صلى الله عليه وسلم ستين بدنة وحمل السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فارس خوفا من غدر أهل مكة فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمدا وأصحابه في عسر وجهد وشدة فصفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وعلى أصحابه. فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى* ثم قال رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى استلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف والمسلمون يطوفون معه. وكان بين يديه لما دخل مكة عبد الله بن رواحة آخذا بخطام ناقته. وكان المشركون على جبل قعيقعان ثم سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته وبعد فراغه نحر هديه عند المروة وحلق هناك ثم أمر مائتين من أصحابه أن يذهبوا إلى أصحابه ببطن يا جج يقيمون على السلاح ويأتي الآخرون ليقضوا نسكهم ففعلوا وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا كما شرطه قريش في الهدنة فلما كان الظهر من اليوم الرابع جاءه سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى فقالا ننشدك العهد إلا ما خرجت من أرضنا فرد عليهما سعد بن عبادة رضي الله عنه فأسكته صلى الله عليه وسلم وأذن بالرحيل. جاء في البخاري من حديث البراء فلما دخلها (يعني مكة) ومضى الأجل (الأيام الثلاثة) أتو عليا رضي الله عنه فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

----

*(حطأ) ضرب بين الكتفين بيده (اضطبع) الإضطباع الذي يؤمر به طائف البيت أن يدخل الرداء تحت إبطه الأيمن ويرد طرفه على يساره ويبدي منكبه الأيمن ويغطي الأيسر . سمى بذلك لإبداء أحد الضبعين

مراجع:: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الطبري/ الكامل في التاريخ/ أنساب الأشراف/ تهذيب اللغة/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ كتاب محمد رسول الله لمحمد رضا/

روى الأتليدي: أن معاوية بن أبي سفيان جلس يوما في مجلس كان له بدمشق، وكان الموضع مفتح الجوانب الأربعة يدخل فيه النسيم من كل جانب.قال: فبينما هو جالس ينظر إلى بعض الجهات وكان يوما شديد الحر لا نسيم فيه. قال: وكان وسط النهار، وقد لفحت الهواجر، إذ نظر إلى رجل يمشي نحوه، وهو يتلظى من حر التراب، ويحجل في مشيته حافيا، فتأمله، وقال لجلسائه: هل خلق الله سبحانه وتعالى أشقى ممن يحتاج إلى الحركة في هذا الوقت، وفي مثل هذه الساعة؟ فقال بعضهم: لعله يقصد أمير المؤمنين. فقال: والله لئن كان قاصدي لأجل شيء لأعطينه وأستجلب الأجر به أو مظلوما لأنصرنه يا غلام! قف بالباب، فإن طلبني هذا الأعرابي، فلا تمنعه من الدخول علي. فخرج فوافاه، فقال: ما تريد؟ قال: أمير المؤمنين. قال: ادخل. فدخل، فسلم فقال له معاوية: ممن الرجل؟ قال: من تميم. قال: فما الذي جاء بك في هذا الوقت؟ قال: جئتك مشتكيا وبك متسجيرا. قال: ممن؟ قال: من مروان بن الحكم[1] عاملك، وأنشده: معاوي! يا ذا الجود والحلم والبذل..ويا ذا الندى والعلم والرشد والنبل..أتيتك لما ضاق في الأرض مذهبي..فيا غوث! لا تقطع رجائي من العدل..وجد لي بإنصاف من الجائر الذي..بلاني بشيء كان أيسره قتلي..سباني سعادا وانبرى لخصومتي..وجار ولم يعدل وأغصبني أهلي..وهم بقتلي غير أن منيتي..تأنت، ولم أستكمل الرزق من أجلي . قال: فلما سمع معاوية كلامه، والنار تتوقد من فيه، قال له: مهلا يا أخا العرب! اذكر قصتك وأبن لي عن أمرك، فقال: يا أمير المؤمنين، كانت لي زوجة وكنت لها محبا وبها كلفا، وكنت بها قرير العين طيب النفس، وكانت لي جذعة من الإبل كنت أستعين بها على قوام حالي وكفاية أودي، فأصابتنا سنة أذهبت الخف والحافر، فبقيت لا أملك شيئا، فلما قل ما بيدي وذهب ما لي وفسد حالي بقيت مهانا ثقيلا على الذي يألفني، وأبعدني من كان يشتهي قربي وأزور من لا يرغب في زيارتي، فلما علم أبوها ما بي من سوء الحال وشر المال أخذها مني وجحدني وطردني وأغلظ علي، فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم راجيا لنصرتي، فلما أحضر أباها وسأله عن حالي قال: ما أعرفه قط. فقلت: أصلح الله الأمير إن رأى أن يحضرها ويسألها عن قول أبيها ففعل، وبعث خلفها. فلما حضرت بين يديه وقعت منه موقع الإعجاب، فصار لي خصما وعلي منكرا، وأظهر لي الغضب وبعث بي إلى السجن، فبقيت كأنما خررت من السماء، أو استهوت بي الريح في مكان سحيق. ثم قال لأبيها: هل لك أن تزوجنيها على ألف دينار وعشرة آلاف درهم، وأنا ضامن خلاصها من هذا الأعرابي؟ فرغب أبوها في البذل وأجابه إلى ذلك. فلما كان من الغد بعث إلي وأحضرني ونظر إلي كالأسد الغضبان، وقال: طلق سعاد! فقلت: لا، فسلط علي جماعة من غلمانه فأخذوا يعذبوني بأنواع العذاب فلم أجد لي بدا من طلاقها ففعلت. فأعادني إلى السجن، فمكثت فيه إلى أن انقضت عدتها فتزوجها وأطلقني، وقد أتيتك راجيا وبك مستجيرا وإليك ملتجئا، وأنشده: في القلب مني غرام للنار فيه..استعار والجسم مرمى بسهم..فيه الطبيب يحار وفي فؤادي..جمر والجمر فيه شرار..والعين تهطل دمعا..فدمعها مدرار..وليس إلا بربي..وبالأمير انتصار. قال: ثم اضطرب واصطكت لهاته وصار مغشيا عليه. وأخذ يتلوى كالحية، قال: فلما سمع معاوية كلامه وإنشاده، قال: تعدى ابن الحكم في حدود الدين وظلم واجترأ على حرم المسلمين. ثم قال: لقد أتيتني يا أعرابي بحديث لم أسمع بمثله قط. ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب إلى مروان ابن الحكم كتابا يقول فيه: أنه قد بلغني أنك تعديت على رعيتك في حدود الدين، وينبغي لمن كان واليا أن يكف بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاته، ثم كتب بعده كلاما طويلا اختصرته، وأنشده: وليت أمرا عظيما لست تدركه..فاستغفر الله من فعل امرئ زاني..وقد أتانا الفتى المسكين منتخبا..يشكو إلينا ببث ثم أحزان..أعطي الإله يمينا لا يكفرها..شيء، وأبرأ من ديني وإيماني..إن أنت خالفتني فيما كتبت به..لأجعلنك لحما بين عقبان..طلق سعاد وعجلها مجهزة..مع الكميت ومع نصر بن ذبيان. ثم طوى الكتاب وطبعه واستدعى بالكميت[2] ونصر بن ذبيان[2]، وكان يستنهضهما في المهات لأمانتهما، فأخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة، فدخلا على مروان بن الحكم، وسلما عليه، وسلما إليه الكتاب، وأعلماه بصورة الحال، فصار مروان يقرأ ويبكي؛ ثم قام إلى سعاد وأعلمها ولم يسعه مخالفة معاوية فطلقها بمحضر الكميت ونصر بن ذبيان، وجهزهما وصحبتهما سعاد. ثم كتب مروان كتابا فيه أبيات:لا تعجلن أمير المؤمنين فقد..أوفي بنذرك في سر وإعلان..وما أتيت حراما حين أعجبني..فكيف أدعى باسم الخائن الزاني؟..أعذر، فإنك لو أبصرتها لجرت..فيك الأماني على تمثال إنسان..فسوف يأتيك شمس ليس يدركها..عند الخليفة من إنس ومن جان. ثم ختم الكتاب ودفعه إلى الرسولين، وسارا حتى وصلا إلى معاوية وسلما إليه الكتاب فقرأه وقال: لقد أحسن في الطاعة وأطنب في ذكر الجارية. ثم أمر بإحضارها فلما رآها رأى صورة حسناء لم ير أحسن منها ولا مثلها في الحسن والجمال والقد والاعتدال، فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان، فقال: علي بالأعرابي. فأتي به وهو في غاية من تغير الحال، فقال: يا أعرابي! هل لك عنها من سلوة وأعوضك عنها ثلاث جوار نهد أبكار، كأنهن الأقمار، مع كل جارية ألف دينار، وأقسم لك في بيت المال كل سنة ما يكفيك وما يغنيك. قال: فلما سمع الأعرابي كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية أنه مات بها فقال له معاوية: ما بالك بشر بال، وسوء حال؟ فقال الأعرابي: استجرت بعدلك من جور بن الحكم، فبمن أستجير من جورك وأنشد يقول: لا تجعلني، فداك الله من ملك..كالمستجير من الرمضاء بالنار..اردد سعاد على حيران مكتئب..يمسي ويصبح في هم وتذكار..أطلق وثاقي، ولا تبخل علي بها..فإن فعلت فإني غير كفار. ثم قال: يا أمير المؤمنين، لو أعطيتني الخلافة ما أخذتها دون سعاد، وأنشد يقول: أبى القلب إلا حب سعدى، وبغضت..إلي نساء ما لهن ذنوب. فقال له معاوية: إنك مقر بأنك طلقتها، ومروان مقر بأنه طلقها، ونحن نخيرها، فإن اختارت سواك تزوجناها، وإن اختارتك حولناها إليك. قال: افعل. فقال: ما تقولين يا سعدى، أيما أحب إليك، أمير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره وسلطانه وأمواله وما أبصرته عنده، أو مروان بن الحكم في تعسفه وجوره، أو هذا الأعرابي في جوعه وفقره، فأنشدت تقول: هذا وإن كان في جوع وأضرار..أعز عندي من قومي ومن جاري..وصاحب التاج، أو مروان عامله..وكل ذي درهم عندي ودينار . ثم قالت: والله يا أمير المؤمنين، ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان، ولا لغدرات الأيام، وإن له صحبة قديمة لا تسنى، ومحبة لا تبلى، وأنا أحق من يصبر معه في الضراء كما تنعمت معه في السراء. فتعجب معاوية من عقلها ومودتها له، وموافاتها، فدفع لها عشرة آلاف درهم، ودفع مثلها للأعرابي وأخذها وانصرف.

■ (2) نصر بن ذبيان، والكميت، كانا على ديوان البريد في أيام معاوية واستخدامهما في نقل الأخبار بين الشام والحجاز

■ (1) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو عبد الملك. بايع نفسه بالخلافة من غير عهد ولا مشورة، بعد خلع معاوية بن يزيد. وقيل: بعد خلع خالد بن يزيد.ولقب: المؤتمن بالله.والحكم والده هو طريد النبي صلى الله عليه وسلم نفاه إلى الطائف؛ فأقام بالطائف حتى تخلف عثمان أذن له بالعود إلى المدينة. قال ابن سعد: كانوا ينقمون على عثمان تقريب مروان وتصرفه في الأمور. بعد أن شارك في وقعة الجمل أقام بالمدينة حتى استخلف معاوية. مات سنة 65 هـ بدمشق، وقيل: مات مطعونا. وكان مروان كاتبا لعثمان بن عفان. وهو من أعظم الأسباب في زوال دولة عثمان وكانت خلافته نحو تسعة أشهر. وقيل أكثر من ذلك.وتخلف من بعده ابنه عبد الملك.

☪

شكك الباحثون في صحة الكثير من القصص المروية في كتاب الإتليدي، وقالوا: رجل مجهول لم يزد من ترجموا له على ذكر وفاته وأنه من القصاص، وليس له سوى هذا الكتاب.وقال إدورد فنديك: الكتاب أكثره مقتبسات من كتب أخرى.

يقول علي الصلابي: كان مروان بن الحكم من أخص أقرباء عثمان به، وأوثقهم صلة بمركز الخلافة وألصقهم بالأحداث التي عصفت بالوحدة الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه، فكان منه بمنزلة كاتم سر الدولة، أو حامل ختم الملك. ولم يكن مروان بالتأكيد المستشار الأوحد للخليفة الذي كان يستشير كبار الصحابة وصغارهم، ولم يكن بمعزل عن قادة الرأي في مجتمع الإسلام، وكذلك لم يكن مروان الوزير الذي تجمعت تحت يده سلطات الدولة، إنما كان كاتبا للخليفة، وهي وظيفة تستمد أهميتها من قرب صاحبها من إذن الخليفة وخاتمه، أما ادعاء توريطه عثمان وإثارة الناس عليه لتنقل الخلافة بعد ذلك إلى بني أمية، فافتراض لا دليل عليه، ولم تنتقل الخلافة إلى بني أمية إلا بعد أهوال جسام لم يكن لمروان فيها دور خطير، ثم إن عثمان لم يكن ضعيف الشخصية حتى يتمكن منه كاتبه إلى الحد الذي يتصوره الرواة. ولا ذنب لمروان بن الحكم إن كان في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الحلم باتفاق أهل العلم، بل غايته أن يكون له عشر سنين أو قريب منها، وكان مسلما يقرأ القرآن ويتفقه في الدين، ولم يكن قبل الفتنة معروفا بشيء يعاب فيه، فلا ذنب لعثمان في استكتابه، وأما الفتنة فأصابت من هو أفضل من مروان. بل إن خبر طرد النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه ضعيف سندا ومتنا، وتعقبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فأوضح تهافته وضعفه.وعرف عن مروان بن الحكم العلم والفقه والعدل، فقد كان سيدا من سادات شباب قريش لما علا نجمه أيام عثمان بن عفان، وقد شهد له الإمام مالك بالفقه، واحتج بقضائه وفتاواه في مواطن عديدة من كتاب الموطأ،كما وردت في غيره من كتب السنة المتداولة في أيدي الأئمة المسلمين يعملون بها. وكان الإمام أحمد يقول: يقال: كان عند مروان قضاء، وكان يتتبع قضايا عمر بن الخطاب. وكان مروان من أقرأ الناس للقرآن كما كان له رواية للحديث الشريف؛ حيث روى عن بعض مشاهير الصحابة، وروى عنه بعضهم، وكما روى عنه بعض التابعين. وكان حريصا على تحري السنة والعمل بها؛ روى الليث بن سعد -فقيه مصر- بسنده قال: شهد مروان جنازة، فلما صلى عليها انصرف، فقال أبو هريرة: أصاب قيراطا وحرم قيراطا (أي الأجر والثواب، كما ورد في حديث شريف).فأخبر بذلك مروان فأقبل يجري حتى بدت ركبتاه، فقعد حتى أذن له. وجاء في مقدمة فتح الباري: مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عم عثمان بن عفان، يقال له رؤية، يعني رؤية الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن ثبتت، فلا يعرج على من تكلم فيه. وكان يقول ابن كثير: وهو صحابي عند طائفة كثيرة؛ لأنه ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ولى مروان المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، فكان شديدا على أهل الفسوق بها، حربا على مظاهر الترف والتخنث، عادلا مع رعيته، حذرا من مجاملة ذوي قرباه، أو من يحاول منهم استغلال نفوذه؛ فقد لطم أخوه عبد الرحمن مولى لأهل المدينة يعمل حناطا أثناء فترة ولاية مروان على المدينة، فشكا الحناط إلى مروان، فأتى بأخيه عبد الرحمن، وأجلسه بين يدي الحناط وقال له: الطمه، فقال الحناط: والله ما أردت هذا، وإنما أردت أن أعلمه أن فوقه سلطانا ينصرني عليه، وقد وهبتها لك، فقال: لست أقبلها منك، فخذ حقك، فقال: والله لا ألطمه، ولكن أهبها لك، ولست والله لاطمه، فقال مروان: لست والله قابلها، فإن وهبتها فهبها لمن لطمك أو لله عز وعلا، قال: قد وهبتها لله تعالى، فقال عبد الرحمن شعرا يهجو أخاه مروان لذلك. إن هذه الصورة المشرقة عن علم مروان وعدله وفقهه وتدينه تكاد تختلف تماما عن تلك الصورة الكريهة التي يقدمها عنه معظم المؤرخين والرواة الذين اجتهدوا لتشويه حياة الرجل، فلما حانت وفاته اجتهدوا أيضا لتشويهها فزعموا أن امرأته أم خالد بن يزيد بن معاوية، خنقته بوسادتها، أو دست له السم لما سب ابنها -بزعمهم- أمام جماعة من الناس، وهذه القصة -ومع ما تحتويه من عناصر متناقضة- تبدو لأول وهلة وكأنها أسطورة اخترعتها مخيلات عجائز القوم، ثم رددتها الألسن، إما حبا في الثرثرة، أو لتنال من سمعة هذه الأسرة الرفيعة المكانة حسدا لما وصلت إليه من مجد. فهل كان موته طبيعيا، أم مات بإصابة الطاعون، أم خنقته زوجته؟ إن تناقض الروايات دليل على أن الحقيقة غير معروفة، والروايات التي تزعم أن زوجته هي التي اغتالته مباشرة أو بالواسطة (عن طريق بعض جواريها) غير مقبولة أو معقولة، فهذه الزوجة سيدة شريفة من بيت عبد شمس وزوجها قريبها، وهو خليفة، وهي كانت زوجة خليفة وأم خليفة (وهو معاوية بن يزيد بن معاوية)، وهو عمل لا تقدم النساء الشريفات عليه، ثم إننا لم نر أي أثر لهذا الاغتيال، فلم يحدث في الأسرة أي خلاف، ولا مطالبة بالثأر، وظل خالد على مكانته عند عبد الملك، كما أن الدافع لا يكفي بحال لارتكاب جريمة القتل. وذكر عن بعض أهل العلم أنه قال: كان آخر كلام تكلم به مروان: وجبت الجنة لمن خاف النار، وكان نقش خاتمه العزة لله، وقيل: آمنت بالعزيز الرحيم. وقال ابن القيم: أحاديث ذم الوليد، وذم مروان بن الحكم كذب.

مراجع::إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ أخبار النساء/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ اكتفاء القنوع / أرشيف ملتقى أهل الحديث/ سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه شخصيته وعصره للصلابي/

قيل: إن معاوية جلس يوما بين أصحابه، إذ أقبلت قافلتان من البرية، فقال لبعض من كان بين يديه: انظروا هؤلاء القوم وائتوني بأخبارهم. فمضوا وعادوا وقالوا: يا أمير المؤمنين، إحداهما من اليمن والأخرى من قريش.فقال: ارجعوا إليهم وادعوا قريشا يأتونا، وأما أهل اليمن فينزلون في أماكنهم إلى أن نأذن لهم في الدخول. فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم وقال: أتدرون يا أهل قريش لم أخرت أهل اليمن وقربتكم؟ قالوا: لا والله يا أمير المؤمنين. قال: لأنهم لم يزالوا يتطاولون علينا بالفخار ويقولون ما ليس فيهم، وإني أريد إذا دخلوا غدا وأخذوا أماكنهم من الجلوس أن أقوم فيهم نذيرا وألقي عليهم من المسائل ما أقل به إكرامهم وأرخص به مقامهم، فإذا دخلوا وأخذوا أماكنهم من الجلوس وسألوا عن شيء فلا يجبهم أحد غيري. قال الراوي: وكان المقدم عليهم رجلا يقال له الطرماح بن الحكيم الباهلي[1]، فأقبل على أصحابه، وقال: أتدرون يا أهل اليمن لم أخركم ابن هند وقدم قريشا؟ قالوا: لا قال: لأنه في غداة غد يقوم فيكم نذيرا ويلقي عليكم من المسائل ما يقل به إكرامكم ويرخص به مقامكم، فإذا دخلتم عليه وأخذتم أماكنكم من الجلوس وسألكم عن شيء فلا يجبه أحد غيري.

فلما كان من الغد دخلوا عليه وأخذوا أماكنهم فنهض معاوية قائما على قدميه، وقال: أيها الناس من تكلم قبل العرب، وعلى من أنزلت العربية؟ فقام الطرماح وقال: نحن يا معاوية، ولم يقل يا أمير المؤمنين. فقال: لماذا؟ فقال: لأنه لما نزلت العرب ببابل وكانت العبرانية لسان الناس كافة أرسل الله تعالى العربية على لسان يعرب بن قحطان الباهلي[2]، وهو جدنا فقرأ العربية وتداولها قومه من بعده إلى يومنا هذا، فنحن يا معاوية عرب بالجنس وأنتم عرب بالتعليم.

فسكت معاوية زمانا ثم رفع رأسه وقال: أيها الناس، من أقوى العرب إيمانا ومن شهد له بذلك؟ فقال الطرماح: نحن يا معاوية. قال: ولم؟ قال: لأن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فكذبتموه وسفهتموه وجعلتموه مجنونا، فآويناه ونصرناه فأنزل الله: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال] وكان النبي صلى الله عليه وسلم، محسنا لنا متجاوزا عن سيئاتنا فلم لم تفعل أنت كذلك؟ كأنك خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: فسكت زمانا ثم رفع رأسه وقال: أيها الناس، من أفصح العرب لسانا ومن شهد له بذلك؟ قال الطرماح: نحن يا معاوية. قال: ولم ذلك؟ قال: لأن امرأ القيس بن حجر الكندي[3] منا قال في بعض قصائده: يطعمون الناس غبا..في السنين المحملات..في جفان كالخوابي..وقدور راسيات. وقد تكلم بألفاظ جاء مثلها في القرآن، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك.

قال: فسكت معاوية زمانا وقال: أيها الناس، من أقوى العرب شجاعة وذكرا ومن شهد له بذلك؟ قال الطرماح: نحن يا معاوية. قال: ولم ذلك؟ قال: لأن منا عمرو بن معد يكرب الزبيدي[4]، كان فارسا في الجاهلية وفارسا في الإسلام وشهد له بذلك النبي صلى الله عليه وسلم. فقال له معاوية: وأين أنت وقد أتي به مصفدا بالحديد؟ فقال له الطرماح: ومن أتى به؟ قال معاوية: أتى به علي. قال الطرماح: والله لو عرفت مقداره لسلمت إليه الخلافة ولا طمعت فيها أبدا.

فقال له معاوية: أتحجني يا عجوز اليمن؟ قال: نعم أحجك يا عجوز مضر لأن عجوز اليمن بلقيس[5] آمنت بالله، وتزوجت بنبيه سليمان بن داود، عليهما السلام، وعجوز مضر جدتك (أختك؟)[6] التي قال الله في حقها: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [المسد] قال: فسكت معاوية زمانا ثم رفع رأسه وقال: جزاك الله خيرا من صاحب ووفر عقلك ورحم سلفك وأعطاه وأحسن إليه.

■ (1) الطرماح بن حكيم بن الحكم، من طيئ: شاعر فحل ولد ونشأ في الشام وانتقل إلى الكوفة فكان معلما فيها واعتقد مذهب الشراة من الازارقة واتصل بخالد بن عبد الله القسري فكان يكرمه ويستجيد شعره وكان هجاءا، معاصرا للكميت صديقا له لا يكادان يفترقان وكان قحطانيا عصبيا له ديوان شعر صغير. مات نحو 125 هـ

■ (2) يعرب بن قحطان بن عابر: أحد ملوك العرب في جاهليتهم الاولى، يوصف بأنه من خطبائهم وحكمائهم وشجعانهم. وهو أبو قبائل اليمن كلها. وبنوه العرب العاربة. يقول رواة الاخبار في سيرته: ولي إمارة صنعاء بعد موت أبيه، وغزا الاشوريين في العرق وبابل، ففاز بغنائم وافرة، وعاد إلى اليمن فصفا له ملكها، وحارب العمالقة، وكانوا أصحاب الحجاز، فغلبهم عليه. ويقال: إنه هو وأبوه أول من دعا العرب إلى الاحتفاظ بأساليب لغتهم بعد أن دخلتها لغات الامم الثانية. قال وهب بن منبه: يعرب أول من قال الشعر ووزنه ومدح ووصف وقص وشبب مات بصنعاء بعد أبيه بنحو ثلاثين عاما.

■ (4) عمرو بن معد يكرب بن عبد الله وفد على النبي في وفد مراد؛ لأنه كان فارق قومه سعد العشيرة، ونزل في مراد ووفد معهم فأسلم، وقيل: قدم في وفد زبيد، وأسلم سنة تسع، وقيل: سنة عشر، ورجع إلى بلاده، ثم ارتد مع الأسود العنسي، فسار إليه خالد بن سعيد بن العاصي، فقاتله فضربه خالد على عاتقه فانهزم، فأخذ خالد سيفه، فلما رأى عمرو الإمداد من أبي بكر الصديق إلى اليمن أسلم، ودخل على المهاجر بن أبي أمية بغير أمان، فأوثقه وبعثه إلى أبي بكر. فقال له أبو بكر: أما تستحي كل يوم مأسورا ومهزوما، لو نصرت هذا الدين لرفعك الله تعالى، قال: لا جرم، لا أقيلن ولا أعود، فأطلقه وعاد إلى قومه، ثم عاد إلى المدينة، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، ثم بعثه عمر بن الخطاب إلى العراق، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص أن يصدر عن مشورته في الحرب، فشهد القادسية، وله فيها بلاء حسن، واستشهد يوم القادسية، وقيل: بل مات سنة 21 هـ بعد أن شهد وقعة نهاوند مع النعمان بن مقرن، وكان يقول الشعر الحسن.

■ (3) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الاطلاق. يماني الا صل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. أشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي. وكان أبوه ملك أسد وغطفان. وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته. فأبعده إلى دمون بحضرموت، موطن آبائه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. فأقام زهاء خمس سنين، ثم جعل يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي ! ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لاصحو اليوم ولا سكر غدا ! اليوم خمر وغدا أمر !، ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لابيه من بني أسد، وقال في ذلك شعرا كثيرا.وكانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار آباء امرئ القيس فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرئ القيس، فطلبه، فابتعد، وتفرق عنه أنصاره، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل، فأجاره. فمكث عنده مدة. ثم رأى أن يستعين بالروم على الفرس. فقصد الحارث ابن أبي شمر الغساني والي بادية الشام فسيره هذا إلى قيصر الروم يوستينيانس. فوعده ومطله. ثم ولاه إمرة فلسطين البادية ولقبه فيلارق أي الوالي، فرحل يريدها. فلما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح. فأقام إلى أن مات في أنقرة. سنة 80 ق هـ وقد جمع بعض ما ينسب إليه من الشعر في ديوان صغير (ط) وكثر الاختلاف في ماكان يدين به ولعل الصحيح أنه كان على المزدكية وفي تاريخ ابن عساكر أن امرأ القيس كان في أعمال دمشق وأن سقط اللوى والدخول وحومل وتوضيح والمقراة الواردة في مطلع معلقته، أماكن معروفة بحوران ونواحيها. وقال ابن قتيبة: هو من أهل نجد.والديار التي يصفها في شعره كلها ديار بني أسد. وكشف لنا ابن بليهد في صحيح الاخبار عن طائفة من الاماكن الوارد ذكرها في شعره، أين تقع وبماذا تسمى اليوم، وكثير منها في نجد. ويعرف امرؤ القيس بالملك الضليل لاضطراب أمره طول حياته وذي القروح لما أصابه في مرض موته وكتب الادب مشحونة بأخباره.

■ (5) بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل، من بني يعفر بن سكسك، من حمير: ملكة سبأ. يمانية من أهل مأرب. أشير إليها في القرآن الكريم ولم يسمها. وليت بعهد من أبيها في مأرب وطمع بها ذو الاذعار عمرو بن أبرهة صاحب غمدان، فزحف عليها، فانهزمت، ورحلت مستخفية بزي أعرابي إلى الاحقاف، فأدركها رجال ذي الاذعار فاستسلمت. وأصابت منه غرة في سكر، فقتلته، ووليت أمر اليمن كله، وانقادت لها أقيال حمير، فزحفت بالجيوش إلى بابل وفارس، فخضع لها الناس، وعادت إلى اليمن فاتخذت مدينة سبأ قاعدة لها. وظهر سليمان بن داود، النبي الملك الحكيم، بتدمر، وركب الرياح إلى الحجاز واليمن، وآمن اليمانيون بدعوته إلى الله، وكانوا يعبدون الشمس. ودخل مدينة سبأ فاستقبلته بلقيس بحاشية كبيرة، وتزوجها، وأقامت معه سبع سنين وأشهرا، وتوفيت فدفنها بتدمر. وانكشف تابوتها في عصر الوليد بن عبد الملك، وعليه كتابة تدل على أنها ماتت لاحدى وعشرين سنة خلت من ملك سليمان، ورفع غطاء التابوت فإذا هي غضة، لم يتغير جسمها، فرفع ذلك إلى الوليد، فأمر بترك التابوت في مكانه وأن يبنى عليه بالصخر. -قلت هذا كلام الزركلي (والعهدة على الراوي؟)-.

■ (6) أم جميل، أروى بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. شاعرة جاهلية، من سادات نساء قريش، وهي أخت أبو سفيان بن حرب، وامرأة أبي لهب. وهي حمالة الحطب في قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [المسد] وتوفيت بمكة سنة2 هـ أو 3 هـ

قالت العلماء: لا فخر إلا بالتقوى؛ وما عدا ذلك، فخطأ: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات] قال علي الصلابي: إن من أبرز المعالم في تاريخنا كله: الإيمان بكرامة الإنسان وفطرة الإنسان، وحرمة الإنسان، حرمة دمه وعرضه وماله، وحقوق الإنسان، حقه في الحياة، وحقه في الحرية، وحقه في المساواة، وحقه في عيش كريم له ولمن يعول وأصل ذلك، أن الإسلام الذي صنع هذا التاريخ يكرم الإنسان من حيث هو إنسان من ذرية آدم، الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وجعله في الأرض خليفة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء] وأكد القرآن مع كتب السماء أنه ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة] كما أكد الإسلام أن البشر جميعا سواسية كأسنان المشط، لا يفرق بينهم عرق ولا لون ولا لغة ولا إقليم ولا طبقة، وإنما يتفاضلون عند الله بالتقوى قال تعالى:﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات] لهذا كان من أبرز المعاني الإنسانية المرعية والمؤكدة في تاريخنا كله المساواة بين البشر جميعا بيضا وسودا، عربا وعجما، حكاما ومحكومين، أغنياء وفقراء شرفاء ووضعاء مسلمين وغير مسلمين في إقامة العدل. ومن المعاني الإنسانية العميقة البارزة في تاريخنا الإسلامي البر والإحسان بالناس، وبذل المعروف لهم، وإعانتهم في السراء والضراء، وخصوصا الضعفاء والمحرومين منهم، أيا كان سبب ضعفه، فمنهم من ضعفه بسبب فقد المال كالمسلمين ومنهم من ضعفه بسبب فقد الوطن كابن السبيل، ومنهم من ضعفه بسبب فقد الحرية كالأسير والرقيق وقد أوصى الإسلام بهم جميعا كما قال تعالى في وصف عباده الأبرار: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان] وقال تعالى:﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة] وهؤلاء لهم في الإسلام حقوق بعضها واجبه وبعضها مندوبة وبعضها تطالب به الدولة.. وبعضها من الصدقات المعتادة، وبعضها من الصدقات الجارية، التي تمثلت في نظام الوقف الخيري، الذي رسخت جذوره، وسبقت فروعه، وامتدت ظلاله، وآتى ثماره في الحياة الإسلامية وتميز به تاريخ المسلمين أكثر من غيرهم من الأمم.

عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِى هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِى مِنْ بَنِى هَاشِمٍ﴾ وعن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ الْعَرَبَ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ كِنَانَةَ -أَوْ قَالَ: النَّضْرَ بْنَ كِنَانَةَ- ثُمَّ اخْتَارَ مِنْهُمْ قُرَيْشًا، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِى هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَنِى مِنْ بَنِى هَاشِمٍ﴾ وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ﴾ وفي حديث آخر: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ وَلاَ فَخْرَ﴾ وعن جابر بن عبد الله قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلاَ فَخْرَ﴾ وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ﴾ وعن ابن عباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرْقَةٍ، وَخَلَقَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ، وَجَعَلَهُمْ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا، فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا﴾.

مراجع::إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس/ الأعلام للزركلي/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ مختصر تاريخ دمشق/ الدولة الزنكية/ جمهرة أنساب العرب/

عن الجرجاني قال: لما قدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب[1] على معاوية بالشام، أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص[2] فقال: يا عمرو، إن الله قد أحيا لك عمر بن الخطاب[3] بالشام بقدوم عبيد الله ابن عمر، وقد رأيت أن أقيمه خطيبا فيشهد على علي[4] بقتل عثمان[5]، وينال منه. فقال: الرأى ما رأيت. فبعث إليه فأتى، فقال له معاوية: يا ابن أخي، إن لك اسم أبيك، فانظر بملء عينيك، وتكلم بكل فيك، فأنت المأمون المصدق ! فا صعد المنبر، وا شتم عليا، واشهد عليه أنه قتل عثمان.فقال: أيها الأميرأما شتميه فإنه على بن أبى طالب، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه !. وأما بأسه فهو الشجاع المطرق، وأما أيامه فما قدعرفت، ولكني ملزمه دم عثمان، فقال عمرو بن العاص: إذا والله قد نكأت القرحة.

فلما خرج عبيد الله بن عمر، قال معاوية: أما والله لولا قتله الهرمزان[6]، ومخافة على على نفسه ما أتانا أبدا. ألم تر إلى تقريظه عليا ؟! فقال عمرو: يا معاوية، إن لم تغلب فاخلب. قال: فخرج حديثهما إلى عبيد الله، فلما قام خطيبا تكلم بحاجته، حتى إذا أتى إلى أمر علي أمسك ولم يقل شيئا، فلما نزل بعث إليه معاوية: ابن أخي، إنك بين عى أو خيانة ! فبعث إليه: كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان، وعرفت أن الناس محتملوها عنى فتركتها.قال: فهجره معاوية، واستخف بحقه، وفسقه، فقال عبيد الله: معاوى لم أخرص بخطبة خاطب..ولم أك عيا في لؤى بن غالب..ولكننى زاولت نفسا أبية..على قذف شيخ بالعراقين غائب.. وقذفي عليا بابن عفان جهرة..يجدع بالشحنا* أنوف الأقارب.. فأما انتقاقى أشهد اليوم وثبة فلست لكم فيها ابن حرب بصاحب..ولكنه قد قرب القوم جهده ودبوا حواليه دبيب العقارب..فما قال أحسنتم ولا قد أسأتم وأطرق إطراق الشجاع المواثب فأما ابن عفان فأشهد أنه أصيب بريئا لابسا ثوب تائب حرام على آهاله نتف شعره فكيف وقد جازوه ضربة لازب..وقد كان فيها للزبير عجاجة وطلحة فيها جاهد غير لاعب وقد أظهرا من بعد ذلك توبة فياليت شعرى ما هما في العواقب. فلما بلغ معاوية شعره بعث إليه فأرضاه وقربه وقال: حسبى هذا منك.

----

*(الشحناء) البغض والعداوة، وفي الأصل: أجدع بالشحناء (الآهال): جمع أهل

(1) عبيد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي التابعي، وكان شديد البطش، قتل بصفين مع معاوية. وهو الذي قتل الهرمزان وجفينة النصراني وبنت أبي لؤلؤة في دم عمر..

(2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، أبو عبد الله، وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

(6) الهرمزان، اسم لبعض أكابر الفرس، وهو دهقانهم الأصغر، حاكم الأهواز أثناء فتح فارس في عهد يزدجرد الثالث.وكان قائد الجيش الفارسي في معركة القادسية، أسره أبو موسى الأشعري وبعثه إلى عمر بن الخطاب،وقيل أرسله أبو سبرة بن أبي رهم. أسلم سنة 23 هـ قتله عبيد الله بن عمر اتهاما أنه قاتل أبيه أو الآمر به

(3) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق،ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر،وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر والنبي، وكان عمره 65 سنة.وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

(4) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

(5) عثمان بن عفان الأموي،أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.ودفن بالبقيع.

عن ابن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر[1] –ولم يجرب عليه كذبة قط– قال حين قتل عمر: إني انتهيت إلى الهرمزان[2] وجفينة[3] وأبي لؤلؤة[4]، وهم نجي، فبغتهم، فثاروا، فسقط من بينهم خنجر له رأسان، نصابه في وسطه. قال عبد الرحمن: فانظروا بم قتل عمر؟ فنظروا، فإذا الخنجر على النعت الذي نعت عبد الرحمن. قال: فخرج عبيد الله بن عمر مشتملا على السيف حتى أتى الهرمزان، فقال: اصحبني تنظر إلى فرس لي: وكان الهرمزان خبيرا بالخيل، فخرج يمشي بين يديه، فعلاه عبيد الله بالسيف، فلما وجد حز السيف قال: لا إله إلا الله. فقتله، ثم أتى جفنية، وكان نصرانيا، فدعاه، فلما أشرف له علاه بالسيف، فصلب جفنية بين عينيه، ثم أتى أبي لؤلؤة، جارية صغيرة، تدعي بالإسلام، فقتلها، فأظلمت المدينة يومئذ على أهلها ثلاثا. وأقبل بالسيف صلتا، وهو يقول: والله لا أترك بالمدينة سبيا إلا قتلته فجعلوا يقولون له: ألق السيف، ويأبى، ويهابون أن يقربوه حتى أتى عمرو بن العاص فقال: أعطني السيف يا بن أخي، فأعطاه إياه، ثم ثار إليه عثمان، فأخذ برأسه، فتناصيا حتى حجز الناس بينهما. فلما ولي عثمان قال: أشيروا علي في هذا الرجل الذي فتق في الإسلام ما فتق! فأشار عليه المهاجرون أن يقتله. وقال جماعة الناس: قتل عمر أمس، وتريدون أن تتبعوه ابنه اليوم؟! أبعد الله الهرمزان وجفينة! فقال عمر بن العاص: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الأمر ولك على الناس سلطان، إنما كان هذا ولاسلطان لك، فاصفح عنه يا أمير المؤمنين. فتفرق الناس على خطبة عمرو بن العاص، وودى عثمان الرجلين والجارية. فطعن المسلمون على عثمان، وكان ذلك أول أحداثه، فقال زياد بن لبيد بن بياضة الأنصاري: أبا عمرو عبيد الله رهن..فلا تشكك بدفع الهرمزان..فإنك إن حكمت بغير حق..فمالك بالذي حدثت يدان..كأنك إن فعلت وذاك يجري..وأسباب الخطا فرسا رهان وقد قيل: إن عثمان إنما ترك قتله لأن ابن هرمزان عفا عنه. ويؤيد ذلك أن الطعانون على عثمان قالوا: عدل ست سنين، ولو لم يكن كذلك لقالوا: استأنف الجور من لدن ولي لأنه تعطيل حد من محارم الله. وكان علي بن أبي طالب لما بويع له أراد قتل عبيد الله بن عمر، فهرب منه إلى معاوية بن أبي سفيان، فلم يزل معه.

عن جرير بن حازم قال: سمعت يعلى بن حكيم يحدث عن نافع قال: رأى عبد الرحمن بن عوف[5] السكين الذي قتل به عمر، فقال: رأيت هذا السكين أمس مع الهرمزان وجفينة فقلت: ما تصنعان بهذا السكين؟ فقالا: نقطع به اللحم، فإنا لا نمس اللحم فقال له عبيد الله بن عمر: أنت رأيتها معهما؟ قال: نعم، فأخذ عبيد الله سيفه ثم أتاهما فقتلهما، فأرسل إليه عثمان: ما حملك على قتل هذين الرجلين وهما في ذمتنا؟، فأخذ عبيد الله عثمان فصرعه حتى قام الناس فحجزوه عنه، وكان حين أرسل عثمان أخذ سيفه فتقلده فعزم عليه عبد الرحمن بن عوف أن يضعه فوضعه.

عن يسار بن عوف قال: لما قدم عبيد الله بن عمر الكوفة وأتيته أنا وعبد الله بن بديل[6]، وهو في دار المختار، فقال له عبد الله بن بديل: اتق الله يا عبيد الله بن عمر، لاتهريقن دمك في هذه الفتنة، قال: وأنت فاتق الله لا تهريقن دمك في هذه الفتنة. قال ابن بديل: أطلب بدم أخي قتل مظلوما، فقال عبيد الله بن عمر: وأنا أطلب بدم الخليفة المظلوم. قال يسار: لقد رأيتهما صريعين، هذا في هذا الصف، وهذا في هذا الصف ما بينهما إلا عرض الصف.

عن أبي رزين قال: كنت مع مولاي بصفين، فرأيت عليا بعدما مضى ربع الليل يطوف على الناس يأمرهما، وينهاهم، فأصبحوا يوم الجمعة، فالتقوا، وتقاتلوا أشد القتال، والتقى عمار بن ياسر[7]، وعبيد الله بن عمر، فقال عبيد الله: أنا الطيب بن الطيب، فقال له عمار بن ياسر: أنت الخبيث بن الطيب. فقتله عمار. ويقال: قتله رجل من همدان ويقال: قتله رجل من الحضارمة. ويقال: إن معاوية أقرع بين الناس يومئذ، فخرج سهم عبدي الله بن عمر على ربيعة. فأحضر امرأتيه القتال؛ وكانت عنده أسماء بنت عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي، وبحرية بنت هانيء بن قبيصة الشيباني. ولقيته ربيعة، وعلى ربيعة الكوفة يومئذ: زياد بن خصفة[8] التيمي، فشدت ربيعة على عبيد الله بن عمر، فقتلته، فلما ضرب فسطاط زياد بن خصفة بقي طنب من الأطناب لم يجدوا له وتدا، فشدوه برجل عبيد الله. وأقبلت امرأتاه منصرفتين حتى وقفتا عليه، فبكتا عليه، وصاحتا، فخرج زياد بن خصفة، فقيل له: هذه بحرية بنت هانيء بن قبيصة الشيباني، فقال لها: حاجتك يابنة أخي؟ فقالت: زوجي قتيل تدفعه إلي، فقال: نعم، خذيه، فجيء ببغل، فحملته. فذكروا أن يديه ورجليه خطتا بالأرض من البغل.وعن نافع قال: أصيب عبيد الله بن عمر يوم صفين، فاشترى معاوية سيفه، فبعث به إلى عبد الله بن عمر. قيل لنافع: هو سيف عمر الذي كان؟ قال: نعم، قلت: فما كانت حليته؟ قال: وجدوا في نعله أربعين درهما وكانت وقعة صفين في صفر سنة سبع وثلاثين وقيل إنها كانت في ربيع الأول سنة سبع وثلاثين.

----

(4) أبو لؤلؤة فيروز النهاوندي الفارسي المجوسي الكافر، كان غلام المغيرة بن شعبة. انتحر بخنجره حين أخذ، بعد طعنه عمر بن الخطاب ومات عمر رضي الله عنه بعده بثلاثة أيام في آخر يوم من ذي الحجة سنة 23 هـ

(3) جفينة النصراني كان نصرانيا من أهل الحيرة ظئرا لسعد بن مالك أقدمه المدينة للصلح الذي كان بينه وبينهم، وليعلم بالمدينة الكتابة. والظئر هو: زوج المرضعة،ومنه حديث سيف القين: ظئر إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم.

(2) الهرمزان، اسم لبعض أكابر الفرس، وهو دهقانهم الأصغر، حاكم الأهواز أثناء فتح فارس في عهد يزدجرد الثالث.وكان قائد الجيش الفارسي في معركة القادسية، أسره أبو موسى الأشعري وبعثه إلى عمر بن الخطاب،وقيل أرسله أبو سبرة بن أبي رهم. فأسلم سنة 23 هـ قتله عبيد الله بن عمر اتهاما أنه قاتل أبيه أو الآمر به

(1) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق شقيق أم المؤمنين عائشة. حضر بدرا مع المشركين؛ ثم إنه أسلم، وهاجر قبيل الفتح. وأما جده أبو قحافة فتأخر إسلامه إلى يوم الفتح. وكان هذا أسن أولاد الصديق، وكان من الرماة المذكورين، والشجعان. قتل يوم اليمامة سبعة من كبارهم. له أحاديث، نحو الثمانية. اتفق الشيخان على ثلاثة منها. روى عنه ابناه؛ عبد الله وحفصة، وابن أخيه؛ القاسم بن محمد، وأبو عثمان النهدي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعمرو بن أوس الثقفي، وابن أبي مليكة، وآخرون. وهو الذي أمره النبي في حجة الوداع أن يعمر أخته عائشة من التنعيم. توفي في سنة 53 هـ. وقيل 55 هـ، وقيل 56 هـ، والأول أكثر.

(7) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم، أبو اليقظان من الولاة الشجعان ومن السابقين إلى الإسلام، ولد بمكة سنة 56 ق.هـ هاجر إلى المدينة وشهد بدرا واحدا وغيرهما، ولاه عمر الكوفة ثم عزله. وشهد الجمل وصفين وقتل فيها سنة 37 هـ

(6) عبد الله بن بديل بن ورقاء.كان من الدهاة الفصحاء، انتهت إليه رئاسة خزاعة.أسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وتبوك. وقاتل مع علي بصفين، فكان قائد الرجالة، ولم يزل يضرب حتى انتهى إلى معاوية فأزاله عن موقفه، فتكاثر عليه أصحاب معاوية، فقتل سنة37 هـ

(5) عبد الرحمن بن عوف ويكنى أبا محمد. هو أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا بالإسلام. ولد سنة 43 ق.هـ وتوفي سنة 32 هـ وهو ابن 75 سنة.

(8) وزياد بن خصفة بن ثقف بن ربيعة بن غنم بن عايذ، شهد مع علي الجمل وصفين.

مراجع::شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد/ وقعة صفين لابن مزاحم المنقريي/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) ورجل 0295

حدث هشيم بن بشير عن مجالد عن الشعبي، قال: جاء رجل إلى معاوية فقال: عز الإسلام ينفعني أو يضرني؟ قال: بل ينفعك ولا يضرك، فقال: إن أبي كان نصرانيا وله ولد نصراني، وإني أسلمت، ومات أبي وترك مالا كثيرا، فذكر إخوتي أن المال لهم دوني، فقال معاوية: أنت وهم فيه شرع سواء، وكتب إلى زياد[1]: ورث المسلم من الكافر ولا تورث الكافر من المسلم، فأرسل زياد إلى شريح[2] يأمره بذلك، وكان شريح لا يفعله قبل ذلك، ولا يرى أن يتوارث ملتان، فكان إذا قضى به قال: هذا رأي أمير المؤمنين. قال هشيم أخبرنا إسماعيل عن الشعبي بمثله وقال: لما قضى معاوية بذلك قال عبد الله بن معقل[3]: ما حدث* في الإسلام حدث بعد قضاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجب إلي منه.

قال المدائني: أمر زياد شريحا بأن يورث المسلم من الكافر فقضى بذلك وقال: هذا رأي زياد، فقال قوم من الفقهاء: لقد أحسن، فقال شريح: سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن.

----

*(الحدث) الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في الكتاب والسنة

■ (2) شريح القاضي، هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام. أصله من اليمن. ولى قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية، أستعفى زمن الحجاج توفى بالكوفة سنة 78 هـ

■ (1) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (3) عبد الله بن معقل، ابن مقرن، الامام أبو الوليد المزني الكوفي. لابيه صحبة. حدث عن أبيه، وعن علي، وابن مسعود، وكعب بن عجرة، وجماعة. ذكره أحمد بن عبد الله العجلي فقال: ثقة من خيار التابعين. توفي سنة 88 هـ.هذا قول الذهبي. وفي رواية محمد بن عبد الله غبان الصبحي قال سنة 57هـ ؟؟

☪

قال أبو الحسن الماوردى: روي عن الزهري قال: كان لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فلما ولي معاوية رحمه الله تعالى ورث المسلم من الكافر وأخذ بذلك الخلفاء حتى قام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فراجع السنة الأولى، ثم أخذ بذلك يزيد بن عبد الملك، فلما قام هشام بن عبد الملك أخذ بسنة الخلفاء، ولأن كل ملتين امتنع العقل بينهما امتنع التوارث بينهما، كالكافر والمسلم، ولأن التوارث مستحق بالولاية وقد قطع الله الولاية بين المسلم والذمي، فوجب أن ينقطع به التوارث، ولأن بعد ما بين المسلم والذمي أعظم مما بين الذمي والحربي، فلما لم يتوارث الذمي والحربي لبعد ما بينهما، كان أولى أن لا يتوارث المسلم والذمي، فأما قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿الإِسْلاَمُ يَزِيدُ وَلاَ يَنْقُصُ﴾ ففيه تأويلان، وكل واحد منها جواب.أحدهما: أن الإسلام يزيد بمن أسلم من المشركين ولا ينقص بالمرتدين. والثاني: أن الإسلام يزيد بما يفتح من البلاد. وأما النكاح فغير معتبر بالميراث، ألا ترى أن المسلم ينكح الحربية ولا يرثها، وقد ينكح العبد الحرة ولا يرثها، وأما أخذ أموالهم قهرا فلا يوجب ذلك أن تصير إلينا إرثا: لأن المسلم لا يرث الحربي وإن غنم ماله، وهم يقولون إنه يرث الذمي ولا يغنم ماله، فلم يجز أن يعتبر أحدهما بالآخر.

قال ابن قدامة: أجمع أهل العلم على أن الكافر لا يرث المسلم وقال جمهور الصحابة والفقهاء لا يرث المسلم الكافر يروى هذا عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وأسامة بن زيد وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم وبه قال عمرو بن عثمان وعروة والزهري وعطاء وطاووس والحسن وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار والثوري وأبو حنيفة وأصحابه ومالك والشافعي وعامة الفقهاء وعليه العمل. وروي عن عمر ومعاذ ومعاوية رضي الله عنهم أنهم ورثوا المسلم من الكافر ولم يورثوا الكافر من المسلم وحكي ذلك عن محمد بن الحنيفية وعلي بن الحسين وسعيد بن المسيب ومسروق وعبدالله بن معقل والشعبي والنخعي ويحيى بن يعمر وإسحاق وليس بموثوق به عنهم فإن أحمد قال ليس بين الناس اختلاف في أن المسلم لا يرث الكافر وروي أن يحيى بن يعمر احتج لقوله فقال: حدثني أبو الأسود أن معاذا حدثه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿الإِسْلاَمُ يَزِيدُ وَلاَ يَنْقُصُ﴾ ولأننا ننكح نساءهم ولا ينكحون نساءنا فكذلك نرثهم ولا يرثوننا.

ولنا ما روى أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿لاَ يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ، وَلاَ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ﴾ متفق عليه وروى أبو داود بإسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمر وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لاَ يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى﴾ ولأن الولاية منقطعة بين المسلم والكافر فلم يرثه كما لا يرث الكافر المسلم فأما حديثهم فيحتمل أنه أراد أن الإسلام ولا ينقص بمن يزيد بمن يسلم وبما يفتح من البلاد لأهل الإسلام ولا ينقص بمن يرتد لقلة من يرتد وكثرة من يسلم وعلى أن حديثهم مجمل وحديثنا مفسر وحديثهم لم يتفق على صحته وحديثنا متفق عليه فتعين تقديمه والصحيح عن عمر أنه قال: لا نرث أهل الملل ولا يرثوننا وقال في عمة الأشعث: يرثها أهل دينها فأما المعتق إذا خالف دينه دين معتقه فنذكره في باب الولاء إن شاء الله تعالى. أنتهى

☪

قال المدائني: قال زياد لشريح: إني أريد أن أزيدك في رزقك، فقال: لا حاجة لي في أكثر مما فرض لي عمر[1]، قال: فإني أوليك عملا أجري عليك رزقه، قال: أنت وذاك، قال: أوليك الصلاة قال: إني لا آخذ على الصلاة رزقا، فولاه بيت المال وأجرى عليه ألفا فكان يأخذها. وعن محمد بن سيرين قال: قدم شريح مع زياد الكوفة فقضى بالبصرة، فكان زياد يجلسه إلى جنبه، وقال: إن حكمت بشيء ترى غيره أقرب إلى الحق فأعلمني، فكان زياد يحكم فلا يرد عليه شريح شيئا.

وحدث مجالد عن الشعبي قال: أثنى شريح بن الحارث على زياد، فقال له شريح بن هانئ الحارثي[2]: أمثلك يثني على زياد؟ فقال: إنه لو ولاك ما ولاني لأثنيت عليه.

وحدث إسماعيل بن أبي خالد ومجالد بن سعيد عن الشعبي قال: ابتاع رجلا دارا فوجد فيها كنزا، فقال البيع: ما دفنت فيها شيئا، وقال المشتري: ما الكنز لي، فأتيا شريحا فقصا عليه قصتهما، فقال: ما أدري أجادان أنتما أم لا عبان، ودخل على زياد فأخبره خبرهما فقال: اعرض عليهما المال فأيهما قبله فهو له، وإن أبيا قبوله فانطلق به إلى بيت المال، فلم يقبلاه، فحمله إلى بيت المال، وكان أربعة آلاف واف.

قال البلاذري وحدثت عن شعبة عن حصين عن إبراهيم قال: أول من لم يتم التكبير زياد، واستخلف شريحا فكان لا يتم التكبير، فمشى إليه علقمة[3] وأصحاب عبد الله بن مسعود[4] فقالوا: ما هذا؟ فقال: استخلفني رجل كرهت مخالفته.

حدثني روح بن عبد المؤمن حدثنا أبو عوانة عن مغيرة عن إبراهيم قال: كان زياد بن سمية أول من جعل الورق في الدية، وكان الورق بالبصرة وزن سبعة فجعلها عشرة آلاف درهم، وكان الورق بالكوفة وزن ستة فجعلها اثني عشر ألفا، قوم الجذعة وابنة مخاض وما بينهما عشرين ومائة وزن ستة. وحدث سفيان بن مغيرة عن إبراهيم قال: إنما كان يقضي في الدية بالإبل حتى قومها زياد اثني عشر ألفا، البعير عشرين ومائة. وعن حماد بن سلمة عن الحجاج عن الحكم بن عتيبة أن زيادا قطع تميم بن مصاد في سرق ثم تاب وأصلح فأجاز شريح شهادته. وعن يزيد بن هشام عن محمد بن سيرين أن ابن أخ لزياد خرج إلى السواد فقتل دهقانا، فدفعه زياد إلى ولي الدهقان فعفا عنه. وحدث أبو خيثمة بن جرير الضبي عن ابن شبرمة قال: قال ابن سمية: من عرض عرضنا له السوط، ومن صرح صرحنا له بالحد، يعني التعريض بالشتيمة.

☪

قال علي رضي الله عنه لشريح: لسانك عبدك ما لم تتكلم، فإذا تكلمت فأنت عبده فانظر ما تقضي، وفيم تقضي، وكيف تقضي، وفيم تمضي، وإليه تفضي. وعن عامر قال: جاءت امرأة إلى علي رضي الله عنه تخاصم زوجها طلقها، فقالت: قد حضت في شهر ثلاث حيض، فقال علي لشريح: اقض بينهما. قال: يا أمير المؤمنين، وأنت هاهنا؟! قال: اقض بينهما. قال: إن جاءت من بطانة أهلها ممن ترضى دينه وأمانته يزعم أنها حاضت ثلاث حيض تطهر عند كل قرء وتصلي جاز لها، وإلا فلا. فقال علي: قالون. وقالون بلسان الروم: أحسنت. وقيل: قالون بالرومية جيد. أتي شريح ابني عم أحدهما زوج والآخر أخ لأم، فقال شريح: للزوج النصف وما بقي فللأخ من الأم. وقال علي رضي الله عنه: أخطأ العبد الأبظر: للزوج النصف وللأخ من الأم السدس، وما بقي بينهما نصفان. نظر شريح إلى رجل يقوم على رأسه وهو يضحك وهو في مجلس القضاء، فنظر إليه شريح فقال له: ما يضحكك وأنت تراني أتقلب بين الجنة والنار؟! حدث سالم أبو عبد الله قال: شهدت شريحا وتقدم إليه رجل قال: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط، فقال: إني رجل من أهل الشام. قال: بعيد سحيق. قال: إني تزوجت امرأة، قال: بالرفاء والبنين. قال: إني اشترطت لها دارها. قال: الشرط أملك. قال: اقض بيننا قال: قد فعلت.

عن حاتم بن قبيصة المهلبي، وكان صحيح الخبر صادقه لا يأخذ العلم إلا من معادنه، قال حدثني شيخ من كنانة قال: قال عمر رضي الله عنه: لشريح حين استقضاه لا تشار ولا تضار ولا تشتر ولا تبع ولا ترتش، فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، إن القضاة إن أرادوا عدلا..ورفعوا فوق الخصوم فضلا.

■ (3) هل هو تلميذ عبد الله بن مسعود؟: علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمداني، أبو شبل: تابعي، كان فقيه العراق. يشبه ابن مسعود في هديه وسمته وفضله. ولد في حياة النبي وروى الحديث عن الصحابة، وشهد صفين. وغزا خراسان. وأقام بخوارزم سنتين، وبمرو مدة. وسكن الكوفة، فتوفي فيها سنة 62 هـ

■ (4) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي من أكابر الصحابة ومن أقربهم إلى رسول الله وهو من السابقين إلى الإسلام وكان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب سره ولى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفى بها.سنة 32 هـ

■ (2) شريح بن هانئ بن يزيد الحارثي: راجز، شجاع، من مقدمي أصحاب علي، كان من أمراء جيشه يوم الجمل. ولما كان يوم التحكيم بعث علي أبا موسى، ومعه أربعمائة رجل، عليهم شريح بن هانئ. قتل غازيا بسجستان سنة 78 هـ. أيام الحجاج

■ (1) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

مراجع: أنساب الأشراف/ مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ الحاوى الكبير/ المغني/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ تاريخ الإسلام للذهبي/ فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) واليماني 0296

روي أن معاوية بن أبي سفيان[1] رحمه الله قال لحاجبه: أدخل أرث من بالباب تراه، فخرج فوجد رجلا ذا أطمار لا تكاد تواريه فقدمه، فلما مثل بين يديه قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فرد عليه معاوية وأمره بالقعود، ثم أقبل عليه فقال: من أين الرجل؟ قال: من مأرب، قال: وممن؟ قال: من سبأ، قال: أنت من الذين بدلوا نعمة الله كفرا فأبدلهم الله بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل.الآية: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ] قال: إني لمن تلك البلدة ومن نسل أولئك القوم، ولكنك يا معاوية من الذين قالوا لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؟ [الأنفال] وإنا لأهل الجنة التي وصفها الله والعرش الذي عظمه الله، وإنكم أهل النجعة* التي صغرها الله وذمها لجوعها فقال:﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش] ووثب، فأجلسه معاوية واعتذر إليه.

----

*(النجعة) طلب الكلإ في موضعه تقول منه انتجع وانتجع فلانا أيضا أتاه يطلب معروفه

■ (1) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة.وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

مأرب: وقد تخفف وهو الأكثر، مدينة باليمن على ثلاثة أيام من صنعاء، وعلى ثلاثة مراحل من ظفار، قيل هي سمة للملك، وقيل هو مسكن سبأ، وهو بسكون الهمزة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ] وقال: والسد بين جبلين وهما يسميان المأزمين وتمر منه بموضع كان يقسم عليه ماء هذا السد في الجاهلية في صحراء ورمال، وهي التي تسمى جنة اليسرى، قال الله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ [سبأ] فيمر حتى ينتهي إلى مأرب وفيه معدن الملح الذي أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم أبيض بن حمال المأربي[1] فجعله أبيض صدقة للمساكين، وعوضه النبي صلى الله عليه وسلم حائطا يعرف بالجدرات على باب مأرب، فلا يخلو من ثمر صيفا وشتاء وربيعا وخريفا لأن صلى الله عليه وسلم دعا له بالبركة. ومأرب مدينة سبأ، وبها عرش بلقيس، وكان العرش مبنيا على أساطين حجارة وكل اسطوانة منها فوق الأرض ثمان وعشرون ذراعا، فاحتمل العرش وبقيت الأساطين على حالها، ويقال إن تحت الأرض من تلك الأساطين مثل ما فوقها، وغلظ كل أسطوانة لا يحتضنه أربعة نفر، وفيها سوق ومسجد والمنزل بها، ثم يخرج منها ويقطع عرض الوادي فيدخل جنة اليمنى التي ذكرها الله تعالى، وليس فيها من الأشجار إلا الأثل والأراك، وتبذر فيها الذرة.

وكانت مأرب في القديم مدينة كبيرة عامرة بالخلق مشهورة في بلاد العرب، وبها صرواح قصر سليمان عليه السلام، ولم يبق منه إلا طلل دارس، وبها قصر بلقيس كما قلناه، وبها كان السد المسمى بالعرم، وكان أكثر أهل مأرب سبأ من قبل العرب الحميرية، وكان لهم من الكبر والتيه والعجب على سائر الأمم ما هو مشهور، وكانوا مع ذلك يكفرون بأنعم الله سبحانه، وكان لهم بهذه المدينة سد عظيم البناء وثيق الصنعة قد أمنوا من خلله، وكان الماء يرتدع خلفه نحوا من عشرين قامة، فكان الماء محصورا من جوانبه قد أمنوه وأوثقوا صناعته، وكانت مساكنهم عليه، ولكل قبيلة منهم شرب معلوم يسقون منه ويصرفونه في مزارعهم قسمة عدل، وكان السد يعلو هذه المدينة كالجبل المنيف، فلما أراد الله سبحانه انقطاع دولتهم وتشتيت جماعاتهم أرسل عليهم السيل، فجاءهم وهم نائمون، فدفع السد ومر بالمدينة وما جاورها من القرى والبهائم والأمم والنبات، وقتل الكل بالكل وفرقهم شذر مذر، وتفرقت العرب وتبلبلت الألسن، وساروا في المشارق والمغارب، وبقي بالمدينة آثار تراجع إليها أقوام من حضرموت فهم يعمرونها إلى الآن.

قال ابن إسحاق: وكان سبب خروج عمرو بن عامر[2] من اليمن أنه رأى جرذا يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك، فاعتزم على النقلة من اليمن فكاد قومه، فأمر أصغر بنيه إذا أغلظ له ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به أبوه، فقال عمرو: لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي؟ وعرض أمواله فقال أشراف اليمن: اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله، وانتقل هو وولده وولد ولده فقالت الأزد: لا نتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا ببلاد عك مجتازين يرتادون البلدان، فحاربتهم عك، فكان حربهم سجالا، ثم ارتحلوا عنهم فتفرقوا في البلدان فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام، ونزلت الأوس والخزرج يثرب، ونزلت خزاعة مرا، ونزلت أزد السراة السراة، ونزلت أزد عمان عمان، ثم أرسل الله عز وجل على السد السيل فهدمه، ففيه أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم: لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور. فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم. إلى آخر الآية والعرم السد، واحدته عرمة.

■ (2) مزيقياء، عمرو بن عامر (ماء السماء) بن حارثة (الغطريف) بن أمريء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

■ (1) أبيض بن حمال الصحابي، وهو أبو سعيد أبيض بن حمال بن مرثد بن ذي لحيان، الشيباني المأربى، من أهل مأرب بلدة معروفة باليمن، قال ابن سعد: وفد أبيض على النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، قال: ويقال: بل لقيه بمكة فى حجة الوداع، حديثه عند أولاده، ذكر له في المهذب حديثين أحدهما: إقطاع ملح مأرب، والآخر حديث: لا حمى فى الأراك، مات في خلافة عثمان

مراجع: الروض المعطار في خبر الأقطار/ الأعلام للزركلي/ تهذيب الأسماء واللغات/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وشيبة بن عثمان، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق 0297

عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة عن أخيه شيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان قال: حج معاوية بن أبي سفيان وهو خليفة فاشترى دار الندوة من ابن الرهين العبدري[1] بمائة ألف درهم فجاء شيبة بن عثمان[2] فقال له: إن لي فيها حقا وقد أخذتها بالشفعة، فقال له معاوية: فأحضر المال قال: أروح به إليك العشية وكان ذلك بعدما صدر الناس من الحج وقد كان معاوية تهيأ للخروج إلى الشام فصلى معاوية بالناس العصر ثم دخل الطواف فطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين ثم انصرف فدخل دار الندوة فقام إليه شيبة حين أراد أن يدخل الدار فقال: يا أمير المؤمنين قد أحضرت المال قال: فاثبت حتى يأتيك رأيي، فأجيف الباب وأرخي الستر، وركب معاوية من الدار دوابه، وخرج من الباب الآخر[مسافرا] ومضى معاوية إلى المدينة، [وشيبة لا يشعر به]، فلم يزل شيبة جالسا بالباب حتى جاء المؤذن فسلم وأذنه بصلاة المغرب فخرج والي مكة عبد الله بن خالد بن أسيد[3] فقام إليه شيبة فقال: أين أمير المؤمنين؟ قال: قد راح إلى الشام، قال شيبة: والله لا كلمته أبدا. فلما حج معاوية حجته الثانية بعث إلى شيبة أن يفتح له الكعبة حتى يدخلها ويصلي فيها، قال شيبة بن جبير بن شيبة[4]: فأرسلني جدي بالمفتاح وأنا غلام حدث وأبي شيبة بن عثمان أن يفتح له الباب ولم يأته ولم يسلم عليه قال شيبة بن جبير: فلما رآني معاوية استصغرني وقال: من أنت يا حبيب؟ قال: قلت: أنا شيبة بن جبير قال: لا بأس يابن أخي غضب أبو عثمان شيبة مكان شيبة ففتحت له الكعبة فلما دخل أجفت عليه الباب ولم يدخل معه الكعبة إلا حاجبه أبو يوسف الحميري[5] فبينا معاوية يدعو في البيت ويصلي إذا بحلقة باب الكعبة تحرك تحريكا ضعيفا فقال لي: يا شيبة انظر هذا عثمان بن محمد بن أبي سفيان[6] فإن كان إياه فأدخله ففتحت الباب فإذا هو هو فأدخلته ثم حركت الحلقة تحريكا هو أشد من الأول فقال: انظر هذا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان[7] فإن كان إياه فأدخله ففتحت فإذا هو هو فأدخلته ثم قال لأبي يوسف الحميري: انظر عبد الله بن عمر[8] فإني رأيته آنفا خلف المقام حتى أسأله: أين صلى النبي صلى الله عليه وسلم من الكعبة؟ فقام أبو يوسف الحميري فجاء بعبد الله بن عمر فقال له معاوية: يا أبا عبد الرحمن أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام دخلها؟ قال: بين العمودين المقدمين اجعل بينك وبين الجدر ذراعين أو ثلاثة فبينا نحن كذلك إذ رج الباب رجا شديدا وحركت الحلقة تحريكا أشد من الأول فقال معاوية [لشيبة]: انظر هذا عبد الله بن الزبير[9] فإن كان إياه فأدخله فنظرت فإذا هو هو فأدخلته فأقبل على معاوية وهو مغضب فقال: إيها يابن أبي سفيان ترسل إلى عبد الله بن عمر تسأله عن شيء أنا أعلم به منك ومنه حسدا لي ونفاسة علي، فقال له معاوية: على رسلك يا أبا بكر فإنما نرضاك لبعض دنيانا فصلى معه وخرج [قال شيبة] وخرجت معه فدخل زمزم فنزع منها دلوا فشرب منه وصب باقيه على رأسه وثيابه ثم خرج فمر بـ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[10] رضي الله عنه خلف المقام في حلقة فنظر إليه محدقا فقال له عبد الرحمن: ما نظرك إلي؟ فوالله لأبي خير من أبيك ولأمي خير من أمك ولأنا خير منك فلم يجبه بشيء ومضى حتى دخل دار الندوة، فلما جلس في مجلسه قال: عجلوا علي بعبد الرحمن بن أبي بكر فقد رأيته خلف المقام قال: فأدخل عليه فقال: مرحبا يابن الشيخ الصالح قد علمت أن الذي خرج منك آنفا لجفائنا بك وذلك لنأي دارنا عن دارك فارفع حوائجك فقال: علي من الدين كذا، وأحتاج إلى كذا، وأجز لي كذا، وأقطعني كذا، فقال معاوية: قد قضيت جميع حوائجك قال: وصلتك حم يا أمير المؤمنين إن كنت لأبرنا بنا وأوصلنا لنا [..] الخبر بطوله لدى ابن فهد في إتحاف الورى 2/ 37–39 وما بين حاصرتين منه.

■ (2) شيبة بن عثمان بن أبي طلحة القرشي، من بني عبد الدار: صحابي، من أهل مكة. أسلم يوم الفتح. وكان حاجب الكعبة في الجاهلية، ورث حجابتها عن آبائه، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، ولا يزال بنوه حجابها إلى اليوم. توفي سنة 59 هـ

■ (9) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (10) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق شقيق أم المؤمنين عائشة. حضر بدرا مع المشركين؛ ثم إنه أسلم، وهاجر قبيل الفتح. وأما جده أبو قحافة فتأخر إسلامه إلى يوم الفتح. وكان هذا أسن أولاد الصديق، وكان من الرماة المذكورين، والشجعان. قتل يوم اليمامة سبعة من كبارهم. له أحاديث، نحو الثمانية. اتفق الشيخان على ثلاثة منها. روى عنه ابناه؛ عبد الله وحفصة، وابن أخيه؛ القاسم بن محمد، وأبو عثمان النهدي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعمرو بن أوس الثقفي، وابن أبي مليكة، وآخرون. وهو الذي أمره النبي في حجة الوداع أن يعمر أخته عائشة من التنعيم. توفي في سنة 53 هـ. وقيل 55 هـ، وقيل 56 هـ، والأول أكثر.

■ (0) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة.وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (3) عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص ابن أمية، كان من عظماء قريش، يروي عن جماعه من الصحابة، أمه ريطة بنت عبد الله بن خزاعي بن الحويرث، قال ابن حجر العسقلاني: عبد الله بن خالد بن أسيد المخزومي ذكره بن منده وقال في صحبته وروايته نظر وتبعه أبو نعيم لكن عرفه بأنه بن أخي عتاب بن أسيد وذلك يقتضي أنه أموي لا مخزومي قال بن الأثير هو أموي لا شبهة فيه، وفي ترجمة خالد بن أسيد أنه مات في أول خلافة أبي بكر فلا يبعد أن يكون لأبيه صحبة أو رؤية وقد عاش عبد الله هذا إلى أن ولي فارس من قبل زياد في خلافة معاوية واستخلفه زياد على البصرة لما مات سنة 53 فأقره معاوية ثم عزله ولى الضحاك بن قيس قبل سنة55 هـ

■ (8) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

■ (7) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان. استعمله معاوية على المدينة حين صرف عنها مروان، سنة 57هـ توفي سنة 64 هـ وقيل إنهم أرادوه على الخلافة بعد معاوية بن يزيد، فأبى وقيل فطعن فمات بعد موت معاوية بن يزيد. ويقال: قدم للصلاة على معاوية بن يزيد، فلم يرفع إلا وهو ميت.

■ (6) عثمان بن محمد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي: عامل يزيد بن معاوية على المدينة، ووالد محمد، أخرجه أهل المدينة في سنة 63 هـ حين اجتمعوا على إخراج بن أمية عنها

■ (4) شيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان بن عبد الدار؟ (هذا لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله أعلم)

■ (1) ابن الرهين العبدري ؟ ابن الزبير العبدري ؟ (هذا لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله أعلم) قال ابن الاثير: عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري. هو الذي باع دار الندوة من معاوية بمائة ألف. وهو معدود في المؤلفة قلوبهم.

■ (5) أبو يوسف الحميري (هذا لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله أعلم)

دار الندوة بمكة أحدثها قصي بن كلاب لما تملك مكة. كانوا يجتمعون بها للمشاورة وصارت بعد ولده لمعاوية بن أبي سفيان وقيل هي أول دار بنتها قريش بمكة . قال الحلبي دار الندوة من جهة الحجر عند مقام الحنفي الآن وكان لها باب إلى المسجد أعدت للاجتماع للمشورة وكانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشي إلا أن بلغ أربعين سنة بخلاف القرشي، روى الأزرقي: أن معاوية بن أبي سفيان حج وهو خليفة فاشترى دار الندوة من ابن الزبير العبدري بمائة ألف درهم. وفي كتاب الأزرقي أن دار الندوة صارت كلها في المسجد الحرام وهي في جانبه الشمالي. قال ابن الأثير: دار الندوة فلم تزل لعبد الدار، ثم لولده حتى باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار من معاوية فجعلها دار الإمارة بمكة، وهي الآن في الحرم معروفة مشهورة. قال ابن كثير: صارت هذه الدار فيما بعد إلى حكيم بن حزام بعد بني عبد الدار فباعها في زمن معاوية بمائة ألف درهم فلامه على بيعها معاوية، وقال: بعت شرف قومك بمائة ألف ؟ فقال: إنما الشرف اليوم بالتقوى والله لقد ابتعتها في الجاهلية بزق خمر وها أنا قد بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها صدقة في سبيل الله فأينا المغبون. وفي ابن الأثير: أن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار باعها من معاوية فجعلها دار الإمارة بمكة. وفي جمهرة ابن حزم أن عكرمة كانت له الندوة وباعها من حكيم بن حزام في الجاهلية ولعله الصواب إذ أن حكيم الذي باعها زمن معاوية. قال يحيى بن شرف النووي في تهذيب الأسماء واللغات: قال أقضى القضاة الماوردي في الأحكام السلطانية دار الندوة: هي أول دار بنيت بمكة صارت بعد قصي لعبد الدار بن قصي، فابتاعها معاوية في الإسلام من عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وجعلها دار الأمانة، وقد تقدم بيان هذا عند ذكر مكة في حرف الميم. قال مصعب بن عثمان: سمعت المشيخة يقولون: لم يدخل دار الندوة للرأي أحد حتى بلغ أربعين سنة، إلا حكيم بن حزام فإنه دخلها للرأي وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو أحد النفر الذين حملوا عثمان بن عفان ودفنوه ليلا.

عن ابن عمر؛ أنه كان ربما طاف، ثم صلى الركعتين في جوف البيت. وعن موسى بن عقبة، عن سالم، قال: رأيته يطوف، ثم يدخل البيت، فيصلي الركعتين. وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: سئل أبي عن الصلاة في الكعبة؟ فقال: صليت مع أبي، حسين بن علي في الكعبة. وعن ابن عمر ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة، وأسامة بن زيد، وبلال ، وعثمان بن طلحة، فمكث في البيت فأطال، ثم دخل ابن عمر في إثره أول الناس، فسألت بلالا: أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : بين العمودين المقدمين، قال: ونسيت أن أسأله كم صل ؟. وعن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عثمان بن طلحة ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الركعتين وجاهك حين تدخل.

مراجع: أخبار مكة للأزرقي/ الأعلام للزركلي/ الإصابة في تمييز الصحابة/ أسد الغابة/ محمد رسول الله لمحمد رضا/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ البداية والنهاية/ مصنف ابن أبي شيبة/ الكامل في التاريخ/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) والحسين بن علي، وابن عمر، وابن الزبير، وابن عباس، وعبد الرحمن بن أبي بكر(١) 0298

ذكر ابن الجوزي بسنده قال: قدم المغيرة بن شعبة[1] على معاوية، فشكا إليه الضعف واستعفاه فأعفاه، وأراد أن يولي سعيد بن العاص[2]، وقال أصحاب المغيرة للمغيرة: إن معاوية قلاك، فقال لهم: رويدا، ونهض إلى يزيد[2]، وعرض له بالبيعة، وقال: ذهب أعيان الصحابة وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنما بقي أبناؤهم وأنت مني أفضلهم وأحسنهم رأيا وسياسة، وما أدري ما يمنع أمير المؤمنين من العقد لك، فأدلى ذلك يزيد إلى أبيه، فاستدعاه وفاوضه في ذلك، فقال: قد رأيت ما كان من الاختلاف وسفك الدماء بعد عثمان[4]، وفي يزيد ابنك خلف، فاعقد له يكون كهفا للناس بعدك، فلا يكون فتنة ولا سفك للدماء، وأنا أكفيك الكوفة، ويكفيك زياد[5] البصرة، فرد معاوية المغيرة إلى الكوفة وأمره أن يعمل في بيعة يزيد، فقدم الكوفة وذكر من يرجع إليه من شيعة بني أمية، فأجابوا، وأوفد منهم جماعة مع ابنه موسى ابن المغيرة[6]، فدعوا معاوية إلى بيعة يزيد، فقال: وقد رضيتموه. قالوا: نعم، نحن ومن وراءنا، فقال: ننظر ما قدمتم له، ويقضي الله أمره، والأناة خير من العجلة. ثم كتب إلى زياد يستشيره، فنكر زياد ذلك وأعظم أن يكاتب فيه، واستدعى عبد الله بن كعب النميري[7]، وكانت له صحابة وله به ثقة، وقال له: دعوتك لأمر اتهمت عليه بطون الصحف، إن معاوية كتب إلي أن أجمع الناس على بيعة يزيد، وهو يتخوف نفرة الناس ويرجو مطابقتهم ويستشيرني، وعلاقة أمر الإسلام وضمانه عظيم، ويزيد صاحب رسلة* وتهاون فيما أولع به من الصيد، فالق معاوية مؤديا عني، وأخبره عن فعلات يزيد، وقل له: رويدك بالأمر، فقمن أن يتم لك ما تريد ولا تعجل، فقال له عبيد الله بن كعب: لا تفسد على معاوية رأيه، ولا تمقت إليه ابنه، وأنا ألقى يزيد في سر من معاوية، فأخبره عنك بكتاب معاوية إليك يستشيرك في بيعته، وأنك تتخوف خلاف الناس لما ينقمون عليك، وأنك ترى له ترك ما ينقمون عليه لتستحكم الحجة على الناس ويسهل الأمر، وفي ذلك نصح يزيد، ورضا معاوية، والسلامة عن درك الأمة. فقال له زياد: لقد رميت الأمر بحجره، اشخص على بركة الله، وكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتؤدة وألا يعجل، فقبل ذلك معاوية، وبلغ عبيد الله بن كعب وصية زياد إلى يزيد، فكف عن كثير مما كان يصنع. فلما مات زياد، اعتزم معاوية على العهد ليزيد، وقرأ كتابه على الناس باستخلافه يزيد إن حدث به حدث الموت، فيزيد ولي عهده، فاستوثق له الناس على البيعة ليزيد غير خمسة نفر: الحسين بن علي[8]، وابن عمر[9]، وابن الزبير[10]، وابن عباس[11]، وعبد الرحمن بن أبي بكر[12]. فحج معاوية سنة إحدى وخمسين، فلما قدم مكة، بعث عن الحسين، وقال: يا بن أخي، قد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر، أنت تقودهم، فما إربك إلى هذا الخلاف؟ قال الحسين: أرسل إليهم، فإن بايعوا فأنا منهم، ولا تعجل علي، فعاهده معاوية على الكتمان. ثم بعث عن ابن الزبير فأجابه بمثل ما أجاب الحسين، وطلبه العهد فأبى وخرج، ثم بعث عن ابن عمر، فأجابه بمثل كلامهما وألان له القول بعض اللين؛ بأن قال: أخاف أن أدع الأمة كالضأن لا راعي لها، فقال له ابن عمر: أبايعك على أني أدخل بعدك فيما تجتمع عليه الأمة، فوالله لو اجتمعوا بعدك على عبد حبشي، لدخلت معهم، وخرج فأغلق بابه، ولم يأذن لأحد. ثم بعث معاوية عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فقال له: بأية يد أو رجل تقدم على معصيتي؟ فقال عبد الرحمن: أرجو أن يكون ذلك خيرا لي، فقال معاوية: والله لقد هممت أن أقتلك، قال عبد الرحمن: لو فعلت لأخذك الله في الدنيا والآخرة، ولم يذكر ابن عباس.

وقد ذكر في كيفية هذا الحديث طريق غير هذا ذكره الذهبي في تاريخه دول الإسلام، أحببت إيراده؛ لاشتماله على زيادة علم، ونصه: روى النعمان بن راشد، عن الزهري، عن ذكوان مولى عائشة، قال: لما أجمع معاوية على أن يبايع لابنه يزيد، حج فقدم مكة في نحو من ألف رجل، فلما دنا من المدينة، خرج ابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر، فلما قدم معاوية المدينة، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ابنه يزيد، فقال: من أحق بهذا الأمر منه. ثم ارتحل فقدم مكة، فقضى طوافه ودخل منزله، فبعث إلى ابن عمر، فتشهد، وقال: أما بعد، يا بن عمر، إنك كنت تحدثني أنك لا تحب تبيت ليلة سوداء ليس عليك فيها أمير، وأنا أحذرك أن تشق عصا المسلمين أو تسعى في فساد ذات بينهم. فقام ابن عمر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنك كانت قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير من أبنائهم، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار، وإنك تحذرني أن أشق عصا المسلمين، ولم أكن لأفعل، إنما أنا رجل من المسلمين، فإذا اجتمعوا على أمر، فإنما أنا رجل منهم. فقال معاوية: يرحمك الله، فخرج ابن عمر، ثم أرسل إلى ابن أبي بكر، فتشهد ثم أخذ في الكلام، فقطع عبد الرحمن عليه كلامه، فقال: إنك والله لوددت أنا وكلناك في أمر ابنك إلى الله، وإنا والله لا نفعل، والله لتردن هذا الأمر شورى في المسلمين، أو لنردنها عليه جذعة، ثم وثب ومضى، فقال معاوية: اللهم، اكفنيه بما شئت، ثم قال: على رسلك أيها الرجل لا تشرفن على أهل الشام؛ فإني أخاف أن يسبقوني بنفسك حتى أخبر العشيرة أنك قد بايعت، ثم كن بعد على ما بدا لك من أمرك. ثم أرسل إلى ابن الزبير فقال: يا بن الزبير، إنما أنت ثعلب رواغ، كلما خرج من جحر دخل آخر، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين فنفخت في مناخيرهما، وحملتهما على غير رأيهما، فقال ابن الزبير: إن كنت قد مللت الإمارة، فاعتزلها، وهلم ابنك فلنبايعه، أرأيت إذا بايعنا ابنك معك، لأيكما نسمع ونطيع؟! لا نجمع البيعة لكما أبدا. ثم راح وصعد معاوية المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار، زعموا أن ابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير لم يبايعوا يزيد، وقد سمعوا وأطاعوا وبايعوا، فقال أهل الشام: والله لا نرضى حتى يبايعوا على رءوس الأشهاد، وإلا ضربنا أعناقهم، فقال معاوية؛ سبحان الله! ما أسرع الناس إلى قريش بالشر، لا أسمع هذه المقالة من أحد منكم بعد اليوم، ثم نزل، فقال الناس: بايع ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر، وهم يقولون: لا والله، ما بايعنا، فيقول الناس: بلى، وارتحل معاوية فلحق بالشام.

----

*(الرسلة) بالفتح: الكسل يقال: رجل فيه رسلة أي كسل

■ (8) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (10) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ.

■ (9) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

■ (12) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق شقيق أم المؤمنين عائشة. حضر بدرا مع المشركين؛ ثم إنه أسلم، وهاجر قبيل الفتح. وأما جده أبو قحافة فتأخر إسلامه إلى يوم الفتح. وكان هذا أسن أولاد الصديق، وكان من الرماة المذكورين، والشجعان. قتل يوم اليمامة سبعة من كبارهم. له أحاديث، نحو الثمانية. اتفق الشيخان على ثلاثة منها. روى عنه ابناه؛ عبد الله وحفصة، وابن أخيه؛ القاسم بن محمد، وأبو عثمان النهدي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعمرو بن أوس الثقفي، وابن أبي مليكة، وآخرون. وهو الذي أمره النبي في حجة الوداع أن يعمر أخته عائشة من التنعيم. توفي في سنة 53 هـ. وقيل 55 هـ، وقيل 56 هـ، والأول أكثر.

■ (11) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

■ (1) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية مع رسول الله، وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية، وكان موصوفا بالدهاء والحلم. وولي البصرة ثم الكوفة لعمر، وولي الكوفة بعد ذلك لمعاوية، فمات بها وهو وال عليها سنة 50 أو 51 هـ.

■ (3) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (2) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

■ (5) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ.

■ (4) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (7) عبد الله بن كعب النميري

■ (6) موسى ابن المغيرة ؟

عن أبي بكر بن أبي مريم، عن ثابت مولى أبي سفيان؛ أنه سمع معاوية يخطب ويقول: إني لست بخيركم، وإن فيكم من هو خير مني عبد الله بن عمر، وعبد الله ابن عمرو، وغيرهما من الأفاضل، ولكني حسبت أن أكون أنكاكم في عدوكم، وأنفعكم ولاية، وأحسنكم خلقا.قال همام بن منبه: سمعت ابن عباس يقول: ما رأيت رجلا كان أخلق للملك من معاوية؛ كان الناس يردون منه على أرجاء واد رحب، لم يكن بالضيق الحصر العصعص المتعصب. يعني ابن الزبير.

وقال أبو أيوب، عن أبي قلابة إن كعب الأحبار قال: لن يملك هذه الأمة أحد ما ملك معاوية. قلت: صدق كعب فيما قاله؛ فإن معاوية بقي خليفة عشرين سنة لا ينازعه أحد الأمر في الأرض جميعا؛ بخلاف عبد الملك بن مروان وأبي جعفر المنصور وهارون الرشيد وغيرهم؛ فإنهم كان لهم مخالف وخرج عن حكمهم بعض الممالك. وعن الشعبي، عن علي قال: لا تكرهوا إمرة معاوية، فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرءوس تندر عن كواهلها.

مراجع: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ الأعلام للزركلي/ تاج العروس/.

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) والحسين بن علي، وابن عمر، وابن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر(٢) 0299

قال جويرية بن أسماء: سمعت أشياخ المدينة يحدثون أن معاوية لما رحل عن مر داخلا مكة، قال لصاحب حرسه: لا تدع أحدا يسير معي إلا من حملته أنا، فخرج يسير وحده حتى إذا كان وسط الأراك، لقيه الحسين بن علي[1] رضي الله تعالى عنهما قال: فوقف، وقال: مرحبا وأهلا بابن ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيد شباب المسلمين، دابة لأبي عبد الله يركبها، فأتى ببرذون، فتحول عليه، ثم طلع عبد الرحمن بن أبي بكر[2]، فقال معاوية: مرحبا وأهلا بشيخ قريش وسيدها وابن صديق الأمة، دابة لأبي محمد، فأتى ببرذون فركب، ثم طلع ابن عمر[3] فقال: مرحبا وأهلا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن الفاروق، فدعا له بدابة فركبها، ثم طلع ابن الزبير[4]، فقال: مرحبا بابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعا بدابة فركبها، ثم أقبل معاوية يسير بينهم لا يسايره غيرهم حتى دخل مكة. ثم كانوا أول داخل عليه، وآخر خارج، وليس لهم صباح إلا ولهم حباء وكرامة، ولا تعرض لهم بذكر شيء حتى قضى نسكه وترحلت أثقاله وقرب مسيره، فأقبل بعض القوم على بعض، فقال: أيها القوم، لا تخدعوا، إنه والله ما صنع بكم ما صنع لحبكم، ولا لكرامتكم ولا صنعه إلا لما يريد، فأعدوا له جوابا، فأقبلوا على الحسين، فقالوا: أنت يا أبا عبد الله، فقال: وفيكم شيخ قريش وسيدها هو أحق بالكلام، فقالوا لعبد الرحمن: يا أبا محمد، قال: لست هناك، وفيكم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد المسلمين، فقالوا لابن عمر: أنت، قال: لست بصاحبكم، ولكن، ولوا الكلام ابن الزبير، قال: نعم، إن أعطيتموني عهودكم ألا تخالفوني، كفيتكم الرجل، قالوا: ذاك لك. قال: فأذن لهم معاوية، فدخلوا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد علمتم مسيري فيكم، وصلتي لأرحامكم، وصفحي عنكم، ويزيد[5] أخوكم وابن عمكم وأحسن الناس فيكم رأيا، وإنما أردت أن تقدموه باسم الخلافة، وتكونون أنتم الذين تنزعون وتؤمرون وتقسمون، فسكتوا، فقال: ألا تجيبوني. فسكتوا، فأقبل على ابن الزبير، فقال: هات يا بن الزبير؛ فإنك لعمري صاحب خطبة القوم، قال: نعم، يا أمير المؤمنين، نخيرك ثلاث خصال، أيها ما أخذت فهو لك، قال: لله أبوك اعرضهن، قال: إن شئت، اصنع ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن شئت اصنع ما صنع أبو بكر[6]، وإن شئت اصنع ما صنع عمر[7]، قال معاوية: ما صنعوا؟ قال ابن الزبير: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعهد عهده ولم يستخلف أحدا، فارتضى المسلمون أبا بكر، فقال معاوية: إنه ليس فيكم اليوم مثل أبي بكر؛ فإن أبا بكر رجل تقطع دونه الأعناق، وإني لست آمن عليكم الاختلاف، قال ابن الزبير: صدقت، والله ما تحب أن تدعنا، فاصنع ما صنع أبو بكر، قال معاوية: لله أبوك، ما صنع أبو بكر؟ قال: عهد إلى رجل من قاصية قريش، ليس من رهطه فاستخلفه، فإن شئت أن تنظر أي الرجل من قريش ليس من بني عبد شمس فترضى به. قال معاوية: فالثالثة ما هي؟ قال: تصنع ما صنع عمر، قال: وما صنع؟ قال: جعل الأمر شورى في ستة ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه وولا من رهطه، قال معاوية: فهل عندك غير هذا؟ قال: لا، قال: فأنتم؟ قالوا: ونحن أيضا، فقال: أما إني قد أحببت أن أتقدم إليكم أنه قد أعذر من أنذر، وأنه كان يقوم القائم منكم إلي فيكذبني على رءوس الناس فأحتمل ذلك له، وإني قائم بمقالة إن صدقت فلي صدقي، وإن كذبت فلي كذبي، وإني أقسم بالله، لئن رد علي إنسان منكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إلى رأسه، فلا يرعين رجل إلا على نفسه، ثم دعا صاحب حرسه، فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين، فإن ذهب رجل يرد علي كلمة في مقامي هذا، فليضربا عنقه. ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يستبد بأمر دونهم ولا يقضى أمر إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ابن أمير المؤمنين من بعده، فبايعوا باسم الله، قال: فضربوا على يده بالمبايعة، ثم جلس على رواحله، وانصرف الناس.

----

(1) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

(4) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

(3) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

(2) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق شقيق أم المؤمنين عائشة. حضر بدرا مع المشركين؛ ثم إنه أسلم، وهاجر قبيل الفتح. وأما جده أبو قحافة فتأخر إسلامه إلى يوم الفتح. وكان هذا أسن أولاد الصديق، وكان من الرماة المذكورين، والشجعان. قتل يوم اليمامة سبعة من كبارهم. له أحاديث، نحو الثمانية. اتفق الشيخان على ثلاثة منها. روى عنه ابناه؛ عبد الله وحفصة، وابن أخيه؛ القاسم بن محمد، وأبو عثمان النهدي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعمرو بن أوس الثقفي، وابن أبي مليكة، وآخرون. وهو الذي أمره النبي في حجة الوداع أن يعمر أخته عائشة من التنعيم. توفي في سنة 53 هـ. وقيل 55 هـ، وقيل 56 هـ، والأول أكثر.

(5) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي.الملك الأموي الثاني. ولد سنة 26 هـ وتوفي سنة 64 هـ وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

(7) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

(6) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

كن مع الله

وروى علقمة بن أبي علقمة، عن أمه، قالت: قدم معاوية المدينة، فأرسل إلى عائشة رضي الله تعالى عنها أن أرسلي إلي بأنبجانية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعره، فأرسلت بذلك معي أحمله، فأخذ الأنبجانية، فلبسها وغسل الشعر بماء، فشرب منه، وأفاض على جلده. وروى أبو بكر الهذلي، عن الشعبي، قال: لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة -يعني: عام أربعين من الهجرة- تلقته رجال قريش، فقالوا: الحمد لله الذي أعز نصرك، وأعلى أمرك، فما رد عليهم جوابا حتى دخل المدينة، فعلا المنبر، ثم حمد الله، وقال: أما بعد، فإني والله ما وليت أمركم إلا وأنا أعلم أنكم لا تسرون بولايتي ولا تحبونها، وإني لعالم بما في نفوسكم، ولكني خالستكم بسيفي هذا مخالسة، ولقد رمت نفسي على عمل ابن أبي قحافة، فلم أجدها تقوم بذلك، وأردتها على عمل عمر، فكانت عنه أشد نفورا، وحاولتها على مثل سنيات عثمان فأبت علي، وأين مثل هؤلاء. هيهات أن يدرك أحد فضلهم من بعدهم، غير أني سلكت بها طريقا لي فيه منفعة، ولكم فيه مثل ذلك، ولكل فيه مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة، ما استقامت السيرة، وحسنت الطاعة، فإن لم تجدوني خيركم، فأنا خير لكم، والله لا أحمل السيف على من لا سيف معه، ومهما تقدم مما قد علمتموه فقد جعلته دبر أذني، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله، فارضوا مني ببعضه؛ فإنها لقائبة قوبها وإن السيل إذا جاء تترى وإن قل أغنى، وإياكم والفتنة فلا تهموا بها؛ فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة وتورث الاستئصال، وأستغفر الله لي ولكم. ونزل.

مراجع: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ الأعلام للزركلي/

كان ناس من بني علقمة بن قيس قتلوا رجلا من بني الأشيم، من رهط عبد الله بن الزبير[1] دنية،–ابن عم لابن الزبير– فخرج عبد الرحمن ابن أم الحكم[2] وافدا إلى معاوية رضي الله عنه ومعه ابن الزبير، ورفيقان له من بني أسد، فقال عبد الرحمن لابن الزبير: خذ من بني عمك ديتين لقتيلك، فأبى ابن الزبير –وكان عبد الرحمن يميل إلى أهل القاتل– فغضب عليه عبد الرحمن، ورده عن الوفد من منزل يقال له: فياض، فخالفه ابن الزبير الطريق إلى يزيد بن معاوية[3]، فعاذ به، فأعاذه وقام، وأمره بأن يهجو ابن أم الحكم، وكان يزيد يبغضه وينتقصه ويعيبه، فقال فيه ابن الزبير من قصيدة طويلة: وأنتم بنو حام بن نوح أرى لكم..شفاها كأذناب المشاجر ورما..إن قلت خالي من قريش فلم أجد..من الناس شرا من أبيك وألأما.

ولما بلغ عبد الرحمن بن أم الحكم أن عبد الله بن الزبير هجاه غضب عليه فأخذ نساءه فحبسهن وهدم داره وأحرقها، فأتى معاوية فشكا إليه، وتظلم لديه منه، وقال: قد أحرق لي دارا قد قامت علي بمائة ألف درهم، فقال معاوية: ما أعلم دارا بالكوفة أنفق عليها هذا القدر، فمن يعرف صحة ما ادعيت؟ فقال: هذا المنذر بن الجارود[4] حاضر ويعلم ذلك، فقال معاوية للمنذر: ما عندك في هذا؟ قال: إني لم آأبه لنفقته على داره ومبلغها، ولكني لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له ساجا من البصرة ففعلت، فقال معاوية: إن دارا اشترى لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم، وأمر له بها، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه ثم قال لهم: أي الشيخين عندكم أكذب؟ والله إني لأعرف داره، وما هي إلا خصاص قصب، ولمنهم يقولون فنسمع، ويخادعوننا فنخدع، فجعلوا يعجبون منه. وكان عبد الرحمن ابن أم الحكم لما ولي الكوفة أساء بها السيرة، فقدم قادم من الكوفة إلى المدينة المنورة، فسألته امرأة عبد الرحمن عنه، فقال لها: تركته يسأل إلحافا، وينفق إسرافا، وكان محمقا، ولاه معاوية خاله عدة أعمال، فذمه أهلها وتظلموا منه، فعزله واطرحه، وقال له: يا بني، قد جهدت أن أنفقك وأنت تزداد كسادا، وقالت له أخته أم الحكم بنت صخر[5]: يا أخي، زوج ابني بعض بناتك، فقال: ليس لهن بكفء، فقالت له: قد زوجني أبو سفيان[6] أباه، وأبو سفيان خير منك، وأنا خير من بناتك، فقال: يا أخية، إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذ يشتهي الربيب، وقد كثر الآن الربيب عندنا فلا نزوج إلا الأكفاء.

----

(1) عبد الله بن الزبير بن الاشيم الاسدي: من شعراء الدولة الاموية، ومن المتعصبين لها. كوفي المنشأ والمنزل. كان هجاءا، يخاف الناس شره. ولما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة جئ به أسيرا، فأطلقه وأكرمه، فمدحه، وانقطع إليه، وعمي بعد مقتل مصعب. ومات في خلافة عبد الملك بن مروان نحو سنة 75 هـ.

(2) عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي: أحد الامراء في العصر الاموي. أمه أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان. ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وغزا الروم سنة 53 هـ. وولاه خاله معاوية الكوفة بعد موت زياد سنة 57 هـ، فلم تحمد سيرته، فأخرجه أهل الكوفة. وعاد إلى الشام، فولاه معاوية مصر، فقصدها، فمنعه ابن خديج من دخولها. فعاد، فولاه خاله الجزيرة. فاستمر فيها إلى أن مات معاوية. وتوفي بعد ذلك في أول خلافة عبد الملك سنة 66 هـ.

(4) المنذر بن الجارود واسمه بشر ابن عمرو بن خنيس العبدي: أمير، من السادة الاجواد. ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وشهد الجمل مع علي وولاه علي إمرة إصطخر. ثم بلغه عنه ما ساءه، فعزله. ثم ولاه عبيد الله بن زياد ثغر الهند سنة 61 هـ فمات فيها، آخر السنة. ويقال إنه كان يرى رأي الخوارج.

(5) أم الحكم بنت أبي سفيان صخر بن حرب، أخت أم حبيبة أم المؤمنين لأبيها، وأخت معاوية لأبيه وأمه، أمها هند بنت عتبة. أدركت النبي، وكانت ممن أسلم يوم الفتح، وبايعت رسول الله، وحكت عن أخيها. وكانت ممن نزل فيه﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة] ففارقها عياض بن غنم وتزوجها عبد الله بن عثمان الثقفي فهي والدة عبد الرحمن بن أم الحكم اشتهر بالنسبة إليها.

(3) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي.الملك الأموي الثاني. ولد سنة 26 هـ وتوفي سنة 64 هـ وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

(6) أبو سفيان بن حرب بن أمية واسمه صخر، اسلم في الفتح، لقى رسول الله بالطريق قبل دخوله مكة لفتحها فأسلم هناك، وشهد حنينا، وشهد الطائف، وفقئت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. مات بين سنة 30 هـ وسنة 34 هـ، وصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان، ودفن في البقيع

عن البختري بن هلال قال: دخل أسماء بن خارجة على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: قد بلغني عنك خصال كريمة شريفة، فأخبرني عنها؛ قال: يا أمير المؤمنين، هي من غيري أحسن؛ قال: فإني أحب أن أسمعها منك فأخبرني بها، قال: يا أمير المؤمنين، ما أتاني رجل قط في حاجة صغرت أو كبرت فقضيتها، إلا رأيت أن قضاءها ليس يعوض من بذل وجهه إلي؛ ولا جلس إلي رجل قط إلا رأيت له الفضل علي حتى يقوم من عندي؛ ولا جلست مع قوم قط فبسطت رجلي إعظاما لهم وإجلالا حتى أقوم عنهم. قال له عبد الملك: حق لك أن تكون شريفا سيدا. وحدث إياس بن مجمع العتكي قال: قال عبد الملك ذات يوم لجلسائه: هل تعلمون بيتا قيل لحي من العرب لا يحبون أن لهم به مثل ما ملكوا؟ أو قيل فيهم ودوا لو فدوه بجميع ما ملكوا؟ فقال له أسماء بن خارجة: نعم، يا أمير المؤمنين، نحن قال: وما ذاك؟ قال: قول قيس بن الخطيم الأنصاري: هنينا بالإقامة ثم سرنا..كسير حذيفة الخير من بدر. فوالله ما يسرنا بها أن لنا به مثل ما نملك، وقول الحارث بن ظالم: فما قومي بثعلبة بن سعد. ولا بفزار الشعر الرقابا..والله إني لألبس العمامة الصفيقة. فيخيل إلي شعر قفاي قد خرج منها. وعن مالك بن أسماء بن خارجة، قال: كنت مع أبي أسماء إذ جاء رجل إلى أمير من الأمراء فأثنى عليه وأطراه، ثم أتى أسماء وهو جالس في جانب الدار، فجرى حديثهما، فما برح حتى وقع فيه، فقال أسماء: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ذو اللسانين في الدنيا له لسانان من نار يوم القيامة. وعن أبي الأحوص قال: فاخر أسماء بن خارجة رجلا، فقال: أنا ابن الأشياخ الكرام؛ فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله عز وجل. قال أسماء بن خارجة: ما شتمت أحدا قط، ولا رددت سائلا قط، لأنه إنما يسألني أحد رجلين: إما كريم أصابته خصاصة وحاجة، فأنا أحق من سد خلته، وأعانه على حاجته، وإما لئيم أفدي عرضي منه. وإنما يشتمني أحد رجلين: كريم كانت منه زلة وهفوة، فأنا أحق من غفرها، وأخذ بالفضل عليه فيها؛ وإما لئيم فلم أكن لأجعل عرضي له غرضا؛ وما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط فيرى أن ذلك استطالة مني عليه؛ ولا قضيت لأحد حاجة إلا رأيت له الفضل علي حيث جعلني في موضع حاجته. قال أسماء: ما بذل إلي رجل قط وجهه فرأيت شيئا من الدنيا وإن عظم وجسم عوضا لبذل وجهه إلي. وعن مروان بن معاوية الفزاري، قال: أتيت الأعمش فقال لي: ممن أنت؟ فقلت: أنا مروان بن معاوية بن الحارث بن عثمان بن أسماء بن خارجة الفزاري؛ فقال لي: لقد قسم جدك أسماء قسما فنسي جارا له، ثم استحيا أن يعطيه وقد بدأ بآخر قبله، فبعث إليه، وصب عليه المال صبا؟ أفتفعل أنت شيئا من ذلك؟!. وعن هند بنت محمد بن عتبة، عن أبيها، قال: بلغنا أن أسماء بن خارجة كان جالسا على باب داره، فمر به جوار يلتقطن البعر؛ فقال: لمن أنتن؟ فقلن: لبني سليم؛ فقال: واسوأتاه، جواري، بني سليم يلتقطن البعر على بابي! يا غلام انثر عليهن الدراهم؛ فنثر عليهن، وجعلن يلتقطن. وأتى الأخطل عبد الملك فسأله حمالات تحملها عن قومه، فأبى وعرض عليه نصفها؛ فقدم الكوفة فأتى بشر بن مروان فسأله، فعرض عليه مثل ما عرض عليه عبد الملك، ثم أتى أسماء بن خارجة فحملها عنه كلها، فقال فيه: من الوافر: إذا ما مات خارجة بن حصن..فلا مطرت على الأرض السماء..ولا رجع البشير بغنم جيش..ولا حملت على الطهر النساء..فيوم منك خير من رجال..كثير حولهم غنم وشاء..فبورك في بنيك وفي أبيهم..وإن كثروا ونحن لك الفداء. فبلغت القصة عبد الملك، فقال عرض بنا النصراني وقال محمد بن سلام الجحمي: وقال يعني القطامي يمدح أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري: إذا مات ابن خارجة بن حصن..فلا مطرت على الأرض السماء..ولا رجع البريد بغنم جيش..ولا حملت على الطهر النساء. وقال فيه أيضا: من الكامل: فستعلمين أصادر وراده..عنه وأي فتى فتى غطفانا..وعليك أسماء بن خارجة الذي..علا الفعال ورفع البنيانا. وعن ابن الكلبي، قال: نزل أسماء بن خارجة ظهر الكوفة في روضة معشبة أعجبته، وفيها رجل من بني عبس، فلما رأى قباب أسماء قوض بيته؛ فقال له أسماء: ما شأنك؟ قال: معي كلب هو أحب إلي من ولدي، وأخاف أن يؤذيك فيقتله بعض غلمانك. فقال له: أقم وأنا ضامن لكلبك؛ فقال أسماء لغلمانه: إن رأيتم كلبه بلغ في قصاعي وقد رؤي فلا يهجه أحد منكم. فأقاموا على ذلك، ثم ارتحل أسماء، ونزل الروضة رجل من بني أسد، فجاء الكلب لعادته فنحى له الأسدي بسهم فقتله؛ فقدم العبسي على أسماء، فقال له: ما فعل الكلب؟ قال: أنت قتلته؛ قال: وكيف؟ قال: عودته عادة ذهب يرومها من غيرك فقتله؛ فأمر له بمئة ناقة دية الكلب؛ قال: هل قلت في هذا شعرا؟ قال: نعم؛ فأنشده: من الطويل: عوى بعد ما شال السماك بزورة..وطالب عهدا بعده قد تنكرا..وشبت له نار من الليل شبهت..له نار أسماء بن حصن فكبرا..فلاقى أبا حيان عارض قومه..على النار لما جاءها متنورا..فما رامها حتى اكتسى من روائه..رداء كلون الأرجواني أحمرا.. فقال يلوم النفس: ما خفت ما أرى..وورد المنايا مدرك من تأخرا. حكى أنه رأى يوما شابا على باب داره جالسا فسأله عن قعوده على بابه فقال: حاجة لا أستطيع ذكرها، فألح عليه فقال: جارية رأيتها دخلت هذه الدار لم أر أحسن منها وقد خطفت قلبي معها، فأخذ بيده وأدخله داره وعرض عليه كل جارية عنده حتى مرت تلك الجارية فقال: هذه، فقال له: اخرج فاجلس على الباب مكانك، فخرج الشاب فجلس مكانه، ثم خرج إليه بعد ساعة والجارية معه قد ألبسها أنواع الحلى، وقال له: ما منعني أن أدفعها إليك وأنت داخل الدار إلا أن الجارية كانت لاختي، وكانت ضنينة بها، فاشتريتها لك منها بثلاثة آلاف، وألبستها هذا الحلى، فهي لك بما عليها، فأخذها الشاب وانصرف. لما مات أسماء بن خارجة الفزاري قال الحجاج: ذلك رجل عاش ما شاء ومات حين شاء. وقال فيه الشاعر: إذا مات ابن خارجة بن زيد..فلا مطرت على الأرض السماء..ولا جاء البريد بغنم جيش..ولا حملت على الطهر النساء..فيوم منك خير من رجال..كثير عندهم نعم وشاء.

مراجع: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص/ الأعلام للزركلي/ نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب/ الاغاني/ فرحة الأديب للغندجاني/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وكعب الأحبار (؟) 0301

عن سعيد بن عبد الرحمن بن نافع: أنه سمع أباه يذكر: أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب[1]: دلني على أعلم الناس، فقال: ما أعلمه إلا ذو قربات[2]، وهو باليمن يا أمير المؤمنين، قال: فبعث إليه معاوية، فأتى به ومعاوية يومئذ بالغوطة، غوطة دمشق، قد نصبت الأبنية والأروقة والفساطيط، فتلقاه كعب، فلما لقي الحبر اليهودي، وضع رأسه الحبر لكعب، ووضع كعب رأسه للحبر، كما فعل فبلغ ذلك معاوية بن أبي سفيان قبل أن يدخلا عليه، فبعث إلى كعب وحبس الحبر، فقال: يا كعب، أكفرت بعد إيمانك؟! قال: لا، لم أفعل، قال: أولم يبلغني أنك سجدت للحبر اليهودي، قال: لم أفعل، ولم أكفر، ولكنها تحية حياني بتحية فحييته بمثلها، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء] قال: وأخبرني أبا إسحاق أقبح منها، بلغني أنك تضاهي إلى اليهودية وأنك تبدأ بالتوراة قبل القرآن إذا قرأت، قال: نعم، إني لأبدأ بها، بدأ الله بالتوراة قبل القرآن، ثم أقرأ ما علمني الله من القرآن، قال له معاوية: ما أراك تنجو مما أقول لك، ثم خرج كعب إلى الحبر اليهودي، فلما غشينا منزل معاوية ورأى الأبنية والأروقة والفساطيط بكى الحبر، فقال له: ما أبكاك؟ قال: ذكرت بعض الأمراء، أنشدك بالله وبالتوراة التي أنزلت على موسى إن أنا أخبرتك ما أبكاك، أتخبرني أنت؟ قال: نعم، قال كعب: أنشدك الله، أتجد في كتاب الله أن موسى عليه السلام نظر في التوراة إني أجد أمة مرحومة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول ويؤمنون بالكتاب الآخر، ويقتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال؟ قال موسى: يا رب اجعلهم أمتي، قال: يا موسى، هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال الحبر: نعم، قال كعب: أنشدك الله أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة، فقال: رب إني أجد أمة هم الحامدون، رعاة الشمس والقمر هم المحكمون إذا أرادوا أن يفعلوا أمرا قالوا: نفعل إن شاء الله، قال موسى: رب اجعلهم أمتي، قال: هم أمة محمد يا موسى، قال الحبر: نعم، قال كعب: أنشدك الله، أتجد في كتاب الله المنزل، أن موسى نظر في التوراة، فقال: رب إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف، كبر الله، وإذا هبط واديا، حمد الله، الصعيد لهم طهورا، والأرض حيث ما كانوا لهم مسجدا، يتطهرون من الجنابة، طهروهم بالصعيد كطهورهم بالماء، حيث لا يجدون الماء، غر محجلون من أثر الطهور، قال موسى: رب اجعلهم أمتي، قال لموسى: هم أمة محمد، قال الحبر: اللهم، نعم، قال كعب: أنشدك الله، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة، فقال: رب إني أجد في التوراة أمة، إذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها، وإذا عملها ضعفت له عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه، وإذا عملها كتبت سيئة بمثلها، قال موسى: رب اجعلهم أمتي، قال: هم أمة محمد، يا موسى، قال الحبر: نعم، قال كعب: أنشدك بالله، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة، فقال: رب إني أجد أمة، يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم في بطونهم، يكفر الرجل عن يمينه فيطعم اليتيم والمسكين والأرملة وذا الحاجة، وكان الأولون يحرقونها بالنار لا ينتفعون بها، غير أن موسى كان يجمع صدقات بني إسرائيل فلا يجد عبدا مملوكا ولا أمة إلا اشتراها من تلك الصدقات، وما فضل حفر له بئر عميقة القعر فألقاه فيها، ثم دفنه فيه، لا يرجعوا في صدقاتهم، وهم المستجيبون والمستجاب لهم، والشافعون المشفعون، قال موسى: رب اجعلهم أمتي، قال: هم أمة أحمد، يا موسى، قال الحبر: نعم، قال كعب: أنشدك الله، أتجد في كتاب الله المنزل، أن موسى نظر في التوراة، فقال: أني أجد أمة مرحومة ضعفى يرثون الكتاب الذين اصطفيناهم، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم سابق بالخيرات، فلا أجد أحدا منهم إلا مرحوما، يقول الله تعالى:﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر] قال موسى: رب اجعلهم أمتي، قال: هم أمة محمد، قال الحبر: نعم، قال كعب: أنشدك الله، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة، فقال: رب إني أجد أمة، مصاحفهم في صدورهم، أهل قباب بيض يلبسون اللواث*(؟)، يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة، أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل، لا يدخل النار منهم أحد إلا من هو يرى من الحسنات مثل ما الحجر يرى من الورق ورق الشجر، وهي هذه الكتائب التي تكتب حين نظرت إليها، قال موسى: اللهم، اجعلهم أمتي، قال: هم أمة أحمد، يا موسى، قال الحبر: نعم، فلما أن عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله محمدا وأمته، يجد صفتهم في التوراة قبل أن يخرجوا بألفي سنة، قال: يا ليتني من أمة محمد، قال: فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن، قال:﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي﴾ [الأعراف] إلى آخر الآية. ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ [الأعراف] إلى آخر الآية. ثم قال: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف]) قال: فرضي موسى كل الرضا.

ولا أرى هذا الحديث صحيحا لأن كعبا لم يدرك خلافة معاوية وإنما مات في خلافة عثمان. (صوب ابن حجر قول ابن عساكر).

----

* (لاث) الشجر والنبات لوثا لبس بعضه بعضا والتف بعضه ببعض فهو لائث ولاث ولاث. والتاث: برد‏ائه التف به والنبات التف بعضه ببعض

■ (1) كعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، الذي كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر، فجالس الصحابة، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة.توفي كعب بحمص ذاهبا للغزو في أواخر خلافة عثمان سنة32 هـ

■ (2) ذو قربات – بفتحات – الحميري ذكره ابن عبد الحكم فيمن دخل مصر من الصحابة. وقال ابن يونس: يقال إن له صحبة، وقال ابن منده: اختلف في صحبته. وقال في التجريد: الصحيح أنه لا صحبة له. ذو قربات قال ابن حجر: اسمه جابر بن أزد من الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام

سئل فضيلة الشيخ رحمه الله: عن حكم السلام على غير المسلمين: فأجاب بقوله: البدء بالسلام على غير المسلمين محرم ولا يجوز، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا تَبْتَدِئُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهَا﴾ ولكنهم اذا سلموا علينا وجب علينا أن نرد عليهم لعموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء] ثم قال الشيخ رحمه الله: اذن فنقول في خلاصة الجواب: لايجوز أن نبدأ غير المسلمين بالسلام لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك، ولأن في هذا إذلالا للمسلم حيث يبدأ بتعظيم غير المسلم، والمسلم أعلى مرتبة عند الله عز وجل، فلا ينبغي أن يذل نفسه في هذا. أما إذا سلموا علينا فإننا نرد عليهم مثل ماسلموا. وكذلك ايضا لايجوز أن نبدأهم بالتحية مثل أهلا وسهلا ومرحبا وما أشبه ذلك لما في ذلك من تعظيمهم فهو كابتداء السلام. [فتوى الشيخ العلامة/ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في الموضوع من: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين–المجلد الثالث)]

قال علي بن نايف الشحود: من نواقض الإسلام الخطيرة، ومبطلاته الكبيرة، موالاة الكفار من اليهود، والنصارى، والهندوس، والبوذيين، والشيوعيين، ومن شابههم. فموالاة الكافرين محادة لرب العالمين، وخروج عن شرعة سيد المرسلين، وخذلان لإخوة العقيدة والدين. لم يبتل الإسلام في عصر من عصوره بأشد ولا أخطر من معاداة المسلم لأخيه المسلم، وموالاة الكافر ومشايعته ومصانعته، والتعاون والتنسيق معه، بل والوقوف معه في خندق واحد لضرب الإسلام وإذلال أتباعه، وانتهاك كرامتهم، وغزو ديارهم. لقد تجلت خطورة موالاة أعداء الدين بصورة ليس لها شبيه ولا مثيل في الحرب الصليبية التي تقودها أمريكا وربائبها من الكفار، وعملاؤها من المتنسبين إلى الإسلام، تحت مظلة الاتحاد اليهودي الكنسي، بضغط من اللوبي الصهيوني، وبغرض القضاء على الإسلام وهيمنة أمريكا على كل العالم، حيث سار الجميع في فلكها، وأصبح هدفهم خطب ودها من حكام المسلمين وغيرهم، سوى ثلة وطائفة لا تزال ظاهرة على الحق، مدافعة عنه، لا يضرها كيد الكائدين، ولا مخالفة المخالفين، ولا خذلان المخذلين إلى أن تقوم الساعة كما أخبر الصادق الأمين. لقد حذر الله ورسوله والسلف الصالح من موالاة الكافرين ومظاهرتهم، سيما على المسلمين، وبين الشارع الحكيم أن في ذلك ردة وخروج عن الدين، مهما كان الدافع لذلك، وإليك طرفا من ذلك: 1. قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران] 2. وقوله:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران] قال القرطبي رحمه الله في تفسيرها: أكد الله تعالى الزجر عن الركون إلى الكفار، وقال: نهى الله عز وجل المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء، يفاوضونهم في الآراء، ويسندون إليهم أمورهم، ويقال: كل من كان على خلاف مذهبك –العقدي– ودينك فلا ينبغي لك أن تحادثه. 3. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة] 4. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة] 5. وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَسْتَضِيئُوا بِنَارِ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَنْقُشُوا خَوَاتِيمَكُمْ عَرَبِيًّا﴾، فسره الحسن رحمه الله بقوله: أراد عليه السلام لا تستشيروا المشركين في شيء من أموركم ولا تنقشوا في خواتيمكم محمدا. 6. لقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استظهار المسلمين بالكافرين فكيف باستظهار المسلمين بالكافرين على المسلمين؟!. فقد قال لمشرك أراد أن يخرج معه في غزاة: لاَ نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ، وقال لعبادة بن الصامت وكان له حلف من اليهود في أول الإسلام يوم الأحزاب، عندما قال عبادة: يا نبي الله إن معي خمسمائة رجل من اليهود، وقد رأيت أن يخرجوا معي فأستظهر بهم على العدو؛ فأنزل قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران] الآية. 7. وقال عمر رضي الله عنه: لا تستعملوا أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرشا، واستعينوا على أموركم ورعيتكم بالذين يخشون الله تعالى. وقيل لعمر إن ها هنا رجلا من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه، ولا أخط بقلم، أفلا يكتب عندك؟ فقال: لا آخذ بطانة من دون المؤمنين. وعندما استكتب أبو موسى الأشعري ذميا كتب إليه عمر يعنفه، وقال عمر له: لا تدنهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خونهم الله. قلت: إذا كان هذا في اتخاذ كاتب، فكيف باتخاذ الكفار مستشارين وأمناء وأصدقاء وحلفاء؟!! قال القرطبي رحمه الله بعد أن أورد تلك الآثار عن عمر رضي الله عنه: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان باتخاذ أهل الكتاب كتبة وأمناء، وتسودوا بذلك عند الجهلة الأغبياء من الولاة والأمراء. لقد ضعفت عقيدة الولاء والبراء عند كثير من المسلمين في هذا العصر، بل وانعدمت بالكلية عند البعض الآخر، وذلك لجهلهم بعقيدة التوحيد، حيث أضحى جل المسلمين لا يميز بين ولاء وبراء، بل قد يتبرأ ممن تتحتم عليه موالاتهم، ويوالي من تجب عليه معاداتهم، واستحدثت كثير من صور الموالاة الكفرية التي يتسابق إليها البعض مسابقة، لنيل شيء من حطام الدنيا الفاني، وهو لا يدري أنه باع آخرته بدنياه، بل بدنيا غيره. وقد أصبح الإنسان يعجب والله من صنيع هؤلاء أكثر من عجب الأول القائل: عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى..وللمشتري دنياه بالدين أعجب..وأعجب من هذين من باع دينه..بدنيا سواه فهو من ذين أعجب. فهل تصدق أن يتجسس من يدعي الإسلام، ويسلم المسلم للكافر ليقتله وليمثل به مقابل دولارين، أوأن يبيع بلدا مسلما كاملا ويسلمه للكفار مقابل أن يبقى في كرسي الحكم مدة لا يدري أتطول أم تقصر؟ وهب أنها طالت، فما النتيجة يا ترى؟ ألم يعلم هؤلاء أن الملك بيد الله عز وجل ليس بيد أحد سواه؟ وأن الله يمهل ولا يهمل. فموالاة الكفار والتجسس والعمالة لهم ومظاهرتهم قبيحة من كل من انتسب إلى الإسلام، سيما إذا صدرت ومارسها من ينتسب إلى العلم.[..] [البحث كامل في موسوعة الدين النصيحة] (المحادة) المخالفة.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة/ نزهة الألباب في الألقاب/ مسند أحمد/ في ظلال القرآن/

عن الربيع بن سبرة عن عمرو الجهني[1] قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم جالسا، فقال: ﴿مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَعْدٍ فَلْيَقُمْ﴾، فقمت، فقال: اجلس، فجلست، ثم قال:﴿مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَعْدٍ فَلْيَقُمْ﴾، فقمت، فقال: اجلس فجلست، فقلت: مم نحن؟ فقال:﴿أَنْتُمْ وَلَدُ قُضَاعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِمْيَرٍ﴾ النسيب المعروف غير المنكر، قال عمرو: فكتمت هذا الحديث، حتى كان أيام معاوية بن أبي سفيان، فبعث إلي، فقال: يا عمرو، وهل لك أن ترقى المنبر، وتقول إن قضاعة بن معد بن عدنان، إلى أن أطعمك خراج عراقين؟ فقلت له: نعم، قال: فنادى، فاجتمع الناس، فجاء حتى صعد المنبر، فقال: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا عمرو بن مرة الجهني، وأن معاوية دعاني إلى أن أقول إن قضاعة بن معد بن عدنان، ألا قضاعة بن مالك بن حمير، النسيب المعروف غير المنكر، ثم نزل، فقال له معاوية: إيه عنك، يا غدر، إيه عنك، يا غدر، فقال عمرو: هو ما رأيت، يا أمير المؤمنين، قال: فجاء زهير بن عمرو بن مرة، فقال: يا أبت، ما كان عليك لو اطعت أمير المؤمنين، وأطعمك خراج العراقين، فأنشأ عمرو يقول: لو أني أطعتك يا زهير كسوتني..في الناس صاحبه رداء شنار قحطان والدنا الذي يدعى له..وأبو خزيمة خندف بن نزار أضلال ليل ساقط أرواقه..في الناس أعذر أم ضلال نهار أتبيع والدنا الذي تدعى له..بأبي معاشر عائب مبوار تلك التجارة لا تبوء بمثلها..ذهب يباع بآنك وأبار . رواه عثمان بن صالح بن لهيعة بهذا الإسناد مختصرا ولم يذكر الشعر وقصة معاوية وقال فيه: وقال الثالثة: من كان ها هنا من معد فليقم.

حدث أبو حسن، أن عمرو بن مرة، قال لمعاوية: يا معاوية إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَالٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْخَلَّةِ، وَالْمَسْكَنَةِ، إِلَّا أَغْلَقَ اللهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، دُونَ حَاجَتِهِ، وَخَلَّتِهِ، وَمَسْكَنَتِهِ﴾ قال، فجعل معاوية رجلا على حوائج الناس. (ما من إمام يغلق بابه) أي يحتجب ويمتنع من الخروج عند احتياجهم إليه، والخلة: الحاجة والفقر. فالحاجة والخلة والمسكنة ألفاظ متقاربة وإنما ذكرها للتأكيد والمبالغة (إلا أغلق الله أبواب السماء) أي أبعده ومنعه عما يبتغيه من الأمور الدينية أو الدنيوية فلا يجد سبيلا إلى حاجة من حاجاته الضرورية.

----

(1) عمرو بن مرة الجهني، صاحب رسول الله.كنيته أبو طلحة، وقيل: أبو مريم، وهو عمرو بن مرة بن عبس بن مالك بن المحرث، وقيل غير ذلك في نسبه، وقيل: الأزدي، وقيل: إن أبا مريم الأزدي آخر. مات في خلافة معاوية وقيل مات بالشام في خلافة عبد الملك.

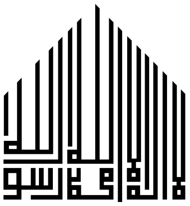

حدث أبو حسن، أن عمرو بن مرة، قال لمعاوية: يا معاوية إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَالٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْخَلَّةِ، وَالْمَسْكَنَةِ، إِلَّا أَغْلَقَ اللهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، دُونَ حَاجَتِهِ، وَخَلَّتِهِ، وَمَسْكَنَتِهِ﴾ قال، فجعل معاوية رجلا على حوائج الناس. (ما من إمام يغلق بابه) أي يحتجب ويمتنع من الخروج عند احتياجهم إليه، والخلة: الحاجة والفقر. فالحاجة والخلة والمسكنة ألفاظ متقاربة وإنما ذكرها للتأكيد والمبالغة (إلا أغلق الله أبواب السماء) أي أبعده ومنعه عما يبتغيه من الأمور الدينية أو الدنيوية فلا يجد سبيلا إلى حاجة من حاجاته الضرورية.

☪

عن عمرو بن مرة الجهني قال: كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:﴿مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَعَدٍّ فَلْيَقُمْ، قَالَ: فَأَخَذْتُ ثَوْبِي لأَقُمْ، فَقَالَ: اقْعُدْ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَعَدٍّ فَلْيَقُمْ، قَالَ: فَأَخَذْتُ ثَوْبِي لأَقُمْ، فَقَالَ: اقْعُدْ، فَقَالَ: فِي الثَّالِثَةِ، فَقُلْتُ: مِمَّنْ نَحْنُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مِنْ حِمْيَرَ﴾ وعن الربيع بن سبرة سمعت عمرو بن مرة الجهنى يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَعْدٍ فَلْيَقُمْ. فَقُمْتُ فَقَالَ: اقْعُدْ. فَصَنَعَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ أَقُومُ فَيَقُولُ: اقْعُدْ. فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ قُلْتُ: مِمَّنْ نَحْنُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ مَعْشَرَ قُضَاعَةَ مِنْ خَيْبَرَ﴾.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ مسند أحمد/

قال أبو عمرو محمد بن مروان بن عمر القرشي أخبرني: عبد الله بن يحيى السعيدي، من كتب عتيقة لجده عبد الله بن يحيى، قال يروى أنه: لما استقرت بمعاوية الدار وسبالة الأمر، وفد إليه سعيد بن العاص[1] فدخل عليه، فلما أبصره غمز عمرو بن العاص[2] ،وفهم ذلك سعيد، فقال معاوية: يا ابن العاص، حياك الله بالسلام، وأسعدك بسلامة المقدم، نعم الزائر سكن الأمر فالاقبل، وقد شفى بنا الأمر على تلف المهج، ونحن كأفراخ الحجل وقد انتقض رقانها، فهي تبحث الغوغاء للقط الحب، ونحن لدى المعركة يصرعنا الخوف، ويحيينا الأجل، وقد كثرت عن روق الأسنة، والخيل تجنح، بالكمأة ونار الحرب تستعر، وقد علت الغماغم وترامت الحدق، وجفر كل أمر مهمه، وجرض الجبان برتقه، واشتكت الأسماع من قرع الحجف، حتى إذا راحت وخمد هريرها، أسدلت أيمنك وتهادلت على الرسل، ولكنك كما قال الفقعسي[3] في سليم بن قحف: وأسلمني لما رأى الخيل أقفلت.. عشية يهدي القوم نصر بن مالك وقام ينعي ناديا ثم عابني..بنهبي جازاني ببيض السنابك فلما قتلت المرء واشتقت حشه..أتاني فهناني سليم بذلك وأعرضت عما كان من قبح فعله..وقاسمته نهبي كفعل المشارك. فقال سعيد: بئست التحية من ابن العم، على بعد اللقاء، أفصحت بالسب، وأبدأت الحي، وإني لأحسب مآثر القوم قد خرجت جنبيك، وإنك لمثقف القناة، لطعن الثغرة، عضب اللسان، فصيح المنطق، ولقد كشفت القناع بها ذميمة، يا أمير المؤمنين، أتهمس بي وتغمز غمزا، وتبدهني بالجفاء، ولقد أغراك بي رجال، أوغروا صدرك وهزو حلمك، والسيف لا يقطع إن لم يسر، وإني لأعلم أن صدرك صفحة، ما يطويه لسانك، فلعمري ما أنا بالمرء المجهول، ولا النزق العجول، ولعمري لقد سبرت القرح حتى اندمل، فأصبت بالرمية غير المعنى، وأما تخلفي عن قتال الجمل، فإنك أغريت بها أسدا وتيما فاعتورا الأمر كدلو في زمزم، فأقسم بالله، لولا أن اخترمهم الأجل وعجل بهم القدر، لكنا كقولك بين الشعاب، لا نتعارف ولطرح بك، كمدر الفلفل، إن لم تقتل وأما صفين، فإنك شببت الحربة بنفسك ودبرتها بعقلك، وأحكمتها بفهمك، فوليت الجزم، وكفيت الحزم، وغناك عني باعدني منك، وخلفني عنك، ولو دعوت لأجبت، ولو انثلمت لرفعت، وقد تخلفت لأكون لك مردا وعنك مدافعا، ولقد أقعد قعودي عنك رجالا ذوي عزائم، ضربوني مثلا، فقالوا: هذا ابن العاص قعد عن ابن صخر، فما نحن وعلي[4] قال الحارثي: فلا تحسبن يوم واقعت إذ بغت..بنو عامر والحرب باد شرارها ودافعت عنا فارس العدل مقدما..على الحرب يلقاها وقد شب نارها جهلت الذي أوليت مما فعلته..ولولاك يوم الغول فقع عارها ولكنني أخفيت نفسي لوقعة..فلو كان شئ طار عني غمارها . فأما ما ضربتني له مثلا من قول الفقعسي في سليم بن قحف، فما كنت أحسب الدهر أخلدني لمثل هذا القول، والله، لوددت أن الأرض أخذتني ولم أسمعه منك، ولقد دعوت به فلما أنيسا، ولكني كما قال عمرو بن جدي النهشلي : لعمري لئن شاهدت حربا تغيبت.. بنو نهشل عنها لما غاب نصرها ولو كنت إذا واقعت ناديت نهشلا..أتتك سراعا تنقل الأرض بدرها مصاليت ضرابون للهام قادة.. إذا غدت الأيام فالدهر دهرها ألا فاسرعوا فادعوا ولاتك ناسيا..بني ضمرة العالي على الناس فخرها. والله يا أمير المؤمنين، إني لأقول هذا وما أبالي كيف كنت من أمركم ولبعدي منه أحب إلي من قربي إليه، فاعترض عمرو بن العاص لما كان عرض به في صدر كلامه، فقال: يا سعيد، أتفخر على ابن حرب، وأمير المؤمنين، وتراشقه الكلام، وبهم عزكم في الكفر والاسلام، فعد عذيه سعيد، وقال: إذا شحم العير نهق ما لبني سهم وعبد شمس، ولكنك كالذباب على كل شئ تقع، أنا والله، أحب إلى ابن حرب، وأعز عليه منك، وإنه لبك لعالم، ولقد لبسك وخرجك بيدي، فقال معاوية: يا أبا عبد الله، إن الفراسة في سعيد بادية، صدق سعيد يميني ومروان شمالي، فقال عمرو: والله، إنا لنعلم ذلك، قالا أجملت، فقال: وأنت، يا أبا عبد الله، كالكف في الذراع، فقال: الآن، قالا قبل والله، لقد شهدتك وغاب عنك، ونصرتك وخذلك، وكان عليك وكنت معك، حتى إذا دسع الوطاب بزبدته وقدتها إليك مرمومة الخيشوم، أقبل سعيد يتشدق ويتبالغ علي، ثم أقبل عمرو، فقال: أتتك الخلافة في خدرها..هنيئا مريئا تقوا العيونا..تزف إليك زفاف العروس..بأهون من طعنك الدارعينا..فما الأشعري يرث الديار..ولا خامل الذكر في الأشعرينا..ولكن أتيحت له حية..يظل الشماع لها مستكينا..فقال وقلت وكنت امرءا..أجهجه بالخصم حتى يلينا..فخذها ابن هند على يأسه..فقد دفع الله ما تحذرونا..وقد دفع الله عن شامكم..عدوا شتيتا وحربا زبونا..ولم يستعن كأخي إربة.. ويسرى اليدين تعين اليمينا.وأصلح معاوية بينهما، وأمر لسعيد بجائزة عظيمة.

عن أحمد بن إبراهيم قال: قال سعيد بن العاص لمعاوية وهو معه على سريره: يا أمير المؤمنين! والله لكأن عمتك هذه خمرة هند عند بعض أزواجها فيما يوصف لي. قال: فلم يجبه معاوية بشيء. ودخل سليمان بن صرد[5]، فقال له معاوية: مرحبا، هاهنا فأجلسه بينه وبين سعيد على السرير، فساءله طويلا، ثم قال له: كيف بر هذا بك؟ فقال سعيد: ما أردت بهذا يا أمير المؤمنين؟ قال: وما أردت بخمرة هند.

---

(1) سعيد بن العاص بن سعيد (أبو أحيحة) بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان.اعتزل فتنة الجمل وصفين.. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل 59 هـ على الصحيح. وفي المؤرخين من يمزج بأخبار جده.

(3) جريبة بن أشيم الفقعسي: شاعر جاهلي. كان من القائلين بالبعث، وممن يزعمون أن من عقرت مطيته على قبره يحشر عليها وله في ذلك أبيات. نسبته إلى فقعس بن الحارث، من بني أسد بن خزيمة.

(2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، أبو عبد الله، وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

(4) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

(5) سليمان بن صرد بن الجون، السلولي الخزاعي، أبو مطرف: صحابي، من الزعماء القادة. شهد الجمل وصفين مع علي، وسكن الكوفة. ثم كان ممن كاتب الحسين وتخلف عنه. وخرج بعد ذلك مطالبا بدمه، فترأس التوابين وكانوا يطلبون قتل عبيد الله بن زياد، وأن يخرج من في العراق من أصحاب ابن الزبير، ويردوا الامر لاهل البيت. وكانت عدتهم نحو خمسة آلاف. وعرفوا بالتوابين لقعودهم عن نصرة الحسين حين دعاهم، وقيامهم بطلب ثأره بعد مقتله. ونشبت معارك بين سليمان وعبد الله بن زياد، فقتل سليمان بعين الوردة، قتله يزيد بن الحصين. سنة 65 هـ

قال: وحدثني أبي أبو طالب قال: وقال أبو عمرو محمد بن مروان: كل ما روي، أن سعيد بن العاص حضر من حرب معاوية من حارب في أيامه، كلها فباطل، لأن سعيدا لم يقع عينه على معاوية منذ قتل عثمان بن عفان، إلى سنة الجماعة وهي سنة أربعين، حين أجمع على معاوية بعد وفاة علي، فإنه وفد إليه فبايعه، وله في ذلك أخبار صحيحة، ومعاتبته إياه في تخلفه عنه.

خطب سعيد بن العاص أم كلثوم بنت علي بعد عمر بن الخطاب، وبعث إليها بمئة ألف، فدخل عليها الحسين، فشاورته، فقال: لا تزوجيه. فأرسلت إلى الحسن فقال: أنا أزوجه، فاتعدوا لذلك، وحضر الحسن، وأتاهم سعيد ومن معه، فقال سعيد: أين أبو عبد الله؟ قال الحسن: أكفيك دونه، قال: فلعل أبا عبد الله كره هذا يا أبا محمد؟ قال: قد كان وأكفيكه، قال: إذا لا أدخل في شيء يكرهه، ورجع ولم يعرض في المال، ولم يأخذ منه شيئا. وفي حديث آخر بمعناه: أنه لما خطبها أنعمت له، فبلغ ذلك إخوتها فكرهوه، وثقل عليهم، وكلموها كلاما شديدا، وقد كانت وعدت سعيدا موعدا، فدعت ابنها زيد بن عمر بن الخطاب وهو يومئذ غلام صغير وبسطت دارها، ووضعت فيها سريرا، ثم قالت: إذا جاء سعيد بن العاص فزوجنيه. وقد كان سعيد وعد ناسا، وأرسل إليهم ليحضروا تزويجه، فحضروه في المسجد، فلما اجتمعوا إليه قال: إني دعوتكم لأمر ثم بدا لي غيره، إني كنت خطبت أم كلثوم فأنعمت، والله ما كنت لأدخل على ابني فاطمة بأمر يكرهانه. ثم التفت إلى كعب مولاه فقال: انظر إلى المئتي ألف درهم التي هيأت لابنة علي، اذهب بها إليها، وقل لها: يقول لك ابن عمك: إنا كنا هيأنا لك هذه فاقبضيها صلة منا لك. قال ابن عيينة: كان سعيد بن العاص إذا سأله سائل فلم يكن عنده شيء قال: اكتب علي بمسألتك سجلا إلى يوم ميسرتي. وكان سعيد بن العاص يدعو إخوانه وجيرته في كل جمعة يوما، فيصنع لهم الطعام، ويخلع عليهم الثياب الفاخرة، ويأمر لهم بالجوائز الواسعة، ويبعث إلى عيالاتهم بالبر الكثير، وكان يوجه مولى له في كل ليلة جمعة، فيدخل المسجد ومعه صرر فيها دنانير فيضعها بين يدي المصلين، فكان قد كثر المصلون في كل ليلة جمعة في مسجد الكوفة. قال عبد الأعلى بن حماد: استسقى سعيد بن العاص من دار بالمدينة، فسقوه، ثم حضر صاحب الدار في الوقت مع جماعة، فعرض الدار على البيع، وكان عليه أربعة آلاف دينار، فبلغه أن صاحب الدار يريد بيع داره، فقال لغلام له: لم يبيع هذا الرجل داره؟ فقال: عليه أربعة آلاف دينار دين. قال سعيد: إن له لحرمة وذماما علينا، لسقيه إيانا. فركب إليه فخافضه، فقال له: السلام عليك، وقال لغريمه: كم لك عليه؟ قال أربعة آلاف دينار. قال: أترضى بضمانها؟ قال: نعم. قال له: فمر وهي لك علي، وقال لصاحب الدار: لتستمتع بدارك. أتى أعرابي سعيد بن العاص فسأله شيئا، فقال: يا غلام، أعطه خمس مئة، فذهب، ورجع فقال: خمس مئة درهم، أم خمس مئة دينار؟ فقال سعيد: ويحك ما أردت إلا الدراهم! فإذا توهمت الدنانير فأعطه الدنانير. قال: فقبضها الأعرابي، ثم جلس يبكي: فقال له سعيد: ما يبكيك! أليس قد قضى الله حاجتك؟ قال: بلى، ولكن أبكي على الأرض تأكل مثلك. قدم أعرابي المدينة يطلب في أربع ديات حملها، فقيل له: عليك بحسن بن علي، عليك بعبد الله بن جعفر، عليك بسعيد بن العاص، عليك بعبيد الله بن العباس. فدخل المسجد، فرأى رجلا يخرج ومعه جماعة، فقال: من هذا؟ فقيل: سعيد بن العاص. فقال: هذا أحد أصحابي الذين ذكروا لي. فمشى معه، فأخبره بالذي قدم له، ومن ذكر له، وأنه أحدهم، وهو ساكت لا يجيبه. فلما بلغ باب منزله قال لخازنه: قل لهذا الأعرابي فليأت بمن يحمل له. فقيل له: إيت بمن يحمل لك. قال: عافى الله سعيدا، إنما سألناه ورقا، لم نسأله تمرا! قال: ويحك! إيت بمن يحمل لك. فأخرج إليه أربعين ألفا، فاحتملها الأعرابي، ومضى إلى البادية، ولم يلق غيره. لما حضرت سعيد بن العاص الوفاة قال لبنيه: أيكم يقبل وصيتي؟ فقال ابنه الأكبر: أنا يا أبه. قال: إن فيها قضاء ديني! قال: وما دينك يا أبه؟ قال: ثمانون ألف دينار. قال: يا أبه وفيم أخذتها؟ قال: يا بني، في كريم سددت به منه خلة، وفي رجل جاءني في حاجة ودمه ينزو في وجهه من الحياء، فبدأته بحاجته قبل أن يسألنيها. قال سعيد بن العاص لابنه: يا بني، أخزى الله المعروف إذا لم يكن ابتداء عن غير مسألة، فأما إذا أتاك تكاد ترى دمه في وجهه، ومخاطرا لا يدري أتعطيه أم تمنعه، فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافأته. قال سعيد بن العاص: ما أدري كيف أكافىء رجلا بات يقسم ظنه، فلا يقع إلا علي، أصبح يتخطى الناس، ويتخطى المجالس والأحياء حتى يكرمني بنفسه، ويؤنسني بحديثه، غدا التجار إلى تجاراتهم، وغدا إلي في حاجته، فإن كان أخسهم فأخس الله حظي يوم القيامة. خطب سعيد بن العاص فقال في خطبته: من رزقه الله حسنا فليكن أسعد الناس به، إنما يتركه لأحد رجلين: إما مصلح فلا يقل عليه شيء، وإما مفسد فلا يبقى له شيء. فقال معاوية: جمع أبو عثمان طرف الكلام. لما ولي سعيد بن العاص الكوفة أتته هند بنت النعمان مترهبة معها جوار قد ترهبن، ولبسن المسوح، فاستأذنت، فأذن لها، فدخلت فأجلسها على فرشه، وكلمته في حاجات لها، فقضاها، فلما قامت قالت: أصلح الله الأمير، ألا أحييك بكلمات كانت الملوك تحيى بهن قبلك؟ قال سعيد: بلى. قالت: لا جعل الله لك إلى لئيم حاجة، ولا زالت المنة لك في أعناق الكرام، وإذا أزال عن كريم نعمة فجعلك الله سببا في ردها إليه. كان دين سعيد بن العاص ثلاثة آلاف ألف درهم، فاشترى معاوية من عمرو بن سعيد بن العاص القصر بألف ألف، والمزارع بألف ألف، والنخل بألف ألف درهم.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) وسعيد بن عثمان 0304

قال ابن الكابلي: كان أهل المدينة عبيدهم ونساؤهم يقولون: من الرجز: والله لا ينالها يزيد..حتى ينال هامه الحديد..إن الأمير بعده سعيد. يعنون لا ينالها يزيد[1]: الخلافة، إن الأمير بعده سعيد بن عثمان. فقدم سعيد على معاوية[2]فقال: يا بن أخي؟ ما شيء يقوله أهل المدينة؟ قال: وما يقولون؟ قال: قولهم: من الرجز: والله لا ينالها يزيد..حتى يعض هامه الحديد..إن الأمير بعده سعيد. قال: ما تنكر من ذلك يا معاوية؟ والله إن أبي لخير من أبي يزيد، ولأمي خير من أم يزيد، ولأنا خير منه، ولقد استعملناك فما عزلناك بعد، ووصلناك فما قطعناك، ثم صار في يديك ما قد ترى، فحلأتنا عنه أجمع. فقال له معاوية: يا بني، أما قولك: إن أبي خير من أبي يزيد فقد صدقت، عثمان خير من معاوية، وأما قولك: أمي خير من أم يزيد فقد صدقت، امرأة من قريش خير من امرأة من كلب، وبحسب امرأة أن تكون من صالح نساء قومها. وأما قولك: إني خير من يزيد فوالله ما يسرني أن خيلا بيني وبين العراق، ثم نظم لي فيه أمثالك به. ثم قال معاوية لسعيد بن عثمان: الحق بعمك زياد بن أبي سفيان[3] فإني قد أمرته أن يوليك خراسان. زاد في حديث آخر بمعناه: فقال له يزيد: مه، يا أمير المؤمنين، ابن أخيك استعمل الدالة عليك، واستعتبك لتعتبه، واستزادك منك فزده، وأجمل له في ردك، واحمل له على نفسك، ووله خراسان بشفاعتي، وأعنه بمال تظهر به مروءته. فولاه معاوية خراسان وأجازه بمئة ألف درهم. وكان ذلك أعجب ما ظهر من حلم يزيد.وفي حديث آخر:فقال ابن عائشة: انظروا ذاك يشتم هذا، وهذا يعطف أباه على ذاك، فلم يزل به حتى ولاه خراسان. في رواية شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري قال:استعمل معاوية سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان وعزل ابن زياد عنها، وكان سبب ذلك أنه سأل معاوية أن يستعمله على خراسان، فقال: إن بها عبيد الله بن زياد[4].فقال: والله لقد اصطنعك أبي حتى بلغت باصطناعه المدى الذي لا تجارى إليه ولا تسامى، فما شكرت بلاءه ولا جازيته بآلائه، وقدمت على هذا –يعني يزيد– وبايعت له، والله لأنا خير أبا وأما ونفسا. فقال معاوية: أما بلاء أبيك فقد يحق على الجزاء به، وقد كان من شكري لذلك أني قد طلبت بدمه، وأما فضل أبيك على أبيه فهو والله خير مني، وأما فضل أمك على أمه فلعمري امرأة من قريش خير من امرأة من كلب، وأما فضلك عليه فوالله ما أحب أن الغوطة ملئت به رجالا مثلك.فقال له يزيد:يا أمير المؤمنين، ابن عمك، وأنت أحق من نظر في أمره، قد عتب عليك فأعتبه.فولاه حرب خراسان وولى إسحاق ابن طلحة[5] خراجها، فمات إسحاق بالري فولى سعيد حربها وخراجها.فلما قدم خراسان قطع النهر إلى سمرقند فخرج إليه أهل الصغد، فتواقفوا يوما إلى الليل ولم يقتتلوا، ثم اقتتلوا من الغد، فهزمهم سعيد، وحصرهم في مدينتهم، فصالحوه وأعطوه رهنا منهم خمسين غلاما من أبناء عظمائهم، فسار إلى الترمذ ففتحها صلحا، ولم يف لأهل سمرقند، وجاء بالغلمان معه إلى المدينة.

■ (2) سعيد بن عثمان بن عفان الاموي القرشي: وال، من الفاتحين. نشأ في المدينة. وبعد مقتل أبيه وفد على معاوية، فولاه خراسان سنة 56 هـ، ففتح سمرقند، وأصيبت عينه بها. وعزل عن خراسان سنة 57 هـ. ولما مات معاوية، انصرف إلى المدينة. فقتله أعلاج كان قدم بهم من سمرقند نحو سنة 62 هـ

■ (1) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (3) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (4) عبيد الله بن زياد بن عبيد، المعروف بابن زياد، وابن مرجانة وهي أمه، (أبوه: زياد بن أبي سفيان ويقال له: زياد بن أبيه، وابن سمية) كان والي العراق بعد أبيه ليزيد بن معاوية. قتله إبراهيم بن مالك سنة 67 هـ وكان شمر بن ذي الجوشن قائد الميسرة في جيش ابن زياد. وهو قاتل الحسين بن علي.

■ (5) إسحاق بن طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، القرشي، التيمي، المديني روى عن أبيه طلحة، وابن عباس، وعائشة؛ وعن الطبري: ولي إسحاق بن طلحة خراج خراسان، فلما صار بالري مات إسحاق بن طلحة فولي سعيد بن عثمان خراج خراسان وحربها، وكان ذلك في سنة 56 هـ.

رجل من أهل البادية وفد على معاوية، كانت امرأته قالت له هي وبناته: لو أتيت أمير المؤمنين فسألته وأخبرته بما لك، لعل الله يرزقك منه شيئا. فقال: ليس بيدي شيء. فباعوا متاعا لهم، وتجهز إلى معاوية، فدخل عليه وقد نصب في الطريق، فرأى جماعة الناس على معاوية، فلم يقدر على كلامه، فدار خلفه فقعد خلف السرير بين وسادتين، فجعل يخفق برأسه لما لقي من العناء في طريقه. فقال ابن بريدة: والشيخ إذا كان قاعدا كان أكثر لنومه، فنام، وتفرق الناس عن معاوية لما أمسوا، وخرج للمغرب، ثم رجع فتعشى وخرج لصلاة العشاء، والشيخ نائم لا يعلم، حتى ذهب هوي من الليل. فدخل معاوية إلى أهله فانتبه الشيخ لما أصابه برد الليل، فإذا هو بالسرج وليس في البيت غيره، فقام فخرج إلى الدار، فإذا الأبواب مغلقة، فاسترجع وقال: إنا لله، جئت أطلب الخير فالآن أوخذ بظن أني جئت أغتال أمير المؤمنين. فطلب مكانا يختبئ فيه إلى أن يصبح فلم يجد، فدخل تحت سرير معاوية فلما ذهب هوي من الليل إذا معاوية أقبل، شيخ ضخم البطن، متوشح بملحفة حمراء، حتى قعد على السرير، والشيخ ينظر وهو يسترجع في نفسه: الآن أقتل. ثم قال معاوية: يا غلام، انطلق إلى ابنة قرظة فادعها، فجاءت تمشي ومعها جواري يسترنها حتى صعدت على السرير معه، فطرب للجواري، فكلمها معاوية ساعة ثم قال: عزمت عليك إلا نزلت فمشيت، ورمى عنها ثيابها، وبقيت في درع رقيق من قز يستبين منه جميع جسدها. فمشت فقال: أقبلي. فأقبلت. ثم قال: أدبري. فأدبرت. والشيخ ينظر، ثم أقبلت، فإذا هي ببريق عين الشيخ من تحت السرير. فصاحت وقالت: افتضحت. وقعدت وتقنعت بيديها. فقام معاوية إليها، وقال: ما لك؟ فقالت: رجل تحت السرير. فأدخل معاوية يده، فأخذ برأسه، فإذا شعرات، فجعل لا يقدر أن يقبض على شعره، فلما علم أنه شيخ كبير تركه ولبست ابنة قرظة ثيابها وانطلقت إلى بيتها، وخرج الشيخ إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين لينفعني عندك الصدق. قال: هيه، فقص عليه القصة. فقال: لا بأس عليك، وجعل معاوية يضحك ويسأله فإذا أعرابي منكر لا يسأله عن شيء إلا أخبره. فلما أصبح دعا معاوية خصيا له وقال: خذ بيد الشيخ إلى ابنة قرظة فقل لها: هذا الشيخ الذي تخلاك البارحة، وللخلوة نحلة، فأعطيه نحلته. فأخبرها فقالت للأعرابي: ما قصتك؟ فقص عليها القصة، فأعطته وأوقرت راحلته ثيابا وغير ذلك وقالت له: لا تقيمن في هذه البلاد، فإن رآك أحد بها نكلت بك، وخافت أن يقيم، فكلما ذكره معاوية دعاه وذكر له ما كان. ثم قال لغلام: انطلق فاحمله على الراحلة وما معه، ثم انخس به حتى تخرجه من هذه الأرض. فانطلق الأعرابي وقد أصاب حاجته.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع/.

حدث عبد الله بن عياش المنتوف عن أبي الهيثم الحميري –قال ولقيته في زمن الوليد فما رأيت عربيا كان أعلم بالناس منه– قال: والله، إني لعند معاوية ذات يوم، وكتب إلى زياد بن أبي سفيان[1] أن اطلب لي عبد الله بن هاشم[2] المرقال* في منزل سارة مولاة بني هاشم، فإن ظفرت به فاشدد يده إلى عنقه، وألبسه مدرعة من صوف، واحمله على قتب، ووجه به إلي، فلما قرأ زياد الكتاب طلب الرجل فأصابه، فوجه به إليه على حال ما وصف له معاوية فلم يصل إلى معاوية حتى لوحته الشمس، وغيرت لونه. فلما دخل عليه، وعنده عمرو بن العاص[3]، فقال له معاوية: يا عمرو اتعرف الرجل الماثل بين يديك؟ فنظر إليه عمرو بن العاص طويلا، وقال: لا يا أمير المؤمنين، قال: هذا ابن الذي يقول: الرجز: إني شريت النفس لما اعتلا..واكثر الوين ولم يقلا..أعور يبغي أهله محلا..قد عالج الحياة حتى ملا..لا بد أن يفل أو يفلا..أتلهم بذي الكعوب تلا..لا خير منا في كريم ولى. قال: عرفت يا أمير المؤمنين: الضب المضب*، فأشخب أوداجه على أثباجه*، فإنه إن أفلت من حبالك بعد أن رمت(زمت؟)، ومن قرانك بعد أن حزمت، ليحملن عليك جيشا تحيا فيه أصائله ويكثر فيه صهيله ودواغله، فإن العصا من العصية، ولا تلد الحية إلا حية، وإنما مثله يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر: الوافر: أمامة قد حللت بلاد قوم..هم الأعداء والأكباد سود..هم إن يأخذوني يقتلوني..ومن أثقف فليس له خلود*. قال: فقال عبد الله بن هاشم: فأين كنت عن ذلك يا بن الأبتر يوم تلوذ بعاتق الدماث*، وتطير مع الغداف*، يوم كسرتك بصفين، وأنت كالأمة السوداء لا تمنع يد لامس، فقال معاوية: تلك أضغان صفين، وما ورثك أبوك. قال: فما فيك يا معاوية ما تنتصر حتى تسلط علينا عبدكم، والله لئن شئت لأربدن وجهه، ولأخرسن لسانه، وليقومن وبين كتفيه عنابة يلين لها أخدعاه، فأمر به معاوية إلى الحبس، وخرج عمرو مغضبا وأنشأ يقول: الطويل: أمرتك أمرا حازما فعصيتني..وكان من التوفيق قتل ابن هاشم..أليس أبوه يا بن هند الذي به..رمانا علي يوم حز الغلاصم..يقتلنا حتى جرت من دمائنا..بصفين أمثال البحار الخضارم..فهذا ابنه والمرء يشبه عيصه..ولا شك أن تقرع به سن نادم. فبلغ ذلك عبد الله بن هاشم فكتب إلى معاوية من الحبس: الطويل: معاوي إن المرء عمرا أتت به..ضغينة صدر ودها غير سالم..يرى لك قتلي يا بن هند وإنما..يرى ما يرى عمرو وملوك الأعاجكم..على أنهم لا يقتلون أسيرهم..إذا كان منهم منعة للمسالم..وقد كان منا يوم صفين وقعة..عليك جناها هاشم وابن هاشم..مضى من قضاء الله فيها الذي مضى..وما قد مضى منها كأضغاث حالم..هي الوقعة العظمى التي تعرفونها..وكل على ما فات ليس بنادم..فإن تعف عني تعف عن ذي قرابة..وإن تر قتلي تستحل محارمي. فقال معاوية: أرى العفو عن عليا معد وسيلة..إلى الله في اليوم العبوس القماطر. فبعث إليه معاوية، فأخرجه من السجن، فحلف أن لا يخرج عليه، فأحسن جائزته وخلى سبيله. وكان هاشم بن عتبة صاحب راية علي بن أبي طالب، فقتل، فتناول الراية ابنه عبد الله بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال، فقاتل قتالا شديدا.

وروى أبو عبيد الله محمد بن موسى بن عبيد الله المرزبانى، أن معاوية لما تم له الامر بعد وفاة علي رضي الله عنه، بعث زيادا على البصرة ونادى منادى معاوية: أمن الاسود والاحمر بأمان الله، إلا عبد الله بن هاشم بن عتبة! فمكث معاوية يطلبه أشد الطلب، ولا يعرف له خبرا، حتى قدم عليه رجل من أهل البصرة، فقال له: أنا أدلك على عبد الله ابن هاشم بن عتبة، اكتب إلى زياد، فإنه عند فلانة المخزومية، فدعا كاتبه فكتب: من معاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين إلى زياد بن أبى سفيان، أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا، فاعمد إلى حى بنى مخزوم، ففتشه دارا دارا، حتى تأتى إلى دار فلانة المخزومية، فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال منها، فاحلق راسه، وألبسه جبة شعر، وقيده، وغل يده إلى عنقه، واحمله على قتب بعير بغير وطاء ولا غطاء، وانفذ به إلى. قال المرزبانى: فأما الزبير بن بكار فإنه قال: إن معاوية قال لزياد لما بعثه إلى البصرة: إن عبد الله بن المرقال في بنى ناجية بالبصرة عند امرأة منهم يقال لها فلانة وأنا أعزم عليك إلا حططت رحلك ببابها، ثم اقتحمت الدار واستخرجته منها، وحملته إلى. فلما دخل زياد إلى البصرة سأل عن بنى ناجية، وعن منزل المرأة فاقتحم الدار، واستخرج عبد الله منها، فأنفذه إلى معاوية فوصل إليه يوم الجمعة وقد لاقى نصبا كثيرا، ومن الهجير ما غير جسمه، وكان معاوية يأمر بطعام فيتخذ في كل جمعة لاشراف قريش ولاشراف الشام ووفود العراق، فلم يشعر معاوية إلا وعبد الله بين يديه، وقد ذبل وسهم وجهه، فعرفه ولم يعرفه عمرو بن العاص، فقال معاوية يا أبا عبد الله، أتعرف هذا الفتى؟ قال لا، قال: هذا ابن الذي كان يقول في صفين: أعور يبغى أهله محلا..قد عالج الحياة حتى ملا..لابد أن يفل أو يفلا. قال عمرو: وإنه لهو ! دونك الضب المضب فاشخب أوداجه، ولا ترجعه إلى أهل العراق فإنهم أهل فتنة ونفاق، وله مع ذلك هوى يرديه، وبطانة تغويه فوالذي نفسي بيده لئن أفلت من حبائلك، ليجهزن إليك جيشا تكثر صواهله، لشر يوم لك. فقال عبد الله وهو في القيد: يابن الابتر، هلا كانت هذه الحماسة عندك يوم صفين، ونحن ندعوك إلى البراز، وتلوذ بشمائل الخيل كالامة السوداء والنعجة القوداء* ! أما إنه إن قتلني قتل رجلا كريم المخبرة ، حميد المقدرة* ، ليس بالجبس المنكوس ، ولا الثلب* المركوس. فقال عمرو: دع كيت وكيت، فقد وقعت بين لحيى لهزم فروس للاعداء، يسعطك إسعاط الكودن*الملجم. قال عبد الله: أكثر إكثارك، فإنى أعلمك بطرا في الرخاء، جبانا في اللقاء هيابة عند كفاح الاعداء، ترى أن تقى مهجتك بأن تبدى سوأتك. أنسيت صفين وأنت تدعى إلى النزال، فتحيد عن القتال، خوفا أن يغمرك رجال لهم أبدان شداد، وأسنة حداد، ينهبون السرح، ويذلون العزيز! قال عمرو: لقد علم معاوية أنى شهدت تلك المواطن، فكنت فيها كمدرة الشوك، ولقد رأيت أباك في بعض تلك المواطن تخفق أحشاؤه، وتنق أمعاؤه. قال: أما والله لو لقيك أبي في ذلك المقام، لارتعدت منه فرائصك، ولم تسلم منه مهجتك، ولكنه قاتل غيرك فقتل دونك. فقال معاوية ألا تسكت لا أم لك ! فقال: يا بن هند، أتقول لى هذا! والله لئن شئت لاعرقن جبينك، ولاقيمنك وبين عينيك وسم يلين له أخدعاك. أبأكثر من الموت تخوفنى! فقال معاوية أو تكف يا بن أخي! وأمر به إلى السجن. فقال عمرو: وذكر الابيات، فقال عبد الله: وذكر الابيات أيضا، وزاد :فأطرق معاوية طويلا حتى ظن أنه لن يتكلم. ثم قال: أرى العفو عن عليا قريش وسيلة..إلى الله في اليوم العبوس القماطر ولست أرى قتلى فتى ذا قرابة..له نسب في حى كعب وعامر بل العفو عنه بعد ما خاب قدحه..وزلت به إحدى الجدود العواثر وكان أبوه يوم صفين محنقا..علينا فأردته رماح يحابر. ثم قال له : أتراك فاعلا ما قال عمرو من الخروج علينا ! قال، لا تسل عن عقيدات الضمائر، لا سيما إذا أرادت جهادا في طاعة الله. قال: إذن يقتلك الله كما قتل أباك، قال: ومن لى بالشهادة! قال: فأحسن معاوية جائزته، وأخذ عليه موثقا ألا يساكنه بالشام فيفسد عليه أهله.

----

*(المرقال) هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص لقب به يوم صفين وقد أعطاه علي رضي الله عنه الراية فجعل يرقل بها أي يسرع (أضب فلان على غل في قلبه) أضب فلان على غل في قلبه: أضمره (المضب) الملازم (الاثباج) الاثباج جمع ثبج وثبج كل شئ: معظمه ووسطه وأعلاه والثبج: الوسط وما بين الكاهل إلى الصدر (أثقف) ثقف الرجل: ظفر به (الدماث) جمع دمث: السهول من الارض (الغداف) الغراب (القوداء) الذليلة المنقادة (المقدرة) مثلثة الدال: القوة واليسار (الثلب) المعيب (الكودن) البرذون يوكف ويشبه به البليد.

■ (2) عبد الله بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري الكوفي أقدمه معاوية لشيء بلغه عنه.

■ (3) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، أبو عبد الله، وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

■ (1) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

☪

عن الشعبى قال: أخذ عبد الله بن هاشم بن عتبة راى: ابيه، ثم قال أيها الناس، إن هاشما كان عبدا من عباد الله الذى قدر أرزاقهم، وكتب آثارهم، وأحصى أعمالهم، وقضى آجالهم، فدعاه الله ربه فاستجاب لامره، وسلم لامره، وجاهد في طاعة ابن عم رسوله. أول من آمن به، وأفقههم في دين الله، الشديد على اعداء الله، المستحلين حرم الله، الذين عملوا في البلاد بالجور والفساد، واستحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله، وزين لهم الاثم والعدوان، فحق عليكم جهاد من خالف الله، وعطل حدوده، ونابذ اولياءه. جودوا بمهجكم في طاعة الله في هذه الدنيا، تصيبوا الاخرة والمنزل الاعلى، والابد الذى لا يفنى. فوالله لو لم يكن ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، لكان القتال مع علي أفضل من القتال مع معاوية، فكيف وأنتم ترجون ما ترجون !. وعن عبد خير الهمداني، قال: قال هاشم ابن عتبة يوم مقتله: أيها الناس، إنى رجل ضخم، فلا يهولنكم مسقطي إذا سقطت، فإنه لا يفرغ منى أقل من نحر جزور، حتى يفرغ الجزار من جزرها. ثم حمل فصرع، فمر عليه رجل وهو صريع بين القتلى، فناداه: اقرأ على أمير المؤمنين السلام، وقل له: بركات الله ورحمته عليك يا أمير المؤمنين، أنشدك الله إلا أصبحت وقد ربطت مقاود خيلك بارجل القتلى، فإن الدبرة تصبح غدا لمن غلب على القتلى. فأخبر الرجل عليا رضي الله عنه بما قاله، فسار في الليل بكتائبه حتى جعل القتلى خلف ظهره، فأصبح والدبرة له على أهل الشام. وعن عبد خير، قال: قاتل هاشم الحارث بن المنذر التنوخى، حمل عليه بعد أن أعيا وكل، وقتل بيده، فطعنه بالرمح فشق بطنه فسقط، وبعث إليه علي رضي الله عنه وهو لا يعلم: أقدم بلوائك، فقال للرسول: انظر إلى بطني، فإذا هو قد انشق، فجاء علي رضي الله عنه حتى وقف عليه، وحوله عصابة من أسلم قد صرعوا معه، وقوم من القراء، فجزع عليه، وقال: جزى الله خيرا عصبة أسلمية..صباح الوجوه صرعوا حول هاشم يزيد وسعدان وبشر ومعبد..وسفيان، وابنا معبد ذى المكارم وعروة لا يبعد نثاه وذكره..إذا اخترطت يوما خفاف الصوارم. وعن أبى سلمة، أن هاشم بن عتبة استصرخ الناس عند المساء: ألا من كان له إلى الله حاجة ومن كان يريد الاخرة فليقبل . فأقبل إليه ناس كثير شد بهم على أهل الشام مرارا، ليس من وجه يحمل عليه إلا صبروا له، فقاتل قتالا شديدا ثم قال لاصحابه: لا يهولنكم ما ترون من صبرهم، فوالله ما ترون منهم إلا حمية العرب وصبرها تحت راياتها، وعند مراكزها، وإنهم لعلى الضلال، وإنكم لعلى الحق، يا قوم اصبروا وصابروا واجتمعوا، وامشوا بنا إلى عدونا على تؤده، رويدا. واذكروا الله، ولا يسلمن رجل أخاه، ولا تكثروا الالتفات، واصمدوا صمدهم، وجالدوهم محتسبين حتى يحكم الله بيننا وبينهم، وهو خير الحاكمين. قال أبو سلمة فبينا هو وعصابة من القراء يجالدون أهل الشام، إذ طلع عليهم فتى شاب، وهو يقول : أنا ابن أرباب ملوك غسان..والدائن اليوم بدين عثمان.

وفي رواية أخرى، أن معاوية قال في مجلسه يوما لمن حضره: من يخبرني عن المروءة والجود والنجدة ؟ فقال عبد الله بن هاشم بن عتبة، وكان بعده عفوه عنه يحضر مجلسه: قال : يا أمير المؤمنين! أما المروءة فالصلاح في الدين ، والإصلاح في المال، والمحاماة عن الجار. وأما النجدة فالجرأة على الإقدام، والصبر عند ازورار الأقدام.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ شرح نهج البلاغة/ بهجة المجالس وأنس المجالس/ جمهرة خطب العرب/

وفد عبد العزيز بن زرارة[1] على معاوية وهو سيد أهل الكوفة فلما أذن له وقف بين يديه وقال: يا أمير المؤمنين، لم أزل أهز ذوائب الرحال إليك، إذ لم أجد معولا إلا عليك، أمتطي الليل بعد النهار، وأسم المجاهل بالآثار يقودني إليك أمل وتسوقني بلوى والمجتهد يعذر، وإذ بلغتك فقطني*. فقال معاوية: احطط عن راحلتك رحلها. وروي الجاحظ هذا القول بصورة أخرى فقال: لما وصل عبد العزيز بن زرارة إلى معاوية قال: يا أمير المؤمنين، لم أزل أستدل بالمعروف عليك، وأمتطي النهار إليك، فإذا ألوي بي الليل فقبض البصر وعفي الأثر أقام بدني، وسافر أملي، والنفس تلوم والاجتهاد يعذر، وإذ بلغتك فقطني. وخرج عبد العزيز بن زرارة مع يزيد بن معاوية[2] إلى الصائفة* فهلك هناك فكتب يزيد إلى أبيه معاوية بذلك، فقال معاوية لزرارة[3]: أتاني اليوم نعي سيد شباب العرب، قال زرارة: يا أمير المؤمنين، هو ابني أو ابنك؟ قال: بل ابنك، قال: للموت ما تلد الوالدة.

وفي رواية: أقام عبد العزيز بن زرارة الكلابي على باب معاوية سنة في شملة من صوف لا يأذن له: ثم أذن له وقربه وأدناه ، ولطف محله عنده حتى ولاه مصر ، فكان يقال: استأذن أقوام لعبد العزيز بن زرارة ، ثم صار يستاذن لهم، وقال في ذلك: دخلت على معاوية بن حرب..ولكن بعد يأس من دخول.. وما نلت الدخول عليه حتى..حللت محلة الرجل الذليل.. وأغضيت الجفون على قذاها..ولم أنظر إلى قال وقيل وأدركت الذى أملت منه..وحرمان المنى زاد العجول ويقال: إنه قال له لما دخل عليه أمير المؤمنين: دخلت إليك بالامل ، واحتملت جفوتك بالصبر، ورأيت ببابك أقواما قدمهم الحظ وآخرين أخرهم الحرمان، فليس ينبغى للمقدم أن يأمن عواقب الايام، ولا للمؤخر أن ييئس من عطف الزمان. وأول المعرفة الاختبار، فابل واختبر إن رأيت. وكان يقال: لم يلزم باب السلطان أحد فصبر على ذل الحجاب، وكلام البواب، وألقى الانف، وحمل الضيم، وأدام الملازمة إلا وصل إلى حاجته أو إلى معظمها.

قال العتبي حدثني أبي قال: وقف عبد العزيز بن زرارة بباب معاوية أشهرا لا يؤذن له، ثم بلغ معاوية خبره، فقال: ائذنوا له، فلما دخل وقف بين يديه، وأنشأ يقول: دخلت على معاوية بن حرب..وذلك إذ آيست من الدخول..وما نلت الدخول إليه حتى..حللت محله الرجل الذليل..وأغضبت الجفون على فداها..ولم أسمع إلى قال وقيل.. فأدركت الذى أملت منه..بمكث والخطا زاد العجول.

وفى غير هذه الرواية قدم عبد العزيز بن زراة الكلابي مع أبيه على معاوية، فمكث ببابه لا يؤذن له، وعبد العزيز إذ ذاك حدث من أطراف الناس، فقال: من يستأذن لي اليوم، استأذن له غدا. نفه بطرفه، وأن معاوية يعجب به ويمدحه، فنظر إليه أعرابي فقال: من يأذن اليوم لعبد العزيز..يأذن له عبد العزيز غدا.. أصيد في الذروة من هاشم كالقمر التم.. إذا ما بدا لم يبلغ الشيخان مقداره..في فضله بل سادهم أمردا. ثم عرف معاوية مكانه فأمر بإدخاله فقال: لا أدخل أو ينفذ مني أبي فجل في عين معاوية وأدخل أباه قبله فلما رآه قال: يا أمير المؤمنين، ما زلت أقطع البلاد إليك، ويدلني فضلك عليك، لا أعرف يوما، حتى إذا أجنني الليل أقام بدني، وسافر أملي، والاجتهاد عاذر، وإن بلغتك فقطني*، ثم أنا على بابك منذ سنة أستعين على الجفاء بالصبر وقد رأيت أقواما أدناهم منك الحظ وآخرين أبعدهم الحرمان فليس للمقرب أن يأمن ولا للمبعد أن ييأس وأن أول المعرفة الاختبار فابل واختبر. فعجب معاوية من كلامه ودعا يزيد ابنه فوضع يده في يده وقال آخه ثم ولاه بعد ذلك مصر، فقال: دخلت على معاوية فذكر البيتين الأولين وبعدهما فأغضبت الجفون على فداها..وصنت النفس عن قال وقيل ولو أني عجلت سفهت رأيي..ألا إن العثار مع العجول.. رأيت الحظ يستر كل عيب..وهيهات الحظوظ من العقول. فبينما هم كذلك ومعاوية ينفله في أعماله إذ أتاه نعيه فأحضر معاوية أباه فقال: يا زرارة، مات فتى العرب، قال: هو ابنك أو ابني؟ قال: ابنك، فاسترجع وقال: الآن إذ قيل عبد العزيز..يصلى الحروب وسد الثغورا وساد هناك بني عامر صغيرا..وقضى عليها الأمورا وحاط الحريم وكف العظيم..وأعطى الكثير وأغنى الفقيرا ولم ير ما كان من فعله..كبيرا ولكن رآه صغيرا وما زال مذ كان عبد العزيز..لخير فتى من قريش نظيرا فإن يكن الموت أودى به..وأصبح فخ الكلابي بريرا فكل فتى شارب كأسه..فإما صغيرا وإما كبيرا. ثم نادى منادي معاوية، ألا إن فتى العرب قد مات فعزوا به أمير المؤمنين.

وفي رواية خرج معاوية يوما يسير ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلابي[3] (؟)، وكان مقدما في فهمه وأدبه إلى شرفه ومنصبه، فقال له: يا عبد العزيز أتاني نعي سيد شباب العرب، فقال: ابني أم ابنك؟ قال: بل ابنك؟ قال: للموت ما تلد الوالدة.

في رواية: كتب يزيد بنعيه إلى معاوية فورد الكتاب إلى معاوية وزرارة عنده فقال: يا زرارة في هذا الكتاب موت فتى العرب. فقال: هو إذا ابنك يا أمير المؤمنين أو ابني؟. قال: بل هو ابنك عبد العزيز، فأعظم الله عليه أجرك، وجزع عليه معاوية.

فخرج زرارة وهو يقول أبياتا منها: من المتقارب: وما زال مذ كان عبد العزي..ز إما وزيرا وإما أميرا..نعاه ابن حرب إلي الغداة..فأصبحت شيخا مصابا ضريرا..فإن يكن الموت أودى به..وأصبح مخ الكلابي ريرا..فكل فتى شارب كأسه..فإما صغيرا وإما كبيرا. وذهب أكثر قومه بأرض الروم. فمر عليه مروان بن الحكم[3] وهو على ماله فسأله: كيف أنت؟ فقال: بخير أنبتنا الله فأحسن نباتنا وحصدنا فأحسن حصادنا. وكانوا قد هلكوا في الجهاد.

----

*(فقدى) وقوله وإذا بلغتك فقدى أي حسبي وقد تزاد فيه النون وقاية لآخر الحرف. قال حميد الأرقط..قدني من نصر الخبيبين قدى....فأتى باللغتين وتأتي قط بمعنى حسب وكفى تقول قط عبد الله درهم. وقطك درهم وقطنى درهم (الصائفة) الغزوة في الصيف وبها سميت غزوة الروم لانهم كانوا يغزون صيفا اتقاء البرد والثلج.

■ (1) عبد العزيز بن زرارة الكلابي: قائد من الشجعان المقدمين في زمن معاوية. كان في من عزا القسطنطينية، وأبلى في قتال الروم البلاء العجيب، وقتل في إحدى الوقائع سنة 50 هـ. ولما نعي لمعاوية، قال: هلك والله فتى العرب !. وله شعر أورد ابن الاثير وأبو تمام أبياتا منه.

■ (3) زرارة بن جزي -أو جزء- بن عمرو بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب الكلابي، الصحابي روى عنه المغيرة بن شعبة. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن الكلبي عاش إلى خلافة مروان بن الحكم وروى هشام بن الكلبي أن مروان لما بويع بالخلافة اجتاز على زرارة وهو على ماء لهم وهو شيخ كبير فقال له كيف أنت قال بخير أنبت الله فأحسن نباتنا ثم حصدنا فأحسن حصادنا وكانوا قد هلكوا في الجهاد

■ (2) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (4) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو عبد الملك. بايع نفسه بالخلافة من غير عهد ولا مشورة، بعد خلع معاوية بن يزيد. وقيل: بعد خلع خالد بن يزيد.ولقب: المؤتمن بالله.والحكم والده هو طريد النبي صلى الله عليه وسلم نفاه إلى الطائف؛ فأقام بالطائف حتى تخلف عثمان أذن له بالعود إلى المدينة. قال ابن سعد: كانوا ينقمون على عثمان تقريب مروان وتصرفه في الأمور. بعد أن شارك في وقعة الجمل أقام بالمدينة حتى استخلف معاوية. مات سنة 65 هـ بدمشق، وقيل: مات مطعونا. وكان مروان كاتبا لعثمان بن عفان. وهو من أعظم الأسباب في زوال دولة عثمان وكانت خلافته نحو تسعة أشهر. وقيل أكثر من ذلك.وتخلف من بعده ابنه عبد الملك.

عن العتبى قال: قال رجل لعبد الملك بن مروان: يا أمير المؤمنين هززت ذوائب الرحال إليك ولم أجد معولا إلا عليك أمتطي الليل بالنهار وأقطع المجاهل بالآثار يقودني نحوك رجاء ويسوءني إليك بلوى والنفس راغبة والاجتهاد عاذر وإذا بلغت فقدى، قال: احطط عن راحلتك فقد بلغت. والصحيح أن المخاطب بهذا معاوية بن أبي سفيان والمتكلم به عبد العزيز بن زرارة الكلابي.

كان عبد العزيز بن زرارة الكلابي رجلا شريفا ذا مال كثير، وإنه أشرف عشية فواجهه مال كثير، فما أدرك بصره من ذلك الكال شيئا إلا وفيه عانة قائمة على ولدها؛ إما فرس، وإما ناقة، وإما وليدة، وإما نعجة،وإما عنز. فقال عبد العزيز لغلام له: لمن هذا المال؟ قال: لآل زرارة، فقال عبد العزيز: إني لأرى مالا إن له انصراما، اللهم، أحسنت زراعة آل فأحسن صرامهم، اللهم، إن عبد العزيز يشهدك أن قد حبس ماله ونفسه وأهله في سبيل الله. ثم أتى أباه، فقال: يا أبه، ما ترى في رأي أرتأيته؟ قال: تطاع فيه، وتنعم عينا، قال: فإني قد حبست نفسي، وأهلي، ومالي في سبيل الله، قال: فارتحل، يا عبد العزيز على بركة الله. قال: فأصبح على ظهر يصلح من أمره، فلما وجه ذلك السوام، أقبل على أهله يقود جمله، حتى وقف عليهم فقال: إن لي فيكم قرائب، فلا تزوجوهن إلا رجلا يرضينه. وذكر القطر بلي: أنه استشهد في غزوة يزيد القسطنطينة سنة وخمسين.

لما غزا المسلمون القسطنطينية سنة خمسين للهجرة جعل عبد العزيز بن زرارة يتعرض للشهادة، واشتدت المقارعة فشد على من يليه، والتحمت الحرب، وانغمس في جمهورهم؛ فشجرته العلوج برماحها، أي: اشتبك الجسد برماحهم، فاستشهد – رحمه الله– من كثرة رماح العدو في جسده واختلافها فيه. قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي : قد عشت في الدهر أطوارا على طرق شتى فقاسيت منه الحلو والبشعا كلا بلوت فلا النعماء تبطرنى ولا تخشعت من لاوائها جزعا لا يملا الامر صدري قبل موقعه ولا يضيق به صدري إذا وقعا ومن كلام بعضهم : من تبصر تصبر. في رواية: دخل عبد العزيز بن زرارة الكلابي على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين؛ جالس الألباء أعداء كانوا أو أصدقاء؛ فإن العقل يقع على العقل.

روى ابن الأثير: في سنة خمسين، سير معاوية جيشا كثيفا إلى بلاد الروم للغزاة وجعل عليهم سفيان بن عوف[1] وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم، فتثاقل واعتل، فأمسك عنه أبوه، فأصاب الناس في غزاتهم جوع ومرض شديد، فأنشأ يزيد يقول: ما إن أبالي بما لاقت جموعهم..بالفرقدونة من حمى ومن موم..إذا اتكأت على الأنماط مرتفقا..بدير مروان عندي أم كلثوم. وأم كلثوم امرأته، وهي ابنة عبد الله بن عامر. فبلغ معاوية شعره فأقسم عليه ليلحقن بسفيان في أرض الروم ليصيبه ما أصاب الناس، فسار ومعه جمع كثير أضافهم إليه أبوه، وكان في الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري وغيرهم وعبد العزيز ابن زرارة الكلابي، فأوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية، فاقتتل المسلمون والروم في بعض الأيام واشتدت الحرب بينهم، فلم يزل عبد العزيز يتعرض للشهادة فلم يقتل، فأنشأ يقول: قد عشت في الدهر أطوارا على طرق..شتى فصادفت منها اللين والبشعا..كلا بلوت فلا النعماء تبطرني..ولا تجشمت من لأوائها جزعا..لا يملأ الأمر صدري قبل موقعه..ولا أضيق به ذرعا إذا وقعا . ثم حمل على من يليه فقتل فيهم وانغمس بينهم، فشجره الروم برماحهم حتى قتلوه، رحمه الله. فبلغ خبر قتله معاوية فقال لأبيه: والله هلك فتى العرب! فقال: ابني أو ابنك؟ قال: ابنك، فآجرك الله. فقال: فإن يكن الموت أودى به..وأصبح مخ الكلابي زيرا..فكل فتى شارب كأسه..فإما صغيرا وإما كبيرا. ثم رجع يزيد والجيش إلى الشام وقد توفي أبو أيوب الأنصاري عند القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها، فأهلها يستسقون به، وكان قد شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد صفين مع علي وغيرها من حروبه.

■ (1) سفيان بن عوف الازدي الغامدي: قائد، صحابي، من الشجعان الابطال. كان مع أبي عبيدة ابن الجراح بالشام حين افتتحت، وولاه معاوية الصائفتين، فظفر واشتهر. ثم سيره بجيش إلى بلاد الروم فأوغل فيها إلى أن بلغ أبواب القسطنطينية، فتوفي في مكان يسمى الرنداق سنة 52 هـ، قال ابن عساكر: لما بلغت وفاته معاوية كتب إلى أمصار المسلمين وأجناد العرب ينعاه، فبكى الناس عليه في كل مسجد. وكان معاوية بعد ذلك إذا رأى في الصوائف خللا قال: واسفياناه، لاسفيان لي!.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ نثر الدر/ جمهرة خطب العرب/ التذكرة الحمدونية/ شرح نهج البلاغة/ الوافي بالوفيات/ الكامل في التاريخ/ كتاب التنبيه/

قال هشام بن محمد الكلبي: عاش عبيد بن شرية الجرهمي [1] ثلاث مئة سنة (؟)، وأدرك الإسلام فأسلم، ودخل على معاوية بالشام، فقال له معاوية: كيف رأيت الدنيا؟ قال: يوم كيوم، وليلة كليلة، سنيات بلاء وسنيات رخاء، وميت ومولود، ومولود مهنأ، ومولود معزى بمفقود، ولولا كثرة من يولد، ما بقي على الأرض أحد، ولولا من يموت ما وسع الناس بلد، فقال له معاوية: إن لك لعلما، فما أحسن الأشياء في عينك؟ قال: عين خرارة في أرض خوارة، فال: ثم ماذا؟ قال: ثم فرس في بطنها فرس تتبعها فرس، قال: فأين أنت عن النعم؟ قال: ليس النعم مال مثلك، إنما النعم مال من حضرة وأشرف عليه، قال: فما تقول في الذهب والفضة؟ قال: حجران إن حبستهما لم يزيدا، وإن أنفقتهما تلفا، قال: إنا حابسوك عندنا، ومجرون عليك جراية، قال: لا حاجة لي في هذا، لأن أبي وأمي هلكا في مثل هذه السنة، ونفسي تحدثني أني هالك فيها، فمالي حاجة في المقام عندك، فقال معاوية: فسلني حاجتك؟ قال: أما الآخرة فإنها بيد غيرك، وأما الدنيا فما تقدر ترد شبابي علي فما أسألك؟ قال له معاوية: فأخبرني بما يكون بعدي؟ ثم انصرف ورجع، فقال: سألتني عن شيء لم أكن أعلمه ثم علمته، مررت بغلمان يستبقون يقول بعضهم لبعض: الآخر أشر. فقال معاوية: هل رأيت حربا؟ قال: رأيت أمية يقوده غلام له يقال له: ذكوان، فقال له: لا تقل ذاك، فإنهم سادة الحي، فقال قل أنت ما شئت. وقيل إنه عاش مئتين وعشرين سنة. وإن معاوية قال له: كم أتى عليك؟ قال مئتان وعشرون سنة قال: ومن أين علمت ذلك؟ قال من كتاب الله تعالى. قال: ومن أي كتاب الله تعالى؟ قال: من قول الله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء] فقال له معاوية: وما أدركت؟ قال: أدركت يوما في إثر يوم، وليلة في إثر ليلة متشابها كتشابه الحذف* يحدوان بقوم في ديار قوم يكدحون ما يبيد عنهم، ولا يعتبرون بما مضى منهم، حيهم يتلف، ومولودهم يخلف، في دهر يصرف، أيامه تقلب بأهلها كتقلبها دهرها، بينا أخوه في الرخاء إذ صار في البلاد، وبينا هو في الزيادة إذ أدركه النقصان، وبينا هو حر إذ أصبح قنا، لا يدوم على حال، بين مسرور بمولود، ومحزون بمفقود. قال: أخبرني عن المال، أيه أحسن في عينك؟ قال: أحسن المال في عيني وأنفعه غناء وأقله عناء، وأجداه على العامة: عين خرارة في أرض خوارة، إذا استودعت أدت، وإذا استحلبتها درت وأفعمت، تعول ولا تعال. وفي آخره قال: فأخبرني عن قيامك وقعودك وأكلك وشربك ونومك وشهوتك للباه؟ قال: أما قيامي فإن قمت فالسماء تبعد، وإن قعدت فالأرض تقرب، وأما أكلي وشربي فإني إن جعت كلبت، وإن شربت بهرت، وأما نومي فإن حضرت مجلسا حالفني، وإن خلوت أطلبه فارقني، وأما الباه فإن بذل لي عجزت، وإن منعته غضبت.

قال معاوية: فأخبرني عن أعجب شيء رأيته، قال: أعجب شيء رأيته، أني نزلت بحي من قضاعة، فخرجوا بجنازة رجل من عذرة يقال له: حريث بن جبلة*، فخرجت معهم حتى إذا واروه انكبدت جانبا عن القوم، وعيناي تذرفان، ثم تمثلت بأبيات شعر كنت رويتها قبل ذلك بزمان طويل: من البسيط: يا قلب إنك في أسماء مغرور..أذكر وهل ينفعك اليوم تذكير..قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد..حتى جرت بك أطلاقا محاضير..تبغي أمورا فما تدري أعاجلها..خير لنفسك أم ما فيه تأخير..فاستقدر الله خيرا وارضين به..فبينما العسر أم ما فيه مياسير..وبينما المرء في الأحياء مغتبطا..إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير..حتى كأن لم يكن إلا تذكره..والدهر أيتما حال دهارير..يبكي الغريب عليه ليس يعرفه..وذو قرابته في الحي مسرور..وذاك آخر عهد من أخيك إذا..ما المرء ضمنه اللحد الخناشير*. فقال رجل إلى جانبي، سمع ما أقول: يا عبد الله، من قائل هذه الأبيات؟ قلت: والذي أحلف به ما أدري، قد رويتها منذ زمن، قال: قائلها الذي دفناه آنفا، وإن هذا ذو قرابته أسر الناس بموته، وإنك للغريب الذي وصف تبكي عليه، فعجبت لما ذكر في شعره، والذي صار إليه من قوله، كأنه كان ينظر إلى موضع قبره، فقلت: إن البلاء موكل بالمنطق فذهبت مثلا.

----

*(حريث بن جبلة العذري) وفي رواية: عثير بن لبيد العذري ، وقيل : عثمان بن لبيد العذري ، وفي كتاب المعمرين أن الميت حريث بن جبلة (الحذف) الحذف محركة طائر أو بط صغار وغنم سود صغار حجازية أو جرشية بلا أذناب ولا آذان (خناشير) الواحد: خنشير والجمع خناشير، ويقال: الخناشرة، وهم الذين يتبعون الجنازة

■ (1) عبيد بن شرية الجرهمي: ويقال: عبيد بن سرية ويقال: ابن سارية، راوية من المعمرين، إن صح خبره فهو أول من صنف الكتب من العرب. قيل في ترجمته: من الحكماء الخطباء في الجاهلية، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم واستحضره معاوية من صنعاء إلى دمشق، وقيل: إنه لم يفد عليه، وإنه لقيه بالحيرة حين توجه معاوية إلى العراق. فسأله عن أخبار العرب الاقدمين وملوكهم، فحدثه، فإمر معاوية بتدوين أخباره فأملى كتابين سمي أحدهما كتاب الموك وأخبار الماضين طبع مع كتاب التيجان وملوك حمير تحت عنوان أخبار عبيد بن شرية في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها والثاني كتاب الامثال. وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان. وتوفي نحو سنة 67 هـ. وقيل سنة 70هـ

☪

يقول الدكتور جواد علي: في طليعة من اشتغل برواية أخبار ما قبل الإسلام: عبيد بن شرية، ووهب ابن منبه، ومحمد بن السائب الكلبي، وابنه أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وآخرون. وبعض هؤلاء مثل عبيد بن شرية وكعب الأحبار ووهب ابن منبه، قصاص أساطير، ورواة خرافات، وسمر مستمد من أساطير يهود، وأولئك وأمثالهم هم منبع الإسرائيليات في الإسلام. فأما عبيد بن شرية، فقد كان من أهل صنعاء في رواية أو من سكان الرقة في رواية أخرى. وكان معروفا عند الناس بالقصص والأخبار؛ فطلبه معاوية، فصار يحدثه بأخبار الماضين، ومن الكتب المنسوبة إليه: كتاب الأمثال، وكتاب الملوك وأخبار الماضين، وقد طبع في ذيل كتاب التيجان في ملوك حمير، المطبوع بحيدرآباد دكن بالهند بعنوان أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها، وقد وضع الكتاب على الطريقة التي تروى بها الأسمار وأيام العرب، وفيه أشعار كثيرة وضعت على لسان عاد وثمود ولقمان وطسم وجديس والتبابعة، وفيه قصص إسرائيلي وشعبي يمثل في جملته السذاجة وضعف ملكة النقد، وبساطة القص والقصة، ومبلغ علم الناس في ذلك الوقت بأخبار الأوائل. وقد حصل كتاب الملوك وأخبار الماضين، على شهرة بعيدة، وطلب في كل مكان، وكثرت نسخه، ومع هذه الكثرة اختلفت نسخه، حتى صعب العثور على نسختين متشابهتين منه. وقد نقل الهمداني المتوفى سنة 334 للهجرة بعض الأخبار المنسوبة إلى عبيد. ولما نقله، أهمية كبيرة في تثبيت مؤلفات عبيد؛ إذ يمكن مقابلته بما نشر، ومطابقته بما طبع، فيمكن عندئذ معرفة ما إذا كان هناك اتفاق أو اختلاف. ويمكن عندئذ تعيين هوية المطبوع. والطابع الظاهر على أخبار عبيد، هو طابع السمر والقصص والأساطير المتأثرة بالإسرائيليات. وأما الشعر الكثير الذي روي على أنه من نظم التبابعة وغيرهم، وفيه قصائد طويلة؛ فلا ندري أمن نظمه أم من نظم أشخاص آخرين قالوها على لسان من زعموا أنهم نظموها، أو أنها أضيفت فيما بعد إلى الكتاب ونسبت روايتها إلى عبيد؟ وعلى كل فإنها تستحق توجيه عناية الباحثين إلى البحث عن زمن ظهورها وأثرها في عقلية أهل ذلك الزمن. وأما وهب بن منبه؛ فقد كان من أهل ذمار، وكان قاصا أخباريا، من الأبناء، ويقال إنه كان من أصل يهودي، وإليه ترجع أكثر الإسرائيليات المنتشرة في المؤلفات العربية. وقد زعم أنه كان ينقل من التوراة ومن كتب بني إسرائيل، وأنه كان يقول: قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتابا، وأنه كان يتقن اليونانية والسريانية والحميرية، ويحسن قراءة الكتابات القديمة الصعبة التي لا يقدر أحد على قراءتها. قال المسعودي: وجد في حائط المسجد لوح من حجارة، فيه كتابة باليونانية؛ فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته، فوجه به إلى وهب بن منبه، فقال: هذا مكتوب في أيام سليمان بن داوود، عليهما السلام، فقرأه، فإذا فيه:بسم الله الرحمن الرحيم.يا ابن آدم، لو عاينت ما بقي من يسير أجلك، لزهدت فيما بقي من طول أملك، وقصرت عن رغبتك وحيلك؛ وإنما تلقي قدمك ندمك إذا زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك، وانصرف عنك الحبيب، وودعك القريب، ثم صرت تدعى فلا تجيب، فلا أنت إلى أهلك عائد، ولا في عملك زائد؛ فاغتنم الحياة قبل الموت، والقوة قبل الفوت، وقبل أن يؤخذ منك بالكظم، ويحال بينك وبين العمل. وكتب في زمن سليمان بن داوود. وفي كتاب التيجان في ملوك حمير رواية ابن هشام نماذج لقراءته، وهي على هذا النسق الذي يدل على سخريته بعقول سامعيه إن كان ما نسب إليه حقا، وأنه قرأه عليهم صدقا، ومن يدري؟ فلعله كان لا يعرف حروف اليونانية، ولا يميز بينها وبين الأبجديات الأخرى. ثم هل يعجز أهل دمشق عن قراءة نص يوناني أو سرياني أو عبراني وقد كان فيها في أيام وهب بن منبه علماء فطاحل حذقة بهذه اللغات هم نفر من أهل الكتاب؟ والذي يهمنا من أمر وهب بن منبه أخباره عن الجاهلية. ولوهب أخبار عن اليمن والأقوام العربية البائدة، ونجد روايته عن نصارى نجران وتعذيب ذي نواس إياهم، وقصة الراهب فيميون مطابقة للروايات النصرانية ولما جاء في كتاب شمعون الأرشامي عن هذا الحادث. والظاهر أنه كان قد أخذها من المؤلفات النصرانية أو من أشخاص كانوا قد سمعوا بها ورد عن حادث نجران من أخبار. وقد ذكر أن وهبا كان يستعين بالكتب، وأن أخاه همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليماني أبا عقبة الصنعاني الأبناوي، كان يشتري الكتب لأخيه. ولعله استقى أخباره عن بعض الأمور المتعلقة بالنصرانية مثل مولد وحياة المسيح من تلك الموارد، أو من اتصاله بالنصارى. أما ما ذكره عن التبابعة والعرب البائدة، فإنه قصص. وأما علمه بأخبار العرب الآخرين؛ فيكاد يكون صفرا، فلا نجد في رواياته شيئا يعد تأريخا لعرب الحيرة أو الغساسنة أو عرب نجد. فهو في هذا الباب مثل عبيد بن شرية من طبقة القصاص. لم يصل إلى مستوى أهل الأخبار، ولعله وجد نفسه ضعيفا في التأريخ وفي أخبار العرب؛ فمال إلى شيء آخر لا يدانيه فيه أحد، وهو مرغوب فيه مطلوب، وهو القصص الإسرائيلي، وما يتعلق بأقوام ماضين، ذكروا في القرآن الكريم، وكانت بالمسلمين الأولين حاجة إلى من يتحدث لهم عن ذلك القصص وأولئك الأقوام. ومن الكتب المنسوبة إلى وهب كتاب الملوك المتوجه من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم، وقد تناول أخبار التبابعة. والظاهر أن كتاب التيجان في ملوك حمير الذي طبع في الهند، رواية ابن هشام أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى سنة 213 أو 218 هـ قد استند إليه، بعد أن أضاف إليه أخبارا أخذها من مؤلفات محمد بن السائب الكلبي وأبي مخنف لوط بن يحيى وزياد بن عبد الله بن الطفيل العامري أبي محمد الكوفي المعروف بالبكائي رواية ابن إسحاق وهو خليط من الإسرائيليات والقصص اليماني ومن مواد أخرى قد تكون من وضعه، أو من صنعة آخرين، صنعوها قبله، فأخذها من ألسنة الناس، مثل تلك القصائد والأشعار الكثيرة المنسوبة إلى التبابعة وغيرهم. وقد أورد في الكتاب أسماء أخذت من التوراة ذكرها بنصها كما تلفظ بالعبرانية؛ مما يبعث على الظن أنها أخذت من مورد يهودي. وأما سائر الأخبار الورادة في الكتاب، فالغالب عليها السذاجة؛ إذ لا نجد فيها عمقا ولا مادة تأريخية غزيرة كالمادة التي نجدها في مؤلفات ابن الكلبي، وفي مؤلفات الهمداني الذي عاش بعده. وأود أن ألفت أنظار العلماء إلى أهمية روايات وهب بن منبه وأخباره بالنسبة إلى من يريد الوقوف على الدراسات التوراتية والتلمودية في ذلك العهد؛ ففيها فقرات كثيرة زعم وهب أو آخرون قالوا ذلك على لسانه، أنها قراءات أي ترجمات أخذت من التوراة ومن كتب الله الأخرى. وإذا ثبت بعد مقابلتها بنصوص التوراة والتلمود والمشنا وغيرها من كتب اليهود، أنها من تلك الكتب حقا، وأنها ترجمان صحيحة، فنكون قد حصلنا بذلك على نماذج قديمة لمواضع من تلك الكتب قد تفيد في إرشادنا إلى ترجمات أقدم منها، كما تعيننا في الوقوف على النواحي الثقافية للعرب في ذلك العهد [..]

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام/ الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار/ معجم المؤلفين/ الوافي بالوفيات/ عيون الأخبار/ مروج الذهب للمسعودي/ معجم الأدباء/

◆ أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي (أول ملوك الدولة الأموية) ووردان مولى عمرو بن العاص 0308

كان وردان [1] واليا على خراج مصر من قبل معاوية بعد موت عمرو. وكان وردان من عمرو بن العاص [2] بمنزلة صاحب الشرط من الأمير، كان لا يعمل شيئا حتى يشاوره، وكان داهيا فهما. كتب معاوية إلى وردان أن زد على القبط قيراطا قيراطا على كل إنسان.فكتب إليه وردان: كيف أزيد عليهم، وفي عهدهم ألا يزاد عليهم، يرى بذلك لأن مصر كانت عنده عنوة، فلهذا استجاز الزيادة عليهم، وكانت عند وردان صلحا، فكره الزيادة، فلهذا اختلفا.

روى عن مسلم بن محارب قال: قال معاوية: إن عمرو احتجز دوننا خراج مصر فعزله، واستعمل أبا الأعور السلمي [3]، فبلغ عمرو الخبر، فدعا وردان مولاه، فقال: ويحك، يا أبا عثمان! عزلنا معاوية أمير المؤمنين، قال: فمن استعمل؟ قال: أبا الأعور السلمي، فهل عندك من حيلة؟ قال: نعم، اصنع له طعاما، ولا تنظر له في كتاب حتى يأكل، ودعنا نعمل ما نريد. فلما قدم عليه أبو الأعور، وأخرج كتاب معاوية بتسليم العمل إليه، قال له عمرو: وما نصنع بكتاب؟ لو جئتنا برسالة لقبلنا ذلك منك، دع الكتاب وكل.قال: انظر في الكتاب، قال: ما أنا بناظر حتى تأكل، فوضعه إلى جانبه، وجعل يأكل، فاستدار له وردان، فأخذ الكتاب والعهد. فلما فرغ أبو الأعور من غذائه طلب الكتاب، فلم ير شيئا، فقال: أين كتابي؟ فقال له عمرو: أليس إنما جئتنا زائرا لنحسن إليك ونكرمك ونبرك؟ قال: استعملني أمير المؤمنين وعزلك، قال: مهلا، لا يظهرن هذا منك، إنه قبيح، نحن نصلك ونحسن جائزتك، فرضي بالجائزة. وبلغ معاوية الخبر، فاستضحك، وأمر عمرا على مصر.

عن ابن لهيعة قال: قال الملامس بن خزيمة الحضرمي لمعاوية: يا أمير المؤمنين، إن هذا - يريد ربيعة بن حبيش الصدقي - قاتل عثمان وقرين الشيطان، وختن وردان. وكان ربيعة قد زوج ابنته من وردان. فقال معاوية: يا ربيعة، أزوجت وردان ابنتك؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، زوجت فدانا أخضر ودينارا أصفر. فقال معاوية: أف لك، أعبد عمرو؟ كان وردان بالإسكندرية، وعليها علقمة بن يزيد الغطيفي، وبالإسكندرية راهب نحو كنيسة الدقيق، وكان وردان يأتيه ويحدثه، فجاءه يوما، فقال له الراهب: لا تمر بك ثلاثة أيام حتى تقتل. فانصرف وردان، فجلس على مجلس الصدف، فحدثهم بما قال الراهب. فلم يلبث إلا يسيرا حتى أتاهم الصارخ أن الروم قد نزلوا البرلس*. فاستنفر علقمة الناس إليهم، فولى عليهم وردان، فنفر بهم إلى البرلس، فوجد الروم بها، فاقتتلوا قتالا شديدا، فاستشهد وردان ومن معه وأبو رقية اللخمي، وكان على الخراج، وعائذ بن ثعلبة البلوي [4]، وكان على الخيل.قالوا: وكان بين يدي وردان شمعة لما خرج ليلا، فانطفأت، فتطير بذلك. قالوا: وكان عائذ قد أمر بالمعديات فرفعت إلى البر، فقال له وردان: اردد المعديات* تجز فيها من أتاك من الثغور والفسطاط. فقال له: هذا رأي العبيد، بل نرفعها ونقاتل، فيكون الفتح لنا والذكر، فلا تجبن، قال: أنا أجبن؟ ستعلم من يجبن. فاقتتلوا، وأقبل المدد، فوقفوا في العدوة* لا يقدرون على المجاز، والمسلمون والروم يقتتلون، فقتل عائذ ووردان، وارتث سويد بن ملة في جمع من المسلمين، وانصرف الروم.

----

*(المعديات) المقصود هنا المراكب البحرية (العدوة) العدوة مثلثة شاطئ الوادي وجانبه وشفيره (البرلس) بليدة على شاطئ نيل مصر قرب البحر من جهة الاسكندرية

■ (1) وردان أبو عبيد ويقال أبو عثمان مولى عمرو بن العاص السهمي من سبي أصبهان قدم دمشق في أيام معاوية.ووردان من تابعي أهل مصر وبه سميت السوق التي بمصر سوق وردان.وكان ثقة وكان روميا.يقال: إنه من روم أرمينية،أو من روم الشام، أو من روم أطرابلس الغرب.وقتل بالبرلس سنة 53 هـ قتله الروم.وعقبه بمصر

■ (2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، أبو عبد الله، وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

■ (3) أبو الأعور السلمي اسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن قائف بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان سمع جماعة من الصحابة وكان ممن شهد صفين وبئست الصفين لأهل الشام كانت وقد قيل إن لأبى الأعور صحبة ؟

■ (4) عائذ بن ثعلبة بن وبرة البلوي: صحابي ممن بايع تحت الشجرة. شهد فتح مصر، واختط بها، واستشهد بالبرلس، قتلته الروم سنة 53 هـ.

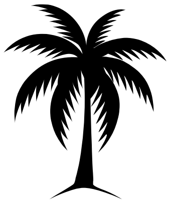

كان عمرو بن العاص ذات يوم عند معاوية، ومعه وردان مولاه، فقال لعمرو: ما بقي من لذتك، يا أبا عبد الله؟ فقال: محادثة أخي صدق مأمون على الأسرار. فأقبل على وردان، فقال: وأنت يا أبا عثمان، ما بقي من لذتك؟ قال: النظر في وجه كريم أصابته نكبة فاصطنعت إليه فيها يدا حسنة. فقال معاوية: أنا أولى بذلك منك، فقال: أنت يا أمير المؤمنين، أقدر عليه مني، وأولى به من سبق إليه. في رواية قال معاوية لوردان مولى عمرو بن العاص: ما بقي من الدنيا تلذه؟قال: العريض الطويل. قال: وما هو؟ قال: الحديث الحسن أو ألقى أخا قد نكبه الدهر فأجبره. قال: نحن أحق بهما منك. قال: إن أحق بهما منك من سبقك إليهما. وقال المأمون لعبد الله بن الحسن العلوي: ما بقي من لذتك يا أبا علي؟ قال: اللعب مع الصغير من ولدي، ومحادثة الموتى - يعني النظر في الكتب - .

قال جويرية بن أسماء: قال عمرو بن العاص لوردان يوم صفين: تدري ما مثلي ومثلك مثل الأبيقر إن تقدم عقر، وإن تأخر نحر، لئن تأخرت لأضربن عنقك، قال: جيئوني بقيد، فوضعه في رجليه، قال: أما والله يا عبد الله لأردنك حياض الموت.

وحضر وردان يوم صفين مع عمرو، فكان عمرو يرتجز: من الرجز: هل يغنين وردان عني قنبرا..أو يغنين ابن خديج مسعرا. يريد قنبر مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويريد مسعر بن فدكي صاحب الخوارج.

☪

قال معاوية رضي الله عنه لعرابة الأوسي: بم سدت قومك حتى قال فيك الشماخ: رأيت عرابة الأوسي يسمو..إلى الخيرات منقطع القرين..إذا ما راية رفعت لمجد..تلقاها عرابة باليمين. قال عرابة : غيري أولى مني بذلك يا أمير المؤمنين. قال معاوية: عزمت عليك لتخبرني. قال: والله ما أنا بأكرمهم حسبا، ولا بأفضلهم نسبا، ولكني أعرض عن جاهلهم، وأسمح لسائلهم. وأسعى في قضاء حوائجهم. فمن عمل عملي فهو مثلي، ومن زاد فهو أفضل مني، ومن قصر فأنا أفضل منه، قال معاوية: هذا والله الكرم والسؤدد.

قال المبرد: قال أبو العباس: وكان سبب ارتفاع عرابة أنه قدم من سفر، فجمعه الطريق والشماخ بن ضرار المري، فتحادثا، فقال عرابة: ماالذي أقدمك المدينة قال: قدمت لأمتار منها، فملأ له عرابة رواحله برا وتمرا، وأتحفه بغير ذلك،فقال الشماخ: رأيت عرابة الأوسي يسمو..إلى الخيرات منقطع القرين..إذا ما راية رفعت لمجد..تلقاها عرابة باليمين..إذا بلغتني وحملت رحلي..عرابة، فاشرقي بدم الوتين..ومثل سراة قومك لم يجاروا..إلى ربع الرهان ولا الثمين. قوله: تلقاها عرابة باليمين، قال أصحاب المعاني: معناه بالقوة،وقالوا مثل ذلك في قول الله عز وجل:﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر] وقد أحسن كل الاحسان في قوله: إذا بلغتني وحملت رحلي..عرابة فاشرقي بدم الوتين. يقول: لست أحتاج إلى أن أرحل إليغيره. وقد عاب بعض الرواة قوله: فاشرقي بدم الوتين ، وقال كان ينبغي أن ينظر لها مع استغنائه عنها، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصارية المأسورة بمكة وقد نجت على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إني نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لبئس ما جزيتها. وقال: لانذرفي معصية، ولا نذر للانسان في غير ملكه. ومما لم يعب في هذا المعنى قول عبد الله بن رواحة الأنصاري لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفر على جيش مؤتة: إذا بلغتني وحملت رحلي..مسيرة أربع بعد الحساء..فشأنك فانعمي وخلاك ذم..ولا أرجع إلى أهلي ورائي. الحساء : جمع حسي، وهو موضع رمل تحته صلابة، فإذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء، فمنعته الصلابة أن يغيض، ومنع الرمل السمائم أن تنشفه، فإذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء، يقال : حسي وأحساء وحساء، ممدودة. وقوله: ولا أرجع إلى أهلي ورائي. مجزوم لأنه دعاء، فقوله: -لا- يعني الجازمة، ومعناه :اللهم. لا أرجع،كما تقول: زيد لا تغفر له، فهذا الدعاء ينجزم بما ينجزم به الأمر والنهي، كما تقول: زيد ليقم، وزيد لا يبرح وقد اتبع ذو الرمة الشماخ في قوله: إذا ابن أبي موسى بلالا بلغته..فقام بفأس بين وصليك جازر. الوصل: المفصل بما عليه من اللحم، يقال : قطع الله أوصاله، ويقال :وصل، وكسروجدل،في معنى واحد.

مراجع: الأعلام للزركلي/مختصر تاريخ دمشق/ ربيع الأبرار/ بهجة المجالس وأنس المجالس/ تقييد العلم للخطيب البغدادي/

دخل رجل من كلب على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي في بيت مال المسلمين حقا ولي رحم. فقال: أما ذكرت فيما لك في بيت مال المسلمين فقد عرفناه (صرفناه؟)، وأما رحمك فما هي؟ قال: إن أم إلياس بن مضر كانت امرأة من كلب. فقال معاوية: وأبيك، لقد مت برحم بعيدة. وعنده ابن عباس[1]، فقال: لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إن الله ليعذب على قطيعة الرحم التي تلقاك إلى ثلاثين أبا﴾ فقال له: الله عليك، لقد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: الله علي، لقد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: سل حاجتك. قال: مئة ألف أشتري بها دارا. قال: هي لك. قال: مئة ألف أقضي بها تجارا. قال: هي لك. قال: مئة ألف أشتري بها عقارا. قال: هي لك. قال ابن الأعرابي: يا أبه، أبرمت أمير المؤمنين. قال: فنتف رأسه بيده ثم قال: اسكت، إنما أمير المؤمنين كما قال خال بني جبار: من الوافر: نميل على جوانبه كأنا..إذا ملنا نميل على أبينا..نقلبه لنخبر حالتيه..فنخبر منهما كرما ولينا.

■ (1) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله،يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

دخل الخيار بن أوفى النهدي[5] – وكان كبير السن – إلى معاوية ين أبي سفيان، فقال: لقد غيرك الدهر ؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، ضعضع فناتي، وشيب سوادي، وأفنى لداتي، وجرأ علي أعدائي، وقد غنيت زمانا أزور الكعاب، وأسل الثياب، وأحسن الضراب، وآلف الأحباب، فنأى الشباب عني، ودنا الموت مني. قال عيسى بن يزيد: دخل خيار بن أوفى النهدي على معاوية فقال: ما صنع بك الدهر؟ قال: ضعضع قناتي، وشتت سراتي، وجرأ علي عداتي. قال: فأنشدني ما قلت في الخمر والنهي عنها؟ فقال: أنهد بن زيد ليس في الخمر رفعة..فلا تقربوها إنني غير فاعل..فإني وجدت الخمر شينا ولم يزل..أخو الخمر حلالا شرار المنازل..فكم قد رأينا من فتى ذي جهالة..صحا بعد أزمان وطول تجاهل..ومن سيد قد قنعته خزاية..فعاد ذليلا ضحكة في المحافل..فلله أقوام تمادوا بشربها..فأضحوا وهم أحدوثة في القوافل. فقال معاوية: صدقت والله، لكم من سيد أدمنها فتركته ضحكة وأحدوثة، ومن ذي رغبة فيها قد صحا عنها فصار سيد قومه وعزهم، والله ما وضع شيء قط الرجل كما وضعه الشراب، والله لهي الداء العياء؛ وما رأيت كذي عقل شربها أو رأى من شربها فعاد لشربها وقد علم ما فيها من العار والشنار؛ وإنها لهي الداعية إلى كل سوأة، والحاملة على كل بلية، والمحسنة لكل قبيح، وما هي بأكرومة، وما يريد الله بها خيرا؛ وإنها لتورث الفقر والفاقة، وتحمل على العظيمة، وتزري بالكريم.

☪

خطب معاوية وهو خليفة فقال في خطبته، ولم يتم البيت لأنه كان على المنبر: من الطويل: إذ الناس ناس والزمان بغرة. وأعاده ولم يتم البيت، فظن بعض العامة أنه أشكل عليه البيت، وأنه يريد من يتممه له. فقام وقال:وإذ أم عمار صديق مساعف. فقال له: اسكت يا أم عمار، ما أردنا هذا منك. قال: فبقي عليه لقبا، فكان إذا مر بالصبيان صاحوا: يا أم عمار يا أم عمار، حتى رمي بالآجر.

وخطب معاوية يوما فقال: إن عاملا لي بمكان كذا كتب إلي يذكر أن بني قشير كان منهم إليه أمر، لهممت أن أجد من كان منهم في البر فأحمله في البحر في السفن، ثم أحرقها عليهم فلا أبقي منهم أحدا. فقام إليه أعرابي، عليه عباءة يرفعها من جانب، وتسقط من آخر فقال: يا معاوية، أما والله لو أردت ذلك لجاءك مئة ألف أمرد على مئة ألف أجرد فجعلوا صدرك ترسة لرماحهم فقال: اسكت أيها الغراب الأبقع. قال: إن الغراب الأبقع يحجل إلى الرخمة البيضاء فينقر رأسها، ويستخرج دماغها، فيأكله. فأعرض عنه معاوية وأخذ في خطبته، فقال له عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، ما هذه الاستكانة؟! أما رأيت ما قال لك؟! قال: يا أبا عبد الله، لنخلين بينهم وبين ألسنتهم ما خلوا بينا وبين ملكنا.

دخل رجل من ولد خلف الجمحي على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، إنا تركنا الحق عيانا، وعلي بن أبي طالب[1] يدعو إليه في المهاجرين والأنصار، وبايعناك على ما قد علمت، ثم طاعنت عنك أشد أهل العراق بعد ما غشيك حتى إذا نلت ما رجوت وأمنت ما خفت، جعلت الدهر أربعة أيام: يوما لسعيد بن العاص[2]، ويوما لمروان بن الحكم[3]، ويوما لعمرو بن العاص[4]، ويوما للمغيرة بن شعبة[5]، وصرنا لا في عير ولا في نفير، ثم خرج من عنده وهو يقول: من الطويل: أظن قريشا باعثي الحرب مرة..عليك ابن هند أو تجر الدواهيا..أيوم لمروان ويوم لصهره..سعيد ويوم للمغير معاويا؟..ويوم لعمرو والحوادث جمة..وقد بلغت منا النفوس التراقيا..أتنسى بلائي يوم صفين والقنا..رواء وكانت قبل ذاك صواديا..أو الأشتر النخعي في مرجحنة..يمانية يدعو ربيسا يمانيا..وطاعنت عنك الخيل حتى تبددت..بداد بنات الماء أبصرن بازيا..تركنا عليا في صحاب محمد..وكان إلى خير الطريقة داعيا..فلما استقام الأمر من بعده ميله..وزحزح ما تخشى ونلت الأمانيا..دعوت الألى كانوا لملكك آفة..وخلت مقامي حية وأفاعيا. فبعث إليه معاوية، وعنده وجوه قريش فقال: يا بن أخي، إني مثلت بين تركي إياك وبين معاتبتك، فوجدت معاتبتك أبقى لك، وأيم الله، ما أخاف عليك نفسي ولكني أخاف عليك من بعدي، فإني رأيتك رحب الذراعين بمساءة عمل شديد التقحم عليه، فلتضق به ذرعك، ولتقل علي تقحمك، فإنك لست كلما شئت تجد من يحمل سفهك. فخرج الفتى من عنده وقد استحيا وارتدع. وأنشأ معاوية يقول: من الطويل: أيا من عذيري من لؤي بن غالب..فنخشى كلبا كاشر الناب عاويا..فما لي ذنب في لؤي بن غالب..سوى أنني دافعت عنها الدواهيا..وأني لبست الجود والحلم فيهم..وأن من رماهم بالأذى قد رمانيا..فأصبحت ما ينفك صاحب سوءة..يقوم بها بين السماطين لاهيا..فإن أنا جازيت السفيه بذنبه..فمنها يميني أفردت من شماليا..وإن أنا لم أجز السفيه بذنبه..لوى رأسه وازداد غيا تماديا..فوليتهم أذني وكانت سجيتي..ليالي لم أملك ولو كنت واليا..فكم قائل إما هلكت لقومه..وقائلة لا تبعدن معاويا..وإني لكم عود ذلول موقر..يقل الألى ينهاهم ما نها مانهانيا..ألم أعف عن أهل الذنوب وأعطهم..عطية من لا يحسب المال فانيا..ثم دعا بالفتى فعقد له على بعض كور الشام.

☪

في رواية قيل لمعاوية ابن أبي سفيان إن بالحيرة رجلا من بني جرهم قد عمر ورأى أعاجيب فقال معاوية علي به فلما حضر قال من الرجل قال عبيد بن شربة قال ثم ممن قال من قوم لم يبق منهم بقية قال فكم مضى من عمرك قال عشرين ومائتا سنة قال أخبرني بأعجب ما رأيت في عمرك قال نعم يا أمير المؤمنين كنت في حي من أحياء العرب فمات عندهم ميت يقال له عشير بن لبيد العذري فمشيت في جنازته وتأسيت بجماعته فلما دفن في قبره وأعول النساء في أثره أدركتني عليه عبرة ولم أستطع ردها وتمثلت بأبيات كنت سمعتها قديما وعلق الآن على خاطري منها هذه الأبيات: يا قلب إنك من أسماء مغرور.. فأذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير..قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد..حتى جرت لك اطلاقا محاظير..فلست تدري ولا تدري أعاجلها..أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير..فاستقدر الله خيرا وارضين به..فبينما العسر إذا دارت مياسير..وبينما المرء في الأحياء مغتبط.. إذا هو الرمس تعفوه الأعاصير..يبكي الغريب عليه ليس يعرفه..وذو قرابته في الحي مسرور..وذاك أخر عهد من أخيك إذا.. ما المرء ضمنه اللحد الخناسير. فبينما أنا أردد هذه الأبيات وعيناي ينسكبان إذ قال لي رجل إلى جنبي من عذرة: يا عبد الله، هل تعرف قائل هذا الشعر؟ قلت: لا، والله، قال: قائله هذا الميت الذي دفناه، وأنت الغريب الذي تبكي عليه، ولا تعرفه، ولا تعلم إنه قائل هذه الأبيات، وذو قرابته الذي ذكرته مسرور هو ذاك وأشار إلى رجل في الجماعة، فرأيته لا يستطيع كتمان ما هو عليه من المسرة، فقال معاوية: يا أخا جرهم سل ما شئت، قال: ما مضى من عمري ترده والأجل إذا حضر تدفعه، قال: ليس ذلك لي، سل غيره، قال: يا أمير المؤمنين، ليس إليك رد شبابي ولا الآخرة، فتكرم مآبي والمآل فقد أخذت عنه في عنفواني ما كفاني، قال: لابد أن تسألني، قال: أما إذا شئت فأمر لي برغيفين أتغدى بأحدهما وأتعشى بالآخرة، واتق الله، وأعلم أنك مفارق ما أنت فيه وقادم على ما قدمت، فأمر له معاوية بأشياء من حنطة وغيرها فردها، وقال: إن أعطيت المسلمين كلهم مثلها أعطيتني، وإلا فلا حاجة لي في ذلك ثم ودعه وانصرف .

■ (4) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، أبو عبد الله، وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم

■ (1) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (5) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية مع رسول الله، وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية، وكان موصوفا بالدهاء والحلم. وولي البصرة ثم الكوفة لعمر، وولي الكوفة بعد ذلك لمعاوية، فمات بها وهو وال عليها سنة 50 أو 51 هـ.

■ (3) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو عبد الملك. بايع نفسه بالخلافة من غير عهد ولا مشورة، بعد خلع معاوية بن يزيد. وقيل: بعد خلع خالد بن يزيد.ولقب: المؤتمن بالله.والحكم والده هو طريد النبي صلى الله عليه وسلم نفاه إلى الطائف؛ فأقام بالطائف حتى تخلف عثمان أذن له بالعود إلى المدينة. قال ابن سعد: كانوا ينقمون على عثمان تقريب مروان وتصرفه في الأمور. بعد أن شارك في وقعة الجمل أقام بالمدينة حتى استخلف معاوية. مات سنة 65 هـ بدمشق، وقيل: مات مطعونا. وكان مروان كاتبا لعثمان بن عفان. وهو من أعظم الأسباب في زوال دولة عثمان وكانت خلافته نحو تسعة أشهر. وقيل أكثر من ذلك.وتخلف من بعده ابنه عبد الملك.

■ (2) سعيد بن العاص بن سعيد (أبو أحيحة) بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان.اعتزل فتنة الجمل وصفين.. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل 59 هـ على الصحيح. وفي المؤرخين من يمزج بأخبار جده.

■ (5) خيار بن أوفى ويقال ابن أبي أوفى النهدي شاعر مجيد .له إدراك.

مراجع: الأعلام للزركلي/ـمختصر تاريخ دمشق/ لباب الآداب لأسامة بن منقذ/ طيب المذاق من ثمرات الأوراق/

يروى لسلمى أم خالد رب ساع لقاعد. قالوا: إن أول من قال ذلك معاوية ابن أبي سفيان وذلك أنه لما أخذ من الناس البيعة ليزيد[1] ابنه قال له: يا بني قد صيرتك ولي عهدي بعدي وأعطيتك ما تمنيت فهل بقيت لك حاجة أو في نفسك أمر تحب أن أفعله ؟ قال يزيد : يا أمير المؤمنين ما بقيت لي حاجة ولا في نفسي غصة ولا أمر أحب أن أناله إلا أمر واحد قال : وما ذاك يا بني ؟ قال : كنت أحب أن أتزوج أم خالد[2] امرأة عبد الله بن عامر بن كريز [3] فهي غايتي ومنيتي من الدنيا فكتب معاوية إلى عبد الله بن عامر فاستقدمه فلما قدم عليه أكرمه وأنزله أياما ثم خلا به فأخبره بحال يزيد ومكانه منه وإيثاره هواه. وسأله طلاق أم خالد على أن يطعمه فارس خمس سنين فأجابه إلى ذلك وكتب عهده وخلى عبد الله سبيل أم خالد فكتب معاوية إلى الوليد ابن عتبة [4] وهو عامل المدينة أن يعلم أم خالد أن عبد الله قد طلقها لتعتد فلما انقضت عدتها دعا معاوية أبا هريرة[5] فدفع إليه ستين ألفا وقال له: ارحل إلى المدينة حتى تأتي أم خالد فتخطبها على يزيد وتعلمها أنه ولي عهد المسلمين وأنه سخي كريم وأن مهرها عشرون ألف دينار وكرامتها عشرون ألف دينار وهديتها عشرون ألف دينار فقدم أبو هريرة المدينة ليلا فلما أصبح أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه الحسن بن علي[6] فسلم عليه وسأله: متى قدمت؟ قال: قدمت البارحة قال: وما أقدمك؟ فقص عليه القصة فقال له الحسن: فاذكرني لها قال: نعم ثم مضى فلقيه الحسين بن علي [7] وعبيد الله بن العباس [8] رضي الله تعالى عنهم فسألاه عن مقدمه فقص عليهما القصة فقالا له: اذكرنا لها قال: نعم ثم مضى فلقيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[9] وعبد الله ابن الزبير [10] وعبد الله بن مطيع بن الأسود[11] فسألوه عن مقدمه فقص عليهم القصة فقالوا: اذكرنا لها قال: نعم ثم أقبل حتى دخل عليها فكلمها بما أمر به معاوية ثم قال لها: إن الحسن والحسين ابني علي وعبد الله ابن جعفر وعبيد الله بن العباس وابن الزبير وابن مطيع سألوني أن أذكرهم لك. قالت: أما همي فالخروج إلى بيت الله والمجاورة له حتى أموت أو تشير علي بغير ذلك. قال أبو هريرة: أما أنا فلا أختار لك هذا قالت: فاختر لي قال: اختاري لنفسك قالت: لا بل اختر أنت لي قال لها: أما أنا فقد اخترت لك سيدي شباب أهل الجنة. فقالت: قد رضيت بالحسن بن علي فخرج إليه أبو هريرة فأخبر الحسن بذلك وزوجها منه وانصرف إلى معاوية بالمال وقد كان بلغ معاوية قصته فلما دخل عليه قال له: إنما بعثتك خاطبا ولم أبعثك محتسبا. قال أبو هريرة: إنها استشارتني والمستشار مؤتمن. فقال معاوية عند ذلك: اسلمي أم خالد، رب ساع لقاعد وآكل غير حامد، فذهبت مثلا.

■ (5) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق. ولد سنة 21 ق. هـ تولى ولاية البحرين في خلافة عمر، كما تولى إمارة المدينة.ثم لزم المدينة يعلم الناس الحديث النبوي، ويفتيهم، حتى وفاته سنة 59 هـ

■ (3) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة، أبو عبد الرحمن، ولد بمكة سنة 4 هـ ولاه سيدنا عثمان البصرة سنة 29 هـ وهو فاتح خراسان وغيرها وشهد وقعة الجمل مع عائشة ولم يحضر وقعة صفين.وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين ثم أقام بالمدينة ومات بمكة سنة 59 هـ ودفن بعرفات.

■ (1) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (4) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان. استعمله معاوية على المدينة حين صرف عنها مروان، سنة 57هـ توفي سنة 64 هـ وقيل إنهم أرادوه على الخلافة بعد معاوية بن يزيد، فأبى وقيل فطعن فمات بعد موت معاوية بن يزيد. ويقال: قدم للصلاة على معاوية بن يزيد، فلم يرفع إلا وهو ميت.

■ (6) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (8) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، له صحبة ورواية، ولي اليمن لعلي، فسار إليه بشر بن أرطأة فذبح ولديه،وكان أحد الأجواد أشاع بعض الناس أنه يدعو الناس للغداء ولا علم له فامتلأت رحبة بيته فقال ما شأنهم قالوا إنك دعوتهم فقال لا يخرجن منهم أحد وغداهم جميعا ثم نادى مناديه أن يحضروا كل يوم. مات سنة 58 هـ

■ (9) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، الحبشي المولد. له صحبة، ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وله وفادة على معاوية، وعلى عبد الملك. ولد سنة1 هـ ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ. ويقال سنة 90 هـ.

■ (10) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (11) عبد الله بن مطيع القرشي العدوى المدني ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، روى عن أبيه مطيع بن الأسود، وله صحبة، قال الزبير بن بكار: كان من رجال قريش جلدا وشجاعة، وكان على قريش يوم الحرة، وقتل مع عبد الله بن الزبير بمكة.

■ (7) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (2) أم خالد امرأة عبد الله بن عامر بن كريز.

في المثل: رب ساع لقاعد: ويروى معه: وآكل غير حامد. يقال : إن أول من قاله النابغة الذبياني وكان وفد إلى النعمان بن المنذر وفود من العرب فيهم رجل من بني عبس يقال له شقيق فمات عنده فلما حبا النعمان الوفود بعث إلى أهل شقيق بمثل حباء الوفد. فقال النابغة حين بلغه ذلك: رب ساع لقاعد وقال للنعمان: أبقيت للعبسي فضلا ونعمة..ومحمدة من باقيات المحامد..حباء شقيق فوق أعظم قبره..وكان يحبى قبله قبر وافد..أتى أهله منه حباء ونعمة..ورب امرئ يسعى لآخر قاعد.

تكلم عمرو بن سعيد في بيعة يزيد بن معاوية فقال: إن يزيد غياث تأملونه، وأجل تأمنونه، طويل الباع، رحب الذراع، واسع الصدر، كريم النجر، قارح سوبق فسبق، وموجد فمجد، وقورع فقرع، وخوصم فخصم، إن صرتم إلى حلمه وسعكم، أو إلى ماله أغناكم، خلف من أمير المؤمنين، ولا خلف منه.

☪

دخل هانئ[1] على معاوية وهو لا يعرفه وكان نذر دمه لإجارته كثير بن شهبا المذحجي[2]، وكان معاوية ولاه خراسان فاختان مالا كثيرا وهرب واستجار بهانئ فأجاره، فقال معاوية لهانئ: من أنت؟ قال: أنا هانئ بن عروة. قال: ليس هذا يوم يقول فيه أبوك: ارجل جمتي قال هانئ: أنا اليوم أعز مني ذلك اليوم. قال بم ذلك؟ قال: بالإسلام يا أمير المؤمنين. قال: أين كثير بن شهاب؟ قال: عندي يا أمير المؤمنين. قال: انظر ما اختانه فخذ منه بعضا وسوغه بعضا. هذا كان مذهب العرب وبه كانوا يمتدحون حتى جاء الله بالإسلام. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فضل الإزار في النار﴾ فصار الفضل في التشمير. وقوله صلى الله عليه وسلم: فضل الإزار في النار إنما ذلك لمن يسحبه خيلاء وكبرا، كما روى موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ ثَوْبِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلَاءَ﴾

■ (2) كثير بن شهاب بن الحصين ذي الغصة ويقال: الحصين ذو الغصة – سمي بذلك لغصة كانت في حلقه– بن يزيد بن شداد بن قنان بن سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب بن مذحج أبو عبد الرحمن الحارثي المذحجي يقال: إن له صحبة، ولا يصح. وفد على معاوية حين أتى بحجر بن عدي. وكان قد ولي الري في أيام معاوية، وهو الذي تولى فتح قزوين، وقيل: تولى فتحها البراء بن عازب. قدم أصبهان مع أبي موسى الأشعري.

■ (1) هانئ بن عروة بن الفضفاض المرادي الغطيفي، مخضرم سكن الكوفة وكان من خواص علي ولما بايع أهل الكوفة مسلم بن عقيل للحسين نزل على هانئ المذكور فلما قدم عبيد الله بن زياد قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة.سنة 60 هـ والقصة مشهورة في جزء مقتل الحسين

مراجع: مجمع الأمثال/ الأعلام للزركلي/ لباب الآداب لأسامة بن منقذ/ سمط اللآلي/

شبب عبد الرحمن بن حسان[1] برملة بنت معاوية فقال: الخفيف: رمل هل تذكرين يوم غزال..إذ قطعنا مسيرنا بالتمني..إذ تقولين عمرك الله هل شي..ء وإن جل سوف يسليك عني..أم هل أطعمت منكم يا بن حسا..ن كما قد أراك أطعمت مني.فبلغ شعره يزيد،[2] فغضب، ودخل على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، ألم تر إلى هذا العلج من أهل يثرب كيف يتهكم بأعراضنا ويشبب بنسائنا؟! قال: من هو؟ قال: عبد الرحمن بن حسان، وأنشده ما قال، فقال: يا يزيد، ليس العقوبة من أحد أقبح منها من ذوي المقدرة، فأمهل حتى يقدم وفد الأنصار، ثم أذكرني به. فلما قدموا أذكره به، فلما دخلوا عليه قال: يا عبد الرحمن، الم يبلغني أنك شببت برملة بنت أمير المؤمنين؟! قال: بلى يا أمير المؤمنين، ولو علمت أحدا أشرف منها لشعري لشببت بها، قال: فأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإن لها لأختا يقال لها هند؟. قال: نعم، وإنما أراد معاوية أن يشبب بها جميعا فيكذب نفسه، فلم يرض يزيد ما كان من ذلك، فأرسل إلى كعب بن جعيل[3] فقال: اهج النصار؟ فقال: أفرق من أمير المؤمنين، ولكني أدلك على الشاعر الكافر الماهر، فقال: من هو؟ قال: الأخطل[4] فدعاه، فقال: اهج النصار، قال: أفرق من أمير المؤمنين، قال: لا تخف شيئا، أنا لك بهذا، فهجاهم فقال: الكامل: وإذا نسبت ابن الفريعة خلته..كالجحش بين حمارة وحمار..لعن الإله من اليهود عصابة..بالجزع بين صليصل وصرار..خلوا المكارم لستم من أهلها..وخذوا مساحيكم بني النجار..ذهبت قريش بالمكارم والعلا..واللؤم تحت عمائم الأنصار. فبلغ الشعر النعمان بن بشير[5]، فدخل على معاوية فحسر عن رأسه وعمامته وقال: يا أمير المؤمنين، أترى لؤما؟! قال: بل أرى كرما وخيرا، وما ذاك؟! قال: زعم الخطل أن اللؤم تحت عمائمنا! قال: وفعل؟ قال: نعم. قال: فلك لسانه، وكتب أن يؤتى به. فلما أتي به قال للرسول: أدخلني على يزيد، فأدخله عليه، فقال: هذا الذي كنت أخاف؟! قال: فلا تخف شيئا، ودخل على معاوية، فقال: علام أرسل إلى هذا الرجل الذي يمدحنا، ويرمي من وراء جمرتنا؟ قال: هجاء الأنصار، قال: ومن يعلم ذلك؟ قال: النعمان بن بشير، قال: لا يقبل قوله، وهو يدعي لنفسه، ولكن تدعوه بالبينة، فإن ثبت شيئا أخذت له، فدعاه بها، فلم يأت بشيء فخلاه.

ويروى أن عبد الرحمن بن حسان هجا قريشا فقال: الكامل: أحياؤكم عار على موتاكم..والميتون خزاية للعار. فأرسل يزيد إلى كعب بن جعيل، فقال: اهج الأنصار، فقال: إن لهم عندي يدا في الجاهلية، فلا أجزيهم بهجائهم، ولكني أدلك على المغدف القناع، المنقوص السماع القطامي، فأمر القطامي[6]، فقال: أنا امرؤ مسلم أخاف الله، وأستحي المسلمين من هجاء الأنصار، ولكني أدلك على من لا يخاف الله، ولا يستحي من الناس، قال: ومن هو؟ قال: الغلام المالكي الخطل، فأرسل إليه وأمره بذلك فقال: على أن تؤمنني، فقال: على أن أومنك، قال: فرفلني واكسني وأظهر إكرامي ففعل فبلغ ذلك عبد الرحمن بن حسان فقال: الكامل: لعن الإله من اليهود عصابة..بين الثوير فمدفع الثرثار..قوما يدوسون النساء طوامثا..ويكون محفل ميتهم في النار..قوما إذا هدر العصير رأيتهم..حمرا عيونهم من المصطار..فاللؤم فوق أنوف تغلب كلها..كالرقم فوق ذراع كل حمار. فقال الأخطل أبياته: واللؤم تحت عمائم النصار. تلك الأبيات. وقيل: إن الأخطل لما أتى يزيد فأخبره ركب إلى معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، لي حاجة، قال: قد قضيتها إن لم يكن الأخطل، قال: وما لي وللأخطل؟ لعنه الله، ليس الخطل حاجتي، قال: قد قضيتها، قال: هب لي لسان النعمان بن بشير، قال: هو لك، وبلغ الخبر النعمان، فكف عن الأخطل.

■ (1) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري الخزرجي: شاعر، ابن شاعر، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، يكنى أبا محمد، وقيل: أبو سعيد وأمه سيرين القبطية أخت مارية القبطية وهبها النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه حسان فولدته له عبد الرحمن فقيل: إنه ابن خالة إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: إنه من التابعين قال محمد بن سعد : هو من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة، كان مقيما في المدينة، وتوفي فيها. اشتهر بالشعر في زمن أبيه، قال حسان: فمن للقوافي بعد حسان وابنه؟ ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت ؟. وفي تاريخ وفاته خلاف. قيل مات سنة 104 هـ

■ (4) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب. لقب بالأخطل، شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجبا بأدبه، تياها، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حينا في دمشق وحينا في الجزيرة. توفي سنة 90 هـ

■ (3) كعب بن جعيل بن قمير بن عجرة التغلبي: شاعر تغلب في عصره مخضرم، عرف في الجاهلية والاسلام. كان لا ينزل بقوم إلا أكرموه وضربوا له قبة. أدركه الاخطل في صباه وهاجاه. وكان في زمن معاوية. وشهد معه وقعة صفين. قال المرزباني: وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام، يمدحهم ويرد عنهم. مات نحو 55 هـ

■ (5) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الانصاري، أبو عبد الله: أمير، خطيب، شاعر، من أجلاء الصحابة. من أهل المدينة. وجهته نائلة زوجة عثمان بقميص عثمان، إلى معاوية، فنزل الشام. وشهد صفين مع معاوية. وولي القضاء بدمشق، بعد فضالة بن عبيد سنة 53 هـ وولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة، تسعة أشهر، وعزله وولاه حمص. واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية، فبايع النعمان لابن الزبير. وتمرد أهل حمص، فخرج هاربا، فاتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله سنة 65 هـ. وهو أول مولود ولد في الانصار بعد الهجرة. قال ابن حزم: افتتح مروان دولته بقتله، وسيق إليه رأسه من حمص. وقيل: قتل يوم مرج راهط. قال سماك بن حرب: كان من أخطب من سمعت.

■ (6) عمير بن شييم بن عمرو بن عباد، من بني جشم بن بكر، أبو سعيد، التغلبي الملقب بالقطامي: شاعر غزل فحل.كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم. وجعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الاسلاميين وقال: الاخطل أبعد منه ذكرا وأمتن شعرا. وأورد العباسي في معاهد التنصيص طائفة حسنة من أخباره يفهم منها أنه كان صغيرا في أيام شهرة الاخطل، وأن الاخطل حسده على أبيات من شعره. ونقل أن القطامي أول من لقب صريع الغواني بقوله: صريع غوان راقهن ورقنه لدن شب حتى شاب سود الذوائب.وقال المرزباني: كان في صدر الاسلام من شعره البيت المشهور: قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل.مات نحو 130 هـ

■ (2) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

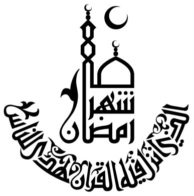

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيرا ما يقول لعبد الرحمن بن حسان:أنشدني قول أحيحة بن الجلاح: فهل من كاهن أو ذي إله..إذا ما حان من ربي نزول..يراهنني فيرهنني بنيه..وأرهنه بني بما أقول..فما يدري الفقير متى غناه..وما يدري الغني متى يعول..وما تدري وإن أزمعت أمرا..بأي الأرض يدركك المقيل..وما تدري وإن أضربت شولا..أتلقح بعد ذلك أم تحول..وما تدري وإن انتجت سقبا..لأي الناس ينتج ذا الفصيل..وما من إخوة كثروا وطالوا..بأيهم لأمهم الهبول.

لما قدم معاوية المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري[1] فقال معاوية: تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار، فما يمنعكم أن تلقوني؟! قال: لم يكن لنا دواب، قال معاوية: فأين النواضح؟ فقال أبو قتادة: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر، قال: ثم قال أبو قتادة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: إنكم سترون أثرة بعدي، قال معاوية: فما أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر حتى نلقاه، قال: فاصبروا حتى تلقوه، فقال عبد الرحمن بن حسان حين بلغه ذلك: الوافر: ألا أبلغ معاوية بن حرب..أمير المؤمنين ثنا كلامي..فإنا صابرون ومنظروكم..إلى يوم التغابن والخصام.

لما أراد عبد الرحمن بن حسان أن يهاجي النجاشي[2] قال له أبوه: هلم، فأنشدني من شعرك، فإنك تهاجي أشعر العرب. قال: فأنشده، فهوى حسان إلى شيء خلفه فعلاه به ضربا، وقال: يا عاض كذا وكذا، أبهذا تهاجيه؟! اذهب، فقل ثلاث قصائد قبل أن تصبح. قال: فقال ثلاث قصائد في ليلته، ثم جاء بها، فعرضها عليه، فقال حسان: اذهب فابسط الشر على ذراعيك، فقال له: يا أبه، ما هذه وصية يعقوب بنيه، فقال له حسان: ما أبوك مثل يعقوب، ولا أنت مثل بني يعقوب، اعمد إلى أمرأة لطيفة بأخت النجاشي فمرها، فلتصفها لك، واجعل لها جعلا، ففعل. فلما كانت أيام منى قيل له: إن ها هنا نفرا من بني عامر إخوة مطاعين في قومهم، فخرج إلى أمهم، فكلمها، وانتسب لها، وذكر الذي أراد، فأرسلت إليهم، فقالت: قوموا مع هذا الرجل، وكلموا بني عمكم، يقوموا معه، ففعلوا، وجعلوا له غبيطا على نجيبة، ثم تروا فوق الغبيط رجلا، فجاء مشرفا على الناس، وجاء النجاشي على فرس وهو يقول: الرجز: أنا النجاشي على جماز..راغ ابن حسان من ارتجازي..روغ الحبارى من خوات البازي. فقال ابن حسان: يا ليل يا أخت النجاشي اسلمي..هل تذكرين ليلة بإضم..وليلة أخرى بحرب الحرم..والشامة السوداء بالمخدم..والخال بالكشح اللطيف الأهضم. قال: فانكسر النجاشي إذ أتى بما يعرف.

عاش حسان بن ثابت مئة سنة وأربع سنين، وعاش أبوه ثابت مئة سنة وأربع سنين، وعاش المنذر جده مئة سنة وأربع سنين، وعاش حرام جد أبيه مئة سنة وأربع سنين، وكان عبد الرحمن بن حسان إذا حدثنا بهذا الحديث اشرأب لها وثنى رجليه على مثلها، فمات وهو ابن ثمان وأربعين سنة، وتوفي سنة أربع مئة. قال راويه: ولا أراه محفوظا.

■ (1) أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاريفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم. شهد أحدا، والحديبية والخندق. اسمه الحارث بن ربعي، على الصحيح، وقيل: اسمه: النعمان، وقيل: عمرو.قيل: مات أبو قتادة سنة 54 هـ بالمدينة. وروى أهل الكوفة أنه توفي بها، وأن عليا صلى عليه

■ (2) النجاشي الحارثي، قيس بن عمرو بن مالك، من بني الحارث بن كعب، من كهلان: شاعر هجاء مخضرم، اشتهر في الجاهلية والاسلام. أصله من نجران باليمن انتقل إلى الحجاز، واستقر في الكوفة.وهجا أهلها. وهدده عمر بقطع لسانه. وضربه علي على السكر في رمضان. من شعره في مدح معاوية: إني امرؤ قلما أثني على أحد حتى أرى بعض ما يأتي وما يذر . قال البكري: النجاشي من أشراف العرب، إلا أنه كان فاسقا. وكانت أمه من الحبشة فنسب إليها. توفي نحو 40 هـ وقيل سنة 49 هـ

مراجع: الأعلام للزركلي/ـمختصر تاريخ دمشق/ أسد الغابة/

عن الشعبي قال: كتب المغيرة بن شعبة[1] إلى معاوية حين كبر وخاف العزل: أما بعد؛ فإنه قد كبرت سني، ورق عظمي واقترب أجلي، وسفهني سفهاء قريش، فرأى أمير المؤمنين في عمله موفق. وكتب إليه معاوية: أما ما ذكرت من كبر سنك فإنك أكلت سنك عمرك، وأما ما ذكرت من اقتراب أجلك فإني لو كنت أستطيع أن أدفع المنية لدفعتها عن آل أبي سفيان، وأما ما ذكرت من سفهاء قريش فإن حلماء قريش أنزلوك هذا المنزل، وأما ما ذكرت من العمل فضح رويدا يدرك الهيجا حمل*. فاستأذن معاوية في القدوم فأذن له. قال الربيع بن هذيم (هريم؟): فخرج المغيرة وخرجنا إلى معاوية فقال له: يا مغيرة كبرت سنك، واقترب أجلك، ولم يبق منك شيء، ولا أظنني إلا مستبدلا بك، قال: فانصرف إلينا ونحن نعرف الكآبة فيه. فقلنا: ما تريد أن تصنع؟ قال: ستعلمون ذلك. فأتى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن الأنفس يغدى عليها ويراح، ولست في زمن أبي بكر [2] ولا عمر[3]، وقد اجترح الناس، فلو نصبت لنا علما من بعدك نصير إليه، مع أني كنت قد دعوت أهل العراق إلى يزيد[4] فركبوا إليه، حتى جاءني كتابك. قال: يا أبا محمد؛ انصرف إلى عملك فأحكم هذا الأمر لابن أخيك. قال: فأقبلنا على البريد نركض، فقال: يا ربيع؛ وضعت والله رجله في ركاب طويل ألغى على أمة محمد. قال: فذاك الذي دعا معاوية إلى البيعة ليزيد.

في رواية عن عبد الملك بن عمير قال: كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية يذكر فناء عمره وفناء أهل بيته وجفوة قريش إياه قال: فورد الكتاب على معاوية وزياد[5] عنده فلما قرأ الكتاب قال له زياد: يا أمير المؤمنين، ولني إجابته قال: فألقى إليه الكتاب قال: فصدر زياد الكتاب ثم كتب: أما ما ذكرت من ذهاب عمرك فإنه لم يأكله أحد غيرك، وأما ما ذكرت من فناء أهل بيتك فلو أن أمير المؤمنين قدر أن يقي أحدا بالموت لوقى أهل بيته، وأما ما ذكرت من جفوة قريش إياك فأنى يكون ذاك وهم أمروك، فلما قدم الكتاب على المغيرة فقرأه قال: اللهم، عليك بزياد، اللهم، عليك بزياد.

عن الشعبي عن وراد كاتب المغيرة بن شعبة قال كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا لله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال.

----

*(ضح رويدا) هذا أمر من التضحية أي لا تعجل في ذبحها ثم استعير في النهي عن العجلة في الأمر ويقال: ضح رويدا لم ترع أي لم تفزع ويقال: ضح رويدا تدرك الهيجا حمل يعني حمل بن بدر

■ (1) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي. يقال له مغيرة الرأي. ولد في الطائف بالحجاز وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك فدخل الاسكندرية وافدا على المقوقس، وعاد إلى الحجاز. فلما ظهر الاسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة 5 هـ، عام الخندق فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة. وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة 50 هـ. أو51 هـ. قال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية للاناة، وعمرو بن العاص للمعضلات، والمغيرة للبديهة، وزياد بن أبيه للصغير والكبير. وللمغيرة 136 حديثا. وهو أول من وضع ديوان البصرة، وأول من سلم عليه بالامرة في الاسلام.

■ (5) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (4) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (3) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (2) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

من المكايد خبر عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة مع معاوية بن أبي سفيان ، وكان معاوية قد كتب إليهما واستقدم عمرا من مصر والمغيرة من الكوفة ؛ فقال عمرو للمغيرة : ما جمعنا إلا ليعزلنا ، فإذا دخلت عليه فاشك الضعف واستأذنه أن تأتي الطائف أو المدينة ، وأنا إذا دخلت عليه سأسأله ذلك فإنه يظن أنا نريد أن نفسد عليه. فدخل المغيرة على معاوية فسأله أن يعفيه فأذن له ؛ ودخل عليه عمرو وسأله ذلك ؛ فقال معاوية : قد تواطأتما على أمر وإنكما لتريدان شرا ، ارجعا إلى عملكما.

أبو محارب قال: قال معاوية بن أبي سفيان: إن عمرو بن العاص قد احتجن عنا خراج مصر، فعزله واستعمل أبا الأعور السلمي، فبلغ عمرا الخبر فدعا وردان مولاه وقال له: ويحك عزلني أمير المؤمنين! قال: فمن استعمل؟ قال: أبا الأعور، قال: دعني وإياه أصنع له طعاما ولا ينظر في كتابه حتى يأكل، قال: نعم، فلما قدم عليه أخرج الكتاب بتسليم العمل إليه، فقال عمرو: ما تصنع بالكتاب؟ لو جئتنا برسالة لقبلنا ذلك منك، فقال وردان: ضع الكتاب وكل، فقال أبو الأعور لعمرو: انظر في الكتاب، قال: ما أنا بناظر فيه حتى تأكل، فوضعه إلى جانبه وجعل يأكل، فاستدار وردان فاتخذه، فلما فرغ أبو الأعور من غدائه طلب الكتاب فلم يجده فقال: أين كتابي؟ فقال له عمرو: أوليس جئتنا زائرا لنحسن إليك؟ قال: بل استعملني أمير المؤمنين وعزلك! قال: مهلا لا يظهرن هذا منك فإنه قبيح ونحن نصلك ونحسن إليك، فرضي بالصلة، وبلغ معاوية الخبر فاستضحك وتعجب من فعله وأقر عمرا على عمله.

اجتمعت وفود العرب عند معاوية وكان إذا أراد أن يفعل شيئا ألقى منه ذرءا إلى الناس، فإذا امتنعوا كف، وإن رضوا أمضى، فعرض ببيعة يزيد، فقامت خطباء معد فشققوا الكلام، وأطنبوا في الخطاب، فوثب شاب من غسان قابضا على قائم سيفه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الحيف في حكم السيف، وبعد النسيم الهيف؛ فإن هؤلاء عجزوا عن الصيال، فعولوا على المقال، ونحن القاتلون إذا صلنا، والمعجبون إذا قلنا، فمن مال عن القصد أقمناه، ومن قال بغير الحق وقمناه، فلينظر ناظر إلى موطئ قدمه، قبل أن تدحض فيهوي هوي الحجر من رأس النيق؛ فتفرق الناس عن قوله، ونسوا ما كانوا فيه من الخطب.

عن خالد بن سعد، عن أبيه قال: لما أراد معاوية أن يعقد البيعة ليزيد قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كبر، ودنا من أجله، فما ترون؟ وقد أردت أن أولي أمركم رجلا من بعدي، قالوا: عليك بعبد الرحمن بن خالد[1]، فأضمرها، واشتكى عبد الرحمن بن خالد، فأمر ابن أثال طبيبا من عظماء الروم فسقاه شربة فمات، فبلغ معاوية موته، فقال: ما أنجد إلا ما أنقص عنك من تكره، وبلغ حديثه ابن أخيه خالد بن المهاجر[2]، فورد دمشق مع مولى له، يقال له نافع: فقعد لابن أثال ليلا، فلما طلع منصرفا من عند معاوية شد عليه خالد، فضربه وقتله، فطلبهما معاوية فوجدهما، فقال لخالد: قتلته لعنك الله؟ قال: نعم، قتل المأمور وبقي الآمر، ولو كنا على سواء ما تكلمت بهذا الكلام، فضرب معاوية نافعا مائة سوط، وقضى في ابن أثال بالدية بإثني عشر ألف درهم، وأدخل بيت المال منها ستة آلاف، فكانت دية المعاهد مثل ذلك، حتى قام عمر بن عبد العزيز[3] فأبطل الذي كان يأخذه السلطان منها، وقال خالد حين رجع إلى المدينة: قضى لابن سيف الله بالحق سيفه..وعرى من جمل الدخول رواحله..فإن كان حقا فهو حق أصابه..وإن كان ظنا فهو بالظن فاعله..سل ابن أثال هل ثارت ابن خالد..وهذا ابن جرموز فهل أنت قاتله.

عن وراد مولى المغيرة بن شعبة قال: كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ﴾ وعن وراد قال: كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية، وزعم وراد أنه كتبه بيده: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه سلم قال:﴿إِنَّ اللهَّ حَرَّمَ ثَلَاثًا وَنَهَى عَنْ ثَلَاثٍ: عُقُوقِ الْوَالِدَاتِ، وَوَأْدِ الْبَنَاتِ، وَلاَ وَهَاتِ، وَنَهَى عَنْ ثَلَاثٍ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَإِلْحَافِ السُّؤَالِ﴾ (العقوق) الاستخفاف بالوالدين وعصيانها وترك الإحسان إليهما (الوأد) عادة جاهلية ، كان إذا ولد لأحدهم في الجاهلية بنت دفنها في التراب وهي حية (الإلحاف) شدة الإلحاح في المسألة (وهات) المراد منع ما وجب من الحقوق وطلب ما ليس بحق.

■ (2) خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. وهو حفيد خالد بن الوليد المخزومي. حدث عن عمر بن الخطاب وابن عباس وابن عمر وغيرهم، وقد دمشق بعد وفاة عمه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وقتل اليهودي الطبيب ابن أثال لأنه كان قد سقى عمه عبد الرحمن سما فقتله، فضربه معاوية أسواطا وحبسه وأغرمه ديتين ألفي دينار. فألقى ألفا في بيت المال وأعطى ورثة ابن أثال ألفا. ولم يزل ذلك يجري في دية المعاهد حتى ولي عمر بن عبد العزيز فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه، وبقي الذي يدخل بيت المال. ولم يخرج خالد من الحبس حتى مات معاوية. وكان شاعرا، ولذلك يقول ما انصرف من دمشق إلى المدينة، وقال الزبير بن بكار: وقد انقرض ولد خالد بن الوليد ولم يبق منهم أحد. وكان وفاة خالد هذا في حدود 100 هـ، وروى له مسلم.

■ (1) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة المخزومي، ابن سيف رسول الله أدرك سيدنا رسول الله وكان مع أبيه يوم اليرموك، وسكن حمص، وشهد صفين مع معاوية، وكان معه اللواء، واستعمله معاوية على غزو الروم، وله معهم وقائع، وكان شريفا ممدحا، استعمله معاوية على جماعة الناس في غزوة أرمينية سنة 42 هـ فشتا بهم سنة أربع وخمس وست؛ وقدم حمص في سنة 46 هـ قافلا، فدس ابن أثال النصراني طبيب معاوية بعض أولئك المماليك فسقاه شربة فمات بحمص، فاعترض لابن أثال خالد بن عبد الرحمن بن خالد فضربه بالسيف، فقتله فرفع إلى معاوية فحبسه أياما، وأغرمه ديته، ولم يقده منه. وكان عبد الرحمن بطلا شجاعا. وقيل: مات بأرض الروم. وقيل: مات سنة 49 هـ

■ (3) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

مراجع: نثر الدر/ الأعلام للزركلي/ـ مجمع الأمثال/ سمط اللآلي/ العقد الفريد/ تاريخ دمشق/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ التذكرة الحمدونية/ الأوائل للعسكري/ زهر الأداب وثمر الألباب/

عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: لما ادعى معاوية زيادا[1]، وآثر عمرو بن العاص[2] على أهل بيته، وقربهما دونهم جزع بنو أمية من ذلك جزعا شديدا، واجتمعوا في ذلك، فأتوا مروان بن الحكم في بيته، وقد كتب له معاوية عهده على المدينة، وأمره أن يسبر يومه ذلك. فقال القوم: يا مروان، إنك شيخنا وكبيرنا، وقد ترى ما ركبنا معاوية من أمر ليس لنا عليه صبر ولا قرار، ولا ينام عن مثله الأحرار، إدخاله فينا من ليس منا، يريد أن يدخله على حرمنا ونسائنا، وقد اجتمع رأينا على أن تأتيه فتعاتبه. فإن رجع قبلنا، وإن أبى اعتزلنا. فقال مروان: قد والله كلمته في هذا الأمر غير مرة فلم يجبني إلى شيء مما أحب، بل يظهر لي التعتب والتغضب، ويزعم أني في هذا الأمر أوحد. فقال له سعيد بن العاص: يا مروان، بل والله تحامي على عهدك. فقال مروان: والله لصلاحكم في فساد عهدي أحب إلي من فسادكم في صلاح عهدي. فأتوه فإنه رجل له إرب ونظر، فكلموه بملء أفواهكم. قال: فانطلق القوم فاستأذنوا على معاوية، فأذن لهم، فسلموا، فأحسن الرد، وكان فيما قال: أهلا وسهلا، قرب الله الديار وأدنى المزار. أزيارة فتحظى؟ أم حاجة فتقضى؟ أم سخطة فترضى؟ فقالوا: كلا يا أمير المؤمنين. قال: هاتوا فجلس القوم، ومثل عبد الرحمن بن الحكم بين يديه، فقال: يا أمير المؤمنين، جاءتك عصابة من رهطك، وأحرار من أسرتك، كلهم عارف بفضلك، راع لحقك، تابع لأمرك، رافع لذكرك، في أمر ستره خير من نشره، وتركه خير من ذكره، لعظم البلية والخطيئة واللأواء، والبلوى والآفات والعاهات، واعلم أنا لم نأتك تجنيا، ولا تجرما، ولا تعتبا. بل جئناك في أمر قد عجزت عن حمله الجنوب، وضاقت به القلوب، وكرهنا أن نطويه عنك، فيثبت ذلك في قلوبنا، ما لا يحصد لإبانه، ولا يبيد لزمانه، فإن تأذن قبلنا، وإن تأب صمتنا، مع أنك إن رجعت إلى ما نحب حمدنا وشكرنا، وإن تأب ذلك سمعنا وأطعنا. فقال معاوية: هات لله أبوك. قال: يا أمير المؤمنين، إن أمية بن عبد شمس ولد عشرة ذكورا، ولد حربا وأبا حرب، وسفيان وأبا سفيان، وعمرا وأبا عمرو، والعاصي وأبا العاصي، والعيص وأبا العيص، لم يلد عبيدا عبد بني ثقيف، ولا العاص بن وائل، وقد جعلتها شعارك دون دثارك، بل سربالك دون إزارك، بل نفسك بين جنبيك، ثم لم ترض لابن عبيد حتى جعلته ابن أبي سفيان عضيهة لأبيك، وازدراء ببنيك، ومع أن في ذلك السخطة من ربك، والمخالفة لنبيك، صلى الله عليه وسلم، إذ قضى بالولد للفراش، وللعاهر الحجر، فقضيت أنت بالولد، ثم نسبت أباك عاهرا، وكان غنيا عن ذلك، فشهرت أمرا كان مستورا، ورفعت أمرا كان حقيرا، تريد أن تدخله على حرمك، وتمنح ولده غدا نساءك.

ثم قال: أترضى يا معاوية بن حرب..بأن تحبو كرائمك العبيدا..كأني والذي أصبحت عبدا..له بالقوم قد شركوا يزيدا..فإن ترجع فمثلك زاد خيرا..وإن تأب فلم تطع الرشيدا. وأما عمرو بن العاص، فإنك ألزمت نفسك الحاجة إليه، فألزم نفسه الغنى عنك، وايم الله لنحن أنصع جيوبا، وأقل عيوبا، وأمس رحما، وأوجب حقا منه، وما من أمر يبلغ فيه بنا عنه تقصير، غير أنك رفعت المرء فوق قدره، فطغى علينا بفخره، وزخر ببحره، حتى صار كأنه شيء وليس بشيء. وإنك وإياه وإيانا كما قال الشاعر الأول: من الناس من يصل الأبعدين..ويشقى به الأقرب الأقرب. ثم قام سعيد بن العاص، فقال: يا أمير المؤمنين، إن خير القول أصدقه، وأشد القول أملقه، وإن الحق الأبلج أقوم إلى طريق النهج، وإنك قد أتيت أمرا عظيما ناهيا متباينا، تتابعت فيه، وركبت في ذلك عقبة كئودا، صيخدا صيخودا، في تنائف لا يهتدى فيها بدليل، ولا يؤم فيها قصد السبيل، قصرت في ذلك برأيك، وأزريت بأبيك، فإن ترجع قبلنا، وإن تأب غضبنا، فارجع إلى الله، تباركت أسماؤه، وانظر ما الذي أقدمت عليه من أنك عمدت إلى امرئ لا رحم بينك وبينه، ولا هوادة، وإنما عهدك به بالأمس وهو عامل علي بن أبي طالب، يلعنك ويلعن أباك، وأهل بيتك على المنبر، يتأول فينا القرآن، ويقول البهتان، وقد كنت تختزي من ذلك، إذا عظمته أن تجعله وزيرا وخلصانا فلا يعاب ذلك عليك، ولا ينسب الخطأ إليك، فلم يرض حتى نسبته إلى أبي سفيان إلى نسب. إن يقبل منك عيرت به آخر دهرك، وإن رد عليك أزريت به، وصدقت في ذلك قول الشاعر، حيث يقول: ألا أبلغ معاوية بن حرب..مغلغلة من الرجل اليماني..أتغضب أن يقال أبوك عف..وترضى أن يقال أبوك زان..فأشهد أن رحمك من زياد..كرحم الفيل من ولد الأتان. وايم الله لكأني أنظر إلى ولده من بعده وقد تفخذوا نساء بني عبد شمس بنسب أبي سفيان، فهذا ما وصلت به كرائمك من بعدك، وأما عمرو بن العاص فإنك آثرته علينا، وأدنيته دوننا، ونحن في حال وعمرو في أخرى، أما نحن فنعامل الناس بالوفاء والحياء، وعمرو يعامل الناس بالمكر والخداع، ومن كان ذلك فلا وفاء له، وقد تبين لأمير المؤمنين غشه إياه في بعض الحالات، فليس ينبغي لمن غش أولا أن يقبل منه آخرا. ثم دخل مروان عند جلوس القوم، فقال معاوية: هيه يا مروان، أعن رأيك صدر هؤلاء حتى أسمعوني ما أكره؟ قال: يا أمير المؤمنين، هل تدري ما مثلنا ومثلك؟ قال: هات تخطيطا كتخطيط أصحابك.قال: إن عدي بن زيد العبادي نصح النعمان بن المنذر، وقدمه على إخوته، وأشار على كسرى بولايته، فكان جزاؤه منه أن حبسه في السجن، فكتب إليه وهو محبوس: أبا منذر جازيت بالود بغضة..فماذا جزاء المبغض المتبغض..مجازاته في ذا المثال كراهة..ولست لشيء بعد بالمتعرض. واعلم أنا غير متعرضين لشيء من معاتبتك في هذا الأمر بعد اليوم، فإن ترجع قبلنا، وإن تأب سخطنا، مع أنك والله يا أمير المؤمنين لو قدرت أن تتكثر بالذبح على آل أبي العاص لفعلت، توحشا منك لعددهم، وتكرها منك لجمعهم، وتبرما منك بهم. وايم الله ما ذاك جزاؤهم منك. لقد آثروك وأكرموك. فما كافيت، ولا جازيت، ولا آسيت. ثم جلس مروان، وقام معاوية فدخل المنزل، وأطال المكث، ثم خرج قاطبا ما بين عينيه، يمسح عارضيه، ثم جلس على سريره، واستقبل القوم، وأنشأ يقول: أما والذي نادى من الطور عبده..نداء سميعا فاستجاب وسلما..لقد كدت لولا الله لا شيء غيره..تبارك ربي ذو العلا أن أصمما..ولكنني رويت في الحلم والنهى..وقد قال فيه ذو المقال فأحكما. وايم الله، مع ذلك لقد قطعتم من زياد رحما قريبة، ونفسا حبيبة، وقلتم البهتان في غير ما تثبت ولا بيان، وإني لعلى يقين من أمري، ولقد وضع الله ما كان في الجاهلية من البغي والحمية، وطلب الترات، وذكر قبيح الأمهات. فسفك الدماء، والشرك برب السماء، أعظم مما كان فيه أبو سفيان. وايم الله، ما إياه راقبتم، ولا لي نظرتم، بل أدرككم الحسد القديم لبني حرب بن أمية. وإن نفسي لتؤامرني أن أقيم فيكم حد الله، وما أراه يسعني غير ذلك. ولئن عدتم إلى ما أرى، وجاءني من وراء ما أكره، لأنهلنكم صابا، ثم لأعلنكم علقما، ثم لأوردنكم حياضا مريرا طعمها، ثم لا تتركون بغير كرعها، وإن جاءكم الموت من كل مكان، حتى تعلموا مع طول حلمي، أن قد منيتم بمن إن حز قطع، وإن هز أوجع، ثم لا تقال لكم عندي العثرات، ولا تعفا لكم السيئات، ثم ليستصعبن عليكم مني ما كان سهلا، ولتتركن ما كان هينا. فأما ما ذكرتم أني أصبت السلطان والملك بحقكم ونسبتكم، فوالله إنكم لتعلمون يا آل العاص أن عثمان بن عفان رحمة الله عليه، قتل وأنتم حضور وأنا غائب، فوالله ما كان فيكم من مد باعا، ولا بسط ذراعا، بل أسلمتموه للحتوف، وشمتم من بعده السيوف، فما نصرتموه، ولا آسيتموه، ولا منعتموه بأكثر من الكلام، فما أبليتم في ذلك عذرا، ولا ألهبتم نارا. وإن جميع من ألب عليه وأجلب لسببكم، وإيثاره إياكم، وبذلك قطعت أوداجه على أثباجه، وسفك دمه، واستحلت حرمته، فما شببتم نارا، ولا طلبتم ثارا، حتى كنت أنا الطالب بالترات، المثكل للأمهات، ولقد منيت في الطلب بدمه بحرب امرئ لا تخور قناته، ولا تنصدع صفاته، من إن فزعت لم يفزع. وإن أطعمت لم يطمع، من لا يطمع في قراره، ولا ينام من حذاره، بليت والله، بليث ثابتة أنيابه، قليل غلابه، مصمم غضوب شثن مهيب، فلم أزل له ولأصحابه صابرا، حتى قضى الله من ذلك ما أحب، وهو الحاكم في ملكه بما يشاء، تبارك وتعالى، فأدركت بالثأر إذ لم تدركوا، وصبرت إذ لم تصبروا، فأينا أحق بالشكر، أنا لكم، أم أنتم لي؟ وقد كانت تبلغني عنكم هنات قبل مخضة زبدتكم، كل ذلك أتعطف عليكم بحلمي، وأتحنن عليكم بجهدي. وكنت في ذلك، كما قال أخو بكر بن وائل: أعوذ على ذي الذنب والجهل منكم..بحلمي ولو عاقبت غرقكم بحري..فما بال من يسعى لأجبر عظمه..حفاظا وينوي من سفاهته كسري. والله ما رأيتني قط إلا ونفسي تدعوني إلى الحلم قبل ساعتي هذه، والحمد لله الذي كفاني شر ما دعتني إليه نفسي. ثم قال: أولى ثم أولى أما إني في وعيدي إياكم، كما قال الأول: لقد كدتم يا آل بكر سفاهة..تثيرون مني أعصل الناب ضيغما..هزبرا هريتا يكره القرن قربه..إذا صال من بعد الزئير وصمما. وأما عمرو بن العاص فها هو حاضر، فإن شاء أن يجيب عن نفسه فليفعل، وإن شاء أن يدع فليدع، أما إني أرضاه للخصم إذا جمح، وللقرن إذا طمح. ثم سكت. فقام عمرو بن العاص مائلا بين يديه، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا الذي أقول يوم صفين: إذا تخازرت وما بي من خزر..ثم كسرت العين من غير عور..ألفيتني ألوي بعيد المستمر..أحمل ما حملت من خير وشر. إني والله يا أمير المؤمنين ما أنا بالغر ولا الغمر، ولا الضرع ولا الورع، ولا الواني، ولا الفاني، وإني لأنا الحية الصماء التي لا يبل سليمها، ولا ينام كليمها، وإني لأنا المرء، إن كويت أنضجت، وإن همزت كسرت، فمن شاء فليشاور، ومن شاء فليؤامر، مع أنهم يا أمير المؤمنين لو عاينوا من يوم الهرير ما عاينت، أو ولوا مثل ما وليت، إذ شد علينا أبو حسن في كتائبه مع أهل البصائر، وأبطال العشائر، فهناك يا أمير المؤمنين شخصت الأبصار، وارتفع الشرار، وقلصت الخصى إلى مواضع الكلى، وقارعت الأمهات عن ثكلها، وذهلت عن حملها، واحمر الحدق، واغبر الأفق، وألجم العرق، وسال العلق، وارتفع غبار القتام، وصبر الكرام، وغاض اللئام، وذهب الكلام، وأزبدت الأشداق، وقامت الحرب على ساق، وحضر الفراق، وكثر العناق، وبانت الأعناق، وقامت الرجال في ركبها من بعد فناء من نبلها، وتقصف من رماحها، فلا يسمع إلا التغمغم من الرجال، والتحمحم من الخيل، ووقع السيوف في الهام. فدار يومنا ذلك حتى طفقنا الليل بغسقه، ثم انجلى الصبح بفلقه، ولم يبق من القتال إلا الهرير، والزئير. أما والله لعلموا أني أعظم غناء، وأحسن بلاء، وأصبر على اللأواء منهم، وأني كما قال الشاعر: وأغضي على أشياء لو شئت قلتها..ولو قلتها لم أبق للصلح موضعا..فإن كان عودي من نضار فإنني..لأكره يوما أن أحطم خروعا. ولئن جعلني أمير المؤمنين شعاره دون دثاره، أو سرباله دون إزاره، أو نفسه بين جنبيه، لقد أوليت ذلك، فوجدته شكورا ذكورا، إذ لم تشكروه، ولم تذكروه، ولا إياي إذ طلبنا بدم عثمان، إذ لم تحسبوه، وبلغنا الغاية إذ لم تبلغوا، وإذ جحدتم أمير المؤمنين، فأنتم للنعمى أنكر وأكفر، وأما ما زعمت يا سعيد بن العاص أني أعامل الناس بالمكر والخداع، فإني أنال بالأدب، واللب، والرفق والصدق، إذ خرق من لم يرفق، وخاب من لم يصدق. وأما قولك أني غششت أمير المؤمنين، فما غش امرؤ كريم امرأ كريما إن دعا إلى النصف أن يقبله، وإنك في قولك لأمير المؤمنين لأهل للتضعيف والتعنيف والغضاضة والمضاضة، غير أن حلمه يأتي على ما وراء ذلك كله، وأنا أسألك يا أمير المؤمنين أن تعفو للقوم ما قالوا إن هم آلوا لاستتمام نعمتك عليهم وأياديك عندهم، فليسوا راجعين إلى أمر تكرهه إن شاء الله. قال معاوية: قد فعلت يا أبا عبد الله، ودخل، وأمر القوم فانصرفوا.

(1) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

(2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ، أبو عبد الله، وأبو محمد. أسلم سنة 8 قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله على جيش غزوة ذات السلاسل، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم

☪

عن الحسن البصري، إنه قال: أربع خصال كن في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة وهي: أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة وفي الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه يزيد وكان سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياد أخا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ﴾، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، فيا ويلا له من حجر وأصحاب حجر.

مراجع: لباب الآداب لأسامة بن منقذ/ الأعلام للزركلي/ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار/

◆ مروان بن الحكم (عامل أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان، أول ملوك الدولة الأموية) وسعيد بن العاص 0314

قال عمير بن إسحاق: كان مروان بن الحكم[1] أميرا علينا بالمدينة ست سنين فكان يسب عليا رضي الله عنه في الجمع كذلك، ثم عزل، فاستعمل علينا سعيد بن العاص[2]، فكان لا يسب عليا. قال صالح بن كيسان: كان سعيد بن العاص رجلا حليما وقورا، ولقد كانت المأمومة* التي أصابت رأسه يوم الدار قد كاد أن يخف منها بعض الخفة، وهو على ذلك من أوقر الرجال. وكان مروان رجلا حديدا، حديد اللسان، سريع الجواب، ذلق اللسان قلما صبر أن يكون في صدره شيء من حب أحد أو بغضه إلا ذكره، وكان سعيد خلاف ذلك، كان من أحب صبر عن ذكر ذلك ومن أبغض فمثل ذلك ويقول: إن الأمور تغير والقلوب تغير فلا ينبغي للمرء أن يكون مادحا اليوم عائبا غدا.

كان معاوية يولي المدينة مروان بن الحكم سنة وسعيد بن العاص سنة، فلما كان في ولاية سعيد كتب إليه معاوية: بلغني أن مروان ابتنى دارا، وأنه خرج في الطريق. فإذا أتاك كتابي هذا فاهدم داره. فقال سعيد: يا جارية، خذي هذا الكتاب فضعيه في الصندوق. فلم يزل يكتب إليه في ولايته تيك، ويأمر باحتفاظ الكتب، لا ينفذ أمره فيما كتب به. ثم ولي مروان فكتب إليه بنظير الكتب التي كتب بها إلى سعيد في مروان، فمضى إلى دار سعيد بالفعلة، وسعيد قد صلى الغداة في المسجد مستقبلا القبلة فجاء خادم له بخبر مروان، فخرج سعيد، فأخذ بيد مروان، فأدخله الدار، وأخبره مروان بالذي جاء له: فقال سعيد: يا جارية، هاتي الكتب فجاءت بكتب معاوية، فرمى بها إلى مروان. فلما قرأها قال: دواة وقرطاسا، فكتب إلى معاوية: من الوافر: كتبت إلي تأمرني بعق..كما قبلي كتبت إلى سعيد..فلما أن عصاك أردت حملي..على ملساء تزلق بالسديد..لأقطع واصلا وأخا حفاظ..فرأيك ليس بالرأي الرشيد.

لما مات الحسن بن علي[3] بعث مروان بن الحكم إلى معاوية يخبره أنه مات، قال: وبعث سعيد بن العاص رسولا آخر يخبره بذلك، وكتب مروان يخبره بما أوصى به حسن من دفنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن ذلك لا يكون وأنا حي، ولم يذكر ذلك سعيد، فلما دفن حسن بن علي بالبقيع أرسل مروان بريدا آخر يخبره بما كان من ذلك، ومن قيامه ببني أمية ومواليهم، وأني يا أمير المؤمنين عقدت لوائي ولبسنا السلاح، وأحضرت معي من اتبعني، ألفي رجل، فلم يزل الله بمنه وفضله يدرأ ذلك أن يكون مع أبي بكر وعمر ثالثا أبدا، حيث لم يكن أمير المؤمنين عثمان مظلوم رحمه الله، وكانوا هم الذين فعلوا بعثمان ما فعلوا، فكتب معاوية إلى مروان يشكر له ما صنع، واستعمله على المدينة، ونزع سعيد بن العاص، وكتب إلى مروان: إذا جاءك كتابي هذا فلا تدع لسعيد بن العاص قليلا ولا كثيرا إلا قبضته. فلما جاء الكتاب إلى مروان بعث به مع ابنه عبد الملك[4] إلى سعيد يخبره بكتاب أمير المؤمنين، فلما قرأه سعيد بن العاص صاح بجارية له: هات كتابي أمير المؤمنين، فطلعت عليه بكتابين فقال لعبد الملك: اقرأهما، فإذا فيهما كتاب من معاوية إلى سعيد بن العاص، يأمره حين عزل مروان بقبض أموال مروان التي بذي المروة*، والتي بالسويداء*، والتي بذي خشب* ولا يدع له عذقا واحدا. فقال: أخبر أباك؟ فجزاه عبد الملك خيرا، فقال سعيد: والله، لولا أنك جئتني بهذا الكتاب ما ذكرت مما ترى حرفا واحدا. قال: فجاء عبد الملك بالخبر إلى أبيه قال: هو كان أوصل لنا منا له.

----

* (المأمومة) الشجة التي بلغت أم الرأس، الجلدة التي تجمع الدماغ.(ذي المروة) قرية بوادي القرى، وقيل بين خشب ووادي القرى.شمال المدينة (السويداء) تصغير سوداء موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام. السويداء أيضا قرية بحوران من نواحي دمشق(ذي خشب) على 12 ميلا من المدينة، جميعا قرى في طريق القوافل

■ (2) سعيد بن العاص بن سعيد (أبو أحيحة) بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

■ (3) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (1) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، الأموي القرشي، أبو عبد الملك. بايع نفسه بالخلافة من غير عهد ولا مشورة، بعد خلع معاوية بن يزيد. وقيل: بعد خلع خالد بن يزيد.ولقب: المؤتمن بالله.والحكم والده هو طريد النبي صلى الله عليه وسلم نفاه إلى الطائف؛ فأقام بالطائف حتى تخلف عثمان أذن له بالعود إلى المدينة. قال ابن سعد: كانوا ينقمون على عثمان تقريب مروان وتصرفه في الأمور. بعد أن شارك في وقعة الجمل أقام بالمدينة حتى استخلف معاوية. مات سنة 65 هـ بدمشق، وقيل: مات مطعونا. وكان مروان كاتبا لعثمان بن عفان. وهو من أعظم الأسباب في زوال دولة عثمان وكانت خلافته نحو تسعة أشهر. وقيل أكثر من ذلك.وتخلف من بعده ابنه عبد الملك.

■ (4) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الوليد، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

حكى عن البختري بن عبيد، أنه قال: كنت عند معاوية بن أبي سفيان جالسا، وكان حسان من جلسائه -وليس بحسان بن ثابت الصحابي- فأقبل رجل على ناقة حمراء، وعليه برنس، ثم نزل عنها ومشى، حتى دنا من معاوية، وهو جالس، فسلم عليه، فضم له معاوية رجليه، فجلس الرجل على الطنفسة، ثم أقبل عليه معاوية بالحديث، فلما قام، انكشف البرنس، فرأيت عليه قميص كتان، ورأيت أثر مسح زقاق الزيت على قميصه، فقال حسان لمعاوية: من هذا الذي شغلك حديثه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا رجل يرجو الخلافة من بعدي، فقال له حسان: ليس هذا الزيات بأهل لذلك يا أمير المؤمنين، قال معاوية: مهلا يا حسان، هذا مروان بن الحكم!.

عن ابن موهب؛ أنه كان عند معاوية فدخل عليه مروان فكلمه في حاجة، فقال: اقض حاجتي يا أمير المؤمنين، فوالله إن مؤونتي لعظيمة، وإني أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة؛ فلما أدبر مروان وابن عباس جالس مع معاوية على السرير، فقال معاوية: أشهد بالله يا ابن عباس، أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين اتخذوا مال الله بينهم دولا، وعباد الله خولا، وكتاب الله دغلا، فإذا بلغوا ستة وتسعين وأربعمئة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة ؟ قال ابن عباس: اللهم نعم. وذكر حاجة لي فرد مروان عبد الملك إلى معاوية وكلمه فيها، فلما أدبر عبد الملك قال معاوية: أنشدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا وقال: أبو الجبابرة الأربعة؟ قال ابن عباس: اللهم نعم.
قال ابن كثير في البداية والنهاية: هذا حديث فيه غرابة ونكارة شديدة.

كان سعيد بن العاص واليا لمعاوية على المدينة، فأصاب الناس سنة فأقحموا، فأطعمهم سعيد حتى أنفق ما في بيت المال، فكتب إلى معاوية، فغضب وقال: لم يرض أن أنفق مالنا حتى ادان؟ فعزله، فلما احتضر دعا ابنه عمرا فقال: إني قد رضيت غيبتك وشهادتك، فانظر ديني فاقضه، واكسر فيه أموالي، ولا يعطه عني معاوية، وانظر بناتي، فلتكن قبورهن بيوتهن إلا من الأكفاء، وانظر إخواني لا يفقدوني، احفظ منهم ما كنت أحفظ. فلما بلغ معاوية موته قال: رحم الله أبا عثمان، مات من هو أكبر مني ومن هو أصغر مني: من الطويل: إذا سار من دون امرىء وأمامه..وأوحش من إخوانه فهو سائر.قال ابن عيينة: كان سعيد بن العاص إذا سأله سائل فلم يكن عنده شيء قال: اكتب علي بمسألتك سجلا إلى يوم ميسرتي.

قدم أعرابي المدينة يطلب في أربع ديات حملها، فقيل له: عليك بحسن بن علي، عليك بعبد الله بن جعفر، عليك بسعيد بن العاص، عليك بعبيد الله بن العباس. فدخل المسجد، فرأى رجلا يخرج ومعه جماعة، فقال: من هذا؟ فقيل: سعيد بن العاص. فقال: هذا أحد أصحابي الذين ذكروا لي. فمشى معه، فأخبره بالذي قدم له، ومن ذكر له، وأنه أحدهم، وهو ساكت لا يجيبه. فلما بلغ باب منزله قال لخازنه: قل لهذا الأعرابي فليأت بمن يحمل له. فقيل له: إيت بمن يحمل لك. قال: عافى الله سعيدا، إنما سألناه ورقا، لم نسأله تمرا! قال: ويحك! إيت بمن يحمل لك. فأخرج إليه أربعين ألفا، فاحتملها الأعرابي، ومضى إلى البادية، ولم يلق غيره.

كان سعيد بن العاص يدعو إخوانه وجيرته في كل جمعة يوما، فيصنع لهم الطعام، ويخلع عليهم الثياب الفاخرة، ويأمر لهم بالجوائز الواسعة، ويبعث إلى عيالاتهم بالبر الكثير -القمح-، وكان يوجه مولى له في كل ليلة جمعة، فيدخل المسجد ومعه صرر فيها دنانير فيضعها بين يدي المصلين، فكان قد كثر المصلون في كل ليلة جمعة في مسجد الكوفة. قال عبد الأعلى بن حماد: استسقى سعيد بن العاص من دار بالمدينة، فسقوه، ثم حضر صاحب الدار في الوقت مع جماعة، فعرض الدار على البيع، وكان عليه أربعة آلاف دينار، فبلغه أن صاحب الدار يريد بيع داره، فقال لغلام له: لم يبيع هذا الرجل داره؟ فقال: عليه أربعة آلاف دينار دين. قال سعيد: إن له لحرمة وذماما علينا، لسقيه إيانا. فركب إليه فخافضه، فقال له: السلام عليك، وقال لغريمه: كم لك عليه؟ قال أربعة آلاف دينار. قال: أترضى بضمانها؟ قال: نعم. قال له: فمر وهي لك علي، وقال لصاحب الدار: لتستمتع بدارك.

أتى أعرابي سعيد بن العاص فسأله شيئا، فقال: يا غلام، أعطه خمس مئة، فذهب، ورجع فقال: خمس مئة درهم، أم خمس مئة دينار؟ فقال سعيد: ويحك ما أردت إلا الدراهم! فإذا توهمت الدنانير فأعطه الدنانير. قال: فقبضها الأعرابي، ثم جلس يبكي: فقال له سعيد: ما يبكيك! أليس قد قضى الله حاجتك؟ قال: بلى، ولكن أبكي على الأرض تأكل مثلك. قال سعيد بن العاص: يا بني، إن المكارم لو كانت سهلة يسيرة لسابقكم إليها اللئام. ولكنها كريهة مرة، لا يصبر عليها إلا من عرف فضلها، ورجا ثوابها، وأنشد أبو جعفر مولى بني هاشم: من الكامل: كل الأمور تزول عنك وتنقضي..إلا الثناء فإنه لك باق..ولو نني خيرت كل فضيلة.. ما اخترت غير مكارم الأخلاق. وقال سعيد بن العاص: لجليسي علي ثلاث خصال: إذا أقبل وسعت له، وإذا جلس أقبلت عليه، وإذا حدث سمعت منه. وقال سعيد بن العاص لابنه: لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيء فتهون عليه.

وولد سعيد بن العاص محمدا، وعثمان الأكبر، وعمرا يقال له الأشدق، ورجالا درجوا، وأمهم أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص أخت مروان بن الحكم لأبيه وأمه. ومات سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية في قصره بالعرصة على ثلاثة أميال من المدينة، ودفن بالبقيع وأوصى إلى ابنه عمرو الأشدق، وأمره أن يدفنه بالبقيع. قال: إن قليلا لي عند قومي في بري بهم أن يحملوني على رقابهم من العرصة إلى البقيع، ففعلوا، وأمر ابنه عمرا إذا دفنه أن يركب إلى معاوية فينعاه، ويبيعه منزله بالعرصة، وكان منزلا قد اتخذه سعيد، وغرس فيه النخل، وزرع فيه، وبنى فيه قصرا معجبا، ولذلك القصر يقول أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة: من البسيط: القصر ذو النخل فالجماء فوقها..أشهى إلى النفس من أبواب جيرون.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ الأعلام للزركلي/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ المعجم الكبير/

عن سعيد بن المسيب قال: كان ابن البرصاء الليثي[1] من جلساء مروان بن الحكم[2] ومحدثيه، وكان يسمر معه، فذكروا عند مروان الفيء فقال: مال الله، وقد بين الله قسمه، ووضعه عمر بن الخطاب مواضعه. فقال مروان: المال مال أمير المؤمنين معاوية يقسمه فيمن شاء، ويمنعه ممن شاء، وما أمضى فيه من شيء فهو مصيب فيه. فخرج ابن البرصاء فلقي سعد بن أبي وقاص، فأخبره بقول مروان، قال سعيد بن المسيب: فلقيني سعد بن أبي وقاص[3] وأنا أريد المسجد فضرب عضدي، ثم قال: الحقني تربت يداك. فخرجت معه لا أدري أين يريد، حتى دخلنا على مروان بن الحكم داره، فلم أهب شيئا هيبتي له، وجلست لئلا يعلم مروان أني كنت مع سعد، فقال له سعد لما دخل عليه قبل أن يسلم: يا مري (1) أنت الذي يزعم أن المال مال معاوية؟ فقال مروان: ما قلت، ومن أخبرك؟ قال: أنت الذي يزعم أن المال مال معاوية؟ قال مروان: وقلت ذاك فمه (2)؟ قال: فردد ذلك عليه. قال: فقلت ذاك فمه؟ قال: فرددها عليه الثالثة. قال: فقلت ذلك فمه؟ فرفع يديه إلى الله يدعو، وزال رداؤه عنه، وكان أشعر بعيد ما بين المنكبين، فوثب إليه مروان فأمسك يديه، وقال: اكفف عني يدك أيها الشيخ، إنك حملتنا على أمر فركبناه، فليس الأمر كذلك. فقال سعد: أما والله لو لم تنزع، ما زلت أدعو عليك حتى يستجاب لي أو تنفرد هذه السالفة (3). فلما خرج سعد ثبت في مجلسي عند مروان، فقال مروان: من ترونه قال لهذا (4) الشيخ؟ قالوا: ابن البرصاء الليثي، فأرسل إليه فأتي به، فقال: ما حملك على أن قلت لهذا الشيخ ما قلت؟ قال الليثي: ذاك حق ما كنت أظنك تجترئ على الله وتفرق (5) من سعد! فقال له مروان: أو كلما سمعت تكلمت به؟ أما والله لتعلمن، ثم أمر أن يجرد من ثيابه ليضرب فجرد وبرز بين يديه، قال: فبينا نحن على ذلك دخل حاجبه. فقال: هذا أبو خالد حكيم بن حزام[4] فقال: ائذن له. ثم قال: ردوا عليه ثيابه، أخرجوه عنا لا يهيج علينا هذا الشيخ كما فعل الآخر قبله.

قال مروان لحويطب بن عبد العزى[5]،وكان كبيرا مسنا. أيها الشيخ، تأخر إسلامك حتى سبقك الأحداث. فقال: الله المستعان، والله لقد هممت بالإسلام غير مرة، وكل ذلك يعوقني عنه أبوك [6] وينهاني، ويقول: يضع من قدرك أن تترك دين آبائك لدين محدث، وتصير تابعا فسكت مروان.

----

(1) تصغير مروان. (2) أي: فماذا أنت فاعل أو نحو ذلك. (3) السالفة: صفحة العنق. يريد: أو حتى أموت، لان انفرادها يعني الموت المحتم. (4) في الجمهرة: قال هذا لهذا. (5) فرق: خاف وفزع.

■ (3) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق الزهري شهد بدرا مع النبي وشهد له رسول الله بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة قال عمرو بن علي مات سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقد أسلم وهو ابن 19 ومات وهو ابن 74 وقال أبو نعيم مات في سنة 58 هـ

■ (1) الحارث بن مالك بن قيس الليثي الحجازي، المعروف بابن البرصاء وهي أمه، وقيل: جدته أم أبيه، وهي ريطة بنت ربيعة بن رباح بن ذي البردين، من بني هلال بن عامر، له صحبة. قال أبو القاسم الطبراني: هو الحارث بن مالك بن قيس ابن عويذ بن عبد الله بن جابر بن عبد مناف بن شجع بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.روى عن: النبي صلى الله عليه وسلم. روى عنه: عامر الشعبي، وعبيد بن جريج. روى له الترمذي حديثا واحدا.

■ (2) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، الأموي القرشي، أبو عبد الملك. بايع نفسه بالخلافة من غير عهد ولا مشورة، بعد خلع معاوية بن يزيد. وقيل: بعد خلع خالد بن يزيد.ولقب: المؤتمن بالله.والحكم والده هو طريد النبي صلى الله عليه وسلم نفاه إلى الطائف؛ فأقام بالطائف حتى تخلف عثمان أذن له بالعود إلى المدينة. قال ابن سعد: كانوا ينقمون على عثمان تقريب مروان وتصرفه في الأمور. بعد أن شارك في وقعة الجمل أقام بالمدينة حتى استخلف معاوية. مات سنة 65 هـ بدمشق، وقيل: مات مطعونا. وكان مروان كاتبا لعثمان بن عفان. وهو من أعظم الأسباب في زوال دولة عثمان وكانت خلافته نحو تسعة أشهر. وقيل أكثر من ذلك.وتخلف من بعده ابنه عبد الملك.

■ (5) حويطب بن عبد العزى من بني عامر بن لؤي بن غالب القرشي، من مسلمة الفتح، سنه سن حكيم بن حزام، عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين سنة، وكانت كنيته أبا محمد، ويقال: أبو الأصبغ. مات بالمدينة سنة 54 هـ في آخر خلافة معاوية.

■ (6) الحكم بن أبي العاص الأموي عم عثمان، ووالد مروان، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد طرده إلى الطائف، وبقي طريدا إلى زمن عثمان، فرده إلى المدينة، واعتذر بأنه قد كان شفع فيه إلى النبي فوعده برده، وهو مؤتمن على ما قال، وهو أحد الأسباب التي نقموا بها على عثمان.

■ (4) أبو خالد حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب الأسدي، عاش في الجاهلية 60 سنة وفي الإسلام 60 سنة،ومات قبيل سنة 60 هـ وهو ابن 120 سنة، وقيل مات سنة 54 هـ،وولد قبل الفيل بثلاث عشرة سنة

☪

حدث عبد الله بن شداد، قال سمعت عليا رضي الله عنه، يقول:﴿مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفَدِّي رَجُلًا بَعْدَ سَعْدٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي﴾ وعن عامر بن سعد، عن أبيه، قال:﴿لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَأَنَا ثُلُثُ الإِسْلاَمِ﴾ (ثلث الإسلام) ثالث من أسلم أولا من الرجال الأحرار وعن سعد بن أبي وقاص، قال:﴿رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلاَنِ يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، كَأَشَدِّ القِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ﴾ (رجلان) يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام كما هو عند مسلم. قال سعيد بن المسيب، سمعت سعد بن أبي وقاص، يقول: ﴿نَثَلَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي﴾ (نثل . كنانته) استخرج لي ما فيها من سهام لأرمي بها المشركين.

عن المقدام وغيره أن سعدا قال:﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُجِيبَ دَعْوَتِي فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ الله دَعْوَةَ عَبْدٍ حَتَّى يُطَيِّبَ مَطْعَمَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَطِيبَ مَطْعَمِي فَدَعَا لَهُ﴾ قالوا: فكان سعيد يتورع من السنبلة يجدها في زرعه فيردها من حيث أخذت. وعن قيس بن أبي حازم عن سعد قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿اللَّهُمَّ، سَدِّدْ رَمْيَتَهُ وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ﴾ وقد كان كذلك مجاب الدعوة لا يكاد يدعو بدعاء إلا استجيب له، فمن أشهر ذلك ما روي في الصحيحين من طريق عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سلمة: أن أهل الكوفة شكوا سعدا إلى عمر في كل شئ حتى قالوا: لا يحسن يصلي، فقال سعد: أما إني لا آلو أن أصلي بهم صلاة رسول الله، أطيل الأوليين وأحذف الأخرتين، فقال: الظن بك يا أبا إسحاق، وكان قد بعث من يسأل عنه بمحال الكوفة، فجعلوا لا يسألون أهل مسجد إلا أثنوا خيرا، حتى مروا بمسجد لبني عبس فقام رجل منهم يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة فقال: إن سعدا كان لا يسير في السرية*، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في الرعية القضية، فبلغ سعدا فقال: اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعة فأطل عمره وأدم فقره، وأعم بصره وعرضه للفتن، قال: فأنا رأيته بعد ذلك شيخا كبيرا قد سقطت حاجباه على عينيه يقف في الطريق فيغمز الجواري فيقال له، فيقول: شيخ مفتون أصابته دعوة سعد. وفي رواية غريبة أنه أدرك فتنة المختار بن أبي عبيد فقتل فيها. وعن قيس، قال: سمعت سعدا رضي الله عنه، يقول: ﴿إِنِّي لَأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ البَعِيرُ أَوِ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الإِسْلاَمِ، لَقَدْ خِبْتُ إِذًا وَضَلَّ عَمَلِي، وَكَانُوا وَشَوْا بِهِ إِلَى عُمَرَ، قَالُوا: لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي﴾ (تعزرني) تؤذيني إذ تعلمني الصلاة وتعيرني بأني لا أحسنها (لقد خبت) إن كنت محتاجا لتعليمهم. (ضل عملي) فيما مضى لنقصه على زعمهم.

قال سفيان بن عيينة: لما كان يوم القادسية كان سعد على الناس وقد أصابته جراح فلم يشهد يوم الفتح، فقال رجل من بجيلة: ألم تر أن الله أظهر دينه..وسعد بباب القادسية معصم..فأبنا وقد أيمت نساء كثيرة..ونسوة سعد ليس فيهن أيم. فقال سعد: اللهم، اكفنا يده ولسانه. فجاءه سهم غرب فأصابه فخرس ويبست يداه جميعا. ثم خرج سعد فأرى الناس ما به من القروح في ظهره ليعتذر إليهم.

وقال هشيم عن أبي بلج عن مصعب بن سعد أن رجلا نال من علي فنهاه سعد فلم ينته، فقال سعد: أدعو عليك، فلما ينته، فدعا الله عليه حتى جاء بعير ناد فتخبطه. وجاء من وجه آخر عن عامر بن سعد أن سعدا رأى جماعة عكوفا على رجل فأدخل رأسه من بين اثنين فإذا هو يسب عليا وطلحة والزبير، فنهاه عن ذلك فلم ينته، فقال: أدعو عليك، فقال الرجل: تتهددني كأنك نبي؟ فانصرف سعد فدخل دار آل فلان فتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواما قد سبق لهم منك سابقة الحسنى، وأنه قد أسخطك سبه إياهم، فاجعله اليوم آية وعبرة. قال: فخرجت بختية* نادة من دار آل فلان لا يردها شئ حتى دخلت بين أضعاف الناس، فافترق الناس فأخذته بين قوائمها، فلم يزل تتخبطه حتى مات.قال: فلقد رأيت الناس يشتدون وراء سعد يقولون: استجاب الله دعاءك يا أبا إسحاق.

أخرج الطبراني عن عامر بن سعد قال: بينما سعد رضي الله عنه يمشي إذ مر برجل وهو يشتم عليا وطلحة والزبير رضي الله عنهم، فقال له سعد: إنك تشتم أقواما قد سبق لهم من الله ما سبق، والله لتكفن عن شتمهم أو لأدعون الله عز وجل عليك، قال: يخوفني كأنه نبي فقال سعد: اللهم، إن كان يشتم أقواما قد سبق لهم منك ما سبق فاجعله اليوم نكالا فجاءت بختية، فأفرج الناس لها فتخبطته، فرأيت الناس يتبعون سعدا يقولون: استجاب الله لك يا أبا إسحاق. وعند الحاكم عن مصعب بن سعد عن سعد رضي الله عنه أن رجلا نال من علي رضي الله عنه، فدعا عليه سعد بن مالك، فجاءته ناقة أو جمل فقتله فأعتق سعد نسمة وحلف أن لا يدعو على أحد. وعنده أيضا عن قيس بن أبي حازم قال: كنت بالمدينة فبينا أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت، فرأيت قوما مجتمعين على فارس قد ركب دابة وهو يشتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه والناس وقوف حواليه، إذ أقبل سعد بن أبي وقاس فوقف عليهم، فقال ما هذا؟ فقالوا: رجل يشتم علي بن أبي طالب، فتقدم سعد فأفرجوا له حتى وقف عليه، فقال: يا هذا علام تشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ وذكر حتى قال: ألم يكن ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته؟ ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم، إن هذا يشتم وليا من أوليائك، فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك. قال قيس: فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفقل دماغه ومات. قال الحاكم : ووافقه الذهبي، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

----

*(بختية) البخت والبختية من الإبل الخراسانية جمع بخاتي.(السرية) هي القطعة من الجيش.

مراجع: رجال صحيح مسلم/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ صحيح البخاري/ البداية والنهاية/ الأنساب للسمعاني/ حياة الصحابة للكاندهلوى/.

قال أبو الوليد بن رباح: سمعت أبا هريرة[1] يقول لمروان: والله ما أنت والٍ (ولم يكن وقتها واليًا على المدينة)، وإن الوالي لغيرك فدعه -يعني: حين أرادوا أن يدفن الحسن[2] مع جده رسول الله صلى الله عليه وسلم- ولكنك تدخل فيما لا يعنيك، إنما تريد بهذه إرضاء من هو غائب عنك -يعني معاوية- قال: فأقبل عليه مروان مغضباً فقال له: يا أبا هريرة، إن الناس قد قالوا: أكثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث، وإنما قدم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيسير. فقال أبو هريرة: قدمت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر سنة سبع، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات، وأقمت معه حتى توفي، أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه، وأنا يومئذ مقل، وأصلي خلفه، وأغزو وأحج معه؛ فكنت أعلم الناس بحديثه، قد والله سبقني قوم بصحبته والهجرة من قريش والأنصار، فكانوا يعرفون لزومي له فيسألوني عن حديثه، منهم: عمر بن الخطاب وعثمان وعلي والزبير وطلحة، ولا والله ما يخفى علي كل حديث كان بالمدينة، وكل من أحب الله ورسوله، وكل من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة، وكل صاحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان أبو بكر صاحبه في الغار، وغيره قد أخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة أن يساكنه* -يعرض بأبي مروان الحكم بن العاص-، فليسألني أبو عبد الملك عن هذا وأشباهه فإنه يجد عندي منه علماً كثيراً جماً. قال: فوالله ما زال مروان يقصر عنه عن هذا الوجه بعد ذلك ويتقيه ويخاف جوابه، ويحب على ذلك أن ينال من أبي هريرة ولا يكون منه بسبب، يفرق من أن يبلغ أبا هريرة وأن مروان كان من هذا بسبب فيعود له بمثل هذا، فكف عنه.

لما كتب مروان إلى معاوية بشكاته كتب إليه أن أقبل المطي إلي بخبر الحسن؛ ولما بلغه موته سمع تكبيرا من الحضر، فكبر أهل الشام لذلك التكبير فقالت فاختة[3] زوجة معاوية: أقر الله عينك يا أمير المؤمنين، ما الذي كبرت له قال: مات الحسن، قالت: أعلى موت ابن فاطمة تكبر قال: والله ما كبرت شماتة بموته ولكن استراح قلبي. وكان ابن عباس[4] بالشام، فدخل عليه فقال: يا ابن عباس، هل تدري ما حدث في أهل بيتك قال: لا أدري ما حدث إلا أني أراك مستبشرا وقد بلغني تكبيرك وسجودك، قال: مات الحسن، قال: إنا لله، يرحم الله أبا محمد، ثلاثا؛ ثم قال: والله يا معاوية لا تسد حفرته حفرتك ولا يزيد نقص عمره في يومك، وإن كنا أصبنا بالحسن لقد أصبنا بإمام المتقين وخاتم النبيين، فسكن الله تلك العبرة وجبر تلك المصيبة وكان الله الخلف علينا من بعده. وكان الحسن أوصى لأخيه الإمام الحسين:[5] إذا أنا مت فادفني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إن وجدت إلى ذلك سبيلا، وإن منعوك فادفني ببقيع الغرقد*،فلبس الحسين ومواليه السلاح وخرجوا ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج مروان بن الحكم في بني أمية فمنعوهم من ذلك. وقيل: لما احتضر الحسن رضي الله عنه قال: أخرجوني إلى الصحراء لعلي أنظر في ملكوت السموات، يعني الآيات؛ فلما أخرج قال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي، فكان مما صنع الله له أنه احتسب نفسه.

حدث أبو الزعيزعة كاتب مروان، قال: بعث مروان إلى أبي هريرة بمئة دينار. فلما كان الغد أرسل إليه فقال: إنه ليس إليك بعثت، وإنما غلطت. فقال: ما عندي منها شيء، وإذا خرج عطائي فاقبضوها. قال: وإنما أراد مروان أن يعلم أينفقها أم يحبسها. قال أبو هريرة : ما من أحد من الناس يهدي إلي بهدية إلا قبلتها، فأما المسألة فإني لم أكن أسأل. قال أبو هريرة: درهم يكون من هذا وكأنه يمسح العرق عن جبينه أتصدق به، أحب إلي من مئة ألف ومئة ألف ومئة ألف من مال فلان.

دخل مروان على أبي هريرة في شكواه الذي مات فيه، فقال: شفاك الله يا أبا هريرة. فقال أبو هريرة: اللهم، إني أحب لقاءك فأحب لقائي، فما بلغ مروان أصحاب القطا* حتى مات.

وفي حديث آخر قال: اللهم اشفه، اللهم عافه، اللهم ارفعه. قال: فأفاق ورفع يديه حتى رئي بياض إبطيه، شاهراً بيديه إلى الله، ثم قال: اللهم، اشدد وأجد على نفس أبي هريرة قال: فخرجنا من عنده فما فاتنا الصوت حتى سمعنا الصائحة عليه.

كتب الوليد بن عتبة[6] إلى معاوية يخبره بموت أبي هريرة. فكتب إليه: انظر من ترك، فادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم وأحسن جوارهم، وأولهم معروفاً، فإنه كان ممن نصر عثمان وكان معه في الدار، فرحمة الله عليه.

---

*بقيع الغرقد هي المقبرة الرئيسة لأهل المدينة المنورة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم. (القطا) في رواية: فما بلغ مروان القطانين حتى مات. ورواية: فما بلغ مروان وسط السوق حتى مات.

- (1) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق. ولد سنة 21 ق. هـ تولى ولاية البحرين في خلافة عمر، كما تولى إمارة المدينة.ثم لزم المدينة يعلم الناس الحديث النبوي، ويفتيهم، حتى وفاته سنة 59 هـ
- (4) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله،يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة
- (2) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.
- (5) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.
- (6) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان. استعمله معاوية على المدينة حين صرف عنها مروان، سنة 57هـ توفي سنة 64 هـ وقيل إنهم أرادوه على الخلافة بعد معاوية بن يزيد، فأبى وقيل فطعن فمات بعد موت معاوية بن يزيد. ويقال: قدم للصلاة على معاوية بن يزيد، فلم يرفع إلا وهو ميت.
- (3) فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل زوجة معاوية، ولدت له عبد الله وكان محمقا ضعيفا وعبد الرحمن مات صغيرا، وغزت معه قبرس في خلافة عثمان، وقرظة يكنى أبا عمرو وكان أعمى، تزوج ابنة عتبة بن ربيعة، فولدت له فاختة ومات كافرا قبل الفتح (هذا لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله أعلم)

☪

الحسن بن علي بن أبي طالب بويع له يوم مات أبوه رضي الله عنه، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقام بالكوفة إلى شهر ربيع الأول سنة 41 هـ، وقتل عبد الرحمن بن ملجم، يقال إنه ضربه بالسيف فاتقاه بيده فندرت وقتله، ثم سار إلى معاوية فالتقيا بمسكن من أرض الكوفة، فاصطلحا وسلم إليه الأمر وبايعه لخمس بقين من شهر ربيع الأول، ويقال إنه أعطاه خمس آلاف درهم ورجع إلى المدينة، وقال قوم إنه صالحه بـ أذرح في جمادى الأولى وأخذ مائة ألف دينار، روى ذلك كله الدولابي. وكانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام؛ روى الشعبي قال: أنا شهدت خطبة الحسن -يعني حين سلم الأمر إلى معاوية- : قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، إن أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إنما هو حق لامرئ كان أحق بحقه مني أو حق لي تركته لمعاوية إرادة لصالح الأمة وحقنا لدمائهم، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

روى سفينة قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تكون ملكا أو ملوكا. وكان آخر ولاية الحسن رضي الله عنه تمام ثلاثين سنة وثلاثة عشر يوما من أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولم يزل الحسن بالمدينة إلى أن مات بها في ربيع الأول سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، وصلى عليه سعيد بن العاص ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها. قال القتبي: يقال إن امرأته جعدة بنت الأشعث سمته ومكث شهرين، وأنه ليرفع من تحته كل يوم كذا وكذا طست من دم. وكان يقول: سقيت السم مرارا ما أصابني ما أصابني في هذه المرة. وخلف عليها رجل من قريش فأولدها غلاما، فكان الصبيان يقولون له: يا ابن مسمة الأزواج.

قال ابن تيمية: يقال: إن امرأته سمته، وكان مطلاقا رضي الله عنه، فلعلها سمته لغرض؛ والله أعلم بحقيقة الحال؛ وقد قيل: إن أباها الأشعث بن قيس أمرها بذلك، فإنه كان يتهم بالانحراف في الباطن عن علي وابنه الحسن. وإذا قيل إن معاوية أمر أباها: كان هذا ظنا محضا، والنبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ﴾.

☪

قال أبو هريرة: إذا رأيتم ستاً فإن كانت نفس أحدكم في يده فليرسلها، فلذلك أتمنى الموت، أخاف أن تدركني إذاً؛ إمرة السفهاء، وبيع الحكم، وتهون بالدم، وقطعت الأرحام، وكثرت الجلاوزة، ونشأ نشو يتخذون القرآن مزامير. (إمرة السفهاء) أي ولايتهم على الرقاب (بيع الحكم) بأخذ الرشوة عليه (استخفافا بالدم) أي بحقه بأن لا يقتص من القاتل (قطيعة الرحم) أي القرابة بإيذاء أو هجر ونحو ذلك (كثرت الجلاوزة) أي الشرط؛ أعوان الولاة والمراد كثرتهم بأبواب الأمراء فيتكثر الظلم (نشوا يتخذون القرآن) أي قراءته (مزامير) أي يتغنون به ويتمشدقون ويأتون به بنغمات مطربة. روى بشير بن أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس* حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿يَكُونُ خَلْفٌ مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ سَنَةً، أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا، ثُمَّ يَكُونُ خَلْفٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةٌ: مُؤْمِنٌ وَمُنَافِقٌ وَفَاجِرٌ﴾ قال: بشير فقلت: للوليد ما هؤلاء الثلاثة؟ فقال: المنافق كافر به والفاجر يتأكل به والمؤمن يؤمن به. وفي شعب الإيمان، ذكر الحديث، وتلا هذه الآية ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم] قال عبيد بن باب: كنت أصب على أبي هريرة من إداوة وهو يتوضأ، فمر به رجل فقال: أين تريد؟ قال: السوق. فقال: إن استطعت أن تشتري الموت من قبل أن ترجع فافعل. ثم قال أبو هريرة:لقد خفت الله مما أستعجل القدر. وكان أبو هريرة يقول: تشبثوا بصدغي معاوية، اللهم، لا تدركني سنة ستين، وتوفي فيها أو قبلها. وقال: اللهم إني أعوذ بك من رأس الستين، وإمارة الصبيان. (رأس الستين) في سنة ستين هجرية صار يزيد بن معاوية هو الأمير، فهذه هي إمارة الصبيان. وكان رجل يؤذي أبا هريرة بلسانه، فقيل له: مات فلان. فقال: ليس في الموت شماتة، لو أخبرتموني أنه أمر على إمارة، أصاب مالاً، ولد له ولد. وعن أبي هريرة أنه كان إذا سمع أحداً يسأل: من هذه الجنازة؟ قال: هذا عبد الله دعاه فأجابه، أو أمته دعاها فأجابته، والله يعرفه، وأهله يفقدونه، والناس ينكرونه. أغدوا فإنا رائحون، أو روحوا فإنا غادون. زاد في آخر بمعناه: موعظة بليغة، وغفلة سريعة، تذهب الأول وتبقي الآخر لا عقل له. قال أبو سلمة: دخلت على أبي هريرة وهو وجع شديد الوجع، فاحتضنته فقلت: اللهم، اشف أبا هريرة. فقال: اللهم، لا ترجعها قالها مرتين ثم قال: إن استطعت أن تموت فمت، والله الذي نفس أبي هريرة بيده، ليأتين على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدكم من الذهبة الحمراء، وليأتين على الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه المسلم فيتمنى أنه صاحبه.

وعن أبي هريرة أنه قال حين حضره الموت: لا تضربوا علي فسطاطاً* ولا تجعلوا معي مجمراً، وأسرعوا بي، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِذَا وُضِعَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ عَلَى سَرِيرِهِ قَالَ قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي وَإِذَا وُضِعَ الرَّجُلُ السُّوءُ عَلَى سَرِيرِهِ قَالَ يَا وَيْلَهُ أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِي﴾ ؟ قال محمد بن عمرو: سمعت أبا هريرة وجئته في مرضه أعوده وهو يقول: قد قلت لأهلي إذا أنا مت فلا تعمموني ولا تقمصوني، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعمم ولم يقمص. وفي حديث: إذا مت فلا تنوحوا علي، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه الحديث. بكى أبو هريرة في مرضه، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي على بعد سفري وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود مهبطه على جنة ونار، فلا أدري أيتهما يؤخذ بي. توفي أبو هريرة سنة 59 هـ في آخر خلافة معاوية، وله 78 سنة.وقيل: توفي سنة 57 هـ ، وفيها ماتت أم المؤمنين عائشة قبل معاوية بسنتين. وقيل: توفي أبو هريرة وعائشة سنة 58 هـ. وصلى عليه الوليد بن عتبة.

---

* (الفسطاط) الخيمة. الوليد بن قيس التجيبي من كندة، المصري الكندي.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور/ وفيات الأعيان/ مسند أحمد/

عن عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور عن أبيها قال: كتب معاوية إلى مروان وهو على المدينة أن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر[1]، وأمها زينب بنت علي[2]. وأمها فاطمة[3]بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ابنه يزيد[4]ويقضي عن عبد الله[5]دينه، وكان خمسين ألف دينار، ويعطيه عشرة آلاف دينار، ويصدقها أربعمائة ويكرمها بعشرة آلاف دينار، فبعث مروان إلى ابن جعفر فأخبره فقال: نعم واستثنى رضاء الحسين بن علي[6]فأتى الحسين فقال له: إن الخال والد وأمر هذه الجارية بيدك، فأشهد عليه الحسين بذلك، ثم قال للجارية: يا بنية إنا لم نخرج منا غريبة قط، أفأمرك بيدي؟ قالت: نعم؛ فأخذ بيد القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب[7]فأدخله المسجد، وبنو هاشم وبنو أمية وغيرهم مجتمعون، فحمد مروان الله واثنى عليه ثم قال: إن أمير المؤمنين قد أحب أن يزيد القرابة لطفا والحق عظما، وأن يتلافى ما كان بين هذين الحيين بصهرهما، وعائدة فضله وإحسانه على بني عمه من بني هاشم، وقد كان من عبد الله في ابنته ما يحسن فيه رأيه، وولى أمرها الحسين خالها، وليس عند الحسين خلاف أمير المؤمنين؛ فتكلم الحسين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الإسلام دفع الخسيسة وتمم النقيصة وأذهب اللائمة، فلا لوم على مسلم إلا في أمر مأثم؛ وإن القرابة التي عظم الله حقها وأمر برعايتها، وأن يسأل نبيه الأجر له بالمودة لأهلها قرابتنا أهل البيت، وقد بدا لي أن أزوج هذه الجارية من هو أقرب نسبا وألطف سببا،وهو هذا الغلام، وقد جعلت مهرها عنه البغيبغة*؛فغضب مروان وقال: غدرا يا بني هاشم؟! ثم قال لعبد الله بن جعفر: ما هذا بمشبه أيادي أمير المؤمنين عندك، فقال عبد الله: قد أخبرتك أني جعلت إمرها إلى خالها فقال الحسين: رويدك، ألا تعلم يا مسور[8]أن حسين بن علي خطب عائشة بنت عثمان[9]حتى إذا كنا في مثل هذا المجلس، وقد أشفينا على الفراغ، وقد ولوك يا مروان أمرها قلت: قد رأيت ان أزوجها عبد الله بن الزبير؟ قال مروان: قد كان ذلك، قال الحسين: فأنتم أول الغدر وموضعه، ثم نهض فقال مروان للمسور: يا أبا عبد الرحمن والله لغيظي على عبد الله بن جعفر أشد من غيظي على الحسين، لرأي أمير المؤمنين فيه وأياديه عنده، ولأن الحسين وغر الصدر علينا وعبد الله سليم الصدر لأمير المؤمنين لصنائعه عنده، فقال المسور:لا تحمل على القوم، فالذي صنعوا أفضل، وصلوا رحما ووضعوا كريمتهم حيث أرادوا، فأمسك مروان

قال المبرد :تحدث الزبيريون أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم، وهو والي المدينة، أما بعد، فإن أمير المؤمنين أحب أن يرد الألفة، ويسل السخيمة، ويصل الرحم، فإذا ورد عليك كتابي هذا فاخطب إلى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد ابن أمير المؤمنين، وارغب له في الصداق. فوجه مروان إلى عبد الله بن جعفر، فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في رد الألفة من صلاح ذات البين، اجتماع الدعوة. فال عبد الله: إن خالها الحسين بينبع، وليس ممن يفتات عليه بأمر، فأنظرني إلى أن يقدم، وكانت أمها زينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله بن جعفر. فقام من عنده فدخل إلى الجارية، فقال: يا بنية، إن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك، ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلتك البغيبغات*، فلما حضر القوم للإملاك تكلم مروان بن الحكم، فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحمن وجمع الكلمة، فتكلم الحسين فزوجها من القاسم بن محمد. فقال له مروان: أغدرا يا حسين؟ فقال: أنت بدأت، خطب أبو محمد الحسن بن علي رضي الله عنه عائشة بنت عثمان بن عفان، واجتمعنا لذلك، فتكلمت أنت فزوجتها من ابن الزبير[10]فقال مروان: ما كان ذلك. فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب[11]فقال: أنشدك الله، أكان ذاك؟ قال: اللهم نعم. فلم تزل هذه الضيعة في أيدي بني عبد الله بن جعفر، من ناحية أم كلثوم، يتوارثونها، حتى ملكها أمير المؤمنين المأمون. فذكر ذلك له، فقال: كلا، هذا وقف علي بن أبي طالب، فانتزعها من أيديهم، وعوضهم عنها، وردها إلى ما كانت عليه.

جاء في الجليس الصالح والأنيس الناصح وفي تاريخ دمشق:كتب معاوية إلى مروان وهو على المدينة أن يزوج ابنه يزيد زينب بنت عبد الله بن جعفر،وأمها أم كلثوم بنت علي وأم أم كلثوم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم [..]

■ (6) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (3) فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . أمها خديجة بنت خويلد ولدتها وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين وهي اصغر بناته تزوجها علي بن أبي طالب في السنة الثانية من الهجرة ، فولدت له الحسن والحسين وزنيب وأم كلثوم. فتزوج زينب عبد الله بن جعفر فولدت له عبد الله وعوناً وماتت عنده. وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيداً . ثم خلف عليها بعد عمر عون بن عبد الله بن جعفر فلم تلد له. ثم مات وخلف عليها محمد بن جعفر فولدت له جارية ثم خلف عليها بعده عبد الله بن جعفر فلم تلد له وماتت عنده. وزاد ابن اسحق في أولاد فاطمة من علي: محسناً. قال: ومات صغيراً وزاد الليث بن سعد: رقيّة قال: وماتت ولم تبلغ. توفيت الزهراء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة اشهر سنة11 هـ وهي بنت 28 سنة ونصف وغسلها علي وصلى عليها وقيل: صلى عليها العباس ودفنت ليلا.

■ (5) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، الحبشي المولد. له صحبة، ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وله وفادة على معاوية، وعلى عبد الملك. ولد سنة1 هـ ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ أو 85 هـ. ويقال سنة 90 هـ.

■ (8) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، كنيته أبو عبد الرحمن. ولده بمكة سنة 2 هـ وقدم به المدينة سنة 8 هـ عام الفتح. كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم أدرك النبي صلى الله عليه و سلم وهو صغير وسمع منه وحج معه، وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف ليالي الشورى حفظ عنه أشياء روى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة شهد فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد وهو الذي حرض عثمان على غزوها ثم كان مع ابن الزبير فأصابه حجر من حجارة المنجنيق في الحصار بمكة فقتل سنة 74 هـ

■ (2) زينب بنت علي بن أبي طالب: شقيقة الحسن والحسين. تزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. فولدت له بنتا تزوجها الحجاج بن يوسف. وحضرت زينب مع أخيها الحسين وقعة كربلاء، وحملت مع السبايا إلى الكوفة، ثم إلى الشام. وكانت ثابتة الجنان، رفيعة القدر، خطيبة، فصيحة، لها أخبار. توفيت سنة 62 هـ أبنائها:عون بن عبد الله بن جعفر، محمد بن عبد الله بن جعفر الطيار، عباس بن عبد الله،علي بن عبد الله، أم كلثوم.

■ (1) أم كلثوم ابنة عبد الله بن جعفر، تزوجها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب، فولدت له فاطمة،ثم تزوجها الجراح أو الحجاج، فولدت له ابنة، فطلقها، فتزوجها أبان بن عثمان ابن عفان.

■ (7) القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب ؟ هناك : القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب مات بجرجان وقبره بجنب قبر والده محمد بن جعفر وله عقب بجرجان

■ (7) محمد بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو القاسم: صحابي. ولد بأرض الحبشة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتزوج أم كلثوم بنت علي، بعد عمر. وكان يقول الشعر. وشهد صفين واعترك فيها مع عبيد الله بن عمر بن الخطاب فقتل كل منهما الآخر . سنة 37 هـ

■ (4) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي.الملك الأموي الثاني. ولد سنة 26 هـ وتوفي سنة 64 هـ وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (10) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (11) محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر القرشي الجمحي: صحابي. عده ابن حبيب من أجواد الاسلام ثم من الحمقى المنجبين وهو أول من سمي محمدا في الاسلام. ولد في سفينة ركبها أبواه مهاجرين إلى الحبشة، في بدء عصر النبوة. شهد مع علي بن أبي طالب مشاهده كلها: الجمل، وصفين، والنهروان. توفي سنة 74 هـ وفي وفاته رواية ثانية: سنة 86 هـ

■ (9) عائشة بنت عثمان ؟

☪

البغيبغة: على التصغير، ضيعة وعين كانت لعلي بن أبى طالب رضي الله عنه ثم وقفها هي وعين أبي نيزر ونص كتاب الوقف: هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين، تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء المدينة وابن السبيل ليقي الله وجهه بهما حر النار يوم القيامة، لا تباعا ولا تورثا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج إليهما الحسن والحسين رضي الله عنهما فهما طلق لهما ليس لأحد غيرهما. قال: فركب الحسين رضي الله عنه دين فحمل إليه معاوية رضي الله عنه في عين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى أن يبيعها وقال: إنما تصدق بهما أبي ليقي الله بهما وجهه حر النار. وفي حديث الزبير رضي الله عنه بين أن الحسين رضي الله عنه نحل البغيبغة أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما حين رغبها في نكاح ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر وقد خطبها معاوية رضي الله عنه على ابنه يزيد. فلم تزل هذه الضيعة بأيدي بني جعفر حتى صار الأمر إلى المأمون فعوضهم منها وردها إلى ما كانت عليه وقال: هذه وقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال موسى بن إسحاق بن عمارة: مررنا بالبغيبغة مع محمد بن عبد الله بن حسن وهي عامرة فقال: أتعجبون لها والله لتموتن حتى لا يبقى فيها خضراء ثم لتعيشن ثم لتموتن، قالوا: وكانت البغيبغة وغيقة وأذناب الصفراء مياها لبني غفار وبني ضمرة.

☪

حدث القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جعفر بن محمد عن عن أبيه على الحسين عن أبيه عن علي رفعه: من أخرجه الله من ذل المعاصي إلى عز التقوى أغناه الله بلا مال وأعزه بلا عشيرة وأمنه بلا منعه ومن لم يستحي من طلب المعيشة تم الله ماله ونعم عياله ومن زهد في الدنيا ثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره داءها ودائها وعيوبها وأخرجه الله عز وجل سالما إلى دار السلام.

قال محمد زياد بن عمر التكلة: ومن علاقات الأمويين والهاشميين: عقد ابن حزم رحمه الله في رسالته نقط العروس (107/ 2 ضمن جمهرة رسائله) بابا فيمن تزوج من بني هاشم في بني أمية، ومن ذلك أن الحسن بن علي تزوج عائشة بنت عثمان بن عفان، قلت: والذي زوجها معاوية، وأصدق عن الحسن عشرة آلاف دينار، وبقيت عند الحسن حتى توفي رضي الله عنه، على أنه كان مطلاقا. ثم بوب (108) من تزوج من بني أمية في بني هاشم: ومن ذلك أن الخليفة عبد الملك بن مروان تزوج بنت علي بن أبي طالب، وبنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وكذا تزوج عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فاطمة بنت الحسين بن علي. وتزوج الخليفة يزيد بن عبد الملك امرأة من ولد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وتزوج عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان من نفيسة بنت عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، فولدت له عليا والعباس. وتزوج الخليفة الوليد بن عبد الملك من زينب بنت الحسن بن الحسن بن علي، ثم طلقها، فتزوجها عمه معاوية بن مروان. وتزوج بكار بن عبد الملك بن مروان فاطمة بنت محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وربيحة بنت محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. ثم بوب ابن حزم (109) من ولي من بني أمية لبني هاشم. ثم (110) من ولي من بني هاشم لبني أمية. ثم (111) بعض غرائب الأسماء في بني هاشم، مثل: خالد بن يزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ويزيد بن عبد المطلب بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم. ثم بوب ابن حزم (111) لغرائب الأسماء في بني أمية: مثل علي بن يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. ومن أراد الاستزادة فليراجع المصدر. فماذا نفهم من كثرة التصاهر والتزاوج بين الفرعين، وتسمية أولاد الأسرة بأسماء كبار الثانية، واستعمال أمراء كل فريق أعيان الفريق الآخر؟

مراجع: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور/ الروض المعطار في خبر الأقطار/ الكامل في اللغة والأدب ـ المبرد/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/ نوادر المخطوطات/ الأعلام للزركلي/

غزا الحكم بن عمرو[1] نائب زياد[2] على خراسان جبل الأشل، عن أمر زياد، فقتل منهم خلقا كثيرا، وغنم أموالا جمة، فكتب إليه زياد: إن أمير المؤمنين قد جاء كتابه أن يصطفى له كل صفراء وبيضاء -يعني الذهب والفضة- يجمع كله من هذه الغنيمة لبيت المال. فكتب الحكم بن عمرو إليه: إن كتاب الله مقدم على كتاب أمير المؤمنين، وإنه والله لو كانت السماوات والأرض رتقا على عبد فاتقى الله، لجعل له مخرجا. ثم نادى في الناس أن اغدوا على قسم غنيمتكم. فقسمها بينهم، وخالف زيادا فيما كتب إليه عن معاوية، وعزل الخمس كما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم قال الحكم: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك. فمات بمرو من خراسان، وقيل: استخلف لما حضرته الوفاة أنس بن أبي أناس. وقيل: أن معاوية لما فعل الحكم في قسمة الفيء ما فعل وجه إليه من قيده وحبسه، فمات في قيوده ودفن فيها، وقال: إني مخاصم. فالله أعلم. يقول ابن منبه: ما من عبد يعلم الله نيته الصدق إلا لو كادته السموات والأرض لجعل الله له من بينهما مخرجا.

عن الحسن، أن زيادا استعمل الحكم بن عمرو الغفاري على جيش فلقيه عمران بن حصين[3] في دار الإمارة فيما بين الناس، فقال له: أتدري فيم جئتك؟ أما تذكر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه الذي قال له أميره: قم فقع في النار، فقام الرجل ليقع فيها فأدركه فأمسكه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿لَوْ وَقَعَ فِيهَا لَدَخَلَ النَّارَ، لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ﴾ قال الحكم: بلى، قال عمران: إنما أردت أن أذكرك هذا الحديث. -وفي رواية-: قال له عمران: الله أكبر ورفع يديه.

عن أبي حاجب، قال: كنت عند الحكم بن عمرو الغفاري إذ جاءه رسول علي رضي الله عنه، فقال: إن أمير المؤمنين، يقول لك: إنك أحق من أعاننا على هذا الأمر، فقال: إني سمعت خليلي ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا كان الأمر هكذا أو مثل هذا أن اتخذ سيفا من خشب. قال عنه الذهبي: كان ممن اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع علي، وعن حميد بن هلال قال: لما هاجت الفتن، قال عمران بن حصين لحجير بن الربيع العدوي:[4]اذهب إلى قومك فانههم عن الفتنة. قال: إني لمغمور فيهم وما أطاع، فأبلغهم عني وانههم عنها. قال: وسمعت عمران يقسم بالله: لأن أكون عبدا حبشيا أسود في أعنز حصبات، في رأس جبل أرعاهن حتى يدركني أجلي أحب إلي أن أرمي أحد الصفين بسهم أخطأت أم أصبت.

■ (1) الحكم بن عمرو بن مجدع رضي الله عنه. صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض ثم تحول إلى البصرة فولاه زياد بن سفيان خراسان فخرج إليها. توفي سنة 50هـ. والحكم بن عمرو الغفاري هو أخو رافع بن عمرو، غلب عليهما هذا النسب إلى غفار، وأهل العلم بالنسب يمنعون ذلك، ويقولون: إنهما من ولد نعيلة بن مليل أخي غفار بن مليل. ويقولون: هو الحكم بن عمرو بن مجدع بن حذيم بن الحارث بن نعيلة بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة. روى عنه الحسن، وابن سيرين، وعبد الله بن الصامت، وأبو الشعثاء، ودلجة بن قيس، وأبو حاجب، وغيرهم. واستعمله زياد بن أبيه على خراسان، من غير قصد منه لولايته، إنما أرسل زياد يستدعي الحكم، فمضى الرسول غلطا منه، وأحضر الحكم بن عمرو، فلما رآه زياد، قال: هذا رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واستعمله عليها.

■ (3) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن حذيفة بن جهمة بن غاضرة بن حبشية بن كعب بن عمرو الخزاعي، هكذا نسبه ابن الكلبي ومن تبعه. وعند أبي عمر: عبد نهم بن سالم بن غاضرة. ويكنى أبا نجيد، بنون وجيم مصغرا. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث، وكان إسلامه عام خيبر، وغزا عدة غزوات، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح، قاله ابن البرقي. وقال الطبراني: أسلم قديما هو وأبوه وأخته، وكان ينزل ببلاد قومه، ثم تحول إلى البصرة إلى أن مات بها. روى عنه ابنه نجيد، وأبو الأسود الدؤلي، وأبو رجاء العطاردي، وربعي بن حراش، ومطرف، وأبو العلاء ابنا عبد الله بن الشخير، وزهدم الجرمي، وصفوان بن محرز، وزرارة بن أبي أوفى، وآخرون. وأخرج الطبراني بسند صحيح، عن سعيد بن أبي هلال، عن أبي الأسود الدؤلي، قال: قدمت البصرة، وبها عمران بن حصين، وكان عمر بعثه ليفقه أهلها. وقال خليفة: استقضى عبد الله بن عامر عمران بن حصين على البصرة، فأقام أياما ثم استعفاه. وقال ابن سعد: استقضاه زياد ثم استعفاه فأعفاه. وكان قد اعتزل الفتنة فلم يقاتل فيها. مات سنة 52 هـ، وقيل سنة 53 هـ.

■ (4) حجير بن الربيع العدوي البصري، أخو حريث بن الربيع، ويقال: أخو سليمان بن الربيع. وقال البخاري: يقال: حجير وحريث وسليمان بن الربيع إخوة، وقال غيره: يقال: إنه أبو السوار العدوي. روى عن عمر بن الخطاب، وعن عمران بن حصين، روى عنه إسحاق بن سويد، وأوفى بن دلهم، وحميد بن هلال، وأبو نعامة عمرو بن عيسى العدويون. قيل توفي سنة 101 هـ.

■ (2) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ.

عن الحسن، قال: قال الحكم بن عمرو الغفاري: يا طاعون خذني إليك، فقال له رجل من القوم: لم تقول هذا؟ وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ﴾؟ قال: قد سمعت ما سمعتم، ولكني أبادر ستا: بيع الحكم، وكثرة الشرط، وإمارة الصبيان، وسفك الدماء، وقطيعة الرحم، ونشوا يكونون في آخر الزمان يتخذون القرآن مزامير. عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنٌ، فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيءٌ لَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ﴾ وقال أبو أمامة:﴿جَلَسْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَّرَنَا وَرَقَّقَنَا، فَبَكَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَأَكْثَرَ الْبُكَاءَ فَقَالَ: يَا لَيْتَنِي مِتُّ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا سَعْدُ أَعِنْدِي تَتَمَنَّى الْمَوْتَ. فَرَدَّدَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ: يَا سَعْدُ إِنْ كُنْتَ خُلِقْتَ لِلْجَنَّةِ فَمَا طَالَ عُمْرُكَ أَوْ حَسُنَ مِنْ عَمَلِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ﴾ وعن أم الفضل أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على العباس وهو يشتكي فتمنى الموت فقال:﴿يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ لَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتَ مُحْسِنًا تَزْدَادُ إِحْسَانًا إِلَى إِحْسَانِكَ خَيْرٌ لَكَ وَإِنْ كُنْتَ مُسِيئًا فَإِنْ تُؤَخَّرْ تَسْتَعْتِبْ خَيْرٌ لَكَ فَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ﴾ قال يونس وإن كنت مسيئا فإن تؤخر تستعتب من إساءتك خير لك، وعن حارثة بن مضرب قال: دخلت على خباب وقد اكتوى فقال: ما أعلم أحدا لقي من البلاء ما لقيت لقد كنت وما أجد درهما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن لي في ناحية بيتي هذا أربعين ألفا ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أو نهى أن نتمنى الموت لتمنيته. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لاَ تَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ فَإِنَّ هَوْلَ الْمُطَّلَعِ شَدِيدٌ، وَإِنَّ سَعَادَةَ الْعَبْدِ أَنْ يَطُولَ عُمْرُهُ وَيَرْزُقَهُ اللهُ الإِنَابَةَ﴾ وعن يحيى بن جعدة قال: قال عمر بن الخطاب: لولا أن أسير في سبيل الله أو أضع جبيني في التراب، أو أجالس قوما يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب التمر لأحببت أن أكون قد لحقت بالله عز وجل. عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: استزار عمر بن عبد العزيز عبد الله بن أبي زكريا وهو بدير سمعان* فأتاه فقال له: يا بن زكريا، مرحبا بك قال: وبك يا أمير المؤمنين أهلا وسهلا. قال: يا بن أبي زكريا، عرضت لي إليك حاجة، قال: على الرأس والعينين يا أمير المؤمنين قال: تدعو الله أن يميت عمر، قال: يا أمير المؤمنين، بئس وافد المسلمين أنا إذا، نعمة أنعمها الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أدعو الله أن يزيلها عنهم؟! قال: قد وعدتني يا بن أبي زكريا. قال: فاستقبل القبلة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اللهم، عبدك قد توسل بي إليك فاقبضه إليك، ولا تبقني بعده، فبينا هم كذلك إذ جاء ابن له صغير فوقع في حجره فقال: يا بن أبي زكريا وهذا معنا، فإني أحبه فقال: اللهم، وابنه هذا فاقبضه إليك، قال: فما شبهت الثلاثة إلا بخرازات ثلاث في سلك قطع أسفله، فتتابعن في جمعة. قال ابن أبي زكريا: لو خيرت بين أن أعمر مئة سنة من ذي قبل في طاعة الله أو أن أقبض في يومي هذا، أو في ساعتي هذه لاخترت أن أقبض في يومي هذا، أو في ساعتي هذه شوقا إلى الله، وإلى رسوله، وإلى الصالحين من عباده. قال طلحة بن يحيى: كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز، فدخل عليه عبد الأعلى بن هلال فقال: أبقاك الله يا أمير المؤمنين مادام البقاء خيرا لك. قال: قد فرغ من ذاك يا أبا النضر، ولكن قل: أحياك الله حياة طيبة، وتوفاك مع الأبرار.

قال رسته : سألت ابن مهدي عن الرجل يتمنى الموت مخافة الفتنة على دينه، قال: ما أرى بذلك بأسا، لكن لا يتمناه من ضر به أو فاقة. يعني: أن الإنسان لو خاف على دينه فله أن يتمنى الموت، ولكن لو أصابه فقر أو مرض لا يتمنى الموت؛ لأنه قد يكون كالمستجير من الرمضاء بالنار، فلا يدري كيف يكون حاله في القبر وفي الآخرة، فأهل الدين لا يتمنون الموت إلا إذا أصابهم ضرر في الدين، كأن يخافوا على أنفسهم من الفتنة، كما في حديث: ﴿وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ﴾ ولكن أهل الدنيا قد يتمنون الموت لضر أصابهم في الدنيا، وقد جاء في الحديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا الْمَوْتِ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي﴾ وقد تمنى الموت أبو بكر وعمر ومن دونهما. قيل أن الربيع بن زياد الحارثي -أمير خراسان- رضي الله عنه، خرج يوم الجمعة، فقال: أيها الناس إني قد مللت الحياة إني داع بدعوة فأمنوا، ثم رفع يديه بعد الصلاة، فقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضي إليك عاجلا. وأمن الناس ثم خرج فما توارت ثيابه حتى سقط فحمل إلى بيته فاستخلف ابنه عبد الله بن الربيع. وعن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أحاديث منها: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا﴾ وعن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ يَتَمَنَّوْنَ فِيهِ الدَّجَّالَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مِمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: مِمَّا يَلْقَوْنَ مِنَ الْعَنَاءِ وَالْعَنَاءِ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة، قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ: لَيْسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ﴾ قال مسلم بن أبي بكرة سمعت أبا بكرة يحدث، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ: أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلَا، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ. قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟. قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ وعن بسر بن سعيد ﴿أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ عِنْدَ فِتْنَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي وَالْمَاشِي، خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي. قَالَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي، فَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ لِيَقْتُلَنِي؟ قَالَ: كُنْ كَابْنِ آدَمَ﴾ عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ أَوْ يَدْعُو لِعَصَبِيَّةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي بِسَيْفِهِ يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ﴾ (لعصبة) عصبة الرجل أقاربه من جهة الأب سموا بذلك لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم أي يحيطون به ويشتد بهم والمعنى يغضب ويقاتل ويدعو غيره كذلك لا لنصرة الدين والحق بل لمحض التعصب لقومه ولهواه كما يقاتل أهل الجاهلية فإنهم إنما كانوا يقاتلون لمحض العصبية.

----

* (دير سمعان) بنواحي دمشق في موضع نزه

مراجع: المستدرك على الصحيحين للحاكم/ أسد الغابة/ صفة الصفوة/ مسند أحمد/ صحيح مسلم/ المعجم الأوسط/ مشاهير علماء الأمصار/ الإصابة في تمييز الصحابة/ إتحاف الخيرة المهرة/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ تاريخ دمشق/ـمختصر تاريخ دمشق/

كان المغيرة بن شعبة [1] على الكوفة إذا ذكر عليا في خطبته يتنقصه بعد مدح عثمان [2] وشيعته، فيغضب حجر بن عدي [3]،ويظهر الإنكار عليه، وكان المغيرة فيه حلم وأناة، فكان يصفح عنه ويعظه فيما بينه وبينه، ويحذره غب هذا الصنيع، فإن معارضة السلطان شديد وبالها، فلم يرجع حجر عن ذلك. فلما كان في آخر أيام المغيرة قام حجر يوما، فأنكر عليه في الخطبة وصاح به، وذمه بتأخيره العطاء عن الناس، وقام معه فئام من الناس لقيامه، يصدقونه ويشنعون على المغيرة، ودخل المغيرة بعد الصلاة قصر الإمارة، ودخل معه جمهور الناس من الأمراء وغيرهم، فأشاروا على المغيرة بأن يرد حجرا عما يتعاطاه من الجرأة على السلطان وشق العصا والقيام على الأمير وذمروه وحثوه على التنكيل به، فصفح عنه وحلم.

ذكر يونس بن عبيد أن معاوية كتب إلى المغيرة يستمده بمال يبعثه من بيت المال، فبعث عيرا تحمل مالا فاعترض لها حجر، فأمسك بزمام أولها، وقال: لا والله حتى يوفي كل ذي حق حقه. فقال شباب ثقيف للمغيرة: ألا نأتيك برأسه؟ فقال: ما كنت لأفعل ذلك بحجر. فتركه، فلما بلغ معاوية ذلك عزل المغيرة وولى زيادا [4]. والصحيح أنه لم يعزل المغيرة حتى مات، فلما توفي المغيرة بن شعبة، وجمعت الكوفة مع البصرة لزياد.

عن زياد بن علاقة، قال: سمعت جرير بن عبد الله [5]، يقول يوم مات المغيرة بن شعبة، قام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار، والسكينة، حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن. ثم قال: استعفوا لأميركم، فإنه كان يحب العفو، ثم قال:﴿أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ فَشَرَطَ عَلَيَّ: وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا﴾ ورب هذا المسجد إني لناصح لكم، ثم استغفر ونزل.

قال ابن سيرين: لم يكن لزياد هم لما قدم الكوفة إلا حجرا وأصحابه فتكلم يوما زياد وهو على المنبر فقال: أن من حق أمير المؤمنين من حق أمير المؤمنين مرارا فقال: كذبت ليس ذلك فسكت زياد ونظر إليه ثم عاد في كلامه فقال: أن من حق أمير المؤمنين أن من حق أمير المؤمنين مرارا نحوا من كلامه فأخذ حجر كفا من حصا فحصبه وقال: كذبت كذبت كذبت عليك لعنة الله قال: فانحدر زياد من المنبر وصلى ثم دخل الدار وانصرف حجر فبعث إليه زياد الخيل والرجال أجب قال حجر: أني والله ما أنا بالذي يخاف ولا آتيه أخاف على نفسي قال ابن سيرين: لو مال لمال أهل الكوفة معه ولكن كان رجلا ورعا وأبى زياد أن يقلع عنه الخيل والرجال حتى اصطلحا أن يقيده بسلسلة ويرسله في ثلاثين من أصحابة إلى معاوية فلما خرج اتبعه زياد بردا بالكتب بالركض إلى معاوية: أن كان لك في سلطانك حاجة أو في الكوفة حاجة فاكفني حجرا، وجعل يرفع الكتب إلى معاوية حتى الهفه عليه فقدم فدخل عليه فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، قال معاوية: أو أمير المؤمنين أنا قال: نعم ثلاثا فأمر بحجر وبخمسة عشر رجلا من أصحابه قد كتب زياد فيهم وسماهم واخرج حجرا وأصحابه الخمسة عشر وقد أمر بضرب أعناقهم، فقال حجر: للذي أمر بقتله دعني فلأصلي ركعتين، قال: صله فصلى ركعتين خفيفتين فلما سلم اقبل على الناس، فقال: لولا أن تقولوا جزع من القتل لأحببت أن تكون ركعتان انفس مما كانتا وايم الله لئن لم تكن صلاتي فيما مضى تنفعني فما هاتان بنافعتي شيئا ثم أخذ برده فتحزم به ثم قال: لمن يليه من قومه ومن يتحرن به لا تحلوا قيودي ولا تغسلوا عني الدم فإني اجتمع أنا ومعاوية غدا على المحجة.

في رواية أبو معشر قال: وركب إليهم معاوية إلى مرج العذراء، حتى أتاهم فسلم عليهم وسألهم، حتى انتهى إلى حجر فقال: من أنت؟ قال: حجر بن عدي. قال: كم مر بك من السنين؟ قال: كذا وكذا. قال: كيف أنت والشتاء اليوم؟ فأخبره.قال: كيف أنت والطعام اليوم؟ فاخبره.ثم انصرف وأرسل إليهم رجلا أعور معه عشرون كفنا فلما رآه حجر تفاءل وقال: يقتل نصفكم ويترك نصفكم فجعل الرسول يعرض عليهم التوبة والبراءة من علي فأبى عدة وتبرأ عدة فقتل الذين أبوا، وترك الذين تبرأوا، وحفر لهم قبورا، فجعل يقتلهم ويدفنهم. فلما انتهى إلى الحجر جعل حجر يرعد فقال له أراد قتله: مالك ترعد! قال: قبر محفور وكفن منشور وسيف مشهور. قال: تبرأ مني علي؟ قال: لا أتبرأ منه. فضرب عنقه ودفنه

قال أبو بكر بن عياش: دخل عبد الله بن يزيد بن أسد [6] على معاوية وهو في مرضه الذي مات فيه، فرأى منه جزعا فقال: ما يجزعك يا أمير المؤمنين إن مت؟ قال: الجنة. وإن عشت، فقد علم الله حاجة الناس إليك. قال: رحم الله أباك إن كان لناصحا، نهاني عن قتل ابن الأدبر يعني حجرا، ثم عاده عبد الله بن يزيد فعاد معاوية مثل ذلك القول. روى ابن جرير أن معاوية لما حضره الموت جعل يغرغر بروحه وهو يقول: إن يومي بك يا حجر بن عدي لطويل. قالها ثلاثا. فالله أعلم.

■ (3) حجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندي الكوفي. ويقال له: حجر الخير. ويقال له: حجر بن الأدبر. لأن أباه عديا طعن موليا فسمي الأدبر، ويكنى حجر بأبي عبد الرحمن، وهو من كندة من رؤساء أهل الكوفة. قال ابن عساكر: وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع عليا وعمارا وشراحيل بن مرة. ويقال: شرحبيل بن مرة. وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء وشهد صفين مع علي أميرا، وقتل بعذراء من قرى دمشق سنة51 هـ.

■ (1) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية مع رسول الله، وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية، وكان موصوفا بالدهاء والحلم. وولي البصرة ثم الكوفة لعمر، وولي الكوفة بعد ذلك لمعاوية، فمات بها وهو وال عليها سنة 50 أو 51 هـ.

■ (4) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ.

■ (2) أبو عبد الله عثمان بن عفان الأموي القرشي، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،ومن السابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي صلى الله عليه وسلم، رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ. وقتل سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (5) جرير بن عبد الله البجلي أبو عمرو وكان ممن هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسكن الكوفة فلما وقعت الفتن خرج هو وعدى بن حاتم وحنظلة الكاتب وقالوا لا نقيم ببلدة يشتم فيها عثمان فخرجوا إلى قرقيسياء وسكنوها ومات جرير سنة 51 هـ ويقال مات سنة 54 هـ.

■ (6) عبد الله بن يزيد بن أسد القسري يروى عن أبيه وله صحبة روى عنه ابنه خالد بن عبد الله القسري والى العراق

عن عبد الله بن فائد وسحيم بن حفص قالا: كتب معاوية إلى المغيرة: أظهر شتم علي وتنقصه، فكتب إليه: ما أحب لك يا أمير المؤمنين أن كلما عتبت تنقصت، وكلما غضبت ضربت، ليس بينك وبين ذلك حاجز من حلمك ولا تجاوز بعفوك.

كان حجر بن عدي عند زياد وهو يومئذ على الكوفة، إذ جاءه قوم قد قتل منهم رجل، فجاء أولياء القتيل وأولياء المقتول فقالوا: هذا قتل صاحبنا. فقال أولياء القاتل: صدقوا، ولكن هذا نبطي وصاحبنا عربي، ولا يقتل عربي بنبطي. فقال زياد: صدقتم، ولكن أعطوهم الدية. فقالوا: لا حاجة لنا في الدية، إنا كنا نرى أن الناس فيه سواء. فقام حجر بن عدي فقال: نعطيك كتاب الله عز وجل، أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأنا حجر، لتقتلنه أو لأضربن بسيفي حتى أموت والإسلام عزيز، قال فوالله ما برح حتى وضع السكين على حلقه. وكان يقال: أول ذل دخل على الكوفة قتل حجر بن عدي.

عن عبد الله بن زرير الغافقي قال: سمعت على بن أبى طالب رضي الله عنه يقول: يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بغدر مثلهم كمثل أصحاب الأخدود، فقتل حجر وأصحابه. رواه يعقوب بن سفيان في تاريخه، والبيهقي في الدلائل وقال: لا يقول على مثل هذا إلا أن يكون سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال سفيان الثوري: قال معاوية: ما قتلت أحدا إلا وأنا اعلم فيم قتلته، وما أردت به، إلا حجر بن عدي، فإني لا أعرف فيم قتلته.

ودخل عليه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال: يا أمير المؤمنين ماذا صنعت لا تعد لك العرب حلما ولا رأيا، قتلت قوما بعث بهم أسرى في يدك؟! قال: فما أصنع كتب إلي زياد يشدد أمرهم وذكر أنهم سيفتقون علي فتقا ليس له أول ولا آخر، فكان فساد هؤلاء في صلاح أمة محمد، خير من فساد أمة محمد في صلاح هؤلاء، وغبت أنت عني وأصحابك، فقال له: ألا فرقتهم في كور الشام، وأطعمتهم من الكعك والزيت حتى تكفيكهم طواعين الشام! وفي رواية قيل: كانوا أربعة عشر وقيل ثلاثة عشر وكان حجر ممن قتل. وقيل قتل ستة أو سبعة. وجاء رسول معاوية بالعفو عنهم وقدم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام برسالة أم المؤمنين عائشة تسأله أن يخلي سبيلهم فقدم وقد قتلوا، فقال: يا أمير المؤمنين أين عزب عنك حلم أبي سفيان. فقال: غيبة مثلك عني من قومي. ولما حج معاوية دخل على أم المؤمنين عائشة فقالت له: يا معاوية، قتلت حجر بن الأدبر!. قال: أقتل حجرا، أحب إلي من أن أقتل معه مئة ألف. وقيل: أنه استأذن عليها فأبت أن تأذن له، فلم يزل حتى أذنت له، فلما دخل عليها قالت: أنت الذي قتلت حجرا! قال: لم يكن عندي أحد ينهاني. وفي حديث قالت أم المؤمنين عائشة لمعاوية حين حج، ودخل إليها: يا معاوية! أقتلت حجرا وأصحابه، فأين عزب حلمك عنهم؟ أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿يُقْتَلُ بِمَرْجِ عَذْرَاءَ نَفَرٌ يَغْضَبُ لَهُمْ أَهْلُ السَّمَوَاتِ﴾ قال: لم يحضرني رجل رشيد، يا أم المؤمنين. قال مروان بن الحكم: دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة فقالت: يا معاوية: قالت حجرا وأصحابه، وفعلت الذي فعلت، أما خشيت أن أخبأ لك رجلا فيقتلك! فقال: لا، إني في بيت أمان، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿الإِيمَانُ قَيْدُ الْفَتْكِ﴾ لا يفتك مؤمن يا أم المؤمنين، كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك وأمرك؟ قالت: صالح. قال: فدعيني وحجرا حتى نلتقي عند ربنا عز وجل. وكان قتل حجر بن عدي سنة إحدى وخمسين، وقيل: قتل سنة ثلاث وخمسين، وفيها مات زياد بن أبي سفيان.

روى كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال:﴿مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ، وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ﴾ قال الترمذي حديث حسن صحيح فأخبر أن حرص المرء على المال والرياسة فسد دينه مثل أو أكثر من فساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم. وأصل محبة المال والشرف حب الدنيا، وأصل حب الدنيا إتباع الهوى، قال وهب بن منبه: من إتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة فيها حب المال والشرف، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم. وقال الحسن: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة، وقال وهيب بن الورد: إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل. ففي درجات الآخرة الباقية يشرع التنافس وطلب العلو في منازلها والحرص على ذلك بالسعي في أسبابه، وأن لا يقنع الإنسان منها بالدون مع قدرته على العلوى، وأما العلو الفاني، المنقطع الذي يعقب صاحبه غدا حسرة وندامة وذلة وهوانا وصغارا فهو الذي ينشر الزهد فيه والإعراض عنه، وهذا الفقه العظيم والفهم العميق نتعلمه من سيرة الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقد ترك الملك والسلطان رغبة فيما عند الله وحقنا لدماء المسلمين، فقد تركها وهو في قوة ومنعة فقد قال: كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله. وقال: ولكن خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفا أو ثمانون ألفا، أو أكثر أو أقل، كلهم تنضح أوداجهم دما، كلهم يستعدي الله فيم هريق دمه، لقد بايع الحسن بن علي بعد وفاة علي تسعون ألفا، فزهد في الخلافة، فلم يردها وسلمها لمعاوية وقال: لا يهرق علي يدي محجمة دم. وقال: ما أحببت أن لي من أمة محمد صلى الله عليه و سلم مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما ينفعني مما يضرني، فالحقوا بطيتكم. (المحجمة) الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة عند المص.

مراجع: الطبقات الكبرى/ سير أعلام النبلاء/ البداية والنهاية/ تاريخ بغداد/ مسند أحمد/ تاريخ عصر الخلفاء الراشدين/ مصنف ابن أبي شيبة/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ أنساب الأشراف/ فتح الباري لابن رجب/ فتح الباري لابن حجر/ إتحاف الخيرة المهرة/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ الوافي بالوفيات/

◆ زياد بن أبيه (عامل أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، أول ملوك الدولة الأموية) وأهل البصرة 0320

حدث مسلمة والهذلي وغيرهما لما تولى زياد[1] ولاية البصرة، عام 45هـ، خطب خطبة بتراء*، لم يحمد الله فيها وقيل: بل حمد الله فقال: الحمد لله على أفضاله وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه، اللهم كما رزقتنا نعما، فألهمنا شكرا على نعمتك علينا. أما بعد، فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والفجر* الموقد لأهله النار، الباقي عليهم سعيرها، ما يأتي سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير، ولا ينحاش منها الكبير، كأن لم تسمعوا بآي الله، ولم تقرؤوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمد* الذي لا يزول. أتكونون كمن طرفت* عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكروا أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث* الذي لم تسبقوا به، من ترككم هذه المواخير المنصوبة، والضعيفة المسلوبة، في النهار المبصر، والعدد غير قليل: ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج* الليل وغاره النهار اقربتم القرابة، وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر، وتغطون على المختلس* كل امرى منكم يذب عن سفيهه، صنيع من لا يخاف عقابا، ولا يرجو معادا، ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء ولم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم، حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب*، حرم علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا، إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء* الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا* بمناصحتكم واعلموا أني مهما قصرت فلو أتاني طارقا بليل، وحابسا رزقا ولا عطاء عن إبانة*، ولا مجمرا* لكم بعثا، فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم، فإنها ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى تصلحوا يصلحوا، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم، فيشتد لذلك غيظكم، ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم، مع أنه لو استجيب لكم شرا لكم، أسأل الله أن يعين كلا على كل، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فليحذر كل امريء منكم أن يكون من صرعاي: فقام عبد الله بن الأهتم[2] فقال: أشهد أيها الأمير أنك قد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب، فقال كذبت، ذاك نبي الله داود عليه السلام. قال الأحنف بن قيس[3]: قد قلت فأحسنت أيها الأمير، والثناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء وإنا لن نثني حتى نبتلي، فقال زياد: صدقت.

وفي رواية عن الهيثم بن عدي قال: لما قدم زياد أميرا على البصرة فنظر إلى أبياتها، قال: رب فرح بإمارتي لن تنفعه، وكاره لها لن تضره؛ فدخل وعليه قباء أبيض ورداء صغير، فصعد المنبر، فخطب الناس خطبة بتراء: لم يصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أول من خطبها، ثم قال: أما بعد، فقد قال معاوية ما قد علمتم، وشهدت الشهود بما قد سمعتم، وإنما كنت امرأ حفظ الله منه ما ضيع الناس، ووصل ما قطعوا ألا وإنا قد ولينا ووليننا الوالون، وسسنا وساسنا السائسون، وإنا وجدنا هذا الأمر لا يصلحه إلا شدة في غير عنف، ولين في غير ضعف. وأيم الله ما من كذبة أكبر شاهدا من كذبة إمام على منبر؛ فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها* في واعلموا أن عندي أمثالها، وإذا رأيتموني آمر فيكم بالأمر فأنفذوه على إذلاله. وايم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي. وايم الله لآخذن البريء بالسقيم، والمطيع بالعاصي، والمقبل بالمدبر، حتى تستقيم لي قناتكم، وحتى يقول القائل: انج سعد فقد قتل سعيد!*. فقام إليه عبد الله بن الأهتم التميمي، فقال: أيها الأمير، أشهد أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب. فقال له: كذبت، ذاك نبي الله داود. ثم قام إليه الأحنف فقال: إنما المرء بجده، والسيف بحده، والجواد بشده، وقد بلغك جدك أيها الأمير ما تري وإنما الحمد بعد البلاء، والثناء بعد العطاء، وإنا لا نثني حتى نبتلي. ثم قام إليه أبو بلال مرداس بن أدية[4]، وهو من الخوارج، فقال: قد سمعنا مقالتك أيها الأمير، وإن خليل الله إبراهيم عليه السلام أدى عن الله في الذي أديته، قال الله تعالى:﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم] فأوعدنا الله خيرا مما أوعدتني يا زياد. وأنت تزعم أنك تأخذ البريء بالسقيم، والمطيع العاصي، والمقبل بالمدبر. فقال له: اسكت، فوالله ما أجد إلى ما أريد سبيلا، إلا أن أخوض إليه الباطل خوضا. ثم نزل.

وقال في خطبة له أخرى: حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا. إياي ودلج الليل، فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه، وإياي ودعوى الجاهلية، فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه. وقد أحدثتم أحداثا، وأحدثنا لكل ذنب عقوبة؛ فمن غرق قوما غرقته، ومن أحرق قوما أحرقته، ومن نقب بيتا نقبت عن قلبه، ومن نبش قبرا دفنته فيه حيا؛ فكفوا أيديكم وألسنتكم أكف عنكم. وقد كانت بيني وبين أقوام منكم أشياء قد جعلتها دبر أذني وتحت قدمي، فمن كان محسنا فليزدد، ومن كان مسيئا فلينزع. إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولما أهتك له سترا، حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل ذلك لم أناظره؛ فأعينوا على أنفسكم وأتنفوا أمركم.

----

*(خطبة بتراء) البتيراء: التي لا يصلى فيها على النبي صلى الله عليه وسلم (الفجر) الانبعاث في المعاصي والزنى (السرمد) الدائم (الطرفة) نقطة حمراء من الدم تحدث في العين من ضربة وغيرها (الدلج) السير من أول الليل (الخلس) الأخذ في نهزة ومخاتلة (كنوسا في مكانس الريب) استتروا في موضع الريبة (الفيء) الغنيمة (فيئنا) عطفنا وبرنا (إبانة) حينه (تجمير الجيش) هو حبس الأمير للجيش في الثغر وعدم السماح بالعودة. (انج سعد فقد قتل سعيد) هذا مثل سائر:وأصله أن ابني ضبة بن أد خرجا. في طلب إبل لهما. فرجع سعد وفقد سعيد فكان ضبة إذا رأى سوادا تحت الليل قال: أسعد أم سعيد. هاذا أصل المثل فأخذ ذالك اللفظ منه (الغميزة) ضعفة في العمل وجهلة في العقل وتقول: سمعت كلمة فاغتمزتها في عقله أي: علمت أنه أحمق (الحدث) الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في الكتاب والسنة

■ (1) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (2) عبد الله بن الأهتم يروي عن المدنيين وعمر بن عبد العزيز روى عنه أهل الشام. وفد على سليمان بن عبد الملك رسولا من يزيد بن المهلب.ودخل على عمر بن عبد العزيز فوعظه. قال محمد خلف سلامة هو: خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري: من فصحاء العرب المشهورين.كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار. ولد ونشأ بالبصرة. وكان أيسر أهلها مالا، ولم يتزوج.له كلمات سائرة، قيل له: أي إخوانك أحب إليك؟ فقال: الذي يغفر زللي ويقبل عللي ويسد خللي. عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي وحظي عنده. وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشئ وذمه. وكان يعارض شبيب بن شيبة، لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة. وجمع بعض كلامه في كتاب. وكان يرمى بالبخل. وكف بصره. توفي نحو 133 هـ أو سنة 135 هـ.

■ (3) الأحنف، أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وكان سيد قومه (زعيم قائد)، موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، روى عن عمر وعثمان وعلي، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ، عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد (وهو اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم، وفيه ماء).

■ (4) أبو بلال، مرداس بن أدية، وهي أمه، وأبوه حدير بن عمرو بن عبيد بن كعب، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وأمه من محارب بن خصفة، وكان عابدا مجتهدا عظيم القدر في الخوارج، وشهد مع علي صفين فأنكر التحكيم، وشهد مع الخوارج النهروان، وكانت الخوارج كلها تتولاه، وسمع زيادا يقول: لآخذن البريء بالسقيم والجار بالجار، فقال: يا زياد إن الله يقول: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فحكم الله خير من حكمك، فقال زياد: إنا لا نصل إلى ما نريد إلا ببعض الإغماض. وقتل في حدود سنة 60 هـ في ولاية عبيد الله بن زياد.

قال علي الصلابي: هذه الخطبة تعتبر من الخطب المشهورة في التاريخ ومع الرغم من كثرتها وكثرة المصادر التي أوردتها إلا أنها لم تأت بإسناد صحيح يجعل القارئ يطمئن إلى صحة ما ورد فيها، لاسيما أنها تحتوي على مآخذ عديدة، وتناقضات واضحة تقلل من صحة نسبة جميع ما جاء فيها إلى زياد وقد نبه إلى هذه المآخذ والتناقضات الدكتور خالد الغيث* حفظه الله منها :

...تحدثت الخطبة عن انتشار الفجور في البصرة وكثرة بيوت الدعارة فيها، ويستفاد ذلك من قول زياد:.. من ترككم هذه المواخير المنصوبة، قوله: ..حرم علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا. وهذا الكلام المنكر عن حال البصرة عند قدوم زياد، يرده حقيقة ما كانت عليه البصرة منذ تأسيسها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث بنيت لتكون قاعدة تنطلق منها الجيوش الإسلامية لمواصلة الفتح ونشر الإسلام في ربوع البلاد المفتوحة، ومن أجل هذه الغاية استوطن البصرة أكثر من خمسين ومائة صحابي، حملوا على عواتقهم مهمة الدعوة إلى الله وتعليم الناس أمور دينهم، فأنى لهذه المنكرات أن تنبت وتنتشر في مجتمع عماده الصحابة والتابعون دون أن ينكروه ويلزموه، كذلك فإن وجود الخوارج في البصرة وما عرف عنهم من الاستعجال والاندفاع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل آخر على انتفاء وجود هذه المنكرات في مجتمع البصرة وبالحجم الذي ورد في خطبة زياد.

ومن التناقضات الواردة في الخطبة: ورد قول زياد: وإياي ودعوى الجاهلية، فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه مع أنه ذكر في موضع آخر من الخطبة نقيض ذلك وهو قوله: وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالولي، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم بالسقيم. وورد في الخطبة قول زياد: إياي ودلج الليل، فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه. لكنه عاد في موضع آخر من الخطبة لينقض ما ذكره آنفا فقال: لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقا بليل. وهذه التناقضات الواردة في الخطبة يستغرب صدورها من زياد مع ما عرف عنه من البلاغة والفصاحة، وهذا يقودنا إلى قضية أخرى وهي احتمال كون النص الذي بين أيدينا عن خطبة زياد عند مجيئة إلى البصرة عبارة عن أكثر من خطبة تم دمجها في سياق واحد ويؤيد ذلك ثناء عبد الله بن الأهتم والأحنف بن قيس على زياد بعد انتهاء الخطبة من أن الخطبة تستوجب النقد وليس الثناء، لما فيها من تقديم حكم الجاهلية على حكم الله. وعن الشعبي، قال: ما سمعت متكلما قد تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفا أن يسيء إلا زيادا، فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاما. وهذا الثناء من الشعبي على زياد يقوي الشك حول خطبة زياد البتراء التي سبق الحديث عنها في الرواية السابقة.

قال الشعبي: ما رأيت أحدا أخطب من زياد. وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت أخصب ناديا ولا أكرم مجلسا ولا أشبه سريرة بعلانية من زياد. وقال الأصمعي: أول من ضرب الدنانير والدراهم ونقش عليها اسم الله ومحا عنها اسم الروم ونقوشهم زياد. وقال العتبي: إن زيادا أول من ابتدع ترك السلام على القادم بحضرة السلطان. وقال الشعبي: أول من جمع له العراقان وخراسان وسجستان والبحران وعمان، زياد. وهو أول من عرف العرفاء ورتب النقباء وربع الارباع بالكوفة والبصرة، وأول من جلس الناس بين يديه على الكراسي من أمراء العرب، وأول من اتخذ العسس والحرس في الإسلام.

----

*(مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري صـ244)

مراجع: عيون الأخبار/ـمختصر تاريخ دمشق لابن منظور/ تاريخ الطبري/ القاموس المحيط/ لسان العرب/ تاج العروس/ كتاب العين/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/ أنساب الأشراف/

◆ زياد بن أبيه (عامل أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، أول ملوك الدولة الأموية) وأبوعلاثة، الشاعر 0321

عن الشعبي قال: شهدت زيادا[0]أتاه عامر بن مسعود[1] بأبي علاثة التيمي[2] فقال: إنه هجاني فقال: وما قال لك؟ قال: قال لي: وكيف أرجي ثروها ونماءها..وقد سار فيها خصية الكلب عامر، فقال أبوعلاثة: ليس هكذا قلت. قال: فكيف قلت؟ قال: قلت: وإني لارجو ثروها ونماءها..وقد سار فيها ناجذ الحق عامر. فقال زياد: قاتل الله الشاعر ينقل لسانه كيف يشاء والله لو لا أن تكون سنة لقطعت لسانه، فقام قيس بن فهد الانصاري[3] فقال: أصلح الله الامير، والله لا أدري ممن الرجل، فإن شئت حدثتك ما سمعت عن عمر رضي الله عنه، قال: وكان يعجب زيادا أن يسمع الحديث عن عمر، فقال: هات، فقال: شهدته وقد أتاه الزبرقان بن بدر[4] بالحطيئة[5] فقال: إنه هجاني، فقال: وما قال لك؟ فقال: قال: دع المكارم لا ترحل لبغيتها..واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي، فقال: ما أسمع هجاء، ولكنها معاتبة جميلة. فقال الزبرقان: وما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس!! والله يا أمير المؤمنين ما هجيت ببيت قط أشد علي منه، سل ابن الفريعة – يعني حسان ابن ثابت[6] فقال عمر رضي الله عنه: علي بحسان. فجئ به فسأله عمر، فقال: لم يهجه ولكن سلح*عليه. ويقال –وليس بهذا الاسناد– إنه سأل لبيد بن ربيعة[7]: أهجاه أم لا ؟ فقال: ما يسرني أنه لحقني ما لحقه من هذا الشعر. وأن لي حمر النعم. رجع إلى الاسناد الاول – قال: فأمر به عمر رضي الله عنه فجعل في نقير* في بئر، ثم ألقى عليه حفصة*، فقال الحطيئة: ماذا تقول لافراخ بذي مرخ..حمر الحواصل لا ماء ولا شجر ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة..فاغفر عليك سلام الله يا عمر، قال فأخرجه، وقال: إياك وهجاء الناس. قال: إذن تموت عيالي جوعا، هذا كسبي ومنه معاشي، قال: فإياك والمقذع من القول. قال: وما المقذع ؟ قال: أن تخاير بين الناس فتقول فلان خير من فلان وآل فلان خير من آل فلان، قال: أنت والله أهجى مني، قال: ويقال إن عمر رضي الله عنه قال: والله لو لا أن تكون سنة لقطعت لسانك، ولكن اذهب فأنت له، خذه يا زبرقان فألقى الزبرقان في عنقه عمامته فاقتاده بها. وعارضته غطفان فقالوا: أبا شذرة* إخوتك وبنو عمك هبه لنا فوهبه لهم.

----

* (السلح) السلح للطائر كالغائط للإنسان وقيل هو خاص بها رق منه (نقير بئر) المنقر والمنقر: بئر صغيرة، وقيل: بئر ضيقة الرأس، تحفر في الأرض الصلبة لئلا تهشم وفي رواية ابن سلام في طبقات فحول الشعراء: فألقاه عمر في حفرة اتخذها محبسا.(الحفص) زبيل من جلود، وقيل: زبيل صغير من آدم تتقى به الآبار. ولعل المراد أنه ألقي عليه قطعة من جلد حتى يحجب عنه النور(الفرخ) ولد الطائر.هذا الأصل وقد استعمل في كل صغير من الحيوان والنبات والشجر وغيرها (ذي مرخ) هو واد بين فدك والوابشية خضر نضر كثير الشجر. قال ياقوت: وقال الحفصي في كتابه: الخارجة قرية لبني يربوع باليمامة وفيها يمر ذو مرخ. قال ياقوت: وأظن الوادي قرب فدك هو ذو مرخ. (حمر الحواصل) في رواية الطبري في تهذيب الآثار: زغب الحواصل. والزغب: الشعيرات الصفر على ريش الفرخ. وقيل: هو صغار الشعر والريش ولينه. وقيل: الزغب أول ما يبدو من شعر الصبي والمهر وريش الفرخ(الحواصل) جمع حوصلة. وهي في الطائر ما يجتمع فيه الطعام.والحطيئة يصف أبناءه بصغر السن كالطائر الصغير الذي ما زال الزغب عليه ولم يغط الشعر حمرة لحم حوصلته (أبو شذرة) هو كنية الزبرقان بن بدر

■ (2) أبو علاثة التيمي.؟.. أبو علاقة التيمي؟ (لم أجد له ترجمة)

■ (1) عامر بن مسعود ؟.. (1) عامر بن مسعود بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، القرشي الجمحي. مختلف في صحبته، قال أبو داود: قلت لأحمد بن حنبل: عامر بن مسعود القرشي، له صحبة؟ قال: لا أدري، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقال أبو داود: وسمعت مصعبا الزبيري يقول: له صحبة، وهو والد إبراهيم بن عامر، الذي روى عنه الثوري وشعبة. وهو الذي ولي الكوفة بعد موت يزيد بن معاوية باتفاق من أهلها عليه. ولما وليهم خطبهم فقال في الخطبة: إن لكل قوم أشربة ولذات، فاطلبوها في مظانها، وعليكم بما يحل ويحمد واكسروا شرابكم بالماء، فقال شاعر: البسيط: من ذا يحرم ماء المزن خالطه..في قعر خابية ماء العناقيد..إني لأكره تشديد الرواة لنا..فمها، ويعجبني قول ابن مسعود وكثير من الناس يظنون أنه أراد تابن مسعود، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم. ولما ولي ابن الزبير الخلافة أقره على الكوفة، وكان يقلت دحروجة الجعل، لقصره. وعزله ابن الزبير بعد ثلاثة أشهر، واستعمل بعده عبد الله بن يزيد الخطمي. وعامر بن مسعود الزرقي الأنصاري؛ وهو مختلف في صحبته، وتوفي في حدود السبعين للهجرة.

■ (3) قيس بن فهد الأنصاري، من بني مالك بن النجار، وهو قيس بن قهد بن قيس بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي. قال مصعب الزبيري: هو جد يحيى بن سعيد الأنصاري، قال: ولم يكن قيس بالمحمود في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن أبي خيثمة: هذا وهم من مصعب، وإنما جد يحيى بن سعيد: قيس بن عمرو، قال: وقيس بن قهد هو جد أبي مريم عبد الغفار بن القاسم الأنصاري الكوفي. قال أبو عمر: وهو كما قال ابن أبي خيثمة، وقد أخطأ فيه مصعب، وكلهم خطأه في قوله هذا. أخرجه أبو عمر هكذا. وقد تقدم قيس بن عمرو (ابن الأثير)، والله أعلم. وقال الأمير أبو نصر: وأما قهد بالقاف، فهو قيس بن قهد، له صحبة، روى عنه قيس بن أبي حازم، وابنه سليم بن قيس، شهد بدرا وما بعدها، توفي في خلافة عثمان

■ (0) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (7) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة العامري – أبو عقيل المشهور، قال الشعر في الجاهلية ثم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة وفد قومه بنو جعفر فأسلم وحسن إسلامه، وترك قول الشعر وقيل لم يقل غير بيت واحد وهو قوله: ما عاتب المرء الكريم كنفسه..والمرء يصلحه القرين الصالح وقيل بل قال: الحمد لله إذ لم يأتني أجلي..حتى اكتسيت من الاسلام سربالا وقال عمر بن الخطاب يوما له: أنشدني شيئا من شعرك. فقال: ما كنت لاقول شعرا بعد أن علمني الله البقرة وآل عمران فزاد عمر في عطائه خمسمائة.قيل عاش 140 سنة وقيل مات وهو ابن 157 سنة

■ (5) الحطيئة، هو جرول بن أوس بن مالك العبسي، يكنى أبا مليكة.وإنما لقب الحطيئة لقصره، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والاسلام. كان هجاءا عنيفا، لم يكد يسلم من لسان أحد. وهجا أمه وأباه ونفسه. وأكثر من هجاء الزبرقان ابن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس، فقال: إذا تموت عيالي جوعا !. توفي نحو 45 هـ وقيل في حدود سنة 59 هـ

■ (4) الزبرقان بن بدر التميمي السعدي: صحابي، من رؤساء قومه. قيل اسمه الحصين ولقب بالزبرقان وهو من أسماء القمر لحسن وجهه. ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر، وكف بصره في آخر عمره. وتوفي في أيام معاوية. وكان فصيحا شاعرا، فيه جفاء الاعراب. قال ابن حزم: وله عقب بطليرة Talavera لهم بها تقدم، وكانوا أول نزولهم بالاندلس نزلوا بقرية ضخمة سميت الزبارقة نسبة إليهم، ثم غلب الافرنج عليها، فانتقلوا إلى طليرة، وينسب إليه قول النابغة: تعدو الذئاب على من لا كلاب له. توفي نحو 45 هـ

■ (6) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو . سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس. أبو الوليد؛ ويقال: أبو الحسام. الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، ابن الفريعة (أو الفزيعة). شاعر رسول الله وصاحبه. وحديثه قليل. قال ابن سعد: عاش ستين في الجاهلية، وستين في الإسلام. قال ابن سعد: عن الواقدي: لم يشهد مع النبي مشهدا. كان يجبن وقيل: لعلة أصابته وأمة الفريعة (أو الفزيعة) بنت خنيس. قال مسلم: كنيته أبو عبد الرحمن. وقيل: أبو الوليد. واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته. توفي في المدينة بين سنة35 و40 هـ زمن علي. أو ما بين سنة 50 هـ و 54 هـ زمن معاوية.

☪

بلغني أن ابن الحمامة[1] هو هوذة رجل من سليم، كان في العطاء أيام عمر رضي الله عنه فحضر ليأخذ عطاءه فدعي رجال من قومه قبله فقال: لقد دار هذا الامر في غير أهله..فأبصر إمام الحي كيف تريد أيدعى خثيم والشريد أمامنا..ويدعى رياح قبلنا وطرود فإن كان هذا في الكتاب فهم إذا..ملوك بني حر ونحن عبيد، فبلغ شعره عمر رضي الله عنه فدعاه فسأله عن حاله، فأخبره أن عليه دينا فأعانه على دينه من ماله، فكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه كلما ذاكر أباه دعاه به على غير اسمه فقال: يا بني اتق ألسن الشعراء، وكان ابن الحمامة هذا وقف على الحطيئة وهما لا يتعارفان، والحطيئة في خباء له وهو يأكل، فسلم عليه فقال الحطيئة: قلت مالا ينكر، قال: إن الشمس قد أحرقتني، فقال ادن من الجبل يفئ عليك، قال: إن الرمضاء قد أحرقت قدمي، قال: بل في موضعهما تبردان، قال: إن رأيت أن تطعمني من طعامك، قال: إن فضل شئ كنت أحق به من الكلب، قال: أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا ابن الحمامة، قال: كن ابن أي طير الله شئت. وعن الشعبي، عن ربعي بن حراش قال: قال لنا عمر رضي الله عنه: يا معشر غطفان: أي شعرائكم الذي يقول: أتيتك عاريا خلقا ثيابي..على خوف تظن بي الظنون فألقيت الامارة لم تخنها..كذلك كان نوح لا يخون. قلنا: النابغة، قال هو أشعر شعرائكم.

☪

حدث جماعة، دخل حديث بعضهم في حديث الآخر: أن المغيرة بن شعبة[2] قال لزياد، وهو بفارس وجهه إليه معاوية: أبا المغيرة، خذ لنفسك من هذا الرجل. قال: أشر علي، فإن المستشار مؤتمن. قال: أرى أن تنقل أصلك إلى أصله، وتصل حبلك بحبله، وتعير الناس منك أذنا صماء. قال: قلت ما لا يكون يا بن شعبة، مغرس في غير منبته، لا عرق يسقيه، ولا مدرة له تغذوه، وقد قال زهير: من الطويل: وهل ينبت الخطي إلا وشيجه..وتغرس إلا في منابتها النخل. ثم قدم زياد بن معاوية، فجرى بينهما الصلح، وضمن لمعاوية أربعة آلاف ألف فحملها إليه، وأبرأه معاوية من كل مال أصابه، وشخص زياد إلى الكوفة، فكتب إليه معاوية يعرض له بالدعوة فأبى، ثم قدم عليه الشام، فأراده معاوية على الدعوة فقال زياد: كيف! وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَحَرَامٌ عَلَيْهِ أَنْ يَرَاحَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ﴾ وقد ولدت على فراش عبيد[3]؟ فقال معاوية: والله إنك لابن أبي سفيان، فنفر من ذلك زياد، فكف عنه معاوية، ثم عاوده فكلمه فيه فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا لا يصح إلا بشهادة قائمة طاهرة، وأمر واضح يثبت به النسب، فقال معاوية: إن من يقوم بهذا ويعلمه، ويشهد به غير واحد. قال: من يقول ذلك؟ قال: جويرية بنت أبي سفيان[4]، فادخل عليها: فقد أخبرتني أنها سمعت أبا سفيان يقول: زياد ابني. فدخل عليها زياد، فقالت: يا أخي، أنت والله ابن أبي سفيان، أشهد على أبي لسمعته غير مرة يقول: إن زيادا ابني. فرجع إلى معاوية فقال: أتزوج بني بناتك؟ قال: نعم. فادعاه سنة أربع وأربعين، فجمع معاوية أشراف الناس ووجوههم، وخطبهم، وقال: أنشد الله رجلا كان عنده علم من زياد إلا قام به. فقام المنذر بن الزبير بن العوام[5]، فشهد أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: أشهد أن أبا سفيان أشهدني أن زيادا ابنه، وقام أبو مريم مالك بن ربيعة السلولي[6]، وكان ممن شهد فتح الأبلة، فشهد أن أبا سفيان أقر أن زيادا ابنه، وشهد المستورد بن قدامة الباهلي، وابن أبي بصير الثقفي، وزيد بن نفيل الأزدي، ورجل من بني عمرو بن شيبان، وشعبة بن القلعم المازني، وزياد بن أسامة الحرمازي أن زيادا ابن أبي سفيان. وقام رجل من بني المصطلق فقال: أشهد أن أبا سفيان كان بيني وبين علي بن أبي طالب، وزياد يتكلم عند عمر بعذر أبي موسى، فقال أبو سفيان: والله إنه لابني، وإنه من نطفة أقررتها في رحم أمه سمية. فلما شهد الشهود حمد الله معاوية، ثم قال: إنه من يرد الله رفع خسيسته وإثبات وطيدته يسبب له الأمور، ويجري له المقادير، على ما أحب الناس أو كرهوا، حتى يبلغ المنصب المشهور. وإن زيادا عبد من عبيد الله، امتن الله عليه وعلينا معه بألفة رحمة، فوشجت العروق في منابتها، ومت برحم غير منقطعة، فالحمد لله الذي وصل ما قطع الناس، ولطف لما أجفوا، وحفظ ما ضيعوا. ثم تكلم زياد، فحمد الله وقال: هذا أمر لم أشهد أوله، ولم أدع آخره، وقد قال أمير المؤمنين ما قد سمعتم، وشهدت الشهود بما قد حضرتم، فأنا امرؤ رفع الله مني ما وضع الناس، وحفظ مني ما ضيعوا، فإن يك ما قالوا حقا فالحمد لله على بلائه عندنا ونعمه علينا، وإن يك ما قالوا باطلا فقد جعلت الرجال فيما بيني وبين الله عز وجل.

■ (1) هوذة بن الحارث بن عجرة السلمي، ابن حمامة: شاعر قوي العارضة. من الصحابة، أو ممن كانوا في عصر النبوة. والحمامة أمه، اشتهر بنسبته إليها. كان من سكان البصرة. ووفد على عمر في خلافته ليأخذ عطاءه، فدعي قبله أناس من قومه، فأغضبه تقديمهم عليه، فقال: لقد دار هذا الامر في غير أهله!..فأبصر، أمين الله، كيف تريد..أيدعي خثيم والشريد أمامنا؟..ويدعي رباح قبلنا، وطرود؟..فان كان هذا في الكتاب، فهم إذا..ملوك، بنو حر، ونحن عبيد!. فدعا به عمر، وأعطاه. الزركلي قال توفي نحو سنة 20 هـ ؟؟؟

■ (2) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية مع رسول الله، وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية، وكان موصوفا بالدهاء والحلم. وولي البصرة ثم الكوفة لعمر، وولي الكوفة بعد ذلك لمعاوية، فمات بها وهو وال عليها سنة 50 أو 51 هـ.

■ (4) جويرية بنت أبي سفيان صخر بن حرب أخت أم حبيبة ويزيد ومعاوية بني أبي سفيان أسلمت بعد الفتح وبايعت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت اليرموك، وسكنت دمشق، وأمهم جميعا هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

■ (5) المنذر بن الزبير بن العوام: من وجوه قريش وشجعانهم في صدر الدولة الاموية.وهو أخو عبد الله بن الزبير وعبد الله أكبر منه سنا.انقطع إلى معاوية. وأوصى معاوية أن يحضر المنذر غسله عند موته. ولما أراد معاوية إلحاق زياد بن أبيه بنسبه، شهد المنذر بأن علي بن أبى طالب قال: سمعت أبا سفيان بن حرب يقول: أنا والله أبوه. وانتقل المنذر إلى البصرة. وأمر له معاوية بمال، فدفعه إليه عبيد الله بن زياد أمير البصرة وأقطعه دارا بها. وكان يزيد بن معاوية هو الذى كتب إلى ابن زياد بذلك.ولما قويت حركة عبد الله بن الزبير بمكة، خاف يزيد أن يلحق المنذر بأخيه فيكون المال عونا له فكتب إلى ابن زياد أن يحبس المال عنه ولا يدعه يخرج من البصرة. وكان ابن زياد يذكر شهادة المنذر بنسب أبيه ويشكرها، فأشعره بما جاءه من يزيد، ففر المنذر إلى مكة.وبقى مع أخيه عبد الله إلى أن حاصره حصين بن نمير وهو حصار ابن الزبير الاول وصرع المنذر عن بغلة كان يقاتل عليها فقاتل وهو راجل وجعل يقول: يأبى بنو العوام إلا وردا من يقتل اليوم يزود حمدا ولم يزل يقاتل حتى قتل سنة 73 هـ.

■ (6) أبو مريم مالك بن ربيعة السلولى أبو بريد بن أبى مريم روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث

■ (3) قيل أن سمية زوجها الحارث بن كلدة الثقفي غلاما له روميا يقال له عبيد، فولدت زيادا على فراشه.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ تاريخ المدينة/ الأعلام للزركلي/ التذكرة الحمدونية/ الأغاني/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/ تاريخ الإسلام للذهبي/ أسد الغابة/ أنساب الأشراف/ تهذيب الأسماء واللغات/ الوافي بالوفيات/ التذكرة الحمدونية/

◆ زياد بن أبيه (عامل أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، أول ملوك الدولة الأموية) والفرزدق، الشاعر 0322

قال الفرزدق[0]: هاجيت الأشهب بن رميلة[1] والبعيث[2] فسقطا، فاستعدى علي بنو نهشل* وبنو فقيم* زياد بن أبيه، واستعدى علي أيضا يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك[3]، قال: فلم يعرفني زياد حتى قيل له الغلام الأعرابي الذي أنهب ماله وثيابه، فعرفني. قال الفرزدق: وكان أبي غالب[4] قد أرسلني في جلب* له أبيعه وأمتار له، فبعت الجلب بالبصرة وجعلت ثمنه في ثوبي، فعرض لي رجل فقال: لشد ما تستوثق منها، أما لو كان مكانك رجل أعرفه ما صر عليها. فقلت: ومن هو؟ قال: غالب بن صعصعة وهو أبو الفرزدق. فدعوت أهل المربد ونثرتها. فقال لي قائل: ألق رداءك. ففعلت. فقال آخر: ألق ثوبك. ففعلت. وقال آخر: ألق عمامتك. ففعلت. فقال آخر: ألق إزارك. فقلت: لا ألقيه وأمشي مجردا، إني لست بمجنون. وبلغ الخبر زيادا فقال: هذا أحمق يضري الناس بالنهب، فأرسل خيلا إلى المربد ليأتوه بي، فأتاني رجل من بني الهجيم* على فرس له وقال: النجاء النجاء! وأردفني خلفه، ونجوت، فأخذ زياد عمين لي: ذهيلا والزحاف ابني صعصعة، وكانا في الديوان، فحبسهما أياما ثم كلم فيهما فأطلقهما، وأتيت أبي فأخبرته خبري، فحقدها عليه زياد. ثم وفد الأحنف بن قيس[5] وجارية بن قدامة السعديان[6] والجون بن قتادة العبشمي[7] والحتات بن يزيد أبو منازل المجاشعي[8] إلى معاوية بن أبي سفيان، فأعطى كل رجل منهم جائزة مائة ألف، وأعطى الحتات سبعين ألفا. فلما كانوا في الطريق ذكر كل منهم جائزته. فرجع الحتات إلى معاوية فقال: ما ردك؟ قال: فضحتني في بني تميم! أما حسبي صحيح؟ أولست ذا سن؟ ألست مطاعا في عشيرتي؟ قال: بلى. قال: فما بالك خسست بي دون القوم وأعطيت من كان عليك أكثر ممن كان لك؟ وكان حضر الجمل مع عائشة أم المؤمنين، وكان الأحنف وجارية يريدان عليا، وإن كان الأحنف والجون اعتزلا القتال مع علي لكنهما كانا يريدانه. قال: إني اشتريت من القوم دينهم، ووكلتك إلى دينك ورأيك في عثمان، وكان عثمانيا. فقال: وأنا فاشتر مني ديني. فأمر له بإتمام جائزته، ثم مات الحتات فحبسها معاوية، فقال الفرزدق في ذلك؛ شعر: أبوك وعمي يا معاوي أورثا..تراثا فيحتاز التراث أقاربه..فما بال ميراث الحتات أخذته..وميراث صخر جامد لك ذائبه..فلو كان هذا الأمر في جاهلية..علمت من المرء القليل حلائبه..ولو كان في دين سوى ذا شنئتم..لنا حقنا أو غص بالماء شاربه.

وأنشد محمد بن علي: ألست أعز الناس قوما وأسرة..وأمنعهم جارا إذا ضيم جانبه..وما ولدت بعد النبي وآله..كمثلي حصان في الرجال يقاربه..وبيتي إلى جنب الثريا فناؤه..ومن دونه البدر المضيء كواكبه..أنا ابن الجبال الشم في عدد الحصى..وعرق الثرى عرقي فمن ذا يحاسبه..وكم من أب لي يا معاوي لم يزل..أغر يباري الريح ما ازور جانبه..نمته فروع المالكين ولم يكن..أبوك الذي من عبد شمس يقاربه..تراه كنصل السيف يهتز للندى..كريما يلاقي المجد ما طر شاربه..طويل نجاد السيف مذ كان لم يكن..قصي وعبد الشمس ممن يخاطبه.يريد بالمالكين مالك بن حنظلة[9] ومالك بن زيد مناة بن تميم[10]، وهما جداه. لأن الفرزدق ابن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. فلما بلغ معاوية شعره رد على أهله ثلاثين ألفا، فأغضبت أيضا زيادا عليه، فلما استعدت عليه نهشل وفقيم ازداد عليه غضبا فطلبه فهرب وأتى عيسى ابن خصيلة السلمي[11] ليلا وقال له: إن هذا الرجل قد طلبني وقد لفظني الناس وقد أتيتك لتغيثني عندك. فقال: مرحبا بك. فكان عنده ثلاث ليال. ثم قال له: قد بدا لي أن آتي الشام، فسيره. وبلغ زيادا مسيره فأرسل في أثره، فلم يدرك، وأتى الروحاء* فنزل في بكر بن وائل* فأمن ومدحهم بقصائد. ثم كان زياد إذا نزل البصرة نزل الفرزدق الكوفة، وإذا نزل الكوفة نزل الفرزدق البصرة، فبلغ ذلك زيادا فكتب إلى عامله على الكوفة،وهو عبد الرحمن بن عبيد[12]،يأمره بطلب الفرزدق، ففارق الكوفة نحو الحجاز، فاستجار بسعيد بن العاص[13]فأجاره فمدحه الفرزدق، ولم يزل بالمدينة مرة وبمكة مرة حتى هلك زياد.

وقد قيل: إن الفرزدق إنما قال هذا الشعر لأن الحتات لما أسمل آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية، فلما مات الحتات بالشام ورثه معاوية بتلك الأخوة فقال الفرزدق هذا الشعر. وهذا القول ليس بشيء لأن معاوية لم يكن يجهل أن هذه الأخوة لا يرث بها أحد. الحتات بضم الحاء وبتائين مثناتين من فوقهما بينهما ألف.

----

* (بنو نهشل) بطن من دارم من العدنانية، وهم بنو نهشل بن دارم، ودارم تقدم نسبه عند ذكره في حرف الدال المهملة (فقيم بن عدي) فقيم بن عدي: بطن من كنانة بن خزيمة، من العدنانية، وهم: بنو فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (جلب) المتاع وغيره من باب ضرب.. الجلب : ما يجلب من السبي أو الغنم والجمع أجلاب والفعل يجلبون (بنو الهجيم) ويقال بلهجيم بفتح الباء وسكون اللام، بطن من تميم من العدنانية، وهم بنو الهجيم بن عمرو بن تميم، وتميم، منهم جابر بن سليم بن الهيجمي التميمي، ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب.(وقولهم فلان من أهل المربد) قال أبو بكر المربد معناه في كلام العرب محبس الإبل والغنم وغيرها من ذلك مربد المدينة سمي مربدا لأنه كان محبسا للغنم والمربد بالبصرة سمي مربدا لأنه كان سوقا للإبل (بكر بن وائل) قبيلة كبيرة كانت تمتد فروعها وبطونها في شرق الجزيرة من وادي الفرات إلى اليمامة.وهي بطن من ربيعة (فج الروحاء) موضع بين المدينة ومكة، كان طريق النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر، وإلى مكة عام الفتح، وعام الحج

■ (0) همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن طائفة.ولد سنة 38 هـ وتوفي في بادية البصرة، وقد قارب المئة سنة 110 هـ. وقيل 114 هـ كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. يشبه بزهير بن أبي سلمى. وكلاهما من شعراء الطبقة الاولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الاسلاميين. وهو صاحب الاخبار مع جرير والاخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. كان الفرزدق لا ينشد بين يدي الخلفاء والامراء إلا قاعدا، وأراد سليمان بن عبد الملك أن يقيمه فثارت طائفة من تميم، فأذن له بالجلوس! ولقب بالفرزدق، لجهامة وجهه وغلظه.

■ (4) غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي الدارمي المجاشعي: جواد، من وجوه تميم. يلقب بابن ليلى. وهو والد الفرزدق الشاعر. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ووفد على علي. وله أخبار. قال المبرد. كان الفرزدق يجير من استجار بقبر أبيه، وكان أبوه جوادا شريفا. مات نحو 40 هـ

■ (9) مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة، من تميم، من عدنان: جد جاهلي. يلقب بالغرف بفتح الغين وسكون الراء لسخائه. وفيه يقول الاسود بن يعفر: في آل غرف لو بغيت لي الاسى لوجدت فيهم إسوة العداد ويقال له مالك الاصغر للتمييز بينه وبين جده.

■ (10)1= مالك بن زيد مناة بن تميم، من عدنان: جد جاهلي. بنوه ربيعة الكبرى ويقال لها ربيعة الجوع. وهو أخو سعد بن زيد مناة. وفيهما يقول جرير، من قصيدة: وأورثني الفرعان سعد و مالك. سناءا وعزا في الحياة مخلدا وكان سيد تميم في عصره بديار مضر. وعده ابن حبيب في المحبر من حمقى العرب، المنجبين وأورد ابن عبد ربه في العقد خبرا عنه في باب نوكى الاشراف.2 = مالك بن زيد مناة بن حبيب، من الخزرج، من الازد: جد جاهلي. من نسله نفيع بن العلاء الانصاري أول قتيل في الاسلام من الانصار

■ (1) الاشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد المدان النهشلي الدارمي التميمي: شاعر نجدي. ولد في الجاهلية، وأسلم، ولم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وعاش إلى العصر الاموي، وهجا غالبا أبا الفرزدق فهجاه الفرزدق، وضعف الاشهب عن مجاراته. وذكره المرزباني في من وفد على الوليد بن عبد الملك. نسبته إلى أمه رميلة وكانت أمة اشتراها أبوه في الجاهلية. توفي سنة بعد 86 هـ وفي ترجمة: الأشهب بن زميله ؟

■ (2) خداش بن بشر بن خالد، أبو زيد التميمي. المعروف بالبعيث: خطيب، شاعر، من أهل البصرة. قال فيه الجاحظ: أخطب بني تميم إذا أخذ القناة. كانت بينه وبين جرير مهاجاة دامت نحو أربعين سنة. ولم يتهاج شاعران في العرب في جاهلية ولا إسلام بمثل ما تهاجيا به. توفي بالبصرة سنة 134 هـ وفي ترجمة: خداش بن بشر بن أبي خالد بن بيبة؟ [نوادر المخطوطات]

■ (6) جارية بن قدامة التميمي السعدي. وقال بعضهم جارية بن قدامة بن مالك بن زهير ويقال جارية بن مالك بن زهير بن حصن. وهو ابن عم الأحنف بن قيس وقيل عمه، وقيل ليس بعمه ولا ابن عمه أخي أبيه، وإنما سماه عمه توقيراً، وكان صاحب علي بن أبي طالب في حروبه. قال ابن عبد البر ومن قال إنه عم الأحنف فلعله عمه لأمه وإلا فلا يجتمعان إلا في سعد بن زيد مناة وتوفي في حدود 50 هـ وله صحبة.

■ (5) الأحنف، أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وكان سيد قومه (زعيم قائد)، موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، روى عن عمر وعثمان وعلي، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ، عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد (وهو اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم، وفيه ماء).

■ (8) الحتات بن يزيد بن علقمة بن حوي بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي الدارمي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم، فأسلموا. وآخى رسول الله بينه وبين معاوية.

■ (7) جون بن قتادة بن الأعور بن ساعدة بن عوف بن كعب بن عبد شمس بن سعد بن زيد مناه بن تميم العبشمي قيل: إن له صحبة. وشهد الجون وقعة الجمل مع طلحة والزبير.

■ (3) يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل

■ (11) عيسى بن خصيلة بن معتب بن نصر بن خالد البهزي ثم أحد بني سليم والحجاج بن علاط بن خالد السلمي

■ (13) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية، الاموي القرشي: صحابي، من الامراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات. وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ فيها توفي سعيد بن العاص الاموي على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو أحيحة المتوفى نحو 3 هـ.

■ (12) عبد الرحمن بن عبيد ؟

☪

قيل: اجتمع على باب الوليد بن عبد الملك: الفرزدق وجرير والأخطل والبعيث والأشهب بن رميلة، فدخل عليه داخل فقال: يا أمير المؤمنين، لقد اجتمع على بابك شعراء ما اجتمع مثلهم على باب ملك قط. ثم سماهم. فأمر بالفرزدق فأدخل أولهم، استنشده وحادثه. ثم أمر بالباقين فادخلوا،وأخر البعيث، فقيل له في البعيث، فقال: أنه ليس كهؤلاء، فقيل له: ما هو بدونهم. فأمر به فادخل ثم استنشده، فقال: يا أمير المؤمنين، إن من حضرك ظنوا أنك إنما قدمتهم علي لفضل وجدته عندهم لم تجده عندي. قال: أولست تعلم أنهم أشعر منك؟ قال: كلا، والله، ولأنشدنك من أشعارهم ما لو هجاهم أعدى الناس لهم ما بلغ منهم ما بلغوا من أنفسهم، أما هذا الشيخ الأحمق وأشار إلى الفرودق فإنه قال لعبيد بني كليب هذا وأشار إلى جرير: بأي رشاء يا جرير وماتح تدليت في حومات تلك القماقم. فجعله تدلى عليه وعلى قومه. وأما عبيد بني كليب وأشار إلى جرير فقال لهذا الشيخ: لقومي أحمى للحقيقة منكم وأضرب للجبار والنقع ساطع..وأوثق عند المرتفات عشية لحاقا إذا ما جرد السيف لامع. فجعل نساءه سبايا بالغداة قد نكحن ووثقن في عشيتهم باللحاق. وأما هذا ابن النصرانية يعني الأخطل فإنه قال: لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكى والمعول فأقر بها أقر به وهنا وجبنا وضعفا. وأما ابن رميلة الضعيف فقال: ولما رأيت ضمت حبالهم ونى منية شري وما كان وانيا. فأقر إن شره ونى عنه وقت الحاجة إليه.فقال له الوليد: لعمري؛ لقد عبت معيبا. ثم استنشده وأحسن جائزته.

قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني رحمه الله تعالى: وذكر الفرزدق في هذا الحديث غلط؛ لأنه ما ورد على خليفة قبل سليمان بن عبد الملك.

مراجع: الكامل قي التاريخ/ تاريخ الرسل والملوك/ نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب/ معجم قبائل العرب لعمر كحالة/ تهذيب اللغة/ مختار الصحاح/ الزاهر في معاني كلمات الناس/ الأعلام للزركلي/ الموشح للمرزباني/ نوادر المخطوطات/

لما استلحق معاوية زيادا وقربه وأحسن إليه وولاه، صار من أكبر الأعوان على بني علي ابن أبي طالب[1] رضي الله عنه، حتى قيل إنه لما كان أمير العراقين طلب رجلا من أصحاب الحسن بن علي[2] رضي الله عنهما يعرف بابن سرح[3] وكان في الأمان الذي كتب لأصحاب الحسن رضي الله عنه لما نزل عن الخلافة لمعاوية، فكتب الحسن إلى زياد: من الحسن إلى زياد، أما بعد، فقد علمت ما كنا أخذنا لأصحابنا من الأمان، وقد ذكر لي ابن سرح أنك عرضت له فأحب أن لا تعرض له إلا بخير، والسلام. فلما أتاه الكتاب وقد بدأ فيه بنفسه، ولم ينسبه إلى أبي سفيان غضب وكتب إليه: من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن، أما بعد، فإنه أتاني كتابك في فاسق تؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك، وايم الله لأطلبنه ولو كان بين جلدك ولحمك، وإن أحب الناس إلي لحما أن آكله للحم أنت منه. فلما قرأه الحسن رضي الله عنه بعث به إلى معاوية، فلما قرأه غضب وكتب إلى زياد: من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد، أما بعد، فإن الحسن بن علي بعث إلي بكتابك إليه، جواب كتابه إليك في ابن سرح، فأكثرت التعجب منه، وقد علمت أن لك رأيين: رأي من أبي سفيان، ورأي من سمية[4]، فأما رأيك من أبي سفيان فحلم وحزم، وأما رأيك من سمية فكما يكون رأي مثلها، ومن ذلك كتابك إلى الحسن تسميه وتعرض له بالفسق، ولعمري لأنت أولى بذلك منه، فإن كان الحسن بدأ بنفسه ارتفاعا عنك فإن ذلك لن يضعك، وأما تركك تشفيعه فيما شفع فيه إليك فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك، فإذا أتاك كتابي فخل ما بيدك لابن سرح ولا تعرض له فيه، فقد كتبت إلى الحسن يخيره: إن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلى بلده، وإنه ليس لك عليه سبيل بيد ولا لسان. وأما كتابك إلى الحسن باسمه ولا تنسبه إلى أبيه، فإن الحسن ويحك ممن لا يرمى به الرجوان*، أفاستصغرت أباه، وهو علي بن أبي طالب أم إلى أمه وكلته وهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك أفخر له إن كنت عقلت، والسلام.

قال ابن خلكان: قلت: وقد رويت هذه الحكاية على صورة أخرى وهي: كان سعيد ابن سرح مولى كريز بن حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلما قدم زياد بن أبيه الكوفة واليا عليها أخافه وطلبه، فأتى المدينة ونزل على الحسين بن علي رضي الله عنه، فقال له الحسين: ما السبب الذي أشخصك وأزعجك؟ فذكر له قضيته وصنيع زياد به، فكتب إليه الحسين: أما بعد فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، فهدمت داره وأخذت ماله وعياله، فإذا أتاك كتابي هذا فابن له داره واردد عليه ماله وعياله، فإني قد أجرته فشفعني فيه، فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان إلى الحسين بن فاطمة[5]، أما بعد، فقد أتاني كتابك تبدأ فيه باسمك قبل اسمي وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان وأنت سوقة، وكتابك إلي في فاسق لا يؤويه إلا فاسق مثله، وشر من ذلك توليه أباك، وقد آويته إقامة منك على سوء الرأي ورضى بذلك، وايم الله لا تسبقني إليه ولو كان بين جلدك ولحمك، فإن أحب لحم إلي أن آكله للحم أنت منه، فأسلمه بجريرته إلى من هو أولى به منك، فإن عفوت عنه لم أكن في شفعتك، وإن قتلته لم أقتله إلا بحبه أباك. فلما قرأ الحسين رضي الله عنه الكتاب كتب إلى معاوية يذكر له حال ابن سرح وكتابه إلى زياد فيه وإجابة زياد إياه، ولف كتابه في كتابه وبعث به إليه، وكتب الحسين إلى زياد: من الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زياد بن سمية عبد بني ثقيف ﴿الْوَلَدَ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ﴾ فلما قرأ معاوية كتاب الحسين رضي الله عنه، ضاقت به الشام، وكتب إلى زياد: أما بعد، فإن الحسين بن علي بعث إلي بكتابك جواب كتابه إليك في ابن سرح، فأكثرت التعجب، وعلمت أن لك رأيين: أحدهما من أبي سفيان، وآخر من سمية، فأما الذي من أبي سفيان فحلم وحزم، وأما الذي من سمية فكما يكون رأي مثلها، ومن ذلك كتابك إلى الحسين تشتم أباه وتعرض له بالفسق، ولعمري لأنت أولى بالفسق من الحسين، ولأبوك إذا كنت تنسب إلى عبيد[6] أولى بالفسق من أبيه، وإن كان الحسن بدأ بنفسه ارتفاعا عنك فإن ذلك لم يضعك، وأما تشفيعه فيما شفع إليك فيه فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك، فإذا قدم عليك كتابي هذا فخل ما في يدك لسعيد بن سرح وابن له داره ولا تعذر له واردد عليه ماله، فقد كتبت إلى الحسين أن يخبر صاحبه بذلك، فإن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلى بلده، فليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان. وأما كتابك إلى الحسين باسمه واسم أمه، لا تنسبه إلى أبيه، فإن الحسين ويلك ممن لا يرمى به الرجوان، إلى أمه وكلته لا أم لك فهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلك أفخر له إن كنت تعقل، والسلام.

----

* (لا يرمى به الرجوان) قوله: لا يرمى به الرجوان، وهو لفظ مثنى، ومعناه المهالك. وقالوا:رمي به الرجوان: أي استهزاء، كذا في النسخ والصواب استهين به، وفي الصحاح: أرادوا أنه طرح في المهالك، وقالوا: فلان لا يرمى به الرجوان أي لا يستهان به وتستضعف منزلته فيطرح به ويرمى به

■ (2) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (5) فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . أمها خديجة بنت خويلد ولدتها وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين وهي اصغر بناته تزوجها علي بن أبي طالب في السنة الثانية من الهجرة ، فولدت له الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم. فتزوج زينب عبد الله بن جعفر فولدت له عبد الله وعوناً وماتت عنده. وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيداً. ثم خلف عليها بعد عمر عون بن عبد الله بن جعفر فلم تلد له. ثم مات وخلف عليها محمد بن جعفر فولدت له جارية ثم خلف عليها بعده عبد الله بن جعفر فلم تلد له وماتت عنده. وزاد ابن اسحق في أولاد فاطمة من علي: محسناً. قال: ومات صغيراً وزاد الليث بن سعد: رقيّة قال: وماتت ولم تبلغ. توفيت الزهراء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة اشهر سنة11 هـ وهي بنت 28 سنة ونصف وغسلها علي وصلى عليها وقيل: صلى عليها العباس ودفنت ليلا.

■ (1) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (3) سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس شيعة لعلي بن أبي طالب / مولى كريز بن حبيب بن عبد شمس؟ (4) سمية كانت جارية عند الحارث بن كلدة الثقفي الطبيب الشهير.

■ (6) يونس بن عبيد الثقفي، بالولاء: أول من بنى دارا بالآجر، في البصرة. وكان عبيد أبوه من موالي الحارث ابن كلدة الثقفي. وهو الذي تبنى زياد ابن أبيه في الجاهلية. ولما كبر زياد وألحقه معاوية بنسبه، نزل يونس بالبصرة. وكانت له رواية للحديث ووثقه ابن حبان. مات نحو 50 هـ

كان عمر رضي الله عنه إذا وفد إليه من البصرة رجل أحب أن يكون زيادا ليشفيه من الخبر. وكان عمر قد بعثه في إصلاح فساد وقع باليمن، فرجع من وجهه، وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها، فقال عمرو بن العاص: أما والله لو كان هذا الغلام من قريش لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيان: والله إني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه، فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ومن هو يا أبا سفيان قال: أنا، قال: مهلا أبا سفيان، فقال أبو سفيان: أما والله لولا خوف شخص..يراني يا علي من الأعادي..لأظهر سره صخر بن حرب..ولم يكن المقالة عن زياد..وقد طالت مجاملتي ثقيفا..وتركي فيهم ثمر الفؤاد. فلما صار الأمر إلى علي رضي الله عنه وجه زيادا إلى فارس، فضبط البلاد وحمى وجبى وأصلح الفساد، فكاتبه معاوية يروم إفساده على علي رضي الله عنه، فلم يفعل ووجه بكتابه إلى علي وفيه شعر تركته، فكتب إليه علي: إنما وليتك ما وليتك وأنت أهل لذلك عندي، ولن تدرك ما تريده مما أنت فيه إلا بالصبر واليقين، وإنما كانت من أبي سفيان فلتة زمن عمر رضي الله عنه لا تستحق بها نسبا ولا ميراثا، وإن معاوية يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه فاحذره ثم احذره، والسلام. فلما قرأ زياد الكتاب قال: شهد لي أبو الحسن ورب الكعبة، فذلك الذي جرأ زيادا ومعاوية على ما صنعا (فعلا).

فلما قتل علي رضي الله عنه، وتولى ولده الحسن رضي الله عنه، ثم فوض الأمر إلى معاوية كما هو مشهور، أراد معاوية استمالة زياد إليه وقصد تأليف قلبه ليكون معه كما كان مع علي رضي الله عنه، فتعلق بذلك القول الذي صدر من أبيه بحضرة علي وعمرو بن العاص، فاستلحق زيادا في سنة أربع وأربعين للهجرة، فصار يقال له زياد بن أبي سفيان. فلما بلغ أخاه أبا بكرة – أخو زياد بن أبيه لأمه– أن معاوية استلحقه وأنه رضي ذلك حلف يمينا أن لا يكلمه أبدا، وقال: هذا زنى أمه وانتفى أبيه، والله ما علمت سمية رأت أبا سفيان قط، ويله ما يصنع بأم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أيريد أن يراها، فإن حجبته فضحته وإن رآها فيا لها مصيبة، يهتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة عظيمة. وحج زياد في زمن معاوية ودخل المدينة، فأراد الدخول على أم حبيبة لأنها أخته على زعمه وزعم معاوية، ثم ذكر قول أخيه أبي بكرة، فانصرف عن ذلك. وقيل إن أم حبيبة حجبته ولم تأذن له في الدخول عليها، وقيل إنه حج ولم يزر من أجل قول أبي بكرة، وقال: جزى الله أبا بكرة خيرا، فما يدع النصيحة على حال(؟). وقدم زياد على معاوية وهو نائب عنه وحمل معه هدايا جليلة، من جملتها عقد نفيس، فأعجب به معاوية، فقال زياد: يا أمير المؤمنين، دوخت لك العراق، وجبيت لك برها وبحرها وحملت إليك لبها وسرها، وكان يزيد بن معاوية جالسا فقال له: أما إنك إذ فعلت فإنا نقلناك من ثقيف إلى قريش، ومن عبيد إلى أبي سفيان، ومن القلم إلى المنابر، فقال له معاوية: وريت بك زنادي.وعن ابن إسحاق قال: اشترى زياد أباه عبيدا، فقدم زياد على عمر رضي الله عنه، فقال له: ما صنعت بأول شيء أخذت من عطائك قال: اشتريت به أبي، قال: فأعجب ذلك عمر، وهذا ينافي استلحاق معاوية إياه، والله أعلم. ولما ادعى معاوية زيادا دخل عليه بنو أمية، وفيهم عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم الأموي، فقال: يا معاوية، لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة، فأقبل معاوية على أخيه مروان بن الحكم وقال: أخرج عنا هذا الخليع، فقال مروان: والله إنه لخليع ما يطاق، قال معاوية: والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت أنه يطاق، ألم يبلغني شعره في وفي زياد ثم قال لمروان: أسمعنيه، فقال: ألا أبلغ معاوية بن صخر..لقد ضاقت بما تأتي اليدان أتغضب أن يقال أبوك عف..وترضى أن يقال أبوك زان. وهذه الأبيات فيها خلاف هل هي ليزيد بن مفرغ أم لعبد الرحمن بن الحكم؟، فمن رواها لابن مفرغ روى البيت الأول على تلك الصورة، ومن رواها لعبد الرحمن بن الحكم رواها على هذه الصورة.

(؟) علق هنا صاحب المختار بقوله: قلت، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به: نقلت خط والدي رضي الله عنه ما صورته: وفد على معاوية بن أبي سفيان وفد من بني مخزوم وفيهم رجل أعمى معروف بين العرب، فوقفوا ببابه ينتظرون الإذن لهم في الدخول عليه، فجاء زياد ابن أبيه يوما ليدخل إلى معاوية فسلم فارتج له الباب، فقال أعمى بني مخزوم: من الرجل فقيل له زياد بن أبي سفيان، فقال: كذب والله، إن أبا سفيان كان صديقي وأغشاه في كل وقت وأنا أعرف الناس به وببنيه وحاشاه من الزنا، فمضى زياد إلى معاوية فقال له صد عني أعمى بني مخزوم فقال معاوية ولم ذلك؛ قال: طعن في نسبي منك وأفسد في عقائد أهل الشام، فقال له معاوية: أعجزت عن قطع لسانه، فانصرف إلى منزله، وأرسل إلى أعمى بني مخزوم بألف دينار، فلما كان من الغد جاء ليدخل على معاوية، فسلم على من بالباب، وفيهم وفد بني مخزوم والأعمى فارتج له الباب، فقال الأعمى: من المسلم فقيل زياد، فبكى الأعمى، فقيل له مم بكاؤك فقال: قد علمتم ما كن بيني وبين أبي سفيان رحمه الله من المودة والألفة وكنت أعرف منه بحة في حلقه وقد سمعتها من نغمة ولده زياد، فذكرت عهده فبكيت. انتهى ما نقلته والله أعلم .

مراجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ الأعلام للزركلي/

◆ عتبة بن أبي سفيان، والي مصر (عامل عمه معاوية بن أبي سفيان، أول ملوك الدولة الأموية) ورجل من بني عامر بن صعصعة 0324

قال الزبير بن بكار: حدثني أبو عبد الرحمن العتبي، قال: حج عتبة بن أبي سفيان[1] سنة إحدى وأربعين، والناس قريب عهد بالفتنة، فصلى بهم الجمعة، ثم قال: أيها الناس، إنا ولينا هذا المقام الذي يضاعف فيه للمحسن الأجر وللمسيء الوزر*، ونحن على طريق ما قصدنا، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإنها تقطع دوننا، ورب متمن حتفه في أمنيته، فاقبلوا العافية منا ما قبلناها منكم، وإياكم وقول لو، فإنها قد أتعبت من كان قبلكم، ولن تريح من بعدكم، وأنا أسأل الله أن يعين كلا على كل برحمته. قال: ففتق به أعرابي من ناحية المسجد، فقال: أيها الخليفة. قال: لست به، ولم تبعد، قال: يا أخاه. قال: قد سمعت فقل. قال: والله لئن تحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أحسنا، فإن يكن الإحسان منكم فما أحقكم باستتمامه، وإن كان منا فما أحقكم بمكافأتنا. قال له عتبة: من أنت؟ قال: رجل من بني عامر بن صعصعة[2] يلقاكم بالعمومة*، ويختص إليكم بالخؤولة*، وقد كثر عياله، ورق حاله، ووطئه دهر، وبه فقر، وفيه أجر، وعنده شكر. فقال عتبة: أستغفر الله منك، وأستعينه عليك، فقد أمرت لك بغناك، فليت إسراعي إليك يقوم بإبطائي عنك.

وفي رواية قال الفاكهي: حدثنا أبو يحيى عبد الله بن أحمد بن أبي مسرة، قال: ثنا أبو هاشم، قال: ثنا ابن دأب: حج عتبة بن أبي سفيان بالناس في سنة إحدى وأربعين ، فخطب بعرفة، فقال: أما بعد أيها الناس، فقد ولينا هذا الأمر الذي يضاعف الله فيه للمحسن الأجر، وعلى المسيء فيه الوزر*، ونحن على طريقة قصدنا، فاقبلوا العافية فينا ما قبلناها منكم ، وأنا أسأل الله تعالى أن يعين كلا على كل. قال: فقام أعرابي، فقال: يا أمير المؤمنين، قال: لست به، ولم تبعد قال: يا أخاه، قال: قد أسمعت فقل، قال: والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أحسنا، فلئن كان الإحسان لكم دوننا فإنكم لمحقوقون باستتمامه، ولئن كان لنا دونكم إنكم لمحقوقون بمكافأتنا عليه..، رجل من بني عامر بن صعصعة يمت إليكم بالعمومة، ويختصك بالخئولة، وطأة زمان، وكثرة عيال، وبه فقر، وعنده شكر. قال: فقال عتبة: نستغفر الله منكم ونتوب إليه فيكم، قد أمرت لك بغنى، ولوددت أن إسراعنا إليكم يقوم بإبطائنا عنكم. قال: فأخذ ما أمر له به، ثم وقف الأعرابي على الموقف، فسمع يقول: اللهم لا تحرمني خير ما عندك لسوء ما عندي فإن كنت لم تقبل تعبي ونصبي*، فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته، اللهم عجت إليك الأصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك أن تذكرني على طول البلاء إذا نسيني أهل الدنيا. وسمعت عبد الرحمن بن محمد اليماني يذكر هذه الخطبة ويزيد فيها: فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإنها تقطع، ورب متمن حتفه في أمنيته، فاقبلوا العافية، ثم ذكر نحو حديث ابن دأب.

----

*(الوزر) الحمل والثقل، وأكثر ما يطلق في الحديث على الذنب والإثم. يقال: وزر يزر، إذا حمل ما يثقل ظهره من الأشياء المثقلة ومن الذنوب (النصب) التعب والمشقة (الخؤولة) الأخوال من جهات القرابة: الابوة، البنوة، الاخوة، العمومة، الخؤولة

■ (2) عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر، من قيس عيلان، من العدنانية: جد جاهلي. بنوه بطون كثيرة، ورد ذكرها متفرقة في مواضعها من كتاب الأعلام للزركلي

قال الدكتور عمر كحالة في كتابه معجم قبائل العرب: عامر بن صعصعة: بطن من هوازن، من قيس بن عيلان، من العدنانية، وهم: بنو عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، ويقال لهم: الأحامس. وينقسمون إلى أربعة أفخاذ: نمير، ربيعة، هلال، وسوأة. وأما منازلهم فكانوا كلهم بنجد ثم نزلوا ناحية من الطائف، مجاورين لعدوان أصهارهم، فنزلوا حولهم، وكانوا بذلك زمانا، ووقعت بين عدوان حرب وتشتت أمرهم، فطمعت فيهم بنو عامر، وأخرجتهم من الطائف، ونفوهم عنها، فكانت بنو عامر يتصيفون الطائف لطيبها وثمارها، ويتشتون بلادهم من أرض نجد، لسعتها، وكثرة مراعيها، وإمراء كلئها، ويختارونها على الطائف.ووقعت حروب عديدة بين بني عامر بن صعصعة، وغيرها من القبائل. منها: يوم النسار (ماء لبني عامر)...

■ (1) عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، أبو الوليد، أخو معاوية بن أبي سفيان لأبويه ولد على عهد رسول الله، وولاه عمر بن الخطاب الطائف وصدقاتهم، وقيل ولي المدينة والطائف والموسم لأخيه معاوية غير مرة، ولما مات عمرو بن العاص ولى معاوية أخاه عتبه مصر فقدمها سنة 43 هـ. ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطا، فابتنى دارا في حصنها القديم، وتوفي بها سنة 44 هـ. وقيل: سنة 43 هـ كان عاقلا فصيحا مهيبا، من فحول بني أمية. شهد مع عثمان يوم الدار، وشهد يوم الجمل، مع عائشة، وفقئت عينه. وحج بالناس سنة 41 وسنة 42. قال الاصمعي: الخطباء من بني أمية عتبة بن أبي سفيان، وعبد الملك ابن مروان.

استخلف عتبة بن أبي سفيان ابن [1] أخت أبي الأعور السلمي[2] على مصر، فدخلها فاعتاصوا عليه والتاثوا*، قال: فكتب إلى عتبة فقدمها ثم دخل المسجد، ثم أوفى على منبرها، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم، وقد وليكم من يقول: نفعل ونفعل، يقول: فإن دررتم مراكم بيده، وإن استصعبتم مراكم بسيفه، ثم دخل في الأخير ما أمل في الأول، إن البيعة شائعة، فلنا عليكم السمع، ولكم علينا العدل، وأينا غدر فلا ذمة له عند صاحبه، فنادوه من جنيات المسجد: سمعا سمعا، فناداهم: عدلا عدلا، ثم نزل. وورد كتاب معاوية على عتبة بن أبي سفيان وهو وال على مصر: أن قبلك قوما يطعنون على السلف، ويعيبون على السلطان، فإذا قرأت كتابي فأحسن تقويمهم، وخذ على أيديهم. فلما قرأ عتبة الكتاب صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل مصر، قد خف على ألسنتكم مدح الحق، ولا تأتونه، وذم الباطل، وأنتم تفعلونه،﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة] أثقله حملها ولم ينفعه نقلها، فالزموا ما أمركم الله لنا تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا، وإياكم وقال ويقول، من قبل أن يقال: فعل ويفعل، إني والله ما أداويكم بالسيف ما تقومتم على السوط، ولا أبلغ بكم السوط ما استقمتم بالدرة، ولا أبطئ على الأولى ما لم تسرعوا إلى الأخرى، فكونوا خير قريش سهما، فهذا اليوم الذي ليس فيه عقاب ولا بعده عتاب، وصلى الله على محمد النبي وسلم.

☪

قال أبو العباس ثعلب: قال معاوية لعتبة يوم الحكمين: يا أخي، أما ترى ابن عباس قد فتح عينيه ونشر أذنيه، ولو قدر أن يتكلم بها فعل، وغفلة أصحابه مجبورة بفطنته، وهي ساعتنا الطولى فاكفنيه، قال: قلت بجهدي. قال: فقعدت إلى جنبه، فلما أخذ القوم في الكلام أقبلت عليه بالحديث، فقرع يدي وقال: ليست ساعة حديث، قال: فأظهرت غضبا وقلت: يا بن عباس، إن ثقتك بأحلامنا أسرعت بك إلى أعراضنا، وقد والله تقدم فيك العذر، وكثر من الصبر، ثم أقذعته فجاش بي مرجله، وارتفعت أصواتنا، فجاء القوم فأخذوا بأيدينا، فنحوه عني ونحوني عنه، قال: فجئت فقربت من عمرو بن العاص، فرماني بمؤخر عينه: أي ما صنعت؟ فقلت له: كفيتك التقوالة، قال: فحمحم كما يحمحم الفرس للشعير. قال: وفات ابن عباس أول الكلام فكره أن يتكلم في آخره.

☪

مر عتبة بن أبي سفيان ببعض ولده وعنده رجل يشتم رجلا، فوقف عليه فقال: يا بني نزه نفسك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن الكلام به، فإن المستمع شريك القائل، ولو ردت كلمة جاهل في فيه لسعد بها رادها كما شقي بها قائلها.

ومما قال عبد الله بن المبارك في ذلك: من البسيط: أولو بصائر، عن قول الخنا خرس..لا يرفعون إلى الفحشاء أبصارا. أسر معاوية إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان[3] حديثا، فقال لأبيه: يا أبه، إن أمير المؤمنين أسر إلي حديثا، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك. قال: فلا تحدثني به، فإنه من كتم سره كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه. قال: قلت: يا أبه، وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين أبيه؟ قال: والله يا بني، ولكن أحب ألا تذلل لسانك بأحاديث السر. فأتيت معاوية فحدثته فقال: يا وليد، أعتقك أخي من رق الخطأ. قال عمرو بن عتبة: كان أبونا لا يرفع المواعظ عن أسماعنا، إذا أراد سفرا فقال: يا بني، تلقوا النعم بحسن مجاورتها، والتمسوا المزيد منها بالشكر عليها، واعلموا أن النفوس أقبل شيء لما أعطيت، فاحملوه على مطاياها إذا ركبتم، لا تسبق وإن تقدمت نجا من هرب من النار. وأدرك من سابق إلى الجنة، فقال الأصاغر: يا أبانا ما هذه المطية؟ قال: التوبة يا بني. قال سعد مولى عتبة: قال عتبة: يا سعد، تعهد صغير مالي يكبر، ولا تخف كثيره يصغر، فإنه ليس يمنعني كبير ما في يدي عن إصلاح قليل مالي. وأوصى عتبة بن أبي سفيان عبد الصمد مؤدب ولده فقال: ليكن أول إصلاحك بني إصلاحك نفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما فعلت، والقبيح ما تركت، علمهم كتاب الله، ولا تملهم فيكرهوا، ولا تدعهم منه فيهجروا، وروهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تخرجهم من باب العلم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، تهددهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الرفيق الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، وامنعهم من محادثة النساء، واشغلهم بيسير الحكماء، واستزدني بآدابهم أزدك، ولا تتكلن على عذر مني، فقد اتكلت على كفاية منك. روى حسين بن عطية قال: لما نزل بعتبة بن أبي سفيان الموت اشتد جزعه، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: أما إني سمعت أم حبيبة يعني أخته تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ صَلَّى أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعًا بَعْدَهَا، حَرَّمَ اللهُ لَحْمَهُ عَلَى النَّارِ﴾ فما تركتهن منذ سمعتها.

----

*(الالتياث) الاجتماع والاختلاط والالتباس وصعوبة الأمر وشدته من قولهم التاث عليه الأمور إذا التبست واختلطت. الالتباث: الالتفاف، يقال: التاثت الخطوب. الالتياث: الإبطاء افتعال من اللوث وهو البطء والتاث وهو ألوث (عوص) العوص ضد الإمكان واليسر شيء أعوص وعويص وكلام عويص واعتاص علي هذا الأمر يعتاص فهو معتاص إذا التاث عليه أمره فلم يهتد لجهة الصواب فيه

■ (1) أبو حميضة. عبد الله بن قيس بن الحارث ابن عميس بن ضبيع التجيبي ثم الزميلي امه اخت ابي الاعور يروى عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه. وكانت فيه شدة على بعض أهل مصر. فكرهوا ولايته عليهم، وامتنعوا منها. فبلغ ذلك عتبة، فرجع إلى مصر...

■ (2) أبو الأعور السلمي اسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن قائف بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان سمع جماعة من الصحابة وكان ممن شهد صفين وبشست الصفين لأهل الشام كانت وقد قيل إن لأبى الأعور صحبة ؟

■ (2) سفيان بن عبد شمس بن أبي وقاص ويقال:سفيان بن أمية بن أبي سفيان بن عبد شمس الزهري وهو الذي ذهب بنعي علي إلى معاوية أو إلى عمرو بن العاص من عند معاوية ويقال نعاه لأهل الحجاز له ذكر في حديث مقتل علي قال بن عساكر ولم أجد لسفيان هذا ذكر في كتاب النسب ولا في كتاب التواريخ فالله أعلم بصحة أمره

■ (3) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي. كان عامل عمه معاوية على المدينة. استعمله معاوية على المدينة حين صرف عنها مروان، سنة 57هـ توفي سنة 64 هـ وقيل إنهم أرادوه على الخلافة بعد معاوية بن يزيد، فأبى. وقيل فطعن، فمات بعد موت معاوية بن يزيد. ويقال: قدم للصلاة على معاوية بن يزيد ، فأخذه الطاعون في الصلاة ، فلم يرفع إلا وهو ميت.

مراجع: أخبار مكة للفاكهي/ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار/ الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/ معجم قبائل العرب/ الإصابة في تمييز الصحابة/ أسد الغابة/ الإصابة في تمييز الصحابة/ لسان العرب/ تاج العروس/ـ

◆ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، والي المدينة (عامل عمه معاوية بن أبي سفيان، أول ملوك الدولة الأموية) والحسين بن علي(١) 0325

كان بين الحسين بن علي[1] وبين الوليد ين عتبة[2] كلام في مال كان بينهما بذي المر* والوليد يومئذ أمير المدينة. فقال الحسين بن علي: استطال علي الوليد بن عتبة في حقي بسلطانه، أقسم بالله لينصفني من حقي أو لأحدن سيفي، ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لأدعون بحلف الفضول. فقال عبد الله بن الزبير: [3] وأنا أحلف بالله لئن دعا به لأحدن سيفي، ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه، أو نموت جميعا. فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري [4]،فقال مثل ذلك. فبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التميمي [5]،فقال مثل ذلك. فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي. وقيل: إنهما تنازعا في الأرض، فبينا حسين ينازعه إذا تناول عمامة الوليد عن رأسه، فجذبها. فقال مروان بن الحكم [6] –وكان حاضرا– ما رأيت كاليوم جرأة رجل على أميره، قال الوليد: ليس ذلك بك، ولكنك حسدتني على حلمي عنه. فقال الحسين رضي الله عنه: الأرض لك، اشهدوا أنها له.

عن عكرمة بن خالد قال: قدم معاوية[7]المدينة يريد الحج، فلقيه الحسين رضي الله عنه فقال له: يا معاوية قد بلغني ذكرك وذكر ابن النابغة[8]بني هاشم بالعيوب، فارجع إلى نفسك وسلط الحق عليها، فإنك تجد أعظم عيوبها أصغر عيب فيك، لقد تناولتنا بالعداوة وأطعت فينا عمراً، فوالله ما قدم إيمانه ولا حدث نفاقه، والله ما ينظر لك ولا يبقي عليك، فانظر لنفسك أو دع. قال مسافع بن شيبة: حج معاوية، فلما كان عند الردم أخذ حسين بخطامه فأناخ به ثم ساره طويلا، ثم انصرف، وزجر معاوية راحلته فسار، فقال عمرو بن عثمان[9]: ينيخ بك الحسين وتكف عنه وهو ابن أبي طالب ؟ فقال معاوية: دعني من علي، فوالله ما فارقني حتى خفت أن يقتلني، ولو قتلني لما أفلحتم، وإن لكم من بني هاشم ليوما عصيبا.

لما توفي معاوية قدم رسول يزيد[10]على الوليد بن عتبة، وهو والي على المدينة، يأمره أن يأخذ البيعة على الحسين بن علي وعلى عبد الله بن الزبير. فأرسل إليهما ليلا حين قدم عليه الرسول، ولم يظهر موت معاوية. فقالا: تصبح، وتجمع الناس، فنكون منهم. فقال له مروان: إن خرجا من عندك لم ترهما. فنازعه ابن الزبير الكلام، وتغالظا حتى قام كل واحد منهما لصاحبه، فتناصيا، وقام الوليد فحجز بينهما حتى خلص كل واحد من صاحبه. فأخذ عبد الله بن الزبير بيد الحسين، وقال: انطلق بنا. فقاما، وتمثل ابن الزبير قول الشاعر: لا تحسبني يا مسافر شحمة..تعجلها من جانب القدر جائع [من الكامل] فأقبل مروان على الوليد يلومه، ويقول: لا تراهما أبدا. فقال له الوليد: إني أعلم ما تريد، ما كنت لأسفك دماءهما، ولا لأقطع أرحامهما.

قيل: لما آتي برأس الحسين بن علي إلى عمرو بن سعيد العاص [11]وضع بين يديه، فقال للوليد بن عتبة: قم، فتكلم. فقام، فقال: إن هذا – عفا الله عنا وعنه– خيرنا بين أن يقتلنا ظالما، أو نقتله معذورين في قتله، فصرنا إلى التي كرهنا مضطرين إليها غير مختارين لها، وتالله لوددنا أنا اشترينا له العافية منه، ولو أمكن ذلك بإغلاء الثمن، وإن عجل قوم بملامنا ليصيرن إلى عذر منا. ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية[12] أرادوا الوليد بن عتبة على البيعة له، فأبى، وهلك تلك الليالي. وقيل: إن الوليد قدم للصلاة على معاوية بن يزيد،فأصابه الطاعون في صلاته عليه، فلم يرفع إلا وهو ميت.

كتب يزيد بن الأصم[13]إلى الحسين بن علي عليهما السلام حين خرج: أما بعد. فإن أهل الكوفة قد أبوا إلا أن يبغضوك، وقل من أبغض إلا قلق، وإني أعيذك بالله أن تكون كالمغتر بالبرق، أو كالمسبق للسراب،﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ – أهل الكوفة– الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم].

----

*(المر) قرية بين ذي المروة، والسويداء في الطريق إلى المدينة. في تاريخ دمشق قال: ذي المروة.

■ (1) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (12) معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان لقبه: الراجع إلى الحق.بويع له بدمشق بعد وفاة أبيه سنة 64 هـ فمكث 40 يوما، أو 3 أشهر، مات سنة 64 هـ وهو ابن 23 سنة. وكان شابا صالحا دينا خيرا ؛ ولهذا يقال: يزيد شر بين خيرين.أي بين والده معاوية وبين ابنه معاوية.

■ (2) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي. كان عامل عمه معاوية على المدينة. استعمله معاوية على المدينة حين صرف عنها مروان، سنة 57هـ توفي سنة 64 هـ وقيل إنهم أرادوه على الخلافة بعد معاوية بن يزيد، فأبى. وقيل فطعن، فمات بعد موت معاوية بن يزيد. ويقال: قدم للصلاة على معاوية بن يزيد ، فأخذه الطاعون في الصلاة ، فلم يرفع إلا وهو ميت.

■ (13) يزيد بن الأصم وهو يزيد بن عمرو – ويقال: يزيد بن عبد عمرو – بن عدس ابن معاوية بن عبادة، أبو عوف العامري. وهو ابن أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وابن خالة ابن عباس.توفي يزيد بن الأصم سنة 103 هـ أو 104 هـ، وقيل: سنة 101 هـ.

■ (10) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي.الملك الأموي الثاني. ولد سنة 26 هـ وتوفي سنة 64 هـ وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (11) عمرو بن سعيد بن العاص، يسمى الأشدق ولطيم الشيطان، ولي المدينة ليزيد، وكان مروان قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك فقتله عبد الملك، فقيل أنها كانت أول غدرة كانت في الإسلام، دخل مصر مع مروان وقتل سنة 69 هـ وقيل 70 هـ.

■ (7) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ.

■ (8) ابن النابغة = يعني: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أبو عبد الله، وأبو محمد القرشي السهمي. أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل بين الحديبية وخيبر، وهاجر، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش غزوة ذات السلاسل، وفيه أبو بكر وعمر، لخبرته بمكيدة الحرب. ثم ولي الإمرة في غزوة الشام لأبي بكر وعمر. ثم افتتح مصر ووليها لعمر.وله عدة أحاديث. توفي سنة 43 هـ في مصر ودفن قرب المقطم.

■ (6) مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو عبد الله، ولد سنة 2 هـ توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة مرتين ثم عزله.ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.وتوفي سنة 65 هـ.

■ (3) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ.

■ (4) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، كنيته أبو عبد الرحمن. ولده بمكة سنة 2 هـ وقدم به المدينة سنة 8 هـ عام الفتح. كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم أدرك النبي صلى الله عليه و سلم وهو صغير وسمع منه وحج معه، وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف ليالي الشورى حفظ عنه أشياء روى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من أكابر الصحابة شهد فتح أفريقية مع عبد الله بن سعد وهو الذي حرض عثمان على غزوها ثم كان مع ابن الزبير فأصابه حجر من حجارة المنجنيق في الحصار بمكة فقتل سنة 74 هـ.

■ (5) عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي الصحابي.سكن المدينة، وشهد اليرموك مع أبي عبيدة بن الجراح، وكان من أصحاب ابن الزبير، وقتل معه حين حصره الحجاج، قالوا: ودفنه في المسجد الحرام، وأخفى قبره خوفا عليه من انتهاك أصحاب الحجاج.

■ (9) عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي، وقيل: عبد الله بن عمر. كان يسكن عرج الطائف وهو من شعراء قريش المشهورين بالغزل، وكان مشغوفا باللهو والصيد، وكان ذا مروءة، ولم تكن له نباهة في أهله.وفد على عبد الملك بن مروان. مات بمصر سنة 96 هـ.

روي عن أم المؤمنين عائشة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفَ الْفُضُولِ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَيْهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ وَمَا أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لِي حُمْرُ النَّعَمِ، وَإِنِّي كُنْتُ نَقَضْتُهُ، وَمَا يَزِيدُهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً﴾ وعن عبد الله بن عمرو قال: ﴿لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَا كَانَ مِنْ حِلْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً وَلَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمُونَ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ تُرَدُّ سَرَايَاهُمْ عَلَى قَعَدِهِمْ لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ دِيَةُ الْكَافِرِ نِصْفُ دِيَةِ الْمُسْلِمِ لَا جَلَبَ وَلَا جَنَبَ وَلَا تُؤْخَذُ صَدَقَاتُهُمْ إِلَّا فِي دِيَارِهِمْ﴾ وعن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْفُضُولِ فَمَا سَرَّنِي بِذَلِكَ حُمْرُ النَّعَمِ﴾ وحلف الفضول سببه أن قريشاً كانت تتظالم بالحرم، فقام عبد الله بن جدعان[1]والزبير بن عبد المطلب[2] فدعوا قومهم إلى التحالف على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم فأجابوهما وتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان. عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ وَأَنَا غُلَامٌ وَمَا يَسُرُّنِي حُمْرُ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ﴾ والمطيبون*: عبد مناف وزهرة وأسد بن عبد العزى وتيم والحرث بن فهر، وسببه أن بني قصي أرادوا أن ينتزعوا بعض ما كان بأيدي عبد الدار من الرفادة واللواء والندوة والحجابة، ولم يكن لهم إلا السقاية فتحالفوا على حربهم وأعدوا للقتال، ثم رجعوا عن ذلك وأقروا ما كان بأيديهم والرادة شيء كان فرضه قصي على قريش لطعام الحاج في كل سنة. قال البلاذري: كان هاشم بن عبد مناف (الجد الثاني للنبي) حاضراً حلف المطيبين فكيف يحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم؟إلا أن بطون المطيبين هم الذين تعاقدوا أيضاً على حلف الفضول فاحسب هذا الحلف نسب إليهم أيضاً. قال ابن إسحاق: اجتمعت قبائل من قريش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو غيرهم، إلا قاموا معه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، أي حلف الفضائل، والفضول هنا جمع فضل للكثرة كفلس وفلوس.

قال جواد علي: ليس لأهل الأخبار رأي ثابت عن سبب تسمية هذا الحلف بحلف الفضول؛ فذكر بعضهم أنه سمي بذلك لأنهم تحالفوا أن يتركوا عند أحد فضلًا يظلمه أحدًا إلا أخذوه له منه. وقيل: سمي به تشبيهًا بحلف كان قديمًا بمكة أيام جرهم* على التناصف والأخذ للضعيف من القوي والغريب من القاطن. وسمي حلف الفضول؛ لأنه قام به رجال من جرهم كلهم يسمى الفضل، فقيل: حلف الفضول جميعًا لأسماء هؤلاء. وذكر أنه سمي حلف الفضول؛ لأن قريشًا قالت: هذا فضول من الحلف، فسمي حلف الفضول. وقيل: لأن قريشًا تعاقدوا فيما بينهم على: مواساة أهل الفاقة ممن ورد مكة بفضول أموالهم. وهو في بعض الروايات تحالف ثلاثة من الفضليين على ألا يروا ظلمًا بمكة إلا غيَّروه. وأسماؤهم: الفضل بن شراعة، والفضل بن قضاعة، والفضل بن نصاعة، فسمي من ثم باسمهم: حلف الفضول. وعبد الله بن جدعان أحد عظماء قريش وأثريائهم وأكرمهم في الجاهلية يضرب المثل بجفانه وفي بيته عقد حلف الفضول.

وقد قالت أم المؤمنين عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمَسَاكِينَ فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ ؟ قَالَ: لَا، يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾.

----

*(جرهم) قبيلة يمنية قديمة من حمير وقيل من العماليق عاصرت النبي إسماعيل وقد تزوج منهم. (تظالم) القوم ظلم بعضهم بعضا والمعزى تناطحت من سمنها ويقال نزلنا بأرض تتظالم معزاها تتناطح من الشبع والنشاط (المطيبون) بنو هاشم وبنو زهرة وتيم اجتمعوا وجعلوا طيبا في جفنة وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم، فسموا بالمطيبين.

■ (1) عبد الله بن جدعان التميمي القرشي، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي قبل النبوة، ومات سنة 31 ق هـ.

■ (2) الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، كنيته أبو طاهر، وكان من أجلة قريش وفرسانها، وكان من المبارزين، وهو كبر أعمام النبي صلى الله عليه وسلم أدركه النبي، في طفولته. وكان يعد من شعراء قريش إلا أن شعره قليل، يقال: منه البيتان اللذان أولهما: إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/ أنساب الأشراف/ مشاهير علماء الأمصار/ عثمان بن عفان شخصيته وعصره/ الثقات لابن حبان/ تهذيب الأسماء واللغات/ طبقات خليفة/ سير أعلام النبلاء/ الحاوي الكبير/ تاريخ الخلفاء/ المعارف/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

◆ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، والي المدينة (عامل عمه معاوية بن أبي سفيان، أول ملوك الدولة الأموية) والحسين بن علي(٢) 0326

عن ابن عباس أنه ذكر معاوية، فقال: لله تلاد ابن هند، ما أكرم حسبه! وأكرم مقدرته، والله ما شتمنا على منبر قط، ولا بالأرض ضنا منه بأحسابنا وحسبه، ثم بعث إلينا ابن أخيه الوليد بن عتبة[1] غلاما ابن عشرين سنة، فما ترك في السجن غارما إلا أدى عنه، ولا عانيا إلا فكه. ثم كتب إلينا معاوية أن أرسل إلي الحسين بن علي [2]مع شرطي حتى نبلسه (يتلقينه؟). فبينا أنا عنده أرسل إليه، فأقرأه كتاب معاوية. فقال: أنت ترسل بي إليه يا بن آكلة الأكباد، فقال: أما والله، إنه لابد لك من ذلك من السمع والطاعة. فوثب الحسين، فأخذ عمامته، فاجترها إليه، وجعل الوليد يطلقها عنه كورا كورا، ويقول: ما أردنا أن نبلغ كل هذا منك يا أبا عبد الله. فقمت إلى الحسين، فلم أزل به حتى أخرجته، فالتفت إلى الوليد، فقال: جزاك الله خيرا، ما هجنا بأبي عبد الله إلا أسدا. ثم قال ابن عباس: من الطويل: معاض عن العوراء لا ينطقونها..وأهل وراثات الحلوم الأوائل..وجدنا بني حرب وكانوا أعزة..ذرا في الذرا وكاهلا في الكواهل. فبلغ ذلك معاوية، فقال: يا أهل الشام، ما كنتم صانعين لو شهدتموه؟ قالوا: لو شهدناه لقتلناه. فقال معاوية: إن ثم لدما مصونا عند بني عبد مناف، الوليد أعلم بأدب أهله.

----

(1) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

(2) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي.كان عامل عمه معاوية على المدينة. استعمله معاوية على المدينة حين صرف عنها مروان، سنة 57هـ توفي سنة 64 هـ وقيل إنهم أرادوه على الخلافة بعد معاوية بن يزيد، فأبى. وقيل فطعن، فمات بعد موت معاوية بن يزيد. ويقال: قدم للصلاة على معاوية بن يزيد ، فأخذه الطاعون في الصلاة ، فلم يرفع إلا وهو ميت.

قال ابن عباس: قدم علينا الوليد بن عتبة المدينة واليا كأن وجهه ورقة مصحف، فوالله ما ترك فينا عانيا إلا فكه، ولا غريما إلا أدى عنه، ينظر إلينا بعين أرق من الماء ويكلمنا بكلام أحلى من الجنى، ولقد شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته منه أبدا: تغدينا عنده، فأقبل الخباز بالصحفة، فعثر بوسادة، وبدرت الصحفة من يده، فوالله ما ردها إلا ذقنه، وصار ما فيها في حجره، ومثل الغلام وما فيه من الروح إلا ما يقيم رجله، فقام فدخل فغير ثيابه، ثم أقبل تبرق أسارير وجهه، فأقبل على الخباز فقال: يا بائس ما أرانا إلا وقد روعناك، أنت وأولادك أحرار لوجه الله. فهذا هو التواضع الجميل، والبذل الحسن، والكبر المحض.

قال الوليد بن عتبة: أسر إلي معاوية حديثا، فأتيت أبي، فقلت: يا أبه، إن أمير المؤمنين أسر إلي أمرا، ولا أراه يطوي عليك، أفلا أخبرك به؟ قال: لا، إنه من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه، فلا تكونن مملوكا بعد أن كنت مالكا. فقال: يا أبه، وإن هذا ليدخل بين الرجل وأبيه؟ قال: لا، ولكن أكره أن تذلل لسانك بأحاديث السر. قال: فدخلت على معاوية فأخبرته ما جرى بيني وبين أبي. فقال لي: ويحك يا وليد! أعتقك أخي من رق الخطأ.

قال عمرو بن العاص: لله در أمية، ما أجمع قلوبهم، وأوسع حلومهم! لشهدت معاوية دخل عليه الوليد بن عتبة وهو غلام حدث، فقلت: يا أمير المؤمنين لأفرن* ابن أخيك عن عقله. قال: تجده بعيد الغور، ساد الفور، ربيط الجأش. فدنا، فسلم، ثم سكت مليا، فقلت: لقد أطلت سجن لسانك. قال: إنه غير مأمون الضرر إذا أطلق. قال: قلت: ما سنك؟ قال: هيهات، يا أبا عبد الله! جللنا عن هذه المحنة. قال: فضحك إلي معاوية، ثم قال: كلا يا عمرو، إن العود لمن لحائه، وإن الولد من آبائه، وهو نبتة أصل لا تخلف، وسليل فحل لا يقرف.

----

*(لأفرن) بالأصل لأفرق... وأفرن من أفر يعني جعله يفر

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ نثر الدر/

لما أقبل وفد الكوفة برأس الحسين[1] رضي الله عنه دخلوا مسجد دمشق، فقال لهم مروان بن الحكم: كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلا فأتينا والله على آخرهم، وهذه الرؤوس والسبايا؛ فوثب مروان وانصرف. وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم[2]،فقال: ما صنعتم؟ فأعادوا عليه الكلام، فقال: حجبتم عن محمد يوم القيامة، لن أجامعكم على أمر أبدا، ثم قام وانصرف. ودخلوا على يزيد[3]فوضعوا الرأس بين يديه. وحدثوه الحديث قال: فسمعت الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كثير[4]،وكانت تحت يزيد بن معاوية، فتقنعت بثوبها وخرجت، وقالت: يا أمير المؤمنين، أرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، فأعولي عليه وحدي على ابن بنت رسول الله وصريخة قريش، عجل عليه ابن زياد[5]فقتله، قتله الله. ثم أذن للناس، فدخلوا والرأس بين يديه، ومعه قضيب فنكت به في ثغره، ثم قال: إن هذا وأنا كما قال الحصين بن الحمام المري: نفلق هاما من رجال أحبة..إلينا وهم كانوا أعق وأظلما [من الطويل]

قال فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له أبو برزة الأسلمي:[6] أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين؟ أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذا كريما، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشفه، أما إنك، يا يزيد، تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد صلى الله عليه وسلم شفيعه، ثم قام فولى.

فقال يزيد: والله يا حسين لو كنت أنا صاحبك ما قتلتك. ثم قال: أتدرون من أين أتى هذا؟ قال: أبى علي خير من أبيه، وفاطمة أمي خير من أمه، وجدي رسول الله خير من جده، وأنا خير منه وأحق بهذا الأمر منه؛ فأما قوله أبوه خير من أبي فقد حاج أبي أباه إلى الله وعلم الناس أيهما حكم له؛ وأما قوله أمي خير من أمه فلعمري فاطمة بنت رسول الله خير من أمي؛ وأما قوله جدي رسول الله خير من جده فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلا ولا ندا، ولكنه إنما أتي من قبل فقهه، ولم يقرأ:﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران] ثم أدخل نساء الحسين عليه والرأس بين يديه، فجعلت فاطمة [7]وسكينة [8]ابنتا الحسين تتطاولان لتنظرا إلى الرأس، وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس. فلما رأين الرأس صحن، فصاح نساء يزيد وولول بنات معاوية. فقالت فاطمة بنت الحسين، وكانت أكبر من سكينة: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟ فقال: يا ابنة أخي أنا لهذا كنت أكره. قالت: والله ما ترك لنا خرص. فقال: ما أتى إليكن أعظم مما أخذ منكن.

فقام رجل فقال: هب لي هذه، يعني فاطمة، فأخذت بثياب أختها (عمتها: العقيلة؟) زينب[9]،وكانت أكبر منها، فقالت زينب: كذبت ولؤمت، ما ذلك لك ولا له. فغضب يزيد وقال: كذبت والله، إن ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلته. قالت: كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا. فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك! قالت زينب: بدين الله ودين أبي وأخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك. قال: كذبت يا عدوة الله! قالت: أنت أمير تشتم ظالما وتقهر بسلطانك؟ فاستحى وسكت، ثم عاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية؛ قال: اعزب؛ وهب الله لك حتفاً قاضياً!، ثم أخرجن وأدخلن دور يزيد، فلم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن وأقمن المأتم وسألهن عما أخذ منهن فأضعفه لهن، فكانت سكينة تقول: ما رأيت كافرا بالله خيرا من يزيد بن معاوية. ثم أمر بعلي بن الحسين[10]فأدخل مغلولا فقال: لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مغلولين لفك عنا. قال: صدقت. وأمر بفك غله عنه. فقال علي: لو رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعداء لأحب أن يقربنا. فأمر به فقرب منه، وقال له يزيد: إيه يا علي بن الحسين، أبوك الذي قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما رأيت. فقال علي:﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد] فقال يزيد﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى] ثم سكت عنه وأمر بإنزاله وإنزال نسائه في دار علي جده، وكان يزيد لا يتغدى ولا يتعشى إلا دعا عليا إليه، فدعاه ذات يوم ومعه عمرو بن الحسن[11]،وهو غلام صغير، فقال لعمرو: أتقاتل هذا؟ يعني خالد بن يزيد[12]،فقال عمرو: أعطني سكينا وأعطه سكينا حتى أقاتله. فضمه يزيد إليه وقال: شنشنة أعرفها من أخزم، هل تلد الحية إلا حية! وقيل: ولما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسره ما فعل، ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبهم، فندم على قتل الحسين، فكان يقول: وما علي لو احتملت الأذى وأنزلت الحسين معي في داري وحكمته فيما يريد وإن كان علي في ذلك وهن في سلطاني حفظا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ورعاة لحقه وقرابته، لعن الله ابن مرجانة[5]فإنه اضطره، وقد سأله أن يضع يده في يدي أو يلحق بثغر حتى يتوفاه الله، فلم يجبه إلى ذلك فقتله، فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة، فأبغضني البر والفاجر بما استعظموه من قتلي الحسين، ما لي ولابن مرجانة، لعنه الله وغضب عليه! ولما أراد أن يسيرهم إلى المدينة أمر يزيد النعمان بن بشير[13] أن يجهزهم بما يصلحهم ويسير معهم رجلا أمينا من أهل الشام ومعه خيل يسير بهم إلى المدينة، ودعا عليا ليودعه وقال له: لعن الله ابن مرجانة! أما والله لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبدا إلا أعطيته إياها ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله ما رأيت. يا بني كاتبني حاجة تكون لك. وأوصى بهم هذا الرسول، فخرج بهم فكان يسايرهم ليلا فيكونون أمامه بحيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحى عنهم هو وأصحابه، فكانوا حولهم كهيئة الحرس، وكان يسألهم عن حاجتهم ويلطف بهم حتى دخلوا المدينة. فقالت فاطمة بنت علي(فاطمة بنت الحسين؟)لأختها زينب: لقد أحسن هذا إلينا فهل لك أن نصله بشيء؟ فقالت: والله ما معنا ما نصله به إلا حلينا، فأخرجتا سوارين ودملجين لهما فبعثتاها إليه واعتذرتا، فرد الجميع وقال: لو كان الذي صنعت للدنيا لكان في هذا ما يرضيني، ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كان مع الحسين امرأته الرباب بنت امرىء القيس[14]،وهي أم ابنته سكينة، وحملت إلى الشام فيمن حمل من أهله، ثم عادت إلى المدينة، فخطبها الأشراف من قريش، فقالت: ما كنت لأتخذ حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبقيت بعده سنة لم يظلها سقف بيت حتى بليت وماتت كمدا، وقيل: إنها أقامت على قبره سنة وعادت إلى المدينة فماتت أسفا عليه. فأرسل عبيد الله بن زياد مبشرا إلى المدينة بقتل الحسين إلى عمرو بن سعيد[15]،فلقيه رجل من قريش فقال: ما الخبر؟ فقال: الخبر عند الأمير. فقال القرشي: إنا لله وإنا إليه راجعون، قتل الحسين. ودخل البشير على عمرو بن سعيد فقال: ما وراءك؟ قال: ما سر الأمير، قتل الحسين بن علي. فقال: ناد بقتله، فنادى، فصاح نساء بني هاشم وخرجت ابنة عقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها حاسرة تلوي ثوبها وهي تقول: ماذا تقولون إن قال النبي لكم..ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم..بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي..منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم..ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم..أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي. فلما سمع عمرو أصواتهن ضحك وقال:عجت نساء بني زياد عجة..كعجيج نسوتنا غداة الأرنب. والأرنب وقعة كانت لبني زبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب، وهذا البيت لعمرو بن معدي كرب. ثم قال عمرو: واعية كواعية عثمان؛ ثم صعد المنبر فأعلم الناس قتله. ولما بلغ عبد الله بن جعفر[16] قتل ابنيه مع الحسين دخل عليه بعض مواليه يعزيه والناس يعزونه، فقال مولاه: هذا ما لقيناه من الحسين! فحذفه ابن جعفر بنعله وقال: يا ابن اللخناء أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه، والله إنه لمما يسخي بنفسي عنهما ويهون علي المصاب بهما أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه. ثم قال: إن لم تكن آست الحسين يدي فقد آساه ولدي.

■ (6) أبو برزة الأسلمي (وقد اختلفوا في اسمه) قيل اسمه نضلة بن عبد الله بن الحارث بن حبال بن أنس بن خزيمة بن مالك بن سلامان بن أسلم. له دار بالبصرة وأتى خراسان ومات قبل موت معاوية سنة 60 هـ. وقيل بل مات بعد 64 هـ بعدما أخرج ابن زياد من البصرة.

■ (1) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (7) فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب.تابعية روت عن جدتها فاطمة مرسلا وعن أبيها، ولما قتل أبوها حملت إلى الشام وعادت إلى المدينة فتزوجها ابن عمها الحسن بن الحسن ومات عنها فتزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان ومات فأبت الزواج من بعده وتوفيت سنة110 هـ

■ (8) سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب. تزوجها مصعب بن الزبير، وقتل، فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله فمات عنها، وتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها، تشاؤما من موت أزواجها، ففعل. توفيت بالمدينة.سنة 117 هـ

■ (9) زينب بنت الحسين بن علي بن أبي طالب؟ (لم أقف لها على ترجمة) أما زينب بنت علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، العقيلة، وأمها فاطمة بنت رسول الله تزوجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فولدت له عليا وعونا الأكبر وعباسا ومحمدا وأم كلثوم. وتوفيت سنة62 هـ بدمشق.

■ (10) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ألقابه: السجاد، زين العابدين. ويكنى أبو الحسن، أبو محمد، ولد في المدينة المنورة سنة 38 هـ وتوفي فيها سنة 95 هـ، وقيل غير ذلك ودفن بالبقيع. أيضا من أولاد الحسين: علي الأكبر، وعلي الأصغر وكانوا من شهداء كربلاء.

■ (11) عمرو بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أمه أم ولد، كان حاضرا في واقعة الطف، وأُسر في معركة كربلاء.

■ (5) عبيد الله بن زياد بن عبيد، المعروف بابن زياد، وابن مرجانة وهي أمه، (أبوه: زياد بن أبي سفيان ويقال له: زياد بن أبيه، وابن سمية) كان والي العراق بعد أبيه ليزيد بن معاوية. قتله إبراهيم بن مالك سنة 67 هـ وكان شمر بن ذي الجوش قائد الميسرة في جيش ابن زياد. وهو قاتل الحسين بن علي.

■ (14) الرباب بنت امرئ القيس صحابية زوجها أبوها من الحسين بن علي بن أبي طالب ساعة أسلم على يد عمر بن الخطاب وزوج أختيها المحياة وسلمى لعلي وابنه الحسن، وكانت من خيار النساء، رفضت الزواج بعد مقتل زوجها الحسين.توفيت سنة 63 هـ

■ (16) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، الحبشي المولد. له صحبة، ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وله وفادة على معاوية، وعلى عبد الملك. ولد سنة 1 هـ ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ. ويقال سنة 90 هـ.

■ (15) عمرو بن سعيد بن العاص، يسمى الأشدق ولطيم الشيطان، ولي المدينة ليزيد، وكان مروان قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك فقتله عبد الملك، فقيل أنها كانت أول غدرة كانت في الإسلام، دخل مصر مع مروان وقتل سنة 69 هـ وقيل 70 هـ

■ (13) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري أبو عبد الله سكن الكوفة مدة وكان يليها لمعاوية ثم خرج إلى الشام فسكنها وولي قضاء دمشق، قيل وولي الكوفة ليزيد بن معاوية، وقتل بحمص وكان عاملا لابن الزبير على حمص سنة 65 هـ

■ (12) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي القرشي، هو أول من اهتم من العرب بعلم الكيمياء وترجم الكتب. ولد 51 هـ وتوفي سنة 90 هـ وهو أخو معاوية بن يزيد ثالث ملوك بني أمية.

■ (3) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي.الملك الأموي الثاني. ولد سنة 26 هـ وتوفي سنة 64 هـ وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (2) يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو مروان الأموي، أخو مروان بن الحكم (رابع ملوك بني أمية). كان يحيى بن الحكم عاملاً على المدينة لعبد الملك بن مروان (خامس ملوك بني أمية).

■ (4) هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس العبشمية القرشية زوج يزيد بن معاوية لها ذكر في حديث مقتل الحسين.

☪

عن يعلى أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعام دعوا له فإذا حسين يلعب مع الغلمان في الطريق فاستقبل أمام القوم ثم بسط يده وطفق الصبي يفر هاهنا مرة وهاهنا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت قفاه ثم أقنع رأسه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع فاه على فيه فقبله فقال﴿حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ﴾

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/ الكامل في التاريخ/ عمر بن عبد العزيز/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ البداية والنهاية/

قال علي بن الحسين (زين العابدين):[1] دخلنا دمشق بعد أن شخصنا من الكوفة، فإذا الناس مجتمعون بباب يزيد[2]، فأدخلت عليه وهو جالس على سرير، وعنده الناس ساكتين، من أهل الشام، ومن أهل العراق والحجاز. وكنت قدام أهل بيتي، فسلمت عليه، فقال: أيكم علي بن الحسين؟ فقلت: أنا، فقال: ادنه، فدنوت، ثم قال: ادنه، فدنوت حتى على صدري على فراشه، ثم قال: أما إنه لو أن أباك أتاني لوصلت رحمه، وقضيت ما يلزمني من عنقه، ولكن عجل عليهم ابن زياد[3] قتله الله، فقلت: يا أمير المؤمنين، أصابتنا جفوة، فقال: يذهب الله عنكم الجفوة. فقلت: يا أمير المؤمنين، أموالنا قبضت فاكتب أن ترد علينا. فكتب لنا بردها، وقال: أقيموا عندي، فإني أقضي حوائجكم، وأفعل بكم وأفعل، فقلت: بل المدينة أحب إلي، قال: قربي خير لكم، قلت: إن أهل بيتي قد تفرقوا، فنأتيهم، فيجتمعون، ويحمدون الله على هذه النعمة. فجهزنا، وأعطانا أكثر مما ذهب منا حتى الكسوة والجهاز، وسرح معنا رسلا إلى المدينة، وأمرنا أن ننزل حيث شئنا.

لما رجع وفد أهل المدينة من عند يزيد مشى عبد الله بن مطيع[4] وأصحابه إلى محمد بن الحنفية[5]،فأرادوه على خلع يزيد، فأبى عليهم، فقال ابن مطيع: إن يزيد يشرب الخمر، ويترك الصلاة، ويتعدى حكم الكتاب، فقال لهم: ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته، وأقمت عنده، فرأيته مواظبا على الصلاة، متحريا للخير، يسأل عن الفقه، ملازما للسنة. قالوا: فإن ذلك كان منه تصنعا لك، فقال: وما الذي يخاف مني؟ أو رجا حتى يظهر لي الخشوع؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه، وإن لم يكن أطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا. قالوا: إنه عندنا لحق، وإن لم يكن رأيناه فقال لهم: أبى الله ذلك على أهل الشهادة فقال:﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف] ولست من أمركم في شيء.قالوا: فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نوليك أمرنا. قال: ما أستحل القتال على ما تريدون عليه تابعاً ولا متبوعاً. قالوا: فقد قاتلت مع أبيك، قال: جيئوني بمثل أبي أقاتل على ما قاتل عليه، فقالوا: فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا قال: لو أمرتهما قاتلت. قالوا: فقم معنا مقاماً تحض الناس فيه على القتال، قال: سبحان الله آمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه إذا ما نصحت لله في عباده. قالوا إذا نكرهك. قال: إذا آمر الناس بتقوى الله ولا يرضون المخلوق بسخط الخالق، وخرج إلى مكة.

لما خلع الناس يزيد[2] جمع ابن عمر[6] بنيه وأهله، ثم تشهد، ثم قال: أما بعد فإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ﴾ (لواء) علامة يشهر بها في الناس وإن من أعظم الغدر إلا يكون الإشراك بالله أن يبايع رجل رجلا على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرعن أحد منكم في هذا الأمر فيكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينه وعن يزيد بن أسلم[7]،عن أبيه[7] أن ابن عمر دخل وهو معه على ابن مطيع، فلما دخل عليه قال: مرحبا بأبي عبد الرحمن، ضعوا له وسادة، فقال: إنما جئتك لأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ نَزَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ فَلَا حُجَّةَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ مَاتَ مُفَارِقًا لِلْجَمَاعَةِ فَقَدْ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً﴾.

■ (1) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ألقابه: السجاد، زين العابدين. ويكنى أبو الحسن، أبو محمد، ولد في المدينة المنورة سنة 38 هـ وتوفي فيها سنة 95 هـ، وقيل غير ذلك ودفن بالبقيع. أيضا من أولاد الحسين: علي الأكبر، وعلي الأصغر وكانوا من شهداء كربلاء.

■ (5) محمد بن علي بن أبي طالب، أبو القاسم، المعروف بابن الحنفية، أمه الحنفية خولة بنت جعفر. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وتوفي سنة 81 هـ وقيل 83 هـ وقيل72 هـ أو 73 هـ بالمدينة، وصلى عليه أبان بن عثمان والي المدينة يومئذ ودفن بالبقيع وقيل إنه خرج إلى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات هناك، وقيل إنه مات ببلاد أيلة

■ (6) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

■ (7) أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي العمري ، من رواة الحديث النبوي. توفي سنة 136هـ ووالده هو أسلم مولى عمر بن الخطاب المتوفي 80 هـ تابعي مدني، وهو أيضا أحد رواة الحديث النبوي.

■ (4) عبد الله بن مطيع القرشي العدوى المدني ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، روى عن أبيه مطيع بن الأسود، وله صحبة، قال الزبير بن بكار: كان من رجال قريش جلدا وشجاعة، وكان على قريش يوم الحرة، وقتل مع عبد الله بن الزبير بمكة.

■ (3) عبيد الله بن زياد بن عبيد، المعروف بابن زياد، وابن مرجانة وهي أمه، (أبوه: زياد بن أبي سفيان ويقال له: زياد بن أبيه، وابن سمية) كان والي العراق بعد أبيه ليزيد بن معاوية. قتله إبراهيم بن مالك سنة 67 هـ وكان شمر بن ذي الجوشن قائد الميسرة في جيش ابن زياد. وهو قاتل الحسين بن علي.

■ (2) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

قال ابن كثير: يزيد بن معاوية أكثر ما نقم عليه في عمله شرب الخمر، وإتيان بعض الفواحش، فأما قتل الحسين فإنه كما قال جده أبو سفيان يوم أحد لم يأمر بذلك ولم يسؤه. وقد قدمنا أنه قال: لو كنت أنا لم أفعل معه ما فعله ابن مرجانة – يعني عبيد الله بن زياد – وقال للرسل الذين جاؤوا برأسه: قد كان يكفيكم من الطاعة دون هذا، ولم يعطهم شيئا، وأكرم آل بيت الحسين ورد عليهم جميع ما فقد لهم وأضعافه، وردهم إلى المدينة في محامل وأهبة عظيمة، وقد ناح أهله في منزله على الحسين حين كان أهل الحسين عندهم ثلاثة أيام، وقيل إن يزيد فرح بقتل الحسين أول ما بلغه ثم ندم على ذلك، فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: إن يونس بن حبيب الجرمي حدثه قال: لما قتل ابن زياد الحسين ومن معه بعث برؤوسهم إلى يزيد، فسر بقتله أولا وحسنت بذلك منزلة ابن زياد عنده، ثم لم يلبث إلا قليلا حتى ندم ! فكان يقول: وما كان علي لو احتملت الأذى وأنزلته في داري وحكمته فيما يريده، وإن كان علي في ذلك وكف ووهن في سلطاني، حفظا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ورعاية لحقه وقرابته، ثم يقول: لعن الله ابن مرجانة فإنه أحرجه واضطره، وقد كان سأله أن يخلي سبيله أو يأتيني أو يكون بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله، فلم يفعل، بل أبى عليه وقتله، فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع لي في قلوبهم العداوة، فأبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسينا، مالي ولابن مرجانة قبحه الله وغضب عليه. قال عبد الرحمن بن أبي مذعور: حدثني بعض أهل العلم قال: آخر ما تكلم به يزيد بن معاوية: اللهم لا تؤاخذني بما لم أحبه، ولم أرده، واحكم بيني وبين عبيد الله بن زياد. قال نوفل بن أبي الفرات:[1] كنت عند عمر بن عبد العزيز، فذكر رجل يزيد فقال: قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فقال: تقول أمير المؤمنين؟! وأمر به فضرب عشرين سوطاً.

في سنة ثلاث وستين بلغه أن أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه فأرسل إليهم جيشا كثيفا وأمرهم بقتالهم ثم المسير إلى مكة لقتال ابن الزبير فجاؤوا وكانت وقعة الحرة* على باب طيبة وما أدراك ما وقعة الحرة ؟ ذكرها الحسن مرة فقال: والله ما كاد ينجوا منهم أحد قتل فيها خلق من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم ونهبت المدينة وافتض فيه ألف عذراء فإنا لله وإنا إليه راجعون! قال صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظَالِماً أَخَافَهُ اللهُ وَكَانَتْ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ عَدَلٌ وَلاَ صَرْفٌ﴾ ولهذا قيل للإمام أحمد: أتكتب الحديث عن يزيد ؟ فقال: لا، ولا كرامة أو ليس هو الذي فعل بأهل الحرة ما فعل؟. وقيل له: إن قوما يقولون: إنا نحب يزيد: فقال: وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ؟ فقيل: فلماذا لا تلعنه ؟ فقال: ومتى رأيت أباك يلعن أحدا. انتهى. وكان سبب خلع أهل المدينة له أن يزيد أسرف في المعاصي وأخرج الواقدي من طرق أن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل قال: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن يرمى بالحجارة من السماء ! إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة. قال الذهبي: ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل ـ مع شربه الخمر و إتيانه المنكرات ـ اشتد عليه الناس وخرج عليه غير واحد ولم يبارك الله في عمره وسار جيش الحرة إلى مكة لقتال ابن الزبير فمات أمير الجيش بالطريق فاستخلف عليهم أميرا وأتوا مكة فحاصروا ابن الزبير وقاتلوه ورموه بالمنجنيق وذلك في صفر سنة أربع وستين واحترقت من شرارة نيرانهم أستار الكعبة وسقفها وقرنا الكبش الذي فدى الله به إسماعيل وكان في السقف وأهلك الله يزيد في نصف شهر ربيع الأول من هذا العام فجاء الخبر بوفاته والقتال مستمر فنادى ابن الزبير: يا أهل الشام إن طاغيتكم قد هلك فانقلوا وذلوا وتخطفهم الناس ودعا ابن الزبير إلى بيعة نفسه وتسمى بالخلافة وأما أهل الشام فبايعوا معاوية بن يزيد وكان فتى صالحا كثير الفكر في أمر معاده، قبل البيعة وهو لها كاره، ولم تطل مدته كما سيأتي.

أما المدافعون عن يزيد فيقولون: إن معاوية لم يول يزد حتى عرفه وتأكد من إمكانياته في قيادة الأمة، فقد أمره على أول جيش غزا به المسلمون عاصمة النصارى القسطنطينية، سنة تسع وأربعين، وهو الجيش الذي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه مغفور له، وقد أظهر يزيد في قيادته لذلك الجيش مقدرة وكفاءة عالية على القيادة، كان معه في ذلك الجيش عدد من أفاضل الصحابة من أمثال عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وأبو أيوب الأنصاري. وعن خالد بن معدان أن عمير بن الأسود العنسي حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حمص وهو في بناء له ومعه أم حرام قال عمير فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا، قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا فِيهِمْ ؟ قَالَ: أَنْتِ فِيهِمْ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ، فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: لَا﴾.

قال ابن تيمية: مذهب أهل السنة والجماعة: أنهم لا يكفرون أهل القبلة بمجرد الذنوب، ولا بمجرد التأويل، بل الشخص الواحد إذا كانت له حسنات وسيئات: فأمره إلى الله تعالى. وقال العباد: لقد أحسن شارح الطحاوية حيث قال بعد أن أشار إلى ما جرى بين عليّ ومعاوية رحمهما الله: ونقول في الجميع بالحسنى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر]

----

*(واقعة الحرة) جاء في كتب التاريخ:عندما خلع أهل المدينة طاعة يزيد سنة 63 هـ أرسل إليهم مسلم بن عقبة المري وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بهم مسلم الأفاعيل القبيحة، وقتل فيها الكثير من الصحابة والتابعين.

■ (1) نوفل بن الفرات بن مسلم ويقال ابن سالم ويقال نوفل بن أبي الفرات أبو الجراح العقيلي مولى بني عقيل الجزري الرقي قدم على عمر بن عبد العزيز مع أبيه.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ وفيات الأعيان/ تاريخ الخلفاء/ صحيح البخاري/ مسند الصحابة/ مسند أحمد/ صحيح مسلم/

قال ابن كثير: كان سبب وقعة الحرة [1] أن وفدا من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية [2] بدمشق، فأكرمهم وأحسن جائزتهم، وأطلق لأميرهم، وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر [3]، قريبا من مائة ألف، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في شربه الخمر، وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها بسبب السكر، فاجتمعوا على خلعه، فخلعوه عند المنبر النبوي، فلما بلغه ذلك بعث إليهم سرية يقدمها رجل يقال له: مسلم بن عقبة [4].

وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام، فقتل في غبون هذه الأيام بشرا كثيرا حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها، وزعم بعض علماء السلف أنه افتض في غبون ذلك ألف بكر. فالله أعلم.

عن سعيد بن مسلم بن جندب قال سمعت أبي، مسلم بن جندب [5] يقول كنت أنا وسعيد بن المسيب [6] ليالي الحرة بالمدينة وعبد الله بن مطيع [7] نبايع الناس على الموت في قتال أهل الشام فدخل ابن عمر [8] على ابن مطيع فقال يابن مطيع سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ نَزَعَ يَدَهُ مِنَ الطَّاعَةِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً﴾ قال ابن مطيع: ونحن قد سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن تلك بيعة حق وهؤلاء اتخذوا عباد الله خولا وماله نفلا فحق لها ولا أن لا تكون لهم بيعة. وعن شيخ من آل الأخفش بن شريق عن أبيه قال:رأيت إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف [9] أسيرا بين يدي مسلم يعني يوم الحرة فقال له: اجلس، فإن لك عندي يدا ما أراك تعلمها، وسأكافئك بها، تذكر رجلا بين يدي معاوية يعتذر إليه من شيء بلغه عنه، ويحلف له، وهو يأبى أن يقبل، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما يحل لك تكذيبه وهو يحلف، ولا أن ترد عليه عذره وهو يعتذر، فقبل ورضي؟ قال: أذكر هذا، ولا أدري من الرجل، قال: أنا ذلك الرجل، وقد أمنتك ومن أحببت، فشفعه في رجال منهم.

----

* (خولا) عبيدا. (النفل) الغنم؛ وجمعه الأنفال: الغنائم. ونفلت فلانا: أعطيته نفلا وغنما. والإمام ينفل الجند، إذا جعل لهم ما غنموا.

■ (1) الحرة في الأصل اسم لكل أرض ذات حجارة سود، فمتى كانت بهذه الصفة قيل لها حرة، والحرار كثيرة، والمراد بهذه الحرة حرة واقم، بالقاف المكسورة، وهي بالقرب من المدينة في جهتها. قال ابن كثير: كان سبب وقعة الحرة أن وفدا من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق، فأكرمهم وأحسن جائزتهم، وأطلق لأميرهم، وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر، قريبا من مائة ألف، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في شربه الخمر، وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها بسبب السكر، فاجتمعوا على خلعه، فخلعوه عند المنبر النبوي، فلما بلغه ذلك بعث إليهم سرية يقدمها رجل يقال له: مسلم بن عقبة. وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام، فقتل في غبون هذه الأيام بشرا كثيرا حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها، وزعم بعض علماء السلف أنه افتض في غبون ذلك ألف بكر. فالله أعلم.

■ (4) مسلم بن عقبة المري.وهو الذي سماه الناس بعد وقعة الحرة مجرما ومسرفا بعد أن حصر المدينة وأوقع بأهلها وقعة الحرة، سار إلى مكة ليقاتل ابن الزبير فمات في الطريق سنة 64 هـ ودفن بالمشلل بين مكة والمدينة وقد استخلف الحصين بن نمير السكوني على الجيش فحاصر ابن الزبير ورموا البيت بالمنجنيق ولم يلبثوا أن أخذ الله يزيد بن معاوية فجاءهم الخبر بموته فاخذ حصين الأمان من ابن الزبير ودخلوا الحرم ثم رحلوا إلى الشام وفرق البخاري بين حصين بن نمير الراوي عن بلال وبين حصين بن نمير الأمير.=

■ (3) عبد الله بن حنظلة بن الراهب أبي عامر واسم أبي عامر عبد عمرو بن صيفي بن زيد بن أمية بن ضبيعة بن زيد الأنصاري غسيل الملائكة ولته الاوس أمرها يوم الحرة وقتل في ذلك اليوم وكنيته أبو عبد الرحمن وأبو عامر كان يسمى الراهب قتل يوم الحرة سنة 63 هـ

■ (5) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع: عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة. قيل توفي سعيد في سنة 94 هـ، وقيل سنة 93 هـ، وقيل توفي سنة إحدى أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم : فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ.

■ (6) مسلم بن جندب. من هذيل بن مدركة. يكنى أبا عبد الله. كان قاضى أهل المدينة. توفي في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ست 106هـ

■ (8) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وهو ابن 84 سنة، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

■ (7) عبد الله بن مطيع القرشي العدوى المدني ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، روى عن أبيه مطيع بن الأسود، وله صحبة، قال الزبير بن بكار: كان من رجال قريش جلدا وشجاعة، وكان على قريش يوم الحرة، وقتل مع عبد الله بن الزبير بمكة.

■ (2) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (9) إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف القرشى الزهرى المدنى: أبو إسحاق، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله، أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط، وهى أخت عثمان بن عفان لأمه، وكانت من المهاجرات الأول. يقال: إنه ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، وشهد الدار مع عثمان بن عفان، ودخل على عمر بن الخطاب وهو صغير، وسمع منه، وسمع عثمان بن عفان، وأباه، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبا بكرة، وجبير بن مطعم، وروى عن على بن أبى طالب، وعمار بن ياسر، وعمرو بن العاص، وسمع أمه أم كلثوم، توفي سنة 75 هـ، وله 76 هـ سنة

☪

قال علي الصلابي: كان مسلم يعتقد أن قتل أهل المدينة قربى إلى الله، فأسرف في القتلى وكان يؤمن بأن قتلهم هو السبيل إلى الجنة، فأمعن في سفك الدماء ولو أن الأحمق الجاهل الذي كان حريصاً أشد الحرص على طاعة أمير المؤمنين ولم يحرص قط على طاعة الله، وكان يكره معصية أمير المؤمنين! عند الموت، بقدر ما كان يكره طاعة الله في عباده، لو أنه فقه أن زوال الدنيا عند الله أهون من سفك دم امرئ مسلم، ولو أنه علم أن ما فعله أهل المدينة لا يبيح دماءهم ولا تستباح أموالهم لو أنه علم ذلك لكان يكفيه من إدارة المعركة القدر الذي يخضع الناس ليزيد. انتهى. قال صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللَّهُ وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً﴾ قال سعيد بن المسيب: وقعت الفتنة الأولى، يعني مقتل عثمان، فلم تبق من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية، يعني الحرَّة، فلم تبق من أصحاب الحديبية أحداً، ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طبّاخ، أي لم تبق في الناس من الصحابة أحداً.

عن داود بن أبي هند، عن عمارة بن عبيد ، شيخ من خثعم كبير، قال:﴿سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُذَاكِرُنَا خَمْسَ فِتَنٍ أَعْلَمُ أَرْبَعًا قَدْ مَضَتْ، وَالْخَامِسَةُ هِيَ فِيكُمْ يَا أَهْلَ الشَّامِ، وَذَاكَ عِنْدَ هَزِيمَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الأَشْعَثِ، فَإِنْ أَدْرَكْتَ الْخَامِسَةَ وَاسْتَطَعْتَ أَنْ تَقْعُدَ فِي بَيْتِكَ فَافْعَلْ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ فَتَدْخُلَ فِيهِ فَافْعَلْ﴾ عن عاصم بن ضمرة، عن علي، قال:﴿وَضَعَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَمْسَ فِتَنٍ: فِتْنَةً عَامَّةً، ثُمَّ فِتْنَةً خَاصَّةً، ثُمَّ فِتْنَةً عَامَّةً، ثُمَّ فِتْنَةً خَاصَّةً، ثُمَّ فِتْنَةً تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، يُصْبِحُ النَّاسُ فِيهَا كَالْبَهَائِمِ﴾ أخرج أحمد في الزهد وابن سعد وغيرهما، عن سلمان قال: أتيت أبا بكر فقلت: أعهد لي، فقال: يا سلمان! إتق الله واعلم أن سيكون فتوح، فلا أعرفن ما كان حظك منها ما جعلته في بطنك وألقيته على ظهرك، واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس فإنه يصبح في ذمة الله ويمسي في ذمة الله، فلا تقتلن أحدا من أهل الله فتخفر الله في ذمته، فيكبك الله في النار على وجهك.(تخفر الله في ذمته) أي تؤذ المؤمن.

☪

عن ابن عمر: أن غلاما قتل غيلة، فقال عمر: لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم وفي رواية: إن أربعة قتلوا صبيا، فقال عمر: لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم. قال علي الصلابي: وهذا الحكم لم يوجد فيه نص من كتاب ولا سنة ولم يوجد أثر عن الصديق أنه قضى بمثله، وإنما بنى حكمه على فهمه لمقاصد الشريعة والتي جاءت لحفظ أمن المجتمع واستقراره، إذ أن الدماء ليست أمرا هينا، ولذلك يقتضي العدل، ومصلحة الأمة، ومقاصد الشريعة القصاص إذا ثبت أن الجميع تواطئوا على قتله وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء من الأئمة الأربعة وسعيد بن المسيب والحسن وأبي سلمة وعطاء وقتادة والثوري، والأوزاعي وغيرهم، وهذا الرأي هو الأرجح والأولى بالاتباع وذلك لقوة الدليل في فعل عمر وإجماع الصحابة ولما فيه من حكمة في ردع وزجر الناس وحفظ النفوس في المجتمع. وحكم عمر رضي الله عنه في من قتل ولده بدفع الدية، وأما المسلم الذي يقتل ذميا فحكمه القتل قصاصا وهذا حدث في عهد عمر حيث قتل مسلم ذميا بالشام، فقتل قصاصا.

قال الله تعالى:﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة] ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء] عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ لِدِينِهِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ﴾ وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ﴾ (أهون) أي أحقر وأسهل. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ شَطْرَ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللَّهَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ وعن الحسن، قال: جاء رجل إلى الزبير يوم الجمل، فقال: أقتل لك عليا ، قال: وكيف، قال: آتيه فأخبره أني معه، ثم أفتك به، فقال الزبير: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ الإِيمَانَ قَيْدُ الْفَتْكِ، لاَ يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ﴾ يعنى بالفتك الخيانة، وعن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلاَةُ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ﴾ وعن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عباس قال:﴿أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ رَجُلًا قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مَا جَزَاؤُهُ؟، قَالَ: جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ. الْآيَةَ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، ثُمَّ اهْتَدَى» فَقَالَ: وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، إِنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذًا بِرَأْسِهِ تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ حَتَّى يَقِفَ بِهِ عِنْدَ الْعَرْشِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟﴾وعن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أَوْ مَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ وعن يحيى بن سعيد:﴿أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بَعَثَ جُيُوشاً إِلَى الشَّأمِ. فَخَرَجَ يَمْشِي مَعَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ. وَكَانَ أَمِيرَ رُبُعٍ مِنْ تِلْكَ الْأَرْبَاعِ. فَزَعَمُوا أَنَّ يَزِيدَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ، وَإِمَّا أَنْ أَنْزِلَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَنْتَ بِنَازِلٍ، وَمَا أَنَا بِرَاكِبٍ. إِنِّي احْتَسَبْتُ خُطَايَ هذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ سَتَجِدُ قَوْماً زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنْفُسَهُمْ للهِ. فَذَرْهُمْ وَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَّسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ. وَسَتَجِدُ قَوْماً فَحَصُوا عَنْ أَوْسَاطِ رُؤُوسِهِمْ مِنَ الشَّعَرِ، فَاضْرِبْ مَا فَحَصُوا عَنْهُ بِالسَّيْفِ. وَإِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ: لاَ تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلاَ صَبِيّاً، وَلاَ كَبِيراً هَرِماً. وَلاَ تَقْطَعَنَّ شَجَراً مُثْمِراً. وَلاَ تُخَرِّبَنَّ عَامِراً. وَلاَ تَعْقِرَنَّ شَاةً، وَلاَ بَعِيراً، إِلاَّ لِمَأْكَلَةٍ. وَلاَ تَحْرِقَنَّ نَخْلاً، وَلاَ تُغَرِّقَنَّهُ. وَلاَ تَغْلُلْ. وَلاَ تَجْبُنْ﴾ وعن مالك: ﴿أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ إِلَى عَامِلٍ مِنْ عُمَّالِهِ: أَنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً يَقُولُ لَهُمْ: اغْدُوا بِاسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ اللهِ، تُقَاتِلُونَ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ. لاَ تَغُلُّوا. وَلاَ تَغْدِرُوا. وَلاَ تُمَثِّلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيداً. وَقُلْ ذلِكَ لِجُيُوشِكَ، وَسَرَايَاكَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ﴾ وعن سليمان بن بريدة ، عن أبيه، قال:﴿كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى سَرِيَّةٍ، أَوْ جَيْشٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، قَالَ: اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ اغْزُوا، وَلاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تُمَثِّلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا﴾ وعن عبد الله: ﴿أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْتُولَةً، فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ﴾ وعن ابن لكعب بن مالك، قال: ﴿نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ قَتَلُوا ابْنَ أَبِي الْحُقَيْقِ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ، وَالْوِلْدَانِ. قَالَ: فَكَانَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقُولُ: بَرَّحَتْ بِنَا امْرَأَةُ ابْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ بِالصِّيَاحِ. فَأَرْفَعُ عَلَيْهَا السَّيْفَ، ثُمَّ أَذْكُرُ نَهْيَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَكُفُّ، وَلَوْلاَ ذلِكَ اسْتَرَحْنَا مِنْهَا﴾ أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا، فإن قاتلوا قال جماهير العلماء: يقتلون، وأما شيوخ الكفار فإن كان فيهم رأي قتلوا وإلا ففيهم وفي الرهبان خلاف، قال مالك وأبو حنيفة: لا يقتلون، والأصح في مذهب الشافعي قتلهم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ وفيات الأعيان/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ تهذيب اللغة/ كنز العمال/ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/

عن أبي الأشعث الصنعاني[1] قال: بعثني يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن أبي أوفى[2] ومعي ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت فقلت: ما تأمرون به الناس؟ فقال: أوصاني أبو القاسم صلى الله عليه وسلم:﴿إِنْ أَنَا أَدْرَكْتُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ أَنْ أَعْمِدَ إِلَى أُحُدٍ وَأَكْسِرَ سَيْفِي وَأَقْعُدَ فِي بَيْتِي، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي قَالَ: اقْعُدْ فِي مَخْدَعِكَ*، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْكَ فَاجْثُ* عَلَى رُكْبَتَيْكَ وَتَقُولُ: بُؤْ* بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ، فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ فقد كسرت سيفي، فإذا دخل علي بيتي دخلت مخدعي، فإذا دخل علي مخدعي جثوت على ركبتي فقلت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول.

----

*(المخدع) الحجرة من البيت (باء) انقلب ورجع (الجثو) الجلوس على الركبتين

■ (2) عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، الفقيه، المعمر، صاحب النبي، أبو معاوية. وقيل: أبو محمد. وقيل: أبو إبراهيم الأسلمي، الكوفي. من أهل بيعة الرضوان، وخاتمة من مات بالكوفة من الصحابة. وكان أبوه صحابيا أيضا. وقد كف بصره من الكبر. عن ابن أبي خالد، قال: رأيت بذراع عبد الله بن أبي أوفى ضربة، فقلت: ما هذه الضربة؟ قال: ضربتها يوم حنين. توفي عبد الله: سنة 86 هـ. وقيل: بل توفي سنة 88 هـ، وقد قارب مائة سنة.

■ (1) أبو الأشعث شراحيل بن شرحبيل بن كليب بن أزدشير من الأبناء، الصنعاني، نزل أخيرا دمشق ومات بها زمن معاوية بن أبي سفيان وعده الحاكم في تابعي اليمن من نقله الآثار.

روى أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ﴾ قال القرطبي: قال علماؤنا: ليس هذا الحديث حديث أبي بكرة في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى:﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات] فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية، ولو أمسك المسلمون على قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله. وهذا يدل على أن قوله:﴿الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ﴾ ليس في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم إنما قاتلوا على التأويل. قال إبراهيم التيمي: خلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ذات يوم يحدث نفسه، فأرسل إلى ابن عباس، فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد، وكتابها واحد وقبلتها؟ فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، إنا أنزل علينا القرآن، فقرأناه وعلمنا فيم أنزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن، ولا يعرفون فيم نزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، فزبره عمر وانتهره، فانصرف ابن عباس، ثم دعاه بعد فعرف الذي قال، ثم قال: إيه أعد علي. قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه، ولزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلا إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبي نسائهم، وسفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها. قال النووي: وأما كون القاتل والمقتول فمحمولة على من لا تأويل له، ويكون قتالهما عصبية ونحوها ثم كونه في النار معناه مستحق لها، وقد يجازى بذلك وقد يعفو الله تعالى عنه، هذا مذهب أهل الحق، وعلى هذا يتأول كل ما جاء من نظائره واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ فوجب عليه قتاله؛ ليرجع إلى أمر الله وكان بعضهم مصيبا وبعضهم مخطئا معذورا في الخطأ لاجتهاده، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب، هذا هو مذهب أهل السنة وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا، فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدتهم.

عن ابنة أهبان، أن علي بن أبي طالب أتى أهبان[1]،فقال: ما يمنعك من اتباعي، فقال: أوصاني خليلي وابن عمك، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:﴿سَتَكُونُ فِتَنٌ وَفُرْقَةٌ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَاكْسِرْ سَيْفَكَ، وَاتَّخِذْ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ﴾، فقد وقعت الفتنة والفرقة، وكسرت سيفي، واتخذت سيفا من خشب، وأمر أهله حين ثقل أن يكفنوه، ولا يلبسوه قميصا، قال: فألبسناه قميصا، فأصبحنا والقميص على المشجب. وعن خالد بن عرفطة[2]قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا خَالِدُ، إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَحْدَاثٌ وَفِتَنٌ وَاخْتِلَافٌ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولَ لَا الْقَاتِلَ فَافْعَلْ﴾ قال الزهري: كان من دهاة الناس في الفتنة خمسة نفر: عمرو بن العاص؛ ومعاوية؛ ومن الأنصار قيس بن سعد؛ ومن ثقيف المغيرة بن شعبة؛ ومن المهاجرين عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي. وكان مع علي رجلان: قيس وعبد الله؛ واعتزل المغيرة بن شعبة.

عبد الله بن أبي أوفى، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان ممن بايع تحت الشجرة وكان قدم على أبي عبيدة وهو محاصر دمشق بكتاب عمر بن الخطاب. وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: ﴿أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَا أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَمُرْنِي بِمَا يُجْزِئُنِي مِنْهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ: فَقَالَهَا الرَّجُلُ وَقَبَضَ كَفَّهُ وَعَدَّ خَمْسًا مَعَ إِبْهَامِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذَا لِلَّهِ تَعَالَى فَمَا لِنَفْسِي؟ قَالَ: قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي، قَالَ: فَقَالَهَا وَقَبَضَ عَلَى كَفِّهِ الْأُخْرَى وَعَدَّ خَمْسًا مَعَ إِبْهَامِهِ فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ وَقَدْ قَبَضَ كَفَّيْهِ جَمِيعًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ مَلَأَ كَفَّيْهِ مِنَ الْخَيْرِ﴾ وقال عبد الله بن أبي أوفى: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقة قال:﴿اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ وفي رواية:﴿اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ﴾ فأتاه أبي بصدقة قومه. وفي رواية: بصدقته .فقال:﴿اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى﴾ وعن أبي يعفور قال: أتينا عبد الله بن أبي أوفى نسأله عن الجراد، فقال: غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل الجراد. وقال: اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتمرنا معه، فطاف بالبيت، وطفنا معه، وسعى بين الصفا والمروة، وسعينا معه، نستره من حجارة المشركين التي ترمى. قال إسماعيل: فرأيت بذراع ابن أبي أوفى جرحا، فقلت: متى أصابك هذا؟ قال: يوم حنين، فقلت: أوقد شهدته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، وقبله. قال محمد بن عمر: لم يزل عبد الله بن أبي أوفى بالمدينة حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتحول إلى الكوفة، فنزلها حيث نزلها المسلمون، وابتنى بها دارا في أسلم، وكان قد ذهب بصره. قال سعيد بن جمهان: كنا نقاتل الخوارج، وفينا عبد الله بن أبي أوفى، وقد لحق غلامه الخوارج، وهم من ذلك الشط، ونحن من ذلك الشط، فناديناه: أبا فيروز، ويحك، هذا مولاك عبد الله بن أبي أوفى، قال: نعم الرجل هو لو هاجر، قال: ما يقول عدو الله؟ قال: قلنا: يقول: نعم الرجل لو هاجر، قال: أهجرة بعد هجرتي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ﴾ قال عبد الله بن أبي أوفى: كنا يوم الشجرة ألفا وثلاثمائة. قال محمد بن عمر: أول غزوة غزاها عبد الله بن أبي أوفى: الفتح، ثم حنين، ثم الطائف، ثم تبوك. وكان آخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكوفة، مات في سنة 86 هـ. قال البخاري: ومات عبد الله بن أبي أوفى سنة سبع -أو ثمان- وثمانين، وكنيته أبو إبراهيم الأسلمي. وقيل: كنيته أبو هاشم.

■ (1) وهبان بن صيفي الغفاري الكناني، ويقال: أهبان، نزل البصرة وله بها دار، سمع النبي صلى الله عليه وسلم.

■ (2) خالد بن عرفطة العذري له صحبة ورواية توفي في حدود 60 هـ لما سلم الأمر الحسن بن علي إلى معاوية خرج عليه عبد الله بن أبي الحوساء وقيل ابن أبي الحمساء بالميم بالنخيلة فبعث إليه الحسن خالد بن عرفطة في جمع من أهل الكوفة فقتل ابن أبي الحوساء سنة 41 هـ

راجع: مختصر تاريخ دمشق/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ البحر الزخار مسند البزار/ إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة/ رجال صحيح مسلم/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ صحيح مسلم/ صحيح البخاري/ البداية والنهاية/ الوافي بالوفيات/ سير أعلام النبلاء/ كنز العمال/

قال عوانة بن الحكم: لما هلك معاوية واستخلف يزيد ابنه، اجتمع الناس على بابه، فدخل عليه أشراف الناس ووجوههم،وفيهم عمرو بن عبد عمرو[1] أحد بني الأشعر بن غاضرة بن حطيط، فلم يتهيأ لأحد منهم تعزية تجمع تعزية بأبيه مع تهنئته بالخلافة، حتى قام عطاء بن أبي صيفي الثقفي ثم المالكي[2]، فسلم عليه تسليم الخلافة ثم قال: أصبحت يا أمير المؤمنين إماما، ولديننا قواما، رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله، قضى معاوية نحبه يغفر الله له ذنبه وأعطيت بعده الرئاسة، ووليت بعده السياسة، فأورده الله موارد السرور، ووفقك بعده لصالح الأمور، فقد رزئت جليلا ووليت جليلا، فاحتسب عند الله أعظم الرزية، واشكر الله على أفضل العطية، عاش سعيدا ومات فقيدا، وكنت المنتخب وباب العرب، فأحسن الله عطاءك ورزقك شكرا على ما أعطاك. ثم قال: من البسيط: اصبر يزيد فما فارقت ذا كرم..واشكر حباء الذي بالملك حاباكا..فما رزي أحد في الناس كلهم..كما رزيت ولا عقبى كعقبا كا..أصبحت أنت أمير الناس كلهم..فأنت ترعاهم والله يرعاكا..وفي معاوية الباقي لنا خلف..إذا نعيت، ولا يسمع بمنعاكا . فعجب يزيد من حسن قوله، فقال له: ادن يا بن أبي صيفي؛ فأدناه حتى أقعده قريبا منه،، فقال له: هل تدري فيما تحالف الأحلاف من ثقيف؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فأخبرني عن ذلك وعمرو بن عبد عمرو جالس فقال: لأخبرنك عن ذلك بخبر صادق، إن رجلا من بني غاضرة بن حطيط وكان بينه وبين رجل من بني مالك ملاحاة في بعض الأمر، فاستشرى فيه الأمر، فغضب له بنو مالك بأجمعها وبنو مالك إذ ذاك أكثر ثقيف عددا فأسفقت بنو الأشعر أن يجتمع عليهم بنو مالك، وخافوا الهضمة والحيف والظلم والضعف، فظعنوا عنهم حتى نزلوا على بني عوف وابن قيس فحالفوهم على بني مالك ولم يحالف قوم قط قوما إلا عن هضمة وضعف فيهم، وقلة من عددهم . فغضب عمرو بن عبد عمرو من قوله، فقال: تالله سمعت كلام رجل أبعد رشدا وصوابا، والله لتنتهين يا بن أبي صيفي عما أسمع أو لأوردنك شعابا تجدنها يبابا لا تنبت إلا سلعا وصابا.-وقال ابن خالد: السلع: المر، والصاب: العلقم-. قال ابن أبي صيفي: إنك والله إن ترد شعابي تلقها مالكية مخصبا، تبهق مياها عذابا، وتلف أهلها ميوسا صعابا. فقال عمرو بن عبد عمرو: بل إن أردها ألقها قليلا تراها، يابسا ثراها، متوحشا قواها، ذليلا حماها. فقال عطاء بن أبي صيفي: بل إن تردها والله تلقها نديا ثراها، طيبا مرعاها، منيعا حماها، مضرا تهلك منحاها. قال عمرو بن عبد عمرو: بل إن أردها ألقها الرياح الزعزع، والذئاب الجوع، بيداء بلقع، لا تدفع كفا بمدفع. قال ابن أبي صيفي: إن تردها تلقها والله طيبة المرتع، آمنة المربع، لينة المهجع، تقطع مثلك يوم المجمع. فلما سمع يزيد بن معاوية مقالتهما خشي أن يرتفع الأمر بينهما، فقال: سألتكما بالله لما كففتما مما أسمع منكما؛ ثم قال: والله إن سمعت كاليوم رجلين أمضى وأمضى. فقال عطاء بن أبي صيفي: أما الأصل يا أمير المؤمنين فأصل مؤتلف، وأما السبيل فمختلف، كل بذلك مقر معترف. فقال يزيد: أنتم يا بني ثقيف معدن العز والشرف، وما أشبه المؤتنف بالسلف؛ فلم غلبكم إخوتكم من بني عامر على الطائف؟ قال: أمر الكبير وأطاع الصغير، وبعد المهرب وعز المطلب، فدفعا بالراح، وحسا بالرماح؛ حتى جاءنا الإسلام، وسوغنا سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم .قال: صدقت، ومثلك فليجالس الملوك. فأصلح يزيد بينهما، فقاما على ذلك، وانصرفا عليه، من غير أن يقعا في قبيح، أو يقول واحد منهما لما يحتمل ولا يحتمل.

■ (1) عمرو بن عبد عمرو الثقفي أحد بني الأشعر بن غاضرة بن حطيط وفد على يزيد بن معاوية ؟

■ (2) عطاء بن ابي صيفي بن نضلة بن قانف بن الحويرث بن الحارث الثقفي ثم المالكي وفد على يزيد بن معاوية وعزاه عن أبيه.

قيل مات ولد بعض العلماء بمكة، فأتاه جماعة من العلماء يعزونه فلم يتعز، فأتاه الفضيل فقال: يا هذا، ما ترى في رجل كان في سجن هو وولده. فأخرج ولده من السجن، فأولى به أن يفرح أو يحزن؟ فقال الرجل: أولى به أن يفرح، قال: فإنك كنت أنت وابنك في سجن وأخرج ابنك من السجن. فقال: تعزيت والله.

المغيرة بن عبد الله التميمي البصري وفد على معاوية. قال من حديث: ثم قام المغيرة بن عبد الله التميمي – وكان رجلا عظيما طريرا، فتخطى رقاب الناس إلى معاوية، ففرح الناس بقيامه وقالوا: هذا خليق أن يخطب خطبة يعم فيها أهل مصره بخير، فلما دنا من معاوية استأذنه في المنطق فقال له: تكلم بحاجتك. فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به، أنا من الوفد الذين قدموا من أهل العراق، ثم من البصرة، ثم أنا أحد بني تميم، المغيرة بن عبد الله المعروف الوالد والمنصب، قدمنا فلم نر من أمير المؤمنين إلا الذي نحب، من لين الحجاب وخفض الجناح، وإعطاء المسألة، واستقبال أنواع الخير، فأحب أن يتم أمير المؤمنين ويستعملني على خراسان. وكان معاوية منكسا ينكث في الأرض بقضيب، يسمع قوله، فرفع رأسه ونظر إليه فقال: عليها من يكفيك أمرها. قال: فأحب أن تستعملني على شرط البصرة، فإني بها عالم فهم مصيب، عليهم جريء. قال معاوية: كفيتها. قال: فأحب يا أمير المؤمنين أن تأمر لي بجائزة وعطائي وكسوتي، وتكسو امرأتي فلانة قطيفة، وتكسوني برنسا. قال معاوية: أما هذا فنعم. ثم أثنى على زياد، ثم قعد. فلما خرج المغيرة أقبل عليه أهل البصرة فلاموه وقالوا: أما استحييت!؟ تسأل أمير المؤمنين أن يستعملك وأن يجيزك! والله لنرجو أن تأتي بخطبة تعم بها أهل البصرة بخير. فقال المغيرة: ويحكم، بدأت فسألت أمير المؤمنين الأمر العظيم، فلو أعطاني الذي سألت كان ذلك الذي أردت، ثم سألته الذي هو دون، فأعطانيه، فقد أصبت مع الفرض ستة آلالف درهم، ولم يصب رجل منكم درهما.

راجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

لما قتل الحسين[1] أرسل –عمر بن سعد[2]– رأسه ورؤوس أصحابه إلى ابن زياد[3] مع خولي بن يزيد[4] وحميد بن مسلم الأزدي[5]، فوجد خولي القصر مغلقا فأتى منزله فوضع الرأس تحت إجانة* في منزله ودخل فراشه وقال لامرأته النوار[6]: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار. فقالت: ويلك! جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبدا! وقامت من الفراش فخرجت إلى الدار، قالت: فما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة، ورأيت طيرا أبيض يرفرف حولها. فلما أصبح غدا بالرأس إلى ابن زياد.

وقيل: بل الذي حمل الرؤوس كان شمر[7] وقيس بن الأشعث[8] وعمرو بن الحجاج[9] وعروة بن قيس[10]، فجلس ابن زياد وأذن للناس فأحضرت الرؤوس بين يديه وهو ينكت بقضيب بين ثنيته ساعة، فلما رآه زيد بن الأرقم[11] لا يرفع قضيبه قال: أعل هذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، على هاتين الشفتين يقبلهما! ثم بكى، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك! فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك. فخرج وهو يقول: أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة[3]، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذل، فبعدا لمن يرضى بالذل! فأقام عمر بن سعد بعد قتله يومين ثم ارتحل إلى الكوفة وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان، وعلي بن الحسين –زين العابدين–[12] مريض، فاجتازوا بهم على الحسين وأصحابه صرعى، فصاح النساء ولطمن خدودهن، وصاحت زينب[13] أخته: يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء! هذا الحسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفي عليها الصبا! فأبكت كل عدو وصديق. فلما أدخلوهم على ابن زياد لبست زينب أرذل ثيابها وتنكرت وحفت بها إماؤها، فقال عبيد الله: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال ذلك ثلاثا وهي لا تكلمه، فقال بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة. فقال لها ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم! فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيرا، لا كما تقول أنت، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر. فقال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده. فغضب ابن زياد وقال: قد شفى الله غيظي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك، فبكت ثم قالت : لعمري لقد قتلت كهلي وأبرزت أهلي وقطعت فرعي واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت، فقال لها عبيد الله: هذه شجاعة فلعمري لقد كان أبوك شجاعا، قالت: ما للمرأة والشجاعة؟ إن لي عن الشجاعة لشغلا، ولما نظر ابن زياد إلى علي بن الحسين قال: ما اسمك؟؛ قال: علي بن الحسين. قال: أولم يقتل الله علي بن الحسين؟ فسكت. فقال: ما لك لا تتكلم؟ فقال: كان لي أخ يقال له أيضا علي فقتله الناس. فقال: إن الله قتله. فسكت علي. فقال: ما لك لا تتكلم؟ فقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران] قال: أنت والله منهم. ثم قال لشرطي: ويحك! انظر هذا هل أدرك؟ إني لأحسبه رجلا. قال: فكشف عنه مري بن معاذ الأحمري[14] فقال: نعم قد أدرك. قال: اقتله. فقال علي: من توكل بهذه النسوة ؟ وتعلقت به زينب عمته فقالت: يا ابن زياد حسبك منا، أما رويت من دمائنا، وهل أبقيت منا أحدا! واعتنقته وقالت: أسألك بالله إن كنت مؤمنا إن قتلته لما قتلتني معه! وقال له علي: يا ابن زياد إن كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلا تقيا يصحبهن بصحبة الإسلام. فنظر إليها ساعة ثم قال: عجبا للرحم! والله إني لأظنها ودت لو أني قتلته أني قتلتها معه، دعوا الغلام ينطلق مع نسائه. ثم نادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعد المنبر فخطبهم وقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته. فوثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الوالبي[15]، وكان ضريرا قد ذهب إحدى عينيه يوم الجمل مع علي والأخرى بصفين معه أيضا، وكان لا يفارق المسجد يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف، فلما سمع مقالة ابن زياد قال: يا ابن مرجانة! إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه! يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين؟ فقال ابن زياد : علي به، فوثبت عليه الجلاوزة فأخذوه، فنادى بشعار الأزد يا مبرور! فوثبت إليه فئة من الأزد، فانتزعوه، وأتوا به أهله، فأرسل إليه من أتاه به فقتله، ثم أمر بصلبه في السبخة فصلب، رحمه الله.

وأمر ابن زياد برأس الحسين فطيف به في الكوفة، وكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام على خشبة في قول والصحيح أن أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق[16] ثم أرسل ابن زياد رأس الحسين ورؤوس أصحابه مع زحر بن قيس(؟)[17] إلى الشام إلى يزيد ومعه جماعة، وقيل: مع شمر[7] وجماعة معه، وارسل معه النساء والصبيان، وفيهم علي بن الحسين، قد جعل ابن زياد الغل في يديه ورقبته، وحملهم على الاقتاب*، فلم يكلمهم علي بن الحسين في الطريق حتى بلغوا الشام، فدخل زحر بن قيس على يزيد، فقال: ما وراءك؟ فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله وبنصره، ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته، وستين من شيعته، فسرنا إليهم فسألناهم أن ينزلوا على حكم الأمير عبيد الله أو القتال فاختاروا القتال فعدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيوف مآخذها من هام القوم جعلوا يهربون إلى غير وزر، ويلوذون بالإكام والحفر، كما لاذ الحمائم من صقر، فوالله ما كان إلا جزر جزور، أو نومة قائل، حتى أتينا على آخرهم! فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مرملة، وخدودهم معفرة، تصهرهم الشمس، وتسفي عليهم الريح، زوارهم العقبان* والرخم* بقي سبسب*. قال: فدمعت عينا يزيد وقال: كنت أرضى من طاغيتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية! أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله الحسين! ولم يصله بشيء.

----

* (الإجانة) الايجانة، بالياء. والاجانة: المركن، وهو شبه لقن يغسل فيه الثياب، والجمع: أجاجين، والانجانة عامية (العقبان) عتاق الطير وسباعه التي لاتصيد الخشاش (الرخم) نوع من الطير موصوف بالغدر.(السبسب) الأرض الشأسبة الجدبة.وقيل: السبسب: الأرض القفر البعيدة مستوية وغير مستوية وغليظة وغير غليظة لا ماء بها ولا أنيس. (قتب) القتب والقتب إكاف البعير وقد يؤنث والتذكير أعم ولذلك أنثوا التصغير فقالوا قتيبة. وفي الخلاصة أنه عام في الحمير والبغال والإبل..ويقال للإبل توضع عليها أحمالها: قتوبة: التي توضع الاقتاب على ظهورها.

■ (6) النوار بنت مالك الحضرمية هي العبوق بنت مالك بن نهار بن عقرب الحضرمي. وفي الطبري وابن الاثير قال: العيوف بنت مالك بن نهار بن عقرب الحضرمي.

■ (11) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان الأنصاري الخزرجي، من بني الحارث بن الخزرج اختلف في كنيته اختلافا كثيرا. فقيل: أبو عمر وقيل: أبو عامر. وقيل: أبو سعد. وقيل أبو سعيد. وقيل أبو أنيسة. ويقال إن أول مشاهده المريسيع يعد في الكوفيين نزل الكوفة وسكنها وابتني بها دارا في كندة. وبالكوفة كانت وفاته، في سنة 68 هـ. وقيل سنة 66 هـ وزيد بن أرقم هو الذي رفع إلى رسول الله عن عبد الله بن أبي بن سلول قوله: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فكذبه عبد الله بن أبي وحلف فأنزل الله تصديق زيد بن أرقم فتبادر أبو بكر وعمر إلى زيد ليبشراه فسبق أبو بكر فأقسم عمر لا يبادره بعدها إلى شيء وجاء النبي فأخذ بإذن زيد وقال: وعت أذنك يا غلام. و قيل: كان ذلك في غزوة بني المصطلق وقيل في تبوك. وشهد زيد بن الأرقم مع علي صفين وهو معدود في خاصة أصحابه.

■ (15) عبد الله بن عفيف الأزدي الغامدي، أحد بني والبة وكان من شيعة علي وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علي، فلما كان يوم صفين ضرب على رأسه ضربة، وأخرى على حاجبه، فذهبت عينه الأخرى، فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف

■ (1) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (3) عبيد الله بن زياد بن عبيد، المعروف بابن زياد، وابن مرجانة وهي أمه، (أبوه: زياد بن أبي سفيان ويقال له: زياد بن أبيه، وابن سمية) كان والي العراق بعد أبيه ليزيد بن معاوية. قتله إبراهيم بن مالك سنة 67 هـ وكان شمر بن ذي الجوشن قائد الميسرة في جيش ابن زياد. وهو قاتل الحسين بن علي.

■ (13) زينب بنت علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، العقيلة، وأمها فاطمة بنت رسول الله تزوجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فولدت له عليا وعونا الأكبر وعباسا ومحمدا وأم كلثوم. وتوفيت سنة62 هـ بدمشق.

■ (12) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ألقابه: السجاد، زين العابدين. ويكنى أبو الحسن، أبو محمد، ولد في المدينة المنورة سنة 38 هـ وتوفي فيها سنة 95 هـ، وقيل غير ذلك ودفن بالبقيع. أيضا من أولاد الحسين: علي الأكبر، وعلي الأصغر وكانوا من شهداء كربلاء.

■ (4) خولي بن يزيد الأصبحي، من حمير. قيل هو الذي أجهز على الحسين بعد سنان بن أنس النخعي، حز خولي رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد. ثم لما قام المختار الثقفي بتتبع قتلة الحسين، بعث إليه صاحب حرسه، فكبس بيته فخرجت إليهم امرأته فسألوها عنه فقالت: لا أدري أين هو، وأشارت بيدها إلى المكان الذي هو مختف فيه، وكانت تبغضه من ليلة قدم برأس الحسين معه إليها، وكانت تلومه على ذلك، فدخلوا عليه فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة –وعاء من قصب– فحملوه إلى المختار فأمر بقتله قريبا من داره، وأن يحرق بعد ذلك.

■ (7) شمر بن ذي الجوشن واسمه شرحبيل ابن قرط الضبابي الكلابي، أبو السابغة: من كبار قتلة الحسين الشهيد كان في أول أمره من ذوي الرياسة في هوازن موصوفا بالشجاعة، وشهد يوم صفين مع علي. ثم أقام في الكوفة، يروي الحديث، إلى أن كانت الفاجعة بمقتل الحسين، فكان من قتلته. وأرسله عبيد الله بن زياد مع آخرين إلى يزيد بن معاوية في الشام، يحملون رأس الشهيد. وعاد بعد ذلك إلى الكوفة ثم لما قام المختار الثقفي بتتبع قتلة الحسين، طلب الشمر في جملتهم، فخرج من الكوفة، فوجه إليه بعض رجاله وعليهم غلام له اسمه زربي فقتله شمر، وسار إلى الكلتانية من قرى خوزستان – بين السوس والصيمرة – ففاجأه جمع من رجال المختار يتقدمهم أبو عمرة، عبد الرحمن ابن أبي الكنود، فبرز لهم شمر، قبل أن يتمكن من لبس ثيابه وسلاحه، فطاعنهم قليلا ثم ألقى الرمح وأخذ السيف فقاتلهم، وتمكن منه أبو عمرة فقتله سنة 66 هـ وألقيت جثته للكلاب. ورحل بعض أبنائه إلى المغرب، ودخلوا الأندلس، واشتهر منهم حفيده الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن، فاشتبه الأمر على ابن الفرضي مؤلف تاريخ علماء الأندلس فظن أن شمرا نفسه دخل الأندلس.

■ (9) عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي من أعيان الكوفة، وممن شهد مقتل الحسين. قال ابن إسحاق: كان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله مقام محمود حين أرادت زبيد الردة، فنهاهم عنها، وحثهم على التمسك بالإسلام. هو وعمرو بن الفحيل.

■ (2) عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني نزيل الكوفة عن أبيه وعنه الزهري مقته الناس لكونه أميرا على الجيش الذي قتلوا الحسين بن علي رضي الله عنهما قتله المختار سنة 65 هـ أو بعدها.

■ (16) عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب بن عمرو الخزاعي، هاجر بعد الحديبية وقيل أسلم عام حجة الوداع، والأول أصح. سكن الكوفة ثم انتقل إلى مصر.والصحيح أنه انتقل من مصر إلى الكوفة.وقيل كان ممن سار إلى عثمان وهو أحد الأربعة الذين دخلوا عليه الدار وصار من شيعة علي، قيل قتله عبد الرحمن بن عثمان الثقفي بأمر من معاوية طعنه تسع طعنات وقيل: بل كان مريضا لم يطق الحركة، وكان معه رفاعة بن شداد، فأمره بالنجاء لئلا يؤخذ معه، فأخذ رأس عمرو، وحمل إلى معاوية بالشام سنة 50 أو 51 وفي رواية قيل: كان من جملة من أعان حجر بن عدي فتطلبه زياد فهرب إلى الموصل، وكان العامل عبد الرحمن بن أم الحكم، وهو ابن أخت معاوية. فبعث معاوية إلى نائبها فوجدوه قد اختفى في غار فنهشته حية فمات فقطع رأسه فبعث به إلى معاوية، فطيف به في الشام وغيرها، فكان أول رأس طيف به. والله أعلم بالصواب.

■ (17) زحر بن قيس الجعفي الكوفي أدرك عليا، وشهد معه صفين، أنزله على المدائن في جماعة جعلهم هناك رابطة.ووفد على يزيد بن معاوية. وكان شريفا فارسا وله ولد أشراف حكى عن علي بن أبي طالب والحسن بن علي...؟

■ (5) حميد بن مسلم الأزدي ؟ (8) قيس بن الأشعث؟ (10) عروة بن قيس؟(14) مري بن معاذ الأحمري ؟ (لم أجد لهم ترجمة)

☪

عقب ابن العديم بعد ذكره الخبر: هكذا قال الحافظ أبو القاسم والذي يقع لي أن الذي قدم برأس الحسين على يزيد هو غير زحر بن قيس الجعفي فإن الجعفي شهد صفين مع علي وقدمه على أربعمئة من أهل العراق وبقي بعده مؤمرا وأمره الحسن بأخذ البيعة له وكان شريفا في قومه فيبعد عندي أن يقاتل الحسين ويخرج برأسه ويحضر بين يدي يزيد ويقول ما قال قول متشف وقد وافق الجعفي في اسمه واسم أبيه وفي كونه من الكوفة فظن أبو القاسم الحافظ أنه الجعفي وليس به، والله أعلم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/ الكامل في التاريخ/ البداية والنهاية/ الأعلام للزركلي/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ أسد الغابة/ الأخبار الطوال للدينوري/

◆ ابن زياد، والي العراق (عامل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ثاني ملوك الدولة الأموية) وعائذ بن عمرو 0333

حدث الحسن، أن عائذ بن عمرو[1] كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على عبيد الله بن زياد[2]،فقال: أي بني، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ﴾ فإياك أن تكون منهم. فقال له: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم، وفي غيرهم. والنخالة: يعني لست من فضلائهم وعلمائهم وأهل المراتب منهم بل من سقطهم، (وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم) هذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم فإن الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم وفيمن بعدهم كانت النخالة.

■ (1) عائذ بن عمرو بن هلال المزني، أبو هبيرة البصري، أخو رافع بن عمرو المزني، له صحبة، شهد بيعة الرضوان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن: أبي بكر الصديق. روى عنه الحسن البصري، وابنه حشرج بن عائذ بن عمرو المزني، وسوادة بن عاصم، وعبد الله بن خليفة، ويقال: خليفة بن عبد الله العنبري، ويقال: الغبري، وعبد العزيز بن أبي سعيد، ويقال: ابن سعد المزني، ومعاوية بن قرة المزني، وأبو جمرة الضبيعي، وأبو سبرة الهذلي، وأبو شمر الضبعي، وأبو عمران الجوني: البصريون.ومات عائذ في ولاية عبيد الله بن زياد، ويكنى أبا هبيرة.حدث ثابت البناني، أن عائذ بن عمرو أوصى أن يصلي عليه أبو برزة الأسلمي، فركب عبيد الله بن زياد ليصلي عليه، فلما بلغ قصر هشام، قيل له: إنه قد أوصى أن يصلي عليه أبو برزة، فركب دابته راجعا.

■ (2) عبيد الله بن زياد بن عبيد، المعروف بابن زياد، وابن مرجانة وهي أمه، (أبوه: زياد بن أبي سفيان ويقال له: زياد بن أبيه، وابن سمية) كان والي العراق بعد أبيه ليزيد بن معاوية. قتله إبراهيم بن مالك سنة 67 هـ وكان شمر بن ذي الجوش قائد الميسرة في جيش ابن زياد. وهو قاتل الحسين بن علي.

■ (0) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

الصحابة هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفقاء دعوته الذين أثنى الله عزّ وجلّ عليهم في مواضع كثيرة من القرآن، قال الله تعالى:﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة] وقال الله تعالى:﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح] من سبهم بعد هذه الآيات فهو مكذب بالقرآن. والواجب نحوهم محبتهم والترضي عنهم والدفاع عنهم، ورد من تعرض لأعراضهم، ولا شك أن حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، وقد أجمع العلماء على عدالتهم، أما التعرض لهم وسبهم وازدراؤهم. قال ابن تيمية: إن كان مستحلاً لسب الصحابة رضي الله تعالى عنهم فهو كافر. وقد حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك بقوله:﴿مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا، وَلا عَدْلًا﴾ و عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ﴾ عن أبان بن عثمان قال: سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول﴿مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ﴾ عن عطاء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ وعن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ شَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ قُتِلَ، وَمَنْ شَتَمَ أَصْحَابِي جُلِدَ﴾ قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (57) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب] فرّق الله عزّ وجلّ في الآية بين أذى الله ورسوله وبين أذى المؤمنين والمؤمنات، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد، وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل. عن أبي قلابة عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ﴾ والحديث روي عن أبي قلابة مرسلاً، من غير ذكر أنس، قال الحافظ ابن رجب: وهو أصح عند كثير من الحفاظ. وأشار إلى أن الصواب عند الحفاظ إرسال الحديث، وأن الموصول منه ما اقتصر عليه البخاري.

قيل حكم رجل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بن محمد[1] في صلاته فقطع عليهم الصلاة وشهر السيف، فكتب أبو بكر إلى عمر بن عبد العزيز، فأتي بكتاب عمر فقرئ عليه، فشتم عمر والكتاب ومن جاء به، فهم أبو بكر بضرب عنقه، ثم راجع عمر وأخبره أنه شتمه وأنه هم بقتله، فكتب إليه عمر لو قتلته لقتلتك به، فإنه لا يقتل أحد إلا أن يشتم النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أتاك كتابي هذا فاحبس عن المسلمين شره، وادعه إلى التوبة في كل هلال، فإذا تاب فخل سبيله، فلم يزل في الحبس حتى هلك عمر رضي الله تعالى عنه، فضرب يزيد بن عبد الملك عنقه.

قال علي بن نايف الشحود : من أقوى الأدلة على قتل ساب الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم استتابته إجماع الأمة العملي من لدن الصحابة ومن بعدهم الذي نقلناه، والأمة لا تجتمع على ضلالة. ورحم الله مالكا عندما سأله الرشيد عن رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده؟ فغضب مالك، وقال: يا أمير المؤمنين، ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها؟ من شتم الأنبياء قتل، ومن شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد. ولهذا أفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم، وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم، وختن حيدرة، وزعمه أن زهده لم يكن قصدا، ولو قدر على الطيبات أكلها. وأفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري، وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم، وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس -قاضي قرطبة- بن طالب للمناظرة، فرفعت عليه أمور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبينا صلى الله عليه وسلم، فأحضر له القاضي يحيى بن عمرو غيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه، فطعن بالسكين وصلب منكسا، ثم أنزل وأحرق بالنار. اللهم، إنا نسألك حبك، وحب رسولك، وحب عمل يقربنا إلى حبك، وصلى الله وسلم وبارك وعظم على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، وعلى آله وصحبه الطاهرين الطيبين، وعنا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

■ (1) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي أمير المدينة وقاضيها لسليمان بن عبد الملك، ثم لعمر بن عبد العزيز روى عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن مالك قال: لم يكن عندنا بالمدينة احد عنده من علم القضاء ما كان عند أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم وكان ولاه عمر بن عبد العزيز وكتب إليه أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد فكتبه له، ولم يكن على المدينة أنصاري أميرا غير أبي بكر بن حزم، وكان قاضيا.

مراجع: الطبقات الكبرى/ سير أعلام النبلاء/ البداية والنهاية/ تاريخ بغداد/ مسند أحمد/ تاريخ عصر الخلفاء الراشدين/ مصنف ابن أبي شيبة/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ أنساب الأشراف/ فتح الباري لابن رجب/ فتح الباري لابن حجر/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ موسوعة الدين النصيحة/

◆ ابن زياد، والي العراق (عامل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ثاني ملوك الدولة الأموية) وميثم التمار 0334

يروي ابن حجر العسقلاني عن المؤيد بن النعمان الرافضي قال: كان ميثم التمار[1]عبدا لامرأة من بني أسد فاشتراه علي[2] رضي الله عنه، منها وأعتقه وقال له ما اسمك؟ قال: سالم، قال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن اسمك الذي سماك به أبواك في العجم ميثم، قال: صدق الله ورسوله وأمير المؤمنين، والله إنه لاسمي، قال: فارجع إلى اسمك الذي سماك به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودع سالما، فرجع ميثم واكتنى بأبي سالم، فقال: علي ذات يوم إنك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربة فإذا جاء اليوم الثالث ابتدر منخراك وفوك دما فتخضب لحيتك وتصلب على باب عمرو بن حريث[3] عاشر عشرة وأنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة -يعني الارض- وامض حتى أريك النخلة التي تصلب على جذعها فأراه إياها وكان ميثم يأتيها فيصلي عندها ويقول: بوركت من نخلة لك خلقت ولي غذيت، فلم يزل يتعاهدها حتى قطعت، ثم كان يلقى عمرو بن حريث فيقول له: إني مجاورك فأحسن جواري، فيقول له عمرو: أتريد أن تشتري دار بن مسعود أو دار بن حكيم وهو لا يعلم ما يريد، ثم حج في السنة التي قتل فيها فدخل على أم سلمة[4]أم المؤمنين فقالت له: من أنت؟ قال: أنا ميثم، فقالت: والله لربما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك ويوصي بك عليا، فسألها عن الحسين[5]، فقالت: هو في حائط* له، فقال: أخبريه أني قد أحببت السلام عليه، فلم أجده ونحن ملتقون عند رب العرش إن شاء الله تعالى، فدعت أم سلمة بطيب فطيبت به لحيته، فقال لها: أما إنها ستخضب بدم، فقدم الكوفة فأخذه عبيد الله بن زياد[6]فأدخل عليه، فقال له: هذا كان آثر الناس عند علي، قال: ويحكم هذا الأعجمي، فقيل له: نعم، فقال له: أين ربك، قال: بالمرصاد للظلمة وأنت منهم، قال: إنك على أعجميتك لتبلغ الذي تريد، أخبرني ما الذي أخبرك صاحبك أني فاعل بك؟ قال: أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة، وأنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة، قال: لنخالفنه، قال: كيف تخالفه! والله ما أخبرني إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل، ولقد عرفت الموضع الذي أصلب فيه، وأني أول خلق الله ألجم في الإسلام، فحبسه وحبس معه المختار بن عبيد[7]فقال ميثم للمختار: إنك ستفلت وتخرج ثائرا بدم الحسين، فتقتل هذا الذي يريد أن يقتلك، فلما أراد عبيد الله أن يقتل المختار وصل بريد من يزيد[8]يأمره بتخلية سبيله، فخلاه وأمر بميثم أن يصلب، فلما رفع على الخشبة عند باب عمرو بن حريث، قال عمرو: قد كان والله يقول لي إني مجاورك، فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم، ومخازي بنى أمية ، وهو مصلوب على الخشبة، فقيل لابن زياد قد فضحكم هذا العبد، قال ألجموه، فكان أول من ألجم في الإسلام، فلما كان اليوم الثالث من صلبه طعن بالحربة، فكبر ثم انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دما وكان ذلك قبل مقدم الحسين رضي الله عنه العراق بعشرة أيام.

----

* (الحائط) البستان

■ (1) ميثم التمار، ميثم بن يحيى الاسدي بالولاء: أول من ألجم في الاسلام !. كان عبدا لامرأة من بني أسد، واشتراه على بن أبى طالب منها، وأعتقه. ثم كان أثيرا عنده. وسكن بعده الكوفة. وحبسه أميرها عبيد الله بن زياد لصلته بعلي، ثم أمر به فصلب على خشبة، فجعل يحدث بفضائل بني هاشم، فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد، فقال: ألجموه ! فكان أول من ألجم في الاسلام. ثم طعن بحربة. وكان ذلك قبل مقدم الحسين إلى العراق بعشرة أيام. قتل سنة 60 هـ

■ (2) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (4) أم المؤمنين، أم سلمة، هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية ويقال اسمه حذيفة، ويعرف بزاد الراكب ابن المغيرة، القرشية المخزومية، أم سلمة من زوجات النبي تزوجها في السنة الرابعة للهجرة. وكانت من أكمل النساء عقلا وخلقا. وهي قديمة الإسلام، هاجرت مع زوجها الاول أبي سلمة بن عبد الاسد بن المغيرة إلى الحبشة، وولدت له ابنه سلمة ورجعا إلى مكة، ثم هاجرا إلى المدينة، فولدت له أيضا بنتين وابنا. ومات أبو سلمة في المدينة من أثر جرح فخطبها أبو بكر، فلم تتزوجه. وخطبها النبي فقالت لرسوله ما معناه: مثلي لا يصلح للزواج، فإني تجاوزت السن، فلا يولد لي، وأنا امرأة غيور، وعندي أطفال. فأرسل إليها النبي بما مؤداه: أما السن فأنا أكبر منك، وأما الغيرة فيذهبها الله، وأما العيال فإلى الله ورسوله. وتزوجها. وكان لها يوم الحديبية رأي أشارت به على النبي دل على وفور عقلها. ويفهم من خبر عنها أنها كانت تكتب وعمرت طويلا. واختلفوا في سنة وفاتها، فأخذت بأحد الأقوال. وبلغ ما روته من الحديث 378 حديثا وكانت وفاتها بالمدينة سنة 62 هـ

■ (5) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (6) عبيد الله بن زياد بن عبيد، المعروف بابن زياد، وابن مرجانة وهي أمه، (أبوه: زياد بن أبي سفيان ويقال له: زياد بن أبيه، وابن سمية) كان والي العراق بعد أبيه ليزيد بن معاوية. قتله إبراهيم بن مالك سنة 67 هـ من المختار بن عبيد وكان شمر بن ذي الجوش قائد الميسرة في جيش ابن زياد. وهو قاتل الحسين بن علي.

■ (3) عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومي القرشي، أبو سعيد: وال، من الصحابة. ولي إمرة الكوفة لزياد. ثم لابنه عبيد الله. ومات بها سنة 85 هـ. له 18 حديثا. قال أبو علي القالي: له عقب بالكوفة، وذكر عظيم.

■ (8) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (7) المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، ولد سنة 1 هـ حاكم الكوفة وكان متلونا كذابا يدعو مرة إلى محمد بن الحنفية، ومرة لابن الزبير، حتى ادعى آخرا أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء، فلما تحقق ابن الزبير سوء حاله، بعث أخاه المصعب لحربه، فقدم المصعب البصرة وتأهب منها، واجتمع إليه جيش الكوفة، فسار بهم جميعا وعلى مقدمته عباد بن الحصين، وعلى ميمنته المهلب بن أبي صفرة، وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، فجهز المختار لحربهم أحمر بن شميط، وكيسان فهزمهم مصعب، وقتل أحمر، وكيسان، وقتل من جيش مصعب محمد بن الأشعث الكندي ابن أخت أبي بكر الصديق، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، وقتل من جند المختار عمر الأكبر بن علي بن أبي طالب، ثم سار جيش مصعب فدخلوا الكوفة، وحصروا المختار بقصر الإمارة أياما إلى أن قتله الله في رمضان سنة67 هـ وصفت العراق لمصعب.

عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، قال: كنت عند زياد، وقد أتى بـرشيد الهجري[1]، وكان من خواص أصحاب علي رضي الله عنه، فقال له زياد: ما قال خليلك لك إنا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدى ورجلي، وتصلبونني، فقال زياد: أما والله لاكذبن حديثه. خلوا سبيله، فلما أراد أن يخرج قال: ردوه لانجد شيئا أصلح مما قال لك صاحبك، إنك لا تزال تبغى لنا سوءا إن بقيت، اقطعوا يديه ورجليه. فقطعوا يديه ورجليه، وهو يتكلم، فقال: اصلبوه خنقا في عنقه، فقال رشيد: قد بقى لى عندكم شئ ما أراكم فعلتموه، فقال زياد: اقطعوا لسانه، فلما أخرجوا لسانه ليقطع قال: نفسوا عنى أتكلم كلمة واحدة فنفسوا عنه، فقال: هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين، أخبرني بقطع لساني. فقطعوا لسانه وصلبوه.

قال الشعبي: دخلت عليه يوما، فقال: خرجت حاجا، فقلت لأعهدن بأمير المؤمنين عهدا فأتيت بيت علي رضي الله عنه، فقلت لانسان: استاذن لي علي أمير المؤمنين، قال: أو ليس قد مات؟ قلت: قد مات فيكم، والله إنه ليتنفس الآن تنفس الحي، فقال: أما إذا عرفت سر آل محمد فادخل. قال: فدخلت على أمير المؤمنين، وأنبأني بأشياء تكون. فقال له الشعبي: إن كنت كاذبا فلعنك الله. وبلغ الخبر زيادا، فبعث إلى رشيد، فقطع لسانه وصلبه على باب دار عمرو بن حريث. قال: سألت يحيى بن معين عن رشيد الهجري عن أبيه، قال: ليس برشيد ولا أبوه.

وروى محمد بن موسى العنزي، قال: كان مالك بن ضمرة الرؤاسي[2]من أصحاب علي رضي الله عنه وممن استبطن من جهته علما كثيرا، وكان أيضا قد صحب أبا ذر، فأخذ من علمه، وكان يقول في أيام بنى أمية: اللهم، لا تجعلني أشقى الثلاثة، فيقال له: وما الثلاثة؟! فيقول: رجل يرمى من فوق طمار*ورجل تقطع يداه ورجلاه ولسانه ويصلب، ورجل يموت على فراشه. فكان من الناس من يهزأ به، ويقول: هذا من أكاذيب أبى تراب. قال: وكان الذى رمى به من طمار هانئ بن عروة[3]، والذى قطع وصلب رشيد الهجرى ، ومات مالك على فراشه.

قال فضيل بن مرزوق: أتى مالك بن ضمرة الحسن بن علي فقال: السلام عليك، يا مسخم وجوه المؤمنين، قال: يا مالك، لا تقل ذلك، إني لما رأيت الناس تركوا ذلك إلا أهله، خشيت أن يجتثوا عن وجه الأرض؛ فأردت أن يكون للدين في الأرض ناع، فقال: بأبي أنت وأمي، ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران]

----

* (طمار) كقطام: المكان المرتفع

■ (1) رشيد الهجري، ويقال: الفارسي. مولى بني معاوية من الأنصار، ثم من الأوس. يروي عن أبيه، عداده في أهل الكوفة، كان يؤمن بالرجعة. قال ابن منده وأبو نعيم: لا تثبت له صحبة، قال الدارقطني:كان من الشيعة أدرك علي بن أبي طالب ولم يكن مستقيما في مذهبه. قال الجوزجاني: كذاب غير ثقة، وقال النسائي: ليس بالقوي وقال البخاري: يتكلمون فيه. وقال ابن معين: لا يساوي شيئا.

■ (2) مالك بن ضمرة الرؤاسي ؟ مالك بن ضمرة الضمري. نزل الكوفة.. روى فضيل بن مرزوق، عن جبلة بنت المصفح قالت: أوصى عمي مالك بن ضمرة بسلاحه للمهاجرين من بني ضمرة، إلا أنه لا يقاتل به أهل بيت النبوة. ومات في زمن معاوية، وكانت جبلة قد أدركت النبي صلى الله عليه وسلم. أخرجه ابن منده وأبو نعيم.

■ (3) هانئ بن عروة بن الفضفاض المرادي الغطيفي، مخضرم سكن الكوفة وكان من خواص علي ولما بايع أهل الكوفة مسلم بن عقيل للحسين نزل على هانئ المذكور فلما قدم عبيد الله بن زياد قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة.سنة 60 هـ والقصة مشهورة في جزء مقتل الحسين.

مراجع: الإصابة في تمييز الصحابة/ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد/ مختصر تاريخ دمشق/ الانساب للسمعاني/ المؤتلف والمختلف/ أسد الغابة/

قال العلامة ابن السبكي: إن معاوية بن يزيد بن معاوية[1] لما خلع نفسه، صعد المنبر، فجلس طويلا، ثم حمد الله وأثنى عليه، بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء، ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن ما يذكر به، ثم قال: أيها الناس، ما أنا بالراغب في الائتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم، وإني أعلم أنكم تكرهونا- أيضا- لأنا بلينا بكم وبليتم بنا، ألا إن جدي معاوية نازع هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعظيم فضله وسابقيته، أعظم المهاجرين قدرا، وأشجعهم قلبا، وأكثرهم علما، وأولهم إيمانا، وأشرفهم منزلة، وأقدمهم صحبة، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصهره، وأخوه، زوجه ابنته رضي الله تعالى عنها وجعله لها بعلا، باختياره لها، وجعلها له زوجة باختيارها له، أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة، وأفضل هذه الأمة، تربية الرسول، وابنا فاطمة البتول رضي الله تعالى عنها حتى انتظمت لجدي معاوية الأمور، فلما جاءه القدر المحتوم، واخترمته (أخذته) أيدي المنون، بقي مرتهنا بعمله، فريدا في قبره، ووجد ما قدمت يداه، فرأى ما ارتكبه واعتداه. ثم انتقلت الخلافة في أبي يزيد، فتقلد أمركم لهوى كان أبوه هويه فيه، ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فركب هواه، واستحسن خطاه، وأقدم على ما قدم من جرأته على الله تعالى، وبغيه على من استحل حرمته من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت مدته، وانقطع أثره، وضاجع عمله، وصار حليف حفرته، رهين خطيئته، وبقيت أوزاره وتبعاته، فهل عوقب بإساءته وجوزي بعمله؟! وذلك ظني. ثم اختنقته العبرة، فبكى طويلا، وعلا نحيبه، وحمد الله، ثم قال: وصرت أنا ثالث القوم، والساخط علي أكثر من الراضي، وما كنت لأتحمل آثامكم، ولا يراني الله جلت قدرته متقلدا أوزاركم، وألقاه بتبعاتكم، فشأنكم وأمركم، فخذوه، ومن رضيتم به عليكم فولوه، فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم، والسلام.

فقال له مروان بن الحكم[2]،وكان تحت المنبر: أسنة عمرية يا أبا ليلى؟ فقال: اغد عني، أعن ديني تخدعوني، فوالله ما ذقت حلاوة خلافتكم، فأتجرع مرارتها، ائتني برجال مثل رجال عمر، على أنه كان حين جعلها شورى وصرفها عمن لا يشك في عدالته ظلوما. والله، لئن كانت الخلافة مغنما، لقد نال أبي معها مغرما ومأثما، ولئن كانت شرا، فحسبه منها ما أصابه. ثم نزل، فدخل عليه أقاربه وأمه، فوجدوه يبكي، فقالت له أمه:[3]ليتك كنت حيضة، ولم أسمع بخبرك، فقال: وددت والله ذلك، ثم قال: ويلي إن لم يرحمني ربي. ثم إن بني أمية قالوا المؤدبه عمر المقصوص:[4] أنت علمته هذا، ولقنته إياه، وصددته عن الخلافة، وزينت له حب علي وأولاده رضي الله تعالى عنهم وحملته على ما وسمنا به من الظلم، وحسنت له البدع حتى نطق بها نطق، وقال ما قال! فقال: والله ما فعلته، ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي وأولاده رضي الله عنهم فلم يقبلوا منه ذلك، وأخذوه ودفنوه حيا حتى مات، رحمه الله.

توفي معاوية رضي الله تعالى عنه بعد خلعه نفسه بأربعين ليلة رحمه الله تعالى وهو المسمى: معاوية الأصغر، وقيل بعد الخلع بتسعين ليلة، وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة، وقيل: إحدى وعشرين، وقيل: ثمان عشرة، ويقال: إنه لما احتضر، قيل له: ألا تستخلف؟! فأبى، وقال: ما أصبت من حلاوتها، فلم أتحمل مرارتها. ولم يعقب، رحمة الله عليه ورضوانه.

■ (1) معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان لقبه: الراجع إلى الحق. بويع له بدمشق بعد وفاة أبيه سنة 64 هـ فمكث 40 يوما، أو 3 أشهر، مات سنة 64 هـ وهو ابن 23 سنة. وكان شابا صالحا دينا خيرا ؛ ولهذا يقال: يزيد شر بين خيرين.أي بين والده معاوية وبين ابنه معاوية.

■ (2) مروان بن الحكم الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية... ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ.

■ (3) حية بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة هي أم معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .(لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (4) عمرو المقصوص، أو عمر المقصوص، أو القصوص ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

إذا كان معاوية بن أبي سفيان أول الخلفاء (الملوك) الأمويين قد حول الخلافة من الشورى إلى الملك، فإن حفيده معاوية الثاني، ثالث خلفاء (ملوك) الأمويين أيضا، قد أعاد الخلافة من الملك العضوض إلى الشورى الكاملة.. ويعتبر معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان آخر ملوك الفرع السفياني، وانتقل الملك بعده إلى الفرع الثاني من بني أمية بـ المروانيين، وأولهم مروان بن الحكم، ولا يعد عند كثير من المحققين والمؤرخين خليفة، حيث يعتبرونه باغيا خرج على أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وكذلك ولده عبد الملك لا يعتبر خليفة إلا بعد موت ابن الزبير، واجتماع المسلمين عليه، وبوفاة معاوية بن يزيد انتهت الدولة السفيانية وظهرت الدولة الزبيرية ولكنها لم تستمر، فقد استطاع بنو مروان القضاء عليها.

حدث عوف عن سيار بن سلامة أبو المنهال قال: لما كان من خروج ابن زياده، ووثب مروان بالشام وابن الزبير بمكة، ووثب الذين يدعون القراء بالبصرة غم أبي غماً شديداً، وكان يثني على أبيه خيراً، قال لي: انطلق إلى هذا الرجل الذي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي برزة الأسلمي، فانطلقت معه حتى دخلنا عليه في داره وإذا هو في ظل علولة* من قصب في يوم شديد الحر. قال: فجلسنا إليه، فكان أول شيء تكلم به قال: إني احتسبت عند الله أني أصبحت ساخطاً على أحياء قريش، وإنكم معين العرب، كنتم على الحال الذي قد علمتم من جهالتكم من القلة والذلة والضلالة، وإن الله نعشكم بالإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم حتى بلغ بكم ما ترون، وإن هذه الدنيا هي التي أفسدت بينكم، وإن ذاك الذي بالشام (يعني مروان)، والله، ما يقاتل إلا على الدنيا، وإن ذلك الذي بمكة، والله، ما يقاتل إلا على الدنيا، وإن الذين حولكم الذين تدعونهم قراءكم، والله، ما يقاتلون إلا على الدنيا. قال: فلما لم يدع أحداً قال له أبي: فما تأمر إذاً؟ قال: لا أرى خير الناس اليوم إلا عصابة مكيدة، خماص البطون من أموال الناس، خفاف الظهور من دمائهم. قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص]

*(علو لة) في نسخ: ظلـ علية له من قصب / في ظل غلولة من قصب.والعلية هي الغرفة وجمعها علالي والأصل عليوه فأبدلت الواو ياء وادغمت

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ الدر المنثور/ إتحاف الخيرة المهرة/ صحيح البخاري/ حياة الحيوان الكبرى/ـ

لما قتل المختار بن أبي عبيد[1] في سنة ثمان وستين ودخلت سنة تسع وستين أرسل عبد الله بن الزبير[2] عروة بن الزبير[3] إلى محمد بن الحنفية[4]: إن أمير المؤمنين يقول لك: إني غير تاركك أبدا حتى تبايعني أو أعيدك في الحبس وقد قتل الله الكذاب الذي كنت تدعي نصرته، وأجمع أهل العراقين علي فبايع وإلا فهو الحرب بيني وبينك إن امتنعت؛ فقال ابن الحنفية لعروة: ما أسرع أخاك على قطع الرحم والاستخفاف بالحق وأغفله عن تعجيل عقوبة الله، ما يشك أخوك في الخلود، وإلا فقد كان أحمد للمختار وهديه مني، والله ما بعثت المختار داعيا ولا ناصرا، والمختار كان أشد انقطاعا منه إلينا، فإن كان كذابا فطال ما قربه على كذبه، وإن كان على غير ذلك فهو أعلم به، وما عندي خلاف؛ ولو كان خلاف ما أقمت في جواره ولخرجت إلى من يدعوني، فأبيت ذلك عليه؛ ولكن ها هنا والله لأخيك قرن يطلب ما يطلب أخوك، كلاهما يقاتلان على الدماء عبد الملك بن مروان[5]؛ والله لكأنك بجيوشه قد أحاطت برقبة أخيك، وإني لأحسب أن جوار عبد الملك خير لي من جوار أخيك، ولقد كتب لي يعرض علي ما قبله ويدعوني إليه؛ قال عروة: فما يمنعك من ذلك؟ قال: أستخير الله، وذلك أحب إلى صاحبك؛ قال: أذكر ذلك له؛ فقال بعض أصحاب محمد بن الحنفية: والله ما أطعتنا لضربنا عنقه؛ فقال ابن الحنفية: وعلام أضرب عنقه؟ جاءنا برسالة من أخيه وجاورنا فجرى بيننا وبينه كلام فرددناه إلى أخيه؛ والذي قلتم غدر وليس في الغدر خير، لو فعلت الذي يقولون لكان القتال بمكة، وأنتم تعلمون أن رأيي: لو اجتمع الناس كلهم علي إلا إنسان واحد لما قاتلته؛ فانصرف عروة فأخبر ابن الزبير بكل ما قال له محمد بن الحنفية، وقال: والله ما أرى أن تعرض له، دعه فليخرج عنك ويغيب وجهه فعبد الملك أمامه لا يتركه يحل بالشام حتى يبايعه، وابن الحنفية لا يبايعه أبدا حتى يجتمع الناس عليه، فإن صار إليه كفاكه؛ إما حبسه وإما قتله فتكون أنت قد برئت من ذلك. وفي حديث: أنه لما اجتمع الناس على عبد الملك وبايع ابن عمر[6] قال ابن عمر لابن الحنفية: ما بقي شيء فبايع؛ فكتب ابن الحنفية إلى عبد الملك: بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من محمد بن علي، أما بعد: فإني لما رأيت الأمة قد اختلفت اعتزلتهم، فلما أفضى هذا الأمر إليك وبايعك الناس كنت كرجل منهم أدخل في صالح ما دخلوا فيه، فقد بايعتك وبايعت الحجاج[7] لك، وبعثت إليك ببيعتي ورأيت الناس قد اجتمعوا عليك ونحن نحب أن تؤمنا وتعطينا ميثاقا على الوفاء، فإن الغدر لا خير فيه، فإن أبيت فإن أرض الله واسعة. فلما قرأ عبد الملك الكتاب قال قبيصة بن ذؤيب[8]وروح بن زنباع[9]: ما لك عليه سبيل، ولو أراد فتقا لقدر عليه ولقد سلم وبايع فنرى أن تكتب إليه بالعهد والميثاق بالأمان له ولأصحابه ففعل، وكتب إليه: إنك عندنا محمود، أنت أحب إلينا وأقرب بنا رحما من ابن الزبير فلك العهد والميثاق وذمة الله وذمة رسوله أن لا تهاج ولا أحد من أصحابك بشيء تكرهه، ارجع إلى بلدك واذهب حيث شئت ولست أدع صلتك وعونك ما حييت؛ وكتب إلى الحجاج يأمره بحسن جواره وإكرامه؛ فرجع ابن الحنفية إلى المدينة. قال أبو حمزة: قضينا نسكنا حتى قتل ابن الزبير ورجعنا إلى المدينة مع محمد فمكث ثلاثة أيام ثم توفي.وقيل: توفي سنة إحدى وثمانين وسنه خمس وستون سنة؛ وقيل: سنة اثنتين وثمانين؛ وقيل: سنة ثلاث وثمانين؛ وقيل: سنة اثنتين وتسعين أو ثلاث.

■ (4) محمد بن علي بن أبي طالب، أبو القاسم، ابن الحنفية، أمه الحنفية خولة بنت جعفر. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي سنة 81 هـ أو 83 هـ وقيل 72 هـ أو 73 هـ بالمدينة، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان وكان والي المدينة، ودفن بالبقيع، وقيل إنه خرج إلى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات هناك، وقيل إنه مات ببلاد أيلة.

■ (1) المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، ولد سنة 1 هـ حاكم الكوفة وكان متلونا كذابا يدعو مرة إلى محمد بن الحنفية، ومرة لابن الزبير، حتى ادعى آخرا أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء، فلما تحقق ابن الزبير سوء حاله، بعث أخاه المصعب لحربه، فقدم المصعب البصرة وتأهب منها، واجتمع إليه جيش الكوفة، فسار بهم جميعا وعلى مقدمته عباد بن الحصين، وعلى ميمنته المهلب بن أبي صفرة، وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، فجهز المختار لحربهم أحمر بن شميط، وكيسان فهزمهم مصعب، وقتل أحمر، وكيسان، وقتل من جيش مصعب محمد بن الأشعث الكندي ابن أخت أبي بكر الصديق، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، وقتل من جند المختار عمر الأكبر بن علي بن أبي طالب، ثم سار جيش مصعب فدخلوا الكوفة، وحصروا المختار بقصر الإمارة أياما إلى أن قتله الله في رمضان سنة67 هـ وصفت العراق لمصعب.

■ (6) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر معه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وقد أوصى أن يدفن في الليل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين

■ (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (3) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة من التابعين. ولد سنة 23 هـ كان عالما بالدين، صالحا كريما، لم يدخل في شئ من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين. وعاد إلى المدينة فتوفي فيها سنة 93 هـ. وهو أخو عبد الله بن الزبير لابيه وأمه.

■ (5) أبو الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

■ (8) قبيصة بن ذؤيب، أبو إسحاق، الإمام، الفقيه، أبو سعيد الخزاعي المدني ثم الدمشقي الوزير. مولده عام الفتح سنة ثمان، ومات أبوه ذؤيب بن حلحلة صاحب بدن النبي صلى الله عليه وسلم في آخر أيام النبي، فأتي بقبيصة بعد موت أبيه فيما قيل، فدعا له النبي ولم يع هو ذلك. وروى عن أبي بكر إن صح - وعن عمر، وأبي الدرداء، وبلال، وعبد الرحمن بن عوف، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وعدة. وكان على الختم والبريد للخليفة عبد الملك، وقد أصيبت عينه يوم الحرة، وله دار معتبرة بباب البريد*.وقد كناه محمد بن سعد: أبا إسحاق، وقال: شهد أبوه الفتح، وكان ينزل بقديد، وكان يقرأ الكتب إذا وردت على الخليفة. قال: وكان ثقة مأمونا، كثير الحديث، توفي سنة 86 أو 87 هـ.*(باب البريد): اسم لاحد أبواب جامع دمشق من جهة الغرب، به سميت محلة باب البريد وهي من أنزه المواضع.

■ (9) روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، وكان ذا اختصاص بعبد الملك، لا يكاد يغيب عنه، وهو كالوزير له. وكان لروح دار بدمشق في طرف البزوريين، أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقال مسلم: له صحبة. ولم يتابع مسلما أحد. مات سنة 84 هـ.

■ (7) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ، كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

☪

قال علي الصلابي: كان معاوية بن يزيد قد أحدث أزمة خطيرة، فقد كان أخوه خالد بن يزيد صبيا صغيرا. وكان أمر ابن الزبير قد استفحل وبايع له الناس من أنحاء الدولة، فرأى فريق من جند الشام، على رأسهم الضحاك بن قيس الفهري أمير دمشق، أن يبايعوا لابن الزبير، وحتى مروان بن الحكم كبير بني أمية فكر في الذهاب إلى ابن الزبير ليبايعه ويأخذ منه الأمان، ولكن سائر الجند والقادة بزعامة حسان بن مالك زعيم القبائل اليمنية –الذين كانوا أقوى المؤيدين لبني أمية وهم أخوال يزيد– رفضوا أن يخرج الأمر عن بني أمية وأن يبايعوا لابن الزبير، فحدث خلاف شديد ولبث الشام ستة أشهر بدون إمام، وأخيرا اتفق القوم على أن يعقدوا مؤتمرا للشورى، يبحثون فيه عمن يصلح للخلافة ويصلون في ذلك إلى قرار. ويعد معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان آخر خلفاء الفرع السفياني، وانتقلت الخلافة بعده إلى الفرع الثاني من بني أمية المروانيين، وأولهم مروان بن الحكم، ولا يعد عند كثير من المحققين والمؤرخين خليفة، حيث يعتبرونه باغيا خرج على أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وكذلك ولده عبد الملك لا يعد خليفة إلا بعد موت ابن الزبير، واجتماع المسلمين عليه، وبوفاة معاوية بن يزيد انتهت الدولة السفيانية وظهرت الدولة الزبيرية ولكنها لم تستمر، فقد استطاع بنو مروان القضاء عليها.

☪

كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويحلف له ليحملن إليه مئة ألف في البر ومئة ألف في البحر أو يؤدي إليه الجزية؛ فسقط في روعه، فكتب إلى الحجاج: أن أكتب إلى ابن الحنفية فتهدده وتوعده ثم أعلمني ما يرد عليك؛ فكتب الحجاج إلى ابن الحنفية بكتاب شديد يتهدده ويتوعده فيه بالقتل، فكتب إليه ابن الحنفية: إن لله تعالى ثلاث مئة وستين لحظة إلى خلقه، وأنا أرجو أن ينظر الله إلي نظرة يمنعني بها منك؛ فبعث الحجاج بكتابه إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى ملك الروم بنسخته، فقال ملك الروم: ما خرج هذا منك ولا أنت كتبت به، ما خرج إلا من بيت نبوة. في رواية: أخذ الحجاج ابن الحنفية بمبايعة عبد الملك، قال: إذا أجتمع الناس عليه كنت كأحدهم؛ قال: لأقتلنك، قال: أو لا تدري؟ قال: وما لا أدري؟ قال: حدثني أبي: أن الله في كل يوم ثلثمائة وستين لحظة، له في كل لحظة ثلثمائة وستون قضية، فلعله يكفينك في قضية من قضاياه. فأرتعد الحجاج وأنتفض وقال: لقد لحظك الله فأذهب حيث شئت. فكتب الحجاج بحديثه إلى عبد الملك، ووافق ذلك كتاب ملك الروم إليه يتهدده، فكتب عبد الملك إلى قيصر بحديث محمد؛ فكتب إليه قيصر: هيهات هيهات، هذا كلام ما أنت بأبي عذره، هذا كلام لم يخرج إلا من نبي، أو من أهل بيت نبوة. قال السخاوي: وفد على معاوية وعبد الملك، وكان قد صرع أباه مروان يوم الجمل، وجلس على صدره، فلما وفد على ابنه ذكره بذلك، فقال: عفوا يا أمير المؤمنين فقال: والله ما ذكرته وأنا أريد أكافيك به، وكانت الشيعة تسميه المهدي ويزعمون أنه لم يمت وهو كذب فيهما، وقد أمر ابنه فقال لهم: يا معشر الشيعة إن أبي يقرئكم السلام، ويقول لكم إنا لا نحب اللعانين ولا الطعانين ولا نحب مستعجلي القدر، وكان يقول لمن لا يقول إنه المهدي: أجل، أنا مهدي أهدي إلى الخير، تولكن إذا سلم أحدكم علي فليقل: السلام عليك يا محمد ولا تقولوا: يا مهدي. قال ابن الحنفية: سمعت أبا هريرة يقول: لا حرج إلا في دم امرئ مسلم؛ قال: فقيل لابن الحنفية: تطعن على أبيك؟ قال: إني لست أطعن على أبي، بايعه أولو الأمر فنكث ناكث فقاتله ومرق مارق فقاتله، وإن ابن الزبير يحسدني على مكاني هذا، ود أني ألحد في الحرم كما ألحد. وفي حديث: إنا أهل بيت لا نبتز هذه الأمة أمرها ولا نأتيها من غير وجهها، وإن عليا قد كان يرى أنه له، ولكنه لم يقاتل حتى جرت له بيعة. وعن محمد بن علي، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَإِذَا فَعَلُوهَا حُرِّمَتْ عَلَيَّ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ﴾ فقال رجل لمحمد: إنك لتزري على أبيك فقال: لست أزري على أبي، إن أبي بايعه أهل الأمر فنكث ناكث فقاتله ومرق مارق فقاتله، ولست كأبي، ليست لي بيعة في أعناق الناس فأقاتل، وقد كان قيل له: ألا تخرج؟ وفي حديث: قال ابن الحنفية: لو أن الناس بايعوني إلا رجل لم يشتد سلطاني إلا به ما قتلته. وعن ابن الحنفية قال: رحم الله امرءا أغنى نفسه وكف يده وأمسك لسانه وجلس في بيته، له ما احتسب وهو مع من أحب، ألا إن أعمال بني أمية أسرع فيهم من سيوف المسلمين، ألا إن لأهل الحق دولة يأتي بها الله إذا شاء، فمن أدرك ذلك منكم ومنا كان عندنا في السنام الأعلى، ومن يمت فما عند الله خير وأبقى. قال المنهال بن عمرو: جاء رجل إلى محمد بن الحنفية فسلم عليه، فرد عليه السلام فقال: كيف أنت؟ فحرك يده، فقال: كيف أنتم؟ أما آن لكم أن تعرفوا كيف نحن؟ إنما مثلنا في هذه الأمة مثل بني إسرائيل في آل فرعون؛ كان يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، وإن هؤلاء يذبحون أبنائنا وينكحون نساءنا بغير أمرنا، فزعمت العرب أن لها فضلا على العجم، فقالت العجم: وما ذاك؟ قالوا: كان محمد عربيا، قالوا: صدقتم؛ قالوا: وزعمت قريش أن لها فضلا على العرب؛ فقالت العرب: وبم ذلك؟ قالوا: كان محمد قرشيا؛ فإن كان القوم صدقوا فلنا فضل على الناس.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه لعلي الصلابي/ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة/ ربيع الأبرار/

◆ عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي (أمير المؤمنين، الخليفة بالحجاز والعراق؛ الدولة الزبيرية) وعبد الله بن الزبير الأسدي، الشاعر 0337

عن أبي عبيدة قال: جاء عبد الله بن الزبير الأسدي[1] إلى عبد الله بن الزبير بن العوام[2] فقال: يا أمير المؤمنين إن بيني وبينك رحما من قبل فلانة* فقال ابن الزبير: نعم هذا كما ذكرت وإن فكرت في هذا أصبت الناس بأسرهم يرجعون إلى أب واحد وإلى أم واحدة فقال: يا أمير المؤمنين إن نفقتي نفدت قال: ما كنت ضمنت لأهلك إنها تكفيك إلى أن ترجع إليهم قال: يا أمير المؤمنين ناقتي قد نقبت* قال أنجد بها تبرد خفها وارفعها بسبت واخفضها بهلب* وسر عليها البردين قال: يا أمير المؤمنين إنما جئتك مستحملا ولم آتك مستوصفا لعن الله ناقة حملتني إليك! فقال ابن الزبير: إن وراكبها* فخرج الأسدي يقول: أرى الحاجات عند أبي خبيب..نكدن ولا أمية في البلاد..من الأعياص أو من آل حرب..أغر كغرة الفرس الجواد..و قلت لصحبتي: أدنوا ركابي..أفارق بطن مكة في سواد..ومالي حين أقطع ذات عرق..إلى ابن الكاهلية من معاد.فبلغ شعره هذا عبد الله بن الزبير فقال:لو علم أن لي أُمّاً أخس من عمته الكاهلية لنسبني إليها.

حدث فليح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير عن أبيه قال: دخل عبد الله بن الزبير الاسدي على مصعب بن الزبير[3] بالعراق فقال له مصعب أنت الذي تقول: إلى رجب أو غرة الشهر بعده..يوافيكم بيض المنايا وسودها ثمانين..الفا دين عثمان دينها..مسومة جبريل فيها يقودها. ففزع ابن الزبير ثم قال: نعم، امتع الله بك، فعفا عنه واعظم جائزته، فخرج من عنده وهو يقول:جزى الله عنا مصعبا ان فضله..يعيش به الجاني ومن ليس جانيا ويعفو عن الذنب العظيم اجترامه..ويوليك من احسان ما لست ناسيا. ثم كف بصر عبد الله بن الزبير بعد ذلك فسمع كلام عبيد الله بن ظبيان[4] بعد قتل مصعب بن الزبير فسأل عنه قائده فقال: هذا قاتل مصعب بن الزبير، فقال: ادركه بي فلما لحقه قال له:أبا مطر شلت يمين تفرعت..بسيفك راس الحواري مصعب ولا ظفرت كفاك بالخير بعده..ولا عشت الا في نبار مخيب قتلت فتى كانت يداه بفضله..تسحان سح العارض المتصوب.. اغر كضوء البدر صورة وجهه..إذا ما بدا في الجحفل المتكتب. فقال: نعم، والله ما افلحنا بعده ولا انجحنا، فهل من توبة؟ فقال له ابن الزبير: سبق السيف العذل.

----

*(فلانة) في خزانة الادب: فلانه الكاهلية وهي عمتنا.الكاهلية:هي زهرة بنت عمرو بن حنثر، أم خويلد بن أسد، جد ابن الزبير. كذا رسمها بالاصل وفي م: عمرو عمير وفي الخزانة: بنت جبيرة من بني كاهل بن اسد. وفي الاغاني: زهرة بنت حنثر (نقبت) يقال: نقب البعير إذا حقي ورقت اخفانه (الهلب) الشعر (وراكبها) يعني: ان الله لعن الناقة وراكبها والخبر في تاج العروس

■ (1) عبد الله بن الزبير بن الاشيم الاسدي: من شعراء الدولة الاموية، ومن المتعصبين لها. كوفي المنشأ والمنزل. كان هجاءا، يخاف الناس شره. ولما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة جئ به أسيرا، فأطلقه وأكرمه، فمدحه، وانقطع إليه، وعمي بعد مقتل مصعب. ومات في خلافة عبد الملك بن مروان نحو سنة 75 هـ.

■ (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (3) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي القرشي، أبو عبد الله: أحد الولاة الابطال في صدر الاسلام. نشأ بين يدى أخيه عبد الله بن الزبير، فكان عضده الاقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق. وولاه عبد الله البصرة سنة 67 هـ فقصدها، وضبط أمورها، وقتل المختار الثقفى. ثم عزله عبد الله عنها مدة سنة، وأعاده في أواخر سنة 68 وأضاف إليه الكوفة، فأحسن سياستهما. وتجرد عبد الملك بن مروان لقتاله، فسير إليه الجيوش، فكان مصعب يفلها. حتى خرج إليه عبد الملك بنفسه، فلما دخل العراق خذل مصعبا قواد جيشه وأصحابه فثبت فيمن بقي معه، فأنفذ إليه عبد الملك أخاه محمد بن مروان فعرض عليه الامان وولاية العراقين أبدا ما دام حيا ومليوني درهم صلة، على أن يرجع عن القتال، فأبى مصعب، فشد عليه جيش عبد الملك، في وقعة عند دير الجاثليق على شاطئ دجيل، من أرض مسكن وطعنه زائدة بن قيس السعدى أو عبيد الله بن زياد بن ظبيان فقتله. وحمل رأسه إلى عبد الملك. وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام. وكانت في البهنساوية بمصر قبيلة تنتسب إليه تعرف ببني مصعب قال أبو عبيدة معمر ابن المثنى: كان مصعب أحب أمراء العراق إلى أهل العراق، يعطيهم عطاءين عطاء للشتاء وعطاء للصيف، وكان يشتد في موضع الشدة ويلين في موضع اللين.قلت: والمؤرخون، مع اختلافهم في مقتله سنة 71 أو 72 هـ، يذكرون في عمره يوم قتل ثلاث روايات: 35 سنة، و 40 و 45 واقتصر ابن الجوزى على الرواية الاخيرة.

■ (4) عبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري، أبو مطر: فاتك من الشجعان. كان مقربا من عبد الملك بن مروان. له عليه جرأة ودالة. وكان من قادة تغلب تحت لواء عبد الملك في حربه مع مصعب ابن الزبير. وهو الذي قتل مصعبا وحمل رأسه إلى عبد الملك. ثم خرج على الحجاج مع ابن الجارود عبد الله ابن بشر فلما قتل ابن الجارود انصرف إلى عمان ولجأ إلى ابن الجلندي الازدي، فخافه هذا فدس له السم في بطيخة فمات. سنة75 هـ وفي أمالي ابن الشجري، قال له مالك بن مسمع: أكثر الله في العشيرة مثلك، فقال: سألت ربك شططا!.

☪

حدث شيخ من أهل مكة سنة مئة، قال:لما قتل مصعب بن الزبير بالعراق وبلغ عبد الله بن الزبير بمكة، فظع به* فأضرب عن ذكر مقتله أياما حتى تحث به العبيد والإماء في سكك المدينة، ثم صعد ذات يوم المنبر فأسكت عليه هنيهة، فنظرت إليه فإذا جبينه يعرق، وإذا أثر الكآبة على وجهه لا تخفى، فقلت لأخ لي إلى جانبي: أما والله إنه للبيب النهد؟ قال: فلعله يريد أن يذكر مقتل سيد فتيان العرب المصعب بن الزبير، ففظع بذلك وغير ملوم. فما كان بأسرع أن قام فقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر، وملك الدنيا والآخرة، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، ألا وإنه لم يذلل من كان الحق معه وإن كان فردا، ولم يعز الله من كان من أولياء الشيطان وحزبه وإن كان معه الناس طرا، إنه أتانا خبر من قبل العراق أحزننا وأفرحنا، قتل مصعب بن الزبير رحمة الله عليه؛ فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لوعة يجدها له حميمة عند المصيبة له، ثم يرعوي بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر وكريم العزاء؛ وأما الذي أفرحنا له فإنا قد علمنا أن قتله له شهادة، وأن الله جعل ذلك لنا وله خيرة، ألا إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه منه إسلام النعام المخطم فقتل؛ وإن يقتل مصعب فقد قتل أبوه وأخوه وعمه وخاله، وكانوا الخيار الصالحين، إنا والله ما نموت حبجا*، ما نموت إلا قتلا قتلا، قعصا* بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف. ثم قال: ألا إن الدنيا عارية من الملك إلا على الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد، فإن تقبل علي الدنيا لا آخذها أخذ الأشر البطر، وإن تدبر عني لا أبكي عليها بكاء الخرف المهتر. ثم نزل. قوله: أخوه، يعني المنذر بن الزبير[1]، وعمه، يعني السائب بن العوام[2] قتل يوم اليمامة شهيدا. وخاله، ويعني خال أبيه حمزة بن عبد المطلب[3].

☪

عن عبد الرحمن بن حسان عن أبيه حسان بن ثابت قال: بدت لنا معشر الانصار إلى الوالي حاجة، وكان الذي طلبنا أمرا صعبا، فمشينا إليه برجال من قريش وغيرهم فكلموه وذكروا له وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا فذكر صعوبة الامر، فعاوده القوم وخرجوا وألح عليه ابن عباس فو الله ما وجد بدا من قضاء حاجتنا. فخرجنا حتى دخلنا المسجد فإذا القوم فيه أندية، فقال حسان: فصحت وأنا أسمعهم: إنا والله أولاكم بها، إنها والله صبابة النبوة، ووراثة أحمد صلى الله عليه وسلم، وتهذيب أعراقه، وانتزاع شبه طبائعه، فقال القوم: أجل يا حسان، فقال ابن عباس: صدقوا أجمل، فأنشأ حسان يمدح ابن عباس: إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه..رأيت له في كل مجمعة فضلا إذا قال لم يترك مقالا لقائل..بملتقطات لا يرى بينها فصلا كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع..لذي رأيه في القول جدا ولا هزلا سموت إلى العليا بغير مشقة..فنلت ذراها لا جبانا ولا وغلا. فقال الوالي: والله ما أراد بالجبان والوغل غيري، والله بيني وبينه. وفي رواية قال العلامة جمال الدين محمد الشامي في سيرته: أخرج الطبراني عن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال: بدت لنا معشر الأنصار حاجة إلى الوالي –وكان الذي طلبنا إليه أمرا صعبا– فمشينا إليه برجال من قريش وغيرهم فكلموه، وذكروا له وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا، فذكر لهم صعوبة الأمر، فعذره القوم، وألح ابن عباس عليه، فوالله ما وجد الوالي بدا من قضاء حاجته. فخرجنا فإذا القوم أندية. قال حسان: فضحكت وأنا أسمعهم، إنه والله كان أولاكم بها، إنه والله صبابة النبوة، ووراثة أحمد، وتهذيب أعراقه، وأسرع شبه طباعه. فقال القوم: أجمل بها حسان، فقال ابن عباس: صدقوا فأجمل. فأنشأ حسان يمدح ابن عباس رضي الله عنهم: من الطويل: إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه..رأيت له في كل معمعة فضلا..إذا قال لم يترك مقالا لقائل..بملتقطات لا ترى بينها فضلا..كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع..لذي إربة في القول جدا ولا هزلا..سموت إلى العليا بغير مشقة..ونلت ذراها لا دنيا ولا وغلا..خلقت طبيعا للمروءة والندى..مليحا ولم تخلق كهاما ولا جبلا..فقال الوالي: ما أراد بالكهام غيري، والله بيني وبينه.وفي رواية قال ابن أبي الزناد: كانت بين حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين بعض الناس منازعة عند عثمان بن عفان؛ فقضى عثمان على حسان؛ فجاء حسان إلى عبد الله بن عباس؛فشكا ذلك إليه؛ فقال له ابن عباس: الحق حقك؛ ولكن أخطأت حجتك. انطلق معي! فخرج به حتى دخلا على عثمان؛فاحتج له ابن عباس حتى تبين عثمان الحق؛ فقضى به لحسان بن ثابت؛ فخرج آخذا بيد ابن عباس حتى دخلا المسجد؛ فجعل حسان بن ثابت ينشد الحلق، ويقول: إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه..رأيت له في كل مجمعة فضلا..إذا قال لم يترك مقالا لقائل..بمنتظمات لا ترى بينها فضلا..كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع..لذي إربة في القوال جدا ولا هزلا وقيل مر عبد الله بن صفوان يوما بدار عبد الله بن عباس فرأى فيها جماعة من طالبي الفقه، ومر بدار عبيد الله بن العباس فرأى فيها جمعا يتناوبونها للطعام، فدخل على ابن الزبير فقال له: أصبحت والله كما قال الشاعر: من البسيط: فإن تصبك من الأيام قارعة..لم نبك منك على دينا ولا دين. قال: وماذاك يا أعرج ؟ قال: هذان ابنا العباس، أحدهما يفقه الناس والآخر يطعم الناس، فما أبقيا ذلك لك مكرمة، فدعا عبد الله بن مطيع وقال له: إنطلق إلى ابني عباس فقل لهما، يقول لكما أمير المؤمنين: أخرجا عني أنتما ومن انضوى إليكما من أهل العراق، وإلا فعلت وفعلت، فقال عبد الله بن عباس: والله ما يأتينا من الناس إلا رجلان: رجل يطلب فقها ورجل يطلب فضلا، فأي هذين نمنع؟!

----

* (الفظاعة) مصدر فظع بالضم، فهو فظيع أي شديد شنيع تجاوز المقدار، وكذلك أفظع الرجل فهو مفظع، وأفظع الرجل على ما لم يسم فاعله: نزل به أمر عظيم، وأفظعت الشيء: وجدته فظيعا، ومثله استفظعته (نموت حبجا) أي بغتة، وقيل: أي تخمة،، من أكل البعير لحاء العرفج ويسمن عليه وربما بشم منه فقتله، يعرض ببني مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة (قعصا) مات قعصا: أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه

■ (1) المنذر بن الزبير بن العوام الاسدي القرشي: من وجوه قريش وشجعانهم في صدر الدولة الاموية. وهو أخو عبد الله بن الزبير و عبد الله أكبر منه سنا. انقطع إلى معاوية بن أبي سفيان. وأوصى معاوية أن يحضر المنذر غسله عند موته. ولما أراد معاوية إلحاق زياد بن أبيه بنسبه، شهد المنذر بأن علي بن أبي طالب قال: سمعت أبا سفيان بن حرب يقول: أنا والله أبوه. وانتقل المنذر إلى البصرة. وأمر له معاوية بمال، فدفعه إليه عبيد الله بن زياد أمير البصرة وأقطعه دارا بها. وكان يزيد ابن معاوية هو الذى كتب إلى ابن زياد بذلك.ولما قويت حركة عبد الله بن الزبير بمكة، خاف يزيد أن يلحق المنذر بأخيه فيكون المال عونا له، فكتب إلى ابن زياد أن يحبس المال عنه ولا يدعه يخرج من البصرة. وكان ابن زياد يذكر شهادة المنذر بنسب أبيه ويشكرها، فأشعره بما جاءه من يزيد، ففر المنذر إلى مكة. وبقى مع أخيه عبد الله إلى أن حاصره حصين بن نمير وهو حصار ابن الزبير الاول وصرع المنذر عن بغلة كان يقاتل عليها، فقاتل وهو راجل، وجعل يقول: يأبى بنو العوام إلا وردا من يقتل اليوم يزود حمدا. ولم يزل يقاتل حتى قتل سنة 73 هـ.

■ (2) السائب بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي أخو الزبير بن العوام. أمه صفية بنت عبد المطلب. شهد أحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل يوم اليمامة شهيدا.سنة 11 هـ

■ (3) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم. أبو عمارة، من قريش: عم النبي صلى الله عليه وسلم وأحد صناديد قريش وسادتهم في الجاهلية والاسلام.ولد ونشأ بمكة سنة 54 ق هـ. وكان أعز قريش وأشدها شكيمة. ولما ظهر الاسلام تردد في اعتناقه، ثم علم أن أبا جهل تعرض للنبي صلى الله عليه وسلم ونال منه، فقصده الحمزة وضربه وأظهر إسلامه، فقالت العرب: اليوم عز محمد وإن حمزة سيمنعه. وكفوا عن بعض ما كانوا يسيئون به إلى المسلمين. وهاجر حمزة مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وحضر وقعة بدر وغيرها. قال المدائني: أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لحمزة. وكان شعار حمزة في الحرب ريشة نعامة يضعها على صدره، ولما كان يوم بدر قاتل بسيفين، وفعل الافاعيل. وقتل يوم أحد فدفنه المسلمون في المدينة سنة 3 هـ، وانقرض عقبه.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ تاريخ الخلفاء/ الأعلام للزركلي/ شرح نهج البلاغة/ الوافي بالوفيات/ أخبار الدولة العباسية/ نسب قريش/

اجتمعت الخوارج حين ثار عبد الله بن الزبير [1] بمكة سنة 64 هـ وسار إليه مسلم ابن عقبة المري[2] في جيش من أهل الشأم بعد أن غزا المدينة وكان منه في وقعة الحرة* ما كان فقال لهم نافع بن الأزرق[3]: اخرجوا بنا نأت البيت ونلق هذا الرجل فإن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو وإن يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ونظرنا بعد ذلك في أمورنا، فخرجوا حتى قدموا على عبد الله بن الزبير، فسر بمقدمهم ونبأهم أنه على رأيهم وأعطاهم الرضا من غير توقف ولا تفتيش، فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية [4] وانصرف أهل الشأم عن مكة، ثم إن القوم لقي بعضهم بعضا فقالوا: إن هذا الذي صنعتم أمس بغير رأي ولا صواب من الأمر، تقاتلون مع رجل لا تدرون لعله ليس على رأيكم، إنما كان أمس يقاتلكم هو وأبوه، ينادي يا لثارات عثمان[5] ندخل إليه فننظر ما عنده فإن قدم أبا بكر [6] وعمر [7] وبرئ من عثمان وعلي [8] وكفر أباه وطلحة[9] بايعناه وإن تكن الأخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يجدي علينا، فدخلوا على ابن الزبير وهو مبتذل وأصحابه متفرقون عنه، فقالوا: إنا جئناك لتخبرنا رأيك، فإن كنت على الصواب بايعناك، وإن كنت على غيره دعوناك إلي الحق، ما تقول في الشيخين؟ قال: خيرا، قالوا: فما تقول في عثمان، الذي أحمى الحمى وآوى الطريد وأظهر لأهل مصر شيئا وكتب بخلافه، وأوطأ آل أبي معيط رقاب الناس، وآثرهم بفيء المسلمين، وفي الذي بعده الذي حكم في دين الله الرجال، وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم، وفي أبيك وصاحبه وقد بايعا عليا وهو إمام عادل مرضي، لم يظهر منه كفر، ثم نكثا بعرض من أعراض الدنيا، وأخرجا عائشة[10] تقاتل وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن في بيوتهن، وكان لك في ذلك ما يدعوك إلى التوبة، فإن أنت قلت كما نقول، فلك الزلفى عند الله والنصر على أيدينا، ونسأل الله لك التوفيق، وإن أبيت إلا نصر رأيك الأول، وتصويب أبيك وصاحبه، والتحقيق بعثمان، والتولي في السنين الست التي أحلت دمه، ونقضت أحكامه، وأفسدت إمامته، خذلك الله وانتصر منك بأيدينا، فقال ابن الزبير: إن الله أمر، وله العزة والقدرة في مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العتاة بأرأف من هذا القول، فقال لموسى ولأخيه صلى الله عليهما إلى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا تُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ بسب الموتى﴾ فنهى عن سب أبي جهل[11] من أجل عكرمة[12] ابنه وأبو جهل عدو الله وعدو الرسول، والمقيم على الشرك والجاد في المحاربة والمتبغض إلى رسول الله قبل الهجرة والمحارب له بعدها، وكفى بالشرك ذنبا، وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سميتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا أتبرأ من الظالمين، فإن كانا منهم دخلا في غمار المسلمين وإن لم يكونا منهم لم تحفظوني بسب أبي وصاحبه، وأنتم تعلمون أن الله عز و جل قال للمؤمن في أبويه: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان] وقال جل ثناؤه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة] وهذا الذي دعوتم إليه أمر له ما بعده وليس يقنعكم إلا التوقيف والتصريح، ولعمري إن ذلك لأحرى بقطع الحجج، وأوضح لمنهاج الحق، وأولى أن يعرف كل صاحبه من عدوه فروحوا إلي من عشيتكم هذه اكشف لكم ما أنا عليه إن شاء الله تعالى، فلما كان العشي راحوا إليه فخرج إليهم وقد لبس سلاحه، فلما رأي ذلك نجدة قال: هذا خروج منابذ لكم، فجلس على رفيع من الأرض، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ثم ذكر عثمان في السنين الأوائل من خلافته ثم وصلهن بالسنين التي أنكروا سيرته فيها، فجعلها كالماضية وخبر أنه آوى الحكم بن أبي العاص[13] بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح، وأن القوم استعتبوه من أمور، وكان له أن يفعلها أولا مصيبا ثم أعتبهم بعد ذلك محسنا، وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه بعد أن ضمن لهم العتبى، ثم كتب لهم ذلك الكتاب بقتلهم، فدفعوا الكتاب إليه، حلف بالله أنه لم يكتبه ولم يأمر به ،وقد أمر الله عز و جل بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم،ومكانه من الإمامة وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه، وعثمان الرجل الذي لزمته يمين لو حلف عليها لحلف على حق فافتداها بمائة ألف، ولم يحلف، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾ فعثمان أمير المؤمنين، كصاحبيه وأنا ولي وليه وعدو عدوه، وأبي وصاحبه صاحبا رسول الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الله عز و جل يوم أحد، لما قطعت إصبع طلحة: ﴿سبقته إلى الجنة﴾ ، وقال: ﴿أَوْجَبَ طَلْحَةُ﴾*، وكان الصديق إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله أو جله لطلحة والزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته، وقد ذكر أنهما في الجنة، فقال جل وعز:﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح] وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم، فإن يكن ما سعوا فيه حقا فأهل ذلك هم، وإن يكن زلة ففي عفو الله تمحيصها، وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم، ومهما ذكرتموها فقد بدأتم بأمكم عائشة رضي الله عنها فإن أبي آب أن تكون له أما نبذ اسم الإيمان عنه وقد قال الله جل ذكره وقوله الحق:﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب] فنظر بعضهم إلى بعض ثم انصرفوا عنه.

*(واقعة الحرة) جاء في كتب التاريخ:عندما خلع أهل المدينة طاعة يزيد سنة 63 هـ أرسل إليهم مسلم بن عقبة المري وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خوله وعبيد ليزيد، ففعل بهم مسلم الأفاعيل القبيحة، وقتل فيها الكثير من الصحابة والتابعين. (أَوْجَبَ طَلْحَةُ) عن الزبير بن العوام، قال: كان على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعان، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فقعد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أَوْجَبَ طَلْحَةُ

■ (3) نافع بن الازرق بن قيس الحنفي، البكري الوائلي، الحروري، أبو راشد: رأس الازارقة، وإليه نسبتهم. كان أمير قومه وفقيههم. من أهل البصرة. صحب في أول أمره عبد الله ابن عباس. وكان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على عثمان ووالوا عليا، إلى أن كانت قضية التحكيم بين علي ومعاوية، فاجتمعوا في حروراء وهى قرية من ضواحي الكوفة، ونادوا بالخروج على علي، وعرفوا لذلك، هم ومن تبع رأيهم، بالخوارج وكان نافع صاحب الترجمة يذهب إلى سوق الاهواز، ويعترض الناس بما يحير العقل، كما يقول الذهبي، ولما ولي عبيد الله بن زياد إمارة البصرة سنة 55 هـ في عهد معاوية، اشتد على الحروريين وقتل سنة 61 هـ زعيمهم أبا بلال: مرداس بن حذير وعلموا بثورة عبد الله بن الزبير على الامويين بمكة فتوجهوا إليه، مع نافع. وقاتلوا عسكر الشام في جيش ابن الزبير إلى أن مات يزيد بن معاوية سنة 64 هـ وانصرف الشاميون، وبويع ابن الزبير بالخلافة. وأراد نافع وأصحابه أن يعلموا رأى ابن الزبير في عثمان –القصة– وعاد نافع ببعضهم إلى البصرة، فتذاكروا فضيلة الجهاد ،كما يقول ابن الاثير، وخرج بثلاثمئة وافقوه على الخروج. وتخلف عبد الله بن إباض وآخرون، فتبرأوا منهم. وكان نافع جبارا فتاكا، قاتله المهلب بن أبى صفرة ولقي الاهوال في حربه وقتل يوم دولاب على مقربة من الاهواز.سنة 65 هـ

■ (2) مسلم بن عقبة المري.وهو الذي سماه الناس بعد وقعة الحرة مجرما ومسرفا بعد أن حصر المدينة وأوقع بأهلها وقعة الحرة، سار إلى مكة لقتال ابن الزبير فمات في الطريق سنة 64 هـ ودفن بالمشلل بين مكة والمدينة وقد استخلف الحصين بن نمير السكوني على الجيش لقتال ابن الزبير

■ (1) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (4) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (7) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (6) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

■ (5) عثمان بن عفان الأموي،أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.ودفن بالبقيع.

■ (8) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (9) طلحة بن عبيد الله، ولد سنة 28 ق.هـ وتوفي سنة 36 هـ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. وكان طلحة من أصحاب الشورى الستة الذين اختاروا الخليفة بعد عمر بن الخطاب. وقتل سنة 36 هـ شهيدا في موقعة الجمل.

■ (10) أم المؤمنين عائِشة بنت أبي بكر الصِديق التيمية القُرشية. زوجة النبي وإحدى أمهات المؤمنين.كانت من أعلم النساء بالدين والقرآن والتفسير والحديث والفقه. ولدت رضي الله عنها سنة 19 ق.هـ وتوفيت سنة 58 هـ

■ (12) عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. أمه أم جميل بنت مجالد بن عبد مناف من هلال بن عامر بن صعصعة استشهد بالشام في خلافة أبي بكر الصديق يوم مرج الصفر سنة 13 هـ. ويقال: يوم اليرموك في خلافة عمر سنة 15 هـ.

■ (11) أبو جهل، عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي: أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في صدر الاسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية. قال صاحب عيون الاخبار: سودت قريش أبا جهل ولم يطر شاربه فأدخلته دار الندوة مع الكهول.أدرك الاسلام، وكان يقال له أبو الحكم فدعاه المسلمون أبا جهل. سأله الا خنس بن شريق الثقفي، وكانا قد استمعا شيئا من القرآن: ما رأيك يا أبا الحكم في ما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطو فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه..والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه!. واستمر على عناده، يثير الناس على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لايفتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، فكان من قتلاها سنة 2 هـ.

■ (13) الحكم بن أبي العاص الأموي عم عثمان، ووالد مروان، كان النبي قد طرده إلى الطائف، وبقي طريدا إلى زمن عثمان، فرده إلى المدينة، واعتذر بأنه قد كان شفع فيه إلى النبي فوعده برده، وهو مؤتمن على ما قال، وهو أحد الأسباب التي نقموا بها على عثمان.

☪

قال خيرالدين الزركلي: أراد نافع بن الازرق وأصحابه أن يعلموا رأى ابن الزبير في عثمان، فقال له خطيبهم عبيدة بن هلال اليشكرى[1]، بعد أن حمد الله، وذكر بعثة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأثنى على سيرة أبى بكر وعمر: واستخلف الناس عثمان، فآثر القربى، ورفع الدرة ووضع السوط، ومزق الكتاب، وضرب منكر الجور، وآوى طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضرب السابقين بالفضل وحرمهم وأخذ الفئ فقسمه في فساق قريش ومجان العرب، فسارت إليه طائفة، فقتلوه، فنحن لهم أولياء ومن ابن عفان وأوليائه برآء، فما تقول أنت يا ابن الزبير؟ فقال: قد فهمت الذى ذكرت به النبي صلى الله عليه وسلم، وهو فوق ما ذكرت وفوق ما وصفت، وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر، وقد وفقت وأصبت، وفهمت الذى ذكرت به عثمان، وإنى لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره منى، كنت معه حيث نقم عليه، واستعتبوه فلم يدع شيئا إلا أعتبهم، ثم رجعوا إليه بكتاب له يزعمون أنه كتبه يأمر فيه بقتلهم، فقال لهم: ما كتبته، فإن شئتم فهاتوا بينتكم، فإن لم تكن حلفت لكم، فوالله ما جاؤوه ببينة ولا استحلفوه، ووثبوا عليه فقتلوه، وقد سمعت ما عبته به، فليس كذلك، بل هو لكم خير أهل، وأنا أشهدكم ومن حضرني أنى ولي لابن عفان وعدو لاعدائه ولم يرض هذا نافعا وأصحابه، فانفضوا من حوله. وعاد نافع ببعضهم إلى البصرة، فتذاكروا فضيلة الجهاد،كما يقول ابن الاثير، وخرج بثلاثمئة وافقوه على الخروج. وتخلف عبد الله بن إباض وآخرون، فتبرأوا منهم. وكان نافع جبارا فتاكا، قاتله المهلب بن أبى صفرة ولقي الاهوال في حربه وقتل يوم دولاب على مقربة من الاهواز سنة 65 هـ

■ (1) عبيدة بن هلال اليشكري: من رؤساء الازارقة وشعرائهم وخطبائهم. كان في أول خروجه من المقدمين فيهم، وأرادوا مبايعته، فقال: أدلكم على من هو خير لكم مني: قطري بن الفجاءة المازني. فبايعوا قطريا، وظل عبيدة إلى جانبه زمنا. ووقع الخلاف بين الازارقة، ففارقه وانحاز إلى حصن قومس في ذيل جبال طبرستان وسير الحجاج سفيان بن الابرد الكلبي في جيش عظيم، فطلب قطري بن الفجاءة حتي لقيه في أحد شعاب طبرستان، وقتل قطري، وتبع سفيان بن الابرد عبيدة وحاصره في حصن قومس إلى أن قتله وقتل من معه سنة 77 هـ.

مراجع: جمهرة خطب العرب/ الأعلام للزركلي/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ المواعظ والاعتبار/ [كنز العمال/ مسند البزار/

◆ عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي (أمير المؤمنين، الخليفة بالحجاز والعراق؛ الدولة الزبيرية) وأبو صخر الهذلي 0339

روى أبو الفرج الأصفهاني قال: لما ظهر ابن الزبير [1] بالحجاز وغلب عليها بعد موت يزيد بن معاوية[2]، وتشاغل بنو أمية بالحرب بينهم في مرج راهط* وغيره، دخل عليه أبو صخر الهذلي[3] في هذيل وقد جاءوه ليقبضوا عطاءهم، وكان عارفا بهواه في بني أمية فمنعه عطاءه، فقال: علام تمنعني حقا لي وأنا امرؤ مسلم، ما أحدثت في الإسلام حدثا، ولا أخرجت من طاعة يدا؟! قال: عليك بني أمية فاطلب عندهم عطاءك، قال: إذن أجدهم سباطا أكفهم سمحة أنفسهم بذلاء لأموالهم، وهابين لمجتديهم، كريمة أعراقهم، شريفة أصولهم، زاكية فروعهم، قريبا من رسول الله نسبهم وسببهم، ليسوا إذا نسبوا بأذناب، ولا وشائظ ولا أتباع، ولا هم في قريش كفقعة القاع، لهم السودد في الجاهلية، والملك في الإسلام، لا كمن لا يعد في عيرها ولا نفيرها، ولا حكم آباؤه في نقيرها، ولا قطميرها ليس من أحلافها المطيبين، ولا من سادتها المطعمين، ولا من جودائها الوهابين، ولا من هاشمها المنتخبين، ولا عبد شمسها المسودين، وكيف نقاتل الرءوس بالأذناب، وأين النصل من الجفن، والسنان من الزج، والذنابي من القدامى، وكيف يفضل الشحيح على الجواد، والسوقة على الملك، والجامع بخلا على المطعم فضلا. فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائصه وعرق جبينه واهتز من قرنه إلى قدمه وامتقع لونه ثم قال له: يا بن البوالة على عقبيها، ويا جلف يا جاهل، أما والله لولا الحرمات الثلاث، حرمة الإسلام، وحرمة الحرم، وحرمة الشهر الحرام، لأخذت الذي فيه عيناك، ثم أمر به إلى سجن عارم، فحبس به مدة، ثم استوهبته هذيل ومن له من قريش خئولة في هذيل، فأطلقه بعد سنة، واقسم ألا يعطيه عطاء مع المسلمين أبدا، فلما ولي عبد الملك أمر له بما فاته من العطاء ومثله صلة من ماله وكساه وحمله.

■ (3) أبو صخر الهذلي، عبد الله بن سلمة السهمي، من بني هذيل بن مدركة: شاعر، من الفصحاء. كان في العصر الاموي، مواليا لبني مروان، متعصبا لهم، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح. وكان قد حبسه عبد الله بن الزبير عاما وأطلقه بشفاعة رجال من قريش. وهو صاحب الابيات المشهورة التي أولها: عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر. مات نحو سنة 80 هـ

■ (1) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (2) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

☪

بعث عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا [1] واليا على البصرة سنة 67 هـ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ وأشار بيده نحو الشام: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ وأشار بيده نحو الحجاز: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص] وأشار بيده نحو العراق.

قدم وفد من العراق على عبد الله بن الزبير فأتوه في المسجد الحرام في يوم جمعة فسلموا عليه فسألهم عن مصعب أخيه وعن سيرته فيهم فقالوا: أحسن الناس سيرة وأقضاه بحق وأعدله في حكم، فصلى عبد الله بالناس الجمعة، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد جربوني ثم جربوني..من غلوتين ومن المئين..حتى إذا شابوا وشيبوني..خلوا عناني ثم سيبوني. أيها الناس، إني قد سألت هذا الوفد من أهل العراق عن عاملهم مصعب بن الزبير[1] فأحسنوا الثناء عليه وذكروا عنه ما أحب، ألا إن مصعبا أطبى القلوب حتى ما تعدل به، والأهواء حتى ما تحول عنه، واستمال الألسن بثنائها والقلوب بنصحها، والنفوس بمحبتها، فهو المحبوب في خاصته، المحمود في عامته بما أطلق الله به لسانه من الخير، وبسط يده من البذل، ثم نزل. ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير سنة 71 هـ وانتهى خبر مقتله إلي عبد الله بن الزبير أضرب عن ذكره أياما حتى تحدث به إماء مكة في الطريق ثم صعد المنبر فجلس عليه مليا لا يتكلم والكآبة على وجهه وجبينه يرشح عرقا فقال رجل من قريش لرجل إلى جانبه ماله لا يتكلم أتراه يهاب المنطق فوالله إنه للبيب الخطباء قال لعله يريد أن يذكر مقتل مصعب سيد العرب فيشتد ذلك عليه وغير ملوم ثم تكلم فقال الحمد لله الذي له الخلق والأمر وملك الدنيا والآخرة يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء أما بعد فإنه لم يعز الله من كان الباطل معه وإن كان معه الأنام طرا ولم يذل من كان الحق معه وإن كان مفردا ضعيفا ألا وإنه قد أتانا خبر من العراق بلد الغدر والشقاق فساءنا وسرنا أتانا أن مصعبا قتل رحمة الله عليه ومغفرته فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة ولوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوى من بعد ذو الرأي والدين إلى جميل الصبر وكريم العزاء وأما الذي سرنا منه فإنا قد علمنا أن قتله شهادة له وأنه عز و جل جاعل لنا وله في ذلك الخيرة إن شاء الله تعالى أسلمه الطغام الصم الآذان أهل العراق إسلام النعم المخطمة وباعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه فإن يقتل فقد قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا الخيار الصالحين إنا والله لا نموت حتف آنافنا ولكن قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف وليس كما يموت بنو مروان والله ما قتل منهم رجل في زحف في جاهلية ولا إسلام قط ألا وإنما الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فإن تقبل الدنيا علي لم آخذها أخذ الأشر البطر وإن تدبر عني لم أبك عليها بكاء الخرق المهين أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ثم نزل. وفي خطبة أخرى له: قال الجاحظ لما جاءه قتل أخيه مصعب قام خطيبا بعد خطبته الأولى فقال إن مصعبا قدم أيره وأخر خيره وتشاغل بنكاح فلانة وفلانة وترك حلبة أهل الشأم حتى غشيته في داره ولئن هلك مصعب إن في آل الزبير خلفا منه. وروي الجاحظ أيضا أنه لما بلغه قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد الأشدق قام خطيبا فقال إن أبا ذبان قتل لطيم الشيطان كذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون.

لما قدم الأحنف في وجوه أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير، تكلم أبو حاضر الأسيدي، وكان خطيبا جميلا، فقال له عبد الله بن الزبير: اسكت فوالله، لوددت أن لي بكل عشرة من أهل العراق رجلا من أهل الشام، صرف الدينار بالدرهم، قال: يا أمير المؤمنين، إن لنا ولك مثلا، أفتأذن في ذكره؟ قال: نعم، قال: مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام، قول الأعشى حيث يقول: علقتها عرضا وعلقت رجلا..غيري وعلق أخرى غيرها الرجل. أحبك أهل العراق وأحببت أهل الشام، وأحب أهل الشام عبد الملك ابن مروان.

دخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر في اليوم الذي قتل فيه وقد رأى من الناس ما رأى من خذلانهم فقال يا أمه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت والله يا بني أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودك في الدنيا القتل أحسن والله لضربة بالسيف في عز أحب إلي من ضربة بسوط في ذل قال إني أخاف إن قتلوني أن يمثلوا بي قالت يا بني إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها فدنا منها وقبل رأسها وقال هذا والله رأيي والذي قمت به داعيا إلى يومي هذا ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمه ولكنني أحببت أن أعلم رأيك فزدتني بصيرة مع بصيرتي فانظري يا أمه فإني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي لأمر الله فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عملا بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي اللهم، إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي أنت أعلم بي ولكن أقوله تعزية لأمي لتسلو عني فقالت أمه إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنا إن تقدمتني وإن تقدمتك ففي نفسي حرج حتى أنظر إلام يصير أمرك قال يا أمه جزاك الله خيرا فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد فقالت لا أدعه أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت اللهم أرحم طول ذلك القيام في الليل الطويل وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة وبره بأبيه وبي اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين ثم ودعها وخرج. وخرج من عندها فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن الموت قد تغشاكم سحابه وأحدق بكم ربابه واجتمع بعد تفرق وارجحن بعد تمشق ورجس نحوكم رعده وهو مفرغ عليكم ودقه وقائد إليكم البلايا تتبعها المنايا فاجعلوا السيوف لها غرضا واستعينوا عليها بالصبر وتمثل بأبيات ثم اقتحم يقاتل وهو يقول: قد جد أصحابك ضرب الأعناق..وقامت الحرب لها على ساق. وفي خطبة أخرى وروي الطبري قال: لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة 73 هـ وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب صلى بأصحابه الفجر ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا آل الزبير، لو طبتم لي نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا في الله لم تصبنا زباء بتة، أما بعد، يا آل الزبير، فلا يرعكم وقع السيوف، فإني لم أحضر موطنا قط إلا أرتثثت فيه من القتل وما أجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها، صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم، لا أعلم امرأ كسر سيفه واستبقى نفسه، فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة، أعزل غضوا أبصاركم عن البارقة، وليشغل كل امرئ قرنه، ولا يلهينكم السؤال عني، ولا تقولن أين عبد الله بن الزبير، ألا من كان سائلا عني فإني في الرعيل الأول: أبى لابن سلمى أنه غير خالد..ملاقي المنايا أي صرف تيمما..فلست بمبتاع الحياة بسبة..ولا مرتق من خشية الموت سلما. احملوا على بركة الله ثم قاتل حتى أثخن بالجراحات وقتل.

■ (1) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي القرشى، أبو عبد الله: أحد الولاة الابطال في صدر الاسلام. نشأ بين يدى أخيه عبد الله بن الزبير، فكان عضده الاقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق. وولاه عبد الله البصرة سنة 67 هـ فقصدها، وضبط أمورها، وقتل المختار الثقفى. ثم عزله عبد الله عنها مدة سنة، وأعاده في أواخر سنة 68 وأضاف إليه الكوفة، فأحسن سياستها. وتجرد عبد الملك بن مروان لقتاله، فسير إليه الجيوش، فكان مصعب يفلها. حتى خرج إليه عبد الملك بنفسه، فلما دخل العراق خذل مصعبا قواد جيشه وأصحابه فثبت فيمن بقي معه، فأنفذ إليه عبد الملك أخاه محمد بن مروان فعرض عليه الامان وولاية العراقين أبدا ما دام حيا ومليوني درهم صلة، على أن يرجع عن القتال، فأبى مصعب، فشد عليه جيش عبد الملك، في وقعة عند دير الجاثليق على شاطئ دجيل، من أرض مسكن وطعنه زائدة بن قيس السعدى أو عبيد الله بن زياد بن ظبيان فقتله. وحمل رأسه إلى عبد الملك. وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام. وكانت في البهنساوية بمصر قبيلة تنتسب إليه تعرف ببني مصعب قال أبو عبيدة معمر ابن المثنى: كان مصعب أحب أمراء العراق إلى أهل العراق، يعطيهم عطاءين عطاء للشتاء وعطاء للصيف، وكان يشتد في موضع الشدة ويلين في موضع اللين.قلت: والمؤرخون، مع اختلافهم في مقتله سنة 71 أو 72 هـ، يذكرون في عمره يوم قتل ثلاث روايات: 35 سنة، و 40 و 45 واقتصر ابن الجوزى على الرواية الاخيرة.

مراجع: جمهرة خطب العرب/ الأعلام للزركلي/

تزوج عبد الله بن الزبير[1] أم عمرو ابنة منظور بن زبان الفزارية[2]، فلما دخل بها قال لها تلك الليلة: أتدرين من معك في حجلتك* قالت: نعم، عبد الله بن الزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى. قال: ليس غير هذا ! قالت: فما الذى تريد؟ قال: معك من أصبح في قريش بمنزلة الرأس من الجسد، لا بل بمنزلة العينين من الرأس قالت: أما والله لو أن بعض بنى عبد مناف حضرك لقال لك خلاف قولك. فغضب، وقال: الطعام والشراب على حرام حتى أحضرك الهاشميين وغيرهم من بنى عبد مناف، فلا يستطيعون لذلك إنكارا. قالت: إن أطعتني لم تفعل، وأنت أعلم وشأنك. فخرج إلى المسجد فرأى حلقة فيها قوم من قريش، منهم عبد الله بن العباس [3] وعبد الله بن الحصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف[4]، فقال لهم ابن الزبير: أحب أن تنطلقوا معى إلى منزلي، فقام القوم بأجمعهم حتى وقفوا على باب بيته، فقال ابن الزبير: يا هذه اطرحي عليك سترك، فلما أخذوا مجالسهم دعا بالمائدة، فتغدى القوم فلما فرغوا قال لهم: إنما جمعتكم لحديث ردته على صاحبة الستر، وزعمت أنه لو كان بعض بنى عبد مناف حضرني لما أقر لي بما قلت، وقد حضرتم جميعا. وأنت يابن عباس، ما تقول؟ إنى أخبرتها أن معها في خدرها من أصبح في قريش بمنزلة الرأس من الجسد، بل بمنزلة العينين من الرأس! فردت على مقالتي فقال ابن عباس: أراك قصدت قصدي، فإن شئت أن أقول قلت، وإن شئت أن أكف كففت قال: بل قل، وما عسى أن تقول ! ألست تعلم أنى ابن الزبير [5] حوارى رسول صلى الله عليه وسلم وأن أمي أسماء بنت أبى بكر الصديق[6] ذات النطاقين، وأن عمتى خديجة[7] سيدة نساء العالمين، وأن صفية[8] عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جدتى، وأن عائشة [9] أم المؤمنين خالتي! فهل تستطيع لهذا إنكارا ! قال ابن عباس: لقد ذكرت شرفا شريفا، وفخرا فاخرا، غير أنك تفاخر من بفخره فخرت، وبفضله سموت. قال: وكيف ذلك؟ قال: لانك لم تذكر فخرا إلا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا أولى بالفخر به منك. قال ابن الزبير: لو شئت لفخرت عليك بما كان قبل النبوة قال ابن عباس: قد أنصف القارة من راماها* . نشدتكم الله أيها الحاضرون! أ عبد المطلب أشرف أم خويلد في قريش؟ قالوا: عبد المطلب، قال: أفهاشم كان أشرف فيها أم أسد؟ قالوا: بل هاشم، قال: أفعبد مناف أشرف أم عبد العزى؟ قالوا: عبد مناف، فقال ابن عباس: تنافرني يابن الزبير وقد قضى..عليك رسول الله لا قول هازل ولو غيرنا يابن الزبير فخرته..ولكنما ساميت شمس الاصائل. قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفضل في قوله: ﴿ما افترقت فرقتان إلا كنت في خيرهما﴾ فقد فارقناك من بعد قصى بن كلاب، أفنحن في فرقة الخير أم لا؟ إن قلت: نعم خصمت* وإن قلت لا كفرت! فضحك بعض القوم، فقال ابن الزبير: أما والله لولا تحرمك بطعامنا يابن عباس لاعرقت جبينك قبل أن تقوم من مجلسك، قال ابن عباس: ولم ؟ أبباطل، فالباطل لا يغلب الحق، أم بحق؟ فالحق لا يخشى من الباطل. فقالت المرأة من وراء الستر: إنى والله لقد نهيته عن هذا المجلس فأبى إلا ما ترون. فقال ابن عباس: مه أيتها المرأة ! اقنعي ببعلك، فما أعظم الخطر، وما أكرم الخبر فأخذ القوم بيد ابن عباس –وكان قد عمى– فقالوا : انهض أيها الرجل فقد أفحمته غير مرة، فنهض وقال: ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا..فلو ترك القطا لغفا وناما. فقال ابن الزبير: يا صاحب القطاء، أقبل على، فما كنت لتدعنى حتى أقول وايم الله لقد عرف الاقوام أنى سابق غير مسبوق، وابن حوارى وصديق، متبجح في الشرف الانيق، خير من طليق. فقال ابن عباس: دسعت بجرتك* فلم تبق شيئا؟ هذا الكلام مردود، من امرئ حسود، فإن كنت سابقا فإلى من سبقت؟ وإن كنت فاخرا فبمن فخرت؟ فإن كنت أدركت هذا الفخر بأسرتك دون أسرتنا، فالفخر لك علينا وإن كنت إنما أدركته بأسرتنا فالفخر لنا عليك، والكثكث* في فمك ويديك.وأما ما ذكرت من الطليق، فوالله لقد ابتلى فصبر، وأنعم عليه فشكر، وإن كان والله لوفيا كريما غير ناقض بيعة بعد توكيدها، ولا مسلم كتيبة بعد التأمر عليها.فقال ابن الزبير: أتعير الزبير بالجبن، والله إنك لتعلم منه خلاف ذلك. قال ابن عباس: والله إنى لا أعلم إلا أنه فر وما كر، وحارب فما صبر، وبايع فما تمم وقطع الرحم، وأنكر الفضل، ورام ما ليس له بأهل. وأدرك منها بعض ما كان يرتجي..وقصر عن جرى الكرام وبلدا وما كان إلا كالهجين أمامه..عناق فجاراه العناق فأجهدا. فقال ابن الزبير: لم يبق يا بنى هاشم غير المشاتمة* والمضاربة. فقال عبد الله بن الحصين بن الحارث : أقمناه عنك يابن الزبير ، وتأبى إلا منازعته ، والله لو نازعته من ساعتك إلى انقضاء عمرك ماكنت إلا كالسغب الظمآن ، يفتح فاه يستزيد من الريح ، فلا يشبع من سغب ، ولا يروى من عطش ، فقل إن شئت ، أو فدع .وانصرف القوم.

----

*(الحجلة) الحجلة، بالتحريك: بيت للعروس يزين بالثياب والاسرة والسنور (القارة) قوم من رماة العرب، وهم عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة من كنانة سموا قارة لا جتماعهم والتفافهم لما أراد ابن الشداخ أن يفرقهم في كنانة. وأصل المثل كما ذكره صاحب اللسان: أن رجلين التقيا، أحدهما قارى والاخر أسدى، فقال القارى: إن شئت صارعتك، وإن سئت سابقتك وإن شئت راميتك، فقال: اخترت المراماة، فقال القارى: قد أنصفنى، وأنشد: قد أنصف القارة من راماها.. إنا إذا ما فئة نلقاها..نرد أولاها على أخراها..ثم انتزع له سهما فشك فؤاده (خصمت) أي غلبت (دسعت بجرتك) يقال : دسع البعير بجرته أي دفعها حتى أخرجها، والكلام على التمثيل(الكثكث) التراب .(المشاتمة) ب: " المشابغة " .

■ (3) ابن عباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الامة، الصحابي الجليل. سمى البحر لغزارة علمه،ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه الاحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ. قال ابن مسعود: نعم، ترجمان عباس. وقال عطاء: كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والانساب، وناس يأتونه لايام العرب ووقائعهم، وناس يأتونه للفقه والعلم، فما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما يشاؤون. وكان كثيرا ما يجعل أيامه يوما للفقه، ويوما للتأويل، ويوما للمغازي، ويوما للشعر، ويوما لوقائع العرب. وكان عمر إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: أنت لها ولامثالها، ثم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك أحدا سواه. وكان آية في الحفظ، وأخباره كثيرة.

■ (2) (قهطم؟) أو فاطمة بنت منظور بن زبان، ويقال: تماضربنت منظور بن زبان، وأمها: مليكة بنت سنان بن أبي حارثة المري، ولدت له حمزة وماتت، وقيل ولدت له خبيبا، وحمزة، وعبادا، وثابتا؛ فتزوج أختها أم هاشم، زجلة بنت منظور بن زبان بن سيار فولدت له هاشم، وقيس، والزبير، وعروة

■ (2) منظور بن زبان بن سيار الفزاري: شاعر مخضرم، من الصحابة. كان سيد قومه. وتزوج أمرأة أبيه مليكة بنت خارجة المزنية، فقيل: إن أبا بكر، لما ولي الخلافة، بحث عنه فعلم أنه ومليكة في البحرين، فأقدمهما المدينة وفرق بينهما، وقيل: كان ذلك في خلافة عمر، وأراد عمر قتله فحلف بأنه ما علم أن الله حرم ذلك، ففرق بينهما. وله بعد فراقها أشعار رقيقة.ويظن أنه عاش إلى خلافة عثمان مات نجو سنة 25 هـ.

■ (1) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ*****

■ (8) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم: سيدة قرشية، شاعرة باسلة، وهي عمة النبي صلى الله عليه وسلم. أسلمت قبل الهجرة، وهاجرت إلى المدينة. وكان رسول الله إذا خرج لقتال عدوه من المدينة، يرفع أزواجه ونساءه في حصن حسان بن ثابت، فلما كان يوم أحد صعدت صفية معهن، وتخلف عندهن حسان، فجاء يهودي فلصق بالحصن يتجسس، فقالت صفية لحسان: أنزل إليه فاقتله. فتوانى حسان، فأخذت عمودا ونزلت، ففتحت الباب بهدوء، وحملت على الجاسوس فقتلته. ورأت المسلمين يتراجعون يوم أحد فتقدمت، وبيدها رمح، تضرب في وجوه الناس وتقول: أانهزمتم عن رسول الله! فأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الزبير بن العوام أن يبعدها عن أخيها الحمزة وكان قد بقر بطنه فكره رسول الله أن تراه. فناداها الزبير أن تتنحى، فزجرته، وأقبلت حتى رأت أخاها. لها مراث رقيقة. وفي شعرها جودة.ماتت في المدينة سنة 20 هـ

■ (6) أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة، الملقبة بذات النطاقين صحابية جليلة، أخت السيدة عائشة لأبيها، وزوج الصحابي الجليل الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأم عبد الله بن الزبير الذي قتله الحجاج بن يوسف. ولدت أسماء بمكة قبل الهجرة سنة 27 ق.هـ، وأسلمت بعد سبعة عشر مسلما، وقد شاركت رضي الله عنها في أحداث الهجرة، فكانت تحمل الزاد والماء والأخبار إلى النبي وأبيها الصديق رضي الله عنه، أثناء وجودهما في غار ثور ولقبت خلالها بذات النطاقين؛ لأنها اضطرت إلى شق نطاقها نصفين لتضع في أحدهما الطعام وتستر بالآخر رأسها. وكانت رضي الله عنها مثالا في الجود والكرم، كثيرة البذل والعطاء، وكانت تقول لبناتها: أنفقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن انتظرتن الفضل لم تفضلن شيئا. روت أسماء الحديث عن النبي؛ حيث روى عنها علماء الحديث ثمانية وخمسين حديثا. وتوفيت رضي الله عنها بمكة في جمادى الأولى سنة 73 هـ بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير بثلاثة أشهر.

■ (7) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قريش: زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى، وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة. ولدت بمكة، ونشأت في بيت شرف ويسار، ومات أبوها يوم الفجار، وتزوجت بأبي هالة بن زرارة التميمي فمات عنها. وكانت ذات مال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام، تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة. فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخامسة والعشرين خرج في تجارة لها إلى سوق بصرى بحوران وعاد رابحا، فدست له من عرض عليه الزواج بها، فأجاب، فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسعد بن عبد العزى فحضر وتزوجها رسول الله قبل النبوة فولدت له القاسم وكان يكنى به وعبد الله وهو الطاهر والطيب وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وكان بين كل ولدين سنة. وكانت تسترضع لهم وتهيء ذلك قبل أن تلد. ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها إلى الإسلام، فكانت أول من أسلم من الرجال والنساء. ومكثا يصليان سرا إلى أن ظهرت الدعوة. كانت تكنى بأم هند (وهند من زوجها الاول) وأولاد النبي صلى الله عليه وسلم كلهم منها، غير إبراهيم ابن مارية. وكانت وفاة خديجة بمكة سنة 3 ق هـ

■ (9) أم المؤمنين عائِشة بنت أبي بكر الصِديق التيمية القُرشية. زوجة النبي وإحدى أمهات المؤمنين.كانت من أعلم النساء بالدين والقرآن والتفسير والحديث والفقه. ولدت رضي الله عنها سنة 19 ق.هـ وتوفيت سنة 58 هـ

■ (5) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، أبو عبد الله، ابن عمه النبي حوراي رسول الله.أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر.أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين.أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها النبي قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة سنة 36 هـ

■ (4) عبد الله بن الحصين بن الحارث بن المطلب القرشي المطلبي ذكره البلاذري في الأنساب وقال كان شاعرا وأمه أم عبد الله بنت عدي بن خويلد الأسدية بنت أخي خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها

قال الله تعالى:﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة] (تلك أمة قد خلت) أي مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أي إن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إذا لم تفعلوا خيرا يعود نفعه عليكم، فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) وقال أبو العالية والربيع وقتادة (تلك أمة قد خلت) يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط ولهذا جاء في الأثر: من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ﴾ أي من أخره تفريطه في العمل الصالح في الدنيا لم ينفعه في الآخرة شرف النسب. نعم يا عبد الله! لو كان أبوك صالحا ومجاهدا وعالما أينفعك هذا؟ إلا أن تتأسى به في دين الله جل وعلا، كيف بمن انتسب إلى غير هذا؟ عن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر، يقول:﴿أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي، يَعْنِي فُلَانًا، لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يعني فلانا) هي من بعض الرواة خشي أن يسميه فيترتب عليه مفسدة وفتنة إما في حق نفسه وإما في حقه وحق غيره فكنى عنه والغرض إنما هو قوله صلى الله عليه وسلم إنما ولي الله وصالح المؤمنين ومعناه إنما ولي من كان صالحا وإن بعد نسبه مني وليس ولي من كان غير صالح وإن كان نسبه قريبا. وعن قسّ بن ساعدة: من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه. وعن أبي هريرة، قال: ﴿لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [الشعراء]، دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بِنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا﴾ البلال: الماء ومعنى الحديث: سأصلها، شبه قطيعتها بالحرارة تطفأ بالماء وهذه تبرد بالصلة. وعن أنس، قال:﴿أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: فِي النَّارِ، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ﴾ (فلما قفى) أي ذهب موليا وكأنه من القفا أي أعطاه قفاه وظهره. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى ثِيَابِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ﴾.

مراجع: الأعلام للزركلي/ العقد الفريد/ ثمرات الأوراق/ أخبار الدولة العباسية/ أنساب الأشراف/ شرح نهج البلاغة/ الاغاني/ الإصابة في تمييز الصحابة/

◆ مصعب بن الزبير الأسدي القرشي، أمير العراقين (في خلافة أخيه، أمير المؤمنين، عبد الله بن الزبير الخليفة بالحجاز والعراق؛ الدولة الزبيرية) وعبد الله بن عمر بن الخطاب 0341

روى إسحاق بن سعيد، عن أبيه قال: جاء ابن عمر[1] مصعب بن الزبير[2] فسلم عليه، فقال: من أنت؟ قال: أنا ابن أخيك، مصعب بن الزبير، قال: صاحب العراق؟ قال: نعم. قال ابن عمر: أسألك عن قوم خالفوا وخلعوا وقاتلوا، حتى إذا غلبوا دخلوا قصرا وتحصنوا فيه وسألوا الأمان على دمائهم فأعطوا، ثم قتلوا بعد ذلك. قال: وكم العدد؟ قال: خمسة آلاف. قال: فسبح، ثم قال: عمرك الله يا مصعب لو أن امرءا أتى ماشية للزبير فذبح منها خمسة آلاف شاة في غداة، أكنت تعده أو تراه مسرفا. قال: فسكت مصعب. فقال: أجبني. قال: نعم، إني لأعد رجلا يذبح خمسة آلاف شاة مسرفا. قال: أفتراه إسرافا في البهائم، لا تعبد الله وتدري ما الله، وقتلت من وحد الله؟ أما كان فيهم مستكره يراجع به التوبة أو جاهل ترجى رجعته؟ أصب يا ابن أخي من الماء البارد ما استطعت في دنياك. وقد تقدم أنه لما ظهر على المختار[3] قتل من أصحابه في غداة واحدة خمسة آلاف، وقيل سبعة آلاف.

■ (1) عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه، وكان من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكل ما تأخذ به نفسه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وهو ابن 84 سنة، وكان قد أوصى أن يدفن في الليل ، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

■ (2) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي القرشى، أبو عبد الله: أحد الولاة الابطال في صدر الاسلام. نشأ بين يدى أخيه عبد الله بن الزبير، فكان عضده الاقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق. وولاه عبد الله البصرة سنة 67 هـ فقصدها، وضبط أمورها، وقتل المختار الثقفى. ثم عزله عبد الله عنها مدة سنة، وأعاده في أواخر سنة 68 وأضاف إليه الكوفة، فأحسن سياستها. وتجرد عبد الملك بن مروان لقتاله، فسير إليه الجيوش، فكان مصعب يفلها. حتى خرج إليه عبد الملك بنفسه، فلما دخل العراق خذل مصعبا قواد جيشه وأصحابه فثبت فيمن بقي معه، فأنفذ إليه عبد الملك أخاه محمد بن مروان فعرض عليه الامان وولاية العراقين أبدا ما دام حيا ومليوني درهم صلة، على أن يرجع عن القتال، فأبى مصعب، فشد عليه جيش عبد الملك، في وقعة عند دير الجاثليق على شاطئ دجيل، من أرض مسكن وطعنه زائدة بن قيس السعدى أو عبيد الله بن زياد بن ظبيان فقتله. وحمل رأسه إلى عبد الملك. وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام. وكانت في البهنساوية بمصر قبيلة تنتسب إليه تعرف ببني مصعب قال أبو عبيدة معمر ابن المثنى: كان مصعب أحب أمراء العراق إلى أهل العراق، يعطيهم عطاءين عطاء للشتاء وعطاء للصيف، وكان يشتد في موضع الشدة ويلين في موضع اللين.قلت: والمؤرخون، مع اختلافهم في مقتله سنة 71 أو 72 هـ، يذكرون في عمره يوم قتل ثلاث روايات: 35 سنة، و 40 و 45 واقتصر ابن الجوزى على الرواية الاخيرة.

■ (3) المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، ولد سنة 1 هـ حاكم الكوفة وكان متلونا كذابا يدعو مرة إلى محمد بن الحنفية، ومرة لابن الزبير، حتى ادعى آخرا أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء، فلما تحقق ابن الزبير سوء حاله، بعث أخاه المصعب لحربه، فقدم المصعب البصرة وتأهب منها، واجتمع إليه جيش الكوفة، فسار بهم جميعا وعلى مقدمته عباد بن الحصين، وعلى ميمنته المهلب بن أبي صفرة، وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، فجهز المختار لحربهم أحمر بن شميط، وكيسان فهزمهم مصعب، وقتل أحمر، وكيسان، وقتل من جيش مصعب محمد بن الأشعث الكندي ابن أخت أبي بكر الصديق، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، وقتل من جند المختار عمر الأكبر بن علي بن أبي طالب، ثم سار جيش مصعب فدخلوا الكوفة، وحصروا المختار بقصر الإمارة أياما إلى أن قتله الله في رمضان سنة67 هـ وصفت العراق لمصعب.

☪

عن عمر بن حمزة، قال: سمعت سالم بن عبد الله[1] يسأل عبد الله بن عمر: أي ابني الزبير أشجع؟ قال: كلاهما جاءه الموت وهو ينظر إليه. وعن ابن عائشة قال: سمعت أبي يقول: قيل لعبد الملك بن مروان وهو يحارب مصعبا إن مصعبا قد شرب الشراب، فقال عبد الملك: مصعب يشرب الشراب! والله، لو علم مصعب أن المدعى من الماء ينقص من مروءته ما روى منه. وعن عبد الله بن مصعب[2]، عن أبيه، قال: لما تفرق عن مصعب جنده قال له بعض أودائه (أي أحبابه): لو اعتصمت ببعض القلاع، وكاتبت من بعد عنك من أوليائك كمثل المهلب[3] والأشتر[4] وفلان وفلان، فإذا اجتمع لك من ترضاه لقيت القوم بأكفائهم، فقد ضعفت جدا واختل أصحابك. فلبس سلاحه وخرج فيمن بقي من أصحابه وهو يتمثل بشعر – قيل لطريف العنبري، وكان طريف يعد بألف فارس من فرسان خراسان– فقال: من الطويل: علام تقول السيف يثقل عاتقي..إذا أنا لم أركب به المركب الصعبا..سأحميكم حتى أموت ومن يمت..كريما فلا لوما عليه ولا عتبا. وعن الكلبي، قال: قال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه: من أشجع العرب؟ قالوا: شبيب، قطري، فلان، فلان. فقال عبد الملك: إن أشجع العرب لرجل جمع بين سكينة بنت حسين وعائشة بنت طلحة وأمة الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وأمه رباب بنت أنيف الكلبي سيد ضاحية العرب، وولي العراقين خمس سنين فأصاب ألف ألف، وألف ألف، وألف ألف، وأعطي الأمان فأبى. ومشى بسيفه حتى مات، ذلك مصعب بن الزبير.لا من قطع الجسور مرة ها هنا ومرة ها هنا. وعن عبد الملك بن عمير، قال: رأيت عجبا، رأيت رأس الحسين أتي به حتى وضع بين يدي عبيد الله بن زياد[5]،ثم رأيت رأس عبيد الله أتي به حتى وضع بين يدي المختار، ثم رأيت رأس المختار أتي به حتى وضع بين يدي مصعب بن الزبير، ثم أتي برأس مصعب حتى وضع بين يدي عبد الملك[6].حدث أبو إسحاق قال: لما قتل عبد الملك بن مروان، مصعب بن الزبير بدير الجاثليق أقبل وعليه قلنسوة دنوسية فإذا الهيثم بن الأسود فقال له: كيف رأيت ما فعل الله بأهل بلدك يا هيثم؟ قال: يا أمير المؤمنين خف الوطأة وأقل التثريب، فجاء حتى دخل القصر وفيه عمرو بن حريث، فأخذ بيده فجعل يريه منازل الأمراء، فقال له: هذا منزل المغيرة بن شعبة، وهذا منزل زياد، وكان هذا منزل سعد، فانصرف عبد الملك فرمى بنفسه على السرير وقال: أرى كل حي يا أميم إلى بلى..وكل امرئ يوما يصير إلى كان. وعن سعيد بن يزيد قال: سار عبد الملك إلى مصعب، وسار مصعب حتى نزل الكوفة، فقال إبراهيم بن الأشتر لمصعب: ابعث إلى ابن زياد بن عمرو[7] ومالك بن مسمع[8] ووجوه من وجوه البصرة فاضرب أعناقهم، فإنهم قد أجمعوا على أن يغدروا بك. فأبى. قال: فقال إبراهيم: فإني أخرج الآن في الخيل، فإذا قتلت فأنت أعلم. فقاتل حتى قتل. فلما التقى المصعب وعبد الملك قلب القوم ترستهم ولحقوا بعبد الملك. قال: فقتل المصعب وقتل معه ابنه عيسى[9] وإبراهيم بن الأشتر، وخرج مسلم بن عمرو الباهلي[10] فقال: احملوني إلى خالد بن يزيد[11]، فحمل إليه، فاستأمن له، ووثب عبيد الله بن زياد بن ظبيان على مصعب فقتله عند دير الجاثليق* على شاطئ نهر يقال له: دجيل من أرض مسكن، واحتز رأسه فذهب به إلى عبد الملك، فسجد عبد الملك لما أتى برأسه؛ وكان عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاتكا رديئا، فكان يتلهف ويقول: كيف لم أقتل عبد الملك يومئذ حين سجد، فأكون قد قتلت ملكي العرب!. فقال عبد الملك لحاجبه: أقص هذا الأعرابي عني أخر إذنه ما استطعت. فكان يفعل به ذلك. فجاء يوما فأذن الحاجب للناس وحبسه حتى أخذ الناس مجالسهم، ثم أنزله، فدخل والناس حول سرير عبد الملك، فمضى حتى جلس مع عبد الملك على السرير، فغضب عد الملك فأقبل عليه فقال: يا ابن ظبيان، لقد بلغني أنك لا تشبه أباك. فقال: والله لأنا أشبه من الغراب بالغراب، والقذة بالقذة، والماء بالماء، والتمرة بالتمرة، ولكن إن شئت –يا أمير المؤمنين– أخبرتك بمن لم تنضجه الأرحام، ولم يولد لتمام، ولم يشبه الأخوال والأعمام. قال: ومن ذاك ويحك؟ قال: سويد بن منجوف بن ثور السدوسي[12]، وهو قد تجالس معه. فقال عبد الملك: أكذاك يا سويد؟ قال سويد: إن ذلك ليقال –وإنما عرض بعبد الملك، وكان عبد الملك ولد لسبعة أشهر– فلما خرجا قال ابن ظبيان: ما أحب أن لي بفطنتك حمر النعم. قال سويد: وأنا والله ما سرني أن لي بها قلت حمر النعم وسودها.

عن جعفر بن أبي كثير، عن أبيه، قال: لما وضع رأس مصعب بن الزبير بين يدي عبد الملك بن مروان قال: من الوافر: لقد أردى الفوارس يوم عبس..غلاما غير مناع المتاع..ولا فرح لخير إن أتاه..ولا هلع من الحدثان لاع..ولا وقافة والخيل تعدو..ولا خال كأنبوب اليراع. فقال الذي جاء برأسه: والله يا أمير المؤمنين لو رأيته والرمح في يده تارة، والسيف تارة، يفري بهذا ويطعن بهذا لرأيت رجلا يملأ القلب والعين شجاعة وإقداما، ولكنه لما تفرقت رجاله وكثر من قصده وبقي وحده، ما زال يشهد: من الطويل : وإني على المكروه عند حضوره..أكذب نفسي والجفون له تنضي..وما ذاك من ذل ولكن حفيظة..أذب بها عند المكارم عن عرضي..وإني لأهل الشر بالشر مرصد..وإني لذي سلم أذل من الأرض. فقال عبد الملك: كان والله كما وصف نفسه وصدق، ولقد كان من أحب الناس إلي، وأشدهم لي إلفا ومودة، ولكن الملك عقيم.

----

*(دير الجاثليق) أو دير الجثاليق دير قديم البناء رحب الفناء من طسوج مسكن قرب بغداد في غربي دجلة في عرض حربى وهو في رأس الحد بين السواد وأرض تكريت وعنده كانت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير –المعركة عند قصر دجيل أيام الفتنة الثانية– وكان الجيشان على شاطىء دجلة وإلى ذلك الموضع في العرض وعنده قتل مصعب بن الزبير في جمادى الآخرة سنة 72 هـ، بمقتل مصعب عادت العراق إلى حظيرة الدولة الأموية

■ (2) عبد الله بن مصعب بن الزبير المدني الأمير. ولي إمرة المدينة وإمرة اليمن وحمدت سيرته. وكان وسيما جميلا فصيحا مفوها، ولاه الرشيد وجعل له في العام اثني عشر ألف دينار ووصله بعشرين ألف دينار وعقد له اللواء بيده وزاده معهما ولاية عك، وتوفي سنة 184 هـ

■ (1) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبو عبد الله، ويقال: أبو عبيد الله ويقال: أبو عمر العدوي المدني الفقيه قدم الشام على عبد الملك بن مروان بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليد بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز. وكان أشبه أولاد أبيه به، عن مالك قال لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. روى عن أبيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ورافع بن خديج وأبي هريرة . توفي سنة 106 هـ. ووافق موته حج هشام، فصلى عليه وكان في طريق عودته من الحج، بالمدينة.ودُفن بالبقيع.

■ (8) مالك بن مسمع بن شيبان البكري الربعي، أبو غسان: سيد ربيعة في زمانه. كان مقدما رئيسا. ولد في عهد النبي صلى الله عليه وآله، وفيه يقول حصين بن منذر: حياة أبي غسان خير لقومه لمن كان قد قاس الامور وجربا. قال المبرد: وإليه تنسب المسامعة. وذكر المسعودي أنه كان في جملة من انصاف إلى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، حين قدم البصرة، من مكة، ناكثا بيعة عبد الله ابن الزبير، وقاتلهم مصعب بن الزبير، فانهزموا بعد حروب إلى الشام سنة 71 هـ وقال ابن قتيبة: لم يل شيئا قط، وهلك في أول خلافة عبد الملك بن مروان، بالبصرة، سنة 73 هـ وعقبه كثير. وكان أعور، أصيب عينه في معركة بالجفرة موضع بالبصرة ويقال: ساد الاحنف بحلمه، وساد مالك بن مسمع بمحبة العشيرة له.

■ (11) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي القرشي، هو أول من اهتم من العرب بعلم الكيمياء وترجم الكتب. ولد 51 هـ وتوفي سنة 90 هـ وهو أخو معاوية بن يزيد ثالث ملوك بني أمية.

■ (12) سويد بن منجوف بن ثور بن عفير السدوسي البصري. كنيته أبو المنهال. عداده في أهل البصرة. رأى عليا وسمع أبا هريرة، ووفد على معاوية. وهو والد علي بن سويد. روى عنه المسيب بن رافع. قال خليفة: توفي سنة 72 هـ. والسدوسي وهو سدوس بن شيبان ابن ذهل بن ربيعة.

■ (9) عيسى بن مصعب بن الزبير: أحد الشجعان الاشراف في صدر الاسلام. كان مع أبيه في العراق، وقتل معه سنة 71 هـ

■ (3) المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، أبو سعيد البصري، واسم أبي صفرة ظالم بن سارق، ويقال: ابن سراق بن صبح بن كندي، ويقال: كندير بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد، ويقال: الأسد أيضا، بن عمران بن عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. كان المهلب بن أبي صفرة واليا على خراسان من جهة الحجاج. مات سنة 81 هـ، أو سنة 82 هـ. وزاد بعضهم: في ذي الحجة بمرو الروذ..

■ (4) إبراهيم بن الأشتر، واسمه مالك بن الحارث النخعي الكوفي. كان أبوه من كبار أمراء علي. وكان إبراهيم من الأمراء المشهورين بالشجاعة والرأي، وله شرف وسيادة، وهو الذي قتل عبيد الله بن زياد يوم الخازر، ثم كان مع مصعب ابن الزبير، فكان من أكبر أمرائه، وقتل معه سنة 72 هـ.

■ (5) عبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري، أبو مطر: فاتك من الشجعان. كان مقربا من عبد الملك بن مروان. له عليه جرأة ودالة. وكان من قادة تغلب تحت لواء عبد الملك في حربه مع مصعب ابن الزبير. وهو الذي قتل مصعبا وحمل رأسه إلى عبد الملك. ثم خرج على الحجاج مع ابن الجارود عبد الله ابن بشر فلما قتل ابن الجارود انصرف إلى عمان ولجأ إلى ابن الجلندي الازدي، فخافه هذا فدس له السم في بطيخة فمات. سنة75 هـ وفي أمالي ابن الشجري، قال له مالك بن مسمع: أكثر الله في العشيرة مثلك، فقال: سألت ربك شططا!.

■ (6) أبو الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

■ (10) مسلم بن عمرو بنحصين بن أسيد بن زيد بن قضاعي الباهلي. والد قتيبة بن مسلم أمير خراسان.كان عظيم القدر عند يزيد بن معاوية، ووجهه يزيد إلى عبيد الله بن زياد بتوليته إياه الكوفة عند توجه الحسين عليه السلام إليها. قال خليفة: قال أبو اليقظان: وقتل مصعب ابنه عيسى بن مصعب، ومسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة الباهلي – يعني سنة 92 هـ

■ (7) زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي، الذي كانت الأزد تسميه القمر لجماله.تولى قيادة الازد في حرب لها مع تميم؟

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ تاريخ الخلفاء/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ معجم البلدان/ أنساب الأشراف/ الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان/

لم تنتهي محنة الإمام سعيد بن المسيب[1] مع هشام بن إسماعيل والي عبد الملك بن مروان الأموي حتى جاءته محنة أخرى، فصبر عليها كما صبر على أختها من قبل. روت كتب التاريخ أن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي[2] استعمل جابر الأسود الزهري[3] على المدينة المنورة فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير فقال سعيد بن المسيب لا حتى يجتمع الناس، فضرب ستين سوطا، فبلغ بذلك ابن الزبير فكتب إلى جابر يلومه ويقول ما لنا ولسعيد دعه. وكان جابر هذا قد تزوج الخامسة قبل أن تنقضي عدة الرابعة، فلما ضرب سعيد بن المسيب صاح به سعيد والسياط تأخذه: والله ما ربعت على كتاب الله، يقول الله:﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء] وانك تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة، وما هي إلا ليال فاصنع ما بدا لك فسوف يأتيك ما تكره. وقد صدق سعيد، فما مكث جابر إلا يسيراً حتى قتل ابن الزبير، وكانت نهاية جابر السوداء المظلمة، وتلك عاقبة الظالمين. وهكذا عاش سعيد ممتحناً في دينه وهكذا شأن المتقين الأبرار، رحم الله سعيداً فقد جاد بنفسه في سبيل الحق وإقامة العدل فلم تزعزع إيمانه المحن بل زادته إيماناً بأن للدين صولة وللإسلام قوة ولا غرو في ذلك لأنه من العلماء الرجال.

عن معاوية بن قرة [4] قال: كنت نازلا على عمرو بن النعمان بن مقرن [5]،فلما حضر رمضان أتاه رجل بكيس دراهم، فقال: إن الأمير مصعب بن الزبير[6] يقرئك السلام ويقول: لم ندع قارئا إلا وقد وصل إليه منا معروف فاستعن بهذا، فقال: قل له: والله ما قرأنا القرآن نريد به الدنيا، ورده عليه. كذا في الإصابة.

قال معاوية لابن الزبير: تنازعني هذا الأمر كأنك أحق به مني! قال: لم لا أكون أحق به منك يا معاوية، وقد اتبع أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيمان واتبع الناس أباك على الكفر؟ قال له معاوية: غلطت يا ابن الزبير بعث الله ابن عمي نبيا فدعا أباك فأجابه؛ فما أنت إلا تابع لي، ضالا كنت أو مهديا.

■ (1) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة. روى عنه الزهري، وقتادة، وعمرو بن دينار، ويحيى بن سعيد، وبكير بن الأشج، وشريك بن أبي نمر، وداود بن أبي هند، وآخرون. قيل توفي سعيد في سنة 94 هـ وقيل سنة 93 هـ وقيل توفي سنة إحدى أو 92 هـ قال أبو عبد الله الحاكم : فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ. رحمه الله سيد التابعين رحمة واسعة وجزاه الله تعالى عن هذه الأمة خيرا.

■ (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي له صحبة ورواية عن النبي وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو ابن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر وتخلف بعده ابنه عبد الملك ووقع بينه وبين عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب حروب دامت سنين إلى أن قتل عبد الملك مصعب متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (6) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله، ولاه أخوه الخليفة عبد الله بن الزبير إمرة العراقين ثم أرمينية أضاف إليه الكوفة، قتل في معركة دير الجثاليق سنة 71 هـ وله 39 سنة ونقلت رأسه إلى عبد الملك وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام.

■ (4) معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني البصري، يكنى أبا إياس ، أسند معاوية عن أبيه، وعن أنس بن مالك: ومعقل بن يسار، وابن عباس. ولد سنة 36 هـ ومات سنة 113 هـ وهو ابن 76 سنة.

■ (3) جابر بن الأسود بن عوف، وهو ابن أخي عبد الرحمن بن عوف أحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة.

■ (5) عمرو بن النعمان بن مقرن المزني من سادات التابعين وقراء أهل البصرة مات قبل مصعب بن الزبير.

☪

عن عمران بن عبد الله، قال: دعي سعيد بن المسيب للبيعة للوليد، وسليمان بعد عبد الملك بن مروان قال: فقال: لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار. قال: فقيل: ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر قال: والله لا يقتدي بي أحد من الناس، قال: فجلده مائة وألبسه المسوح*. وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا﴾ وعن بشر بن حرب، أن ابن عمر، أتى أبا سعيد الخدري، فقال: يا أبا سعيد، ألم أخبر أنك بايعت أميرين من قبل أن يجتمع الناس على أمير واحد؟ قال: نعم، بايعت ابن الزبير، فجاء أهل الشام، فساقوني إلى حبيش بن دلجة (وكان على جيش مروان بن الحكم بالمدينة لحرب ابن الزبير) فبايعته، فقال ابن عمر: إياها كنت أخاف، إياها كنت أخاف – ومد بها حماد صوته – قال أبو سعيد: يا أبا عبد الرحمن، أولم تسمع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَنَامَ نَوْمًا، وَلَا يُصْبِحَ صَبَاحًا، وَلَا يُمْسِيَ مَسَاءً إِلَّا وَعَلَيْهِ أَمِيرٌ ؟﴾ قال: نعم، ولكني أكره أن أبايع أميرين من قبل أن يجتمع الناس على أمير واحد. وعن عرفجة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول:﴿مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ﴾ عن عرفجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّهُ سَيَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ﴾ وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ﴾ وعن عبادة بن الصامت قال:﴿بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ هذا يدل على أن الإمام المبايع يبقى على بيعته، وأنه لا يجوز الخروج عليه، ولو خرج عليه أحد فإنه يقاتل ويقتل حتى تبقى الجماعة على تماسكها ووحدتها، دون أن يكون فيها تفرق وفوضى. وأما قوله: (ألا ننازع الأمر أهله)، فقد اختلف الناس في ذلك! فقال القائلون منهم: أهله؛ أهل العدل والإحسان والفضل والدين، مع القوة على القيام بذلك، فهؤلاء لا ينازعون لأنهم أهله، وأما أهل الجور والفسق والظلم فليسوا بأهل له. واحتجوا بقول الله عز وجل لإبراهيم: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة] ذهب إلى هذا طائفةٌ من السلف الصالح، واتَّبعهم بذلك خلَفٌ من الفضلاء والقُراء، والعلماء من أهل المدينة والعراق، وبهذا خرج ابن الزبير والحسين على يزيد، وخرج خيارُ أهل العراق وعلمائهم على الحجّاج، ولهذا أخرج أهلُ المدينة بني أمية عنهم، وقاموا عليهم فكانت الحرّة. قلتُ: فكيف لعاقلٍ رشيد؟! يفهمُ الإسلامَ لفظًا ومعنًى، روحًا وحقيقة! أن يُنزلَ الظالمين الغاصبين منزلةَ العادلين الشرعيين! ويُقيم الفجارَ مقامَ الأبرار..؟! عن جنادة بن أبي أمية، قال:﴿دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ، بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ﴾ (بايعنا) المراد بالمبايعة المعاهدة (إلا أن تروا كفرا بواحا) أي جهارا (عندكم من الله فيه برهان) أي حجة تعلمونها من دين الله تعالى. عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ﴾ (من أمير عامة) أي من غدر صاحب الولاية العامة لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثير. عن عمرو بن الحمق قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:﴿مَنْ آمَنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ، أُعْطِيَ لِوَاءَ الْغَدْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(لواء) المراد علامة يشهر بها في الناس.

قال عبد الله بن عمر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً﴾ (من خلع يدا من طاعة) أي أي طاعة كانت قليلة أو كثيرة، (لقي الله تعالى يوم القيامة ولا حجة له) أي آثما ولا عذر له (ومن مات وليس في عنقه بيعة) أي لإمام (مات ميتة جاهلية) وهو معنى ما اشتهر على الألسنة، وذكره السعد في شرح العقائد من حديث (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية). سأل الإمام أحمد بن حنبل عن هذا الحديث (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)، فقال أتدري من ذاك ذلك الذي يقول المسلمون كلهم هذا هو الإمام وفي رواية أخرى، قال أحمد تدري ما الإمام الإمام الذي يجمع المسلمين عليه كلهم بقول هذا إمام فهذا معنه. وعن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَاهُ، إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ، فَأَخَذَهَا، وَلَمْ يُعْطَ بِهَا﴾ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ: فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ﴾ قال الحافظ ابن حجر: قوله: (تسوسهم الأنبياء) أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبيا لهم يقيم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة، وفيه إشارة إلى أنه لا بد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم.قوله: (وإنه لا نبي بعدي) أي فيفعل ما كان أولئك يفعلون. قوله: (وسيكون خلفاء) أي بعدي. قوله: (فوا) فعل أمر بالوفاء. والمعنى أنه إذا بويع الخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة.

- قلت: رحم الله عمر بن عبد العزيز (خاتمة الخلفاء الراشدين؟)، فمنذ أن حشر العسكر الكافر أنفه في الحكم لم يتركوا راشدا يحكم (فكانت تلك بداية عمل جرثومة العسكر في جسد الأمة) من عسكر مصر قتلة سيدنا عثمان إلى عسكر باغر التركي وغيره إلى عدو الله أتاتورك إلى عسكر العرب اليوم (زعماء القوميات القُطرية الزائفة) شياطين تأتي وشياطين تذهب وحال العرب المسلمين من سيء إلى أسوأ. اليوم الناظر إلى حال المسلمين لا يجد لهم لا خليفة راشد ولا شبه راشد، ولا أحكام شريعة قائمة ولا ما يشبه العدل النسبي (الموجود في بلاد الكفر) باستثناء قانون الغاب المطبق في هذه الدويلات الوظيفية وحالة انحطاط امتداد للاستدمار الغربي، يقودها عسكر مختل عقليا وعائلات هجينة صنيعة استخبارات الغرب.ومما زاد الطين بلة وجود هذا السواد الأعظم من المتمسلمين الهمج الرعاع أتباع كل ناعق، كالبهائم يميلون مع كل ريح (إمعة).

----

*(المسح) ثوب من الشعر غليظ

مراجع: مسند أحمد/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ صحيح مسلم/ شرح سنن أبي داود/ الطبقات الكبرى/ الاستذكار/ موقع طريق الإسلام/ تاريخ بغداد/ فتح الباري/

◆ مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي (رابع ملوك الدولة الأموية) وفاتحة الأموية 0343

لما مات معاوية بن يزيد[1] اختلف الناس بالشام، فكان أول من خالف من أمراء الأجناد ودعا إلى ابن الزبير[2] النعمان بن بشير[3] بحمص، وزفر بن الحارث[4] بـ قنسرين*. ثم دعا الضحاك بن قيس[5] بدمشق الناس سرا، ثم دعا الناس إلى بيعة ابن الزبير فأتوه، فلما علم مروان [6] ذلك خرج يريد ابن الزبير بمكة ليبايع له ويأخذ منه أمانا لبني أمية، وخرج معه عمرو بن سعيد بن العاص[7] فلما كانوا بـ أذرعات* لقيهم عبيد الله بن زياد[8] مقبلا من العراق، فقال لمروان: أين تريد؟ فأخبره. فقال: سبحان الله، أرضيت لنفسك بهذا؟ تبايع لأبي خبيب وأنت سيد بني عبد مناف والله لأنت أولى بها منه فقال مروان: فما الرأي؟ قال: أن ترجع وتدعو إلى نفسك وأنا أكفيك قريشا ومواليها ولا يخالفك منهم أحد.فقال عمرو بن سعيد: صدق عبيد الله إنك لجذم قريش وشيخها وسيدها وما ينظر الناس إلا إلى هذا الغلام خالد بن يزيد بن معاوية[9] فتزوج أمه فيكون في حجرك وادع إلى نفسك فأنا أكفيك اليمانية فإنهم لا يخالفونني -وكان مطاعا عندهم- على أن تبايع لي من بعدك قال: نعم كان مروان قد أطمع خالد بن يزيد بن معاوية في بعض الأمر، ثم بدا له، فعقد لابنيه عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان بالخلافة بعده. فأراد أن يضع من خالد بن يزيد ويقصر به ويزهد الناس فيه، وكان إذا دخل عليه أجلسه معه إلى سريره، فدخل عليه يوما فذهب ليجلس مجلسه الذي كان يجلسه، فقال له مروان وزبره: تنح يا ابن الرطبة*،والله ما وجدت لك عقلا. فانصرف خالد وقتئذ مغضبا حتى دخل على أمه فقال: فضحتني، وقصرت بي، ونكست برأسي، ووضعت أمري. قالت: وما ذاك؟ قال: تزوجت هذا الرجل فصنع بي كذا وكذا؛ ثم أخبرها بما قال له، فقالت: لا يسمع هذا منك أحد، ولا يعلم مروان أنك أعلمتني بشيء من ذلك، وادخل عليه كما كنت تدخل، واطو هذا الأمر حتى ترى عاقبته، فإني سأكفيكه وأنتصر لك منه. فسكت خالد وخرج إلى منزله، وأقبل مروان فدخل على أم خالد بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة[10] وهي امرأته، فقال لها: ما قال لك خالد، وما قلت له اليوم، وما حدثك به عني؟ فقالت: ما حدثني بشيء ولا قال لي. فقال: ألم يشكني إليك، ويذكر تقصيري به، وما كلمته به؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، أنت أجل في عين خالد، وهو أشد لك تعظيما من أن يحكي عنك شيئا، أو يجد من شيء تقوله، وإنما أنت بمنزلة الوالد له. فانكسر مروان، وظن أن الأمر على ما حكت له، وأنها قد صدقت. ومكث حتى إذا كان بعد ذلك وحانت القائلة، فنام عندها، فوثبت هي وجواريها فغلقن الأبواب على مروان، ثم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه، فلم تزل هي وجواريها يغممنه حتى مات. ثم قامت فشقت عليه جيبها، وأمرت جواريها وخدمها فشققن وصحن عليه وقلن: مات أمير المؤمنين فجأة. وذلك في هلال شهر رمضان سنة 65 هـ. وكان مروان يومئذ ابن 64 سنة، وكانت ولايته على الشام ومصر لم يعد بعد ذلك 8 أشهر، ويقال: 6 أشهر. وقد قال علي بن أبي طالب له يوما ونظر إليه: ليحملن راية الضلال بعدما يشيب صدغاه، وله إمرة كلحسة الكلب أنفه.وقيل أيضا نظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك.

قال ابن وهب : سمعت مالكا يحدث أن مروان بن الحكم تذكر يوما فقال: قرأت كتاب الله مذ أربعين سنة ثم أصبحت فيما أنا فيه من هراق الدماء وهذا الشأن. وبايع أهل الشام بعده لعبد الملك بن مروان، فكانت الشام ومصر في يد عبد الملك كما كانتا في يد أبيه، وكانت العراق والحجاز في يد ابن الزبير، وكانت الفتنة بينهما سبع سنين، ثم قتل ابن زبير بمكة يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة 73 هـ وهو ابن 72 سنة، واستقام الأمر لعبد الملك بن مروان بعده.

قال سعيد بن عامر : قضى عمر بن عبد العزيز بقضية، فقال له رجل: خالفت جدك. ففزع فقال: أي جد؟ فقال: مروان. قال: فما التفت إليه، وكان توهمه عمر بن الخطاب.

----

* (قنسرين) وتقع بين حماة وحلب على مسافة 25كم جنوبي غربي حلب وهي حدودبلاد الشام التي تحاذي فارس في الشمال الغربي (أذرِعات) بلد في طرف الشام. وهي مدينة البثينة. (رطبة) فاجرة، وفي شتائمهم: يا ابن الرطبة.

■ (10) فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ولقبها حبة، وقيل لقبها:حية، زوج يزيد بن معاوية وأم ابنه خالد، وكان زوجها يزيد يكنيها بـ أم خالد، فابنها خالد بن يزيد بن معاوية. بعد ذلك تزوجها مروان، وقيل هي التي قتلت مروان.

■ (1) معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان لقبه: الراجع إلى الحق. بويع له بدمشق بعد وفاة أبيه سنة 64 هـ فمكث 40 يوما، أو 3 أشهر، مات سنة 64 هـ وهو ابن 23 سنة. وكان شابا صالحا دينا خيرا ؛ ولهذا يقال: يزيد شر بين خيرين.أي بين والده معاوية وبين ابنه معاوية.

■ (6) مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو عبد الله، ولد سنة 2 هـ توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثم عزله. ثم أصبح رابع ملوك الدولة الأموية وتوفي سنة 65 هـ.

■ (3) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري أبو عبد الله سكن الكوفة مدة وكان يليها لمعاوية ثم خرج إلى الشام فسكنها وولى قضاء دمشق، قيل وولي الكوفة ليزيد بن معاوية، وقتل بحمص وكان عاملا لابن الزبير على حمص سنة 65 هـ

■ (4) زفر بن الحارث الكلابي، أبو الهذيل، والد مزاحم بن زفر يروي عن عائشة ومعاوية. كان رسول معاوية إلى عائشة بوقعة صفين. نزل البصرة ثم خرج عنها بعد وقعة الجمل فشهد وقعة المرج مع الضحاك بن قيس وذكر أنه مات في أيام عبد الملك نحو سنة 75 هـ

■ (7) عمرو بن سعيد بن العاص، يسمى الأشدق ولطيم الشيطان، ولي المدينة ليزيد، وكان مروان قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك فقتله عبد الملك، فقيل أنها كانت أول غدرة كانت في الإسلام، دخل مصر مع مروان وقتل سنة 69 هـ وقيل 70 هـ

■ (8) عبيد الله بن زياد بن عبيد، المعروف بابن زياد، وابن مرجانة وهي أمه، (أبوه: زياد بن أبي سفيان ويقال له: زياد بن أبيه، وابن سمية) كان والي العراق بعد أبيه ليزيد بن معاوية. قتله إبراهيم بن مالك سنة 67 هـ وكان شمر بن ذي الجوش قائد الميسرة في جيش ابن زياد. وهو قاتل الحسين بن علي.

■ (9) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي القرشي، هو أول من اهتم من العرب بعلم الكيمياء وترجم الكتب. ولد 51 هـ وتوفي سنة 90 هـ وهو أخو معاوية بن يزيد ثالث ملوك بني أمية.

■ (5) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري، أبو أمية، أو أبو أنيس: سيد بني فهر، في عصره. شهد فتح دمشق، وسكنها. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية على الكوفة سنة 53 هـ بعد موت زياد بن أبيه فتفقد الخورنق قصر النعمان وأصلحه. ونقل إلى ولاية دمشق، فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد. ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه، انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق. ومات معاوية سنة 64 هـ فأقبل أهل دمشق على الضحاك، فبايعوه على أن يصلي بهم، ويقيم لهم أمرهم، حتى يجتمع الناس على خليفة وانعقدت البيعة العامة لمروان بن الحكم، والضحاك في مرج راهط، فامتنع على مراون، فقتل في مرج راهط سنة 65 هـ

■ (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة ورواية عن النبي وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

☪

كان السبب في بيعة مروان أن عبد الله بن الزبير لما بويع له بالحجاز والعراق استعمل أخاه عبيدة بن الزبير على المدينة، فأخرج مروان وابنه منها إلى الشام ؛ فلما قدم الحصين بن نمير ومن معه إلى الشام أخبر مروان بما كان بينه وبين ابن الزبير، وقال له ولبني أمية: أقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شامكم ، فتكون فتنة عمياء صماء. وكان من رأى مروان أن يسير إلى عبد الله بن الزبير فيبايعه، فلما قدم عبيد الله بن زياد من العراق قال لمروان: لقد استحييت لك من ذلك، وأنت كبير قريش وسيدها؛ وقبح ذلك عليه، فقال: ما فات شيء بعد، وقام إليه بنو أمية ومواليهم فتجمع إليه أهل اليمن، فسار إلى دمشق فقدمها والضحاك بن قيس الفهري يصلي بالناس قد بايعوه على ذلك إلى أن يتفق رأى الناس على إمام ، وهو يدعو إلى ابن الزبير سرا ، والنعمان بن بشير الأنصاري بحمص يبايع له أيضا. وكان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي غلاما لمعاوية وابنه يزيد بفلسطين وهو يريد بني أمية. فكتب حسان إلى الضحاك كتابا يعظم فيه حق بني أمية وحسن بلائهم ، ويذم ابن الزبير ، وأنه خلع خليفتين ، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس. وكتب كتابا آخر، وسلمه إلى رسوله واسمه ناغضة، وقال له: إن قرأ الضحاك كتابي على الناس وإلا فاقرأ هذا الكتاب عليهم . وكتب حسان إلى بني أمية أن يحضروا ذلك ، فقدم ناغضة، فدفع كتاب الضحاك إليه وكتاب بني أمية إليهم. فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر، فقال له ناغضة: اقرأ كتاب حسان على الناس. فقال له: اجلس، فجلس، ثم قام الثانية والثالثة وهو يأمره بالجلوس، فأخرج ناغضة الكتاب الذي معه، وقرأه على الناس، فقام يزيد بن أبي النمس الغساني، وسفيان ابن الأبرد الكلبي، فصدقا حسانا، وشتما ابن الزبير، وقام عمرو ابن يزيد الحكمي فشتم حسانا، وأثنى على ابن الزبير، واضطرب الناس، فأمر الضحاك بيزيد وسفيان فحبسا، ووثبت كلب على عمر بن يزيد فضربوه وخرقوا ثيابه، وقام خالد بن يزيد، فسكن الناس، ونزل الضحاك فصلى الجمعة بالناس، ودخل القصر فجاءت كلب فأخرجوا سفيان، وجاءت غسان فأخرجوا يزيد، وكان أهل الشام يسمون ذلك اليوم يوم جيرون الأول. ثم خرج الضحاك إلى المسجد، وذكر يزيد بن معاوية فسبه، فقام إليه شاب من كلب فضربه بعصا، فقام الناس بعضهم إلى بعض فاقتتلوا؛ فقيس تدعو إلى ابن الزبير ونصرة الضحاك، وكلب تدعو إلى بني أمية. ودخل الضحاك دار الإمارة، ولم يخرج من الغد لصلاة الفجر، وبعث إلى بني أمية فاعتذر إليهم، وأنه لا يريد ما يكرهون، وأمرهم أن يكتبوا إلى حسان، ويكتب معهم ليسير من الأردن إلى الجابية، ويسيرون هم من دمشق إليها فيجتمعون بها ويبايعون لرجل من بني أمية، فرضوا، وكتبوا إلى حسان، وسار الضحاك وبنو أمية نحو الجابية، فأتاه ثور بن معن السلمي، فقال: دعوتنا إلى ابن الزبير فبايعنا على ذلك، وأنت تسير إلى هذا الأعرابي من كلب يستخلف ابن أخته خالد بن يزيد. قال الضحاك: فما الرأي ؟ قال: الرأي أن نظهر ما كنا نكتم وندعو إلى ابن الزبير، فرجع الضحاك بمن معه من الناس، فنزل مرج راهط ودمشق بيده، واجتمع بنو أمية وحسان وغيرهم بالجابية، فكان حسان يصلي بهم أربعين يوما والناس يتشاورون، وكان مالك بن هبيرة السكوني يهوى خالد بن يزيد والحصين بن نمير يميل إلى مروان، فقال مالك للحصين: هلم نبايع هذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه وهو ابن أختنا، وقد عرفت منزلتنا من أبيه، فإنه يحملنا على رقاب العرب. يعني خالد بن يزيد . فقال الحصين: لا والله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيها بصبي. فقال مالك:والله لئن استخلفت مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها، إن مروان أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، فإن بايعتموه كنتم عبيدا لهم، ولكن عليكم بابن أختكم خالد، فقال الحصين: إني رأيت في المنام قنديلا معلقا من السماء وأن من يلي الخلافة يتناوله، فلم ينله إلا مروان؛ والله لنستخلفنه. وقام روح بن زنباع الجذامي فقال: أيها الناس، إنكم تذكرون عبد الله بن عمر وصحبته وقدمه في الإسلام ، وهو كما تذكرون، ولكنه ضعيف، وليس بصاحب أمة محمد الضعيف، وتذكرون ابن الزبير وهو كما تذكرون، إنه ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمه ذات النطاقين، ولكنه منافق قد خلع خليفتين: يزيد وابنه معاوية وسفك الدماء وشق عصا المسلمين، وليس المنافق بصاحب أمة بمحمد وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الإسلام صدع إلا كان ممن يشعبه، وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان يوم الدار، والذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل، وإنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير، ويستشبوا* الصغير، يعنى بالكبير مروان، وبالصغير خالد بن يزيد.فأجمع رأيهم على البيعة لمروان، ثم لخالد ابن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد على أن إمرة دمشق لعمرو، وحمص لخالد. فدعا حسان خالدا، فقال: يا بن أختي؛ إن الناس قد أبوك لحداثة سنك، وإني والله ما أريد المر إلا لك ولأهل بيتك، وما أبايع مروان إلا نظرا لكم. فقال خالد: بل عجزت عنا. فقال: والله ما أنا عجزت، ولكن الرأي لك ما رأيت. ثم بايعوا مروان لثلاث خلون من ذي القعدة سنة 64 هـ

☪

روى الشعبي قال: قال مروان لأيمن بن خريم يوم المرج يوم قتل الضحاك بن قيس: ألا تخرج فتقاتل معنا؟ قال: لا. إن أبي وعمي شهدا بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعهدا إلي أن لا أقاتل رجلا يشهد أن لا إله إلا الله. قال:ائتني ببراءة من النار فأنا معك، قال: اذهب فلا حاجة لنا فيك، فقال: من الوافر: ولست بقاتل رجلا يصلي..على سلطان آخر من قريش..له سلطانه وعلي إثمي..معاذ الله من جهل وطيش..أأقتل مسلما في غير شيء..فلست بنافعي ما عشت عيشي. قال الواقدي: حديث خريم بن فاتك أنه قال: إن أبي وعمي شهدا بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما شهد أبوه ولا عمه بدرا وأنكر ذلك هو والعلماء وقالوا: أهل بدر أعرف من ذلك لا يستطاع الزيادة فيهم ولا النقصان.

----

*(يستشبوا) ما جاء في حديث شريح : تجوز شهادة الصبيان على الكبار يستشبون أي يستشهد من شب وكبر منهم إذا بلغ. في رواية:(يستشيروا. وأخرى: يسلسوا)

مراجع: مشاهير علماء الأمصار لابن حبان/ ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ تاج العروس/ حياة الصحابة للكاندهلوى/.

كان معاوية[1] بعث لابتناء يابس من قبرس رجلين من الموالي أحدهما: موسى بن نصير[2]، والآخر المهاجر بن دعلج مولى خولان، وولى أبا الأعور السلمي[3] البعث، فلما قدما عليه رأى موسى أجسم من المهاجر، فقال: ما ينبغي للسلطان أن يستعين إلا بالجسيم لهيبته. وكان موسى بن نصير ممن بايع لابن الزبير[4]، وحضر يوم المرج* مع الضحاك[5]، فلما قتل الضحاك لحق موسى بفلسطين، فكان مع نائل بن قيس[6] يدعو إلى ابن الزبير، فأهدر مروان دمه، فاستجار موسى بعبد العزيز بن مروان[7]، فوهبه له مروان وخرج به معه إلى مصر، وهم في طاعة ابن الزبير، وعليهم ابن جحدم[8]، فلما بلغ أهل مصر مسير مروان خندقوا على الفسطاط خندقا واستعدوا لحربه، وواجهوا مراكب مصر إلى سواحل الشام لتخالف إلى ذراريهم وعيالهم، وكان على تلك المراكب الأكدر بن حمام اللخمي[9]، فبلغ مروان في العريش أن مراكب أهل مصر سارت إلى عيالات أهل الشام؛ فراعه ذلك، واستشار موسى بن نصير فقال له موسى: إن كان قد خرجوا في هذه الأيام فقد كفيتهم، فقال مروان: أزبيرية هذه يا موسى؟ قال: سيعلم أمير المؤمنين، أزبيرية هي أم مروانية، إني عالم بهذا البحر. فعقد له مروان على خيل ووجهه، فسار حتى إذا كان ببعض الأيام رأى تكدرا من النجوم ليلة، فقال: لا يبقى الله في البحر مركب إلا تكسر وذهب، فأجاز إلى عكا ويافا، فألفى مراكب أهل مصر ألقاها الريح وتكسرت، فأخذهم موسى أسرى، وهي ست مئة رجل من لخم*. وجعل مروان يتلبث انتظارا لما يأتيه من قبل موسى، وأقبل موسى بالقوم يغذ السير، فأدرك مروان بخربة القتيل بين الفرما* والجفار*، وأتاه بالأسرى، فأجازه مروان بألف دينار. وسار مروان، فلما كان بجرجير* بلغه ما استعد به أهل مصر، فبعث إلى وجوه من معه من أهل الشام وأهل بيته: أشيروا علي في هؤلاء الأسرى، فقال كل برأيه وموسى ساكت، فقال له مروان: ما لك يا بن نصير لا تتكلم؟! قال: أخاف يا أمير المؤمنين من الكلمة التي كانت بالأمس، قال: قل، فلست عندنا ظنينا اليوم، قال: أرى أن تفك عانيهم، وتحسن صفادهم، وتبلغهم مأمنهم، وأن تعف عنهم، فيأتي الرجل قومه فيقول قيل ما لا يستطيعون رده من النبأ عليك، فقبل مروان مشورة موسى وفك عنهم، فقال رجل من مصر من مراد: من الوافر: جزاك الله يا بن نصير خيرا..فقد أحييت من قتل وأسر..عشية قال مروان أشيروا..علي برأيكم في أهل مصر..فقلت بما تراه الحظ نصحا..ولم تك مثل نعمان وعمرو..فمن يكن كافرا نعماك يوما..فإني شاكر لك طول دهري. ثم صالح مروان أهل مصر، ودخلها صلحا سنة خمس وستين، وخرج مروان راجعا إلى الشام، واستخلف على مصر ابنه عبد العزيز وخلف معه بشر بن مروان[10]. وتوفي مروان بالشام، واستخلف عبد الملك[11]، فكتب إلى أخيه بشر بن مروان وهو بمصر يوليه العراق، وكتب عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز أن أشخص مع بشر موسى بن نصير وزيرا. فخرج بشر ومعه موسى، فكان موسى على أمره كله إلى أن توفي بشر بن مروان، ورجع موسى بن نصير إلى مصر، فكان من آثر الناس عند عبد العزيز بن مروان.

----

* (مرج) مرج راهط موضع في غوطة دمشق جرت فيه الوقعة المشهورة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس تفاصيل الوقعة تراها في كتب التواريخ انظر الطبري (بنو لخم) قبيلة من كهلان، ولخم هذا أخو جذام عم كندة، وقد كان للخميين ملك بالحيرة من العراق، وكان لبقاياهم ملك باشبيلية من الاندلس، وهي دولة بني عباد، وأول من ملك منهم القاضي محمد بن اسماعيل ابن قريش بن عباد، وقد ذكر القضاعي في خطط مصر انهم حضروا فتح مصر واختطوا بها ومن خالطهم من جذام. قال الحمداني. وبصعيد مصر، منهم قوم مساكنهم بالبر الشرقي.(الفرما) مدينة على الساحل من ناحية مصر (الجفار) بالكسر أرض من مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر (جرجير) موضع بين مصر والفرما

■ (2) موسى بن نصير بن عبد الرحمن ابن زيد اللخمي بالولاء، أبو عبد الرحمن: فاتح الاندلس. أصله من وادى القرى بالحجاز كان أبوه نصير على حرس معاوية. ونشأ موسى في دمشق، وولي غزو البحر لمعاوية، فغزا قبرس وبنى بها حصونا. وخدم بني مروان، ونبه شأنه. وولي لهم الاعمال، فكان على خراج البصرة في عهد الحجاج، وغزا إفريقية في ولاية عبد العزيز بن مروان. ولما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك، ولاه إفريقية الشمالية وما وراءها من المغرب سنة 88 هـ فأقام بالقيروان، ووجه ابنيه عبد الله ومروان فأخضعا له من بأطراف البلاد من البربر. واستعمل مولاه طارق بن زياد الليثى العربي الأصل على طنجة، وكان قد فتحها وأسلم أهلها، وأمره بغزو شاطئ أوربة، فزحف طارق بقوة قيل: عددها 1988 بربريا ونحو 300 عربي من حامية طنجة، فاحتل سنة 92 هـ جبل كلبى Calpe الذى سمي بعد ذلك جبل طارق Gibraltar وصد مقدمة الاسبانيين، وكانوا بقيادة تدمير Theudemir وعلم الملك روذريق Roderic بهزيمة تدمير، فحشد جيشا من القوط Goths والاسبانيين الرومانيين، يناهز عدده أربعين ألفا، وقابل طارقا على ضفاف وادى لكة Guadalete بقرب شريش Xerez فدامت المعركة ثمانية أيام، وانتهت بمقتل روذريق بيد طارق. وكتب طارق إلى موسى بما كان، فكتب إليه موسى يأمره بأن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به. ولم يعبأ طارق بأمره، خوفا من أن تتاح للاسبانيين فرصة يجمعون بها شتاتهم، وقسم جيشه ثلاثة أقسام وواصل احتلال البلاد، فاستولى قواده في أسابيع على إستجة ومالقة وقرطبة، واحتل بنفسه طليطلة دار مملكة القوط. واستخلف موسى على القيروان ولده عبد الله، وأقبل نحو الاندلس في ثمانية عشر ألفا من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر، فدخل إسبانية في رمضان سنة 93 سالكا غير طريق طارق، فاحتل قرمونة Caramona وإشبيلية وعددا من المدن بين الوادي الكبير Guadalquivir ووادي أنس Guadiana ولم يتوقف إلا أمام مدينة ماردة Merida وكانت حصينة، ففقد كثيرا من رجاله في حصارها، ثم استولى عليها. وتابع السير إلى أن بلغ طليطلة. ولما التقى بطارق عنفه على مخالفته أمره وقيل سجنه مدة وأطلقه، وسيره معه، ثم وجهه لاخضاع شرقي شبه الجزيرة، وزحف هو مغربا، واجتمعا أمام سرقسطة، فاستوليا عليها بعد حصارها شهرا، وتقدم طارق ففتتح برشلونة Barcelona وبلنسية Valence ودانية Denia وغيرها، بينما كانت جيوش موسى تتوغل في قلب شبه الجزيرة وغربها. وهكذا تم لموسى وطارق افتتاح ما بين جبل طارق وسفوح جبال البرانس Pyrennees في أقل من سنة. وجعل موسى يفكر في مشروع عظيم، هو أن يأتي المشرق من طريق القسطنطينية، بحيث يكتسح أوروبا كلها ويعود إلى سوريا عن طريق شواطئ البحر الاسود، فما كاد يتصل خبر عزمه هذا بالخليفة الوليد ابن عبد الملك حتى قلق على الجيش وخاف عواقب الايغال، فكتب إلى موسى يأمره بالعودة إلى دمشق، وأطاع موسى الامر، فاستخلف ابنه عبد العزيز على قرطبة دار إمارة الاندلس واستصحب طارقا معه. ووصل إلى القيروان سنة 95 فولى ابنه عبد الله على إفريقية، ووصل إلى المشرق بما اجتمع له من الغنائم، فدخل مصر ومعه مئة وعشرون من الملوك وأولادهم، في هيئة ما سمع بمثلها، وواصل السير إلى دمشق فدخلها سنة 96 والوليد في مرض موته، فلما ولي سليمان بن الملك استبقاه عنده، وحج معه فمات بالمدينة، وقيل: بل عزله ونكبه، فانصرف إلى وادى القرى بالحجاز وأقام في حال غير مرضية، إلى أن توفي سنة 97 هـ. وكان شجاعا عاقلا كريما تقيا، لم يهزم له جيش قط. أما سياسته في البلاد التى تم له فتحها، فكانت قائمة على إطلاق الحرية الدينية لاهلها، وإبقاء أملاكهم وقضائهم في أيديهم، ومنحهم الاستقلال الداخلي على أن يؤدوا جزية كانت تختلف بين خمس الدخل وعشره أي أقل مما كانوا يدفعونه لحكومة القوط.

■ (6) نائل بن قيس بن زيد بن حباء الجذامي، أرسل ابن الزبير نائلا بحملة بعد وفاة الحنتف بن السجف بوادي القرى وأمره أن يعبر إلى نواحي الشام وأن يكون مسلحة بها ، وفي رواية أخرى تذكر أن ابن الزبير بعث نائلا بعد وفاة مروان، وأمره أن يأتي فلسطين، وعلى اية حال فكلا الروايتين تتفقان على أن عبد الملك بن مروان استطاع أن يقضي على نائل بن قيس بأجنادين وقد قتل نائل وأصحابه بفلسطين 66 هـ.

■ (8) عبد الرحمن بن عقبة بن إياس بن الحارث بن عبد أسد بن جحدم الفهري أمير مصر. وليها من قبل عبد الله بن الزبير بن العوام لما بويع بالخلافة في مكة وبايعه المصريون وتوجه إليه منهم جماعة كثيرة وبايعوه، فأرسل إليهم عبد الرحمن هذا فوصل إلى مصر في شعبان سنة أربع وستين في إمرة سعيد بن يزيد؛ ودخل معه مصر جماعة كثيرة من الخوارج وأظهروا دعوة عبد الله بن الزبير بمصر ودعوا الناس لبيعته، فتابعهم الناس والجند على ما في قلوبهم من الحب في الباطن لبني أمية.

■ (7) عبد العزيز بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص أمير مصر، أبو الأصبغ المدني ولي العهد بعد أخوه عبد الملك عقد له بذلك أبوه واستقل بملك مصر عشرين سنة وزيادة. وهو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز. يروي عن أبيه، وأبي هريرة وعقبة بن عامر وابن الزبير. روى عنه ابنه؛ عمر بن عبد العزيز، والزهري، وكثير بن مرة، وعلي بن رباح، وابن أبي ملكية، وبحير بن ذاخر. ولد سنة 27 هـ ومات سنة 85 هـ. وقيل سنة 86 هـ والأول أصح، وقد كان مات قبله ابنه أصبغ بستة عشر يوما، فحزن عليه ومرض ومات بحلوان؛ مدينة صغيرة أنشأها على بريد فوق مصر وعاش أخوه عبد الملك بعده فلما جاءه نعيه عقد بولاية العهد لابنيه: الوليد ثم سليمان.

■ (4) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة ورواية عن النبي وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ.

■ (3) عمرو بن سفيان بن عبد شمس أبو الأعور السلمي وهو مشهور بكنيته كان من أعيان أصحاب معاوية وعليه كان مدار الحرب بصفين. توفي أبو الأعور السلمي في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان.

■ (5) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري، أبو أمية، أو أبو أنيس: سيد بني فهر، في عصره. شهد فتح دمشق، وسكنها. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية على الكوفة سنة 53 هـ بعد موت زياد بن أبيه فتفقد الخورنق قصر النعمان وأصلحه. ونقل إلى ولاية دمشق، فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد. ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه، انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق. ومات معاوية سنة 64 هـ فأقبل أهل دمشق على الضحاك، فبايعوه على أن يصلي بهم، ويقيم لهم أمرهم، حتى يجتمع الناس على خليفة وانعقدت البيعة العامة لمروان بن الحكم، والضحاك في مرج راهط، فامتنع على مراون، فقتل في مرج راهط سنة 65 هـ

■ (1) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (9) الاكدر بن حمام بن عامر بن صعب اللخمي: سيد لخم وشيخها بمصر. كان من العقلاء الشجعان النبلاء. حضر فتح مصر هو وأبوه. ولما بايع المصريون لعبد الله بن الزبير كان الاكدر في جملة الداعين إليه وأحد من بايعوه مختارين. قتله مروان بن الحكم بعد استيلائه على مصر سنة 65 هـ.

■ (10) بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الاموي. أمير، كان سمحا جوادا. ولي إمرة العراقين البصرة والكوفة لاخيه عبد الملك سنة 74 هـ. وهو أول أمير مات بالبصرة سنة 75 هـ توفي عن نيف وأربعين سنة.

■ (11) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الوليد، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

☪

قال إبن قتيبة الدينوري: ذكروا أن الوليد بن عبد الملك بن مروان لما بلغه مسير موسى بن نصير إلى الأندلس ووصفت له ظن أنه يريد أن يخلع ويقيم فيها ويمتنع بها، وقيل ذلك له، وأبطأت كتب موسى عليه لاشتغاله بما هنالك من العدو وتوطيئه لفتح البلاد، فأمر الوليد القاضي أن يدعو على موسى إذا قضى صلاته، وأن موسى لما دخل طليطلة بعث علي بن رباح[1] بفتحها وأوفد معه وفدا فسار حتى قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد فألفى القاضي يدعو على موسى. فقال: أيها الناس، الله الله في موسى، والدعاء عليه، والله، ما نزع يدا من طاعة، ولا فارق جماعة، وإنه لفي طاعة أمير المؤمنين، والذب عن حرمات المسلمين، والجهاد للمشركين، وإني لأحدثكم عهدا به، وما قدمت الآن إلا من عنده، وإن عندي خبره، وما أفاء الله على يده لأمير المؤمنين، وما أمد به المسلمين ما تقر به أعينكم، ويسر به خليفتكم. قال: وذكروا أن الوليد لما بلغه خبر هذا المتكلم الوافد من عند موسى أرسل إليه، فأدخل عليه ثم قال له: ما وراءك؟ فقال: كل ما تحب يا أمير المؤمنين، تركت موسى بن نصير في الأندلس وقد أظهره الله ونصره وفتح على يديه ما لم يفتح على يد أحد، وقد أوفدني إلى أمير المؤمنين في نفر من وجوه من معه بفتح من فتوحه، فدفع إليه الكتاب من عند موسى فقرأه الوليد. فلما أتى على آخره خر ساجدا فلما رفع رأسه، أتاه فتح آخر فخر أيضا ساجدا، ثم رفع رأسه فأتاه آخر بفتح آخر، وخر ساجدا حتى ظننت أنه لا يرفع رأسه.

قال وذكروا أن هرم بن عياض حدثهم عن رجل من أهل العلم أنه كان مع موسى بالأندلس حين فتح البيت الذي كانت فيه المائدة التي ذكروا أنها كانت لسليمان بن داود عليه السلام. فقال كان بيتا عليه أربعة وعشرون قفلا كان كلما تولى ملك جعل عليه قفلا اقتداء منه بفعل من كان قبله حتى إذا كانت ولاية لذريق[2] القرطبي الذي افتتحت الأندلس على يديه وفي ملكه قال: والله لا أموت بغم هذا البيت ولأفتحنه حتى أعلم ما فيه فاجتمعت إليه النصرانية والأساقفة والشمامسة وكل منهم معظم له. فقالوا له: ما تريد بفتح هذا البيت؟! فقال: والله لا أموت بغمه ولأعلمن ما فيه. فقالوا: أصلحك الله إنه لا خير في مخالفة السلف الصالح وترك الإقتداء بالأولية، فاقتد بمن كان قبلك وضع عليه قفلا كما صنع غيرك، ولا يحملك الحرص على ما لم يحملهم عليه فإنهم أولى بالصواب منا ومنك. فأبى إلا فتحه. فقالوا له: انظر ما ظننت أن فيه من المال والجواهر وما خطر على قلبك فإنا ندفعه إليك ولا تحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان قبلك من ملوكنا فإنهم كانوا أهل معرفة وعلم، فأبى إلا فتحه ففتحه فوجد فيه تصاوير العرب ووجد كتابا فيه إذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا هذه البلاد فملكوها. فكان دخول المسلمين من العرب إليه في ذلك العام.

■ (1) علي بن رباح بن قصير بن قشيب بن يبنع الامام الثقة أبو موسى اللخمي المصري. كان من كبار علماء التابعين، وله وفادة على معاوية، قال: وذهبت عينه يوم غزوة ذات الصواري في البحر مع الامير عبد الله بن سعد بن أبي سرح في سنة أربع وثلاثين. وكانت له منزلة من الامير عبد العزيز بن مروان، وهو الذي زف بنته أم البنين إلى الشام حتى عمل عرسها على الوليد بن عبدالملك، ثم إن عبد العزيز تغير عليه، فأغزاه إلى إفريقية، فلم يزل مرابطا بها إلى أن مات سنة 114 هـ، وقال الحسن بن علي العداس: توفي سنة 117 هـ. وعلى أن يكون ولد عام اليرموك فقد تعدى المئة

■ (2) لذريق أو رودريك أو رودريغو هو ملك قوطي حكم هسبانيا لفترة وجيزة بين 92 و 94. وهو الشهير في الأسطورة بأنه آخر ملوك القوطيين. توفي 93 أو 94.

مراجع: الأعلام للزركلي/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب/ عمر بن عبد العزيز/ الإمامة والسياسة/

◆ عبد العزيز بن مروان، أمير مصر (عامل مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي، رابع ملوك الدولة الأموية) وسفيان بن وهب الخولاني 0345

عن يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير حدثه: أن عبد العزيز بن مروان[1] قال لكريب بن أبرهة[2]: أحضرت خطبة عمر بن الخطاب بالجابية؟ قال: لا، قال: فمن يحدثنا عنها؟ قال كريب: إن بعثت إلى سفيان بن وهب الخولاني[3] حدثك عنها. فأرسل إليه، فقال: حدثني عن خطبة عمر بن الخطاب يوم الجابية. قال سفيان: إنه لما اجتمع الفيء أرسل أمراء الأجناد إلى عمر بن الخطاب أن يقدم بنفسه، فقدم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن هذا المال نقسمه على من أفاء الله عليه بالعدل إلا هذين الحيين من لخم* وجذام*، فلا حق لهم فيه. فقام إليه أبو حديرة الأجذمي[4]، فقال: ننشدك الله يا عمر في العدل! فقال عمر: العدل أريد: أنا أجعل أقواما أنفقوا في الظهر، وشدوا الغرض*، وساحوا في البلاد مثل قوم مقيمين في بلادهم؟ ولو أن الهجرة كانت بصنعاء أو عدن ما هاجر إليها من لخم وجذام أحد! فقام أبو حديرة، فقال: إن الله وضعنا من بلاده حيث شاء، وساق إلينا الهجرة في بلانا، فقبلناها، ونصرناها، أفذلك يقطع حقنا يا عمر؟ قال: لكم حقكم مع المسلمين. ثم قسم، فكان للرجل نصف دينار. فإذا كانت معه امرأته أعطاه دينارا. ثم دعا ابن قاطوراء[5] صاحب الأرض، فقال: أخبرني ما يكفي الرجل من القوت في الشهر، وفي اليوم. فأتي بالمدي* والقسط*، فقال: يكفيه هذان المديان في الشهر، وقسط زيت، وقسط خل. فأمر عمر بمديين من قمح، فطحنا، ثم عجنا، ثم خبزا، ثم أدمهما بقسطين من زيت، ثم أجلس عليهما ثلاثين رجلا، فكان كفاك شبعهم. ثم أخذ عمر المديين بيمينه، والقسط بيساره، ثم قال: اللهم لا أحل لأحد أن ينقصهما بعدي، اللهم فمن نقصهما فانقص من عمره. فغضب عبد العزيز وقال: إنك شيخ قد خرفت! قال سفيان: قد اعتذر الله لي في العمر، ثم قال عمر بن الخطاب: هل من شراب؟ فقال: عندنا العسل، ولا يشبع، وعندنا شراب نشربه من العنب، فدعا به عمر، فأتي به وهو مثل الطلاء –طلاء الإبل– فأدخل عمر فيه اصبعه، ثم قال: ما أرى بهذا بأسا.

----

*(لخم) حي من اليمن، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية، وهم آل عمرو بن عدي بن نصر اللخمي(جذام) قبيلة من اليمن تنزل بجبال حسمى، تزعم نساب مضر أنهم من معد. (الغرض) حزام الرحل وأغرضت البعير: شددت عليه الغرض (المدي) مكيال لاهل الشام يسع خمسة عشر مكوكا والمكوك: صاع ونصف (القسط) نصف صاع (طلاء الابل) هو القطران وطلى به البعير (الجابية) قرية من أعمال دمشق، ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران.

■ (3) سفيان بن وهب الخولاني، أبو اليمن: صحابي، من الامراء. حج مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، وشهد فتح مصر، وغزا إفريقية سنة 60 هـ أميرا لعبد العزيز بن مروان، ثم دخلها سنة 78 هـ وتوفي فيها سنة 82 هـ.

■ (1) عبد العزيز بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص أمير مصر، أبو الأصبغ المدني ولي العهد بعد أخوه عبد الملك عقد له بذلك أبوه واستقل بملك مصر عشرين سنة وزيادة. وهو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز. يروي عن أبيه، وأبي هريرة وعقبة بن عامر وابن الزبير. روى عنه ابنه؛ عمر بن عبد العزيز، والزهري، وكثير بن مرة، وعلي بن رباح، وابن أبي ملكية، وبحير بن ذاخر. ولد سنة 27 هـ ومات سنة 85 هـ. وقيل سنة 86 هـ والأول أصح، وقد كان مات قبله ابنه أصبغ بستة عشر يوما، فحزن عليه ومرض ومات بحلوان؛ مدينة صغيرة أنشأها على بريد فوق مصر وعاش أخوه عبد الملك بعده فلما جاءه نعيه عقد بولاية العهد لابنيه: الوليد ثم سليمان.

■ (2) كريب بن أبرهة بن الصباح بن مرثد الاصبحي: أمير يماني، من التابعين. وقيل: له صحبة. شهد فتح مصر، وسكن الجيزة. وشهد صفين مع معاوية. وانتهت إليه سيادة من بالشام من بني حمير. ولي كريب الإسكندرية لعبد العزيز بن مروان أمير مصر، وتوفي سنة 75 هـ

■ (4) أبو حديرة ويقال أبو حديرج ويقال: أبو حدير الجذامي ويقال: الأجذمي، ويقال: اللخمي. ثم من بني جذيم بن لخم أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، شهد خطبة عمر بالجابية.

■ (5) ابن قاطوراء...؟ ابن الناظور أو ابن الناطور (وفي روايات: ابن قاطور أو ابن فاطور) صاحب إيلياء و هرقل أسقفه على نصارى الشام وكانا من علماء النصارى بالدين، زميلين في الدين النصراني.

قيل لما انصرف مروان بن الحكم من مصر إلى الشام استعمل عبد العزيز ابنه على مصر ،وقال له حين ودعه: أرسل حكيما ولا توصه. أي بني، انظر إلى عمالك، فإن كان لهم عندك حق غدوة فلا تؤخرهم إلى عشية، وإن كان لهم عشية فلا تؤخرهم إلى غدوة، وأعطهم حقوقهم عند محلها تستوجب بذلك الطاعة منهم. وإياك أن يظهر لرعيتك منك كذب، فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق. واستشر جلساءك وأهل العلم؛ فإن لم يستبن لك فاكتب إلي يأتك رأيي فيه إن شاء الله تعالى. وإن كان بك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب، واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب منطفئ الجمرة، فإن أول من جعل السجن كان حليما ذا أناة. ثم انظر إلى ذوي الحسب والدين والمروءة فليكونوا أصحابك وجلساءك؛ ثم ارفع منازلهم منك على غيرهم، على غير استرسال ولا انقباض، أقول هذا وأستخلف الله عليك.

قال ابن أبي مليكة: شهدت عبد العزيز عند الموت يقول: يا ليتني لم أكن شيئا، يا ليتني كهذا الماء الجاري. وقيل: قال: هاتوا كفني، أف لك، ما أقصر طويلك وأقل كثيرك. وعن حماد بن موسى، قال: لما احتضر عبد العزيز، أتاه البشير يبشره بماله الواصل في العام، فقال: مالك؟ قال: هذه ثلاث مائة مدي من ذهب. قال: مالي وله لوددت، أنه كان بعرا حائلا بنجد. قلت: هذا قول كل ملك كثير الأموال، فهلا يبادر ببذله.

قال المقريزي: قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما افتتحت القادسية، وصالح من صالح من أهل السواد، وافتتحت دمشق وصالح أهل الشام. قال عمر رضي الله عنه للناس: اجتمعوا فأحضروني علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسية وأهل الشام، فاجتمع رأي علي وعمر رضي الله عنهما أن يأخذوه من قبل القرآن فقالوا: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ يعني: من الخمس ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ يعني: من الله الأمر وعلى الرسول القسم.﴿وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ ثم فسروا ذلك بالآية الأخرى التي تليها:﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ [الحشر] فأخذوا أربعة الأخماس على ما قسم عليه الخمس فيمن بدئ به، وثنى وثلث وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه المغنم، ثم استشهدوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال] من تلك الطبقات الثلاث وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه، فقسم الأخماس على ذلك، فاجتمع على ذلك عمر وعلي، وعمل به المسلمون بعد ذلك، فبدأ بالمهاجرين ثم الأنصار ثم التابعين الذين شهدوا معهم، وأعانوهم ثم فرض الأعطية من الجزاء على من صالح، أو دعا إلى الصلح من حرابة فرق عليهم بالمعروف، وليس في الجزء أخماس الجزء لمن منع الذمة، ووفى لهم ممن ولي ذلك منهم، ولمن لحق بهم، فأعانهم بأسوة إلا أن يواسوا بفضله عن طيب أنفس منهم، من لم ينل مثل الذي نالوا.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال عمر رضي الله عنه: إني مجمد المسلمين على الأعطية ومدونهم ومتحري الحق، فقال عبد الرحمن بن عوف وعثمان وعلي رضي الله عنهم: ابدأ بنفسك، قال: لا أبدأ إلا بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأقرب فالأقرب منهم من رسول الله، ففرض للعباس، وبدأ به، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف، ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر رضي الله عنه عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، ودخل في ذلك من شهد الفتح، وقاتل عن أبي بكر ومن ولي الأيام قبل القادسية، كل هؤلاء على ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، ثم فرض لأهل القادسية، وأهل الشام أصحاب اليرموك ألفين ألفين، وفرض لأهل البلاد النازح منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة، فقيل له: لو ألحقت أهل القادسية بأهل الأيام، فقال: لم أكن لألحقهم بدرجة من لم يدركوا لاها الله إذن، وقيل له: قد سويتهم على بعد دارهم بمن قد قربت داره، وقاتل عن فنائه، فقال: هم كانوا أحق بالزيادة لأنهم كانوا ردء الحقوق، وشجى للعدو. وأيم الله ما سويتهم حتى استطبتهم، فهلا قال المهاجرون مثل قولهم حين سوينا بين السابقين من المهاجرين، وبين الأنصار، وقد كانت نصرة الأنصار بفنائهم، وهاجر إليهم المهاجرون من بعد، وفرض للروادف الذين ردفوا بعد افتتاح القادسية واليرموك بعد الفتح ثلثمائة ثلثمائة سوى كل طبقة في العطاء ليس بينهم تفاضل، قويهم وضعيفهم عربيهم وأعجميهم في طبقاتهم سواء حتى إذا حوى أهل الأمصار من حووا من سباياهم، وردفت المربع من الروادف فرض لهم على خمسين ومائتين، وفرض لمن ردف من الروادف الخمس على مائتين، فكان آخر من فرض له عمر رضي الله عنه أهل هجر على مائتين، ومات عمر على ذلك.

وأدخل في أهل بدر أربعة من غير أهل بدر: الحسن والحسين وأبا ذر وسلمان، وقال أبو سلمة: فرض عمر للعباس على خمسة وعشرين ألفا. وقال الزهري: على اثني عشر ألفا، وجعل نساء أهل بدر إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة، ونساء من بعد ذلك إلى الأيام قبل القادسية على ثلثمائة ثلثمائة، ثم نساء أهل القادسية على مائتين مائتين، ثم سوى بين النساء بعد ذلك، وجعل للصبيان من أهل بدر وغيرهم مائة مائة، ثم دعا ستين مسكينا، فأطعمهم خبزا بملح فأحصوا ما أكلوه فوجدوه يخرج من جزيتين، ففرض لكل إنسان يقوم بالأمر له ولعياله جزيتين جزيتين في كل شهر: مسلمهم وكافرهم، وفرض لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف، إلا من جرى عليه البيع، فقالت أمهات المؤمنين: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن في القسمة ولكن كان يسوي بيننا فسو بيننا، فجعلهن على عشرة آلاف عشرة آلاف، وفضل عائشة رضي الله عنها بألفين، فأبت. فقال لفضل: منزلتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أخذتها فشأنك. وكان الناس أعشارا، فكانت العرفاء ثلاثة آلاف عريف كل عريف على عشرة، ورزق الخيل على أعرافها، فما زالوا كذلك حتى اختطت الكوفة والبصرة، فغيرت العرفاء والأعشار، وجعلت أسباعا، وجعل مائة عريف على كل مائة ألف درهم عريف، وكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلا وثلاثا وأربعين امرأة، وخمسين من العيال لهم مائة ألف درهم، وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلا على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة، ولكل عيل مائة على مائة ألف درهم، وكل عرافة من الرادفة الأولى ستين رجلا وستين امرأة، وأربعين من العيال ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم، وكان العطاء يدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات، والرايات على أيادي العرب فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء، فيدفعونه إلى أهله في دورهم. فمات عمر رضي الله عنه والأمر على ذلك، وقد عزم قبل موته أن يجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف، وقال: لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف، ألف يخلفها الرجل في أهله، وألف يتزودها معه في سفره، وألف يتجهز بها، وألف يترفق بها، فمات وهو في ارتياد ذلك قبل أن يفعل، وكان يقري البعوث على قدر المسافة إن كان بعيدا فسنة، وإن كان دون ذلك فستة أشهر، فإذا أخل الرجل بثغره نزعت عمامته، وأقيم في مسجد حيه، فقيل هذا فلان قد أخل.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ موسوعة الخطب والدروس/

كان الحسن بن الحسن[1] وصي أبيه، وولي صدقة* علي بن أبي طالب في عصره، قال: وكان حجاج بن يوسف[2] قال له يوما، وهو يسايره في موكبه بالمدينة، وحجاج يومئذ أمير المدينة: أدخل عمك عمر بن علي[3] معك في صدقة علي، فإنه عمك وبقية أهلك، قال: لا أغير شرط علي، ولا أدخل فيها من لم يدخل. قال: إذا أدخله معك، فنكص عنه الحسن بن علي حين غفل الحجاج، ثم كان وجهه إلى عبد الملك[4] حتى قدم عليه، فوقف ببابه يطلب الإذن، فمر به يحيى بن الحكم[5]، فلما رآه يحيى عدل إليه فسلم عليه، وسأله عن مقدمه وخبره وتحفى به، ثم قال له: إني سأتبعك عند أمير المؤمنين، يعني عبد الملك – فدخل الحسن على عبد الملك، فرحب وأحسن مساءلته، وكان الحسن بن الحسن قد أسرع إليه الشيب فقال له عبد الملك: لقد أسرع إليك الشيب، ويحيى بن الحكم في المجلس – فقال له يحيى: وما يمنعه، شيبته أماني أهل العراق، كل عام يقدم عليه منهم ركب يمنونه الخلافة، فأقبل عليه الحسن، فقال: بئس والله الرفد رفدت، وليس كما قلت، ولكنا أهل بيت يسرع إلينا الشيب، وعبد الملك يسمع، فأقبل عليه عبد الملك، فقال له: هلم ما قدمت له، فأخبره بقول الحجاج، فقال: ليس ذلك له، اكتبوا إليه كتابا لا يجاوزه، ووصله وكتب له، فلما خرج من عنده، لقيه يحيى بن الحكم، فعاتبه الحسن بن الحسن على سوء محضره، وقال: ما هذا الذي وعدتني، فقال له يحيى: أيها عنك، والله لا يزال يهابك، ولولا هيبته إياك ما قضى لك حاجة، وما ألوتك رفدا.

حدث أبو مصعب، أن عبد الملك بن مروان كتب إلى عامله بالمدينة هشام بن إسماعيل:[6] إنه بلغني أن الحسن بن الحسن يكاتب أهل العراق، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث إليه ليؤتى به، قال: فجيء به إليه، وشغله شيء، قال: فقام إليه علي بن حسين[7]، فقال: يا ابن عم، قل كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين. قال: فجلا للآخر وجهه، فنظر إليه، فقال: أرى وجها قد قشب بكذبة، خلوا سبيله، ولنراجع فيه أمير المؤمنين.وعن عبد الملك بن عمير قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى عثمان بن حيان المري: انظر الحسن بن الحسن فاجلده مئة ضربة، وقفه للناس يوما، ولا أراني إلا قاتله، قال: فبعث إليه، فجيء به، والخصوم بين يديه، قال: فقام إليه علي ابن حسين، فقال: يا أخي تكلم بكلمات الفرج، يفرج الله عنك: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين. قال: فقالها، قال: فانفرجت فرجة من الخصوم فرآه، فقال: أرى وجه رجل قد قرفت عليه كذبة، خلوا سبيله، أنا كاتب إلى أمير المؤمنين بعذره، فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. والرواية الأولى أشبه بالصواب، والله أعلم.

كان عبد الملك بن مروان قد غضب غضبة له، فكتب إلى هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، وهو عامله على المدينة، وكانت بنت هشام بن إسماعيل زوجة عبد الملك، وأم ابنه هشام، فكتب إليه أن أقم آل علي يشتمون علي بن أبي طالب، وآل عبد الله بن الزبير يشتمون عبد الله بن الزبير. فقدم كتابه على هشام فأبى آل علي وآل عبد الله بن الزبير، وكتبوا وصاياهم، فركبت أخت لهشام إليه، وكانت جزلة عاقلة فقالت: يا هشام، أتراك الذي تهلك عشيرته على يده! راجع أمير المؤمنين قال: ما أنا بفاعل. قالت: فإن كان لا بد من أمر فمر آل الزبير يشتمون آل علي.قال: هذه أفعلها.فاستبشر الناس بذلك وكانت أهون عليهم فكان أول من أقيم إلى جانب المرمر الحسن بن الحسن وكان رجلا رقيق البشرة، عليه يومئذ قميص كتان رقيقه، فقال له هشام: تكلم بسب آل الزبير. فقال: إن لآل الزبير رحما أبلها ببلالها، وأربها بربابها، يا قوم، مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار! فقال هشام لحرسي عنده: اضرب. فضربه سوطا واحدا من فوق قميصه، فخلص إلى جلده، فشرخه حتى سال دمه تحت قدمه في المرمر. فقام أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي[9] فقال: أنا دونه أكفيك أيها الأمير، فقال في آل الزبير وشتمهم، ولم يحضر علي بن الحسين[10]،كان مريضا أو تمارض، ولم يحضر عامر بن عبد الله بن الزبير[11]،فهم هشام أن يرسل إليه، فقيل له: إنه لا يفعل أفتقتله! فأمسك عنه، وحضر من آل الزبير من كفاه، وكان عامر يقول: إن الله لم يرفع شيئا فاستطاع الناس خفضه، انظروا إلى ما صنع بنو أمية يخفضون عليا ويغرون بشتمه، وما يزيده الله بذلك إلا رفعة.

----

*صدقة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهي ما خلفه من الفيء الذي كان له فكانت بيد أبي بكر ثم بيد عمر ثم سلمها إلى العباس وعلي ثم غلبه علي عليها وكانت بيده ثم بيد حسن بن علي ثم بيد حسين بن علي ثم بيد علي بن حسين وحسن بن حسن كلاهما كانا يتداولانها ثم بيد زيد بن الحسن.

■ (1) الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد،وهو أخو إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله لأمه، روى عن أبيه الحسن بن علي بن أبي طالب، وابن عمه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وبنت عمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وكانت زوجته. توفي سنة 97 هـ

■ (6) هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة حمو عبد الملك بن مروان (كانت بنت هشام بن إسماعيل زوجة عبد الملك، وأم ابنه هشام) وأميره على المدينة، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد، توفي في حدود 90 هـ.

■ (7) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ألقابه: السجاد، زين العابدين. ويكنى أبو الحسن، أبو محمد، ولد في المدينة المنورة سنة 38 هـ وتوفي فيها سنة 95 هـ، وقيل غير ذلك ودفن بالبقيع. أيضا من أولاد الحسين: علي الأكبر، وعلي الأصغر وكانوا من شهداء كربلاء.

■ (4) أبو الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

■ (2) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ، كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله.

■ (5) يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو مروان الأموي، أخو مروان بن الحكم (رابع ملوك بني أمية). كان يحيى بن الحكم عاملاً على المدينة لعبد الملك بن مروان (خامس ملوك بني أمية).

■ (3) عمر بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب يعد في أهل المدينة. وفد على الوليد بن عبد الملك يسأله أن يوليه صدقة أبيه علي. ولد سنة 28 هـ وتوفي سنة 72 هـ.وقيل قتل مع مصعب بن الزبير. ولا يصح بل ذاك أخوه عبيد الله ابن علي. وقيل قتل أيام ثورة المختار الثقفي. والله أعلم

■ (11) عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام، القانت العابد؛ أبوه الخليفة والصحابي عبد الله بن الزبير، وجده الصحابي الزبير بن العوام. مات سنة 124 هـ وقيل 121 هـ وفي آخر ولاية هشام. وكان عبد الله بن الزبير يقول له، لما يرى من تخشعه: يا بني، إني قد رأيت أبا بكر وعمر، فلم يكونا هكذا. قال الزبير، حدثني عمي مصعب قال: سمع عامر ابن عبد الله المؤذن، وهو يجود بنفسه، ومنزله قريب من المسجد، فقال: خذوا بيدي. فقيل له: أنك عليل! فقال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده، فدخل في صلاة المغرب، فركع مع الإمام ركعة ثم مات.

■ (10) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ألقابه: السجاد، زين العابدين. ويكنى أبو الحسن، أبو محمد، ولد في المدينة المنورة سنة 38 هـ وتوفي فيها سنة 95 هـ، وقيل غير ذلك ودفن بالبقيع. أيضا من أولاد الحسين: علي الأكبر، وعلي الأصغر وكانوا من شهداء كربلاء.

■ (9) أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية المتوفي سنة 98 هـ أو 99 هـ وهو ابن محمد بن الحنفية، وحفيد علي بن أبي طالب.

☪

قال فضيل بن مرزوق: قال الحسن بن الحسن: دخل علي المغيرة بن سعيد، يعني الذي أحرق في الزندقة، فذكر من قرابتي وشبهي برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت أشبه وأنا شاب برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لعن أبا بكر وعمر، فقلت: يا عدو الله، أعندي؟! ثم خنقته، والله، حتى دلع لسانه. قال له رجل من الرافضة: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه ؟ فقال: بلى، ولو أراد الخلافة لخطب الناس فقال: أيها الناس اعلموا أن هذا ولي أمركم من بعدي، وهو القائم عليكم، فاسمعوا له وأطيعوا، والله لئن كان الله ورسوله اختار عليا لهذا الأمر ثم تركه علي لكان أول من ترك أمر الله ورسوله، وقال لهم أيضا: والله لئن ولينا من الأمر شيئا لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ثم لا نقبل لكم توبة، ويلكم غررتمونا من أنفسنا، ويلكم لو كانت القرابة تنفع بلا عمل لنفعت أباه وأمه، لو كان ما تقولون فينا حقا لكان آباؤنا إذ لم يعلمونا بذلك قد ظلمونا وكتمونا أفضل الأمور، والله إني لأخشى أن يضاعف العذاب للعاصي منا ضعفين، كما إني لأرجو للمحسن منا أن يكون له الأجر مرتين، ويلكم أحبونا إن أطعنا الله على طاعته، وأبغضونا إن عصينا الله على معصيته. وعن عبد الله بن صالح العجلي: حدثنا فضيل، يعني ابن مرزوق[1]،عن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قال: سمعته يقول لرجل من الرافضة: والله لئن أمكننا الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم، ثم لا نقبل منكم توبة، فقال له رجل: لم لا تقبل منه توبة؟ قال: نحن أعلم بهؤلاء منكم، إن هؤلاء إن شاؤوا صدقوكم وإن شاؤوا كذبوكم، وزعموا أن ذلك يستقيم لهم في التقية، ويلك إن التقية إنما هي باب رخصة للمسلم، إذا اضطر إليها، وخاف من ذي سلطان، أعطاه غير ما في نفسه، يدرأ عن ذمة الله عز وجل، وليس بباب فضل، إنما الفضل في القيام بأمر الله، وقول الحق، وايم الله* ما بلغ من أمر التقية، أن يجعل بها لعبد من عباد الله، أن يضل عباد الله.

حدث محمد بن يزيد الرفاعي، سمعت أبا بكر بن عياش يقول: رأيت خالدا القسري[2] حين أتى بالمغيرة بن سعيد وأصحابه، وكان يريهم أنه يحيي الموتى، فقتل خالد واحدا منهم، ثم قال للمغيرة: أحيه فقال: والله ما أحيي الموتى، قال: لتحيينه أو لأضربن عنقك، ثم أمر بطن من قصب فأضرموه، وقال: اعتنقه، فأبى، فعدا جل من أتباعه فاعتنقه، قال أبو بكر: فرأيت النار تأكله وهو يشير بالسبابة، فقال خالد: هذا والله أحق بالرئاسة منك، ثم قتله وقتل أصحابه. قلت: كان رافضيا خبيثا كذابا ساحرا، ادعى النبوة، وفضل عليا على الأنبياء، وكان مجسما، سقت أخباره في ميزان الاعتدال. وكان خالد على هناته يرجع إلى إسلام.

☪

قال ابن تيمية: إن أول ما عرف لفظ الرافضة في الإسلام عند خروج زيد بن علي في أوائل المئة الثانية، فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما فرفضه قوم فسموا رافضة.وقال: ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديا لانتسابهم. ومنذ ذلك التاريخ تميزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة، فأصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعتقدها. وقال: الرافضة هم أجهل الطوائف وأكذبها وأبعدها عن معرفة المنقول والمعقول وهم يجعلون التقية من أصول دينهم ويكذبون على أهل البيت كذبا لا يحصيه إلا الله حتى يرووا عن جعفر الصادق أنه قال التقية ديني ودين آبائي. والتقية هي شعار النفاق؛ فإن حقيقتها عندهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وهذا حقيقة النفاق. وعن أبي جعفر محمد الباقر، قال: من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر، فقد جهل بالسنة. قال بعض الأئمة:صدق والله، إنما نشأ من الشيعة والرافضة وغيرهما، ما نشأ من البدع والضلالات؛ من جهلهم بالسنة.

■ (2) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري، أبو يزيد وأبو الهيثم. كان أمير مكة المكرمة للوليد بن عبد الملك، ثم أمير العراقين لهشام بن عبد الملك، ثم عزل وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج.وقتل بالحيرة سنة 126هـ

■ (1) فضيل بن مرزوق الأغر الرقاشي. ويقال: الرؤاسي، أبو عبد الرحمن الكوفي مولى بني عنزة. روى عن أبي إسحاق السبيعي وعطية العوفي والأعمش وغيرهم، قال عنه ابن حجر: صدوق يهم، ورمي بالتشيع، مات في حدود سنة 160 هـ

مراجع: تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ البداية والنهاية/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار/ العقد الفريد/ تاريخ مدينة دمشق/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وعلي بن الحسين 0347

قال ابن شهاب الزهري:[1] شهدت علي بن الحسين[2] يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام فأثقله حديدا، ووكل به حفاظا في عدة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له، فدخلت عليه، وهو في قبة، والأقياد في رجليه والغل في يديه، فبكيت وقلت: وددت أني مكانك وأنت سالم، فقال: يا زهري أوتظن هذا مما ترى علي وفي عنقي يكرثني* (يكربني)؟ أما لو شئت ما كان، فإنه وإن بلغ فيك وفي أمثالك ليذكرني عذاب الله. ثم أخرج يديه من الغل، ورجليه من القيد، ثم قال: يا زهري، لا جزت معهم على ذا منزلتين من المدينة. قال: فما لبثنا إلا أربع ليال حتى قدم الموكلون به يظنون أنه بالمدينة، فما وجدوه، فكنت فيمن سألهم عنه، فقال لي بعضهم: إنا نراه متبوعا، إنه لنازل، ونحن حوله لا ننام نرصده، إذ أصبحنا، فما وجدنا بين محمليه إلا حديده. قال الزهري: فقدمت بين ذلك على عبد الملك بن مروان فسألني عن علي بن الحسين فأخبرته، فقال لي: إنه قد جاءني في يوم فقدوه الأعوان، فدخل علي فقال: ما أنا وأنت؟ فقلت: أقم عندي، فقال: لا أحب، ثم خرج، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس علي بن الحسين حيث تظن، إنه مشغول بنفسه، فقال: حبذا شغل مثله، فنعم ما شغل به. وكان الزهري إذا ذكر علي بن الحسين يبكي، ويقول: زين العابدين.

كان هشام بن إسماعيل[3] يؤذي علي بن حسين وأهل بيته، يخطب بذلك على المنبر، وينال من علي. فلما ولي الوليد بن عبد الملك عزله، وأمر به أن يوقف الناس، فكان يقول: لا والله ما كان أحد من الناس أهم إلي من علي بن حسين، كنت أقول: رجل صالح يسمع قوله، فوقف الناس، فجمع علي بن حسين ولده وخاصته ونهاهم عن التعرض له، وغدا علي بن حسين ماراً لحاجة، فما عرض له، فناداه هشام بن إسماعيل: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

عن عبد الله بن علي بن حسين[4] قال لما عزل هشام بن إسماعيل نهانا أن ننال منه ما نكره فإذا أبي قد جمعنا فقال إن هذا الرجل قد عزل وقد أمر بوقفه للناس فلا يتعرضن له أحد منكم فقلت: يا أبت ولم ؟ والله إن أثره عندنا لسيء وما كنا نطلب إلا مثل هذا اليوم، قال: يا بني نكله إلى الله، فوالله ما عرض له أحد من آل حسين بحرف حتى تصرم أمره.

----

*(يكرثني) كرثه الغم : اشتد عليه

■ (2) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ألقابه: السجاد، زين العابدين. ويكنى أبو الحسن، أبو محمد، ولد في المدينة المنورة سنة 38 هـ وتوفي فيها سنة 95 هـ، وقيل غير ذلك ودفن بالبقيع. أيضا من أولاد الحسين: علي الأكبر، وعلي الأصغر وكانوا من شهداء كربلاء.

■ (1) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب الزهري، كنيته أبو بكر وكان من علماء التابعين أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم.ولد الزهري سنة 51 هـ وقبل سنة 58 هـ في آخر خلافة معاوية. ومات سنة 124 هـ وهو ابن 66 سنة وذلك قبل موت هشام بعام. وقيل إنه مات وهو ابن 72 سنة ودفن بموضع يقال له إدامى وهي خلف شغب وبدا وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز.

■ (3) هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة حمو عبد الملك بن مروان (كانت بنت هشام بن إسماعيل زوجة عبد الملك، وأم ابنه هشام) وأميره على المدينة، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد، توفي في حدود 90 هـ.

■ (4) عبد الله بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب وهي أم جعفر.روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، مرسل.

قال الزهري: ما رأيت هاشميا قط أفضل من علي بن حسين.وهو أبو الحسينيين كلهم. قال يحيى بن سعد: سمعت علي بن الحسين وكان أفضل هاشمي أدركته يقول: يا أيها الناس، أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا.

عن سهل بن شعيب النهمي وكان نازلا فيهم يؤمهم عن أبيه عن المنهال يعني بن عمرو قال: دخلت على علي بن حسين فقلت كيف أصبحت أصلحك الله فقال: ما كنت أرى شيخا من أهل المصر مثلك لا يدري كيف أصبحنا فأما إذ لم تدر أو تعلم فسأخبرك أصبحنا في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وأصبح شيخنا وسيدنا يتقرب إلى عدونا بشتمه أو سبه على المنابر وأصبحت قريش تعد أن لها الفضل على العرب لأن محمدا صلى الله عليه وسلم منها لا يعد لها فضل إلا به وأصبحت العرب مقرة لهم بذلك وأصبحت العرب تعد أن لها الفضل على العجم لأن محمدا صلى الله عليه و سلم منها لا يعد لها فضل إلا به وأصبحت العجم مقرة لهم بذلك فلئن كانت العرب صدقت أن لها الفضل على العجم وصدقت قريش أن لها الفضل على العرب لأن محمدا صلى الله عليه وسلم إن لنا أهل البيت الفضل على قريش لأن محمدا صلى الله عليه وسلم منا فأصبحوا يأخذون بحقنا ولا يعرفون لنا حقا فهكذا أصبحنا إذ لم تعلم كيف أصبحنا قال: فظننت أنه أراد أن يسمع من في البيت.

قال عبد الرحمن بن أردك: كان علي بن الحسين يدخل المسجد فيشق الناس، حتى يجلس مع زيد بن أسلم في حلقته، فقال له نافع بن جبير بن مطعم: غفر الله لك، أنت سيد الناس، تأتي تخطى حتى تجلس مع هذا العبد؟ فقال علي بن الحسين: إن العلم يبتغى فيؤتى ويطلب من حيث كان. وقال مسعود بن مالك: قال علي بن حسين: ما فعل سعيد بن جبير؟ قال: قلت: صالح، قال: ذاك رجل كان يمر بنا فنسائله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء، وأشار بيده إلى العراق. وقال صالح بن حسان: قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت أحدا أورع من فلان، قال: هل رأيت علي بن الحسين؟ قال: لا، قال: ما رأيت أحدا أورع منه. قال طاووس: إني لفي الحجر ذات ليلة إذ دخل علي بن الحسين فقام يصلي، فقلت: رجل صالح من أهل بيت خير، لأصغين إلى دعائه الليلة، فسجد، فسمعته يقول: اللهم عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك، سائلك بفنائك. قال: فحفظتها، فوالله ما دعوتها في كرب إلا فرج عني. قال زيد بن أسلم: كان من دعاء علي بن الحسين يقول: اللهم لا تكلني إلى نفسي فأعجز عنها، ولا تكلني إلى المخلوقين فيضيعوني.

قال أبو نوح الأنصاري: قال: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين، وهو ساجد، فجعلوا يقولون له: يا بن رسول الله ، النار، يا بن رسول الله، النار. فما رفع رأسه حتى طفئت. فقيل له: ما الذي ألهاك عنها؟ قال: ألهتني عنها النار الأخرى.

كان علي بن الحسين إذا مشى لا يجاوز يديه فخذيه، ولا يخطر بيده، وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فقيل له: مالك؟ فقال: ما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي؟ وقيل: إنه كان إذا توضأ اصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟ قال سفيان بن عيينة: حج علي بن الحسين، فلما حرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض، ودفع، غلته الرعدة، ولم يستطع أن يلبي، فقيل له: مالك لا تلبي؟ فقال: أخشى أن أقول: لبيك، فيقول لي: لا لبيك، فقيل له: لابد من هذا، فلما لبى غشي عليه، وسقط من راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه. قال مالك بن أنس: أحرم علي بن الحسين، فلما أراد أن يقول: لبيك اللهم لبيك قالها، فأغمي عليه حتى سقط من راحلته فهشم. قال: وبلغني أنه كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات. وكان يسمى بالمدينة زين العابدين لعبادته. قال أبو جعفر: كان أبي علي بن الحسين يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، فلما حضرته الوفاة بكى، قال: فقلت: يا أبه ما يبكيك؟ فوالله ما رأيت أحدا طلب الله طلبك، ما أقول هذا أنك أبي؛ فقال: يا بني إنه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا كان لله عز وجل فيه المشيئة، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه.

☪

قال زيد بن عبد الرحمن[1]: وفدت مع أبان بن عثمان[2] على عبد الملك بن مروان، وعنده ابن الحنفية[3]، فدعا عبد الملك بسيف النبي صلى الله عليه وسلم، فأتي به، ودعا بصيقل، فنظر إليه فقال: ما رأيت حديدة قط أجود منها. قال عبد الملك: ولا والله ما رأى الناس مثل صاحبها، هب لي يا محمد هذا السيف. فقال محمد: أينا رأيت أحق به فليأخذه، قال عبد الملك: إن كان لك قرابة فلكل قرابة حق. قال: فأعطاه محمد عبد الملك، وقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا يعني الحجاج[4]، وهو عنده قد آذاني، واستخف بحقي، ولو كانت خمسة دراهم أرسل إلي فيها. فقال عبد الملك: لا إمرة لك عليه. فلما ولى محمد قال عبد الملك للحجاج: أدركه فسل سخيمته، فأدركه، فقال: إن أمير المؤمنين قد أرسلني إليك لأسل سخيمتك، ولا مرحبا بشيء ساءك. فقال محمد: ويحك يا حجاج! اتق الله، واحذر الله، ما من صباح يصبحه العباد إلا لله في كل عبد ثلاث مئة وستون لحظة، إن أخذ أخذ بقدرة، وإن عفا عفا بحلم، فاحذر الله، فقال الحجاج: لا تسألني شيئا إلا أعطيتكه. فقال له محمد: وتفعل؟ قال له الحجاج: نعم. قال: فإني أسألك صوم الدهر. قال: فذكر الحجاج ذلك لعبد الملك، فأرسل عبد الملك إلى رأس الجالوت، فذكر له الذي قال محمد، فقال: إن رجلا منا ذكر حديثا ما سمعناه إلا منه، وأخبره بقول محمد، فقال رأس الجالوت: ما خرجت هذه الكلمة إلا من بيت نبوة.

----

*(الصيقل) شحاذ السيوف وجلاؤها والجمع صياقل(السخيمة) الحقد

■ (1) زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي وفد على عبد الملك بن مروان. وأمه حجية بنت غريض.

■ (3) محمد بن علي بن أبي طالب، أبو القاسم، المعروف بابن الحنفية، أمه الحنفية خولة بنت جعفر. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وتوفي سنة81 هـ وقيل 83 هـ وقيل72 هـ أو 73 هـ بالمدينة، وصلى عليه أبان بن عثمان والي المدينة يومئذ ودفن بالبقيع وقيل إنه خرج إلى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات هناك، وقيل إنه مات ببلاد أيلة

■ (2) أبان بن عثمان بن عفان الاموي القرشي: أول من كتب في السيرة النبوية. وهو ابن الخليفة عثمان. مولده ووفاته في المدينة. شارك في وقعة الجمل مع عائشة. وتقدم عند خلفاء بني أمية فولي امارة المدينة سنة 76 إلى 83 وكان من رواة الحديث الثقات، ومن فقهاء المدينة أهل الفتوى. ودون ما سمع من أخبار السيرة النبوية والمغازي، وسلمها إلى سليمان بن عبد الملك في حجه سنة 82 فأتلفها سليمان. وكانت فيه دعابة أورد صاحب الاغاني حكايات منها. وأصيب بالفالج مع شئ من الصمم، فكان يؤتى به إلى المسجد، محمولا في محفة. مات سنة 105 هـ

■ (4) أبو محمد، الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ، كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله.

مراجع: تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ البداية والنهاية/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار/ العقد الفريد/ تاريخ مدينة دمشق/ الجرح التعديل/.

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وأبو قلابة 0348

قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وغيره: قيل لعبد الملك بن مروان، هذا أبو قلابة[1] قد قدم على أمير المؤمنين. قال: وما أقدمه؟ قال: متعوذا من الحجاج[2]، أراده على القضاء، فقال عبد الملك..وكتب له إلى الحجاج بالوصاة به. قالوا: وأخبر أبو قلابة، بقول عبد الملك فيه، فقال أبو قلابة: قد كنت أحب أن آتي الشام وقد دخلتها ولن أخرج منها. قال خاقان بن عبد الله: أريد أبو قلابة على قضاء البصرة، فهرب إلى اليمامة، فأريد على قضائها، فهرب إلى الشام، فأريد على قضائها، وقيل: ليس هاهنا غيرك. قال: فانزلوا الأمر على ما قلتم، فإنما مثلي مثل سابح وقع في البحر، فسبح يومه، فانطلق، ثم سبح اليوم الثاني، فمضى أيضا، فلما كان اليوم الثالث فترت يداه. وكان يقال: أعلم الناس بالقضاء أشدهم له كراهة. في رواية عن عبد المؤمن بن خالد الحافظ قال وأبو قلابة ممن ابتلى في بدنه ودينه أريد على القضاء بالبصرة فهرب إلى الشام فمات بعريش مصر سنة أربع وقد ذهبت يداه ورجلاه وبصره وهو مع ذلك حامد شاكر.

قال عثمان بن الهيثم: كان رجل من بني سعد بالبصرة، وكان قائدا من قواد عبيد الله بن زياد[3]،فسقط من السطح فانكسرت رجلاه، فدخل عليه أبو قلابة فعاده فقال له:أرجو أن يكون لك خيرة. فقال له: يا أبا قلابة، وأي خيرة في كسر رجلي جميعا؟ فقال: ما ستر الله عليك أكثر. فلما كان بعد ثلاث ورد عليه كتاب ابن زياد يسأله أن يخرج فيقاتل الحسين بن علي[4] فقال له: قد أصابني ما أصابني. قال ذلك للرسول. فما كان إلا سبعا حتى وافى الخبر بقتل الحسين، فقال الرجل: رحم الله أبا قلابة، لقد صدق، إنه كان خيرة لي.

■ (1) أبو قلابة، عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي الأزدي، البصري، من عباد التابعين وزهادهم، ثقة فاضل كثير الإرسال، أسند أبو قلابة عن أنس وغيره من الصحابة. ومات بالشام هاربا من القضاء سنة 104هـ وقيل: بعدها. في ولاية يزيد بن عبد الملك.

■ (3) عبيد الله بن زياد بن عبيد، المعروف بابن زياد، وابن مرجانة وهي أمه، (أبوه: زياد بن أبي سفيان ويقال له: زياد بن أبيه، وابن سمية) كان والي العراق بعد أبيه ليزيد بن معاوية. قتله إبراهيم بن مالك سنة 67 هـ وكان شمر بن ذي الجوشن قائد الميسرة في جيش ابن زياد. وهو قاتل الحسين بن علي.

■ (4) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (2) أبو محمد، الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ، كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله.

قال العتيبي: قال ابن قدامة: القضاء من فروض الكفايات؛ لأن أمر الناس لا يستقيم بدونه، فكان واجبا عليهم، كالجهاد والإمامة. قال أحمد: لا بد للناس من حاكم، أتذهب حقوق الناس، وفيه فضل عظيم لمن قوي على القيام به، وأداء الحق فيه، ولذلك جعل الله فيه أجرا مع الخطأ، وأسقط عنه حكم الخطأ، ولأن فيه أمرا بالمعروف، ونصرة المظلوم، وأداء الحق إلى مستحقه، وردا للظالم عن ظلمه، وإصلاحا بين الناس، وتخليصا لبعضهم من بعض، وذلك من أبواب القرب؛ ولذلك تولاه النبي صلى الله عليه وسلم، والأنبياء قبله، فكانوا يحكمون لأممهم، وبعث عليا إلى اليمن قاضيا، وبعث أيضا معاذا قاضيا. وقد روي عن ابن مسعود، أنه قال: لأن أجلس قاضيا بين اثنين، أحب إلي من عبادة سبعين سنة وعن ربيعة بن يزيد الدمشقي عن عقبة – يعنى ابن عامر– قال: ﴿جَاءَ خَصْمَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْتَصِمَانِ فَقَالَ لِي: قُمْ يَا عُقْبَةُ اقْضِ بَيْنَهُمَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنِّي. قَالَ: وَإِنْ كَانَ اقْضِ بَيْنَهُمَا فَإِنِ اجْتَهَدْتَ فَأَصَبْتَ فَلَكَ عَشَرَةُ أُجُورٍ وَإِنِ اجْتَهَدْتَ فَأَخْطَأْتَ فَلَكَ أَجْرٌ وَاحِدٌ﴾ والقضاء مع ما فيه من الفضل، فإن فيه مسؤولية عظيمة ومهمة شاقة، وكيف لا يكون ذلك وهو يتعلق بحقوق الناس وفصل الخصومات بينهم، وقد بيَّن ابن قدامة رحمه الله خطر القضاء فقال: وفيه خطر عظيم ووزر كبير لمن لم يؤد الحق فيه، ولذلك كان السلف، رحمة الله عليهم، يمتنعون منه أشد الامتناع، ويخشون على أنفسهم خطره. ولعظم خطره قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مِنْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ﴾ قال الترمذي: هذا حديث حسن وقيل في هذا الحديث: إنه لم يخرج مخرج الذم للقضاء، وإنما وصفه بالمشقة؛ فكأن من وليه قد حمل على مشقة، كمشقة الذبح..

مراجع: كنز العمال/ تفسير المنار/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سراج الملوك/ مسند أحمد/ تحفة الأحوذي / تفسير القرطبي/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ الآداب الشرعية/ فيض القدير/ تذكرة الحفاظ للذهبي/ سنن الدارقطنى/ الموسوعة الجنائية الإسلامية المقارنة/

قال ميمون بن مهران:[1] قدم عبد الملك بن مروان المدينة، فامتنعت منه القائلة، واستيقظ، فقال لحاجبه: انظر هل في المسجد أحد من حُداثنا من أهل المدينة ؟. فخرج فإذا سعيد بن المسيب[2] في حلقة له، فقام حيث ينظر إليه، ثم غمزه وأشار إليه بأصبعه، ثم ولَّى، فلم يتحرَّك سعيد ولم يتبعه، فقال: أراه فَطِنَ، فجاء فَدَنَا منه، ثم غمزه وأشار إليه، وقال: ألم ترني أشير إليك؟ قال: وما حاجتُك؟ قال: استيقظَ أمير المؤمنين، فقال: انظر في المسجد أحدًا من حُداثي، فأَجِبْ أميرَ المؤمنين. قال: فأرسلك إلي؟ قال: لا، ولكن قال: اذهب فانظر بعضَ حُدَّاثنا من أهل المدينة، فلم أرَ أحدًا أهيأ منك. فقال سعيد: اذهبْ فأعلمه أنِّي لست من حُداثه. فخرج الحاجب وهو يقول: ما أرى هذا الشيخ إلاَّ مجنونًا، فأتى عبد الملك، فقال له: ما وجدت في المسجد إلاَّ شيخًا أشرت إليه فلم يقُم، فقلت له: إنَّ أمير المؤمنين قال: انظر هل ترى في المسجد أحدًا من حداثي، فقال: إنِّي لست من حداث أمير المؤمنين، وقال لي: أعلمه. فقال عبد الملك: ذاك سعيد بن المسيب، فدَعْه.

عن المطلب بن السائب[3]، قال : كنت جالسا مع سعيد بن المسيب بالسوق، فمر بريد لبني مروان، فقال له سعيد: من رسل بني مروان أنت؟. قال: نعم، قال: فكيف تركتهم؟. قال: بخير، قال: تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب؟ قال: فاشرأب الرسول، فقمت إليه، فلم أزل أرجيه حتى انطلق، ثم قلت لسعيد: يغفر الله لك، تشيط بدمك بالكلمة هكذا تلقيها، قال: اسكت يا أحيمق، فوالله لا يسلمني الله ما أخذت بحقوقه.

قال عمران بن عبد الله: أرى نفس سعيد بن المسيب كانت أهون عليه في الله من نفس ذباب. وعن أبي بكر بن أبي الدنيا: قيل لسعيد بن المسيب: إن عبد الملك بن مروان قال: قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها، ولا أحزن على السيئة أرتكبها، فقال سعيد: الآن تكامل موت قلبه، وفي الأثر: ﴿مَنْ سَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، وَسَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وفي رواية عن مالك بن أنس قال: قال عبد الملك بن مروان لسعيد بن المسيب: يا أبا محمد صرت أعمل الخير فلا أسر به، وأفعل الشر فلا أسله، قال: الآن تكامل فيك موت القلب.

في رواية عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعي[4] –من أصحاب سعيد بن المسيب–، قال: حج عبد الملك بن مروان، فلما قدم المدينة، ووقف على باب المسجد أرسل إلى سعيد بن المسيب رجلا يدعوه ولا يحركه، فأتاه الرسول وقال: أجب أمير المؤمنين، واقف بالباب يريد أن يكلمك. فقال: ما لأمير المؤمنين إلي حاجة، ومالي إليه حاجة، وإن حاجته لي لغير مقضية، فرجع الرسول، فأخبره فقال: ارجع فقل له: إنما أريد أن أكلمك، ولا تحركه. فرجع إليه، فقال له: أجب أمير المؤمنين. فرد عليه مثل ما قال أولا. فقال: لولا أنه تقدم إلي فيك ما ذهبت إليه إلا برأسك، يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول مثل هذا ! فقال: إن كان يريد أن يصنع بي خيرا، فهو لك، وإن كان يريد غير ذلك فلا أحل حبوتي* حتى يقضي ما هو قاض، فأتاه فأخبره، فقال: رحم الله أبا محمد، أبى إلا صلابة. زاد عمرو بن عاصم في حديثه بهذا الإسناد: فلما استخلف الوليد، قدم المدينة، فدخل المسجد، فرأى شيخا قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا ؟ قالوا: سعيد بن المسيب، فلما جلس أرسل إليه، فأتاه الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال: لعلك أخطأت باسمي، أو لعله أرسلك إلى غيري، فرد الرسول، فأخبره، فغضب وهم به، قال: وفي الناس يومئذ تقية (بقية؟)، فأقبلوا عليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، فقيه المدينة، وشيخ قريش، وصديق أبيك، لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه.فما زالوا به حتى أضرب عنه.

وروى أبو نعيم في الحلية عن عمران بن عبد الله بن طلحة قال: دعي سعيد بن المسيب إلى نيف وثلاثين ألفا ليأخذها، فقال: لا حاجة لي فيها ولا لبني مروان حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم.

عن ابن وهب قال: سمعت مالكا يحدث أن عاملا من العمال بعث إلى سعيد بن المسيب بخمسة آلاف درهم، فقال له الرسول: بعث بهذا إليك أصلحك الله لتنفقها وتجعلها في حاجتك، قال وسعيد جاد مجد يحاسب غلامه في نصف درهم يدعيه قبله والغلام يقول: ليس لك عندي شيء، قال سعيد للرسول: اذهب إلى عملك: ثم عرضها عليه الرسول أيضا فقال: اغرب عني وأبى أن يأخذها منه. وكلمه إنسان في تركه أن يأخذها، فقال له ابن المسيب: هذا النصف درهم أحب إلي منها.

----

*(الحبوة) مجمع الثياب عند الصدر

■ (2) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع: عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة.قيل توفي سنة 94 هـ وقيل سنة 93 هـ وقيل سنة 91 أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم: فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ

■ (3) المطلب بن السائب بن أبي وداعة بن صبيرة بن سعيد بن سهم السهمي يروي عن حفصة وأبيه وله صحبة روى عنه ابنه إبراهيم. وهو ختن سعيد بن المسيب على ابنته زوجه إياها على مهر درهمين. وقد خطب عبد الملك ابنة سعيد لولده الوليد، فأبى سعيد، وزوّجها المطلب.

■ (1) ميمون بن مهران مولى بني أسد كان مملوكا لامرأة بالكوفة فأعتقته وبها نشأ وكنيته أبو أيوب،كان مؤدب أولاد الخليفة عمر، سكن الجزيرة بعد وقعة الجماجم، وتولى قضاء الرقة لعمر، يروي عن ابن عمر، ولد سنة 40 هـ سنة المجاعة ومات بالرقة سنة 118 هـ وقيل سنة 117 هـ

■ (4) عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعي يروى عن سعيد بن المسيب عداده في أهل البصرة روى عنه سلام بن مسكين

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا رَأَيْتَ الْعَالِمَ يُخَالِطُ السُّلْطَانَ مُخَالَطَةً كَثِيرَةً فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِصٌّ﴾ وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿صِنْفَانِ مِنَ النَّاسِ إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْمُلُوكُ، وَالْعُلَمَاءُ﴾ وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللهِ مَا لَمْ يُخَالِطُوا السُّلْطَانَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ خَانُوا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوهُمْ وَاعْتَزِلُوهُمْ﴾ وقال حذيفة بن اليمان: من اقتراب لساعة أن تكون أمراء فجرة وقراء كذبة وأمناء خونة، وعلماء فسقة وعرفاء ظلمة. وعن علي، مرفوعا: ﴿مَنِ ازْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزْدَدْ فِي الدُّنْيَا زُهْدًا لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا﴾ وعن عبيد بن عمير، مرسلا: ﴿مَا ازْدَادَ رَجُلٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا، وَلَا كَثُرَ أَتْبَاعُهُ إِلَّا كَثُرَتْ شَيَاطِينُهُ، وَلَا كَثُرَ مَالُهُ إِلَّا اشْتَدَّ حِسَابُهُ﴾ وفي رواية أبي داود: ﴿مَنْ لَزِمَ السُّلْطَانَ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ دُنُوًّا إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا﴾.

قال مهنا: [1]﴿سَأَلْتُ الْأَمَامَ أَحْمَدَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْهَرَوِيِّ، فَقَالَ: رَجُلٌ وَسِخٌ ، فَقُلْتُ مَا قَوْلُكَ إِنَّهُ وَسِخٌ قَالَ: مَنْ يَتْبَعُ الْوُلَاةَ وَالْقُضَاةَ فَهُوَ وَسِخٌ﴾ وكان هذا رأي جماعة من السلف، وكلامه في ذلك مشهور منهم: سُويد بن غفلة وطاووس والنخعي وأبو حازم الأعرج والثوري والفضيل بن عياض وابن المبارك وداود الطائي وعبد الله بن إدريس وبشر بن الحارث الحافي.. قال حذيفة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا تَسْأَلُونِي؟ فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، أَفَلَا تُسْأَلُونَ عَنْ مَيِّتِ الْأَحْيَاءِ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَا النَّاسَ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى، وَمِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ مَنِ اسْتَجَابَ، فَحَيِي بِالْحَقِّ مَنْ كَانَ مَيِّتًا، وَمَاتَ بِالْبَاطِلِ مَنْ كَانَ حَيًّا، ثُمَّ ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ فَكَانَتِ الْخِلَافَةُ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا عَضُوضًا، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُنْكِرُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَالْحَقَّ اسْتَكْمَلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ كَافًّا يَدَهُ وَشُعْبَةً مِنَ الْحَقِّ تَرَكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ بِقَلْبِهِ كَافًّا يَدَهُ وَلِسَانَهُ وَشُعْبَتَيْنِ مِنَ الْحَقِّ تَرَكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُنْكِرُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ﴾ قال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة.وكان ابن السماك يقول: إذا فعلت الحسنة فافرح بها واستقللها؛ فإنك إذا استقللتها زدت عليها، وإذا فرحت بها عدت إليها. وعن عبد الرحمن ابن أبي نعم قال:﴿كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ زَوْجِي أَوْصَى بِمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَهُوَ كَمَا قَالَ فِي سَبِيلِ اللهِ. فَقُلْتُ لَهُ: مَا زِدْتَهَا فِيمَا سَأَلَتْ عَنْهُ إِلَّا غَمًّا. قَالَ: فَمَا تَأْمُرُنِي يا ابن أبي نعم، آمر ها أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَى هَؤُلَاءِ الْجُيُوشِ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ فَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَقْطَعُونَ السَّبِيلَ! قَالَ: قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُهَا. قَالَ: آمُرُهَا أَنْ تَدْفَعَهُ إِلَى قَوْمٍ صَالِحِينَ، إِلَى حُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، أُولَئِكَ وَفْدُ الرَّحْمَنِ، أُولَئِكَ وَفْدُ الرَّحْمَنِ، أُولَئِكَ وَفْدُ الرَّحْمَنِ، لَيْسُوا كَوَفْدِ الشَّيْطَانِ، ثَلَاثًا يَقُولُهَا. قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَمَا وَفْدُ الشَّيْطَانِ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَدْخُلُونَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءِ فَيَنُمُّونَ إِلَيْهِمُ الْحَدِيثَ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْمُسْلِمِينَ بِالْكَذِبِ، فَيُجَازُونَ الْجَوَائِزَ وَيُعْطَوْنَ عَلَيْهِ الْعَطَايَا﴾ وعن جابر بن عبد الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة: ﴿أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ ؟، قَالَ: أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي. يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ – أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ – يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ أَوْلَى بِهِ. يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا﴾ وقوله: (أعيذك بالله..) أي من عملهم أو من الدخول عليهم أو اللحوق بهم (فليس مني ولست منه) قيل هو كناية عن قطع الوصلة بين ذلك الرجل وبينه صلى الله عليه وسلم أي ليس بتابع لي وبعيد عني وكان سفيان الثوري يكره تأويله ويحمله على ظاهره ليكون أبلغ في الزجر (من دخل عليهم) أي من العلماء وغيرهم (وأعانهم على ظلمهم) أي بالإفتاء ونحوه، (فليسوا مني ولست منهم) أي بيني وبينهم براءة ونقض ذمة. والسفهاء الجهال علما وعملا، وقال الطيبي: السفهاء الخفاف الأحلام، وفي النهاية السفه في الأصل؛ الخفة والطيش، وسفه فلان رأيه إذا كان مضطربا لا استقامة له، والسفيه الجاهل. وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَكُونُ أُمَرَاءُ تَغْشَاهُمْ غَوَاشٍ – أَوْ حَوَاشٍ – مِنَ النَّاسِ يَظْلِمُونَ وَيَكْذِبُونَ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَيُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَيُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ﴾وعن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ مِنْ بَعْدِي يَأْمُرُونَكُمْ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ وَيَعْمَلُونَ بِمَا تُنْكِرُونَ فَلَيْسَ أُولَئِكَ عَلَيْكُمْ بِأَئِمَّةٍ﴾ (سيكون عليكم أمراء من بعدي) أي من بعد وفاتي (يأمرونكم بما لا تعرفون) من كتاب الله وسنة رسوله (ويعملون بما تنكرون فليس أولئك عليكم بأئمة) أي فلا يجب عليكم طاعتهم في معصية إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

■ (1) أبو عبد الله مهنا بن يحيى الشامي السلمي، من كبار أصحاب أحمد، لزمه وروى عنه مسائل كثيرة.

مراجع: كنز العمال/ تفسير المنار/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سراج الملوك/ مسند أحمد/ تحفة الأحوذي / تفسير القرطبي/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ الآداب الشرعية/ فيض القدير/ سير أعلام النبلاء/ الطبقات الكبرى/ مشكل الآثار للطحاوي/ رحلة العلماء في طلب العلم/ أنساب الأشراف/

يروى عبد الرحمن عميره: كان سعيد بن المسيب[1] إماما ثقة، ومن أوسع التابعين علما، وأعرفهم بالحلال والحرام، وأعلمهم بقضايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأحكمه. وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا، ومن أكثر الناس تأدبا مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاءه رجل –وهو مريض– فسأله عن حديث فجلس وحدثه، فقال الرجل: وددت أنك لم تتعن؟ فقال: كرهت أن أحدثك عن رسول الله وأنا مضطجع. ويقول مولاه برد[2]: ما نودي للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد في انتظار الصلاة. وكان سعيد يقول عن الدنيا: هي قبيحة، وتكون إلى كل قبيح أميل، وأقبح منها من أخذها من غير حقها، ووضعها في غير موضعها من شرع الله. وكان له مجلس علم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزاحم طلاب العلم للجلوس فيه. ويقولون إنه قريب من عهد النبوة، وكان سعيد يعرف طلابه على كثرتهم، ويحفظ أسمائهم.

وفي يوم من الأيام، وسعيد منهمك في دروسه، وقف على رأسه أحد رجالات الحكم من بني أمية، وهمس في أذنيه: إنني أريد محادثتك في أمر هام وأنا رسول الخليفة عبد الملك بن مروان إليك، ولقد جئتك بعز الدنيا والآخرة. ولكن الرجل الرباني أراد أن يصرف الرسول بهدوء قائلا: سأستمع لحديثك بعد أن أنهي الدرس مع طلاب العلم. ولكن الرسول ألح في الحديث معه ليصرفه عن دروسه. فما كان من سعيد إلا انصرف عنه إلى طلابه. وما كاد سعيد ينتهي من دروسه حتى جاءه الرسول قائلا: يا سعيد يا ابن المسيب ألم أقل جئتك بعز الدنيا والآخرة؟ قال سعيد: أما الدنيا فأنا في طاعة الله وذلك هو العز الذي لا عز بعده، وأما الآخرة فهي في علم الغيب، ولا يدري العبد أهو إلى الجنة أم إلى النار: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف] ثم تابع سعيد حديثه قائلا لرسول الخليفة: تقول جئتك بعز الآخرة، فهل في مقدورك أن تدخلني الجنة؟ قال الرسول: لا ليس ذلك في استطاعتي؟ قال سعيد: هل في مقدور خليفتنا عبد الملك بن مروان أن يحول بيني وبين الدخول إلى النار؟ قال الرسول: لا. عندها غضب الرسول وقال: يا سعيد خذ ما جئت به إليك. قال سعيد: هاته.قال الرسول: إن الخليفة رغب في مصاهرتك فأرسلني لأخطب ابنتك لأبن الخليفة والذي جده خليفة. وسيكون هو الخليفة بعد أبيه، أليس في ذلك عز ما بعده عز؟ فإن وافقت: كيلنا لك الذهب والفضة وآتتك الدنيا راغمة. وفرشت لك الأرض من دمشق حتى المدينة بما تحب وترضى. وإن كانت الثانية. فأنت أعلم الناس بسياط بني أمية؟ قال سعيد: أبسط الأمور أن أستشير ابنتي في ذلك كما أمرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال:﴿لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ إِذْنُهَا ؟ قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ﴾ قال رسول الخليفة: يا سعيد سنمهلك أياما معدودة ؟وانصرف الرسول ليخبر الخليفة بما دار بينه وبين سعيد بن المسيب؟ بعدها جلس سعيد مع نفسه. إن ابنته قطعة منه. ومحال أن تكون لابن الخليفة. الخليفة الذي بغى وطغى وآثر الدنيا على الآخرة. ومن يفعل ذلك لا شك أن يكون طعمة للنار يوم القيامة ! وهو أرأف بابنته أن تكون حطبا لجهنم، مهما تحمل في سبيل ذلك من عذاب، إن بني أمية يهددونه بالسياط وبما هو أنكى من السياط، ولكن سياطهم لن تنزك* على جسد حي لأنه فرغ من دنياهم فهي إذن لا تؤلم .

واستراح سعيد إلى هذه النتيجة. ولكن كيف؟ لا كيف لأن التدبير لله تعالى، ومن لا يدبر وتوكل على خالقه دبر له. وفي اليوم التالي جلس سعيد في مجلسه الذي اعتاد أن يجلس فيه كل يوم لإلقاء درسه على الطلاب العلم ولكن هينه افتقدت أحد طلابه النجباء وهو كثير بن أبي وداعة*[3].أين كثير بن أبي وداعة ؟ إن من عادته ألا يتغيب.. هل أصابه مكروه ؟ أم ماذا حل به ؟ وجاءه الجواب من جاره ابن مندوه الخزاعي[4]. قال: سيدي الشيخ لقد ماتت منذ أيام زوجه فهو حزين عليها، وقابع في بيته لا يفارقه؟ واستدل سعيد على بين كثير؟ وما كاد ينتهي من درسه حتى انطلق إلى هناك. انطق سعيد إلى بين الطالب الفقير الورع الذي لا يجد قوت يومه إلا بصعوبة؟ وطرق الباب، وخرج الطالب.. وأوشك أن يتوقف قلبه من هول المفاجأة سعيد بن المسيب مؤدب الخلفاء والأمراء ومرشدهم إلى الطريق الحق طريق الله في بيت ابن أبي وداعة. وبعد أن واساه الشيخ وقدم له العزاء. قال سعيد: يا ابن أبي وداعة: أترغب في الزواج ؟ قال: ومن يزوجني يا شيخ وأنا لا أملك حمراء ولا صفراء من هذه الدنيا. قال سعيد: سؤال محدد ألك رغبة في الزواج؟ قال الطالب: وهل يمكن أن يعيش الرجل بغير زوجة؟ إلا إذا اضطرته ظروف الحياة وحالت بينه وبين ما أمر الله تعالى به بقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم] عندها هم سعيد بالانصراف وقال: إذن انتظرني حتى آتيك؟ ثم ماذا؟ ذهب سعيد إلى بيته وألتقى بابنته، ابنته التي حباها الله أخلاق المؤمنات العابدات.. قال سعيد: يا ابنتي لقد اخترت لك زوجا صالحا تقيا عارفا بحدود الله متأدبا في عشرة النساء بما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه: النساء ناقصات عقل ودين يغلبن كريما ولا يغلبهن إلا لئيم، فأحببت أن أكون كريما مغلوبا، على أن أكون لئيما غالبا. فهل تقبلينه زوجا؟ قالت الفتاة: ما تراه خيرا يا والدي فهو خير. قال الوالد الرحيم: إذن يا ابنتي هيئ من شأنك حتى تذهب إليه؟وطرق باب ابن أبي وداعة مرى أخرى، وقال سعيد: هذه يا بني زوجتك، أخرج على سطح منزلك وألقي ببعض الحصيات على بيوت الجيران حتى يعلموا أنك ستعرس في هذه الليلة؟ وأجتمع جيران ابن أبي وداعة نساؤهم ورجالهم وأطفالهم وفتيانهم، ومعهم الدفوف وما يحتاجه إعلام الزواج، وزفت العروس إلى زوجها. ولم ينس سعيد أن يدس في يد صهره قبل انصرافه كيسا مملوءا بالدنانير.. قائلا له: أصلح به شأنك وشأن عروسك. واستراح سعيد: وحمد الله كثيرا لتوفيق الله له في إبعاد ابنته عن زواجها من ابن الخليفة الذي لا يخاف الله تعالى.

----

*(النزك) الطعن بالنيزك وهو رمح قصير وقيل: نزكت الرجل إذا خزقته (أبي وداعة) في وفيات الأعيان قال: زوجها من أبي وداعة، وفي طبقات ابن سعد قال: زوجها من ابن أخيه، وفي رواية أخرى عنده: من شاب من قريش. وكان لسعيد بن المسيب بنت قد خطبها الخليفة عبد الملك بن مروان لابنه الوليد فرفضه سعيد بن المسيب.

■ (1) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع: عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة.قيل توفي سنة 94 هـ وقيل سنة 93 هـ وقيل سنة 91 أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم: فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ

■ (2) برد مولى سعيد بن المسيب القرشي من أهل المدينة يروىء عن سعيد بن المسيب روى عنه عبد الرحمن بن حرملة كان يخطئ وأهل الحجاز يسمون الخطأ كذبا

■ (3) كثير بن عبد المطلب بن أبي وداعة السهمي. قال أبو بكر بن أبي داود: ابن أبي وداعة هو كثير بن المطلب بن أبي وداعة

■ (4) ابن مندوه الخزاعي (لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قال كثير بن أبي وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني* أياما، فلما جئته قال: أين كنت ؟. قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: هلا أخبرتنا فشهدناها! قال: ثم أردت أن أقوم، فقال: هلا أحدثت امرأة غيرها ؟ فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال: إن أنا فعلت تفعل!؟، قلت: نعم، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال على ثلاثة، قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين، وصليت المغرب، وكنت صائما، فقدمت عشاي لأفطر، وكان خبزا وزيتا، وإذا بالباب يقرع، فقلت: من هذا قال: سعيد، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمت وخرجت، وإذا بسعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له – أي رجع عن رأيه– فقلت: يا أبا محمد، هلا أرسلت إلي فآتيك قال: لا، أنت أحق أن تؤتى، قلت: فما تأمرني قال: رأيتك رجلا عزبا قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم صعدت إلى السطح، فناديت الجيران، فجاؤوني وقالوا: ما شأنك فقلت: زوجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته وقد جاء بها على غفلة، وها هي في الدار، فنزلوا إليها، وبلغ أمي فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج؛ قال: فمكث شهرا لا يأتيني ولا آتيه، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته، فسلمت عليه، فرد علي ولم يكلمني حتى انفض من في المسجد، فلما لم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان قلت: هو على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال: إن رأبك شيء فالعصا، فانصرفت إلى منزلي، فوجه إلي بعشرين ألف درهم. وكانت بنت سعيد المذكورة خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه في يوم بارد وصب عليه الماء.

قال الواقدي: وحدثني سلم مولى بني مخزوم قال: صنعت ابنة سعيد بن المسيب طعاماً كثيراً حين حبس وبعث به إليه، فلما جاءه الطعام دعاني فقال لي: اذهب إلى ابنتي فقل لها: لا تعودي لمثل هذا فإن هشاماً إنما يريد أن يذهب بمالي فأحتاج إلى ما في أيديهم، ولست أدري ما مدة حبسي، وانظري القوت الذي كنت آكله في بيتي فابعثي به إلي، فكانت تبعث بذلك لا تتجاوزه، وكان سعيد يصوم الدهر.

----

* (فقدني) أي فقدني في مجلسه، وكان هذا من الآداب التي يتحلى بها أهل العلم، وهو تفقدهم أهل مجالستهم ومعرفة حالهم

مراجع: مواقف العلماء أمام الحاكم/ لسان الميزان/ صفة الصفوة/ قاموس العين/ تهذيب اللغة/ وفيات الأعيان/ موارد الظمآن لدروس الزمان/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وعطاء بن أبي رباح، وابن حبيش 0351

قال الأصمعي: دخل عطاء بن أبي رباح[1] على عبد الملك بن مروان، وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن، وذلك بمكة في وقت حجه في خلفته، فلما بصر به عبد الملك قام إليه فسلم عليه وأجلسه معه، وقعد بين يديه وقال: يا أبا محمد حاجتك؟ قال عطاء: يا أمير المؤمنين، اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور* فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمورا المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم، ولا تغلق بابك دونهم. فقال له: أجل أفعل. ثم نهض الإمام وقام، فقبض عليه عبد الملك وقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حوائج غيرك وقد قضيناها، فما حاجتك أنت؟... قال عطاء: ما لي إلى مخلوق حاجة. ثم خرج. فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد*.

عن سويد الكلبي أن زر بن حبيش[2] كتب إلى عبد الملك بن مروان كتابا يعظه وكان في آخره: ولا يطمعك يا أمير المؤمنين في طول البقاء ما يظهر من صحتك فأنت أعلم بنفسك واذكر ما تكلم به الأولون: إذا الرجال ولدت أولادها..وبليت من كبر أجسادها وجعلت أسقامها تعتادها..تلك زروع قد دنا حصادها. فلما قرأ عبد الملك الكتاب بكى حتى بل طرف ثوبه ثم قال: صدق زر لو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق.

قال يزيد بن الأصم:[3] كنت عند عبد الملك بن مروان فساءلني عن قول الله عز وجل: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص] قال يزيد: فقلت: اللهم، إني أبتغي وجهك اليوم، وذكرت حدثنيه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: التجبر في الأرض، والأخذ بغير الحق، فنكس عبد الملك برأسه، وجعل ينكت في الأرض بقضيب في يده.

قال الهيثم بن عدي: أذن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذنا خاصا، فدخل شيخ رث الهيئة لم يأبه له الحرس، فألقى بين يدي عبد الملك صحيفة، وخرج فلم يدر أين ذهب، وإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، يا أيها الإنسان إن الله قد جعلك بينه وبين عباده؛ فاحكم بينهم بالحق﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص] ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين] ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (103) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ [هود] إن الذي أنت فيه لو بقي لغيرك ما وصل إليك ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل] وإني أحذرك يوم ينادي المنادي ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات] ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف] قال: فتغير وجه عبد الملك فدخل دار حرمه، ولم تزل الكآبة في وجهه بعد ذلك أياما.

----

* (السؤدد) مصدر قولك ساد الرجل قومه كالسيادة، والدال الأولى مفتوحة أو مضمومة وقد تخفف الهمزة بقلبها واوا (الثغور) هي مراكز عسكرية تجعل على حدود البلاد الإسلامية لصد الكفار عنها

■ (1) أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم –وقيل سالم- بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند وهي بلدة مشهورة باليمن خرج منها جماعة من العلماء؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع إلى خلقا كثيرا من الصحابة، وروى عنه خلق كثير، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانهما. قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء.وقال إبراهيم بن عمر ابن كيسان: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحا يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح. قال سليمان بن رفيع: دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلعت فإذا عطاء بن أبي رباح جالس. توفي عطاء سنة 115 هـ وقيل 114 هـ وعمره 82، وقال ابن أبي ليلى: حج عطاء 70 حجة وعاش 100 سنة، والله أعلم. قيل لأهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم؟ قالوا: كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد. قال الأصمعي: كان عطاء يقول في دعائه:اللهم ارحم في الدنيا غربتي وعند الموت صرعتي وفي القبور وحدتي ومقامي غدا بين يديك.

■ (3) يزيد بن الأصم وهو يزيد بن عمرو – ويقال: يزيد بن عبد عمرو - بن عدس ابن معاوية بن عبادة، أبو عوف العامري. وهو ابن أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وابن خالة ابن عباس.توفي يزيد بن الأصم سنة 103 هـ أو 104 هـ، وقيل: سنة 101 هـ.

■ (2) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدي، من أسد بن خزيمة، يكنى أبا مريم، وقيل: أبا مطرف. أدرك الجاهلية ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في الطبقة الأولى من تابعي من أهل الكوفة وكان فاضلا عالما بالقرآن، كثير الحديث وشهد خطبة عمر بالجابية.وقال أحمد العجلي: كان شيخا قديما إلا أنه كان فيه بعض الحمل على علي بن أبي طالب، توفي سنة إحدى أو اثنتين أو 83 هـ.

أيها الإخوة المؤمنون، هكذا الأئمة القدوة، وهذا همهم وحاجتهم، وهذه جرأتهم في الحق، ونصيحتهم للملوك المسلمين: اتقي الله في حرم الله وحرم رسوله، واتقي الله في أولاد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. أيها الملك، إنك وحدك المسؤول، اتقي الله فيمن هم على بابك.. وأمام هذا السيل الهادر بالحق لم يكن لأولئك الملوك المسلمين إلا الجواب الحسن: السمع والطاعة لأولياء الأمور الحقيقين ورثة الأنبياء، لم يملك إلا قول: نعم أفعل، قضينا طلباتك، ثم المحاولة الدؤوبة للملوك أن يكون لطالب الحق حاجة خاصة يشتره بها، فيشتري دينه بدنياه، ولكن هيهات هيهات، لتلك القمم السامقة، إنه السؤدد والرفعة: ما لي إلى مخلوق حاجة. وهذه شهادة الملك نفسه: هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد..فحسبنا الله ونعم الوكيل ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾ [المائدة]

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح / البداية والنهاية/ إحياء علوم الدين/ شرح شافية ابن الحاجب/

قال عبد الملك بن مروان، للحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة:[1] ما كان يقول الكذاب في كذا وكذا؟ يعني ابن الزبير؛ فقال: ما كان كذابا. فقال له يحيى بن الحكم:[2] من أمك يا حار؟ قال: هي التي تعلم.قال له عبد الملك: اسكت فهي أنجب من أمك. وحدث حاتم بن أبي صغيرة، عن أبي قزعة، أن عبد الملك، بينما هو يطوف بالبيت إذ قال: قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين، يقول: سمعتها وهي تقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَا عَائِشَةُ لَوْلاَ حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَنَقَبْتُ الْبَيْتَ -قَالَ أَبِي قَالَ الأَنْصَارِي لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ- حَتَّى أَزِيدَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ فَإِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرُوا عَنِ الْبِنَاءِ﴾ فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا فقال: لو كنت سمعت هذا قبل أن أهدمه لتركته على بناء ابن الزبير. وعن عكرمة بن خالد عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة قال: طفت مع عبد الملك بن مروان بالبيت فلما كان الشوط السابع دنا من البيت يتعوذ فجذبته فقال: ما لك يا حار؟ قلت: يا أمير المؤمنين أتدري أول من فعل هذا عجوز من عجائز قومك. قال: فمضى عبد الملك ولم يتعوذ.

قال يوسف بن الزبير:[3] إني إلى جنب عبد الملك بن مروان، وهو تحت منبر يزيد بن معاوية، ويزيد يوصي مسلم بن عقبة[4]،وحصين بن نمير[5]،ويتقدم إليهما في قتال ابن الزبير، ويقول: قاتلاه، ثم قاتلاه، ثم قاتلاه، فإن لجأ إلى الكعبة فخرباها عليه. قال: فرأيت عبد الملك يبكي وهو يقول: يا أمير المؤمنين، اتق الله، ولا تحل حرم الله. قال: فلما انصرفنا قلت له: أنت القائل لأمير المؤمنين كذا وكذا ! والله لا يحل حرم الله، ولا يحرق الكعبة غيرك. فقال: أعوذ بالله من هذا، ما أنا وهذا !؟ لا تزال تجيء بالشيء لا أدري ما هو. قلت: أنت والله صاحبها لا يزيد، قال: فوالله ما عبرت أيام قلائل وأنا تحت منبره وهو يعهد إلى الحجاج بن يوسف، ويقول: ائت ابن الزبير فقاتله، ثم قاتله، ثم قاتله. ثم إن لجأ إلى الكعبة فحرقها عليه. قال: قلت: ألا تذكر يوم يزيد؟ فقال: دعني منك، فوالله لقد كان مني يومئذ الجد، وإنه مني الجد.

■ (1) الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، ولي إمرة البصرة لابن الزبير، لقب بالقباع لأنه وضع مكيالا سماه القباع أي الضخم. توفي في حدود 90 هـ حدث عن عمر، و عائشة، وأم سلمة، ومعاوية. وحدث عنه الزهري، وعبد الله بن عمير، والوليد بن عطاء، وابن سابط.

■ (2) يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو مروان الأموي، أخو مروان بن الحكم (رابع ملوك بني أمية). كان يحيى بن الحكم عاملاً على المدينة لعبد الملك بن مروان (خامس ملوك بني أمية).

■ (4) مسلم بن عقبة المري.وهو الذي سماه الناس بعد وقعة الحرة مجرما ومسرفا بعد أن حصر المدينة وأوقع بأهلها وقعة الحرة، سار إلى مكة لقتال ابن الزبير فمات في الطريق سنة 64 هـ ودفن بالمشلل بين مكة والمدينة وقد استخلف الحصين بن نمير السكوني على الجيش لقتال ابن الزبير

■ (3) يوسف بن الزبير القرشي الأسدي المكي مولى الزبير، وقيل: مولى عبد الله ابن الزبير، وكان رضيع عبد الملك بن مروان، وكان يقرأ الكتب. روى عن الزبير بن العوام، وابنه عبد الله بن الزبير، وعبد الملك بن مروان، ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

■ (5) حصين بن نمير الكندي ثم السكوني الحمصي.كان أحد أمراء يزيد بن معاوية في وقعة الحرة وكان الأمر إلى مسلم بن عقبة فلما ظعن عن المدينة أخده الله فاستخلف على الجيش حصينا هذا فحاصر ابن الزبير ورموا البيت بالمنجنيق ولم يلبثوا أن أخذ الله يزيد بن معاوية فجاءهم الخبر بموته فاخذ حصين الأمان من ابن الزبير ودخلوا الحرم ثم رحلوا إلى الشام وفرق البخاري بين حصين بن نمير الراوي عن بلال وبين حصين بن نمير الأمير.

عن الوليد بن عطاء عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، عن أم المؤمنين عائشة قالت: ﴿قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن قَوْمَكِ اسْتَقْصَرُوا مِنْ بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ، وَلَوْلا حَدَاثَةُ عَهْدِهِمْ بِالشِّرْكِ أَعَدْتُ فِيهِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ فَإِنْ بَدَا لِقَوْمِكِ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَبْنُوهُ فَهَلُمِّي أُرِيكِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ. فَأَرَاهَا قَرِيبًا مِنْ سَبْعِ أَذْرُعٍ فِي الْحِجْرِ. قَالَتْ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حَدِيثِهِ: وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ مَوْضُوعَيْنِ فِي الأَرْضِ شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا أَتَدْرِينَ لِمَ كَانَ قَوْمُكِ رَفَعُوا بَابَهَا؟ فَقُلْتُ: لا أَدْرِي، فَقَالَ: تَعَزُّزًا أَلا يَدْخُلَهَا إِلا مَنْ أَرَادُوا، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا كَرِهُوا أَنْ يَدْخُلَ تَرَكُوهُ حَتَّى إِذَا كَادَ يَدْخُلُ دَفَعُوهُ حَتَّى يَسْقُطَ﴾ ولهذا لما تمكن ابن الزبير بناها على ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل. لها بابان ملتصقان بالأرض شرقيا وغربيا. يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر. فلما قتل الحجاج بن الزبير كتب إلى عبد الملك بن مروان – وهو الخليفة يومئذ – فيما صنعه ابن الزبير واعتقدوا أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه. فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه فعمدوا إلى الحائط الشامي فحصوه وأخرجوا منه الحجر ورصوا حجارته في أرض الكعبة. فارتفع باباها وسدوا الغربي واستمر الشرقي على ما كان عليه فلما كان في زمن المهدي – أو ابنه المنصور – استشار مالكا في إعادتها على ما كان صنعه ابن الزبير. فقال مالك رحمه الله: إني أكره أن يتخذها الملوك ملعبة. فتركها على ما هي عليه. فهي إلى الآن كذلك. قال عبد الله بن عمر: ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر*، إلا أن البيت لم يتم على قواعد إبراهيم. عن عكرمة بن خالد المخزومي، قال: هدم ابن الزبير البيت حتى سواه بالأرض، وحفر أساسه وأدخل الحجر فيه، وكان الناس يطوفون من وراء الستر ويصلون إلى موضعه، وجعل الركن في تابوت في سرقة من حرير، فأما ما كان من حلي البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب، فإنه جعله عند الحجبة في خزانة الكعبة حتى أعاد بناءها، قال عكرمة: فرأيت الحجر الأسود، فإذا هو ذراع أو يزيد. عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عون عن أبيه، قال: لما هدم عبد الله بن الزبير البيت، ندم كل من كان أشار عليه وأعظموا ذلك. وعن سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أنه أبى على ابن الزبير هدمها، وقال: أخاف أن يأتي بعدك من يهدمها، ثم يأتي بعد ذلك آخر، فإذا هي تهدم أبدًا وتبنى، فسكت عبد الله بن الزبير، ولم يقرب ابن عباس مكة حتى فرغ منها.

دخل أعشى بني أبي ربيعة[1] على عبد الملك بن مروان وهو يروي في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يجد فقال له: يا أمير المؤمنين، مالي أراك متلوما ينهضك الحزم ويقعدك العزم، وتهم بالإقدام ثم تجنح إلى الإحجام؟! انقد لبصيرتك، وامض لرأيك، وتوجه إلى عدوك، فجدك مقبل، وجده مدبر، وأصحابه له ماقتون، ونحن لك محبون، وكلمتهم متفرقة، وكلمتنا عليك مجتمعة، والله ما تؤتى من ضعف جنان، ولا قلة أعوان، ولا يثبطك عنه ناصح، ولا يحرضك عليه غاش، وقد قلت في ذلك أبياتا فقال: هاتها فإنك تنطق بلسان ودود وقلب ناصح فأنشأ يقول: آل الزبير من الخلافة كالتي..عجل النتاج بحملها فأحالها..أو كالضعاف من الحمولة حملت..ما لا تطيق فضيعت أحمالها..قوموا إليهم لا تناموا عنهم..كم للغواة أطلتم إمهالها..إن الخلافة فيكم لا فيهم..ما زلتم أركانها وثمالها..أمسوا على الخيرات قفلا موثقا..فانهض بيمنك فافتتح أقفالها. فضحك عبد الملك وقال: صدقت يا عبد الله، إن أبا خبيب لقفل دون كل خير، ولن نتأخر عن مناجزته إن شاء الله، وأمر له بصلة سنية.

----

*(يليان الحجر) أي يقربان منه والحجر قال في النهاية هو اسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربي

■ (1) أعشى ربيعة، وهو عبد الله بن خارجة بن حبيب (أو خبيب) من بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان: شاعر. اشتهر في أيام بني مروان بالشام. له مدح في بشر بن مروان وعبد الملك بن مروان، وسليمان بن عبد الملك. توفي نحو 100 هـ

مراجع: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ البداية والنهاية/ صحيح مسلم/ مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/ تاريخ الرسل والملوك/ أخبار مكة للأزرقي/ـمختصر تاريخ دمشق/ أنساب الأشراف/ مسند أحمد/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وعبد الرحمن بن أبي ليلى 0353

عن أبي معاوية [1] عن الأعمش [2] قال: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى [3] ضربه الحجاج وأوقفه على باب المسجد، فجعلوا يقولون له: العن الكاذبين: علي ابن أبي طالب [4]، وعبد الله بن الزبير [5]، والمختار بن أبي عبيد [6] فقال: لعن الله الكاذبين ثم قال: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير، والمختار بن أبي عبيد– بالرفع– فعرفت حين سكت ثم ابتدأ فرفع، أنه ليس يريدهم. قالوا: وكان الحجاج بعث إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى فقال: بلغني أنك تشتم أمير المؤمنين عثمان، فقال: إنه ليمنعني من ذلك ثلاث آيات: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ(8)وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(9)وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر] وأنا منهم. فأعجب الحجاج قوله. ثم إن ابن أبي ليلى أدخل على الحجاج بعد ذلك فقال: يا أهل الشام إن أردتم رجلا يشتم أمير المؤمنين عثمان فدونكم هذا. فقال عبد الرحمن مثل قوله الأول، فقال الحجاج: صدق.

في رواية قال الاعمش: رأيت ابن أبي ليلى وقد ضربه الحجاج، وكأن ظهره مسح* وهو متكئ على ابنه وهم يقولون: العن الكذابين فيقول: لعن الله الكذابين. يقول: الله الله، علي بن أبي طالب، عبد الله بن الزبير، المختار ابن أبي عبيد. قال: وأهل الشام كأنهم حمير لا يدرون ما يقصد، وهو يخرجهم من اللعن. قال الذهبي: ثم كان عبد الرحمن من كبار من خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث [7] من العلماء والصلحاء. وقال: رأيت عبد الرحمن محلوقا على المصطبة وهم يقولون له: العن الكذابين، وكان رجلا ضخما به ربو*، فقال: اللهم، العن الكذابين، آه [ثم يسكت]، علي، وعبد الله بن الزبير، والمختار.

وروي عن أبي حصين أن الحجاج استعمل ابن أبي ليلى على القضاء، ثم عزله، ثم ضرب ليسب عليا رضي الله عنه، وكان قد شهد النهروان* مع علي رضي الله عنه.

عن أم بكار بنت عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيها عبد الرحمن قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف: احمل إلي عبد الرحمن بن أبي ليلى مقيدا فأرسل إلي الحجاج حوشب بن رويم [8] –وكان له صديقا– إن أمير المؤمنين قد كتب يأمر بحملك مقيدا فأته وأنت مطلق، قال: فشخصت إليه فلما وقفت ببابه خرج آذنه فأذن للناس وانقطع ما في الحكاية من الكتاب. قال أبو حصين: لما قدم الحجاج العراق استعمل عبد الرحمن بن أبي ليلى على القضاء. قال: ثم عزله، واستعمل أبا بردة بن أبي موسى [9]، وأقعد معه سعيد بن جبير [10]. وفي رواية: لما قدم الحجاج أراد أن يستعمل عبد الرحمن بن أبي ليلى على القضاء، فقال له حوشب: إن كنت تريد أن تبعث علي بن أبي طالب على القضاء فافعل.

----

* (المسح) كساء من شعر (الربو) الربو هنا: النفس العالي (النهروان) موقع بين بغداد وحلوان العراق قريبًا من الكوفة

■ (3) عبد الرحمن بن أبي ليلى، اسمه عبد الرحمن بن يسار، الإمام العلامة الحافظ، أبو عيسى الأنصاري الكوفي، الفقيه، ويقال: أبو محمد، من أبناء الأنصار، ولد في خلافة الصديق أو قبل ذلك. اسم والده أبي ليلى: يسار، وقيل: بلال. وقيل: داود بن أبي أحيحة ابن الجلاح بن الحريش بن جحجبى* بن كلفة. حدث عن عمر، وعلي، وأبي ذر، وابن مسعود، وبلال، وأبي بن كعب، وصهيب، وقيس بن سعد، والمقداد، وأبي أيوب، ووالده، ومعاذ بن جبل – وما اخاله لقيه، مع كون ذلك في السنن الأربعة. وقيل بل ولد في وسط خلافة عمر ورآه يتوضا ويمسح على الخفين. وقيل: إنه قرأ القرآن على علي. عن عمرو بن مرة، عن ابن أبي ليلى، قال: صحبت عليا رضي الله عنه في الحضر والسفر، وأكثر ما يتحدثون عنه باطل. وكان له وفادة على معاوية ذكرها ولده القاضي محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى. قال شعبة بن الحجاج: قدم عبد الله بن شداد بن الهاد، وابن أبي ليلى فاقتحم بهما فرسهما الفرات فذهبا – يعني غرقا– وأما أبو نعيم الملائي فقال: قتل ابن أبي ليلى بوقعة الجماجم، يعني سنة 82 هـ، وقيل: سنة 83 هـ. (جحجبى) في الأصل (جمحبا) مصحف، وما أثبتناه من الاشتقاق وجمهرة ابن حزم والتاج. واشتقاق جحجبى من الجحجبة وهو التردد في الشيء والمجيئ والذهاب

■ (4) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى وزوج ابنته.يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن 7 سنين، ويقال 9، ويقال 10، ويقال 15، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد سنة 23 ق هـ، و مات سنة 40 هـ.

■ (5) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة ورواية عن النبي وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (1) محمد بن خازم التميمي السعدي مولاهم أبو معاوية الضرير الكوفي. ولد سنة 113 هـ. يقال عمي وهو بن ثمان سنين أو أربع. روى عن خلق كثير. مات سنة 195 هـ.

■ (2) أبو محمد، سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد، المعروف بالأعمش الكوفي الإمام المشهور؛ كان ثقة عالماً فاضلاً، وكان ابوه من دنباوند (ناحية من رستاق الري في الجبال)، وقدم الكوفة وامرأته حامل بالأعمش فولدته بها؛ قال السمعاني: وهو لا يعرف بهذه النسبة، بل يعرف بالكوفي، وكان يقارن بالزهري في الحجاز، ورأى أنس ابن مالك وكلمه، ولكنه لم يزرق السماع عليه، وما يرويه عن أنس فهو إرسال أخذه عن أصحاب أنس. لقي كبار التابعين، قيل ولد بالكوفة في عاشوراء سنة 61 هـ وتوفي سنة 148هـ بالكوفة.وقيل 147 هـ وقيل 149 هـ.

■ (6) المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، ولد سنة 1 هـ حاكم الكوفة وكان متلونا كذابا يدعو مرة إلى محمد بن الحنفية، ومرة لابن الزبير، حتى ادعى آخرا أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء، فلما تحقق ابن الزبير سوء حاله، بعث أخاه المصعب لحربه، فقدم المصعب البصرة وتأهب منها، واجتمع إليه جيش الكوفة، فسار بهم جميعا وعلى مقدمته عباد بن الحصين، وعلى ميمنته المهلب بن أبي صفرة، وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، فجهز المختار لحربهم أحمر بن شميط، وكيسان فهزمهم مصعب، وقتل أحمر، وكيسان، وقتل من جيش مصعب محمد بن الأشعث الكندي ابن أخت أبي بكر الصديق، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، وقتل من جند المختار عمر الأكبر بن علي بن أبي طالب، ثم سار جيش مصعب فدخلوا الكوفة، وحصروا المختار بقصر الإمارة أياما إلى أن قتله الله في رمضان سنة67 هـ وصفت العراق لمصعب.

■ (7) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ابن قيس الكندي: أمير، من القادة الشجعان الدهاة. وهو صاحب الوقائع مع الحجاج الثقفي. سيره الحجاج بجيش لغزو بلاد رتبيل ملك الترك فيها وراء سجستان. فغزا بعض أطرافها، وأخذ منها حصونا وغنائم. وكتب إلى الحجاج يخبره بذلك وأنه يرى ترك التوغل في بلاد رتبيل إلى أن يختبر مداخلها ومخارجها. فاتهمه الحجاج بالضعف والعجز، وأجابه: إن كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة، ويستريح إلى الموادعة، قد صانع عدوا قليلا ذليلا، فامضي لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم، وإلا فأخوك إسحاق بن محمد أمير الناس. فاستشار عبد الرحمن من معه، فلم يروا رأي الحجاج، واتفقوا على نبذ طاعته، وبايعوا عبد الرحمن، على خلع الحجاج وإخراجه من أرض العراق. وقال بعضهم: إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك، فقد خلعنا عبد الملك. فخلعوا عبد الملك بن مروان أيضا. وزحف بهم عبد الرحمن سنة 81 هـ عائدا إلى العراق، لقتال الحجاج. ونشبت بينه وبين جيوش الحجاج وعبد الملك معارك ظفر فيها عبد الرحمن، وتم له ملك سجستان وكرمان والبصرة وفارس إلا خراسان، وكان عليها المهلب واليا لعبد الملك بن مروان. ثم خرجت البصرة من يده فاستولى على الكوفة، فقصده الحجاج، فحدثت بينهما موقعة دير الجماجم التي دامت مئة وثلاثة أيام، وانتهت بخروج ابن الأشعث من الكوفة، وكان جيشه ستين ألفا، فتتابعت هزائم جيشه، في مسكن وسجستان. وتفرق من معه فبقي في عدد يسير، فلجأ إلى رتبيل فحماه مدة، فوردت عليه كتب الحجاج تهديدا ووعيدا إذا هو لم يقتل ابن الأشعث أو يقبض عليه، فأمسكه رتبيل وقتله سنة 85 هـ وبعث برأسه إلى الحجاج. فأرسله هذا إلى عبد الملك بالشام، وبعث به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر.

■ (8) حوشب بن يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني، من أهل واسط، ولي الشرطة لعلي بن أبي طالب، ثم للحجاج، يروى عن سعيد بن جبير روى عنه ابنه العوام بن حوشب.. و يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني: قائد، من الأمراء. له شعر. أدرك عصر النبوة، وأسلم على يد علي. وشهد اليمامة، ونزل البصرة. ثم كان أميرا على الري قصبة بلاد الجبال، ولما استباح الخوارج ما بين أصفهان والاهواز، يقتلون وينهبون، قصدوا الري، فقاتلهم يزيد. ورأى كثرتهم، فدخل المدينة، فحاصروه، وطال عليه الحصار، فخرج إليهم، فقاتلوه. وكان معه ابن له اسمه حوشب ولي الشرطة لعلي بن أبي طالب، ثم للحجاج ففر حوشب. وانتهت المعركة بقتل يزيد. 68 هـ

■ (9) أبو بردة بن أبي موسى، عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري، الفقيه، العلامة، قاضي الكوفة.حدث عن أبيه، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن سلام، وأبي هريرة، وآخرين. وكان من أوعية العلم، حجة باتفاق، اسمه عامر فيما قيل، وولي قضاء الكوفة بعد شريح مدة، ثم عزله الحجاج، وولى أخاه أبا بكر بن أبي موسى. مات أبو بردة سنة 104 هـ، وقال الواقدي: مات سنة 103 هـ

■ (10) سعيد بن جبير الأسدي الوالبي مولاهم أبو محمد، ويقال أبو عبد الله، الكوفي المكي، كان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم، وكثرة العمل الصالح، وقد رأى خلقا من الصحابة، وروى عن جماعة منهم، وروى عنه خلق من التابعين، قيل: كان مقتله في سنة 95 هـ، وذكر ابن جرير مقتله في هذه السنة –94 هـ– فالله أعلم. يوجد مرقد سعيد بن جبير بواسط في العراق.قال سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.روي عنه أنه ختم القرآن مرتين ونصفا في الصلاة في ليلة في الكعبة. وقد ذكر أبو نعيم كلاما كثيرا في مقتل سعيد بن جبير، أحسنه هذا والله أعلم. وقد ذكرنا صفة مقتله إياه، وقد رويت آثار غريبة في صفة مقتله، أكثرها لا يصح، وقد عوقب الحجاج بعده وعوجل بالعقوبة، فلم يلبث بعده إلا قليلا ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، فقيل إنه مكث بعده 15 يوما، وقيل 40 يوما، وقيل 6 أشهر والله أعلم. واختلفوا في عمر سعيد بن جبير رحمه الله حين قتل، فقيل 49 سنة، وقيل 57

الله أكبر

عن مجاهد، قال: كان لعبد الرحمن بن أبي ليلى بيت فيه مصاحف يجتمع إليه فيه القراء، قلما تفرقوا إلا عن طعام، فأتيته ومعي تبر، فقال: أتحلي به سيفا ؟ قلت: لا. قال: فتحلي به مصحفا ؟ قلت: لا. قال: فلعلك تجعلها أخراصا فإنها تكره*.

قال ثابت: كان ابن أبي ليلى إذا صلى الصبح نشر المصحف وقرأ حتى تطلع الشمس.وعن عبد الأعلى، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كنت جالسا عند عمر رضي الله عنه فأتاه راكب فزعم أنه رأى الهلال هلال شوال فقال: أيها الناس أفطروا، ثم قام إلى عس* من ماء فتوضأ ومسح على موقين له*، ثم صلى المغرب، فقال له الراكب: ما جئتك إلا لأسالك عن هذا، أشيئا رأيت غيرك يفعله؟ قال: نعم، رأيت خيرا مني وخير الأمة، رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تفرد به إسرائيل.

وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: لا أعقل من شأن أبي شيئا إلا أني أعرفه كانت له امرأتان، وكان له حبان أخضران، فيبيت عنه هذه يوما، وعند هذه يوما.

----

* (الاخراص) جمع خرص، وهو القرط، والدرع (العس) القدح الضخم.(الموق) خف غليظ يلبس فوق الخف

مراجع: تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ بغداد/ المعارف/ المحن/ الوافي بالوفيات/ وفيات الأعيان/ أخبار القضاة/ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال/ الأعلام للزركلي/ تهذيب الكمال/

ذكر ابن سعد[1] في طبقاته، أن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله[2] دخل على عبد الملك وقربه فقال جابر: يا أمير المؤمنين إن المدينة حيث ترى، وهي طيبة سماها النبي عليه الصلاة والسلام، فأهلها محصورون، فإن رأى أمير المؤمنين أن يصل أرحامهم ويعرف حقهم فعل، قال: فكره ذلك عبد الملك وعرض عنه، وجعل جابر يلح عليه حتى أومأ قبيصة [3] إلى ابنه– وهو قائده وكان جابر قد ذهب بصره – أن أسكته، قال: فجعل ابنه يسكته، قال جابر: ويحك؟ ما تصنع بي؟ قال: اسكت فسكت جابر، فلما خرج أخذ قبيصة بيده فقال: يا أبا عبد الله إن هؤلاء القوم صاروا ملوكا. فقال جابر: أبلى الله بلاء حسنا فإنه لا عذر لك وصاحبك يسمع منك. قال يسمع ولا يسمع وما وافقه سمع، وقد أمر لك أمير المؤمنين بخمسة ألف درهم، فاستعن بها على زمانك.. انتهى. فمن هذا الموقف يتضح كيف أدرك قبيصة عدم رضا الخليفة عن فتح هذا الموضوع معه من قبل جابر، وكيف أنهى الموضوع حتى لا يتطور إلى ما لا تحمد عقباه للطرفين، فأشار على ابن جابر بإيقاف والده عن الكلام ثم يطيب خاطر جابر بأخذه بيده، والاعتذار إليه بألا يستغرب هذا التصرف من عبد الملك، فلا يتعامل معه على أنه عبد الملك العالم وإنما على أنه عبد الملك الذي صار ملكا ينظر إلى الأمور من نافذة الملك ومصالحه، ثم هو يعتذر لنفسه عندما وجه جابر اللوم له بأنه ليس له عذر في عدم المطالبة بحقوق أهل المدينة ما دام له هذه المكانة عند عبد الملك، لأن الأمر ليس كما يتصور جابر وغيره بأنه قادر على تحقيق كل ما يريده من عبد الملك بل الواقع أنه يسمع ولا يسمع، وفي هذا دليل على مراعاة قبيصة للأحوال والأشخاص.

حدث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: أقام الحج سنة 75 هـ عبد الملك بن مروان ثم صدر فمر على المدينة فخطب الناس على المنبر ثم أقام خطيبا له آخر وهو جالس على المنبر فتكلم الخطيب فكان مما تكلم به يومئذ أن وقع بأهل المدينة وذكر من خلافهم الطاعة وسوء رأيهم في عبد الملك وأهل بيته وما فعل أهل الحرة ثم قال ما وجدت لكم يا أهل المدينة مثلا إلا القرية التي ذكر الله في القرآن فإن الله قال:﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل] فبرك ابن عبد الله فقال للخطيب: كذبت لسنا كذلك؛ اقرإ الآية التي بعدها ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ وإنا آمنا بالله ورسله فلما قال ذلك ابن عبد وثب الحرس عليه فالتفوا به حتى ظننا أنهم قاتلوه فأرسل إليهم عبد الملك فردهم عنه فلما فرغ الخطيب ودخل عبد الملك الدار أدخل عليه ابن عبد الله. قال: فما أجاز أحدا أكثر من جائزته ولا كسا أحدا أكثر من كسوته.

جاء في كتاب العقد الفريد أن عبد الله بن جعفر[4] قدم على عبد الله بن مروان (يعني عبد الملك)، فقال له يحيى بن الحكم:[5] ما فعلت خبيثة؟ فقال: سبحان الله! يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وتسميها خبيثة؟ لقد اختلفتما في الدنيا وستختلفان في الآخرة! قال يحيى: لأن أموت بالشام أحب إلي من أن أموت بها! قال: اخترت جوار النصارى على جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال يحيى: ما تقول في علي وعثمان؟ قال: أقول ما قاله من هو خير مني فيمن هو شر منهما: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

عن أبي الجلدى التميمي قال: دخلت على عبد الملك بن مروان في الخضراء *،وبين يديه كانون من فضة يوقد فيه بالعود الألنجوج* . فقلت: زادك الله في النعمة عندي يا أمير المؤمنين، قال: أعجبك ما ترى يا أبا الجلد؟ قلت: إي والله يا أمي المؤمنين، فتمم الله ذلك برضوانه والجنة، قال: فلا يعجبك، هذا ابن هند ملك الناس أربعين سنة، عشرين سنة أميرا، وعشرين سنة خليفة، ذاك قبره ! (يعني معاوية بن أبي سفيان !)

قال أبو مسهر الدمشقي: وضع سماط عبد الملك يوما بين يديه، فقال لحاجبه: ائذن لخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد[6] فقال: مات يا أمير المؤمنين. قال: فأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد[7] قال: مات. قال: فلخالد بن يزيد بن معاوية [8] قال: مات. قال: ففلان وفلان لأقوام قد ماتوا –وهو يعلم ذلك– فبكى، وأمر برفع السماط، وأنشأ يقول: ذهبت لذاتي وانقضت أيامهم..وغيرت بعدهم ولست بخالد.

قال الأصمعي عن أبيه قال: خطب عبد الملك يوما خطبة بليغة، ثم قطعها وبكى بكاء شديدا، ثم قال:﴿يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي عَظِيمَةٌ، وَإِنَّ قَلِيلَ عَفْوِكَ أَعْظَمُ مِنْهَا، اللَّهُمَّ فَامْحُ بِقَلِيلِ عَفْوِكَ عَظِيمَ ذُنُوبِي﴾ قال: فبلغ ذلك الحسن[9] فبكى، وقال: لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام. وكان أبي مسلم الخولاني[10] إذا وقف على خربة قال: يا خربة أين أهلك؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم وانقطعت الشهوات وبقيت الخطيئة، ابن آدم ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة.

----

* (الخضراء) قصر الخضراء من القصور الأموية في مدينة دمشق، اشترى عبد الملك بن مروان هذا القصر من خالد بن يزيد بن معاوية، وجعله دار الإمارة كما يرويه ابن عساكر (الألنجوج) من جنس العود يستعمل كبخور نفيس.

■ (2) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن عمرو بن سواد بن سلمة ويقال ابن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي الأنصاري المديني شهد بدرا مع النبي كنيته أبو عبد الله وقيل شهد العقبة مع أبيه، مات سنة 78 هـ أو 79 هـ بعد أن عمي وكان له يوم مات 94 سنة وصلى عليه أبان بن عثمان وهو والي المدينة. قال عمرو بن علي آخر من مات بالمدينة جابر بن عبد الله في سنة 79 هـ. سمع النبي وروى عن أبي هريرة وأم كلثوم وأبي سعيد الخدري وابي بردة بن نيار وعمر بن الخطاب وأبي حميد الساعدي وأم مالك وأم شريك.

■ (4) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم. السيد، العالم، أبو جعفر القرشي، الهاشمي، ولد في الحبشة سنة 1 هـ ، وله صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وروى أيضا عن عمه؛ علي، وعن أمه؛ أسماء بنت عميس. حدث عنه أولاده، وآخرون. وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم. وله وفادة على معاوية.ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ. ويقال: سنة 90 هـ.

■ (3) قبيصة بن ذؤيب، أبو إسحاق، الإمام، الفقيه، أبو سعيد الخزاعي المدني ثم الدمشقي الوزير. مولده عام الفتح سنة ثمان، ومات أبوه ذؤيب بن حلحلة صاحب بدن النبي صلى الله عليه وسلم في آخر أيام النبي، فأتي بقبيصة بعد موت أبيه فيما قيل، فدعا له النبي ولم يع هو ذلك. وروى عن أبي بكر إن صح وعن عمر، وأبي الدرداء، وبلال، وعبد الرحمن بن عوف، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وعدة. وكان على الختم والبريد للخليفة عبد الملك، وقد أصيبت عينه يوم الحرة، وله دار معتبرة بباب البريد*.وقد كناه محمد بن سعد: أبا إسحاق، وقال: شهد أبوه الفتح، وكان ينزل بقديد، وكان يقرأ الكتب إذا وردت على الخليفة. قال: وكان ثقة مأمونا، كثير الحديث، توفي سنة 86 أو 87 هـ.*(باب البريد): اسم لاحد أبواب جامع دمشق من جهة الغرب، به سميت محلة باب البريد وهي من أنزه المواضع.

■ (9) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أوبه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

■ (10) أبو مسلم الخولا ني الداراني الزاهد، سيد التابعين بالشام. و اسمه: عبد الله بن ثوب، وقد أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة في خلافة أبي بكر. قال سعيد بن عبد العزيز: توفي أبو مسلم بأرض الروم، وكان قد شتى مع بسر بن أبي أرطأة، فأدركه أجله، فأتاه بسر في مرضه، فقال له أبو مسلم: اعقد لي على من مات في هذه الغزاة من المسلمين، فإني أرجو أن آتي بهم يوم القيامة على لوائهم. قال المفضل بن غسان: توفي علقمة وأبو مسلم الخولاني سنة 62 هـ.

■ (1) أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد. المتوفى سنة 230هـ من أشهر مؤلفاته: كتاب الطبقات الكبرى.

■ (8) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي القرشي، هو أول من اهتم من العرب بعلم الكيمياء وترجم الكتب. ولد 51 هـ وتوفي سنة 90 هـ وهو أخو معاوية بن يزيد ثالث ملوك بني أمية.

■ (6) خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو أمية القرشي الأموي المكي، ويكنى أبا سعيد، كان جوادا، كان مع مصعب بن الزبير بالعراق ثم لحق بعبد الملك وشهد معه قتل مصعب وولاه البصرة سنة 72 هـ ثم عزله سنة75 هـ وضم البصرة إلى أخيه بشر بن مروان وكان خالد معه وأحضره معه وفاته بدمشق واستوثق منه بالبيعة للوليد.(أما المدعو: خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد فقد قتل سنة 126 هـ)

■ (5) يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو مروان الأموي، أخو مروان بن الحكم (رابع ملوك بني أمية). كان يحيى بن الحكم عاملاً على المدينة لعبد الملك بن مروان (خامس ملوك بني أمية).

■ (7) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص،والي خراسان لعبد الملك بن مروان.

☪

إن لمدينة النبيّ صلى الله عليه وسلم منزلة ومكانة متميزة عن بقية مدن الخلافة الإسلامية، فهي مقر هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وفيها مسكنه صلى الله عليه وسلم، وقبره، وفيها مسجده صلى الله عليه وسلم الذي كان مدرسة الإسلام الأولى التي تخرج منها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين ملؤوا الأرض علماً وإيماناً ونوراً، فكانوا هم العلماء العاملين القادة الفاتحين. والمدينة هي عاصمة دولة الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر الصّديق وكذا كانت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. لها مكانتها العالية فهي مقرّ الخلافة وفيها يقيم الخليفة وأهل مشورته ووزراؤه من كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها تدار شؤون الدولة الإسلامية، وتبعث الجيوش الإسلامية إلى بلاد فارس والعراق والشام وإفريقية، وإليها ترسل الغنائم والفيئ والزكاة، ومنها يبعث الأمراء على البلدان والأقاليم..عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ﴾ عن سفيان بن أبي زهير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿تُفْتَحُ الشَّامُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْعِرَاقُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (يبسون) يتحملون بأهليهم وقيل يدعون إلى بلاد الخصب. وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى تَصِيرَ لِلُكَعِ ابْنِ لُكَعٍ﴾ أي اللئيم ابن اللئيم. ردي الحسب والنسب، لا يعرف له أصل ولا يحمد على خلق. وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا﴾ (الصم البكم) المراد بهم الجهلة السفلة الرعاع كما قال الله تعالى:﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة] أي لما لم ينتفعوا بجوارحهم هذه فكأنهم عدموها. وعن أبي هريرة، قال: ﴿مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَظْهَرَ الشُّحُّ وَالْفُحْشُ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَتَظْهَرَ ثِيَابٌ تَلْبَسُهَا نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، وَيَعْلُو التُّحُوتُ الْوُعُولَ﴾ (التحوت) فسول الرجال وأهل البيوت الغامضة، يرفعون فوق صالحيهم، (الوعول) أهل البيوت الصالحة. قيل أراد معاوية نقل منبر النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة وأن يحمل إلى الشام، وقال: لا يترك هو وعصا النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهم قتلة عثمان. فطلب العصا وهي عند سعد القرظ. وحرك المنبر فكسفت الشمس حتى رئيت النجوم بادية، فأعظم الناس ذلك فتركه. وقيل: بل أتاه جابر وأبو هريرة فقالا له: يا أمير المؤمنين، لا يصلح أن يخرج منبر النبي صلى الله عليه وسلم من موضع وضعه وتنقل عصاه إلى الشام، فانقل المسجد؛ فتركه معاوية وزاد فيه ست درجات واعتذر مما صنع.

☪

قال ابن كثير: كان سبب وقعة الحرة أن وفدا من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق، فأكرمهم وأحسن جائزتهم، وأطلق لأميرهم، وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر، قريبا من مائة ألف، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في شربه الخمر، وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها بسبب السكر، فاجتمعوا على خلعه، فخلعوه عند المنبر النبوي، فلما بلغه ذلك بعث إليهم سرية يقدمها رجل يقال له: مسلم بن عقبة. وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام، فقتل في غبون هذه الأيام بشرا كثيرا حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها، وزعم بعض علماء السلف أنه افتض في غبون ذلك ألف بكر. فالله أعلم.

راجع: سير أعلام النبلاء/ رجال صحيح مسلم/ الطبقات الكبرى/ البداية والنهاية/ العقد الفريد/ مختصر تاريخ دمشق/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/

كان جعفر[1] أخا عبد الملك بن مروان من الرضاعة، فوفد على عبد الملك بن مروان في خلافته فجلس في مسجد دمشق، وأهل الشام يعرضون على ديوانهم، قال: وتلك اليمانية حوله يقولون: الطاعة الطاعة، فقال جعفر: لا طاعة إلا لله فوثبوا عليه، وقالوا: توهن الطاعة، طاعة أمير المؤمنين! حتى ركبوا الأسطوان*عليه، قال: فما أفلت إلا بعد جهد، وبلغ الخبر عبد الملك فأرسل إليه فأدخل عليه، فقال: أرأيت؟ هذا من عملك، أما والله لو قتلوك، ما كان عندي مثل شيء، ما دخولك في أمر لا يعنيك! ترى قوما يشدون ملكي وطاعتي، فتجيء فتوهنه أنت، إياك إياك.

قال رجاء بن أبي سلمة عن معن التنوخي وكان من أهل الكتاب فأسلم قال: ما رأيت في هذه الأمة أزهد من اثنين عمر بن عبد العزيز وإسماعيل بن عبيد الله المخزومي[2] وكان خال هشام بن عبد الملك قال رجاء: وكان إذا انصرف من غزوة افترش ذراعه وكان هو وأم ولده وولده في بيت ودوابه في ناحية البيت. قال إسماعيل بن عبيد الله: كنت أعلم ولد عبد الملك بن مروان من عاتكة، فكنت جالسا على فراشين وهم بين يدي يتعلمون إذ أقبل عبد الملك، ثم جلس ينظر إليهم، وهم يتعلمون، فقال له بنوه: يا أمير المؤمنين، إنه قد شق علينا في التعليم، فإن رأيت أن تأذن لنا نلعب، فقال: تلعبون، وقد مر على رأس أبيكم ما قد علمتم؟ ! لقد رأيتني أغزو مصعب بن الزبير، وعدوي كأمثال الجبال كثرة، وأنصاري من أهل الشام عامتهم أعداء لي، فأمكث طويلا، وقد ذهب عقلي، ثم يرده الله علي.

وعن الوليد بن مسلم، بسنده إلى إسماعيل بن عبيد الله قال: قال لي عبد الملك بن مروان: أدب ولدي*، فإني مثيبك على ذلك، قال: قلت: يا أمير المؤمنين كيف بذلك؟ وقد حدثتني أم الدرداء[3] عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ أَخَذَ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ قَوْساً قَلَّدَهُ اللهُ مَكَانَهَا قَوْساً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال يا إسماعيل إني لست معطيك على القرآن إنما أعطيك على النحو. ثم قال له عبد الملك بن مروان في وصيته: علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن وجنبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس رعة*وأقلهم أدبا وجنبهم الحشم فإنهم بهم مفسدة وأحف شعورهم تغلظ رقابهم وأطعمهم اللحم يقووا وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ومرهم أن يستاكوا عرضا ويمصوا الماء مصا ولا يعبوا عبا وإذا احتجت أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في سر لا يعلم بهم أحد من الحاشية فيهونوا عليهم.

عن زيد بن أسلم، قال: كان عبد الملك بن مروان، يرسل إلى أم الدرداء*، فتبيت عند نسائه، ويسألها عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فقام ليلة فدعا خادمه، فأبطأت عليه فلعنها. فقالت: لا تلعن، فإن أبا الدرداء حدثني أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ اللَّعَّانِينَ* لَا يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ﴾ ورواية: في رواية: قال إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، عن أبيه عن جده قال: كان عبد الملك يجلس في حلقة أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق، فقالت له: بلغني أنك شربت الطلاء* بعد العبادة والنسك، فقال: إي والله، والدماء أيضا قد شربتها. ثم جاءه غلام كان قد بعثه في حاجة فقال: ما حبسك لعنك الله ؟ فقالت أم الدرداء: لا تفعل يا أمير المؤمنين فإني سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَعَّانٌ﴾.

عن ميمون بن مهران، قال: خطب معاوية أم الدرداء فأبت أن تزوجه، قالت: سمعت أبا الدرداء، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْمَرْأَةُ لِآخِرِ أَزْوَاجِهَا﴾ فلست بمتزوجة بعد أبي الدرداء زوجا حتى أتزوجه في الجنة.

عن حبيب بن عبيد، عن غضيف[4] قال: بعث إلي عبد الملك بن مروان فقال: يا أبا أسماء، قد جمعنا الناس على أمرين، رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة، والقصص بعد الصبح والعصر، قال غضيف: أما إنها أمثل بدعتكم عندي، ولست مجيبك إلى شيء منها، قال: لم؟. قلت: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بِدْعَةً إِلاَّ رُفِعَ مِثْلُهَا مِنَ السُّنَّةِ﴾ فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة.

----

* (الأسطوان) بضم الهمزة والطاء جمع أسطوانة وهي السارية والعمود. (الرعة) قلة الورع. (أم الدرداء) هجيمة بنت حيي الوصابية ؛ أم الدرداء الصغرى. (اللعانين) الذين يكثرون اللعن وأما من يقل اللعن كأن يلعن الشيطان فلا يضر والله أعلم. (الطلاء) ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه وتسمية العجم الميبختج وبعض العرب يسمي الخمر الطلاء يريد بذلك تحسين اسمها لا أنها الطلاء بعينها والطلاء أيضا القطران وكل ما طليت به..(بني عبد الملك) تولّى إسماعيل تأديب سعيد ويزيد ومسلمة بني عبد الملك، والعباس بن الوليد بن عبد الملك.

■ (1) جعفر بن عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبد بن ناشرة بن كعب بن جدي بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة الضمري المديني. مات في خلافة! الوليد بن عبد الملك، سنة 95 هـ أو 96 هـ.

■ (2) إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بنى مخزوم، كنيته أبو عبد الحميد، ولد سنة 61 هـ كان قد تولّى تأديب أبناء عبد الملك.ثم ولاه عمر بن عبد العزيز جند إفريقية ومات في ولاية مروان بن محمد سنة 132 هـ .قبل دخول عبد الله بن علي (العباسيون) دمشق بثلاثة أشهر.

■ (4) غضيف بن الحارث بن زنيم، أبو أسماء اسكوني اليماني، ويقال الثمالي، ويقال الكندي مختلف في صحبته أدرك زمان سيدنا رسول الله، وقدم دمشق. مات أيام مروان بن الحكم سنة 56 هـ وقيل توفي في حدود 80 هـ قال غضيف: كنت صبيا أرمي نخل الأنصار فأتوا بي النبي، فمسح برأسي فقال: كل ما يسقط ولا ترمي نخلهم

■ (3) اعلم أن أم الدرداء اثنتان: أم الدرداء الكبرى: تسمى خيرة بنت أبي حدرد، زوجة أبي الدرداء، لها صحبة ورواية عن النبي ويقال إنها ماتت قبل أبي الدرداء بسنتين وكانت وفاتها بالشام في خلافة عثمان بن عفان.

وأم الدرداء الصغرى: اسمها هجيمة بنت حيي الوصابية. تزوجها أبي الدرداء بعد وفاة النبي. وكانت فقيهة محدثة تابعية، من أهل دمشق. تنسب للوصاب من قبائل حمير. نشأت يتيمة في حجر أبي الدرداء (عويمر بن مالك) بدمشق. وكانت تلبس برنسا، وتصلي في صفوف الرجال، وتجلس في حلق القراء، حتى أمرها أبو الدرداء أن تلحق بصفوف النساء.وكانت تُجالِس الصحابة وخلفاء بني أمية.ويقال فيها جهيمة وهي التي خطبها معاوية بعد موت أبي الدرداء فأبت أن تتزوجه.وقالت سمعت أبا الدرداء يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: المرأة في آخر أزواجها أو قال لآخر أزواجها أو كما قال ولست أريد بأبي الدرداء بدلا. توفيت بعد سنة 81 هـ قال ابن الجوزي: كان لأبي الدرداء بنت تسمى الدرداء، وليست من هذه ولا من هذه، بل من امرأة أخرى على ما ذكر محمد بن سعد.

☪

قال القاسم بن مخيمرة:[1] أتيت عمر بن عبد العزيز، فقضى عني سبعين دينارا وحملني على بغلة وفرض لي في كل سنة خمسين. فقلت: أغنني عن التجارة. فسألني عن حديث، فقلت هيبتي* يا أمير المؤمنين. كأنه كره أن يحدثه به على هذا الوجه.

عن مجاهد قال: قال عمر بن الخطاب: يا أهل العلم والقرآن لا تأخذوا للعلم والقرآن ثمنا فتسبقكم الزناة إلى الجنة. قال علي الصلابي: إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي ولاه عمر بن عبد العزيز على إفريقية في المحرم سنة 99 ـ 100هـ فكان خير أمير، قال ابن خلدون: وأسلم جميع البربر في أيامه، وأرسل معه عشرة من فقهاء التابعين وعلمائهم يفقهون الناس في أمور الدين، ويبينون لهم الحلال والحرام. وكان هذا الأمير في غاية الزهد والتواضع حريصا على نشر العلم وسار في أهل البلاد بسيرة العدل، وكان شديد الحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى عنه ابن عساكر إنه قال: ينبغي لنا أن نحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نحفظ القرآن لأن الله يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، ومكث في القيروان معلما للناس، ناشرا للسنة، لمدة ثلاث وثلاثين سنة حيث توفي بها سنة 131 هـ وقد جمعت شخصية إسماعيل رحمه الله، الكفاءة، والعلم والورع، فأنتجت هذه الثمار التي ساهمت في ترسيخ الإسلام في شمال إفريقيا..

☪

قال علي بن نايف: ليس الغرض من حفظ القرآن أو تلاوته مجرد التلاوة والتغني بالصوت وإنما المقصود التدبر في آياته وأسراره وما تضمنه من العجائب الدالة على عظمة الله سبحانه وتعالى، الله جل وعلا تعرف إلينا بهذا القرآن وذكر لنا شيئا من أسمائه وصفاته لنعرفه بها ونعبده حق عبادته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف]، فلا تمر على الآيات مرور المستعجل الذي يريد أن يختم القرآن كم مرة أو عددا من المرات دون أن يتأمل ويتدبر ويستفيد ويخرج بنتيجة، فالقرآن لا يمل ولا يحاط بأسراره ولكن كل يأخذ بقدر ما أعطاه الله من الفهم والإدراك، الكل يستفيد من القرآن العامي والمتعلم والعالم والمتخصص بحسب مقدرته وما أعطاه الله، ولكن من المهم استحضار القلب ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق].

لا أحد ينازع في أن الكلام يشرف بشرف قائله، فكلما كان القائل عظيم القدر كانت كلماته كذلك، ولذا قيل في منثور الأدب: كلام الملوك ملوك الكلام، فإن كان هذا في حق البشر ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل] فكيف بكلام خالق البشر؟ وإن تعظيم القرآن من تعظيم الله تعالى؛ فمن كان يرجو لله وقارا عظم كتابه وأجله ومجده، ولقد كان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه يأخذ المصحف فيضعه في وجهه ويقبله ويبكي ويقول: كلام ربي كلام ربي. ومن صور تعظيم القرآن:

- الإنصات عند تلاوته، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف]
- الإخبات عند تلاوة القرآن، فقد مدح الله تعالى المخبتين إذا قرئ القرآن الكريم فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة] وقال الله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء]، وقال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم]، وقال الله تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود: ﴿اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَقُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، قَالَ: فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ النِّسَاءَ حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء] رَفَعْتُ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَسِيلُ﴾ وفي رواية: فبكى. ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت أم المؤمنين عائشة في مرضه قال: ﴿مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِحَفْصَةَ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ فَإِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ﴾ والله تعالى يقول: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر]
- لا يمسه إلا طاهر فلا يصح لغير المتطهر أن يمس القرآن الكريم؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ﴾.
- عدم تعريضه للامتهان؛ فالمسلم يجب عليه أن يصون المصحف الشريف عن مظنة امتهانه، وأن يحرص كل الحرص ألا يكون سببا في ذلك، ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو خوفا من أن ينالوه بأذى. وما وقع منهم في هذا الزمان وإن كان يحدث في النفس ما لا تطيقه الجبال إلا أنه أذان بقرب انتقام الله تعالى منهم، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف]

----

* (هيبتي) كذا وفي الحلية :هنيني. وزاد في رواية الحلية الأخرى بعد هذه الكلمة: عطيتك. ولعل الصواب: هيبتني أو هيبتني عطيتك أي خوفتني بهذا الطلب عقب العطية، وذلك للعلة المذكورة

■ (1) القاسم بن مخيمرة، الإمام القدوة الحافظ أبو عروة الهمداني الكوفي، نزيل دمشق. وكان تاجرا، قيل مات في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة100 هـ

راجع: شرح السيوطي على مسلم/مختصر تاريخ دمشق/ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان/ عمر بن عبد العزيز/ مسند أحمد/ الأوهام الواقعة في أسماء العلماء والأعلام/ صفة الصفوة/مختار الصحاح/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وابن شهاب الزهري(١) 0356

قال ابن أبي ذئب:[1]ضاقت حال الزهري[2] ورهقه دين، فخرج إلى الشام فجالس قبيصة بن ذؤيب*[3]قال ابن شهاب: فبينما نحن معه نسمر إذ جاءه رسول لـ عبد الملك بن مروان، فذهب به إليه ثم رجع، فقال: من منكم يحفظ قضاء عمر في أمهات الأولاد؟ قلت: أنا. قال: قم، فدخلنا على عبد الملك، فإذا هو جالس على نمرقة* بيده مخصرة* وعليه غلالة ملتحف بسبيبة* بين يديه شمعة. قال: من أنت؟ فانتسبت له –ذكر نسبه– فقال: إن كان أبوك لنعارا في الفتن* –أي: يثير الفتن على الدولة الأموية ، وكان أبوه مع ابن الزبير–قلت: يا أمير المؤمنين! عفا الله عما سلف. قال: اجلس: فجلست. قال: تقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: اقرأ من سورة كذا ومن سورة كذا فقرأت، فقال: أتفرض؟ –يعني: أتعلم علم الفرائض؟ أي علم المواريث– قلت: نعم. قال: فما تقول في امرأة تركت زوجها وأبويها؟ قلت: لزوجها النصف ولأمها السدس ولأبيها ما بقي، قال: أصبت الفرض وأخطأت اللفظ، إنما لزوجها النصف ولأمها ثلث ما بقى. هات حديثك. قلت: حدثني سعيد بن المسيب[4] فذكر قضاء عمر في أمهات المؤمنين، فقال: وهكذا حدثني سعيد. وذلك لأن عبد الملك بن مروان كان يتعلم من سعيد بن المسيب، ولكن لما ولي الخلافة بعد وفاة أبيه شغل عن ذلك بالملك وترك طلب العلم. فقال: هكذا حدثني سعيد. فقلت: يا أمير المؤمنين! اقض ديني، قال: نعم. قال: وتفرض لي؟ يعني: تجعل لي راتبا ثابتا، قال: لا، والله! ما نجمعهما على أحد، قال: فتجهزت إلى المدينة.

وفي رواية: ثم قال لي: قد فرضت لك فرائض أهل بيتك، ثم أمر قبيصة أن يكتب ذلك في الديوان، ثم قال: أين تحب أن يكون ديوانك مع أمير المؤمنين هاهنا أم في بلدك ؟ قلت: يا أمير المؤمنين أنا معك. ثم قال خرج قبيصة فقال: إن أمير المؤمنين قد أمر أن تثبت في صحابته وأن ترفع فريضتك، فالزم باب أمير المؤمنين، فلزمت عسكر أمير المؤمنين، وكنت أدخل عليه كثيرا، وجعل عبد الملك فيما يسألني يقول: من لقيت فأسميهم له لا أعدو قريشا، فقال: فأين أنت عن الأنصار فإنك واجد عندهم علما، أين أنت عن ابن سيدهم خارجة بن زيد، وسمى رجالا منهم. قال: فقدمت المدينة فسألتهم، وسمعت منهم.قال وتوفي عبد الملك فلزمت الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشاما، فاستقضى يزيد بن عبد الملك على قضائه الزهري وسليمان ابن حبيب جميعا. وحج هشام بن عبد الملك سنة ست ومائة ومعه الزهري حصره مع ولده يفقههم ويعلمهم ويحج معهم فلم يفارقهم حتى مات.

----

*(نمرقة) والنمرق الوسادة الصغيرة يتكأ عليها (مخصرة) قضيب أو عصا (بسبيبة) ثوب رقيق من حرير فيه أمثال الاترج – أي أن الأضلاع التي فيها غليظة معوجة– وهذا ينسب إلى بلدة سبن (نعارا) رجل نعار في الفتن: خراج فيها سعاء (قبيصة بن ذؤيب) في رواية مشابهة قال: حويصة بن ذؤيب

■ (2) محمد بن شهاب الزهري؛ كنيته أبو بكر من علماء التابعين وفقهائهم، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم.مات سنة 124 هـ وهو ابن 66 سنة وذلك قبل موت هشام بعام. وقيل إنه مات وهو ابن 72 سنة ودفن بموضع يقال له إدامى وهي خلف شغب وبدا وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز.

■ (4) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع: عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة.قيل توفي سنة 94 هـ وقيل سنة 93 هـ وقيل سنة 91 أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم: فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ

■ (1) ابن أبي ذئب (ذؤيب!)، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب. يكنى أبا الحارث ولد في سنة 80 هـ عام الجحاف وكان من أورع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريا وكان يصلي الليل أجمع. وكان يصوم يوما ويفطر يوما فوقعت الرجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له قم تغذى قال دعه اليوم فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتو فيه ويصيف ويحفظ حديثه كله. سمع ابن أبي ذئب من عكرمة ونافع وسعيد المقبري وأبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. وكان فقيها صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أقدمه المهدي بغداد فحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة سنة 159 هـ وهو ابن 79 .قال أحمد كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب قيل لأحمد خلف مثله ببلاده قال لا ولا بغيرها.

■ (3) قبيصة بن ذؤيب، أبو إسحاق، الإمام، الفقيه، أبو سعيد الخزاعي المدني ثم الدمشقي الوزير. مولده عام الفتح سنة ثمان، ومات أبوه ذؤيب بن حلحلة صاحب بدن النبي صلى الله عليه وسلم في آخر أيام النبي، فأتي بقبيصة بعد موت أبيه فيما قيل، فدعا له النبي ولم يع هو ذلك. وروى عن أبي بكر إن صح – وعن عمر، وأبي الدرداء، وبلال، وعبد الرحمن بن عوف، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وعدة. وكان على الختم والبريد للخليفة عبد الملك، وقد أصيبت عينه يوم الحرة، وله دار معتبرة بباب البريد*.وقد كناه محمد بن سعد: أبا إسحاق، وقال: شهد أبوه الفتح، وكان ينزل بقديد، وكان يقرأ الكتب إذا وردت على الخليفة. قال: وكان ثقة مأمونا، كثير الحديث، توفي سنة 86 أو 87 هـ. *(باب البريد): اسم لاحد أبواب جامع دمشق من جهة الغرب، به سميت محلة باب البريد وهي من أنزه المواضع.

☪

عن عامر قال: إذا اختلف الناس في أمر فانظر كيف قضى فيه عمر، فإنه لم يكن يقضي في الأمر لم يقض فيه قبله حتى يشاور.قال الشعبي: من سره أن يأخذ بالوثيقة من القضاء فليأخذ بقضاء عمر، فإنه كان يستشير. وعن عاصم قال: أخذ أبو عثمان النهدي عصا كانت بيده، ثم رفعها، ثم قال: والذي لو شاء أن ينطق هذه العصا لنطقت، لو كان عمر ميزانا ما كان يميط شعرة. وعن شقيق بن سلمة قال: رأيت سلمان بن ربيعة[1] جالسا بالمدائن على قضائها، استقضاه عمر بن الخطاب أربعين يوما، فما رأيت بين يديه رجلين يختصمان بالقليل ولا بالكثير، فقلنا لأبي وائل: فمم ذلك؟ قال: من انتصاف الناس فيما بينهم.

☪

عن سعيد بن المسيب قال: بينما عمر رضي الله عنه يوما جالس إذ أتاه رجل بابن له فقال: يا أمير المؤمنين، افرض لابني مالا. قال: أمن مهيرة* أم من أمة ؟ قال: من أمة، قال: إنما هو عبدك، وإنما أمه أمتك وهل نفرض لامرأتك قال: فخرج الرجل بابنه حتى أتى أهله، فلما أتاهم خرج بابنه وبأمه إلى السوق يبيعهما، فبلغ ذلك عمر فأرسل إليه فقال: إني لو كنت تقدمت إليك في هذا لجعلتك نكالا، قال: يا أمير المؤمنين قد زعمت أنه عبدي وأنها أمتي!! قال سعيد: فقام عمر عند ذلك فنهى عن بيع أمهات الاولاد. وحدث عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد، عن جده: أنه سمع عمر بن الخطاب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله قد أفاء عليكم من سبي الاعاجم ما لم يفئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا على أبي بكر رضي الله عنه، من نسائهم وأولادهم، وإني قد عرفت أن رجالا سيلهون* بالنساء فمن ألم بامرأة فولدت له، فلا تبيعوا أمهات أولادكم، فإنكم إذا فعلتم ذلك يوشك أن يتزوج أحدكم ذا محرمه، وهو لا يشعر، ثم إن عمر قضى فيهن بعد ذلك أن يجعلن من أنصباء أولادهن، فأتاه صبي شاب فقال: يا أمير المؤمنين إن إخوتي أقاموا علي أمي بجميع ما ورثت عن أبي، فقال عمر: لا، إنما أردنا من ذلك عدلا، ما لنا نمنعهن من البيع ونجعلهن في أنصباء أولادهن، بل هي في يمينه وأمره ما عاش فإذا مات فهي حرة. وعن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن عمر رضي الله عنه في أول خلافته جعل أمهات الأولاد في ميراث أبنائهن حتى مات رجل من بني فهر وله أولاد من مهيرة وغلام من أم ولد فأقاموها عليه قيمة شحطوا* عليه فيها لجمالها أو لمال ذكر لها فأخذ الغلام أمه وبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأرسل إلى الغلام فسأله فقال: يا أمير المؤمنين خيروني بين أن يؤدوني في أمي وبين أن يخرجوني من ميراث أبي فاخترت إحرار أمي وعلى أن الله رازقي فقال عمر رضي الله عنه: أقد فعلت ما هذا إرث فقام على المنبر فخطب الناس فقال: أما بعد، أيها الناس قد كان مني في أمهات الأولاد ما كان وقد ركب الناس فيهن الحرام فأيما أمة ولدت من سيدها فلا تباع ولا توهب. حدث محمد بن عبد الله بن قارب الثقفي أن أباه أشترى في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه جارية بأربعة آلاف درهم، قد أسقطت لرجل سقطا، فسمع بذلك فأرسل إليهما قال: وكان أبي صديقا لعمر رضي الله عنه، وكانت له منه خاصة، فأقبل عليه فلامه لوما شديدا، وقال: إن كنت لانزهك عن هذا، وأقبل على الرجل البائع ضربا بالدرة وقال: أبعد ما اختلطت لحومكم ولحومهن ودماؤكم ودماؤهن بعتموهن وأكلتم أثمانهن ؟! قاتل الله يهود فإنهم حرموا شحومها فباعوها وأكلوا أثمانها. ارددها، قال: فردها أبي فأدرك من ثمنها ثلاثة آلاف ولوى ألفا. حدث القاسم بن الفضل، عن محمد بن زياد قال: كانت جدتي أم ولد لعثمان بن مظعون. فلما مات أراد ابنه أن يبيعها، فشكت إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقالت: إني كنت لعثمان بن مظعون وإني ولدت له، وإن ابنه أراد أن يبيعني، فلو كلمته أن يضعني موضعا صالحا، قالت لها عائشة رضي الله عنها: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعتقك، فأتت عمر رضي الله عنه فذكرت ذلك له، فأرسل إلى ابن عثمان فقال: أردت أن تبيع هذه ؟ قال: نعم، قال: ليس ذاك لك، هي حرة. فقالت: يا أمير المؤمنين أتعتقني ؟ قال: أعتقك ولدك من عثمان بن مظعون. قالت: فإنه جرح هذه الجروح بوجهي بعد موت أبيه. فقال عمر رضي الله عنه: أعطها أرش ما صنعت بها.

☪

عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة قال: كنا في خلافة معاوية في آخرها نجتمع في حلقة في مسجد بالليل أنا ومصعب بن الزبير، وعروة بن الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الملك بن مروان، وعبد الرحمن بن المسور بن مخرمة وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وكنت أنا آتي زيد بن ثابت حتى مات، وكان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وكانت أعلم الناس.

----

* (المهيرة) الحرة من النساء، وهى ضد السرية.(اللهو) ما شغلك من هوى أو طرب، لها يلهو والتهى بامرأة فهي لهوته وواللهو النكاح ويقال المرأة وقد يكنى باللهو عن الجماع (شحطوا) تباعدوا عن الحق وتجاوزوا تقدير القيمة.

■ (1) سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلي: صحابي، من القادة، القضاة. شهد فتوح الشام، وسكن العراق. واستقضاه عمر على الكوفة. قال ابن قتيبة: هو أول قاض قضى لعمر بن الخطاب بالعراق ثم ولي غزو أرمينية في زمن عثمان، واستشهد فيها 30 هـ

مراجع: سلسلة من أعلام السلف/ تاريخ الإسلام للذهبي/ سير أعلام النبلاء/ صفة الصفوة / مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ العقد الفريد/ تاريخ دمشق/ موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر/ لسان العرب/ القلائد من فرائد الفوائد/ شرح نهج البلاغة/ أسد الغابة/

في رواية ابن شبة النميري عن عبد الاعلى بن عبد الله بن أبي فروة، عن ابن شهاب[1] قال: أصابت أهل المدينة حاجة من فتنة عبد الملك بن مروان، فتذكرت هل من أحد أمت إليه برحم أو بمودة أرجو إن خرجت إليه أن أصيب منه شيئا ؟ فما ذكرت أحدا، فقلت: الرزق بيد الله، فخرجت حتى قدمت دمشق، فلما أصبحت غدوت إلى المسجد فعمدت إلى أعظم حلقة رأيتها فيه وأكثرها هيئة فجلست إليهم، فإني لجالس معهم إذ أقبل رجل كأجمل الرجال وأحسنهم هيئة، فلما رآه القوم تحجحجوا* له وأوسعوا، وإذ هو قبيصة بن ذؤيب[2]، فقال: لست أجلس، لقد جاء أمير المؤمنين اليوم كتاب ما جاءه مثله مذ استخلفه الله، قالوا: وما ذاك ؟ قال كتب إليه عامله على المدينة هشام بن إسماعيل[3] يذكر أن ابنا لمصعب بن الزبير[4] توفي وترك أم ولد له، فأراد عروة بن الزبير[5] بيعها، فأشكل على أمير المؤمنين حديث سمعه من سعيد بن المسيب[6] لا يدري كيف هو، قلت: أنا أحدثك ما رأيت فلنقم. قال: قم، قال: قمت وأخذ بيدي فخرجنا حتى جاء إلى باب عبد الملك فقال: السلام عليكم، فقال عبد الملك محييا: وعليكم السلام، فقال أندخل ؟ قال: ادخل، قال: فدخل وهو آخذ بيدي فقال: يا أمير المؤمنين هذا يحدثك الحديث الذي سمعته من سعيد ابن المسيب، قال: أتقرأ القرآن ؟ قلت: نعم، قال: اقرأ، فقرأت، قال: وسألني عن شئ من الفرض، ثم سألني عن الحديث فقال: كيف حدثك سعيد بن المسيب ؟ قلت: يا أمير المؤمنين، حدثني سعيد: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رأى في أمهات الاولاد ما قد علمت، فمات أبي وترك أمي أم ولد فخيرني إخوتي بين أن يسترقوا أمي وبين أن يخرجوني من ميراث أبي، فكان أن يخرجوني من ميراثي من أبي أهون علي من أن يسترقوا أمي، فقال: ما ترانا نقول في شئ إلا قلتم فيه، ثم صعد المنبر واجتمع الناس، حتى إنه رأى رضاء من جماعتهم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس فإنه قد كان لي رأى في أمهات الاولاد، ثم قد حدث لي رأي غير ذلك، فأيما امرئ كانت عنده أم ولد فإنه يستمتع منها ما عاش، فإذا مات فهي حرة لا سبيل لاحد عليها، قال: من أنت ؟ قلت: محمد بن سلمة بن عبيد الله ابن شهاب، فقال: أما والله أن كان لك لاربة لقارفي الفتنة تروي لنا فيها، قلت: يا أمير المؤمنين، بل كما قال العبد الصالح لإخوته: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف] قال وقلت: يا أمير المؤمنين افرض لي فإني مقطع من الديوان، قال: إن بلادك لبلاد ما فرضنا فيها لاحد مذ كان هذا الامر، ثم أومى إلي قبيصة فقال: قد فرض لك أمير المؤمنين، قال: وصلة تصلني بها يا أمير المؤمنين، فإني خرجت من عند أهلي وما لهم خادم إلا أخت لي، إنها لتعجن لهم وتخبز، فأومى إلي قبيصة فقال: وقد أخدمك أمير المؤمنين، قال: ثم كتب إلى هشام بن إسماعيل عامله على المدينة يأمره أن يسأل سعيد بن المسيب عن الحديث، فكتب إليه بمثل حديثي ما زاد حرفا ولا نقص حرفا.

في رواية قال ابن أبي ذئب: كان ابن شهاب قد ضاقت حاله ورهقه دين، فخرج إلى الشام زمن عبد الملك بن مروان، فجالس قبيصة بن ذؤيب. قال ابن شهاب: فبينا نحن مع قبيصة ذات ليلة نسمر إذ جاء رسول عبد الملك فقال: أجب أمير المؤمنين، فذهب إليه ثم رجع، فقال: من منكم يحفظ قضاء عمر في أمهات الأولاد؟ قلت: أنا؛ فأدخلني على عبد الملك بن مروان فسلمت عليه، فقال: من أنت؟ فانتسبت له؛ قال: إن كان أبوك لنعارا في الفتن؛ قلت: يا أمير المؤمنين، عفا الله عما سلف؛ قال: اجلس؛ قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم؛ قال: اقرأ من سورة كذا، ومن سورة كذا؛ فقرأت فقال لي: أتفرض؟ قلت: نعم، قال: ما تقول في امرأة تركت زوجها وأبويها؟ قلت: لزوجها النصف، ولأمها السدس، ولأبيها ما بقي؛ قال: أصبت الفرض وأخطأت اللفظ، إنما لزوجها النصف ولأمها ثلث ما بقي وهو السدس من رأس المال، ولأبيها ما بقي؛ قال: فإن الفريضة على حالها وهو رجل ترك زوجته وأبويه؛ فقلت: لزوجته الربع ولأمه الربع ولأبيه ما بقي؛ قال: فقال لي: أصبت الفرض وأخطأت اللفظ، ليس هكذا الفرض، لزوجته الربع ولأمه ثلث ما بقي وهو الربع من رأس المال، وللأب ما بقي؛ ثم قال: هات حديثك؛ قلت: حدثني سعيد بن المسيب: أن فتى من الأنصار كان لزم عمر بن الخطاب، وكان به معجبا وأنه فقده، فقال: ما لي لا أرى فلانا؛ فأرسل إليه فجاءه، فإذا هو بذ الهيئة، قال: ما لي أراك هكذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن أخوي خيروني بين أمي وبين ميراثي من أبي، فاخترت أمي، ولم أكن لأخرجها على رؤوس الناس، فأخذتها بجميع ميراثي من أبي؛ قال: فخرج عمر مغضبا حتى رقي المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد، أيها الناس، فأي امرئ وطئ امرأة فولدت منه، فله أن يستمتع منها ما عاش، فإذا مات فهي حرة؛ فقال عبد الملك: هكذا حدثني سعيد بن المسيب؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، اقض ديني؛ قال: قد قضى الله دينك؛ قلت: ويفرض لي أمير المؤمنين؛ قال: لا والله ما نجمعهما لأحد؛ قال: فخرجت فتجهزت حتى قدمت المدينة، فجئت سعيد بن المسيب في المسجد، فجئت لأسلم عليه، فدفع في صدري وقال: انصرف؛ وأبى أن يسلم علي، فخشيت أن يتكلم بشيء يعيبني به فيرويه من حضره. فتنحيت ناحية إلى أن قام فصلى أربع ركعات وانصرف، ومعه ناس من أصحابه، فلما خلا وبقي وحده قلت: ما ذنبي؟ أنا ابن أخيك، واعتذرت إليه، وما يكلمني، حتى بلغ منزله، واستفتح ففتح له فأدخل رجله ثم التفت إلي فقال: أنت الذي ذهبت بحديثي إلى بني مروان؟. وفي حديث بمعناه: فذكر أن عمر بن الخطاب أمر بأمهات الأولاد أن يقمن في أموال أبنائهن بقيمة عدل، ثم يعتقن فمكث بذلك صدرا من خلافته، ثم توفي رجل من قريش، كان له ابن من أم ولد، قد كان عمر يعجب بذلك الغلام، فمر ذلك الغلام على عمر في المسجد بعد وفاة أبيه بليال، فقال له عمر: ما فعلت يا بن أخي في أمك؟ قال: فعلت خيرا، خيروني بين أن يسترقوا أمي أو يخرجوني من ميراثي من أبي، فكان ميراثي من أبي أهون علي من أن تسترق أمي؛ فقال عمر: أولست إنما أمرت في ذلك بقيمة عدل؟ ما أرى رأيا ولا آمر بأمر إلا قلتم فيه؟ ثم قام إلى المنبر فاجتمع الناس إليه، حتى إذا رضي من جماعتهم، قال: أيها الناس، إني كنت قد أمرت في أمهات الأولاد بأمر قد علمتموه، ثم حدث لي رأي غير ذلك، فأيما امرئ كانت عنده أم ولد يملكها بيمينه ما عاش، فإذا مات فهي حرة لا سبيل لأحد عليها؛ الحديث. وفي آخره؛ قال: افرض لي فإني منقطع من الديوان؛ قال: إن بلدك لبلد ما فرضنا فيها لأحد منذ كان هذا الأمر، ثم نظر إلى قبيصة فكأنه أومأ إليه: أن افرض له؛ فقال: قد فرض لك أمير المؤمنين؛ قال: فقلت: وصلة يا أمير المؤمنين تصلنا بها، ولقد خرجت من أهلي وإن فيهم لحاجة ما يعلمها إلا الله، ولقد عمت الحاجة أهل البلد؛ قال: قد وصلك أمير المؤمنين؛ قلت:يا أمير المؤمنين وخادم يخدمنا، فإني تركت أهلي وما لهم خادم إلا أختي، إنها الآن تخبز لهم وتعجن وتطحن لهم؛ قال:وقد أخدمك أمير المؤمنين؛ الحديث.

*(تحجحجوا) أي قصدوا إليه وأوسعوا

■ (1) محمد بن شهاب الزهري؛ كنيته أبو بكر من علماء التابعين وفقهائهم، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم.مات سنة 124 هـ وهو ابن 66 سنة وذلك قبل موت هشام بعام. وقيل إنه مات وهو ابن 72 سنة ودفن بموضع يقال له إدامى وهي خلف شغب وبدا وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز.

■ (6) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع: عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة.قيل توفي سنة 94 هـ وقيل سنة 93 هـ وقيل سنة 91 أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم: فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ

■ (1) ابن أبي ذئب (ذؤيب!)، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب. يكنى أبا الحارث ولد في سنة 80 هـ عام الجحاف وكان من أورع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريا وكان يصلي الليل أجمع. وكان يصوم يوما ويفطر يوما فوقعت الرجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له قم تغذى قال دعه اليوم فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتو فيه ويصيف ويحفظ حديثه كله. وكان فقيها صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أقدمه المهدي بغداد فحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة سنة 159 هـ وهو ابن 79 ..

■ (2) قبيصة بن ذؤيب، أبو إسحاق، الفقيه، أبو سعيد الخزاعي المدني ثم الدمشقي الوزير. مولده عام الفتح سنة ثمان، ومات أبوه ذؤيب بن حلحلة صاحب بدن النبي في آخر أيام النبي، فأتي بقبيصة بعد موت أبيه فيما قيل، فدعا له النبي ولم يع هو ذلك. وروى عن أبي بكر إن صح - وعن عمر، وأبي الدرداء، وبلال، وعبد الرحمن بن عوف، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وعدة. وكان على الختم والبريد للخليفة عبد الملك، وقد أصيبت عينه يوم الحرة، وله دار معتبرة بباب البريد.وقد كناه محمد بن سعد: أبا إسحاق، وقال: شهد أبوه الفتح، وكان ينزل بقديد، وكان يقرأ الكتب إذا وردت على الخليفة. قال: وكان ثقة مأمونا، كثير الحديث، توفي سنة 86 أو 87 هـ

■ (3) هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة حمو عبد الملك بن مروان (كانت بنت هشام بن إسماعيل زوجة عبد الملك، وأم ابنه هشام) وأميره على المدينة، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد، توفي في حدود 90 هـ.

■ (4) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله، ولاه أخوه الخليفة عبد الله بن الزبير إمرة العراقين ثم أرمينية أضاف إليه الكوفة، قتل في معركة دير الجثاليق سنة 71 هـ وله 39 سنة ونقلت رأسه إلى عبد الملك وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام.

■ (5) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة من التابعين. ولد سنة 23 هـ كان عالما بالدين، صالحا كريما، لم يدخل في شئ من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين. وعاد إلى المدينة فتوفي فيها سنة 93 هـ. وهو أخو عبد الله بن الزبير لابيه وأمه.

روى علي بن حوشب الفزاري عن مكحول وذكر الزهري فقال: أي رجل هو لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك. وعن عبثر أبي زبيد قال: أراد عمر بن عبد العزيز تولية ابن شهاب الزهري الصدقة، فبلغه عنه ما كان تمنه حين ولي السعاية على الصدقة من قبل رجل كان ضربه، فكره توليته.وولى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب. قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت الوليد بن مسلم يقول: خرج الزهري من الخضراء من عند عبد الملك بن مروان فجلس عند ذاك العمود فقال: يأيها الناس إنا كنا قد منعناكم شيئا قد بذلناه لهؤلاء فتعالوا حتى أحدثكم قال: وسمعتهم يقولون: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أهل الشام ما لي أحاديثكم ليس لها أزمة ولا خطم، قال الوليد: فتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ. وقال ابن عيينة: قال الزهري: كنا نكره الكتاب حتى أكرهنا عليه السلطان فكرهنا أن نمنعه الناس. وقال معمر عن الزهري: كنا نكره الكتاب حتى أكرهنا عليه الأمراء فرأيت أن لا أمنعه مسلما. وعن سعيد بن عبد العزيز أن هشام بن عبد الملك قضى عن الزهري سبعة آلاف دينار وقال: لا تعد لمثلها، فقال: يا أمير المؤمنين حدثني ابن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ﴾ وقال سعيد بن عبد العزيز: أدى هشام بن عبد الملك عن الزهري سبعة آلاف دينار وكان يؤدب ولده ويجالسه. وعن إبراهيم بن سعد قال سمعت ابن شهاب يقول: لقيني سالم كاتب هشام فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك أن تكتب لولده حديثك، قلت: لو سألتني عن حديثين أتبع أحدهما الآخر ما قدرت، ولكن ابعث إلي كاتبا أو كاتبين اختلفا إلي سنة، قال: ثم لقيني فقال: يا أبا بكر ما أرانا إلا قد انفضنا بك، قلت: كلا إنما كنت في عزاز من الأرض فالآن هبطت بطون الأودية. وقال الحسن بن عمارة: أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابه فقلت: إن رأيت أن تحدثني، فقال: أما علمت أني قد تركت الحديث فقلت: إما أن تحدثني وإما أن أحدثك، فقال: حدثني، فقلت: حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار سمعت عليا رضي الله عنه يقول: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا. قال: فحدثني بأربعين حديثا. وروى الأوزاعي عن سليمان بن حبيب المحاربي قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: ما أتاك به الزهري بسنده فاشدد به يديك وما أتاك به عن رأيه فانبذه. قال يحيى بن سعيد القطان: مرسل الزهري شر من مرسل غيره لأنه حافظ وكلما قدر أن يسمي سمى وإنما يترك من لا يحب أن يسميه.قال مالك: قال الزهري: وجدنا السخي لا تنفعه التجارب. قال عمرو بن دينار: ما رأيت الدينار والدرهم عند أحد أهون منه عند الزهري كأنها بمنزلة البعر.وعن القاسم بن هزان أنه سمع الزهري يقول: لا يرضي الناس قول عالم إلا بعمل ولا عمل إلا بعلم. وعن يزيد بن أبي حبيب عن ابن شهاب قال: لا يناظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن يونس عن ابن شهاب قال: الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد ويؤمن بالقدر نقض كفره بالقدر توحيده. وقال أيوب بن سويد: ثنا يونس قال: قال الزهري: إياك وغلول الكتب، قلت: ما غلولها قال: حبسها. وعن الزهري أنه قال: من سنة الصلاة أن تقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم فاتحة الكتاب ثم تقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم تقرأ سورة. وكان يقول: أول من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم سرا بالمدينة عمرو بن سعيد بن العاص وكان رجلا حييا. وروى يونس عن الزهري قال: العلم واد فإذا هبطت واديا فعليك بالتؤدة حتى تخرج منه.وعن الزهري قال: كنا نأتي العالم فما نتعلم من أدبه أحب إلينا من علمه. وروى معمر عن الزهري قال: ما عبد الله بشيء أفضل من العلم.

وروى أبو صالح عن الليث قال: كان الزهري يختم حديثه بدعاء جامع يقول: اللهم، إني أسألك من كل خير أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة.

مراجع: تاريخ المدينة/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ سير أعلام النبلاء/ أنساب الأشراف/

قال الزهري: أتيت عبد الملك بن مروان فاستأذنت عليه، فلم يؤذن لي، فدخل الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين إن بالباب رجلا شابا أحمر زعم أنه من قريش؛ قال: صفه؛ فوصفه؛ قال: لا أعرفه إلا أن يكون من ولد مسلم بن شهاب؛ فدخل عليه فقال: هو من بني مسلم؛ فدخلت عليه فقال: من أنت؟ فانتسبت له، وقلت: إن أبي هلك وترك عيالا صبية، وكان رجلا متئاثا لم يترك مالا؛ فقال عبد الملك: أقرأت القرآن؟ قلت: نعم؛ قال: بإعرابه وما ينبغي فيه من وجوهه وعلله؟ قلت: نعم؛ قال: إنما فوق ذلك فضل، إنما يعايا ويلغز به؛ قال: أفعلمت الفرائض؟ قلت: نعم؛ قال: الصلب والجد واختلافها؟ قلت: أرجو أن أكون قد فعلت؛ قال: وكم دين أبيك؟ قلت: كذا وكذا؛ قال: قد قضى الله دين أبيك؛ وأمر لي بجائزة ورزق يجري وشراء دار قطيعة بالمدينة؛ وقال: اذهب فاطلب العلم، ولا تشاغل عنه بشيء، فإني أرى لك عينا حافظة وقلبا ذكيا، وأت الأنصار من منازلهم؛ قال الزهري: وكنت أخذت العلم عنهم بالمدينة، فلما خرجت إليهم إذا علم جم ، فاتبعتهم حتى ذكرت لي امرأة نحو قباء تروي رؤيا فأتيتها، فقلت: أخبريني برؤياك؛ فقالت: كان لي ولدان واحد حين حبا، وآخر يتبعه، وهلك أبوهما وترك لي ماهنا وداجنا ونخلات، فكان الداجن نشرب لبنها ونأكل ثمر النخلات فإني لبين النائمة واليقظانة، ولنا جدي، فرأيت كأن ابني الأكبر قد جاء إلى شفرة لنا فأحدها، وقال: يا أمه قد أضرت بنا وحبست اللبن عنا، فأخذ الشفرة وقام إلى ولد الداجن فذبحه بتلك الشفرة، ثم نصب قدرا لنا، ثم قطعه ووضعه فيها، ثم قام إلى أخيه فذبحه بتلك الشفرة، وانتبهت مذعورة، فإذا ابني الأكبر قد جاء فقال: يا أمه أين اللبن؟ فقلت: شربه ولد هذه الداجن؛ فقال: ما لنا في هذا من شيء؛ وقام إلى الشفرة فأحدها ثم أمرها على حلق ولد الداجن، ثم نصب القدر؛ قالت: فلم أكلمه حتى قمت إلى ابني الصغير فاحتضنته وأتيت به بعض بيوت الجيران، فخبأته عندهم ثم أقبلت مغتمة لما رأيت، ثم صعد على بعض تلك النخلات، فأنزل رطبا، وقال: يا أمه كلي؛ قلت: لا أريد، ثم مضى، وأتى القدر؛ فإني لمتكية على بلسن عندي إذ ذهب بي النوم، فإذا أنا بآت قد أتاني، فقال: مالك مغتمة؟ فقلت: لكذا ولكذا؛ فنادى: يا رؤيا؛ فجاءت امرأة شابة، حسنة الوجه، طيبة الريح؛ فقال: ما أردت من هذه المرأة الصالحة؟ قالت: ما أردت منها شيئا؛ فنادى: يا أحلام، فأقبلت امرأة دونها في السن واللباس والطيب؛ فقال: ما أردت من هذه المرأة الصالحة؟ قالت: ما أردت منها شيئا؛ فنادى: يا أصغاث؛ فأقبلت امرأة سوداء الخلقة، وسخة الثياب، دونها، فقال: ما أردت من هذه المرأة؟ قالت: رأيتها صالحة فأردت أن أغمها ثم انتبهت فإذا ابني قد أقبل فقال: يا أمه أين أخي؟ قلت: لا أدري حبا إلى بعض الجيران، فذهب يمشي لهو أهدى إلى موضعه حتى أخذه، وجاء به يقبله، ثم قعد فأكل وأكلت معه.

----

* (الماهن) الخادم؛ (الداجن) الشاة من شياه البيوت تعلف؛ وقوله: بلسن، البلسن: بعض ما يكون في رحل القوم من المتاع الذي يتكأ عليه، وهو اسم أعجمي؛ وقد استعمل بمعنى ما يعلى عليه من كرسي أو ما أشبهه.

■ (1) محمد بن شهاب الزهري؛ كنيته أبو بكر من علماء التابعين وفقهائهم، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم.مات سنة 124 هـ وهو ابن 66 سنة وذلك قبل موت هشام بعام. وقيل إنه مات وهو ابن 72 سنة ودفن بموضع يقال له إدامى وهي خلف شغب وبدا وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز.

■ (6) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع: عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة.قيل توفي سنة 94 هـ وقيل سنة 93 هـ وقيل سنة 91 أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم: فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ

■ (1) ابن أبي ذئب (ذؤيب!)، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب. يكنى أبا الحارث ولد في سنة 80 هـ عام الجحاف وكان من أورع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريا وكان يصلي الليل أجمع. وكان يصوم يوما ويفطر يوما فوقعت الرجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له قم تغذى قال دعه اليوم فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتو فيه ويصيف ويحفظ حديثه كله. سمع ابن أبي ذئب من عكرمة ونافع وسعيد المقبري وأبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. وكان فقيها صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أقدمه المهدي بغداد فحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة سنة 159 هـ وهو ابن 79 .قال أحمد كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب قيل لأحمد خلف مثله ببلاده قال لا ولا بغيرها.

■ (2) قبيصة بن ذؤيب، أبو إسحاق، الفقيه، أبو سعيد الخزاعي المدني ثم الدمشقي الوزير. مولده عام الفتح سنة ثمان، ومات أبوه ذؤيب بن حلحلة صاحب بدن النبي في آخر أيام النبي، فأتي بقبيصة بعد موت أبيه فيما قيل، فدعا له النبي ولم يع هو ذلك. وروى عن أبي بكر إن صح – وعن عمر، وأبي الدرداء، وبلال، وعبد الرحمن بن عوف، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وعدة. وكان على الختم والبريد للخليفة عبد الملك، وقد أصيبت عينه يوم الحرة، وله دار معتبرة بباب البريد.وقد كناه محمد بن سعد: أبا إسحاق، وقال: شهد أبوه الفتح، وكان ينزل بقديد، وكان يقرأ الكتب إذا وردت على الخليفة. قال: وكان ثقة مأمونا، كثير الحديث، توفي سنة 86 أو 87 هـ

■ (3) هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة حمو عبد الملك بن مروان (كانت بنت هشام بن إسماعيل زوجة عبد الملك، وأم ابنه هشام) وأميره على المدينة، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد، توفي في حدود 90 هـ.

■ (4) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله، ولاه أخوه الخليفة عبد الله بن الزبير إمرة العراقين ثم أرمينية أضاف إليه الكوفة، قتل في معركة دير الجثاليق سنة 71 هـ وله 39 سنة ونقلت رأسه إلى عبد الملك وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام.

■ (5) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة من التابعين. ولد سنة 23 هـ كان عالما بالدين، صالحا كريما، لم يدخل في شئ من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين. وعاد إلى المدينة فتوفي فيها سنة 93 هـ. وهو أخو عبد الله بن الزبير لابيه وأمه.

قال الزهري: قدمت على عبد الملك بن مروان، فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قلت: من مكة. قال: فمن خلفت يسودها وأهلها؟ قلت: عطاء بن أبي رباح[1] . قال: من العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فيم سادهم؟ قلت: بالديانة والرواية. قال: إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا. قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاووس بن كيسان[2] . قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فيم سادهم؟ قلت: بما سادهم به عطاء. قال: إنه لينبغي ذلك. قال: فمن يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب[3] . قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول[4] . قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل. قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران[5] . قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قلت: الضحاك بن مزاحم[6] . قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن البصري[7] . قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: ويلك فمن يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي[8] . قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من العرب؛ قال: ويلك يا زهري؛ فرجت عني، والله ليسودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها. قلت: يا أمير المؤمنين، إنما هو دين، من حفظه ساد، ومن ضيعه سقط.

قال ابن شهاب: قدمت دمشق وأنا أريد الغزو، فأتيت عبد الملك لأسلم عليه، فوجدته في قبة على فرش تفوت القائم، والناس تحته سماطان، فسلمت وجلست، فقال: يا بن شهاب، أتعلم ما كان في بيت المقدس صباح قتل ابن أبي طالب؟ قلت: نعم؛ قال: هلم؛ فقمت من وراء الناس حتى أتيت خلف القبة، وحول وجهه، فأحنى علي، فقال: ما كان؟ قال: فقلت: لم يرفع حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم فقال: لم يبق أحد يعلم هذا غيري وغيرك؛ قال: فلا يسمعن منك؛ قال: فما تحدثت به حتى توفي.

■ (1) أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم –وقيل سالم– بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند وهي بلدة مشهورة باليمن خرج منها جماعة من العلماء؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع إلى خلقا كثيرا من الصحابة، وروى عنه خلق كثير، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانهما. قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء. وقال إبراهيم بن عمر ابن كيسان: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحا يصيح:لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح، قال سليمان بن رفيع: دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلعت فإذا عطاء بن أبي رباح جالس. توفي عطاء سنة 115 هـ وقيل 114 هـ وعمره 88، وقال ابن أبي ليلى: حج عطاء 70 حجة وعاش مائة سنة، والله أعلم. قيل لاهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم؟ قالوا: كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد. قال الأصمعي: كان عطاء يقول في دعائه: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وعند الموت صرعتي، وفي القبور وحدتي، ومقامي غدا بين يديك.

■ (2) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميرى، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان، وطاووس لقبه، وقد فسرّ يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير.وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصلى عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

■ (3) يزيد بن أبي حبيب، هو يزيد بن سويد الازدي بالولاء، أبو رجاء: مفتي أهل مصر في صدر الاسلام، وأول من أظهر علوم الدين والفقه بها. قال الليث: يزيد عالمنا وسيدنا. كان نوبيا أسود. أصله من دنقلة. وفي ولائه للازد، ونسبته إليهم، أقوال. وكان حجة حافظا للحديث. مات سنة 128 هـ وقيل: كان أبوه سويد مولى امرأة مولاة لبني حسل، وأمه مولاة لتجيب.ولد بعد سنة خمسين في دولة معاوية، وهو من صغار التابعين.

■ (4) مكحول بن عبد الله، أبو عبد الله الشامي، من كبار أعلام التابعين، عالم أهل الشام وكان من سبي كابل. قيل كان مولى لامرأة من هذيل، وقيل: هو مولى سعيد بن العاص، وقيل: مولى لبني ليث، توفي سنة 112 هـ أو بعدها. أرسل عن النبي والصحابة وروى عن خلق كثير.

■ (5) ميمون بن مهران مولى بني أسد كان مملوكا لامرأة بالكوفة فأعتقته وبها نشأ وكنيته أبو أيوب،كان مؤدب أولاد الخليفة عمر، سكن الجزيرة بعد وقعة الجماجم، وتولى قضاء الرقة لعمر، يروي عن ابن عمر، ولد سنة 40 هـ سنة المجاعة ومات بالرقة سنة 118 هـ وقيل سنة 117 هـ

■ (6) الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم: مفسر. كان يؤدب الاطفال. ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي. قال الذهبي: كان يطوف عليهم، على حمار ! وذكره ابن حبيب تحت عنوان أشراف المعلمين وفقهاؤهم. له كتاب في التفسير. توفي بخراسان سنة 105 هـ.

■ (7) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد؛ كان من سادات التابعين، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، روي أن أم سلمة أخرجته إلى عمر فدعا له فقال: اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس. وسئل أنس بن مالك عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن فإنه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا. سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين وصار كاتبا في إمرة معاوية للربيع بن زياد متولي خراسان ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة.

■ (8) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود، أبوعمران النخعي، من مذحج: من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث. من أهل الكوفة. مات مختفيا من الحجاج سنة 96 هـ. قال فيه الصلاح الصفدي: فقيه العراق، كان إماما مجتهدا له مذهب. ولما بلغ الشعبي موته قال: والله ما ترك بعده مثله.

مراجع: تاريخ المدينة/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ سير أعلام النبلاء/ أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وبشر بن عقربة الجهني 0359

حدث حجر بن الحارث الغساني من أهل الرملة عن عبد الله بن عوف الكناني وكان عاملا لعمر بن عبد العزيز على الرملة* قال: شهدت عبد الملك بن مروان قال لبشر بن عقربة الجهني[1] يوم قتل عمرو بن سعيد بن العاص[2]،الملقب بالأشدق: يا أبا اليمان، قد احتجت اليوم إلى كلامك فقم فتكلم، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ قَامَ بِخُطْبَةٍ لاَ يَلْتَمِسُ بِهَا إِلاَّ رِيَاءً وَسُمْعَةً أَوْقَفَهُ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَوْقِفَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ﴾.

----

*(الرملة) من أكبر وأقدم مدن فلسطين التاريخية (السمعة): طلب سماع الناس والشهرة لعمله (الرياء) إظهار العمل للناس ليروه ويظنوا به خيرا

■ (1) بشر بن عقربة الجهني، ويقال: الكناني، وقيل: اسمه بشير، يكنى: أبا اليمان. له ولأبيه صحبة، مات سنة 85 هـ وقيل مات بقرية من كور فلسطين وذكره بن سميع فيمن نزل فلسطين.

■ (2) عمرو بن سعيد بن العاص، يسمى الأشدق ولطيم الشيطان، ولي المدينة ليزيد، وكان مروان قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك فقتله عبد الملك، فقيل أنها كانت أول غدرة كانت في الإسلام، دخل مصر مع مروان وقتل سنة 69 هـ وقيل 70 هـ

تنبيه: عمرو بن سعيد بن العاص هو اسمه الصحابي أبو أمية الذي استشهد بأجنادين في نهاية خلافة أبي بكر أو بداية خلافة عمر بن الخطاب سنة 13 هـ

قيل: كان جوثة الضمري[0] صديقا لعبد الملك بن مروان، ثم خرج عليه مع ابن الزبير، فلما استأمن الناس، قال عبد الملك لجوثة: أكنت مستحقا منك أن تعين ابن الزبير علي مع ما بيني وبينك؟! فقال: يا أمير المؤمنين، لا تعجلن علي حتى تسمع عذري، قال: هاته، قال: هل رأيتني قط في حرب أو سباق أو نضال إلا والفئة التي أنا معها مغلوبة مهزومة بسوء بختي وشؤمي؟! وإني خرجت مع ابن الزبير ليقتل على رسمي، فضحك عبد الملك وقال: والله كذبت، ولكن عفوت عنك.

قالوا: أول من نهى عن الأمر بالمعروف عبد الملك بن مروان: عن أبي خديج عن أبيه قال: خطبنا عبد الملك بن مروان بالمدينة، بعد قتل ابن الزبير، في العام الذي حج فيه، سنة خمس وسبعين فقال: بعد حمد الله والثناء عليه، أما بعد: فلست بالخليفة المستضعف، ولا الخليفة المداهن، ولا الخليفة المأفون، ألا وإن من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال، ألا وأني لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف، حتى تستقيم لي، فكأنكم تكلفوننا أعمال المهاجرين الأولين، ولا تعملون مثل أعمالكم، فلن يزدادوا إلا اجتراحا، ولا تزدادوا إلا عقوبة، حتى حكم السيف بيننا وبينكم، هذا عمرو بن سعيد، قرابته قرابته، وموضعه موضعه، قال برأسه هكذا، فقلنا بسيوفنا هكذا، ألا وإنا نحتمل لكم كل شيء، إلا وثوبا على منبر، أو نصب راية ألا إن الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي، والله لا يفعل أحد فعله إلا جعلتها في عنقه، ثم لا أخرج نعشه إلا صعدا، وزاد غيره: والله لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه. ثم نزل فركب ناقته وأخذ بزمامها البهي بن رافع فقال: فصحت ولا شلت وضرت عدوها..يمين هراقت مهجة بن سعيد. قال المدائني: وفد إلى عبد الملك رجل من أهل المدينة كان يألفه أيام تنسكه فأذن له وأدخل إليه أسراء فأمر بضرب أعناقهم قبل أن يناظرهم فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين لقد أقست الخلافة قلبك بعد أن كنت رؤوفا، قال: كلا إن الخلافة لم تقس قلبي، ولكنه أقساه احتمال الضغن* بعد الضغن.

قال حبيب بن أبي مرزوق: بلغني أن عبد الله بن عمر كتب إلى عبد الملك بن مروان وهو يومئذ خليفة: من عبد الله بن عمر إلى عبد الملك بن مروان، فقال من حول عبد الملك: بدأ باسمه قبل اسمك! فقال عبد الملك: هذا من أبي عبد الرحمن كثير.

بعد موت يزيد بن معاوية لم يكن هناك من خليفة، وإذا كان يزيد قد أوصى لابنه معاوية فإن هذا لا يكفي للبيعة، إذ لا بيعة دون شورى، إضافة إلى أن الذين قد بايعوا معاوية بن يزيد لا يزيدون على دمشق وما حولها وأعيان بنى كلب. وهذا مع أن معاوية بن يزيد لم يعش طويلاً، وترك الأمر شورى، ولم يستخلف أحدًا، ولم يوص إلى أحد، وكان عبد الله بن الزبير، قد بويع له في الحجاز، وفي العراق وما يتبعه إلى أقصى مشارق ديار الإسلام، وفي مصر وما يتبعها إلى أقصى بلاد الغرب، وبايعت الشام أيضًا إلا بعض جهات منها، ففي دمشق بايع الضحاك بن قيس الفهري[1] لابن الزبير، وفي حمص بايع النعمان بن بشير[2]، وفي قنسرين زفر بن الحارث الكلابي[3]،وفي فلسطين بايع ناتل بن قيس[4]،وأخرج منها روح بن زنباع الجذامي[5]،ولم يكن رافضًا بيعة ابن الزبير في الشام إلا منطقة البلقاء وفيها حسان بن مالك بن بحدل الكلبي[6]، وهكذا تمّت البيعة لعبد الله بن الزبير في ديار الإسلام، وأصبح الخليفة الشرعي، وعين نوّابه على الأقاليم، وتكاد تجمع المصادر على أن جميع الأمصار قد أطبقت على بيعة ابن الزبير خليفة للمسلمين، ولذلك صرّح العديد من العلماء والمؤرخين بأن بيعة ابن الزبير بيعة شرعية، وأنه أولى بها من مروان بن الحكم، فيروي ابن عبد البر عن مالك أنه قال: إن ابن الزبير كان أفضل من مروان وكان أولى بالأمر منه، ومن ابنه عبد الملك. ويقول ابن كثير: ثم هو –أي ابن الزبير– الأمام بعد موت معاوية بن يزيد لا محالة، وهو أرشد من مروان بن الحكم، حيث نازعه بعد أن اجتمعت الكلمة عليه وقامت البيعة له في الآفاق وانتظم له الأمر، ويؤكد كل من ابن حزم والسيوطي شرعية ابن الزبير، ويعتبران مروان بن الحكم وابنه عبد الملك باغيين عليه خارجين على خلافته، كما يؤكد الذهبي شرعية ابن الزبير ويعتبره أمير المؤمنين.

بعد اختلافهم على خلافة خالد بن يزيد بن معاوية لصغر سنه، رأت القبائل الموالية للأمويين، أن تجتمع في الجابية لجمع كلمتهم على رجل واحد، واتفقوا على أن تكون الخلافة لابن الحكم ومن بعده لخالد بن يزيد ومن بعده لعمرو الأشدق.

قبل أن يتوفى مروان تجاوز خالد والأشدق، وأخذ البيعة لولده عبد الملك ومن بعده عبد العزيز، وهو ما رفضه عمرو بن سعيد، خرج على عبد الملك، إلا أن الأخير غدر به، فقُتل سنة 70هـ

وقد وقعت حروب انتهت في مرج راهط بين الأمويين وعبد الله بن الزبير، وأصبح مروان بن الحكم خليفة على الشام وحدها، وبقي ابن الزبير خليفة على سائر الأمصار، حتى ظهر عبد الملك بن مروان، فتمكن من توحيد العالم الإسلامي الشرقي تحت إمرته ، ولذا اعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية.

----

*(الضغن) الضغن و الضغينة الحقد ومنه ضغن عليه من باب طرب و تضاغن القوم و اضطغنوا انطووا على الأحقاد. يقول: وإن الضغن بعض الضغن تفشو آثاره ويخرج الداء المدفون من الأفئدة أي يبعث على الانتقام

■ (1) الضحاك الفهري، الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي، أبو أمية، أو أبو أنيس: سيد بني فهر، في عصره. وأحد الولاة الشجعان. شهد فتح دمشق، وسكنها. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية على الكوفة سنة 53 هـ بعد موت زياد بن أبيه فتفقد الخورنق قصر النعمان وأصلحه. ونقل إلى ولاية دمشق، فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد. ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه، انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق. ومات معاوية سنة 64 هـ فأقبل أهل دمشق على الضحاك، فبايعوه على أن يصلي بهم، ويقيم لهم أمرهم، حتى يجتمع الناس على خليفة وانعقدت البيعة العامة لمروان بن الحكم، والضحاك في مرج راهط، فامتنع على مراون، فقتل في مرج راهط سنة 65 هـ

■ (2) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري أبو عبد الله سكن الكوفة مدة وكان يليها لمعاوية ثم خرج إلى الشام فسكنها وولى قضاء دمشق، قيل وولي الكوفة ليزيد بن معاوية، وقتل بحمص وكان عاملا لابن الزبير على حمص سنة 65 هـ

■ (3) زفر بن الحارث الكلابي، أبو الهذيل، والد مزاحم بن زفر يروي عن عائشة ومعاوية. كان رسول معاوية إلى عائشة بوقعة صفين. نزل البصرة ثم خرج عنها بعد وقعة الجمل فشهد وقعة المرج مع الضحاك بن قيس وذكر أنه مات في أيام عبد الملك نحو سنة 75 هـ

■ (4) ناتل بن قيس بن زيد بن حياء بن امرئ القيس، من أهل فلسطين وشهد ناتل صفين مع معاوية وكان يومئذ على لخم وجذام وكان من سادات أهل الشام ويقال إنه كان من عمال ابن الزبير قيل ليحيى قال خليفة بن خياط ومات يزيد وعلى الأردن حسان بن مالك وعلى فلسطين روح بن زنباع فأخرج ناتل بن قيس روح بن زنباع ودعا إلى ابن الزبير وقال أبو أحمد العسكري وأما ناتل فهو من سادات جذام بالشام خرج على عبد الملك بن مروان فبعث إليه عبد الملك عمرو بن سعيد فقتله سنة ست 66 هـ

■ (6) ابن بحدل، حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف، أبو سليمان الكلبي أمير بادية الشام من القادة في جيش معاوية يوم صفين.ثم آزر مروان في حربه مع الضحاك بن قيس.قال أحد مؤرخيه: سلم الناس على حسان بالخلافة، أربعين ليلة، ثم سلم الأمر إلى مروان.مات نحو 65 هـ

■ (5)روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، حدث عن أبيه، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وكعب الأحبار، وغيرهم. وكان ذا اختصاص بعبد الملك، لا يكاد يغيب عنه، وهو كالوزير له. وكان لروح دار بدمشق في طرف البزوريين، أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقال مسلم: له صحبة. ولم يتابع مسلما أحد. مات سنة 84 هـ.

■ (0) جوثة الضمري؟

مراجع: تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ البداية والنهاية/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ نور الأبصار/ العقد الفريد/ تاريخ دمشق/ الجرح التعديل/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ تهذيب الكمال/ الأعلام للزركلي/ التذكرة الحمدونية/ عيون الأخبار/

قال عباد بن زياد : كنت عند عبد الملك بن مروان إذ أتاه أبو يوسف[1] حاجبه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه بثينة[2].قال: أبثينة جميل[3]؟ قال: نعم، قال أدخلها، فدخلت امرأة أدماء طويلة يعلم أنها كانت جميلة، فقال له يا أبا يوسف ألق لها كرسيا، فألقاه لها، فقال لها عبد الملك، ويحك ما رجا منك جميل، قالت: الذي رجت منك الأمة حين ولتك أمرها. وفي رواية قال محمد بن يزيد المبرد: دخلت بثينة على عبد الملك، فأحد النظر إليها ثم قال: يا بثينة ما رأى فيك جميل حين قال ما قال؟ قالت: ما رأى الناس فيك حين ولوك الخلافة يا أمير المؤمنين؟ قال: فضحك عبد الملك حتى بدت سن له كان يخفيها، فما ترك لها من حاجة إلا قضاها. قال أبو عثمان المازني: حج عبد الملك بن مروان فنزل بوادي القرى، فدخلت عليه بثينة عليها ثياب من ثياب البادية، وعلى وجهها برقع، فقال: أقسمت عليك إلا نحيت البرقع عن وجهك، ففعلت، فإذا وجه ليس ببارع الجمال، وعليه أثر كلفة، فقال: ما أراك كما قال جميل: من الكامل: بيضاء آنسة كأن حديثها..در تهلل سلكه منثور..ولقد طربت إليك حتى إنني..لأكاد من طرب إليك أطير . ما أنت يا بثينة بهذه الصفة! قالت: يا أمير المؤمنين لكنني كنت عنده كذلك، أما سمعت قول ابن أبي ربيعة: من الرمل: ولقد قالت لأتراب لها..وتعرت ذات يوم تبترد..أكما ينعتني تبصرنني..عمركن الله أم لا يقتصد..فتضاحكن وقد قلن لها..حسن في كل عين من تود. فبرها وقضى حوائجها.

قيل: وفدت عزة[4] على عبد الملك بن مروان، فلما دخلت سلمت، فرد عليها السلام، ورحب بها، وقال: ما أقدمك يا عزة؟ قالت: شدة الزمان، وكثرة الألوان، واحتباس القطر، قال: هل تروين لكثير[5]: من الطويل: وقد زعمت أني تغيرت بعدها..ومن ذا الذي يا عز لا يتغير؟. قالت: أروي له هذا، ولكني أروي قوله في قصيدة له: من الطويل: كأني أنادي صخرة حين أعرضت..من الصم لو تمشي بها العصم زلت.

قال: ما كنت لتصيرين إلى حاجته، أو تهبين نفسك لي، فأزوجك منه، قالت: الأمر إليك يا أمير المؤمنين، ما كنت لأزهد في هذا الشرف الباقي لي ما دامت الدنيا أن يكون أمير المؤمنين وليي، فعظم بذلك قدرها عنده، وأمر لها بمال، وكتب إلى كثير وهو بالكوفة؛ أن اركب البريد وعجل؛ فإني مزوجك عزة، وأتاه الكتاب وهو مضني من الشوق إليها، فرحل وأقبل نحوها، فلما كان ببعض الطريق إذا هو بغراب على شجرة بانة ينتف ريشه ويطايره، وكان كثير شديد الطيرة، فلما رآه تطير وهم بالانصراف، ثم غلبه شوقه، فمضى وهو مكروب لما رأى، حتى أتى ماء لبني نهد، فإذا هو برجل يسقي إبله، فنزل كثير عن راحلته واستظل بشجرة هناك، فأبصره النهدي وأتاه، وسأله عن اسمه ونسبه، فانتسب، فرحب به، فأخبره كثير عما رأى في طريقه، فقال: أما الغراب فغربة، وأما البانة فبين، وأما نتف ريشه ففرقة. فتطير من ذلك ومشى، حتى دنا من دمشق، فإذا بجنازة فاستعبر، وقال: أسأل الله خير ما هو كائن، فسأل عن الميت فإذا هي عزة، فخر مغشيا عليه، فعرف، وصب عليه الماء، فكان مجهوده أن بلغ القبر، فلما دفنت، انكب على القبر، وهو يقول: من الطويل: سراج الدجى صقر الحشا منتهى المنى..كشمس الضحى نوامة حين أصبح..إذا ما مشت بين البيوت تخزلت..ومالت كما مال النزيف المرنح..تعلقت عزا وهي رود شبابها..علاقة حب كاد بالقلب يرجح..أقول ونضوي واقف عند رمسها..عليك سلام الله والعين تسفح..فهلا فداك الموت من أنت دونه..ومن هو أسوا منك دلا وأقبح..على أم بكر رحمة وتحية..لها منك والنائي يود وينصح..منعمة لو يدرج النمل بينها..وبين حواشي بردها كاد يجرح..وما نظرت عيني إلى ذي بشاشة..من الناس إلا أنت في العين أملح. ثم بكى حتى غشي عليه فأفاق، وهو يقول: من الطويل: ما أعيف النهدي لا در دره..وأزجره للطير لا طار طائره..رأيت غرابا واقعا فوق بانة..ينتف أعلى ريشه ويطايره..فقال غراب: ذا اغتراب من النوى..وبانة بين من حبيب تعاشره. ثم لم ير ضاحكا بعدها حتى أدركه الموت.

■ (2) بثينة بنت حبا بن ثعلبة بن الهوذ بن عمرو بن الأحب بن حن بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة؛ أم عمرو، ويقال: أم الوليد، ويقال: أم عبد الملك، ويقال: أم المسور العذرية، شاعرة من بني عذرة، من قضاعة. اشتهرت بأخبارها مع جميل ابن معمر العذري. وهو من قومها. وكانت منازلهم بوادي القري بين المدينة ومكة. في شعرها رقة ومتانة. مات جميل قبلها سنة82 هـ، فرثته، ولم تعش بعده طويلا.، وفدت على عبد الملك، ويقال: إن لأبيها حبا صحبة؛ وكان زوجها بنبيه بن الأسود العذري والد سعيد بن الأسود، ويقال: هي بنت خالة جميل.

■ (4) عزة بنت جميل -بالحاء، مصغرا- بن حفص بن إياس الحاجبية الغفارية الضمرية: صاحبة الاخبار مع كثير الشاعر. كانت عزيزة الادب، رقيقة الحديث، من أهل المدينة. انتقلت إلى مصر، في أيام عبد الملك بن مروان، فأمر بإدخالها على حرمه ليتعلمن من أدبها. يقال: إنها دخلت على أم البنين أخت عمربن عبد العزيز، وزوجه الوليد بن عبد الملك فقالت لها أم البنين: أرأيت قول كثير: قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها، ما كان ذلك الدين؟ قالت: وعدته قبلة وتحرجت منها. فقالت أم البنين: أنجزيها وعلي إثمها! وماتت في أيام عبد العزيز بن مروان سنة 85 هـ.

■ (3) جميل بثينة، جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو.شاعر من عشاق العرب، افتتن بـ بثينة بنت حيان بن ثعلبة بن الهوذ العذرية. وهي من فتيات قومه، فتناقل الناس أخبارهما. شعره يذوب رقة، أقل ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر. كانت منازل بني عذرة في وادي القرى من أعمال المدينة ورحلوا إلى أطراف الشام الجنوبية. فقصد جميل مصر وافدا على عبد العزيز بن مروان، فأكرمه وأمر له بمنزل فأقام قليلا ومات فيه سنة82 هـ.

■ (5) كثير بن عبد الرحمن بن الاسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر: شاعر، متيم مشهور. من أهل المدينة. أكثر إقامته بمصر. وفد على عبد الملك بن مروان، فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه، فاختص به وببني مروان، يعظمونه ويكرمونه. وكان مفرط القصر دميما، في نفسه شمم وترفع. يقال له ابن أبي جمعة وكثير عزة والملحي نسبة إلى بني مليح، وهم قبيلته، قال المرزباني: كان شاعر أهل الحجاز في الاسلام، لا يقدمون عليه أحدا. وفي المؤرخين من يذكر أنه من غلاة الشيعة، وينسبون إليه القول بالتناسخ، قيل: كان يرى أنه يونس ابن متى أخباره مع عزة بنت جميل الضمرية كثيرة. وكان عفيفا في حبه قيل له: هل نلت من عزة شيئا طول مدتك؟ فقال: لا والله، إنما كنت إذا اشتد بي الامر أخذت يدها فإذا وضعتها على جبيني وجدت لذلك راحة. توفي بالمدينة سنة 105 هـ.

■ (1) أبو يوسف قيل كان حاجب معاوية ثم يزيد ثم مروان ثم عبد الملك.

☪

دخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال: يا كثير حدثني ببعض أخبار جميل! فقال: نعم، يا أمير المؤمنين، لقيت جميلا ذات يوم، فقال: هل لك في المسير معي نحو بثينة؟ قلت: نعم، فسايرته، حتى دنا من موضعها، فقال: تصير إليها، فتعلمها بمكاني، فمضيت، فأعلمتها، فأقبلت في نسوة من الحي، فلما رأينه انصرفن عنها، وتنحيت عنهما، فلم يزالا من أول الليل إلى أن رهقهما الصبح قائمين في أقدامهما، فلما عزما على الافتراق قالت: ادن مني يا جميل! فدنا منها، فأسرت إليه سرا، فخر مغشيا عليه فما أيقظه إلا حر الشمس، فأفاق، وأنشأ يقول: فما ماء مزن من جبال منيفة..ولا ما أكنت في معادنها النحل..بأشهى من القول الذي قلت بعدما..تمكن في حيزوم ناقتي الرحل.

☪

عن ابن مسكين المديني عن أبيه قال: حج عبد الملك فمر بمنزل حبى المدينية بالمدينة، وكان فتيان قريش يجلسون إليها فيتحدثون عندها، فأشرفت عليه ونظر إليها وهي تدعو له، فوقف وقال: يا حبى أنا عبد الملك، فقالت: قد علمت فبأبي أنت وأمي، الحمد لله الذي أراني وجهك قبل موتي، كيف أنت يا سيدي ؟ قال: بخير يا حبى كيف ماؤك المبرد، ومن كان يغشاك من فتيان قريش ؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين، أقتلت أخاك عمرو بن سعيد ؟ قال: نعم والله ويعز علي، ولكنه أراد قتلي، قالت: فلا أحاله، فأمر لها بخمسمائة دينار وأهدت له أشياء فقبلها. قال عبد الملك حين حج لحبى المدينية: ما فعلت خزيرتك؟ فقالت: البرمة عندي، وعندي أقط وسمن. فعملتها له، فأكل منها وقال: يا حبي ليست كما كنت أعهد. فقالت: ألهاك عنها زمكى الدجاج، قال: صدقت، وأمر لها بمال. قيل لحبى المدينية: ما الجرح الذي لا يندمل؟ قالت: حاجة الكريم إلى اللئيم ثم يرده. قيل لها: فما الذل؟ قالت: وقوف الشريف بباب الدنيء ثم لا يؤذن له. قيل: فما الشرف؟ قالت: اعتقاد المنن في رقاب الرجال. سمع أشعب حبى المدينية تقول اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي فقال لها يا فاسقة أنت لم تسألي الله المغفرة إنما سألته عمر الأبد يريد أنه لا يغفر لها أبدا.

☪

عن أبي أحمد عبد العزيز بن يحيى قال: حدثني المغيرة بن محمد عن المدائني قال: قدم عبد الملك بن مروان الكوفة، فجلس يعرض أحياء العرب للبيعة، فقام إليه معبد بن خالد الجديلي[1]، وكان قصيرا دميما، وقام إليه رجل طرير حسن الهيئة. قال معبد: فكان الرجل أمامي فنظر عبد الملك إلى الرجل فقال: ممن أنتم؟ فسكت الرجل، فقلت أنا من خلفه: من جديلة. فأقبل على الرجل وتركني فقال: من أيكم كان ذو الإصبع؟ فقال الرجل: لا أدري. فقلت: يا أمير المؤمنين، كان عدوانيا. قال: من أيهم؟ قال: لا أدري. فقلت: من بنى رهم بن ناج. قال: فأنشدني قوله: أبعد بني ناج وما كان منهم..فلا تتبعن عينيك ما كان هالكا..فأضحوا كظهر العود جب سنامه..يطيف به الولدان أحدب باركا. فأقبل على الرجل فقال: لم سمى ذا الإصبع؟ فقال الرجل: لا أدري. فقلت: نهشته في إصبعه حية. فأقبل على الرجل فقال: وما كان يسمى قبل ذلك؟ فقلت: كان يسمى حرثان. فأقبل على الرجل وتركني فقال: أنشدني: عذير الحي من عدوا..ن كانوا حية الأرض. فقال الرجل: لست أرويها. فقلت: إن شئت يا أمير المؤمنين أنشدتك. فقال: ادن مني فإني أراك أديبا لسنا. فدنوت منه، فقال: أنشدني. فأنشدته: عذير الحي من عدوا..ن كانوا حية الأرض..بغي بعضهم بعضا..فلم يرعوا على بعض..ومنهم كانت السادا..ت والموفون بالقرض..ومنهم حكم عدل..فلا ينقض ما يمضي..وما للمرء من شيء..من الإبرام والنقض. فقال عبد الملك لصاحبي: كم عطاؤك؟ قال: سبع مئة. ثم قال لي: كم عطاؤك؟ قلت: أربع مئة. قال: أنت أحق بالسبع مئة، خذوا من عطاء هذا ثلاث مئة فزيدوها في عطاء هذا. فانصرفت وعطائي سبع مئة وعطاء صاحبي أربع مئة. قال: فرغب الناس منذ يومئذ في الأدب.

☪

روى الزبير بن بكار في ، الموفقيات، أن عبد الملك أجرى خيلا، فسبقه عباد بن زياد،[2] فأنشد عبد الملك: سبق عباد وصلت لحيته وكان خرازا تجود قربته. فشكى عباد قول عبد الملك إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، فقال له: أما والله لانصفنك منه بحيث يكره. فزوجه أخته ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك، يا أمير المؤمنين، إن مناكح آل أبى سفيان قد ضاعت. فأخبر عبد الملك خالدا بما كتب به الحجاج، فقال خالد: يا أمير المؤمنين، ما أعلم أمرأة منا ضاعت ونزلت إلا عاتكة بنت معاوية، فأنها عندك، ولم يعن الحجاج غيرك. قال عبد الملك: بل عنى الدعى ابن الدعى عبادا، قال خالد: يا أمير المؤمنين، ما أنصفتني، أدعى رجلا ثم لا أزوجه! إنما كنت ملوما لو زوجت دعيك، فأما دعيى فلم لا أزوجه!

■ (1) معبد بن خالد الجدلي -الجديلي؟- القيسي، أبو القاسم، الكوفي القاص، وهو معبد بن خالد بن مزين، ويقال مري بن حارثة بن ناصرة بن عمرو بن سعيد بن علي بن رهم بن رباح بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار وجديلة هي أم يشكر وهي بنت مر بن أد بن طابخة.

■ (2) عباد بن زياد بن أبيه، أبو حرب: أمير. كانت إقامته بالبصرة. ولاه معاوية سجستان، سنة 53 هـ، فغزا بلاد الهند. وكان في الشام أيام عبد الملك بن مروان. توفي سنة 100 هـ

مراجع:سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي/ الأعلام للزركلي/ التذكرة الحمدونية/ عيون الأخبار/ أنساب الأشراف/ تهذيب الكمال/ تاريخ دمشق/ الاغاني/ الموفقيات/ الموشى/

حكى جميل بن معمر العذري[1]: أنه دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له: يا جميل حدثني ببعض أحاديث بني عذرة*. فإنه بلغني إنهم أصحاب أدب وغزل. قال: نعم يا أمير المؤمنين، أعلمك أن آل بثينة[2] انتجعوا عن حيهم، فوجدوا النجعة بموضع نازح فظعنوا، فخرجت أريدهم، فبينما أنا أسير إذ غلطت الطريق وأجنني الليل فلاحت لي نار، فقصدها حتى وردت على راع في أصل جبل قد انحنى عنه إلى كهف فيه، فسلمت، فرد علي السلام، وقال: أظنك قد غلطت الطريق؟ فقلت: أجل. فقال: انزل وبت الليلة فإذا أصبحت وقفت على القصد فنزلت فرحب بي وأكرمني وذبح شاة، وأجج ناره، وجعل يشوي ويلقي بين يدي، ويحدثني في خلال ذلك. ثم قام بإزار كان معه فوضع به جانب الخبا ومهد لي محلا خاليا فنمت. فلما كان في الليل سمعته يبكي إلى شخص كان معه، فأرقت له ليلتي. فلما أصبحت طلبت الإذن فأبى، وقال: الضيافة ثلاث. فجلست وسألته عن اسمه ونسبه وحاله، فانتسب فإذا هو من بني عذرة، من أشرفهم. فقلت: وما الذي جاء بك إلى هذا؟ فأخبرني أنه كان يهوى ابنة عم له، وأنه خطبها من أبيها فأبى أن يزوجها إياها لقلة ذات يده، وأنه تزوجها رجل من بني كلاب وخرج بها عن الحي، وأسكنها في موضعه. وأنه رضي أن يكون لزوجها راعيا حتى تأتيه ابنة عمه فيراها. وأقبل يشكو قديم عشقه لها، وصبابته بها حتى أتى المساء، وحان وقت مجيئها. فجعل يتقلقل ويقوم ويقعد، ثم وثب قائما على قدميه، وأنشأ يقول: ما بال مية لا تأتي كعادتها..أعاجها طرب أو صدها شغل..لكن قلبي عنكم ليس يشغله..حتى المات وما لي غيركم أمل..لو تعلمين الذي بي من فراقكم..لما اعتذرت، ولا طابت لك العلل..نفسي فداؤك، قد أحللت بي سقما..تكاد من حره الأعضاء تنفصل..لو أن ما بي من سقم على جبل..لزال وانهد من أركانه الجبل.

ثم قال لي: اجلس، يا أخا بني عذرة، حتى أكشف خبر ابنة عمي. ثم مضى فغاب عن بصري، فلم ألبث أن أقبل وعلى يديه محمول، وقد علا شهيقه ونحيبه، فقال: يا أخي هذه ابنة عمي أرادت زيارتي فاعترضها الأسد فأكلها. ثم وضعها بين يدي، وقال: على رسلك، حتى أعود إليك. فغاب عن نظري فأبطأ، حتى آيست من رجوعه، فلم ألبث أن أقبل ورأس الأسد على يديه فوضعه ثم، قال: يا أخي إنك ستراني ميتا فاعمد إلي وإلى ابنة عمي فأدرجنا في كفن واحد، وأدفنا في قبر واحد، واكتب على قبرنا هذين البيتين: كنا على ظهرها والعيش في مهل..والشمل يجمعنا والدار والوطن..ففرق الدهر بالتصريف إلفتنا..فصار يجمعنا في بطنها الكفن. ورد الغنم إلى صاحبها، وأعلمه بقصتها. ثم عمد إلى خناق وطرحه في عنقه، فناشدته الله لا تفعل، فأبى وخنق نفسه حتى مات. فلما أصبحت كفنتها ودفنتها وكتبت الشعر كما أمر، ورددت الغنم إلى صاحبها وأعلمته بقصتهما، فحزن حزنا خفت عليه الهلاك أسفا على ما فرط من عدم اجتماعهما.

----

*(بنو عذرة) قبيلة حميرية كانت تقطن في وادي القرى، ذكرت في الكتابات الرومانية باسم عذرات، ينسب إليها الحب العذري العفيف ومنها الشاعر جميل بن معمر العذري الملقب جميل بثينة. كان افراد قبيلة بني عذرة في وادي القرى يدينون باليهودية قبل الإسلام. وقد شاركوا في غزوة الاحزاب ثم صالحوا المسلمين على دفع الجزية. هم بنو عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن حمير بن سبأ. ومنهم: جميل بن عبد الله بن معمر، وصاحبته بثينة بنت حبى، كان لأبيها صحبة. فيما ذكره ابن حزم. ومنهم أيضا: عروة بن حزام وصاحبته عفراء، وهي ابنة عمه اشتد عليه العشق حتى قتله.

■ (1) جميل بثينة، جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو.شاعر من عشاق العرب، افتتن بـ بثينة بنت حيان بن ثعلبة بن الهوذ العذرية. وهي من فتيات قومه، فتناقل الناس أخبارهما. شعره يذوب رقة، أقل ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر. كانت منازل بني عذرة في وادي القرى من أعمال المدينة ورحلوا إلى أطراف الشام الجنوبية. فقصد جميل مصر وافدا على عبد العزيز بن مروان، فأكرمه وأمر له بمنزل فأقام قليلا ومات فيه سنة82 هـ.

■ (2) بثينة بنت حبا بن ثعلبة بن الهوذ بن عمرو بن الأحب بن حن بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة؛ أم عمرو، ويقال: أم الوليد، ويقال: أم عبد الملك، ويقال: أم المسور العذرية، شاعرة من بني عذرة، من قضاعة. اشتهرت بأخبارها مع جميل ابن معمر العذري. وهو من قومها. وكانت منازلهم بوادي القري بين المدينة ومكة. في شعرها رقة ومتانة. مات جميل قبلها سنة82 هـ، فرثته، ولم تعش بعده طويلا.، وفدت على عبد الملك، ويقال: إن لأبيها حبا صحبة؛ وكان زوجها بنبيه بن الأسود العذري والد سعيد بن الأسود، ويقال: هي بنت خالة جميل.

حكي عن أبي العالية الشامي، قال: سأل المأمون يحيى بن أكثم[1] عن العشق ما هو؟ فقال: هو سوانح للمرء يهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه قال فقال له ثمامة[2]: اسكت يا يحيى إنما عليك أن تجيب في مسئلة طلاق أو محرم صاد ظبيا، أو قتل نملة؛ فأما هذه فمسائلنا نحن فقال له المأمون: ما العشق؟ يا ثمامة، فقال: العشق جليس ممتع، وأليف مؤنس، وصاحب مملك، ومالك قاهر، ومسالكة لطيفة، ومذاهبه غامضة، وأحكامه جائرة؛ ملك الأبدان وأرواحها، والقلوب وخواطرها، والعيون ونواظرها، والعقول وآراءها، وأعطى عنان طاعتها، وقيود تصرفها، وتوارى عن الأبصار مدخله، وغيض في القلوب مسلكه فقال له المأمون: أحسنت والله، يا ثمامة وأمر له بألف دينار. وحكي عن الفضل بن يعقوب: قال لما اجتمع ثمامة بن أشرس، ويحيى بن أكثم عند المأمون، قال ليحيى: خبرني عن العشق ما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين، سوانح تسنح للعاشق يؤثرها، ويهيم بها تسمى عشقا فقال له ثمامة: يا يحيى، أنت بمسائل الفقه أبصر منك بهذا، ونحن بهذا أحذق منك فقال المأمون: فهات ما عندك فقال: يا أمير المؤمنين، إذا امتزجت خواطر النفوس بوصل المشاكلة نتجت لمح نور ساطع تستضيء به نواظر العقول، ويتصور من ذلك اللمح نور خاص بالنفوس متصل بجواهرها يسمى عشقا فقال له المأمون : صدقت ، هذا وأبيك الجواب.وحكي عن الأصمعي[3] ، قال : دخلت على هارون الرشيد، فقال: يا أصمعي، إني أرقت ليلتي هذه، فقلت: مم ؟ أنام الله عين أمير المؤمنين، قال: فكرت في العشق مم هو، فلم أقف عليه، فصفه لي حتى أخاله جسما مجسما قال الأصمعي: لا والله ما كان عندي قبل ذلك فيه شيء فأطرقت مليا، ثم قلت: نعم يا سيدي، إذا تقاربت الأخلاق المشاكلة وتمازجت الأرواح المشابهة، لمح نور ساطع يستضيء به العقل، وتهتز لإشراقه طباع الحياة، ويتصور من ذلك النور خلق خاص بالنفس متصل بجوهريتها يسمى العشق فقال: أحسنت والله يا غلام، أعطه وأعطه وأعطه فأعطيت ثلاثين ألف درهم. وحكي عن الأصمعي أنه قال: لقد أكثر الناس في العشق، فما سمعت أوجز ولا أجمل من قول أعرابية وقد سئلت عن العشق فقلت: ذل وجنون. قلت: هذه صفة ثمرة العشق ومآله. والتحقيق أن العشق شدة ميل النفس إلى صورة تلائم طبعها، فإذا قوي فكرها فيه تصورت حصولها وتمنت ذلك، فيجدد من شدة الفكر مرض. وقيل لبعضهم: ما العشق ؟ فقال: ارتياح في الخلقة، وفرح يجول في الروح، وسرور ينساب في أجزاء القوى. وقال أبو العيناء: سألت أعرابيا عن الهوى؛ فقال: هو أظهر من أن يخفى، وأخفى من أن يرى، كامن ككمون النار في الحجر، إن قدحته أورى، وإن تركته توارى. وسئل يحيى بن معاذ عن حقيقة المحبة، فقال: التي لا تزيد بالبر، ولا تنقص بالجفاء.

عن أبي سهل الساعدي: دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لي: يا أبا سهل، إن رجلا يلقى الله ولم يسفك دما حرام، ولم يأت فاحشة، أترجو له؟ قال: أي والله، فمن هو؟ قال: إني لأرجو أن أكون ذلك، فذكرت بثينة، فقال: إني لفي آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة، لا نالتني شفاعة محمد إن كنت حدثت نفسي بريبة قط. وروي عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: كنا عند عروة بن الزبير وعنده رجل من بني عذرة فقال له عروة: يا عذري بلغني أن فيكم رقة وغزلا، فأخبرني ببعض ذلك! قال: لقد خلفت في الحي ثمانين مريضا دنفا عشقا ما بهم غير الحب قد خامر قلوبهم.

بنو عذرة : بطن من قضاعة من القحطانية، وهم بنو عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن أسود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة، وكان لعذرة هذا من الولد كثير بطن، وعامر بطن، وكاهل بطن، وأيأس وعوف ورفاعة بطن، قال أبو عبيد: وعذرة هؤلاء هم المعروفون بشدة العشق، كان لأبيها صحبة، ومنهم عروة بن حرام وصاحبته عفراء، وهو ابن عمها اشتد عليه حبها حتى مات، ومن أحسن ما يحكى عن بعض العذريين انه قيل له ما بال الرجل يموت منكم في هوى امرأة، فقال: لأن فينا جمالا وعفة، قال الحمداني: منهم جماعة بدمياط وما حولها مخالطون بسنبس.

بنو عذرة –أيضا– بطن من كلب من قضاعة من القحطانية، وهم بنو عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب، وكان له من الولد عوف والعبيد بطن، وفي عذرة هذا ينسب كنانة عذرة، دون عذرة السابق.

■ (1) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج، التميمي الأسيدي المروزي، أبو محمد التميمي، من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. وكان عالما بالفقه بصيرا بالأحكام، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

■ (2) ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن: من كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون. وكان ذا نوادر وملح. من تلاميذه الجاحظ. وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه. وعده المقريزي في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يسمون الثمامية نسبة إليه، وأورد بعض ما انفردوا به من الآراء والمعتقدات. وقال ابن حزم: كان ثمامة يقول: إن العالم فعل الله بطباعه. وقال الجاحظ: ما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي بلغ من حسن الافهام، مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج، مع السلامة من التكليف، ماكان بلغه. مات سنة 213 هـ وفي الموسوعة الحرة قالوا: أبو بشر ثمامة بن الأشرس النميري المعتزلي، المتكلم المشهور أبو معن النميري مات حوالي 225 هـ.

■ (3) الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، له تصانيف كثيرة فى اللغة والشعر منها الأصمعيات. ولد في البصرة سنة 122 هـ وتوفي سنة 216 هـ .كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان هارون الرشيد يسميه شيطان الشعر. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

مراجع: نهاية الأرب في فنون الأدب/ الأعلام للزركلي/ أخبار النساء/ نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب/ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وعبد الملك بن عمير 0362

قال عبد الملك بن عمير[1]، وكان قاضيا على الكوفة بعد الشعبي: كنت عند عبد الملك بن مروان بقصر الكوفة، حين جيء برأس مصعب بن الزبير[2] فوضع بين يديه فرآني قد ارتعت لذلك، فقال لي : ما لك؟!، فقلت: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين، كنت بهذا القصر مع عبيد الله بن زياد[3] فرأيت رأس الحسين بن علي بن أبي طالب[4] رضي الله عنهما، بين يديه في هذا المكان، ثم كنت فيه مع المختار بن أبي عبيد الثقفي[5]، فرأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يديه، ثم كنت فيه مع مصعب بن الزبير هذا فرأيت رأس المختار فيه بين يديه، ثم هذا رأس مصعب بين يديك، قال: فقام عبد الملك من موضعه وأمر بهدم ذلك الطاق* الذي كنا فيه.

----

*(الطاق) ما عطف من الأبنية أي جعل كالقوس من قنطرة ونافذة وما أشبه ذلك. وفي مختار الصحاح: ما عقد من الأبنية والجمع الطاقات..

- (1) عبد الملك بن عمير بن سويد بن جارية اللخمي..أبو عمرو، ويقال: أبو عمر، الكوفي. يلقب بالقبطي، رأى عليا وروى عن طائفة كثيرة من الصحابة والتابعين. ولي قضاء الكوفة بعد الشعبي.وعزل عن القضاء، وولي بعده ابن أبي ليلى.ضعفه أحمد لغلطه..ووثقه آخرون. توفى سنة 136 هـ أو نحوها وبلغ 103 ويقال 163 سنة
- (4) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.
- (2) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله، ولاه أخوه الخليفة عبد الله بن الزبير إمرة العراقين ثم أرمينية أضاف إليه الكوفة، قتل في معركة دير الجثاليق سنة71 هـ وله 39 سنة ونقلت رأسه إلى عبد الملك وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام.
- (3) عبيد الله بن زياد بن عبيد، المعروف بابن زياد، وابن مرجانة وهي أمه، (أبوه: زياد بن أبي سفيان ويقال له: زياد بن أبيه، وابن سمية) كان والي العراق بعد أبيه ليزيد بن معاوية. قتله إبراهيم بن مالك سنة 67 هـ وكان شمر بن ذي الجوشن قائد الميسرة في جيش ابن زياد. وهو قاتل الحسين بن علي.
- (5) المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، ولد سنة 1 هـ حاكم الكوفة وكان متلونا كذابا يدعو مرة إلى محمد بن الحنفية، ومرة لابن الزبير، حتى ادعى آخرا أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء، فلما تحقق ابن الزبير سوء حاله، بعث أخاه المصعب لحربه، فقدم المصعب البصرة وتأهب منها، واجتمع إليه جيش الكوفة، فسار بهم جميعا وعلى مقدمته عباد بن الحصين، وعلى ميمنته المهلب بن أبي صفرة، وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، فجهز المختار لحربهم أحمر بن شميط، وكيسان فهزمهم مصعب، وقتل أحمر، وكيسان، وقتل من جيش مصعب محمد بن الأشعث الكندي ابن أخت أبي بكر الصديق، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، وقتل من جند المختار عمر الأكبر بن علي بن أبي طالب، ثم سار جيش مصعب فدخلوا الكوفة، وحصروا المختار بقصر الإمارة أياما إلى أن قتله الله في رمضان سنة67 هـ وصفت العراق لمصعب.

قال الشيخ حامد العلي: قد ذم الله تعالى الذين يمرون على آياته الكونية وهم غافلون، كما قال:﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف] وقد كان فيما جرى الأيام الماضية آيات للسائلين، ما كان حدثا عابرا، بل كان والله تصديقا لما في الكتاب، وعبرا لأولي الألباب..، ثم ذكر الشيخ من تلك العبر: تقلب الدنيا بأهلها، وأنها لا تدوم على حال، وليتأمل العاقل كيف يجعل رب كل شيء إن شاء سبحانه من كان عزيزا مهيبا، ذليلا وضيعا، كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران] فكم بعد هذه القصة من ملوك بالعراق، قد ذهب ملكها، وانتظم في عداد الهلكى سلكها، وها نحن نرى بأم أعيننا من مثل ذلك، ما فيه عظة للمتعظين. وما زالت الدنيا تبين سوءتها هذه لبني آدم، وتظهر حالها للناس، ولكن أكثرهم لا يعقلون، فهم يتهافتون عليها تهافت الفراش على النار فلا يعتبرون، ولاهم يذكرون إلا الذين آمنوا وعلموا الصالحات وقليل ما هم. وإنه لحري بالعاقل ألا يقيم لها وزنا، إذ هي لاتزن عند الله جناح بعوضة، فعلى العاقل أن يجعلها معبرا إلى الآخرة، ويبيعها ليشتري جنات عدن، وأربح التجارة الجهاد في سبيل الله قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة] إن انتصار الأمة في هذا العصر الذي تداعت فيه الأمم على الإسلام، لن يكتب إلا لمن باع الدنيا بالآخرة، لأولئك الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص] عن سهل بن سعد قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها فقال: ﴿أَتُرَوْنَ هَذِهِ هَيِّنَةً عَلَى صَاحِبِهَا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا﴾

لما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك، بكى وقال: ما كنت أقدر أن أصبر عليه ساعة واحدة من حبي له، حتى دخل السيف بيننا، ولكن الملك عقيم. يقول علي الصلابي: لقد نسي عبد الملك كل ما كان بينه وبين مصعب، ولم يذكر إلى الكرسي وسلطة الحكم، حتى إذا ما تم له الأمر، وخلص له الحكم، أخذ يتحدث عما كان بينهما من المودة والخلة، وراح يذكر محاسنه في مجالسه، وهو يعلم أن ذلك لن يضر ملكه شيئا.

في تاريخ الطبري: لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل أخيه مصعب، قام فخطب في الناس، فقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ألا أنه لن يذلل الله من كان الحق معه، وإن كان فردا، ولم يعز من كان وليه الشيطان وحزبه وإن كان معه الأنام طرا ألا وإنه قد أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا، أتانا قتل مصعب رحمه الله فأما الذي أفرحنا فعلمنا أنه قتله له شهادة، وأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة، ثم يرعوي بعدها ذوي الرأي إلى جميل الصبر، وكريم العزاء ولئن أصبتم بمصعب لقد أصبت بالزبير قبله، وما أنا من عثمان بخلو مصيبة، وما مصعب إلا عبد من عبيد الله وعون من أعواني، إلا إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق، أسلموه وباعوه بأقل الثمن، فإن يقتل فإنا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو العاص، والله ما قتل منهم رجل في زحف في الجاهلية ولا الإسلام وما نموت إلا قعصا* بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف. ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه، ولا يبيد ملكه، فإن تقبل لا آخذها أخذ الأشر البطر، وإن تدبر لا أبك عليها بكاء الحرق المهين. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

----

*(القعص) الموت السريع

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ـمختار الصحاح/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وإبراهيم بن محمد بن طلحة 0363

حدث عمران بن عبد العزيز الزهري، قال: لما ولي الحجاج بن يوسف[1] الحرمين بعد قتل عبد الله بن الزبير[2]، استخص إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله[3] وقربه في المنزلة، فلم يزل على حالته عنده حتى خرج إلى عبد الملك زائرا، فخرج معه فعادله لا يترك في بره وإجلاله وتعظيمه شيئا، فلما حضر باب عبد الملك حضر به معه، فدخل على عبد الملك، فلم يبدأ بشيء بعد السلام، إلا أن قال: قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز، ولم أدع له والله نظيرا في كمال المروءة والأدب، والديانة والستر، وحسن المذهب، والطاعة والنصيحة، مع القرابة ووجوب الحق، إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله، وقد أحضرته بابك ليسهل عليك إذنك وتلقاه ببشرك، وتفعل به ما تفعل بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه. فقال عبد الملك: ذكرتنا حقا واجبا، ورحما قريبة؛ يا غلام، إيذن لإبراهيم بن محمد بن طلحة. فلما دخل عليه مر به حتى أجلسه على فرشه، ثم قال له: يا ابن طلحة؛ إن أبا محمد ذكرنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب، وحسن المذهب، مع قرابة الرحم، ووجوب الحق، فلا تدعن حاجة من خاص أمرك ولا عام، إلا ذكرتها؛ قال: يا أمير المؤمنين، إن أولى الأمور أن يفتح بها الحوائج، ويرجى بها الزلف، ما كان لله عز وجل رضى، ولحق نبيه صلى الله عليه وسلم، ولك فيها ولجماعة المسلمين نصيحة، لا أجد بدا من ذكرها، ولا يكون البوح بها إلا وأنا خال، فأخلني ترد عليك نصيحتي؛ قال: دون أبي محمد؟ قال: نعم؛ قال: قم يا حجاج؛ فلما جاوز الستر، قال: قل يا ابن طلحة نصيحتك، قال: الله. يا أمير المؤمنين؟ قال: الله، قال: إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطرسه وتعترسه وتعجرفه لبعده من الحق وركونه إلى الباطل، فوليته الحرمين، وفيهما من فيهما، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار، والموالي المنتسبة إلى الأخيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبناء الصحابة، يسومهم الخسف، ويقودهم بالعنف، ويحكم فيهم بغير السنة، ويطأهم بطغاة من أهل الشام، ورعاع لا روية لهم في إقامة حق، ولا إزاحة باطل؛ ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك، وفيما بينك وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلصك؛ إذا جاثاك* للخصومة في أمته، أما والله لا تنجو هناك إلا بحجة تضمن لك النجاة، فأبق على نفسك أو دع؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» فاستوى عبد الملك جالسا وكان متكئا فقال: كذبت لعمر الله ومقت* ولؤمت فيما جئت به، قد ظن فيك الحجاج ما لم يجده فيك، وربما ظن الخير بغير أهله، قم فأنت الكاذب المائن* الحاسد؛ قال: فقمت والله ما أبصر طريقا، فلما خلقت الستر لحقني لاحق من قبله، فقال للحاجب: احبس هذا، وأدخل أبا محمد الحجاج؛ فلبثت مليا لا اشك أنهما في أمري، ثم خرج الآذن فقال: قم يا ابن طلحة فادخل، فلما كشف لي الستر لقيني الحجاج وأنا داخل وهو خارج فاعتنقني وقبل ما بين عيني، ثم قال: إذا جزى الله المتآخيين بفضل تواصلهما خيرا فجزاك الله أفضل ما جزى به أخا، فوالله لئن سلمت لك لأرفعن ناظرك، ولأعلين كعبك، ولأتبعن الرجال غبار قدميك؛ قال: فقلت: يهزأ بي. فلما وصلت إلى عبد الملك أدناني حتى أجلسني مجلسي الأول، ثم قال: يا ابن طلحة، لعل أحدا من الناس شاركك في نصيحتك؟ قلت: لا والله، ولا أعلم أحدا كان أظهر عندي معروفا، ولا أوضح يدا من الحجاج، ولو كنت محابيا أحدا بديني لكان هو، ولكني آثرت الدنيا لكان لك في الحجاج أمل، وقد أزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما، وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استصغارا لهما، ووليته العراقين لما هناك من الأمور التي لا يرخصها إلا مثله، وأعلمته أنك استدعيتني إلى التولية له عليهما استزادة له ليلزمه ما يؤدي به عني إليك أجر نصيحتك، فاخرج معه فإنك غير ذام صحبته مع تفريطه، إياك ويدك عنده.قال: فخرجت على هذه الجملة.

----

*(جاثاك) المجاثاة للخصومة أن يجلس كل على ركبتيه مستوفزا (فأفق على نفسك) العقد: فاربع على نفسك (مقت) أي حمقت (المين) الكذب وجمعه ميون يقال أكثر الظنون ميون وقد مان الرجل من باب باع فهو مائن و ميون

■ (3) إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي المدني أبو إسحاق. قتل أبوه محمد السجاد يوم الجمل.استعمله عبد الله بن الزبير على خراج الكوفة وبقي حتى أدرك هشاما، وكان يقال له: أسد الحجاز، قوالا بالحق، بليغا، وقورا، كبير القدر.وفد على عبد الملك، فأجلسه على فرشه فنصحه ووعظه. مات بالمدينة سنة 110 هـ.

■ (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي له صحبة ورواية عن النبي وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو ابن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر وتخلف بعده ابنه عبد الملك ووقع بينه وبين عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب حروب دامت سنين إلى أن قتل عبد الملك مصعب متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (1) أبو محمد، الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ، كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله.

لما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء والعويل، فأمر الحجاج بالناس فجمعوا إلى المسجد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل مكة، بلغني بكاؤكم واستفظاعكم قتل عبد الله بن الزبير، ألا وإن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها وخلع طاعة الله واستكن إلى حرم الله، ولو كان شيء مانعا للقضاء لمنعت آدم حرمة الجنة لأن الله تعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته واباحة جنته، فلما كان منه ما كان أخرجه من الجنة بخطيئته، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمة من الكعبة، فاذكروا الله يذكركم، ونزل.

☪

قال إبراهيم بن هرمة[1]: أردت لابني البناء على أهله، وخروجا إلى باديتي، ومرمة الشتاء، ففكرت في قريش، فلم أذكر غير إبراهيم بن محمد بن طلحة، فخرجت إليه في مال له بين شرقي المدينة وغربيها، وقد هيأت له شعرا، فلما جئته قال لبنيه: قوموا إلى عمكم فأنزلوه، فقاموا فأنزلوني عن دابتي، فسلمت عليه وجلست معه أحدثه، فلما اطمأن بي المجلس قلت له: أردت الخروج إلى باديتي، وحضر الشتاء ومؤونته، وأردت أن أجمع على ابني أهله، وكانت الأشياء متعذرة، ففكرت في قومي فلم أذكر سواك، وقد هيأت لك من الشعر ما أحب أن تسمعه؛ فقال: بحقي عليك إن أنشدتني شعرا، ففي قرابتك ورحمك وواجب حقك، ما تعول به رحمك وتقضي به حوائجك، فانصرف إلى باديتك واعذرني فيما يأتيك مني. قال: فخرجت إلى باديتي، فإني لجالس بعد أيام إذا بشويهات تتسايل يتبع بعضها بعضا، فأعجبني حسنها، فما زالت تتسايل حتى افترش الوادي منها، وإذا فيها غلامان أسودان، وإذا إنسان على دابة يحمل بين يديه رزمة، فلما جاءني ثنى رجله، وقال: أرسلني إليك إبراهيم بن محمد بن طلحة، وهذه ثلاثمئة شاة من غنمه، وهاذان راعيان، وهذه أربعون ثوبا، ومئتا دينار، وهو يسألك أن تعذره.

■ (1) إبراهيم بن هرمة شاعر زمانه أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر الفهري، المدني، أحد البلغاء من شعراء الدولتين. وكان منقطعا إلى العلوية. وتوفي سنة 176 هـ

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ دمشق/ العقد الفريد/ الأعلام للزركلي/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/ مختار الصحاح/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) ويحيى بن عروة 0364

وفد يحيى بن عروة [1] على عبد الملك بن مروان (ابن خاله) فجلس ببابه، فسمع حاجب عبد الملك يتناول من ابن الزبير[2]، فضرب يحيى وجه الحاجب فأدماه، فقال له عبد الملك: من فعل بك؟ قال: يحيى بن عروة، قال: أدخله، فدخل، وقد استوى عبد الملك على فراشه، فقال: ما حملك على ما فعلت بحاجبي؟ فقال له يحيى: عمي عبد الله بن الزبير كان أحسن جوارا لعمتك منك لنا، والله إن كان ليقول لها: من سب أهلك فسبي أهله، وإن كان لينهى حامته وعشيرته وحشمه أن يسمعوها فيكم قذعا*، أنا والله المعم المخول*، تفرقت العرب عن عمي وخالي، فكنت كما قال الشاعر: يداه أصابت هذه حتف هذه..فلم تجد الأخرى عليها مقدما. قال: فاضطجع عبد الملك، ولم يزل كذلك يعرف فيه إكراما لـ يحيى بن عروة.

وفي رواية أن يحيى بن عروة وفد على عبد الملك بن مروان؛ فسأله يرد ما قبض من أموال آل الزبير؛ فذكر عبد الملك خلاف آل الزبير، وتناول عبد الله؛ فقال يحيى: إنا أكرم العرب! اختلف العرب في عمي وخالي يعني عبد الله بن الزبير، ويعني مروان بن الحكم[3] . أما إن عبد الله كان لا يسمعنا فيكم شيئا نكرهه!. ورد عليه ما قبض له. وكانت أم يحيى بنت الحكم بن أبي العاص[4]عمة عبد الملك.

----

*(القذع) الخنا والفحش (المعم المخول) الكثير الأعمام والأخوال الكريمهم وقد يكسران.

■ (1) يحيى بن عروة بن الزبير بن العوام، أبو عروة (ابن أخي عبد الله بن الزبير، وأمه بنت الحكم ، أخت مروان) فعمه عبد الله بن الزبير وخاله مروان بن الحكم. وكان له علم بالنسب والناس، فنازع إبراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك وكان عامله على المدينة فضربه بأمر هشام فمات بعد الضرب نحو سنة 114 هـ

■ (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (3) مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو عبد الله، ولد سنة 2 هـ توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثم عزله. ثم أصبح رابع ملوك الدولة الأموية وتوفي سنة 65 هـ.

■ (4) أم يحيى بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أخت مروان بن الحكم لأبيه وأمه. (لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

عن الشعبي، عن قيس بن حبتر، عن بنت الحكم بن أبي العاص[1]، أنها قالت للحكم: ما رأيت قوما كانوا أسوء رأيا وأعجز في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني أمية، فقال: لا تلومينا يا بنية، إني لا أحدثك إلا ما رأيت بعيني هاتين، قلنا: والله ما نزال نسمع قريشا تقول: يصلي هذا الصابئ في مسجدنا فتواعدوا له تأخذوه. فتواعدنا إليه، فلما رأيناه سمعنا صوتا ظننا أنه ما بقي بتهامة جبل إلا تفتت علينا، فما عقلنا حتى قضى صلاته، ورجع إلى أهله. ثم تواعدنا ليلة أخرى، فلما جاء نهضنا إليه فرأيت الصفا والمروة التقا إحداهما بالأخرى، فحالتا بيننا وبينه، فوالله ما نفعنا ذلك.

وفي رواية عن قيس بن حبتر قال: قالت ابنة مروان لجدها الحكم: ما رأيت قوما كانوا أضعف في أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني أمية، فقال لها: لا أحدث إلا ما رأت عيناي، قال: قلنا والله ما تزال قريش تعلى على هذا الصابئ في مسجدنا فتواعدنا نأخذه فجئنا حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد فوقعنا مغشيا علينا فوالله ما أفقنا حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ورجع إلى أهله، فواعدنا ليلة أخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه، فوالله ما نفعنا ذلك حتى رزقنا الله الإسلام.

■ (1) الحكم بن أبي العاص الأموي عم عثمان، ووالد مروان، كان النبي قد طرده إلى الطائف، وبقي طريدا إلى زمن عثمان، فرده إلى المدينة، واعتذر بأنه قد كان شفع فيه إلى النبي فوعده برده، وهو مؤتمن على ما قال، وهو أحد الأسباب التي نقموا بها على عثمان.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ أسد الغابة/ الأعلام للزركلي/

قال عبد الرحمن بن حسان: كان الحارث الكذاب[1] من أهل دمشق، وكان مولى لأبي الجلاس، وكان له أب بالحولة، فعرض له إبليس، وكان رجلا متعبدا زاهدا، لو لبس جبة من ذهب لرئيت عليه زاهدة، قال: وكان إذا أخذ في التحميد، لم يسمع السامعون إلى كلام أحسن من كلامه. قال: فكتب إلى أبيه وهو بالحولة، يا أبتاه، أعجل علي، فإني قد رأيت أشياء أتخوف أن يكون الشيطان قد عرض لي، قال: فزاده أبوه عناء، فكتب إليه أبوه: يا بني، أقبل على ما أمرت به، إن الله يقول: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء] ولست بأفاك ولا أثيم، فامض لما أمرت به. وكان يجيء إلى أهل المسجد رجلا فيذاكرهم أمره، ويأخذ عليهم بالعهد والميثاق إن هو رأى ما يرضى قبل، وإلا كتم عليه؟ قال: وكان يريهم الأعاجيب، كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح؛ قال: وكان يطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء، وكان يقول لهم: اخرجوا حتى أريكم الملائكة. قال: فيخرجهم إلى دير المران، فيريهم رجالا على جبل. فتبعه بشر كثير، وفشا الأمر في المسجد وكثر أصحابه، حتى وصل الأمر إلى القاسم بن مخيمرة[2]. قال: فعرض على القاسم وأخذ عليه العهد والميثاق، إن هو رضي أمرا قبله، وإن كرهه كتم عليه. فقال له: إني نبي، فقال له القاسم: كذبت يا عدو الله، ما أنت بنبي، ولا لك عهد ولا ميثاق. قال: فقال له أبو إدريس[3]: بئس ما صنعت إذ لم تلين حتى تأخذه، الآن يفر. قال: وقام من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فاعلمه بأمر حارث، فبعث عبد الملك في طلبه فلم يقدر عليه، وخرج عبد الملك فنزل الصنبرة*.

قال: فاتهم عامة عسكره بالحارث أن يكونوا يرون رأيه. وخرج الحارث حتى أتى بيت المقدس فاختفى فيها، وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه، وكان رجل من أهل البصرة قد أتى بيت المقدس، فأتاه رجل من أصحاب الحارث فقال له: هاهنا رجل يتكلم، فهل لك أن تسمع من كلامه؟ قال: نعم – قال الوليد[4]: وأهل البصرة يشتهون الكلام – فقال: نعم. فانطلق معه حتى على الحارث، فأخذ في التحميد. قال: فسمع البصري كلاما حسنا، ثم أخبره بأمره وأنه نبي مبعوث مرسل. فقال له: إن كلامك لحسن، ولكن في هذا نظر. قال: فانظر. فخرج البصري ثم عاد إليه فرد عليه كلامه، فقال: إن كلامك لحسن وقد وقع في قلبي، وقد آمنت بك، هذا الدين المستقيم. قال: فأمر أن لا يحجب. قال: فأقبل البصري يتردد إليه، وعرف مداخله ومخارجه، وأين يهرب وأين يذهب، حتى صار من أخص الناس به. ثم قال له: إئذن لي قال: إلى أين؟ قال: إلى البصرة، أكون أول داعية لك بها. قال: فأذن له فخرج مسرعا إلى عبد الملك وهو بالصنبرة، فلما دنا من سرادقه صاح: النصيحة النصيحة. فقال أهل العسكر: وما نصيحتك؟ قال: نصيحة لأمير المؤمنين. حتى دنا من أمير المؤمنين، فأمر عبد الملك أن يأذنوا له، فدخل وعنده أصحابه فصاح: النصيحة. قال: وما نصيحتك؟ قال: أخلني، لا يكون عندك أحد. قال: أخرج من في البيت. وكان عبد الملك قد اتهم أهل عسكره أن يكون هواهم معه، ثم قال له: أدنني. فقال: ادن فدنا وعبد الملك على السرير. فقال: ما عندك؟ قال: الحارث. فلما ذكر الحارث طرح نفسه من السرير. ثم قال: أين هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه ببيت المقدس، وقد عرفت مداخله ومخارجه، فقص عليه قصته وكيف صنع به. فقال: أنت صاحبه، وأنت أمير بيت المقدس، وأمير ما هناك، فمرني بما شئت. قال: يا أمير المؤمنين، ابعث معي قوما لا يفقهون الكلام. فأمر أربعين رجلا من فرغانة*، فقال: انطلقوا مع هذا، فما أمركم به من شيء فأطيعوه. قال: وكتب إلى صاحب بيت المقدس أن فلانا أمير عليك حتى يخرج فأطعه فيما أمرك به، قال: فلما قدم بيت المقدس أعطاه الكتاب فقال: مرني بما شئت. فقال: اجمع إن قدرت كل شمعة ببيت المقدس، وادفع كل شمعة إلى رجل ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع، فإذا قلت أسرجوا، فأسرجوا جميعا. قال: فرتبهم في أزقة بيت المقدس وفي زواياها بالشمع، وتقدم البصري وحده إلى منزل الحارث فأتى الباب. فقال للحاجب: استأذن لي على نبي الله. فقال: في هذه الساعة! ما يؤذن عليه حتى يصبح. قال: أعلمه أني إنما رجعت شوقا إليه قبل أن أصل. قال: فدخل عليه فأعلمه كلامه وأمره. قال: ففتح الباب ثم صاح البصري: أسرجوا، فأسرجت الشمع حتى كانت بيت المقدس كأنها النهار، ثم قال: من مر بكم فاضبطوه. قال: ودخل كما هو إلى الموضع الذي يعرفه، فنظر فإذا لا يجده، فطلبه فلم يجده، فقال أصحابه: هيهات تريدون أن تقتلوا نبي الله! قد رفع إلى السماء. قال: فطلبه في شق قد كان هيأه سربا، قال: فأدخل البصري يده في ذلك الشق فإذا بثوبه، فاجتره فأخرجه إلى خارج، ثم قال للفرغانيين: اضبطوه فربطوه، فبينا هم يسيرون به البريد إذ قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر] الآية، فقال أهل فرغانة: أولئك العجم: هذا كراننا فهات كرانك أنت. فسار به حتى أتى به عبد الملك. فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت، فصلبه، وأمر بحربة، وأمر رجلا فطعنه، فأصاب ضلعا من أضلاعه، فكعب الحربة، فجعل الناس يصيحون: الأنبياء لا يجوز فيهم السلاح. فلما رأى ذلك رجل من المسلمين تناول الحربة، ثم مشى بها إليه، ثم أقبل يتحسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها، فأنفذها فقتله.

قال الوليد بن مسلم: بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية[5] دخل على عبد الملك فقال: لو حضرتك ما أمرتك بقتله. قال: ولم؟ قال: إنما كان به المذهب*. فلو جوعته ذهب ذلك عنه. وقيل: إن الحارث لما حمل على البريد وجعلت في عنقه جامعة من حديد فجمعت يداه إلى عنقه، فأشرف على عقبة بيت المقدس، فتلا هذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ] قال: فتقلقلت الجامعة، ثم سقطت من يده ورقبته إلى الأرض، فوثب إليه الحرس الذين كانوا معه فأعادوها عليه، ثم ساروا به. فلما أشرف على عقبة أخرى قرأ آية لا أحفظها، فسقطت من رقبته ويده إلى الأرض، فأعادوها عليه. فلما قدموا على عبد الملك حبسه، وأمر رجالا كانوا معه في السجن من أهل الفقه والعلم أن يعظوه، ويخوفوه الله، ويعلموه أن هذا من الشيطان، فأبى أن يقبل منهم، فأتوا عبد الملك فأخبروه بأمره، فأمر به فصلب. وجاء رجل بحربة فطعنه فانثنت الحربة، فقال الناس: ما ينبغي لمثل هذا أن يقتل، ثم أتاه حرسي برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه، ثم هزه فأنفذه.

----

*(الصنبرة) موضع بالاردن مقابل لعقبة إفيق بينه وبين طبرية ثلاثة أميال ووردت محرقة في معجم البلدان هنا في الخبر: الصبيرة (فرغانة) ناحية بالمشرق (أوزبكستان اليوم) تشتمل على أربع مدن وقصبات كثيرة فالمدن: أوش وأوزجند وكاسان ومرغينان وليست فرغانة بلدة بعينها (المذهب) قال ياقوت: والمذهب: الوسوسة ومنه المذهب وهو وسوسة الوضوء ونحوه وفي اللسان: المذهب اسم شيطان هو من ولد إبليس يتصور للقراء فيفتنهم عند الوضوء وغيره (اللسان: ذهب)

■ (1) الحارث بن سعيد الكذاب ويقال الحارث بن عبد الرحمن بن سعد المتنبي دمشقي مولى أبي الجلاس العبدري القرشي، ويقال مولى مروان بن الحكم.

■ (3) أبو إدريس الخولاني، عائذ الله بن عبد الله بن عمرو الخولاني العوذي الدمشقي. ويقال فيه: عيذ الله بن إدريس بن عائذ بن عبد الله بن عتبة. تابعي، فقيه. كان واعظ أهل دمشق، وقاصهم في خلافة عبد الملك. وولاه عبد الملك القضاء في دمشق. ولد عام الفتح ومات سنة80 هـ.

■ (2) القاسم بن مخيمرة، الإمام القدوة الحافظ أبو عروة الهمداني الكوفي، نزيل دمشق. وكان تاجرا، قيل مات في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة100 هـ قال إسماعيل بن أبي خالد: كنا في كتاب القاسم بن مخيمرة، فكان يعلمنا، ولا يأخذ منا. وروى محمد بن كثير، عن الاوزاعي، قال: كان القاسم بن مخيمرة، يقدم علينا ها هنا متطوعا، فإذا أراد أن يرجع، استأذن الوالي، فقيل له: أرأيت إن لم يأذن لك، قال: إذا أقيم، ثم قرأ: ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور]

■ (4) الوليد بن مسلم الاموي بالولاء، الدمشقي، أبو العباس: عالم الشام في عصره، من حفاظ الحديث. له 70 تصنيفا في الحديث والتاريخ، منها السنن والمغازي. وكان يقال: من كتب مصنفات الوليد، صلح أن يلي القضاء. توفي بذي المروة، قافلا من الحج سنة 195 هـ.

■ (5) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي القرشي، هو أول من اهتم من العرب بعلم الكيمياء وترجم الكتب. ولد 51 هـ وتوفي سنة 90 هـ وهو أخو معاوية بن يزيد ثالث ملوك بني أمية.

قال الراوي: وسمعت غير واحد ولا اثنين يقولون: إن الذي طعن الحارث بالحربة فانثنت قال له عبد الملك: أذكرت الله حين طعنته؟ قال: نسيته أو قال: لا. قال: فاذكر اسم الله ثم اطعنه. قال: فطعنه فأنفذها. قال العلاء بن زياد العدوي[1]: ما غبطت عبد الملك بشيء من ولايته إلا بقتله حارثا؛ حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلاَثُونَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ.فَمَنْ قَالَهُ فَاقْتُلُوهُ وَمَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ أَحَداً فَلَهُ الْجَنَّةُ﴾ أخرجه ابن عساكر وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ، فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ﴾وعن حذيفة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ وَدَجَّالُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ وَإِنِّي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي﴾

قال القرافي: اتفق الناس على تكفير إبليس بقضيته مع آدم عليه الصلاة والسلام، وليس الكفر فيها لامتناعه من السجود، وإلا لكان كل من أمر بالسجود وامتنع منه كافرا، وليس كفره بكونه حسد آدم عليه الصلاة والسلام على منزلته من الله تعالى، وإلا لكان كل حاسد كافرا، وليس كفره بعصيانه وفسوقه، وإلا لكان كل عاص وفاسق كافرا، وقد أشكل ذلك على جماعة من الفقهاء وينبغي أنه إنما كفر بنسبه الحق جل جلاله إلى الجور والتصرف الذي ليس بمرضي، ويظهر ذلك من فحوي قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف / ص] ومراده أن الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم، وهذا وجه كفره لعنه الله تعالى. وقد أجمع المسلمون على أن من نسب الله تعالى لذلك فهو كافر.

قال الأصمعي: رأيت أعرابيا أتى عليه عمر كثير فقلت أراك حسن الحال في جسدك؟ قال: نعم تركت الحسد فبقيت نفسي؛ وهذا من قول سقراط: الحسد يأكل الجسد. قال الفضيل: لا يستريح قلبك حتى يترك كل الدنيا. وقيل: من دعته نفسه إلى ترك الدنيا فلينظر هل يحسد أحدا، فإن حسد كان تركه عجزا لأنه لو زهد فيها ما حسد عليها.

■ (1) العلاء بن زياد بن مطر بن شريح، القدوة العابد، أبو نصر العدوي البصري. أرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم. وكان ربانيا تقيا قانتا لله، بكاء من خشية الله. قال قتادة: كان العلاء بن زياد قد بكى حتى غشي بصره. ذكر أبو حاتم بن حبان أن العلاء بن زياد توفي في أخرة ولاية الحجاج سنة 94 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي/ سير أعلام النبلاء/ الأعلام للزركلي/ تاج العروس/ صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ مسند أحمد/ محاضرات الأدباء/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وعامر الشعبي (١) 0366

دخل الشعبي[1] على عبد الملك بن مروان، فقال: يا شعبي، لقد وخمت من كل شيء إلا في الحديث الحسن، قال: نعم يا أمير المؤمنين، إن الحديث ذو شجون* تسلى به الهموم، قال: يا شعبي، ما العلم؟ قال: يا أمير المؤمنين: العلم ما يقربك من الجنة، ويباعدك من النار، قال: يا شعبي، ما العقل؟ قال: ما يعرفك عواقب رشدك ومواقع غيك، قال: متى يعرف الرجل كمال عقله؟ قال: إذا كان حافظا لسانه، مداريا لأهل زمانه، مقبلا على شانه. وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن أخي الأصمعي عن عمه قال: وجه عبد الملك بن مروان عامرا الشعبي إلى ملك الروم في بعض الأمر فاستكثر الشعبي، فقال له: أمن أهل بيت الملك أنت؟ قال: لا، قال: فلما أراد الرجوع إلى عبد الملك، حمله رقعة لطيفة وقال له: إذا رجعت إلى صاحبك، وأبلغته جميع ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا، فادفع إليه هذه الرقعة، فلما صار الشعبي إلى عبد الملك، ذكر له ما احتاج إلى ذكره، ونهض من عنده، فلما خرج ذكر الرقعة فرجع، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه حملني إليك رقعة نسيتها حتى خرجت، وكانت في آخر ما حملني، فدفعها إليه، ونهض، فقرأها عبد الملك، فأمر برده، فقال: أعلمت ما في هذه الرقعة؟ قال: لا، قال: فيها عجبت من العرب، كيف ملكت غير هذا، أفتدري لم كتب إلي بهذا؟ قال: لا، قال: حسدني بك، فأراد أن يغريني بقتلك، فقال الشعبي: لو كان رآك يا أمير المؤمنين، ما استكثرني، فبلغ ذلك ملك الروم وما ذكر عبد الملك، فقال: لله أبوه، والله، ما أردت إلا ذاك. وفي رواية قال القزويني: كان الشعبي عالما ورعا فريد دهره، ولي القضاء من قبل عبد الملك بن مروان، بعثه إلى الروم رسولا فأدخلوه على الملك من باب لص حتى ينحني للدخول، فيقولون: خدم للملك، فعرف الشعبي ذلك فدخله من خلفه، فلما رأى صاحب الروم كمال عقله وحسن جوابه وخطابه قال له: أمن بيت الخلافة أنت ؟ قال: لا، أنا رجل من العرب. فكتب إلى عبد الملك: عجبت من قوم عندهم مثل هذا الرجل وولوا غيره أمرهم ! فقال عبد الملك للشعبي: حسدني عليك أراد أن أقتلك ! فقال الشعبي: إنما كهر أمير المؤمنين لأنه لم يرك ! فقال: لله درك ما عدا ما في نفسي. وفي موضع آخر أنه لما قال له: أنت أحق بموضع صاحبك منه، قال له: على بابه عشرة آلاف كلهم خير مني، فقال: هذا من عقلك، ثم قال: يا شعبي، أريد أن أسألك عن ثلاث خلال، فإن خرجت منهن فأنت أعلم الناس، قلت: سل، قال: حتى تخرج وأشيعك وأسألك عنهن فتمضي وليس في نفسي منهن شيء. فلما شيعني قلت: سل عن الثلاث خلال، فقال: يا شعبي، لكم مثل؟ قلت: نعم، ليس في الأرض مثل مثله، قال: وما هو؟ قال: قلت: ﴿إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ﴾ قال: حسبك، ما سمعت بهذا المثل قط، قال: يا شعبي، لم غيرت لحيتك بصفرة، ألا صبرت على البياض كما ابتليت، لو رددتها إلى نسجها الأول فخضبت بالسواد؟ فقلت هذه سنة نبينا، قال: ما جاء به البنون فليس فيه حيلة، قال: أخبرني؛ أنت خير أم أبوك؟ قال: أبي خير مني، قال: وأنت خير من ابنك؟ قلت: نعم، قال: وابنك خير من ابن ابنك؟ قلت: نعم، قال: الحمد لله الذي ظفرني بك يا شعبي، آخركم يكون قردة وخنازير إذا كنتم تزدادون في كل قرن شرا.

هرب الشعبي من الحجاج [2] حتى وقع إلى خراسان، فكتب عبد الملك إلى قتيبة بن مسلم[3] في طلبه، ورده إلى حضرته. فلما ورد على عبد الملك خطأه في أول مجلس جلس إليه في ثلاث: سمع من عبد الملك حديثا فقال: أكتبنيه يا أمير المؤمنين، فقال: نحن معاشر الخلفاء لا نكتب، وذكر الشعبي رجلا فكناه فقال: نحن معاشر الخلفاء لا يكنى في مجالسنا الناس، ودخل الأخطل على عبد الملك فدعا له بكرسي فقال له الشعبي: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: نحن الخلفاء فلا نسأل فأخجله

* (الحديث ذو شجون) هو مثل قولهم: الحديث يجر بعضه بعضا. وهو يضرب مثلا للرجل يكون في أمر فيأتي أمر آخر فيشغله عنه. وشجون جمع شجن وهو الهوى والحاجة، وقيل: شجون الوادي: شعبه.

■ (1) عامر بن شراحيل الشعبي، شعب همدان، أبو عمرو.علامة أهل الكوفة في زمانه، ولد في وسط خلافة عمر. وروى عن علي يسيرا، وعن المغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، وعائشة، وأبي هريرة، وجرير البجلي، وعدي بن حاتم، وابن عباس، ومسروق، وخلق كثير، وقرأ القرآن على علقمة، وأبي عبد الرحمن السلمي. قال أحمد بن عبد الله العجلي: مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحا. وقال عاصم الأحول: كان الشعبي أكثر حديثا من الحسن، وأكبر منه بسنتين، ولد لأربع بقين من خلافة عمر. وقال خليفة: ولد سنة 21 هـ، وقيل غير ذلك. وعن الشعبي قال: أدركت خمس مائة من أصحاب رسول الله أو أكثر. قال أبو أسامة: كان عمر في زمانه، وكان بعده ابن عباس، وكان بعده الشعبي، وكان بعده الثوري في زمانه. وعن ابن سيرين، قال: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة، والصحابة يومئذ كثير. قال إسماعيل بن مجالد: توفي الشعبي سنة 104 هـ وله 82 سنة.وقال الواقدي: سنة 105 هـ.وقال الفلاس: مات في أول سنة 106 هـ، وقيل غير ذلك.

■ (2) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

■ (3) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة، أبو حفص الباهلي. ولد سنة 49 هـ وقتل سنة 96 هـ أو 99 هـ. أمير خراسان كلها بعد إمرة الري، وهو الذي افتتح خوارزم وبخارى وسمرقند، وقد كانوا كفروا ونقضوا، ثم افتتح فرغانة والترك. وولي خراسان عشر سنين. وقد سمع، من: عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري. ولما مات الوليد بن عبد الملك نزع الطاعة، فلم يوافقه على ذلك أكثر الناس. وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان بن قيس الغداني عن رياسة تميم، فحقد عليه، وسعى في تأليب الجند، ثم وثب على قتيبة في أحد عشر من أهله، فقتلوه وقتل أخوه أبو صالح، وكان أبوه مسلم بن عمرو من أصحاب مصعب بن الزبير وإلى العراق من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وقاتل معه في حربه ضد عبد الملك بن مروان سنة 72 هـ.

☪

حكي أن الشعبي جلس يوما للقضاء فاحتكم إليه زوجان، وكانت المرأة من أجمل النساء، فأظهرت المرأة حجتها. فقال للزوج: هل لك ما تدفع هذه؟ فأنشأ يقول: فتن الشعبي لما..رفع الطرف إليها..فتنته بدلال..وتخطى حاجبيها..قال للجوار قرب..ها وقرب شاهديها..فقضى جورا على الخص..م ولم يقض عليها. قال الشعبي: دخلت على عبد الملك، فلما نظر إلي تبسم وقال:فتن الشعبي لما..رفع الطرف إليها. ثم قال: ما فعلت بقائل هذا؟ قلت: أوجعت ظهره ضربا يا أمير المؤمنين لما هتك حرمتي! فقال: أحسنت والله وأجملت!وحكي أن الشعبي دخل على قوم وهم يذكرونه بالسوء فقال: هنيئا مريئا غير داء مخامر..لعزة من أعراضنا ما استحلت. وسبه رجل فقال:يا هذا إن كنت صادقا غفر الله لي، وإن كنت كاذبا غفر الله لك! قال عامر بن مسلم: إني لجالس في مسجد الكوفة ومعنا هذيل الأشجعي، والشعبي جالس في مجلس القضاء إذ مرت بنا أم جعفر بنت عيسى بن جراد –وكانت امرأة حسنة، وعليها كساء خز أسود– في مجلس القضاء في خصومة لها، فذهبت إليه ثم رجعت، فقال لها هذيل: ما صنعت؟ فقالت: سألني البينة، ومن يسأل البينة فقد أفلح، فقال هذيل: دواة وقرطاس، فكتب إلى الشعبي: مجزوء الرمل: فتن الشعبي لما..رفع الطرف إليها..فتنته ببيان..كيف لورا معصميها؟..ومشت مشيا رويدا..ثم هزت منكبيها..بنت عيسى بن جراد..دفع الملك إليها..وقضى جورا على الخص..م ولم يقض عليها..قال للجلواز: قدم..ها وأحضر شاهديها..كيف لو أبصر منها..نحرها أو ساعديها..لسعى حتى تراه..ساجدا بين يديها. فلما قرأ الشعبي الكتاب قال: أرغم الله أنفه، ما قضينا إلا بحق. وفي رواية أن الشعبي قال: إن كنت كاذبا فأعمى الله بصرك، قال: فعمي الرجل. وفي رواية قال له عبد الملك: يا شعبي، بلغني أنه اختصم إليك امرأة وبعلها، فقضيت للمرأة على بعلها، فأخبرني عن قصتها، فأخبره، فقال له عبد الملك: ما صنعت به يا شعبي؟ قال: أوجعت ظهره حين جورني في شعره.

قال أبو أسامة: كان عمر بن الخطاب في زمانه، رأس الناس، وهو جامع، وكان بعده ابن عباس في زمانه، وكان بعد ابن عباس في زمانه الشعبي، وكان بعد الشعبي في زمانه سفيان الثوري، وكان بعد الثوري في زمانه يحيى بن آدم. قيل للشعبي: من أين لك كل هذا العلم؟ قال: بنفي الاغتمام، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب. وعن الشعبي: أن ابن عمر سمعه يحدث بأحاديث المغازي، فاستمع له وقال: إن هذا الفتى ليحدث بأحاديث قد حضرناها، هو أعلم بها منا. قال: ما لقيت أحدا أعلم بسنة ماضية من الشعبي. وقال أيضا: ما رأيت أفقه من الشعبي. وقال منصور: ما رأيت أحدا أحسب من الشعبي. قال صالح بن مسلم: لقيت الشعبي بالسدة فمشيت معه حتى حاذتنا أبواب المسجد فنظر إليه فقال: الله يعلم، لقد بغض إلي هؤلاء هذا المسجد.قلت: من يا أبا عمرو؟ قال: هؤلاء الرأييون، أصحاب الرأي. قيل: من في المسجد؟ قال: الحكم بن عتيبة ونظراؤه، ثم مضى، فلقيه رجل، فسأله عن الورع فأبى أن يجيبه، فألح عليه فقال: يا عبد الله، إنك إن علمت، ثم علمت كان أوجب عليه بالحجة، وإن عملت قبل أن تعلم كان أيسر عليك في الأمر. قال: ثم مضينا نحو باب القصر فلقيه رجل، فقال: يا أبا عمرو، ما تقول في الرجل يضرب مملوكه؟ فقال بيده يقلبها: ما أدري، يوم يضرب الشعبي مملوكه فهو حر يومئذ. قال الشعبي: ما ضربت مملوكا لي قط، ولا أخذت له ضريبة.قال الشعبي: والله إنه لعلم حسن أن يقول الرجل إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم. قال أبو وهب محمد بن مزاحم: قيل للشعبي: إنا لنستحيي من كثرة ما تسأل فتقول: لا أدري، فقال: لكن ملائكة الله المقربون لم يستحيوا حيث سئلوا عما لا يعلمون أن قالوا: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة] كان إبراهيم النخعي صاحب قياس، والشعبي صاحب آثار، وكان الشعبي منبسطا، وكان إبراهيم منقبضا فإذا وقعت الفتوة انقبض الشعبي، وانبسط إبراهيم. قال الشعبي: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة. قال الشعبي: تفرق الناس منذ وقع هذا الأمر يعني: قتل عثمان على أربعة أصناف: محب لعلي مبغض لعثمان، محب لعثمان مبغض لعلي، محب لهما كلاهما، مبغض لهما كلاما. قيل: يا أبا عمر، من أي هذه الأصناف أنت؟ قال: محب لهما جميعا. قال الشعبي: أحب أهل بيت نبيك، ولا تكن رافضيا، واعمل بالقرآن، ولا تكون حروريا، واعلم أن ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، ولا تكن قدريا، وأطع الإمام وإن كان عبدا حبشيا. وفي حديث بمعناه: وقف عند الشبهات ولا تكون مرجئا. وذكر الشعبي الرافضة فقال: ولو كانوا من الطير لكانوا رخما، ولو كانوا من الدواب لكانوا حمرا. وكان الرجل يخرج إلى السوق في الحاجة، فيمر بالمسجد فيقول الرجل: أدخل فأصلي ركعتين، ثم أخرج فأقضي حاجتي، فيرى الشعبي يحدث فيجلس إليه حتى تفوته حاجته. ويفترض السوق. فكان هذا الرجل يقول للشعبي: أي مبطل الحاجات، أي مبطل الحاجات. كان الشعبي لا يقوم من مجلسه حتى يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله: وأشهد أن الدين كما شرع، وأشهد أن الإسلام كما وصف، وأشهد أن الكتاب كما أنزل، وأن القرآن كما حدث، وأشهد أن الله هو الحق المبين. فإذا ذهب لينهض قال: ذكر الله محمدا منا بالسلام. جاء رجل إلى الشعبي فشتمه في ملأ من الناس فقال الشعبي: إن كنت كاذبا فغفر الله لك، وإن كنت صادقا فغفر الله لي.

وعن الشعبي قال: العلم أكثر من أن يحصى، فخذ من كل شيء أحسنه. وعنه قال: ليس حسن الجوار أن تكف أذاك عن الجار، ولكن حسن الجوار أن تصبر على أذى الجار. وكان الشعبي من أولع الناس بهذا البيت: المديد: ليست الأحلام في حين الرضا..إنما الأحلام في حين الغضب. كان الشعبي يحدث ورجل خلفه يغتابه، فالتفت فقال: الطويل:هنيئا مريئا غير داء مخامر ..لعزة من أعراضنا ما استحلت. قال زكريا بن يحيى الكندي: دخلت على الشعبي وهو يشتكي، فقلت له: كيف تجدك؟ قال: أجدني وجعا مجهودا، اللهم، إني أحتسب نفسي عندك، فإنها أعز الأنفس علي. وقيل: إنه مات فجأة. قال إسماعيل بن أبي خالد: مر بي الشعبي وهو راكب على إكاف، ثم دخل داره، فصاحوا عليه: مات فجأة. وعن أشعث بن سوار قال: نعى لنا الحسن البصري الشعبي فقال: كان والله ما علمت كثير العلم، عظيم الحلم، قديم السلم، من الإسلام بمكان.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأمثال العربية والأمثال العامية مقارنة دلالية/ آثار البلاد وأخبار العباد/

كتب عبد الملك إلى الحجاج[1] أنه لم تبق علي لذة من لذات الدنيا إلا وقد بلغتها، إلا محادثة الرجال، فوجه إلي بعامر الشعبي[2] مكرما. فأمره الحجاج بالتجهز، ثم خرج. فقال: قدمت على أمير المؤمنين فوافيت بابه، فلقيت حرسيا فقلت له: استأذن لي على أمير المؤمنين، فقال الحرسي: من تكون؟ قال: قلت عامر الشعبي، فدخل وما أبطأ حتى خرج فقال: ادخل، فدخلت فإذا عبد الملك في صحن الدار على الكرسي، في يده خيزرانة وبين يديه شيخ جالس لا أعرفه، فسلمت فرد علي وقال: كيف حالك؟ قلت:بخير، ثم أومي إلي فجلست، ثم أقبل على الشيخ فقال: ويحك! من أشعر الناس؟ قال: الذي بينك وبين الحائط. قال الشعبي: فأظلم علي ما بين السماء والأرض! قلت: من هذا يا أمير المؤمنين؟! أشعر منه شاب كان عندنا قصير الباع يقول: من البسيط: قد يدرك المتأني بعض حاجته..وقد يكون مع المستعجل الزلل..والناس من يلق خيرا قائلون له..ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل. فقال عبد الملك: أحسن والله! من يقوله؟ قلت: القطامي[3]، قال: لله أبوه! وإذا الشيخ الأخطل[4] قال: يا شعبي إن لك فنونا تفتن فيها، وإنما لي فن واحد وهو الشعر، فإن رأيت أن لا تعترض علي فيه، ولا تكلفني أن أحمل قومك على كاهل، وأجعلهم عرضا للعرب فافعل. قال الشعبي: قلت لا أعود لك في مساءة. ثم أقبل عليه عبد الملك فقال: ويلك! من أشعر الناس؟ فقال: قد أعلمتك مرة. فوالله ما صبرت أن قلت: أشعر منه يا أمير المؤمنين الذي قدمه عمر رضي الله عنه[5]؛ خرج عمر يوما على أسد وغطفان فقال: من الذي يقول: من الوافر: أتيتك عاريا خلقا ثيابي..على خوف تظن بي الظنون. قالوا: النابغة[6]، قال عمر: هذا أشعر الشعراء. فلما كان الغد خرج فقال: من الذي يقول: من الطويل: ولست بمتبق أخا لا تلمه..على شعث أي الرجال المهذب. فقالوا: النابغة، فقال: هذا والله أشعر الشعراء. فغضب الأخطل فقال: يا شعبي! ما أسرع ما رجعت! فقلت: ما أعود لك في مساءة. ثم أقبل عليه فقال: من أشعر النساء قال: ليلى الأخيلية[6] . فما صبرت أن قلت: أشعر النساء من قدمها عمر، قال: ومن هي؟ قلت: خنساء[7]، قال عمر: ومن الذي يقول: من الطويل: وقائلة والنفس تقدم خطوها..لتدركه يا لهف نفسي على عمر..ألا ثكلت أم الذين عدوا به..إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر . فقالوا: هذه خنساء، فقال عمر: هذه أشعر النساء. فقال عبد الملك صدق أمير المؤمنين.

----

(2) عامر بن شراحيل الشعبي، شعب همدان، أبو عمرو.علامة أهل الكوفة في زمانه، ولد في وسط خلافة عمر. وروى عن علي يسيرا، وعن المغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، وعائشة، وأبي هريرة، وجرير البجلي، وعدي بن حاتم، وابن عباس، ومسروق، وخلق كثير، وقرأ القرآن على علقمة، وأبي عبد الرحمن السلمي. قال أحمد بن عبد الله العجلي: مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحا. وقال عاصم الأحول: كان الشعبي أكثر حديثا من الحسن، وأكبر منه بسنتين، ولد لأربع بقين من خلافة عمر. وقال خليفة: ولد سنة 21 هـ، وقيل غير ذلك. وعن الشعبي قال: أدركت خمس مائة من أصحاب رسول الله أو أكثر. قال أبو أسامة: كان عمر في زمانه، وكان بعده ابن عباس، وكان بعده الشعبي، وكان بعده الثوري في زمانه. وعن ابن سيرين، قال: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة، والصحابة يومئذ كثير. قال إسماعيل بن مجالد: توفي الشعبي سنة 104 هـ وله 82 سنة.وقال الواقدي: سنة 105 هـ.وقال الفلاس: مات في أول سنة 106 هـ، وقيل غير ذلك.

(4) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب. لقب بالأخطل، شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجبا بأدبه، تياها، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حينا في دمشق وحينا في الجزيرة. توفي سنة 90 هـ

(1) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

(6) النابغة الذبياني، هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. كان حظيا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة زوجة النعمان فغضب منه النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمنا. ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه. شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. عاش عمرا طويلا. توفي سنة 18 ق. هـ

(3) عمير بن شييم بن عمرو بن عباد، من بني جشم بن بكر، أبو سعيد، التغلبي الملقب بالقطامي: شاعر غزل فحل.كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم. وجعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الاسلاميين وقال: الاخطل أبعد منه ذكرا وأمتن شعرا. وأورد العباسي في معاهد التنصيص طائفة حسنة من أخباره يفهم منها أنه كان صغيرا في أيام شهرة الاخطل، وأن الاخطل حسده على أبيات من شعره. ونقل أن القطامي أول من لقب صريع الغواني بقوله: صريع غوان راقهن ورقنه لدن شب حتى شاب سود الذوائب.وقال المرزباني: كان في صدر الاسلام من شعره البيت المشهور: قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل.مات نحو 130 هـ

(6) ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد ابن كعب، الاخيلية من بني عامر بن صعصعة: شاعرة فصيحة ذكية جميلة. اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير. قال لها عبد الملك بن مروان: ما رأى منك توبة حتى عشقك ؟ فقالت: ما رأى الناس منك حتى جعلوك خليفة ! ووفدت على الحجاج مرات، فكان يكرمها ويقربها. وطبقتها في الشعر تلي طبقة الخنساء. وكانت بينها وبين النابغة الجعدي مهاجاة. وأبلغ شعرها قصيدتها في رثاء توبة، منها: وتوبة أحيى من فتاة حيية وأجرأ من ليث بخفان خادر. وسألت الحجاج وهو في الكوفة أن يكتب لها إلى عامله بالري، فكتب، ورحلت، فلما كانت في ساوة ماتت ودفنت هناك نحو 80 هـ

(7) الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السلمية، من بني سليم، من قيس عيلان، من مضر: أشهر شواعر العرب، وأشرهن على الاطلاق. من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الاسلام فأسلمت. ووفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم، فكان رسول الله يستنشدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشد وهو يقول: هيه يا خنساء ! أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لاخويها صخر ومعاوية وكانا قد قتلا في الجاهلية. وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية سنة 16 هـ فجعلت تحرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعا فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم !. توفيت سنة 24 هـ

قال ابن بشير المدني (ابن يسير المديني؟): وفدت إلى بعض ملوك بني أمية، فمررت بقرية فإذا رجل مرنح بالشراب، قائم يبول فسألته عن الطريق فقال: أمامك. ثم لحقني فقال: انزل، فنزلت فقال: ادن وعليك الحانة، فدخلت فأحضر سفرة واستل سلة فأخرج منها رغفا ووذرا من لحم، فقال: أصب فأصبت، ثم صقاني خمرا، فإذا أبو مالك! ثم قال لي: كيف علمك بالشعر؟ قلت: قد زويت، فأنشدني قصيدته: من الكامل: صرمت حبالك زينب ورعوم. فلما انتهى إلى قوله: حتى إذا أخذ الزجاج أكفنا..نفحت فأدرك ريحها المزكوم . قال: ألست تزعم أنك تبصر الشعر؟ قلت: بلى، قال: فكيف لم تشقق بطنك فضلا عن ثوبك عند هذا البيت! قال: قلت قد فعلت عند البيت الذي سرقت هذا منه، قال: وما هو؟ قلت: بيت الأعشى[1]: من الكامل: من خمر عانة قد أتى لختامها..حول تفض غمامة المزكوم. قال: أنت تبصر الشعر، فلما صرت إلى سليمان (؟) سمرت معه بهذا أول بدأتي. قال المصنف: وللأعشى في هذا المعنى بيت أبلغ من هذا في كلمة أخرى وهو: من الوافر: من اللاتي حملن على الروايا..كريح المسك تستل الزكاما. واستلال الزكام أبلغ من فضه، لأن استلاله نزعه وإخراجه، وفضه نشره وتفريقه وكسره، كفض الخاتم، وفي فضه مع هذا إزالته وتنحيته كما يزول الختام عند فضة، فيفارق ما كان حالا فيه ولازما له؛ وفي قول الأخطل:..فأدرك ريحها المزكوم. من البلاغة أنه إنما يقويه إدراك المشموم بحلول الزكام به وغلبته إياه، فإذا أدرك ريح الخمر التي كان الزكام حائلا بينه وبينها عند نفحتها، فإنما ذلك لزوال الزكام المانع الحائل بينه وبين إدراكها، وقد تدرك الرائحة بعد خفة الزكام وزوال بعضه وإن لم يزل بكليته، فمن هاهنا كان الفض والاستلال أبلغ وأبين في المعنى.

حدث عكرمة بن جرير قال:قلت لأبي: يا أبتي، من أشعر الناس؟. قال: أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام؟، قلت: ما أردت إلا الإسلام، فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها، قال: زهير أشعر أهلها. قلت: فالإسلام؟، قال: الفرزدق نبعة الشعر. قلت: فالأخطل، قال: يجيد مدح الملوك، ويصيب صفة الخمر. قلت: ما تركت لنفسك؟، قال: نحرت الشعر نحرا. وسئل العباس بن الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء فقال: زهير. قيل: وكيف؟، قال: ألقى عن المادحين فضول الكلام. قيل: مثل ماذا؟ قال مثل قوله: فما يك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل. قال ابن عباس: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، في أول غزاة غزاها. فقال لي:أنشدني لشاعر الشعراء. قلت: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال:ابن أبي سلمى(زهير). قلت: وبم صار كذلك؟، قال:لأنه لا يتبع حوشي الكلام، ولا يعاظل في المنطق، ولا يقول إلا ما يعرف، ولا يمتدح أحدا إلا بما فيه. أليس هو الذي يقول: إذا ابتدرت قيس بن غيلان غاية من المجد من يسبق إليها يسود..سبقت إليها كل طلق، مبرز، سبوق إلى الغايات، غير مزند..فلو كان حمد يخلد الناس لم يمت ولكن حمد الناس ليس بمخلد. أنشدني. فأنشدته حتى برق الفجر. فقال:حسبك الآن. فاقرأ القرآن. قلت:وما أقرأ؟، قال:اقرأ الواقعة. فقرأتها، ونزل فأذن وصلى. وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى زهير وله مئة سنة، فقال: اللهم أعذني من شيطانه. فما لاك بعدها بيتا حتى مات.

في رواية الشعبي أن عمر بن الخطاب قال: من أشعر الناس؟. قالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين. قال من الذي يقول: ألا سليمان، إذ قال الإله له: قم في البرية، فاحددها عن الفند وخيس الجن، إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد. قالوا: هو النابغة. فقال: فمن الذي يقول: حلفت، فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مطلب. ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب؟ قالوا: هو النابغة. قال: فمن الذي يقول: أتيتك عاريا، خلقا ثيابي، على وجل، تظن بي الظنون. قالوا: هو النابغة. قال: فهو أشعر العرب. في رواية كان عمر رضي الله عنه قال ليلة لعبد الله بن العباس وهم سائرون إلى الشام: أنشدني شعر أشعر القوم، فقال: ومن ذاك؟ قال: زهير، قال: وبم استحق عندك ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيته لا يعاضل بين الكلام، ولا يتبع حوشي الألفاظ، ولا يمدح الرجال إلا بما يكون للرجال، وما ذاك إلا لتنقيحه شعره، وترداد نظره في كلامه.وروي عن الأصمعي أنه قال:سألت بشارا الأعمى: من أشعر الناس؟. فقال: اختلف الناس في ذلك. فأجمع أهل البصرة على امرئ القيس وطرفة بن العبد، وأجمع أهل الكوفة على بشر بن أبي حازم والأعشى الهمداني، وأجمع أهل الحجاز على النابغة الذبياني، وأجمع أهل الحجاز على جرير والفرزدق والأخطل.

----

(1) الاعشى، ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والاعشى الكبير: من شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعرا منه. وكان يغني بشعره، فسمي صناجة العرب. قال البغدادي: كان يفد على الملوك ولا سيما ملوك فارس ولذلك كثرت الالفاظ الفارسية في شعره. عاش عمرا طويلا، وأدرك الاسلام ولم يسلم. ولقب بالاعشى لضعف بصره. وعمي في أواخر عمره. مولده ووفاته في قرية منفوحة باليمامة قرب مدينة الرياض وفيها داره، وبها قبره. أخباره كثيرة، ومطلع معلقته: ما بكاء الكبير بالاطلال وسؤالي وما ترد سؤالي. توفي سنة 7هـ

(؟) سليمان بن عبد الملك، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. توفي سنة 99 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ الموشح للمرزباني/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/ رجال المعلقات العشر للغلاييني/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) والأخطل، الشاعر، النصراني 0368

عن أبي عثمان عن الأصمعي قال: دخل الأخطل[1] –النصراني– على عبد الملك بن مروان يوما فحادثه وأنشده من شعره فأعجب به عبد الملك وقال له: يا أخطل، أسلم تسلم، قال: نعم يا أمير المؤمنين، إن أنت أحللت لي الخمرة ولم تكلفني حج البيت ولم تأخذني بصيام شهر رمضان، قال له عبد الملك: إن أنت أسلمت وقصرت في شئ من شرائع الإسلام ضربت الذي فيه عيناك، فقال له: ضع عني صوم شهر رمضان، فقال له عبد الملك: ليس إلى ذلك سبيل، فقال الأخطل: ولست بصائم رمضان طوعا..ولست بآكل لحم الأضاحي ولست براحل عيسا بكارا..إلى بطحاء مكة للنجاحي ولست بقائم أبدا أنادي..كمثل العير حي على الفلاح ولكني سأشربها شمو لا..وأسجد عند مبتلج الصباح.

قال أبو بكر يروي: منبلج ومبتلج، فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فلما دخل عليه، قال له: ويحك يا أخطل، صف لي السكر، قال: أوله لذة وآخره صداع، وبين ذلك ساعة لا أصف لك مبلغها، فقال له: ما مبلغها؟ فقال: لملكك يا أمير المؤمنين أهون علي من شسع نعلي، فقال عبد الملك: صف لي، فأنشأ يقول: من الطويل: إذا ما نديمي علني ثم علني..ثلاث زجاجات لهن هدير..خرجت أجر الذيل حتى كأنني..عليك أمير المؤمنين أمير. فقال عبد الملك: يا أخطل! قل من شربها، وهذه صفتها، أن تسخو نفسه بترك لذتها إلا من أحب أن يبتغي إلى ذي العرش سبيلا.

دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فاستنشده، فقال: قد يبس حلقي فمن يسقيني؟ قال: اسقوه ماء، قال: شراب الحمار وهو عندنا كثير، قال: فاسقوه لبنا، قال: عن اللبن فطمت، قال: فاسقوه عسلا، قال: شراب المريض وأنا صحيح! قال: فتريد ماذا؟ قال خمرا يا أمير المؤمنين، قال: وعهدتني أسقي الخمر لا أم لك!؟ لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت! وخرج فلقي فراشا كان لعبد الملك فقال: ويحك إن أمير المؤمنين استنشدني وقد صحل صوتي –أي صار أبح–، فاسقني شربة خمر، فسقاه شربة خمر، فسقاه رطلا فقال: اعدله بآخر، فصقاه آخر فقال: تركتهما يعتركان في بطني، اسقني ثالثا، فسقاه ثالثا،فقال: تركت اثنين على واحد، عدل ميلهما برابع، فسقاه رابعا.

فدخل على عبد الملك فأنشده: من البسيط: خف القطين فراحوا منك أو بكروا. فقال عبد الملك: لا، بل منك؛ وتطير عبد الملك من قوله، فعاد فقال: فراحو اليوم أو بكروا.وأنشده حت بلغ:شمس العداوة حتى يستقاد لهم..وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا. فقال عبد الملك: خذ بيده يا غلام، فأخرجه ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره، ثم ناد أن لكل قوم شاعرا وأن شاعر بني أمية الأخطل. فمر به جرير[2] فقال: كيف تركت خنازير أمك؟ قال: كثيرا، وإن أتيتنا قرناك منها، فكيف تركت أعيار أمك؟ قال: كثيرا، وإن أتيتنا حملناك على بعضها.

■ (1) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب. لقب بالأخطل، شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجبا بأدبه، تياها، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حينا في دمشق وحينا في الجزيرة. توفي سنة 90 هـ

■ (2) أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفى، واسمه حذيفة، والخطفى لقبه، ابن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر التميمي الشاعر المشهور؛ كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل. ولد باليمامة سنة 33 هـ وتوفي سنة 110 هـ.

قال محمد بن سيرين: دخل أناس من الأنصار فيهم النعمان بن بشير[1] على معاوية، فلما صاروا بين الشماطين حسروا عمائمهم عن رؤوسهم، قال: وما ذلك؟ قال: هذا النصراني الذي قال: من الكامل: ذهب قريش بالسماحة والندى..واللؤم تحت عمائم الأنصار. قال: لكم لسانه – يعني الأخطل. وقيل: إن يزيد قال له: اهجهم، فقال: كيف أصنع بمكانهم؟ أخاف على نفسي! قال: لك ذمة أمير المؤمنين وذمتي. فذلك حين يقول: ذهبت قريش بالسماحة والندى. فجاء النعمان إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين! بلغ منا أمير ما بلغ منا مثله في جاهلية ولا إسلام، قال: ومن بلغ ذلك منكم؟ قال: غلام نصراني من بني تغلب، قال: ما حاجتك؟ قال: ذلك كان –وكان النعمان ذا منزلة من معاوية، كان معاوية يقول: يا معشر الأنصار تستبطئوني وما صحبني منكم إلا النعمان، وقد رأيتم ما صنعت به. ولاه الكوفة وأكرمه– فأخبر الأخطل فطار إلى يزيد. فدخل يزيد على أبيه معاوية فقال: يا أمير المؤمنين هجوني وذكروك، فجعلت له ذمتك على أن يرد عني، فقال معاوية للنعمان: لا سبيل إلى ذمة أبي خالد، فذلك حين يقول الأخطل من أبيات: من الطويل: أبا خالد دافعت عني عظيمة..وأدركت لحمي قبل أن يتبددا..وأطفأت عني نار نعمان بعدما..أغذ لأمر فاجر وتجردا..ولما رأى النعمان دوني ابن حرة..طوى الكشح إذ لم يستطعني وعردا. قال الأخطل: ما رأيت أعجب من قصتي وقصة جرير، هجوته بأجود هجاء يكون، وهجاني بأرذل شعر، فنفق فصار علما! قلت فيه: من البسيط: مازال فينا رباط الخيل معلمة..وفي كليب رباط الذل والعار..النازلين بدار الهون مذ خلقوا..والماكثين على رغم وإصغار..قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم..قالوا لأمهم بولي على النار. وهجاني جرير بأن قال: من الكامل: والتغلبي إذا تنحنح للقرى..حك استه وتمثل الأمثال. فانظر كم بين الشعرين!.

كان عبد الرحمن بن حسان[2] ويزيد بن معاوية يتقاولان، فاستعلاه ابن حسان، فقال يزيد لكعب بن جعيل التغلبي[3]: أجبه عني واهجه، فقال: والله ما تلتقي شفتاي بهجاء الأنصار، ولكن أدلك على الشاعر الفاجر الماهر، فتى منا يقال له غياث بن الغوث، نصراني. وكان كعب سماه الأخطل.

■ (1) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الانصاري، أبو عبد الله: أمير، خطيب، شاعر، من أجلاء الصحابة. من أهل المدينة. وجهته نائلة زوجة عثمان بقميص عثمان، إلى معاوية، فنزل الشام. وشهد صفين مع معاوية. وولي القضاء بدمشق، بعد فضالة بن عبيد سنة 53 هـ وولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة، تسعة أشهر، وعزله وولاه حمص. واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية، فبايع النعمان لابن الزبير. وتمرد أهل حمص، فخرج هاربا، فاتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله سنة 65 هـ. وهو أول مولود ولد في الانصار بعد الهجرة. قال ابن حزم: افتتح مروان دولته بقتله، وسيق إليه رأسه من حمص. وقيل: قتل يوم مرج راهط. قال سماك بن حرب: كان من أخطب من سمعت.

■ (3) كعب بن جعيل بن قمير بن عجرة التغلبي: شاعر تغلب في عصره مخضرم، عرف في الجاهلية والاسلام. كان لا ينزل بقوم إلا أكرموه وضربوا له قبة. أدركه الا خطل في صباه وهاجاه. وكان في زمن معاوية. وشهد معه وقعة صفين. قال المرزباني: وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام، يمدحهم ويرد عنهم. مات نحو 55 هـ

■ (2) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الا نصاري الخزرجي: شاعر، ابن شاعر، كان مقيما في المدينة، وتوفي فيها. اشتهر بالشعر في زمن أبيه، قال حسان: فمن للقوافي بعد حسان وابنه؟ ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت ؟. وفي تاريخ وفاته خلاف. قيل مات سنة 104 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

قال العتبي: كان عبد الملك بن مروان يحب النظر إلى كثير[1]، إذ دخل عليه آذنه يوما فقال: يا أمير المؤمنين، هذا كثير بالباب، فاستبشر عبد الملك وقال:أدخله يا غلام. فدخل كثير، وكان دميما حقيرا تزدريه العين، فسلم بالخلافة، فقال عبد الملك: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه! –قال القاضي: العرب تقول: تسمع بالمعيدي لا أن تراه. وهو مثل سائر– فقال كثير: مهلا يا أمير المؤمنين. فإنما الرجل بأصغريه بلسانه وقلبه، فإن نطق نطق ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان. وأنا الذي أقول يا أمير المؤمنين: من الوافر: وجربت الأمور وجربتني..فقد أبدت عريكتي الأمور..وما يخفى الرجال علي أني..بهم لأخو مثاقبة خبير..ترى الرجل النحيف فتزدريه..وفي أثوابه أسد مزير..ويعجبك الطرير فتبتليه..فيخلف ظنك الرجل الطرير..وما عظم الرجال لهم بزين..ولكن زينها كرم وخير..بغاث الطير أطولها جسوما..ولم تطل البزاة ولا الصقور. ويروى: بغاث الطير أكثرها فراخا..وأم الصقر مقلاة نزور.

وفي بغاث الطير لغتان: بغاث وبغاث –بالفتح والضم فخطأ عند أهل العلم باللغة، وقد أجاز بعضهم الضم، والمقلات: التي لا يعيش لها ولد، والقلت –بفتح اللام– الهلاك.

قال أبو عبد الله الجمحي: أخبرني عثمان بن عبد الرحمن قال: أنشد كثير بن عبد الملك حين أزمع بالمسير إلى مصعب[2]: من الطويل: إذا ما أراد الغزو لم تثن همه..كعاب عليها نظم در يزينها..نهته، فلم تر النهي عاقة..بكت وبكى مما شجاها قطينها.

فقال عبد الملك: والله لكأنه شهد عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وهي امرأته أم يزيد بن عبد الملك.

في رواية: لما خرج عبد الملك يريد مصعبا عرض له كثير فقال: يا كثير ذكرتك اليوم فما تكاد تخرج من بالي، فإن أنبأتني لم ذكرتك فاحتكم علي فيما أدفعه إليك. قال: نعم، أردت الشخوص إلى هذا الوجه فنهتك عاتكة بنت يزيد، فلما جددت بكت فبكى لبكائها حشمها، فذكرت قولي: إذا ما أراد الغزو لم يثن همه..حصان عليها عقد در يزينها..نهته فلما لم تر النهي عاقه..بكت فبكى مما عراها قطينها. قال: قد والله أصبت فاحتكم، قال: مائة ناقة برعاتها، فدفعها إليه ثم قال: هل لك أن تصحبنا في هذا الوجه؟ فقال: احزر هذه وارجع إليك. قال: إنك قد صدقتني فوفيت لك، أفرأيت أن أنبئك بما في نفسك أتحكمني؟ قال: أي والله، قال: قد قلت في نفسك هذا عائذ عن الحق من أهل النار يخرج إلى مثله، فلعله يصيبني سهم غرب فالحق بالذي أنا معه. قال: قد أصبت يا أمير المؤمنين فاحتكم. قال: حكمي عليك أن اصل هذه الإبل لك بألف دينار وأعجل سراحك.

عن هيثم بن عدي قال: سأل عبد الملك بن مروان كثيرا عن أعجب خبر له مع عزة فقال: يا أمير المؤمنين، حججت سنة وحج زوج عزة معها ولم يعلم أحدنا بصاحبه، فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن تصلح به طعاما لرفقته، فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت إلي وهي لا تعلم أنها خيمتي، وكنت أبري سهما فلما رأيتها جعلت أبري لحمي، وأنظر حتى بريت ذراعي وأنا لا أعلم به، والدم يجري، فلما علمت ذلك دخلت إلي فأمسكت يدي، وجعلت تمسح الدم بثوبها، وكان عندي نحي سمن فحلفت لتأخذنه. فأخذته وجاءت زوجها فلما رأى الدم، سألها عن خبره فكاتمته حتى حلف عليها لتصدقنه. فصدقته فضربها، وحلف عليها لتشتمني في وجهي، فوقفت علي وهو معها وقالت لي، وهي تبكي: يا ابن الزانية، ثم انصرفا، وذلك حيث أقول: يكلفها الغيران شتمي وما بها الأبيات الثلاثة.

وذكر ابن خلكان، أن كثير عزة، دخل يوما على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: هل رأيت أحدا أعشق منك؟ قال: نعم، بينما أنا أسير في فلاة، إذا أنا برجل قد نصب حبالة، وهو جالس، فقلت له: ما أجلسك هاهنا فقال: أهلكني وقومي الجوع، فنصبت حبالتي هذه لأصيب لهم شيئا ولنفسي، قلت: أرأيت إن أقمت معك؟ أتجعل لي جزأ من صيدك؟ قال: نعم. فبينما نحن كذلك، إذ وقعت ظبية في الحبالة، فبدرني إليها، فحلها وأطلقها، فقلت: ما حملك على ذلك؟ قال: رق قلبي لها لشبهها بليلى وأنشد يقول: أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني..لك اليوم من وحشية لصديق..أقول وقد أطلقتها من وثاقها..فأنت لليلى ما حييت طليق.

----

*(ظبي) واحد الظباء، معروف، والأنثى ظبية، وقد يجمع على ظبى. وإذا قلت فهي أظب. والظبي من الثديية ذوات الحوافر والقرون المفرغة. وتنتمي لنفس الفصيلة مثل الماعز والثيران، إلا أنها أكثر شبهًا بالأيائل؛ لأنها نحيفة و رشيقة.

■ (1) كثير بن عبد الرحمن بن الاسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر: شاعر، متيم مشهور. من أهل المدينة. أكثر إقامته بمصر. وفد على عبد الملك بن مروان، فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه، فاختص به وببني مروان، يعظمونه ويكرمونه. وكان مفرط القصر دميما، في نفسه شمم وترفع. يقال له ابن أبي جمعة وكثير عزة والملحي نسبة إلى بني مليح، وهم قبيلته، قال المرزباني: كان شاعر أهل الحجاز في الاسلام، لا يقدمون عليه أحدا. وفي المؤرخين من يذكر أنه من غلاة الشيعة، وينسبون إليه القول بالتناسخ، قيل: كان يرى أنه يونس ابن متى أخباره مع عزة بنت حميل الضمرية كثيرة. وكان عفيفا في حبه قيل له: هل نلت من عزة شيئا طول مدتك؟ فقال: لا والله، إنما كنت إذا اشتد بي الامر أخذت يدها فإذا وضعتها على جبيني وجدت لذلك راحة. توفي بالمدينة سنة 105 هـ.

■ (2) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي القرشى، أبو عبد الله: أحد الولاة الابطال في صدر الاسلام. نشأ بين يدى أخيه عبد الله بن الزبير، فكان عضده الاقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق. وولاه عبد الله البصرة سنة 67 هـ فقصدها، وضبط أمورها، وقتل المختار الثقفى. ثم عزله عبد الله عنها مدة سنة، وأعاده في أواخر سنة 68 وأضاف إليه الكوفة، فأحسن سياستهما. وتجرد عبد الملك بن مروان لقتاله، فسير إليه الجيوش، فكان مصعب يفلها. حتى خرج إليه عبد الملك بنفسه، فلما دخل العراق خذل مصعبا قواد جيشه وأصحابه فثبت فيمن بقي معه، فأنفذ إليه عبد الملك أخاه محمد بن مروان فعرض عليه الامان وولاية العراقين أبدا ما دام حيا ومليوني درهم صلة، على أن يرجع عن القتال، فأبى مصعب، فشد عليه جيش عبد الملك، في وقعة عند دير الجاثليق على شاطئ دجيل، من أرض مسكن وطعنه زائدة بن قيس السعدى أو عبيد الله بن زياد بن ظبيان فقتله. وحمل رأسه إلى عبد الملك. وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام. وكانت في البهنساوية بمصر قبيلة تنتسب إليه تعرف ببني مصعب قال أبو عبيدة معمر ابن المثنى: كان مصعب أحب أمراء العراق إلى أهل العراق، يعطيهم عطاءين عطاء للشتاء وعطاء للصيف، وكان يشتد في موضع الشدة ويلين في موضع اللين.قلت: والمؤرخون، مع اختلافهم في مقتله سنة 71 أو 72 هـ، يذكرون في عمره يوم قتل ثلاث روايات: 35 سنة، و 40 و 45 واقتصر ابن الجوزى على الرواية الاخيرة.

☪

حكى يحيى بن سعيد الأموي أن امرأة لقيت كثير عزة، وكان قليلا دميما، فقالت: من أنت؟ قال: كثير عزة، قالت: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . قال: مه رحمك الله، فإني أنا الذي أقول: من الطويل: فإن أك معروف العظام فإنني..إذا ما وزنت القوم بالقوم وازن. قالت: وكيف تكون بالقوم وازنا وأنت لا تعرف إلا بعزة، قال: والله لئن قلت ذاك، لقد رفع الله بها قدري، وزين بها شعري، وإنها لكما قلت: من الطويل:وما روضة بالحزن ظاهرة الثرى..يمج الندى جثجاثها وعرارها..بأطيب من أردان عزة موهنا..وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها..من الخفرات البيض لم تلق شقوة..وبالحسب المكنون صاف فخارها..فإن برزت كانت لعينك قرة..وإن غبت عنها لم يعممك عارها. قالت: أرأيت حين تذكر طيبها، فلو أن زنجية استجمرت بالمندل الرطب لطاب ريحها، ألا قلت كما قال امرؤ القيس: من الطويل: خليلي مرا بي على أم جندب..نقض لبانات الفؤاد المعذب..ألم تر أني كلما جئت طارقا..وجدت بها طيبا وإن لم تطيب. قال: الحق والله خير ما قيل، هو والله أنعت مني لصاحبته. وعن ابن الكلبي قال: مرت عزة بكثير متنكرة لا يعرفها، تميس* في مشيتها، يكاد خصرها ينبتر، فاستوقفها ليكلمها، فقالت: وهل تركت عزة لأحد فيك بقية، فقال: والله لو أن عزة أمة لي لوهبتها لك، فسفرت، فقالت: يا عدو نفسه، إنك لها هنا. فندم على ما فرط من قوله، وأنشأ يقول: من الطويل: ألا ليتني قبل الذي قلت شيب لي..من الزحف القاضي دماء الذرارح..فمت ولم تعلم علي خيانة..ألا رب باغي الربح ليس برابح..أبوء بذنبي إنني قد ظلمتها..وإني بباقي سرها غير بائح..فلا تحمليها واجعليها خيانة..تروحت منها في مناحة نائح.

قال محمد بن سلام: كان لكثير بن عبد الرحمن صاحب عزة غلام تاجر يأتي الشام بمتاع يبيعه، وأرسلت عزة امرأة تطلب لها ثيابا، فدفعت إلى غلام كثير وهي لا تعرفه، فابتاعت منه حاجتها، ولم تدفع إليه الثمن، فكان يختلف إليها مقتضيا، فأنشد ذات يوم قول مولاه: من الطويل: أرى كل ذي دين يوفي غريمه..وعزة ممطول معنى غريمها. فقالت له المرأة التي ابتاعت منه الثياب: فهذه والله دار عزة، ولها ابتعت منك الثياب، قال: والله فأنا غلام كثير، فأشهد الله أن الثياب لها، وأني لا آخذ من ثمنها شيئا. فبلغ ذلك كثيرا فقال: وأنا أشهد الله أنه حر، وأن ما بقي معه من مال فله.

حدث إسحاق بن جعفر أبو يحيى قال: قيل لكثير عزة: ما بقي من شعرك؟ فقال: ماتت عزة فما أطرب، وذهب الشباب فما أعجب، ومات ابن ليلى فما أرغب – يعني عبد العزيز بن مروان – وإنما الشعر بهذه الخلال.قال عمر بن عبد العزيز: إني لأعرف صلاح بني هاشم وفسادهم بحب كثير؛ من أحبه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه منهم فهو صالح؛ لأنه كان خشبيا يرى الرجعة. مات عكرمة البربري[1] وكثير عزة في يوم واحد –يعني سنة خمس ومائة– فأجفلت قريش في جنازة كثير، ولم يوجد لعكرمة من يحمله.

☪

من تكلم عند الخلفاء وهو صغير فارتفع بذلك شأنه: أوفد أبو موسى الأشعري زيادا على عمر رضي الله عنه، وكان يكتب له وهو حين بلغ، فلما جاء وجده من الكيس بمحل، فقال عمر: اعتزل عملك. فقال زياد: أعن خيانة؟ قال: لا ولكني أكره أن أحمل الناس فضل عقلك ومنطقك قال: إذا لا أبالي! دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض على ضياعهم، وهو صبي أمرد، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. قال: من أنت؟ قال: سليل نعمتك وابن دولتك، وغصن من أغصان دوحتك، أتأذن لي بالكلام؟ قال: نعم. فتكلم بكلام حسن، فقضى حاجته. نظر المأمون إلى الحسن بن رجاء وهو صبي في ديوانه فقال: من أنت؟ قال: الناشىء في دولتك، المتقلب في نعمتك وتخريج أدبك الحسن بن رجاء. فقال المأمون: بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول، وأمر برفعه عن محله. وفي بعض كتب الفرس أن كسرى أراد كاتبا لأمر أعجله فلم يوجد غير غلام صغير يصحب الكتاب، فدعاه فقال: ما اسمك؟ قال: مهرماه. قال: اكتب ما أملي عليك. فكتب قائما أحسن من غيره قاعدا ثم قال له: أكتب في هذا الكتاب من تلقاء نفسك، ففعل وضم إلى الكتاب رقعة فيها: إن الحرمة التي أوصلتني إلى سيدنا لو وكلت فيها إلى نفسي لقصرت أن أبلغ إليها، فإن رأى أن لا يحطني إلى ما هو دونها فعل. فقال كسرى: أحب مهرماه أن لا يدع في نفسه لهفة يتلهف عليها بعد إمكان الفرصة، وقد أمرنا له بما سأل. وذكر أن عمرو بن عتبة أعتق غلاما له فقام إليه وصيف له فقال: اذكرني ذكرك الله، فاستصغره فقال: ويلك إنك لم تخرف بعد! فقال: إن النخلة قد تجتني زهوا قبل أن تصير معوا! قال: قاتلك الله قد استعتقت قد وهبتك لواهبك لي.

----

*(ميس) الميس التبختر ماس يميس ميسا وميسانا تبختر واختال وغصن مياس مائل

■ (1) عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس: تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيا. وذهب إلى نجد الحروري، فأقام عند ستة أشهر، ثم كان يحدث برأي نجدة. وخرج إلى بلاد المغرب، فأخذ عنه أهلها رأي الصفرية وعاد إلى المدينة، فطلبه أميرها، فتغيب عنه حتى مات. وكانت وفاته بالمدينة هو و كثير عزة في يوم واحد فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس سنة 105 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ـمحاضرات الأدباء/ ربيع الأبرار/ خزانة الأدب/ حياة الحيوان الكبرى/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وعمارة بن تميم اللخمي 0370

قال المدائني: كان الحجاج[1] رجلا حسودا لا تتم له صنيعة حتى يكدرها، أو يفسدها. فلما وجه عمارة بن تميم[2] إلى ابن الأشعث[3]، ومعه محمد بن الحجاج[4] بالفتح، فحسده الحجاج. وعرف عمارة ذلك منه وكره منافرته. وكان عاقلا فجعل يداريه ويقول: أنت أصلح الله الأمير، أشرف العرب، من شرفته شرف، ومن وضعته اتضع، وما من العرب أحد ينكر أن شرفه وسؤدده بك، وإنما كان الذي كان من الفتح بيمنك وبكرتك وتدبيرك ومشورتك، وليس أحدق أشكر للأيادي مني. فلما عزم الحجاج على الوفادة إلى عبد الملك أخرج معه عمارة بن تميم، فلم يزل عمارة يلطف الحجاج في مسيره، ويعظمه حتى قدموا على عبد الملك، فقامت الخطباء بين يدي عبد الملك في أمر الفتح، ثم قام عمارة، فقال: سل الحجاج عني يا أمير المؤمنين، وعن طاعتي وبلائي، فقال الحجاج: من بأسه يا أمير المؤمنين وغنائه ونجدته ومكيدته، أيمن الناس نقيبة، وأرفعهم تدبيرا وسياسة، وجعل يقرظه ولا يتركه، فقال عمارة: أرضيت يا أمير المؤمنين، قال: نعم، ورضي الله عنك. قال عمارة: فلا رضي الله عن الحجاج ولا عافاه، فهو والله الأخرق، السيء التدبير، الذي أفسد عليك العراق خرقه، وقلة عقله، وضعف رأيه، ولك والله يا أمير المؤمنين أمثالها إن لم تعزله، فقال الحجاج: مه*يا عمارة، فقال: لا مه، لا مه، يا أمير المؤمنين كل امرأة له طالق وكل مملوك له حر إن سار تحت راية الحجاج أبدا. قال عبد الملك: ما عندنا أوسع لك. فلما انصرف عمارة إلى منزله أرسل إليه الحجاج أني قد علمت أنه لم يخرج هذا الكلام إلا لمعتبة فانصرف معنا ولك العتبى، فأرسل إليه عمارة: ما ظننت أن السخف يبلغ بك ما أرى، أتتوهم أني راجع معك بعد قولي لك عند أمير المؤمنين ما قلت؟ فولاه عبد الملك فلسطين.

----

*(مه) كلمة زجر بمعنى كف واسكت وانته

■ (2) عمارة بن تميم بن فروة بن ثعلبة بن عزيز بن عتيبة بن العمرط، ويقال: القتبي أو اللخمي، الذي افتتح سجستان؛ وكان مع أبن الأشعث، وهو الذي أخذ أبن الأشعث.كان من عقلاء العرب، ووفد على عبد الملك مع الحجاج بن يوسف، وولاه فلسطين.

■ (4) محمد بن الحجاج بن يوسف بن الحكم أبو كعب الثقفي، سمع أنس بن مالك وحكى عن أبيه وليلى بنت عبد الله الإخيلية، مات في حياة أبيه

■ (3) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي أمير سجستان، بعد هزيمته في دير الجماجم سنة 83 هـ تتابعت هزائم جيشه فلجأ إلى رتبيل (ملك الترك) فيما وراء سجستان فحماه مدة ثم قتله سنة 85 هـ وبعث برأسه إلى الحجاج. فأرسله هذا إلى عبد الملك بالشام، وبعث به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر. معركة دير الجماجم كانت بين الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان الحجاج قد سير عبد الرحمن بن الأشعث بجيش لغزو رتبيل بسجستان، فدخلها عبد الرحمن، واتفق مع قادة جيشه على إخراج الحجاج من أرض العراق، بعد أن ملك سجستان وكرمان والبصرة وفارس، ثم خرج يريد الكوفة لأن أهلها يبغضون الحجاج، وبها عشائره ومواليه؛ فقصده الحجاج بن يوسف فنزل ابن الأشعث دير الجماجم، وهو دير بظاهر الكوفة، على طريق البر إلى البصرة ونزل الحجاج بإزائه بدير قرة، ووقعت الحرب بينهما، واشتد القتال، ولما بلغ ذلك رؤوس القبائل عرضوا على عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين أن يخلع الحجاج من العراق؛ ليحقن دماء المسلمين، فبعث عبد الملك إلى العراق محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك؛ ليعرضوا على أهل العراق عزل الحجاج مقابل حقن الدماء، فرفض أهل العراق وأبو إلا القتال. وأخذ الفريقان يقتتلان حتى انتهت المعركة بهزيمة عبد الرحمن بن الأشعث سنة 83 هـ بعد مائة يوم من الحرب.

■ (1) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

قال علي الصلابي: قد ذكر ابن تيمية : أن مصير الأمر -أي الخلافة- إلى الملوك ونوابهم من الولاة والقضاة والأمراء ليس لنقص فيهم فقط بل لنقص في الراعي والرعية جميعا فإنه كما تكونوا يول عليكم وقد قال تعالى: قال الله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام] لقد ذهبت دولة الخلفاء الراشدين وصار ملكا ظهر النقص في الأمراء وكذلك في أهل العلم والدين وجمهور الصحابة انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة حتى إنه لم يبق من أهل بدر إلا نفر قليل وجمهور التابعين بإحسان انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك وجمهور تابعي التابعين انقرضوا في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية.

قال عبيدة السلماني لعلي رضي الله عنه: ﴿يا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا بَالِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرِ أَطَاعُ النَّاس لَهُمَا وَالدُّنْيَا عَلَيْهِمَا أَضْيَقُ مِنْ شِبْرٍ فَاتَّسَعْتَ عَلَيْهِمَا وُولِيتَ أَنْتِ وَعُثْمَانُ الْخلافَةُ وَلَمْ يَنْطَاعُوا لَكُمَا وَقَدْ اتَّسَعَتْ فَصَارَتْ عَلَيْكُمَا أَضْيَقَ مِنْ شِبْرٍ؟ فَقَالَ: لِأَنَّ رَعِيَّةَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرِ كَانُوا مُثْلَى وَمِثْلَ عُثْمَانَ وَرَعِيَّتِي أَنَا الْيَوْمَ مِثْلَكِ وَشِبْهُكَ﴾.

قال علي بن نايف: من سنة الله تعالى في الظلم والظالمين أن الرعية الظالمة أي التي يتظالم أفرادها فيما بينهم يولى عليها حاكم ظالم يكون تسلطه عليهم من العقاب لهم على ظلمهم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام] وجاء في تفسيرها: نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله. وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع من ظلمه سلط الله عليه ظالما آخر. ويدخل في الآية جميع من يظلم نفسه أو يظلم الرعية أو التاجر يظلم الناس في تجارته. وقال الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: الآية تدل على أن الرعية متى كانوا ظالمين فالله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم، فإن أرادوا أن يتخلصوا من ذلك الأمير الظالم فليتركوا الظلم. وقال الآلوسي في تفسير هذه الآية: وقد استدل بالآية على أن الرعية إذا كانوا ظالمين فإن الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم، وفي الحديث: عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّ عَلَيْكُمْ﴾ (كما تكونون) أي مثل ما تكونون في الصلاح وضده (يؤمر عليكم) أي يجعل أميرا وحاكما وفي معناه قوله: أعمالكم عمالكم. فالمستبدون يتولاهم مستبد، والأحرار يتولاهم الأحرار، وهذا صريح معنى: كما تكونوا يولى عليكم.قال عبد الملك بن مروان: ما أنصفتمونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرتهما، نسأل الله أن يعين كل على كل.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ نسب معد واليمن الكبير/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ الدولة الأموية عوامل ألازدهار وتداعيات ألانهيار/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وثابت بن عبد الله بن الزبير 0371

دخل ثابت بن عبد الله بن الزبير[1] على عبد الملك بن مروان، وهو صبي صغير، فقال له عبد الملك ألا تنبئني عنك لم كان أبوك يشتمك ويبعدك، إني لأحسبه كان يعلم منك ما تستحق منه أن يفعل ذلك بك؟ فقال: إذن أخبرك يا أمير المؤمنين: كنت أشير عليه فيستصغرني، ويرد نصيحتي، من ذلك أني نهيته أن يقاتل بأهل مكة، وقلت له: لا تقاتل بقوم أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخافوه، فلما جاؤوا إلى الإسلام أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم – يعرض بجده الحكم بن أبي العاص[2] حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم – ونهيته عن أهل المدينة، وذكرته أنهم خذلوا أمير المؤمنين عثمان، وتقاعدوا عنه حتى قتل بين ظهرانيهم –يعرض ببني أمية وأبيه مروان[3]– فقال عبد الملك: اسكت، لعنك الله، فأنت كما قال الأول:شنشنة أعرفها من أخزم. قال ثابت: إني لكذلك في حلمي السلف، غير جبان ولا غدار – يعرض بغدره بعمرو بن سعيد بن العاص[4]– وإني لكما قال كعب بن زهير[5]: أنا ابن الذي لم يخزني في حياته..ولم أخزه لما تغيب في الرجم..أقول شبيهات بما قال عالم..بهن ومن أشبه أباه فما ظلم..فأشبهته من بين من وطئ الثرى (الحصى)..ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم. وفي رواية قال جعفر بن عبيد الله العلوي: حدثني أبي عن جده قال: قال عبد الملك بن مروان لثابت بن عبد الله بن الزبير: أبوك كان اعلم بك حيث كان يشتمك، قال: يا أمير المؤمنين، أتدري لم كان يشتمني؟ قال: لا، والله، قال: إني كنت نهيته أن يقاتل بأهل بمكة وأهل المدينة، فإن الله لا ينصره بهم، أما أهل مكة فأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخافوه ثم جاءوا إلى المدينة فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيرهم يعرض قوله هذا بالحكم بن أبي العاص حيث نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قتل بينهم، لم يروا أن يدفعوا عنه، فقال عبد الملك: لعنك الله، قال: يستحقها الظالمون، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود] فأمسك عنه.وفي رواية قال جويرية بن أسماء: أتى عبد الله بن الزبير بابنه ثابت في قيوده فقال: أما والله لو سلف من والد قتل ولده لقتلته. قال: فبينا هو كذلك إذ حمل عليه أهل الشام حتى دخلوا المسجد، فقال: يا ثابت، قم فرد هؤلاء عني، فقام وإنه لفي ثوبين، فتناول سيفا وجحفة، فردهم ولم يرجع حتى دمي سيفه ثم رجع فقعد، فعاد أهل الشام فدخلوا المسجد فقال: يا ثابت قم فردهم عني، فقام فردهم حتى أخرجهم من المسجد. فلما قتل ابن الزبير لحق ثابت بعبد الملك، فأكرمه، ثم قال له يوما: فيم غضب عليك أبوك؟ قال: أشرت عليه أن يخرج من مكة، فعصاني وغضب علي. وكان عبد الملك قد قبض أموال ابن الزبير، فقال له ثابت: إن رأيت أن ترد علي حصتي من ميراث أبي فافعل، فردها عليه، فقال ثابت لحمزة: كيف ترى أبا بكر كان صانعا لو رأى هؤلاء قد سلموا إلي حصتي من ميراثه من بني ولده، وكنت أبغضهم إليه؟ فقال: تالله إن كان يحاكمهم إلا بالسيف.

(1) ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام أبو مصعب. ويقال: أبو حكم الأسدي. وفد على عبد الملك بن مروان، ثم على سليمان بن عبد الملك، فأدركه أجله في رجوعه بسرغ من طريق الشام، منصرفا من عند سليمان بن عبد الملك إلى المدينة، وهو ابن سبع أو ثمان وسبعين سنة.وقيل توفي بمعان من طريق الشام؛ وموته بسرغ أثبت.

(3) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ . قيل نظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك.

(2) الحكم بن أبي العاص الأموي عم عثمان، ووالد مروان، كان النبي قد طرده إلى الطائف، وبقي طريدا إلى زمن عثمان، فرده إلى المدينة، واعتذر بأنه قد كان شفع فيه إلى النبي فوعده برده، وهو مؤتمن على ما قال، وهو أحد الأسباب التي نقموا بها على عثمان.

(4) عمرو بن سعيد بن العاص، يسمى الأشدق ولطيم الشيطان، ولي المدينة ليزيد، وكان مروان قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك فقتله عبد الملك، فقيل أنها كانت أول غدرة كانت في الإسلام، دخل مصر مع مروان وقتل سنة 69 هـ وقيل سنة 70 هـ

(5) كعب بن زهير بن أبي سلمى، المازني، أبو المضرب. شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم، دمه فجاءه كعب مستأمنا وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول. فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وخلع عليه بردته. وهو من أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوام كلهم شعراء. وقد كثر مخمسو لاميته ومشطروها وترجمت إلى غير العربية. توفي سنة26 هـ

☪

قال الزبير بن بكار: كان ثابت بن عبد الله بن الزبير لسان آل الزبير خلدا وفصاحة وبيانا. قال مسور بن عبد الملك[1]: كنا نأتي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينزعنا إليه إلا استماع كلام ثابت بن عبد الله. حدث مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال: قال لي أبي: يا بني تعلم العلم، فإنك إن تكن ذا مال يكن لك العلم كمالا، وإن تكن غير ذي مال يكن لك العلم مالا.

قال الزبير بن بكار: حدثني مصعب بن عبد الله قال: لم يزل بنو عبد الله بن الزبير خبيب[2] وحمزة[3] وعباد[4] وثابت عند جدهم أبي أمهم منظور بن زبان[5] بالبادية يرعون عليه الإبل كما يفعل عبيده حتى تحرك ثابت، فقال لإخوته: انطلقوا بنا نلحق بأبينا، فركبوا بعض الإبل حتى قدموا على أبيهم، واتبعهم منظور بن زبان، فقدم على آثارهم، فقال لعبد الله بن الزبير: اردد علي أعبدي هؤلاء، فقال: إنهم قد كبروا واحتاجوا أن نعلمهم القرآن، ولا سبيل إليهم، قال: أما إن الذي صنع بهم الصنيع ابنك هذا، ما زلت أخافها منه مذ كبر، يعني ثابتا. قال: وقال عمي مصعب: فزعموا أن ثابتا جمع القرآن أو أتم جمعه في ثمانية أشهر، وزوجه عبد الله بن الزبير قبلهم بنت ابن أبي عتيق[6]، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فولدت له جاريتين يقال لإحداهما حكمة، وكان يكنى أبا حكمة، وكان أبوه يكنيه أبا حكمة يشبه لسانه بلسان زمعة بن الأسود[7]، وكان زمعة يكنى أبا حكيمة، وكان ثابت يشهد القتال مع أبيه، ويبارز بين يديه، وكان حمزة بن عبد الله بن الزبير قال لبني عبد الله: لا تطلبوا أموالكم من عبد الملك حين قبضها، وأنا أنفق عليكم، فأتى ثابت بن عبد الله، وقدم على عبد الملك بن مروان، فدخل عليه، فأكرمه، ورد على ولد عبد الله بعض أموالهم بكلامه. وانصرف بها ثابت معه.

☪

ذكره الزبير بن بكار عن يوسف بن عياش، قال: ابتاع حمزة بن عبد الله بن الزبير جملا من أعرابي بخمسين دينارا، ثم نقده ثمنه، فجعل الاعرابي ينظر إلى الجمل ويقول: وقد تخرج الحاجات يا أم مالك..كرائم من رب بهن ضنين، فقال له حمزة: خذ جملك والدنانير لك، فانصرف بجمله وبالدنانير. وقيل قدم حمزة بن عبد الله بن الزبير على أبيه بعد أن عزل من العراق، فلما سأله أبوه عن المال أخبره بأنه وزعه على قومه فوصلهم به، فقال له ابن الزبير: مال ليس لك ولا لأبيك. ثم سجنه.

قال المدائني: خطب عبد الملك أهل المدينة. وقد قدمها يريد الحج فقال: إني لأعلم أني لا أحبكم ما ذكرت قتل عثمان، وأنكم لا تحبوني ما ذكرتم الحرة وحبيش بن دلجة، فأنا وأنتم كما قال الشاعر: أبى لي قبر لا يزال مواجهي..وضربة فأس فوق رأسي فاقره. قال: وكان عبد الملك يتهدد أهل بيته بمثل ما صنع بعمرو بن سعيد، فكتب إليه عبد الله بن عمرو بن عثمان[8]: إنك قد عرفت بلاء عثمان عندك، وعند أهل بيتك، ورفعه أقداركم، وما أوصاك به مروان من قضاء دين عمرو بن عثمان[9]، وتأخيرك ذلك، فإن تؤثر ما أوصاك به أبوك فأهله نحن، وإلا تفعل فسيغني الله عنك والسلام. وكان مروان أوصى عبد الملك بقضاء دين عمرو، فكتب إليه عبد الملك: قد أتاني كتابك، وعمرو بن سعيد كان أقرب منك رحما، وأوجب علي حقا، فأخطأ موضع قدمه، ففرقت بين رأسه وجسده، وقد هممت بأن الحقك به. فكتب إليه عبد الله بن عمرو: أتاني كتابك بما ذكرت مما هممت، فإن تفعل فإني رجل معرق لي في الشهادة، أنا ابن أمير المؤمنين عثمان، وابن أمير المؤمنين، عمر، وكانت أمه حفصة بنت عبد الله بن عمر.

☪

حدث وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن أشياخه قال: بايع عبد الملك أهل الشام والجزيرة، إلا زفر بن الحارث الكلابي[10] فإنه غلب على قرقيسياء* وتحصن بها، فخرج إليه عبد الملك وخلف بعقبه عمرا الأشدق،فغلب على دمشق وأغلق أبوابها وأعطى أهلها عطايا كثيرة، فرجع عبد الملك حين أتاه الخبر، فأغلق عمرو أبواب المدينة وتحصن، فقال له عبد الملك: إنك إذا أفسدت أمر أهل بيتك، وأطمعت فيهم عدوهم، وفيما صنعت قوة لابن الزبير، أرجع إلى بيعتك وطاعتك فإني اجعل لك العهد وأنفذ كل ما أعطيت من الأموال، فرضي وفتح الأبواب ودخل عبد الملك المدينة، ومع عمرو خمسمائة رجل ينزلون حيث نزل، فقال عبد الملك لحاجبه: ويحك أتستطيع إذا جاء عمرو بن سعيد أن تغلق الباب دون أصحابه؟ قال: نعم، قال: فافعل؛ وكان عمرو عظيم الكبر لا يرى لأحد عليه فضلا ولا يلتفت إذا مشى، فلما جاء فتح له الحاجب، وأعوانه بالباب دون أصحاب عمرو، ومضى وهو لا يلتفت وهو يظن أن أصحابه قد دخلوا معه كعادتهم، فعاتبه عبد الملك طويلا وكان قد أوصى أبا الزعيزعة[11] صاحب شرطه أن يضرب عنقه، فكلمه عبد الملك فأغلظ له، قال لعبد الملك: أتستطيل علي كأنك ترى أن لك علي فضلا، إن شئت نقضت العهد بيني وبينك ثم نصبت لك الحرب، فقال عبد الملك: فقد شئت، فقال عمرو: قد فعلت، ثم قال عبد الملك: يا أبا الزعيزعة شأنك به، فنظر عمرو فإذا ليس أصحابه في الدار، فسقط في يده، فدنا من عبد الملك فقال: وما يدنيك مني؟ قال: أستعطفك بها بين الرحم والقرابة، فقال لأبي الزعيزعة: إيه، فقتله أبو الزعيزعة فقال عبد الملك: ارموا برأسه إلى أصحابه، فلما رأوه تفرقوا وخطب عبد الملك فذكر عمرا وشقاقه وما جنى بعقوقه ومروقه وادعائه ما ليس له حتى قتله، وأنشد: أدنيته مني ليسكن نفره..وأصول صولة حازم مستمكن..غضبا ومحمية لديني إنه..ليس المسيء سبيله كالمحسن. وكان عبد الملك إذا توعد رجلا قال: إن جامعة عمرو عندي، والله لا يدخل فيها عنق رجل فيخرج منها إلا صعدا؛ وقال هذه المقالة في خطبته بالكوفة.

*(قرقيسياء)، قرقيسيا أو كركيسيوم (بلدة البصيرة حاليا) مدينة سورية صغيرة عند مصب نهر الخابور في نهر الفرات.

(5) منظور بن زبان بن سيار الفزاري: شاعر مخضرم، من الصحابة. كان سيد قومه. وتزوج أمرأة أبيه مليكة بنت خارجة المزنية، فقيل: إن أبا بكر، لما ولي الخلافة، بحث عنه فعلم أنه ومليكة في البحرين، فأقدمهما المدينة وفرق بينهما، وقيل: كان ذلك في خلافة عمر، وأراد عمر قتله فحلف بأنه ما علم أن الله حرم ذلك، ففرق بينهما. وله بعد فراقها أشعار رقيقة. ويظن أنه عاش إلى خلافة عثمان.مات نحو سنة 25 هـ

(7) زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، أبو حكيمة، قتل يوم بدر كافرا سنة 2 هـ، وكان يدعى زاد الركب. ولابنه عبد الله صحبة. وقُتل معه في غزوة بدر ابنه الحارث، وعقيل أخوه، وأقاربه أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد، ونوفل بن خويلد بن أسد.

(3) حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الاسدي، والد عباد وعبد الواحد كنيته أبو عمار، وقيل أبو عمارة، يروي عن أبيه وعائشة، ولاه أبوه عبد الله البصرة ثم عزله،

(2) خبيب بن عبد الله بن الزبير. ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد خمسين سوطا، وصب على رأسه قربة في بارد وأوقفه على باب المسجد، فمات رحمه الله سنة 92 هـ. قيل استرجع عمر، واستعفى من ولاية المدينة، وامتنع من الولاية، وبقي على ندم عن ذلك الفعل. ولما استخلف عمر، قسم في آل عبد الله بن الزبير مالاً، فقال الناس: دية خبيب. وكان السبب أن خبيب بن عبد الله بن الزبير حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا، ومال الله دولا. وهو حديث ضعيف.

(6) ابن أبي عتيق، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، التيمي المدني: وهو ابن أبي عتيق كنية والده ووالد محمد وعبد الله،يروي عن أم المؤمنين عائشة عمة أبيه وعن عبد الله بن عمر، وتوفي في حدود 110 هـ، وعبد الله بن أبي عتيق صاحب النوادر المشهورة

(1) مسور بن عبد الملك بن سعيد بن يربوع، المدني عن: أبيه، ونبيه بن وهب، ويزيد بن قسيط. وعنه: معن بن عيسى، وابن وهب، وأشهب، وعبد الله بن عبد الحكم.

(4) عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام، يكنى أبا يحيى كان قاضي مكة زمن أبيه، وخليفته إذا حج، ثقة من الثالثة

(8)عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص الأموي، وقيل: عبد الله بن عمر. كان يسكن عرج الطائف وكان يقال له المطرف من حسنه وملاحته، وهو من شعراء قريش المشهورين بالغزل. وكان مشغوفا باللهو والصيد، وكان ذا مروءة، وفد على عبد الملك بن مروان. مات بمصر سنة 96 هـ

(9) عمرو بن عثمان بن عفان ؟

(10) زفر بن الحارث الكلابي، أبو الهذيل، والد مزاحم بن زفر يروي عن عائشة ومعاوية. كان رسول معاوية إلى عائشة بوقعة صفين. نزل البصرة ثم خرج عنها بعد وقعة الجمل فشهد وقعة المرج مع الضحاك بن قيس وذكر أنه مات في أيام عبد الملك نحو سنة 75 هـ

(11) سالم بن الزعيزعة مولى مروان بن الحكم وكاتبه وكاتب ابنه عبد الملك بن مروان، وكان على الرسائل لعبد الملك وولاه الحرس.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ أنساب الأشراف/ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة/

قال المدائني: دخل عروة بن الزبير[1] على عبد الملك وعنده الحجاج[2]، فكلم عروة عبد الملك بكلام فيه بعض الغلظة، فقال له الحجاج: يا بن العمياء، أتقول هذا لأمير المؤمنين ؟ فقال عروة: وما أنت وهذا يا بن المتمنية*، يعني أن الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي، وهي أم الحجاج تمنت أنها على سطح فياح (واسع؟) وعندها نصر بن حجاج[3] فقالت: هل من سبيل إلى خمر فأشربها..أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج (القصة). وفي رواية: دخل الحجاج إلى عبد الملك، فرأى عنده عروة، فقال: يا أمير المؤمنين أتقعد ابن العمشاء معك على سريرك؟ لا أم له؛ فقال عروة: أنا لا أم لي؟ وأنا ابن عجائز الجنة[4]، ولكن إن شئت أخبرتك من لا أم له يا بن المتمنية؛ فقال عبد الملك: أقسمت عليك ألا تفعل، فكف عروة - أراد بقوله: يا بن المتمنية، قول أم الحجاج، وهي الفارعة بنت همام. ألا سبيل إلى خمر فأشربها..أم لا سبيل إلى نصر بن حجاج؟ قال البلاذري: قال عروة بن الزبير لعبد الملك حين كتب الحجاج إليه في حمله، فأمره عبد الملك بذلك: ليس الذليل من قتلتموه، ولكنه من ملكتموه، فلما قال هذا القول، استحيى عبد الملك فلم يهجه، وكتب إلى الحجاج: أمسك عن ذكر عروة، فما لك عليه سبيل.

----

*(المتمنية) قال بعضهم: إن المتمنية جدته أم أبيه، وكانت كنانية

■ (1) أبو عبد الله، عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، وأبوه الزبير بن العوام أحد الصحابة العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن صفية عمة النبي.وأم عروة المذكور أسماء بنت أبي بكر الصديق، هي ذات النطاقين وإحدى عجائز الجنة، وعروة شقيق أخيه عبد الله ابن الزبير، بخلاف أخيهما مصعب فإنه لم يكن من أمهما، وقد وردت عنه الرواية في حروف القرآن، وسمع خالته عائشة أم المؤمنين، وروي عنه ابن شهاب الزهري وغيره. كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة من التابعين، عالما بالدين، صالحا كريما، لم يدخل في شئ من الفتن. انتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين. وعاد إلى المدينة فتوفي فيها سنة 93 هـ أو سنة 94 هـ

■ (4) أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة، الملقبة بذات النطاقين صحابية جليلة، أخت السيدة عائشة لأبيها، وزوج الصحابي الجليل الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأم عبد الله بن الزبير الذي قتله الحجاج بن يوسف. ولدت أسماء بمكة قبل الهجرة سنة 27 ق.هـ، وأسلمت بعد سبعة عشر مسلما، وقد شاركت رضي الله عنها في أحداث الهجرة، فكانت تحمل الزاد والماء والأخبار إلى النبي وأبيها الصديق رضي الله عنه، أثناء وجودهما في غار ثور ولقبت خلالها بذات النطاقين؛ لأنها اضطرت إلى شق نطاقها نصفين لتضع في أحدهما الطعام وتستر بالآخر رأسها. وكانت رضي الله عنها مثالا في الجود والكرم، كثيرة البذل والعطاء، وكانت تقول لبناتها: أنفقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن انتظرتن الفضل لم تفضلن شيئا. روت أسماء الحديث عن النبي؛ حيث روى عنها علماء الحديث ثمانية وخمسين حديثا. وتوفيت رضي الله عنها بمكة في جمادى الأولى سنة 73 هـ بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير بثلاثة أشهر.

■ (2) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ، كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

■ (3) نصر بن حجاج بن علاط السلمي ثم البهزي: شاعر. من أهل المدينة. كان جميلا. قالت إحدى نساء المدينة: ياليت شعري عن نفسي، أزاهقة * مني، ولم أقض ما فيها من الحاج !. هل من سبيل إلى خمر فأشربها ؟ * أم من سبيل إلى نصر بن حجاج ؟ وسمع البيتين أمير المؤمنين عمر، فقال: لا أرى رجلا في المدينة تهتف به العواتق في خدورهن! وطلبه، فجاء، فأمر به فحلق شعر رأسه، ثم نفاه إلى البصرة. ولنصر أبيات في حلق جمته. وأطال ابن أبي الحديد في خبره، فذكر له قصة مع امرأة أخرى في البصرة، نفاه بسببها أبو موسى الاشعري إلى فارس، وأن دهقانة أعجبت به في فارس فكتب أميرها عثمان بن أبي العاص الثقفي بخبره إلى عمر، فجاءه: جزوا شعره وشمروا قميصه وألزموه المساجد. ولما قتل عمر، عاد نصر إلى المدينة.

قال البلاذري: قال هشام الكلبي: أصابت عروة الأكلة في رجله، وهو بالشام عند الوليد بن عبد الملك، فقطعت رجله بميشار وهو يقرأ فما تتعتع ولا تحرك، ولم يشعر الوليد بقطع رجله حتى كويت، وكان ذلك بحضرة الوليد وبقي بعد ذلك ثماني سنين ثم هلك في ضيعة له بقرب المدينة، وكان يقول: لقد أحسن بي ربي أخذ مني واحدة، وترك لي ثلاثا، وامتعني بسمعي وبصري ولساني، وكان له ابن يحبه فضربته دابة فسقط ميتا وذلك قبل وقوع الأكلة في رجله، فقال حين قطعت رجله صبرا واحتسابا:﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف] وقال عروة: أعظم من المصيبة سوء العوض وروى ذلك عن عبد الله بن الزبير أيضا. قال المدائني: عزى عيسى بن طلحة بن عبيد الله عروة فقال: يا أبا عبد الله ذهب أقلك وبقي أكثرك، فالحمد لله الذي بقى لنا سمعك وبصرك فقال: ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به. قال: ووقعت الأكلة في رجله، وضرب برذون ابنه فقتله، وقطعت رجله بميشار وحسمت فلم يقبض وجهه، ولم يحرك عضوا منه إلا أنه غشي عليه عند الحسم. وأتي الوليد بقوم أصيبوا بمصائب عظيمة فقال: ائتوا عروة بهؤلاء ليعلم أن من مصائب الدنيا كثيرة. وحدثني مصعب الزبيري أن عروة صلى بالناس يوما، وكانوا مقحطين، فقال لهم: أقنطتم؟ قالوا: نعم قال فتوقعوا الفرج فان الله يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى] وكان عروة احتفر بئرا بالمدينة فهي تعرف ببئر عروة، فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها، وفيها يقول الشاعر: كفنوني ان مت في درع أروى..واستقوا لي من بئر عروة مائي. وقال عروة: إذا رأيتم من الرجل خلة خير، وكان عندكم رجل سوء فلا تيأسوا منه فإن لها عنده أخوات، وإذا رأيتم من رجل خلة شر فاحذروه، وإن كان صالحا. قال المدائني: أتى الوليد بن عبد الملك برجل من بني عبس قد ذهبت عينه، فسأله عن سبب ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، ما كان في بني عبس أكثر مني مالا وولدا، فأتى السيل فاجترف مالي وولدي، وبقي لي ولد صغير وبعير، فحملت الصبي وند البعير، فوضعت الصبي وتبعته فنفحني برجله، ففقأ عيني، فرجعت إلى ابني، فإذا الذئب يلغ في دمه، فقال الوليد: اذهبوا به إلى عروة بن الزبير؛ ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه. انتهى.قلت: ومصيبة عروة بن الزبير في رجله وولده شهيرة.

قال محمد بن سعيد: بينا عمر يطوف في بعض سكك* المدينة، إذ سمع امراة تهتف من خدرها*: هل من سبيل الى خمر فاشربها..ام هل سبيل الى نصر بن حجاج.. الى فتى ماجد الاعراق.. مقتبل سهل المحيا كريم غير ملجاج* تنميه اعراق صدق حين تنسبه.. اخى قداح عن المكروب فراج سامى النواظر من بهز له قدم تضئ صورته في الحالك الداجي، فقال عمر: الا لا ادرى معى رجلا يهتف به العواتق* في خدورهن! على بنصر ابن حجاج فاتى به، فإذا هو احسن الناس وجها وعينا وشعرا، فامر بشعره فجز فخرجت له وجنتان كانه قمر، فأمره ان يعتم فاعتم ففتن النساء بعينيه، فقال عمر: لا والله لا تساكنني بارض انابها، قال: ولم يا امير المؤمنين قال: هو ما اقول لك فسيره الى البصرة. وخافت المراة التى سمع عمر منها ما سمع ان يبدر إليها منه شئ، فدست إليه ابياتا: قل للامير الذى تخشى بوادره ..مالى وللخمر أو نصر بن حجاج.. انى بليت ابا حفص بغيرهما.. شرب الحليب وطرف فاتر ساج.. لا تجعل الظن حقا أو تبينه.. ان السبيل سبيل الخائف الراجي.. ما منية قلتها عرضا بضائرة.. والناس من هالك قدما ومن ناج.. ان الهوى رعية التقوى تقيده ..حتى أقر بالجام وإسراج. فبكى عمر وقال : الحمد لله الذى قيد الهوى بالتقوى.

واتته يوما ام نصر حين اشتدت عليها غيبة ابنها، فتعرضت لعمر بين الاذان والاقامة فقعدت له على الطريق فلما خرج يريد الصلاة هتفت به، وقالت: يا امير المؤمنين لاجاثينك* غدا بين يدى الله عز وجل ولا خاصمنك إليه، يبيت عاصم وعبد الله الى جانبيك وبيني وبين ابني الفيافي والقفار والمفاوز والجبال! قال: من هذه؟ قيل: ام نصر بن حجاج، فقال: يا ام نصر، ان عاصما وعبد الله لم تهتف بهما العواتق من وراء الخدور.

ويروى ان نصر بن الحجاج لما سيره عمر الى البصرة نزل بها على مجاشع بن مسعود السلمي وكان خليفة ابى موسى عليها، وكانت له امراة شابة جميلة فهويت نصرا، وهويها فبينا الشيخ جالس ونصر عنده إذ كتب في الارض شيئا، فقرأته المرأة، فقالت: (انا والله) فقال مجاشع: ما قال لك؟ قالت: انه قال: ما اصفى لقحتكم هذه؟ فقال مجاشع: ان الكلمه التى قلت ليست اختا لهذا الكلام، عزمت عليك لما اخبرتني! قالت: انه قال: ما احسن سوار ابنتكم هذه؟ قال: ولا هذه، فانه كتب في الارض فراى الخط فدعا باناء فوضعه عليه، ثم احضر غلاما من غلمانه، فقال: اقرا فقرأه وإذا هو: انا والله احبك، فقال: هذه لهذه، اعتدى ايتها المرأة وتزوجها يا بن أخى ان اردت. ثم غدا على ابى موسى فاخبره، فقال أبو موسى اقسم ما اخرجه عمر عن المدينة من خير، ثم طرده إلى فارس وعليها عثمان بن أبى العاص الثقفى، فنزل على دهقانه فاعجبها فارسلت إليه، فبلغ خبرها عثمان، فبعث إليه ان اخرج عن ارض فارس، فانك لم تخرج عن المدينة والبصرة من خير، فقال: والله لئن اخرجتموني لالحقن ببلاد الشرك، فكتب بذلك الى عمر، فكتب ان جزوا شعره وشمرروا قميصه والزموه المساجد.

----

*(السكة) أوسع من الزقاق، سميت بذلك لاصطفاف الدور فيها على التشبيه بالسكة من النخل(الخدر) ستر يمد للجارية في ناحية البيت (العاتق) الجارية التي قد أدركت وبلغت فخدرت في بيت أهلها ولم تتزوج (الملجاج) من الملاجة، وهى التمادي في الخصومة (الجثو) الجلوس على الركبتين للخصومة

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ شرح نهج البلاغة/ أنساب الأشراف/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/

عن جنادة بن مروان، عن أبيه قال: قدم عبد الملك بن مروان حمص، فأمر بإسحاق بن الأشعث[1]، فقتل صبرا، فتكلم أهل حمص فنودي: الصلاة جامعة وصعد المنبر. وقال: ما حديث بلغني عنكم يا أهل الكويفة فقام إليه عبد الرحمن بن ذي الكلاع [2] فقال: يا أمير المؤمنين لسنا بأهل الكويفة، ولكنا أهل الكوفة الذين قاتلنا معك مصعب بن الزبير[3]، وأنت تقول يومئذ: والله يا أهل حمص لأواسينكم ولو بها ترك مروان، وعليك يومئذ قباؤك الأصفر، قال وأخرج إليه رجل من مجلس ميتم[4] ساعدا له نحيفة فقال يا أمير المؤمنين اعزل عنا سفيهك يحيى بن الحكم[5] وإلا بعثنا إليك بأكثره شعرا فلما قضى خطبته التفت إلى يحيى بن الحكم فقال: ارتحل عن جوار القوم فقد سمعت ما قال الفايشي*.

حدث أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال: لما أخذ الأعراب عبد الله بن إسحاق بن الأشعث[6] فأتوا به عبد الملك قال له عبد الملك وقد أدخل عليه بحمص: ألم أقدم الكوفة حين قتلت مصعبا فوجدتك في ستمائة من العطاء فبلغت بك ألفين، ووليت بشرا[7] أخي الكوفة فأمرته أن يجعلك في صحابته، وحملتك على دابة من دواب رجلي وخلعت عليك ثيابا من ثياب بدني؟. قال: بلى. قال: ثم بلغني أن بشرا غضب عليك في حمقة من حمقاتك، فإنك من أهل بيت حمق ولؤم، فأغزاك أصبهان فكتبت إليه أعزم عليه أن يقفلك ويعيدك إلى حالك ففعل؟ قال: بلى، قال: فلعنتني على منبر البصرة وشتمتني على منبر الكوفة وأخذت رسولي فقطعت يديه ورجليه وصلبته منكوسا؟ قال: بلى. قال: فأنت ترجو الهوادة عندي لا أم لك. وتمثل: أبعد الذي بالنعف نعف كويكب..رهينة رمس من تراب وجندل..أذكر بالبقيا على من أصابه..وبقياي أني جاهد غير مؤتل..أنختم علينا كلكل الحرب مرة..فنحن منيخوها عليكم بكلكل. قم يا عتاب بن مسروق[8] فاضرب عنقه، ودع عليه من ثيابه ما يواري عورته. فقال: قد أمنني عبد العزيز[9]، فقال عبد الملك: ما يقول؟ فأخبر به، فقال: كذب ولو أمنه لم أجز أمانه، فضربت عنقه.

قال ابن شبه في روايته: أتي عبد الملك بالمسور بن مخرمة بن عوف الكلبي(؟)[10] فقال: ألم يأتني بك الأصبغ[11] يدعيك عبدا، فقلت أرى جلدة عربية ولأني يكون لك ابن عمر خير من أن يكون لك عبدا، فأثبت نسبك وفرضت لك في أربعمائة، ثم أصحبتك للوليد بن عبد الملك[12] حين أغزيته وأمرته أن يجعلك من البشراء؟. قال: بلى. قال: قم يا أبا العباس فاضرب عنقه. ففعل. ثم أتي بابن عبد الله بن يزيد الخطمي[13]، من الأنصار، فقال له: من أنت؟ قال: أنا ابن عبد الله بن يزيد الخطمي. قال: من أهل بيت سبابة؟ قال: اقبل في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنصار أن يقبل من محسنهم ويعفى عن مسيئهم. فقال: خلوا سبيله. وأتي بغطيس الجهني[14] ومعه ابن له يتعلق به وهو يقول: يا أمير المؤمنين، أبي يا أمير المؤمنين أبي، فرحمه وقال: قد وهبتك لابنك.

----

* (الفايشي) هذه النسبة إلى فايش قال السمعاني : وظني أنه بطن من همدان

- (2) عبد الرحمن بن ذي الكلاع ؟(لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (4) ميتم بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن سبأ الأصغر. بطن في ذي الكلاع ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (3) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله، ولاه أخوه الخليفة عبد الله بن الزبير إمرة العراقين ثم أرمينية أضاف إليه الكوفة، قتل في معركة دير الجثاليق سنة71 هـ وله 39 سنة ونقلت رأسه إلى عبد الملك وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام.
- (12) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ. وتخلف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه.وكان الوليد اجتهد في خلع سليمان هذا من ولاية العهد وتولية ولده العزيز؛ فامتنع سليمان من ذلك حتى مات الوليد.
- (9) عبد العزيز بن مروان ابن الحكم، أبو الأصبغ المدني ولي العهد بعد أخوه عبد الملك. استقل بملك مصر 20 سنة وزيادة. ولد سنة 27 هـ ومات سنة 85 هـ.أو 86 هـ والأول أصح، وعاش أخوه عبد الملك بعده فلما جاءه نعيه عقد بولاية العهد لابنيه: الوليد ثم سليمان.
- (5) يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو مروان الأموي، أخو مروان بن الحكم (رابع ملوك بني أمية). كان يحيى بن الحكم عاملاً على المدينة لعبد الملك بن مروان (خامس ملوك بني أمية).
- (13) عبد الله بن يزيد بن زيد، من بني خطمة، الاوسي الانصاري، أبو موسى: أمير، من أصحاب علي بن أبي طالب. شهد الحديبية وهو صغير، وشهد الجمل وصفين مع علي، وولي مكة لابن الزبير مدة يسيرة، ثم ولاه إمارة الكوفة فتوفي فيها.نحو 70 هـ
- (11) الأصبغ بن عبد العزيز، وهو ابنه الأكبر وبه كان يُكنى، ويكنى الأصبغ بن عبد العزيز بأبي زبان، وكان ساعده في حكمه وقد توفي قبل أبيه بعشرين يوماً في ربيع الأخر سنة 86 هـ.
- (10) هل يقصد: المسور بن عوف بن أنيف... قال أبو المنذر الكلبي في كتاب نسب معد واليمن الكبير: المسور بن عوف بن أنيف، دليل عبد الله بن إسحاق بن الأشعث، أخذهما عبد الملك فقتلهما. و(9) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري، أبو عبد الرحمن: من فضلاء الصحابة وفقهائهم. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير وسمع منه. وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف، ليالي الشورى، وحفظ عنه أشياء. وروى عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من أكابر الصحابة. وشهد فتح إفريقية مع عبد الله ابن سعد. وهو الذى حرض عثمان على غزوها. ثم كان مع ابن الزبير، فأصابه حجر من حجارة المنجنيق في الحصار بمكة فقتل سنة 64 هـ
- (7) بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الاموي. أمير، كان سمحا جوادا. ولي إمرة العراقين البصرة والكوفة لاخيه عبد الملك سنة 74 هـ. وهو أول أمير مات بالبصرة سنة 75 هـ توفي عن نيف وأربعين سنة.
- (1) إسحاق بن الأشعث؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (6) عبد الله بن إسحاق بن الأشعث ؟ كان على البصرة لابن الأشعث ثم عزله وولى رجلا من آل عبد الله بن معقل عامري فيما زعم حاتم بن مسلم (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (8) عتاب بن مسروق ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (14) غطيس الجهني ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قال رجل لعبد الملك بن مروان: إني أريد أن أسر إليك شيئا. فقال عبد الملك لأصحابه: إذا شئتم ! فنهضوا. فاراد الرجل الكلام. فقال له عبد الملك: قف، لا تمدحني فإني أعلم بنفسي منك، ولا تكذبني فإنه لا رأي لكذوب، ولا تغتب عندي أحدا. قال: يا أمير المؤمنين ! أفتآذن لي في الانصراف؟! قال: إذا شئت!. في رواية قال ابن كثير: قال بعضهم: سأل رجل من عبد الملك أن يخلو به فأمر من عنده بالانصراف، فلما خلا به وأراد الرجل أن يتكلم قال له عبد الملك: احذر في كلامك ثلاثا، إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسي منك، أو تكذبني فإنه لا رأي لكذوب، أو تسعى إلي بأحد من الرعية فإنهم إلى عدلي وعفوي أقرب منهم إلى جوري وظلمي، وإن شئت أقلتك. فقال الرجل: أقلني فأقاله. وكذا كان يقول للرسول إذا قدم عليه من الآفاق: اعفني من أربع وقل ما شئت، لا تطرني، ولا تجبني فيما لا أسألك عنه، ولا تكذبني، ولا تحملني على الرعية فإنهم إلى رأفني ومعدلتي أحوج. وقيل لعبد الملك: أي الرجال أفضل ؟ قال: من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة، وترك النصرة عن قوة. وقال أيضا لا طمأنينة قبل الخبرة، فإن الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم. وقال: خير المال ما أفاد حمدا ودفع ذما، ولا يقولن أحدكم ابدا بمن تعول، فإن الخلق كلهم عيال الله، وينبغي أن يحمل هذا على غير ما ثبت به الحديث.

وقال الاصمعي عن أبيه قال: أتى عبد الملك برجل كان مع بعض من خرج عليه فقال: اضربوا عنقه، فقال: يا أمير المؤمنين ما كان هذا جزائي منك، فقال: وما جزاؤك ؟ فقال: والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك، وذلك أني رجل مشؤوم ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم، وقد بان لك صحة ما ادعيت، وكنت عليك خيرا من مائة ألف معك تنصحك، لقد كنت مع فلان فكسر وهزم وتفرق جمعه، وكنت مع فلان فقتل، وكنت مع فلان فهزم –حتى عد جماعة من الامراء– فضحك وخلى سبيله. كان حوثة الضمري صديقا لعبد الملك وخرج مع ابن الزبير فلما قتل ابن الزبير استاء من الناس وأحضر حوثة فقال له عبد الملك: كنت مني بحيث علمت فأعنت ابن الزبير. قال: يا أمير المؤمنين؛ هل رأيتني قط في حرب أو سباق أو نضال إلا والفئة مغلوبة بحرقي، وإنما خرجت مع ابن الزبير لتغلبه بي على رسمي. فضحك عبد الملك وقال: قد والله كذبت ولكني عفوت عنك.

وقال أبو بكر بن دريد: كتب عبد الملك إلى الحجاج في أيام ابن الاشعث: إنك أعز ما تكون بالله أحوج ما تكون إليه، وأذل ما تكون للمخلوق أحوج ما تكون إليهم، وإذا عززت بالله فاعف له، فإنك به تعز وإليه ترجع.

قال غير واحد: كان عبد الملك إذا جلس للقضاء بين الناس يقوم السيافون على رأسه بالسيف فينشد، وقال بعضهم: يأمر من ينشد فيقول: إنا إذا نالت دواعي الهوى..وأنصت السامع للقائل واصطرع الناس بألبابهم*.. نقضي بحكم عادل فاصل لا نجعل الباطل حقا ولا.. نلفظ دون*الحق بالباطل نخاف أن تسفه أحلامنا..فنجهل الحق مع الجاهل.

المدائني قال: لما قتل عبد الملك عبد الله بن إسحاق بن الأشعث أصابوا في ثقله جارية فقالت: أنا لنافع كاتب الحجاج استودعني قوما بالبصرة، فلما خرج الحجاج عن البصرة دلوا ابن الأشعث علي فأخذني فصرت إلى عبد الله بن إسحاق. فبعث بها إلى الحجاج فقال الحجاج لنافع: هذه جاريتك وقد وطئها ابن اسحاق المنافق فلا تقربها، فأعتقها ابن نافع وعوضه الحجاج منها خمسة آلاف درهم فتبعتها نفسه فتزوجها وأحبلها، وغضب الحجاج عليه في سر أفشاه إلى صالح بن عبد الرحمن[1] في كتاب أقرأه إياه وفي مائة ألف درهم ارتشاها. وبلغه أن الجارية حبلى فأرسل إلي فقطع يديه ورجليه، وسأله عن كتب كانت عنده، فقال: أين تلك الكتب ؟ فقال: في حر امك. فقطع لسانه وقال: قطعت لسانك لأفشائك سري، وقطعت يديك ورجليك للرشوة، وزعمت انك تزوجت هذه الجارية ولم تقم البينة على تزويجك فأنا ارجمك. فرجمه، وقيل: مات قبل ان يرجم. وكان أيضا تزوج أم ولد للحجاج بغير علمه، وكان نافع مولى لمصعب، فانضم إلى الحجاج حين ولي العراق فاستكتبه

----

* (بألبابهم) في العقد الفريد: بآرائهم. (نلفظ دون) في العقد: نرضى بدون.

- (1) صالح بن عبد الرحمن التميمي، بالولاء، أبو الوليد: أول من حول كتابة دواوين الخراج من الفارسية إلى العربية، في العراق، وكان يجيد الانشاء في اللغتين. أصله من سبي سجستان، نشأ في بني النزال، من آل مرة بن عبيد، فصيحا بالعربية، قوي الحافظة. واتصل بالحجاج الثقفي قبل أن يلي العراق، فلما ولي جعله في كتاب ديوانه، ثم قلده أمر الديوان (وكان يكتب بالفارسية) فنقله صالح إلى العربية سنة 78 هـ ووضع اصطلاحات للكتاب والحساب استغنوا بها عن المصطلحات الفارسية. قيل: لما أراد نقل الديوان إلى العربية، بذل له كتاب الفرس ثلاثمائة ألف درهم، على أن لا يفعل، فأبى. ووفد على سليمان ابن عبد الملك في الشام، فولاه خراج العراق، فعاد إلى الكوفة، فاستمر أيام سليمان كلها. وأقره عمر بن عبد العزيز مدة سنة، ثم استعفى فأعفاه، وقيل: عزله. ولما ولي يزيد بن عبد الملك كان صالح بالشام، فكتب عمر بن هبيرة إلى يزيد في إنفاذه إليه، ليسأله عن الخراج، فأرسله إليه وأوصاه به. فلما وصل إلى ابن هبيرة قتله سنة 103 هـ. وكان جميع كتاب العراق في عصره تلاميذ له.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ أنساب الاشراف/ الانساب للصحاري/ البداية والنهاية/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ نثر الدر/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وخالد بن يزيد بن معاوية (١) 0374

قال الزبير بن بكار:حدثني مصعب بن عثمان قال: دخل عبد الله بن يزيد بن معاوية[1] على أخيه خالد بن يزيد[2] فقال: لقد هممت اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك[3] ! فقال له خالد: بئس ما هممت به، ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين، فقال: إنه لقي خيلي فعقرها*وتلعب بها، فقال له خالد: أنا أكفيكه إن شاء الله، فدخل خالد على عبد الملك[4] وعنده الوليد بن عبد الملك فقال له: يا أمير المؤمنين، إن ولي عهد المسلمين ابن أمير المؤمنين لقي خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعقرها*وتلعب بها* فنكس عبد الملك وقرع الأرض بقضيب في يده ثم رفع رأسه فقال:﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل] فقال له خالد:﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[الإسراء] فقال له عبد الملك: أتكلمني فيه وقد دخل علي لا يقيم لسانه لحنا ! فقال له خالد: يا أمير المؤمنين أفعلى الوليد يعول في اللحن! قال: إن يك لحانا فأخوه سليمان، قال خالد:وإن يك لحانا فأخوه خالد فقال الوليد: لخالد أتكلمني ولست في عير ولا نفير! قال خالد: ألا تسمع يا أمير المؤمنين ما يقول هذا؟ إنا والله ابن العير والنفير سيد العير جدي أبو سفيان[5] وسيد النفير جدي عتبة[6] ولكن لو قلت حبيلات*وغنيمات*والطائف لقلنا صدقت ورحم الله عثمان[7]

في رواية اليافعي قال: شكا خالد بن يزيد بن معاوية إلى عبد الملك بن مروان، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الوليد بن عبد الملك قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره، يعني أخاه، فقال عبد الملك: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل] فقال خالد: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء] فقال عبد الملك:أفي عبد الله تكلمني؟والله لقد دخل علي فما أقام لسانه لحنا، فقال له خالد: أفعلى الوليد تقول؟ فقال: عبد الملك: إن كان يلحن فإن أخاه سليمان، يعني أنه كان فصيحا زكيا، فقال خالد: إن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد، فقال له الوليد: اسكت يا خالد فوالله ما تدعي في العير ولا في النفير، فقال خالد: ويحك ومن للعير والنفير غيري؟وجدي أبو سفيان صاحب العير، وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير، ولكن لو قلت حبيلات* وغنيمات*والطائف رحم الله عثمان لقلنا صدقت، قلت وأشار بذلك إلى العير التي خرج لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ليأخذوها، وخرج المشركون من مكة ليقاتلوا دونها، وكان في العير أبو سفيان هو المقدم وهو جده من جهة أبيه، وفي النفير عتبة بن ربيعة مقدم على القوم وهو جده من جهة الأم، فإن ابنته هند[8] أم معاوية. وأما الغنيمات: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفى الحكم بن أبي العاص[9] جد الوليد إلى الطائف وكان يرعى الغنم، ويأوي إلى جبلة* الكرم، ولم يزل كذلك إلى أن ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه فرده. فسكت الوليد وأبوه ولم يحيرا جوابا. وروي أن عثمان رضي الله عنه كان قد شفع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رده، فأنعم له بذلك، وأذن له في رده، وفي ذلك تبكيت* للوليد لما صدر منه من الاحتقار له ولأخيه والله أعلم.

في رواية ابن العديم قال: حدث أبو غسان المدني قال: أجرى عبد الله بن يزيد بن معاوية الخيل مع الوليد بن عبد الملك، فسبقه عبد الله فدخل الوليد على خيل عبد الله فعقرها، فجاء عبد الله خالدا أخاه، فقال: ألم تر أني سابقت الوليد فسبقته فعقر خيلي، والله لهممت بقتله، قال: فدخل خالد على عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين أتاني عبد الله فحلف لهم بقتل الوليد، فقال عبد الملك: ولم يقتله؟ قال: سابقه فسبقه فدخل على خيله فعقرها: فقال عبد الملك: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل] فقال خالد: يا أمير المؤمنين أقرأ الآية الأخرى:﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء] فقال عبد الملك: أما والله لنعم المرء عبد الله على لحن فيه، قال: أفعلى لحن ابنك تعول؟ قال: أن أخا الوليد سليمان، قال: وأخو عبد الله خالد، قال: مدحت والله نفسك يا خالد قال: وقبلي والله نفسك يا أمير المؤمنين، قال: ومتى قال: حين قلت: أنا قاتل عمرو بن سعيد[10]، قال: حق والله لمن قتل عمرا أن يفخر بقتله، قال: أما والله لمروان[11] كان أطولها باعا*، قال: أما إني أرى ثأري في مروان صباح مساء، ولو أشاء أن أزيله لأزلته، وعني بقوله أن أم خالد[12] قتلت مروان، قال: إذا شئت أن تطفيء نورك فافعل، قال: ما جرأك علي يا خالد خلني عنك، قال: لا والله ما قال الشاعر: ويجر اللسان من أسلات الحرب..ما لا يجر منها البيان. قال: فاستحيا عبد الملك وقال: يا وليد أكرم أخاك وابن عمك فقد رأيت أباه يكرم أباك وجده يكرم جدك.

----

*(حبيلات) فهي جمع حبلة، وهي أصل الكرم، وقوله: غنيمات يعني بعيره (العير والنفير) يريد أنه ينتسب إلى أبي سفيان صاحب العير، وإلى عتبة بن ربيعة مقدم قريش حين نفروا إلى بدر.(فعقرها) في الاغاني: فنفرها وتلاعب بها (تلعب بها) بعدها في الاغاني : فشق ذلك على عبد الله (بكت) التبكيت كالتقريع والتعنيف و بكته بالحجة تبكيتا غلبه (الغنم) تصغير غنم غنيم، ويجمع غنيمات (الباع) السعة في المكارم، وقد قصر باعه عن ذلك: لم يسعه، وهو مجاز، ولا يستعمل البوع هنا. ورجل طويل الباع، أي الجسم، وطويل الباع وقصيره في الكرم، وهو مجاز، ولا يقال: قصير الباع في الجسم. وجمل بواع: جسيم

■ (2) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أبو هاشم. روى عن: دحية الكلبي وأبيه. كان من نبلاء الرجال، ذا علم وفضل وصوم وسؤدد. هو أول من اهتم من العرب بعلم الكيمياء، قيل كان بصيرا بهذين العلمين: الطب والكيمياء، وله نظم رائق. ولد51 هـ وتوفي سنة 90 هـ وهو أخو معاوية بن يزيد ثالث ملوك بني أمية.وقد ذكر خالد للخلافة عند موت أخيه معاوية، فلم يتم ذلك، وغلب على الأمر مروان بشرط أن خالدا ولي عهده.

■ (7) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (3) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ. وتخلف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه.وكان الوليد اجتهد في خلع سليمان هذا من ولاية العهد وتولية ولده العزيز؛ فامتنع سليمان من ذلك حتى مات الوليد

■ (6) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية. ولد سنة 57 ق.هـ.كان موصوفا بالرأي والحلم والفضل، خطيبا، نافذ القول. نشأ يتيما في حجر حرب بن أمية. وأول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجار (بين هوازن وكنانة) وقد رضي الفريقان بحكمه، وانقضب الحرب على يده. وكان يقال: لم يسد من قريش مملق إلا عتبه وأبو طالب، فانهما ساداه بغير مال. أدرك الإسلام، وطغى فشهد بدرا مع المشركين. وكان ضخم الجثة، عظيم الهامة، طلب خوذة يلبسها يوم بدر فلم يجد ما يسع هامته، فاعتجر على رأسه بثوب له، وقاتل قتالا شديدا، فأحاط به علي بن أبي طالب والحمزة وعبيدة بن الحارث، فقتلوه سنة 2 هـ

■ (8) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القريشية العبشمية، أم معاوية بن أبي سفيان، أسلمت في الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان بليلة، وشهدت اليرموك مع أبي سفيان، توفيت في أول خلافة عمر، في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق.

■ (5) أبو سفيان بن حرب بن أمية واسمه صخر، اسلم في الفتح، لقى رسول الله بالطريق قبل دخوله مكة لفتحها فأسلم هناك، وشهد حنينا، وشهد الطائف، وفقئت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. مات بين سنة 30 هـ وسنة 34 هـ، وصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان، ودفن في البقيع.

■ (4) أبو الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

■ (9) الحكم بن أبي العاص الأموي عم عثمان، ووالد مروان، كان النبي قد طرده إلى الطائف، وبقي طريدا إلى زمن عثمان، فرده إلى المدينة، واعتذر بأنه قد كان شفع فيه إلى النبي فوعده برده، وهو مؤتمن على ما قال، وهو أحد الأسباب التي نقموا بها على عثمان.

■ (11) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ

■ (12) فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ولقبها حبة، وقيل لقبها:حية، زوج يزيد بن معاوية وأم ابنه خالد، وكان زوجها يزيد يكنيها بـ أم خالد، فابنها خالد بن يزيد بن معاوية. بعد ذلك تزوجها مروان، وقيل هي التي قتلت مروان.

■ (10) عمرو بن سعيد بن العاص، يسمى الأشدق ولطيم الشيطان، ولي المدينة ليزيد، وكان مروان قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك فقتله عبد الملك، فقيل أنها كانت أول غدرة كانت في الإسلام، دخل مصر مع مروان وقتل سنة 69 هـ وقيل 70 هـ

■ (1) عبد الله بن يزيد بن معاوية ؟

روى يحيى بن يحيى الغساني أن روح بن زنباع[1] دخل على عبد الملك بن مروان –وكان وزيره–؛ فوجده مهموما؛ فقال: ما بال أمير المؤمنين؟ ! قال: فكرت فيمن أولي الخلافة بعدي –وكان الوليد حاضرا–؛ فقال روح: أين أنت عن ريحانة قريش وسيدها الوليد. قال: الوليد لا يتكلم بكلام العرب؛ فسمع ذلك الوليد؛ فقام من وقته وجمع أصحاب النحو، وطين عليه الباب ستة أشهر، ثم خرج أجهل مما دخل.

قيل: كان أبواه يرفهانه؛ فنشأ بلا أدب. وكان إذا مشى يتبختر في مشيته. وعن أبي الزناد قال: سمعت الوليد وهو على منبر النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يا أهل المدينة –بالضم– وكان الوليد جبارا متعاظما، إلا أنه كان فيه محاسن، منها: الكرم، والنهي عن محارم الله تعالى. وروي أن روحا كانت له مزرعة إلى جانب مزرعة الوليد بن عبد الملك، فشكا وكلاء روح إليه من وكلاء الوليد، فشكا ذلك روح إلى الوليد، فلم يشكه، فذكر ذلك روح لعبد الملك بن مروان، والوليد حاضر، فقال عبد الملك: ما يقول روح يا وليد؟ قال: كذب يا أمير المؤمنين، فقال روح: غيري والله أكذب، فقال الوليد: لأسرعت خيلك يا روح. قال: نعم. كان أولها بصفين، وآخرها بمرج راهط. وقام مغضبا، فقال عبد الملك للوليد: بحقي عليك لما أتيته فترضيته ووهبت المزرعة له، فخرج الوليد يريد روحا، فقيل لروح: هذا ولي العهد قد أتاك. فخرج يستقبله، فوهب له المزرعة. قال المدائني: قال عبد الملك بن مروان: إن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ليفخم اللحن كما يفخم نافع بن جبير الإعراب. وكان المغيرة يلحن ويتشدق. قالوا: قال عبد الملك لأسيلم بن الأخيف: كيف ترى الوليد: فقال: إنه ليلحن لحنا قبيحا، قال: إنه كان أحب ولدي إلي، فلم تطب نفسي بمفارقته فأسترضع له بالبادية، كما استرضعت لسليمان. قال عبد الملك لخالد بن يزيد بن معاوية: ألا تقيمون لسان عبد الله بن يزيد ؟ فقال: يا أمير المؤمنين صعب علينا من تقويم لسانه ما صعب عليكم من تقويم لسان الوليد، قال: وكان الوليد رديء اللسان، قال يوما: يا غلام رد الفرسان الصادان عن الميدان. وعن عبد الله بن عبد الملك، مولى قريش، قال: أجرى الوليد يوما الخيل فقال: رد الفرسان الصادان عن الميدان، فقال عباد بن زياد: الفرسين الصادين.وعن أبي معاوية بن عامر قال: تكلم عبد الله بن يزيد بن معاوية عند عبد الملك فلحن، فقال عبد الملك: اللحن من الشريف أقبح من الجدري في الوجه الحسن. وعن علي بن إبراهيم قال: قال عبد الملك: اللحن هجنة في الشريف والعجب آفة للرأي والخرس خير من البيان بالكذب، لأن الكذب فساد كل شيء.

قال الكلبي: كان الوليد وسليمان وليي عهد عبد الملك، فأراد الوليد حين ولي أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان، فأبى سليمان، فأراده على أن يجعله بعده، فأبى سليمان أيضا، فبذل له الوليد أموالا عظيمة كثيرة على أن يفعل ذلك. وكتب الوليد إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز، ودعا الناس إلى لك فلم يجيبوا إلا الحجاج وقتيبة بن مسلم، وخواص من أصحابه، فقال له عباد بن زياد: إن الناس لا يجيبونك إلى هذا ولو أجابوك لم تأمنهم على الغدر بابنك، فاكتب إلى سليمان فمره بالقدوم عليك فإن لك عليه طاعة فإذا قدم فأرده على البيعة لعبد العزيز من بعده، فإنه لن يقدم على الامتناع عليك وهو عندك، فإن أبى كان الناس عليه. فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم عليه، فأبطأ وتثاقل، فعزم الوليد على المسير إليه وخلعه فأمر الناس بالتأهب، وأمر بحجره فأخرجت، ومرض الوليد فمات قبل أن يسير.

■ (1) روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، حدث عن أبيه، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وكعب الأحبار، وغيرهم. وعنه ابنه روح بن روح، وشرحبيل بن مسلم، ويحيى الشيباني، وعبادة بن نسي، وجماعة. وكان ذا اختصاص بعبد الملك، لا يكاد يغيب عنه، وهو كالوزير له. ولأبيه زنباع بن روح بن سلامة صحبة، وكان لروح دار بدمشق في طرف البزوريين، أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقال مسلم: له صحبة. ولم يتابع مسلما أحد. وروى ضمرة، عن عبد الحميد بن عبد الله قال: كان روح بن زنباع إذا خرج من الحمام أعتق رقبة. قال ابن زبر: مات سنة 84 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ شرح نهج البلاغة/ الوافي بالوفيات/ البداية والنهاية/ الروض المعطار في خبر الأقطار/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ مختار الصحاح/ سير أعلام النبلاء/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ تاج العروس/ أنساب الأشراف/

قال ابن العديم: نقلت من فوائد أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات بخطه أو بخط كاتبه قال: وقف علي بن عبد الله بن العباس[1] بـ باب عبد الملك بن مروان ينتظر الإذن، فجاء خالد بن يزيد بن معاوية[2]، فوقف إلى جانبه، قال: فجرى بينهما كلام في بني هاشم وبني أمية، فقال خالد لعلي: ألا تعجب؟ فقال علي: أعلم فلا أعجب، ولو كنت لا أعلم لعجبت، فأغلظ له خالد في الجواب، فقال له علي: أما والله ما النهار على الليل بنائم، ولا السيف عن الظالم بصائم، وليعضن كريم على ناجذه حتى يقيمه الذي أقعده. قال: وخرج الإذن إلى خالد، فلما أراد الدخول قال له: على السر ما بيني وبينك يا أبا هاشم، فلما دخل على عبد الملك قال له: مالي أراك مغضبا يا أبا هاشم؟ قال: أو محجوجا يا أمير المؤمنين، قال: ومن هذا الذي يغلبك بالحجة، فو الله ما لسانك إلا شفرة تطبق على مفاصل الكلم، قال: وقفت بـ باب أمير المؤمنين مع علي بن عبد الله آنفا فمت برحم أعرفها، وذكر دينا لا أنكره، وما مثله ضاع بـ بابك يا أمير المؤمنين، قال: فإنا قد أمرنا له بمائة ألف درهم صلة، قال: فخرج خالد إلى علي بن عبد الله، وقال: يا أبا محمد قد تخطينا ما تكره إلى ما تحب، وقد أمر لك أمير المؤمنين بمائة ألف درهم صلة، فقال له علي: وصلتك رحم إذا ذهب آل حرب ذهب الحلم.

وعن المدائني قال: كان بين خالد بن يزيد بن معاوية وبين عبد الملك بن مروان كلام، فجعل عبد الملك يتهدده، فقال له خالد أتهددني ويد الله فوقك مانعة وتمنعني وعطاء الله دونك مبذول. وعن عبد الله بن عباس المستوف قال: دخل خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان على عبد الملك بن مروان فقال: يا خالد كأنك قد عضضت على صوفه، فقال خالد: إن النساء يلثمن فاي، ولا يشممن قفاي، يعرض له بالبخر*، وكان عبد الملك يكنى أبا الذبان من شدة بخره.

*(البخر) بفتحتين نتن الفم. كان عبد الملك رديء الفم يدمى يزعمون أن الذبابة إذا مرت بفيه ماتت لشدة بخره. ولذلك يلقب أبا الذبان، ويسمى رشح الحجارة لبخله.

■ (2) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أبو هاشم. روى عن: دحية الكلبي وأبيه. كان من نبلاء الرجال، ذا علم وفضل وصوم وسؤدد. هو أول من اهتم من العرب بعلم الكيمياء، قيل كان بصيرا بهذين العلمين: الطب والكيمياء، وله نظم رائق. ولد51 هـ وتوفي سنة 90 هـ وهو أخو معاوية بن يزيد ثالث ملوك بني أمية.وقد ذكر خالد للخلافة عند موت أخيه معاوية، فلم يتم ذلك، وغلب على الأمر مروان بشرط أن خالدا ولي عهده.

■ (1) أبو محمد، علي بن عبد الله بن العباس، وهو جد السفاح والمنصور؛ كان سيدا شريفا بليغا، وهو أصغر ولد أبيه، وكان أجمل قرشي على وجه الأرض وأوسمه وأكثره صلاة، وكان يدعى السجاد لذلك. وذكر الطبري في تاريخه إنه دخل على عبد الملك بن مروان فأكرمه وأجلسه على سريره وسأله عن كنيته فأخبره، فقال: لا يجتمع في عسكري هذا الاسم وهذه الكنية لأحد، وسأله: هل له من ولد وكان قد ولد له يومئذ محمد بن علي، فأخبره بذلك فكناه أبا محمد.وكانت وفاة علي بن عبد الله سنة 117 أو 118 هـ بالشراة بالحميمة وهو ابن ثمانين سنة. وقيل ولد في الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب سنة 40 هـ، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

☪

قال المدائني: كان بين خالد بن يزيد بن معاوية وبين عبد الملك بن مروان كلام، فجعل عبد الملك يتهدده، فقال له خالد: أتهددني ويد الله فوقك مانعة، وتمنعني وعطاء الله دونك مبذول!؟.وعن عبد الله بن عباس المستوف قال: دخل خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان على عبد الملك بن مروان فقال: يا خالد كأنك قد عضضت على صوفه، فقال خالد: إن النساء يلثمن فاي، ولا يشممن قفاي، يعرض له بالبخر، وكان عبد الملك يكنى أبا الذبان من شدة بخره. قال: ودخل بن يزيد على عبد الملك بن مروان، فتلقاه عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري[1] إعظاما له، وكان خالد يسحب ثيابه، فقال له عبد الرحمن: بأبي وأمي أنت لم تطعم الأرض فضول ثيابك؟ فقال: أكره أن أكون كما قال الشاعر وعرض به: قصير القميص فاحش عند بيته..وشر قريش في قريش مركبا. والشعر لعدي بن الغدير الغنوي[2] في الضحاك بن قيس الفهري[3]. قالوا: كانت لعبد الله بن جعفر ابنة يقال لها: أم أبيها تزوجها عبد الملك بن مروان؛ فعض يوما تفاحة فألقاها إليها – وكان فاسد الفم وغمور الأسنان ولذلك لقب أبا الذبان لاجتماع الذباب على فيه – فدعت بسكين وقطعت موضع عضته فقال: ما تصنعين؟ قال: أميط الأذى عنها فطلقها. ويقال: إنها قالت له: يا أمير المؤمنين لو استكت بالصبر؟! فقال: أما منك فسأستاك، فطلقها، فتزوجها بعده علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، فدس عبد الملك عجوزا من حواضن ولده وكانت برزة طريفة فقال لها: أئت أم أبيها مسلمة عليها، ثم ألطفي بكشف رأس علي بن عبد الله حتى تراه وكان علي أصلع برد شعر مؤخر رأسه على مقدمه وكانت القلنسوة لا تفارقه – فأتت العجوز عليا فسلمت عليه وأقبلت تضاحكه وتضاحك أم أبيها، ثم قالت لعلي: يا سيدي ما هذا على قلنسوتك؟ فأمكنها من أخذها، فأخذتها بيديها تنفضها، فنظرت أم أبيها إلى رأس علي ففطنت لما أراد من العجوز... أمير المؤمنين إليها... ووضعت إصبعها على رأسها خير من هذا ووضعت إصبعها بفمها – تعني أن الصلع خير من البخر – وماتت عند علي بن عبد الله.

☪

قال خالد بن يزيد القرشي: كانت لي حاجة بالجزيرة، فاتخذتها طريقا مستخفيا، قال: فبينا أنا أسير بين أظهرهم فإذا أنا بشمامسة* ورهبان –وكان رجلا لبيبا لسنا ذا رأي– فقلت لهم: ما جمعكم هاهنا؟ قالوا: إن شيخا سياحا نلقاه في كل يوم مرة في مكانك هذا، فنعرض عليه ديننا وننتهي فيه إلى رأيه؟ قال: وكنت رجلا معنيا بالحديث، فقلت: لو دنوت من هذا فلعلي أسمع منه شيئا أنتفع به، منه، فلما نظر إلي قال لي: ما أنت من هؤلاء؟، قلت: أجل، قال: من أمة محمد أنت؟ قلت: نعم، قال: من علمائهم أو من جهالهم؟ قال: قلت لست من علمائهم ولا من جهالهم؟ قال: ألستم تزعمون في كتابكم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون؟ قال: قلت: نعم، نقول ذلك وهو كذلك، قال: فإن لهذا مثلا في الدنيا، فما هو؟ قال: مثل هذا الصبي في بطن أمه يأتيه رزق الرحمن بكرة وعشيا لا يبول ولا يتغوط، قال: فتربد وجهه وقال لي: ألم تزعم أنك لست من علمائهم؟! قال: قلت بلى، ما أنا من علمائهم ولا من جهالهم، قال: ألستم تزعمون أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا ينقص مما في الجنة شيء؟ قال: نقول ذلك وهو كذلك، قال: فإن لهذا مثلا في الدنيا؛ فما هو؟ قال: فقلت: مثل هذا مثل رجل آتاه الله علما وحكمة، وعلمه كتابه، فلو اجتمع جميع من خلق الله فتعلموا منه ما نقص من علمه شيء، قال: فتربد وجهه فقال: ألم تزعم أنك لست من علمائهم! قال: قلت: أجل، ما أنا من علمائهم ولا من جهالهم، فقال لي: ألستم تقولون في صلاتكم: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؟ قال: قلت: بلى، قال: فلهي عني، ثم أقبل على أصحابه وقال: ما بسط لأحد من الأمم ما بسط لهؤلاء من الخير، إن أحد هؤلاء إذا قال في صلاته: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لم يبق عبد صالح في السماوات والأرض إلا كتب له بها عشر حسنات، ثم قال لي: ألستم تستغفرون للمؤمنين والمؤمنات؟ قلت: بلى، فقال لأصحابه: إن أحد هؤلاء إذا استغفر للمؤمنين والمؤمنات لم يبق عبد لله مؤمن في السماوات من الملائكة، ولا في الأرض من المؤمنين، ولا من كان في عهد آدم، أو من هو كائن إلى يوم القيامة إلا كتب الله له بها عشر حسنات. قال: ثم أقبل علي فقال: إن لهذا مثلا في الدنيا، فما هو؟ قلت: كمثل رجل مر بملأ، كثيرا كانوا أو قليلا، فسلم عليهم، فردوا عليه أو دعا لهم فدعوا له، قال: فتربد وجهه، قال: ألم تزعم أنك لست من علمائهم! قال: قلت: أجل، ما أنا من علمائهم ولا من جهالهم، فقال لي: ما رأيت من أمة محمد من هو أعلم منك، فسلني عما بدا لك، قال: فقلت: كيف أسأل من يزعم أن لله ولدا؟! قال: فشق مدرعته حتى أبدى عن بطنه، ثم رفع يديه فقال: لا غفر الله لمن قالها، منها فررنا واتخذنا الصوامع، فقال لي: إني سائلك عن شيء فهل أنت مخبري؟ قال: قلت: نعم، قال: أخبرني، هل بلغ ابن القرن فيكن أن يقوم إليه الناشئ أو الطفل فيشتمه أو يتعرض لضربه فلا يغير ذلك عليه؟ قال: قلت: نعم، قال: ذلك حين رق دينكم واستحسنتم دنياكم، وأثرها من أثرها منكم. فقال رجل من القوم: وابن كم القرن؟ قال: أما أنا فقلت ابن ستين سنة، وأما هو فقال ابن سبعين سنة؛ فقال رجل من جلسائه: يا أبا هاشم، ما كان سرنا أن يكون أحد لقيه من هذه الأمة غيرك. وفي حديث آخر بمعناه، في آخره قال: هيهات! هلكت هذه الأمة ولن تقوم الساعة على دين أرق من هذا الدين. قال: وأرجو أن يكون كذب إن شاء الله.

☪

عن السقر بن زرعة عن أبيه قال: إني لواقف بباب عبد الملك بن مروان، إذ أقبل عبد الله بن حسن الغنوي على بغلة له، وأقبل خالد بن يزيد بن معاوية على بغلة له، فتوافقا وكان عبد الله بن حسن طويل اللسان، مد يده فمال على خالد، فلم يدع شيئا إلا أسمعه، وعلا بينهما الكلام، فاتصل ذلك بعبد الملك فوجب إلى خالد يأمره بالدخول إليه، فقال له عبد الله بن حسن، يعني لا تذكر له ما كان بيننا، فقال خالد: سبحان الله، فلما دخل على عبد الملك، قال: ما كان بسط لسان عبد الله بن حسن عليك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ذكر رحما لا ينفع، وشكا حاله فوجب حقه عليك أن تعينه عليها، قال: وغير ذلك؟ قال: معاذ الله، قال: فقد أمرنا له بخمسين ألف، قال: لا تحر به، قال: فقد امرنا له بمائة ألف، قال: فنحضرها، يا أمير المؤمنين؟، فأمرنا بإحضارها فحملت بين يدي خالد، فخرج بها إليه فأخبره بالقصة، فقال له عبد الله: جزاكم الله، يا آل حرب خيرا، وقبضها.

☪

شاعرة من كلب تزوجها تزوجها خالد بن يزيد بن معاوية، وحملها إلى دمشق. قيل: إن خالدا خرج حاجا، فلما رجع إذا هو بشيخ على ماء لكلب أورد إبله، ومعه ابنة له، كأنها ظبية عيطاء تعينه على سقي الإبل، من أتم النساء ما بين قرن إلى قدم، وهي في بردتين لها، قد اتزرت بواحدة، وتدرعت الأخرى. فرأى شيئا لم ير مثله، فقال لمولى له: انطلق إلى هذا الأعرابي فاخطب علي ابنته، وأعطه ما سأل. فتزوج إياها على مئة من الإبل، وأهديت إليه في البردتين كما رآها، فلم يزدد إلا سرورا، فكانت تسامره، وتنشده أشعار قومها وتفتخر، فلما أغاظته قال: أنسيت البردتين؟ فأعرضت عنه طويلا، ثم أنشأت تقول: من الطويل: أخالد مهلا لا يعير بالفقر..فكم من فتى نذل الخليقة ذي وفر..وآخر محمود الخليقة معوز..من المال لا يزري به لازم الفقر..ومن ذات بعل في حلي مظاهر..وترفل في بز العراق وفي العطر..مذممة الأخلاق والغدر همة..وإن مزجت منها البشاشة بالبشر..حصان لها خلق ودل مبتل..هضيم الحشا حوراء آلفة الخدر. فلما قدم الشام تلقله عبد الملك بن مروان، فسأله عن سفره فأخبره، وحدثه بحديث الأعرابية وبردتيها، فانصرف عبد الملك إلى نسائه فحدثهن بذلك فقلن: يا أمير المؤمنين لو بعثت إلينا ببردتيها حتى ننظر إليهما. فسرح رسولا، فلما أتى خالدا الرسول قالت: ما كنت لأفعل حتى أوجه إليه بأبيات، فإن استحسن أن ينظر إليهما فهو أعلم. فسرحت إليه: من الكامل: يا ابن الذوائب من أمية والذي..أفضت إليه خلافة الجبار..فيم استفزك خالد بحديثه..حتى هممت بأن ترى أطماري..مهلا أمير المؤمنين فما الذي..أحببت من داكم علي بعار..فلئن رأيت سحيق شملي باليا..إني لمن قوم ذوي أخطار..صبر على ريب الزمان أعزة..لا يخفرون بذمة وجوار..غلب إذا حمي الوطيس وجدتهم.. صبرا لدى الهيجا بني أحرار..فاترك مقالة خالد وحديثه..واحفظ مقالة معشر أخيار.

فوجه إليها عبد الملك بألف دينار، وقال: إنما أردنا استخراج هذا الشعر منك.

*(شمامسة) جمع شماس من رؤوس النصارى الذي يحلق وسط راسه ويلزم البيعة

■ (1) عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، أحد أشراف العرب، ولي إمرة المدينة فأحسن إلى أهلها. خطب فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب فألح عليها فشكته إلى يزيد فغضب لها وعزله وغرمه أربعين ألف دينار، وأبوه هو المقتول يوم مرج راهط. وتوفي عبد الرحمن المذكور في حدود 110 هـ.

■ (3) الضحاك الفهري، الضحاك بن قيس بن خالد الفهري، أبو أمية، أو أبو أنيس: سيد بني فهر،وأحد الولاة الشجعان. شهد فتح دمشق وسكنها.وشهد صفين مع معاوية. وولاه على الكوفة سنة 53 هـ بعد موت زياد بن أبيه فتفقد الخورنق قصر النعمان وأصلحه. ونقل إلى ولاية دمشق، فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد. ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق ومات معاوية سنة 64 هـ فأقبل أهل دمشق على الضحاك فبايعوه على أن يصلي بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة وانعقدت البيعة العامة لمروان والضحاك في مرج راهط، فامتنع على مراون فقتل في مرج راهط سنة 65 هـ

■ (2) عدي بن الغدير الغنوي ؟ هل هو : علي بن الغدير الغنوي. شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية، ينتهي نسبه إلى غني بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان. له شعر في قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب في أشعار العرب.ويقال: علي بن منصور بن قيس بن حجوان. ويقال: علي بن الغدير بن مضرس

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ أنساب الأشراف/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وعبيد الله بن زياد بن ظبيان 0376

قال المدائني وغيره: كتب عبيد الله بن زياد بن ظبيان[1] إلى عبد الملك: إنه قد كان من بلائي ما قد رأيت ولم يكن من جزائك لي إلا ما علمت فأنا كما قال الجعدي: كفينا بني كعب فلم نر عندهم..لما كان إلا ما جزى الله جازيا. قالوا: وبلغ عبد الملك قول عبيد الله بن زياد بن ظبيان، حين قال لما خر عبد الملك ساجدا، حين أتاه برأس مصعب: هممت بضرب راسه، فأكون قد قتلت ملكي العرب، فحجبه، ثم أذن له، فقال: يا أمير المؤمنين إنا والله ما نكره سخط من رضاه الجور، فإن يكن لك علينا طاعة فيما أحببت، فإن لنا عليك العدل فيا وليت، فلست مستكملا طاعتنا إلا بعدلك، فآثر طاعة الله عز وجل فينا تسلم لك نصائحنا، وتخلص نياتنا، ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله بصير بعملك وإليه مصيرك، فغضب عبد الملك غضبا شديدا وقال: لولا أن خير الأمور مغبة، وأكرمها عاقبة، كريم العفو بعد القدرة لأعلمت هذا الجلف أي مورد توررده الجهالة والاستطالة، فقال الوليد بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين، لم تستبقي مثله، ولم ير لك هيبة الخلافة، وجلالة السلطان، وواجب الطاعة وإن كان ذا غناء ودالة ولم يوقرك توقير المسلمين إياك، فقال عبد الملك: ما كل شيء تعلمه، وأنشد عبد الملك: ترى الناس أخلاطا جميعا وإنهم..على ذاك شتى والهوى يتفرق..ترى المرء إن جالسته ذا صناعة..وسائر ما فيه سوى ذاك أخرق..وتلقى أصيل اللب ليس لسانه..بمخرج ما في قلبه حين ينطق.

■ (1) عبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري، أبو مطر: فاتك من الشجعان. كان مقربا من عبد الملك بن مروان. له عليه جرأة ودالة. وكان من قادة تغلب تحت لواء عبد الملك في حربه مع مصعب ابن الزبير. وهو الذي قتل مصعبا وحمل رأسه إلى عبد الملك. ثم خرج على الحجاج مع ابن الجارود عبد الله ابن بشر فلما قتل ابن الجارود انصرف إلى عمان ولجأ إلى ابن الجلندي الازدي، فخافه هذا فدس له السم في بطيخة فمات. سنة75 هـ وفي أمالي ابن الشجري، قال له مالك بن مسمع: أكثر الله في العشيرة مثلك، فقال: سألت ربك شططا!.

لما قتل مصعب واستقام الأمر لعبد الملك دخل عليه عمر بن عبيد الله بن معمر[1]، وسويد بن منجوف[2]، ونعيم بن مسعود التميمي[3]، وقيس بن الهيثم السلمي[4] بعد أن حبسهم على بابه حينا، فقال عبد الملك: إنكم سعيتم مع الشيطان فكنتم حزبه، فلما نكص نكصتم، ولم يبق أحد ممن شب نار الفتنة وسعى في الفرقة، وشتت الألفة إلا أحدث من جرمه توبة، وظهرت منه إنابة غير قتادة فكففنا عنه العقوبة أفما ترضون أن تكونوا إسوة من أبصر بعد العمى، وعرف بعد الجهل واستحق بالإنابة العفو ؟ فتكلم سويد بن منجوف فقال: إنا كنا وزراء فأصبحنا أعجازا، فخذ بالتي هي أحسن ذكرا، وأبقى جمالا. ثم قال عمر بن عبيد الله: والله ما نعتذر إليك من معصية، ولا نتوسل إليك بطاعة، ولقد ولينا لعدوك الأعمال، وكسبنا الأموال، وقتلنا الرجال ولأن نكون كنا على ضلال، فأصبحنا على هدى، خير من أن نكون على هدى ثم نصبح على ضلال فإن تصطنعنا نكن لك كما كنا لمن كان قبلك. ثم تكلم نعيم بن مسعود فقال يا أمير المؤمنين إنا كنا أمس زبيريين فقد أصبحنا مروانيين، فأقلل العتاب، وأكرم الغلبة، وأقل بعفوك العثرة. ثم تكلم قيس بن الهيثم فقال: إنا لسنا بالحلو المأكول، ولا بالمر الملفوظ، ولا عفوك بمنكر، ولا عقابك بحتم، قد والله يا أمير المؤمنين قارعناك عن الدين والدنيا جميعا، فليسعنا ما لم يضق عن غيرنا من عفوك، فمثلنا أسديت إليه العارفة فشكرها، واتخذت عنده الصنيعة فعرفها قال: فرضى عنهم وأسني جوائزهم.

■ (1) عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان التيمي القرشي: سيد بني تيم في عصره. من كبار القادة الشجعان الاجواد. كان من رجال مصعب بن الزبير أيام ولايته في العراق. وولي له بلاد فارس وحرب الازارقة سنة 68 هـ. وكان قبل ذلك على البصرة. وأرسله عبد الملك بن مروان لقتال أبي فديك سنة 73 فقتل من أصحابه نحو ستة آلاف وأسر ثمانمئة. وعاد بعد ذلك إلى عبد الملك بن مروان، فكان من جلسائه. قال قطري بن الفجاءة يصفه: بطل، يقاتل لدينه وملكه بعزيمة لم أر مثلها لاحد، وما حضر حربا إلا كان أول فارس يقتل قرنه. مات سنة 82 هـ

■ (2) سويد بن منجوف بن ثور بن عفير السدوسي البصري. كنيته أبو المنهال. عداده في أهل البصرة. رأى عليا وسمع أبا هريرة، ووفد على معاوية. وهو والد علي بن سويد. روى عنه المسيب بن رافع. قال خليفة: توفي سنة 72 هـ. والسدوسي وهو سدوس بن شيبان ابن ذهل بن ربيعة.

■ (4) قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب السلمي: من الخطباء الشجعان، من أعيان البصرة في صدر الاسلام. كان من أنصار بني أمية فيها ثم قام بدعوة عبد الله بن الزبير وصحب أخاه مصعبا في ثورته، إلى أن قتل، فتوجه إلى عبد الملك بن مروان، فعفا عنه وأكرمه. توفي بالبصرة نحو 85 هـ.

■ (3) نعيم بن مسعود التميمي ثم النهشلي ؟

مراجع: الأعلام للزركلي/ أنساب الأشراف/ تاريخ الإسلام للذهبي/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وحميد بن حريث الكلبي 0377

عن عبد الله بن مسلم بن قتيبة عن الرياشي قال: دخل رجل من أهل الشام على عبد الملك بن مروان، فقال: إني تزوجت امرأة وزوجت ابني أمها، ولا غنى بنا عن رفدك، فقال له عبد الملك: إن أخبرتني ما قرابة ما بين أولادها (كذا يعني الام) إذا ولد لهما فعلت بك كذا، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا حميد بن بحدل[1]، قد قلدته سيفك ووليته ما وراء بابك، فسله، فإن أصاب لزمني الحرمان واتسع في العذر (واتسع لي العذر؟) فدعا بالبحدلي فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك لم تقدمني على العلم بالأنساب، ولكن قدمتني على الطعن بالرماح، والضرب بالسيوف، أحدهما عم الآخر والآخر خاله.

قال الراوي: وقد وجدت هذه الحكاية من وجه آخر: قال عوانة: دخل رجل من أهل الشام على عبد الملك فقال له: يا أمير المؤمنين إني قد تزوجت امرأة، وزوجت ابني أمها، ولا غنى بي عن رفدك، فقال له: إن أخبرتني بقرابة ما بين ولديكما فعلت ما تريد. فقال: يا أمير المؤمنين هذا حاجبك حميد بن بحدل، قد قلدته سيفك وحجابك، فسله عنها، فإن أصاب كان حرماني بحجة، وإن أخطأ اتسع العذر لي. فدعا به، فسأله عن ذلك فقال: يا أمير المؤمنين: إنك لم تقدمني على علم بالأنساب ولا لتصرف في الآداب، وإنما قدمتني لضربي بالسيف وطعني بالرماح: ابن الأب عم ابن الابن، وابن الابن خال ابن الأب، وأنا أسأل أمير المؤمنين أن يصل هذا الرجل بما أمله عنده، فضحك واسترجحه. ووصل الرجل.

■ (1) حميد بن حريث بن بحدل بن أنيف بن دلجة الكلبي: من وجوه أهل دمشق وفرسان قحطان وولي شرطة يزيد بن معاوية. غزا مع يزيد بن معاوية القسطنطينية حين أغزاه معاوية إياها في خلافته وقدم حلب مع عبد الملك بن مروان حين توجه لقتال مصعب بن الزبير، فلما كان ببطنان حبيب، ورجع عنه عمرو بن سعيد الأشدق خالعا له ومضى إلى دمشق مضى معه حميد بن حريث بن بحدل ورجاء بن سراج وجماعة من أهل الشام حتى صاروا إلى دمشق ودخلوها، وملكها عمرو بن سعيد، وكان من أمره ما عرف.

قال المدائني: قدم الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم[1] الشاعر على عبد الملك فلم يصله ويقال إنه أقام ببابه شهرا لا يأذن له فانصرف وهو يقول: تبعتك إذ عيني عليها غشاوة..فلما انجلت قطعت نفسي ألومها..فما بي إن أقصيتني من ضراعة..ولا افتقرت نفسي إلى من يسومها..عطفت عليك النفس حتى كأنما..بكفيك بؤسي أو لديك نعيمها. فبلغه ذلك، فأرسل إليه فرده، فقال: يا حارث أترى على نفسك غضاضة في وقوفك ببابي؟ فقال: لا والله، ولكن طالت غيبتي، وانكسرت ضيعتي، ووجدت فضلا من قول فقلت، وعلي دين فقال: وكم دينك ؟ قال: ثلاثون ألفا، قال: أقضاء دينك أحب إليك، أم ولاية مكة ؟ قال: ولاية مكة، فولاه إياها فبعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن الحارث[2]، وهي بمكة، وقد أقيمت ذات يوم الصلاة، وهي تطوف: إني لم أقض طوافي، فتوقف بالناس حتى فرغت من طوافها، ثم صلى، فبلغ ذلك عبد الملك فعزله، وقال: إني لم استعملك لتنتظر بالناس في صلاتهم طواف عائشة. قالوا: وكان الحارث يحب عائشة، وكانت تحبه، فخطبها فلم تتزوجه، فقيل لها أحبك رجل وأحببتيه عشرين سنة، ثم خطبك فلم تتزوجيه ؟ فقالت: كان في عيب ما يسرني أن لي طلاع الأرض، وأنه اطلع عليه، فكان يظن أنه سوء الخلق.

عن الحسن بن علي العتبي عن أبيه عن أبي المقدام عن رجل من أهل مكة قال: قدمت المدينة فإذا غلمان بيض، عليهم ثياب بياض يدعون الناس إلى الغداء، فإذ عائشة بنت طلحة على السرير، وإذا الناس يطعمون، وكانت بي إليه حاجة فدخلت، قال: فلما أكلت، قالت لي: كأنك غريب؟ قلت: نعم، قالت: فمن أين بك؟ قلت: من مكة، قالت: كيف تركت الأعرابي قلت بخير، فلما خرجت قلت: عن من سألتني؟ قالوا: عن الحارث بن خالد، فلما قدمت مكة أخبرته فأنشأ يقول: من كان يسأل عنا أين منزلنا..فالأقحوانة منا منزل قمن..إذ نجعل العيش صفوا ما يكدره..طول الحياة ولا ينبو بنا الزمن.قال الحرمازي: وبناحية من الشام موضع يعرف بالأقحوانة أيضا.

كان عمر بن عبد العزيز[3] ينهى سليمان عن قتل الحرورية ويقول: ضمنهم الحبوس حتى يحدثوا توبة، فأتي سليمان بحروري مستقتل، فقال له سليمان: إيه. قال: إيه نزع لحييك يا فاسق ابن الفاسق. قال سليمان: علي بعمر بن عبد العزيز، فلما أتى عمر عاود سليمان الحروري فقال له: ما تقول ؟ قال: وماذا يا فاسق ابن الفاسق ؟ قال سليمان لعمر: يا أبا حفص، ماذا ترى عليه ؟ قال: فسكت عنه. فقال: عزمت عليك لتخبرني ماذا ترى عليه ؟ قال: أرى عليه أن تشتمه كما شتمك. قال سليمان: ليس إلا ؟ فأمر به، فضربت عنقه، وقام سليمان، وخرج عمر. فتبعه خالد بن الريان[4] صاحب حرس سليمان بن عبد الملك. فقال: يا أبا حفص، تقول لأمير المؤمنين: ما أرى عليه إلا أن تشتمه كما شتمك ؟ والله، لقد كنت متوقعا أن يأمرني بضرب عنقك، قال: لو أمرك لفعلت ؟ قال: إي والله لو أمرني لفعلت. فلما أفضت الخلافة إلى عمر جاء خالد بن الريان فقام مقام صاحب الحرس، وكان قبل ذلك على حرس الوليد وعبد الملك، فنظر إليه عمر فقال: يا خالد ضع هذا السيف عنك، اللهم إني قد وضعت لك خالد بن الريان، اللهم لا ترفعه أبدا. ثم نظر عمر في وجوه الحرس فدعا عمرو بن المهاجر الأنصاري فقال: والله إنك لتعلم يا عمرو أنه ما بيني وبينك قرابة إلا قرابة الإسلام، ولكني قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن، ورأيتك تصلي في موضع تظن أن لا يراك أحد، فرأيتك تحسن الصلاة، خذ هذا السيف قد وليتك حرسي. وكان خالد بن الريان سيافا يقوم على رؤوس الخلفاء، فلما استخلف عمر عزله وقال: إني أذكر بأوه* وهيبته، اللهم، إني أضعه لك فلا ترفعه أبدا. قال نوفل بن الفرات: ما رأيت شريفا خمل ذكره حتى لا يذكر مثله، إن كان الناس ليقولون: ما فعل خالد أحي أو قد مات ؟ وفي رواية أخرى: أن خالد بن الريان لما قدم على عمر بن عبد العزيز حين استخلف قال لما رآه من بعيد: أترون هذا المقبل؟ والله إن كنت لأسير في موكب الوليد وسليمان ولي من قرابته ما لي، فيلقي دابتي في الوحل ويركب الجدد*، فعرفت النفس أنه لغيري أشد احتقارا، اللهم، إني أريد أن أضعه لك اليوم فلا ترفعه. فلما دنا فسلم، قال: إنك قد قضيت من هذا السيف وطرا، فتفرغ لنفسك، وانصرف إلى أهلك، وخذ يا غلام سيفه.قال: أنشدك الله، يا أمير المؤمنين، وإن هذا لم يكن رجائي، قال: أو خوفك. فعزله، فلم يزل بشر حتى مات.

----

*(البأو) الفخر (الجدد) الجدد محركة ما استرق من الرمل والارض الغليظة المستوية

■ (1) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، من قريش: شاعر غزل، من أهل مكة. نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة. وكان يذهب مذهبه، لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء. وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها. وله معها أخبار كثيرة. وكان ذا خطر وقدر ومنظر في قريش، ولاه يزيد بن معاوية إمارة مكة، فظهرت دعوة عبد الله بن الزبير، فاستتر الحارث خوفا، ثم رحل إلى دمشق وافدا على عبد الملك بن مروان، فلم ير عنده ما يحب، فعاد إلى مكة، وتوفي بها. نحو 80 هـ

■ (2) عائشة بنت طلحة بن عبيد الله: من بني تيم بن مرة: أديبة، عالمة بأخبار العرب، فصيحة. أمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق. وخالتها عائشة أم المؤمنين، وكانت أشبه الناس بها. كانت لا تستر وجهها، فعاتبها زوجها مصعب بن الزبير في ذلك، فقالت: إن الله قد وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس فما كنت لاستره، ووالله ما في وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد. وقتل مصعب عنها، فتزوجها عمر بن عبيد الله التيمي، ومات عنها سنة 82 هـ فتأيمت بعده، وخطبها جماعة فردتهم. وكانت تقيم بمكة سنة، وبالمدينة سنة، وتخرج إلى الطائف تتفقد أموالها، ولها فيه قصر. ووفدت على هشام بن عبد الملك، فبعث إلى مشايخ بني أمية أن يسمروا عنده، فما تذاكروا شيئا من أخبار العرب وأشعارها إلا أفاضت معهم فيه، وما طلع نجم ولا غار إلا سمته. أخذت ذلك عن خالتها عائشة. وأخبارها مع الشعراء كثيرة ولعمر بن أبي ربيعة غزل بها.توفيت سنة 101 هـ

■ (4) خالد بن الريان المحاربي مولاهم ولي الحرس لعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك.وكان سيافا يقوم على رؤوس الملوك فلما استخلف عمر عزله وقال: إني أذكر بأوه* وهيبته* اللهم إني أضعه لك فلا ترفعه أبدا فما لبث إلا جمعة حتى ضربه الفالج فقتله.* (البأو) الفخر (هيئته) قيل أيضا: هيبته، تيهه.

■ (3) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وعمرو بن سعيد الأشدق 0378

كان عبد الملك بعد رجوعه من قنسرين*، أقام بدمشق زمانا، ثم سار ليحاصر وقتال زفر بن الحارث الكلابي[1] بقرقيسيا*، الذي أعان سليمان بن صرد [2] على جيش مروان حين قاتلوهم بعين وردة. ومن عزمه إذا فرغ من ذلك أن يقصد مصعب بن الزبير [3] بعد ذلك، فلما سار إليها استخلف على دمشق عمرو بن سعيد الاشدق[4]، فتحصن بها وأخذ أموال بيت المال وقيل بل كان مع عبد الملك ولكنه انخذل عنه في طائفة من الجيش وكر راجعا إلى دمشق في الليل، ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي [5]، وزهير بن الابرد الكلبي [؟]، فانتهوا إلى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أم الحكم [6] نائبا من جهة عبد الملك، فلما أحس بهم هرب وترك البلد فدخلها عمرو بن سعيد الاشدق فاستحوذ على ما فيها من الخزائن، وخطب الناس فوعدهم العدل والنصف والعطاء الجزيل والثناء الجميل، ولما علم عبد الملك بما فعله الاشدق كر راجعا من فوره فوجد الاشدق قد حصن دمشق وعلق عليها الستائر والمسوح، وانحاز الاشدق إلى حصن رومي منيع كان بدمشق فنزله.

فحاصره عبد الملك وقاتله الاشدق مدة ستة عشر يوما، ثم اصطلحا على ترك القتال، وعلى أن يكون ولي العهد بعد عبد الملك، وعلى أن يكون لكل عامل لعبد الملك عامل له، وكتبا بينهما كتاب أمان، وذلك عشية الخميس، ودخل عبد الملك إلى دمشق إلى دار الاماة على عادته، وبعث إلى عمرو بن سعيد الاشدق يقول له: رد على الناس أعطياتهم التي أخذتها من بيت المال، فبعث إليه الاشدق: إن هذا ليس إليك، وليس هذا البلد لك فاخرج منه، فلما كان يوم الاثنين بعث عبد الملك إلى الاشدق يأمره بالاتيان إلى منزله بدار الامارة الخضراء، فلما جاءه الرسول صادف عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية[؟] وهو زوج ابنته أم موسى بنت الاشدق[؟]، فاستشاره عمرو الاشدق في الذهاب إليه فقال له: يا أبا سعيد، والله لانت أحب إلي من سمعي وبصري، وأرى أن لا نأتيه، فإن تبيعا الحميري[؟] ابن امرأة كعب الاحبار قال: إن عظيما من عظماء بني إسماعيل يغلق أبواب دمشق فلا يلبث أن يقتل. فقال عمرو: والله لو كنت نائما ما تخوفت أن ينبهني ابن الزرقاء، وما كان ليجترئ على ذلك مني، مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه، وقال عمرو بن سعيد أبلغه السلام وقل له أنا رائح إليك العشية إن شاء الله. فلما كان العشي، يعني بعد الظهر، لبس عمرو درعا بين ثيابه وتقلد سيفه ونهض فعثر بالبساط فقالت امرأته وبعض من حضره: إنا نرى أن لا تأتيه، فلم يلتفت إلى ذلك ومضى في مائة من مواليه، وكان عبد الملك قد أمر بني مروان فاجتمعوا كلهم عنده، فلما انتهى عمرو إلى باب أمر عبد الملك أن يدخل وأن يحبس من معه عند كل باب طائفة منهم، فدخل حتى انتهى إلى صرحة المكان الذي فيه عبد الملك، ولم يبق معه من مواليه سوى وصيف، فرمى ببصره فإذا مروان عن بكرة أبيهم مجتمعون عند عبد الملك، فأحس بالشر فالتفت إلى ذلك الوصيف فقال له همسا: ويلك انطلق إلى أخي يحيى [7] فقل له فليأتني، فلم يفهم عنه وقال له: لبيك، فأعاد عليه ذلك فلم يفهم أيضا وقال: لبيك، فقال: ويلك أغرب عني في حرق الله وناره، وكان عند عبد الملك حسان بن مالك[8]، وقبيصة بن ذؤيب[9]، فأذن لهما عبد الملك بالانصراف، فلما خرجا غلقت الابواب واقترب عمرو من عبد الملك فرحب به وأجلسه معه على السرير، ثم جعل يحدثه طويلا، ثم إن عبد الملك قال: يا غلام خذ السيف عنه، فقال عمرو: إنا لله يا أمير المؤمنين. فقال له عبد الملك: أو تطمع أن تتحدث معي متقلدا سيفك ؟ فأخذ الغلام السيف عنه، ثم تحدثا ساعة، ثم قال له عبد الملك: يا أبا أمية، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إنك حيث خلعتني آليت بيميني إن ملات عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة*، فقالت بنو مروان: ثم تطلقه يا أمير المؤمنين، فقال ثم أطلقه، وما عسيت أن أفعل بأبي أمية، فقال بنو مروان: بر يمين أمير المؤمنين، فقال عمرو: بر قسمك يا أمير المؤمنين، فأخرج عبد الملك من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه ثم قال: يا غلام قم فاجمعه فيها، فقام الغلام فجمعه فيها، فقال عمرو: أذكر الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس، فقال عبد الملك: أمكرا يا أبا أمية عند الموت ؟ لاها الله إذا ما كنا لنخرجك في جامعة على رؤوس الناس ولما نخرجها منك إلا صعدا، ثم اجتذبه اجتذابة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته، فقال عمرو: أذكرك الله أن يدعوك كسر عظمي إلى ما هو أعظم من ذلك، فقال عبد الملك: والله لو أعلم أنك إذا بقيت تفي لي وصلح قريش لاطلقتك، ولكن ما اجتمع رجلان في بلد قط على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه، وفي رواية أنه قال له: أما علمت يا عمرو أنه لا يجتمع فحلان في شرك؟. فلما تحقق عمرو ما يريد من قتله قال له: أغدرا يا بن الزرقاء؟ وأسمعه كلاما رديئا بشعا، وبينما هما كذلك إذ أذن المؤذن للعصر، فقام عبد الملك ليخرج إلى الصلاة. وأمر أخاه عبد العزيز بن مروان بقتله، وخرج عبد الملك وقام إليه عبد العزيز، بالسيف فقال له عمرو: أذكرك الله والرحم أن لا تلي ذلك مني، وليتول ذلك غيرك، فكف عنه عبد العزيز. ولما رأى الناس عبد الملك قد خرج وليس معه عمرو أرجف الناس بعمرو، فأقبل أخوه يحيى بن سعيد في ألف عبد لعمرو بن سعيد وأناس معهم كثير، وأسرع عبد الملك الدخول إلى دار الامارة، وجاء أولئك فجعلوا يدقون باب الامارة ويقولون: أسمعنا صوتك يا أبا أمية، وضرب رجل منهم الوليد بن عبد الملك في رأسه بالسيف فجرحه، فأدخله إبراهيم بن عدي الكناني[؟] صاحب الديوان بيتا، وأحرزه فيه، ووقعت خبطة عظيمة في المسجد، وضجت الاصوات، ولما رجع عبد الملك وجد أخاه لم يقتله فلامه وسبه وسب أمه، ولم تكن أم عبد العزيز أم عبد الملك*، فقال له: ناشدني الله والرحم، وكان ابن عمه عبد الملك، ثم إن عبد الملك قال: يا غلام أتني بالحربة، فأتاه بها فهزها وضربه بها فلم تغن شيئا، ثم ثنى فلم تغن شيئا، فضرب بيده إلى عضد عمرو فوجد مس الدرع فضحك وقال: أدارع أيضا؟ إن كنت معدا، يا غلام ائتني بالصمصامة، فأتاه بسيفه ثم أمر بعمرو فصرع ثم جلس على صدره فذبحه وهو يقول: يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي..أضربك حتى تقول الهامة اسقوني. قالوا: وانتقض عبد الملك بعدما ذبحه كما تنتقض القصبة برعدة شديدة جدا، بحيث إنهم ما رفعوه عن صدره إلا محمولا، فوضعوه على سريره وهو يقول: ما رأيت مثل هذا قط قبله صاحب دنيا ولا آخرة، ودفع الرأس إلى عبد الرحمن بن أم الحكم فخرج إلى الناس فألقاه بين أظهرهم، وخرج عبد العزيز بن مروان ومعه البدر من الاموال تحمل، فألقيت بين الناس فجعلوا يختطفونها، ويقال: إنها استرجعت بعد ذلك من الناس إلى بيت المال، ويقال إن الذي ولي قتل عمرو بن سعيد مولى عبد الملك أبو الزعيزعة[10]* بعدما خرج عبد الملك إلى الصلاة فالله أعلم.

وقد دخل يحيى بن سعيد، أخو عمرو، دار الامارة بعد مقتل أخيه بمن معه فقام إليهم بنو مروان فاقتتلوا، وجرح جماعات من الطائفتين، وجاءت يحيى بن سعيد صخرة في رأسه أشغلته عن نفسه وعن القتال، ثم إن عبد الملك خرج إلى المسجد الجامع فصعد المنبر فجعل يقول: ويحكم أين الوليد ؟ وأبيهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم، فأتاه إبراهيم بن عدي فقال: هذا الوليد عندي قد أصابته جراحة وليس عليه بأس، ثم أمر عبد الملك بيحيى بن سعيد أن يقتل فتشفع فيه أخوه عبد العزيز، وفي جماعات آخرين معه كان عبد الملك قد أمر بقتلهم، فشفعه فيهم وأمر بحبسه فحبس شهرا، ثم سيره وبني عمرو بن سعيد وأهليهم إلى العراق فدخلوا على مصعب فأكرمهم وأحسن إليهم، ثم لما انعقدت الجماعة لعبد الملك بعد مقتل ابن الزبير، وفدوا عليه فكاد يقتلهم فتلطف بعضهم في العبارة حتى رق لهم رقة شديدة، فقال لهم عبد الملك: إن أباكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله، فاخترت قتله على قتلي، وأما أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم وأرعاني لحقكم فأحسن جائزتهم وقربهم، وقد كان عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو بن سعيد أن ابعثي إلي بكتاب الامان الذي كنت كتبته لعمرو، فقالت: إني دفنته معه ليحاكمك به يوم القيامة عند الله. وقد كان مروان بن الحكم وعد عمرو بن سعيد هذا أن يكون ولي العهد من بعد ولده عبد الملك، كلاما مجردا، فطمع في ذلك وقويت نفسه بسبب ذلك، وكان عبد الملك يبغضه بغضا شديدا من حال الصغر، ثم كان هذا صنيعه إليه في الكبر.

*(قرقيسياء)، قرقيسيا أو كركيسيوم -بلدة البصيرة حاليا- مدينة سورية صغيرة عند مصب نهر الخابور في نهر الفرات (قنسرين) بلدة تقع بين حماة وحلب على مسافة 25كم جنوبي غربي حلب وهي حدود بلاد الشام التي تحاذي فارس في الشمال الغربي (الجامعة)، الغل(لم تكن أم عبد العزيز أم عبد الملك) أم عبد الملك عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية وأم عبد العزيز ليلى الكلبية. (الزعيزعة)، في مروج الذهب: قتله أبو الزعيزعة، وفي الامامة والسياسة قتله ابن الزويرع.

■ (4) عمرو بن سعيد بن العاص، يسمى الأشدق ولطيم الشيطان، ولي المدينة ليزيد، وكان مروان قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك فقتله عبد الملك، فقيل أنها كانت أول غدرة كانت في الإسلام، دخل مصر مع مروان وقتل سنة 69 هـ وقيل 70 هـ

■ (6) عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي:ابن أم الحكم، أحد الامراء في العصر الاموي. أمه أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان. ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وغزا الروم سنة 53 هـ. وولاه خاله معاوية الكوفة بعد موت زياد سنة 57 هـ، فلم تحمد سيرته، فأخرجه أهل الكوفة. وعاد إلى الشام، فولاه معاوية مصر، فقصدها، فمنعه ابن خديج من دخولها. فعاد، فولاه خاله الجزيرة. فاستمر فيها إلى أن مات معاوية. وتوفي بعد ذلك في أول خلافة عبد الملك سنة 66 هـ.

■ (1) زفر بن الحارث الكلابي، أبو الهذيل، والد مزاحم بن زفر يروي عن عائشة ومعاوية. كان رسول معاوية إلى عائشة بوقعة صفين. نزل البصرة ثم خرج عنها بعد وقعة الجمل فشهد وقعة المرج مع الضحاك بن قيس وذكر أنه مات في أيام عبد الملك نحو سنة 75 هـ

■ (9) قبيصة بن ذؤيب، أبو إسحاق، الإمام، الفقيه، أبو سعيد الخزاعي المدني ثم الدمشقي الوزير. مولده عام الفتح سنة ثمان، ومات أبوه ذؤيب بن حلحلة صاحب بدن النبي صلى الله عليه وسلم في آخر أيام النبي، فأتي بقبيصة بعد موت أبيه فيما قيل، فدعا له النبي ولم يع هو ذلك. وروى عن أبي بكر إن صح – وعن عمر، وأبي الدرداء، وبلال، وعبد الرحمن بن عوف، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وعدة. وكان على الختم والبريد للخليفة عبد الملك، وقد أصيبت عينه يوم الحرة، وله دار معتبرة بباب البريد*.وقد كناه محمد بن سعد: أبا إسحاق، وقال: شهد أبوه الفتح، وكان ينزل بقديد، وكان يقرأ الكتب إذا وردت على الخليفة. قال: وكان ثقة مأمونا، كثير الحديث، توفي سنة 86 أو 87 هـ.*(باب البريد): اسم لاحد أبواب جامع دمشق من جهة الغرب، به سميت محلة باب البريد وهي من أنزه المواضع.

■ (7) يحيى بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية أبو أيوب ويقال أبو الحارث الأموي، سمع أباه ومعاوية بن أبي سفيان وعائشة أم المؤمنين، وهو أخو عمرو الأشدق وعنبسة وكان مع أخيه عمرو حين قتله عبد الملك فسيره إلى المدينة ثم قدم على عبد الملك دمشق مستأمنا وحضر عمر بن عبد العزيز.ليس له صحبة ولا إدراك

■ (10) سالم بن الزعيزعة مولى مروان بن الحكم وكاتبه وكاتب ابنه عبد الملك بن مروان، وكان على الرسائل لعبد الملك وولاه الحرس.

■ (8) ابن بحدل، حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف، أبو سليمان الكلبي أمير بادية الشام من القادة في جيش معاوية يوم صفين.ثم آزر مروان في حربه مع الضحاك بن قيس.قال أحد مؤرخيه: سلم الناس على حسان بالخلافة، أربعين ليلة، ثم سلم الأمر إلى مروان.مات نحو 65 هـ

■ (5) حميد بن حريث بن بحدل بن أنيف بن دلجة الكلبي: من وجوه أهل دمشق وفرسان قحطان وولي شرطة يزيد بن معاوية. غزا مع يزيد بن معاوية القسطنطينية حين أغزاه معاوية إياها في خلافته وقدم حلب مع عبد الملك بن مروان حين توجه لقتال مصعب بن الزبير، فلما كان ببطنان حبيب، ورجع عنه عمرو بن سعيد الأشدق خالعا له ومضى إلى دمشق مضى معه حميد بن حريث بن بحدل ورجاء بن سراج وجماعة من أهل الشام حتى صاروا إلى دمشق ودخلوها، وملكها عمرو بن سعيد، وكان من أمره ما عرف.

■ (2) سليمان بن صرد بن الجون، السلولي الخزاعي، أبو مطرف: صحابي، من الزعماء القادة. شهد الجمل وصفين مع علي، وسكن الكوفة. ثم كان ممن كاتب الحسين وتخلف عنه. وخرج بعد ذلك مطالبا بدمه، فترأس التوابين وكانوا يطلبون قتل عبيد الله بن زياد، وأن يخرج من في العراق من أصحاب ابن الزبير، ويردوا الامر لاهل البيت. وكانت عدتهم نحو خمسة آلاف. وعرفوا بالتوابين لقعودهم عن نصرة الحسين حين دعاهم، وقيامهم بطلب ثأره بعد مقتله. ونشبت معارك بين سليمان وعبد الله بن زياد، فقتل سليمان بعين الوردة، قتله يزيد بن الحصين. سنة 65 هـ

■ (3) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله، ولاه أخوه الخليفة عبد الله بن الزبير إمرة العراقين ثم أرمينية أضاف إليه الكوفة، قتل في معركة دير الجثاليق سنة 71 هـ وله 39 سنة ونقلت رأسه إلى عبد الملك وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام.

☪

روى عن الشعبي أن عبد الملك قال: لقد كان عمرو بن سعيد أحب إلي من دم النواظر، ولكن والله لا يجتمع فحلان في الابل إلا أخرج أحدهما الآخر، وإنا لكما قال أخو بني يربوع: أجازي من جزاني الخير خيرا..وجازى الخير يجزى بالنوال وأجزي من جزاني الشر شرا..كما تحذا النعال على النعال. قال خليفة بن خياط: وأنشد أبو اليقظان لعبد الملك في قتله عمرو بن سعيد: صحت ولا تشلل وضرت عدوها..يمين أراقت مهجة ابن سعيد وجدت ابن مروان ولا نبل عنده..شديد ضرير الناس غر بليد هو ابن أبي العاص لمروان ينتهي..إلى أسرة طابت له وجدود.وكان الواقدي يقول: أما حصار عبد الملك لعمرو بن سعيد الاشدق فكان في سنة 69، رجع إليه من بطنان فحاصره بدمشق ثم كان قتله في سنة 70 والله أعلم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ البداية والنهاية/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وعبيد الله بن قيس، الشاعر 0379

قيل كان عبيد الله بن قيس[1] أشد قريش أسر شعر في الإسلام بعد ابن الزبعري[2]، وكان غزلا، وأغزل من شعره شعر عمر بن أبي ربيعة[3]، وكان عمر يصرح بالغزل، ولايهجو، ولايمدح، وكان عبيد الله يشبب ولايصرح. وكان انقطاعه إلى آل الزبير، خرج مع مصعب بن الزبير[4] حيث بلغه شخوص عبد الملك بن مروان إليه، فلما رأى مصعب معالم الغدر ممن معه دعا ابن الرقيات ودعا بمال ومناطق فملأ المناطق من ذلك وألبسه منها؛ وقال له: انطلق حيث شئت! فقال: والله لا أريم حتى آتي سبيليك؛ فأقام معه حتى قتل ثم إنه أتى الكوفة واختفى بها سنة ثم إنه عاد إلى المدينة وأتى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[5] وقال: جئت عائذا بك! فكتب له إلى أم البنين زوج (الوليد بن؟) عبد الملك بن مروان[6]، وكتب إلى أبيها عبد العزيز بن مروان يسألها الشفاعة لعبيد الله بن قيس الرقيات، فشفعت له وآمنه وأدخله عليه بعد تكامل الناس في مجالسهم. فقال: يا أهل الشام! أتعرفون هذا؟ فقالوا: لا! قال: هو عبيد الله بن قيس الرقيات؛ الذي يقول: كيف نومي على الفراش ولما..تشمل الشام غارة شعواء..تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي..عن خدام العقيلة العذراء. فقالوا: يا أمير المؤمنين! إسقنا دم هذا المنافق! قال: الآن وقد آمنته وصار في منزلي وعلى بساطي! فاستأذنه في الإنشاء، فأذن له، فأنشده: عاد له من كثيرة الطرب..فعينه بالدموع تنسكب..كوفية نازح محلتها..لا أمم دارها ولا صقب..والله ما إن صبت إلي ولا..يعرف بيني وبينها سبب..إلا الذي أورثت كثيرة في ال..قلب وللحب سورة عجب. حتى قال فيها: إن الأغر الذي أبوه أبو ال..عاصي عليه الوقار والحجب..يعتدل التاج فوق مفرقه..على جبين كأنه الذهب. فقال له عبد الملك: يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم! وتقول في مصعب. إنما مصعب شهاب من الله..تجلت عن وجهه الظلماء..ملكه ملك عزة ليس فيه..جبروت منه ولا كبرياء. أما الأمان فقد سبق لك. ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا! فعاد ابن قيس إلى عبد الله بن جعفر، وقال له: وما ينفعني أماني تركت حيا كميت لا آخذ عطاء! فقال له عبد الله: كم سنك؟ قال: ستون سنة. قال: فعمر نفسك، فقال: عشرين سنة أخرى! قال: كم عطاؤك؟ قال: ألفان! فأمر له عبد الله بأربعين ألفا وقال: ذلك علي حتى تموت على تعميرك نفسك، فقال يمدحه: تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر..سواء عليها ليلها ونهارها..تزور امرءا قد يعلم الله أنه..تجود له كف قليل غرارها..أتيناك نثني بالذي أنت أهله..عليك كما أثنى على الروض جارها..ووالله لولا أن تزور ابن جعفر..لكان قليلا في دمشق قرارها..إذا مت لم يوصل صديق ولم..يقم طريق من المعروف أنت منارها..ذكرتك أن فاض الفرات بأرضنا..وفاض بأعلى الرقمتين بحارها..وعندي مما خول الله هجمة..عطاؤك منها شولها وعشارها..مباركة كانت عطاء مبارك..تمانح كبراها وتنمي صغارها.

وفي رواية قال: وقد كان عبد الملك أعد عساسا من خلنج قد ملأها ألبان البخت، يحمل العس جماعة رجال، وأمر بها فوضعت بين يديه، فقال: أين هذه من عساس مصعب؟ حين تقول: جلب الخيل من تهامة حتى..وردت خيله جبال الزرنج يلبس الجيش بالجيوش ويسقي..لبن البخت في عساس الخلنج. فقال: لا أين يا أمير المؤمنين، قال: ولم ذاك؟ قال: لو طرحت هذه كلها في عس واحد من عساس مصعب تقلقت داخله، فقال: قاتلك الله! أبيت إلا كرما.

قدم على عبد الله بن جعفر ذي الجناحين بمال عظيم من قبل عبد الملك بن مروان، ومتاع كثير، فقسمه، وقال لنديم له: احفظ نصيب عبيد الله بن قيس الرقيات، فعزل له جارية وكسوة، وعشرة آلاف درهم، فلما قدم دفعه إليه، فقال ابن قيس الرقيات: من الطويل: إذا جئت عبد الله نفسي فداؤه..رجعت بخير من نداه ونائل..وإن غبت عنه كان للود حافظا..ولم يك عني في المغيب بغافل..أبو جعفر نفسي تقيه من الردى..ربيع اليتامى عصمة للأرامل..أبوه كريم ذو الجناحين جعفر..فبخ بخ له من فاضل وابن فاضل.

■ (1) عبيدالله بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤي: شاعر قريش في العصر الاموي. كان مقيما في المدينة. وقد ينزل الرقة. وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان. ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير مصعب وعبد الله فأقام سنة. وقصد الشام فلجاء إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل عبد الملك في أمره، فأمنه، فأقام إلى أن توفي. أكثر شعره الغزل والنسيب، وله مدح وفخر. ولقب بابن قيس الرقيات لانه كان يتغزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن رقية. –وقيل لأبيه قيس الرقيات، لأن له عدة جدات كلهن يسمين رقية.ويقال: إن أباه شبب بثلاث نسوة يسميهن جميعا رقية–. وأخباره كثيرة معجبة. وقيل: اسمه عبد الله. والصواب التصغير. مات نحو سنة 85 هـ.

■ (5) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم. السيد، العالم، أبو جعفر القرشي، الهاشمي، ولد في الحبشة سنة 1 هـ ، وله صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وروى أيضا عن عمه؛ علي، وعن أمه؛ أسماء بنت عميس. حدث عنه أولاده، وآخرون. وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم. وله وفادة على معاوية.ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ. ويقال: سنة 90 هـ.

■ (6) عبد العزيز بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص أمير مصر، أبو الأصبغ المدني ولي العهد بعد أخوه عبد الملك عقد له بذلك أبوه واستقل بملك مصر عشرين سنة وزيادة. وهو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز. ولد سنة 27 هـ ومات بحلوان سنة 85 هـ. وقيل سنة 86 هـ والأول أصح.

■ (4) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله، ولاه أخوه الخليفة عبد الله بن الزبير إمرة العراقين ثم أرمينية أضاف إليه الكوفة، قتل في معركة دير الجثاليق سنة 71 هـ وله 39 سنة ونقلت رأسه إلى عبد الملك وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام.

■ (2) ابن الزبعري. قطبة بن زيد بن سعد بن امرئ القيس الثعلبي، من بني القين بن جسر: شاعر. قال ابن حبيب: كان سيد قضاعة في الجاهلية وأول الاسلام. وأورد أبياتا من شعره.

■ (3) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب: أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق. ولم يكن في قريش أشعر منه. ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه. وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه. ورفع إلى عمر ابن عبد العزيز أنه يتعرض لنساء الحاج ويشبب بهن، فنفاه إلى دهلك ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقا.سنة 93 هـ.

قال الصفدي: قلت: وقوله تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي... البيت، وهو من عويص النحو ومما يمتحن بإعرابه، وذلك أنه لم يجر العقيلة بإضافة خدام إليها، ولا جر العذراء على أنها صفة للعقيلة، وإنما رفعها، ووجه إعرابه: إن الشاعر حذف التنوين من خدام، وهو منون مجرور، والعقيلة العذراء: فاعل تبدي، وتقديره: وتبدي العقيلة العذراء عن خدام، وهو الخلخال. وإنما حذف التنوين لالتقاء الساكنين بينه وبين لام العقيلة، ومثله ما أنشده سيبويه: فألفيته غير مستعتب..ولا ذاكر الله إلا قليلا. فجر الراء ونصب الجلالة لأنه مفعول ذاكر الذي هو اسم فاعل من الذكر، فحذف التنوين لالتقاء الساكنين، ومثله قول الآخر: عمرو الذي هشم الثريد لقومه..ورجال مكة مسنتون عجاف. أراد عمرو الذي بتنوين الراء من عمرو فحذفه لالتقاء الساكنين. ومثله قول الشاعر: فلست بآتيه ولا أستطيعه..ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل. يريد: ولكن اسقني فحذف النون لالتقاء الساكنين.

☪

أتى مصعب بن الزبير بأسارى من أصحاب المختار[1]، فأمر بقتلهم بين يديه، فقام إليه أسير منهم فقال: أيها الأمير، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك المليح الذي يستضاء به فأتعلق بك وأقول: يا رب، سل مصعبا فيم قتلني، فاستحيا مصعب وأمر بإطلاقه، فقال: أيها الأمير، اجعل ما وهبت من حياتي في خفض ودعة من العيش، قال: قد أمرت لك بثلاثين ألف درهم، قال: أشهدك أيها الأمير أن شطر هذا المال لعبد الله بن قيس الرقيات، قال: ولم ذلك؟ قال: لقوله: إنما مصعب شهاب من الله..تجلت عن وجهه الظلماء. فضحك مصعب وقال: اقبض ما أمرنا لك به، ولابن قيس عندنا مثله، فما شعر عبد الله بن قيس إلا وقد وافاه المال.

☪

دخل العجاج[؟] على عبد الملك بن مروان فقال: يا عجاج، بلغني أنك لا تقدر على الهجاء. فقال: يا أمير المؤمنين، من قدر على تشييد الأبنية أمكنه خراب الأخبية. قال: فما يمنعك من ذلك؟ قال: إن لنا عزا يمنعنا من أن نظلم، وإن لنا حاما يمنعنا من أن نظلم، فعلام الهجاء؟ فقال عبد الملك: لكلماتك أشعر من الشعر؛ فأنى لك عز يمنعك من أن تنظم؟ قال: الأدب البارع، والفهم الناصع. قال : فما الحلم الذي يمنعك من أن يظلم؟ قال: الأدب المستطرف، والطبع التالد. قال : يا عجاج، لقد أصبحت حكيما. قال : وما يمنعني وأنا نجي أمير المؤمنين؟ انتهى.

قال أبو إسحاق: وليس كما قال العجاج، بل لكثير من الشعراء طباع تنبو عن الهجاء كالطائي وأضرابه، وأصحاب المطبوع أقدر عليه من أهل المصنوع، إذ كان الهجو كالنادرة التي إذا جرت على سجية قائلها، وقربت من يد متناولها، وكان واسع العطن، كثير الفطن، قريب القلب من اللسان، التهبت بنار الإحسان.

◆ (1) المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، ولد سنة 1 هـ حاكم الكوفة وكان متلونا كذابا يدعو مرة إلى محمد بن الحنفية، ومرة لابن الزبير، حتى ادعى آخرا أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء، فلما تحقق ابن الزبير سوء حاله، بعث أخاه المصعب لحربه، فقدم المصعب البصرة وتأهب منها، واجتمع إليه جيش الكوفة، فسار بهم جميعا وعلى مقدمته عباد بن الحصين، وعلى ميمنته المهلب بن أبي صفرة، وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، فجهز المختار لحربهم أحمر بن شميط، وكيسان فهزمهم مصعب، وقتل أحمر، وكيسان، وقتل من جيش مصعب محمد بن الأشعث الكندي ابن أخت أبي بكر الصديق، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، وقتل من جند المختار عمر الأكبر بن علي بن أبي طالب، ثم سار جيش مصعب فدخلوا الكوفة، وحصروا المختار بقصر الإمارة أياما إلى أن قتله الله في رمضان سنة67 هـ وصفت العراق لمصعب.

◆ (؟) عبد الله بن رؤبة العجاج ت. 90 هـ / رؤبة بن العجاج السعدي ت. 145 هـ؟

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ المحاسن والأضداد/ الوافي بالوفيات/ زهر الأداب وثمر الألباب/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وعمران بن حطان، الشاعر، الخارجي 0380

قال الفرزدق[1]: عمران بن حطان [2] من أشعر الناس، قيل: ولم؟ قال: لأنه لو أراد أن يقول مثلما قلنا لقال، ولسنا نقدر أن نقول مثل قوله. وقف عمران بن حطان على الفرزدق وهو ينشد فقال له: الخفيف: أيها المادح العباد ليعطى..إن لله ما بأيدي العباد..فسل الله ما طلبت إليهم..وارج فضل المهيمن العواد..لا تقل في الجواد ما ليس فيه..وتسمي البخيل باسم الجواد. فقال: الحمد لله الذي شغل عنا هذا ببدعته، ولولا ذلك للقينا منه عنتا. ومن شعر عمران بن حطان: البسيط: يا ضربة من تقي ما أراد بها..إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا..إني لأذكره حينا فأحبسه..أوفى البرية عند الله ميزانا..أكرم بقوم بطون الطير أقبرهم..لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا. فبلغ شعره عبد الملك بن مروان، فأدركته الحمية، فنذر دمه، ووضع عليه العيون والرصد، فلم تحمل عمران ارض حتى أتى روح بن زنباع[5]، فأقام في ضيافته، فسأله: ممن أنت؟ فقال: رجل من الأزد. قال: وكان روح يكون في سمر عبد الملك حين يذهب ليل ثم يجيء إلى منزله، فيجد عمران قائما يصلي، فيدعوه فيحدثه. وكان عمران يحدث روحا بأحسن ما يكون وأعجبه إعجابا شديدا. فلما كان بعد سنة سمر روح عند عبد الملك فتذاكرا شعر عمران بن حطان. فلما انصرف روح دعاه كما كان يدعوه يحدثه، فأخبره بالشعر، فأنشد عمران بقية الشعر. فلما أتى روح عبد الملك قال: إن في ضيافتي رجلا ما سمعت منك حديثا قط إلا حدثني به وأحسن منه، ولقد أنشدته البارحة البيتين اللذين قالهما ابن حطان في ابن ملجم، فأنشدني القصيدة كلها، فقال له عبد الملك: صفه لي، فوصفه، فقال: إنك لتصف صفة عمران بن حطان أو ما لي رأي، اعرض عليه أن يلقاني، قال: نعم، فقال روح لعمران: إني حدثت أمير المؤمنين أنك أنشدتني القصيدة كلها، فسألني أن أصفك له، فوصفتك له، فقال: هذا ابن حطان، اعرض عليه أن يلقاني، قال: معاذ الله، لست به، وأنا لاقيه إذا شئت إن شاء الله، وأصبح من الغد هاربا، وكتب إلى روح رقعة فيها هذه الأبيات: البسيط: يا روح كم من أخي مثوى نزلت به..قد ظن ظنك من لخم وغسان..حتى إذا خفته زايلت منزله..من بعد ما قيل عمران بن حطان..قد كنت ضيفك حولا ما تروعني..فيه طوارق من إنس ولا جان..حتى أردت بي العظمى فأوحشني ... ما يوحش الناس من خوف ابن مروان..فاعذر أخاك ابن زنباع فإن له..في الحادثات هنات ذات ألوان..يوما يمان إذا لاقيت ذا يمن..وإن لقيت معديا فعدناني..لو كنت مستغفرا يوما لطاغية..كنت المقدم في سري وإعلاني..لكن أبت لي آيات مفصلة..عقد الولاية من طه وعمران. ثم خرج حتى أتى الجزيرة، فنزل في ضيافة زفر بن الحارث[3]، فسأله: ممن أنت؟ فقال: من الأوزاع، وكانت له فيهم خؤولة*، فأقام فيهم حولا، فقدم رجل ممن كان معه في ضيافة روح بن زنباع، فعرفه، فقال لزفر: هل تدري من هذا؟ قال: رجل من الأوزاع، قال: بل هو رجل من أزد شنوءة، وقد كان عند روح بن زنباع يعرف بذلك، فقاله له زفر: أزدي مرة وأوزاعي مرة؟! إن لك لقصة، فأعلمناها، فإن كنت طريدا آويناك، وإن كنت خائفا أمناك، وإن كنت فقيرا أغنيناك، فقال عمران: إن الله هو المغني، وهو المؤوي، إنما أنا ابن سبيل، ثم خرج من عنده هاربا، وكتب إليه: البسيط: إن التي أصبحت يعيا بها زفر..أعيا عياها على روح بن زنباع..أمسى يسائلني طورا لأخبره..والناس من بين مخدوع وخداع..حتى إذا انجذبت مني حبائله..كف السؤال ولم يولع بإهلاعي..فاكفف كما كف ورح إنني رجل ... إما صريح وإما فقعة القاع. ثم توجه نحو عمان فلقي بريدا للحجاج بن يوسف [4] في طريقه، فقال له: أبلغ عني الحجاج هذين البيتين: الكامل: أسد علي وفي الحروب نعامة..زبراء تنفر من صفير الصافر..هلا برزت إلى غزالة في الوغى..أم كان قلبك في جناحي طائر..قرعت غزالة قلبه بفوارس..تركت مناظره كأمس الغابر. ولحق بعمان، فوجد بها أصحابا له، وكان عقيد الشراة*، وله عندهم قدر عظيم، فصادف بعمان ما يريد. فأقام بها حياته. ومن شعر عمران: الوافر: لقد زاد الحياة إلي حبا..بناتي أنهن من الضعاف..مخافة أن يذقن الفقر بعدي..وأن يشربن كدرا بعد صاف..وأن يعرين إن كسي الجواري..فتنبو العين عن كوم عجاف..فلولاهن قد سويت مهري..وفي الرحمن للضعفاء كاف.

----

*(الخؤولة) الخال أخو الأم و الخالة أختها ومصدره الخؤولة (الشراة) الخوارج يقال لهم الشراة، وأحدهم شاري، مشتق من شرى الرجل إذا ألح، أو معناه يستشري بالشر،أو من قول الخوارج شرينا أنفسنا لدين الله فنحن لذلك شراة، وقيل أنه من قولهم شاريته أي لاحجته وماريته، وقيل شرى الرجل غضبا إذا استطار غضبا، وقيل لهم هذا لشدة غضبهم على المسلمين.

■ (2) عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي، أبو سماك: ويقال: أبو شهاب ويقال: أبو مقعس ويقال: أبو دلان السدوسي. رأس القعدة، من الصفرية، وخطيبهم وشاعرهم. كان قبل ذلك من رجال العلم والحديث، من أهل البصرة، وأدرك جماعة من الصحابة فروى عنهم، وروى أصحاب الحديث عنه. ثم لحق بالشراة، فطلبه الحجاج، فهرب إلى الشام، فطلبه عبد الملك بن مروان، فرحل إلى عمان، فكتب الحجاج إلى أهلها بالقبض عليه، فلجأ إلى قوم من الازد، فمات عندهم إباضيا وإنما عد من قعدة الصفرية لانه طال عمره وضعف عن الحرب فاقتصر على التحريض والدعوة بشعره وبيانه. وكان شاعرا مفلقا مكثرا، وهو القائل من قصيدة: حتى متى لا نرى عدلا نعيش به ولا نرى لدعاة الحق أعوانا ؟. مات سنة 84 هـ

■ (5) روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، حدث عن أبيه، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وكعب الأحبار، وغيرهم. وعنه ابنه روح بن روح، وشرحبيل بن مسلم، ويحيى الشيباني، وعبادة بن نسي، وجماعة. وكان ذا اختصاص بعبد الملك، لا يكاد يغيب عنه، وهو كالوزير له. ولأبيه زنباع بن روح بن سلامة صحبة، وكان لروح دار بدمشق في طرف البزوريين، أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقال مسلم: له صحبة. ولم يتابع مسلما أحد. وروى ضمرة، عن عبد الحميد بن عبد الله قال: كان روح بن زنباع إذا خرج من الحمام أعتق رقبة. قال ابن زبر: مات سنة 84 هـ.

■ (3) زفر بن الحارث الكلابي الشامي والد مزاحم بن زفر يروي عن عائشة ومعاوية روى عنه ثابت بن الحجاج.كان رسول معاوية إلى عائشة بوقعة صفين. نزل البصرة ثم خرج عنها بعد وقعة الجمل فشهد وقعة المرج مع الضحاك بن قيس وذكر أنه مات في أيام عبد الملك بن مروان نحو سنة 75 هـ

■ (1) همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن طائفة.ولد سنة 38 هـ وتوفي في بادية البصرة، وقد قارب المئة سنة 110 هـ. وقيل 114 هـ كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. يشبه بزهير بن أبي سلمى. وكلاهما من شعراء الطبقة الاولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الاسلاميين. وهو صاحب الاخبار مع جرير والاخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. كان الفرزدق لا ينشد بين يدي الخلفاء والامراء إلا قاعدا، وأراد سليمان بن عبد الملك أن يقيمه فثارت طائفة من تميم، فأذن له بالجلوس! ولقب بالفرزدق، لجهامة وجهه وغلظه.

■ (4) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

☪

وعمران وجماعة من الخوارج ينسبون إلى طائفة منهم يقال لهم الحرورية. وكان عمران أدرك جماعة من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار في آخر أمره أن رأى رأي الخوارج، وكان سبب ذلك أن ابنة عمران رأيت رأي الخوارج، فزوجها ليردها عن ذلك، فصرفته إلى مذهبها، وقيل: إنه تزوج امرأة من الخوراج فغيرته إلى رأي الخوارج، وكانت من أجمل الناس وأحسنهم عقلا، وكان عمران من أسمج الناس وأقبحهم وجها، فقالت له ذات يوم: إني نظرت في أمري وأمرك فإذا أنا وأنت في الجنة، قال: وكيف؟ فقالت: لأني أعطيت مثلك فصبرت، وأعطيت مثلي فشكرت، والصابر والشاكر في الجنة، فمات عنها عمران، فخطبها سويد بن منجوف[1]، فأبت أن تتزوجه، وكان في وجهها خال كان عمران يستحسنه ويقبله فشدت عليه فقطعته، وقالت: والله لا ينظر إليه أحد بعد عمران، وما تزوجت حتى ماتت. وعن المبرد قال: كانت حمرة امرأة عمران جميلة، وذكر مثل هذه الحكاية، فقال لها خجلا، لا بل مثلي ومثلك كما قال الأحوص: البسيط: إن الحسام وإن رثت مضاربه..إذا ضربت به مكروهة قتلا. فإياك والعودة إلى مثل ما قلت مرة أخرى.

■ (1) سويد بن منجوف بن ثور بن عفير السدوسي البصري. كنيته أبو المنهال. عداده في أهل البصرة. رأى عليا وسمع أبا هريرة، ووفد على معاوية. وهو والد علي بن سويد. روى عنه المسيب بن رافع. قال خليفة: توفي سنة 72 هـ. والسدوسي وهو سدوس بن شيبان ابن ذهل بن ربيعة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/

عن الهيثم عن عدي، قال: كان بالمدينة أربعة فتيان، فاصطحبوا على المنادمة وصحيح الإخاء، يتقارضون الشعر، ويتباينون العشق، منهم عمرو بن مرة الحنفي(1)، وصعب بن سفيان الحارثي(2)، وزيد بن سعد التميمي(3)، وسفيان بن الحارث النوفلي(4)؛ وكانوا يغدون كل يوم إلى جوار لعمر بن أبي ربيعة المخزومي(5) للمذاكرة، فعلق كل واحد منهم واحدة منهن وعلقته، حتى فشا أمرهم وبلغ ذلك عمر بن أبي ربيعة، فجمعهن عنهم؛ فاشتد لذلك وجدهم، ونحلت أجسامهم، وتغيرت ألوانهم؛ فاجتمعوا يجيلون الرأي بينهم، فقال بعضهم: ما الرأي إلا الخروج إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نستعديه على الهوى، يصف كل واحد منا ما يلقى في أبيات من الشعر. فتجهزوا وخرجوا حتى قدموا على عبد الملك بن مروان، فوافوه يوم قعد للمظالم، فدخلوا في جملة الناس، فتقدم عمرو بن مرة الحنفي وكان أكبر القوم سنا فرفع إلى عبد الملك قصته، وفيها هذه الأبيات: من الطويل: تغير وجه الأرض إذ غيب البدر..وحالفني الهجران لاسلم الهجر..على غير ذنب كان مني عملته..سوى أنني نوهت: أن غلب الصبر..وأن امرءا يبدي تباريح قلبه..إلى إلفه إذ شفه الشوق والذكر..حقيق بأن يصفو له الود والهوى..ويصرف عنه العيب إذ صرح القدر..فقل يا أمير المؤمنين فإنما..أتيناك كي تقضي إذا وضح الأمر. فأجابه عبد الملك في ظهر قصته: من الطويل: لقد وضحت فيك القضية يا عمرو..وأنت حقيق أن يحل بك الهجر..لأنك أظهرت الذي كان كاتما..ونوهت بالحب الذي ضمن الصدر..فبحت به في الناس حتى إذا بدا..دقيق الهوى ناديت: أن غلب الصبر..فألا بكتمان الهوى مت صابرا..فتهلك محمودا وفي كفك العذر..فلست أرى إذ بحت بالحب والهوى..جزاءك إلا أن يعاقبك البدر. وتقدم زيد بن سعد، فرفع قصته، وفيها: من الطويل: ومالكة للروح مني تطلعت..بناب فؤادي نحوها بالتبسم..فلما رأت في القلب تصوير حبها..أشارت بأنفاس ولم تتكلم..فباح الهوى منها ومني صبابة..بمكنون أسرار الضمير المكتم..فأيقنت أن القلب قد قال: مرحبا..وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم..فأمسكت منها بالرجاء وأمسكت..بأردان قلب مستهام متيم..فقل يا أمير المؤمنين فإنما..إليك رحلنا في الحكومة فاحكم. فأجابه عبد الملك في ظهر قصته: من الطويل: سأحكم يا زيد بن سعد عليكما..وأقضي بحق واجب غير مبهم..ذكرت بأن القلب منك بكفها..وحبك منها في الضمير المكتم..فقد قاسمتك الحب منها فما أرى..سبيلا عليها في الحكومة فاعلم..تمسكت منها بالرجاء وأمسكت..بأردان روح القلب منك المتيم..فأخف هواها في فؤادك لا تبح..به يا بن سعد في الأنام فتصرم..فإن بكتمان الهوى يظفر الفتى..بكل كعاب كالربيب المنعم. ورفع صعب بن سفيان قصته، وفيها: من الطويل: تذكرت أيام الرضى منك في الهوى..على المطل منكم بالعصارة والتعب..وفعل كريم قد يجازى بمثله..إذا نحن أجرينا الهوى غاية الحب..وإحداثك الهجران من بعد صبوة..على غير ما جرم جنيت ولا ذنب..كأني على جمر الغضا من صدودكم.. يقلبني جنبا لظهر على جنب..فقل يا أمير المؤمنين فإنما..أتيناك كي تقضي لقلب على قلب. فأجابه عبد الملك في ظهر قصته: من الطويل: يحكمني صعب وقد شفه الهوى..ولست أرى في الحكم جورا على صعب..لقد جارت الحوراء يا صعب في الهوى..عليك وما أحدثت ذنبا سوى الحب..علام وفيم الصد منها وما أرى..لها سببا يدني إلى سبب العتب..فإن هي لم تقبل عليك بودها..وتلقاك منها بالبشاشة والرحب..فحكمي عليها أن تجازى بفعلها..كذلكم أقضي لقلب على قلب. ورفع سفيان بن الحارث قصته، وفيها أبيات حفظ منها: من الطويل: تبدت بأسباب المودة والهوى..فلما حوت قلبي نبت بصدود..فلو شئت ياذا العرش حين خلقتني..شقيا بمن أهواه غير سعيد..عطفت علي القلب منها برأفة..وإن كان أقسى من صفا وحديد..تعلقت من رأس الرجاء بشعرة..وأمسكت من رأس الحبيب بجيد..فإن يغلب الناس الرجاء ويعتلى..عليه فما مني الردى ببعيد..فقل يا أمير المؤمنين فإنما..تحكم والأحكام ذات حدود. فأجابه عبد الملك في ظهر قصته: من الطويل: أرى الجور منها ظاهر يا بن حارث..وما رأيها فيما أتت بسديد..أمن بعدما صادت فؤادك واحتوت..عليه نبت وجه الهوى بصدود..فلست أرى إلا تألف قلبها..بطول بكاء عندها وسهود..فإن هي لم ترحم بكاءك والتوت..عليك فما منك الردى ببعيد..سأقضي عليها إذ تبين جورها..بتركان حق أو بعطف ودود..بأن تعقب الهجران بالوصل والرضا..على رغم واش في الهوى وحسود..فحكمي عليها أن تقاد بقلبها..لذي صبوة جارت عليه ودود. وكتب عبد الملك بن مروان إلى عمر بن أبي ربيعة أن يخرجهن إليهم، وكتب إلى عامله أن يبتاعهن منه لهم، وأحسن جوائزهم، وصرفهم. رواه عروة عن الهيثم فقال صعب بن سفيان العبسي وسنان بن الحارث الغطفاني ذكر أن وفودهم كان على يزيد بن عبد الملك.

(تعليق: أمثال هذه الروايات والاخبار يتعذر التحقق من أصلها ونسبها؟).

■ (1) عمرو بن مرة الحنفي شاعر من أهل الحجاز، وفد على عبد الملك بن مروان، ويقال: على يزيد بن عبد الملك.

■ (2) صعب بن سفيان الحارثي ويقال القيسي شاعر من أهل الحجاز وفد على عبد الملك بن مروان ويقال على يزيد بن عبد الملك وكتب إليه بأبيات من شعره تقدمت في ترجمة شيبان بن الحارث.

■ (3) زيد بن سعد التميمي شاعر من أهل الحجاز وفد على عبد الملك ويقال على يزيد بن عبد الملك

■ (4) سفيان بن الحارث النوفلي ويقال شيبان بن الحارث الغطفاني شاعر من أهل الحجاز وفد على عبد الملك بن مروان ويقال على يزيد بن عبد الملك وكتب إليه أبياتا من الشعر

■ (5) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب: أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق. ولم يكن في قريش أشعر منه. ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه. وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه. ورفع إلى عمر ابن عبد العزيز أنه يتعرض لنساء الحاج ويشبب بهن، فنفاه إلى دهلك ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقا.سنة 93 هـ

■ (5) يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة الاموية في الشام. ولد في دمشق، وولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز سنة 101 هـ بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك. وكانت في أيامه غزوات أعظمها حرب الجراح الحكمي مع الترك وانتصاره عليهم. وخرج عليه يزيد بن المهلب، بالبصرة، فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله. وكان أبيض جسيما مدور الوجه، مليحه، فيه مروءة كاملة، مع إفراط في الانصراف إلى اللذات. ومات في إربد من بلاد الاردن أو الجولان، سنة 105 هـ بعد موت قينة له اسمها حبابة بأيام يسيرة، وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق، فدفن فيها. وكان لحبابة، هذه، أثر في أحكام التولية والعزل، على عهده. ونقل الديار بكري في تاريخ الخميس أنه: مات عشقا قال: ولا يعلم خليفة مات عشقا غيره. وكان يلقب ب القادر بصنع الله ونقش خاتمه: فني الشباب يا يزيد ! وربما قيل له يزيد بن عاتكة نسبة إلى أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية. ونقل اليافعي أنه لما استخلف قال: سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز، فأتوه بأربعين شيخا شهدوا له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب ! وكانت مدة خلافته أربع سنين وشهرا.

☪

عن الحسن بن البراء، قال: حدثني أبي قال قال عبد الملك بن مروان يوما لحاجبه: هات بدرة، فجاء بها فوضعها بين يديه، وقال لمن حضره من وجوه العرب: أيكم أنشدني صدر هذا البيت: والعود أحمد. فله هذه البدرة. فلم يكن فيهم من يعرفه. فقال لحاجته: أخرج فانظر من بالباب من العرب، وقل لهم من ينشد صدر هذا البيت: والعود أحمد. فله جائزة، ففعل الحاجب، فقام شاب من العرب فقال: أنا، قال الحاجب: فأنشدني، قال: لا، إلا أن أشافعه أمير المؤمنين. فدخل الحاجب فأخبره، فقال عبد الملك: هذا رجل قد طال مقامه بالباب وله حاجة، والله لئن دخل علي ولم ينشدني لأعاقبنه، أدخله. فلما دخل وسلم، قال عبد الملك: أنشدنا صدر بيتنا، فقال: يا أمير المؤمنين، حاجتي. قال: وما هي؟ قال: بنو عم لي باعوا ضيعتهم بالسواد، فأدخلوا ضيعتي في ضيعتهم. قال له عبد الملك: فإن أمير المؤمنين قد رد عليك ضيعتك، فأنشدنا صدر بيتنا. قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قالت تميم إنه بيتها، قال أوس بن حجر: جزينا بني شيبان صاعا بصاعهم..وعدنا بمثل البدء والعود أحمد قال: أخطأت. قال: يا أمير المؤمنين، أبلغني ريقي، قال: قد فعلت، قال: قالت اليمن إنه بيتها، قال امرؤ القيس: فإن كنت قد ساءتك مني خليقة..فعودي كما نهواك فالعود أحمد. قال: أخطأت، قال: يا أمير المؤمنين، قالت ربيعة إنه بيتها، قال المرقش: وأحسن فيما كان بيني وبينه..وإن عاد بالإحسان فالعود أحمد. قال: أصبت، وإنك لظريف، فمن أنت؟ قال: أنا زيد بن عمرو، قال: ممن؟ قال: من حي جانب عجرفية قيس وعنعنة تميم وكشكشة ربيعة وصأصأة اليمن وتأنيث كنانة، أنا امرؤ من عذرة، فأمر له بالبدرة. قال أبو عبيد البكري: البيت الذي أنشده لأوس بن حجر إنما هو لمالك بن نويرة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) وجرير، الشاعر 0382

قال مروان بن أبي حفصة: جلس عبد الملك بن مروان يوما للناس على سرير، وعند رجل السرير محمد بن يوسف[1] أخو الحجاج بن يوسف[2]، وجعل الوفود يدخلون عليه ومحمد بن يوسف يقول: يا أمير المؤمنين هذا فلان، هذا فلان، إلى أن دخل جرير بن الخطفى فقال: يا أمير المؤمنين هذا جرير بن الخطفى[3]، قال فلا حيا الله القاذف المحصنات، العاضة لأعراض الناس، فقال جرير: يا أمير المؤمنين، دخلت فاشرأب الناس نحوي، ودخل قوم فلم يشرأب الناس إليهم، فقدرت أن ذلك لذكر جميل ذكرني به أمير المؤمنين. فقال عبد الملك: لما ذكرت لي قلت: لا حيا الله القاذف المحصنات، العاضة لأعراض الناس. فقال جرير: والله يا أمير المؤمنين، ما هجوت أحدا حتى أخبره غرضي سنة، فإن أمسك أمسكت، وإن أقام استعنت عليه وهجوته. فقال: هذا صديقك أبو مالك سلم عليه هو الأخطل[4]، فاعتنقه وقال: والله يا أمير المؤمنين، ما هجاني أحد كان هجاؤه علي أشد من أمك. قال جرير: صدقت وخنازير أمك. فقال عبد الملك: أحضروا جامعة، فأحضرت، وغمز الوليد[5] الغلام أن تأخر بها. فقال عبد الملك للأخطل: أنشد فأنشد: تأبد الربع من سلمى بأحفار..وأقفرت من سليمى دمنة الدار. حتى ختمها. فقال له عبد الملك: قضينا لك أنك أشعر من مضى ومن بقي.

واستأذنت قيس[6]، عبد الملك في أن ينشد جرير فأبى، ولم يزل مقيما دهرا يلتمس إنشاد عبد الملك، وقيس تشفع له، وعبد الملك يأبى إلى أن أذن له يوما فأنشد: أتصحوا أم فؤادك غير صاح..عشية هم صحبك بالرواح. فقال له عبد الملك: بل فؤادك يا بن اللخناء. فلما انتهى إلى قوله: تعزت أم حزرة ثم قالت..رأيت الموردين ذوي لقاح..تعلل وهي ساغبة بنيها..بأنفاس من الشبم القراح. فقال عبد الملك: لا أروى الله غلمتها. فلما انتهى إلى قوله: ألستم خير من ركب المطايا..وأندى العالمين بطون راح. قال عبد الملك: من مدحنا فليمدحنا هكذا. فلما ختمها أمره بإعادتها، فلما أنشد: أتصحوا أم فؤادك غير صاح........ لم يقل له ما قال في المرة الأولى. فلما ختمها، أمر له بمئة ناقة بأداتها ورعاتها. فقال جرير: يا أمير المؤمنين، اجعلها من إبل كلب – وإبل كلب سود كرام – فأجابه.

حدث محمد بن خطاب الأزدي أن الأخطل أنشد عبد الملك بن مروان وجرير خلفه: وإني لقوام مقاوم لم يكن..جرير ولا مولى جرير يقومها. فقال: أجل، صدق والله إنه ليقوم إلى الخمر فيشربها، وإلى الخنزير فيذبحه، وإلى الصليب فيقبله ويسجد له، وما أفعل ذلك ولا مولاي.

■ (3) أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفي، واسمه حذيفة، والخطفي لقبه، ابن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر التميمي الشاعر المشهور؛ كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل. ولد باليمامة سنة 33 هـ وتوفي سنة 110 هـ.

■ (1) محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج. كان من أشهر الولاة ظل على ولاية اليمن إلى ما بعد وفاة عبد الملك بن مروان قيل إنه كان ظلوما غشوما.كما أنه زاد ضريبة الخراج على الأراضي الزراعية. مات باليمن في رجب سنة 91 هـ

■ (2) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ، كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

■ (4) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب. لقب بالأخطل، شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجبا بأدبه، تياها، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حينا في دمشق وحينا في الجزيرة. توفي سنة 90 هـ

■ (5) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ. وتخلف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه.وكان الوليد اجتهد في خلع سليمان هذا من ولاية العهد وتولية ولده العزيز؛ فامتنع سليمان من ذلك حتى مات الوليد.

■ (6) عبيدالله بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤي: شاعر قريش في العصر الاموي. كان مقيما في المدينة. وقد ينزل الرقة. وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان. ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير، مصعب وعبد الله فأقام سنة. وقصد الشام فلجاء إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل عبد الملك في أمره، فأمنه، فأقام إلى أن توفي. أكثر شعره الغزل والنسيب، وله مدح وفخر. ولقب بابن قيس الرقيات لانه كان يتغزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن رقية. وأخباره كثيرة معجبة. وقيل: اسمه عبد الله. والصواب التصغير. مات نحو 85 هـ

دخل جرير على بشر بن مروان والأخطل جالس عنده، فقال له بشر: أتعرف هذا يا أبا حزرة؟ قال: لا، فمن هو؟ قال الأخطل: أنا الذي شتمت عرضك، وأسهرت ليلك، وآذيت قومك، أنا الأخطل. فقال له جرير: أما قولك: شتمت عرضك، فما يضر البحر أن يشتمه من غرق فيه، وأما قولك: أسهرت ليلك، فلو تركتني أنام لكان خيرا لك، وأما قولك: آذيت قومك، فكيف تؤذي قوما أنت تؤدي لهم الجزية!.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/

قال عبيد الله بن عبد الله بن فضالة الزهراني: نادى منادي الحجاج بن يوسف[1] يوم رسقيا داذ*، أمن الناس كلهم إلا أربعة: عبد الله بن الجارود[2]، وعبد الله بن فضالة[3]، وعكرمة بن ربعي[4]، وعبيد الله بن زياد بن ظبيان[5]. قال: فأتي برأس عبد الله بن الجارود فلم يصدق فرحا به وقال: عمموه لي أعرفه فإني لم أره قط إلا معتما، فعمم له فعرفه. وأما عبيد الله بن زياد فإنه انطلق إلى عمان، فأصابه الفالج بها فمات. وأما عكرمة بن ربعي فإنه لحقته خيل الحجاج في بعض سكك المربد، فعطف عليهم فقتل منهم نيفا وعشرين رجلا ثم قتلوه. وأما عبد الله بن فضالة فإنه أتى خراسان، فلم يزل بها حتى ولي المهلب[6] خراسان، وأمر بأخذه حيث أصابه، وقيل له: أكن ذلك ولا تبده فيحذر، ويحترز، واحرص على أسره دون قتله، فبعث المهلب ابنه حبيبا أمامه، وسار من سوق الأهواز إلى مرو على بغلة شهباء في سبع عشرة ليلة، فأخذه غارا* بمرو وهو لا يشعر. ثم كتب إلى الحجاج يعلمه ذلك، فجاء المغيرة بن المهلب[7] إلى منزل حبة بنة الفضل[8] امرأة عبد الله بن فضالة، وهي ابنة عم عبد الله، فأرسل إليها أن حبيبا قد أخذ عبد الله، وقد كتب إلى الحجاج يعلمه ذلك، فإن كان عندك خير فشأنك، وعولي على المال ما بدا لك، فأرسلت إليه: لا، ولا كرامة، تقتلونه وآخذ منكم المال ؟! هذا ما لا يكون. فتحولت إلى منزل أخيها لأمها خولي بن مالك الراسبي، وأرسلت إلى بني سعد، فاشتري لها باب عظيم، فألقته على الخندق ليلا، ثم جازت عليه فغشي عليها، فلما أفاقت قالت: إني لم أكن أتعب، فمتى أصابني هذا فشدوني وثاقا ثم سيروا بي، فخرجت مع خادمها ودليلها، لا يعلم بها أحد حتى دخلت دمشق على عبد الملك بن مروان، فأتت أم أيوب بنت عمرو (عمر؟) بن عثمان بن عفان، وكانت أمها زينب بنت كعب بن حلحلة الخزاعي. قالت: يا أم أيوب قصدتك لأمر بهظني* وغم كظني*، وأعلمتها الخبر، وقصت عليها القصة، فقالت أم أيوب: قد كنت أسمع أمير المؤمنين يكثر ذكر صاحبك، ويظهر التلظي عليه، قالت: وأين رحلتي إليك ؟ قالت: سأدخلك مدخلا وأجلسك مجلسا إن شفعت ففيه، وإن رددت فلا تنصبي، فلا شفاعة لك بعده، فأجلستها في مجلسها الذي كانت تجلس فيه لدخول عبد الملك ليلا مغترا. فلما دنا أخذت بجانب ثوبه، ثم قالت: هذا مكان العائذ بك يا أمير المؤمنين، ففزع عبد الملك وأنكر الكلام. فقالت أم أيوب: ما يفزعك يا أمير المؤمنين من كرامة ساقها الله إليك ؟ فقال: عذت معاذا، فمن أنت ؟ قالت: تؤمن، يا أمير المؤمنين، من جئتك فيه. من كان من خلق الله، ممن تعرف أو لا تعرف، ممن عظم ذنبه لديك أو صغر شاميا أو عراقيا أو غير ذلك. من الآفاق ؟ قال: نعم هو آمن. قالت: بأمان الله ثم بأمانك يا أمير المؤمنين ؟ قال: نعم، فمن هو أيتها المرأة ؟ قالت: عبد الله بن فضالة، قال: أرسلي ثوبي أنبئك عنه.قالت: أغدرا يا بني مروان ؟ قال: لا، أرسلي ثوبي أحدثك ببلائي عنده وهو آمن لك ولمعاذك. قالت: فحدثني يا أمير المؤمنين ببلائك عنده. قال: ألم تعلمي أني وليته السوس* وجنديسابور* وأقطعته كذا ووهبت له كذا ونوهت بذكره ورفعت من قدره ؟ قالت: بلى والله يا أمير المؤمنين، أفلا أحدثك ببلائه عندك ؟ قال: بلى. قالت: أتعلم أن داره هدمت ثلاث مرار بسببك لا يستر من السماء بشيء؟ قال: نعم. قالت: أفتعلم يا أمير المؤمنين أنك كتبت إلى وجوه أهل البصرة وأشرافها، وكتبت إليه، فلم يكن منهم أحد أجابك ولا أطاعك غيره ؟ قال: نعم. قالت: أفتعلم أنه كان قبل زلته سيفا لك على أعدائك وسلما وبساطا لأوليائك ؟ قال: نعم حسبك، قد أجبت وأبلغت. قالت: أفيذهب يوم من أيامه بصالح أيامه وطاعته وحسن بلائه ؟ قال: لا، هو آمن. قالت: يا أمير المؤمنين إنها الدماء، وإنه الحجاج وإن رآه قتله. قال: كلا. قالت: فالكتاب يا أمير المؤمنين مع البريد. قال: فكتب لها كتابا مؤكدا: إياك وإياه، أحسن جائزته ورفده وخل سبيله، ثم وجه به مع البريد، ثم أقبل عليها فقال: ما أنت منه ؟ قالت: امرأته، وابنة عمه. قال: فضحك وقال: أين نشأت ؟ قالت: في حجر أبيه. قال: فوالله لأنت أعرب وأفصح لسانا، فهل معه غيرك ؟ قالت: نعم، ابنة عبيد بن كلاب وكذا وكذا جارية. قال: فأنا أوليك طلاقها وعتق جواريه قالت: بل تهنئة نساءه كما هنأته* دمه. فأقبل على أم أيوب فقال: يا أم أيوب، لا نساء إلا بنات العم، ثم قال: أقيمي عند أم أيوب حتى يأتيك الكتاب بمحبتك إن شاء الله. وقدم الكتاب، وقد قدم به على الحجاج من خراسان، فأقامه للناس في سراويل، وقد كان نزع ثيابه قبل ذلك وعرضه على الناس في الحديد ليعرفوه. فلما أمسى دعا به الحجاج، فقال له عبد الله: أتأذن في الكلام ؟ قال: لا كلام سائر اليوم. قال: فكساه وحمله وأجازه وخلى سبيله، فانصرف إلى أهله فسألهم عن حبة، فأخبر بأمرها، وقيل: ما ندري أين توجهت، ثم بلغه ما صنعت، فكتب إليها: إنك قد صنعت بنا ما لم تصنعه أنثى، فأعلميني بمقدمك أتلقاك ويتلقاك الناس معي، فلم تعلمه حتى قدمت ليلا وهو عند ابنة عبيد بن كلاب، فقالت: لا والله لا يؤذن* بي الليلة، فلما أصبح أخبر بمكانها فأتاها.

----

* (رسقيا داذ) في مختصر ابن منظور: رسقياداذ. والمثبت عن تاريخ الطبري قال ياقوت: رستقباذ من أرض دستوا زاد الطبري: من كور الاهواز (المربد) بالكسر ثم السكون وفتح الباء الموحدة هو موضع سوق الابل بالبصرة (غارا) أي غافلا (بهظني) أثقلني وأعجزني عنه(كظني) كظه الامر : بهظه وكربه وجهده حتى يعجز عنه (السوس) الشوش: بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام (جنديسابور) بضم أوله وتسكين ثانيه وفتح الدال: مدينة بخوزستان (هنأته) هنأه يهنؤه ويهنئه: أطعمه وأعطاه (لا يؤذن بي) أي لا يعلم بقدومها

■ (8) حبة بنت الفضل من النسوة الفصيحات قدمت دمشق مستأمنة لزوجها عبد الله بن فضالة

■ (4) عكرمة بن ربعي بن عمير التيمي البصري أحد بني تيم الله بن ثعلبة، المعروف بالفياض قدم على عبد الملك بن مروان هاربا من الحجاج، فنزل على يزيد بن أبي النمس الغساني بدمشق، فاستأمن له عبد الملك فأمنه. وقيل: إن الحجاج نادى مناديه يوم رستقياباذ: أمن الناس كلهم إلا أربعة: عبد الله بن الجارود، وعبد الله بن فضالة، وعكرمة بن ربعي، وعبيد الله بن زياد بن ظبيان. فأما عكرمة بن ربعي فإنه لحقته خيل الحجاج في بعض سكك المربد فعطف عليهم، فقتل منهم نيفا وعشرين رجلا ثم قتلوه.

■ (2) عبد الله بن بشر (ابن الجارود) بن عمرو العبدي: سيد نبي عبد القيس في عصره.كان شجاعا صاحب رأي وفصاحة. وهو الذي جمع قومة لقتال الحجاج الثقفي في البصرة وبايع له الناس على إخراج الحجاج من العراق وسؤال عبد الملك بن مروان أن يولي عليهم غيره فكانت وقائع شديدة انتهت بمقتل صاحب الترجمة سنة76 هـ

■ (5) عبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري، أبو مطر: فاتك من الشجعان. كان مقربا من عبد الملك بن مروان. له عليه جرأة ودالة. وكان من قادة تغلب تحت لواء عبد الملك في حربه مع مصعب ابن الزبير. وهو الذي قتل مصعبا وحمل رأسه إلى عبد الملك. ثم خرج على الحجاج مع ابن الجارود عبد الله ابن بشر فلما قتل ابن الجارود انصرف إلى عمان ولجأ إلى ابن الجلندي الازدي، فخافه هذا فدس له السم في بطيخة فمات. سنة75 هـ وفي أمالي ابن الشجري، قال له مالك بن مسمع: أكثر الله في العشيرة مثلك، فقال: سألت ربك شططا!.

■ (6) المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، أبو سعيد البصري، واسم أبي صفرة ظالم بن سارق، ويقال: ابن سراق بن صبح بن كندي، ويقال: كندير بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد، ويقال: الأسد أيضا، بن عمران بن عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. كان المهلب بن أبي صفرة واليا على خراسان من جهة الحجاج. مات سنة 81 هـ أو سنة 82 هـ. وزاد بعضهم: في ذي الحجة بمرو الروذ..

■ (7) المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة الازدي، أبو فراس: أمير، من شجعان العرب المعدودين. استخلفه أبوه على خراسان فمات فيها سنة 82 هـ. قال المبرد في الكامل: كان المغيرة إذا نظر إلى الرماح قد تشاجرت في وجهه، نكس على قربوس سرجه، وحمل من تحتها فبراها بسيفه وأثر في أصحابها، وكان أشد ما تكون الحرب أشد ما يكون تبسما. وكان المهلب يقول: ما شهد معي حربا قط إلا رأيت البشر في وجهه.

■ (1) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

■ (3) عبد الله بن فضالة بن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ؟ الزهراني الازدي ؟

حين تولى عبد الملك خلفا لأبيه لم يكن في يده غير الشام ومصر فقط، وهكذا كانت الأخطار تحيط بدولته من كل جانب في الداخل، فوجد الدولة الإسلامية منقسمة تسودها الفتن والاضطرابات، فهناك ابن الزبير في الحجاز، ودولة بني أمية في الشام، والخوارج الأزارقة بالأهواز، والخوارج (النجدات) بجزيرة العرب، والشيعة بالكوفة في العراق، وفي الخارج كانت الروم تكيد له، وتنتهز فرصة الانقسام لتغير على الحدود في الشمال والغرب، تهديدات من كل اتجاه، فأدرك عبد الملك أنه لابد من توحيد الجهود الإسلامية ضد الأعداء، وبدأ في تجهيز الجيوش، وأحسن معاملة قواده وحاشيته، يكرمهم، ويعطف عليهم، ويزورهم إذا مرضوا، ويحضرهم مجالسه، ويعاملهم كأصدقاء، فكان ذلك من أكبر عوامل نجاحه وانتصاره.

وبحلول عام 74 هـ اجتمعت كلمة الأمة بعد خلاف طويل، وانتهى النزاع حول الخلافة، حتى سمي هذا العام بعام الوحدة، وتمت البيعة لعبد الملك من الحجاز والعراق، كما تمت له من قبل في الشام ومصر، وجاءته أيضا من خراسان، واستردت الدولة الإسلامية مكانتها وهيبتها وسيادتها على الأعداء، واتسعت حدودها بعد أن أضاف إليها عبد الملك أقاليم جديدة؛ حيث أرسل جنوده ففتحوا بعض بلاد المغرب وتوغل فيها.

واتبع عبد الملك سياسة الحزم والشدة، فكان قوي الإرادة والشخصية؛ لذلك قالوا: كان معاوية أحلم وعبد الملك أحزم. وقال أبو جعفر المنصور: كان عبد الملك أشدهم شكيمة وأمضاهم عزيمة، وكان عبد الملك حريصا على نزاهة من يعملون في دولته.. بلغه ذات يوم أن أحد عماله قبل هدية، فأمر بإحضاره إليه، فلما حضر قال له: أقبلت هدية منذ وليتك؟ قال: يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفورة، رعيتك على أفضل حال.. قال: أجب عما سألتك. قال: نعم قد قبلت؛ فعزله عبد الملك. ولم يكن عبد الملك رجل سياسة فحسب، ولكنه كان أديبا يحب الأدباء، ويعقد المجالس الأدبية، وينتقد ما يلقى عليه من الشعر انتقادا يدل على ذوق أدبي رفيع، وقد أظهر عبد الملك براعة في إدارة شئون دولته وتنظيم أجهزتها مثلما أظهر براعة في إعادة الوحدة إلى الدولة الإسلامية، فاعتمد على أكثر الرجال في عصره مهارة ومقدرة وأعظمهم كفاءة وخبرة مثل الحجاج بن يوسف الثقفي وبشر بن مروان وعبد العزيز بن مروان وتفقد عبد الملك أحوال دولته بنفسه، وتابع أحوال عماله وولاته، وراقب سلوكهم، وأنجز أعمالا إدارية ضخمة دفعت بالدولة الإسلامية أشواطا على طريق التقدم. فهو أول من ضرب الدنانير وكتب عليها القرآن، فكتب على أحد وجهي الدنانير ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] وكتب على الوجه الآخر: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وهو ما يعرف في التاريخ بحركة تعريب الدواوين. ورغم شدة وحزم عبد الملك فإنه كان رقيق المشاعر، يخشى الله ويتضرع إليه، خطب ذات مرة، فقال: اللهم، إن ذنوبي عظام، وهي صغار في جنب عفوك يا كريم فاغفرها لي. وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة قيل له: كيف تجدك؟ فقال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام] ومات عبد الملك سنة 86 من الهجرة، وعمره 60 سنة، وصلى عليه ابنه الولي

مراجع: تاريخ دمشق/ لأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ معجم البلدان/ أنساب الأشراف/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/

◆ عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، أبو الملوك (خامس ملوك الدولة الأموية) ورجل من آل صوحان (؟) 0384

قال الآبي: أخبرنا الصاحب كافي الكفاة رحمة الله عليه قال: أخبرنا عبد الله بن محمد، قال: أخبرنا عبد الله بن الحسن، قال: أخبرنا سهل بن محمد قال: أخبرنا عبد الرحمن بن المثنى قال: خطب عبد الملك[1] فلما بلغ إلى العظة قام إليه رجل من آل صوحان. فقال: مهلا مهلا. تأمرون فلا تأتمرون، وتنهون ولا تنتهون، وتعظون ولا تتعظون. أفنقتدي بسيرتكم في أنفسكم أم نطيع أمركم بألسنتكم؟ فإن قلتم: اقتدوا بسيرتنا فإني؟ وكيف وما الحجة؟ وما النصير من الله بإقتداء سيرة الظلمة الفسقة، والجورة الخونة الذين اتخذوا مال الله دولا، وعبيده خولا؟ وإن قلتم: اقبلوا نصيحتنا، وأطيعوا أمرنا، فكيف ينصح لغيره من يغش نفسه؟ أم كيف تجب الطاعة لمن لم تثبت عند الله عدالته؟ وإن قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها، وأقبلوا العظة ممن سمعتموها فعلام وليناكم أمرنا، وحكمناكم في دمائنا وأموالنا؟ أما علمتم أن فينا من هو أنطق منكم باللغات وأفصح بالعظات؟ فتحلحلوا عنها أولا، فأطلقوا عقالها، وخلوا سبيلها يبتدر إليها أل رسول الله صلى الله عليه وعليهم الذين شردتموهم في البلاد، وفرقتموهم في كل واد، وبل تثبت في أيديكم لانقضاء المدة وبلوغ المهلة، وعظم المحنة. إن لكل قائم قدرا لا يعدوه ويوما لا يخطوه، وكتابا معده يتلوه ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف] ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء] قال ثم أجلس الرجل فطلب فلم يوجد.

في رواية خطب عبد الملك بن مروان، فلما بلغ الغلظة قام إليه رجل من آل صوحان فقال: مهلا مهلا يا بني مروان، تأمرون ولا تأتمرون، وتنهون ولا تنهون، وتعظون ولا تتعظون ؛ أفنقتدي بسيرتكم في أنفسكم، أم نطيع أمركم بألسنتكم؟ فإن قلتم : اقتدوا بسيرتنا، فأنى وكيف، وما الحجة، وما المصير من الله ؟ أنقتدي بسيرة الظلمة الفسقة الجورة الخونة، الذين اتخذوا مال الله دولا، وعبيده خولا ؟ وإن قلتم: اسمعوا نصيحتنا، وأطيعوا أمرنا، فكيف ينصح لغيره من يغش نفسه؟ أم كيف تجب الطاعة لم لم تثبت عند الله عدالته ؟ وإن قلتم: خذوا الحكمة من حيث وجدتموها، وأقبلوا العظة ممن سمعتموها ، فعلام وليناكم أمرنا، وحكمناكم في دمائنا وأموالنا ؟ أما علمتم أن فينا من هو أنطق منكم باللغات، وأفصح بالعظات؟ فتخلوا عنها، وأطلقوا عقالها، وخلوا سبيلها، ينتدب إليها آل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين شردتموهم في البلاد، ومزقتموهم في كل واد، بل تثبت في أيديكم لانقضاء المدة، وبلوغ المهلة، وعظم المحنة؛ إن لكل قائم قدرا لا يعدوه، ويوما لا يخطوه، وكتابا بعده يتلوه، ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف] ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء] ثم التمس الرجل فلم يوجد.

■ (1) أبو الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

☪

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب ميز لي أصحاب علي وابدأ بآل صوحان فإنهم مخاريق الكلام قال: أما صعصعة فعظيم الشان عضب اللسان قائد فرسان قاتل أقران يرتق ما فتق ويفتق ما رتق قليل النظير وأما زيد وعبد الله فإنهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان ويغاث بهما البلدان رجلا جد لا لعب معه وأما بنو صوحان فكما قال الشاعر: إذا نزل العدو فإن عندي..أسودا تخلس الأسد النفوسا.

وقف رجل من بني فزارة على صعصعة فأسمعه كلاما منه بسطت لسانك يا بن صوحان على الناس فتهيبوك أما لئن شئت لأكونن لك لصاقا فلا تنطق إلا جددت لسانك بأذرب من ظبة السيف بعضب قوي ولسان علي ثم لا يكون لك في ذلك حل ولا ترحال فقال صعصعة لو أجد غرضا منك لرميت بل أرى شبحا ولا إخال مثالا إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا أما لو كنت كفئا لرميت حصائللك بأذرب من ذلق السنان ولرشقتك بنبال تردعك عن النضال ولخطمتك بخطام يخزم منك موضع الزمام فاتصل الكلام بابن عباس فاستضحك من الفزارى وقال أما لو كلف أخو فزارة نفسه نقل الصخور من جبل شمام إلى الهضاب لكان أهون عليه من منازعة أخي عبد القيس خاب أبوه ما أجهله يستجهل أخا عبد القيس وقواه المريرة ثم تمثل: صبت عليه ولم تنصب من أمم..إن الشقاء على الأشقين مصبوب.

روى المسعودى في مروج الذهب قال عن مصقلة بن هبيرة الشيبانى قال سمعت صعصعة بن صوحان وقد سأله ابن عباس ما السودد فيكم فقال: إطعام الطعام ولين الكلام وبذل النوال وكف المرء نفسه عن السؤال والتودد للصغير والكبير وأن يكون الناس عندك شرعا، قال: فما المروءة؟ قال: أخوان اجتمعا فإن لقيا قهرا وإن كان حارسهما قليل وصاحبهما جليل، محتاجان إلى صيانة مع نزاهة وديانة، قال: فهل تحفظ في ذلك شعرا؟ قال: نعم، أما سمعت قول مرة بن ذهل بن شيبان حيث يقول: إن السيادة والمروءة علقا..حيث السماء من السماك الأعزل..وإذا تقابل مجريان لغاية..عثر الهجين وأسلمته الأرجل..ويجي الصريح مع العتاق معودا..قرب الجياد فلم يجئه الأفكل. في أبيات فقال له ابن عباس: لو أن رجلا ضرب آباط إبله مشرفا ومغربا لفائدة هذه الأبيات ما عنفته، إنا منك يا بن صوحان لعلى علم وحلم واستنباط ما قد عفا من أخبار العرب، فمن الحليم فيكم؟ قال: من ملك غضبه، فلم يفعل وسعي إليه بحق أو باطل فلم يقبل، ووجد قاتل أبيه وأخيه فصفح ولم يقتل، ذلك الحليم يا بن عباس، قال: فهل تجد ذلك فيكم كثيرا؟ قال: ولا قليلا، وإنما وضعت لك أقواما لا تجدهم إلا خاشعين راهبين لله مريدين ينيلون ولا ينالون، فأما الآخرون فإنهم سبق جهلهم حلمهم ولا يبالي أحدهم إذا ظفر ببغيته حين الحفيظة من كان بعد أن يدرك زعمه ويقضي بغيته ولو وتره أبوه لقتل أباه أو أخوه لقتل أخاه، أما سمعت إلى قول ريان بن عمر بن ريان وذلك أن عمرا أباه قتله مالك بن كومة فأقام ريان زمانا ثم غزا مالكا فأتاه في مائتي فارس صباحا وهو في أربعين بيتا فقتله وقتل أصحابه وقتل عمه فيمن قتل، ويقال بل كان أخاه، وذلك أنه كان جاورهم فقيل لريان في ذلك قتلت صاحبنا، فقال: فلو أمي ثقفت بحيث كانوا..لبل ثيابها علق صبيب..ولو كانت أمية أخت عمرو..بهذا الماء ظل لها نحيب..شهرت السيف في الأدنين مني..ولم تعطف أواصرنا قلوب. فقال ابن عباس: فمن الفارس فيكم، حد لي حدا أسمعه منك فإنك تضع الأشياء مواضعها يا بن صوحان؟ قال: الفارس من قصر أجله في نفسه وضغم علي أمله بضرسه وكانت الحرب أهون عليه من أمسه ذلك الفارس إذا وقدت الحروب واشتدت بالأنفس الكروب وتداعوا للنزال وتزاحفوا للقتال وتخالسوا المهج واقتحموا بالسيوف اللجج، قال: أحسنت والله يا بن صوحان إنك لسليل أقوام كرام خطباء فصحاء ما ورثت هذا عن كلالة زدني، قال: نعم، الفارس كثير الحذر مدير النظر يلتفت بقلبه ولا يدير خرزات صلبه، قال: أحسنت والله يا بن صوحان الوصف فهل في مثل هذه الصفة من شعر؟ قال: نعم، لزهير بن جناب الكلبي يرثي ابنه عمرا حيث يقول: فارس تكلأ الصحابة منه..بحسام يمر مر الحريق..لا تراه لدى الوغى في مجال..يغفل الصرب لا ولا في مضيق..من يراه يخله في الحرب يوما..أنه أخرق مضل الطريق. في أبيات فقال له ابن عباس: فأين أخواك منك يا بن صوحان، صفهما لأعرف ورثكم؟ قال: أما زيد فكما قال أخو غني: فتى لا يبالي أن يكون بوجهه..إذا نال خلات الكرام شحوب..إذا ما تراءاه الرجال تحفظوا..فلم ينطقوا العوراء وهو قريب..حليف الندى يدعو الندي فيجيبه..قريبا ويدعوه الندى فيجيب.. يبيت الندى يا أم عمرو ضجيعه..إذا لم يكن في المنقيات حلوب..كأن بيوت الحي ما لم يكن بها..بسابس ما يلفى بهن غريب. في أبيات كان والله يا بن عباس، عظيم المروءة شريف الأخوة جليل الخطر بعيد الأثر كميش العروة أليف الندوة سليم جوانح الصدر قليل وساوس الدهر ذاكرا لله طرفي النهار وزلفا من الليل الجوع والشبع عنده سيان لا ينافس في الدنيا وأقل أصحابه من ينافس فيها يطيل السكوت ويحفظ الكلام وإن نطق نطق بعقام يهرب منه الدعار الأشرار ويألفه الأحرار الأخيار، قال ابن عباس: ما ظنك برجل من أهل الجنة رحم الله زيدا فأين كان عبد الله منه؟ قال: كان عبد الله سيدا شجاعا مؤلفا مطاعا خيره وساع وشره دفاع قلبي النحيزة أحوذي الغريزة لا ينهنهه منهنه عما أراده ولا يركب من الأمر إلا عتاده سمام عدا وباذل قرى صعب المقادة جزل الرفادة أخو إخوان وفتى فتيان وهو كما قال البرجمي عامر بن سنان: سمام عدا بالنيل يقتل من رمى..وبالسيف والرمح الرد ينى يشعب..مهيب مفيد للنوال معود..بفعل الندى والمكرمات مجرب.

في أبيات فقال له ابن عباس: أنت يا بن صوحان باقر علم العرب.

مراجع: تاريخ دمشق/ لأعلام للزركلي/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ جمهرة خطب العرب/ البصائر والذخائر/ نثر الدر/

◆ هشام بن إسماعيل المخزومي (عامل عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، خامس ملوك بني أمية) وسعيد بن المسيب (١) 0385

روى يحيى بن سعيد فقال: كتب هشام بن إسماعيل (والي المدينة) إلى عبد الملك بن مروان، أن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان، إلا سعيد بن المسيب[1] فكتب عبد الملك إلى واليه، أن أعرضه على السيف، فإن مضى على رأيه فاجلده خمسين جلدة، وطف به في أسواق المدينة. فلما قدم الكتاب على الوالي دخل سليمان بن يسار[2]، وعروة بن الزبير[3]، وسالم بن عبد الله[4]، على سعيد بن المسيب. وقالوا: جئناك في أمر؛ قد قدم كتاب عبد الملك أنك إن لم تبايع ضربت عنقك، ونحن نعرض عليك خصالا ثلاثة، فاعطنا إحداهن، فإن الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب، فلا تقل لا ولا نعم. قال سعيد: يقول الناس بايع سعيد بن المسيب، ما أنا بفاعل. قالوا: تجلس في بيتك، ولا تخرج إلى الصلاة أياما. فانه يقبل منك إذا طلبك من مجلسك فلا يجدك. قال سعيد: فأنا أسمع الأذان فوق أذني، حي على الصلاة، ما أنا بفاعل. قالوا: فانتقل من مجلسك إلى غيره، فإنه يرسل إلى مجلسك، فإن لم يجدك أمسك عنك. قال سعيد: أخوف من مخلوق الله!؟، ما أنا متقدم شبراً ولا متأخر. فخرجوا، وخرج إلى صلاة الظهر، فجلس في مجلسه الذي كان فيه، فلما صلى الوالي بعث إليه. فأوتي به. فقال: إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك. قال سعيد: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعتين، بيعة للوليد ومثلها لسليمان في وقت واحد. فلما رأى الوالي أنه لم يجب، أخرجه إلى السدة، فمدت عنقه، وسلت السيوف، فلما رآه قد مضى ثابتا على موقفه، أمر به فجرد فإذا عليه ثياب من شعر، فضربه خمسين سوطا، ثم طاف به أسواق المدينة، فلما ردوه والناس منصرفون من صلاة العصر. قال سعيد: إن هذه الوجوه ما نظرت إليها منذ أربعين سنة!. إذ كان يصلي في الصف الأول، لا تفوته تكبيرة الإحرام، ومنعوا الناس أن يجالسوه، فكان من ورعه رحمه الله، إذا جاء إليه أحد، يقول له قم من عندي، كراهية أن يضرب بسببه.قالوا: ولما ضرب هشام بن إسماعيل سعيداً أقامه في سوق الطعام، فمرت به امرأة فقالت: لقد أقمت يا شيخ مقام خزي. فقال: من مقام الخزي فررت.

عندما ضرب هاشم بن إسماعيل والي المدينة لعبد الملك بن مروان الإمام سعيد بن المسيب لامتناعه عن إعطاء البيعة لولي عهده الوليد وسليمان ضرباً مبرحاً، خمسين سوطاً وطاف به حتى بلغ رأسه الثنية. فلما كروا به قال أين تكرون بي؟ قالوا: إلى السجن. قال: والله لولا أني ظننت أنه الصلب ما لبست هذا التبان أبداً. وعنه رحمه الله أنه قال: أما والله لو علمت انهم لا يزيدونني على الضرب ما لبست لهم تباناً من شعر، إنما تخوفت أن يقتلونني، ولولا أنني ظننت أنه الصلب ما لبست هذا التبان أبدا، قلت تبان أستر من غيره. وفي رواية، دخل أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث[5] فجعل يكلم سعيداً ويقول إنك خرقت به. فقال: يا أبا بكر اتق الله وآثره على سواه. قال: فجعل أبو بكر يردد عليه: إنك خرقت به ولم ترفق. فجعل سعيد يقول: إنك والله أعمى القلب. قال: فخرج أبو بكر من عنده، وارسل إليه هشام بن إسماعيل فقال: هل لان سعيد بن المسيب منذ ضربناه؟ فقال أبو بكر: ما كان أشد لساناً منه منذ فعلت به ما فعلت، فاكفف عن الرجل. ثم أخلى سبيله.

قال عبد الله بن يزيد الهذلي[6]: دخلت على سعيد بن المسيب، وهو في السجن، وقد ذبحت له شاة وجعل إهابها* على ظهره ثم جعلوا له بعده قصباً رطباً يضطجع عليه ويقولون: يذهب بالأثر، فكان كلما نظر إلى عضديه قال: اللهم، انصرني على هشام، فلما كانت سنة تسع وثمانين مات عبد الملك وولي الوليد وكان سيء الرأي في هشام بن إسماعيل فعزله عن المدينة وأمر أن يوقف للناس، فدعا سعيد ولده ومواليه، فقال إن هذا الرجل قد وقف للناس فلا يتعرضن له أحد ولا يؤنبنه بكلمة، فقد تركنا مجازاته لله وللرحم، وإن كان ما علمته لسيء النظر لنفسه، فأما كلامه فلا أكلمه أبداً.

----

*(أخوف من مخلوق الله!؟) في رواية قال: أفرقا من مخلوق.(الأهب) جمع إهاب، وهو الجلد

■ (1) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع: عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة.قيل توفي سنة 94 هـ وقيل سنة 93 هـ وقيل سنة 91 أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم: فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ

■ (4) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبا عمر. وكان أشبه أولاد أبيه به.وأحد فقهائها السبعة. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. توفي سنة 106 هـ. وقيل سنة 108 هـ.

■ (6) عبد الله بن يزيد بن فنطس(قنطش / قنطس/ قسط؟)، الهذلي، مديني.قيل: يكنى أبا يزيد.سمع السائب بن يزيد، وسعيد بن المسيب، ورأى أنسا، وعمر بن عبد العزيز. روى عنه الثوري، وحاتم بن إسماعيل. كان يتهم بالزندقة.[الوفاة: 141 – 150 هـ] وقيل سنة 149 هـ

■ (2) أبو أيوب سليمان بن يسار مولى أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، أحد فقهاء المدينة السبعة من التابعين. ولد سنة34 هـ وتوفي سنة 107 هـ

■ (3) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة من التابعين. ولد سنة 23 هـ كان عالما بالدين، صالحا كريما، لم يدخل في شئ من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين. وعاد إلى المدينة فتوفي فيها سنة 93 هـ. وهو أخو عبد الله بن الزبير لابيه وأمه.

■ (5) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام تابعي، وأحد فقهاء المدينة السبعة من التابعين، ولد سنة 23 هـ وتوفي سنة 94 هـ

☪

تلك من إساءات الحكام في تطبيق الإسلام، إن البيعة لا تؤخذ من الأمة بالقوة أو الإكراه، ولا بضرب السياط على الظهور، ولا باعتقال وحبس المعرضين عنها، وإنما تؤخذ عن رضا الأمة وموافقتها، لأن البيعة هي الطريقة الشرعية في نصب الحاكم وهي طريقة التعبير عن رضا الأمة عن الحاكم المنتخب فإذا قرر هذا شرعاً ومثله قد قرر أن الحاكم هو نائب عن الأمة في تنفيذ الإسلام ووكيل عنها في الحكم، فكيف يباح استعمال القوة بأشكالها في سبيل إقرار هذه البيعة لتحقيق شرعية النيابة والوكالة. (اللهم أنصرني من هاشم) تلك دعوة مظلوم على ظالم. ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب. فاستجاب الله تعالى هذه الدعوة، وأزال سلطان هشام ومن ولاه. فليحذر الظالمون من دعوة المظلومين، بذلك نطق الصادق الصدوق صلى الله عليه وسلم. أيها الإخوة، باقية خالدة ألقاها عالمنا الجليل سعيد بن المسيب، ومضى إلى ربه قائما بالحق، نسأل الله أن يحسن عاقبته. نعم، أخوف من مخلوق الله!؟ ما أنا متقدم شبراً ولا متأخر. فيا أيها الثابتون على الحق مزيدا من الثبات، ولم الفرق أخوف من مخلوق !؟ ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب] كلا وحاشا وقد أخذ عليكم العهد﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران] فمضوا على طريق الحق، وليكن شعارنا وزادنا: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة] أعلمت أخي القارئ أن كل جرم، سيد التابعين ابن المسيب في نظر عبد الملك بن مروان أنه لم يبايع ولي عهده ولأنه امتنع عنها لوجود نص شرعي يحفظه، فهو حجة عليه يوم القيامة. وتلك إساءة عبد الملك ومظلمة سجلها عليه التاريخ وأنكرتها عليه الأمة وغضب عليه رب العالمين، ومن ينجو من عقاب هذه المظالم، وسيقال له يوم القيامة: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات] نعم سيسأل كل حاكم عما اجترحه من سيئات ومظالم في حق امته، ولو كان (عموما) مطبقاً للإسلام، منفذاً لأحكام القرآن حامياً للثغور، مدافعاً عن بيضة المسلمين كعبد الملك. وكيف تكون المسؤولية والمحاسبة حين لا يكون الحاكم كذلك.؟ لا شك أن المسؤولية اليوم أعظم والمحاسبة يجب أن تكون اشد، إذ حكام الأمس الذين ذكرتهم في هذا الكتاب كالملائكة بالنسبة لحاكم اليوم!. يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما نحن دعاة وهداة لا طغاة ولا جباة، وعن قتادة، عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ أَحَفَظَ أَمْ ضَيَّعَ؟﴾ فويل لكم يا طغاة العرب وويل لأعوانكم. نعوذ بالله من غضب الله. اللهم ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس]

☪

قيل لسعيد بن المسيب يوم الحرة: بايع ليزيد على أنك عبد قن فقال: أنا أبايع على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر، وعلى أني ابن عمه، فأراد مسلم بن عقبة قتله، فشهد له قوم أنه مجنون، فخلى سبيله.

قال علي بن محمد المدائني : أراد عبد الملك بيعة الوليد قبل أمر ابن الأشعث، لأن الحجاج بعث في ذلك عمران بن عصام، فلما أبى أخوه عبد العزيز بن مروان أعرض عبد الملك عما أراد حتى مات عبد العزيز، ولما أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز ويبايع لابنه الوليد كتب إلى أخيه: إن رأيت أن تصير هذا الأمر لابن أخيك! فأبى، فكتب إليه: فاجعلها له من بعدك، فإنه أعز الخلق على أمير المؤمنين فكتب إليه عبد العزيز: إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد، فقال عبد الملك: اللهم إن عبد العزيز قطعني فاقطعه فكتب إليه عبد الملك: احمل خراج مصر فكتب إليه عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، إني وإياك قد بلغنا سنا لم يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلا، وإني لا ادري ولا تدري أينا يأتيه الموت أولا! فإن رأيت إلا تغثث* علي بقية عمري فافعل. فرق له عبد الملك وقال: لعمري لا أغثث عليه بقية عمره، قال لابنيه: إن يرد الله أن يعطيكموها لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك. وقال لابنيه: الوليد وسليمان: هل قارفتما حراما قط؟ قالا: لا والله، قال: الله أكبر، نلتماها ورب الكعبة! قال: فلما أبى عبد العزيز أن يجيب عبد الملك إلى ما أراد، قال عبد الملك: اللهم قد قطعني فاقطعه، فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام: رد على أمير المؤمنين أمره، فدعا عليه، فاستجيب له.

قال: وكتب الحجاج إلى عبد الملك يشير عليه أن يستكتب محمد بن يزيد الأنصاري[1]، وكتب إليه: إن أردت رجلا مأمونا فاضلا عاقلا وديعا مسلما كتوما تتخذه لنفسك، وتضع عنده سرك، وما لا تحب أن يظهر، فاتخذ محمد بن يزيد فكتب إليه عبد الملك: احمله إلي فحمله، فاتخذه عبد الملك كاتبا قال محمد: فلم يكن يأتيه كتاب إلا دفعه إلي، ولا يستر شيئا إلا أخبرني به وكتمه الناس، ولا يكتب إلى عامل من عماله إلا أعلمنيه، فإني لجالس يوما نصف النهار إذا ببريد قد قدم من مصر، فقال: الإذن على أمير المؤمنين قلت: ليست هذه ساعة اذن، فأعلمني ما قد قدمت له، قال: لا قلت: فإن كان معك كتاب فادفعه إلي قال: لا، قال: فأبلغ بعض من حضرني أمير المؤمنين، فخرج فقال: ما هذا؟ قلت: رسول قدم من مصر، قال: فخذ الكتاب، قلت: زعم أنه ليس معه كتاب، قال: فسله عما قدم له، قلت: قد سألته فلم يخبرني، قال أدخله، فأدخلته، فقال: أجرك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز! فاسترجع وبكى ووجم ساعة ثم قال: يرحم الله عبد العزيز! مضى والله عبد العزيز لشأنه، وتركنا وما نحن فيه، ثم بكى النساء وأهل الدار، ثم دعاني من غد، فقال: إن عبد العزيز رحمه الله قد مضى لسبيله، ولا بد للناس من علم وقائم يقوم بالأمر من بعدي، فمن ترى؟ قلت: يا أمير المؤمنين، سيد الناس وأرضاهم وأفضلهم الوليد بن عبد الملك، قال: صدقت وفقك الله! فمن ترى أن يكون بعده؟ قلت: يا أمير المؤمنين، أين تعدلها عن سليمان فتى العرب! قال: وفقت، أما إنا لو تركنا الوليد وإياها لجعلها لبنيه، اكتب عهدا للوليد وسليمان من بعده، فكتبت بيعة الوليد ثم سليمان من بعده فغضب علي الوليد فلم يولني شيئا حين أشرت بسليمان من بعده. قال علي، عن ابن جعدبة: كتب عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي أن يدعو الناس لبيعة الوليد وسليمان، فبايعوا غير سعيد بن المسيب، فإنه أبى، فضربه هشام ضربا مبرحا وألبسه المسوح، وسرحه إلى ذباب– ثنية بالمدينة كانوا يقتلون عندها ويصلبون فظن أنهم يريدون قتله، فلما انتهوا به إلى ذلك الموضع ردوه، فقال: لو ظننت أنهم لا يصلبوني ما لبست سراويل مسوح، ولكن قلت: يصلبونني فيسترني وبلغ عبد الملك الخبر، فقال: قبح الله هشاما! إنما كان ينبغي أن يدعوه إلى البيعة، فإن أبى يضرب عنقه، أو يكف عنه.

----

*(تغثث) في الطبري: لا تغثث، وفي ابن الاثير: لا تفسد. في البداية ونهاية: تعتب.

■ (1) محمد بن يزيد الأنصاري مولاهم البصري. قدم دمشق واستكتبه عبد الملك بن مروان كان في صحابة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وولي أفريقيا.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ مسند أحمد/ صحيح مسلم/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ تاريخ الطبري/ صحيح أبن حبان/

◆ هشام بن إسماعيل المخزومي (عامل عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، خامس ملوك بني أمية) وسعيد بن المسيب (٢) 0386

قال أبو الزناد: رمقت سعيد بن المسيب[1] بعد جلد هشام بن إسماعيل إياه، فما رأيته يفوته في سجود ولا ركوع، ولا زال يصلي معه بصلاته. وكان سعيد بن المسيب لا يقبل بوجهه على هشام بن إسماعيل[2] إذا خطب في الجمعة، فأمر به هشام بعض أعوانه أن يعطفه عليه إذا خطب، فأهوى العون يعطفه، فأبى سعيد، فأخذه حتى عطفه، فصاح سعيد: يا هشام، إنما هي أربع بعد أربع فلما انصرف هشام قال: ويحكم جن سعيد. فسئل سعيد: أي شيء أربع بعد أربع؟ سمعت في ذلك شيئاً ؟ قال: لا، قيل: فما أردت بقولك ؟ قال: إن جاريتي لما أردت المسجد قالت: إني أريت كأن موسى غطس عبد الملك في البحر ثلاث غطسات فمات في الثالثة، فأولت أن عبد الملك بن مروان مات، لأن موسى بعث على الجبارين بقتلهم، وعبد الملك جبار هذه الأمة. قال: فلم قلت: أربع بعد أربع؟ قال: مسافة مسير الرسول من دمشق إلى المدينة بالخبر. فمكثوا ثمان ليال ثم جاء رسول بموت عبد الملك.

كان سعيد المذكور سيد التابعين من الطراز الأول، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع، سمع سعد بن أبي وقاص الزهري وأبا هريرة. قال عبد الله بن عمر لرجل سأله عن مسألة: أيت ذاك فسله، يعني سعيدا، ثم ارجع إلي وأخبرني، ففعل ذلك وأخبره، فقال: ألم أخبركم أنه أحد العلماء، وقال أيضا في حقه لأصحابه: لو رأى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسره. وكان قد لقي جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وسمع منهم، كما لزم عمر بن الخطاب في صباه، حتى سُمّي راوية عُمر، لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته، فكان عبد الله بن عمر يُرسل إلى ابن المسيب يسأله عن بعض شأن عمر وأمره. وأخذ عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثر روايته المسند عن أبي هريرة، وكان زوج ابنته. وسئل الزهري و مكحول: من أفقه من أدركتما فقالا: سعيد بن المسيب؛ وروي عنه أنه قال: حججت أربعين حجة؛ وعنه أنه قال: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة، لمحافظته على الصف الأول، وقيل إنه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة وكان يقول: ما أعزت العباد نفسها بمثل طاعة الله، ولا أهانت نفسها بمثل معصية الله، ودعي إلى نيف وثلاثين ألفا ليأخذها فقال: لا حاجة لي فيها ولا في بني مروان، حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم.

----

(1) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع: عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة.قيل توفي سنة 94 هـ وقيل سنة 93 هـ وقيل سنة 91 أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم: فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ

(2) هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة حمو عبد الملك بن مروان (كانت بنت هشام بن إسماعيل زوجة عبد الملك، وأم ابنه هشام) وأميره على المدينة، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد، توفي في حدود 90 هـ.

قال الواقدي: حدثني عبد الله بن جعفر عن حبيب بن نفيع قال: جلست إلى سعيد بن المسيب يوماً والمسجد خال، فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد إني رأيت في النوم كأني أخذت عبد الملك بن مروان فوتدت في ظهره أربعة أوتاد، قال: ما أنت رأيت ذلك، فأخبرني من رآه، قال أرسلني إليك ابن الزبير بهذه الرؤيا لتعبرها، فقال: إن صدقت الرؤيا قتل عبد الملك عبد الله بن الزبير، وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة، قال: فرحلت إلى عبد الملك فدخلت عليه وهو في الخضراء فأخبرته الخبر فسر به، وسألني عن سعيد بن المسيب وحاله، وسألني عن ديني فقلت أربعمائة دينار فأمر لي بأربعمائة دينار من ساعته وبمائة دينار أخرى وحملني طعاماً وزيتاً وكسى ثم رجعت إلى المدينة.

جاء رجل إلى سعيد بن المسيب وهو مريض فسأله عن حديث وهو مضطجع، فجلس فحدثه. فقال له ذلك الرجل: وددت أنك لم تتعن فقال إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع. وكان عمر بن عبد العزيز يقول: ما كان عالم بالمدينة إلا يأتيني بعلمه وأوتى بما عند سعيد بن المسيب. قال سعيد بن المسيب لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لكي لا تحبط أعمالكم الصالحة. وعن يزيد بن حازم قال: كان سعيد بن المسيب يسرد الصوم. وعن برد مولى ابن المسيب قال ما نودي بالصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد. وقال يزيد بن أبي يزيد: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام –وكان أعلم الناس– فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع.

مراجع: بغية الطلب في تاريخ حلب/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ صفة الصفوة/

◆ نافع بن أبي علقمة الكناني، أمير مكة (عامل عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، خامس ملوك بني أمية) وعكرمة بن خالد 0387

حدث عكرمة بن خالد[1] أنه دخل على نافع بن أبي علقمة الكناني[2]،وهو أمير على مكة يعوده فرآه ثقيلا، فقال له: اتق الله وأكثر ذكره، فولى بوجهه إلى الجدار فلبث ساعة ثم أقبل علي، فقال: يا أبا خالد ما أنكر ما تقول، فلوددت أني كنت عبدا مملوكا لبني فلان من كنانة أشقى أهل بيت من كنانة، وأني لم أل من هذا العمل شيئا قط. في رواية عن عمر بن يونس اليمامي حدثني أبي حدثنا عكرمة بن خالد أنه دخل على نافع بن أبي علقمة الكناني وهو أمير على مكة وأنه عاده وهو مريض فرآه ثقيلا، فقال له عكرمة: اتق الله وأكثر ذكره فإن الله جعل لك مالا فأوص فيه كما أمر الله عز و جل فإنه يصيب ذا الرحم والمسكين وفي سبيل الله، فلما قلت له ذاك ولى بوجهه إلى الجدار، فلبث ساعة، ثم قبل علي فقال: يا أبا خالد، ما أنكر ما تقول ولوددت أني كنت عبدا مملوكا لبني فلان من كنانة أسقيهم الماء وأني لم آل من هذا العمل شيئا قط.

■ (1) عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر المخزومي القرشي. يروى عن بن عمر وهو الذي يروي عن سعيد بن جبير عداده في أهل مكة روى عنه حنظلة بن أبي سفيان وابن جريج . مات قبل العشرين ومائة، وقيل توفي بعد عطاء بن أبي رباح بيسير سنة114 هـ أو 115 هـ . أما عكرمة بن خالد بن سلمة بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، فهو ولد ابن عم عكرمة بن خالد. وهو ضعيف مقل، أدركه مسلم بن إبراهيم.

■ (2) نافع بن أبي علقمة الكناني، أمير على مكة، هو نافع بن علقمة بن صفوان بن محرث الكناني كان عبد الملك بن مروان أمره على مكة وله قصة مع أبان بن عثمان ذكرها الزبير بن بكار في الموفقيات وهو خال مروان والد عبد الملك فإن أم مروان هي أم عثمان آمنة بنت علقمة بن صفوان المذكور ولم أر لعلقمة ذكرا في الصحابة فكأنه مات قبل أن يسلم فيكون لولده نافع صحبة فإن بني كنانة كانوا بالقرب من مكة ولم يبق بالحجاز أحد إلا أسلم وشهد حجة الوداع. (وأما نافع بن عبد الحارث فهو صحابي، ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مكة والطائف).

عن سالم بن أبي الجعد، قال: قال أبو الدرداء: ما لي أرى علماءكم يذهبون، ولا أرى جهالكم يتعلمون، ما لي أراكم تحرصون على ما قد تكفل لكم وتدعون ما أمرتم به، تعلموا قبل أن يرفع العلم، ورفع العلم ذهاب العلماء، لأنا أعلم بشراركم من البيطار بالفرس الذين لا يأتون الصلاة إلا دبرا، ولا يقرؤون القرآن إلا جهرا، ولا يعتق محمودهم. وعن ابن عباس ورفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفًا وَإِنْ أَشْرَفَ الْمَجَالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ بِهِ الْقِبْلَةُ وَإِنَّمَا يُجَالَسُونَ بِالأَمَانَةِ وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ إِلاَّ أُنَبِّئُكُمْ بِشِرَارِكُمْ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ مَنْ نَزَلَ وَحْدَهُ وَجَلَدَ عَبْدَهُ وَمَنَعَ رِفْدَهُ أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍ مِنْ هَذَا قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍ مِنْ هَذَا قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ الَّذِي لاَ يَقِيلُ عَثْرَةً ، وَلاَ يَغْفِرُ ذَنْبًا قَالَ أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍ مِنْ هَذَا قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ مَنْ لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ ، وَلاَ يُؤْمَنُ شَرُّهُ وَإِنْ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَكَلَّمُوا بِالْحِكْمَةِ عِنْدَ الْجُهَّالِ فَتَظْلِمُوهَا، وَلاَ تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ، وَلاَ تَظْلِمُوا، وَلاَ تُكَافِئُوا ظَالِمًا فَيَبْطُلَ فَضْلُكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا الأَمْرُ ثَلاثَةٌ أَمْرٌ بَيِّنٌ رُشْدُهُ فَاتَّبِعُوهُ وَأَمْرٌ بَيِّنٌ زَيْغُهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَأَمْرٌ اخْتُلِفَ فِيهِ فَرَدُّوهُ إِلَى اللهِ﴾ وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَخِيَارُكُمْ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَشِرَارُكُمْ الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْبَاغُونَ الْبُرَآءَ الْعَنَتَ﴾ (الباغون) جمع باغ وهم المتمنون. (البرآء) جمع بريء وهو البعيد عن التهم. (العنت) المشقة والفساد والهلاك والإثم والغلط والزنا والحديث يحتمل كلها. عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنِ اتَّقَاهُ النَّاسُ يَعْنِي لِفُحْشِهِ﴾ و أن من شرار الناس من اتقاه الناس لشره. وعن ابن عباس: ﴿أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولُ اللهِ قَالَ: مَنْ أَبْغَضَ النَّاسَ وَأَبْغَضَهُ النَّاسُ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بَشَرٌ مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولُ اللهِ قَالَ: الَّذِي لَا يُقِيلُ عَثْرَةً وَلَا يَقْبَلُ مَعْذِرَةً وَلَا يَغْفِرُ ذَنْبًا ثُمَّ قَالَ:أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بَشَرٌ مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولُ اللهِ قَالَ: مَنْ لَا يُؤْمِنُ شَرّه وَلَا يُرْجَى خَيْرُهُ﴾ قال أبو الدرداء إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم. وعن أبي قلابة أن أبا الدرداء مر على رجل قد أصاب ذنبا فكانوا يسبونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب* ألم تكونوا مستخرجيه قالوا: بلى قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم، قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي. وعن قتادة قال: أخيار أمرائكم الذين يحبون قراءكم وشراركم الذين يحبون أمراءكم.

----

* (القليب) اسم بئر يقع في غزوة بدر. وقال ابن الأثير: القليب: البئر التي لم تطو ويذكر ويؤنث.

مراجع: سراج الملوك/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح معجم ابن الأعرابي/ كنز العمال/ الثقات لابن حبان/ وفيات الأعيان/ المتمنين/ الإصابة في تمييز الصحابة/

◆ بشر بن مروان، أمير الكوفة والبصرة (عامل لأخوه عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، خامس ملوك بني أمية) ورجل 0388

قال الأصمعي[1]: أنشدت يونس بن حبيب[2] يوما: من البسيط: إن الرياح لتمسي وهي فاترة..وجود كفك قد يمسي وما فترا. فقال لي يونس: من يقول هذا؟ قلت: الفرزدق[3]، قال: ويحك! فيمن؟ قلت: في بشر بن مروان[4]، فقال: قد كان، والله، الفرزدق من مداحي العرب. كان بشر بن مروان بن الحكم إذا ضرب البعث على أحد من جنده، ثم وجده قد أخل بمركزه، أقامه على كرسي، ثم سمر يديه في الحائط، ثم انتزع الكرسي من تحت رجليه، فلا يزال يتشحط حتى يموت. وإنه ضرب البعث على رجل حديث عهد بعرس ابنة عمه، فلما صار في مركزه كتب إلى ابنة عمه كتابا ثم كتب في أسفله: من البسيط: لولا مخافة بشر أو عقوبته..وأن يرى حاسد كفي بمسمار..إذا لعطلت ثغري ثم زرتكم..إن المحب إذا ما اشتاق زوار. فورد الكتاب على ابنة عمه، فأجابته وكتبت في أسفله: ليس المحب الذي يخشى العقاب ولو..كانت عقوبته في فجوة النار..بل المحب الذي لا شيء يفزعه..أو يستقر ومن يهواه في الدار (؟). فلما قرأ كتابها قال: لا خير في الحياة بعدها، فأقبل حتى دخل المدينة، فأتى بشر بن مروان في وقت غذائه، فلما فرغ من غذائه أدخل عليه، فقال: ما الذي دعاك إلى تعطيل ثغرك، أما سمعت نداءنا وإيعادنا !؟ فقال له: اسمع عذري، فإما عفوت وإما عاقبت، قال: ويلك وهل لمثلك من عذر! فقص عليه قصته وقصة ابنة عمه، فقال: أولى لك، ثم قال: يا غلام حط اسمه من البعث، وأعطه عشرة آلاف درهم. الحق بابنة عمك.

ولما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير[5]، ودخل الكوفة، صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني قد استعملت عليكم رجلا من أهل بيت لم يزل الله عز وجل يحسن إليهم في ولايتهم، أمرته بالشدة والغلظة على أهل المعصية، وباللين على أهل الطاعة، فاسمعوا وأطيعوا، وهو بشر بن مروان، وخلفت معه أربعة آلاف من أهل الشام، منهم روح بن زنباع الجذامي[6]، ورجاء بن حيوة الكندي[7]. وكان بشر يشرب بالليل وينادم قوما من أهل الكوفة، فقال لندمائه ليلة: إن هذا الجذامي يمنعني من أشياء أريد أن أعطيكموها. فقال له رجل مولى لبني تميم: أنا أكفيكه. فكتب على باب القصر ليلا: من البسيط: إن ابن مروان قد حانت منيته..فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع..إن الدنانير لا تغني مكانكم..إذا نعاك لأهل الرملة الناعي. فلما أصبحوا قرأ ذلك الناس، فبلغ ذلك روحا؛ فجاء إلى بشر فقال: ائذن لي فإن أهل العراق أصحاب توثب، فجعل بشر يتمنع عليه وهو يشتهي أن يخرج، فأذن له. فلما قدم على عبد الملك جعل يخبره عن أهل العراق فيقول له عبد الملك: هذا من جبنك يا أبا زرعة، فاستخلف عبد الملك على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العيص بن أمية[8]، ثم عزله وولى بشر بن مروان البصرة مع الكوفة؛ فأتاه الكتاب بولاية البصرة وهو يشرب الدواء الكبير، فقال له الأطباء: إن هذا دواء نريد أن تودع نفسك بعده، فلا تخرج، فأبى، فلما دنا من البصرة تلقاه فيمن لقيه الحكم بن الجارود[9]، فقال له: مرحبا وجعله عن يمينه، ثم لقيه الهذيل بن عمران البرجمي[10] فرحب به وجعله عن يساره؛ ثم لقيه المهلب[11]، فلما رآه يسير بينهما فقال: هذان شاهدان، وأميرنا صاحب شراب. فلم يلبث بالبصرة إلا أشهرا حتى مات. فضره ذلك الدواء.

ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشر بن مروان العراقين كتب إليه بشر حين وصل: أما بعد، يا أمير المؤمنين فإنك قد أشغلت إحدى يدي وهي اليسرى، وبقيت اليمنى فارغة لا شيء فيها. قال: فكتب إليه: فإن أمير المؤمنين قد شغل يمينك بمكة والمدينة والحجاز واليمن. قال: فما بلغه الكتاب حتى وقعت القرحة في يمينه. فقيل له: تقطعها من مفصل الكف، فجزع، فما أمسى حتى بلغت المرفق، فأصبح وقد بلغت الكتف، وأمسى وقد خالطت الجوف. فكتب إليه: أما بعد يا أمير المؤمنين، فإني كتبت إليك وأنا في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، وقال: من الطويل: شكوت إلى الله الذي قد أصابني..من الضر لما لم أجد لي مداويا..فؤاد ضعيف مستكين لما به..وعظم بدا خلوا من اللحم عاريا..فإن مت يا خير البرية فالتمس..أخا لك يغني عنك مثل غنائيا..يواسيك في السراء والضر جهده..إذا لم تجد عند البلاء مواسيا. قال: فجزع عليه، وأمر الشعراء فرثوه.

■ (4) بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الاموي. أمير، كان سمحا جوادا. ولي إمرة العراقين البصرة والكوفة لاخيه عبد الملك سنة 74 هـ. وهو أول أمير مات بالبصرة سنة 75 هـ توفي عن نيف وأربعين سنة.

■ (3) همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن طائفة.ولد سنة 38 هـ وتوفي في البصرة سنة 110 هـ.

■ (2) يونس بن حبيب الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن، ويعرف بالنحوي: علامة بالادب، كان إمام نحاة البصرة في عصره. وهو من قرية جبل بفتح الجيم وضم الباء المشددة، على دجلة، بين بغداد وواسط. أعجمي الاصل. أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من الائمة. قال ابن النديم: كانت حلقته بالبصرة، ينتابها طلاب العلم وأهل الادب وفصحاء الاعراب ووفود البادية. وقال أبو عبيدة: اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحي من حفظه. وقال ابن قاضي شهبة: هو شيخ سيبويه الذي أكثر عنه النقل في كتابه. مات سنة 182 هـ

■ (1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، له تصانيف كثيرة فى اللغة والشعر منها الأصمعيات. ولد في البصرة سنة 122 هـ وتوفي سنة 216 هـ .كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان هارون الرشيد يسميه شيطان الشعر. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

■ (5) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله، ولاه أخوه الخليفة عبد الله بن الزبير إمرة العراقين ثم أرمينية أضاف إليه الكوفة، قتل في معركة دير الجثاليق سنة 71 هـ وله 39 سنة ونقلت رأسه إلى عبد الملك وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام.

■ (6) روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، حدث عن أبيه، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وكعب الأحبار، وغيرهم. وعنه ابنه روح بن روح، وشرحبيل بن مسلم، ويحيى الشيباني، وعبادة بن نسي، وجماعة. وكان ذا اختصاص بعبد الملك، لا يكاد يغيب عنه، وهو كالوزير له. ولأبيه زنباع بن روح بن سلامة صحبة، وكان لروح دار بدمشق في طرف البزوريين، أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقال مسلم: له صحبة. ولم يتابع مسلما أحد. وروى ضمرة، عن عبد الحميد بن عبد الله قال: كان روح بن زنباع إذا خرج من الحمام أعتق رقبة. قال ابن زبر: مات سنة 84 هـ.

■ (8) خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو أمية القرشي الأموي المكي، ويكنى أبا سعيد، كان جوادا، كان مع مصعب بن الزبير بالعراق ثم لحق بعبد الملك وشهد معه قتل مصعب وولاه البصرة سنة 72 هـ ثم عزله سنة 75 هـ وضم البصرة إلى أخيه بشر بن مروان وكان خالد معه وأحضره معه وفاته بدمشق واستوثق منه بالبيعة للوليد.(أما المدعو: خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد فقد قتل سنة 126 هـ)

■ (7) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام، ويقال أبو نصر، وهو تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية، روى عن أبي صالح السمان. روى عنه محمد بن عجلان. توفي سنة 112 هـ. وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية.

■ (9) الحكم بن المنذر بن الجارود سيد عبد القيس مات في حبس الحجاج الذى يعرف بالديماس، وهذه نسبته من الجمهرة: الجارود: هو بشر بن حنش بن المعلى، وهو الحارث بن يزيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز.

■ (11) المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، أبو سعيد البصري، واسم أبي صفرة ظالم بن سارق، ويقال: ابن سراق بن صبح بن كندي، ويقال: كندير بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد، ويقال: الأسد أيضا، بن عمران بن عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. كان المهلب بن أبي صفرة واليا على خراسان من جهة الحجاج. مات سنة 81 هـ أو سنة 82 هـ. وزاد بعضهم: في ذي الحجة بمرو الروذ..

■ (10) الهذيل بن عمران البرجمي.... قتله الحجاج ؟

عن حصين قال: كنت مع عمارة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عيد مع بشر بن مروان، قال: فرفع يديه بالدعاء، قال: فقال عمارة: قبح الله هاتين اليدين القصيرتين، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يزيد أن يشير بإصبعه. قال حصين: أول من أذن له في العيد بشر بن مروان. قال الحسن البصري: قدم علينا بشر بن مروان البصرة وهو أبيض بض، أخو خليفة وابن خليفة ووال على العراق، فأتيت داره، فلما نظر إلي الحاجب قال: يا شيخ من أنت؟ قلت: الحسن البصري، قال: فادخل إلى الأمير وإياك أن تطيل الحديث معه، واجعل الكلام الذي يدور بينك وبينه جوابا ولا تمكنه من المجالسة فتثقل عليه. قال: فدخلت، فإذا بشر على سرير عليه فرش قد كاد أن يغوص فيها، وإذا رجل متكئ على سيف، قائم على رأسه، فسلمت عليه فقال: من أنت يا شيخ، أعرفك؟ قلت: الحسن البصري الفقيه. قال: أفقيه هذه المدرة؟ قال: قلت: نعم أيها الأمير. قال: فاجلس، ثم قال لي: ما تقول في زكاة أموالنا، أندفعها إلى السلطان أم إلى الفقراء؟ قال: قلت: أي ذلك فعلت أجزأ عنك، قال: فتبسم ثم رفع رأسه إلى الذي كان على رأسه فقال: لشيء ما يسود من يسود. ثم جعل يديم النظر إلي، فإذا أملت طرفي إليه صرف بصره عني، وإذا أطرقت أبد في نظره. قال: ثم قمت فاستأذنت في الانصراف، فقال لي: مصاحبا محفوظا. قال: ثم عدت بالعشي فإذا هو قد انحدر من سريره إلى صحن مجلسه، وإذا الأطباء حواليه وهو يتململ تململ السليم، فقلت: ما للأمير؟ قالوا: محموم. ثم عدت من غد، وإذا الناعية ينعاه، وإذا الدواب قد جزوا نواصيها، قلت: ما للأمير؟ قالوا: مات. فحمل ودفن في جانب الصحراء. ووقف الفرزدق على قبره فرثاه، فلم يبق أحد كان على القبر إلا خر باكيا. قال: ثم انصرفت فصليت في جانب الصحراء ما قدر لي ثم عدت إلى القبر، وإذا قد أتي بعبد أسود، فدفن إلى جانبه، فوالله ما فصلت بين القبرين حتى قلت: أيهما قبر بشر بن مروان؟! وكانت ولاية بشر للعراق سنة أربع وسبعين. ومات في أول سنة خمس وسبعين.وقيل: مات سنة ثلاث وسبعين.

• (؟) تعليق: لا أبالغ إذا قلت أن: كل سموم العالم اجتمعت في المرأة وأكثر سمومها تحت لسانها ..لقد حاولت كثيرا أن أجد مبررا وعذرا لسلوك المرأة الشيطاني إلا أن الأحداث تأب إلا فضحها وكشف عوارها، قلت: لو كان هناك حيوان يستحق الضرب واللجم بلجام الصمت إلى الأبد لكان المرأة، مصيبة آدم . فأعوذ بالله من أفعي ناعمة مهلكة للرجال مفسدة للشباب مشعلة للحروب..فكم من إخوة قتلت؟، وجيران أفسدت؟، ورجال وقبائل أحرقت وأقبرت؟! وصدق من قال: إذا وقعت جريمة ما، ففتش عن المرأة! خاصة حين تحشر (الحمقاء) المتعلمة (؟) نفسها بين ذكران أشبه بالبهائم وما أكثرهم اليوم، والله أعلم. تنبيه: هذه ليست دعوة لضرب المرأة الحمقاء..ولكن نصحية للرجل(؟)، اجعل المرأة دئما نكرة وخلف ظهرك. لا تشركها في حياتك إلا في: الجنس، والولد، والخدمة (وهي الغرائز المتأصلة في المرأة – مصيبة آدم).

• قال الحجاج للوليد بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول، فإنما المرأة ريحانة، وليس بقهرمانة (مدبرة البيت)، ولا تطلعهن على أمرك ولا تطلعهن في سرك، ولا تستعملهن لأكثر من زينتهن، وإياك ومشاورتهن، فإن رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن، ولا تملك الواحدة منهن من الأمور ما يجاوز نفسها ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها ولا تطل الجلوس معهن، فإن ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك.

• لما قتل المنصور محمد بن عبد الله اعترضته امرأة معها صبيان، فقالت: يا أمير المؤمنين، أنا امرأة محمد بن عبد الله، وهذان ابناه، أيتمهما سيفك، وأضرعهما خوفك، فناشدتك الله، يا أمير المؤمنين، أن تصعرلهما خدك، أو ينأى عنهما رفدك؛ ولتعطفك عليهما شوابك النسب، وأواصر الرحم، فالتفت إلى الربيع، فقال: اردد عليهما ضياع أبيهما، ثم قال: كذا والله أحب أن تكون نساء بني هاشم. تعليق: بل صدق من قال: المرأة متاعا مباعا و بضاعة مزجاة، لا دين ولا عقل لها، وأن الخيانة والفتنة والكذب ليجرى من المرأة مجرى الدم. للأسف

مراجع: تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/ ربيع الأبرار/

ذكر ابن عبد الحكم[1] أن عمر بن عبد العزيز[2] دخل على الوليد بن عبد الملك[3]،فقال: يا أمير المؤمنين إن عندي نصيحة، فإذا خلا لك عقلك، واجتمع فهمك فسلني عنها، قال: ما يمنعك منها الآن؟ قال: أنت أعلم، إذا اجتمع لك ما أقول فإنك أحق أن تفهم، فمكث أياما ثم قال: يا غلام من بالباب؟ فقيل له ناس وفيهم عمر بن عبد العزيز، فقال: أدخله، فدخل عليه فقال: نصيحتك يا أبا حفص فقال عمر: إنه ليس بعد الشرك إثم أعظم عند الله من الدم، وأن عمالك يقتلون، ويكتبون إن ذنب فلان المقتول كذا وكذا، وأنت المسئول عنه والمأخوذ به، فاكتب إليهم ألا يقتل أحد منهم أحدا حتى يكتب بذنبه ثم يشهد عليه، ثم تأمر بأمرك على أمر قد وضح لك. فقال: بارك الله فيك يا أبا حفص ومنع فقدك. علي بكتاب، فكتب إلى أمراء الأمصار كلهم فلم يحرج من ذلك إلا الحجاج فإنه أمضه، وشق عليه وأقلقه. وظن أنه لم يكتب إلى أحد غيره، فبحث عن ذلك، فقال: من أين ذهبنا؟ أو من أشار على أمير المؤمنين بهذا؟ فأخبر أن عمر بن عبد العزيز هو الذي فعل ذلك فقال: هيهات إن كان عمر فلا نقض لأمره.ثم أن الحجاج أرسل إلى إعرابي حروري[4] جاف من بكر بن وائل*، ثم قال له الحجاج ما تقول في معاوية؟ فنال منه. قال: ما تقول في يزيد؟ فسبه. قال: فما تقول في عبد الملك؟ فظلمه. قال: فما تقول في الوليد؟ فقال: أجورهم حين ولاك وهو يعلم عداءك وظلمك. فسكت الحجاج وافترصها* منه، ثم بعث به إلى الوليد وكتب إليه: أنا أحوط لديني، وأرعى لما استرعيتني واحفظ له من أن أقتل أحدا لم يستوجب ذلك، وقد بعثت إليك ببعض من كنت أقتل على هذا الرأي فشأنك وإياه. فدخل الحروري على الوليد وعنده أشراف أهل الشام وعمر فيهم فقال له الوليد: ما تقول في؟ قال ظالم جبار . قال: ما تقول في عبد الملك؟ قال: جبار عات. قال فما تقول في معاوية؟ قال: ظالم. قال الوليد لابن الريان[5] أضرب عنقه فضرب عنقه، ثم قام فدخل منزله وخرج الناس من عنده فقال:يا غلام أردد علي عمر، فرده عليه فقال: يا أبا حفص ما تقول بهذا؟ أصبنا أم أخطأنا؟ فقال عمر: ما أصبت بقتله، ولغير ذلك كان أرشد وأصوب، كنت تسجنه حتى يراجع الله عز وجل أو تدركه منيته، فقال الوليد شتمني وشتم عبد الملك وهو حروري أفتستحل ذلك؟ قال لعمري ما استحله، لو كنت سجنته إن بدا لك أو تعفو عنه، فقام الوليد مغضبا، فقال ابن الريان لعمر: يغفر الله لك يا أبا حفص، لقد راددت أمير المؤمنين حتى ظننت أنه سيأمرني بضرب عنقك، وهكذا احتار (احتال ؟) الحجاج على الوليد ليصرفه على الأخذ برأي عمر في الحد من سرف الحجاج وأمثاله في القتل.

قال المدائني وغيره: كان جل من هرب من الحجاج لجأ إلى عمر بن عبد العزيز، فكتب الحجاج إلى الوليد إن عمر بن عبد العزيز قد صار كهفا لمنافقي أهل العراق، فما أحد يهرب منهم إلا لجأ إليه. فكان ذلك سبب عزل عمر.

----

*(افترصها) انتهزها (بكر بن وائل) قبيلة كبيرة كانت تمتد فروعها وبطونها في شرق الجزيرة من وادي الفرات إلى اليمامة.وهي بطن من ربيعة.

■ (2) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (4) الحرورية طائفة من الخوارج ينسبون إلى قرية على بعد ميلين من الكوفة تسمى حروراء أين اجتمع الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين، فسموا حرورية نسبة إلى هذا الموضع.

■ (1) عبد الله بن الحكم بن أيمن بن ليث بن رافع أبو محمد، فقيه مصري كان من أصحاب مالك، انتهت إليه الرياسة بمصر بعد أشهب، ولد فى الإسكندرية وتوفى بالقاهرة سنة 214 هـ

■ (3) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ. وتخلف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه.وكان الوليد اجتهد في خلع سليمان هذا من ولاية العهد وتولية ولده العزيز؛ فامتنع سليمان من ذلك حتى مات الوليد.

■ (5) خالد بن الريان المحاربي مولاهم ولي الحرس لعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك.وكان سيافا يقوم على رؤوس الملوك فلما استخلف عمر عزله وقال: إني أذكر بأوه* وهيبته* اللهم إني أضعه لك فلا ترفعه أبدا فما لبث إلا جمعة حتى ضربه الفالج فقتله.* (البأو) الفخر (هيئته) قيل أيضا: هيبته، تيهه.

جل جلاله

قد أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بمشاورة من هو دونه في الرأي، فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران] وسئل بعض الحكماء: أي الأمور أشد تأييدا للفتى وأيها أشد إضرارا به؟ فقال: أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبت. وأشدها إضرارا به ثلاثة أشياء: الاستبداد، والتهاون، والعجلة. وأوصى ابن هبيرة ولده فقال: لا تكن أول مشير، وإياك والهوى والرأي الفطير*. ولا تشيرن على مستبد ولا على وغد ولا على مسكون ولا على لجوج، وخف الله في موافقة هوى المستشير، فإن التماس موافقته لؤم، والاستماع منه خيانة. وكان المهلب يقول: إن من البلية أن يكون الرأي بيد من يملكه دون من يبصره. قيل لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم؟ قال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد، فنحن نشاوره، فكأننا ألف حازم. والاستخارة هي طلب الخيرة من الله تعالى في أمر من الأمور المشروعة المباحة، أو المندوبة إذا تعارضت. وصلاة الاستخارة سنة، وهي ركعتان، ودعاء الاستخارة يكون قبل السلام أو بعده، والدعاء قبل السلام أفضل، ويجوز للمستخير أداء هذه العبادة أكثر من مرة في أوقات مختلفة. والاستخارة والاستشارة تكون لمن هم في أمر غير محرم ولا مكروه، وهما مستحبتان، فما ندم من استخار الخالق واستشار المخلوق.

☪

يقول الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود: النصيحة في الدين مكانتها عظيمة، ومنزلتها عند الله عالية رفيعة، وحاجة الإنسان، كل إنسان للنصح لا تقل عن حاجته إلى الطعام والشراب والهواء، لذلك حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الدين فيها فقال:﴿الدِّينُ النَّصِيحَةُ﴾ ثلاثا، لأنها بها قوامه و صلاحه؛ وعندما قيل له: لمن يا رسول الله؟ قال:﴿لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ﴾ ولهذا عد هذا الحديث من جملة الأحاديث الأربعة التي تجمع أمر الإسلام؛ قال الخطابي:معنى الحديث قوام الدين وعماده النصيحة، كقوله الحج عرفة. حكم النصيحة لكل مسلم الوجوب وإن لم يسأله، وقد قال بعضهم وجوب النصح يتوقف على السؤال، لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ﴾، وهو يعد من حقوق المسلم على أخيه المسلم. ووجوبها آكد من ولاة الأمر، علماء وحكام نحو رعاياهم ، لما صح عنه صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ والنصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه تكون بالإيمان والتصديق والعمل بما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والإنتهاء عما نهيا عنه، والذب والدفاع عن الله وكتابه ورسوله، وإزالة الشبه، وتعليم الناس ما جهلوا من ذلك؛ والنصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه في حقيقتها نصح لأنفسنا، وتزكية وتطهير لها. ولهذا فإن هدفنا وغرضنا الأول والأخير في هذا الموقع إسداء النصح للمسلمين، وتبصيرهم و إرشادهم لما فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم، متلزمين في ذلك بالآداب الشرعية والسنن المرعية، من غير تعنيف ولا تشهير، راجين الأجر والثواب من العلي القدير؛ قال المروزي:سمعت أبا عبد الله يقول: قال رجل لمسعر بن كدام: تحب أن تنصح؟ قال: نعم، أما من ناصح فنعم، وأما من شامت فلا؛ وقال مسعر: رحم الله من أهدى إلي عيوبي في سر بيني و بينه، فإن النصيحة في الملأ تقريع. هذا فيما يتعلق بالأمور الشخصية ولمستوري الحال؛ أما المسائل العامة، وللمجاهرين بالبدع والمعاصي، المعلنين عنها، الداعين إليها، فلا حرج من نصحهم علنا؛ وذلك عن طريق التعليم، والتذكير، والإفتاء.والله أسأل التوفيق والسداد والعون والرشاد ؛ وأقول كما قال العبد الصالح عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رحم الله امرءا أهدى إلي عيوبي.

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله جالسا عند الوليد بن عبد الملك، وكان الوليد لحانا، فقال: يا غلام ادع لي صالح؛ فقال الغلام: يا صالحا؛ قال له الوليد: انقص ألفا؛ فقال عمر بن عبد العزيز: فأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفا.

----

*(فطير) كل شيء أعجلته عن إدراكه فهو فطير يقال إياي والرأي الفطير ومنه قولهم شر الرأي الفطير

مراجع: عمر بن عبد العزيز ومعالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة/ العقد الفريد/ لسان العرب/ وفيات الأعيان/ الموسوعة الفقهية/ موسوعة الأعلام/ شعب الإيمان/ تفسير المراغي/ ربيع الأبرار/ كنز العمال/ سنن أبي داود/ موسوعة الدين النصيحة/ أنساب الأشراف/ موسوعة الدين النصيحة/

قال إسماعيل بن أبي خالد: أتي الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج وعنده عمر بن عبد العزيز[1] وخالد بن الريان[2] فقال له الوليد: ما تقول في أبي بكر؟ قال: صاحب نبي الله في الغار وثاني اثنين رحمه الله وغفر له. قال: فما تقول: في عمر؟ قال: هو الفاروق رحمه الله وغفر له. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: كان سنيات من خلافته ملازما للعدل. قال: فما تقول في مروان بن الحكم[3]؟ قال: لعن الله ذاك. قال: فما تقول في عبد الملك[4]؟ قال: ذلك ابن ذاك لعن الله ذاك. قال: فما تقول في؟ قال: بني ذينك وأنت شر الثلاثة. فقال: يا عمر ما تقول فيما تسمع؟ قال: يا أمير المؤمنين ما أحد أعلم بهذا منك وأنت أعلى به عينا. فألح عليه والله لتقولن، فقال: أما إذا أبيت يا أمير المؤمنين إلا أن أقول فسب إياه كما سب إياك وأن تعفو أقرب للتقوى. قال: ليس إلا هذا. قال: لا يا أمير المؤمنين إلا أن تدخلك جبرية، فأما الحق فليس إلا هذا. فالتفت إلى خالد بن الريان وهو قائم على رأسه ثم قام وهو غضبان. فقال خالد: والله يا عمر لقد نظر إلي أمير المؤمنين نظرة ظننت أنه سيأمرني بضرب عنقك. قال: ولو أمرك كنت تفعل؟ قال: إي والله. قال: أما إنه كان يكون شرا لكما وخيرا لي. ثم سكت عنه وبقي ذلك في قلبه، فلما قام الوليد من مجلسه دخل على امرأته أم البنين بنت عبد العزيز[5] وهي أخت عمر فقال: أخوك الحروري[6] والله لأقتلنه. فمكث أياما وعمر في منزله لا يحضر الباب ولا يلتمس المعذرة، فأتاه رسول الوليد وقت القائلة فدعاه، فلما دخل من باب القصر عدل به إلى بيت فأدخل فيه وطين عليه الباب. فرجع صاحب دابته إلى أهله فأخبرهم فأخبروا أخته بذلك فبحثت عن خبره فلم تجد أحدا يخبرها بخبره وذلك يوم الثالث. فقيل لها: إن فلانا الخصي يعلم علمه. فأرسلت إليه فأعلمها بموضعه. فدخلت على الوليد فناشدته الله والرحم وقبلت يده. فقال: قد وهبته لك إن أدركته حيا قال. ففتحوا عنه الباب فوجدوه قد انثنى عنقه فحملوه إلى منزله وعالجوه. فلما توفي الوليد وكان سليمان بعده فهلك وتولى عمر الخلافة جاء خالد بن الريان في اليوم الذي استخلف فيه عمر رحمه الله، متقلدا سيفه، فقال له عمر: يا خالد انطلق بسيفك هذا فضعه في بيتك واقعد فيه فإنه لا حاجة لنا فيك، أنت رجل إذا أمرت بشيء فعلته لا تنظر لدينك. فلما ولى خالد نظر عمر في قفاه فقال: اللهم، يا رب إني قد وضعته لك فلا ترفعه أبدا. فما لبث إلا جمعة حتى ضربه الفالج فقتله.

عن موسى بن عبد العزيز قال، قال عمر بن عبد العزيز: اتكأ الوليد على يدي حين قدم المدينة، فجعل يطوف المسجد ينظر إلى بنائه، ثم إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فوقف عليه، ثم أقبل علي فقال: أمعه أبو بكر وعمر ؟ قلت: نعم. قال: فأين أمير المؤمنين عثمان ؟ قال: فالله يعلم أني لظننت أنه لا يبرح حتى يخرجها، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الناس كانوا حين قتل عثمان رضي الله عنه في فتنة وشغل، فذاك الذي منعهم من أن يدفنوه معهم. فسكت.

قال عبد الرحمن بن حسن أخبرني أبي قال: بلغني أن الوليد بن عبد الملك استعمل عمر بن عبد العزيز على الحجاز، المدينة ومكة والطائف، فأبطأ عن الخروج، فقال الوليد لحاجبه: ويلك ما بال عمر لا يخرج إلى عمله؟ قال: زعم أن له إليك ثلاث حوائج. قال: فعجله علي. فجاء به الوليد، فقال له عمر: إنك قد استعملت من كان قبلي فأنا لا أحب أن تأخذني بعمل أهل العداء والظلم والجور. فقال له الوليد: اعمل بالحق وإن لم ترفع إلينا إلا درهما واحدا. قال: والحج قد بلغت ما ترى من السن والحال. وأشك في العطاء أن يكون سأله إياه فخرجه للناس.

عن أصبغ قال: أخبرني عاصم بن أبي بكر القرشي الزهري أن رجلا جاء إلى عمر بن عبد العزيز أيام الوليد فقال: يا أبا حفص ألا تعلم الوليد وتعظه !! قال: إني لا أقدر، قال: فاستأذن لي عليه فلما دخل عمر على الوليد قال: إن بالباب رجلا يريد ان يكلمك فقال لحاجبه: ائذن له فلما دخل كلمه ووعظه وقال: يا أمير المؤمنين إنك تؤخر الصلاة عن وقتها وتفعل وتفعل فقال الوليد: إنك لصادق فيما قلت ولكن هذا والله مقام لا يقومه أحد بعدك، يا ابن ريان اضرب عنقه، فلما مر به ابن ريان دعاه الوليد فقال: إني لأظنك أنك لم تجتر على هذا الأمر إلا وقد كان معك غيرك فلعل هذا منهم؟ يريد عمر بن عبد العزيز فقال له الرجل: لا والله يا أمير المؤمنين ما كان معي عمر ولا غيره قال ابن ريان: فلما سمعت الوليد يقول هذه المقالة في عمر سللت من سيفي قدر أربعة أصابع فقلت تأمرني فأضرب عنق عمر ثم أقبل الوليد على الرجل وقال: إختر أي قتلة إن شئت اقتلك بها ؟ فقال الرجل: بل اختر أنت أي قتلة تقتلني بها فإني قاتلك بها يوم القيامة فغضب الوليد وقال: يا ابن ريان علي بكذا وكذا فإني بهم ففصلوه فقال عمر بن عبد العزيز: فجلست استرق النظر إلى السقف مخافة العقوبة أن تغشانا من السماء حين قتله ثم أرخى الستر بيني وبينه فانصرفت واتبعني ابن ريان فقال: يا أبا حفص الحمد لله الذي صرف عنك شر هذا الرجل فقلت لابن ريان: وما ذاك ؟فقال: أو لم ترني سللت من سيفي قدر أربع أصابع لعله يغمزني! فقال له عمر: وكنت فاعلا يا ابن ريان؟ قال: أي ورب الكعبة.

عن ابن شهاب: أن عمر بن عبد العزيز أخبره أن الوليد بن عبد الملك أرسل إليه بالظهيرة في ساعة لم يكن يرسل إليه في مثلها، فوجده في قيطون* صغير له بابان؛ باب يدخل عليه منه، وباب خلفه ينحرف منه إلى أهله. قال: فدخلت عليه فإذا هو قاطب بين عينيه، فأشار إلي أن أجلس، فجلست بين يديه مجلس الخصم وليس عنده إلا ابن الريان قائما بسيفه. فقال: ما تقول فيمن يسب الخلفاء أترى أن يقتل؟ قال: فسكت. قال: فانتهرني وقال: مالك لا تتكلم؟ فسكت. فعاد لمثلها. فقلت أقتل يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكنه سب الخلفاء. قال: فقلت فإني أرى أن ينكل به فيما انتهك من جهة الخلفاء قال: فرفع رأسه إلى ابن الريان قال: وما أظن إلا أنه يقول اضربوا رقبته. فقال: إنه فيهم لتائه، ثم حول وركه فدخل إلى أهله. فقال لي ابن الريان بيده انقلب. قال: وكان ابن الريان لعمر بن عبد العزيز حافظا. قال: فانقلبت وما تهب ريح من ورائي إلا وأنا أظنه رسولا يردني إليه.

فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة عزل خالد بن الريان عن موضعه الذي كان يكون عليه وكان حرسيا مع الوليد بن عبد الملك وقال إني أذكر بأوه وتيهه ثم قال: اللهم إني قد وضعته لك فلا ترفعه فما رؤي شريف قد خمد ذكره حتى لا يذكر ما خمد ذكر خالد بن الريان حتى إن كان الرجل ليقول ليت شعري ما فعل خالد أحي هو أم ميت وإنه لفي قرية صغيرة ما يدرى أحي هو أم ميت.

----

*(قيطون) بيت في جوف بيت

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (6) الحروري نسبة إلى الحرورية طائفة من الخوارج ينسبون إلى قرية على بعد ميلين من الكوفة تسمى حروراء أين اجتمع الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين، فسموا حرورية نسبة إلى هذا الموضع.

■ (3) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ. وتخلف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه.وكان الوليد اجتهد في خلع سليمان هذا من ولاية العهد وتولية ولده العزيز؛ فامتنع سليمان من ذلك حتى مات الوليد.

■ (2) خالد بن الريان المحاربي مولاهم ولي الحرس لعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك.وكان سيافا يقوم على رؤوس الملوك فلما استخلف عمر عزله وقال: إني أذكر بأوه* وهيبته* اللهم إني أضعه لك فلا ترفعه أبدا فما لبث إلا جمعة حتى ضربه الفالج فقتله.* (البأو) الفخر (هيئته) قيل أيضا: هيبته، تيهه.

■ (3) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو عبد الله، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توجه إلى الطائف مع أبيه حين نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم معه في خلافة عثمان، واستكتبه واستولى عليه إلى أن قتل عثمان.ولاه معاوية على المدينة ثم عزله ثم ولاه ثانية ثم عزله. ثم أصبح بعد ذلك رابع ملوك الدولة الأموية.ولد سنة 2 هـ وتوفي سنة 65 هـ . قيل نظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوما فقال له: ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك.

■ (4) أبو الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

■ (5) أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان الأموية أخت عمر بن عبد العزيز وزوجة الوليد بن عبد الملك كانت إحدى فضليات النساء في عصرها وقد ذكرها أبو زرعة في طبقاته فيمن حدث بالشام من النساء

☪

قال: قال جميل بن بصبهري: إياك أن تصحب السلطان بالجرأة عليه والتقصير في المعرفة بقدره والتهاون بأمره، ولتكن صحبتك له بالحذر وشدة التوقي كما تصحب الأسد الضاري والفيل المغتلم والأفعى القاتلة، ولا تصحب الصديق إلا بالتواضع ولين الجانب، واصحب العدو بالحجة فيما بينك وبينه والإعذار عليه، واصحب العامة بالبر والبشر الحسن. وقد قيل: سبع غشوم خير من وال ظلوم. قال: ولما قالت التغلبية للجحاف بن حكيم في وقعة البشر: فض الله عمادك، وأطال سهادك، وسلبك حياتك، فوالله لئن قتلت إلا نساء كالدمى أو أسافلهن دمي وأعاليهن ثدي. فقال لمن حوله: لولا أن يلد منها حكيم لخليت سبيلها. فبلغ ذلك الحسن البصري فقال: إنما الجحاف جذوة من نار جهنم.

قيل: ولما بنى زياد البيضاء بالبصرة أمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس، فأتي برجل قيل إنه تلا:﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء] فقال: ما دعاك إلى هذا؟ قال: آية من كتاب الله عز وجل حضرت. قال: والله لأعلمن فيك الآية الثانية: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء] فأمر فبني عليه ركن من أركان القصر. وقيل: إن الحجاج لما أتى المدينة أرسل إلى حسن بن حسن فقال: هات سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودرعه. فقال: لا أفعل. قال: فجاء الحجاج بالسيف والسوط والعصا فقال: والله لأضربنك بهذه العصا حتى أكسرها! ثم قال: لأضربنك بهذا السوط حتى أقطعه، ثم لأضربنك بهذا السيف حتى تبرد أو تأتيني بهما! فقال الناس: يا أبا محمد لا تتعرضن لهذا الجبار. قال: فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودرعه فوضعهما بين يدي الحجاج. فأرسل الحجاج إلى رجل من آل أبي رافع فقال له: هل تعرف سيف رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ فخلطه بين أسيافه ثم قال: أخرجه، فأخرجه. ثم جاء بالدرع فنظر إليها فقال: هناك علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فطعن بحربة فخرقت الدرع. فرفعناها فوجدنا الدرع على ما قال. فقال الحجاج للحسن: أما والله لو لم تجئني به وجئت بغيره لضربت به رأسك.

وذكروا أن الحجاج قال يوما لحاجبه: اعسس الليلة بنفسك فمن وجدته فجئني به، فلما أصبح أتاه بثلاثة نفر، فقال الحجاج لواحد منهم: ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادى مناد ألا يخرج أحد ليلا؟ فقال: أصلح الله الأمير! كنت سكران فغلبني السكر فخرجت ولا أعقل. ففكر الحجاج ساعة ثم قال: سكران غلبه سكره خلوا عنه لا تعودن. وقال للآخر: فأنت ما كان سببك؟ قال: أصلح الله الأمير! كنت مع قوم في مجلس يشربون فوقعت بينهم عربدة فخفت على نفسي فخرجت. ففكر الحجاج في نفسه ثم قال: رجل أحب المسالمة خلوا عنه. ثم قال للآخر: ما كان سبب خروجك؟ قال: لي والدة عجوز وأنا رجل حمال فرجعت إلى بيتي فقالت والدتي: ما ذقت اليوم طعاما، فخرجت ألتمس لها ذلك فأخذني عسس الأمير. ففكر ساعة ثم قال: يا غلام اضرب عنقه. فإذا رأسه بين رجليه.

مراجع: المحاسن والمساوئ/ تاريخ المدينة/ المعرفة والتاريخ/ المحن/ جمهرة اللغة/

◆ الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) الأموي القرشي، أبو العباس (سادس ملوك الدولة الأموية) وزرعة بن ثوب 0391

عن الشيباني أن الوليد بن عبد الملك استقضى رجلا من أهل دمشق يقال له زرعة بن ثوب[1] فقال: يا أمير المؤمنين، لا تفعل فإن ذلك ليس عندي، وأمر فأجلس للناس فكلما دخل عليه سأله أن يعفيه ثم بدا للوليد أن يبعث ابنا له على الصائفة* فدخل عليه زرعة فقال له الوليد: كنت كثيرا ما تسألني أن أعفيك وقد بدا لي أن أبعث أبنا لي على الصائفة وأجعلك معه. وقال حاجتك؟ قال ما لي حاجة إلا أن تعفيني مما أنا فيه، فلما أدبر قال: ردوه علي! فقال: إني أعطيك شيئا فاقبله مني فإني أقسم لك بالله إنه لمن صلب مالي قد أمرت لك بمزرعة ببقرها وخدمها وآلتها. قال: تنفذ قضائي فيها ؟ قال: نعم. قال: فإني أشهدك أن ثلثا منها في سبيل الله، والثلث الثاني ليتامى قومي ومساكينهم، والثلث الثالث لرجل صالح يقوم عليها ويؤدي الحق فيها. وأنا أحب أن تأخذ مني ما أجريت علي من الرزق فإنه في كوة البيت فخذه فرده في بيت المال. قال: ولم ذاك ؟ قال: لا أحب أن آخذ على ما علمني الله أجرا.

----

*(الصائفة) الغزوة في الصيف

■ (1) زرعة بن ثوب المقرائي (أو المقرئ) والد ضمضم من خيار أهل الشام كان ولاه الوليد بن عبد الملك قضاء دمشق بعد أبي إدريس الخولاني وقيل بعد عبد الله بن عامر.وكان زرعة قاضي دمشق لا يأخذ على القضاء أجرا. وفي أخبار القضاة لوكيع: زرعة بن أيوب المعري؟ كان لا يأخذ على القضاء رزقا، وكان عطاؤه مائتي دينار.

عن أرطأة بن المنذر أن عمر قال لجلسائه: أي الناس أعظم أجراً؟ قال: فجعلوا يذكرون له الصوم والصلاة. قال: ويقولون: فلان وفلان بعد أمير المؤمنين. فقال: ألا أخبركم بأعظم الناس أجراً ممن ذكرتم، ومن أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى. قال: رويجل بالشام آخذ بلجام فرسه، يكلأ* من وراء بيضة* المسلمين، لا يدري أسبع يفترسه، أم هامة تلدغه، أو عدو يغشاه؟ فذلك أعظم أجراً ممن ذكرتم، ومن أمير المؤمنين. عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿تَكَفَّلَ اللهُ تَعَالَى لِمَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الْجِهَادُ إِيمَانًا بِي وَتَصْدِيقًا بِرَسُولِي إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ رَدَدْتُهُ أَنْ أَرُدَّهُ إِلَى بَيْتِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ﴾ وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ثَلاَثَةٌ فِي ضَمَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: رَجُلٌ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ خَرَجَ حَاجًّا﴾ وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ مُسْلِمٍ﴾ وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَيْسَ أَحَدٌ يُكْلَمُ* فِي سَبِيلِ اللهِ كُلِمًا - وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ - إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ﴾ وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ثَلاَثَةٌ مِنْ أَصْلِ الإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَلاَ تُكَفِّرْهُ بِذَنْبٍ وَلاَ تُخْرِجْهُ مِنَ الإِسْلاَمِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِيَ اللهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لاَ يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلاَ عَدْلُ عَادِلٍ، وَالإِيمَانُ بِالأَقْدَارِ﴾ عن سهل بن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:﴿رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنْ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا﴾.

قال الحافظ ابن عساكر: كان الوليد عند أهل الشام من أفضل خلفائهم، بني المسجد بدمشق وفرض للمجذومين ما يكفيهم وقال: لا تسألوا الناس، وأعطى كل مقعد خادما وكل أعمى قائدا. قال إبراهيم بن علية: كان يعطيني أكياس الدنانير أقسمها في الصالحين، وكان يقول: لولا أن الله عز وجل ذكر اللواط في كتابه العزيز، ما ظننت أن أحدا يفعله. وقيل كان يختم القرآن في ثلاث وكان يختم في رمضان سبع عشرة ختمة. وذكر أن جملة ما أنفق على المسجد الأموي أربعمائة صندوق، في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار. وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل، وما كمل بناءه إلا أخوه سليمان لما ولي الخلافة وفعل خيرات كثيرة وآثارا حسنة، وبعد هذا كله فقد روي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: لما أدرج في أكفانه وغلت يداه إلى عنقه: نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ونسأله حسن الخاتمة.

----

*(يكلأ) يحرس ويراقب (بيضة المسلمين) حوزتهم وحماهم (يكلم) يجرح

مراجع: تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ الوافي بالوفيات/ مسند الحميدي/ صحيح البخاري/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/

◆ الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) الأموي القرشي، أبو العباس (سادس ملوك الدولة الأموية) وعطاء بن أبي رباح 0392

روي أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوماً: قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله علي ليحدثني. فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح[1] وهو لا يعرفه فقال له: يا شيخ أدخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك؛ فدخل عطاء على الوليد على حاجبه. فقال له. ويلك أمرتك أن تدخل إلى رجلاً يحدثني ويسامرني فأدخلت إلي رجلاً لم يرضى أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي. فقال له حاجبه: ما مر بي أحد غيره. ثم قال لعطاء: اجلس. ثم أقبل عليه يحدثه. فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له: ﴿بَلَغَنَا أَنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ هَبْ هَبْ أَعَدَّهُ اللهُ لِكُلِّ إِمَامٍ جَائِرٍ فِي حُكْمِهِ﴾ فصعق الوليد من قوله، وكان جالساً بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشياً عليه. فقال عمر[2] لعطاء: قتلت أمير المؤمنين. فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له: يا عمر إن الأمر جد فجد.ثم قام عطاء وانصرف. فبلغنا عن عمر رحمه الله أنه قال: مكثت سنة أجد ألم غمزته في ذراعي.

وكان ابن أبي شميلة يوصف بالعقل والأدب؛ فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: تكلم. قال: بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله ؟. فبكي عبد الملك ثم قال: يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه. فبكى عبد الملك ثم قال: لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالاً نصب عيني ما عشت.

يروى أن بعض الزهَّاد حضر بين يدي خليفة فقال له: عظني. فقال: يا أمير المؤمنين، إني سافرت إلى الصين وكان ملك الصين قد أصابه الصمم وذهب سمعه، فسمعته يقول يومًا وهو يبكي: والله ما أبكي لزوال سمعي وإنما أبكي لمظلوم يقف ببابي يستغيث فلا أسمع استغاثته، وأمر مناديًا ينادي ألا كلُّ مَن كانت له ظلامة فليلبس ثوبًا أحمر، فكان يركب الفيل فكل مَن رأى عليه ثوبًا أحمر دعاه واستمع شكواه، وأنصفه من خصمائه، فانظر يا أمير المؤمنين إلى شفقة ذلك الكافر على عباد الله وأنت مؤمن من أهل بيت النبوة، انظر كيف تريد أن تكون شفقتك على رعيتك.

■ (1) أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم –وقيل سالم– بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند وهي بلدة مشهورة باليمن خرج منها جماعة من العلماء؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع إلى خلقا كثيرا من الصحابة، وروى عنه خلق كثير، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانهما. قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء. وقال إبراهيم بن عمر ابن كيسان: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحا يصيح:لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح، قال سليمان بن رفيع: دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلعت فإذا عطاء بن أبي رباح جالس. توفي عطاء سنة 115 هـ وقيل 114 هـ وعمره 88، وقال ابن أبي ليلى: حج عطاء 70 حجة وعاش مائة سنة، والله أعلم. قيل لاهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم؟ قالوا: كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد. قال الأصمعي: كان عطاء يقول في دعائه: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وعند الموت صرعتي، وفي القبور وحدتي، ومقامي غدا بين يديك.

■ (2) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

☪

قال محمد بن واسع الأزدي: ﴿دَخَلْتُ عَلَى بِلالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى*، فَقُلْتُ: يَا بِلالُ، إِنَّ أَبَاكَ، حَدَّثَنِي عَنْ جَدِّكَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: فِي جَهَنَّمَ وَادٍ، وفِي الْوَادِي بِئْرٌ يُقَالُ لَهُ: هَبْ هَبْ، حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُسْكِنَهَا كُلَّ جَبَّارٍ، فَاتَّقِ اللهَ، لا تَسْكُنْهَا﴾ قال ابن الأثير: الهبهب السريع وهبهب السراب إذا ترقرق (كل جبار) أي متمرد على الله عات متكبر قال القاضي: سمي بذلك إما للمعانه من شدة اضطراب النار فيه والهابه من هبهب الشراب إذا لمع أو لسرعة اتقاد ناره بالعصاة واشتعالها فيهم من الهبهب الذي هو السرعة أو لشدة أجيج النار فيه من الهباب وهو الصياح. قال الغزالي: أودية جهنم عدد أودية الدنيا وشهواتها وقد تضمن هذا الحديث ما يقصم الظهر جزعا ويبكي القلوب ألما والعيون دما من ظلمة الفؤاد من ظلم العباد وقسوة القلب والفؤاد (تنبيه) سميت جهنم لأنها كريهة المظهر والجهام السحاب الذي هرق ماؤه والغيث رحمة فلما أنزل الله الغيث من السحاب أطلق عليه اسم الجهام لزوال الرحمة الذي هو الغيث فكذا الرحمة أزالها الله من جهنم فكانت كريهة المنظر والمخبر. (بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري) كان أميرا على البصرة وقاضيا.

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ قَالَ كَلِمَةَ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ –وفي رواية–: أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ﴾ (أفضل الجهاد) أي جهاد من قال، أو أفضل أهل الجهاد من قال: (كلمة حق) أي قول حق ولو كان كلمة واحدة، وضده (سلطان جائر) أي صاحب جور وظلم. قال المظهر: وإنما كان أفضل؛ لأن ظلم السلطان يسري في جميع من تحت سياسته، وهو جم غفير، فإذا نهاه عن الظلم فقد أوصل النفع إلى خلق كثير، بخلاف قتل كافر. يقول الفضيل: لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد. ومثل ذلك قول أحمد بن حنبل: لو كانت لي دعوة مستجابة لدعوت بها إلى السلطان، لأن في صلاحه صلاح البلاد والعباد، وفي فساده فسادهما. وقد قيل: السلطان من الرعية كالروح من الجسد، فإن استقام مزاجها استقام مزاج جميع أعضائه وحواسه، وإن فسدت فسد مزاج الأعضاء بفسادها، وتعطلت أحوال الجسد. وقيل: ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة إلا نبي مرسل أو ملك مقرب. يقول أبو بكر الطرطوشي: وكما أنه ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة كذلك ليس فوق رتبة السلطان الشرير رتبة لشره لأن شره يعم وكما أن بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد كذلك بالسلطان الجائر تفسد البلاد والعباد وتقترف المعاصي والآثام.. وقالوا: إذا صفا رأس العين صفت السواقي والوالى بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها.قيل حمل مرة إلى عمر مال عظيم من الخمس، فقال:﴿إِنَّ قَوْمًا أَدَّوُا الْأَمَانَةَ فِي هَذَا لَأُمَنَاءَ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: إِنَّكَ أَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَأَدَّوُا إِلَيْكَ الْأَمَانَةَ، وَلَوْ رَتَعْتَ لَرَتَعُوا﴾ قال الشيخ أبو حامد في الإحياء: الأمر بالمعروف مع السلطان التعريف والوعظ، وأما المنع بالقهر؛ فليس ذلك لآحاد الرعية؛ لأن ذلك يحرك الفتنة، ويهيج الشر، ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر، وأما التخشن في القول كقولكم: يا ظالم يا من لا يخاف الله، وما يجري مجراه؛ فذلك إن كان يتعدى شره إلى غيره لم يجز، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز، بل مندوب إليه، فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة لعلمهم بأن ذلك جهاد وشهادة. عن أسلم بن عبد الملك، أنه سمع ابن سعيد بن أبي الحسن، يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَنْتُمُ الْيَوْمَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَسَتُحَوَّلُونَ عَنْ ذَلِكَ فَلَا تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَنْتُمُ الْيَوْمَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، لَمْ تَظْهَرْ فِيكُمُ السَّكْرَتَانِ: سَكْرَةُ الْجَهْلِ وَسَكْرَةُ الْعَيْشِ، وَسَتُحَوَّلُونَ عَنْ ذَلِكَ، الْقَائِمُونَ يَوْمَئِذٍ بِالْكِتَابِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً كَالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، لَهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟، قَالَ: لَا بَلْ مِنْكُمْ﴾ يقول عبد الرحمن العمري: إن من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله، بأن ترى ما يسخطه فتجاوزه ولا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر خوفا ممن لا يملك لك ضرا ولا نفعا. وقال: من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الطاعة فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لا ستخف به.

الجهل والفقر والظلم

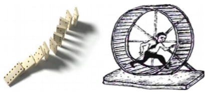

متلازمة الجهل والفقر والظلم ؛ حلقة شيطانية لا تنتهي أبداً (تغذي بعضها البعض)   تأثير الظلم/الظالم في المجتمع/الناس..

عندما تدخل الأمة في هذه الدوامة يستشري الظلم بين العباد، ولأن الغاب قانون السلطات العربية اليوم، سيحاول الأقوى أخذ حق الأضعف (كتأثير الدومينو) وهكذا تستمر هذه الدوامة الجهنمية إلى ما لا نهاية (لا يكسرها إلا حاكم عادل) وهذا ما يفسر وجود هذا العدد الرهيب من المتسولة واللصوص والمرتزقة (ممن يسمون زوراً وبهتاً برجال الأمن) في بنية المجتمعات العربية. يقول مؤسّس علم الاجتماع، ابن خلدون:﴿الظُّلْمَ مُؤْذِنٌ بِخَرَابِ الْعُمْرَانَ﴾ (العمران البشري) ويقول: ﴿إِعْلَمْ أَنَّ الْعُدْوَانَ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِم ذَاهِبٌ بِآمَالِهِمْ فِي تَحْصِيلِهَا وَاكْتِسَابِهَا لِمَا يَرَوْنَهُ حِينَئِذٍ مِنْ أَنَّ غَايَتَهَا وَمَصِيرَهَا انْتِهَابِهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ. وَإِذَا ذَهَبَتْ آمَالُهُمْ فِي اِكْتِسَابِهَا وَتَحْصِيلُهَا اِنْقَبَضَتْ أَيْدِيهُمْ عَنْ السَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَعَلَى قَدْرِ الِاعْتِدَاءِ وَنِسْبَتِهِ يَكُونُ اِنْقِبَاضُ الرَّعَايَا عَنْ السَّعْيِ فِي الِاكْتِسَابِ فَإِذَا كَانَ الِاعْتِدَاءُ كَثِيرًا عَامًا فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الْمَعَاشِ كَانَ الْقُعُودُ عَنْ الْكَسْبِ كَذَلِكَ لِذَهَابِهِ بِالْآمَالِ جُمْلَةً بِدُخُولِهِ مِنْ جَمِيعِ أَبْوَبِهَا وَإِنْ كَانَ الِاعْتِدَاءُ يسيرًا كَانَ الِانْقِبَاضُ عَنْ الْكَسْبِ عَلَى نِسْبَتِهِ﴾ قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: الحكم الاستبدادي تهديم للدين وتخريب للدنيا، فهو بلاء يصيب الإيمان والعمران جميعا. وهو دخان مشؤوم الظل تختنق الأرواح والأجسام في نطاقه حيث امتد، فلا سوق الفضائل والآداب تنشط، ولا سوق الزراعة والصناعة تروج. وكان يرى أن قمة تدهور الأمة الإسلامية في الاستبداد السياسي. قلت: مصيبة العرب اليوم تكمن في العسكر فلا استبداد بدون عسكر. قيل لابن عباس: إن الناس قد فسدوا ولا يصلحهم إلا الشر. قال: بالله الذي لا إله إلا هو للجور أشب للشر، والعدل أطفأ للجور. وفي العدل كفاية، وإليه انتهت السياسة. وقد يصيب الوالي في رعيته بأربع من نفسه وأربع من أنفسهم؛ فأما الأربع اللواتي منهم فالرغبة والرهبة والأمانة والنصيحة. وأما الأربع اللواتي من نفسه فإعطاء من نصحه، والجزاء لمن أبلاه، وعقوبة ذي الذنب بقدر ذنبه، والتنكيل بمن تعدى أمره. فإن هو لم يفعل ذلك وتراخى ابتلى منهم بأربع: بالغش والخذلان والخيانة والنكد.

☪

قال ابن تيمية: ﴿وَأُمُورُ النَّاسِ تَسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعَدْلِ الَّذِي فِيهِ الِاشْتِرَاكُ فِي أَنْوَاعِ الْإِثْمِ: أَكْثَرَ مِمَّا تَسْتَقِيمُ مَعَ الظُّلْمِ فِي الْحُقُوقِ وَإِنْ لَمْ تَشْتَرِكْ فِي إثْمٍ؛ وَلِهَذَا قِيلَ: إنَّ اللهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً؛ وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً. وَيُقَالُ: الدُّنْيَا تَدُومُ مَعَ الْعَدْلِ وَالْكُفْرِ وَلَا تَدُومُ مَعَ الظُّلْمِ وَالْإِسْلَامِ﴾ قال الله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] قال علي الصلابي:الآية تحذر من وخامة الظلم إن الدولة الكافرة قد تكون عادلة بمعنى أن حكامها لا يظلمون الناس والناس أنفسهم لا يتظالمون فيما بينهم، فهذه الدولة مع كفرها تبقى، إذ ليس من سنته تعالى إهلاك الدولة بكفرها فقط، ولكن إذا انضم إلى كفرها ظلم حكامها للرعية وتظالم الناس فيما بينهم. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود] قال الإمام الرازي في تفسيره: إن المراد من الظلم في هذه الآية الشرك. والمعنى أن الله تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين، إذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم يعامل بعضهم بعضاً على الصلاح وعدم الفساد. قال علي بن عمران: الدول إذا عدلت قرت واستقرت وأعطاها الله الأمان من روعات الزمان ومن مصائب الحدثان وإذا ظلمت محقت وسحقت وتمزقت وتفرقت وهذه سنة ماضية وحكمة قاضية.قال الفضيل: لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد. وقال الثوري لأبي جعفر:﴿إِنِّي لَأُعَلِّمُ رَجُلًا إِنَّ صَلُحَ صَلَّحَتْ الْأُمَّةُ قَالَ وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ أَنْتَ﴾ وفي الخبر:﴿النَّاسُ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ﴾.

مراجع: البداية والنهاية/ إحياء علوم الدين/ صحيح مسلم/ مقدمة ابن خلدون/تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام/ نثر الدر/

◆ الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) الأموي القرشي، أبو العباس (سادس ملوك الدولة الأموية) ومحمد بن شهاب الزهري 0393

دخل محمد بن شهاب الزهري[1] على الوليد* بن عبد الملك، فقال: يا ابنَ شهاب، ما حديث يحدثنا به أهل الشام ؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال: حدثونا أنَّ الله تبارك وتعالى إذا استرعى عبدًا رعية كتب له الحسنات، ولم يكتب عليه السيئات. قال: كَذبوا يا أمير المؤمنين، أَنبيٌّ خليفة أقرب إلى الله، أم خليفة ليس بنَبِي؟ قال: بل نبي خليفة. قال: فأنا أحدثك يا أمير المؤمنين بما لا تشكُّ فيه، قال الله تعالى لنبيه داود: ﴿يَا داود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص] يا أمير المؤمنين، فهذا وعيد الله لنبي خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبي؟!. فقال الوليد: إنَّ الناس ليغروننا عن ديننا.

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن إبراهيم بن أبي زرعة أن الوليد قال له: أيحاسب الخليفة ؟ قال: يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أم داود؟ إن الله جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال: ﴿يَا داود﴾ [ص] الآية

حدث إسحاق بن يحيى عن عطاء بن يسار[2] قال: قلت للوليد بن عبد الملك: قال عمر بن الخطاب: وددت أني خرجت من هذا الأمر كفافا لا علي ولا لي. فقال: كذبت. فقلت: أو كذبت! فما أفلت منه إلا بجريعة الذقن *.

---

* (أفلت فلان بجريعة الذقن) وهو آخر ما يخرج من النفس.يقال أفلت فلان بجريعة الذقن يضرب مثلا للرجل يشرف على هلكة ثم يفلت كأنه جرع الموت جرعا ثم أفلت منه. (الوليد) في رواية قال: يزيد بن عبد المملك ؟ [كتاب: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي]

■ (1) محمد بن شهاب الزهري وهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي هكذا نسبه مصعب الزبيري وغيره ليس في ذلك اختلاف قال مصعب وأمه من بني الدئل بن عبد مناة بن كنانة قال أبو عمر كنيته أبو بكر وكان من علماء التابعين وفقهائهم مقدم في الحفظ والإتقان والرواية والاتساع إمام جليل من أئمة الدين أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم. قال أبو داود: أسند الزهري أكثر من ألف حديث عن الثقات، وحديث الزهري كله ألفا حديث ومئتا حديث، والنصف منها مسند وقدر مئتين عن الثقات، وأما ما اختلفوا عليه فلا يكون خمسين حديثا، والاختلاف عندنا ما تفرد قوم على شيء، وقوم على شيء. وعن سليمان بن حبيب المحاربي قال قال لي عمر بن عبد العزيز ما أتاك به الزهري بسنده فاشدد به يديك. وعن الأوزاعي قال ما داهن ابن شهاب ملكا من الملوك قط إذ دخل عليه ولا أدركت خلافة هشام أحدا من التابعين أفقه منه. وعن عمرو بن دينار قال ما رأيت أنص للحديث من ابن شهاب ولا رأيت أجود منه ما كانت الدنانير والدراهم عنده إلا بمنزلة البعر. وعن مالك قال: قيل لابن شهاب لو جلست إلى سارية تفتي الناس قال إنما يجلس هذا المجلس من زهد في الدنيا.
ولد رحمه الله سنة 51 هـ وقيل سنة 58 هـ في آخر خلافة معاوية وهي السنة التي توفيت فيها عائشة أم المؤمنين وأبو هريرة. ومات رضي الله عنه سنة 124 هـ في شهر رمضان ليلة سبع عشرة منه وهو ابن ست وستين سنة وذلك قبل موت هشام بعام. وقيل إنه مات وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ودفن على قارعة الطريق ليدعى له وكانت وفاته بضيعة له بناحية شغب وبدا مرض هنالك وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق فدفن بموضع يقال له إدامى وهي خلف شغب وبدا وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز.

■ (2) عطاء بن يسار أبو محمد المدني الفقيه، مولى ميمونة أم المؤمنين، وهو أخو سليمان، وعبد الله، وعبد الملك.وكان قاصا واعظا ثقة جليل القدر. حدث عن أبي أيوب، وزيد، وعائشة، وأبي هريرة، و أسامة بن زيد، وعدة. قال أبو داود: سمع من ابن مسعود. روى عنه زيد بن أسلم، وصفوان بن سليم، وعمرو بن دينار، وهلال بن علي، وشريك بن أبي نمر. توفي سنة 103 هـ، وقيل قبل 100 هـ. روى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، أن أبا حازم قال: ما رأيت رجلا كان ألزم لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من عطاء بن يسار.قال عبد الرحمن بن زيد: قال أبي: كان عطاء يحدثنا حتى يبكينا أنا وأبو حازم، ثم يحدثنا حتى يضحكنا، ويقول: مرة هكذا، ومرة هكذا.

☪

كان هارون الرشيد قد حلف أنه من أهل الجنة، فاستفتى العلماء فلم يفته أحد بأنه من أهلها فقيل له عن ابن السماك المذكور، فاستحضره وسأله، فقال له هل قدر أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفا من الله تعالى؟ فقال: نعم، كان لبعض ألزمي جارية فهويتها وأنا إذ ذاك شاب، ثم إني ظفرت بها مرة، وعزمت على ارتكاب الفاحشة معها، ثم إني فكرت في النار وهولها وأن الزنا من الكبائر، فأشفقت من ذلك، وكففت عن الجارية مخافة من الله تعالى، فقال له ابن السماك: أبشر يا أمير المؤمنين فإنك من أهل الجنة، فقال هارون: ومن أين لك هذا؟ فقال: من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى(40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات] فسر هارون بذلك. وعن ثور بن يزيد قال: ذكرت خطباء أهل الشام الخلافة فعظموها، ثم أطروا عبد الملك، فالتفت إلى عبد الرحمن بن زرعة الحميري[1] فقال: يا بن زرعة ما منزلتي عند الله عز وجل؟ قال: أما ترضى أن تكون منزلتك منزلة داود النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل: ﴿يَا داود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ [ص] قال: فهذا قول الله عز وجل لنبيه، فكيف بك، فأطرق عبد الملك فلم يتكلم. وقال جعفر بن برقان: سمعت ميمون بن مهران يقول: إن العبد اذا أذنب ذنبا نكت في قلبه بذلك الذنب نكتة سوداء، فان تاب محيت من قلبه، فترى قلب المؤمن مجلي مثل المرآة، ما يأتيه الشيطان من ناحية إلا أبصره، وأما الذي يتتابع في الذنوب فانه كلما أذنب ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء، فلا يزال ينكت في قلبه حتى يسود قلبه، ولا يبصر الشيطان من حيث يأتيه. قال جعفر بن برقان: سمعت ميمون بن مهران يقول: لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، حتى يعلم من أين مطعمه، ومن اين ملبسه، ومن أين مشربه، أمن حلال ذلك أم من حرام.

☪

عن عبد الله بن مالك؛ قال: كنت عند هارون ودخل أبو البختري[2]، فقال: يا أمير المؤمنين حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه عن آبائه رفعه؛ قال: إذا كان يوم القيامة يؤخذ للناس القصاص إلا من بني هاشم، فلما خرج قال: هارون: لولا أن هذا قد كفانا بعض ما يهمنا من أمر المدينة لم أكن أقبله يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسي. قال ابن الجوزي: قال الرشيد لشيبان [3]: عظني قال: لأن تصحب من يخوفك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف فقال الرشيد: فسر لي هذا قال: من يقول لك: أنت مسؤول عن الرعية فاتق الله أنصح لك ممن يقول: أنتم أهل بيت مغفور لكم وأنتم قرابة نبيكم صلى الله عليه وسلم فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله.

عن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ وَلِي مِنْكُمْ عَمَلًا، فَأَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ﴾ وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَا بَعَثَ اللهُّ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُّ تَعَالَى﴾ (بطانتان) أي وزيران ومشيران، مشبهان بالبطانة لملازمته بحيث لا ينفكان عن صحبته.وقد كان الإمام مالك بن أنس مرة عند الحاكم، وقام أحد الحاضرين يثني على الحاكم. فقال مالك: إياك أن يغرك هؤلاء بثنائهم عليك، فإن مَن أثنى عليك وقال فيك من الخير ما ليس فيك أوشك أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك، فاتقِ الله في التزكية منك لنفسك ولا ترضى بها من أحدٍ يقولها لك في وجهك فإنك أنت أعرف بنفسك منهم؛ فإنه بلغني أن رجلاً مُدِح عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ أَخِيكَ، وَاللهِ لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَثْنَى أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ، فَلْيَقُلْ: وَاللهِ إِنَّ فُلَانًا، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا﴾ وعن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال أثنى رجل على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ أَخِيكَ -ثَلاَثًا- مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلاَنًا -وَاللهُّ حَسِيبُهُ- وَلاَ أُزَكِّى عَلَى اللهِّ أَحَدًا. إِنْ كَانَ يَعْلَمُ﴾ (ويلك) الويل بمعنى الهلاك أي هلكت هلاكا وأهلكت إهلاكا، وفي نسخة. ويحك وهو للشفقة والمرحمة بخلاف الأول، فإنه للزجر في الموعظة. وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ﴾ عن الحسن البصري: أن عمر رضي الله عنه كان قاعدا وفي يده الدرة والناس عنده، فأقبل الجارود[4]، فلما أتى عمر قال له رجل: هذا سيد ربيعة، فسمعها عمر وسمعها الجارود وسمعها القوم، فلما دنا الجارود من عمر خفقه بالدرة على رأسه، فقال الجارود: بسم الله، مه يا أمير المؤمنين، قال: ذلك، قال: أما والله لقد سمعتها وسمعت ما قال الرجل، قال: فمه، قال: خشيت أن يخالط قلبك منها شئ فأحببت أن أطأطئ منك. قال علي بن الحسين: لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم. وعن مسلم قال: قال مالك بن دينار: منذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم. ولم أكره مذمتهم. قيل: ولم ذاك؟ قال: لأن حامدهم مفرط وذامهم مفرط. فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال: أنت يا أمير المؤمنين خير مني وأعلم فغضب وقال: إني لم آمرك بأن تزكيني، وقال بعضهم لما مدح اللهم، إن عبدك تقرب إلي بمقتك فأشهدك على مقته. وإنما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض إليهم مدح الخلق لأن الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى في النار مع الأشرار فهذا الممدوح إن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثنائه عليه إذ ليس أمره بيد الخلق. ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه والله الموفق للصواب برحمته. ويروى أن خراساني قال للإمام أحمد: الحمد لله الذي رأيتك، فقال له: اقعد، أي شيء ذا؟ من أنا؟ وعن رجل قال: رأيت أثر الغم في وجه أبي عبد الله، وقد أثنى عليه شخص، وقيل له: جزاك الله عن الإسلام خيرا. فقال: بل جزى الله الإسلام عني خيرا، من أنا وما أنا! وعن عبد الكريم قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: جزاك الله عن الإسلام خيرا، قال: لا، بل جزى الله الإسلام عني خيرا. وقال رجل لابن عمر يا خير الناس وابن خير الناس فقال ابن عمر: ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس ولكني عبد من عباد الله أرجو الله عز وجل وأخافه والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه. وعن أبي الوازع قال: قلت لابن عمر: لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم، قال فغضب ثم قال: إني لأحسبك عراقيا، وما يدريك ما يغلق عليه ابن امك بابه؟! قال إياس بن أبي تميمة: شهدت الحسن في جنازة أبي رجاء على بغلة، والفرزدق إلى جنبه على بعير، فقال له الفرزدق: قد استشرفنا الناس، يقولون: خير الناس، وشر الناس.قال: يا أبا فراس، كم من أشعث أغبر ذي طمرين خير مني، وكم من شيخ مشرك أنت خير منه، ما أعددت للموت؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله. قال: إن معها شروطا، فإياك وقذف المحصنة. قال: هل من توبة؟ قال: نعم. وقال له بعض الناس: ألا تخاف من الله في قذف المحصنات، فقال: والله لله أحب إلي من عيني اللتين أبصر بهما، فكيف يعذبني؟ وعن محمد بن عمرو بن عطاء: ﴿أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، سَأَلَتْهُ: مَا سَمَّيْتَ ابْنَتَكَ؟ قَالَ: سَمَّيْتُهَا مُرَّةَ، فَقَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ هَذَا الِاسْمِ، سُمِّيتُ بَرَّةَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ اللهُّ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ. فَقَالَ: مَا نُسَمِّيهَا؟ قَالَ: سَمُّوهَا زَيْنَبَ﴾ قال رجل لميمون: يا أبا أيوب ما يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم، فقال له ميمون: أقبل على ثنائك أيها الرجل فما يزال الناس بخير ما اتقوا ربهم. وعن أبى الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ﴾ .

■ (2) أبو البختري وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد، القرشي الأسدي المدني، حدث عن عبيد الله بن عمر العمري وهشام بن عروة بن الزبير وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم، وكان متروك الحديث مشهورا بوضعه، انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولاه القضاء بعسكر المهدي في شرقي بغداد، ثم عزله وولاه القضاء بمدينة رسول الله بعد بكار بن عبد الله الزبيري، وجعل إليه ولاية حربها مع القضاء، ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي سنة200 هـ ببغداد، في خلافة المأمون. وأبو البختري: مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء، وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحتري وهو الشاعر.

■ (4) بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى العبدي: سيد عبد القيس وهم بطن من أسد ربيعة كان شريفا في الجاهلية، قيل: لقب الجارود بعد وقعة أغار بها على بني بكر بن وائل، فظفر، وقالت العرب: جردهم ! وأدرك الإسلام، فوفد على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من قومه، وكانوا نصارى، فأسلم، وفرح النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامه وأكرمه. وعاش إلى زمن الردة فثبت على عهده. ووجهه الحكم بن أبي العاص على القتال يوم سهرك فقتل في عقبة الطين موضع بفارس شهيدا سنة 20 هـ وقيل سنة 21 هـ

■ (3) شيبان أبو محمد الراعي، من عباد أهل مرو، توفي في حدود سنة 170 هـ. روى عنه أهل بلده وكان من الأمارين بالمعروف وسكة شيبان بمرو تعرف به وهو صاحب حكايات غريبة مروية وكان ابن المبارك لا يميل إليه لميله إلى مذهب الرأي.

■ (1) عبد الرحمن بن زرعة مولى المقداد بن الاسود أبو زرعة روى عنه أبو هلال الراسبي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، مرسل

مراجع: كنز العمال/ صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ مسند أحمد/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ إحياء علوم الدين/ العقد الفريد/ لسان العرب/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ الخلفاء/ أنساب الأشراف/ إكمال الكمال/ حلية الأولياء/

قال علي بن أبي حملة:[1] لم يكن أحد بالشام يستطيع أن يعيب الحجاج علانية إلا ابن محيريز [2]،وأبو الأبيض[3]. فقال الوليد بن عبد الملك لأبي الأبيض: ما للحجاج كتب يشكوك؟ لتنتهين، أو لأبعثنك إليه! ووردت على عبد الملك هدية الحجاج، فقال لأبي الأبيض: كيف ترى؟ قال: هذا حسن إن لم تكن ظلمت فيه الأرملة واليتيم، وكان الحجاج حاضرا، فقال: يا أمير المؤمنين اسقني دمه.

قال أبو حفص عمر الجزري: كتب أبو الأبيض وكان عابداً إلى بعض إخوانه: أما بعد، فإنك لم تكلف من الدنيا إلا نفساً واحدة، فإن أنت أصلحتها لم يضرك فساد من فسد بصلاحها، وإن أنت أفسدتها لم تنتفع بصلاح من صلح بفسادها، وأعلم أنك لا تسلم من الدنيا حتى لا تبالي من أكلها من أحمر أو أسود. حدث إسماعيل بن عياش:[4] أن رجلاً من الجيش أتى أبا الأبيض العبسي بدابق قبل نزولهم على الطوانة[5]، فقال: رأيت في يدك قناة فيها سنان يضيء لأهل العسكر كضوء كوكب، فقال: إن صدقت رؤياك، إنها الشهادة. قال: فاستشهد في قتال أهل الطوانة.

قيل: إن أبا الأبيض خرج مع العباس بن الوليد[6] في الصائفة، فقال أبو الأبيض: رأيت كأني أتيت بتمر وزبد، فأكلته، ثم دخلت الجنة، فقال العباس: نعجل لك الزبد والتمر، والله لك بالجنة. فدعى له بتمر وزبد، فأكله. ثم لقي أبو الأبيض العدو، فقاتل حتى قتل. قال الليث: وفي سنة ثمان وثمانين غزا مسلمة[7]،وعباس بن أمير المؤمنين طوانة. قال الوليد بن مسلم: حدثني من أصدق أن الوليد لما عزم على غزو الطوانة فذكر القصة، قال: وقتل أبو الأبيض العبسي.

قال الوضين بن عطاء:[8] أراد الوليد بن عبد الملك أن يولي يزيد بن مرثد [9] فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة وقلبها فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجاً وأخذ بيده رغيفاً (أي خبزة) وعرْقاً (أي عظم عليه لحم) وخرج بلا رداء ولا قلنسوة (أي أصلع الرأس) ولا نعل ولا خف، وجعل يمشي في الأسواق ويأكل فقيل للوليد: إن يزيد قد اختلط (أي خرف) وأخبر بما فعل فتركه. قال الكاتب: وفعل يزيد يدل على ورعه وخوفه من تبعة القضاء؛ لأن القضاء فيه خطر عظيم؛ ولهذا قال العلماء: يحرم على من لا يحسنه ولم تجتمع فيه شروطه الدخول فيه.

- (3) أبو الأبيض العبسي (في تهذيب الكمال: أبو الأبيض العنسي) الشامي التابعي ويقال: المدني، يقال: إن اسمه عيسى، من بني زهير بن جذيمة. قدم الشام مع الوليد بن عبد الملك. استشهد في قتال أهل الطوانة سنة 88 هـ .
- (2) عبد الله بن محيريز بن جنادة القرشي الجمحي المكي التابعي، نزل الشام وسكن بيت المقدس. توفى ابن محيريز في خلافة الوليد بن عبد الملك، وقيل: توفى في خلافة عمر بن عبد العزيز، وقيل بقى بن محيريز حيا إلى دولة سليمان بن عبد الملك ولعله توفى سنة 99 هـ.روى له الجماعة.
- (9) يزيد بن مرثد الهمداني أبو عثمان من عباد أهل الشام. ويقال أيضا كنيته أبو عبد الرحمن الهمداني. يروى عن معاذ بن جبل وأبى الدرداء روى عنه خالد بن معدان وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر كان ممن لا يجف عينيه عامة دهره من البكاء حتى منعه ذلك من الطعام والشراب.
- (7) أبو سعيد، مسلمة بن عبد الملك، أمير أُموي، وقائد عسكري، وابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب) ولد سنة 66 هـ وتوفي سنة121 هـ.
- (6) العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو الحارث الأموي. كان يقال له فارس بني مروان. استعمله أبوه على حمص، وولي المغازي، وافتتح عدة حصون، ولكنه كان ينال من عمر بن عبد العزيز بجهل. وقد مات في سجن مروان بن محمد في حدود سنة 130 هـ
- (1) علي بن أبي حملة مولى قريش شيخ ضمرة بن ربيعة القرشي الحمصي أبو علي الرملي ما علمت به بأسا ولا رأيت أحدا إلى الآن تكلم فيه وهو صالح الأمر ولم يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستة مع ثقته انتهى وإذا كان ثقة ولم يتكلم فيه أحد فكيف نذكره في الضعفاء وكان يكنى أبا نصر قرأ على عطية بن قيس وروى واثلة بن الأسقع قال البخاري مات سنة 216 هـ
- (4) إسماعيل بن عياش، أبو عتبة العنسي الحمصي. عالم أهل الشام. مات ولم يخلف مثله. ولد سنة ست 106 هـ.ومات سنة181 هـ.
- (8) الوضين بن عطاء بن كنانة بن عبد الله بن مصدع أبو كنانة الخزاعي، ويقال: أبو عبد الله أصله من بانياس، وسكن قرية كفر سوسية. توفي سنة 147 هـ ، وقيل: سنة 149 هـ، وقيل: سنة نيف وخمسين. وكان الوضين يرى القدر.وثقه قوم وضعفه آخرون.
- (5) فتح طوانة من أرض الروم . في سنة ثمان وثمانين غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك بلد الروم، وكان الوليد قد كتب إلى صاحب أرمينية يأمره أن يكتب إلى ملك الروم يعرفه أن الخزر وغيرهم من ملوك جبال أرمينية قد اجتمعوا على قصد بلاده، ففعل ذلك، وقطع الوليد البعث على أهل الشام إلى أرمينية وأكثر وأعظم جهازه، وساروا نحو الجزيرة ثم عطفوا منها إلى بلد الروم فاقتتلوا هم والروم، فانهزم الروم ثم رجعوا فانهزم المسلمون، فبقي العباس في نفر منهم ابن محيريز الجمحي فقال العباس: أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة؟ فقال ابن محيريز: نادهم يأتوك. فنادى العباس: يا أهل القرآن! فأقبلوا جميعا، فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة، وحصرهم المسلمون وفتحوها في جمادى الأولى.

في سنة 88 هـ كان فتح طوانة* على يدي مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد، وهزم المسلمون العدو يومئذ هزيمة صاروا إلى كنيستهم، ثم رجعوا فانهزم الناس حتى ظنوا ألا يجتبروها* أبدا، وبقي العباس معه نفير؛ منهم ابن محيريز الجمحي، فقال العباس لابن محيريز: أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة؟ فقال ابن محيريز: نادهم يأتوك؛ فنادى العباس: يا أهل القرآن! فأقبلوا جميعا، فهزم الله العدو حتى دخلوا طوانة. وكان الوليد بن عبد الملك ضرب البعث على أهل المدينة في هذه السنة. فذكر محمد بن عمر، عن أبيه، أن مخرمة بن سليم الوالبي قال: ضرب عليهم بعث ألفين. وأنهم تجاعلوا فخرج ألف وخمسمائة، وتخلف خمسمائة، فغزوا الصائفة مع مسلمة والعباس، وهما على الجيش. وإنهم شتوا بطوانة وافتتحوها.

☪

قال إبراهيم بن أبي عبلة عن رجاء بن حيوة إن يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم عبد الله بن عمر فإنا نفخر عليهم بعابدنا عبد الله بن محيريز، وقال أيضا إن كان أهل المدينة ليرون عبد الله بن عمر فيهم أمانا فإنا نري بن محيريز فينا أمانا وإن كان لصموتا معتزلا في بيته، وقال رجاء بن أبي سلمة عن رجاء بن حيوة أتانا نعي ابن عمر ونحن في مجلس ابن محيريز، فقال ابن محيريز: والله إن كنت لأعد بقاء ابن عمر أمانا لأهل الأرض، وقال رجاء بن حيوة بعد موت ابن محيريز وأنا والله إن كنت لأعد بقاء ابن محيريز أمانا لأهل الأرض، وقال رجاء بن أبي سلمة عن خالد بن دريك كانت في ابن محيريز خصلتان ما كانتا في أحد ممن أدركت من هذه الأمة كان من أبعد الناس أن يسكت عن حق بعد أن يتبين له يتكلم فيه غضب في الله من غضب ورضى فيه من رضى وكان من أحرص الناس إن يكتم من نفسه أحسن ما عنده، وقال ضمرة بن ربيعة حدثنا عبد الحميد بن صبيح شيخ لنا حذاء عن الأوزاعي قال: من كان مقتديا فليقتد بمثل ابن محيريز فإن الله لم يكن ليضل أمه فيها مثل بن محيريز، وقال ضمرة أيضا عن يحيى بن أبي عمرو السيباني كان ابن الديلمي من أنصر الناس لاخوانه فذكر ابن محيريز في مجلسه، فقال رجل: كان بخيلا فغضب ابن الديلمي وقال: كان جوادا حيث يحب الله بخيلا حيث يحبون، وقال أحمد بن عبد الله العجلي عبد الله بن محيريز شامي تابعي ثقة من خيار الناس قال الهيثم بن عدي وخليفة بن خياط مات في خلافة عمر بن عبد العزيز وقال ضمرة بن ربيعة مات في خلافة الوليد بن عبد الملك روى له الجماعة.وروى له البخاري ومسلم.

☪

دخل ابن محيريز حانوتا بدانق وهو يريد أن يشتري ثوبا، فقال رجل لصاحب الحانوت: هذا ابن محيريز فأحسن بيعه فغضب ابن محيريز وخرج، وقال: إنما نشتري بأموالنا، لسنا نشتري بديننا. وعن رجاء بن حيوة قال: أتانا نعي ابن عمر، ونحن في مجلس ابن محيريز فقال ابن محيريز: والله إن كنت لأعد بقاء ابن عمر أمانا لأهل الأرض. وقال رجاء بن حيوة بعد موت ابن محيريز: وأنا والله إن كنت لأعد بقاء ابن محيريز أمانا لأهل الأرض. كان ابن محيريز يجيء بالكتاب إلى عبد الملك فيه النصيحة فيقرئه إياه ثم لا يقره في يده. وبعث عبد الملك بن مروان إلى ابن محيريز بجارية، فترك ابن محيريز منزله فلم يكن يدخله، فقيل له: يا أمير المؤمنين تغيب ابن محيريز عن منزله. قال: ولم؟ قيل: من أجل الجارية التي بعثت بها إليه. قال: فبعث عبد الملك فأخذها. وكان ابن محيريز إذا مدح قال: وما يدريك؟ وما علمك؟ وعن عمر بن عبد الرحمن بن محيريز قال: كان جدي ابن محيريز يختم في كل سبع. وعن عبد الله بن عوف القارئ قال: لقد رأيتنا برودس وما في الجيش أحد أكثر صلاة من ابن محيريز في العلانية ثم أقصر عن ذلك حين شهر وعرف. كان ابن زكريا يقدم فلسطين فيلقى ابن محيريز فتتقاصر إليه نفسه لما يرى من فضل ابن محيريز. قال ابن محيريز: اللهم إني أسألك ذكرا خاملا. كانت في ابن محيريز خصلتان ما كانتا في أحد ممن أدركت في هذه الأمة: كان أبعد الناس أن يسكت عن حق بعد أن يتبين له، يتكلم فيه غضب من غضب، ورضي من رضي، وكان من أحرص الناس أن يكتم من نفسه أحسن ما عنده. قال ابن محيريز: من مشى بين يدي أبيه فقد عقه، إلا أن يمشي فيميط له الأذى عن طريقه، ومن دعا أباه باسمه أو بكنيته فقد عقه إلا أن يقول: يا أبه.

بعث عبد الملك بن مروان إلى ابن محيريز بجارية فترك ابن محيريز منزله، فلم يكن يدخله! فقيل له: يا أمير المؤمنين نفيت ابن محيريز عن منزله! قال: ولم؟ قال: من أجل الجارية التي بعثت بها إليه! قال: فبعث عبد الملك فأخذها.

----

*(يجتبروها) أي لا مجبر لها. ولا عوض . وتجبر الرجل: عاد من ماله بعض ما ذهب منه. (تجاعلوا) تجاعل الناس عند الغزو: أعطوا الجعالة عند البعوث =الغزوات-. يقال: تجاعلوا عند البعوث،أو لأمر يحزبهم من السلطان. وتجاعل القوم الشيء: جعلوه بينهم. (طوانة) حصنا من حصون الروم يدعى طوانة.

مراجع: الكامل في التاريخ/ تهذيب الأسماء واللغات/ تذكرة الحفاظ/ مختصر تاريخ دمشق/ تهذيب الكمال/ لسان الميزان/ ميزان الاعتدال/ تاريخ الرسل والملوك/ بحوث ودراسات في اللهجات العربية من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة/ مختصر صفة الصفوة لابن الجوزى/ إيقاظ أولي الهمم العالية/

قال صالح بن كيسان: لما حضر قدوم الوليد –سنة إحدى وتسعين حجا بالناس–، أمر عمر بن عبد العزيز[1] عشرين رجلا من قريش يخرجون معه فيتلقون الوليد بن عبد الملك منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام[2] وأخوه محمد بن عبد الرحمن[3] وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان[4] فخرجوا حتى بلغوا السويداء وهم مع عمر بن عبد العزيز وفي الناس يومئذ دواب وخيل فلقوا الوليد وهو على ظهر فقال لهم الحاجب انزلوا لأمير المؤمنين فنزلوا ثم أمرهم فركبوا فدعا بعمر بن عبد العزيز فسايره حتى نزل بذي خشب* ثم أحضروا فدعاهم رجلا رجلا فسلموا عليه ودعا بالغداء فتغدوا عنده وراح من ذي خشب* فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه فأخرج الناس منه فما ترك فيه أحد وبقي سعيد بن المسيب[5] ما يجترىء أحد من الحرس أن يخرجه وما عليه إلا ريطتان ما تساويان إلا خمسة دراهم في مصلاه فقيل له لو قمت! قال: والله لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه، قيل فلو سلمت على أمير المؤمنين! قال: والله لا أقوم إليه، قال عمر بن عبد العزيز: فجعلت أعدل بالوليد في ناحية المسجد رجاء ألا يرى سعيدا حتى يقوم فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة فقال: من ذلك الجالس؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيب؟، فجعل عمر يقول: نعم يا أمير المؤمنين ومن حاله ومن حاله ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر فقال الوليد: قد علمت حاله ونحن نأتيه فنسلم عليه، فدار في المسجد حتى وقف على القبر ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال: كيف أنت أيها الشيخ؟ –فوالله ما تحرك سعيد ولا قام– فقال: بخير والحمد لله، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله؟ قال الوليد: خير والحمد لله، فانصرف وهو يقول لعمر: هذا بقية الناس، فقلت: أجل يا أمير المؤمنين. قال الواقدي: قال عمر بن عبد العزيز في شيء: إن الذي سخر الوليد في تجبره وعتوه حتى جاء يمشي إلى ابن المسيب فسلم عليه قادر على أن يسهل هذا الأمر؛ وقال عمر في شيء حلف عليه: لا والذي صرف عن ابن المسيب شر الوليد، وسخره له ما كان كذا.

----

*(ذي خشب) على 12 ميلا من المدينة، جميعا قرى في طريق القوافل

(5) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع: عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة.قيل توفي سنة 94 هـ وقيل سنة 93 هـ وقيل سنة 91 أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم: فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ

(1) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

(4)عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص الأموي، وقيل: عبد الله بن عمر. كان يسكن عرج الطائف وكان يقال له المطرف من حسنه وملاحته، وهو من شعراء قريش المشهورين بالغزل. وكان مشغوفا باللهو والصيد، وكان ذا مروءة، وفد على عبد الملك بن مروان. مات بمصر سنة 96 هـ

(2) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي، ولد في خلافة عمر، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة (والبقية:سعيد بن المسيب، وعروة، والقاسم، وعبيد الله بن عبد الله ابن عتبة، وخارجة بن زيد، وسليمان ابن يسار) كان من سادات التابعين ويلقب براهب قريش. وكان مكفوفا توفي في المدينة سنة 94 هـ وهو الأصح

(3) محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

عن الزهري عن سعيد بن المسيب أنه قال: الغيبة توأم الحسد وليسا من أخلاق الكرماء ولا الصلحاء. وعن سعيد بن المسيب أنه قال: من الحزم انتهاز الفرص ولا فرصة إلا فيها كان لله رضى. قال الزهري: ما كنت أقدر على مواجهته بمسألة حتى أقول: قال فلان: كذا، وقال فلان: كذا فيجيب حينئذ ويقول ما عنده. وعن عبد الله بن يزيد الهذلي قال: سمعت سليمان بن يسار يقول: سعيد بن المسيب فقيه الناس، وسمعت سعيدا يقول للسائل إذا سأله عن شيء: اذهب إلى سليمان بن يسار[1] مولى ميمونة، فإنه أعلم من بقي اليوم. وعن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب أنه قال: سليمان بن يسار أفهم عندنا من ابن المسيب. قال الزهري: سمعت سليمان بن يسار يقول: كنت وسعيد بن المسيب، وقبيصة بن ذؤيب نجالس ابن عباس، فأما أبو هريرة فكان سعيد أعلمنا بمستنداته لصهره، كان على ابنته. قالوا: وكان الحسن بن أبي الحسن البصري لا يدع شيئاً فعله وقال به حتى يأتيه عن سعيد خلافه فيأخذ بقول سعيد. قال قدامة بن موسى الجمحي: كان سعيد بن المسيب يفتي وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياء. وعن سعد بن إبراهيم عن سعيد بن المسيب قال: فما بقي أحد أعلم بكل قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر مني، قال يزيد: وأحسبه قال وعثمان ومعاوية. وعن محمد بن يحيى بن حبان أنه قال: رأس أهل المدينة في دهره والمقدم عليهم في الفتوى سعيد بن المسيب، وكان يقال له فقيه الفقهاء. وقال مكحول: ما حدثتكم به فهو عن سعيد بن المسيب والشعبي. وعن ميمون بن مهران قال: قدمت المدينة فسألت عن أفقه أهلها فدفعت إلى سعيد بن المسيب. وعن مالك بن أنس قال: سئل القاسم بن محمد[2] عن مسألة فقيل له إن ابن المسيب يقول فيها كذا فقال القاسم: ذلك سيدنا وعالمنا وحبرنا. قال مالك: بلغنا أن سعيد بن المسيب قال: كنت أسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد. وعن ابن أبي ذئب عمن شهد محمد بن جبير بن مطعم[3] يستفتي سعيد بن المسيب. وعن أبي جعفر قال: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار وأفقهم في رأيه.

----

(1) سليمان بن يسار الهلالي المدني. أبو أيوب = يقال أبو عبد الرحمن، ويقال ابو عبد الله = مولى ميمونة وقيل أم سلمة ثقة فاضل أحد الفقهاء السبعة من كبار الثالثة مات بعد المائة وقيل قبلها. قيل توفي سنة 107 هـ. وقيل 103 هـ وهو ابن 73 سنة. أسند سليمان عن أبي هريرة وابن عمرو، وابن عباس، وأم سلمة، في خلق كثير من الصحابة. روى عنه الزهري وجماعة من الأكابر. وكان المستفتي إذا أتى سعيد بن المسيب يقول له: اذهب إلى سليمان بن يسار، فإنه أعلم من بقي اليوم. قال قتادة: قدمت المدينة، فسألت من أعلم أهلها بالطلاق فقالوا: سليمان بن يسار. وكان سليمان المذكور أخا عطاء بن يسار، وكان عالما ثقة عابدا ورعا ؛ قال الحسن بن محمد: سليمان بن يسار عندنا أفهم من سعيد بن المسيب، ولم يقل أعلم ولا أفقه. وعن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: كان سليمان بن يسار يصوم الدهر وكان عطاء بن يسار يصوم يوما ويفطر يوما.

(2) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد: أحد الفقهاء السبعة في المدينة.ولد فيها، وتوفي سنة106 هـ (وقيل سنة سبع أو ثمان أو تسع وقيل غير ذلك) بقديد بين مكة والمدينة حاجا أو معتمرا. وكان صالحا ثقة من سادات التابعين، عمي في أواخر أيامه.قال ابن عيينة: كان القاسم أفضل أهل زمانه.

(3) محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف.القرشي المدني يكنى أبا سعيداً أخو نافع، روى عن أبيه وعمر بن الخطاب ومعوية رضى الله عنهم وروى له الجماعة، توفي في عشر المابة للهجرة. وقيل زمن عمر بن عبد العزيز وفي رواية وردت في تهذيب التهذيب بأنه توفي في خلافة سليمان بن عبد الملك.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ الطبري/ أنساب الأشراف/ الكامل في التاريخ/ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال/ الأعلام للزركلي/ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ـمختار الصحاح/

عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر قال: ولي الوليد بن عبد الملك ابن عبد العزيز المدينة، فأتاه أهلها فذكروا له أن بها يهوديا قد أفسد النساء على الرجال والرجال على النساء بسحره، فبعث إليه عمر بن عبد العزيز فنفاه عن المدينة، وكان يقال له: زرعة بن إبراهيم[1] من أهل خيبر، فنفاه من المدينة إلى الشام. فأتى دمشق فنزل على جناح[2] مولى الوليد بن عبد الملك، فكان في خدمته. ثم إن الوليد بن عبد الملك خرج إلى عين الجر* متنزها، فخرج معه جناح مولى الوليد ومعه زرعة بن إبراهيم. فبينا جناح ليلة يسمر عند الوليد إذ قال: يا جناح، قد أرقني كثرة نقيق الضفادع في هذه الليلة في هذه البركة. فقال له جناح: إن عندي يهوديا معه علم، يذكر أن معه اسم الله الأعظم، وأرجو أن يكون عنده في ذلك شيء. فرجع جناح إلى رحله فقال له: يا زرعة، إن أمير المؤمنين شكا إلي كثرة نقيق هذه الضفادع، أفعندك فيها حيلة؟ قال: نعم. فأخذ أربع شقاف فكتب فيها كلاما بالعبرانية، ثم ألقاها في أربع زواياها في كل زاوية شقفة، فهدأ النقيق. فأرسل الوليد إلى جناح يسأله: ما هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ذلك اليهودي الذي عرفتك فعل كيت وكيت. فقال: قد أوحشني ذلك فلو نق منها عداد، فقال جناح لزرعة ذلك: فأخذ شقفة، فيها كلاما بالعبرانية، وألقاه في البركة، فنق منها عداد. فكتب وكيل عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن عبد العزيز، وهو بالمدينة، يخبره بقصة الرجل الذي نفاه، وما كان من أمره، وقصته في الضفادع. فكتب عمر إلى الوليد: يا أمير المؤمنين، إن هذا اليهودي قد ضج منه أهل المدينة، وقد أفسد المدينة، ولا آمن أن يفسد الشام، فبعث إليه الوليد، فأخبره بكتاب عمر، وقرأه عليه، وهم بقتله، فقال له زرعة: فإني أتوب إلى الله من السحر، وأسلم على يدك. قال إسماعيل فصح عندنا إسلامه، ولم تصح عندنا توبته من السحر.

حدث عن محمد بن عمر القرشي قال: لما هدم الوليد بن عبد الملك الكنيسة التي في مغارب المسجد، وجد في أساسه حجرا مكتوبا بالعبرانية، فأتوا الوليد بن عبد الملك فقالوا: وجدنا في أساس الحائط حجرا فيه كتاب لا ندري بأي لسان! فجمع أهل الكتب فلم يجد أحدا يقرؤه، فقال له رجل من اليهود: ابعث إلى وهب بن منبه اليماني[3]، فإنه يقرأ كل كتاب؛ فأرسل إليه، فقام إلى الحجر فقرأه، ثم بكى بكاء شديدا، ثم دخل على الوليد بن عبد الملك فقال: ويحك يا وهب! لقد بكيت من شيء عظيم، فقال: لقد رأيت في هذا الحجر عظة لمن اتعظ، وعبرة لمن اعتبر؛ قال: وما رأيت؟ قال: رأيت: يا بن آدم، لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طول ما ترجو به من أملك، وإنما يكفي ندمك إن زلت قدمك، وأسلمك أهلك وجسمك، وفارقك الحبيب، وودعك القريب، فلا أنت إلى أهلك بعائد، ولا في عملك بزائد؛ فاحتل ليوم القيامة، قبل الحسرة والندامة.

----

*(عين الجر) موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق (بيسان) مدينة بالشام صغيرة جدا وتنسب الخمر الطيبة إليها، بيسان مدينة بالاردن بالغور الشامي بين حوران وفلسطين (القلبة) بالضم: الحمرة ويقال: ما به قلبة محركة: داء وتعب

■ (1) زرعة بن إبراهيم الدمشقي الزبيدي عن عطاء قال أبو حاتم ليس بالقوي انتهى بقية كلامه يكتب حديثه وقال ابن حبان يروي عن عطاء وخالد بن اللجلاج العامري روى عنه سعيد بن أبي هلال ومحمد بن سعيد بن شابور وهو الذي يروي عنه بقية ويقول حدثني الزبيدي يجب أن يعتبر حديثه من غير رواية بقية عنه وذكره أيضا في الثقات فتناقض وقال أبو نعيم زرعة روى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما روى عنه عبد الله بن زياد الفلسطيني ليس بثقة ولا مأمون وذكر ابن عساكر في ترجمته انه كان يضع الحديث وانه كان يهوديا ساحرا ثم أسلم. قيل: إن زرعة قتل يوم دخلت المسودة دمشق في رمضان سنة 132 هـ

■ (2) جناح أبو مروان مولى الوليد بن عبد الملك وكاتبه على الرسائل وصاحب خاتمه، روى عنه ابنه مروان بن جناح وزرعة بن إبراهيم وسعد بن عبد العزيز وزيد بن واقد وعثمان بن عبد الرحمن بحصين بن عبيدة بن علاف وحماد مولى بني أمية

■ (3) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار وهو الأسوار، الإمام، العلامة، الإخباري، القصصي، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني، الذماري، الصنعاني. أخو: همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه. وأخذ عن: ابن عباس، وأبي هريرة – إن صح – وأبي سعيد، والنعمان بن بشير، وجابر، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص –على خلاف فيه – وطاووس. حتى إنه ينزل ويروي عن: عمرو بن دينار، وأخيه؛ همام، وعمرو بن شعيب، وفنج اليماني – ولا يدرى من فنج؟!. وروايته (للمسند) قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب. قال أحمد: كان من أبناء فارس، له شرف. ولد في سنة 34 هـ والصواب أن وفاته في سنة 110 هـ وليس 114 هـ. فالله أعلم.

حدث زرعة عن خالد بن اللجلاج: أن عمر بن الخطاب صلى يوما، فلما جلس في الركعتين الأوليين أطال الجلوس، فلما استقل قائما نكص خلفه، وأخذ بيد رجل من القوم، فقدمه مكانه، فلما خرج إلى العصر حكى الناس، فلما انصرف أخذ بجناح المنبر فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإني توضأت للصلاة، فمررت بامرأة من أهلي، فكان مني ومنها ما شاء الله أن يكون، فلما كنت في صلاتي وجدت بللا، فخيرت نفسي بين أمرين: إما أن أستحي منكم وأجترىء على الله، وإما أن أستحي من الله وأجترىء عليكم، فكان أن أستحي من الله وأجترىء عليكم أحب إلي، فخرجت فتوضأت، وجددت صلاتي، فمن صنع كما صنعت فليصنع كما صنعت.

قال محمد بن الحجاج: خرجت أريد الساحل، فقال لي زرعة بن إبراهيم: إذا أتيت الأوزاعي فأقرئه السلام، وقل له: يقول لك زرعة: من علمك علمك الذي تحسنه؟ فأخبرته بذلك، فقال الأوزاعي: إذا لقيته أو رجعت إليه فأقرئه السلام، وقل له: صدقت، تعلمنا منك، فلما أحدثت تركنا علمك، يعني: يضع الحديث.

قال عطية بن قيس الكلابي: رافقني يهودي قدم من الحجاز من بيت المقدس إلى دمشق، فنزلنا بـ بيسان*، فقال: ألا أريك شيئا حسنا؟ فانحدر إلى النهر، فأخذ ضفدعا، فجعل في عنقها شعرة من ذنب فرس، فحانت مني التفاتة فإذا هي خنزير في عنقه حبل شريط، فدخل به بيسان، فباعه من بعض الأنباط بخمسة دراهم. ثم ارتحلنا، فسرنا غير بعيد، فإذا الأنباط يتعادون في إثرنا، فقلت له: قد أقبل القوم! قال: فأقبل رجل منهم جسيم، فرفع يده فلكمه لكمة صرعه عن الدابة، فإذا برأسه معلق بجلده من رقبته، وأوداجه تشخب دما، فقلت: يا أعداء الله، قتلتم الرجل! فمضى القوم يتعادون هاربين، فقال لي الرأس: انظر مروا؟ فقلت: نعم، ثم قال: انظر أمعنوا؟ فالتفت أنظر إليهم، فإذا هو جالس ليس فيه قلبة*. فسئل عطية بن قيس عن هذا الرجل من هو؟ فقال: هو زرعة بن إبراهيم. قيل: إن زرعة قتل يوم دخلت المسودة دمشق في رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

----

*(بيسان) مدينة بالشام صغيرة جدا وتنسب الخمر الطيبة إليها، وقيل بيسان مدينة بالاردن بالغور الشامي بين حوران وفلسطين (القلبة) بالضم: الحمرة ويقال: ما به قلبة محركة: داء وتعب

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ لسان الميزان/

عن أبي معشر قال: كان علي بن أبي طالب[1] اشترط في صدقته أنها إلى ذي الدين والفضل من أكابر ولده. قال: فانتهت صدقته في زمن الوليد بن عبد الملك إلى زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب[2]، فنازعه فيها أبو هاشم عبد الله بن محمد[3] فقال: أنت تعلم أني وإياك في النسب سواء إلى جدنا علي، وإن كانت فاطمة لم تلدني وولدتك، فإن هذه الصدقة لعلي، وليست لفاطمة، وأنا أفقه منك وأعلم بالكتاب والسنة، حتى طالت المنازعة بينهما، فخرج زيد من المدينة إلى الوليد بن عبد الملك، وهو بدمشق، فكبر* عنده على أبي هاشم، وأعلمه أن له شيعة بالعراق يتخذونه إماما، وأنه يدعو إلى نفسه حيث كان، فوقع ذلك في نفس الوليد، ووقر في صدره، وصدق زيدا فيما ذكر، وحمله منه على جهة النصيحة، وتزوج نفيسة[4] ابنة زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكتب الوليد إلى عامله بالمدينة في إشخاص أبي هاشم إليه، وأنفذ بكتابه رسولا قاصدا يأتي بأبي هاشم، فلما وصل إلى باب الوليد أمر بحبسه في السجن فمكث فيه مدة. فوفد في أمره علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[5]، فقدم على الوليد، فكان أول ما افتتح به كلامه حين دخل عليه أنه قال: يا أمير المؤمنين، ما بال آل أبي بكر، وآل عمر، وآل عثمان يتقربون بآبائهم فيكرمون ويحبون، وآل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقربون به فلا ينفعهم ذلك!؟ فيم حبست ابن عمي عبد الله بن محمد طول هذه المدة؟ قال: بقول ابن عمكما زيد بن الحسن، فإنه أخبرني أن عبد الله بن محمد ينتحل اسمي، ويدعو إلى نفسه، وأن له شيعة بالعراق، وقد اتخذوه إماما. قال له علي بن الحسين: أو ما يمكن أن يكون بين ابني العم منازع ووحشة كما يكون بين الأقارب، فيكذب أحدهما على الآخر؟ وهذان كان بينهما كذا وكذا، فأخبره خبر صدقة علي بن أبي طالب وما جرى فيها، حتى زال عن قلب الوليد ما كان قد خامره، ثم قال له: فأنا أسألك بقرابتنا من نبيك صلى الله عليه وسلم لما خليت سبيله. فقال: قد فعلت. فخلى سبيله، وأمره أن يقيم بحضرته. فأقام أبو هاشم بدمشق يحضر مجلس الوليد، ويكثر عنده ويسامره، حتى إذا كان ذات ليلة أقبل عليه الوليد فقال: يا أبا البنات، لقد أسرع الشيب إليك، فقال له أبو هاشم: أتعيرين بالبنات؟ فقد كان نبي الله شعيب أبا بنات، وكان نبي الله لوط أبا بنات، وكان محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم وعليهم أبا بنات، فأي عيب فيما عيرتني به؟ فغضب الوليد من قوله، وقال له: إنك رجل تحب المماراة، فارحل عن جواري. قال: نعم والله أرحل عنك، فما الشام لي بوطن، ولا أعرج فيها على شجن، ولقد طال فيها همي، وكثر فيها ديني، وما أنا لك بحامد، ولا إلى جوارك بعائد. ونهض، وقد أحفظ الوليد، فخرج عن دمشق متوجها إلى المدينة، فدس إليه إنسانا يبيع اللبن وفيه السم، وكان عبد الله يحب اللبن ويشتهيه، فلما سمعه ينادي على اللبن تاقت إليه نفسه، فاشتري له منه، فشربه فأوجعه بطنه، واشتد به الأمر، فأمر أصحابه فعدلوا به إلى الحميمة، وبها محمد بن علي بن عبد الله بن عباس[6]، فنزل عليه، فمرضه وأحسن إليه. فلما حضرته الوفاة أوصى إلى محمد بن علي ببيته وعلمه وأشيائه كلها، وأمر شيعته الكيسانية[7] بالائتمام به فدفن. وقيل إن الذي سم أبا هاشم سليمان بن عبد الملك.

وفي رواية عن أبي رافع رزيق بن رافع عن أبيه سألني عبد الواحد بن عبد الله النضري[8] عن كتاب ضمانة دفعها إلي فقلت: وجهت بها إلى دار يزيد فقال: مر من يأتي بها فإن ذا كتاب نحب أن ننظر فيه فليأت به فإذا كتاب من سليمان بن عبد الملك وكان زيد بن الحسن على صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب سليمان إلى عامله بالمدينة: أما بعد فإذا جاءك كتابي هذا فاعزل زيدا عن صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم وادفعها إلى فلان بن فلان رجل من قومه وأعنه على ما استعانك عليه والسلام. فلما استخلف عمر بن عبد العزيز إذا كتاب قد جاء منه: أما بعد، فإن زيد بن الحسن شريف بني هاشم وذو سنهم فإذا جاءك كتابي هذا فاردد إليه صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعنه على ما استعانك عليه والسلام. فقال النصري (النضري؟) أأقرنهما جميعا فربي يعلم لا يدخل هذان مدخل رجل واحد.

----

* (فكبر) في الوافي: فكثر

■ (5) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ألقابه: السجاد، زين العابدين. ويكنى أبو الحسن، أبو محمد، ولد في المدينة المنورة سنة 38 هـ وتوفي فيها سنة 95 هـ، وقيل غير ذلك ودفن بالبقيع. أيضا من أولاد الحسين: علي الأكبر، وعلي الأصغر وكانوا من شهداء كربلاء.

■ (3) عبد الله بن محمد بن الحنفية، أبو هاشم، المتوفي سنة 98 هـ أو 99 هـ وهو ابن محمد بن الحنفية، وحفيد علي بن أبي طالب. وأبو هاشم هو الذي أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فبشره بأن الخلافة ستكون في ولدك، وصرف الشيعة إليه ورفع إليه كتبا وأسر إليه أشياء.

■ (2) زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخو الحسن بن الحسن ووالد الحسن بن زيد والي المدينة وهو زيد بن الحسن الأكبر أمه أم بشير بنت أبي مسعود الأنصاري يروي عن جابر بن عبد الله وأبيه الحسن بن علي وعبد الله بن عباس. كان يتولى صدقات رسول الله بالمدينة. مات وهو ابن تسعين سنة. قلت: مات في حدود 120 هـ

■ (6) محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو عبد الله، صاحب الدعوة العباسية. في عهده انتشرت الدعوة لتبلغ العراق وخراسان واتخذ من الحميمة مركزًا له ومقامًا لعيشه حيث قطنها هو وأبناءه إبراهيم وأبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور. مات سنة 125 هـ وله ستون سنة.قال إسماعيل بن علي الخطبي كان ابتداء دعاة بني العباس إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وتسميتأهم إياه بالإمام ومكاتبتهم له وطاعتهم لأمره وكان ابتداء ذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة 87 ولم يزل الأمر في ذلك ينمي ويقوى ويتزايد إلى أن توفي في مستهل ذي القعدة من سنة 124 وقد انتشرت دعوته وكثرت شيعته وبلغ من السن نيفا وستين سنة.

■ (1) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (4) نفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب تزوجها الوليد بن عبد الملك بن مروان فتوفيت عنده، وأمها لبابة بنت عبد الله بن عباسبن عبد المطلب بن هاشم.

■ (7) الكيسانية: فرقة من الرافضة منسوبة إلى كيسان مولى علي رضي الله عنه. أخذ العلوم من السيد محمد بن الحنفية وقرأ عليه واقتبس الأسرار منه اختلف أصحابه اختلافا كثيرا، فمنهم من قال: ليس للناس إمام سوى رجل واحد من لا يموت وإن غاب رجع. ومنهم من عداه إلى آخر، ثم توقفوا وتحيروا، ومنهم من أول الأركان الشرعية وقال: هي أسماء رجال من الصلاة والصوم والحج والزكاة، ومنهم من ضعف يقينه في القيامة، ومنهم من قال بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت وقبل القيامة، كما هو مذهب أهل الرجعة، ولهم في هذا هذيان كثير.

■ (8) عبد الواحد بن عبد الله بن بسر النضري: بمعجمة نسبة لجده نصر بن معاوية، أمير مكة والمدينة والطائف سنة 104 هـ، إلى أن عزل سنة 106 هـ بإبراهيم بن هشام المخزومي، وكان صالحا بارز الأمر، لا يسر شيئا، وإذا أتى برزقه في الشهر وهو ثلاثمائة دينار يقول: إن الذي يخون بعدك لخائن، ومع ذلك: فقد عزل بسبب إخراج القاضي سعيد بن سليمان بن يزيد بن ثابت الأمر من تحت يده، وتوجع القاسم بن محمد لعزله وجزع، قال الواقدي: لم يقدم أهل المدينة، وال أحب إليهم منه، كان لا يفصل أمرا إلا استشار القاسم بن محمد وسالما، وكان الذي عزله من الإمرة: هشام بن عبد الملك، وولي خاله إبراهيم بن إسماعيل بن هشام المخزومي.

☪

عن مالك بن أوس عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ﴾ وعن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَئُونَةِ عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَةٌ﴾ عن أبي صالح عن أم هانئ أن فاطمة قالت لأبي بكر: من يرثك إذا مت؟ قال ولدي وأهلي: قالت: فما لك ورثت النبي دوننا؟ فقال: يا بنت رسول الله إني والله ما ورثت أباك أرضا ولا ذهبا ولا فضة ولا غلاما ولا مالا، قالت: فسهم الله الذي جعله لنا وصافيتنا التي بيدك !؟ فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّمَا هِيَ طُعْمَةٌ أَطْعَمَنِيهَا اللَّهُ فَإِذَا مُتُّ كَانَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أخرجه ابن سعد وعن عروة عن عائشة قالت: إن فاطمة بنت رسول الله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أفاء الله على رسوله وفاطمة حينئذ تطلب صدقة النبي التي بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله قال:﴿لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الْمَالِ﴾، وإني والله لا أغير شيئا من صدقات رسول الله عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا، فوجدت فاطمة عليها السلام على أبي بكر فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ستة أشهر. وعن عباس بن عبد الله بن معبد عن جعفر قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها وجاء العباس بن عبد المطلب يطلب ميراثه وجاء معهما علي فقال أبو بكر: قال رسول الله: ﴿لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ﴾ وما كان النبي يعول* فعلي، فقال علي: ورث سليمان داود، وقال: زكريا يرثني ويرث من آل يعقوب ! قال أبو بكر: هو هكذا وأنت والله تعلم مثلنا أعلم، فقال علي: هذا كتاب الله ينطق فسكتوا وانصرفوا. وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر يقول: لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بويع لأبي بكر في ذلك اليوم فلما كان من الغد جاءت فاطمة إلى أبي بكر معها علي فقالت: ميراثي من رسول الله أبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو بكر: أمن الرثة أو من العقد؟ قالت: فدك وخيبر وصدقاته بالمدينة أرثها كما يرثك بناتك إذا مت، فقال أبو بكر: أبوك والله خير مني وأنت والله خير من بناتي وقد قال رسول الله: ﴿لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ﴾ يعني هذه الأموال القائمة فتعلمين أن أباك أعطاكها فوالله لئن قلت نعم لأقبلن قولك ولأصدقنك، قالت: جاءتني أم أيمن فأخبرتني أنه أعطاني فدك، قال: فسمعته يقول هي لك؟ فإذا قلت قد سمعته فهي لك فأنا أصدقك وأقبل قولك، قالت: قد أخبرتك ما عندي.

وعن جابر عن عامر قال: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوص إلا بمسكن أزواجه وأرض. وعن عمرو بن الحارث ختن* رسول الله صلى الله عليه وسلم أخي امرأته جويرية، قال: والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا تركها صدقة. وعن أبي إسحاق عن عمرو قال: لم يترك رسول الله إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة. وعن زر بن حبيش عن عائشة أن إنسانا سألها عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: عن ميراث رسول الله تسألني لا أبا لك !؟ توفي رسول الله ولم يدع دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شاة ولا بعيرا. وعن علي بن الحسين قال: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدع دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة. وعن بن عباس قال: مات رسول الله وما ترك دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا وليدة وترك درعه رهنا عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير.

قال علي الصلابي: وأما ما زعموه من كون الصديق رضي الله عنه سأل فاطمة أن تحضر شهودا، فأحضرت عليا وأم أيمن فلم يقبل شهادتها، فهو من الكذب البين الواضح، قال حماد بن إسحاق: فأما ما يحكيه قوم أن فاطمة رضي الله عنها طلبت فدك، وذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعها إياها، وشهد لها علي رضي الله عنه فلم يقبل أبو بكر شهادته لأنه زوجها، فهذا أمر لا أصل له ولا تثبت به رواية أنها ادعت ذلك، وإنما هو أمر مفتعل لا ثبت فيه. وقد تركت فاطمة رضي الله عنها منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله صلى الله عليه وسلم، قال ابن قتيبة: وأما منازعة فاطمة أبا بكر رضي الله عنها في ميراث النبي صلى الله عليه وسلم فليس بمنكر، لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم، فلما أخبرها بقوله كفت وقد غلا الرافضة في قصة ميراث النبي غلوا مفرطا مجانبين الحق والصواب، معرضين متجاهلين ما ورد من نصوص صحيحة في أنه صلى الله عليه وسلم لا يورث، وجعلوا ذلك من أصول الخلاف بين الصحابة وآل البيت رضي الله عنهم أجمعين وامتدادا لأمر الخلافة، فاتهموا الصحابة رضوان الله عليهم بإيقاع الظلم والجور على آل البيت، ولا سيما أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما الذين غصبا الخلافة من آل البيت كما في زعمهم، وأضافوا إلى ذلك غصب أموال آل البيت، وغصب ما فرض الله لهم من حقوق مالية، ويعتبر الرافضة قضية فدك، ومنع فاطمة من إرثها من أهم القضايا، التي تواطأ عليها الصحابة بعد غصب الصديق رضي الله عنه للخلافة منهم على حد تعبيرهم، وذلك حتى لا يميل الناس إلى آل البيت بسبب هذا المال فيجتمعوا عليه ويخلعوه من الخلافة. والمتتبع لكتب الرافضة في هذه المسألة يجد أنها تنصب على إنكار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ ما تَرَكْنَا صَدَقَةٌ﴾واستقطاب الأدلة لمحاولة إبطاله.

----

*(الختن) الصهر المتزوج ابنة الرجل أو أخته (يعول) يقوم بما يحتاج إليه غيره من طعام وكساء وغيرهما

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ الوافي بالوافيات/ تهذيب الكمال/ الطبقات الكبرى/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ جامع الأحاديث/ علي بن أبي طالب للصلابي/

◆ الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) الأموي القرشي، أبو العباس (سادس ملوك الدولة الأموية) ورجل من أهل الشام 0398

عن أبي اليقظان عن هشام بن حسان قال: أرسل الوليد[1] إلى رجل من أهل الشام كان ذا فضل وعقل فقال له: ما عطاؤك؟ قال: كذا. فأضعفه له وأمر أن يلحق عياله بشرف العطاء، وقضى دينه ثم قال له: إن أمير المؤمنين قد أحب أن يضمك إلى ولده ليأخذوا بهديك وينتفعوا بأدبك، فامتنع عليه وقال: لست أفرغ لهم. قال: فيصيرون إليك في الجمعة يوما. قال: لا يمكنني. فاسقط رزقه فلقيه رجل من أصحاب الوليد فقال: يا عبد الله ما دعاك إلى الامتناع مما سألك أمير المؤمنين؟ فقال: ونظر إلى دابة ميتة: والله لأن آتي هذه الجيفة غدوة وعشية فأتمعك عليها أحب إلي من أن أجيبه إلى ما سأل. قال: وكم يكفيك في كل شهر؟ قال: خمسون درهما. قال: فهي لك ما بقيت.

■ (1) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ.

قال المدائني: أن أخا الأحوص شهر على أخيه السيف بالمدينة، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد، فكتب إليه الوليد أن اقطع يده، فقطع عمر يده فتعلق على عمر بذلك.

قال: وكتب الوليد إلى عمر: أن اضرب خبيبا لأنه كان يقول ملك بني مروان زائل عن قريب، وكانت عنده أحاديث، فضربه عمر لذلك فمرض وبرئ، ثم مرض فمات، فظن أنه مات من ضربه، فأعتق ثلاثين رقبة. ويقال أنه ضربه أربعين سوطا، وصب عليه جرة ماء، فمات فأعتق ثلاثين رقبة. قال: وقال بعضهم: لما قتل عبد الله بن الزبير بايع عبد الله بن خازم السلمي صاحب خراسان لخبيب بن عبد الله بن الزبير، فكان ذلك في نفس عبد الملك والوليد، فلما ولي الوليد أراد فضيحة خبيب، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بضرب خبيب فضربه. قال المدائني: وهذا غلط لأن ابن خازم قتل قبل مقتل ابن الزبير.

لما مات عبد الملك قال الوليد ابنه: انهضوا على اسم الله فبايعوا. فبايع له أعلام الناس، ثم جهز أباه، فبينما هو في دفنه إذ أقبل غيلان بن سلمة[5]؛ والناس لا يدرون يعزونه قبل أو يهنئونه! فقال: أصبحت يا أمير المؤمنين رزئت خير الآباء وسميت خير الأسماء، وأعطيت أفضل الأشياء، فعزم الله لك في الرزية على الصبر، وأثابك في ذلك نوافل الأجر، وأعانك في حسن ثوابه إياك على الشكر، وقضى لعبد الملك خير القضية، وأنزله المنزلة الرضية، وأعانك على أمر الرعية. فقال له الوليد: من أنت؟ قال: من ثقيف. قال: في كم أنت؟ قال: في مئة دينار. فأمر به أن يلحق بالشرف، فكان أول من قضى له حاجة حين استخلف. قال المصنف: ولا أراه بقي إلى أيام الوليد، فإنه مات في خلافة عمر بن الخطاب، ولعله ابن غيلان بن سلمة، وغيلان أسلم وتحته عشرة نسوة، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا.

عن علي بن سليم قال: كانت ابنة سعيد بن العاص[1] عند الوليد، فمات عبد الملك فلم تبك عليه، فقال لها: ما منعك من البكاء على أمير المؤمنين؟ فقالت: ما أقول له إلا أن أدعو الله أن يحييه ويزيد في سلطانه حتى يقتل أخا[2] لي آخر؟ فقال: أي والله لقد قتلناه وكسرنا ثناياه. قالت: قد علمت من شقت أسته، فقال: الحقي بأهلك. قالت: ألذ من الرفاء والبنين.

☪

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبيه، قال: خرج الوليد بن عبد الملك من الباب الأصغر، فوجد رجلا عند الحائط عند المئذنة الشرقية يأكل وحده، فجاء حتى وقف على رأسه، فإذا هو يأكل خبزا وترابا، فقال له الوليد: ما شأنك انفردت عن الناس؟ قال: أحببت الوحدة، قال: فما حملك على أكل التراب، أما في بيت مال المسلمين ما يجري عليك؟ قال: بلى، ولكن رأيت القنوع، قال: فرجع الوليد إلى مجلسه، ثم أحضره، فقال: إن لك لخبرا لتخبرني به، وإلا ضربت عنقك، قال: نعم، كنت جمالا ومعي ثلاثة أجمال موقرة طعاما حتى أتيت مرج الصفر، فقعدت في خربة أبول، فرأيت البول ينصب في شق فأتبعته حتى كشفته، فإذا غطاء على حفير، فنزلت فإذا مال صبيب، فأنخت رواحلي، وحللت أعكامي، ثم أوقرتها ذهبا، وغطيت الموضع، فلما سرت عنه غير يسير، وجدت معي مخلاة فيها طعام، فقلت: أنا أترك الكسرة؟ ففرغتها، ورجعت لأملأها فخفي علي الموضع، وأتعبني الطلب، فرجعت إلى الجمال فلم أجدها ولم أجد الطعام الذي أخرجته من المخلاة، فآليت على نفسي ألا آكل شيئا إلا الخبز بالتراب، فقال الوليد: كم لك من الولد؟ فذكر عيالا، قال: يجري عليك من بيت المال، ولا تستعمل في شيء، فإن هذا هو المحروم، قال ابن جابر: فذكر لنا أن الجمال جاءت إلى بيت مال المسلمين، فأناخت عنده، فأخذها أمين الوليد، فطرحها في بيت المال. رواته ثقات؛ قاله الكناني.

وفي رواية: حدث عن أصبغ بن محمد بن محمد بن لهيعة السكسكي: أن الوليد بن عبد الملك حين بنى مسجد دمشق، مر برجل ممن يعمل في المسجد، فرآه الوليد وهو يبكي، فقال له: ما قصتك؟ قال: يا أمير المؤمنين! كنت رجلا جمالا، فلقيني يوما رجل فقال لي: أتحملني إلى مكان كذا وكذا؟ فذكر موضعا في البرية، قلت نعم، فلما حملته وسرنا بعض الطريق التفت إلي فقال لي: إن بلغنا الموضع الذي ذكرته لك وأنا حي أغنيتك، وإن مت قبل بلوغي إليه فاحمل جثتي إلى الموضع الذي أصف لك، فإن ثم قصرا خرابا، فإذا بلغته فامكث إلى ضحوة النهار، ثم عد سبع شرافات من القصر، واحفر تحت ظل السابع منها على قدر قامة، فإنه سيظهر لك بلاطة، فاقلعها فإنك سترى تحتها مغارة فادخلها فإنك ترى في المغارة سريرين، على أحدهما رجل ميت، فاجعلني على أحد السريرين ومدني عليه، وحمل جمالك هذه وحمارتك مالا من المغارة وارجع إلى بلدك. قال: فمات على الطريق، ففعلت ما أمرني به، وكان معي أربعة أجمال وحمارة، فأوسقتها كلها مالا من المغارة، وسرت بعض الطريق، وكان معي مخلاة، فنسيت أملؤها من ذلك المال، وداخلني الشره، فقلت: لو رجعت فملأت هذه المخلاة أيضا من المال، فرجعت وتركت الجمال والحمارة في الطريق، فلم أجد المكان الذي أخذت منه المال، فدرت فلم أعرف. فلما أيست رجعت إلى الجمال والحمارة فلم أجدها، وجعلت أدور في البرية أياما فلم أجد لها أثرا. فلما يئست رجعت إلى دمشق وقد ذهبت الجمال والحمارة، ولم أحصل على شيء، واضطرني الأمر إلى ما ترى يا أمير المؤمنين. هو ذا أعمل كل يوم في التراب بدرهم. فكالما ذكرت تلك الأموال والجمال والحمارة التي فرت مني لم أملك نفسي أن أبكي هذا البكاء الذي ترى. فقال له الوليد بن عبد الملك: لم يقسم الله لك من تلك الأموال شيئا، وإلي صارت فبنيت بها هذا المسجد.

■ (1) آمنة ويقال أمة بنت سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، كانت زوج خالد بن يزيد بن معاوية، فطلقها، فتزوجها الوليد بن عبد الملك

■ (2) عمرو بن سعيد بن العاص، يسمى الأشدق ولطيم الشيطان، ولي المدينة ليزيد، وكان مروان قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك فقتله عبد الملك، فقيل أنها كانت أول غدرة كانت في الإسلام، دخل مصر مع مروان وقتل سنة 69 هـ وقيل 70 هـ

■ (5) غيلان بن سلمة الثقفي أسلم يوم الفتح وتحته عشر نسوة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا مات في آخر خلافة عمر بن الخطاب

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ أنساب الأشراف/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/

قال أبو الحسن علي بن محمد عن أصحابه: طلب الحجاج أبا بيهس الهيصم بن جابر[1] فهرب إلى المدينة، فطول شعره، ولعب بالحمام واختضب، فلم يعرفه بها أحد. وطلبه الحجاج وسأل عنه فأعياه وجوده، وبلغ الوليد بن عبد الملك أنه بالمدينة فكتب إلى عثمان بن حيان المري[2] في ووصف له صفته وحلاه. فقرأ عثمان الكتاب على الناس والهيصم جالس فنظر إليه رجل إلى جنبه فقال: إنك لصاحب الصفة وما أنا بمخليك. قال: إنك إن فعلت أثمت، واقترفت ذنبا عظيما، فأخذه وأتى به عثمان فأقر أنه الهيصم فأعجبه ما رأى منه فحبسه، وكتب إلى الوليد بأخذه إياه. وكان عثمان بن حيان يرسل إليه في كل ليلة فيسامره ويحدثه، وكان معجبا به، فأتاه كتاب الوليد أن اقطع يديه ورجليه واقتله، فقال له عثمان: اعهد عهدك فقد كتب أمير المؤمنين يأمر بقتلك. فقال: أجميعا أم متفرقا؟ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال له عثمان: هل لك حاجة؟ فأوصى ببنية له بالمدينة أن ترد إلى أهله. وأنفذ فيه أمر الوليد، فمر به رجل حين قطعوا يديه ورجليه فشتمه، فقال له أبو بيهس: إن كنت عربيا فإنك من هذيل*، فإنهم أسوأ قوم أخلاقا، وإن كنت من العجم فإنك بربري*. ومر به عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان[3] فقال: اصبر أبا بيهس، فقال: أما إن أمرت بالصبر أنك الجميل المزداة عظيم، حسن القدم في الإسلام. وقتله عثمان بن حيان، فقال عويف القوافي أو غيره: إن أبن حيان شفى الصدورا..أصبح في يثرب مستنيرا..قد أدرك الله به الثؤورا..أتبع رأس هيصم مثجورا.. لصين كانا عليا فجورا.

----

(1) هيصم بن جابر الضبعي، أبوبيهس، من بني سعد بن ضبيعة: رأس الفرقة البيهسية من الخوارج. كان فقيها متكلما، من الازارقة. وتفرق هؤلاء إلى فرق، منها الاباضية، والصفرية، والبيهسية (أصحاب المترجم له) وكفر أبوبيهس نافع بن الازرق و عبد الله بن إباض في ما ذهبا إليه، وتبعته جماعة. وكان ذلك في أيام الوليد الاموي. وطلب الحجاج أبا بيهس، فهرب إلى المدينة. وظفر به واليها عثمان بن حيان المري فاعتقله. ولم يشتد عليه، إلى أن ورد كتاب من الوليد بقطع يديه ورجليه وصلبه سنة 94 هـ، قال المقريزي، قتل بالمدينة وصلب.

(2) عثمان بن حيان بن معبد بن شداد بن نعمان بن رباح بن أسعد بن ربيعة.مولى أم الدرداء أو عتبة بن أبي سفيان. ويلقب بأبي المغراء الدمشقي، حدث عن: أم الدرداء. ولاه الوليد بن عبد الملك على المدينة، بعد أن عزل عمر بن عبد العزيز عنها، وذلك برأي من الحجاج..وكان ظلوما عسافا جائرا. [الوفاة: 101 ـ 110 هـ]

(3) عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، وقيل: عبد الله بن عمر. كان يسكن عرج الطائف وكان يقال له المطرف من حسنه وملاحته، وهو من شعراء قريش المشهورين بالغزل. نحا نحو عمر بن أبي ربيعة وأجاد، وكان مشغوفا باللهو والصيد، وكان ذا مروءة، ولم تكن له نباهة في أهله.وفد على عبد الملك بن مروان. مات بمصر سنة 96 هـ.

قال نشوان الحميري: ومن الخوارج البيهسية: وإمامهم أبو بيهس الهصيم بن جابر وهم يقولون: إن السكر من كل شراب حلال الأصل موضوع عمن سكر منه، وكل ما كان من ترك صلاة أو شتم فهو موضوع عن صاحبه، لا حد فيه ولا حكم، ولا يكفر أهله بشيء من ذلك، ما داموا في حال السكر؛ وقالوا: إن الشراب الذي هو حلال الأصل، لم يأت فيه من التحريم ولا إقلال أو إكثار أو سكر، ويقولون: إنه لا يسلم أحد حتى يقر بمعرفة الله عز وجل، ومعرفة رسوله، ومعرفة ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم جملة من الشريعة؛ وقالوا: من جهل شيئا من ذلك فهو مشرك، وقالوا: بقتل الغيلة، وأخذ مال المخالفين. ومن البيهسية: العوفية: وهم يقولون: إذا كفر الإمام كفرت بكفره الرعية، الشاهد منهم والغائب، وصارت الدار دار شرك، يحل قتل أهلها وسبيهم على كل حال.

☪

بنو هذيل : بطن من خندف من مضر، وهم بنو هذيل بن مدركة ابن الياس، وهما ابني خندف من مضر، وقد تقدم نسب مدركة في عمود النسب ومر ذكره في حرف الميم، كان له من الولد سعد وجناب بطن، وعميرة وهرمة بطن، قال الحمداني: ومنهم طائفة نطوح الخيل من اخميم الديار المصرية يدعون في بني شاد.[نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب]

البربر: - ببائين موحدتين بينهما راء ثانية في الآخر، جيل عظيم من الناس ببلاد المغرب، وبعضهم بمصر، وقد اختلف في نسبهم اختلافا كثيرا، فذهبت طائفة من النسابين إلى أنهم من العرب، ثم اختلف في ذلك فقيل أوزاع من اليمن، وقيل من غسان، وغيرهم تفرقوا عند سيل العرم، قاله المسعودي: وقيل خلفهم إبرهة ذو المنار أجل تبابعة اليمن حين غزا المغرب، وقيل من ولد لقمان بن حمير بن سبا، بعث سرية من بنيه إلى المغرب ليعمروه فنزلوه وتناسلوا فيه، وقيل من لخم وجذام كانوا نازلين بفلسطين من الشام إلى أن أخرجهم منها بعض ملوك فارس فلجأوا إلى مصر، فمنعهم ملوكها من نزولها فذهبوا إلى المغرب فنزلوه، وذهب قوم إلى أنهم من ولد لقشان بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وذكر الحمداني: أنهم من ولد برا بن قيدار بن أسماعيل ابن إبراهيم عليه السلام وأنه كان قد ارتكب معصية فطرده أبوه، وقال له البرالبر، إذهب يابر، فما أنت بر، وقيل هم من ولد بربر بن ثملا بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وقيل من ولد بربر بن كسلاجم بن حام بن نوح، وقيل من ولد ثميلا بن ماراب بن عمرو بن عملاق بن لاود بن ارم ابن سام بن نوح، وقيل من ولد قبط بن حام بن نوح، وقيل اخلاط من كنعان، والعماليق، وقيل من حمير ونصر والقبط، وقيل من ولد جالوت ملك بني اسرائيل، وأنه لما قتل داوود عليه السلام جالوت تفرقوا في البلاد، فلما غزا افريقيس المغرب نقلهم من سواحل الشام وأسكنهم المغرب وسماهم البربر، وقيل أخرجهم داود عليه السلام من الشام فصاروا إلى المغرب، وهم قبائل كثرة، وشعوب جمة، وطوائف متفرقة، قال صاحب العبر: وهي على كثرتها راجعة إلى أصلين لا تخرج عنها، وهما البرانس وهم بنو برنس بن بربر، والتبر وهم بنو مادغش الأبتر بن بربر، قال وبعضهم يقول أنهم يرجعون إلى سبعة أصول متفرقة وهي أردواجة ومصمودة، وأوروبة، وعجيبة، وكتامة، وصهاجة، واوريغة، ثم قال: وزاد بعضهم لمطة، وهسكورة وكزولة، وسيأتي ذكر جميع هذه القبائل وما يتفرع منها في مواضعه من حروف المعجم إن شاء الله تعالى.[نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب]

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ أنساب الأشراف/ نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب/ الحور العين/

كتب الحجاج إلى عبد الملك يذم يزيد[1] وآل المهلب، وكرر القول مع عبد الملك في ذلك إلى أن كتب إليه عبد الملك: قد أكثرت في يزيد وآل المهلب، فسم لي رجلا يصلح خراسان، فسمى له مجاعة بن سعد السعدي[2]، فكتب إليه عبد الملك: إن رأيك الذي دعاك إلى استفساد آل المهلب هو الذي دعاك إلى مجاعة بن سعد، فانظر لي رجلا حازما ماضيا لأمرك، فسمى قتيبة بن مسلم الباهلي[3]، فكتب إليه وله، فبلغ يزيد أن الحجاج عزله فقال لأهل بيته: من ترون الحجاج يولي خراسان قالوا: رجلا من ثقيف، قال: كلا والله، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعهده، فإذا قدمت عليه ولى غيره، وأخلق بقتيبة بن مسلم. قال: فلما أذن عبد الملك للحجاج في عزل يزيد كره أن يكتب بعزله فكتب إليه أن استخلف أخاك المفضل [4] وأقبل، فاستشار يزيد حصين بن المنذر[5]، فقال له: أقم واعتل فإن أمير المؤمنين حسن الرأي فيك، وإنما أتيت من الحجاج، فإن أقمت ولم تعجل رجوت إليه أن يقر يزيد، فقال: إنا أهل بيت بورك لنا في الطاعة، وأنا أكره المعصية والخلاف، وأخذ في الجهاز فأبطأ ذلك على الحجاج، فكتب إلى أخيه المفضل: إني قد وليتك خراسان، فجعل المفضل يستحث يزيد، فقال له يزيد: إن الحجاج لا يقرك بعدي، وإنما دعاه إلى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه، قال: بل حسدتني، قال يزيد: أنا لا أحسدك ولكن ستعلم. وخرج يزيد في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين، فعزل الحجاج المفضل وولى قتيبة بن مسلم الباهلي، وقيل فيروز بن حصين[6]،وقال حصين بن المنذر ليزيد المذكور: أمرتك أمرا حازما فعصيتني..فأصبحت مسلوب الإمارة نادما..فما أنا بالباكي عليك صبابة..وما أنا بالداعي لترجع سالما. فلما قدم قتيبة خراسان قال لحصين: كيف قلت ليزيد؟ قال قلت: أمرتك أمرا حازما فعصيتني..فنفسك ول اللوم إن كنت لائما..فإن يبلغ الحجاج أن قد عصيته..فإنك تلقى أمره متفاقما. قال: فماذا أمرته به فعصاك قال: أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء إلا حملها إلى الأمير. ثم ذكر الطبري في سنة تسعين أن الحجاج خرج إلى الأكراد الذين غلبوا على عامة أرض فارس، فخرج بيزيد معه وأخويه المفضل وعبد الملك[7]، وجعل عليهم في العسكر كهيئة الخندق وجعلهم في فسطاط قريبا منه، وجعل عليهم حرسا من أهل الشام، وأغرمهم ستة آلاف ألف، وأخذ يعذبهم، وكان يزيد يصبر صبرا حسنا، وكان الحجاج يغيظه ذلك، فقيل له أنه رمي بنشابة فثبت أصلها في ساقه، فهو لا يمسها شيء إلا صاح، فإن حركت أدنى شيء سمعت صوته، فأمر أن يعذب به ويرهق ساقه، فلما فعل به ذلك صاح، وأخته هند[8] عند الحجاج، فلما سمعت صياح يزيد صاحت وناحت فطلقها. ثم إنه كف عنهم وأقبل يستأديهم، فأخذوا يؤدون وهم يعملون في المخلص من مكانهم، فبعثوا إلى مروان بن المهلب[9] وهو بالبصرة يأمرونه أن يضمر لهم الخيل ويري الناس أنه إنما يريد بيعها ويعرضها على البيع ويغلي بها كي لا تشترى، فتكون لنا عدة إن نحن قدرنا أن ننجو من هاهنا، ففعل ذلك مروان بن المهلب، وحبيب[10] بالبصرة يعذب أيضا، فأمر يزيد بالحرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا، وأمر لهم بشراب فسقوا، وكانوا متشاغلين به، ولبس يزيد ثياب طباخه، ووضع على لحيته لحية بيضاء وخرج، فرآه بعض الحرس فقال: كأن هذه مشية يزيد، فجاء حتى استعرض وجهه ليلا فرأى بياض اللحية فانصرف عنه، وقال: هذا شيخ. وخرج المفضل على أثره ولم يفطن له، فجاؤوا إلى سفينة وقد هيؤوها في البطائح وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخا، فلم انتهوا إلى السفينة أبطأ عليهم عبد الملك وشغل عنهم، فقال يزيد للمفضل: اركب، فإنه لاحق، فقال المفضل، وكان عبد الملك أخاه لأمه: لا والله لا أبرح حتى يجيء عبد الملك ولو رجعت إلى السجن، فأقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك، وركبوا في السفينة، وساروا ليلتهم حتى أصبحوا. ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم، فرفع ذلك إلى الحجاج، ففزع لذلك الحجاج وذهب وهمه أنهم ذهبوا قبل خراسان، وبعث البريد إلى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ويأمره أن يستعد لهم، وبعث إلى أمراء الثغور والكور أن يرصدهم ويستعدوا، وبعث إلى الوليد بن عبد الملك يخبره بهم، وأنه لا يراهم أرادوا إلا خراسان. ولم يزل الحجاج يظن بيزيد ما صنع، كان يقول: إني لأظنه يحدث نفسه بمثل الذي صنع ابن الأشعث، وقصته مشهورة، قال الطبري: ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل، وقد هيئت لهم، فخرجوا عليهم ومعهم دليل، فأخذ بهم على السماوة، وأتي الحجاج بعد يومين فقيل له: إنما أخذ الرجل طريق الشام، وهذه الخيل حسرى في الطريق، وقد أتى من رآهم متوجهين في البر، فبعث إلى الوليد يعلمه بذلك، ومضى يزيد حتى قدم فلسطين، فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي[11]، وكان كريما على سليمان بن عبد الملك[12]، وجاء وهيب حتى دخل على سليمان فقال: إن يزيد واخوته عندي، وقد أتوا هرابا من الحجاج متعوذين بك، فقال: آتني بهم فهم آمنون لا يوصل إليهم أبدا وأنا حي، فجاء بهم حتى دخلوا عليه، فكانوا في مكان أمن. وكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك: إن آل المهلب خانوا مال الله، وهربوا مني ولحقوا بسليمان، فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان أخيه هون عليه بعض ما كان في نفسه، وطار غضبا للمال الذي ذهبوا به، وكتب سليمان إلى أخيه الوليد: إن يزيد بن المهلب عندي وقد آمنته، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف، كان الحجاج أغرمهم ستة آلاف ألف، فأدى ثلاثة آلاف ألف، وبقيت ثلاثة آلاف ألف، فهن علي، فكتب إليه: لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إلي، فكتب إليه: لئن أنا بعثت به لأجيئن معه، فانشدك الله أن لا تفضحني ولا أن تخفرني، فكتب إليه الوليد: والله لئن جئتني به لا أؤمنه، فقال يزيد: ابعثني إليه، فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحربا، ولا أن يتشاءم بي لكما الناس، ابعث إليه بي وأرسل معي ابنك، واكتب إليه بألطف ما قدرت عليه، فأرسل ابنه أيوب[13] معه، وكان الوليد أمره أن يبعث به إليه في وثاق، فبعثه إليه وقال لابنه: إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة على الوليد، ففعل ذلك حتى انتهيا إلى الوليد فدخلا عليه، فلما رأى الوليد ابن أخيه مع يزيد في سلسلة قال: والله لقد بلغنا من سليمان. ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه إلى عمه وقال: يا أمير المؤمنين، نفسي فداؤك، لا تخفر ذمة أبي وأنت أحق من منعها، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك، ولا تذل من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك، وقرأ الكتاب: لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك، أما بعد يا أمير المؤمنين فوالله إني لأظن لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته، فإنك لا تذل جاري ولا تخفر جواري، بل إني لم أجر إلا سامعا مطيعا حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته، وبعد فقد بعثت به إليك، فإن كنت إنما تعزو قطيعتي والإخفار لذمتي والإبلاغ في مساءتي، فقد قدرت إن أنت فعلت ذلك، وأنا أعيذك بالله من اجترار قطيعتي وانتهاك حرمتي وترك يدي وصلتي، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدري ما بقائي وبقاؤك، ولا متى يفرق الموت بيني وبينك، فإن استطاع أمير المؤمنين، أدام الله سروره أن لا يأتي علينا أجل الوفاة إلا وهو لي واصل ولحقي مؤد وعن مساءتي نازع، فليفعل؛ والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت لشيء من أمور الدنيا بعد تقوى الله تعالى فيها بأسر مني برضاك وسرورك، ولرضاك مما ألتمس به رضوان الله، فإن كنت يا أمير المؤمنين تريد يوما من الدهر مسرتي وصلتي وكرامتي وإعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد، وكل ما طلبته به فهو علي. فلما قرأ كتابه قال: لقد شققنا على سليمان، ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه، ثم تكلم يزيد فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم قال:يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء، فمن ذلك فلسنا ناسيه ومن يكفر فلسنا كافريه وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ما إن المنة فيه عظيمة، فقال له: اجلس، فجلس فآمنه وكف عنه، ورجع إلى سليمان، وسعى إخوته في المال الذي عليه، وكتب إلى الحجاج: إني لم أصل إلى يزيد وأهل بيته مع سليمان، فاكفف عنهم واله عن الكتاب إلي فيهم فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم وكان أبو عيينة[14] عند الحجاج عليه ألف ألف درهم فتركها له، وكف عن حبيب بن المهلب،وأقام يزيد عند سليمان تسعة أشهر في أرغد عيش وأنعم بال لا تأتي سليمان هدية إلا أرسل نصفها إليه.

■ (12) سليمان بن عبد الملك، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. توفي سنة 99 هـ

■ (1) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أو خالد الأزدي. ولد سنة 53 هـ، وولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك، ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن أرطأة، وطلبه عمر وسجنه. وكان الحجاج قد عزله وعذبه، فسأله أن يخفف عنه الضرب على أن يعطيه كل يوم مئة ألف درهم. فقصده الأخطل ومدحه، فأعطاه مئة ألف، فعجب الحجاج من جوده في تلك الحال وعفا عنه.واعتقله، ثم هرب من حبسه ثم قتل في صفر سنة 102 هـ.قال الذهبي قلت: قتل عن 49 سنة،ولقد قاتل قتالا عظيما، وتفللت جموعه (انكسروا وانهزموا) فما زال يحمل بنفسه في الألوف، لا لجهاد بل شجاعة وحمية حتى ذاق حمامه. نعوذ بالله من هذه القتلة الجاهلية.

■ (3) قتيبة بن مسلم بن عمرو، أبو حفص الباهلي. وقتل سنة 96 هـ أو 99 هـ. أمير خراسان كلها بعد إمرة الري، وهو الذي افتتح خوارزم وبخارى وسمرقند،، ثم افتتح فرغانة والترك. وولي خراسان عشر سنين. ولما مات الوليد بن عبد الملك نزع الطاعة، فلم يوافقه على ذلك أكثر الناس. وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان بن قيس الغداني عن رياسة تميم، فحقد عليه، وسعى في تأليب الجند، ثم وثب على قتيبة في أحد عشر من أهله، فقتلوه وقتل أخوه أبو صالح، وكان أبوه مسلم بن عمرو من أصحاب مصعب وإلى العراق من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وقاتل معه في حربه ضد عبد الملك بن مروان سنة 72 هـ.

■ (4) مفضل بن المهلب بن أبي صفرة، أبو غسان، وقيل أبو حسان الأزدي،في سنة 85 هـ عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان وولي المفضل فمكث سبعة أشهر ففتح بادغيس، وشومان وأخرون، وقدم على سليمان بن عبد الملك. وقال أبو القاسم بن عساكر ولاه سليمان بن عبد الملك جند فلسطين.وفي سنة 102 هـ بعث مسلمة بن عبد الملك في طلب آل المهلب، وقتل المفضل بن المهلب، وانهزم الناس، وقيل: إن المفضل لما قتل أخوه يزيد هرب إلى سجستان، فقتل هو وإخوانه عبد الملك، ومدرك، وزياد، ومعاوية بنو المهلب. وكان الذي تولى ذلك منهم هلال بن أحوز المازني، ولم يعرض للنساء ولم يفتشهن، وبعث بالعيال والأسارى إلى يزيد بن عبد الملك.

■ (10) حبيب بن المهلب بن أبي صفرة: أحد شجعان العرب وأشرافهم في العصر المرواني. كانت له ولاية كرمان وعزله الحجاج عنها سنة 87 هـ. ثم صحب أخاه يزيد بن المهلب في أعماله وغزواته، وقتل معه في خروجه بالعراق على يزيد بن عبد الملك سنة 102 هـ..

■ (2) مجاعة بن سعر بن يزيد بن خليفة السعدي التميمي: أمير. من القادة الاشداد. كان مع عمر بن عبيد الله ابن معمر، في حرب الازارقة سنة 68 هـ وقتل منهم أربعة عشر رجلا، بعمود كان يقاتل به، في معركة واحدة.وولاه الحجاج على أهل عمان، وكانوا قد صلبوا الوالي الذي قبله، وهو أخوه القاسم ابن سعر فلما وصل إليهم رأى أخاه لا يزال مصلوبا، فأراد بعض أصحابه إنزاله، فأبى مجاعة. وعاقبهم، ثم أنزله. وعاد إلى الحجاج، فأرسله إلى السند سنة 75 هـ فغلب على ذلك الثغر، وغزا وفتح أماكن من قندابيل ومات بعد سنة بمكران سنة 76 هـ.

■ (13) أيوب بن سليمان بن عبد الملك، ولي غزو الصائفة، وكان أبوه قد رشحه لولاية العهد من بعده، فمات في حياة أبيه، وقيل توفي سنة 98 هـ. وتوفي سليمان بدابق في صفر لعشر ليال بقين من سنة 99 هـ، وكان بينه وبين ابنه اثنان وأربعون يوما

■ (5) حضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الذهلي الشيباني الرقاشي، أبو ساسان أو أبو اليقظان: تابعي، من سادات ربيعة وشجعانهم، ومن ذوي الرأي. كان صاحب راية علي بن أبي طالب يوم صفين وولاه اصطخر. ولما استتب الامر لمعاوية وفد عليه فأكرمه. وكان قتيبة بن مسلم وهو بمرو يستشيره في أموره، مات سنة 97 هـ

■ (8) هند بنت المهلب بن أبي صفرة، تزوجها الحجاج بن يوسف الثقفي رغما عنها وعن ابيها المهلب وطلقها بعدما وصفته بشعر وبعدما سمع سليمان ابن عبدالملك بجمالها تزوجها، حدثت عن أبيها والحسن البصري وأبي الشعثاء جابر بن زيد ووفدت على عمر بن عبد العزيز.

■ (7) عبد الملك بن المهلب بن أبي صفرة الازدي: من شجعان العرب وأشرافهم. خرج على بني مروان مع أخيه يزيد. وشهد الوقائع في العراق، فقتل أخوه وتفرقت جموعهما. ثم قتل مع أخيه المفضل، على أبواب قندابيل بالسند سنة 102 هـ.

■ (9) مروان بن المهلب بن أبى صفرة: شجاع، خطيب، من أشراف العرب. خرج بالعراق مع أخيه يزيد حين خلع طاعة بني مروان. وكانت وقائع قتل في آخرها صاحب الترجمة. سنة 102 هـ

■ (11) وهيب بن عبد الرحمن الأزدي؟ (14)أبو عيينة بن المهلب: محمد بن عيينة بن المهلب الشاعر البصري ؟ (6) فيروز بن حصين أبو عثمان، قتله الحجاج.

☪

قال بعض جلساء يزيد له: لم لا تتخذ لك دارا فقال: وما أصنع بها ولي دار حاصلة مجهزة على الدوام فقال له: وأين هي قال: إن كنت متوليا فدار الإمارة، وإن كنت معزولا فالسجن. ومن كلام يزيد: ما يسرني أن أكفى أمور دنياي كلها ولي الدنيا بحذافيرها، فقيل له: ولم ذاك فقال: لأني أكره عادة العجز. ثم إن الحجاج مات في شوال سنة خمس وتسعين للهجرة، وقيل كانت وفاته لخمس ليال بقين من شهر رمضان من السنة، وعمره ثلاث وخمسون سنة، وقيل أربع وخمسون. ولما حضرته الوفاة استخلف يزيد بن أبي كبشة على الحرب والصلاة بالمصرين: البصرة والكوفة، وولى خراجهما يزيد بن أبي مسلم، فأقرهما الوليد، وكذلك فعل بكل من استخلف الحجاج، وقيل بل الوليد هو الذي ولاهما، وكانت ولاية الحجاج بالعراقين عشرين سنة. ثم توفي الوليد بن عبد الملك يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، بدير مران بسفح جبل قاسيون ودفن في مقابر باب الصغير ظاهر دمشق، وبويع سليمان بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه أخوه الوليد.

- مراجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / الأعلام للزركلي/ تهذيب التهذيب/ البداية والنهاية/ نهاية الأرب في فنون الأدب/

◆ الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) الأموي القرشي، أبو العباس (سادس ملوك الدولة الأموية) ونوفل بن مساحق 0401

عن مصعب بن عبد الله قال: كان نوفل بن مساحق[1] من اشراف قريش وكانت له ناحية من الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان الوليد يعجبه الحمام (؟) ويتخذ له، فأدخل نوفل بن مساحق عليه وهو عند الحمام فقال له الوليد: اني خصصتك بهذا المدخل لأنسي بك، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك والله، ما خصصتني، ولكن خسستني، إنما هذه عورة، وليس مثلي يدخل على مثل هذا، فغضب عليه، وسيره إلى المدينة، فكان على المساعي، فاخذه بعض الأمراء بالحساب، فقال: أين الغنم؟ فقال: اكلناها بالخبز، قال: فأين الإبل؟ قال: حملنا عليها الرجال (الرحال؟)، وكان لا يرفع إلى الأمراء من المساعي شيئا يقسمها ويطعمها، وكان ابنه من بعده سعد بن نوفل[2] يسعى أيضا على الصدقات.

وفي رواية: كان الوليد بن عبد الملك يلعب بالحمام (؟)؛ فخلا لذلك يوما، واستؤذن لنوفل بن مساحق، فأذن له، فلما دخل قال: خصصتك بالإذن دون الناس. فقال: ما خصصتني ولكن خسستني، وكشفت لي عن عورة من عوراتك.

■ (1) نوفل بن مساحق بن عبد الله الاكبر ابن مخرمة، القرشي العامري المدني، أبو سعد: ويقال أبو سعيد ويقال أبو مساحق والد عبد الملك بن نوفل وكان جده عبد الله بن مخرمة من المهاجرين الأولين. كان من قاضي المدينة. من التابعين. من أشراف قريش. نشأ بالمدينة، وولي قضاءها. وكان يلي جباية الصدقات، فيقسمها ويطعمها، ولا يرفع منها إلى الامراء شيئا. ولما قدم الوليد بن عبد الملك المدينة أجلسه معه على السرير إكراما له. مات سنة 74 هـ وقيل قتل نوفل بن مساحق يوم الحرة ومعقل بن يسار ومحمد بن أبي جهم العدوي صبرا جميعا، وهذا وهم. وإنما توفي في زمن عبد الملك في أوله.

■ (2) سعد (سعيد؟) بن نوفل بن مساحق وكان سعيد بن نوفل مثل أبيه يسعى أيضا على الصدقات؛ وأم سعيد بن نوفل: أم عبد الله بن بنت أبي سبرة بن أبي رهم. ومن ولد نوفل بن مساحق: سعيد بن سليمان بن نوفل بن مساحق، قضى على المدينة في خلافة المهدي، ووفد على أمير المؤمنين الرشيد

☪

قال ابن أبي الأصبع: حد الرماني[1] التجنيس بأن قال: هو بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة، وجعله قسمين: جناس مزاوجة، وجناس مناسبة، فالمزاوجة كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة] وكقول عمرو بن كلثوم وافر: ألا لا يجهلن أحد علينا..فنجهل فوق جهل الجاهلينا. والمناسبة كقوله سبحانه: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور] وأما قدامة وابن المعتز وإن اختلفا في تسمية هذا الباب فقد اتفقا على معناه، فقال قدامة في حده: هو اشتراك المعاني في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق كقول زهير: بسيط: كأن عيني وقد سال السليل بهم..وعبرة ما هو لو أنهم أمم. وهذا الحد بعينه هو تجنيس المناسبة الذي ذكره الرماني، ولولا قول قدامة[2] على جهة الاشتقاق لكان حده بعينه هو حد الرماني المطلق. وقال ابن المعتز[3] هو أن تجيء الكلمة مجانسة أختها كقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم] وكقول النعمان بن بشير[4] لمعاوية: طويل: ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا..وليلك عما ناب قومك نائم. وهذا بعينه هو تجنيس المناسبة من جهة الاشتقاق ولم يخرج من جاء بعد هؤلاء عما حدوه به، لكنهم فرعوه ثمانية فروع، وعلى هذا التفريع أكثر المتأخرين سوى التبريزي، فإنه نقص من هذه الأقسام أربعة وأثبت أربعة، وخلط في الشواهد، وغير الأسماء، هذا وإن كان متأخرا عمن قسم التجنيس ثمانية أقسام، واخترع أسماءها، فإني لم أقف على صحة ذلك، ورأيت ابن منقذ قد أتى على الأقسام الثمانية، وفاته قسم تاسع أتى به التبريزي، وسنأتي به في موضعه. فمن فروع التجنيس تجنيس التغاير، وهو أن تكون إحدى الكلمتين اسما، والأخرى فعلا، وهذا سماه التبريزي التجنيس المطلق، كقوله تعالى: إني وجهت وجهي. وكقوله تعالى: أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة. وكقول الرسول عليه الصلاة والسلام: عصية عصت الله ورسوله و غفار غفر الله لها و أسلم سالمها الله، وكقول جرير وافر: كأنك لم تسر ببلاد نجد..ولم تنظر بناظرة الخياما. وقد فرع التبريزي من هذا القسم ضربا سماه التجنيس المستوفي، وهو أن تتشابه الكلمتان لفظا وخطا، وإحداهما اسم والأخرى فعل، وأنشد فيه قول أبي تمام: كامل: ما مات من كرم الزمان فإنه..يحيا لدى يحيى بن عبد الله. وهذا الفرع وإن وضعت له تسمية تخالف تسميات الأقسام الثمانية، وكانت له صورة مثاله غير صور الأمثلة، فإنه داخل في القسم الذي إحدى كلمتيه اسم والأخرى فعل، فلذلك لم يعتد به قسما مستقلا. وتجنيس التماثل، وهو أن يكون الكلمتان اسمين أو فعلين، وهو على ضربين: ضرب تتماثل فيه الكلمتان سواء كانتا اسمين أم فعلين في اللفظ والخط كقول الشاعر: خفيف: عينه تقتل النفوس وفوه..منه تحيي عين الحياة النفوسا. وضرب لا تتماثل فيه الكلمتان إلا من جهة الاشتقاق، سواء أكانتا اسمين أم فعلين، كقوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة] وقوله سبحانه:﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن] وكقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ﴾ وكقوله عليه السلام: ﴿أَسْلِمْ تَسْلَمْ﴾ وكقول البحتري وافر: نسيم الروض في ريح شمال..وصوب المزن في راح شمول. وهذان التجنيسان أعني التغاير والتماثل فرعان من التجنيس الذي أصله قدامة وابن المعتز، وباقي الثمانية استخرجها المتأخرون بالاستقراء، وهي تجنيس التصحيف، ولم يذكره التبريزي في أقسام التجنيس، وجعل التصحيف بابا مفردا، تجنيس التصحيف وهو أن يكون النقط فارقا بين الكلمتين كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [الكهف] وكقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويتحلى بما لا يغنيه﴾ وكقول البحتري: طويل: ولم يكن المغتر بالله إذ سرى..ليعجز والمعتز بالله طالبه. وتجنيس التحريف، وهو أن يكون الشكل فارقا بين الكلمتين أو بعضهما، وهذا أيضا لم يذكره التبريزي، ومثاله قوله سبحانه:﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ﴾ [العاديات] وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِي﴾ [القصص] وأما قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (72) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات] فهو الغاية التي لا تدرك وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم :﴿الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ﴾ وكقول أبي تمام: كامل: هن الحمام فإن كسرت عيافة..من حائهن فإنهن حمام. وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم تبدل فيه الحركة بالحركة وقسم تبدل فيه الحركة بالسكون، وقسم يبدل فيه التخفيف بالتشديد، مثال الأول قول الشاعر: جبة البرد جنة البرد والبرد والبرد أردت. ومثال الثاني قولهم: البدعة شرك الشرك. ومثال الثالث قولهم: الجاهل إما مفرط وإما مفرط والآيات الثلاث من القسم الأول، والحديث من الثاني، والبيت من الأول أيضا. وتجنيس التصريف مما لم يذكره التبريزي أيضا، وهو اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من مخرجه أو من قريب منه، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام] وكقول الرسول عليه السلام:﴿الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ﴾ وكقول الشاعر: بسيط: لا يذكر الرمل إلا حن مغترب..له بذي الرمل أوطار وأوطان. وتجنيس الترجيع، وهو الذي سماه التبريزي التجنيس الناقص، وسماه قوم تجنيس التذييل، وهو على الحقيقة الذي يوجد في إحدى كلمتيه حرف لا يوجد في الأخرى، وجميع حروف الأخرى موجود في الأولى، وقسم في وسطها وقسم في آخرها: مثال الأول قوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة] ومثال الثاني قولهم: من جد وجد، ومثال الثالث البيت الذي ذكر لأبي تمام وهو قوله: يمدون من أيد، البيت. وقد تكون الزيادة حرفين: فإما أن يقعا في أول الكلمة ويكونا متقاربين كقولهم: ليل دامس، وطريق طامس، وإما أن يقعا في وسطها كقولهم: ما خصصتني بل خسستني. أو آخر الكلمة ويكونا متباعدين كقولهم: سالب وساكب. أو متقاربين كقولهم: شاحب وشاغب. ومن القسم الذي توسط في هذا الحرف الواحد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات] وقالوا: هو الذي يرجع فيه لفظ الكلمة الأولى في الكلمة الأخرى، كقول أبي تمام: طويل: يمدون من أيد عواص عواصم..تصول بأسياف قواض قواضب. وعندي أن تسميته تجنيس التداخل لدخول إحدى الكلمتين في الأخرى أو تجنيس التضمين لتضمن إحدى الكلمتين لفظ الأخرى أولى بالاشتقاق، إذ لا معنى لقولهم: يرجع لفظ إحدى الكلمتين في لفظ الأخرى لأن ظاهر الرجوع يؤذن بذهاب قبله ولا ذهاب، أو كما قالوا: تجنيس التذييل وتجنيس العكس، وهو مما لم يذكره التبريزي، وتعريفه أن تكون إحدى الكلمتين عكس الأخرى بتقديم بعض حروفها على بعض: كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [طه] وكقول عبد الله بن رواحة[5] يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم: بسيط: تحمله الناقة الأدماء معتجرا..بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم..وفي عطافيه أو أثناء بردته..ما يعلم الله من دين ومن مكرم. وكقول البحتري: طويل: إذا احتربت يوما فغاضت دماؤها..تذكرت القربى ففاضت دموعها..شواجر أرماح تقطع بينهم..شواجر أرحام ملوم قطوعها. أخذ البحتري معنى البيت الأول من رجل من بني عقيل، وقصر حيث قال: وافر: ونبكي حين نقتلكم عليكم..ونقتلكم كأنا لا نبالي. والبيت الثاني من بيتي البحتري أردت وتجنيس التركيب مما لم يذكره التبريزي، وهو أن تركب كلمة من كلمتين ليماثل بها كلمة مفردة في الهجاء واللفظ، وهو قسمان: قسم تتشابه الكلمتان فيه لفظا وخطا، وقسم يتشابهان فيه لفظا لا خطا. فالأول كقول القائل: مجزوء الكامل: يا من تدل بوجنة..وأنامل من عندم..كفى جعلت لك الفدا..ألحاظ عينك عن دمي. وكقول الآخر: متقارب: إذا ملك لم يكن ذاهبه..فدعه فدولته ذاهبه. ومثال الثاني قول الشاعر: رمل مجزوء: كلكم قد أخذ الجا..م ولا جام لنا..وما الذي ضر مدير ال ... جام لو جاملنا. والأبيات الأولى من القسم الأول، والأخرى من القسم الثاني. فهذه أقسام التجنيس الثمانية. وأما القسم الذي جعلته لها تاسعا، وهو الذي ذكره التبريزي وسماه التجنيس المضاف، وأنشد فيه قول البحتري: وافر: أيا قمر التمام أعنت ظلما..على تطاول الليل التمام. فهو مع قطع النظر عن الإضافة من تجنيس التحريف، لكن هو قسم قائم بذاته، لاتصال المضاف بالمضاف إليه. والله أعلم.

■ (1) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني: باحث معتزلي مفسر. من كبار النحاة. إصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد. له نحو مئة مصنف، توفي سنة 384 هـ

■ (4) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الانصاري، أبو عبد الله: أمير، خطيب، شاعر، من أجلاء الصحابة. من أهل المدينة. وجهته نائلة زوجة عثمان بقميص عثمان، إلى معاوية، فنزل الشام. وشهد صفين مع معاوية. وولي القضاء بدمشق، بعد فضالة بن عبيد سنة 53 هـ وولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة، تسعة أشهر، وعزله وولاه حمص. واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية، فبايع النعمان لابن الزبير. وتمرد أهل حمص، فخرج هاربا، فاتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله سنة 65 هـ. وهو أول مولود ولد في الانصار بعد الهجرة. قال ابن حزم: افتتح مروان دولته بقتله، وسيق إليه رأسه من حمص. وقيل: قتل يوم مرج راهط. قال سماك بن حرب: كان من أخطب من سمعت.

■ (2) أحمد بن علي بن قدامة، أبو المعالي، قاضي الانبار. من العلماء بالعربية. له كتاب في النحو وآخر في علم القوافي. توفي سنة 486 هـ

■ (3) عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد، وأولع بالادب، فكان يقصد فصحاء الاعراب ويأخذ عنهم. وصنف كتبا، وجاءته النكبة من حيث يسعد الناس: آلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي، واستصغره القواد فخلعوه، وأقبلوا على صاحب الترجمة، فلقبوه المرتضي بالله وبايعوه بالخلافة، فأقام يوما وليلة، ووثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه. وعاد المقتدر، فقبض عليه وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس، فخنقه. وللشعراء مراث كثيرة فيه. توفي سنة 296 هـ

■ (5) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة. الامير السعيد الشهيد أبو عمرو الانصاري الخزرجي البدري النقيب الشاعر. له عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وعن بلال. شهد بدرا والعقبة. يكنى أبا محمد، وأبا رواحة، وليس له عقب. وهو خال النعمان بن بشير. وكان من كتاب الانصار. استخلفه النبي، صلى الله عليه وسلم، على المدينة في غزوة بدر الموعد، وبعثه النبي عليه السلام سرية في ثلاثين راكبا إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر فقتله. سنة 8 هـ

مراجع: تهذيب الكمال/ الأعلام للزركلي/ـتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر/

قال الوليد بن هشام القحذمي: وفد وفد من أهل المدينة إلى الوليد بن عبد الملك بالشام، فبينها هو جالس والناس عنده إذ دخل عليه عبد الأحوص بن محمد الأنصاري، فقال: أعوذ بالله، وبك يا أمير المؤمنين مما يكلفني الأحوص[1]! قال: وما يكلفك؟ فأخبره أنه يريده على أمر مذموم، فقال له الوليد: كذبت أي عدو الله على مولاك، اخرج قال: فخرج، فلما شاع الخبر اندس الأحوص إلى غلام من آل أبي لهب، فقال له: إن دخلت على أمير المؤمنين، فشكوت من مولاك ما شكا عبدي مني أعطيتك مائتي دينار، فدخل العبد على الوليد، فشكا من مولاه ما شكا عبد الأحوص منه، ومولاه جالس عند الوليد في السماطين، فنظر إليه الوليد، فقال: ما هذا يا فلان!؟ قال: مظلوم يا أمير المؤمنين، والله ما كان هذا، وهذا وفد أهل المدينة، فسلهم عني، فسألهم، فقالوا: ما أبعده مما رماه به غلامه. فقال: خذوه فأخذ الغلام فضرب بين يدي الوليد، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تعجل علي حتى أخبرك بالأمر: أتاني الأحوص، فجعل لي مائتي دينار على أن أدخل عليك، وأشكو من مولاي ما شكا عبده منه، فأرسل إلى الأحوص فأتي به، فأمر به الوليد فجرد وضرب بين يديه ضربا مبرحا، وقال: أي عدو الله، سترت عليك ما شكا عبدك، فعمدت إلى رجل من قريش تريد أن تفضحه؟! فسير إلى دهلك* -جزيرة في البحر- فلم يزل مسيرا أيام الوليد وسليمان[2]؛ فلما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز [3] رجع الأحوص إلى المدينة، وقال: هذا رجل أنا خاله -يعني عمر- فما يصنع؟- وكانت أم عمر بن عبد العزيز أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وأم أم عاصم أنصارية بنت عاصم بن أبي الأقلح الأنصاري- فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فأمر به فرد إلى دهلك. فلما قام يزيد بن عبد الملك[4] رجع الأحوص إلى المدينة؛ ثم إنه خرج وافدا إلى يزيد بن عبد الملك، فمر بمعبد المغني[5]، فقال له معبد: الصحبة، يا أبا عثمان، قال: ما أحب أن تصحبني، تقول وفود العرب: هذا ابن الذي حمت لحمه الدبر والغسيل معبد معه مغن! قال: لا بد والله من الصحبة فلما أبى إلا أن يصحبه ذهب، فلما نزل البلقاء وهي من الشام، أصابهم مطر من الليل، فأصبحت الغدر مملوءة، فقال الأحوص: لو أقمنا اليوم ها هنا، فتغدينا على هذا الغدير فعفلا. ورفع لهما قصر لم يريا بناء غيره، فلما أصبحوا خرجت جارية معها جرة إلى غدير من تلك الغدر، فملأت جرتها، فلما رفعتها ومضت بها رمت بالجرة فكسرتها، فقال معبد للأحوص: أرأيت ما رأيت، وما صنعت هذه؟ قال: نعم، فأرسل إليها الأحوص بعض غلمانه، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: أنا طربت، قال: وما أطربك؟ قالت: ذكرت صوتا كنا نغني به أنا وصواحب لي بالمدينة، فأطربني، فكسرت الجرة، قال: وما الصوت؟ قالت: من الكامل: يا بيت عاتكة الذي أتعزل..حذر العدى وبه الفؤاد موكل. قال: ولمن هذا الشعر؟ قالت: للأحوص الأنصاري، قال: والغناء؟ قالت: لمعبد، فقالا لها: أفتعرفينا؟ قالت: لا، قال: فأنا الأحوص وهذا معبد. لمن كنت بالمدينة؟ قالت: لآل فلان، اشتراني أهل هذا القصر، فصرت ها هنا ما أرى أحدا غيرهم. وقالت: فإن لي حاجة، قالا: ما حاجتك؟ قالت لمعبد: أن تغنيني قال الأحوص لمعبد: غنها، قال: فجعلت تقترح ويغنيها حتى قضت حاجتها، ثم قالا لها: أتحبين أن نعمل لك في الخروج من ها هنا؟ قالت: نعم، قالا: فإن نحن فعلنا أتشكريننا؟ قالت: نعم، فلما قدما على يزيد بن عبد الملك، ودخلا عليه قال الأحوص: يا أمير المؤمنين إني رأيت في مسيرنا عجبا! نزلت إلى البلقاء فرأينا جارية -وقص عليه قصتها- قال: أفتعرفها؟ قال: نعم. فسألها وأهلها وموضعها، وقال: يا أمير المؤمنين أنا الذي أقول فيها: من الخفيف: إن زين الغدير من كسر الجر..ر وغنى غناء فحل مجيد..قلت: من أنت يا ظعين؟ فقالت..كنت فيما مضى لآل الوليد..ثم بدلت بعد حي قريش..من بني عامر لآل الوحيد..فغنائي لمعبد ونشيدي..لفتى الناس الأحوص الصنديد..يعجز المال عن شراك ولكن ... أنت في ذمة الهمام يزيد. قال: فمضى لذلك ما مضى، ثم دخل الأحوص ومعبد يوما على يزيد، فأخرج إليها الجارية، ثم قال: يا أحوص، أفتعرف هذه الجارية؟ قال: نعم. ثم قال لها الأحوص: أوفينا لك؟ قالت: نعم، جزاكما الله خيرا.

وعن أيوب بن عمر، عن أبيه قال: ركب الأحوص إلى الوليد قبل ضرب ابن حزم[6] إياه، ليشكوه إليه، فلقيه رجل من بني مخزوم، يقال له: ابن عنبة، فوعده أن يعينه على ابن حزم، فلما دخلا على الوليد قال له الوليد: ويلك! ما هذا الذي أتيت به (رميت؟) يا أحوص؟ قال: يا أمير المؤمنين، والله لو كان الذي رماني به ابن حزم أمرا من أمر الدين، إلا أن دناءته ونذالته على ما هي عليه لاجتنبته، فكيف وهو من أكبر معاصي الله؟وأنا الذي أقول: لظلوا وأيديهم إليك تشير. قال: فقال ابن عنبة: يا أمير المؤمنين، إن ابن حزم من فضله، وعدله، ورضاه في بلده، وليس ممن يتهم له قول ولا حكم، فقال الأحوص: هذا والله كما قال الأول: من الطويل: وكنت كذئب السوء لما رأى دما..بصاحبه يوما أحال على الدم. وفي رواية: أغار-وعدني والله أن يعينني على ابن حزم ثم هذا قوله!

قال محمد بن سلام: كان الأحوص الشاعر يشبب بنساء أهل المدينة، فتأذوا به، وكان معبد وغيره من المغنين يتغنون في شعره، فشكاه قومه، فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك، فكتب إلى عامله بالمدينة أن يضربه مائة سوط، ويقيمه على البلس للناس، ثم يسيره إلى دهلك. ففعل به. فثوى بها سلطان سليمان، وعمر بن عبد العزيز، فأتى رجال من الأنصار عمر بن عبد العزيز، فسألوه أن يرده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: عرفت نسبه، وموضعه من قومه، وقد أخرج إلى أرض الشرك، فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه، فقال عمر: من الذي يقول: من الطويل: فما هو إلا أن أراها فجاءة..فأبهت حتى ما أكاد أجيب؟ قالوا: الأحوص، قال: فمن الذي يقول: من الطويل:أدور، ولولا أن أرى أم جعفر..بأبياتكم ما درت حيث أدور؟ قالوا: الأحوص، قال: فمن الذي يقول: مجزوء البسيط:الله بيني وبين قيمها..يفر مني بها وأتبع؟قالوا: الأحوص، قال:فمن الذي يقول: من الطويل:سيلقى لها في القلب في مضمر الحشا..سريرة حب يوم تبلى السرائر؟ قالوا: الأحوص، قال: إنه عنها يومئذ لمشغول، والله لا أرده ما كان لي سلطان. فمكث هنالك صدرا، ثم استخلف يزيد بن عبد الملك، فبينا يزيد ليلة على سطح، وجاريته حبابة تغنيه بشعر الأحوص، إذا قال يزيد: من يقول هذا الشعر؟ قالت: لا وعينيك ما أدري. قال: وقد كان ذهب من الليل شطره، فقال: ابعثوا إلى الزهري فعسى أن يكون عنده علم من ذلك، فأتي ابن شهاب الزهري، فقرع بابه، فخرج فزعا حتى أتى يزيد، فلما صعد إليه قال: لا بأس، لم ندعك إلا لخير، اجلس. فجلس، فقال: من يقول هذا الشعر؟ قال: الأحوص، يا أمير المؤمنين، قال: ما فعل؟ قال: قد طال حبسه بدهلك، قال: عجبت لعمر بن عبد العزيز كيف أغفله؟ فأمر بالكتاب بتخلية سبيله، ثم قدم عليه، فأجازه وأحسن جائزته

*(دهلك) جزيرة في بحر اليمن وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة

(1) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الانصاري، من بني ضبيعة: شاعر هجاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر ونصيب. كان معاصرا لجرير والفرزدق. وهو من سكان المدينة. وفد على الوليد ابن عبد الملك في الشام فأكرمه الوليد، ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته، فرده إلى المدينة وأمر بجلده، فجلد، ونفي إلى دهلك وهي جزيرة بين اليمن والحبشة، كان بنو أمية ينفون إليها من يسخطون عليه. فبقي بها إلى ما بعد وفاة عمر بن عبد العزيز. وأطلقه يزيد بن عبد الملك. فقدم دمشق فمات فيها. سنة 105 هـ وكان حماد الراوية يقدمه في النسيب على شعراء زمنه. ولقب بالاحوص لضيق في مؤخر عينيه.

(3) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

(4) يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد الأموي الدمشقي؛ تولى الحكم بعد عمر بن عبد العزيز لست بقين من رجب سنة101 هـ، وله 37 سنة وتوفي بأرض البلقاء، وقيل بعمان، لخمس بقين من شعبان سنة 105 هـ.

(2) سليمان بن عبد الملك، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان.عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. توفي سنة 99 هـ

(5) معبد بن وهب، أبو عباد المدني: نابغة الغناء العربي في العصر الاموى. كان مولى لبني مخزوم (أو لابن قطن، مولى معاوية) ونشأ في المدينة يرعى الغنم لمواليه، وربما اشتغل في التجارة. ولما ظهر نبوغه في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة. ثم رحل إلى الشام فاتصل بأمرائها وارتفع شأنه. وكان أديبا فصيحا. وعاش طويلا إلى أن انقطع صوته. ومات سنة 126 هـ في عسكر الوليد ابن يزيد. أصواته وأخباره كثيرة.

(6) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي ، أبو محمد، .أمير المدينة وقاضيها لسليمان بن عبد الملك، ثم لعمر بن عبد العزيز وكان ولاه عمر بن عبد العزيز وكتب إليه أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد فكتبه له، ولم يكن على المدينة أنصاري أميرا غير أبي بكر بن حزم، وكان قاضيا.

☪

قال يحيى بن عروة بن أذينة: لما قدم الفرزدق أتى مجلس أبي، فأنشده الأحوص شعرا، قال: من أنت؟ قال: الأحوص بن محمد، قال: ما أحسن شعرك! فقال: أهكذا تقول لي؟ فوالله لأنا أشعر منك، قال: وكيف تكون أشعر مني، وأنت تقول: من الطويل: يقر بعيني ما يقر بعينها..وأفضل شيء ما به العين قرت. فإنه يقر بعينها أن تنكح، فيقر ذاك بعينك؟! وعن خويلد الهذلي قال: بينما أنا وأبي نطوف بالبيت إذا نحن بعجوز يضرب أحد لحييها بالآخر، أقبح عجوز رأيتها قط، فقال: أي بني، أتعرف هذه؟ قلت: لا، ومن هذه؟ قال: هذه التي يقول فيها الأحوص: من البسيط: سلام ليت لسانا تنطقين به..قبل الذي نالني من خبله قطعا..أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني..حتى إذا قلت: هذا صادق نزعا..يلومني فيك أقوام أجالسهم..فما أبالي أطار اللوم أم وقعا . وعن يوسف بن عنيزة قال: هجا الأحوص بن محمد رجلا من الأنصار من بني حرام يقال له: ابن بشير، وكان كثير المال، فغضب من ذلك، فخرج حتى قدم على الفرزدق بالبصرة، فأهدى له وألطفه، فقبل ذلك منه، فجلسا يتحدثان، فقال له الفرزدق: ممن أنت؟ قال: من الأنصار، قال: ما أقدمك؟ قال: جئت مستجيرا بالله ثم بك من رجل هجاني، قال: قد أجارك الله منه وكفاك مؤونته، فأين أنت عن الأحوص بن محمد؟ قال: هو الذي هجاني، فأطرق ساعة، ثم قال: أليس الذي يقول: من الطويل: ألا قف برسم الدار فاستنطق الرسما..فقد هاج أحزاني وذكرني نعما؟ . قال: بلى، قال: فلا والله ما أهجو رجلا هذا شعره، فخرج ابن بشير، فاشترى أفضل من الشراء الأول من الهدايا، وقدم بها على جرير، فأخذها وقال له: ما أقدمك؟ قال: جئت مستجيرا بالله وبك من رجل هجاني، قال: قد أجارك الله وكفاك، أين أنت عن ابن عمك الأحوص بن محمد؟ قال: هو الذي هجاني، قال: فأطرق ساعة ثم قال: أليس الذي يقول: من الطويل: تمشى بشتمي في أكاريس مالك..تشيد كالكلب الذي ينبح النجما..فما أنا بالمخسوس في جذم مالك..ولا بالمسمى ثم يلتزم الاسما..ولكن بيتي إن سألت وجدته..توسط منها العز والحسب الضخما؟. لا والله، لا أهجو رجلا هذا شعره. فاشترى أفضل من تلك الهدايا، وقدم على الأحوص، فأهداها له، وصالحه. وعن إسماعيل بن محمد المخزومي قال: اجتمع خمس نسوة عند امرأة من أهل المدينة، فقلن: أرسلي إلى الأحوص، فإنا نحب أن نتحدث معه، ونسمع من شعره، قالت: إذا لا يزيد إذا خرج من عندكن، وعرفكن أن يفضحكن بالشعر، فلم يزلن بها حتى أرسلت رسولا يذكر رسولا يذكر لها أمرهن، ولا يسميهن، ويأتي مخمرا رأسه. ففعل، وتحدث معهن، وأنشدهن؛ فلما أراد الخروج شق طرة من ردائه فوضعها على جدار باب الدار، ثم تيمم الموضع لما أصبح، فطاف عليه حتى وجد العلامة، فقال: من الكامل: خمس دسنن إلي في لطف..حور العيون نواعم زهر..فطرقتهن مع الرسول وقد..نام الرقيب، وحلق النسر..متأبطا للحي إن فزعوا..عضبا يلوح بمتنه أثر..فعكفن ليلتهن ناعمة..ثم استفقن وقد بدا الفجر..بأشم معسول بحاجبه..غض الشباب رداؤه غمر..قامت تخاصره لكلتها..تمشي التأود غادة بكر..فتناغيا من دون نسوتها..كلما يسر كأنه سحر..كل يرى أن الشباب له..في كل مبلغ لذة عذر.

قال إسماعيل: فخرجت وأنا شاب، ومعي شباب، لنزور مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرنا خبر الأحوص هذا وشعره، وقدامنا عجوز عليها وسم جمال، فلما بلغنا المسجد وقفت، والتفتت إلينا، فقالت: يا فتيان، أنا والله إحدى الخمس، كذب ورب هذا القبر والمنبر ما خلت معه واحدة، ولا راجعته دون نسوتها كلاما.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

قالوا: دخل المغيرة بن عبد الملك[1] يوما على الوليد بن عبد الملك بن مروان، فرآه مغموما فقال له: يا أمير المؤمنين، ما سبيلك؟ قال: فأعرض عنه، ثم إنه عاوده فقال: يا أمير المؤمنين، ما سبيلك؟ قال: فقال له: يا مغيرة، إن المسلمين قد كثروا وقد ضاق بهم المسجد، وقد بعثت إلى هؤلاء النصارى أصحاب هذه الكنيسة لندخلها في المسجد فتأبوا علينا، وقد أقطعتهم قطائع كثيرة، وبذلت لهم مالا فامتنعوا، فقال له المغيرة: يا أمير المؤمنين، لا تغتم قد دخل خالد[2] من باب الشرقي بالسيف، وباب الجابية دخل منه أبو عبيدة بن الجراح[3] في الأمان فماسحهم إلى أي موضع بلغ السيف، فإن يكن لنا فيه حق أخذناه، وإن لم يكن لنا فيه حق داريناهم حتى نأخذ باقي الكنيسة فندخله في المسجد فقال له: فرجت عني، فتول أنت هذا. قال: فتولاه، فبلغت المسحة إلى سوق الريحان حتى حاذى من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع وكسر بالذراع القاسمي، فإذا باقي الكنيسة قد دخل في المسجد، فبعث إليهم فقال لهم: هذا حق قد جعل الله عز وجل لنا، لم يصل المسلمون في غصب ولا ظلم، بل نأخذ حقنا الذي جعله الله لنا، فقالوا: يا أمير المؤمنين، قد أقطعتنا أربع كنائس وبذلت لنا من المال كذا وكذا، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تتفضل به علينا ففعل، فامتنع عليهم حتى سألوه وطلبوا إليه. قال: فأعطاهم كنيسة حميد بن درة، وكنيسة أخرى حيث سوق الجبن، وكنيسة مريم، وكنيسة المصلبة. ثم إن الوليد بعث إلى المسلمين حتى اجتمعوا لهدم الكنيسة، واجتمع النصارى فقال للوليد بعض الأقساء والفأس على كتفه وعليه قباء سفرجلي وقد شد برقبة قبائه فقال له: إني أخاف عليك من الشاهد يا أمير المؤمنين. قال: ويلك ما أضع فأسي إلا في رأس الشاهد، ثم إنه صعد، فأول من وضع فأسه في هدم الكنيسة الوليد. وسارع الناس في هدم الكنيسة، وكبر الناس ثلاث تكبيرات وزادها في المسجد. وقيل: إنه قيل للوليد: لا يهدمها أحد إلا جن، فقام يزيد بن تميم[4] فجمع له وجوه أهل البلد حتى علا الكنيسة ثم التفت إلى يزيد فقال: أين الفأس فأتاه به فقال: إن هؤلاء الكفرة يزعمون أن أول من يهدمها يجن وأنا أول من يجن في الله، فأخذ برقبة قبائه فوضعها في منطقته ثم أخذ الفأس فضرب به ضربات، ثم تناوله القوم وكل من حضر، ولم يجدوا من ذلك بدا إذ فعله أمير المؤمنين، وصاح النصارى على الدرج وولولوا، ثم التفت إلى يزيد بن تميم وهو على خراجه فقال: ابعث إلى اليهود حتى يأتوا على هدمها. ففعل فجاء اليهود فهدموها.

■ (1) المغيرة بن عبد الملك الأموي مولى الوليد بن عبد الملك من نبل مواليه أشار إليه بمحاسبة النصارى حين عزم على أخذ ما في الكنيسة وجعلها مسجدا حكى عنه ابنه عبد الملك بن المغيرة بن عبد الملك حكاية تقدمت في ذكر بناء الجامع.

■ (3) أبو عبيدة بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال. أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام. .ولد سنة 40 ق هـ. ومات بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ

■ (2) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يلي أعنة الخيل في قريش، وقد أسلم سنة 7 هـ ، يكنى أبا سليمان، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول، وله بطولات نادرة في حروب الردة وقتال الفرس،مات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هـ ويقال: توفى بحمص سنة 14 هـ

■ (4) يزيد بن تميم بن حجر السلمي مولى عبيد الله بن نصر بن الحجاج بن علاط، الكاتب، قيل هو جد بني كروس وبني تبوك، وكان على خراج الوليد. لما هدم الوليد كنيسة دمشق وبنى بها مسجدا التفت إلى يزيد بن تميم فقال: ابعث إلى اليهود حتى يأتوا على هدمها، ففعل، فجاء اليهود فهدموها.

☪

كان معاوية[1] أراد أن يبني مسجد دمشق فقال له كعب[2]: ذلك أخنس قريش وما اجتمع أبواه. فلما كان الوليد بن عبد الملك بعث إلى النصارى وقال لهم في كنيستهم وسألهم إياها فأبوا، فقال لهم: ائتونا بالعهد فأتوه به فقال لهم: قد رضيتم، فأنا أسجل البعض عليكم. فنظروا فإذا كنيسة كذا، وكنيسة كذا، وكنيسة كذا. ورضوا بأن أعطوا الكنيسة وكف عن كنائسهم. قالوا: وكان معاوية بن أبي سفيان يخرج إلى الصلاة في المسجد من الموضع الذي يصلي فيه الغرباء عند باب جيرون* من عند الزجاجة الخضراء فجعلت الزجاجة علامة لما سد الباب من شرق المسجد خارج الباب. قال يعقوب بن سفيان: سألت هشام بن عمار[3] عن قصة مسجد دمشق وهدم الكنيسة قال: كان الوليد قال للنصارى من أهل دمشق: ما شئتم، إنا أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة الداخلة صلحا، فأنا أهدم كنيسة توما. قال هشام: وتلك أكبر من هذه الداخلة. قال: فرضوا أن هدم كنيسة الداخلة، وأدخلها في المسجد. قال: وكان بابها قبلة المسجد، اليوم المحراب الذي يصلى فيه. قال: وهدم الكنيسة في أول خلافة الوليد سنة ست وثمانين، وكانوا في بنيانه سبع سنين حتى مات الوليد ولم يتم بناؤه، فأتمه هشام[4] من بعده. وفي حديث آخر: لما هم بهدم الكنيسة، كنيسة مريحنا ليزيدها في المسجد، دخل الكنيسة، ثم صعد منارة ذات الأضالع المعروفة بالساعات، وفيها راهب يأوي في صومعة له فأحدره من الصومعة، فأكثر الراهب كلامه، فلم تزل يد الوليد في قفاه حتى أحدره من المنارة ثم هم بهدم الكنيسة، فقال له جماعة من نجاري النصارى: ما نجسر على أن نبدأ في هدمها يا أمير المؤمنين، ونخشى أن نعز (نفترا) أو يصيبنا شيء، فقال الوليد: تحذرون وتخافون! يا غلام، هات المعول، ثم أتى بسلم فنصبه على محراب المذبح، وصعد فضرب بيده المذبح حتى أثر فيه أثرا كبيرا، ثم صعد المسلمون فهدموه، وأعطاهم الوليد مكان الكنيسة التي في المسجد، الكنيسة التي تعرف بحمام القاسم بحذاء دار أم البنين في الفراديس، فهي تسمى مريحنا مكان هذه التي في المسجد. وحولوا شاهدها فيما يقولون إليها، إلى تلك الكنيسة. وكان أراد أن يبني المسجد اسطوانات إلى الكوى يعني الطاقات فدخل بعض البنائين فقال: لا ينبغي أن يبنى كذا ولكن ينبغي أن تبنى فيه قناطر ويعقد أركانها بعضها إلى بعض ثم تجعل أساطين، ويجعل عمد، ويجعل فوق العمد قناطر تحمل السقف، ويخفف عن العمد البناء، ويجعل بين كل عمودين ركن. قال: فبني كذلك.

☪

لما أراد الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق احتاج إلى صناع كثير، فكتب إلى الطاغية أن وجه إلي بمئتي صانع من صناع الروم فإني أريد أن أبني مسجدا لم يبنى من مضى قبلي ولا يكون بعدي مثله. فإن أنت لم تفعل غزوتك بالجيوش وأخربت الكنائس في بلدي وكنيسة بيت المقدس وكنيسة الرها وسائر آثار الروم في بلدي، فأراد الطاغية أن يفضه عن بنائه ويضعف عزمه، فكتب إليه: والله لئن كان أبوك فهمها فأغفل عنها إنها لوصمة عليه، ولئن كنت فهمتها وغيبت عن أبيك إنها لوصمة عليك، وأنا موجه إليك ما سألت. فأراد أن يعمل له جوابا فجلس له عقلاء الرجال في حظيرة المسجد يفكرون في ذلك، فدخل عليهم الفرزدق[5] فقال: ما بال الناس! أراهم مجتمعين حلقا، فقيل له: السبب كيت وكيت، فقال: أنا أجيبه من كتاب الله. قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء] فسري عنهم. وروى أبو حفص أن هود النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم أسس الحائط الذي قبلة دمشق. ولما بنى الوليد بن عبد الملك القبة يعني: قبة مسجد دمشق فلما استقلت وتمت وقعت فشق ذلك عليه، فأتاه رجل من البنائين فقال له: أنا أتولى بنيانها على أن تعطيني عهد الله ألا يدخل معي أحد في بنيانها ففعل ذلك، فحفر موضع الأركان حتى بلغ الماء ثم بناها، فلما استقلت على وجه الأرض غطاها بالحصر وهرب عن الوليد، فأقام يطلبه ولا يقدر عليه. فلما كان بعد سنة لم يعلم الوليد إلا وهو على بابه فقال له: ما دعاك إلى ما صنعت! قال: تخرج معي حتى أريك، فخرج الوليد والناس معه حتى كشف الحصر فوجد البنيان قد انحط حتى صار مع وجه الأرض فقال: من هذا كنت تؤتى، ثم بناها بنيانها الذي عليه حتى قامت. وقيل: لما حفر لأركانها حتى بلغ الحفر إلى الماء ألقى على الماء جران الكرم، وبني الأساس عليه. قال إبراهيم بن أبى حوشب النصري وكان جده أحد قومة المسجد في بنائه قال: حدثت أن الوليد بن عب الملك بعث إليه يوما عند فراغه من القبة الكبيرة، فلم يبق منها إلا عقد رأسها فقال له: إني عزمت أن أعمدها بالذهب قال: فقال له: يا أمير المؤمنين، اختلطت؟! هذا شيء تقدر عليه؟! قال له: يا ماجن تقول لي هذا؟! فأمر به فشق عنه وضرب خمسين سوطا. قال: ثم قال: اذهب فافعل ما أمرت به قال: فذكر لي أنه عمل لبنة من ذهب فحملها إليه، فلما نظر إليه وعرف ما فيها وما تحتاج القبة إلى مثلها قال: هذا شيء لا يوجد في الدنيا، ورضي عنه وأمر له بخمسين دينارا. ولما قطع الوليد بن عبد الملك بالرصاص لمسجد دمشق لأهل الكور كانت كورة الأردن أكثرهم في ذلك، فطلبوا الرصاص من النواويس الغادية وانتهوا إلى قبر حجارة في داخله قبر من رصاص، فأخرجوا الميت الذي فيه فوضعوه فوق الأرض، فوقع رأسه في هوة من الأرض وانقطع عنقه فسأل من فيه دم. فهالهم ذلك، فسألوا عنه فكان فيمن سألوا عنه عبادة بن نسي الكندي[6] فقال لهم: هذا القبر قبر طالوت الملك. وقيل: إنه لما فرغ الوليد بن عبد الملك من بناء المسجد قال له بعض ولده: أتعبت الناس في طينه كل سنة ويخرب سريعا، فأمر أن يسقف بالرصاص، فطلب الرصاص في كل بلد وصل إليه، فبقي عليه موضع لم يجد له رصاصا، فكتب إلى عماله يحرضهم في طلبه، فكتب إليه بعض عماله أن قد وجدنا عند امرأة منه شيئا، وقد أبت أن تبيعه إلا وزنا بوزن، فكتب إليه: خذه، وإن أبت إلا وزنا بوزن، فأخذه منها وزنا بوزن، فلما وفاها قالت له: هو هدية مني للمسجد. قال لها: أنت أبيت أن تبيعي إلا وزنا بوزن شحا منك، فتهدينه للمسجد؟! فقالت: أنا فعلت ذلك ظننت أن صاحبكم يظلم الناس في بنائه ويأخذ رحالهم، فلا رأيت الوفاء منكم علمت أنه لم يكن يظلم فيه أحدا ثم، ويبتاع وزنا بوزن، فكتب إلى الوليد في ذلك، فأمر أن يعمل في صفائحه: لله، ولم يدخله في جملة ما عمله. فهو إلى اليوم مكتوب عليه: لله. طبع بطابع على السقف. وقيل: إن المرأة كانت يهودية، وأنه كتب على الرصاص الذي أعطتهم: للإسرائيلية وذكر أنه رؤي منه شيء قبل الحريق عليه: للإسرائيلية. ولما أراد الوليد بناء المسجد بدمشق كان سليمان بن عبد الملك هو القيم مع الصناع. وكان المشايخ يقولون: ما تم مسجد دمشق إلا بآداء الأمانة. لقد كان بفضل عند الرجال من القوام عليه الفأس ورأس المسمار، فيجيء فيضعه في الخزانة.

----

*(جيرون) المعروف اليوم أن من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقي يقال له باب جيرون (الزجاجة الخضراء) ؟

■ (1) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي، من الموصوفين بالدهاء -والحلم-. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة60 هـ

■ (2) كعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، الذي كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر، فجالس الصحابة، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة.توفي كعب بحمص ذاهبا للغزو في أواخر خلافة عثمان سنة32 هـ

■ (3) هشام بن عمار بن نصير، ابن ميسرة السلمي، أبو الوليد: قاض، من القراء المشهورين. من أهل دمشق. خطيبها ومقرئها ومحدثها وعالمها. وتوفي فيها سنة 245 هـ. وكان فصيحا بليغا.

■ (4) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد،كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (6) عبادة بن نسي الكندي الشامي الاردني، أبو عمرو: قاضي طبرية. كان نبيلا شريفا. ينعت بسيد أهل الاردن، ولاه عبد الملك بن مروان، ثم عمر بن عبد العزيز. ومات وهو شاب. سنة 118 هـ وكان من ثقات رجال الحديث.

■ (5) همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن طائفة.ولد سنة 38 هـ وتوفي في البصرة سنة 110 هـ.

- مراجع: تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار/ تاريخ الإسلام للذهبي/ المعرفة والتاريخ/ شذرات الذهب/

◆ الوليد (الأول) بن عبد الملك (الأول) الأموي القرشي، أبو العباس (سادس ملوك الدولة الأموية) وابن سريج، من المغنين 0404

روى إبراهيم الموصلي أن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عامل مكة أن أشخص إلي ابن سريج[1]، فأشخصه، فلما قدم مكث أياما لا يدعو به ولا يلتفت إليه، ثم إنه ذكره وطرب له، فطلبه، فتهيأ وتلبس، ودخل على الوليد فسلم، فأجلسه فجلس بعيدا، فاستدناه فدنا حتى كان قريبا منه فقال: قد بلغني عنك ما حملني على الوفادة بك من كثرة أدبك، وجودة اختيارك، مع ظرف لسانك وحلاوة منطقك، قال: جعلت فداك يا أمير المؤمنين تسمع بالمعيدي لا أن تراه، قال الوليد: إني لأرجو أن لا تكون أنت ذاك، هات ما عندك، فاندفع ابن سريج يغني بشعر الأحوص[2]: من الطويل: أمنزلتي سلمى على القدم اسلما..وقد هجتما للشوق قلبا متيما..وذكرتما عصر الشباب الذي مضى..وجدة وصل حبله قد تجذما..إمام أتاه الملك عفوا ولم يثب..على ملكه مالا حراما ولا دما..تخيره رب العباد لخلقه..وليا وكان الله بالناس أعلما..فلما ارتضاه الله لم يدع مسلما..لبيعته إلا أجاب وسلما..ينال الغنى والعز من نال وده..ويرهب موتا عاجلا من تسنما.

فقال الوليد: أحسنت وأحسن الأحوص. ثم قال: هيه، فغنى بشعر عدي بن الرقاع[3] يمدح الوليد: من البسيط: صلى الذي الصلوات الطيبات له..والمؤمنون إذا ما جمعوا الجمعا..على الذي سبق الأقوام ضاحية..بالأجر والحمد حتى صاحباه معا..هو الذي جمع الرحمن أمته..على يديه، وكانوا قبله شيعا..عذنا بذي العرش أن نحيا ونفقده..وأن نكون لراع بعده تبعا..إن الوليد أمير المؤمنين له..ملك عليه أعان الله فارتفعا..لا يمنع الناس ما أعطى الذين هم..له عبيد ولا يعطون من منعا.

فقال الوليد: صدقت ياعبيد، أنى لك هذا؟ قال: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران] قال الوليد: لو غير هذا قلت لأحسنت أدبك، قال ابن سريج: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة] قال الوليد: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر] قال ابن سريج: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل] قال الوليد: علمك أكبر وأعجب إلي من غنائك، غنني، فغناه، بشعر عدي بن الرقاع يمدح الوليد: عرف الديار توهما فاعتادها..من بعد ما شمل البلى أبلادها..صلى الإله على امرئ ودعته..وأتم نعمته عليه وزادها..وإذا الربيع تتابعت أنواؤه..فسقى خناصرة الأحص فجادها..نزل الوليد بها فكان لأهلها..غيثا أغاث أنيسها وبلادها..أولا ترى أن البرية كلها..ألقت خزائمها إليه فقادها..ولقد أراد الله إذ ولاكها..من أمة إصلاحها ورشادها..وعمرت أرض المسلمين فأقبلت..وكففت عنها من أراد فسادها..وأصبحت في أرض العدو مصيبة..عمت أقاصي غورها ونجادها..ظفرا ونصرا ما يناوئ مثله..أحد من الخلفاء كان أرادها..وإذا نشرت له الثناء وجدته..جمع المكارم طرفها وتلادها. فإشار الوليد إلى بعض الخدم فغطوه بالخلع، ووضعوا بين يديه كيسة الدنانير وبدر الدراهم، ثم قال الوليد: يا مولى بني نوفل بن الحارث، لقد أوتيت أمرا جليلا، فقال ابن سريج: وأنت يا أمير المؤمنين قد آتاك الله ملكا عظيما وشرفا عاليا، وعزا بسط يدك فيه. ولم يقبضه عنك، ولا يفعل إن شاء الله، فأدام الله لك ما ولاك، وحفظك فيما استرعاك. قال: يا نوفلي، وخطيب أيضا!؟ قال: عنك نطقت، وبلسانك تكلمت، وبعزك أنست.

وقد كان أمر بإحضار الأحوص بن محمد الأنصاري وعدي بن الرفاع العاملي، فلما قدما عليه أمر بإنزالهما جنب ابن سريج، فقالا: لقرب أمير المؤمنين كان أحب إلينا من قربك يا مولى بني نوفل، فإن قربك لما يلذ لنا ويشغلنا عن كثير مما نريد، فقال ابن سريج: أو قلة أو شكر؟، فقال عدي: كأنك يابن اللخناء تمن علينا، علي وعلي إن جمعنا وإياك سقف بيت أو صحن دار إلا عند أمير المؤمنين. وأما الأحوص فقال: أو لا تحتمل لأبي يحيى الزلة والهفوة؟، كفارة يمين خير من عدم المحبة، وإعطاء النفس سؤلها خير من لجاج في غير منفعة، فتحول عدي، وبقي الأحوص، وبلغ الوليد ما جرى بينهم، فدعا بابن سريج فأدخله بيتا، وأرخى دونه سترا، ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعدي من كلمتيهما أن يغني، فلما دخلا وأنشده مدائح له، رفع ابن سريج صوته من حيث لا يرونه، وضرب بعوده. فقال عدي: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في أن أتكلم؟ قال: قل يا عاملي، قال: مثل هذا عند أمير المؤمنين؟ وتبعث إلى ابن سريج تتخطى به رقاب قريش والعرب من تهامة إلى الشام، ترفعه أرض وتخفضه أخرى؟، فيقال من هذا؟ فيقال: ابن سريج مولى بني نوفل، بعث إليه أمير المؤمنين ليسمع غناءه،. قال: ويحك يا عدي أولا تعرف هذا الصوت؟ قال: لا والله، ما سمعته قط، ولا سمعت مثله حسنا، ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلت طائفة من الجن يتغنون. فقال: اخرج عليهم، فخرج فإذا ابن سريج، فقال عدي: حق لهذا أن يحمل، حق لهذا أن يحمل ثلاثا، ثم أمر لهما بمثل ما أمر به لابن سريج، وارتحل القوم.

■ (1) عبيد الله بن سريج، مولى بني نوفل ابن عبد مناف، أبويحيى:من أشهر المغنين في صدر الاسلام. كان يغني مرتجلا فيأتي باللحن المبتكر. وهو من أهل مكة، وأول من ضرب بها على العود بالعناء العربي. قال إبراهيم الموصلي: ما كان ابن سريج إلا كأنه خلق من كل قلب فهو يغني له ما يشتهي توفي سنة 98 هـ

■ (2) الاحوص ، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الانصاري، من بني ضبيعة: شاعر هجاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر ونصيب. كان معاصرا لجرير والفرزدق. وهو من سكان المدينة. وفد على الوليد ابن عبد الملك في الشام فأكرمه الوليد، ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته، فرده إلى المدينة وأمر بجلده، فجلد، ونفي إلى دهلك وهي جزيرة بين اليمن والحبشة، كان بنو أمية ينفون إليها من يسخطون عليه. فبقي بها إلى ما بعد وفاة عمر بن عبد العزيز. وأطلقه يزيد بن عبد الملك. فقدم دمشق فمات فيها. وكان حماد الراوية يقدمه في النسيب على شعراء زمنه. ولقب بالاحوص لضيق في مؤخر عينيه. توفي سنة 105 هـ

■ (3) عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، من عاملة: شاعر كبير، من أهل دمشق، يكنى أبا داود. كان معاصرا لجرير، مهاجيا له، مقدما عند بني أمية، ومداحا لهم، خاصا بالوليد بن عبد الملك. لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام. مات في دمشق نحو سنة 95 هـ.

عن حكم الوادي، قال: قال الوليد بن يزيد بن عبد الملك لجلسائه من المغنين: إني لأشتهي غناء أطول من أهزاجكم، وأقصر من الغناء الطويل. قالوا جميعا: قد أصبته يا أمير المؤمنين، بالمدينة رجل يقال له مالك بن أبي السمح الطائي[1] حليف لقريش، وهذا غناؤه، وهو أحسن الناس خلقا، وأحسنهم حديثا، قال: أرسلوا إليه. فأرسل إليه، فشخص حتى وافاه وهو بالشام، بدمشق. قال: فلما دخلنا عليه دخل معنا، فقال له الوليد: غنه. فاندفع، فضرب، فلم يطاوعه خلقه، ولم يصنع قليلا ولا كثيرا. فقال له الوليد: قم فاخرج. قال: وأقبل علينا يعنفنا؛ وقال: ما تزالون تغرونني بالرجل وتزعمون بعض ما أشتهيه حتى أدخله وأطلعه على ما لم أكن أحب أن يطلع عليه أحد، ثم لا أجد عنده ما أريد. فقلنا له: يا أمير المؤمنين، والله ما كذبنا، ولكن عسى الرجل تغير بعدنا. قال: ولم نزل حتى استرسل، وطابت نفسه، وغنيناه حتى نام، وانصرفنا؛ فجعلنا طريقنا على مالك، فافترينا عليه، وكدنا نتناوله. فقال: ويحكم، دخلتني هيبة منعتني من الغناء ومن الكلام الذي أردته، فأعيدوني إليه فإني أرجو أن يرجع إلي خلقي وغنائي. قال: فكلمنا الوليد، فدعا به، فكان الثانية أسوأ حالا منه في الأولى، فصاح به أيضا، فخرج، وفعلنا كفعلنا. قال: فقال: أعيدوني إليه، فامرأته طالق، وما يملك في سبيل الله إن لم أستنزله عن سريره إن هو أنصفني. قال: فجئنا إلى الوليد فأخبرناه. قال: فقال: وعلي مثل يمينه إن هو لم يستنزلني أن انفذ فيه ما حلف به. فهو أعلم. قال: فأتيناه، فأخبرناه بمقالة الوليد ويمينه. فقال: قد رضيت. قال: فحضر معنا دارا يكون فيها إلى أن يدعى بنا، فمر به صاحب الشراب، فأعطاه دينارا على أن يأتيه بقدح جيشاني مملوءا شرابا من شراب الوليد؛ فأتاه بقدح ثم بقدح ثم بقدح – بثلاثة أقداح – فأعطاه ثلاثة دنانير، ثم أدخلناه عليه، فقال له الوليد: هات. قال: فقال: لا والله أو ترجع إلي نفسي، وأطرب، وأرى للغناء موضعا. قال: فذاك لك. قال: فاشرب يا أمير المؤمنين. قال: فشرب، وجعل هو يشرب، ويغني المغنون، حتى إذا ثمل الوليد وثمل هو سل صوتا فأحسنه، وجاء بما نعرف، فطربنا وطرب الوليد، وتحرك، وقال: اسقني يا غلام؛ فسقي، وتغنى مالك صوتا آخر وجاء بالعجب؛ فقال له الوليد: أحسنت، أحسنت، أحسن الله إليك. فقال: الأرض الأرض يا أمير المؤمنين. قال: ذاك لك؛ ونزل، فحياه وأحسن إليه؛ ولم يزل معه حتى قتل الوليد.

■ (1) مالك بن جابر بن ثعلبة الطائي، أبو الوليد: أحد المغنين المقدمين في العصر الاموي وشطر من العصر العباسي، أخذ صناعة الغناء عن معبد، وانقطع إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ثم إلى بني سليمان بن علي. وكان من دعاة بني هاشم. مولده وإقامته في المدينة رحل إلى البصرة وبغداد، وعلت شهرته. وكان طويلا أجنى، فيه حول. عاش إلى خلافة المنصور العباسي، وروى له صاحب الاغاني أخبارا حسانا. مات نحو 140 م هـ

مراجع: تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) وأم البنين بنت عبد العزيز 0405

تذكر كتب التاريخ أن الحجاج بن يوسف[1] قدم على الوليد[2]، فوجده في بعض نزهه، فاستقبله، فلما رآه ترجل له، وقبل يده، وجعل يمشي وعليه درع وكنانة وقوس عربية، فقال له الوليد: اركب يا أبا محمد، فقال: دعني يا أمير المؤمنين أستكثر من الجهاد، فإن ابن الزبير[3] وابن الأشعث[4] شغلاني عنك، فعزم عليه الوليد حتى ركب، ودخل الوليد داره، وتفضل في غلالة*، ثم أذن للحجاج فدخل عليه في حالة تلك وأطال الجلوس عنده، فبينما هو يحادثه إذ جاءت جارية فسارت الوليد ومضت، ثم عادت فسارته ثم انصرفت، فقال الوليد للحجاج: أتدري ما قالت هذه يا أبا محمد. قال: لا والله، قال: بعثتها إلى ابنة عمي أم البنين بنت عبد العزيز[5] تقول: ما مجالستك لهذا الأعرابي المتسلح في السلاح وأنت في غلالة، فأرسلت إليها إنه الحجاج، فراعها ذلك، وقالت: والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق، فقال الحجاج: يا أمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول، فإنها المرأة ريحانة* وليست بـ قهرمانة*، فلا تطلعهن على سرك، ولا مكايدة عدوك، ولا تطعهن في غير أنفسهن، ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن، وإياك ومشاورتهن في الأمور فإن رأيهن إلى وهن، وعزمهن إلى وهن، وأكفف عليهن من أبصارهن بحجبك، ولا تملك الواحدة منهن من الأمور ما يجاوز نفسها، ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها، ولا تطل الجلوس معهن والخلوة بهن، فإن ذلك أوفر لعقلك، وأبين لفضلك، ثم نهض الحجاج فخرج.

وفي رواية: قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة، فبعثت إليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت: من هذا الأعرابي المستلئم* في السلاح عندك وأنت في غلالة؟ فبعث إليهم أنه الحجاج، فأعادت الرسول إليه، فقال: تقول لك: والله لأن يخلو بك ملك الموت أحيانا أحب إلي من أن يخلو بك الحجاج. فأخبره بذلك الوليد وهو يمازحه، فقال: يا أمير المؤمنين، دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فإنها المرأة ريحانة وليست قهرمانة فلا تطلعهم على سرك ومكايدة عدوك. فلما دخل الوليد أخبرهم بمقالة الحجاج فقالت: يا أمير المؤمنين حاجتي أن تأمره غدا بأن يأتيني مستلئما، ففعل ذلك وأتاهم الحجاج فحجبته فلم يزل قائما، ثم قالت: إيه يا حجاج، أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وابن الأشعث، أما والله لولا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النطاقين أول مولود ولد في الإسلام، وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته وأوطاره فإن كن ينفرجن عن مثله فغير قابل لقولك، أما والله لقد نفض نساء أمير المؤمنين الطيب من غدائرهن فبعنه في أعطية أهم الشأم حين كنت في أضيق من القرن قد أظلتكن رماحهم وأثخنك كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من أبناءهم وأبنائهم فأنجاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه، قاتل الله القائل حين نظر إليك وسنان غزالة بين كتفيك: أسد علي وفي الحروب نعامة..فتخاء تنفر من صفير الصافر..هلا كررت على غزالة في الوغى..بل كان قلبك في جوانح طائر..وغزالة امرأة شبيب الخارجي. ثم قالت: آخرج، فخرج. وفي رواية قالت لجواريها: أخرجوه عني، فدخل على الوليد من فوره فقال: يا أبا محمد، ما كنت فيه قال: والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إلي من ظهرها، فضحك الوليد حتى فحص برجليه ثم قال: يا أبا محمد أنها ابنة عبد العزيز.

قال البلاذري: حج الوليد وحج محمد بن يوسف[6] أخو الحجاج من اليمن، وحمل هدايا للوليد، فقالت أم البنين بنت عبد العزيز امرأة الوليد: اجعل لي هدية محمد بن يوسف، فأمر بصرفها إليها، فجاءت رسل أم البنين إلى محمد بن يوسف لقبض الهدايا فأبى وقال: لا أسلمها حتى يراها أمير المؤمنين، فغضبت ودخلت على الوليد فقالت: لا حاجة لي في هدايا محمد فإنه بلغني أنه أخذها من الناس ظلماً وغصباً وسخرهم لعملها.فلما حملها إلى الوليد قال له: بلغني أنك اغتصبتها الناس وكلفتهم عملها وظلمتهم. فقال معاذ الله. فأحلفه خمسين يميناً بين الركن والمقام أنه ما ظلم أحداً ولا أصابها إلا من طيب فحلف. فقبلها الوليد، وبعث بها إلى أم البنين. ومات محمد بن يوسف في اليمن، أصابه داء تقطع منه.

في رواية لابن تغري قال: قدم محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج من اليمن بهدايا عظيمة، فأرسلت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد وبنت عمه تطلبها منه؛ فقال محمد أخو الحجاج: حتى يراها أمير المؤمنين، فغضبت. ثم رآها الوليد وبعث بها إلى أم البنين فلم تقبلها، وقالت: قد غصبها من أموال الناس ؛ فسأله الوليد؛ فقال: معاذ الله! فأحلفه الوليد بين الركن والمقام خمسين يمينا أنه ما ظلم أحدا ولا غصبه حتى قبلتها أم البنين. وكان محمد هذا عامل صنعاء، وكان يسب علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المنابر؛ ولهذا كان يقول عمر بن عبد العزيز: الحجاج بالعراق! وأخوه محمد باليمن! وعثمان بن حيان[7] بالحجاز! والوليد بالشأم! وقرة بن شريك[8] بمصر! امتلأت بلاد الله جورا!.

----

*(المستلئم) الجندي الذي لبس عدته وأصبح جاهزا للقتال (الغلالة) ثوب رقيق يلبس تحت الدثار ج غلائل؛ شعار يلبس تحت الثوب، وبطانة تلبس تحت الدرع (الريحان) جنس من النبات طيب الرائحة من الفصيلة الشفوية وكل نبت طيب الرائحة ويقال المرأة ريحانة وليست بقهرمانة (القهرمانة) مديرة البيت ومتولية شؤونه مع ومنه القول المأثور المرأة ريحانة وليست بقهرمانة

■ (5) أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان الأموية أخت عمر بن عبد العزيز وزوجة الوليد بن عبد الملك كانت إحدى فضليات النساء في عصرها وقد ذكرها أبو زرعة في طبقاته فيمن حدث بالشام من النساء

■ (2) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ. وتخلف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه.وكان الوليد اجتهد في خلع سليمان هذا من ولاية العهد وتولية ولده العزيز؛ فامتنع سليمان من ذلك حتى مات الوليد.

■ (1) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ، كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

■ (3) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة ورواية عن النبي وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (4) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي أمير سجستان، بعد هزيمته في دير الجماجم سنة 83 هـ تتابعت هزائم جيشه فلجأ إلى رتبيل (ملك الترك) فيما وراء سجستان فحماه مدة ثم قتله سنة 85 هـ وبعث برأسه إلى الحجاج. فأرسله هذا إلى عبد الملك بالشام، وبعث به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر. معركة دير الجماجم كانت بين الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان الحجاج قد سير عبد الرحمن بن الأشعث بجيش لغزو رتبيل بسجستان، فدخلها عبد الرحمن، واتفق مع قادة جيشه على إخراج الحجاج من أرض العراق، بعد أن ملك سجستان وكرمان والبصرة وفارس، ثم خرج يريد الكوفة لأن أهلها يبغضون الحجاج، وبها عشائره ومواليه؛ فقصده الحجاج بن يوسف فنزل ابن الأشعث دير الجماجم، وهو دير بظاهر الكوفة، على طريق البر إلى البصرة ونزل الحجاج بإزائه بدير قرة، ووقعت الحرب بينهما، واشتد القتال، ولما بلغ ذلك رؤوس القبائل عرضوا على عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين أن يخلع الحجاج من العراق؛ ليحقن دماء المسلمين، فبعث عبد الملك إلى العراق محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك؛ ليعرضوا على أهل العراق عزل الحجاج مقابل حقن الدماء، فرفض أهل العراق وأبو إلا القتال. وأخذ الفريقان يقتتلان حتى انتهت المعركة بهزيمة عبد الرحمن بن الأشعث سنة 83 هـ بعد مائة يوم من الحرب.

■ (7) عثمان بن حيان بن معبد بن شداد بن نعمان بن رباح بن أسعد بن ربيعة.مولى أم الدرداء أو عتبة بن أبي سفيان. ويلقب بأبي المغراء الدمشقي، حدث عن: أم الدرداء. ولاه الوليد بن عبد الملك على المدينة، بعد أن عزل عمر بن عبد العزيز عنها، وذلك برأي من الحجاج..وكان ظلوما عسافا جائرا. [الوفاة: 101 – 110 هـ]

■ (8) قرة بن شريك، القيسي القنسريني، ولاه الوليد بن عبد الملك مصر وكان سيئ السيرة. هلاك في حياة الوليد سنة 96 هـ

■ (6) محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج. كان أمير اليمن، قيل إنه كان ظلوما غشوما. مات باليمن في رجب سنة 91 هـ.

☪

يقول علي الصلابي: أن أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان الأموية أخت عمر بن عبد العزيز وزوجة الوليد بن عبد الملك كانت إحدى فضليات النساء في عصرها..وكانت رحمها الله دائمة الذكر لله سبحانه وتعالى موصولة القلب بكتابه الكريم، تتعاهد القرآن صباح مساء فلا تكاد ترى إلا وهي تالية للقرآن خاضعة لذكر الرحمن، وكانت تسابق زوجها الوليد في تلاوة القرآن ولها مواقف وأقوال محمودة منها: قيل لأم البنين رحمها الله: ما أحسن شيء رأيت؟ قالت: نعم الله مقبلة علي. ومن أقوالها في ذم البخل والبخلاء: لو لم يدخل على البخلاء في بخلهم إلا سوء ظنهم بالله عز وجل لكان عظيما. ومن أخبار جودها أنها كانت تدعو النساء إلى بيتها، وتكسوهن الثياب الحسنة، وتعطيهن الدنانير وتقول: الكسوة لكن والدنانير أقسمتها بين فقرائكن ـ تريد بذلك أن تعلمهن وتعودهن على البذل والجود. وكانت تقول: أف للبخل والله لو كان ثوبا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته، وكانت تقول: البخل كل البخل من بخل عن نفسه بالجنة، ويبدو أن أم البنين قد أحبت بذل المال، وإنفاقه في طرق مشروعة لتشعر بنعمة الله عليها، ولم تكن الدراهم والدنانير تعرف إلى بيتها سبيلا فسرعان ما تنفقها، وأما ما ينسب إلى أم البنين في قصتها المكذوبة مع وضاح اليمني، فهي ليس لها نصيب من الصحة، وما ذكرته كتب الأدب من الأكاذيب والأباطيل في حق هذه التابعية لا ينظر إليه ولا يعتمد في تقرير الحقائق التاريخية.

☪

عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتَهُ امْرَأَتَهُ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا﴾ قيل للحجاج: أيمازح الأمير أهله؟ قال: ما تروي إلا شيطانا! والله لربما قبلت أخمص إحداهن.قيل لرجل من العرب كان يجمع الضرائر: كيف تقدر على جمعهن؟ قال: كان لنا شباب يصابرهن علينا، ثم كان لنا مال يصبرهن لنا، ثم بقي خلق حسن، فنحن نتعاشر به ونتعايش.

قال ابن المقفع: إياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن. واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن، فإن شدة الحجاب، خير لك من الارتياب. وليس خروجهن بأشد من دخول من لا تثق به عليهن، فإن استطعت ألا يعرفن عليك فافعل. ولا تملكن امرأة ما جاوز نفسها، فإن ذلك أنعم لحالها وأرخى لبالها، وأدوم لجمالها، وإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فلا تعد بكرامتها نفسها، ولا تعطها أن تشفع عندك لغيرها. ولا تطل الخلوة مع النساء فيمللنك وتملهن؛ واستبق من نفسك بقية، فإن إمساكك عنهن وهن يردنك باقتدار، خير من أن يهجمن عليك على انكسار. وإياك والتغاير في غير موضع غيرة، فإن يدعو الصحيحة منهن إلى السقم.

مراجع: المحاسن والمساوئ/ معجم مقاييس اللغة/ المعجم الوسيط/ عيون الأخبار/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ تاريخ الطبري/ أنساب الأشراف/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) وعبد الله بن عمر بن الخطاب (١) 0406

عن المطعم بن مقدام الصنعاني قال: كتب الحجاج إلى عبد الله بن عمر[1] بلغني أنك طلبت الخلافة وأن الخلافة لا تصلح لعيي* ولا بخيل ولا غيور. فكتب إليه ابن عمر أما ما ذكرت من أمر الخلافة أني طلبتها فما طلبتها وما هي من بالي وأما ما ذكرت من العي والبخل والغيرة فان من جمع كتاب الله عز وجل فليس بعيي ومن أدى زكاة ما له فليس ببخيل وأما ما ذكرت فيه من الغيرة فإن أحق ما غرت فيه ولدي أن يشركني فيه غيري. وقد روي نحو هذه المقالة عن معاوية بن أبي سفيان.

قال الحجاج لنافع بن جبير[2]، وذكر ابن عمر، فقال الحجاج: أهو الذي قال لي: كذا وكذا، ألا أكون ضربت عنقه؟ فقال له نافع: أراد الله بك خيرا من الذي أردت بنفسك. قال الحجاج: صدقت. ثم قال الحجاج: وعمر الذي يقول: إنه سيكون للناس نفرة من سلطانهم، فأعوذ بالله أن يدركني وإياكم ذلك، أهواء متبعة، وما كان على عمر لو أدرك ذلك، فقال بالسيف هكذا وهكذا. فقال نافع: أما إنه كان من خير الأمراء، قال: صدقت.

قدم نافع بن جبير الكوفة وبها الحجاج، فقال له الحجاج: قتلت عبد الله بن الزبير[3]، وعبد الله بن مطيع[4]، وعبد الله بن صفوان[5]، وددت أني كنت قتلت عبد الله بن عمر. فقال له نافع: يا هذا، ما أراد الله بك خير مما أردت بنفسك، فلما خرج لقيه عنبسة بن سعيد[6]، فقال: لا خير لك في المقام عند هذا، فقد كلمته بما كلمته به، فقال: إني لم أرده، إنما أردت الثغر. فدخل على الحجاج مودعاً، فقال له: لو أقمت عندنا. فقال: إني لم أردك إنما أردت الثغر إلى دستبا* نغزو الديلم.

----

*(عيي) بطيء الكلام إذا تكلم ملأ لسانه فاه (دستبا) كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمذان.والكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى (الديلم) جيل من العجم كانوا يسكنون نواحي أذربيجان والداهية والأعداء.

■ (1) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وهو ابن 84 سنة، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

■ (4) عبد الله بن مطيع القرشي العدوى المدني ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، روى عن أبيه مطيع بن الأسود، وله صحبة، قال الزبير بن بكار: كان من رجال قريش جلدا وشجاعة، وكان على قريش يوم الحرة، وقتل مع عبد الله بن الزبير بمكة.

■ (5) عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف القرشي من عباد أهل مكة وصالحيهم وأفاضل التابعين ومتقنيهم. يقال: ولد أيام النبوة. وروى عن أبيه، وعمر، وأبي الدرداء، وحفصة.قتل وهو متعلق بأستار الكعبة مع بن الزبير سنة73 هـ.

■ (2) نافع بن جبير بن مطعم القرشي أبو محمد كان يقيم بالمدينة ومكة معا كان يحج ماشيا وناقته تقاد إلى جنبه مات في ولاية سليمان بن عبد الملك.

■ (6) عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد (أبي أحيحة) بن العاص بن أمية، أبو أيوب، ويقال أبو خالد، وهو أخو يحيى وعمرو الاشدق. وهو عم أبي إسماعيل بن أمية.وأمه أمة يقال لها عصماء، وكان عنبسة أثيرا عند الحجاج. ومات وقد هرم، تقريبا سنة 100 هـ.

■ (3) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ.

قال بعض الخلفاء لمالك -يظن أنه هارون-: يا أبا عبد الله، ما لكم أقبلتم على عبد الله بن عمر، وتركتم ابن عباس؟ قال: لا على أمير المؤمنين ألا يسأل عن هذا، قال: فإن أمير المؤمنين يريد أن يعلم ذلك، قال: كان أورع الرجلين. كان يقال: ما رجل أضل بعيره بأرض فلاة؛ فهو في طلبه بأتبع له من عبد الله بن عمر لعمر. وعن موسى بن داود قال: سمعت مالكا يقول: قدم علينا أبو جعفر المنصور سنة خمسين ومائة، فقال: يا مالك! كثر شيبك! قلت: نعم يا أمير المؤمنين، من أتت عليه السنون، كثر شيبه. قال: ما لي أراك تعتمد على قول ابن عمر من بين الصحابة؟ قلت: كان آخر من بقي عندنا من الصحابة، فاحتاج إليه الناس، فسألوه، فتمسكوا بقوله. وعن القاسم بن محمد قال: كان ابن عمر قد أتعب أصحابه، فكيف من بعدهم؟!. قال سعيد بن عبد العزيز: كان العلماء بعد معاذ بن جبل: عبد الله بن مسعود، وأبو الدرداء، وسلمان، وعبد الله بن سلام، ثم كان العلماء بعد هؤلاء: زيد، ثم كان بعد زيد بن ثابت: ابن عمر، وابن عباس، وكان بعد هذين سعيد بن المسيب. وعن نافع[1] قال: كان عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس يجلسان للناس عند قدوم الحاج، فكنت أجلس إلى هذا يوما وإلى هذا يوما، وكان ابن عباس يجيب ويفتي في كل ما قال عنه، وكان ابن عمر ما يرد أكثر مما يفتي. وسأل رجل ابن عمر عن مسألة فطأطأ ابن عمر رأسه، ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته: قال: فقال له: يرحمك الله، أما سمعت مسألتي؟ قال: بلى، ولكنكم كأنكم ترون أن الله ليس بسائلنا عما تسألونا عنه، اتركنا، يرحمك الله، حتى نتفهم في مسألتك، فإن كان لها جواب عندنا، وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به. وعن عقبة بن مسلم: أن ابن عمر سئل عن شيء فقال: لا أدري، ثم أتبعها فقال: أتريدون أن تجعلوا ظهورنا لكم جسورا في جهنم أن تقولوا: أفتانا ابن عمر؟ وعن نافع عن ابن عمر: أنه سئل عن أمر فقال: لا أعلمه، ثم قال: نعم ما قال ابن عمر، سئل عن أمر لا يعلمه، فقال: لا أعلمه. وعن الشعبي قال: كان ابن عمر جيد الحديث ولم يكن جيد الفقه. وعن الليث قال: كتب رجل إلى ابن عمر: اكتب إلي بالعلم كله، فكتب إليه ابن عمر: إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كافا لسانك عن أعراضهم، لازما لأمر جماعتهم فافعل، والسلام. وعن أبي جعفر قال: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أجدر ألا يزيد فيه، ولا ينقص منه، ولا، ولا، من عبد الله بن عمر بن الخطاب. قال مالك بن أنس: لا يعدلن برأي ابن عمر، فإنه أقام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين سنة، فلم يذهب عنه من أمره، ولا من أمور أصحابه شيء. وعن نافع: أن ابن عمر كان يتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل مكان صلى فيه، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس. وعن زيد بن عبد الله بن عمر: ما ذكر ابن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بكى، وما مر على ربعهم* إلا غمض عينيه. وعن يوسف بن ماهك قال: رأيت ابن عمر وهو عند عبيد بن عمير، وعمير يقص، فرأيت ابن عمر عيناه تهراقان دمعا. وعن عبيد بن عمير: أنه قرأ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء] حتى ختم الآية، فجعل ابن عمر يبكي حتى لثقت لحيته وجيبه من دموعه، قال الذي كان إلى جنب ابن عمر: لقد أردت أن أقوم إلى عبيد بن عمير، فأقول له: أقصر عليك، فإنك قد آذيت هذا الشيخ!. وعن نافع قال: وكان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية:﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد] بكى حتى يغلبه البكاء. وعن القاسم بن أبي بزة، حدثني من سمع ابن عمر قرأ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ فلما بلغ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين] بكى حتى خر، وامتنع من قراءة ما بعده. قيل لنافع: ما كان يصنع ابن عمر في منزله؟ قال: لا يطيقونه، الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما. وعن نافع: أن ابن عمر كان يحيي الليل، ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاة، فإذا قلت: نعم قعد يستغفر الله، ويدعو حتى يصبح. قال جابر بن عبد الله: من سره أن ينظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين مضوا قبله وبعده، ولم يغيروا، ولم يبدلوا فلينظر إلى هذا -يعني عبد الله بن عمر- وفي رواية: ما أحد منا أدرك الدنيا إلا مالت به، ومال بها إلا ابن عمر. وعن السدي قال: رأيت نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، منهم أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وابن عمر، كانوا يرون أنه ليس أحد منهم على الحال التي فارق عليها محمدا صلى الله عليه وسلم إلا عبد الله بن عمر. قال أبو سلمة: مات ابن عمر، وهو مثل عمر في الفضل. وقال: إن عمر كان في زمان له فيه نظراء، وإن ابن عمر كان في زمان ليس له فيه نظير. وقال سعيد بن المسيب: لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر.

عن أيوب بن وائل الراسبي قال: قدمت المدينة فأخبرني رجل، جار لابن عمر، أنه أتى ابن عمر أربعة آلاف من قبل معاوية، وأربعة آلاف من قبل إنسان آخر، وألفان من قبل آخر، وقطيفة، فجاء إلى السوق يريد علفا لراحلته بدرهم نسيئة، فقد عرفت الذي جاءه فأتيت سريته، فقلت: إني أريد أن أسألك عن شيء وأحب أن تصدقيني، قلت: أليس قد أتت أبا عبد الرحمن أربعة آلاف من قبل معاوية، وأربعة آلاف من قبل إنسان آخر، وألفان من قبل آخر وقطيفة؟ قالت: بلى، قلت: فإني رأيته يطلب علفا بدرهم نسيئة، قالت: ما بات حتى فرقها، فأخذ القطيفة فألقاها على ظهره ثم ذهب فوجهها ثم جاء؛ فقلت: يا معشر التجار، ما تصنعون بالدنيا وابن عمر أتته البارحة عشرة آلاف درهم وضح فأصبح اليوم يطلب لراحلته علفا بدرهم نسيئة؟. وعن نفع قال: أتي ابن عمر ببضعة وعشرين ألفا فما قام من مجلسه حتى أعطاها وزاد عليها، قال: لم يزل يعطي حتى أنفد ما كان عنده، فجاءه بعض من كان يعطيه فاستقرض من بعض من كان أعطاه فأعطاه، قال ميمون: وكان يقول له القائل: بخيل وكذبوا، والله، ما كان ببخيل فيما ينفعه. وعن ميمون بن مهران قال: أتت ابن عمر إثنان وعشرون ألف دينار في مجلس، فلم يقم حتى فرقها. وعن نافع أن معاوية بعث إلى ابن عمر مائة ألف فما حال الحول وعنده منها شيء.

----

*(ربع) ربع بالمكان: أقام به.

■ (1) نافع مولى ابن عمر أبو عبد الله المدني، أصله من نيسابور، وقيل من كابل، وقيل غير ذلك. روى عن مولاه عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة، قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، وقال غيره كان عمر بن عبد العزيز قد بعثه إلى مصر يعلم الناس السنن، مات سنة 117 هـ على المشهور

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ المعرفة والتاريخ/ الأعلام للزركلي/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ ترجمة الأئمة الأربعة/

بقى الحجاج بن يوسف الثقفي واليا على مكة بعد مقتل ابن الزبير وكان عبد الله بن عمر[1] يترك المدينة ويأتي مكة حاجا أو معتمرا ويرى أو يسمع من أفعال الحجاج وأقواله المخالفة للشرع فيأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ويرد عليه بكل جرأة وشجاعة وبعدما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير وتمت له السيطرة على مكة خطب الناس وكان مما قال: إن ابن الزبير حرف كتاب الله فقام ابن عمر وقال: كذبت كذبت كذبت ما يستطيع ذلك ولا أنت معه. فقال له الحجاج: اسكت فإنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك، يوشك شيخ أن يؤخذ فتضرب عنقه فيجر قد انتفخت خصيتاه يطوف به صبيان أهل البقيع. وقيل خطب الحجاج الناس يوم الجمعة فأطال حتى كاد يذهب وقت الصلاة فقام ابن عمر: فقال: أيها الناس قوموا إلى صلاتكم فقام الناس فنزل الحجاج فصلى فلما انصرف قال لابن عمر ما حملك على ذلك؟ فقال: إنما نجيء للصلاة فصل الصلاة لوقتها ثم بقبق بعد ذلك ما شئت من بقبقة.

كما أنكر ابن عمر على الحجاج تهاونه في إشاعة حمل السلاح في مكة وتركه لرجال جيشه يضايقون به المسلمين ويعرضون حياتهم بذلك للخطر ففي الصحيح عن سعيد بن جبير قال: كنت مع ابن عمر حين أصابه سنان الرمح في أخمص قدمه فلزقت قدمه بالركاب فنزلت فنزعتها وذلك بمنى فبلغ الحجاج فجعل يعوده فقال الحجاج: لو نعلم من أصابك! فقال ابن عمر: أنت أصبتني قال: وكيف؟ قال: حملت السلاح في يوم لم يكن يحمل فيه وأدخلت السلاح الحرم ولم يكن السلاح يدخل الحرم. وحدث إسحاق بن سعيد عن أبيه قال: دخل الحجاج على ابن عمر وأنا عنده فقال: كيف هو؟ فقال: صالح. فقال: ما أصابك؟ قال: أصابني من أمر بحمل السلاح في يوم لا يحل فيه حمله؛ يعني الحجاج ولما خرج الحجاج قال ابن عمر: ما آسى على شيء من هذه الدنيا إلا على ثلاث وذكر منها: ألا أكون قاتلت هذه الفئة الباغية التي حلت بنا. يقول الذهبي في تعليقه: يعني بالفئة الباغية الحجاج وأنا أزيد: ومن أرسله.

وفي رواية كان الحجاج قد أمر رجلا سم زجه* وزحمه في الطريق، ووضع الزج على ظهر قدمه، وذلك أن الحجاج خطب يوما وأخر الصلاة، فقال ابن عمر: إن الشمس لا تنتظرك، فقال له الحجاج: لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك، قال: إن تفعل فإنك سفيه [مسلط]. وقيل: إنه أخفى قوله ذلك على الحجاج ولم يسمعه، وإنما كان يتقدمه في المواقف بعرفة وغيرها إلى المواضع التي كان النبي صلى الله عليه وسلم وقف فيها، وكان ذلك يعز على الحجاج، فأمر الحجاج رجلا معه حربة يقال إنها كانت مسمومة، فلما دفع الناس من عرفة لصق به ذلك الرجل، فأمر الحربة على قدمه، وهي في غرز راحلته، فمرض منها أياما، فدخل عليه الحجاج يعوده، فقال: من سمك يا أبا عبد الرحمن فقال: وما تصنع به قال: قتلني الله إن لم أقتله، قال: ما أراك فاعلا، أنت أمرت من نخسني بالحربة، فقال: لا تفعل يا أبا عبد الرحمن، وخرج عنه. وروي أنه قال للحجاج -إذ قال له: من سمك – قال: أنت أمرت بإدخال السلاح في الحرم. فلبث أياما ثم مات، وصلى عليه الحجاج.

وفي رواية أخرى قال الزبير بن بكار: كان عبد الله بن عمر يتحفظ ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسأل إذا لم يحضر من حضر عما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فعل، وكان يتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل مسجد صلى فيه، وكان يعترض براحلته في كل طريق مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقال له في ذلك، فيقول: إني أتحرى أن تقع أخفاف راحلتي على بعض أخفاف راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، فوقف معه بالموقف بعرفة، فكان يقف في ذلك الموقف كلما حج، وكان كثير الحج، حج عام قتل ابن الزبير مع الحجاج، وكان عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج بن يوسف يأمره ألا يخالف ابن عمر في الحج، فأتى ابن عمر حين زالت الشمس يوم عرفة، ومعه ابنه سالم، فصاح به عند سرادقه: الرواح، فخرج عليه الحجاج في معصفرة، فقال: هذه الساعة؟ قال: نعم، قال: فأمهلني أصب علي ماء، فدخل ثم خرج، قال سالم: فسار بيني وبين أبي، فقلت له: إن كنت تحب أن تصيب السنة فعجل الصلاة، وأوجز الخطبة، فنظر إلى عبد الله ليسمع ذلك منه، فقال عبد الله: صدق، ثم انطلق حتى وقف في موقفه الذي كان يقف فيه، فكان ذلك الموقف بين يدي الحجاج، فأمر من نخس به حتى نفرت به ناقته فسكنها ابن عمر حتى سكنت، ثم ردها إلى ذلك الموقف، فوقف فيه، فأمر الحجاج أيضا بناقته، فنخست، فنفرت بابن عمر، فسكنها ابن عمر حتى سكنت، ثم ردها إلى ذلك الموقف، فثقل على الحجاج أمره، فأمر رجلا معه حربة، يقال إنها كانت مسمومة، فلما دفع الناس من عرفة لصق به ذلك الرجل، فأمر الحربة على قدمه، وهي في غرز رحله، فمرض منها أياما، ثم مات بمكة، فدفن بها وصلى عليه الحجاج.

---

*(الزج) الحديدة التي تركب في أسفل الرمح والسنان يركب عاليته والزج تركز به الرمح في الأرض والسنان يطعن به

■ (2) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وهو ابن 84 سنة، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

☪

عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ السِّلَاحَ بِمَكَّةَ﴾ هذا النهي إذا لم تكن حاجة فإن كانت جاز هذا مذهب الجماهير، قال القاضي عياض: هذا محمول عند أهل العلم على حمل السلاح لغير ضرورة ولا حاجة فإن كانت جاز، قال القاضي: وهذا مذهب مالك والشافعي وعطاء قال: وكرهه الحسن البصري تمسكا بظاهر هذا الحديث وحجة الجمهور دخول النبي صلى الله عليه وسلم عام عمرة القضاء بما شرطه من السلاح في القراب ودخوله صلى الله عليه وسلم عام الفتح متأهبا للقتال قال: وشذ عكرمة عن الجماعة فقال: إذا احتاج إليه حمله وعليه الفدية، ولعله أراد إذا كان محرما ولبس المغفر* والدرع ونحوهما فلا يكون مخالفا للجماعة، والله أعلم.

عن أبي سلمة عن أبي هريرة، قال:﴿لَمَّا فَتَحَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ، قَتَلَتْ هُذَيْلٌ رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ بِقَتِيلٍ كَانَ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا حَبَسَ الْفِيلَ عَنْ مَكَّةَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ، ثُمَّ هِيَ حَرَامٌ لَا يُعْضَدُ* شَجَرُهَا، وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلَا يُلْتَقَطُ سَاقِطُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ، فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يَقْتُلَ، وَإِمَّا أَنْ يَفْدِيَ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو شَاهٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اكْتُبُوا لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ. ثُمَّ قَامَ الْعَبَّاسُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا الْإِذْخِرَ؛ فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي قُبُورِنَا وَفِي بُيُوتِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِلَّا الْإِذْخِرَ﴾ وعن عطاء قال: إن عمر رضي الله عنه أبصر رجلا يعضد على بعير* له في الحرم، فقال له: يا عبد الله إن هذا حرم الله عز وجل، ولا ينبغي أن تصنع فيه هذا، فقال الرجل: إني لم أعلم يا أمير المؤمنين، قال: فسكت عنه عمر رضي الله عنه، وعن عبيد بن عمير: أن عمر بن الخطاب رأى رجلا يقطع من شجر الحرم ويعلفه بعيرا له، قال: علي بالرجل، فأتي به، قال: يا عبد الله إن مكة حرام، لا يعضد عضاها*، ولا ينفر صيدها، ولا تحل لقطتها إلا لمعرف. فقال: يا أمير المؤمنين! ما حملني على ذلك إلا أن معي نضوغا* لي، خشيت أنه لا يبلغني، وما معي زاد ولا نفقة. قال: فرق له عمر بعد ما هم به، وأمر له ببعير من إبل الصدقة وبوقره طحينا فأعطاه إياه، وقال: لا تعود تقطع من شجر الحرم شيئا. وعن أبي شريح يعني الكعبي، أنه قال لعمرو بن سعيد: وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي، حين تكلم به حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ﴿إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْضُدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ تَرَخَّصَ أَحَدٌ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ فِيهَا فَقُولُوا لَهُ: إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ﴾.

☪

عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّهَا سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ تَشْغَلُهُمْ أَشْيَاءُ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى يُؤَخِّرُوهَا عَنْ وَقْتِهَا فَصَلُّوهَا لِوَقْتِهَا. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنْ أَدْرَكْتُ مَعَهُمْ أُصَلِّي؟ قَالَ: إِنْ شِئْتَ﴾

خطب الحجاج في يوم جمعة فأطال الخطبة؛ فقام إليه رجل فقال: إن الوقت لا ينتظرك، والرب لا يعذرك! فأمر به إلى الحبس! فأتاه آل الرجل وقالوا: إنه مجنون! فقال: إن أقر على نفسه بما ذكرتم خليت سبيله. فقال الرجل: لا والله لا أزعم أنه ابتلاني وقد عافاني. جاء في استحباب التعجيل بصلاة الجمعة إذا دخل وقتها: عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه، قال:﴿كُنَّا نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُمُعَةَ ثُمَّ نَنْصَرِفُ، وَلَيْسَ لِلْحِيطَانِ ظِلٌّ نَسْتَظِلُّ فِيهِ﴾ (ظل. .) أي يصلح لأن يستظل فيه وهو دليل التعجيل بصلاة الجمعة أول الوقت. وعن أنس بن مالك:﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ﴾ (تميل) إلى جهة الغرب وتزول عن وسط السماء وهو وقت صلاة الظهر.

كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري يعلمه بأوقات الصلاة، ويحذر من تأخير الصلاة عن وقتها والتشاغل عنها: صل الظهر إذا زالت الشمس إلى أن يكون ظل كل شيء مثله، والعصر والشمس بيضاء نقية، قبل أن تدخلها صفرة، وفي رواية: قدر ما يسير الراكب فرسخين أو ثلاثة، والمغرب حين تغرب الشمس، ويدخل الليل، والعشاء إذا غاب الشفق إلى ثلث الليل، فمن نام فلا نامت عينه، فمن نام فلا نامت عينه، وصل الصبح والنجوم بادية مشتبكة، واقرأ فيه سورتين طويلتين من المفصل. وكتب رضي الله عنه: لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، وكان عمر يضرب عليها الرجال. وعن عبيد الله بن عدي بن الخيار، قال: قال عمر: لا تبغضوا الله إلى عباده، يكون أحدكم إماما فيطول عليهم ما هم فيه، ويكون أحدكم قاصا، ويطول عليهم ما هم فيه. وحدث أبو هلال، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثوا الناس، ما أقبلوا عليكم بوجوههم، فإذا التفتوا، فاعلموا أن لهم حاجات.

ومما جاء عن عمر في بيان فضل أداء الصلاة في وقتها، وشهودها في جماعة المسلمين أنه رضي الله عنه فقد سليمان بن أبي حثمة[1] في صلاة الصبح فغدا إلى السوق، ومسكن سليمان بين المسجد والسوق، فمر على الشفاء[2] أم سليمان، فقال: لم أر سليمان في الصبح؟ فقالت: إنه بات يصلي، فغلبته عيناه، فقال عمر: لأن أشهد صلاة الصبح أحب إلي من أن أقوم ليلة. وروي أن عمر فقد رجلا في صلاة الصبح، فأرسل إليه، فجاء فقال: أين كنت؟ فقال: كنت مريضا، ولولا أن رسولك أتاني لما خرجت، فقال عمر: فإن كنت خارجا إلى أحد فاخرج للصلاة. وروي أن عمر خرج إلى الصلاة، فاستقبل الناس، فأمر المؤذن فأقام وقال: لا ننتظر لصلاتنا أحدا، فلما قضى صلاته أقبل على الناس، ثم قال: ما بال أقوام يتخلف بتخلفهم آخرون، والله لقد هممت أن أرسل إليهم، فيجاء في أعناقهم، ثم يقال: اشهدوا الصلاة.

---

*(المغفر) زرد أو غطاء ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة (البعير) ما صلح للركوب والحمل من الإبل، وذلك إذا استكمل أربع سنوات، ويقال للجمل والناقة (يعضد) أي يقطع. يقال: عضدت الشجر أعضده عضدا (العضاهة) بالكسر: أعظم الشجر، أو الخمط، أو كل ذات شوك، أو ما عظم منها وطال (النضوغ) بالكسر: المهزول من الإبل وغيرها.

■ (1) سليمان بن أبي حثمة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب القرشي البدري هاجر صغيرا مع أمه الشفاء وكان من فضلاء المسلمين وصالحيهم واستعمله عمر على السوق وجمع عليه وعلى أبي بن كعب الناس ليصليا بهم في شهر رمضان وهو معدود في كبار التابعين.

■ (2) الشفاء بنت عبد الله عبد شمس بن خلف، أو خالد بن شداد، وقيل: صداد بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب، وقيل في نسبها غير ذلك. روت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن عمر بن الخطاب. وعنها ابنها سليمان بن أبي حثمة وابنا ابنها أبو بكر وعثمان ومولاها أبو إسحاق وحفصة أم المؤمنين. قال أحمد بن صالح اسمها ليلى وغلب عليها الشفاء. أسلمت قبل الهجرة بمكة وهي من المهاجرات الاول وكان عمر بن الخطاب يقدمها في الرأي ويرضاها ويفضلها وربما ولاها شيئا من أمر السوق وقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علمي حفصة رقية النملة. قيل توفيت سنة 20 هـ

مراجع: صفة الصفوة/ وفيات الأعيان/ الطبقات الكبرى/ تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ حياة الصحابة/ خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير/ ابن حبان/ مسلم/ شرح النووي/ أحمد/ مشاهير علماء الأمصار/ دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر وسياسته الإدارية/ الاستيعاب/ مغاني الأخبار/ أخبار مكة للأزرقي/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) وعبد الله بن عمر بن الخطاب (٣) 0408

روى أبو العرب[1] أن الحجاج لما قتل ابن الزبير[2]، أمر بخشبة فصلبه عليها، فلما أقبلت أمه أسماء بنت أبي بكر[3] رضي الله عنهما إلى الخشبة عانقتها وجلست تبكي، وتقول: واغوثاه يا الله ما أعظم ما نزل بنا بعدك يا محمد يا رسول الله، لو تدرك ما نزل بعدك بأصهارك وأرحامك وأبناء المهاجرين لرأيت أمرا عظيما، اللهم، فبلغ عنا نبيك صلى الله عليه وسلم في عظيم ما نزل بنا، فأخبروا بمقالتها عبد الله بن عمر[4]، فبكى حتى كادت نفسه تفيض، ثم قال لابنه سالم[5]: قدني إليها وكان قد كبرت سنه وكان يرعش من الكبر، وكان قد عمر فقاده ابنه سالم إليها، فلما أشرف على الخشبة نظر إليه مصلوبا، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿لَيَقْتُلَنِي أَمِيرٍ جَائِرٍ عَلَى طَاعَةِ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[كتاب المحن ؟]،فأتى شقي من الأشقياء، فبلغ ذلك إلى الحجاج بن يوسف، فأبلغ منه قول ابن عمر كل مبلغ، وقال: اسرجوا لي فركب إلى خشبة ابن الزبير فأصاب أمه عندها تبكي وعبد الله بن عمر وابنه سالما، فقال الحجاج: يا أسماء إن ابنك جبل من جبال العرب وأنه سابقني إلى أمر وأنه سبقني إليه فوضعته في مكان مثله ولو نال الذي نلت لكنت أنا مكانه فهذا أجل من البكاء، وليس مثله يبكي عليه، وأما ما بلغني عن ذكرك ما حل بآل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصهاره وأرحامه، فنعوذ بالله من ذلك إلا من سمى إلى ما سمى إليه ابنك فلا بد لنا من أن نقارعه فإما لنا وإما علينا، فلا نأسف على أمر فعله الله بنا فإنه يحكم في خلقه بما يشاء. فقال لها ابن عمر: قومي. فقامت ولم تكلمه وانصرف ابن عمر إلى منزله. فدعا الحجاج برجاله، فقال لهم: ان ابن عمر قال عند خشبة ابن الزبير: ليقتلني أمير جائر على طاعة الله خير من أن أموت بالسيف مجاهدا في سبيل الله، فقد كشف لنا ما هو عليه وهو ابن خليفة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخاف إن خرجنا عنه أن يستحل منا ما استحل ابن الزبير وعلماء العراق، قالوا: الرأي فما ترى؟ قال: نقتله. قالوا: أيها الأمير، اجعل لقتله سببا تحتج به على الناس. قال: ائتوني به فأتوه به، فأتى ابن عمر ومعه ابنه سالم فسلم، فقال له الحجاج: اجلس يا شيخ فجلس ثم قال الحجاج: ائتوني برجل من السجن فأتوه به ثم قال: هاتوا السيف فأتوه به ثم قال: يا سالم بن عبد الله بن عمر خذ هذا السيف فاضرب عنق هذا، وإنما أراد الحجاج أن يقول ابن عمر لابنه لا تفعل فيقول أنا إمام أمرت بأمر وتنهى أنت عنه ثم يقول خذوه، فعرف ابن عمر ما أراد فأمسك، فأخذ سالم السيف فهزه ثم تقدم إلى الرجل الأسير، فقال له: مد عنقك فمد الرجل، فقال له سالم: يا رجل، أزنيت بعد إحصان؟ قال الرجل: لا ما فعلت. قال له: فرجعت عن الإسلام؟ قال الرجل: لا ما فعلت. قال له سالم: أقتلت نفسا بغير نفس؟ قال الرجل: لا ما فعلت. قال سالم: يا حجاج سمعت أبي وهو يسمع ما أقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مُؤْمِنٌ يُقْتَلُ إِلاَّ عَنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ يَزْنِي بَعْدَ إِحْصَانٍ أَوْ يَرْتَدُّ عَنِ الإِسْلَامِ أَوْ يَقْتُلِ نَفْسًا مُؤْمِنَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾[كتاب المحن ؟]فليس في هذا الرجل شيئا من هذا فلم تقتله؟! قال الحجاج: إضرب عنقه كما أقول لك. فقال سالم للرجل: مد عنقك، فمد الرجل عنقه. فقال له سالم: يا أخي، أصليت الغداة ركعتي الفجر؟ قال الرجل: نعم قد صليت. قال سالم: يا حجاج سمعت أبي وهو يسمع ما أقول أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ كَانَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ حَتَّى تَتَوَارَى بِالْحِجَابِ﴾[كتاب المحن ؟]. يا حجاج كيف تقتل رجلا وهو في ذمة الله؟! قال الحجاج: يا سالم، ضع السيف من يدك، فدعا رجلا شقيا من أشقياء هذه الأمة فقال له: اضرب عنق هذا. فضرب عنقه فقتله. فقال الحجاج لسالم: اسحبه حتى تخرجه فأخذ سالم برجل القتيل يجره وهو يقول: يا أخي سحبك أهون علي من قتلك وأنا شاهد لك غدا يوم القيامة أنك مظلوم، فقام عبد الله بن عمر وهو يحمد الله حتى خرج فنادى: يا معشر المسلمين ائتوني بسالم ابني فأتوه به فقال له ابن عمر: يا سالم أدن مني حتى أقبلك يا بني إنما سميتك سالما لتسلم فاسلم من الدنيا يا بني تغنم ثم قال: يا بني قدني فقاده إلى داره. فقال الحجاج: هذا أعظم مما كان منا إنما عمدنا إلى جبل الإسلام وحاجب محمد ومن عرضت عليه الخلافة فلم يقبلها، ومن حج أربعين حجة، ومن سمته قريش حمامة البيت، وقدره في العرب ما قد علمتم وحب الأوس والخزرج لأبيه فلست أرى له بعد ما حضر عندي من أمر هذا القتيل أن أدعه بعدي في هذه البلاد. فقيل له: أيها الأمير، اقتله قتلة تبرئ نفسك منه عند العامة لكي لا يشتمل علينا في الفتنة، فبعث الحجاج إلى غلام له يوم الجمعة وكان ابن عمر يهجر إلى الجمعة في وقت الضحى فأمر الحجاج غلامه أن يركب فرسا جامحا وأمره أن يطحنه بالفرس ويقتله. فركب الغلام الفرس فنظر إلى ابن عمر وهوساير يوم الجمعة فحمل عليه بالفرس حتى إذا بلغ إليه صدمه فأقلبه ورضه رضا، فبادر الناس إليه، وقالوا: يا غلام، أهلكت المسلمين في علمهم، فطلبك الله به. وأقام الحجاج ينتظر موته. فأبطأ ذلك عليه فلما رأى ذلك عمد إلى زج فسمه سما ناقعا وجعله في عصا ودفعه إلى بعض رجاله، وقال له: امض إلى ابن عمر فاقره سلامي وقل له: يقول لك الأمير ما فعلت في علتك واحذر أن تمس بهذا الزج شيئا حتى تدخل إليه فقد تركت برأسه نارا فإذا سلمت عليه وبلغت كلامي فضع السن على ظهر قدمه واتكئ عليه حتى يدخل فإن قال لك أهلكتني، فقل له: ما علمت أن رجلك ههنا، فدخل عليه الرسول فأقرأه سلامه وجعل الزج على ظهر قدمه حتى دخل في رجله فجرحه جرحا قبيحا. فقال له ابن عمر: يا رجل، خف الله فقد والله أهلكتني، فقال الرجل: ما علمت أبقاك الله أن رجلك ههنا ثم خرج عنه فاشتعل جسد ابن عمر سما فأقام ثلاثة أيام فمات، رحمه الله.

قال ابن عمر عند الموت لسالم: يا بني، إن أنا مت فادفني خارجا من الحرم؛ فإني أكره أن أدفن فيه بعد أن خرجت منه مهاجرا، فقال: يا أبه، إن قدرنا على ذلك، فقال: تسمعني أقول لك، وتقول: إن قدرنا؟! قال: أقول: الحجاج يغلبنا يصلي عليك، قال: فسكت ابن عمر. وكان آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موتا بمكة عبد الله بن عمر، مات سنة أربع وسبعين، وبلغ من السن سبعا وثمانين، وقيل: أربعا وثمانين، ودفن بالمحصب، وبعض الناس يقول: بفخ، وقيل بذي طوى. وقيل إنه توفي سنة ثلاث وسبعين بعد ابن الزبير بشهرين أو ثلاثة أشهر. عن رجاء بن حيوة[6] قال: نعي إلينا ابن عمر في مجلس ابن محيريز[7]،فقال ابن محيريز: إن كنت لأعد بقاء عبد الله بن عمر أمانا لأهل الأرض.

----

* (الزج) الحديدة التي تركب في أسفل الرمح والسنان يركب عاليته والزج تركز به الرمح في الأرض والسنان يطعن به (الذمة والذمام) العهد، والأمان، والضمان، والحرمة، والحق(البلاء) الاختبار بالخير ليتبين الشكر، وبالشر ليظهر الصبر

■ (4) عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن 15 سنة فأجازه، وكان من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وهو ابن 84 سنة، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

■ (5) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبو عبد الله، ويقال: أبو عبيد الله ويقال: أبو عمر العدوي المدني الفقيه قدم الشام على عبد الملك بن مروان بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليد بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز. وكان أشبه أولاد أبيه به، عن مالك قال لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. روى عن أبيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ورافع بن خديج وأبي هريرة . توفي سنة 106 هـ. ووافق موته حج هشام، فصلى عليه وكان في طريق عودته من الحج، بالمدينة.ودُفن بالبقيع.

■ (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (3) أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة، الملقبة بذات النطاقين صحابية جليلة، أخت السيدة عائشة لأبيها، وزوج الصحابي الجليل الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأم عبد الله بن الزبير الذي قتله الحجاج بن يوسف. ولدت أسماء بمكة قبل الهجرة سنة 27 ق.هـ، وأسلمت بعد سبعة عشر مسلما، وقد شاركت رضي الله عنها في أحداث الهجرة، فكانت تحمل الزاد والماء والأخبار إلى النبي وأبيها الصديق رضي الله عنه، أثناء وجودهما في غار ثور ولقبت خلالها بذات النطاقين؛ لأنها اضطرت إلى شق نطاقها نصفين لتضع في أحدهما الطعام وتستر بالآخر رأسها. وكانت رضي الله عنها مثالا في الجود والكرم، كثيرة البذل والعطاء، وكانت تقول لبناتها: أنفقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن انتظرتن الفضل لم تفضلن شيئا. روت أسماء الحديث عن النبي؛ حيث روى عنها علماء الحديث ثمانية وخمسين حديثا. وتوفيت رضي الله عنها بمكة في جمادى الأولى سنة 73 هـ بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير بثلاثة أشهر.

■ (1) محمد بن أحمد بن تميم التميمي، أبو العرب: مؤرخ، حافظ للحديث، من أهل القيروان بأفريقية. احترف تربية أولاد العرب ونسخ الكتب، وله تصانيف، منها طبقات علماء إفريقية وعباد إفريقية وكتاب التاريخ، ومناقب بني تميم والمحن وفضائل مالك ومناقب سحنون وموت العلماء. وله شعر. مات سنة 333 هـ

■ (6) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام، ويقال أبو نصر، وهو تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية، روى عن أبي صالح السمان. روى عنه محمد بن عجلان. توفي سنة 112 هـ. وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية.

■ (7) عبد الله بن محيريز بن جنادة القرشي الجمحي المكي التابعي، نزل الشام وسكن بيت المقدس. توفى ابن محيريز في خلافة الوليد بن عبد الملك، وقيل: توفى في خلافة عمر بن عبد العزيز، وقيل بقى بن محيريز حيا إلى دولة سليمان بن عبد الملك ولعله توفى سنة 99 هـ.روى له الجماعة.

☪

قال أبو حيان: قال ابن عمر: سمعت من الحجاج كلاما أنكرته، فأردت أن أغير عليه، فذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ﴾*الخبر، فأمسكت؛ فرحم الله ابن عمر، وهل يجوز ترك الأمر بالمعروف بهذا التأويل؟ أما إنه متى شاع هذا بين الناس وجنحوا إليه، وعملوا عليه، ظهر الفساد في البر والبحر، وتعجل كل واحد في راحته وعزه، وقبض يده ولسانه عما فرض الله عز وجل عليه من إقامة المعروف وإماتة المنكر؛ أما إنه موقوف على التأويل فإنك لا تجد قائلا قولا ولا فاعلا فعلا إلا وهو في حاله تلك يبسط عذرا، ويدعي سرا ويتعسف تأويلا. ولعل هذا الحديث واهي الإسناد، فاسد المخرج، أو قد صحبه في الحال ما سقط منه عند الرواية، وما أظن أكثر من هذا؛ على أن حسن الظن أحسن.

عن سعيد بن جبير قال: لما حضر ابن عمر الموت قال: ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وأني لم أقتل هذه الفئة التي نزلت بنا – يعني الحجاج. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلاَ لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ فَإِنَّهُ لاَ يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ وَلاَ يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ﴾ وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَسْتُ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي جُوعًا يَقْتُلُهُمْ وَلَا عَدُوًّا يجتاحهم وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّةً مُضِلِّينَ إِنْ أَطَاعُوهُمْ فَتَنُوهُمْ وَإِنْ عَصَوْهُمْ قَتَلُوهُمْ﴾ وعن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ، فَلَيَسُومُنَّكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيَبْعَثَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ مَنْ لَا يَرْحَمُ صَغِيرَكُمْ، وَلَا يُوَقِّرُ كَبِيرَكُمْ﴾ وعن حذيفة مرفوعاً قال: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ﴾ قال ابن العربي في شرحه: وهذا الفقه عظيم، وهو أن الذنوب منها ما يعجل الله عقوبته، ومنها ما يمهل بها إلى الآخرة، والسكوت عن المنكر تتعجل عقوبته في الدنيا بنقص الأموال والأنفس والثمرات، وركوب الذل من الظلمة للخلق.

• قلت: اليوم ركوب الذل ظاهر في حياة الملايين من المتمسلمين من دويلة مملكة الحشيش المراكشية (صنيعة فرنسا) إلى دويلة مملكة الكازينوهات البحرينية (صنيعة بريطانيا) مرورا ببقية الوكالات الشرطية الغربية في المنطقة..﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف]

----

* أخرج البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت الحجاج يخطب، فذكر كلاما أنكرته، فأردت أن أغير فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ، قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: يَتَعَرَّضُ مِنْ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيق﴾ قال الهيثمي: رواه البزار و الطبراني في الأوسط والكبير باختصار، وإسناد الطبراني في الكبير جيد ورجاله رجال الصحيح غير زكريا بن يحيى بن أيوب الضرير ذكره الخطيب، روى عن جماعته وروى عنه جماعة ولم يتكلم فيه أحد..

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ المحن/ البصائر والذخائر/ إيقاظ أولي الهمم العالية/ مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي(عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) وأهل العراق 0409

عن عبيد الله بن يزيد بن أبي مسلم الثقفي عن أبيه[1] قال: كان الحجاج عاملا لعبد الملك على مكة، فكتب إليه بولايته على العراق، قال: فخرج وخرجت معه في نفر ثمانية أو تسعة على النجائب*، فلما كنا بماء قريب من الكوفة نزل، فاختضب وتهيأ، وذلك في يوم جمعة، ثم راح معتما* قد ألقى عذبة* العمامة بين كتفيه، متقلدا سيفه حتى نزل عند دار الإمارة عند مسجد الكوفة، وقد أذن المؤذن بالأذان الأول لصلاة الجمعة، وخرج عليهم الحجاج وهم لا يعلمون، فجمع بهم، ثم صعد المنبر فجلس عليه، فسكت وقد اشرأبوا إليه وجثوا على الركب، وتناولوا الحصى ليقذفوه بها ويخرجوه عنهم -قال: وقد كانوا حصبوا عاملا قبله فخرج عنهم- فسكت سكتة أبهتهم بها، وأحبوا أن يسمعوا كلامه. قال: فكان بدء كلامه أن قال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق، و يا أهل النفاق، والله إن كان أمركم ليهمني قبل أن آتيكم، ولقد كنت أدعو الله أن يبتليكم بي وأن يبتليني بكم، فأجاب دعوتي. ألا إني أسريت البارحة، فسقط مني سوطي فاتخذت هذا، -وأشار إليهم بسيف مكانه- فوالله لأجرنه فيكم جر المرأة ذيلها، ولأفعلن ولأفعلن. قال يزيد:[1] حتى رأيت الحصى متساقطا من بين أيديهم. قال: قوموا إلى بيعتكم. فقامت القبائل قبيلة قبيلة تبايع فيقول: من؟ فتقول: بنو فلان. حتى جاءته قبيلة قال: ومن؟ قالوا: النخع[2]. قال: منكم كميل بن زياد[3]؟ قالوا: نعم. قال: ما فعل؟ قالوا: أيها الأمير، شيخ كبير، قال: لا بيعة لكم عندي ولا تقربون حتى تأتوني به، قال: فأتوه به منعوشا* في سرير، حتى وضعوه إلى جانب المنبر. فقال: ألا إنه لم يبق ممن دخل على عثمان الدار غير هذا، فدعا بنطع فضرب عنقه.

قال أبو بكر الهذلي: حدثني من شهد الحجاج بن يوسف حين قدم العراق، فبدأ بالكوفة قبل البصرة، ونودي للصلاة جامعة، فأقبل الناس إلى المسجد والحجاج يتقلد قوسا عربية، وعليه عمامة خز حمراء متلثما، فقعد وعرض القوس بين يديه، ثم لم يتكلم حتى امتلأ المسجد. فقال محمد بن عمير:[4] فسكت حتى ظننت أنما يمنعه العي، وأخذت في يدي كفا من حصى، أردت أن أضرب به وجهه، قال: فقام فوضع نقابه، وتقلد قوسه، وقال: أنا ابن جلا وطلاع الثنايا..متى أضع العمامة تعرفون. أما والله إني لأحمل الشر محمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله وإني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى..وإني والله يا أهل العراق لا يغمز جانبي كتغماز التين*،ولا يقعقع لي بالشنان*، ولقد فررت*عن ذكاء*، وفتشت عن تجربة، وجريت من الغاية* فإنكم يا أهل العراق طالما أوضعتم في الفتنة*،وسلكتم سبيل الغواية، أما والله لألحينكم لحي العود،ولأعصبنكم عصب السلمة*،ولأقرعنكم قرع المروة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل*، ألا إن أمير المؤمنين نكب كنانته بين يديه، فعجم عيدانها* فوجدني أمرها عودا، وأصلبها مكسرا، فوجهني إليكم، فاستقيموا ولا يميلن منكم مائل، واعلموا أني إذا قلت قولا وفيت به. من كان من بعث المهلب[5]فليلحق به، فإني لا أجد أحدا بعد ثالثة إلا ضربت عنقه، وإياي وهذه الزرافات*، فإني لا أجد أحدا يسير في زرافة إلا سفكت دمه، واستحللت ماله.ثم نزل.

قال محمد بن صالح الثقفي وغيره: فأتاه عمير بن ضابئ بعد ثالثة معه ابنه فقال: هذا ابني، هذا أشد بني تميم يدا وبطشا وظهرا، وأعدهم سلاحا، وأنا شيخ كبير، وهو خير لك مني قال: صدقت، من يشهد على تزمينك*؟ فقام قوم فشهدوا أن بشرا أزمنه؛ وأخذ عطاءه، وقال: إنك لمعذور، ولكني أكره أن أطمع الناس في، أنت بعد ابن ضابىء قاتل عثمان، فأنت كأبيك فأمر بقتله.وقيل: إن عنبسة بت سعيد[6]قال: هذا ابن ضابىء الذي يقول:هممت ولم أفعل وكدت وليتني..تركت على عثمان تبكي حلائله.. فقال: علي بالشيخ، فلما أتي به قال له: أما يوم الدار فتشهده بنفسك، وأما في قتال الخوارج الأزارقة* فتبعث بديلا، إن في قتلك لصلاحا لأهل المصرين، يا حرسي: أضرب عنقه. فضربت عنقه، فصاح البراجم* على الباب، فقال: ارموا إليهم برأسه، فرمي به فولوا هاربين. وفي رواية أنه قال: والله ما أقول إلا وقيت، ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فريت. وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه. يا غلام، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين، سلام عليكم. فلم يقل أحد شيئا. فقال الحجاج: اكفف يا غلام. ثم أقبل على الناس فقال: أسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئا! هذا أدب ابن نهية[7] أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب، أو لتستقيمن. اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين، فقرأ. فلما بلغ إلى قوله: سلام عليكم، لم يبق في المسجد أحد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام. ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم، فجعلوا يأخذون، حتى أتاه شيخ يرعش كبرا فقال: أيها الأمير، إني من الضعف على ما ترى، ولي ابن هو أقوى على الأسفار مني، أفتقبله مني بديلا؟ فقال له: نفعل أيها الشيخ. فلما ولى قال له قائل: أتدري من هذا أيها الأمير؟ قال: لا. قال: هذا عمير بن ضابئ البرجمي[8]،الذي يقول أبوه: هممت ولم أفعل وكدت وليتني..تركت على عثمان تبكي حلائله. ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا، فوطئ بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه. فقال: ردوه، فلما رد قال الحجاج: أيها الشيخ، هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بديلا يوم الدار! إن قتلك أيها الشيخ صلاح للمسلمين. يا حرسي اضربا عنقه.فجعل الرجل يضيق عليه بعض أمره فيرتحل، ويأمر وليه أن يلحقه بزاده.

----

*(النجائب) النجيب من الإبل مفردا ومجموعا وهو القوي منها الخفيف السريع وناقة نجيب ونجيبة (الحرسي) الشاهد فيه أن الكلام موجه إلى شخص واحد وهو الحرسي أي واحد الحرس وهم الجند الذين حول السلطان (منعوش) محمول على النعش (الأزارقة) فرقة من الخوارج زعيمها نافع بن الأزرق الذي قتله جيش المهلب. (يعتم) يدخل في ظلمة الليل (العذبة) طرف الشيء يقال عذبة اللسان وعذبة العمامة والخيط يرفع به الميزان (فر) كشف عن اسنانه ليعرف عمره (ذكاء) نهاية الشباب، قيل: الذكاء على ضربين: أحدهما تمام السن والآخر حدة القلب (عجم عيدانها) عضها واختبرها (لا يغمز جانبي كتغماز التين) لا نستلان عند الامتحان (الشنان) واحدتها شن ويقال أيضا شنة وهي قربة البالية اليابسة – الجلد اليابس–، فيقعقع بها فتنفر الإبل من صوتها. وضرب ذلك مثلا لنفسه في الثبات. يضرب للرجل الشرس الصعب، لا يهد ولا يفزع (طالما أوضعتم في الفتنة) الإيضاع ضرب من السير – بين القوم– (فتشت عن تجربة، وجريت من الغاية) في الطبري وابن الاثير: وجريت إلى الغاية القصوى.(لأضربنكم ضرب غرائب الإبل) مثل ضربه لنفسه مع رعيته، يهددهم، وذلك أن الإبل إذا وردت الماء ؛ فدخلت عليها غريبة من غيرها، ضربت وطردت حتى تخرج عنها (السلمة) واحدة السلم وهو شجر شائك ويقال عصب الشجرة اذا ضم ما تفرق منها بحبل ثم خبطها ليسقط ورقها لتأكله الماشية. (إياي وهذه الزرافات) يريد المتجمعين المضطربين لفتنة وما أشبهها (البراجم) قوم من أولاد حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم – أحياء من تميم–.(زمن) زمانة ضعف بكبر سن أو مطاولة علة (أزمن) رجل مقعد، إذا أزمنه داء في جسده حتى لا حراك به.

■ (1) يزيد بن أبي مسلم بن دينار الثقفي، أبو العلاء مولاهم، أمير المغرب،كان مولى الحجاج وكاتبه ومشيره، استخلفه الحجاج عند موته على أموال الخراج، فضبط ذلك، وأقره الوليد، ثم أمره على إفريقية يزيد بن عبد الملك، فثارت عليه الخوارج ففتكوا به لظلمه سنة 102 هـ.

■ (3) كميل بن زياد النخعي الصهباني الكوفي. حدث عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة. وكان شريفا مطاعا ثقة عابدا على تشيعه قليل الحديث.قتله الحجاج في حدود 90 هـ.

■ (5) المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، أبو سعيد البصري، واسم أبي صفرة ظالم بن سارق، ويقال: ابن سراق بن صبح بن كندي، ويقال: كندير بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد، ويقال: الأسد أيضا، بن عمران بن عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. كان المهلب بن أبي صفرة واليا على خراسان من جهة الحجاج. مات سنة 81 هـ، أو سنة 82 هـ. وزاد بعضهم: في ذي الحجة بمرو الروذ..

■ (2) النخع قبيلة كبيرة من قبائل مذحج باليمن واسم النخع جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد. وقيل له: النخع لأنه انتخع في قومه، أي بعد عنهم ونزلوا في الإسلام الكوفة.

■ (7) ابن نهية: زعم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج.(بهامش الكامل للمبرد 2 /ـ495 عن إحدى النسخ).

■ (8) عمير بن ضابئ بن الحارث البرجمي التميمي، من الكوفة. قتله الحجاج لما دخل الكوفة سنة 75 هـ كان أبوه قد مات في سجن عثمان بن عفان، قيل لقتله صبياً بدابته ولهجائه قوماً من الأنصار. وعمير هذا جاء إلى عثمان بعد ما قتل فلطم وجهه وقيل كسر ضلعا من أضلاعه

■ (4) محمد بن عمير بن عطارد بن صاحب الدارين أرسل شيئا قال بن حبان في الثقات وقد ذكر خليفة بن خياط محمد بن عمير هذا في امراء علي بصفين وكان من أجواد أهل الكوفة واشرافهم وله قصص مع الحجاج

■ (6) عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد (أبي أحيحة) بن العاص بن أمية، أبو أيوب، ويقال أبو خالد، وهو أخو يحيى وعمرو الاشدق. وهو عم أبي إسماعيل بن أمية.وأمه أمة يقال لها عصماء، وكان عنبسة أثيرا عند الحجاج. ومات وقد هرم، تقريبا سنة 100 هـ.

☪

صدق الكواكبي رحمه الله حين قال:جهالة الأمة والجنود المنظمة أكبر مصائب الأمم وأهم معائب الإنسانية.يقول سيد قطب رحمه الله: وما يمكن أن يطغى فرد في أمة كريمة أبداً، وما يمكن أن يطغى فرد في أمة رشيدة أبداً، وما يمكن أن يطغى فرد في أمة تعرف ربها، وتؤمن به، وتأبى أن تتعبّد لواحد من خَلقه، لا يملك لها ضراً ولا رشداً. روى الحافظ أبو نعيم عن كميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان، يعنى الصحراء، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل ابن زياد، القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق

قال علي الصلابي: إن هذه الوصية البليغة قد اشتملت على درر المواعظ وغرر الحكم، فقد قسم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الناس إلى ثلاثة أقسام:

(أ) العلماء الربانيون: والمقصود بالعلماء علماء الدين، والربانيون الذين يجمعون بين الفقه والحكمة كما جاء في تفسير ابن عباس في قوله تعالى:﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [آل عمران] قال: حكماء فقهاء، وبذلك فسره عبد الله ابن مسعود، فالذين يجمعون بين الحكمة والفقه هم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها، لأن الحكمة وضع الشيء في موضعه المناسب ومن ذلك التوفيق إلى تطبيق الحكم الشرعي على واقع الناس، وذلك يقتضي فهما دقيقا لواقع المجتمع الإسلامي، ومن الحكمة القيام بتربية الأمة بهذا الدين، وذلك يقتضي الجمع بين تعليم الدين والتربية على التقوى ومكارم الأخلاق، وأما الفقه فهو فهم الأحكام الدينية من مصادرها الشرعية، ولذلك كان العلماء الربانيون هم أفضل الأمة، لأنهم جمعوا بين فضيلتين هما: تلقى العلم، والتعليم مع التربية، فهم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها، وقد عرف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الربانيين بأنهم هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها.

(ب) طلاب العلم الذين أخلصوا نياتهم في طلب العلم:ليكون وسيلة إلى نجاتهم من المسئولية أمام الله تعالى، وقد عبر علي رضي الله عنه عن هذا القسم بقوله: ومتعلم على سبيل نجاة، وهذا لا يختص بالدارسين الذين تفرغوا لطلب العلم، وإنما يشمل كل من حمل مسئولية تطبيق هذا الدين، وأهمه أمر نجاته في الآخرة، فاستفتى في أمور دينه العلماء الربانيين، ليعبد الله على بصيرة، وليستقيم في معاملته مع الناس على منهج الله، فهذا يعتبر من المتعلمين على سبيل نجاة وإن لم يجلس في حلقات العلم. إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يرينا أهمية إخلاص النية لله في طلب العلم، ويدعوهم لتقديم ما عند الله والدار الآخرة على حطام الدنيا وشهوات النفس والدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ودين الحق والصبر على ذلك.

(ت) الذين هجروا العلم الديني ولم يكن لهم ارتباط بالعلماء الربانيين: في معرفة أمور دينهم، وقد عبر عنهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقوله:وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم. تحدث أمير المؤمنين عن صنف الهمج الرعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح وليس لهم نور يستضيئون به، وحذر من هذا الصنف الإمعي، وكأنه رضي الله عنه يدعو الناس بأن يكون همهم الحق والثبات عليه، وبأن يعمروا الدنيا والآخرة بطاعة الله وأن يستضيئوا بنور الله ويجعلوا الدنيا مطية للآخرة. عن حذيفة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ. وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا﴾

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ شرح الرضي على الكافية/ علي بن أبي طالب/ الأوائل للعسكري/ المعجم الوسيط/ زهر الأكم في الأمثال و الحكم/ شرح ديوان الحماسة/

عاش سهل[1] وطال عمره، حتى أدرك الحجاج بن يوسف، وامتحن معه. ذكر الواقدي، وغيره: أرسل الحجاج سنة أربع وسبعين إلى سهل بن سعد رضي الله عنه، وقال له: ما منعك من نصر أمير المؤمنين عثمان؟ قال: قد فعلته، قال: كذبت، ثم أمر به فختم في عنقه (بالرصاص: عتيق الحجّاج)، وختم أيضا في عنق أنس بن مالك[2]،حتى ورد عليه كتاب عبد الملك بن مروان فيه، وختم في يد جابر بن عبد الله[3]،وكان يريد إذلالهم بذلك، وأن يجتنبهم الناس، ولا يسمعوا منهم. قال إسحاق بن يزيد: رأيت أنساً رضي الله عنه مختوماً في عنقه ختمة الحجاج، أراد أن يذله بذلك. قال الواقدي: قد فعل ذلك بغير واحدٍ من الصحابة، يريد أن يذلهم بذلك، وقد مضت لهم العزة بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال سماك بن موسى الضبي: أمر الحجاج أن توجأ عنق أنس، وقال: أتدرون من هذا هذا خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلته به لأنه سيء البلاء في الفتنة الأولى، غاش الصدر في الفتنة الآخرة.

روى أبي حازم عن سهل بن سعد قال استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليا قال فأبى سهل فقال له أما إذ أبيت فقل لعن الله أبا تراب فقال سهل ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب وإن كان ليفرح إذا دعي بها فقال له أنبأ عن قصته لم سمي أبا تراب، قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت، فقال لها: أين ابن عمك، فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج، ولم يقل عندي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان انظر أين هو فجاء، فقال يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه، ويقول: ﴿قُمْ أَبَا تُرَابٍ قُمْ أَبَا تُرَابٍ﴾ وفي رواية أن رجلا جاءه، فقال: هذا فلان -أمير من أمراء المدينة- يدعوك لتسب عليا على المنبر، قال: أقول ماذا؟ قال: تقول له: أبو تراب، فضحك سهل فقال: والله، ما سماه إياه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان لعلي اسم أحب إليه منه.

أما سبب قتل كميل بن زياد النخعي[4] فإن فتنة ابن الأشعث[5] لما هاجت في أخذ مطر بن ناجية الرياحي اليربوعي[6] الكوفة لبس كميل ثيابه وكان أقعد فجاء صحيحا ليس به إقعاد حتى صعد المنبر مع مطر بن ناجية فسب ولعن وحرض وكان خطيبا شريفا وحرض على أهل الشام ثم قال قد عرفت الغدر إن شر شيئين في قريش وثقيف الحكمين الحكم بن أبي العاص[7] والحكم بن أبي عقيل[8] فبلغت خطبته قال فلما ظفر الحجاج أتي بكميل فقال أدنوه مني فأدني منه. فقال: يا عبد النخع أمقعد الجماعة صحيح في الفتنة لطمت عين أمير المؤمنين عثمان بن عفان فعفى عنك معاوية وأوصل إليك عطاؤك ثم عفا عنك يزيد ثم عفى عنك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ثم قعدت فعفوت عنك فلما جاء أعرابي من بني تميم نهضت إلى منبر المسلمين ليس بك إقعاد فزعمت أن شر شيئين في قريش وثقيف الحكمين الحكم بن أبي العاص والحكم بن أبي عقيل ثم نظر إلى يزيد بن هبيرة المحاربي[9] وهو على أهل دمشق الذين كانوا بالعراق فقال: هذا أحد قتلة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمه الله فاضرب عنقه فقدمه يزيد بن هبيرة فضرب عنقه. وكان شيخ كبير.

■ (1) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الساعدي الأنصاري المديني، وكان اسمه حزن فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلا، و كنيته أبو العباس وقيل: أبو يحيى. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أبي بن كعب، وعاصم بن عدى، وغيرهم. وعنه ابنه عباس، والزهري، وآخرون. سكن المدينة وكان آخر من مات بها من أصحابه رضوان الله عليه سنة 91 هـ وقيل 88 هـ. وذكر أنه كان له يوم توفي النبي صلى الله عليه وسلم 15 سنة.

■ (3) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن عمرو بن سواد بن سلمة ويقال ابن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي الأنصاري المديني شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم كنيته أبو عبد الله وقيل شهد العقبة مع أبيه، مات سنة 78 هـ أو 79 هـ بعد أن عمي وكان له يوم مات أربع وتسعون سنة وصلى عليه أبان بن عثمان وهو والي المدينة. قال عمرو بن علي آخر من مات بالمدينة جابر بن عبد الله في سنة 79 هـ. سمع النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي هريرة وأم كلثوم وأبي سعيد الخدري وأبي بردة بن نيار وعمر بن الخطاب وأبي حميد الساعدي وأم مالك وأم شريك. روى عنه أبو سفيان وأبو صالح وأبو الزبير وعمر بن دينار ويزيد الفقير وأبو جعفر محمد بن علي وعطاء بن أبي رباح وأبو سلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن عمرو بن الحسن ووهب بن كيسان ومحمد بن المنكدر وسالم بن أبي الجعد وسعيد بن ميناء وعبيد الله بن مقسم وأبو هريرة ومحمد بن عباد بن جعفر ومجاهد والحسن بن محمد وعروة بن عياض والنعمان بن أبي عياش وأبو المتوكل الناجي وسليمان بن يسار وابنه عبد الرحمن بن جابر والقعقاع بن حكيم وأبو عبد الرحمن الحبلي وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الرحمن صاحب السقاية وعبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت.

■ (2) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم رضي الله عنه. أمه: أم سليم بنت ملحان ذهبت به أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكان يخدمه وكان له يومئذ 9 سنين ويقال 8 ويقال 10 .عن حميد عن أنس قال أخذت أم سليم بيدي مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاتت بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت هذا ابني وهو غلام كاتب. قال فخدمته 9. قال أهل السير مات أنس بالبصرة سنة 92 هـ وقيل 93 هـ وقيل 91 هـ وهو ابن تسع وتسعين.وقد قيل أنه مات ابن مائة وثلاث سنين وقيل تسع سنين وغسله محمد بن سيرين وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة رضي الله عنهم أجمعين.

■ (4) كميل بن زياد النخعي الصهباني الكوفي. حدث عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة. وكان شريفا مطاعا ثقة عابدا على تشيعه قليل الحديث.قتله الحجاج في حدود التسعين للهجرة.

■ (9) يزيد بن هبيرة بن أقيش بن جذيمة بن كلثة بن خفاف بن معاوية بن مر بن بكر، كان شريفا وقد ولي ولايات، وهو أبو داود الذي يقول له عبد الله بن الحجاج الثعلبي = من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان. كان يزيد بن هبيرة المحاربي أول أمير ولي اليمامة لعبد الملك بن مروان.(أما عمر بن هبيرة الفزاري فهو أمير عراق العرب وعراق العجم وابنه يزيد بن عمر بن هبيرة المعروف بيزيد بن هبيرة وتولى أيضا عدة إمارات).

■ (7) الحكم بن أبي العاص الأموي عم عثمان، ووالد مروان، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد طرده إلى الطائف، وبقي طريدا إلى زمن عثمان، فرده إلى المدينة، واعتذر بأنه قد كان شفع فيه إلى النبي فوعده برده، وهو مؤتمن على ما قال، وهو أحد الأسباب التي نقموا بها على عثمان.

■ (6) مضر بن ناجية الكوفي ؟... مطر بن ناجية بن ذروة بن حطان بن قيس بن أوس بن حميري،(من بنى تميم: هو من بني رياح بن يربوع) الذي غلب على الكوفة أيام ابن الأشعث، توفي سنة 82 هـ؟

■ (8) الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، جد الحجاج بن يوسف الأمير وآل بيته.قتله خالد بن هوذة. قال الريان بن مسلم: بعث عمر بن عبد العزيز بآل أبي عقيل أهل الحجاج إلى صاحب اليمن وكتب إليه: أما بعد، فإني بعثت بآل أبي عقيل، وهم شر بيت في العرب، ففرقهم في عملك على قدر هوانهم على الله تعالى وعلينا، وعليك السلام. وإنما نفاهم، رحمه الله.

■ (5) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي أمير سجستان، بعد هزيمته في دير الجماجم سنة 83 هـ تتابعت هزائم جيشه فلجأ إلى رتبيل (ملك الترك) فيما وراء سجستان فحماه مدة ثم قتله سنة85 هـ وبعث برأسه إلى الحجاج. فأرسله هذا إلى عبد الملك بالشام، وبعث به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر.

ذكر أبو القاسم الطبراني[1] في الكبير: عن أبي حازم أن سهلا كان في مجلس قومه وهو يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم مقبل على بعض يتحدثون فغضب وقال: والله لأخرجن من بين أظهرهم ثم لا أرجع إليهم أبدا، قال أبو حازم: فقلت له: إلى أين تذهب؟ قال: أجاهد في سبيل الله تعالى. قلت: ما بك جهاد وما تستمسك على الفرس، وما تستطيع أن تضرب بالسيف، وما تستطيع أن تطعن بالرمح! قال: يا أبا حازم أذهب فأكون في الصف فيأتين سهم عابر أو حجر فيرزقني الله الشهادة. قال: فذهب لعمري فما رجع إلا مطعونا. عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا، وَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا﴾ وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ﴾.

خرج يزيد بن أبي مسلم[2] من عند الحجاج فقال: لقد قضى الأمير بقضية، فقال له الشعبي[3]: وما هي؟ فقال: قال: ما كان للرجل فهو للرجل، وما كان للنساء فهو للمرأة. فقال الشعبي: قضاء رجل من أهل بدر، قال: ومن هو؟ قال: لا أخبرك، قال: من هو؟ علي عهد الله وميثاقه ألا أخبره، قال: هو علي بن أبي طالب. قال: فدخل على الحجاج، فأخبره، فقال الحجاج: صدق، ويحك ! إنا لم ننقم على علي قضاءه، قد علمنا أن عليا كان أقضاهم.

عن نعيم بن أبي هند قال: كنت جالسا إلى يزيد بن أبي مسلم أيام الحجاج، وهو يعذب الناس، فذكر رجلا في السجن، فبعث إليه بغيظ وغضب، فأتي به، وما أشك أنه سيقع به، فلما قام بين يديه رأيت الرجل يحرك شفتيه بشيء لم نسمعه، فرفع رأسه إليه، فقال: خلوا سبيله، أو ردوه. قال: فقمت إلى الرجل، فقلت له: شهدت هذا حين أرسل إليك بغيظ وغضب، ولا أشك أنه سيقع بك، فلما قمت بين يديه رأيتك حركت شفتيك بشيء لم أسمعه، فأمر فيك بما ترى، فما الذي قلت؟ قال: قلت: اللهم إني أسألك بقدرتك التي تمسك بها السماوات السبع أن يقع بعضهن على بعض أن تكفينيه.

عن عبد الملك بن عمير، قال: خرجت يوما من منزلي نصف النهار، والحجاج جالس وبين يديه رجل موقف، عليه كمة من ديباج، والحجاج يقول: أنت همدان مولى علي، تعال سبه؛ قال: إن أمرتني فعلت، وما ذاك جزاؤه، رباني صغيرا، وأعتقني كبيرا؛ قال: فما كنت تسمعه يقرأ من القرآن؟ قال: كنت أسمعه في قيامه وقعوده، وذهابه ومجيئه يتلو:﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام]؛ وقال: فابرأ منه؛ قال: أما هذه فلا، سمعته يقول: تعرضون على سبي فسبوني، وتعرضون على البراءة مني فلا تبرؤوا مني، فإني على الإسلام. وقال: أما ليقومن إليك رجل يتبرأ منك ومن مولاك، يا أدهم بن محرز[4]، قم إليه فاضرب عنقه؛ فقام إليه يتدحرج كأنه جعل، وهو يقول: يا ثارات عثمان. قال: فما رأيت رجلا كان أطيب نفسا بالموت منه، ما زاد على أن وضع القلنسوة عن رأسه، وضربه فندر رأسه، رحمه الله تعالى.

قال خالد بن سعيد: دخل أدهم بن محرز الباهلي أبو مالك بن أدهم على عبد الملك، ورأسه كالثغامة، فقال: لو غيرت هذا الشيب؟ فذهب فاختضب بسواد ثم دخل عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، قلت بيتا لم أقل قبله ولا أراني أقول بعده؛ قال: هات؛ فقال: من الطويل: ولما رأيت الشيب شينا لأهله..تفتيت وابتعت الشباب بدرهم.

■ (1) الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، نسبة إلى طبرية، محدث سلفي حنبلي، من شيوخه النسائي وأبو القاسم البغوي والفريابي، من مؤلفاته: السنة والمعجم الكبير والمعجم الأوسط و المعجم الصغير.ولد سنة 260 هـ بعكا وتوفي سنة360 هـ

■ (2) يزيد بن أبي مسلم بن دينار الثقفي، أبو العلاء مولاهم، أمير المغرب،كان مولى الحجاج وكاتبه ومشيره، استخلفه الحجاج عند موته على أموال الخراج، فضبط ذلك، وأقره الوليد، ثم أمره على إفريقية يزيد بن عبد الملك، فثارت عليه الخوارج ففتكوا به لظلمه سنة 102 هـ.

■ (3) عامر بن شراحيل الشعبي، شعب همدان، أبو عمرو.علامة أهل الكوفة في زمانه، ولد في وسط خلافة عمر. وروى عن علي يسيرا، وعن المغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، وعائشة، وأبي هريرة، وجرير البجلي، وعدي بن حاتم، وابن عباس، ومسروق، وخلق كثير، وقرأ القرآن على علقمة، وأبي عبد الرحمن السلمي. قال أحمد بن عبد الله العجلي: مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحا. وقال عاصم الأحول: كان الشعبي أكثر حديثا من الحسن، وأكبر منه بسنتين، ولد لأربع بقين من خلافة عمر. وقال خليفة: ولد سنة 21 هـ، وقيل غير ذلك. وعن الشعبي قال: أدركت خمس مائة من أصحاب رسول الله أو أكثر. قال أبو أسامة: كان عمر في زمانه، وكان بعده ابن عباس، وكان بعده الشعبي، وكان بعده الثوري في زمانه. وعن ابن سيرين، قال: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة، والصحابة يومئذ كثير. قال إسماعيل بن مجالد: توفي الشعبي سنة 104 هـ وله 82 سنة.وقال الواقدي: سنة 105 هـ.وقال الفلاس: مات في أول سنة 106 هـ، وقيل غير ذلك.

■ (4) أدهم بن محرز بن أسيد بن أخنس بن رياح بن أبي خالد بن زمعة، الباهلي، الحمصي أحد أمراء الجيش الذين وجهوا مع عبيد الله بن زياد لقتال التوابين الذين قتلوا عند عين الوردة، وكان قد شهد صفين مع معاوية، وكان من قواد الحجاج بن يوسف.

مراجع: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ مسند أحمد/ صحيح مسلم/ الوفيات والأحداث/ الوافي بالوفيات/ المحن/ تقريب التهذيب/ شعب الإيمان/ مغاني الأخيار/ مختصر تاريخ دمشق/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) وماهان الحنفي 0411

عن المجالد قال: أرسل الحجاج بن يوسف إلى أبي صالح ماهان المسبح[(1)] فلما أتاه قال: بلغني عنك صلاح وخير وإني أريد أن أوليك القضاء، قال له: أنا! قال: أنت. قال:وأنا لا أحسن أعد عشرة ؟ قال: يا مرائي علي تتباله -يعني: تدعي البله في مجلسي-، قال: والفرات قد مد فعدى من بين يديه وهو شيخ كبير يجنح حتى وقف على جرف الفرات، فقال: اللهم إن كنت مرائيا كما زعم الحجاج فغرقني. قال: فرمى بنفسه، فقام على متن الماء فلم تغب قدماه قال: فوالله ما نهنهه (أي كفه وزجره) ذلك أن أخذه فصلبه على بابه، فقال: لي عمار الدهني[(2)] حيث أنظر إليه وهو مصلوب. فقال لي: يا عمار لا تنظر إلي في الناظرة أحق بأهلك لا تلزمك الحجة فتنزل بك اللعنة. قال ابن مجالد: هو مصلوب ولا يترك النصيحة.

وفي رواية حدث أبو بكر بن عياش عن عمار الدهني قال: مررت على ماهان حين صلب والناس ينظرون إليه، قال: فقال لي: يا عمار وأنت أيضا ممن ينظر ولا تغير !.

عن محمد بن فضيل عن رجل قال : رأيت أبا صالح ماهان حين صلبه الحجاج على الخشبة فجعل يسبح ويعقد قال: فبلغ التسبيح في يده ثلاثا وثلاثين يعقدها قال: فجاء رجل فطعنه فقتله قال: فلقد رأيت في يده العقد بعد كذا.

عن جرير عن أبي اسحاق يعني الشيباني[(3)] قال دنوت من ماهان أبي صالح لما أراد ابن أبي مسلم[(4)] أن يقطعه ويصلبه فقال: تنح يا ابن أخي لا تسأل عن هذا المقام.

■ (1) ماهان الحنفي أبو سالم الأعور الكوفي، ويقال له المسبح.جد عبد الله بن بدر. وقيل: أبو صالح. روى عن ابن عباس، وغيره. كان لا يفتر من التسبيح، أخذه الحجاج وصلبه سنة 83 هـ، وكان يسبح ويعقد، قال: فطعن، وقد عقد تسعاً وستين. وأبو صالح الحنفي هو عبد الرحمن بن قيس الكوفي، أخو طليق.وأخطأ بعضهم فسماه ماهان. انظر الترجمتين في التهذيب.وعلى الرغم من أن ابن حجر حقق ذلك في الموضعين من التهذيب فإنه سها في التلخيص فقال: وأبو صالح ليس هو ذكوان السمان بل هو أبو صالح ماهان الحنفي!

■ (2) عمار بن معاوية: ويقال: ابن أبي معاوية، ويقال: ابن صالح، ويقال: ابن حيان الدهني البجلي، أبو معاوية الكوفي، مولى الحكيم بن نفيل، وولد معاوية بن عمار، ودهن هو ابن معاوية بن أسلم بن أحمس بن الغرث بن أنمار، وفى عبد القيس دهن بن عدره. مات سنة 133 هـ.

■ (3) أبو إسحاق الشيباني: هو سليمان بن أبي سليمان، الكوفي، ثقة، من الخامسة، توفي سنة 140 هـ وقيل سنة 129 هـ

■ (4) أبو العلاء يزيد بن مسلم دينار الثقفي، مولاهم، كان مولى الحجاج بن يوسف الثقفي وكاتبه.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُقْتَلُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ وَلَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مَوْقِفٍ يُضْرَبُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ﴾ وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أُمِرَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ يُضْرَبُ فِي قَبْرِهِ مِائَةَ جَلْدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُهُ وَيَدْعُو حَتَّى صَارَتْ جَلْدَةً وَاحِدَةً فَامْتَلَأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا، فَلَمَّا ارْتَفَعَ عَنْهُ وَأَفَاقَ قَالَ: عَلَامَ جَلَدْتُمُونِي؟ قِيلَ: إِنَّكَ صَلَّيْتَ بِغَيْرِ طَهُورٍ، وَمَرَرْتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ﴾ فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع قدرته على نصره فكيف حال الظالم؟.وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل:﴿وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظَّالِمِ فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، وَلَأَنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظْلُومًا فَقَدَرَ أَنْ يَنْصُرَهُ وَلَمْ يَفْعَلْ﴾ عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ. وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا﴾ (لا تكونوا إمعة) نهي عن التقليد. قال وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: إذا لم تكن ظالما فلا تصحب الظالمين فتهون في عيني. قال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب: يا معشر الظلمة لا تجالسوا أهل الذكر فإنهم إذا ذكروني ذكرتهم برحمتي، وإذا ذكرتموني ذكرتكم بلعنتي. وروى أن يونس عليه السلام لما نبذ بالعراء وأنبت الله عليه شجرة من يقطين كان يأوي إلى ظلها، فيبست فبكى فأوحى الله تعالى إليه: أتبكي على شجرة فقدتها ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم؟ وقيل لابن السماك الأسدي أيام معاوية:كيف تركت الناس؟ قال: بين مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي.

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَسْتُ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي جُوعًا يَقْتُلُهُمْ وَلَا عَدُوًّا يجتاحهم وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّةً مُضِلِّينَ إِنْ أَطَاعُوهُمْ فَتَنُوهُمْ وَإِنْ عَصَوْهُمْ قَتَلُوهُمْ﴾ وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ لِدِينِهِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ﴾ وعن عبد الله بن عمرو، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ﴾ (أهون) أي أحقر وأسهل. وعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْخُبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ! قَتَلَنِي، حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ﴾ قال: فذكروا لابن عباس التوبة فتلا هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء] قال: ما نسخت منذ أنزلت وأنى له بالتوبة. وعن أبي سعيد، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: وُكِّلْتُ الْيَوْمَ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ، وَبِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ فَيَقْذِفُهُمْ فِي غَمَرَاتِ جَهَنَّمَ﴾ وعن أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أَوْ مَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ وعن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ﴾ وعن عمرو بن العاص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا سَأَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ قَتْلِهِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا حَقُّهَا؟ قَالَ: أَنْ يَذْبَحَهَا فَيَأْكُلَهَا، وَلَا يَقْطَعَ رَأْسَهَا فَيَرْمِيَ بِهَا﴾ وعن سعيد بن المسيب: ﴿أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَتَلَ نَفَرًا خَمْسَةً أَوْ سَبْعَةً بِرَجُلٍ قَتَلُوهُ قَتْلَ غِيلَةٍ، وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَوْ تَمَالَأَ عَلَيْهِ أَهْلُ صَنْعَاءَ لَقَتَلْتُهُمْ جَمِيعًا﴾ وعن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ، فَلَيَسُومُنَّكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيَبْعَثَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ مَنْ لَا يَرْحَمُ صَغِيرَكُمْ، وَلَا يُوَقِّرُ كَبِيرَكُمْ﴾ وعن حذيفة مرفوعاً قال: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ﴾ قال ابن العربي في شرحه: وهذا الفقه عظيم، وهو أن الذنوب منها ما يعجل الله عقوبته، ومنها ما يمهل بها إلى الآخرة، والسكوت عن المنكر تتعجل عقوبته في الدنيا بنقص الأموال والأنفس والثمرات، وركوب الذل من الظلمة للخلق. قلت: هذا ظاهر في حياة الملايين من المتمسلمين؛ العاربة والمتعربة والمستعربة؛ الجزائريين والمصريين والمغاربة والعراقيين..الخ. ثم أنتم يا أعوان الظلمة ما حيلتكم وما أنتم فاعلون؟ حين يقال للزبانية (وهم ملائكة النار): ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات] (أزواجهم) أي قرناؤهم وأمثالهم وأشياعهم وأضرابهم.

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء] روى البخاري بإسناده عن عكرمة: أخبرني ابن عباس أن أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم فيرمي به فيصيب أحدهم فيقتله فأنزل الله تعالى: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم..) قال علي بن نايف: فإذا كان المؤمنون في مكة -القابضون على دينهم ولم يهاجروا وخرجوا حياء وخوفا من الكفار يوم بدر فكثروا سواد المشركين (عددهم) ثم قتل بعضهم- قد استحقوا جهنم برواية البخاري، فما بالك بالملايين من المتمسلمين الذين يسامون سوء العذاب ويعيشون حياة السوائم، لا يملكون أن يردوا عادية عن أعراضهم أو دمائهم أو أموالهم، بل لا يستطيع أحدهم أن يتحكم في لحيته فيطلقها لأنها تهمة إسلامية ظاهرة، بل لا يستطيع أن ينفرد في لباس زوجته فيطيله حسب الشرع، لأنها جريمة يؤخذ عليا بالنواصي والأقدام، ولا يستطيع أن يعلم القرآن لثلاثة من الشباب المسلم في بيت الله، لأنه تجمع غير مشروع في عرف الجاهلية، بل لا يستطيع في بعض البلدان المسماة الإسلامية أن يغطي شعر زوجته، ولا يستطيع أن يمنع رجال المخابرات أن يأخذوا بيد ابنته بعد وهن من الليل، تحت جنح الظلام الدامس إلى حيث يشاءون!!

وهل يستطيع أن يرفض أمرا يصدر من الطاغوت يقدم فيه هذا الفرد قربانا رخيصا على مذبح شهوات هذا الطاغية؟!

أليست هذه الملايين تعيش ذليلة مهينة مستضعفة وتتوفاها الملائكة ظالمة لأنفسها؟ فماذا سيكون جوابها إذا سألتها الملائكة (فيم كنتم) ألا يقولون (كنا مستضعفين في الأرض) إن الضعف ليس عذارا عند رب العالمين، بل هو جريمة يستحق صاحبها جهنم، وقد أعذر الله الطاعنين في السن والأطفال الصغار والنساء الذين لا يجدون حيلة للتخلص، ولا يعرفون الطريق إلى أرض العزة ولا يستطيعون الهجرة إلى دار الإسلام ولا الوصول إلى قاعدة الجهاد. انتهى.

عن سعيد بن زيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ قَاتَلَ دُونَ مَالِهِ فَقُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قَاتَلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قَاتَلَ دُونَ أَهْلِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم:﴿أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقُتِلَ﴾ ولذلك حين أرد أمير الطائف عنبسة بن أبي سفيان (عامل معاوية) أخذ قطعة من أرض عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه،جمع ولده وعبيده واستل سيفه وقال سمعت صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ﴾

- قلت: رغم ما قيل في الملك العضوض وفي معاوية رحمه الله سيظل معاوية الصحابي خير الملوك إطلاقا.بل لا يمكن أبدا المقارنة بين حكام العرب الكفرة المتمسلمين اليوم وملوك بني أمية المسلمين الذين لم يعاب في حكمهم إلا شهوة الكرسي (وهي طبيعة الملك الجبري) واليوم الأمة في أسوأ عُهود الظلم والظلام؛ بل نحن في واقع مأساوي إلى أبعد الحدود لا نظير له. وأنظروا إلى هذا العسكر المريض اليوم كيف نجس البلاد العربية شرقا وغربا وأفسد حياة الملايين وزرع الشك والخوف واليأس في حياة كل مولود ومفقود بل حتى البهائم والأرض لم تسلم من شره.

مراجع: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ مسند أحمد/ صحيح مسلم/ الوفيات والأحداث/ الوافي بالوفيات/ المحن/ تقريب التهذيب/ شعب الإيمان/ مغاني الأخيار/ مختصر تاريخ دمشق/ موسوعة الدين النصيحة/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) وأنس بن مالك 0412

قال الطبري: خرج الحجاج حتى نزل رستقباذ* في أول شعبان سنة خمس وسبعين فثار الناس بالحجاج عليهم عبد الله بن الجارود[1] فقتل عبد الله بن الجارود وبعث بثمانية عشر رأسا فنصبت بـ رامهرمز* للناس فاشتدت ظهور المسلمين وساء ذلك الخوارج وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف فانصرف الحجاج إلى البصرة. وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود أن الحجاج لما ندب الناس إلى اللحاق بـ المهلب[2] بالبصرة، فشخصوا، سار الحجاج حتى نزل رستقباذ قريبا من دستوا* في آخر شعبان ومعه وجوه أهل البصرة وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا فقام في الناس فقال: إن الزيادة التي زادكم ابن الزبير[3] في أعطياتكم زيادة فاسق منافق ولست أجيزها، فقام إليه عبد الله بن الجارود العبدي فقال: إنها ليست بزيادة فاسق منافق ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتها لنا، فكذبه وتوعده فخرج ابن الجارود على الحجاج وتابعه وجوه الناس فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه وبعث برأسه ورؤوس عشرة من أصحابه إلى المهلب وانصرف إلى البصرة وكتب إلى المهلب وإلى عبد الرحمن بن مخنف[4] أما بعد إذا أتاكم كتابي هذا فناهضوا الخوارج والسلام.

قالوا: وكان فيمن قتل مع ابن الجارود: عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري[5]، وكان شجاعا شديد البطش، حمل بخراسان بدرة بفمه فعبر بها نهرا، فلما بلغ الحجاج خبر مقتله قال: لا أرى أنسا[6] يعين علي، فلما دخل البصرة استصفى مال أنس، فأتاه فلما دخل عليه قال: لا مرحبا ولا أهلا إيها يا خبيث، شيخ ضلالة جوال في الفتن، مرة مع أبي تراب، ومرة مع ابن الزبير، ومرة مع ابن الجارود أما والله لأجردنك جرد الضب*، ولأعصبنك عصب السلمة*، ولأقلعنك قلع الصمغة*، فقال أنس: من يعني الأمير؟ قال: إياك أصم الله صداك فرجع أنس فأخبر ولده بما لقيه الحجاج به فأشاروا عليه بأن يكتب بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه كتابا شكا فيه الحجاج وما صنع به وما قال له، فأجابه جوابا لطيفا، وكتب إلى الحجاج: أما بعد يا ابن أم الحجاج فإنك عبد طمت* بك الأمور فعلوت فيها حتى عدوت طورك وتجاوزت قدرك، وأيم الله يا ابن المستفرمة* بعجم الزبيب لأغمزنك* كبعض غمزات الليوث للثعالب، ولأخبطنك* خبطة تود لها أنك رجعت في مخرجك من بطن أمك، أما تذكر حال آبائك بالطائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم، و يحتفرون الآبار بأيديهم في أوديتهم ومناهلهم، أم نسيت حال آبائك في اللؤم والدناءة في المروءة والخلق، وقد بلغ المؤمنين الذي كان منك إلى أنس بن مالك جرأة وإقداما، وأظن أنك أردت أن تسبر ما عند أمير المؤمنين في أمره، فتعلم إنكاره ذلك أو إغضاءه عنه، فإن سوغك ما كان منك مضيت عليه قدما، فعليك لعنة الله من عبد أخفش* العينين أصك الرجلين، ممسوح الجاعرتين ولو لا أن أمير المؤمنين يظن أن الكاتب كثر في الكتاب من الشيخ إلى أمير المؤمنين فيك لأتاك من يسحبك على ظهرك وبطنك حتى يأتي بك أنسا، فيحكم فيك، فأكرم أنسا وأهل بيته، وأعرف له حقه وخدمته رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تقصر في شيء من حوائجه، ولا يبلغن أمير المؤمنين عنك خلاف ما تقدم فيه إليك من أمر أنس وبره وإكرامه، فيبعث إليك من يضرب ظهرك ويهتك سترك، ويشمت بك عدوك، والقه في منزله متنصلا إليه، وليكتب إلى أمير المؤمنين برضاه عنك إن شاء الله، والسلام.وبعث بالكتابين مع إسماعيل بن عبد الله[7] مولى بني مخزوم، فأتى إسماعيل أنسا بكتاب عبد الملك إليه فقرأه، ثم أتى الحجاج بالكتاب إليه، فجعل يقرأه ووجهه يتغير ويتمعر وجبينه يرشح عرقا وهو يقول: يغفر الله لأمير المؤمنين، فما كنت أظنه يبلغ مني هذا كله، ثم قال لإسماعيل: انطلق بنا إلى أنس، قال إسماعيل: فقلت: بل يأتيك، قال: فنعم، فأتى أنسا فاقبلا جميعا حتى دخلا على الحجاج فرحب به الحجاج وأدناه وقال يا أبا حمزة عجلت يرحمك الله باللائمة والشكية إلى أمير المؤمنين قبل أن تعلم كل الذي لك عندي، إن الذي فرط مني إليك عن غير نية ولا رضا بما قلت، ولكني أردت أن يعلم أهل العراق إذ كان من ابنك ما كان أني إذا بلغت منك ما بلغت، كنت إليهم بالغلظة والعقوبة أسرع، فقال أنس: ما شكوت حتى بلغ مني الجهد، وحتى زعمت أننا الأشرار، وقد سمانا الله جل وعز ﴿الْأَنْصَارِ﴾ [التوبة]، وزعمت أننا أهل النفاق ونحن ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر] وسيحكم الله عز وجل بيننا وبينك، فهو أقدر على التغيير، لا يشبه الحق عنده الباطل، ولا الصدق الكذب، وزعمت أنك اتخذتني ذريعة وسلما إلي مساءة أهل العراق باستحلال ما حرم الله عز وجل عليك مني، ولم يكن بك عليك قوة، فوكلتك إلى الله عز وجل ثم إلى أمير المؤمنين فحفظ من حقي ما لم تحفظه، فوالله لو أن النصارى على كفرهم رأوا رجلا خدم المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام يوما واحدا لعرفوا من حقه ما لم تعرفه من حقي، وقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، وبعد، فإن رأينا خيرا حمدنا الله عز وجل وأثنينا به، وإن رأينا غير ذلك صبرنا والله المستعان، فرد الحجاج عليه ما كان قبض من أموالهم.

وفي رواية علي بن زيد[8]، قال: كنت بالقصر، والحجاج يعرض الناس ليالي ابن الأشعث[9]،فجاء أنس بن مالك، فقال: يا خبيث جوال في الفتن، مرة مع علي، ومرة مع ابن الزبير، ومرة مع ابن الأشعث، أما والذي نفسي بيده لأستأصلنك كما تستأصل الصمغة*، ولأجردنك كما يجرد الضب. قال: يقول: أنس: من يعني الأمير؟ قال: إياك أعني، أصم الله سمعك، فاسترجع أنس، وشغل الحجاج، وخرج أنس، فتبعناه إلى الرحبة*، فقال: لولا أني ذكرت ولدي وخشيته عليهم بعدي لكلمته بكلام لا يستحييني بعده أبدا. حدث أزهر بن عبد الله، قال: كنت في الخيل الذين بيتوا أنس بن مالك، وكان فيمن يؤلب على الحجاج، وكان مع عبد الرحمن بن الأشعث، فأتوا به الحجاج، فوسم في يده: عتيق الحجاج.

قال الأعمش: كتب أنس إلى عبد الملك: قد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين، وإن الحجاج يعرض* بي حوكة البصرة، فقال: يا غلام، أكتب إليه: ويلك قد خشيت أن لا يصلح على يدي أحد، فإذا جاءك كتابي هذا، فقم إلى أنس حتى تعتذر إليه، قال الرسول: فلما جئته قرأ الكتاب، ثم قال: أمير المؤمنين كتب بما هنا؟ قلت: إي والله، وما كان في وجهه أشد من هذا، قال: سمع وطاعة، فأراد أن ينهض إليه، فقلت: إن شئت أعلمته، فأتيت أنسا، فقلت: ألا ترى قد خافك، وأراد أن يقوم إليك، فقم إليه، فأقبل يمشي حتى دنا منه، فقال: يا أبا حمزة غضبت؟ قال: أغضب؟ تعرضني بحوكة البصرة؟ قال: إنما مثلي ومثلك كقول الذي قال: إياك أعني واسمعي يا جارة، أردت أن لا يكون لأحد علي منطق.

قيل: لما قدم الحجاج العراق أرسل إلى أنس فقال يا أبا حمزة إنك قد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت من عمله وسيرته ومنهاجه فهذا خاتمي فليكن في يدك فأرى برأيك ولا أعمل شيئا إلا بأمرك فقال له أنس: أنا شيخ كبير قد ضعفت ورققت وليس في اليوم ذاك. فقال: قد عملت لفلان وفلان فما بالي أنا فانظر إن كان في بنيك ممن تثق بدينه وأمانته وعقله. قال ما في بني من أثق لك به وكثر الكلام بينهما. وقال يوما من جملة كلام لقد عبت فما تركت شيئا ولولا خدمتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب أمير المؤمنين لكان لي ولك شأن من الشأن. فقال أنس هيهات إني لما خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات لا يضرني معهن عتو جبار. فقال له الحجاج يا عماه لو علمتنيهن. فقال لست لذلك بأهل. فدس إليه الحجاج ابنه محمدا ومعه مائتي ألف درهم ومات الحجاج قبل أن يظفر بالكلمات وهي بسم الله على نفسي وديني بسم الله على أهلي ومالي بسم الله على كل شيء أعطاني بسم الله خير الأسماء بسم الله رب الأرض والسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت الله ربي لا أشرك به أحدا اللهم أنت جاري من كل شيء ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] السورة من خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي.

----

*(قلع الصمغة) قوله لأقلعنك قلع الصمغة يريد لأستأصلنك والصمغ إذا قلع انقلع كله ولم يبق له أثر وكذلك يقال تركتهم على مثل مقلع الصمغة ومفرق الصمغة إذا لم يبق لهم شيء إلا نهب ومثله تركتهم على مثل ليلة الصدر يراد إذا نفر من الناس من حجهم وتركتهم على أنقى من الراحة هذا كله واحد(الرحبة) رحبة مسجد الكوفة وهو المكان الواسع أمام بابه (عرض) عرض بفلان وله قال فيه قولا يعيبه (الحوكة) يقال هم ناس ليس عليهم حوكة هؤلاء القوم لا يشبهونهم(لأجردنك كما يجرد الضب) أي لأسلخنك سلخ الضب لأنه إذا شوي جرد من جلده ويروى لأجردنك بتخفيف الراء والجرد أخذ الشيء عن الشيء عسفا وجرفا (السلمة) واحدة السلم وهو شجر شائك ويقال عصب الشجرة إذا ضم ما تفرق منها بحبل ثم خبطها ليسقط ورقها لتأكله الماشية (طمت) ارتفعت وسمت (المستفرمة) الفرم: ما تضيق المرأة به رحمها بالأشياء العفصة من رامك أو عجم زبيب أو غيره (الغمز) العصر والكبس باليد (خبط) خبطه يخبطه خبطا ضربه ضربا شديدا. والخبطة: شدة الوطء بأيدي الدواب (الخفش) فساد في العين يضعف منه نورها وتغمض دائما من غير وجع (الجاعرتين) حرفا الوركين المشرفين على الفخذين. في العقد الفريد: ممسوح الجاعرتين أصك الرجلين.(رستقباذ) موضع بين الكوفة والبصرة، قريب من دستوا وهي قرية من الأهواز (رامهرمز) من بين مدن خوزستان

■ (6) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم. أمه أم سليم بنت ملحان ذهبت به أمه إلى رسول الله حين قدم المدينة فكان يخدمه وكان له يومئذ 9 سنين ويقال 8 ويقال 10 .عن حميد عن أنس قال أخذت أم سليم بيدي مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاتت بي رسول الله فقالت هذا ابني وهو غلام كاتب. قال فخدمته 9. قال أهل السير مات أنس بالبصرة سنة 92 هـ وقيل 93 هـ وقيل 91 هـ وهو ابن تسع وتسعين.وقد قيل أنه مات ابن مائة وثلاث سنين وقيل تسع سنين وغسله محمد بن سيرين وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة رضي الله عنهم أجمعين.

■ (3) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (5) عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري من أهل البصرة يروي عن بيه روى عنه يزيد الرشك وكان عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه ممن قتل مع ابن الجارود سنة 76 هـ

■ (1) عبد الله بن بشر (ابن الجارود) بن عمرو العبدي: سيد نبي عبد القيس في عصره.كان شجاعا صاحب رأي وفصاحة. وهو الذي جمع قومة لقتال الحجاج الثقفي في البصرة وبايع له الناس على إخراج الحجاج من العراق وسؤال عبد الملك بن مروان أن يولي عليهم غيره فكانت وقائع شديدة انتهت بمقتل صاحب الترجمة سنة76 هـ

■ (2) المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، أبو سعيد البصري، واسم أبي صفرة ظالم بن سارق، ويقال: ابن سراق بن صبح بن كندي، ويقال: كندير بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد، ويقال: الأسد بن عمران بن عمرو ب. كان المهلب واليا على خراسان من جهة الحجاج. مات سنة 82 هـ. بمرو الروذ.

■ (8) علي بن زيد بن جدعان التيمي القريشي الأعمى البصري ويقال المكي نزل البصرة يكنى أبا الحسن، روى عن أنس في الجهاد، روى عنه حماد بن سلمة مقرنا بثابت

■ (9) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي أمير سجستان، بعد هزيمته في دير الجماجم سنة 83 هـ تتابعت هزائم جيشه فلجأ إلى رتبيل (ملك سجستان/ ملك الترك) فيما وراء سجستان فحماه مدة ثم قتله سنة 85 هـ وبعث برأسه إلى الحجاج. فأرسله هذا إلى عبد الملك بالشام، فبعث به إلى أخيه عبد العزيز بمصر.

■ (7) إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، واسم أبي المهاجر: أقرم أبو عبد الحميد، مولى بني مخزوم من أهل دمشق، كان يؤدب ولد عبد الملك بن مروان، واستعمله عمر بن عبد العزيز على إفريقية. وكان حسن السيرة، وأسلم في ولايته على بلاد المغرب خلق كثير من البربر.وقال: وسمعته يحدث، قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: كم أتت عليك يا إسماعيل سنة ؟ قلت: ستون سنة وشهور؛ قال: يا إسماعيل، إياك والمزاح. قيل توفي سنة131 هـ وكان مولده سنة إحدى 61 هـ.

■ (4) عبد الرحمن بن مخنف الأزدي: قائد، من الشجعان في الدولة المروانية. قتل سنة75 هـ وكان عبد الرحمن بن مخنف يلقب في قول بعضهم ضرطة الجمل، ويقولون إنه القائل ما حكي عن ابن الأشعث من قوله: هم علي أهون من ضرطة جمل.

عن سيار بن ربيعة قال سمعت أنس بن مالك يقول ذهبت بي أمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله خويدمك ادع الله له فقال:﴿اللَّهُمَّ، أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَأَطِلْ عُمُرَهُ وَاغْفِرْ ذَنْبَهُ﴾ قال أنس فلقد دفنت من صلبي مائة غير اثنين أو قال مائة واثنين وان ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وأنا أرجو الرابعة. وعن ثمانة بن عبد الله بن أنس قال كان أنس يصلي فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دما وكان مجاب الدعوة يدعو فينزل الغيث. وكان كرم أنس يحمل في كل سنة مرتين. وعن ثابت أن أبا هريرة قال ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم يعين أنس بن مالك. وعن معتمر بن سليمان قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ما بقي أحد صلى القبلتين كليهما غيري. وعنه قال: كان أنس بن مالك إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم. وعن ثمامة بن عبد الله بن أنس قال: كان لأنس ثوبان على المشجب كل يوم فإذا صلى المغرب لبسهما فلم نقدر عليه ما بين المغرب والعشاء قائما يصلي.

مراجع: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ صفة الصفوة/ الوافي بالوفيات/ سير أعلام النبلاء/ أنساب الأشراف/ الصحاح في اللغة/ المعجم الوسيط/ لسان العرب/ المحيط في اللغة/ الكامل في التاريخ/ معجم البلدان/ البداية والنهاية/ مختصر تاريخ دمشق/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) وسعيد بن جبير 0413

كان الحجاج بن يوسف، فاسق بني ثقيف، واليا لعبد الملك يأخذ بالشبهات ويتحرى المناوئين في جميع البلاد الإسلامية لحكم أميره وسيده. فيصب المحن عليهم دون هوادة ولا خوف من الله المقتدر الجبار، وكان خالد بن عبد الله القسري[1] واليا على مكة المكرمة وقد علم بوجود ابن جبير[2] في ولايته فألقى القبض عليه واعتقله ثم أراد أن يتخلص منه فأرسله مخفورا مع إسماعيل بن واسط البجلي[3] إلى الحجاج بن يوسف.

روت كتب التاريخ أن الإمام سعيد بن جبير رحمه الله أدخل على الحجاج فقال له الحجاج : ما اسمك؟ قال سعيد: سعيد بن جبير. فقال الحجاج: بل أنت شقي بن كسير. قال سعيد: بل أمي كانت أعلم باسمي منك. قال الحجاج: شقيتَ أنت، وشقيتْ أمك. قال سعيد: الغيب يعلمه غيرك. قال الحجاج: لأبدلنَّك بالدنيا نارًا تلظى. قال سعيد: لو علمتُ أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا. قال الحجاج: فما قولك في محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال سعيد: نبي الرحمة، وإمام الهدى. قال الحجاج: فما قولك في علي بن أبي طالب، أهو في الجنة أم في النار ؟ قال سعيد: لو دخلتها؛ فرأيت أهلها لعرفت. قال الحجاج: فما قولك في الخلفاء؟ قال سعيد: لست عليهم بوكيل. قال الحجاج: فأيهم أحب إليك ؟ قال سعيد: أرضاهم لخالقي. قال الحجاج: فأيهم أرضى للخالق ؟. قال سعيد: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم. قال الحجاج: أبيتَ أن تصدقني! قال سعيد: إني لم أحب أن أكذبك. قال الحجاج: فما بالك لم تضحك ؟. قال سعيد: وكيف يضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار !! قال الحجاج: فما بالنا نضحك ؟ قال سعيد:لم تستوي القلوب.. قال الحجاج: ويلك يا سعيد !. قال سعيد: لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة. قال الحجاج: أختر يا سعيد أي قتلة أقتلك؟ قال سعيد: بل أختر لنفسك، فوالله لا تقتلني بقتلة إلا قتلك الله بمثلها في الأخرة. قال الحجاج: أتريد أن أعفو عنك؟ قال سعيد: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عُذر. قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه. فلما خرجوا ليقتلوه، بكي ابنه لما رآه في هذا الموقف، فنظر إليه سعيد وقال له: ما يبكيك؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة؟ وبكي أيضًا صديق له، فقال له سعيد: ما يبكيك؟ فقال الرجل: لما أصابك. قال: فلا تبك، كان في علم الله أن يكون هذا، ثم تلا:﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد] ثم ضحك سعيد، فتعجب الناس وأخبروا الحجاج، فأمر بردِّه. قال الحجاج: ما أضحكك؟ قال سعيد: عجبت من جرأتك على الله وحلمه عنك. وفي رواية: قال: أضحك من غيراتك علي وحلم الله عنك. فأمر بالنطع فبسط ثم قال الحجاج: اقتلوه. قال سعيد: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام] فقال الحجاج: وجهوه لغير القبلة. قال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة] قال الحجاج: كبوه على وجهه.قال سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه] فقال الحجاج: اذبحوه. قال سعيد: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة فأنا خصمك عند الله، خذها مني يا حجاج حتى تلقاني بها يوم القيامة، ثم دعا سعيد ربه فقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي. ثم ذبح الإمام ولسانه رطب بذكر الله. وبهذا انتهت محنة سعيد بن جبير، رحمه الله وتقبله في الشهداء والصالحين. بعد مقتل ابن جبير اغتم الحجاج غما كبيرا وكان يقول: ما لي ولسعيد بن جبير كلما أردت النوم أخذ برجلي. ولم يلبث الطاغية بعده إلا قليلا حتى هلك، وبر الله قسم الإمام الشهيد.

عن داود بن أبي هند، قال: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير، قال: ما أراني إلا مقتولا، وسأخبركم: إني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبي رزقها، وأنا أنتظرها. قال: فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء.قلت: ولما علم من فضل الشهادة، ثبت للقتل، ولم يكترث، ولا عامل عدوه بالتقية المباحة له، في قوله تعالي: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل] وقد كان الحجاج إذا أتى بالرجل -يعني: ممن قام عليه- قال له: أكفرت بخروجك علي، فإن قال: نعم، خلى سبيله.عن عبد الواحد بن أيمن، قال قلت لسعيد بن جبير ما تقول للحجاج؟ قال:لا أشهد على نفسي بالكفر. رحمه الله وتقبله في الشهداء والصالحين.

قال ابن الأثير الجزري: لما ولي خالد بن عبد الله القسري مكة، قيل لسعيد: إنه رجل سوء، فلو سرت عن مكة. قال: والله لقد فررت حتى استحييت من الله، وسيجيئني ما كتب الله لي. فلما قدم خالد مكة كتب إليه الوليد بحمل أهل العراق إلى الحجاج، فأخذ سعيد بن جبير ومجاهدا[4] وطلق بن حبيب، فأرسلهم إليه، فمات طلق[5] بالطريق، وحبس مجاهد حتى مات الحجاج. وكان سيرهم مع حرسين، فانطلق أحدهما لحاجة وبقي الآخر، فقال لسعيد، وقد استيقظ من نومه ليلا: يا سعيد، إني أبرأ إلى الله من دمك، إني رأيت في منامي، فقيل لي: ويلك! تبرأ من دم سعيد بن جبير! فاذهب حيث شئت فإني لا أطلبك. فأبى سعيد، فرأى ذلك الحرس مثل تلك الرؤيا ثلاثا، ويأذن لسعيد في الذهاب وهو لا يفعل. وكان الأعمش يقول: لما جيء بسعيد بن جبير، وطلق بن حبيب، وأصحابهما دخلت عليهم السجن، فقلت: جاء بكم شرطي أو جليويز من مكة إلى القتل، أفلا كتفتموه وألقيتموه في البرية؟! فقال سعيد: فمن كان يسقيه الماء إذا عطش.

■ (2) سعيد بن جبير الأسدي الوالبي مولاهم أبو محمد، ويقال أبو عبد الله، الكوفي المكي، كان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم، وكثرة العمل الصالح، وقد رأى خلقا من الصحابة، وروى عن جماعة منهم، وروى عنه خلق من التابعين، قيل: كان مقتله في سنة 95 هـ، وذكر ابن جرير مقتله في هذه السنة =94 هـ- فالله أعلم. يوجد مرقد سعيد بن جبير بواسط في العراق.قال سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.روي عنه أنه ختم القرآن مرتين ونصفا في الصلاة في ليلة في الكعبة. وقد ذكر أبو نعيم كلاما كثيرا في مقتل سعيد بن جبير، أحسنه هذا والله أعلم. وقد ذكرنا صفة مقتله إياه، وقد رويت آثار غريبة في صفة مقتله، أكثرها لا يصح، وقد عوقب الحجاج بعده وعوجل بالعقوبة، فلم يلبث بعده إلا قليلا ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، فقيل إنه مكث بعده 15 يوما، وقيل 40 يوما، وقيل 6 أشهر والله أعلم. واختلفوا في عمر سعيد بن جبير رحمه الله حين قتل، فقيل 49 سنة، وقيل 57

■ (5) طلق بن حبيب العنزي، تابعي جليل، بصري صدوق عابد رمي بالإرجاء، من الثالثة، مات قبل 100 هـ.(اختُلف في مكان وسبب وفاته) روى عن أنس وجابر وابن الزبير وابن عباس، وعبد الله بن عمر وغيرهم، وعنه حميد الطويل والأعمش وطاووس.

■ (4) مجاهد بن جبر، وقد قيل بن جبير، مولى عبد الله بن السائب، القارئ، كنيته أبو الحجاج، وقد قيل أبو محمد، كان مولده سنة 21، وكان من العباد والمتجردين في الزهاد مع الفقه والورع، مات بمكة وهو ساجد سنة 102 أو 103 أو سنة 104 هـ.

■ (3) إسماعيل بن أوسط البجلي أمير الكوفة. يرسل عن الصحابة، ولا يصح له صحبة لصحابي وتلك كلها أخبار مدلسة لا أعتمد على شيء منها. وهو الذي قدم سعيد بن جبير للقتل. وثقه ابن معين. روى عنه المسعودي. توفي سنة 117 هـ.

■ (1) أبو يزيد وأبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري. كان أمير مكة المكرمة للوليد بن عبد الملك، ثم أمير العراقين لهشام بن عبد الملك، ثم عزل وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج.وقتل بالحيرة سنة 126هـ.

☪

أيها الإخوة المؤمنين، وهكذا دأب الطغاة المتجبرين في كل زمان ومكان، وإن قصصهم لعبرة، قال الحسن البصري لم جاءه خبر الإمام: اللهم ايت على فاسق ثقيف، والله لو أن من بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لكبهم الله على وجوههم في النار. فاللهم ايت على كفار وفساق وطغاة بلاد المسلمين فأنت أعلم بما ساموا به عبادك الصالحين.عن أبي موسى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ﴾ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ، إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] (ليملي) ليمهل (لم يفلته) لم يخلصه ولم يتركه حتى يستوفي عقابه (وكذلك) أي كما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب (أخذ ربك) إهلاكه وعذابه (أخذ القرى) أخذ أهلها.وعن خالد الحذاء، قال: سمعت أبا عثمان النهدي، يحدث، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿تُرْفَعُ لِلرَّجُلِ صَحِيفَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَرَى أَنَّهُ نَاجٍ، فَمَا تَزَالُ مَظَالِمُ بَنِي آدَمَ تَتْبَعُهُ حَتَّى مَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ، وَيُزَادُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ﴾ معناه أن هذا حقيقة المفلس أما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلسا وليس هو حقيقة المفلس لأن هذا الأمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته وإنما حقيقة المفلس الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فيمت إفلاسه. قال وهب: قرأت في التوراة: أيما دار بنيت بقوة الضعفاء جعلت عاقبتها إلى الخراب، وأيما مال جمع من غير حله أسرع الفقر إلى أهله. وعن كعب الأحبار أنه قال: من لا يبالي من أي الأبواب أتاه رزقه لم يبال الله من أي أبواب جهنم يدخله ـ يعني من حلال أو حرام. وقال ابن مسعود: لما كشف الله تعالى العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم، حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه ويرده إلى صاحبه. وقال أبو ثور بن يزيد: الحجر في البنيان من غير حله عربون على خرابه. وقال غيره: لو أن الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم لأوشكت أن تخرب. اختصم رجلان في حد بينهما بالأعوص، فتهاترا وتخاصما، فأتيا الزبير بن هشام بن عروة، وجعلاه حكما بينهما. قال: فقال لهما: كان رجلان من بني إسرائيل اختصما في أرض، فأذن الله للأرض، فكلمتهما فقالت: لقد ملكني سبعون أعور، وليس منهم الآن أحد على ظهر الأرض. قال: فتفرقا. وقال كل منهما: لا حاجة لي بها، وتراداها. والأعوص على مرحلة من شرقي المدينة. قال يونس النحوي: أنا أذكر عرس العراق، فقيل له: وما عرس العراق؟ قال: موت الحجاج سنة خمس وتسعين.وعن ابن طاووس عن أبيه: أنه أخبر بموت الحجاج مرارا فلما تحقق وفاته قال:﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام] وروى غير واحد أن الحسن لما بشر بموت الحجاج سجد شكرا لله تعالى، وكان مختفيا فظهر، وقال اللهم أمته فأذهب عنا سنته. وعن ابن شوذب، قال: لما مات الحجاج وولي سليمان فأقطع الناس الموات* فجعل الناس يأخذون فقال ابن الحسن لأبيه: لو أخذنا كما يأخذ الناس فقال: اسكت ما يسرني لو أن لي ما بين الجسرين بزنبيل تراب. وقال يزيد الرقاشي: إني لأرجو للحجاج، فقال الحسن: إني لأرجو أن يخلف الله رجاءك. وقيل لإبراهيم النخعي ما ترى في لعن الحجاج؟ فقال ألم تسمع إلى قول الله تعالى:﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود] وأشهد أن الحجاج كان منهم. قال حماد بن أبي سليمان: لما أخبرت إبراهيم النخعي بموت الحجاج، بكى من الفرح. وسئل القاضي شريح عن الحجاج: اكان مؤمنا قال: نعم، بالطاغوت، كافرا بالله تعالى. وعن جعونة قال: استعمل عمر عاملا، فبلغه أنه عمل للحجاج فعزله، فأتاه يعتذر إليه، فقال: لم أعمل له إلا قليلا، فقال: حسبك من صحبة شر يوم أو بعض يوم. وعن ابن عباس رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: مَنْ أَبْغَضَ النَّاسَ وَأَبْغَضَهُ النَّاسُ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: الَّذِي لَا يُقِيلُ عَثْرَةً وَلَا يَقْبَلُ مَعْذِرَةً وَلَا يَغْفِرُ ذَنْبًا ثُمَّ قَالَ:أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بَشَرٌّ مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: مَنْ لَا يُؤْمِنُ شَرّه وَلَا يُرْجَى خَيْرُهُ﴾ وعن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول في خطبته:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوشِكُونَ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ – أَوْ قَالَ: خِيَارَكُمْ مِنْ شِرَارِكُمْ – فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّءِ، أَنْتُمْ شُهُودٌ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ، أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ﴾ وعن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ﴾ (لا يرحم) من قبل الخالق جل وعلا.

----

*(الموات) الأرض التي لا مالك لها من الآدميين ولا ينتفع بها أحد

مراجع: صحيح البخاري/ كنز العمال/ صحيح مسلم/ سير أعلام النبلاء/ تذكرة الحفاظ/ البداية والنهاية/ الكامل في التاريخ/ صفة الصفوة/ لسان العرب/ وفيات الأعيان/ مشاهير علماء الأمصار/ نثر الدر/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) وأسماء بنت أبي بكر الصديق 0414

عن عوف الأعرابي، عن أبي الصديق الناجي: أن الحجاج بن يوسف دخل عل أسماء[1] بنت أبى بكر الصديق، بعد ما قتل ابنها عبد الله بن الزبير[2] فقال: إن ابنك ألحد في هذا البيت، وإن الله أذاقه من عذاب أليم، وفعل به وفعل، فقالت له كذبت، كان بارا بالوالدين، صواما قواما، والله لقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابَانِ، الْآخِرُ مِنْهُمَا شَرٌّ مِنَ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مُبِيرٌ﴾ أخبر الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل، رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة، قال: فجعلت قريش تمر عليه، والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر[3] ،فوقف عليه فقال: السلام عليك، أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله إن كنت، ما علمت، صواما، قواما، وصولا للرحم، أما والله لأمة أنت أشرها لأمة خير، ثم نفذ عبد الله بن عمر، فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله، فأرسل إليه، فأنزل عن جذعه، فألقي في قبور اليهود، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر، فأبت أن تأتيه، فأعاد عليها الرسول: لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك*، قال: فأبت وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني، قال: فقال: أروني سبتي* فأخذ نعليه، ثم انطلق يتوذف*، حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، بلغني أنك تقول له: يا ابن ذات النطاقين، والله ذات النطاقين، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطعام أبي بكر من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا، ﴿أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا﴾ فأما الكذاب* فرأيناه، وأما المبير*فلا أخالك إلا إياه، قال: فقام عنها ولم يراجعها.

حدث منصور بن عبد الرحمن، عن أمه قالت: قيل لابن عمر: إن أسماء في ناحية المسجد، وذلك حين قتل ابن الزبير وهو مصلوب، فمال إليها، فقال: إن هذه الجثث ليست بشيء، وإنما الأرواح عند الله، فاتقي الله، وعليك بالصبر، فقالت: وما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل. وقال ابن أبي مليكة: دخلت على أسماء، فقالت: بلغني أن هذا صلب ابن الزبير، اللهم لا تمتني حتى أوتى به فأحنطه وأكفنه، فأتيت به بعد ذلك قبل موتها، فجعلت تحنطه بيدها وتكفنه بعد ما ذهب بصرها. قال ابن سعد: ماتت أسماء بعد وفاة ابنها بليال.

عن وجعفر بن أبي كثير، عن أبيه، قال: لما وضع رأس مصعب بن الزبير[4] بين يدي عبد الملك بن مروان، قال: لقد أردى الفوارس يوم عبس غلاما غير مناع المتاع..ولا فرح بخير إن أتاه ولا هلع من الحدثان لاع..ولا وقافة والخيل تعدو ولا خال كأنبوب اليراع . فقال الذي جاءه برأسه: والله يا أمير المؤمنين، لو رأيته والرمح في يده تارة، والسيف تارة، يضرب بهذا، ويطعن بهذا، لرأيت رجلا يملأ القلب والعين شجاعة وإقداما، ولكنه لما تفرقت رجاله، وكثر من قصده، وبقي وحده، ما زال ينشد: وإني على المكروه عند حضوره أكذب نفسي والجفون له تغضي..وما ذاك من ذل ولكن حفيظة أذب بها عند المكارم عن عرضي.. وإني لأهل الشر بالشر مرصد وإني لذي سلم أذل من الأرض. فقال عبد الملك: كان والله كما وصف نفسه وصدق، ولقد كان من أحب الناس إلي، وأشدهم لي إلفا ومودة، ولكن الملك عقيم.

----

* (القرن) الضفيرة.(سبتي) السبت هي النعل التي لا شعر عليها . (يتوذف) يسرع أو يتبختر . (الكذاب) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي كان شديد الكذب (المبير) أي المهلك أو المبيد وهو الحجاج.

■ (1) أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة، الملقبة بذات النطاقين صحابية جليلة، أخت السيدة عائشة لأبيها، وزوج الصحابي الجليل الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأم عبد الله بن الزبير الذي قتله الحجاج بن يوسف. ولدت أسماء بمكة قبل الهجرة سنة 27 ق.هـ، وأسلمت بعد سبعة عشر مسلما، وقد شاركت رضي الله عنها في أحداث الهجرة، فكانت تحمل الزاد والماء والأخبار إلى النبي وأبيها الصديق رضي الله عنه، أثناء وجودهما في غار ثور ولقبت خلالها بذات النطاقين؛ لأنها اضطرت إلى شق نطاقها نصفين لتضع في أحدهما الطعام وتستر بالآخر رأسها. وكانت رضي الله عنها مثالا في الجود والكرم، كثيرة البذل والعطاء، وكانت تقول لبناتها: أنفقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن انتظرتن الفضل لم تفضلن شيئا. روت أسماء الحديث عن النبي؛ حيث روى عنها علماء الحديث ثمانية وخمسين حديثا. وتوفيت رضي الله عنها بمكة في جمادى الأولى سنة 73 هـ بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير بثلاثة أشهر.

■ (3) عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه، مات بمكة سنة 73 هـ.

■ (4) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله، ولاه أخوه الخليفة عبد الله بن الزبير إمرة العراقين ثم أرمينية أضاف إليه الكوفة، قتل في معركة دير الجاثليق سنة 71 هـ وله 39 سنة ونقلت رأسه إلى عبد الملك وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام.

■ (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، له صحبة ورواية عن النبي وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو ابن عمة رسول الله وحواريه.بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

عن شيخ من الأزد قال: نادى رجل من بني عطارد: يا حجاج أخرج إلينا أكفاءنا من مضر. فأمر جندب بن عبد الرحمن[1] أخا الجنيد فخرج إليه فقتله جندب، فأعطاه الحجاج سلبه، فاشترى يحيى بن الحكم[2] فرسه بثلاثة عشر ألف درهم فقال الحجاج: لقد صدقت أسماء بنت الصديق حين قالت: في ثقيف كذاب ومبير، أنا المبير أبير المنافقين وأهل الشقاق.

عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: قدمت قتيلة بنت عبد العزى على بنتها أسماء بنت أبي بكر، وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية، بهدايا؛ زبيب وسمن وقرظ، فأبت أن تقبل هديتها، وأرسلت إلى عائشة: سلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لتدخلها وتقبل هديتها. ونزلت:﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة] عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: ﴿أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابَانِ، الْآخِرُ مِنْهُمَا شَرٌّ مِنَ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مُبِيرٌ﴾ وعن الحسن: أن علياً رضي الله عنه كان على المنبر فقال: اللهم، إني ائتمنتهم. فخافوني، ونصحتهم فغشوني، اللهم، فسلط عليهم غلام ثقيف يحكم في دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية.

- الكذاب الأول: المختار بن أبي عبيد الثقفي (حاكم الكوفة) كان متلونا كذابا يدعو مرة إلى محمد بن الحنفية، ومرة لابن الزبير، حتى ادعى آخرا أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء، فلما تحقق ابن الزبير سوء حاله، بعث أخاه المصعب لحربه، فقدم المصعب البصرة وتأهب منها، واجتمع إليه جيش الكوفة، فسار بهم جميعا وعلى مقدمته عباد بن الحصين، وعلى ميمنته المهلب بن أبي صفرة، وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، فجهز المختار لحربهم أحمر بن شميط، وكيسان فهزمهم مصعب، وقتل أحمر، وكيسان، وقتل من جيش مصعب محمد بن الأشعث الكندي ابن أخت أبي بكر الصديق، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، وقتل من جند المختار عمر الأكبر بن علي بن أبي طالب، ثم سار جيش مصعب فدخلوا الكوفة، وحصروا المختار بقصر الإمارة أياما إلى أن قتله الله في الرابع عشر من رمضان سنة 67 هـ وصفت العراق لمصعب.

قال رفاعة القبابي: دخلت على المختار فألقى لي وسادة وقال: لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك، قال: فأردت أن أضرب عنقه قال فذكرت حديثا حدثنيه أخى عمر بن الحمق، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَمَّنَ مُؤْمِنًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَأَنَا مِنَ الْقَاتِلِ بَرِيءٌ﴾ وقال رفاعة بن شداد: كنت أقوم على رأس المختار فلما عرفت كذبه هممت أن أسل سيفي فأضرب عنقه، فذكرت حديثا حدثناه عمر بن الحمق. قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ أُعْطِيَ لِوَاءَ غَدْرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ –وفي لفظ-: مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِلِ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا﴾ (لواء) المراد علامة يشهر بها في الناس. وفي السند اختلاف. وقد قيل لابن عمر: إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه، فقال صدق، قال الله تعالى:﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام] روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: قدمت على المختار فأكرمني وأنزلني عنده، وكان يتعاهد مبيتي بالليل، قال فقال لي: اخرج فحدث الناس، قال: فخرجت فجاء رجل فقال: ما تقول في الوحي؟ فقلت الوحي وحيان، قال الله تعالى: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف] وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام] قال فهموا أن يأخذوني فقلت: ما لكم وذاك! إني مفتيكم وضيفكم. فتركوني، وإنما أراد عكرمة أن يعرض بالمختار وكذبه في ادعائه أن الوحي ينزل عليه. وروى الطبراني من طريق أنيسة بنت زيد بن الأرقم أن أباها دخل على المختار بن أبي عبيد فقال له: يا أبا عمر لو شفت رأى جبريل وميكائيل، فقال له زيد: خسرت وتعست، أنت أهون على الله من ذلك، كذاب مفتر على الله ورسوله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَكُوْنُ فِي ثَقِيْفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيْرٌ﴾ فكان الكذاب هذا، ادعى أن الوحي يأتيه، وأنه يعلم الغيب، وكان المبير الحجاج قبحهما الله.

- الكذاب الثاني (المبير): الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، أبو محمد، سمع ابن عباس وروى عن أنس وسمرة بن جندب، وعبد الملك بن مروان، وأبي بردة بن أبي موسى وروى عنه أنس بن مالك وثابت البناني، وحميد الطويل، ومالك بن دينار، وقتيبة بن مسلم . كان الحجاج وأبوه يعلمان الغلمان بالطائف ثم قدم دمشق، فكان عند روح بن زنباع وزير عبد الملك فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا ينزلون لنزله، ولا يرحلون لرحيله، فقال روح: عندي رجل توليه ذلك فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش، فكان لا يتأخر أحد في النزول والرحيل، حتى اجتاز إلى فسطاط روح بن زنباع وهم يأكلون، فضربهم وطوف بهم، وأحرق الفسطاط، فشكا روح ذلك إلى عبد الملك فقال للحجاج: لم صنعت هذا فقال: لم افعله إنما فعلته أنت، فإن يدي يدك وسوطي سوطك، وما ضرك إذا أعطيت روحا فسطاطين بدل فسطاطه وبدل الغلام غلامين، ولا تكسرني في الذي وليتني؟ ففعل ذلك وتقدم الحجاج عنده. توفي الحجاج في العشر الأخير من رمضان سنة 95 هـ يقول الذهبي فيه: كان ظلوما، جبارا خبيثا سفاكا للدماء وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء، وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن إلى أن قال:فلا نسبهُ ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عري الإيمان وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء.

وقال ابن كثير فيه: وكانت فيه شهامة عظيمة وفي سيفه رهق، وكان يغضب غضب الملوك، وكان ـ فيما يزعم ـ يتشبه بزياد بن أبيه، وكان زياد يتشبه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضا ولا سواء ولا قريب، وقال: وبالجملة فقد كان الحجاج نقمة على أهل العراق بما سلف من الذنوب والخروج على الأئمة وخذلانهم لهم وعصيانهم ومخالفتهم، والافتيات عليهم، وقال: وكان جبارا عنيدا مقداما على سفك الدماء بأدنى شبهة...وقيل فيه كلام كثير.

■ (2) يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو مروان الأموي، أخو مروان بن الحكم (رابع ملوك بني أمية). كان يحيى بن الحكم عاملاً على المدينة لعبد الملك بن مروان (خامس ملوك بني أمية).

■ (1) جندب بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث ؟

مراجع: شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ صحيح مسلم/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ موسوعة الأعلام/ أنساب الأشراف/

روي أن الحجاج الظالم أمر بإحضار حطيطاً الزيات[1] إليه، فلم دخل عليه. قال له أنت حطيط؟ فقال: نعم. ثم قال: سل عما بدا لك، فإني عاهدت الله عند مقام إبراهيم عليه السلام على ثلاثة خصال: إن سئلت لأصدقن، وإن ابتليت لأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن. فقال الحجاج: فما تقول فيَّ؟ قال حطيط: أقول فيك أنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة. قال الحجاج: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال حطيط: أقول إنه أعظم جرماً منك، وإنما أنت خطيئة من خطياه. فأمر الحجاج أن يضعوا عليه العذاب، فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب، ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال، ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه، فما سمعوه يقول شيئاً. فقيل للحجاج إنه في آخر رمق. فقال الحجاج: أخرجوه فارموا به في السوق. قال جعفر[2] (راوي القصة)، فأتيته أنا وصاحب له، فقلنا له: يا حطيط ألك لحاجة ؟ قال: شربة ماء. فأتوه بشربة ثم استشهد رحمه الله، –وفي رواية–: عرض عليه الماء عند الموت فأبى وقال لا أشرب إلا من ماء الحياة إن شاء الله عز وجل . عن جعفر بن أبي المغيرة قال: كان حطيط صواما قواما يختم في كل يوم وليلة ختمه ويخرج من البصرة ماشيا حافيا إلى مكة في كل سنة.

في رواية عن طعمة الجعفري عن عمر بن قيس قال: لما أتى الحجاج بحطيط الزيات قال له أحروري[3] أنت؟ قال: ما أنا بحروري ولكني عاهدت الله أن أجاهدك بيدي وبلساني وبقلبي. فأما يدي فقد قتها. وأما لساني فهذا تسمع ما يقول. وأما قلبي فالله أعلم بما فيه. قال فوثب حوشب[4] صاحب شرطه فساره بشيء. قال: يقول له حطيط: لا تسمع منه فإنه غاش لك. قال: فقال له الحجاج: ما تقول في أبي بكر وعمر رحمهما الله؟ فقال: أقول فيهما خيرا. قال: ما تقول في عثمان رحمه الله؟ قال: ما ولدت إذ ذاك. فقال له الحجاج: يا ابن اللخناء* ولدت في زمن أبي بكر وعمر ولم تولد في زمن عثمان؟! فقال له حطيط: يا ابن اللخناء لا تعجل إني وجدت الناس اجتمعوا على أبي بكر وعمر فقلت بقولهم واختلفوا في عثمان فوسعني السكوت. فوثب معد[5] صاحب عذاب الحجاج فقال: إن رأى الأمير أن يدفعه إلي فوالله لأسمعنك صياحه! قال: خذه إليك. قال فحمله فمكث يعذبه ليلته جمعاء ولا يكلمه حطيط فلما كان عند الصبح دعا بدهق* واعتمد على ساقه فكسرها واكتبى عليها. قال فقال له حطيط: يا أفسد الناس وألأمهم، تكتبي على ساقي بعد أن كسرتها والله لا كلمتك! فلما أصبح دخل على الحجاج، فقال له الحجاج: ما فعل أسيرك؟ قال: إن رأى الأمير أن يأخذه، فقد أفسد علي أهل سجني يستحيون أن لا يصبروا! قال: علي به. فأتي به فوضع بين يديه. قال: وإلى جنب الحجاج شيخ من مشيخة أهل الشام. قال: فقال حطيط للحجاج: كيف رأيت؟ قال إسحاق: يعني قول معد له والله لأسمعنك صياحه. قال: فقال له الحجاج: أتقرأ من القرآن شيئا؟ قال: نعم. قال: فاقرأ. قال له حطيط: لا، بل اقرأ أنت. قال: فقال له حطيط: اقرأ. قال حطيط: لا، بل اقرأ أنت. كل ذلك يرد عليه. قال: فقرأ الحجاج: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا –حتى بلغ إلى قوله–: وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان] قال: فقال له حطيط: قف! قال: فوقف الحجاج. فقال له حطيط: هو ذا أنت تعذبهم. قال: فقال: علي بالعذاب. قال: فأتي بمسال أو سلاء فأمر بها فغرزت في أنامله! فقال الشيخ: الذي إلى جنب الحجاج: تالله ما رأيت كاليوم رجلا أصبر منه! قال: فقال له حطيط: إن الله يفرغ الصبر على المؤمنين إفراغا. قال: فقال الحجاج: لمعد ويحك أرحني منه. قال: فحمله من بين يديه. قال بعض أعوان الحجاج: فرحمته فدنوت منه، فقلت: هل لك من حاجة؟ قال: لا إلا أن لساني قد يبس فما أستطيع أن أذكر الله!

في رواية حدث أبو بكر بن عياش[6] عن أبيه: أن الحجاج قال: أله حميم؟ قالوا: أم وأخ. قال: فوضع على أمه الدهق، فقال حطيط: يا أمه اصبري. فقتلها. وحدث أبو بكر بن عياش عن أبيه عن أبي ثابت مولى المغيرة بن عبد الله الثقفي[7] قال: أتي بالحجاج بحطيط عند المغرب فضرب بطنه مئة وظهره مئة ثم أدرجه في عباءة وألقاه في الدار، فقلت: أعطشان أنت يا حطيط؟ فقال: إني والله لعطشان. قلت: أسقيك ماء؟ قال: لا أخاف أن يراك أحد فتلقى في سببي!.

حدث يعقوب القمي عن جعفر يعني ابن أبي المغيرة قال: خرج سعيد بن مسجوح[8] وحطيط الزيات إلى مكة فلما انتهيا إلى ذات عرق* قال سعيد بن مسجوح لحطيط: يا حطيط إني أظن هؤلاء قد وضعوا لنا المراصد فهل لك أن نميل إلى البصرة؟ فقال له حطيط: أما أنا فأمضي. فمضى سعيد إلى البصرة ورجع حطيط فأخذته المراصد فقال: هيه؟ قال: عاهدت ربي على ثلاث عند الكعبة لئن سئلت لأصدقن ولئن ابتليت لأصبرن ولئن عوفيت لأشكرن. قال: حدثني عني. قال: أحدثك أنك من أعداء الله في الأرض تجهز البعوث وتقتل النفوس على الظنة، فذكر مساوئه. قال: حدثني عن الخليفة. قال: أحدثك أنه أعظم جرما منك وإنما أنت شررة منه ثم ذكر من مساوئه ما شاء أن يذكر. قال: قطعوا عليه العذاب. فقطعوا عليه العذاب حتى كان في آخر ذلك، قال: شققوا له القصب. فجعلوا يلزمونها ظهره ثم يمترخون لحمه حتى تركوه بآخر رمق. فقالوا للحجاج: إن هذا بآخر رمق. قال: اطرحوه. فطرحوه في الرحبة*. قال جعفر: فانتهيت إليه فإذا ناس أظنهم كانوا إخوانا له أو معرفة فقال له بعضهم: يا حطيط ألك حاجة أو تشتهي شيئا؟ قال: شربة. فأتي بشربة لا أدري أسويق حب الرمان كانت أم ماء فشربها ثم طفئ.

----

* (الدهق) الدهق شدة الضغط والدهق أيضا متابعة الشد. والدهق خشبتان يغمز بهما الساق. والدهق بالتحريك ضرب من العذاب. (ذات عرق) ميقات من جاء عن طريق أهل العراق، ويبعد. وهو من مواقيت الحج.(يا ابن اللخناء) قيل معناه يا دنئ الأصل أو يا لئيم الأام.(الرحبة) رحبة مسجد الكوفة وهو المكان الواسع أمام بابه

- (1) حطيط الزيات الكوفي، مولى لبني ضبة، وكان زياتا وكان شابا أبيض. وكان عابدا زاهدا يصدع بالحق، أدرك جماعة من التابعين روى عنه جعفر بن أبي المغيرة والكوفيون، قتله الحجاج سنة 84 هـ لتشيعه وليله لابن الأشعث. وكان عمره ثماني عشرة سنة.
- (2) جعفر بن أبي المغيرة القمي الخزاعي.خرج ابن حبان البستي حديثه في صحيحه، وكذلك الحاكم، وأبو علي الطوسي. وفي كتاب الصريفيني: قال ابن منده: ليس بقوي في سعيد بن جبير. وذكر ابن حبان في جملة الثقات، وكذلك ابن شاهين، وقال: قال أحمد: هو ثقة، وهو جعفر المصور. وقال أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان (أصفهان): اسم أبي المغيرة دينار.
- (6) أبو بكر بن عياش، ابن سالم الأسدي الكوفي، الإمام، أحد الأعلام، مولى، واصل الأحدب، وكان حناطا بالنون، اختلف في اسمه على عشرة أقوال أصحها قولان كنيته وما رواه أبو هشام الرفاعي وحسين بن عبد الأول أنهما سألاه عن اسمه فقال شعبة وقال النسائي وغيره اسمه محمد وقيل مطرف وقيل رؤبة وسالم وعتيق وعطاء وحماد. ولدت سنة 95 هـ وتوفي سنة 193 هـ
- (3) الحرورية طائفة من الخوارج ينسبون إلى قرية على بعد ميلين من الكوفة تسمى حروراء اجتمع فيها الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين، فسموا حرورية نسبة إلى هذا الموضع.
- (8) سعيد بن مسجوح، سعيد بن مشجوج، سعيد بن سحوج، أو و ابن مسجوع، وهكذا جاء مختلفًا في المخطوطة ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (4) حوشب بن يزيد بن الحارث بن يزيد ين رويم الشيباني،(من بنو مرة بن ذهل بن شيبان) كان على شرطة الكوفة، عاملا للحجاج، وقد كان أبوه على شرط مصعب بن الزبير بالكوفة.
- (7) المغيرة بن عبد الله الثقفي، كان واليا على الكوفة من قبل الحجاج. (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (5) معد بن عوف بن هلال بن شأس بن ربيعة بن محلم بن سويط، صاحب عذاب الحجاج

اللهم صل على محمد وآل محمد

أيها الإخوة المؤمنين، من مثل هذه القصص التي يجب أن نحيي ذكرها نستخلص من العبر ما يتزود به الثابتون على طريق الدعوة، طريق الصالحين المصلحين.أولا : إن ما يعانيه الدعاة إلى الله اليوم في بلادنا وفي كثير من بلاد الإسلام ليس جديد، فقد عانى الأنبياء وأتباعهم على مر التاريخ أكثر من ذلك إلى أن جاء نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وعان هو وأتباعه وأصحابه رضي الله عنهم ما بلغنا، من العذاب والنكال حتى أدوا الأمانة، فكان من فضلهم أن بلغنا دين الله بثبات الثابتين من الأئمة والدعاة إلى الله على مر التاريخ الإسلامي، هكذا جيل من العاملين الصابرين يسلمه إلى جيل يتلوه حتى جاء دورنا، نسأل الله الصدق والثابت. الثانية : أن من أهم ما يجب أن يتحلى به القدوة الذي يتأسى الناس بثباته ويمضون على طريقه ما ذكر حطيط رحمه الله: الصدق في الشهادة وفي البلاغ فدين الله أمنة، ثم الصبر على البلاء، وفي هذا إشارة لطيفة لأن الصدق غالبا ما يورث الابتلاء، فلزم أن يعقب بالصبر، كما قال الله تعالى على لسان لقمان:﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان] قال المفسرون: أوصاه بالصبر لأن إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيكون وراه ابتلاء ومحن فلزم الصبر. والأمر الثالث: هو شكر الله في العافية، شكره على ما صرف من البلاء، وله الشكر على كل حال. إخوة الإيمان، أصدقوا الله واصبروا على البلاء فإن النصر مع الصبر ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح] والعاقبة للمتقين.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ إحياء علوم الدين/ الثقات لابن حبان/ الصبر والثواب عليه/ أنساب الأشراف/ كتاب معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار/ لسان العرب/ تاج العروس/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) والحسن البصري (١) 0416

لما ولي الحجاج بن يوسف الثقفي العراق وطغى في ولايته وتجبّر، كان الحسن البصري[1] أحد الرجال القلائل الذين تصدوا لطغيانه وجهروا بين الناس بسوء أفعاله وصدعوا بكلمة الحق في وجهه، من ذلك أن الحجاج بنى لنفسه بناء في واسط، فلما فرغ منه نادى في الناس أن يخرجوا للفرجة عليه والدعاء له بالبركة. فلم يشأ الحسن أن يفوّت على نفسه فرصة اجتماع الناس هذه، فخرج اليهم ليعظهم ويذكّرهم ويزهدهم بعرض الدنيا ويرغبهم بما عند الله عز وجل ولما بلغ المكان ونظر إلى جموع الناس وهي تطوف بالقصر المنيف مأخوذة بروعة بنائه مدهوشة بسعة أرجائه مشدودة إلى براعة زخارفه وقف فيهم خطيبا وكان في جملة ما قاله: لقد نظرنا فيما ابتنى أخبث الأخبثين فوجدنا أن فرعون شيد أعظم مما شيّد وبنى أعلى مما بنى ثم أهلك الله فرعون وأتى على ما بنى وشيّد. ليت الحجاج يعلم أن أهل السماء قد مقتوه وأن أهل الأرض قد غرّوه .. ومضى يتدفق على هذا المنوال حتى أشفق عليه أحد السامعين من نقمة الحجاج فقال له: حسبك يا أبا سعيد.. حسبك. فقال له الحسن: لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران] وفي اليوم التالي دخل الحجاج إلى مجلسه وهو يتميز من الغيظ وقال لجلاسه: تبا لكم وسحقا يقوم عبد من عبيد أهل البصرة ويقول فينا ما يشاء أن يقول ثم لا يجد فيكم من يردّه أو ينكر عليه والله لأسقينّكم من دمه يا معشر الجبناء. ثم أمر بالسيف والنطع فأحضرا ودعا بالجلاد فمثل واقفا بين يديه ثم وجه إلى الحسن البصري بعض شرطة وأمرهم أن يأتوا به. وما هو إلا قليل حتى حضر الحسن فشخصت إليه الأبصار ووجفت عليه القلوب فلما رأى الحسن السيف والنطع والجلاد حرّك شفتيه ثم أقبل على الحجاج وعليه جلال المؤمن وعزة المسلم ووقار الداعية إلى الله. فلما رآه الحجاج على حاله هذا هابه أشد الهيبة وقال له: هاهنا يا أبا سعيد..هاهنا..ثم ما زال يوسع له ويقول: هاهنا.. والناس ينظرون إليه في دهشة واستغراب حتى أجلسه على فراشه. ولما أخذ الحسن مجلسه التفت إليه الحجاج وجعل يسأله عن بعض أمور الدين والحسن يجيبه كل مسألة بجنان ثابت وبيان ساحر وعلم واسع. فقال له الحجاج: أنت سيّد العلماء يا أبا سعيد. ثم دعا بغالية وطيّب له بها لحيته وودّعه. ولما خرج الحسن من عنده تبعه حاجب الحجاج وقال له: يا أبا سعيد لقد دعاك الحجاج بغير ما فعل بك واني رأيتك عندما أقبلت ورأيت السيف والنطع فحرّكت شفتيك فماذا قلت؟.فقال الحسن: لقد قلت: يا ولي نعمتي وملاذي عند كربتي اجعل نقمته بردا وسلاما عليّ كما جعلت النار بردا وسلاما على إبراهيم.

قيل: لما توفيت النوار بنت أعين بن ضبيعة المجاشعي[2] زوجة الفرزدق[3]،حضر جنازتها وجوه أهل البصرة، وحضر الحسن، فسايره الفرزدق؛ وقال له: أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون: حضر هذا القبر خير الناس، وشر الناس، قال الحسن: ومن يريدون بذلك؟ قال: يزعمون أنك –رحمك الله– خير الناس، وأني شر الناس، فقال الحسن: لست بخيرهم، ولست بشرهم، ولكن ما أعددت لمثل هذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة، أو قال: منذ سبعين سنة، فلما دفنت النوار قال الفرزدق: أخاف وراء القبر إن لم تعافني..أشد من القبر التهابا وأضيقا..إذا قادني يوم القيامة قائد..عنيف وسواق يسوق الفرزدقا..لقد خاب من أولاد آدم من مشى..إلى النار مغلول القلادة أزوقا. فبكى الحسن حتى انتحب، وقال: إن من الشعر لحكمة، ثم قال: يرحمك الله أبا فراس! اعمل لمثل اليوم إن كنت ذا نظر صحيح؛ فإنك تقدم على جواد عدل، وكأن قد، ثم افترقا، ومات الفرزدق، فرئي في النوم وهو يقول: رحمت بيومي مع الحسن. قال أبو عمرو بن العلاء:[4] حضرت الفرزدق وهو يجود بنفسه، فما رأيت أحسن ثقة بالله منه، قال: وذلك في أول سنة عشر ومائة، فلم أنشب أن قدم جرير[5] من اليمامة، فاجتمع إليه الناس، فما أنشدهم ولا وجدوه كما عهدوه، فقلت له في ذلك، فقال: أطفأ والله الفرزدق جمرتي، وأسال عبرتي، وقرب منيتي، ثم رد إلى اليمامة، فنعي لنا في رمضان من السنة بعد الفرزدق بشهر. قلت: وكتاب مناقضات جرير والفرزدق مشهور، وفيه كثير من شعرهما. كان الحسن يقول: أيها الناس! إياكم والتسويف؛ فإني سمعت بعض الصالحين يقول: نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب، ثم لا نتوب حتى نموت. ومثل ذلك قول أبي حازم:[6] انك لتجد الرجل يعمل بالمعاصي فإذا قيل له: أتحب أن تموت؟ قال: يقول: وكيف؟ وعندي ما عندي. فيقال له: أفلا تترك ما تعمل من المعاصي؟ فيقول: ما أريد تركه وما احب أن أموت حتى اتركه.

■ (1) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد؛ كان من سادات التابعين، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، روي أن أم سلمة أخرجته إلى عمر فدعا له فقال: اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس. وسئل أنس بن مالك عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن فإنه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا. سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين وصار كاتبا في إمرة معاوية للربيع بن زياد متولي خراسان ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة.

■ (3) همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن طائفة.ولد سنة 38 هـ وتوفي في البصرة سنة 110 هـ.

■ (6) أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج مولى لقوم من بني ليث بن بكر. اسند أبو حازم عن ابن عمر وسهل بن سعد وانس بن مالك وقيل انه رأى أبا هريرة، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبي سلمة وعروة وغيرهم. توفي بعد سنة 140 هـ في خلافة المنصور.

■ (5) أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفى، واسمه حذيفة، والخطفى لقبه، ابن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر التميمي الشاعر المشهور؛ كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل. ولد باليمامة سنة 33 هـ وتوفي سنة 110 هـ.

■ (4) أبو عمرو بن العلاء، المازني المقريء النحوي البصري اسمه زبان على الأصح وقيل العريان وقيل يحيى وقيل محبوب وقيل جنيد وقيل عيينة وقيل عثمان وقيل عياد وهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان وقيل ابن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم التميمي ثم المازني وقال الأصمعي وعمر بن شبة اسمه كنيته. وعن الأصمعي قال اسمه زبان وله إخوة سفيان ومعاذ وأبو حفص عمر. ولد أبو عمرو بمكة سنة 68 هـ وقيل سنة 70 هـ ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة سنة 154 هـ .

■ (2) كانت زوجة الفرزدق ابنة عمه، وهي النوار – بفتح النون – ابنة أعين بن ضبيعة بن عقال المجاشعي، وجدها ضبيعة الذي عقر الجمل الذي كانت عليه عائشة أم المؤمنين يوم وقعة الجمل، رضي الله عنها... (بقية القصة في كتاب: وفيات الأعيان وكتب أخرى)

☪

كان المقداد بن الأسود غزا مع عبد الله بن سعد إلى إفريقية، فلما رجعوا قال عبد الله بن سعد للمقداد في دار بناها: كيف ترى بنيان هذه الدار؟ فقال له المقداد: إن كان من مال الله فقد أفسدت، وإن كان من مالك فقد اسرفت. فقال عبد الله: لولا أن يقول قائل: أفسدت مرتين لهدمتها. روي أن ملكاً من الملوك بنى قصراً وقال: انظروا من عاب منه شيئاً فأصلحوه وأعطوه درهمين، فأتاه رجل فقال: إن في هذا القصر عيبين. قال: وما هما؟ قال: يموت الملك ويخرب القصر! قال: صدقت! ثم أقبل على نفسه وترك الدنيا. ونظر رجل من العباد إلى باب ملك من الملوك وقد شيده وأتقنه وزوقه، فقال: باب جديد وموت عتيد ونزع شديد وسفر بعيد!. عن بني الأسود، قال: بنى رجل دارا بالمدينة، فلما فرغ منها مر أبو هريرة عليها وهو واقف على باب داره، فقال: قف يا أبا هريرة، ما أكتب على باب داري؟ قال، وأعرابي قائم، قال أبو هريرة: اكتب على بابها: ابن للخراب، ولد للثكل، واجمع للوارث. فقال الأعرابي: بئس ما قلت يا شيخ، فقال صاحب الدار: ويحك هذا أبو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن مجاهد قال: مررت مع عبد الله بن عمر بخربة، فقال: يا مجاهد، ناد، يا خربة أين أهلك، أو قال: ما فعل أهلك؟ قال: فناديت، فقال ابن عمر: ذهبوا، وبقيت أعمالهم. وقيل لأحد النبلاء: لماذا لا تبني لك دارا؟ فقال: ما أصنع فيها وأنا المقيم على ظهر الجواد أو في السجن أو في القبر.

لما بنى مروان بن الحكم داره قال للبناء: انظر ما يملي عليك أبو هريرة، فاكتبه في وجه الدار. فجاء أبو هريرة فقال: اكتب: تبنون شديداً، وتأملون بعيداً، والأجل قريب. فقال البناء: والله لا أكتب هذا. فقال أبو هريرة، والله لا أزيدك ولا مروان على هذا. وقيل: إنه قال: اكتب، تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تبلغون. والله لا أزيدك. وعن أبي سعيد، عن أبي هريرة، قال: إذا زوقتم مساجدكم، وحليتم مصاحفكم، فالدمار عليكم. ويذكر الذهبي وابن كثير: أن أبا العتاهية دخل على الرشيد ، وقد بنى الرشيد قصرا في الرقة –قصرا جميلا بديعا– فنظر إليه أبو العتاهية ، فقال هارون الرشيد أمير المؤمنين: ما رأيك يا أبا العتاهية ؟ قال: شيء جميل، قال: أقلت فيه شعرا؟ قال: نعم. قال: ماذا قلت؟ قال: قلت: عش ما بدا لك سالما في ظل شاهقة القصور. قال: هيه، أي: زد، قال: يجري عليك بما أردت مع الرواح وفي البكور. قال: هيه، قال: فإذا النفوس تغرغرت بزفير حشرجة الصدور. فهناك تعلم موقنا ما كنت إلا في غرور.فبكى حتى أغمي عليه.

قال ثابت البناني: بنى أبو الدرداء مسكنا تدرأ بظله، فمر عليه أبو ذر، فقال: ما هذا؟ تعمر دارا أمر الله بخرابها؟! لأن أكون رأيتك تتمرغ في عذرة أحب إلي من أن أكون رأيتك فيها! فلما فرغ أبو الدرداء من بنائه قال: إني قائل على بنائي هذا شيئا:بنيت دارا ولست عامرها..لقد علمت إذ بنيت أين داري. عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ. ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام] قال الله تعالى:﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف] قال أبو حازم:﴿إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ يُتَابِعُ نِعَمَهُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ﴾ عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ وفي فتح قبرص، لما جيء بالأسرى جعل أبو الدرداء يبكي، فقال له جبير بن نفير:أتبكي وهذا يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك، إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى، سلط الله عليهم السبي، وإذا سلط على قوم السبي فليس لله فيهم حاجة. ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره. وعن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ﴾ وعن عقبة بن عامر: ﴿صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ، كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَنَا فِي مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا –وزاد بعضهم– فَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ﴾ وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ، قَالَ فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحَضَاءَ وَقَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ وَكَأَنَّهُ حَمِدَهُ فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرِ أَكَلَتْ حَتَّى امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ. وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

مراجع: مسند أحمد/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سراج الملوك/ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار/مختصر تاريخ دمشق/

يروى عن ابن عائشة [1] أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه، ودخل الحسن البصري[2] رحمه الله آخر من دخل، فقال الحجاج مرحباً بأبي سعيد إلي إلي، ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه؛ فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقاً من شره؛ والحسن ساكت عاض على إبهامه؛ فقال: يا أبا سعيد ما لي أراك ساكتاً ؟ قال: ما عسيت أن أقول؟ قال: أخبرني برأيك في أبي تراب، قال: سمعت الله جل ذكره يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة] فعلي ممن هدى الله من أهل الإيمان، فأقول: ابن عم النبي عليه السلام وختنه* على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها. وأقول: إن كانت لعلي هناة فالله حسبه والله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا. فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضباً فدخل بيتاً خلفه وخرجنا. قال عامر الشعبي: فأخذت بيد الحسن فقلت: يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره. فقال: إليك عني يا عامر، يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة. أتيت شيطاناً من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت إن سئلت فصدقت، أو سكت فسلمت؟ قال عامر: يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها. قال الحسن: فذاك أعظم من الحجة عليك وأشد في التبعة. قال: وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه. قال: أنت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم؟ قال: نعم. قال ما حملك على هذا؟ قال: ما أخذ الله على العلماء من المواثيق﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران] قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك. روى الذهبي عن أيوب السختياني قال: أراد الحجاج قتل الحسن مراراً، فعصمه الله منه، واختفى مرةً في بيت علي بن زيد سنتين. قلت: لأن الحسن كان يذم الأمراء الظلمة مجملاً، فأغضب ذلك الحجاج. قال ميمون بن مهران[3]: بعث الحجاج إلى الحسن وقد هم به فأدخل عليه فقام بين يديه، قال: يا حجاج: كم بينكم وبين آدم من أب؟ قال: كثير، قال فأين هم؟ قال: ماتوا، قال: فنكس الحجاج رأسه وخرج الحسن.

----

*(الختن) الصهر المتزوج ابنة الرجل أو أخته،

■ (2) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أوبه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

■ (1) عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر، أبو عبد الرحمن التيمي، يعرف بابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، مات في رمضان سنة 228 هـ.

■ (3) ميمون بن مهران مولى بني أسد كان مملوكا لامرأة بالكوفة فأعتقته وبها نشأ وكنيته أبو أيوب،كان مؤدب أولاد الخليفة عمر، سكن الجزيرة بعد وقعة الجماجم، وتولى قضاء الرقة لعمر، يروي عن ابن عمر، ولد سنة 40 هـ سنة المجاعة ومات بالرقة سنة 118 هـ وقيل سنة 117 هـ

وبالوالدين إحسانا

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ﴾ عن أبي عبد الله الجدلي، قال:﴿دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقَالَتْ لِي: أَيُسَبُّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: مَعَاذَ اللهِ، أَوْ سُبْحَانَ اللهِ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ سَبَّ عَلِيًّا، فَقَدْ سَبَّنِي﴾ وعن عمرو بن حبشي، قال:﴿خَطَبَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بَعْدَ قَتْلِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: لَقَدْ فَارَقَكُمْ رَجُلٌ بِالْأَمْسِ مَا سَبَقَهُ الْأَوَّلُونَ بِعِلْمٍ، وَلا أَدْرَكَهُ الْآخِرُونَ، إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيَبْعَثُهُ وَيُعْطِيهِ الرَّايَةَ، فَلا يَنْصَرِفُ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ، وَمَا تَرَكَ مِنْ صَفْرَاءَ وَلا بَيْضَاءَ، إِلا سَبْعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ مِنْ عَطَائِهِ كَانَ يَرْصُدُهَا لِخَادِمٍ لِأَهْلِهِ﴾ قال مغيرة: لما جاء قتل علي إلى معاوية جعل يبكي ويسترجع، فقالت له امرأته: تبكي عليه وقد كنت تقاتله؟! فقال لها: ويحك! إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم. وعن رياح بن الحرث: ﴿أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَكْبَرِ، وَعِنْدَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ يَسَارِهِ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ يُدْعَى سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ، فَحَيَّاهُ الْمُغِيرَةُ وَأَجْلَسَهُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ عَلَى السَّرِيرِ. فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَاسْتَقْبَلَ الْمُغِيرَةَ، فَسَبَّ وَسَبَّ، فَقَالَ: مَنْ يَسُبُّ هَذَا يَا مُغِيرَةُ؟ قَالَ: يَسُبُّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: يَا مُغِيرَ بْنَ شُعْبٍ، يَا مُغِيرَ بْنَ شُعْبَ ثَلَاثًا، أَلا أَسْمَعُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَبُّونَ عِنْدَكَ؟ لَا تُنْكِرُ وَلَا تُغَيِّرُ، فَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَا سَمِعَتِ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَرْوِي عَنْهُ كَذِبًا يَسْأَلُنِي عَنْهُ إِذَا لَقِيتُهُ، أَنَّهُ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَتَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ، لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ، قَالَ: فَضَجَّ أَهْلُ الْمَسْجِدِ يُنَاشِدُونَهُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ التَّاسِعُ؟ قَالَ: نَاشَدْتُمُونِي بِاللهِ، وَاللهِ عَظِيمِ أَنَا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْعَاشِرُ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ يَمِينًا، قَالَ: وَاللهِ لَمَشْهَدٌ شَهِدَهُ رَجُلٌ يُغَبِّرُ فِيهِ وَجْهَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ. وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾.

☪

عن أبي أمية الشعباني، قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني [1]،فقلت:﴿يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟: عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة] فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا خَبِيرًا سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ أَمْرَ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَوَامِّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ مِنْهُمْ، قَالَ: أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ. وَزَادَ فِي غَيْرِهِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ قَالَ:أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ﴾ وهذا عند ظهور الفتن، ليس معنى قوله: عليك بخاصة نفسك، أن تترك الناس، وإنما مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، وهذا هو مفهوم الكلام؛ لأن البعض يفهم الحديث أن يغلق الباب على نفسه، وينأى بها عند مخالطة الناس، وليس هذا هو المقصود بحال. عن قيس بن أبي حازم قال: قال أبو بكر الصديق: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتْلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة] وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ –وفي لفظ–: إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ – أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ وعن جرير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِمْ وَلَا يُغَيِّرُونَ، إِلَّا أَصَابَهُمُ اللهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا﴾ وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. إلى قوله: فَاسِقُونَ [المائدة] ثُمَّ قَالَ: كَلَّا وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا – وفي رواية زاد – أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ﴾ وفي هذا دلالة باهرة على أن الاكتفاء بالصلاح الذاتي والاعتصام من مشاركة المفسدين إفسادهم، لا يقي المرء من الهلاك إلا إذا جمع إليه تغيير المنكر الواقع ممن حوله، بكل ما يمكن تغييره به فله النّجاءُ. فليس هو مجرد الأمر والنهي، ثم تنتهي المسألة، إنما هو الإصرار، والمقاطعة، والكف بالقوة عن الشر والفساد والمعصية والاعتداء. وعن أم المؤمنين عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (قبل أن تدعوا) أي قبل أن تدعوا الناس إلى الهدى بالأمر بمعروف والنهي عن منكر فلا يقبل أحد منهم ذلك. وعن أنس بن مالك قال:﴿قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَا نَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ حَتَّى نَعْمَلَ بِهِ، وَلَا نَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى نَجْتَنِبَهُ كُلَّهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَإِنْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهِ كُلِّهِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِنْ لَمْ تَجْتَنِبُوهُ كُلَّهُ﴾.

قال الخلال أخبرني عمر بن صالح قال:﴿قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللهِ: يَا أَبَا حَفْصٍ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الْمُؤْمِنِ بَيْنَهُمْ مِثْل الْجِيفَة، وَيَكُون الْمُنَافِق يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، فَقُلْت: وَكَيْف يُشَارُ إِلَى الْمُنَافِق بِالْأَصَابِعِ؟ قَالَ: صَيَّرُوا أَمْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فُضُولًا قَالَ: الْمُؤْمِن إذَا رَأَى أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَر لَمْ يَصْبِر حَتَّى يَأْمُر وَيَنْهَى. يَعْنِي قَالُوا: هَذَا فُضُول، قَالَ: وَالْمُنَافِق كُلّ شَيْءٍ يَرَاهُ قَالَ: بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ فَيُقَال: نِعمَ الرَّجُل لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفُضُول عَمَلٌ﴾ وعن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿كَمَا تَكُونُونَ كَذَلِكَ يُؤَمَّرُ عَلَيْكُمْ –وفي رواية– كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّى عَلَيْكُمْ﴾ (كما تكونون) أي مثل ما تكونون في الصلاح وضده (يؤمر عليكم) أي يجعل أميرا وحاكما وفي معناه قوله: أعمالكم عمالكم. فالمستبدون يتولاهم مستبد، والأحرار يتولاهم الأحرار، وهذا صريح معنى: كما تكونوا يولى عليكم. وما أليق بالأسير في أرض أن يتحول عنها إلى حيث يملك حريته، فإن الكلب الطليق خير حياة من الأسد المربوط.قال عبد الملك بن مروان: ما أنصفتمونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرتهما، نسأل الله أن يعين كل على كل.

■ (1) أبو ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشب، صحابي مات سنة 75 هـ، أيام الملك الأموي عبد الملك بن مروان. والخشني نسبة إلى خشين قبيلة من قضاعة.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سنن أبي داود/ سنن ابن ماجه/ فقه تغيير المنكر [د.محمود توفيق محمد سعد]/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ صحيح مسلم/ البداية والنهاية/ مسند أحمد/ إحياء علوم الدين/ تاريخ مدينة دمشق/

كان عامر الشعبي[1] من خاصَّة ابن الأشعث[2] مُرافقًا له في جميع حروبه، فلَمَّا انهزم ابن الأشعث أمام الحجاج وأُسِر أصحابُه، أمر الحجاج بقتل كل أسير يُؤتى به، فلما كثروا عليه، صار يقتل من يقول: إنَّه مؤمن، أمَّا من اعترف بالكفر والنِّفاق على نفسه، فإنه يعفو عنه، وأسر عامر الشعبي فيمن أسر، وأُتي به إلى الحجاج في ثورة غضبه، وهو يقتل الأسرى الأول فالأول إلاَّ من باء على نفسه بالكفر والنِّفاق، فلما سار عامر الشَّعبي إلى الدخول عليه، لقيه رجل من صَحَابة الحجاج يقال له يزيد بن أبي مسلم[3]، وكان مولاه وحاجبه. فقال له: يا شعبي، لهفي بالعلم الذي بين دفتيك، وليس هذا بيوم شفاعة، إذا دخلت على الأمير، فبُؤ له بالكفر والنفاق عسى أن تنجو. فلما دخل الشعبي على الحجاج، صادفه واضعًا رأسه لم يشعر، فلَمَّا رفع رأسه رآه، قال له: أنت أيضًا يا شعبي فيمن أعان وألَّب. قال: أصلحَ الله الأمير، إنِّي أمرت بأشياء أقولها أرضيك بها، وأسخط الرب، ولست أفعل، ولكني أقول، أصلح الله الأمير، وأصدُقك القول، فإن كان شيء ينفع لديك، فهو الصدق، إن شاء الله: أحزن بنا المنزل، وأجدب الجناب، واكتحلنا السهر، واستجلسنا الخوف، وضاق بنا البلد العريض، فوقعنا في خِزْيَة لم نكن فيها بَرَرة أتقياء، ولا فجرة أقوياء. فقال له الحجاج: كذلك. قال: نعم، أصلح الله الأمير، وأمتع به. قال: فنظر الحجاج إلى أهل الشام، فقال: صدق والله يا أهل الشام، ما كانوا بررة أتقياء، فيتورَّعوا عن قتالنا، ولا فجرة أقوياء فيقووا علينا، ثم قال: انطلقْ يا شعبي، فقد عفونا عنك، فأنت أحقُّ بالعفو ممن يأتينا، وقد تلطخ بالدِّماء، ثم يقول: كان وكان.

وفي رواية قال جابر بن نوح الحماني: حدثني مجالد[4]، عن الشعبي قال: لما قدم الحجاج العراق سألني عن أشياء من العلم فوجدني بها عارفا، فجعلني عريفا* على الشعبيين* ومنكبا* على جميع همدان، وفرض لي، فلم أزل عنده بأشرف منزلة، حتى كان ابن الأشعث، فأتاني قراء أهل الكوفة، فقالوا: يا أبا عمرو إنك زعيم القراء، فلم يزالوا حتى خرجت معهم، فقمت بين الصفين أذكر الحجاج وأعيبه بأشياء، فبلغني أن الحجاج قال: ألا تعجبون من هذا الشعبي الخبيث، أما لئن أمكنني الله منه لأجعلن الدنيا عليه أضيق من مسك حمل*، قال: فما لبثنا أن هزمنا، فجئت إلى بيتي وأغلقت علي، فمكثت تسعة أشهر، فندب الناس لخراسان، فقال قتيبة بن مسلم: أنا لها، فولاه خراسان، ونادى مناديه: من لحق بقتيبة فهو آمن، فاشترى مولى لي حمارا وزودني، فخرجت، فكنت في العسكر، فلم أزل معه حتى أتينا فرغانة*، فجلس ذات يوم وقد برق، فنظرت إليه فقلت: أيها الأمير، عندي علم، قال: ومن أنت؟ قلت: أعيذك، لا تسأل عن ذلك، فعرف أني ممن يختفي، فدعا بكتاب وقال: اكتب نسخة، قلت: لست تحتاج إلى ذلك، فجعلت أمل عليه، وهو ينظر، حتى فرغ من كتاب الفتح، قال: فحملني على بغلة، وبعث إلي بسرق من حرير، وكنت عنده في أحسن منزلة، فإني ليلة أتعشى معه، إذا أنا برسول الحجاج بكتاب فيه: إذا نظرت في كتابي هذا، فإن صاحب كتابك الشعبي، فإن فاتك قطعت يدك على رجلك وعزلتك، قال: فالتفت إلي وقال: ما عرفتك قبل الساعة، فاذهب حيث شئت من الأرض، فوالله لأحلفن له بكل ممكن يمين، فقلت: أيها الأمير، إن مثلي لا يخفى، قال: فأنت أعلم، وبعثني إليه وقال: إذا وصلتم إلى خضراء واسط فقيدوه، ثم أدخلوه على الحجاج، فلما دنوت من واسط استقبلني يزيد بن أبي مسلم، فقال: يا أبا عمرو، إني لأضن بك على القتل، إذا دخلت فقل: كذا وكذا، فلما أدخلت قال: لا مرحبا ولا أهلا، فعلت بك وفعلت، ثم خرجت علي! وأنا ساكت، فقال: تكلم، قلت: أصلح الله الأمير، كل ما قلته حق، ولكنا قد اكتحلنا بعدك السهر وتحلسنا الخوف، ولم نكن مع ذلك بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، وهذا أوان حقنت لي دمي، واستقبلت بي التوبة، قال: قد فعلت ذلك. وقال الأصمعي: لما أدخل الشعبي على الحجاج قال: هيه يا شعبي، فقال: أحزن بنا المنزل واكتحلنا السهر، واستحلسنا الخوف، فلم نكن فيها فعلنا بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، قال: لله درك.

وفي رواية ابن منظور، قال الشعبي: لما قدم الحجاج الكوفة قال لابن أبي مسلم: اعرض علي العرفاء، فعرضهم عليه، فرأى فيهم وخشا من وخش الناس*، قال: ويحك! هؤلاء خلفاء الغزاة في عيالهم؟! قال: نعم، قال: اطرحهم واغد علي بالقبائل، فغدا عليه بالقبائل على راياتها، فجعلوا يعرضون عليه، فإذا وقعت عينه على رجل دعاه، فدعا بالشعبيين، فمرت به السن الأولى، فلم يدع منهم أحدا. ومرت السن الثانية فدعاني، فقال: من أنت؟ فأخبرته، فقال: اجلس، فجلست، فقال: قرأت القرآن؟ قلت: نعم: قال: فرضت الفرائض؟ قلت: نعم، قال: فما تقول في كذا وكذا، في قول أبي تراب؟ فأخبرته، فقال: أصبت، فقال لي: نظرت في العربية؟ فقلت: نعم. قال: رويت الشعر؟ قلت: قد نظرت في معانيه، قال: نظرت في الحساب؟ قلت: نعم، فقال ابن أبي مسلم: إنا لنحتاج إليه في بعض الدواوين، قال: رويت مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: نعم، قال: حدثني بحديث بدر، قال: فابتدأت له من رؤيا عاتكة* حتى أذن المؤذن الظهر، ثم دخل وقال لي: لا تبرح، فخرج فصلى الظهر وأتممتها له، فجعلني عريفا على الشعبيين، ومنكبا على جميع همدان، وفرض لي في الشرف. فلم أزل عنده بأحسن منزلة حتى كان عبد الرحمن بن الأشعث، فأتاني قراء أهل الكوفة، فقالوا: يا أبا عمرو، إنك زعيم القراء، فلم يزالوا حتى خرجت معهم، فقمت بين الصفين أذكر الحجاج وأعيبه بأشياء قد علمتها، قال: فبلغني أنه قال: ألا تعجبون من هذا الشعبي الخبيث الذي جاءني وليس في الشرق من قومه، فألحقته بالشرف، وجعلته عريفا على الشعبيين، ومنكبا على جميع همدان، ثم خرج مع عبد الرحمن يحرض علي! أما لئن أمكن الله منه لأجعلن الدنيا عليه أضيق من مسك حمل. قال: فما لبثنا أن هربنا، فجئت إلى بيتي فدخلته، فمكثت تسعة أشهر، الدنيا أضيق علي كما قال من مسك حمل. فندب الناس لخراسان، فقام قتيبة بن مسلم فقال: أنا لها، فعقد له على خراسان، وعلى ما غلب عليه منها، وأمن له كل خائف. فنادى مناديه: من لحق بعسكر قتيبة فهو آمن. فجاءني شيء، لم يجئني شيء هو أشد منه، فبعثت مولى لي إلى الكناسة* فاشترى لي حمارا وزودني، ثم خرجت مع العسكر، فلم أزل معه حتى أتينا فرغانة، فجلس ذات يوم وقد برق، فعرفت ما يريد، فقلت: أيها الأمير، عندي علم ما تريد، قال: ومن أنت؟ قال: قلت: أعيذك ألا تسأل عن ذاك، قال: أجل، فعرف أني ممن يخفي نفسه، فقال: فدعا بكتاب، فقال: اكتب نسخة، قلت: لست تحتاج إلى ذلك، فجعلت أملي عليه، وهو ينظر إلي حتى فرغت من كتاب الفتح، قال: فحملني على بغلة، وأرسل إلي بسرق من حرير، وكنت عنده بأحسن منزلة، فإني ليلة أتعشى معه إذا أنا برسول من الحجاج بكتاب فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فإن صاحب كتابك عامر الشعبي، فإن فاتك قطعت يدك على رجلك وعزلتك، قال: فالتفت إلي فقال: ما عرفتك قبل الساعة، فاذهب حيث شئت من الأرض، فوالله لأحلفن له بكل يمين، قال: قلت: أيها الأمير، إن مثلي لا يخفى، فقال: أنت أعلم، قال: فبعثني إليه مع قوم وأوصاهم بي. قال: إذا نظرتم إلى خضراء واسط فاجعلوا في رجليه قيدا، ثم أدخلوه على الحجاج. فلما دنوت من واسط استقبلني ابن أبي مسلم، فقال: يا أبا عمرو، إني لأضن بك على القتل، إذا دخلت على الأمير فقل كذا وقل كذا. قال: فسكت عنه، ثم دخلت على الحجاج، فلما رآني قال: لا مرحبا ولا أهلا يا شعبي الخبيث، جئتني ولست في الشرف من قومك ولا عريفا ولا منكبا، فألحقتك بالشرف، وجعلتك عريفا على الشعبيين، ومنكبا على جميع همدان، ثم خرجت مع عبد الرحمن تحرض علي! قال: وأنا ساكت لا أجيبه، قال: فقال لي: تكلم. قال: قلت: أصلح الله الأمير، كل ما ذكرت من فعلك فهو على ما ذكرت، وكل ما ذكرت من خروجي مع عبد الرحمن فهو كما ذكرت، ولكنا قد اكتحلنا بعدك السهر. وتحلسنا الخوف، ولم نكن مع ذلك بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، فهذا أوان حقنت لي دمي. واستقبلت بي التوبة. قال: قد حقنت دمك، واستقبلت بكل التوبة. قال: فقال ابن أبي مسلم: الشعبي كان أعلم بي مني حيث لم يقبل الذي قلت له.

----

*(العرفاء) جمع عريف وهو المقام على القوم ليعرف من فيهم من صالح وطالح (الوخش) رذالة الناس وصغارهم وغيرهم (رؤيا عاتكة) انظر في رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله سيرة ابن هشام (المنكب) رئيس العرفاء (فرغانة) مدينة وكورة واسعة فيها وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان على يمين القاصد لبلاد الترك (مسك الحمل) جلده (الكناسة) محلة معروفة بالكوفة (الشعبيين) شعبان بطن من همدان تشعب من اليمن إليهم ينسب عامر الشعبي رحمه الله على طرح الزائد وقيل شعب جبل باليمن وهو ذو شعبين نزله حسان بن عمرو الحميري وولده فنسبوا إليه فمن كان منهم بالكوفة يقال لهم الشعبيون منهم عامر بن شراحيل الشعبي وعداده في همدان ومن كان منهم بالشام يقال لهم الشعبانيون ومن كان منهم باليمن يقلل لهم آل ذي شعبين ومن كان منهم بمصر والمغرب يقال لهم الأشعوب.

■ (1) عامر بن شراحيل الشعبي، شعب همدان، أبو عمرو.علامة أهل الكوفة في زمانه، ولد في وسط خلافة عمر. وروى عن علي يسيرا، وعن المغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، وعائشة، وأبي هريرة، وجرير البجلي، وعدي بن حاتم، وابن عباس، ومسروق، وخلق كثير، وقرأ القرآن على علقمة، وأبي عبد الرحمن السلمي. قال أحمد بن عبد الله العجلي: مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحا. وقال عاصم الأحول: كان الشعبي أكثر حديثا من الحسن، وأكبر منه بسنتين، ولد لأربع بقين من خلافة عمر. وقال خليفة: ولد سنة 21 هـ، وقيل غير ذلك. وعن الشعبي قال: أدركت خمس مائة من أصحاب رسول الله أو أكثر. قال أبو أسامة: كان عمر في زمانه، وكان بعده ابن عباس، وكان بعده الشعبي، وكان بعده الثوري في زمانه. وعن ابن سيرين، قال: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة، والصحابة يومئذ كثير. قال إسماعيل بن مجالد: توفي الشعبي سنة 104 هـ، وله 82 سنة.وقال الواقدي: سنة 105 هـ.وقال الفلاس: مات في أول سنة 106 هـ، وقيل غير ذلك.

■ (4) مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني ويكنى أبا عمير، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو سعيد الكوفي، والد إسماعيل بن مجالد وجد عمر بن إسماعيل بن مجالد. كان الهيثم بن عدي يروي عنه ويكثر، ويروي مجالد عن الشعبي وعن مسروق وكان نسابا، والأغلب عليه رواية الأخبار وكان يضعف في حديثه، وتوفي سنة 144 هـ، وكان عمير جد مجالد هو الذي يقال له ذو مران الهمداني، كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، وكان له ابن يقال له يزيد بن عمير قتله المختار يوم جبانة السبيع.

■ (2) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي أمير سجستان، بعد هزيمته في دير الجماجم سنة 83 هـ تتابعت هزائم جيشه فلجأ إلى رتبيل (ملك الترك) فيما وراء سجستان فحماه مدة ثم قتله سنة 85 هـ وبعث برأسه إلى الحجاج. فأرسله هذا إلى عبد الملك بالشام، وبعث به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر

■ (3) يزيد بن أبي مسلم بن دينار الثقفي، أبو العلاء مولاهم، أمير المغرب،كان مولى الحجاج وكاتبه ومشيره، استخلفه الحجاج عند موته على أموال الخراج، فضبط ذلك، وأقره الوليد، ثم أمره على إفريقية يزيد بن عبد الملك، فثارت عليه الخوارج ففتكوا به لظلمه سنة 102 هـ.

قال عبد الملك بن مروان لجلسائه: دلوني على رجل أستعمله. فقال له روح بن زنباع:[1] أدلك يا أمير المؤمنين على رجل إن دعوتموه أجابكم، وإن تركتموه لم يأتكم، ليس بالملحف طلبا، ولا بالممعن هربا: عامر الشعبي؛ فولاه قضاء البصرة.ولي عامر قضاء الكوفة، ولاه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب والي عمر بن عبد العزيز على العراق. قال أبو السكن: دخلت على الشعبي بالغداة، وهو يأكل خبزا وجبنا فقلت: ما هذا يا أبا عمرو؟! فقال: آخذ حكمي قبل أن أخرج. يريد: قبل أن أخرج إلى مجلس القضاء حتى إذا حكم يكون شبعان. وقال جهم بن واقد: رأيت الشعبي يقضي في أيام عمر بن عبد العزيز. وروى الثوري، عمن سمع الشعبي يقول: ليتني أنفلت من علمي كفافا لا علي ولا لي. قال محمد بن جحادة:سئل الشعبي عن شيء لم يكن عنده فيه شيء، فقيل له: قل فيه برأيك، فقال: وما تصنع برأيي، بل على رأيي. مثل ذلك قال مروان الأصفر: كنت عند سعيد بن جبير جالسا، فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل، فقال له سعيد: الله أعلم، فقال له الرجل: قل فيها أصلحك الله برأيك، فقال: أقول في كتاب الله برأيي؟ فردده مرتين أو ثلاثا ولم يجبه بشيء. روى سفيان، عن عبد الله بن أبي السفر، عن الشعبي قال: ما أنا بعالم، وما أترك عالما. وعن عطاء بن السائب، عن الشعبي قال: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها. وعن أبي يوسف القاضي: حدثنا مجالد، عن الشعبي قال: نعم الشيء الغوغاء يسدون السبل، ويطفئون الحريق، ويشغبون على ولاة السوء.

■ (1) روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، حدث عن أبيه، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وكعب الأحبار، وغيرهم. وعنه ابنه روح بن روح، وشرحبيل بن مسلم، ويحيى الشيباني، وعبادة بن نسي، وجماعة. وكان ذا اختصاص بعبد الملك، لا يكاد يغيب عنه، وهو كالوزير له. ولأبيه زنباع بن روح بن سلامة صحبة، وكان لروح دار بدمشق في طرف البزوريين، أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقال مسلم: له صحبة. ولم يتابع مسلما أحد. وروى ضمرة، عن عبد الحميد بن عبد الله قال: كان روح بن زنباع إذا خرج من الحمام أعتق رقبة. قال ابن زبر: مات سنة 84 هـ.

مراجع: سراج الملوك/ سير أعلام النبلاء/ صحيح البخاري/ـمرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ السنن الكبرى للبيهقي/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ العقد الفريد/ المعارف/ تهذيب الكمال/ لسان العرب/

روي الوليد بن عبد الله بن مروان الأزدي، قال: سمعت جنادة بن مروان يقول: سمعت أبي يذكر، قال: لما أتي الحجاج بعبد الرحمن بن عائذ [1] أسيرا يوم الجماجم*، وكان به عارفا، فقال له الحجاج: عبد الرحمن بن عائذ، كيف أصبحت؟ قال: كما لا يريد الله، ولا يريد الشيطان، ولا أريد. قال له: ما تقول ويحك؟ قال: نعم، يريد الله أن أكون عابدا زاهدا. وما أنا بذاك، ويريد الشيطان أن أكون فاسقا مارقا، والله ما أنا بذاك، وأريد أن أكون مخلى سربي، آمنا في أهلي، والله ما أنا بذاك. فقال له الحجاج: مولد شامي، وأدب عراقي، وجيراننا إذ كنا في الطائف، خلوا عنه.

لما أسرف الحجاج في قتل أسارى دير الجماجم وإعطاء الأموال، بلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه: أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذير الأموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين لأحد من الناس، وقد حكم عليك في الدماء في الخطإ بالدية وفي العمد بالقود* وفي الأموال بردها إلى موضعها ثم العمل فيها برأيه، وإنما أمير المؤمنين أمين الله وسيان عنده منع حق وإعطاء باطل، فإن كنت أردت الناس لك فما أغناهم عنك وغن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم، وسيأتيك من أمير المؤمنين لين وشدة، فلا يؤنسنك إلا الطاعة ولا يوحشنك إلا المعصية، وظن بأمير المؤمنين كل شيء إلا احتمالك على الخطأ، وإذا أعطاك الله الظفر بقوم فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا. فأجابه: أما بعد، فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء وتبذيري للأموال، ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهله وما قضيت في أهل الطاعة ما استحقوه، فإن كان قتلي أولئك العصاة سرفا وإعطائي أولئك المطيعين تبذيرا فليسوغني أمير المؤمنين ما سلف وليحد لي حدا أنتهي إليه إن شاء الله تعالى، ولا قوة إلا بالله، ووالله ما سلبت نعمة إلا بكفرها ولا تمت إلا بشكرها، ولا أصبت القوم خطأ فأديهم ولا ظلمتهم فأقاد بهم، ولا أعطيت إلا لك ولا قتلت إلا فيك، وأما ما أتاني من أمريك فأبينهما عزة أعظمها محنة، وقد عبأت للعزة الجلاد وللمحنة الصبر.فلما قرأ عبد الملك كتابه قال: خاف أبو محمد صولتي ولن أعود إلى ما يكره.

حدث مبشر بن بشر أن رجلا هرب من الحجاج، فمر بساباط* فيه كلب بين جبين يقطر عليه ماؤهما. فقال: يا ليتني كنت مثل هذا الكلب، فما لبث أن مر بالكلب في عنقه حبل، فسأل عنه فقالوا: جاء كتاب الحجاج يأمر بقتل الكلاب.

قال هشام بن حسان: أحصوا ما قتل الحجاج صبراً، فبلغ مائة ألفٍ وعشرين ألفاً. وقال عباد بن كثير، عن قحذم قال: أطلق سليمان بن عبد الملك في غداةٍ واحدةٍ واحداً وثمانين ألف أسيراً، وعرضت السجون بعد موت الحجاج، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً، لم يجب على أحدٍ منهم قطعٌ ولا صلبٌ. وقال الهيثم بن عدي: مات الحجاج، وفي سجنه ثمانون ألفاً، منهم ثلاثون ألف امرأة.

قال الصلت بن دينار: مرض الحجاج، فأرجف به أهل الكوفة، فلما عوفي صعد المنبر وهو يتثنى على أعواده، فقال: يا أهل الشقاق والنفاق والمراق، نفخ الشيطان في مناخركم، فقلتم: مات الحجاج، فمه، والله ما أرجو الخير إلا بعد الموت، وما رضي الله الخلود لأحدٍ من خلقه إلا لأهونهم عليه إبليس، وقد قال العبد الصالح سليمان:﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ [ص] فكان ذلك، ثم اضمحل وكأن لم يكن، يا أيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل، كأني بكل حي ميت، وبكل رطب يابس، وبكل امرئٍ في ثياب طهور إلى بيت حفرته، فخد له في الأرض خمسة أذرع طولاً في ذراعين عرضاً، فأكلت الأرض من لحمه، ومصت من صديده ودمه.

قال سيار أبو الحكم: سمعت الحجاج على المنبر يقول: أيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل، رجل خطم نفسه وزمها، فقادها بخطامها إلى طاعة الله، وعنجها بزمامها عن معاصي الله. وقال مالك بن دينار: سمعت الحجاج يخطب فقال: امرؤ رد نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره، امرؤ نظر إلى ميزانه، فما زال يقول امرؤ حتى أبكاني. وعن الحجاج قال: امرؤ عقل عن الله أمره امرؤ أفاق واستفاق وأبغض المعاصي والنفاق، وكان إلى ما عند الله بالأشواق.

قال السري بن يحيى: مر الحجاج في يوم جمعةٍ، فسمع استغاثةً، فقال: ما هذا قيل: أهل السجون يقولون: قتلنا الحر، فقال: قولوا لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون]، قال: فما عاش بعد ذلك إلا أقل من جمعة.

----

*(الساباط) سقيفة بين دارين ، بين حائطين تحتها طريق نافذ. و(ساباط) بما وراء النهر ، وساباط كسرى بالمدائن (القود) القصاص (الجماجم) موضع بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها. ووقعة الجماجم بين عبد الرحمن بن الاشعث والحجاج، كان الغلب فيها للحجاج وقتل فيها عدد كثير من القراء كانت سنة 83 أو 82 هـ

■ (1) عبد الرحمن بن عائذ الأزدي الثمالي الحمصي، ويقال الكندي، ويقال اليحصبي، أبو عبد الله. من كبار علماء التابعين، وله مراسيل. وبعضهم يظن أن له صحبة، ولا يصح ذلك. وكان ثقة. روى عن عمر، ومعاذ، وأبي ذر، وعلي، وعمرو بن عبسة، وعوف بن مالك الأشجعي، والعرباض، وغيرهم. وتوفي في حدود 100 هـ وروى له أصحاب السنن الأربعة. قيل: لما مات خلف كتبا وصحفا من علمه، وخرج مع ابن الأشعث فأسر يوم الجماجم وأدخل على الحجاج فعفا عنه. قال ثور بن يزيد: كان أهل حمص يأخذون كتب ابن عائذ، فما وجدوا فيها من الأحكام، عمدوا بها على باب المسجد قناعة بها ورضا بحديثه.وقال أرطأة بن المنذر: اقتسم رجال من الجند كتب ابن عائذ بينهم بالميزان .

☪

قال ابن كثير:[1] روي عن الحجاج ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر كما قدمنا. فإن كان قد تاب منها وأقلع عنها، وإلا فهو باق في عهدتها، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه، فإن الشيعة كانوا يبغضونه جدا لوجوه، وربما حرفوا عليه بعض الكلم. وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات. وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسكر، وكان يكثر تلاوة القرآن، ويتجنب المحارم، ولم يشتهر عنه شئ من التلطخ بالفروج، وإن كان متسرعا في سفك الدماء فالله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وساترها، وخفيات الصدور وضمائرها: قلت: الحجاج أعظم ما نقم عليه وصح من أفعاله سفك الدماء، وكفى به عقوبة عند الله عز وجل، وقد كان حريصا على الجهاد وفتح البلاد، وكان فيه سماحة بإعطاء المال لأهل القرآن، فكان يعطي على القرآن كثيرا، ولما مات لم يترك فيها قيل إلا ثلثمائة درهم. والله أعلم. قال هانئ بن كلثوم: حدثني محمود بن الربيع عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿من قتل مؤمنا ثم اغتبط بقتله لم يقبل منه صرف ولا عدل﴾ (الغَبْط) حَسَدٌ خاصٌّ، يقال: غَبَطْتُ الرجُل أَغْبِطُه غَبْطا، إذا اشْتَهَيْتَ أن يكون لك مِثْلُ مالَه (الصرف) التوبة وقيل: النافلة (العدل) الفدية وقيل: الفَرِيضَة. وحدث أيضا بهذا السند عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لاَ يَزَالُ الْمُؤْمِنُ صَالِحًا مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا﴾ وسئل يحيى الغساني عن اغتباطه بقتله، قال: هم الذين يقتلون في الفتنة. يقتلون أحدهم، فيرى أنه على هدى.لا يستغفر الله منه أبدا.

قال كعب بن علقمة: كان يوسف بن الحكم أبو الحجاج فاضلا، من خيار المسلمين. فبينا هو وأبوه في مجلس في المسجد فيه عمرو بن سعيد بن العاص، فمر بهم سليم بن عتر، وكان قاضي الجند، وكان من خير التابعين، فقال الحجاج: أما لو أجد هذا خلف هذا الحائط، وكان لي عليه سلطان، لضربت عنقه، إن هذا وأصحابه يثبطون عن طاعة الولاة، فشتمه والده، ولعنه، وقال له: تسمع القوم يذكرون عنه خيرا ثم تقول ما تقول؟ أما والله إن رأيي فيك أنك لا تموت إلا جبارا شقيا.

ذكروا أن الحجاج مرض ففرح أهل العراق؛ وقالوا: مات الحجاج! فلما بلغه تحامل حتى صعد المنبر فقال: يا أهل الشقاق والنفاق نفخ إبليس في مناخركم فقلتم: مات الحجاج، ومات الحجاج فمه؟ والله ما أحب أن لا أموت! وما أرجو الخير كله إلا بعد الموت، وما رأيت الله عز وجل رضي الخلود لأحد من خلقه، إلا لأهونهم عليه: إبليس؛ ولقد رأيت العبد الصالح سأل ربه فقال: رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب. ففعل؛ ثم اضمحل كأن لم يكن.

عن عمر بن عبد العزيز قال: ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدي إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله عليه، وقوله حين حضرته الوفاة: اللهم، اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل. وقال الأصمعي: لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول: يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا..بأنني رجل من ساكني النار أيحلفون عن عمياء ويحهم..ما علمهم بعظيم العفو غفار . قال فأخبر بذلك الحسن فقال: بالله إن نجا لينجون بها. وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج في النار، ثم أتى زوجته، فمنعته نفسها فأتى ابن شبرمة [2] يستفتيه؛ فقال: يا بن أخي امض فكن مع أهلك، فإن الحجاج إن لم يكن من أهل النار، فلا يضرك أن تزني.

عن أبي عبيدة بن الجراح قال أحدهما: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ مُلْكًا عَضُوضًا. وَقَالَ أَحَدُهُمَا: عَاضٌّ وَفِيهِ رَحْمَةٌ، ثُمَّ جَبَرُوتٌ صَلْعَاءُ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا مُتَعَلَّقٌ، تُضْرَبُ فِيهَا الرِّقَابُ، وَتُقْطَعُ فِيهَا الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ، وَتُؤْخَذُ فِيهَا الْأَمْوَالُ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا شَقِيٌّ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنِ الشَّقِيُّ؟ قَالَ: مَنْ لَمْ يَعْمَلْ لِلَّهِ بِطَاعَةٍ، وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُ بِمَعْصِيَةٍ﴾ (لم يعمل لله) أي لأجل رضاه أو لأمره (بطاعة) أي بواجبة (لم يترك له) أي لله (بمعصية) وهو شامل للكافر والفاجر فقوله تعالى:﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل] محمول على الصلي على وجه الخلود. قال الطيبي: الباء زائدة فيهما وبناء المرة فيهما مع التنكير للتقليل وزيادة الباء للتأكيد يدل على ترجيح جانب الرحمة وأن الله لا يضيع أجر من عمل له طاعة ما، أو ترك لأجله ولخوفه معصية ما نحو قوله تعالى:﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ -وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ- الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ مَا وَلُوا﴾ (المقسطين) أي العادلين، ضد القاسطين؛ أي الجائرين، قال الله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة] وقال الله تعالى:﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ [الجن] (عن يمين الرحمن) قال التوربشتي: المراد منه كرامتهم على الله، وقرب محلهم وعلو منزلتهم، وذلك أن من شأن من عظم قدره في الناس؛ أن يبوأ عن يمين الملك، ثم إنه نزه ربه سبحانه عما سبق إلى فهم من لم يقدر الله حق قدره، من مقابلة اليمين باليسار، وكشف عن حقيقة المراد بقوله (وكلتا يديه يمين) قال الخطابي: ليس فيما يضاف إلى الله تعالى من صفة اليدين شمال؛ لأن الشمال على النقص والضعف، وقوله: وكلتا يديه يمين؛ هي صفة جاء بها التوقيف، فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها، وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار الصحيحة؛ وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وقال القاضي: وكلتا يديه؛ دفع لتوهم من يتوهم أن له يمينا من جنس أيماننا التي يقابلها يسار، وأن من سبق إلى التقرب إليه حتى فاز بالوصول إلى مرتبة من مراتب الزلفى من الله؛ عاق غيره عن أن يفوز بمثله كالسابق إلى محل من مجلس السلطان، بل جهاته وجوانبه التي يتقرب إليها العباد سواء (ولوا) أي كانت لهم عليه ولاية.

■ (1) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ولد في سوريا سنة 701 هـ وتوفي بدمشق سنة 774هـ. من مؤلفاته: تفسير ابن كثير، جامع السنن والمسانيد لابن كثير، البداية والنهاية (موسوعة تاريخية ضخمة).

■ (2) عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان الضبي. الإمام، العلامة، فقيه العراق، أبو شبرمة، قاضي الكوفة. وهو عم عمارة بن القعقاع، ولكن عمارة أسن منه. توفي: سنة 144 هـ.حدث عن أنس بن مالك، وأبي الطفيل عامر بن واثلة، وأبي وائل شقيق، وعامر الشعبي، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وإبراهيم التيمي، وإبراهيم النخعي، وسالم بن عبد الله، والحسن البصري، ونافع، وسالم بن أبي الجعد، وعبد الله بن شداد بن الهاد، وأبي زرعة، وطائفة. وكان من أئمة الفروع، وأما الحديث، فما هو بالمكثر منه، له نحو من ستين أو سبعين حديثا.

مراجع: البداية والنهاية/ سير أعلام النبلاء/ الوافي بالوفيات/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ الفتن لنعيم بن حماد/ العقد الفريد/ تاج العروس/ السنن الكبرى/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) ورجل من الرعية 0420

قيل إن الحجاج خطب يوما فقال: أيها الناس الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله. فقام إليه رجل فقال له: ويحك يا حجاج ما أصفق وجهك وأقل حياءك، تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام؟ خبث وضل سعيك، فقال للحرس خذوه، فلما فرغ من خطبته قال له: ما الذي جرأك علي؟ فقال: ويحك يا حجاج، أنت تجترئ على الله ولا أجترئ أنا عليك، ومن أنت حتى لا أجترئ عليك وأنت تجترئ على الله رب العالمين، فقال: خلوا سبيله، فأطلق.

قيل قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان ومعه معاوية بن قرة[1]،فسأل عبد الملك معاوية عن الحجاج فقال: إن صدقناكم قتلتمونا، وإن كذبناكم خشينا الله، فنظر إلى الحجاج فقال له عبد الملك: لا تعرض له، فنفاه إلى السند فكان له بها مواقف.

قال العتبي: دخل جامع المحاربي[2] على الحجاج –وكان جامع شيخا صالحا خطيبا لبيبا جريئا على السلطان وهو الذي قال للحجاج إذ بنى مدينة واسط* بنيتها في غير بلدك، وتورثها غير ولدك– فجعل الحجاج يشكو سوء طاعة أهل العراق وقبح مذهبهم. فقال له جامع: أما إنه لو أحبوك لأطاعوك، على أنهم ما شنئوك لنسبك، ولا لبلدك، ولا لذات نفسك؛ فدع عنك ما يبعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية ممن دونك، تعطها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك. قال الحجاج: ما أرى أن أرد بني اللكيعة* إلى طاعتي إلا بالسيف. قال: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار. قال الحجاج: الخيار يومئذ لله. قال: أجل، ولكنك لا تدري لمن يجعله الله. فغضب وقال: يا هناه، إنك من محارب. فقال جامع: وللحرب سمينا وكنا محاربا..إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا. فقال الحجاج: والله لقد هممت بأن أخلع لسانك فأضرب به وجهك. قال جامع: إن صدقناك أغضبناك، وإن غششناك أغضبنا الله فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله. قال: أجل، وسكن. وشغل الحجاج ببعض الأمر، فانسل جامع، فمر بين الصفوف من أهل الشام حتى جاوزها إلى صفوف العراق، فأبصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق، وقيس العراق. وتميم العراق، وأزد العراق؛ فلما رأوه اشرأبوا إليه وقالوا له: ما عندك دفع الله عنك؟ قال: ويحكم! عموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة، ودعوا التعادي ما عاداكم؛ فإذا ظفرتم تراجعتم وتعاديتم. أيها التميمي، هو أعدي لك من الأزدي، أيها القيسي هو أعدى لك من التغلبي. وهل ظفر بمن ناوأه منكم إلا بمن بقي معه منكم. وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام، واستجار بزفر بن الحارث[3] فأجاره.

----

*(الكيعة) : الامة اللئيمة.

■ (1) معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني البصري، يكنى أبا إياس، أسند معاوية عن أبيه، وعن أنس بن مالك: ومعقل بن يسار، وابن عباس. ولد سنة 36 هـ ومات سنة 113 هـ، وهو ابن 76 سنة.

■ (2) جامع بن شداد المحاربي الكوفي أبو صخرة الفقيه. روى عن حمران بن أبان وأبي بردة وصفوان بن محرز. وثقه أبو حاتم وغيره. توفي سنة 118 هـوقيل سنة 127 هـ .روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة. قالوا: ولما بنى الحجاج واسطا قال لجامع المحاربي: كيف ترى؟ قال: بنيتها في غير بلدك تدعها لغير ولدك. ويقال إن الذي قال له ذلك ابن القرية. (في كتاب التذكرة الحمدونية:هو جامع بن أمية المحاربي؟) قال الأصمعي: بنى الحجاج واسطاً في سنتين وفرغ منه سنة ست وثمانين.

■ (3) زفر بن الحارث الكلابي الشامي والد مزاحم بن زفر يروي عن عائشة ومعاوية روى عنه ثابت بن الحجاج.كان رسول معاوية إلى عائشة بوقعة صفين. نزل البصرة ثم خرج عنها بعد وقعة الجمل فشهد وقعة المرج مع الضحاك بن قيس وذكر أنه مات في أيام عبد الملك بن مروان

محمد رسول الله

حدث معاوية بن قرة قال: كنا عند الحسن فتذاكرنا أي العمل أفضل؟ فكلهم اتفقوا على قيام الليل فقلت أنا: ترك المحارم فانتبه لها الحسن فقال: تم الأمر، تم الأمر. وعن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿حَلَالٌ بَيِّنٌ، وَحَرَامٌ بَيِّنٌ، وَشُبُهَاتٌ بَيْنَ ذَلِكَ، مَنْ تَرَكَ الشُّبُهَاتِ، فَهُوَ لِلْحَرَامِ أَتْرَكُ، وَمَحَارِمُ اللهِّ حِمًى، فَمَنْ أَرْتَعَ حَوْلَ الْحِمَى، كَانَ قَمِنًا أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة قالت:﴿مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَادِمًا لَهُ قَطُّ، وَلَا امْرَأَةً لَهُ قَطُّ، وَلَا ضَرَبَ بِيَدِهِ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهَّ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ فَانْتَقَمَهُ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ مَحَارِمُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَنْتَقِمُ للهَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا عُرِضَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الْآخَرِ، إِلَّا أَخَذَ بِأَيْسَرِهِمَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَأْثَمًا، فَإِنْ كَانَ مَأْثَمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ﴾ عن عقبة بن عامر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿ إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ﴾ عن النعمان بن بشير، قال: سمعته يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه:﴿إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ﴾ كان الحسن يقول: يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابدا، وارض بما قسم لك تكن غنيا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلا، إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيرا ويبنون مشيدا ويأملون بعيدا، أصبح جمعهم بورا وعملهم غرورا ومساكنهم قبورا، يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك، فجد بما في يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع، وكان يتلو هذه الآية بعدها: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة]. كذا في الفصول المهملة.

عن معاوية بن قرة قال: أدركت سبعين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو خرجوا فيكم اليوم ما عرفوا شيئا مما أنتم عليه إلا الأذان. عن الحجاج بن الأسود أن معاوية بن قرة قال: من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار. وعن عبد الله بن ميمون البصري قال: سمعت معاوية بن قرة يقول: إن الله عز وجل يرزق العبد رزق شهر في يوم واحد فإن أصلحه أصلح الله على يديه وعاش هو وعياله بقية شهرهم بخير، وإن هو أفسده أفسد الله تعالى على يديه وعاش هو وعياله بقية شهرهم بشر. وعن خليد بن دعلج قال: سمعت معاوية بن قرة يقول: إن القوم ليحجون ويعتمرون ويجاهدون ويصلون ويصومون، وما يعطون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم.

قال الأعمش: اختلفوا في الحجاج فقالوا: بمن ترضون؟ فقال بعضهم: بمجاهد. فأتوه فسألوه، فقال: تسألوني عن الشيخ الكافر؟!. قال الأجلح: اختلفت أنا وعمر بن قيس الماصر في الحجاج فقلت أنا: الحجاج كافر، وقال عمر: الحجاج مؤمن ضال. قال: فأتينا الشعبي فقلت: يا أبا عمرو، إني قلت: إن الحجاج كافر، وقال عمر: الحجاج مؤمن ضال. قال: فقال الشعبي: يا عمرو، شمرت ثيابك، وحللت إزارك، وقلت: إن الحجاج مؤمن ضال، فقال: فكيف يجتمع في رجل إيمان وضلال؟! الحجاج مؤمن بالجبت والطاغوت، كافر بالله العظيم. قال الأوزاعي: سمعت القاسم بن مخيمرة يقول: كان الحجاج ينقض عرى الإسلام. قال عاصم بن أبي النجود: ما بقيت لله تعالى حرمة، إلا وقد انتهكها الحجاج. قال العيزار بن جرول: خرجت مع زاذان[1] إلى الجبان* يوم العيد نصلي، وستور الحجاج ترفعها الرياح فقال: هذا والله المفلس. فقلت له: تقول مثل هذا وله مثل هذا؟! فقال: هذا المفلس من دينه. وقال طاووس: عجبت لإخواننا من أهل العراق، يسمون الحجاج مؤمنا. قال منصور: سألنا إبراهيم النخعي عن الحجاج فقال: ألم يقل الله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود] قال سلام بن أبي مطيع: لأنا أرجى للحجاج بن يوسف مني لعمرو بن عبيد، إن الحجاج بن يوسف إنما قتل الناس على الدنيا، وإن عمرو بن عبيد أحدث بدعة، فقتل الناس بعضهم بعضا. قال الزبرقان: كنت عند أبي وائل فجعلت أسب الحجاج وأذكر مساوئه، فقال: لا تسبه وما يدريك لعله قال: اللهم اغفر لي فغفر له. قال عوف: ذكر الحجاج عند محمد بن سيرين قال: مسكين أبو محمد، إن يعذبه الله عز وجل فبذنبه، وإن يغفر له فهنيئا، وإن يلق الله عز وجل بقلب سليم فقد أصاب الذنوب من هو خير منه. قال: فقلت لمحمد بن سيرين: وما القلب السليم؟ قال: أن تعلم أن الله عز وجل حق، وأن الساعة حق قائمة، وأن الله يبعث من في القبور.قال السري بن يحيى: مر الحجاج في يوم جمعة، فسمع استغاثة فقال: ما هذا؟ فقيل له: أهل السجون، يقولون: قتلنا الحر. قال: قولوا لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون] قال: فما عاش بعد ذلك، إلا أقل من جمعة حتى مات. قال ابن طاووس: دخل رجل على أبي فقال: مات الحجاج بن يوسف. فقال له أبي: اربعوا على أنفسكم، حبس رجل عليه لسانه، وعلم ما يقول. فقال له الرجل: يا أبا عبد الرحمن، برح الخفاء، هذه نساء وافد بن سلمة قد نشرن أشعارهن، وحرقن ثيابهن، ينحن عليه. قال: أفعلوا؟ قال: نعم. قال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام]

قال قتادة: قيل لسعيد بن جبير: خرجت على الحجاج. قال: إني والله ما خرجت عليه حتى كفر. قال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم وجئنا بالحجاج لغلبناهم، وما كان يصلح لدنيا ولا آخرة. لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكون من العمارة، فأخس به حتى صيره إلى أربعين ألف ألف، ولقد أدي إلي في عامي هذا ثمانون ألف ألف، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إلي ما أدي إلى عمر بن الخطاب، مئة ألف ألف، وعشرة آلاف ألف. قال مخذم: جبى عمر بن الخطاب العراق مئة ألف ألف، وتسعة وكذا وكذا ألف ألف، وجباها عمر بن عبد العزيز مئة ألف وأربعة عشر ألف ألف، وجباها الحجاج ثمانية عشر ألف ألف. وفي رواية قال يحيى بن يحيى الغساني: قال لي عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بأبي محمد لفتناهم، فقال له رجل من آل أبي معيط: لا تقل ذلك، فوالله إن وطأ لكم هذا الأمر الذي أصبحتم فيه غرة فقال عمر: أتحب أن يدخلك الله مدخلك الحجاج؟ قال: إي والله، إني لأحب أن يدخلني الله مدخله ولا يدخلني مدخلك. فقال عمر: أمنوا، اللهم، أدخله مدخل الحجاج. كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة: بلغني أنك تستن بسنن الحجاج، فلا تستن بسنته، فإنه كان يصلي الصلاة لغير وقتها، ويأخذ الزكاة من غير حقها، وكان لما سوى ذلك أضيع.قال مالك بن دينار: كنا إذا صلينا خلف الحجاج فإنا نلتفت ما بقي علينا من الشمس؟ فيقول: إلام تلتفتون أعمى الله أبصاركم! أنا لا أسجد لشمس ولا لقمر ولا لحجر ولا لوثن.

----

*(الجبان) ناحية من أعمال الأهواز

■ (1) زاذان أبو عمرو الكندي مولى كندة يروي عن علي وابن مسعود وابن عمر والبراء بن عازب يخطئ كثيرا مات عند الجماجم، في الطبقة الثالثة من تابعي أهل الكوفة

مراجع: مسند أحمد/ البداية والنهاية/ صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ العقد الفريد/ الثقات لإبن حبان/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ الوافي بالوفيات/ أنساب الأشراف/ مختصر تاريخ دمشق/ المحن/ معجم البلدان/ تاج العروس/ـ

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) وابن الفجاءة 0421

روي أن الحجاج أخذ أخو[1] قطري بن الفجاءة[2] فقال: لأقتلنك، فقال: لم ذلك قال:لخروج أخيك، قال: فإن معي كتاب أمير المؤمنين أن لا تأخذني بذنب أخي، قال: هاته، قال: فمعي ما هو أوكد منه، قال: ما هو قال: كتاب الله عز وجل، حيث يقول:﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام]، فعجب منه وخلى سبيله. وكتب الحجاج إلى قطري كتابا يتهدده، فأجابه قطري: أما بعد، فالحمد لله الذي لو شاء لجمع شخصينا؛ فعلمت أن مثاقفة الرجال أقوم من تسطير المقال، والسلام.

حدثنا الهيثم بن عدي عن عوانة قال: أتي الحجاج بأسارى من أصحاب قطري من الخوارج فقتلهم إلا واحدا كانت له عنده يد، وكان قريبا لقطري، فأحسن إليه وخلا سبيله، فصار إلى قطري فقال له قطري: عاود قتال عدو الله، فقال: هيهات غل يدا مطلقها، واسترق رقبة معتقها، ثم قال: أأقاتل الحجاج عن سلطانه..بيد تقر بأنها مولاته..إني إذا لأخو الدناؤة والذي..طمت على إحسانه جهلاته..ماذا أقول إذا وقفت إزاءه..في الصف واحتجت له فعلاته..أأقول جار علي لا إني إذا..لأحق من جارت عليه ولاته..وتحدث الأقوام أن صنائعا..غرست لدي فحنظلت نخلاته..هذا وما ظني بجبن إنني..فيكم لمطرق مشهد وعلاته.

جاء رجل[2] إلى الحجاج فقال: إن أخي خرج مع ابن الأشعث[3] فضرب على اسمي في الديوان ومنعت العطاء وقد هدمت داري، فقال الحجاج، أما سمعت قول الشاعر: حنانيك من تجنى عليك وقد..تعدى الصحاح مبارك الجرب..ولرب مأخوذ بذنب قريبه..ونجا المقارف صاحب الذنب؟. فقال الرجل: أيها الأمير! إني سمعت الله يقول غير هذا، وقول الله أصدق من هذا، قال: وما قال؟ قال:﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (78) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ [يوسف] قال: يا غلام[4] أعد اسمه في الديوان وابن داره، وأعطه عطاءه، ومر مناديا ينادي: صدق الله وكذب الشاعر.

أتي الحجاج بأسرى من الخوارج، فأمر بضرب أعناقهم، فقدم فيهم شاب، فقال له: والله يا حجاج لئن كنا أسأنا في الذنب، فما أحسنت في العقوبة، قال: أف لهذه الجيف، أما كان فيهم من يقول مثل هذا، وأمسك عن القتل.

وأتي الحجاج بأسرى، فأمر بقتلهم، فقال له رجل منهم: لا جزاك الله يا حجاج عن السنة خيراً، فإن الله يقول:﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد] فهذا قول الله تعالى في كتابه، وقول شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الأخلاق: وما نقتل الأسرى ولكن نفكهم..إذا أثقل الأعناق حمل القلائد. فقال الحجاج: ويحكم أعجزتم أن تخبروني ما أخبرني هذا المنافق، وأمسك عمن بقي.

■ (1) جرموز بن الفجاءة، كان على السنة، وكان يقاتل أخاه..؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (2) قطري بن الفجاءة، كنيته أبو نعامة، واسمه جعونة ابن مازن بن يزيد الكناني المازني التميمي، رأس الأزارقة (الخوارج) خرج زمن ابن الزبير وهزم الجيوش واستفحل بلاؤه. جهز إليه الحجاج جيشا بعد جيش، فيكسرهم، وغلب على بلاد فارس، وله وقائع مشهودة، وشجاعة ولم يسمع بمثلها، وشعر فصيح. بقي قطري يحارب نيف 10 سنة، ويسلم عليه بالخلافة. استوفى المبرد في (كامله) أخباره إلى أن سار لحربه سفيان بن الأبرد الكلبي، فانتصر عليه، وقتله. وقيل: عثر به الفرس، فانكسرت فخذه بطبرستان، فظفروا به، وحمل رأسه سنة 79 هـ إلى الحجاج.

■ (2) في كتاب جمهرة خطب العرب وكتاب العقد الفريد قال: دخل على الحجاج سليك بن سلكة..؟ فمن هو سليك بن سلكة ؟ أما (سليك الفزاري له إدراك وشهد وقعة جلولاء سنة 16 هـ) و(السليك بن سلكة التميمي فهو أحد صعاليك العرب المشهورين مات في الجاهلية).

■ (3) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي أمير سجستان، بعد هزيمته في دير الجماجم سنة 83 هـ تتابعت هزائم جيشه فلجأ إلى رتبيل (ملك الترك) فيما وراء سجستان فحماه مدة ثم قتله سنة 85 هـ وبعث برأسه إلى الحجاج. فأرسله هذا إلى عبد الملك بالشام، وبعث به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر

■ (4) في رواية، الغلام هو: أبو العلاء يزيد بن مسلم دينار الثقفي، مولاهم، كان مولى الحجاج بن يوسف الثقفي وكاتبه.

اللهم صل على محمد وآل محمد

عن سوار بن شبيب أنه قال لابن عمر: ما تقول في فتية شببة ظراف نظاف، يقرؤون القرآن، ويقومون الليل، ولكن يكفر بعضهم بعضا؟ يعني بهم الخوارج، فقال ابن عمر: ماذا تركوا من دناءة الأخلاق إلا أن يكفر بعضهم بعضا، أو كما قال.

أورد أبو داود حديث أبي سعيد الخدري في الخوارج أنه قال:﴿تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عَلَى حِينِ فُرقة مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ﴾ والمقصود من ذلك الخوارج الذين خرجوا بعدما حصل التحكيم وانحازوا في مكان يقال له: حروراء، وحصل منهم ما حصل، وقاتلهم علي رضي الله عنه وأرضاه، قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: (تقتلهم أولى الطائفتين بالحق)، وهذا يدلنا على أن عليا رضي الله عنه أولى من غيره. وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى:﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف]

عن أبي سعيد الخدري قال:﴿بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اعْدِلْ. قَالَ: وَيْلَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ. فَقَالَ عُمَرُ: ائْذَنْ لِي أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ. قَالَ: دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ، إِلَى رُصَافِهِ إِلَى نَضِيِّهِ وَهُوَ قِدْحُهُ، إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى خَيْرِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ﴾ قال أبو سعيد: أشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس، فأتي به، نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعته. وفي رواية: ﴿أَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اتَّقِ اللَّهَ. فَقَالَ: فَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُهُ! فَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي. فَسَأَلَ رَجُلٌ قَتْلَهُ، فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَيَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ﴾.

عن عبد الرحمن بن أبي نعم، قال: سمعت أبا سعيد الخدري، يقول: ﴿بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمَنِ، بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ، وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَلَا تَأْمَنُونِي؟ وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اتَّقِ اللهَ، فَقَالَ: وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ. قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي. قَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ. قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ، فَقَالَ: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ. قَالَ: أَظُنُّهُ قَالَ: لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ﴾ وعن أبي سلمة، وعطاء بن يسار، أنهما أتيا أبا سعيد الخدري، فسألاه عن الحرورية، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها قال: لا أدري من الحرورية(الخوارج)، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول:﴿يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ - وَلَمْ يَقُلْ: مِنْهَا - قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، فَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ - أَوْ حَنَاجِرَهُمْ - يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى سَهْمِهِ إِلَى نَصْلِهِ إِلَى رِصَافِهِ، فَيَتَمَارَى فِي الْفُوقَةِ، هَلْ عَلِقَ بِهَا مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ﴾ وعن أبي سعيد:﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ قَوْمًا يَكُونُونَ فِي أُمَّتِهِ، يَخْرُجُونَ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، سِيمَاهُمُ التَّحَالُقُ قَالَ: هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ - أَوْ مِنْ أَشَرِّ الْخَلْقِ - يَقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ. قَالَ: فَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ مَثَلًا، أَوْ قَالَ قَوْلًا الرَّجُلُ يَرْمِي الرَّمِيَّةَ - أَوْ قَالَ الْغَرَضَ - فَيَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَى بَصِيرَةً، وَيَنْظُرُ فِي النَّضِيِّ فَلَا يَرَى بَصِيرَةً، وَيَنْظُرُ فِي الْفُوقِ فَلَا يَرَى بَصِيرَةً. قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَأَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ، يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ﴾.

مراجع: سراج الملوك/ الجامع الصحيح للسنن والمسانيد/ صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ البداية والنهاية/ تاريخ الخلفاء للسيوطي/ سير أعلام النبلاء/ زهر الأداب وثمر الألباب/ البرصان والعرجان/

قال بن أبي العروبة: [1] حج الحجاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعى بالغداء، وقال لحاجبه: انظر من يتغدى معي واسأله عن بعض الأمر. فنظر نحو الجبل فإذا هو براع بين شملتين نائم فضربه برجله وقال له: ائت الأمير ! فأتاه. فقال له الحجاج: اغسل يديك وتغد معي. فقال: دعاني من هو خير منك فأجبته. فقال: من هو؟ قال: الله تعالى دعاني إلى الصيام فصمت. قال: في هذا الحر الشديد؟ قال: نعم صمت ليوم هو أشد حراً منه! قال: فافطر وصم غداً. قال: إن ضمنت لي البقاء إلى غد. قال: ليس ذلك إلي. قال: فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا تقدر عليه؟ قال: لأنه طعام طيب. قال: لم تطيبه أنت ولا الطباخ ولكن طيبته العافية!.

قال إبراهيم بن محمد عن الهيثم بن الربيع: قال الحجاج: إني لأرى الناس قد قلوا على موائدي فما بالهم؟ فقال رجل من عرض الناس: أصلح الله الأمير إنك أكثرت خير البيوت فقل غشيان الناس لطعامك فقال: الحمد لله وبارك الله عليك من أنت؟ قال: أنا الصلت بن قران العبدي، فأحسن إليه.

قال الشيباني: خرج الحجاج متصيدا بالمدينة، فوقف على أعرابي يرعى إبلا له، فقال له: يا أعرابي، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج؟ قال له الأعرابي: غشوم ظلوم! لا حياه الله! فقال: فلم لا شكوتموه إلى أمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: فأظلم وأغشم! فبينا هو كذلك إذ أحاطت به الخيل، فأومأ الحجاج إلى الأعرابي، فأخذ وحمل؛ فلما صار معه قال: من هذا؟ قالوا له: الحجاج! فحرك دابته حتى صار بالقرب منه، ثم ناداه: يا حجاج! قال: ما تشاء يا أعرابي؟ قال: السر الذي بيني وبينك أحب أن يكون مكتوما! قال: فضحك الحجاج وأمر بتخلية سبيله. وحكى أبو الحسن بن هلال الصابي أن الحجاج انفرد يوما من عسكره فمر ببستاني يسقي ضيعته. فقال كيف حالكم مع الحجاج؟ فقال: لعنه الله المبيد البر الحقود عجل الله الانتقام منه. فقال له: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج. فرأى أن دمه قد طاح فرفع عصا كانت معه فقال: أتعرفني؟ قال لا. قال: أنا أبو ثور المجنون وهذا يوم صرعي وأزبد وأرغى وهاج وأراد أن يضرب رأسه بالعصى فضحك منه وانصرف.

وكان الحجاج كثيرا ما يسأل القراء، فدخل عليه يوما رجل فقال له: ما قبل قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ فقال: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر]، قال: فما سأل أحدا بعدها.

قيل: حضر أعرابي عند الحجاج فقدم الطعام فأكل الناس منه ثم قدمت الحلوى فترك الحجاج الأعرابي حتى أكل منها لقمة ثم قال: من أكل من الحلوى ضربت عنقه، فامتنع الناس من أكلها وبقي الأعرابي ينظر إلى الحجاج مرة وإلى الحلوى مرة ثم قال: أيها الأمير أوصيك بأولادي خيرا. ثم اندفع يأكل فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه وأمر له بصلة.

■ (1) سعيد بن أبي عروبة مهران، مولى بني عدي، عالم البصرة، أبو النضر العدوي الحافظ. ولد في حياة أنس بن مالك، وروى عن الحسن، وابن سيرين قليلا، وعن قتادة فأكثر، والنضر بن أنس، وعبد الله الداناج، وأبي رجاء العطاردي، ومطر الوراق، وأبي نضرة العبدي، وطائفة سواهم. وعنه: سفيان، وشعبة، ويزيد بن زريع، وبشر بن المفضل، وابن علية، وخالد بن الحارث، والنضر بن شميل، ويحيى القطان، وغندر، وسعيد بن عامر الضبعي، والأنصاري، وأبو عاصم، وروح بن عبادة، وعبد الوهاب بن عطاء، وخلق كثير. توفي سنة 156 هـ أو 157 هـ.

عن عبد الملك أنه انقطع عن أصحابه فانتهى إلى أعرابي، فقال: أتعرف عبد الملك؟ قال: جائر بائر. قال ويحك! أنا عبد الملك بن مروان. قال: لا حياك الله ولا بياك ولا قربك، أكلت مال الله، وضيعت حرمته. قال: ويحك! أنا أضر أنفع، قال: لا رزقني الله نفعك، ولا دفع عني ضرك. فلما وصلت خيله قال: يا أمير المؤمنين، اكتم ما جرى، فالمجالس أمانة.

روي أن روح بن زنباع [1]،صاحب الشرطة أيام الملك الأموي عبد الملك بن مروان، كان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع أصحابه، فنزلوا وضربت لهم الخيام والظلال، وقدم إليهم الطعام والشراب المبرد. فبينما هم كذلك وإذا هم براع، فدعاه إلى الطعام. فأبى وقال: إني صائم! فقال له روح: في مثل هذا اليوم الحار؟ قال: أفأدع أيامي تذهب باطلاً ؟ فقال له روح: لقد ضننت بأيامك يا راعي إذ جاد بها روح بن زنباع.

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم:﴿يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ، يَتْبَعُ بِهَا شَغَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ﴾ وعن ابن عباس، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الصِّحَّةَ وَالْفَرَاغَ، نِعْمَتَانِ مِنْ نِعَمِ اللهِ، مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ قيل لسفيان : إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل. وعن عمرو بن ميمون، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه:﴿اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ﴾ وعن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ؟﴾ وعن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَأَيْنَ وَضَعَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ، مَا عَمِلَ فِيهِ؟﴾.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الْجَسَدِ الصَّوْمُ﴾ وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يَصُومُ عَبْدٌ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ النَّارَ عَنْ وَجْهِهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا﴾ وعن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ وحدث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا عَبْدَ اللهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ؛ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، لَا صَامَ مَنْ صَامَ الدَّهْرَ، صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صُمْ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ، صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامُ يَوْمٍ وَإِفْطَارُ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ﴾ قال رجل من بني تميم: كنا عند باب معاوية، وفينا أبو ذر، فقال أبو ذر: إني صائم. فلما دخلنا على معاوية، ووضعت الموائد جعل أبو ذر يأكل، وجعلت أنظر إليه، فقال: ما شأنك يا أحمر، أتريد أن تشغلني عن طعامي؟ فقال: ألم تزعم على الباب أنك صائم؟ فقال أبو ذر: بلى. ثم قال: قرأت:﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام]، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم يقول: صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر، صوم الدهر، ويذهب بمغلة الصدر. قلت: ما مغلة الصدر؟ قال: رجس الشيطان، وقد صمت ثلاثة أيام من كل شهر، فأنا صائم الدهر كله. وعن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال: ﴿تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ﴾ وعن أبي هريرة قال: ﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَصُومُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تَصُومُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَقَالَ: إِنَّ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ يَغْفِرُ اللهُ فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ إِلَّا ذَا هَاجِرَيْنِ، يَقُولُ: دَعْهُمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا﴾ وعن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم:﴿يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَصُمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ﴾ وعن ابن عباس قال: ﴿كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُفْطِرُ أَيَّامَ الْبِيضِ فِي حَضَرٍ وَلَا سَفَرٍ﴾ أي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، لأنها المقمرات من أوائلها إلى أواخرها. وعن ابن عباس: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟ فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ أَنْجَى اللهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ، فَصَامَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ﴾ وعن حفصة قالت:﴿أَرْبَعٌ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صِيَامُ عَاشُورَاءَ وَالْعَشْرِ، وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَانِ قَبْلَ الْفَجْرِ﴾ وعن أم هانيء قالت: ﴿لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ فَتْحِ مَكَّةَ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَجَلَسَتْ عَلَى يَسَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمُّ هَانِئٍ عَنْ يَمِينِهِ، فَجَاءَتِ الْوَلِيدَةُ بِإِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ فَنَاوَلَتْهُ فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ أُمَّ هَانِئٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَقَدْ أَفْطَرْتُ وَكُنْتُ صَائِمَةً، فَقَالَ لَهَا: أَكُنْتِ تَقْضِينَ شَيْئًا؟ قَالَتْ: لَا. قَالَ: فَلَا يَضُرُّكِ إِنْ كَانَ تَطَوُّعًا –وفي رواية–: فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَمَا إِنِّي كُنْتُ صَائِمَةً، فَقَالَ:الصَّائِمُ الْمُتَطَوِّعُ أَمِيرُ نَفْسِهِ، إِنْ شَاءَ صَامَ وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ﴾ عن أبي لبابة البدري بن عبد المنذر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال:﴿سَيِّدُ الْأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَهُ، وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ الْأَضْحَى، وَفِيهِ خَمْسُ خِلَالٍ: خَلَقَ اللهُ فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَ اللهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ الْعَبْدُ فِيهَا شَيْئًا، إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا سَمَاءٍ، وَلَا أَرْضٍ، وَلَا رِيَاحٍ، وَلَا جِبَالٍ، وَلَا بَحْرٍ، إِلَّا هُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَصُومُ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ قَبْلَهُ أَوْ يَصُومَ بَعْدَهُ﴾ وعن أبي أيوب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ﴾ وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا صَوْمَ فِي يَوْمَيْنِ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى﴾ عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَصَلَاةٍ فَلَا يَصُومَنَّهَا أَحَدٌ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَلْيُطْعَمْ عَنْهُ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينٌ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ﴾.

■ (1) روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، حدث عن أبيه، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وكعب الأحبار، وغيرهم. وعنه ابنه روح بن روح، وشرحبيل بن مسلم، ويحيى الشيباني، وعبادة بن نسي، وجماعة. وكان ذا اختصاص بعبد الملك، لا يكاد يغيب عنه، وهو كالوزير له. ولأبيه زنباع بن روح بن سلامة صحبة، وكان لروح دار بدمشق في طرف البزوريين، أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقال مسلم: له صحبة. ولم يتابع مسلما أحد. وروى ضمرة، عن عبد الحميد بن عبد الله قال: كان روح بن زنباع إذا خرج من الحمام أعتق رقبة. قال ابن زبر: مات سنة 84 هـ.

مراجع: سنن أبي داود/ مسند أحمد/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ كنز العمال/ البداية والنهاية/ وفيات الأعيان/ حدائق الأزاهر/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ العقد الفريد/ وفيات الأعيان/ مختصر تاريخ دمشق/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ ربيع الأبرار/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) ورجل من أهل اليمن 0423

قال بشر بن السري: بينما الحجاج جالساً في الحجر إذ دخل رجل من أهل اليمن فجعل يطوف فوكل به بعض من معه قال: إذا خرج من طوافه فائتني به، فلما فرغ أتاه به فقال:ممن أنت؟ فقال: من أهل اليمن.قال: كيف تركت محمد بن يوسف[1]؟ قال: لقد تركته أبيض بضاً سميناً طويلاً عريضاً! قال: ويلك، ليس عن هذا أسألك! قال: فعمه؟ قال: عن سيرته وطعمته. قال: فأجور السيرة وأخبث الطعم، وأعدى العداة على الله وأحكامه. قال: فغضب الحجاج وقال: ويلك أوما علمت أنه أخي؟ قال: بلى. قال: إذن أفتك بك. قال: أما علمت أن الله ربي والله لهو أمنع لي منك أكثر منك لأخيك. قال: أجل أرسله يا غلام. وأخو الحجاج هو محمد بن يوسف الثقفي، كان أمير اليمن. قيل: إنه كان ظلوما غشوما. وقد نقل عن عمر بن عبد العزيز قوله أثناء خلافة الوليد بن عبد الملك: الوليد بالشام والحجاج بالعراق، ومحمد بن يوسف باليمن، وعثمان بن حيان[2] بالحجاز، وقرة بن شريك[3] بمصر، امتلأت والله الأرض جورا. عن ابن شوذب قال: كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد[4] (وكان لعابا متنعما) : إن أظلم مني وأخون من ولى عبد ثقيف خمس الخمس، يحكم في دمائهم وأموالهم -يعني يزيد بن أبي مسلم- وأظلم مني وأجور من ولى عثمان بن حيان الحجاز ينطق بأشعار على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأظلم مني وأخون من ولى قرة بن شريك مصر، أعرابي جلف جاف، أظهر فيها المعازف.

قال طاووس:[5] ما شفاني أحد من الحجاج ما شفاني يمني قال له الحجاج وهو يطوف يا يمني، كيف خلفت محمد بن يوسف؟ قال عظيما سمينا. قال: لست عن السمن أسألك، ولكن عن عدله في رعيته، قال: خلفته ظلوما غشوما. قال: كيف لا تشكوه إلى من فوقه؟ قال: ذاك والله أشر منه، قال: تعرفني؟ قال: نعم، أنت الحجاج بن يوسف. قال: تعرف مكانه مني؟ قال: نعم، هو أخوك، قال: فلم يمنعك ذلك أن قلت ما قلت؟ قال: أترى مكان الله أهون عندي من مكانك؟ قال: أي العرب خير؟ قال: بنو هاشم. قال: لم؟ قال: لئن محمدا صلى الله عليه وسلم منهم. قال: وأياهم شر؟ قال: ثقيف. قال: لم؟ قال: لئن الحجاج منهم. فدعا بعشرة آلاف فأعطاه، ثم قال: يا طاووس، هذا رجل لا تأخذه في الله لومة لائم.

في رواية،قال المروذي سمعت الوليد بن شجاع قال: حدثني بعض أشياخنا، قال: قال طاووس: بينا أنا في الحجر دخل علي الحجاج، ومر رجل عليه هيئة السفر فدعاه، فقال: من أين قدمت؟ قال: من اليمن، قال: كيف تركت محمد بن يوسف؟ قال: كما يسرك عظيما سمينا، قال: لست عن ذا أسألك، كيف سيرته؟ قال: تركته ظلوما غشوما، قال: أما علمت أنه أخي، قال: أفترى أخاك منك أعز مني بالله، قال: فسلم منه. قال طاووس: فما شهدت مشهدا كان أعجب إلي منه.

في رواية، قال علي بن زيد: قال طاووس: بينا أنا بمكة بعث إلي الحجاج فأجلسني إلى جنبه وأتكأني على وسادة، إذ سمع ملبيا يلبي حول البيت رافعا صوته بالتلبية؛ فقال: علي بالرجل؛ فأتي به، فقال: ممن الرجل؟ قال: من المسلمين؛ قال: ليس عن الإسلام سألتك؛ قال: فعم سألت؟ قال: سألتك عن البلد؛ قال: من أهل اليمن؛ قال: كيف تركت محمد بن يوسف؟ قال: تركته عظيما جسيما لباسا ركابا خراجا ولاجا؛ قال: ليس عن هذا سألتك؛ قال: فعم سألت؟ قال: سألت عن سيرته، قال: تركته ظلوما غشوما مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق؛ فقال له الحجاج: ما يحملك على أن تتكلم بهذا الكلام وأنت تعلم مكانه مني؟ قال الرجل: أتراه بمكانه منك أعز مني بمكاني من الله وأنا وافد بيته ومصدق نبيه، وقاضي دينه؟ قال: فسكت الحجاج، فما أحار به جوابا؛ وقام الرجل من غير أن يؤذن له، فانصرف.

قال طاووس: فقمت في أثره وقلت: الرجل حكيم؛ فأتى البيت فتعلق بأستاره ثم قال: اللهم بك أعوذ وبك ألوذ، اللهم اجعل لي في اللهف إلى جودك والرضى بضمانك مندوحةً عن منع الباخلين، وغنىً عما في أيدي المستأثرين، اللهم فرجك القريب، ومعروفك القديم، وعادتك الحسنة؛ ثم دخلت في الناس فرأيته عشية عرفة، وهو يقول: اللهم إن كنت لم تقبل حجتي وتعبي ونصبي فلا تحرمني الأجر عن مصيبتي بتركك القبول مني؛ ثم ذهب في الناس فرأيته غداة جمع يقول: واسوءتاه منك والله وإن غفرت؛ يردد ذلك.

■ (5) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان، وطاووس لقبه، وقد فسّر يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير.وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصلى عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

■ (2) عثمان بن حيان بن معبد بن شداد بن نعمان بن رباح بن أسعد بن ربيعة.مولى أم الدرداء أو عتبة بن أبي سفيان. ويلقب بأبي المغراء الدمشقي، حدث عن: أم الدرداء. وعنه: هشام بن سعد، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر. ولاه الوليد بن عبد الملك على المدينة، بعد أن عزل عمر بن عبد العزيز عنها، وذلك برأي من الحجاج..وكان ظلوما عسافا جائرا. [الوفاة: 101 – 110 هـ]

■ (4) عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. كان لعابا متنعما، وكان يقال له فحل بني مروان؛ لأنه كان يركب معه ستون ابنا لصلبه.ولي الأردن في خلافة أبيه.. [الوفاة:101 ـ 110 هـ]

■ (3) قرة بن شريك، القيسي القنسريني، ولاه الوليد بن عبد الملك مصر وكان سيء السيرة. هلاك في حياة الوليد سنة 96 هـ

■ (1) محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج. كان أمير اليمن، قيل إنه كان ظلوما غشوما. مات باليمن في رجب سنة 91 هـ.

الغيبة: ذكر المسلم في غَيْبَته بما فيه مما يكره نشره وذِكر. والبهتان: ذِكر المسلم بما ليس فيه وهو الكذب في القول عليه. والنميمة: نقل الكلام من طرف لآخر للإيقاع بينهما. عن ابن عباس:﴿أَنَّ رَجُلَيْنِ صَلَّيَا صَلَاةَ الظُّهْرِ أَوِ الْعَصْرِ، وَكَانَا صَائِمَيْنِ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَالَ: أَعِيدَا وُضُوءَكُمَا وَصَلَاتَكُمَا، وَامْضِيَا فِي صَوْمِكُمَا، وَاقْضِيَاهُ يَوْمًا آخَرَ. قَالَا: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: اغْتَبْتُمْ فُلَانًا﴾ وعن أبي سعيد، وجابر، قالا: ﴿قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ الْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا؟ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَزْنِي فَيَتُوبُ، فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ -وفي رواية-: فَيَتُوبُ فَيَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ، وَإِنَّ صَاحِبَ الْغِيبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَهَا لَهُ صَاحِبُهُ﴾ وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّ مِنْ كَفَّارَةِ الْغِيبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنِ اغْتَبْتَهُ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ﴾وعن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ. قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ -وفي رواية-: إِذَا قُلْتَ لِأَخِيكَ مَا فِيهِ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِذَا قُلْتَ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ﴾ (بهته) يقال بهته قلت فيه البهتان وهو الباطل والغيبة ذكر الإنسان في غيبته بما يكره وأصل البهت أن يقال له الباطل في وجهه وهما حرامان. قال النووي اعلم أن الغيبة من أقبح القبائح، وأكثرها انتشارا بين الناس حتى لا يسلم منها إلا القليل من الناس، وذكرك فيه بما يكرهه عام، سواء كان في بدنه أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجه أو خادمه أو ثوبه أو مشيه وحركته وبشاشته وعبوسته وطلاقته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته بلفظك أو كتابك، أو رمزت أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك ونحو ذلك، وضابطه أن كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محرمة، ومن ذلك المحاكاة بأن يمشي متعارجا أو مطأطئا، أو على غير ذلك من الهيئات مريدا حكاية هيئة من ينقصه بذلك. (فقد اغتبته) أي لا معنى للغيبة إلا هذا، وهو أن تكون المنقصة فيه (وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) أي قلت عليه البهتان وهو كذب عظيم يبهت فيه من يقال في حقه. والغيبة تباح لغرض شرعي وذلك لستة أسباب:

أحدها: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه فيقول ظلمني فلان أو فعل بي كذا. الثاني: الاستغاثة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك. الثالث: الاستفتاء بأن يقول للمفتي ظلمني فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه ودفع ظلمه عني ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة والأجود أن يقول في رجل أو زوج أو والد وولد كان من أمره كذا ومع ذلك فالتعيين جائز لحديث هند وقولها إن أبا سفيان رجل شحيح. الرابع: تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالإجماع بل واجب صونا للشريعة ومنها الإخبار بعيبه عند المشاورة في مواصلته ومنها إذا رأيت من يشتري شيئا معيبا أو عبدا سارقا أو زانيا أو نحو ذلك تذكره للمشتري إذا لم يعلمه نصيحة لا بقصد الإيذاء والإفساد ومنها إذا رأيت متفقها يتردد إلى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علما وخفت عليه ضرره فعليك نصيحته ببيان حاله قاصدا النصيحة ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها لعدم أهليته أو لفسقه فيذكره لمن له عليه ولاية ليستدل به على حاله فلا يغتر به ويلزم الاستقامة. الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالخمر ومصادرة الناس وجباية المكوس وتولي الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر.السادس: التعريف فإذا كان معروفا بلقب كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير والأعمى والأقطع ونحوها جاز تعريفه به ويحرم ذكره به تنقصا ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى والله أعلم.

مراجع: سراج الملوك / مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح / صحيح مسلم/ شرح النووي على مسلم/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ سنن الترمذي/ ربيع الأبرار/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) ويوسف بن الحكم، أبو الحجاج 0424

قال كعب بن علقمة:[1] كان يوسف بن الحكم أبو الحجاج[2] فاضلا، من خيار المسلمين. فبينا هو وأبوه في مجلس في المسجد فيه عمرو بن سعيد بن العاص[3]،فمر بهم سليم بن عتر[4]،وكان قاضي الجند، وكان من خير التابعين، فقال الحجاج: أما لو أجد هذا خلف هذا الحائط، وكان لي عليه سلطان، لضربت عنقه، إن هذا وأصحابه يثبطون عن طاعة الولاة، فشتمه والده، ولعنه، وقال له: تسمع القوم يذكرون عنه خيرا ثم تقول ما تقول؟ أما والله إن رأيي فيك أنك لا تموت إلا جبارا شقيا

وفي رواية: خرج من مصر يريد عبد الملك، ومعه ابنه الحجاج، فأقبل سليم بن عمرو القاضي، وكان من أورع الناس وأتقاهم، فقام إليه يوسف، فسلم عليه، وقال له: ألك حاجة إلى أمير المؤمنين؟ فقال: نعم، أن تسأله يعزلني عن القضاء، فقال يوسف: لوددت أن قضاة المسلمين كلهم مثلك، فكيف أسأله ذلك ثم انصرف، فقال الحجاج لأبيه: من هذا الذي قمت إليه؟ فقال: هذا سليم بن عمرو قاضي مصر وقاصهم، فقال: يغفر الله لك يا أبت، أنت ابن عقيل تقوم إلى رجل من كندة؟! فقال: والله إني لأرى الناس ما يرحمون إلا بهذا وأشباهه، فقال والله، ما يفسد على أمير المؤمنين إلا هذا وأشباهه، يقعدون وتقعد أليهم أحداث، فيذكرون سيرة أبي بكر وعمر؛ فيخرجون على أمير المؤمنين، فوالله لو أضيف إلي هذا الأمر، لسألت أمير المؤمنين أن يجعل لي السبيل، فأقتل هذا وأشباهه، فقال له: اتق الله يا بني، والله إني لأظن أن الله خلقك شقيا.

قال عوانة بن الحكم: أتي الحجاج برجلين من الخوارج، فقال لأحدهما: ما دينك؟ قال: دين إبراهيم حنيفا مسلما وما أنا من المشركين، قال: يا حرسي اضرب عنقه. ثم قال للآخر: ما دينك؟ قال: دين الشيخ يوسف بن الحكم يعني أبا الحجاج قال: ويحك ! اخترته، لقد كان صواما قواما، يا حرسي، خل عنه. قال: ويحك يا حجاج، أسفهت نفسك، وأثمت بربك؟ قتلت رجلا على دين إبراهيم، وقد قال تعالى:﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة] قال: أبيت؟! يا حرسي اضرب عنقه، فانطلق به، فأنشأ يقول: رجز: سبحان رب قد يرى ويسمع..وقد مضى في علمه ما يصنع..ولو يشا في ساعة بل أسرع..فيرسلن عليك نارا تسطع..فيترك السرير منك بلقع. فضربت عنقه. قال علي بن أبي حملة:[5]شهد الحجاج مع أبيه الحرة[6]مع بعث مسلم بن عقبة[7].قال هشام بن إبراهيم: لما حصر الحجاج ابن الزبير، وأخذ عليه بجوانب مكة أرسل إلى أصحاب مسالحه جميعا يوصيهم بالاحتفاظ من ابن الزبير لا يهرب، وبلغ ذلك ابن الزبير فقال: يحسبني مثله الفرار بن الفرار! أراد فرار الحجاج من الربذة مع أبيه.

■ (2) يوسف بن الحكم بن أبي عقيل عمرو بن مسعود بن عامر بن معتب الثقفي والد الحجاج بن يوسف الثقفي. أصله من الطائف، وخرج منها في بعث مسلم بن عقبة إلى المدينة، ثم رجع إلى دمشق، وخرج مع مروان بن الحكم منها إلى مصر. ووجهه مروان في جيش حبيش بن دلجة القيني فأسر بالربذة، ومعه ابنه الحجاج بن يوسف، فهربا سالمين، وأقاما بدمشق حتى بعث عبد الملك ابنه الحجاج إلى قتال عبد الله بن الزبير.

■ (1) كعب بن علقمة بن كعب بن عدى توفى سنة 127 هـ فيما قيل. وقيل مات سنة 130 هـ

■ (4) سليم بن عتر بن سلمة بن مالك بن عتر بن وهب بن عوف بن معاوية ابن الحارث بن أيدعان بن سعد بن تجيب التجيبي، هاجر في خلافة عمر وحضر خطبته بالجابية، وشهد فتح مصر وكان يدعى سليما الناسك، روى عن عمر وحفصة بنت عمر. توفي سنة 175 هـ أو 176 هـ.

■ (5) علي بن أبي حملة مولى قريش شيخ ضمرة بن ربيعة القرشي الحمصي أبو علي الرملي ما علمت به بأسا ولا رأيت أحدا إلى الآن تكلم فيه وهو صالح الأمر ولم يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستة مع ثقته انتهى وإذا كان ثقة ولم يتكلم فيه أحد فكيف نذكره في الضعفاء وكان يكنى أبا نصر قرأ على عطية بن قيس وروى واثلة بن الأسقع قال البخاري مات سنة 216 هـ

■ (7) مسلم بن عقبة المري. الذي سماه الناس بعد وقعة الحرة مجرما ومسرفا بعد أن حصر المدينة وأوقع بأهلها وقعة الحرة، سار إلى مكة ليقاتل ابن الزبير فمات في الطريق سنة 64 هـ ودفن بالمشلل بين مكة والمدينة وقد استخلف الحصين بن نمير السكوني على الجيش فحاصر ابن الزبير ورموا البيت بالمنجنيق ولم يلبثوا أن أخذ الله يزيد بن معاوية فجاءهم الخبر بموته فاخذ حصين الأمان من ابن الزبير ودخلوا الحرم ثم رحلوا إلى الشام وفرق البخاري بين حصين بن نمير الراوي عن بلال وبين حصين بن نمير الأمير.

■ (3) عمرو بن سعيد بن العاص، يسمى الأشدق ولطيم الشيطان، ولي المدينة ليزيد، وكان مروان قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك فقتله عبد الملك، فقيل أنها كانت أول غدرة كانت في الإسلام، دخل مصر مع مروان وقتل سنة 69 هـ وقيل 70 هـ

■ (6) الحرة في الأصل اسم لكل أرض ذات حجارة سود، فمتى كانت بهذه الصفة قيل لها حرة، والحرار كثيرة، والمراد بهذه الحرة حرة واقم، بالقاف المكسورة، وهي بالقرب من المدينة في جهتها.

قال ابن كثير: كان سبب وقعة الحرة أن وفدا من أهل المدينة قدموا على يزيد بدمشق، فأكرمهم وأحسن جائزتهم وأطلق لأميرهم، وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر، قريبا من مائة ألف فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في شربه الخمر وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها بسبب السكر فاجتمعوا على خلعه فخلعوه عند المنبر النبوي فلما بلغه ذلك بعث إليهم سرية يقدمها رجل يقال له: مسلم بن عقبة. وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام فقتل في غبون هذه الأيام بشرا كثيرا حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها وزعم بعض علماء السلف أنه افتض في غبون ذلك ألف بكر

قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة خمس وسبعين، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر. قال الأصمعي: قال عبد الملك للحجاج: إنه ليس أحد إلا وهو يعرف عيبه، فعب نفسك. قال: أعفني يا أمير المؤمنين، فأبى عليه، فقال: أنا لجوجٌ حقودٌ حسودٌ، فقال: ما في الشيطان شر مما ذكرت. قال العتبي: قال الحجاج لرجل وأراد أن ينفذه في بعض أموره: أعندك خير؟ قال: لا، ولكن عندي شر. قال: إياه أردت. وأنفذه فيه. وروى إسماعيل بن أبي خالد، قال الشعبي: يأتي على الناس زمانٌ يصلون فيه على الحجاج. قال أبو صالح الأشعري: أتيت بيت المقدس، فلقيت أبا ريحانة[1] فذكرت الحجاج فصليت عليه. فقال لي: هلكت أبا صالح ثلاثا إني لأجد في بعض ما أنزل من الكتب، الأبتر، القصير؛ قصيره صاحب العراقين، مبدل السنة غير السنة، والملة غير الملة، يلعنه أهل السماء وأهل الأرض، ويل له وويل لمن أحبه. وعن مالك بن دينار قال: إن الحجاج عقوبة سلطه الله عليكم، فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسيف، ولكن استقبلوها بالدعاء والتضرع.

قال يحيى بن يحيى الغساني: قال لي عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بأبي محمد لفتناهم، فقال له رجل من آل أبي معيط: لا تقل ذلك، فوالله إن وطأ لكم هذا الأمر الذي أصبحتم فيه غرة فقال عمر: أتحب أن يدخلك الله مدخلك الحجاج؟ قال: إي والله، إني لأحب أن يدخلني الله مدخله ولا يدخلني مدخلك. فقال عمر: أمنوا، اللهم، أدخله مدخل الحجاج. وقال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم وجئنا بالحجاج لغلبناهم، وما كان يصلح لدنيا ولا آخرة. لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكون من العمارة، فأخس به حتى صيره إلى أربعين ألف ألف، ولقد أدي إلي في عامي هذا ثمانون ألف ألف، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إلي ما أدي إلى عمر بن الخطاب، مئة ألف ألف، وعشرة آلاف ألف.

قال الريان بن مسلم: بعث عمر بن عبد العزيز بآل أبي عقيل أهل الحجاج إلى صاحب اليمن وكتب إليه: أما بعد، فإني بعثت بآل أبي عقيل، وهم شر بيت في العرب، ففرقهم في عملك على قدر هوانهم على الله تعالى وعلينا، وعليك السلام. وإنما نفاهم، رحمه الله. قيل: وكتب عمربن عبد العزيز إلى عروة بن محمد: أما بعد، فإني بعثت إليك بنفر من بني عقيل، وبئس القوم كانوا في الجاهلية والإسلام، وكان أفضلهم في أنفسهم شر خلق الله دينا ونفسا، وأنا أرجو أن يجعل الله فيهم خلافا لا يزداد ما كرهوا من ذلك إلا لزوما وأن يظعنوا إلى شر ما ظعن إليه أهل موت، فإذا أتاك كتابي هذا فأنزلهم من نواحي أرضك بشرها بقدر هوانهم على الله عزوجل، والسلام.

قال رجل من أهل الشام يقال له عمارة:[2] أدربنا* عاما، فقلنا وفينا شيخ من خثعم، فذكر الحجاج، فوقع فيه وشتمه، فقلت له: ولم تشتمه وهو يقاتل أهل العراق في طاعة أمير المؤمنين؟! فقال: إنه هو الذي أكفرهم. ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَمْسُ فِتَنٍ فَقَدْ مَضَتْ أَرْبَعٌ وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الصَّيْلَمُ*وَهِيَ فِيكُمْ يَا أَهْلَ الشَّامِ فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ حَجَرًا فَكُنْهُ وَلَا تَكُنْ مَعَ وَاحِدٍ مِنْ الْفَرِيقَيْنِ أَلَا فَاتَّخِذْ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ قلت: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم. وعن عوانة بن الحكم قال: سمع الحجاج تكبيراً في السوق وهو في الصلاة، فلما انصرف صعد المنبر وقال: يا أهل العراق، وأهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، قد سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذي يراد به الله في الترهيب، ولكنه الذي يراد الترغيب، إنها عجاجةٌ تحتها قصفٌ، أي بني اللكيعة، وعبيد العصا، وأولاد الإماء، ألا يرقأ الرجل منكم على ظلعه، ويحسن حمل رأسه، وحقن دمه، ويبصر موضع قدمه، والله ما أرى الأمور تثقل بي وبكم حتى أوقع بكم وقعةً تكون نكالاً لما قبلها، وتأديباً لما بعدها. جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، فأخبره أن أهل العراق قد حصبوا أميرهم، فخرج غضبان، فصلى لنا صلاة فسها فيها حتى جعل الناس يقولون: سبحان الله، سبحان الله. فلما سلم أقبل على الناس فقال: من هاهنا من أهل الشام؟ فقام رجل، ثم قام آخر. قال الراوي: ثم قمت أنا ثالثاً أو رابعاً. فقال: يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرخ، اللهم، إنهم قد لبسوا علي فالبس عليهم، وعجل عليهم بالغلام الثقفي، يحكم فيهم بحكم الجاهلية، لا يقبل من محسنهم، ولا يتجاوز عن مسيئهم. وعن أبي إدريس قال: قدم علينا عمر بن الخطاب الشام فقال: إني أريد آتي العراق، فقال له كعب الأحبار[3]: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من ذلك. قال: وما تكره من ذلك؟ قال: بها تسعة أعشار الشر وكل داء عضال، وعصاة الجن، وهاروت وماروت وبها باض إبليس وفرخ. حدث حبيب بن أبي ثابت قال: قال علي رضي الله عنه لرجل: لا مت حتى تدرك فتى ثقيف. قيل له: يا أمير المؤمنين، ما فتى ثقيف! قال: ليقالن له يوم القيامة: اكفنا زاوية من زوايا جهنم، رجل يملك عشرين أو بضعاً وعشرين سنة، لا يدع لله تعالى معصية إلا ارتكبها، حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة فكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها، يقتل بمن أطاعه من عصاه. حدث الحسن، أن علياً كان على المنبر فقال: اللهم، إني ائتمنتهم فخانوني، ونصحتهم فغشوني، اللهم، فسلط عليهم غلام ثقيف، يحكم في دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية. فوصفه وهو يقول: الزبال مفجر الأنهار، يأكل خضرتها، ويلبس فروتها. قال: فقال الحسن. هذه والله صفة الحجاج. وفي حديث آخر قال: يقول الحسن: وما خلق الحجاج يومئذ. عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: ﴿أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابَانِ، الْآخِرُ مِنْهُمَا شَرٌّ مِنَ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مُبِيرٌ﴾ الكذاب الأول: هو المختار بن أبي عبيد الثقفي (حاكم الكوفة) كان متلونا كذابا يدعو مرة إلى محمد بن الحنفية، ومرة لابن الزبير، حتى ادعى آخرا أن جبريل يأتيه بالوحي من السماء. والكذاب الثاني (المبير): هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، ويقول الذهبي فيه: كان ظلوما، جبارا خبيثا سفاكا للدماء وكان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء، وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن إلى أن قال: فلا نسبهُ ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عري الإيمان وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء.

----

*(أدرب) دخل الدرب وكل مدخل إلى الروم درب. أدربنا: يقال أدرب القوم إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم. (الصيلم) الداهية التي تستأصل كل شيء كأنها فتنة قطاعة وهي من الصرم القطع والياء زائدة.

■ (1) أبو ريحانة الأزدي، اسمه شمعون بن زيد بن خنافة = وقيل شمغون المعجمة له صحبة مشهور بكنيته أبي ريحانة الأزدي.

■ (2) عمارة بن عبيد الخثعمي ويقال: عمارة بن عبيد الله. رجل من خثعم . روى عنه داود بن أبي هند أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر حديثا حسنا في الفتن ويقال : إن بينه وبين داود بن أبي هند رجلا من أهل الشام.

■ (3) كعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر، كان يأخذ السنن عن الصحابة ويحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، توفي كعب بحمص ذاهبا للغزو في أواخر خلافة عثمان سنة 32 هـ.

مراجع:تهذيب التهذيب/ مسند أحمد/ـ مختصر تاريخ دمشق/ لسان العرب/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ مسند أحمد/ التاريخ الكبير/ مصنف ابن أبي شيبة/ تهذيب الكمال/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/

قال عاصم بن بهدلة:[1] اجتمعوا عند الحجاج، فذكر الحسين بن علي، فقال الحجاج: لم يكن من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم، وعنده يحيى بن يعمر[2]،قال: كذبت أيها الأمير، فقال: لتأتيني على ما قلت ببينة ومصداق من كتاب الله عز وجل، وإلا قتلتك قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ- إلى قوله:- وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ [الأنعام] فأخبره الله عز وجل إن عيسى من ذرية آدم بأمه، والحسين بن علي من ذرية محمد صلى الله عليه وسلم بأمه، قال: صدقت، فما حملك على تكذيبي في مجلسي؟ قال: ما أخذ الله على الأنبياء: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ قال الله عز وجل: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران] قال: فنفاه إلى خراسان.

قد روى الناس هذا الكلام على وجه آخر، حكى عاصم بن أبي النجود[1] المقرئ أن الحجاج بن يوسف الثقفي بلغه أن يحيى بن يعمر يقول: إن الحسن والحسين رضي الله عنهما من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يحيى يومئذ بخراسان، فكتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم[3] والي خراسان أن ابعث إلي بيحيى بن يعمر، فبعث إليه، فقام بين يديه، فقال: أنت الذي تزعم أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لألقين الأكثر منك شعراً أو لتخرجن من ذلك، قال: فهو أماني إن خرجت قال: نعم، فإن الله جل ثناؤه يقول: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام] قال: وما بين عيسى وإبراهيم أكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد صلوات الله عليه وسلامه، فقال له الحجاج: ما أراك إلا قد خرجت، والله لقد قرأتها وما علمت بها قط. وهذا من الاستنباطات البديعة الغريبة العجيبة، فلله دره، ما أحسن ما استخرج وأدق ما استنبط! قال عاصم: ثم إن الحجاج قال له: أين ولدت فقال: بالبصرة، قال: أين نشأت، قال: بخراسان، قال: فهذه العربية أنى هي لك. قال: رزق، قال: خبرني عني هل ألحن؟. فسكت، فقال: أقسمت عليك، فقال: أما إذ سألتني أيها الأمير فإنك ترفع ما يوضع وتضع ما يرفع، فقال: ذلك والله اللحن السيئ؛ قال: ثم كتب إلى قتيبة: إذا جاءك كتابي هذا فاجعل يحيى بن يعمر على قضائك والسلام.

روى ابن سلام عن يونس بن حبيب قال: قال الحجاج ليحيى بن يعمر أتسمعني ألحن؟ قال: في حرف واحد، قال: في أي؟ قال: في القرآن، قال: ذلك أشنع، ثم قال: ما هو؟ قال تقول:﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ - إلى قوله-: إِلَيْكُمْ﴾ [التوبة] فتقرؤها بالرفع، قال ابن سلام: كأنه لما طال الكلام نسي ما ابتدأ به، فقال الحجاج: لا جرم لا تسمع لي لحناً، قال يونس: فألحقه بخراسان وعليها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، والله أعلم أي ذلك كان. قال ابن الجوزي في كتاب شذور العقود: في سنة 84 هـ نفى الحجاج يحيى ابن يعمر لأنه قال له: هل ألحن. فقال: تلحن لحناً خفياً، فقال: أجلتك ثلاثاً، فإن وجدتك بعد بأرض العراق قتلتك، فخرج.

حكى عثمان بن محصن قال: خطب أمير البصرة فقال: اتقوا الله فإنه من يتق الله فلا هورات عليه، فلم يدروا ما قال الأمير، فسألوا يحيى بن يعمر فقال: الهورات الضياع، يقول: من اتقى الله فليس عليه ضياع، قال القزاز في كتاب الجامع الهورات المهالك، واحدها هورة، قال الراوي: فحدثت بهذا الحديث الأصمعي فقال: هذا شيء لم أسمع به قط حتى كان الساعة منك، ثم قال: إن كلام العرب لواسع، لم أسمع بذا قط. وحكى الأصمعي قال: حدثنا أبي قال: كتب يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وهو بخراسان إلى الحجاج بن يوسف كتاباً يقول فيه: إنا لقينا العدو فاضطررناهم إلى عرعرة الجبل، ونحن بالحضيض، فقال الحجاج: ما لابن المهلب ولهذا الكلام فقيل له: إن ابن يعمر عنده، فقال: فذاك إذا. وكان يحيى بن يعمر يعمل الشعر وهو القائل: أبى الأقوام إلا بغض قومي..قديماً أبغض الناس السمينا. وقال خالد الحذاء: كان لابن سيرين منقوط نقطه يحيى بن يعمر، وكان ينطق بالعربية المحضة واللغة الفصحى طبيعة فيه غير متكلف؛ وأخباره ونوادره كثيرة.

■ (2) يحيى بن يعمر العدواني الوشقي النحوي البصري، أبو سليمان، وقيل أبو سعيد؛ كان تابعياً، وهو أحد قراء البصرة، وعنه أخذ عبد الله بن أبي إسحاق القراءة، وانتقل إلى خراسان، وتولى القضاء بمرو، وكان عالماً بالقرآن الكريم والنحو ولغات العرب وأخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي، يقال إن أبا الأسود لما وضع باب الفاعل والمفعول به زاد فيه رجل من بني ليث أبواباً ثم نظر فإذا كلام العرب ما لا يدخل فيه فأقصر عنه، فيمكن أن يكون هو يحيى بن يعمر المذكور إذ كان عداده في بني ليث لأنه حليف لهم. ويقال أنه من نقط المصاحف. توفي سنة 129 هـ.

■ (1) عاصم بن أبي النجود الإمام الكبير مقرئ العصر، أبو بكر الاسدي مولاهم الكوفي واسم أبيه بهدلة، وقيل: بهدلة أمه، وليس بشيء، بل هو أبوه، مولده في إمرة معاوية بن أبي سفيان. وهو معدود في صغار التابعين. توفي سنة 127 هـ.

■ (3) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة، أبو حفص الباهلي. ولد سنة 49 هـ وقتل سنة 96 ه أو 99 هـ. أمير خراسان كلها بعد إمرة الري، وهو الذي افتتح خوارزم وبخارى وسمرقند، وقد كانوا كفروا ونقضوا، ثم افتتح فرغانة والترك. وولي خراسان عشر سنين. وقد سمع، من: عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري. ولما مات الوليد بن عبد الملك نزع الطاعة، فلم يوافقه على ذلك أكثر الناس. وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان بن قيس الغداني عن رياسة تميم، فحقد عليه، وسعى في تأليب الجند، ثم وثب على قتيبة في أحد عشر من أهله، فقتلوه وقتل أخوه أبو صالح، وكان أبوه مسلم بن عمرو من أصحاب مصعب بن الزبير وإلى العراق من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وقاتل معه في حربه ضد عبد الملك بن مروان سنة 72 هـ.

☪

حكى أبو أحمد العسكري في كتاب التصحيف أن الناس غبروا* يقرؤون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيفا وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق، ففزع الحجاج بن يوسف الثقفي إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات، فيقال: إن نصر بن عاصم[1] قام بذلك فوضع النقط أفرادا وأزواجا وخالف بين أماكنها، فغبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون إلا منقوطا، فكان مع استعمال النقط أيضا يقع التصحيف، فأحدثوا الإعجام، فكانوا يتبعون النقط الإعجام، فإذا أغفل الاستقصاء عن الكلمة فلم توف حقوقها اعترى التصحيف، فالتمسوا حيلة، فلم يقدروا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين.

☪

عن أبي هريرة، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿اللَّهُمَّ، إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا﴾ يعني حسنا وحسينا. وعن زيد بن أرقم، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال لفاطمة وحسن وحسين:﴿أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ﴾ وعن ابن أبي نعم، قال: كنت جالسا عند ابن عمر فأتاه رجل من أهل العراق (وسأله عن المحرم؟)، فقال ابن عمر: ها انظروا هذا يسألني عن دم البعوض وهم قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿هُمَا رَيْحَانَتِي مِنَ الدُّنْيَا﴾ وعن الحسن، سمع أبا بكرة قال، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، على المنبر والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة، ويقول:﴿ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وفي حديث عن أبي بكرة قال: ﴿قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ أُمَّتِي، وَقَالَ فِي حَدِيثِ حَمَّادٍ: وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَظِيمَتَيْنِ﴾وعن أنس بن مالك، أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين رضي الله عنه، فجعل في طست، فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئا، فقال أنس:﴿كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ مَخْضُوبًا بِالْوَسْمَةِ﴾ (ينكت) يضرب بقضيب على الأرض وينبش التراب به وقيل يجعل القضيب في عيني الرأس وأنفه فقال له زيد بن أرقم ارفع قضيبك فقد رأيت فم رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضعه. (وقال في حسنه شيئا) روي أنه قال ما رأيت مثل هذا حسنا (أشبههم) أي أشبه أهل بيته به (وكان) الحسين رضي الله عنه (مخضوبا) مصبوغا (بالوسمة) نبت يميل إلى سواد يصبغ به. وعن أبي سعيد، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ﴾ وعن عاصم، عن زر، قال: كان الحسن والحسين يثبان على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي، فجعل الناس ينحونهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿دَعُوهُمَا بِأَبِي هُمَا وَأُمِّي، مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ هَذَيْنِ﴾ وعن ابن عباس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول:﴿أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ. وَيَقُولُ: هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ ابْنَيْهِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ وعن سالم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنِّي سَمَّيْتُ ابْنَيَّ هَذَيْنِ بِاسْمِ ابْنَيْ هَارُونَ شَبَّرٌ وَشُبَيْرٌ﴾ وعن زهير بن الأقمر، قال: بينما الحسن بن علي يخطب إذ قام رجل من الأزد آدم طوال فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه في حقويه يقول:﴿مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّهُ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ﴾ وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال لحسن: ﴿اللَّهُمَّ، إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ﴾ وعن مغيرة، عن الشعبي قال:﴿لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُلَاعِنَ أَهْلَ نَجْرَانَ أَخَذَ بِيَدِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي خَلْفَهُ﴾وعن أم المؤمنين عائشة: خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب] وعن أبي هريرة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالتمر عند صرام النخل، فيجيء هذا بتمره، وهذا من تمره حتى يصير عنده كوما من تمر، فجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما تمرة، فجعلها في فيه، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخرجها من فيه، فقال: ﴿أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال أبو بكر:﴿ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ﴾.

☪

قال علي الصلابي: كان الحجاج يحترم أهل البيت ويكرمهم وما زواجه ببنت عبد الله بن جعفر إلا مظهر من ذلك ليتقرب منهم ويصلهم وعلى الرغم من أنه طلقها فما زال واصلا لعبد الله حتى مات، فكان يرسل له في كل شهر عيرا تحمل كسوة وتحفا وميرة وكل ما يحتاج إليه، وقد تجلى ذلك في أنه قال مرة: ليقم كل رجل منك يذكر بلاءه لنعطيه فقام رجل فقال: أنا قاتل الحسين. فقال: كيف قتلته؟؟ قال: دسرته بالرمح دسرا، وهبرته بالسيف هبرا. فقال: أما والله لا يجتمع الحسين وقاتله في الجنة، وحرمه من العطاء، وما يذكر في كتب التاريخ من كون الحجاج نصب العداء لأهل البيت غير صحيح، وخصوصا إذا عرفنا معاملة عبد الملك لأهل البيت وحرصه على عدم مساسهم من قريب أو بعيد ما لم يتقربوا من كرسي الخلافة ويعملوا على الوصول إليه.

----

*(غبر) غبر الشيء بقي وغبر أيضا مضى وهو من الأضداد وبابه دخل

■ (1) نصر بن عاصم الليثي: من أوائل واضعي النحو. قال أبو بكر الزبيدي: أول من أصل ذلك أي علم العربية وأعمل فكره فيه، أبو الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي، ونصر ابن عاصم، و عبد الرحمن بن هرمز، فوضعوا للنحو أبوابا، وأصلوا له أصولا، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف. وقال ياقوت: كان فقيها، عالما بالعربية، من فقهاء التابعين، وله كتاب في العربية. وهو أول من نقط المصاحف. وكان يرى رأي الخوارج ثم ترك ذلك، وله في تركه أبيات، وقيل: أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدواني، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء. مات بالبصرة سنة 89 هـ.

مراجع: العقد الفريد/ حدائق الأزاهر/ وفيات الأعيان/ مصنف أبن أبي شيبة/ خزانة الأدب/ مختصر تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ أسد الغابة/ـمختار الصحاح/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) وأبو المبارك ميمون 0426

قال: لما رمى الحجاج بيت الله بالعذرة وقتل ابن الزبير[1]، أقبل رجل موسوس معتوه عليه عباءة قد شدها إلى عنقه، فطاف بالبيت سبعا، ثم صعد إلى الحجر، فتكلم بصوت جهوري فأسمع الناس وقال أيها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني نبأته باسمي، أنا ميمون أبو المبارك المجنون[2] فاسمعوا ما أقول لكم. فإني متكلم ناطق، غير هائب ولا خائف، بل أقول بلسان صواب، ولا أخاف العقاب، بل أرجو الثواب من رب الأرباب ذي المن والإفضال. إياه قصدت وما عنده طلبت. ثم حمد الله فأحسن، ومجد فأكثر. ثم دعى دعوات وأعرب. فقال: اللهم، لك سجدت الجباه ولك خضعت الأعناق، ولك ذلة الأرباب. وأنت خالق السموات والأرض بلا تعب ولا مشورة لذوي الألباب. لم يعجزك ما أردت ولا يفتك ما طلبت، ولم يخف عليك شيء لبعده، ولا زدت في معرفة شيء لقربه. تعلم خفيات الضمائر كما تعلم كل شيء بين. أما السموات فلك مذعنة، وأما الأرضون فلك مطيعة، وأما الأفلاك فلك مسبحة. وأما الملائكة ففي عبادتك مجتهدة، وأما النبيون فلرسالتك مبلغة، وأما السحاب فبرحمتك مهطلة. والنار من خوفك تزفر وتفرق، والجنة مزينة بالحور والقصور. فيا من العدل قضاؤه ويا من الشكر رضاؤه، ويا من يتحلى في الجنة لأوليائه قد تكلمت بلسان ينطق بحمدك، وبقلب يخشع لهيبتك، وجوارح أذعنت لعظمتك. فأسألك يا من قصده العباد من كل البلاد، رجاء الثواب وخوف العقاب. أسألك مسألة طالب قد رجا الإجابة، وأيقن بقضاء الحاجة. أن تهلك الحجاج المتوثب على بيتك برمي العذرة. والقاتل لأصحاب نبيك صلى الله عليه وسلم المطهر من كل ريبة. اللهم، إذا ذكرت عبادك بالرحمة، فاذكره بأشد غضب واكمل عطب، إنك أنت المستجيب للدعاء.اللهم، هذا البيت بيتك، وهذا الحرم حرمك، وهذا حجر إسماعيل نبيك عليه السلام، اللهم، أنت ذو الجلال والإكرام.ثم أتى منى والناس أجمع ما كانوا. فصلى صلاة الفجر ثم قام قائما على قدميه ثم قال: أيها الناس، أليس إلى الله قصدتم وما عنده طلبتم؟ فإذا سألتموه فابتهلوا. وإذا دعوتموه فاخضعوا. والحجاج فالعنوا فإنه نجس الولادة، اللهم، فلا تنجه من سخطك واحرمه رحمتك التي وسعت كل شيء إنك ذو الجلال والإكرام. قال: فاجتمع الناس إليه وقالوا له: أيها الرجل: من أين أنت؟ قال من بلاد الله. قالوا فأين تأوي؟ قال: إلى أرض الله. قالوا: فما قصتك وقصة الحجاج؟ أظلمك بشيء؟ قال: نعم. قالوا: ماذا؟ قال: قصد بيت ربي فنجسه، وقتل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهان. فوجبت اللعنة عليه، واستوجب منا العداوة. ولم أعرف موضعا أجل من هذه الثنية. موضع ولد فيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه. فأحببت أن أتعب نفسي من أجله وبالدعاء عليه.

ثم مر يسحب كساءه، وقد تبين فيه أثر الجوع، فاتبعه رجل من التجار فقال: السلام عليك يا أبا المبارك! قال: وعليك السلام، يا وافد الله! قال: لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: تأتي منزلي فتأكل كسرة خبز وتشرب شربة من سويق. قال: على شرط. قال: وما شرطك؟ قال: ألا تكون ظالما ولا عونا لظالم. فما عملك؟ قال: تاجر. قال: أفما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿التُّجَّارُ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّاراً إِلاَّ مَنِ اتَّقَى وَبَرَّ وَصَدَقَ﴾ قال: فإني لا أمدح عند البيع ولا أذم عند الشرى. قال: منك يا أخي طاب القرى*. قال: فأتى إلى رحله فأكل رغيفا وملحا ولم يزد عليه بشيء. ثم قال: يا أخي، أوصني. قال: خف الله خوف حذر، وارجه رجاء متملق، وعليك بأكل الحلال، وبذل النوال* لأهل الإقلال*، وادخل الجنة بسلام. قال: فأعجبني ما سمعت من قوله.

قال: فلما انقضى الموسم أقبل أصحاب الحجاج إلى الحجاج وأخبروه بخبر ميمون وقالوا: ما منعنا من أخذه إلا العامة وجلبتهم. والغوغاء وضجتهم. قال: فدعا الحجاج بقائد من قواده من خاصة أصحابه. وقال: سر في البلاد واطلب هذا الرجل، ولك الجباء* والجائزة. قال: فأتعبوا أبدانهم وأحفوا دوابهم في طلب ميمون. وهو من أهل الكوفة ومسكنه بها. فدخل القائد الكوفة. فإذا هو جالس على مزبلة والصبيان حوله وهو يقول لهم، إنه لم تجر عليكم الأقلام، ولم تكتب عليكم الآثام، فانظروا أن لا تطيعوا إبليس عدوكم فإنه عدو أبيكم آدم عليه السلام من قبل وهو الذي أعانه بعد القضاء على الخروج من الجنة. وعليكم بأخلاق الصالحين والاقتداء بالمؤمنين، منهم الصديق ذو الحق المبين، ثم عمر الفاروق لم يكن عنده حق الله يزول، ثم عثمان ذو النورين. ثم علي الرضى سال السيف في المنافقين الأردياء. فإذا فعلتم ذلك كنتم مع الأولياء. ولم يزل يعظهم. فلما فرغ قالوا له: هل لك في طعام طيب تأكله وثوب لين تلبسه؟ فقال: كذبتم ما لهذا قصدتم ولا لهذا أردتم. إنما تريدون أن يحملوني أصحاب الحجاج إلى الحجاج وإنما جئتم في طلبي فلا تقيدوني ولا تغلوني فإني لكم سامع مطيع. فأحسنوا رفقته والمشي به فلما اشرف على بلد واسط قال له القائد: إذا دخلت على الأمير فسلم عليه. قال: فإذا لم أسلم عليه؟ قال: يقتلك. قال: فإن أنا سلمت عليه وساءلني فصدقته الجواب. أيقتلني؟ قال: نعم. قال: فما كنت بالذي أسلم على رجل عاص قتل أولياء الله ووالى أعداء الله. فهو بغيض للهز* ثم دخل القائد فأخبره بخبره ففرح الحجاج وقال: علي به، فأتي به. فوقف بين يديه صامتا لم يتكلم وعليه عباءة قد شدها إلى عنقه. فاستحقره الحجاج لما رأى من نحالة جسمه وسوء حاله فأنشأ يقول: إياك أن تزدري الرجال وما..يدريك ما ذا يجنه الصدف..نفس الجواد العتيق باقية..فيه وإن من جسمه العجف..فالحر حر وإن ألم به..الضر ففيه الحياء والأنف. فلما سمع الحجاج مقالته وشعره علم أنه حكيم. فقال: من أنت؟ ومن أين أنت؟ قال: عبد الله وابن عبيده. قال: فما منعك من السلام؟ قال: ما كنت بالذي أسلم ولو سلمت خفت أن لا ترد علي. قال: ما اسمك؟ قال: أما اليوم فميمون. وما أدري ما اسمي عند ربي إذا دعيت. بالسعادة أدعى أم بالشقاوة أنادى؟ فإن قيل سعد فلان فما أحتاج إلى اسمي، وإن قيل شقي فلان فلا حظ لي عند ربي. قال: يا ميمون، إني سائلك عن مسائل فانظر أن يكون الجواب صوابا. فقال: يا حجاج، إنما لساني بضعة من بدني. فإن أطلق مولاي الصواب نطق به اللسان. وما أنا وأمر لا أطيقه ولا أفعل إلا بحركة ولا حركة إلا بمعين. قال: ويحك وما اللسان؟ قال: هو الذي يترجم عن الإنسان. قال: وإنسان أنت؟ قال: نعم. قال: ومن أين علمت أنك إنسان؟ قال: لأني أفهم وأعقل وأطيع وأعصي، وآكل بيدي وأشرب تجرعا وأتغوط خاليا. وليس هذا إلا فعل الإنسان. وقد قال الله عز وجل:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات] فعرفت ما يضر مما ينفع. قال: فما خلقك؟ قال: من ماء من عوج من بين لحم ودم. فهو في وقت إزعاجه دم أحمر. وفي وقت نزوله ماء أبيض. فإذا استقر في مستقر قراره صير معه مضغة مخلقة وغير مخلقة ثم صير منه لحما وعظما ودما وعروقا وجلدا. فغشي العظم بالجلد. وشبك بالعروق والعصب. وغشى بالجلد وليس في بدن عرق ساكن إلا وتحته ضارب. ولا ضارب إلا وتحته ساكن. فإذا سكن الضارب قلق البدن. وإذا ضرب الساكن اضطرب، فمن قام بحقها استوجب من الله الثواب. ومن لم يقم بحقها استوجب من الله الزوال. فلا يخرج أحد من بطن أمه حتى يكتب أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد. قال: فما تعمل إذا كان قد فرغ من أمرك؟ قال: أعمل لقول النبي صلى الله عليه وسلم:﴿اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ﴾ولما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام ضرب يده على صلبه. فاستخرج ذريته فأراهم إياه. ثم قبض قبضة اليمين فقال: هذه إلى الجنة ولا أبالي. ثم قبض القبضة الأخرى وقال: هذه إلى النار ولا أبالي. ثم أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك قرآنا وقال: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (91) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ يعني أصحاب القبضة الأخرى:﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة] فتقدر أن تنكر هذا ؟ فقال الحجاج: ويحك يا ميمون تحسن مثل هذا وأنت تدعى مجنونا. فقال: إن أهل البطالة إذا نظروا إلى أهل محبة الله سموهم مجانين. وقد مر خاتمة هذه الحكاية من هنا إلى آخرها مرة أخرى فتركناه هنا للتكرار. ثم خلى الحجاج سبيله فمضى مسلما.

----

*(القرى) ما يقدم إلى الضيف (بغيض للهز)؟ (النوال) العطاء (الإقلال) عسرة، قلة الجدة (الجباء) المرأة الرسحاء والصغيرة الثديين، والناقة التي لا سنام لها (اللهز) الضرب بجمع الكف، وغالبا يكون في اللحيين والرقبة والصدر.

■ (2) ميمون أبو المبارك المجنون (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (1) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة ورواية عن النبي وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

حدث عبد الرحمن بن عبد الله بن أخي الأصمعي قال: سمعت عمي يقول: أخبرت إن الحجاج بن يوسف لما فرغ من أمر عبد الله بن الزبير قدم إلى المدينة فلقي شخصا خارجا من أهل المدينة، فلما رآه الحجاج قال له: يا شيخ من أهل المدينة أنت ؟ قال: نعم، قال الحجاج: من أيهم؟ قال: من بني فزارة، قال: كيف حال أهل المدينة؟ قال: شر حال! قال: ومم؟ قال: لما لحقهم من البلاء بقتل ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الحجاج: ومن قتله؟ قال: قتله الفاجر اللعين حجاج بن يوسف عليه لعاين الله، وصلبه من قلة المراقبة لله، فقال الحجاج، وقد استشاط غضبا: وإنك يا شيخ ممن أحزنه ذلك واسخطه؟ قال الشيخ: أي والله اسخطني ذلك، سخط الله على الحجاج وأخزاه، قال الحجاج: أو تعرف الحجاج إن رأيته؟ فقال: أي والله إني به لعارف، فلا عرفه الله خيرا، ولا وقاه ضيرا، فكشف الحجاج عن لثامه وقال: لتعلم أنك أيها الشيخ يسيل دمك الساعة، فلما أيقن بالهلاك تحامق، وقال: هذا والله العجب، أما والله يا حجاج لو كنت تعرفني ما قلت: هذه المقالة، أنا العباس بن أبي ثور المصروع، اصرع في كل شهر خمس مرات، وهذا أول جنوني، فقال الحجاج: انطلق فلا شفاك الله ولا عافاك !.

مراجع: عقلاء المجانيين/ إكمال الإعلام بتثليث الكلام/ تاريخ دمشق/

قال صعصعة بن صوحان[1]: خرجنا مع الحجاج حاجا إلى بيت الله الحرام. فبينما نحن في بعض الطريق إذا نحن بصوت أعرابي يلبي بين الغيضة*. فلما فرغ من التلبية قال: كلامك اللهم لك، من قال مخلوق هلك، وفي الجحيم قد سلك والجاريات في الفلك، على مجاري من سلك، قد اتبعنا رسلك، ما خاب عبد أملك، أنت له حيث علك، فقال الحجاج: تلبية موحد ورب الكعبة. لا يفوتنكم الرجل. فأسرع ما كان حتى أتي بأعرابي على ناقة برحاء بلحاء(؟). فقال الحجاج: من أين أقبلت يا أخا العرب؟ وإلى أين تريد؟ قال: جئت من الفج العميق. قال: من أي الفجاج أنت؟ قال: من العراق وأرضها. قال: من أي العراق أنت؟ قال: من مدينة الحجاج بن يوسف. قال: فما سيرته فيكم؟ قال: بسيرة فرعون في بني إسرائيل، يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم. قال: فهل خلفته ظاعنا أو مقيما؟ قال: بل ظاعنا. قال: إلى أين؟ قال: إلى الحج، ولن يتقبل الله منه. قال: وهل خلف أحدا بعده؟ قال: نعم، أخاه محمدا[2]. قال: فما سيرته فيكم؟ قال: ظلوم غشوم، واسع البلعوم، عاص مشؤوم. قال: له الحجاج هل عرفتني؟ قال الأعرابي: اللهم، لا. قال الحجاج: أنا الحجاج بن يوسف. قال الأعرابي: أشر والله ممن أظلت الخضراء وأقلت الغبراء ويشرب من الماء بغيض مبغوض لعين ملعون في الدنيا والآخرة. فقال الحجاج: والله، يا أعرابي لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحدا قبلك. قال الأعرابي: إن لي ربا يخلصني وينجيني منك. قال: يا أعرابي إني سائلك؟ قال: إذا والله أخبرك. فقال: أتحسن من القرآن شيئا؟ قال: نعم. قال: فأسمعنا. فاستفتح وقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ [النصر] يخرجون من دين الله أفواجا. قال: ليس هكذا يا أعرابي. قال: وكيف؟ قال: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر] فقال الأعرابي: قد كان ذلك قبل أن يتولى الحجاج. فلما ولي جاؤوا يخرجون من دين الله. فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه. ثم قال: ما تقول في محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: وما عسى أن أقول في محمد صلى الله عليه وسلم صاحب القضيب والناقة والحوض والشفاعة وزمزم والسقاية، ومن قرن الله اسمه باسمه. يدعى في كل يوم وليلة عشر مرات في الأذان والإقامة. قال: فما تقول في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. قال: وما عسى أن أقول في صديق في السماء وصديق في الأرض وصاحبه في الغار وأسلم وهو يملك ثمانين ألف دينار أنفقها في سبيل الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومع ذلك يا حجاج يوم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة] وقال عليه السلام سمعتم ما قال: ربكم تبارك وتعالى إلا من كان عنده شيء فليأتني بما أمكنه فقام أبو بكر الصديق[3] رضي الله عنه فأتى بجميع ما عنده. وقام عمر[4] رضي الله عنه فأتى بنصف ما عنده. وقام عثمان[5] رضي الله عنه وأتى بثلث ما عنده. فقالوا: خذ يا رسول الله. ولله عندنا المزيد. فنزل جبريل عليه السلام وقال: يا رسول الله إن ربك العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول لك: اقرأ أبا بكر منى السلام وقل له: أنا راض عنه، فهل هو راض عني؟ فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه. فبكى أبو بكر بكاء شديدا وقال: يا رسول الله، أنا راض راض فوعد الله أن يرضيه وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ قال الحجاج: فما تقول في عمر بن الخطاب؟ قال: وما عسى أن أقول في فاروق السماء وفاروق الأرض. فرق بين الحق والباطل على لسانه. وإذا كان يوم القيامة يأتي الحق والإسلام ويتعلقان فيه فيجزع عمر رضي الله عنه منهما فيقولان له: لا تجزع فنحن الحق والإسلام اللذان كنت تقوم بنا في الدنيا. ومن ذلك يا حجاج إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند حفصة فدخلت عليه صفية فقال: لها لا تخبري عائشة فخرجت وأخبرت أم سلمة. فأخبرت أم سلمة عائشة رضي الله تعالى عنهن. فتظاهر عليه أزواجه فجاءهن عمر مغضبا فقال لهن: لم تتظاهرن على رسول الله صلى الله عليه وسلم﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا﴾ [التحريم] فنزلت الآية كذلك موافقة لقول عمر رضي الله عنه. قال الحجاج: فما تقول في عثمان بن عفان؟ فقال الأعرابي: وما عسى أن أقول في حافر بئر أرومة. ومجهز جيش العسرة. ومن سبح في كفه الحصى.واستحيت منه ملائكة السماء. ومن ذلك يا حجاج يوم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جالسا على الأيسر وركبته مكشوفة. فدخل أبو بكر والنبي عليه الصلاة والسلام على حاله.فلما استؤذن لعثمان بادر له وغطى ركبته فدخل عثمان رضي الله عنه وجلس جلسة المريض يمزحه فنظر أبو بكر إلى عمر وعمر إلى أبي بكر. فقالا: يا رسول الله، تغطيت من عثمان وعثمان صهرك ونحن أصهارك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿أَلَا أَسْتَحِي مِمَّنْ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾؟ فقال الحجاج: ما تقول في حق علي بن أبي طالب[6]؟قال الأعرابي: وما عسى أن أقول في ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته البتول[7] ومن قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي إن الله ألف بين روحي وروحك وكان عرشه على الماء وزوجك فاطمة واختارك لها من قبل أن يخلق الدنيا بألف عام[؟] فقال الحجاج: فما تقول في الحسن[8] والحسين[9]؟ قال الأعرابي: وما عسى أن أقول فيمن ولدتها البتول، ورباهما الرسول وراعاهما جبرائيل فهل لهما مثل وعديل؟ فقال الحجاج: فما تقول في معاوية[10]؟ قال: وما عسى أن أقول في خال المؤمنين وكاتب وحي رسول رب العالمين ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته دلدل، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما يلبني منك يا معاوية؟ فقال: بطني يا رسول الله. فقال النبي عليه الصلاة والسلام ملأه الله علما وحلما[؟] فقال الحجاج: ما تقول في يزيد بن معاوية[11]؟ قال الأعرابي: كما قال من هو خير مني لمن هو شر منك. قال الحجاج: ومن هو خير منك وشر مني؟ فقال الأعرابي: موسى عليه السلام خير مني، وفرعون شر منك. قال الحجاج: فما قال فرعون لموسى؟ قال:﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51)قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه] فقال الحجاج:فما تقول في عبد الملك بن مروان[12]؟ فقال الأعرابي: ذلك والله أخطأ خطيئة ملأت بين السماء والأرض. فقال الحجاج: وكيف ذلك؟ قال الأعرابي: ولاك على أمور المسلمين تحكم في أموالهم ودمائهم بجور وظلم. قال: فعند ذلك هم الحجاج بالسيف وأشار إلى سيافه ليضرب عنق الأعرابي. قال: فحرك الأعرابي شفتيه. فخر السيف ناحية، والسياف ناحية. وولى الأعرابي ذاهبا. فقال الحجاج: بحق معبودك ألا أخبرتني بأي دعاء دعوت؟ فقال الأعرابي: بدعاء إن علمتك إياه غفر الله لك ما عليك من حسابهم من شيء. وما من حسابك عليهم من شيء. ثم قال الأعرابي يا حجاج، قلت: اللهم، يا رب الأرباب.ويا معتق الرقاب. ويا هازم الأحزاب. ويا منشئ السحاب. ويا منزل الكتاب. ويا رازق من تشاء بغير حساب. يا ملك، ويا تواب. يا راد موسى إلى أمه. ويوسف إلى أبيه. أسألك أن ترزقني وتكفيني شره إنك على كل شيء قدير.

----

*(الغيضة) موضع يجتمع فيه الأشجار

■ (1) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي، الكوفي، قيل: ولد في دارين قرب القطيف وشهد صفين مع علي، أمره على بعض الكراديس. وله مع معاوية مواقف. ونفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوال في البحرين بأمر معاوية فمات فيها سنة56 هـ وقبل مات سنة 60 هـ.

■ (2) محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج. كان من أشهر الولاة ظل على ولاية اليمن إلى ما بعد وفاة عبد الملك بن مروان قيل إنه كان ظلوما غشوما.كما أنه زاد ضريبة الخراج على الأراضي الزراعية. مات باليمن في رجب سنة91 هـ.

■ (12) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الوليد، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

■ (11) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

■ (3) أبو بكر الصديق، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ.

■ (4) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (5) عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (6) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (10) أبو عبد الرحمن، معاوية بن أبي سفيان الأموي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (8) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (9) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (7) فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . أمها خديجة بنت خويلد ولدتها وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين وهي اصغر بناته تزوجها علي بن أبي طالب في السنة الثانية من الهجرة ، فولدت له الحسن والحسين وزنيب وأم كلثوم. فتزوج زينب عبد الله بن جعفر فولدت له عبد الله وعوناً وماتت عنده. وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيداً . ثم خلف عليها بعد عمر عون بن عبد الله بن جعفر فلم تلد له. ثم مات وخلف عليها محمد بن جعفر فولدت له جارية ثم خلف عليها بعده عبد الله بن جعفر فلم تلد له وماتت عنده. وزاد ابن اسحق في أولاد فاطمة من علي: محسناً. قال: ومات صغيراً وزاد الليث بن سعد: رقيّة قال: وماتت ولم تبلغ. توفيت الزهراء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة اشهر سنة11 هـ وهي بنت 28 سنة ونصف وغسلها علي وصلى عليها وقيل: صلى عليها العباس ودفنت ليلا.

☪

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر] عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، وَعِمَادُ الدِّينِ، وَنُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ﴾ وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ﴾ وعن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ﴾ وعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ﴾ وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَإِنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ، وَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، وَتَقِي الْفَقْرَ. وَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ دَاءً، أَدْنَاهَا الْهَمُّ﴾ لاحول ولا قوة إلا بالله.

مراجع: عقلاء المجانيين/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) والخوارج (١) 0428

قال القاضي أبو الفرج المعافى: حدث العتبي[1] قال: كانت امرأة من الخوارج يقال لها فراشة، وكانت ذات نية* في رأي الخوارج تجهز أصحاب البصائر ولم يظفر بها، وكان الحجاج يدعو الله أن يمكنه منها أو من بعض من جهزته فراشه، فمكث ما شاء الله ثم جيء برجل فقيل له: هذا ممن جهزته فراشة، فخر ساجدا ثم رفع رأسه فقال: يا عدو الله، قال: أنت أولى بها يا حجاج، قال: أين فراشة قال: مرت تطير منذ ثلاث، قال: أين تطير قال: ما بين السماء والأرض، قال: أعن تلك سألتك عليك لعنة الله قال: عن تلك أخبرتك عليك غضب الله، قال: سألتك عن المرأة التي جهزتك وأصحابك، قال: وما تصنع بها قال: أضرب عنقها، قال: ويلك يا حجاج ما أجهلك، أدلك وأنت عدو الله على من هو ولي الله لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين، قال: فما رأيك في أمير المؤمنين عبد الملك[2] قال: على ذلك الفاسق لعنة الله ولعنة اللاعنين، قال:ولم، لا أم لك قال: إنه أخطأ خطيئة طبقت ما بين السماء والأرض، قال: وما هي؟ قال: استعماله إياك على رقاب المسلمين، فقال لجلسائه: ما رأيكم فيه قالوا: نرى أن تقتله قتلة لم يقتل مثلها أحد، قال: ويحك يا حجاج، جلساء أخيك أحسن مجالسة من جلسائك، قال: وأي أخوي تريد قال: فرعون حين شاور في موسى فقالوا:﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف] وأشار هؤلاء عليه بقتلي، قال: فهل جمعت القرآن قال: ما كان مفرقا فأجمعه، قال: أقرأته ظاهرا قال: معاذ الله بل قرأته وأنا أنظر إليه، قال: فكيف تراك تلقى الله إن قتلتك قال: ألقاه بعملي وتلقاه بدمي، قال: إذن أعجلك إلى النار، قال: لو علمت أن ذلك إليك أحسنت عبادتك واتقيت عذابك ولم أبغ خلافك ومناقضتك، قال: إني قاتلك، قال: إذن أخاصمك لأن الحكم يومئذ إلى غيرك، قال: نقمعك عن الكلام السيئ؛ يا حرسي اضرب عنقه، وأومأ إلى السياف ألا تقتله، فجعل يأتيه من بين يديه ومن خلفه ويروعه بالسيف، فلما طال ذلك رشح جبينه، قال: جزعت من الموت يا عدو الله قال: لا يا فاسق ولكن أبطأت علي بما فيه راحة؛ قال: يا حرسي، أوجب جرحه، فلما أحسن بالسيف قال: لا إله إلا الله، والله لقد أتمها ورأسه في الأرض.

قال الهيثم بن عدي: أتي الحجاج بحرورية[3]، فقال لأصحابه: ما تقولون في هذه؟ قالوا: اقتلها أصلح الله الأمير، ونكل بها غيرها، فتبسمت الحرورية فقال لها:لم تبسمت؟ فقالت: لقد كان وزراء أخيك فرعون خيراً من وزرائك يا حجاج، استشارهم في قتل موسى، فقالوا:﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلي، فضحك الحجاج وأطلقها.

وعن علي بن مسلم قال: أتي الحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ولا ترد عليه كلاما، فقال لها بعض الشرط: يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه؟ فقالت: إني لا ستحي من الله إن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه، فأمر بها فقتلت. وقال الحجاج لامرأة من الخوارج: والله لأعدنكم عدا ولأحصدنكم حصدا! قالت له: الله يزرع وأنت تحصد، فأين قدرة المخلوق من الخالق.

----

* (النية) في نوادر الأعراب فلان نوي القوم وناويهم ومنتويهم أي صاحب أمرهم ورأيهم

■ (3) الحرورية طائفة من الخوارج ينسبون إلى قرية على بعد ميلين من الكوفة تسمى حروراء أين اجتمع الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين، فسموا حرورية نسبة إلى هذا الموضع.

■ (1) أبو عبد الرحمن، محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي المعروف بالعتبي، كان أديبا فاضلا شاعرا مجيدا، وكان يروي الأخبار وأيام العرب.توفي العتبي سنة 228 هـ.

■ (2) أبو الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ شَطْرَ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللَّهَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَعَانَ عَلَى دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ كُتِبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾ قيل تفسيره هو أن يقول أق يريد أقتل كما قال عليه الصلاة والسلام:﴿كَفَى بِالسَّيْفِ شَا﴾ يريد أن يقول شاهدا فلم يتم الكلمة، ثم قال:﴿لاَ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَتَايَعَ* فِي ذَلِكَ السَّكْرَانُ وَالْغَيْرَانُ*﴾ وعن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ﴾ وعن ابن عباس:﴿أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ رَجُلًا قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مَا جَزَاؤُهُ؟، قَالَ:جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ. الْآيَةَ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، ثُمَّ اهْتَدَى. فَقَالَ: وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، إِنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذًا بِرَأْسِهِ تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ حَتَّى يَقِفَ بِهِ عِنْدَ الْعَرْشِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟﴾ وروى عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَزَوَالُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ، ولَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَدْخَلَهُمُ اللهُ تَعَالَى النَّارَ﴾ وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ﴾ وعن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام قال:﴿لَوْ أَنَّ الثَّقَلَيْنِ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْقَاتِلِ وَالْآمِرِ بِهِ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء] يرى ابن عباس وفريق من السلف أن قاتل المؤمن عمدا لا تقبل له توبة وهو خالد في النار أبدا، وهؤلاء يرون أن التائب من الشرك وقد كان قاتلا زانيا تقبل توبته ولا تقبل توبة المؤمن الذي ارتكب القتل وحده، إذ الأول لم يؤمن بالشريعة التي تحرم هذه الأمور فله شبه عذر إذا هو كان متبعا لهواه بالكفر وما يتبعه ولم يكن ظهر له صدق النبوة فلما ظهر له الدليل على أن ما كان عليه كفر وضلال وتاب وأناب وعمل صالحا كان جديرا بالعفو. وأما المؤمن الموقن بصحة النبوة وحرمة القتل فلا عذر له، إذ هو يعلم أن المؤمن أخ له ونصير، فكيف يعمد بعد هذا إلى الاستهانة بأمر الله وحكمه وتوهين أمر دينه بهدم أركان قوته، ومن ثم يهن المسلمون ويضعفون ويكون بأسهم بينهم شديدا.ويرى فريق آخر أن الخلود يعني المكث الطويل لا الدوام، لظاهر النصوص القاطعة على أن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم. ويرى فريق ثالث أن حكم الآية إنما هو للقاتل المستحل، وحكمه مما لا شك فيه، وعكرمة وابن جريج فسرا متعمدا بمستحلا في الآية. أي ومن يقتل مؤمنا متعمدا لقتله مستحلا له فجزاؤه جهنم خالدا فيها أبدا. كان الحسن يقول: لا توبة لقاتل المؤمن متعمدا؛ فدس إليه عمرو بن عبيد رجلا وقال: قل له: لا يخلو من أن يكون مؤمنا أو كافرا أو منافقا أو فاسقا، فإن كان مؤمنا فإن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم] وأن كان كافرا فإنه يقول: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال] وأن كان منافقا فإنه يقول:﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [النساء] وإن كان فاسقا فإنه يقول: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [النور] فقال للرجل من أين لك هذا؟ قال: شيء أختلج في صدري؛ قال: محال، أصدقني، فقال: عمرو بن عبيد. فقال الحسن: عمرو وما عمرو! إذا قام بأمر قعد به، وإذا قعد بأمر قام به، ورجع.

----

* (يتتايع) يسرع وأكثر استعماله في الشر (الغيران) أي الغيور، يقال: رجل غيور وغيران والمرأة غيور وغيرى

مراجع: عمر بن عبد العزيز ومعالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة/ العقد الفريد/ لسان العرب/ وفيات الأعيان/ الموسوعة الفقهية/ موسوعة الأعلام/ شعب الإيمان/ تفسير المراغي/ ربيع الأبرار/ كنز العمال/ سنن أبي داود/ المحاسن والمساوئ/

قال الهيثم بن عدي: أتي الحجاج بن يوسف[1] برجل من الخوارج، فأدخل عليه والحجاج يتغذى، فجعل الخارجي ينظر إلى حيطانه وما قد تجسد فجعل يقول: اللهم، اهدم، اللهم، اهدم، اللهم، اهدم، فقال الحجاج، هيه كأنك لا تدري ما يراد بك؟ فقال الخارجي: هيه نزع الله ما ضغيك، وما عليك لو دعوتني إلى طعامك؟ أما أن فيك ثلاث خلال مما نعت الله به عادا، فقال: أتبنون بكل ريع آية تعبثون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون. وإذا بطشتم بطشتم جبارين! فامتلأ الحجاج غيظا عليه فأمره بقتله، فأخرجوه الحرس إلى الرحبة ليقتلوه، فقال لهم: دعوني أتمثل بثلاثة أبيات فقالوا: تمثل بما شئت، فأنشأ يقول:ما رغبة النفس في الحياة وإن..عاشت طويلا فالموت لاحقها..أو أيقنت أنها لا تعود كما..كان براها بالأمس خالقها..ألا تمت غبطة تمت هرما..للموت كأس والمرء ذائقها. ثم مد عنقه فضربت فانصرف قاتلوه إلى الحجاج فأخبروه بقوله، فقال: لله دره ما كان أصرمه في حياته وعند وفاته.

عن عبيد الله بن محمد التيمي قال: أتي الحجاج رجل متهم برأي الخوارج فقال له الحجاج: أخارجي أنت؟ قال: لا والذي أنت بين يديه غدا أذل مني بين يديك اليوم ما أنا بخارجي، فقال له الحجاج: إني يومئذ لذليل وأطلقه.

عن محمد بن عبد الله عن محمد بن عمر قال: أمر الحجاج بإحضار رجل من السجن، فلما حضر أمر بضرب عنقه، فقال: أيها الأمير أخرني إلى غد، قال: ويحك وأي فرج لك في تأخير يوم، ثم أمر برده إلى السجن فسمعه الحجاج يقول، وهو يذهب إلى السجن: عسى فرج يأتي به الله أنه..له كل يوم في خليقته أمر.قال الحجاج: والله ما أخذه إلا من القرآن ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن] وأمر بإطلاقه.

■ (1) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

قال عبيد الله بن محمد بن عائشة: حدثني أبي قال: أراد الحجاج الخروج من البصرة إلى مكة فخطب الناس فقال: يا أهل البصرة إني أريد الخروج إلى مكة، وقد استخلفت عليكم محمدا ابني، أوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار، فإنه أوصى في الأنصار أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، ألا وإني قد أوصيته فيكم ألا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم، ألا وإنكم قائلون بعدي كلمة، ليس يمنعكم من إظهارها إلا الخوف، ألا وإنكم قائلون: لا أحسن الله له الصحابة، وإني معجل لكم الجواب: لا أحسن الله عليكم الخلافة.

حكي عن الحجاج قال: حججت فنزلت ضرية فإذا أعرابي قد كور عمامته على رأسه وتنكب قوسه وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، أما بعد فإنه لم يستقبل أحد يوما من عمره إلا بفراق آخر من أجله، فاستصلحوا لأنفسكم ما تقدمون عليه بما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون إليه، فإنه لا قوي أقوى من خالق ولا ضعيف أضعف من مخلوق ولا مهرب من الله إلا إليه، وكيف يهرب من يتقلب في يدي طالبه، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.وقال بعض الأعراب: إن الموت ليقحم على الشيب تقحم الشيب على الشباب، ومن عرف الدنيا لم يفرح فيها برخاء ولم يحزن فيها على بلوى، ولا طالب أغشم من الموت، ومن عطف عليه الليل والنهار أردياه، ومن وكل به الموت أفناه.وقال أعرابي: كيف تفرح بعمر تنقصه الساعات وسلامة بدن معرض للآفات؟ ولقد عجبت من المؤمن يفر من الموت وهو سبيله إلى الثواب، ولا أرى أحدا إلا سيدركه الموت وهو منه آبق.

☪

قال أبو عمرو: بعث الحجاج إذ كان يقاتل مصعبا والحرورية بالعراق إلى صاحب أهل دمشق، فلما أتاه قال له: اطلب لي من أصحابك رجلا جليدا بئيسا ذا رأي وعقل، فقال: أصلح الله الأمير، ما أحسبني إلا وقد أصبته، إن في أصحابي رجلا من حكم بن سعد يقال له الجراح[1]، جلدا صحيح العقل بعد ذلك من نفسه، يعني البأس، قال: فابعث إليه، فلما رآه الحجاج قال له: ادن يا طويل، فلم يزل يقول له ذلك ويشير إليه بيده حتى لصق به أو كاد، ثم قال: اقعد فقعد تحك ركبته وليس عنده غيره، ثم قال له: قم الساعة إلى فرسك فاحسه واعلفه وأصلح منه، ثم خذ سرجه ولجامه وسلاحك فضعه عند وتد فرسك، ثم ارقب أصحابك حتى إذا أخذوا مضاجعهم ونوموا فاشدد على فرسك سرجه ولجامه، واصبب عليك سلاحك وخذ رمحك، ثم اخرج حتى تأتي عسكر أعداء الله فتعاينهم، وتنظر إلى حالاتهم وما هم عليه، ثم تصحبني غدا، ولا تحدثن شيئا حتى تنصرف، فإذا انصرفت إلى أصحابك الساعة فلا تخبرهم بما عهدته إليك، فنهض الجراح. فلما أتى أصحابه وهم متشوقون له سألوه عن أمره فقال: سألني الأمير عن أمر أهل دمشق واعتل لهم، ثم فعل ما أمره الحجاج، ثم خرج من العسكر يريد عسكر القوم، فلما كان في المنصف من العسكرين لقي رجلا في مثل حاله، فعلم الجراح أنه عين للعدو يريد مثل الذي خرج له، فتوافقا وتساءلا ثم شد عليه الجراح فقتله وأوثق فرسه برجله، ثم نفر إلى المعسكر الذي فيه القوم فعاينه وعرف من حاله وحال أهله ما أمر به، ثم انصرف إلى القتيل فاحتز رأسه وأخذ سلاحه وجذب فرسه وعلق الرأس في عنق فرسه، ثم أقبل. وصلى الحجاج صلاة الصبح وقعد في مجلسه وأمر بالأستار فرفعت، وتشوف منتظرا الجراح وجعل يومئ بطرفه إلى الناحية التي يظن أنه يقبل منها. فبينا هو كذلك إذ أقبل الجراح يجذب الفرس، والرأس منوط في لبان فرسه، فأقبل الحجاج يقول ويقلب كفيه: فعلت ما أمرتك به؟ قال: نعم، ومالم تأمرني، حتى وقف بين يديه، فسلم ثم نزل. وحدث الحجاج بما صنع وما عاين من القوم، فلما فرغ من حديثه زبره الحجاج وانتهره وقال له: انصرف، فانصرف فبينا هو في رحله إذ أقبل فراشون يسألون عن الجراح معهم رواق وفرش وجارية وكسوة،فدلوا على رحله، فلم يكلموه حتى ضربوا له الرواق وفرشوا له فرشا وأقعدوا فيه الجارية، ثم أتوه فقالوا:انهض إلى صلة الأمير وكرامته. فلم يزل الجراح بعدها يعلو ويرتفع حتى ولي أرمينية واستشهد، قتلته الخزر سنة خمس ومئة.

قال الجراح بن عبد الله: تركت الذنوب حياء أربعين سنة، ثم أدركني الورع. وفي رواية: تركت الذنوب حياء من الناس أربعين سنة. فلما جاوزت الأربعين أدركني الورع. فتركتها حياء من الله عز وجل. قال الوليد بن مسلم: كان الجراح بن عبد الله الحكمي إذا مشى في مسجد الجامع بدمشق يميل رأسه عن القناديل من طوله. قال أبو مسهر: قال الجراح يوم قتل لأصحابه: أيها القواد وأمراء الأجناد، فيم اهتمامكم؟! غدوتم أمراء وتروحون شهداء، اللهم، اذ رفعت عنا النصر فلا تحرمنا الصبر والأجر ثم قال: لم يبق إلا حسبي وكفني..وصارم تلده يميني. وقاتل حتى قتل. وأنشد أبو مسهر للفرزدق من أبيات: لقد صبر الجراح حتى مشت به .إلى رحمة الله السيوف الصوارم.

☪

مناظرة ابن الزبير رضي الله عنهما للخوارج: قال علي بن نايف الشحود: لقد ناظر ابن الزبير الخوارج وصبر على جفائهم وغلظتهم وقولهم السوء في عثمان، وذلك عندما ولي على الحجاز وجاءت طائفة منهم فسألوه عن عثمان رضي الله عنه، فقال رادا على قائلهم افتراءه عليه بعد حمد الله والثناء عليه: (أما بعد، فقد فهمت الذي ذكرتم، وذكرت به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كما قلت، وفوق ما وصفته، وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر، وقد وفقت وأصبت، وقد فهمت الذي ذكرت به عثمان بن عفان رحمة الله عليه، وإني لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره مني، كنت معه حيث نقم القوم عليه واستعتبوه، فلم يدع شيئا استعتبه القوم فيه إلا أعتبهم منه، ثم رجعوا إليه بكتاب له يزعمون أنه كتبه فيهم، يأمر فيه بقتلهم، فقال لهم: ما كتبته، فإن شئتم فهاتوا بينتكم، فإن لم تكن حلفت لكم؛ فوالله ما جاؤوه ببينة، ولا استحلفوه، ووثبوا عليه فقتلوه، وقد سمعت ما عبته به، فليس كذلك، بل هو لكل خير أهل، وأنا أشهدكم ومن حضر أني ولي لابن عفان في الدنيا والآخرة، وولي أوليائه، وعدو أعدائه؛ فقالوا: فبرئ الله منك يا عدو الله؛ قال: فبرئ الله منكم أعداء الله). أفادتنا محاورة ابن الزبير وسماعه إلى ما قاله ذلك الخارجي، ومحاورة كذلك الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه لأولئك الذين خرجوا عليه واجتمعوا حوله وحصروه من شذاذ الآفاق، وعندما طالبهم بالبينة أو أن يحلف لهم أبوا عليه ذلك؛ وموقف ابن الزبير هذا يدل على شجاعته وثباته على الحق، حيث لم يداهنهم ولم يجاملهم، وكان في حاجة إلى أن يقفوا إلى صفه ويقاتلوا معه، ولكن لم يأبه بذلك أبدا، وتولى عثمان وأولياء عثمان، وتبرأ من هذه الطائفة الجائرة الظالمة بعد أن أقام عليهم الحجة، ولكنهم حادوا عنها وحملهم الغرور والهوى على عدم الرجوع إلى الحق.

■ (1) الجراح بن عبد الله بن جعادة بن أفلح بن الحارث بن درة (ذوة) بن حدقة بن مظة،واسمه سفيان بن سليم بن الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، أبو عقبة الحكمي من قواد أهل الشام من دمشق. ولي البصرة في أيام الوليد بن عبد الملك للحجاج، ثم ولي العراق في أيام سليمان خلافة ليزيد بن المهلب، ثم ولي خرا سان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، وولي عدة جهات وكان قارئا غازيا قتله الترك بأذربيجان غازيا في سنة 112 هـ. وقيل كان على أرمينية، قتلته الخزر* (من الترك) سنة 105 هـ

مراجع: بغية الطلب في تاريخ حلب/ تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ الإسلام للذهبي/ موسوعة الدين النصيحة/

كان خالد بن عتاب[1] أميرا على الري من قبل الحجاج، فخافه فهرب إلى دمشق، واستجار بعبد الملك بن مروان فأجاره، وكانت أمه أم ولد، فكتب إليه الحجاج يلخن أمه ويقول: يا بن أمتنا اللخناء، أنت الذي هربت عن أبيك حتى قتل. وقد كان حلف ألا يسب أحد أمه إلا أجابه كائنا من كان؛ فكتب إليه خالد: كتبت تلخنني* وتزعم أنني فررت عن أبي حتى قتل: ولعمري لقد فررت عنه، ولكن بعد ما قتل، وحين لم أجد لي مقاتلا، ولكن أخبرني عنك يا بن اللخناء المستفرمة* بعجم زبيب الطائف حين فررت أنت وأبوك يوم الحرة على جمل ثقال*، أيكما كان أمام صاحبه؟ فقرأ الحجاج الكتاب وقال: صدق: من مشطور الرجز: أنا الذي فررت يوم الحره..ثم ثبت كرة بفره..والشيخ لا يفر إلا مره. ثم طلبه فهرب إلى الشام، وسلم بيت المال لم يأخذ منه شيئا. فكتب الحجاج إلى عبد الملك بما كان منه. وقدم خالد الشام، فسأل عن وزير عبد الملك، فقيل له: روح بن زنباع[2]، فأتاه حين طلعت الشمس فقال: إني جئتك مستجيرا. فقال: قد أجرتك إلا أن تكون خالدا، قال: فأنا خالد، فتغير وقال: أنشدك الله إلا خرجت عني، فإني لا آمن عبد الملك، فقال: أنظرني حتى تغرب الشمس، فجعل روح يراعيها حتى خرج خالد، فأتى زفر بن الحارث الكلابي[3] فقال: إني جئتك مستجيرا. قال: قد أجرتك. قال: إني خالد بن عتاب. قال: وإن كنت خالدا. فلما أصبح دعا ابنين له فتهادى بينهما وقد أسن، فدخل على عبد الملك وقد أذن للناس، فلما رآه دعا له بكرسي فوضع عند رأسه، فجلس ثم قال: يا أمير المؤمنين إني قد أجرت عليك رجلا فأجره قال: قد أجرته إلا أن يكون خالدا. قال: فهو خالد. قال: لا، ولا كرامة. فقال زفر لابنيه: أنهضاني، فلما ولى قال: يا عبد الملك، والله لو كنت تعلم أن يدي تطيق حمل القناة ورأس الجواد لأجرت من أجرت. فضحك، وقال: يا أبا الهذيل قد أجرناه فلا أريبه، وأرسل إلى خالد بألفي درهم، فأخذها، ودفع إلى رسوله أربعة آلاف.

----

*(اللخن) تغير الريح ويقال: رجل ألخن وامرأة لخناء من شتم العرب كأنهم يقولون: يا دنيء الأصل أو لئيم الأم كما أشار إليه الراغب ولخنه لخنا: قال له ذلك وقيل: رجل ألخن وامرأة لخناء: لم يختنا (المستفرمة) المستفرمة أو الفرماء المرأة التي استعملت الفرم أو الفرمة – وهو دواء = لتضيق به فرجها وهذه العبارة قالها للحجاج عبد الملك بن مروان لما شكاه إليه أنس بن مالك لما ضيق عليه بعد ثورة ابن الأشعث (ثقال) المثبت عن الأغاني وهو البطئ

■ (1) خالد بن عتاب بن ورقاء أبو سليمان التميمي الرياحي اليربوعي: شجاع، من الأبطال. كان من أشراف الكوفة، وأحد من حاربوا شبيبا الخارجي في جيش الحجاج. وهو الذي قتل مصادا أخا شبيب، وغزالة. والتحم معه أصحاب شبيب في معركة بناحية المدائن فانهزم أصحاب خالد، فتراجع حتى أشرف على دجلة فألقى نفسه فيها بفرسه، ولواؤه بيده، فغرق، فقال شبيب: قاتله الله، هذا أشد الناس! مات سنة 77 هـ.

■ (2) روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، كان صاحب شرطة عبد الملك، وهو كالوزير له. أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقد وهم مسلم وقال: له صحبة. وإنما الصحبة لأبيه. مات سنة 84 هـ.

■ (3) زفر بن الحارث الكلابي، أبو الهذيل، والد مزاحم بن زفر يروي عن عائشة ومعاوية. كان رسول معاوية إلى عائشة بوقعة صفين. نزل البصرة ثم خرج عنها بعد وقعة الجمل فشهد وقعة المرج مع الضحاك بن قيس وذكر أنه مات في أيام عبد الملك نحو سنة 75 هـ.

قال أبو عبيدة: خطب عتاب بن ورقاء الرياحي* على المنبر فقال: أقول كما قال الله عز وجل في كتابه: من الخفيف: ليس شيء على المنون بباق..غير وجه المسبح الخلاق. فقيل له: أيها الأمير هذا قول عدي بن زيد[1]، فقال: فنعم، والله، ما قال عدي بن زيد. وأتي عتاب بن ورقاء بامرأة من الخوارج فقال لها: يا عدوة الله، ما حملك على الخروج علينا؟ أما سمعت الله يقول ؟: من الخفيف: كتب القتل والقتال علينا..وعلى المحصنات جر الذيول. فقالت: جهلك بكتاب الله حملني على الخروج عليك وعلى أئمتك، يا عدو الله.

روي عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني[2] قال: دفع إلي الحجاج ازارمرد ابن الهربذ[3] وأمرني أن استخرج منه وأغلظ عليه، فلما انطلقت به قال لي: يا محمد إن لك شرفا ودينا وإني لا أعطي على القسر شيئا وارفق بي، قال ففعلت، فأدى إلي في أسبوع خمسمائة ألف؛ قال: فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه فانتزعه من يدي ودفعه إلى رجل كان يتولى له العذاب فدق يديه ورجليه فلم يعطهم شيئا؛ قال محمد بن المنتشر: فإني لأمر يوما في السوق فإذا به معروضا على حمار مدقوق اليدين والرجلين، فخفت الحجاج إن أتيته وتذممت فملت إليه فقال لي: إنك وليت مني ما ولي هؤلاء فأحسنت إلي وإنهم صنعوا بي ما ترى ولم أعطهم شيئا، وها هنا خمسمائة ألف درهم عند فلان فخذها فهي لك، قال: فقلت: ما كنت لآخذ منك على معروفي أجرا ولا لأرزأك على هذه الحال شيئا، قال: فأما إذا أبيت فاستمع أحدثك؛ حدثني بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم قال: إذا رضي الله عن قوم أمطرهم المطر في حينه، وجعل الماء عند سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم، وإذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم، وجعل المال عند بخلائهم وأمطرهم المطر في غير حينه ؛ قال: فانصرفت فما وضعت ثوبي حتى أتاني رسول الحجاج فأمرني بالمصير إليه، فألفيته جالسا على فرشه والسيد منتضى بين يديه، فقال: ادن، فدنوت شيئا، ثم قال: ادن، فدنوت شيئا، ثم صاح الثالثة: ادن لا أبا لك، فقلت: والله ما بي إلى الدنو من حاجة وفي يد الأمير ما أرى، فأضحك الله سنه وأغمد عني سيفه فقال لي: اجلس، ما كان من حديث الأمس فقلت: والله أيها الأمير ما غششتك منذ استنصحتني ولا كذبتك منذ استخبرتني ولا خنتك منذ ائتمنتني، ثم حدثته الحديث، فلما صرت إلى ذكر الرجل الذي عنده المال أعرض عني بوجهه وأومأ إلي بيده ثم قال: لا تتمه، ثم قال: إن للخبيث نفسا وقد سمع الأحاديث.

----

*(عتاب بن ورقاء الرياحي) في معجم الأدباء: عتبة بن النهاس العجلي

■ (1) عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي. شاعر من دهاة الجاهليين، كان قرويا من أهل الحيرة، فصيحا، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجمانا بينه وبين العرب، فسكن المدائن ولما مات كسرى وولي الحكم هرمز أعلى شأنه ووجهه رسولا إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، فزار بلاد الشام، ثم تزوج هندا بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة.36 ق. هـ

■ (2) محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني الكوفي، وهو ابن أخي مسروق بن الأجدع. وأخوه المغيرة بن المنتشر، كان شاعرا. كان من أشراف أهل الكوفة ويكنى أبا القاسم، روى عن أبيه وعمه مسروق، وأم المؤمنين عائشة، وابن عمر. وعنه: ابنه إبراهيم، وعبد الملك بن عمير، ومجالد بن سعيد، وآخرون

■ (3) ازارمرد ابن الهربذ ؟ أزاد مرد بن الهزير ؟

مراجع: تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/

عن الحرمازي، قال: بلغني أن الحجاج بعث إلى مطرف بن عبد الله[1] أيام ابن الأشعث[2] -وكان من اعتزل أو قاتل عند الحجاج سواء- فقال له: أشهد على نفسك بالكفر. فقال: إن من خلع الخلفاء، وشق العصا، وسفك الدماء، ونكث البيعة، وأخاف المسلمين لجدير بالكفر. فقال الحجاج: يا أهل الشام، إن المعتزلين هم الفائزون. وخلى سبيله.

عن غيلان بن جرير، قال: حبس الحجاج مورقا العجلي[3]، قال: فطلبنا فأعيانا، فلقيني مطرف فقال: ما فعلتم في صاحبكم؟ قلنا: ما صنعنا شيئا، طلبنا فأعيانا. قال: تعالى فلندع فدعا مطرف وأمنا فلما كان من العشي أذن الحجاج للناس فدخلوا، ودخل أبو مورق فيمن دخل، فلما رآه الحجاج قال لحرسي: أذهب مع هذا الشيخ إلى السجن فادفع إليه ابنه.

عن مطرف، أنه كان بينه وبين رجل كلام، فكذب عليه، فقال مطرف: اللهم، إن كان كاذبا فأمته. قال: فخر ميتا مكانه. قال: فرفع ذلك إلى زياد[4]، فقالوا: قتل الرجل. فقال: قتلت الرجل؟ قال: لا، ولكنها دعوة وافقت أجله. وفي رواية عن حميد بن هلال قال: كان بين مطرف وبين رجل من قومه شيء فكذب على مطرف، فقال له مطرف: إن كنت كاذبا فعجل الله حتفك، فمات الرجل مكانه، قال: فاستعدى أهله زيادا على مطرف، فقال لهم زياد: هل ضربه؟ هل مسه بيده؟ فقالوا: لا، فقال: دعوة رجل صالح وافقت قدرا، فلم يجعل لهم شيئا.

■ (1) مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري الحرشي، أبو عبد الله: زاهد من كبار التابعين. له كلمات في الحكمة مأثورة، وأخبار. ثقة في ما رواه من الحديث.ولأبيه صحبة، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. ثم كانت إقامته ووفاته في البصرة بعد سنة 87 هـ في خلافة عبد الملك بن مروان.

■ (3) أبو المعتمر، المورق بن المشمرج بن رفاعة بن زيد بن ضباعة بن عجل بن لجيم العجلي، البصري سمع ابن عمر وانس بن مالك، كان من كبار التابعين، حج مع عبد الله بن عمر بن الخطاب وصحبه،من احلم أهل البصرة على الحقيقة وأكثرهم تعبدا وفضلا مات في ولاية عمر بن هبيرة على العراق سنة 105 هـ

■ (2) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ابن قيس الكندي: أمير، من القادة الشجعان الدهاة. وهو صاحب الوقائع مع الحجاج الثقفي. سيره الحجاج بجيش لغزو بلاد رتبيل ملك الترك فيما وراء سجستان. فغزا بعض أطرافها، وأخذ منها حصونا وغنائم. وكتب إلى الحجاج يخبره بذلك وأنه يرى ترك التوغل في بلاد رتبيل إلى أن يختبر مداخلها ومخارجها. فاتهمه الحجاج بالضعف والعجز، وأجابه: إن كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة، ويستريح إلى الموادعة، قد صانع عدوا قليلا ذليلا، فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم، وإلا فأخوك إسحاق بن محمد أمير الناس. فاستشار عبد الرحمن من معه، فلم يروا رأي الحجاج، واتفقوا على نبذ طاعته، وبايعوا عبد الرحمن، على خلع الحجاج وإخراجه من أرض العراق. وقال بعضهم: إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك، فقد خلعنا عبد الملك. فخلعوا عبد الملك بن مروان أيضا. وزحف بهم عبد الرحمن سنة 81 هـ عائدا إلى العراق، لقتال الحجاج. ونشبت بينه وبين جيوش الحجاج وعبد الملك معارك ظفر فيها عبد الرحمن، وتم له ملك سجستان وكرمان والبصرة وفارس إلا خراسان، وكان عليها المهلب واليا لعبد الملك بن مروان. ثم خرجت البصرة من يده فاستولى على الكوفة، فقصده الحجاج، فحدثت بينهما موقعة دير الجماجم التي دامت مئة وثلاثة أيام، وانتهت بخروج ابن الأشعث من الكوفة، وكان جيشه ستين ألفا، فتتابعت هزائم جيشه، في مسكن وسجستان. وتفرق من معه فبقي في عدد يسير، فلجأ إلى رتبيل فحماه مدة، فوردت عليه كتب الحجاج تهديدا ووعيدا إذا هو لم يقتل ابن الأشعث أو يقبض عليه، فأمسكه رتبيل وقتله سنة 85 هـ وبعث برأسه إلى الحجاج. فأرسله هذا إلى عبد الملك بالشام، وبعث به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر.

قال سالم الأفطس: كان عمر بن عبد العزيز من ألبس الناس وأعطر الناس فلما سلم عليه بإمارة المؤمنين وعلم استقرار أمره أدخل رأسه بين ركبتيه وبكى بكاء شديدا، فقال الناس: يبكي فرحا بالخلافة، ثم رفع رأسه ومسح عينيه، ثم قال: اللهم، ارزقني عقلا ينفعني، واجعل ما أصير إليه أهم مما يزول عني، ثم دخل منزله فألقى تلك الثياب عنه، وغسل ذلك الطيب ودعا الحجام فأخذ من شعره، ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب بيده: من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى الحسن بن أبي الحسن البصري ومطرف بن عبد الله بن الشخير سلام عليكما، فإني أحمد اليكما الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله، أما بعد، فإني أوصيكما بتقوى الله، فإن من يقولها كثير ومن يعمل بها قليل، فإذا أتاكما كتابي فعظاني ولا تزكياني، والسلام. فكتب إليه الحسن بن أبي الحسن البصري: إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن الدنيا دار مخوفة هبط إليها آدم عليه السلام، عقوبة تهين من أكرمها وتكرم من أهانها، وتفقر من جمع لها، لها في كل يوم قتيل، فكن يا أمير المؤمنين كالمداوي لجرحه، واصبر على شدة الدواء لما تخاف من طول البلاء. وكتب إليه مطرف بن عبد الله بن الشخير: لعبد الله عمر أمير المؤمنين من مطرف بن عبد الله، سلام عليك يا أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فليكن استئناسك بالله وانقطاعك إليه، فإن قوما أنسوا بالله وانقطعوا إليه فكانوا بالله في وحدتهم أشد استئناسا منهم بالناس في كثرة عددهم، أماتوا من الدنيا ما خافوا أن يميت قلوبهم، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم، فأصبحوا لما سالم الناس منها أعداء، جعلنا الله وإياك منهم فإنهم قد أصبحوا بها قليلا، والسلام.

قال أبو عقيل بشير بن عقبة: قلت لـ يزيد بن عبد الله بن الشخير أبي العلاء[1]: ما كان مطرف يصنع إذا هاج في الناس هيج؟ قال: كان يلزم قعر بيته، ولا يقرب لهم جمعة ولا جماعة حتى ينجلي لهم عما انجلت. وعن زهير البابي، قال: مات ابن لمطرف بن عبد الله بن الشخير، فخرج على الحي قد رجل لمته ولبس حلته، فقيل له: أترضى منك بهذا وقد مات ابنك؟ فقال: أتأمروني أن استكين للمصيبة؟ فوالله لو أن الدنيا وما فيها لي وأخذها الله مني ووعدني عليها شربة ماء غدا ما رأيتها لتلك الشربة أهلا، فكيف بالصلوات والهدى و الرحمة؟. وعن ثابت البناني قال: أتينا مطرف بن عبد الله في باديته، فإذا هو يلعب مع صبيان له، فلما رآنا قام إلينا ليستقبلنا، فلم يزل يحضر حتى جر إزاره. قال: فما ترك منا أحدا إلا قبله، ثم قال: بأبي أنتم، إذا كنت وحدي فإنما أنا صبي، فإذا رأيتموني ذكرتموني الآخرة. قال: ثم دخلنا بيتا له يذكر فيه، قال: فقرأ علينا سورة من القرآن، وذكر ربه، وصلى على نبيه، ودعا بدعاء حسن تعجبنا من حسنه. قال: وقال لي: يا ثابت، أترى الله قد استجاب لنا؟ فقلت: ما شاء الله. فقال: وما يمنعه أن لا يستجيب؟ وقد اجتمعنا قوم لا بأس بنا، وقرأنا القرآن، وذكرنا ربنا، وصلينا على نبينا، ودعونا الله، فما يمنعه أن لا يستجيب لنا؟ قال مطرف-وذكر له أهل الدنيا-: لا تنظروا إلى خفض عيشهم ولين رياشهم، ولكن انظروا إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم. وكان يقول: ما أوتي أحد أفضل من العقل، وعقول الناس على قدر زمانهم. وعن أبي العلاء عن مطرف أنه قال: ما أوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل. وقال: إذا استوت سريرة العبد وعلانيته قال الله: هذا عبدي حقا. وقال: إن أقبح ما طلبت به الدنيا عمل الآخرة. وعن بكر بن عبد الله المزني قال: قال مطرف بن عبد الله: لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنأوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق، وعن الأعمش قال: قال لي مطرف بن عبد الله: وجدت الغفلة التي ألقاها الله عز و جل في قلوب الصديقين من خلقه رحمة رحمهم بها ولو ألقى في قلوبهم الخوف على قدر معرفتهم به ما هنأهم العيش.

قال مطرف: إني لأستلقي من الليل على فراشي فأتدبر القرآن كله، فأعرض نفسي على أعمال أهل الجنة فأرى أعمالهم شديدة،﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات] ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان] ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ [الزمر] فلا أرى صفتي فيهم، فأعرض نفسي على أعمال أهل النار. قالوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [المدثر] فأرى القوم مكذبين، فلا أراني فيهم، فأمر بهذه الآية:﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة] فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتنا منهم. وقال: يا إخوتي، اجتهدوا في العمل، فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة، وإن يكن الأمر شديدا كما نخاف ونحاذر لم نقل: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر] نقول: قد عملنا فلم ينفعنا ذلك. وقال: لقد كاد خوف النار يحول بيني وبين أن أسأل الله الجنة. وقال: عجبت لهذا الإنسان كيف ينجو؟ وأول ركن منه ضعيف، وخلق من الطين، وجعل الخير والشر فتنة له، وجعل له نفس أمارة بالسوء، وجعل له عدو خلقه من نار ويراه من حيث لا يراه ولا له به قوام، فلو أن رجلا طلب صيدا يرى الصيد ولا يراه، لأوشك أن يقع منه على غرة فيأخذه.وقال: من صفا عمله صفا لسانه، ومن خلط خلط له. وقال: فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة، وخير دينكم الورع. وقال: الإنسان بمنزلة الحجر إن جعل الله فيه خيرا كان فيه، وقرأ:﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور] وقال: إن ها هنا قوما يزعمون أنهم إن شاؤوا دخلوا الجنة، وإن شاؤوا دخلوا النار، فأبعدهم الله إن هم دخلوا النار، ثم حلف مطرف بالله ثلاثة أيمان مجتهدا أن لا يدخل الجنة عبد أبدا إلا عبد شاء الله أن يدخله إياها عمدا. وقال: لو كان الخير في يد أحد ما استطاع أن يفرغه في قلبه حتى يكون الله هو الذي يفرغه في قلبه. وقال: أتى على الناس زمان وأفضلهم في أنفسهم المسارع، وأما اليوم فأفضلهم في أنفسهم المتأني. وقال: ما يسرني أني كذبت كذبة واحدة وأن لي الدنيا وما فيها. قال مطرف: إن من أحب عباد الله إلي الله الصبار الشكور، الذي إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر. وقال: الخير الذي لا شر فيه الشكر مع العافية، فكم من منعم عليه غير شاكر، وكم من مبتل غير صابر. وعن يزيد، قال: كان مطرف يبدو، فإذا كان ليلة الجمعة جاء ليشهد الجمعة، فبينا هو يسير في وجه الصبح سطع من رأس سوطه نور له شعبتان، فقال لابنه عبد الله وهو خلفه: أتراني لو أصبحت فحدثت الناس هذا كانوا يصدقون؟ فلما أصبح ذهب. وعن أبي غيلان قال: كان مطرف بن الشخير يقول: اللهم، إني أعوذ بك من شر السلطان، ومن شر ما تجري به أقلامهم، وأعوذ بك أن أقول بحق أطلب به غير طاعتك، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك، وأعوذ بك أن استعين بشيء من معاصيك على ضر نزل بي، وأعوذ بك من أن تجعلني عبرة لأحد من خلقك، وأعوذ بك أن تجعل أحدا أسعد بما علمته مني، اللهم، لا تخزني فإنك بي عالم، اللهم، لا تعذبني فإنك علي قادر. وقال: إن هذا الموت أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فالتمسوا نعيما لا موت فيه. وقال لما حضره الموت: اللهم، خر لي في الذي قضيته علي من أمر الدنيا والآخرة. قال: وأمرهم أن يحملوه إلى قبره فختم فيه القرآن قبل أن يموت. وعن محمد بن سعد، قال: قالوا: ومات مطرف في ولاية الحجاج العراق، بعد الطاعون الجارف، وكان الطاعون سنة سبع وثمانين، في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان. وقال الخليفة: سنة ست وثمانين فيها مات مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي.

■ (1) يزيد بن عبد الله بن الشخير أبو العلاء العامري، البصري، أحد الأئمة. حدث عن أبيه وأخيه مطرف بن عبد الله، وعمران بن حصين، وعائشة أم المؤمنين، وعثمان بن أبي العاص، وأبي هريرة، وعياض بن حمار، وعدة. توفي يزيد في سنة 108هـ، وقيل: إنه توفي في سنة 111 هـ.

مراجع: عقلاء المجانين/ موسوعة الخطب والدروس/ تاريخ مدينة دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ حلية الأولياء/ الأعلام للزركلي/ صفة الصفوة/ البداية والنهاية/ سيرة عمر بن عبد العزيز/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) وخالد بن يزيد بن معاوية 0432

عن عمر بن عبد العزيز قال: حج خالد بن يزيد بن معاوية[1] سنة قتل الحجاج عبد الله بن الزبير[2]، فخطب رملة بنت الزبير[3]، فبلغ ذلك الحجاج، فأرسل إليه حاجبه وقال له: قل لخالد: ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني، ولا كنت أراك تخطب إليهم وليسوا لك بأكفاء، وقد قارعوا أباك على الخلافة ورموه بكل قبيح. فأبلغه الرسالة، فنظر إليه خالد طويلا ثم قال: لو كانت الرسل تعاقب لقطعتك آرابا ثم طرحتك على باب صاحبك! قل له: ما كنت أظن أن الأمور بلغت بك أن أشاورك في مناكحة قريش؛ وأما قولك: أن ليسوا بأكفاء، فقاتلك الله يا حجاج، يكون العوام[4] كفؤا لعبد المطلب[5] بزوجه صفية[6]، ويتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد[7] ولا تراهم أكفاء لآل أبي سفيان[8]! وأما قولك: قارعوا أباك على الخلافة ورموه بكل قبيح، فهي قريش يقارع بعضها بعضا، حتى إذا أقر الله الحق مقره، عادت إلى أحلامها وفضلها. فرجع إليه، فأعلمه ذلك. وتزوج خالد رملة بنت الزبير أخت مصعب لأمه. أمها الرباب الكلبية.

وفي رملة يقول خالد: تخيرتها من سر نبع كريمة..موسطة فيهم زبيرية قلبا.

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: حج عبد الملك بن مروان، وحج معه خالد بن يزيد، وكان من رجالات قريش المعدودين وعلمائهم، وكان عظيم القدر عند عبد الملك، فبينا هو يطوف بالبيت إذ بصر برملة بنت الزبير بن العوام فعشقها عشقا حديدا، ووقعت بقلبه وقوعا متمكنا، فلما أراد عبد الملك القفول هم خالد بالتخلف عنه، فوقع بقلب عبد الملك تهمة، فسأله عن أمره؟ فقال: يا أمير المؤمنين، رملة بنت الزبير رأيتها تطوف بالبيت فأذهلت عقلي، والله ما أبديت إليك ما بي حتى عيل صبري، ولقد عرضت النوم على عيني فلم تقبله، والسلو على قلبي فامتنع؛ فأطال عبد الملك التعجب من ذلك وقال: ما كنت أقول إن الهوى يستأسر مثلك! فقال: إني اشد تعجبا من تعجبك مني، ولقد كنت أقول: إن الهوى لا يتمكن إلا من صنفين من الناس: الشعراء والأعراب؛ فأما الشعراء فإنهم ألزموا قلوبهم الفكر في النساء والغزل، فمال طبعهم إلى النساء فضعفت قلوبهم عن دفع الهوى، فاستسلموا إليه منقادين وأما الأعراب فإن أحدهم يخلو بامرأته، فلا يكون الغالب عليه غير حبه لها، ولا يشغله شيء عنها، فضعفوا عن دفع الهوى فتمكن منهم. وجملة أمري، فما رأيت نظرة حالت بيني وبين الحرم، وحسنت عندي ركوب الإثم مثل نظري في هذه؛ فتبسم عبد الملك وقال: أو كل هذا قد بلغ بك؟ فقال: والله عرفتني هذه البلية قبل وقتي هذا. فوجه عبد الملك إلى آل الزبير يخطب رملة على خالد، فذكروا لها ذلك فقالت: لا والله أو يطلق نساءه، فطلق امرأتين كانتا عنده، إحداهما من قريش، والأخرى من الأزد، وكانتا كريمتين عنده.

وقيل: إن خالدا تزوج رملة وهو بالشام وهي بالمدينة، وكتب إليها فوافته بمكة، فأرادها أن يدخل بها قبل أن تحل فأبت عليه، فألح عليها، فرحلت في جوف الليل متوجهة إلى المدينة، فبلغ ذلك خالدا فطلبها ومعه عبيد الراعي النميري[9]، فأدركها في المنصف* بعد يوم وليلة، فحلف لها أن لا يقربها حتى تحل.

عن مسلمة قال: وفد الحجاج بن يوسف على عبد الملك، فدخل عليه وعنده خالد بن يزيد بن معاوية فقال له خالد: إلى كم هذا البسط، إلى كم هذا القتل ؟ فقال الحجاج: ما دام بالعراق رجل يزعم أن أباك كان يشرب الخمر، فأسكته.

قال المدائني: إن عبد الملك حج فنزل بالمدينة درا مروان، فمر الحجاج بخالد بن يزيد بن معاوية وهو قاعد في المسجد وعلى الحجاج سيف محجلج وهو يخطر*، فقال رجل لخالد: من هذا الخطار ؟ قال خالد: بخ بخ هذا عمرو بن العاص، فقال الحجاج: أقلت هذا عمرو بن العاص ؟ ما يسرني أن العاص ولدني ولكني إلى الأشياخ من ثقيف والعقائل من قريش، وأنا الذي جمعت مائة ألف سيف بسيفي هذا وكلهم يشهد أن أباك كان يشرب الخمر، ويضمر الكفر. ثم ولى وهو يقول: بخ بخ هذا عمرو بن العاص.

----

* (المنصف) يعني من الطريق نصفه (خطر) في مشيه خطرا وخطرانا اهتز وتبختر وبذنبه رفعه مرة وخفضه أخرى أو حركه يمينا وشمالا فهو خاطر (الخطار) الأسد، لتبختره وإعجابه، أو لاهتزازه في مشيه. الخطار: الرجل يرفع يده. يخطر بسيفه أي يرفعه مرة ويضعه أخرى

■ (1) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أبو هاشم. روى عن: دحية الكلبي وأبيه. كان من نبلاء الرجال، ذا علم وفضل وصوم وسؤدد. هو أول من اهتم من العرب بعلم الكيمياء، قيل كان بصيرا بهذين العلمين: الطب والكيمياء، وله نظم رائق. ولد51 هـ وتوفي سنة 90 هـ وهو أخو معاوية بن يزيد ثالث ملوك بني أمية.

■ (3) رملة بنت الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، القرشية الأسدية تزوجها خالد بن يزيد بن معاوية، ونقلها إلى دمشق، وله فيها أشعار. وكانت جزلة عاقلة.

■ (7) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قريش: زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى، وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة. ولدت بمكة، ونشأت في بيت شرف ويسار، ومات أبوها يوم الفجار، وتزوجت بأبي هالة بن زرارة التميمي فمات عنها. وكانت ذات مال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام، تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة. فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخامسة والعشرين خرج في تجارة لها إلى سوق بصرى بحوران وعاد رابحا، فدست له من عرض عليه الزواج بها، فأجاب، فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسعد بن عبد العزى فحضر وتزوجها رسول الله قبل النبوة فولدت له القاسم وكان يكنى به وعبد الله وهو الطاهر والطيب وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وكان بين كل ولدين سنة. وكانت تسترضع لهم وتهيئ ذلك قبل أن تلد. ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها إلى الإسلام، فكانت أول من أسلم من الرجال والنساء. ومكثا يصليان سرا إلى أن ظهرت الدعوة. كانت تكنى بأم هند (وهند من زوجها الاول) وأولاد النبي صلى الله عليه وسلم كلهم منها، غير إبراهيم ابن مارية. وكانت وفاة خديجة بمكة سنة 3 ق هـ

■ (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة ورواية عن النبي وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (4) العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، قتل أيام حرب الفجار في الجاهلية بين كنانة وقيس عيلان.

■ (6) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم: سيدة قرشية، شاعرة باسلة، وهي عمة النبي صلى الله عليه وسلم. أسلمت قبل الهجرة، وهاجرت إلى المدينة. وكان رسول الله إذا خرج لقتال عدوه من المدينة، يرفع أزواجه ونساءه في حصن حسان بن ثابت، فلما كان يوم أحد صعدت صفية معهن، وتخلف عندهن حسان، فجاء يهودي فلصق بالحصن يتجسس، فقالت صفية لحسان: أنزل إليه فاقتله. فتوانى حسان، فأخذت عمودا ونزلت، ففتحت الباب بهدوء، وحملت على الجاسوس فقتلته. ورأت المسلمين يتراجعون يوم أحد فتقدمت، وبيدها رمح، تضرب في وجوه الناس وتقول: أانهزمتم عن رسول الله! فأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الزبير بن العوام أن يبعدها عن أخيها الحمزة وكان قد بقر بطنه فكره رسول الله أن تراه. فناداها الزبير أن تتنحى، فزجرته، وأقبلت حتى رأت أخاها. لها مراث رقيقة. وفي شعرها جودة.ماتت في المدينة سنة 20 هـ

■ (5) عبد المطلب بن هاشم واسمه شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف.وهو جد محمد رسول الله، وأبو عبد الله وأبو طالب وحمزة. توفي سنة 45 ق هـ

■ (8) (6) أبو سفيان بن حرب بن أمية واسمه صخر، اسلم في الفتح، لقى رسول الله بالطريق قبل دخوله مكة لفتحها فأسلم هناك، وشهد حنينا، وشهد الطائف، وفقئت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. مات بين سنة 30 هـ وسنة 34 هـ، وصلى عليه الخليفة عثمان بن عفان، ودفن في البقيع

■ (9) الراعي النميري، هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل، النميري، أبو جندل. من فحول الشعراء المحدثين، كان من جلة قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل وكان بنو نمير أهل بيت وسؤدد. وقيل: كان راعي إبل من أهل بادية البصرة. عاصر جريرا والفرزدق وكان يفضل الفرزدق فهجاه جرير هجاءا مرا وهو من أصحاب الملحمات. وسماه بعض الرواة حصين بن معاوية. توفي سنة 90 هـ

قال الزبير بن بكار: كان خالد بن يزيد يوصف بالعلم، ويقول الشعر، قال عمي مصعب بن عبد الله: زعموا أنه هو الذي وضع ذكر السفياني وعظمه، وأراد أن يكون للناس فيهم مطمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك، وتزوج أمه أم هاشم، وقد كانت أمه تكنى به، لها يقول أبوه يزيد بن معاوية[1]: ما بي يوم استعبرت أم خالد..بمرضي ذوي داء ولا بصحاح . قال سعيد بن عبد العزيز: قال أصحابنا: كان خالد بن يزيد إذا لم يجد أحدا يحدثه حدث جواريه، ثم يقول: إني لأعلم أنكن لستن له بأهل، قال: فمعاوية وعبد الرحمن وخالد أخوة، وكانوا من صالحي القوم. وعن سعيد بن عبد العزيز أن الحجاج بن يوسف سأل خالد بن يزيد عن الدنيا فقال: ميراث فقال: فالأيام؟ قال: دول، قال: فالدهر؟ قال: أطباق والموت بكل سبيل، فليحذر كل عزيز الذل وكل غني الفقر، فكم من عزيز قوم قد ذل، وكم من غني افتقر. قال علي بن عبد الله، سمعت سفيان بن عيينة يقول: قيل لخالد بن يزيد: ما أقرب شيء وأبعد شيء وآنس شيء، وأوحش شيء؟ فقال: أقرب شيء الأجل، وأبعد شيء الأمل، وآنس شيء الصاحب، وأوحش شيء الموت. وعن خالد بن يزيد الجمحي عن خالد بن يزيد بن معاوية قال: إذا رأيت الرجل لجوجا* مماريا* فقد تمت خسارته.

----

* (لجج) الملاجة: التمادي في الخصومة، وفي التوشيح: اللجاج: هو التمادي في الأمر ولو تبين الخطأ. واللجلجة والتلجلج التردد في الكلام يقال الحق أبلج والباطل لجلج أي يتردد من غير أن ينفذ (المراء) المجادلة على مذهب الشك والريبة

■ (1) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

مراجع: تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ مختار الصحاح/ أنساب الأشراف/ المعجم الوسيط/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) ومحمد بن الحنفية 0433

خرج الحجاج بن يوسف[1] ومحمد بن الحنفية[2] من عند عبد الملك بن مروان فقال الحجاج لمحمد بن الحنفية: بلغني أن أباك كان إذا فرغ من القنوت يقول كلاما حسنا أحببت أن أعرفه فنحفظه؛ قال: لا؛ قال: سبحان الله ما أوحش لقاءكم وأفظع لفظكم وأشد خنزوانتكم* ما تعدون الناس إلا عبيدا، ولقد خضتم الفتنة خوضا، وفللتم* المهاجرين والأنصار؛ فنظر إليه ابن الحنفية وأنكر لفظه فوقف، وسار الحجاج ورجع ابن الحنفية إلى باب عبد الملك فقال للآذن: استأذن لي؛ فقال: ألم تكن عنده وخرجت آنفا، فما ردك وقد ارتفع أمير المؤمنين؟ قال: لست أبرح حتى ألقاه؛ فكره لآذن غضب الخليفة فأعلمه فقال: لقد رده أمر، ائذن له؛ فلما دخل عليه تحلحل عن مجلسه كما كان يفعل؛ فقال: يا أمير المؤمنين هذا الحجاج أسمعني كلاما تكمشت* له وذكر أبي بكلام تقمعت* له وما أحرت حرفا؛ قال: فما قال لك حتى أعمل على حسبه*؟ قال: وكأنما تفقأ في وجهه الرمان، فخبره عما سأله عنه؛ فقال لصاحب شرطه: علي بالحجاج الساعة؛ فأتاه حين خلع ثيابه فحمله حملا عنيفا، وانصرف ابن الحنفية، فجاء الحجاج فوقفه بالباب طويلا، ثم أذن له، فدخل عليه فسلم عليه، فقال له عبد الملك: من الرجز: لا أنعم الله بعمرو عينا..تحية السخط إذا التقينا. يا لكع* وهراوة البقار*، ما أنت ومحمد بن الحنفية؟ قال: يا أمير المؤمنين ما كان إلا خير. قال: كذبت والله لهو أصدق منك وأبر، ذكرته وذكرت أباه فوالله ما بين لابتيها أفضل من أبيه؛ ما جرى بينك وبينه؟ قال: سألته يا أمير المؤمنين عن شيء بلغني أن أباه كان يقوله بعد القنوت، فقال: لا أعرفه، فعلمت أن ذلك مقتا منه لنا ولدولتنا فأجبته بالذي بلغك؛ قال له عبد الملك: أسأت ولؤمت، والله لولا أبوه وابن عمه كنا حيارى* ضلالا، وما أنبت الشعر على رؤوسنا إلا الله وهم، وما أعزنا بما ترى إلا رحمهم وريحهم الطيبة، والله لا كلمتك كلمة أبدا أو تجيئني بالرضى منه، وتسل سخيمته*. قال: فمضى الحجاج من فوره فألفاه وهو يتغدى مع أصحابه، فاستأذن فأبى أن يأذن له، فقال بعض أصحابه: إنه أتى برسالة من أمير المؤمنين؛ فأذن له، فقال: إن أمير المؤمنين أرسلني أن أستل سخيمتك وأقسم أن لا يكلمني أبدا حتى آتيه برضاك، وأنا أحب برحمك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عفوت عما كان وغفرت ذنبا إن كان؛ قال: قد فعلت على شريطة فتفعلها؟ قال: نعم، قال: على صرم الدهر ثم انصرف الحجاج ودخل على عبد الملك فقال: ما صنعت؟ قال: قد جئت برضاه وسللت سخيمته وأجاب إلى ما أحب وهو أهل ذاك؛ قال: فأي شيء آخر ما كان بينك وبينه؟ قال: رضي علي شريطة صرم الدهر فقال: شنشنة* أعرفها من أخزم*، انصرف.

فلما كان من الغد دخل ابن الحنفية على عبد الملك فقال له: أتاك الحجاج؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين؛ قال: فرضيت وأجبته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين؛ قال: ثم مال إليه فقال: هل تحفظ ما سألك عنه؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، وما منعني أن أبثه إياه إلا مقتي له فإنه من بقية ثمود فضحك عبد الملك، ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب بخطه: بسم الله الرحمن الرحيم، كان أمير المؤمنين رضي الله عنه إذا فرغ من وتره رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم، حاجتي العظمى التي إن قضيتها لم يضرني ما منعتني، وإن منعتني لم ينفعني ما أعطيتني، فكاك الرقاب فك رقبتي من النار، رب ما أنا إن تقصد قصدي بغضب منك يدوم علي، فوعزتك ما يزين ملكك إحساني ولا يقبحه إساءتي ولا ينقص من خزائنك غناي، ولا يزيد فيها فقري، يا من هو هكذا اسمع دعائي وأجب ندائي وأقلني عثرتي وارحم غربتي ووحشتي ووحدتي في قبري، ها أنذا يا رب برمتي، ويأخذ بتلابيبه ثم يركع؛ فقال عبد الملك: حسن والله، رضي الله عنه.

----

*(الشنشنة) الطبيعة والسجية (أخزم) كان ولدا عاقا لابيه، فمات وترك بنين عقوا جدهم وضربوه وأدموه، فقال: إنما هو شنشنة أعرفها من أخزم، فصار مثلا (فللتم) في الجليس الصالح: وقتلتم (تكمشت) أي تقبضت يقال: تكمش الجلد: تقبض (حسبه) بالأصل: حسابه. والمثبت عن الجليس الصالح: حسبه (تقمعت) يقال قد تقمع الرجل وانقمع إذا انخذل وانكسر (يا لكع) يريد يا عبد أو يا لئيم (وهراوة البقار) يعني عصا الراعي التي يذود بها البقر يريد لا تصلح إلا لأداني الأمور (الخنزوانة) الكبر والتكبر يقال هو ذو خنزوانات (حير) حار يحار حيرة وحيرا بسكون الياء فيهما تحير في أمره فهو حيران وقوم حيارى وحيره فتحير ورجل حائر بائر إذا لم يتجه لشيء (سللت سخيمته) بمعنى انتزعت واستخرجت حقده وغضبه والضغينة والموجدة في النفس

■ (2) محمد بن علي بن أبي طالب، أبو القاسم، ابن الحنفية، أمه الحنفية خولة بنت جعفر. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي سنة 81 هـ أو 83 هـ وقيل 72 هـ أو 73 هـ بالمدينة، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان وكان والي المدينة، ودفن بالبقيع، وقيل إنه خرج إلى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات هناك، وقيل إنه مات ببلاد أيلة.

■ (1) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

عن منذر الثوري عن ابن الحنفية قال: ﴿قَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ وُلِدَ لِي بَعْدَكَ وَلَدٌ أُسَمِّيهِ بِاسْمِكَ وَأُكَنِّيهِ بِكُنْيَتِكَ. قَالَ: نَعَمْ﴾ فكانت رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى. قيل وقع بين الحسين بن علي وبين محمد بن الحنفية كلام جلس كل واحد منهما عن صاحبه، فكتب إليه محمد بن الحنفية: أبي وأبوك علي بن أبي طالب، وأمي امرأة من بني حنيفة لا ينكر شرفها في قومها، ولكن أمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أحق بالفضل مني فصر إلي حتى ترضاني؛ فلبس الحسين رداءه ونعله فصار إليه فترضاه. قال الرزهي: قال رجل لمحمد بن الحنفية: ما بال أبيك كان يرمي بك في مرام لا يرمي فيها الحسن والحسين؟ فقال لأنهما كانا خديه وكنت يده، فكان يتوقى بيده عن خديه. قال محمد بن الحنفية: الحسن والحسين خير مني، وأنا أعلم بحديث أبي منهما. وعن يحيى بن سعيد، قال: أمر عمر رضي الله عنه حسين بن علي رضي الله عنهما أن يأتيه في بعض الحاجة، قال حسين: فلقيت عبد الله بن عمر فقلت: من أين جئت؟، قال: استأذنت على عمر فلم يأذن لي، فرجع حسين، فلقيه عمر فقال: ما منعك يا حسين أن تأتيني؟، قال: قد أتيتك ولكن أخبرني عبد الله بن عمر أنه لم يؤذن له عليك، فرجعت، فقال عمر: وأنت عندي مثله، وهل أنبت الشعر على الرأس غيركم.

وسأل رجل ابن عمر في مسألة فقال له: سل محمد بن الحنفية ثم أخبرني ما يقول؛ فسأله عنها فأخبره فقال ابن عمر: أهل بيت مفهمون. قال عبد الواحد بن أيمن: بعثني أبي إلى محمد بن علي فرأيته مكحول العينين، فجئت فقلت لأبي: بعثتني إلى رجل كذا وكذا وقعت فيه فقال: يا بني ذاك خير الناس. وسأل رجل محمد بن الحنفية فقال له: أجد غما لا أعرف له سببا، وقد ضاق قلبي؟ فقال محمد: غم لم تعرف له سببا، عقوبة ذنب لم تفعله فقال الرجل: فما معنى ذلك؟ فقال: المعنى في ذلك أن القلب يهم بالمعصية فلا تساعده الجوارح فيعاقب بالغم دون الجوارح. قال محمد بن الحنفية: من كرمت نفسه عليه لم يكن للدنيا عنده قدر. قيل لابن الحنفية: من أعظم الناس قدرا؟ قال: من لم ير الدنيا كلها لنفسه خطرا. قال محمد بن الحنفية: إن الله جعل الجنة ثمنا لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها. قال ابن الحنفية: من أحب رجلا لله أثابه الله ثواب من أحب رجلا من أهل الجنة، وإن كان الذي أحبه من أهل النار، لأنه أحبه على خصلة حسنة رآها منه؛ ومن أبغض رجلا لله أثابه الله ثواب من أبغض رجلا من أهل النار، وإن كان الذي أبغضه من أهل الجنة، لأنه أبغضه على خصلة سيئة رآها منه. قيل لمحمد بن علي بن الحنفية: إن رجلا من قريش يقع فيك؛ قال: بحسبي من نعم الله عز وجل على أن نجى غيري مني ولم ينجني من غيري. قال محمد بن الحنفية: أيها الناس، اعلموا أن حوائج الناس إليكم نعم من الله عليكم فلا تملوها فتحول نقما، واعلموا أن أفضل المال ما أفاد ذخرا وأورث ذكرا وأوجب أجرا، ولو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين ويفوق العالمين. قال محمد بن الحنفية: الكمال في ثلاث؛ الفقه في الدين، والصبر على النوائب، وحسن تقعير المعيشة.

مراجع: تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ البداية والنهاية/ مقاييس اللغة/ مختار الصحاح/ لسان العرب/

حكي أن هند بنت النعمان[1] كانت أحسن نساء زمانها. فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم ودخل بها. ثم أنها انحدرت معه إلى بلد أبيها المعرة. وكانت هند فصيحة أديبة، فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة. ثم إن الحجاج رحل بها إلى العراق فأقامت معه ما شاء الله، ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر في المرآة، وتقول: وما هند إلا مهرة عربية..سلالة أفراس تحللها بغل..فإن ولدت فحلا فلله درها..وإن ولدت بغلا فجاء به البغل. فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعا ولم يدخل عليها. ولم تكن علمت به، فأراد الحجاج طلاقها، فأنفذ إليها عبد الله بن طاهر[2] وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم، وهي التي كانت لها عليه، وقال: يا ابن طاهر، طلقها بكلمتين، ولا تزد عليهما. فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها: يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت. وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله. فقالت: اعلم يا ابن طاهر، إنا والله كنا فما حمدنا، ثم بنا فما ندمنا وهذه المائتا ألف هي لك ببشارتك بخلاصي من كلب ثقيف.؟ ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها، ووصف له جمالها، فأرسل إليها يخطبها لنفسه، فأرسلت إليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه: اعلم يا أمير المؤمنين، أن الكلب ولغ في الإناء. فلما قرأ عبد الملك بن مروان الكتاب ضحك من قولها، وكتب إليها يقول:﴿إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا إِحْدَاهُنَّ بِالتُّرَابِ﴾، فغسل الإناء يحل الاستعمال. فلما قرأ كتاب أمير المؤمنين، لم يمكنها المخالفة فكتبت إليه تقول: بعد الثناء عليه، اعلم يا أمير المؤمنين أني لا أجري العقد إلا بشرط، فإن قلت: ما الشرط؟ أقول: أن يقود الحجاج محملي من المعرة إلى بلدتك التي أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها أولا. فلما قرأ ذلك الكتاب عبد الملك ضحك ضحكا شديدا، وأرسل إلى الحجاج يأمره بذلك. فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب ولم يخالف وامتثل الأمر. وأرسل الحجاج إلى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل إلى المعرة بلد هند. فركبت في محمل وركب حولها جواريها وخدمها فترجل الحجاج، وهو حاف، وأخذ بزمام البعير يقوده ويسير بها، فأخذت تهزأ منه وتضحك مع الهيفاء دابتها، ثم إنها قالت لدايتها: يا دايتي اكشفي لي ستارة المحمل لنشم رائحة النسيم! فكشفته فوقع وجهها في وجهه فضحكت عليه، فأنشد يقول: فإن تضحكي يا هند يا رب ليلة..تركتك فيها كالقباء المفرج. فأجابته تقول: وما نبالي إذا أرواحنا سلمت..بما فقدناه من مال ومن نشب..فالمال مكتسب والعز مرتجع..إذا النفوس وقاها الله من عطب. ولم تزل تلعب وتضحك إلى أن قربت من بلد الخليفة فلما قربت من البلد رمت من يدها دينارا على الأرض وقالت: يا جمال! إنه سقط منا درهم فادفعه إلينا. فنظر الحجاج إلى الأرض فلم ير إلا دينارا فقال: إنما هو دينار. فقالت: بل درهم. قال: بل دينار. فقالت: الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا. فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من أمرها ما كان.

----

(1) هند بنت النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي.... (لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

حميدة بنت النعمان بن بشير الا نصاري الخزرجي: شاعرة دمشقية، أصلها من المدينة. كان أبوها واليا على حمص. تزوجت المهاجر بن عبد الله بن خالد بدمشق لما قدم على عبد الملك بن مروان، وطلقها، فهجته. وتزوجت الحارث بن خالد المخزومي ثم روح بن زنباع، ولها معهما مساجلات شعرية. وتزوجت بعدهما فيض بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، فأحبته، وولدت له ابنة تزوجها الحجاج بن يوسف. وكان عند الحجاج قبلها أم أبان بنت النعمان بن بشير. وتوفيت حميدة بالشام في أواخر ولاية عبد الملك بن مروان.نحو 85 هـ

(2) عبد الله بن طاهر ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قيل أن الحجاج قال لايوب[1]: اخطب علي هند بنت أسماء[2] ولا تزد على ثلاث كلمات، فأتاهم فقال: أتيتكم من عند من تعلمون، والامير يعطيكم ما تسألون، أفتنكحون أم تردون؟ قالوا: بل أنكحنا وأنعمنا. ولما أراد الحجاج أن يطلقها أمر ابن القرية[1] أن يأتيها فيطلقها بكلمتين ويمتعها بعشرة آلاف درهم، فأتاها فقال لها: إن الحجاج يقول لك، كنت فبنت وهذه عشرة آلاف متعة لك. فقالت: قل له: كنا فما حمدنا، وبنا فما ندمنا، وهذه العشرة آلاف لك ببشارتك إياي بطلاقي.

☪

قال حمد بن صراي: هذه القصة –يعني قصة هند بنت النعمان والحجاج– مختلقة من أساسها ولا تصح تاريخيا، ولا تمت بصلة إلى الحقيقة، وتكمن أخطاؤها فيما يلي: 1_ اشتهرت في التاريخ امرأة تدعى هند بنت النعمان[3] المتوفاة نحو عام 74هـ بعد عمر مديد، عاشت حياتها في العراق ولما كبرت ترهبت في الدير المعروف باسمها بين الكوفة والحيرة، ولما فتح المسلمون العراق زارها خالد بن الوليد وعرض عليها الإسلام فرفضت، وقد عميت في آخر عمرها.2_ الحجاج لم يسكن المعرة أبدا. 3_ لم يثبت أن الحجاج كان يملك من المال ما يصل إلى المائتين ألف، وهذا أثبتته المصادر التي تحدثت عن ثروته.. 4_ لم يثبت تاريخيا أن الحجاج تزوج امرأة تدعى هند بنت النعمان. 5_ كذلك لم يثبت ابدا أن الخليفة عبد الملك تزوج امرأة تدعى هند بنت النعمان مع أنه قد تزوج عشر نساء ليس بينهن هذه.. 6_ ومن يدرس شخصية الحجاج لا يمكن أن يصدق أن يقوم بهذا الدور السخيف ولا أن يرضى له الخليفة ذلك..وهو سيف من سيوفه..

☪

قال أبو الحسن المدائني: كان عند روح بن زنباع[4] هند بنت النعمان بن بشير، وكان شديد الغيرة، فأشرفت يوما تنظر إلى وفد من جذام –قبيلة–، كانوا عنده، فزجرها. فقالت: والله لأبغض الحلال من جذام، فكيف تخافني على الحرام فيهم. وقالت له يوما: عجبا منك كيف يسودك قومك؟ وفيك ثلاث خلال: أنت من جذام، وأنت جبان، وأنت غيور؟ فقال لها: أما جذام فإني في أرومتها، وحسب الرجل أن يكون في أرومة قومه. وأما الجبن فإنما لي نفس واحدة، فأنا أحوطها، فلو كانت لي نفس أخرى جدت بها. وأما الغيرة فأمر لا أريد أن أشارك فيه، وحقيق بالغيرة من كانت عنده حمقاء مثلك مخافة أن تأتيه بولد من غيره فتقذف به في حجره. فقالت: وهل هند إلا مهرة عربية..سليلة أفراس تجللها بعل..فإن أنجبت مهرا عريقا فبالحري..وإن يك إقراف فما أنجب الفحل.

☪

قال زياد بن عبد الله القرشي: دخلت على هند بنت المهلب[5] امرأة الحجاج بن يوسف، فرأيت في يدها مغزلا، فقلت: أتغزلين وأنت امرأة أمير؟! قالت: سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَطْوَلُكُنَّ طَاقَةً أَعْظَمَكُنَّ أَجْرًا، وَهُوَ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ، وَيَذْهَبُ بِحَدِيثِ النَّفْسِ﴾ . قالت هند: قلت للحسن: يا أبا سعيد، ينظر الرجل إلى عنق أخته، وإلى قرطها، وإلى شعرها؟ قال: لا، ولا كرامة. قدمت هند بنت المهلب على عمر بن عبد العزيز بخناصرة، فقالت له: يا أمير المؤمنين، علام حبست أخي؟ قال: تخوفت أن يشق عصا المسلمين، فقالت له: فالعقوبة بعد الذنب أو قبل الذنب؟ قال أيوب السختياني: ما رأيت امرأة أعقل من هند بنت المهلب. قال عمران بن موسى حكاية عن هند بنت المهلب – وكانت من عقلاء الناس، قالت: شيئان لا تؤمن المرأة عليهما: الرجال والطيب. وعن هند، وذكروا عندها جابر بن زيد قالوا: إنه كان إباضيا فقالت: كان جابر أشد الناس انقطاعا إلي وإلى أمي، فما أعلم شيئا كان يقربني إلى الله إلا أمرني به، ولا شيئا يباعدني عن الله إلا نهاني عنه، وما دعاني إلى الإباضية قط، ولا أمرني بها، وإن كان ليأمرني أين أضع الخمار، ووضعت يدها على الجبهة. قالت أم عبد الله أم أيوب بن صالح: كنت أدخل على هند بنت المهلب، وهي تسبح باللؤلؤ، فإذا فرغت من تسبيحها ألقته إلينا، فقالت: اقسمه بينكن. قالت هند: إذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا بتعجيل الشكر قبل حلول الزوال. قالت هند، وذكرت عندها امرأة بجمال: ما تحلين النساء بحلية أحسن عليهن من لب ظاهر، تحته أدب كامل. قالت هند: ما رأيت للأسرة خيرا من السكن، ولرب مسكون غليه غير طائل، والسكن على كل حال أجمع. وقالت هند: ما رأيت لصالح النساء وشرارهن خيرا لهن من إلحافهن بأسكانهن. وقالت هند: رأيت صلاح الحرة إلفها، وفسادها بحدتها، وإنما يجمع ذلك ويفرقه التوفيق. حدث أبو زيد – وكان ثقة، رضي – قال: قالت هند: الطاعة مقرونة بالبغض، فالعاصي ممقوت، وإن مستك رحمه، ونالك معروفه.

----

(3) هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر بن امرئ القيس اللخمية. نبيلة، فصيحة. ولدت ونشأت في بيت الملك بالحيرة. ولما غضب كسرى على أبيها النعمان وحبسه ومات في حبسه، ترهبت ولبست المسوح، وأقامت في دير بنته بين الحيرة والكوفة عرف بدير هند الصغرى (للتمييز بينه وبين دير هند بنت الحارث) وزال ملك اللخميين، ودخل خالد بن الوليد الحيرة فزارها في الدير، وعرض عليها الإسلام، فاعتذرت بكبر سنها عن تغيير دينها، فأمر لها بمعونة وكسوة، فقالت: ما لي إلى شيء من هذا حاجة، لي عبدان يزرعان مزرعة لي أتقوت منها، ودعت له. ولما خرج جاءها النصارى فسألوها عما صنع بها، فقالت: صان لي ذمتي وأكرم وجهي..إنما يكرم الكريم الكريم. وعاشت طويلا، وعميت. وكان ممن زارها المغيرة بن شعبة وأعجب بحديثها، وعبيد الله بن زياد، وهانئ بن قبيصة، ثم الحجاج لما قدم الكوفة سنة 74 هـ وماتت في ديرها سنة 74 هـ

(5) هند بنت المهلب بن أبي صفرة، تزوجها الحجاج بن يوسف الثقفي رغما عنها وعن ابيها المهلب و طلقها بعدما وصفته بشعر وبعدما سمع سليمان ابن عبدالملك بجمالها تزوجها، حدثت عن أبيها والحسن البصري وأبي الشعثاء جابر بن زيد ووفدت على عمر بن عبد العزيز (لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه)

(2) هند بنت أسماء بن خارجة الفزاري: الفزارية، جميلة، من أهل الكوفة.كانت زوجة لعبيد الله بن زياد. وقتل سنة 67 هـ في مكان قريب من الموصل، وهي معه، فلبست رداء فوق ثيابها وتقلدت سيفا وركبت فرسا، ومضت ولا دليل معها، حتى دخلت بيت أبيها في الكوفة. كانت تقول: إني لاشتاق القيامة لارى وجه عبد الله ؟ نزل بشر بن مروان أمير العراقين بالكوفة، ووصفت له، فخطبها وتزوجها فولدت له عبد الملك، ومات بشر سنة 75هـ فأرسل إليها الحجاج بن يوسف ولما ولي العراق يطلب الطفل عبد الملك ليربيه تربية الامراء، فأذعنت. ثم بعث يخطبها، فلم تمانع. وتزوجها وبنى قصرا في البصرة عرف بقصر الحجاج ونزل به فقال لها يوما: هل رأيت أحسن من هذا القصر ؟ فقالت: ما أحسنه ! قال: اصدقيني. فقالت: أما إذ أبيت، فوالله ما رأيت أحسن من القصر الاحمر ! وكان دار الامارة بالبصرة، بناه زوجها الأول عبيد الله بن زياد. فغضب الحجاج، وطلقها. عاشت بقية حياتها في دار أبيها بالكوفة. وللاخطل شعر فيها أورده الجمحي. توفيت نحو 100 هـ

(1) أيوب القرية هو أيوب بن يزيد بن قيس بن زرارة النمري الهلالي الاعرابي. صحب الحجاج، ووفد على الخليفة عبد الملك. وكان رأسا في البلاغة والبيان واللغة. ثم إنه خرج على الحجاج مع ابن الاشعث، لان الحجاج نفذه إلى ابن الاشعث إلى سجستان رسولا. فأمره ابن الاشعث أن يقوم ويسب الحجاج ويخلعه أو ليقتلنه ففعل مكرها. ثم أسر أيوب. ولما ضرب الحجاج عنقه ندم. وذلك في سنة 84 هـ. وله كلام بليغ متداول.

(4) روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، كان صاحب شرطة عبد الملك، وهو كالوزير له. أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقد وهم مسلم وقال: له صحبة. وإنما الصحبة لأبيه. مات سنة 84 هـ.

مراجع: بدائع الصنائع/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ أبراج الزجاج في سيرة الحجاج/ تاريخ مدينة دمشق/ تراجم النساء/ تاريخ الرسل والملوك/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار/ العقد الفريد/ المستطرف/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/

بعث الحجاج أيوب بن القرية[1] إلى عبد الرحمن بن محمد[2]، وقال: انطلق، فادعه إلى الطاعة، وله الأمان على ما سلف من ذنبه. فانطلق إليه ابن القرية، فدعاه، فأبلغ في الدعاء، فقال له عبد الرحمن: ويحك يا ابن القرية، أيحل لك طاعته مع ارتكابه العظائم، واستحلاله المحارم ؟ اتق الله يا ابن القرية، ووال عباد الله في البرية. ولم يزل عبد الرحمن بابن القرية يخدعه حتى ترك ما أرسل فيه، وأقام مع عبد الرحمن، فقال له عبد الرحمن: إني أريد أن أكتب إلى الحجاج كتابا مسجعا، اعرفه فيه سوء فعاله، وأبصره قبح سريرته، فأمله علي. فقال أيوب: إن الحجاج يعرف ألفاظي. قال: وما عليك، إني لأرجو أن نقتله عن قريب. فأملى عليه، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الرحمن بن محمد، إلى الحجاج بن يوسف، سلام على أهل طاعة الله، الذين يحكمون بما أنزل الله، ولا يسفكون دما حراما، ولا يعطلون لله أحكاما، فإني أحمد الله الذي بعثني لمنازلتك، وقواني على محاربتك حين تهتكت ستورك، وتحيرت أمورك، فأصبحت حيران تائها، لهفان لا تعرف حقا، ولا تلائم صدقا، ولا ترتق فتقا، ولا تفتق رتقا، وطالما تطاولت فيما تناولت، فصرت في الغي مذبذبا، وعلى الشرارة مركبا، فتدبر أمرك، وقس شبرك بفترك*، فإنك مراق عراق*، ومعك عصابة فساق، جعلوك مثالهم، كحذوهم نعالهم، فاستعد للأبطال بالسيوف والعوال*، فستذوق وبال أمرك، ويرجع عليك غيك، والسلام. فلما قرأ الحجاج الكتاب عرف ألفاظ ابن القرية، وعلم أنه من إملائه. فكتب إلى عبد الرحمن في جوابه. بسم الله الرحمن الرحيم، من الحجاج بن يوسف إلى عبد الرحمن بن الأشعث، سلام على أهل التورع لا التبدع، فإني أحمد الله الذي حيرك بعد البصيرة، فمرقت عن الطاعة، وخرجت عن الجماعة، فعسكرت في الكفر، وذهلت عن الشكر، فلا تحمد الله في سراء، ولا تصبر لأمره في ضراء، قد أتاني كتابك بلفظات فاجر، فاسق غادر، وسيمكن الله منه، ويهتك ستوره، أما بعد فهلم إلى فعل وفعال، ومعانقة الأبطال بالبيض والعوال، فإن ذلك أحرى بك من قيل وقال، والسلام على من اتبع الهدى، وخشي الله، واتقى. وإن عبد الملك[3] وجه إلى الحجاج عشرة آلاف رجل من فرسان أهل الشام لمحاربة عبد الرحمن بن محمد. فلما قدموا عليه تجهز، وسار نحو عبد الرحمن، فالتقوا بالأهواز، فاقتتلوا، فانهزم عبد الرحمن، ومضى على وجهه، فمر على رجل من أصحابه مسلوب حاف، يمشي ويعثر. فأنشأ عبد الرحمن يقول:

منخرق الخفين يشكو الوجى تنكثه أطراف مرو حداد* أخرجه الخذلان عن أرضه كذلك من يكره حر الجلاد إن كان في الموت له راحة فالموت حتم في رقاب العباد فقال الرجل: فهلا ثبت، فنقاتل معك. فقال له عبد الرحمن: أو بمثلك تسد الثغور ؟!.ومضى عبد الرحمن حتى استجار بملك الأتراك، فأقام عنده. فكتب عبد الملك إلى ملك الأتراك، يخبره بشقاق عبد الرحمن، وخلعه الطاعة، وخروجه عليه، و يسأله أن يرده عليه. فقال ملك الأتراك لطراخنته*: إن ابن الأشعث هذا رجل مخالف للملوك، فلا ينبغي لي أن آويه، بل أبعث به إلى ملكه، فيتولى من أمره ما أحب. فوجه به مع مائة رجل من ثقاته، فأنزلوه في طريقه قصرا في قرية، فرقى إلى ظهر القصر، ورمى بنفسه من السور، فمات. وإن أيوب بن القرية أسر فيمن أسر من أصحاب عبد الرحمن، فأدخل به على الحجاج. فلما أدخل عليه، قال له: يا عدو الله، بعثتك رسولا إلى عبد الرحمن، فتركت ما بعثت له، وصرت وزيرا ومشيرا، تصدر له الكتب، وتسجع له الكلام، وتدبر له الأمور. فقال ابن القرية أصلح الله الأمير، كان شيطانا في مسك إنسان، استهالني بسحره، وخلبني بلفظه، فكان اللسان ينطق بغير ما في القلب. قال الحجاج: كذبت يا ابن اللخناء*، بل كان قلبك منافقا، ولسانك مداهجا، فكتمت أمرا أظهره الله، وأطعت فاسقا خذله الله، فما بقي من نعتك؟ قال ابن القرية: ذهني جديد، وجوابي عتيد. قال: كيف علمك بالأرض؟ قال: ليسألني الأمير عما أحب. قال: أخبرني عن الهند؟ قال: بحرها در، وجبلها ياقوت، وشجرها عطر. قال: فأخبرني عن مكران*؟ قال: ماؤها وشل*، وتمرها دقل*، وسهلها جبل، ولصها بطل، إن كثر الجيش بها جاعوا، وإن قلوا ضاعوا. قال: فخراسان؟ قال: ماؤها جامد، وعدوها جاهد، بأسهم شديد، وشرهم عتيد، وخيرهم بعيد. قال: فاليمن؟ قال: أرض العرب، ومعدن الذهب. قال: فعمان؟ قال: حرها شديد، وصيدها موجود، وأهلها عبيد. قال: فالبحرين؟ قال: كناسة* بين مصرين، وجنة بين بحرين. قال: فمكة؟ قال: قوم ذوو جفاء، ومن سجيتهم الوفاء. قال: فالمدينة؟ قال: ذوو لطف وبر، وخير وشر. قال: فالبصرة؟ قال: حرها فادح، وماؤها مالح، وفيضها سائح. قال: فالكوفة؟ قال: جنة بين حماة وكنة*، العراق تحشد لها، والشام يدر عليها، سفلت عن برد الشام، وارتفعت عن حر الحجاز. قال: فالشام؟ قال: تلك عروس بين نسوة جلوس، تجلب إليها الأموال، وفيها الضراغمة الأبطال. قال له الحجاج: ثكلتك أمك، أنت المصدر الكتب لابن الأشعث، ألم تعلم أني لا أصاحب على الشقاق، ولا أجامع على النفاق ؟ قال ابن القرية: استبقني أيها الأمير. قال: لماذا ؟ قال: لنبوة بعد هفوة. قال الحجاج: لا، بل لغدرة بعد نكثه، يا غلام، ناولني الحربة. وقد أمسك ابن القرية أربعة رجال فلا يستطيع تحريكا، وهز الحجاج الحربة ثلاثا. فقال ابن القرية: اسمع مني ثلاث كلمات، تكن بعدي مثلا. قال: هات.قال: لكل جواد كبوة، ولكل حليم هفوة، ولكل شجاع نبوة. فوضع الحجاج الحربة في ثندوة ابن القرية، ودفعها حتى خالطت جوفه، ثم خضخضها*، وأخرجها، فاتبعها دم أسود. فقال الحجاج: هكذا تشخب أوداج الإبل. وفحص ابن القرية برجليه وشخص بصره، وجعل الحجاج ينظر إليه حتى قضى. فحمل في النطع*. فقال الحجاج: لله درك يا ابن القرية، أي أدب فقدنا منك، وأي كلام رصين سمعنا منك.

----

* (شبرك بفترك) السبر: مابين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر، والفتر بالكسر مابين طرف الابهام وطرف المشيرة. (مراق عراق) المرق إكثار مرقة القدر والعرق العظم بلحمه. (والعوال) الرماح (منخرق الخفين يشكو الوجى تنكثه أطراف مرو حداد) الوجى: الحفا، أو أشد منه، ونكى: جرح، والمرو: حجارة بيض تورى النار.(طراخنته) جمع طرخان بالفتح وهو اسم للرئيس الشريف (اللخناء) اللخن محرك: قبح ريح الفرج، المرأة اللخناء التي لم تختن (وشل) الوشل محركة: الماء القليل (دقل) الدقل: أردأ التمر (كناسة) الكانسة: المرأة الحسناء.(حماة وكنة) موضعان أولهما بالشام والثاني بفارس (خضخضها) الخضخضة: تحريك الماء. (النطع) النطع: بساط من الأديم. (مكران) بالضم ثم السكون اسم لسيف البحر 700 كم في باكستان والباقي في إيران

■ (1) ابن القرية، أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة الهلالي: أحد بلغاء الدهر. خطيب يضرب به المثل. يقال أبلغ من ابن القرية والقرية أمه.خماعة بنت جشم. كان أعرابيا أميا، يتردد إلى عين التمر غربي الكوفة فاتصل بالحجاج، فأعجب بحسن منطقه، فأوفده على عبد الملك بن مروان. ولما خلع ابن الاشعث الطاعة بسجستان بعثه الحجاج إليه رسولا، فالتحق به وشهد معه وقعة دير الجماجم بظاهر الكوفة وكان شجاعا فلما انهزم ابن الاشعث سيق أيوب إلى الحجاج أسيرا، فقال له الحجاج: والله لازيرنك جهنم ! قال: فأرحني فاني أجد حرها!، فأمر به فضربت عنقه سنة 84 هـ. ولما رآه قتيلا قال: لو تركناه حتى نسمع من كلامه! وبعض الناس ينفيه ويقول لم يكن.

■ (2) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ابن قيس الكندي: أمير، من القادة الشجعان الدهاة. وهو صاحب الوقائع مع الحجاج الثقفي. سيره الحجاج بجيش لغزو بلاد رتبيل ملك الترك فيما وراء سجستان. فغزا بعض أطرافها، وأخذ منها حصونا وغنائم. وكتب إلى الحجاج يخبره بذلك وأنه يرى ترك التوغل في بلاد رتبيل إلى أن يختبر مداخلها ومخارجها. فاتهمه الحجاج بالضعف والعجز، وأجابه: إن كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة، ويستريح إلى الموادعة، قد صانع عدوا قليلا ذليلا، فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم، وإلا فأخوك إسحاق بن محمد أمير الناس. فاستشار عبد الرحمن من معه، فلم يروا رأي الحجاج، واتفقوا على نبذ طاعته، وبايعوا عبد الرحمن، على خلع الحجاج وإخراجه من أرض العراق. وقال بعضهم: إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك، فقد خلعنا عبد الملك. فخلعوا عبد الملك بن مروان أيضا. وزحف بهم عبد الرحمن سنة 81 هـ عائدا إلى العراق، لقتال الحجاج. ونشبت بينه وبين جيوش الحجاج وعبد الملك معارك ظفر فيها عبد الرحمن، وتم له ملك سجستان وكرمان والبصرة وفارس إلا خراسان، وكان عليها المهلب واليا لعبد الملك بن مروان. ثم خرجت البصرة من يده فاستولى على الكوفة، فقصده الحجاج، فحدثت بينهما موقعة دير الجماجم التي دامت مئة وثلاثة أيام، وانتهت بخروج ابن الأشعث من الكوفة، وكان جيشه ستين ألفا، فتتابعت هزائم جيشه، في مسكن وسجستان. وتفرق من معه فبقي في عدد يسير، فلجأ إلى رتبيل فحماه مدة، فوردت عليه كتب الحجاج تهديدا ووعيدا إذا هو لم يقتل ابن الأشعث أو يقبض عليه، فأمسكه رتبيل وقتله سنة 85 هـ وبعث برأسه إلى الحجاج. فأرسله هذا إلى عبد الملك بالشام، وبعث به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر.

■ (3) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الوليد، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

قال الأصمعي: وأربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل: الشعبي، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، وابن القرية. والحجاج أفصحهم. وسأل الحجاج ابن القرية عن الصبر؟ فقال: كظم ما يغيظك واحتمال ما ينوبك. وقال الحجاج لابن القرية: ما الإرب؟ قال: الصبر على كظم الغيظ حتى تمكنك الفرصة. قال أيوب بن القرية: الرجال ثلاثة: عاقل وأحمق وفاجر، فالعاقل إن تكلم أجاد، وإن سمع وعى، وإن نطق نطق بالصواب، والأحمق إن تكلم عجل، وإن حدث ذهل، وإن حمل على القبيح فعل. والفاجر إن ائتمنته خانك وإن حادثته شانك. قال الجاحظ: سأل الحجاج ابن القرية عن أضيع الأشياء؟ فقال: سراج في شمس، ومطر في سبخة، وبكر تزف إلى عنين، وطعام متأنق فيه عند سكران ومعروف عند غير أهله. وفي رواية: وامرأة حسناء تزف إلى أعمى، وطعام طيب يهيأ لشبعان، وصنيعة عند من لا يشكرها.

كتب الحجاج كتابا إلى عبد الملك بن مروان يصف له فيه أمر العراق وما ألفاهم عليه من الاختلاف، وما أنكره عليهم وعرفوه، وما يحتاجون إليه من التقويم والتأديب، ويستأذنه في أن يودع قلوبهم من الرغبة والرهبة ما يخفون معه إلى طاعة السلطان. ودعا برجل من أصحابه كان يأنس به فقال له: لا يصلن هذا الكتاب إلا من يدك إلى يده، فإذا فضه فخبره عليه، ففعل الرجل ذلك، فجعل عبد الملك كلما شك في شيء استنشأ الخبر من الرجل فيجده أبلغ من الكتاب فقال: من الطويل: وإن عرارا [1] إن يكن غير واضح..فإني أحب الجون ذا المنطق العمم. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، أتدري من يخاطبك؟ قال: لا. قال: أنا عرار، وهذا الشعر لأبي، وذلك أن أمي ماتت وأنا مرضع، فتزوج أبي امرأة فكانت تسيء ولايتي، فقال أبي من أبيات: فإن كنت مني أو تريدين شيمتي..فكوني له كالسمن ربت به الأدم..وإلا فسيري مثل ما سار راكب..تيم خمسا ليس في سيره أمم..أردت عرارابا لهوان ومن يرد..عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم..وإن عرارا يكن غير واضح..فإني أحب الجون ذا المنطق العمم. فقال عبد الملك: لله أنتم آل مروان، إنكم لتضعون الهناء موضع النقب. وقال ابن سلام: لما قتل الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بعث برأسه مع عرار بن عمرو، فلما ورد به، وأوصل كتاب الحجاج، فرآه عبد الملك، فكلما شك في شيء سأل عرارا عنه فأخبره، فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته مع سواده، فقال متمثلا: وإن عرارا إن يكن غير واضح..فإني أحب الجون ذا المنكب العمم. فضحك عرار من قوله ضحكا غاظ عبد الملك، فقال له: مم ضحكت ويحك!؟ قال: أتعرف عرارا يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر؟ قال: لا. قال: فأنا والله هو. فضحك عبد الملك ثم قال: خط وافق كلمة. وأحسن جائزته وسرحه.

■ (1) عرار بن عمرو بن شاش بن أبي بلي واسمه عبيد بن ثعلبة بن ذؤيبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان ابن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر الأسدي الكوفي. وفد على عبد الملك بن مروان من عند الحجاج. ذكره أبوه عمرو بن شأس في شعره يعاتب امرأته أم حسان في أمر عرار، وكانت تؤذيه.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ الاخبار الطوال للدينوري/.

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) وجحدر بن مالك العجلي، الشاعر اللص 0436

حكى عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: كان بأرض اليمامة* رجل من ربيعة، يقال له: جحدر بن مالك العجلي[1]، وكان شاعرا شجاعا فاتكا، وقد أبر* أبدا على أهل حجر*، وما يليها، فبلغ ذلك من أمره الحجاج، فكتب إلى عامله على اليمامة، يؤنبه ويلومه بتلعب جحدر به، ويأمره بالتجرد في طلبه، والبعث به إليه إن ظفر به. فلما أتى العامل كتاب الحجاج، دس إليه فتية من قومه، ووعدهم أن يوفدهم معه إلى الحجاج إن هم ظفروا به، فخرج الفتية حتى إذا كانوا قريبا منه بعثوا إليه أنهم يريدون صحبته والكينونة معه. فمكثوا بذلك حتى إذا أصابوا منه غرة شدوا عليه، وأوثقوه وقدموا به على العامل، فبعث العامل بهم إلى الحجاج، فلما جاوزوا بجحدر حجرا أنشأ يقول: لقد ما هاجني فازددت شوقا..بكاء حمامتين تجاوباني..تجاوبنا بلحن أعجمي..على غصنين من عرب وبان..فقلت لصاحبي وكنت أحدو..ببعض القول ماذا تحدوان؟..فقالا: الدار جامعة قريبا..فقلت: بل أنتما متمنيان فكان البان أن بانت سليمى..وفي الغرب اغتراب غير داني..إذا جاوزتما نخلات حجر ... وأندية اليمامة فانعياني..وقولا: جحدر أمسى رهينا..يعالج وقع مصقول يماني..كذا المغرور في الدنيا سيردى..وتهلكه المطامع والأماني. فلما قدم به على الحجاج، قال له الحجاج: أأنت جحدر؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير، أنا جحدر. قال: فما الذي حملك على ما صنعت؟ قال: جراءة الجنان، وكلب الزمان، وجفوة السلطان. فقال له: وما الذي بلغ من أمرك، فيجترئ جنانك، ويكلب زمانك، ويجفوك سلطانك؟ قال: لو بلاني الأمير لوجدني من صالح الأعوان، وبهم الفرسان، وأما جراءة جناني، فإني لم ألق فارسا قط إلا كنت عليه في نفسي مقتدرا. فقال له الحجاج: يا جحدر إنا قاذفون بك في حير فيه أسد، فإن هو قتلك كفانا مئونتك، وإن أنت قتلته خلينا عنك، وأحسنا جائزتك، قال: نعم، أصلح الله الأمير قربت المحنة، وأعظمت المنة، افعل ذلك إذا شئت، فأمر به، فقيد وحبس، وكتب إلى عامله على كسكر* يأمره بالبعثة إليه بأسد ضار، فبعث إليه بأسد، قد أبر على أهل كسكر في صندوق يجره ثوران، فلما قدم به على الحجاج أمر به فأدخل في حير*، وسد باب الحير، وجوع ثلاثة أيام، فأتي بجحدر، فأمكن من سيف قاطع، وجلس الحجاج والناس ينظرون إليهما، فلما نظر الأسد إلى جحدر قد أقبل ومعه السيف يرسف في قيوده، تهيأ وتمطى. وأنشأ جحدر يقول: ليث وليث في مجال ضنك..كلاهما ذو أنف وفتك..وسورة في صولة ومحك..إن يكشف الله قناع الشك..من ظفري بحاجتي ودرك..فذاك أحرى منزل بترك. فوثب إليه الأسد وثبة شديدة، وتلقاها جحدر بالسيف، فضرب هامته، ففلقها، حتى خالط ذباب السيف لهواته. وسقط جحدر من شدة وثبة الأسد، وتخضبت ثيابه من دمه، وهو يقول: يا جمل إنك لو رأيت كريهتي..في يوم هيج مسدف وعجاج..وتصدقي لليث أرسف موهنا..كيما أكابره على الأحداج..جهم كأن جبينه لما بدا..طبق متغجر الأثباج..يسمو بناظرتين تحسب فيهما..لما أجالهما شعاع سراج..وكأنما خيطت عليه عباءة..برقا أو خلق من الديباج..قرنان محتضران قد مخضتهما..أم المنية غير ذات نتاج..وعلمت أني إن أبيت نزاله..إني من الحجاج لست بناج..ففلقت هامته فخر كأنه..أطم تساقط مائل الأبراج..ثم انثنيت وفي ثيابي شاهد..مما جرى من شاحب الأوداج..أيقنت أني ذو حفاظ ماجد..من سر أملاك ذوي أتواج..ممن يغار على النساء حفيظة..إذا لا يثقن بغيرة الأزواج. فقال الحجاج: يا جحدر، إن أحببت المقام معنا فأقم، وإن أحببت الانصراف إلى بلادك فانصرف، فقال: بل أختار صحبة الأمير، والكينونة معه، ففرض له في شرف العطاء، وأقام ببابه.

----

* (حجر) مدينة باليمامة وأم قراها وبها كان ينزل الوالي (قد أبر عليهم) أي استصعب وغلبهم (كسكر) بين واسط والبصرة (الحير) شبه الحظيرة أو الحمى (اليمامة) موضع من محلة العرب وكان اسمها: الجو فسميت بامرأة كانت تسكنها اسمها يمامة فسميت باسمها. اليمامة اسم لإقليم من الجزيرة العربية إلى الجنوب من نجد إلا ان اسم نجد –الإقليم المجاور إلى اليمامة– طغى على اسم اليمامة وأصبحت اليمامة محصورة في بلدة صغيرة تعرف حتى اليوم بإسم اليمامة وتقع في منطقة الخرج في نجد

■ (1) جحدر بن مالك الحنفى شاعر من أهل اليمامة، من الشعراء اللصوص، كان لسنا فاتكا، يقطع الطريق، ويسلب الأموال، وأفحش على أهل هجر وناحيتها، فطلبه الحجاج وسجنه، توفي نحو 100هـ

الله أكبر

لما ولي الحسن بن زيد[1] المدينة دخل عليه إبراهيم بن علي بن هرمة[2] فقال له الحسن: يا إبراهيم، لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك، أو خوف ذمك، فقد رزقني الله تعالى بولادة نبيه صلى الله عليه وسلم، الممادح، وجنبني المقابح، وإن من حقه علي ألا أغضي على تقصير في حق وجب؛ وأنا أقسم لئن أتيت بك سكران لأضربنك حدا للخمر، وحدا للسكر؛ ولأزيدن لموضع حرمتك بي، فليكن تركك لها لله عز وجل، تعن عليه، ولا تدعها للناس فتوكل إليهم. فنهض ابن هرمة وهو يقول: الوافر: نهاني ابن الرسول عن المدام..وأدبني بآداب الكرام..وقال لي اصطبر عنها ودعها..لخوف الله لا خوف الأنام..وكيف تصبري عنها وحبي.. لها حب تمكن في عظامي..أرى طيف الخيال علي خبثا..وطيب العيش في خبث الحرام. وكان إبراهيم منهوما في الخمر، وجلده خيثم بن عراك صاحب شرطة المدينة لرباح بن عبد الله الحارثي في ولاية أبي العباس.

قال البلاذري: قال المدائني: مدح إبراهيم بن علي بن هرمة[1] المنصور فأعطاه عشرة آلاف درهم فاستقلها وقال: لي حاجة، يا أمير المؤمنين فان قضيتها كنت قد كافأتني، قال: وما هي؟ قال: تأذن لي في شرب النبيذ بالمدينة فإن لي هذه الأرواح والماء يضرني، فقال: كيف أفعل وأنت تعرف كراهة أهل الحجاز للشرب؟ قال: احتل لي يا أمير المؤمنين، فأمر الوالي هناك أن ينظر فمن أتاه بابن هرمة وهو سكران ضربه مائة وضرب ابن هرمة ثمانين، فكان الشرطي يراه سكران بالمدينة فيقول: من يشتري الثمانين بالمائة ويدعه. وحدثني أبو يحيى المديني مولى الانصار قال: لم يجبه المنصور إلى الاذن في شرب النبيذ ولكن بعض عمال المدينة كان أمر فيه بهذا، وكان ابن هرمة مستهترا بالنبيذ لا يصبر عنه، وهو الذي يقول: أسأل الله سكرة قبل موتي..وصياح الصبيان يا سكران.

■ (2) ابن هرمة، ابراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني القرشي، أبو إسحاق: شاعر غزل من سكان المدينة. من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية. رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد الاموي، فأجازه، ثم وفد على المنصور العباسي في وفد أهل المدينة، فتجهم له، ثم أكرمه. وانقطع إلى الطالبيين وله شعر فيهم. وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم. قال الاصمعي: ختم الشعر بابن هرمة. وكان مولعا بالشراب جلده صاحب شرطة المدينة.توفي سنة 176 هـ

■ (1) الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، العلوي الحسني الزيدي الأمير. توفي سنة 270 هـ ظهر بطبرستان سنة 50 هـ، فغلب على جرجان وتلك الديار، واستفحل أمره، وهزم جيوش الخليفة، ودخل الري ثم رجع إلى طبرستان، وصاهر الديلم، وتمكن وقوي أمره، وامتدت أيامه. توفي سنة 270 هـ في شعبان، وقام بالأمر بعده أخوه محمد بن زيد، فاتصلت أيامه إلى أن قتل سنة 287 هـ، وقيل: بعد ذلك.

مراجع: الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار/ الأعلام للزركلي/ تاج العروس/ كتاب العين/ حياة الحيوان الكبرى للدميري/ معجم الوسيط/ سير أعلام النبلاء/

عن الثوري عن أبي عبيدة قال: وفد الحجاج إلى عبد الملك[1]، فوجد عنده كثير بن هراسة العامري[2]، وعند عبد الملك يومئذ وجوه الناس من قريش وغيرهم، فقال عبد الملك: يا حجاج، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إن العلماء يزعمون أن ثقيفا من إياد، وقد قال الشاعر: قومي إياد لو أنهم أمم..ولو أقاموا لتمت النعم. فقال الحجاج: أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به، إن الحق أبلج، وإن مسلك الصدق منهج، وإن طريق الباطل أعوج، وإنه لم يخز من ركب الحق، ولم يعم من قصد الصدق، ونحن من قيس عيلان، أورقت غصوننا بورقه، وقد قال شاعرنا: بان إيادكم ضل من ضل..وأنا من إيادكم براء وإنا معشر من جذم قيس..فنسبتنا ونسبتهم سواء خلقنا منهم وبنوا علينا..كما بنيت على الأرض السماء، فقال ابن هراسة: والله يا أمير المؤمنين، إن هذا الشر أصيل وعار وبيل وخطب جليل، دخول رجل في قوم ليس منهم وخروجه عن قوم رغبة عنهم، إلا أنه قد عرف أنه ليس من الفريقين جميعا فأحب أن يغتر بالعدد والعدة، والله، يا أمير المؤمنين، ما كثرونا من قلة ولا اعتززنا بهم من ذلة، وما بنا إليهم من حاجة، ولكن ساقتهم إلينا الفاقة، ونحن قوم نجير الذمار ونحفظ الجوار، فلجأوا إلينا حين ضاقت عليهم المذاهب، وكدحتهم المخالب، وكبحتهم المضارب، وايم الله لوددت أنهم لحقوا بعشائرهم، فإنهم يفسدون إذا أصلحنا، ويصلحون إذا أفسدنا، لئام الجدود قصار الحدود، بقية آل ثمود وأمساخ القرود، عبيد وأبناء، عبيد ابتزوا أشرا، واستنوا مرحا، واختالوا بطرا، فقال له الحجاج: والله، يا بن هراسة، إنك لتمد بيد قصيرة، وباع ضيقة، لا تنزع عن المحارم، ولا يشار إليك بالمكارم، ولا تستشار في القوم، ولا يرجى لدفع اليوم، والله، لولا مكان أمير المؤمنين وحقه، لاستوعرت مركبك، ولاستطلت موكبك، ولأوردتك موارد تضيق بمصادرها، فقال ابن هراسة: والله، لأنت أضعف كوعا، وأهون كرسوعا، وأقصر بوعا، وأقل ورعا، من أن تذكر منا شيئا نعرفه، وتناول منا شيئا نكرهه، ولكن قل في تضييعك الأمانة، وإظهارك الخيانة، كيف تبدل من حلاوتها علقما، وتمج من مسكتها دما، حين يطلع أمير المؤمنين على خيانتك، ويفشو له صنيعك، فلما سمع عبد الملك مقالتهما خشي أن يبلغ أمرهما إلى أعظمه، فعزم عليهما حتى سكتا، وخرج الحجاج من فوره إلى واسط، وفتح الله بعد ذلك على المختار فتحا من قبل أفريقية، فبعث وفدا إلى الحجاج، وهو إذ ذاك على العراق، وبعث فيهم كثير بن هراسة، فدخل كثير بن هراسة على عبد الملك، فقام بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله جعلك لنا ملجأ، وعزا، وحرزا، نؤول إليه إن اصابتنا نائبة، أو دهمتنا بائقة، وقد بعثتني يا أمير المؤمنين، إلى بلد أتخوفه، وأمير أفرقه، قد شمخ بأنفه دون السماء، واجترأ على الدماء بأرض، مجهلة نائية ليس بها عشيرة، ولا حفدة فليقلني أمير المؤمنين إذ كبرت (كبوت؟) ويتركني إذ سهوت، فإن ذلك بي أرفق، ولي موافق، فقال له عبد الملك: انطلق، فلعمري للحجاج أحكم رأيا، وأصدق وأيا، أن يأخذك بإحنة، وأيم الله لئن فعل ليفارقن إمارته، وليذوقن مرارته، وليتركن الكرامة، وليندمن على العواقب كل الندامة، وإلا فبالحري أن يكون قد أحكمته التجارب، وقومته العواقب، وثاب إليه عقله، وتجرد عنه جهله، قال: فخرج الوفد حتى قدموا على الحجاج، فجعل يتصفحهم رجلا رجلا حتى مر به كثير، فتجاهل عليه حتى كأنه لا يعرفه، فقال له: من أنت؟ فقال: أصلح الله الأمير، أنا كثير بن هراسة العامري، فقال الحجاج: مرحبا، يا بن هراسة، أهل الشرف والرياسة، من بهاليل سادة كرام، قادة حماة ذادة، كيف أنت وهنتك وجميع قومك؟ فقال: أصلح الله الأمير، إنه قد كانت بيني وبينه أشياء ضقت بها ذرعا، وامتلأت منها رعبا، وأنت صحيح الأديم في الحسب الصميم، لا يشتكي منك الضعيف، ولا يخاف منك العنف، فإن ترض عني اغتبط، وإن تركتني انهبط، فقال له الحجاج: ما احتجنا إلى ثنائك، ولا رغبنا في هوائك، ثم ألحقه بأفضلهم رجلا، قال: فرجع الوفد حتى قدموا على عبد الملك، فنظر إلى ابن هراسة، فقال: ما لي أراك حديد النظر، إذ أهلا أم عائبا، أم راضيا، أم ساخطا، كيف رأيت رأي من رأيك، أوجدت الحجاج جريا، ذاهيا، لا يأخذ أمره بالعجلة حتى يصيب من عدوه غفلة، قال: أصلح الله أمير المؤمنين، أنت كنت أحسن من نظر، وأصدق قولا، وأبعد غورا، قاتله الله، ما أدق لحظه، وأحسن لفظه، وأسكن فوره، وأبعد غوره، لا يشتكي منه العجلة، ولا يؤمن منه الغفلة، والله، يا أمير المؤمنين، لو سهل له من أمره ما توعر، وتقدم له ما تأخر، لطحنني طحن المرداة المململة حب الفلفل.

■ (2) كثير بن هراسة الكلابي البصري كان من صحابة عبد الملك بن مروان حكى عنه خلف الأحمر النحوي.؟

■ (1) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الوليد، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

قال عبد الملك بن مروان – وكان أول خليفة ظهر منه بخل – أي الشعراء أفضل فقال له كثير بن هراسة يعرض ببخل عبد الملك: أفضلهم المقنع الكندي حيث يقول: إني أحرض أهل البخل كلهم..لو كان ينفع أهل البخل تحريضي..ما قل مالي إلا زادني كرما..حتى يكون برزق الله تعويضي..والمال يرفع من لولا دراهمه..أمسى يقلب فينا طرف مخفوض..لن تخرج البيض عفوا من أكفهم..إلا على وجع منهم وتمريض..كأنها من جلود الباخلين بها..عند النوائب تحذى بالمقاريض. فقال عبد الملك – وعرف ما أراد – الله أصدق من المقنع حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان] قال كثير بن هراسة لابنه: أي بني، إن من الناس ناسا ينقصونك إن زدتهم، وتهون عليهم إذا خاصمتهم، وليس لرضاهم موضع تعرفه، ولا لسخطهم موضع تنكره؛ ف إذا رأيت أولئك بأعيانهم فأبذل لهم وجه المودة، وامنعهم موضع الخلصة يكن ما بذلت لهم من المودة دافعا لشرهم، وما منعتهم من موضع الخلصة قاطعا لحرمتهم.

مراجع: تاريخ دمشق/ العقد الفريد/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) ومالك بن أسماء الفزاري 0438

قال محمد بن عبيد الله العيني: كان مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري[1] عاملا للحجاج على الحيرة وكان صهرا له فبلغه عنه شئ فعزله، فلما ورد عليه قال: أنت القائل: حبذا ليلتي بحيث نسقى..قهوة من سراتنا ونغنى.. حيث دارت بنا الزجاجة حتى..يحسب الجاهلون أنا جننا.. فمررنا بنسوة عطرات..وسماع وقرقف فنزلنا. وقد مات للحجاج ابن وأخ لمالك، فقال مالك: بل أنا القائل: ربما قد لقيت أمس كئيبا..أقطع الليل عبرة ونحيبا..أيها المشفق الملح حذارا..إن للموت طالبا ورقيبا..فضل ما بين ذي الغنى وأخيه..أن يعار الغني ثوبا قشيبا. قال: فرق الحجاج لهذا الشعر حتى دمعت عيناه، ثم أمر بحبسه وأداء ما عليه، وبعث إلى أهل عمله أن ارفعوا عليه كل شئ، فقال بعضهم لبعض: هذا صهر الأمير، ويغضب عليه اليوم ويرضى عنه غدا، لا تتعرضوا له، فلما دخلوا على الحجاج، دخل عليه شيخ منهم فسأله، فقال: ما ولينا عامل أعف عن أشعارنا وأبشارنا وأموالنا، فأمر به فضرب ثلاثمائة سوط، ثم دعا بقية أصحابه فسألهم عنه، فلما رأوا ما أصاب الشيخ رفعوا عليه كل شئ، فقال الحجاج: ما تقول يا مالك، فيما يقول هؤلاء؟ قال: أصلح الله الأمير، مثلي ومثلك ومثل هؤلاء ومثل المضروب كمثل أسد كان يخرج إلى الصيد، فصحبه ذئب وثعلب، فخرجوا يتصيدون، فاصطادوا حمار وحش، وتيسا، وأرنبا، فقال الأسد للذئب: من يكون القاضي، ويقسم هذا بيننا؟ قال: أما الحمار فلك، يا أبا الحارث، والتيس لي، والأرنب للثعلب، فضربه الأسد ضربة وضع رأسه بين يديه، ثم قال للثعلب: من يقسم هذا بيننا؟ قال: أنت أصلحك الله، قال الأسد: لا، بل أنت، أنا الأمير وأنت القاضي، قال الثعلب: الحمار لك تتغدى به، والأرنب لك تتفكه به ما بينك وبين الليل، والتيس لك تتعشى به، قال الأسد: ويحك، يا أبا الحصين، ما أعدلك، من علمك هذا القضاء؟ قال: علمنيه الرأس الذي بين يديك، ولكن الشيخ المضروب هو الذي علم هؤلاء حتى قالوا ما سمعت، فضحك الحجاج، ووصل المضروب، وخلى سبيل العامل.

عن أبي الحسن المدائني، قال: أوفد الحجاج مالك بن أسماء بن خارجة إلى عبد الملك، فدخل عليه، فسمع صراخا في داره، فقال: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: مات أبان بن عبد الملك في هذه الليلة. فقال مالك: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، فو الله ما على ظهر الأرض أهل بيت أعظم مرزئة، ولا الله أكفى لهم بالواحد الباقي من أنفسهم منكم أهل البيت. فأعجب عبد الملك كلامه، فاستعاده، وفضله. وكان الحجاج لا يستعمل مالكا لإدمانه الشراب، واستهتاره به، فكتب عبد الملك إلى الحجاج: إنك أوفدت إلي رجل أهل العراق، فوله وأكرمه. وحدث سعيد بن سلم، قال: كان الحجاج بن يوسف ينشد قول مالك بن أسماء بن خارجة: من المنسرح: يا منزل الغيث بعدما قنطوا..ويا ولي النعماء والمنن..يكون ما شئت أن يكون وما..قدرت ألا يكون لم يكن..لو شئت إذ كان حبها عرضا..لم ترني وجهها ولم ترني..يا جارة الحي كنت لي سكنا..إذ ليس بعض الجيران بالسكن..أذكر من جارتي ومجلسها..طرائفا من حديثها الحسن..ومن حديث يزيدني مقة..ما لحديث المحبوب من ثمن. ثم يقول الحجاج: ما له، فض الله فاه، ما أشعره، وما أخبره!.

قال هشام بن محمد الهلالي: اختلف الحجاج وهند بنت أسماء[2] زوجته في وقعة بنات قين*، فبعث إلى مالك بن أسماء بن خارجة، فأخرجه من السجن، وكان محبوسا بمال عليه للحجاج، فسأله عن الحديث، فحدثه به، ثم أقبل على هند، فقال: قومي إلى أخيك، فقالت: لا أقوم إليه، وأنت ساخط عليه، فأقبل الحجاج عليه، فقال: إنك والله ما علمت للخائن أمانته، اللئيم حسبه، الزاني فرجه، فقال: إن أذن لي الأمير تكلمت، قال: قل، قال: أما قول الأمير الزاني فرجه، فوالله لأنا أحقر عند الله عز و جل وأصغر في عين الأمير، من أن يجب لله علي حد، فلا يقيمه، وأما قوله اللئيم، حسبه، فوالله، لو علم الأمير مكان رجل أشرف مني لم يصاهرني، وأما قوله إني خؤون، فلقد ائتمنني فوفرت، فأخذني بما أخذني به، فبعت ما كان وراء ظهري، ولو ملكت الدنيا بأسرها لافتديت بها من مثل هذا الكلام. قال: فنهض الحجاج وقال: شأنك يا هند بأخيك. قال مالك بن أسماء: فوثبت هند إلي، فأكبت علي ودعت بالجواري، ونزعن عني حديدي، وأمرت بي إلى الحمام، وكستني، وانصرفت فلبثت أياما، ثم دخلت على الحجاج وبين يديه عهود، وفيها عهدي على أصبهان، قال: خذ هذا العهد، وامض إلى عملك، فأخذته ونهضت، قال: وهي ولايته التي عزله عنها وبلغ به ما بلغ من الشر.

----

*(بنات قين) اسم موضع بالشام في بادية كلب بن وبرة بالسماوة وكانت بنو فزارة أوقعت ببني كلب على هذا الماء في أيام عبد الملك بن مروان وقعة مشهورة

■ (1) مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، أبو الحسن: شاعر غزل ظريف، من الولاة. كان هو وأبوه من أشراف الكوفة. وتزوج الحجاج أخته هند بنت أسماء وتقلد خوارزم، وأصبهان للحجاج، ووقع منه ما أوجب حبسه مدة طويلة. شعره كثير، ومن أبياته السائرة: منطق صائب، وتلحن أحيانا وأحلى الحديث ماكان لحنا. واختار له أبو تمام أبياتا في الحماسة. توفي نحو 100 هـ وأسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري: تابعي من رجال الطبقة الاولى. أبو حسان، ويقال: أبو محمد الفزاري الكوفي كان سيد قومه، جوادا مقدما عند الخلفاء وفد على عبد الملك بن مروان. توفي سنة 66 هـ وهو ابن ثمانين سنة.

■ (2) هند بنت أسماء بن خارجة الفزاري: الفزارية، جميلة، من أهل الكوفة.كانت زوجة لعبيد الله بن زياد. وقتل سنة 67 هـ في مكان قريب من الموصل، وهي معه، فلبست رداء فوق ثيابها وتقلدت سيفا وركبت فرسا، ومضت ولا دليل معها، حتى دخلت بيت أبيها في الكوفة. كانت تقول: إني لاشتاق القيامة لارى وجه عبد الله ؟ نزل بشر بن مروان أمير العراقين بالكوفة، ووصفت له، فخطبها وتزوجها فولدت له عبد الملك، ومات بشر سنة 75هـ فأرسل إليها الحجاج بن يوسف ولما ولي العراق يطلب الطفل عبد الملك ليربيه تربية الامراء، فأذعنت. ثم بعث يخطبها، فلم تمانع. وتزوجها وبنى قصرا في البصرة عرف بقصر الحجاج ونزل به فقال لها يوما: هل رأيت أحسن من هذا القصر ؟ فقالت: ما أحسنه ! قال: اصدقيني. فقالت: أما إذ أبيت، فوالله ما رأيت أحسن من القصر الاحمر ! وكان دار الامارة بالبصرة، بناه زوجها الأول عبيد الله بن زياد. فغضب الحجاج، وطلقها. عاشت بقية حياتها في دار أبيها بالكوفة. وللاخطل شعر فيها أورده الجمحي. توفيت نحو 100 هـ

حدث مالك، قال: كنت مع أبي أسماء إذ دخل رجل إلى أمير من الأمراء، فأثنى عليه وأطراه، ثم جاء إلى أبي أسماء، فجلس إليه وهو جالس في جانب الدار، فجرى حديثهما، فما برح حتى وقع فيه، فقال أسماء: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: إن ذا اللسانين في الدنيا له يوم القيامة لسانان من نار.

عن أبي الحسن المدائني، قال: دخل مالك بن أسماء سجن الكوفة، قال: فجلس إلي رجل من بني مرة، ثم اتكأ علي في يوم حار. قال مالك: وأقبل علي المري يحدثني حتى أكثر وغمني، ثم قال: أتدري كم قتلنا منكم في الجاهلية؟ قال: قلت: أما في الجاهلية فلا، ولكن أعرف من قتلتم منا في الإسلام. قال: من؟ قلت: أنا، قد قتلتني غما. وعن مصعب بن عبد الله، ويعقوب الزهري، قالا: رأى عمر بن أبي ربيعة رجلا يطوف بالبيت، فبهره جماله وتمامه، فسأل عنه، فقيل: مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري، فجاءه يعانقه وسلم عليه، وقال: أنت أخي. قال مالك: ومن أنا؟ ومن أنت قال: أما إنك ستعرفني، وأما أنت، فالذي تقول: من الخفيف: إن لي عند كل نفحة بستا..ن من الورد أو من الياسمينا..نظرة والتفاتة لك أرجو..أن تكوني حللت فيما يلينا. قال: أنت عمر. قال: أنا عمر. قال: وأنت الذي تقول: من الكامل: طرقتك بين مسبح ومكبر..بحطيم مكة حيث سال الأبطح..فحسبت مكة والمشاعر كلها..ورحالنا باتت بمسك تنفح.

قال جهم بن مسعدة: كان بين مالك بن أسماء وبين عيينة بن أسماء بن خارجة شيء، فلما عذب الحجاج بن يوسف عيينة بن أسماء قال مالك بن أسماء: من الكامل: لما أتاني عن عيينة أنه..عان عليه تظاهر الأقياد..نحلت له نفسي النصيحة إنه..عند الشدائد تذهب الأحقاد. وعن الشافعي، قال: كانت لهند بنت أسماء جارية حسناء ظريفة، وكان أخواها عيينة ومالك يتعشقانها، ويكتمان ذلك، ثم إن عيينة كتب إلى أخيه مالك يستشفع به على أخته هند، فكتب مالك إلى عيينة جوابه: من الكامل: أعيين هلا إذ كلفت بها..كنت استغثت بفارغ العقل..أقبلت ترجو الغوث من قبلي..والمستغاث إليه في شغل. فلما قرأ جواب أخيه علم أن به مثل ما به، فأمسك عن ذلك.

مراجع: تاريخ دمشق/ العقد الفريد/ الأعلام للزركلي/ نثر الدر/ الاغاني/ بلاغات النساء/ مختصر تاريخ دمشق/

لما سار المهلب[1] لقي الأزارقة*، فاقتتلوا إلى صلاة الظهر، ونادى منادي الأزارقة في ناحية المهلب: إن المهلب قتل، فركب المهلب لما سمعه برذونا دريدا*، فركض بين الصفين على الرايات، وإن إحدى يديه في القباء، والأخرى ليست في القباء من العجلة، وهو ينادي: أنا المهلب، أنا المهلب، فسكن الناس. وأقبل يسير على الرايات ويحضض: أيها الناس إنما هم عبيدكم وسقاطكم، كأن الرجل يجزع إذا لقيه عبده أن يأخذه أخذا، شدوا باسم الله إلى عدوكم. كل ذلك يريد أصحابه على أن يسيروا ولا يسيرون فقال: إن القوم سيهفون إليكم، فإذا أتوكم فثوروا في وجوههم، وارموهم بالحجارة، وأمرهم أن يأخذ كل رجل ثلاثة أحجار في مخلاته، فأقبل القوم، فجعل الرجل يرمي الرجل فيصيب وجهه فيصرعه، ويصيب وجه فرسه فيثب بفارسه فيصرعه، فقاتلوهم إلى العصر فلما اشتد القتال أخرجوا ألفي مدجج* لم يشهدوا القتال، فقاتلوهم حتى اصفرت الشمس. قال: فحملوا علينا حملة ألجؤونا إلى عسكرنا، ورجعوا إلى عسكرهم، فانطلق رجل من اليحمد* على فرس، فدخل عسكرهم فلم يجد فيه أحدا، فرجع إلى المهلب فقال: ذهب والله القوم، فأرسل معي رسولا، فأرسل فوجد الأمر حقا، وأصبحوا وقد انطلقوا، فذكر من عد القتلى لهم أربعة آلاف وثمان مئة. كتب الحجاج إلى المهلب يستبطئه في حرب الأزارقة، فكتب إليه: ما أنتظر بالقوم إلا إحدى ثلاث: إما موت شامل، أو جوع قاتل، أو فرقة، فأما غير ذلك فلا سبيل إليه. وكتب إليه يستعجله في حربهم، فكتب إليه: إن من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره. ولما واقف المهلب الأزارقة كان يتحرر من الثياب تحررا شديدا فكان يسهر هو وابنه المغيرة[2]، يدوران في أقاصي العسكر، يحرسان، فهما ليلة إذا هما برجل متلثم ستر وجهه وسائر بدنه بالحديد، أشرف عليه من أكمة فقال: أفيكم من يفهم ما نسأل عنه؟، فخاف المهلب أن تكون مكيدة، فوتر قوسه وصاح لجماعة من غلمانه وقال: قل، قال: من الذي يقول من شعرائكم: من الكامل: وطوى الطراد مع القياد بطونها..طي التجار بحضرموت برودا. فقال المهلب: جرير، قال: هو - والله - أشعر شعرائكم. ثم ولى، فقال المهلب: هذا قطري[3]. لما قدم المهلب على الحجاج بعد حرب الأزارقة أجلسه على سريره وقال: هذا كما قال الشاعر: من البسيط: فقلدوا أمركم لله دركم..رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا..لا مترفا إن رخاء العيش ساعده..ولا إذا عض مكروه به خشعا. فقال رجل ممن كان مع المهلب: والله لكأني أسمع قطري بن الفجاءة وهو يقول: لله در المهلب، والله ما حاربنا مثله، هو كما قال لقيط الإيادي: صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم..ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا..وقلدوا أمركم لله دركم..رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا..لا مترفا إن رخاء العيش ساعده..ولا إذا عض مكروه به خشعا..ما زال يحلب صرف الدهر أشطره..يكون متبعا طورا ومتبعا..حتى استمرت على شزر مريرته..مستحكم السن لا قحما ولا ضرعا. فأعجب الحجاج موافقة قطري إياه. وكان الحجاج قد أكرم المهلب لما قدم عليه من حرب الأزارقة، وشرفه وبلغ به الغاية، فخرج الحجاج يوما آخذا بيد المهلب حتى انتهى إلى المحراب فأم الناس، ثم قال: يا أبا سعيد أنا أطول أم أنت؟ قال: الأمير أطول مني، وأنا أشخص منه. فلما انصرف من صلاته قاله له: سجستان خير ولاية أم خراسان؟ قال: سجستان، قال: وكيف؟ قال: لأنها ثغر كابل وزابلستان وإن خراسان ثغر الترك. قال: أيهما أحب إليك أن يليه رجل مثلك؟ قال: إن أمثالي في الناس لكثير، وما نحن حيث يرى الناس. قال: سر إلى سجستان، قال: غيري خير لك فيها مني، وأنا بخراسان خير لك من غيري، قال: ولم؟ قال: لأن بدو نعمة الله علي بعد في الإسلام كان في غزوي خراسان مع الغفاري، وابن أبي بكرة[4] بسجستان خير لك مني، لأن أهلها أحبوه لحسن أياديه فيهم، وأنا بخراسان خير منه. قال: وما كنت تلي من أمر الغفاري؟ قال: كنت فيمن صحبه، فلما نزلنا بيهق، ودنونا من عدونا، قال الغفاري: هل من فوارس ينظرون لنا أمامنا، وإن أصابوا أحدا أتوا به؟ فانتدب منا مع صاحب شرطة عشرة فوارس، فلقينا عدة من عدونا، فقال أصحابي: قد عاينا طلائع القوم فانصرفوا، فقلت: وما عليكم أن نشأمهم؟ فأبوا وانصرفوا، فتقدمت، فقتل الله العشرة على يدي، ثم انصرفت برؤوسهم ودوابهم وأسلابهم، وقد كان أصحابي نعوني إلى الغفاري، فلما رآني ضحك وقال: من المتقارب: كبا القوم عند عيان الرهان..وقال المهلب خبط الفرس..ففاز المهلب بالمكرمات..وآب عمير بجد التعس. ثم ولاني شرطته؛ فولاه الحجاج خراسان، فكان واليها حتى هلك بها. قدم زياد الأعجم[5] خراسان على المهلب فنزل على حبيب بن المهلب[6]، فجلسا على شراب لهما، وفي الدار شجرة عليها حمامة فجعلت تدعو، فقال زياد الأعجم: من الوافر: تغني أنت في ذممي وعهدي..بأن لن يذعروك ولن تطاري..إذا غنيتي فطربت يوما..ذكرت أحبتي وذكرت داري..فإما يقتلوك طلبت ثأرا..بقتلهم لأنك في جواري. فأخذ حبيب سهما فرماها فقتلها، فقال زياد: قتلت جارتي بيني وبينك المهلب، فأتى المهلب فقال: يا حبيب، ادفع إلى أبي أمامة دية جاره ألف دينار كاملة، فقال حبيب: إنما كنت ألعب، فقال المهلب: ليس مع هذا لعب، جاره جاري بل هو أفضل، فدفع إليه ألف دينار، فقال زياد: من الطويل: فلله عينا من رأى كقضية..قضى لي بها شيخ العراق المهلب..قضى ألف دينار لجار أجرته..من الطير حضان على البيض يتعب..رماه حبيب بن المهلب رمية..فأنفذه بالسهم والشمس تغرب..فألزمه عقل القتيل بن حرة..فقال حبيب إنما كنت ألعب..فقال زياد لا يروع جاره..وجاره جاري بل من الجار أقرب. فبلغ الحجاج فقال: ما أخطأت العرب حين جعلت المهلب رجلها.

---

*(الازارقة) إحدى فرق الخوارج وهم أصحاب نافع بن الازرق الحنفي راجع الفرق للبغدادي (الدرد) الدرد محركة ذهاب الاسنان وبريد مصغر أدرد مرخما، وفي الكامل للمرد: برذونا قصيرا أشهب (اليحمد) بطن من الازد (المدجج) اللابس السلاح التام

■ (1) المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، أبو سعيد البصري، واسم أبي صفرة ظالم بن سارق، ويقال: ابن سراق بن صبح بن كندي، ويقال: كندير بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد، ويقال: الأسد أيضا، بن عمران بن عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد.كان المهلب بن أبي صفرة من وجوه أهل البصرة وفرسانهم وأجوادهم. غزا في خلافة عمر بن الخطاب، ووفد على يزيد بن معاوية، وولي لبني أمية ولايات، وتولى حرب الأزارقة، وكانت له معهم وقائع مشهورة.وكان واليا على خراسان من جهة الحجاج. مات سنة 81 هـ، أو سنة 82 هـ. في ذي الحجة بمرو الروذ.

■ (2) المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة الازدي، أبو فراس: أمير، من شجعان العرب المعدودين. استخلفه أبوه على خراسان فمات فيها سنة 82 هـ. قال المبرد في الكامل: كان المغيرة إذا نظر إلى الرماح قد تشاجرت في وجهه، نكس على قربوس سرجه، وحمل من تحتها فبراها بسيفه وأثر في أصحابها، وكان أشد ما تكون الحرب أشد ما يكون تبسما. وكان المهلب يقول: ما شهد معي حربا قط إلا رأيت البشر في وجهه.

■ (3) قطري بن الفجاءة، كنيته أبو نعامة، واسمه جعونة ابن مازن بن يزيد الكناني المازني التميمي، رأس الأزارقة (الخوارج) خرج زمن ابن الزبير وهزم الجيوش واستفحل بلاؤه. جهز إليه الحجاج جيشا بعد جيش، فيكسرهم، وغلب على بلاد فارس، وله وقائع مشهودة، وشجاعة ولم يسمع بمثلها، وشعر فصيح. بقي قطري يحارب نيف 10 سنة، ويسلم عليه بالخلافة. استوفى المبرد في (كامله) أخباره إلى أن سار لحربه سفيان بن الأبرد الكلبي، فانتصر عليه، وقتله. وقيل: عثر به الفرس، فانكسرت فخذه بطبرستان، فظفروا به، وحمل رأسه سنة 79 هـ إلى الحجاج.

■ (4) عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي الأمير، من أبناء الصحابة. مولده في سنة أربع عشرة. وقد ولي قضاء البصرة، وولي إمرة سجستان سنة 50 هـ ثم عزل بعد ثلاث سنين ثم وليها الحجاج. مات بسجستان سنة 79 هـ.

■ (6) حبيب بن المهلب بن أبي صفرة: أحد شجعان العرب وأشرافهم في العصر المرواني. كانت له ولاية كرمان وعزله الحجاج عنها سنة 87 هـ.ثم صحب أخاه يزيد بن المهلب في أعماله وغزواته، وقتل معه في خروجه بالعراق على يزيد بن عبد الملك سنة 102 هـ.

■ (5) زياد بن سليمان –أو سليم– الاعجم، أبو أمامة العبدي، مولى بني عبد القيس: من شعراء الدولة الاموية. جزل الشعر، ولد ونشأ في أصفهان، وانتقل إلى خراسان، فسكنها وطال عمره، ومات فيها. عاصر المهلب بن أبي صفرة، وله فيه مدائح ومراث. ويقال: إنه شهد فتح إصطخر مع أبي موسى الاشعري. وله وفادة على هشام بن عبد الملك. وامتدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. مات نحو 100 هـ.

☪

نظر عرفجة بن هزيمة الأزدي البارقي إلى المهلب بن أبي صفرة يلعب مع الصبيان فقال: من الطويل: خذوني به إن لم يسد سرواتكم..ويبلغ حتى لا يكون له مثل. وفد أبو صفرة على عمر بن الخطاب ومعه عشرة من ولده، المهلب أصغرهم، فجعل عمر ينظر إليهم ويتوسمهم، ثم قال لأبي صفرة: هذا سيد ولدك، يعني المهلب، وهو يومئذ أصغرهم. قال المهلب: حاصرنا مناذر فأصابوا سبيا، فكتبوا إلى عمر، فكتب عمر: إن مناذر قرية من قرى السواد، فردوا إليهم ما أصبتم. وفي حديث آخر: فرددناهم حتى رددنا الحبالى في بطونها الأولاد. كان أبو صفرة من أزد دبا، ودبا فيما بين عمان والبحرين، وكانوا أسلموا، وقدم وفدهم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرين بالإسلام، فبعث عليهم مصدقا منهم يقال له: حذيفة بن اليمان الأزدي من أهل دبا، وكتب له فرائض الصدقات، فكان يأخذ صدقات أموالهم ويردها على فقرائهم. فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدوا ومنعوا الصدقة، فكتب حذيفة إلى أبي بكر بذلك، فوجه أبو بكر عكرمة بن أبي جهل، فاقتتلوا وهزمهم عكرمة وأكثر فيهم القتل، ومضى فلهم إلى حصن دبا، فتحصنوا فيه، وحصرهم المسلمون في حصنهم، فنزلوا على حكم حذيفة بن اليمان، فقتل مئة من أشرافهم، وسبى ذراريهم، وبعث بهم إلى أبي بكر رضي الله عنه إلى المدينة وفيهم أبو صفرة غلام لم يبلغ يومئذ، فأراد أبو بكر قتلهم، فقال عمر: يا خليفة رسول الله، قوم إنما شحوا على أموالهم، فيأبى أبو بكر أن يدعهم، فلم يزالوا موقوفين في دار رملة بنت الحارث حتى توفي أبو بكر. وولي عمر فدعاهم فقال: قد أفضى إلي هذا الأمر فانطلقوا إلى أي البلاد شئتم؛ فأنتم قوم أحرار لا يد به عليكم. فنزلوا البصرة، ورجع بعضهم إلى بلاده، فكان أبو صفرة وهو أبو المهلب ممن نزل البصرة، وشرف بها هو وولده. كان عثمان بن أبي العاص على عمان، والحكم بن أبي العاص على البحرين، فكتب عمر إلى عثمان أن سر بأهل البحرين إلى شهرك، فقال عثمان لأهل عمان: ابغوا لي رجلا أستخلفه، فجاؤوه بأبي صفرة، فقال: ما اسمك؟ قال: ظالم بن سراق، قال: إني أرسلت إليك، وإني أريد أن أستخلفك، فأما إذ كان اسمك هذا فلا، قال: فلا تمنعني الغزو، قال: أما هذا فنعم، فخرج معهم.

قيل للمهلب: بم نلت ما نلت؟ قال: بطاعة الحزم وعصيان الهوى. قال رجل للمهلب: بم بلغت ما بلغت؟ قال: بالعلم، قال: قد رأينا من هو أعلم منك لم يبلغ ما بلغت؟ قال: ذاك علم صفة، وهذا علم وضع مواضعه، وأصيبت به فرصته، وأخرى لم أخزل بها: إيثاري فعلا أحمد عليه دون القول به. قال أبو إسحاق: ما رأيت أميرا كان أفضل من المهلب. وقيل لأبي إسحاق: لم رويت عن المهلب؟ قال: لأني لم أر أميرا أيمن نقيبة منه ولا أسمع لنا، ولا أبعد مما نكره ولا أقرب مما نحب من المهلب. زاد في آخر بمعناه: ولا أسخى. قال محمد بن سلام: كان بالبصرة أربعة، كل رجل منهم في زمانه لا يعلم في الأمصار مثله: الأحنف بن قيس في حلمه وعفافه ومنزلته من علي رضي الله عنه، والحسن في زهده وفصاحته وسخائه وموضعه من قلوب الناس، والمهلب بن أبي صفرة وركزة أمره، وسوار بن عبد الله القاضي في عفافه وتحريه الحق. أغلظ رجل للمهلب فسكت، فقيل له: أربى عليك وسكت؟ قال: لم أعرف مساوئه، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه. شتم رجل المهلب فكف عنه، وقال: إني خفت أن يكرمني في ردي عليه أكثر مما نكرمه في شتمه. سمع المهلب رجلا يعاتب رجلا فقال: اكفف، فوالله، لا ينقى فوك من سهكها. قال المهلب لبنيه: اتقوا زلة اللسان، فإن الرجل تزل قدمه فينتعش ويزل لسانه فيهلك. وقال المهلب: إذا سمع أحدكم العوراء* فليتطأطأ بخطئها. قال المهلب: يعجبني من الرجل الكريم خصلتان: أن أرى عقله زائدا على لسانه، ولا يعجبني أن أرى لسانه زائدا على عقله.كان المهلب يقول: نعم الخصلة السخاء تسد عورة المزيف، وتلحق خسيسة الوضيع، وتحبب المزهو وتسد الخلة، والبخيل لا ينفعه عيشه، ولا يجد البخيل إلا حسودا محتالا. أوصى المهلب ابنه يزيد فقال: يا بني، إياك والسرعة عند مسألة 'بنعم'؛ فإن أولها سهل وآخرها ثقيل في فعلها، واعلم أن 'لا' وإن قبحت فربما روحت، وإن كنت من أمر تسأله عن ثقة فأطمع ولا توجب، ثم افعل، وإن علمت أن لا سبيل إليه فاعتذر؛ فإنه من لا يعذر بالعذر بنفسه ظلم. قال المهلب لبنيه: يا بني، لا تتكلوا على فعل غيركم، وافعلوا ما ينسب إليكم، ثم أنشد: من الخفيف: إنما المجد ما بنى والد الصد..ق وأحيا فعاله المولود. وقيل: إن المهلب كان يقول: ما شيء أبقى للملك من العفو، وخير مناقب الملوك العفو. وكان يقول: لأن يطيعني سفهاء قومي أحب إلي من أن يطيعني حلماؤهم.

---

*(العوراء) الكلمة أو الفعلة القبيحة

مراجع: تاريخ دمشق/ لأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/

◆ ابن نجيح، أيوب بن يحيى الثقفي، (عامل أمير اليمن محمد بن يوسف، أيام الوليد الأول بن عبد الملك الأول) وطاووس بن كيسان اليماني 0440

عن ابن طاووس[1] قال: كنت لا أزال أقول لأبي أنه ينبغي أن يخرج على هذا السلطان وأن يفعل به. قال: فخرجنا حجاجا فنزلنا في بعض القرى وفيها عامل لأمير اليمن محمد بن يوسف[2] يقال له أيوب بن يحيى[3]،وقيل يقال له ابن نجيح وكان من أخبث عمّالهم فشهدنا صلاة الصبح في المسجد فجاء ابن نجيح فقعد بين يدي طاووس[4] فسلم عليه فلم يجبه ثم كلمه فأعرض عنه ثم عدل إلى الشق الآخر فأعرض عنه فلما رأيت ما به قمت إليه فمددت يده وجعلت أسائله، وقلت له: إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك. فقال العامل: بلى معرفته لي فعلت ما رأيت. قال: فمضى أبي لا يقول لي شيئا فلما دخلت المنزل، قال: أي لكع بينما أنت زعمت تريد أن تخرج عليهم بسيفك لم تستطع أن تحبس عنه لسانك.

■ (4) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان، وطاووس لقبه، وقد فسّر يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير. روى عن أبي هريرة، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وجابر، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، وطائفة وروى عنه ابنه عبد الله (بن طاووس)، ومجاهد، والزهري، وعمرو بن دينار، وسليمان التيمي، وخلق.واكثر روايته عن ابن عباس. قال سفيان قلت لعبيد الله بن أبي يزيد مع من كنت تدخل على ابن عباس قال مع عطاء والعامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة. وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصلى عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

■ (1) عبد الله بن طاووس بن كيسان. أصله من اليمن، ويكنى أبا محمد. كان يختلف إلى مكة. سمع أباه وأكثر عنه، وآخرون. ولم يأخذ عن أحد من الصحابة، ويسوغ أن يعد في صغار التابعين، لتقدم وفاته. قال معمر: كان من أعلم الناس بالعربية، وأحسنهم خلقا، ما رأينا ابن فقيه مثله. وعنه قال لي أيوب: إن كنت راحلا إلى أحد فعليك بابن طاووس. قيل مات في أول خلافة أبي العباس سنة 132 هـ. وفي هذه السنة قتل آخر الخلفاء الأموية؛ مروان الحمار، وقام فيها السفاح. هذا يعني أن المنصور كان ولي عهد، لأن الخليفة العباسي الثاني،أبو جعفر المنصور بويع له بالخلافة في سنة 136 هـ بعد وفاة السفاح، الذي كان أصغر منه سنًّا، ولكنه تولى الخلافة قبله امتثالًا لوصية أخيهم إبراهيم الإمام زعيم الدعوة العباسية.فالله أعلم.

■ (3) أيوب بن يحيى ؟، وقيل يقال له ابن نجيح. ابن عم الحجاج ؟. قيل: أبو نصر بن يحيى. عامل لمحمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف.

■ (2) محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج. كان أمير اليمن، قيل إنه كان ظلوما غشوما. مات باليمن في رجب سنة 91 هـ.

جاءت جماعة من المسلمين إلى الحسن البصري، يستفتونه في الخروج على الحجاج، فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وفعل ما فعل؟ فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه؛ فإنها إن تك عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. وخرجوا من عند الحسن ولم يوافقوه، فخرجوا على الحجاج فقتلوا جميعا؛ ولهذا كان الحسن: يقول لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن فرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاؤوا بيوم خير قط. وكان ينهي العامة عن القتال وحمل السلاح حين تقبل الفتن، فعن سلم بن أبي الذيال قال: سأل رجل الحسن وهو يسمع وأناس من أهل الشام فقال: يا أبا سعيد ما تقول في الفتن مثل يزيد بن المهلب وابن الأشعث؟ فقال: لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، فقال رجل من أهل الشام: ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد؟ فغضب ثم قال بيده فخطر بها، ثم قال: ولا مع أمير المؤمنين، فكان يرى أنه يجب على المسلم الاعتزال وعدم المشاركة في سفك دماء المسلمين، فلا يقاتل في صفوف الخارجين على السلطة، ولا مع جيش الخليفة، إذا كان ظالما. ولما توفي الحجاج وجاء خبر وفاته الحسن سجد وقال: اللهم عقيرك وأنت قتلته فاقطع عنا سنته وأرحنا من سنته وأعماله الخبيثة. عن عوف بن مالك الأشجعي، أنه قال:﴿سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ، قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ﴾ أما الاستدلال بقوله صلى الله عليه وسلم (ما أقاموا فيكم الصلاة) يقول ابن تيمية: كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة من هؤلاء القوم وغيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه كما قاتل أبو بكر الصديق والصحابة رضوان الله عليهم مانعي الزكاة [..] رغم أنهم كانوا يصلون ويصومون ويحجون، عن أبي هريرة: ﴿أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: عَلَامَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّم: أُمرت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِنَاقًا، -وفي رواية-: عِقَالًا كَانُوا يؤدُّونه إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّم لأقاتلنَّهم عَلَى مَنْعِهَا، إنَّ الزَّكاة حقَّ المَالِ، وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَ مَنْ فرّق بَيْنَ الصَّلاة والزَّكاة، قَالَ عُمَرُ: فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّه الْحَقُّ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي خُلَفَاءُ، يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، وَسَيَكُونُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلَفَاءُ، يَعْمَلُونَ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ بَرِئَ، وَمَنْ أَمْسَكَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ﴾ وعن أم سلمة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ. قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: لَا، مَا صَلَّوْا﴾ قال قتادة: يعني من أنكر بقلبه، ومن كره بقلبه (لا ما صلوا) ففيه معنى ما سبق أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئا من قواعد الإسلام. قال ابن حزم: ما تقولون في سلطان جعل اليهود أصحاب أمره وجنده وألزم المسلمين الجزية وحمل السيف على أطفال المسلمين وأباح المسلمات للزنا وحمل السيف على كل من وجد من المسلمين وملك نساءهم وأطفالهم وأعلن العبث بهم وهو في كل ذلك مقر بالإسلام معلنا به لا يدع الصلاة فإن قالوا لا يجوز القيام عليه وأجازوا الصبر على هذا خالفوا الإسلام جملة وانسلخوا منه. وعلى ذلك خرج الحسين رضي الله عنه على يزيد بن معاوية (ويزيد لم يكون كافرا) ولم يقول أحد أن الحسين بن علي كان خارجي، رضي الله عنهما، وكذلك خرج عبد الله بن زبير (وهو من كبار العباد) على بني أمية. بل أن عدد كبير من كبار العلماء خرجوا في معركة ابن الأشعث ضد الحجاج بن يوسف الثقفي، يذكر خليفة بن خياط، أن عددهم بلغ خمسمائة عالم، منهم: عبد الرحمن بن أبي ليلى، وسعيد بن أبي الحسن أخو الحسن البصري، وأنس بن مالك (وإن لم يشرك في المعركة)، والإمام الشعبي، وأبو الشعثاء سليم بن اسود المحاربي، وابن الأشعث، وسعيد بن الجبير، ومسلم بن يسار مزني، ومالك بن دينار، وأبو شيخ الهنائي، وأبو الجوزاء، وعمران بن عصام الضبعي، وسميت معركة العلماء أو القراء في دير الجماجم*.

عن الحارس الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ: بِالْجَمَاعَةِ وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يُرَاجِعَ وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ﴾ قال الطيبي: المراد بالجماعة الصحابة، ومن بعدهم من التابعين، وتابعي التابعين من السلف الصالحين؛ أي آمركم بالتمسك بهديهم وسيرتهم والانخراط في ذمتهم (السمع) أي استماع كلمة الحق وقبولها من الأمير والغني والفقير وغيرهما (الطاعة) أي طاعة الأمير في المشروعات (الهجرة) أي الانتقال من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة، ومن دار الكفر إلى دار الإسلام، ومن دار البدعة إلى دار السنة، ومن المعصية إلى التوبة، لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْمُهَاجِرَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ﴾ (الجهاد في سبيل الله) أي مع الكفار لإعلاء كلمة الله وقمع أعدائها، ومع النفس بكفها عن شهواتها، ومنعها عن لذاتها (من خرج من الجماعة قيد شبر) أي من فارق ما عليه الجماعة بترك السنة واتباع البدعة ونزع اليد عن الطاعة، ولو كان بشيء يسير يقدر في الشاهد بقدر شبر (فقد خلع ربقة الإسلام) أي نقض عهده وذمته (من عنقه) وانحرف عن الجماعة وخرج عن الموافقة (إلا أن يراجع) والربقة؛ وهي في الأصل عروة في حبل يجعل في عنق البهيمة، أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام، يعني ما شد المسلم به نفسه من عرى الإسلام؛ أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه (من دعا بدعوى الجاهلية) قال الطيبي: عطف على الجملة التي وقعت مفسرة لضمير الشأن للإيذان بأن التمسك بالجماعة وعدم الخروج عن زمرتهم من شأن المؤمنين والخروج عن زمرتهم من هجيرى الجاهلية، كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً﴾ فعلى هذا ينبغي أن يفسر دعوى الجاهلية بسننها على الإطلاق؛ لأنها تدعو إليها، وهو أحد وجهي ما قال القاضي، والوجه الآخر الدعوى تطلق على الدعاء وهو النداء، والمعنى من نادى في الإسلام بنداء الجاهلية، وهو أن الرجل منهم إذا غلب عليه خصمه نادى بأعلى صوته قومه، يا آل فلان، فيبتدرون إلى نصره ظالما كان أو مظلوما، جهلا منهم وعصبية (فهو) أي الداعي المذكور (من جثي جهنم) أي من جماعاتهم، كما في قوله: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم] عن عبادة بن الصامت قال:﴿قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عُبَادَةَ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ، قَالَ: اسْمَعْ وَأَطِعْ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ، وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَعْصِيَةً لِلَّهِ بَوَاحًا﴾ وعن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيكُمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ، قَالَ: قُلْت: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْت ذَلِكَ؟ قَالَ: تَسْمَعُ وَتُطِيعُ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ﴾ (إن ضرب ظهرك وأخذ مالك..) هذه الزيادة منكرة حكم بإرسالها الدارقطني والنووي وضعفها الشيخ مقبل بن هادي. وحتى إذا افترضنا أن الزيادة صحيحة فلا يظن أن هذا في أخذ مالك بالحرام وهذا تفسير غريب جدا لم يقل به أحد ولا يمكن أن يحمل عليه النص النبوي، فلذلك المقصود وإن أخذ مالك بحق وإن جلد ظهرك بحق. روى ابن حزم: أن الصبر على أخذ المال وضرب الظهر إن كان الأخذ على حق أم أخذ المال بغير حق فإن الله لا يأمر بالصبر على الجور لأن الله نهى عن الإثم والعدوان، وعدم منع أخذ المال مع القدرة عليه معاونة للظالم على ظلمه، والله ينهى على ذلك.قال عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب: ﴿يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَعِيَّةٍ، فَأَدَّبَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ، أَئِنَّكَ لَمُقْتَصُّهُ مِنْهُ؟ قَالَ: إِي وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، إِذًا لَأُقِصَّنَّهُ مِنْهُ، أَنَّى لا أُقِصَّنَّهُ مِنْهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقِصُّ مِنْ نَفْسِهِ؟﴾ وعن سعيد بن زيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ قَاتَلَ دُونَ مَالِهِ فَقُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قَاتَلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قَاتَلَ دُونَ أَهْلِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم:﴿أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقُتِلَ﴾ ولذلك حين أرد أمير الطائف عنبسة بن أبي سفيان (عامل معاوية) أخذ قطعة من أرض عبد الله بن عمرو بن العاص،جمع ولده وعبيده واستل سيفه وقال سمعت صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

- قلت: لقد فهم معاوية الصحابي معنى الحكم النبوي فوقف عند حده، فما حكم الشرع اليوم في حكام العرب الكفرة الصنيعة؟هل نحاربهم أو نعتزلهم؟وكيف نعتزلهم وأبناء الشعب مرتزقة تحتهم؟ أو ليس الجزاء من جنس العمل؟ إذن الهجرة اليوم فرض عين ولو إلى الغرب الكافر.

---

*(الجماجم) موضع بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها. ووقعة الجماجم بين عبد الرحمن بن الاشعث والحجاج بن يوسف الثقفي، كان الغلب فيها للحجاج وقتل فيها عدد كثير من القراء كانت سنة 83 أو82 هـ

مراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد/ السنن الكبرى للبيهقي/ صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سير أعلام النبلاء/ النووي شرح مسلم/ مجموع الفتاوى ابن تيمية/ الفصل في الملل والأهواء والنحل/ السنن الكبرى للنسائي/ صحيح ابن حبان/ حلية الأولياء/

◆ محمد بن يوسف الثقفي، أمير اليمن، والي صنعاء (أيام الوليد الأول بن عبد الملك الأول، سادس ملوك الدولة الأموية) وطاووس بن كيسان اليماني 0441

عن النعمان بن الزبير، أن محمد بن يوسف،[1] (أخو الحجاج)، وأيوب بن يحيى[2] (ابن عم الحجاج)، بعثا إلى طاووس[3] بخمسمائة دينار وقالوا: للرسول إن أخذها منك فان الأمير سيكسوك ويحسن إليك فخرج بها حتى قدم على طاووس فقال: يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث بها إليك الأمير قال: ما لي بها من حاجة قال: فأراده على قبضها فأبى فغفل طاووس فرمى بها في كوة في البيت ثم ذهب فقال: لهم قد أخذها فلبثوا حينا ثم بلغهم عن طاووس شيء يكرهونه فقال: ابعثوا إليه فليبعث إلينا بها لنا فجاءه الرسول فقال: المال الذي بعث به إليك الأمير قال: ما قبضت منه شيئا فرجع الرسول فاخبرهم فعرفوا أنه صادق. فقيل للرجل الذي ذهب بها فبعثوه إليه فقال: المال الذي جئتك به يا أبا عبد الرحمن فقال: هل قبضت منك شيئا قال: لا قال: فهل تدري أين وضعته؟ قال: نعم في تلك الكوة قال: فأبصره حيث وضعته قال: فمد يده فإذا هو بالصرة قد بنت عليها العنكبوت فاخذها فذهب بها اليهم.

عن أبي إسحاق الصنعاني قال: دخل طاووس ووهب بن منبه[4] على محمد بن يوسف أخي الحجاج، وكان عاملا علينا في غداة باردة فقعد طاووس على الكرسي، فقال: محمد يا غلام هلم ذلك الطيلسان فالقه على أبي عبد الرحمن. فألقوه عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى عنه، وغضب محمد بن يوسف؛ فقال له وهب: والله إن كنت لغنيا أن تغضبه علينا، لو أخذت الطيلسان فبعته وأعطيت ثمنه المساكين؟ فقال: نعم لو لا أن يقال من بعدي: أخذه طاووس فلا يصنع فيه ما أصنع، لفعلت.

عن عبد الرزاق قال: حدثني أبي قال: كان طاووس يصلي في غداة باردة فمر به محمد بن يوسف أو أيوب بن يحيى الثقفي وهو ساجد في موكبه فأمر بساج* أو طيلسان* مرتفع فطرح عليه فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته، فلما سلم نظر فإذا الساج عليه، قال: فانتفض ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله وتركه ملقى على الأرض.

عن عبد الملك بن جريج قال: لما ولي محمد بن يوسف اليمن قال: من أفضل من بها عندكم؟ قالوا: طاووس بن كيسان، فأرسل إليه، فقال: إني أريد أن استعملك على هذه الصدقات التي تجبى، قال: ما أدخل في شيء من أمور الناس، قال: فأخرجوا عهده إلى صاحب الشرطة، فإن قبله وإلا فليجلده مائة سوط، ويحلق رأسه ولحيته ويحمله في محمل ليس تحته وطاء حتى يجاوز به العمل كله قال: افعل ما بدا لك فلما أخرج إلى صاحب الشرطة أتى زيد بن أسلم[5] ومحمد بن المنكدر[6] في جماعة من إخوانه، فقالوا له: ما الذي تصنع! فوالله لئن ضربك فمت من الضرب، لا يصلي عليك منا أحد، وما دعاك إلا إلى خير، فقال: أما إذ رأيتم لي في ذلك فقد قبلت، فقبض على عهده وخرج فكان فيما كان فيه، ثم قدم، فقال ابن يوسف: أين جبايتك؟ فقد بلغني أنه وصل إليك مال عظيم! قال: ذهب في وجوهه، قال: ومن أمرك بذلك؟ قال: الله ورسوله، قال: كم بقي معك؟ قال: ثلاثين دينارا، لم أجد لها موضعا أرضاه، فقال ابن يوسف: لئن لم تحضرني بالمال كله غدوة لأرفعن خشبتك، فخرج فلما كان من الغد دخل عليه، فقال: ماذا أحضرت من المال؟ قال: قد أخبرتك أن المال ذهب في وجوهه! قال: وكم ذكرت أنه بقي معك؟ قال: ثلاثون دينارا لم أجد لها موضعا أرضاه فأنفذها فيه، فأمر به فأخرج، ثم عاوده، وكان من آثر الناس عنده. وعن عبد الرزاق عن النعمان بن المنذر قال: كان محمد بن يوسف بعث طاووس على الصدقة، قال: وكان طاووس يأتي إلى أهل الأموال فيقول لهم: تصدقوا مما آتاكم الله، فإذا أخذ الصدقة قال: هل فيكم فقير؟ فإذا قالوا: نعم قسمها بينهم، قال: فرجع، ولم يأت بشيء، فقيل لمحمد بن يوسف: أن طاووس لم يورد من الصدقة شيئا، فأرسل إليه، فسأله، فقال: أخذتها من الأغنياء ووضعتها في الفقراء، فحبسه في الحبس، وكتب إلى الحجاج بخبره، فكتب إليه الحجاج أخرجه من السجن، وارجع إلى أهل الصدقة فخذها منهم.

وروى إبراهيم بن ميسرة، أن محمد بن يوسف الثقفي استعمل طاووسا على بعض الصدقة، فسألت طاووسا كيف صنعت؟ قال: كنا نقول للرجل: تزكي رحمك الله مما أعطاك الله ؟ فإن أعطانا أخذنا، وإن تولى، لم نقل: تعال. وفي رواية، قال: استعمل محمد بن يوسف، طاووسا على حكم يصدق أموالهم، قال: فصدقها، ثم لم يرجع معه بدرهم، قال: قلت له: كيف كنت تصنع، يا أبا عبد الرحمن؟ قال: كنا نقف على الرجل في أهله وماله، فنقول: تصدق رحمك الله مما أعطاك الله، فإن أخرج إلينا ما نرى أنه الحق قبلنا، وإلا قلنا له: استعتب رحمك الله، فإن فعل، وإلا قبلنا منه ما أعطانا، ثم نظرنا إلى أحوج أهل بيت، فدفعناه إليهم، قال: قلت له: فإن رجل أتاكم بصدقته فوقف عليكم بها، ثم رجع بها؟ قال: إذا لا نرجعه.

----

*(الطيلسان) قطعة من القماش بشكل نصف دائرة أو مربَّع يُجعل على الرأس فوق القلنسوة ويُغطى به أكثر الوجه ثمَّ يُدار طرفان منه تحت الفم إلى أن يُحيط بالرقبة وطرفاه الآخران يسبلان على الظهر.(الساج) الطيلسان الأخضر.

■ (3) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان، وطاووس لقبه، وقد فسّر يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير. روى عن أبي هريرة، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وجابر، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، وطائفة وروى عنه ابنه عبد الله (بن طاووس)، ومجاهد، والزهري، وعمرو بن دينار، وسليمان التيمي، وخلق.واكثر روايته عن ابن عباس. قال سفيان قلت لعبيد الله بن أبي يزيد مع من كنت تدخل على ابن عباس قال مع عطاء والعامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة. وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصلى عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

■ (4) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار وهو الأسوار، الإمام، الإخباري، القصصي، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني، الذماري، الصنعاني. أخو: همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه. وأخذ عن: ابن عباس، وأبي هريرة ـ إن صح ـ وأبي سعيد، والنعمان بن بشير، وجابر، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص ـ على خلاف فيه ـ وطاووس. حتى إنه ينزل ويروي عن: عمرو بن دينار، وأخيه؛ همام، وعمرو بن شعيب، وفنج اليماني – ولا يدرى من فنج؟!. وروايته (للمسند) قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب. قال أحمد: كان من أبناء فارس، له شرف. والصواب أن وفاته في سنة 110 هـ وليس 114 هـ

■ (1) محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج. كان أمير اليمن، قيل إنه كان ظلوما غشوما. مات باليمن في رجب سنة 91 هـ.

■ (2) أيوب بن يحيى ؟، وقيل يقال له ابن نجيح. ابن عم الحجاج ؟. قيل: أبو نصر بن يحيى.عامل لمحمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف.

■ (5) زيد بن أسلم هو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي العمري المدني، والده أسلم مولى عمر بن الخطاب، توفي سنة 136هـ.روى عن عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع وأنس بن مالك وعطاء بن يسار، وتلقى على يديه مالك والثوري والأوزاعي وسفيان بن عيينة

■ (6) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو بكر المدني، أخو أبي بكر بن المنكدر، وعمر بن المنكدر.أسند محمد بن المنكدر عن ابن عمر وأبي قتادة وجابر وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وأميمة بنت رقيقة. وروى عن كبار التابعين كالحسن وعروة وسعيد بن خير والزهري وأبي حازم ويحيى بن سعيد وأيوب ويونس بن عبيد، في خلق يطول ذكرهم. وعن ابن زيد قال: أتى صفوان بن سليم إلى محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال: يا أبا عبد الله كأني أراك قد شق عليك الموت؟ قال: فما زال يهون عليه الأمر وينجلي عن محمد حتى لكأن في وجهه المصابيح. ثم قال له محمد: لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك. ثم قضى رحمه الله.توفي بالمدينة سنة 130 هـ أو131 هـ

☪

عن سفيان عن عمرو قال: ما رأيت أحدا أشد تنزها مما في أيدي الناس من طاووس. عن عبد الرزاق قال: قدم طاووس مكة، فقدم أمير، قال: فقيل له إن من فضله، ومن ومن، فلو أتيته؟! قال: ما لي إليه حاجة، قالوا: إنا نخافه عليك، قال: فما هو كما تقولون. وعن الصلت بن راشد، قال: كنت عند طاووس، فساله سلم بن قتيبة، عن شيء فزبره وانتهره، قال: قلت: هذا سلم بن قتيبة، صاحب خرسان، قال: ذاك اهون له علي. وعن يوسف بن أسباط، قال: مر طاووس بنهر قد كري، فأرادت بغلته أن تشرب، فأبى أن يدعها، يعني كراه السلطان.وعن إبن جريج، قال: قال لي عطاء: قال لي طاووس: يا عطاء، لا تنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه، وجعل عليها حجابة، ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه، وضمن لك أن يستجيب لك. وعن وهب بن منبه، قال: صليت أنا وطاووس المغرب خلف محمد بن يوسف يعني أخا الحجاج فلما سلم قام طاووس فشفع بركعة ثم صلى المغرب.

قال عمر بن عبد العزيز: الوليد بن عبد الملك بالشام، والحجاج بالعراق، ومحمد بن يوسف باليمن، وعثمان بن حيان بالحجاز، وقرة بن شريك بمصر، امتلأت الأرض والله جورا. قال ربيعة بن عطاء: قلت عند القاسم بن محمد: قاتل الله محمد بن يوسف ما أجرأه على الله؛ قال: هو أذل وألأم من أن يجترئ على الله، ولكنها الغرة؛ قل: ما أغره بالله. توفي محمد بن يوسف باليمن سنة إحدى وتسعين.

☪

عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة الباهلي قال: جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري[1] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال: ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه. ثم أتاه بعد ذلك فقال : يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال: أما لك في أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت. ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم ارزق ثعلبة مالا الله ارزق ثعلبة مالا. قال: فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت فتقاعد أيضا حتى صار لا يشهد إلا الجمعة ثم كثرت ونمت فتقاعد أيضا حتى كان لا يشهد جماعة ولا جماعة وكان إذا كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم فقال: ما فعل ثعلبة. فقالوا : يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما لا يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة. وأنزل الله آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من بني جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة كيف يأخذان وقال لهما: مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل من بني سليم فخذا صدقاتهما .فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذه إلا جزية: ما هذه إلا أخت الجزية: انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا: ما هذا عليك قال: خذاه فإن نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقة ثم رجعا إلى ثعلبة فقال: أروني كتابكما فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي فأقبلا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه قال: يا ويح ثعلبة. ثم دعاء للسلمي بخير وأخبراه بالذي صنع ثعلبة فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ إلى قوله:﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة] وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة سمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله عز وجل فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتي النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: إن الله تبارك وتعالى منعني أن أقبل منك صدقتك. فجعل يحثي التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني. فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبض صدقته رجع إلى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبض منه شيئا ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الأنصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله منك أنا أقبلها فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر أتاه فقال : يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال: لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر أنا أقبلها فقبض ولم يقبلها ثم ولي عثمان رضي الله عنه فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال : لم يقبلها رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر أنا أقبلها ولم يقبلها . وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه.

■ (1) ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري شهد بدرا ؛ قاله محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة وهو الذي سأل النبي صلى الله عليه و سلم أن يدعو الله أن يرزقه مالا وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ لسان العرب/ المحن/ أسد الغابة/

◆ المهلّب بن أبي صفرة الأزدي (عامل الحجاج بن يوسف الثقفي) ومالك بن دينار 0442

لَمَّا نظر مالك بن دينار[1] إلى المهلب بن أبي صفرة[2] يجر أذياله ويتبختر في أثواب خيلائه، فناداه أنِ ارفع من ثيابك.فقال له المهلب: أَوَمَا تعرفني؟ قال له مالك: بلى، إنِّي أعرفك، أَوَّلُكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ، وَآخِرُكَ جِيْفَةٌ قَذِرَةٌ، وَأَنْتَ بَيْنَ ذَلِكَ تَحْمِلُ العَذِرَةَ.
حكى جعفر بن سليمان قال: مر والي البصرة بمالك بن دينار يرفل*،فصاح به مالك: أقل من مشيتك هذه، فهم خدمه به. فقال: دعوه، ما أراك تعرفني. فقال له مالك: ومن أعرف بك مني، أما أولك فنطفة مذرة وأما آخرك فجيفة قذرة، ثم أنت بين ذلك تحمل العذرة. فنكس الوالي رأسه ومشى. وفي لفظ روى الأصمعي عن أبيه، قال: مر المهلب على مالك بن دينار متبخترا، فقال: أما علمت أنها مشية يكرهها الله إلا بين الصفين؟! فقال المهلب: أما تعرفني؟ قال: بلى، أو لك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة. فانكسر، وقال: الآن عرفتني حق المعرفة.
قال الحسين بن زياد: سمعت منيعا يقول: مر تاجر بعشار (بعشارين!) فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر ذلك له، قال: فقام مالك فمشى إلى العشار فلما رأوه قالوا: يا أبا يحيى ألا تبعث إلينا حاجتك؟ قال: حاجتي أن تخلوا سفينة هذا الرجل. قالوا: قد فعلنا. قال: وكان عندهم كوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم قالوا: ادع الله لنا يا أبا يحيى. قال: قولوا للكوز يدعو لكم، كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم؟ أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف؟.

----

*(يرفل) رفل في ثيابه يرفل إذا أطالها وجرها متبخترا فهو رافل.

■ (1) أبو يحيى مالك بن دينار البصري، وهو من موالي بني سامة بن لؤي القرشي، كان عالما زاهدا كثير الورع قنوعا لا يأكل إلا من كسبه، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، وروي عنه أنه قال: قرأت في التوراة أن الذي يعمل بيده طوبى لمحياه ومماته. وكان من كبار السادات. أسند مالك بن دينار عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين: كالحسن وابن سيرين والقاسم بن محمد وسالم بن عبيد الله. توفي رحمه الله تعالى سنة 131 هـ بالبصرة، قبل الطاعون بيسير

■ (2) المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، أبو سعيد البصري، واسم أبي صفرة ظالم بن سارق، ويقال: ابن سراق بن صبح بن كندي، ويقال: كندير بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد، ويقال: الأسد أيضا، بن عمران بن عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. كان المهلب بن أبي صفرة واليا على خراسان من جهة الحجاج. مات سنة 81 هـ أو سنة 82 هـ. وزاد بعضهم: في ذي الحجة بمرو الروذ. وقيل: إن المهلب كان يقول: ما شيء أبقى للملك من العفو، وخير مناقب الملوك العفو. وكان يقول: لأن يطيعني سفهاء قومي أحب إلي من أن يطيعني حلماؤهم. وكان يقول لبنيه: يا بني لا تتكلوا على فعل غيركم، وافعلوا ما ينسب إليكم.

كان زين العابدين يقول: عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غدا جيفة، وعجبت كل العجب لمن شك في الله وهو يرى خلقه، وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء. وعن أبي هريرة قال: تخطى سلمان الفارسي رضي الله عنه حلقة قريش وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه، فالتفت إليه رجل منهم فقال: ما حسبك ونسبك، وبم اجترأت أن تتخطى حلقة قريش؟! قال: فنظر إليه سلمان الفارسي فأرسل عينيه وبكى وقال: سألتني عن حسبي ونسبي، خلقت من نطفة قذرة، فأما اليوم ففكرة وعبرة، وغدا جيفة منتنة، فإذا نشرت الدوافن، ونصبت الموازين، ودعي الناس لفصل القضاء فوضعت في الميزان فإن أرجح الميزان فأنا شريف كريم، وإن أنقص الميزان فأنا اللئيم الذليل، فهذا حسبي وحسب الجميع، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :﴿صَدَقَ سَلْمَانُ، صَدَقَ سَلْمَانُ، صَدَقَ سَلْمَانُ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ نور قَلْبُهُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى سَلْمَانَ﴾
وفي كتاب الخمول والتواضع لابن أبي الدنيا عن أبي بكر الهذلي قال: بينما نحن مع الحسن، إذ مر عليه ابن الأهتم يريد المنصور وعليه جباب خز، قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه، وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي ويتبختر، إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال: أف أف، شامخ بأنفه ثاني عطفه، مصعر خده، ينظر في عطفيه أي حميق ينظر في عطفيه في نعم غير مشكورة ولا مذكورة، غير المأخوذ بأمر الله فيها، ولا المؤدي حق الله منها والله أن يمشي أحدهم طبيعته يتلجلج تلجلج المجنون في كل عضو منه نعمة وللشيطان بها لعنة، فسمعه ابن الأهتم، فرجع يعتذر إليه، فقال: لا تعتذر إلي وتب إلي ربك، أما سمعت قول الله تعالى:﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء] قال الحسن: يا ابن آدم كيف تتكبر وأنت خرجت من سبيل البول مرتين ؟! وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ -وفي رواية-: قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ﴾ وعن سلمة بن الأكوع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ، فَيُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ﴾ (يذهب) أي يعلي نفسه ويرفعها ويبعدها عن الناس في المرتبة، ويعتقدها عظيمة القدر أو للمصاحبة (يكتب) أي اسمه أو يثبت رسمه (في الجبارين) أي في ديوان الظالمين والمتكبرين أو معهم في أسفل السافلين (فيصيبه) أي فينال الرجل من بليات الدنيا وعقوبات العقبى (ما أصابهم) أي الجبارين كفرعون وقارون. كان الأحنف بن قيس يقول: عجبت لمن جرى في مجرى البول كيف يتكبر.وعن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: مر الحسن رضي الله عنه بمساكين يأكلون في الصفة فقالوا: الغداء، فنزل وقال: إن الله لا يحب المتكبرين، فتغدى ثم قال لهم: قد أجبتكم فأجيبوني، قالوا: نعم، فمضى بهم إلى منزله، فقال للرباب: أخرجي ما كنت تدخرين. وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿بَيْنَمَا رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَ فِي بُرْدَيْنِ أَخْضَرَيْنِ، يَخْتَالُ فِيهِمَا، أَمَرَ اللهُ الْأَرْضَ فَأَخَذَتْهُ، وَإِنَّهُ لَيَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى: بُولَسُ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ﴾ (أمثال الذر) أي في الصغر والحقارة (في صور الرجال) أي من جهة وجوههم أو من حيثية هيئتهم من انتصاب القامة (يغشاهم) أي يأتيهم (الذل من كل مكان) أي من كل جانب، والمعنى أنهم يكونون في غاية من المذلة والنقيصة يطؤهم أهل المحشر بأرجلهم من هوانهم على الله. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ سَحَبَ ثِيَابَهُ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -وفي رواية-: مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مِنَ الْخُيَلَاءِ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال وأخبرني سليمان بن يسار، أن أم سلمة ذكرت النساء فقال:﴿تُرْخِي شِبْرًا، قَالَتْ: إِذَنْ تَنْكَشِفَ، قَالَ فَذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ﴾ (الخيلاء) أي كبرا وعجبا. وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَى مَنْ يَجُرُّ إِزَارَهُ بَطَرًا﴾ (يجر إزاره بطرا) أي يجره تكبرا وطغيانا. وعن أبي هريرة قال:﴿بَيْنَمَا رَجُلٌ يُصَلِّي مُسْبِلَ إِزَارِهِ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ. فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَكَ أَمَرْتَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إِزَارَهُ. وَإِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ إِزَارَهُ﴾ عندما سار عمر من الجابية إلى بيت المقدس، وقد تعبت دابته، أتوه ببرذون فجعل يهملج به، فقال: لمن معه: احبسوا، احبسوا، فنزل عنه، وضرب وجهه، وقال: لا علّم اللهَ من علّمك، هذا من الخيلاء، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين، هاتوا جملي، ثم نزل وركب الجمل، ثم لم يركب برذوناً قبله ولا بعده (البرذون) الدابة، ويطلق على غير العربي من الخيل والبغال. عن عقبة بن وساج، قال: كان أبو لبابة جالسا مع كعب، فقال أبو لبابة: بئس الثوب ثوب الخيلاء فقال كعب: أسمعته من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: لا فقال: إني لا أرد عليك علمك، إني لأجد في كتاب الله: من لبس ثوبا خيلاء، لم ينظر الله إليه حتى يضعه، وإن كان يحبه (في رواية: أبو ثعلبة الخشني وكعب).

☪

كان علي بن الحسن يقول: عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غدا جيفة، وعجبت كل العجب لمن شك في الله وهو يرى خلقه، وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأولى، وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء . وقال الحسن رحمه الله: هل تدرون ما التواضع؟ التواضع: أن تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا. وقال أبو علي الجوزجاني: النفس معجونة بالكبر والحرص على الحسد، فمن أراد الله هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة، وإذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك. فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع من نصرة الله تعالى. ويقول بشر بن الحارث: ما رأيت أحسن من غني جالس بين يدي فقير. ويقول الشافعي رحمه الله: أرفع الناس قدرا من لا يرى قدره، وأكبر الناس فضلا من لا يرى فضله. وقال عبد الله بن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الله حتى تعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل. وقال سفيان بن عيينة: من كانت معصيته في شهوة فارج له التوبة فإن آدم عليه السلام عصى مشتهيا فاستغفر فغفر له، فإذا كانت معصيته من كبر فاخش عليه اللعنة. فإن إبليس عصى مستكبرا فلعن. ولذلك يا أخي اعلم: أن من اتقى الله تعالى تواضع له. ومن تكبر كان فاقدا لتقواه. ركيكا في دينه مشتغلا بدنياه. فالمتكبر وضيع وإن رأى نفسه مرتفعا على الخلق، والمتواضع وإن رؤي وضيعا فهو رفيع القدر. ومن استشعر التواضع وعاشه. وذاق حلاوته كره الكبر وبواعثه ورحم أهله ورأف لحالهم نعوذ بالله من حالهم.

☪

لما هزم المهلب بن أبي صفرة عبد ربه الحروري قال: هل من رجل حازم أبعث به إلى الحجاج مع رؤوس هؤلاء القوم ؟ فدل على بشير بن مالك الخرشي، فوجهه إلى الحجاج. فلما دخل عليه قال له الحجاج: ما اسمك ؟ قال: بشير بن مالك. فقال الحجاج: بشارة وملك، كيف تركت المهلب ؟ قال: تركته، أصلح الله الأمير، قد أدرك ما طلب، وأمن ما خاف. قال: الحمد لله على ذلك، فكيف تركت العدو ؟ قال: كانت له الدولة ولنا العاقبة. فقال الحجاج: العاقبة للمتقين. فكيف تركت الجند ؟ قال: أرضاهم الحق، وأغناهم النفل، وإنه مع ذلك ليسوسهم سياسة الملوك، ويقاتل عنهم قتال الصعلوك. قال: فكيف أبناء المهلب ؟ قال: أعباء البيات حتى يأمنوه، وأصحاب السرح حتى يروحوه. قال: فأيهم أفضل ؟ قال: ذاك إلى أبيهم. قال: وأنت فقل، فإني أراك عاقلا ؟ قال: هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها. فقال الحجاج: أكنت أعددت ما سمعت ؟ فقال: لا يعلم الغيب إلا الله. فالتفت الحجاج إلى جلسائة فقال: هذا والله الكلام الخالص، لا الكلام المصنوع.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مسند أحمد/ صحيح مسلم/ البداية والنهاية/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ لسان العرب/ مختصر تاريخ دمشق/ أرشيف ملتقى أهل الحديث/ موارد الظمآن لدروس الزمان/ المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين/ لباب الآداب لأسامة بن منقذ/

◆ الحكم بن أيوب الثقفي، عامل الحجاج بن يوسف الثقفي على البصرة (الحجاج عامل عبد الملك بن مروان ثم الوليد بن عبد الملك، خامس، وسادس ملوك الدولة الأموية) والحسن البصري ؟ 0443

عن سعيد بن عبد الرحمن عن مالك بن دينار[1] قال: حبس الحكم بن أيوب الثقفي[2] علي بن زيد بن جدعان[3]، والحسن[4] يومئذ مستخف، ونحن معه مستخفون، فأتاه الحسن ليلا وأتيناه فأذن له وأجلسه معه على السرير فما كنا عند الحسن إلا مثل الفراريج، فذكر يوسف النبي عليه الصلاة والسلام وإخوته فقال: باعوا أخاهم وحزنوا أباهم ومكانه من الله مكانه، ثم لقي يوسف ما لقي من الحبس وكيد النساء، ثم أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كعبه، وجعله أمينا على خزائن الأرض فلما أكمل له أمره، وجمع أهله، وأتاه بأبويه، وأقر عينه قالوا: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف] قال الحكم: وأنا أقول لا تثريب عليكم، لو لم أجد الاثوبي هذا لواريتكم به، وأطلق عليا.

----

(4) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أوبه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة

(1) أبو يحيى مالك بن دينار البصري، وهو من موالي بني سامة بن لؤي القرشي، كان عالما زاهدا كثير الورع قنوعا لا يأكل إلا من كسبه، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، وروي عنه أنه قال: قرأت في التوراة أن الذي يعمل بيده طوبى لمحياه ومماته. وكان من كبار السادات. أسند مالك بن دينار عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين: كالحسن وابن سيرين والقاسم بن محمد وسالم بن عبيد الله. توفي رحمه الله تعالى سنة 131 هـ بالبصرة، قبل الطاعون بيسير

(3) علي بن زيد بن جدعان التيمي القريشي الأعمى البصري ويقال المكي نزل البصرة يكنى أبا الحسن، روى عن أنس في الجهاد، روى عنه حماد بن سلمة مقرنا بثابت

(2) الحكم بن أيوب الثقفي بن عم للحجاج وهو الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر الثقفي كان عامل الحجاج على البصرة حكى عنه أيضا يحيى بن أبي إسحاق والعلاء بن زياد وأبو خلدة وغير واحد من أهل البصرة وإنما أراد أبو حاتم أنه مجهول العين وقتل الحكم بها بعد موت الحجاج في العذاب في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة بضع وتسعين وقد ذكره بن حبان في الثقات فلم يصب فإن له موبقات كابن عمه ولو لم يكن الا قصة يزيد الضبي التي ذكرها أبو يعلى في مسند أنس من مسنده.

قال الحرمازي: أخذ رجل بابن عم له عاص، فقال للحجاج: أؤخذ بذنب غيري أصلح الله الأمير، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام] فقال: أو ما سمعت قول القائل: إن الفتى بابن عم السوء مأخوذ. فقال الحسن: ماله قبحه الله تتلى عليه آية من كتاب الله، فيعارضها بقول شاعر كذاب.وخطب الحجاج فقال: إن الله أمرنا بطلب الآخرة، وكفانا مؤونة الدنيا، فليتنا كفينا مؤونة الآخرة. فقال الحسن: منية مؤمن خرجت من قلب منافق. وقيل للحسن: إن الحجاج قال عند الموت: اللهم، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تغفر لي فاغفر لي. قال: أو قالها؟ قالوا: نعم، قال: عسى.

☪

عن حميد بن منهب[1] قال: زرت الحسن بن أبي الحسن، فخلوت به، فقلت له: يا أبا سعيد، أما ترى ما الناس فيه من الاختلاف؟ فقال لي: يا أبا بحير، أصلح أمر الناس أربعة، وأفسده اثنان، أما الذين أصلحوا أمر الناس: فعمر بن الخطاب يوم سقيفة ساعدة حيث قالت قريش: منا أمير، وقالت الأنصار: منا أمير، فقال لهم عمر بن الخطاب: ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ﴾؟ قالوا: بلى، قال: أولستم تعلمون أنه أمر أبا بكر يصلي بالناس؟ قالوا: بلى، قال: فأيكم يتقدم أبا بكر؟ قالوا: لا أحد، فسلمت لهم الأنصار، ولولا ما احتج به عمر من ذلك لتنازع الناس هذه الخلافة إلى يوم القيامة! وأبو بكر الصديق حيث ارتدت العرب، فشاور فيهم الناس، فكلهم أشار عليه بأن يقبل منهم الصلاة، ويدع الزكاة، فقال: والله لو منعوني عقالا مما كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لجاهدتهم، ولولا ما فعل أبو بكر من ذلك لألحد الناس في الزكاة إلى يوم القيامة! وعثمان بن عفان حيث جمع الناس على هذه القراءة، وقد كانوا يقرؤونه على سبعة أحرف؛ فكان هؤلاء يلقون هؤلاء، فيقولون: قراءتنا أفضل من قراءتكم، حتى كاد بعضهم أن يكفر بعضا، فجمعهم عثمان على هذا الحرف، ولولا ما فعل عثمان من ذلك لألحد الناس في القرآن إلى يوم القيامة، وعلي بن أبي طالب حيث قاتل أهل البصرة، فلما فرغ منهم قسم بين أصحابه ما حوى عسكرهم، فقالوا له: يا أمير المؤمنين، ألا تقسم بيننا إماءهم ونساءهم؟ فقال: أيكم يأخذ عائشة في سهمه؟ قالوا: ومن يأخذ أم المؤمنين في سهمه؟! قال: أفرأيتم هؤلاء اللواتي قتل عنهن أزواجهن، أيعتددن أربعة أشهر وعشرا، ويورثن الربع والثمن؟ قالوا: نعم، قال: فما أراهن إماء؟ ولو كن إماء لم يعتددن، ولم يورثن. ولولا ما فعل علي من ذلك لم تعلم الناس كيف تقاتل أهل القبلة.

وأما اللذان أفسدا أمر الناس: فعمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف، فحكمت الخوارج، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة، والمغيرة بن شعبة، فإنه كان عامل معاوية على الكوفة، فكتب إليه معاوية: إذا قرأت كتابي هذا فأقبل معزولا ، فأبطأ في مسيره، فلما ورد عليه قال له: يا مغيرة، ما الذي أبطأ بك؟ قال: أمر، والله كنت أوطئه وأهيئه، قال: وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك، قال: أوفعلت؟ قال: نعم، قال: ارجع إلى عملك! فلما خرج من عند معاوية قال له أصحابه: ما وراءك يا مغيرة؟ قال: ورائي، والله أني وضعت رجل معاوية في غرز بغي لا يزال فيه إلى يوم القيامة. قال الحسن: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لآبائهم، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة.

----

(1) حميد بن منهب بن حارثة الطائي. قال أبو عمر: لا تصح له صحبة، وإنما سماعه من علي وعثمان رضي الله عنهما، لا أعرف له غير ذلك، قال: وقد ذكره قوم في الصحابة، ولا يصح.أخرجه أبو عمر.

مراجع: أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموية) وطاووس بن كيسان اليماني 0444

حدث مطهر بن هيثم الطائي عن أبيه قال: حج سليمان بن عبد الملك [1]،فخرج حاجبه، فقال: إن أمير المؤمنين يقول ابغوا إلي فقيها أسأله عن بعض المناسك. قال: فمر طاووس [2]،فقالوا: هذا طاووس اليماني. فأخذه الحاجب. قال: أجب أمير المؤمنين. قال طاووس: أعفني. فأبى، ثم أدخله عليه. قال طاووس: فلما وقفت بين يديه، قلت: إن هذا المجلس يسألني الله عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن صخرة كانت على شفير جب في جهنم، هوت فيها سبعين خريفا، حتى استقرت قرارها، أتدري لمن أعدها الله؟ قال سليمان: لا، ويلك لمن أعدها؟ قال طاووس: لمن أشركه الله في حكمه، فجار. فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي، فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه.

وفي رواية قال طاووس لسليمان بن عبد الملك: هل تدري يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذابا يوم القيامة؟ فقال سليمان: قل! فقال طاووس: أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشركه الله في ملكه فجار في حكمه، فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه.

■ (2) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميرى، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان وطاووس لقبه وقد فسرّ يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير. روى عن خلق كثير. واكثر روايته عن ابن عباس. قال سفيان قلت لعبيد الله بن ابي يزيد مع من كنت تدخل على ابن عباس قال مع عطاء والعامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة. وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصلى عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

■ (1) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.حج سنة 97 هـ عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. كانت الفتوحات محدودة في أيامه، فعلى الجبهة الغربية غزا القسطنطينية برا وبحرا تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك، ورابط بنفسه هناك، وأقسم ألا يعود حتى يفتحها، فتوفي أثناء حصارها سنة 99 هـ على الجبهة الشرقية: فتح يزيد بن المهلب جرجان و طبرستان عام 98 هـ. توفي سنة 99 هـ

لقد سمعها سليمان بن عبد الملك، فكبا لها ونكسر وادكر ولو لبرهة. فأنظر أخي الكريم، فيما نحن فيه، قراء يتراكضون على أبواب السلاطين، تراودهم وساوس الشيكات والعطايا، فتحجب قلوبهم عن نور الله، وسلاطين لم يظلموا فحسب بل أبدلوا شرع الله بشريعة أوليائهم، وأدخلوا علينا جنودهم ومجندتهم ليحموا عروشهم، ولو أقطعوهم خزينة مال المسلمين ونعمته التي استودعنا إيها لم كفتهم ولطلبوا المزيد، جبابرة لم أتهم عباد الله الصالحون فذكروهم بالحسنة لم يكبوا لها، بل قالوا مقولة فرعون، وعلوا علوه، ولكن لا بأس فإن للظالم جولة حتى إذا أخذه رب العزة لم يفلته، وإن غداً لناظره لقريب.

عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:﴿إِنَّ اللهَّ يُمْهِلُ الظَّالِمَ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَنْفَلِتْ. ثُمَّ تَلَا: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ، إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] وعن أنس مرفوعا:﴿لَوْ أَنَّ حَجَرًا مِثْلَ سَبْعِ خِلْفَاتٍ أُلْقِيَ مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ هَوَى فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا لَا يَبْلُغُ قَعْرَهَا﴾ والمراد بالخلفات النوق الحوامل. وعن خالد بن عمير، قال: خطب عتبة بن غزوان – قال بهز: وقال قبل هذه المرة: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ﴿أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ، يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا مَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَاللهَّ لَتَمْلَؤُنَّهُ، أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَاللهَّ لَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مَصَرَاعَيِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ كَظِيظُ الزِّحَامِ﴾ وعن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَعْظُمُ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ حَتَّى إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ، وَإِنَّ غِلَظَ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ﴾ (يعظم أهل النار في النار) أي تكبر جثثهم (حتى إن) بكسر الهمزة ويفتح (بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام) أي ليزيد عذابه كمية وكيفية. وعن عبد الله بن الحارث بن جزء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبِغَالِ الْمُؤْكَفَةِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا﴾ (البخت) الإبل الخراسانية (تلسع إحداهن اللسعة) أي اللدغة (فيجد) أي ملسوعها (حموتها) أي أثر سمها وسورة ألمها (البغال المؤكفة) من أكفت الحمار وأوكفه شددت عليها الأكاف. نسأل الله الجنة ونعوذ بالله من النار.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ صحيح ابن حبان/ البداية والنهاية/ أنساب الأشراف/ أسد الغابة/ صحيح مسلم/ كنز العمال/

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموية) ورجل من العرب! 0445

عن عبيد بن يحيى الهجرتي قال: ظلم وكلاء رجل من بني أمية له قدر ومنزلة من ملوكهم رجلا من العرب في مال له بالحجاز، فخاصم الرجل الوكلاء إلى الوالي فمال عليه لهم. فقال: لا أرضى إلا بوالي مكة والمدينة، فصاروا إليه فكتب الأموي إلى الوالي الذي ارتفعوا إليه، فمال عليه لهم، فقال الرجل: لا أرضى إلا بأمير المؤمنين. فخرج إلى سليمان بن عبد الملك[1]، فلم يلق بدمشق أحدا من جلساء سليمان، ولا عظيما من عظماء دمشق إلا مال إلى الأموي عليه. فطلب الوصول إلى سليمان، فتعذر عليه ذلك، فدل على خادم خصي أنه لا يوصله إلى سليمان غيره، ولا يوصله حتى يرغبه. فقال: أجعل له مئتي دينار على أن يوصلني إليه خاليا. فاجتمعوا، وقرر له ذلك، إن قضيت حاجته أو لم تقض. فأمر الخادم الرجل بلزوم الباب، فلزمه. فدعا سليمان الخصي يوما، وأمره أن يأتيه بوضوء، فأتاه به، فبينا الخادم يصب على سليمان إذ ملأ سليمان يده فضرب به وجه الخادم، فعرف الخادم منه طيب نفس فقال: أما هذا فتحسنه، وأما أن تعطيني أو تدع من يعطيني فلا. فقال سليمان: هل منعت من أحدا؟ قال: هذا رجل ببابك، وقد جعل لي مئتي دينار على أن يكلمك في حالة له خاليا، قضيت الحاجة أم لم تقض. فقال له سليمان: هاته. فجاء به، وقام سليمان يصلي، ثم قعد يخطر بأصبعه ويدعو. فقال الرجل حين نظر إلى سليمان في تلك الحال: أواه، أواه، أخطأت موضع حاجتي. ورجع خارجا، وانصرف سليمان. فقال للخصي: أين صاحبك؟ فطلبه فوجده خرج وقال: ادفعوا الدنانير للخادم فإنه وفى بما ضمن. فطلبه الخادم فلم يجده، فرجع إلى سليمان فأخبره. فقال سليمان للخادم: بساطي عليك محرم أو تجيئني بهذا الرجل. فخرج الخادم وثقاته فتفرقوا في طلبه حتى ظفروا به يقود راحلته خارجا من باب من أبواب دمشق، فقال له الخادم: ارجع إلى أمير المؤمنين فقد طلبك. فقال: لا حاجة لي به، وقد أمرت أن تدفع إليك الدنانير. فقال له الخصي: لا بد من الرجوع إلى أمير المؤمنين. فرده على كره منه إلى سليمان فقال له سليمان: ألم أخبر أنك جعلت لهذا مئتي دينار على أن يدخلك إلي؟ فقال الرجل: قد كان ذلك. قال سليمان: أفلم أرك؟ قال: بلى. قال: فما أخرجك؟ والله إن لك لخبرا. قال: أجل، خبر ضخم العنق، إن فلانا ظلمني في أرض بالحجاز لي، فاستعديت عليه الوالي على ناحيتنا، فمال علي له، فلم أرض بذلك، واستعديت عليه الوالي الأكبر، فمال علي، فلم أرض بذلك، وقدمت إليك فلم أجد أحدا إلا يميل له علي، فجعلت لخادمك هذا الذي جعلت له على أن يوصلني إليك، فلما أوصلني إليك رأيتك تخطر بأصبعك إلى السماء تطلب من الله حاجتك وتضرع إليه، فعقلت بفعلك موضع حاجتي، وعلمت أني أخطأت في طلبها، ولم آتها من الموضع الذي ينبغي، فرجعت أطلبها من الموضع الذي تطلب أنت حاجتك. فبكى سليمان ثم قال: إن الذي طلبت إليه حاجتك قد قضاها، وكتب إلى الأموي بكل ما أحب، وأمره برد ما يدعي عليه، وأعطاه أيضا ما يصلح به ضيعته وذلك بعد ما وصله سليمان وكساه، وأمر له بفرائض.

----

(1) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.حج سنة 97 هـ عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. كانت الفتوحات محدودة في أيامه، فعلى الجبهة الغربية غزا القسطنطينية برا وبحرا تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك، ورابط بنفسه هناك، وأقسم ألا يعود حتى يفتحها، فتوفي أثناء حصارها سنة 99 هـ على الجبهة الشرقية: فتح يزيد بن المهلب جرجان و طبرستان عام 98 هـ. توفي سنة 99 هـ

قال الله تعالى:﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل] عن عبد الله بن أبي صالح المكي قال: دخل طاووس يعودني، فقلت: يا أبا عبد الرحمن ادع الله لي، فقال: ادع لنفسك فانه يجيب المضطر إذا دعاه، وعن ابن جريج قال: قال لي عطاء قال لي طاووس: يا عطاء لا تنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه وجعل عليها حجابه ولكن انزلها بمن بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة أمرك أن تدعوه وضمن لك أن يستجيب لك. وعن ابن أبي رواد قال رأيت طاووسا وأصحابه إذا صلوا العصر استقبلوا القبلة ولم يكلموا أحدا وابتهلوا في الدعاء، وعن سفيان عن عمرو قال ما رأيت أحدا اشد تنزها مما في ايدي الناس من طاووس. قال ميمون: إذا أتى رجل باب سلطان فاحتجب عنه فليأت بيوت الرحمن فإنها مفتحة وليصل ركعتين وليسل حاجته.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل] قال الشوكاني: هذا استدلال منه سبحانه بحاجة الإنسان إليه على العموم والمضطر اسم مفعول من الاضطرار: وهو المكروب المجهود الذي لا حول له ولا قوة وقيل هو المذنب وقيل هو الذي عراه ضر من فقر أو مرض فألجأه إلى التضرع إلى الله واللام في المضطر للجنس لا للاستغراق فقد لا يجاب دعاء بعض المضطرين لمانع يمنع من ذلك بسبب يحدثه العبد يحول بينه وبين إجابة دعائه وإلا فقد ضمن الله سبحانه إجابة دعاء المضطر إذا دعاه وأخبر بذلك عن نفسه والوجه في إجابة دعاء المضطر أن ذلك الاضطرار الحاصل له يتسبب عنه الإخلاص وقطع النظر عما سوى الله وقد أخبر الله سبحانه بأنه يجيب دعاء المخلصين له الدين وإن كانوا كافرين فقال: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس] وقال:﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت] فأجابهم عند ضرورتهم وإخلاصهم مع علمه بأنهم سيعودون إلى شركهم ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ أي الذي يسوء العبد من غير تعيين وقيل هو الضر وقيل هو الجور﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله بعد انقراضهم والمعنى: يهلك قرنا وينشئ آخرين وقيل يجعل أولادكم خلفا منكم وقيل يجعل المسلمين خلفا من الكفار ينزلون أرضهم وديارهم﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ الذي يوليكم هذه النعم الجسام ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي تذكرا قليلا ما تذكرون قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب وقرأ أبو عمرو وهشام ويعقوب بالتحتية على الخبر ردا على قوله بل أكثرهم لا يعلمون واختار هذه القراءة أبو حاتم. انتهى

عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ﴾ ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَهِ﴾ [غافر] وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ﴾ وعن كردوس التغلبي قال: وجدت في الإنجيل إذ كنت أقرأه: إن الله ليصيب العبد بالأمر يكرهه وإنه ليحبه لينظر كيف تضرعه. وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ﴾ وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي﴾ وعن علي عمرو بن مالك حدثه أنه سمع فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلاً يَدْعُو فِي صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ تَعَالَى وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَجِلَ هَذَا. ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ﴾ وعن ابن لسعد أنه قال سمعني أبى وأنا أقول اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها وكذا وكذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها وكذا وكذا، فقال: يا بنى إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ. فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَإِنْ أُعِذْتَ مِنَ النَّارِ أُعِذْتَ مِنْهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ﴾ وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ﴾ قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لا أحمل هم الإجابة ولكن هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فان الإجابة معه. وعنه رضي الله عنه قال: بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح. وعن عبد الله بن مسعود قال: إن الله لا يقبل إلا الناخلة* من الدعاء، إن الله تعالى لا يقبل من مسمع، ولا مراء*، ولا لاعب، ولا لاه، إلا من دعا ثبت القلب. وعن الحسن أن أبا الدرداء كان يقول: جدوا بالدعاء، فإنه من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له. وعن حذيفة قال: ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق. وعن أبي هريرة قال: دعوة المسلم مستجابة ما لم يدع بظلم أو قطيعة رحم أو يقول: قد دعوت فلم أجب. وعن عبد الله بن أبي صالح قال: دخل علي طاوس يعودني فقلت له: ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن، فقال: ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

قال عمر بن حماد: سمعت عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين ونحن في حرسه يقول في دبر صلاته: اللهم، إنك لم تشهدني خلقي، ولم تؤامرني في نفسي، لكنك خلقتني لما شئت من ذلك، فإن كنت خلقتني في سابق علمك سعيدا فاستعملني في السعادة، وإن كنت خلقتني في سابق علمك شقيا فحولني من الشقاء إلى السعادة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب. اللهم، وإن لم أكن أهلا تبلغني رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغني فبلغنيها برحمتك، إنك على كل شيء قدير.

----

*(إلا الناخلة) أي المنخولة الخالصة (المرائي) يرائي الناس بقوله وعمله، لا يكون وعظه وكلامه حقيقة

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ مسند أحمد/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموي) ورجل من حضرموت 0446

قال صفوان بن الأهتم[1]: كنت أقوم على رأس سليمان بن عبد الملك، فدخل عليه رجل من حضرموت من حكمائهم، فقال له سليمان: تكلم بحاجتك فقال: أصلح الله أمير المؤمنين. من كان الغالب على كلامه النصيحة وحسن الإرادة أوفى به كلامه على السلامة، وإني أعوذ بالذي أشخصني من أهلي حتى أوفدني عليك أن ينطقني بغير الحق، أو أن يذلل لساني لك بما فيه سخطه علي، وإن إقصار الخطبة أبلغ في أفئدة أولي الفهم من الإطالة، والتشدق في البلاغة. ألا وأن من البلاغة يا أمير المؤمنين ما يفهم وإن قل. ألا وإني مقتصر على الاقتصار، مجتنب لكثير من الإكثار: أشخصني إليك والي عسوف، ورعية ضائعة.وإن تعجل تدرك ما فات، وإنك إن تقصر تهلك رعيتك هناك ضياعا. فخذها إليك قصيرة موجزة.قال: فقال سليمان: يا غلام، ادع رجلا من الحرس فاحملاه على البريد، وقل له: إذا أتيت البلاد فلا تنزل من مركبك حتى تعزله. ومن كانت له قبله ظلامة أخذت له بحقه، وأمر للحكيم بجائزة سنية. فأبى أن يقبل وقال: يا أمير المؤمنين، أنا أحتسب سفري على الله وأكره أن آخذ عليه من غيره أجرا. قال: انطلق بارك الله عليك. فلما ولى قال سليمان: ما أعظم بركة المؤمن في كل شيء.

■ (1) صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري البصري وفد على سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز.

قدم وفد من العراق على سليمان بن عبد الملك فقام خطيبهم فقال: يا أمير المؤمنين، ما أتيناك رهبة ولا رغبة فقال سليمان: فلم جئت؟ لا جاء الله بك. قال: نحن وفود الشكر أما الرغبة فقد وصلت إلينا في رحالنا، وأما الرهبة فقد أمناها بعدلك، ولقد حببت إلينا الحياة، وهونت علينا الموت. فأما تحبيبك الحياة إلينا فبما انتشر من عدلك وحسن سيرتك وأما تهوينك علينا الموت فلما نثق به من حسن ما تخلفنا به في أعقابنا الذين تخلفهم عليك. فاستحيى سليمان وأحسن جائزته.

قال المسعودي: لما أفضى الأمر إلى سليمان صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله، ثم قال: الحمد لله الذي ماشاء صنع، وما شاء أعطى، وما شاء منع، وما شاء رفع، وما شاء وضع، أيها الناس، إن الدنيا دار غرور وباطل وزينة وتقلب بأهلها، تضحك باكيها، وتبكي ضاحكها، وتخيف آمنها، وتؤمن خائفها، وتثري فقيرها، وتفقر مثريها ميالة بأهلها عباد الله، اتخذوا كتاب الله إماما، وارضوا به حكما، واجعلوه لكم هاديا ودليلا، فإنه ناسخ، ولا ينسخه ما بعده، واعلموا عباد الله أنه ينفي عنكم كيد الشيطان ومطامعه، كما يجلو ضوء الشمس الصبح إذا أسفر، وإدبار الليل إذا عسعس، ثم نزل وأذن للناس بالدخول عليه، وأقر عمال من كان قبله على أعمالهم.

حدث سعيد بن عبد العزيز أن سليمان بن عبد الملك ولي وهو إلى الشباب والرقة ما هو، فقال لعمر بن عبد العزيز: إنا قد ولينا ما قد ترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به يكتب. قال: فكان من ذلك عزل عمال الحجاج، وإخراج من كان في سجن العراق، وإخراج أعطية العراقيين، ومن ذلك كتابه أن الصلاة قد كانت أميتت فأحيوها، وردوها إلى وقتها، مع أمور حسنة، كان يسمع من عمر بن عبد العزيز فيها.. قال محمد بن سيرين: رحم الله سليمان بن عبد الملك، افتتح خلافته بخير، وختمها بخير، افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لمواقيتها، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز. وسمي سليمان بن عبد الملك مفتاح الخير لأنه استخلف عمر بن عبد العزيز. قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرني أبي عبد الله بن عبد الحكم قال: لم يزل سليمان بن عبد الملك يدبر ولاية عمر بن عبد العزيز، فأخبرني بعض أصحاب ابن وهب عن عبد الله بن وهب عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري قال: لما قدم بالنيروز والمهرجان على سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، فصبت له تلك الهدايا في آنية الذهب وصنوف الهدايا، قال: فكلما مر بعمر صنف منها، قال له سليمان: كيف ترى هذا يا ابن عبد العزيز؟قال: يا أمير المؤمنين، إنما هو متاع الحياة الدنيا، قال له سليمان: فآلله لو وليته ما أنت صانع فيه؟ قال: اللهم، أقسمه حتى لا يبقى منه شيء، قال: اللهم، أشهد، قال: فجعل يمر به على شيء شيء ويقول له هذه المقالة، ويقول له عمر: اللهم، أقسمه حتى لا يبقى منه شيء، قال سليمان: اللهم، أشهد حتى فرغ. وقال سليمان بن عبد الملك: والله ما كاد يغيب عن ابن عبد العزيز فما أجد أحدا ينقه عني شيئا ولا أفقهه منه.

☪

عن العباس بن هشام، عن أبيه قال: دخل أبو السربال الكلبي على سليمان بن عبد الملك – وهو امير، وعنده روح بن زنباع الجذامي، وحسان بن مالك بن بحدل الكلبي وهو يتغدى، فقال له سلمان: ادن. فقال: لا، حتى اعرف من أكلائي. فأشار سليمان إلى روح، فقال: هذا روح بن زنباع. فقال أبو السربال: هذار رجل قل ما اعتركت الأضياف بباب أبيه، ومن هذا؟ قال: هذا ابن بحدل. قال: إن هذا لصغير اللقمة، ومعهم رجل من قريش أمه رومية، فهو أقشر أحمر. فقال أبو السربال: أما هذا فلا أسأل عنه، هذا قيصر. فضحك سليمان والقوم، وجلس أبو السربال، فأكل، وجاءوا بفالوذج، فجعل سليمان يعظم اللقمة، وقال: دونك يا أبا السربال، فإن هذا يزيد في الدماغ، فقال أبو السربال: أصلح الله الأمير، لو كان هذا كما تقول لكان رأسك مثل رأس البغل. قالوا: وكان سليمان نهما بخيلا على الطعام فمد رجل يده إلى دجاجة كانت بين يديه، فقال له: كل مما بين يديك. فقال: أو ههنا حمى؟! فرمى إليه بالدجاجة وقال: كلها لا بارك الله لك فيها.

وقال المدائني: حج سليمان وأتى الطائف فلقيه ابن أبي زهير الثقفي رجل من أهلها فسأله أن ينزل عليه فقال: إني أخاف أن أبهظك. فقال: قد رزق الله خيرا كثيرا، فنزل عليه فجعل يأتيه من حائطه، وهو فيه، بخمس رمانات خمس رمانات حتى أكل مائة وسبعين رمانة. ثم أتى بخروف، وست دجاجات فأكل ذلك، ثم أتى بمكوك زبيب فأكله، ثم وضع الطعام فأكل وأكل الناس. وفتح ابن أبي زهير أبواب الحيطان فأكل الناس من الفاكهة، فقال سليمان: قد أضررنا بالرجل. وأقام بالطائف سبعا ثم صار إلى مكة وقال لابن أبي زهير: الحقني. فلم يفعل فقيل له: لو لحقته، قال: أقول ماذا؟ أعطني ثمن طعامي؟!

عن ابن كناسة قال: بعث يزيد بن المهلب سريعا مولى عمرو بن حريث إلى سليمان. قال سريع: فعلمت أنه سيسألني عن المطر، ولم أكن أرتق بين كلمتين، فأعطيت أعرابيا درهما وقلت: كيف أقول إن سئلت عن المطر؟ فقال: قل جاء مطر غزير درير، فعمد الثرى واخضر العمير، واستأصل العرق، ولم أر واديا إلا داريا. فلما دخلت على سليمان سألني عن المطر فقلت هذا الكلام. فقال: هذا كلام لست بأبي عذره فاصدقني.فحدثته فضحك، وضرب برجليه، وقال: لقد أصبت ابن بجدتها.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ التذكرة الحمدونية/ أنساب الأشراف/ تعليق من أمالي ابن دريد/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ نثر الدر/

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموية) ورجل من الرعية 0447

نادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر: أيا سليمان، أيا سليمان، اذكر يوم الأذان. فنزل عن المنبر ودعا بالرجل فقال له سليمان: فما يوم الأذان؟ فقال:﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف] قال: فما ظلامتك؟ قال: أرضي بمكان كذا أخذها وكيلك. فكتب إلى وكيله أن ادفع إليه أرضه وأرضي مع أرضه. وفي رواية: أن رجلا دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين أنشدك الله والأذان، فقال سليمان: أما أنشدك الله فقد عرفناه، فما الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف] فقال سليمان: ما ظلامتك؟ قال: ضيعتي الفلانية غلبني عليها عاملك فلان. فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الأرض وقال: والله لا رفعت خدي من الأرض حتى يكتب له برد ضيعته. فكتب الكتاب وهو واضع خده على الأرض ولما سمع كلام ربه الذي خلقه وخوله في نعمه خشي من لعن الله وطرده، رحمه الله.

عن طلحة بن عبد الله بن عوف[1]،قال: أتتني أروى بنت أويس[2] في نفر من قريش، فيهم عبد الرحمن بن عمرو بن سهل، فقالت: إن سعيد بن زيد[3] قد انتقص من أرضي إلى أرضه ما ليس له، وقد أحببت أن تأتوه فتكلموه، قال: فركبنا إليه وهو بأرضه بالعقيق، فلما رآنا قال: قد عرفت الذي جاء بكم، وسأحدثكم ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعته يقول:﴿مَنْ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ مَا لَيْسَ لَهُ، طُوِّقَهُ إِلَى السَّابِعَةِ مِنَ الأَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ﴾
وعن أبي سلمة، أن مروان بن الحكم (الملك الأموي الرابع)، قال: اذهبوا فأصلحوا بين هذين لسعيد بن زيد وأروى، فقال سعيد: أتروني أخذت من حقها شيئا؟ أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ شِبْرًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ. وَمَنْ تَوَلَّى مَوْلَى قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ. وَمَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ، فَلا بَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا﴾.

■ (3) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ومن السابقين الأولين البدريين، ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد حصار دمشق، وفتحها، مات سنة 51 هـ وهو ابن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة

■ (1) طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري. قاضي المدينة زمن يزيد. حدث عن عمه؛ عبد الرحمن بن عوف، وعثمان، وسعيد بن زيد، وابن عباس. وروى عنه سعد بن إبراهيم، والزهري، وأبو الزناد، وجماعة.وكان شريفا، جوادا، حجة، إماما. يقال له: طلحة الندى. مات سنة 99 هـ.

■ (2) أروى بنت أويس، تابعية، من الثانية، ظالمة، دعية ظلمت نفيها، وظلمت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بادعائها أنه غصبها أرضها، فتركها لها، دعا عليها بالعمى، والقتل في أرضها، فعميت وترددت في بئر فيها، فكانت قبرها.

☪

عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ سَرَقَ مِنَ الأَرْضِ شِبْرًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ﴾ وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ﴾ (منار) أي حدودها. قال معمر: وبلغني عن الزهري، ولم أسمعه منه زاد في هذا الحديث:﴿وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ﴾ وعن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران] وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ﴾وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) قال الطيبي:محمول على ظاهره فيكون الظلم ظلمات على صاحبه لا يهتدي بسببها كما أن المؤمنين يسعى نورهم بين أيديهم، أو المراد بها الشدائد كما في قوله:﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام] أي شدائدهم.
وعن أبي مالك الأشجعي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَعْظَمُ الْغُلُولِ عِنْدَ اللهِ ذِرَاعٌ مِنَ الأَرْضِ، تَجِدُونَ الرَّجُلَيْنِ جَارَيْنِ فِي الأَرْضِ أَوْ فِي الدَّارِ، فَيَقْتَطِعُ أَحَدُهُمَا مِنْ حَظِّ صَاحِبِهِ ذِرَاعًا، فَإِذَا اقْتَطَعَهُ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

عبد الرحمن الكواكبي رحمه الله،الأديب المفكر الثائر في وجه الاستبداد، صاحب كتاب طبائع الاستبداد. عمل في بداية حياته كمحرر في جريدة الفرات التابعة للأتراك في حلب، ثم أسس جريدة الشهباء الأولى من نوعها في العالم العربي لكن الحكومة التركية لم تحتمل انتقاداته لها فقامت بإغلاقها، فأصدر صحيفة الاعتدال التي منعت أيضا. وفي أثناء عمله في عدة مناصب لمس معاناة الشعب وحاول الإصلاح، فتعرض لمضايقات من الحكام فاستقال من عمله وافتتح مكتبا استقبل فيه المظلومين وقام برفع الظلم عنهم، وكان لا يأخذ أتعابه من الفقراء فأطلق عليه لقب أبي الضعفاء، اتهموه الأتراك بتحريض أحد المحامين لديه على اغتيال جميل باشا (أحمد جمال باشا؟) وتم تبرئته بعد خرجوا النساء في مظاهرات، فكان أول من أخرج النساء في حراك شعبي.ثم أتهموه مرة أخرى بالتخابر مع دولة أجنبية لتسلم ولاية حلب إليهم، وحكموا عليه بالإعدام لكن نتيجة إلحاح الناس ورسائله إلى السلطان وافقوا على محكمته في ولاية خارج سيطرة جميل باشا فكانت تلك بيروت وفيها استطاع أن يقنع القاضي فبرأه وعاد منتصرا إلى حلب.لكن السلطات لم ترض بعد عن أفعاله فبدأت بمضايقته، فاضطر إلى الرحيل عن حلب إلى بعض دول آسيا، ثم استقر به المطاف أخيرا في مصر وكانت خارج سلطات عبد الحميد الثاني، وفي مصر عاد الكواكبي لممارسة عمله، فنشر علمه، ودعا إلى محاربة الظلم والاستبداد، وأمضى أيام حياته في دعوة الناس إلى التخلص من الخرافات* والجهل، كل هذه النشاطات لم تكن تعجب السلطات التركية، التي قيل أنها أرادت التخلص منه نهائيا، ففي 6 ربيع الأول سنة 1320 هـ/ 1902م نجحوا في اغتياله بدس السم في فنجان القهوة، ليتوفى الكواكبي عن عمر يناهز 48 عاما، ولتنطفئ بذلك شمعة أنارت طريق العرب نحو الثورة على الاستبداد.
يقول محمد الشنقيطي: في كتابات الكواكبي، هناك مسألة العلمانية، وهي غير صحيحة، فقد تأسس في مدرسة شرعية، وهو يفصل من ناحية السلطة الدينية، والإدارية في نصوصه. ولا يتعرض إلى قضية تعطيل الحدود، وأحكام الشريعة، بل كتبه مليئة بأمور الإسلام، وبالتالي إقحام العلمانية عليه، هي غير صحيحة. وقال أيضاً: الكواكبي كانت قوميته جزء من إسلاميته وحتى موقفه من الأتراك أحياناً يصل إلى العنصرية ولكن في نفس الوقت تجد في بعض كتاباته حرصاً على الدولة العثمانية باعتبارها سقفاً للدول، وأصبحت عبئاً على الأمة ولم تعد قادرة على القيام بوظيفتها. وقال الشنقيطي: الكواكبي ليس طلائعياً نخبوياً في نظريته السياسية على عكس منظرين آخرين تعاملوا مع الجماهير بالاستعلاء. وقد لاحظ العقاد (عباس محمود العقاد؟)، أن الكواكبي، جرت عليه نزاهته وصراحته عداوة أهل العمل النزيه والقول الصريح ...

☪

قال عبد العزيز بن مصطفى كامل: كانت الزلة الأولى للعثمانيين في أواخر عهد دولتهم، أن أوحى بعض المنافقين إلى بعض زخرفا من القول، يعدون به رابطة الأخوة الإسلامية غير كافية لأن تكون أساسا جامعا لرعايا الدولة من المسلمين، فابتدعوا تقسيم الرعايا إلى عثمانيين وأجانب ؛ فقبل إلغاء الخلافة بنحو ثمانين عاما اتجه بعض السلاطين إلى تحويل الرابطة أو الجامعة الإسلامية إلى رابطة عثمانية وذلك عن طريق ما يسمى بـ إعلان التنظيمات العثمانية الصادر في عام 1255هـ/ 1839م وهو نظام وضعي مضمونه أن يقسم المسلمون إلى: مسلمين عثمانيين، وهم رعايا ومواطنو الدولة العثمانية، ومسلمين غير عثمانيين، عدهم الإعلان أجانب! وضمن النظام الجديد للرعايا العثمانيين كل الحقوق بغض النظر عن الدين أو اللغة أو الجنس، بينما وضع الآخرون الأجانب من المسلمين في خانة أدنى، وكان هذا الإعلان بداية حقيقية للتخلي عن الرابطة الإسلامية المنبثقة عن المبدأ الإسلامي العظيم﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات] كانت هذه في ذاتها نازلة تستدعي أن يقوم لها عقلاء الأمة وعلماؤها، ليميتوها في مهدها إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل، فيعلنوا في الناس أن خلافة المسلمين لكل المسلمين، وأن رابطة الإسلام أسمى وأعلى من كل الروابط الاسمية الأرضية العنصرية، ولكن ذلك الإجراء مضى، وتطاولت به السنون، حتى تحولت النزعة العثمانية إلى نزعة طورانية، يدعي أصحابها أن الطورانيين المنحدرين من آسيا الوسطى قوم متميزون، ونشأ بذلك ما سمي بـ القومية الطورانية كرابطة بديلة للرابطة الإسلامية، وهي التي نشأت ردا لها أو تأثرا بها القومية العربية التي رد بها جهلة العرب على جهلة الترك، فأنشؤوا بذلك نواة للروابط الباطلة التي عدها الإسلام نوعا من الجاهلية، كما في قوله صلى الله عليه وسلم للمتنازعين من المهاجرين والأنصار:﴿أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ﴾ وكان ذلك عندما ضرب رجل من المهاجرين آخر من الأنصار، فكاد الشيطان أن يوقع الفتنة بين الفريقين، فتداعى قوم بالنصرة من الأنصار فقالوا: يا للأنصار! وقال آخرون: يا للمهاجرين!، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم قوله الآنف. المقصود هنا أن تلك الرابطة البديلة عن عروة الإسلام، ظل معمولا بها، حتى جاء السلطان عبد الحميد الثاني فغير تلك السياسة، وقدم نفسه للعالم على أنه خليفة لكل المسلمين، وبدلا من أن يساند هذا التوجه المحمود من علماء الأمة وعقلائها، إذا بهؤلاء يختلفون حول هذا الأمر؛ فبينما أيده على ذلك وسانده كل من الشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده من خلال جمعية العروة الوثقى التي شكلاها لتكون أداة إعلامية لهذا التوجه، إذا بآخرين من أمثال عبد الرحمن الكواكبي يأخذون توجها آخر، فينادون بـ جامعة عربية وخلافة عربية ! وصحيح أن الأصل في منصب الخلافة أن يكون عربيا، بل قرشيا كما اتفق عليه العلماء، لكن الظرف الذي كانت تعيشه الأمة وقتها لم يكن مؤهلا للعرب أن يحكموا بقية المسلمين؛ لأن سلطانهم الفعلي لم يكن بأيديهم، بل كانت أكثر بلدان العرب واقعة تحت احتلال الصليبيين من بريطانيين وفرنسيين و إيطاليين. وفي مقابل المناداة بجامعة إسلامية عربية في ذلك الوقت الحرج، استفحل الشعور القومي الجاهلي لدى فريق من الأتراك، فنادوا بجامعة طورانية، تجمع الأمة الطورانية الممتدة من فنلندا إلى منشوريا في دولة واحدة. وهنا استبعد الميزان الإسلامي تماما، وبدلا من تفضيل بعض المسلمين على بعض بغير ميزان التقوى وهو أمر منكر جاء هؤلاء الذين ساووا بين المسلمين والكفار، لمجرد مساواتهم في الانتماء القومي. ومنذ ذلك الحين والصراعات القومية تمزق أوصال المسلمين بعد أن نشأت بعد ذلك النعرات القومية الأخرى كالقومية الفارسية والكردية والبربرية والهندية والبشتونية والطاجيكية وغيرها، وهي النعرات التي لعب عليها العلمانيون اللادينيون، عربا كانوا أو عجما، فأقاموا حول كل قومية طاقما من الأصنام النظرية والعملية التي تقدم لها القرابين المادية والمعنوية؛ فتخاض لأجلها الحروب، وتشكل لها الأحزاب، بل وتقوم عليها الدول.

----

*(الخرافات) المعروف أن العثمانيين نشروا وشجعوا بدعة التصوف

مراجع: مسند أحمد/ هل يعتبر الفراعنة بمصرع من سبقهم؟/ المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ نظرات في منازلة النوازل/

روي أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة بعد أن قضى المناسك أو قبلها. فلما حطَّ رحاله فيها أقبل وجوهُ الناس وذووا الأقدار للسلام عليه والترحيب به. غير أن سلمة بنَ دينار[1] قاضي المدينة وعالِمها وإمامَها الثقة؛ لم يكن في عداد مَن زاروا الخليفة. ولما فرغ سليمان من استقبال المرحِّبين به، قال لبعض جلسائه: إنّ النفوس لتصدأ كما تصدأ المعادن إذا لم تجد مَن يذكّرها الفينة بعد الفينة ويجلوا عنها صدأها. فقالوا: نعم يا أمير المؤمنين. قال: أما في المدينة رجل أدرك طائفةً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكّرنا ؟ فقالوا: بلا يا أمير المؤمنين .. ها هنا أبو حازم الأعرج. قال: ومَن أبو حازم الأعرج؟ فقالوا: سلمة بن دينار عالم المدينة وإمامُها وأحد التابعين الذين أدركوا عددا من الصحابة الكرام. قال: ادعوه لنا وتلطفوا في دعوته. فذهبوا إليه ودعوه. فلما أتاه رحّب به وأدنى مجلسَه وقال له معاتبا: ما هذا الجفاء يا أبا حازم؟ فقال أبو حازم: وأي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين؟ قال سليمان: زارني وجوه الناس ولم تزرني!. فقال: إنما يكون الجفاء بعد المعرفة!، وأنت ما عرفتني قبل اليوم ولا أنا رأيتك فأي جفاء وقع مني؟ فالتفت الخليفة إلى الجلساء وقال: أصاب الشيخ في اعتذاره وأخطأ الخليفة في عَتْبِه عليه. ثم قال لأبي حازم: إن في النفس شئونا أحببت أن أفضِيَ بها إليك يا أبا حازم. فقال: هاتها يا أمير المؤمنين والله المستعان. قال الخليفة: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ فقال أبو حازم: لأنكم خربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب. فقال الخليفة: صدقت! صدقت! ثم سأل: يا أبا حازم ما لنا عند الله غدا؟. فقال: اعرِضْ نفسك وعملك على كتاب الله عز وجل تجدْ ذلك. قال: وأين أجدُه في كتاب الله عز وجل؟ قال: تجده في قوله سبحانه ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار] فقال الخليفة: إذن فأين رحمةُ الله بعباده؟ قال أبو حازم: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف] قال الخليفة: قل لي يا أبا حازم كيف قدومنا على الله تعالى؟ قال: أمّا المُحسِن؛ فكالغائب يقدَمُ على أهله وصحبه وأحبابه في شوق ولهفة. وأمّا المُسيءُ؛ فكالعبد الآبق يُساقُ إلى مولاه سَوقا. فبكى الخليفة حتى اشتدَّ بكاؤه. ثم قال: يا أبا حازم كيف لنا أن نَصلُحَ؟ قال: تَدَعون عنكم الصَّلَفَ (التكبر) وتتحلَّون بالمروءة. فقال سليمان: وهذا المال ما السبيل إلى تقوى الله فيه؟ قال: إذا أخذتموه بحقه ووضعتموه في أهله وقسمتموه بالسوية وعدلتم فيه بين الرعية. قال سليمان: أخبرني مَن أفضلُ الناس؟ قال: أولو المروءة والتقى. فقال سليمان: وما أعدل القوم يا أبا حازم؟ قال: كلمة حق يقولها المرء عند من يخافه وعند من يرجوه. قال: فما أسرع الدعاء إجابة يا أبا حازم؟ قال: دعاء المحسن للمحسنين. قال سليمان: فأي الاعمال أفضل؟ قال أبو حازم: أداء الفرائض واجتناب المحارم. ثم سأله الخليفة: وما أفضل الصدقة؟ فأجاب: جُهد المقلّ من غير أن يتبعه منّ ولا أذى. فقال سليمان: من أكيس الناس يا أبا حازم؟ قال: رجل ظفِرَ بطاعة الله تعالى فعمل بها ثم دلَّ الناسَ عليها. قال: فأي الناس أخسر؟ (أو ومن أحمق الناس؟) قال: رجل انساق مع هوى صاحبه وصاحبه ظالم فباع آخرته بدنيا غيره. وارتفع رصيد الإعجاب بأبي حازم عند الخليفة. فقال له: هل لك أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك. فقال أبو حازم: كلا يا أمير المؤمنين. فقال: ولِمَ؟! قال: أخشى أن أركن إليكم قليلا فيُذيقَني اللهُ ضِعفَ الحياة وضعف المَمات. قال: ارفع إلينا حاجتك. فسكت ولم يجب . فأعاد عليه قوله: ارفع إلينا حاجتك يا أبا حازم نقضها لك مهما كانت. قال: حاجتي أن تنقذني من النار وتُدخِلني الجنة. فقال الخليفة: ذلك ليس من شأني يا أبا حازم. فقال أبو حازم: ما لي من حاجة سواها يا أمير المؤمنين. فقال له: أدع لي يا أبا حازم. قال: اللهم إنْ كان عبدُك سليمان من أوليائك فيسِّره إلى خيرَي الدنيا والآخرة، وإنْ كان من أعدائك فأصلحه، واهدِهِ إلى ما تحب وترضى. قال سليمان: ما تقول فيما نحن فيه؟ قال أبو حازم: أو تعفيني؟ قال سليمان: لا بد منها فإنها نصيحة تلقيها إلي. قال أبو حازم: إن أباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة، من غير مشورة من المسلمين، ولا رضا منهم، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وما قيل فيهم. فقال رجل من جلسائه: بئسما قلت. قال أبو حازم:إن الله تعالى قد أخذ الميثاق على العلماء بأن يقولوا كلمة الحق، فقال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران] ثم التفت إلى الخليفة .. وقال: يا أمير المؤمنين، إن الذين مضوا قبلنا من الأمم الخالية، ظلُّوا في خير وعافية، ما دام أمراؤهم يأتون علمائهم رغبة فيما عندهم، ثم وُجِد قوم من أراذل الناس تعلَّموا العلم، وأتَوْا به الأمراء يريدون أن ينالوا به شيئاً من عرض الدنيا، فاستغنَتِ الأمراء عن العلماء، فتَعِسوا ونُكِسوا، وسَقطوا من عين الله عز وجل. ولو أن العلماء زهدوا فيما عند الأمراء، لرَغِب الأمراءُ في علمهم، ولكنهم رغبوا فيما عند الأمراء فزهِدوا فيهم، وهانوا عليهم. فقال الخليفة : صدقتَ، زدني من موعظتك يا أبا حازم. قال: إنْ كنتَ من أهل الاستجابة فقد قلتُ لك ما فيه الكفاية، وإنْ لم تكن من أهلها فما ينبغي أن أرمي عن قوس ليس لها وتر. فقال الخليفة: عزمتُ عليك أنْ توصيني يا أبا حازم. فقال نعم: أوصيك وأوجز، عظِّم ربَّك عز وجل ونزِّههُ أن يراك حيث نهاك، وأن يَفْقِدَك حيث أمرك. ثم سلم وانصرف. ما كاد أبو حازم يبلغ بيته حتى وجد أنّ أمير المؤمنين قد بعث إليه بصُرَّة مُلئَت دنانير وكتب رقعة، قال فيها: أَنْفقها ولك مثلها كثيرٌ عندي. فرَدَّها، وكتب إليه يقول: يا أمير المؤمنين، أعوذ بالله أن يكون سؤالك إياي هَزْلاً، ورَدِّي عليك باطلاً (بذلا)، فوالله ما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي ؟! وكتب إليه أن موسى بن عمران لما ورد ماء مدين وجد عليها رعاء يسقون، ووجد من دونهم جاريتان تذودان، فسألهما، فقالتا:﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص]، وذلك أنه كان جائعا خائفا، لا يأمن، فسأل ربه ولم يسأل الناس، فلم يفطن الرعاء وفطنت الجاريتان، فلما رجعتا إلى أبيهما أخبرتاه بالقصة، وبقوله، فقال أبوهما شعيب: هذا رجل جائع، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه؛ فلما أتته عظمته وغطت وجهها، وقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص]، ولم يجد بدا من أن يتبعها إنه كان ما بين الجبال جائعا مستوحشا، فلما تبعها هبت الريح فجعلت تصفق على ظهرها، وجعل موسى يعرض مرة ويغض أخرى، فلما عيل صبره ناداها: يا أمة الله، كوني خلفي وأريني السمت بقولك ذا. فلما دخل على شعيب فإذا هو بالعشاء مهيأ، فقال له شعيب: اجلس يا شاب فتعش؛ فقال له موسى: أعوذ بالله؛ فقال له شعيب: لمَ؟ أما أنت جائع؟ قال: بلى، ولكني أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما، وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئا من ديننا بملئ الأرض ذهبا؛ فقال له شعيب: لا يا شاب فإنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام؛ فجلس موسى فأكل. فإن كانت هذه المائة دينار عوضا لما حدثت فالميتة، والدم، ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحل من هذه، فإن كانت لحق في بيت المال فلي فيها نظراء، فإن ساويت بيننا وإلا فليس لي فيها حاجة.

■ (1) سلمة بن دينار الأعرج، أبو حازم، مولى لقوم من بني ليث بن بكر. اسند أبو حازم عن ابن عمر وسهل بن سعد وانس بن مالك وقيل انه رأى أبا هريرة، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبي سلمة وعروة وغيرهم. توفي بعد سنة 140 هـ في خلافة المنصور.

اللهم صل على محمد وآل محمد

عن سفيان قال: قيل لأبي حازم ما مالك؟ قال: ثقتي بالله عز وجل ويأسى مما في أيدي الناس. قال أبو حازم: إن وقينا شر ما أعطينا لم نبال ما فاتنا. وقال ابن عيينة: قال أبو حازم: إن كان يغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى عيش من الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك، ما يكفيك فليس شيء يكفيك. وفي هذا المعنى: قال رجل لإبراهيم بن أدهم: كنت أريد أن تقبل مني هذه الجبة، فقال: إن كنت غنياً قبلتها منك، وإن لم تكن غنياً لم أقبلها منك، قال: فإني غني، قال: وكم مالك؟ قال: ألف دينار، قال: أفكنت تود أنه أربعة آلاف؟ قال: نعم، قال: فأنت فقير لا أقبلها منك. وعن عبد الرحمن بن جرير قال: سمعت أبا حازم: يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح. وعن محمد بن مطرف قال: قال أبو حازم: ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد الزق به شيء يسوءك. وعن حفص بن ميسرة قال: قال أبو حازم: عجبا لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحلة، ويدعون أن يعلموا لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة. وعن فضيل بن عياض قال: قال أبو حازم أضمنوا لي اثنين أضمن لكم الجنة: عملا بما تكرهون إذا احبه الله تعالى، وترك ما تحبون إذا كرهه الله عز وجل. وعن يعقوب بن عبد الرحمن قال: سمعت أبا حازم يقول: يسير الدنيا يشغل عن كثير من الآخرة، وقال: ما أحببت أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم، وما أكرهت أن يكون معك في الآخرة فاتركه اليوم.وقال: كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت.

عن عبيد الله بن عمر، عن أبي حازم، قال:﴿لَا تَكُونُ عَالِمًا حَتَّى يَكُونَ فِيكَ ثَلَاثُ خِصَالٍ: لَا تَبْغِي عَلَى مَنْ فَوْقَكَ، وَلَا تَحْتَقِرْ مَنْ دُونَكَ، وَلَا تَأْخُذْ عَلَى عِلْمِكَ دُنْيَا﴾ وعن محمد بن هانئ، عن بعض أصحابه قال: ﴿قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي حَازِمٍ إِنَّكَ مُتَشَدِّدٌ، فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ: وَمَا لِي لَا أَتَشَدَّدُ وَقَدْ تَرَصَّدَنِي أَرْبَعَةُ عَشَرَ عَدُوًّا، أَمَّا أَرْبَعَةٌ: فَشَيْطَانٌ يَفْتِنُنِي، وَمُؤْمِنٌ يَحْسُدُنِي، وَكَافِرٌ يَقْتُلُنِي، وَمُنَافِقٌ يُبْغِضُنِي، وَأَمَّا الْعَشَرَةُ فَمِنْهَا: الْجُوعُ، وَالْعَطَشُ، وَالْحَرُّ، وَالْبَرْدُ، وَالْعُرْيُ، وَالْهَرَمُ، وَالْمَرَضُ، وَالْفَقْرُ، وَالْمَوْتُ، وَالنَّارُ، وَلَا أُطِيقُهُنَّ إِلَّا بِسِلَاحٍ تَامٍّ، وَلَا أَجِدُ لَهُنَّ سِلَاحًا أَفْضَلَ مِنَ التَّقْوَى﴾ عن محمد بن مطرف، قال: ﴿دَخَلْنَا عَلَى أَبِي حَازِمٍ الْأَعْرَجِ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا حَازِمٍ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: أَجِدُنِي بِخَيْرٍ رَاجِيًا حُسْنَ الظَّنِّ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ وَاللهِ لَا يَسْتَوِي مَنْ غَدَا وَرَاحَ يُعَمِّرُ عَقْدَ الْآخِرَةِ لِنَفْسِهِ، فَيُقَدِّمُهَا أَمَامَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ الْمَوْتُ حَتَّى يُقْدِمَ عَلَيْهَا فَيَقُومَ لَهَا وَتَقُومَ لَهُ، وَمَنْ غَدَا وَرَاحَ فِي عَقْدِ الدُّنْيَا يُعَمِّرُهَا لِغَيْرِهِ وَيَرْجِعُ إِلَى الْآخِرَةِ لَاحَظَّ لَهُ فِيهَا وَلَا نَصِيبَ﴾.

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ إحياء علوم الدين/ الإمام الجصاص/ صفة الصفوة/ قاموس المحدث/ موسوعة الخطب والدروس/.

كان يزيد بن أبي مسلم الثقفي[1] مولى الحجاج بن يوسف وكاتبه ومشيره. استخلفه الحجاج لما حضرته الوفاة على أموال الخراج بالعراق فضبط ذلك ، فلما مات الحجاج أقره الوليد بن عبد الملك على حاله، ولم يغير عليه شيئاً. وقيل إن الوليد هو الذي ولاه بعد موت الحجاج ، وقال الوليد يوماً: مثلي ومثل الحجاج وأبي العلاء[1] كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً.

ولما مات الوليد وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك عزل يزيد بن أبي مسلم وبعث مكانه يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي[2] ،وأحضر إليه يزيد بن أبي مسلم في جامعة، وكان رجلاً قصيراً دمياً قبيح الوجه عظيم البطن تحتقره العين، فلما نظر إليه سليمان قال: أنت يزيد بن أبي مسلم؟ قال: نعم أصلح الله أمير المؤمنين قال: لعن الله من أشركك في أمانته وحكمك في دينه، قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنك رأيتني والأمور مدبرة عني، ولو رأيتني والأمور مقبلة علي لاستعظمت ما استصغرت ولا ستجللت ما احتقرت، فقال سليمان: قاتله الله، فما أسد عقله وأعضب لسانه! ثم قال سليمان: يا يزيد، أترى صاحبك الحجاج يهوي بعد في نار جهنم أم قد استقر في قعرها ؟! فقال يزيد: لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين، فإن الحجاج عادى عدوكم ووالى وليكم، وبذل مهجته لكم، فهو يوم القيامة عن يمين عبد الملك وعن يسار الوليد، فاجعله حيث أحببت، قال سليمان: قاتله الله، فما أوفاه لصاحبه! إذا اصطنعت الرجال فلتصطنع مثل هذا، فقال رجل من جلساء سليمان: يا أمير المؤمنين، اقتل يزيد ولا تستبقه، فقال يزيد: من هذا فقالوا: فلان بن فلان، قال يزيد: والله لقد بلغني أن أمه ما كان شعرها يوازي أذنيها، فما تمالك سليمان أن ضحك وأمر بتخليته.ثم كشف عنه سليمان فلم يجد عليه خيانة ديناراً ولا درهماً، فهم باستكتابه، فقال له عمر بن عبد العزيز[3] : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تحيي ذكر الحجاج باستكتابك كاتبه، فقال: يا أبا حفص، إني كشفت عنه فلم أجد عليه خيانة، فقال عمر: أنا أوجدك من هو أعف عن الدينار والدرهم منه، فقال سليمان: ومن هو؟ فقال: إبليس، ما مس ديناراً ولا درهماً بيده وقد أهلك هذا الخلق.فتركه سليمان.

حدث جورية بن أسماء، أن عمر بن عبد العزيز (بعد موت سليمان) بلغه أن يزيد بن أبي مسلم في جيش من جيوش المسلمين، فكتب إلى عامل الجيش أن يرده وقال: إني لأكره أن أستنصر بجيش هو فيهم.ثم أمره على إفريقية يزيد بن عبد الملك[4] ، فثارت عليه الخوارج ففتكوا به لظلمه سنة اثنتين ومائة.

----

*(إفريقية) تشمل ما يسمى اليوم شمال تونس وشرق الجزائر وغرب ليبيا إقليم طرابلس وكان مركزها القيروان (الرستاق) والجمع رساتيق وهي قرى السواد.

■ (3) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

■ (1) يزيد بن أبي مسلم بن دينار الثقفي، أبو العلاء مولاهم، أمير المغرب،كان مولى الحجاج وكاتبه ومشيره، استخلفه الحجاج عند موته على أموال الخراج، فضبط ذلك، وأقره الوليد، ثم أمره على إفريقية يزيد بن عبد الملك، فثارت عليه الخوارج ففتكوا به لظلمه سنة 102 هـ.

■ (2) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أبو خالد الأزدي. ولد سنة 53 هـ، وولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك، ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن أرطأة، وطلبه عمر وسجنه. وكان الحجاج قد عزله وعذبه، فسأله أن يخفف عنه الضرب على أن يعطيه كل يوم مئة ألف درهم. فقصده الأخطل ومدحه، فأعطاه مئة ألف، فعجب الحجاج من جوده في تلك الحال وعفا عنه.واعتقله، ثم هرب من حبسه ثم قتل في صفر سنة 102 هـ.قال الذهبي قلت: قتل عن 49 سنة،ولقد قاتل قتالا عظيما، وتفللت جموعه (انكسروا وانهزموا) فما زال يحمل بنفسه في الألوف، لا لجهاد بل شجاعة وحمية حتى ذاق حمامه. نعوذ بالله من هذه القتلة الجاهلية.

■ (4) يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو خالد الأموي الدمشقي؛ تولى الحكم بعد عمر بن عبد العزيز لست بقين من رجب سنة101 هـ، وله 37 سنة وتوفي بأرض البلقاء، وقيل بعمان، لخمس بقين من شعبان سنة 105 هـ.

☪

قال محمد بن سيرين رحمه الله: سليمان افتتح خلافته بخير وختمها بخير، افتتحها بإقامة الصلاة لمواقيتها الأولى وختمها باستخلافه لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.قيل: أنه أطلق من سجن الحجاج ثلاثمائة ألف نفس ما بين رجل وامرأة، وصادر آل الحجاج واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيرا ومشيرا.وكان سليمان هرب من الطاعون، فقيل له: إن الله عز وجل يقول:﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب] قال: ذلك القليل اطلب.وقع بين ابن لعمر بن عبد العزيز وبين ابن لسليمان كلام فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه ويصفه فقال له ابن سليمان: إن شئت فأكثر أو فأقلل ما كان أبوك إلا حسنة من حسنات أبي، لأن سليمان هو الذي ولى عمر بن عبد العزيز.

قيل: مثل السلطان إذا ولى العمال الظالمين مثل من يسترعى غنمه الذئاب، ومثل من يربط الكلب العقور ببابه. وإن العامة لتشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوم عبد الملك بن مروان لأنه هو الذي استرعاه الرعية ؟. وفيه قيل: ﴿وَمَنْ يَرْبُطُ الكَلْبَ العقور بِبَابِهِ فَعَقَرَ جَمِيعُ النَّاسَ مِنْ رَابِطِ الكَلْبِ﴾ عن ابن عائشة، عن بعض أصحابه: إنما قصرت أعمار الملوك لكثرة شكاية الخلق إلى الله عز وجل. وعن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَا مِنْ دَاعٍ دَعَا رَجُلًا إِلَى شَيْءٍ إِلَّا كَانَ مَوْقُوفًا مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَازِمًا لَهُ يُقَادُ مَعَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ [الصافات]﴾ وعن أسيد بن حضير:﴿إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ تَخَلَّى بِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا؟ قَالَ: إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ﴾ وعن أبي ذر قال:﴿قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ: أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي؛ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ؛ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ؛ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا – وفي رواية قال له-: يَا أَبَا ذَرٍّ؛ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا؛ وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي؛ لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ؛ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ﴾ (ألا تستعملني؟) أي ألا تجعلني عاملا؟ (قال) أي أبو ذر (فضرب بيده) أي ضرب لطف وشفقة (على منكبي) وفي نسخة بالتثنية، (ثم قال يا أبا ذر إنك ضعيف) أي عن تحمل العمل، (وإنها) أي الإمارة (أمانة)، وفيه الإشارة إلى قوله ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب] (وإنها) أي الإمارة (يوم القيامة خزي) أي عذاب وفضيحة للظالم (وندامة) أي تأسف وتندم على قبولها للعادل، (إلا من أخذها) استثناء منقطع أي خزي وندامة على من أخذها بغير حقها، لكن من أخذها بحقها (وأدى الذي عليه فيها) فإنها لا تكون خزيا ووبالا عليه، وفيه إشارة لطيفة بأنها إما أن تكون عليه، أو لا تكون عليه، وأما كونها له فلا فالأولى تركها بلا ضرورة، قال النووي: هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولاية، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائفها، والخزي والندامة في حق من لم يكن أهلا لها، أو كان أهلا ولم يعدل فيخزيه الله يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط، فأما من كان أهلا لها وعدل فيها؛ فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث (سبعة يظلهم الله في ظله) وحديث (إن المقسطين على منابر من نور) وغير ذلك. ولكثرة الخطر فيها حذره عليه الصلاة والسلام منها، ولذلك امتنع منها خلائق من السلف وصبروا على الأذى حين امتنعوا (يا أبا ذر إني أراك) أي أظنك، أو من الرؤية العلمية أي أعرفك (ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي) أي لو كنت ضعيفا مثلك لما تحملت هذا الحمل ولكن الله قواني فحملني (لا تأمرن) أي لا تقبلن الإمارة (على اثنين) أي فضلا عن أكثر منهما؛ فإن العدل والتسوية أمر صعب بينهما (ولا تولي مال يتيم) أي لا تقبلن ولاية مال يتيم، وفي نسخة لمسلم على مال يتيم أي لا تكن واليا عليه لأن خطره عظيم ووباله جسيم، وهذا مثال الولاية على الواحد.

عن أبي فراس الهندي، قال: خطب عمر رضي الله عنه فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذْ بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِذْ يَنْزِلُ الْوَحْيُ، وَإِذْ نَبَّأَ الله مِنْ أَخْبَارِكُمْ، أَلاَ فَقَدْ مَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدِ انْقَطَعَ الْوَحْيُ، فَإِنَّمَا نَعْرِفُكُمْ بِمَا نَقُولُ لَكُمْ، مَنْ أَظْهَرَ مِنْكُمْ خَيْرًا ظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا، وَأَحْبَبْنَاهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَعْلَنَ مِنْكُمْ شَرًّا، ظَنَنَّا بِهِ شَرًّا، وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ، سَرَائِرُكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ، أَلاَ فَإِنِّي قَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَأَنَا أَحْسَبُ أَنْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يُرِيدُ بِهِ الله وَمَا عِنْدَهُ، وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ بِآخِرِهِ أَنَّ رِجَالاً يَقْرَؤُونَهُ يُرِيدُونَ بِهِ مَا عِنْدَ النَّاسِ، أَلاَ فَأُرِيدُوا الله بِأَعْمَالِكُمْ ، وَبِقُرْآنِكُمْ، أَلاَ وَإِنِّي لاَ أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ عُمَّالِي لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ، وَلاَ لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنِّي إِنَّمَا أُرْسِلُهُمْ إِلَيْكُمْ لِيُعَلِّمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَنَكُمْ، فَمَنْ فُعِلَ بِهِ سِوَى ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَيَّ، فَوَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ لأَقْتَصَّهُ مِنْهُ، قَالَ: فَوَثَبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَرَأَيْتَكَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ عَلَى رَعِيَّةٍ فَأَدَّبَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ، إِنَّكَ لَتَقْتَصُّ مِنْهُ، قَالَ: إي وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ، وَكَيْفَ لاَ أَقْتَصُّ وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله يَقْتَصُّ مِنْ نَفْسِهِ، أَلاَ لاَ تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ فَتُذِلُّوهُمْ، وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ حُقَوقَهُمْ فَتُكَفِّرُوهُمْ، وَلاَ تُجَمِّرُوهُمْ فَتَفْتِنُوهُمْ، وَلاَ تَتَوَلُّوهُمُ الْفَيَّاضَ فَتُضَيِّعُوهُمْ﴾.

☪

قال المدائني: قال عمر بن الخطاب لأبي ذر: يا أبا ذر، من أنعم الناس بالا؟ قال: برئ في الثواب، قد أمن من العقاب فبشر بالثواب. قال: صدقت يا أبا ذر. وقال أبو ذر: أن تملي خيرا فيكتب لك خير من السكوت، والسكوت خير من أن تملي شرا، والجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء. وفي رواية رفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم: قال أبو الأسود الدؤلي: قد رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت بأبي ذر شبيها. وعن أبي عثمان النهدي قال: رأيت أبا ذر يميد على راحلته، وهو مستقبل مطلع الشمس، فظننته نائما، فدنوت منه، فقلت: أنائم أنت يا أبا ذر؟ فقال: لا بل كنت أصلي. (يميد) تحرك ومال.

مراجع: صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مسند أحمد/ سراج الملوك/ ابن حبان/ صفة الصفوة/ وفيات الأعيان/ مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/ مواقف التابعين وأتباعهم في الدعوة إلى الله تعالى/ إتحاف الخيرة المهرة/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/

قال يحيى بن سعيد: حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز[1]،فلما أشرفا على عقبة عسفان* نظر سليمان إلى السرادقات (خيام) قد ضربت له، فقال يا عمر كيف ترى؟ قال: أرى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضاً، وأنت المسؤول عنها المأخوذ بها. فبينما هو كذلك إذ طار غراب من سرادق سليمان في منقاره كسرة فصاح، فقال سليمان: ما يقول هذا الغراب؟ فقال عمر: ما أدري ما يقول، ولكن إن شئت أخبرتك بعلم. قال: أخبرني. قال: هذا غراب طار من سرادقك في منقاره كسرة، أنت بها مأخوذ مسؤول عنها من أين دخلت ومن أين خرجت؟ قال: إنك لتجيء بالعجب ! قال: أفلا أخبرك بأعجب من هذا؟ قال: بلى. قال: من عرف الله كيف عصاه، ومن عرف الشيطان كيف أطاعه، ومن أيقن بالموت كيف يهنيه العيش؟ قال: لقد غشيت علينا ما نحن فيه. ثم ضرب فرسه وسار. وشاور سليمان عمر بن عبد العزيز في أمر، فقال سليمان: هل علينا عين؟ فقال عمر: نعم عين بصيرة لا تحتاج إلى تحديق، وسمع نافذ لا يحتاج إلى إصغاء.

وقدم سليمان بن عبد الملك المدينة فأعطى بها مالا عظيما، فقال لعمر بن عبد العزيز: كيف رأيت ما فعلنا يا أبا حفص؟ قال: رأيتك زدت أهل الغنى غنى وتركت أهل الفقر بفقرهم. وشاور سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز في رجل سب سليمان فقال: ما ترى فيه؟ فقال من حوله: اكتب بضرب عنقه، وعمر بن عبد العزيز ساكت، فقال: ما لك لا تتكلم يا عمر؟ فقال: أما إذا سألتني فلا أعلم سبة أحلت دم مسلم إلا سبة نبي، قال: فقاموا، وقام، فقال سليمان: لله بلادك يا عمر لو قرشي طبخت في مرقته لأنضجتها. روى المدائني: أن سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز: يا أبا حفص أيكون المؤمن في حال يعتدل فيها سروره ومكروهه؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا يستوي عند أحد السراء والضراء ولكن معول المؤمن الصبر. وحكى أن سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز وقد أعجبه سلطانه: كيف ترى ما نحن فيه؟ فقال عمر: سرور لولا أنه غرور، وحرم لولا أنه عدم، وملك لولا أنه هلك، وحياة لولا أنه موت، ونعيم لولا أنه عذاب أليم، فظهر في وجه سليمان الكآبة من كلام عمر ولم ينتفع بنفسه بعد ذلك. وحج سليمان فقدم الطائف فارتفعت سحابة فرعدت وبرقت وهو مشرف على عقبة، ثم أمطرت وانجلت فقال سليمان لعمر: يا أبا حفص كاد قلبي ينصدع. فقال: يا أمير المؤمنين كان ما رأيت من قدرة الله مع رحمته، لو كانت مع عذاب؟! وفي رواية قيل حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فأصابهم برق ورعد، حتى كادت أن تنخلع قلوبهم، فنظر سليمان إلى عمر وهو يضحك، فقال سليمان: يا أبا حفص، هل رأيت مثل هذه الليلة قط أو سمعت بها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا صوت رحمة الله، فكيف لو سمعت صوت عذاب الله؟ فقال: هذه المائة ألف درهم، فتصدق بها. فقال: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: وما هو؟ قال: قوم صحبوك في مظالم لهم لم يصلوا إليك، فجلس سليمان فرد المظالم. ومن أعظم مواقف الحكمة مع سليمان بن عبد الملك أن سليمان قال له: يا أبا حفص، إنا قد ولينا ما ترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به، فكان من ذلك أن عمر أمر بعزل عمال الحجاج، وأقيمت الصلاة في أوقاتها بعدما كانت أميتت عن وقتها، مع أمور جليلة كان يسمع من عمر فيها، فقد قيل: إن سليمان حج فرأى الخلائق بالموقف فقال لعمر: أما ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم إلا الله؟ قال: هؤلاء اليوم رعيتك، وهم غدا خصماؤك، فبكى سليمان بكاء شديدا.

----

*(عقبة عسفان) على بعد تسعة وثلاثين ميلا من مكة

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

☪

قال محمد بن سيرين: رحم الله سليمان بن عبد الملك، افتتح خلافته بخير، وختمها بخير، افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لمواقيتها، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز. وسمي سليمان بن عبد الملك مفتاح الخير لأنه استخلف عمر بن عبد العزيز.

قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرني أبي عبد الله بن عبد الحكم قال: لم يزل سليمان بن عبد الملك يدبر ولاية عمر بن عبد العزيز، فأخبرني بعض أصحاب ابن وهب عن عبد الله بن وهب عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري قال: لما قدم بالنيروز والمهرجان على سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، فصبت له تلك الهدايا في آنية الذهب وصنوف الهدايا، قال: فكلما مر بعمر صنف منها، قال له سليمان: كيف ترى هذا يا ابن عبد العزيز؟قال: يا أمير المؤمنين، إنما هو متاع الحياة الدنيا، قال له سليمان: فآلله لو وليته ما أنت صانع فيه؟ قال: اللهم، أقسمه حتى لا يبقى منه شيء، قال: اللهم، أشهد، قال: فجعل يمر به على شيء شيء ويقول له هذه المقالة، ويقول له عمر: اللهم، أقسمه حتى لا يبقى منه شيء، قال سليمان: اللهم، أشهد حتى فرغ. وقال سليمان بن عبد الملك: والله ما كاد يغيب عن ابن عبد العزيز فما أجد أحدا ينقه عني شيئا ولا أفقهه منه. وقال: ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك، وكان قد خبره بأن الخلافة تأتيه إلى أيام، فجاءت على نحو مما ذكره له، فقال سليمان: من الخليفة بعدي؟ فقال: ما أدري، فقال: ويحك أيوب ابني؟! قال: ما أجد أيوب في شيء من الخلفاء، ولكن أجدك تستخلف من بعدك رجلا يكفر عنك كثيرا من ذنوبك. قال إبراهيم بن محمد الشافعي: سمعت جدي محمد بن علي بن شافع[1] يقول: إني لأرجو أن يدخل الله سليمان بن عبد الملك الجنة باستعماله عمر بن عبد العزيز. قال أبو عبد الله: وبلغني عن مالك بن أنس أنه قال: نعس الحجاج وعنده عنبسة بن سعيد بن العاص قال: وقد ذكر الحجاج عمر بن عبد العزيز فنلت منه لأرضيه، فقال لي: مه، إنا نقول إنه سيلي هذا الأمر ويعدل فيه، ونعس فخرجت وخرج من عنده، فانتبه الحجاج فلم ير أحدا، فقال: عجلوا علي بعنبسة، فقال: أي شيء قلت لك؟، قال: لا شيء أصلحك الله، فقال: بلى والذي نفسي بيده لئن سمعته من أحد لأضربن عنقك.

☪

عن عبد الله بن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾ (ألا كلكم راع) قال العلماء الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وهو ما تحت نظره ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته. وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ السُّلْطَانَ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا عَدَلَ؛ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الشُّكْرُ، وَإِذَا جَارَ كَانَ عَلَيْهِ الْإِصْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الصَّبْرُ﴾ وعن أبي الشماخ الأزدي عن ابن عم له من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه أتي معاوية فدخل عليه، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا، ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَ الْمُسْلِمِينَ، أَوِ الْمَظْلُومِ، أَوْ ذِي الْحَاجَةِ أَغْلَقَ اللَّهُ دُونَهُ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ عِنْدَ حَاجَتِهِ وَفَقْرِهِ أَفْقَرَ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ﴾ (من ولي من أمر الناس) التعريف فيه لاستغراق الجنس؛ فيدخل فيه المسلم والذمي والمعاهد (شيئا) أي من الأمور، أو الولاية (ثم أغلق بابه)؛ عبارة عن الاحتجاب ونصب الحجاب، أو كناية عن الامتناع عن قضاء مقصود المحتاجين بالباب (دون المسلمين) أي والمسلم لا يمنع (أو المظلوم، أو ذي الحاجة) وفى نسخة صحيحة: دون المسكين والمظلوم وذي الحاجة، وهو أنسب بالحديث السابق، ودال على: أن (أو) في تلك الرواية للتنويع والتفصيل، وأنه مطلقا سواء كان مظلوما، أو ذا حاجة، أو غيره لا يدخل إلا للتظلم، أو لحاجة ماسة (أغلق الله دونه أبواب رحمته عند حاجته وفقره) أي إلى الله في أمر الدنيا، أو العقبى، أو إلى مخلوق مثله في الدنيا، حال كونه (أفقر ما يكون إليه) أي أحوج أوقات يكون مفتقرا إليه. وعن عبد الرحمن بن شماسة قال: ﴿أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ﴾ (ما نقمنا منه شيئا) أي ما كرهنا. وقد كان عمر بن عبد العزيز يقول لمستشاره الخاص عمر بن مهاجر:﴿إِذَا رَأَيْتَنِي ضَلَلْتُ الطَّرِيقَ فَخُذْ بِمَجَامِعِ ثَوْبِي وَهُزَّنِي وَقُلْ لِي: اِتَّقِ اللهَ يَا عَمْر فَإِنَّكَ سَتَمُوتُ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة:﴿كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَحْلِبُ لِلْحَيِّ أَغْنَامَهُمْ، فَلَمَّا بُويِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ قَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْحَيِّ: الْآنَ لَا تَحْلُبُ لَنَا مَنَائِحَ دَارِنَا، فَسَمِعَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: بَلَى لَعَمْرِي لَأَحْلِبَنَّهَا لَكُمْ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَلَا يُغَيِّرَنِي مَا دَخَلْتُ فِيهِ عَنْ خُلُقٍ كُنْتُ عَلَيْهِ فَكَانَ يَحْلِبُ لَهُمْ﴾ وعن أبي صالح الغفاري:﴿أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَتَعَاهَدُ عَجُوزًا كَبِيرَةً عَمْيَاءَ، فِي بَعْضِ حَوَاشِي الْمَدِينَةِ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْتَقِي لَهَا وَيَقُومُ بِأَمْرِهَا، فَكَانَ إِذَا جَاءَ وَجَدَ غَيْرَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا، فَأَصْلَحَ مَا أَرَادَتْ، فَجَاءَهَا غَيْرَ مَرَّةٍ كَيْلَا يُسْبَقَ إِلَيْهَا، فَرَصَدَهُ عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ الَّذِي يَأْتِيهَا، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةٌ، فَقَالَ عُمَرُ: أَنْتَ هُوَ لَعَمْرِي﴾ وقد كان علي بن أبي طالب: يمشي في أسواق الكوفة وهو خليفة المسلمين فيرشد الضال، ويعين الضعيف، ويلتقي بالشيخ المسنِّ الكهل فيحمل عنه حاجته، ولا يسكن قصر الإمارة، ويقول: قصر الخبال هذا لا أسكنه أبداً، ورجع إلى بيته القديم. قال أبو نعيم سمعت سفيان يقول: ما بنى علي آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، وإن كان ليؤتى بجبوبه* من المدينة في جراب. (الجيوب) الحجارة. قال سالم بن عجلان الأفطس: جاءت وفود فارس إلى عمر رضي الله عنه يطلبونه فلم يجدوه في منزله، فقيل لهم: هو في المسجد. يشير إلى أنه لم يكن له موضع للحكم. وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال: خرج عمر رضي الله عنه في يوم حار واضعا رداءه على رأسه، فمر به غلام على حمار، فقال: يا غلام احملني معك، قال: فوثب الغلام عن الحمار فقال: اركب يا أمير المؤمنين، فقال: لا أركب، وأركب خلفك، تريد أن تحملني على المكان الخشن، وتركب على المكان الموطأ، ولكن اركب أنت، وأكون أنا خلفك. قال: فدخل المدينة وهو خلفه، والناس ينظرون إليه.

☪

قال المدائني: وقع بين سليمان بن عبد الملك -في رواية: الوليد بن عبد الملك- وبين أخيه مروان بن عبد الملك[1] في حياة عبد الملك شر، فقال سليمان لمروان: يا بن اللخناء. ففتح فمه ليجيبه وإلى جانبه عمر بن عبد العزيز فأمسك على فمه وقال: أخوك يا أبا عبد الملك، وله السن عليك، فقال: يا أبا حفص رددت في جوفي أحر من الجمر ومال لجنبه فمات، وكان أخا يزيد بن عبد الملك لأمه عاتكة بنت يزيد

■ (2) مروان بن عبد الملك بن مروان الا موى: أمير. من شجعان بني مروان. حج مع أخيه الوليد أيام خلافته، فتشاجرا، وهما في وادى القرى، وشتمه الوليد، وكان معهما عمر بن عبد العزيز فوضع يده على فم مروان فمنعه من الرد على الوليد، فقال له: قتلتنى! رددت غيظي في جوفى! فما انصرفوا من وادى القرى إلا وقد مات ودفنوه سنة 91 هـ. ورثاه بعض الشعراء

■ (1) محمد بن علي بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب القرشي المطلبي المكي بن عم جد محمد بن إدريس الشافعي وجد إبراهيم بن محمد الشافعي لأمه وآخر من حدث عنه سبطه ابراهيم المذكور.

مراجع: صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ تاريخ الطبري/ الكامل في التاريخ/ سراج الملوك/ وفيات الأعيان/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ معجم البلدان/ معجم معالم الحجاز/ لسان العرب/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ كنز العمال/

دخل عمر بن عبد العزيز[1] على سليمان بن عبد الملك وعنده أيوب[2] ابنه وهو يومئذ ولي عهده قد عقد له من بعده، فجاء إنسان يطلب ميراثا من بعض نساء الخلفاء، فقال سليمان: ما أخال النساء يرثن في العقار شيئا، فقال عمر بن عبد العزيز: سبحان الله! فأين كتاب الله؟ قال: يا غلام اذهب فائتني بسجل عبد الملك بن مروان الذي كتب في ذلك، فقال له عمر: لكأنك أرسلت إلى المصحف! قال أيوب: والله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين ثم لا يشعر حتى يفارقه رأسه. قال له عمر: إذا أفضى الأمر إليك وإلى مثلك فما يدخل على أولئك أشد مما خشيت أن يصيبهم من هذا، فقال سليمان: مه، ألأبي حفص تقول هذا؟ قال عمر: والله لئن كان جهل علينا يا أمير المؤمنين ما حلمنا عنه. في رواية: كلم عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك في ميراث بعض بنات عبد العزيز من بني عبد الملك، فقال له سليمان بن عبد الملك: إن عبد الملك كتب في ذلك كتابا منعهن ذلك، فتركه يسيرا ثم راجعه فظن سليمان أنه اتهمه فيما ذكر من رأي عبد الملك في ذلك الأمر فقال سليمان لغلامه: ائتني بكتاب عبد الملك، فقال له عمر: أبا لمصحف دعوت يا أمير المؤمنين؟ فقال أيوب بن سليمان: ليوشكن أحدكم أن يتكلم الكلام تضرب فيه عنقه، فقال له عمر: إذا أفضى الأمر إليك فالذي دخل على المسلمين أعظم مما تذكر، فزجر سليمان أيوب، فقال عمر: إن كان جهل فما حلمنا عنه. قال أشهب عن مالك: اقتتل غلمان لسليمان بن عبد الملك وغلمان لعمر بن عبد العزيز فضرب غلمان سليمان فحمل سليمان وقال: هذا ما صنعت سيرته وفعلت به، فدخلي عليه عمر فقال له سليمان: ما هذا ضرب غلمانك غلماني. فقال عمر: ما علمت هذا قبل مقالتك الآن. فقال له: كذبت. فقال له عمر: تقول لي كذبت ! ما كذبت منذ شددت علي إزاري، وإن في الأرض عن مجلسك هذا لسعة. ثم خرج من عنده، فلم يأته وتجهز يريد الخروج يريد مصر، فسأل عنه سليمان حين استبطأه، فقالوا: إنه يريد الخروج إلى مصر وقد تجهز، فأرسل إليه سليمان: أن ارجع وادخل علي، وقال للرسول إذا جاءني لا يعاتبني فإن في المعاتبة حقدا فجاء عمر فقال له سليمان: ما همني أمر قط إلا خطرت فيه على بالي. فأقام. في رواية أبو محمد بن عبد الحكم قال:خرج عمر بن عبد العزيز مع سليمان يريد الصائفة فالتقى غلمانه وغلمان سليمان على الماء فاقتتلوا..الخ

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

■ (2) أيوب بن سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، ولي غزو الصائفة، وكان أبوه قد رشحه لولاية العهد من بعده، فمات في حياة أبيه، ومدحه جرير بن الخطفي الشاعر. لم تعلم له رواية. بايع سليمان لابنه أيوب يوم الفطر من سنة 96 هـ، وتوفي أيوب يوم السبت لثمان ليال خلون من المحرم، وتوفي سليمان بدابق في صفر لعشر ليال بقين من سنة 99 هـ، وكان بينه وبين ابنه اثنان وأربعون يوما، وكان جرير قال فيه لما عهد إليه سليمان: من البسيط: إن الإمام الذي ترجى نوافله..بعد الإمام ولي العهد أيوب..كونوا كيوسف لما جاء إخوته..فاستسلموا قال ما في اليوم تثريب. وقيل توفي سنة 98 هـ.

☪

قال علي بن نايف: فهذا موقف من مواقف الجرأة في قول الحق الذي يحمد لعمر حيث اعتبر سليمان بن عبد الملك كتابة أبيه شرعا لا يمكن تغييره، فنبهه عمر إلى أن الكتاب الذي لا ينقض ولا يغير هو كتاب الله تعالى وحده، وهكذا يصل الطغيان بضحاياه إلى تعظيم شأن الآباء والأجداد الذين ورثوا ذلك المجد الزائل لأبنائهم إلى الحد الذي يعتبرون فيه قضاءهم شرعا نافذا من غير نظر في موافقته لحكم الإسلام أو مخالفته، وموقف يذكر لسليمان حيث وبخ ولده الذي هدد عمر أن قال كلمة الحق، وهذا يدل على ما يتصف به سليمان من سرعة الرجوع إلى الحق إذا تبين له. قال رجاء بن حيوة[1]: لما كان الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثيابا خضرا من وخز ونظر في المرآة، فقال: أنا والله الملك الشاب، فخرج إلى الصلاة فصلى بالناس الجمعة، فلم يرجع حتى وعك، فلما ثقل كتب كتاب عهده إلى ابنه أيوب وهو غلام لم يبلغ.فقلت: ما تصنع يا أمير المؤمنين؟ إنه مما يحفظ به الخليفة في قبره أن يستخلف الرجل الصالح، فقال سليمان: كتاب أستخير الله فيه وأنظر، ولم أعزم عليه، فمكث يوما أو يومين ثم خرقه. وقيل: إن سليمان جلس يوما في نبت أخضر على وطاء أخضر، عليه ثياب خضر. ثم نظر في المرآة ؛ فأعجبه شبابه –وكان من أجمل الناس– فقال : كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا، وكان أبو بكر صديقا، وكان عمر فاروقا، وكان عثمان حييا، وكان معاوية حليما، وكان يزيد صبورا، وكان عبد الملك سيوسا، وكان الوليد جبارا، وأنا الملك الشاب؛ فمات من جمعته، في يوم الجمعة عاشر صفر سنة تسع وتسعين. ويقال: إنه لبس يوما أفخر ما عنده، وتطيب بأفخر الطيب، وتزين بأحسن الزينة؛ فأعجبته نفسه، والتفت، فرأى جارية من جواريه واقفة؛ فقال لها: كيف ترين؟ ؛ فقالت: أنت نعم المتاع لو كنت تبقى..غير أن لا بقاء للإنسان..أنت خلو من العيوب ومما..يكره الناس غير أنك فان. فطردها، ثم أحضرها؛ فقال لها: ما قلت!؟ فقالت: والله ما قلت شيئا ولا رأيتك اليوم؛ فتعجب الناس من ذلك. ومات سليمان من جمعته رحمه الله. قال ابن تغري: وفي الجملة ؛ فهو من خيار ملوك بني أمية؛ قرب ابن عمه عمر بن عبد العزيز، وجعله ولي عهده بالخلافة وليس له عهد في الخلافة؛ وإنما العهد لأخيه يزيد وهشام، فأدخل بعمر قبلهما. وبايع الناس على العهد وهو مكتوب؛ فقالوا: نبايع على أن يكون فيه بني عبد الملك؛ فقال: نعم، فبايعوا على المكتوب، وفيه: عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد وهشام؛ فصحت البيعة. قال محمد بن سيرين: رحم الله سليمان، افتتح خلافته بإقامة الصلاة لمواقيتها، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز. وكان يرفق بالرعية رحمه الله. حدث بريد ليزيد بن المهلب[2] قال: حملت حملين مسكا من خراسان إلى سليمان بن عبد الملك، فانتهيت إلى باب ابنه أيوب وهو ولي العهد، فدخلت عليه، فإذا بدار مجصصة حيطانها وسقوفها، وإذا بها وصفاء ووصائف عليهم ثياب صفر وحلي الذهب، ثم دخلت دارا أخرى، فإذا حيطانها وسقوفها خضراء وإذا وصفاء ووصائف عليهم ثياب خضر وحلي الزمرد، قال: فوضعت الحملين بين يدي أيوب وهو قاعد على سرير معه امرأته، لم أعرف أحدهما من صاحبه، فانتهبت المسك من بين يديه فقلت له: أيها الأمير اكتب لي براءة، فنهرني فخرجت فأتيت سليمان فأخبرته بما كان، فقال: قد عرفنا قصتك، فكتب براءة، ثم عدت بعد أحد عشر يوما، فإذا أيوب وجميع من كان معه في داره قد ماتوا أصابهم الطاعون. قال المدائني عن خالد بن يزيد قال: جزع سليمان بن عبد الملك على ابنه أيوب فقال رجل: يا أمير المؤمنين إن من حدث نفسه بطول البقاء لعازب الرأي، فكأن ذلك عرف في سليمان. وقال الأصمعي: اشتد جزع سليمان بن عبد الملك على ابنه أيوب حتى جاءه المعزون من الآفاق. فقال رجل منهم: إن امرأ حدث نفسه بالبقاء في الدنيا ثم ظن أن المصائب لا تصيبه فيها لغبين الرأي*، ولما حضر أيوب الوفاة وهو ولي العهد، دخل سليمان وهو يجود بنفسه، ومعه عمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة وسعد بن عقبة[3] فجعل ينظر في وجهه، فخنقته العبرة، ثم نظر فقال: إنه ما يملك العبد أن يسبق إلى قلبه الوجد عند المصيبة، والناس في ذلك أضراب: فمنهم من يغلب صبره على جزعه، فذلك الجلد الحازم المحتسب، ومنهم من يغلب جزعه على صبره، فذلك المغلوب الضعيف العقدة، وليست منكم خشية، فإني أجد في قلبي لوعة، إن أنا لم أبردها بعبرة خفت أن يتصدع كبدي. فقال له عمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، الصبر أولى بك فلا تحبطن. قال ابن عقبة: فنظر إلي وإلى رجاء بن حيوة نظر مستعتب يرجو أن يساعده على ما أراد من البكاء، فأما أنا فكرهت آمره أو أنهاه، وأما رجاء فقال: يا أمير المؤمنين فافعل فإني لا أرى بذلك بأسا ما لم تأت من ذلك المفرط، وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما مات ابنه إبراهيم واشتد عليه وجده وجعلت عيناه تدمعان قال: ﴿تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ وَاللهِ إِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ﴾ قال: فأرسل عينيه، فبكى حتى ظننا أن نياط قلبه* قد انقطع، قال: فقال عمر لرجاء: يا رجاء ما صنعت بأمير المؤمنين؟ قال: دعه يقضي من بكائه وطرا، فإنه إن لم يخرج من صدره ما ترى خفت أن يأتي على نفسه. قال: ثم رقأت عبرته، فدعا بماء فغسل وجهه، وأقبل علينا حتى قضى أيوب، وأمر بجهازه، وخرج يمشي أمام الجنازة، فلما دفناه، وحثا التراب عليه وقف مليا ينظر إليه، وقال: من الطويل: وقوف على قبر مقيم بقفرة..متاع قليل من حبيب مفارق. ثم قال: السلام عليك يا أيوب، وأنشد: من السريع: كنت لنا أنسا ففارقتنا..فالعيش من بعدك مر المذاق. ثم قال: أدن مني دابتي يا غلام، فركب، ثم عطف رأس دابته إلى القبر وقال: لئن صبرت فلم ألفظك من شبع..وإن جزعت فعلق منفس ذهبا. فقال له عمر بن عبد العزيز: الصبر يا أمير المؤمنين، فأنه أقرب إلى الله وسيلة، وليس الجزع بمحيي من مات ولا راد ما فات. قال: صدقت وبالله التوفيق.قال الأصمعي: وعزى رجل سليمان بن عبد الملك عن ابنه أيوب فقال: إن من أحب البقاء، وأمن الحدثان لعازب الرأي. حدث بإسناده عن ابن كناسة قال: حدثني أبو بكر ابن عياش قال: كنت إذ أنا شاب إذا أصابتني مصيبة، تصبرت ورددت البكاء، فكان ذلك يوجعني ويزيدني ألما، حتى رأيت بالكناسة أعرابيا واقفا، وقد اجتمع الناس حوله فأنشد: خليلي عوجا من صدور الرواحل..بجمهور حزوى وابكيا في المنازل..لعل انحدار الدمع يعقب راحة..من الوجد أو يشفي نجي البلابل. فسألت عنه، فقيل: ذو الرمة. قال: فأصابتني بعد ذلك مصائب، فكنت أبكي فأجد راحة، فقلت في نفسي: قاتل الله، الأعرابي، ما كان أبصره وأعلمه!!.

☪

قال المدائني عن خالد بن يزيد قال: جزع سليمان بن عبد الملك على ابنه أيوب فقال رجل: يا أمير المؤمنين إن من حدث نفسه بطول البقاء لعازب الرأي، فكأن ذلك عرف في سليمان. قال المدائني: الثبت أن أيوب بن سليمان توفي بالشام ولم يكن غازيا، وإنما كان الغازي مسلمة بن عبد الملك، وكان سليمان أراد أن يغزيه على الجيش فمرض. قال: فلما احتضر أيوب دخل عليه وهو يجود بنفسه، ومعه عمر بن عبد العزيز، ورجاء بن حيوة، فجعل ينظر في وجهه فتخنقه العبرة فيردها، ثم نظر إلى عمر فقال: إنه والله ما يملك أحد أن يستبق إلى قلبه الوجد عند المصيبة والناس في ذلك أصناف: فمنهم من يغلب صبره جزعه، فذلك الجلد الحازم المحتسب، ومنهم من يغلب جزعه صبره، فذلك المغلوب الضعيف، وإني أجد في قلبي لوعة إن أنا لم أبردها بعبرة خفت أن تتصدع كبدي كمدا وأسفا. فأما عمر فنهاه عن البكاء وأمره بالصبر، وأما رجاء فقال: افعل ولا تفرط فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هلك إبراهيم ابنه قال: تدمع العين ويفجع القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون. فلما دفن أيوب وقف سليمان على قبره وقال: وقفت على قبر مقيم بقفرة..متاع قليل من حبيب مفارق. ثم قال: عليك السلام يا أيوب. كنت لنا أنسا ففارقتنا، فالعيش من بعدك مر المذاق. ثم ركب دابته وقال: فإن صبرت فلم ألفظك من جزع..وإن جزعت فعلق منفس ذهبا. فقال عمر: الصبر يا أمير المؤمنين فإنه أقرب الوسائل إلى الله. قال: وعزى رجل سليمان عن أيوب فقال له: إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تجعل آخر أمرك أوله فافعل. فقال سليمان: لقد أوجزت في التعزية وسكنت من اللوعة، عند الله أحتسب أيوب.

*(غبين الرأي) ضعيف الرأي (نياط القلب) العرق الذي في القلب متعلق به

■ (3) سعد بن عقبة له ذكر، وكان بدابق مع سليمان بن عبد الملك، وقد ذكرنا في ترجمة أيوب بن سليمان بن عبد الملك، أنه دخل سليمان على أيوب وهو يجود بنفسه، ومعه عمر بن عبد العزيز وسعد بن عقبة ورجاء بن حيوة فخنقته العبرة، وذكر تمام الخبر.

■ (1) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام، ويقال أبو نصر، وهو تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية، روى عن أبي صالح السمان. روىء عنه محمد بن عجلان. توفي سنة 112 هـ. وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية.

■ (2) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أو خالد الأزدي. ولد سنة53 هـ، وولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك، ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن أرطأة، وطلبه عمر وسجنه. وكان الحجاج قد عزله وعذبه، فسأله أن يخفف عنه الضرب على أن يعطيه كل يوم مئة ألف درهم. فقصده الأخطل ومدحه، فأعطاه مئة ألف، فعجب الحجاج من جوده في تلك الحال وعفا عنه.واعتقله، ثم هرب من حبسه ثم قتل سنة 102 هـ.قال الذهبي قلت: قتل عن تسع وأربعين سنة،ولقد قاتل قتالا عظيما، وتفللت جموعه (انكسروا وانهزموا)، فما زال يحمل بنفسه في الألوف، لا لجهاد، بل شجاعة وحمية، حتى ذاق حمامه. نعوذ بالله من هذه القتلة الجاهلية.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ عمر بن عبد العزيز/ المعرفة والتاريخ/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ معجم الأدباء/

عن شعيب بن العلاء عن أبيه العلاء بن كريز[1] قال: بينما سليمان بن عبد الملك جالس إذ مر به رجل عليه ثياب يخيل في مشيته، فقال: هذا ينبغي أن يكون عراقيا، وينبغي أن يكون كوفيا، وينبغي أن يكون من همدان، ثم قال: علي بالرجل فأتى به فقال: ممن الرجل؟ فقال: ويلك دعني حتى ترجع إلي نفسي. قال: فتركه هنيهة، ثم سأله ممن الرجل؟ فقال: من أهل العراق. قال: من أيهم؟ قال: من أهل الكوفة. قال: أي أهل الكوفة؟ قال: من همدان، فازداد عجبا. فقال: ما تقول في أبي بكر؟ قال: والله ما أدركت دهره ولا أدرك دهري، ولقد قال الناس فيه فأحسنوا، وهو إن شاء الله كذلك. قال: فما تقول في عمر؟ فقال مثل ذلك. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: والله ما أدركت دهره ولا أدرك دهري، ولقد قال فيه ناس فأحسنوا، وقال فيه ناس فأساؤوا، وعند الله علمه. قال: فما تقول في علي؟ قال: هو والله مثل ذلك. قال: سب عليا. قال: لا أسبه. قال: والله لتسبنه. قال: والله لا أسبه. قال: والله لتسبنه أو لأضربن عنقك. قال: والله لا أسبه. قال: فأمر بضرب عنقه. فقام رجل في يده سيف فهزه حتى أضاء في يده كأنه خوصة. فقال: والله لتسبنه أو لأضربن عنقك. قال: والله لا أسبه، ثم نادى: ويلك يا سليمان، أدنني منك فدعا به. فقال: يا سليمان، أما ترضى مني بما رضي به من هو خير منك ممن هو خير مني فيمن هو شر من علي؟! قال: وما ذاك؟ قال: الله رضي من عيسى وهو خير مني إذ قال: في بني إسرائيل وهم شر من علي:﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة] قال: فنظرت إلى الغضب ينحدر من وجهه حتى صار في طرف أرنبته، ثم قال: خليا سبيله، فعاد إلى مشيته، فما رأيت رجلا قط خيرا من ألف رجل غيره، وإذا هو طلحة بن مصرف[2].

*(عقبة عسفان) على بعد تسعة وثلاثين ميلا من مكة.

■ (2) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب بن جندب بن معاوية بن سعد بن الحارث بن ذهل بن سلمة بن دوك بن جشم بن يام الهمدانى السيامى (اليامي!) الهمداني الكوفي (من قبيلة يام من همدان): أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله، والد محمد بن طلحة بن مصرف، مات كهلا آخر سنة 112 هـ. كان يسمى سيد القراء قال أبو معشر ما ترك بعده مثله ولما علم إجماع أهل الكوفة على أنه أقرأ من بها ذهب ليقرأ على الأعمش رفيقه لينزل رتبته في أعينهم ويأبى الله إلا رفعته سمع عبد الله بن أبي أوفى وصغار الصحابة. (في نسخة ابن خلكان اسمه: طلحة بن مطرف؟)

■ (1) العلاء بن كريز (في نسخة ابن خلكان قال: العلاء بن كدير ؟)

☪

قالوا: كان الخليفة عمر بن عبد العزيز في نهاية النسك والتواضع، فصرف عمال من كان قبله من بني أمية، واستعمل أصلح من قدر عليه، فسلك عماله طريقته، وترك لعن علي رضي الله عنه على المنابر، وجعل مكانه: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر] وقيل: بل جعل مكانه ذلك:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل] وقيل: بل جعلهما جميعا، فاستعمل الناس ذلك في الخطبة إلى هذه الغاية. قال علي الصلابي: حكاية لعن علي على منابر بني أمية لا تتفق مع منطق الحوادث، ولا طبيعة المتخاصمين، فإذا رجعنا إلى الكتب التاريخية المعاصرة لبني أمية، فإننا لا نجد فيها ذكرا لشيء من ذلك أبدا، وإنما نجده في كتب المتأخرين الذين كتبوا تاريخهم في عصر بني العباس بقصد أن يسيؤوا إلى سمعة بني أمية في نظر الجمهور الإسلامي، وقد كتب ذلك المسعودي في مروج الذهب وغيره من كتاب الشيعة وقد تسربت تلك الأكذوبة إلى كتب تاريخ أهل السنة ولا يوجد فيها رواية صحيحة صريحة، فهذه دعوة مفتقرة إلى صحة النقل، وسلامة السند من الجرح، والمتن من الاعتراض، ومعلوم وزن هذه الدعوة عند المحققين والباحثين.. وقال علي الصلابي: وما قيل من أن عليا كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن عليا وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح، لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أكثر حرصا من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع الذي نهى عن سباب المسلم ولعنه، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:﴿وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ﴾، وقوله صلى الله عليه وسلم:﴿لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلَا بِلَعَّانٍ، وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، كما أن الرواية التي جاء فيها لعن أمير المؤمنين في قنوته لمعاوية وأصحابه ولعن معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند حيث فيها أبي مخنف لوط بن يحي الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته. كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم النهي عن سب الصحابة، فقد أنكر علي من يسب معاوية ومن معه، فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم اللهم أحقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم.. فهذا السب والتكفير لم يكن من هدي علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة.

قالت العلماء: اللعن لا يكون إلا على العموم، أما المعين فلا يلعن، ولذا جاءت النصوص بلعن أصناف عامة: (لعن الله السارق)، (لعن الله شارب الخمر)، (لعن الله آكل الربا) وهذا عموم، أما لعن المعين فلا، ولو كانت امرأة متبرجة فلا تلعنها، بل قل على العموم: لعن الله المتبرجات، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لعن شارب الخمر، وهو القائل: لعن الله في الخمر عشرة:﴿شَارِبَهَا﴾ولما جيء برجل يشرب الخمر، وأقيم عليه الحد، فقال رجل: لعنه الله، أو أخزاه الله ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي:﴿لاَ تَلْعَنْهُ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فالمعين لا يلعن؛ لأنه لا يدرى حاله، فقد يكون المعين ما بلغه النص، وقد يتوب، وقد يعفو الله عنه، وقد يكون ممن غفر الله له، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ﴾ ولعن آكل الربا، ولعن شارب الخمر، كل ذلك على العموم. وعن القرطبي: ذكر ابن العربي أن لعن العاصى المعين لا يجوز إتفاقا، لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتي بشارب خمر مرارا، فقال بعض من حضره: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ﴾ فجعل له حرمة الاخوة، وهذا يوجب الشفقة، وهذا حديث صحيح. قلت: خرجه البخاري ومسلم، وقد ذكر بعض العلماء خلافا في لعن العاصي المعين، قال: وإنما قال عليه السلام:﴿لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ﴾ في حق نعيمان[1] بعد إقامة الحد عليه، ومن أقيم عليه حد الله تعالى فلا ينبغي لعنه، ومن لم يقم عليه الحد فلعنته جائزة سواء سمي أو عين أم لا، لان النبي صلى الله عليه وسلم لا يلعن إلا من تجب عليه اللعنة ما دام على تلك الحالة الموجبة للعن، فإذا تاب منها وأقلع وطهره الحد فلا لعنة تتوجه عليه. وبين هذا قوله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ وَلَا يُثَرِّبْ﴾ فدل هذا الحديث مع صحته على أن التثريب واللعن إنما يكون قبل أخذ الحد وقبل التوبة،والله تعالى أعلم.

عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: ﴿لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَآكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ، وَنَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَكَسْبِ البَغِيِّ، وَلَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ﴾ (الواصلة) هي التي تصل شعر المرأة بشعر آخر (المستوصلة) التي تطلب من يفعل بها ذلك (الواشمة) التي تفعل الوشم وهو أن تغرز إبرة في الجلد حتى يخرج الدم ويحشى الموضع بكحل أو غيره فيتلون الموضع (المستوشمة) التي تطلب فعل ذلك لها (كسب البغي) ما تكسبه الزانية وتأخذه بسبب زناها. وعن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ﴾ (منار) أي حدودها. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ، وَغِفَارٌ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَعُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ، اللهُمَّ الْعَنْ رِعْلًا وَذَكْوَانَ وَبَنِي لِحْيَانَ﴾ وهذه أسماء قبائل من العرب. عن أم المؤمنين عائشة، قالت: من آخر ما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ﴾ وقالت:﴿لَوْلاَ ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا﴾ وعن ابن عباس، قال: ﴿لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلاَتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالَ: أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ (المخنثين) أي المتشبهين بالنساء (من الرجال) في الزي واللباس والخضاب والصوت والصورة والتكلم وسائر الحركات والسكنات من خنث يخنث كعلم يعلم إذا لان وتكسر، فهذا الفعل منهي لأنه تغيير لخلق الله (المترجلات) أي المتشبهات بالرجال (من النساء) زيا وهيئة ومشية ورفع صوت ونحوها لا رأيا وعلما، فإن التشبه بهم محمود، كما روي أن عائشة رضي الله عنها كانت رجلة الرأي أي رأيها كرأي الرجال على ما في النهاية (أخرجوهم من بيوتكم) أي من مساكنكم ومن بلدكم، ففي شرح السنة: روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء، فأمر به فنفي إلى البقيع، ففي شرعة الإسلام الحناء سنة للنساء، ويكره لغيرهن من الرجال إلا أن يكون لعذر لأنه تشبه بهن. وعن ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَعَنَ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ﴾ (لعن الله) يحتمل الإخبار والدعاء (المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال) قال النووي: المخنث ضربان، أحدهما: من خلق كذلك ولم يتكلف التخلق بأخلاق النساء وزيهن وكلامهن وحركاتهن، وهذا لا ذم عليه ولا إثم ولا عيب ولا عقوبة لأنه معذور، والثاني من يتكلف أخلاق النساء وحركاتهن وسكناتهن وكلامهن وزيهن، فهذا هو المذموم الذي جاء في الحديث لعنه. وعن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ، وَلَا الطَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ لَعَّانًا –وفي رواية-: لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا﴾ (لا يكون المؤمن) أي الكامل (لعانا) أي كثير اللعن وإن كان قد يتبادر منه أحيانا (لا ينبغي للمؤمن) أي مطلقا (أن يكون لعانا) وعن ابن عباس قال:﴿أَنَّ رَجُلًا نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِدَاءَهُ فَلَعَنَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَلْعَنْهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ﴾ (نازعته الريح) أي جاذبته (من لعن شيئا ليس) أي ذلك الشيء (له) أي اللعن (بأهل) أي بمستحق (رجعت اللعنة عليه) أي على اللاعن؛ لأن اللعنة وكذا الرحمة تعرف طريق صاحبها. وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿سِتَّةٌ لَعَنْتُهُمْ، وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَكُلُّ نَبِيٍّ مُجَابٌ: الزَّائِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَالْمُكَذِّبُ بِقَدَرِ اللَّهِ، وَالْمُسَلَّطُ بِالْجَبَرُوتِ لِيُذِلَّ بِذَلِكَ مَنْ أَعَزَّ اللَّهُ، وَلِيُعِزَّ بِهِ مَنْ أَذَلَّ اللَّهُ، وَالْمُسْتَحِلُّ لِحَرَمِ اللَّهِ، وَالْمُسْتَحِلُّ مِنْ عِتْرَتِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَالتَّارِكُ لِسُنَّتِي﴾ رغم جواز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة، كقولك لعنة الله على الظالمين، يبقى لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين لقوله: عن سمرة بن جندب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا بِغَضَبِ اللَّهِ، وَلَا بِجَهَنَّمَ – وفي رواية– وَلَا بِالنَّارِ﴾ (بلعنة الله) أي لا يلعن بعضكم بعضا، فلا يقل أحد لمسلم معين عليك لعنة الله مثلا (ولا بغضب الله) بأن يقول غضب الله عليك (ولا بجهنم) بأن يقول لك جهنم أو مأواك (ولا بالنار) بأن يقول أدخلك الله النار أو النار مثواك، وقال الطيبي أي: لا تدعوا الناس بما يبعدهم الله من رحمته إما صريحا كما تقولون: لعنة الله عليه أو كناية كما تقولون عليه غضب الله أو أدخله الله النار، فقوله: لا تلاعنوا من باب المجاز ؛ لأنه في بعض أفراده حقيقة، وفي بعضه مجاز، وهذا مختص بمعين؛ لأنه يجوز اللعن بالوصف الأعم كقوله:﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة] وبالأخص قوله:﴿لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ﴾ أو على كافر معين مات على الكفر كفرعون وأبي جهل،وعسكر العرب اليوم الكفرة الذين أفسدوا حياة الملايين خدمة لأهوائهم وخدمة للعدو.

*(الجماجم) موضع بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها. ووقعة الجماجم بين عبد الرحمن بن الاشعث والحجاج بن يوسف الثقفي، كان الغلب فيها للحجاج وقتل فيها عدد كثير من القراء كانت سنة 83 أو82 هـ (لا يثرب) لا يوبخها ولا يقرعها بالزنا بعد الضرب. وقيل: أراد لا يقنع في عقوبتها بالتثريب بل يضربها الحد.

■ (1) نعمان: هو ابن عمرو بن رفاعة، شهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها، وكان كثير المزاح، يضحك النبي صلى الله عليه وسلم من مزاحه

مراجع: صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ تاريخ الطبري/ الكامل في التاريخ/ سراج الملوك/ وفيات الأعيان/ سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ مروج الذهب/ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب/ تاريخ الإسلام للذهبي/ تفسير القرطبي/

حكى عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير[1] قال: كنت نديما لسليمان بن عبد الملك، وإني لعنده ذات يوم إذ دخل عليه عمر بن عبد العزيز[2] فقال: يا أمير المؤمنين إن بالباب أعرابيا وله دين، فلو أذنت له فسمعت كلامه، قال: نعم، يا غلام، إيذن للأعرابي، فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله فإن وراءه ما يحب إن قلته، فقال له: يا أعرابي إنا لنجود بالاحتمال على من لا نأمن غيبه ولا نرجو نصحه وأنت المأمون غيبا والناصح جيبا فهات، فقال الأعرابي: أما إذا أمنت بادرة غضبك فإني مطلق لساني بما خرست به الألسن بإذنه، لحق الله عز وجل وحق أمانتك يا أمير المؤمنين، إنه تكنفك قوم أساؤوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياك بآخرتهم ورضاك بسخط الله، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فإنهم لم يألوا الأمانة والأمة خسفا وعسفا وأنت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت، فلا تفسد آخرتك بدنيا غيرك، فإن المغبون كل المغبون من أفسد آخرته بدنيا غيره، فقال له سليمان: أما أنت فقد نصحت، وأرجو أن الله يعين على ما قلدنا وقد سللت علينا لسانك وهو أقطع من سيفك، قال: نعم يا أمير المؤمنين وهو لك لا لغيرك، فقيل له: سل أمير المؤمنين حاجة، قال: ما آخذ خاصا دون عام، ثم خرج.

في رواية دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله، وان كرهته، فإن وراءه ما تحب إن قبلته قال: قل، قال: يا أمير المؤمنين، إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوه فيك، خربوا الآخرة وعمروا الدنيا، فهم حرب للآخرة، سلم للدنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، وإنهم لم يألوا الأمانة تضييعا والأمة خسفا، وأنت مسؤول عما اجترحوا، وليسوا بمسؤولين اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غبنا بائع آخرته بدنيا غيره. فقال سليمان: أما أنت فقد سللت لسانك، وهو أقطع من سيفك، فقال: أجل يا أمير المؤمنين، لك لا عيك، قال: فهل من حاجة في ذات نفسك؟ قال: أما خاصة دون عامة فلا، ثم قام فخرج. فقال سليمان: لله دره، ما أشرف أصله وأجمع قلبه، وأذرب لسانه، وأصدق نيته، وأروع نفسه.

----

(2) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

(1) عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير، قتل بقديد.وهي معركة وقعت بين أهل المدينة والخوارج عام 130 هـ

دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال: أصابتك سماء في وجهك يا أعرابي! قال: نعم، يا أمير المؤمنين، غير أنها سحاء طحناء وطفاء كأن هواديها الدلاء مرجحنة النواحي موصولة بالاكام، تكاد تمس هام الرجال، كثير زجلها، قاصف رعدها، خاطف برقها، حثيث ودقها، بطئ مسيرها، مثعنجر قطرها، مظلم نوؤها، قد لجئت الوحش إلى أوطانها، تبحث عن أصولها، بأظلافها متجمعة بعد شتاتها، فلولا اعتصامنا، يا أمير المؤمنين، بعضاه الشجر، وتعلقنا بقنن الجبال، لكنا جفاء في بعض الأودية، ولقم الطريق، فأطال الله للأمة بقاءك، ونسألها في أجلك ببركتك، وعاد الله بك على رعيتك، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، فقال سليمان: لعمر أبيك، لئن كانت بديهة، لقد أحسنت، وإن كانت محبرة، لقد أجدت، قال: بل محبرة مهدورة، يا أمير المؤمنين، قال: يا غلام، أعطه، فوالله لصدقه أعجب إلينا من صفته.

عن سالم بن عبد الله قال: سمعت ميمون بن مهران،[1] يقول: قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: أخبروني بأحمق الناس، قالوا: رجل باع آخرته بدنياه، فقال عمر: ألا أنبئكم بأحمق منه؟ قالوا: بلى، قال: رجل باع آخرته بدنيا غيره.

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَا بَعَثَ اللهُّ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ؛ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللهُّ﴾ (بطانتان) بكسر الموحدة؛ أي وزيران ومشيران، مشبهان بالبطانة لملازمته بحيث لا ينفكان عن صحبته. وعن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا أَرَادَ اللهُّ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا؛ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ؛ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ﴾ وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره:﴿إِذَا رَأَيْتَنِي غَضْبَانَ فَأَدْفَعْ إِلَى رُقْعَةٍ بَعْدَ رُقْعَةٍ وَكَانَ فِي الْأُولَى: إِنَّكِ لَسْتَ بِإِلَهٍ وَإِنَّكَ سَتَمُوتُ وَتَعَوَّدَ إِلَى التُّرَابِ فَيَأْكُلُ بَعْضُكَ بَعْضًا. وَفِي الثَّانِيَةِ: أَرْحَمُ مِنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكَ مِنْ فِي السَّمَاءِ، وَفِيَّ الثَّالِثَةُ: اِقْضِ بَيْنَ النَّاسِ بِحُكْمِ اللهِ فَإِنَّهُ لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا ذَلِكَ﴾ عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ وَزِيرٍ صَالِحٍ مَعَ إِمَامٍ يُطِيعُهُ يَأْمُرُهُ بِذَاتِ اللهَّ تَعَالَى﴾ وعن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ فِي النَّارِ حَجَرًا يُقَالُ لَهُ: وَيْلٌ يَصْعَدُ عَلَيْهِ الْعُرَفَاءُ وَيَنْزِلُونَ فِيهِ﴾ وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن سعد بهذا الإسناد. وعن أوس بن شرحبيل أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُقَوِّيَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ﴾ وعن أبي أُمامة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدٌ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ﴾

قال علي بن نايف: كثير من مستشاري الحكام اليوم لا يقلون خطرا وضررا على الإسلام والمسلمين من هامان، وقارون، وبشر المريسي، وابن أبي دؤاد ومن شاكلهم من المستشارين الخونة، والوزراء السفلة، بل إن بعض مستشاري المسلمين اليوم أقسى قلوبا، وأحط نفوسا، وأقبح حالا، وأسوأ مقالا، وأشد عداوة للمسلمين من مستشاري الكفار، كما هو مشاهد. ولهذا قالت إحدى الخارجات وقد أسرت وجيء بها إلى الحجاج فاستشار خاصته ما يصنع بها، فقالوا له: عجل بقتلها. فقالت للحجاج: لكن مستشاري صاحبك كانوا خيرا من مستشاريك. فقال لها: من صاحبي؟ فقالت له: فرعون: لأنه عندما استشارهم فيما يصنع بموسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف]

----

(1) ميمون بن مهران مولى بني أسد كان مملوكا لامرأة بالكوفة فأعتقته وبها نشأ وكنيته أبو أيوب،كان مؤدب أولاد الخليفة عمر، سكن الجزيرة بعد وقعة الجماجم، وتولى قضاء الرقة لعمر، يروي عن ابن عمر، ولد سنة 40 هـ سنة المجاعة ومات بالرقة سنة 118 هـ وقيل سنة 117 هـ

مراجع: سراج الملوك/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح معجم ابن الأعرابي/ كنز العمال/ الثقات لابن حبان/ وفيات الأعيان/ المتمنين/ الإصابة في تمييز الصحابة/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموي) وصفوان بن سُليم الزهري 0454

عن سعيد بن كثير بن يحيى قال: قدم سليمان بن عبد الملك المدينة، وعمر بن عبد العزيز عامله عليها. قال: فصلى بالناس الظهر ثم فتح باب المقصورة واستند إلى المحراب واستقبل الناس بوجهه، فنظر إلى صفوان بن سليم[1] عن غير معرفة، فقال: يا عمر، من هذا الرجل؟ ما رأيت سَمْتاً أحسن منه. قال: يا أمير المؤمنين، هذا صفوان بن سليم. قال: يا غلام، كيس فيه خمس مئة دينار فأتي به فقال لخادمه: ترى هذا الرجل القائم يصلي؟ فوصفه للغلام حتى أثبته. قال: فخرج الغلام بالكيس حتى جلس إلى صفوان. فركع وسجد وسلم، وقال له: ما حاجتك؟ قال: أمرني أمير المؤمنين –وهو ذا ينظر إليك وإلي– أن أدفع إليك هذا الكيس، فيه خمس مئة دينار، ويقول لك: استعن بهذه على زمانك وعلى عيالك، فقال له صفوان: ليس أنا الذي أرسلت إليه. فقال له الغلام: ألست صفوان بن سليم؟ قال: بلى، أنا صفوان بن سليم. قال: فإليك أرسلت. قال: اذهب فاستثبت، فإذا أثبت فهلم، قال الغلام: فأمسك الكيس معك، وأذهب، قال: لا، إذا أمسكت فقد أخذت ولكن اذهب فاستثبت فأنا ها هنا جالس. فولى الغلام. فأخذ صفوان نعليه وخرج. فلم ير بها حتى خرج سليمان من المدينة.

كان يزيد بن ميسرة [2] رحمه الله يقول: كانت العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا. ومثله قول خصيف:[3] كان العلماء لا يعرفون، فإذا عرفوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا.

■ (1) صفوان بن سُليم الزهري القرشي المدني، مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف يكنى أبا عبد الله. ولد سنة 60 هـ أسند عن ابن عمر وجابر بن عبد الله وعبد الله بن جعفر وسهل بن حنيف في آخرين، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وطاووس. توفي صفوان بالمدينة سنة 132 هـ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

■ (3) خصيف بن عبد الرحمن الجزري، أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال مولى معاوية بن أبي سفيان وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن وكانا توأما رأى أنس بن مالك وروى عن سعيد بن جبير وسفيان الثوري وهو من شيوخه.كان ثقة مات سنة 137 هـ

■ (2) يزيد بن ميسرة بن حلبس، أبو حلبس، الدمشقي. سمع أم الدرداء، وأبي إدريس الخولاني. روى عنه: أخوه يونس، وصفوان بن عمرو، ومعاوية بن صالح، وآخرون. سكن حمص، وكان واعظا زاهدا عارفا. قيل توفي سنة 111 هـ.

قال سفيان: حج صفوان بن سليم وليس معه إلا سبعة دنانير، فاشترى بها بدنة، فقيل له في ذلك فقال: إني سمعت الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج] وعن أبي مروان مولى بني تميم قال: انصرفت مع صفوان بن سليم من العيد إلى منزله فجاء بخبز يابس فجاء سائل فوقف على الباب وسأل، فقام صفوان إلى كوّة في البيت فأخذ منها شيئا فأعطاه فاتّبعت ذلك السائل لأنظر ما أعطاه، فإذا هو يقول: أعطاه الله افضل ما أعطى أحداً من خلْقه، فقلت ما أعطاك؟ قال: أعطاني ديناراً. وعن سليمان بن سالم قال: كان صفوان بن سليم في الصيف يصلّي بالليل في البيت، فإذا كان الشتاء صلّى في السطح لئلا ينام. عن أبي ضمرة أنس بن عياض قال: رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له غداً القيامة، ما كان عنده مَزيد على ما هو عليه من العبادة. وعن أبي علقمة المديني قال: كان صفوان بن سليم لا يكاد يخرج من مسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم فإذا أراد أن يخرج بكى وقال: أخشى أن لا أعود إليه. وعن محمد بن أبي منصور قال: قال صفوان بن سليم أعطى الله عهداً أن لا أضع جنبي على فراشٍ حتى ألحق بربي قال: فبلغني أن صفوان عاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه، فلما نزل به الموت قيل له: رحمك الله ألا تضطجع؟ قال ما وفيتُ لله بالعهد إذاً. قال: فأُسنِد فما زال كذلك حتى خرجت نفسه، قال: ويقول أهل المدينة، انه ثَفِنتْ جبهته من اثر السجود. وعن ابن زيد كان صفوان يقول اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي، وقال صفوان بن سليم: في الموت راحة للمؤمن من شدائد الدنيا وإن كان ذا غصص وكرب، ثم ذرفت عيناه. حدث ابن أبي حازم أن صفوان بن سليم لما حضر إخوانه جعل يتقلب، فقالوا: كأن لك حاجة. قال: نعم. فقالت: ابنته: ماله من حاجة إلا أنه يريد أن تقوموا عنه، فيقوم فيصلي، وما ذاك فيه. فقام القوم عنه، وقام إلى مسجد يصلي فوقع، وصاحت ابنته بهم، فدخلوا عليه فحملوه ومات.

مراجع: صفة الصفوة/ تاريخ مدينة دمشق/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/

لما أرتحل حسان بن النعمان[1] إلى المشرق اختلفت أيدي البربر فيما بينهم على إفريقية والمغرب فكثرت الفتن وخلت أكثر البلاد حتى قدم موسى بن نصير[2] فتلافى أمرها ولم شعثها.قال الحميدي في جذوة المقتبس: ولي موسى بن نصير بلاد إفريقية والمغرب سنة سبع وسبعين وقال غيره سنة سبع وثمانين. وقال ابن خلكان: كان موسى بن نصير من التابعين وروي عن تميم الداري رضي الله عنه وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا متقيا لله تعالى لم يهزم له جيش قط ولما قدم المغرب وجد أكثر مدنه خالية لاختلاف أيدي البربر عليها وكانت البلاد في قحط شديد فأمر الناس بالصوم والصلاة وإصلاح ذات البين وخرج بهم إلى الصحراء ومعه سائر الحيوانات ففرق بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ وأقام على ذلك إلى منتصف النهار ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك[3]، فقيل له: ألا تدعو لأمير المؤمنين ؟! فقال: هذا مقام لا يدعى فيه غير الله عز وجل، فسقوا حتى رووا.

قيل: إن موسى بن نصير تمادى في سيره بأرض الأندلس مجاهدا حتى انتهى إلى أرض تميد بأهلها، فقال له جنده: إلى أين تريد أن تذهب بنا، حسبنا ما بأيدينا ؟ فرجع وقال: لو أطعتموني لوصلت إلى القسطنطينية. ولم افتتح موسى أكثر بلاد الأندلس استخلف ابنه عبد العزيز [4]على قرطبة (دار إمارة الأندلس) واستصحب طارقا [5] معه ورجع إلى إفريقية وله نيف وستون سنة، وهو راكب على بغل اسمه كوكب وهو يجر الدنيا بين يديه جرا، أمر بالعجل تجر أوقار* الذهب والجواهر والتيجان والثياب الفاخرة ومائدة سليمان*،وخرج من إفريقية،واستخلف عليها عبد الله[6] ابنه. وحمل موسى معه من إفريقية من وجوه البربر مائة رجل وعشرين ملكا من ملوك الروم؛ فخرجوا معه بأصناف ما كان في كل بلد من طرائفها وذهبها وفضتها وجوهرها وياقوتها، ما لا يحصى ولا سمع بمثله، حتى انتهى إلى مصر؛ فلم يبق بها شريف، ولا فقيه، ولا عظيم، إلا ودفع إلى سليمان بن عبد الملك عشرة آلاف دينار. ثم خرج من مصر؛ فتوجه إلى فلسطين؛ فتلقاه آل روح بن زنباع الجذامي[7]؛فنزل بهم؛ فنحروا خمسين جملا. ثم خرج من عندهم، وترك بعض أصحابه وصغار ولده عندهم، وأفرغ على آل روح بن زنباع كثيرا من الكسي والوصائف*،وغير ذلك من الأموال. وكان موسى، قبل خروجه من المغرب، قدم عليه ولده مروان[8]من السوس الأقصى*،وهو يجر الدنيا جرا. ولما وصل رسوله إلى أبيه، يعلمه به وبما يأتي به من السبي، خرج إليه في وجوه الناس يتلقاه؛ فلما التقيا، قال مروان بن موسى: مروا لكل من يلقاني مع أبي بوصيفة* وصيفة! فلما أمر بذلك، سمع موسى صياح الناس وضجيجهم، ورأى حركاتهم؛ فقال: ما هذا ؟ فقالوا: ابنك مروان أمر للناس بوصيفة وصيفة! فقال لهم: مروا لهم أنتم بوصيف وصيف! فانصرفوا الناس كلهم، ومع كل واحد منهم وصيف ووصيفة.

وكان الوليد بن عبد الملك مرض مرضه الذي مات منه. وكتب إلى موسى بن نصير يأمره بشد السير إليه ليدركه قبل الموت. وكتب إليه سليمان بن عبد الملك أن يبطؤ في سيره. فعمل موسى بكتاب الوليد، ولم يعمل بكتاب سليمان، وجد في سيره. فغضب عليه سليمان، وقال: والله! لئن ظفرت به، لأصلبنه! وكان سبب أمر الوليد لموسى بالعجلة ليحرم سليمان ما جاء به؛ وكان أمر سليمان له بترك الاستعجال ليحرم الوليد وولده ما جاء به. فقدم موسى قبل موت الوليد وأتاه بالطرائف من الدر والياقوت والزبرجد، والوصفاء* والوصائف، ومائدة سليمان*، والتيجان المكللة لدر والياقوت. فاستغرب الوليد ذلك، وأمر بمائدة سليمان؛ فكسرت، وعمد إلى أرفع ما كان فيها من الجوهر وكل ما كان في التيجان وغيرها؛ فجعله في بيت المال. ثم لم يلبث أن مات وأفضت الخلافة إلى سليمان أخيه؛ فبعث في موسى؛ فعنفه بلسانه، وقال: والله لأفلن غربك! ولأفرقن جمعك! ولأصغرن من قدرك! فقال موسى: أما قولك تفل من غربي وتخفض من قدري، فإن ذلك بيد الله، وإلى الله لا إليك! وبه أستعين عليك! فأمر به سليمان؛ فوقف في يوم صائف شديد الحر؛ وكان موسى رجلا ضخما، بادنا، ذا نسمة؛ فوقف حتى سقط مغشيا عليه؛ فنظر سليمان إلى عمر بن عبد العزيز[9]واقف يتألم له؛ فقال له: يا أبا حفص! ما أراني إلا وقد بررت في يميني وخرجت عنه! فقال عمر: أجل! يا أمير المؤمنين! فقال سليمان: من يضمه إليه؟ فقام يزيد بن المهلب[10]؛ فقال: أنا يا أمير المؤمنين أضمه إلي! قال: فضمه إليك ولا تضيق عليه! فانصرف يزيد، وقدم إليه دابة؛ فركبها موسى، وأقام عنده أياما حتى حسن ما بينه وبين سليمان وافتدى منه موسى بمال كثير، قيل: ألف ألف دينار، وقيل غير ذاك. ثم إن يزيد بن المهلب سهر ليلة عند موسى؛ فقال له: يا أبا عبد الرحمن! في كم كنت تعتد من مواليك وأهل بيتك؟ فقال له موسى: في كثير! فقال يزيد: يكونون ألفا؟ فقال له موسى: ألف وألف وألف إلى منقطع النفس! فقال له يزيد: كنت على ما وصفت، وألقيت بيدك إلى التهلكة! أفلا أقمت في قرار عزك وموضع سلطانك، وامتنعت بما قدمت به؟ فإن أعطيت الرضى، وإلا كنت على عزك وسلطانك! فقال له: والله! لو أردت ذلك، لما نالوا من أطرافي طرفا! ولكني آثرت الله ورسوله! ولم أر الخروج عن الطاعة والجماعة!.

وذكر أن سليمان قال لموسى: ما الذي كنت تفزع إليه عند حروبك ومباشرة عدوك؟ قال: كنت أفزع إلى التضرع والدعاء والصبر عند اللقاء! قال: فأي الخيل رأيتها في تلك البلاد أسبق؟ قال: الشقر! قال: فأي الأمم كانوا أشد قتالا؟ قال: هم أكثر من أن أصفهم! قال:أخبرني عن الروم! قال: أسد في حصونهم، عقبان على خيولهم، نساء في مواكبهم، إن رأوا فرصة انتهزوها، وإن رأوا غلبة، فأوعال تذهب في الجبال، لا يرون الهزيمة عارا. قال: فأخبرني عن البربر. قال: هم أشبه العجم بالعرب لقاء ونجدة وصبرا وفروسية، غير أنهم أغدر الناس، لا وفاء لهم ولا عهدا ! قال: فأخبرني عن الأندلس! قال: ملوك مترفون، وفرسان لا يخيبون. قال: فأخبرني عن الإفرنج! قال: هناك العدد والعدة، والجلد والشدة، والبأس والنجدة! قال: فأخبرني كيف كانت الحرب بينك وبينهم: أكانت لك أو عليك؟ فقال: أما هذا، فوالله! ما هزمت لي راية قط، ولا بدد جمعي، ولا نكب المسلمون معي، منذ اقتحمت الأربعين إلى أن بلغت الثمانين! فضحك سليمان، وعجب من قوله. ثم دعا سليمان بطست من ذهب؛ فجعل يردد بصره فيه؛ فقال له موسى: إنك لتعجب من غير عجب! والله! ما أحسب أن فيه عشرة آلاف دينار والله! لقد بعثت إلى أخيك الوليد بتور* من زبرجد أخضر، كان يصب فيه اللبن، فيخضر وترى فيه الشعرة البيضاء؛ ولقد قوم بمائة ألف مثقال، وإنه لمن أدنى ما بعثت به إليه! ولقد أصبت كذا وأصبت كذا! وجعل يعدد ما أصاب من الدر والياقوت والزبرجد، حتى بهت سليمان من قوله. وخرج سليمان يوما يتصيد، ومعه موسى؛ فمر في منية له بذود* غنم يكون فيها نحو ألف شاة؛ فالتفت إلى موسى وقال له: هل كان لك مثل هذا؟ فضحك موسى وقال:والله! لقد رأيت لأدنى موالي أضعاف هذا! فقال سليمان: لأدنى مواليك؟ فقال: نعم والله! ورددها مرارا؛ ثم قال: وما هذا فيما أفاء الله علي! لقد كانت الألف شاة تباع بعشرة دراهم، كل مائة بدرهم!ولقد كان الناس يمرون بالبقر والغنم؛ فلا يلتفتون إليها! ولقد رأيت الذود*من الإبل بدينار! ولقد رأيت العلج الفاره*وامرأته وأولاده يباعون بخمسين درهما! قال: فعجب سليمان.

----

*(الأوقار) الأحمال (التور) إناء صغير (الوصيف) العبد وجمعه الوصفاء والوصيفة الجارية وجمعها الوصائف (السوس) كورة بالمغرب (مائدة سليمان) مائدة نفيسة كان طارق بن زياد قد غنمها من كاتدرائية طليطلة (ذود) من الإبل ما بين 2 إلى 9 –وقيل غير ذلك– هي مؤنثة لا واحد لها من لفظها (الفاره) من الدواب الجيد السير.

■ (2) موسى بن نصير، أبو عبد الرحمن، اللخمي بالولاء، صاحب فتح الأندلس؛ كان من التابعين، ولد بالشام سنة19 هـ وروى عن تميم الداري، وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا لله تعالى، لم يهزم له جيش قط.وتوفي بوادي القرى بالحجاز سنة97 هـ

■ (4) عبد العزيز بن موسى بن نصير اللخمي، بالولاء، ولاه أبوه إمارة الأندلس، عند عودته إلى الشام سنة 95 هـ فضبطها وسدد أمورها وحمى ثغورها، وافتتح مدائن. وكان شجاعا حازما، فاضلا في أخلاقه وسيرته ولما سخط سليمان على موسى، بعث إلى الجند يأمرهم بقتل ابنه عبد العزيز، فدخلوا عليه وهو في المحراب يصلي الصبح، فضربوه بالسيوف ضربه واحدة، سنة 97 هـ وأخذوا رأسه فأرسلوه إلى سليمان، فعرضه على أبيه، فتجلد للمصيبة، وقال: هنيئا له بالشهادة ! وقد قتلتموه والله صواما قواما. قال ابن الاثير: وكانوا يعدونها من زلات سليمان.

■ (5) طارق بن زياد الليثي بالولاء: فاتح الأندلس.ولد في المغرب الأوسط، أسلم على يد موسى بن نصير، تولى طنجة سنة 89 هـ ثم قيادة الجيش لغزو الأندلس، استدعاه الوليد إلى الشام، فقصدها مع موسى سنة 96 هـ وأقوال المؤرخين مضطربة في خاتمة أعماله، توفي سنة 102 هـ

■ (1) حسان بن النعمان بن عدي الأزدي الغساني، من أولاد ملوك غسان: قائد من المشهورين في الفتوحات الإسلامية. كان يلقب بالشيخ الأمين. ولي إفريقية في زمن معاوية بن أبي سفيان. ثم كان عاملا على مصر في أيام عبد الملك بن مروان. واضطربت إفريقية بعد مقتل زهير البلوي سنة 76 هـ فأمره عبد الملك بالتوجه إليها، فزحف بأربعين ألف مقاتل. فكانت له وقائع كثيرة مع الروم في قرطاجنة، ومع الملكة دهينا (الكاهنة البربرية) في قابس وجبل أوراس، ظهرت فيها بطولته. ودانت له إفريقية كلها. وهو أول من دخلها من أمراء الشام في زمن بني أمية. وبعد أن عم الإسلام إفريقية، أقام بالقيروان، فجدد بناء مسجدها سنة 84 هـ، ودون الدواوين وولى الولاة، ثم رحل قاصدا عبد الملك بن مروان، ومعه 35 ألف فارس. واعتزل الأعمال في أول عهد الوليد بن عبد الملك. وتوجه إلى أرض الروم غازيا، فتوفي بها.بعد 86 هـ

■ (9) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص،.ولّاه الوليد على إمارة المدينة، ثم ضم إليه الطائف، ثم عُزل. فلما تولى سليمان الخلافة جعله وزيراً له، ثم ولي عهده، فلما مات سليمان سنة 99 هـ تولى عمر الخلافة. توفي رضي الله عنه سنة101 هـ .

■ (7) روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، كان صاحب شرطة عبد الملك، وهو كالوزير له. أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقد وهم مسلم وقال: له صحبة. وإنما الصحبة لأبيه. مات سنة 84 هـ.

■ (10) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أو خالد الأزدي. ولد سنة 53 هـ، وولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك، ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن أرطأة، وطلبه عمر وسجنه. وكان الحجاج قد عزله وعذبه، فسأله أن يخفف عنه الضرب على أن يعطيه كل يوم مئة ألف درهم. فقصده الأخطل ومدحه، فأعطاه مئة ألف، فعجب الحجاج من جوده في تلك الحال وعفا عنه.واعتقله، ثم هرب من حبسه ثم قتل سنة 102 هـ.قال الذهبي قلت: قتل عن تسع وأربعين سنة،ولقد قاتل قتالا عظيما، وتفللت جموعه (انكسروا وانهزموا)، فما زال يحمل بنفسه في الألوف، لا لجهاد، بل شجاعة وحمية، حتى ذاق حمامه. نعوذ بالله من هذه القتلة الجاهلية.

■ (3) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ.

■ (6) عبد الله بن موسى بن نصير اللخمي، من رجال الفتوح. كان مع أبيه في إفريقية، قبل دخوله الأندلس. واستخلفه أبوه على القيروان سنة 93 هـ فاستمر إلى سنة 97 هـ وعزله سليمان بن عبد الملك وولى محمد بن يزيد مولى قريش.توفي نحو 103 هـ. ويختلف المؤرخون، فيقول ابن عذاري وآخرون: إن مولى قريش سجن عبد الله وعذبه، ثم قتله. ويقول ابن حبيب في باب: من نصب رأسه من الأشراف: إن بشر بن صفوان الكلبي، لما ولي إفريقية سنة 102 هـ اتهم عبد الله بن موسى بقتل يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف وقتله به وبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك في الشام فنصبه يزيد.أي أقامه في مكان ظاهر، ليراه الناس. ولعل الرواية الثانية أصدق

■ (8) مروان بن موسى بن نصير وفد على سليمان بن عبد الملك بن مروان بن موسى. وحكى عنه ابنه عبد الملك بن مروان بن موسى. في سنة تسع وثمانين أغزا موسى بن نصير ابنه مروان بن موسى السوس الأقصى فبلغ السبي أربعين ألفا.

☪

أيها الأخوة المؤمنون، مواقف لقائد عظيم من قادة الإسلام، ومجاهد من أعلام المجاهدين، وفاتح من مشاهير الفاتحين..لم نأخذ سيرته من بين صحب النبي صلى الله عليه وسلم ولا من أعيان التابعين، بل هو من بعض القواد المتأخرين، ذلكم هو فاتح المغرب الأوسط والأقصى، والفاتح الأعظم في بلاد الأندلس*– الفردوس المفقود الذي تذكرنا أحداث تواريخه عند سقوطه بكثير من مآلات الأمور في حياتنا العامة– موسى بن نصير، القائد الإسلامي العظيم الذي توجه فاستعاد فتح بلاد المغرب الأوسط، ثم ركب البحر وفتح طنجة، وتوجه أيضا باتجاه الغرب حتى عاد وفتح بلاد المغرب الأقصى، وتاقت نفسه كذلك إلى فتح بلاد الأندلس فأرسل واحدا من قادته[1] يستجلي الخبر فخرج إلى قرية طريف* من جهة البحر فيما يقابل المغرب، فنزل بالجزيرة الخضراء*وقاتل وغنم، ثم رجع ومضى بعد ذلك مولاه طارق بن زياد –العربي الصدفي–، لكن موسى بن نصير رحمه الله لحق به وسار في الفتح مسيرا أعظم،وبخطة أحكم مما كان عليه من سبقه من قادته..

----

*(جزيرة طريف) نسبة إلى طريف بن مالك، الملقب بأبي زرعة، أحد موالي موسى بن نصير، قيل أصله من قبيلة النخع وهم بطن مذحج. (الجزيرة الخضراء) تقع أقصى جنوب أسبانيا لصيقه بجبل طارق وقريبة من طريف.(الأندلس) أطلق المسلمون أسم الأندلس على القسم الذي فتحوه من شبه الجزيرة الإيبيرية وهى تعريبا لكلمة فانداليشيا التي كانت تطلق على الإقليم الروماني المعروف باسم باطقة الذي احتلته قبائل الفندال الجرمانية ما يقرب من عشرين عاما ويسميهم الحميري بالأندليش ويرى البعض أنها مشتقة من قبائل الوندال التي أقامت بهذه المنطقة مدة من الزمن، ويرى البعض الآخر أنها ترجع إلى أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح عليه السلام والأندلس فتحها القائد –العربي اليمني الأصل– طارق بن زياد سنة 92 هـ

■ (1) طريف بن مالك، الملقب بأبي زرعة، أحد موالي موسى بن نصير، قيل أصله من قبيلة النخع وهم بطن مذحج.وطريف هو الذي قاد حملة سنة 92 هـ للإطلاع على أحوال الأندلس بأمر من موسى بن نصير، فخرج في مائة فارس وأربعمائة رجل، وركب هو وجنوده البحر في أربعة مراكب حتى نزل ساحل الأندلس فأصاب سبيا كثيرا ومالا وفيرا، ثم رجع إلى أفريقيا غانما سالما واستولى على جزيرة صغيرة، لا تزال تحمل اسمه تريفا

مراجع: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب/ موسوعة الخطب والدروس/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ الأعلام للزركلي/ لسان العرب/ طلبة الطلبة/ سير أعلام النبلاء/ عجائب البلدان لسراج الدين ابن الوردي/

ذكروا أن محمد بن عبد الملك أخبرهم قال: أقام موسى بن نصير [(1)] مع سليمان بن عبد الملك يطلب رضاه حتى رضي عنه وابنه عبد الله بن موسى [(2)] على إفريقية وطنجة والسوس وابنه عبد العزيز [(3)] على الأندلس كما هو فلما بلغ عبد العزيز الذي فعل سليمان بأبيه موسى تكلم بكلام خفيف حملته عليه حمية لما صنع بأبيه على حسن بلائه فنميت إلى سليمان فخاف سليمان أن يخلع فكتب إلى حبيب بن أبي عبيدة[(4)] وابن وعلة التميمي [(5)] وسعد بن عثمان بن ياسر وعمرو بن زياد اليحصبي [(6)] وعمر بن كثير وعمرو بن شرحبيل كتب إلى كل رجل منهم كتابا يعلمه بالذي بلغه عن عبد العزيز بن موسى وما هم به من الخلع وأنه قد كتب إلى عبد الله بن موسى يأمره بإشخاصهم إلى عبد العزيز وأعلمه إنما دعاه إلى ذلك الذي أحب من مكانفتكم لأنه بإزاء العدو وأعطاهم العهود أن من قتله منهم فهو أمير مكانه، وكتب إلى عبد الله بن موسى إني نظرت فإذا عبد العزيز بإزاء عدو يحتاج فيه إلى الغناء والبلاء، فسأل أمير المؤمنين فأخبر أن معك رجالا منهم فلان وفلان فأشخصهم إلى عبد العزيز بن موسى، وكتب سليمان إلى عبد العزيز، أما بعد، فإن أمير المؤمنين علم ما أنت بسبيله من العدو وحاجتك إلى الرجال أهل النكاية والغناء فذكر له أن بإفريقية رجالا منهم، فكتب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن موسى يأمره بإشخاصهم إليك فولهم أطرافك وثغورك واجعلهم أهل خاصتك، وكتب إليهم سليمان إني قد بعثت لكم بكتاب إلى أهل الأندلس بالسمع والطاعة لكم والغدر في قتله فإن ولاكم أطرافه فأقروا عهدي على من قبلكم من المسلمين ثم ارجعوا إليه حتى تقتلوه، فلما قدم الكتاب على عبد الله بن موسى بإفريقية أشخص القوم فخرجوا حتى قدموا على عبد العزيز بالأندلس بكتاب سليمان في إلطافهم وإكرامهم فقربهم عبد العزيز وأكرمهم وحياهم وقال لهم: اختاروا أي نواحي وثغوري شئتم، فضربوا الرأي فقالوا: إنكم إن فعلتم ما أنتم فاعلون ثم رجعتم إليه من أطرافه لم نأمن أن يميل معه عظيم الناس فإن في يديه الأموال والقوة من مواليه وغيرهم ولكن أعملوا رأيكم في الفتك به، قال: فإن ها هنا رجلا إن دخل معنا استقام لنا الأمر ووصلنا إلى ما أردنا وهو أيوب بن حبيب بن أخت موسى، قال: فلقوه ودعوه إلى أنه إن قتله فهو مكانه فقبل وبايعوه على ذلك ثم إنهم أتوا عبد الله بن عبد الرحمن الغافقي وكان سيد أهل الأندلس صلاحا وفضلا فأعلموه ثم اقرؤوه كتاب سليمان، فقال لهم: قد علمتم يد موسى عند جميعكم صغيركم وكبيركم وإنما بلغ أمير المؤمنين أمر كذب عليه فيه والرجل لم ينزع يدا من الطاعة ولم يخالف فيستوجب القتل وأنتم ترون أمير المؤمنين لا يرى فأطيعوني ودعوا هذا الأمر فأبوا ومضوا على رأيهم فأجمعوا على قتله فوقفوا له، فلما خرج لصلاة الصبح ودخل القبلة وأحرم وقرأ بأم القرآن الكريم واستفتح ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة] ضربه حبيب بن أبي عبيدة ضربة فدهش ولم يصنع شيئا فقطع عبد العزيز الصلاة وخرج وتبعوه فقتله ابن وعلة التميمي وأصبح الناس فأعظموا ذلك وأخرجوا كتاب سليمان بذلك فلم يقبله أهل الأندلس وولوا عليهم عبد الله بن عبد الرحمن الغافقي ووفد حبيب بن أبي عبيدة برأس عبد العزيز بن موسى رحمهما الله. وذكروا أن سليمان لما ظن أن القوم قد دخلوا الأندلس وفعلوا ما كتب به إليهم عزل عبد الله بن موسى عن إفريقية وطنجة والسوس في آخر سنة ثمان وتسعين في ذي الحجة وأقبل هؤلاء حتى قدموا على سليمان وموسى بن نصير لا يشعر بقتل عبد العزيز ابنه، فلما دخلوا على سليمان ووضع الرأس بين يديه بعث إلى موسى فأتاه فلما جلس وراء القوم، قال له سليمان: أتعرف هذا الرأس يا موسى؟ فقال: نعم، هذا رأس عبد العزيز بن موسى، فقام الوفد فتكلموا بما تكلموا به، ثم إن موسى قام فحمد الله ثم قال:وهذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين فرحمة الله تعالى عليه، فلعمر الله ما علمته نهاره إلا صواما وليله إلا قواما، شديد الحب لله ولرسوله بعيد الأثر في سبيله حسن الطاعة لأمير المؤمنين، شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين، فإن يك عبد العزيز قضى نحبه فغفر الله له ذنبه، فوالله ما كان بالحياة شحيحا ولا من الموت هائبا، وليعز على عبد الملك وعبد العزيز والوليد أن يصرعوه هذا المصرع ويفعلوا به ما أراك تفعل ولهو كان أعظم رغبة فيه وأعلم بنصيحة أبيه أن يسمعوا فيه كاذبات الأقاويل ويفعلوا به هذه الأفاعيل، فرد سليمان عليه قال: بل ابنك المارق من الدين والشاق عصا المسلمين المنابذ لأمير المؤمنين فمهلا أيها الشيخ الخرف، فقال موسى: والله ما بي من خرف ولا أنا من الحق بذي جنف ولن ترد محاورة الكلام مواضع الحمام، وأنا أقول كما قال العبد الصالح:﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[يوسف] قال: ثم قال موسى: أفتأذن في رأسه يا أمير المؤمنين، واغرورقت عيناه، فقال له سليمان: نعم، فخذه، فقام موسى فأخذه وجعله في طرف قميصه الذي كان عليه، ثم أدير في السماطين فوقع الطرف الآخر عن منكبيه وهو يجره لا يحفل به ولا يرفعه، فقال له خالد بن الريان: ارفع ثوبك يابن نصير فالتفت موسى، وقال: ما أنت وذاك يا خالد! قال سليمان: دعه، حسبه ما فعلنا به، فلما توارى موسى قال سليمان: دعه، إن في الشيخ لبقية بعد، ثم إن موسى التفت إلى حبيب بن أبي عبيدة فكلمه بكلام غليظ حتى ذكر أمرا خفيا من نسبه فأفحمه، ثم إن سليمان كشف عن أمر عبد العزيز فألفى ذلك باطلا وأن عبد العزيز لم يزل صحيح الطاعة مستقيم الطريقة فلما تحقق عند سليمان باطل ما رفع إليه عن عبد العزيز ندم وأمر بالوفد فأخرجوا ولم ينظر في شيء من حوائجهم، وأهدر عن موسى بقية القضية التي كان سليمان قاضاه عليها وكان سليمان قد آلى قبل خلافته لئن ظفر بالحجاج بن يوسف[(7)] وموسى بن نصير ليعزلنهما ثم لا يليان معه من أمور الناس شيئا، فلما رضي عن موسى جعل يقول ما ندمت على شيء ندامتي أن لا كنت خلوا من اليمين على موسى في أن لا أوليه شيئا ما مثل موسى أستغني عنه.

- (1) موسى بن نصير، أبو عبد الرحمن، اللخمي بالولاء، صاحب فتح الأندلس؛ كان من التابعين، ولد بالشام سنة19 هـ وروى عن تميم الداري، وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا لله تعالى، لم يهزم له جيش قط.وتوفي بوادي القرى بالحجاز سنة97 هـ
- (3) عبد العزيز بن موسى بن نصير اللخمي، بالولاء، ولاه أبوه إمارة الأندلس، عند عودته إلى الشام سنة 95 هـ فضبطها وسدد أمورها وحمى ثغورها، وافتتح مدائن. وكان شجاعا حازما، فاضلا في أخلاقه وسيرته ولما سخط سليمان على موسى، بعث إلى الجند يأمرهم بقتل ابنه عبد العزيز، فدخلوا عليه وهو في المحراب يصلي الصبح، فضربوه بالسيوف ضربه واحدة، سنة 97 هـ وأخذوا رأسه فأرسلوه إلى سليمان، فعرضه على أبيه، فتجلد للمصيبة، وقال: هنيئا له بالشهادة ! وقد قتلتموه والله صواما قواما. قال ابن الاثير: وكانوا يعدونها من زلات سليمان.
- (2) عبد الله بن موسى بن نصير اللخمي، من رجال الفتوح. كان مع أبيه في إفريقية، قبل دخوله الأندلس. واستخلفه أبوه على القيروان سنة 93 هـ فاستمر إلى سنة 97 هـ وعزله سليمان بن عبد الملك وولى محمد بن يزيد مولى قريش.توفي نحو 103 هـ. ويختلف المؤرخون، فيقول ابن عذاري وآخرون: إن مولى قريش سجن عبد الله وعذبه، ثم قتله. ويقول ابن حبيب في باب: من نصب رأسه من الأشراف: إن بشر بن صفوان الكلبي، لما ولي إفريقية سنة 102 هـ اتهم عبد الله بن موسى بقتل يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف وقتله به وبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك في الشام فنصبه يزيد.أي أقامه في مكان ظاهر، ليراه الناس. ولعل الرواية الثانية أصدق
- (7) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ، كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله.
- (5) عبد الرحمن بن اسميفع بن وعلة –أو ابن وعلة بن اسميفع– المصري السبائي من سبأ بن يشجب: تابعي، من رجال الحديث الثقات. كان شريفا بمصر، شهد فتحها مع أبيه وله وفادة على معاوية، وصار إلى إفريقية. وبها في القيروان مسجده. مات نحو سنة 58 هـ
- (6) عمرو بن زياد اليحصبي يروى عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم عداده في أهل مصر روى عنه أهلها وكنيته أبو فراس؟ وقيل روى عن ابى فراس؟
- (4) حبيب بن أبي عبيدة الفهري المصري الأمير. كان على ولايات جليلة بالأندلس وله وفادة على سليمان بن عبد الملك. توفي سنة 124 هـ.

قال محمد رشيد رضا: انظر الفرق العظيم بين عصرنا وعصر بني أمية الذي ما زلنا نشكو منه ؛ إذ هم الذين حولوا الحكومة الإسلامية إلى ما يسمى في عرف السياسيين اليوم بالسلطة المطلقة ، فقد بين موسى للملك خطأه ، ولما ظهر ذلك لسليمان بن عبد الملك ندم على ما فعل بالرجل وولديه، ولم يكافئ الذين امتثلوا أمره بالظلم إلا بالإعراض عنهم، فيا ليت حكامنا في هذا العصر يرجعون عن خطئهم إذا ظهر لهم ويعرضون عمن شايعهم على الظلم ولا يشركونه معهم في رأي ولا حكم.

وفي القصة عبرة بصبر موسى بن نصير عندما فوجئ برأس ولده بين يديه، وولده من يحزن على مثله الغريب لفضله وشجاعته وحسن إدارته وسياسته، وإننا في هذا المقام نذكر شيئا من خبر موسى إتماما للعبرة، وليتذكر نابتة عصرنا شيئا من تاريخ سلفهم الذين فتحوا البلاد وأحسنوا فيها السياسة وأقاموا العدل على أنهم لم يعرفوا من علوم السياسة، والقضاء، والإدارة بعض ما يعرف اليوم بعض المحامين المحتالين على سلب الأموال وإضاعة الحقوق ونصر الأباطيل، أو الموظفين الذين تشكو منهم السماء والأرض أو بعض الذين يسمونهم (متربين) لأنهم تعلموا في أوروبا وهم الذين أفسدوا أخلاق أمتهم وأغروها بالخمور والفجور والقمار وغير ذلك من أسباب الدمار حتى فسد بأسها وذهبت سيادتها وإنما الفرق بيننا وبين أولئك السلف الحياة الملية، والاعتقاد الصحيح، والأخلاق العالية.

خطبة موسى بن نصير في ذات الجماجم: لما ولي عبد العزيز بن مروان موسى بن نصير أفريقية وعزل حسان بن النعمان الذي ولاه عليها عبد الملك رحل إليها ووافته الجيوش في ذات الجماجم؛ فقام فيهم خطيبا ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن أمير المؤمنين أصلحه الله رأى رأيا في حسان بن النعمان فولاه ثغركم ووجهه أميرا عليكم، وإنما الرجل في الناس بما أظهر، والرأي فيما أقبل وليس فيما أدبر، فلما قدم حسان بن النعمان على عبد العزيز –أكرمه الله– كفر النعمة، وضيع الشكر ونازع الأمر أهله فغير الله ما به. وإنما الأمير أصلحه الله صنو أمير المؤمنين وشريكه ومن لا يتهم في عزمه ورأيه، وقد عزل حسان عنكم وولاني مكانه عليكم ولم يأل أن أجهد نفسه في اختياره لكم، وإنما أنا رجل كأحدكم فمن رأى مني حسنة فليحمد الله، وليحض على مثلها، ومن رأى مني سيئة فلينكرها ؛ فإني أخطئ كما تخطئون وأصيب كما تصيبون، وقد أمر الأمير –أكرمه الله– لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثا فخذوها هنيئا مريئا، ومن كان له حاجة فليرفعها إلينا وله عندنا قضاؤها على ما عز وهان من المواساة إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. خطبة موسى بأفريقية: وذكروا أن موسى لما قدم أفريقية ونظر إلى جبالها، وإلى ما حولها جمع الناس ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنما كان قبلي على أفريقية أحد رجلين مسالم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية، ويكره أن يكلم ويحب أن يسلم، أو رجل ضعيف العقيدة، قليل المعرفة، راض بالهوينا، وليس أخو الحرب إلا من اكتحل السهر، وأحسن النظر، وخاض الغمر، وسمت به همته، ولم يرض بالدون من الغنم لينجو ويسلم دون أن يكلم أو يكلم، ويبلغ النفس عذرها في غير خرق يريده، ولا عنف يقاسيه، متوكلا في حزمه حازما في عزمه، مستزيدا في علمه، مستبرا لأهل الرأي في إحكام رأيه مستحكا بتجاربه، ليس بالمتجابن إقحاما، ولا بالمتخاذل إحجاما، إن ظفر لم يزده الظفر إلا حذرا،وإن نكب أظهر جلادة وصبرا، راجيا من الله حسن العاقبة، فذكر بها المؤمنين ورجاهم إياها لقول الله تعالى:﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود] أي الحذرين. وبعد، فإن كل من كان قبلي كان يعمد إلى العدو الأقصى، ويترك عدوا منه أدنى ينتهز منه الفرصة، ويدل منه على العورة، ويكون عونا عليه عند النكبة، وايم الله لا أريم هذه القلاع والجبال الممتنعة، حتى يضع الله أرفعها، ويذل أمنعها، ويفتحها على المسلمين بعضها أو أجمعها أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين .

قال محمد رشيد رضا: لا يظنن ظان أن هذا الكلام صادر عن تصورات وخيالات لا أثر لها في النفس، ولا يشهد لها من قائلها العمل، كما يعلمون عن بعض خطباء هذا العصر، وكتابه الذين يقتبسون أقوال الناس ويتخيلون عبارات ، ثم يؤلفون ذلك على الصورة التي يظنون أنها تسر الناس، وتطلق ألسنتهم بالثناء عليهم ويسمون ذلك خطبة أو مقالة. كلا إن موسى هو فاتح بلاد المغرب وبلاد الأندلس، ومؤسس الحكومة الإسلامية فيهما فعمله خير من قوله، وأخلاقه وآدابه مصدر أعماله، ولا مرشد له في ذلك إلا الدين المبين.

مراجع: الإمامة والسياسة/ الأعلام للزركلي/ المنار/

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموي) وزيد بن الحسن بن علي 0457

قال يعقوب بن عبد الرحمن الزهري: بلغني أن الوليد بن عبد الملك كتب إلى زيد بن الحسن بن علي[1] يسأله أن يبايع لـ عبد العزيز بن الوليد[2] ويخلع سليمان بن عبد الملك، ففرق* زيد من الوليد فأجابه، فلما استخلف سليمان وجد كتاب زيد بن حسن إلى الوليد بذلك، فكتب إلى أبي بكر بن حزم[3] -وهو أمير المدينة- : ادع زيد بن حسن فأخبره بهذا الكتاب، فإن عرفه اكتب إلي بذلك، وإن هو نكل فقدمه فاظهر يمينه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتب بهذا الكتاب ولا أمر به. قال: فأرسل إليه أبو بكر بن حزم فأقرأه الكتاب. فقال: انظرني ما بيني وبين العشاء استخير الله عز وجل. قال: فيرسل زيد بن الحسن إلى القاسم بن محمد[4]وسالم بن عبد الله[5] يستشيرها. قال: فأقاما ربيعة معهم فذكر لهما ذلك وقال: إني لم أكن آمن من الوليد على دمي لو لم أجبه، فقد كتبت هذا الكتاب فترون أن أحلف. قالوا: لا تحلف ولا تبادر الله عز وجل عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا نرجو أن ينجيك الله عز وجل بالصدق. فأقر بالكتاب ولم يحلف، فكتب بذلك أبو بكر. فكتب سليمان إلى أبي بكر أن يضربه مائة سوط، ويدر عنه عباءة ويمشيه حافيا. قال: فحبس عمر بن عبد العزيز الرسول من عسكر سليمان وقال: لا تخرج حتى أكلم أمير المؤمنين فيما كتب في زيد بن حسن لعلي استطيب نفسه فيترك هذا الكتاب. قال: فجلس الرسول، ومرض سليمان. فقال للرسول: لا تخرج فإن أمير المؤمنين مريض، فلما توفي سليمان وأفضى الأمر إلى عمر دعا بالكتاب ومزقه.

قيل حكم رجل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بن محمد في صلاته فقطع عليهم الصلاة وشهر السيف، فكتب أبو بكر إلى عمر بن عبد العزيز، فأتي بكتاب عمر فقرئ عليه، فشتم عمر والكتاب ومن جاء به، فهم أبو بكر بضرب عنقه، ثم راجع عمر وأخبره أنه شتمه وأنه هم بقتله، فكتب إليه عمر لو قتلته لقتلتك به، فإنه لا يقتل أحد إلا أن يشتم النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أتاك كتابي هذا فاحبس عن المسلمين شره، وادعه إلى التوبة في كل هلال، فإذا تاب فخل سبيله، فلم يزل في الحبس حتى هلك عمر رضي الله تعالى عنه، فضرب يزيد بن عبد الملك عنقه.

----

*(الفرق) الخوف الشديد والفزع

■ (1) زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، والد أمير المدينة الحسن بن زيد..روى عن أبيه وجابر وابن عباس. وعنه ابنه الحسن وعبد الرحمن ابن أبي الموال وعبد الله بن عمرو بن خداش وعبد الملك بن زكرياء الأنصاري وأبو معشر ويزيد بن عياض بن جعدبة. ذكره ابن حبان في الثقات وكان من سادات بني هاشم وكان يتولى صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أما بعد فان زيد بن الحسن شريف بني هاشم وذو سنهم مات وهو ابن تسعين سنة. قلت: مات في حدود 120 هـ

■ (2) عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وأمه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر. كان أبوه الوليد أراد خلع أخيه سليمان من ولاية العهد وتوليه عبد العزيز فلم يتم له ذلك وقيل بل أراد أن يجعل إليه ولاية العهد بعد سليمان وولاه الموسم وولى إمرة دمشق في أيام أبيه

■ (3) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي أمير المدينة وقاضيها لسليمان بن عبد الملك، ثم لعمر بن عبد العزيز روى عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن مالك قال: لم يكن عندنا بالمدينة احد عنده من علم القضاء ما كان عند أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم وكان ولاه عمر بن عبد العزيز وكتب إليه أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد فكتبه له، ولم يكن على المدينة أنصاري أميرا غير أبي بكر بن حزم، وكان قاضيا.

■ (5) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبو عبد الله، ويقال: أبو عبيد الله ويقال: أبو عمر العدوي المدني الفقيه قدم الشام على عبد الملك بن مروان بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليد بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز. وكان أشبه أولاد أبيه به، عن مالك قال لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. روى عن أبيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ورافع بن خديج وأبي هريرة . توفي سنة 106 هـ. ووافق موته حج هشام، فصلى عليه وكان في طريق عودته من الحج، بالمدينة.ودُفن بالبقيع.

■ (4) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد: أحد الفقهاء السبعة في المدينة.ولد فيها، وتوفي سنة106 هـ (وقيل سنة سبع أو ثمان أو تسع وقيل غير ذلك) بقديد بين مكة والمدينة حاجا أو معتمرا. وكان صالحا ثقة من سادات التابعين، عمي في أواخر أيامه.قال ابن عيينة: كان القاسم أفضل أهل زمانه.

عن ابن شوذب قال: أراد الوليد بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز على أن يخلع سليمان، فقال: يا أمير المؤمنين إنما بايعنا لكما في عقدة واحدة فكيف نخلعه ونتركك؟!. قال مالك بن أنس: أراد الوليد بن عبد الملك أن يبايع لابنه عبد العزيز بن الوليد، فأراد عمر بن عبد العزيز على ذلك، فقال عمر: إن لسليمان في أعناقنا بيعة. فبلغت الوليد، فأمر به، فطين عليه البيت، فقالت أم البنين ابنة عبد العزيز: لابلغه الله أمله فيه، ففتح الباب عن عمر. وعن سهيل بن أبي سهيل قال: سمعت رجاء بن حيوة يقول: بلغ عبد العزيز بن الوليد وكان غائبا موت سليمان بن عبد الملك ولم يعلم بمبايعة الناس عمر وعهد سليمان إليه، فبايع من معه لنفسه ثم أقبل يريد دمشق يأخذها فبلغه أن عمر بن عبد العزيز قد بايعوا له بعد سليمان بعهد من سليمان، فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر بن عبد العزيز: قد بلغني أنك كنت بايعت من قبلك وأردت دخول دمشق، فقال: قد كان ذلك وذلك أنه لم يبلغني أن الخليفة كان عقد لأحد ففرقت على الأموال أن تنهب. فقال عمر: والله لو بويعت وقمت بالأمر ما نازعتك ذلك ولقعدت في بيتي. فقال عبد العزيز: ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك وبايع عمر بن عبد العزيز.

قال الحافظ: كان لعمر بن عبد العزيز رأفة بالخلق عامة، وبأولاد النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، من ذلك قصة زيد بن الحسن السبط رضي الله عنهما وذلك أن عمر بن عبد العزيز كتب في حقه حين كان واليا على المدينة الشريفة من قبل الوليد إلى الوليد: أما بعد، فإن زيد بن الحسن شريف بني هاشم، فأدوا إليه صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعنه يا هذا على ما استعانك عليه فأمر له بذلك.

وروى أن عمر بن عبد العزيز صعد المنبر ذات يوم بمكة، فقال: أيها الناس، من كانت له ظلامة فليتقدم، فتقدم علي بن الحسين بن علي كرم الله وجهه فقال: إن لي ظلامة عندك، فقال: وما ظلامتك؟ فقال: مقامك هذا الذي أنت فيه، فقال: إني لأعلم ذلك، ولكن لو علمت أن الناس يتركونه لك والله لتركته. وقال رضي الله تعالى عنه: لو كنت في قتلة الحسين، وأمرت أن أدخل الجنة، ما فعلت؛ حياء أن تقع علي عين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروى عن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر قال: كان العبد الصالح أبو حفص عمر بن عبد العزيز يهدي إلينا الدراهم والدنانير في زقاق العسل؛ خوفا من أهل بيته. وعن زوجته فاطمة؛ أنها قالت: ما اغتسل والله عمر من جنابة منذ ولي هذا الأمر، كان نهاره في أشغال المسلمين ورد المظالم، وليله في عبادة ربه.

مراجع: تهذيب التهذيب/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ المحن/ تاريخ دمشق/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال/ الأعلام للزركلي/

عن مشيخة الحي، قال: كان عبد الله بن يزيد الأسيدي[1] ثم التميمي يكثر التعبث بـ عبد الله بن الجارود العبدي(؟)[2]، الذي كان عاملا على البصرة من قبل سليمان بن عبد الملك(؟)، فدس عبد الله بن الجارود رجالا من عبد القيس[3] فشهدوا على عبد الله بن يزيد بشرب الخمر، فقبض عليه وضربه الحد ضرب التلف. فأخذ عبد الله بن يزيد يقول: ما هكذا تقام الحدود. ثم أمر به إلى السجن، ودس إليه غلاما له فدق عنقه في الحبس، وادعى عليه أنه مص خاتما كان في يده تحت فصه سم، فأنشأ الفرزدق[4] يقول من البسيط: يا آل تميم ألا لله أمكم..لقد رميتم بإحدى المصمئلات*. في أبيات له، فوجه عبد الله بن الجارود من لبب* الفرزدق، وقاده إلى السجن، فلما أن كان على باب السجن قال: أيها المسلمون، أشهدكم أنه ليس في إصبعي خاتم! ونمي الخبر إلى سليمان فعزل ابن الجارود وأشخصه إليه، فلما دخل عليه سلم بالخلافة، فقال له سليمان: لا سلم الله عليك، قتلت من كان خيرا منك أبا وأما. فقال ابن الجارود: يا أمير المؤمنين، وليتمونا بلدا، ودفعتم إلينا سيفا وسوطا وأمرتمونا بإقامة الحدود، فإن تهلك نفس فمن وراء الجهد. وأما قولك يا أمير المؤمنين إنه كان خيرا مني أبا وأما، فأما أبي فهو الجارود بن المعلى[5] الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَسْلِمْ يَا جَارُود، قَالَ: اضْمَنْ لِي الْجَنَّةَ يَا رَسُولَ اللهِ﴾ وهو الذي قال فيه عمر[6]: لو أدركت سالما[7] مولى أبي حذيفة لم يخالجني فيه الشك، ولو أدركت أعيمش[5] عبد القيس لسلمتها إليه. وأما أمي فابنة الذي أجار أباك على علي بن أبي طالب[9] يوم الجمل. وكان جده لأمه مسمع بن مالك[10] أبو مالك مسمع، وكان أجار مروان يوم الجمل على علي بن أبي طالب.

----

*(المصمئلات) البيت في ديوانه وبالاصل: قال تميم. والمثبت عن الديوان والمصمئلات: الدواهي الواحدة مصمئلة (التلبية) في معنى التلبية ثمانيه أقوال: أحدهما: انقياد من قولهم لبب الرجل إذا قبضت على تلابيبه ومنه: لببته برداءه. والمعنى: انقدت لك وسعت نفسي لك خاضعة ذليلة كما يفعل بمن لبب برداءه وقبض على تلابيبه.

■ (2) عبد الله بن الجارود العبدي؟ – خطأ أو تشابه أسماء ؟ (؟) ابن الجارود والحجاج ماتا قبل خلافة سليمان بن عبد الملك.

يقال: عبد الله بن بشر (ابن الجارود) بن عمرو العبدي: سيد نبي عبد القيس في عصره جمع قومة لقتال الحجاج الثقفي في البصرة وبايع له الناس على إخراج الحجاج من العراق وسؤال عبد الملك بن مروان أن يولي عليهم غيره فكانت وقائع شديدة انتهت بمقتل صاحب الترجمة سنة 76 هـ يقال أيضا: الحكم بن المنذر بن الجارود سيد عبد القيس مات في حبس الحجاج الذى يعرف بالديماس، وهذه نسبته من الجمهرة: الجارود: هو بشر بن حنش بن المعلى، وهو الحارث بن يزيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز.

■ (5) أعيمش (تصغير أعمش) هل يقصد الجارود العبدي ؟ بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى العبدي: سيد عبد القيس وهم بطن من أسد ربيعة كان شريفا في الجاهلية، قيل: لقب الجارود بعد وقعة أغار بها على بني بكر بن وائل، فظفر، وقالت العرب: جردهم ! وأدرك الإسلام، فوفد على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من قومه، وكانوا نصارى، فأسلم، وفرح النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامه وأكرمه. وعاش إلى زمن الردة فثبت على عهده. ووجهه الحكم بن أبي العاص على القتال يوم سهرك فقتل في عقبة الطين موضع بفارس شهيدا سنة 20 هـ وقيل سنة 21 هـ

■ (7) سالم بن معقل، أبو عبد الله، مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس: صحابي، من كبارهم وكبار قرائهم. فارسي الأصل أعتقته ثبيتة زوج أبي حذيفة، صغيرا، وتبناه أبو حذيفة وزوجه ابنة أخ له. وهو من السابقين إلى الإسلام. كان يؤم المهاجرين الاولين، قبل الهجرة، في مسجد قباء، وفيهم أبو بكر وعمر. وفي صحيح الحديث: خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل. ويروى أن عمر قال في الشورى، لما طعن: لو كان سالم حيا ما جعلتها شورى. أي لا كتفي برأيه. شهد بدرا، ثم كان معه لواء المهاجرين يوم اليمامة، فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت، فاعتنقه إلى أن صرع سنة 12 هـ. وقد سبقه مولاه أبو حذيفة فأوصى أن يدفن بجانبه.

■ (10) مسمع بن مالك بن مسمع بن شيبان ويقال: مسمع بن مالك بن مسمع بنقلع، وقلع لقب واسمه علقمة بن عمرو بن عباد، ويقال: ابن عباد بن عمرو بن جحدر، أبو سيار الربعي، البصري وفد على عبد الملك، وكان سيد بكر بن وائل بالبصرة. وتوفي بسجستان، واستخلف ابن أخيه محمد بن شيبان بن مالك. كان شريفا سيدا حليما لا يقدم عليه أحد من ربيعة في زمانه وكان جوادا سخيا فلما ولي عبد الملك بن مروان شكر لمالك بن مسمع ومسمع بن مالك ما كان من مالك إلى مروان.

■ (3) عبد القيس قبيلة كبيرة يسكنون البحرين ينسبون إلى عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جليلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، وذكر ابن حجر في الفتح أن لهم وفادتين إحداهما قبل الفتح سنة خمس أو قبلها، ولهذا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: بيننا وبينك كفار مضر، وكانت قريتهم بالبحرين أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة، وكان عددهم ثلاثة عشر، وسألوا عن الايمان والاشربة، وكان فيهم الاشج كما هو مبين في الحديث، أما الوفادة الثانية فكانت في سنة الوفود، وكان عددهم حينئذ أربعين رجلا، وكان فيهم الجارود العبدي، (انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وبهامشه الجامع الصحيح).

■ (6) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (9) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (4) همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم أبو فراس بن أبي خطل التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن أبي هريرة، والحسين، وابن عمر، وأبي سعيد، وطائفة. وعنه الكميت، ومروان الأصفر، وخالد الحذاء، وأشعث الحمراني، والصعق بن ثابت، وابنه لبطة، وحفيده أعين بن لبطة.ولد الفرزدق سنة 38 هـ، و توفي في البصرة سنة 110 هـ.

■ (1) عبد الله بن يزيد الأسيدي / عبد الله بن يزيد بن أسيد (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قال شهر بن حوشب، قال عمر بن الخطاب[1] رضي الله عنه:لو أدركت أبا عبيدة[2]لاستخلفته، فإن سألني ربي قلت: يا رب إني سمعت نبيك يقول: إنه﴿أَمِيْنُ هَذِهِ الأُمَّةِ﴾ولو أدركت سالما مولى أبي حذيفة لاستخلفته، فإن سألني ربي قلت: يا رب إني سمعت نبيك يقول: ﴿إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَّ وَرَسُولَهُ حُبًّا مِنْ قَلْبِهِ﴾ ولو أدركت معاذ بن جبل[3]لاستخلفته، فإن سألني ربي قلت: يا رب إني سمعت نبيك يقول:﴿إِنَّ الْعُلَمَاءَ إِذَا حَضَرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ قَذْفَةً بِحَجَرٍ﴾ أخرجه ابن سعد وعن أبي العجفاء، قال، قيل لعمر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين لو عهدت. قال: لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لوليته فإن قدمت على ربي فقال لي: من وليت على أمة محمد؟ قلت سمعت عبدك وخليلك صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيناً، وَأَمِيْنُ هَذِهِ الأُمَّةِ: أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ﴾ ولو أدركت معاذ بن جبل. ثم وليته ثم قدمت على ربي فقال لي: من وليت على أمة محمد؟ قلت: إني سمعت عبدك وخليلك صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿يَأْتِي بَيْنَ الْعُلَمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِرَتْوَةٍ*﴾، ولو أدركت خالد بن الوليد[4] ثم وليته، ثم قدمت على ربي فسألني من وليت على أمة محمد؟ لقلت: سمعت عبدك وخليلك صلى الله عليه وسلم يقول:﴿خَالِدٌ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهَّ، سَلَّهُ اللهُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾.

وسئل ابن عائشة عن قول عمر: لو أدركت سالما مولى أبي حذيفة لوليته. قال: لم يعن أن يوليه الخلافة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ﴾! ولكن أراد الصلاة بالناس في الأيام التي كانت الشورى مكان صهيب[5] لأن صهيبا كان ألكن، وكان سالم فصيحا، فصلى بهم صهيب ثلاثة أيام، وهو الذي صلى على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال الزبير بن بكار: حدثني غير واحد أن عمر بن عبد العزيز[6]قال: لو كان لي أن أعهد ما عدوت أحد رجلين؛ صاحب الأعوص يريد إسماعيل بن عمرو[7] أو أعيمش بني تميم يريد القاسم بن محمد[8]وقال ابن وهب: حدثني مالك أن عمر بن عبد العزيز قال: لو كان لي في الأمر شيء لوليت القاسم بن محمد الخلافة. قلت: إنما بايعوا عمر بن عبد العزيز بالخلافة مشروطا بأن الأمر من بعده ليزيد بن عبد الملك، فلهذا قال: لو كان لي من الأمر.

----

*(برتوة) رمية بسهم، وقيل: بحجر، وقيل: بميل، وقيل: حد البصر. درجة

■ (1) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (2) أبو عبيدة بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال. أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام، .ولد سنة 40 ق هـ. ومات بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ.

■ (3) معاذ بن جبل بن عمرو، كنيته أبو عبد الرحمن ويقال أبو عبد الله شهد بدرا والعقبة مع النبي صلى الله عليه وسلم حديثه في أهل الشام ومات بها بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة 18 هـ في خلافة عمر وله 31 سنة وقيل إنه حين مات كان له 33 سنة ومنهم من قال28 سنة

■ (4) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يلي أعنة الخيل في قريش، وقد أسلم سنة 7 هـ ، يكنى أبا سليمان، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول، وله بطولات نادرة في حروب الردة وقتال الفرس،مات بالشام في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21 هـ ويقال: توفى بحمص سنة 14 هـ

■ (5) صهيب بن سنان أبو يحيى النمري. المعروف بـ صهيب الرومي، من النمر بن قاسط.ويعرف بالرومي لإنه أقام في الروم مدة.ولد سنة 35 ق.هـ وهو من أهل الجزيرة، سبي من قرية نينوى، من أعمال الموصل. وقد كان أبوه، أو عمه، عاملا لكسرى. ثم إنه جلب إلى مكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان القرشي التيمي. ويقال: بل هرب، فأتى مكة، وحالف ابن جدعان. كان من كبار السابقين البدريين. مات صهيب بالمدينة في شوال سنة 38 هـ.عن سبعين سنة. وقال المدائني: عاش ثلاثا وسبعين سنة.وقال الفسوي: عاش أربعا وثمانين سنة.

■ (7) ابن الأشدق، إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص ق أبو محمد الأموي ويعرف أبوه بالأشدق. روى عن ابن عباس وعبيد الله بن أبي رافع وغيرهما. وهو مقل صدوق. روى عنه شريك بن أبي نمر وسليمان بن بلال وأبو بكر بن أبي سبرة وآخرون. سكن الأعوص بالحجارة بعد قتل والده واعتزل الناس وتعبد وكان كبير القدر يعد من عباد الأشراف. وكان عمر بن عبد العزيز يراه أهلا للخلافة قال: لو كان الأمر إلي لوليت القاسم بن محمد أو صاحب الأعوص. والأعوص على مرحلة من شرقي المدينة. توفي في إمرة داود علي على المدينة وكان داود قد هم بالفتك به فخوفوه من دعائه عليه فتركه. قال الصفدي: توفي في حدود 140 هـ.

■ (8) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أبو عبد الرحمن.أحد الفقهاء السبعة في المدينة. ولد فيها سنة 35 هـ، قتل أبوه فتربى يتيما في حجر عمته عائشة أم المؤمنين فتفقه عليها وسمع كثيرا من الصحابة.قال عمر بن عبد العزيز: لو كان لي من الأمر شيء، لاستخلفت أعيمش بني تميم يعني القاسم. قيل توفي سنة 110هـ وقيل 107 هـ

■ (6) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ أنساب الأشراف/ الروض المعطار في خبر الأقطار/ تاريخ المدينة/ تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته/ نور القبس/ الموسوعة العربية العالمية/

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموي) ومحمد بن المنذر بن الزبير 0459

قال الزبير: حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال: كان محمد بن المنذر[1] قدم على عبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله بن الزبير[2] يطلب في ماله، وكان قبض مع ما قبض من أموال ابن الزبير، فأمر له بالكتاب في رده، وذكر ابن الزبير في كتابه، فقال: مما أصفى عن الكذاب. فقال محمد: ليس مثلي يحمل شتم عمه. فأمر عبد الملك بمحو ذلك عنه.

وعن مصعب بن عثمان قال: لما دخل محمد بن المنذر على عبد الملك، قال له يحيى بن الحكم[3]: من صاحب يوم كذا؟ فقال: أنا. فقال: من صاحب وقعة كذا؟ قال: أنا. حتى عد وقعات، كل ذلك يقول محمد بن المنذر: أنا. قال يحيى: يا أمير المؤمنين، هذا الذي فعل بنا الأفاعيل. فقال محمد لعبد الملك: ردوا علي سيفي وخذوا أمانكم، فلا حاجة لي به. قال عبد الملك: لا نفعل.

قال إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله: ركب سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، ومعه محمد بن المنذر، وعمر بن عبد العزيز[4] وسليمان بينهما، فجاء المطلب بن عبد الله[5] على بغله ليدخل بين سليمان ومحمد بن المنذر، فيتوسط هو وسليمان، فضرب محمد بن المنذر وجه بغلة المطلب فأنقدعت*، فقال المطلب: ألا ترى يا أمير المؤمنين ما يفعل بقية الفتنة ووضر السيف؟ قال فقال محمد: فتنة والله كنت فيها تابعا غير متبوع، ذنبا غير رأس. قال المطلب: أنا ابن بنت الحكم. قال محمد: أدناهن منكحا، وأكثرهن مهرا، وأهونهن على أهلها. فالتفت سليمان إلى عمر فقال:ألا ترى محمدا يمدحنا بذمنا، ويذمنا بمدحنا، وكل ذلك يجوز له عندنا.

----

*(قدع) القدع الكف والمنع، وانقدع فلان عن الشيء إذا استحيا منه

- (1) محمد بن المنذر بن الزبير بن العوام أبو زيد من أهل المدينة، يروى المراسيل والمقاطيع روى عنه فليح بن محمد وهو أخو عبد الله بن المنذر، يروي عن هشام بن عروة روى عنه إبراهيم بن المنذر الحزامي ، ربما أخطأ
- (4) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر
- (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة ورواية عن النبي وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ
- (3) يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو مروان الأموي، أخو مروان بن الحكم (رابع ملوك بني أمية). كان يحيى بن الحكم عاملاً على المدينة لعبد الملك بن مروان (خامس ملوك بني أمية).
- (5) المطلب بن عبد الله بن حنطب القرشي المخزومي المدني أحد الثقات، وكان جده حنطب بن الحارث بن عبيد المخزومي من مسلمة الفتح. أرسل المطلب عن عمر بن الخطاب وغيره، وحدث عن عبد الله بن عمرو وابن عباس، وجابر، وأبي هريرة، وعدة. وهو ابن أخت مروان بن الحكم، وابن أخت أبي سلمة بن عبد الرحمن. وفد على الخليفة هشام، فوصله بسبعة عشر ألف دينار. كان حيا في حدود سنة 120 هـ.

كان محمد بن المنذر يعدل بكثير من أعمامه أعيان بني الزبير مروءة وشجاعة ولسانا وجلدا. وكان محمد بن المنذر مع عبد الله بن الزبير بعد مقتل أبيه المنذر، وكان من فرسانه المعدودين. وكان ابن الزبير بعد قتل مصعب[1] يقول: إن يك مصعب قتل فهذا محمد بن المنذر. وكان عبد الله بن الزبير قد جعل محمد بن المنذر على قتال من جاء من المأزمين*، وجعل حمزة بن عبد الله[2] على قتال من جاء من المسعى*، وجعل هاشم بن عبد الله[3] على قتال من جاء من الردم*، فقال في ذلك بعض أصحاب عبد الله بن الزبير: من الطويل: جعلنا سداد المأزمين محمدا..وحمزة للمسعى، وللردم هاشم. وكان محمد بن المنذر من سورات الناس، وأحكمهم، وأشرفهم، وكان إذا مر في الطريق أطفئت النيران تعظيما له؛ يقولون: هذا محمد بن المنذر لا تدخنوا عليه؛ قال: وانقطع يوما قبال نعله، فقال لرجله هكذا، فنزع الآخر ومضى، فتركها ولم يعرج عليها. وغاظه رجل من آل خالد بن الزبير، فالتفت إليه فقال: ما قل سفهاء قوم قط إلا ذلوا.

قال مصعب بن عثمان: كان زبيب الضبابي[4] في نفر من الضباب قد دفعوا إلى المدينة، فحبسوا في السجن حتى رثت حالهم، ثم أرسلوا، فخرجوا يسألون في الناس، حتى مروا بمحمد بن المنذر جالسا ببقيع الزبير، فقال: لا تسألوا أحدا؛ وأمر لهم بظهر وكسوة ورحال ونفقة، وكفاهم كل مؤونة حتى إنهم ليعطون السياط لرواحلهم؛ فقال زبيب الضبابي: من الطويل: ألا أيها الناعي الندى ووراثة الن..نبي وفتواه، عليك ابن الزبير..عليك فتى إن يصبح المجد غاليا..يقم بالذي يغلوبه ثم يشتري..قرى في حياض المجد حتى إذا ارتوى..أمال الندى كالجدول المتفجر..طوى البعد عنا حين حلت رحالنا..بعوج الهوادي كالأهلة ضمر..فذاك فتى إن تأته تنل الغنى..وإن تك أعمى يجل عنك فتبصر..حراجيج يدنين الفتى من صديقه..فأبنا كأنا عصبة لم تؤسر..ويروى هذا:فراح الندى يهتز بين ثيابه..ورحنا كأنا عصبة لم تؤسر .

قال: كان سليمان بن عبد الملك من أشد الناس غيرة. فعن عيسى بن يزيد بن دأب: أن أبا زيد الأزدي[5] دخل على سليمان بن عبد الملك، وهو قاعد على دكان مبلط بالرخام الأحمر، مفروش بالديباج المطبوع الأخضر، في وسط بستان ملتف قد أثمر، ونار كل شق من الدكان ميدان ينبت الربيع، وعلى رأسه وصفاء كل واحدة منهن من صاحبتها أقمر وأزهر، وقد أشرقت الشمس، فنضرت لحسنها الخضرة، وتضاعفت الزهرة، وتغنت الأطيار، فتجاوبت، وهبت الرياح على الأشجار فتمايلت، بين أنهار فيه قد شققت، ومياه فيها قد دفقت. فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فرفع رأسه، وكان مطرقا، فقال: أبا زيد، انصات في هذا اليوم، مرحبا، فقلت: يا أمير المؤمنين، وقد قامت القيامة، فقال: على أهل المحبة سرا، والمراسلة خفيا، قد أكلوا النعيم، فمشمشوه، وأبسطوا التفكير فقاربوه، وفتقوا أكمام الطيب فمازجوه. ثم أطرق مليا، ثم رفع رأسه، فقال: أبا زيد، ما يطيب في يومنا هذا؟ فقلت: قهوة حمراء، في زجاجة بيضاء، تناولنيها مقدودة هيفاء، كوماء كحلاء، أشربها من يدها، وأمسح فمي بفمها. فأطرق عند ذلك مليا تتحادر من عينيه عبرات متواليات بلا شهيق، فلما رأى الوصفاء ذلك تنحوا عنه، فقال: أبا زيد، حللت بيوم فيه انقضاء أجلك، وتصرم عمرك، لتخبرني ما أثار هذه الصفة من قلبك؟ أو لأضربن عنقك، فقد أبديت مني مكتوما بوصفك، وأعلنت مني مستورا بنعتك. فقلت: الأمان يا أمير المؤمنين، قال: لك ذلك فقل. فقلت: يا أمير المؤمنين، بينا أنا ذات يوم قاعد بباب سعيد بن عبد الملك إذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر تريد رحبته كالغزال الفالت من شبكة الصائد، وعليها ثوب سكب إسكندراني، يرى منه نور بدنها، وطي عكنها، ونقش تكتها، وتدوير سرتها. في رجلها نعل قد أشرق بياض قدمها على حمرة نعلها، تفرد ذؤابة تضرب الحقو، وعينان مملوءتان سحرا، الغالب عليها الفتور، بينهما أنف أقنى، كأنه قصبة در، فوقه حاجبان قد قوسا على محاجر عينيها، وطرة كالحمم على متن جبينها، وصدغان قد تعقربا، نونان على صحن خدها، وقفا كالعناقيد على سلتها. شغلني عن صفة فمها ذهاب عقلي، كأنه فم غلام قد تبرق شاربه، وهي تلون كلامها وتقول: عباد الله، ما الدواء لما لا يشتكى؟ والعلاج لما لا يسمى؟ دام الحجاب، وأبطأ الكتاب، والنفس محتبس، والروح مختلس، والنفس واهية، والأذن واعية. سلم الله على قوم عاشوا تجلدا، وماتوا كمدا. فقلت: سماوية أم أرضية، أم جنية، أم إنسية؟ فقد انتهى جمال خلقك، وكمال عقلك، وحسن منطقك. فسترت وجهها بكمها، وقالت: اعذر أيها القاعد، فما أشد الوحشة بلا مساعد، والمقاساة لخصم معاند. غلب القضاء، وقل العزاء، وبرح الخفاء، والله شاهد على ما ترى، ورقيب على ما يخفى. ثم ولت مدبرة. فوالله يا أمير المؤمنين ما أستحلي طيبا إلا غصصت به، ولا أرى حسنا إلا سمج في عيني لتشكيها. فقال سليمان: كاد الجهل أن يستفزني، والصبا أن يعاودني بسحر ما رأيت، وحسن ما سمعت. أبا زيد، أتدري من تلك؟ هي الزلفاء، باعها أمير المؤمنين من أخيه بألف ألف درهم، وهي عائقة لمن باعها، وأمير المؤمنين عاشق لها. والله لا مات من يموت إلا بحسرتها، ولا يفارق الدنيا إلا بغصتها. قم أبا زيد، واكتم المفاوضة. يا غلام، نعله. وأمر بإخراجه.

----

*(المأزمين) والمأزم: كل طريق ضيق بين جبلين، وموضع الحرب أيضا مأزم، ومنه سمي الموضع الذي بين المشعر وبين عرفة مأزمين.(الصفا والمروة) اسمان لجبلين صغيرين معروفين في طرفي المسعى وإن اختلفت معالمها الآن (الردم) هو ردم بني جمح بمكة

- (2) حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الاسدي، والد عباد وعبد الواحد كنيته أبو عمار، وقيل أبو عمارة، يروى عن أبيه وعائشة، ولاه أبوه عبد الله البصرة ثم عزله
- (1) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي القرشي، أبو عبد الله: أحد الولاة الابطال في صدر الاسلام. نشأ بين يدى أخيه عبد الله بن الزبير، فكان عضده الاقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق. وولاه عبد الله البصرة سنة 67 هـ فقصدها، وضبط أمورها، وقتل المختار الثقفى. ثم عزله عبد الله عنها مدة سنة، وأعاده في أواخر سنة 68 وأضاف إليه الكوفة، فأحسن سياستهما. وتجرد عبد الملك بن مروان لقتاله، فسير إليه الجيوش، فكان مصعب يفلها. حتى خرج إليه عبد الملك بنفسه، فلما دخل العراق خذل مصعبا قواد جيشه وأصحابه فثبت فيمن بقي معه، فأنفذ إليه عبد الملك أخاه محمد بن مروان فعرض عليه الامان وولاية العراقين أبدا ما دام حيا ومليوني درهم صلة، على أن يرجع عن القتال، فأبى مصعب، فشد عليه جيش عبد الملك، في وقعة عند دير الجاثليق على شاطئ دجيل، من أرض مسكن وطعنه زائدة بن قيس السعدى أو عبيد الله بن زياد بن ظبيان فقتله. وحمل رأسه إلى عبد الملك. وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام. وكانت في البهنساوية بمصر قبيلة تنتسب إليه تعرف ببني مصعب قال أبو عبيدة معمر ابن المثنى: كان مصعب أحب أمراء العراق إلى أهل العراق، يعطيهم عطاءين عطاء للشتاء وعطاء للصيف، وكان يشتد في موضع الشدة ويلين في موضع اللين.قلت: والمؤرخون، مع اختلافهم في مقتله سنة 71 أو 72 هـ، يذكرون في عمره يوم قتل ثلاث روايات: 35 سنة، و 40 و 45 واقتصر ابن الجوزى على الرواية الاخيرة.
- (3) هاشم بن عبد الله بن الزبير روى عن عمر رضى الله عنه، مرسل، قديم الموت روى عنه العلاء بن رؤبة التميمي
- (5) أبو زيد الأسدي ويقال الأزدي رجل فصيح. وفد على سليمان بن عبد الملك. وكان خاصا به جالسا وينادمه
- (4) زبيب الضبابى شاعر إسلامى = ذكره المرزبانى ؟

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ الثقات لابن حبان/ جمهرة نسب قريش وأخبارها/

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموي) ورجل (؟) 0460

حدث أبو عبد الله بن التوأم الرقاشي: أن سليمان بن عبد الملك[1] أخاف رجلا وطلبه ليقتله فهرب، فجعلت رسله تختلف إلى منزله يطلبونه، فلم يظفر به، وجعل الرجل لا يأتي بلدة إلا قيل له: كنت تطلب ها هنا. فلما طال عليه الأمر، وخشي ألا يفلت قال: ما أجد شيئا خيرا من أن أذهب إلى بلاد ليس فيها له مملكة. فأقبل إلى أهله فطرقهم ليلا فدق الباب. فقالت المرأة: من هذا؟ قال: افتحي، أنا فلان. قالت: ويحك، وما جاء بك؟ فوالله ما نأمن ولا يأمن جيراننا، ولكن الحين جاء بك. ففتحت له، وأسرجت سريعا، ونبهت له عياله وجاءته بعشاء فتعشى، وأرادها على نفسها، فلم تمتنع عليه فواقعها وقالت: يا جارية، ضعي لمولاك في المتوضأ سراجا، وصبي له ماء، واذهبي إلى فلان وفلان: أربعة من جيرانها، ولا يعلم الرجل. فأتت أبوابهم فطرقتها، فقالوا ما لكم، أطرقكم الليلة أحد؟ قالت: لا. قالوا: فلأي شيء بعثتك؟ قالت: ما لي علم. فدق هذا على هذا، وأتوها، ودخلوا البيت فقام إليهم، واعتنقهم، وقالوا: ما جاء بك؟ فإنا ما نأمن منازلنا، ولكن الحين جاء بك. فقال: يا قوم، لم آت بلدة إلا وجدتني أطلب فيها، فرأيت أن أدخل بلدة ليس له عليها مملكة، وجئت لأوصي هذه المرأة وصية الموت، لأني إن دخلت بلادا غير بلاد الإسلام لم أقدر أن أخرج منها، فأوصيت إلها، وأشهدكم على ذلك. ثم ودعهم، وقاموا يخرجون. فقالوا: أيتها المرأة لأي شيء بعثت إلينا؟ فقالت: أليس تعرفون الرجل أنه زوجي؟ قالوا: بلى. قالت: فإنه قد كان منه الليلة ما يكون من الرجل إلى أهله، فاشهدوا على هذه الليلة، فإنه لا أدري ما يكون ها هنا وأشارت إلى بطنها فيقول الناس: من أين جاءت بهذا وزوجها غائب؟ فخرج القوم وهم يقولون: ما رأينا كاليوم امرأة أحسن عقلا، ولا أقرب مذهبا. وودعوه، وخرج الرجل، ترفعه أرض وتضعه أخرى حتى ظن أنه قد خرج من مملكته. فبينا هو في صحراء ليس فيها شجر ولا ماء، إذا هو برجل يصلي. فقال: فخفته وقلت: هذا يطلبني، ثم رجعت إلى نفسي فقلت: ما معه راحلة ولا دابة. فقصدت نحوه، فلما صرت بين كتفيه ركع ثم سجد ثم التفت إلي فقال: لعل هذا الطاغي أخافك؟ قلت: أجل، رحمك الله. قال: فما يمنعك من السبع؟ قلت: وما السبع يرحمك الله؟! قال: قل سبحان الله الواحد الذي ليس غيره إله، سبحان القديم الذي لا بادئ له، سبحان الدائم الذي لا نفاذ له، سبحان الدائم الذي كل يوم هو في شأن، سبحان الذي يحيي ويميت، سبحان الذي خلق ما يرى وما لا يرى، سبحان الذي علم كل شيء بغير علم. قال: قلها. فقلتها، وحفظتها، فألقى الله في قلبي الأمن، ورجعت من الطريق الذي جئت منه، فلم أر الرجل، وقصدت أهلي فقلت: لآتين باب سليمان بن عبد الملك، فأتيت بابه فإذا هو يوم إذنه للناس، فدخلت وهو قاعد على فرشه، فما عدا أن رآني، فاستوى على فرشه ثم أدناني حتى قعدت معه على الفراش، ثم قال: سحرتني؟ وساحر أيضا مع ما بلغني عنك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما أنا بساحر ولا سحرتك. قال: فكيف؟ فما ظننت أن يتم ملكي إلا بقتلك، فلما رأيتك لم أستقر حتى دعوتك فأقعدتك على فرشي وهو يضرب بيده على فخذه ثم قال: اصدقني. فأخبرته بقصتي وخوفي، وأمري كله. فقال سليمان: الخضر(؟) والله علمكها، اكتبوا له أمانه، وأحسنوا جائزته، واحملوه إلى أهله.

(تعليق: هذه الرواية رغم ما فيها من موعظة حسنة إلا أنها أشبه ما تكون بروايات ألف ليلة وليلة. !).

■ (1) سليمان بن عبد الملك، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. توفي سنة 99 هـ

قال أبو الحسين بن المنادي بحثت عن تعمير الخضر وهل هو باق أم لا فإذا أكثر المغفلين مغترون بأنه باق من أجل ما روى في ذلك، قال: والأحاديث المرفوعة في ذلك واهية والسند إلى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم، وخبر مسلمة بن مصقله كالخرافة وخبر رياح كالريح، قال: وما عدا ذلك كله من الأخبار كلها واهية الصدور والأعجاز، لا يخلو حالها من أحد أمرين: إما أن تكون أدخلت على الثقات استغفالا، أو يكون بعضهم تعمد ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء] قال: وأهل الحديث يقولون إن حديث أنس منكر السند سقيم المتن وإن الخضر لم يراسل نبيا ولم يلقه، قال: ولو كان الخضر حيا لما وسعه التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والهجرة إليه، قال: وقد أخبرني بعض أصحابنا أن إبراهيم الحربي سئل عن تعمير الخضر، فأنكر ذلك وقال: هو متقادم الموت، قال: وروجع غيره في تعميره، فقال: من أحال على غائب حي أو مفقود ميت لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان [..]

وسئل البخاري عن الخضر وإلياس: هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَبْقَى عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِمَّنْ هُوَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ﴾ ؟

قال سليمان بن عبد الملك لحميد الطويل: عظني. قال: يا أمير المؤمنين إن كنت إذا عصيت الله تعالى ظننت أنه يراك فقد اجترأت على رب عظيم وإن كنت تظن أنه لا يراك فقد كفرت برب كريم. قال علي رضي الله عنه لأسقف قد أسلم: عظني فقال: يا أمير المؤمنين. قال : إن كان الله معك فمن تخاف. قال: أحسنت زدني. قال: هب إن الله غفر ذنوب المسيئين أليس قد فاتهم ثواب المحسنين. قال : حسبي حسبي.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ الإصابة في تمييز الصحابة/ موارد الظمآن لدروس الزمان/

◆ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (سابع ملوك الدولة الأموي) وعطاء بن أبي رباح 0461

دخل سليمان بن عبد الملك[1] الحرم، ومعه الوزراء، والأمراء، والحاشية، والجيش، فقال: من عالم مكة؟ قالوا: عطاء بن أبي رباح[2]، قال: أروني عطاء هذا، فأشرف عليه، فوجده عبدا، كأن رأسه زبيبة مشلولا نصفه، أزرق العينين، مفلفل الشعر، لا يملك من الدنيا درهما ولا دينارا، فقال سليمان: أأنت عطاء بن أبي رباح الذي طوق ذكرك الدنيا؟ قال: يقولون ذلك، قال بماذا حصلت على هذا العلم، قال: بترك فراشي في المسجد الحرام ثلاثين سنة، ما خرجت منه، حتى تعلمت العلم، قال سليمان: يا أيها الحجاج لا يفتي في المناسك إلا عطاء. وحدث ان اختلف سليمان وأبناؤه في مسألة من مسائل الحج، فقال: دلوني على عطاء بن أبي رباح، فأخذوه إلى عطاء وهو في الحرم، والناس عليه كالغمام، فأراد أن يجتاز الصفوف، ويتقدم إليه وهو الخليفة، فقال عطاء: يا أمير المؤمنين، خذ مكانك، ولا تتقدم الناس؛ فإن الناس سبقوك إلى هذا المكان، فلما أتى دوره سأله المسألة فأجابه، فقال سليمان لأبنائه: يا أبنائي، عليكم بتقوى الله، والتفقه في الدين، فو الله ما ذللت في حياتي إلا لهذا العبد. لأن الله يرفع من يشاء بطاعته، وإن كان عبدا حبشيا، لا مال ولا نسب، ويذل من يشاء بمعصيته، وإن كان ذا نسب وشرف.

■ (2) عطاء بن أبي رباح أسلم -وقيل سالم- بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، أبو محمد، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند وهي بلدة مشهورة باليمن خرج منها جماعة من العلماء؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع إلى خلقا كثيرا من الصحابة، وروى عنه خلق كثير، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانهما. قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء. وقال إبراهيم بن عمر ابن كيسان: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحا يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح. قال سليمان بن رفيع: دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلعت فإذا عطاء بن أبي رباح جالس. توفي رضي الله عنه سنة 115 هـ وقيل 114 هـ، وعمره 82، وقال ابن أبي ليلى: حج عطاء 70 حجة وعاش 100 سنة، والله أعلم. قيل لأهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم؟ قالوا: كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد. قال الأصمعي: كان عطاء بن أبي رباح يقول في دعائه: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وعند الموت صرعتي، وفي القبور وحدتي، ومقامي غدا بين يديك.

■ (1) سليمان بن عبد الملك، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. توفي سنة 99 هـ

يقول الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات] يقول سعيد بن مسفر: وهذه عظمة الإسلام في أن التفاضل فيه ليس بالتوارث، إذ التفاضل بالدين، وبإمكان أي واحد من البشر أن يسابق بهذا الفضل وأن يصل إليه، ولهذا يقال: إن عطاء بن أبي رباح وهو من التابعين رحمه الله ورضي عنه، كان قد بحث عن مهنة يمتهنها فلم يجد، وكان دميم الخلقة، قصير القامة، أسود اللون، فكلما ذهب في عمل من الأعمال طرده الناس، أي: (لا عون ولا لون)، ماذا يشتغل؟ فدخل على أمه يوما من الأيام وهو في مكة ، قال لها: يا أماه: ما أراني إلا قد شقيت -أي: لم أجد لي وسيلة للسعادة في هذه الدنيا، لم أجد مهنة أمتهنها- قالت له: ألا أدلك على عمل إن عملته هابتك الملوك وانقاد لك به الصعلوك، قال: عمل إن عملته يهابني الملوك وينقاد لي به الصعلوك! قالت: نعم، قال: ما هو؟ قالت: عليك بالعلم.فأخذ قلمه ومحبرته واتجه إلى الحرم، ولازم الحرم وطلب العلم على أيدي العلماء، وفتح الله له الآفاق، واستقبله في مجالات العلم، حتى أصبح عطاء الرجل الأول في العالم الإسلامي في العلم، بحيث إذا قيل في المسائل كلها ولم يقل فيها عطاء يقول تتوقف الأمة حتى يعرف ماذا قال فيها عطاء !

ويحج الخليفة في سنة من السنين إلى بيت الله الحرام، ويتذاكر الناس في مجلسه في مسألة من مسائل العلم فيسأل هو: ماذا قال فيها عطاء ؟ قالوا: لا ندري ماذا قال، قال: لا يقال و عطاء موجود ادعوه لي -أرسلوا إليه لنسأله عن هذه المسألة- فأرسلوا إليه، فلما أرسلوا إليه رد الرسول وقال: قل لأمير المؤمنين ليس لنا فيما في يديه حاجة حتى نأتيه، وإن كان له حاجة فيما في أيدينا فليأت إلينا. انظروا جواب العزة والإيمان! يقول: ما لنا حاجة في الذي عنده من الدنيا حتى نأتي إليه؛ لكن إذا كان له حاجة فيما عندنا من العلم فليأت إلينا- فلما جاء الرسول وأخبره قال: صدق والله عطاء فليس له بنا حاجة، لكن نحن بحاجة إلى عطاء، يقول: فقام أمير المؤمنين ومعه رجاله وانطلق إلى بيت عطاء ليزوره، فلما جاء إلى البيت كان عطاء يصلي فطرق الباب، فنزل إليه ابن الشيخ عطاء بن أبي رباح ، وإذا به خليفة المسلمين برجاله وهيلمانه وحرسه وحشمه، ماذا تريد؟ قال: نريد أباك، فصعد إلى أبيه يريد أن يستأذنه بدخول الملك، وكان يصلي فأطال الركعتين، لما عرف أن هناك أناسا يريدونه، وبقي الخليفة واقفا عند الباب، ثم لما سلم والولد يصعد وينزل تحرجا من الموقف، ويريد أن يسمح للخليفة بالدخول لكن ليس عنده إذن من أبيه، وفي نفس الوقت أبوه في الصلاة، فلما انتهى رفع يديه إلى السماء وجلس يدعو دعاء طويلا أطول من صلاة الركعتين، ثم لما انتهى قال لولده: إئذن له -اتركه يدخل- فدخل أمير المؤمنين، فلما دخل قام وحياه ورحب به وأجلسه، قال: ما هذا الجفاء يا عطاء ؟ قال: أي جفاء يا أمير المؤمنين؟ قال: دعوناك فما جئتنا، وزرناك فما أذنت لنا، قال: أما إنك دعوتني يا أمير المؤمنين! فكما قلت لك: ليس لي فيما عندك حاجة حتى آتيك، وإذا كان لك حاجة فلتأت وقد جئت، وأما إني لم آذن لك فإني كنت أناجي من هو خير منك؛ كنت أناجي ربي فما كنت لأقطع مناجاة ربي لمناجاتك فلما فرغت من مناجاة ربي أذنت لك فحياك الله. فجلس ثم سأله المسألة فأعطاه الجواب ثم خرج، وأعطى واحدا من رجاله صرة فيها عشرة آلاف درهم للشيخ، فلما أخذها قال له: ردها لأمير المؤمنين وقل له: ندلك على سبيل الفلاح وتدلنا على سبيل الهلكة. لا نريد شيئا وردها له، فلما أخذها الخليفة قال: والله ما رأيت نفسي ذليلا في حياتي إلا بين يدي هذا العبد.

طبعا أمير المؤمنين خليفة ابن خليفة ما رأى الذلة في حياته، ولكن يقول: والله ما شعرت بالذلة في حياتي إلا بين يدي هذا العبد الأسود. ما الذي رفعه هذه الرفعة العظيمة إلا الدين والإيمان. فأنت -يا أخي المسلم- تجني ثمرة الإيمان في هذه الدنيا عزة وسعادة وأمنا وطمأنينة وراحة وهدوء لا يمكن أن تجدها في غير الدين، وهذه وحدها كافية.

ذكر ابن القيم رحمه الله عن يحيى بن أكثم أنه قال: قال هارون الرشيد: ما أنبل المراتب؟ قلت: ما أنت فيه يا أمير المؤمنين، قال: فتعرف أجل مني؟ قلت: لا. قال: لكن أعرفه، رجل في حلقة يقول: حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: قلت: يا أمير المؤمنين! أهذا خير منك، وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين؟ قال: نعم. ويلك، هذا خير مني؛ لأن اسمه مقترن باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت أبدا، ونحن نموت ونفنى، والعلماء باقون الدهر.وذكر ابن القيم أيضا عن ابن العميد الوزير المشهور قوله: فوددت في مكاني أن الوزارة والرياسة ليتها لم تكن لي، وكنت الطبراني وفرحت مثل الفرح الذي فرح به الطبراني لأجل الحديث.

إذا عباد الله: هذه هي الشهرة الشريفة، وإنما تكون في الأخذ بالنصوص لا في تركها، وفي تحكيمها لا في مخاصمتها.

قال أبو الحسن بن فارس: سمعت الأستاذ ابن العميد يقول: ما كنت أظن أن في الدنيا حلاوة ألذ من الرياسة والوزارة التي أنا فيها حتى شهدت مذاكرة سليمان ابن أيوب بن أحمد الطبراني وأبي بكر الجعابي بحضرتي فكان الطبراني يغلب بكثرة حفظه، وكان الجعابي يغلب الطبراني بفطنته وذكاء أهل بغداد، حتى ارتفعت أصواتهما ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه فقال الجعابي: عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي، فقال: هاته، فقال: حدثنا أبو خليفة حدثنا سليمان بن أيوب وحدث بالحديث، فقال الطبراني: أنا سليمان بن أيوب ومني سمع أبو خليفة، فاسمع مني حتى يعلو إسنادك ! فإنك تروي عن أبي خليفة عني، فخجل الجعابي وغلبه الطبراني. قال ابن العميد: فوددت في مكاني أن الوزارة والرياسة ليتها لم تكن لي وكنت الطبراني وفرحت مثل الفرح الذي فرح الطبراني لأجل الحديث. رواه الخطيب في تاريخ بغداد.

قال ذلك ابن العميد ، ومن هو ابن العميد ؟ قال عنه الذهبي في السير: الوزير الكبير، وقال أيضا: كان عجبا في الترسل والإنشاء والبلاغة، يضرب به المثل، وقيل: بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد.

كان المنصور في شبيبته يطلب العلم من مظانه، والحديث والفقه، فنال جانبا جيدا وطرفا صالحا، وقد قيل له يوما: يا أمير المؤمنين: هل بقي شيء من اللذات لم تنله؟ قال: شيء واحد. قالوا: وما هو؟ قال: قول المحدث للشيخ: من ذكرت رحمك الله؟ فاجتمع وزراؤه وكتابه وجلسوا حوله وقالوا: ليمل علينا أمير المؤمنين شيئا من الحديث! فقال: لستم بهم، إنما هم الدنسة ثيابهم، المشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم، رواد الآفاق، وقطاع المسافات. تارة بالعراق، وتارة بالحجاز، وتارة بالشام، وتارة باليمن، فهؤلاء نقلة الحديث.

مراجع: موسوعة الخطب الدروس/ دروس للشيخ سعيد بن مسفر/ الأعلام للزركلي/ دروس للشيخ سعود الشريم/ المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى/

روى أبي عاصم النبيل[1]،زعم لي سفيان [2] قال جاء ابن لسليمان بن عبد الملك، فجلس إلى جانب طاووس[3]فلم يلتفت إليه. فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين، فلم تلتفت إليه! قال طاووس: أردت أن يعلم أن لله عباداً يزهدون فيما في يديه عن سفيان عن عمرو بن دينار[4] قال: ما رأيت أحدا أشد تنزها مما في أيدي الناس من طاووس. كان يكره الأمراء ويحذر صحبتهم ولا يرى بجواز الصلاة خلفهم ولا يقبل لهم عطاء ولا يشرب من المياه التي أحدثتها الملوك بمكة وطرقاتها حتى أن بغلته هوت للشرب من بعضها فمنعها وكبحها باللجام .عن يوسف بن أسباط، قال: مر طاووس بنهر قد كري، فأرادت بغلته أن تشرب، فأبى أن يدعها، يعني كراه السلطان.

عن الصلت بن راشد[5] قال: كنت عند طاووس فساله سلم بن قتيبة [6]عن شيء فزبره وانتهره. قال: قلت: هذا سلم بن قتيبة صاحب خرسان. قال: ذاك اهون له علي. وعن عبد الرزاق قال: قدم طاووس مكة، فقدم أمير، قال: فقيل له إن من فضله، ومن ومن، فلو أتيته؟! قال: ما لي إليه حاجة، قالوا: إنا نخافه عليك، قال: فما هو كما تقولون.

عن إبن جريج، قال: قال لي عطاء:[7] قال لي طاووس: يا عطاء، لا تنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه، وجعل عليها حجابة، ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه، وضمن لك أن يستجيب لك.

قال إبراهيم بن إسحاق الحربي: كان عطاء عبدا أسود لامرأة من أهل مكة، وكان أنفه كأنه باقلاء. قال: وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهما، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حول قفاه إليهم ثم قال سليمان لابنيه: قوما. فقاما، فقال: يا بني لا تنيا في طلب العلم، فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود.

دخل ميمون بن مهران [8]على سليمان بن عبد الملك أو هشام منزله فلم يسلم عليه بالإمرة، فقال له: يا أمير المؤمنين، لا ترى أني جهلت، ولكن الوالي إنما يسلم عليه بالإمرة إذا جلس للناس في موضع الأحكام.

■ (3) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان، وطاووس لقبه، وقد فسرّ يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير. روى عن أبي هريرة، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وجابر، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، وطائفة وروى عنه ابنه عبد الله (بن طاووس)، ومجاهد، والزهري، وعمرو بن دينار، وسليمان التيمي، وخلق.واكثر روايته عن ابن عباس. قال سفيان قلت لعبيد الله بن أبي يزيد مع من كنت تدخل على ابن عباس قال مع عطاء والعامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة. وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصلى عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

■ (7) عطاء بن أبي رباح أسلم –وقيل سالم– بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، أبو محمد، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند وهي بلدة مشهورة باليمن خرج منها جماعة من العلماء؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع إلى خلقا كثيرا من الصحابة، وروى عنه خلق كثير، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانهما. قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء. وقال إبراهيم بن عمر ابن كيسان: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحا يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح. قال سليمان بن رفيع: دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلعت فإذا عطاء بن أبي رباح جالس. توفي رضي الله عنه سنة 115 هـ وقيل 114 هـ، وعمره 82، وقال ابن أبي ليلى: حج عطاء 70 حجة وعاش 100 سنة، والله أعلم. قيل لأهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم؟ قالوا: كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد. قال الأصمعي: كان عطاء بن أبي رباح يقول في دعائه: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وعند الموت صرعتي، وفي القبور وحدتي، ومقامي غدا بين يديك.

■ (8) ميمون بن مهران مولى بني أسد كان مملوكا لامرأة بالكوفة فأعتقته وبها نشأ وكنيته أبو أيوب،كان مؤدب أولاه الخليفة عمر، سكن الجزيرة بعد وقعة الجماجم، وتولى قضاء الرقة لعمر، يروي عن ابن عمر، ولد سنة 40 هـ سنة المجاعة ومات بالرقة سنة 118 هـ وقيل سنة 117 هـ

■ (1) أبو عاصم الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن رافع بن رفيع ابن الأسود بن عمرو بن رالان بن هلال بن ثعلبة بن شيبان، الشيباني البصري، الشهير بأبي عاصم النبيل. الإمام، الحافظ، شيخ المحدثين الأثبات.ولد سنة 122 هـ وتوفي سنة 212 هـ. عن حمدان بن علي الوراق، قال: ذهبنا إلى أحمد بن حنبل سنة ثلاث عشرة، فسألناه أن يحدثنا، فقال: تسمعون مني ومثل أبي عاصم في الحياة؟! اخرجوا إليه.

■ (6) أبو عبد الله سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي الخراساني، والي البصرة، كان من الموثوق بهم في الدولتين الأموية والعباسية، توفي سنة 149 هـ.

■ (2) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحاق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم وزبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه أمم لا يحصون.

■ (4) عمرو بن دينار المكي الجمحي مولاهم، أبو محمد ولد في إمرة معاوية سنة 45 أو 46 هـ.، سمع أبن عمرو ابن عباس وجابرا وآخرين من الصحابة وخلائق من أئمه التابعين واجمعوا على جلاله وإمامته وتوثيقه واختلف في سنة وفاته قيل توفي سنة 126 هـ أفتى بمكة ثلاثين سنة.قال عبد الله بن أبي نجيح: ما رأيت أحدا قط أفقه من عمرو بن دينار، لا عطاءا ولا مجاهدا ولا طاووسا. روى عن سفيان، قال: كان عمرو بن دينار: جزأ الليل ثلاثة أجزاء، ثلثا ينام، وثلثا يدرس حديثه، وثلثا يصلي.

■ (5) الصلت بن راشد يروي عن طاووس ومجاهد روى عنه حماد بن زيد وأبان بن يزيد العطار.عن يحيى بن معين قال: صلت بن راشد ثقة.

☪

أيها الإخوة المؤمنون، نعم إن لله عباد يزهدون فيما بين أيدي الملوك حتى يعلموا قدرهم، وقدر من يتبعهم على الفتات، إن لله عباد يزهدون حتى في مجالسة السلاطين لأنهم علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعلها باب الفتنة، عن الحسن قال: ﴿لاَ تأتُوا المُلُوكَ فيَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ دِينُكُمْ﴾ هكذا يأتيهم طلب الأمير فيأبوا ويطلبوا العافية، إن عباد الله هؤلاء إن أكرهوا على أمرهم ولم يجدوا بداً من تلك المجالسة المشؤومة التي كانت سبة في دين الصالحين رغم صلاح أئمة ذلك الزمان وحكمهم بما أنزل الله، بسبب جورهم كان عباد الله أولئك يعلمون أنها مجالس سيسأل الله عنها، فيصدعون بالحق، ويذكرون ملوك الجور بأن الله قد أعد عذابه للجائرين على عباده والظالمين عياله.

☪

عن أبي سلمة قال: قال أبو هريرة وأبو ذر: باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعا، وباب نعلمه عملنا به أو لم نعمل به أحب إلينا من مئة ركعة تطوعا. وقالا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِذَا جَاءَ طَالِبَ الْعِلْمِ الْمَوْتَ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مَاتَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ جاء رجل إلى أبي ذر فقال: يا أبا ذر، إني أريد أن أتعلم العلم، وأخاف أن أضيعه. فقال له: تعلم العلم، فإنك إن مت عالما خير لك من أن تموت جاهلا. ثم جاء إلى أبي الدرداء فقال له: يا أبا الدرداء، إني أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه. فقال له: تعلم العلم، فإنك إن توسد العلم خير من أن توسد الجهل. ثم جاء إلى أبي هريرة فقال: يا أبا هريرة، إني أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه، فقال له أبو هريرة: تعلم العلم، فإنك لن تجد له إضاعة أشد من تركه. زاد عن آخر مثله عن أبي الدرداء: إن الناس يبعثون من قبورهم على ما ماتوا عليه، فيبعث العالم عالما، والجاهل جاهلا.

عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِّ وَمَا وَالاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمًا﴾ هذا حديث حسن غريب. وعن كثير بن قيس، قال: كنت جالسا عند أبي الدرداء في مسجد دمشق. فأتاه رجل، فقال: يا أبا الدرداء! أتيتك من المدينة، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني أنك تحدث به عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فما جاء بك؟ تجارة؟ قال: لا. قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا. قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُّ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هم وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُّ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُّ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُّ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُّ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهَّ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهَّ، فَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا حَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللهُّ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ﴾ وعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُرْفَعَ، وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ هَكَذَا، ثُمَّ قَالَ: الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْأَجْرِ، وَلَا خَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ﴾ وعن أبي أمامة الباهلي قال: لما كان في حجة الوداع قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ مردف الفضل بن عباس على جمل آدم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَقَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَقَدْ كَانَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ، وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهَا، وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة] يقول عبد الله ابن مسعود: المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة. وعن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لا تَجْلِسُوا مَعَ كُلِّ عَالِمٍ إلا عَالِمًا يَدْعُوكُمْ مِنَ الْخَمْسِ إِلَى الْخَمْسِ؛ مِنَ الشَّكِّ إِلَى الْيَقِينِ، وَمِنَ الْعَدَاوَةِ إِلَى النَّصِيحَةِ، وَمِنَ الْكِبْرِ إِلَى التَّوَاضُعِ، وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الإِخْلاصِ، وَمِنَ الرَّغْبَةِ إِلَى الزُّهْدِ﴾ عن أبي إسحاق الفزاري، قال: ما رأيت أحدا كان أشد تواضعا من الأوزاعي، ولا أرحم بالناس منه، وإن كان الرجل ليناديه فيقول: لبيك. وعن مبارك قال: سمعت الحسن يقول: ﴿إِنَّ أَقْوَامًا بَكَتْ أَعْيُنُهُمْ وَلَمْ تَبْكِ قُلُوبُهُمْ فَمَنْ بَكَتْ عَيْنَاهُ فَلْيَبْكِ قَلْبُهُ﴾.

دخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق فإذا نقش في حجر، فقال لمن معه: ما هذا النقش؟ قالوا: ما ندري، قال: ابعثوا إلى أناس من النصارى واليهود. قال: فجاؤوه بأناس، فقالوا: ما نعرف، فقيل: يا أمير المؤمنين ابعث إلى وهب بن منبه، فإنه يقرأ الكتاب. فبعث إليه، فعرفه، فإذا هو يا بن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طويل ما ترجو من أملك، وإنما تلقى ندمك، لو قد زلت بك قدمك، فأسلمك أهلك وحشمك، وانصرف عنك الحبيب، وودعك القريب، فلا أنت إلى أهلك بعائد، ولا في عملك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة. زاد في آخر وقصرت من حرصك وحيلك، وابتغيت الزيادة في عملك.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح / ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين/ السلوك في طبقات العلماء والملوك/ وفيات الأعيان/ سنن ابن ماجة/ مسند أحمد/ الحيوان/ مختصر تاريخ دمشق/ الجرح والتعديل.

◆ محمد بن سويد، أمير دمشق (أيام سليمان بن عبد الملك بن مروان، سابع ملوك الدولة الأموية) وصالح مولى بني أم حكيم 0463

قال صالح [1] مولى* بني أم حكيم: تزوجت امرأة من صليبة* غسان، فأرسل إلي محمد بن سويد[2]، وهو عامل سليمان بن عبد الملك على دمشق، فقال: إنه ليس لك أن تزوج امرأة من صليبة العرب، فطلقها. قال: قلت: ما أتيت حراما، ولا أفعل. قال: فألزمني إلى عمود من عمد الخضراء، فضربني عشرة أسواط، ثم قال: طلقها، فأبيت. فلم يزل يصنع بين ذلك حتى ضربني ثمانين سوطا (أو قال: بمائتي سوط). قال: فأذلقني* الضرب، فطلقتها البتة. فلما استخلف عمر بن عبد العزيز[3] أتيته مستعديا عليه. قال: ما الذي تريد؟ قلت: أريد أن ترد علي امرأتي. قال: ابتليت بجبار ظالم، فما أصنع بك؟ إنما الطلاق والعتاق كلام، فإذا فاته صاحبه نفذ عليه. فرادته، فقال: ما عندي غير هذا، فقلت: يا أمير المؤمنين، فالمهر ترده إلي، قال: فبم استحللت فرجها؟ قال: فألزمني الطلاق.

----

* (فأذلقني) ذلقه الصوم وغيره وأذلقه : أضعفه وأقلقه (امرأة صليبة) كريمة المنصب عريقة، والصليب الخالص النسب يقال عربي صليب وصليبة الرجل من كان من صلب أبيه (الموالي) العجم وهم غير العرب منهم الخدم ومنهم الخلفاء

■ (1) صالح مولى بني أم حكيم، حكى عن محمد بن سويد القرشي الفهري وعمر بن عبد العزيز، وحكى عنه الهيثم بن عمران بن عبد الله العبسي

■ (2) محمد بن سويد بن كلثوم بن قيس القرشي الفهري بن بن أخي الضحاك بن قيس وكان أميرا على دمشق وأرضها من قبل سليمان بن عبد الملك. قال العجلي شامي تابعي ثقة وقال أبو حاتم ماتت أمه وهو يرتكض في بطنها فبقر بطنها وأخرج حيا، وكان على الطائف في زمن عمر بن عبد العزيز. ومات بعد المائة.

■ (3) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. ولّاه الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، ثم ضم إليه ولاية الطائف، ثم عُزل. فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة جعله وزيراً له، ثم ولي عهده، فلما مات سليمان سنة 99هـ تولى عمر الخلافة. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

قال سالم العجمي: إن المرحلة الأولى في طريق الزواج هي مرحلة الاختيار، ولعل هذه المرحلة هي أشق المراحل، ولا يزال الرجل يقلب أوراقه يبحث عن شطره الآخر، والمرأة تنتظر أن يأتيها رجل يبدد وحدتها وخوفها إلى عالم مليء بالطمأنينة والأنس؛ مع خوف من جانبها أن تصطدم بواقع مخيف ومستقبل مجهول، وإن كان الأمر على مشقته سهلا بالنسبة للرجل، فإنه صعب بالنسبة للمرأة ولذلك كان على أوليائها أن يعينوها على تحقيق مستقبل سعيد واختيار موفق. ومن أجل ذلك نصحنا أنصح الخلق للخلق محمد صلى الله عليه وسلم بما ينير الطريق لكل راء، ويبصر كل ذي بصر، وعلمنا القواعد التي إن عملنا بها؛ تحققت لنا السعادة العظيمة؛ والهناء الدائم الذي لا يخبو نوره؛ ولا تنسى لذته؛ وبين لنا كيف نختار وكيف نوفق في الاختيار؛ فقال صلى الله عليه وسلم:﴿تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ﴾ فهذا الحديث يحكي واقع الناس، واختلاف دوافعهم حين الاختيار، فكل يبحث في زواجه عن هدف، وبين لنا الهدف الأسمى الذي يستحق أن يتعب عليه وهو:الدين، لأنه رأس الأمر؛ وعنوان الصلاح؛ وقائد لكل خير. وهكذا الحال بالنسبة للمرأة، فالواجب عليها اختيار الرجل الصالح الذي يصلح معه حالها؛ وفي ذلك جاء الخطاب للناس من الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله:﴿إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ﴾ فالواجب على المرء أن يختار لموليته رجلا صالحا؛ إن أحبها أكرمها؛ وإن كان غير ذلك سرحها سراحا جميلا دون إهانة أو ظلم. فهذه أمانة عظيمة لا بد أن يعرفها كل ولي يخاف الله ويرجوه؛ وأن يعمل بوصية النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:﴿مَنْ كَانَ لَهُ ابْنَتَانِ، أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ كُنْت أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ - يَعْنِي كَالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى﴾ وقيل للحسن البصري رحمه الله: إن لي ابنة فمن ترى أن أزوجها ؟ قال: زوجها من يتقي الله تعالى، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.. وسئل رجل من الحكماء: فلان يخطب فلانه؛ فقال: أموسر من عقل ودين؟ قالوا: نعم. قال: فزوجوه إياها. وعن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿الْحَسَبُ الْمَالُ وَالْكَرَمُ التَّقْوَى﴾ وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا﴾ وعن جرير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لاَ يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ﴾ روى أن رجلا من الموالي خطب إلى رجل من قريش أخته وأعطاها مالا جزيلا فأبى القرشي من تزويجها، فقال له عمر بن الخطاب: ما منعك أن تزوجه فإن له صلاحا وقد أحسن عطية أختك؟ فقال القرشي: يا أمير المؤمنين إنا لنا حسبا وإنه ليس لها بكفء، فقال عمر: لقد جاءك بحسب الدنيا والآخرة؛ أما حسب الدنيا فالمال، وأما حسب الآخرة فالتقوى. زوج الرجل إن كانت المرأة راضية، فراجعها أخوها فرضيت فزوجها منه.

عن عتبة بن طويع المازني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَا مَعْشَرَ الْمَوَالِي، شِرَارُكُمْ مَنْ تَزَوَّجَ فِي الْعَرَبِ! يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، شِرَارُكُمْ مَنْ تَزَوَّجَ فِي الْمَوَالِي! فَقِيلَ لَهُ فِي مَوْلًى تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ رَضِيتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَجَازَهُ﴾ أخرجه ابن منده وأبو نعيم. وعن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْعَرَبُ بَعْضُهَا أَكْفَاءٌ لِبَعْضٍ، وَالْمَوَالِي بَعْضُهُمْ أَكْفَاءٌ لِبَعْضٍ﴾ وعن ابن عمر قال: العرب بعضها أكفاء لبعض، قبيلة بقبيلة، ورجل برجل؛ والموالي بعضها أكفاء لبعض، قبيلة بقبيلة، ورجل برجل، إلا حائك أو حجام. وعن أم المؤمنين عائشة قالت: العرب للعرب أكفاء، والموالى أكفاء للموالى، إلا حائك أو حجام. وعن أبي حسان عن أبيه، قال البغوي: لا أدري له صحبة أم لا . قال: ﴿تَعَاهَدُوا أَنْسَابَكُمْ، تَنَاكَحُوا بِهِ أَكْفَاءَكم وَتَصِلُوا بِهَا أَرْحَامَكُمْ﴾ وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لاَ تُنْكَحُ النِّسَاءُ إِلاَّ مِنَ الأَكْفَاءِ، وَلاَ يُزَوِّجُهُنَّ إِلاَّ الأَوْلِيَاءُ، وَلاَ مَهْرَ دُونَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ﴾ وعن إبراهيم بن محمد بن طلحة، قال: قال عمر: لأمنعن فروج ذوات الأحساب من النساء إلا من الأكفاء.وعن محمد بن عبد الله بن كثير بن الصلت، قال: نكح مولى لنا عربية فأتى عمر بن عبد العزيز فاستعدى عليه، فقال: والله قد عدا مولى آل كثير طوره. قال الزهري: العربي والمولى لا يستويان في النسب. وعن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَنْكِحُوا إِلَى الأَكْفَاءِ وَأَنْكِحُوهُمْ وَاخْتَارُوا لِنُطَفِكُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَالزِّنْجَ فَإِنَّهُ خَلْقٌ مُشَوَّهٌ﴾ وعن ابن أبى ليلى قال: الكفؤ في الدين والمنصب. قال وكيع: سمعت أبا حنيفة يقول: الكفؤ في الدين والمنصب والمال. وعن أم المؤمنين عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، وَإِنْ مَسَّهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا فَإِنِ اشْتَجَرُوا -أَوْ قَالَ: اخْتَلَفُوا- فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لاَ وَلِيَّ لَهُ﴾.

مراجع:تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ تاج العروس/ وليسعك بيتك من أجل حياة زوجية هانئة/ صحيح البخاري/ سنن الترمذي/ مصنف ابن أبي شيبة/ عيون الأخبار/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني/ مسند البزار/ سنن الدارقطني/ إتحاف الخيرة المهرة/

◆ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أمير خراسان (أيام سليمان بن عبد الملك بن مروان، سابع ملوك الدولة الأموية) وأبو بردة الأشعري 0464

عن عبد الله بن عياش عن أبيه أن يزيد بن المهلب[1] لما ولي خراسان قال: دلوني على رجل كل لخصال الخير، فدل على أن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري[2] فما جاءه رآه رجلا فائقا، فلما كلمه رأى مخبرته أفضل من مرآته، قال: إني وليتك كذا وكذا من عملي، فاستعفاه فأبى أن يعفيه، فقال: أيها الأمير ألا أخبرك بشيء حدثنيه أبي أنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هاته، قال: إنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ تَوَلَّى عَمَلاً وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ لِذَلِكَ الْعَمَلَ أَهْلٌ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ قال: وأنا أشهد أيها الأمير أني لست بأهل لما دعوتني إليه، فقال له يزيد: ما زدت إلا أن حرضتني على نفسك ورغبتنا فيك، فأخرج إلى عهدك فإني غير معفيك، ثم فخرج (كذا الأصل و لعل الصواب: فخرج ثم) أقام فيه ما شاء الله أن يقيم، واستأذنه بالقدوم عليه، فأذن له، فقال: أيها الأمير ألا أحدثك بشيء حدثنيه أبي أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال هاته، قال: (فذكره) قال:وأنا أسألك بوجه الله ألا ما أعفيتني أيها الأمير من عملك. فأعفاه.

قال أبو محمد الثقفي: أصاب يزيد بن المهلب تاجا بجرجان* فيه جوهر، فقال: أترون أحدا يزهد في هذا التاج؟ قالوا: لا، فدعا محمد بن واسع الأزدي[3]، فقال: خذ هذا التاج فهو لك، قال: لا حاجة لي فيه، قال: عزمت عليك، فأخذه، وخرج فأمر يزيد رجلا ينظر ما يصنع به، فلقي سائلا فدفعه إليه، فأخذ الرجل السائل، فأتى به يزيد وأخبره الخبر، فأخذ يزيد التاج، وعوض السائل مالا كثيرا.

----

*(جرجان) مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان فبعض يعدها من هذه وبعض يعدها من هذه وقيل إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمي

■ (2) أبو بردة بن أبي موسى، عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري، الفقيه، العلامة، قاضي الكوفة.حدث عن أبيه، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن سلام، وأبي هريرة، وآخرين. وكان من أوعية العلم، حجة باتفاق، اسمه عامر فيها قيل، وولي قضاء الكوفة بعد شريح مدة، ثم عزله الحجاج، وولى أخاه أبا بكر بن أبي موسى. مات أبو بردة سنة 104 هـ، وقال الواقدي: مات سنة 103 هـ

■ (3) محمد بن واسع الأزدي البصري، كنيته أبو بكر ويقال أبو عبد الله، وكان من العباد خرج إلى خراسان غازيا وكان في فتح ما وراء النهر مع قتيبة بن مسلم، مات سنة 123 هـ وقيل إنه مات سنة 127 هـ بالبصرة. روى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير في الحج.

■ (1) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أو خالد الأزدي. ولد زمن معاوية سنة 53 هـ، وولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك، ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن أرطأة، وطلبه عمر وسجنه. وكان الحجاج قد عزله وعذبه، فسأله أن يخفف عنه الضرب على أن يعطيه كل يوم مئة ألف درهم. فقصده الأخطل ومدحه، فأعطاه مئة ألف، فعجب الحجاج من جوده في تلك الحال وعفا عنه.واعتقله، ثم هرب من حبسه ثم قتل في صفر سنة 102 هـ.قال الذهبي : قتل عن 49 سنة،ولقد قاتل قتالا عظيما، وتفللت جموعه (انكسروا وانهزموا) فما زال يحمل بنفسه في الألوف، لا لجهاد، بل شجاعة وحمية حتى ذاق حمامه. نعوذ بالله من هذه القتلة الجاهلية

يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو خالد، ولي خراسان بعد وفاة أبيه سنة 83 هـ. فمكث نحوا من ست سنين، وعزله عبد الملك بن مروان (برأي الحجاج، أمير العراقين في ذلك العهد) وكان الحجاج يخشى بأسه، فلما تم عزله حبسه، فهرب يزيد إلى الشام. ولما أفضت الخلافة إلى سليمان ابن عبد الملك، ولاه العراق ثم خراسان، فعاد إليها، وافتتح جرجان و طبرستان.ثم نقل إلى إمارة البصرة، فأقام فيها إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز، فعزله، وطلبه، فجيء به إلى الشام، فحبسه بحلب. ولما مرض عمر وثب غلمان يزيد، فأخرجوه من السجن. وسار إلى البصرة فدخلها وغلب عليها سنة 101هـ.وكتب إلى عمر بن عبد العزيز كتاباً يقول: إني لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك، ولكني خفت أن يلي يزيد فيقتلني شر قتلة. فورد كتاب وبه رمق، فقال: الهم إن كان يري بالمسلمين سوءاً فألحقه به وهضه فقد هاضني. ثم نشبت حروب بينه وبين أمير العراقين مسلمة بن عبد الملك، انتهت بمقتل يزيد، في مكان يسمى العقر بين واسط وبغداد. وأخباره كثيرة.

قال خليفة:[1] وفي سنة تسع وتسعين قدم عدي[2] واليا من قبل عمر بن عبد العزيز على البصرة، فأتى يزيد بن المهلب يسلم عليه، فقيده عدي وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز، فطالبه بالأموال التي كانت عنده في عهد سليمان فأنكرها، فحبسه بحصن حلب. قلت: فلما توفي عمر انفلت يزيد من الحبس، وقصد البصرة ودعا إلى نفسه، وتسمى بـ القحطاني، ونصب رايات سوداء، وقال: أدعو إلى سيرة عمر بن الخطاب، فقام الحسن البصري[3] في الناس خطيبا، فذم يزيد وخروجه، فأرسل يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة[4] في جيش، فحارب ابن المهلب، فظفر به فقتله، فوثب ابنه معاوية بن يزيد بن المهلب[5]،فقتل عدي بن أرطأة وجماعة صبرا. قال الدار قطني: عدي يحتج بحديثه. قلت: قتل سنة اثنتين ومائة. قال المغيرة: شهدت دار الإمارة بواسط يوم جاء قتل يزيد بن المهلب، ومعاوية بن يزيد قاعد، فأتي بعدي بن أرطأة وابنه محمد بن عدي، ومالك وعبد الملك ابني مسمع، والقاسم بن مسلم، وعبد الله بن عمرو النصري فضرب أعناقهم.

قال شعبة بن الحجاج: سمعت الحسن البصري يقول في فتنة يزيد بن المهلب: هذا عدو الله يزيد بن المهلب، كلما نعق بهم ناعق اتبعوه. وعن أبي بكر الهذلي، أن يزيد قال: أدعوكم إلى سنة عمر بن عبد العزيز، فخطب الحسن، وقال: اللهم، اصرع يزيد بن المهلب صرعة تجعله نكالا، يا عجبا لفاسق غير برهة من دهره، ينتهك المحارم، يأكل معهم ما أكلوا، ويقتل من قتلوا، حتى إذا منع شيئا، قال: إني غضبان فاغضبوا، فنصب قصبا عليها خرق، فاتبعه رجرجة ورعاع، يقول: أطلب بسنة عمر، إن من سنة عمر أن توضع رجلاه في القيد، ثم يوضع حيث وضعه عمر.

قال ابن منظور: قدمت هند بنت المهلب[6] على عمر بن عبد العزيز بخناصرة، فقالت له: يا أمير المؤمنين، علام حبست أخي؟ قال: تخوفت أن يشق عصا المسلمين، فقالت له: فالعقوبة بعد الذنب أو قبل الذنب؟ قال أيوب السختياني: ما رأيت امرأة أعقل من هند بنت المهلب. قال زياد بن عبد الله القرشي: دخلت على هند بنت المهلب امرأة الحجاج بن يوسف، فرأيت في يدها مغزلا، فقلت: أتغزلين وأنت امرأة أمير؟! قالت: سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَطْوَلُكُنَّ طَاقَةً أَعْظَمُكُنَّ أَجْرًا، وَهُوَ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ، وَيَذْهَبُ بِحَدِيثِ النَّفْسِ﴾ أخرجه الطبراني قالت هند: قلت للحسن: يا أبا سعيد، ينظر الرجل إلى عنق أخته، وإلى قرطها، وإلى شعرها؟ قال: لا، ولا كرامة. قال عمران بن موسى حكاية عن هند بنت المهلب – وكانت من عقلاء الناس، قالت: شيئان لا تؤمن المرأة عليهما: الرجال والطيب. قالت أم عبد الله أم أيوب بن صالح: كنت أدخل على هند بنت المهلب، وهي تسبح باللؤلؤ، فإذا فرغت من تسبيحها ألقته إلينا، فقالت: اقسمنه بينكن. قالت هند: إذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا بتعجيل الشكر قبل حلول الزوال. قالت هند، وذكرت عندها امرأة بجمال: ما تحلين النساء بحلية (تحلية؟) أحسن عليهن من لب ظاهر، تحته أدب كامل. قالت هند: ما رأيت للأسرة خيرا من السكن، ولرب مسكون إليه غير طائل، والسكن على كل حال أجمع. وقالت هند: ما رأيت لصالح النساء وشرارهن خيرا لهن من إلحافهن (الحاقهن؟) بأسكانهن. وقالت هند: رأيت صلاح الحرة إلفها، وفسادها بحدتها (تحديها؟)، وإنما يجمع ذلك ويفرقه التوفيق. حدث أبو زيد وكان ثقة، قال: قالت هند الطاعة مقرونة بالمحبة فالمطيع محبوب وإن نأت داره وقلت آثاره والمعصية مقرونة بالبغض فالعاصي ممقوت وإن مستك رحمه ونالك معروفه.

■ (2) عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي أخو زيد بن أرطأة الفزاري، والده هو الصحابي أرطأة بن كعب الفزاري. ولاه عمر عبد بن العزيز البصرة، وغيرها من بلاد العراق فستمر عليها حتى قتل سنة 102 هـ.أيام يزيد بن عبد الملك.

■ (3) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة

■ (4) مسلمة بن عبد الملك، أمير أُموي، وقائد عسكري، و ابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب) توفي في محرم سنة121 هـ.

■ (1) خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الشيباني العصفري البصري،أبو عمرو، المعروف بشباب صاحب الطبقات؛ كان حافظاً عارفاً بالتواريخ وأيام الناس غزير الفضل، روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه وتاريخه وعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل وأبو يعلى الموصلي والحسن بن سفيان النسوي، في آخرين، وروى هو عن ابن عيينة ويزيد بن زريع وأبي داود الطيالسي ودرست بن حمزة وتلك الطبقة. ولد في حدود سنة 161 هـ وتوفي سنة 240 هـ وقيل غير ذلك.

■ (5) معاوية بن يزيد بن المهلب، عندما هرب بنو المهلب إلى السند أيام يزيد بن عبد الملك، أرسل إليهم مسلمة جيشان؛ جيش تحت قيادة هلال بن أحوز التميمي، وجيش تحت قيادة مدرك بن ضب الكلبي، فقتل هلال منهم معاوية بن يزيد بن المهلب في آخرين من أهل بيته وقومة.

■ (6) هند بنت المهلب بن أبي صفرة، امرأة الحجاج بن يوسف، حدثت عن أبيها والحسن البصري وأبي الشعثاء جابر بن زيد حكى عنها ابنا أخيها حجاج ومحمد ابنا أبي عتبة بن المهلب وزياد بن عبد الله القرشي وأبو سلمة مولى العتيك ووفدت على عمر بن عبد العزيز (لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه)

مراجع: السلسلة الصحيحة/ تاريخ مدينة دمشق/ـمختصر تاريخ دمشق/ معجم البلدان/ الأعلام للزركلي/ الكامل في التاريخ/

قال إسماعيل بن أبي الحكيم[1]: لما بعث سليمان بن عبد الملك أسامة بن زيد الكلبي[2] على مصر، دخل أسامة على عمر بن عبد العزيز[3] فقال: يا أبا حفص، إنه والله ما على ظهر الأرض من رجل بعد أمير المؤمنين أحب إلي رضاء منك ولا أعز علي سخطا منك، وإن أمير المؤمنين قد وجهني إلى مصر، فأوصني بما شئت، واكتب إلي فيما شئت، فإنك لن تأمر بأمر إلا نفذ إن شاء الله. قال: ويحك يا أسامة، إنك تأتي قوما قد ألح عليهم البلاء منذ دهر طويل، فإن قدرت على أن تنعشهم فأنعشهم؛ قال: يا أبا حفص، إنك قد علمت نهمة أمير المؤمنين في المال، وإنه لن يرضيه إلا المال؛ قال: إنك إن تطلب رضاء أمير المؤمنين بسخط الله يكون الله قادرا على أن يسخط أمير المؤمنين عليك. قال: إني سأودع أمير المؤمنين وأنت حاضر إن شاء الله فتسمع وصاته. فلما كان في اليوم الذي أراد أن يسير فيه غدا على سليمان متقلدا بسيف، متوشحا عمامته، يتحين دخول عمر فلما عرف أن عمر قد استقر فقعد مقعده عند سليمان استأذن ودخل وسلم، ثم مثل قائما، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا وجهي وأردت أن أحدث عهدا بأمير المؤمنين، وأن يعهد إلي أمير المؤمنين. قال: احلب حتى ينفيك الدم، فإذا أنفاك فاحلب حتى ينفيك القيح لا تنفيها لأحد بعدي. قال: فخرج، فلم يزل واقفا حتى خرج عمر من عند سليمان، فسار معه حتى قبل منزل عمر، فقال: يا أبا حفص قد سمعت وصاة أمير المؤمنين؛ قال: وأنت قد سمعت وصاتي؛ قلت: أوصني في خاصتك؛ قال: ما أنا بموصيك مني في خاصتي إلا أوصيك به في العامة. فسار إلى مصر، فعمل فيها عملا، والله ما عمله فرعون، فقد قص علينا ما عمل فرعون. فقلت[4] له: فما صنعتم به حين وليتم؟ قال: عزلناه، ووقفناه بمصر في العسكر، فوالله ما جاء أحد من الناس يطلب قبله دينارا ولا درهما إلا وجدناه مثبتا في بيت المال، كان أمينا في الأرض.

■ (3) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (2) أسامة بن زيد بن عدي أبو عيسى التنوخي الكاتب، ويقال: الكلبي مولا هم مولى سليح، ولي كتابة الوليد بن عبد الملك، ثم قدم دمشق على يزيد بن عبد الملك، ثم ولي الخراج لهشام بن عبد الملك. ذكر أبو الحسين الرازي في تسمية كتاب أمراء دمشق، أن أسامة بن زيد بن عدي صاحب قصر أسامة من أهل دمشق كان على ديوان الجند بدمشق في زمان الوليد بن عبد الملك، وتولى خراج مصر للوليد بن عبد الملك فاستخرج مالها اثني عشر ألف ألف دينار، وهو أول من اتخذ صاحب حمالة.قال ابن يونس: وهو الذي بنى مقياس النيل العتيق بجزيرة فسطاط مصر.قال الليث بن سعد: فيها يعني سنة سبع أو ست وتسعين دخل أسامة بن زيد مصر أميرا على أرض مصر، دخل يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول. وفيها يعني سنة تسع وتسعين نزع أسامة بن زيد من مصر في شهر ربيع الآخر، وأمر حيان بن شريح سنة اثنتين؛ قال: وفيها يعني سنة أربع ومئة خرج أسامة بن زيد إلى الشام فجعل على الدواوين، وأمر يزيد بن أبي يزيد على مصر.

■ (1) إسماعيل بن أبي الحكيم (أو: الحكم)؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم) قال في كتاب ابن أبي حاتم: إسماعيل بن أبي الحكم الثقفي روى عن عمران بن عيينة وعيسى ابن يونس روى عنه أبو زرعة سئل أبي عنه فقال: شيخ.

عن عبد الوهاب بن الورد عن رجل من أهل المدينة قال: كتب معاوية إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن اكتبي إلي كتابا توصيني فيه ولا تكثري علي. فكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية: سلام عليك، أما بعد، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ﴾ والسلام عليك.

قال ابن مسعود: إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص، ولا يرده كره كاره، وإن الله تعالى بحكمته وجلاله جعل الروح والفرج في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط. وعن أبي حصين قال جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال: علمني كلمات جوامع. قال: تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتزول مع القرآن أينما زال ومن جاءك بصدق من صغير أو كبير وإن كان بغيضا لك فاقبله منه ومن جاءك بكذب وإن كان حبيبا أو قريبا فاردده عليه.

☪

عن مهاجر العامري قال: كتب علي بن أبي طالب عهدا لبعض أصحابه*[1] على بلد فيه: فلا تطولن حجابك على رعيتك، فإن احتجاب الولاة على الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور والاحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر، لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق* سمات* تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، فتحصن من الإدخال في الحقوق بلين الحجاب، فإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، ففيم احتجابك من حق واجب أن تعطيه؟، أو خلق كريم تسديه؟، وإما مبتلى بالمنع والشح ، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يئسوا من بذلك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤنة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف. فانتفع بما وصفت لك، واقتصر على حظك ورشدك، إن شاء الله. وقال المدائني: كتب علي إلى بعض عماله: رويدا فكأن قد بلغت المدى، وعرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي المغتر بالحسرة، ويتمنى المضيع التوبة، والظالم الرجعة.

☪

حكى محمد بن سعيد الخادم مولى سليمان بن عبد الملك قال: كان أبي من أكرم موالي سليمان عليه. قال: أصاب سليمان ذات الجنب وهو بدابق، فدخل عليه رجاء بن حيوة الكندي وأنا معه، فكتب العهد لعمر بن عبد العزيز فقال: أي أمير المؤمنين، ألم تعلم أن أباك حين جعل العهد لأخيك الوليد ولك أخذ عليكما أن تجعلا الخلافة لرجل من ولد عاتكة؟ قال: صدقت. اكتب: يزيد من بعده. فكتب وفرغ، ودخل الناس فقال: إني عهدت عهدا، وجعلته في يد رجاء بن حيوة، فاسمعوا وأطيعوا لمن جعلت له ذلك من بعدي. ثم دخل عليه رجاء من الغد وبعده، فإذا الرجل في السوق عند انتصاف النهار من يوم الجمعة، فغمضاه وسجيا عليه وخرجا. فقال رجاء: يا معشر المسلمين، اجلسوا حتى أعلمكم عهد خليفتكم. فحمد الله وأثنى عليه، ففض الكتاب فقال: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله سليمان أمير المؤمنين إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم. سلام عليكم. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإني استخلفت عليكم من بعدي عمر بن عبد العزيز، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا لهما وأطيعوا وأحسنوا مؤازرتهما، فإني لم آلكم ونفسي نصيحة. والسلام عليكم ورحمة الله. وعمر جالس، فأتاه رجاء وخالد بن الريان صاحب الحرس، فقالا: قم يا أمير المؤمنين، فتلكأ، فاحتمله الحرس، حتى أجلسوه على المنبر، فقال: عسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا. ثم خطب. فلما فرغ أخذ خالد بن الريان يشترط عليهم أن يسمعوا ويطيعوا، ليس في ذلك عتق ولا طلاق، ثم يصعد كل رجل حتى يصافح عمر. فما كلم غير هشام، فقال له عمر: عليك عهد الله وميثاقه لتسمعن ولتطيعن. قال: نعم، وأكون عند ما يحب أمير المؤمنين.

----

*العهد الذي كتبه لمالك بن الحارث الأشتر النخعي لما ولاه رضي الله عنه على مصر وأعمالها وهو أطول عهد وأجمع كتبه (الحق) في رواية: القوم. وأخرى: القول. وسمات جمع سمة.أي ليس للحق علامات ظاهرة يتميز بها الصدق من الكذب وإنما يعرف ذلك بالامتحان ولا يكون إلا بالمحافظة.

■ (1) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بـ الأشتر. أدرك الجاهلية وكان من أصحاب علي وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها.وحضر خطبة عمر في الجابية، وسكن الكوفة، وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها، وولاه علي مصر فقصدها فمات في الطريق سنة 37 هـ

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ دمشق/ الجرح والتعديل/ سنن الترمذي/

قيل: كان في أيام سليمان رجل يقال له خزيمة بن بشر[1] من بني أسد بالرقة؛ وكانت له مروءة ظاهرة ونعمة حسنة وفضل وبر بالإخوان، فلم يزل على تلك الحالة حتى قعد به الدهر فاحتاج إلى إخوانه الذين كان يتفضل عليهم وكان يؤاسيهم، فواسوه ثم ملوه، فلما لاح له تغيرهم أتى امرأته وكانت ابنة عمه، فقال لها: يا ابنة عمي، قد رأيت من إخواني تغيرا، وقد عزمت على أن ألزم بيتي إلى أن يأتيني الموت، فأغلق بابه وأقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقي حائرا وكان يعرفه عكرمة الفياض الربعي (؟)[2] متولي الجزيرة، وإنما سمي بذلك لأجل كرمه، فبينما هو في مجلسه إذ ذكر خزيمة فقال عكرمة: ما حاله؟ فقالوا: قد صار إلى أمر لا يوصف وإنه أغلق بابه ولزم بيته. قال: أفما وجد خزيمة بن بشر مواسيا ولا مكافئا؟ فقالوا: لا. فأمسك عن الكلام ثم لما كان الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار فجعلها في كيس واحد ثم أمر بإسراج دابته وخرج سرا من أهله. فركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال. ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من الغلام، ثم أبعده عنه وتقدم إلى الباب فدفعه بنفسه فخرج إليه خزيمة فناوله الكيس، وقال: أصلح بهذا شأنك، فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه عن يده ثم أمسك بلجام الدابة، وقال له: من أنت؟ جعلت فداك. فقال له عكرمة: يا هذا ما جئتك في هذا الوقت والساعة أريد أن تعرفني؟ قال: فما أقبله إلا أن عرفتني من أنت؟ فقال: أنا جابر عثرات الكرام. قال: زدني. قال: لا. ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس إلى ابنة عمه، فقال لها: أبشري فقد أتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلوسا فهي كثيرة. قومي فاسرجي.قالت: لا سبيل إلى السراج. فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق، وأما عكرمة فإنه رجع إلى منزله فوجد امرأته قد فقدته وسألت عنه فأخبرت بركوبه فأنكرت ذلك وارتابت. وقالت له: والي الجزيرة يخرج بعد هدو من الليل منفردا من غلمانه في سر من أهله إلا إلى زوجة أو سرية. فقال: اعلمي أني ما خرجت في واحدة منها. قالت: فخبرني فيما خرجت؟ قال: يا هذه ما خرجت في هذا الوقت وأنا أريد أن يعلم بي أحد. قالت: لا بد أن تخبرني؟ قال: تكتمينه إذا. قالت: فإني أفعل. فأخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله ورده عليه. ثم قال أتحبين أن أحلف لك أيضا؟ قالت: لا فإن قلبي قد سكن وركن إلى ما ذكرت.

وأما خزيمة فلما أصبح صالح الغرماء وأصلح ما كان من حاله ثم إنه تجهز يريد سليمان بن عبد الملك[3]، وكان نازلا يومئذ بفلسطين، فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجب فأخبره بمكانه، وكان مشهورا بمروءته وكرمه. وكان سليمان عارفا به فأذن له، فلما دخل سلم عليه بالخلافة فقال له سليمان بن عبد الملك: يا خزيمة، ما أبطأك عنا؟ قال: سوء الحال. قال: فما منعك من النهضة إلينا؟ قال: ضعفي يا أمير المؤمنين. قال: فبم نهضت إلينا الآن؟ قال: لم أعلم يا أمير المؤمنين إلا أني بعد هدو من الليل لم أشعر إلا ورجل يطرق الباب وكان من أمره كيت وكيت، وأخبره بقصته من أولها إلى آخره. فقال سليمان: هل تعرف هذا الرجل؟ فقال: خزيمة: ما عرفته يا أمير المؤمنين لأنه كان متنكرا وما سمعت من لفظه إلا : إني جابر عثرات الكرام. قال: فتلهب وتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال: لو عرفناه لكافأناه على مروءته، ثم قال: علي بقناة (؟). فأتى بها فعقد لخزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة عاملا عوضا عن عكرمة الفياض. فخرج خزيمة طالبا الجزيرة، فلما قرب منها خرج عكرمة وأهل البلد للقائه، فسلما على بعضهما ثم سارا جميعا إلى أن دخلا البلد. فنزل خزيمة في دار الإمارة وأمر أن يؤخذ لعكرمة كفيل وأن يحاسب، فحوسب فوجد عليه فضول أموال كثيرة فطالبه بأدائها قال: ما لي إلى شيء من ذلك سبيل. قال: لا بد منها. قال: لست عندي فاصنع ما أنت صانع. فأمر به إلى الحبس ثم أنفذ إليه من يطالبه فأرسل يقول: إني لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت. فأمر أن يكبل بالحديد فأقام شهرا كذلك أو أكثر فأضناه ذلك وأضر به، وبلغ ابنة عمه خبره فجذعت واغتمت لذلك ثم دعت مولاة لها، وكانت ذات عقل ومعرفة، وقالت لها: امض الساعة إلى باب هذا الأمير خزيمة بن بشر وقولي: عندي نصيحة، فإذا طلبت منك فقولي: لا أقولها إلا للأمير خزيمة بن بشر، فإذا دخلت عليه فسليه أن يخليك، فإذا فعل ذلك فقولي: ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك. كافأته بالحبس والضيق والحديد. ففعلت الجارية ذلك. فلما سمع خزيمة كلامها نادى برفيع صوته وا سوأتاه، وإنه لهو؟ قالت: نعم، فأمر لوقته بدابته فأسرجت وبعث إلى وجوه أهل البلد فجمعهم إليه وأتى بهم إلى باب الحبس ففتح ودخل خزيمة ومن معه فرآه قاعدا في قاعة الحبس متغيرا أضناه الضر والألم وثقل القيود فلما نظر إليه عكرمة وإلى الناس أحشمه ذلك فنكس رأسه فأقبل خزيمة حتى أكب على رأسه فقبله فرفع عكرمة إليه رأسه وقال: ما أعقب هذا منك؟ قال: كريم فعالك وسوء مكافأتي. قال: يغفر الله لنا ولك. ثم أتي بالحداد ففك القيود عنه وأمر خزيمة أن توضع القيود في رجل نفسه. فقال عكرمة: ماذا تريد.؟ فقال: أريد أن ينالين من الضر مثل ما نالك. فقال: أقسم عليك بالله لا تفعل. فخرجا جميعا حتى وصلا إلى دار خزيمة فودعه عكرمة وأراد الانصراف عنه. فقال: ما أنت ببارح. قال: وما تريد؟ قال: أغير حالك وإن حيائي من بنت عمك أشد من حيائي منك. ثم أمر بالحمام فأهلي ودخلاه معا فقام خزيمة وتولى أمره وخدمه بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل معه مالا كثيرا ثم سار معه إلى داره واستأذنه في الاعتذار إلى ابنة عمه، فاعتذر إليها وتذمم من ذلك. قال: ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه إلى سليمان بن عبد الملك، وهو يومئذ مقيم بالرملة*، فأنعم له بذلك وسارا جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فأعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال: والي الجزيرة يقدم بغير أمرنا؟ ما هذا إلا لحادث عظيم! فلما دخل قال له قبل أن يسلم: ما وراءك يا خزيمة؟ قال: الخير يا أمير المؤمنين. قال: فما الذي أقدمك؟ قال: ظفرت بجابر عثرات الكرام، فأحببت أن أسرك به لما رأيت من تلهفك وتشوقك إلى رؤيته. قال: ومن هو؟ قال: عكرمة الفياض؟ قال: فأذن له بالدخول. فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من مجلسه وقال: يا عكرمة ما كان خيرك له إلا وبالا عليك. ثم قال سليمان: اكتب حوائجك كلها وما تحتاج إليه في رقعة. ففعل ذلك، فأمر بقضائها منه ساعته، وأمر له بعشرة آلاف دينار وسفطين ثيابا، ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وقال له: أمر خزيمة إليك إن شئت أبقيته وإن شئت عزلته. قال بل اردده إلى عمله يا أمير المؤمنين، ثم انصرفا من عنده جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته، والله أعلم.

----

*(الرملة) من مدن فلسطين التاريخية (الجزيرة) الجزيرة الفراتية. الرقة (القناة) الرمح الأجوف وكل عصا مستوية أو معوجة ومجرى للماء ضيق أو واسع ج قنوات واسم الجنس الجمعي قنا

■ (2) عكرمة بن ربعي؟.. خطأ أو تشابه أسماء ؟ (؟) عكرمة بن ربعي والحجاج ماتا قبل خلافة سليمان بن عبد الملك.

عكرمة بن ربعي بن عمير التيمي البصري أحد بني تيم الله بن ثعلبة، المعروف بالفياض قدم على عبد الملك بن مروان هاربا من الحجاج، فنزل على يزيد بن أبي النمس الغساني بدمشق، فاستأمن له عبد الملك فأمنه. وقيل: إن الحجاج نادى مناديه يوم رستقياباذ: أمن الناس كلهم إلا أربعة: عبد الله بن الجارود، وعبد الله بن فضالة، وعكرمة بن ربعي، وعبيد الله بن زياد بن ظبيان. فأما عكرمة بن ربعي فإنه لحقته خيل الحجاج في بعض سكك المربد فعطف عليهم، فقتل منهم نيفا وعشرين رجلا ثم قتلوه.

■ (3) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.حج سنة 97 هـ عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. كانت الفتوحات محدودة في أيامه، فعلى الجبهة الغربية غزا القسطنطينية برا وبحرا تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك، ورابط بنفسه هناك، وأقسم ألا يعود حتى يفتحها، فتوفي أثناء حصارها سنة 99 هـ على الجبهة الشرقية: فتح يزيد بن المهلب جرجان و طبرستان عام 98 هـ. توفي سنة 99 هـ

■ (1) خزيمة بن بشر من بني أسد بالرقة، أمير الجزيرة عامل سليمان بن عبد الملك بن مروان

قال البلاذري: حدث عمر بن شبة قال: أعوز بشر بن غالب[1] حتى لزم بيته فأتت امرأته عكرمة بن ربعي فقالت: هل أنت مسلفي خمسمائة درهم، فدفعها إليها وبعث رسولا ليعلم أين صارت، فلما عرف الذي له استسلفت الخمس المائة الدرهم أخذ ألف دينار وقرع على بشر بن غالب الأسدي بابه ليلا وقال: هذه ألف دينار فاقبضها، وقال: إن تيسر رددت وإن تعذر فهو لك،قال ومن أنت؟ قال: إذا قبضت المال أخبرتك فلما قبضه قال: أنا عكرمة بن ربعي جابر عثرات الكرام، فدخل بشر بيته مهموما فقالت له امرأته: مالك؟ فاخبرها خبر عكرمة وما صنع وقال: لا أزال متضائلا حتى أرد ماله أو أكافيه، فقالت: فمنه والله أخذت الخمس المائة، فلما قدم بشر بن مروان[2] الكوفة أرسل إلى بشر بن غالب الأسدي يسأله أن يلي شرطته، وكان إذا ولى رجلا شرطته أمر له بمائة ألف درهم، فقال: لست أضبط أمر الشرطة ولا أقوم به ولكني أشير عليك برجل؟ قال: ومن هو؟ قال: عكرمة بن ربعي فولاه شرطته وأمر له بمائة ألف درهم.

☪

قيل لعكرمة بن ربعي الفياض لسخائه، خرج مع الوليد بن عبد الملك إلى الصائفة، ومعه ألف بعير عليها الطعام فجعل ينحر كل يوم سمينها ويطعم ما عليه، فقال فيه الأخطل: رأيت عكرمة الفياض في دمه..سبط الفعال إذا ما يذكر الجود

وقدم عكرمة بن ربعي على عبد الملك بن مروان هاربا من الحجاج، فنزل على يزيد بن أبي النمس الغساني بدمشق، فاستأمن له عبد الملك فأمنه. ولعكرمة بن ربعي يقول شبيب بن عمرو بن كريب: إذا نهشت ربيعة للمعالي..فعكرمة بن ربعي فتاها

■ (2) بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الاموي. أمير، كان سمحا جوادا. ولي إمرة العراقين البصرة والكوفة لاخيه عبد الملك سنة 74 هـ. وهو أول أمير مات بالبصرة سنة 75 هـ توفي عن نيف وأربعين سنة.

■ (1) بشر بن غالب، رجل من بني أسد وهو غير معروف ؟

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ طيب المذاق من ثمرات الأوراق/ ثمرات الأوراق/ المستجاد من فعلات الأجواد/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) وبلال بن أبي بردة 0467

قال جويرية بن أسماء: لما ولي عمر بن عبد العزيز[1] الخلافة، وفد عليه بلال بن أبي بردة[2]، فهنأه، فقال: من كانت الخلافة يا أمير المؤمنين شرفته، فقد شرفتها، ومن كانت زانته، فقد زنتها، وأنت والله كما قال مالك بن أسماء[3]: وتزيدين طيب الطيب طيبا..إن تمسيه أين مثلك أينا..وإذا الدر زان حسن وجوه..كان للدر حسن وجهك زينا. فجزاه عمر خيرا، ولزم بلال المسجد يصلي ويقرأ ليله ونهاره، فهم عمر أن يوليه العراق، ثم قال: هذا رجل له فضل، فدس إليه ثقة، فقال له: إن عملت لك في ولاية العراق، ما تعطيني؟ فضمن له مالا جليلا، وأخبر بذلك عمر، فنفاه وأخرجه، وقال: يا أهل العراق، إن صاحبكم أعطي مقولا، ولم يعط معقولا، وزادت بلاغته، ونقصت زهادته.

في رواية عن الأصمعي قال: وفد بلال ابن أبي بردة على عمر بن عبد العزيز، وهو بـ خناصرة*، فلزم سارية من المسجد، يصلي إليها، يحسن السجود والركوع والخشوع، وعمر ينظر إليه، فقال عمر للعلاء بن المغيرة البندار[4]، وكان خصيصا بعمر: إن يكن سر هذا كعلانيته فهو رجل أهل العراق غير مدافع عن فضل. فقال له العلاء بن المغيرة: إنا آتيك يا أمير المؤمنين بخبره. فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء، فقال له: اشفع صلاتك، فإن لي حاجة، فلما سلم من صلاته، قال له العلاء: تعلم منزلتي وموضعي من أمير المؤمنين، وحالي، فإن أشرت عليه أن يوليك العراق، ما تجعل لي؟ قال: عمالتي سنة، وكان مبلغها عشرين ومئة ألف درهم، قال: فاكتب لي بذلك خطا. فقام من وقته فكتب له خطا بذلك. فحمل ذلك الخط إلى عمر بن عبد العزيز، فلما قرأه عمر، كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب[5]، وكان واليا على الكوفة: أما بعد، فإن بلالا غرنا بالله، فكدنا أن نغتر به، ثم سبكناه، فوجدناه خبثا كله.

----

* (خناصرة) قرية صغيرة شمال الشام. من أسماءها: خناصر أو خنيصرة أو كوناسارة أو أوناسارة (سادس الخلفاء الراشدين) الخلفاء الراشدين المهديين من بعد النبي صلى الله عليه وسلم: أبو بكر، وعمر، وعلي، وعثمان، والحسن، رضوان الله عليهم أجمعين.. ثم عمر بن عبد العزيز وغيره.

■ (2) بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس بن حَضَّار الأشعري اليماني، أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله الكوفي، ويقال: البصري، أمير البصرة وقاضيها، أخو سعيد بن أبي بردة، وعم بريد بن عبد الله بن أبي بردة. مات بعد سنة 120 هـ.

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. ولّاه الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، ثم ضم إليه ولاية الطائف، ثم عُزل. فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة جعله وزيراً له، ثم ولي عهده، فلما مات سليمان سنة 99هـ تولى عمر الخلافة. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

■ (5) عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب المدني الأعرج، ولي إمرة الكوفة لعمر بن عبد العزيز، سأل ابن عباس وروى عن مسلم بن يسار، ومقسم، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص، وثقه ابن خراش وغيره، وتوفي بحران في خلافة هشام في حدود 120 هـ وقيل نحو115 هـ وروى له جماعة.

■ (4) العلاء بن المغيرة البندار كان من صحابة عمر بن عبد العزيز بن مروان وبقي إلى أيام يزيد بن عبد الملك حكى عنه محمد النوفلي.

■ (3) مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، أبو الحسن: شاعر غزل ظريف، من الولاة. كان هو وأبوه من أشراف الكوفة. وتزوج الحجاج أخته هند بنت أسماء وتقلد خوارزم، وأصبهان للحجاج، ووقع منه ما أوجب حبسه مدة طويلة. شعره كثير، ومن أبياته السائرة: منطق صائب، وتلحن أحيانا وأحلى الحديث ماكان لحنا. واختار له أبو تمام أبياتا في الحماسة. مات نحو 100 هـ.

☪

عن عمر بن الحكم بن النضر، قال: سمعت من يقول: إنما قتل بلالا دهاؤه، وذاك إنه قال للسجان: خذ مني مئة ألف درهم، وتعلم يوسف بن عمر الثقفي[1]،أني قد مت، وكان يوسف إذا أخبر عن محبوس إنه قد مات، أمر بدفعه إلى أهله، فطمع بلال أن يأمر بدفعه إلى أهله، قال السجان: كيف تصنع إذا دفعت إلى أهلك؟ قال: لا يسمع لي يوسف بخبر ما دام واليا. فأتى السجان يوسف بن عمر، فقال: إن بلالا قد مات. فقال: أرنيه ميتا، فإني أحب أن أراه ميتا، فجاء السجان فألقى عليه شيئا غمه حتى مات، ثم أراه يوسف. في رواية، أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج* وكان يعذبه وكان كل من مات من الحبس رفع خبره إلى الحجاج* فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله فقال بلال: للسجان خذ مني عشرة آلاف درهم واخرج اسمي إلى الحجاج* في الموتى فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض فلم يعرف الحجاج* خبري وإن شئت أن تهرب معي فافعل وعلى غناك أبدا فأخذ السجان المال ورفع اسمه في الموتى فقال الحجاج:* مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه هاته فعاد إلى بلال فقال: اعهد قال: وما الخبر قال: أن الحجاج* قال: كيت وكيت فإن لم أحضرك إليه ميتا قتلني وعلم أني أردت الحيلة عليه ولا بد أن أقتلك خنقا. فبكى بلال وسأله أن لا يفعل فلم يكن إلى ذلك طريق فأوصى وصلى فأخذه السجان وخنقه وأخرجه إلى الحجاج* فلما رآه ميتا قال: سلمه إلى أهله فأخذوه وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم ورجعت الحيلة عليه.

قال أبو عبيدة: لما ولى خالد بلال بن أبي بردة القضاء جعل بلال ينفذ أقضيته إلى سعد بن حيان اليحمدي؛ قال: وكان بلالا ظلوما، ما يبالي ما صنع في الحكم وغيره.قالوا وقدم رسول لخالد على بلال يريد السند، فنظر الرسول إلى رجل قاعد قبالة دار بلال، في ظل وعليه مظلة، فأقبل على بلال، فقال: أما ترى الرجل الجالس في الظل وعليه مظلة؟ قال: بلى. قال: فإني أحب أن تأمر بحبسه، فأقام في السجن لا يسمع منه شيء حتى قدم الرسول من السند؛ فقال: لبلال: ما فعل الرجل المحبوس؟ قال: على حاله، فأرسل إليه؛ فقال: علام حبستني أصلحك الله ؟ قال: لا أدري والله سل هذا؛ فقال: للرجل: لم حبستني؟ قال: لأنك في الظل، وعليك مظلة.

قال الأصمعي: ولى يوسف بن عمر صاحب العراق أعرابيا على عمل له؛ فأصاب عليه خيانة فعزله، فلما قدم عليه قال له: يا عدو الله! أكلت مال الله! قال الأعرابي: فمال من آكل إذا لم آكل مال الله؟ لقد راودت إبليس أن يعطيني فلسا واحدا فما فعل. فضحك منه وخلى سبيله. وفي رواية قال المنصور لعامل بلغه عنه خيانته: يا عدو الله، وعدو أمير المؤمنين، وعدو المسلمين، أكلت مال الله، وخنت خليفة الله، فقال: يا أمير المؤمنين، نحن عيال الله، وأنت خليفة الله، والمال مال الله، فمن أين نأكل إذا، فضحك وأطلقه، وأمر أن لا يولي عملا بعدها.

عن مالك بن دينار قال: كنت عند بلال بن أبي بردة، وهو في قبة له، فقلت: إني قد أصبت هذا خاليا، فأي قصص أقص عليه؟ فقلت في نفسي ما له خير من أن أقص عليه ما بقي نظراؤه من الناس، فقلت له: أتدري من بنى هذا الذي أنت فيه؟ بناها عبيد الله بن زياد، وبنى البيضاء، وبنى المسجد، فولي ما ولي، فصار من أمره أن هرب فطلب فقتل، ثم ولي البصرة بشر بن مروان، فقالوا أخو أمير المؤمنين، فمات بالبصرة، فحملوه وحشر الناس في جنازته، ومات زنجي فحمله زنجي على طن قصب، فذهب بأخي أمير المؤمنين فدفنوه، وذهب بالزنجي فدفنوه، ثم جعلت أقص عليه أميرا أميرا، حتى انتهيت إليه، فقلت في نفسي قد بنيت دارا بالكوفة، فلم ترها حتى أخذت فسجنت وعذبت حتى قتل فيها.

☪

لما مرض سليمان بن عبد الملك المرض الذي توفي فيه، وكان مرضه بدابق ومعه رجاء بن حيوة، فقال لرجاء بن حيوة: يا رجاء، من لهذا الأمر بعدي: أستخلف ابني؟ قال: ابنك غائب، قال: فالآخر؟ قال: صغير، قال: فمن ترى؟ قال: أرى أن تستخلف عمر بن عبد العزيز، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، وتكتب كتابا، وتختم عليه، وتدعوهم إلى بيعته مختوما عليه، قال: لقد رأيت، ائتني بقرطاس فكتب العهد لعمر بن عبد العزيز، ثم من بعده يزيد بن عبد الملك، ثم ختمه. ودفعه إلى رجاء، وقال اخرج للناس فمرهم فليبايعوا على ما في هذا الكتاب مختوما، فجمعهم فقالوا له: ومن في هذا الكتاب؟ قال: مختوم لا تخبروا بمن فيه حتى يموت. قالوا: لا نبايع حتى نعلم ما فيه فرجع إلى سليمان فقال: انطلق إلى صاحب الشرطة والحرس وناد للصلاة جامعة ومر الناس، فليجتمعوا، ومرهم بالبيعة على ما فيه. قال: رجاء: فلما فرغت خرجت إلى منزلي، فسمعت جلبة موكب، فالتفت فإذا هشام فقال لي: يا رجاء، قد علمت موقعك منا، وإن أمير المؤمنين صنع شيئا ما أدري ما هو، وأنا أتخوف أن يكون قد أزالها عني، فإن يك عدلها عني فأعلمني ما دام في الأمير نفس حتى أنظر في هذا الأمر قبل أن يموت. قال: قلت: سبحان الله، يستكتمني أمير المؤمنين أمرا أطلعك عليه؟! لا يكون ذلك أبدا، فأدارني فأبيت عليه فانصرف. فبينا أنا أسير سمعت جلبة خلفي، فإذا عمر بن عبد العزيز، فقال: يا رجاء، إنه قد وقع في نفسي أمر كبير من هذا الرجل، أتخوف أن يكون جعلها إلي، ولست أقوم بهذا الشأن، فأعلمني ما دام في الأمير نفس لعلي أتخلص منه ما دام حيا، قال: قلت: سبحان الله، يستكتمني أمير المؤمنين أمرا أطلعك عليه؟! فأدارني وألاصني فأبيت عليه. قال رجاء: وثقل سليمان وحجب الناس عنه حتى مات. فلما مات أجلسته في مجلسه، وأسندته، وهيأته، وخرجت إلى الناس، فقالوا: كيف أصبح أمير المؤمنين قلت: أصبح ساكنا، وقد أحب أن تسلموا عليه، وتبايعوا على ما في هذا الكتاب بين يديه، والكتاب بين يديه، وأذنت للناس فدخلوا عليه وأنا قائم عنده، فلما دنوا منه قلت: إن أميركم يأمركم بالوقوف، ثم أخذت الكتاب من عنده، ثم تقدمت إليهم، فقلت: أمير المؤمنون يأمركم أن تبايعوا على ما في هذا الكتاب، قال: فبايعوا وبسطوا أيديهم. فلما بايعتهم على ما فيه أجمعين، وفرغت من بيعتهم قلت له: آجركم الله في أمير المؤمنين، قالوا: فمن؟ قال: ففاتح الكتاب، فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز، فلما نظرت بنو عبد الملك تغيرت وجوههم، فلما قرؤوا من بعده يزيد بن عبد الملك، فكأنهم تراجعوا، فقال: أين عمر بن عبد العزيز، فطلبوه فلم يوجد في القوم، فنظروا فإذا هو في مؤخر المسجد. قال: فأتوه فسلموا عليه بالخلافة، فعقر به فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضبعيه، فدنوا به إلى المنبر، فلم يقدر على الصعود حتى أصعدوه فأجلسوه، فجلس طويلا لا يتكلم، فلما رآهم رجاء جلوسا قال: ألا تقومون إلى أمير المؤمنين فتبايعوه، فنهض القوم إليه، فبايعوه، ومد يده إليهم، ثم صعد إليه هشام بن عبد الملك، فلما مد يده إليه، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أسفا لما فاته وأخطأه، فقال له عمر: نعم إنا لله وإنا إليه راجعون حين صار يلي هذا الأمر أنا وأنت؛ لما وقع فيه من ولاية أمر الأمة. ثم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني لست بقاض ولكني منفذ، ولست بمبتدع ولكني متبع، وإن من حولكم من الأمصار والمدن فإن هم أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم، وإن هم نفثوا فلست لكم بوال، ثم نزل يمشي، قال: فأتاه صاحب المراكب بمركب، فقال: ما هذا؟ قال: مركب للخليفة، قال: لا حاجة لي فيه، ائتوني بدابتي، فأتوه بدابته، فركبها. ثم خرج يسير، وخرجوا معه، فمالوا به إلى طريق، فقال: إلى أين؟ قالوا: البيت الذي هيأنا للخليفة. قال: لا حاجة لي فيه، انطلقوا بي إلى منزلي. قال رجاء: فأتى منزله، فنزل عن دابته، ثم دعا بداوة وقرطاس، فجعل يكتب بيده إلى العمال في الأمصار، ويملي على نفسه، قال رجاء: فلقد كنت أظن أنه سيضعف. فلما رأيت صنيعه في الكتاب علمت أنه سيقوى بهذا أو نحوه.

عن ضرار بن مرة الشيباني قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس: يبلغنا حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ويدلنا من العدل على ما لم نهتد له، ويؤدي الأمانة إذا حملها، ويعيننا على الخير، ويدع ما لا يعنيه. فمن كان كذلك فحي هلابه، ومن لم يكن كذلك فلا يقربنا. قال أبو سنان: فحجبوا والله دونه، قال: وهذا أول كلام تكلم به حين استخلف.

----

* تقرأ بالأصل : الحجاج ولعل الصواب ما ارتأيناه وهو: يوسف بن عمر الثقفي (ابن عم الحجاج)

■ (1) أبو عبد الله، يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، ابن عم الحجاج، ولاه هشام بن عبد الملك ولاية اليمن سنة106 هـ ثم ضم إليه ولاية العراق سنة 120هـ، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وذهب إلى العراق،أقره الوليد بن يزيد حتى قتل سنة 127 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الوافي بالوفيات/ الأذكياء/ نشوار المحاضرة/ الأعلام للزركلي/ أنساب الأشراف/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب 0468

ذكر أن عمر بن عبد العزيز[1] كتب إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب:[2] من عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله أما بعد فقد ابتليت بما ابتليت به من أمر هذه الأمه من غير مشاورة مني ولا إرادة يعلم الله ذلك فإذا أتاك كتابي فاكتب إلي بسيرة عمر بن الخطاب في أهل القبلة وأهل العهد فإني سائر بسيرته إن أعانني الله على ذلك والسلام. فكتب إليه سالم: من سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين أما بعد فإنك كتبت إلي تسألني تذكر أنك ابتليت بما ابتليت به من أمر هذه الأمه من غير مشاورة ولا إرادة يعلم الله ذلك تسألني أن أكتب لك بسيرة عمر وقضائه في أهل القبلة وأهل العهود وتزعم أنك سائر بسيرته إن أعانك الله على ذلك وإنك لست في زمان عمر ولا في مثل رجال عمر فأما أهل العراق فليكونوا منك بمكان من لا غنى بك عنهم ولا مفقرة إليهم ولا يمنعك من نزع عامل أن تنزعه أن تقول لا أجد من يكفيني مثل عمله فإنك إذا كنت تنزع لله وتستعمل لله أتاح الله لك أعوانا وأتاك بهم فإنما قدر عون الله للعباد على قدر النيات فمن تمت نيته تم عون الله له ومن قصرت نيته قصر عون الله له والله المستعان، والسلام.

قال شعيب بن صفوان: كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة: أما بعد، يا عمر فإنه قد ولي الخلافة والملك قبلك أقوام، فماتوا على ما قد رأيت، ولقوا الله فرادى بعد الجموع والحفدة والحشم، وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرون، فانفقأت عينهم التي كانت لا تفنى لذاتها، واندقت رقابهم غير موسدين بعد لين الوسائد، وتظاهر الفرش والمرافق والسرر والخدم، وانشقت بطونهم التي كانت لا تشبع من كل نوع ولون من الأموال والأطعمة، وصاروا جيفا بعد طيب الروائح العطرة، حتى لو كانوا إلى جانب مسكين ممن كانوا يحقرونه وهم أحياء لتأذى بهم، ولنفر منهم، بعد إنفاق الأموال على أغراضهم من الطيب والثياب الفاخرة اللينة، كانوا ينفقون الأموال إسرافا في أغراضهم وأهوائهم، ويقترون عن حق الله وأمره، فإنا لله وإنا إليه راجعون ما أعظم ما ابتليت به يا أمير المؤمنين فإن استطعت أن تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون مرتهنون بما عليهم، وأنت غير محبوس ولا مرتهن بشيء فافعل، واستعن بالله ولا قوة إلا بالله سبحانه.

■ (2) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبو عبد الله، ويقال: أبو عبيد الله ويقال: أبو عمر العدوي المدني الفقيه قدم الشام على عبد الملك بن مروان بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليد بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز. وكان أشبه أولاد أبيه به، عن مالك قال لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. روى عن أبيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ورافع بن خديج وأبي هريرة . توفي سنة 106 هـ. ووافق موته حج هشام، فصلى عليه وكان في طريق عودته من الحج، بالمدينة.ودُفن بالبقيع.

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. ولّاه الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، ثم ضم إليه ولاية الطائف، ثم عُزل. فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة جعله وزيراً له، ثم ولي عهده، فلما مات سليمان سنة 99هـ تولى عمر الخلافة. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

قال وهب بن منبه:﴿إذا عَمَلُ الْوَالِي بِالْجَوْرِ أَوْ هُمْ بِهِ أَدْخَلَ اللهُ النَّقْصَ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مِنْ الزَّرْعِ والضرع وَكُلِّ شَيْءٍ وَكَذَلِكَ إِذَا هُمْ بِالْعَدْلِ أَوْ عُمِلَ بِهِ أَدْخَلَ اللهُ الْبَرَكَةَ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ﴾ روى ابن عباس: إن ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفيا بمكانه، فنزل على رجل له بقرة فراحت البقرة فحلبت له قدر حلاب ثلاثين بقرة، فتعجب الملك لذلك وحدثته نفسه بأخذها، فلما راحت عليه من الغد حلبت على النصف مما حلبت بالأمس، فقال له الملك: ما بال حلابها نقص، أرعت في غير مرعاها بالأمس؟ قال: لا، ولكني أظن أن ملكنا هم بأخذها فنقص لبنها، فإن الملك إذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة. فعاهد الملك الله سبحانه وتعالى في نفسه أن لا يأخذها، فراحت من الغد فحلبت حلاب ثلاثين بقرة، فتاب الملك وعاهد ربه: لأعدلن. قال الحجاج لأعرابي كلمه فوجده فصيحا كيف تركت الناس وراءك فقال: تركتهم أصلح الله الأمير حين تفرقوا في الغيطان واخمدوا النيران وتشكت النساء وعرض الشاء ومات الكلب، فقال الحجاج لجلسائه: أخصبا نعت أم جدبا؟ قالوا: بل جدبا، قال: بل خصبا، قوله تفرقوا في الغيطان، معناه أنها أعشبت فإبلهم وغنمهم ترعى، وأخمدوا النيران معناه استغنوا باللبن عن أن يشتووا لحوم، إبلهم وغنمهم ويأكلوها، وتشكت النساء أعضادهن من كثرة ما يمخضن الألبان، وعرض الشاء استن من كثرة العشب والمرعى، ومات الكلب لم تمت أغنامهم وإبلهم فيأكل جيفها.

عن سهل بن يحيى محمد المروزي قال: اخبر لي أبي، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لما دفن عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك، وخرج من قبره، سمع للأرض هده أو رجه، فقال: ما هذه؟ فقيل هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قربت إليك لتركبها. فقال: ما لي ولها نحوها عني قربوا إلي بغلتي، فقربت إليه بغلته فركبها فجاءه صاحب الشرط يسير بين يديه بالحربة فقال: تنح عني ما لي ولك إنما أنا رجل من المسلمين. فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع الناس إليه. فقال: يا أيها الناس أني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم، فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فل امرنا باليمن والبركة، فلما رأى الأصوات قد هدأت ورضي به الناس جميعا، حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أوصيكم بتقوى الله فان تقوى الله خلف من كل شيء ليس من تقوى الله عز وجل خلف فاعملوا لأخرتكم فانه من عمل لأخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه واصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم فانه هاذم اللذات وان من لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم عليه السلام أبا حيا لمعرق في الموت وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل ولا في نبيها ولا في كتابها إنما اختلفوا في الدينار والدرهم وإني والله لا عطي أحدا باطلا ولا امنع أحدا حقا. ثم رفع صوته حتى اسمع الناس فقال:يا أيها الناس من أطع الله فقد وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم. ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهتكت والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وإدخال أثمانها في بيت مال المسلمين ثم ذهب يتبوأ مقيلا فاتاه ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع قال أي بني أقيل. قال: تقيل ولا ترد المظالم. قال: أي بني أني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان فإذا صليت الظهر ردت المظالم. قال: يا أمير المؤمنين من لك أن تعيش إلى الظهر. قال: ادن مني أي بني، فدنا منه فالتزمه، وقبل بين عينيه، وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني، فخرج ولم يقل، وأمر مناديه أن ينادي إلا من كانت له مظلمة فليرفعها.

مراجع: البداية والنهاية/ صفة الصفوة/ وفيات الأعيان/ العقد الفريد/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ ذيل جمهرة خطب العرب/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) وغلام هاشمي 0469

لما وليّ الخلافة عمر بن عبد العزيز وفدت الوفود من كل بلد لبيان حاجتها وللتهنئة، فوفد عليه الحجازيون ومعهم غلام هاشمي[1] تقدم للكلام وكان حديث السن. فقال عمر: لينطق من هو أسنّ منك. فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه فإذا منح الله عبدا لسانا لافظا وقلبا حافظا استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق بمجلسك هذا من منك. فقال عمر: صدقت قل ما بدا لك. فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين: نحن وفد تهنئة لا وفد مرزئة* وقد أتيناك لمنّ الله الذي منّ علينا بك ولم يقدمنا إليك إلا رغبة ورهبة. أما الرغبة فقد أتيناك من بلادنا وأما الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك. فقال عمر: عظني يا غلام. فقال: أصلح الله أمير المؤمنين إن ناسا من الناس غرّهم حلم الله عنهم وطول أملهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلّت بهم الأقدام فهووا في النار. فلا يغرّنك حلم الله عنك وطول أملك وكثرة ثناء الناس عليك فتزل قدمك فتلحق بالقوم. فلا جعلك الله منهم، وألحقك بصالحي هذه الأمة. ثم سكت. فقال عمر: كم عمر الغلام؟ فقيل له ابن إحدى عشرة سنة ثم سأل عنه فإذا هو من ولد سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهم فأثنى عليه خيرا ودعا له.

* (المرزئة)و المرزئة والرزيئة المصيبة والجمع أرزاء ورزايا. والرزء المصيبة بفقد الأعزة وهو من الانتقاص وفي حديث ابن ذي يزن قال عبد المطلب بن هاشم.: فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة.

■ (1) الهاشميون أو بنو هاشم إحدى أفخاذ قريش، نسبة إلى هاشم بن عبد مناف (عمرو بن عبد مناف) الجد الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنو هاشم هم الذين لا تحل لهم الصدقة، والمراد بهم: آل العباس، وآل الحارث بن عبد المطلب، وآل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، فهؤلاء هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قصر بعض العلماء المنع على بني هاشم، وألحق بهم بعضهم بني المطلب، والمطلب بن عبد مناف هو أخو هاشم بن عبد مناف، ويستدلون على ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من الخمس من سهم ذوي القربى.

☪

عن يعلى بن عبيد قال: دخلنا على محمد بن سوقة[1] فقال: أحدثكم بحديث لعله إن ينفعكم فانه قد نفعني ثم قال: قال لنا عطاء بن أبي رباح[2] يا بني أخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضوله ما عدا كتاب الله عز وجل إن تقراه وتأمر بمعروف أو تنهى عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشك التي لا بد لك منها أتنكرون: ﴿إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق] أما يستحي أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التي أمل صدر نهاره فإن اكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه. وعن ميمون بن مهران[3] قال: قال لي عمر: يا ميمون،احفظ عني أربعا:لا تصحبن سلطانا، وإن أمرته بمعروف، ونهيته عن منكر، ولا تخلون بامرأة، وإن أقرأتها القرآن، ولاتصل من قطع رحمه، فإنه لك أقطع، ولا تكلمن بكلام اليوم تعتذر منه غدا. وقال ميمون بن مهران: سألني عمر بن عبد العزيز على فريضة فأجبته فيها فضرب على فخذي ثم قال: ويحك يا ميمون بن مهران إني وجدت لقيا الرجال تلقيحا لألبابهم. وعن أبى عبد الله الحرشى، قال: سمعت بعض العلماء ممن قدم على عمر بن عبد العزيز يقول: الصامت على علم، كالمتكلم على علم، فقال عمر: إنى لأرجو أن يكون المتكلم على علم أفضلهما يوم القيامة حالا، وذلك لأن منفعته للناس، وهذا صمته لنفسه، فقال: يا أمير المؤمنين، وكيف بفتنة المنطق؟ فبكى عمر بن عبد العزيز بكاء شديدا. قال عيسى بن مسكين: قلت لسحنون: تأتيك المسائل مشهورة مفهومة، فتأبى الجواب فيها؟ فقال: سرعة الجواب بالصواب أشد فتنة من شدة المال وقال: كان بعض من مضى يريد أن يتكلم الكلمة، ولو تكلم بها لانتفع بها خلق كثير، فيحسبها ولا يتكلم بها مخافة المباهاة، وكان يتكلم لله ويصمت، فإذا أعجبه الصمت تكلم، وإذا أعجبه الكلام صمت.

☪

قال بكر بن عبد الله[4]: إذا رأيت من هو أكبر منك فقل: هذا سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل:سبقته إلى الذنوب والمعاصي فهو خير مني، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل: هذا فضل أخذوا به، وإذا رأيت منهم تقصيرا فقل: هذا ذنب أحدثته. قيل للعتابي[5]،وكان لا يبالي بما لبس: ما لك لا تجيد الملبوس؟ فقال: إنما يرفع المرء أدبه وعقله لا حليته وحلته، لحي الله أمرأ يرضى أن ترفعه هيئته وجماله! لا والله حتى يشرفه أصغراه: لسانه وقلبه، ويعلو به أكبراه: همته ولبه. لما دخل ضمرة بن ضمرة[6] على النعمان بن المنذر[7]* وهو ملك، وكان ضمرة ذا رأي وعقل، احتقرته عينه لدمامته.فقال: لأن تسمع بالمعيدي* خير من أن تراه! ثم قال ضمرة: أبيت اللعن! إن القوم ليسوا بجزرٍ تجزرن، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا نطق نطق ببيان، وإذا قاتل قاتل بجنان، والرجال لا تكال بالقفزان ولا توزن بالقبان.فأعجب المنذر بكلامه.وأجزل عطيته. قيل وسماه باسم أبيه، فقال له: أنت ضمرة بن ضمرة.عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ﴾ وعن حارثة بن وهب الخزاعي،قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ،وفي رواية قال: كُلُّ جَوَّاظٍ زَنِيمٍ مُتَكَبِّرٍ﴾ (ضعيف متضعف) معناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا وأما رواية الكسر فمعناها متواضع متذلل خامل واضع من نفسه قال القاضي:وقد يكون الضعف هنا رقة القلوب ولينها وإخباتها للإيمان والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء (لو أقسم على الله لأبره) معناه لو حلف يمينا طمعا في كرم الله تعالى بإبراره لأبره وقيل لو دعاه لأجابه (عتل جواظ مستكبر) العتل الجافي الشديد الخصومة بالباطل وقيل الجافي الفظ الغليظ وأما الجواظ فهو الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته وقيل القصير البطين وقيل الفاخر وأما المستكبر فهو صاحب الكبر وهو بطر الحق وغمط الناس(زنيم) هو الدعي في النسب الملصق بالقوم وليس منهم شبه بزنمة الشاة. قال عبد الله بن المبارك أخبرني سفيان؛ قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى: إن الحكمة ليست عن كبر السن، ولكنه إعطاء الله يعطيه من يشاء، فإياك ودناءة الأمور، ومداني الأخلاق

☪

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم: سئل عن الجمال، فقال: في اللسان. ويقال: جمال الرجل في لسانه، والمرء بأصغريه قلبه ولسانه. ويقال ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة، أو بهيمة مهملة. وأما النفع، فإن به تبلغ الأغراض، وتستخلص الحقوق، وتدفع الآفات، وتقضى به الحاجات، وتتم العبادات؛ في القراءة، والذكر، والشكر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعليم والدلالة على الحق المبين والصراط المستقيم، وبه يذوق الطعام، ويستعين في مضغه وتقليبه، وتنقية الفم، وتنظيفه، فهو أعظم الأعضاء نفعا، وأتمها جمالا. عن ابن عمر أنه قال: مر عمر بقوم يرمون، فقال: بئس ما رميتم، فقالوا: إنا متعلمين فقال عمر: والله لذنبكم في لحنكم أشد إلي من ذنبكم في رميكم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿رَحِمَ اللهُّ امْرَأً أَصْلَحَ لِسَانَهُ﴾ وعن جابر بن عبد الله قال: جاء العباس بن المطلب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثياب بيض، فلما نظر إليه تبسم فقال العباس: ﴿يَا رَسُولَ الله، مَا الْجَمَالُ؟ قَالَ: صَوَابُ الْقَوْلِ بِالْحَقِّ. قَالَ: فَمَا الْكَمَالُ؟ قَالَ: حُسْنُ الْفِعَالِ بِالصِّدْقِ﴾ وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِّ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِّ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِّ الْقَلْبُ الْقَاسِي﴾ وعن أبي هريرة قال:﴿أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ فَقَالَ: امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ﴾ وعن أبي سعيد رفعه قال: ﴿إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَّ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا﴾ وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال:﴿قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِّ مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ وَقَالَ: هَذَا﴾ وعن أبي سعيد الخدري، رفعه قال:﴿إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ أَعْضَاءَهُ تُكَفِّرُ لِلِّسَانِ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَأَنْ اعْوَجَجْتَ، اعْوَجَجْنَا﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق]﴾ وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِّ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُّ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِّ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ﴾ وعن سهل بن سعد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ﴾ قيل خرج الحسن بن سهل[8] مع المأمون يوما يشيعه، فلما عزم على مفارقته، قال له المأمون: يا أبا محمد، ألك حاجة؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين؛ تحفظ علي قلبك، فإني لا أستطيع حفظه إلا بك.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ﴾ وقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة] وعن النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ* يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهَّ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ﴾ وقال أحمد بن أبي الحواري: كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع. وعن عبد الله بن مسعود قال: والله الذي لا إله إلا هو ما على ظهر الأرض شيء أحق بطول سجن من لسان.

*(النعمان بن المنذر) في رواية: هو المنذر بن المنذر. (لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) أول من قاله النعمان بن المنذر، أو المنذر بن ماء السماء. فذهبت مثلا. قاله سيبويه: يضرب المثل لمن تراه حقيرا، وقدره خطير. وخبره أجل من خبره. (المعيدي) تصغير معدي منسوب إلى معد وإنما خففت الدال استثقالا للجمع بين الشديدتين مع ياء التصغير يضرب للرجل الذي له صيت وذكر في الناس فإذا رأيته ازدريت مرآته.
(الكراع) اسم جماعة الخيل، والكراع من الإنسان ما دون الركبة ومن الدواب ما دون الكعب.

■ (3) ميمون بن مهران مولى بني أسد كان مملوكا لامرأة بالكوفة فأعتقته وبها نشأ وكنيته أبو أيوب،كان مؤدب أولاده الخليفة عمر، سكن الجزيرة بعد وقعة الجماجم، وتولى قضاء الرقة لعمر، يروي عن ابن عمر، ولد سنة 40 هـ سنة المجاعة ومات بالرقة سنة 118 هـ وقيل سنة 117 هـ

■ (2) أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم – وقيل سالم – بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند وهي بلدة مشهورة باليمن خرج منها جماعة من العلماء؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع إلى خلقا كثيرا من الصحابة، وروى عنه خلق كثير، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانهما. توفي سنة 115 هـ، وقيل 114 هـ، وعمره 82، وقيل عاش 100 سنة.

■ (1) محمد بن سوقة، أيوب بن موسى. الإمام العابد الحجة أبو بكر الغنوي الكوفي. حدث عن أنس بن مالك وعن: سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وأبي صالح السمان ومنذر الثوري وجماعة. روى عنه سفيان الثوري وأبو معاوية وعبد الرحمن بن محمد المحاربي وابن عيينة وعلي بن عاصم ويعلى بن عبيد وآخرون. توفي سنة نيف وأربعين ومائة وقيل 150 هـ.

■ (7) المناذرة أو اللخميون: سلالة عربية حكمت العراق قبل الإسلام: 300=602م. المنذر بن المنذر (الثاني) بن امرئ القيس بن النعمان هو ملك الحيرة حكم أربع سنين في زمن أنوشروان (وابنه هرمز)، قتل في حدود سنة 42 ق هـ. والنعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي، أبو قابوس. من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية وكانت متابعة للفرس، وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى، نقم عليه كسرى أمرًا فعزله وسجنه حتى مات، وقيل ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته، فهلك نحو 15 ق. هـ

■ (6) ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم. من بني دارم، شاعر، كان من حكماء الجاهلية وخطبائهم، يقال: كان اسمه: شقة بن ضمرة، فسماه النعمان ضمرة. وهو الذي وفد على النعمان بن المنذر، وكان دميما فاحتقره، وهو صاحب يوم ذات الشقوق، من أيام العرب في الجاهلية، أغار على بني أسد، وظفر بهم، في مكان من ديارهم يسمى ذات الشقوق.

■ (5) كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر؛ أصله من الشام من أرض قنسرين، صحب البرامكة وصحب طاهر بن الحسين، وهو أديب له من الكتب كتاب المنطق والآداب وفنون الحكم والخيل والألفاظ. توفي في حدود 220 هـ.وكان قد بلغ الرشيد عنه ما أهدر به دمه فخلصه جعفر.

■ (4) بكر بن عبد الله المزني أبو عبد الله البصري قال أبو حاتم بكر بن عبد الله المزني وهو بن عمرو بن هلال وهو أخو علقمة بن عبد الله المزني وقال غيره ليس بأخيه روى عن أنس بن مالك وابن عمر. مات سنة 106 هـ وقيل مات سنة 108 هـ

■ (8) الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، أبو محمد: وزير المأمون العباسي، وأحد كبار القادة والولاة في عصره. اشتهر بالذكاء المفرط، والادب والفصاحة وحسن التوقيعات، والكرم. وهو والد بوران زوجة المأمون وكان المأمون يجله ويبالغ في إكرامه، وللشعراء فيه أماديح. أصيب بمرض السويداء سنة 203 هـ، فتغير عقله حتى شد في الحديد، ثم شفي منه قبل زواج المأمون بابنته سنة 210 هـ وتوفي في سرخس من بلاد خراسان سنة 236 هـ قال الخطيب البغدادي: وهو أخو ذي الرياستين الفضل بن سهل، كانا من أهل بيت الرياسة في المجوس وأسلما، هما وأبوهما سهل في أيام الرشيد.

مراجع: صفة الصفوة/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مسند أحمد/ سراج الملوك/ سير أعلام النبلاء/ المغني لابن قدامة/ شعب الإيمان/ أخبار القضاة/ فوات الوفيات/ لسان العرب/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ مسافر في قطار الدعوة/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) والحسن البصريّ (١) 0470

كتب عمر بن عبد العزيز[1] إلى الحسن البصريّ[2] يقول له: إني قد ابتليت بهذا الأمر، فانظروا لي أعوانا يعينونني عليه. فكتب إليه الحسن: أما أبناء الدّنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله والسلام.

وفي رواية، كتب عمر إلى الحسن: أما بعد فأشر علي بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى. فكتب إليه: أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم، ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة.

وكتب عمر إلى الحسن: أن اجمع لي أمر الدنيا، وصف لي أمر الآخرة. فكتب إليه: إنما الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والموت متوسط؛ ونحن في أضغاث أحلام. من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن حلم غنم، ومن خاف سلم؛ ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، ومن علم عمل، فإذا زللت فارجع، وإذا ندمت فأقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فأمسك. واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه.

وكتب عمر بن عبد العزيز، لما ولي الخلافة إلى الحسن البصري: أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن: اعلم يا أمير المؤمنين، أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة* كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالراعي الشفيق على إبله الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المرعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر*. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارا، ويعلمهم كبارا، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرها ووضعته كرها، وربته طفلا، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالقلب بين الجوارح: تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين، فيما ملكك الله عز وجل، كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال، وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله. واعلم يا أمير المؤمنين، أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم؟ واذكر يا أمير المؤمنين، الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه؛ فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر. واعلم يا أمير المؤمنين، أن لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك في قعره فريدا وحيدا. فتزود له ما يصحبك ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس] واذكر يا أمير المؤمنين، ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ(9) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات] فالأسرار ظاهرة و﴿الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف] فالآن يا أمير المؤمنين، وأنت في مهل، قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل، لا تحكم يا أمير المؤمنين، في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا *ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك. ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك. ولا تنظرن إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غدا وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله تعالى في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد ﴿عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه] إني يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي، فلم آلك* شفقة ونصحا، فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة. والسلام عليك يا أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته.

وعن حماد بن سلمة عن حنبل قال: أملى علينا الحسن رسالة إلى عمر بن عبد العزيز فأبلغ، ثم شكا الحاجة والعيال، فقلت: يا أبا سعيد لا تهجن* هذا الكتاب بالمسألة، اكتب هذا في غير ذا، قال: دعنا منك، فأمر بعطائه، قال: قلت: يا أبا سعيد اكتب إليه في المشورة فإن أبا قلابة قال: كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي، فما منعه ذالك أن أمره الله بالمشورة، فقال نعم، فكتب بالمشورة، فأبلغ فيها ايضا.

----

*(النصفة) اسم من الإنصاف (القر) البرد.(الإل) العهد (آلك) أي لم اقصر .(هجن) هجنة وهجونة وهجانة كان هجينا والكلام وغيره صار معيبا مرذولا.الهجنة من الكلام ما يعيبك

■ (2) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. ولّاه الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، ثم ضم إليه ولاية الطائف، ثم عُزل. فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة جعله وزيراً له، ثم ولي عهده، فلما مات سليمان سنة 99هـ تولى عمر الخلافة. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

☪

يقول علي الصلابي: المعاني الرئيسية في هذه الرسالة: أ ـ أن أهم صفة في الإمام هي العدل ولكنه عدل ممزوج بالرحمة الأبوية. ب ـ وأن أولى الناس بإتباع حدود الله هو الإمام، لأنه إن لم يتبعها، فأجدر بالرعية ألا يتبعوها. ج ـ وأن الإمام هو المنفذ للقصاص، فلا يحق له أن يقتل أحدا بغير حق، إن في القصاص حياة، فكيف يقضي على الحياة من وكل إليه أمر توفير الحياة؟. ح ـ أن صلاح الرعية بصلاح الإمام وفسادها بفساده، فمسئوليته عن أفعاله هي في الوقت نفسه مسئوليته عن أفعال كل رعيته، فما أعظم مسئوليته إذن. س ـ وتظهر هذه المسئولية خصوصا في تعيين الولاة، فما يرتكبه ولاة الإمام وعماله الإمام هو أول مسئول عنها، ولهذا يجب على الإمام ألا يسلط المستكبرين على المستضعفين، لأن المتكبرين لا يرعون الحرمات ولا يراقبون الله في أعمالهم وأحكامهم، فإذا عين الإمام واحدا من هؤلاء، فقد تحمل مع أوزاره الخاصة أوزارهم.

عن ابن عمر قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لن تهلك الرعية وإن كانت ظالمة مسيئة إذا كانت الولاة هادية مهدية﴾ ضعيف وقيل: زمانكم سلطانكم، فإذا صلح سلطانكم صلح زمانكم. وقيل: صنفان لو صلحا صلح الناس: الفقهاء والأمراء. وقال بزرجمهر: إذا هم الإمام بظلم ارتفعت البركة. وروي في الخبر: إذا جار السلطان في ناحية ضرى سباعها. وقيل: إذا رضي الراعي بفعل الذئب لم تنبح الكلاب على الغريب. وقيل: أوتي عمر رضي الله عنه بتاج كسرى فقال: إن الذي رد هذا لأمين! فقال رجل: يا أمير المؤمنين أنت أمين الله، فإن أديت أدوا، وإن رتعت رتعوا، قال: صدقت! قال الشاعر: ونفسك فاحفظها من الغي والردى..متى تغويها يغو الذي بك يقتدي.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الأرض لتزين في عين الخليفة إذا كان عليها إمام عادل، وتقبح في أعينها إذا كان عليها إمام جائر. وروي أن أبرويز نزل بامرأة متنكرا، فحلبت بقرة لها فرأى لبنا كثيرا، فقال للمرأة: كم يلزمك في السنة لهذه البقرة للسلطان؟ قالت: درهم واحد. قال: وأين ترتع وبكم بها ينتفع؟ قالت: ترتع في أرض السلطان، ولي منها قوتي وقوت عيالي؛ فتفكر في نفسه وقال: إن الواجب أن تجعل أتاوى على الأبقار فلأصحابها نفع عظيم. فما لبث أن قالت المرأة: أوه! إن سلطاننا هم بجور. فقال لها ابرويز: ولم؟ قالت: إن در البقرة انقطع وإن جور السلطان مقتض لجدب الزمان، كما أن عدله مقتض لخصب الزمان! فأقلع أبرويز عما هم به وتاب مما خطر بقلبه، وكان بعد ذلك يقول: إذا هم بجور ارتفعت البركة! وقال سقراط: ينبوع فرح العالم الملك العادل، وينبوع حزنهم الملك الجائر. وقال الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة مستجابة لما أجعلها إلا في الإمام، لأنه إذا صلح أخصبت البلاد وأمن العباد. فقبل ابن المبارك رأسه وقال: من يحسن هذا غيرك؟ وكان رجل يساير عاملا فمر بقصر خرب عليه زوجا بوم، والذكر يصرصر للأنثى، فقال العامل للرجل: ما يقول هذا البوم؟ فقال: إن أمنتني أخبرتك بما يقولان! فقال: أنت آمن. قال: إن الذكر خطب الأنثى فقالت: لا أجيبك حتى تجعل مهري عشرين قرية خربة، فقال الذكر: إن بقي لنا هذا العامل سنة أمهرتك خمسين قرية! فغضب العامل وقال: لولا أني آمنتك لعاقبتك! وقيل: عدل السلطان خير من خصب الزمان، وسلطان عادل خير من مطر وابل.

☪

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ السُّلْطَانَ ظِلُّ اللهِ فِي الْأَرْضِ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا عَدَلَ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الشُّكْرُ، وَإِذَا جَارَ كَانَ عَلَيْهِ الْإِصْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الصَّبْرُ﴾ (ظل الله) وفي رواية ظل الرحمن (في الأرض)؛ لأنه يدفع الأذى عن الناس كما يدفع الظل أذى حر الشمس، وقد يكنى بالظل عن الكنف والحماية (يأوي إليه كل مظلوم من عباده) أي لما أن الناس يستروحون إلى برد الظل من حر الشمس؛ كذلك يستروحون إلى برد عدله من حر الظلم (فإذا عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر وإذا جار) وفي رواية، أو حاف، أو ظلم (كان عليه الإصر) أي الوزر كما في رواية (وعلى الرعية الصبر) ففيه إشارة إلى أن الإمام العادل نعمة ومنحة، والسلطان الظالم نقمة ومحنه، لا تجب طاعته في معصية أبدا ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة] و﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان] أي لكل مؤمن.وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ﴾ (وعزتي لأنصرنك) بفتح الكاف أي أيها المظلوم، وبكسرها أي: أيتها الدعوة (ولو بعد حين) والحين يستعمل لمطلق الوقت، ولستة أشهر، ولأربعين سنة، والله أعلم بالمراد، والمعنى لا أضيع حقك ولا أرد دعاءك، ولو مضى زمان طويل لأني حليم لا أعجل عقوبة العباد لعلهم يرجعون عن الظلم والذنوب إلى إرضاء الخصوم والتوبة، وفيه إيماء إلى أنه تعالى يمهل الظالم ولا يهمله. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم] وقال عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ [الكهف].

☪

عن ابن عمر قال: سلوا أهل الشرف عن العلم فإن كان عندهم علم فاكتبوه فإنهم لا يكذبون. يقول سمنون[1] العابد الشهير: ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال هو عند الأمير قال وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأنتم ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافاً مع أني لا أخذ منه شيئاً ولا أشرب له شربة ماء. ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني إسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم.

■ (1) أبو الحسن سمنون بن حمزة الخواص، المتوفي سنة 298 هـ.

مراجع: إحياء علوم الدين/ العقد الفريد/ شذرات الذهب/ جامع الأحاديث/ التذكرة الحمدونية/ موارد الظمآن لدروس الزمان/ تاريخ الإسلام للذهبي/ المعجم الوسيط/ عمر بن عبد العزيز/ـمحاضرات الأدباء/

عن أصرم الخراساني قال: كتب عمر بن عبدالعزيز[1] الى الحسن[2] عظني، قال: فكتب اليه الحسن، أما بعد، يا أمير المؤمنين فكن للمثل من المسلمين أخا وللكبير ابنا وللصغير أبا وعاقب كل واحد منهم بذنبه على قدر جسمه ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتدخل النار. حدث أبو صالح، كاتب الليث[3]، قال: أخذتها من الليث بن سعد رسالة الحسن بن أبي الحسن الى عمر بن عبدالعزيز رحمهما الله: أما بعد، اعلم يا أمير المؤمنين، أن الدنيا دار ظعن وليست بدار اقامة، وانما أهبط اليها ادم من الجنة عقوبة، وقد يحسب من لا يدري ما ثواب الله أنها ثواب، ومن لم يدر ما عقاب الله أنها عقاب، ولها في كل حين صرعة، وليست صرعة كصرعة، هي تهين من أكرمها، وتذل من أعزها، وتصرع من اثرها، ولها في كل حين قتلى، فهي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه، فالزاد منها تركها، والغنى منها فقرها، فكن فيها يا أمير المؤمنين، كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء، مخافة طول البلاء، يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا، فان أهل الفضائل كان منطقهم فيها بالصواب، ومشيهم بالتواضع، مطعمهم الطيب من الرزق، مغمضي أبصارهم عن المحارم، فخوفهم في البر كخوفهم في البحر، ودعاؤهم في السراء كدعائهم في الضراء، لولا الاجال التي كتبت لهم ما تقاوت أرواحهم في أجسادهم، خوفا من العقاب، وشوقا إلى الثواب، عظم الخالق في نفوسهم فصغر المخلوق في أعينهم، واعلم يا أمير المؤمنين، أن التفكير يدعو الى الخير والعمل به، وأن الندم على الشر يدعو الى تركه، وليس ما يغني وإن كان كثيرا يأهل أن يؤثر على ما يبقى، وإن كان طلبه عزيزا، واحتمال المؤنة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة، خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مؤنة باقية وندامة طويلة، فاحذر الدنيا الصارعة الخاذلة القاتلة التي قد تزينت بخدعها، قتلت بغرورها وخدعت بآمالها، فأصبحت الدنيا كالعروس المجلية، فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة، وهي لازواجها كلهم قاتلة، فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الاخر لما رأى من أثرها على الاول مزدجر، ولا العارف بالله المصدق له حين أخبر عنها مدكر، فأبت القلوب الا لها حبا، وأبت النفوس لها الا عشقا، ومن عشق شيئا لم يلهم نفسه غيره، ولم يعقل شيئا سواه، مات في طلبه، وكان اثر الاشياء عنده، فهما عاشقان طالبان مجتهدان، فعاشق قد ظفر منها بحاجته، فاغتر وطغى ونسي، ولها فغفل عن مبتدا خلقه، وضيع ما اليه معاده، فقل في الدنيا لبثه، حتى زالت عنه قدمه وجاءته منيته على شر ما كان حالا، وأطول ما كان فيها أملا، فعظم ندمه وكثرت حسرته مع ما عالج من سكرته، فاجتمعت عليه سكرة الموت بكربته وحسرة الفوت بغصته فغير موصوف ما نزل به، واخر ميت مات من قبل أن يظفر منها بحاجته فمات بغمه وكمده ولم يدرك فيها ما طلب، ولم يرح نفسه عن التعب، والنصب، واللعب، فخرجا جميعا بغير زاد، وقدما على غير مهاد، فاحذرها الحذر كله، فانما مثلها كمثل الحية لين مسها، تقتل بسمها، فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما قد أيقنت به من فراقها، واجعل شدة ما اشتد منها رجاء ما ترجو بعدها وكن عند اسر ما تكون منها أحذر ما تكون لها، فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور صحبته من سرورها بما يسوؤه، وكلما ظفر منها بما يحب انقلبت عليه بما يكره، فالسار منها لاهلها غار، والنافع به منها غدا ضار، وقد وصل الرخاء منها بالبلاء، وجعل البقاء فيها الى فناء، فسرورها بالحزن مشوب، والناعم فيها مسلوب، وانظر يا أمير المؤمنين، اليها نظر الزاهد المفارق، ولا تنظر نظر المبتلى العاشق الوامق، واعلم أنها تزيل الثاوي بالساكن، وتفجع المترف فيها بالامن، ولا ترجع فيها ما تولى منها وأدبر، ولا بد مما هو ات منها ينتظر ولا يتبع ما صفا منها الا كدر، فاحذرها فان أمانيها كاذبة، واما لها باطلة، وعيشها نكد، وصفوها كدر، وأنت منها على خطر، إما نعمة زائلة، واما بلية نازلة، واما مصيبة فادحة، واما منية قاضية، فلقد كدرت المعيشة لمن عقل، فهو من نعيمها على خطر، ومن بليتها على حذر، ومن المنية على يقين، فلو كان الخالق تبارك اسمه، لم يخبر عنها بخبر، ولم يضرب لها مثلا، ولم يأمر فيها بزهد، لكانت الدنيا قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء عن الله عز وجل، منها زاجر، وفيها واعظ، فما لها عنده قدر، ولا لها عنده وزن من الصغر، فلهي عنده أصغر من حصاة في الحصى، ومن مقدار نواة في النوى، ما خلق الله عز وجل، خلقا فيما بلغنا أبغض الى الله تبارك وتعالى منها، ما نظر اليها منذ خلقها، ولقد عرضت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بمفاتيحها وخزائنها، لا ينقصه ذلك عند الله عز وجل، جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وما منعه من القبول لها –مع ما لا ينقصه الله عز وجل، شيئا مما عنده كما وعده– الا أنه علم أن الله عز وجل، أبغض شيئا فأبغضه، وصغر شيئا فصغره، ولو قبلها كان الدليل على محبته قبوله اياها، ولكنه كره أن يخالف أمره، أو يحب ما أبغض خالقه، أويرفع مما وضع مليكه. قال محمد بن الحسين: وكان في اخر هذه الرسالة: ولا تأمن من أن يكون هذا الكلام عليك حجة، نفعنا الله واياك بالموعظة، والسلام عليك ورحمة الله.

---

(2) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أوبه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

(1) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. ولّاه الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، ثم ضم إليه ولاية الطائف، ثم عُزل. فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة جعله وزيراً له، ثم ولي عهده، فلما مات سليمان سنة 99هـ تولى عمر الخلافة. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

(3) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، من السابعة، يكنى أبا الحارث، مولى لقيس. ولد سنة 93 هـ، واستقل بالفتوى والكرم بمصر .أسند الليث عن خلق كثير من التابعين كعطاء، ونافع، وأبي الزبير، والزهري. وقيل إنه أدرك نيفا وخمسين تابعيا. وتوفي يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان من سنة 175 هـ ودفن بعد الجمعة.

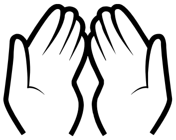

عن جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إن البدن إذا سقم لا ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علق حب الدنيا لم ينجع فيه المواعظ. وسمعته يقول: بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج هم الدنيا من قلبك. وعن عبد الله العبدي قال: حدثنا جعفر عن مالك قال: إن في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول: إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكري من قلبه. وعن جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن البيت إذا لم يسكن خرب. وقال: وسمعته يقول: لو أعلم أن قلبي يصلح على كناسة لذهبت حتى أجلس عليها. وسمعته يقول: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا. وسمعته يقول: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب. وعن أبي سمير عن مالك قال: إن لكل شيء لقاحا وإن الحزن لقاح العمل الصالح، إنه لا يصبر أحد على هذا الأمر إلا بحزن، فوالله ما اجتمعا في قلب عبد قط: حزن بالآخرة وفرح بالدنيا، إن أحدهما ليطرد صاحبه. وعن مجالد بن عبيد الله قال: حدثني عمر عن مالك بن دينار أنه كان يقول: إن الله عز وجل إذا أحب عبدا انتقصه من دنياه وكف عنه ضيعته، ويقول: لا تبرح من بين يدي قال: فهو متفرغ لخدمة ربه عز وجل، وإذا أبغض عبدا دفع في نحره شيئا من الدنيا ويقول: اعزب من بين يدي فلا أراك بين يدي فتراه معلق القلب بأرض كذا وبتجارة كذا.

قيل: نظر ابن عباس رحمه الله إلى بعض ولده نائما بالغداة فركله برجله ثم قال: قم لا أنام الله عينك! أتنام في وقت يقسم الله جل وعز فيه الأرزاق؟ أوما علمت أنها النومة التي قالت العرب فيها مكسلة ومانعة للحوائج؟وذلك؛ لأنه وقت طلب الرزق والسعي فيه شرعا وعرفا عند العقلاء وقد قال عليه الصلاة والسلام: ﴿اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا﴾ وقد قيل: النوم على ثلاثة أوجه: خرق وحمق وخلق، فأما الخرق فنوم الضحى شغل عن أمر الدنيا والآخرة، والحمق النوم بين العصر والمغرب فإنه لا ينامها إلا أحمق أو عليل أو سكران، وأما الخلق فنوم الهاجرة الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال:﴿قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ﴾ وقيل: إن نوم الغداة يمحق الرزق ويورث الصفار والكسل والبخر. قال إبراهيم بن السندي: نظر رجل من قريش إلى صاحب له قد نام في غداة من غدوات الصيف طيبة النسيم، فركضه برجله وقال: ما لك تنام عن الدنيا في أطيب وقتها، نم عنها في أخبث حالاتها، نم في نصف النهار لبعدك عن الليلة الماضية والآتية، ولأنها راحة لما قبلها من التعب، وجمام لما بعدها من العمل، نمت في وقت الحوائج، وتنبهت في وقت رجوع الناس؛ وقد جاء:﴿قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ﴾ وقال إبراهيم بن السندي: أيقظت أعرابية أولادا لها صغارا قبل الفجر في غدوات الربيع، وقالت: تنسموا هذه الأرواح، واستنشقوا هذا النسيم، وتفهموا هذا النعيم، فإنه يشد من منتكم. وعن بعض التابعين أن الأرض تعج من نوم العالم بعد صلاة الفجر ويروى أن عمر رضي الله عنه لما قدم الشام رأى معاوية حمل اللحم فقال: يا معاوية ما هذا لعلك تنام نومة الضحى؟! فقال: يا أمير المؤمنين، علمني مما علمك الله. وقد قال الشاعر: ألا إن نومات الضحى تورث الفتى..خبالا ونومات العصير جنون.

عن الأوزاعي، قال: كان عمر بن عبد العزيز إذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه لثلاثة أيام ثم عاقبه، كراهية أن يعجل في أول غضبه. وأسمعه رجل كلاما، فقال له: أردت أن يستفزني الشيطان فأنال منك اليوم بما تناله أنت مني يوم القيامة! انصرف عني، عافاك الله ورحمك. ولما شتم شخص عمر تركه ، فقيل له يا أمير المؤمنين لما تركته وقد شتمك، قال: لأنه أغضبني، ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي، ولا أحب أن أضرب مسلما حمية لنفسي، ولذلك قالوا إن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال لرجل أغضبه، لو أنك ما أغضبتني ما عاقبتك، إي لكن لما خاف تصير قضية شخصية.

مراجع: أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز/ صور من ابتلاء العلماء/ الأعلام للزركلي/

قال عدي بن أرطأة[0] لـ بكر بن عبد الله المزني[1]: يا أبا عبد الله، أي حق الله، ما يصنع هذا الرجل يعني عمر بن عبد العزيز يرد أعمال الخلفاء قبله ويسميها المظالم؟. قال المدائني: كتب عمر إلى عدي في كتابه: إن الله جعل لأهل الخير أعواناً عليه، ولأهل الشر أصحاباً مزينين له، وقد نهيتك عن كاتبك فلم أرك متحاشياً لذلك ولا زاجراً له عن ظلم الرعية وانتقاص حقوقهم، وإنك حين تفعل ذلك يا عدي لمغتر بي تارك حظك من الله، فاطرد عنك هذا الشائن، ولا تشركه في أمانتك، وأخرجه عن المصر، فإني لو أشركت أحداً من حزب الشيطان في أمانتي لا ستعنت بابن أبي مسلم[2] فاكفني نفسك يا عدي ولا تحملني على مكروهك، إن شاء الله، والسلام.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة: بلغني أنك تستن بسنن الحجاج، فلا تستن بسنته، فإنه كان يصلي الصلاة لغير وقتها، ويأخذ الزكاة من غير حقها، وكان لما سوى ذلك أضيع.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة: أما بعد، فإنه من ابتلي بالسلطان فقد ابتلي بأمر عظيم، وأي بلاء أعظم من بلاء يبسط المرء فيه لسانه ويده، أو يتكلم بأمر وهو يعلم أنه لله سخط، فاتق الله يا عدي، وحاسب نفسك قبل يوم القيامة، واذكر ليلة تمخض فيها الساعة، صباحها يوم القيامة، تكور فيها الشمس، وتتناثر فيها النجوم، وتفترق فيها الخلائق زمراء، فريق في الجنة وفريق في السعير، فانظر أين عقلك عند ذلك، والسلام. وكتب عدي إلى عمر: إن عندنا قوما قد أكلوا من مال الله، وإنا لا نقدر أن نستخرج ما عندهم حتى نمسهم بشيء من العذاب. فكتب إليه عمر: إنما أنت ربذة من الربد، فوالله لأن يلقوا الله بخيانتهم أحب إلي من أن ألقى الله بدمائهم، فافعل بهم ما يفعل بغريم السوء.وكتب مرة عمر إلى عدي: أما بعد، فإن أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك، واعلم أن مالك عند الله مثل ما للرعية عندك. قالوا: وكتب إلى عدي بن أرطأة: أما بعد، فاستوص بمن في سجون أرضك خيرا، ولا تصيبهم ضيعة، وأقم لهم ما يصلحهم من الطعام و الأدام* من مال الصدقة إن شاء الله.

كتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد فإن قبلنا قوم لا يؤدون الخراج إلا أن يمسهم العذاب، فاكتب إلي برأيك. فكتب إليه:أما بعد فالعجب لك كل العجب! تكتب إلي تستأذنني في عذاب البشر، كأن أذني لك جنة من عذاب الله، أو كأن رضاي ينجيك من سخط الله؟، فمن أعطاك منهم ما عليه عفوا فخذه منه، ومن أبي فاستحلفه، وكله إلى الله، فوالله لئن يلقوا الله بجرائمهم أحب إلي من أن نلقاه بعذابهم، والسلام.

----

*(الإدام) والأدم ما يؤكل مع الخبز أي شيء كان.(الخرنق)

■ (0) عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي أخو زيد بن أرطأة الفزاري، والده هو الصحابي أرطأة بن كعب الفزاري. ولاه عمر عبد بن العزيز البصرة، وغيرها من بلاد العراق فستمر عليها حتى قتل سنة 102 هـ.أيام يزيد بن عبد الملك.

■ (1) بكر بن عبد الله المزني أبو عبد الله البصري قال أبو حاتم بكر بن عبد الله المزني وهو بن عمرو بن هلال وهو أخو علقمة بن عبد الله المزني وقال غيره ليس بأخيه روى عن أنس بن مالك وابن عمر. مات سنة 106 هـ وقيل مات سنة108 هـ

■ (2) يزيد بن أبي مسلم بن دينار الثقفي، أبو العلاء مولاهم، أمير المغرب،كان مولى الحجاج وكاتبه ومشيره، استخلفه الحجاج عند موته على أموال الخراج، فضبط ذلك، وأقره الوليد، ثم أمره على إفريقية يزيد بن عبد الملك، فثارت عليه الخوارج ففتكوا به لظلمه سنة 102 هـ.

قال المدائني: لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وولى عدي بن أرطأة الفزاري البصرة، أراد عدي أن ينشئ غرفا فوق دار الإمارة، فكتب إليه عمر: هبلتك أمك* يا بن أم عدي! أيعجز عنك منزل وسع زيادا[1] وآل زياد؟ فأمسك عدى عن إتمام تلك الغرف وتركها. فلما ولى سليمان بن على بن عبد الله بن العباس[2] البصرة لابي العباس[3] أمير المؤمنين بنى على ما كان عدي رفعه من حيطان الغرف بناء بطين، ثم تركه وتحول إلى المربد* فنزله.فلما استخلف الرشيد[4] أدخلت الدار في قبلة المسجد، فليس للأمراء بالبصرة دار إمارة.

قال المبارك بن فضاله:كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة: أما بعد فإني كنت كتبت إلى عمرو بن عبد الله[5] أن يقسم ما وجد بعمان من عشور الحب والتمر في فقراء أهلها ومن سقط إليها من أهل البادية وإضافته إليها أهل الحاجة والمسكنة وانقطاع السبل فكتب إلي أنه سأل عاملك قبله عن ذلك الطعام والتمر فذكر أنه قد باعه وحمل إليك ثمنه فاردده إلى عمرو ما كان عاملك حمل إليك من ثمن التمر والحب ليضعه في المواضع التي أمرته بوضعه فيها ويصرفه إليها إن شاء الله والسلام وكتب إلى عدي بن أرطأة: أما بعد فما كان عندك من لقطة فحال عليها الحول فأخرج ما يجب فيها من الصدقة فضعه في أهل المسكنة والحاجة، ما كانت عندك، حتى يجيء لها طالب، وليكن ذلك شأنك وشأنها حتى يبقى منها ما لا تجب فيه الصدقة إن شاء الله والسلام. وعن يحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة بلغني أن عمالك بفارس يخرصون الثمار على أهلها ثم يقومونها بسعر دون سعر الناس الذي يتبايعون به فيأخذونه ورقا على قيمتهم التي قوموها وإن طوائف من الأكراد يأخذون العشر من الطريق ولو علمت أنك أمرت بشيء من ذلك أو رضيته بعد علمك به ما ناظرتك إن شاء الله بما تكره وقد بعثت بشر بن صفوان[6] وعبد الله بن عجلان[7] وخالد بن سالم[8] ينظرون في ذلك فإن وجدوه حقا ردوا إلى الناس الثمر الذي أخذ منهم وأخذوا بسعر ما باع أهل الأرض عليهم ولا يدعون شيئا مما بلغني إلا نظروا فيه فلا تعرض لهم. وكتب إلى عدي بن أرطأة: أن ضع عن الناس المائدة والنوبة* والمكس*ولعمري ما هو بالمكس، ولكنه البخس الذي قال الله:﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود] فمن أتى بزكاة ماله فقد أقبل منه ومن لم يأت فالله حسيبه.

----

*(هبلتك أمك) ثكلتك. يقال فلان هبلته أمه، إذا مات ثم قالوا في دعاء السوء هبلتك أمك ثم استعمل في التعجب كقاتلك الله وتربت يداك.(النوبة) في م : التوبة والنوبة: طعام ليوم والجمع نوب (المكس) الجباية والضريبة وهو الدرهم الذي يأخذه المصدق بعد فراغه وقيل: المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية أو هي الجباية.(الإدام) والأدم ما يؤكل مع الخبز أي شيء كان. (المربد) من أشهر محال البصرة، وكان سوق الإبل فيه قديما، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء

■ (5) عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري (أخو إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة وإخوته، وحفيد الصحابي أبي طلحة الأنصاري) كان عاملا لعمر بن عبد العزيز على عمان.

■ (4) هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الرشيد ابن المهدي ابن المنصور. ولد بالري سنة 147 هـ ، وبويع له بمدينة السلام بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170 هـ، وتوفي بطوس سنة 193 هـ، وكان يحج سنة ويغزو سنة.

■ (1) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (2) سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: أمير عباسي، من الاجواد الممدوحين. ولاه ابن أخيه السفاح إمارة البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان سنة 133 هـ فأقام فيها إلى أن عزله المنصور سنة 139 هـ فلم يزل في البصرة إلى أن توفي سنة 142 هـ.

■ (3) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، السفاح، يكنى أبا العباس ويقال له أيضا المرتضى والقائم.وعبد الله الأصغر بن محمد. ولد بالشراة، سنة 105 هـ، وهو أول ملوك بني العباس بويع بالكوفة، وكان أصغر سنا من أخيه أبي جعفر. بويع السفاح، ليلة الجمعة13 ربيع الآخر من سنة 132 هـ، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء11 ربيع الآخر سنة 132 هـ، وقيل: في النصف من شهر جمادي الآخرة من هذه السنة، وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية، وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة، فخطب على المنبر قائما، وكانت بنو أمية تخطب قعودا، فضج الناس وقالوا: أحييت السنة يا ابن عم رسول الله، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما، ومات بالجدري بالأنبار في مدينته التي بناها، وذلك في يوم الأحد12 ذي الحجة سنة 136 هـ وصلى عليه عيسى بن علي، ودفن بالأنبار، وهو ابن 33 سنة، وقيل: ابن 29 سنة، وكانت امه تحت عبد الملك بن مروان، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح، وعبيد الله، وداود، وميمونة.

■ (6) بشر بن صفوان الكلبي: أمير المغرب، وأحد الشجعان ذوي الرأي والحزم. ولي مصر أولا سنة 101 هـ، من قبل يزيد بن عبد الملك، ثم جاءه كتاب يزيد بتأميره على إفريقية سنة 102 هـ، فخرج إليها، وأقام في القيروان، وغزا صقلية وغيرها. ومات بالقيروان سنة 109 هـ.

■ (7) عبد الله بن عجلان كان في صحابة عمر بن عبد العزيز وبعثه إلى البصرة لينظر في أشياء رفعت إليه. ؟

■ (8) خالد بن سالم كان في صحابة عمر بن عبد العزيز وبعثه إلى البصرة ينظر في أمر فارس. ؟

مراجع: إحياء علوم الدين/ العقد الفريد/ شذرات الذهب/ أنساب الأشراف/ فتوح البلدان اللبلاذري/ تهذيب الكمال/ لسان العرب/ مختار الصحاح/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ الطبقات الكبرى/ ربيع الأبرار/

قال ابن عياش: خرج عمر ذات يوم من منزله على بغلة له وعليه قميص وملاءة إذ جاء رجل على راحلة حتى أناخها وسأل عن عمر فقيل له: قد خرج وهو راجع الآن. فأقبل عمر ومعه رجل يسايره، فقيل للرجل: هذا أمير المؤمنين. فقام فشكا إليه عدي بن أرطأة[1] في أرض له، فقال عمر: قاتله الله! أما والله ما غرنا إلا بعمامته السوداء، أما إني قد كتبت إليه فضلا عن وصيتي إن من أتاك ببينة على حق له فسلمه إليه، ثم قد عناك إلي. فكتب إلى عدي برد أرضه وقال للرجل: كم أنفقت؟ قال: يا أمير المؤمنين تسألني عن نفقتي وقد رددت علي أرضا هي خير من مائة ألف! قال: إنما ردها عليك حقك، فأخبرني كم أنفقت؟ قال: ما أدري. قال: احرزوه، فإذا هو ستون درهما، فأمر له بها من بيت المال، فلما ولى صاح به فرجع فقال: وهذه خمسة دراهم من مالي فكل بها لحما حتى ترجع إلى أهلك إن شاء الله.

روى عنبس بن بيهس عن رجل من بني تميم يقال له الأشعث بن عمرو[2] أنه أتى عمر بن عبد العزيز بالشام حين استخلف قال: فكلمته قلت: اسقني سقاك الله، قال: أين؟ قلت: بالخرنق*، قال: وما الخرنق؟ قلت: غائط بالشجي* لا يطأه طريق، قال: لك الويل، ما تصنع بغائط لا يطأه طريق؟، قلت: أنا رجل صاحب سائمة* أريد الفلاة*، قال: أبني بالغائط أحد قبلك أثرا؟ قلت: نعم، حفر عبد الله بن عامر[3] بها ركية*، قال: كم صوبها؟ قلت: خمسون ذراعا أو خمسون قامة، قال: كم هي من البصرة؟ قلت: مسيرة ثلاث ليال، فكتب إلى عدي بن أرطأة: أتاني رجل من بني تميم فاستحفرني بالخرنق وزعم أنها منك مسيرة ثلاث ليال فإذا أتاك فأحفره وأحفر من جاءك من أسود وأبيض واشترط، أن ابن السبيل أول ريان*، وإن حريم البئر* طول رشائها*، والسلام.

وعن عبيس بن بيهس قال: جاء رجل من بني عزيز بن ثعلبة بن يربوع إلى عمر بن عبد العزيز فقال:يا أمير المؤمنين اسقني سقاك الله. قال: أين؟ قال: بالخرنق فإنه طريق لا يطؤه الناس ولا يتطرقونه. فكتب عمر إلى عدي بن أرطاة: أما بعد: فإن رجلا من بني ثعلبة بن يربوع يقال له فلان استحفرني بالخرنق فاحفره، ومن جاءك من أسود الناس وأبيضهم يستحفرك فأحفره، واشترط أن ابن السبيل أول ريان، وإن حريم البئر طول رشائها، والسلام.

----

*(الخرنق) موضع بين مكة والبصرة والخرنق الأرنب الصغير.(سائمة) الدواب التي ترعى في البراري والمراعي ولا تعلف. وقيل: السوام والسائمة كل إبل ترسل ترعى ولا تعلف في الأصل.(الركية) البئر تحفر والجمع ركي (الشجي) منزل في طريق مكة (حريم البئر) الموضع المحيط بها الذي يلقى فيه ترابها (الرشاء) حبل الدلو (الريان) ضد العطشان والذي يروي فهو ريان وامرأة ريا.(الفلاة) الأرض المنقطة عن الماء.

■ (1) عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي أخو زيد بن أرطأة الفزاري، والده هو الصحابي أرطأة بن كعب الفزاري. ولاه عمر عبد العزيز البصرة، وغيرها من بلاد العراق فستمر عليها حتى قتل سنة 102 هـ.أيام يزيد بن عبد الملك.

■ (3) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة، أبو عبد الرحمن، ولد بمكة سنة 4 هـ ولاه سيدنا عثمان البصرة سنة 29 هـ وهو فاتح خراسان وغيرها وشهد وقعة الجمل مع عائشة ولم يحضر وقعة صفين.وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين ثم أقام بالمدينة ومات بمكة سنة 59 هـ ودفن بعرفات.

■ (2) الأشعث بن عمرو (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه)

لا إله إلا الله

قال عبد الرزاق: أنبأ معمر أن عمر كتب إلى عدي بن أرطأة: أما بعد، فإنك غررتني بعمامتك السوداء، ومجالستك القراء، وإرسالك العمامة من ورائك، وأظهرت لي الخير، وقد أظهرنا الله على كثير مما تكتمون. زاد غيره: قاتلكم الله، أما تمشون بين القبور!؟. قال أبو محمد بن عبد الحكم: كتب إليه عدي بن أرطأة إنه قد أصاب الناس من الخير خير حتى لقد خشيت أن يبطروا قال: فكتب إليه عمر: إن الله تبارك وتعالى حين أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار رضي من أهل الجنة بأن: ﴿قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر] فمر من قبلك أن يحمدوا الله.وقال حجاج: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة: لكن أمناؤك اوساط الناس فهم خيار الناس لا يدعون حقا ولا يكتسبون باطلا لا أنت قارئ مسدد ولا فاسق مبرز. قال عبد الملك بن بزيع: كتب عمر إلى ابن أرطأة: أما بعد، فإنك لن تزال تعني إلى رجلا من المسلمين في الحر والبرد يسألني عن السنة، كأنك إنما تعظمني بذلك؛ وايم الله، لحسبك بالحسن[1]! فإذا أتاك كتابي هذا فسل الحسن لي، ولك وللمسلمين؛ فرحم الله الحسن، فإنه من الإسلام بمنزلة ومكان. لا تقرئنه كتابي هذا!. قال أبو سلمة: أرسل عدي بن أرطأة الفزاري، أمير البصرة، إلى الحسن بمائتي درهم، فردها فزاده، فقال: الحسن: إني لم أردها استقلالا لها ولكني لا آخذ على القضاء أجرا. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة: أما بعد، فإياك أن تدركك الصرعة عند الغرة، فلا تقال العثرة ولا تمكن من الرجعة، ولا يعذرك من تقدم عليه، ولا يحمدك من خلفت لما تركت له، والسلام.

☪

قال عباد بن منصور:سمعت عدي بن أرطأة يخطب على منبر المدائن، فوعظ حتى بكى وأبكانا ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه:يا بني لا تصل صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها غيرها. قال أبو بشر بن لاحق: سمعت عدي بن أرطأة يخطب بعد انقضاء شهر رمضان يقول: كأن كبدا لم تظمأ وكأن عينا لم تسهر فقد ذهب الظمأ وبقي الأجر فيا ليت شعري! من المقبول منا فهنئته، ومن المردود منا فنعزيه.فأما أنت أيها المقبول فهنيئا هنيئا وأما أنت أيها المردود فجبر الله مصيبتك ثم يبكي ويبكي.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله عدي بن أرطأة: أما بعد، فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله، أما أولياء الله فغمتهم، وأما أعداء الله فغرتهم.

روى ابن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: استعملنا أقواما كنا نرى أنهم أبرار أخيار، فلما استعملناهم إذا هم يعملون أعمال الفجار، قاتلهم الله، أما كانوا يمشون على القبور!. وفي حديث مرفوعا:﴿مِنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلاَنِيَتَهُ. وَمَا أَسَرَّ امْرُؤٌ سَرِيرةً إِلاَّ أَلْبَسَهُ اللهُ رِدَاءَها: إنْ خيراً فخيرٌ، وإنْ شراً فشرٌ﴾ قال لقمان الحكيم لابنه: احذر واحدة هي أهل للحذر. قال: وما هي؟ قال: إياك أن تري الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر.

روى الطبراني والدارقطني وغير واحد من أهل العلم بأسانيدهم إلى عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامل له: أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله، والاقتصاد في أمره، وترك ما أحدث المحدثون بعده، ممن قد حارب سنته، وكفوا مؤنته، ثم أعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها -أو قال دليل عليها- فعليك لزوم السنة، فإنه إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الزيغ والزلل، والحمق والخطأ والتعمق، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وعلى العمل الشديد أشد، وإنما كان عملهم على الاسد، ولو كان فيما تحملون أنفسكم فضل لكانوا فيه أحرى، وإليه أجرى، لأنهم السابقون إلى كل خير، فإن قلت: قد حدث بعدهم خير، فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين، وحاد عن طريقهم، ورغبت نفسه عنهم، ولقد تكلموا منه ما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فأين لا أين، فمن دونهم مقصر، ومن فوقهم غير محسن، ولقد قصر أقوام دينهم فحفوا، وطمح عنهم آخرون فغلوا، فرحم الله ابن عبد العزيز. ما أحسن هذا القول الذي ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالمتابعة ومحبة ما كان عليه الصحابة، فمن الذي يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم؟ فرحمه الله وعفا عنه.

■ (1) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

مراجع: إحياء علوم الدين/ العقد الفريد/ شذرات الذهب/ أنساب الأشراف/ فتوح البلدان للبلاذري/ تهذيب الكمال/ لسان العرب/ مختار الصحاح/ سيرة عمر بن عبد العزيز/.

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) ونصيحة العلماء 0474

قال ميمون بن مهران[1]: ما كانت العلماء عند عمر إلا تلامذة وكان معلم العلماء. وقال تكلم عمر بن عبد العزيز ذات يوم وعنده رهط من إخوانه ففتح له منطق وموعظة حسنة، فنظر إلى رجل من جلسائه وقد ذرفت عيناه بالدموع، فلما رأى ذلك عمر قطع منطقه، فقلت له: يا أمير المؤمنين امض في موعظتك فإني أرجو أن يمن الله به على من سمعه أو بلغه، فقال إليك عني يا أبا أيوب، فإن في القول على الناس فتنة لا يخلص من شرها متكلم عليهم، والفعال أولى بالمؤمن من المقال.

قال ميمون بن مهران: قال لي عمر بن عبد العزيز: قل لي في وجهي ما أكرهه، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكرهه. وعن ميمون بن مهران قال: كنت في سمر عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فقلت: يا أمير المؤمنين ما بقاؤك على ما أرى؟ أنت بالنهار مشغول في حوائج الناس، وبالليل أنت معنا ها هنا ثم الله أعلم بما تخلو به. قال: فعدل عن جوابي، ثم قال: إليك عني يا ميمون فإني وجدت لقاء الرجال تلقيحا لألبابهم. وعن إدريس بن قادم قال: قال عمر بن عبد العزيز لميمون بن مهران: يا ميمون كيف لي بأعوان على هذا الأمر أثق بهم وآمنهم؟ قال: يا أمير المؤمنين لا تشغل قلبك بهذا فإنك سوق وإنما يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها فإذا عرف الناس أنه لا ينفق عندك إلا الصحيح لم يأتوك إلا بالصحيح.

يروى أن الحسن بن محمد بن الحسين[2] دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له: يا عمر، ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان. فقال عمر: إيه أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة! وجثى على ركبتيه. فقال الحسن: من إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، ومن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

لما ولي عمر الخلافة بعث إلى طاووس بن كيسان[3] يقول: أوصني يا أبا عبد الرحمن فكتب إليه طاووس رسالة في سطر واحد قال فيها: إذا أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير، والسلام. فلما قرأ عمر الرسالة قال: كفى بها موعظة.

قال المدائني: دخل على عمر بن عبد العزيز، سالم السندي[4]،وكان من خاصته، فقال له: أسرك ما وليت أم ساءك؟ قال: سرني للناس وساءني لك. قال: إني أتخوف أن أكون قد أوبقت نفسي، قال: ما أحسن حالك إن كنت تخاف، إنما أخاف عليك ألا تخاف. قال: عظني. قال: إن آدم أخرج من الجنة بخطيئة واحدة، فتدبر أمرك،واحفظ نفسك.

وسأل عمر بن عبد العزيز يومًا أبا حازم[5] الموعظة فقال له أبو حازم: إذا نِمْتَ فضعِ الموت تحت رأسك وكلُّ مَا أحببت أن يأتيكَ الموت وأنت عليه مصرٌّ فالتزمه، وكلُّ ما لا تريد أن يأتيك الموت وأنت عليه فاجتنبه، فربَّما كان الموت منك قريبًا.

قال أبو حازم الأسدي[6]: قدمت دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة، والناس رائحون إلى الجمعة فقلت: إن أنا صرت إلى الموضع الذي أريد نزوله فاتتني الصلاة، ولكن أبدأ بالصلاة، فصرت إلى باب المسجد، فإذا أمير المؤمنين على الأعواد يخطب الناس، فلما بصر بي عرفني، فناداني: يا أبا حازم إلي مقبلاً. فلما أن سمع الناس نداء أمير المؤمنين بي أوسعوا لي، فدنوت من المحراب، فلما أن نزل أمير المؤمنين فصلى بالناس، التفت إلي فقال: يا أبا حازم، متى قدمت بلدنا؟ قلت: الساعة، وبعيري معقول بباب المسجد، فلما أن تكلم عرفته، فقلت: أنت عمر بن عبد العزيز؟! قال: نعم، قلت له: تالله لقد كنت عندنا بالأمس بـ خناصرة* أميراً لعبد الملك بن مروان، فكان وجهك وضيئاً، وثوبك نقياً، ومركبك وطيئاً، وطعامك شهياً، وحرسك شديداً، فما الذي غيرك وأنت أمير المؤمنين؟! قال لي: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إنّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً مضَرَّسَةً لا يَجُوزُها إلاَّ كلُّ ضامِرٍ مَهْزُولٍ﴾ (ابن عساكر) قال: فبكى بكاء طويلا ثم قال لي: يا أبا حازم، ألا ينبغي لي أن أضمر نفسي لتلك العقبة؟ فعسى أن أنجو منها يومئذ، وما أظن أني مع هذا البلاء الذي ابتليت به من أمور الناس بناج منها !.

وقد روى الناس هذا الكلام على وجه آخر، فقالوا: قال أبو حازم: قدمت على عمر بن عبد العزيز وهو بـ خناصرة فلما نظر إلي عرفني ولم أعرفه، فقال لي: أدن مني يا أبا حازم، فلما دنوت منه عرفته، فقلت: أنت أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قلت: ألم تكن بالمدينة بالأمس أمير؟ قال: نعم، قلت: كان مركبك وطيا، وثوبك نقيا، ووجهك بهيا، وطعامك شهيا، وحرسك كثيرا، فما الذي غير ما بك وأنت أمير المؤمنين؟ فبكى، ثم قال: يا أبا حازم، كيف لو رأيتني بعد ثالثة في قبري، وقد سالت حدقتاي على وجنتي، وانشق بطني، وجرت الديدان في بدني، لكنت اشد إنكارا لي من يومك هذا. اعد علي الحديث الذي حدثتني به بالمدينة، قلت: نعم يا أمير المؤمنين، سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إنّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً مضَرَّسَةً لا يَجُوزُها إلاَّ كلُّ ضامِرٍ مَهْزُولٍ﴾ قال: فبكى ثم قال: أتلومني يا أبا حازم أن أضمر نفسي لتلك العقبة لعلي أنجو منها، وما أظنني بناج منها؟.

قال: أبو سريع الشامي: قال عمر بن عبد العزيز لرجل من جلسائه: أبا فلان لقد أرقت الليلة مفكرا قال: فيم يا أمير المؤمنين؟ قال: في القبر وساكنه إنك لو رأيت الميت بعد ثالثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك بناحيته، ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترق الديدان، مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب. ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه.

----

*(خناصرة) قرية صغيرة شمال الشام. من أسمائها : خناصر أو خنيصرة أو كوناسارة أو أوناسارة

■ (1) محمد بن كعب القرظي، أبو حمزة، أو أبو عبد الله.ولد في حياة رسول الله، اسند عن زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأبي هريرة وانس وابن عباس وعبد الله بن يزيد الخطمي في آخرين من الصحابة. مات سنة 117 هـ أو 118 هـ وقيل سنة 129 هـ وقيل كان يقص على أصحابه فسقط المسجد عليهم فقتلهم رحمهم الله.

■ (5) أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج مولى لقوم من بني ليث بن بكر. اسند أبو حازم عن ابن عمر وسهل بن سعد وانس بن مالك وقيل انه رأى أبا هريرة، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبي سلمة وعروة وغيرهم. توفي بعد سنة 140 هـ في خلافة المنصور

■ (1) ميمون بن مهران مولى بني أسد، أبو أيوب، كان مملوكا لامرأة من ثمالة بالكوفة فأعتقته وبها نشأ، كان مؤدب أولاد الخليفة عمر، سكن الجزيرة بعد وقعة الجماجم، وتولى قضاء الرقة لعمر، يروي عن ابن عمر، ولد سنة المجاعة 40 هـ ومات بالرقة سنة 118 هـ وقيل سنة 117 هـ

■ (6) أبو حازم الأسدي الخناصري، حكى عن عمر بن عبد العزيز، ووفد عليه إلى دمشق.

■ (3) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان، وطاووس لقبه، وقد فسرّ يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير.وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصلى عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

■ (4) سالم السندي/ السدي؟ .قالوا في كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس: هو سالم بن عبد الله بن عمر. المتوفي سنة 106 هـ.

■ (4) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبو عبد الله، ويقال: أبو عبيد الله ويقال: أبو عمر العدوي المدني الفقيه قدم الشام على عبد الملك بن مروان بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليد بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز. وكان أشبه أولاد أبيه به، عن مالك قال لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. روى عن أبيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ورافع بن خديج وأبي هريرة . توفي سنة 106 هـ. ووافق موته حج هشام، فصلى عليه وكان في طريق عودته من الحج، بالمدينة.ودُفن بالبقيع.

■ (2) الحسن بن محمد بن الحسين بن علي بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم).

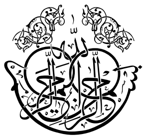

الإسلام دين العدل سواء مع العدو، أو الصديق، أو القريب، أو البعيد لقوله تعالى:﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل]﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام] ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة]

قال ربعي بن عامر لما سأله رستم: ما جاء بكم؟ قال: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. عن أبي سعيد الخدري قال: ﴿جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَقَاضَاهُ دَيْنًا كَانَ عَلَيْهِ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، حَتَّى قَالَ لَهُ: أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِلَّا قَضَيْتَنِي، فَانْتَهَرَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: وَيْحَكَ تَدْرِي مَنْ تُكَلِّمُ؟ قَالَ: إِنِّي أَطْلُبُ حَقِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلَّا مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ؟ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فَقَالَ لَهَا: إِنْ كَانَ عِنْدَكِ تَمْرٌ فَأَقْرِضِينَا حَتَّى يَأْتِيَنَا تَمْرُنَا فَنَقْضِيَكِ، فَقَالَتْ: نَعَمْ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: فَأَقْرَضَتْهُ، فَقَضَى الْأَعْرَابِيَّ وَأَطْعَمَهُ، فَقَالَ: أَوْفَيْتَ، أَوْفَى اللهُّ لَكَ، فَقَالَ: أُولَئِكَ خِيَارُ النَّاسِ، إِنَّهُ لَا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ﴾ (متعتع) أي غير خائف.وعن خولة بنت قيس امرأة حمزة بن عبد المطلب قالت: ﴿كَانَ عَلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسْقٌ مِنْ تَمْرٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ فَأَتَاهُ يَقْضِيهِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَقْضِيَهُ فَقَضَاهُ تَمْرًا دُونَ تَمْرِهِ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ فَقَالَ: أَتَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ أَحَقُّ بِالْعَدْلِ مِنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فَاكْتَحَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدُمُوعِهِ، ثُمَّ قَالَ:صَدَقَ، مَنْ أَحَقُّ بِالْعَدْلِ مِنِّي؟! لَا قَدَّسَ اللهُّ أُمَّةً لَا يَأْخُذُ ضَعِيفُهَا حَقَّهُ مِنْ شَدِيدِهَا، وَلَا يُتَعْتِعُهُ. ثُمَّ قَالَ: يَا خَوْلَةُ، عُدِّيهِ وَاقْضِيهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ غَرِيمٍ يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِ غَرِيمِهِ رَاضِيًا إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ دَوَابُّ الْأَرْضِ، وَنُونُ الْبِحَارِ، وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَلْوِي غَرِيمَهُ، وَهُوَ يَجِدُ إِلَّا كَتَبَ اللهُّ عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِثْمًا﴾ وعن الحسن عن أبي برزة: ﴿أَنَّ رَجُلا أَغْلَظَ لأَبِي بَكْرٍ فَقَالَ عُمَرُ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ الله، دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَقَالَ: مَهٍ* مَا كَانَتْ لأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾

يقول الله تعالى:﴿إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَّ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَّ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء] (الأمانات) جمع أمانة وهي كل ما اؤتمن عليه من حق مادي أو معنوي (أهلها) أصحابها (بالعدل) هو إعطاء كل ذي حق حقه دون محاباة (نعما يعظكم به) نعم الشيء الذي يعظكم به وهو أداء الأمانات والحكم بالعدل. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ﴾ (جنة) أي كالستر لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي بيضة الإسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته ومعنى يقاتل من ورائه أي يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد وينصر عليهم ومعنى يتقى به أي شر العدو وشر أهل الفساد والظلم مطلقا والتاء في يتقى مبدلة من الواو لأن أصلها من الوقاية.وعن أبي المليح، أن عبيد الله بن زياد، دخل على معقل بن يسار في مرضه، فقال له معقل: إني محدثك بحديث لولا أني في الموت لم أحدثك به، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول:﴿مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ﴾.

----

*(مه) كلمة زجر بمعنى كف واسكت وانته

مراجع: مسند أحمد/ صحيح البخاري/ التبر المسبوك في نصيحة الملوك/ طبقات المفسرين/ صفة الصفوة/ لسان العرب/ تاريخ مدينة دمشق/ حياة الصحابة/ كنز العمال/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير/ الأعلام للزركلي/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ القند في ذكر علماء سمرقند/

لما دخل يزيد الرقاشي[1] على عمر بن عبد العزيز قال:عظني يا يزيد فقال:يا أمير المؤمنين، اعلم ما أنت أول خليفة يموت! فبكى عمر وقال: زدني يا يزيد. فقال:يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم إلا أب ميت! فبكى وقال: زدني يا يزيد. فقال:يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الموت موعد. فبكى وقال: زدني يا يزيد. فقال:يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل!﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار] وأنت أبصر ببرك وفجورك. فبكى عمر حتى سقط مغشياً عليه كان يزيد الرقاشي يقول في كلامه: إلى متى تقول: غدا أفعل كذا، وبعد غد أفعل كذا وإذا أفطرت فعلت كذا، وإذا قدمت من سفري فعلت كذا؟ أغفلت سفرك البعيد، ونسيت ملك الموت، أما علمت أن دون غد ليلة تخترم* فيها أنفس كثيرة، أما علمت أن ملك الموت غير منتظر بك أملك الطويل، أما علمت أن الموت غاية كل حي؟ ثم يبكي حتى يبل عمامته، ثم يقول: أما رأيت صريعا بين أحبابه لا يقدر على رد جوابهم، بعد أن كان جدلا، خصما، سمحا، كريما عليهم؟ أيها المغتر بشبابه، أيها المغتر بطول عمره. وقالوا: حضر أبو قلابة[2] مجلس عمر، فقال له: عظني، قال: من عهد آدم إلى وقتنا هذا لم يبق خليفة سواك، فقال: زدني، فقال: إن كان الله معك، فمم تخاف؟ وإن لم يكن معك، فإلى من تلتجئ؟ قال: حسبي ما قلت.

كان عمر شديد الخوف من الله تعالى، تقول زوجته فاطمة بنت عبد الملك:[3] والله ما كان بأكثر الناس صلاة، ولا أكثرهم صياماً، ولكن والله ما رأيت أحداً أخوف لله من عمر، لقد كان يذكر الله في فراشه، فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتى نقول: ليصبحَنَّ الناس ولا خليفة لهم، وقال مكحول: لو حلفت لصدقت، ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز، ولشدة خوفه من الله كان غزير الدمع وسريعه، فقد: دخل عليه رجل[4] وبين يديه كانون فيه نار، فقل: عظني. قال: يا أمير المؤمنين ما ينفعك من دخل الجنة إذا دخلت أنت النار، وما يضرّك من دخل النار إذا دخلت أنت الجنة، قال: فبكى عمر حتى طفئ الكانون الذي بين يديه من دموعه، وقد كان جلّ خوفه رحمه الله من يوم القيامة، فيدعو الله، ويقول: اللهم، إن كنت تعلم إني أخاف شيئاً دون القيامة فلا تؤمن خوفي، ذلك اليوم الذي أحدث تغيراً جذرياً في مجرى حياته ذلك اليوم الذي يقول عنه عمر: لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الأرض لتشققت أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم صائرون إلى أحداهما، نعم إن الخوف من الله، والرؤية الواضحة للحياة، والفناء والخلود، والإحساس بيوم الحساب، والانفعال بمشاهد الجنة والنار، هي التي تضع المسؤولين، وتجعلهم يرتعدون خوفاً إن هم انحرفوا قيد شعرة عما يريد الله، فالوعي والإحساس بيوم الحساب، وغيرها من الصفات الاعتقادية، تجعل القائد لا يخطو خطوة، ولا يقول قولاً، ولا يفعل فعلاً، إلا ربط ذلك بما يرضي الله عز وجل، وتلك الصفات والجوانب، لم تعط حقها من البحث والتحري في الدراسات القيادية الحديثة وهي أساس النجاح في القيادة، وأهم الصفات القيادية التي ينبغي للقائد أن يتحلى بها، وإن من أهم صفات عمر، الإيمان الراسخ بالله واليوم الآخر، وشدة خوفه من الله والوجل من يوم القيامة. قال عبد الأعلى التيمي[5]: من أوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه لأن الله تعالى نعت العلماء فقال:﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء]

*(تخترم) اخترم فلان عنا مات وذهب واخترمته المنية من بين أصحابه أخذته من بينهم واخترمهم الدهر وتخرمهم أي اقتطعهم واستأصلهم ويقال خرمته الخوارم إذا مات.

■ (1) يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري، القاص الزاهد، أسند يزيد عن أنس بن مالك، وروى عن الحسن وغيره إلا أن التعبد شغله عن حفظ الحديث فكان ضعيفا قدريا فأعرضت النقلة عما يروي. مات قبل 120 هـ.

■ (2) عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي الأزدي، البصري، أبو قلابة، من عباد التابعين وزهادهم، ثقة فاضل كثير الإرسال، أسند أبو قلابة عن أنس وغيره من الصحابة. ومات بالشام هاربا من القضاء سنة 104هـ وقيل: بعدها. في ولاية يزيد بن عبد الملك.

■ (4) في رواية هو: زياد بن أبي زياد، واسم أبي زياد ميسرة مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة القرشي المدني المخزومي.روى عن مولاه ابن عياش وأنس بن مالك وعمر بن عبد العزيز وأبي بحرية وعراك بن مالك.وكان رجلا عابدا معتزلا لا يزال يكون وحده يذكر الله وكانت فيه لكنة. وكان يلبس الصوف ولا يأكل اللحم. وكانت له دريهمات يعالج له فيها.وقد أعانه الناس في فكاك رقبته وأسرع الناس في ذلك، ففضل بعد الذي قوطع عليه مال كثير، وفرده زياد إلى من كان أعانه بالحصص وكتبهم عنده، ولم يزل يدعو لهم حتى مات. قيل: مات سنة 135 هـ.

■ (3) فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، زوجة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وبنت الملك عبد الملك بن مروان، وأخت الوليد وسليمان ابنا عبد الملك. كانت من فضليات نساء بنى أمية. تزوجها عمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة فعاشت معه في نعيم ورفاهية، ولما آلت الخلافة إليه عاشت معه عيشة التقشف والزهد حتى وفاته. وتزوجت بعد وفاته داود بن سليمان بن مروان.توفيت بعد عام 105 هـ. أثناء خلافة أخيها هشام بن عبد الملك. وحكى عنها عطاء ابن أبي رباح، والمغيرة بن حكيم.

■ (5) عبد الأعلى التيمي.أحد العباد الخائفين. روى عن إبراهيم التيمي وغيره. روى عنه مسعر بن كدام. توفي سنة 131 هـ.

☪

بكى عمر بن عبد العزيز، فبكت فاطمة، فبكى أهل الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما تجلى عنهم الصبر قالت فاطمة بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة منصرف القوم من بين يدي الله فريق في الجنة وفريق في السعير، ثم صرخ وغشي عليه. وعن سفيان قال: كان عمر بن عبد العزيز يوما ساكتا وأصحابه يتحدثون فقالوا له: مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت مفكرا في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها ثم بكى. وكتب إلى بعض الأجناد.. واعلم أنه ليس يضر عبدا صار إلى رضوان الله وإلى الجنة ما أصابه في الدنيا من فقر وبلاء، وأنه لن ينفع عبدا صار إلى سخط الله وإلى النار ما أصاب في الدنيا من نعمة أو رخاء. وما يجد أهل الجنة من مكروه أصابهم في دنياهم وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها في دنياهم كل شيء من ذلك لم يكن...، قالت العلماء: ومعتقد عمر بن عبد العزيز في الجنة والنار هو ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى:﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ [الانفطار] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه] وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

خطب شداد بن أوس فقال: يا أيها الناس، تعاهدوا كتاب الله عز وجل، وإن تركه كثير من الناس، فإنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه، ثم إن الله عز وجل قد جمع الخير كله بحذافيره، فجعله في الجنة، وجمع الشر كله بحذافيره، فجعله في النار، وإن الجنة حزنة، وإن النار سهلة، ألا وإن الجنة حفت بالمكاره والصبر، ألا وإن النار حفت بالهوى والشهوات، فمن كشف حجاب الكره والصبر أسفر عن الجنة، ومن أسفر عن الجنة كان من أهلها؛ ألا فاعملوا بالحق تنزلوا بالحق منازل أهل الحق يوم لا يقضى إلا بالحق. قال بعضهم: خوف الملائكة والرسل خوف هيبة الله وجلاله لا خوف نزول شيء من نقمته عليهم، وخوف غيرهم من البشر خوف نزول شيء يضر بهم، وكذلك رجاؤهم وطمعهم رجاء نفع يصل إليهم، ورجاء الملائكة والرسل، وطمعهم رجاء رضاء الله عنهم لا رجاء نفع يصل إليهم. كان يزيد الرقاشي إن دخل بيته بكى، وإن شهد جنازة بكى، وإن جلس إليه إخوانه بكى، وأبكاهم، فقال له ابنه يوما: كم تبكي يا أبت! والله لو كانت النار خلقت لك ما زدت على هذا البكاء! فقال: ثكلتك أمك يا بني، وهل خلقت النار إلا لي ولأصحابي ولإخواننا من الجن، أما تقرأ يا بني:﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن] أما تقرأ:﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمن] فجعل يقرأ عليه حتى انتهى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن] فجعل يجول في الدار، ويصرخ، ويبكي حتى غشي عليه، فقالت للفتى أمه: يا بني، ما أردت بهذا من أبيك؟ قال: إنما أردت أن أهون عليه، لم أرد أن أزيده حتى يقتل نفسه. فائدة: رأى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رجلا يضحك في جنازة فقال: أتضحك وأنت مع جنازة؟ والله لا أكلمك أبدا. وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يا يزيد من يترضى عنك ربك؟ ومن يصوم لك أو يصلي لك؟ ثم يقول: يا معشر من القبر بيته والموت موعده ألا تبكون؟ قال: فبكى حتى سقطت أشفار عينيه.وعن سلمة بن سعيد قال: قالوا ليزيد الرقاشي: أما تسأم من كثرة البكاء؟ فبكى وقال: والله لوددت أن أبكي بعد الدموع الدماء وبعد الدماء الصديد.وكان يقول: ابك يا يزيد على نفسك قبل حين البكاء. يا يزيد من يصلي لك بعدك؟ أو من يصوم؟ يا يزيد من يضرع لك إلى ربك بعدك ومن يدعو؟ وكان يقول: يا إخوتاه ابكوا فإن لم تجدوا بكاء فارحموا كل بكاء. وعن أبي محمد علي بن الحسن قال: قيل لابن يزيد الرقاشي: أكان أبوك يتمثل من الشعر شيئا؟ قال: كان يتمثل: إنا لنفرح بالأيام نقطعها..وكل يوم مضى يدني من الأجل . وعن عبد الخالق بن موسى اللقيطي قال: جوع يزيد الرقاشي نفسه لله عز وجل ستين عاما حتى ذبل جسمه ونهك بدنه وتغير لونه. وكان يقول: غلبني بطني فما أقدر له على حيلة.

عن ابن مسعود قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ قول الله:﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ الآيتين، ثم قال: الميزان يخف بمثقال حبة، ويرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا: سلام عليكم، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم ونظروا إلى أهل النار ﴿قَالُوا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظالمين﴾ [الأعراف] تعوذوا بالله من منازلهم، قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نورا يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويعطى كل عبد يومئذ نورا، وكل أمة نورا فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم]، وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان بأيديهم فلم ينزع، فهنالك يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف] فكان الطمع دخولا، قال: فقال ابن مسعود أن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: ﴿هَلَكَ مَنْ غَلَبَتْ وَاحِدَتُهُ أَعْشَارَهُ﴾ (رواه ابن جرير عن ابن مسعود موقوفا)، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف؟ قال: ﴿هُمْ آخِرُ مَنْ يُفْصَلُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعِبَادِ، فَإِذَا فَرَغَ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ فَصْلِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ قَالَ: أَنْتُمْ قَوْمٌ أَخْرَجَتْكُمْ حَسَنَاتُكُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَمْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَأَنْتُمْ عُتَقَائِي، فَارْعَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ (قال ابن كثير: هذا مرسل حسن) وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثني عشر قولا، وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف] قال ابن عباس: يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه، وقال العوفي عن ابن عباس: أنزلهم الله بتلك المنزلة ليعرفوا من في الجنة والنار، وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه، ويتعوذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين، وهم في ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها، وهم داخلوها إن شاء الله، وقال الحسن إنه تلا هذه الآية: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف] قال: والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم، وقال قتادة: قد أنبأكم بمكانهم من الطمع، وقوله:﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا: رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف] قال الضحاك عن ابن عباس: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. قال السدي: وإذا مروا بهم يعني أصحاب الأعراف بزمرة يذهب بها إلى النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. قال عكرمة: تحدد وجوههم للنار، فإذا رأوا أصحاب الجنة ذهب ذلك عنهم، قال ابن أسلم في قوله:﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الأعراف] فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم مزرقة﴿قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وذكر الزهراوي حديثا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إن أُحُداً جَبَلٌ يحبنا ونحبُّه، وإِنَّه يَوْمَ القِيَامَةِ يمثلُ بينَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَحْتَبِسُ عَلَيْهِ أَقْوَامٌ، يعرفون كُلاًّ بِسِيماهُمْ، هُمْ إِن شَاءَ اللَّهُ من أَهْلِ الجَنَّةِ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحَ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ﴾.

مراجع: الخليفة الراشد والمصلح الكبير عمر بن عبد العزيز ومعالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة/ تفسير المنار/ سراج الملوك/ صفة الصفوة/ رجال صحيح/ مسلم تفسير الماتريدي/ المحرر الوجيز لابن عطية/ الكامل في التاريخ/

عن أبي رجاء [1] مولى أبي قلابة[2] أن عمر بن عبد العزيز استشار الناس في القسامة* فقال قوم: هي حق قضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى بها الخلفاء، وأبو قلابة خلف السرير قاعد، فالتفت إليه فقال: ما تقول يا أبا قلابة؟ فقال: أبو قلابة: يا أمير المؤمنين، عندك من رؤوس الأجناد وأشراف العرب، شهد عندك أربعة من أهل حمص على رجل من أهل دمشق أنه زنى أكنت راجمه؟ قال: لا، قال: وشهد رجلان من أهل دمشق على رجل من أهل حمص أنه سرق، ولم يروه، أكنت قاطعه؟ قال: لا، قال: يا أمير المؤمنين، فهذا أعظم من ذلك، لا والله لا أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل أحد من أهل الصلاة إلا رجلا كفر بعد إسلامه أو زنى بعد إحصان أو قتل نفساً بغير نفس، قال: فقال عنبسة بن سعيد:[3] فأين حديث أنس بن مالك في العكليين*؟ قال: فقال أبو قلابة: إياي حدث أنس بن مالك أن قوماً من عكل* أو قال عرينة* قدموا المدينة فاجتووها*، فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلقاح*، وأمرهم أن يخرجوا فيها فيشربوا من ألبانها وأبوالها، ففعلوا حتى برئوا وذهب سقمهم، أو كما قال: فقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واطردوا النعم*، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك غدوة فبعث الطلب في آثارهم، فما ارتفع النهار حتى جيء بهم، فأمرهم فقطعت أو قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف*، وسمر أعينهم*، وألقوا بالحرة* يستسقون* فلا يسقون، قال: فقال أبو قلابة: فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله. فقال عنبسة: يا قوم، ما رأيت كاليوم قط. فقال أبو قلابة: أتتهمني يا عنبسة؟ فقال: لا ولكنك لا يزال هذه الجند بخير ما أبقاك الله بين أظهرهم. [انظر صحيح مسلم كتاب القسامة].

----

*(القسامة) الأيمان المكررة في دعوى القتل من أولياء القتيل أو المدعى عليهم (عكل) قبيلة عدنانية من تيم الرباب من عدنان (عرينة) قبيلة قحطانية من قضاعة وهي من بجيلة من قحطان (فاجتووها) أي استوخموها أي لم توافقهم وكرهوها لسقم أصابهم وهو مشتق من الجوى وهو داء في الجوف (سمرت أعينهم) أي كحلت أعينهم بمسامير محماة بالنار وفي العكليين أو العرنيين: عن أنس بن مالك قال إنما سمل النبي صلى الله عليه وسلم أعينهم لأنهم سملوا أعين الرعاء يعني العرنيين (من خلاف) تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (الحرة) الأرض التي تعلوها حجارة سود (يستسقون) يطلبون الماء

■ (2) أبو قلابة، عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي الأزدي، البصري، من عباد التابعين وزهادهم، ثقة فاضل كثير الإرسال، أسند أبو قلابة عن أنس وغيره من الصحابة. ومات بالشام هاربا من القضاء سنة 104هـ وقيل: بعدها. في ولاية يزيد بن عبد الملك.

■ (1) أبو رجاء سلمان مولى أبي قلابة، حدث عن أبي قلابة وعمر بن عبد العزيز وعنبسة بن سعيد وأبي المهلب روى عنه حميد الطويل وأيوب السختياني وعبد الله بن عون وحجاج بن أبي عثمان الصواف البصريون وكان مع مولاه أبي قلابة بالشام ثم رجع إلى العراق

■ (3) عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد (أبي أحيحة) بن العاص بن أمية، أبو أيوب، ويقال أبو خالد، وهو أخو يحيى وعمرو الاشدق. وهو عم أبي إسماعيل بن أمية.وأمه أمة يقال لها عصماء، وكان عنبسة أثيرا عند الحجاج. ومات وقد هرم، تقريبا سنة 100 هـ

القسامة: في النهاية: القسامة بالفتح، اليمين كالقسم وحقيقتها أن يقسم من أولياء الدم خمسون نفرا على استحقاقهم دم صاحبهم إذا وجدوه قتيلا بين قوم ولم يعرف قاتله فإن لم يكونوا خمسين أقسم الموجودون خمسين يمينا ولا يكون فيهم صبي ولا امرأة ولا مجنون ولا عبد أويقسم المتهمون على نفي القتل عنهم فإن حلف المدعون استحقوا الدية وإن حلف المتهمون لم تلزمهم الدية وقد جاءت على بناء الغرامة والحمالة لأنها تلزم أهل الموضع الذي يوجد فيه القتيل.

وقد أخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة والبيهقي عن الشعبي: أن قتيلا وجد بين وادعة وشاكر، فأمرهم عمر بن الخطاب أن يقيسوا ما بينهما فوجدوه إلى وادعة أقرب فأحلفهم خمسين يمينا، كل رجل: ما قتلته ولا علمت قاتله، ثم أغرمهم الدية، فقالوا: يا أمير المؤمنين لا أيماننا دفعت عن أموالنا ولا أموالنا دفعت عن أيماننا فقال عمر: كذلك الحق.

عن حماد بن سلمة عن أيوب أن قتيلا وجد بالبصرة في بني نمير فكتب فيه إلى سليمان بن عبد الملك، فكتب إلى عامله أن استحلف خمسين رجلا على قاتله، فإن حلفوا فأقده. فلم يفعل حتى ولي عمر بن عبد العزيز، فكتب عمر في أمره فكتب: إن شهد على قاتله عدلان فاقتله، وإلا فلا تقتله.

قال أيوب السختياني[1]: لما مات عبد الرحمن بن أذينة[2] ذكر أبو قلابة للقضاء فهرب حتى أتى اليمامة. قال أيوب: فلقيته بعد ذلك، فقلت له في ذلك فقال: ما وجدت مثل القاضي العالم إلا مثل رجل وقع في بحر، فما عسى أن يسبح حتى يغرق؟ قال أبو أيوب السختياني: قال لي أبو قلابة: يا أيوب، احفظ عني ثلاث خصال: إياك وأبواب السلطان، وإياك ومجالسة أهل الأهواء، والزم سوقك، فإن الغنى من العافية. وقال أيوب السختياني: قال لي أبو قلابة: يا أيوب، احفظ عني أربعا: لا تقل في القرآن برأيك، وإياك والقدر، وإذا ذكر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأمسك، ولا تمكن أصحاب الأهواء من سمعك فيغروا قلبك. وقال أبو قلابة لأيوب: يا أيوب، إذا أحدث الله لك علما فأحدث له عبادة، ولا يكن همك أن تحدث به الناس. وقال: إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وهات كتاب الله، فاعلم أنه ضال. قلت: وإذا رأيت المتكلم يقول: دعنا من الكتاب والسنة وهات ما دل عليه العقل، فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت العارف يقول: دعنا من الكتاب والسنة والعقل وهات الذوق والوجد، فاعلم أنه شر من إبليس، وأنه ذو اتحاد وتلبيس. وقال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون.قال أبو قلابة: إن أهل الأهواء أهل الضلالة، ولا أرى مصيرهم إلا النار، فجربهم فليس أحد منهم ينتحل قولا، أو قال: حديثا، فيتناهى به الأمر دون السيف، وإن النفاق كان ضروبا، ثم تلا:﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة] فاختلف قولهم، واجتمعوا في الشك والتكذيب، وإن هؤلاء اختلف قولهم، واجتمعوا في السيف، ولا أرى مصيرهم إلا النار. وقال أبو قلابة: العلماء ثلاثة: فعالم عاش بعلمه وعاش الناس بعلمه، وعالم عاش بعلمه ولم يعش الناس بعلمه، وعالم لم يعش بعلمه ولم يعش الناس بعلمه. وقال أبو قلابة لأيوب: إذا حدث الله علما فأحدث لله عبادة، ولا تكن إنما همك أن تحدث به الناس. وقال حميد الطويل: قال أبو قلابة: إذ بلغك عن أخيك شيء تجد عليه فيه، فاطلب له العذر جهدك، فإن لم تجده فقل: عسى عذره لم يبلغه علمي. وقال أيوب: قرأت في بعض كتب أبي قلابة: ما هتك الله ستر عبد، له عنده مثقال حبة من خردل من خير. قال أيوب السختياني: مر أبو قلابة وأنا أشتري تمرا ليس بالجيد، فقال: يا أيوب، قد كنت أحسب أن مجالستك إيانا قد نفعتك. أما علمت أن الله عز وجل قد نزع الركة من كل ردئ؟ وقال أيوب: مرض أبو قلابة بالشام، فدخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال: يا أبا قلابة، تشدد، لا يشمت بنا المنافقون. وقال حماد بن زيد: مرض أبو قلابة بالشام، فأوصى بكتبه لأيوب وقال: إن كان حيا وإلا فأحرقوها، فأرسل أيوب فجيء بها عدل راحلة. وكانت وفاته في سنة أربع أو خمس ومئة. وقيل: سنة ست. وقيل: سنة سبع ومئة.

قال عثمان بن كثير بن دينار: إن عمر بن عبد العزيزكتب إلى بعض عماله: أما بعد، فإنه لم يظهر المنكر في قوم قط ثم لم ينههم أهل الصلاح منهم إلا أصابهم الله بعذاب من عنده أو بأيدي من يشاء من عباده، ولا يزال الناس معصومين من العقوبات والنقمات ما قمع فيهم أهل الباطل، واستخفي فيهم بالمحارم، فلا يظهر من أحد محرم إلا انتقموا ممن فعله، فإذا ظهرت فيهم المحارم فلم ينههم أهل الصلاح، نزلت العقوبات من السماء إلى الأرض على أهل المعاصي وعلى المداهنين لهم، ولعل أهل الإدهان أن يهلكوا معهم وإن كانوا مخالفين لهم، فإني لم أسمع الله تبارك وتعالى فيما نزل من كتابه عند مثله أهلك بها أحدا نجى أحدا من أولئك إلا أن يكونوا الناهين عن المنكر، ويسلط الله على أهل تلك المحارم إن هو لم يصبهم بعذاب من عنده أو بأيدي من يشاء من عباده من الخوف والذل والنقم، فإنه ربما انتقم بالفاجر من الفاجر وبالظالم من الظالم، ثم صار كلا الفريقين بأعمالهما إلى النار، فنعوذ بالله أن يجعلنا ظالمين أو يجعلنا مداهنين للظالمين، وإنه قد بلغني أنه قد كثر الفجور فيكم، وأمن الفساق في مدائنكم، وجاهروا من المحارم بأمر لا يحب الله من فعله ولا يرضى المداهنة عليه، كان لا يظهر مثله في علانية قوم يرجون لله وقارا ويخافون منه غيرا وهم الأعزون الأكثرون من أهل الفجور، وليس بذلك مضى أمر سلفكم ولا بذلك تمت نعمة الله عليهم، بل كانوا ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمَا﴾ [الفتح] ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة] ولعمري إن من الجهاد في سبيل الله الغلظة على أهل محارم الله بالأيدي والألسن، والمجاهدة لهم فيه، وإن كانوا الآباء والأبناء والعشائر، وإنما سبيل الله طاعته، وقد بلغني أنه بطأ بكثيرمن الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكراتقاء التلاوم، أن يقال فلان حسن الخلق، قليل التكلف، مقبل على نفسه، وما يجعل الله أولئك أحاسنكم أخلاقا، بل أولئك أسوأكم أخلاقا، وما أقبل على نفسه من كان كذلك، بل أدبر عنها، ولا سلم من الكلفة لها، بل وقع فيها، إذ رضي لنفسه من الحال غير ما أمره الله أن يكون عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ذلت ألسنة كثير من الناس بآية وضعوها غير موضعها، وتأولوا فيها قول الله عزوجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة] وصدق الله تبارك وتعالى، ولا يضرنا ضلالة من ضل إذا اهتدينا ولا ينفعنا هدى من اهتدى إذا ضللنا ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام] وإن مما على أنفسنا وأنفس أولئك مما أمر الله به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يظهروا محرما إلا انتقموا ممن فعله منهم من كنتم ومن كانوا وقول من قال: إن لنا في أنفسنا شغلا ولسنا من الناس في شيء، ولو أن أهل طاعة الله رجع رأيهم إلى ذلك ما عمل لله بطاعة ولا تناهوا له عن معصية، ولقهر المبطلون المحقين فصار الناس كالأنعام أو أضل سبيلا، فتسلطوا على الفساق من كنتم ومن كانوا فادفعوا بحقكم باطلهم وببصركم عماهم، فإن الله جعل للأبرار على الفجار سلطانا مبينا، وإن لم يكونوا ولا أئمة من ضعف عن ذلك باليد أو اللسان، فليرفعه إلى أمامه فإن ذلك من التعاون على البر والتقوى، قال الله لأهل المعاصي: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (45) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [النحل] ولينتهين الفجار أو ليهيننهم الله بها قال: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب]

■ (1) أيوب السختياني، هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، أبو بكر: سيد فقهاء عصره. تابعي، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث. كان ثابتا ثقة روي عنه نحو 800 حديث. توفي سنة 131 هـ وله 65 سنة

■ (2) عبد الرحمن بن أذينة بن سلمة العبدي الكوفي: قاضي البصرة في زمن شريح. روى عن أبيه أذينة بن سلمة، وأبي هريرة. روى عنه خالد بن ذكوان، وسليمان التيمي، والشعبي، وأبو إسحاق السبيعي، وقتادة بن دعامة، وآخرون.وعن أبي داود: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. توفى سنة خمس وتسعين أو قبيلها قليلا. وقال ابن حبان: مات في ولاية عبد الملك بن مروان في أول ولاية الحجاج على العراق

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ صحيح مسلم/ صحيح البخاري/ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ عمدة الأحكام من كلام خير الأنام/ الأعلام للزركلي/ مغاني الأخيار/ أنساب الأشراف/ سيرة عمر بن عبد العزيز/

قال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين أذكر بمقامي هذا مقاماً لا يشغل الله عنك كثرة من تخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براءة من الذنب.فبكى عمر بكاء شديداً ثم استرده الكلام، فجعل يردده وعمر يبكي وينتحب، ثم قال: حاجتك ؟ فقال: عاملك بأذربيجان أخذ مني اثني عشر ألف درهم. فقال: اكتبوها له حتى ترد عليه. ووفي رواية أن رجلا جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال له: اذكر بمقامي هذا مقاما لا شغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق يوم القيامة بلا ثقة من عمل ولا براءة من الذنب، فقال عمر: ويحك اردد علي كلامك، فرده عليه، فجعل يبكي وينتحب، ويقول: ويحك اردد علي، فلما استثقل من البكا، قال: ما جاء بك؟ قال: عاملك على أذربيجان أخذ من مالي عشرة آلاف فوضعها في بيت المال، فكتب له عمر فأخرجت له وردت عليه. وفي رواية إبراهيم البيهقي: قال: دخل نفر من القراء وفيهم رجل ذكر ظلامة له على عمر فقال: يا أمير المؤمنين اذكر مقامي هذا فإنه مقام لا يشغل الله جل وعز عنه كثرة من تخاصم إليه من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براءة من الذنوب. فقال عمر: ويحك اردد كلامك! فرده عليه، فجعل يبكي وينتحب حتى إذا أفاق قال: ما حاجتك؟ قال: عاملك على أذربيجان ظلمني وأخذ من مالي عشرة آلاف درهم، فكتب برد ذلك عليه وبعزل عامله وقال: انظروا هل اخلولق له من ثوب أو تقطع له من حذاء. فحسب ذلك فبلغ عشرين دينارا فأمر بدفعها إليه. وأتى رجل من أهل اليمامة عمر بن عبد العزيز، فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد بلغت غايتي، والله سائلك عن مقامي هذا. قال: قل؟. قال: عاملك باليمامة غصبني حقي، واعتدى علي في إبلي. قال: فإن الله قد عزل عنك العامل، ورد عليك ظلامتك. يا غلام، اكتب إليه. فخرج الأعرابي وهو يقول: من الرجز: يا أيها المظلوم في بلاده..ائت الأمير عمرا فناده..خليفة الله على عباده..لم يؤثر الدنيا على معاده..قد أشبه الفاروق من أجداده. ودخل أعرابي على عمر فقال: رجل من أهل البادية، ساقته الحاجة، وانتهت به الفاقة، والله سائلك عن مقامي هذا. فقال عمر: ما سمعت كلمات أبلغ من قائل، ولا أبلغ لمقول منها. روى ابن أبي الدنيا [1] عن عبد الأعلى بن أبي عبد الله الغبري [2] قال: رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة*،ورواءه حبشي يمشي فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشي، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال: هكذا رحمكما الله، حتى صعد المنبر فخطب فقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير] فقال: وما شأن الشمس﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ حتى انتهى إلى قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير] فبكى وبكى أهل المسجد، وارتج المسجد بالبكاء حتى رأيت حيطان المسجد تبكي معه، ودخل عليه أعرابي فقال: يا أمير المؤمنين جاءت بي إليك الحاجة، وانتهيت إلى الغاية، والله سائلك عني. فبكى عمر وقال له: كم أنتم؟ فقال: أنا وثلاث بنات.ففرض له على ثلاثمائة، وفرض لبناته مائة مائة، وأعطاه مائة درهم من ماله، وقال له: اذهب فاستنفقها حتى تخرج أعطيات المسلمين فتأخذ معهم.

----

*(ثياب دسمة) أي وسخة والمراد هنا ليس المعنى الحرفي والدقيق للفظة إنما عنى أنه كان في ثياب متواضعة زهيدة بعيدة عن التأنق والزهو

■ (2) عبد الأعلى بن أبي عبد الله الغبري (وفي رواية: العنبري أو العنزي) والغبري نسبة إلى بني غبر: بطن من بني يشكر.وفد على عمر بن عبد العزيز وحكى عنه روى عنه خالد بن عمرو الأموي وذكر أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب البكاء.

■ (1) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي، مولى بني أمية، يعرف بابن أبي الدنيا؛ توفي سنة 282 هـ، ومولده سنة 208 هـ، وكان يؤدب المكتفي بالله في حداثته، وهو أحد المصنفين للأخبار والسير، وله كتب كثيرة تزيد على مائة كتاب.

☪

قال الله تعالى:﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء] وفي قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾ [التوبة] قال ابن عطية: الشهادة ماحية لكل ذنب إلا لمظالم العباد. قال سفيان الثوري:﴿إِنَّكَ إِنْ تَلْقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِسَبْعِينَ ذَنْبَاً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ العِبَادِ﴾ وعن أبي هريرة:﴿أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: إِنَّ الظَّالِمَ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: بَلَى وَاللَّهِ، حَتَّى الْحُبَارَى لَتَمُوتُ فِي وَكْرِهَا هُزْلًا لِظُلْمِ الظَّالِمِ﴾ (الحبارى) طير مشهور. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي، فَلَا تَظَالَمُوا﴾ وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن، فقال:﴿وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ﴾ وعن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى حَقَّهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ﴾ كان شريح القاضي يقول: ﴿سَيَعْلَمُ الظَّالِمُونَ حَقَّ مَنْ انْتَقَصُوا، إِنَّ الظَّالِمَ لَيَنْتَظِرُ الْعِقَابَ، وَالْمَظْلُومُ يَنْتَظِرُ النَّصْرَ وَالثَّوَابَ﴾ وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ﴾ (الجلحاء) هي الجماء التي لا قرن لها. وعن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿تُرْفَعُ لِلرَّجُلِ صَحِيفَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَرَى أَنَّهُ نَاجٍ، فَمَا تَزَالُ مَظَالِمُ بَنِي آدَمَ تَتْبَعُهُ حَتَّى مَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ، وَيُزَادُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ﴾ روي أن مالك بن دينار دخل على بلال بن أبي بردة (أمير البصرة وقاضيها) فقال له بلال:﴿أُدْعُ اللهَ لِي يَا أَبَا يَحْيَى. قَالَ:وما يَنفعكَ دُعَائِي وَبِأَلْبَابِ مِائَتَانِ يَدْعُونَ عَلَيْكَ﴾ومثل ذلك قول سليمان بن عبد الملك لأبي حازم:﴿أُدْعُ لِي. فَقَالَ: أَنَا أَدْعَوْ اللهَ لَكَ هَهُنَا وَمَظْلُومٌ بِأَلْبَابِ يَدْعُو اللهُ عَلَيْكَ فَأَيُّ الدَّعْوَتَيْنِ أَحَقَّ بِالإِجَابَةِ﴾ قالت الحكماء:﴿أَفْقَرَ النَّاسُ أَكْثَرَهُمْ كَسْبًا مِنْ حَرَامٍ لِأَنَّهُ إِسْتَدَانَ بِالظُّلْمِ مَا لَا بُدَّ مِنْ رَدِّهِ﴾وعن البراء قال: ﴿أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ، قَالَ: فَذَكَرَ مَا أَمَرَهُمْ: مِنْ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَرَدِّ السَّلَامِ وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ. وَنَهَانَا عَنْ آنِيَةِ الْفِضَّةِ، وَعَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ، أَوْ قَالَ: حَلْقَةِ الذَّهَبِ، وَالْإِسْتَبْرَقِ، وَالْحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالْمِيثَرَةِ، وَالْقَسِّيِّ﴾ (الميثرة) من مراكب العجم تعمل من حرير أو ديباج (القسية) ثياب من كتان مخلوط بالحرير منسوبة إلى قرية قس بمصر. وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ﴾ ثم قرأ:﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ، إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] (ليملي) ليمهل (لم يفلته) لم يخلصه ولم يتركه حتى يستوفي عقابه (وكذلك) أي كما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب (أخذ ربك) إهلاكه وعذابه (أخذ القرى) أخذ أهلها. يقال: من مات فقد قامت قيامته. فيقال له: لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة.والموت أول عدل الآخرة

☪

خطب عمر بن عبد العزيز في بعض مقاماته فقال: بعد حمد الله تعالى والثناء عليه: أيها الناس إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ألا إني لست بقاض ولكني منفذ، ألا وإني لست بمبتدع ولكني متبع، إن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بعاص ولكن الإمام الظالم هو العاصي ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.قال تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء] قال زيد بن أسلم: أنزلت الآية في ولاة الأمر.قال أبي حازم:﴿إِنَّمَا الْإِمَامُ سُوقٌ مِنَ الْأَسْوَاقِ إِنْ جَاءَهُ الْحَقُّ نَفَقَ، وَإِنْ جَاءَهُ الْبَاطِلُ نَفَقَ﴾ قال ابن تيمية:ينبغي أن يعرف أن أولي الأمر كالسوق، ما نفق فيه جلب إليه، هكذا قال عمر بن عبد العزيز، فإن نفق فيه الصدق والبر والعدل والأمانة، جلب إليه ذلك، وإن نفق فيه الكذب والفجور والجور والخيانة، جلب إليه ذلك.والذي على ولي الأمر، أن يأخذ المال من حله، ويضعه في حقه، ولا يمنعه من مستحقه، وكان علي رضي الله عنه، إذا بلغه أن بعض نوابه ظلم يقول:﴿اللَّهُمَّ، إِنِّي لَمْ آمُرْهُمْ أَنْ يَظْلِمُوا خَلْقَكَ، وَلَا أَنْ يَتْرُكُوا حَقَّكَ﴾ قال الله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص] جاء في التفسير: من اتباع الهوى أن تحضر الخصمين بين يديك، فتود أن يكون الحق للذي لك منه خاصة، وبهذه الخصلة سلب سليمان ملكه؛ قال ابن عباس: كان الذي أصاب سليمان بن داود عليهما السلام أن ناساً من أهل جرادة امرأته، وكانت من أعز نسائه عليه، تحاكموا إليه مع غيرهم فأحب أن يكون الحق لأهل جرادة فيقضي لهم، فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحداً. ومن ذلك آية الملوك التي أنزلها الله تعالى في السلاطين لما اقتضته من السياسة العامة التي فيها بقاء الملك وثبوت الدول. قال ابن تيمية: ﴿وَأُمُورُ النَّاسِ تَسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعَدْلِ الَّذِي فِيهِ الِاشْتِرَاكُ فِي أَنْوَاعِ الْإِثْمِ: أَكْثَرُ مِمَّا تَسْتَقِيمُ مَعَ الظُّلْمِ فِي الْحُقُوقِ وَإِنْ لَمْ تَشْتَرِكْ فِي إثْمٍ؛ وَلِهَذَا قِيلَ: إنَّ اللَّهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً؛ وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً. وَيُقَالُ: الدُّنْيَا تَدُومُ مَعَ الْعَدْلِ وَالْكُفْرِ وَلَا تَدُومُ مَعَ الظُّلْمِ وَالْإِسْلَامِ﴾ قال الله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] قال علي الصلابي: فبين الله تعالى أن كل من شارك أولئك المتقدمين في أفعالهم التي أدت إلى هلاكهم فلابد أن يشاركهم في ذلك الأخذ الأليم الشديد؛ فالآية تحذر من وخامة الظلم إن الدولة الكافرة قد تكون عادلة بمعنى أن حكامها لا يظلمون الناس والناس أنفسهم لا يتظالمون فيما بينهم، فهذه الدولة مع كفرها تبقى، إذ ليس من سنته تعالى إهلاك الدولة بكفرها فقط، ولكن إذا انضم إلى كفرها ظلم حكامها للرعية وتظالم الناس فيما بينهم. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود] قال الإمام الرازي في تفسيره: إن المراد من الظلم في هذه الآية الشرك. والمعنى أن الله تعالى لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين، إذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم يعامل بعضهم بعضاً على الصلاح وعدم الفساد. قال علي بن عمران: الدول إذا عدلت قرت واستقرت وأعطاها الله الأمان من روعات الزمان ومن مصائب الحدثان وإذا ظلمت محقت وسحقت وتمزقت وتفرقت وهذه سنة ماضية وحكمة قاضية. عن أبي بكرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةُ مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ، مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ﴾ فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة وذلك أن العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة. ومن كان يتمنَّى سلطاناً عادلاً، فعليه أولاً بإصلاح نفسه، فالتغيُّر في نظام الولاة من الجور إلى العدل، ومن الفساد إلى الإصلاح، لا يكون إلا بتغيير النفس، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد] قال ابن تيمية: ﴿حُمِلَ مَرَّةً إلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَالٌ عَظِيمٌ مِنْ الْخُمُسِ: فَقَالَ: إنَّ قَوْمًا أَدَّوْا الْأَمَانَةَ فِي هَذَا لَأُمَنَاءَ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: إنَّك أَدَّيْت الْأَمَانَةَ إلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَأَدَّوْا إلَيْك الْأَمَانَةَ، وَلَوْ رَتَعْت لَرَتَعُوا﴾ جاء في بعض الآثار:﴿السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي أَرْضِهِ﴾ قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ﴾ أي ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام، ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن، وما فيه من الوعيد الأكيد، والتهديد الشديد، وهذا هو الواقع. قال كعب الأحبار: مثل الإسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والأطناب والأوتاد، فالفسطاط الإسلام والعمود السلطان، والأطناب والأوتاد الناس، لا يصلح بعضها إلا ببعض. وذكر أعرابي أميرا فقال: كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه، وأرسل العيون على عيونه؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم؛ فالمحسن راج والمسيء خائف. وقال عمر بن الخطاب: لا يصلح لهذا الأمر إلا اللين في غير ضعف، القوي في غير عنف. وقال الحجاج لخريم الناعم: ما لا لعيش؟ (ما النعمة؟) قال: الأمن، إني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش أبدا. (والناعم هو خريم بن خليفة بن فلان بن سنان).

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر../ مصنف ابن أبي شيبة/ مسند أحمد/ حلية الأولياء/ السياسة الشرعية/ سراج الملوك/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ البداية والنهاية/ تاريخ مدينة دمشق/ فوات الوفيات/ العقد الفريد/ دولة الموحدين/ المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى/

روى أبو محمد بن عبد الحكم قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز أتت عمة له إلى فاطمة[1] امرأته فقالت: إني أريد كلام أمير المؤمنين! فقالت لها: اجلسي حتى يفرغ، فجلست فإذا بغلام قد أتى فأخذ سراجا، فقالت لها فاطمة: إن كنت تريدينه فالآن، إذا كان في حوائج العامة كتب على الشمع، وإذا صار إلى حاجة نفسه دعا بسراجه، فقامت: فدخلت عليه فإذا بين يديه اقراص وشيء من ملح وزيت وهو يتعشى، فقالت: يا أمير المؤمنين، أتيت بحاجة لي ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي، قال: وما ذاك يا عمة؟ قالت: لو اتخذت لك طعاما ألين من هذا؟! قال: ليس عندي يا عمة، ولو كان عندي لفعلت، قالت: يا أمير المؤمنين، كان عمك عبد الملك[2] يجري علي كذاوكذا، ثم كان أخوك الوليد[3] فزادني ثم وليت أنت فقطعته عني، قال: يا عمة، إن عمي عبد الملك وأخي الوليد وأخي سليمان[4] كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذاك المال لي فأعطيكه، ولكني أعطيك مالي إن شئت، قالت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟! قال: عطائي مائتا دينار، فهل لك؟ قالت: وما يبلغ مني عطاؤك؟ قال: فليس أملك غيره يا عمة، قالت: فانصرفت عنه. قال ودخلت أم عمر بنت مروان وهي عمة عمر بن عبد العزيز على عمر بن عبد العزيز فقالت: حكم الله بيننا وبينك، قطعت أنت عنا أشياء كان يجريها غيرك علينا! قال: يا عمة لو لا ذلك الحكم لكنت أوصلهم لك. قال عبيد الله بن محمد: سمعت أبي وغيره يحدث، أن عمر لما ولي منع قرابته ما كان يجري عليهم، وأخذ منهم القطائع التي كانت في أيديهم، فشكوا إلى عمته أم عمر[5] فدخلت، فقالت: إن قرابتك يشكونك ويزعمون أنك أخذت منهم خير غيرك؟ قال: ما منعتهم حقا أو شيئا كان لهم، ولا أخذت منهم حقا أو شيئا كان لهم. فقالت: إني رأيتهم يتكلمون، وإني أخاف أن يهيجوا عليك يوما عصيبا. فقال: كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شره. قال: فدعا بدينار، وجنب، ومجمرة، فألقى ذلك الدينار بالنار، وجعل ينفخ على الدينار إذا احمر تناوله بشيء، فألقاه على الجنب فنش. فقال: أي عمة أما تأوين لابن أخيك من مثل هذا؟ فقامت فخرجت على قرابته، فقالت: تزوجون إلى آل عمر، فإذا نزعوا الشبه، جزعتم اصبروا له. وفي رواية قال: لما ولي عمر الخلافة أخذ من أهله ما بأيديهم وسمى ذلك مظالم، ففزع بنو أمية إلى عمته فاطمة بنت مروان، فأتته فقالت له: تكلم أنت يا أمير المؤمنين. فقال: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا إلى الناس كافة، ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرا شربهم سواء، ثم ولي أبو بكر فترك النهر على حاله، ثم ولي عمر فعمل عملهما، ثم لم يزل النهر يستقي منه يزيد ومروان وعبد الملك ابنه والوليد وسليمان ابنا عبد الملك حتى أفضى الأمر إلي وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود إلى ما كان عليه. فقالت: حسبك، قد أردت كلامك فأما إذا كانت مقالتك هذه فلا أذكر شيئا أبدا. فرجعت إليهم فأخبرتهن كلامه. وقد قيل: إنها قالت له: إن بني أمية يقولون كذا وكذا، فلما قال لها هذا الكلام قالت له: إنهم يحذرونك يوما من أيامهم، فغضب وقال: كل يوم أخافه غير يوم القيامة فلا أمنت شره. فرجعت إليهم فأخبرتهم وقالت: أنتم فعلتم هذا بأنفسكم، تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده. فسكتوا. ودخل عليه هشام بن عبد الملك[6] يوما فقال: يا أمير المؤمنين إني رسول قومك إليك، وإن في أنفسهم ما جئت لأعلمك به أنهم يقولون: إستأنف العمل برأيك فيما تحت يدك وخل بين من سبقك وبين ما ولوا بما عليهم ولهم، وببديهة يجيب عمر: أرأيت أن أتيت بسجلين أحدهما من معاوية والآخر من عبد الملك فبأي السجلين آخذ؟ قال هشام: بالأقدم. فأجب عمر: فإني وجدت كتاب الله الأقدم، فأنا حامل عليه من أتاني ممن تحت يدي وفيما سبقني.

■ (5) فاطمة بنت مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أخت عبد الملك. وعمة عمر بن عبد العزيز هذه كانت لا تحجب عن الخلفاء ولا يرد لها طلب أو حاجة، وكانوا يكرمونها ويعظمونها، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل استخلافه، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها كعادته.

■ (1) فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، زوجة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وبنت الملك عبد الملك بن مروان، وأخت الوليد وسليمان ابنا عبد الملك. كانت من فضليات نساء بنى أمية. تزوجها عمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة فعاشت معه في نعيم ورفاهية، ولما آلت الخلافة إليه عاشت معه عيشة التقشف والزهد حتى وفاته. وتزوجت بعد وفاته داود بن سليمان بن مروان.توفيت بعد عام 105 هـ. أثناء خلافة أخيها هشام بن عبد الملك. وحكى عنها عطاء ابن أبي رباح، والمغيرة بن حكيم.

■ (2) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي، أبو الوليد، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ

■ (3) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ.

■ (4) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.حج سنة 97 هـ عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. كانت الفتوحات محدودة في أيامه، فعلى الجبهة الغربية غزا القسطنطينية برا وبحرا تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك، ورابط بنفسه هناك، وأقسم ألا يعود حتى يفتحها، فتوفي أثناء حصارها سنة 99 هـ على الجبهة الشرقية: فتح يزيد بن المهلب جرجان و طبرستان عام 98 هـ. توفي سنة 99 هـ

■ (6) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد،كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

☪

روى ابن أعْين قال: كتب عمر بن عبد العزيز هذا ما عهد به عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى منصور بن غالب حين بعثه على قتال أهل الحرب وحربه من استعرض من أهل الصلح أمره في ذلك بتقوى الله على كل حال نزل به من أمر الله فإن تقوى الله أفضل العدة وأبلغ المكيدة وأقوى القوة، وأمره أن لا يكون من شيء من عدوه أشد احتراسا منه لنفسه ومن معه من معاصي الله، فإن الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم، وإنما نعادي عدونا وننصر عليهم بمعصيتهم ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم، فلو استوينا نحن وهم في المعصية كانوا أفضل منا في القوة والعدد فإن لا ننصر عليهم بحقنا لا نغلبهم بقوتنا ولا تكونوا لعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم، ولا تكونوا بالقدرة لكم أشد تعاهدا منكم لذنوبكم، وأعلموا أن معكم من الله حفظة عليكم يعلمون ما تفعلون في مسيركم ومنزلكم، فاستحيوا منهم وأحسنوا صحابتهم ولا تؤذوهم بمعاصي الله وأنتم زعمتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلطوا علينا وإن أذنبنا، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم بذنوبهم، فاسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم. وأمره أن يرفق بمن معه في سفرهم ولا يجشمهم مسيرا يتعبهم فيه، ولا يقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يلقوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم يسيرون إلى عدو مقيم جام الأهبة والكراع فإن لا يرفقوا بأنفسهم وكراعهم في مسيرهم يكن لعدوهم فضل في القوة عليهم بإقامتهم في جمام الأنفس والكراع، والله المستعان. وأمره أن يقيم ومن معه في كل جمعة يوما وليلة يكون لهم راحة يجمون فيها أنفسهم وكراعهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم، وأمره أن ينحي منزله عن قرى الصلح فلا يدخلها أحد من أصحابه لسوقهم وجماعتهم إلا من يثق بدينه وأمانته على نفسه ولا يصيبوا منها ظلما ولا يتزودوا منها إثما ولا يؤذوا أحدا من أهلها بشيء، إلا بحق فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم ففوا لهم ولا تستنصروا على أهل أرض الحرب بظلم أهل أرض الصلح، فلعمري لقد أعطيتم مما يحل منهم ما يغنيكم عنهم فلم أترك لكم خللا في العدة ولا رقة في القوة فتظاهرت واكتفت لكم العدد وانتخبت لكم الجند وأغنيتكم بأرض الشرك عن أرض الصلح وبسطت لكم أفضل ما بسطت لغاز فلم أجعل لك علة في التقوية وبالله الثقة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأمره أن تكون عيونه من العرب وممن يطمئن إلى نصيحته وصدقه من أهل الأرض، فإن الكذوب لا ينفع خبره وإن صدق في بعضه وإن الغاش عين عليك وليس بعين لك، والسلام عليك.

☪

كان عمر بن عبد العزيز يدعو بهذا الدعاء: اللهم، رضني بقضائك، وبارك لي في قدرتك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت، وكان عمر بن عبد العزيز يقول: ما برح بي هذا الدعاء حتى لقد أصبحت ومالي في شيء من الأمور هوى إلا في مواضع القضاء. وكان عمر بن عبد العزيز إذا دخل الكعبة قال: اللهم، إنك وعدت الأمان دخال بيتك وأنت خير منزول به في بيته، اللهم، اجعل أمان ما تؤمنني به أن تكفيني مؤونة الدنيا وكل هول دون الجنة حتى تبلغنيها برحمتك يا أرحم الراحمين. وكان أيضا يدعو فيقول: اللهم، ألبسني العافية حتى تهنيني المعيشة، وأختم لي بالمغفرة حتى لا تضرني الذنوب، واكفني كل هول دون الجنة حتى تبلغنيها برحمتك يا أرحم الراحمين. وكان إذا وقف بعرفات قال: اللهم، إنك دعوت إلى حج بيتك ووعدت به منفعة على شهود مناسكك وقد جئتك، اللهم، اجعل منفعة ما تنفعني به أن تؤتيني في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وأن تقيني عذاب النار. وكان يقول: اللهم، لا تعطني في الدنيا عطاء يبعدني من رحمتك في الاخرة. وكان يقول: يا رب خلقتني وأمرتني ونهيتني ورغبتني في ثواب ما أمرتني به ورهبتني عقاب ما نهيتني عنه وسلطت علي عدوا فأسكنته صدري وأسكنته مجرى دمي إن أهم بفاحشة شجعني وإن أهم بطاعة ثبطني، لا يغفل إن غفلت ولا ينسى إن نسيت، ينصب لي في الشهوات ويتعرض لي في الشبهات، وإلا تصرف عني كيده يستزلني، اللهم، فاقهر سلطانه علي بسلطانك عليه حتى تحسبه بكثرة ذكري لك فأفوز مع المعصومين بك، ولا حول ولا قوة إلا بك. وكان يقول: يا رب انفعني بعقلي واجعل ما أصير إليه أهم إلي مما ينقطع عني، اللهم، إني أحسنت بك الظن فأحسن لي الثواب، اللهم، أعطني من الدنيا ما تقيني به فتنتها وتغنيني به عن أهلها وتجعله لي بلاغا إلى ما هو خير لي منها فإنه لا حول ولا قوة إلا بك.

وقال عمر بن عبد العزيز من لم يصلحه إلا الغشم فلا يصلح، والله لا أصلح الناس بهلاك ديني. وكتب عمر بن عبد العزيز: إن استطعت أن تكون في العدل والإصلاح والإحسان بمنزلة من كان قبلك في الظلم والفجور والعدوان فافعل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

☪

خطب الناس عمر بن عبد العزيز فقال: يا أيها الناس، ثم خنقته العبرة ثم سكت، فقال: يا أيها الناس، ثم خنقته العبرة، فسكت، ثم قال: يا أيها الناس، إن امرءا أصبح ليس بينه وبين آدم أب حي لمعرق له في الموت، أيها الناس، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وفي بيوت الميتين وفي دور الظاعنين جيرانا كانوا معكم بالأمس أصبحوا في دور خامدين بين آمن روحه إلى يوم القيامة وبين معذب روحه إلى يوم القيامة، ثم تحملونه على أعناقكم ثم تضعونه في بطن من الأرض بعد غضارة من العيش وتلذذ في الدنيا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم إنا لله وإنا إليه راجعون، أم والله لوددت أنه بديء بي وبلحمتي التي أنا منها حتى يستوي عيشنا وعيشكم، أم والله لو أردت غير هذا من الكلام لكان اللسان به مني منبسطا ولكنت بأسبابه عارفا، ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى، وبكى الناس معه. قيل: تفاخر أموي وأنصاري، فقال الأموي: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر عماله بنو أمية، بمكة عتاب بن أسيد، وعلى البحرين أبان بن سعيد بن العاص وعلى اليمن خالد بن سعيد بن العاص وعلى نجران أبو سفيان؛ فقال الأنصاري: صدقت، ولكنهم حالفوا أهل الردة على هدم الاسلام، فكأنما ألقمه حجرا.

مراجع: سيرة عمر بن عبد العزيز/ الأعلام للزركلي/ الكامل في التاريخ/ ربيع الأبرار/

روى أبو محمد بن عبد الحكم قال: كان بريد عمر بن عبد العزيز لا يعطيه أحد من الناس إذا خرج كتابا إلا حمله فخرج بريد من مصر فدفعت إليه فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح كتابا تذكر فيه أن لها حائطا قصيرا وأنه يقتحم عليها منه فيسرق دجاجها فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح بلغني كتابك وما ذكرت من قصر حائطك وأنه يدخل عليك منه فيسرق دجاجك، فقد كتبت لك كتابا إلى أيوب بن شرحبيل[1]، وكان أيوب عامله على صلاة مصر وحربها، آمره أن يبني لك ذلك حتى يحصنه لك مما تخافين، إن شاء الله، والسلام. وكتب إلى أيوب بن شرحبيل: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى ابن شرحبيل، أما بعد، فإن فرتونة مولاة ذي أصبح كتبت إلي تذكر قصر حائطها وأنه يسرق منه دجاجها، وتسأل تحصينه لها فإذا جاءك كتابي هذا فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها، فلما جاء الكتاب إلى أيوب ركب ببدنه حتى أتى الجيزة يسأل عن فرتونة حتى وقع عليها، وإذا هي سوداء مسكينة فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين فيها وحصنه لها.

■ (1) أيوب بن شرحبيل بن أبرهة الاصبحي، من بني الصباح: أمير، من النبلاء الصلحاء. ولي مصر لعمر بن عبد العزيز أول سنة 98 هـ وحسنت أحوالها في أيامه، واستمر إلى أن توفي فيها سنة 101 هـ. ومدة إمارته سنتان ونصف سنة.

روى ابن أعْين المصري قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الأمصار إن هذه الرجفة (الزلزلة) شيء يعاتب الله به العباد، وقد كنت كتبت إلى أهل بلد كذاوكذا أن يخرجوا يوم كذاو كذا فمن استطاع أن يتصدق فليفعل، فإن الله عز وجل يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى] وقال: قولوا كما قال أبوكم آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف] وقولوا كما قال نوح: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود] وقولوا كما قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص] وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: أن اقضوا عن الغارمين، فكتب إليه إنا نجد الرجل له المسكن والخادم وله الفرس وله الأثاث في بيته، فكتب عمر لا بد للرجل من المسلمين من مسكن يأوي إليه رأسه وخادم يكفيه مهنته وفرس يجاهد عليه عدوه وأثاث في بيته، ومع ذلك فهو غارم فاقضوا عنه ما عليه من الدين. قال يحيى بن سعيد[1]: بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية فاقتضيتها، وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيرا ولم نجد من يأخذها مني قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس، فاشتريت بها رقابا فأعتقتهم وولاؤهم للمسلمين. وقال رجل من ولد زيد بن الخطاب: إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفا فذلك ثلاثون شهرا فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيهم فما يجده فيرجع بماله، قد أغنى الله على يد عمر بن عبد العزيز الناس. وخرج عمر بن عبد العزيز يوما في ولايته الخلافة بالشام، فركب هو ومزاحم وكان كثيرا ما يركب فيلقى الركبان يتجسس الأخبار عن القرى فلقيهما راكب من أهل المدينة وسألاه عن الناس وما وراءه، وهو الأمر الذي خرجا من أجله فقال لهما: إن شئتما جمعت لكما خبري وإن شئتما بعضته تبعيضا، فقالا: بل أجمعه فقال: إني تركت المدينة والظالم بها مقهور والمظلوم بها منصور والغني موفور والعائل مجبور، فسر بذلك عمر وقال: والله لأن تكون البلدان كلها على هذه الصفة أحب إلي مما طلعت عليه الشمس. قال: وناداه رجل فقال: يا خليفة الله في الأرض، فقال له عمر: مه، إني لما ولدت اختار لي أهلي اسما فسموني عمر، فلو ناديتني يا عمر أجبتك، فلما كبرت اخترت لنفسي الكنى فكنيت بأبي حفص، فلو ناديتني يا أبا حفص أجبتك، فلما وليتموني أموركم سميتموني أمير المؤمنين، فلو ناديتني يا أمير المؤمنين أجبتك، وأما خليفة الله في الأرض، فلست كذلك ولكن خلفاء الله في الأرض داود النبي عليه السلام وشبهه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا داود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص] واتت عمر بن عبد العزيز سلتا رطب من الأردن، فقال: ما هذا؟ قالوا: رطب بعث به أمير الأردن، قال: علام جيء به؟ قالوا: على دواب البريد، قال: فما جعلني الله أحق بدواب البريد من المسلمين! أخرجوهما فبيعوهما واجعلوا ثمنهما في علف دواب البريد، فغمزني ابن أخيه فقال لي: اذهب فإذا قامتا على ثمن فخذهما علي قال: فأخرجتا الى السوق فبلغتا أربعة عشر درهما، فأخذتهما فجئت بهما الى ابن أخيه، فقال: اذهب بهذه الواحدة إلى أمير المؤمنين وحبس لنفسه واحدة، قال: فأتيته بها، فقال: ما هذا؟ قلت: اشتراهما فلان ابن أخيك، فبعث إليك بهذه، وحبس لنفسه الأخرى، قال: الآن طاب لي أكله. قال: وكان عمر بن عبد العزيز إذا كثر عنده أرقاء الخمس فرقه بين كل مقعدين وبين كل زمنين غلاما يخدمهما ولكل أعمى غلاما يقوده. قال: ونزل عمر ديرا فمرت به أطباق، فقال: ما هذه؟ قيل له صاحب الدير يطعم الناس فجاءه بطبق فيه فستق ولوز، فقال عمر: تلك الأطباق مثل هذا ؟ قال: لا، قال: خذ طعامك.

استعمل عمر بن عبد العزيز عروة بن عياض بن عدي[2] على مكة فخرج عمر من مكة وخرج معه من خرج يشيعه حتى نزل بمر ومعه عروة فجاء رجل فقال أصلح الله أمير المؤمنين ظلمت ولا أستطيع أن أتكلم فقال عمر ويحه أخذت عليه يمين ثم قال إن كنت صادقا فتكلم فقال أصلحك الله هذا وأشار إلى عروة سامني بها ل لي وأعطاني به ستة آلاف درهم فأبيت أن أبيعه فاستعداه علي غريم لي فحبسني فلم يخرجني حتى بعته مالي بثلاثة آلاف درهم واستحلفني بالطلاق إن خاصمته أبدا فنظر عمر إلى عروة ثم نكت بالخيزران بين عينيه في سجدته وقال هذه غرتني منك ثم قال للرجل اذهب فقد رددت عليك مالك ولا حنث عليك.

قال: وأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين مظلمة دخلت علي، قال عمر: ومن بك؟ قال: فلا والله ما استطاع أن يقول فلان لبعض أهله مرتين أو ثلاثا، فقال: فلان بن فلان عمد إلى مال لي بكذا وكذا فأخذه فقال: يا غلام، ائتني بدواة وقرطاس فكتب الى عامله إن فلانا ذكر لي كذا وكذا فإن كان الذي ذكر لي على ما ذكر فلا تراجعني فيه واردده عليه، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصافات] قال: ودخل زيان بن عبد العزيز على عمر بن عبد العزيز فتحدث معه ساعة فقال: لقد طالت الليلة علي وقل نومي فيها فاتهمت عشاء تعشيت به فقال: وما هو؟ قال: عدس وبصل، فقال له زيان: لقد وسع الله عليك ولكن تضيق على نفسك وأكثر زيان لائمته، فقال: يا زيان، أخبرتك خبري وأطلعتك على سري فوجدتك غاشا غير ناصح، أم والله لا أعود لمثلها أبدا ما بقيت. وقال عمر بن عبد العزيز لرجل: يا فلان، قرأت البارحة سورة فيها زيادة:﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر] فكم عسى الزائر يلبث عند المزور حتى ينكفئ إما إلى جنة وإما إلى نار !. وجمع عمر بن عبد العزيز أصحابه بالسويداء فخرج عليهم وأوصاهم فقال: إياي والمزاح، فإنه يبعث الضغن ويثبت الغل، تحدثوا بكتاب الله وتجالسوا به وتسايروا عليه، فإذا مللتم فحديث من حديث الرجال حسن جميل.

وقال عمر بن عبد العزيز ان للإسلام حدودا وشرائع وسننا فمن عمل بها استكمل الإيمان ومن لم يعمل بها لم يستكمل الإيمان فإن أعش أعلمكموها وأحملكم عليها وإن مت فما أنا على صحبتكم بحريص. قال: وكان رسول عمر يقدم البصرة فإذا سمع به تلقاه الناس، فليس يقدم إلا بزيادة في عطاء أو قسم أو خير يأمر به أو شر ينهى عنه، فلا يزال الناس يشيعونه حتى يدخل المسجد، فيقرأ ذلك الكتاب، حتى قدم بريد نعيه، فلقيه الناس كما يلقونه فإذا هو باك يخبر بموته فبكا الناس لبكائه لعظيم ما نزل بهم ولعظيم مصيبتهم حتى دخل المسجد يقرأ نعيه.قال وبينما امرأة بالكوفة ذات ليلة تغزل في كوة إلى سفل ومعها ابنة لها إذ وقع مغزل ابنتها فاطلعت من الكوة لتنظر مكانه فإذا هي بحلقة نساء في السفل كحلقة المأتم وفي وسطهن امرأة وهي تقول:ألا قل لنساء الجن يبكين شجيات..ويخمشن وجوها بعدما كن نقيات..ويلبسن عباء بعد جر الفر قبيات..ويردفن علوجا بعدما كن حظيات. ثم يقول من كان حولها وأمير المؤمنياه وأمير المؤمنياه فقالت الجارية: لأمها أما ترين ما أرى قالت: وما ترين؟ فاطلعت الأم فإذا هي ترى ذلك، فلما أصبحت نظرت الليلة فإذا هي الليلة التي مات فيها عمر بن عبد العزيز رحمه الله. وقال سليمان بن داود الخولاني: إن عمر بن عبد العزيز كان يقول: يا ليتني قد عملت فيكم بكتاب الله وعملتم به، فكلما عملت فيكم بسنة وقع مني عضو، حتى يكون أخر شيء منها خروج نفسي.

حدث عبد الرحمن بن شوبان عن أبيه قال: قلت لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، ما بال الأسعار غالية في زمانك وكانت في زمان من قبلك رخيصة؟ قال: إن الذين كانوا قبلي كانوا يكلفون أهل الذمة فوق طاقتهم، ولم يكونوا يجدون بدا من أن يبيعوا ويكسروا ما في أيديهم، وأنا لا أكلف أحدا إلا طاقته، فباع الرجل كيف شاء، قال: فقلت: لو أنك سعرت، قال: ليس إلينا من ذلك شيء إنما السعر إلى الله. وقال لمولاه مزاحم: إني قد اشتهيت الحج، فهل عندك شيء؟ قال: بضعة عشر دينارا. قال: وما تقع مني؟ ثم مكث قليلا، ثم قال له: يا أمير المؤمنين تجهز، فقد جاءنا مال سبعة عشر ألف دينارا من بعض مال بني مروان، قال: اجعلها في بيت المال، فإن تكن حلالا فقد أخذنا منها ما يكفينا، وإن تكن حراما فكفانا ما أصابنا منها قال مزاحم: فلما رأى عمر ثقل ذلك علي قال: ويحك يا مزاحم لا يكثرن عليك شيء ضعته لله، فإن لي نفسا تواقة لم تتق إلى منزلة، فنالتها إلا تاقت إلى ما هي أرفع منها، حتى بلغت اليوم المنزلة التي ليس بعدها منزلة، وإنها اليوم قد تاقت إلى الجنة. ومن تواضعه أن نهى الناس عن القيام له، فقال: يا معشر الناس: إن تقوموا نقم، وإن تقعدوا نقعد، فإنما يقوم الناس لرب العالمين، وكان يقول للحرس: لا تبتدئوني بالسلام، إنما السلام علينا لكم، وكان متواضعا حتى في إصلاح سراجه بنفسه، فقد: كان عنده قوم ذات ليلة في بعض ما يحتاج إليه، فغشى سراجه، فقام إليه فأصلحه فقيل له: يا أمير المؤمنين ألا نكفيك؟ قال: وما ضرني؟ قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز، ومن تواضعه أيضا قال يوما لجارية له:يا جارية روحيني قال: فأخذت المروحة فأقبلت تروحه، فغلبتها عينها فنامت، فانتبه عمر، فإذا هو بالجارية قد أحمر وجهها، وقد عرقت عرقا شديدا، وهي نائمة، فأخذ المروحة واقبل يروحها، قال: فانتبهت، فوضعت يدها على رأسها فصاحت، فقال لها عمر: إنما أنت بشر مثلي أصابك من الحر ما أصابني، فأحببت أن أروحك مثل الذي روحتني، وكان يمتنع عن كثرة الكلام، وهو العالم الفصيح المفوه، خشية على نفسه من المباهاة بما عنده، أو يظن الناس به ذلك، فكان يقول: إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة، ودخل عليه رجل فقال له: يا أمير المؤمنين، إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زينا، وأنت زين الخلافة، وإنما مثلك كما قال الشاعر: وإذا الدر زان حسن وجوه..كان للدر حسن وجهك زينا. فأعرض عنه. وقال له رجل: جزاك الله عن الإسلام خيرا. فقال: لا بل جزى الله الإسلام عني خيرا، ودخل عليه رجل، وهو في ملء من الناس فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال عم سلامك، وهكذا أمير المؤمنين عمر، يخفض الجناح للمؤمنين، ولا يتكبر على أحد من عباد الله، ولم تزده الخلافة إلا تواضعا ورأفة ورحمة، ولم يحمله المنصب إلا على الإخبات والخضوع لسلطان الحق، يصلح سراجه بنفسه، ويجلس بين يدي الناس على الأرض، ويأبى أن يسير الحراس والشرط بين يديه، ويعنف من يعظمه أو يخصه بسلام من بين الجالسين، ويتأبى أن يتميز على الناس بمركب، أو مأكل، أو ملبس، أو مشرب [..]

■ (2) عروة بن عياض بن عمرو بن عبد القارى: أخو عبيد الله بن عياض، وقيل: عروة بن عياض بن عدى بن المختار بن نوفل بن عبد مناف بن قصى القرشى النوفلى المكى، كان واليا لعمر بن عبد العزيز على مكة.روى عن جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبى سعيد الخدرى، وعائشة

■ (1) يحيى بن سعيد بن قيس الانصاري النجاري، أبو سعيد: قاض، من أكابر أهل الحديث، من أهل المدينة. قال الجمحي: ما رأيت أقرب شبها بالزهري من يحيى بن سعيد، ولولاهما لذهب كثير من السنن. ولي القضاء بالمدينة في زمن بني أمية، ولاه يوسف بن محمد الثقفي، أيام الوليد بن عبد الملك، وكان من اختصاص الولاة تعيين القضاة واستمر ذلك إلى أن استخلف أبو جعفر المنصور، فجعله للخلفاء. ورحل صاحب الترجمة، إلى العراق، في العهد العباسي، فولي قضاء الحيرة، وتوفي بالهاشمية سنة 143 هـ.أو بعدها.

مراجع: سيرة عمر بن عبد العزيز/ الأعلام للزركلي/ تهذيب التهذيب/ سير أعلام النبلاء/ الطبقات/ عمر بن عبد العزيز، لعبد الستار الشيخ/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) وامرأة من العراق 0480

قدمت امرأة من العراق على عمر بن عبد العزيز، فلما صارت إلى بابه، قالت: هل على أمير المؤمنين حاجب؟ فقالوا: لا، فلجي إن أحببت، فدخلت المرأة على فاطمة[1] وهي جالسة في بيتها وفي يدها قطن تعالجه، فسلمت فردت عليها السلام، وقالت لها: ادخلي فلما، جلست المرأة، رفعت بصرها فلم تر في البيت شيئا له بال. خراب بيت عمر بعمارة بيوت المسلمين.فقالت: إنما جئت لأعمر بيتي من هذا البيت الخرب! فقالت لها فاطمة: إنما خرب هذا البيت عمارة بيوت أمثالك، فأقبل عمر حتى دخل الدار، فمال إلى بئر في ناحية الدار فانتزع منها دلاء صبها على طين كان بحضرة البيت وهو يكثر النظر إلى فاطمة، فقالت لها المرأة: استتري من هذا الطيان فإني أراه يديم النظر إليك، فقالت: ليس هو بطيان هو أمير المؤمنين، قال: ثم أقبل عمر فسلم ودخل بيته، فمال إلى مصلى كان له في البيت يصلي فيه، فسأل فاطمة عن المرأة؟ فقالت: هي هذه، فأخذ مكتلا له فيه شيء من عنب، فجعل يتخير لها خيره يناولها إياه، ثم أقبل عليها، فقال: ما حاجتك؟ فقالت: امرأة من أهل العراق، لي خمس بنات كسل كسد، فجئتك أبتغي حسن نظرك لهن، فجعل يقول: كسل كسد، ويبكي، فأخذ الدواة والقرطاس وكتب إلى والي العراق، فقال: سمي كبراهن فسمتها، ففرض لها، فقالت المرأة: الحمد لله، ثم سأل عن الثانية والثالثة والرابعة، والمرأة تحمد الله، ففرض لها، فلما فرض للأربع، استفزها الفرح فدعت له فجزته خيرا، فرفع يده وقال: قد كنا نفرض لهن حين كنت تولين الحمد أهله، فمري هؤلاء الأربع يفضن على هذه الخامسة، فخرجت بالكتاب حتى أتت به العراق فدفعته إلى والي العراق، فلما ذهبت إليه بالكتاب بكى واشتد بكاؤه، وقال: رحم الله صاحب هذا الكتاب، فقالت: أمات؟ قال: نعم، فصاحت وولولت، فقال: لا بأس عليك، ما كنت لأرد كتابه في شيء، فقضى حاجتها وفرض لبناتها.

(1) فاطمة بنت عبد الملك، زوجة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وبنت عبد الملك بن مروان، وأخت الوليد وسليمان ابنا عبد الملك.كانت من فضليات نساء بنى أمية. تزوجها عمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة فعاشت معه في نعيم ورفاهية، ولما آلت الخلافة إليه عاشت معه عيشة التقشف والزهد حتى وفاته. وتزوجت بعد وفاته داود بن سليمان بن مروان.توفيت بعد 105 هـ. أثناء خلافة أخيها هشام. قال الزبير بن بكار: قال الشاعر في فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز: بنت الخليفة والخليفة جدها..أخت الخلائف والخليفة زوجها. قال: فلم تكن امرأة تستحق هذا النسب إلى يومنا هذا غيرها قلت: ولا يقال في غيرها هذا إلى يومنا هذا.

☪

• عن عبادة بن نسي قال: لما حضرت أبا بكر رضي الله عنه الوفاة قال لعائشة رضي الله عنها: أغسلي ثوبي هذين وكفنين بهما؛ فإنما أبوك أحد رجلين: إما مكسو أحسن الكسوة، أو مسلوب أسوأ السلب. كذا في المنتخب ، وعنده أيضا وابن سعد والدغولي عن عائشة قالت: لما حضر أبو بكر قلت: لعمرك ما يغني عن الفتى إذا..حشرجت يوما وضاق بها الصدر. فقال أبو بكر: لا تقولي هكذا يا بنية، ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق] وقال: انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما ثم كفنوني فيهما؛ لأن الحي أحوج إلي الجديد نم الميت، إنما هو للمهلة. وعند أبي يعلى وأبي نعيم والدغولي والبيهقي عن عائشة قالت: لما اشتد مرض أبي بكر بكيت، وأغمي عليه فقلت: من لا يزال دمعه مقنعا..فإنه من دمعه مدفوق. فأفاق فقال: ليس كما قلت يا بنية، ولكن: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق] ثم قال: أي يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يوم الإثنين، فقال: أي يوم هذا؟ فقلت: يوم الإثنين، قال: فإني أرجو من الله ما بيني وبين هذا الليل، فمات ليلة الثلاثاء، وقال: في كم كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: كفناه في ثلاثة أثواب سحولية بيض جدد ليس فيها قميص ولا عمامة، فقال: اغسلوا ثوبي هذا وبه ردع من زعفران واجعلوا معه ثوبين جديدين؛ فقلت: إنه خلق، فقال: الحي أحوج إلى الجديد من الميت، إنما هو للمهلة. وفي سياق ابن سعد : إنما يصير إلى الصديد وإلى البلى.

• عن يحيى بن أبي راشد النصري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال لابنه: يا بني إذا حضرتني الوفاة فاحرفني، واجعل ركبتيك في صلبي، وضع يدك اليمنى على جبيني ويدك اليسرى على ذقني، فإذا قبضت فأغمضني، واقصدوا في كفني، فإنه إن يكن لي عند الله خيرا أبدلني خيرا منه، وإن كنت على غير ذلك سلبني فأسرع سلبي، واقصدوا في حفرتي، فإنه إن يكن لي عند الله خير وسع لي فيها مد بصري، وإن كنت على غير ذلك ضيقها علي حتى تختلف أضلاعي، ولا تخرجن معي امرأة، ولا تزكوني بما ليس في، فإن الله هو أعلم بي، وإذا خرجتم بي فاسرعوا في المشي، فإنه إن يكن لي عند الله خير قدمتموني إلى ما هو خير لي، وإن كنت على غير ذلك كنتم قد ألقيتم عن رقابكم شرا تحملونه. وقد تقدم في جعل الأمر شورى بين المستصلحين له قول عمر حين عرف أنه الموت قال: الآن لو أن لي الدنيا كلها لافتديت بها من هول المطلع، وقوله لابنه: ألصق خدي بالأرض يا عبد الله بن عمر، فوضعته من فخذي على ساقي فقال: ويلك وويل أمك يا عمر إن لم يغفر الله لك يا عمر ثم قبض رحمه الله.

• عن خالد بن الربيع قال: لما ثقل حذيفة رضي الله عنه سمع بذلك رهطه والأنصار، فأتوه في جوف الليل أو عند الصبح، فقال: أي ساعة هذه؟ قلنا: جوف الليل أو عند الصبح، فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار قال: جئتم بما أكفن به؟ قلنا: نعم، قال: لا تغالوا بالأكفان؛ فإنه إن يكن لي عند الله خير بدلت به خيرا منه، وإن كانت الأخرى سلبت سلبا سريعا.وعن أبي وائل قال: لما ثقل حذيفة أتاه أناس من بني عبس فأخبرني خالد بن الربيع العبسي قال: أتيناه وهو بالمدائن حتى دخلنا عليه جوف الليل، فذكر نحون. وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه بمعناه مختصرا. وعن صلة ابن زفر أن حذيفة بعثني وأبا مسعود فابتعنا له كفنا حلة عصب بثلاثمائة درهم، فقال: أرياني ما ابتعتما لي؛ فأريناه فقال: ما هذا لي بكفن، إنما يكفي ريطتان بيضاوان ليس معهما قميص، فإني لا أترك إلا قليلا حتى أبدل خيرا منهما أو شرا منهما، فابتعنا له ريطتين بيضاوين. وعنده أيضا عن أبي مسعود مختصرا، وفي روايته: ما تصنعون بهذا؟ إن كان صاحبكم صالحا ليبدلن الله تعالى به، وإن كان غير ذلك ليترامن به رجواها إلى يوم القيامة. وعن قيس بن أبي حازم نحوه، وفي روايته: وإن كان غير ذلك ليضربن الله به وجهه يوم القيامة.

• عن الضحاك بن عبد الرحنم قال: دعا أبو موسى الأشعير رضي الله عنه فتيانه حين حضرته الوفاة فقال: اذهبوا واحفروا وأوسعوا وأعمقوا، فجاؤوا فقالوا: قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا، فقال: والله إنها لإحدى المنزلتين: إما ليفتحن لي باب إلى الجنة فلأنظرن إلى أزواجي ومنازلي وما أعد الله تعالى لي من الكرامة، ثم لأكونن أهدى إلى منزلي مني اليوم إلى بيتي، ثم ليصيبني من ريحها وروحها حتى أبعث. ولئن كانت الأخرى، ونعوذ بالله منها، ليضيقن علي قبري حتى يكون في أضيق من القناة في الزج، ثم ليفتحن لي باب من أبواب جهنم، فلأنظرن إلى سلاسلي وأغلالي وقرنائي، ثم لأكونن إلى مقعدي من جهنم أهدى مني اليوم إلى بيتي، ثم ليصيبني من سمومها وحميها حتى أبعث.

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أسيد بن حضير رضي الله عنه من أفاضل الناس وكان يقول: لو أني أكون كما أكون على حال من أحوال ثلاثة لكنت من أهل الجنة وما شككت في ذلك: حين أقرأ القرآن وحين أسمعه يقرأ، وإذا سمعت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا شهدت جنازة، وما شهدت جنازة قط فحدثت نفسي سوى ما هوم مفعول بها وما هي صائرة إليه.

• عن أبي مطر قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وجأه أبو لؤلؤة وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: أبكاني خبر المساء، أيذهب بي إلى الجنة أم إلى النار؟ فقلت له: أبشر بالجنة؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما لا أحصيه يقول:﴿سَيِّدَا كُهُولِ الْجَنَّةِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَنْعَمَا﴾ فقال: أشاهد أنت لي يا علي بالجنة؟قلت: نعم،وأنت يا حسن فاشهد على أبيك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:إن عمر من أهل الجنة.وقد تقدم في زهد عمر قوله في ضيافة له:هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟فقال عمر بن الوليد:لهم الجنة فاغرورقت عينا عمروقال:لئن كان حظنا من هذا الحطام وذهبوا بالجنة لقد بانوا بونا عظيما

• عن مصعب بن سعد قال: كان رأس أبي حجري وهو يقضي قال: فدمعت عيناي فنظر إلي فقال: ما يبكيك أي بني؟ فقلت: لمكانك وما أرى بك، قال: فلا تبك علي؛ فإن الله لا يعذبني أبدا، وإني من أهل الجنة، إن الله يدين المؤمنين بحسناتهم ما عملوا لله، قال: وأما الكفار فيخفف عنهم بحسناتهم، فإذا نفدت قال: ليطلب كل عامل ثواب عمله ممن عمل له.

• عن ابن شماسة المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياق الموت، فحول وجهه إلى الحائط يبكي طويلا وابنه يقول له: ما يبكيك؟ أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا، أما بشرك بكذا؟، قال: وهو في ذلك يبكي ووجهه إلى الحائط، قال: ثم أقبل بوجهه إلينا فقال: إن أفضل مما تعد علي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني قد كنت على أطباق ثلاث: قد رأيتني ما من الناس من أحد أبغض إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحب إلي من أن أستمكن منه فأقتله، فلو مت على تلك الطبقة لكنت من أهل النار. ثم جعل الله الإسلام في قلبي فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبايعه فقلت: إبسط يمينك أبايعك يا رسول الله، قال: فبسط يده، ثم إني قبضت يدي، فقال: ما لك يا عمرو؟ قال: فقلت: أردت أن أشترط، فقال: تشترط ماذا؟ فقلت: أشترط أن يغفر لي، فقال: أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله. فقد رأيتني ما من الناس أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه، ولم سئلت أن أنعته ما أطقت لأني لم أكن أطيق أن أملأ عيني إجلالا له، فلو مت على تلك الطبقة رجوت أن أكون من أهل الجنة. ثم ولينا أشياء بعد فلست أدري ما أنا فيها أو ما حالي فيها. فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فسنوا علي التراب سنا، فإذا فرغتم من قبري فأمكثوا عند قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها؛ فإني أستأنس بكم حتى أعلم ماذا أراجع به رسل ربي.

قال محمد بن منصور: دخلت على عبد الله بن طاهر وهو في سكرات الموت فقلت: السلام عليكم أيها الأمير، فقال: لا تسمني أميرا وسمني أسيرا. ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة جعل يقول: والله ولوددت أني عبد لرجل من تهامة أرعى غنيمات في جبالها ولم آلي. وقال أيضا: والله لوددت أني كنت منذ ولدت إلى يومي هذا حمالا .وقد قيل لعبد الملك بن مروان في مرض موته: كيف تجدك؟ فقال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام] نعم. لقد ذهب ملك الدنيا وزخرفها.وقدم الكل على الله.كان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين. فقال: ليس إلا هذا، لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة. لما كان عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه قال: أجلسوني، فأجلسوه ثم قال: أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا الله. ثم رفع رأسه وأحد النظر، فقالوا له: إنك لتنظر نظرا شديدا، قال: إني لأرى حضرة ما هم بأنس ولا جن، ثم قبض. وها هو أمير المؤمنين المأمون لما حضرته الوفاة أمر بجل دابته ففرش له، فاضطجع عليه، ووضع الرماد على رأسه وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم اليوم من قد زال ملكه. ولما حضرت الوفاة أبا جعفر المنصور، قال للربيع: يا ربيع هذا السلطان..لا سلطان من يموت. إنه الموت نهاية كل حي، لا يفلت منه أحد، ولا يسبق فيفوته أحد.وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم. لنتأمل فعل هارون الرشيد وهو ينتقي أكفانه بيده وينظر إليها ويقول:﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة] من منا ينتقي أكفانه ويضعها في بيته؟ بل ربما لو وجد البعض ثوبا يشبه الكفن في بيته لأخرجه فلا داعي له وهل الموت قريب ليستعد له؟! تنام ولم تنم عنك المنايا..تنبه للمنية يا نؤوم

مراجع: سيرة عمر بن عبد العزيز/ الأعلام للزركلي/ حياة الصحابة للكاندهلوى/

بعث عمر بن عبد العزيز محمد بن الزبير الحنظلي[1] إلى شوذب الحروري[2] وأصحابه حين خرجوا بالجزيرة قال: فكتب معنا إليهم كتابا فأتيناهم فأبلغناهم رسالته وكتابه فبعثوا معنا رجلين منهم أحدهما من بني شيبان والآخر في حبشية وهو أسد الرجلين حجة ولسانا فقدمنا بهما إلى عمر بن عبد العزيز وهو بخناصرة فصعدنا إليه في غرفة معه فيها ابنه عبد الملك و كاتبه مزاحم فأعلمناه مكانهما فقال ابحثوهما أن لا يكون معهما حديدة ثم أدخلوهما ففعلنا فلما دخلا قالا السلام عليكم ثم جلسا فقال لهما عمر أخبراني ما أخرجكما مخرجكما هذا وأي شيء نقمتم علينا فقال الذي في حبشية والله ما نقمنا عليك في سيرتك فإنك لتجري العدل والإحسان ولكن بيننا وبينك أمر إن أعطيتناه فأنت منا ونحن منك وإن منعتنا فلست منا ولسنا منك قال عمر وما هو قال رأيتك خالفت أعمال أهل بيتك وسلكت غير طريقهم وسميتها مظالم فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فابرأ منهم والعنهم فهو الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق قال فتكلم عمر عند ذلك فقال إني قد عرفت أو ظننت أنكم لم تخرجوا لطلب الدنيا ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها وأنا سائلكم عن أمر فبالله لتصدقاني عنه فيما بلغه علمكما قالا نفعل قال أرأيتم أبا بكر وعمر أليسا من أسلافكم وممن تتولون وتشهدون لهما بالنجاة قالا بلى فقال هل تعلمون أن العرب ارتدت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلهم أبو بكر فسفك الدماء وسبى الذراري وأخذ الأموال قالا قد كان ذلك قال فهل تعلمان أن عمر لما قام بعده رد تلك السبايا إلى عشائرهم قال قد كان ذلك قال فهل برئ أبو بكر من عمر أو عمر من أبي بكر قالا لا قال فهل تبرأون من واحد منهما قالا لا قال أخبراني عن أهل النهروان أليسوا من أسلافكم وممن تتولون وتشهدون لهم بالنجاة قالا بلى قال فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا إليهم كفوا أيديهم فلم يخيفوا آمنا ولم يسفكوا دما ولم يأخذوا مالا قالا قد كان ذلك قال فهل تعلمون أن أهل البصرة حين خرجوا إليهم مع عبد الله بن وهب الراسبي استعرضوا الناس فقتلوهم وعرضوا لعبد الله بن خباب صاحب النبي صلى الله عليه وسلم فقتلوه وقتلوا جاريته ثم صبحوا حيا من العرب يقال لهم بنو قطيعة فاستعرضوهم فقتلوا الرجال والنساء والولدان حتى جعلوا يلقون الأطفال قي قدور الأقط وهي تفور بهم قالا قد كان ذلك قال فهل برئ أهل الكوفة من أهل البصرة أو أهل البصرة من أهل الكوفة قالا لا قال فهل تبرأون من طائفة منهما قالا لا قال عمر أخبراني أرأيتم الدين واحدا أم اثنين قالا بل واحد قال فهل يسعكم فيه شيء يعجز عني قالا لا قال فكيف وسعكم أن توليتم أبا بكر وعمر وتولى كل واحد منهما صاحبه وقد اختلفت سيرتهما أم كيف وسع أهل الكوفة أن تولوا أهل البصرة وأهل البصرة أهل الكوفة وقد اختلفوا وكيف وسعكم أن توليتموهم جميعا وقد اختلفوا في أعظم الأشياء في الدماء والفروج والأموال ولا يسعني بزعمكما إلا لعن أهل بيتي والبراءة منهم فإن كان لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لا بد منها فأخبرني عنك أيها المتكلم متى عهدك بلعن أهل فوعون ويقال بلعن هامان قال ما أذكر متى لعنته قال ويحك فيسعك ترك لعن فوعون ولا يسعني بزعمك إلا لعن أهل بيتي والبراءة منهم ويحكم إنكم قوم جهال أردتم أمرا فأخطأتموه فأنتم تقبلون من الناس ما رد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتردون عليهم ما قبل منهم ويأمن عندكم من خاف عنده ويخاف عندكم من أمن عنده قالا ما نحن كذلك قال بلى تقرون بذلك الآن هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس وهم عبدة أوثان فدعاهم إلى أن يخلعوا الأوثان وأن يشهدوا أن لا إله إلاالله وأن محمدا رسول الله فمن فعل ذلك حقن دمه وأمن عنده وكان أسوة المسلمين ومن أبى ذلك جاهده قالا بلى قال أفلستم أنتم اليوم تبرأون ممن يخلع الأوثان وممن يشهد أن لا إله إلاالله وأن محمدا عبده ورسوله وتلعنونه وتقتلونه وتستحلون دمه وتلقون من يأبى ذلك من سائر الأمم من اليهود والنصارى فتحرمون دمه ويأمن عندكم فقال الذي في حبشية ما رأيت حجة أبين ولا أقرب مأخذا من حجتك أما أنا فأشهد أنك على الحق وأنني بريء ممن خالفك وقال للشيباني: فأنت ما تقول؟ قال: ما أحسن ما قلت وأحسن ما وصفت ولكن أكره أن افتات على المسلمين بأمر لا أدري ما حجتهم فيه حتى أرجع إليهم فلعل عندهم حجة لا أعرفها، قال: فأنت أعلم، قال: فأمر للحبشي بعطائه، وأقام عنده خمس عشرة ليلة ثم مات، ولحق الشيباني بقومه فقتل معهم.

قال: كتب عمر بن عبد العزيز من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى هؤلاء العصابة الذين خرجوا، أما بعد، فإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت] وقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل] وإني أذكركم الله في دمائكم أن تفعلوا فعل كبرائكم ﴿كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال] فبأي ذنب تخرجون من دينكم فتستحلون الدم الحرام وتصيبون المال الحرام فلو كانت ذنوب أبي بكر وعمر رضوان الله عنهما مخرجة رعيتهما من دينهم فقد كان لأبي بكر وعمر ذنوب قد كانت آباؤكم في جماعتهم فلم يخرجوا فيها بشوكتكم على الجنود وإنما عدتكم بضعة وأربعون رجلا، أقسم بالله لو كنتم أبكاري من أولادي ورغبتم عما فرشنا للعامة فيها ولينا لدفقت دماءكم أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة فإنه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص] فهذا النصح إن أحببتم وإن تستغشوني فقديما ما استغش الناصحون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتابه إلى الخوارج أيضا: قال: وكتب عمر بن عبد العزيز من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى هذه العصابة، أما بعد، أوصيكم بتقوى الله فإنه ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق] أما بعد، فقد بلغني كتابكم والذي كتبتم فيه إلى يحيى بن يحيى[3] وسليمان بن داود[4] وقدوم صاحبيكم والذي أتى إليهما وإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف] وقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل] وقال: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد] وإني أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأدعوكم أن تدعوا ما كانت تهراق عليه الدماء قبل يومكم هذا في غير قوة ولا تشنيع وأذكركم بالله أن تشبهوا علينا كتاب الله وسنة نبيه ونحن ندعوكم إليهما هذه نصيحة منا نصحنا لكم فيها فإن تقبلوها فذلك بغيتنا وإن تردوها على من جاء بها فقديما ما استغش الناصحون ثم لم نر ذلك وضع شيئا من حق الله وقد قال العبد الصالح لقومه: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود] وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف]

■ (2) بسطام اليشكري المعروف بشوذب: ثائر جبار. خرج في أيام عمر بن عبد العزيز بمكان قريب من الكوفة اسمه جوخا وكان أصحابه 80 رجلا، فتريث عمر في قتالهم إلى أن مات، وولي يزيد بن عبد الملك فأذن بقتالهم، فحاربهم أهل الكوفة، فلم يفلحوا وتبعهم شوذب وأصحابه إلى الكوفة. ثم سير إليهم يزيد ثلاثة جيوش، كل جيش في ألفين فانهزمت الجيوش. وعظم أمر شوذب وخاف الناس شره، فجهز مسلمة بن عبد الملك جيشا فيه عشرة آلاف مقاتل، بقيادة سعيد بن عمرو الحرشي، فأحاطوا بشوذب ثم قتلوه سنة 101 هـ.

■ (1) محمد بن الزبير الحنظلي. بصري، كوفي الأصل. عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز وجماعة وعنه ابن إسحاق والثوري وطائفة قال البخاري منكر الحديث.

■ (3) هل هو يحيى بن يحيى الغساني من أهل المدينة يروى عن سعيد بن المسيب روى عنه الشاميون كان مولده يوم مرج راهط ومات سنة 135 هـ وقد قيل سنة 133 هـ وكان سيد أهل دمشق.؟

■ (4) هل هو سليمان بن داود الخولاني ن الداراني أبو داود. كان سليمان بن داود حاجبا لعمر بن عبد العزيز وكان مقدما عنده .؟

قال المسعودي: ولعمر مع الخوارج أخبار غير ما ذكرنا، ومراسلات، ومناظرات، وكذلك لمن سلف من بني أمية وغيرهم من ولاة الأمصار، وقد أتينا على ذكرها وذكر كل من سمته الخوارج بأمير المؤمنين وخاطبته بالإمامة من الأزارقة والأباضية والحمرية والنجدات والخلقية والصفرية وغيرهم من أنواع الحرورية، وذكرنا مواضعهم من الأرض في هذا الوقت مثل من سكن منهم من بلاد شهرزور وسجستان وإصطخر من بلاد فارس وبلاد كرمان وأذربيجان،و بلاد مكران وجبال عمان وهراة من بلاد خراسان والجزيرة وتاهرت السفلى وغيرها من بقاع الأرض، في كتابينا أخبار الزمان والأوسط، وما ذكرنا من الرد عليهم في التحكيم، وغير ذلك في كتابنا المترجم بكتاب الانتصار المفرد لفرق الخوارج، وفي كتاب الاستبصار.

قال: كتب عمر بن عبد العزيز من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العمال، أما بعد، فإن من بلي من أمر السلطان بشيء فقد ابتلي في الدنيا بلية عظيمة مع ما ابتلي به في خاصة نفسه، فنسأل الله عافيته وحسن معونته وأي بلاء أشد من بلاء يبسط للمرء فيه لسانه وفعله فإن مال فيه إلى كل هوى أو سخطة كان فيه وكف إلا أن يعفو الله ويغفر فإنما وجدت والي السلطان عبدا مملوكا ولي ضيعة عليه الإجتهاد في إصلاحها أجره إحسان إن أحسنه وإحسان عمل به فيهم على ملكه الذي خلقه لما شاء أن يخلقه له، فأنزل بتلك المنزلة في أمرك واصبر على ما كرهت واصبر على ما أحببت وقف نفسك في كل سر وعلانية عند الذي ترجو به النجاة عند ذلك حتى تفارق الذي أنت فيه، فإن ذلك لعله أن يكون إلى قريب وأنت محسن ومأجور وتذكر ما سلف منك من عملك فيما سلف مما لا تحب فأصلحه قبل أن يتولى صلاحه غيرك، ولا يكبر عليك في ذلك قول الناس إذا علم الله أنك تجعل ذلك له فإنه سيكفيك المؤونة في عاجل الأمر مع ما يدخر لك من الخير فيما عنده وكن لمن ولاك الله أمره ناصحا فيما بعثك إليه من أمورهم في دينهم وأعراضهم واستركل ما استطعت من عوراتهم إلا شيئا أبداه الله لا يصلح لك ستره واملك نفسك عنهم إذا هويت وإذا غضبت حتى يكون ذلك فيما استطعت مستويا حسنا وإذا سبقك أمر أو سلف منك هوى أو غضب فراجع أمرك فقد رأيت حقا أن أكتب إليك بالذي كتبت به مما استطعت ونستعين بالله ونسأله أن يصلح لنا عملنا ويكفينا مؤونة ما نحن فيه ومؤونة ما نرجع إليه فيما بعد الموت بأحسن كفاية، والسلام.**

قال محمد بن كعب القرظي: دخلت على عمر بن عبد العزيز لما استخلف وقد نحل جسمه ونفى شعره وتغير لونه وكان عهدنا به بالمدينة أميرا علينا حسن الجسم ممتلئ البضعة فجعلت أنظر اليه نظرا لا أكاد أصرف بصري عنه، فقال يا ابن كعب: ما لك تنظر إلي نظرا ما كنت تنظره إلي قبل؟! قال: فقلت: لعجبي! قال: ومماذا عجبك؟ فقلت: لما نحل من جسمك ونفى من شعرك وتغير من لونك، قال: وكيف لو رأيتني بعد ثلاث في قبري حين تقع عيناي على وجنتي ويسيل منخري وفمي دودا وصديدا لكنت لي أشد نكرة منك اليوم! أعد علي حديث ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أفضل المجالس ما استقبل به القبلة وأنها تتجالسون بالأمانة لا تصلوا خلف النائم ولا المحدث واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في صلاتكم ولا تستروا الجدر بالثياب ألا ومن نظر منكم في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده ألا أنبئكم بشر من ذلك من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا ألا أنبئكم بشر من ذلك من يبغض الناس ويبغضونه ألا أنبئكم بشر من ذلك من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره إن عيسى بن مريم قام في قومه فقال يا بني إسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا تجاوروا ظالما فيبطل فضلكم عند ربكم إنما الأمور ثلاثة فأمر بين رشده فاتبعوه وأمر بين غيه فاجتنبوه وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله.

مراجع: سيرة عمر بن عبد العزيز/ الأعلام للزركلي/ مروج الذهب ومعادن الجوهر/ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ تاريخ الإسلام للذهبي/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) والخوارج (٢) 0482

دخل رجلان من الخوارج على عمر بن عبد العزيز[1] فقالا: السلام عليك يا إنسان، فقال: وعليكما السلام يا إنسانان، قالا: طاعة الله أحق ما اتبعت، قال: من جهل ذلك ضل، قالا: الأموال لا تكون دولة بين الأغنياء، قال: قد حرموها، قالا: مال الله يقسم على أهله، قال: الله بين في كتابه تفصيل ذلك، قالا: تمام الصلاة لوقتها، قال: هو من حقها، قالا: إقامة الصفوف في الصلوات، قال: هو من تمام السنة، قالا: إنا بعثنا إليك، قال: بلغا ولا تهابا، قالا: ضع الحق بين الناس، قال: الله أمر به قبلكما، قالا: لا حكم إلا لله، قال: كلمة حق إن لم تبتغوا بها باطلا، قالا: ائتمن الأمناء، قال: هم أعواني، قالا: احذر الخيانة، قال: السارق محذور، قالا: فالخمر ولحم الخنزير، قال: أهل الشرك أحق به، قالا: فمن دخل في الإسلام فقد أمن، قال: لولا الإسلام ما أمنا، قالا: أهل عهود رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لهم عهودهم، قالا: لا تكلفهم فوق طاقتهم، قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة] قالا: خرب الكنائس، قال: هي من صلاح رعيتي، قالا: ذكرنا بالقرآن، قال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة] قالا: تردنا إلى من أرسلنا، قال: ما أحبسكما، قالا: فما نقول لإخواننا؟ قال: ما رأيتما وسمعتما، قالا: تردنا على دواب البريد، قال: لا، هو من مال الله لا نطيبه لكما، قالا: فليس معنا نفقة، قال: أنتما إذن ابنا سبيل، علي نفقتكما.

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

☪

حكم رجل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بن محمد في صلاته فقطع عليهم الصلاة وشهر السيف فكتب أبو بكر إلى عمر بن عبد العزيز فأتي بكتاب عمر فقرئ عليه، فشتم عمر، والكتاب ومن جاء به، فهم أبو بكر بضرب عنقه ثم راجع عمر وأخبره أنه شتمه وأنه هم بقتله فكتب إليه عمر: لو قتلته لقتلتك به، فإنه لا يقتل أحد إلا أن يشتم النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أتاك كتابي هذا فاحبس عن المسلمين شره، وادعه إلى التوبة في كل هلال، فإذا تاب فخل سبيله، فلم يزل في الحبس حتى هلك عمر، فضرب يزيد بن عبد الملك عنقه.

ولما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قيل له: يا أمير المؤمنين اكتب إلى يزيد بن عبد الملك توصيه وتخوفه، فقال: والله إني لأعلم أنه من ولد مروان، فقال له رجاء بن حيوة: يكون حجة عليه وعذرا لك عند الله، ثم أمر كاتبه أن يكتب إليه: أما بعد، ما يزيد فاتق الصرعة عند الغفلة فلا تقال العثرة ولا تقدر على الرجعة وتترك ما تترك لمن لا يحمدك وتنقلب إلى من لا يعذرك والسلام.

☪

الخوارج: ويقال لهم النواصب، والحرورية نسبة إلى حروراء، موضع خرج فيه أولهم على علي رضي الله عنه، وهم الغلاة في حب أبي بكر وعمر وبغض علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين، ولا أجهل منهم،فإنهم القاسطون المارقون، خرجوا على علي رضي الله عنه وانفصلوا عنه بالجملة وتبرؤوا منه، ومنهم من صحبه ومنهم من كان في زمنه، وهم جماعة قد دون الناس أخبارهم وهم عشرون فرقة: الأولى يقال لهم الحكمية، لأنهم خرجوا على علي رضي الله عنه في صفين، وقالوا لاحكم إلا لله ولا حكم للرجال، وانحازوا عنه إلى حروراء، ثم إلى النهروان، وسبب ذلك أنهم حملوه على التحاكم إلى من حكم بكتاب الله، فلما رضي بذلك وكانت قضية الحكمين أبي موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، غضبوا من ذلك ونابذوا عليا وقالوا في شعارهم، لا حكم إلا لله ولرسوله، وكان إمامهم في التحكيم عبد الله بن الكواء. والثانية الأزارقة أتباع أبي راشد نافع بن الأزرق بن قيس، الخارج بالبصرة في أيام عبد الله بن الزبير. والثالثة النجدات، ولم يقل فيهم النجدية، ليفرق بينهم وبين من انتسب إلى بلاد نجد، فإنهم أتباع نجد بن عويمر، وهو عامر الحنفي الخارج باليمامة. والرابعة الصفرية أتباع زياد بن الأصفر، ويقال أتباع النعمان بن صفر، وقيل بل نسبوا إلى عبد الله بن صفار، وهو أحد بني مقاعس، وقيل عبد الله بن الصفار من بني صويمر بن مقاعس، وقيل سموا بذلك لصفرة علتهم، وزعم بعضهم أن الصفرية بكسر الصاد، ويقال للصفرية أيضا الزيادية، ويقال لهم أيضا النكار. والخامسة العجاردة أتباع عبد الكريم بن عجرد. والسادسة الميمونية أتباع ميمون بن عمران، وهم طائفة من العجاردة. والسابعة الشعيبية، وهم طائفة من العجاردة. والثامنة الحمزية، أتباع حمزة بن أدرك الشامي الخارج بخراسان في خلافة هارون الرشيد. والتاسعة الحازمية، وهم فرقة من العجاردة. والعاشرة المعلومية مع المجهولية، تباينا في مسألتين إحداهما قالت المعلومية من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه فهو كافر وقالت المجهولية لا يكون كافرا.والثانية وافقت المعلومية أهل السنة في مسألة القدر والمشيئة والمجهولية وافقت القدرية في ذلك. والحادية عشر الصلتية، أتباع عثمان بن أبي الصلت، وهم طائفة من العجاردة. والثانية عشر والثالثة عشر الأخنسية والمعبديه، وهما فرقتان من الثعالبة أتباع ثعلبة بن عامر. والرابعة عشر الشيبانية، أتباع شيبان بن سلمة الخارج في أيام أبي مسلم الخراساني القائم بدعوة الخلفاء العباسيين. والخامسة عشر الشبيبية، أتباع شبيب بن يزيد بن أبي نعيم الخارج في خلافة عبد الملك بن مروان. والسادسة عشر الرشيدية: أتباع رشيد، يقال لهم أيضا العشرية من أجل أنهم كانوا يأخذون نصف العشر مما سقت الأنهار. والسابعة عشر المكرمية: أتباع أبي المكرم. والثامنة عشر الحفصية: أتباع حفص بن المقدام أحد أصحاب عبد الله بن أباض. والتاسعة عشر الإباضية أتباع عبد الله بن أباض ويقال بل ينسبون إلى أباض وهي قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجد بن عامر، وخرج عبد الله بن أباض في أيام مروان. والفرقة العشرون اليزيدية، أتباع يزيد بن أبي أنيسة، وكان أباضيا.

ومن فرق الخوارج أيضا الحارثية، والأصومية، أتباع يحيى بن أصوم، والبيهسية أتباع أبي البيهس الهيصم بن خالد،كان في زمن الحجاج، واليعقوبية أتباع يعقوب بن علي الكوفي، ومن فرقهم الفضلية،أتباع فضل بن عبد الله،والشمراخية أتباع عبد الله بن شمراخ، والضحاكية أتباع الضحاك. والخوارج يقال لهم الشراة، وأحدهم شاري، مشتق من شرى الرجل إذا ألح، أو معناه يستشري بالشر،أو من قول الخوارج شرينا أنفسنا لدين الله فنحن لذلك شراة، وقيل أنه من قولهم شاريته أي لاححته وماريته، وقيل شرى الرجل غضبا إذا استطار غضبا، وقيل لهم هذا لشدة غضبهم على المسلمين.

☪

مناظرة ابن عباس لهم: قال علي بن نايف الشحود: روى ابن عبد البر بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما اجتمعت الحرورية يخرجون على علي، جعل يأتيه الرجل فيقول: يا أمير المؤمنين! إن القوم خارجون عليك؛ قال: دعهم حتى يخرجوا؛ فلما كان ذات يوم قلت: يا أمير المؤمنين! أبرد بالصلاة، فلا تفتني حتى آتي القوم؛ قال: فدخلت عليهم، وهم قائلون، فإذا هم مسهمة وجوههم من السهر، قد أثر السجود في جباههم، كأن أيديهم ثفن الإبل، عليهم قمص مرحضة، فقالوا: ما جاء بك، يا ابن عباس؟ وما هذه الحلة عليك؟ قلت: ما تعيبون من ذلك؟ فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه أحسن ما يكون من الثياب اليمنية؛ قال: ثم قرأت هذه الآية: "قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق"؛ قالوا: ما جاء بك؟ قال: جئتكم من عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله، جئت لأبلغكم عنهم، وأبلغهم عنكم؛ فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشا، فإن الله يقول: "بل هم قوم خصمون"، فقال بعضهم: بلى! فلنكلمنه؛ قال: فكلمني منهم رجلان أوثلاثة؛ قال: قلت: ماذا نقمتم عليه؟ قالوا: ثلاثا؛ فقلت: ما هن؟ قالوا: حكم الرجال في أمر الله، وقال الله تعالى: "إن الحكم إلا لله"؛ قال: هذه واحدة، وماذا أيضا؟ قالوا: فإنه قاتل فلم يسب، ولم يغنم، فإن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم، ولئن كانوا كافرين لقد حل قتالهم وسبيهم؛ قال: قلت: وماذا أيضا؟ قالوا: محا نفسه من إمرة المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين؛ قال: قلت: أرأيتم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله بما ينقض قولكم هذا، أترجعون؟ قالوا: ومالنا لا نرجع؟ قال: قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فإن الله قال في كتابه: "يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم"، وقال في المرأة وزوجها: "وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها"، فصير الله ذلك إلى حكم الرجال، فناشدتكم الله! أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وفي إصلاح ذات بينهم أفضل، أوفي دم أرنب ثمنه ربع درهم؟ وفي بضع امرأة؟ قالوا: بلى! هذا أفضل؛ قال: أخرجتم من هذه؟ قالوا: نعم! قال: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة؟ فإن قلتم نسبيها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم، فأنتم تترددون بين ضلالتين، أخرجتم من هذه؟ قالوا: بلى! قال: وأما قولكم: محا نفسه من إمرة المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون، إن نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب يا علي، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله؛ فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو: ما نعلم أنك رسول الله، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك؛ قال رسول الله: اللهم إنك تعلم أني رسولك، يا علي، اكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو؛ قال: فرجع منهم ألفان، وبقي بقيتهم فخرجوا فقتلوا أجمعون". انظر إلى بركة هذه المحاورة وفائدتها وسرعة نتائجها، رجوع ألفين منهم إلى حظيرة الجماعة، فهل بعد ذلك ييأس أحد من محاورة أولئك الشباب الذين ليس بينهم وبين الخوارج شبه؟

- قلت: اليوم أحفاد فرق الخوارج وفرق الشيعة وبعض السنة (!) المنحرفة وعلى رأسهم شياطين بدعة التصوف (الدين الجديد!) وعلماء السلطان والعسكر الخونة.. لسان حالهم يقول:﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف]

مراجع: سيرة عمر بن عبد العزيز/ الأعلام للزركلي/ موسوعة الدين النصيحة/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) وصاحب الروم 0483

أرسل عمر بن عبد العزيز إلى صاحب الروم رسولا ، فأتاه وخرج من عنده يدور، فمر بموضع فسمع فيه رجلا يقرأ القرآن ويطحن، فأتاه فسلم عليه فلم يرد عليه السلام، مرتين أو ثلاثا، ثم سلم عليه، فقال له: وأنى بالسلام في هذا البلد؟ فأعلمه أنه رسول عمر إلى صاحب الروم، فقال له: ما شأنك؟ فقال: إني أسرت من موضع كذاوكذا، فأتي بي إلى صاحب الروم فعرض علي النصرانية، فأبيت، فقال لي: إن لم تفعل سملت عينيك، فاخترت ديني على بصري، فسمل عيني وصيرني إلى هذا الموضع، يرسل إلي كل يوم بحنطة، فأطحنها وبخبزه فآكلها، فلما سار الرسول إلى عمر بن عبد العزيز، فأخبره خبر الرجل، قال: فما فرغت من الخبر حتى رأيت دموع عمر قد بلت ما بين يديه، ثم أمر فكتب إلى صاحب الروم: أما بعد، فقد بلغني خبر فلان بن فلان، فوصف له صفته، وأنا أقسم بالله لئن لم ترسله إلي لأبعثن إليك من الجنود جنودا يكون أولها عندك وآخرهم عندي، فلما رجع إليه الرسول، قال: ما أسرع ما رجعت! فدفع إليه كتاب عمر بن عبد العزيز، فلما قرأه، قال: ما كنا لنحمل الرجل الصالح على هذا، بل نبعث إليه به، فأقمت أنتظر متى يخرج به، فأتيته ذات يوم، فإذا هو قاعد قد نزل عن سريره أعرف فيه الكآبة، فقال: تدري لما فعلت هذا؟ فقلت: لا، وقد أنكرت ما رأيت، فقال: إنه قد أتاني من بعض أطرافي أن الرجل الصالح قد مات، فلذلك فعلت ما رأيت، ثم قال: إن الرجل الصالح، إذا كان بين القوم السوء لم يترك بينهم إلا قليلا حتى يخرج من بين أظهرهم، فقلت له: أتأذن لي أن أنصرف، وأيست من بعثه الرجل معي، فقال: ما كنا لنجيبه إلى ما أمر في حياته ثم نرجع فيه بعد مماته، فأرسل معه بالرجل.

كان ملك الروم بلغه أن عمر بن عبد العزيز سقي فأرسل إليه رأس الأساقفة وكتب إليه يعلمه حاله عنده وما يوجبه من الحق لمثله من أهل الخير وطاعة الله ويقول له: إنه قد بلغني أنك سقيت وقد بعثت إليك رأس الأساقفة وأطبهم ليعالجك مما بك فقدم عليه فقال له عمر: أنظر إلي فجسه، فقال: سقيت يا أمير المؤمنين، قال: فماذا عندك؟ قال: أسقيك حتى أستخرج ذلك من عروقك، فقال له عمر: لو كان روح الحياة بيدك ما مكنتك من ذلك، ارجع إلى صاحبك، لا حاجة لي في علاجك، ودعا بالذي اتهمه، فأقر له أنه قد سقاه، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خدعت وغررت، فقال عمر: نحه خدع وغر خلوه ولم يعرض له بشييء.

حدث محمد بن معبد، أن عمر بن عبد العزيز، أرسل بأسارى من أسارى الروم، ففادى بهم أسارى من أسارى المسلمين، قال: فكنت إذا دخلت على ملك الروم فدخلت عليه عظماء الروم خرجت، قال: فدخلت يوما فإذا هو جالس في الأرض مكتئبا حزينا، فقلت: ما شأن الملك؟ قال: وما تدري ما حدث؟ قلت: وما حدث؟ قال: مات الرجل الصالح، قلت: من؟ قال: عمر بن عبد العزيز، قال: ثم قال ملك الروم: لأحسب أنه لو كان أحد يحيي الموتى بعد عيسى ابن مريم عليه السلام لأحياهم عمر بن عبد العزيز، ثم قال: لست أعجب من الراهب أغلق بابه ورفض الدنيا وترهب وتعبد، ولكن أتعجب ممن كانت الدنيا تحت قدميه فرفضها ثم ترهب.

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

قال الوليد بن أبي السائب: ما رأيت أحدا قط أخوف من عمر. وقال سعيد بن سويد: صلى عمر بالناس الجمعة –وعليه قميص مرفوع الجيب من بين يديه ومن خلفه– فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع رأسه فقال: إن أفضل القصد عند الجدة وأفضل العفو عند القدرة. وعن عطاء عن عمر بن عبد العزيز: أنه أخر الجمعة يوما عن وقته الذي كان يصلي فيه، فقلنا له: أخرت الجمعة اليوم عن وقتك! قال: إن الغلام ذهب بالثياب يغسلها، فحبس بها، فعرفنا أنه ليس له غيرها، ثم قال: أما إني قد رأيتني وأنا بالمدينة وإني لأخاف أن يعجز ما رزقني الله عن كسوتي فقط، ثم قال يتمثل: قضى ما قضى فيما مضى ثم لم تكن..له عودة أخرى الليالي الغوابر. قال أبو سفيان القيني: كنت في حرس عمر، فكان على كل رجل منا موكل به إذا أبطأ عمر آذنه، فأبطأ في يوم جمعة، فقال لي المؤذن: آذنه. فدخلت، فوجدته يعتم على مرآة، فقلت: إن المؤذن قد استبطأك، قال: نعم، حبستني هذه العمامة، أصلح خروقاً فيها وأداريها. وعن الأوزاعي عن عمرو بن مهاجر قال كانت قمص عمر بن عبد العزيز وثيابه فيما بين الكعب والشراك. وعن رجاء بن حيوة قال: قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة باثني عشر درهما فذكر قميصه ورداءه وقباءه وسراويله وعمامته وقلنسوته وخفيه. وعن يوسف بن يعقوب الكاهلي قال: كان عمر بن عبد العزيز يلبس الفرو الغليظ وكان سراجه على ثلاث قصبات فوقهن طين. وعن رباح بن عبيدة قال: كنت أتجر فقال لي عمر بن عبد العزيز: يا رباح اتخذ لي كسائين بن عبيدة قال: خزا اتخذ أحدهما محبسا والآخر شعارا قال: ففعلت فصنعتهما بالبصرة، فلم آل ثم قدمت بهما فأمر بقبضهما فلما اصبح غدوت عليه، فقال لي: يا رباح ما أجود ثوبيك، لولا خشونة فيهما، فلما ولى قال لي: يا رباح اتخذ لي من هذه الجباب الهروية عامل قطن فيهن صغر، قال: فاشتريت له ثلاث شقق فقطعت من الثلاث جبتين خشنتين ثم أتيت بهما اليه، فقبضهما، فقال لي: يا رباح، ما أجود ثوبيك، لولا لين فيهما، قال: فذكرت قوله الأول وقوله الآخر.

قال مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز: اشتريت لعمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة للوليد كساء خز بستمائة دينار أو سبعمائة دينار فجعل يجسه ويقول: إنه خشن فلما ولي الخلافة قال: إني لأجد البرد بالليل فاشتريت له كساء بعشرة دراهم فلما أتيته به جعل يجسه ويقول: إنه للين، فضحكت فقال: مم تضحك؟! فقلت: ما تذكر حين اشتريت لك كساء بستمائة دينار أو بسبعمائة فجعلت تقول: إنه لخشن وتقول: لهذا إنه للين؟!، فقال: يا مزاحم والله لئن كان عيش سليمان بن عبد الملك وعيش زياد مولى ابن عياش واحدا لأن أعيش في الدنيا بعيش سليمان أحب إلي ولئن كان زياد مولى ابن عياش صبر في الدنيا على العيش الذي يعيشه لكي يطيب له العيش في الآخرة فوالله لأن أصبر على مثل عيش زياد هذه الأيام القلائل ليطيب لي العيش في الآخرة في تلك الأيام الكثيرة أحب إلي.

مراجع: سيرة عمر بن عبد العزيز/ الأعلام للزركلي/

لما دخل زياد العبدي[1] على عمر بن عبد العزيز قال يا زياد ألا ترى إلى ما ابتليت به من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا تعمل نفسك في الوصف واعملها في المخرج مما وقعت فيه، فلو أن كل شعرة فيك نطقت بحمد الله وشكره والثناء عليه ما بلغت كنه* ما أنت فيه، ثم قال له زياد: يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألد ما حاله ؟ قال: سيئ الحال، قال: فإن كانا خصمين الدين ؟ قال: فهو أسوأ حالا، قال: فإن كانوا ثلاثة ؟ قال: ذاك حيث لا يهنئه عيش.قال: فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا وهو خصمك، قال: فبكى عمر حتى تمنيت أني لم أكن حدثته ذلك.

حدث يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه عن زياد[2] مولى ابن عياش، قال: لو رأيتني دخلت على عمر بن عبد العزيز في ليلة شاتية وفي بيته كانون وعمر على كتابه فجلست أصطلي على الكانون فلما فرغ من كتابه مشى إلي عمر حتى جلس معي على الكانون وهو خليفة، فقال: زياد بن أبي زياد! فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: قص علي، قلت: يا أمير المؤمنين ما أنا بقاص، قال: فتكلم، قلت زياد قال: وما له؟ قال: لا ينفعه من دخل الجنة غدا إذا دخل النار ولا يضره من دخل النار غدا إذا دخل الجنة قال: صدقت والله ما ينفعك من دخل الجنة إذا دخلت النار ولا يضرك من دخل النار إذا أنت دخلت الجنة. قال: فلقد رأيت عمر يبكي حتى طفى بعض ذلك الجمر الذي على الكانون.قال إبراهيم الزهري: جلس إلي يوما زياد مولى ابن عياش قال: يا عبد الله، قلت: وما تشاء؟ قال: ما هي إلا الجنة والنار.قلت: والله ما هي إلا الجنة والنار.قال: وما بينهما منزل تنزله العباد. قال: فوالله إن نفسي لنفس أضن بها عن النار، والصبر اليوم عن معاصي الله خير من الصبر على الأغلال.

عن زياد بن أبي زياد المديني قال: أرسلني ابن عامر بن أبي ربيعة إلى عمر بن عبد العزيز في حوائج له فدخلت عليه وعنده كاتب يكتب فقلت: السلام عليكم. فقال: وعليك السلام ثم انتبهت فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: يا ابن أبي زياد أننا لسنا ننكر الأولى* التي قلت، والكاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة، فقال: لي اجلس، فجلست على اسكفة الباب وهو يقرأ وعمر يتنفس صعدا فلما فرغ أخرج من كان في البيت حتى وصيفا كان فيه ثم قام يمشي إلي حتى جلس بين يدي ووضع يديه على ركبتي ثم قال: يا ابن أبي زياد استدفأت في مدرعتك هذه، قال: وعلي مدرعة من صوف واسترحت مما نحن فيه ثم سألني عن صلحاء أهل المدينة رجالهم ونسائهم فما ترك منهم أحدا إلا سألني عن أمور كان أمر بها بالمدينة فأخبرته ثم قال: لي يا ابن أبي زياد إلا ترى ما وقعت فيه؟ قلت: ابشر يا أمير المؤمنين أني أرجو لك خيرا قال: هيهات هيهات قال: ثم بكى حتى جعلت ارثي له فقلت: يا أمير المؤمنين بعض ما تصنع فإني أرجو لك خيرا قال: هيهات هيهات اشتم ولا اشتم وأضرب ولا أضرب وأوذي ولا أوذي ثم بكى حتى جعلت أرثي له فأقمت حتى قضى حوائجي ثم أخرج من تحت فراشه عشرين دينارا فقال: استعن بهذه فانه لو كان لك في الفيء حق أعطيناك حقك إنما أنت عبد فأبيت أن آخذها فقال: إنما هي نفقتي فلم يزل بي حتى أخذتها وكتب إلي مولاي الموالي يسأله أن يبيعني منه فأبى واعتقني.

وفي رواية قال: قدم عليه زياد مولى ابن عياش وأصحاب له فأتى الباب وبه جماعة من الناس فأذن له دونهم فدخل عليه فنسي أن يسلم عليه بالخلافة، ثم ذكر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: والأولى لم تضرني ثم نزل عمر عن موضع كان عليه إلى الأرض وقال: إني أعظم أن أكون في موضع أعلو فيه على زياد، فلما قضى زياد ما يريد خرج، فأمر عمر خازن بيت المال أن يفتحه لزياد ومن معه يأخذون منه حاجتهم، فنظر إليه خازن بيت المال فاقتحمته عينه–أي ازدراه– عن أن يكون يفتح لمثله بيت المال ويسلط عليه وهو بغير عارف، فدخل زياد فأخذ لنفسه ولأصحابه بضعا وثمانين درهما أو بضعا وتسعين درهما فلما رأى ذلك الخازن، قال: أمير المؤمنين أعلم بمن يسلط على بيت المال.

حدث ابن وهب قال: حدثني يعقوب قال: أراه عن أبيه قال: أذن عمر بن عبد العزيز لزياد بن أبي زياد والأمويون هناك ينتظرون الدخول عليه قال هشام: أما رضي ابن عبد العزيز أن يصنع ما يصنع حتى أذن لعبد ابن عياش يتخطى رقابنا، فقال الفرزدق[3]: من هذا ؟. قالوا: رجل من أهل المدينة من القراء عبد مملوك، فقال الفرزدق: أيه القارئ المقضي حاجته..هذا زمانك إني قد خلا زمني.

قال مزاحم[4] مولى عمر بن عبد العزيز: اشتريت لعمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة للوليد كساء خز* بستمائة دينار أو سبعمائة دينار فجعل يجسه ويقول: إنه خشن فلما ولي الخلافة قال: إني لأجد البرد بالليل فاشتريت له كساء بعشرة دراهم فلما أتيته به جعل يجسه ويقول: إنه للين، فضحكت فقال: مم تضحك؟! فقلت: ما تذكر حين اشتريت لك كساء بستمائة دينار أو بسبعمائة فجعلت تقول: إنه لخشن وتقول: لهذا إنه للين؟!، فقال: يا مزاحم والله لئن كان عيش سليمان بن عبد الملك وعيش زياد مولى ابن عياش واحدا لأن أعيش في الدنيا بعيش سليمان أحب إلي ولئن كان زياد مولى ابن عياش صبر في الدنيا على العيش الذي يعيشه لكي يطيب له العيش في الآخرة فوالله لأن أصبر على مثل عيش زياد هذه الأيام القلائل ليطيب لي العيش في الآخرة في تلك الأيام الكثيرة أحب إلي.

---

*(الخز) ثياب تنسج من صوف وحرير(إننا لسنا ننكر الأولى) يعني بالأولى التحية المجردة عن مناداته بإمارة المؤمنين.

■ (1) زياد العبدي..؟.هل هو زياد بن سليم ويقال ابن سليمان ويقال ابن سلمى أبو أمامة العبدي المعروف بزياد الأعجم مولى عبد القيس ولقب بالأعجم لعجمة كانت في لسانه.أحد فحول الشعر العربي بخراسان ولد ونشأ في أصفهان وانتقل إلى خراسان، فسكنها وطال عمره ومات فيها في حدود سنة 100 هـ. أدرك أبا موسى الأشعري، وعثمان بن أبي العاص، وشهد معهما فتح إصطخر وحدث عنهما، ووفد على هشام بن عبد الملك وشهد وفاته بالرصافة، امتدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وغيره، وله في المغيرة مدائح، ورثاء في المهلب بن أبي صفرة.

■ (2) زياد بن ميسرة، وهو زياد بن أبي زياد، واسم أبي زياد ميسرة مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة القرشي المدني المخزومي.روى عن مولاه ابن عياش وأنس بن مالك وعمر بن عبد العزيز وأبي بحرية وعراك بن مالك. كان رجلا عابدا معتزلا لا يزال يكون وحده يذكر الله وكانت فيه لكنة. وكان يلبس الصوف ولا يأكل اللحم. وكانت له دريهمات يعالج له فيها.وقد أعانه الناس في فكاك رقبته وأسرع الناس في ذلك، ففضل بعد الذي قوطع عليه مال كثير، فرده زياد إلى من كان أعانه بالحصص وكتبهم عنده، ولم يزل يدعو لهم حتى مات. قيل: مات سنة 135 هـ.

■ (4) مزاحم بن أبي مزاحم المكي مولى عمر بن عبد العزيز، وقيل: مولى طلحة. أصله من سبي البربر. قيل: إنه سقط فمات. قال ميمون بن مهران: ما رأيت ثلاثة في بيت خيرا من عمر بن عبد العزيز، وابنه عبد الملك ومولاه مزاحم.

■ (3) همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم أبو فراس بن أبي خطل التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن أبي هريرة، والحسين، وابن عمر، وأبي سعيد، وطائفة. وعنه الكميت، ومروان الأصفر، وخالد الحذاء، وأشعث الحمراني، والصعق بن ثابت، وابنه لبطة، وحفيده أعين بن لبطة.ولد الفرزدق سنة 38 هـ، و توفي في البصرة سنة 110 هـ.

☪

قال رجاء بن حيوة[1] : كان عمر بن عبد العزيز من أعطر الناس وأخليهم في مشيته فلما استخلف قوموا ثيابه اثني عشر درهما كمته وعمامته وقميصه وقباءه وقرطقه*ورداءه وخفيه. وقال ابن أبي شبيب[2]: شهدت عمر بن عبد العزيز وهو يطوف بالبيت وإن حجزة إزاره* لغائبه في عنكه* ثم رأيته بعدما استخلف ولو شئت أن اعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت.وعن أبي إسماعيل عن أبيه قال: رأيت عمر بن عبد العزيز وقد ركب يوما وقد بدت ساقه أو ركبته من ضيق أسفل قميصه.

☪

قال محمد بن المنكدر[3] إني خلفت زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش وهو يخاصم نفسه في المسجد يقول اجلسي أين تريدين أين تذهبين أتخرجين إلى أحسن من هذا المسجد انظري ما فيه تريدين أن تبصري دار فلان ودار فلان وكان يقول لنفسه ما لك من الطعام يا نفس إلا هذا الخبز والزيت وما لك من الثياب إلا هذين الثوبين وما لك من النساء إلا هذه العجوز أفتحبين أن تموتي فقالت أنا أصبر على هذا العيش. وحدث محمد بن عبد المجيد التميمي قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول قال زياد مولى ابن عياش لمحمد بن المنكدر وصفوان بن سليم: الجد الجد والحذر الحذر فإن يكن الأمر على ما نرجوه كان ما عملتما فضلا وإلا لم تلوما أنفسكما. قال سفيان وقال عامر بن عبد الله: والله لأجهدن ثم والله لأجهدن فإن نجوت فبرحمة ربي وإلا لم ألم نفسي. وحدث يحيى بن الفضل الأبيسي قال: سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلي إذا استبكى فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله فسألوه: ما الذي أبكاك؟ فاستعجم عليهم، فتمادى في البكاء فأرسلوا إلى أبي حازم واخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكي فقال: يا أخي ما الذي أبكاك قد رعت أهلك؟ فقال له إني مرت بي آية من كتاب الله عز وجل. قال: ما هي؟ قال: قول الله عز وجل:﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر] قال: فبكى أبو حازم معه واشتد بكاؤهما. قال: فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه فزدته. قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما. عن الحارث بن الصواف قال: قال محمد بن المنكدر: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت. وكان له جار مبتلى فكان يرفع صوته من الليل يصيح وكان محمد يرفع صوته بالحمد. فقيل له في ذلك فقال: يرفع صوته بالبلاء وأرفع صوتي بالنعمة.

☪

عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿يَا ابْنَ آدَمَ، اعْمَلْ كَأَنَّكَ تُرَى، وَعُدَّ نَفْسَكَ مَعَ الْمَوْتَى، وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ﴾ روى البيهقي عن أبي هريرة: ﴿أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: إِنَّ الظَّالِمَ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: بَلَى وَاللَّهِ، حَتَّى الْحُبَارَى لَتَمُوتُ فِي وَكْرِهَا هُزْلًا لِظُلْمِ الظَّالِمِ﴾ (الحبارى) طير مشهور. قال ابن عطية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..﴾ [التوبة] الشهادة ماحية لكل ذنب إلا لمظالم العباد. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ﴾ (الجلحاء) هي الجماء التي لا قرن لها. وهذا في قصاص المقابلة. وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي، فَلَا تَظَالَمُوا﴾. عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾ قال العلماء الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وهو ما تحت نظره ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته.

---

*(حجزة إزاره) مشد إزاره تجمع على حجز (عنكه) الطي في البطن من السمن (قرطق) أي قباء وهو تعريب كرته

■ (1) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام، ويقال أبو نصر، وهو تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية، روى عن أبي صالح السمان. روى عنه محمد بن عجلان. توفي سنة 112 هـ. وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية.

■ (3) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهذير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو بكر المدني، أخو أبي بكر بن المنكدر، وعمر بن المنكدر.أسند محمد بن المنكدر عن ابن عمر وأبي قتادة وجابر وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وأميمة بنت رقيقة. وروى عن كبار التابعين كالحسن وعروة وسعيد بن خير والزهري وأبي حازم ويحيى بن سعيد وأيوب ويونس بن عبيد، في خلق يطول ذكرهم. وعن ابن زيد قال: أتى صفوان بن سليم إلى محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال: يا أبا عبد الله كأني أراك قد شق عليك الموت؟ قال: فما زال يهون عليه الأمر وينجلي عن محمد حتى لكأن في وجهه المصابيح. ثم قال له محمد: لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك. ثم قضى رحمه الله.توفي بالمدينة سنة 130 هـ أو131 هـ

■ (2) يونس بن أبي شبيب الرقي، روى عن ميمون بن مهران، وطاووس بن كيسان، وابن جريج. روى عنه جعفر بن برقان، وإبراهيم بن بكار، ويحيى بن كهمس الأسدي الرقيون، ومحمد بن الحكم السلمي. وفد على عمر بن عبد العزيز.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ صحيح مسلم/ سراج الملوك/ مسند أحمد/ تاريخ دمشق/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ فوات الوفيات/ الزواجر عن اقتراف الكبائر/ الكامل في التاريخ/ سيرة عمر بن عبد العزيز/

قال أبو محمد بن عبد الحكم: مر عمر بن عبد العزيز ذات يوم بالمدينة في ولايته وهو يسحب ثوبه فناداه محمد بن كعب[1] يا عمر إن، رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَا جَاوَزَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ﴾ فالتفت إليه مغضبا فقال: اتق الله يا ابن كعب، لا تكن ذبالة تضيء للناس وتحرق نفسها، فلما ولي عمر الخلافة سأل عن محمد بن كعب القرظي فأخبر أنه غاز فكتب إلى عامله على الدروب يأمره أن يجهزه ويسرحه إن خرج إليه من غزوه إلا أن يكره ذلك فيعفيه، فلما خرج محمد إلى العامل سأله أن يسير إلى عمر وأقرأه الكتاب، قال: أما الجهاز فلا حاجة لي به، أنا أقوى وقد كنت أردت المسير إليه لو لم يأت كتابه في أمري، فتوجه إلى عمر فلما دخل رآه على هيئة غير الهيئة التي كان عهده عليها، فقال: يا محمد استغفر لي من سوء مردودي عليك حين وعظتني بالمدينة، وبكى حتى اخضلت* لحيته، فقال محمد: غفر الله لك يا أمير المؤمنين وأقالك عثرتك، وجعل يكثر اللحظ إلى عمر يقلب فيه بصره، فقال عمر: يا محمد، فيم تنظر إلي؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أنظر وأتعجب فأقول: أين ذاك اللون النضير والشعرة الحسنة والبدن الريان؟ فقال عمر: فكيف لو رأيتني بعد ثلاث من دفني وقد سقطت حدقتاي على خدي وسال منخراي وفمي صديدا ودودا كنت أشد نكرة لي منك اليوم.

وفي رواية قال محمد بن كعب القرظي: عهدت عمر بن عبد العزيز وهو أمير علينا بالمدينة للوليد بن عبد الملك وهو شاب غليظ ممتلئ الجسم، فلما استخلف أتيته بـ خناصرة، فدخلت عليه وقد قاسى ما قاسى، فإذا هو قد تغيرت حاله عما كان، فجعلت أنظر إليه نظرا لا أكاد أصرف بصري عنه، فقال انك لتنظر إلي نظرا ما كنت تنظره إلي من قبل يا ابن كعب!، قلت تعجبني يا أمير المؤمنين، قال وما عجبك!. قلت لما حال من لونك ونفى من شعرك ونحل من جسمك. قال فكيف لو رأيتني يا ابن كعب في قبري بعد ثالثه حين تقع حدقتي على وجنتي ويسيل منخري وفمي صديدا ودودا كنت لي أشد نكرة. وفي رواية دخل عليه زياد المولى أحد العلماء، فرأى وجهه شاحبا باكيا، أثر الدموع في أجفانه، أثر الجوع والفقر على خديه، ثوبه مرقع، قال: يا أمير المؤمنين: أين القصور التي كنت تسكنها، والملابس التي كنت تلبسها، والنعيم الذي كنت تعيشه، قال: هيهات يا زياد، ذهب ذلك، لعلي تغيرت عليك. قال: أي والله، قال: كيف بي لو رأيتني بعد ثلاث ليال، إذا طرحت في القبر، وقطعت أكفاني، وسار الدود على خدي، وأكل عيني، ووقع التراب على أنفي، والله لقد كنت أشد تغيرا مما تراه!!.

قال محمد بن كعب القرظي: دخلت على عمر بن عبد العزيز لما استخلف وقد نحل جسمه ونفى شعره وتغير لونه وكان عهدنا به بالمدينة أميرا علينا حسن الجسم ممتلئ البضعة فجعلت أنظر اليه نظرا لا أكاد أصرف بصري عنه، فقال يا ابن كعب: ما لك تنظر إلي نظرا ما كنت تنظره إلي قبل؟! قال: فقلت: لعجبي! قال: ومماذا عجبك؟ فقلت: لما نحل من جسمك ونفى من شعرك وتغير من لونك، قال: وكيف لو رأيتني بعد ثلاث في قبري حين تقع عيناي على وجنتي ويسيل منخري وفمي دودا وصديدا لكنت لي أشد نكرة منك اليوم! أعد علي حديث ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أفضل المجالس ما استقبل به القبلة وأنما تتجالسون بالأمانة لا تصلوا خلف النائم ولا المحدث واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في صلاتكم ولا تستروا الجدر بالثياب ألا ومن نظر منكم في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده ألا أنبئكم بشر من ذلك من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا ألا أنبئكم بشر من ذلك من يبغض الناس ويبغضونه ألا أنبئكم بشر من ذلك من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره إن عيسى بن مريم قام في قومه فقال يا بني إسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا تجاوروا ظالما فيبطل فضلكم عند ربكم إنما الأمور ثلاثة فأمر بين رشده فاتبعوه وأمر بين غيه فاجتنبوه وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله.

وفي رواية قال محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين إنما الدنيا سوق من الأسواق، فمنها خرج الناس بما ربحوا فيها لآخرتهم وخرجوا بما يضرهم، فكم من قوم غرهم مثل الذي أصبحت فيه حتى أتاهم الموت فخرجوا من الدنيا مرملين*، لم يأخذوا من الدنيا للآخرة، فأخذ مالهم من لا يحمدهم وصاروا إلى من لا يعذرهم؟ فانظر إلى الذي تحب أن يكون معك فقدمه بين يديك حتى تخرج إليه، وانظر الذي تكره أن يكون معك إذا قدمت فابتغ به البدل حيث يجوز البدل، ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على غيرك ترجو رواجها عندك، يا أمير المؤمنين افتح الأبواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم. وسأل عمر بن عبد العزيز، محمد بن كعب القرظي، فقال: صِفْ لي العدل. فقال: كل مسلم أكبر منك، فكن له ولدًا، ومن كان أصغر منك، فكن له أبًا، ومن كان مثلك، فكن له أخًا، وعاقب كلَّ مُجرم على قدر جرمه، وإياك أن تضرب مُسلمًا سوطًا واحدًا على حقد منك، فإن ذلك يُصيِّرك إلى النار.

----

*(فحيهلا) أي أقبل وأسرع. وفي حديث ابن مسعود: إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر.أي أقبل وأسرع أي فأقبل بعمر وأسرع قال وهي كلمتان جعلتا واحدة فحي بمعنى أقبل وهلا بمعنى أسرع وقيل بمعنى اسكت عند ذكره حتى تنقضي فضائله (المرمل) الذي نفد زاده (اخضلت) ابتلت

■ (1) محمد بن كعب القرظي أبو حمزة أو أبو عبد الله. وقد ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، اسند محمد بن كعب عن عدد من الصحابة.ومات سنة 117 هـ أو 118 هـ وقيل سنة 129 هـ وقيل كان يقص على أصحابه فسقط المسجد عليه وعليهم فقتلهم رحمهم الله.

☪

دخل خالد بن عبد الله القسري[1] على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة، فقال: يا أمير المؤمنين، من تكون الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها، ومن تكون شرفته فأنت قد شرفتها، وأنت كما قال الشاعر: وإذا الدر زان حسن وجوه..كان للدر حسن وجهك زينا. فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أعطي صاحبكم مقولا ولم يعط معقولا.

قال هشام بن مصاد[2]:كنت جالسا مع عمر بن عبد العزيز نتحدث إذ بكى، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما يبكيك؟ قال: يا هشام، إن في الجسد مضغة إليها يأوي خيره وشره، فأصلحوا قلوبكم تصلحوا، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا آخر لمن لا خشية له، وإن أيمن أحدكم وأشأمه لسانه، فمن حفظ لسانه أراح نفسه، وسلم المسلمون منه. وإن أقواما صحبوا سلطانهم بغير ما حق عليهم فعاشوا بخلاقهم، وأكلوا بألسنتهم، وخلفوا الأمة بالمكر والخيانة والخديعة، ألا وكل ذلك في النار. ألا فلا يقربنا من أولئك أحد ولا سيما خالد بن عبد الله، وعبد الله بن الأهتم، فإنهما رجلان بينان وبعض البيان يشبه السحر. ألا وإن كل راع مسؤول عن رعيته، وكل وزير مأخوذ بجنايته، ومعروض عليه قوله، لا إقالة له فيه، فمن صحبنا بخمس: فأبلغنا حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ودلنا على ما لا نهتدي له من العدل، وأعاننا على الخير وترك ما لا يعنيه وأدى الأمانة التي حملها منا ومن جماعة المسلمين فحيهلا *به ومن كان على غير ذلك ففي غير حل من صحبتنا والدخول علينا.

ثم جاء مولاه مزاحم. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا محمد بن كعب بالباب.. وعن المبارك بن سعيد عن أبي حمزة الثمالي قال: أطرى ابن الأهتم بني أمية، وأفرط في مدحهم فقال عمر: من سره أن ينظر إلى الأفاك الأثيم فلينظر إلى ابن الأهتم.

حكى عبد الله بن بكر قال: حدثني شيخ من بني سليم، أن عمر بن عبد العزيز كان عنده هشام بن مصاد، قال عبد الله بن بكر: أحسبه كانا يتحدثان، فذكر عمر شيئا فبكى، فأتاه مولاه مزاحم، فقال: إن محمد بن كعب القرظي بالباب، فقال: أدخله فدخل وعمر يمسح عينيه من الدموع، فقال له محمد: ما الذي أبكاك يا أمير المؤمنين؟ قال: أبكاني هشام ،حين ذكرني وقوفي بين يدي ربي، فقال له محمد: يا أمير المؤمنين، إنما الدنيا سوق من الأسواق فمنها خرج الناس بما نفعهم ومنها خرجوا بما ضرهم، فلا تكن من قوم قد غرهم منها مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا منها ملومين لم يأخذوا لما أحبوه من الآخرة عدة، ولا لما كرهوا جنة، فاقتسم ما جمعوا من لا يحمدهم وصاروا إلى من لا يعذرهم، فانظر يا أمير المؤمنين إلى تلك الأعمال التي تغيظهم بها فاخلفهم فيها وإلى الأعمال التي تتخوف عليهم منها فكف عنها، وانظر إلى الذي تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك فاصنع منه وابدل حيث يوجد البدل، ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك، فاتق الله يا أمير المؤمنين، وافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم واردع الظالم، يا أمير المؤمنين ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان، من إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له، قال: فاشتد بكاء عمر بن عبد العزيز، وعلا نحيبه قال: اللهم، أعني على ما ابتليتني به من أمر عبادك وبلادك، وارزقني فيهم العمل بطاعتك، واختم لي بخير منك وعافية منه.

☪

دخل محمد بن كعب القرظي على سليمان بن عبد الملك في ثياب رثة، فقال له سليمان: ما يحملك على لبس هذا؟ قال: أكره أن أقول الزهد فأطري نفسي، أو أقول الفقر فأشكو ربي. ومثل ذلك: دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم بخراسان، وعليه جبة صوف، فقال له قتيبة: ما يدعوك إلى لبس هذه؟ فسكت؛ فقال قتيبة: أكلمك فلا تجيبني؟ فقال: أكره أن أقول: زهدا؛ فأزكي نفسي أو: فقرا؛ فأشكو ربي.وعن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال: إذا أراد الله بعبد خيرا جعل فيه ثلاث خصال فقها في الدين وزهادة في الدنيا وبصرا بعيوبه. روى أبو كثير النصري قال: قالت أم محمد بن كعب القرظي لمحمد: يا بني لولا أني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا لظننت أنك أحدثت ذنبا موبقا لما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار، قال: يا أماه، وما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع علي وأنا في بعض ذنوبي فمقتني، فقال: اذهب لا اغفر لك مع أن عجائب القرآن ترد بي على أمور حتى انه لينقضي الليل ولم افرغ من حاجتي. وقال محمد بن كعب: لان أقرا في ليلتي حتى اصبح ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة] و﴿الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة] لا أزيد عليهما وأتفكر فيهما وأتردد أحب إلي من أن اهذ* القرآن هذا أو قال: انثره نثرا. وعن عيسى بن يونس قال: كنا عند محمد بن كعب القرظي فاتاه رجل فقال: يا عبد الله ما تقول في التوبة؟ قال: ما أحسنها، قال: أفرأيت إن أعطيت الله عهدا أن لا اعصيه أبدا ؟! فقال له محمد: فمن حينئذ أعظم جرما منك تتألى على الله أن لا ينفذ فيك أمره.

☪

كتب عمر إلى القرظي: أما بعد، فقد بلغني كتابك تعظني وتذكر ما هو لي حظ وعليك حق، وقد أصبت بذلك أفضل الأجر، إن الموعظة كالصدقة بل هي أعظم أجرا وأبقى نفعا وأحسن ذخرا وأوجب على المرءالمؤمن، حقا لكلمة يعظ بها الرجل المؤمن أخاه ليزداد بها في هدى رغبة خير من مال يتصدق به عليه، وإن كان به إليه حاجة ولما يدرك أخوك بموعظتك من الهدى خير مما ينال بصدقتك من الدنيا، ولأن ينجو رجل بموعظتك من هلكة خير من أن ينجو بصدقتك من فقر، فعظ من تعظه لقضاء حق عليك واستعمل كذلك نفسك حين تعظ وكن كالطبيب المجرب العالم الذي قد علم أنه إذا وضع الدواء حيث لا ينبغي أعنته وأعنت نفسه، وإذا أمسكه من حيث ينبغي جهل وأثم، وإذا أراد أن يداوي مجنونا لم يداوه وهو مرسل حتى يستوثق منه ويوثق له خشية أن لا يبلغ منه من الخير ما يتقي منه من الشر، وكان طبه وتجربته مفتاح عمله، واعلم أنه لم يجعل المفتاح على الباب لكيما يغلق فلا يفتح او ليفتح فلا يغلق، ولكن ليغلق في حينه ويفتح في حينه، والسلام.

----

*(الهذ) سرعة القطع وسرعة القراءة وقد هذ القرآن يهذه هذا يقال هو يهذ القرآن هذا إذا أسرع فيه وتابعه وهو مجاز وكذا هذ الحديث إذا سرده

■ (1) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري. أبو يزيد وأبو الهيثم. كان أمير مكة المكرمة للوليد بن عبد الملك، ثم أمير العراقين لهشام بن عبد الملك، ثم عزل وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج.وقتل بالحيرة سنة 126هـ.

■ (2) هشام بن مصاد بن زياد أبو زياد الكلبي ثم العليمي، أخو معاوية وعبد الرحمن ويزيد بني مصاد. من فرسان كلب.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ سراج الملوك/ لسان العرب/ تاج العروس/ تاريخ مدينة دمشق/ العقد الفريد/ تاريخ الخلفاء للسيوطي/ المعرفة والتاريخ/ مختصر تاريخ دمشق/ الرقة والبكاء/ أنساب الأشراف/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ موسوعة الخطب والدروس/

قال خالد بن معدان: دخل عبد الله بن الأهتم[1] على عمر بن عبد العزيز مع العامة فلم يفجأ عمر إلا وهو بين يديه يتكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد. فإن الله خلق الخلق غنيا عن طاعتهم آمنا لمعصيتهم، والناس يومئذ في المنازل، والرأي مختلفون، والعرب بشر تلك المنازل، أهل الحجر وأهل الوبر وأهل الدبر تحتاز دونهم طيبات الدنيا ورخاء عيشها، لا يسألون الله جماعة، ولا يتلون كتابا، ميتهم في النار، وحيهم أعمى يحشر مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه. فلما أراد الله أن ينشر عليهم رحمته بعث إليهم رسولا من أنفسهم ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة] صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته فلم يمنعهم ذلك أن جرحوه في جسمه، ولقبوه في اسمه، ومعه كتاب من الله ناطق لا يقدم إلا بأمره، ولا يرحل إلا بإذنه. فلما أمر بالعزمة وحمل على الجهاد انبسط لأمر الله فأفلج الله حجته، وأجاز كلمته، وأظهر دعوته، وفارق الدنيا تقيا نقيا.ثم قام بعده أبو بكر[2] فسلك سنته وأخذ سبيله، وارتدت العرب – أو من فعل ذلك منهم– فأبى أن يقبل منهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الذي كان قابلا، أشرع السيوف من أغمادها، وأوقد النيران في شعلها ثم ركب بأهل الحق أهل الباطل، فلم يبرح يقطع أوصالهم ويسقي الأرض دماءهم حتى أدخلهم في الذي خرجوا منه، وقررهم بالذي نفروا عنه، وقد كان أصاب من مال الله بكرا يرتوي عليه، وحبشية أرضعت ولدا له فرأى ذلك عند موته غصة في حلقه، فأدى ذلك إلى الخليفة من بعده وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه. ثم قام بعده عمر بن الخطاب[3] فمصر الأمصار وخلط الشدة باللين. وحسر عن ذراعيه وشمر عن ساقيه، وأعد للأمور أقرانها، وللحرب آلتها. فلما أصابه قين المغيرة بن شعبة أمر ابن عباس يسأل الناس: هل يثبتون قاتله؟ فلما قيل: قين* المغيرة بن شعبة[4]يقال له فيروز[5] يكنى بأبي لؤلؤة فأمر ابن عباس[6] ينادي في الناس فقال: هل تعلمون قاتلي؟ فقالوا: قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، استهل بحمد ربه أن لا يكون أصابه ذو حق في الفيء فيحتج عليه بأنه إنما استحل دمه بما استحل من حقه. وقد كان أصاب من مال الله بضعة وثمانين ألفا فكسر لها رباعه وكره بها كفالة أولاده، فأداها إلى الخليفة من بعده وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه. ثم إنك يا عمر بني الدنيا، ولدتك ملوكها وألقمتك ثديها فربيت فيها تلتمسها مظانها. فلما وليتها ألقيتها حيث ألقاها الله، هجرتها وجفوتها وقذرتها إلا ما تزودت منها. فالحمد لله الذي جلا بك حوبتنا، وكشف بك كربتنا فامض ولا تلتفت، فإنه لا يعز على الحق شيء، ولا يذل على الباطل شيء. أقول قولي وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات. قال أبو أيوب: فكان عمر بن عبد العزيز يقول في شيء قال لي ابن الأهتم: امض ولا تلتفت.

عن المبارك بن فضالة، قال: دخل عبد الله بن الأهتم على عمر بن عبد العزيز وهو جالس على سرير، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم أخذ في موعظته الطويلة، فنزل عمر عن سريره حتى استوى بالأرض ، وجثا على ركبتيه، وابن الأهتم يقول: وأنت يا عمر وأنت يا عمر من أولاد الملوك، وأبناء الدنيا الذين ولدوا في النعيم ، وغذوا به، لا يعرفون غيره وعمر يبكي ويقول: هيه هيه* ابن الأهتم هيه ، فلم يزل يعظه ، وعمر يبكي، حتى غشي عليه.

قال إبراهيم بن بشار: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد بن صفوان: عظني وأوجز قال: فقال خالد: يا أمير المؤمنين إن أقواما غرهم ستر الله عز وجل وفتنهم حسن الثناء فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين وبثناء الناس مسرورين وعن ما افترض الله متخلفين ومقصرين، وإلى الأهواء مائلين، قال: فبكي، ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى. ودخل على عمر بن عبد العزيز فقال له: عظني يا خالد، فقال: إن الله تعالى لم يرض أحدا أن يكون فوقك فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر منك. فبكى عمر حتى أغمي عليه. ثم أفاق فقال: هيه يا خالد، لم يرض أن يكون أحد فوقي، فو الله لأخافنه خوفا ولأحذرنه حذرا ولأرجونه رجاء ولأحبنه محبة ولأشكرنه شكرا ولأحمدنه حمدا يكون ذلك كله أشد مجهودي وغاية طاقتي، ولأجتهدن في العدل والنصفة والزهد في فاني الدنيا لزوالها والرغبة في بقاء الآخرة لدوامها حتى ألقى الله عز وجل، فلعلي أنجو مع الناجين وأفوز مع الفائزين، وبكى حتى غشي عليه.

----

*(قين) القين الحداد وجمع قيون والقين أيضا العبد والقينة الأمة مغنية كانت أو غير مغنية والجمع القيان (هيه) معناها طلب الاستزادة من الحديث

(1) عبد الله بن الأهتم يروي عن المدنيين وعمر بن عبد العزيز روى عنه أهل الشام. وفد على سليمان بن عبد الملك رسولا من يزيد بن المهلب.ودخل على عمر بن عبد العزيز فوعظه. قال محمد خلف سلامة: هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري: من فصحاء العرب المشهورين.كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار. ولد ونشأ بالبصرة. وكان أيسر أهلها مالا، ولم يتزوج.له كلمات سائرة، قيل له: أي إخوانك أحب إليك؟ فقال: الذي يغفر زللي ويقبل عللي ويسد خللي. عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي وحظي عنده. وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشئ وذمه. وكان يعارض شبيب بن شيبة، لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة. وجمع بعض كلامه في كتاب. وكان يرمى بالبخل. وكف بصره. توفي نحو 133 هـ أو 135 هـ.

(2) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

(3) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

(4) المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق، شهد الحديبية مع رسول الله، وشهد اليمامة وفتح الشام والقادسية، وكان موصوفا بالدهاء والحلم. وولي البصرة ثم الكوفة لعمر، وولي الكوفة بعد ذلك لمعاوية، فمات بها وهو وال عليها سنة 50 أو 51 هـ. والقين هو: أبو لؤلؤة فيروز النهاوندي الفارسي المجوسي الكافر، كان غلام المغيرة بن شعبة. انتحر بخنجره حين أخذ، بعد طعنه عمر بن الخطاب ومات عمر رضي الله عنه بعده بثلاثة أيام في آخر يوم من ذي الحجة سنة 23 هـ

(6) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

(5) أبو لؤلؤة فيروز النهاوندي الفارسي المجوسي الكافر، كان غلام المغيرة بن شعبة. انتحر بخنجره حين أخذ، بعد طعنه عمر بن الخطاب ومات عمر رضي الله عنه بعده بثلاثة أيام في آخر يوم من ذي الحجة سنة 23 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو بكر الهذلي: كنا عند الحسن البصري فأتاه آت فقال: يا أبا سعيد، دخلنا آنفا على عبد الله بن الأهتم فإذا هو يجود بنفسه فقلنا: أبا معمر، كيف تجدك؟ قال: أجدني والله وجعا ولا أظنني إلا لمآبي*. ولكن ما تقولون في مئة ألف في هذا الصندوق لم تؤد منها زكاة، ولم يوصل منها رحم؟ قلنا: يا أبا معمر، فلمن كنت تجمعها؟ قال: كنت أجمعها لروعة الزمان، وجفوة السلطان، ومكاثرة العشيرة. فقال الحسن: البائس، انظروا أنى أتاه شيطانه فحذره روعة زمانه وجفوة سلطانه عما استودعه الله إياه وعمره فيه. فخرج والله منه سليبا حزينا ذميما مليما*، إيها عنك* أيها الوارث لا تخدع عما خدع صويحبك أمامك، أتاك هذا المال حلالا فإياك وإياك أن يكون وبالا عليك، أتاك ممن كان له جموعا منوعا، يدأب فيه الليل والنهار، ويقطع فيه المفاوز والقفار، من باطل جمعة ومن حق منعه، جمعه فأوعاه وشده فأوكاه، لم يؤد منه زكاة، ولم يصل فيه رحما، إن يوم القيامة ذو حسرات، وإن أعظم الحسرات غدا أن يرى أحدكم ماله في ميزان غيره، أو تدرون كيف ذاكم؟ رجل آتاه الله مالا فأمره بإنفاقه في صنوف حقوق الله فبخل به. فورثه هذا الوارث فهو يرى ماله في ميزان غيره، فيا لها عثرة لا تقال وتوبة لا تنال.

قال الحسن: رحم الله امرءا عرف ثم صبر ثم أبصر فبصر فإن أقواما عرفوا فانتزع الجزع أبصارهم فلا هم أدركوا ما طلبوا ولا هم رجعوا إلى ما تركوا، اتقوا هذه الأهواء المضلة البعيدة من الله التي جماعها الضلالة وميعادها النار لهم محنة من أصابها أضلته ومن أصابته قتلته، يا ابن آدم دينك دينك فإنه هو لحمك ودمك، إن يسلم لك دينك يسلم لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرى فنعوذ بالله فإنها نار لا تطفى وجرح لا يبرأ وعذاب لا ينفد أبدا ونفس لا تموت يا ابن آدم إنك موقوف بين يدي ربك ومرتهن بعملك فخذ مما في يديك لما بين يديك عند الموت يأتيك الخبر إنك مسئول ولا تجد جوابا إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همه.

عن هشام قال: سمعت الحسن يقول: والله لقد أدركت أقواما ما طوى لأحدهم في بيته ثوب قط ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط وما جعل بينه وبين الأرض شيئا قط وإن كان أحدهم ليقول لوددت أني أكلت أكلة في جوفي مثل الآجرة قال: ويقول: بلغنا أن الآجرة تبقى في الماء ثلاثمائة سنة، ولقد أدركت أقواما إن كان أحدهم ليرث المال العظيم، قال: وإنه والله لمجهود شديد الجهد قال: فيقول لأخيه: يا أخي إني قد علمت أن ذا ميراث وهو حلال ولكني أخاف أن يفسد علي قلبي وعملي فهو لك لا حاجة لي فيه قال: فلا يرزأ منه شيئ أبدا وإنه مجهود شديد الجهد.

----

*(عبد الله بن الأهتم) هو خالد بن صفوان التميمي أحد فصحاء العرب المشهورين (ولا أظنني إلا لما بي) أي يرى أنه ميت (مليما) أي فاعلا لما يلام عليه (أيها عنك) أي احذر.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ التذكرة الحمدونية/ المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين/ حلية الأولياء/ سيرة عمر بن عبد العزيز/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) والجراح بن عبد الله، والي خراسان 0487

كتب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة إلى عامله على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي[1] يأمره أن يدعو أهل الجزية إلى الإسلام، فإن أسلموا قبل إسلامهم ووضع الجزية عنهم، وكان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، فقال له رجل من أشراف أهل خراسان: إنه والله ما يدعوهم إلى الإسلام إلا أن توضع عنهم الجزية، فامتحنهم بالختان، فقال: أنا أردهم عن الإسلام بالختان! ؛ هم لو قد أسلموا كانوا إلى الطهرة أسرع، فأسلم على يده نحو من أربعة آلاف.

قال السائب بن محمد: كتب الجراح بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز: سلام عليك، وبعد. فإن أهل خراسان قوم قد ساءت رعيتهم، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك.قال: فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى الجراح بن عبد الله: سلام عليك، أما بعد؛ فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم، وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، وتسألني أن آذن لك فقد كذبت، بل يصلحهم العدل والحق، فابسط ذلك فيهم والسلام. وعن الليث بن سعد قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبد الله الحكمي: أما بعد: فدع من الحلال ما يكون حاجزا بينك وبين الحرام، فإن من استوعب الحلال كله تاقت إلى الحرام نفسه، وعليك بالقصد فإن الإسراف من عمل الشيطان، والسلام. وحدث عبد الرحمن بن حسن الزرقي عن أبيه –وكان عند الجراح بن عبد الله عامل عمر بن عبد العزيز على خراسان كلها حربها وصلاتها وما لها– قال: فكتب عمر إلى ابن الجراح: أنه بلغني أنك استعملت عبد الله بن الأهتم[2] وإن الله لما يبارك لعبد الله بن الأهتم في العمل فاعزله وإنه على ذلك لذو قرابة لأمير المؤمنين. وبلغني أنك استعملت عمارة[3] ولا حاجة لي بعمارة ولا بضرب عمارة، ولا برجل قد صبغ يده في دماء المسلمين فاعزله. حدث عبد الرحمن بن حسن عن أبيه: أن الجراح كتب إلى عمر: أما بعد يا أمير المؤمنين فأنك كتبت إلي في عهدك الذي عهدت إلي تأمرني أن لا أبسط على أحد من خلق الله عذابا، ولا أوثق أحدا من خلق الله وثاقا يمنع صلاة وذلك في معاتبة عاتبه وعن نوفل بن الفرات وكان عاملا لعمر بن عبد العزيز قال: كان رجلا من كتاب الشام مأمونا عندهم، استعمل رجلا على كورة من كور الشام، كان أبوه يزن بالمنانية، قال: فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فقال: ما حملك على أن تستعمل رجلا على كورة من كور المسلمين كان أبوه يزن بالمنانية؟ قال له: أصلح الله أمير المؤمنين، وما علي ما كان أبوه ! كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم مشركا، قال: فقال عمر: آه ثم نكت، ثم رفع رأسه، فقال: أأقطع لسانه، أأقطع يده ورجله، أأضرب عنقه؟ ثم قال: أقد جعلت هذا عدلا للنبي صلى الله عليه وسلم، لا تلي لي شيئا ما بقيت. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله، وقد اتصل به أنه اتخذ كاتبا يقال له: حسان (؟) بلغني أنك استعملت حسان، وهو على غير دين الإسلام، والله تعالى يقول:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة] وقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة] وإذا أتاك كتابي هذا فادع حسان إلى الإسلام فإن أسلم فهو منا، ونحن منه، وإن أبى فلا تستعن به، فلما جاءه الكتاب قرأه على حسان فأسلم، وعلمه الطهارة، والصلاة، وهذا أصل يعتمد عليه في ترك الاستعانة بالكافر، فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين؟!

■ (1) الجراح بن عبد الله بن جعادة بن أفلح بن الحارث بن درة (ذوة) بن حدقة بن مظة،واسمه سفيان بن سليم بن الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، أبو عقبة الحكمي من قواد أهل الشام من دمشق. ولي البصرة في أيام الوليد بن عبد الملك للحجاج، ثم ولي العراق في أيام سليمان خلافة ليزيد بن المهلب، ثم ولي خرا سان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، وولي عدة جهات وكان قارئا غازيا قتله الترك بأذربيجان غازيا في سنة 112 هـ. وقيل كان على أرمينية، قتلته الخزر* (من الترك) سنة 105 هـ

■ (2) عبد الله بن الأهتم يروي عن المدنيين وعمر بن عبد العزيز وفد على سليمان بن عبد الملك رسولا من يزيد بن المهلب.ودخل على عمر بن عبد العزيز فوعظه. قيل هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري: من فصحاء العرب المشهورين.كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار. ولد ونشأ بالبصرة. وكان أيسر أهلها مالا، ولم يتزوج.له كلمات سائرة، عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي وحظي عنده. وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشيئ وذمه. وكان يعارض شبيب بن شيبة، لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة. وكان يرمى بالبخل. وكف بصره. توفي نحو 133 هـ أو سنة 135 هـ.

■ (3) هل هو: عمارة بن تميم اللخمي.. عامل الحجاج ؟ أو هو أبو سعيد، عمارة بن صفوان الذي قتل مع الجراح بن عبد الله الحكمي في سنة 112 هـ ؟

☪

عن ابن شوذب قال: كتب صالح بن عبد الرحمن[1] وصاحبه إلى عمر بن عبد العزيز يعرضان له بدماء المسلمين، وكانا عامليه على شيء من العراق، فكتبا: إن الناس لا يصلحهم إلا السيف: فكتب إليهما عمر: خبيثين من الخبث ربذتين من الربذ يعرضان لي بدماء المسلمين ! ما أحد من المسلمين إلا ودمكما أهون علي من دمه. قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما أوصاه به من الرفق بالرعية: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران] وعن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ وعن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ إِمَامٌ عَادِلٌ رَفِيقٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِمَامٌ جَائِرٌ خَرِقٌ﴾ (رفيق) أي لين الجانب مع الأقارب والأجانب، لطيف مع الشريف والضعيف (إمام جائر) أي ظالم (خرق) صفة مشبهة من الخرق؛ وهو ضد الرفق، وفي الحديث:﴿الرِّفْقُ يُمْنٌ وَالْخَرْقُ شُؤْمٌ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ بَابَ الرِّفْقِ فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ وَإِنَّ الْخَرْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ﴾ قال الطيبي: وجعل الرفيق للعادل من باب التكميل فإنه صلى الله عليه وسلم لما وصفه بالعادل؛ رأى أن الوصف بمجرد العدل غير واف؛ لأنه قد يكون العادل جافيا غليظ القلب فكمله بالرفيق، وجعل الجائر مردفا بالخرق من باب التتميم؛ لأن الثاني زاد مبالغة في معنى الأول؛ لأن الجفاء والغلظة تزيد في جوره وخرقه. وعن وهب بن منبه، قال قرأت في الحكمة:﴿لِلْكُفْرِ أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ: رُكْنٌ مِنْهُ الْغَضَبُ، وَرُكْنٌ مِنْهُ الشَّهْوَةُ، وَرُكْنٌ مِنْهُ الطَّمَعُ، وَرُكْنٌ مِنْهُ الْخَرْقُ﴾ وعن عمر بن الخطاب:﴿لَا يُقِيمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ الْعَقْلِ أَرِيبُ الْعُقْدَةِ، لَا يُطَّلَعُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ، وَلَا يَحْنُو عَلَى حَوِيَّةٍ وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ – وقال-: السُّلْطَانُ أَرْبَعَةُ أُمَرَاءَ؛ فَأَمِيرٌ قَوِيٌّ ظَلَفَ* نَفْسَهُ وَعُمَّالَهُ، فَذَاكَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَدُ اللَّهِ بَاسِطَةٌ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ، وَأَمِيرٌ ضَعِيفٌ ظَلَفَ نَفْسَهُ وَأَرْتَعَ عُمَّالَهُ فَضَعُفَ فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَاكٍ إِلَّا أَنْ يَرْحَمَهُ اللَّهُ، وَأَمِيرٌ ظَلَفَ عُمَّالَهُ وَأَرْتَعَ نَفْسَهُ، فَذَلِكَ الْحُطَمَةُ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شَرُّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ. فَهُوَ الْهَالِكُ وَحْدَهُ، وَأَمِيرٌ أَرْتَعَ نَفْسَهُ وَعُمَّالَهُ فَهَلَكُوا جَمِيعًا﴾ وحدث الحسن، أن عائذ بن عمرو، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على عبيد الله بن زياد، فقال: أي بني، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ﴾ فإياك أن تكون منهم. فقال له: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال: وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم، وفي غيرهم. قال في النهاية الحطمة هو العنيف برعاية الإبل في السوق والإيراد والإصدار يلقى بعضها على بعض ويعسفها ضربه مثلا لوالي السوء ويقال أيضا حطم بلا هاء ، والنخالة: يعني لست من فضلائهم وعلمائهم وأهل المراتب منهم بل من سقطهم والنخالة هنا استعارة من نخالة الدقيق وهي قشوره والنخالة والحثالة والحفالة بمعنى واحد، (وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم) هذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم فإن الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم وفيمن بعدهم كانت النخالة. أجمع أهل السنة أن أفضل الناس بعد النبي عليه الصلاة والسلام أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم سائر العشرة، ثم باقي أهل بدر، ثم باقي أهل أحد، ثم باقي أهل البيعة، ثم باقي أهل الصحابة، هكذا حكى الإجماع عليه.

☪

قال علي بن نايف: اعلم أن التساهل مع أهل الذمة في أمور الدين خطر عظيم، وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة] وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿لأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لاَ أَدَعَ فِيهَا إِلاَّ مُسْلِماً﴾ وعن ابن عباس قال:﴿لاَ تُسَاكِنُوا الْيَهُودَ وَلا النَّصَارَى إِلاَّ أَنْ يُسْلِمُوا﴾ وعن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت:﴿خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ بَدْرٍ فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ* أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ*،فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ: لَا، قَالَ: فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ* فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَانْطَلِقْ﴾ وعن ابن عباس رفعه قال:﴿أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ﴾ وعن أبي عبيدة بن الجراح قال:﴿إِنَّ آخِرَ كَلَامٍ تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ، قَالَ:أَخْرِجُوا الْيَهُودَ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ وَأَهْلَ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ﴾وعن ابن عمر، قال: قال عمر:﴿لَا تَتْرُكُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالْمَدِينَةِ فَوْقَ ثَلَاثٍ قَدْرَ مَا يَبِيعُونَ سِلَعَتَهُمْ، وَقَالَ:لاَ يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ﴾ وعن ابن أبي ذئب أنه شهد عمر بن عبد العزيز في خلافته أخرج أهل الذمة من المدينة وباع أرقاءهم من المسلمين. وعن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَئِنْ بَقِيتُ لأُخْرِجَنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ أَخْرَجَهُمْ﴾ وعن قيس، قال:﴿بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا، ثُمَّ قَالَ: أَلَا إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ مُقِيمٍ مَعَ مُشْرِكٍ لَا تَتَرَاءَى نَارَاهُمَا﴾ وعن الحارث بن معاوية أنه قدم على عمر بن الخطاب، فقال له: كيف تركت أهل الشام؟ فأخبره عن حالهم، فحمد الله، ثم قال: لعلكم تجالسون أهل الشرك؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين، فقال: إنكم إن جالستموهم أكلتم معهم وشربتم معهم، ولن تزالوا بخير ما لم تفعلوا ذلك. وعن ضمرة بن حبيب قال: قال عمر بن الخطاب: في أهل الذمة سموهم، ولا تكنوهم، وأذلوهم، ولا تظلموهم، وإذا جمعتكم وإياهم طريق فألجئوهم إلى أضيقها. وعن مكحول أن عمر بن الخطاب كان يأمر أهل الذمة أن يجزوا نواصيهم ويعقدوا أوساطهم، وأن لا يتشبهوا بالمسلمين في شيء، من أمورهم. وعن حرام بن معاوية قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب: أن أدبوا الخيل ولا يرفعن بين ظهرانيكم الصليب ولا تجاورنكم الخنازير. ولما ولي أبو موسى الأشعري البصرة ، وقدم على عمر بن الخطاب فوجده في المسجد فاستأذن عليه فأذن له، واستأذن لكاتبه، وكان نصرانيا فلما دخل على عمر، ورآه فقال: قاتلك الله يا أبا موسى، وليت نصرانيا على المال أما سمعت قول الله سبحانه وتعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة] فقال: يا أمير المؤمنين لي كتابته، وله دينه فقال عمر: لا أكرمهم بعد أن أهانهم الله، ولا أعزهم بعد أن أذلهم الله، ولا أدنيهم بعد أن أقصاهم الله. وعن روح بن زنباع بن روح الخزامي، عن ابن دهقان قال: قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إن ها هنا حائكا من أهل الحيرة نصرانيا، فلو استكتبته؟ فقال: قد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين.

* ظلف نسفه عن الشئ : منعها عن هواها (الخزر) شعب قطن شمالي بحر قزوين ثم قسما من أرمينيا (بحرة الوبرة) هي بفتح الواو وسكون الباء ناحية من أعراض المدينة وقيل هي قرية ذات نخيل (نجدة) القوة والشجاعة.(البيداء) موضع بين مكة والمدينة

■ (1) صالح بن عبد الرحمن التميمي، بالولاء، أبو الوليد: أول من حول كتابة دواوين الخراج من الفارسية إلى العربية، في العراق، وكان يجيد الانشاء في اللغتين. أصله من سبي سجستان، نشأ في بني النزال، من آل مرة بن عبيد، فصيحا بالعربية، قوي الحافظة. واتصل بالحجاج الثقفي قبل أن يلي العراق، فلما ولي جعله في كتاب ديوانه، ثم قلده أمر الديوان (وكان يكتب بالفارسية) فنقله صالح إلى العربية سنة 78 هـ ووضع اصطلاحات للكتاب والحساب استغنوا بها عن المصطلحات الفارسية. قيل: لما أراد نقل الديوان إلى العربية، بذل له كتاب الفرس ثلاثمائة ألف درهم، على أن لا يفعل، فأبى. ووفد على سليمان ابن عبد الملك في الشام، فولاه خراج العراق، فعاد إلى الكوفة، فاستمر أيام سليمان كلها. وأقره عمر بن عبد العزيز مدة سنة، ثم استعفى فأعفاه، وقيل: عزله. ولما ولي يزيد بن عبد الملك كان صالح بالشام، فكتب عمر بن هبيرة إلى يزيد في إنفاذه إليه، ليسأله عن الخراج، فأرسله إليه وأوصاه به. فلما وصل إلى ابن هبيرة قتله سنة 103 هـ. وكان جميع كتاب العراق في عصره تلاميذ له.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ سراج الملوك/ لسان العرب/ تاريخ مدينة دمشق/ العقد الفريد/ تاريخ الخلفاء للسيوطي/ المعرفة والتاريخ/ مختصر تاريخ دمشق/ الرقة والبكاء/ تاريخ الإسلام للذهبي/ معجم البلدان/ الأعلام للزركلي/ المعرفة والتاريخ/ أنساب الأشراف/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) والحرسي 0488

دخل رسول لبعض الولاة على عمر بن عبد العزيز[1]، ومعه حرسي لعمر، فجعل الرسول إذا كلم عمر كلمة زجره الحرسي وانتهره، حتى فرغ من قراءة كتابه، فقال: كن قريبا. ثم دخل رسول آخر ومعه ذلك الحرسي، فكلم عمر، لا ينده ولا يمنعه، حتى فرغ من قراءة كتابه، فقال: كن قريبا، ثم أرسل عمر إلى رسول الأول، فقال له: أرأيت الحرسي الذي كان دخل معك، هل تعرفه؟ قال: لا. قال: إن الله قد أفطنني لمنعه إياك من الكلام فنفعك ذلك ولم يضرك، فارفع إلي حاجتك. فلم يسأله شيئا إلا أعطاه إياه، ثم أرسل إلى الرسول الثاني، فقال: هل بينك وبين الحرسي الذي دخل معك معرفة؟ قال: نعم، هو صديقي وجاري. قال: أما أنه قد حابك، وجهد أن ينفعك فألقي في روعي لا تصيب مني شيئا، فلولا أن تكون مني مراغمة* في منع رزق، لم تصب مني شيئا، وسآمر لك بمعروف. ثم أرسل إلى الحرسي، فقال: ويلك، وليت أمر رجلين بين يدي فلم تعدل بينهما، فكيف الأمر على ما ابتليت به؟ فاختر مني أحد أمرين: إما أن تأذن لي فألقبك لقبا، وإما أن أمحوك من الحرس. قال: بل تعفيني. قال: لا. قال: فإني أختار أن تلقبني. فسماه الجانف، فكان إذا رآه يقول: ادعوا لي الجانف، فيقول: يا أمير المؤمنين! فيقول: ما سببت، هو شرطي عليك. فلم يزل كذلك حتى مات.

قال يونس الرقي[2]: شهدت عمر بن عبد العزيز في بعض الأعياد وقد جاء أشراف الناس حتى حفوا بالمنبر وبينهم وبين الناس فرجة، فلما جاء عمر صعد المنبر وسلم عليهم، فلما رأى الفرجة أومأ إلى الناس: أن تقدموا فتقدموا حتى اختلطوا بهم.

----

*(المراغمة) الهجران والتباعد والمغاضبة

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. ولّاه الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، ثم ضم إليه ولاية الطائف، ثم عُزل. فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة جعله وزيراً له، ثم ولي عهده، فلما مات سليمان سنة 99هـ تولى عمر الخلافة. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

■ (2) يونس بن أبي شبيب الرقي، روى عن ميمون بن مهران، وطاووس بن كيسان، وابن جريج. روى عنه جعفر بن برقان، وإبراهيم بن بكار، ويحيى بن كهمس الأسدي الرقيون، ومحمد بن الحكم السلمي. وفد على عمر بن عبد العزيز.

قال علي الصلابي: لما تولى الخلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز كان من أجل اهتماماته أن يقارب بين فئات المجتمع فذلك بأن يضع من سمعة الطبقات العالية وأن يزيل كبرياءهم، وأن يرفع من شأن الطبقات المستضعفة وأن يقوي معنوياتهم ويزيل شعورهم بالضعف، فكان من جهوده في ذلك المساواة بينهم في العطاء ولا شك أن المال له أهمية كبرى في الرفع من شأن الناس وخفضهم، وفي هذا الخبر تبين لنا اهتمامه في هذا المجال بالإشارة إلى عموم الناس ليقتربوا من الخاص، ويختلطوا بهم حتى تزول تلك الفجوة بين المسلمين التي خلفها ظلم الولاة وسوء إدارتهم. انتهى.

عن الحارث قال: كنت عند علي رضي الله عنه فأتته امرأتان فقالتا: يا أمير المؤمنين إننا فقيرتان مسكينتان. فقال: قد وجب حقكما علينا وعلى كل ذي سعة من المسلمين إن كنتما صادقتين، ثم أمر رجلا فقال: انطلق بهما إلى سوقنا فاشتر لكل واحدة منهما كرا من طعام وثلاثة أثواب –فذكر رداء أو خمارا وإزارا – وأعط كل واحدة منهما من عطائي مائة درهم، فلما ولنا سفرت إحداهما وقالت: يا أمير المؤمنين فضلني بما فضلك الله به وشرفك، قال: وبماذا فضلني الله وشرفني؟ قالت: برسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: صدقت وما أنت؟ قالت: أنا امرأة من العرب وهذه من الموالي، قال: فتناول شيئا من الأرض ثم قال: قد قرأت ما بين اللوحتين فما رأيت لولد إسماعيل على ولد إسحاق عليهما السلام فضلا ولا جناح بعوضة.

قال علي بن نايف: ومن الطوام العظام والبلايا الجسام التي ابتلي بها بعض(؟) الحكام، وجاراهم فيها بعض(؟) القضاة: المحاباة، والمحسوبية، والشفاعة في الصداقات والقربات، سيما في الحدود الواضحات، وذلك على الرغم من تحذير الرسول الكريم لأمته من هذا المسلك المشين، والخلق اللئيم، الذي يورد من سلكه الجحيم، ويوصل من استهان به إلى سواء الحميم، وذلك عندما شق على قريش في أول الأمر إقامة الحد على تلك المخزومية التي كانت تستعير المتاع وتجحده، ورفع أمرها إلى الرسول الكريم، فطلب من حبه وابن حبه أسامة بن زيد أن يشفع فيها، فماذا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وبم رد على هذه الشفاعة السيئة، والمحاماة على الإثم والعدوان؟ عن عائشة رضي الله عنها قالت:﴿أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا هَلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا﴾ ولبعض الحكام أساليب غريبة، وطرق مريبة، في حجب بعض القضايا التي يهمهم أمر أصحابها، ومن الحيلولة بينهم وبين المثول أمام القضاء، فأضحت الأحكام تقام فقط وتنفذ على الضعفاء والفقراء، ويعفى من ذلك الخاصة، وأخس من ذلك وأخطر أن يطلب من بعض القضاة أن يعيدوا النظر وأن يغيروا الحكم إذا كان المحكوم عليه ممن يهمهم أمره ويعنيهم شأنه، وأخطر من ذلك وأشد استجابة بعض القضاة لهذا الطلب حرصا على منصبه وخوفا من عزله، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

- قلت: إن كنت تعني حكام وقضاة هذا العصر فقل: كل حكام العرب وكل قضاة العرب..ألا ترى أنه لا يصل إلى تلك المناصب الملعونة إلا من توفرت فيه مؤهلات إجرامية معينة وقابلية رهيبة للفساد.!! وهل يستطيع العبد الصالح أن يصل إلى تلك المناصب الملعونة اليوم ؟!

مراجع: صحيح مسلم/ شرح سنن أبي داود/ مرقاة المفاتيح/ السياسة الشرعية/محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر/ سراج الملوك/ العقد الفريد/ الطبقات الكبرى/ لسان العرب/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ موسوعة الدين النصيحة/ المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين/ أنساب الأشراف/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) وعبد الملك بن عمر (١) 0489

حدث إسماعيل بن أبي حكيم[1] قال: غضب عمر بن عبد العزيز يوما فاشتد غضبه وكان فيه حدة وابنه عبد الملك[2] حاضر فلما سكن غضبه قال: يا أمير المؤمنين، أنت في قدر نعمة الله عليك وموضعك الذي وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده يبلغ بك الغضب بما آري؟! قال: كيف قلت؟ فأعاد عليه كلامه. فقال: آما تغضب، يا عبد الملك؟! فقال: ما تغنى سعة جوفي، إن لم اردد فيه الغضب حتى لا يظهر منه شيء اكرهه. وعن إبراهيم بن أبي عبلة قال: غضب عمر بن عبد العزيز يوما غضبا شديدا على رجل، فأمر به فأحضر وجرد وشد في الحبال وجيء بالسياط فقال: خلوا سبيله ثم قال: أما أني لولا أن أكون غضبانا لسؤتك وتلا:﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران] وعن خالد بن يزيد عن أبيه قال: أغلظ رجل لعمر بن عبد العزيز فأمر بتجريده ثم قال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران] خلوا سبيله.حدث عبد الله بن صالح العجلي قال: سمعت حموة الزيات يحدث أن عمر بن عبد العزيز غضب على رجل غضبا شديدا فأتي به وأمر بالسياط فأحضرت، فقال: لولا شدة غضبي عليك لأوجعتك. وعن الأوزاعي[3]، قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول[4]: أما بعد؛ فإنه من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه. والسلام. وعنه: أن عمر بن عبد العزيز كان إذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه لثلاثة أيام ثم عاقبه، كراهية أن يعجل في أول غضبه. وأسمعه رجل كلاما، فقال له: أردت أن يستفزني الشيطان فأنال منك اليوم بما تناله أنت مني يوم القيامة! انصرف عني، عافاك الله ورحمك.وروى أن رجلا نال من عمر فلم يجبه. فقيل له: ما يمنعك منه؟ قال: التقي ملجم*، وفي رواية قال: والله إني لأدع الانتصار وأنا أقدر عليه، وأدع الصغيرة مخافة الكبيرة، وإن التقي ملجم. وعن عبد الملك أو قيس بن عبد الملك قال:قام عمر بن عبد العزيز إلى قائلته* فعرض له رجل بيده طومار فظن القوم أنه يريد أمير المؤمنين، فخاف أن يحبس دونه، فرماه بـ الطومار، فالتفت عمر، فوقع في وجهه، فشجه. قال: فنظرت إلى الدماء تسيل على وجهه وهو قائم في الشمس، فلم يبرح حتى قرأ الطومار، وأمر له بحاجته، وخلى سبيله. وعن هارون بن أعين عن شيخ من خناصرة قال: كان لعمر بن عبد العزيز ابن من فاطمة، فخرج يلعب مع الغلمان فشجه غلام، فاحتملوا ابن عمر والذي شجه فأدخلوهما على فاطمة، فسمع عمر الجلبة وهو في بيت آخر فخرج، وجاءت امرأة فقالت: هو ابني وهو يتيم، فقال أله عطاء؟ قالت: لا، قال: اكتبوه في الذرية، فقالت فاطمة: فعل الله به وفعل إن لم يشجه مرة أخرى، فقال إنكم أفزعتموه. وقيل: أتى ولد لعمر وهو يبكي، فقال له: ما شأنك؟ فقال: ضربني فلان العبد.فجيء به. فقال له: ضربته؟ قال: نعم. فقال له: اذهب فلو أني معاقب أحدا على الصدق لعاقبتك اذهب ولم يكلمه. وروي أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة خرج ليلة في السحر إلى المسجد ومعه حرسي فمرا برجل نائم في الظلام فعثر به عمر.فرفع الرجل رأسه إليه وقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا، فتضايق الحارس وهم أن يضرب الرجل النائم، فقال له عمر: مه، إن الرجل لم يصنع شيئا غير أنه سألني: أمجنون أنت؟ فقلت: لا. رحم الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وأعلى ذكره في المصلحين، المواقف في حلمه وصفحه وعفوه كثيرة وهذا غيض من فيض.

* (الطومار) صحيفة مطوية ج طوامير (التقي ملجم) من أمثال العرب في حفظ اللسان.أي كأن له لجاما يمنعه من العدول عن سنن الحق قولا وفعلا وهذا من كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله (قائلته) يعني لنومة القيلولة

■ (2) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، كان ناسكا زكيا طاهرا وكان من أتقى الناس وأحسنهم معونة لأبيه وكان كثيرا ما يعظ أباه وينهاه. توفي رحمه الله في حدود 101 هـ عن بعض مشيخة أهل الشام قال كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما ادخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك

■ (1) إسماعيل بن أبي حكيم مولى عثمان بن عفان عداده في أهل المدينة وقيل هو مولى لآل الزبير أخو إسحاق بن أبي حكيم. مات سنة 130 هـ بالمدينة وكان كاتبا لعمر بن عبد العزيز.

■ (4) مكحول بن عبد الله، أبو عبد الله الشامي، من كبار أعلام التابعين، عالم أهل الشام وكان من سبي كابل. قيل كان مولى لامرأة من هذيل، وقيل: هو مولى سعيد بن العاص، وقيل: مولى لبني ليث، توفي سنة 112 هـ أو بعدها. أرسل عن النبي والصحابة وروى عن خلق كثير.

■ (3) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من كبار تابعي التابعين. ولقب بـ الأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهى بطن من ذي الكلاع باليمن. ولد سنة 88 هـ بقرية بعلبك فى لبنان وربته أمه يتيما، ثم استقر بدمشق. وقد برع الأوزاعي في تفسير القران الكريم، وحفظ الحديث، والأخبار، والمغازي، وكان صاحب مذهب ساد في الشام زمنا، ثم ما لبث أن ضعف انتشاره، بسبب انتشار المذهبين المالكي والشافعي اللذين حلا محله. وقد التزم الأوزاعي في فتاويه بالتوقف عند النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. وللأوزاعي كتابان في الفقه، هما السنن والمسائل، وقد ضمن كتاب المسائل الفتاوى التي أفتى بها. توفى الأوزاعي سنة 157هـ في بيروت.

☪

قبل مات ابن لعمر بن عبد العزيز، فجاء عمر فقعد عند رأسه، وكشف الثوب عن وجهه فجعل ينظر إليه ويستدمع، فجاء عبد الملك ابنه فقال: أشغلك يا أمير ما أقبل من الموت إليك؟ بل هو في شغل عما حل لديك، فكأن قد لحقت به وساويته تحت التراب بوجهك. فبكى عمر ثم قال: رحمك الله يا بني، فوالله، إنك لعظيم البركة ما علمتك على أبيك نافع الموعظة لمن وعظت، وأيم الله، إن كان الذي رأيت من جزعي على أخيك، ولكن لما علمت أن ملك الموت دخل داري فراعني دخوله، فكان الذي رأيت، ثم أمر بجهازه. وعن ميمون بن مهران قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: إلق عبد الملك، فأتيته فقلت لغلامه: استأذن لي، فسمعت صوته: أدخل، فدخلت، فإذا خوان بين يديه، عليه ثلاثة أقرصة وقصعة فيها ثريد، فقال: كل فما منعني من الأكل إلا الإبقاء عليه، فاعتللت بشيء، فلما فرغ دعا غلامه وأعطاه فلوسا، فقال: جئنا بعنب، فجاء بشيء صالح، وكان عمر منع من العصير، فرخص العنب، فقال: الله كان منعك الإبقاء علينا فكل من هذا فإنه رخيص، قلت: من أين معاشك؟ قال: أرض لي أستدين عليها، قلت: فلعلك تستدين من رجل يشق عليه وهو يحتمل ذلك لمكانك؟ قال: لا إنما هي دراهم لصاحبتي استقرضها، قلت: أفلا أكلم أمير المؤمنين يجري عليك رزقا، فأبى ذلك وقال: والله ما يسرني أن أمير المؤمنين أجرى علي شيئا من صلب ماله دون إخوتي الصغار، فكيف يجري علي من فيء المسلمين.

☪

قال علي بادحدح: يقول المثل: في العجلة الندامة وفي التأني السلامة، فالتسرع قد يكون عند المرء، فتجد الواحد يتسرع إما لرد فعل، كما لو أخطأ عليه شخص فتراه يرد الخطأ مضاعفا، أو كما لو استفزه مستفز فتراه يخرج عن طوره وطوعه، ويخرجه غضبه عن إصابة الحق إلى الوقوع في الباطل.. فالمؤمن فيه سكينة إيمانية أسسها عنده ذلك العلم الشرعي، والفقه والورع الإيماني، فليس هو الذي يتسرع فتنطلق الكلمة منه ويعقبها ندم وحسرة قد لا يجديان ولا ينفعان.

قال معاوية لخالد بن المعمر: كيف حبك لعلي بن أبي طالب؟ قال: أحبه لثلاث خصال: على حلمه إذا غضب، وعلى صدقه إذا قال، وعلى وفائه إذا وعد. وكان يقال: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظلم والباطل، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له. وقال عمر بن الخطاب: إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطئ لها حتى تتخطاك. وقال الحسن: إنما يعرف الحلم عند الغضب. فإذا لم تغضب لم تكن حليما. وقال الأحنف: ما نازعني أحد قط إلا أخذت أمري بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت قدره، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه.ليس الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا.

قال محمد بن علي: من حلم وقى عرضه، ومن جادت كفه حسن ثناؤه، ومن أصلح ماله استغنى، ومن احتمل المكروه كثرت محاسنه، ومن صبر حمد أمره، ومن كظم فشا إحسانه، ومن عفا عن الذنوب كثرت أياديه، ومن اتقى الله كفاه ما أهمه.

عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟ قَالَ قُلْنَا الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا قَالَ فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ قُلْنَا الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ﴾ (الرقوب) أصل الرقوب في كلام العرب الذي لا يعيش له ولد والمعنى إنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده وليس هو كذلك شرعا بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه ويكتب له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه ويكون له فرطا وسلفا (الصرعة) الصرعة أصله في كلام العرب الذي يصرع الناس كثيرا والمعنى إنكم كذلك تعتقدون أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل هو القوي الذي لا يصرعه الرجال وليس هو كذلك شرعا بل هو من يملك نفسه عند الغضب فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قل من يقدر على التخلق بخلقه ومشاركته في فضيلته بخلاف الأول. وعن أبي هريرة: ﴿أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبْ﴾ وعن سليمان بن صرد، قال: ﴿اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَغْضَبُ وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَقَامَ إِلَى الرَّجُلِ رَجُلٌ مِمَّنْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آنِفًا؟ قَالَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَمَجْنُونًا تَرَانِي﴾ وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، قال:﴿كَتَبَ أَبِي، وَكَتَبْتُ لَهُ إِلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، وَهُوَ قَاضٍ بِسِجِسْتَانَ، أَنْ لَا تَحْكُمَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَنْتَ غَضْبَانُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا يَحْكُمْ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ﴾ يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود] ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر] قال علي بن أبي طالب: الصفح الجميل هو الرضى بلا عتاب. وقيل هو الرضى بلا توبيخ فيه ولا حقد معه. سئل جعفر بن محمد عن حد الحلم فقال: وكيف يعرف فضل شيء لم نر كماله في أحد؟ وفي الأمثال القديمة: كاد الحليم أن يكون نبيا. قال الأحنف بن قيس لابنه: يا بني، إذا أردت أن تواخي رجلا، فأغضبه، فإن أنصفك وإلا فاحذره. وكان مسلم بن نوفل سيد بني كنانة قد ضربه رجل من قومه بسيفه فأخذ فأتى به إليه فقال له: ما الذي فعلت أما خشيت انتقامي؟ قال: لا. قال: فلم؟ قال: ما سودناك إلا أن تكظم الغيظ وتعفو عن الجاني، وتحلم على الجاهل وتحتمل المكروه في النفس والمال، فخلى سبيله. فقال قائلهم: تسود أقوام وليسوا بسادة ... بل السيد المعروف سلم بن نوفل. عن عمرو بن الحمق قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَغْضَبَ للهِ، وَيَرْضَى للهِ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحَقَّ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ، وَإِنَّ أَحِبَّائِي وَأَوْلِيَائِي الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي، وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ - وفي رواية-: لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ للهِ، وَيُبْغِضَ للهِ، فَإِذَا أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْوَلَاءَ مِنَ اللهِ، وَإِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْ عِبَادِي، وَأَحِبَّائِي مِنْ خَلْقِي الَّذِينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِي، وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ﴾ قال يحيى بن معين: الإيمان يزيد وينقص، وهو قول وعمل. وعن أم المؤمنين عائشة، قالت:﴿مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ: خَادِمًا لَهُ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا دَابَّةً، وَلَا شَيْئًا قَطُّ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ فَانْتَقَمَ لِنَفْسِهِ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ، فَإِذَا انْتُهِكَتْ حُرُمَاتُ اللهِ لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَقِمَ للهِ﴾ وعن عبد الله بن عمرو، قال: ﴿هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا، قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ﴾ (هجرت) أي أتيت في الهاجرة أي الظهيرة (في وجهه) وكان عليه الصلاة والسلام لا يغضب لنفسه وإنما كان يغضب لله، فيشتد به ذلك الغضب حتى يرى أثره من حمرة اللون ونحوها في وجهه الكريم (باختلافهم في الكتاب) أي المنزل على نبيهم بأن قال كل واحد منهم ما شاء من تلقاء نفسه.يقول إياس بن سلمة حدثني أبي فقال: مر عمر بن الخطاب وأنا في السوق، وهو مار في حاجة له ومعه الدِّرَّة، قال: هكذا أَمِط عن الطريق يا مسلمة، قال: ثم خفقني بها خفقة، فما أصاب إلا طرف ثوبي، فأمطتُ عن الطريق، فسكت عني، حتى كان في العام المقبل، فلقيني في السوق، فقال: يا سلمةُ، أردت الحج العام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ بيدي، فما فارقت يدي يده حتى دخل بي بيته فأخرج كيساً فيه ستمائة درهم، فقال: يا سلمة. استعن بهذه، واعلم أنها من الخفقةِ التي خفقتك عام أول، قلت: والله يا أمير المؤمنين، ما ذكرتها حتى ذكرتنيها، قال: وأنا والله ما نسيتها بعد.

مراجع:الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ مجمع الأمثال/ الطريق إلى الجنة/ سيرة عمر بن عبد العزيز/

دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز [1] على عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي إليك حاجة فأخلني، وعنده مسلمة بن عبد الملك [2]، فقال عمر: اسر دون عمك؟ قال: نعم، فقام مسلمة وخرج وجلس بين يديه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنت قائل لربك غدا إذا سالك، فقال رأيت بدعة تمتها أو سنة فلم تحيها؟ فقال له: يا بني أشيء حملك، الرغبة إلي أم رأي رايته من قبل نفسك؟ قال: لا، والله، ولكن رأي رايته من قبل نفسي، عرفت أنك مسؤول فما أنت قائل، فقال له أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيرا، فوالله أني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير يا بني، إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة وعروة عروة ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما في أيدهم لم آمن أن يفتقوا علي فتقا تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يهراق في سببي محجة من دم، أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا، إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة، حتى يحكم الله بيننا بالحق وهو خير الحاكمين!. وعن جويرية بن أسماء قال: قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه: ما يمنعك أن تنفذ لرأيك في هذا الأمر؟ فوالله ما كنت أبالي أن تغلي بي وبك القدور في إنفاذ هذا الأمر، فقال عمر: إني أروض الناس رياضة الصعب*، فإن أبقاني الله مضيت لرأيي، وإن عجلت علي منية فقد علم الله نيتي، إني أخاف إن بادهت* الناس بالتي تقول أن يلجئوني إلى السيف، ولا خير في خير لا يجيء إلا بالسيف. وفي رواية قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر: يا أبت، مالك لا تنفذ في الأمور؟ فو الله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور. قال له عمر: لا تعجل يا بني، فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكون فتنة. وفي رواية قال له ابنه عبد الملك: إني لأراك يا أبتاه قد أخرت أمورا كثيرة، كنت أحسبك لو وليت ساعة من النهار عجلتها ولوددت أنك قد فعلت ذلك ولو فارت بي وبك القدور، قال له عمر: أي بني إنك على حسن قسم الله لك وفيك بعض رأي أهل الحداثة، والله ما أستطيع أن أخرج لهم شيئا من الدين إلا ومعه طرف من الدنيا أستلين به قلوبهم، خوفا أن ينخرق علي منهم ما لا طاقة لي به.وعن إسماعيل بن أبي حكيم قال: دخل عبد الملك على أبيه فقال: أين وقع لك رأيك من رد المظالم؟ فقال: علي إنفاذه، فرفع عمر يده ثم قال: الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني، نعم يا بني اصلي الظهر إن شاء الله ثم اصعد المنبر فأردها على رؤوس الناس، فقال عبد الملك: يا أمير المؤمنين، من لك بالظهر ومن لك إن بقيت أن تسلم لك نيتك، فقال عمر: فقد تفرق الناس للقائلة! فقال عبد الملك: تأمر مناديك فينادي الصلاة جامعة ثم يجتمع الناس فأمر مناديه فنادى. وعن ابن أبي عبلة قال: جلس عمر يوما للناس فلما انتصف النهار ضجر ومل، فقال للناس: مكانكم حتى انصرف إليكم ودخل ليستريح ساعة، فجاء إليه ابنه عبد الملك، فسأل عنه، فقالوا: دخل، فاستأذن عليه فأذن له فلما دخل، قال: يا أمير المؤمنين، ما أدخلك؟ قال: أردت أن استريح ساعة، قال: أو آمنت الموت أن يأتيك ورعيتك على بابك ينتظرونك، وأنت محتجب عنهم، فقام عمر فخرج إلى الناس.

قال عبد الله بن عثمان أخبرنا عبد الله قال: قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم مولاه: إن هؤلاء القوم، يعني أهله،اقطعوني ما لم يكن لي أن آخذه، ولا لهم أن يعطوني، وإني قد هممت بردها على أربابها. قال: فقال مزاحم: فكيف تصنع بولدك ؟ قال: فخرت دموعه على وجنتيه. قال فجعل يمسحها باصبعه الوسطى ويقول: أكلهم إلى الله.قال عبد الله: وكأن مزاحم مع فضله لم يقنع بقوله، فخر مزاحم، فدخل عبد الملك بن عمر فقال: إن أمير المؤمنين قد هم بأمر لهو أضر عليك وعلى ولد أبيك من كذا وكذا إنه قد هم برد البسيطة وهي باليمامة وهي أمر عظيم. قال: وكان عيش ولده منها. قال عبد الملك: فماذا قلت له ؟ قال: كذا وكذا.قال: لبئس لعمر الله وزير الخليفة أنت. قال: ثم قام ليدخل على عمر وقد تبوأ مقيله*. قال: فأستأذن. قال: فقال له البواب إنه قد تبوأ مقيله. قال: ما منه بد. قال: سبحان الله ألا ترحموه إنما هي ساعته. قال: فسمع عمر صوته فقال: أعبد الملك ؟ قال: نعم. قال: ادخل. قال: فدخل. قال: ما جاء بك ؟ قال: إن مزاحما أخبرني بكذا وكذا وقال: فما رأيك فإني أريد أن أقوم به العشية. قال: أرى أن تعجله فما يأمنك أن يحدث بك حدث أو يحدث بقلبك حدث. قال فرفع يديه فقال: الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على ديني. قال: ثم قام من ساعته فجمع الناس وأمر بردها.

عن محمد بن أبان قال: جمع عمر قراء أهل الشام؛ فيهم ابن أبي زكريا الخزاعي [3] فقال: إني جمعتكم لأمر قد أهمني، هذه المظالم التي في أيدي أهل بيتي ما ترون فيها؟ فقالوا: ما نرى وزرها إلا على من اغتصبها، فقال لابنه عبد الملك: ما ترى؟ قال: ما أرى من قدر على ردها فلم يردها والذي اغتصبها إلا سواء، فقال: صدقت أبي بني الحمد لله الذي جعل لي وزيرا من أهل عبد الملك ابني. وحدث علي بن عبد الله بن جعفر قال: قال سفيان: قالوا لعبد الملك: أبوك خالف قومه وفعل وصنع فقال: إن أبي يقول: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام] قال: ثم دخل على أبيه فأخبره فقال: فأي شيء قلت؟ ألا قلت: إن أبي يقول:﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؟ قال: قد فعلت. دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه، فقال: يا بني، كيف تجدك؟ قال: أجدني في الحق، قال: يا بني، لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك. قال ابنه: وأنا يا أبه، لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب. فلما هلك عبد الملك قال عمر: يا بني، لقد كنت في الدنيا كما قال جل ثناؤه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[الكهف] ولقد كنت أفضل زينتها، وإني لأرجو أن تكون اليوم من الباقيات الصالحات التي هي خير ثوابا، وخير أملا، والله ما يسرني أن دعوتك من جانب فأجبتني. عن زياد بن أبي حسان، أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك استوى قائما وأحاط به الناس، فقال: والله يا بني لقد كنت برا بابيك والله ما زلت منذ وهبك الله لي مسرورا بك، ولا والله ما كنت قط اشد سرورا ولا أرجى لحظي من الله فيك منذ وضعتك في المنزل الذي صيرك الله إليه، فرحمك الله وغفر لك ذنبك وجزاك بأحسن عملك، ورحم كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره، الحمد لله رب العالمين، ثم انصرف.

قال سهل بن الربيع بن سبرة، حدثني أبي، عن أبيه الربيع قال: لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، وسهل بن عبد العزيز، ومزاحم مولى عمر في أيام متتابعة، دخل الربيع بن سبرة بن معبد الجهني (الربيع بن ثبرة؟) [4] عليه وقال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، فما رأيت أحدا أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة والله ما رأيت مثل ابنك ابنا، ولا مثل أخيك أخا، ولا مثل مولاك مولى قط، فطأطأ عمر رأسه، فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هيجت عليه، قال: ثم رفع رأسه فقال: كيف قلت الآن يا ربيع؟ فأعدت عليه ما قلت أولا، قال: لا والذي قضى عليه -أو قال عليهم- بالموت ما أحب أن شيئا من ذلك كأن لم يكن.قال: لما دفن عمر عبد الملك ولده وسهل بن عبد العزيز أخاه ثم هلك مزاحم مولاه فقال رجل من الشام: والله لقد أصيب أمير المؤمنين بابن لا والله إن رأيت ولدا كان أنفع لوالده منه، ثم أصيب أمير المؤمنين بأخ ما كان أخ أنفع لأخ منه، قال: وسكت عن مزاحم، فقال عمر بن عبد العزيز: مالك سكت عن مزاحم !؟ فوالله ما كان بأدنى الثلاثة عندي، يرحمك الله يا مزاحم، مرتين أو ثلاثا، والله لقد كنت كفيت كثيرا من هم الدنيا، ونعم الوزير كنت في أمر الآخرة.

وحدث الحسن بن عبد العزيز قال: كتب إلينا ضمرة عن رجاء بن أبي سلمة [5] قال: لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأمصار ينهى أن يناح عليه وكتب: إن الله أحب قبضه، وأعوذ بالله أن أخالف محبته. وعن جعونة قال: لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، جعل عمر يثني عليه، فقال له مسلمة: يا أمير المؤمنين، لو بقي كنت تعهد إليه؟ قال: لا، قال: ولم وأنت تثني عليه؟ قال: أخاف أن يكون زين في عيني منه ما زين في عين الوالد من ولده.

عن هاشم قال: لما كانت الصرعة التي هلك فيها عمر دخل عليه مسلمة بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين، انك أفقرت أفواه ولدك من هذا المال وتركتهم علية لا شيء لهم فلو وصيت بهم إلي والى نظرائي من أهل بيتك. قال: فقال: اسندوني ثم قال: أما قولك أني أفقرت أفواه ولدي من هذا المال فوالله أني ما منعتهم حقا هو لهم ولم أعطهم ما ليس لهم، وأما قولك لو أوصيت بهم فان وصيي ووليي فيهم﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[الأعراف] بني أحد الرجلين إما رجل يتقي الله، فسيجعل الله له مخرجا وإما رجل مكب على المعاصي، فإني لم اكن أقويه على معاصي الله.ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكرا، قال: فنظر إليهم فذرفت عيناه ثم قال: بنفسي الفتية الذين تركتهم عيلة، لا شيء لهم فإني بحمد الله قد تركتهم بخير أي بني إن أباكم مثل بين أمرين بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار قوموا عصمكم الله. عن ليث بن أبي رقية عن عمر أنه لما كان مرضه الذي قبض فيه قال: أجلسوني فأجلسوه ثم قال: أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ولكن لا اله إلا الله ثم رفع رأسه واحد النظر فقالوا:له انك لتنظر نظرا شديدا فقال: أني لأرى حضرة ما هم بأنس ولا جان ثم قبض رضي الله عنه.

*(الصعب) نقيض الذلول، وامرأة صعبة، والمصعب: الفحل، وأصعبت الجمل فهو مصعب، إذا تركته فلم تركبه ولم يمسه حبل؛ وصعب الأمر من باب سهل: صار صعبا؛ واستصعب (بده) يدل على أول الشيء والذي يفاجئ منه. يقال بادهت فلانا بالأمر، إذا فاجأته.(المقيل) الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر

■ (1) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، كان ناسكا زكيا طاهرا وكان من أتقى الناس وأحسنهم معونة لأبيه وكان كثيرا ما يعظ أباه وينهاه. توفي رحمه الله في حدود 101 هـ عن بعض مشيخة أهل الشام قال كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما ادخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك

■ (3) عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي، فقيه أهل دمشق، كان عمر بن عبد العزيز يجلسه معه على السرير،قال أبو مسهر:كان سيد أهل المسجد أو قال أهل دمشق قيل:بم سادهم؟ قال بحسن الخلق. توفي سنة 117 هـ

■ (2) أبو سعيد، مسلمة بن عبد الملك، أمير أُموي، وقائد عسكري، وابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب). ولد سنة 66 هـ وتوفي سنة121 هـ.

■ (5) رجاء بن أبي سلمة مهران البصري أبو المقدام الفلسطيني عن عمر بن عبد العزيز والزهري وعنه الحمادان وضمرة بن ربيعة وثقه ابن معين وغيره قال ضمرة مات سنة 161 هـ

■ (4) الربيع بن سبرة بن معبد الجهني، ويقال: ابن عوسجة بن حرملة بن سبرة ولأبيه صحبة، يروي عن أبيه، وعن أنس، وعن عمر بن عبد العزيز ومات قبله.

☪

عن أبي سليم الهذلي قال: خطب عمر بن عبد العزيز فقال: أما بعد، فان الله عز وجل لم يخلقكم عبثا ولم يدع شيئا من أمركم سدى وإن لكم معادا فخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض واشترى قليلا بكثير فانيا بباق وخوفا بأمن إلا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين في كل يوم وليلة تشيعون غاديا ورائحا إلى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقضى اجله حتى تغيبوه في صدع من الأرض في بطن صدع ثم تدعونه غير ممهد ولا موسد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب مرتهنا بعمله فقيرا إلى ما قدم غنيا عما ترك فاتقوا الله قبل نزول الموت وايم الله* أني لأقول لكم هذه المقالة وما اعلم عند أحد منكم من الذنوب ما اعلم عندي وما يبلغني عن أحد منكم ما يسعه ما عندي إلا وددت أنه يمكنني تغييره حتى يستوي عيشنا وعيشه وايم الله لو أردت غير ذلك من الغضارة*والعيش لكان اللسان مني به ذلولا عالما بأسبابه ولكن سبق من الله عز وجل كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته. ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وشهق وبكى الناس وكانت آخر خطبة خطبها. توفي رضي الله عنه وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر. قال جويرية بن أسماء: قال عمر بن عبد العزيز: إن نفسي تواقة لم تعط من الدنيا شيئا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه فلما أعطيت ما لا شيء فوقه من الدنيا تاقت نفسي إلى ما هو أفضل منه -يعني الجنة- قال ميمون بن مهران: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: لو أقمت فيكم خمسين عاما ما استكملت فيكم العدل، إني لأريد الأمر فأخاف أن لا تحمله قلوبكم، فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فإن أنكرت قلوبكم هذا سكنت إلى هذا.

*(وايم الله) أي يمين الله (الغضارة) طيب العيش

مراجع: سير أعلام النبلاء/ صفة الصفوة/ الرسائل السياسية/ الطبقات الكبرى/ تاريخ الإسلام/ رجال صحيح مسلم/ المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين/ مقاييس اللغة/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ مغاني الأخيار/ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال/

حدث رياح بن عثمان[1] (عثمان بن حيان؟) وكان على المدينة قال: ما قدم علينا بريد لعمر بن عبد العزيز بالشام إلا بإحياء سنة أو قسم مال أو أمر فيه خير. أتي عمر بن عبد العزيز (في رواية: يزيد بن عبد الملك؟) بغلمة من أولاد المهالبة[2] لم يبلغوا الحنث*، وعنده رجاء بن حيوة الكندي[3]، ورياح بن عثمان المري، فقال عمر: يا رياح، ما تقول في هؤلاء الغلمة؟ قال: أقول ما قال نوح: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح] قال: فلم يوافقه ما قال، والتفت إلى رجاء بن حيوة فقال: ما تقول في هؤلاء الغلمة يا رجاء؟ قال: وما سبيلك على هؤلاء الغلمة، لم يبلغوا الحنث، ولم تجب عليهم الأحكام. فأخذ بقول رجاء وخلى سبيلهم. فلما خرج رجاء ورياح من عند عمر قال رياح: يا رجاء بن حيوة، إن لله رجالا خلقهم للشر وهو* منهم، وخلق رجالا للخير وأنت منهم.

عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز[4] قال: قال لي رجاء بن حيوة: ما رأيت رجلا أكمل مروءة من أبيك، سمرت معه ذات ليلة والسراج يزهر فعشي السراج. فقال لي: يا رجاء إن السراج قد عشى ووصيف إلى جانبنا نائم قال: فقلت أنبه الوصيف ؟ قال: قد نام. فقلت: فأقوم أنا فأصلح (فوثب إليه رجاء بن حيوة ليصلحه). قال: ليس من مروءة الرجل استخدامه ضيفه. فوضع ساجا عليه وقام إلى بطة فيها زيت فصب في السراج وأصلحه ثم عاد. قال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز. قال ضمرة: المروءة التنزه عن كل خلق دنيء.

----

*(يبلغ الحنث) يبلغ مبلغ الرجال ويجري عليه القلم فيكتب عليه الحنث وهو الإثم (وهو منهم) يعني نفسه

■ (3) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام، ويقال أبو نصر، وهو تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية، روى عن أبي صالح السمان. روى عنه محمد بن عجلان. توفي سنة 112 هـ. وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية .

■ (1) رياح بن عثمان بن حيان بن معبد بن شداد بن نعمان بن رياح بن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك ابن يربوع بت غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ابن ريث بن غطفان المري ولي إمرة دمشق لصالح بن علي الهاشمي أمير الشام ومصر ثم ولي إمرة المدينة للمنصور في رمضان سنة 144 هـ.

■ (1) عثمان بن حيان بن معبد المري، أبو المغراء: وال، من الغزاة، من أهل دمشق استعمله الوليد على المدينة سنة 93 هـ. وكان في سيرته عنف فعزله سليمان بن عبد الملك سنة 96 هـ وولى عليها أبا بكر بن محمد بن حزم وولي الصائفه سنة 103هـ وغزا قيصرة من أرض الروم سنة 104 هـ وهو ثقة عند أهل الحديث. توفي سنة 150 هـ

■ (2) المهالبة و المهلبيين عقب كثير ينسبون إلى عائلة المهلب بن أبي صفرة ، وهم الذين حاربتهم الدولة الأموية وتتبعتهم بعد مقتل يزيد بن المهلب، فكانوا في دولة الأمويين كالبرامكة في دولة العباسيين في الكرم والغزو والفتوح. و برزت المهالبة في الدولة الأموية المتوسطة ووصلت أعظم أهدافها خلال أوائل فترة الحكم العباسي عندما حكم أفراد الأسرة البصرة وإفريقية. قيل: نظر الحسن البصري إلى قصور المهالبة، فقال: يا عجبا رفعوا الطين، ووضعوا الدين، وركبوا البراذين، واتخذوا البساتين، وتشبهوا بالدهاقين فذرهم في غمرتهم حتى حين.

■ (4) عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي: أمير، من سكان المدينة. ولاه يزيد بن الوليد إمرة مكة والمدينة، سنة 126 هـ. وأقره مروان بن محمد، ثم عزله بعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك. توفي بعد سنة 147 هـ

☪

(؟) في رواية الضحاك بن زمل قال: لما قدم على يزيد[1] بأسرى آل المهلب الذين بعث بهم مسلمة، شاور من حضره فقال: ما تقولون في هؤلاء؟ قال: بعض من حضر: قد قدرت يا أمير المؤمنين فاعف، فقام عثمان بن حيان المري[2] فقال: والله ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح] فقال رجاء بن حيوة: بل نقول كما قال الله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام] وكان يلعن يزيد بن المهلب بعد خلعه. وقال رجاء لعثمان: ما دعاك إلى ما قلت؟ قال عثمان: أبا المقدام. إن الله خلق للنار أهلا فجعلني منهم، وخلق للجنة أهلا فجعلك منهم، فقال رجاء: ما أنا عند نفسي من أهل الجنة. ثم دفعهم يزيد إلى زيد بن أرطاة[3] وإلى ابن النصري وغيرهما فقتلوا. ومن رواية أبي عبيدة معمر بن المثنى أن الأسرى لما حملوا إلى يزيد بن عبد الملك قام خالد بن عبد الله القسري فذكر العفو والصلح، وكان مفوها، وقال: أنهم أحداث لا جرائم لهم ورققه عليهم بجهده حتى هم بالعفو عنهم، فقام عثمان بن حيان المري فقال: كلا يا أمير المؤمنين لا تعف عنهم واحصدهم بمعصيتك كما انبتهم بطاعتك، فلعمري ما ترضى عشيرة منا أذنبت ذنبا وقد صفحت عن هؤلاء إلا أن تصفح عن ذنوبهم، فمن هؤلاء الأعلاج الذين لا أصل لهم ولا فرع. نكل بهم يرتدع غيرهم يا أمير المؤمنين.وأشار عليه رجاء بن حيوة بالعفو عنهم وقال: إن الله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام] فأبى يزيد بن عاتكة أن يعفو عنهم ودفع بكل رجل ممن قتل مع عدي بن أرطاة رجلا إلى وليه ثم خلى الباقين ويقال قتلهم

☪

قالت العلماء: لا يؤخذ بريء بجريرة غيره؛ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام] وهذا هو العدل الذي لا عدل فوقه، فالمهتدي يقطف ثمار هدايته، والضال ضلالة على نفسه، ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء] قال علي بن نايف: إن جميع الشرائع السماوية مجمعة على مبدأ المسؤولية الفردية، فلا مشاركة في ثواب أو عقاب، فكل نفس بما كسبت رهينة، وهذا ما أشار إليه الله تعالى بقوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النجم] فلا تحمل نفس حمل أخرى، لا تخفيفا عن نفس ولا تثقيلا على أخرى، ولا تؤخذ نفس بجريرة غيرها، ولا تملك نفس أن تخفف من وزرها ولا أن تتطوع فتحمل عن نفس غيرها شيئا. كذلك، فما يحسب للإنسان إلا سعيه وعمله، وهذه الحياة الدنيا هي الفرصة المعطاة له ليعمل ويسعى، ولن يضيع من هذا السعي شيء، ولن يغيب عن علم الله وميزانه الدقيق مثقال ذرة، وسينال كل فرد جزاء سعيه وافيا كاملا، لا نقص فيه ولا ظلم. وبذلك يتحدد مبدأ فردية التبعة، إلى جانب عدالة الجزاء، فتتحقق للإنسان قيمته الإنسانية، القائمة على اعتباره مخلوقا راشدا مسؤولا ومؤتمنا على نفسه، وتتحقق له كذلك الطمأنينة إلى عدالة الجزاء، عدالة مطلقة لا يميل بها الهوى، ولا يقعد بها القصور، ولا ينقص منها الجهل بحقائق الأمور. انتهى. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ* الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ* هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ* ثُمَّ يَقُولُ: فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ [الروم]﴾ وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أولاد المشركين فقال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ إِذْ خَلَقَهُمْ﴾ وقد أجاب جماعة من العلماء بأن الحديث محمول على الزجر عن التسرع في القطع من غير دليل، أو بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل علمه أنهم في الجنة، ثم قال: ﴿مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ﴾ وعن عائشة أم المؤمنين قالت: ﴿دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طُوبَى لِهَذَا عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ: أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ﴾.

☪

قال مسلمة بن عبد الملك: الأمير في كندة رجاء بن حيوة وعبادة بن نسي[4] وعدي بن عدي[5]، إن الله لينزل بهم الغيث، وينصر بهم على الأعداء انتهى، وكان رجاء بن حيوة يجالس عمر بن عبد العزيز، وكان يوما عند عبد الملك بن مروان، وقد ذكر عنده شخص بسوء، فقال عبد الملك: والله إن أمكنني الله منه لأفعلن به ولأصنعن، فلما أمكنه الله منه هم بإيقاع الفعل به، فقام إليه رجاء بن حيوة المذكور، وقال: يا أمير المؤمنين، قد صنع الله لك ما أحببت، فاصنع ما يحب الله من العفو، فعفا عنه وأحسن إليه، وقد تقدم أنه هو الذي أشار على سليمان بن عبد الملك في مرض موته أن يجعل ولي العهد بعده عمر بن عبد العزيز، ففعل، وكتب ذلك في كتاب ثم ختمه، وجمع الناس وأمرهم أن يبايعوا المذكور في باطن الكتاب فبايعوا وهم لا يدرون من فيه، ثم كذلك لما مات سليمان جمع الناس قبل أن يعلموا بموته فقال لهم: أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب فبايعوا، ثم قال لهم: أعظم الله أجركم في أمير المؤمنين، ثم فتحوا الكتاب فعرفوا أن المبايع فيه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، كل ذلك بإشارة رجاء بن حيوة ونصيحته وتوفيقه للصواب وهدايته، رحمة الله تعالى. وعن عبد الله بن عثمان الأزدي، قال: كان عبادة بن نسي على القضاء، فأهدى له رجل قلة عسل، فقبلها وهو يخاصم إليه، فقضى عليه، ثم قال: يا فلان، ذهبت القلة. وعن موسى بن يزيد عن عمه قال: قال هشام لرجاء بن حيوة: ألست صاحب عمر يوم ناجيته في الدار وقد توفي سليمان؟ فقال: يا أمير المؤمنين، والله ما دعاني ولا ناجاني إلا في صرف الخلافة عنه. فقال هشام: رحم الله أبا حفص كان في أمر وكنا في غيره.

☪

في كتاب عبد الله بن جعفر العامري قال: ذكروا أنه كان عند معاوية بن أبي سفيان خطباء العرب، فسألهم عن المروءة، فقال له المغيرة بن شعبة: الدماثة، والرماثة، فقال معاوية: وكيف ذاك؟ قال: الدماثة في الأخلاق سنة أخلاقك، والرماثة حين تستهل في الحكم، فقال معاوية: بخ بخ، وليست هناك. فقال صعصعة بن صوحان: الصبر والصمت، فقال معاوية: وكيف ذاك؟ قال: أن تصبر على ما غاظك، وأن تصمت إلى حين ينبغي لك الكلام. فقال معاوية: بخ بخ، وليست هناك. فقال أبو الأسود الدؤلي: سخاء النفس، وحسن الخلق، فقال: بخ بخ، وليست هناك. فقال عمرو بن العاص: المال، والوالي، قال: وكيف ذاك؟ قال: لا يصلح المال إلا بوال، ولا وال إلا بمال، قال: بخ بخ، وليست هناك. فقال يزيد بن معاوية: أنا أخبرك، فأعرض عنه، ثم أعاد الثانية، فأعرض عنه، ثم أعاد الثالثة، فقال: وكيف ذاك؟ قال: الحلم إذا ذكرت، وإذا أعطيت شكرت، وإذا ابتليت صبرت، وإذا عصيت غفرت، وإذا أحسنت استبشرت، وإذا أسأت استغفرت، وإذا وعدت أنجزت. فقال معاوية: بأبي أنت وأمي، أنت مني وأنا منك. وقيل: قدم وفد من وفود العرب على معاوية، فقال لهم: ما تعدون المروءة فيكم؟ قالوا: العفاف، والدين، والإصلاح في المعيشة. فقال معاوية: اسم يا يزيد.

----

*(تنتج) تلد (جمعاء) سليمة الأعضاء كاملتها (جدعاء) مقطوعة الأذن

■ (4) عبادة بن نسي الكندي، أبو عمر الأزدي قاضي طبرية. روى عن أبي بن عمارة، وشداد بن أوس، وأبي سعيد الخدري، ومعاوية، وغيرهم، وكان شريفا نبيلا، موصوفا بالصلاح والفضل والجلالة، وثقه ابن معين، ولي قضاء الأردن لعبد الملك بن مروان، وولي جند الأردن لعمر بن عبد العزيز. توفي عبادة بن نسي سنة عشرة 118 هـ.

■ (5) عدي بن عدي بن عميرة بن فروة، من بني الارقم، من كندة: سيد أهل الجزيرة في رمانه. كان ناسكا فقيها. ولاه سليمان بن عبد الملك قضاء الجزيرة وإرمينية وأذربيجان. وأقره عمر بن عبد العزيز. مات سنة 121هـ

■ (2) عثمان بن حيان بن معبد بن شداد بن نعمان بن رباح بن أسعد بن ربيعة.مولى أم الدرداء أو عتبة بن أبي سفيان. ويلقب بأبي المغراء الدمشقي، حدث عن: أم الدرداء. ولاه الوليد بن عبد الملك على المدينة، بعد أن عزل عمر بن عبد العزيز عنها، وذلك برأي من الحجاج..وكان ظلوما عسافا جائرا [الوفاة: 101 – 110 هـ]

■ (3) زيد بن أرطاة الفزاري الدمشقي أخو عدي بن أرطاة وكان الأكبر روى عن جبير بن نفير الحضرمي عداده في أهل الشام

■ (1) يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة الاموية في الشام. ولد في دمشق، وولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز سنة 101 هـ بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك. وكانت في أيامه غزوات أعظمها حرب الجراح الحكمي مع الترك وانتصاره عليهم. وخرج عليه يزيد بن المهلب، بالبصرة، فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله. وكان أبيض جسيما مدور الوجه، مليحه، فيه مروءة كاملة، مع إفراط في الانصراف إلى اللذات. ومات في إربد من بلاد الاردن أو الجولان سنة 105 هـ، بعد موت قينة له اسمها حبابة بأيام يسيرة، وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق، فدفن فيها. وكان لحبابة، هذه، أثر في أحكام التولية والعزل، على عهده. ونقل الديار بكري (في تاريخ الخميس) أنه مات عشقا قال: ولا يعلم خليفة مات عشقا غيره وكان يلقب ب القادر بصنع الله ونقش خاتمه: فني الشباب يا يزيد ! وربما قيل له يزيد بن عاتكة نسبة إلى أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية. ونقل اليافعي أنه لما استخلف قال: سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز، فأتوه بأربعين شيخا شهدوا له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب ! وكانت مدة خلافته أربع سنين وشهرا.

مراجع: مشاهير علماء الأمصار/ مختصر تاريخ دمشق/ الوافي بالوفيات/ الأعلام للزركلي/ أنساب الأشراف/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ كتاب العين/ تاج العروس/ مسند أحمد/ نثر الدر/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ تاريخ الإسلام للذهبي/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) وميمون بن مهران 0492

استعمل عمر بن عبد العزيز ميمون بن مهران[1] على الجزيرة* (الرقة) على قضائها وخراجها، فكتب إليه ميمون يستعفيه وقال: كلفتني ما لا أطيق، أقضي بين الناس، وأنا شيخ كبير ضعيف رقيق.فكتب إليه عمر :اجب من الخراج الطيب، واقض بما استبان لك، فإذا التبس عليك أمر فارفعه إلي فإن الناس لو كانوا إذا كبر عليهم أمر تركوه ما قام دين ولا دنيا.وقيل إن عمر كتب إليه: إني لم أكلفك تعبا في علمك ولا في جبايتك فاجب ما جبيت من الحلال ولا تجمع للمسلمين إلا الحلال الطيب قال ميمون بن مهران: قال لي عمر بن عبد العزيز: يا ميمون، إني أوصيك بثلاث فاحفظهن، قلت: يا أمير المؤمنين ما هن؟ قال: لا تخل بامرأة ليس بينك وبينها محرم، وإن قرأت عليها القرآن، ولا تصاف قاطع رحم، فإن الله عز وجل لعنه في آيتين من كتاب الله: آية في الرعد قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ وفي سورة محمد صلى الله عليه وسلم :﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ ولم يذكر الثالثة. وعن ميمون قال: وددت أن إحدى عيني ذهبت لي الأخرى أستمتع بها حياتي وإني لم ألي، قيل: ولا لعمر بن عبد العزيز؟ قال: لا خير في العمل لعمر ولا لغيره. وفي رواية قال: وددت أن أصبعي قطعت من ها هنا وأني لم ألي، قيل: ولا لعمر؟ قال: لا لعمر ولا لغيره. وكان عمر بن عبد العزيز إذا نظر إلى ميمون بن مهران قال: إذا ذهب هذا وقرنه صار الناس من بعدهم رجاجاً* .

----

* (الجزيرة) الجزيرة الفراتية.(الرجاج) ضعفاء الناس و مهازيل الغنم والإبل.

■ (1) ميمون بن مهران مولى بني أسد، أبو أيوب، كان مملوكا لامرأة من ثمالة بالكوفة فأعتقته وبها نشأ، كان مؤدب أولاده الخليفة عمر، سكن الجزيرة بعد وقعة الجماجم، وتولى قضاء الرقة لعمر، يروي عن ابن عمر، ولد سنة المجاعة 40 هـ ومات بالرقة سنة 118 هـ وقيل سنة 117 هـ

☪

قال عمرو بن ميمون بن مهران:[2] خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة، فمررت بجدول، فلم يستطع الشيخ أن يتخطاه، فاضطجعت له فمر على ظهري، ثم قمت فأخذت بيده فدفعنا إلى منزل الحسن[3]، فطرقت الباب، فخرجت جارية فقالت: من هذا؟ فقلت: هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن، فقالت: ميمون بن مهران كاتب عمر بن عبد العزيز؟ قلت لها: نعم. قالت:* يا شقي؛ ما أبقاك إلى هذا الزمان السوء؟ فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا، ثم دخلا، فقال ميمون: يا أبا سعيد؛ إني قد آنست من قلبي غلظة، فاستلن لي (يعني صف لي شيئا يلين قلبي)، فقرأ الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء] ، قال عمرو: فسقط الشيخ فرأيته يفحص برجله كما تفحص الشاة المذبوحة، فأقام طويلا ثم أفاق (يعني أغمي عليه ثم أفاق)، فجاءت الجارية فقالت: قد أتعبتم الشيخ (تعني الحسن)؛ قوموا تفرقوا، فأخذت بيد أبي فخرجت به، ثم قلت له: يا أبتاه؛ هذا الحسن قد كنت أحسب أنه أكثر من هذا، قال: فوكز أبي في صدري وقال: يا بني، لقد قرأ علينا آية لو تفهمتها بقلبك لألفي لصافيه كلوم (أي جروح)، يعني: لو تدبرت هذه الآية وفهمتها لشقت كبدك وجرحت قلبك* .

عن ميمون قال: قال لي محمد بن مروان[4] في الديوان: ائت قلت: لا، قال: فما يمنعك أن تكتتب في الديوان؟ فيكون لك سهم في الإسلام؛ قلت: إني لأرجو أن يكون لي سهام في الإسلام، فقال: من أين ولست في الديوان؟ قلت: شهادة أن لا إله إلا الله وحده سهم والزكاة سهم وصيام رمضان سهم والحج سهم، قال محمد: ما كنت أحسب أن لأحد في الإسلام سهماً إلا من كان في الديوان.قال: قلت: هذا ابن عمك حكيم بن حزام[5] لم يأخذ ديواناً قط، وذلك أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم مسألة فقال:استعف يا حكيم خير لك، قال: ومنك يا رسول الله؟قال:ومني، قال: لا جرم لا أسألك ولا غيرك شيئاً أبداً ولكن ادع الله أن يبارك لي في صفقتي، يعني التجارة، فدعا له.قال حكيم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى وَلْيَبْدَأْ أَحَدُكُمْ بِمَنْ يَعُولُ وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ فَقُلْتُ وَمِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَمِنِّي قَالَ حَكِيمٌ قُلْتُ لَا تَكُونُ يَدِي تَحْتَ يَدِ رَجُلٍ مِنْ الْعَرَبِ أَبَدًا﴾

قال مروان بن معاوية الفزاري عن شيخ من بني شيبان كان يسكن الجزيرة يقال له إبراهيم: دخل ميمون بن مهران على سليمان بن عبد الملك أو هشام منزله فلم يسلم عليه بالإمرة، فقال له: يا أمير المؤمنين، لا ترى أني جهلت، ولكن الوالي إنما يسلم عليه بالإمرة إذا جلس للناس في موضع الاحكام.

----

* (قالت: يا شقي؛ ما أبقاك إلى هذا الزمان السوء؟) في رواية قالت: يا أسفا ما يقال: إن هذا للزمان السوء.(لو تفهمتها بقلبك لألفي لصافيه كلوم) في رواية قال: لو فهمتها بقلبك لبقي لها فيك كلوم، والكلم هو: الجرح، لبقي فيه جروح من تأثير هذه الآية

■ (2) عمرو بن ميمون بن مهران، كنيته أبو عبد الله الجزري ويقال أبو عبد الرحمن، يقال أن جده مهران كان كاتبا لبني نصر بن معاوية فعتق وأن أباه ميمون يكنى أبا أيوب كان مملوكا لأم عز امرأة من الأزد من ثمالة فأعتقته ولم يزل بالكوفة إلى هيج الجماجم ثم تحول إلى الجزيرة.مات سنة145 هـ بحصن مسلم أو سنة 147 هـ بالكوفة

■ (4) محمد بن مروان بن الحكم كان والي الموصل والجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان. واشتهر بقوة البأس، حتى كان أخوه الخليفة عبد الملك يحسده على ذلك.له وقائع وحروب مع الروم. وهو والد (مروان الحمار) آخر ملوك بني أمية. ومات سنة 101 هـ

■ (5) حكيم بن حزام حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، أبو خالد، وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين. ولد بمكة (في الكعبة) شهد حرب الفجار، وكان صديقا للنبي قبل البعثة وبعدها. وعمر طويلا، قيل 120 سنة. وكان من سادات قريش في الجاهلية والإسلام، عالما بالنسب. أسلم يوم الفتح، وفيه الحديث يومئذ: ﴿مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ فَهُوَ آمِنٌ﴾ [الحاوي الكبير]. توفي حكيم بن حزام بالمدينة سنة 54 هـ

■ (3) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

☪

أيها الإخوة المؤمنون، انظروا كيف تأثر ذلك الشيخ بكلام الجارية وبكى وهي تقول له: ما أبقاك إلى هذا الزمان السوء؟ فبكى أنه عاش حتى أدرك الشر فقسا قلبه، وانظروا إليه كيف غُشِيَ عليه عند سماع هذه الآيات العظيمة من كتاب الله فسقط على الأرض وهو يفحص برجله كالشاة المذبوحة، والعجيب أنه جاء يشكو للحسن أنه آنس من قلبه غلظة، وجاء يطلب مُلَيِّنًا لقلبه، وانظروا إلى سرعة استجابة قلبه للدواء الشافي- القرآن العظيم- إنها قلوب حية سليمة:﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء] ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر]

قال أبو الحسن الميموني: سمعت عمي عمراً يقول: ما كان أبي يكثر الصيام ولا الصلاة، كان يكره أن يعصى الله. قال ميمون: التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان عاص ومن شريك شحيح. وقال: لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، وحتى يعلم من أين مطعمه، ومن أين ملبسه، ومن أين مشربه أمن حلال ذلك أم من حرام. قال أبان بن أبي راشد القشيري: كنت إذا أردت الصائفة أتيت ميمون بن مهران أودعه، فما يزيدني على كلمتين: اتق الله، ولا يغيرك غضب ولا طمع. قال ميمون: لقد أدركت من لم يتكلم إلا الحق أو يسكت، وأدركت من لم يكن يملأ عينيه من السماء فرقاً من ربه، وقد أدركت من كنت أستحي أن أتكلم عنده. قال سليمان بن موسى: إذا أتانا العلم من الحجاز عن الزهري قبلناه، وإذا أتانا من الشام عن مكحول قبلناه، وإذا أتانا من الجزيرة عن ميمون بن مهران قبلناه، وإذا أتانا من العراق عن الحسن قبلناه. زاد في غيره: فكل هؤلاء الأربعة علماء الناس في زمن هشام. قال أبو المليح: ما رأيت أحداً أفضل من ميمون بن مهران، قال له رجل يوماً: يا أبا أيوب أتشتكي؟ أراك مصفراً! قال: نعم، لما يبلغني في أقطار الأرض. وقال ميمون: لا يزال أحدكم حديث عهد بعمل صالح، فإنه أهون عليه حين ينزل به الموت أن يتذكر عملاً صالحاً قد قدمه. وكان يقول: يا معشر الشباب قوتكم اجعلوها في شبابكم ونشاطكم في طاعة الله، يا معشر الشيوخ، حتى متى؟.وعن ميمون قال: لا خير في الدنيا إلى لأحد رجلين: رجل تائب أو رجل يعمل في الدرجات. وعنه قال: من أحب أن يعلم ما له عند الله فليعلم ما لله عنده، فإنه قادم على ما قدم لا محالة. قال حبيب بن أبي مرزوق: رأيت على ميمون جبة صوف تحت ثيابه، فقلت له: ما هذا؟ قال: نعم فلا تخبر به أحداً. وعن ميمون قال: ما يعجبني الذي يجد طيلساناً ثم يلبس البت إلا أن يعدم الفضل، فأما أن يلبس – يعني البت – ويضع الدراهم بعضها على بعض فلا يعجبني. وعن ميمون قال: ما أحب أني أعطيت درهماً في لهو وأن لي مكانه ألفاً، لا يخشى من فعل ذلك أن تصيبه هذه الآية:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان] وعن ميمون قال: ثلاث تؤدى إلى البر والفاجر: الرحم تصلها برة كانت أو فاجرة، والعهد تفي به للبر والفاجر، والأمانة تؤديها إلى البر والفاجر. وعنه قال: ثلاث: المؤمن والكافر فيهن سواء: الأمانة تؤديها إلى البر والفاجر، والعارية تؤديها إلى البر والفاجر، وبر الوالدين، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان] جاء رجل إلى ميمون بن مهران يخطب إليه بنته فقال: لا أرضاها لك! قال: ولم؟ قال: لأنها تحب الحلي والحلل، قال: فعندي من هذا ما تريد، قال: فالآن الذي لا أرضاك لها. قال ميمون بن مهران: بنفسي العلماء، وجدت صلاح قلبي في مجالستهم، هي بغيتي في أرض غربة، وهم ضالتي إذا لم أجدهم. قال ميمون: ما بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا كان إسقاط المكروه عنه أحب إلي ممن أتحققه عليه، فإن قال: لم أقل، كان قوله: لم أقل أكبر عندي من بينة تشهد عليه، وإن قال: قد فعلت، ولم يعتذر، أبغضته من حيث أحببته. قيل لميمون: مالك لا تفارق أخاً لك عن قلى؟ وفي رواية: ما لك لا يفارقك أخ لك عن قلى؟ قال: لأني لا أماريه ولا أشاريه. قال جعفر بن برقان: قلت لميمون بن مهران إن فلاناً يستبطئ نفسه في زيارتك، قال: إذا ثبتت المودة فلا بأس وإن طال المكث. قال ميمون: من رضي من صلة الإخوان بلا شيء فليؤاخ أهل القبور. قال ميمون: إذا نزل بك ضيف فلا تكلف له ما لا تطيق، وأطعمه من طعام أهلك، والقه بوجه طلق، فإنك إن تكلفت له ما لا تطيق أوشك أن تلقاه بوجه يكرهه. وعن ميمون قال: المروءة طلاقة الوجه، والتودد إلى الناس، وقضاء الحوائج. قال يونس: كان طاعون قبل بلاد ميمون بن مهران، فكتبت إليه أسأله عن أهله؛ فكتب إلي: بلغني كتابك تسألني عن أهلي، وإنه مات من أهلي وخاصتي سبعة عشر إنساناً وإني أكره البلاء إذا أقبل، فإذا أدبر لم يسرني أنه لم يكن، أما أنت فعليك بكتاب الله، فإن الناس قد لهوا عنه، يعني نسوه، واختاروا عليه الأحاديث أحاديث الرجال، وإياك والجدال والمراء في الدين، لا تمارين عالماً ولا جاهلاً، فإنك إن ماريت الجاهل خشن بصدرك ولم يطعك، وإن ماريت العالم خزن عنك علمه ولم يبال ما صنعت. قال ميمون: من أساء سراً فليتب سراً، ومن أساء علانية فليتب علانية؛ فإن الناس يعيرون ولا يغفرون، والله يغفر ولا يعير.قيل لميمون بن مهران: فلان اعتق كل مملوك له، فقال: يعصون الله مرتين: يبخلون به وهو في أيديهم حتى إذا صار لغيرهم أسرفوا فيه. كان عند ميمون رجل من قراء أهل الشام فقال: إن الكذب في بعض المواطن خير من الصدق، فقال الشامي: لا، الصدق في كل موطن خير، فقال ميمون: أرأيت لو رأيت رجلاً يسعى وآخر يتبعه بالسيف فدخل الدار فانتهى إليك؟ فقال: أرأيت الرجل؟ ما كنت قائلاً؟ قال: كنت أقول: لا، قال: فذاك.قال ميمون: إذا أتى رجل باب سلطان فاحتجب عنه فليأت بيوت الرحمن فإنها مفتحة وليصل ركعتين وليسل حاجته. وعن ميمون قال: لو نشر فيكم رجل من السلف ما عرف إلا قبلتكم. صلى ميمون بن مهران في سبعة عشر يوماً سبعة عشر ألف ركعة، فلما كان اليوم الثامن عشر انقطع في جوفه شيء فمات.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور/ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر/ تهذيب الكمال/ موسوعة الخطب والدروس/ رجال صحيح البخاري/ الأعلام للزركلي / مسند الصحابة في الكتب التسعة/ تهذيب الكمال/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) والمروانية (١) 0493

قال عمر بن عبد العزيز لآذنه: لا يدخلن علي اليوم إلا مرواني*، فلما اجتمعوا عنده، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنكم يا بني مروان قد أعطيتم في الدنيا حظا وشرفا وأموالا، إني لأحسب شطر مال هذه الأمة أو ثلثه في أيديكم، فردوا ما في أيديكم من هذا المال. فسكتوا. قال: ألا تجيبوني؟ فسكتوا. قال: ألا تجيبوني؟ فتكلم رجل من القوم (هشام؟) قال: لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى يحال بين رؤوسنا وأجسادنا، والله لا نكفر آباءنا ولا نفقر أبناءنا. قال عمر: أما والله يا بني مروان إن لله فيكم ذبحا ولولا أن تستعينوا علي بمن أطلب هذا المال له لأضرعت* خدودكم، قوموا عني. في رواية في العقد الفريد، قال عمر لبني مروان: أدوا ما في أيديكم من حقوق الناس ولا تلجئوني إلى ما أكره فأحملكم على ما تكرهون. فلم يجبه أحد منهم. فقال: أجيبوني. فقال رجل منهم: والله لا نخرج من أموالنا التي صارت إلينا من آبائنا، فنفقر أبناءنا ونكفر آباءنا، حتى تزايل رؤوسنا أجسادنا. فقال عمر: أما والله لولا أن تستعينوا علي بمن أطلب هذا الحق له لأضرعت خدودكم عاجلا، ولكنني أخاف الفتنة، ولئن أبقاني الله لأردن إلى كل ذي حق حقه إن شاء الله. وكان عمر إذا نظر إلى بعض بني أمية، قال: إني أرى رقابا سترد إلى أربابها. ولما مات عمر بن عبد العزيز قعد مسلمة على قبره، فقال: أما والله ما أمنت الرق حتى رأيت هذا القبر. قال العتبي: لما انصرف عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان بن عبد الملك تبعه الأمويون، فما دخلوا إلى منزله، قال له الحاجب: الأمويون بالباب. قال وما يريدون؟ قال: ما عودتهم الخلفاء قبلك. قال ابنه عبد الملك[1]، وهو إذ ذاك ابن أربع عشرة سنة: ائذن لي في إبلاغهم عنك. قال: وما تبلغهم؟ قال: أقول: أبي يقرئكم السلام ويقول لكم:﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام] وعن محمد بن أبان قال: جمع عمر بن عبد العزيز قراء أهل الشام؛ فيهم ابن أبي زكريا الخزاعي[2]فقال: إني جمعتكم لأمر قد أهمني، هذه المظالم التي في أيدي أهل بيتي ما ترون فيها؟ فقالوا: ما نرى وزرها إلا على من اغتصبها، فقال لابنه عبد الملك: ما ترى؟ قال: ما أرى من قدر على ردها فلم يردها والذي اغتصبها إلا سواء، فقال: صدقت أي بني الحمد لله الذي جعل لي وزيرا من أهل عبد الملك ابني. وعن جزي بن عبد العزيز أن زبان بن عبد العزيز[3] قال لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين لو ركبت فتروحت؟ قال: فمن يجزي عني عمل ذلك اليوم؟ قال: تجزيه* من الغد، قال:فدحني*عمل يوم واحد فكيف إذا اجتمع علي عمل يومين، قيل: فإن سليمان قد كان يركب وينتعش ويجزي عمله، قال عمر: ولا يوم واحد من الدنيا ما أجزاه سليمان رد عمر المظالم. قال بشر بن عبد الله: مشى رجال من بني مروان إلى عمر بن عبد العزيز حين أسرع في بيت المال بها رد من المظالم فقالوا: يا أمير المؤمنين إنك ترد أمرا وليه غيرك فأمضاه فدعهم وما عملوا، واستقبل أمرك. فقال: والله لوددت أنه لم يبق مظلمة إلا رددتها ثم خرجت نفسي. وقال إسماعيل بن أبي حكيم: أتى عمر بن عبد العزيز كتاب من بعض بني مروان فأغضبه. فاستشاط غضبا ثم قال: إن لله في بني مروان ذبحا. وايم الله لئن كان ذاك الذبح على يدي. قال فلما بلغهم ذلك كفوا وكانوا يعلمون صرامته وأنه إن وقع في أمر مضى فيه.

قال رجل من حرس عمر بن عبد العزيز: بينما عمر يسير على بغلته بـ خناصرة* إذ جاء رجل متزر ببرد، متعصب بآخر حتى أخذ بلجام بغلته، ما ينهنهه* أحد فقال: من البسيط: تدعون حران مظلوما ليأتيكم..فقد أتاكم لعند الدار مظلوم. فقال: ممن أنت؟ قال: من حضرموت. قال: ما ظلامتك؟ قال: أرضي، وأرض آبائي أخذها الوليد وسليمان بن عبد الملك فأكلاها. فنزل عمر عن دابته يتكئ حتى جلس بالأرض. فقال: من يعلم ذلك؟ قال: أهل البلد قاطبة. قال: يكفيني من ذلك شاهدا عدل. اكتبوا له إلى بلاده، إن أقام شاهدي عدل على أرضه وأرض آبائه وأجداده، فادفعوها إليه، فحسب الوليد وسليمان ما أكلا من غلتها. فلما ولى الرجل قال: هل هلكت لك من راحلة، أو أخلق لك من ثوب، أو نفد لك من زاد، أو تخرق لك من حذاء؟ فحسب ذلك، فبلغ اثنين وثلاثين دينارا أو ثلاثة وثلاثين دينارا. فأتى بها من بيت المال، فكأني أنظر إليها تعد في يده. وعن عمر بن علي بن مقدم قال: قال ابن لسليمان بن عبد الملك لمزاحم:[4] إن لي حاجة إلى أمير المؤمنين عمر، قال: فاستأذنت له فقال: أدخله فأدخلته على عمر فقال ابن سليمان: يا أمير المؤمنين، علام ترد قطيعتي؟ قال: معاذ الله أن أرد قطيعة صحت في الإسلام، قال: فهذا كتابي، وأخرج كتابا من كمه، فقرأه عمر فقال: لمن كانت هذه الأرض؟ قال: للفاسق ابن الحجاج، قال عمر: فهو أولى بماله، قال: فإنها من بيت مال المسلمين، قال: فالمسلمون أولى بها، قال: يا أمير المؤمنين، رد علي كتابي، قال: لو لم تأتني به لم أسألكه، فأما إذ جئتني به فلا ندعك تطلب بباطل، قال: فبكى ابن سليمان، قال مزاحم: فقلت: يا أمير المؤمنين، ابن سليمان اللاطئ الحب اللازق بالقلب، تصنع به هذا؟ قال: ويحك يا مزاحم، إنها نفسي أحاول عنها، وإني لأجد له من اللوط * ما أجد لولدي. وروى أن رجل من عمال الحجاج استعمله عمر بن عبد العزيز، وبلغه أنه كان عاملا للحجاج فعزله، فجاءه يعتذر إليه، ويقلل ما عمل، فقال له عمر: حسبك من صحبة شر وشؤم يوما أو بعض يوم. كان للوليد بن عبد الملك ابن يقال له روح وكان نشأ في البادية فكأنه أعرابي فأتى ناس من المسلمين إلى عمر بن عبد العزيز يخاصمون روحا في حوانيت* حمص وكانت لهم أقطعه إياها أبوه الوليد بن عبد الملك، فقال له عمر: أردد عليهم حوانيتهم، قال له روح: هذا معي بسجل الوليد، قال: وما يغني عنك سجل الوليد والحوانيت حوانيتهم! قد قامت لهم البينة عليها خل لهم حوانيتهم، فقام روح والحمصي منصرفين، فتوعد روح الحمصي، فرجع الحمصي إلى عمر فقال: هو والله متوعدني يا أمير المؤمنين، فقال عمر: لكعب بن حامد[5]وهو على حرسه، اخرج إلى روح يا كعب فإن سلم إليه حوانيته فذلك، وإن لم يفعل فائتني برأسه، فخرج بعض من سمع ذلك ممن يعنيه أمر روح بن الوليد[6]، فذكر له الذي أمر عمر فخلع فؤاده، وخرج إليه كعب وقد سل من السيف شبرا، فقال له: قم فخل له حوانيته، قال: نعم نعم فخلى له حوانيته. وخرج عنبسة بن سعيد من عند عمر وبنو امية جلوس بالباب وفيهم يزيد بن عبد الملك، ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز، فقاموا إلى عنبسة فشكوا إليه عمر، فقالوا: بعث إلينا بعشرة دنانيرعشرة دنانير ولم يمنعنا من ردها إليه إلا خوف من غضبه، قال يزيد: أعلمه أني قد سخطتها، وكأنه يظن أني لا أكون من بعده، فأعلمه ذلك فدخل عنبسة على عمر فكلمه فقال: إن بني أبيك بالباب يعتبون عليك في عشرة دنانير التي بعثتها إلى كل واحد منهم، وكلموني في كلامك أن أخبرك أنهم سخطوها، وقال يزيد: كأنه يظن أني لا أكون من بعده! فقال عمر: فأقرئهم مني السلام، وقل لهم: إن عمر يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: أقسم بالله الذي لا إله إلا هو، ما زلت هذه الليلة الماضية ساهرا أناجي الله وأستغفره منها حيق أعطيتكموها دون المسلمين، فلا والله العظيم لا أعطيكم درهما إلا أن يأخذ جميع المسلمين، وأما أنت يا يزيد، فأناشدك الله الذي لا إله إلا هو، لو خلعت نفسي وخلعني المسلمون ووليت، هل كنت فاعلا بي إلا دون ما فعلت بنفسي إذا وليت الأمور؟! فشأنك بها، فخرج عنبسة فقال: أنتم فعلتم بأنفسكم، تزوجتم إلى عمر بن الخطاب بنت عاصم فجئتم بمثل عمر، فأخبرهم الخبر وقال: من كان له منكم يا بني عمي ضيعة فليقم فيها يصلحها. قال: ولما بايع الناس عمر بن عبد العزيز بعد مهلك سليمان بلغ ذلك عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص(؟) فكتب إلى هشام بن عبد الملك يوبخه فقال:أبلغ هشام والذين تجمعوا..بدابق عني لا وقيتم ردى الدهر..وأنتم أخذتم حتفكم بأكفكم..كباحثة عن مدية وهي لا تدري..عشية بايعتم إماما مخالفا..له شجن بين المدينة والحجر. فأجابه بعض ولد مروان عن هشام ابن عبد الملك فقال: أبلغ أبا مروان عني رسالة..فماذا ذممت من وفائي ومن صبري..ولو كان ما تدعو إليه هو الهدى..لما كنت فيه ذا عناء ولا ذكر..وكنت من الريش الذنابي ولم تكن..من الزمرة الأولى ولا منبت الصبر..ونحن كفيناك الأمور كما كفى..أبونا أباك الأمر في سالف الدهر. قيل: أتى رجل هشام بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين، إن عبد الملك أقطع جدي قطيعة، فأقرها الوليد وسليمان، حتى إذا استخلف عمر رحم الله عمر نزعها. قال: إن فيك لعجبا، إنك تذكر من أقطع جدك، ومن أقرها في يده، فلا ترحم عليه، وتذكر من نزعها فترحم عليه؟ قم، فإنا قد أمضينا ما صنع عمر، رحم الله عمر.

* (مرواني) نسبة إلى المروانيين من بني أمية، وأولهم مروان بن الحكم (لأضرعت) ضرع له يضرع بفتحتين ضراعة ذل وخضع. وفي رواية: لأصعرت أي لأملتها وذلك كناية عن إخضاعهم للحق(نهنه) النهنهة الكف تقول نهنهت فلانا إذا زجرته فتنهنه أي كففته فكف. (اللوط) أي ألصق بالقلب.لاط الشيء بقلبي يلوط ويليط ويقال هو ألوط بقلبي وأليط وإني لأجد له في قلبي لوطا وليطا يعني الحب اللازق بالقلب ولاط حبه بقلبي يلوط لوطا لزق وفي حديث أبي بكر أنه قال إن عمر لأحب الناس إلي ثم قال اللهم أعز والولد ألوط قال أبو عبيد قوله والولد ألوط أي ألصق بالقلب(خناصرة) قرية صغيرة شمال الشام(حوانيت) جمع حانوت،محل التجارة (فدحني) فدح: فدحه الدين: أثقله. في المعرفة والتاريخ وسيرة ابن عبد الحكم: فدحني. وأيضا: حسبي (تجزئ) تكفي وتغني وتقضي.

- (2) عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي، فقيه أهل دمشق، كان عمر بن عبد العزيز يجلسه معه على السرير،قال أبو مسهر:كان سيد أهل المسجد أو قال أهل دمشق قيل:بم سادهم؟قال بحسن الخلق. توفي سنة 117 هـ
- (1) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، كان ناسكا زكيا طاهرا وكان من أتقى الناس وأحسنهم معونة لأبيه وكان كثيرا ما يعظ أباه وينهاه. توفي رحمه الله في حدود 101 هـ عن بعض مشيخة أهل الشام قال كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما ادخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك
- (4) مزاحم بن أبي مزاحم المكي، مولى عمر بن عبد العزيز، وقيل: مولى طلحة. أصله من سبي البربر. قال ميمون بن مهران: ما رأيت ثلاثة في بيت خيرا من عمر بن عبد العزيز، وابنه عبد الملك ومواه مزاحم. قيل: إنه سقط فمات.
- (5) كعب بن حامد العنسي (العبسي؟) صاحب الشرط، قيل: كان قائد، من غزاة البحر، وقيل: تولى الشرطة لعبد الملك بن مروان، ثم للوليد، ثم لسليمان، ثم لعمر بن عبد العزيز، ثم ليزيد، ثم لهشام وأقره هشام على الشرط ثلاث عشرة سنة ثم ولاه أرمينية، ومات نحو 95 هـ.
- (3) زبان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أخو أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، كان اشهر إخوته في الفروسية، ولده بمصر وأبوه أميرها، قال ابن يونس حضر الوقعة مع مروان بن محمد ليلة قتل مروان فقتل هو أيضا تقطرت به فرسه فخر عنها فقتلوه فما عرفه إلا بكر بن كليب والى اشمون وذلك ليلة آخر ذي الحجة سنة 132 هـ
- (6) روح بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمه أم الولد، قُتِل من أولاده 18 رجلاً في يوم مجزرة أبي فطرس التي قادها عبد الله بن علي بن عبد الله، عم السفاح والمنصور (؟) إذا كان عبد الرحمن بن الحكم بن هشام فهو متوفي سنة 238 هـ ؟ وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص متوفي نحو 70 هـ ؟

☪

قال أبو الزناد: كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم إلى أهلها بغير البينة القاطعة. كان يكتفي بأيسر ذلك. إذا عرف وجها من مظلمة الرجل ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما كان يعرف من غشم الولاة. قال إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: ما كان يقدم على أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[1] كتاب من عمر إلا فيه رد مظلمة أو إحياء سنة أو إطفاء بدعة أو قسم أو تقدير عطاء أو خير. حتى خرج من الدنيا. وعن الثقة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان والي المدينة، أما بعد فقد قرأت كتابك إلى سليمان تذكر فيه أنه كان يقطع لمن كان قبلك من أمراء المدينة من الشمع كذا وكذا يستضيئون به في مخرجهم فابتليت بجوابك فيه، ولعمري لقد عهدتك يا ابن ام حزم وأنت تخرج من بيتك في الليلة الشاتية المظلمة بغير مصباح ولعمري أنت يومئذ خير منك اليوم ولقد كان في فتائل أهلك ما يغنيك، والسلام. وقال أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: كتب إلي عمر بن عبد العزيز أن استبرئ الدواوين فانظر إلى كل جور جاره من قبلي من حق مسلم أو معاهدة فرده عليه. فإن كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم. وقال موسى بن عبيدة: سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: وإياك والجلوس في بيتك، اخرج للناس فآس بينهم في المجلس والمنظر ولا يكن أحد من الناس آثر عندك من أحد، ولا تقولن هؤلاء من أهل بيت أمير المؤمنين فإن أهل بيت أمير المؤمنين وغيرهم عندي اليوم سواء بل أنا أحرى أن أظن بأهل بيت أمير المؤمنين أنهم يقهرون من نازعهم، وإذا أشكل عليك شيء فاكتب إلي فيه. وعن حزم بن أبي حزم قال: قال عمر بن عبد العزيز في كلام له: فلو كان كل بدعة يميتها الله على يدي وكل سنة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي حتى يأتي آخر ذلك على نفسي كان في الله يسيرا. وعن حماد بن أبي سليمان أن عمر بن عبد العزيز قام في مسجد دمشق ثم نادى بأعلى صوته: لا طاعة لنا في معصية الله. وعن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: قال لي عمر: ما وجدت في إمارتي هذه شيئا ألذ من حق وافق هوى. قال عبد الله بن واقد: إن آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس الحقوا ببلادكم فإني أذكركم في بلادكم وأنساكم عندي، ألا وإني قد استعملت عليكم رجالا لا أقول هم خياركم ولكنهم خير ممن هو شر منهم، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علي، والله لئن منعت هذا المال نفسي وأهلي ثم بخلت به عليكم إني إذا لضنين، والله لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقا.

- (1) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري الخزرجي النجاري المدني التابعي، كان أمير المدينة وقاضيها لسليمان بن عبد الملك، ثم للخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، ولد أبو بكر بالمدينة سنة36 هـ وتوفي فيها سنة 120 هـ وقيل سنة117 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ لسان العرب/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ طبقات خليفة/ سير أعلام النبلاء/ المحاسن والمساوئ/.

روى أبو محمد بن عبد الحكم قال: قال: لما حضر سليمان واشتد ما به أمر بالبيعة لمن كان في كتابه ممن عهد إليه فبايع الناس ولا يعلمون من في كتابه ثم قضى الله على سليمان بالموت فلما مات كتمه رجاء بن حيوة[1] ثم خرج إلى الناس فقال: إن أمير المؤمنين يأمركم بتجديد البيعة لمن كان عهد إليه وقد أصبح بحمد الله صالحا فقالوا: أوصلنا إلى أمير المؤمنين لننظر إليه وننفذ لأمره فدخل فأمر به فأسند بالوسائد وأقام عنده خادما وأمر بالناس فأدخلوا عليه فيقفون عند الباب فيسلمون من بعيد يرون شخصه فيرد الخادم عنه رد المريض وهم ينظرون إليه ثم قال: يأمركم أمير المؤمنين أن تبايعوا لمن عهد إليه وتسمعوا له وتطيعوا فخرجوا إلى المسجد والناس مجتمعون وجوه بني مروان وبني أمية وأشراف الناس فبايعوا حتى إذا رضي رجاء من ذلك نظر فإذا هو لا يرى عمر فخرج يلتمسه في المسجد حتى رآه قاصيا فوقف عليه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قم إلى المنبر فقال: أنشدك الله يا رجاء فقال رجاء: أناشدك الله أن يضطرب بالناس حبل فقد لقي سليمان ربه وقضى الله عليه الموت فقام عمر حتى جلس على المنبر فنعى للناس سليمان وفتح الكتاب فإذا فيه استخلاف عمر ويزيد بن عبد الملك[2] من بعد عمر فلما قرأ ذكر عمر جثا هشام بن عبد الملك[3] على ركبتيه وقال: هاه، فسل رجل من أهل الشام سيفه وقال: تقول لأمر قد قضاه أمير المؤمنين هاه، فلما قرأ ثم يزيد بن عبد الملك من بعد عمر قال: هشام سمعنا وأطعنا فسمع الناس وأطاعوا وقاموا فبايعوا لعمر. وكان رجل قد رأى في منامه كأن قائلا من السماء ينظر إليه يقولن أتاكم العدل واللين وإظهار العمل الصالح في المصلين فقال له الرجل: من هو يرحمك الله؟ فنزل إلى الأرض وكتب بيده عمر فاستخلف عمر في يوم تلك الليلة. ثم أخذ في جهاز سليمان فخرج به فحانت المغرب قبل أن يصلى عليه فصلى عمر المغرب ثم صلى عليه ثم حمل سليمان من قصره إلى قبره فلما دفن سليمان دعا عمر بدواة وقرطاس فكتب ثلاثة كتب لم يسعه فيما بينه وبين الله عز وجل أن يؤخرها فأمضاها من فوره فأخذ الناس في كتابه إياها هنالك في همزه يقولون: ما هذه العجلة؟! أما كان يصبر إلى أن يرجع إلى منزله؟! هذا حب السلطان؟! هذا الذي يكره ما دخل فيه؟! ولم يكن بعمر عجلة ولا محبة لما صار إليه ولكنه حاسب نفسه ورأى أن تأخير ذلك لا يسعه. كتب بقفل مسلمة بن عبد الملك[4] من القسطنطينية وقد كان سليمان أغزاه إياها برا وبحرا وأشفى على فتحها ثم خدع عنها حتى أحرزوا طعامهم وحوائجهم ثم أغلقوها دونه بعد الإشفاء عليها فبلغ ذلك سليمان فغضب مما فعل به فحلف أن لا يقفله منها ما دام حيا فاشتد عليهم المقام وجاعوا حتى أكلوا الدواب من الجهد والجوع حتى يتنحى الرجل عن دابته فتقطع بالسيوف فبلغ رأس الدابة كذا وكذا درهما ولج سليمان في أمرهم فكان ذلك يغم عمر فلما ولي رأى أنه لا يسعه فيما بينه وبين الله عز وجل أن يلي شيئا من أمور المسلمين ثم يؤخر قفلهم ساعة فذلك الذي حمله على تعجيل الكتاب.وكتب بعزل أسامة بن زيد التنوخي[5] وكان على خراج مصر وأمر به أن يحبس في كل جند سنة ويقيد ويحل عن القيد عند كل صلاة ثم يرد في القيد وكان غاشما ظلوما معتديا في العقوبات بغير ما أنزل الله عز وجل يقطع الأيدي في خلاف ما يؤمر به ويشق أجواف الدواب فيدخل فيها القطاع ويطرحهم للتماسيح فحبس بمصر سنة ثم نقل إلى أرض فلسطين فحبس بها سنة ثم مات عمر رحمه الله وولي يزيد بن عبد الملك فرد أسامة على مصر .وكتب بعزل يزيد بن أبي مسلم[6] عن إفريقية وكان عامل سوء يظهر التأله والنفاذ لكل ما أمر به السلطان مما جل أو صغر من السيرة بالجور والمخالفة للحق وكان في هذا يكثر الذكر والتسبيح ويأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذبون وهو يقول: سبحان الله والحمد لله شد يا غلام موضع كذاوكذا لبعض مواضع العذاب وهو يقول: لا إله إلا الله والله أكبر، شد يا غلام موضع كذاوكذا فكانت حالته تلك شر الحالات فكتب بعزله، فهذا سبب الثلاثة التي عجل بها.

قال: ولما دفن سليمان وقام عمر بن عبد العزيز فقربت إليه المراكب فقال: ما هذه فقالوا: مراكب لم تركب قط يركبها الخليفة أول ما يلي فتركها وخرج يلتمس بغلته وقال: يا مزاحم[7] ضم هذا إلى بيت مال المسلمين ونصبت له سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط كانت تضرب للخلفاء أول ما يلون فقال: ما هذه؟ فقالوا: سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط يجلس فيها الخليفة أول ما يلي، قال: يا مزاحم ضم هذه إلى أموال المسلمين ثم ركب بغلته وانصرف إلى الفرش والوطاء الذي لم يجلس عليه أحد يفرش للخلفاء أول ما يلون فجعل يدفع ذلك برجله حتى يفضي إلى الحصير ثم قال: يا مزاحم ضم هذا لأموال المسلمين. وبات عيال سليمان يفرغون الدهان والطيب من هذه القارورة إلى هذه القارورة ويلبسون ما لم يلبس من الثياب حتى تتكسر وكان الخليفة إذا مات فما لبس من الثياب أو مس من الطيب كان لولده وما لم يلبس من الثياب وما لم يمس من الطيب فهو للخليفة بعده فلما أصبح عمر قال له أهل سليمان: هذا لك، وهذا لنا، قال: وما هذا وما هذا؟ قالوا: هذا مما لبس الخليفة من الثياب ومس من الطيب فهو لولده وما لم يمس ولم يلبس فهو للخليفة بعده وهو لك، قال عمر: ما هذا لي ولا لسليمان ولا لكم، ولكن يا مزاحم ضم هذا كله إلى بيت مال المسلمين، ففعل فتوامر الوزراء فيما بينهم فقالوا: أما المراكب والسرادقات والحجر والشوار والوطاء فليس فيه رجاء بعد أن كان منه فيه ما قد علمتم وبقيت خصلة هي الجواري نعرضهن عليه فعسى أن يكون ما تريدون فيهن فإن كان وإلا فلا طمع لكم عنده فأتي بالجواري فعرضن عليه كأمثال الدمى فلما نظر إليهن جعل يسألهن واحدة واحدة من أنت ولمن كنت ومن بعث بك فتخبره الجارية بأصلها ولمن كانت وكيف أخذت فيأمر بردهن إلى أهليهن ويحملن إلى بلادهن حتى فرغ منهن فلما رأوا ذلك أيسوا منه وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق. واحتجب عن الناس ثلاثا لا يدخل عليه أحد ووجوه بني مروان وبني أمية وأشراف الجنود والعرب والقواد ببابه ينظرون ما يخرج عليهم منه فجلس للناس بعد ثلاث وحملهم على شريعة من الحق فعرفوها فرد المظالم وأحيا الكتاب و السنة وسار بالعدل ورفض الدنيا وزهد فيها وتجرد لإحياء أمر الله عزوجل فلم يزل على ذلك حتى قبضه الله عزوجل، فرحمه الله. وعن الحجاج بن عنبسة بن سعيد قال: اجتمع بنو مروان فقالوا: لو دخلنا على أمير المؤمنين فعطفناه علينا وأذكرناه أرحامنا قال: فدخلوا فتكلم رجل منهم فمزح قال: فنظر اليه عمر قال: فوصل له رجل كلامه بالمزاح فقال عمر: لهذا اجتمعتم لأخس الحديث ولما يورث الضغائن إذا اجتمعتم فأفيضوا في كتاب الله تعالى فإن تعديتم ذلك ففي السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن تعديتم ذلك فعليكم بمعاني الحديث. قال: واجتمعت بنو أمية فكلموا رجلا أن يكلمه في صلة أرحامهم والعطف عليهم وكان قد أمر لهم بعشرة آلاف دينار فلم تقع منهم فدخل عليه الرجل فكلمه وأعلمه بمقالتهم فقال: أجل والله لقد قسمتها فيهم وقد ندمت عليها أن لا أكون منعتهم إياها وقسمتها فكانت كافية أربعة آلاف بيت من المسلمين، فخرج إليهم الرجل وأعلمهم بمقالته، وقال: لا تلوموا إلا أنفسكم يا معشر بني أمية عمدتم إلى صاحبكم فزوجتموه بنت ابن عمر[8] فجاءتكم بعمر ملفوفا في ثيابه فلا تلوموا إلا أنفسكم. قال: وكان الله قد أعانه من أهله بسهل[9] أخيه وعبد الملك[10] ابنه ومزاحم مولاه فكانوا أعوانا له على الحق وقوة له على ما هو فيه فاجتمع نفر من بني أمية إلى عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز فقالوا له: إن أباك قطع أرحامنا وانتزع ما في أيدينا وعاب على سلفنا، وإنا والله لا نصبر له على ذلك، فقل له يكف عما نكره، ففعل ذلك عبد الملك ودخل عليه فأخبره بذلك فكأن عمر وجد في نفسه مما قال، فقال له عبد الملك: يا أمير المؤمنين، امض لما تريد فوالله لوددت أنه قد غلت بي وبك القدور في الله، فقال له: جزاك الله خيرا من ولد، ثم قال: الحمد لله الذي شد ظهري بسهل أخي وعبد الملك ومزاحم.

■ (1) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام، ويقال أبو نصر، وهو تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية، روى عن أبي صالح السمان. روى عنه محمد بن عجلان. توفي سنة 112 هـ. وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية

■ (9) سهل بن عبد العزيز بن مروان أخو عمر بن عبد العزيز. توفي بالشام سنة 99 هـ. وكان فاضلا دينا زاهدا.

■ (7) مزاحم بن أبي مزاحم المكي، مولى عمر بن عبد العزيز، وقيل: مولى طلحة. أصله من سبي البربر. قال ميمون بن مهران: ما رأيت ثلاثة في بيت خيرا من عمر بن عبد العزيز، وابنه عبد الملك ومواه مزاحم. قيل: إنه سقط فمات.

■ (4) أبو سعيد، مسلمة بن عبد الملك، أمير أُموي، وقائد عسكري، وابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب). ولد سنة 66 هـ وتوفي سنة121 هـ.

■ (6) يزيد بن أبي مسلم بن دينار الثقفي، أبو العلاء مولاهم، أمير المغرب،كان مولى الحجاج وكاتبه ومشيره، استخلفه الحجاج عند موته على أموال الخراج، فضبط ذلك، وأقره الوليد، ثم أمره على إفريقية يزيد بن عبد الملك، فثارت عليه الخوارج ففتكوا به لظلمه سنة 102 هـ.

■ (2) يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو خالد الأموي الدمشقي؛ تولى الحكم بعد عمر بن عبد العزيز لست بقين من رجب سنة101 هـ وله 37 سنة وتوفي بأرض البلقاء، وقيل بعمان، لخمس بقين من شعبان سنة 105 هـ.

■ (3) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد،كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، يوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي.

■ (8) أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب سكنت دمشق مدة تزوجها عبد العزيز بن مروان ولي عهد الخليفة عبد الملك وتوفي في مصر قبل أن يتولاها فأخذ ولاية العهد الوليد بن عبد الملك من بعده. أنجبت لعبد العزيز الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز. وقيل أمه أم عاصم حفصة.

■ (10) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، كان ناسكا زكيا طاهرا وكان من أتقى الناس وأحسنهم معونة لأبيه وكان كثيرا ما يعظ أباه وينهاه. توفي رحمه الله في حدود 101 هـ عن بعض مشيخة أهل الشام قال كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما ادخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك

■ (5) أسامة بن زيد التنوخي، ولى خراج أرض مصر للوليد وسليمان كان غاشما ظلوما معتديا عزله عمر بن عبد العزيز وأمر به أن يحبس في كل جند* سنة ويقيد ويحل عن القيد عند كل صلاة ثم يرد في القيد. فحبس بمصر سنة ثم نقل إلى أرض فلسطين فحبس بها سنة ثم مات عمر رحمه الله وولي يزيد بن عبد الملك فرده على مصر

☪

روى أبو محمد بن عبد الحكم قال: قال عمر بن عبد العزيز: ما من شيء إلا وقد رددته في مال المسلمين إلا العين التي بالسويداء فإني عمدت إلى أرض براح ليس فيها لأحد من المسلمين ضربة سوط فعملتها من صلب عطائي الذي يجمع لي مع جماعة المسلمين فجاءته غلتها مائتا دينار وجراب فيه تمر صيحاني وتمر عجوة فقال: هات اصبب للقوم من هذه العجوة فهي أبرد وأصح، قال: وسمع النساء بمال قد قدم عليه فأرسلن إليه بابن له غلام ليعطيه من ذلك المال فلما جاء الغلام قال: احفنوا له من ذلك التمر فحفنوا له من ذلك، فخرج الغلام فرحا حت لما انتهى إلى النساء فرأين التمر ضربن الغلام ثم قلن له: اذهب فانثره بين يديه، فأقبل الغلام فنثره بين يديه وأهوى بيديه إلى الذهب، فقال عمر للوليد بن هشام من آل أبي معيط: أمسك يديه يا وليد، فأمسك يديه الوليد ودعا عمر بدعاء له كثير وكان من دعائه، اللهم، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، بغض إلى هذا الغلام هذا الذهب كما حببتها إلى فلان ابن فلان، أرسل يديه يا وليد فارتعشت يداه فما مس منها دينارا وانصرف، فقال له رجل: لقد استجيب لك يا أمير المؤمنين ثم قال عمر: أخرجوا زكاة هذه المائتي دينار، فقال الرسول: يا أمير المؤمنين لقد أخذ خرص هذا الحائط، قال يا بني: ليس هذا من عملك، قال: فأخرجوا خمسة دنانير ثم قال: دلوني على رجل أعمى ليس له قائد، قال: بينما القوم يتذاكرون إذ قال عمر: لقد وقعت عليه وقد ذكرته وهو الشيخ الجزري الأعمى يأتي في الليلة المظلمة الماطرة يتكمه ليس له قائد أخرجوا له ثمن قائد لا كبير يقهره ولا صغير يضعف عنه، قال: فأخرجوا له منها خمسة وثلاثين دينارا، قال: ثم دعا عمر بالذي يقوم على نفقة أهله، فقال له: خذ هذه الذهب فأنفقها على عيالنا إلى أن يخرج لي عطائي مع المسلمين أو يقضي الله قبل ذلك.

قال: وكان له غلام وبرذون يغل عليه فسأل الغلام عن حاله، فقال: الناس كلهم بخير إلا أنا وأنت وهذا البرذون قال: اذهب فأنت حر خوفه من الله. قال: وأتي عمر بن عبد العزيز من الفيء ذات يوم بعنبرة وعنده ليث بن أبي رقية كاتبه فأخذها بيده فمسحها ثم أمر بها فرفعت حتى تباع، قال: ثم إنه أمر يده على أنفه فوجد ريحها فدعا بوضوء فتوضأ، قال: فقلت له: ما هذا الذي أصبت منها حتى تتوضأ؟ قال: عجبا لك يا ليث وهل ينتفع منها إلا بالذي وجدت أتؤكل أو تشرب! قال: وأتي عمر بن عبد العزيز يوما بمسك من الفيء فوضع بين يديه فوجد ريحه فوضع يده على أنفه وقال: أخروه حتى لم يجد له ريحا.

*(الجند) المدينة وقيل مدن الشام.

مراجع: سيرة عمر بن عبد العزيز/ تاريخ دمشق / الأعلام للزركلي/ حلية الأولياء/.

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) ورجل من ولد قتادة بن النعمان، وبنت عبد الله بن زيد 0495

دخل على عمر بن عبد العزيز شيخ جليل فقال: يا أمير المؤمنين، إني دخلت مصر مع مروان، وغزوت دير الجماجم، وغزوة كذا وغزوة كذا، فتأمر لي بشيء؟ فقال: اجلس أيها الشيخ. قال: ويثور عند الشيخ يكلمه غلام من الأنصار فقال: يا أمير المؤمنين، أنا فلان بن فلان، أبي ممن شهد العقبة وبدرا وأحدا. وذكر مغازي فقال عمر: أين الشيخ؟ فقال: ها هو ذا. فقال: هذه المكارم، لا ما يعده الشيخ منذ اليوم: تلك المكارم لا قعبان* من لبن.. شيبا بماء فصارا بعد أبوالا. قال: هذا الأنصاري هو رجل من ولد قتادة بن النعمان[(1)](ذو العينين، ويقال له أيضا: ذو العين) أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد بدرا وأصيبت عينه يوم أحد فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه، ورأى جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي[(2)] الصحابي. وعن عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله بن عمر قال: دخلت ابنة عبد الله بن زيد[(3)] على عمر بن عبد العزيز، فقالت: يا أمير المؤمنين، أنا بنت عبد الله بن زيد، أبي شهد بدرا وقتل يوم أحد. فقال عمر: تلك المكارم لا قعبان من لبن..شيبا بماء فعادا بعد أبوالا . سليني ما شئت فسألت فأعطاها ما سألت. كما روي أنه وفد على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: من الرجل؟ قال: أنا ابن الذي سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أحسن الرد، فبكى عمر رضي الله عنه بدموعه ما يكفكفها، قال: تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا، أي: يقول: هذه المفاخر ليست حقيقية، فلا تفتخرون عندي، تقولون: كان أبي وزيرا، وكان أبي أميرا، وكان أبي في المكتب الفلاني، لا. إن كنت صادقا، فافتخر أنك قدمت للإسلام شيئا، وأنك فعلت شيئا، وأنك حققت من العبادة شيئا، أما هذه كلها لا يفتخر بها، فقد كان كسرى ملكا، وكان فلان إمبراطورا، لكنها ليست مفخرة يفتخر بها. ووفد رجل (ممن كان في جيش مسلمة بن عبد الملك[(4)] في غزوة القسطنطينية)، على عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين إن بلائي كذا، ومن أمري كذا. فالتفت إلى بعض جلسائه فقال: أما يريد هؤلاء أن يسبقوا لآخرتهم شيئا ؟!

----

*(قعب) القدح الضخم: القدح الغليظ ويجمع على قعاب. (مولاه) سيده وحبيبه ووليه في الإسلام.

(1) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري كنيته أبو عبد الله أخو أبى سعيد الخدري لامه. شهد المشاهد كلها. كان من الرماة المشهورين. أصيبت عينه يوم أحد مات بالمدينة سنة 23 هـ وهو بن 65 سنة وصلى عليه عمر بن الخطاب.

(2) دحية الكلبي بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ورسوله بكتابه إلى عظيم بصرى ليوصله إلى هرقل. قال ابن سعد: أسلم دحية قبل بدر ولم يشهدها. وكان جبريل يتمثل بصورته كثيرا من حسنه. بقي إلى زمن معاوية.

(3) عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الانصاري الخزرجي المدني البدري، من سادة الصحابة، شهد العقبة وبدرا، وهو الذي أري الآذان، وكان ذلك في السنة الاولى من الهجرة له أحاديث كثيرة توفي سنة 32 هـ

(4) أبو سعيد، مسلمة بن عبد الملك، أمير أُموي، وقائد عسكري، وابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب) ولد سنة 66 هـ وتوفي سنة 121 هـ.

قال عبد الله الفقيه: إن ميزان التفاضل بين الناس ومقياس الكرامة عند الله تعالى هو التقوى، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات] قال بعض العلماء: التقوى اجتماع الطاعات، وأوله ترك الشرك، وآخره اتقاء كل ما نهى الله تعالى عنه.وقد ذكرت الآية الكريمة ثلاثة أشياء: المساواة بين الناس، فالناس سواسية كأسنان المشط في الأصل والمنشأ فهم جميعا من أب واحد وأم واحدة، وهم متساوون في الحقوق والواجبات..واختلاف الألسنة والألوان والمواهب والطباع والاستعدادات..لا ينبغي أن يكون مدعاة للشقاق والتفاخر.. وإنما هو للتعارف فقط ولا ينبني عليه أي حكم، وليس للون والجنس.. قيمة في ميزان الله تعالى، فالأكرم عند الله تعالى الأرفع منزلة عنده في الدنيا والآخرة هو الأتقى الأصلح في نفسه وللجماعة المسلمة. وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذه المعاني التي جاءت بها الآية الكريمة في خطبه وأحاديثه ومعاملاته وطبق هذا المعنى في واقع حياة الناس، ومن ذلك ما جاء في خطبته يوم الفتح كما في سنن الترمذي عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ* وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، قَالَ اللَّهُ: يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات]﴾ (عبية الجاهلية) العُبِّيَّة والعِبِّيَّةُ: الكِبْرُ والفَخْرُ .عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ﴾ وأشار بأصابعه إلى صدره. وعن أبي هريرة ﴿قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ، قَالَ: أَتْقَاهُمْ، فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا﴾ وعن أبي ريحانة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ انْتَسَبَ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءٍ كُفَّارٍ يُرِيدُ بِهِمْ عِزًّا وَكَرَمًا فَهُوَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ﴾ قال الألوسي: في الآية أعلاه إشارة إلى وجه رد التفاخر بالنسب حيث أفادت أن شرف النسب غير مكتسب ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم] وأنه لا فرق بين النسيب وغيره من جهة المادة لاتحاد ما خلقا منه، ولا من جهة الفاعل لأنه هو الله تعالى الواحد، فليس للنسب شرف يعول عليه ويكون مداراً للثواب عند الله تعالى ، ولا أحد أكرم من أحد عنده سبحانه إلا بالتقوى وبها نكمل النفس وتتفاضل الأشخاص، وهذا لا ينافي كون العرب أشرف من العجم وتفاوت كل من العرب والعجم في الشرف..وأخرج مسلم وغيره عن واثلة بن الأسقع قال: قال صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ﴾ لأن ذلك ليس إلا باعتبار الخصال الحميدة، فشرف العرب على العجم مثلاً ليس إلا باعتبار أن الله تعالى امتازهم على من سواهم بفضائل جمة وخصال حميدة كما صحت به الأحاديث، وقد جمع الكثير منها العلامة ابن حجر الهيتمي في كتابه مبلغ الإرب في فضائل العرب، ولا نعني بذلك أن كل عربي ممتاز على كل عجمي بالخصال الحميدة بل إن المجموع ممتاز على المجموع، ثم إن أشرف العرب نسباً أولاد فاطمة رضي الله تعالى عنها لأنهم ينسبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما صرح به جمع من الفقهاء.

عن أمية بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان[(1)] قال: قدمت الصائفة غازيا فدخلت على عمر بن عبد العزيز فرحب بي، وقال: أين يا أبا عثمان؟ قلت: غازيا إن شاء الله، قال: صنعت الذي يشبهك، وما كان عليه أو لوك، وخيار سلفك، إن هاهنا شيئا قد أمرنا به لمثل من كان في وجهك، قال: فقبلت ذلك، وكان خمسين دينارا، فلما رجعت مررت عليه فقال مثل مقالته الأولى، فقلت: يا أمير المؤمنين ما يقع مني هذا موقعا، قال ما يزيد على هذا أحد، ولو وجدت سبيلا إلى أن أعطيك غيره من بيت مال المسلمين لفعلت، فقلت: إن لي لولدا، قال: هذا حق، نكتب إلى عاملك من كان منهم يطيق معاملة المسلمين في مغازيهم فرض له في عيال المسلمين، قلت فإن علي دينا فاقضه عني، قال: هذا حق نكتب لك إلى عاملك فيبيع مالك فيقضي دينك، فما فضل عليك قضاه من بيت مال المسلمين، فقلت له: والله ما جئتك لتفلسني وتبيع مالي، قال والله ما هو غيره.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى صاحب السكك: أن لا يحملوا أحدا بلجام ثقيل من هذه الرستنية، ولا ينخس بمقرعة في أسفلها حديدة. وكتب عمر إلى حيان بمصر: إنه بلغني أن بمصر إبلا نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل. قال مسلمة بن عبد الملك بن مروان: دخلت على عمر بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر فلا يدخل عليه أحد، فجاءت جارية بطبق عليه تمر صيحاني، وكان يعجبه التمر، فرفع بكفه منه فقال: يا مسلمة أترى لو أن رجلا أكل هذا، ثم شرب عليه الماء، فإن الماء على التمر طيب، أكان يجزيه إلى الليل؟ قلت: لا أدري، فرفع أكثر منه، قال: فهذا؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، كان كافيه دون هذا حتى ما يبالي أن لا يذوق طعاما غيره؛ قال: فعلام ندخل النار؟! قال مسلمة: فما وقعت مني موعظة ما وقعت هذه.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله كتابا يقرأ على الناس: أما بعد، فاقرأ كتابي هذا على أهل الأرض بما وضع الله عنهم على لسان أمير المؤمنين من المظالم والتوابع التي كانت تؤخذ منهم في النيروز والمهرجان وثمن الصحف وأجر الفيوج وجوائز الرسل وأجور الجهابذه، وهم القساطرة، وأرزاق العمال، وأنزالهم، وصرف الدنانير التي كانت تؤخذ منهم من فضل ما بين السعرين في الطعام الذي كان يؤخذ منهم فضل ما بين الكيلين، وليحمدوا الله عزوجل.

وبعث عمر بن عبد العزيز بن أبي مالك والحارث بن محمد إلى البادية، أن يعلما الناس السنة وأجرى عليهما الرزق، فقبل يزيد ولم يقبل الحارث، وقال: ما كنت لآخذ على علم علمنيه الله أجرا، فذكر ذلك لعمر ابن عبد العزيز، فقال: ما نعلم بما صنع يزيد بأسا، وأكثر الله فينا مثل الحارث.

عن زيد بن السائب قال: أجاز سليمان بن عبد الملك خارجة بن زيد بمال، فقسمه، وعن إبراهيم بن يحيى هو بن زيد بن ثابت[(2)]: أن عمر بن عبد العزيز كتب أن يعطى خارجة بن زيد ما قطع عنه من الديوان، فمشى خارجة إلى أبي بكر بن حزم، فقال: إني أكره أن يلزم أمير المؤمنين من هذا مقالة ولي نظراء، فإن أمير المؤمنين عمهم بهذا، فعلت وإن هو خصني به فإني أكره ذلك له، فكتب عمر: لا يسع المال ذلك، ولو وسعه لفعلت.

----

(1) أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية أبو عثمان القرشي الأموي. وكان أمية غزا طيئا يوم المنتهب فهزمته وفي سنة ثلاثين ومائة يوم القديد قتل أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان

(2) خارجة بن زيد بن ثابت الانصاري، أبو زيد، من بني النجار: أحد الفقهاء السبعة في المدينة. تابعي، أخو إسماعيل بن زيد بن ثابت وسعد بن زيد بن ثابت وسليمان بن زيد بن ثابت ويحيى بن زيد بن ثابت أمه أم سعد بنت سعد بن الربيع النقيب، أدرك زمان عثمان وتوفي بالمدينة سنة 99 هـ.

راجع: مختصر تاريخ دمشق/ لسان العرب/ مسند أحمد/ صحيح البخاري/ البيان والتعريف/ تفسير الألوسي/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ مسند البزار/ لسان العرب/ حلية الأولياء/ البداية والنهاية/

قال يزيد بن عمر[1]: كنت بالشام وعمر بن عبد العزيز يعطي الناس، فتقدمت إليه، فقال لي: ممن أنت؟ فقلت: من قريش. قال: من أي قريش؟ قلت: من بني هاشم. قال: من أي بني هاشم؟قلت: مولى علي. قال: من علي؟- فسكت-، قال: فوضع يده على صدره، وقال: أنا والله مولى علي بن أبي طالب، ثم قال: حدثني عدة أنهم سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ* فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ﴾ ثم قال: يا مزاحم[2]،كم تعطي أمثاله؟ قال: مئة أو مئتي درهم، قال: أعطه ستين دينارا لولائه لعلي بن أبي طالب، ثم قال: إلحق ببلدك، فسيأتيك مثلما يأتي نظراءك.

في رواية قال هشام بن حسان: وفد رزيق[1] مولى علي بن أبي طالب على عمر بن عبد العزيز، وكان قد حفظ القرآن والفرائض، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إني رجل من أهل المدينة، وقد حفظت القرآن والفرائض، وليس لي ديوان، فقال له عمر: من أي الناس أنت؟ قال: رجل من موالي بني هاشم، فقال: مولى من؟ فقال: رجل من المسلمين، فقال له عمر: أسألك من أنت وتكتمني! فقال: أنا مولى علي بن أبي طالب، وكان بنو أمية لا يذكر علي بين أيديهم، فبكى عمر حتى وقع دموعه على الأرض وقال: أنا مولى علي؛ حدثني سعيد بن المسيب عن سعد، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي:﴿أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى﴾ وفي حديث آخر أنه قال له النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ*فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ﴾ ثم أمر له بجائزة.

وروي أن اسم هذا المولى عمرو بن المورق؛ وروي أن اسمه يزيد بن عمرو بن مورق. والله أعلم. وكتب إلى عامله بالمدينة أن أقسم في ولد علي بن أبي طالب عشرة آلاف دينار، فكتب إليه: إن عليا قد ولد له عدة قبائل من قريش ففي أي ولده، فكتب إليه: لو كتبت إليك في شاة تذبحها لكتبت إلي أسود أم بيضاء، إذا أتاك كتابي هذا فاقسم في ولد علي من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار، فطالما تخطتهم حقوقهم، والسلام.

وفي رواية قال: دخل عليه مرزوق مولى علي بن أبي طالب في عيد الفطر، فقال عمر: مولى من أنت؟ قال: فخفض صوته وقال: مولى علي حتى لا يسمع بنو أمية، فدمعت عينا عمر بن عبد العزيز وقال: ارفع صوتك وقل: مولى علي، وأنا مولى علي، لا تولى الله من لا يتولى عليا ! ولا قبل منه صرفا ولا عدلا ولا كلاما يوم القيامة! ثم قال: لك عندي مائتا درهم، أما مائة فلأنك مولى، وأما المائة الثانية فلأنك مولى علي.

وروى أنه رضي الله تعالى عنه صعد المنبر ذات يوم بمكة، فقال: أيها الناس، من كانت له ظلامة فليتقدم، فتقدم علي بن الحسين بن علي[3] كرم الله وجهه فقال: إن لي ظلامة عندك، فقال: وما ظلامتك؟ فقال: مقامك هذا الذي أنت فيه، فقال: إني لأعلم ذلك، ولكن لو علمت أن الناس يتركونه لك والله لتركته. وقال رضي الله تعالى عنه: لو كنت في قتلة الحسين، وأمرت أن أدخل الجنة، ما فعلت؛ حياء أن تقع علي عين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروى عن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر قال: كان العبد الصالح أبو حفص عمر بن عبد العزيز يهدي إلينا الدراهم والدنانير في زقاق العسل؛ خوفا من أهل بيته.

قال رجاء بن أبي سلمة: أتي عمر بن عبد العزيز يوما بتمر فقال: كأن هذا من تمر المدينة سقيا للمدينة ! وكان يحبها فقال له عراك بن مالك[4]: يا أمير المؤمنين، لو سرت حتى تنزلها فإن بيت عائشة رضي الله عنها موضع قبر، فإن أصابك قدرك دفنت فيه. فقال: ويحك يا عراك! ما كان من عذاب يعذب الله به أحد من خلقه إلا وأنا أحب أن يصيبني من قبل أن يعلم الله أن منزلتي بلغت في نفسي أن أراها لذلك أهلا. وفي رواية عن أيوب قال: قيل لعمر ابن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين لو أتيت المدينة فإن قضى الله موتا دفنت موضع القبر الرابع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر. قال: والله لئن يعذبني الله بكل عذاب إلا النار -فإنه لا صبر عليها- أحب إلي من أن يعلم الله من قلبي أني أرى أني لذلك الموضع أهلا.

وأتى عمر بن عبد العزيز رجل من الأنصار فقال: يا امير المؤمنين، احفظ في بلاء أبي قال: وما كان بلاؤه؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن ابي كان أعمى من الأنصار، وان امرأة من المشركين كانت تؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبي: أما لهذه المرأة أحد يكفيها النبي صلى الله عليه وسلم؟ أقعدوني على طريقها فإذا مرت فآذنوني فأقعدوه على طريقها، فلما مرت آذنوه بها، فوثب عليها فضربها حتى قتلها، فقال عمر: تلك المثالب لا قعبان من لبن..شيبا بماء فعادا بعد أبوالا. هكذا أنشدنا أيوب بن سويد فيما حفظت عنه عن عبد الله بن شوذب قال محمد وأنشدني أبي عبد الله بن عبد الحكم هذا البيت تلك المكارم.

*(قعب) القدح الضخم: القدح الغليظ ويجمع على قعاب. (مولاه) سيده وحبيبه ووليه في الإسلام

■ (1) يزيد بن عمر بن مورق. ويقال: ابن مورد، بالدال وفد على عمر بن عبد العزيز.قال ابن عساكر: وروي نحو هذه القصة من وجه آخر فسمي الرجل زريق. وفي رواية قالوا: رزيق القرشي المدني مولى علي بن أبي طالب

■ (2) مزاحم بن أبي مزاحم المكي مولى عمر بن عبد العزيز، وقيل: مولى طلحة. أصله من سبي البربر. قيل: إنه سقط فمات. قال ميمون بن مهران: ما رأيت ثلاثة في بيت خيرا من عمر بن عبد العزيز، وابنه عبد الملك و مولاه مزاحم.

■ (4) عراك بن مالك الغفاري المدني، أحد العلماء العاملين. روى عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وزينب بنت أبي سلمة، وعن عائشة. فقيل: لم يسمع منها. وكان يسرد الصوم. وقال عمر بن عبد العزيز: ما أعلم أحدا أكثر صلاة من عراك بن مالك. قيل: وكان عراك يحرض عمر بن عبد العزيز على انتزاع ما بأيدي بني أمية من الأموال والفي، فلما استخلف يزيد بن عبدالملك نفى عراكا إلى جزيرة دهلك من غربي اليمن. فمات هناك رحمه الله في إمرة يزيد المذكور. حديثه في الكتب كلها، وليس هو بالكثير الرواية، لعله توفي في سنة أربع 104 هـ أو قبلها.

■ (3) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ألقابه: السجاد، زين العابدين. ويكنى أبو الحسن، أبو محمد، ولد في المدينة المنورة سنة38 هـ وتوفي فيها سنة 95 هـ، وقيل غير ذلك ودفن بالبقيع. أيضا من أولاد الحسين: علي الأكبر، وعلي الأصغر وكانوا من شهداء كربلاء.

☪

عن مسلم بن زياد[1] مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أتينا عمر بن عبد العزيز فدفعنا إليه صكاكا في حوائجنا، وكان فينا رجل من أهل دمشق يقال له: عمردن[2] مولى النبي صلى الله عليه وسلم.قال: فدفع إليه صكه: حاجة عمر مولى النبي صلى الله عليه وسلم. فلما قرأها عمر قال: أيكم مولى النبي صلى الله عليه وسلم؟ فأجابه عمر الدمشقي، فدعاه، فقال له عمر: أنت مولى النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال عمر: وعمر بن عبد العزيز مولى النبي صلى الله عليه وسلم ارفع إلينا حاجتك. قال: يا أمير المؤمنين، أمي عجوز كبيرة ليس لها خادم يكفيها. قال: قد أمرنا لها بخادم، فارفع إلينا حاجتك. قال: تأمر لي بنفقة. قال: قد أمرنا لك بثلاثين دينارا، فارفع إلينا حاجتك. قال: كفاني يا أمير المؤمنين. قال: فتكلم عمر بن عبد العزيز بكلمة لم أفهمها، فقلت لصاحب لنا: ما الذي نطق به أمير المؤمنين؟ قال: والله لو سألني إلى أن توارى بالحجاب ما منعته شيئا سألنيه.قال مسلم: فكان ذلك لموقعه من النبي صلى الله عليه وسلم.

عن الحارث بن مرة، عن سراج بن مجاعة بن مرارة، عن أبيه [3] قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقطعني الغورة وغرابة والحبل* وكتب لي كتابا. ثم أتيت أبا بكر بعد وفاة رسول الله فأقطعني الخضرمة* ثم أتيت بعده عمر فأقطعني نجران (الريا؟)، ثم أتيت عثمان بن عفان بعد عمر فأقطعني. قال: فوفدت على عمر بن عبد العزيز؛ فأخرجت هذا الكتاب فقبله، ووضعه على عينيه، وقال: هل بقي من كهول ولد مجاعة أحد ؟ قلت: نعم، وشكير كثير. فضحك وقال: كلمة عربية ! فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين، ما الشكير ؟ قال: أما رأيت الزرع إذا فرخ وحسن، فذاكم الشكير. وفي كتاب مرتضى الزبيدي قال: يروى أن هلال بن سراج بن مجاعة بن مرارة بن سلمى، وفد على عمر بن عبد العزيز بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لجده مجاعة بالإقطاع، فوضعه على عينيه، ومسح به وجهه؛ رجاء أن يصيب وجهه موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أجازه وأعطاه وأكرمه، فسمر عنده هلال ليلة، فقال له: يا هلال، أبقي من كهولة بني مجاعة أحد؟ قال : نعم، وشكير كثير، قال: فضحك عمر، وقال: كلمة عربية، قال: فقال جلساؤه:وما الشكير يا أمير المؤمنين ؟ قال: ألم تر إلى الزرع إذا زكا، فأخرج، فنبت في أصوله؟ فذالكم الشكير، وأراد بقوله: وشكير كثير: ذرية صغارا، شبههم بشكير الزرع، وهو ما نبت منه صغارا في أصول الكبار.

☪

عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، قال:﴿لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى تَبُوكَ، خَلَّفَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُخَلِّفُنِي بَعْدَكَ، وَلَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْكَ فِي غَزَاةٍ قَطُّ، قَالَ: يَا عَلِيُّ ارْجِعْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَيَقُولُونَ إِنَّمَا خَلَّفْتَنِي اسْتِثْقَالا، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ﴾ وعن زيد بن يثيع قالا: نشد علي الناس في الرحبة* من سمع رسول الله صلى الله عيه وسلم يوم غدير خم فقام ستة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم:﴿أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ قَالُوا بَلَى قَالَ: أَوَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ قَالُوا: بَلَى قَالَ: اللَّهُمَّ، مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ اللَّهُمَّ، وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ﴾ يقول ابن كثير: وأما ما يفتريه كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء، من أنه أوصى إلى علي بالخلافة، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم به خطأ كبير، من تخوين الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره، لا لمعنى ولا لسبب، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق، يعلم بطلان هذا الافتراء، لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمة، التي هي أشرف الأمم بنص القرآن، وإجماع السلف والخلف، في الدنيا والآخرة، ولله الحمد.

☪

عن حسن بن صالح قال: تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال قائلون: فلان، وقال قائلون: فلان، فقال عمر بن عبد العزيز: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب. وعن ضمرة قال: قال عمر بن عبد العزيز لبعض ولد الحسين بن علي بن أبي طالب: لا تقف على بابي ساعة واحدة إلا ساعة تعلم أني جالس فيؤذن لك علي من ساعتك، فإني أستحيي من الله أن يقف على بابي رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فلا يؤذن له علي من ساعته.وروي عن عبد الله بن الحسن بن حسين قال: أتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال: لي: إذا كانت لك حاجة فأرسل إلي أو اكتب فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي. قال الأوزاعي: دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى إليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها.قال سعيد بن عامر : قضى عمر بن عبد العزيز بقضية، فقال له رجل: خالفت جدك. ففزع فقال: أي جد؟ فقال: مروان. قال: فما التفت إليه، وكان توهمه عمر بن الخطاب.

*(الرحبة) رحبة مسجد الكوفة وهو المكان الواسع أمام بابه (الغورة) أو الغورة أرضا باليمامة. وغرابة من العدنة والحبل بناحية اليمن (الخضرمة) قرية كلنت باليمامة

■ (1) مسلم بن زياد الحمصي مولى ميمونة وقيل مولى أم حبيبة. رأى فضالة بن عبيد. وروى عن أنس ومكحول الشامي وعبد الله بن أبي زكرياء وعمر بن عبد العزيز وكان صاحب خيله.

■ (3) مجاعة بن مرارة بن سلمى الحنفي، صحابي له ولأبيه وفادة، كان بليغا حكيما من رؤساء قومه بني حنيفة، في اليمامة وله أخبار في الردة وهو الذي صالح خالد بن الوليد يوم اليمامة في قصة يطول ذكرها. أقطعه النبي أرضا بها.ـ وأسره خالد بن الوليد وعلى يده كان صلح أهل اليمامة وتزوج خالد ابنته، توفي نحو45 هـ

■ (2) عمر الدمشقي يعرف بعمر دن مولى النبي صلى الله عليه وسلم

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ لسان العرب/ مسند أحمد/ صحيح البخاري/ البيان والتعريف/ تفسير الألوسي/ مسند البزار/ لسان العرب/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ تهذيب التهذيب/ المعرفة والتاريخ/ أسد الغابة/ تاج العروس/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) وعنبسة بن سعيد (١) 0497

لما ولي عمر بن عبد العزيز رد المظالم والقطائع، وكان سليمان بن عبد الملك قد أمر لعنبسة بن سعيد[1] بعشرين ألف دينار فدارت في الدواوين حتى انتهت إلى ديوان الختم فلم يبق إلا قبضها فتوفي سليمان قبل أن يقبضها وكان عنبسة صديقا لعمر بن عبد العزيز فغدا عنبسة يريد كلام عمر فيما أمر له به سليمان فوجد بني أمية حضورا بباب عمر يريدون الإذن عليه ليكلموه في أمورهم فلما رأوا عنبسة، قالوا: ننظر ما يصنع به قبل أن نكلمه، فقالوا له: أعلم أمير المؤمنين مكاننا وأعلمنا ما يصنع بك في أمورك، فدخل عنبسة على عمر فقال له: يا أمير المؤمنين، إن أمير المؤمنين سليمان قد كان أمر لي بعشرين ألف دينار حتى انتهت إلى ديوان الختم ولم يبق إلا قبضها فتوفي على ذلك وأمير المؤمنين أولى باستتمام الصنيعة عندي وما بيني وبينه أعظم مما كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان، قال له عمر: كم ذلك؟ قال: عشرون ألف دينار، قال عمر: عشرون ألف دينار تغني أربعة آلاف بيت من المسلمين وأدفعها إلى رجل واحد! والله ما لي إلى ذلك من سبيل، قال: فرميت بالكتاب الذي فيه الصك، فقال لي عمر: لا عليك أن يكون معك فلعله أن يأتيك من هو أجرأ على هذا المال مني فيأمر لك بها، قال عنبسة: فأخذته تبركا برأيه، وقلت له: يا أمير المؤمنين، فما بال جبل الورس؟! وكان جبل الورس (باليمن) قطيعة لعمر بن عبد العزيز، فقال عمر: ذكرتني الطعن، وكنت ناسيا، يا غلام هلم ذلك القفص، فأتي بقفص من جريد، فيه قطائع من بني عبد العزيز، فقال:يا غلام اقرأ علي، فكلما قرأ قطيعة، قال: شقها، حتى لم يبق في القفص شيء إلا شقه، قال عنبسة: فخرجت إلى بني أمية، وهم وقوف بالباب، فأعلمتهم ما كان من ذلك، فقالوا: ليس بعد هذا شيء، ارجع إليه فاسأله أن يأذن لنا أن نلحق بالبلدان، فرجعت إليه، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن قومك بالباب يسألونك أن تجري عليهم ما كان قبلك يجري عليهم، فقال عمر: والله ما هذا المال لي، وما لي إلى ذلك من سبيل، قلت: يا أمير المؤمنين، فيسألونك أن تأذن لهم يضربون في البلدان، قال: ما شاءوا ذلك لهم، وقد أذنت لهم، قال: قلت: وأنا أيضا؟ قال: وأنت أيضا، قد أذنت لك، ولكني أرى لك أن تقيم، فإنك رجل كثير النقد، وأنا أبيع تركة سليمان، فلعلك أن تشتري منها، ما يكون لك في ربحه عوض مما فاتك، قال: فأقمت تبركا برأيه، فابتعت من تركة سليمان بمائة ألف، فخرجت بها إلى العراق، فبعتها بمائتي ألف، وحبست الصك فلما توفي عمر وولي يزيد بن عبد الملك[2] أتيته بكتاب سليمان، فأنفذ لي ما كان فيه.

وكان عمر بن عبد العزيز نظر في مزارعه فخرق سجلاتها حتى بقيت مزرعتا خيبر والسويداء*، فسأل عن خيبر من أين كانت لأبيه قيل له كانت في نحل*رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيئا للمسلمين ثم صارت إلى مروان بن الحكم فأعطاها مروان أباك –ابن عبد العزيز أبا عمر– ثم أعطاكها أبوك فخرق عمر سجلها وقال: أتركها حيث تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال عمر بن مجاشع: دخل عنبسة بن سعيد على عمر بن عبد العزيز فسأله حوائجه، وبين يديه سراج، يكاد يطفأ مرة ثم يضيء مرة، وفي ناحية الدار كُتاب يكتبون وبين أيديهم شمع، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أمرت بشمعة فوضعت بين يديك.

قال: ذاك للمسلمين تكتب به حوائجهم، وهذا لي وهو يجزيني. ثم قال لعنبسة: يا أبا خالد ألك حاجة؟ فسأله معونة وزيادة في عطائه، فقال: يا عنبسة إن كنت غارما قضينا عنك، وإن كنت محتاجا أعطيناك ما يقيمك ويصلحك، انظر من أين جمعت مالك، فإن كان حراما فارفضه، وانظر لنفسك قبل يوم يتمنى فيه المفرط الرجعة. وفي رواية قال عمر بن عبد العزيز لعنبسة بن سعيد، وسأله حاجة: يا عنبسة، إن كان مالك الذي أصبح عندك حلالا فهو كافيك، وإن كان حراما فلا تزيدن إليه حراماً ألا تخبرني أمحتاج أنت؟ قال: لا، قال: أفعليك دين؟ قال: لا، قال: أفتأمرني أن أعمد الى مال الله فأعطيكه من غير حاجة بك إليه، وأدع فقراء المسلمين؟! لو كنت غارما أديت غرمك أو محتاجا أمرت لك بما يصلحك، فعليك بمالك الذي عندك فكله، واتق الله، وانظر أولا من أين جمعته وانظر لنفسك قبل أن ينظر إليك من ليس لك عنده هوادة ولا مراجعة.

قال أسماء بن عبيد: دخل عنبسة بن سعيد على عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطونا عطايا وأنك قد منعتناها، وإن لي عيالا وضيعة وقد أحببت أن أتعاهد ضيعتي وما يصلح عيالي. فقال عمر: أحبكم إلينا من فعل ذاك. قال: فلما ولي، قال عمر: أبا خالد أبا خالد، فأقبل، فقال: أكثر ذكر الموت فإنك لا تذكره وأنت في ضيق من العيش إلا وسعه عليك، ولا تذكره في سعة من العيش إلا ضيقه عليك.

عن رجاء بن أبي سلمة قال: قال عنبسة بن سعيد بن العاص لعمر بن عبد العزيز –حين قطع الرزق عن أصحابه، بني أمية–: يا أمير المؤمنين إني أرى أمرا لا يصلحه إلا النظر في الضيعة، قال على الرشاد يا أبا خالد، ولكن أكثر من ذكر الموت فإنك لن تجعله في كثير إلا قل، ولا في قليل إلا كثر، على الرشاد يا أبا خالد.

----

*(السويداء) تصغير سوداء موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام. السويداء أيضا قرية بحوران من نواحي دمشق (خيبر) موضع بالحجاز (النحل) عطاء: يقال: نحلته كذا، أي أعطيته.

■ (1) عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد (أبي أحيحة) بن العاص بن أمية، أبو أيوب، ويقال أبو خالد، وهو أخو يحيى وعمرو الاشدق. وهو عم أبي إسماعيل بن أمية.وأمه أمة يقال لها عصماء، وكان عنبسة أثيرا عند الحجاج. ومات وقد هرم، تقريبا سنة 100 هـ

■ (2) يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو خالد الأموي الدمشقي؛ تولى الحكم بعد عمر بن عبد العزيز لست بقين من رجب سنة101 هـ وله 37 سنة وتوفي بأرض البلقاء، وقيل بعمان، لخمس بقين من شعبان سنة 105 هـ.

قال بعضهم: تذكر الموت فإنه يقطع كل لذة، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد وأصحاب السنن، وهو حديث صحيح: ﴿أَكْثِرُو ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ﴾ أي: قاطعها.. فنجده يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي ومن أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل في العبادة. جاء رجل إلى وهب بن منبه، فقال: علمني شيئا ينفعني الله به. قال: أكثر من ذكر الموت، وأقصر أملك، وحصة ثالثة إن أنت أصبتها بلغت الغاية القصوى، وظفرت بالعبادة، قال: ما هي؟ قال: التوكل. وقال سفيان الثوري: من أكثر من ذكر الموت وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار.وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: ألا أخبركم بفقري يوم أوضع في قبري. وكان الربع بن خيثم قد حفر له قبرا في داره لنفسه، وكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه واضطجع ومكث ساعة، ثم يقول: رب أرجمني لعلي أعمل صالحا فيما تركت، ثم يقول: يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل أن لا ترجع. وكان ابن عمر إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، وكان يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون، حتى كأن بين أيديهم جنازة.

عن خالد بن يزيد عن جعونة قال: قال عمر بن عبد العزيز: يا أيها الناس إنما أنتم أغراض تنتضل فيها المنايا*، إنكم لا تؤتون نعمة إلا بفراق أخرى! وأية أكلة ليست معها غصة؟! وأية جرعة ليس معها شرقة*؟! وإن أمس شاهد مقبول قد فجعكم بنفسه وخلف في أيديكم حكمته! وإن اليوم حبيب مودع، وهو وشيك الظعن؛ وإن غدا آت بما فيه، وأين يهرب من يتقلب في يدي طالبه؟! انه لا أقوى من طالب ولا أضعف من مطلوب؛ إنما أنتم سفر تحلون عقد رحالكم في غير هذه الدار! إنما أنتم فروع أصول قد مضت، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله؟!.وقال عبيد الله بن العيزار: خطبنا عمر بن عبد العزيز بالشام على منبر من طين فحمد الله وأثنى عليه ثم تكلم بثلاث كلمات فقال: أيها الناس أصلحوا أسراركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تكفوا دنياكم، واعلموا أن رجلا ليس بينه و بين آدم أب حي لعرق له في الموت، والسلام عليكم.

قال الحكم بن عمر الحمصي أول شيء بدأ به عمر بن عبد العزيز أنه لم يترك ظلامة مزرعة ولا طلبة لأحد قبله إلآ ردها إليه، وباع ما كان له من المزارع من عبد أو أمة أو بهيمة أو آلة، وباع ما له من متاع أو مركب أو لباس أو عطر وأشياء سماها الحكم هي في حديثه، فبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار، ثم جعلها في سبيل الله، وقال غير الحكم بلغ: ثلاثة وأربعين ألف دينار، فجعلها في سبيل الله، وابتاع جارية تخبز له وتطحن وتغسل ثيابه بمائة، ووصيفا في حاجته ورسالته، وكان يزن له في كل يوم درهمين لحمه وخبزه وبقله إن غلا السعر أو رخص. حدث عمارة بن راشد الكناني قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز في حرسه، فأتي بمزودين من دنانير ودراهم، بعث بها صاحب بيت الضرب بدمشق، لينظر إليها، قال: وذلك كانوا يفعلون عند رأس كل سنة، فقال عبد الأعلى[1]: يا أمير المؤمنين، لو أمرت به فصب على نطع، فتنظر إليه، فتحمد الله تعالى، قال: نعم، فأمر بنطع فبسط، ثم صب كل واحد منهما على حدة، فنظر إليه القوم، ثم قال عبد الأعلى: يا أمير المؤمنين، ألا أحدثك حديثا حدثنيه أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال أبو أمامة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ فَيَتْرُكُ أَصْفَرَ أَوْ أَبْيَضَ إِلَّا كُوِيَ بِهِ﴾ فقال عمر: اللهم، غفرا، إنما كان ذلك قبل أن تنزل الزكاة إني لأحتسب من الله، لا يرزق عبد مؤمني مالا فيؤدي زكاته أن يعذبه عليه. قال: وفي السماط عراك بن مالك، فوثب على ركبتيه، فاستقبل القوم فقال: يا أمير المؤمنين، بل ذلك لا شك، فرددها مرتين أو ثلاثا مصدقا لعمر بن عبد العزيز.

عن مالك قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه بعض ولاته: إن الناس لما سمعوا بولايتك تسارعوا إلى أداء زكاة الفطر، فقد اجتمع من ذلك شيء كثير، ولم أحب أن أحدث فيها شيئا حتى تكتب إلي برأيك. فكتب إليه عمر بقبض كتابه ويقول: لعمري ما وجدي ولا أبالي على ما ظنوه، وما حبسك إياها إلى اليوم ! فأخرجها حين تنظر في كتابي. قال أبو سيار: ولاني عمر بن عبد العزيز صدقة، فقلت: إلى من أدفعها يا أمير المؤمنين؟ قال: إلى من مد يده إليها، فإن كان غنيا عنها فأحوجه الله إليها، وإن كان محتاجا إليها فأغناه الله عنها. في رواية حدث أبو عبد الله وكان من أعوان عمر بن عبد العزيز قال: بعث إلي عمر بن عبد العزيز، فدفع إلى مالا أقسمه بالرقة، وكتب إلى وابصة (وابصة بن معبد بن عتبة بن الحارث أبو الشعثاء) كتابا يبعث معى بشرط يكفون الناس عني، وقال: لا تقسم بينهم إلا على شاطئ نهر جار، فإني أخاف أن يعطشوا، قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إنك تبعثني إلى قوم لا أعرفهم، وفيهم غني وفقير، فقال: يا هذا، كل من مد يده إليك فأعطه.

- قلت: رحم الله عمر بن عبد العزيز (خاتمة الراشدين) فمنذ أن حشر العسكر الكافر أنفه في حكم المسلمين لم يتركوا راشدا (فكانت تلك بداية عمل جرثومة العسكر في جسد الأمة) من المصريين قتلة عثمان إلى باغر التركي وغيره (العصر العباسي) إلى أتاتورك قاتل الخلافة إلى عسكر العرب اليوم (زعماء القوميات الزائفة) شياطين تأتي وشياطين تذهب وحال العرب المسلمين من سيء إلى أسوأ. واليوم الناظر إلى حال المسلمين لا يجد لهم لا خليفة راشد ولا شبه راشد ولا أحكام شريعة قائمة ولا حتى ما يشبه العدل النسبي (الموجود اليوم في بلاد الغرب الكافر) باستثناء قانون الغاب المطبق في هذه الدويلات الوظيفية وحالة انحطاط امتداد للاستدمار، يقودها عسكر عميل وعائلات صنيعة الغرب.ومما زاد الطين بلة (الطامة الكبرى) وجود هذا السواد الأعظم من ملايين المتمسلمين الهمج الرعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح (إمعة).

----

*(تنتضل فيها المنايا) تترامى فيها للسبق (شرق) شرق فلان بريقه والشرق كالغص بالطعام وهو أن يقع في غير مساغه يقال أخذته شرقة فكاد يموت.

■ (1) عبد الأعلى بن أبي عبد الله الغبري (وفي رواية: العنبري أو العنزي) والغبري نسبة إلى بني غبر: بطن من بني يشكر. وفد على عمر بن عبد العزيز وحكى عنه روى عنه خالد بن عمرو الأموي وذكر أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب البكاء.

مراجع: تاريخ دمشق/ حلية الأولياء/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ تعجيل المنفعة/ المعرفة والتاريخ/ مقاييس اللغة/ المعرفة والتاريخ/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) وعنبسة بن سعيد (٢) 0498

قال أبو عاصم النبيل: حدثني جليس هشام بن أبي عبد الله، قال: قال عمر بن عبد العزيز[1] لعنبسة بن سعيد[2]: أخبرني ببعض ما رأيت من عجائب الحجاج[3]، قال: كنا جلوسا عنده ليلة، فأتي برجل، وكان قد نهى عن المشي بالليل بعد العشاء الأخيرة، فقال: ما أخرجك هذه الساعة، وقد قلت: لا أجد فيها أحدا إلا فعلت به؟! قال: أما والله لا أكذب الأمير، أغمي على أمي منذ ثلاث، وكنت عندها، فلما أفاقت الساعة، قالت: يا بني، أعزم عليك إلا رجعت إلى أهلك؛ فإنهم مغمومون بتخلفك عنهم، فخرجت، فأخذني الطائف، فقال الحجاج: ننهاكم وتعصوننا؟! يا غلام، اضرب عنقه، ثم أتي برجل آخر فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: والله لا أكذبك، لزمني غريم، فلما كانت الساعة أغلق الباب وتركني على بابه، فجاءني الطائف فأخذني، فقال: اضربوا عنقه، ثم أتي بآخر، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: كنت مع شرب أشرب فعربدوا، فخفت على نفسي فخرجت، ففكر الحجاج ساعة، ثم قال: رجل أحب المسالمة يا عنبسة، ما أراه إلا صادقا فأخلوا سبيله. فقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة: فما قلت للحجاج شيئا في ذلك؟ قال عنبسة: لا، فقال عمر لآذنه: لا تأذن لعنبسة إلا أن يكون في حاجة.

■ (2) عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد (أبي أحيحة) بن العاص بن أمية، أبو أيوب، ويقال أبو خالد، وهو أخو يحيى وعمرو الاشدق. وهو عم أبي إسماعيل بن أمية.وأمه أمة يقال لها عصماء، وكان عنبسة أثيرا عند الحجاج. ومات وقد هرم، تقريبا سنة 100 هـ

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان. يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي رضي الله عنه بدير سمعان لعشر ليال بقين من رجب سنة 101 هـ وهو ابن 39 سنة واشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

■ (3) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

قال أبو عبد الله: وبلغني عن مالك بن أنس أنه قال: نعس الحجاج وعنده عنبسة بن سعيد بن العاص قال: وقد ذكر الحجاج عمر بن عبد العزيز فنلت منه لأرضيه فقال لي: مه* إنا نقول إنه سيلي هذا الأمر ويعدل فيه ونعس فخرجت وخرج من عنده فانتبه الحجاج فلم ير أحدا، فقال: عجلوا علي بعنبسة، فقال: أي شيء قلت لك؟ قال: لا شيء أصلحك الله، فقال: بلى، والذي نفسي بيده لئن سمعته من أحد لأضربن عنقك.

☪

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ» وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَرَى أَمْرَ اللهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالاً ثُمَّ لاَ يَقُولُهُ، فَيَقُولُ اللهُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ رَبِّ خَشِيتُ النَّاسَ. فَيَقُولُ: وَأَنَا أَحَقُّ أَنْ تَخْشَى» قال منصور الأحمد: هذان الحديثان موضوعهما واحد، وهو موضوع جليل وخطير وأي شيء أجل وأخطر من قول كلمة الحق، والشهادة به؟ وهما بمجموع معانيهما يحددان العلل والأسباب التي تجعل الناس يستنكفون عن قول كلمة الحق، ومعالجة هذه العلل بالدواء الذي ليس قبله ولا بعده دواء. إن الرسول صلى الله عليه وسلم إذ يخاطب أمته بهذين الحديثين فإنما يرمي إلى تربية هذه الأمة، وإعدادها إعدادا ربانيا لمهمتها المنشودة في الأرض وفي التاريخ، وبينها بناء عقيديا متماسكا. والمشكلة بالنسبة للأمة الإسلامية ليست في معرفة الحق والكشف عنه –حيث إن الله قد اقتضت حكمته أن لا يخلي هذه الأمة من طائفة تعرف الحق، وتبينه للناس– ولكن المشكلة الخطيرة هي السكوت في وجه الباطل، وعدم الجهر بالحق الواضح خوفا من ضرر، أو طمعا في نفع شخصي. إن هذين الأمرين: الخوف والطمع هما اللذان يحجبان كلمة الحق أن تصل إلى الآذان، ويقفان حاجزا أمام تواص الناس بالحق والصبر عليه. ولم يزل الخوف هو العامل الأهم في القعود عن القيام بواجب الجهر بالحق، والرضا بالدون من الأهداف، والسهل من الأعمال، وهذا الخوف يكون من بطش ظالم، أو طغيان طاغوت، أو خوفا من انقطاع رزق ، وتضييق في عيش.

فالشيطان عندما يأتي ليصرف العالم عن القيام بهذه المهمة المقدسة يبث في فؤاده الرعب عن طريق تخويفه من عاقبة ذلك بإبرازه ما حدث لبعض من قام بهذه المهمة، وتضخيمه لما نزل بهم من صنوف التنكيل والعسف، بل يذهب إلى أبعد من ذلك، بأن يخوفه الموت نتيجة لذلك، حيث يصور له أن ما يحدث للمجاهدين في سبيل الله إنما هو من فعل أعدائهم بهم، وأنهم هم المؤثرون بآجالهم إطالة أو تقصيرا، وكذلك يستعرض له الذين يضيق عليهم بسبب عدم قدرتهم على ضبط أنفسهم، وما هم عليه من هم وغم، وما في حياتهم من خشونة لا لزوم لها! وكيف أن من يسمون أنفسهم بدعاة الحق مطاردون في كل أرض، مذادون* عن كل حوض، يتنكر لهم القريب، ويجفوهم الصديق. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد من المسلم دائما أن يكون على ذكر من بدهيات عقيدته، وعلى وعي لأحابيل الشيطان، فلا يغفل عن حقيقة أن الآجال مقدرة من الله تعالى، وأن لا أحد يستطيع أن يتقدم أو يتأخر عن أجله الذي حدد له، وأنه ليس بمقدور أحد أن يزيد أو ينقص من أجل أحد، وكذلك فإن الله إذا أراد نفع أو ضرر إنسان فليس هناك من يستطيع أن يغير تلك الإرادة.

داءان خطيران وقع فيهما الدعاة إلى الله، فتقاعسوا عن الإرشاد والتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما: التشبث بالحياة والحرص على حطامها.

- أما التشبث بالحياة ، والبعد عن شبح التهديد، وإيثار السلامة فدفعهم إما إلى السكوت عما لا يسكت عليه ؛ وإما إلى قلب الحقائق، والدخول في التأويلات التي تزين الباطل، وتخفي دمامته وقبحه. مع أن الله قد أخذ العهد على العلماء ببيان الحق، دون أن تأخذهم في الله لومة لائم، وقد حذرهم من مصائر الذين كتموا الحق وأهملوه، قال الله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران] ووصف الله المؤمنين بأنهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة]
- وأما الحرص على حطام الدنيا فقد كان له أثره المدمر في مسيرة المسلمين فكم من عالم عالم بالحلال والحرام ألجمه حب المال عن قول كلمة حق في موقف يحتاج إليها فيه! وكم من أناس تفضل الله عليهم بنعمة العلم والفقه يغضون الطرف عن كثير من المنكرات والمخالفات خوفا من انقطاع جراية أو مرتب، أو ذهاب امتيازات مادية يتمتعون بها، وقد يخدعهم شيطانهم بإقناعهم أن هذه الامتيازات هي حق يستحقونه، وأنهم أولى بها من غيرهم، ويغفلون أو يتغافلون عن الجانب الآخر من القضية وهو أن هذه الامتيازات ما هي إلا رشوة لهم على سكوتهم، وجائزة لهم لالتزامهم الأدب والسلوك الحسن أمام أعداء الله الذين تحمد أمامهم الغلظة، لا رقة السلوك وحسنه.

إن مما يؤسف له أن الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية حرب الإسلام، وندبوا أنفسهم لإخفات كل صوت يدعو إلى الله على بصيرة بصدق وتجرد؛ قد تنبهوا إلى مقاتل الدعاة التي يصوبون إليها أسلحتهم، واستثمروا نقاط الضعف هذه ليعبثوا بدين الله ودعاته كما يحلو لهم؛ فهم يداولون بين سلاح التخويف والإرهاب تارة، وسلاح الوظائف والامتيازات والرشا تارة أخرى، وقد تتخصص كل جهة من الجهات في استخدام واحد من هذين السلاحين على حسب مقتضيات الظروف والأحوال. لقد جعل الله المال فتنة للناس، ومحكا لتمييز المخلص في دعوته من غيره، وكم رأينا من الناس من كان في حال العسر يرفع عقيرته بالشكوى من أوضاع باتت تلفه وتلف غيره، ويشتهر بين الناس بالعمل في سبيل الإسلام، حتى إذا تحول إلى حيث جاء الرزق رغدا، وطلق الفقر؛ خفت صوته بل تلاشى، ولفه ثوب الكسل، وأصبح النشاط الذي كان بالأمس أثرا بعد عين. من يدري؟! فربما تكون نفسه قد أقنعته أنه الآن –في حالته الحاضرة– قد وجد ثمرة جهاده ونتيجة صبره! مع أن أوضاع المسلمين في أغلب البقاع لا ترضي، ومشاكلهم متشابهة، وأينما اتجهنا وجدنا التهديدات التي تهدد مصيرهم، والأخطار التي تزيدهم ضعفا؛ فموالاة أعداء الله؛ والتنصير الماحق الذي يتحيف* بلاد المسلمين بل يهب عليها كالريح الصفراء؛ والدعوات الهدامة التي يروج لها في كل مكان؛ وتبديد ثروات المسلمين على ما لا يفيد؛ وإخضاع الإسلام في مجال الدعاية للأشخاص والأهواء؛ كل ذلك وغيره كثير وكثير من المجالات التي يترتب على العلماء أن يقولوا فيها قولة واضحة لا غموض فيها ولا التواء. وتبقى مسألة أخيرة وردت في الحديث الثاني، في قوله صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ» هذه المسألة هي مسألة الثقة بالنفس التي أراد عليه الصلاة والسلام أن يغرسها في نفوس المسلمين، فالثقة بالنفس هي الدافع إلى العمل، وهذه الثقة لا تكون إلا حيث تكون النفس على يقين من صحة ما تدعو إليه، ومن بطلان ما عداه، ومن آثارها أن الشخص يتحول من عضو سلبي في المجتمع، ضائع في تيار الغفلة، إلى شخص مؤثر إيجابي لا يهاب أحدا إلا الله، يستهين بالباطل، وتزداد استهانته به كلما انضم إليه بهذا الشعور أمثاله من الذين يتخذون من رسول الله أسوة حسنة. فصلى الله على هذا النبي الأمي الذي آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، فهدانا –بهداية الله له– إلى أحسن السبل، وعرفنا مواطن الخير بأقصر عبارة وأجلاها، ونسأله تعالى أن يجعلنا من ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب]

----

*(مه) كلمة زجر بمعنى كف واسكت وانته (حيف)، وهو الميل. يقال [حاف] عليه يحيف، إذا مال. ومنه تحيفت الشيء، إذا أخذته من جوانبه (ذود) الذود السوق والطرد والدفع

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ حلية الأولياء/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ تعجيل المنفعة/ المعرفة والتاريخ/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ مقاييس اللغة/ مسند أحمد/ مجلة البيان/ لسان العرب/ مقاييس اللغة/

عندما أمر عمر بن عبد العزيز مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، قام إليه رجل ذمي من أهل حمص، فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله، قال: وما ذلك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك[1] اغتصبني أرضي، والعباس جالس، فقال عمر: يا عباس ما تقول؟ قال: نعم، أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد، وكتب لي بها سجلا، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر: نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد، قم يا عباس فاردد عليه ضيعته، فردها عليه. فجعل لا يدع شيئا مما كان في يده وفي يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة، فلما بلغت الخوارج سيرة عمر رضي الله تعالى عنه وما رد من المظالم اجتمعوا، فقالوا: ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل، فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك[2]،فكتب إليه إنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء، وعبت عليهم فعلهم، وسرت بغير سيرتهم بغضا لهم وشتنا لمن بعدهم من أولادهم، قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم، فأدخلتها في بيت المال جورا وعدوانا ولن تترك على هذا الحال. فلما قرا كتابه كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد، السلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، أما بعد، فانه بلغني كتابك وسأجيبك بنحو منه، أما أول شأنك يا ابن الوليد، كما زعم، فأمك بنانة أمة للسكون (السكوني؟)، كانت تطوف في سوق حمص، وتدخل وتدور في حوانيتها، ثم الله أعلم بها، اشتراها ذبيان[3] من فيء المسلمين، فأهداها لأبيك فحملت بك، فبئس المحمول وبئس المولود، ثم نشأت فكنت جبارا عنيدا، تزعم أني من الظالمين لم حرمتك وأهل بيتك فيء الله عز وجل الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله: من استعملك صبيا سفيها على جند المسلمين، تحكم فيهم برأيك، ولم تكن له في ذلك نية إلا حب الوالد لولده، فويل لك وويل لأبيك، ما أكثر خصماءكما يوم القيامة. وكيف ينجو أبوك من خصمائه، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله: من استعمل الحجاج[4]، يسفك الدم الحرام ويأخذ مال الحرام، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من: استعمل قرة بن شريك[5] أعرابيا جافيا على مصر، وأذن له في المعازف واللهو والشرب، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله: من جعل لعالية البربرية[6] سهما في خمس العرب، فرويدا يا بن بنانة، فلو التقت حلقتا البطان*، ورد الفيء إلى أهله، لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتهم على المحجة البيضاء، فطالما تركتم الحق، وأخذتم في الباطل، ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقبتك، وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل، فان كل فيك حقا، والسلام علينا ولا ينال سلام الله القوم الظالمين.

وفي رواية عن علي بن أبي حملة وابن شوذب قالا: كتب عمر بن الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز كتابا يغلظ فيه، فكتب إليه عمر: إن أظلم مني وأجور من ولى عبد ثقيف العراق فحكم في دمائهم وأموالهم، إن أظلم مني وأجور وأترك لعهد الله من ولى قرة مصر جلفا جافيا. إن أظلم مني وأجور وأترك لعهد الله من ولى عثمان بن حيان[7] الحجاز ينشد الأشعار على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما أمك كانت تختلف إلى حوانيت حمص فاشتراها دينار بن دينار [3] فبعث بها إلى أبيك فحملت، فبئس الجنين وبئس المولود، ثم وضعتك جبارا شقيا، لقد هممت أن أبعث إليك من يحلق جمتك* فبئس الجمة. وفي رواية قال أبو الحسن: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد بن عبد الملك، أما بعد، فانك كتبت تذكر أن عاملا أخذ مالك بالحمية، وتزعم أني من الظالمين وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من أمرك صبيا سفيها على جيش من جيوش المسلمين لم تكن له في ذلك نية إلا حب الوالد لولده، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله لأنت فأنت عمر بن الوليد وأمك صناجة تدخل دور حمص وتطوف في حوانيتها رويدك أن لو قد التقت حلقتا البطان، لحملتك وأهل بيتك على المحجة البيضاء فطالما ركبتم ثنيات الطريق*مع أني قد هممت أن ابعث إليك من يحلق دلادلك* فاني أعلم أنها من أعظم المصائب عليك، والسلام. في رواية قال: لما أقبل عمر على رد المظالم وقطع عن بني أمية جوائزهم وأرزاق أحراسهم ورد ضياعهم إلى الخراج وأبطل قطائعهم فأفقرهم ضجوا من ذلك فاجتمعوا إليه فقالوا: إنك قد أجلبت بيت مال المسلمين، وأفقرت بني أبيك فيما ترد من هذه المظالم، وهذا أمر قد وليه غيرك قبلك، فدعهم وما كان منهم واشتغل أنت وشأنك، واعمل بما رأيت، قال لهم: هذا رأيكم؟ قالوا: نعم، قال: ولكني لا أرى ذلك، والله لوددت أن لا تبقى في الأرض مظلمة إلا رددتها، على شرط أن لا أرد مظلمة إلا سقط لها عضو من أعضائي أجد ألمه ثم يعود كما كان حيا، فإذا لم يبق مظلمة إلا رددتها سالت نفسي عندها، قال: فخرجوا من عنده فدخلوا على بعض ولد الوليد وكان كبيرهم وشيخهم، فسألوه أن يكتب إلى عمر يوبخه لعله أن يرده عن مساءتهم، فكتب إليه: كتاب عمر بن الوليد إلى عمر بن عبد العزيز، أما بعد، فإنك أزريت بمن كان قبلك من الخلفاء وسرت بغير سيرتهم وسميتها المظالم نقصا لهم وعيبا لأعمالهم وشاتما لمن كان بعدهم من أولادهم، ولم يكن ذلك لك، فقطعت ما أمر الله به أن يوصل، وعملت بغير الحق في قرابتك، وعمدت إلى أموال قريش ومواريثهم وحقوقهم فأدخلتها بيت مالك ظلما وجورا وعدوانا، فاتق الله يا ابن عبد العزيز وراقبه، فإنك قد أوشكت لم تطمئن على منبرك أن خصصت ذوي قرابتك بالقطيعة والظلم، فوالله الذي خص محمدا صلى الله عليه وسلم بما خصه به من الكرامه لقد ازددت من الله بعدا في ولايتك هذه التي تزعم أنها بلاء عليك، وهي كذلك، فاقتصد في بعض ميلك وتحاملك، اللهم، فاسأل سليمان بن عبد الملك عما صنع بأمة محمد صلى الله عليه وسلم حين استخلفك عليهم. قال فكتب عمر بن عبد العزيز إليه: من عمر أمير المؤمنين إلى فلان ابن الوليد، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن أول أمرك يا فلان أن أمك بنانة أمه السكوني كانت تدخل دور حمص وتطوف حوانيتها والله أعلم بها، فاشتراها دينار بن دينار من فيء المسلمين فأهداها الى أبيك، فحملت بك فبئس المحمول وبئس الجنين، ثم نشأت فكنت جبارا شقيا، كتبت إلي تظلمني وزعمت أن حرمتك وأهل بيتك في مال المسلمين الذي فيه حق القرابة والضعيف والمسكين وابن السبيل، وإنما أنت كأحد منهم لك ما لهم وعليك ما عليهم، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله الذي استعملك صبيا سفيها تحكم في دماء المسلمين وأموالهم برأيك، لم يحضره نية ولم يكن يحمله عليه إلا حب الولد، ولم يكن ذلك له ولا حق له فيه، فويلك وويل أبيك ما أكثر طلابكما وخصماءكما يوم القيامة، وكيف النجاة لمن كثر خصماؤه! وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من جعل لفلانة البربرية سهما في فيء المسلمين وصدقاتهم، أهاجرت ثكلتك أمك أم بايعت بيعة الرضوان فتستوجب سهام المقاتلين !؟ وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابيا جلفا جافيا على مصر، وأذن له في المعازف والبرابط والخمر، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من ولى يزيد بن ابي مسلم[8] على جميع الغرب يجبي المال الحرام ويسفك الدم الحرام، رويدك فإنه لو قد التقت علينا حلقتا البطان، وطالت بي حياة، ورد الله الحق إلى أهله، تفرغت لك ولأهل بيتك فأقمتكم على المحجة البيضاء، فطال ما أخذتم بنيات الطريق وتركتم الحق وراءكم، ومما وراء هذا ما أرجو أن يكون خير رأي أبته بيع رقبتك، فإن لكل مسلم فيك سهما في كتاب الله، والسلام على من ابتع الهدى، ولا ينال سلام الله الظالمين. وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: سمعت عيسى بن المثنى الكلبي ومحمد بن حجاج الخولاني يذكر: أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض بني الوليد كتابا، لم يذكر فيه الله أعلم وفيه بلى إن شئت نبأتك بمن هو أظلم مني وأترك لعهد الله أبوك إذ ولى يزيد بن أبي مسلم عبد بني أبي عقيل على ثلاثة أخماس الغرب يقتل ويصلب ويقطع وفيه أكثر من هذا وأكره، ولولا ما يمنعني منك لبعثت إليك من يحلق لمتك لمة السوء هوانا بك علي وقمأة، ولما يبلغ الحزام الطبيين، والسلام.

*(التقت حلقتا البطان) قولهم التقى حلقتا البطان والتقى البطان والحقب: يضرب مثلا للأمر يبلغ الغاية في الشدة والصعوبة (دينار بن دينار) في سيرة عمر لابن الجوزي: ذبيان بن ذبيان (ركبتم ثنيات الطريق) مثل عربي ؟ (الجمة) الشعر الكثير، وهي أكثر من اللمة، والجمع جمم وجمام. ودلادل (؟)

■ (2) عمر بن الوليد بن عبد الملك، أبو حفص، أمه كندية من ولد حجر بن عمرو وكان يقال له فحل بني مروان وكان يركب معه من ولده ستون لصلبه ولاه أبوه الوليد الموسم والغزو واستعمله على الأردن مدة ولايته حكى عن عمر بن عبد العزيز روى عنه أبو محروم

■ (1) العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو الحارث الأموي. كان يقال له فارس بني مروان. استعمله أبوه على حمص، وولي المغازي، وافتتح عدة حصون، ولكنه كان ينال من عمر بن عبد العزيز بجهل. وقد مات في سجن مروان بن محمد في حدود سنة 130 هـ

■ (7) عثمان بن حيان بن معبد بن شداد بن نعمان بن رباح بن أسعد بن ربيعة.مولى أم الدرداء أو عتبة بن أبي سفيان. ويلقب بأبي المغراء الدمشقي، حدث عن: أم الدرداء. ولاه الوليد بن عبد الملك على المدينة، بعد أن عزل عمر بن عبد العزيز عنها، وذلك برأي من الحجاج..وكان ظلوما عسافا جائرا. [الوفاة: 101 - 110 هـ]

■ (5) قرة بن شريك، القيسي القنسريني، ولاه الوليد بن عبد الملك مصر وكان سيء السيرة. هلاك في حياة الوليد سنة 96 هـ.

■ (6) عالية البربرية، وفي رواية: عالية البريقية، وفي أخرى: غاية البربرية ؟ (لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم). (3) في مختصر تاريخ دمشق: دينار بن دينار. وفي سيرة عمر لابن الجوزي: ذبيان بن ذبيان (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم).

■ (4) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ، كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله.

■ (8) يزيد بن أبي مسلم بن دينار الثقفي، أبو العلاء مولاهم، أمير المغرب،كان مولى الحجاج وكاتبه ومشيره، استخلفه الحجاج عند موته على أموال الخراج، فضبط ذلك، وأقره الوليد، ثم أمره على إفريقية يزيد بن عبد الملك، فثارت عليه الجند ففتكوا به لظلمه سنة 102 هـ.

☪

قال علي الصلابي: إن عمال الخليفة وأمراء البلدان بخاصة هم نواب الخليفة في أقاليمهم، والواسطة بينه ورعيته ومهما كان الخليفة على درجة من الدراية في تصريف أمور السياسة إلا أنه لا يستطيع تحقيق النجاح إلا إذا أختار عماله بعناية تامة، لذا عني عمر بن عبد العزيز رحمه الله عناية فائقة باختياره عماله وولاته، وحين نتبع أخباره في هذا الصدد نجد أن له شروطاً لا بد من تحققها فيمن يختار العمل عنده، ومن أهم هذه الشروط: التقوى، الأمانة، وحسن التدين، فلما عزل خالد بن الريان[1] الذي كان رئيسا للحرس في عهد الوليد بن سليمان ـ نظر عمر في وجوه الحرس فدعا عمرو بن المهاجر[2] فقال: والله إنك لتعلم يا عمرو أنه ما بيني وبينك قرابة إلا الإسلام، ولكني سمعتك تكثر تلاوة القرآن، ورأيتك تصلي في موضع تظن أنه لا يراك أحد فرأيتك تحسن الصلاة، خذ هذا السيف قد وليتك حرسي، وكان يكتب إلى عماله: إياكم أن تستعملوا على شئ من أعمالنا إلا أهل القرآن، فإنه لم يكن عند أهل القرآن خير فغيرهم أحرى بأن لا يكون عندهم خير. وإذا شك في أمر من ينوي توليته لم يقدم على توليته حتى يتبين له حاله، فحين ولي الخلافة وفد عليه بلال بن أبي بردة فهنأه وقال: من كانت الخلافة يا أمير المؤمنين شرفته فقد شرفتها، ومن كانت زانته فقد زنتها واستشهد بأبيات من الشعر في مدح عمر فجزاه عمر خيراً، ولزم بلال المسجد يصلي، ويقرأ ليله ونهاره، فهم عمر أن يوليه العراق، ثم قال: هذا رجل له فضل، فدس إليه ثقة له فقال له: إن عملت لك في ولاية العراق ما تعطيني؟ فضمن له مالاً جليلاً، فأخبر بذلك عمر، فنفاه وأخرجه، وكان يكره أن يولي أحداً ممن غمس نفسه في الظلم أو عمل مع الظلمة لاسيما الحجاج، وإذا كان من قبل عمر يجعل للعصبية والقرابة من البيت الأموي وزنا في تولية العمل، فإنه لم يكن شئ من ذلك في ميزان عمر فحدث الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز جلس في بيته وعنده أشراف بني أمية، فقال: أتحبون أن أولي كل رجل منكم جنداً من هذه الأجناد ؟ فقال رجل منهم: تعرض علينا مالا تفعله؟ قال: ترون بساطي هذا؟ إني لا علم أنه يصير إلى بلى، وإني أكره أن تدنسوا علي بأرجلكم، فكيف أوليكم ديني؟ وأوليكم أعراض المسلمين وأبشارهم تحكمون فيهم؟هيهات هيهات. وقد كان لهذا النهج الذي تميزت به سياسة عمر بن عبد العزيز في اختيار الولاة والعمال أثر في الاستقرار السياسي في الأقاليم، حيث رضي الناس سير عماله وحمدوا فعالهم، إذ لم يكن في عماله من هو على شاكلة الحجاج يتعامل مع الناس بالشدة وياخذهم بالتهمة، كما لم يكن منهم صاحب عصبية يرفع أناساً ويضع آخرين فيجدوا عليه في أنفسهم.

■ (2) عمرو بن مهاجر بن دينار أبي مسلم أبو عبيد صاحب حرس عمر بن عبد العزيز، مولى الأنصار. روى عن أبيه، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية، مات سنة 139 هـ في خلافة أبي جعفر، وهو ابن أربع وسبعين سنة.

■ (1) خالد بن الريان المحاربي مولاهم ولي الحرس لعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك.وكان سيافا يقوم على رؤوس الملوك فلما استخلف عمر عزله وقال: إني أذكر بأوه* وهيبته* اللهم إني أضعه لك فلا ترفعه أبدا فما لبث إلا جمعة حتى ضربه الفالج فقتله.* (البأو) الفخر (هيئته) قيل أيضا: هيبته، تيهه

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ حلية الأولياء/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ تعجيل المنفعة/ المعرفة والتاريخ/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية/ البداية والنهاية/ البيان والتبيين/ مقاييس اللغة/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) وعبد الرحمن بن يزيد بن معاوية 0500

عن رجاء بن أبي سلمة عن الوليد بن هشام[1] قال: دخل عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية[2] على عمر بن عبد العزيز، وكان عمر يرق له لما هو عليه من النسك، فقال: يا أمير المؤمنين، اقض ديني، قال: وكم هو؟ قال: أربعة آلاف دينار، قال: نعم، فوكل بها الوليد بن هشام، فكلم عمر فقال: إنه يعظمني أن أعطي رجلا واحدا أربعة آلاف دينار، فقلت: إن المؤمن لا يخلف، فغضب وقال: ويحك يا ابن هشام، ترى أن منزلتي بلغت في نفسي منزلة من إذا رأى الرأي أو قال القول فرأى غيره خيرا منه لا يأخذ بالذي هو خير ويدع ما سواه، فما أعطاه درهما واحدا. وفي رواية عن الوليد بن هشام قال: قدم عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية على عمر بن عبد العزيز، فرفع إليه دينا عليه أربعة آلف دينار، فوعده بقضاء ذلك عنه، فقال له: وكل أخاك الوليد بن هشام وانصرف إلى أهلك. قال الوليد: فتقاضيته ذلك. قال: فقال لي: قد بدا لي أن أقضي على رجل واحد أربعة آلف دينار، ولئن كنت أعلم أنه إنما أنفقها في خير.قال: قلت يا أمير المؤمنين فأين ما كنا نتحدث أن من أخلاق المؤمن أن ينجز ما وعد. فقال لي: ويحك يا ابن هشام وقد وضعتني بهذا الموضع.

كان عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية خلا لعبد الملك بن مروان، فلما مات عبد الملك وتصدع الناس عن قبره وقف عليه فقال: أنت عبد الملك الذي كنت تعدني فأرجوك، وتوعدني فأخافك، أصبحت وليس معك من ملكك غر ثوبيك، وليس لك منه غير أربعة أذرع في عرض ذراعين. ثم انكفأ إلى أهله واجتهد في العبادة حتى صار كأنه شن* بال فدخل عليه بعض أهله فعاتبه في نفسه وإضراره فقال للقائل: أسألك عن شيء تصدقني عنه؟ قال: نعم. قال: أخبرني عن حالتك التي أنت عليها أترضاها للموت؟ قال: اللهم، لا، قال: أفعزمت على انتقال منها إلى غيرها ؟ قال: ما انتصحت رأيي في ذلك، قال: أفتأمن من أن يأتيك الموت على حالك التي أنت عليها؟ قال: اللهم لا، قال: حال ما أقام عليها عاقل. ثم انكفأ إلى مصلاه.

----

*(الشن) وعاء من أدم يوضع فيه الماء ليبرد

■ (2) عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي الدمشقي، كان من خيار بني أمية وصلحائهم. سمع ثوبان. وعنه: أبو طوالة عبد الله بن عبد الرحمن، وأبو حازم سلمة بن دينار، ومحمد بن قيس، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وغيرهم.مات على رأس المائة

■ (1) الوليد بن هشام بن معاوية بن هشام بن عقبة بن أبي معيط، أبو يعيش الأموي المعيطي. ثقة عدل، روى عن عمر بن عبد العزيز وكان عامله على قنسرين وغيرها. روى عنه ابنه يعيش و الأوزاعي والوليد بن سليمان وآخرون. عاش إلى دولة مروان بن محمد.

قال علي بن نايف: لقد خص الله هذه الأمة، كما خص رسولها صلى الله عليه وسلم بخصائص لم يخص بها أحدا من العالمين، ولم يمنحها لأحد من السابقين، من تلكم الخصائص والميزات التي انفردت بها الأمة الإسلامية على ما سواها الكفارة، حيث لم يكن في شرع من قبلنا كفارة، بل كانت اليمين توجب عليهم فعل المحلوف عليه، ولهذا أمر الله أيوب عليه السلام أن يأخذ بيده ولا يحنث، ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا* فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص] لأنه لم يكن في شرعه كفارة يمين، ولو كان في شرعه كفارة يمين كان ذلك أيسر عليه من ضرب امرأته ولو بضغث. فعلينا أن نعرف لهذه النعم قدرها، وأن نوليها شكرها، ونعمل على نشرها، وأن لا نستهين بفعلها. والأيمان يمينان، يمين فاجرة كاذبة، الغرض منها المكر والخديعة والغدر، فهذه لا تنعقد ولا كفارة عليها عند عامة أهل العلم، لأنها أكبر من أن تكفرها أوتمحوها حفنة من طعام ، أو خرقة من لباس، وهي اليمين الغموس التي تستقطع بها حقوق العباد، وينتشر بواسطتها الفساد والحقد في البلاد، وهي أن يحلف وهو موقن أنه كاذب، فاجر، مخادع، ماكر، فهذه ليس لصاحبها إلا التوبة النصوح ورد الحقوق إلى أصحابها، أو استسماحهم إن تيسر، أوالدعاء لهم.

أما اليمين التي تنعقد وتمحوها الكفارة فهي اليمين التي تكون في المستقبل وينوي صاحبها الوفاء بها، ولكن لم يتمكن من ذلك، إما لأنه رأى غيرها خيرا منها، وإما لعدم بر المحلوف عليه لقسمه، وإما لضعف وعجز ونحو ذلك. ومن رحمة الله عز وجل بعباده كذلك أن جعل كفارة اليمين على التخيير، فالحانث في يمينه بالخيار بين الإطعام، والكسوة، أوالعتق، فبدأ بالأمور التي خيرها متعد على الفقراء والمساكين والمملوكين، لأنهم أولى الخلق بالرحمة والعطف والإنفاق، ثم لم يضيق على عباده، فمن لم يجد سبيلا إلى الإطعام ولا الكسوة والعتق، فقد رخص له في الصوم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كان في كتاب الله:﴿أَوْ﴾ فهو مخير فيه، وما كان:﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ فالأول الأول. فكفارة اليمين ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع لقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة] ومن السنة الحديث السابق:﴿إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ﴾ ولهذا أجمعت الأمة على مشروعيتها وثبوتها، لهذه الأدلة ولغيرها.

واعلم أخي الكريم أن الكفارة عبادة من العبادات، والعبادات توقيفية، لا مجال للعقل فيها والرأي، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: ﴿صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي﴾ وقال في حجة الوداع: ﴿لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ﴾ فالحذر كل الحذر من إفراغ النصوص من مدلولها، وعليك بمنهج السلف الأذكياء الأخيار، سيما الصحابة الأطهار من المهاجرين والأنصار، فإنهم أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأفضلها منهجا وسبيلا؛ واحذر واجتنب مسلك المبتدعة المغرورين الأشرار، قديما وحديثا، فإنهم على سبل كلها تقود إلى النار، وتوجب غضب الجبار وتورث دار البوار...

عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه عن رجل من مزينة أنه قالت له أمه: ألا تنطلق فتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يسأله الناس؟ فانطلقت أسأله فوجدته قائما يخطب وهو يقول:﴿مَنِ اسْتَعَفَّ أَعَفَّهُ اللَّهُ وَمَنِ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ وَمَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ عِدْلُ خَمْسِ أَوَاقٍ فَقَدْ سَأَلَ إِلْحَافاً﴾ فقلت بيني وبين نفسي: لناقة له هي خير من خمس أواق ولغلامه ناقة أخرى هي خير من خمس أواق فرجعت ولم أسأله. وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَسْأَلَتُهُ فِي وَجْهِهِ خُمُوشٌ أَوْ خُدُوشٌ أَوْ كُدُوحٌ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يُغْنِيهِ؟ قَالَ: خَمْسُونَ دِرْهَمًا أَوْ قِيمَتُهَا مِنْ الذَّهَبِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ﴾ وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿لأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ﴾ وعن أبي مسلم الخولاني قال: حدثني الحبيب الأمين عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ﴿أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾؟ وكنا حديث عهد ببيعة فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: ﴿أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾؟ فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله. ثم قال: ﴿أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾؟ قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال:﴿عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا – وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً – وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا﴾ فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه.

----

*(الضغث) ملء اليد من حشيش وما أشبهه. باب من حلف ليضربن عبدة مائة سوط فجمعها فضربه بها لم يحنث استلالا بقوله عز و جل: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص]

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ حلية الأولياء/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ تعجيل المنفعة/ المعرفة والتاريخ/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ مقاييس اللغة/ سنن البيهقي الكبرى/ موسوعة الدين النصيحة/

ولي عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي[1] على جند قنسرين* وفرات بن مسلم[2] على خراجها فتباغيا حتى بلغ الأمر بالوليد أن هيأ أربعة نفر من كهول قنسرين يشهدون على فرات أنه يدع الصلاة ويفطر شهر رمضان مقيما صحيحا ولا يغتسل من الجنابة ويأتي أهله وهي طامث فقدموا على عمر بن عبد العزيز فشهدوا بهذه الشهادة وهم مختضبون بالحناء، فقال عمر: هذا رمقتموه في صلاته فلم يصلها، إما تركها متعمدا وإما ساهيا، ورأيتموه يفطر في شهر رمضان ولا ترون به سقما، ما علمكم أنه لا يغتسل من الجنابة وغشيانه أهله؟! والله ما هذا مما يشتم به ولا سيما فرات في مثل عفافه وأمانته، يا غلام انطلق بهؤلاء المشيخة السوء إلى صاحب الشرط فمره فليضرب كل واحد منهم عشرين سوطا على مفرق رأسه وليرفق في ضربه لمكان أسنانهم، وبحسبهم من الفضيحة ما هم صائرون إليه إن لم يتغمد الله ما كان منهم بعفوه، ثم استوثق منهم بالكفلاء حتى يكون فرات هو الآخذ بحقه منهم أو العافي عنهم، والعفو أقرب للتقوي وأقرب إلى الله عز وجل، ثم أصلح بين الوليد وفرات. قال: وقدم الوليد ومعه رؤوس أنباط قنسرين، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى الفرات أن أقدم، فقدم وإنه لقاعد خلف سرير عمر إذ دخل الأنباط فقال لهم عمر: ماذا أعددتم لأميركم في نزله لمسيره إلي؟ قالوا: وهل قدم يا أمير المؤمنين؟ قال: ما علمتم به؟ قالوا: لا، والله يا أمير المؤمنين، فأقبل عمر بوجهه على الوليد، فقال: يا وليد، إن رجلا ملك قنسرين وأرضها خرج يسير في سلطانه وأرضه حتى انتهى إلي، لا يعلم به أحد ولا ينفر أحدا ولا يروعه، لخليق أن يكون متواضعا عفيفا ؟! قال الوليد: أجل، والله يا أمير المؤمنين، إنه لعفيف، وأني له لظالم وأستغفر الله وأتوب إليه، فقال عمر: ما أحسن الاعتراف وأبين فضله على الإصرار، وردهما عمر على عملهما، فكتب إليه الوليد، وكان مرائيا، خديعة منه لعمر وتزينا بما هو ليس عليه: إني قدرت نفقتي لشهر فوجدتها كذا وكذا درهما، ورزقي يزيد على ما أحتاج إليه، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحط فضل ذلك؟ فقال عمر: أراد الوليد أن يتزين عندنا بما لا أظنه عليه، ولو كنت عازلا أحدا على ظن لعزلته، ثم أمر بحط رزقه إلى الذي سأله، ثم أمر بالكتاب إلى يزيد بن عبد الملك[3]، وهو ولي عهده: إن الوليد بن هشام كتب إلي كتابا، أكثر ظني أنه تزين بما ليس هو عليه، ولو أمضيت شيئا على ظني ما عمل لي أبدا، ولكني آخذ بالظاهر وعند الله علم الغيوب، فأنا أقسم عليك إن حدث بي حادث وأفضى هذا الأمر إليك، فسألك أن ترد إليه رزقه، وذكر أني نقصته فلا يظفر منك بهذا أبدا، فإنما خادع به الله والله خادعه، فلما مات عمر واستخلف يزيد كتب إليه الوليد: إن عمر نقصني وظلمني، فغضب يزيد وبعث إليه فعزله وأغرمه كل رزق جرى عليه في ولاية عمر ويزيد كلها، فلم يل له عملا حتى هلك.

----

*(قنسرين) بلدة تقع بين حماة وحلب على مسافة 25كم جنوبي غربي حلب وهي حدود بلاد الشام التي تحاذي فارس في الشمال الغربي.

■ (1) الوليد بن هشام بن معاوية بن هشام بن عقبة بن أبي معيط، أبو يعيش الأموي المعيطي. ثقة عدل، روى عن عمر بن عبد العزيز وكان عامله على قنسرين وغيرها. روى عنه ابنه يعيش و الأوزاعي والوليد بن سليمان وآخرون. عاش إلى دولة مروان بن محمد.

■ (2) فرات بن مسلم ويقال: ابن سالم الجزري، مولى بني عقيل، والد نوفل بن فرات من أهل الرقة وفد على عمر بن عبد العزيز وحكى عنه روى عنه أبو المليح الحسن بن عمر الرقي ورجاء بن أبي سلمة الفلسطيني

■ (3) يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو خالد الأموي الدمشقي؛ تولى الحكم بعد عمر بن عبد العزيز لست بقين من رجب سنة 101 هـ وله 37 سنة وتوفي بأرض البلقاء، وقيل بعمان، لخمس بقين من شعبان سنة 105 هـ.

قال فرات بن مسلم: اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحا، فطلب له، فلم يوجد فركب وركبنا معه، وتلقاه غلمان من الديارنة بأطباق فيها تفاح، فوقف على طبق منها، فتناول تفاحة فشمها وأعادها في الطبق ثم قال: ادخلوا ديركم، لا أعلم بعثتم إلى أحد من أصحابي بشيء. قال: فحركت بغلتي فلحقته فقلت: ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر يقبلون الهدية؟ قال: إنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر هدية، وللعمال بعدهم رشوة.

حدث ابن بكير عن يعقوب قال: سمعت أبي يقول: قال عمر بن عبد العزيز يوما: وددت أن عندي عسلا من عسل سينين أو لبنان. قال: فسمعت فاطمة بنت عبد الملك امرأته فحملت بعض غلمانها أو بعض مواليها إلى ابن معدي كرب –وهو عامل ذلك المكان– أن أمير المؤمنين قد تشهى من عسل سينين أو لبنان. فأرسل إليها بعسل كثير، فلما انتهى بالعسل إليها أرسلت به إلى عمر، فقالت: هذا الذي تشهيت يا أمير المؤمنين يوم الأول. قال: كأني بك يا فاطمة لما بلغك ما تشهيت هذا العسل فبعثت بعض مواليك أو بعض غلمانك إلى ابن معدي كرب. فأمر بذلك العسل فأخرج إلى السوق فبيع وادخل ثمنه بيت مال المسلمين، ثم كتب إلى ابن معدي كرب أن فاطمة بنت عبد الملك بعثت إليك تخبرك بأني تشهيت عسلا من عسل سينين أو لبنان فبعثت إليها، وأيم الله لئن عدت لمثلها لا تعمل لي عملا أبدا ولا أنظر إلى وجهك.

عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم قال: كان عمر بن عبد العزيز قلما يدع يقرأ في المصحف بالغداة ولا يطيل. قال جويرية: ولا أدري من حدث إسماعيل أو غيره قال: قال لمزاحم: أبغني رجلا لمصحفي. قال: فأتاه برجل فأعجبه. قال: من أين أصبت ؟ قال: يا أمير المؤمنين دخلت بعض الخزائن فأصبت هذه الخشبة فأتخذت منها رجلا. قال: ويحك انطلق فأقمه في السوق. قال: وجاء به قومه في السوق فقومه نصف دينار فرجع فقال: يا أمير المؤمنين قوموه نصف دينار. قال: ترى أن تضع في بيت المال دينارا أتسلم منه. قال مزاحم: إنما قوموا نصف دينار. قال: ضع في بيت المال دينارين.

عن يعقوب بن عبد الرحمن قال: سمعت أبي يقول: قال عمر بن عبد العزيز: أسخنوا لي ماء أغتسل به للجمعة، قال: قيل له: يا أمير المؤمنين، لا والله ما عندنا عود حطب نوقد به، قال: فذهبوا بالقمقم* إلى المطبخ مطبخ المسلمين، قال: ثم جاءوا بالقمقم، فقالوا: هذا القمقم، يا أمير المؤمنين وهو يفور، قال: ألم تخبروني أنه ليس عندكم عود حطب، لعلكم ذهبتم به إلى مطبخ المسلمين، قالوا: نعم، قال: ادعوا لي صاحب المطبخ، فلما جاءه، قال له: قيل لك هذا قمقم أمير المؤمنين، فأوقدت تحته، قالا: والله، يا أمير المؤمنين، ما أوقدت عليه عودا واحدا، وإن هو إلا جمر لو تركته لخمد حتى يصير رمادا، قال: بكم أخذت الحطب؟ قال: بكذا وكذا، قال: أدوا له مثله.

عن جدي قال: سمرنا ليلة مع عمر، فتناول قلنسوة عن رأسه بيضاء مضربة، فقال: كم ترونها تسوى؟ قلنا: درهم، يا أمير المؤمنين، قال: والله ما أظنها من حلال.

عن عبد الرزاق وليس الصنعاني قال: جاء ذات يوم عمر بن عبد العزيز إلى راهب في ديره، فدق عليه الباب، فقال له: يا راهب، عندك شئ من الحكمة تعظني به؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، فكن كما قال الشاعر: تجرد من الدنيا فإنك إنما..خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد. قال: فولى عمر بن عبد العزيز وهو يقول لنفسه: تجرد من الدنيا فإنك إنما..خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد. يرددها على نفسه، قال الحسن بن حبيب[1]: والله لقد قبل الموعظة وتجرد من الدنيا.

----

*(القمقم) هو ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره.

■ (1) الحسن بن حبيب بن عبد الملك بن حبيب أبو علي الفقيه الشافعي المعروف بالحصائري إمام مسجد باب الجابية، أحد الثقات الأثبات. سمع بمصر وبالشام وبمكة. ولد الحسن بن حبيب سنة 242 هـ، وتوفي سنة 368 هـ. وكان حافظا لمذهب الشافعي رحمه الله، وحدث بكتاب الأم كله

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ أنساب الأشراف/ سيرة عمر بن عبد العزيز/

قال عبد العزيز بن عمر[1]: دخلت علي أمي ومعي أخي يزيد بن عمر[2]، فرأت فينا سرورا، فقالت: يا بني، ما يسركما من خلافة أبيكما؟ فوالله لا تريان سرورا في خلافته أبدا. قلنا: ولم ذلك؟ قالت: دخل علي حين صلى العشاء بالناس، وهو يبكي. قالت: فما دنا من فراش ولا ثنى له جنبا، وما زال يبكي قائما وراكعا وساجدا حتى خرج من عندي لصلاة الصبح. قال سهل بن صدقة: لما استخلف عمر سمع في منزله بكاء فسألوا عن ذلك فقالوا: إن عمر خير جواريه فقال: قد نزل بي أمر قد شغلني عنكم فمن أحب أن أعتقه أعتقته ومن أحب أن أمسكه أمسكته وإن لم يكن مني إليها حاجة فبكين إياسا منه، قالت فاطم[3]امرأته: كان إذ دخل البيت ألقى نفسه في مسجده فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه ثم يستيقظ فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع. وعن عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك[4]، قال: بكى عمر بن عبد العزيز، فبكت فاطمة، فبكى أهل الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء. فلما تجلى عنهم العبر قالت فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين! مم بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة منصرف القوم من بين يدي الله: فريق في الجنة، وفريق في السعير، ثم صرخ وغشي عليه. قال عطاء[5]:حدثتني فاطمة امرأة عمر، أنها دخلت عليه وهو في مصلاه تسيل دموعه على لحيته فقالت: يا أمير المؤمنين ألشيء حدث؟ قال:يا فاطمة إني تقلدت من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم أسودها وأحمرها فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعاري المجهود والمظلوم المقهور والغريب الأسير والشيخ الكبير وذي العيال الكثير والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد فعلمت أن ربي سائلي عنهم يوم القيامة فخشيت أن لا تثبت لي حجة فبكيت. وفي رواية، قال عطاء: دخلت على فاطمة بنت عبد الملك (وفي لفظ قال:أرسل عطاء إلى فاطمة..) بعد وفاة عمر بن عبد العزيز، فقلت لها: يا بنت عبد الملك، أخبريني عن أمير المؤمنين. قالت: أفعل، ولو كان حيا ما فعلت. إن عمر رحمه الله كان قد فرغ نفسه وبدنه للناس، كان يقعد لهم يومه، فإن أمسى وعليه بقية من حوائج يومه وصله بليلته، إلى أن أمسى مساء وقد فرغ من حوائج يومه، فدعا بسراجه الذي كان يسرج له من ماله، ثم قام فصلى ركعتين، ثم أقعى* واضعا رأسه على يده تسايل دموعه على خده، يشهق الشهقة فأقول: قد خرجت نفسه، أو تصدعت كبده ؛ فلم يزل كذلك ليلته حتى برق له الصبح، ثم أصبح صائما. قالت: فدنوت منه فقلت: يا أمير المؤمنين، ألشيء كان منك ما كان؟ قال: أجل، فدعيني وشأني، وعليك بشأنك. قالت: قلت له: إني أرجو أن أتعظ. قال: إذن أخبرك. قال: إني نظرت فوجدتني قد وليت هذه الأمة صغيرها وكبيرها، وأسودها وأحمرها، ثم ذكرت الغريب الضائع، والفقير المحتاج، والأسير المفقود، وأشباههم، في أقاصي البلاد و أطراف الأرض فعلمت أن الله سائلي عنهم، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم حجيجي فيهم، فخفت أن لا يثبت لي عند الله عذر ولا يقوم لي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة، فخفت على نفسي خوفا دمع له عيني، ووجل له قلبي؛ فأنا كلما ازددت لهذا ذكرا ازددت منه وجلا، وقد أخبرتك فاتعظي الآن أو دعي.قيل: مر عمر بن عبد العزيز ذات يوم بفاطمة زوجته فضرب على كتفها وقال: يا فاطمة لنحن لليالي دابق* أنعم منا اليوم ؟ فقالت: والله ما كنت على ذلك أقدر منك اليوم. فأدبر عنها وله حنين وهو يقول: يا فاطمة إني أخاف النار يا فاطمة ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام] وقيل: نظر عمر إلى جارية زوجته فاطمة بنت عبد الملك فكأنها أعجبته فقالت له فاطمة: أراها قد أعجبتك يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: إنها لعرضة لذلك، قال: فأمرت فاطمة بإصلاحها وتهيئتها حتى إذا رضيت من ذلك بعثت بها إليه، فقال لها: لمن كنت؟ قالت: وهبني عبد الملك[6] لفاطمة، قال: فلمن كنت قبل عبد الملك؟ قالت: كنت لقوم بالبصرة، فأخذ عاملها أموالهم فكنت فيما أخذه فبعث بي إلى عبد الملك، فوهبني لفاطمة فدعا بالبريد فكتب إلى عامل البصرة فأمره بردها إلى أهلها. قال عمر لزوجته فاطمة بنت عبد الملك: قد علمت حال هذا الجوهر لحليها وما صنع فيه أبوك ومن أين أصابه، فهل لك أن أجعله في تابوت ثم أطبع عليه وأجعله في أقصى بيت مال المسلمين، وأنفق ما دونه، فإن خلصت إليه أنفقته وإن مت قبل ذلك فلعمري ليردنه إليك؟ قالت له: افعل ما شئت، ففعل ذلك، فمات رحمه الله ولم يصل إليه، فرد ذلك عليها أخوها يزيد بن عبد الملك[7]،فامتنعت من أخذه، وقالت: ما كنت لأتركه ثم آخذه، فقسمه يزيد بين نسائه ونساء بنيه.

*(دابق) قرية قرب حلب من أعمال عزاز (أقعى) أقعى الرجل في جلوسه ألصق أليتيه بالأرض ونصب ساقيه وفخذيه يتساند ما وراءه واضعا يديه على الأرض وضع أليتيه على عقبيه بين السجدتين وقد نهي عن الإقعاء في الصلاة

(3) فاطمة بنت عبد الملك، زوجة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وبنت عبد الملك بن مروان، وأخت الوليد وسليمان ابنا عبد الملك.كانت من فضليات نساء بنى أمية. تزوجها عمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة فعاشت معه في نعيم ورفاهية، ولما آلت الخلافة إليه عاشت معه عيشة التقشف والزهد حتى وفاته. وتزوجت بعد وفاته داود بن سليمان بن مروان.توفيت بعد 105 هـ. أثناء خلافة أخيها هشام. قال الزبير بن بكار: قال الشاعر في فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز: بنت الخليفة والخليفة جدها..أخت الخلائف والخليفة زوجها. قال: فلم تكن امرأة تستحق هذا النسب إلى يومنا هذا غيرها قلت: ولا يقال في غيرها هذا إلى يومنا هذا.

(6) أبو الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

(7) يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو خالد الأموي الدمشقي؛ تولى الحكم بعد عمر بن عبد العزيز لست بقين من رجب سنة 101 هـ، وله 37 سنة وتوفي بأرض البلقاء، وقيل بعمان، لخمس بقين من شعبان سنة 105 هـ.

(1) عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي: أمير، من سكان المدينة. ولاه يزيد بن الوليد إمرة مكة والمدينة، سنة 126 هـ. وأقره مروان بن محمد، ثم عزله بعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك. توفي بعد سنة 147 هـ

(2) يزيد بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي حدث عن أبيه عن أبي سلمة وقيل إنه روى عن أبي سلمة

(4) مسلمة بن عبد الملك، أمير أُموي، وقائد عسكري، و ابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب) توفي في محرم سنة121 هـ.

(5) أبو محمد، عطاء بن أبي رباح أسلم، وقيل سالم بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند باليمن؛ من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة، سمع إلى خلقا كثيرا من الصحابة، توفي سنة 115 هـ، وقيل 114 هـ، وعمره 88 سنة. وقال ابن أبي ليلى: حج عطاء سبعين حجة وعاش مائة سنة.

قال المدائني: مرض عمر بن عبد العزيز فقال مسلمة: آتيك بمائة ألف درهم تتصدق بها؟ قال: أفلا تصنع خيرا من ذلك؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: تردها إلى حيث أخذتها منه فإنه خير لك. وفي رواية قال المدائني: أن مسلمة قال لعمر بن عبد العزيز: أوص. فقال: مالي مال أوصي به، قال: فأنا آتيك بمائة ألف درهم توصي فيها بما أحببت. قال: أفلا تفعل خيرا من ذلك، تردها إلى موضعها الذي أخذت منه، قال: رحمك الله يا أمير المؤمنين فقد لينت منا قلوبا قاسية، وزرعت لنا في قلوب الناس المحبة، وأبقيت لنا في الصالحين ذكرا. وقال مسلمة لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين أما تمل الخل والزيت؟ قال: إذا مللتها تركتها حتى اشتهيها. حدث داود بن عبد الحميد عن أبيه قال: اشتهى عمر بن عبد العزيز أو احتاج إلى عسل، فقيل له ابعث رجلا على البريد إلى قرية كذا ليأتيك به فقال: ما كان الله ليراني اشغل جناح المسلمين أو قال جناحا من أجنحة المسلمين في شهوة اشتهيتها. قال مسلمة بن عبد الملك: دخلت على عمر أعوده في مرضه فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك: يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين، قالت: نفعل إن شاء الله ثم عدت فإذا القميص على حاله، فقلت: يا فاطمة ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين فان الناس يعودونه؟ قالت: والله ما له قميص غيره.قال أبو أمية [1]الخصي غلام عمر: دخلت يوما على مولاتي فغدتني عدسا فقلت: كل يوم عدس؟ قالت: يا بني هذا طعام مولاك أمير المؤمنين. قال: وكان عمر يصلي العتمة ثم يدخل على بناته فيسلم عليهن فدخل عليهن ذات ليلة فلما أحسسنه وضعن أيديهن على أفواههن ثم تبادرن الباب فقال للحاضنة: ما شأنهن؟ قالت: إنه لم يكن عندهن شئ يتعشينه إلا عدس وبصل فكرهن أن تشم ذلك من أفواههن. فبكى عمر ثم قال لهن يا بناتي ما ينفعكن أن تعيشن الألوان ويؤمر بأبيكن إلى النار قال: فبكين حتى علت أصواتهن ثم أنصرف. وعن الفهري عن أبيه قال كان عمر يقسم تفاح الفيء فتناول ابن له صغير تفاحة فانتزعها من فيه فأوجعه فسعى إلى أمه مستعبرا فأرسلت إلى السوق فاشترت له تفاحا فلما رجع عمر وجد ريح التفاح، فقال: يا فاطمة هل أتيت شيئا من هذا الفيء؟ قالت: لا وقصت عليه القصة، فقال: والله لقد انتزعتها من ابني لكأنما نزعتها من قلبي، ولكن كرهت أن أضيع نصيبي من الله عز وجل بتفاحة من فيء المسلمين. وقال عون بن المعمر: دخل عمر على امرأته فقال: يا فاطمة عندك درهم أشتري به عنبا؟ فقالت: لا، وقالت: وأنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم تشتري به عنبا ؟! قال: هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غدا في جهنم..

قال ابن الجوزي: أبلغني أن المنصور قال لعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: عظني. قال: مات عمر بن عبد العزيز رحمه الله وخلف أحد عشر ابنا، وبلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير، وثمن موضع قبره ديناران وقسم الباقي على بنيه وأصاب كل واحد من ولده تسعة عشر درهما، ومات هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابنا فقسمت تركته وأصاب كل واحد من تركته ألف ألف، ورأيت رجلا من ولد عمر بن عبد العزيز قد حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله عز وجل، ورأيت رجلا من ولد هشام يتصدق عليه. وما مضى يظهر لنا جليا أن المال الذي ورثه عمر بن عبد العزيز من أبيه ـ وهو مال كثير ـ أخذ في التناقص حتى توفي رحمه الله ورضي الله عنه.

عن وهيب بن الورد،قال: بلغنا أن عمر بن عبد العزيز لما توفي جاء الفقهاء إلى امرأته يعزونها به، فقالوا لها: جئناك لنعزيك بعمر، فقد عمت مصيبته الأمة، فأخبرينا يرحمك الله عن عمر، كيف كانت حاله في بيته فإن أعلم الناس بالرجل أهله. فقالت: والله ما كان عمر بأكثركم صلاة ولا صياما، ولكني والله ما رأيت عبدا لله قط كان أشد خوفا من عمر؛ والله إن كان ليكون في المكان الذي إليه ينتهي سرور الرجل بأهله بيني وبينه لحاف فيخطر على قلبه الشيء من أمر الله فينتفض كما ينتفض طائر وقع في الماء، ثم يرتفع بكاءه، حتى أقول: والله لتخرجن نفسه التي بين جنبيه؛ فأطرح اللحاف عني وعنه رحمة له وأنا أقول: يا ليتنا كان بيننا وبين هذه الإمارة بعد المشرقين؛ فوالله ما رأينا سرورا منذ دخلنا فيها.

حدث المغيرة بن حكيم، قال: قالت لي فاطمة بنة عبد الملك: كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم أمري ولو ساعة من نهار. قالت: فقلت له يوما: يا أمير المؤمنين، ألا أخرج عنك عسى أن تغفو شيئا فإنك لم تنم. قالت: فخرجت عنه إلى بيت غير البيت الذي هو فيه. قالت: فجعلت أسمعه يقول:﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص] مرارا، ثم أطرق، فلبث طويلا لا يسمع له حس. فقلت لوصيف له كان يخدمه: ويحك، انظر. فلما دخل صاح. قالت: فدخلت عليه فوجدته ميتا قد أقبل بوجهه على القبلة، ووضع إحدى يديه على فيه والأخرى على عينيه. وعن عبيدة بن حسان، قال: لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال: اخرجوا عني فلا يبقى عندي أحد. قال: وكان عنده مسلمة بن عبد الملك. قال: فخرجوا، فقعد على الباب هو وفاطمة. قال: فسمعوه يقول: مرحبا بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا جان. قال: ثم قال: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص] قال: ثم هدأ الصوت، فقال مسلمة لفاطمة: قد قبض صاحبك. فدخلوا فوجدوه قد قبض وغمض وسوي. وعن رجاء بن حيوة، قال: قال لي عمر بن عبد العزيز في مرضه: كن في من يغسلني ويكفنني ويدخل قبري، فإذا وضعتموني في لحدي فحل العقدة، ثم انظر إلى وجهي؛ فإني قد دفنت ثلاثة من الخلفاء كلهم إذا أنا وضعته في لحده حللت العقدة ثم نظرت إلى وجهه فإذا هو مسواد في غير القبلة. قال رجاء: فكنت فيمن غسل عمر وكفنه ودخل في قبره، فلما حللت العقدة نظرت إلى وجهه فإذا وجهه كالقراطيس في القبلة.

(1) منصور أبو أمية الخصي خادم عمر بن عبد العزيز حكى عن عمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ومكحول وميمون بن مهران روى عنه سليمان بن عمر بن خالد الأقطع الرقي وداود بن رشيد الخوارزمي وعبد الجبار بن عاصم النسائي (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

مراجع: تاريخ دمشق/ حلية الأولياء/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ تعجيل المنفعة/ المعرفة والتاريخ/ كتاب العين/ أنساب الأشراف/

حكى عن فاطمة بنت عبد الملك[2]، قال زفر[3]: تناول الوليد (الأول) بن عبد الملك[4] يوما عمر بن عبد العزيز، فرد عليه عمر: فغضب الوليد من ذلك غضبا شديدا، وأمر بعمر فعدل به إلى بيت، فحبس فيه. قال زفر وكانت فاطمة أرضعتها أم زفر قال: قالت لي فاطمة: يا زفر، فمكث ثلاثا لا يدخل عليه أحد. ثم أمر بإخراجه إن وجد حيا. قالت: فأدركناه وقد زالت رقبته شيئا، فلم نزل نعالجه حتى صار إلى العافية. قالت: فقلت له يوما: إنك قد عرفت الوليد وعجلته وخلقه، فلو داريته بعض المداراة. قالت: فقال لي: أحدثك يا فاطمة حديثا فاكتميه ما دمت حيا. قلت: نعم. قال: إنه لما حبسني أتاني تلك الليلة آت في منامي، فقال لي: ليس للعلم في الجهالة حظ..إنما العلم طرفه الإغضاء. قال: فرفعت إلى القائل رأسي، فإذا هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[5]،فسلمت عليه، فقال لي: إن الوليد جاهل بأمر الله، قليل الرعاية لحرمات الله، فلا تجمع بين ما وهب الله لك من العلم بأمر الله مع ما حرمه من ذلك، ليبين فضل نعمة الله عليك في العلم بأمر الله عز وجل على كثير من جهله بأمر الله أحرى وأجدر ألا يتركا جميعا. قال عمر: فوالله يا فاطمة ما أكاد أغضب إلا كأني أنظر إلى عبيد الله بن عبد الله قائما يخاطبني تلك المخاطبة.

حدث يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه: أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة دخل على عمر بن عبد العزيز، وهو أمير المدينة، فسل وعمر مقبل على عبد الله بن عمرو بن عثمان[6]،فلم يردا عليه فقال: فمسا تراب الأرض منها خلقتما..وفيها المعاد والمصير إلى الحشر..ولا تعجبا أن تؤتيا فتكلما..فما مليء الأقوام شر من الكبر..فلو شئت أدلى فيكما غير واحد..علانية أو قال عندي في السر..فإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما..ضحكت له حتى يلج ويستشري. فأقبلا عليه واعتذرا إليه.

حدث يعقوب عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز قال يوما: وددت أن لي من عبيد الله يوما بكذا وبكذا، ولو كان عبيد الله حيا لما صدرت إلا عن رأيه. وبه: أن عمر قال: ما سمعت أو ما رويت عن عبيد الله وحده أكثر مما سمعت من سائر الناس.

■ (5) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الضرير أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. وهو أخو المحدث عون وجدهما عتبة هو أخو عبد الله بن مسعود الصحابي. ومؤدب عمر بن عبد العزيز، لقي خلقا كثيرا من الصحابة؛ وسمع من ابن عباس، وأبي هريرة، وعائشة، توفي سنة 98 هـ وقيل سنة 99 هـ.

■ (2) فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، زوجة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وبنت الملك عبد الملك بن مروان، وأخت الوليد وسليمان ابنا عبد الملك. كانت من فضليات نساء بنى أمية. تزوجها عمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة فعاشت معه في نعيم ورفاهية، ولما آلت الخلافة إليه عاشت معه عيشة التقشف والزهد حتى وفاته. وتزوجت بعد وفاته داود بن سليمان بن مروان.توفيت بعد عام 105 هـ. أثناء خلافة أخيها هشام بن عبد الملك. وحكى عنها عطاء ابن أبي رباح، والمغيرة بن حكيم. قال الزبير بن بكار: قال الشاعر في فاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز : بنت الخليفة و الخليفة جدها..أخت الخلائف والخليفة زوجها. قال: فلم تكن امرأة تستحق هذا النسب إلى يومنا هذا غيرها قلت: و لا يقال في غيرها هذا إلى يومنا هذا.

■ (4) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ. وتخلف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه.وكان الوليد اجتهد في خلع سليمان هذا من ولاية العهد وتولية ولده العزيز؛ فامتنع سليمان من ذلك حتى مات الوليد.

■ (6) عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، وقيل: عبد الله بن عمر. كان يسكن عرج الطائف وكان يقال له المطرف من حسنه وملاحته، وهو من شعراء قريش المشهورين بالغزل. نحا نحو عمر بن أبي ربيعة وأجاد، وكان مشغوفا باللهو والصيد، وكان ذا مروءة، ولم تكن له نباهة في أهله.وفد على عبد الملك بن مروان. مات بمصر سنة 96 هـ.

■ (3) زفر مولى مسلمة بن عبد الملك بن مروان كان مع مولاه مسلمة بنواحي حلب، وهو أخو فاطمة بنت عبد الملك من الرضاعة، وحكى عنها، روى عنه ابنه راشد بن زفر.(لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قال عمر بن عبد العزيز: لأن يكون لي مجلس من عبيد الله أحب إلي من الدنيا؛ وقال: والله إني لأشتري ليلة من ليالي عبيد الله بألف دينار من بيت المال، فقالوا: يا أمير المؤمنين، تقول هذا مع تحريك وشدة تحفظك فقال: أين يذهب بكم والله إني لأعود برأيه وبنصيحته وبهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف، إن في المحادثة تلقيحا للعقل، وترويحا للقلب، وتسريحا للهم، وتنقيحا للأدب، وقال يوما: وددت أن لي من عبيد الله يوما بكذا وبكذا، ولو كان عبيد الله حيا لما صدرت إلا عن رأيه. وقال: ما سمعت أو ما رويت عن عبيد الله وحده أكثر مما سمعت من سائر الناس. قال الزهري: أدركت أربعة بحور، فذكر عبيد الله! وقال: سمعت من العلم شيئا كثيرا فظننت أني قد اكتفيت حتى لقيت عبيد الله ؛ فإذا كأني ليس في يدي شيء! وكان ابن شهاب يخدمه حتى إن كان ليناوله الشيء.

كان علي بن الحسين[1] رجلا له فضل في الدين، وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود من علماء الناس، وكان إذا دخل في صلاته فقعد إليه إنسان لم يقبل عليه حتى يفرغ من صلاته على نحو ما يرى من طولها، وكان علي بن الحسين يأتيه فيجلس إليه، فيطول عبيد الله في صلاته، ولا يلتفت إليه، فقال له علي بن الحسين وهو ممن هو منه فقال: لابد لمن طلب هذا الأمر يعنى به.

قال الوليد بن أبي السائب: ما رأيت أحدا قط أخوف من عمر. وقال سعيد بن سويد: صلى عمر بالناس الجمعة –وعليه قميص مرفوع الجيب من بين يديه ومن خلفه– فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع رأسه فقال: إن أفضل القصد عند الجدة وأفضل العفو عند القدرة. وعن عطاء عن عمر بن عبد العزيز: أنه أخر الجمعة يوما عن وقته الذي كان يصلي فيه، فقلنا له: أخرت الجمعة اليوم عن وقتك! قال: إن الغلام ذهب بالثياب يغسلها، فحبس بها، فعرفنا أنه ليس له غيرها، ثم قال: أما إني قد رأيتني وأنا بالمدينة وإني لأخاف أن يعجز ما رزقني الله عن كسوتي فقط، ثم قال يتمثل: قضى ما قضى فيما مضى ثم لم تكن..له عودة أخرى الليالي الغوابر.

قال أبو سفيان القيني: كنت في حرس عمر، فكان على كل رجل منا موكل به إذا أبطأ عمر آذنه، فأبطأ في يوم جمعة، فقال لي المؤذن: آذنه. فدخلت، فوجدته يعتم على مرآة، فقلت: إن المؤذن قد استبطأك، قال: نعم، حبستني هذه العمامة، أصلح خروقاً فيها وأداريها. قال: وكان عمر رجلاً مقروراً (أي أصابه البرد)، فقال لغلامه في الشتاء: سخن لي الماء أتوضأ به. فأقام بذلك مدة، ثم قال له عمر: إني لا أدعوك بالماء إلا وجدته عندك سخناً، فأنى ذلك؟ فقال: يطبخ للعامة من الحرس وغيرهم، فيفضل الجمر، فأجعله عليه، ثم أطمره لك. قال: فكم لذلك؟ احتط وزد، قال: شهران. قال: فأمر بنفقة، فجعلت في بيت المال لموضع ما انتفع به من ذلك الجمر.

قال وطلب ابن لعمر بن عبد العزيز إلى أبيه أن يزوجه وأن يصدق عنه من بيت المال وكان لابنه ذلك امرأة فغضب لذلك عمر بن عبد العزيز وكتب إليه: لعمر الله لقد أتاني كتابك تسألني أن أجمع لك بين الضرائر من بيت مال المسلمين وأبناء المهاجرين لا يجد أحدهم امرأة يستعف بها، فلا أعرفن ما كتبت بمثل هذا، ثم كتب إليه: أن انظر إلى ما قبلك من نحاسنا ومتاعنا فبعه واستعن بثمنه على ما بدا لك.

وقال عبد الله بن عمر الجزري: ازدحم الناس على عمر بن عبد العزيز يبايعونه حين دفن سليمان، فتخرق جيب قميص ابنه، فقال: يا بني أصلح جيب قميصك، فإنك لم تكن قط أحوج إلى ذلك منك اليوم.

وقال: وبعثت إليه ابنته بلؤلؤة وقالت له: إن رأيت أن تبعث إلي بأخت لها حتى أجعلها في أذني، فأرسل إليها بجمرتين ثم قال لها: إن استطعت أن تجعلي هاتين الجمرتين في أذنيك إليك بأخت لها.

قال أبو المهاصر (الحارس عمر): كنت رسول عمر ين عبد العزيز إلى عماله، فبعثني بعض عماله، فلما أقبلت نظر إلي وتمثل: أخا سفر جواب أرضٍ تقاذفت..به فلوات؛ فهو أشعث أغبر. ما ورائك؟ قلت: خيراً يا أمير المؤمنين. فسألني عن الأسعار فأخبرته، وسألني عن القاضي والوالي فأخبرته، ثم أخرجت جراب مسك بعث به إليه معي، فلما وجد ريحه أمسك أنفه، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن له وزناً فليس ريحه من وزنه شيئاً.فقال: إنما ينتفع منه بريحه، فأكره أن أجد ريحه.

قال علي القرني: كان عمر بن عبد العزيز شديد الخوف من الله جل وعلا، ومن خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل. كان يذكر الله في فراشه –كما تقول زوجه– ثم ينتفض كما ينتفض العصفور المبلل، حتى أقول: ليصبحن الناس ولا خليفة لهم. ثم تقول: يا ليت بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين، والله ما رأينا سرورا منذ تولى الخلافة عمر. تقول فاطمة زوجه: أمسى ذات ليلة، وقد فرغ من استعراض حوائج المسلمين، ثم أطفأ السراج، ثم قام فصلى ركعتين، ثم جلس واضعا رأسه على يديه تسيل دموعه على خده، يشهق الشهقة فأقول: قد خرجت نفسه وانصدعت كبده، فلم يزل كذلك حتى أصبح الصبح، ثم أصبح صائما، تقول زوجه: فدنوت منه، وقلت: يا أمير المؤمنين! كثير ما كان منك الليلة أأمر ألم بك أم ماذا دهاك؟ فأجابها –وقد نصب خوف الله أمام عينيه– قائلا: إني نظرت في نفسي، فوجدتني قد وليت أمر هذه الأمة صغيرها وكبيرها وأسودها وأحمرها، ثم ذكرت الغريب والفقير واليتيم في أقاصي البلاد، فعلمت أن الله سائلي عنهم، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم حجيجي فيهم، فخفت ألا يثبت لي عند الله عذر، فخفت خوفا دمعت له عيني، ووجل له قلبي، وكلما ذكرت ذلك ازداد خوفي وجلا، ثم انهد باكيا رضي الله عنه ورحمه. أواه! من لنا بمثل عمر؟! عجزت نساء الأرض أن ينجبن مثلك يا عمر!. بكت فاطمة زوجه بعد وفاته حتى عشي بصرها، ودخل عليها إخوتها قائلين: ما هذا يا فاطمة؟ أجزعك على عمر؟ فهو والله أحق من يجزع على مثله، أم على شيء من الدنيا؟ فأموالنا بين يديك وما أخذت منها خير مما تركت. قالت: والله لا هذا ولا ذاك. لكني رأيت من عمر ليلة منظرا ما تذكرته إلا بكيت، رأيته ليلة قائما يصلي، ثم جلس يقرأ حتى أتى على قول الله:﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة]، فصاح: وا سوء صباحاه! ثم وثب ثم سقط فجعل يئن حتى ظننت أن نفسه ستخرج، ثم هدأ ثم نادى: وا سوء صباحاه! ثم قام، وهو يقول: ويلي من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر، ثم سقط كأنه ميت حتى سمع الأذان فقام. تقول: فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتني عيناي فلم أملك رد عبرتي فأسأل الله أن يؤمنه وأن يؤمننا: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة] خاف الله في الدنيا ونسأل الله أن يؤمنه في الآخرة.

هذه مواقف من حياة عمر ومن خوفه من الله وزهده وعدله، هذا هو عمر الذي جلس للناس مربيا ومعلما وأبا وأخا، هذا هو عمر لمن أراد أن يقتدي بـ عمر ﴿كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾ ﴿مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ﴾ فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح. اللهم أخرج من أصلاب هذه الأمة رجالا كـ عمر يردون الأمة إليك ردا جميلا، اللهم وأصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودنيانا التي فيها معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير. أقول ما تسمعون وأستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

■ (1) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ألقابه: السجاد، زين العابدين. ويكنى أبو الحسن، أبو محمد، ولد في المدينة المنورة سنة 38 هـ وتوفي فيها سنة 95 هـ، وقيل غير ذلك ودفن بالبقيع. أيضا من أولاد الحسين: علي الأكبر، وعلي الأصغر وكانوا من شهداء كربلاء.

مراجع: تاريخ دمشق/ المعرفة والتاريخ/ تهذيب الكمال/ تاريخ أبي زرعة الدمشقي/ الأعلام للزركلي/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ حلية الأولياء/ دروس للشيخ علي القرني/

عن عبد الله بن أبي زكريا[1]: أنه دخل على عمر بن عبد العزيز – وقد توجع له مما بلغه بها خلص إلى أهل عمر بن عبد العزيز من الحاجة– فتحدثا، ثم قال: يا أمير المؤمنين أرأيتك شيئا تعمل به بأي شيء استحللته؟ قال: وما هو؟ قال: ترزق الرجل من عمالك مائة دينار في الشهر ومائتي دينار في الشهر وأكثر من ذلك. قال: أراه لهم يسيرا إن عملوا بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأحب أن أفرغ قلوبهم من الهم بمعاشهم وأهليهم. قال ابن أبي زكريا فإنك قد أصبت وقد ذكر لي أنه قد خلص إلى أهلك حاجة وأنت أعظمهم عملا فانظر ما قد رأيته حلالا لرجل منهم فارتزق مثله فوسع به على أهلك، قال: يرحمك الله، قد عرفت أنك لم ترد إلا خيرا وأنك توجعت من بعض ما يبلغك من حالنا ثم قال بيده اليمنى على ذراعه اليسرى فقال: إن هذا العظم إنما نبت من مال الله وإني والله إن استطعت لا أعيد فيه منه شيئا أبدا. وفي رواية كان عمر قد طلق نفسه عن الفيء فلم يرزق منه شيئا إلا عطاءه مع المسلمين فدخل عليه ابن أبي زكريا فقال: يا أمير المؤمنين إني أريد أن أكلمك بشيء، قال: قل، قال: قد بلغني أنك ترزق العامل من عمالك ثلاث مائة دينار! قال: نعم، قال: ولم ذلك؟ قال: أردت أن أغنيهم عن الخيانة، قال: فأنت يا أمير المؤمنين أولى بذلك، قال: فأخرج ذراعه وقال: يا ابن أبي زكريا إن هذا نبت من الفيء ولست معيدا إليه منه شيئا أبدا. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المواسم: أما بعد، فأيما رجل قدم علينا في رد مظلمة أوأمر يصلح الله به خاصا أو عاما من أمرالدين فله ما بين مائة دينار الى ثلاثمائة دينار بقدر ما يرى من الحسبة وبعد الشقة، رحم الله امرءا لم يتكاءده بعد سفر لعل الله يحيي به حقا أو يميت به باطلا أو يفتح به من ورائه خيرا، ولولا أني أطيل عليكم وأطنب فيشغلكم ذلك عن مناسككم لسمت أمورا من الحق أظهرها الله واموروا من الباطل أماتها الله، وكان الله هو المتوحد لكم في ذلك لا تجدون غيره فإنه لو وكلني إلى نفسي لكنت كغيري، والسلام.

عن محمد بن قيس[2] قاص عمر بن عبد العزيز قال: خرج علينا يوما مزاحم[3]فقال: لقد احتاج أهل أمير المؤمنين إلى نفقة ولا أدري من أين آخذها ولا أدري ممن أسلفها. قال: قلت لولا قلة ما عندي لعرضته عليك. قال: وكم عندك ؟ قلت: خمسة دنانير. قال: والله إن في خمسة دنانير لبلاغا، فدفعتها إليه، ثم أتاه رجال من أرض عمر بالتمر. قال: فمر علي مزاحم مسرورا، قال: جاءنا مال من أرض لنا نقضيك الآن تلك الخمسة دنانير. قال: دخل ثم خرج وإحدى يديه على رأسه أعظم الله أجر أمير المؤمنين أعظم الله أجر أمير المؤمنين قال: قلنا: أجل فأعظم الله أجره وما ذاك ؟ قال: أمر بهذا المال الذي جاء من أرضه أن يدخل بيت المال. فلا أدري كيف تحيل لي في الخمسة حتى قضاني.

حدث ابن بكير وأبو زيد قالا : حدثنا يعقوب قال: سمعت أبي يحدث: أن عمر بن عبد العزيز جاءه ثلاثون ألف درهم من مال البحرين، فجاءه الذي كان يقوم على طعام أهله فقال: يا أمير المؤمنين قد جاءك الله بنفقة. قال: من أين ؟ قال: من مالك الذي بالبحرين جاءتك ثلاثون ألفا. قال: فاسترجع عمر وقال: ادع لي مزاحما، فلما جاءه مزاحم قال: أي مزاحم ما زدت (رددت؟) ذلك المال الذي جاءنا من البحرين في مال الله فيما أحسب – شك ابن بكير – قال مزاحم: سقط علي يا أمير المؤمنين قال: فاردده وصل بهذا المال في بيت مال المسلمين. قال: فدخل عليه قيم ذلك المال فقال: يا أمير المؤمنين اعتق رقبتي من الرق اعتقك الله من النار. قال: فنظر إليه وقال: إنما أنت وذاك المال من مال الله فلا سبيل إلى عتقك. فقال: يا أمير المؤمنين جرة زنجبيل مربت كنت أهديها لك كل عام وقد جئت بها. قال: ائت بها. فأخرج منها عودا فوضعه على شفتيه ثم قال: مه إذا شككت في الشيء فدعه. لا حاجة لي بجرتك.

عن يحيى بن سعيد قال: سأل عمر بن عبد العزيز عن بسر بن سعيد[4]؟ فقيل له: مات –وقد علم أنه قد مات وما خلف كفنا– قال: فما فعل عبد الله بن عبد الملك[5]؟ قيل مات –وذكر أن عبد الله بن عبد الملك ورث سبعين مديا من ذهب– فقال عمر: إن كان مدخلهما واحدا لأن أعيش بعيش بسر بن سعيد أحب إلي من أن أعيش بعيش عبد الله بن عبد الملك قال: فلما قام الناس دنا منه مزاحم فقال: يا أمير المؤمنين أهلك قال: لا أدع أن أذكر أهل الفضل بفضلهم.

قال ميمون بن مهران: سمعت عمر يقول: لو أقمت فيكم خمسين عاما ما استكملت فيكم العدل إني لأريد الأمر وأخاف أن لا تحمله قلوبكم فأخرج معه طمعا من الدنيا فإن أنكرت قلوبكم هذا سكنت إلى هذا. وقال عمر بن أسيد: والله ما مات عمر حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول:اجعلوا هذا حيث ترون فما يبرح بماله كله قد أغنى عمر الناس.

عن يزيد بن أبي حبيب قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أيوب بن شرحبيل[6]فريضة الجند وكتب أن اجعل ذلك في أهل البيوتات الصالحة فإنما الناس معادن قال: وقيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين لو أنك أخذت كما كان يأخذ عمر بن الخطاب يأخذ درهمين كل يوم، قال: إن عمر لم يكن له مال، وأنا لي مال يغنيني عن ذلك، ورد عمر بن عبد العزيز في بيت المال ما كان أعطاه سليمان والخلفاء قبله.

■ (1) عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي، فقيه أهل دمشق، كان عمر بن عبد العزيز يجلسه معه على السرير،قال أبو مسهر:كان سيد أهل المسجد أو قال أهل دمشق قيل:بم سادهم؟ قال بحسن الخلق. توفي سنة 117 هـ

■ (2) محمد بن قيس القاص أبو أيوب ويقال أبو عثمان قاص عمر بن عبد العزيز المديني

■ (4) بسر بن سعيد الفقيه المدني العابد مولى ابن الحضرمي، قال ابن سعد: كان من العباد المنقطعين، وأهل الزهد في الدنيا، وكان ثقة، كثير الحديث، أخرج له الجماعة.توفي سنة مائة.

■ (3) مزاحم بن أبي مزاحم المكي مولى عمر بن عبد العزيز، وقيل: مولى طلحة. أصله من سبي البربر. قيل: إنه سقط فمات. قال ميمون بن مهران: ما رأيت ثلاثة في بيت خيرا من عمر بن عبد العزيز، وابنه عبد الملك و مولاه مزاحم.

■ (6) أيوب بن شرحبيل بن أبرهة الاصبحي، من بني الصباح: أمير، من النبلاء الصلحاء. ولي مصر لعمر بن عبد العزيز أول سنة 98 هـ وحسنت أحوالها في أيامه، واستمر إلى أن توفي فيها سنة 101 هـ. ومدة إمارته سنتان ونصف سنة.

■ (5) عبد الله بن عبد الملك بن مروان الاموي: أول من حول الدواوين بمصر إلى العربية. وليها في أيام أبيه 86 هـ وأقره أخوه الوليد، بعد وفاة أبيهما. وابتنى مسجدا في مصر عرف بمسجد عبد الله. وكانت الدواوين فيها تكتب بالقبطية، فأمر بتحويلها إلى العربية فنسخت بها. وغلت الاسعار في أيام ولايته، فنقمت العامة، فعزله الوليد سنة 90 هـ. مات بعد 90 هـ

☪

قيل سرق سرقة في خلافة عمر بن عبد العزيز، فأمر عمر بقطع يده، فقال: يا أمير المؤمنين، اسمع مقالي، ثم افعل ما ترى. فقال له: قل، فأنشأ يقول: الطويل: يميني أمير المؤمنين أعيذها..بعفوك أن تلقى نكالا يشينها..ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها..إذا ما شمال فارقتها يمينها..ولو أن أهلي يعلمون لسيرت..إليك المطايا عينها وقطينها . فقال: يا أعرابي، هذا حد من حدود الله، وتركه ذنب. فقال: يا أمير المؤمنين، اجعل هذا من الذنوب التي تستغفر الله منها. فأمر بتخليته. وفي رواية عن الهيثم وغيره قالوا: اتي معاوية بشاب قد سرق فأمر بقطع يده فقال: يدي يا أمير المؤمنين أعيذها..بعفوك أن تلقى مكانا يشينها..ولا خير في الدنيا وكانت حبيبة..إذا ما شمال فارقتها يمينها..ولو قد أتى الأخبار قومي لقلصت..إليك المطايا وهي خوص عيونها. ودنت أمه وهي تبكي فقالت: يا أمير المؤمنين، واحدي اعف عنه، عفا الله عنك، فقال: ويحك إن هذا حد من حدود الله، فقالت: اجعل تركه يا أمير المؤمنين من ذنوبك التي تستغفر الله منها، فخلى سبيله وتصدق بمائة ألف درهم.

وعن إسحاق بن قيس مولى الحواري بن زياد العتكي قال: كنت أبيع الفلوس* في مدينة واسط، فوجدوا عندي فلسا نبهرجا*، فضربوني وأغرموني ألفا، وألقوني في السجن، حتى هلك الحجاج؛ فلما قام عمر بن عبد العزيز علمني مولاي الحواري بن زياد خطبة، فأتيت عمر بن عبد العزيز فقلت: أصلحك الله يا أمير المؤمنين، إنه لم يبق بيت من بيوتات العرب شعر أو مدر ولا وبر، إلا وقد فتح الله عليهم بأمير المؤمنين بابا من العدل، وأغلق عنهم بابا من الجور، وإني صاحب الفلس؛ فقال: ويحك، وما صاحب الفلس؟ فقصصت عليه القصة؛ فأمر لي كل يوم برغيفين وبضعة من لحم، ولعن الحجاج يومئذ ثم بعث إلي فأعطاني ألفا وأعطاني 50 درهما أيضا، وقال: هذه نفقة الطريق، وقال: هل لك من ولد؟ قلت: بنية، قال:قد ألحقناها في المئة.

☪

قال مالك بن دينار: الناس يقولون: مالك زاهد إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها. وقال يونس بن أبي شبيب: شهدت عمر بن عبد العزيز وإن حجزة إزاره لغائبة في عكنه ثم رأيته بعد ما استحلف ولو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت. قال ولده عبد العزيز: سألني أبو جعفر المنصور: كم كانت غلة أبيك حين أفضت الخلافة إليه؟ قلت: أربعين ألف دينار قال: فكم كانت حين توفي؟ قلت أربعمائة دينار ولو بقي لنقصت. قال عمرو بن مهاجر: كانت نفقة عمر بن عبد العزيز كل يوم درهمين، وقال يوسف بن يعقوب الكاهلي: كان عمر يلبس الفروة الكبل وكان سراج بيته على ثلاث قصبات فوقهن طين. قال إبراهيم بن ميسرة : قلت لطاووس: هو المهدي –يعني عمر بن عبد العزيز– قال هو مهدي وليس به إنه لم يستكمل العدل كله. وقال وهب بن منبه : إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز. وقال الحسن: إن كان مهدي فعمر بن عبد العزيز وإلا فلا مهدي إلا عيسى ابن مريم. وقال قيس بن جبير: مثل عمر في بني أمية مثل مؤمن آل فرعون. وقال ميمون بن مهران: إن الله كان يتعاهد الناس بنبي بعد نبي وإن الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز.

دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه فأوصاه عمر أن يحضر موته وأن يلي غسله وتكفينه وأن يمشي معه إلى قبره وأن يكون ممن يلي إدخاله في لحده ثم نظر إليه وقال: انظر يا مسلمة بأي منزل تتركني وعلى أي حال أسلمتني إليه الدنيا، فقال له مسلمة: فأوص يا أمير المؤمنين، قال: مالي من مال فأوصي فيه، قال مسلمة: هذه مائة ألف دينار فأوص فيها بما أحببت، قال: أو خير من ذلك يا مسلمة، أن تردها من حيث أخذتها، قال مسلمة: جزاك الله عنا خيرا يا أمير المؤمنين، والله لقد ألنت لنا قلوبا قاسية وجعلت لنا ذكرا في الصالحين. قال محمد بن رمح حدثني الليث بن سعد أنه بلغه: أن مسلمة لما رأى عمر بن عبد العزيز اشتد وجعه وظن أنه ميت قال: يا أمير المؤمنين إنك قد تركت بنيك عالة لا شيء لهم ولا بد لهم مما لا بد لهم منه، فلو أوصيت بهم إلي وإلى ضربائي من قومي فكفوك مؤونتهم ؟ فقال: أجلسوني: فأجلسوه فقال: ما ذكرت من فاقة ولدي وحاجتهم فوالله ما منعتهم حقا هو لهم، وما كنت لأعطيهم حق غيرهم، وأما ما ذكرت من استخلافك ونظرائك عليهم ليكفوني مؤونتهم فإن خليفتي عليهم الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ادعهم لي. فدعوتهم وهم اثنا عشر، فاغرورقت عيناه وقال: بأي نفس تركتهم عالة، وإنما هم أحد رجلين؛ إما رجل يتقي الله ويراقبه فسيرزقه الله، وإما رجل وقع في غير ذلك فلست أحب أن أكون قويته على خلاف أمر الله، وقد تركتهم بخير لن يلقوا أحدا من المسلمين ولا أهل الذمة إلا سيرى لكم حقا انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلافة عليكم رحمة الله على عمر.

----

*(فلس) الفلس معروف والجمع في القلة أفلس وفلوس في الكثير وبائعه فلاس. أيضا الفلس هو صنم لطيئ وكان بنجد قريبا من فيد (نبهرجا) أي زائفا

مراجع: تاريخ دمشق/ المعرفة والتاريخ/ تهذيب الكمال/ تاريخ أبي زرعة الدمشقي/ الأعلام للزركلي/ سيرة عمر بن عبدالعزيز/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) والنصارى في الشام 0505

قال البلاذري: لما ولى معاوية بن أبى سفيان[1] أراد أن يزيد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق. فأبى النصارى ذلك، فأمسك. ثم طلبها عبد الملك بن مروان[2] في أيامه للزيادة في المسجد، وبذل لهم مالا فأبوا أن يسلموها إليه. ثم إن الوليد بن عبد الملك[3] جمعهم في أيامه وبذل لهم مالا عظيما على أن يعطوه إياها فأبوا. فقال: لئن لم تفعلوا لاهدمنها. فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين ! إن من هدم كنيسة جن وأصابته عاهة. فأحفظه قوله، ودعا بمعول وجعل يهدم بعض حيطانها بيده، وعليه قباء خز أصغر. ثم جمع الفعلة والنقاضين فهدموها، وأدخلها في المسجد. فلما استخلف عمر بن عبد العزيز[4] شكا النصارى إليه ما فعل الوليد بهم في كنيستهم. فكتب إلى عامله يأمره برد ما زاده في المسجد عليهم. فكره أهل دمشق ذلك وقالوا: يهدم مسجدنا بعد أن أذنا فيه وصلينا ويرد بيعة؟. وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربي[5] وغيره من الفقهاء. وأقبلوا على النصارى فسألوهم أن يعطوا جميع كنائس الغوطة التى أخذت عنوة وصارت في أيدى المسلمين، على أن يصفحوا عن كنيسة يوحنا ويمسكوا عن المطالبة بها. فرضوا بذلك وأعجبهم. فكتب به إلى عمر فسره وأمضاه. وبمسجد دمشق في الرواق القبلى مما يلى المئذنة كتاب في رخامة بقرب السقف: مما أمر ببنيانه أمير المؤمنين الوليد سنة ست وثمانين.

وفي رواية قال علي بن أبي جميلة: لما ولي عمر بن عبد العزيز، قالت النصارى: يا أمير المؤمنين، قد علمت حال كنيستنا! قال إنها صارت إلى ما ترون، فعوضهم كنيسة من كنائس دمشق، لم تكن في صلحهم، يقال لها كنيسة توما.قال ابن المعلى: وبلغني عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر أنهم رفعوا إلى عمر بن عبد العزيز ما أخذوا عليه العهد في كنائسهم. فكلمهم ورفع لهم في الثمن، حتى بلغ مائة ألف. فأبوا. فكتب إلى محمد بن سويد الفهري[6] أن يدفع إليهم كنيستهم، إلا أن يرضيهم. فأعظم الناس ذلك، وفيهم بقية من أهل الفقه. فشاورهم محمد بن سويد، متولي دمشق. فقالوا: هذا أمر عظيم! ندفع إليهم مسجدنا؟ وقد أذنا فيه بالصلاة وجمعنا فيه. يهدم ويعاد كنيسة؟ فقال رجل منهم: هاهنا خصلة. لهم كنائس عظام حول المدينة. دير مران، وباب توما، والراهب، وغيرها. إن أحبوا أن نعطيهم كنيستهم، ولا يبقى حول دمشق كنيسة إلا هدمت، وإن شاءوا تركت هذه الكنائس ونسجل لهم سجلا. ثم عرضوا عليهم ذلك. فقالوا: أنظرونا، ننظر في أمرنا! فتركهم ثلاثا. فقالوا: نحن نأخذ الذي عرضت علينا، ونكتب إلى الخليفة نخبره بذلك، ويسجل هو لنا بأمان على ما في الغوطة. فكتب إلى عمر. فسره ذلك وسجل لهم كنائسهم، إنهم آمنون أن تخرب أو تسكن. وأشهد لهم شهودا بذلك.

■ (6) محمد بن سويد بن كلثوم بن قيس القرشي الفهري بن بن أخي الضحاك بن قيس وكان أميرا على دمشق من قبل سليمان بن عبد الملك. قال العجلي شامي تابعي ثقة وقال أبو حاتم ماتت أمه وهو يرتكض في بطنها فبقر بطنها وأخرج حيا وكان على الطائف في زمن عمر بن عبد العزيز. ومات بعد المائة.

■ (1) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة.وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (2) أبو الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

■ (3) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ. وتخلف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه.وكان الوليد اجتهد في خلع سليمان هذا من ولاية العهد وتولية ولده العزيز؛ فامتنع سليمان من ذلك حتى مات الوليد.

■ (4) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (5) سليمان بن حبيب المحاربي الداراني، أبو بكر، وقيل: أبو أيوب، وقيل: أبو ثابت. قاض، من ثقات التابعين.من أهل الشام. كان ينعت بقاضي الخلفاء. استمر في قضاء دمشق ثلاثين عاما. نسبته إلى داريا من غوطة دمشق. توفي سنة 120 هـ وقيل سنة 126 هـ حدث عن أبي هريرة، ومعاوية، وأبي أمامة الباهلي، وأسود بن أصرم.

☪

عن عكرمة أن ابن عباس سئل: هل للعجم أن يحدقوا في أمصار العرب بنيانا أو شيئا، فقال: أيما مصر مصرته العرب فليس للعجم أن يبنوا فيه كنيسة، أو قال: بيعة. ولا يضربوا فيه ناقوسا، ولا يشربوا فيه خمرا، ولا يدخلوه خنزيرا، وأيما مصر مصره العجم ففتحه الله على العرب، فللعجم ما في عهدهم، وعلى العرب أن يفوا لهم بعهدهم.

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَهُ ذِمَّةُ* اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا﴾ وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنْ يَسْتَقْبِلُوا قِبْلَتَنَا وَيَأْكُلُوا ذَبِيحَتَنَا، وَأَنْ يُصَلُّوا صَلَاتَنَا، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ حُرِّمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ، وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ﴾ قال محمد بن صالح رحمه الله: حق غير المسلمين يشمل جميع الكافرين وهم أصناف أربعة: حربيون ومستأمنون ـ بكسر الميم ـ ومعاهدون وذميون. فأما الحربيون فليس لهم علينا حق من حماية أو رعاية وأما المستأمنون فلهم علينا حق الحماية في الوقت والمكان المحددين لتأمينهم لقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة] وأما المعاهدون فلهم علينا الوفاء بعهدهم إلى المدة التي جرى الاتفاق عليها بيننا وبينهم ما داموا مستقيمين لنا على العهد لم ينقصونا شيئا ولم يعينوا أحدا علينا ولم يطعنوا في ديننا لقول الله تعالى :﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة] وقوله:﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة] وأما الذميون فهم أكثر هؤلاء الأصناف حقوقا فيما لهم وعليهم، وذلك لأنهم يعيشون في بلاد المسلمين وتحت حمايتهم ورعايتهم بالجزية* التي يبذلونها. فيجب على ولي أمر المسلمين أن يحكم فيهم بحكم الإسلام في النفس والمال والعرض، وأن يقيم الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه، ويجب عليه حمايتهم وكف الأذى عنهم. ويجب أن يتميزوا عن المسلمين في اللباس، وألا يظهروا شيئا منكرا في الإسلام أو شيئا من شعائر دينهم كالناقوس والصليب، وأحكام أهل الذمة موجودة في كتب أهل العلم لا نطيل بها هنا. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

☪

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: أما بعد، فإن المشركين نجس حين جعلهم الله جند الشيطان وجعلهم:﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف] فأولئك لعمري ممن تجب عليهم باجتهادهم لعنة الله ولعنة اللاعنين، إن المسلمين كانوا فيما مضى إذا قدموا بلدة فيها أهل الشرك يستعينون بهم لعلهم بالجباية والكتابة والتدبيرفكانت لهم في ذلك مدة فقد قضاها الله بأمير المؤمنين، فلا أعلم كاتبا ولا عاملا في شيء من عملك على غير دين الإسلام إلا عزلته واستبدلت مكانه رجلا مسلما، فإن محق أعمالهم محق أديانهم فإن أولى بهم إنزالهم منزلتهم التي أنزلهم الله بها من الذل والصغار فافعل ذلك، واكتب إلي كيف فعلت وانظر فلا يركبن نصراني على سرج وليركبوا بالأكف ولا تركبن امرأة من نسائهم راحلة وليكن مركبها على إكاف ولا يفحجوا على الدواب، وليدخلوا أرجلهم من جانب واحد، وتقدم في ذلك إلى عمالك حيث كانوا واكتب إليهم كتابا في ذلك بالتشديد واكفنيه ولا قوة إلا بالله.

وكتب عمر بن عبد العزيز الى الآفاق: أن لا يمشين نصراني إلا مفروق الناصية ولا يلبس قباء ولا يمشي إلا بزنار من جلود ولا يلبس طيلسانا ولا سراويل ذات خدمة ولا نعلا لها عذبة ولا يوجدن في بيته سلاح إلا انتهب.

وقال بكر بن خنيس: كتب عمر إلى الأسارى بالقسطنطينية، أما بعد، فإنكم تعدون أنفسكم أسارى معاذ الله بل أنتم الحبساء في سبيل الله، واعلموا أني لست أقسم شيئا بين رعيتي إلا خصصت أهليكم بأوفر نصيب وأطيبه وإني قد بعثت إليكم بخمسة دنانير خمسة دنانير ولولا أني خشيت إن زدتكم أن يحبسه طاغية الروم عنكم لزدتكم ،وقد بعثت إليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم وكبيركم وذكركم وأنثاكم وحركم ومملوككم بما سئل به فأبشروا ثم أبشروا، والسلام عليكم.

☪

أخرج مالك عن رجل من أهل الكوفة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عامل جيش كان بعثه: أنه بلغني أن رجالا منكم يطلبون العلج*، حتى إذا اشتد في الجبل وامتنع، فقال الرجل: مترس*، يقول: لا تخف؛ فإذا أدركه قتله، وإني والذي نفسي بيده لا يبلغني أن أحدا فعل ذلك إلا ضربت عنقه. وعند ابن صاعد، واللألكائي عن أبي سلمة قال: قال: والذي نفسي بيده لو أن أحدكم أشار إلى السماء بأصبعه إلى مشرك، ثم نزل إليه على ذلك ثم قتله لقتلته. قال يحيى سمعت مالكا يقول: ليس هذا الحديث بالمجتمع عليه وليس عليه العمل، وسئل مالك عن الإشارة بالأمان أهي بمنزلة الكلام؟ فقال: نعم، وإني أرى أن يتقدم إلى الجيوش أن لا تقتلوا أحدا أشاروا إليه بالأمان لأن الإشارة عندي بمنزلة الكلام، وأنه بلغني أن عبد الله بن عباس قال: ما ختر* قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو. روى أبو محمد بن عبد الحكم قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى زيد بن عبد الرحمن بن عمر وكان على الكوفة:كتبت تذكر أنه قد اجتمعت عندك أموال بعد أعطية الجند، فأعط منهم من كان عليه دين في غير فساد أو تزوج فلم يقدر على نقد والسلام، ثم كتب إليه زيد إنه قد بقي عندنا بعد ذلك، فكتب إليه: أن قو أهل الذمة فإنا لا نريدهم لسنة ولا لسنتين.قال: وكتب عمر إلى أبي بكر بن حزم، إن كل من هلك وعليه دين لم يكن دينه في خرقه فاقض عنه دينه من بيت مال المسلمين.

عن معمر قال: أخبرني رجل من أهل الشام ممن كان يحرس عمر بن عبد العزيز ما رأيت عمر بن عبد العزيز قتل أسيرا قط، إلا واحدا من الترك قال: جئ بأسرى من الترك، قال: فأمر بهم أن يسترقوا، فقال رجل ممن جاء بهم يا أمير المؤمنين لو كنت رأيت هذا -لأحدهم- وهو يقتل في المسلمين لكثر بكاؤك عليهم: قال: فدونك: فأقتله، قال: فقام إليه فقتله. لقد كره عمر بن عبد العزيز قتل الأسرى، ومنع ذلك إلا واحدا قتل كثيرا من المسلمين، ولكنه أذن في أن يسترقون.

----

*(الذمة) العهد والأمان والكفالة وفي الحديث:المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم. والحق والحرمة وفي الحديث: فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله. وعند الفقهاء معنى يصير الإنسان به أهلا لوجوب الحق له أو عليه ويقال في ذمتي لك كذا ج: ذمم. وذمة الله: عهده وأمانه في الدنيا والآخرة. وأهل الذمة: المعاهدون من أهل الكتاب ومن جرى مجراهم. والذمي: المعاهد الذي أعطى عهدا يأمن به على ماله وعرضه ودينه وهي ذمية (الجزية) هي عبارة عن المال الذي يعقد للكتابي عليه الذمة، وهي فعلة، من الجزاء، كأنها جزت عن قتله ، والجزية مقابل إقامتهم في الدولة الإسلامية وحمايتها لهم (العلج) الرجل الضخم من كبار العجم وبعض العرب يطلقه على الكافر مطلقا والجمع: علوج وأعلاج (مترس) كلمة فارسية، معناه لا تخف.ولكن في الموطأ: مطرس.(ختر) أي غدر وخالف العهد

مراجع: فتوح البلدان/ تاريخ مدينة دمشق/ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار/ الأعلام للزركلي/ معجم ما استعجم/ قسم الأسرة والمجتمع/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ المعجم الوسيط/ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار/ حياة الصحابة للكاندهلوي/ سير أعلام النبلاء/ سيرة عمر بن عبد العزيز/

قال محمد بن مهاجر: سمعت أخي عمرا[1] قال: سمعت عمر بن عبد العزيز، وذكر مسجد دمشق، فقال: رأيت أموالا أنفقت في غير حقها، فأنا مستدرك ما استدركت منها، فراده في بيت المال: أعمد إلى ذلك الفسيفساء والرخام، فأقلعه وأطينه، وأنزع تلك السلاسل وأجعل مكانها حبالا، وأنزع تلك البطائن. وأبيع جميع ذلك. فبلغ أهل دمشق فاشتد عليهم. فخرج إليه أشرافهم فيهم خالد القسري[2] فقال لهم خالدا: ائذنوا لي حتى أكون أنا المتكلم، فأذنوا له. فلما أتوا دير سمعان* استأذنوا على عمر. ثم قال له خالد: بلغنا أنك يا أمير المؤمنين هممت كذا وكذا. قال: نعم. قال: والله ما لك ذلك. فقال عمر: لمن هو؟ لأمك الكافرة! -وكانت نصرانية أم ولد-. فقال: إن كانت كافرة، فقد ولدت مؤمنا. فاستحى عمر، وقال: صدقت! فما قولك، ماذا لي؟ قال: لأنا كنا معشر أهل الشام، وإخواننا أهل مصر والعراق نغزو فيفرض على الرجل منا أن يحمل من أرض الروم قفيزا بالصغير من فسيفساء، وذراعا في ذراع من رخام. فيحمله أهل العراق وأهل حلب إلى حلب ويستأجر على ما حملوه إلى دمشق. ويحمل أهل حمص إلى حمص فيستأجر على ما حملوه إلى دمشق. فذاك قولي: ماذا لك. فسكت عمر. ثم جاء بريد من والي مصر يخبره أن قاربا ورد عليه من رومية فيه عشرة من الروم يريدون الوصول إلى أمير المؤمنين. فأذن له وأمر أن يوجه معهم عشرة من المسلمين يحسنون الرومية، ولا يعلمونهم بذلك حتى يحملوا إلى كلامهم. فساروا حتى نزلوا دمشق، خارج باب البريد. فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين أن يستأذن لهم في دخول المسجد. فأذن لهم فمروا في الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجه القبلة. فكان أول ما استقبلوا المقام. ثم رفعوا رؤوسهم إلى القبة. فخر رئيسهم مغشيا عليه. فحمل إلى منزله، فأقام ما شاء الله أن يقيم. ثم أفاق. فقال له أصحابه بالرومية: ما قصتك؟ وما الذي عرض لك؟ قال: كنا معشر أهل رومية نتحدث أن بقاء العرب قليل. فلما رأيت ما بنوا، علمت أن لهم مدة سيبلغونها. فلذلك أصابني ما أصابني. فلما قدموا على عمر، أخبروه. فقال: لا أرى مسجد دمشق إلا غيظا على الكفار. فترك ما كان هم به من أمره. وفي رواية قال أحمد بن إبراهيم بن هشام، حدثنا أبي عن أبيه عن جده، قال: أراد عمر بن عبد العزيز أن يجرد ما في قبلة مسجد دمشق من الذهب. وقال إنه يشغل عن الصلاة. فقيل له: يا أمير المؤمنين إنه أنفق عليه فيء المسلمين وأعطياتهم. وليس يجتمع منه شيء ينتفع به. فأراد أن يبيضه بالجص. فقيل له: تذهب النفقات فيه. فأراد أن يستره بالخزف فقيل له: ضاهيت الكعبة. فبينا هو كذلك إذ ورد عليه وفد الروم. فاستأذنوا في دخوله فأذن لهم. وأرسل معهم من يعرف الرومية وقال: احفظوا ما يقولون. فلما وقفوا تحت القبة، قال رئيسهم: كم للإسلام؟ قالوا: مائة سنة. قال: فكيف تصغرون أمرهم؟ ما بنى هذا البنيان إلا ملك عظيم. وأتى الرسول عمر فأخبره، فقال: أما إذ غايظ العدو، فدعه.

---

*(دير سمعان) هو بنواحي مدينة حلب حواليه قصور وبساتين لبني أمية وعنده قبر عمر بن عبد العزيز

(1) عمرو بن مهاجر بن دينار أبي مسلم أبو عبيد صاحب حرس عمر بن عبد العزيز، مولى الأنصار. روى عن أبيه، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية، مات سنة139 هـ في خلافة أبي جعفر، وهو ابن أربع وسبعين سنة.عن محمد بن مهاجر: أن عمر بن عبد العزيز قال لأخيه عمرو بن مهاجر: لقد وليتك يا عمرو حين وليتك على غير قرابة بيني وبينك، ولا ولاء لي عليك؛ ولكنك رجل من الأنصار، وأنت امرؤ تحسن الصلاة.قال عمر بن عبد العزيز: إنما مثلي ومثل عمرو بن مهاجر كمثل رجل اتخذ سهما لا ريش له؛ والله لأريشنه.

(2) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، من بجيلة، أبو الهيثم: أمير العراقين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم. يماني الأصل، من أهل دمشق. ولي مكة سنة 89 هـ للوليد بن عبد الملك، ثم ولاه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) سنة 105 هـ، فأقام بالكوفة. وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة 120 هـ وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج وأمره أن يحاسبه، فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد سنة 126 هـ. وكان خالد يرمى بالزندقة، وللفرزدق هجاء فيه.

قال أحمد بن إبراهيم بن ملاس: حدثنا أبي عن أبيه قال: لما قدم المهدي يريد بيت المقدس، ومعه أبو عبيدة الأشعري كاتبه، فقال: يا أبا عبيد الله! سبقنا بنو أمية بثلاث: بهذا البيت، لا أعلم على الأرض مثله، وبنبل الموالي، وبعمر بن عبد العزيز، لا يكون والله فينا مثله أبدا. فلما أتى بيت المقدس ودخل الصخرة قال: يا أبا عبدة، هذه رابعة. قال أحمد: وحدثنا أبي أن المأمون لما دخل مسجد دمشق ومعه المعتصم ويحيى ابن أكثم قال: ما أعجب ما في هذا المسجد؟ قال المعتصم: دهنه وبقاؤه، فإنا ندعه في قصورنا فلا يمضي عليه عشرون سنة حتى يتغير. قال: وما ذاك أعجبني منه. فقال يحيى ابن أكثم: تأليف رخامه، فإني رأيت فيه عقدا ما رأيت مثلها. قال: ما ذاك أعجبني. قالا: فما هو؟ قال: بنيانه على غير مثال متقدم.

كان عمر بن عبد العزيز قد اشترى موضع قبره بعشرين دينارا وقيل بعشرة دنانير. ولما كان قبل وفاة عمر توفي أخوه سهل وولده عبد الملك ومولاه مزاحم وكانوا أعوانه على هذا الأمر، فخرج فخطب الناس فأمرهم بشيء مما يصلحهم فكأنهم تثاقلوا عنه واغتم لذلك، ثم انصرف ودخل وذلك يوم الجمعة، وكان يدخل عليه بنوه فيستقرئهم القرآن بعد الجمعة، فدخلوا عليه كما كانوا يدخلون فاستقرأهم فقرأ ولهم ﴿طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء] فقال: لقد عزاني الله على لسان ابني هذا، وتجلى عنه بعض غمه وقال: اللهم، إني قد مللتهم وملوني فأرحني منهم وأرحهم مني، فما عاد إلى المنبر ثانية حتى قبضه الله عزوجل.وبعث عمر إلى عبد الله بن أبي زكريا وكان من صلحاء أهل الشام فلما أتاه قال له عمر: يا ابن أبي زكريا، هل تدري لم بعثت إليك؟ قال: لا، قال: لأمر لست ذاكره لك حتى تحلف لي، قال: يا أمير المؤمنين، لا تسألني شيئا إلا فعلته، قال له: فاحلف لي، فلما حلف له قال: ادع الله لي أن يميتني، قال: بئس الوافد أنا للمسلمين، وأنا إذا عدو لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، قال: هاه قد حلفت لي، فقال: الحمد لله، ودعا له، ثم قال: اللهم، لا تبقني بعده، وأقبل صبي صغير لعمر، فقال: وهذا فإني أحبه، فدعا له، قال: فمات عمر ومات ابن أبي زكريا ومات الصبي. وكان ابنه عبد الملك من أحب الناس إليه فمرض فاشتد مرضه فأخبر بذلك فأتاه فوقف عليه وقال: يا بني كيف تجدك؟ قال: أجدني صالحا، وكتمه ما به كراهة أن يغمه، قال: يا بني أصدقني عن نفسك فإن أحب الأمور إلي فيك لموضع القضاء، قال: أجدني يا أبت أموت، قال: فولى عمر إلى قبلته، فبينا هو في صلاته إذ مات عبد الملك، فأتاه مزاحم فقال: يا أمير المؤمنين، توفي عبد الملك، فخر مغشيا عليه، فلما دفن عبد الملك، قال له مزاحم: وقد كان عهد إليه إذا رأى منه أمرين مختلفين أن يخبره بذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيت منك عجبا أتيت عبد الملك فسألته عن حاله فكتمك عن نفسه، فقلت له: يا بني اصدقني عن نفسك فإن أحب الأمور إلي فيك لموضع القضاء، فأخبرك أنه يموت، فلما مات وأخبرتك بموته خررت مغشيا عليك، قال: قد كان ذاك يا مزاحم، وما ذاك إلا أن يكون الأمر كما قلت لك، ولكني علمت أن ملك الموت قد دخل منزلي فأخذ بضعة مني فراعني ذلك، فأصابني ما قد رأيت. ولما مرض عمر بن عبد العزيز مرضه الذي مات منه وقد مات أعوانه سهل أخوه وعبد الملك ابنه ومزاحم مولاه، قام حبوا إلى شن معلق فتوضأ منه فأحسن الوضوء، ثم أتى مسجده فصلى ركعتين، ثم قال: اللهم، إنك قد قبضت سهلا وعبد الملك ومزاحما وكانوا أعواني على ما قد علمت، فلم أزدد لك إلا حبا ولا فيما عندك إلا رغبة فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط، فما قام من مرضه ذلك حتى قبضه الله تعالى، فرحمه الله. ولما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد فغرت أفواه ولدك من هذا المال فلو أوصيت بهم إلي وإلى نظرائي من قومك فكفوك مؤونتهم، فلما سمع مقالته قال: أجلسوني فأجلسوه، فقال: قد سمعت مقالتك يا مسلمة، أما قولك إني قد أفرغت أفواه ولدي من هذا المال، فوالله ما ظلمتهم حقا هو لهم ولم أكن لأعطيهم شيئا لغيرهم، وأما ما قلت في الوصية فإن وصيي فيهم﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف] وإنما ولد عمر بين أحد رجلين، إما رجل صالح فسيغنيه الله، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال على معصية الله، ادع لي بني فأتوه فلما رآهم ترقرقت عيناه، وقال: بنفسي فتية تركتهم عالة، لا شيء لهم وبكى، يا بني إني قد تركت لكم خيرا كثيرا، لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقا، يا بني إني قد مثلت بين الأمرين، إما أن تستغنوا وأدخل النار أو تفتقروا إلى آخر يوم الأبد وأدخل الجنة، فأرى أن تفتقروا إلى ذلك أحب إلي قوموا عصمكم الله قوموا رزقكم الله. ولما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة كان عنده مسلمة بن عبد الملك وزوجته فاطمة والخصي فقال: قوموا عني فإني أرى خلقا ما يزدادون إلا كثرة، ما هم بجن ولا إنس، قال مسلمة: فقمنا وتركناه وتنحينا عنه وسمعنا قائلا يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص] ثم خفت الصوت فقمنا فدخلنا فإذا هو ميت مغمض مسجى.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار/ الأعلام للزركلي/ معجم ما استعجم/ قسم الأسرة والمجتمع/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ المعجم الوسيط/ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار/ حياة الصحابة للكاندهلوي/ سيرة عمر بن عبد العزيز/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) ورجل مصري 0507

قال إبراهيم البيهقي: قدم رجل من حلوان مصر على عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فقال: يا أمير المؤمنين إن والدك ولي بلادنا فكتب إلى عبد الملك بن مروان[1] يخبره أن حلوان صافية وهي أرض خراج فأقطعها إياه فورثتها أنت وإخوتك فاتق الله ولا تظلمنا كما ظلمنا أبوك فإنه كان شيخا ضعيف الخرج وأنت رجل مخرج. فقال عمر: إن كان أبي كما ذكرت فهو أبي لا أبوك، نازعني منازعة جميلة ولا تشتم عرضي فإن لي فيها شركاء إخوة وأخوات لا يرضون أن أقضي فيها بغير قضاء قاض، أقوم معك إلى القاضي فإن قضى لي اصطبرت وإن قضى لك سلمت. قال: إن قمت معي إلى القاضي فقد أنصفتني. فقاما جميعا إلى القاضي فقعدا بين يديه، فتكلم عمر بحجته وتكلم الرجل، فقضى القاضي للرجل. فقال عمر: إن عبد العزيز بن مروان[2] قد أنفق عليها ألف ألف درهم. فقال القاضي: قد أكلتم من غلتها بقدر ذلك. فقال عمر: وهل القضاء إلا هذا؟ لو قضيت لي وما وليت لي عملا أبدا. فخرج إلى الرجل من حقه.

في رواية أتى رجل من أهل مصر عمر بن عبد العزيز، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عبد العزيز ـ يقصد والد عمر ـ أخذ أرضي ظلما، قال: وأين أرضك يا عبد الله؟ قال: حلوان، قال عمر: أعرفها ولي شركاء ـ أي شركاء في حلوان ـ وهذا الحاكم بيننا، فمشى عمر إلى الحاكم فقضى عليه، فقال عمر: قد أنفقنا عليها، قال القاضي: ذلك بما نلتم غلتها، فقد نلتم منها مثل نفقتكم، فقال عمر: لو حكمت بغير هذا ما وليت لي أمرا أبدا، وأمر بردها.

■ (2) عبد العزيز بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص أمير مصر، أبو الأصبغ المدني ولي العهد بعد أخوه عبد الملك عقد له بذلك أبوه واستقل بملك مصر عشرين سنة وزيادة. وهو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز. ولد سنة 27 هـ ومات بحلوان سنة 85 هـ. وقيل سنة 86 هـ. والأول أصح.

■ (1) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الوليد، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

قال محمد بن شهاب: دخلت على عمر بن عبد العزيز فقال: يا غلام ائتني بالخريطة*.فجاء بخريطة نثر ما فيها، فإذا فيها دراهم ودنانير وتمر وجوز وعدس وفول. فقال: كل يا ابن شهاب فأهويت فإذا هو حجارة، فقلت: ما هذا يا أمير المؤمنين؟! قال: هذا مما أصاب عبد العزيز بن مروان في مصر إذ كان عليها واليا وهو مما طمس الله عليه من أموالهم. انتهى. قال الله تعالى:﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ [يونس] هذا دعاء من موسى عليه السلام على فرعون وقومه من أهل مصر لكفرهم أن يهلك الله أموالهم.قال الزجاج: طمس الشيء: إذهابه عن صورته. نقل وسمة بن موسى في قصص الأنبياء: أن فرعون لما هلك وقومه وآمنت بنو إسرائيل غائلته*ندب موسى عليه السلام، من نقبائه الإثني عشر نقيبين: أحدهما: كالب بن موقيا، والآخر:يوشع بن نون، مع كل واحد من سبطه اثنا عشر ألفا وأرسلهما إلى مصر. وقد خلت من حاميها لغرق أهلها مع فرعون فأخذوا ذخائر فرعون وكنوزه، وعادوا إلى موسى. فذلك توريثهم أرض مصر يعني قول الله عز وجل عن قوم فرعون: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء] ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان] وقوله الله تعالى:﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف] يعني أرض مصر أورثناها بني إسرائيل لأنهم هم المستضعفون الذين كانوا فيها بدليل قوله الله تعالى:﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص] قيل لما غرس عبد العزيز نخل حلوان وأطعم دخله، والجند معه، فجعل يطوف فيه ويقف على غروسه ومساقيه، فقال يزيد بن عروة الجملي: ألا قلت أيها الأمير، كما قال العبد الصالح:﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف] ، فقال: أذكرتني شكرا يا غلام، قل لأنيتاس: يزيد في عطائه عشرة دنانير.

قال عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الملك[1]: دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده مولى له يقال له مزاحم وهو جالس على حشيه وسادة خشنة فلما رآني قال: ادن يا عبد الرحمن فأخذ بيدي وأقعدني معه على حشيته ثم قال: يا عبد الرحمن ما فعل الثلاثة؟ فقلت: من الثلاثة؟ قال: جدك وأبوك وعمك قال: قلت: ولوا هذا الأمر مثل ما وليت، ثم دعوا فأجابوا، قال: أفلا أنبئك بخبرهم؟ قلت: بلى، قال: أما جدك (عبد الملك)، فإني صحبته فيمن صحبه ومرضته فيمن مرضه ودفنته فيمن دفنه فلم أر أحدا أعلم بالدنيا منه ثم صارت الأشياء إلى عمك (الوليد) فصحبته فيمن صحبه ومرضته فيمن مرضه ودفنته فيمن دفنه فلم أر أحدا كان أغلب للدنيا منه، ثم صارت الأشياء إلى أبيك (سليمان) فصحبته فيمن صحبه ومرضته فيمن مرضه ودفنته فيمن دفنه فلم أر أحدا كان آكل للدنيا منه، ثم أقبلت إلي الدنيا تريدني على ديني، قال: ثم خنقته العبرة، فبكى فلما رأى مولاه مزاحم ذلك منه، قال: قم يا عبد الرحمن، قال: فقمت فما بلغت باب البيت حتى سمعته يخور خوار الثور بكاء وانتحابا. قال ابن وهب حدثني مالك: أن عمر بن عبد العزيز ذكر يوما ما مضى من العدل والجور وعنده هشام بن عبد الملك[2] فقال هشام: إنا والله لا نعيب آباءنا، ولا نضع شرفنا في قومنا. فقال عمر: وأي العيب أعيب ممن عابه القرآن.

قيل: عرض على عمر بن عبد العزيز جوار، وعنده العباس بن الوليد بن عبد الملك[3]، قال: فجعل كلما مرت به جارية تعجبه قال: يا أمير المؤمنين اتخذ هذه. قال: فلما أكثر قال له عمر بن عبد العزيز: أتأمرني بالزنا ! قال: فخرج العباس فمر بأناس من أهل بيته، فقال: ما يجلسكم بباب رجل يزعم أن آباءكم كانوا زناة.

قال ووفد على عمر بن عبد العزيز بريد من بعض الآفاق فانتهى إلى باب عمر ليلا فقرع الباب، فخرج إليه البواب، فقال: أعلم أمير المؤمنين أن بالباب رسولا من فلان عامله، فدخل فأعلم عمر، وقد كان أراد ينام فقعد، وقال: ائذن له، فدخل الرسول، فدعا عمر بشمعة غليظة فأججت نارا، وأجلس الرسول وجلس عمر، فسأله عن حال أهل البلد ومن بها من المسلمين وأهل العهد وكيف سيرة العامل، وكيف الأسعار، وكيف أبناء المهاجرين والأنصار وأبناء السبيل والفقراء، وهل أعطى كل ذي حق حقه، وهل له شاك، وهل ظلم أحدا ؟ فأنبأه بجميع ما علم من أمر تلك المملكة، فلم يدع شيئا إلا أنبأه به، كل ذلك يسأله فيحفي السؤال، حتى إذا فرغ عمر من مسألته، قال له: يا أمير المؤمنين، كيف حالك في نفسك وبدنك، وكيف عيالك، وجميع أهل خزانتك، ومن تعنى بشأنه؟ قال: فنفخ عمر الشمعة فأطفأها بنفخة، وقال: يا غلام، علي بسراج، فدعا بفتيلة لا تكاد تضيء، فقال: سل عما أحببت، فسأله عن حاله فأخبره عن حاله، وحال ولده، وعياله وأهل بيته، فعجب البريد للشمعة وإطفائه إياها، وقال: يا أمير المؤمنين، رأيتك فعلت أمرا ما رأيتك فعلت مثله! قال: وما هو؟ قال: إطفاؤك الشمعة عند مسألتي إياك عن حالك وشأنك، فقال: يا عبد الله، إن الشمعة التي رأيتني أطفأتها من مال الله ومال المسلمين، وكنت أسألك عن حوائجهم وأمرهم، فكانت تلك الشمعة.

قال أبو أسلم: حدثني خصي أسود، كان لعمر بن عبد العزيز، قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز في يوم شات في داره بدير سمعان، قال: فألفيته قاعدا في زاوية الدار في الشمس، وقد التفع بإزاره، ووضع أبو أسلم ثوبه على رأسه وجمعه بكفيه من ناحية خديه ووضع مرفقيه على ركبتيه، وقال: هكذا أرانيه الخصي حين وصف فعل عمر، فلما دنوت سلمت فرد علي السلام ثم قال لي: انزل فقعدت ثم قال لي: انزل، فألهمت أنها يريد النعلين فخلعتهما، فأقبل علي بالكلام، فلما أنست كرهت أن أقول له يا سيدي لئلا يجد علي، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، ما الذي يقعدك هكذا؟ قال: غسلت ثيابي، قال: فقلت: وما ثيابك يا أمير المؤمنين؟ قال: قميص ورداء وإزار، قال: فما كان بأوشك أن جاء عمرو بن مهاجر، فقال له: أين كنت؟ قال: كنت خارجا أدفع مظلمة عن رجل من أهل الكتاب، وكان عمرو بن مهاجر[4] صاحب حرس عمر بن عبد العزيز، فقال: علي بفلان، فما كان بأوشك أن جاء غلام حدث، فقال: يا فلان، ائته بغدائه الساعة فما كان بأوشك أن أتاه الغلام بصحفة غليظة عميقة فيها خبز، قد كسر وصب عليه ماء وملح وزيت، فقال: تغده، قال: فلما أخذت بالبطش بالغداء، نهض فنظرت بريق ساقيه من تحت الإزار وهو مدبر، فكان أربعة رهط أنا وعمرو بن مهاجر ورجلان من الأنصار من أهل المدينة، فلما صلى وانصرف، صعدت أنا والأنصاريان حتى كنا في غرفة، فما كان بأوشك أن عادت علينا تلك القصعة التي تغدى فيها، فإذا فيها ثريد عدس وبصل عليها مشقق أخرجت لمن يخدمه أو إلى من ببابه، فقال الخادم: لو كان لعمر عشاء غيره لعشاكم منه وما فطره إلا على مثل هذا. وقال مسلم بن زياد: كان عمر ينفق على أهله وعياله في غدائه وعشائه كل يوم درهمين. قال فرات بن مسلم: كنت أعرض على عمر بن العزيز كتبي في كل جمعة مرة، فعرضتها عليه فأخذ منها قرطاسا نقيا قدر أربع أصابع أو شبر، فكتب فيه حاجة له، فقلت: غفل أمير المؤمنين. فبعث إلي من الغد: جئني بكتبك، قال: فبعثني في حاجة، فلما جئت قال لي: ما آن لنا أن ننظر فيها، قلت: إنما نظرت فيها أمس، قال: اذهب حتى أبعث إليك؛ فلما فتحت كتبي وجدت فيها قرطاسا قدر القرطاس الذي أخذه.

----

*(الخريطة) بالفتح وعاء من أدم وغيره تشرج على ما فيها (غائلته) أي عاقبته وشره

■ (3) العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو الحارث الأموي. كان يقال له فارس بني مروان. استعمله أبوه على حمص، وولي المغازي، وافتتح عدة حصون، ولكنه كان ينال من عمر بن عبد العزيز بجهل. وقد مات في سجن مروان بن محمد في حدود سنة 130 هـ

■ (1) عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أمه أم ولد وقيل أمه عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان توفي بعسقلان عن رجاء بن حميل قال شهدت رجاء بن حيوة في جنازة عبد الرحمن بن سليمان يسمع رجلا يقول استغفروا له غفر الله لكم فقال رجاء اسكت دق الله عنقك

■ (2) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد،كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (4) عمرو بن مهاجر بن دينار أبي مسلم أبو عبيد صاحب حرس عمر بن عبد العزيز، مولى الأنصار. روى عن أبيه، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية، مات سنة139 هـ في خلافة أبي جعفر، وهو ابن أربع وسبعين سنة.عن محمد بن مهاجر: أن عمر بن عبد العزيز قال لأخيه عمرو بن مهاجر: لقد وليتك يا عمرو حين وليتك على غير قرابة بيني وبينك، ولا ولاء لي عليك؛ ولكنك رجل من الأنصار، وأنت امرؤ تحسن الصلاة.قال عمر بن عبد العزيز: إنما مثلي ومثل عمرو بن مهاجر كمثل رجل اتخذ سهما لا ريش له؛ والله لأريشنه.

مراجع: المحاسن والمساوئ/ المعجم الوسيط/ لسان العرب/ الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ المعرفة والتاريخ/ المواعظ والاعتبار/ سيرة عمر بن عبد العزيز/

قال عوانة بن الحكم: لما استخلف عمر بن عبد العزيز، وفد إليه الشعراء وأقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم، فبينا هم كذلك يوما وقد أزمعوا على الرحيل، إذ مر بهم رجاء بن حيوة[1]، وكان من خطباء أهل الشام، فلما رآه جرير[2] داخلا على عمر أنشد: يا أيها الرجل المرخي عمامته..هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا. قال: فدخل ولم يذكر من أمرهم شيئا. ثم مر بهم عدي بن أرطأة[3]، فقال له جرير: يا أيها الراكب المزجي مطيته..هذا زمانك إني قد مضى زمني..أبلغ خليفتنا إن أنت لاقيه..أني لدى الباب كالمصفود في قرن..لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة..قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني. قال: فدخل عدي على عمر فقال: يا أمير المؤمنين، الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة، قال: ويحك يا عدي، ما لي وللشعراء! قال: أعز الله أمير المؤمنين، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح وأعطى، ولك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة، فقال: كيف! قال: امتدحه العباس بن مرداس السلمي[4]فأعطاه حلة قطع بها لسانه. قال: أفتروي من قوله شيئا؟ قال: نعم، فأنشده من أبيات: رأيتك يا خير البرية كلها..نشرت كتابا جاء بالحق معلما..شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا..عن الحق لما أصبح الحق مظلما. قال: ويحك يا عدي، من بالباب منهم؟ قال: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة[5]. قال: أليس هو الذي يقول: ثم نبهتها فهبت كعابا..طفلة ما تطيق رجع الكلام..ساعة ثم إنها بعد قالت..ويلتا قد عجلت يا بن الكرام..أعلى غير موعد حيث تسري..تتخطى إلى رؤوس النيام..ما تجشمت ما ترين من الأمر..ولا جئت طارقا لخصام. فلو كان عدو الله إذ فجر كتم على نفسه. لا يدخل والله علي أبدا. فمن بالباب سواه؟ قال: همام بن غالب[6] –يعني الفرزدق– قال: أوليس هو الذي يقول: هما دلتاني من ثمانين قامة..كما انقض باز أقتم الرأس كاسره..فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا..أحي يرجى أم قتيل نحاذره. لا يطأ والله بساطي، فمن بالباب منهم؟ قال: الأخطل[7].قال: هو الذي يقول:ولست بصائم رمضان طوعا..ولست بآكل لحم الأضاحي..ولست بزاجر عنسا بكورا..إلى بطحاء مكة للنجاح..ولست بزائر بيتا بعيدا..بمكة أبتغي فيه صلاحي..ولست بقائم كالعير أدعو..قبيل الصبح حي على الفلاح..ولكني سأشربها شمولا..وأسجد عند منبلج الصباح. والله لا يدخل علي وهو كافر أبدا. فهل بالباب سوى من ذكرت؟ قال: نعم، الأحوص[8].قال: أليس هو الذي يقول: الله بيني وبين سيدها..يفر مني بها وأتبعه عد عنه. فما هو بدون من ذكرت. فمن ها هنا؟ قلت: جميل بن معمر[9].قال: هو الذي يقول:ألا ليتنا نحيا جميعا وإن نمت..يوافق في الموتى ضريحي ضريحها..فما أنا في طول الحياة براغب..إذا قيل قد سوى عليها صفيحها. فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا. والله لا يدخل علي أبدا. فهل سوى من ذكرت أحد؟ قال: نعم، جرير بن عطية. قال: هو الذي يقول:طرقتك صائدة القلوب وليس ذا..حين الزيارة فارجعي بسلام..فأن كان لا بد فهو. قال: فأذن لجرير، فدخل وهو يقول: إن الذي بعث النبي محمدا..جعل الخلافة للإمام العادل..وسع الخلائق عدله ووفاؤه..حتى ارعوى وأقام ميل المائل..إني لأرجو منك خيرا عاجلا..والنفس مولعة بحب العاجل. فلما مثل بين يديه قال: ويحك يا جرير، اتق الله ولا تقل إلا حقا. فأنشأ جرير يقول: أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت..أم قد كفاني ما بلغت من خبري..كم باليمامة من شعثاء أرملة..ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر..ممن يعدك تكفي فقد والده..كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر..يدعوك دعوة ملهوف كأن به..خبلا من الجن أو مسا من النشر..خليفة الله ماذا تأمرون بنا..لسنا إليكم ولا في دار منتظر..ما زلت بعدك في هم يؤرقني..قد طال في الحي إصعادي ومنحدري..لا ينفع الحاضر المجهود بادينا..ولا يعود لنا باد على حضر..إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا..من الخليفة ما نرجو من المطر..نال الخلافة إذ كانت له قدرا..كما أتى ربه موسى على قدر..هذي الأرامل قد قضيت حاجتها..فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر..الخير ما دمت حيا لا يفارقنا.. بوركت يا عمر الخيرات من عمر. فقال: يا جرير: ما أرى لك فيما ها هنا حقا، قال: بلى يا أمير المؤمنين، أنا ابن سبيل ومنقطع بي، فأعطاه من صلب ماله مئة درهم. وذكر أنه قال له: ويحك يا جرير! لقد ولينا هذا الأمر وما نملك إلا ثلاث مئة درهم، فمئة أخذها عبد الله، ومئة أخذتها أم عبد الله. يا غلام، أعطه المئة الثالثة. فأخذها وقال: والله لهي أحب ما اكتسبته إلي. قال: ثم خرج، فقال له الشعراء: ما وراءك؟ قال: ما يسوءكم، خرجت من عند أمير المؤمنين، وهو يعطي الفقراء ويمنع الشعراء، وإني عنه لراض. وأنشأ يقول: رأيت رقى الشيطان لا تستفزه..وقد كان شيطاني من الجن راقيا.

----

(2) أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفي، واسمه حذيفة، والخطفي لقبه، ابن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر التميمي الشاعر المشهور؛ كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل. ولد باليمامة سنة 33 هـ وتوفي سنة 110 هـ.

(1) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام، ويقال أبو نصر، وهو تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية، روى عن أبي صالح السمان. روىء عنه محمد بن عجلان. توفي سنة 112 هـ. وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية، وله روايات وكلام حسن.

(3) عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي أخو زيد بن أرطأة الفزاري، والده هو الصحابي أرطأة بن كعب الفزاري. عدي ولاه عمر عبد بن العزيز البصرة، وغيرها من بلاد العراق فستمر عليها حتى قتل سنة 102 هـ.أيام يزيد بن عبد الملك.

(4) عباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر، أبو الهيثم. شاعر فارس، من سادات قومه، أمه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قبيل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم ويدعى فارس العبيد، وهو فرسه، وكان بدويا قحا، لم يسكن مكة ولا المدينة وإذا حضر الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم، لم يلبث بعده أن يعود إلى منازل قومه وكان ينزل في بادية البصرة وبيته في عقيقها، وهو واد مما يلي سفوان، وأكثر من زيارة البصرة، وقيل: قدم دمشق وابتنى بها دارا. وكان ممن ذم الخمر وحرمها في الجاهلية. مات في خلافة عمر سنة18 هـ.

(9) جميل بثينة، جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو.شاعر من عشاق العرب، افتتن بـ بثينة بنت حيان بن ثعلبة بن الهوذ العذرية. وهي من فتيات قومه، فتناقل الناس أخبارهما. شعره يذوب رقة، أقل ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر. كانت منازل بني عذرة في وادي القرى من أعمال المدينة ورحلوا إلى أطراف الشام الجنوبية. فقصد جميل مصر وافدا على عبد العزيز بن مروان، فأكرمه وأمر له بمنزل فأقام قليلا ومات فيه سنة82 هـ.

(6) الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم أبو فراس بن أبي خطل التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن أبي هريرة، والحسين، وابن عمر، وأبي سعيد، وطائفة. وعنه الكميت، ومروان الأصفر، وخالد الحذاء، وأشعث الحمراني، والصعق بن ثابت، وابنه لبطة، وحفيده أعين بن لبطة.ولد الفرزدق سنة 38 هـ، و توفي في البصرة سنة 110 هـ.

(5) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب. أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق، ولم يكن في قريش أشعر منه. ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه. وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه. رُفع إلى عمر بن عبد العزيز أنه يتعرض للنساء ويشبب بهن، فنفاه إلى دهلك، ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقاً سنة93 هـ.

(7) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب. لقب بالأخطل، شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجبا بأدبه، تياها، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حينا في دمشق وحينا في الجزيرة. توفي سنة 90 هـ.

(8) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري. من بني ضبيعة، لقب بالأحوص لضيق في عينه، شاعر إسلامي أموي هجاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر ونصيب، وكان معاصرا لجرير والفرزدق. وهو من سكان المدينة. وفد على الوليد بن عبد الملك في الشام فأكرمه ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته فرده إلى المدينة وأمر بجلده فجلد ونفي إلى دهلك (وهي جزيرة بين اليمن والحبشة) كان بنو أمية ينفون إليها من يسخطون عليه. فبقي بها إلى ما بعد وفاة عمر بن عبد العزيز وأطلقه يزيد بن عبد الملك، فقدم دمشق ومات بها سنة105 هـ وكان حماد الراوية يقدمه في النسيب على شعراء زمنه.

عن عثمان بن عبد الحميد قال: دخل سابق البربري[1] على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: عظني يا سابق وأوجز. قال: نعم يا أمير المؤمنين، وأبلغ إن شاء الله. قال: هات. فأنشده: من الطويل: إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى..ووافيت بعد الموت من قد تزودا..ندمت على أن لا تكون شركته..وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا.فبكى عمر حتى سقط مغشيا عليه. قال محمد بن الزبير الحنظلي: دخلت على عمر بن عبد العزيز ليلة وهو يتعشى كسرا وزيتا. قال: فقال: ادن فكل. قال: بئس طعام المقرور. قال: فأنشدني من الوافر: إذا ما مات ميت من تميم..فسرك أن يعيش فجئ بزاد..بخبز أو بلحم أو بتمر..أو الشيء الملفف في البجاد. وأنشدنا بيتا ثالثا قافيته: ليأكل رأس لقمان بن عاد. قال: قلت: يا أمير المؤمنين، ما كنت أرى هذا البيت فيها. قال: بلى هو فيها. قال عبيد الله بن محمد القرشي التيمي: وصدر هذا البيت: تراه ينقل البطحاء شهرا..ليأكل رأس. وعن حماد بن الوليد قال عمر بن ذر يذكر أنه بلغه عن ميمون بن مهران أنه قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز يوما وعنده سابق البربري الشاعر وهو ينشد شعرا فانتهى في شعره إلى هذه الأبيات: فكم من صحيح بات للموت آمنا..أتته المنايا بغتة بعدما هجع..فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة..فرارا ولا منه بقوته امتنع..فأصبح تبكيه النساء مقنعا..ولا يسمع الداعي وإن صوته رفع..وقرب من لحد فصار مقيله..وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع..فلا يترك الموت الغني لماله..ولا معدما في المال ذا حاجة يدع. قال: فلم يزل عمر يبكي ويضطرب حتى غشي عليه، فقمنا فانصرفنا عنه.

عن خالد بن يزيد العمري قال: سمعت وهيب بن الورد يقول: كان عمر بن عبد العزيز كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات: يرى مستكينا وهو للهو ماقت..به عن حديث القوم ما هو شاغله..وأزعجه علم عن الجهل كله..وما عالم شيئا كمن هو جاهله..عبوس عن الجهال حين يراهم..فليس له منهم خدين يهازله..تذكر ما يبقى من العيش آجلا..فأشغله عن عاجل العيش آجله.

حدث العباس بن مرداس: أنه كان في لقاح* له نصف النهار إذ طلعت عليه نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بيض مثل اللبن فقال: يا عباس بن مرداس، ألم تر أن السماء كفت أحراسها، وأن الحرب تجرعت أنفاسها، وأن الخيل وضعت أحلاسها، وأن الدين نزل بالبر والتقوى يوم الاثنين ليلة الثلاثاء. صاحب الناقة القصواء؟ قال: فرجعت مرعوبا قد راعني ما رأيت وسمعت،حتى جئت وثنا لنا يدعى الضمار وكنا نعبده ونكلمه من جوفه فكنست ما حوله ثم تمسحت به وقبلته وإذا صائح من جوفه يقول: قل للقبائل من سليم كلها..هلك الضمار وفاز أهل المسجد..هلك الضمار وكان يعبد مرة..قبل الصلاة مع النبي محمد..إن الذي جا بالنبوة والهدى..بعد ابن مريم من قريش مهتد. قال: فخرجت مرعوبا حتى جئت قومي فقصصت عليهم القصة وأخبرتهم الخبر، فخرجت في ثلاثة مئة من قومي من بني حارثة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة فدخلنا المسجد.فلما رآني النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا عباس، كيف كان إسلامك؟ قال: فقصصت عليه القصة. قال: فسر بذلك فأسلمت أنا وقومي. وعن رافع بن خديج قال: أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس مئة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك. فقال العباس بن مرداس: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع..وما كان بدر ولا حابس..يفوقان مرداس في مجمع..وما كنت دون امرئ منهما..ومن تخفض اليوم لا يرفع. قال: فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة. وفي رواية: أنه كان في فتح مكة وأنه قال: اذهب يا بلال فاقطع لسانه. قال: فذهب بلال، فجعل يقول: يا معشر المسلمين، أيقطع لساني بعد الإسلام! يا رسول الله، لا أعود أبدا. فلما رأى بلال جزعه قال: إنه لم يأمرني أن أقطع لسانك، أمرني أن أكسوك وأعطيك شيئا. قال في هذه الرواية: إنه في فتح مكة، وإنما كان يوم حنين.

----

*(اللقحة) الناقة ذات اللبن

(1) سابق بن عبد الله البربري، أبو سعيد: شاعر، من الزهاد. له كلام في الحكمة والرقائق. وهو من مولي بني أمية. والبربري لقب له، ولم يكن من البربر. سكن الرقة، وكان يفد على عمر بن عبد العزيز، فيستنشده عمر، فينشده من مواعظه، توفي سنة نحو 100 هـ.

مراجع: تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ حلية الأولياء/

قال إبراهيم البيهقي: قيل: دخل عون[1] على عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين هذا جرير بن عطية[2] بالباب يريد الدخول عليك. فقال عمر: ما أدري أن أحدا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، يحجب عني. قال: إنه يريد إذنا خاصا قال: أدخله. فخرج عون وأخذ بيده فأدخله، فشكا إليه طول المقام وشدة الحال وإلحاح الزمان وجهد العيال وسأله أن يأذن له في إنشاده شعرا. فقال: إن أمير المؤمنين لفي شغل عن الشعر. فقال: إنها رسالة من أهل الحجاز، قال: هاتها، فقال:قد طال قولي إذا ما كنت مجتهدا..يا رب عاف قوام الدين والبشر. خليفة الله ثم الله يحفظه..عند المقام وإما كان في السفر..إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا..من الخليفة ما نرجو من المطر..بذ الخليفة أن كانت له قدرا..كما أتى ربه موسى على قدر..ما زلت بعدك في دار تؤرقني..قد طال في الحي إصعادي ومنحدري..أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت..أم قد كفاني الذي نبئت من خبري..كم بالمواسم من شعثاء أرملة..ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر..أمسى حزينا يبكي فقد والده..كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر..إن تسه عنه فمن يرجو لفاقته ..أو تنح عنه فقد أنحيت من ضرر..أنت المبارك والمهدي سيرته..تعصي الهوى وتقوم الليل بالسور..ما ينفع الحاضر المجهود بادينا..ولا يعود لنا باد على حضر..هذي الأرامل قد قضيت حاجتها..فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر..الخير ما دمت حيا لا يفارقنا.. بوركت يا عمر الخيرات من عمر. فبكى عمر ثم رفع رأسه وقال: ما حاجتك يا جرير؟ قال: حاجتي ما عودتني الخلفاء قبلك. قال: وما ذاك؟ قال: أربعمائة من الإبل برعاتها وتوابعها من الحملان والكسى. قال له عمر: أمن المهاجرين أنت؟ قال: لا. قال: فمن الأنصار؟ قال: لا. قال: فممن أنت؟ قال: من التابعين بإحسان. قال: إذا نجري عليك كما نجري على مثلك. قال: فإني لا أريد ذاك. قال: فما أرى لك في بيت المال غيره. قال: إنما جئت أسألك من مالك! قال: فإن لي كسوة ونفقة وأنا أقاسمكها. قال: بل أؤثرك وأحمدك يا أمير المؤمنين. فانصرف من عنده وهو يقول: وجدت رقى الشيطان لا تستفزه..وقد كان شيطاني من الجن راقيا.

وفي رواية عبد الرحمن بن حزرة أحد ولد جرير بن عطية الخطفي قال: وفد جرير على عمر بن عبد العزيز فغبر* حينا لا يصل إليه –أبطأ عنه الإذن–، ثم رأى ذات يوم عون بن عبد الله المسعودي يريد الدخول عليه وكان قارئا فقام إليه جرير فقال له: يا أيها القارئ المرخي عمامته..هذا زمانك إني قد مضى زمني..أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه..إني لدى الباب كالمصفود في قرن. فقاله له عون: إن أمكنني ذلك فعلت إن شاء الله. فلما دخل عون على عمر سلم وجلس حتى فرغ من حوائج الناس، ثم أقبل عليه فقال: يا أمير المؤمنين إن ببابك جرير بن عطية وهو يطلب الإذن، فقال عمر: أو يمنع أحد من الدخول؟ قال: لا يا أمير المؤمنين لكنه يطلب إذنا خاصا ينشدك فيه. قال: يا غلام أدخل جريرا. فأدخل إليه وعون جالس فأنشد جرير عمر: أأذكر الجهد والبلوى التي شملت..أم أكتفي بالذي نبئت من خبر..كم بالمواسم من شعثاء أرملة..ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر..ممن ترجى له من بعد والده..كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر. فبكى عمر حتى بلت دموعه لحيته، وأمر بصدقات تفرق على الفقراء في النواحي فقال جرير: هذي الأرامل قد قضيت حاجتها..فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر. فقال له: يا جرير أنت من أبناء المهاجرين الأولين؟ قال: لا. قال: أفمن أبناء الأنصار؟ قال: لا. أفمن أبناء التابعين بإحسان؟ قال: لا. قال: أفمن فقراء المسلمين أنت فنجريك على ما نجري عليه الفقراء؟ قال: قدرتي فوق ذلك. قال: أفأنت ابن سبيل فنعينك على سفرك؟ قال: قدرتي فوق ذلك. فقال: يا جرير ما أرى لك بين الدفتين حقا. فولى جرير فقال عون: يا أمير المؤمنين إن الخلفاء كانت تعوده على الإحسان، وإن مثل لسانه يتقى، فقال عمر: ردوه فقال له عمر: يا جرير إن عندي من مالي عشرين دينارا وأربعة أثواب فأقاسمك ذلك. فقال: بل توفر يا أمير المؤمنين وتحمد. فلما خرج تلقاه الناس فقالوا له: ما وراءك؟ قال: خرجت من عند رجل يعطي الفقراء ويمنع الشعراء، وإني له لحامد. ولم يذكره بسوء. وقال فيه حين مات: فالشمس كاسفة ليست بطالعة..تبكي عليك نجوم الليل والقمرا.

----

*(غبر) غبر الشيء بقي وغبر أيضا مضى وهو من الأضداد وبابه دخل

■ (2) أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفي، واسمه حذيفة، والخطفي لقبه، ابن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر التميمي الشاعر المشهور؛ كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل. ولد باليمامة سنة 33 هـ وتوفي سنة 110 هـ.

■ (1) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي: خطيب، راوية، ناسب، شاعر. كان من آدب أهل المدينة. وسكن الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة. وكان يقول بالارجاء، ثم رجع. وخرج مع ابن الاشعث ثم هرب. وصحب عمر ابن عبد العزيز في خلافته توفي نحو سنة 115 هـ.

الشعراء

جرير بن عطية بن الخطفي واسمه حذيفة بن بدر، أبو حزرة الشاعر البصري قدم دمشق غير مرة، وامتدح يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان، وأمره في ذلك مشهور، وامتدح الوليد وسليمان ابني عبد الملك، وقدم على عمر بن عبد العزيز، وعلى يزيد بن عبد الملك. قال عثمان البتي: رأيت جريرا وما تضم شفتاه من التسبيح فقلت: ما ينفعك هذا وأنت تقذف المحصنة! فقال: سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، إن الحسنات يذهبن السيئات، وعد من الله حق. وفي سنة إحدى عشرة ومئة توفي الفرزدق بن غالب الشاعر بالبصرة، وتوفي بعده بأربعين يوما جرير بن الخطفي. وقيل في سنة عشر. قال الأصمعي: حدثني أبي قال: رأى رجلا جريرا في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بتكبيرة كبرتها على ظهر المقر. قال: ما حول الفرزدق؟ قال: إيها، وأهلكه قذف المحصنات. قال الأصمعي: ما تركه جرير في المحيا ولا في الممات.

قال نصيب بن رباح[1]: دخلت على عمر بن عبد العزيز، فقلت له: أنت أعلم بانقطاعي إلى أبيك، وميله كان إلي، فقال: إن ذاك لكذلك، قلت: فتأذن لي في الإنشاد؟ فقال: ما نحن على حال إنشاد، فلم أزل أسأله حتى أذن فأنشدته: من الوافر: أمير المؤمنين فدتك نفسي..ومن فوق التراب لك الفداء..فقد عضتني الحاجات حتى..تحنى الظهر واقتشر اللحاء..وقد أودى بي الإقتار لولا..غنى نفسي وشيمتي الحياء..فإن أك حائلا لوني فإني..لعقل غير ذي سقط وعاء. فقال: يا مزاحم، كم بقي عندك من بقية غلتنا بالحجاز قال: خمسون درهما، قال: أعطه إياها. قلت: يا أمير المؤمنين، علفت راحلتي بأكثر من هذا! فقال: أعطه ثياب الجمعة، فأعطاني ثوبين أراهما مصريين.

دخل جرير على الوليد بن عبد الملك، وعنده عدي بن الرقاع العاملي[2]، فقال الوليد لجرير؛ أتعرف هذا؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال: هذا عدي بن الرقاع، فقال جرير: شر الثياب الرقاع، فممن هو؟ قال: من عاملة، قال جرير: الذين يقول تعالى فيهم:﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية] ثم قال: من الطويل: يقصر باع العاملي عن العلا..ولكن أير العاملي طويل. فقال له عدي: من الطويل: أأمك كانت خبرتك بطوله..أم أنت امرؤ لم تدر كيف تقول؟! فقال: لا؛ بل أنا امرؤ لم أدر كيف أقول، فوثب عدي إلى رجل الوليد يقبلها، ويقول: أجرني منه، فقال الوليد لجرير: لئن ذكرته في شعرك لأسجنك وألجمنك حتى يركبك فتعيرك بذلك الشعراء.

قال عبد الحليم بن محمد: قدم جرير بن الخطفى على عمر بن عبد العزيز، فدخل عليه. قال: فذهب ليقول، فنهاه عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، إني إنما أذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذكر؟ فقال: الكامل: إن الذي ابتعث النبي محمدا..جعل الخلافة للأمير العادل..رد الظالم حقها بيقينها..عن جورها وأقام ميل المائل..إني لأرجو منك خيرا عاجلا..والنفس موزعة بحب العاجل. فقال له عمر: ما أجد لك في كتاب الله حقا فقال: بلى يا أمير المؤمنين، إنني ابن سبيل: قال: فأمر له من خاصة ماله: خمسين دينارا.

■ (1) نصيب بن رباح، أبو محجن، مولى عمر بن عبد العزيز اشتراه من بني كنانة وأعتقه، وقيل: كان مولى لخزاعة، وقيل: بل كان أبوه من العرب، وأمه نوبية؛ فجاء أسود؛ فباعه عمه ووفد على عبد الملك. وقيل كان نصيب مولى عبد العزيز بن مروان: شاعر فحل، مقدم في النسيب والمدائح. كان عبدا أسود لراشد بن عبد العزى من كنانة، من سكان البادية. وأنشد أبياتا بين يدي عبد العزيز بن مروان، فاشتراه وأعتقه. له شهرة ذائعة، وأخبار مع عبد العزيز بن مروان وسليمان بن عبد الملك والفرزدق وغيرهم. وكان يعد مع جرير وكثير عزة. وتنسك في أواخر عمره. نوفي سنة 108 وقبل توفي سنة 113 وقيل: 111 هـ.

■ (2) عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، من عاملة: شاعر كبير، من أهل دمشق، يكنى أبا داود. كان معاصرا لجرير، مهاجيا له، مقدما عند بني أمية، ومداحا لهم، خاصا بالوليد بن عبد الملك. لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام. مات في دمشق سنة 95 هـ. وهو صاحب مالبيت المشهور: تزجي أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها.

مراجع: المحاسن والمساوئ/ المعجم الوسيط/ لسان العرب/ الأعلام للزركلي/ عبد الله بن الزبير/ مختار الصحاح/ـمختصر تاريخ دمشق/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/

قال دكين[1]: امتدحت عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة، فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم صعاب*، فكرهت أن أرمي بها الفجاج فتنتشر علي، ولم تطب نفسي ببيعها، فقدمت علينا رفقة من مضر، فسألتهم الصحبة، فقالوا: إن خرجت في ليلتك، فقلت: إني لم أودع الأمير، ولا بد من وداعه، قالوا: إنه لا يحتجب عن طارق ليل، فأتيته، فاستأذنت عليه، فأذن لي، فدخلت وعنده شيخان أعرفهما، فودعته. فقال لي: يا دكين، إن لي نفسا تواقة فإن أنا صرت إلى أكثر مما أنا فيه، فبعين ما أرينك، فقلت: أشهد لي عليك بذلك، فقال: أشهد الله به، قلت: ومن خلقه؟ قال: هذين الشخصين، فأقبلت على أحدهما فقلت: من أنت أعرفك؟ قال: سالم بن عبد الله[2]، قلت: لقد استسمنت الشاهد وقلت للآخر: من أنت؟ قال: أبو يحيى[3] مولى الأمير، فخرجت بهن إلى بلدي، فرمى الله في أذنابهن بالبركة حتى اعتقدت منهن الإبل والغلمان فإني لبصحراء فلج*، إذ ناع ينعى سليمان بن عبد الملك، قلت: فمن القائم بعده؟ قال: عمر بن عبد العزيز، فتوجهت نحوه، فلقيني جرير بالطريق جائيا من عنده، فقلت: يا أبا حزرة من اين؟ فقال: من عند من يعطي الفقراء ويمنع الشعراء، ولكن عول عليه في مال ابن السبيل، فانطلقت فإذا هو في عرصة داره* قد أحاط به الناس، فلم يمكني الرجل إليه، فناديت: يا عمر الخيرات والمكارم..وعمر الدسائع العظائم*..إني امرء من قطن بن دارم..أطلب دين من أخ مكارم..إذ ننتجي والله غير نائم..في ظلمة الليل وليل عاتم..عند أبي يحيي وعند سالم*. فقام أبو يحيي فقال: يا أمير المؤمنين، لهذا البدوي عندي شهادة عليك، قال: أعرفها: ادن مني يا دكين، أنا كما ذكرت لك، إن نفسي لم تنل أمرا إلا تاقت إلى ما هو فوقه، وقد نلت غاية الدنيا، فنفسي تتوق إلى الآخرة، والله ما رزأت من أموال الناس شيئا فأعطيك منه، وما عندي إلا ألفا درهم، أعطيك أحدهما، فأمر لي بألف، فوالله ما رأيت ألفا كان أعظم بركة منه. ودكين هو القائل: إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه..فكل رداء يرتديه جميل..وإن هو لم يضرع عن اللؤم نفسه..فليس إلى حسن الثناء سبيل.

وفي رواية قال سعيد بن عمرو بن جعدة: لما ولي عمر بن عبد العزيز المدينة كان ينقطع إليه رجل من بني دارم، سيقال له دكين بن سعيد، يسامره بالليل مع أبي عون وسالم، فقال له ليلة: إني لأرى لك هيئة ما الدنيا عنك بمنقطعة حتى تلي ولاية أجشم من هذه، قال: وما علمك؟ قال: ما هي إلا فراسة، فما عليك إن كان ذلك؟ قال: إن كان ذلك أحسنت إليك، قال: هات يدك، فأعطاه يده. فلما ولي عمر الخلافة انقطع إليه دكين. فاستأذن فقال له البواب: إنه عنك في شغل، إنه في رد المظالم، فأعد أبياتا لخروج عمر إلى الصلاة، ثم ناداه نداء الأعرابي: يا عمر الخيرات ذا المكارم..وعمر الدسائع العظائم..إني امرؤ من قطن بن دارم..أنشد حق المسلم المسالم..بيع يمين بالإخاء الدائم..إذ تنتجي والله غير نائم..وتنحن في ظلمة ليل عاتم..عند أبي عون وعند سالم. قال: فعرف عمر القضية، فدخل على أمهات أولاده، فما زال يجمع له من عندهن العشرة والعشرين حتى جمع له ثلاث مئة؛ وكانت من عمر عطية.

----

*(الصعاب) جمع صعبة، وهي نقيض الذلول: والصعبة التي لم ترض (فلج) موضع في الصحراء (عرصة الدار) وسطها (الدسائع) العطايا والراغب الواسعة (ننتجي) نتناجي

■ (1) دكين بن سعيد القطني الدارمي التميمي الراجز، شاعر أموي من أهل المدينة (وقيل من أهل البصرة) كان من جلساء عمر بن عبد العزيز عندما كان واليا على المدينة أيام الوليد بن عبد الملك، وكان له شعر في مدح عمر، ثم وفد عليه بعد أن صار خليفة في دمشق. قال ياقوت الحموي: هو غير دكين بن رجاء، واشتبها على ابن قتيبة في طبقات الشعراء فجعلهما واحدا. مات دكين بن سعيد سنة 109 هـ

■ (2) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبو عبد الله، ويقال: أبو عبيد الله ويقال: أبو عمر العدوي المدني الفقيه قدم الشام على عبد الملك بن مروان بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليد بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز. وكان أشبه أولاد أبيه به، عن مالك قال لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. روى عن أبيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ورافع بن خديج وأبي هريرة . توفي سنة 106 هـ. ووافق موته حج هشام، فصلى عليه وكان في طريق عودته من الحج، بالمدينة.ودُفن بالبقيع.

■ (3) أبو يحيى مولى عمر بن عبد العزيز كان معه إذ كان واليا بالمدينة ثم كان معه حين كان بالشام (بخناصرة) أشهده عمر بن عبد العزيز على نفسه في عدة وعدها دكينا الراجز.

عن ابن أبي رقية قال: جاء رجل من بني شيبان، فقال: إن لأمير المؤمنين عندي نصيحة فاستأذن عليه، فدخلت على عمر بن عبد العزيز فأخبرته، فقال: اللهم، ارزقني منه النصيحة، فأدخلته عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن شئت أن تقرأ هذا الكتاب وإن شئت كلمتك؟ فقال: هات الكتاب، ثم أذن له فخرج، فقال لي: بعد أتعرف الرجل؟ قلت: لا، فقال: ما أراك جئتني إلا بشيطان، أطلبه، قال: فخرجت فلم أزل حتى وقعت عليه، فقلت له: كدت أن تهلكني عند أمير المؤمنين، هو يدعوك، فأدخلته عليه فاستكتمه ما كان في الكتاب، ثم خرج فلحقته، فقلت: أخبرني ما كان في الكتاب؟ قال: إن أمير المؤمنين يستكتمني، وأنا أخبرك! فلم أزل ألح عليه حتى أخبرني، قال: إني كنت صاحب صلاة بالليل، فصليت ما قدر لي ثم نمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: كيف صاحبكم هذا أو أميركم هذا؟ فقلت: يا رسول الله، ما ولينا خليفة ثقة مثله، قال: إن ليس من خلفاء الله ولكنه أمير المؤمنين، هل أنت مبلغه عني ثلاثا، إن فعلهن فقد ضبط وإلا فقد ضيع ولم يصنع شيئا، أصحاب القبالات يأكلون الربا، والعرفاء يأخذون أموال اليتامى، وأصحاب المكوس يظلمون الناس، قال ابن أبي رقية: فما أمسيت من يومي حتى أنفذ عمر فيهم الكتب.

☪

دكين بن رجاء الفقيمي[1] راجز مشهور، وفد على الوليد بن عبد الملك وكان الوليد متأهبا لسباق الخيل فقاد دكين فرسه للسباق، فلما رآه الوليد وكان الفرد دميما قال: أخرجوه من الحلبة، قبح الله هذا، فقال دكين يا أمير المؤمنين: والله مالي مال غيره، فإن لم يسبق خيلك فهو حبيس في سبيل الله. فضحك الوليد وأمر بختمه وأرسلت الخيل فجاء سابقا فقال دكين: قد أغتدي والطير في أكنات..يخدوني الشمأل في الفلاة..والليل لم يحسر عن القناة..وللندى لم على لماتي..بذي شنيب سابغ الصلعات..ناتي المعد مشرف القطاة..من قارح وأمن وآت..ومن رباع ورباعيات..ومن ثني ومثنيات..وجذع عبل ومجذعات..بتن على الجبل مسطرات..حتى إذا انشقت دجى الظلمات..ووضع الخيل على اللبات..وفرق الغلمان بالوصاة..من كل ذي قرط مقزعات..أرسلن يعبطن ذرى الصعدات..يسرى دوين الشمس ملخصات..من قسطلان القاع مسحلات..حتى إذا كن بمهويات..بالنصف بين الخط والغايات..عضبن أبيه على الشبات..وسط سنا ضنط ملحمات..مثل السراحين مصليات..جاء أمام سبق الغايات..منهن من عرض للذمات. وقال يمدح مصعب بن الزبير: يا ناق خبى بالقيود خببا.. حتى تزوري بالعراق مصعبا..قد علم الأنام إذ ينتخبا..بيانه ورأيه المجربا..وفي الأمور عقله المؤدبا..يامرسل الريح الجنوب والصبا..وآذانا للفلك تجري خببا..وخالق الاء وشيجا نسبا..يعيد خلقا بعد خلق عجبا..عظما ولحما ودما وعصبا..خالا وعما وابن عم وأبا..أعط الميأر مصعبا ما احتسبا..واجعل له من سلسبيل مشربا..فرعا يزين المنبر المنصبا..قلبا دهيا ولسانا قصعبا..هذا وإن قيل له هب وهبا..جواريا وفضة وذهبا..والخيل يعلكن الحديد المنشبا..فورا تلجلجن أبازيم الشبا..قد جعل الناس إليه سببا. مات دكين بن رجاء سنة خمس ومائة.

☪

حكى المسعودي قال: جاء غلام الرقي إلى المتقي بالله العباسي فتحادثا واتصل الحديث بأخبار الحلائب ومراتب الخيل فيها فقال الغلام: يا أمير المؤمنين أذكر لك قولا جامعا أخبرني به كلاب بن حمزة العقيلي قال: كانت العرب ترسل خيلها عشرة عشرة أو أسفل، والقصب تسعة، ولا يدخل الحجر المحجر إلا ثمانية، وهذه أسماؤها: الأول السابق: وهو المجلي؛ لأنه جلى عن صاحبه ما كان فيه من الكرب والشدة، والثاني: المصلي؛ لأنه وضع جحفلة على قطاة المجلي، وهي صلاته، والصلاة: عجب الذنب، والثالث: المسلي؛ لأنه سلى عن صاحبه بعض همه، والرابع: لأنه تلى المسلي، والخامس: المرتاح مأخوذ من راحة الكف؛ لأن فيها خمس أصابع والعربي إذا أومأ إلى خمسة من العدد فتح يده وفرق أصابعه، فالخامس: مثل خامسة الأصابع. والسادس: حظيا، فقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم السادس قصبة. ذكر ابن بنين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل على حلل أتته من اليمن، فأعطى السابق ثلاث حلل، والمصلي حلتين، والثالث حلة، والرابع دينارا، والخامس درهما، والسادس قصبة. وقال: ﴿ بارك الله فيك وفي كلكم﴾ وفي السابق. ويسمون السابع: العاطف؛ لأنه قد عطف بشيء وإن قل ودخل المحجرة، أي: الحظيرة التي اتخذوها لدخول السابق منها، والثامن: المؤمل تفاؤلا، كما يسمون الفلاة: مفازة، واللديغ: سليما، لأنه يؤمل سبقه حيث قرب من بعض ذوات الحظوظ، والتاسع: اللطيم؛ لأنه لو رام المحجرة للطم دونها. والعاشر: السكيت؛ لأن صاحبه يسكت حزنا وحياء، وكانوا يجعلون في عنق السكيت حبلا، ويجعلون عليه قردا، ويعطون للقرد سوطا، فيركضه تعييرا لصاحبه، قال الوليد بن حصين الكلبي: إذا أنت لم تسبق وكنت مخلفا..سبقت إذا لم تدع بالقرد والحبل..وإن تك حقا بالسكيت مخلفا..فتورث مولاك المذلة بالنبل. وأشر بقوله: (فتورث مولاك المذلة بالنبل) إلى ما يفعله البعض من رمي السكيت بالنبل حتى ينجعف، كما يفعل النعمان بن المنذر بفرسه النهب، وكانوا يمسحون وجه السابق. قال ابن عبد ربه: وإذا جياد الخيل ما طلها المدا..وتقطعت في شأوها المبهور..فالووا عناني في الحلائب وامسحوا..مني بغرة أشقر مشهور. وقال جرير: إذا شئتم أن تمسحوا وجه سابق..جواد فمدوا في الرهان عنانيا. [نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد] وقال محمد أبو شبيب غلام النظام دخلت إلى دار الأمير بالبصرة، وأرسلت فرسي فأخذه صبي ليلعب عليه، فقلت له دعه، فقال: إني أحفظه لك، فقلت له: إني لا أريد حفظه: فقال: إذن يضيع، قلت لا أبالي بضياعه، فقال: إن كنت لا تبالي بضياعه فهبه لي، فانقطعت من كلامه. وقيل لسيدنا علي كرم الله وجهه وهو على بغلة في بعض حروبه: لو اتخذت الخيل يا أمير المؤمنين. فقال: لا أفر ممن كر ولا أكر على من فر، فالبغلة تكفيني.

■ (1) دكين بن رجاء الفقيمي. راجز، اشتهر في العصر الأموي. قيل دكين بن رجاء هذا هو الذي مدح عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة. وله رجز في مدح مصعب بن الزبير، يدل على أنه زاره في العراق، ورجز آخر في وصف فرس له، يستفاد منه أنه وفد على الوليد بن عبد الملك في الشام، أوردهما ياقوت في معجم الأدباء. والفقيمي: نسبة إلى الفقيم بن دارم (أو ابن جرجير بن دارم) من تميم. توفي سنة 105 هـ

مراجع: عمر بن عبد العزيز/ الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ معجم الأدباء المؤلف لياقوت الحموي/ العقد الفريد/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ سيرة عمر/ نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد/ عمدة القاري شرح صحيح البخاري/

قال عمر بن ذر: قدمنا على عمر بن عبد العزيز خمسة: موسى بن أبي كثير[1]،ودثار النهدي[2]،ويزيد الفقير[3]،والصلت بن بهرام[4]،وعمر بن ذر[5]؛ فقال: إن كان أمركم واحدا فليتكلم متكلمكم؛ فتكلم موسى بن أبي كثير وكان أخوف ما يتخوف عليه أن يكون عرض بشيء من أمر القدر قال: فعرض له عمر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو أراد الله أن لا يعصى لم يخلق إبليس وهو رأس الخطيئة، وإن في ذلك لعلما من كتاب الله عز وجل، علمه من علمه، وجهله من جهله؛ ثم تلا هذه الآية: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (161) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (162) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات] ثم قال: لو أن الله عز وجل حمل خلقه من حقه على قدر عظمته لم يطق ذلك أرض ولا سماء، ولا ماء ولا جبل، ولكنه رضي من عباده بالتخفيف. قال الهيثم بن عمران: سمعت عمرو بن مهاجر[6] مولى الأنصار قال: أقبل غيلان[7] وهو مولى لآل عثمان بن عفان وصالح بن سويد[8] إلى عمر بن عبد العزيز فلقيا مزاحم[9] مولى عمر،فسألاه أن يجعلهما في حرس عمرو فذكرهما لعمر فأدخلهما عليه فكلماه فسره رغبتهما في ذلك فقال: أجلسهما يا عمرو وامنعهما من حمل السيف، قال عمرو: ففعلت، فبلغه أنهما ينطقان في القدر فدعاهما وقال لهما: علم الله نافذ في عباده أو منتقض؟ قالا: بل نافذ يا أمير المؤمنين، قال: فيم عسى أن يكون الكلام إذا كان علم الله نافذا؟ قال: فخرجا فبلغه بعد أنهما يتكلمان فأرسل إليهما، فقال: ما هذا الكلام الذي تنطقان فيه؟ فقال غيلان: نقول ما قال الله، قال ماذا قال الله؟ قال:﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ثم سكت، فقال له عمر بن عبد العزيز: اقرأ، فقرأ حتى بلغ آخر السورة:﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (30) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان] فقال له عمر: كيف ترى في رحمته يا ابن الأتانة* تأخذ الفروع وتدع الأصول؟ قال: فخرجا ثم بلغه أنهما يتكلمان فأرسل إليهما حتى اشتكى وهو مغضب شديد الغضب فدعا بهما وأنا خلفه قائم مستقبلهما، فقال لهما: وهو مغضب ألم يكن سابق في علم الله حين أمر إبليس بالسجود أنه لا يسجد فأومأت إليهما برأسي أن قولا نعم لما عرفت من شدة غضبه، فقالا: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ألم يكن في سابق علم الله حين أمر آدم عليه السلام أن لا يأكل من الشجرة أنه سيأكل؟ فأومأت إليهما أن قولا نعم، فقالا: نعم، قال عمرو بن مهاجر: لولا أني أومأت إليهما أن قولا نعم لصنع بهما شرا، فأمر بهما فأخرجا وأمر بالكتاب إلى الناس الأجناد بخلافهما فمات عمر، ولم ينفذ الكتاب.

زاد في رواية: أن غيلان قال: كنت أعمى فبصرتني وأصم فأسمعتني وضالا فهديتني، فقال: اللهم، إن كان عبدك غيلان صادقا وإلا فاصلبه. وفي رواية: إن كان صادقا فارفعه ووفقه، وإن كان كاذبا فلا تمته إلا مقطوع اليدين والرجلين مصلوبا.

قال: فأمسك عن الكلام في القدر، فولاه عمر بن عبد العزيز دار الضرب بدمشق، فلما مات عمر بن العزيز وأفضت الخلافة إلى هشام، تكلم في القدر فبعث إليه هشام فقطع يده، فمر به رجل والذباب على يده فقال له: يا غيلان! هذا قضاء وقدر، قال: كذبت لعمر الله، ما هذا قضاء ولا قدر، فبعث إليه هشام فصلبه. زاد في أخرى: فقلت له: يا غيلان! هذه دعوة عمر بن العزيز قد أدركتك. وعن أبي جعفر الخطمي قال: شهدت عمر بن عبد العزيز وقد دعا غيلان لشيء بلغه عنه في القدر فقال له: ويحك يا غيلان، ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: يكذب علي يا أمير المؤمنين ويقال علي ما لا أقول، قال: ما تقول في العلم؟ قال: نفذ العلم، قال: أنت مخصوم، اذهب الآن فقل: ما شئت. يا غيلان: إنك إن أقررت بالعلم خصمت، وإن جحدته كفرت، وإنك أن تقر به فتخصم خير لك من أن تجحد فتكفر. وفي رواية عن علي بن أبي حملة[10] قال: صليت المغرب، ثم ركعت بعد المغرب، فمر بي عمرو بن مهاجر صاحب حرس عمر بن العزيز فقال: ائت المنزل حتى أخبرك بما كان من أمر صديقك – يعني غيلان – فأتيته في منزله فقال: بعث أمير المؤمنين اليوم إلى غيلان، فدخل عليه فقال: يا غيلان أكان فيما قضى الله وقدر أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: نعم، قال: أكان فيما قضى الله وقدر أن يخلق آدم؟ قال: في أشياء سأل عنها، كل ذلك يقول: نعم. وأنا خلف عمر أشير لغيلان إلى حلقي أنه الذبح: فلما أراد أن يقوم قال: يا غيلان والله ما أظن ذباب بيني وبينك إلا بقدر. قيل لعمر بن عبد العزيز: إن غيلان يقول في القدر، فمر به غيلان ، فقال: ما تقول في القدر؟ فتعوذ فتلا هذه الآية ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ –إلى قوله:– إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان] فقال عمر: إن الكلام فيه عريض طويل، ما تقول في العلم أنافذ هو؟ قال: نعم، قال: أما والله لو لم تقلها لضربت عنقك. زاد في آخر: قال عمر: تم السورة ويحك! أما تسمع الله يقول: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان] ويحك يا غيلان! أما تعلم أن الله ﴿جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً –إلى قوله:– الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة] فقال غيلان: يا أمير المؤمنين لقد جئتك جاهلا فعلمتني وضالا فهديتني، قال: اخرج ولا يبلغني أنك تكلم بشيء من هذا. قال أبو سهيل*: سألني عمر بن عبد العزيز عن القدرية: ما ترى فيها؟ قلت: يا أمير المؤمنين، استتبهم، فإن تابوا وإلا فاعرضهم على السيف. فقال عمر: ذلك رأيي فيهم.

----

*(الأتان) الحمارة والأتانة قليلة، ولا تقل أتانة (أبو سهيل) نافع بن مالك بن أبي عامر أبو سهيل الأصبحي المدني عم مالك بن أنس

■ (٥) القدرية هم القائلون بإنكار القدر الإلهي من قبيل الاشتقاق من الضد إذ أنهم يرون أن للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى. وهم فرقتان: القدرية الأولى، أتباع معبد الجهني وغيلان الدمشقي القائلون بإنكار القدر بمعنى العلم والتقدير. وهذه الفرقة انقرضت.والقدرية الثانية: وهم المثبتون للعلم والكتابة لكنهم يقولون إن العبد يخلق فعل نفسه، وهم المعتزلة.قال الأوزاعي: أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد، وغيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد. قالوا:طلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته، فأفتى الأوزاعي بقتله، وصلب على باب كيسان بدمشق سنة 105هـ.

■ (5) عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة، الامام الزاهد العابد، أبو ذر الهمداني، ثم المرهبي الكوفي. حدث عن أبيه، وأبي وائل، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، ويزيد بن أمية، وطائفة. وكان صدوق، وكان مرجئا. قيل إن بعض الخلفاء سأل عمر بن ذر عن القدر. فقال: ها هنا ما يشغل عن القدر. قال: ما هو ؟ قال: ليلة صبيحتها يوم القيامة. فبكى وبكى معه. قيل توفي عمر بن ذر في سنة 153 هـ وكان مرجئا، فمات فلم يشهده سفيان الثوري، ولا الحسن بن صالح. وقيل مات سنة 152 هـ. وقيل سنة 155 هـ. وقيل سنة 156 هـ فهذا أصح. وقيل غير ذلك.

■ (1) موسى بن أبي كثير الأنصاري مولاهم ويقال الهمداني أبو الصباح الكوفي ويقال الواسطي المعروف بموسى الكبير واسم أبي كثير الصباح وكان من المتكلمين في الإرجاء وغيره وكان ممن وفد إلى عمر بن عبد العزيز فكلمه في الإرجاء وكان ثقة في الحديث

■ (4) الصلت بن بهرام عن أبي وائل وزيد بن وهب الكوفي التميمي أبو هاشم. كان اصدق أهل الكوفة وقال أبو حاتم لا عيب له إلا الإرجاء وقال البخاري صدوق في الحديث، قيل مات سنة 147 هـ

■ (3) يزيد بن صهيب الفقير كوفي روى عنه الحكم ومسعر وسيار أبو الحكم و هو جليل صدوق عزيز الحديث

■ (2) دثار بن الحارث النهدي الكوفي وفد على عمر بن عبد العزيز وحدث عن عثمان بن صرد

■ (8) صالح بن سويد يقال ابن عبد الرحمن أبو عبد السلام القدري من حرس عمر بن عبد العزيز، كان يرى القدر قتله هشام بن عبد الملك في خلافته هو وغيلان القدرى

■ (6) عمرو بن مهاجر بن دينار أبي مسلم أبو عبيد صاحب حرس عمر بن عبد العزيز، مولى الأنصار. روى عن أبيه، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية، مات سنة139 هـ في خلافة أبي جعفر، وهو ابن أربع وسبعين سنة.عن محمد بن مهاجر: أن عمر بن عبد العزيز قال لأخيه عمرو بن مهاجر: لقد وليتك يا عمرو حين وليتك على غير قرابة بيني وبينك، ولا ولاء لي عليك؛ ولكنك رجل من الأنصار، وأنت امرؤ تحسن الصلاة.قال عمر بن عبد العزيز: إنما مثلي ومثل عمرو بن مهاجر كمثل رجل اتخذ سهما لا ريش له؛ والله لأريشنه.

■ (9) مزاحم بن أبي مزاحم المكي مولى عمر بن عبد العزيز، وقيل: مولى طلحة. أصله من سبي البربر. قيل: إنه سقط فمات. قال ميمون بن مهران: ما رأيت ثلاثة في بيت خيرا من عمر بن عبد العزيز، وابنه عبد الملك و مولاه مزاحم.

■ (7) غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان، تنسب إليه فرقة الغيلانية من القدرية، قال عنه الذهبي: غيلان بن أبي غيلان، المقتول في القدر، ضال مسكين، كان يجمع بين القدر والإرجاء، قتله هشام بن عبد الملك سنة 105هـ على باب كيسان بدمشق.
الغيلانية من المرجئة القدرية ينتمون إلى غيلان القدري زعموا أن الإيمان هو المعرفة الثابتة بالله عز وجل والمحبة له والخضوع والإقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى والمعرفة الأولى عندهم اضطرارية فلذلك لم يجعلوها من الإيمان.
والمدعو غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان، المقتول في القدر، ضال مسكين، كان يجمع بين القدر والإرجاء، وقالوا: هو ثالث من تكلم في القدر لم يسبقه سوى معبد الجهني وسوسن بالعراق، يقول بالقدر خيره وشره من العبد. طلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته،فأفتى الأوزاعي بقتله، وصلب على باب كيسان بدمشق سنة 105هـ. والقدرية مفهوم يرى أن الله لا يعلم شيء إلا بعد وقوعه وأن الأحداث بمشيئة البشر وليست بمشيئة الله. قال الصفدي في الوافي بالوفيات: والإرجاء يشتق من الرجاء لأنهم يرجون لأصحاب المعاصي الثواب من الله تعالى فيقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة.قال : وقيل: الإرجاء هو تأخير حكم أصحاب الكبائر إلى الآخرة في الدنيا ولا يقضى عليهم بأنهم من أهل الجنة. قال : والمرجئة جنس لأربعة أنواع: الأول مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الصالحة. وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي.

■ (10) علي بن أبي حملة. أبو نصر القرشي مولاهم الشامي. قرأ القرآن على عطية بن قيس ورأى واثلة بن الأسقع، قيل إنه أدرك أيام معاوية. وحدث عن أبيه وأبي إدريس الخولاني وطائفة من التابعين. وكان ناظرا على درب الضرب بدمشق في أيام عمر بن عبد العزيز، جعله على تصفية الذهب والفضة. توفي سنة 156ولعله قارب المائة .

☪

عن عبادة بن الصمت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿يَكُونُ فِي أُمَّتِي رَجُلانِ، رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ وَهْبٌ، يَهَبُ اللَّهُ لَهُ الْحِكْمَةَ، وَرَجُلٌ يُقَالُ لَهُ غَيْلانُ، وَهُوَ أَضَرُّ عَلَى أُمَّتِي مِنْ إِبْلِيسَ﴾ قال الشعبي: كنت جالسا عند مكحول ومعه غيلان إذ أقبل شيخ من أهل البصرة، فجلس إلى مكحول فسلم عليه، ثم قال له مكحول: كيف سمعت الحسن يقول في أنه كذا وكذا، فأخبره بشيء لم أحفظه، ثم أقبل عليه يسأله عن شيء من كلام الحسن، فقال له غيلان: يا أبا عبد الله أقبل علي ودع هذا عنك. قال: فغضب مكحول –وكان شديد الغضب– ثم قال له: ويلك يا غيلان! إنه قد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ غَيْلانُ، وَهُوَ أَضَرُّ عَلَيْهَا مِنْ إِبْلِيسَ﴾ فإياك أن تكون أنت هو، ثم قام وتركه. قال خالد بن اللجلاج لغيلان: ويحك يا غيلان! ألم تكن زفانا*؟ ويلك يا غيلان! ألم تكن قبطيا وأسلمت! ألم أجدك في شبيبتك وأنت ترامي النساء بالتفاح في شهر رمضان ثم صرت حارسا تخدم امرأة حارث الكذاب[1] وتزعم أنها أم المؤمنين ثم تحولت من ذلك فصرت قدريا أو زنديقا؟ زاد في رواية: ما أراك تخرج من هوى إلا دخلت في شر منه.قال إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة: لقيت غيلان القدري فقلت له: من كان أشد الناس عليك كلاما؟ فقال: كان أشد الناس علي كلاما عمر بن العزيز كأنه يلقن من السماء، ولقد كنت أطلب له مسائل أعنته فيها، فبينا أنا ذات يوم أظفر به فاليوم، قال: فدخلت عليه فقلت: يا أمير المؤمنين! هذه الدراهم البيض، فيها كتاب الله، يقلبها اليهودي والنصراني والحائض والجنب، فإن رأيت أن تأمر بمحوها، فقال لي: أردت أن تحتج علينا الأمم إن غيرنا توحيد ربنا واسم نبينا، قال: فبهت فلم أدر ما أرد عليه. قال غيلان لربيعة بن عبد الرحمن: أنشدك الله، أترى الله يحب أن يعصى؟ فقال ربيعة: أنشدك الله أترى الله يعصى قسرا؟ فكأن ربيعة ألقم غيلان حجرا. قال حسان بن عطية لغيلان القدري: والله لئن كنت أعطيت لسانا لم نعطه إنا لنعرف باطل ما تأتي به. قال الأوزاعي: قدم علينا غيلان القدري في خلافة هشام بن عبد الملك، فتكلم غيلان –وكان رجلا مفوها– فلما فرغ من كلامه قال لحسان: ما تقول فيما سمعت من كلامي؟ فقال له حسان: يا غيلان إن يكن لساني كل عن جوابك فإن قلبي ينكر ما تقول. جاء رجل إلى مكحول من أصحابه فقال: يا أبا عبد الله، ألا أعجبك، إني عدت اليوم رجلا من إخوانك، فقال: من هو؟ فقال: لا عليك، قال: أسألك، قال: هو غيلان، فقال مكحول: إن دعاك غيلان فلا تجبه وإن مرض فلا تعده، وإن مات فلا تمش في جنازته. زاد في رواية: هو أضر على هذه الأمة من المرفقين، قال مروان: فقلت للوليد: وما المرفقين؟ قال: هم ولاة السوء يؤتى أحدهم في الشيء الذي لا يجب عليه فيه حد، والرجل يجب عليه الحد، فيجوزوا بهذا الحدود وأكثر منها. وفي حديث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿هُمْ نَصَارَى هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَجُوسِهَا﴾ كان مكحول يقول: بئس الخليفة كان غيلان لمحمد صلى الله عليه وسلم على أمته من بعده. وقال مكحول: حسيب غيلان الله، لقد ترك هذه الأمة في لجج مثل لجج البحار. وكان مكحول يقول: ويحك يا غيلان! لا تموت إلا مقتولا.

----

*(زفانا) أي رقاصا

■ (1) الحارث بن سعيد الكذاب ويقال الحارث بن عبد الرحمن بن سعد المتنبي دمشقي مولى أبي الجلاس العبدري القرشي، ويقال مولى مروان بن الحكم.

مراجع: الأعلام للزركلي/ـمختصر تاريخ دمشق/ القاموس المحيط/ لسان الميزان/ موسوعة الخطب والدروس/ المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى/ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث/ الضعفاء الكبير للعقيلي/

روى الأصمعي عن عدي بن الفصيل البصري[1] قال: اجتمع إياس بن معاوية[2] وغيلان[3] عند عمر بن عبد العزيز[4] فقال عمر: أنتما مختلفان، وقد اجتمعتما، فتناظرا تتفقا. فقال إياس: يا أمير المؤمنين إن غيلان صاحب كلام، وأنا صاحب اختصار، فإما أن يسألني ويختصر أو أسأله وأختصر، فقال غيلان: سل. فقال إياس: أخبرني ما أفضل شيء خلقه الله عز وجل؟ قال: العقل. قال: فأخبرني عن العقل، مقسوم أو مقتسم؟ فأمسك غيلان. فقال له: أجب فقال: لا جواب عندي. فقال إياس قد تبين لك أمره يا أمير المؤمنين. إن الله تبارك وتعالى يهب العقول لمن يشاء فمن قسم له منها شيئا، ذاده به عن المعصية، ومن تركه تهور. قال الأصمعي: وحدثني غيره: إن إياسا وغيلان اجتمعا، فقال له بعد سؤاله عن العقل وسكوته عن جوابه، قال له: سل عن غير هذا. فقال له إياس: أخبرني عن العلم قبل أو العمل؟ فقال غيلان: والله لا أجبتك فيها. فقال إياس: فدعها وأخبرني عن الخلق خلقهم الله مختلفين أو مؤتلفين؟ فنهض غيلان، وهو يقول: والله لا جمعني الله وإياك مجلس أبدا. قال الأصمعي: ومن حديث عدي أن غيلان قال لعمر: أتوب إلى الله ولا أعود إلى هذه المقالة أبدا، فدعا عليه عمر إن كان كاذبا، فأجيبت دعوته.

■ (2) إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني، أبو وائلة، وبه يضرب المثل في الذكاء، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه قضاء البصرة. ولإياس جد أبيه صحبة مع رسول الله، توفي سنة 122 هـ أو سنة 121 هـ، وعمره 76 سنة.

■ (4) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (3) غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان، تنسب إليه فرقة الغيلانية من القدرية، قال عنه الذهبي: غيلان بن أبي غيلان، المقتول في القدر، ضال مسكين، كان يجمع بين القدر والإرجاء، قتله هشام بن عبد الملك سنة 105هـ على باب كيسان بدمشق.
الغيلانية من المرجئة القدرية ينتمون إلى غيلان القدري زعموا أن الإيمان هو المعرفة الثابتة بالله عز وجل والمحبة له والخضوع والإقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى والمعرفة الأولى عندهم اضطرارية فلذلك لم يجعلوها من الإيمان.
والمدعو غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان، المقتول في القدر، ضال مسكين، كان يجمع بين القدر والإرجاء، وقالوا: هو ثالث من تكلم في القدر لم يسبقه سوى معبد الجهني وسوسن بالعراق، يقول بالقدر خيره وشره من العبد. طلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته،فأفتى الأوزاعي بقتله، وصلب على باب كيسان بدمشق سنة 105هـ. والقدرية مفهوم يرى أن الله لا يعلم شيء إلا بعد وقوعه وأن الأحداث بمشيئة البشر وليست بمشيئة الله. قال الصفدي في الوافي بالوفيات: والإرجاء يشتق من الرجاء لأنهم يرجون لأصحاب المعاصي الثواب من الله تعالى فيقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة.قال: وقيل: الإرجاء هو تأخير حكم أصحاب الكبائر إلى الآخرة في الدنيا ولا يقضى عليهم بأنهم من أهل الجنة. قال: والمرجئة جنس لأربعة أنواع: الأول مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الصالحة. وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي.

■ (1) عدي بن الفضل ويقال بن الفضيل ويقال بن الفصيل بالصاد المهملة المكسورة بصري أيضا يروي عن عمر بن عبد العزيز سمع خطبته بخناصرة

☪

قال أبو محمد القرشي: استودع رجل رجلا مالا. ثم طلبه فجحده، فخاصمه إلى إياس بن معاوية، فقال الطالب: إني دفعت المال إليه. قال: ومن حضرك؟ قال: دفعته إليه في مكان كذا وكذا، ولم يحضرنا أحد. قال: فأي شيء كان في ذلك الموضع؟ قال: شجرة. قال: فانطلق إلى ذلك الموضع، وانظر إلى الشجرة، فلعل الله تعالى يوضح لك هناك ما يبين لك حقك، لعلك دفنت مالك عند الشجرة ونسيت، فتذكر إذا رأيت الشجرة، فمضى الرجل وقال إياس للمطلوب: اجلس حتى يرجع خصمك، فجلس وإياس يقضي وينظر إليه ساعة، ثم قال له: يا هذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكر؟ قال: لا. قال: يا عدو الله إنك لخائن. قال: أقلني أقالك الله، فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل، فقال له إياس: قد أقر لك بحقك فخذه به. واستودع رجل رجلا مالا. قال: وكان أمينا لا بأس به وخرج المستودع إلى مكة، فلما رجع طلبه فجحده، فأتى إياس بن معاوية، فأخبره، فقال له إياس: أعلم أنك أتيتني؟ قال: لا. قال: فنازعته عنه أحد؟ قال: لا. قال: لم يعلم أحد بهذا قال: فانصرف واكتم أمرك، ثم عد إلي بعد يومين، فمضى الرجل، فدعا إياس أمينه ذاك، فقال: قد حضر مال كثير أريد أن أصيره إليك، أفحصين منزلك؟ قال: نعم. قال: فأعد موضعا للمال وقوما يحملونه، وعاد الرجل إلى إياس، فقال له: انطلق إلى صاحبك فاطلب مالك، فإن أعطاك فذاك، وإن جحدك فقل له: إني أخبر القاضي، فأتى الرجل صاحبه، فقال له: مالي وإلا أتيت القاضي وشكوت إليه أمري، فدفع إليه ماله، فرجع الرجل إلى إياس، فقال: قد أعطاني المال، وجاء الأمين إلى إياس لموعده فزبره وانتهره، وقال: لا تقربني يا خائن. واستودع رجل رجلا كيسا فيه دنانير وغاب الرجل، فطالت غيبته فلما طال الأمر، فتق المستودع من أسفله، وأخذ الدنانير وجعل في الكيس دراهم وخيطه والخاتم على حاله، فقدم صاحب المال بعد خمس عشرة سنة وطلب ماله، فدفع إليه الكيس بخاتمه فلم يقبله، وقال: هذه دراهم، ومالي دنانير. قال: هذا كيسك بخاتمك، فرافعه إلى عمر بن هبيرة، فقال لإياس بن معاوية: انظر في أمر هذين. فقال إياس للطالب: ما تقول؟ قال: أعطيته كيسا فيه دنانير. قال: مذ كم؟ قال: مذ خمس عشرة سنة. قال للآخر: ما تقول؟ قال: كيسه بخاتمه. قال: منذ كم؟ قال: منذ خمس عشرة سنة. قال: ففضوا الخاتم، ونثروا الدراهم، فوجدوا ضرب عشر سنين وخمس سنين، فأقر بالدنانير، فألزمه إياها. قال معتمر: رد رجل جارية اشتراها من رجل غلبه، فخاصمه إلى إياس بن معاوية، فقال له: لم تردها؟ قال: أردها بالحمق. قال إياس لها: أي رجليك أطول؟ قالت: هذه. قال: تذكرين أي ليلة ولدت؟ قالت: نعم. فقال له إياس: رد رد. ودخل عليه ثلاث نسوة، فقال: أما واحدة فمرضع، والأخرى بكر، والأخرى ثيب، فقيل له: بم علمت؟ قال: أما المرضع فلما قعدت مسكت ثديها بيدها، وأما البكر فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد، وأما الثيب فلما دخلت نظرت ورمت بعينيها.

☪

استعمل عمر بن عبد العزيز عدي بن أرطاة الفزاري على البصرة، فولى إياس بن معاوية القضاء، فهرب إياس من عدي إلى عمر بن عبد العزيز. قال سليمان بن زياد: خرج إياس إلى الشام إلى عمر بن عبد العزيز، فمات عمر قبل أن يصل إليه، فكان يجلس في مجلس مسجد دمشق في حلقة فيها قوم من قريش، فحدث رجل من بني أمية رجلا بحديث، فرده إياس فأغلظ له الأموي، فقام إياس من الحلقة فقيل للأموي: إن هذا إياس بن معاوية المزني، قال: لم أعرفه، فلما عاد إياس من غد، قال له الأموي: إنك جالستنا في ثياب السوقة بكلام الأشراف، فلم نحتمل ولم أكن عرفتك. كان إياس قاضيا بالبصرة مرتين، وكان عاقلا من الرجال فطنا، كان فقيها عفيفا. قيل لمعاوية بن قرة: كيف ابنك لك؟ قال: نعم الابن، كفاني أمر دنياي، وفرغني لآخرتي.قال ابن شوذب: كان يقال: يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل. فكانوا يرون أن إياس بن معاوية منهم. قال إياس بن معاوية: ما خاصمت أحدا من أهل الأهواء بعقلي كله إلا القدرية. قال: قلت: أخبروني عن الظلم ما هو؟ قالوا: أخذ ما ليس له. قال: قلت: فإن لله تعالى كل شيء. قال إياس بن معاوية: كنت في مكتب بالشام، وكنت صبيا، فاجتمع النصارى يضحكون من المسلمين، وقالوا: إنهم يزعمون أنه لا يكون تفل للطعام في الجنة، قال: قلت: يا معلم أليس يزعم الناس أن أكثر الطعام يذهب في البدن؟ فقال: بلى. فقال: قلت: فما تنكر أن يكون الباقي يذهبه الله في البدن كله؟ فقال: أنت شيطان. قال ابن شبرمة: قال إياس بن معاوية: إياك وما استشبع الناس من الكلام، وعليك بما يعرف الناس من القضاء. قال عمر بن علي: قال رجل لإياس بن معاوية: يا أبا واثلة حتى متى يتوالد الناس ويموتون؟ فقال لجلسائه: أجيبوه. فلم يكن عندهم جواب، فقال إياس: حتى تتكامل العدتان: عدة أهل النار، وعدة أهل الجنة. قال سفيان بن حسين: سمعت إياس بن معاوية يقول: لأن يكون في فعال الرجل فضل عن قوله أجمل من أن يكون في قوله فضل عن فعاله. قال سفيان بن حسين: قال إياس بن معاوية: لابد للناس من ثلاثة أشياء. لابد لهم من أن تأمن سبلهم، ويختار لحكمهم حتى يعتدل الحكم فيهم، وأن يقام لهم بأمر الثغور التي بينهم وبين عدوهم، فإن هذه الأشياء إذا قام بها السلطان احتمل الناس ما كان سوى ذلك من أثرة السلطان وكل ما يكرهون. قال الأصمعي: قال إياس بن معاوية: امتحنت خصال الرجال، فوجدت أشرفها صدق اللسان، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه. قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: قال إياس بن معاوية: يا ربيعة! كل ما بني على غير أساس فهو هباء، وكل ديانة أسست على غير ورع فهي هباء. قيل لإياس لما ولي القضاء: إنك تعجل بالقضاء. قال إياس: كم بكفك من إصبع؟ فقال: خمسة، فقال له إياس: عجلت بالجواب، قال: لم يعجل من استيقن علما، فقال إياس: هذا جوابي. قال حميد الطويل: لما ولي إياس بن معاوية القضاء دخل عليه الحسن وإياس يبكي. فقال له: ما يبكيك؟ فذكر إياس الحديث: ﴿الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ﴾ فقال الحسن: إن فيما قص الله عليك من نبأ داود وسليمان ما يرد قول هؤلاء الناس، ثم قرأ: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ إلى قوله ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء] فحمد سليمان ولم يذم داود. وفي رواية أنه قال: ﴿الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ﴾ قال الحسن: أخذ الله على الحكام ثلاثة: أن لا يشتروا به ثمنا، ولا يخشوا فيه الناس، وأن لا يتبعوا الهوى. قال: ثم قرأ هذه الآية: ﴿يَا داود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص] وقال: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة] قال إبراهيم لإياس بن معاوية: لولا خصال فيك كنت أنت الرجل. قال: وما هي؟ قال: تقضي قبل أن تفهم، ولا تبالي من جالست، ولا تبالي ما لبست. قال: أما قولك: أقضي قبل أن أفهم، فأيهم أكثر ثلاثة أو اثنان؟ قال: لا. بل ثلاثة قال: ما أسرع ما فهمت! قال: ومن لا يفهم هذا! قال: ذلك أنا، لا أقضي حتى أفهم. وأما قولك: إني لا أبالي مع من جلست، فإني أجلس مع من يرى لي، أحب إلي من أن أجلس مع من أرى له. وأما قولك: إني لا أبالي ما لبست، فلأن ألبس ثوبا يقي نفسي، أحب إلي من ألبس ثوبا أقيه بنفسي. قال المدائني: قيل لإياس بن معاوية: ما فيك إلا كثرة الكلام قال: أفتسمعون صوابا أو خطأ؟ قالوا: لا بل صوابا. قال: فالزيادة من الخير خير. قال: وما رمي إياس بالعي قط، وإنما عابوه بالإكثار. قال محمد بن سلام: قيل لإياس: ما فيك عيب، غير أنك معجب بقولك. فقال لهم: أو أعجبكم قولي؟ قالوا: نعم، قال: فأنا أحق بأن أعجب بما أقول وما يكون مني. قال: وهذا مما استحسنه الناس من قوله. قال ابن شوذب: كان أبو إياس يقول: الناس ولدوا أبناء وولدت أبا. توفي إياس بن معاوية سنة اثنتين وعشرين ومئة بواسط.

مراجع: الأعلام للزركلي/مختصر تاريخ دمشق/ تهذيب الكمال/ تاريخ دمشق/

لما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى الفقهاء فقربهم، وكانوا أخص الناس به؛ بعث إلى محمد بن علي بن حسين أبي جعفر[1]، وبعث إلى غيره؛ فلما قدم أبو جعفر محمد على عمر وأراد الانصراف إلى المدينة، بينا هو جالس في الناس ينتظرون الدخول على عمر أقبل ابن حاجب عمر وكان أبوه مريضا فقال: أين أبو جعفر ليدخل؟ فأشفق محمد بن علي أن يقوم فلا يكون هو الذي دعي به، فنادى ثلاث مرات، قال: لم يحضر يا أمير المؤمنين قال: بلى، قد حضر، حدثني بذلك الغلام؛ قال: فقد ناديته ثلاث مرات؛ قال: كيف قلت؟ قال: قلت: أين أبو جعفر؟ قال: ويحك اخرج فقل؛ أين محمد بن علي؛ فخرج فقام فدخل فحدثه ساعة وقال: إني أريد الوداع يا أمير المؤمنين، قال عمر: فأوصني يا أبا جعفر، قال: أوصيك بتقوى الله واتخذ الكبير أبا والصغير ولدا والرجل أخا؛ فقال: رحمك الله جمعت لنا والله ما إن أخذنا به وأعاننا الله عليه استقام لنا الخير إن شاء الله؛ ثم خرج. فلما انصرف إلى رحله أرسل إليه عمر: إني أريد أن آتيك فاجلس في إزار ورداء؛ فبعث إليه: لا بل آتيك؛ فأقسم عليه عمر، فأتاه عمر فالتزمه، فوضع صدره وأقبل يبكي، ثم جلس بين يديه ثم قام وليس لأبي جعفر حاجة سأله إياها إلا قضاها له وانصرف، فلم يلتقيا حتى ماتا جميعا رحمهما الله.

عن عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال: دخل هشام بن عبد الملك بن مروان[2] المسجد الحرام متوكئا على مولاه سالم[3] فنظر إلى محمد بن علي بن الحسين، وقد أحدق الناس به حتى خلا الطواف فقال: من هذا؟ فقيل له: محمد بن علي بن الحسين، وفي آخر بمعناه فقال: هذا المفتون به أهل العراق؟ قال: نعم فأرسل إليه فقال: أخبرني عن يوم القيامة ما يأكل الناس فيه وما يشربون؟ فقال محمد بن علي للرسول: قل له: يحشرون على مثل قرصة النقي*، فيها أنهار تفجر (الأنهار مفجرة)؛ فأبلغ ذلك هشاما فرأى هشام أن قد ظفر به فقال: قل له: ما أشغلهم يومئذ عن الأكل والشرب؛ فأبلغه الرسول فقال محمد بن علي: قل له: هم والله في النار أشغل، وما شغلهم عن أن قالوا: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف] قال: وظهر عليه محمد بن علي.

----

*(النقي) يعني خبز الدقيق الحوارى وهو النظيف الأبيض النقي من الغش والذي نخل دقيقه مرة بعد مرة

■ (1) أبو جعفر محمد الباقر، هو محمد بن علي بن الحسين بن علي، العلوي الفاطمي، المدني، ولد زين العابدين، ولد سنة 56 في حياة عائشة وأبي هريرة. روى عن جديه: النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلي رضي الله عنه مرسلا، وعن جديه الحسن والحسين مرسلا أيضا، وعن ابن عباس، وأم سلمة، وعائشة مرسلا، وعن ابن عمر، وجابر، وأبي سعيد، وعبد الله بن جعفر، وسعيد بن المسيب، وأبيه زين العابدين، ومحمد بن الحنفية، وطائفة. وعن أبي هريرة، وسمرة بن جندب مرسلا أيضا، وليس هو بالمكثر، هو في الرواية كأبيه وابنه جعفر، ثلاثتهم لا يبلغ حديث كل واحد منهم جزءا ضخما، ولكن لهم مسائل وفتاو.حدث عنه ابنه، وآخرون. وكان أحد من جمع بين العلم والعمل والسؤدد، والشرف، والثقة، والرزانة، وكان أهلا للخلافة. وهو أحد الائمة الاثني عشر الذين تبجلهم الشيعة الامامية وتقول بعصمتهم وبمعرفتهم بجميع الدين.فلا عصمة إلا للملائكة والنبيين، وكل أحد يصيب ويخطئ، ويؤخذ من قوله ويترك سوى النبي صلى الله عليه وسلم فإنه معصوم، مؤيد بالوحي. وشهر أبو جعفر بالباقر، من: بقر العلم، أي شقه فعرف أصله وخفيه.ولقد كان أبو جعفر إماما، مجتهدا، تاليا لكتاب الله، كبير الشأن، ولكن لا يبلغ في القرآن درجة ابن كثير ونحوه، ولا في الفقه درجه أبي الزناد، وربيعة، ولا في الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب.فلا نحابيه، ولا نحيف عليه، ونحبه في الله لما تجمع فيه من صفات الكمال. مات أبو جعفر سنة 114 هـ بالمدينة.وقيل: توفي سنة 117 هـ. وقيل غير ذلك.

■ (2) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد،كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (3) سالم مولى هشام بن عبد الملك كان يتقلد له ديوان الرسائل، وهو ممن نبه بالكتابة؛ سالم مولى هشام بن عبد الملك قيل أحد الواضعين لنظام الرسائل، وأستاذ عبد الحميد الكاتب الذي آلت إليه زعامة الكتابة الآخر الدولة الأموية.

قال قيس بن النعمان: خرجت يوما إلى بعض مقابر المدينة فإذا بصبي عند قبر يبكي بكاء شديدا، وإن وجهه ليلقي شعاعا من نور، فقلت: أيها الصبي ما الذي عقلت له من الحزن حتى أفردك بالخلوة في مجالب الموتى والبكاء على أهل البلاء وأنت بغو الحداثة مشغول عن اختلاف الأزمان وحنين الأحزان؟ فرفع رأسه وطأطأه وأطرق ساعة لا يحير جوابا ثم قال: من البسيط: إن الصبي صبي العقل لا صغر..أزرى بذي العقل فينا لا ولا كبر. ثم قال لي: يا هذا خلي الذرع من الفكر، سليم الأحشاء من الحرقة، أمنت تقارب الأجل بطول الأمل إن الذي أفردني بالخلوة في مجالس أهل البلى تذكر قول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس] فقلت: بأبي أنت، من أنت؟ فإني لأسمع كلاما حسنا، فقال: إن من شقاوة أهل البلى قلة معرفتهم بأولاد الأنبياء، أنا محمد بن علي بن الحسين بن علي وهذا قبر أبي فأي أنس آنس من قربه وأي وحشة تكون معه؟ ثم أنشأ يقول: من الكامل: ما غاض دمعي عند نازلة..إلا جعلتك للبكا سببا..إني أجل ثرى حللت به..من أن أرى بسواك مكتئبا..فإذا ذكرتك سامحتك به..مني الدموع ففاض فانسكبا. قال قيس: فانصرفت وما تركت زيارة القبور مذ ذاك.

قال المدائني: بينا محمد بن علي في فناء الكعبة أتاه أعرابي فقال له: هل رأيت الله حيث عبدته؟ فأطرق وأطرق من كان حوله، ثم رفع رأسه إليه فقال: ما كنت لأعبد شيئا لم أره؛ فقال: وكيف رأيته؟ قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بالآيات منعوت بالعلامات، لا يجور في قضيته، بأن من الأشياء وبانت الأشياء منه،﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى] ذلك الله لا إله إلا هو؛ فقال الأعرابي:﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام]، قال وأنا ابن مروان.

عن أبي حنيفة، عن محمد بن علي، قال: أتيته فسلمت عليه، فقعدت إليه فقال: لا تقعد إلينا يا أخا العراق فإنكم قد نهيتم عن القعود إلينا؛ قال: فقعدت فقلت: يرحمك الله، هل شهد علي موت عمر؟ فقال: سبحان الله، أو ليس القائل: ما أحد من الناس ألقى الله عز وجل بمثل علمه أحب إلي من هذا المسجى* عليه ثوبه، ثم زوجه ابنته فلولا أنه رآه لها أهلا أكان يزوجها إياه؟ وتدرون من كانت لا أبا لك اليوم ؟ كانت أشرف نساء العالمين، كان جدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبوها علي كرم الله وجهه ذو الشرف والمنقبة في الإسلام، وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها، وأخواها حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة رضي الله عنهما، وجدتها خديجة رضي الله عنها؛ قلت: فإن قوما عندنا يزعمون أنك تتبرأ منهما، وتنتقصهما فلو كتبت إليهم كتابا بالانتفاء من ذلك؛ قال: أنت أقرب إلي منهم أمرتك أن لا تجلس إلي فلم تطعني فكيف يطيعني أولئك؟.

قال عبد الملك بن أبي سليمان: قلت لمحمد بن علي: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة] قال: هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: قلت: فإنهم يقولون هو علي؛ قال: علي منهم.

قال بسام: سألت أبا جعفر عن الصلاة خلف بني أمية، فقال: صل خلفهم فإنا نصلي خلفهم، قال: قلت: يا أبا جعفر إن ناسا يزعمون أن هذا منك تقية، قال: قد كان الحسن والحسين يصليان خلف مروان يبتدران الصف وإن كان الحسين ليسبه وهو على المنبر حتى ينزل، أفتقية هذه؟ وعن أبي جعفر قال: شيعتنا ثلاثة أصناف: صنف يأكلون الناس بنا، وصنف كالزجاج تهشم، وصنف كالذهب الأحمر كلما أدخل النار ازداد جودة.

وعن أبي جعفر محمد بن علي، قال: يزعمون أني أنا المهدي، وأني إلى أجلي أدنى مني إلى ما يدعون، ولو أن الناس اجتمعوا على أن يأتيهم من باب لخالفهم القدر حتى يأتي به من باب آخر.

قال جرير بن يزيد: قلت لمحمد بن علي بن حسين: عظني؛ قال: يا جرير اجعل الدنيا مالا أصبته في منامك ثم انتبهت وليس معك منه شيء. جاء رجل إلى محمد بن علي فقال: أوصني؛ قال: هيئ جهازك وقدم زادك وارفض نفسك.

قال أبو جعفر: ما استوى رجلان في حسب ودين قط إلا كان أفضلهما عند الله آدبهما؛ قلت: قد علمت فضله عند الناس وفي النادي والمجالس فما فضله عند الله جل جلاله؟ قال: بقراءته القرآن من حيث أنزل ودعائه الله عز وجل من حيث لا يلحن، وذلك أن الرجل ليلحن فلا يصعد إلى الله عز وجل.

قال أبو جعفر محمد بن علي: أوصاني أبي قال: لا تصحبن خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق، قال: قلت: من هؤلاء الخمسة؟ قال: لا تصحبن فاسقا فإنه بائعك بأكلة فما دونها، قلت: يا أبه وما دونها؟ قال: يطمع فيها ثم لا ينالها، قلت: يا أبه ومن الثاني؟ قال: لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه؛ قلت: يا أبه ومن الثالث؟ قال: لا تصحبن كذابا فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد؛ قلت: يا أبه ومن الرابع؟ قال: لا تصحبن أحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك؛ قلت: يا أبه ومن الخامس؟ قال: لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعونا في كتاب الله عز وجل في ثلاثة مواضع.

قال أبو جعفر محمد بن علي: ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج، وما من شيء أحب إلى الله من أن يسأل، وما يدفع القضاء إلا الدعاء، وإن أسرع الخير ثوابا البر، وإن أسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر للناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه.

كان أبو جعفر يتعوذ من النبطي إذا استعرب ومن العربي إذا استنبط، فقيل له: كيف يستنبط العربي؟ قال: يأخذ بأخلاقهم ويتأدب بآدابهم.

اشتكى بعض ولد محمد بن علي فجزع عليه جزعا شديدا، ثم خبر بموته فسري عنه، فقيل له في ذلك، فقال: ندعو الله تبارك وتعالى فيما نحب، فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما أحب.

----

*(المسجى) المغطى

مراجع: الأعلام للزركلي/مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق / سير أعلام النبلاء/ أخبار مكة للفاكهي/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) ومسلمة بن سعيد 0514

عن أيوب بن سليمان الرصافي، قال: سمعت أبي يقول: لما ثقلت وطأة عمر بن عبد العزيز على بني أمية اجتمعوا ببابه منكرين لما كان منه، وفي القوم مسلمة بن عبد الملك(1) ومسلمة بن سعيد بن العاص(2)، فقال مسلمة بن سعيد لمسلمة بن عبد الملك: يا أبا سعيد، ما تقول في هذا الأمر الذي نحن فيه؟ فقال: أرى أنه إبراء من الأضرار نزل بكم في دنياكم نقمة عليكم بقول هذا الرجل، وما أرى لكم شيئا تلجؤون إليه إلا الصبر إلى انقضاء مدته، فإما خلفه من كان يرى بكم ما كان يراه خلفاؤكم وإما اقتدى بسيرته فيكم، فراضكم الصبر على القناعة. فقال له مسلمة بن سعيد: أحلتنا على مدة تعتادونها، ما لي نفس تقوى على هذا، فقوموا بنا. فدخل الحاجب على عمر فأعلمه بمكانهم، فقال: قد عرفت الأمر الذي جمعهم، والله لا انصرفوا إلا بما يسود وجوههم، أدخل علي زعيمهم مسلمة بن سعيد؛ فأدخله، فسلم وجلس، فأخذ في تقريظ* عمر. فقال له: دع هذا وخذ فيما جئت له. فقال: يا أمير المؤمنين، إن الأمر قد أفضى بأهل بيتك إلى ما يرق لهم منه العدو. فقال له عمر: هيهات، تلك أثرة حملها المعتدون على كاهل الدين فأوقروه، إنما يتراد به في صدورهم حسرات لما أسلفوا، والله ما ازددت لهم نظرا إلا ازداد البلاء عليهم ثقلا. فقال له مسلمة: فادفع إلينا صكاك قطائعنا من خلفائنا. فقال عمر: ذكرتني الطعن وكنت ناسيا، يا جارية ذلك الصندوق؛ فوضع بين يديه، ففتحه وجعل يخرج تلك السجلات فيحرقها كتابا كتابا. فقال له مسلمة: لا صبر على هذا. فقال: بلى والله تصبر عليه غير مكرم في دنيا ولا مأجور في دين. فقال له: أراحنا الله منك. فقال له عمر: لا ضير، هلم فيدي معقودة بيدك إلى أن نوافي الموسم، فأجعلها إلى المسلمين، فيكونون هم الذين يختارون لأنفسهم. فقال له مسلمة: لا يمنعني ما يسوؤني في أهل بيتي أن أقول فيك الحق، والله لا يعدلون بها عنك.

----

*(التقريظ) مدح الإنسان وهو حي، والتأبين: مدحه ميتا. وقولهم: فلان يقرظ صاحبه ويقرضه، بالظاء والضاد جميعا

■ (2) مسلمة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي، الأموي وفد على عمر بن عبد العزيز، ولم أجد له ذكرا في كتاب بن بكار.

■ (1) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: أمير قائد، من أبطال عصره. من بني أمية في دمشق، يلقب بالجرادة الصفراء. وهو ابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب) له فتوحات مشهورة. سار في مئة وعشرين ألفا لغزو القسطنطينية في دولة أخيه سليمان وبنى مسجد مسلمة بالقسطنطينية (؟) سنة 96 هـ وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية. وغزا الترك والسند سنة 109 هـ. ومات بالشام سنة 120 هـ وقيل مات سنة 121 هـ . وإليه نسبة بني مسلمة وكانت منازلهم في بلاد الاشمونيين بمصر قال الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر إخوته.

عن عمرو بن ميمون، عن أبيه، قال: قال مسلمة بن عبد الملك: أليس قد أمرتم بطاعتنا ؟ يعني:﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء] قال: قلت: إن الله قد انتزعه منكم إذا خالفتم الحق، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء] قال: فأين الله؟ قلت: الكتاب. قال: فأين الرسول؟ قلت: السنة.

عن الحسن أنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز: أن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور الشخصية إلى مكروه اليسار فيها لأهلها غارة، والنافع فيها غدا ضار، فالدنيا عار، والطلب لها شين، والقلة منها دين. عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَنْتُمُ الْيَوْمَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وتُجَاهِدُوْنَ فِي الله ثم تَظْهَرُ فيكُمُ السَّكْرَتَانِ سَكْرَةُ الجَهْلِ وسكرةُ حُبِّ العَيْشِ وستُحَوَّلُوْنَ عَن ذلك فلا تَأْمُرُوْنَ بمَعْرُوفٍ ولا تَنْهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ ولا تُجَاهِدُوْنَ فِي الله عَزَّ وجَلَّ القائمون يَوْمَئِذٍ بالكِتَابِ والسُّنَّةِ له أَجْرُ خَمْسِيْنَ صِدِّيْقاً قالوا يا رسول الله ! منَّا أَوْ مِنْهُمْ قال بل مِنْكُمْ﴾ قال أبو الشيخ الأنصاري: إسناده فيه من لم أعرفه. وعن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ أُمَرَاءَ كَذَبَةً، وَوُزَرَاءَ فَجَرَةً ، وَأُمَنَاءَ خَوَنَةً، وَقُرَّاءَ فَسَقَةً سِمَتُهُمْ سِمَةُ الرُّهْبَانِ، وَلَيْسَ لَهُمْ رَغْبَةٌ، أَوْ قَالَ: لَيْسَ لَهُمْ رَعْبَةٌ أَوْ قَالَ: رَعَةٌ فَيُلْبِسُهُمُ اللهُ فِتْنَةً غَبْرَاءَ مُظْلِمَةً يَتَهَوَّكُونَ فِيهَا تَهَوُّدَ الْيَهُودِ فِي الظُّلَمِ﴾ عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لاَ يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطُولِ الأَمَلِ﴾ وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا أَضَرَّ بِالآخِرَةِ، وَمَنْ أَحَبَّ الآخِرَةَ أَضَرَّ بِالدُّنْيَا، أَلا فَأَضِرُّوا بِالْفَانِي لِلْبَاقِي﴾ وعن عبد الله بن مسعود، قال: ما كنت أظن أن في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدا يحب الدنيا حتى نزلت: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران] وعن القاسم قال: قال عبد الله: منهومان* لا يشبعان: صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان، أما صاحب العلم فيزداد رضا للرحمان، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان. ثم قرأ عبد الله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[العلق] قال: وقال الآخر:﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر] قال محمد بن زنبور: سمعت الفضيل بن عياض يقول: جعل الشر كله في بيت ، وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا. قال الثوري: قال عيسى بن مريم عليه السلام: حب الدنيا رأس كل خطيئة. وقال سفيان بن سعيد: كان عيسى عليه السلام: يقول: حب الدنيا أصل كل خطيئة، والمال فيه داء كثير، قالوا: وما داؤه؟ قال: لا يسلم من الفخر والخيلاء*، قالوا: فإن سلم؟ قال: يشغله إصلاحه عن ذكر الله تعالى. قال مالك بن دينار: بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك، فبقدر ما تحزن للآخرة كذلك يخرج هم الدنيا من قلبك. وقال مالك بن دينار: إن البدن إذا سقم: لم ينجح فيه طعام، ولا شراب، ولا نوم، ولا راحة، كذلك القلب إذا علق حب الدنيا لم تنجح فيه المواعظ. وقال أحمد بن أبي الحواري: من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها أخرج الله نور اليقين، والزهد من قلبه. وحدث جعفر قال: سمعت مالكا يقول: قال: بعض أهل العلم: نظرت في أصل كل إثم، فلم أجد من كثرة امتحاني له إلا حب المال، فمن ألقى عنه حب المال فقد استراح. قال أحمد بن الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: إذا سكنت الدنيا في القلب ترحلت عنه الآخرة. وقال فضيل بن عياض: حزن الدنيا للدنيا يذهب بهم الآخرة، وفرح الدنيا للدنيا يذهب بحلاوة العبادة. قال جعفر بن الحسن اللهبي: دخل أبو العتاهية إلى بعض الهاشميين. فبينا هو عنده إذ أتاه خبر عن وكيل له يخبره باختلال في ضيعته، فغمه ذلك حتى تبين الغم في وجهه، فقال أبو العتاهية: ليد المنية في تلمسها عن..ذخر كل شقيقة فحص..وكأن من وافى منيته لم..يبق منه لناظر شخص..تبغي من الدنيا زيادتها..وزيادة الدنيا هي النقص. قال: فأسفر لونه، وسكن ما به. وقال أبو العتاهية: وجه إلي المأمون يوما، فصرت إليه، فألفيته مطرقا مفكرا، فأحجمت عن الدنو منه في تلك الحال؛ فرفع رأسه؛ فنظر إلي وأشار بيده؛ أن ادن، فدنوت ثم أطرق مليا، ورفع رأسه، فقال: يا أبا إسحاق؛ شأن النفس الملل وحب الاستطراف؛ تأنس بالوحدة كما تأنس بالألفة، قلت: أجل يا أمير المؤمنين، ولي في هذا بيت، قال: وما هو؟ قلت: لا يصلح النفس إذ كانت مقسمة..إلا التنقل من حال إلى حال.

----

*(الخيلاء) الكبر والعجب والزهو (النهمة) بلوغ الهمة في الشيء، والشره والرغبة الشديدة

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ سنن الدارمي/ الأمثال في الحديث/ـ مسند ابن أبي شيبة/ مسند البزار/ شعب الإيمان/ المهروانيات/ البحر الزخار مسند البزار/

عن ابن جعدبة*: عاتب عمر بن عبد العزيز رجلا من قريش كانت أمه أخت عقيل بن علفة*[1] فقال له: قبحك الله أشبهت خالك في الجفاء، فبلغ عقيلا فجاء حتى دخل على عمر، فقال له: ما وجدت لابن عمك شيئا تعيره به إلا خؤولتي! فقبح الله شركما خالا، فقال صخر بن الجهم العدوي[2] وأمه قرشية: آمين يا أمير المؤمنين، قبح الله شركما خالا وأنا معكما، فقال عمر: إنك لأعرابي جلف جاف، أما لو تقدمت إليك لأدبتك، والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئا ! فقال: بلى إني لأقرأه، قال: فاقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة] حتى تبلغ إلى آخرها، فقرأ: فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره !! فقال له عمر: ألم أقل لك، إنك لا تحسن أن تقرأ، لأن الله تعالى قدم الخير وأنت قدمت الشر، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة] فقال عقيل: خذا أنف هرشى أو قفاها فإنما..كلا جانبي هرشى لهن طريق* فجعل القوم يضحكون من عجرفته. وقيل إن هذا الخبر كان بين يعقوب بن سلمة[3] وهو ابن بنت لعقيل وبين عمر بن عبد العزيز وإنه قال لعمر: بلى والله إني لقارىء لآية وآيات وقرأ: إنا بعثنا نوحا إلى قومه !! فقال عمر: قد أعلمتك أنك لا تحسن، ليس هكذا قال فكيف؟ فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ [نوح] فقال: ما الفرق بين أرسلنا وبعثنا: خذا ببطن هرشى أو قفاها كأنه..كلا جانبي هرشى لهن طريق*

قال البغدادي: هرشى بالفتح والقصر: ثنية في طريق مكة حرسها الله قريبة من الجحفة يرى منها البحر. وهذا مثل في التخيير. لاهرشى طريقان من سلك أيهما شاء أصاب. وضمير لهن للإبل. والمعنى يا صاحبي سيرا في بطن هذه الثنية أو قفاها أي: أمامها أو خلفها فإن كلا جانبيها طريق للإبل. كأنه ظن أن التقديم والتأخير في هذا المقام لا يضر وهو غفلة عن المزايا القرآنية.

----

* (جعدبة) عن الأغاني وبالأصل: أبي جعدبة. وفي معجم البلدان: ابن جعدة. (عقيل بن علفة) تاريخ دمشق:عقيل بن علقة (خذا أنف/ خذا بطن) البيت في الأغاني: ومعجم البلدان : هرشي وفي الأغاني: خذا بطن. وفي معجم البلدان: خذا أنف. وهرشي: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر.قال عرام هرشى هضبة ململمة لا تنبت شيئا وهي على ملتقى طريق الشام وطريق المدينة إلى مكة وهي في أرض مستوية وأسفل منها ودان على ميلين مما يلي مغيب الشمس يقطعها المصعدون من حجاج المدينة ينصبون منها منصرفين إلى مكة ويتصل بها مما يلي مغيب الشمس خبت رمل في وسط هذا الخبت جبيل أسود شديد السواد صغير يقال له طفيل.

■ (2) صخر بن أبي الجهم ؟ صخير بن أبي الجهم ؟ : صخير بن أبي الجهم عبيد ويقال عامر بن حذيفة ابن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب العدوي القرشي وفد على عمر بن عبد العزيز، قال الزبير بن بكار في تسمية ولد أبي جهم بن حذيفة قال: وصخر بن أبي جهم وصخير بن أبي جهم لأم ولد يقال لها مريم بن سليح من اليمن، قال عمي مصعب بن عبد الله: وكان صخير بن أبي جهم قد نزل الكوفة وأطعم بها الطعام وكان له بها قدر ودار وموالي. وقال محمد بن سعد: فولد أبي جهم صخرا وصخيرا وأم سلمة وأمهم مريم بنت الأسود من سليح من سبي العرب.

■ (3) يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن المغيرة..: يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أخو أيوب، ووالد أم سلمة زوج مسلمة بن هشام بن عبد الملك التي خلف عليها أبو العباس السفاح. وفد يعقوب على هشام.

■ (1) عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية، اليربوعي المري الضبابي الذبياني، أبو العميس: شاعر مجيد مقل، من شعراء الدولة الاموية. كان من بيت شرف في قومه، ترغب قريش في مصاهرته، وفيه خيلاء وغطرسة، قال المبرد: كان عقيل بن علفة من الغيرة والانفة، على ما ليس عليه أحد. وكانت إحدى بناته، واسمها الجربا زوجة للخليفة يزيد ابن عبد الملك. وعقيل هو القائل: إن بني ضرجوني بالدم من يلق أبطال الرجال يكلم شنشنة أعرفها من أخزم. توفي سنة نحو 100هـ.

كلم رجلا من بني أمية قد ولدته نساء مرة، فعاب عليه جفاء رآه منه، فقال: قبح الله شبها غلب عليك من بني مرة، فبلغ ذلك عقيل بن علفة المري وهو بجنفاء من المدينة على أميال في ولد بني مرة، فركب حتى قدم على عمر وهو بدير سمعان، فقال: هيها يا أمير المؤمنين، بلغني أنك غضبت على فتى من بني أبيك، فقلت: قبح الله شبها غلب عليك من بني مره، وإني أقول: قبح الله ألأم طرفيه، فقال عمر: ويحك! دع هذا وهات حاجتك. فقال: لا والله ما لي حاجة غير هذا، ثم ولى راجعا من حيث جاء. فقال عمر: يا سبحان الله، من رأى مثل هذا الشيخ؟ جاء من جنفاء، ليس إلا ليشتمنا؟ فقال له رجل من بني مرة: إنه والله يا أمير المؤمنين ما شتمك، وما شتم إلا نفسه. نحن والله ألأم طرفيه.

قال الحجاج لامرأة من الخوارج: اقرئي شيئا من القرآن، فقرأت: إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجا! فقال: ويحك يدخلون! قالت: قد دخلوا وأنت تخرجهم. قال ابن مسعود: ما من مؤمن يقرأ حرفا من القرآن ولو شئت لقلت اسما تاما، ولكن حرف إلا وكتب الله تعالى له عشر حسنات. وأجمعوا على أنه من جحد سورة من القرآن أو آية أو كلمة أو حرفا متفقا عليه أنه كافر.

قال ابن عبد البر: روى الحكم بن عتيبة عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: ما رأيت أحدا أقرأ من علي رضي الله عنه، صلينا خلفه فقرأ برزخا، فأسقط حرفا ثم رجع فقرأه ثم عاد إلى مكانه. فسر أهل اللغة البرزخ هذا بأنه كان بين الموضع الذي كان يقرأ فيه وبين الموضع الذي كان أسقط منه الحرف ورجع إليه قرآن كثير. قالوا والبرزخ: ما بين الشيئين وجمعه برازخ. والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة. وسئل ابن مسعود عن الوسوسة فقال: هي برزخ بين الشك واليقين. وقد ذكرنا في باب أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه إنما كان تأخر علي عنه تلك الأيام لجمعه القرآن. وفي حديث قال أبو عبد الرحمن السلمي: ما رأيت أحدا أقرأ من علي رضي الله عنه، صلينا خلفه! فأسوى* برزخا ثم رجع إليه فقرأه، ثم عاد إلى الموضع الذي كان انتهى إليه؛ والبرزخ: الحاجز بين الشيئين. وأسوى حرفا من القرآن : أسقط وترك وأغفل، من أسويت الشيء إذا تركته وأغفلته.

قال علي بن نايف الشحود: حثه صلى الله عليه وسلم على الاعتصام بكتاب الله. لقوله: ﴿وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ﴾ كتاب الله هو القرآن الكريم، وهو العصمة إذا اعتصم به الإنسان عصم من الضلال في الدنيا، ومن الشقاء في الآخرة. وهذا القرآن وصفه الله عز وجل بأنه مبارك ، فقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص] فهو مبارك في آثاره، ومبارك في تأثيره، ومبارك في ثوابه. مبارك في آثاره: فتح المسلمون به مشارق الأرض ومغاربها، لما كانوا مستمسكين به حقا. ومبارك في تأثيره: كم من إنسان هداه الله لما سمع آيات من القرآن تتلى. ومبارك في ثوابه: لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ﴾ رواه الترمذي وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم أمته على العناية بالقرآن، فقال: ﴿اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ﴾ رواه مسلم. فينبغي للمسلم أن يعتني بكتاب الله تلاوة وحفظا وفهما وتدبرا وعملا. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الاعتناء بالقرآن، فقد كان له حزب يوميا من القرآن لا يخل به. وكذلك سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، سئلت أخت مالك بن أنس عن شغل مالك في البيت؟ فقالت: المصحف والتلاوة. ولما حضرت عبد الله بن يزيد الأودي الكوفي الوفاة بكت ابنته، فقال: يا بنية لا تبكي، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة. قال الطيالسي: كان أبو مرة يختم كل ليلتين. وكان أبي بن كعب يختم القرآن في كل ثمان، وكان تميم الداري يختمه في كل سبع، وكان الأسود بن يزيد يختم القرآن في كل ست. وينبغي مع الإكثار من تلاوته، العناية بتدبر معانيه، والعمل بما فيه، فإن في تدبر القرآن الهدى والنور، والفلاح في الدنيا والآخرة. قال ابن القيم رحمه الله: فتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن وقد أنكر الله عز وجل على أقوام لم يتدبروا كتابه بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد]

مراجع: معجم البلدان/ الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الاغاني/ محاضرات الأدباء/ خزانة الأدب/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ الإستيعاب في معرفة الأصحاب/ نثر الدر/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) وسعيد بن مسعود المازني 0516

قال سحيم بن حفص أبو اليقظان: استعمل عدي بن أرطأة الفزاري[(1)] –والي البصرة– سعيد بن مسعود المازني[(2)] على عمان فأخذ رجلا من الأزد يقال له خليد بن سعوة[(3)]، فضربه مائة سوط في ناقة أرادها ابن مسعود، فأتى عمر فشكا ذلك إليه، وأنشده قول كعب الأشعري[(4)]: إن كنت تحفظ ما يليك فإنما..عمال أرضك بالعراق ذئاب..لم يستقيموا للذي تدعو له..حتى تضرب بالسيوف رقاب..بأكف منصلتين أهل بصائر..في رفعهن مواعظ وعقاب..لولا قريش نصرها ودفاعها..أمسيت منقطعا بي الأسباب. فقال عمر: لمن هذا الشعر؟ قال: لرجل من الأزد من أهل عمان يقال له كعب. فقال له: ما كنت أرى أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر، وكتب عمر إلى عدي بن أرطاة: إن استعمالك سعيد بن مسعود قدر من الله قدره عليك، وبلية ابتلاك بها، فإذا أتاك كتابي فابعث إليه من يعزله، وابعث به إلي مشدودا موثقا. فعزله واستعمل عبد الرحمن بن قيس[(5)]، وحمل سعيدا إلى عمر فجعل سعيد يرتجز ويقول: كيف ترى الشيخ أبا الزبير..يدل بعد خطب الأمير..سوق الروايا وحدا البعير. فلما دخل عليه كلمه عمر فقال: أصلحك الله أتكلمني وأنا موثق؟ أطلق عني حتى أتكلم بحجتي، فأطلق عنه وقال للأزدي: اضربه، فقال قمير بن سعيد[(6)]: أنا الذي ضربته ولم يضربه أبي، قال: فأعطي الأزدي سوطا، وقال عمر: قم فاجلده كما جلدك. فجلد قميرا مائة سوط، فقال له أبوه: يا قمير اصرر أذنيك إصرار الفرس* الجموح، وعض على نواجذك، واذكر أحاديث غد، وإياك وذكر الله فإنه معجزة.

----

*(إصرار الفرس) صر الفرس والحمار بأذنه وصرها وأصر بها: سواها ونصبها للاستماع

■ (2) سعد ويقال سعد بن مسعود المازني البصري أخا هداب بن مسعود. ويقولون سعد بن أشوع كان سعد ويقال سعيد بن مسعود وهو والي عمان قد وثبت على خليد بن سعوة فضربه مئة سوط في سبب ناقة طلبها منه فأبى خليد أن إياها

■ (1) عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي أخو زيد بن أرطأة الفزاري، والده هو الصحابي أرطأة بن كعب الفزاري. عدي ولاه عمر عبد بن العزيز البصرة، وغيرها من بلاد العراق فستمر عليها حتى قتل سنة 102 هـ.أيام يزيد بن عبد الملك.

■ (3) خليد بن سعوة وفد على عمر بن عبد العزيز متظلما من سعد ويقال سعيد بن مسعود والي عمان من قبل عدي بن أرطأة والي البصرة من قبل عمر

■ (6) قمير بن سعيد ويقال عمير بن سعيد ويقال ابن سعد المازني البصري قدم على عمر بن عبد العزيز مع أبيه حين شكي إلى عمر فعزله عن ولاية عمان

■ (4) كعب الأشعري ؟ كعب بن معدان الاشقري، أبو مالك: فارس، شاعر، خطيب. من شعراء خراسان. كان معدودا في جلة أصحاب المهلب بن أبي صفرة، المذكورين في حروب الازارقة. وهو من الاشاقر من قبائل الازد. له خبر مع الحجاج أورده القالي في الامالي وقد سأله الحجاج: أشاعر أنت أم خطيب ؟ فقال: كلاهما. وله قصيدة طويلة يذكر بها يوم رامهرمز وغيره، رواها الطبري. توفي نحو 80 هـ.

■ (5) عبد الرحمن بن قيس؟هل هو:عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، أحد أشراف العرب، ولي إمرة المدينة فأحسن إلى أهلها. خطب فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب فألح عليها فشكته إلى يزيد فغضب لها وعزله وغرمه أربعين ألف دينار، وأبوه هو المقتول يوم مرج راهط. وتوفي عبد الرحمن المذكور في حدود 110 هـ.

قال المدائني: لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وولى عدي بن أرطاة الفزاري البصرة أراد أن ينشئ غرفا فوق دار الإمارة، فكتب إليه عمر: هبلتك أمك يا بن أم عدي، أيعجز عنك منزل وسع زيادا وأهل زياد؟ فأمسك عدي. وعن السهمي عن أبيه وغيره أن عدي بن أرطاة كتب إلى عمر بن عبد العزيز يستأذنه في عذاب قوم من عمال الخراج بلحوا في يديه وامتنعوا من أداء ما عليهم، فكتب إليه: أما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر، كأني جنة لك من عذاب الله، أو كأن رضائي ينجيك من سخط الله، فمن أعطاك ما قبله عفوا فاقبله، ومن قامت عليه البينة فخذه بما ثبت بالبينة عليه، ومن أنكر فاستحلفه، فوالله لأن يلقوا الله بجناياتهم أحب إلي من أن ألقاه بعذابهم، والسلام. وعن مسلمة أن عدي بن أرطاة كتب إلى عمر: إن قوما من أهل الذمة تعوذوا بالإسلام مخافة الجزية، فليكتب إلي أمير المؤمنين فيهم برأيه؟ فكتب إليه: إن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم داعيا ولم يبعثه جابيا فمن دخل في المسلمين فله مالهم وعليه ما عليهم، فانظر من كان من أهل الذمة فأظهر الإسلام واختتن وقرأ سورا من القرآن، فأسقط الجزية عنه إن شاء الله والسلام. قال المدائني وغيره: كتب عمر إلى عدي: أما بعد فما بقاء الدين مع وسوسة الشيطان، وجفوة السلطان، فأعط كل ذي حق حقه والسلام. وعن فضيل بن عياض قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى وبحمده إنما جعل الجزية على من رغب عن الإسلام غيا وخسرانا، فانظر من كان قبلك من أهل الذمة ممن كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت محاسنه فأجر عليه قوته من بيت المال المسلمين والسلام. قالوا: وكتب عمر إلى عدي: أما بعد فاستوص بمن في سجون أرضك خيرا، ولا تصيبهم ضيعة، وأقم لهم ما يصلحهم من الطعام والأدام من مال الصدقة إن شاء الله. وكتب إلى عدي: أما بعد فما كان عندك من لقطة فحال عليها الحول فأخرج ما يجب فيها من الصدقة فضعه في أهل المسكنة والحاجة، ما كانت عندك، حتى يجيء لها طالب، وليكن ذلك شأنك وشأنها حتى يبقى منها ما لا تجب فيه الصدقة إن شاء الله والسلام.

قال أبو اليقظان: كتب إلى عمر عامله على عمان وهو عامر بن عبد الله بن أبي طلحة، يعلمه أن من كان قبله كانوا يستعينون بالجند، وأن قد اختار ثلاثين رجلا من أهل عمان فولاهم الصدقات. ويسأله أن يقفل من قبله من الجند. فكتب إليه: قد فهمت ما ذكرت فاقفل من قبلك من الجند بعد أن تخيرهم بين ركوب البحر وسلوك البر، فمن اختار البحر فأكثر له وزوده من بيت مال المسلمين، ومن اختار البر فأكثر له ظهرا وزوده ما يقيمه أيضا والسلام.

عن مروان بن معاوية عن عيسى بن المغيرة عن مزاحم بن زفر قال: كنا بسمرقند وعليها محمد بن المهلب فخرج علينا شار يوم جمعة وضرب رجلا من بني عجل بالسيف فأخذ. ودعا محمد بن الضحاك ابن مزاحم صاحب التفسير فسأله عن أمره فقال: أرى أن تحبسه حتى تنظر ما حال المضروب. فحبسه وكتب إلى يزيد بن المهلب، فكتب به إلى سليمان بن عبد الملك فوافاه الكتاب وقد مات سليمان، وولي عمر بن عبد العزيز، فكتب عمر: أما بعد، فانظر فإن كان المضروب مات من ضربة الحروري فادفعه إلى أوليائه ليقتلوه، وإن كان قد برئ فأقصه منه ثم احبسه في محبس قريب من أهله حتى يتوب من هواه الخبيث الذي خرج عليه أو يموت.

حدث هشام بن عمار عن الوليد قال: دخل بعضهم على عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة فقال: من تكن الخلافة زينته فإنك زينتها، وإنك لكما قال الشاعر: وتزيدين طيب الطيب طيبا..إن تمسيه أين مثلك أينا..فإذا الدر زان حسن وجوه..كان للدر حسن وجهك زينا. قال: دعني فأنا أعلم بنفسي وذنوبي، إني إلى عفو الله عني أحوج مني إلى تقريظك أياي. قال وقال الوليد: أثنى قوم على عمر فقال لهم: يا هؤلاء دعونا من ثنائكم وأمدونا بدعائكم. حدث عبد الله بن صالح عن زهير بن معاوية أن عمر بن عبد العزيز عزل بعض قضاته، فلما قدم عليه قال: يا أمير المؤمنين لم عزلتني؟ قال: لأن كلامك أكثر من كلام الخصمين إذا تحاكما إليك. حدث داود بن عبد الحميد قاضي الرقة عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض عماله: أنزل رعيتك بمنزل ولدك، فوقر كبيرهم، وارحم صغيرهم، وقوم ناشئهم.

عن سحيم بن سفيان قال: ولى عمر بن عبد العزيز أيام توليته المدينة للوليد بن عبد الملك رجلا يقال له راشد، ويكنى أبا علي، الربذة فضرب رجلا من بني أسد يقال له بعثر، فركب إلى عمر وأنشأ يقول: أقول لراشد أمسك كتابي..وخل لناقتي عنك السبيلا..ستجمع بالمدينة وابن ليلى..وحكمته التي تشفي الغليلا. وأتى عمر فشكا إليه فبعث إلى راشد ثم قال لبعثر: اضربه كما ضربك، فضربه ثم أتى راشد بإهاب فلبسه فقال بعثر: رأيت أخا الصفاء أبا علي..يعاتبني ويدرع الإهابا..يقول ظلمتني وأقول كل..أصاب إلى أخيه ما أصابا. قالوا: وكتب عمر إلى العمال: أما بعد: فإنه كان في الناس من أهل هذا الشراب أمر ساءت فيه رعيتهم حتى بلغت بهم إصابة الدم الحرام، والمال الحرام، والفرج الحرام، وهم يقولون: شربنا شرابا لا بأس به، وإن شرابا حمل إلى هذه المحارم لعظيم البلاء كثير الإثم، وقد جعل الله المندوحة والسعة في أشربة ليس في الأنفس منها حاكة، ولا ريب الماء الفرات واللبن العذب والعسل الماذي والسويق، وفي أشربة كثيرة من نبيذ التمر والزبيب المنبوذ في أسقية الأدم التي لا زفت فيها، فإنه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن نبيذ الظروف لمزقته وعن الدباء* والحنتم*، وقيل كل مسكر حرام، فاستغنوا بما أحل الله عما حرم، فإنه من شرب بعد تقدمنا إليه من هذه الأشربة المكروهة أوجعناه عقوبة، ومن استخفى عنا فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا، وقد أردت بكتابي إليكم اتخاذ الحجة عليكم في اليوم وما بعده، نسأل الله أن يزيد المهتدي منا ومنكم هدى وأن يقبل بالمسيء منا ومنكم إلى التوبة في يسر منه وعافية، والسلام. وكتب عمر إلى بعض عماله: أما بعد فقد بلغني أن كثيرا ممن قبلك من أهل الذمة قد لبسوا العمائم وتشبهوا بالمسلمين في زيهم، فامنعهم من ذلك أشد المنع، وخذهم بأن يحلقوا أوساط رؤوسهم، إن شاء الله، والسلام.

----

*(الدباء) القرع، واحدها دباءة، كانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب (الحنتم) إناء أو جرة كبيرة تصنع من طين وشعر وتدهن بلون أخضر وتشتد فيها الخمر وتكون أكثر سكرا (النبيذ) هو ما يعمل من الأشربة من التمر، والزبيب، والعسل، والحنطة، والشعير وغير ذلك يقال : نبذت التمر والعنب، إذا تركت عليه الماء ليصير نبيذا (الظروف) جمع ظرف وهو الوعاء بدليل الحديث في الترمذي كتاب الأشربة باب ما جاء في الرخصة أن ينبذ في الظروف: إني كنت نهيتكم عن الظروف، وإن ظرفا لا يحل شيئا ولا يحرمه، وكل مسكر حرام.

مراجع: معجم البلدان/ الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) وعبد الحميد بن عبد الرحمن 0517

عن داود بن سليمان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن[1]: أما بعد فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة، وجور في الأحكام، وسنن سنها عليهم عمال السوء، وإن قوام الدين، وصلاح الرعية العدل والإحسان، فلا يكونن شيء أهم إليك من نفسك وصلاح الرعية والعدل والإحسان، فلا يكونن شيء أهم إليك من نفسك حتى توطنها بطاعة الله، وأنا آمرك أن توظف عليهم خراجهم ولا تحمل خرابا على عامر، ولا عامر على خراب، وخذ من الخراب ما أطاق وأصلحه حتى يعمر، ولا تأخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسهيل من غير عنف وإرهاق لأهل الأرض ولا تأخذ في الخراج إلا وزن سبعة ليس فيها آيين، ولا أجور الصرافين، ولا هدايا النوروز والمهرجان، ولا دراهم النكاح، ولا ثمن الصحف، ولا أجر البيوت، ولا أجور الفيوج، ولا خراج من أسلم من أهل الذمة، ولا تعجل دوني بقتل ولا قطع، والسلام.

قالوا: وكتب عبد الحميد بن عبد الرحمن إلى عمر بن عبد العزيز: إن قوما من أهل الخراج كانوا إذا أرادوا كسر خراجهم جلوا من أرض إلى أرض أخرى، وإني أمرت أن تجعل أرض من جلا صافية، وأرجوا أن يتركوا بذلك عادتهم إن شاء الله.

فكتب إليه عمر: أما بعد فقد بلغني كتابك، ولعمري لئن لم تدع رجلا خرج من أرض إلى أرض ومن قرية إلى قرية إلا أخذت أرضه ثم عزلت أم مت لينقطعن صاحب الأرض عنها وتبوء بإثمه، وما يجلو رجل عن أرضه إلا بأن يحمل فوق طاقته، فإياك أن تعمل وعمالك بعمل ابن يوسف[2] وعماله، فإنهم كانوا مفسدين وقد قضى الله بأنه لا يصلح عمل المفسدين، وتألف أهل الأرض فإن أرضيهم وبلادهم أحب إليهم من الجلاء إذا عدل عليهم ورفق بهم إن شاء الله والسلام.

عن رجل من الأنصار، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن وهو بالعراق: أن أخرج للناس أعطياتهم. فكتب إليه عبد الحميد: إني قد أخرجت للناس أعطياتهم وقد بقي في بيت المال مال. قال: فكتب إليه: انظر كل من أدان من غير سفه ولا سرف فاقض عنه. فكتب إليه: إني قد قضيت عنهم وبقي في بيت مال المسلمين مال. قال: فكتب إليه: أن انظر كل بكر ليس له مال، فشاء أن تزوجه فزوجه واصدق عنه. فكتب إليه: إني قد زوجت كل من وجدت ، وقد بقي في بيت مال المسلمين مال. فكتب إليه بعد مخرج هذا: أن انظر من كانت عليه جزية، فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه، فإنا لا نريدهم لعام ولا لعامين.

وكتب عبد الحميد بن عبد الرحمن إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإن الناس قد أصابوا من الخير قبلنا خيرا كثيرا، حتى لقد تخوفت أن ذلك سيطغيهم. فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فإن الله عز وجل لما أدخل أهل الجنة الجنة، وأسكنهم داره وأحلهم جواره، رضي منهم بأن قالوا: الحمد لله رب العالمين. فأمر من قبلك أن يحمدوا الله على ما رزقهم.

عن المختار بن فلفل[3] ، قال: بعثني عبد الحميد بن عبد الرحمن بفلوس قد ضربها، فيها: أمر الأمير عبد الحميد بالوفاء والعدل. فلما قرأها عمر بن عبد العزيز قال: اكسروا هذه الفلوس، واكتبوا: أمر الله بالوفاء والعدل.

عن عبيد الله بن عمرو حدثني رجل من أهل الرقة يقال له الوليد بن أبي عائشة[4] قال: دفع إلي عمر بن عبد العزيز مالا كنت غصبته في زمن الوليد فأتيت عمر فتبتت عنده البينة وكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بدفعه إليه، فقال له: أقم، وأراجع أمير المؤمنين. قال: فأقمت أياما، ثم أتيت خناصرة* فإذا جنازة قد أخرجت، فقلت: أصلي على هذه الجنازة، وأستريح ليلتي، ثم أغدو عليه. قال: فجاء عمر، فصلى عليها، ثم قعد، وقعد عن يمينه رجل وعن شماله رجل، وقعدت ناحية ممسك رأس دابتي. قال: فأمطرت السماء: فجلل صاحبيه بطيلسانه، ثم نظر إلي فقال: كأن عليك أثر السفر؟ قلت: نعم، قال: وممن أنت؟ قلت: من الكوفة، كتب لي أمير المؤمنين إلى عبد الحميد في مظلمة. قال: فعرفته فقمت إليه، فقال لي: أنى به؟ وقال لي: أقم حتى أراجع أمير المؤمنين، قال: وفعل؟ قلت: نعم. قال: ادعوا لي كاتبا، فجاء، فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن، أما بعد: فإن كنت غررتني بكسائك المرفوع وعمامتك الحرقانية* ففعل الله لك وفعل، إني أكتب إليك في الشيء، فتراجعني فيه، حتى لو كتبت إليك في شاة لكتبت إلي: أعفراء هي أو سوداء؟ كأنك قد أمنت المنايا بيني وبينك، فإذا أتاك كتابي هذا فادفع إلى الرجل ماله، فإن بدا لك أن تراجعني فراجعني. فلولا أني قلت: أستريح، وأريح دابتي لرجعت لحاجتي، ولم أدخل .

----

*(خناصرة) بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية(الحرقانية) تقرأ بالأصل وم: الحروانية والمثبت عن " ز " والعمامة الحرقانية: تكون على لون ما أحرقته النار

■ (1) عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي، أبو عمر، المدني الأعرج، أخو أسيد، وعبد العزيز، ثقة في الحديث.استعمله عمر بن عبد العزيز على الكوفة. وكان كاتبه أبو الزناد. وتوفي بحران في خلافة هشام نحو 115 هـ وقيل حدود 120 هـ أم عبد الحميد ميمونة بنت بشر بن معاوية بن ثور بن معاوية. مات عمر بن عبد العزيز والكوفة عليها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب فأقره يزيد بن عبد الملك . ثم عزله مسلمة بن عبد الملك وهو والي العراق وولاها محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

■ (2) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله.

■ (3) مختار بن فلفل مولى عمرو بن حريث القرشي الكوفي وفد على عمر بن عبد العزيز رسولا من عامله على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن.

■ (4) الوليد بن أبي عائشة الرقي؟ رجل من أهل الرقة.

☪

قال ميمون بن مهران: دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو متغيظ على عبد الحميد، وهو على الكوفة فقال عمر: بلغني أنه قال: لا اطلع على شاهد زور إلا قطعت لسانه. قال ميمون: قلت يا أمير المؤمنين، إنه ليس بفاعل، إنما أراد أن يؤدب أهل مصره، فقال عمر: انظروا إلى هذا الشيخ، إن خلتين خيرهما الكذب لخلتا سوء. قال المدائني: كتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن: إنه لا يقتل رجل شتم رجلا إلا أن يكون نبيا. وعن مروان بن معاوية عن توبة بن سالم قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن: أما بعد: فارفع سوطك عن الناس، وكفى بثلاثين سوطا تضربها الرجل نكالا، إلا في حده. وكتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن: إعلم أن كل ذي عادة مقتض ما سننت له.

عن يوسف بن المهاجر أن الأصبهبذ صاحب طبرستان أهدى إلى عبد الحميد حين قدم الكوفة هدية من زعفران وطيالسه وورق وأشباه ذلك فقبلها وعزلها وكتب فيها إلى عمر بن عبد العزيز فكتب إليه عمر: إن كان الأصبهبذ عودك الهدية بالجزيرة فاقبل هديته، وإلا فإنها هديته لولايتك عليه فارددها، فإن أبى قبولها فبعها وأدخل قيمتها بيت المال، واحتسبها من خراجه، إن شاء الله. وعن حماد قال: سألني عبد الحميد عن دية النصراني واليهودي والمجوسي فقلت: قال إبراهيم مثل دية المسلم، فكتب إلى عمر فقال: النصف من دية المسلم. وقال حماد: قول عمر أحب إلي. وعن حماد قال: سألني عبد الحميد عن بيع الاجام فقلت: كان إبراهيم يكرهه. فكتب إلى عمر فقال عمر: لا بأس به كنا نسميها الحبس. قال سفيان يعني السمك. وعن حماد قال: سألني عبد الحميد عن النصراني تسلم امرأته فقلت: قال إبراهيم: هما على نكاحهما، فكتب إلى عمر، فكتب عمر: يفرق بينهما. فقال حماد: وقول عمر أحب إلي.

حدث عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال: كتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامله على الكوفة: أما بعد فقد بلغني أن من قبلك يسبون الحجاج، فأنههم عن ذلك، فإنه بلغني أن المظلوم يدعو على الظالم، فيكون المظلوم ظالما والظالم مظلوما. وعن طلحة بن يحيى قال: كان عمر بن عبد العزيز ولى الكوفة الزهري، فبلغه عنه شيء فنخس به وتثقله حتى رده إلى المدينة، ولم يستعمله وولى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الكوفة.

قالوا: وكتب عمر إلى عبد الحميد: أما بعد فلا أعلمن ما جعلت على أهل السجون قيودا ثقالا تمنعهم من الصلاة قياما، وذكرت أن قبلك قوما فساقا إن تركوا أفسدوا البلاد، وإن حبسوا استراح الناس من معرتهم وبوائقهم، فإن كان أمر هؤلاء القوم ظاهرا فاحبسهم في السجون، وأجر على كل امرئ منهم في كل شهر خمسة دراهم وكساء وقميصا في الشتاء وإزارا ورداء في الصيف.

قال هبيرة بن الأشعث: وجهني عبد الحميد بن عبد الرحمن إلأى عمر بن عبد العزيز بتقدير ديوان الكوفة، فإني لفي المقصورة إذ دخل رجل أمغر، أصهب السبال، عليه جبة خز حمراء، وكساء خز أحمر، وجعل القوم يقولون: مرحبا بك يا أبا المغراء ها هنا. فقلت: من هذا؟ قالوا: عثمان بن حيان المري. ثم دخل رجل طوال، خفيف العارضين، حسن اللحية، عتيق الوجه، عليه جبة خز خضراء، وكساء خز أخضر، فقال القوم: مرحبا بك أبا عقبة ها هنا. فقلت: من هذا؟ فقالوا: الجراح بن عبد الله الحكمي، إذ قال عثمان: العجب من رجل ولي ثغري العرب: خراستان وسجستان، فصعد منبرهم فقال: أتيتكم محفيا فتركتموني عصبيا. فانفرث من حمقه ولؤمه كانفراث الكبد، فأتانا مخلوعا منزوعا ملوما مهانا.

قال: فأكب الجراح ساعة ثم رفع رأسه فقال: أما تعجبون من رجل ولي ثغري العرب، فأتى قوما متفرقة أهواؤهم، متشتتا أمرهم، فلم يخف سبيلا، ولم يسفك دما، ولم يأت منكرا، ثم استعفى خليفته، فرجع إلى جنده غير عاجز ولا ملوم. وأحمق والله من ذاك وألم وأمض لما يكره، رجل ولي حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب فيه الخمر، فضرب فيه الحد، وغسل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، ثم شتم ابن الخليفة عثمان بن عفان بما هو أولى منه، فضرب حدا آخر، ثم صعد به منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرح منه فاندقت ترقوته، فأتانا مخلوعا منزوعا مهانا ملوما. فسمع عمر كلامهما، فقال: يا غلام، ما هذا؟ فقالوا: الجراح وعثمان استبا، قال: يا حرسي، اخرج فخذ بيد عثمان فأخرجه من المسجد، وقل لهما: الحقا بأهلكما، لا في كنف الله ولا في ستره. وكانا حجا جبين، فكان عمر يبغضهما.

امرأة من الكوفة كان لها زوج، ولها أربع بنات، فمات صاحبها وترك البنات ليس لهن مال، ولا عندهن جمال، فقيل لها: عليك بعمر بن عبد العزيز، لعله أن يلحقهن بالعطاء. قالت: فشخصت إليه، فحدثته حديثي، فقال: أدخلوها على فاطمة. فدخلت على فاطمة فما رأيت عليها خزا ولا قزا، ولا هرويا ولا قوهيا، فبينا أنا كذلك إذا رجل يغرف ماء من جب. فقلت لفاطمة: هذا رجل فاستتري! فقالت: هذا أمير المؤمنين. فدنا. قال: ردي علي قصتك. ففعلت، فألحقهن، وأعطاني عشرين دينارا، فقال: استنفقي هذه. وكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن، عامله على الكوفة. فلما دخلت الكوفة قيل: مات عمر بن عبد العزيز. وقيل: لو أتيته بالكتاب عسى الله أن يسخره. قالت: فأتيته، فدفعت الكتاب إليه، فقال: رحم الله أمير المؤمنين. قرأه وبكى و بكى من حوله. ثم قال: فكيف أصنع؟ قلت: والله خرجت وهو حي، وإن هذا لكتابه. فأثبتهن في العطاء.

مراجع: أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ خليفة بن خياط/

قال حزام[1]: أرسل عمر بن عبد العزيز إلى أبي يوما، فدعا أبي براحلة له فركب عليه، وأنا إذ ذاك غلام أعقل الكلام، فدعاني أبي فحملني خلف رجله، فخرجنا حتى إذا نحن بعمر بن عبد العزيز في جماعة من أصحابه. فسلم عليه أبي بالخلافة، فرد عليه عمر السلام. ثم قال له عمر: يا أبا حزام[2]، أين نحن من القوم؟ فقال له أبي: كل يعمل على شاكلته، أشهد يا عمر بن عبد العزيز، لأرسل إلي عمر بن الخطاب في منزلك هذا، فرأيته في جماعة من أصحابه نزل عن راحلته، ثم حط رحله، ثم قيد راحلته كرجل من أصحابه، ثم حس ركاب* القوم فوجد فيها راحلة مقاربا لها من قيدها، فأرخى لها عمر بن الخطاب، ثم أقبل يتغيظ، قال: بئس الغيظ في وجهه، فقال: أيكم صاحب الراحلة؟، فقال رجل من القوم: أنا، أمير المؤمنين.

قال: بئس ما صنعت، تبيت على فؤاده تضرب صدره، حتى إذا حان رزقه جمعت بين عظمين من عظامه، فهلا كنت فاعلا هذا يا عمر بن عبد العزيز؟! فبكى عند ذلك عمر بن عبد العزيز بكاء شديدا.

وحدث حزام أيضا قال: بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبي، فانطلقت معه إليه، فقال له عمر: أين ترانا من القوم؟ قال: كل يعمل على شاكلته. قال: فأخبرنا عن القوم؟ قال: شهدت عمر بن الخطاب، وأتاه صاحب الصدقة فقال: إن إبل الصدقة قد كثرت، فقام عمر بناس معه، فنادى عمر على فريضة فيمن مر يزيد، وأخذ عقلها فشد به حقوه*، ثم مر على المساكين، فجعل يتصدق به عليهم.

----

*(ركاب) هي الرواحل من الإبل(حقوه) الأصل في الحقو معقد الإزار، وجمعه أحق وأحقاء، ثم سمي به الإزار للمجاورة

■ (2) هشام بن حبيش بن خالد بن الأشعر الخزاعي حجازى. كان ينزل قديد باصل ثنية. قيل: له صحبة. يروى عن عمر وابن عمر وسراقة بن مالك وعائشة روى عنه ابنه حزام بن هشام. وبقي حتى أدرك عمر بن عبد العزيز. يقال: إن الأشعر لقب أبي حزام.

■ (1) حزام بن هشام بن حبيش بن خالد ابن الاشعر الخزاعي القديدي من أهل الرقم بادية بالحجاز روى عن أبيه واخيه عبد الله بن هشام وعمر بن عبد العزيز ووفد عليه مع أبيه. والقديدي هذه النسبة إلى قديد اسم موضع قرب مكة

قال حصين: خطبنا عمر بن الخطاب فقال: قد علمت ورب الكعبة متى تهلك العرب، فقام إليه رجل من المسلمين فقال: متى يهلكون يا أمير المؤمنين؟ قال: حين يسوس أمرهم من لم يعالج أمر الجاهلية، ولم يصحب الرسول صلى الله عليه وسلم.

وعن حزام بن هشام عن أبيه: أن عمر بن الخطاب كان يأخذ مع كل فريضة عقالا ورواء* فإذا جاء إلى المدينة باعها ثم تصدق بتلك العقل والأروية. وعن يعلى قال: ابتاع عبد الرحمن بن أمية أخو يعلى من رجل فرسا أنثى بمائة قلوص* فبدا له فندم البائع فأتى عمر فقال: إن يعلى وأخاه غصباني فرسي فكتب عمر إلى يعلى بن أمية أن الحق بي فأتاه فأخبره فقال: إن الخيل لتبلغ هذا عندكم قال: ما علمت فرسا قبل هذا بلغ هذا، فقال عمر فنأخذ من كل أربعين شاة شاة ولا نأخذ من الخيل شيئا خذ من كل فرس دينارا، قال: فضرب على الخيل دينارا دينارا. وعن الوليد بن مسلم قال: أنا أبو عمرو يعني الأوزاعي أن عمر ابن الخطاب قال: خففوا على الناس في الخرص فإن فيه العرية والوطية والآكلة، قال الوليد: قلت لأبي عمرو ما العرية؟ قال: النخلة أو النخلتان والثلاث يمنحها الرجل الرجل من أهل الحاجة، قلت: فما الآكلة؟ قال: أهل المال يأكلون منها رطبا فلا يخرص ذلك ويوضع من خرصه، قال: قلت فما الوطية؟ قال: من يغشاهم ويزورهم. وعن عمر أنه قال: يا أهل المدينة إنه لا خير في مال لا يزكى فجعل في الخيل عشرة دراهم وفي البراذين ثمانية. وعن أنس قال: جعلني عمر بن الخطاب على الجباية وأمرني أن آخذ إذا بلغ مال المسلم مائتي درهم خمسة دراهم فما زاد ففي كل أربعين درهما درهم وجعل أبا موسى على الصلاة. وعن هشام بن حبيش قال:شهدت عمر بن الخطاب وأتاه صاحب الصدقة فقال: إن إبل الصدقة قد كثرت فقام عمر بناس معه فنادى عمر على فريضة فريضة بثمن يزيد وأخذ عقلها فشد به حقوه ثم مر به على المساكين فجعل يتصدق به عليهم.

قال رجاء بن أبي سلمة: أتي عمر بن عبد العزيز يوما بتمر فقال: كأن هذا من تمر المدينة سقيا للمدينة وكان يحبها فقال له عراك بن مالك[1]: يا أمير المؤمنين، لو سرت حتى تنزلها فإن بيت عائشة موضع قبر، فإن أصابك قدرك دفنت فيه. فقال: ويحك يا عراك! ما كان من عذاب يعذب الله به أحد من خلقه إلا وأنا أحب أن يصيبني من قبل أن يعلم الله أن منزلتي بلغت في نفسي أن أراها لذلك أهلا. وسأل عراك بن مالك عمر بن عبد العزيز أرضا بالبلقاء، قال: لضيفي ومن غشيني بها فيها من حق. فقال له عمر: إنك لتعلم منها مثل ما أعلم، إياي تخادعون، خذها بذلها وصغارها. قال عراك: والله ما خادعتك.

قال هلال[2]: بعثني حيان بن سريج[3] إلى عمر بن عبد العزيز، وكتب معي في سبقه للخيل، فالتفت عمر إلى عراك بن مالك، فقال: يا عراك، هل سبق النبي صلى الله عليه وسلم الخيل؟ قال: قد أجراها، قال: هل علمت أنه جعل له سبقا؟ قال: لا، قال عمر: أو لست أعلم الناس بأصحاب الخيل، ينطلقون إلى صبيان صغار فيحملونهم على خيل مضمرة قد اعترمت رؤوسها، ثم يسرحونها، فمنهم من يخر فيموت، ومنهم من تنكسر يده، فإن كانت بهم حاجة أن يجروا خيولهم فيجروها، أي بأنفسهم، ثم قال: يا عراك، أترى إجراءها من اللهو؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين، قال: أفأنا كنت أنفق مال الله عز وجل في اللهو؟ فقطع السبقة عنهم. ووفد عبد الملك بن جنادة القرشي[4]مولاهم المصري الكاتب على عمر بن عبد العزيز. وكان كاتب حيان بن شريح، فبعثه إلى عمر بن عبد العزيز، وكتب معه يستفتيه أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم، فسأل عمر عراك بن مالك عن ذلك وهو يسمع، فقال: ما سمعت لهم بعهد ولا عقد، وإنما أخذوا عنوة، بمنزلة العبيد.

قال المنذر بن عبد الله الحزامي: كان عراك بن مالك من أشد أصحاب عمر بن عبد العزيز على بني مروان في انتزاع ما حازوا من الفيء والمظالم من أيديهم، فلما ولي يزيد بن عبد الملك ولى عبد الواحد بن عبد الله النصري[5] المدينة، فقرب عراكا، وقال: صاحب الرجل الصالح. وكان لا يقطع أمرا دونه، وكان يجلس معه على سريره، فبينا هو يوما معه إذ أتاه كتاب يزيد أن ابعث مع عراك حرسيا حتى ينزله دهلك*، وخذ من عراك حمولته. فقال لحرسي وعراك معه على السرير: خذ بيد عراك فابتع من ماله راحله ثم توجه إلى دهلك حتى تقدة فيها ففعل ذلك الحدسي وكان عراك يغدو بأمه إلى المسجد فتصلي فيه الصلوات، ثم ينصرف بها، فما تركه الحرسي يصل إليها. وكان أبو بكر بن حزم نفى الأحوص إلى دهلك في إمرة سليمان بن عبد الملك، فلما ولي يزيد أرسل إلى الأحوص، فأقدمه عليه، فمدحه الأحوص، فأكرمه، قال: فأهل دهلك يأثرون الشعر عن الأحوص والفقه عن عراك. وقيل: إن أهل دهلك كانوا يقولون: جزى الله عنا يزيد خيرا، كان عمر قد نفى إلينا رجلا علم أولادنا الباطل، وإن يزيد أخرج إلينا رجلا علمنا الله على يديه الخير. وكان استخلاف يزيد سنة إحدى ومئة بعد موت عمر بن عبد العزيز، ومكث في الخلافة أربع سنين وشيئا.

قال عمر بن عبد العزيز: ما رأيت صلاة من عراك بن مالك، كان يقرأ في كل ركعة عشر آيات. قال أبو الغصن: رأيت عراك بن مالك يصوم الدهر.

----

* (حقوه) الأصل في الحقو معقد الإزار، وجمعه أحق وأحقاء، ثم سمي به الإزار للمجاورة.(رواء) الرواء بالكسر والمد: حبل يقرن به البعيران. وقال الأزهري: الرواء: الحبل الذي يروى به على البعير: أي يشد به المتاع عليه. والأروية واحدها: رواء. (قلوص): هي الناقة الشابة. (دهلك)جزيرة في بحر عيذاب بالقرب من سواكن كان الخلفاء يحبسون بها من نقموا عليه

■ (1) عراك بن مالك الغفاري المدني، أحد العلماء العاملين. روى عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وزينب بنت أبي سلمة، وعن عائشة. فقيل: لم يسمع منها. وكان يسرد الصوم. وقال عمر بن عبد العزيز: ما أعلم أحدا أكثر صلاة من عراك بن مالك. قيل: وكان عراك يحرض عمر بن عبد العزيز على انتزاع ما بأيدي بني أمية من الأموال والفي، فلما استخلف يزيد بن عبدالملك نفى عراكا إلى جزيرة دهلك من غربي اليمن. فمات هناك رحمه الله في إمرة يزيد المذكور. حديثه في الكتب كلها، وليس هو بالكثير الرواية، لعله توفي في سنة أربع 104 هـ أو قبلها.

■ (3) حيان بن سريج؟ (شريح؟) عامل مصر لعمر بن عبد العزيز ، روى عنه يزيد بن أبي حبيب. قال ابن عساكر: حيان بن سريج بالسين والجيم في موضعين وهو وهم وصوابة ابن شريح بالشين المعجمة والحاء. وقال الرازي: شريح، خطأ ضبطه بالمهملة عبد الغنى فمن بعده.

■ (5) عبد الواحد بن عبد الله بن بسر النصري: بمعجمة نسبة لجده نصر بن معاوية، أمير مكة والمدينة والطائف في سنة 104 هـ، إلى أن عزل في سنة 106 هـ بإبراهيم بن هشام المخزومي، وكان صالحا بارز الأمر، لا يسر شيئا، وإذا أتى برزقه في الشهر وهو ثلاثمائة دينار يقول: إن الذي يخون بعدك لخائن، ومع ذلك: فقد عزل بسبب إخراج القاضي سعيد بن سليمان بن يزيد بن ثابت الأمر من تحت يده، وتوجع القاسم بن محمد لعزله وجزع، قال الواقدي: لم يقدم أهل المدينة، وال أحب إليهم منه، كان لا يفصل أمرا إلا استشار القاسم بن محمد وسالما، وكان الذي عزله من الإمرة: هشام بن عبد الملك، وولي خاله إبراهيم بن إسماعيل بن هشام المخزومي.

■ (2) هلال بن عبد الرحمن القرشي مولاهم المصري ووفد على عمر بن عبد العزيز.

■ (4) عبد الملك بن جنادة القرشي مولاهم المصري الكاتب

مراجع: أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الجرح والتعديل/ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ الجرح والتعديل/

عن الوليد بن مسلم عن ابن أبي رقية قال: جاء رجل من بني شيبان، فقال: إن لأمير المؤمنين عندي نصيحة، فاستأذن عليه، فدخلت على عمر بن عبد العزيز[1] فأخبرته، فقال: اللهم، ارزقني منه النصيحة، فأدخلته عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن شئت أن تقرأ هذا الكتاب، وإن شئت كلمتك، فقال: هات الكتاب، ثم أذن له فخرج، فقال لي بعد: أتعرف الرجل؟ قلت: لا، فقال: ما أراك جئتني إلا بشيطان، أطلبه، قال: فخرجت فلم أزل حتى وقعت عليه، فقلت له: كدت أن تهلكني عند أمير المؤمنين، هو يدعوك فأدخلته عليه، فاستكتمه ما كان في الكتاب، ثم خرج فلحقته، فقلت: أخبرني ما كان في الكتاب؟ قال: إن أمير المؤمنين يستكتمني، وأنا أخبرك ! فلم أزل ألح عليه حتى أخبرني، قال: إني كنت صاحب صلاة بالليل، فصليت ما قدر لي، ثم نمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: كيف صاحبكم هذا أو أميركم هذا؟ فقلت: يا رسول الله، ما ولينا خليفة ثقة مثله، قال: إن ليس من خلفاء الله، ولكنه أمير المؤمنين، هل أنت مبلغه عني ثلاثا، إن فعلهن فقد ضبط وإلا فقد ضيع ولم يصنع شيئا، أصحاب القبالات يأكلون الربا، والعرفاء يأخذون أموال اليتامى، وأصحاب المكوس يظلمون الناس، قال ابن أبي رقية: فما أمسيت من يومي حتى أنفذ عمر فيهم الكتب.

عن عثمان بن عبد الحميد حدثني رجل قال: بلغني أن رجلا قال: بينا أنا أطوف بالكعبة إذ نعست فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: انطلق إلى عمر بن عبد العزيز، فاقرئه السلام وأخبره أن اسمه عندنا ثلاثة أسماء عمر بن عبد العزيز وجابر ومهدي، ومره بحفظ ثلاث خصال فإن هو حفظهن حفظ الله أمر دينه ودنياه، العرفا فإنهم أكلة أموال ا ليتامى، والمتقبلين فإنهم أكلة الربا، والعشارين فإنهم أكلة النجس، ثم رأيته مرة أخرى فقال لي: مثل ذلك ثم رأيته مرة أخرى فقال لي: مثل ذلك وزبرني وأوفدني، فشخصت إليه فلما قدمت لقيت حاجبه فقلت: استأذن لي على أمير المؤمنين، فقال: من أنت؟ فقلت: قل رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك فكأنه أنكر ذلك وظن أنه لمم* إلى أن مر إنسان من وجوه الناس فدخل على أمير المؤمنين، فقال له الحاجب: اسمع ما يقول هذا، فدخل الرجل فأخبره بذلك فأدخل عليه، فأخبره بما رأى، فكتب مكانه أن لا يعطى إنسان عطاءه إلا في يده، وكتب في المتقبلين والعشارين بما ينبغي ثم قال: ألا أعطيك من مال الله أو من مالي إن شئت؟ فقال: أنا غني في المال وإنما شخصت لهذا.

عن يحيى بن عثمان العامري عن القاسم بن محمد قال: أخذ بيدي سفيان الثوري[2] فقمنا إلى رجل يكنى أبا همام من أهل البصرة فسأله عن حديث عمر بن عبد العزيز فقال: حدثني رجل من الحي وذكر من فضله قال: سألت الله تعالى أن يرزقني الحج ثلاث سنين فأريت النبي صلى الله عليه وسلم أتاني فقال: احضر الموسم العام، فانتبهت فذكرت أنه ليس عندي ما أحج به، فأتاني من الليلة الثانية، فقال لي مثل ذلك فانتبهت، فقلت: مثل ذلك، قال: فأتاني في الليلة الثالثة، قال: وكنت قلت: في نفسي إن هو أتاني، قلت: ليس عندي ما أحج به، قال: فقلت له ذلك، فقال لي: انظر موضع كذا وكذا من دارك فاحتفره فإن فيه درعا لجدك أو لأبيك، قال: فصليت الغداة، ثم احتفرت ذلك الموضع فإذا درع كأنما رفعت عنها الأيدي فأخرجتها فبعتها بأربع مائة درهم ثم أتيت المربد فاشتريت بعيرا أو ناقة وتهيأت بها يتهيأ الحاج ووعدت أصحابا لي فخرجت معهم حتى شهدت الموسم ثم أردت الإنصراف فذهبت لأودع وقدمت بعيري إلى الأبطح فإني لأصلي في الحجر إذ غلبتني عيناي فأريت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: يا هذا إن الله تعالى قد قبل منك سعيك ائت عمر بن عبد العزيز فقل له: إن لك عندنا ثلاثة أسماء: عمر بن عبد العزيز وأمير المؤمنين وأبو اليتامى، شد يدك بالعريف والمكاس، قال: فانتبهت وأتيت أصحابي فقلت لهم: امضوا على بركة الله سبحانه وأخذت برأس بعيري وسألت عن رفقة تخرج إلى الشام فمضيت معهم حتى انتهيت إلى دمشق فسألت عن منزله فأنخت ناقتي وأوصيت بها وذلك قبل انتصاف النهار فإذا رجل قاعد على باب الدار فقلت له: يا عبد الله، استأذن لي على أمير المؤمنين، فقال لي: ما أمنعك أو قال: ما امتنع عليك ولكني أخبرك كان من شأنه يعني من تشاغله بالناس حتى كان الساعة فإن صبرت وإلا دخلت فلما دخلت على عمر بن عبد العزيز، وقال لي: من أنت؟ قال: قلت له: أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فنظرت إلى نعلاه في إصبعيه فإذا هو يستقي ماء فلما رآني تنحى فألقى نعله ثم جلس فسلمت وجلست، فقال لي: ممن أنت؟ قلت: رجل من أهل البصرة قال: ممن أنت؟ قلت: من بني فلان، قال: كيف البر عندكم؟ كيف التمر عندكم؟ كيف الشعير؟ كيف الزبيب؟ كيف السمن؟ كيف البزر؟ حتى عد عدة الأنواع التي تباع وذكر اللبن حتى ذكر فلما فرغ من هذا أعادني إلى المسألة الأولى ثم قال لي: ويحك قد جئت بأمر عظيم قلت: يا أمير المؤمنين، ما أتيتك إلا بما رأيت قال: ثم اقتصصت رؤياي من لدن الرؤيا إلى مجيئي إليه، قال: فكأن ذلك تحقق عنده، قال: ويحك أقم عندي فأواسيك قلت: لا، قال: فدخل وأخرج صرة فيها أربعون دينار، قال: لم يبق من عطائي غير ما ترى وأنا مواسيك منها، قال: قلت: لا، والله، لا آخذ على رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا، قال: فكان ذلك يصدق، قال: فودعته فقام إلي فاعتنقني ومشى معي إلى باب الدار ودمعت عينه فرجعت إلى البصرة فمكثت حولا ثم قيل لي مات عمر بن عبد العزيز، فخرجت غازيا فلما كنت في أرض الروم إذا الرجل الذي كان استأذن لي قد عرفني ولم أعرفه فسلم علي، ثم قال: علمت أن الله صدق رؤياك، مرض عبد الملك[3] ابنه فكنت اعتقبه أنا وهو من الليل فكان إذا كانت ساعتي التي أكون عنده يذهب فيصلي وإذا كانت ساعته ذهبت أنا فنمت وقام يصلي وغلق الباب دوني، قال: فوالله إني لليلة من الليالي إذ سمعت بكاء شديدا عاليا، فقلت: يا أمير المؤمنين، هل حدث بعبد الملك حدث فجعل لا يكترث لمقالتي، ثم إنه سري عنه ففتح الباب، فقال: أعلمك أن الله قد صدق رؤيا البصري، أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: مقالته.

----

*(اللمم) طرف من الجنون ورجل ملموم أي به لمم ويقال أصابت فلان من الجن لمة وهو المس والشيء القليل

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (2) سفيان الثوري هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم و زبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك وابن المبارك وأمم لا يحصون.

■ (3) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، كان ناسكا زكيا طاهرا وكان من أتقى الناس وأحسنهم معونة لأبيه وكان كثيرا ما يعظ أباه وينهاه. توفي رحمه الله في حدود 101 هـ عن بعض مشيخة أهل الشام قال كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما ادخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك

☪

قال القلقشندي في كتابه: نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب:

- بنو شيبان – بطن من بكر بن وائل من العدنانية، وهم بنو شيبان ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر، وبكر قد تقدم نسبه عند ذكره في حرف الباء الموحدة، كان له من الولد ذهل وتيم وثعلبة وعرب، وهم بنو شقاقة.
- بنو شيبان – أيضاً – بطن من بكر من وائل المقدم ذكره، وهم بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة المقدم ذكره، وكان لشيبان هذا من الولد سدوس ومازن وعلي وعمرو وعامر وأمهم ارنب بنت الوقيان من بني ثعلبة. وزيد مناة ومالك، وامهما رقاش بنت ضبيعة بن قيس بن ثعلبة وبها يعرفون. قال في العبر: وبنو شيبان هؤلاء بطن متسع كثير الشعوب، وكانت لهم كثرة في صدر الاسلام شرقي دجلة في جهات الموصل. قال: وكان سيدهم في الجاهلية مرة بن ذهل بن شيبان، كان له من الولد عشرة اولاد، ولدوا عشر قبائل، أشهرهم همام وجساس، قال ابن حزم: تفرع من همام ثمان وعشرون بطناً.
- بنو شيبان – أيضاً – بطن من حمير من القحطانية، وهم بنو شيبان ابن عوف من بني زهير بن ابين بن الهميسع بن حمير بن سبأ وحمير قد تقدم نسبه عند ذكره في حرف الحاء، منهم ذو اصبح بن مالك، وهو أول من عملت له السياط الاصبحية، وجعله تارة في كهلان وتارة في حمير، والذي عليه ابن الكلبي في كثير من العلماء انه من حمير.

☪

عن الأحوص بن المفضل عن أبي حدثني أبو محمد قال: قضى عمر بن عبد العزيز بقضية وعنده ميمون بن مهران، فلما قام عن مجلس الحكم قال له ميمون بن مهران: يا أمير المؤمنين، إنك حكمت بكذا وكذا وليس وجه الحكم على ما حكمت، قال: فهلا نبهتني إذا؟! قال: إني كرهت أن أوبخك على رؤوس الناس، قال: فهلا فعلت فإن لقائل الحق سلطانا. وعن جعبان العنسي عن عمرو بن مهاجر قال: قال عمر بن عبد العزيز: يا عمرو، إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلابيبي ثم هزني، ثم قل لي: ماذا تصنع؟. وعن عبد الحميد بن زياد عن ميمون بن مهران قال: ولاني عمر بن عبد العزيز على الأرض، وقال لي: إن جاءك كتابي بغير الحق فاضرب به الحائط. وعن بشر بن المفضل عن المغيرة بن محمد قال: قال عمر بن عبد العزيز: لا ينبغي للقاضي أن يكون قاضيا حتى يكون فيه خمس خصال، أيتهن أخطأته كانت فيه خللا، حتى يكون عالما قبل أن يستعمل، مستشيرا لأهل العلم، مكفتا للزيغ منصفا للخصم محتملا للأئمة. وعن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان بن عيينة قال: قال عمر بن عبد العزيز: إن من أحب الأعمال إلى الله تعالى، العفو عند المقدرة، وتسكين الغضب عند الحدة، والرفق بعباد الله، قال: وقال عمر بن عبد العزيز: لا عفو لمن لم يقدر، ولا فضل لمن لم يقدر. وعن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عمر بن عبد العزيز، أن عبد الحميد بن عبد الرحمن كتب إلى عمر بن عبد العزيز: إني أخذت رجلا سبك فأردت أن أقتله، فكتب إليه عمر لو قتلته لأقدتك، إنه لا يقتل إلا من سب نبيا، فسبه وخل سبيله.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب/

في رواية ابن المنظور قال: قال رجل لعمر بن عبد العزيز[1]: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، أولم يعهد من قبلك إلى من بعدك؟ إلى من كنت تعهد؟ فغضب من قوله وقال: ما سؤالك عما تعلم أني لا أخبرك به؟ ثم سكت، فلما سكت عنه الغضب تأثم من قوله، ثم قال: أتعرف محمد بن الوليد[2]؟ قلت: نعم؛ قال: إن لي بمحمد خبرتين خبرة باطنة وخبرة ظاهرة، وهو ممن حمد ظاهره ولم يذمم باطنه، ولم يزد على هذا.

وعزى محمد بن الوليد عمر بن عبد العزيز في ابنه عبد الملك[3]، فقال: يا أمير المؤمنين، ليشغلك ما أقبل من الموت عليك عمن هو في شغل مما يدخل عليك، وأعد لنزوله عدة تلين لك حجابا وسترا من النار؛ فقال عمر: إني لأرجو أن لا تكون رأيت جزعا تشمئز منه، ولا غفلة تنبه عليها؛ قال: يا أمير المؤمنين لو ترك رجل تعزية أخيه لعلمه وانتباهه لكنته، ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين. يقول:﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات].

■ (2) محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي العتبي من فصحاء أهل بيته ؟

■ (2) محمد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي كان عمر بن عبد العزيز يراه أهلا للخلافة؛ أمه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وإليه تنسب المحمديات التي فوق الأرزة، ودير محمد الذي عند المنيحة من إقليم بيت الآبار.؟

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (3) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، كان ناسكا زكيا طاهرا وكان من أتقى الناس وأحسنهم معونة لأبيه وكان كثيرا ما يعظ أباه وينهاه. توفي رحمه الله في حدود 101 هـ عن بعض مشيخة أهل الشام قال كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما ادخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك

جل جلاله

قال المدائني: خطب محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز أخته أم عمر بنت عبد العزيز، فقال عمر رادا عليه: الحمد لله ذي العز والكبرياء، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء. أما بعد فقد أحسن بك ظنا من أودعك حرمته، واختارك ولم يختر عليك، وقد زوجناك على ما في كتاب الله، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. -وفي رواية ابن حمدون قال: ابنته وهو خليفة- . قال أبو المقدام: كانت قريش تستحسن من الخاطب الإطالة، ومن المخطوب إليه التقصير، فشهدت محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، خطب إلى عمر بن عبد العزيز أخته أم عمر بنت عبد العزيز، فتكلم محمد بن الوليد بكلام حار الحفظ، فقال عمر: الحمد لله ذي الكرماء، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء؛ أما بعد: فإن الرغبة منك دعا إلينا، والرغبة فيك أجابت منا، وقد أحسن بك ظنا من أودعك كريمته، وأجارك ولم يجر عليك؛ ولما زوجها من محمد قال لامرأته فاطمة: علمي هذه الصبية ما كنت تعلمين أني أعجب به منك؛ قالت: أو ما تغار؟ قال: إنما الغيرة في الحرام، ليس في الحلال غيرة بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي وفاطمة عليهما رضوان الله وسلامه: لا تعجلا حتى أدخل عليكما.

☪

من عظة الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز: أما بعد فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة، لها في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء، فاحذر هذه الدنيا الخداعة الغدارة الختالة التي قد تزينت بخدعها وقتلت بغرورها وتحلت بآمالها وسوفت بخطابها. فأصبحت كالعروس المجلية، العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة وهي لأزواجها كلهم قالية، فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يرج نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد. فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر لها فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته إلى مكروه وضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء إلى فناء فسرورها مشوب بالأحزان، أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر.

☪

تحدث عن جعفر بن هلال بن حباب عن أبيه قال: كتب عمر إلى عماله: إن عبد الملك بن عمر كان عبدا من عبيد الله أحسن الله إليه وإلي أبيه فيه، أعاشه ما شاء ثم قبضه إليه. وكان ما علمت والله به أعلم خيرا، من صالحي شباب أهل بيته قراءة للقرآن وتحريا للخير. وأعوذ بالله أن تكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله، فإن ذلك لا يحسن بي في إحسانه إلي، وتتابع نعمه علي. وقد قلت عند الذي كان بها أمر الله عز وجل أن أقول عند المصيبة ثم لم أجد بحمد الله إلا خيرا، ولا أعلم ما بكت عيه باكية، ولا ناحت عليه نائحة، ولا اجتمع لذلك أحد، فقد نهينا أهله الذين هم أحق بالبكاء عليه. وتحدث عن محمد بن عباد أنه بلغه أن عبد الملك بن عمر لما مات، فخرج بسريره ليصلي عليه، صف عمر الناس خلفه ثم قام حيال صدره أو رأسه ثم قال: هكذا يقوم ولي الرجل من الرجل، ومن المرأة يقوم حيال وسطها. فلما صار إلى القبر دخل فيه وأخذ برأس ابنه حتى وضعه في اللحد. ثم قال: هكذا يصنع ولي الرجل بالرجل. ثم قام على قبره وجعل القبر بينه وبين القبلة. فلما رآه الناس قائما قاموا، فقال: اجلسوا، فإنما يجب القيام على أولياء الميت. وتحدث عن مسلمة بن عثمان أن سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز: هل يكون المؤمن في حالة تنزل به المصيبة فلا يألم لها ؟ قال لا يا أمير المؤمنين، لا يكون أن يستوي عندك ما تحب وما تكره، أو تكون الضراء والسراء عند أحد سواء. ولكن معول المؤمن الصبر. وعن محمد بن عمرو بن علقمة قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعاضه من ذلك الصبر إلا كان ما عوضه أفضل مما انتزع منه. ثم قرأ: إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. وتوفيت أخت لعمر بن عبد العزيز، فلما فرغ من دفنها دنا إليه رجل فعزاه، فلم يرد عليه شيئا، ثم دنا إليه آخر فعزاه، فلم يرد عليه شيئا، فلما رأى الناس ذلك أمسكوا عنه ومشوا معه. فلما بلغ الباب أقبل على الناس بوجهه وقال: أدركت الناس وهم لا يعزون بامرأة إلا أن تكون أما، انقلبوا رحمكم الله.

☪

عن ابن أبي حفصة[2] قال: أتاني رجل من بني شيبان أعرف وجهه ولا أسميه باسمه، عليه سيماء خير، فقال: إن لأمير المؤمنين عندي نصيحة، فقلت لأمير المؤمنين: إن بالباب رجلا يزعم أن لك عنده نصيحة، فقال: اللهم، الق في قلوبهم السمع والطاعة لك ولكتابك ولرسولك، أدخله، فدخل، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه وصيتي في هذا الكتاب، فإن شئت قرأته عليك، وإن شئت حدثتك به، قال: فأخذ الكتاب، فنظر فيه، ثم رفع رأسه إليه، فقال: لك حاجة؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين، إن كان لك حاجة فارفعها إلى أمير المؤمنين، قال: ما لي حاجة، قال: فانصرف، قال: فأقام أياما، قال: ثم قال لي: اطلب لي الرجل، فطلبته ولا أعرف اسمه، ولا منزله، فقلت: لم أجده، فقال: ويحك إني أخاف أن تكون قد جئتني بشيطان، اطلبه، فبينا أنا أدور وجدته، فقلت: ويحك إن أمير المؤمنين قد ساء بك الظن فائته، قال: فأتاه، فدنا منه حتى أجلسه منه مجلس المسار، قال: ثم استخرج الكتاب فحدثه بما فيه، فإذا لا يخالف حتى قام فجعل ينظر فيه فمرة أعرف فيه الكراهية، ومرة أعرف فيه السرور، ثم رفع رأسه إليه، فقال: ألك حاجة؟ قال: ما لي حاجة، يا أمير المؤمنين، قال: إن كانت لك حاجة فارفعها إلى امير المؤمنين، قال: ما لي حاجة، قال: فاكتم ما جئت به، قال: فتبعته فقلت: لك الله عهدا ألا أخبر بها تخبرني به أحدا، ما دام أمير المؤمنين حيا، قال: إذا أخبرك، أنا رجل أقوم من الليل، فإذا كان عند الفجر نمت، وإني قمت قيامي فنمت نومتي، فأتاني آت فقال: أجب رسول الله صلى الله عليه سلم، فقلت: ومن انت؟ فقال: أنا بلال، قال: فذهبت معه حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه سلم، فإذا هو بين الركن والمقام، فقال: كيف تركت أمتي؟ قال: قلت: بخير يا رسول الله، قال: فكيف رضاءهم بعمر بن عبد العزيز؟ قلت: ما قام عليهم خليفة لله بعد أبي بكر وعمر يشبهه، قال: ويحك إنهم ليسوا بخلفاء ولكنهم أمراء المؤمنين ثم قال: هل أنت مبلغه عني رسالة، قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: فاقره مني السلام، وأعلمه أن السموات والأرض فرحن به يوم قام على الناس أميرا، وأعلمه أن الله قد جعل له منك عيني عمر بن الخطاب وقلبه، فأما عيناه فلا يمدهما إلى شئ من الدنيا ما كان فيها، وأما قلبه فلا يصنع به شيئا من أمر أوليه، ومره فليصلح ثلاثا، فإن أصلحهن فهو في شئ، وإن لم يصلحهم فليس في شئ: العرفاء، وأصحاب المكوس، وأصحاب القبالات، وأما العرفاء، فيأكلون أموال الأرامل واليتامى وظلما، وأما أصحاب القبالات، فيأكلون الربا، وأما أصحاب المكوس، فيأكلون أموال الناس ظلما. رواها أحمد بن منصور الرمادي عن أبي النضر إسحاق بن إبراهيم بإسناده نحوه

■ (1) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، كان ناسكا زكيا طاهرا وكان من أتقى الناس وأحسنهم معونة لأبيه وكان كثيرا ما يعظ أباه وينهاه. توفي رحمه الله في حدود 101 هـ عن بعض مشيخة أهل الشام قال كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما ادخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك

■ (2) ابن أبي حفصة كان في صحابة عمر بن عبد العزيز روى عنه عبد العزيز بن إسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي

مراجع:تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ التعازي والمراثي/ التذكرة الحمدونية/ مختصر تاريخ دمشق/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) ورجل (؟) 0521

عن ابن أبي حفصة[1] قال: أتاني رجل من بني شيبان أعرف وجهه ولا أسميه باسمه، عليه سيماء خير، فقال: إن لأمير المؤمنين عندي نصيحة، فقلت لأمير المؤمنين: إن بالباب رجلا يزعم أن لك عنده نصيحة، فقال: اللهم، التي في قلوبهم السمع والطاعة لك ولكتابك ولرسولك، أدخله، فدخل، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه وصيتي في هذا الكتاب، فإن شئت قرأته عليك، وإن شئت حدثتك به، قال: فأخذ الكتاب، فنظر فيه، ثم رفع رأسه إليه، فقال: لك حاجة؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين، قال: إن كان لك حاجة فارفعها إلى أمير المؤمنين، قال: ما لي حاجة، قال: فانصرف، قال: فأقام أياما، قال: ثم قال لي: اطلب لي الرجل، فطلبته ولا أعرف اسمه، ولا منزله، فقلت: لم أجده، فقال: ويحك إني أخاف أن تكون قد جئتني بشيطان، اطلبه، فبينا أنا أدور وجدته، فقلت: ويحك إن أمير المؤمنين قد ساء بك الظن فائته، قال: فأتاه، فدنا منه حتى أجلسه منه مجلس المسار، قال: ثم استخرج الكتاب فحدثه بما فيه، فإذا لا يخالف حتى قام فجعل ينظر فيه فمرة أعرف فيه الكراهية، ومرة أعرف فيه السرور، ثم رفع رأسه إليه، فقال: ألك حاجة؟ قال: ما لي حاجة، يا أمير المؤمنين، قال: إن كانت لك حاجة فارفعها إلى امير المؤمنين، قال: ما لي حاجة، قال: فاكتم ما جئت به، قال: فتبعته فقلت: لك الله عهدا ألا أخبر بها تخبرني به أحدا، ما دام أمير المؤمنين حيا، قال: إذا أخبرك، أنا رجل أقوم من الليل، فإذا كان عند الفجر نمت، وإني قمت قيامي فنمت نومتي، فأتاني آت فقال: أجب رسول الله صلى الله عليه سلم، فقلت: ومن انت؟ فقال: أنا بلال، قال: فذهبت معه حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه سلم، فإذا هو بين الركن والمقام، فقال: كيف تركت أمتي؟ قال: قلت: بخير يا رسول الله، قال: فكيف رضاءهم بعمر بن عبد العزيز[2]؟ قلت: ما قام عليهم خليفة لله بعد أبي بكر وعمر يشبهه، قال: ويحك إنهم ليسوا بخلفاء ولكنهم أمراء المؤمنين ثم قال: هل أنت مبلغه عني رسالة، قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: فاقرءه مني السلام، وأعلمه أن السموات والأرض فرحن به يوم قام على الناس أميرا، وأعلمه أن الله قد جعل له منك عيني عمر بن الخطاب وقلبه، فأما عيناه فلا يمدهما إلى شئ من الدنيا ما كان فيها، وأما قلبه فلا يصنع به شيئا من أمر أوليه، ومره فليصلح ثلاثا، فإن أصلحهن فهو في شيء، وإن لم يصلحهم فليس في شئ: العرفاء، وأصحاب المكوس، وأصحاب القبالات، وأما العرفاء، فيأكلون أموال الأرامل واليتامى وظلما، وأما أصحاب القبالات، فيأكلون الربا، وأما أصحاب المكوس، فيأكلون أموال الناس ظلما. رواها أحمد بن منصور الرمادي عن أبي النضر إسحاق بن إبراهيم بإسناده نحوه.

■ (1) ابن أبي حفصة كان في صحابة عمر بن عبد العزيز روى عنه عبد العزيز بن إسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي

■ (2) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

دخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات] وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[القلم] وإن شئت عفونا عنك فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدا.

لما ولي عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك[1] دمشق –ولم يكن في بني أمية ألب منه في حداثة سنه– قال أهل دمشق: هذا غلام شاب، ولاعلم له بالأمور، وسيسمع منا. فقام إليه رجل فقال: أصلح الله الأمير، عندي نصيحة، فقال له: ليت شعري ماهذه. النصيحة التي ابتدأتني بها من غير يد سبقت مني إليك!؟ قال: جار لي عاص متخلف عن نفره. فقال له: والله ما اتقيت ربك، ولا أكرمت أميرك، ولاحفظت جوارك ! إن شئت نظرنا فيما تقول، فإن كنت صادقا لم ينفعك ذلك عندنا، وإن كنت كاذبا عاقبناك، وإن شئت أقلناك. قال: أقلني، أصلح الله الأمير، قال: اذهب حيث لايصحبك الله، والله إني لأراك شر جندك رجلا ! ثم قال: يا أهل دمشق، أما أعظمتم ماجاء به الفاسق !؟ إن السعاية – أحسب– منه سجية، ولولا أنه لاينبغي للوالي أن يعاقب قبل أن يعاتب كان لي في ذلك رأي؛ فلا يأتيني أحد منكم بسعاية على أحد بشيء؛ فإن الصادق فيها فاسق، والكذوب فيها بهات. وكان كلامه يشبه بكلام خاله عمر بن عبد العزيز.

وقد قال له عمر بن عبد العزيز. يابن أختي، بلغني أنك سرت إلى دمشق تريد أن تدعو إلى نفسك، ولو فعلت ما نازعتك، وكان عبد العزيز قد سار إلى دمشق، فلحقه الخبر بدير الجلجل أن عمر بن عبد العزيز قد بويع له، فانصرف. ثم دخل على عمر بن عبد العزيز، فقال له: إنه لم يبلغني أن الخليفة كان عقد لأحد، ففرقت على الأموال أن تنهب، و ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك، وبايع عمر بن عبد العزيز. وكان عبد العزيز بن الوليد ممدحا، ومن قول جرير فيه: من الطويل: فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه..ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله.

قال مالك بن أنس: أراد الوليد بن عبد الملك أن يبايع لابنه عبد العزيز بن الوليد، فأراد عمر بن عبد العزيز على ذلك، فقال عمر: إن لسليمان في أعناقنا بيعة . فبلغت الوليد، فأمر به، فطين عليه البيت، فقالت أم البنين ابنة عبد العزيز: لابلغه الله أمله فيه، ففتح الباب عن عمر.

☪

قال ميمون بن مهران: دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده عامله على الكوفة، فإذا متغيظ عليه، فقلت: ماله يا أمير المؤمنين قال: أبلغني أنه قال: لا أجد شاهد زور إلا قطعت لسانه: قال: فقلت: يا أمير المؤمنين: إنه لم يكن بفاعل. قال: فقال: أنظروا إلى هذا الشيخ ـ مستنكرا ماقال ميمون ـ إن منزلتين أحسنهما الكذب لمنزلتا سوء.

قال علي الصلابي: والمقصود فإن الكذب أحد منازل السوء وبذلك يسعى عمر إلى قطع دابر الفساد الإداري بالتحذير من الوقاية عما يجر إليه الكذب والتحايل في إتخاذ القرارات.

بلغ من تواضع عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه عندما ذكروا له ذلك الموضع الرابع في حجرة عائشة والتي فيها قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر، فقالوا: لو دنوت من المدينة حتى تدفن معهم قال: والله لا يعذبني الله عذابا ـ إلا النار فإني لا صبر بي عليها ـ أحب إلي من أن يعلم الله من قلبي أني أراني لذلك أهلا. ويأبى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ إلا أن يشتري موضع قبره من ماله الخاص وذلك بسبب ورعه ومحاسبته الشديدة لنفسه، فقد جاءت الروايات أنه قال لمن حوله ـ وهو في مرض موته ـ إشتروا من الراهب موضع قبري فقال له النصراني: والله يا أمير المؤمنين إني لأتبرك بقربك وجوارك وإنها لخيرة أن يكون قبرك في أرضي، قد أحللتك ويأبى عمر قائلا: إن بعتموني موضع قبري وإلا تحولت عنكم ثم دعا بالثمن الذي إختلفت الروايات في مقداره فقيل: دينارين، وقيل ستة، وقيل: ثلاثين، دعا بالثمن فوضعه في يد النصراني فقال أصحاب الأرض: لولا أنا نكره أن يتحول عنا ما قبلنا الثمن.

☪

كان رجاء بن حيوة في مجلس الخليفة فجاء رجل، وقال: إن فلانا يتكلم فيك يا أمير المؤمنين، فقال رجاء بن حيوة : والله إنه لكاذب، لم يتكلم فيك، ولم يقل فيك شيئا. فقام الخليفة على هذا الجاسوس النمام القتات، وجلده سبعين جلدة، أو مائة جلدة، فلما خرجوا من المجلس لقي هذا الجاسوس يوما من الأيام رجاء بن حيوة ، وقال له: يا رجاء بن حيوة ، بك يستسقى المطر من السماء! وسبعون سوطا في ظهري! أي أنني جلدت سبعين جلدة، وأنت تعرف أني صادق، فقد سمعت الكلام وأنا سمعته ومع ذلك كذبتني، وجعلت الخليفة يجلدني، بك يستسقى المطر من السماء، وسبعون سوطا في ظهري!! فقال: لسبعون سوطا في ظهرك أهون من أن تلقى الله تعالى بدم امرئ مسلم !!

■ (1) عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وأمه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر. كان أبوه الوليد أراد خلع أخيه سليمان من ولاية العهد وتوليه عبد العزيز فلم يتم له ذلك وقيل بل أراد أن يجعل إليه ولاية العهد بعد سليمان وولاه الموسم وولى إمرة دمشق في أيام أبيه

مراجع :تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ـمختصر تاريخ دمشق/ عمر بن عبد العزيز/ البدر في سلامة الصدر/

عن حماد الراوية[1] قال: قدمت المدينة، فدخلت المسجد، فكان أول من دفعت إليه كثير عزة[2]، فقلت: يا أبا صخر، ما عندك من بضاعتي؟ قال: عندي ما عند الأحوص[3] ونصيب[4]، قلت: وما عندهما؟ قال: هما أحق بإخبارك، قلت: إنا لم نحث المطي نحوكم شهرا إلا لطلب ما عندكم ليبقى لكم، وقل من يفعل ذلك، قال: أفلا أخبرك ما دعاني إلى ترك الشعر؟ لما كان هذا الرجل واليا – يعني عمر بن عبد العزيز [5]– قلت: بلى، قال: إني شخصت أنا وأحوص ونصيب، وكل واحد منهما يدل بسابقة له عند عبد العزيز بن مروان[6]، وإخاء لعمر، وكل واحد منا ينظر في عطفيه، لا شك أنه يشرك في الخلافة، فلما رفعت لنا أعلام خناصرة –وهي منزل عمر– لقينا مسلمة بن عبد الملك[7]، وهو يومئذ فتى العرب، وقبل ذلك ما بلغتنا الأخبار بأنه لا خير لنا عنده، فجعلنا نكذب، ويغلب الطمع اليأس، فلما لقينا مسلمة سلمنا عليه، فرد علينا، ثم قال: أما بلغكم أن إمامكم لا يقبل الشعر؟! فقلنا له: ما وضح لنا خبر حتى انتهينا إليك يا بن الخليفة، ووجمنا له وجمة عرفها في وجوهنا، فقال: إن يك ذو دين بني مروان، نخشيتم حرمانه، فإن صاحب دنياها قد بقي لكم عنده ما تحبون، فما ألبث حتى انصرف، وأمنحكم، وآتي ما أنتم أهله. فلما رجع كانت رحالنا عنده، وأكرم منزلنا، وأقمنا عنده أربعة أشهر، يطلب الإذن لنا هو وغيره، فلم يؤذن لنا، إلى أن قلت في جمعة من تلك الجمع: لو أني دنوت من عمر، فسمعت كلامه، فتحفظته كان ذلك رأيا، ففعلت. فكان مما حفظته من قوله يومئذ: لكل سفر زاد لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من عذابه وثوابه، فترغبوا، أو ترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد، فتقسو قلوبكم، وتنقادوا لعدوكم؛ فأنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يمسي بعد إصباحه، ولا يصبح بعد إمسائه، وربما كانت له بين ذلك خطرات المنايا؛ وإنما يطمئن من وثق بالنجاة من عذاب الله، وأهوال يوم القيامة، فأما من لا يداوي من الدنيا كلما إلا أصابه جارح من ناحية أخرى، فكيف يطمئن؟! أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي، فتخسر صفقتي، وتبدو مسكنتي في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق. ثم بكى حتى ظننا أنه قاض نحبه، وارتج المسجد وما حوله بالبكاء والعويل. فانصرفت إلى صاحبي، فقلت: خذا شرخا من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه، فإن الرجل آخري وليس بدنياوي. إلى أن استأذن لي مسلمة في يوم جمعة، بعدما أذن للعامة، فلما دخلنا سلمت، ثم قلت: يا أمير المؤمنين، طال الثواء، وقلت الفائدة، وتحدث بجفائك إيانا وفود العرب، فقال: يا كثير، ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة] إلى آخر الآية، أفمن واحد من هؤلاء أنت؟ فقلت: ابن سبيل منقطع به، قال: أولست ضيف أبي سعيد؟ قلت: بلى، قال: ما أرى من كان ضيف أبي سعيد منقطع به! قلت: أيأذن لي أمير المؤمنين في الإنشاد؟ قال: نعم، أنشد، ولا تقولن إلا حقا، فأنشدته: من الطويل: وليتم فلم نشتم عليا ولم نخف..بريا ولم نقبل إشارة مجرم..وصدقت بالفعل المقال مع الذي..أتيت فأمسى راضيا كل مسلم..ألا إنما يكفي الفتى بعد زيغه..من الأود البادي ثقاف المقوم..وقد لبست تسعى إليك ثيابها..تراءى لك الدنيا بكف المعصم..وتومض أحيانا بعين مريضة..وتبسم عن مثل الجمان المنظم..فأعرضت عنها مشمئزا كأنما..سقتك مدوفا من سمام وعلقم..وقد كنت من أجبالها في ممنع..ومن بحرها في مزبد الموج مفعم..وما زلت تواقا إلى كل غاية..بلغت بها أعلى البناء المقدم..فلما أتاك الملك عفوا ولم يكن..لطالب دنيا بعده من تكلم..تركت الذي يفنى وإن كان مونقا..وآثرت ما يبقى برأي مصم..وأضررت بالفاني وشمرت للذي..أمامك في يوم من الشر مظلم..ومالك إذ كنت الخليفة مانع..سوى الله من مال رغيب ولا دم..سما لك هم في الفؤاد مؤرق..بلغت به أعلى المعالي بسلم..فما بين الشرق الأرض والغرب كلها..مناد ينادي من فصيح وأعجم..يقول أمير المؤمنين ظلمتني..بأخذك ديناري ولا أخذ درهمي..ولا بسط كف لامرئ غير مجرم..ولا السفك منه ظالما ملء محجم..ولو يستطيع المسلمون لقسموا..لك الشطر من أعمارهم غير ندم..فعشت به ما حج لله راكب..مغذ مطيف بالمقام وزمزم..فاربح بها من صفقة لمبايع..وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم. فأقبل علي، فقال لي: يا كثير، إنك تسأل عما قلت! ثم تقدم الأحوص، فاستأذنه في الإنشاد، فقال: قل، ولا تقولن إلا حقا، فأنشأ يقول: وما الشعر إلا خطبة من مؤلف..بمنطق حق أو بمنطق باطل فلا تقبلن إلا الذي وافق الرضا..ولا يرجعنا كالنساء الأرامل رأيتك لم تعدل عن الحق يمنة..ولا شامة فعل الظلوم المخاتل ولكن أخذت القصد جهدك كله..فنلت مثال الصالحين الأوائل فقلنا ولم نكذب لما قد بدا لنا..ومن ذا يرد الحق من قول قائل ومن ذا يرد السهم بعد مضائه..على فوقه إذ عاد منزع نابل فلولا الذي قد عودنا خلائف..غطاريف كانوا كالليوث البواسل لما وخدت شهرا برحلي رسلة..تقدمتان النيف بين الرواحل ولكن رجونا منك مثل الذي به..صرفنا قديما عن ذويك الأوائل فإن لم يكن للشعر عندك موضع..وإن كان مثل الدر في قيل قائل وكان مصيبا صادقا لا يعيبه..سوى أنه يبنى بناء المنازل فإن لنا قربى ومحض مودة..وميراث آباء مشوا بالمناصل فذادوا عدو السلم عن عقر دارهم..وأرضوا عمود الدين بعد التمايل فقبلك ما أعطى الهنيدة جلة..على الشعر كعبا بالضحى والأصائل فكل الذي عددت يكفيك بعضه..وقلك خير من بحور سوائل، ثم تقدم نصيب، فاستأذنه في الإنشاد، فأبى أن يأذن له، وأمره بالغزو إلى دابق، فخرج محموما، وأمر لي وللأحوص بثلاثمائة درهم لكل واحد منا، ولنصيب بخمسين ومائة درهم.

■ (2) كثير بن عبد الرحمن بن الاسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر: شاعر، متيم مشهور. من أهل المدينة. أكثر إقامته بمصر. وفد على عبد الملك بن مروان، فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه، فاختص به وببني مروان، يعظمونه ويكرمونه. وكان مفرط القصر دميما، في نفسه شمم وترفع. يقال له ابن أبي جمعة وكثير عزة والملحي نسبة إلى بني مليح، وهم قبيلته، قال المرزباني: كان شاعر أهل الحجاز في الاسلام، لا يقدمون عليه أحدا. وفي المؤرخين من يذكر أنه من غلاة الشيعة، وينسبون إليه القول بالتناسخ، قيل: كان يرى أنه يونس ابن متى أخباره مع عزة بنت حميل الضمرية كثيرة. وكان عفيفا في حبه قيل له: هل نلت من عزة شيئا طول مدتك؟ فقال: لا والله، إنما كنت إذا اشتد بي الامر أخذت يدها فإذا وضعتها على جبيني وجدت لذلك راحة. توفي بالمدينة سنة 105 هـ.

■ (5) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (1) حماد بن سابور بن المبارك، أبو القاسم: أول من لقب بالراوية. وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها. أصله من الديلم، ومولده في الكوفة. جال في البادية ورحل إلى الشام. وتقدم عند بني أمية، فكانوا يستزيرونه ويسألونه عن أيام العرب وعلومها، ويجزلون صلته. وهو الذي جمع السبع الطوال المعلقات. وقيل: كان في أول مرة يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ثم طلب الادب وترك ماكان عليه. وفيه يقول الطهوي: نعم الفتى لو كان يعرف ربه أو حين وقت صلاته، حماد. وتوفي في بغداد سنة 155 هـ. والحمادون ثلاثة: هذا، وحماد الراوي وحماد بن الزبرقان. كانوا يشربون الخمر، ويتهمون بالزندقة بالكوفة

■ (3) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الانصاري، من بني ضبيعة: ولقب بالاحوص لضيق في مؤخر عينيه. شاعر هجاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر ونصيب. كان معاصرا لجرير والفرزدق. وهو من سكان المدينة. وفد على الوليد ابن عبد الملك في الشام فأكرمه الوليد، ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته، فرده إلى المدينة وأمر بجلده، فجلد، ونفي إلى دهلك وهي جزيرة بين اليمن والحبشة، كان بنو أمية ينفون إليها من يسخطون عليه. فبقي بها إلى ما بعد وفاة عمر بن عبد العزيز. وأطلقه يزيد بن عبد الملك. فقدم دمشق فمات فيها. سنة 105 هـ وكان حماد الراوية يقدمه في النسيب على شعراء زمنه..

■ (4) نصيب بن رباح، أبو محجن، مولى عبد العزيز بن مروان: شاعر فحل، مقدم في النسيب والمدائح. كان عبدا أسود لراشد بن عبد العزى من كنانة، من سكان البادية. وأنشد أبياتا بين يدي عبد العزيز بن مروان، فاشتراه وأعتقه. وكان يتغزل بأم بكر زينب بنت صفوان وهي كنانية، وفي بعض الروايات زنجية.له شهرة ذائعة، وأخبار مع عبد العزيز بن مروان وسليمان بن عبد الملك والفرزدق وغيرهم. وكان يعد مع جرير وكثير عزة. وسئل عنه جرير، فقال: أشعر أهل جلدته. وتنسك في أواخر عمره. وكان له بنات، من لونه، امتنع عن تزويجهن للموالي ولم يتزوجهن العرب، فقيل له: ما حال بناتك؟ فقال: صببت عليهن من جلدي -بكسر الجيم- فكسدن علي! قال الثعالبي: وصرن مثلا للبنت يضن بها أبوها فلا يرضى من يخطبها ولا يرغب فيها من يرضاه لها. وأرخه ابن تغري بردي في وفيات سنة 108 هـ وقال الانطاكي: توفي سنة 113 هـ وقيل: 111 هـ

■ (7) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: أمير قائد، من أبطال عصره. من بني أمية في دمشق، يلقب بالجرادة الصفراء. وهو ابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب) له فتوحات مشهورة. سار في مئة وعشرين ألفا لغزو القسطنطينية في دولة أخيه سليمان وبنى مسجد مسلمة بالقسطنطينية (؟) سنة 96 هـ وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية. وغزا الترك والسند سنة 109 هـ. ومات بالشام سنة 120 هـ وقيل مات سنة 121 هـ. وإليه نسبة بني مسلمة وكانت منازلهم في بلاد الاشمونيين بمصر قال الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر إخوته.

■ (6) عبد العزيز بن مروان ابن الحكم بن أبى العاص أمير مصر، أبو الأصبغ المدني ولي العهد بعد أخوه عبد الملك عقد له بذلك أبوه واستقل بملك مصر عشرين سنة وزيادة. وهو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز. ولد سنة 27 هـ ومات بحلوان سنة 85 هـ. وقيل سنة 86 هـ والأول أصح.

☪

قال محمد بن سلام: وقدم كثير على يزيد بن عبد الملك وقد مدحه بقصائد جياد مشهورة، فأعجب بهن يزيد، وقال له: احتكم. قال: وقد جعلت ذاك إلي؟ قال نعم: قال: مائة ألف، قال: ويحك! مائة ألف؟! قال: أعلى جود أمير المؤمنين أبقي أم على بيت المال؟ قال: ما بي استكثارها، ولكن أكره أن يقول الناس: أعطى شاعرا مائة ألف، ولكن فيها عروض؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. فكان يحضر سمر بن زيد، ويدخل عليه، فقال له ليلة: يا أمير المؤمنين، ما يعني الشماخ بن ضرار بقوله: من الوافر: إذا عرقت مغابنها وجادت..بدرتها قرى حجن قتين. فسكت عنه يزيد، فقال: بصبصن إذ حدين، ثم أعاد: بصبصن إذ حدين، فقال يزيد: وما على أمير المؤمنين –لا أم لك– ألا يعرف هذا؟ هو القراد أشبه الدواب بك –وكان كثير قصيرا، متقارب الخلق– فحجب عن يزيد، فلم يصل إليه، فكلم مسلمة بن عبد الملك يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين، مدحك، قال: بكم مدحنا؟ قال: بسبع قصائد، قال: فله سبعمائة دينار والله لا أزيده عليها. قال الزبير بن بكار: وكان كثير شيعيا حربيا، يزعم أن الأرواح تتناسخ، ويحتج بقول الله عز وجل: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار]، ويقول: ألا ترى أنه محوله في صورة بعد صورة. وكان كثير ينشد علي بن عبد الله بن جعفر لنفسه في محمد بن علي بن أبي طالب: من الوافر: أقر الله عيني إذ دعاني..أمين الله يلطف في السؤال..وأثنى في هواي علي خيرا..وساءل عن بني وكيف حالي..وكيف ذكرت شأن أبي خبيب..وزلة نعله عند النضال..هو المهدي خبرناه كعب..أخو الأخبار في الحقب الخوالي. فقال له علي بن عبد الله: يا أبا صخر: ما يثني عليك في هواك خيرا إلا من كان على مثل رأيك، فقال: أجل، بأبي أنت. قال: وكان كثير خشبيا يرى الرجعة. وأبو خبيب الذي ذكر كثير عبد الله بن الزبير، كان يكنى بأبي بكر، وخبيب ابنه وأسن ولده، وكان من العباد، وكان من هجا عبد الله بن الزبير كناه بابنه خبيب، وكان كثير سيء الرأي في عبد الله بن الزبير ينال منه.

عن مصعب بن عبد الله قال: بعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله إلى كثير عزة، فجاءها، فقالت له: ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزة وليست على ما تصف من الحسن والجمال، فلو شئت صرفت ذلك إلى غيرها، ممن هو أولى به، أنا وأمثالي، فأنا أشرف وأفضل من عزة، وإنما أرادت أن تخبره، وتبلوه، فقال: من الطويل: صحا قلبه ياعز أو كاد يذهل..وأضحى يريد الصرم أو يتبدل..وكيف يريد الصرم من هو وامق..لعزة لا قال ولا متبدل..إذا وصلتنا خلة كي تزيلنا..أبينا وقلنا الحاجبية أول..سنوليك عرفا إن أردت وصالنا..ونحن لتيك الحاجبية أوصل..وحدثها الواشون أني هجرتها..فحملها غيظا علي المحمل. فقالت عائشة: والله لقد سميتني لك خلة، وما أنا لك بخلة، وعرضت علي وصلك، وما أردت ذلك، فألا قلت كما قال جميل، فهو والله أشعر منك حيث يقول: يا رب عارضة علينا وصلها..بالجد تخلطه بقول الهازل..فأجبتها بالقول بعد تستر..حبي بثينة عن وصالك شاغلي..لو كان في قلبي بقدر قلامة..فضل وصلتك أو أتتك رسائلي.

فقال: والله ما أنكرت فضل جميل ولا أنا إلا حسنة من حسناته. واستحيا. قال كثير: من الكامل: بأبي وأمي أنت من معشوقة..طبن العدو لها فغير حالها..ومشى إلي بعيب عزة نسوة..جعل الإله خدودهن نعالا..الله يعلم لو جمعن ومثلت..لاخترت قبل تأمل تمثالها..ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى..في الحسن عند موفق لقضى لها. قال المبرد: قال لي الجاحظ: أتعرف مثل قول إسماعيل بن القاسم: من الطويل: ولا خير فيمن لا يوطن نفسه..على نائبات الدهر حين تنوب. فقلت: قول كثير، ومنه أخذ: من الطويل: فقلت لها ياعزة كل مصيبة..إذا وطنت يوما لها النفس ذلت. قال أبو العباس المبرد: ويروى أن عبد الملك بن مروان لما سمع هذا قال: لو قاله في صفة الحرب كان فيه أشعر الناس.

مراجع: مختصر تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/

عن عبد الرحمن بن حسن. عن أبيه؛ أن عمر بن عبد العزيز[1] كتب إلى الجراح بن عبد الله[2]: أما بعد، فإنه بلغني أنك كنت لمخلد بن يزيد[3]، وللمهلب بن يزيد ولآل المهلب أما فرشت فأنامت أولادها. فكتب إليه الجراح: أما بعد يا أمير المؤمنين، كتبت إلي في عهدك أن لا أوثق أحدا من خلق الله تعالى وثاقا يمنع الصلاة، ولا أبسط على أحد من خلق الله تعالى عذابا، فأنت، يا أمير المؤمنين، الأم التي فرشت فأنامت، لمخلد بن يزيد ولآل المهلب ولجميع رعيتك. قال: وكان قد أوثقه في سلسلة بركن. قال: فدعا مخلدا فقال: إن شئت أن تفتر عندنا على حالك التي أنت عليها، وإن شئت أن ألحقك بأمير المؤمنين، ولا أراه إلا خيرا لك. قال: فألحقني بأمير المؤمنين. قال: فدفعته إليه فأطلقه عمر بن عبد العزيز.

عن قبيصة بن عمر المهلبي، قال: لما حبس عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلب[4]، وقد كان فتح جرجان وطبرستان، وأخذ صول* رئيسا من رؤسائهم، فأصاب أموالا كثيرة وعروضا كثيرة، فكتب إلى سليمان بن عبد الملك[5]: إني قد فتحت طبرستان وجرجان، ولم يفتحها أحد من الأكاسرة ولا أحد ممن كان بعدهم غيري، وأنا باعث إليك بقطران عليها الأموال والهدايا يكون أولها عندك وآخرها عندي. فلما أفضت الخلافة إلى عمر بعد ذلك بيسير، وهلك سليمان، أخذه عمر بهذه العدة لسليمان، فحبسه، فقدم مخلد ابنه، فلما صار بالكوفة أتاه حمزة بن بيض[6] في جماعة من أهل الكوفة، فقام بين يديه، فقال: أتيناك في حاجة فاقضها..وقل مرحبا يجب المرحب. الأبيات. قال: فكلمه في عشر ديات فأعطاه مئة ألف درهم، فلما دخل دمشق وأراد الدخول على عمر لبس ثيابا مستنكرة وقلنسوة لاطئة، فقال له عمر: لقد شمرت. قال: إذا شمرتم شمرنا، وإذا أسبلتم أسبلنا، ثم قال: ما بالك وقد وسع الناس عفوك حبست هذا الشيخ، فإن تكن عليه بينة عادلة فاحكم عليه، وإلا فيمينه، أو فصالحه على ضياعه. فقال يزيد بن المهلب: أما اليمين فلا تتحدث العرب أن يزيد بن المهلب صبر عليها، ولكن ضياعي فيها وفاء لما تطلب. ومات مخلد وهو ابن سبع وعشرين سنة، فقال عمر: لو أراد الله بهذا الشيخ خيرا لأبقى له هذا الفتى. وقال غيره: إن مخلد بن يزيد أصابه الطاعون فملت.

وعن ابن عائشة، قال: لما مات مخلد بن يزيد بن المهلب صلى عليه عمر بن عبد العزيز، وتمثل: من الكامل: بكوا حذيفة لن تبكوا مثله..حتى تبيد قبائل لم تخلق.وقيل: تمثل: من الطويل: على مثل عمرو يهلك المرء حسرة..وتضحي وجوه القوم مسودة غبرا. ورثاه حمزة بن بيض، فقال: من الوافر: أمخلد هجت حزني واكتئابي..وفل عليك يوم هلكت نابي..وعطلت الأسرة منك إلا..سريرك يو تحجب بالثياب..ةآخر عهدنا بك يوم يحثى..عليك بدابق سهل التراب..تركت عليك أم الفضل حرى..تلدد في معطلة خراب..تنادي والها بالويل منها..وما داعيك مخلد بالمجاب..أما لك أوبة ترجى إذا ما..رجا الغياب عاقبة الإياب..وليت حريبتي فمضت وذخري..فكيف تصبري بعد احترابي..أبعدك ما بقيت أبا خداش..وقد بغضتني برد الشراب. وقال الفرزدق يرثيه: من الطويل: وما حملت أيديهم من جنازة..وما ألبست أثوابها مثل..مخلد أبوك الذي تستهزم الخيل باسمه..وإن كان فيها قيد شهر مطرد..وقد علموا إذ شد حقويه أنه..هو الليث ليث الغيل لا بالمعرد.

----

*(صول) قال ابن خلكان : كان صاحب جرجان وهو جد إبراهيم بن العباس الصولي وأبي بكر محمد بن يحيى الصولي الديبين الشاعرين المشهورين

■ (3) مخلد بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة: أمير، من بيت رياسة وبطولة. كان مع أبيه في أكثر وقائعه وولاياته. ولما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ونقم عمر على أمير خراسان يزيد ابن المهلب كتب إليه ان يستخلف على عمله ويحضر إليه، فاستخلف يزيد ابنه مخلدا صاحب الترجمة فقام بشؤون خراسان. ثم رحل مخلد إلى الشام وافدا على الخليفة عمر بن عبد العزيز، يلتمس الافراج عن أبيه، وكان في سجن عمر، فناظره عمر ورأى من عقله ما أعجبه حتى قال: هذا فتى العرب! ولم يعش بعد ذلك غير أيام. ومات في الشام سنة 100 هـ

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (2) الجراح بن عبد الله بن جعادة بن أفلح بن الحارث بن درة (ذوة) بن حدقة بن مظة،واسمه سفيان بن سليم بن الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، أبو عقبة الحكمي من قواد أهل الشام من دمشق. ولي البصرة في أيام الوليد بن عبد الملك للحجاج، ثم ولي العراق في أيام سليمان خلافة ليزيد بن المهلب، ثم ولي خرا سان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، وولي عدة جهات وكان قارئا غازيا قتله الترك بأذربيجان غازيا في سنة 112 هـ. وقيل كان على أرمينية، قتلته الخزر* (من الترك) سنة 105 هـ

■ (4) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أو خالد الأزدي. ولد زمن معاوية سنة 53 هـ، وولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك، ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن أرطأة، وطلبه عمر وسجنه. وكان الحجاج قد عزله وعذبه، فسأله أن يخفف عنه الضرب على أن يعطيه كل يوم مئة ألف درهم. فقصده الأخطل ومدحه، فأعطاه مئة ألف، فعجب الحجاج من جوده في تلك الحال وعفا عنه.واعتقله، ثم هرب من حبسه ثم قتل في صفر سنة 102 هـ.قال الذهبي : قتل عن 49 سنة،ولقد قاتل قتالا عظيما، وتفللت جموعه (انكسروا وانهزموا) فما زال يحمل بنفسه في الألوف، لا لجهاد، بل شجاعة وحمية حتى ذاق حمامه. نعوذ بالله من هذه القتلة الجاهلية

■ (5) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.حج سنة 97 هـ عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. كانت الفتوحات محدودة في أيامه، فعلى الجبهة الغربية غزا القسطنطينية برا وبحرا تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك، ورابط بنفسه هناك، وأقسم ألا يعود حتى يفتحها، فتوفي أثناء حصارها سنة 99 هـ على الجبهة الشرقية: فتح يزيد بن المهلب جرجان و طبرستان عام 98 هـ. توفي سنة 99 هـ

■ (6) حمزة بن بيض بن نمر بن عبد الله بن شمر الحنفي، من بني بكر بن وائل: شاعر مجيد، سائر القول، كثير المجون، من أهل الكوفة. كان منقطعا إلى المهلب بن أبي صفرة وولده، ثم إلى بلال بن أبي بردة، وحصلت له أموال كثيرة. وأخباره مع عبد الملك بن مروان وغيره كلها طرف. مات سنة 116 هـ

عن روح بن قبيصة المهلبي، عن أبيه، قال: قال يزيد بن المهلب لأبنه مخلد: يا بني، استفره الكاتب واستحد الحاجب، فإن كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه. وعن الزيادي، قال: قال يزيد بن المهلب لأبنه مخلد حين ولاه جرجان: استطرف كاتبك، واستعطر حاجبك. وعن شعيب بن صفوان؛ أن حمزة بن بيض دخل على مخلد بن يزيد بن المهلب – في السجن – فأنشده: من التقارب: أتيناك في حاجة فاقضها..وقل مرحبا يجب المرحب. فقال: مرحبا. ولا تكلنا إلى معشر..متى يعدوا عدة يكذبوا..فإنك في الفرع من أسرة..لهم خضع الشرق والمغرب..وفي أدب فيهم ما نشأت..فنعم لعمرك ما أكسبوا..بلغت لعشر مضت من سني..ك كما يبلغ السيد الأشيب..فهمك فيها جسام الأمو..ر وهم لداتك أن يلعبوا..وجدت فقلت إلا سائل..فيسأل أو راغب يرغب..فمنك العطية للسائلي ... ن وممن ينوبك أن يطلبوا. قال: هات حاجتك؛ فقضاها. قال أبو الحسين: ولا أحسبه إلا قال: وأمرله بعشرة آلاف.

قال العباس بن سالم: بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبي سلام الحبشي، فحمل على البريد. فلما قدم على عمر بن عبد العزيز قال: يا أمير المؤمنين، لقد شق علي محملي علي البريد، فقال عمر: ما أردنا المشقة بك يا أبا سلام، ولكنه بلغني عنك حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحوض فأحببت أن أشافهك به. قال أبو سلام: سمعت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿ إِنَّ حَوْضِيَ مِنْ عَدَنِ أَبْيَنَ إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاءِ أَكْوَابُهُ مِثْلُ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ مَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، أَوْ قَالَ: أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا أَوَّلُ مَنْ يَرِدُهُ عَلَيَّ فُقَرَاءُ أُمَّتِي فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ: هُمُ الشُّعْثُ الرُّءُوسِ الدُّنْسُ الثِّيَابِ الَّذِينَ لاَ يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ وَلاَ تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السُّدَدِ﴾ قال : فقال عمر بن عبد العزيز: أنا والله قد أنكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي أبواب السدد إلا أن يرحمني الله لا جرم والله لا أدهن رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي الذي يلي جلدي حتى يتسخ.

خطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن الله تعالى خلق خلقه ثم أرقدهم ثم يبعثهم من رقدتهم؛ فإما إلى جنة وإما إلى نار؛ والله إن كنا مصدقين بهذا إنا لحمقى*؛ وإن كنا مكذبين بهذا إنا لهلكى! ثم نزل.

خطب عمر فقال: أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به إنكم لحمقى، وإن كنتم تكذبون به إنكم لهلكى، إنما خلقتم للأبد، ولكنكم من دار إلى دار تنقلون، عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص، ومن شرابكم شرق، لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه، ثم غلبه البكاء فنزل.

----

*(إنا لحمقى) لقلة طاعاتنا وكثرة تقصيرنا وشدة غفلتنا.

مراجع: مختصر تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ وفيات الاعيان/ سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي/ التعازي والمراثي/ مسند أبي داود الطيالسي/ تاريخ أبي زرعة الدمشقي/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) والشيخ 0524

قال عمر بن عبد العزيز[1]: لأجلدن في الشراب كما فعل جدي عمر بن الخطاب[2] رضي الله عنه. ثم أمر صاحب عسسه وضم إليه صاحب خبره، وقال لهما: من وجدتماه سكران فأتياني به. فطافا ليلتهما حتى انتهيا إلى بعض الأسواق، فإذا هما بشيخ حسن الشيبة، بهي المنظر، عليه ثياب حسنة، متلوث في أثوابه سكران وهو يتغنى: من الطويل: سقوني وقالوا لا تغن ولو سقوا..جبال حنين ما سقوني لغنت. فحركاه بأرجلهما وقالا له: يا شيخ، ما تستحي بهذه الشيبة الحسنة من مثل هذه الحال؟ فقال: ارفقا بي، فإن لي إخوانا أحداث الأسنان شربت عندهم ليلتي هذه، فلما عمل الشراب في أخرجوني، فإن رأيتما أن تعفوا عني فافعلا فقال صاحب العسس لصاحب الخبر: اكتم علي أمره حتى أطلقه. قال: قد فعلت. قال: انصرف يا شيخ ولا تعد. فقال: نعم، وأنا تائب، فلما كان في الليلة الثانية وجدا الشيخ على حاله وهو يتغنى: مجزوء الخفيف: إنما هيج البلا..حين عض السفرجلا..فرماني وقال لي..كن بعيني مبتلى..ولقد قام لحظه..لي على القلب بالقلى. فحركاه بأرجلهما وقالا له: يا شيخ، أين التوبة منك؟ فقال: ارفقا بي واعلما أن إخواني الذين ذكرتهم لكما البارحة حلفوا لي في يومهم هذا أنه متى عمل الشراب لا يخرجوني، فعمل فيهم وفي فخرجت وهم لا يعلمون، فإن رأيتما أن تزيدا في العفو فافعلا. فقال صاحب العسس لصاحب الخبر: اكتم علي أمره حتى أطلقه. قال: قد فعلت. قال: انصرف. فلما طافا في الليلة الثالثة وجداه على حاله يتغنى: من الخفيف: ارض عني فطالما قد سخطتا..أنت ما زلت جافيا مذ عرفتا..أنت ما زلت جافيا لا وصولا ..بل بهذا فدتك نفسي ألفتا..ما كذا يفعل الكرام بنو النا..س بأحبابهم فلم كنت أنتا. فحركاه بأرجلهما وقالا: هذه الثالثة ولا عفو. قال: أخطأتما، فإني رويت بسندي إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من شرب الخمر لم تقبل صلاته أربعين ليلة، فإن تاب تاب الله عليه. فإن شربها الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فإن تاب تاب الله عليه فإن شربها الثالثة لم تقبل صلاته أربعين ليلة، فإن تاب تاب الله عليه فإن شربها الرابعة لم تقبل صلاته أربعين ليلة، ثم تاب لم يتب الله عليه، وكان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال. قيل: وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار في النار. قال: فعفو من الثالثة واجب، ومن الرابعة غير واجب.فقال صاحب العسس لصاحب الخبر:اكتم علي أمره حتى أطلقه. قال: قد فعلت.قال: انصرف. فلما كان في الليلة الرابعة وجداه على حاله يتغنى: من البسيط: قد كنت أبكي وما حنت لهم لإبل..فما أقول إذا ما حمل الثقل..كأنني بك نضو لا حراك به..تدعى وأنت عن الداعين في شغل..فقلبوك بأيديهم هناك وقد..سارت بأجمالك المهرية الذلل..حتى إذا استيأسوا من أن تجيبهم..غطوا عليك وقالوا قد قضى الرجل.هذه الرابعة ولا عفو.قال: لست أسألكما عفوا بعدها، فافعلا ما بدا لكما، فحملاه فأوقفاه بحضرة عمر بن عبد العزيز، وقصا عليه قصته من أولها إلى آخرها، فأمر عمر رضي الله عنه باستنكاهه فوجد منه رائحة، فحبسه حتى أفاق، فلما كان في الغد أقام عليه الحد، فجلده ثمانين جلدة. فلما فرغ قال له عمر: أنصف يا شيخ من نفسك ولا تعد. قال: يا أمير المؤمنين، قد ظلمتني لأنني عبد، وحددتني حد الأحرار. فاغتم عمر. فقال: أخطأت علينا وعلى نفسك، أفلا أخبرتنا أنك عبد فنحدك حد العبيد؟ فلما رأى اهتمام عمر به رد عليه وقال:لا يسوءك الله يا أمير المؤمنين، ليكن لي بقية هذا الحد سلفا عندك، لعلي أرفع إليك مرة أخرى. فضحك عمر حتى استلقى على مسنده، وكان قليل الضحك، وقال لصاحب عسسه وصاحب خبره: إذا رأيتما مثل هذا الشيخ في هيئته وعلمه وفهمه وأدبه فاحملا على أمره الشبهة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:ادرؤوا الحدود بالشبهة.

(1) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

(2) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

صدق الله العظيم

عن نافع بن عاصم ، أن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَسَكِرَ لَمْ يُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ شَرِبَهَا فَسَكِرَ لَمْ يُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ شَرِبَهَا فَسَكِرَ لَمْ يُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنْ شَرِبَهَا الرَّابِعَةَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ عَيْنٍ، أَوْ نَهْرِ الْخَبَالِ، قِيلَ: وَمَا عَيْنٌ، أَوْ نَهْرُ الْخَبَالِ ؟ قَالَ: صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ﴾ وعن عروة، عن أم المؤمنين عائشة، قالت: ﴿ادْرَؤُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِذَا وَجَدْتُمْ لِلْمُسْلِمِ مَخْرَجًا، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَإِنَّ الإِمَامَ أَنْ يُخْطِىءَ فِي الْعَفْوِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ﴾ وعن ابن عباس موقوفا:﴿ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ، وَأَقِيلُوا الْكِرَامَ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ﴾

سرق سرقة في خلافة عمر بن عبد العزيز، فأمر عمر بقطع يده، فقال: يا أمير المؤمنين، اسمع مقالي، ثم افعل ما ترى. فقال له: قل، فأنشأ يقول: من الطويل: يميني أمير المؤمنين أعيذها..بعفوك أن تلقى نكالا يشينها..ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها..إذا ما شمال فارقتها يمينها..ولو أن أهلي يعلمون لسيرت..إليك المطايا عينها وقطينها . فقال: يا أعرابي، هذا حد من حدود الله، وتركه ذنب. فقال: يا أمير المؤمنين، اجعل هذا من الذنوب التي تستغفر الله منها. فأمر بتخليته.

مراجع: مختصر تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ إتحاف الخيرة المهرة/

صلى ى عمر بن عبد العزيز[1] ذات يوم، فلما ذهب ليدخل، هتف به هاتف: يا أمير المؤمنين. فأقبل عليه مذعورا فقال: ما شأنك؟ أتعذر عليك حجابي أو قال: آذني؟قال: لا يا أمير المؤمنين، ولكني قدمت الساعة، وجئتك مبادرا قال: مبادرا ماذا؟ قال: أن تسبقني بنفسك. قال: ولم؟ قال: لأني رأيت الخير سريع الذهاب. فجلس عمر وقال: حاجتك؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، اذكر لمقامي هذا مقاما لا يشغل الله عنك فيه كثرة من تخاصم إليه من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل، ولا براءة من الذنب. قال: فاستبكى أو قال: بكى ثم قال: حاجتك؟ فأخبره بحاجته.

جاء أعرابي إلى عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين، جاءت بي الحاجة، وانتهت الغاية، والله سائلك عما أقول. فقال له عمر: أعد علي ما قلت. فأعاد عليه، فنكس عمر رأسه، وأرسل عينيه حتى ابتلت الأرض بدموعه، ثم قال له: ما عيالك؟ قال: أنا وثلاث بنات لي. ففرض له في ثلاث مئة، وفرض لبناته لكل واحدة مئة درهم، وأعطاه مئة درهم. قال: هذه لك، وإذا خرج عطاء المسلمين أخذت معهم.

وعن حماد بن زيد عن عامر بن عبيدة قال أول ما أنكر من عمر بن عبد العزيز أنه خرج في جنازة فأتى ببرد كان يلقى للخلفاء يقعدون عليه إذا خرجوا إلى جنازة فألقي له فضربه برجله ثم قعد على الأرض فقالوا: ما هذا؟ فجاء رجل فقام بين يديه، فقال: يا أمير المؤمنين، اشتدت بي الحاجة وانتهت بي الفاقة والله سائلك عن مقامي هذا بين يديك وفي يده قضيب قد اتكأ عليه بسنانه، فقال: أعد علي ما قلت، فأعاد عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، اشتدت بي الحاجة وانتهت بي الفاقة والله سائلك عن مقامي هذا بين يديك، فبكى حتى جرت دموعه على القضيب، ثم قال له: ما عيالك؟ قال: خمسة وأنا وامرأتي وثلاثة أولادي، قال: فإنا نفرض لك ولعيالك عشرة دنانير، ونأمر لك بخمس مائة مائتين من مالي، وثلاثمائة من مال الله تبلغ بها حتى يخرج عطاؤك.

----

(1) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

روى ابن الجوزي رحمه الله في سيرة عمر بن عبد العزيز له عن أبي فروة قال: خرج عمر بن عبد العزيز على بعض جنائز بني أمية، فلما صلى عليها ودفنت قال للناس: قوموا؛ ثم توارى عنهم، فاستبطأه الناس حتى ظنوا، فجاء وقد احمرت عيناه، وانتفخت أوداجه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لقد أبطأت فما الذي حبسك؟ قال: أتيت قبور الأحبة، قبور بني أبي، فسلمت فلم يردوا السلام، فلما ذهبت أقفي ناداني التراب، فقال: يا عمر، ألا تسألني ما لقيت الأحبة؟ قلت: ما لقيت الأحبة؟ قال: خرقت الأكفان، وأكلت الأبدان؛ فلما ذهبت أقفي ناداني التراب فقال: يا عمر، ألا تسألني ما لقيت العينان؟ قلت: وما لقيت العينان؟ قال: قدعت المقلتان، وأكلت الحدقتان؛ فلما ذهبت أقفي ناداني التراب، فقال: يا عمر، ألا تسألني ما لقيت الأبدان؟ قلت: وما لقيت الأبدان؟ قال: قطعت الكفان من الرسغين، وقطعت الرسغان من الذراعين، وقطعت الذراعان من المرفقين، وقطعت الكتفان من الجنبين، وقطعت الجنبان من الصلب، وقطع الصلب من الوركين، وقطعت الوركان من الفخذين، والفخذان من الركبتين، وقطعت الركبتان من الساقين، وقطعت الساقان من القدمين؛ فلما ذهبت أقفي ناداني التراب، فقال: يا عمر، عليك بأكفان لا تبلى؛ قلت: وما الأكفان التي لا تبلى؟ قال: اتقاء الله والعمل بطاعته؛ ثم بكى عمر، وقال: ألا وإن الدنيا بقاؤها قليل، وعزيزها ذليل، وغنيها فقير، وشابها يهرم، وحيها يموت، فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها، فالمغرور من اغتر بها، أين سكانها الذين بنوا مدائنها، وشقوا أنهارها، وغرسوا أشجارها؟ أقاموا فيها أياما يسيرة، غرتهم بصحتهم، وغروا بنشاطهم، فركبوا المعاصي، إنهم والله كانوا في الدنيا مغبوطين بالأموال على كثرة المنع، محسودين على جمعها، ما صنع التراب بأبدانهم، والرمل بأجسادهم، والديدان بعظامهم وأوصالهم، كانوا في الدنيا على أسرة ممهدة، وفرش منضدة، بين خدم يخدمون، وأهل يكرمون، وجيران يعضدون، فإذا مررت فنادهم إن كنت مناديا، وادعهم إن كنت داعيا، مر بعسكرهم وانظر إلى تقارب منازلهم، وسل غنيهم ما بقي من غناه، وسل فقيرهم ما بقي من فقره، وسلهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون، وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون، وعن الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة، والأجساد الناعمة، ما صنع بها الديدان؟ امحت الألوان، وأكلت اللحمان، وعفرت الوجوه، وقبحت المحاسن، وكسرت الفقار، وأبانت الأعضاء، ومزقت الأشلاء، فأين حجالهم وقبابهم؟ وأين خدمهم، وعبيدهم، وجمعهم، ومكنوزهم؟ والله ما زادوهم فراشا، ولا وضعوا هنالك متكأ، ولا غرسوا لهم شجرا، ولا أنزلوهم من اللحد قرارا، أليسوا في منازل الخلوات والفلوات؟ أليس عليهم الليل والنهار سواء؟ أليس هم في مدلهمة ظلماء، قد حيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبة، فكم من ناعم وناعمة أصبحت وجوهم بالية، وأجسادهم من أعناقهم بائنة، وأوصالهم متمزقة، قد سالت الحدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه دما وصديدا، ودبت دواب الأرض في أجسادهم، ففرقت أعضاءهم، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيرا حتى عادت العظام رميما، قد فارقوا الحدائق، وصاروا بعد السعة في المضايق، قد تزوجت نساؤهم، وترددت في الطرقات أبناؤهم، وتوزعت القرابات ديارهم وتراثهم، فمنهم والله الموسع له في قبره، الغض الناظر فيه، المتنعم بلذته. يا ساكن القبر غدا ما الذي غرك من الدنيا؟ هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد؟ وأين ثمرك الحاضر ينعه؟ وأين رقاق ثيابك؟ وأين طيبك وأين بخورك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه، وهو يرشح عرقا، ويتلمظ عطشا، ويتقلب في سكرات الموت وغمرته، جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدر والقضاء، جاءه من الأجل ما لا يمتنع منه، هيهات هيهات يا مغمض الوالد والأخ والولد، وغاسله، يا مكفن الميت وحامله، يا مخليه في القبر راجعا عنه، ليت شعري كيف كنت على خشونة الثرى؟ يا ليت شعري بأي خديك بدأ البلى؟ يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموتى، يا ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا؟ وما يأتيني به من رسالة ربي. ثم تمثل بهذه الأبيات: تسر بما يفني وتشغل بالصبى كما غر باللذات في النوم حالم..نهارك يا مغرور لهو و غفلة وليلك نوم والردى لك لازم..وتعمل فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم. ثم انصرف، فما بقي بعد ذلك إلا جمعة. أي أسبوعا.

اللهم إنا نسألك أن تقيل العثرات، وتغفر الزلات، وتبدلها حسنات، وتستعملنا في الطاعات، وتشغلنا بما يهمنا في الحياة وبعد المات، وأن تطيبنا للمات، وأن تستر الخطيئات، وأن تغفر للآباء والأمهات، وأن تصلح الأزواج والذريات، إنك ولي ذلك والقادر عليه، لا رب سواك، ولا إله غيرك.

مراجع: مختصر تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ إتحاف الخيرة المهرة/ موسوعة الدين النصيحة/

حدث محمد بن بشر بن حميد المزني عن أبيه[1] قال: دعاني عمر بن عبد العزيز[0] فقال لي: خذ هذا المال الأربعة آلاف دينار أو خمسة آلاف دينار فاقدم بها على أبي بكر بن حزم[2] فقل له: فليضم إليه خمسة آلاف أو ستة آلاف حتى يكون عشرة آلاف دينار وأن تأخذ تلك الآلاف من الكتيبة* ثم تقسم ذلك على بني هاشم وتسوي بينهم الذكر والأنثى والصغير والكبير سواء، قال: ففعل أبو بكر، فغضب من ذلك زيد بن حسن[3] فقال لأبي بكر قولا نال فيه من عمر، وكان فيما قال: يسوي بيني وبين الصبيان، فقال أبو بكر: لا تبلغ هذه المقالة عنك أمير المؤمنين فيغضبه ذلك، وهو حسن الرأي فيكم، قال زيد: فأسألك بالله ألا كتبت إليه تخبره بذلك، فكتب أبو بكر إلى عمر يذكر له أن زيد بن حسن قال مقالة فيها غلظة، وأخبره بالذي قال، وقلت يا أمير المؤمنين: إن له قرابة ورحما، فلم يبال عمر وتركه، وكتبت إليه فاطمة بنت حسين[4]، تشكر له ما صنع، وتقسم بالله يا أمير المؤمنين لقد أخدمت من كان لا خادم له، واكتسى منهم من كان عاريا، فسر بذلك عمر.

حدث إسماعيل بن عبد الملك عن يحيى بن أبي يعلى قال: لما قدم المال على أبي بكر بن حزم، فقسمه أصاب كل إنسان خمسين دينارا، قال: فدعتني فاطمة بنت حسين وقالت: اكتب، فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من فاطمة بنت حسين، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فأصلح الله أمير المؤمنين، وأعانه على ما ولاه، وعصم له دينه، فإن أمير المؤمنين كتب إلى أبي بكر بن حزم أن يقسم فينا مالا من الكتيبة، ويتحرى بذلك ما كان يصنع من كان قبله من الأئمة الراشدين المهديين، فقد بلغنا ذلك وقسم فينا، فوصل الله أمير المؤمنين، وجزاه من وال خير ما جزى أحدا من الولاة، فقد كانت أصابتنا جفوة واحتجنا إلى أن يعمل فينا بالحق، فأقسم لك بالله، يا أمير المؤمنين، لقد اختدم من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان لا خادم له، واكتسى من كان عاريا، واستنفق من كان لا يجد ما يستنفق، وبعثت إليه رسولا، قال: فأخبرني الرسول قال: فقدمت عليه، فقرأ كتابها، وإنه ليحمد الله ويشكره، وأمر لي بعشرة دنانير، وبعث إلى فاطمة بخمسمائة دينار، وقال: استعيني بها على ما يعروك، وكتب إليها بكتاب يذكر فضلها وفضل أهل بيتها، ويذكر ما أوجب الله لهم من الحق، قال: فقدمت عليها بذلك المال.

حدث سعيد بن محمد عن جعفر بن محمد: أن عمر بن عبد العزيز، قسم بينهم سهم ذي القربى بين بني عبد المطلب، ولم يعط نساء بني عبد المطلب من غير بني عبد المطلب، وأعطى نساء بني عبد المطلب، لم يجاوز بني عبد المطلب.

عن يحيى بن شبل قال: جلست مع علي بن عبد الله بن عباس[5] وأبي جعفر محمد بن علي[6] فجاءهما آت فوقع بعمر بن عبد العزيز فنهياه وقالا: ما قسم علينا خمس منذ زمن معاوية إلى اليوم، وإن عمر بن عبد العزيز قسمه على بني عبد المطلب، فقلت: فهل أعطى بني المطلب؟ فقالا: ما جاوز به بني عبد المطلب.

قال محمد بن عمر حدثني يزيد بن عبد الملك النوفلي عن أبيه قال: لما قدم علينا مال الخمس من عند عمر بن عبد العزيز، وقسم من عنده ومن الكتيبة، فضه على بني هاشم الرجال والنساء، فكتب إليه في بني المطلب، فكتب إنما هم من بني هاشم، فأعطوا قال عبد الملك بن المغيرة: فاجتمع نفر من بني هاشم فكتبوا كتابا وبعثوا به مع رسول إلى عمر بن عبد العزيز يتشكرون له ما فعله من صلة أرحامهم، وأنهم لم يزالوا مجفيين منذ كان معاوية، فكتب عمر بن عبد العزيز قد كان رأيي قبل اليوم هذا، ولقد كلمت فيه الوليد بن عبد الملك وسليمان فأبيا علي، فلما وليت هذا الأمر تحريت به الذي أظنه أوفق إن شاء الله.

حدث حكيم بن محمد من بني المطلب قال: لما جاء كتاب عمر أن يقسم على بني هاشم، أراد أبو بكر بن حزم تنحيتنا، فقالت بنو عبد المطلب: لا نأخذ درهما واحدا حتى يأخذوا فردنا أبو بكر أياما، ثم كتب إلى عمر بن عبد العزيز، فما غاب عنا الكتاب إلا بضعا وعشرين ليلة حتى جاءه إني لعمري ما فرقت بينهم وما هم إلا من بني عبد المطلب في الحلف القديم العتيق، فاجعلهم كبني عبد المطلب.

حدث أبو المليح عن بن عقيل يعني عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال: أول مال قسمه عمر بن عبد العزيز لمال بعث به إلينا أهل البيت، فأعطى المرأة منا مثل ما يعطى الرجل، وأعطى الصبي مثل ما تعطى المرأة، قال: فأصابنا أهل البيت ثلاثة آلاف دينار، وكتب لنا إني إن بقيت لكم أعطيتكم جميع حقوقكم.

----

*(الكتيبة) مصغرة اسم لبعض قرى خيبر [تاج العروس].وكتائب جمع كتيبة وهي الجيش ويقال الكتيبة ما جمع بعضها إلى بعض

■ (3) زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، والد أمير المدينة الحسن بن زيد..روى عن أبيه وجابر وابن عباس. وعنه ابنه الحسن وعبد الرحمن ابن أبي الموال وعبد الله بن عمرو بن خداش وعبد الملك بن زكرياء الأنصاري وأبو معشر ويزيد بن عياض بن جعدبة. ذكره ابن حبان في الثقات وكان من سادات بني هاشم وكان يتولى صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أما بعد فان زيد بن الحسن شريف بني هاشم وذو سنهم مات وهو ابن تسعين سنة. قلت: مات في حدود 120 هـ

■ (2) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي أمير المدينة وقاضيها لسليمان بن عبد الملك، ثم لعمر بن عبد العزيز روى عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن مالك قال: لم يكن عندنا بالمدينة احد عنده من علم القضاء ما كان عند أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم وكان ولاه عمر بن عبد العزيز وكتب إليه أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد فكتبه له، ولم يكن على المدينة أنصاري أميرا غير أبي بكر بن حزم، وكان قاضيا.

■ (0) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (4) فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب: تابعية، من راويات الحديث. روت عن جدتها فاطمة مرسلا، وعن أبيها وغيرهما. ولما قتل أبوها حملت إلى الشام مع أختها سكينة، وعمتها أم كلثوم بنت علي، وزينب العقيلية، فأدخلن على يزيد، فقالت: يا يزيد أبنات رسول الله سبايا ؟ قال: بل حرائر كرام، أدخلي على بنات عمك، فدخلت على أهل بيته، فما وجدت فيهن سفيانية إلا نادبة تبكي. وعادت إلى المدينة فتزوجها ابن عمها الحسن بن الحسن بن علي ومات عنها، فتزوجها عبد الله ابن عمرو بن عثمان، ومات، فأبت الزواج من بعده إلى أن توفيت.110 هـ

■ (6) الباقر، محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر: خامس الائمة الاثني عشر عند الامامية. كان ناسكا عابدا، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. ولد بالمدينة، وتوفي بالحميمة ودفن بالمدينة سنة 114 هـ.

■ (5) علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو محمد، السجاد: جد الخلفاء العباسيين. من أعيان التابعين. كان كثير العبادة والصلاة فغلب عليه لقب السجاد وكان من أجمل الناس وأوسمهم، عظيم الهيبة، جليل القدر. قيل للوليد بن عبد الملك: إنه يقول بأن الخلافة ستصير إلى أبنائه، فأمر به فضرب بالسياط وأهين. واعتقله هشام بن عبد الملك، في البلقاء فمات معتقلا سنة 118 هـ.

■ (1) بشر بن حميد بن أبي مريم المزني المدني.؟

☪

قال خليد بن دعلج: لما استخلف عمر بن عبد العزيز، أرسل إلى الحسن وابن سيرين يقول لهما: أرد عليكما ما حبس عنكما من أعطيتكما، فقال بن سيرين: إن فعل ذلك بأهل البصرة فعلت، وأما غير ذلك فلا، فكتب عمر: إن المال لا يسع، قال: وقبل الحين. وعن محمد بن معن الغفاري قال: أخبرني بن علاثة قال: كانت لعمر بن عبد العزيز صحابة يحضرونه يعينوه برأيهم ويسمع منهم، قال: فحضروه يوما، فأطال الصبح، فقال بعضهم لبعض: تخافون أن يكون تغير، قال: فسمع ذلك مزاحم، فدخل فأمر من أيقظه، فأخبره ما سمع من أصحابه، وأمره، فأذن لهم، فلما دخلوا عليه، قال: إني أكلت هذه الليلة حمصا وعدسا فنفخني، قال: فقال بعض القوم: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة]، فقال عمر: هيهات، ذهبت به إلى غير مذهبه، إنما يريد به طيب الكسب، ولا يريد به طيب الطعام. قال أبو المليح عن ميمون: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله، أما بعد، فخل بين أهل الأرض وبين بيع ما في أيديهم من أرض الخراج فإنهم إنما يبيعون فيء المسلمين والجزية الراتبة. وقال: دخل عامل لعمر بن عبد العزيز عليه فقال: كم جمعت من الصدقة؟ فقال: كذا وكذا، قال: فكم جمع الذي كان قبلك؟ قال: كذا وكذا، فسمى شيئا أكثر من ذلك، فقال عمر: من أين ذاك؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنه كان يؤخذ من الفرس دينار، ومن الفدان خمسة دراهم، وإنك طرحت ذلك كله، قال: لا، والله، ما ألقيته ولكن الله ألقاه. وقال: كتب عمر بن عبد العزيز بإباحة الجزائر، وقال: إنما هو شيء أنبته الله، فليس أحد أحق به من أحد. وقال:: جاءت كتب عمر بن عبد العزيز بإحياء السنة وإماتة البدع، وإنه ينبغي لكم أن يكون ظنكم بي أن لا حاجة لي في أموالكم، لا ما في يدي، ولا ما في أيديكم، إنه حري على من انتهك معاصي الله في عقوبته إياه. وحدث يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه: أن حيان بن شريح عامل عمر بن عبد العزيز على مصر كتب إليه: إن أهل الذمة قد أسرعوا في الإسلام، وكسروا الجزية، فكتب إليه عمر، أما بعد، فإن الله بعث محمدا داعيا، ولم يبعثه جابيا، فإذا أتاك كتابي هذا فإن كان من أهل الذمة أسرعوا في الإسلام، وكسروا الجزية فاطو كتابك وأقبل. وحدثنا عبد العزيز بن محمد عن أبي سهيل نافع بن مالك قال تلا عمر بن عبد العزيز إنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صالي الجحيم فقال لي يا أبا سهيل ما تركت هذه الآية للقدرية حجة الرأي فيهم ما هو قال قلت أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم قال ذاك الرأي ذاك الرأي.

مراجع: الطبقات الكبرى/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) ويزيد بن عبد الملك 0527

كتب عمر بن عبد العزيز [1] إلى يزيد بن عبد الملك [2]، وهو في مرض الموت قائلا: بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر، أمير المؤمنين إلى يزيد بن عبد الملك، السلام عليك: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإني كتبت إليك وأنا دنف* من وجعي وقد علمت إني مسئول عما وليت يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئا يقول تعالى فيما يقول:﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف] فإن يرضى عني الرحيم فقد أفلحت ونجوت من الهول الطويل، وإن سخط علي فيا ويح نفسي إلى ما أصير، أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يجيرني من النار برحمته، وأن يمن علي برضوانه والجنة. وعليك بتقوى الله والرعية الرعية، فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلا حتى تلحق باللطيف الخبير. وفي رواية عن محمد بن أبي عيينة قال: قرأت رسالة عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد، فإن سليمان بن عبد الملك [3] كان عبدا من عباد الله، قبضه الله واستخلفني وبايع لي من قبله، وليزيد بن عبد الملك إن كان من بعدي، ولو كان الذي أنا فيه لاتخاذ أزواج، أو اعتقاد أموال كان الله قد بلغ بي أحسن ما بلغ بأحد من خلقه ولكني أخاف حسابا شديدا ومسألة لطيفة، إلا ما أعان الله عليه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

----

*(دنف) برأه المرض حتى أشفى على الموت

■ (2) يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو خالد الأموي الدمشقي؛ تولى الحكم بعد عمر بن عبد العزيز لست بقين من رجب سنة 101 هـ، وله 37 سنة وتوفي بأرض البلقاء، وقيل بعمان، لخمس بقين من شعبان سنة 105 هـ.

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (3) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.حج سنة 97 هـ عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. كانت الفتوحات محدودة في أيامه، فعلى الجبهة الغربية غزا القسطنطينية برا وبحرا تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك، ورابط بنفسه هناك، وأقسم ألا يعود حتى يفتحها، فتوفي أثناء حصارها سنة 99 هـ على الجبهة الشرقية: فتح يزيد بن المهلب جرجان و طبرستان عام 98 هـ. توفي سنة 99 هـ

يقول علي الصلابي: لقد نصح عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لولي عهده يزيد بن عبد الملك ما وسعه النصح وبذل ما يقدر عليه من التخويف والتهديد من عاقبة الأمر مع ضرب الأمثلة والإعتبار بالسابقين فقد نصح وبلغ أتم البلاغ.

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد أفغرت أفواه ولدك من هذا المال، فلو أوصيت بهم إلي وإلى نظرائي من قومك فكفوك مؤونتهم، فلما سمع مقالته: قال: أجلسوني فأجلسوه فقال: قد سمعت مقالتك يا مسلمة، أما قولك: إني قد أفغرت أفواه ولدي من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقا هو لهم ولم أكن لأعطيهم شيئا لغيرهم، وأما ما قلت في الوصية فإن وصيتي فيهم: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف] وإنما ولد عمر بين أحد رجلين: إما صالح فسيغنيه الله، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال على معصية الله ادع لي بني، فأتوه فلما رآهم ترقرقت عيناه، وقال: بنفسي فتية تركتهم عالة لا شيء لهم، وبكى،: يا بني إني قد تركت لكم خيرا كثيرا، لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقا يا بني إني قد مثلت بين الأمرين: إما أن تستغنوا وأدخل النار، أو تفتقروا إلى آخر يوم الأبد وأدخل الجنة، فأرى أن تفتقروا إلى ذلك أحب إلي، قوموا عصمكم الله، قوموا رزقكم الله. وجاء في رواية: أن عمر وصى مسلمة أن يحضر موته وأن يلي غسله وتكفينه، وأن يمشي معه إلى قبره، وأن يكون مما يلي إدخاله في لحده، ثم نظر إليه وقال: انظر يا مسلمة بأي منزل تركتني، وعلى أي حال أسلمتني إليه الدنيا فقال له مسلمة: هذه مائة ألف دينار، فأوصي فيها بما أحببت، قال: أو خير من ذلك يا مسلمة ؟ أن تردها من حيث أخذتها، قال مسلمة: جزاك الله عنا خيرا يا أمير والله لقد ألنت قلوبا قاسية، وجعلت لنا ذكرا في الصالحين وفي الأثرين الماضيين دروس وعبر ففي الخبر الأول مثل من ورع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى حتى في وصيته لأولاده بعد موته، حيث لم يرض لنفسه أن يفارق الدنيا وقد حمل ذمته شيئا لا يدري على أي وضع يكون تنفيذه، فربما تصور أنه لو أوصى بهم أحد أقاربه لأعطاهم من مصدر لا يحل، فيلحقه بذلك شيء من الإثم، فلجأ إلى الله تعالى وفوض أمرهم إليه، لقد تصور في معاملة أولاده وقوعه بين أمرين: أن يغنيهم في الحياة الدنيا، وذلك يمنحهم شيئا من المال العام للمسلمين، فيتعرض بذلك للفحات النار، أو أن يكتفي بالإنفاق عليهم من المورد القليل الحلال الخالي من الشبهات فيتعرض بذلك لنفحات الجنة، فاختار الطريق الأخير مع ثقته أن لن يضيعهم وقد أشار إلى أنه ترك لهم السمعة العالية، حيث سيكونون موضع إحترام وعطف جميع المسلمين وأهل الذمة، وأكرم بذلك من تركة إنها تركة عظيمة لا تقدر بها أموال الدنيا عند أصحاب الأفكار النيرة والعقول المبصرة، وفي قوله: إنما ولد عمر بين رجلين: إما رجل صالح فسيغنيه الله وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال على معصية الله.. لفتة جليلة إلى معية الله تعالى لأوليائه بالحفظ أخذا من قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف] وإشارة إلى أن الأمر المهم أن يبذل الوالد أقصى جهده في تربية أولاده على الصلاح ليحفظهم الله تعالى، وليس المهم أن يسعى في جمع المال لهم حتى يغتنوا من بعده، لانهم إن لم يكونوا صالحين فسيكون ذلك المال عونا لهم على معصية الله تعالى. وأما في الأثر الثاني يوجه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ابن عمه مسلمة بن عبد الملك إلى التحري في اكتساب المال، ويبين له أن إنفاق المال بالصدقة أو الهدية لا يجعله حلالا، بل لا بد من التحري في كسبه، فإذا لم يكن للإنسان حق فيه وجب عليه أن يرده إلى مستحقيه، ولا يبرئ ساحته أن يتصدق به أو يهديه.

لما احتضر عمر بن عبد العزيز، قال: أخرجوا عني فلا يبقين عندي أحد. وكان عنده مسلمة بن عبد الملك، فخرجوا وقعد مسلمة وفاطمة زوجه أخت مسلمة على الباب فسمعوه يقول: مرحبا بهذه الوجوه ليست وجوه إنس ولا بوجوه جان، وجاء في رواية: . . .قالت فاطمة بنت عبد الملك: كنت أسمع عمر يقول في أيا م مرضه: اللهم، أخف عنهم موتي ولو ساعة من نهار، فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده، وجلست في بيت بيني وبينه باب، فسمعته يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص] ثم هدأ فجعلت لا أسمع له صوتا ولا حسا ولا كلاما. فقلت لوصيف كان يخدمه: لو دخلت على أمير المؤمنين فدخل وصاح، فقمت ودخلت عليه وقد أقبل بوجهه إلى القبلة وأغمض عينيه بإحدى يديه وأغمض فمه بالأخرى، ومات رحمه الله. وجاء في رواية: أن عمر بن عبد العزيز لما كان مرضه الذي هلك فيه قال لهم: أجلسوني، فأجلسوه، ثم قال: أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه وأحد النظر فقالوا له: إنك لتنظر نظرا شديدا، فقال إني لأرى حضرة ليست بإنس ولا جن ثم قبض. وكان نقش خاتمه: عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله.

توفي الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر ليال بقين من رجب سنة 101هـ على أصح الروايات وأستمر معه المرض عشرين يوما وتوفي بدير سمعان من أرض المعرة بالشام بعد خلافة إستمرت سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيا م وتوفي وهو إبن تسع وثلاثين سنة وخمسة أشهر وعلى أصح الروايات وكان عمره لما توفي أربعين سنة.

مراجع: عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي/ سيرة عمر بن عبد العزيز/ الأعلام للزركلي/ حلية الأولياء/

◆ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (سادس الخلفاء الراشدين) والقاسم بن مخيمرة 0528

قال القاسم بن مخيمرة:[1] أتيت عمر بن عبد العزيز[2]، فقضى عني سبعين دينارا وحملني على بغلة وفرض لي في كل سنة خمسين.فقلت: أغنني عن التجارة. فسألني عن حديث، فقلت هيبتي* يا أمير المؤمنين. كأنه كره أن يحدثه به على هذا الوجه.

وفي رواية قال علي بن أبي حملة: ذكر الوليد بن هشام[3] القاسم بن مخيمرة لعمر بن عبد العزيز، فأرسل إليه، فدخل عليه، فقال: سل حاجتك، قال: يا أمير المؤمنين، قد علمت ما يقال في المسألة، قال: ليس أنا ذاك، إنما أنا قاسم، سل حاجتك.قال: تلحقني في العطاء قال: قد ألحقناك في خمسين، فسل حاجتك، قال: تقضي عني ديني، قال: قد قضيناه، فسل حاجتك، قال: تحملني على دابة، قال: قد حملناك، فسل، قال: تلحق بناتي في العيال، قال: قد فعلنا، فسل حاجتك، قال: أي شئ بقي، فقال: قد أمرنا لك بخادم فخذها من عند أخيك الوليد بن هشام.

وعن الأوزاعي قال: كان للقاسم بن مخيمرة شريك، كان إذا ربح قاسم شريكه، ثم يقعد في بيته لا يخرج حتى يأكله، وكان يقول: إذا أغلقت بابي فما لي هم خلف بابي.

قال القاسم بن مخيمرة: دخلت على عمر بن عبد العزيز وفي صدري حديث يتجلجل فيه أريد أن أقذفه إليه فقلت: بلغنا أنه من ولي على الناس سلطانا فاحتجب عن حاجتهم وفاقتهم احتجب الله عن حاجته يوم يلقاه؛ فقال: ما تقول؟! فأطرق طويلا ثم عرفتها فيه، فإنه برز للناس.

----

*(هيبتي) كذا وفي الحلية :هنيني. وزاد في رواية الحلية الأخرى بعد هذه الكلمة: عطيتك. ولعل الصواب: هيبتني أو هيبتني عطيتك أي خوفتني بهذا الطلب عقب العطية، وذلك للعلة المذكورة

■ (1) القاسم بن مخيمرة، الإمام القدوة الحافظ أبو عروة الهمداني الكوفي، نزيل دمشق. وكان تاجرا، قيل مات في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة100 هـ

■ (2) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (3) الوليد بن هشام بن معاوية بن هشام بن عقبة بن أبي معيط، أبو يعيش الأموي المعيطي. ثقة عدل، روى عن عمر بن عبد العزيز وكان عامله على قنسرين وغيرها. روى عنه ابنه يعيش و الأوزاعي والوليد بن سليمان وآخرون. عاش إلى دولة مروان بن محمد.

كان رجل من أهل العراق يعادي أهل الشام فذكر لعمر بن عبد العزيز، فأرسل إليه فأتاه فقال: أنت أبو يعيش الذي ذكرت لي حاجتك؟ فسكت. فقال: حاجتك؟ قال: قد علمت يا أمير المؤمنين ما يقال في المسألة. قال: إني ليست مسألة، إنما أنا خازن وقاسم. قال: عطائي أتقوى به على جهادي وأستغني به عن أصحابي قال: قد فرض الله لك، فسل. قال: علي ثماني بنات ما بين بنت إلى بنت أخ. قال: قد فرض الله لهن، فسل. قال: وعلي من الدين كذا وكذا. قال: فأمر له بخادم ونفقة.

ذكر ميمون بن مهران أن راهبا دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: ألم أخبر أنك تديم البكاء، فمم ذاك؟! قال: إني والله يا أمير المؤمنين عهدت الناس وما شيء عندهم آثر من دينهم، وما شيء اليوم آثر عندهم من دنياهم، فعلمت أن الموت اليوم خير للبر والفاجر، قال: فلما خرج قال عمر: صدق يا أبا أيوب الراهب.

قال السيوطي: عن بدع التحية والسلام، ومما أحدث قولهم: كيف أصبحت؟ وكيف أمسيت؟ قبل السلام وإنما السنة السلام أولا. وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم، فليست الأولى بأحق من الثانية. وروى أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر، ثم لقيه فليسلم عليه أيضا. ورويي أيضا عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام . والسلام تحية الله لعباده المؤمنين فيما بينهم، ولهم فيها أجر كثير، فقد روى أبو داود والترمذي، عن عمران بن حصين رضي الله، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رجل فقال: السلام عليكم، فرد النبي صلى الله عليه وسلم وقال: عشر، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: عشرون. ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس، وقال: ثلاثون. وروى أبو داود أيضا، عن معاذ بن أنس معناه، وزاد: ثم أتى آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته، فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: أربعون، ثم قال لنا: هكذا تكون الفضائل. فكان السلام شعارهم، وكانوا بعد السلام وبعد الرد يستخرج بعضهم من بعض الحمد والثناء. وفي الموطأ عن أنس رضي الله عنه أنه سمع عمر وقد سلم على رجل، فقال: السلام عليكم، فرد السلام، ثم قال له عمر: كيف أنت؟ فقال: الرجل: أحمد الله إليك يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ذلك الذي أردت منك. وأما قول الرجل: كيف أصبحت. و كيف أمسيت. بلا سلام، يشبه تحية أهل الجاهلية، وقد نهينا عن التشبه بهم؛ فروى أبو داود، عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: كنا نقول في الجاهلية: أنعم الله بك عينا، وأنعم صباحا، فلما كان الإسلام نهينا عن ذلك، وأمرنا بالسلام.

وقد يزيد بعض الجاهلين والعلماء والغافلين عن السنة على هذه البدعة أمرا منكرا، وهو الانحناء، وهو أمر منهي عنه، فروى الترمذي، عن أنس، قال: سمعت رجلا يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، الرجل يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: لا ، قال أفيلتزمه ويقبله؟ قال: لا . قال: أيأخذه بيده ويصافحه؟ قال: نعم. وروى الترمذي، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف. فالسلام واستخراج الحمد، والثناء بعد السلام، والمصافحة من تمام التحية، وهي من السنن وأفعال السلف الصالحين من الصحابة والتابعين؛ لما روى البخاري في صحيحه، عن قتادة، قال: قلت لأنس بن مالك: كانت المصافحة في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: نعم. وروى الترمذي، عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر لهما .

ومما أحدث قول الداخل منزل الغير: يا غلام، يا جارية. وهذا فيه مخالفة لقول الله تعالى: لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها [ ]، والاستئناس طلب الأنس؛ فيدق، أو يتنحنح، أو يحرك نعله؛ حتى يؤذن له، ويستأذن ثلاثا؛ ففي الصحيحين، عن أبي موسى، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع. وروى أبو داود، عن عبد الله بن بشر، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: السلام عليكم، السلام عليكم. وذلك أن الدور لم تكن يومئذ عليها ستور.

مراجع: مختصر تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين/ الأعلام للزركلي/ الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع/

قال سماك بن الفضل:[1] كنت عند عروة بن محمد[2] الأمير، وعنده وهب بن منبه[3]، فأتي بعامل لعروة فشكا، فأكثروا عليه، فقالوا: فعل وفعل، وثبتت عليه البينة، قال؛ فلم يملك وهب نفسه؛ فضربه على قرنه بعصا؛ فإذا دماؤه تشخب، فقال: أفي زمن عمر بن عبد العزيز يصنع مثل هذا؟ قال: فاشتهاها عروة وكان حليما واستلقى على قفاه وضحك، وقال: يعتب علينا أبو عبد الله الغضب في حكمته وهو يغضب، فقال وهب: وما لي لا أغضب وقد غضب خالق الأحلام؟ إن الله تعالى يقول:﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف] أي فلما أغضبونا وغاظونا انتقمنا منهم. ومعناه والله أعلم أنهم فعلوا ما يوجب الغضب عليهم والانتقام منهم.

قال وكتب عمربن عبد العزيز إلى عروة بن محمد: أما بعد، فإني بعثت إليك بنفر من بني عقيل وبئس، القوم كانوا في الجاهلية والإسلام، وكان أفضلهم في أنفسهم شر خلق الله دينا ونفسا، وأنا أرجو أن يجعل الله فيهم خلافا لا يزداد ما كرهوا من ذلك إلا لزوما، وأن يظعنوا إلى شر ما ظعن* إليه أهل موت، فإذا أتاك كتابي هذا فأنزلهم من نواحي أرضك بشرها بقدر هوانهم على الله عزوجل، والسلام. قال أبو محمد بن عبد الحكم: كتب وهب بن منبه إلى عمر بن عبد العزيز إني فقدت من بيت مال اليمن دنانير، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإني لست أتهم دينك ولا أمانتك ولكني أتهم تضييعك وتفريطك وإنما أنا حجيج المسلمين في مالهم وإنما لأشحهم فاحلف لهم و السلام.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله باليمن: إلى عروة بن محمد السعدي، إني أكتب إليك آمرك أن ترد المسلمين مظالمهم، فتكتب إلي تراجعني، ولا تعرف مسافة ما بيني وبينك، ولا تعرف أحداث الموت، حتى لو كتبت إليك أن ترد على رجل مظلمة شاة لكتبت إلي أردها عفراء* أم سوداء؟ فاردد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعني، والسلام. وكتب إلى عروة: لا يحمل إلي من اليمن إلا حق، ولو لم يبلغ خراجها إلا حفنة من كتم* لم أبال.

قال عروة بن محمد: لما استعملت على اليمن قال لي أبي: أوليت اليمن؟ قلت: نعم. قال: إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك، وإلى الأرض أسفل منك، ثم أعظم خالقهما..ولما دخلها قال: يا أهل اليمن هذه راحلتي فإن خرجت بأكثر منها فأنا سارق. وخرج عروة من اليمن وقد وليها سنتين وما معه إلا سيفه ورمحه ومصحفه.وقيل: إنه وليها عشرين سنة، وعزله يزيد بن عبد الملك عنها سنة ثلاث ومئة.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عروة بن محمد: أما بعد، فإنك كتبت إلي تذكر أنك قدمت اليمن فوجدت على أهلها ضريبة من الخراج مضروبة ثابته في أعناقهم كالجزية يؤدونها على كل حال إن أخصبوا أو أجدبوا أو حيوا أو ماتوا فسبحان الله رب العالمين ثم سبحان الله رب العالمين ثم سبحان الله رب العالمين إذا أتاك كتابي هذا فدع ما تنكره من الباطل إلى ما تعرفه من الحق ثم ائتنف الحق فاعمل به بالغا بي وبك ما بلغ وإن أحاط بمهج أنفسنا وإن لم ترفع إلي من جميع اليمن إلا حفنة من كتم فقد علم الله أني بها مسرور إذا كانت موافقة للحق والسلام. وفي رواية قال المدائني: وظف محمد بن يوسف[4] على أهل اليمن وظيفة جعلها عليهم خراجا، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله يأمره بإلغاء تلك الوظيفة والاقتصار على العشر، وقال: لأن لا يأتيني من اليمن حفنة كتم أحب إلي من أن تقر هذه الوظيفة. فلما ولي يزيد بن عبد الملك بعد عمر أمر بردها، وكتب إلى عروة بن محمد عامله إنك من ابن عبد العزيز كان مغرورا منك ومن أشباهك، فأعد على أهل اليمن الضريبة التي كان عمر أسقطها ولو صاروا حرضا. وعن أبي جزي قال: عمد يزيد بن عبد الملك إلى كل ما صنعه عمر بن العزيز مما لم يوافقه فرده، ولم يرهب فيه شنعة عاجلة، ولا إثما آجلا.

دخل فرات بن مسلم[5] على عمر بن العزيز فقال له عمر: ممن أنت؟ قال: من بني عقيل، قال: من أنفسهم أو من مواليهم؟ قال: لا بل من مواليهم، قال: فلا تقل من بني عقيل، فإنما بنو الرجل ما ولد، ولكن قل: من عقيل.وكان أبو نوفل ثقة.

قيل: وكتب عمربن عبد العزيز إلى عروة بن محمد: أما بعد، فإني بعثت إليك بنفر من بني عقيل، وبئس القوم كانوا في الجاهلية والإسلام، وكان أفضلهم في أنفسهم شر خلق الله دينا ونفسا، وأنا أرجو أن يجعل الله فيهم خلافا لا يزداد ما كرهوا من ذلك إلا لزوما وأن يظعنوا إلى شر ما ظعن إليه أهل موت، فإذا أتاك كتابي هذا فأنزلهم من نواحي أرضك بشرها بقدر هوانهم على الله عزوجل، والسلام.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عروة بن محمد: أما بعد، فإنك كتبت إلي تذكر أنك قدمت اليمن فوجدت على أهلها ضريبة من الخراج مضروبة ثابته في أعناقهم كالجزية يؤدونها على كل حال إن أخصبوا أو أجدبوا أو حيوا أو ماتوا فسبحان الله رب العالمين ثم سبحان الله رب العالمين ثم سبحان الله رب العالمين إذا أتاك كتابي هذا فدع ما تنكره من الباطل إلى ما تعرفه من الحق ثم ائتنف الحق فاعمل به بالغا بي وبك ما بلغ وإن أحاط بمهج أنفسنا وإن لم ترفع إلي من جميع اليمن إلا حفنة من كتم فقد علم الله أني بها مسرور إذا كانت موافقة للحق والسلام.

----

* (الكتم) نبت يخلط مع الوسمة أو بالحناء ويصبغ به الشعر أسود وقيل هو الوسمة.(العفرة) بياض ليس بالناصع، ولكن كلون عفر الأرض (ظعن) الظاء والعين والنون أصل واحد صحيح يدل على الشخوص من مكان إلى مكان

■ (3) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار وهو الأسوار، الإمام، العلامة، الإخباري، القصصي، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني، الذماري، الصنعاني. أخو: همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه. وأخذ عن: ابن عباس، وأبي هريرة - إن صح - وأبي سعيد، والنعمان بن بشير، وجابر، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص ـ على خلاف فيه - وطاووس. وروايته قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب. قال أحمد: كان من أبناء فارس، له شرف. ولد سنة 34 هـ والصواب أن وفاته سنة 110 هـ وليس 114 هـ

■ (1) سماك بن الفضل الخولاني اليماني الصنعاني، شيخ صدوق، روى عن عروة بن محمد بن عطية ووهب بن منبه وشهاب بن عبد الله الاعرج روى عنه معمر وعمرو بن عون بن عمرو بن سعد بن عبد الله.

■ (2) عروة بن محمد بن عطية بن عروة بن القين بن عامر بن عميرة السعدي الجشمي لجده صحبة، واستعمله سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك على اليمن

■ (4) محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج. كان أمير اليمن، قيل إنه كان ظلوما غشوما. مات باليمن في رجب سنة 91 هـ.

■ (5) فرات بن مسلم ويقال ابن سالم الجزري مولى بني عقيل والد نوفل بن الفرات من أهل الرقة وفد على عمر بن عبد العزيز وحكى عنه روى عنه أبو المليح الحسن بن عمر الرقي ورجاء بن أبي سلمة الفلسطيني

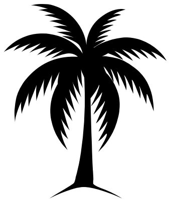

قال القرطبي في تفسيره: آسفونا أي أغضبوا رسلنا وأولياءنا المؤمنين؛ نحو السحرة وبنى إسرائيل، وهو كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب] و﴿الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾ [المائدة] أي أولياءه ورسله. قال عمر بن ذر:[1] كل حزن يبلى إلا حزن التائب على ذنوبه. وقال: يا أهل معاصي الله لا تغتروا بطول حلم الله عنكم، واحذروا أسفه، فإنه قال:﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف] وكان يقول: اللهم، إنا أطعناك في أحب الأشياء إليك: شهادة أن لا إله إلا أنت، ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك: الشرك؛ فاغفر لنا ما بينهما. وقال: أيها الناس: أجلوا مقام الله بالتنزه عما لا يحل، فإن الله تعالى لا يؤمن مكره إذا عصي. وعن محمد بن يونس قال: كنا عند زهير البابي فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن توصي بشيء؟ فقال: نعم احذر لا يأخذك الله وأنت على غفلة. وعن بشر بن موسى: وذكر دعاء عمر بن ذر: اللهم، ارحم قوما لم يزالوا منذ خلقتهم على مثل ما كانت السحرة يوم رحمتهم. وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ [هود]﴾ فأين ثمود والقياصرة والأكاسره..؟ فالعبرة في النهاية، كما يقول المثل المعروف. قال أبو سليمان الداراني: إنما هانوا عليه فتركهم ومعاصيه ولو كرموا عليه منعهم عنها.

☪

بلغ عمر بن عبد العزيز أن أخا من إخوانه مات ثم بلغه خلاف ذلك فكتب إليه عمر: أما بعد، فقد بلغنا خبر ريع له إخوانك ثم أتانا تكذيب ما بلغنا من الرضح الأول، فأنعم بذلك أن يسرنا وإن كان السرور بذلك وشيك الإنقطاع يتبعه عن قليل تصديق الخبر الأول، فهل أنت يا عبد الله إلا كرجل ذاق الموت ثم سأل الرجعة فأسعف بطلبته فهو متأهب مبادر مصر في جهازه بأقل ما يسره من ماله إلى دار قراره، لا يرى أن له من ماله شيئا إلا ما قدم أمامه، فإن المغبون في الدنيا والآخرة من اجتمع له مال قليل أو كثير ثم لم يكن له منه شيء، ولم يزل الليل والنهار سريعين في نفاذ الأيام وطي الآجال ونقض العمر، ولا يزالان على ذلك يفنيان ويبليان ما مرا به، هيهات قد صحبا نوحا وهودا وقرونا بين ذلك كثيرا فأضحوا قد لحقوا بربهم ووردوا على أعمالهم، فأصبح الليل والنهار غضين جديدين ولم يبلهما أحد، أفنياه ولم يفنهما من مرا به، ومستعدين لمن بقي بمثل ما أصابا به من مضى، وإنك اليوم شريف ناس كثير من ضربائك وقرنائك فهل أنت إلا كرجل قطعت أعضاؤه عضوا عضوا فلم يبق إلآ حشاشة نفسه، فهو ينتظر الداعي لها صباحا ومساء، فنستغفر الله لسيىء أعمالنا، ونعوذ به من مقته إيانا على ما نعظ به أنفسنا، والسلام.

■ (1) عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة بن معاوية، أبو ذر الهمذاني المرهبي الكوفي روى عن أبيه، عن سعيد بن جبير، مات سنة 152 هـ وقيل سنة 153 هـ وقيل سنة 155 هـ وقيل سنة 156 هـ وقيل سنة 157 هـ.

مراجع: صحيح ابن حبان/ البداية والنهاية/ أنساب الأشراف/ أسد الغابة/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ سيرة عمر بن عبد العزيز/

قال أبو الحسن المدائني: كان إياس بن معاوية[1] قاضيا فقيها قائفا* يزكن* فلا يخطئ، استقضاه عمر بن عبد العزيز، وأرسل رجلا [2] من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس والقاسم بن ربيعة الجوشني[3] من بني عبد الله بن غطفان فيولي القضاء أنفذهما، فقدم البصرة فجمع بينهما، فقال إياس للشامي: أيها الرجل سل عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن البصري[4] وابن سيرين[5]، فمن أشار عليك بتوليته فوله. وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين، ولم يكن إياس يأتيهما، فقال القاسم: لا تسألهما عنا فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياسا لأفضل مني وأفقه وأعلم بالقضاء، فإن كنت عندك ممن تصدق فإنه ينبغي لك أن تقبل قولي، وإن كنت كذابا فما يحل لك أن توليني، فقال إياس للشامي: إنك جئت برجل فأقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار بيمين حلفها كذب فيها يستغفر الله منها وينجو مما يخاف. فقال الشامي: أما إذا قد فهمتها، فأنت لها. فلم يزل قضاء البصرة سنة ثم هرب. وفي رواية حدث الأصمعي: أن عمر بن هبيرة قال لإياس بن معاوية لما أراده على القضاء: لأني لا أصلح قال له: وكيف ذلك؟ لأني عيي وأنا دميم وإني حديد، فقال ابن هبيرة: أما الحدة فإن السوط يقومك وأما الدمامة فإني لا أريد أن أحاسن بك وأما العي فقد عثرت على ما أريد وإن كنت عند نفسك عييا فذاك أجدر.

عن حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن أبيه؛ قال: كان سبب هروب إياس بن معاوية من القضاء، أن المهلب بن القاسم بن عبد الرحمن الهلالي[6] تزوج أم شعيب بنت محمد[7]، وأمها عكناء بنت أبي صفرة[7]، وأم القاسم بن عبد الرحمن الهلالي[8]، هي فاطمة بنت أبي صفرة[8]، وكان المهلب بن القاسم ماجنا فشرب يوما، وامرأته بين يديه، فناولها القدح، فأبت أن تشربه، ووضعته بين يديها؛ فقال لها: أنت طالق ثلاثا إن لم تشربيه، فقام إليها نسوة؛ فقلن اشربيه، وفي الدار طير داجن –وقيل: ظبي حاجر؟–، فعدا، فمر بالقدح فكسره، فقامت المرأة فجحد المهلب ذاك وقال: لم أطلقك، ولم يكن لها شهود إلا نساء، فأرسلت إلى أهلها فحولوها فاستعدى القاسم بن عبد الرحمن عدي بن أرطأة؛ وقال: غلبوا ابني على امرأته، فغضب له عدي، فردها إليه فخاصمته إلى إياس بن معاوية، وهو قاض لعمر بن عبد العزيز، وشهد لها نساء؛ فقال: إياس: لئن قربتها لأرجمنك، فغضب عدي على إياس؛ فقال له عمر بن يزيد الأسدي[9]، وكان عدوا لإياس؛ لأن إياسا قضى على أبيه بأرحاء* كانت في يديه لقوم، فقال لعدي: انظر قوما يشهدون على إياس أنه قذف المهلب بن القاسم فيحده فتقصمه؛ ويعزل، قال: فأنظر من يشهد عليه، فأتاه بـ يزيد الرشك[10]، وابن أبي رباط[11] مولى بني ضبيعة ليلا؛ فأجمعوا على أن يرسل عدي إذا أصبح إلى إياس؛ ويشهدوا عليه، والقاسم بن ربيعة حاضر، فقال: عمر بن يزيد لعدي إن القاسم سيأتي إياسا فيحذره؛ فاستحلفه على ألا يعلمه وحلف القاسم، وخرج، فمر بباب إياس فدقه، فقالوا: من هذا ؟ قال: القاسم بن ربيعة، كنت عند الأمير، فأحببت ألا أصل إلى أهلي حتى أمر بك، ومضى؛ فقال: إياس: ما جاءني هذه الساعة إلا لأمر قد علمه، قد خاف علي منه، فتوارى إياس، ثم خرج إلى واسط واغتنم عدي فاستقضى الحسن البصري، وكتب إلى الخليفة عمر يعيب إياسا ويثني على الحسن، وشنع على إياس وقال أنه يقول: إذا كثرت أمطار السنة فهي وبيئة وما علمه بذلك؟ فكتب عمر إليه:ما رأيت أحدا من أهل زماننا الثناء عليه أحسن منه على إياس، وقد بلغني وصح عندي رضخ من شأنكم، وأقر الحسن.

روى الناس هذا الكلام على وجه آخر، فقالوا: زعم أبو عبيدة معمر بن المثنى، عن إبراهيم بن شقيق عن مسلم بن زياد، مولى عمرو بن الأشرف؛ قال: تزوج رجل من بني كرام –أو بني فراص– كانت أخته تحت عدي بن أرطأة، امرأة من الحدان كانت عقيلة قومها، وكان يشرب فيطلقها ثم يجحد، فأتت إياسا فذكرت ذلك له، وجاءت بشاهد فسأل إياس عنه فعدل، ولم يأت بغيره، فأحلف إياس الكرامي فحلف، فقالت المرأة: أن لي مملوكا يشهد، فهل تجوز شهادته؟ قال: لا، قالت: فإن أعتقته، قال: إن كان عبدك فأعتقيه، فسأل إياس عنه فعدل، وانتزعها إياس من الكرامي –الفراصي– فوضعها على يد عبد الرحمن بن البكير السلمي[12] فانتزعها عدي فردها على الباهلي، وكان عدي ناكحا أخته أم عباد بنت عمار بن عطية[13] فجاء إياس يوما يريد الدخول على عدي، وعنده وكيع بن أبي سود[14] وقد ائتمرا به، وشجع وكيع عديا على الإقدام عليه فلقيه داود بن أبي هند[15] خارجا من عند عدي؛ فقال:﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص] فخرج إلى عمر بن عبد العزيز، فكتب عدي إلى عمر: إن إياسا هرب إليك من أمر لزمه، وإني وليت الحسن بن أبي الحسن القضاء، فكتب إليه عمر: الحسن أهل لما وليته، ولكن ما أنت والقضاء، فرق ما بينهما فرق الله بين أعضائك.

*(القائف) الذي يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وبأبيه (يزكن) في المثل: هو أزكن من إياس، أي أفطن. والزكن والازكان الفطنة والحدس (أرحاء) الرحى التي يطحن فيها والجمع أرح وأرحاء ورحى ورحي وأرحية الأخيرة نادرة.وقيل:الأرحاء قطع من الأرض غلاظ دون الجبال تستدير وترتفع عما حولها

- (1) إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني، أبو واثلة، وبه يضرب المثل في الذكاء، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه قضاء البصرة. ولإياس جد أبيه صحبة مع رسول الله، توفي سنة 122 هـ، أو سنة 121 هـ، وعمره 76 سنة.
- (2) عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي أخو زيد بن أرطأة الفزاري، والده هو الصحابي أرطأة بن كعب الفزاري. عدي ولاه عمر عبد بن العزيز البصرة، وغيرها من بلاد العراق فستمر عليها حتى قتل سنة 102 هـ.أيام يزيد بن عبد الملك.
- (5) محمد بن سيرين الأنصاري البصري، يكنى أبا بكر، مولى أنس بن مالك. كاتبه أنس. وقال ابن عائشة: كان سيرين من أهل جرجرايا* وكان يعمل قدور النحاس، فجاء إلى عين التمر يعمل بها فسباه خالد بن الوليد. أسند محمد بن سيرين عن زيد بن ثابت، وابن عمر، وابن عباس، وأنس، وأبي هريرة، وأبي بكرة في آخرين. وعن حماد بن سلمة، عن أيوب: كان ابن سيرين يصوم يوما ويفطر يوما. وتوفي ابن سيرين لتسع مضين من شوال سنة 110 هـ بعد الحسن بمائة يوم، وهو ابن نيف وثمانين سنة. *(جرجرايا تتبع أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد).
- (4) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.
- (10) يزيد الرشك الضبعي مولاهم. والرشك هو القاسم بلغة أهل البصرة. قيل: إنه توفي سنة 130 هـ قال المثنى بن سعيد الضبعي: بعث الحجاج يزيد الرشك إلى البصرة فوجد طولها فرسخين وعرضها خمس دوانيق. قلت: يعني فرسخا إلا سدسا.
- (9) عمر بن يزيد الأسدي، وعاتكة بنت عمرو بن يزيد زوج يزيد بن المهلب، قيل مر عمرو بن يزيد على الحسن فقام إليه فسأله عن حاله،وألطف في سؤاله.فقال عمرو بن عبيد: أتقوم لهذا؟ فقال: إنه صنع إلي جميلا في أيام الخوف ونقلني من مكان إلى مكان، فأنا أشكر له ذلك وأرعاه.
- (3) القاسم بن ربيعة بن جوشن (نسبته إلى جده غطفان بن سعد) الغطفاني الجوشني،هو ابن عبد الله بن ربيعة، ابن عم عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن،روى عن ابن عمر وابن عمرو وعبد الرحمن بن عوف وعقبة بن أوس ويقال يعقوب بن أوس وعمر بن الخطاب وأبي بكرة الثقفي
- (15) داود بن أبي هند، واسمه دينار بن عذافر ويقال طهمان القشيري، أبو بكر، وأبو محمد البصري، أبوه دينار مولى امرأة من قشير وجده عذافر مولى عبد الله بن عامر بن كريز واصله من خراسان رأى أنس بن مالك.مات مصدر الناس عن الحج سنة 139هـ أو أول سنة 140 هـ
- (7) أم شعيب بنت محمد بن الهرماس البطائحي (قيل: الطائي، وقيل: الطاحي؟) بنت عكناء أو عكثاء بنت أبي صفرة أخت المهلب بن أبي صفرة. وقيل: علياء بنت أبي صفرة (في كتاب: وفيات الأعيان).؟؟ (لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (14) وكيع بن أبي سود ؟ وكيع بن أبي سود الحنظلي قاتل قتيبة بن مسلم سمع معاوية وعنه محمد بن الزبير.
- (8) القاسم بن عبد الرحمن الهلالي، وأمه فاطمة بنت أبي صفرة أخت المهلب بن أبي صفرة، ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم) (6) المهلب بن القاسم بن عبد الرحمن الهلالي ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم) (12) عبد الرحمن بن البكير السلمي ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم) (11) ابن أبي رباط مولى بني ضبيعة ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم) (13) أم عباد بنت عمار بن عطية ؟ (لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

من المنقول عن أذكياء الصبيان أنه وقف إياس بن معاوية وهو صبي إلى قاضي دمشق ومعه شيخ، فقال: أصلح الله القاضي! هذا الشيخ ظلمني، [واعتدى علي]، وأكل مالي، فقال القاضي: ارفق بالشيخ: ولا تستقبله بمثل هذا الكلام. فقال إياس: [أصلح الله القاضي!] إن الحق أكبر مني ومنه ومنك، قال: أسكت، قال: فإن سكت فمن يقوم بحجتي! قال: فتكلم، فوالله لا تتكلم بخير، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فبلغ ذلك الخليفة، فعزل القاضي. ويروى أن المهدي الخليفة لما دخل البصرة رأى إياس بن معاوية وهو صبي وخلفه جماعة من العلماء وإياس قدامهم. فقال المهدي: أما كان في هؤلاء شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث! ثم التفت المهدي إلى إياس، وقال: كم سنك يا فتى؟ فقال: سني أطال الله بقاء الأمير سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر، فقال له المهدي: تقدم بورك فيك.

وعن إياس بن معاوية بن المزني قال كنا عند عمر بن عبد العزيز فذكر عنده الحياء فقالوا الحياء من الدين فقال عمر: بل هو الدين كله فقال إياس: حدثني أبي عن جدي قرة قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر عنده الحياء فقالوا: يا رسول الله الحياء من الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿بَلْ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ.ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْعَفَافَ وَالْعِيَّ عِيَّ اللِّسَانِ لاَ عِيَّ الْقَلْبِ وَالْعَمَلَ مِنَ الإِيمَانِ وَإِنَّهُنَّ يَزِدْنَ فِي الآخِرَةِ وَيَنْقُصْنَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا يَزِدْنَ فِي الآخِرَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَزِدْنَ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّ الشُّحَّ والفُحشَ وَالْبَذَاءَ مِنَ النِّفَاقِ، وَإِنَّهُنَّ يَزِدْنَ فِي الدُّنْيَا، وَيُنْقِصْنَ مِنَ الآخِرَةِ، وَمَا يُنْقِصْنَ فِي الآخِرَةِ أَكْثَرُ مِمَّا يَزِدْنَ فِي الدُّنْيَا﴾ منكر قال إياس بن معاوية: فأمرني عمر بن عبد العزيز فأمليتها عليه ثم كتبها بخطه ثم صلى بنا الظهر والعصر وإنه لفي كمه ما وضعها إعجابا بها وكذا رواه الحسن بن سفيان النسوي عن ابن أبي السري. وحدث محمد بن سلام الجمحي عن أبي عبيدة قال: دخل إياس بن معاوية الشام وهو غلام فقدم خصما له إلى قاضي عبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخا فقال له القاضي: إنه شيخ وأنت غلام فلا تساوه في الكلام فقال إياس: الحق أكبر منه فقال له القاضي: اسكت قال: فمن ينطق بحجتي إذا سكت أنا. فقال القاضي: ما أظنك تقول شيئا من الحق حتى تقوم من مجلسي فقال إياس: أشهد أن لا إله إلا الله. فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بخبره فقال: اقض حاجته وأخرجه الساعة من الشام فإن هذا يفسد علي الناس.

دخل الحسن على إياس فبكى، فقال: ما يبكيك يا أبا واثلة؟ قال: الحديث الذي جاء أن القضاة ثلاثة: اثنان في النار، وواحد في الجنة، قاض تعمد الحق فأخطأ فهو في النار وقاض تعمد الجور فهو في النار وقاض تعمد الحق فأصاب فهو في الجنة قالوا: ورد اياس شهادة رجل من المسلمين فشكا ذلك إلى الحسن فقال الحسن: يا أبا واثلة لم رددت شهادة هذا وهو مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ صَلَّى قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَهُوَ مُسْلِمٌ لَهُ مَا لَنَا وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا﴾؟ فقال إياس: يا أبا سعيد إن الله يقول:﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة] وهذا ممن لا نرضاه، فسكت الحسن. قيل: وشكا رجل إلى إياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل وينفق، فقال: إن النفقة داعية إلى الرزق، وكان جالسا بين بابين فقال للرجل: اغلق هذا الباب، فأغلقه، فقال: هل تدخل الريح البيت؟ قال: لا، قال: فافتحه، ففتحه، فجعلت الرياح تخترق في البيت، فقال: هكذا الرزق إنك إذا غلقت الباب لم تدخل الريح وكذلك إذا أمسكت لم يأتك. قال المدائني: شهد وكيع بن أبي سود عند إياس شهادة، فقال له: يا أبا مطرف إنما يشهد الموالي والتجار والسفلة وليس يشهد مثلك من الأشراف فقال: صدقت. فلما انصرف قيل له: إنه لم يجز شهادتك قد قعد عنها. فقال: لو علمت أن هذا هكذا لحبجته* بالعصا. قال المدائني: قدم يزيد بن المهلب إلى خراسان فحبس وكيع بن أبي سود، فبكى فقيل له: أتبكي يا أبا مطرف جزعا من الحبس؟ فقال: وددت أني ويزيد بن المهلب، وسليمان بن عبد الملك في النار فلعن الله أجزعنا، ولكني أبكي لأني قتلت قتيبة* ثم يعزلني ابن العبسية، ويولي يزيد. فلما ولي عمر بن عبد العزيز بلغه ذلك فقال: لوكيع على جفائه خير من يزيد بن المهلب، على أنه لا خير في واحد منهما. قال عدي: اجتمع إياس بن معاوية وغيلان عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر: أنتما مختلفان، وقد اجتمعتما، فتناظرا تتفقا. فقال إياس: يا أمير المؤمنين إن غيلان صاحب كلام، وأنا صاحب اختصار، فإما أن يسألني ويختصر أو أسأله وأختصر، فقال غيلان: سل. فقال إياس: أخبرني ما أفضل شيء خلقه الله عز وجل؟ قال: العقل. قال: فأخبرني عن العقل، مقسوم أو مقتسم؟ فأمسك غيلان. فقال له: أجب فقال: لا جواب عندي. فقال إياس قد تبين لك أمره يا أمير المؤمنين. إن الله تبارك وتعالى يهب العقول لمن يشاء فمن قسم له منها شيئا، ذاده به عن المعصية، ومن تركه تهور.

*(حبج) وحبجه بالعصا حبجات: ضربه بها، مثل خبجه وهبجه.

مراجع: إحياء علوم الدين/ العقد الفريد/ شذرات الذهب/ أنساب الأشراف/ تهذيب الكمال/ أخبار القضاة/ أسد الغابة/ لسان العرب/ تاج العروس/ تاريخ خليفة بن خياط/ تاريخ الإسلام للذهبي/ طبقات خليفة/ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ أرشيف ملتقى أهل الحديث/ المعرفة والتاريخ/ إيقاظ أولي الهمم العالية/

◆ يزيد بن حصين السكوني، والي حمص (عامل عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، سادس الخلفاء الراشدين) ويزيد بن ميسرة 0531

حدث إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو أن يزيد بن حصين السكوني[1] حين ولي حمص لعمر بن عبد العزيز، أرسل إلى يزيد بن ميسرة[2]،قال: يا أبا يوسف كيف ترى فيما ابتلينا به من هذا السلطان؟ قال: اتق الله أيها الأمير وإياك والعجلة وعليك بالأناة، وفي السجن راحة، هل تدري ما يقال لصاحب السلطان؟ أيها المسلط لا ينفخنك روح الشيطان فانك إنما خلقت من تراب وإلى التراب تعود وورثت مكان من قبلك وغيرك وارث مكانك غدا.

في رواية قال: أوصى يزيد بن ميسرة يزيد بن حصين حين ولي، فقال: عليك بتقوى الله، والتأني في أمرك، وإياك والعجلة، وفي السجن راحة، هل تدري ما يقال لصاحب السلطان؟ أيها المسلط لا ينفخنك روح السلطان، فإنما ورثت مكان من كان قبلك، وآخر وارث مكانك غدا. كان يزيد بن ميسرة رحمه الله يقول: كانت العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا.

■ (2) يزيد بن ميسرة بن حلبس، أبو حلبس، الدمشقي. سمع أم الدرداء، وأبي إدريس الخولاني. روى عنه: أخوه يونس، وصفوان بن عمرو، ومعاوية بن صالح، وآخرون. سكن حمص، وكان واعظا زاهدا عارفا. قيل توفي سنة 111 هـ.

■ (1) يزيد بن حصين بن نمير بن ناتل ابن لبيد بن جعثنة السكوني الحمصي.كان مع مروان بن الحكم وخرج معه إلى مصر وعمل على حمص لسليمان بن عبد الملك وبعده لعمر بن عبد العزيز مات سنة 103 هـ

قال يزيد بن ميسرة: البكاء من سبعة أشياء من الفرح والحزن والفزع والوجع والرياء والشكر وبكاء من خشية الله فذلك الذي تطفي الدمعة منه أمثال الجبال من النار. وقال يزيد بن ميسرة: لا تضر نعمة معها شكر ولا بلاء معه صبر ولبلاء في طاعة الله خير من نعمة في معصية الله. وعن إسماعيل بن يحيى بن جابر عن يزيد قال: المرأة الفاجرة كألف فاجر، والمرأة الصالحة يكتب لها عمل مائة صديق. وقال يزيد بن ميسرة: كل مهر لا يوضع لله فيه شيء ملعون أو غير مبارك. وعن صفوان بن عمرو قال: كان يزيد بن ميسرة فيما بلغنا يقول: إذا زكاك رجل في وجهك فانكر عليه واغضب ولا تقر بذلك وقل: اللهم، لا تؤاخذني بما يقولون واغفر لي مالا يعلمون. قال: وكان يزيد بن ميسرة يقول: ابدؤوا بالذي يحق الله عليكم ولا تعلموا الله ما ينبغي لكم. قال: وكان يزيد بن ميسرة يقول: اللهم، اجعل مخافتك في قلوبنا وأدم على قلوبنا ذكر الموت، أيها الناس اذكروا أين أنتم اليوم وأين تكونوا غدا، اليوم في البيوت تتكلمون وغدا في القبور سكوت، فطوبى للأبرار الشاكرين يا غافلين تشيعون الميت إلى قبره، ويقول ويلكم إنما أنتم غدا مثلي أيتها النفس ألا تنظرين إلى ما رأيت في الدنيا وما لم تر على مثل ذلك إنما هي كأرواح تذهب لا يرى لها أثر أو كثور يدور يذهب الأول فالأول.

مراجع: صفة الصفوة/ تاريخ مدينة دمشق/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/

يزيد بن عبد الملك الأموي القرشي (الملقب بـ يزيد الثاني، تاسع ملوك الدولة الأموية) ومكحول 0532

جلس مكحول[1] عالم أهل الشام في مجلسه يلقي درسه كعادته وحوله طلاب العلم يأخذون عنه إذ أقبل يزيد بن عبد الملك[2] في زينته وتبختره وجاء إلى حلقة مكحول فأراد الطلاب أن يوسعوا له. فقال مكحول: دعوه يتعلم التواضع. كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلي الخلافة، فلما ولي عزم على أن يتأسى بعمر بن عبد العزيز، فما تركه قرناء السوء، وحسنوا له الظلم، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:[3] لما ولي يزيد بن عبد الملك قال سيروا بسيرة عمر، فمكث كذلك أربعين ليلة، فأتي بأربعين شيخا فشهدوا له أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب، وقد اتهمه بعضهم في الدين، وليس بصحيح، إنما ذاك ولده الوليد بن يزيد[4]، أما هذا فما كان به بأس، وقد كتب إليه عمر بن عبد العزيز: أما بعد فإني لا أراني إلا ملما بي، وما أرى الأمر إلا سيفضي إليك، فالله الله في أمة محمد، فإنك عما قليل ميت فتدع الدنيا إلى من لا يعذرك، والسلام.

كتب يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام:[5] أما بعد فإن أمير المؤمنين قد بلغه أنك استبطأت حياته وتمنيت وفاته ورمت الخلافة وكتب في آخره: تمنى رجال أن أموت وإن أمت..فتلك سبيل لست فيها بأوحد..وقد علموا لو ينفع العلم عندهم..متى مت ما الباغي علي بمخلد..منيته تجري لوقت وحتفه..يصادفه يوما على غير موعد..فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى..تهيأ لأخرى مثلها. وكأن قد فكتب إليه هشام: جعل الله يومي قبل يومك، وولدي قبل ولدك، فلا خير في العيش بعدك.

■ (1) مكحول بن عبد الله، أبو عبد الله الشامي، من كبار أعلام التابعين، عالم أهل الشام وكان من سبي كابل. قيل كان مولى لامرأة من هذيل، وقيل: هو مولى سعيد بن العاص، وقيل: مولى لبني ليث، توفي سنة 112 هـ أو بعدها. أرسل عن النبي والصحابة وروى عن خلق كثير.

■ (2) يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو خالد الأموي الدمشقي؛ تولى الحكم بعد عمر بن عبد العزيز لست بقين من رجب سنة 101 هـ، وله 37 سنة وتوفي بأرض البلقاء، وقيل بعمان، لخمس بقين من شعبان سنة 105 هـ.

■ (5) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (4) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو العباس الأموي الدمشقي، الملك الأموي الحادي عشر، بويع له بعد عمه هشام في السنة الخالية بعهد من أبيه. وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي. ولد سنة 90 هـ، وقيل 92 هـ، وقتل سنة 126 هـ، ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله، ومع ذلك إنما قتل لفسقه، وقيل وزندقته. فالله أعلم.

■ (3) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني أخو أسامة وعبد الله، وفيهم لين. وكان عبد الرحمن صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرا في مجلد وكتابا في الناسخ والمنسوخ. وحدث عن أبيه، وابن المنكدر.روى عنه أصبغ بن الفرج، وقتيبة، وهشام بن عمار، وآخرون. توفي سنة 182 هـ

روى غير واحد، عن مكحول قال: لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن ألي القضاء، ولأن ألي القضاء أحب إلي من أن ألي بيت المال. وقال: إن يكن في مخالطة الناس خير فالعزلة أسلم. قال مكحول: طفت الأرض كلها في طلب العلم. وكانت عبدا فأعتقت بمصر؛ فلم أدع بها علما إلا احتويت عليه فيما أرى، ثم أتيت العراق؛ فلم أدع بها علما إلا احتويت عليه فيما أرى، ثم أتيت المدينة؛ فلم أدع بها علما إلا احتويت عليه، ثم أتيت الشام فغربلتها. قال عنه أبو حاتم الرازي: ما بالشام أحد أفقه من مكحول. وكان معلم الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وعبد الرحمن ويزيد ابني يزيد بن جابر. قال الزهري: العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة والحسن بن أبي الحسن بالبصرة ومكحول بالشام. وروى أبو مسهر عن سعيد قال: لم يكن في زمان مكحول أبصر بالفتيا منه، وكان لا يفتي حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا رأي والرأي يخطئ ويصيب.

عن أبي ظبيان، عن جرير بن عبد الله[1]، قال: نزلت بالصِفاح* في يوم شديد الحر، فإذا رجل نائم في حر الشمس، يستظل بشجرة، معه شيء من الطعام، ومزوده تحت رأسه، ملتف بعباءة، فأمرته أن يظلل عليه، ونزلنا، فانتبه، فإذا هو سلمان الفارسي[2]، فقلت له: ظللنا عليك وما عرفناك. قال: يا جرير! تواضع في الدنيا، فإنه من تواضع يرفعه الله يوم القيامة، ومن يتعظم في الدنيا يضعه الله يوم القيامة، لو حرصت على أن تجد عودا يابسا في الجنة لم تجده. قلت: وكيف؟ قال: أصول الشجر ذهب وفضة، وأعلاها الثمار، يا جرير! تدري ما ظلمة النار؟. قلت: لا. قال: ظلم الناس.

دخل سالم بن عبد الله بن عمر، على سليمان بن عبد الملك، وعليه ثياب غليظة حشنة رثة، فأقعده سليمان معه على السرير، وكان عمر بن عبد العزيز حاضرا، فقال له رجل: يا عمر، ما استطاع خالك -يعني سالم بن عبد الله- أن يلبس ثيابا فاخرة يدخل بها على أمير المؤمنين -وعلى المتكلم ثياب فاخرة- فقال له عمر: ما رأيت ثيابه وضعته، ولا رأيت ثيابك هذه رفعتك إلى مكانه، فسكت الرجل، ولم يحر جوابا. يقول الخليفة أبو بكر رضي الله عنه: لا يحتقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير. وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ وَضَعَهُ﴾ وقد خاطب الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف] يقول ابن الحجاج: من أراد الرفعة فليتواضع لله تعالى فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول .. جلس نافع بن جبير[5] (وكان ذا كبر) إلى حلقة العلاء بن عبد الرحمن[6] وهو يقرئ الناس، فلما فرغ، قال: أتدرون لم جلست إليكم؟ قالوا: جلست لتسمع، قال: لا، ولكني جلست إليكم لأتواضع إلى الله بالجلوس إليكم. وحضرت الصلاة فقدم نافع رجلاً، فلما صلى قال: أتدري لم قدمتك؟ قال: قدمتني لأصلي بكم، قال: لا، ولكني قدمتك لأتواضع إلى الله بالصلاة خلفك. حدث يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه: أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [3] دخل على عمر بن عبد العزيز -وهو أمير المدينة- فسل وعمر مقبل على عبد الله بن عمرو بن عثمان[4]، فلم يردا عليه فقال: فمسا تراب الأرض منها خلقتما..وفيها المعاد والمصير إلى الحشر..ولا تعجبا أن تؤتيا فتكلما..فما مليء الأقوام شر من الكبر..فلو شئت أدلى فيكما غير واحد..علانية أو قال عندي في السر..فإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما..ضحكت له حتى يلج ويستشري. فأقبلا عليه واعتذرا إليه. قيل وفد نخار بن أوس بن أبيز بن عمرو على معاوية، وكان أنسب العرب، فازدراه معاوية، وكان عليه عباءة، فكلمه، فأعرض عنه؛ فقال: يا معاوية، إن العباءة لا تكلمك، إنما يكلمك من فيها؛ فأقبل عليه. ومن كلام معروف الكرخي قال: من كابر الله صرعه، ومن نازعه قمعه، ومن ما كره خدعه، ومن توكل عليه منعه، ومن تواضع له رفعه.

عن أم المؤمنين عائشة قالت: ﴿إِنَّكُمْ لَتُغْفِلُونَ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ: التَّوَاضُعُ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾ وعن عمر، قال: ﴿يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ تَوَاضَعَ لِي هَكَذَا، وَجَعَلَ يَزِيدُ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَدْنَاهَا إِلَى الْأَرْضِ، رَفَعْتُهُ هَكَذَا، وَجَعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَرَفَعَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ﴾ عن عكرمة بن خالد قال: دخل ابن لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجل ولبس ثيابا حسانا فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه، فقالت له حفصة: لم ضربته؟ قال: رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها إليه. كان عمر مع قوته في دين اللهّ، وشجاعته، وشدته على أعداء اللهّ، وهيبة الناس له، وفرار الشيطان منه، كان مع ذلك كله متواضعاً، وقَّافاً عند حدود اللهّ، وقد كان يقول: ﴿إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ أَهدَى إِلَيَّ عُيُوبِي﴾ وعندما مر بالجابية على طريق إيلياء وجلس عندهم، قيل له: أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل، فلو لبست شيئاً غير هذا – يعنون قميصه المرقع– وركبت برذوناً، لكان ذلك أعظم في أعين الروم، فقال: ﴿نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللهُّ بِالْإِسْلَامِ فَلَا نَطْلُبُ غَيْرَ الله بَدِيلًا﴾ ثم سار عمر من الجابية إلى بيت المقدس، وقد تعبت دابته، فأتوه ببرذون فجعل يهملج* به، فقال: لمن معه: احبسوا، احبسوا، فنزل عنه، وضرب وجهه، وقال: لا علّم اللهّ من علّمك، هذا من الخيلاء، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين، هاتوا جملي، ثم نزل وركب الجمل، ثم لم يركب برذوناً قبله ولا بعده (البرذون) الدابة، ويطلق على غير العربي من الخيل والبغال. عن طارق بن شهاب، قال: ﴿لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ الشَّامَ عَرَضَتْ لَهُ مَخَاضَةٌ، فَنَزَلَ عَنْ بَعِيرِهِ وَنَزَعَ خُفَّيْهِ فَأَمْسَكَهُمَا، وَخَاضَ الْمَاءَ وَمَعَهُ بَعِيرُهُ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ صَنِيعًا عَظِيمًا عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَصَكَّ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ: أَوْهِ لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ النَّاسِ فَأَعَزَّكُمُ اللهُ بِرَسُولِهِ، فَمَهْمَا تَطْلُبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِهِ يُذِلُّكُمُ اللهُ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال] وعن أبي عثمان، قال: ﴿كَتَبَ عُمَرُ إِلَى الْقُضَاةِ مَعَ أَوَّلِ قِيَامِهِ: أَنْ لا تَبُتُّوا الْقَضَاءَ إلا عَنْ مَلأ، فَإِنَّ رَأْيَ الْوَاحِدِ يَقْصُرُ إِذَا اسْتَبَدَّ، وَيَبْلُغُ إِذَا اسْتَشَارَ، وَالصَّوَابُ مَعَ الْمَشُورَةِ.وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ أُمَّةٍ وَأَشْقَاهَا حَتَّى أَعَزَّكُمُ اللهُّ بِالإِسْلامِ، فَكُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَلا تَطْلُبُوا الْعِزَّةَ بِغَيْرِهِ فَتَذِلُّوا﴾ وعن قيس، قال: ﴿لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ الشَّامَ اسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ رَكِبْتَ بِرْذَوْنًا تَلْقَاكَ عُظَمَاءُ النَّاسِ وَوُجُوهُهُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: لَا أَرَاكُمْ هَهُنَا، إِنَّمَا الْأَمْرُ مِنْ هَهُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ، خَلُّوا سَبِيلَ جَمَلِي﴾ وعن سلمان بن يسار قال: ﴿مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِضَجْنَانَ فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَرْعَى عَلَى الْخَطَّابِ فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَكَانَ وَاللهِّ مَا عَلِمْتُ فَظًّا غَلِيظًا، ثُمَّ أَصْبَحْتُ إِلَى أَمْرِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلّى الله عليه وسلم، ثُمَّ قَالَ مُتَمَثِّلًا: لَا شَيْءَ فِيمَا تَرَى إِلَّا بَشَاشَتَهُ..يَبْقَى الْإِلَهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ.ثُمَّ قَالَ لِبَعِيرِهِ: حَوْبَ﴾.

----

*(الصِفاح) بكسر الصاد، موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مشاش. (الهملاج) حسن سير الدابة في سرعة وبخترة.

■ (1) جرير بن عبد الله البجلي أبو عمرو وكان ممن هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسكن الكوفة فلما وقعت الفتن خرج هو وعدى بن حاتم وحنظلة الكاتب وقالوا لا نقيم ببلدة يشتم فيها عثمان فخرجوا إلى قرقيسياء وسكنوها ومات جرير سنة 51 هـ ويقال سنة 54 هـ.

■ (2) سلمان الفارسي أبو عبد الله أصله من جى موضع بأصبهان وهو الذي يقال له سلمان الخير مات سنة 36 هـ وقيل: سنة 33 هـ وهو الذي أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق لحماية المدينة من الكفار.

■ (3) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الضرير أحد الفقهاء السبعة ومؤدب عمر بن عبد العزيز، توفي سنة 98 هـ وقيل سنة 99 هـ.

■ (4) عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، وقيل: عبد الله بن عمر. كان يسكن عرج الطائف وكان يقال له المطرف من حسنه وملاحته، وهو من شعراء قريش المشهورين بالغزل. نحا نحو عمر بن أبي ربيعة وأجاد، وكان مشغوفا باللهو والصيد، وكان ذا مروءة، ولم تكن له نباهة في أهله.وفد على عبد الملك بن مروان. مات بمصر سنة 96 هـ.

■ (5) نافع بن جبير بن مطعم القرشي أبو محمد كان يقيم بالمدينة ومكة معا كان يحج ماشيا وناقته تقاد إلى جنبه مات في ولاية سليمان بن عبد الملك.

■ (6) العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب. أبو شبل. مولى الحرقة من جهينة. من شيوخ مالك. مات في أول خلافة أبي جعفر. قال مالك: كانت عنده صحيفة يحدث بها فيها، فربما أراد الرجل أن يكتب بعضها فيقول له: إما أن تأخذها جميعا، وأما أن تدعها جميعا.وصحيفته بالمدينة جميعا

مراجع: صحيح مسلم/ مسند أحمد/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ الطبقات الكبرى/ سير أعلام النبلاء/ مسند عمر بن الخطاب ليعقوب بن شيبة/ السنن الكبرى/ تاريخ الخلفاء/ مصنف ابن أبي شيبة/ طبقات الفقهاء/ حياة التابعين/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ البداية والنهاية/ شذرات الذهب/

قال محمد بن موسى بن عبد الله بن بشار:[1] إني لجالس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقد حج في ذلك العام يزيد بن عبد الملك[2]، قبل أن يكون خليفة، فجلس مع المقبري[3] ومع ابن أبي العتاب[4] إذ جاء أبو عبد الله القراظ[5] فوقف عليه، فقال: أنت يزيد بن عبد الملك؟ فالتفت يزيد إلى الشيخين فقال: أمجنون هذا؟ أمصاب؟ فذكروا له فضله وصلاحه. قالوا هذا أبو عبد الله القراظ صاحب أبي هريرة حتى رق له ولان، قال نعم، أنا يزيد بن عبد الملك، فقال له أبو عبد الله: ما أجملك! إنك لتشبه أباك، إن وليت من أمر الناس شيئا فاستوص بأهل المدينة خيرا، فأشهد على أبي هريرة لحدثني عن حبه وحبي صاحب هذا البيت -وأشار إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم- (وأشار إلى الحجرة) أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى ناحية من المدينة، يقال لها بيوت السقيا، وخرجت معه، فاستقبل القبلة، ورفع يديه حتى إني لأرى بياض ما تحت منكبيه، فقال:﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ نَبِيَّكَ وَخَلِيلَكَ دَعَاكَ لأَهْلِ مَكَّةَ، وَأَنَا نَبِيُّكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ، اللَّهُمَّ، بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ، وَقَلِيلُهُم وَكَثِيرُهُم ضِعْفَيْ مَا بَارَكْتَ لأَهْلِ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ، ارْزُقْهُم مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا - وأشار إلى نواحي الأرض كلها- اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَهُمْ بِسُوءٍ فَأَذِبْهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ﴾، ثم التفت إلى الشيخين، فقال:ما تقولان؟ فقالا: حديث معروف مروي، وقد سمعنا أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ أَخَافَهُمْ فَقَدْ أَخَافَ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ﴾، وأشار كل واحد منهم إلى قلبه.

كتب عمر بن عبد العزيز[6] إلى يزيد بن عبد الملك: احذر أن تدركك الصرعة عند الغرة، فلا تقال العثرة، ولا تمكن من الرجعة، ولا يحمدك من خلفت بما تركت، ولا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت. والسلام. وكتب عمر إلى يزيد حين حضره الموت: سلام عليك، أما بعد. فإني لا أراني إلا لما بي، ولا أرى الأمر إلا سيفضي إليك، فالله الله في أمة محمد، فتدع الدنيا لمن لا يحمدك، وتفضي إلى من لا يعذرك. والسلام.

----

(6) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

(2) يزيد (الثاني) بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو خالد الأموي الدمشقي؛ تولى الحكم بعد عمر بن عبد العزيز لست بقين من رجب سنة 101 هـ، وله 37 سنة وتوفي بأرض البلقاء، وقيل بعمان، لخمس بقين من شعبان سنة 105 هـ.

(1) محمد بن موسى بن عبد الله بن بشار (وقيل: محمد بن موسى بن عبد الله بن يسار؟) روى عن عمر بن عبد العزيز وأبي عبد الله القراظ روى عنه انس بن عياض وإسماعيل بن داود بن عبد الله بن مخراق

(5) أبو عبد الله القراظ اسمه دينار.مولى سعد القراظ. يروى عن أبى هريرة عداده في أهل المدينة روى عنه أهلها أبو عبيد مولى بن أزهر يروى عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عداده في أهل المدينة روى عنه أهلها مات سنة 108 هـ

(3) سعيد بن أبي سعيد المقبري واسم أبي سعيد كيسان المديني مولى بني ليث كنيته أبو سعيد. أكثر رواية أبي سعيد عن أبي هريرة، وروى أيضا عن عمر، كان قد كبر حتى اختلط قبل موته بأربع سنين ومات في خلافة هشام. سنة123 هـ. وقيل سنة 125 هـ

(4) ابن أبي العتاب (في كتاب تاريخ الإسلام للإمام الذهبي: ابن أبي الغياث) (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قيل لعمر بن عبد العزيز حين احتضر: اكتب ليزيد فأوصه بالأمة، فقال: بماذا أوصيه؟ إنه من بني عبد الملك، ثم كتب: أما بعد، فاتق الله يا يزيد، وإياك أن تحركك الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة، ولا تقدر على الرجعة؛ إنك تترك ما تترك لمن لا يحمدك، وتصير إلى من لا يعذرك، والسلام. ولما ولي يزيد، عمل بسيرة عمر بن عبد العزيز أربعين يوما، فدخل عليه من الذين أضلهم الله على علم أربعون نفرا من الشيوخ من أهل دمشق، وحلفوا له بالله ما على الملك من سؤال ولا عذاب في لذات نفسه؛ لأنه مشتغل بأمور الناس، نعوذ بالله مما سيلقى الظالمون من شديد العذاب الأليم! وخدعوه بذلك، فانخدع لهم، وكان كلامهم موافقا لهواه، فانهمك في اللذات واللهو والطرب، ولم يراقب الله، ولم يخشه.

وروى أن ابن شهاب عبد الله بن مسلم الزهري، دخل عليه، فقال له يزيد: هاهنا حديث حدثنا به أهل الشام، فقال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: حدثوا أن الله تعالى إذا استرعى عبدا عباده، كتب له الحسنات، ولم يكتب عليه السيئات، فقال ابن شهاب: كذبوا يا أمير المؤمنين، أنبي خليفة أقرب عند الله أم خليفة غير نبي؟ قال: بل نبي خليفة أقرب، قال: أحدثك بما لا تشك فيه، قال الله تعالى: ﴿يَا داود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِّ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِّ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص] يا أمير المؤمنين، هذا في حق خليفة نبي، فما ظنك بخليفة غير نبي؟! يحكى عن مؤدب يزيد هذا؛ أنه قال له في صغره وقت تعلمه، وقد لحن: لم لحنت؟ فقال: الجواد قد يعثر، فقال له المؤدب: إي والله، ويضرب حتى يستقيم، فقال يزيد: وربما يرمح سائسه، فيكسر أنفه.

وفي تاريخ ابن عساكر: ذكر أن يزيد بن عبد الملك كان قد اشترى في أيام أخيه سليمان بن عبد الملك جارية من عثمان بن سهل بن حنيف الأنصاري بأربعة آلاف دينار، وكان اسمها حبابة -بتشديد الباء الأولى- وأحبها حبا شديدا، فبلغ أخاه سليمان ذلك، فقال: لقد هممت أن أحجر على يزيد، فبلغ ذلك يزيد، فباعها؛ خوفا من أخيه سليمان، فلما أفضت الخلافة إليه بعد سليمان، قالت له زوجته: يا أمير المؤمنين، هل بقي في نفسك من الدنيا شيء؟ قال: نعم، قالت: ما هو؟ قال: حبابة، فاشترتها له وهو لا يعلم، وزينتها وأجلستها من وراء الستر، ثم قالت له: يا أمير المؤمنين، هل بقي في نفسك من الدنيا شيء؟ قال لها: أوما أعلمتك أنها حبابة، فرفعت الستر، وقالت: ها أنت وحبابة، وتركته وإياها، فحظيت عنده وغلبت على عقله، ولم ينتفع به في الخلافة. وأنه قال يوما: بعض الناس يقولون: إنه لن يصفو لأحد من الملوك يوم كامل من الدهر، وإني أريد أن أكذبهم في ذلك، وأقبل على لذاته واختلى مع حبابة، وأمر أن يحجب عن سمعه وبصره كل خبر يكره، فبينما هو في تلك الحال في صفو عيش وزيادة فرح وسرور، إذ تناولت حبابة حبة رمان، وهي تضحك، فغصت بها، فماتت، فاختل عقل يزيد، وتكدر عيشه، وذهب سروره، ووجد عليها وجدا شديدا، وتركها أياما لم يدفنها، بل يقبلها ويرتشفها حتى أنتنت، وجافت، فأمر بدفنها، ثم نبشها من قبرها، فلم يعش بعدها إلا خمسة عشر يوما، وكان مرضه بالسل، ومما قال فيها: من الطويل: فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى..فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد..وكل خليل زارني فهو قائل..من أجلك هذا هامة اليوم أو غد. قال أبو مسهر: مات يزيد بأربد بمرض السل، وقال غيره: مات لخمس بقين من شعبان، سنة خمس ومائة، وكانت خلافته أربع سنين وشهرا، عمره خمس وأربعون، وقيل: تسع وعشرون.

عن أبي عبد الله القراظ أنه قال:﴿أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَرَادَ أَهْلَ هَذِهِ الْبَلْدَةِ بِسُوءٍ يَعْنِي الْمَدِينَةَ أَذَابَهُ اللهُّ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ﴾ وعن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثم صلى بأرض سعد بأصل الحرة عند بيوت السقيا ثم قال:﴿اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَكَ وَعَبْدَكَ وَنَبِيَّكَ دَعَاكَ لأَهْلِ مَكَّةَ وَأَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ مِثْلَ مَا دَعَاكَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ لأَهْلِ مَكَّةَ نَدْعُوكَ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدِّهِمْ وَثِمَارِهِمُ اللَّهُمَّ، حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ وَاجْعَلْ مَا بِهَا مِنْ وَبَاءٍ بِخُمٍّ اللَّهُمَّ، إِنِّي قَدْ حَرَّمْتُ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا كَمَا حَرَّمْتَ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ الْحَرَمَ﴾ وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿اللَّهُمَّ، اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنْ الْبَرَكَةِ﴾ وعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَعَلَيْهِ لَعَنْةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لاَ يَقْبَلُ اللهُّ مِنْهُ صَرْفًا، وَلاَ عَدْلا مَنْ أَخَافَهَا فَقَدْ أَخَافَ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ: مَا بَيْنَ جَنْبَيْهِ﴾ وعن أنس ﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا﴾ وعن جابر ﴿جَاءَ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعَهُ عَلَى الْإِسْلاَمِ فَجَاءَ مِنْ الْغَدِ مَحْمُومًا فَقَالَ أَقِلْنِي فَأَبَى ثَلاَثَ مِرَارٍ فَقَالَ الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا﴾.

قال الضحاك بن زمل[1] ليزيد بن عبد الملك: الطويل: حليم إذا ما نال عاقب مجملا..أشد العقاب وعفا لم يثرب..فعفوا أمير المؤمنين وحسبة..فما تحتسب من صالح لك يكتب..أساؤوا فأن تعف فإنك قادر..وأفضل حلم حسبة حلم مغضب.

وقيل: هذه الأبيات لكثرة عزة. قال خليفة العصفري: لما أدخلوا آل المهلب بن أبي صفرة على يزيد بن عبد الملك قام كثير بن أبي جمعة الذي يقال له كثير عزة، فقال: حليم إذا ما نال عاقب مجملا الأبيات. وأردفها: نفتهم قريش عن محلة واسط..وذو يمن بالمشرفي المشطب. فقال يزيد: أطت بك الرحم. ولا سبيل إلى ذلك. من كان له قبل آل المهلب دم فليقم. ودفعهم إليهم حتى قتل نحو من ثمانين.

----

(1) الضحاك بن زمل بن عبد الرحمن ويقال ابن زمل بن عبد الله ويقال ابن زمل بن عمرو السكسكي من أهل بيت لهيا من قرى دمشق حدث عن أبيه وأبي أسماء السكسكي

مراجع: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور/ الجرح والتعديل/ المتفق والمفترق للخطيب البغدادي/ ثقات ابن حبان/ مسند أحمد/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/

◆ يزيد بن عبد الملك الأموي القرشي، (الملقب بـ يزيد الثاني)، تاسع ملوك الدولة الأموية) وأبو بكر ابن حزم 0534

عن مصعب بن عثمان قال: حج يزيد بن عبد الملك فتزوج بنت عون بن محمد بن علي بن أبي طالب[1] رضي الله عنه وأصدقها مالا كثيرا فكتب الوليد بن عبد الملك[2] إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[3] أنه بلغ أمير المؤمنين أن يزيد بن عبد الملك قد تزوج بنت عون بن محمد بن علي بن أبي طالب، وأصدقها مالا كثيرا، ولا أراه فعل ذلك إلا وهو يراها خيرا منه، قبح الله رأيه، فإذا جاءك كتابي هذا فأدع عونا فاقبض المال منه، فإن لم يدفعه إليك فأضربه بالسياط حتى تستوفيه منه، ثم افسخ نكاحه. فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عون بن محمد وطالبه بالمال، فقال له: ليس عندي شيء وقد فرقته، فقال له أبو بكر: إن أمير المؤمنين أمرني إن لم تدفعه إلي كله أن أضربك بالسياط، ثم لا أرفعها عنك حتى أستوفيه منك، فصاح به يزيد، تعال إلي فجاءه، فقال له، فيما بينه وبينه: كأنك خشيت أن أسلمك إليه؟! إدفع إليه المال، ولا تعرض له نفسك، فإنه إن دفعه إلي رددته عليك، وإن لم يرده علي، أخلفته عليك، ففعل. فلما ولي يزيد بن عبد الملك كتب في أبي بكر بن محمد بن حزم وفي الأحوص[4] فحملا إليه، لما بين أبي بكر والأحوص من العداوة، وكان أبو بكر قد ضرب الأحوص وغربه إلى دهلك* وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز[5] وعمر إذ ذاك على المدينة. فلما صارا بباب يزيد أذن للأحوص، فرفع أبو بكر يديه يدعو، فلم يخفضهما حتى خرج الغلمان بالأحوص ملببا مكسور الأنف، وإذا هو لما دخل على يزيد، قال له: أصلحك الله، هذا ابن حزم الذي سفه رأيك، ورد نكاحك. فقال يزيد: كذبت، عليك لعنة الله، وعلى من يقول ذلك، اكسروا أنفه، وأمر به فأخرج ملببا.

----

*(دهلك) جزيرة في بحر اليمن وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة

■ (3) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي أمير المدينة وقاضيها لسليمان بن عبد الملك، ثم لعمر بن عبد العزيز روى عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن مالك قال: لم يكن عندنا بالمدينة احد عنده من علم القضاء ما كان عند أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم وكان ولاه عمر بن عبد العزيز وكتب إليه أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد فكتبه له، ولم يكن على المدينة أنصاري أميرا غير أبي بكر بن حزم، وكان قاضيا.

■ (5) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (4) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الانصاري، من بني ضبيعة: ولقب بالاحوص لضيق في مؤخر عينيه. شاعر هجاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر ونصيب. كان معاصرا لجرير والفرزدق. وهو من سكان المدينة. وفد على الوليد ابن عبد الملك في الشام فأكرمه الوليد، ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته، فرده إلى المدينة وأمر بجلده، فجلد، ونفي إلى دهلك وهي جزيرة بين اليمن والحبشة، كان بنو أمية ينفون إليها من يسخطون عليه. فبقي بها إلى ما بعد وفاة عمر بن عبد العزيز. وأطلقه يزيد بن عبد الملك. فقدم دمشق فمات فيها. سنة 105 هـ وكان حماد الراوية يقدمه في النسيب على شعراء زمنه..

■ (2) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ. وتخلف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه.وكان الوليد اجتهد في خلع سليمان هذا من ولاية العهد وتولية ولده العزيز؛ فامتنع سليمان من ذلك حتى مات الوليد.

■ (1) عون بن محمد بن على بن ابى طالب الهاشمي روى عن ابيه عن جده روى عنه يونس بن راشد ومحمد بن موسى وعبد الملك بن ابى عياش سمعت ابى يقول ذلك

قال رجاء بن حيوة[1]: لما مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وقام يزيد بن عبد الملك بعده في الخلافة، أتاه عمر بن الوليد بن عبد الملك[2] فقال ليزيد: يا أمير المؤمنين، إن هذا المرائي –يعني عمر بن عبد العزيز– قد خان من المسلمين كل ما قدر عليه من جوهر نفيس ودر ثمين، في بيتين في داره مملوءين، وهما مقفولان على ذلك الدر والجوهر. فأرسل يزيد إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك[3] امرأة عمر: بلغني أن عمر خلف جوهرا ودرا في بيتين مقفولين. فأرسلت إليه: يا أخي ما ترك عمر من سبد ولا لبد، إلا ما في هذا المنديل. وأرسلت إليه به، فحله فوجد فيه قميصا غليظا مرقوعا، ورداء قشبا، وجبة محشوة غليظة واهية البطانة. فقال يزيد للرسول: قل لها: ليس عن هذا أسأل، ولا هذا أريد، إنما أسأل عما في البيتين. فأرسلت تقول له: والذي فجعني بأمير المؤمنين ما دخلت هذين البيتين منذ ولي الخلافة، لعلمي بكراهته لذلك، وهذه مفاتيحهما فتعال فحول ما فيهما لبيت مالك. فركب يزيد ومعه عمر بن الوليد حتى دخل الدار ففتح أحد البيتين فإذا فيه كرسي من أدم وأربع آجرات مبسوطات عند الكرسي، وقمقم. فقال عمر بن الوليد: أستغفر الله، ثم فتح البيت الثاني فوجد فيه مسجدا مفروشا بالحصا، وسلسلة معلقة بسقف البيت، فيها كهيئة الطوق بقدر ما يدخل الإنسان رأسه فيها إلى أن تبلغ العنق، كان إذا فتر عن العبادة أو ذكر بعض ذنوبه وضعها في رقبته، وربما كان يضعها إذا نعس لئلا ينام، ووجدوا صندوقا مقفلا ففتح فوجدوا فيه سفطا ففتحه فإذا فيه دراعة وتبان، كل ذلك من مسوح غليظ، فبكى يزيد ومن معه وقال: يرحمك الله يا أخي، إن كنت لنقي السريرة، نقي العلانية. وخرج عمر بن الوليد وهو مخذول وهو يقول: أستغفر الله، إنما قلت ما قيل لي. وقال رجاء: لما احتضر جعل يقول: اللهم، رضني بقضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب لما عجلت تأخيرا، ولا لما أخرت تعجيلا. فلا زال يقول ذلك حتى مات. وكان يقول: لقد أصبحت ومالي في الأمور هوى إلا في مواضع قضاء الله فيها.

قال ابن عياش: كانت لعمر مرقاتان يرقى من صحن داره إلى قعر بيته عليهما فانقلعت إحدى المرقاتين فأتاها رجل من أهل بيته فأصلحها كراهية أن يشق على عمر، فلما جاء عمر ونظر إليها، قال: من صنع هذا؟ قالوا: فلان، قال: علي به، فلما جاء، قال: ويحك يا فلان، أنفست على عمر أن يخرج من الدنيا ولم يضع لبنة على لبنة، والله لولا أن يكون فساد بعد إصلاح لغيرتها إلى ما كانت عليه. (المرقاة) الدرجة.

عن محمد بن عيسى عن أبي الحواري قال: حدثنا هشام: أن فاطمة بنت عبد الملك بعثت إلى رجل من الفقهاء، فقالت: إني أخاف أن لا يسع أمير المؤمنين ما يصنع، قال: وما ذاك؟ قالت: ما كان من أهله بسبيل منذ ولي، فلقي الرجل عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني شيء أخاف أن لا يسعك، قال: وما ذاك؟ قال: أهلك لهم عليك حق، فقال عمر: وكيف يستطيع رجل أن يأتي ذلك، وأمر أمة محمد في عنقه، الله سائله عنها يوم القيامة.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى ابن حزم: أما بعد؛ فإن الطالبين الذين نجحوا، والتجار الذين ربحوا، الذين اشتروا الباقي الذي يدوم بالفاني المذموم، فاغتبطوا ببيعهم، وحمدوا عاقبة أمرهم، فالله الله، وبدنك صحيح، وأنت مريح، قبل أن تنقضي أيامك، وينزل بك حمامك، فإن اليسير الذي أنت فيه يقلص ظله، ويفارقه أهله، فالسعيد الموفق من أكل في عاجلته قصدا، وقدم ليوم فقره غدا، وخرج محمودا من الدنيا قد انقطع عنه علاج أمورها، وصار إلى نعيم الجنة.

وكتب إلى بعض عماله: أما بعد؛ فلتخف يدك عن دماء المسلمين، وبطنك عن أموالهم، ولسانك عن أعراضهم، فإذا فعلت ذلك فلا سبيل عليك: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى] وكان من دعائه: اللهم أعطني من الدنيا ما تكفني به عن شهواتها، وتعصمني به من فتنتها، وتغنيني به عن جميع أهلها.

■ (2) عمر بن الوليد بن عبد الملك، أبو حفص، أمه كندية من ولد حجر بن عمرو وكان يقال له فحل بني مروان وكان يركب معه من ولده ستون لصلبه ولاه أبوه الوليد الموسم والغزو واستعمله على الأردن مدة ولايته حكى عن عمر بن عبد العزيز روى عنه أبو مخروم

■ (1) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام، ويقال أبو نصر، وهو تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية، روى عن أبي صالح السمان. روى عنه محمد بن عجلان. توفي سنة 112 هـ. وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية، وله روايات وكلام حسن.

■ (3) فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، زوجة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وبنت الملك عبد الملك بن مروان، وأخت الوليد وسليمان ابنا عبد الملك. كانت من فضليات نساء بنى أمية. تزوجها عمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة فعاشت معه في نعيم ورفاهية، ولما آلت الخلافة إليه عاشت معه عيشة التقشف والزهد حتى وفاته. وتزوجت بعد وفاته داود بن سليمان بن مروان.توفيت بعد عام 105 هـ. أثناء خلافة أخيها هشام بن عبد الملك. وحكى عنها عطاء ابن أبي رباح، والمغيرة بن حكيم. قال الزبير بن بكار: قال الشاعر في فاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز : بنت الخليفة و الخليفة جدها..أخت الخلائف والخليفة زوجها. قال: فلم تكن امرأة تستحق هذا النسب إلى يومنا هذا غيرها قلت: و لا يقال في غيرها هذا إلى يومنا هذا.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الاغاني/ الأعلام للزركلي/ الجرح والتعديل/ الطبقات الكبرى/ نثر الدر/

حدث سلام الجمحي قال: بلغني أن مسلمة بن عبد الملك قال ليزيد بن عبد الملك[1] قال ليزيد بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين: ببابك وفود الناس، ويقف ببابك أشراف العرب، فلا تجلس لهم، وأنت قريب عهد بعمر بن عبد العزيز[2]، وقد أقبلت على هؤلاء الإماء ؟! قال: إني لأرجو ألا تعاتبني على هذا بعد اليوم. فلما خرج مسلمة من عنده استلقى على فراشه، وجاءت حبابة[3] جاريته فلم يكلمها، فقالت: ما دهاك ؟ فأخبرها بما قال مسلمة، وقال: تنحي عني حتى أفرغ للناس، قالت: فأمتعني منك يوما واحدا، ثم اصنع ما بدا لك، قال: نعم، فقالت لمعبد[4]: كيف الحيلة ؟ قال: يقول الأحوص[5] أبياتا، وتغني فيها ! قالت: نعم، فقال الأحوص: من الطويل: ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا..فقد غلب المحزون أن يتجلدا..إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا..فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا..فما العيش إلا ما تحب وتشتهي..وإن لام فيه ذو الشنان وفندا. فغنى به معبد وقال: مررت البارحة بدير نصارى، وهم يقرؤون بصوت شجٍ فحاكيته في هذا الصوت، فلما غنته حبابة قال: فعل الله بمسلمة، صدقت، والله لا أطعتهم أبدا. وقيل: إن يزيد قال لجاريته حبابة وكان عاشقا لها شديد الوجد بها، فقال لها يوما: إني قد وليت فلانا الخادم ما حوته يدي شهرا لأخلو أنا وأنت فلا يشغلنا أحد. فقالت: إن كنت وليته فقد عزلته أنا، فغضب لذلك وخرج من المجلس الذي كان فيه. فلما أضحى النهار ولم يرها ضاق صدره، وقل صبره، فدعا بعض خدمه وقال: اذهب فانظر ما الذي تصنع حبابة ؟ فمضى الخادم ثم رجع فقال: رأيتها مؤتزرة بإزار خلوقي مرتدية برداء أصفر، وهي تلعب بلعبها. فقال: احتل في أن تجيز علي، فذهب الخادم فلاعبها، ثم استل لعبة من لعبها وعدا بين يديها فتبعته تعدو وراءه، فمرت على يزيد، فلما بصر بها، قام إليها فاعتنقها وقال لها: فإني قد وليته، قال: فولي الخادم وعزل وهو لا يدري. ثم إنه خلا معها أياما وتشاغل عن النظر في أمور الناس، فدخل عليه مسلمة وعذله على ذلك، فأخذت العود وغنته: ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا. قال أبو إسحاق: غنت جارية بين يدي يزيد بن عبد الملك: من الطويل: وإني لأهواها وأهوى لقاءها..كما يشتهي الصادي الشراب المبردا. فراسلتها سلامة[6] فغنت: من الطويل: علاقة حب كان في سنن الصبا..فأبلى وما يزداد إلا تجلدا. فغنت حبابة: من الطويل: كريم قريش حين ينسب والذي..أقر له بالفضل كهلا وأمردا. فراسلتها سلامة فغنت: من الطويل: تردى بمجد من أبيه وجده..وقد أورثا بنيان مجد مشيدا. فطرب يزيد، وشق حلة كانت عليه حتى سقطت في الأرض، ثم قال: أحسنتما أفتأذنان لي أن أطير ؟ قالت له حبابة: على من تدع الأمة ؟ قال: عليك. قال يزيد بن عبد الملك لحبابة ذات يوم: أتعرفين أحدا هو أطرب مني ؟ قالت: نعم مولاي الذي باعني، فأمر بإشخاصه، فأشخص إليه مقيدا، فأدخل وحبابة وسلامة تغنيان، فغنته سلامة لحن الغريض: من المتقارب: تشط غدا دار جيراننا. فطرب وتحرك في قيوده. ثم غنته حبابة لحن ابن سريج[7] المجرد في هذا الشعر، فوثب وجعل يحجل في قيده، ويقول: هذا وأبيكما ما لا تعذلاني به حتى دنا من الشمعة فوضع لحيته عليها فأحرقت، وجعل يصيح: الحريق يا أولاد الزنا، فضحك يزيد وقال: هذا والله أطرب الناس حقا، ووصله وسرحه إلى بلده.

----

(3) حبابة جارية يزيد بن عبد الملك. مغنية، من ألحن من رؤي في عصرها، ومن أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأفضلهم أدبا. قرأت القرآن وروت الشعر وتعلمت العربية. وهي مولدة، كانت لرجل من أهل المدينة يعرف بابن رمانة خرجها وأدبها، فأخذت الغناء عن ابن سريج وابن محرز وطبقتهما، فاشتراها يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار، فغلبت على عقله، وشغل بها. ثم ماتت، فحزن عليها ومات بعدها بأربعين يوما سنة 105 هـ.

(6) سلامة القس: مغنية شاعرة، من مولدات المدينة. نشأت بها، وأخذت الغناء عن معبد وطبقته، فمهرت في الغناء، وحذقت الضرب على الاوتار، وقالت الشعر الكثير. وشغف بها عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي من قراء مكة الملقب بالقس لكثرة عبادته، وكان تابعيا، فنسبت إليه وغلب عليها لقبه. وسمع بها يزيد بن عبد الملك، فاشتراها – قيل بعشرين ألف دينار – فانتقلت إلى دمشق، وبقيت عنده إلى أن توفي. ولها شعر في رثائه. وكان يقدم عليها حبابة. وأدركت سلامة مقتل الوليد بن يزيد. ماتت نحو 130 هـ

(1) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: أمير قائد، من أبطال عصره. من بني أمية في دمشق، يلقب بالجرادة الصفراء. وهو ابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب) له فتوحات مشهورة. سار في مئة وعشرين ألفا لغزو القسطنطينية في دولة أخيه سليمان وبنى مسجد مسلمة بالقسطنطينية (؟) سنة 96 هـ وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية. وغزا الترك والسند سنة 109 هـ. ومات بالشام سنة 120 هـ وقيل مات سنة 121 هـ . وإليه نسبة بني مسلمة وكانت منازلهم في بلاد الاشمونيين بمصر قال الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر إخوته.

(5) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الانصاري، من بني ضبيعة: ولقب بالاحوص لضيق في مؤخر عينيه. شاعر هجاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر ونصيب. كان معاصرا لجرير والفرزدق. وهو من سكان المدينة. وفد على الوليد ابن عبد الملك في الشام فأكرمه الوليد، ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته، فرده إلى المدينة وأمر بجلده، فجلد، ونفي إلى دهلك وهي جزيرة بين اليمن والحبشة، كان بنو أمية ينفون إليها من يسخطون عليه. فبقي بها إلى ما بعد وفاة عمر بن عبد العزيز. وأطلقه يزيد بن عبد الملك. فقدم دمشق فمات فيها. سنة 105 هـ وكان حماد الراوية يقدمه في النسيب على شعراء زمنه..

(4) معبد بن وهب، أبو عباد المدني: نابغة الغناء العربي في العصر الاموى. كان مولى لبني مخزوم (أو لابن قطن، مولى معاوية) ونشأ في المدينة يرعى الغنم لمواليه، وربما اشتغل في التجارة. ولما ظهر نبوغه في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة. ثم رحل إلى الشام فاتصل بأمرائها وارتفع شأنه. وكان أديبا فصيحا. وعاش طويلا إلى أن انقطع صوته. ومات سنة 126 هـ في عسكر الوليد ابن يزيد. أصواته وأخباره كثيرة.

(7) عبيد الله بن سريج، مولى بني نوفل ابن عبد مناف، أبويحيى:من أشهر المغنين في صدر الاسلام. كان يغني مرتجلا فيأتي باللحن المبتكر. وهو من أهل مكة، وأول من ضرب بها على العود بالعناء العربي. قال إبراهيم الموصلي: ما كان ابن سريج إلا كأنه خلق من كل قلب فهو يغني له ما يشتهي توفي سنة 98 هـ

(2) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

قال أبو أويس: قال يزيد بن عبد الملك: ما تقر عيني بما وليت من أمر الدنيا حتى أشتري سلامة جارية مصعب بن زهير الزهري وحبابة جارية لاحق، فأرسل فاشتريتا له، فلما اجتمعتا عنده قال: أنا الآن كما قيل: من الطويل: فألقت عصاها واستقر بها النوى..كما قر عينا بالإياب المسافر. وعن الزبير بن بكار قال: قال يزيد بن عبد الملك: زعموا أنه لا يصفو لأحد عيش يوما واحدا، فإني أريد ألا تخبروني غدا بشيء، فإني أريد أن أتخلى نظري ولذتي، فلعلها تدوم لي، فلما كان من غد جلس مع حبابة فأكلا وشربا وطربا، وكان بين يدي حبابة رمان، فأكلت منه فشرقت بحبة فماتت، فمكث ثلاثا لا يدفنها، ثم غسلت بعد ثلاث وأخرجت، فمر يزيد في جنازتها. وقيل: إن يزيد بن عبد الملك نزل مكانا بالأردن يقال له، بيت راس ومعه حبابة، فتوفيت، فمكث ثلاثا لا يدفنها حتى أنتنت يشمها ويرشفها، فكلمه قراباته في ذلك، وعابوا عليه ما يصنع، وقالوا: قد صارت جيفة بين يديك، حتى أذن لهم في غسلها ودفنها، فحملوها في نطع، وخرج معهم حتى أجنها في حفرتها، فلما فرغوا قال: إنا والله كما قال كثير بن أبي جمعة[1]: من الطويل: فإن تسل عنك النفس أو تدع الصبا..فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد..وكل حبيب زارني فهو قائل..من أجلك هذا هالك اليوم أو غد. فما مكث بعدها إلا خمس عشرة حتى دفن. دخل يزيد بن عبد الملك يوما بعد موت حبابة إلى خزانتها ومقاصيرها، فطاف فيها ومعه جارية من جواريها، فتمثلت الجارية من الطويل: كفى حزنا بالواله الصب أن يرى..منازل من يهوى معطلة قفرا. فصاح صيحة وخر مغشيا عليه، فلم يفق إلى أن مضى من الليل هوي فلم يزل بقية ليله باكيا ومن غده، فلما كان اليوم الثاني وقد انفرد في بيت يبكي عليها، جاؤوا إليه فوجدوه ميتا. توفيت حبابة في رجب سنة خمس ومئة، ولم يلبث بعدها يزيد إلا أربعين يوما حتى هلك.

----

(1) كثير بن عبد الرحمن بن الاسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر: شاعر، متيم مشهور. من أهل المدينة. أكثر إقامته بمصر. وفد على عبد الملك بن مروان، فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه، فاختص به وببيني مروان، يعظمونه ويكرمونه. وكان مفرط القصر دميما، في نفسه شمم وترفع. يقال له ابن أبي جمعة وكثير عزة والملحي نسبة إلى بني مليح، وهم قبيلته، قال المرزباني: كان شاعر أهل الحجاز في الاسلام، لا يقدمون عليه أحدا. وفي المؤرخين من يذكر أنه من غلاة الشيعة، وينسبون إليه القول بالتناسخ، قيل: كان يرى أنه يونس ابن متى أخباره مع عزة بنت حميل الضمرية كثيرة. وكان عفيفا في حبه قيل له: هل نلت من عزة شيئا طول مدتك؟ فقال: لا والله، إنما كنت إذا اشتد بي الامر أخذت يدها فإذا وضعتها على جبيني وجدت لذلك راحة. توفي بالمدينة سنة 105 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الاغاني/ الأعلام للزركلي/

لما استعمل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري[1] على المدينة خطب فاطمة بنت حسين بن علي[2] فقالت: والله، ما أريد النكاح، ولقد قعدت على بني هؤلاء، وجعلت تحاجزه، وتكره أن تباديه لما تخاف منه، وألح عليها، فقال: والله، لئن لم تفعلي لأجلدن أكبر ولدك في الخمر - يعني: عبد الله بن حسن - قال: فبينا هي كذلك، وكان على ديوان المدينة ابن هرمز[3]، فكتب إليه يزيد بن عبد الملك أن يرتفع إليه للمحاسبة، فدخل على فاطمة يودعها، وقال: هل من حاجة؟ فقالت: تخبر أمير المؤمنين ما ألقى من ابن الضحاك، وما يتعرض مني، قال: وبعثت رسولا بكتاب إلى يزيد تذكر قرابتها ورحمها، وما ينال ابن الضحاك منها، وما يتوعدها به، فقدم ابن هرمز فأخبر يزيد، وقرأ كتابها، فنزل من أعلى فراشه، فجعل يضرب بخيزرانة في يده، ويقول: لقد اجترأ ابن الضحاك، من رجل يسمعني صوته في العذاب، وأنا على فراشي؟ ثم كتب إلى عبد الواحد بن عبد الله النضري[4] - وهو يومئذ بالطائف - إني قد وليتك المدينة فأغرم ابن الضحاك أربعين ألف دينار، وعذبه حتى أسمع صوته، وأنا على فراشي. وبلغ ابن الضحاك الخبر فهرب إلى الشام، فلجأ إلى مسلمة بن عبد الملك[5]، فاستوهبه من يزيد، فلم يفعل، وقال: قد صنع ما صنع وأدعه؟ فرده إلى النصري إلى المدينة، فاغرمه أربعين ألف دينار، وعذبه، وطاف به في جبة من صوف. ولما عزل بالنصري عزم على التوجه إلى المدينة، فرد من الطريق، ووقف للناس، وكذلك كانت بنو أمية تفعل بالعامل إذا عزلته، فكان يمر به القرشيون فيعد لون إليه ويثنون عليه، ويجلسون تحته، حتى صاروا حلقة ضخمة؛ وسقط خف رجليه من الشمس حتى حمل حملا.

وفي رواية حدث محمد بن سعد كاتب الواقدي عن الواقدي عن يزيد بن عياض قال: لما ولي يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة خطب فاطمة بنت علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فأبت وقالت: ما النكاح من حاجتي أنا مشبلة مقيمة على ولدي، فألح عليها الخطبة فقال: والله لئن لم تفعلي لأخذن منك أكبر ولدك، يعني عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب في شراب، ثم لأضربنه على رؤوس الناس، ولأفعلن بعد هذا، ولأفعلن حتى أفضحك، فبعثت إلى يزيد بن عبد الملك رسولا، وكتبت معه كتابا، فذكرت قرابتها ورحمها، وشكت عبد الرحمن وذكرت ما أرادها عليه، وبعثت به إليه وسألته أن يجيرها منه، وقالت: إنما أنا حرمتك واحدى نسائك، والله لو كان التزويج من شأني ما كان لي بكفء، وإن عمر بن الخطاب كان يقول على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأمنعن ذوات الأحساب إلا من الأكفاء. قال وكان ابن هرمز على الديوان بالمدينة، وأراد الخروج، فأرسلت إليه وأخبرته بما تلقى من ابن الضحاك، وسألته أن ينمي ذلك إلى يزيد، فلما دخل على يزيد سأله عن المدينة وأهلها فبينا هو يخبره، إذ أتى حاجب يزيد فأخبره بمكان رسول فاطمة، فذكر ابن هرموز ما حملته وأعلمه أنها أرسلت إليه، فألقت إليه أمرها وأمر ابن الضحاك، فدعا يزيد برسولها وقرأ كتابها فغضب غضبا شديدا، ونزل عن سريره إلى الأرض، وضرب بقضيب كان معه على الأرض حتى أثار الغبار، وقال: ابن الضحاك يتزوج امرأة من بني عبد مناف؟ ثم قال: من يسمعني صوت ابن الضحاك بعذابه إياه وأنا على فراشي؟ قال ابن هرمز: أنا أدلك عليه. عبد الواحد بن عبد الله النصري، وهو بالطائف، فكتب يزيد كتابا يأمره فيه بالمسير إلى المدينة وولايتها، وأن يغرم عبد الرحمن بن الضحاك أربعين ألف دينار، ويقفه للناس، وأمر لرسول فاطمة بجائزة وصرفه. فمر الرسول الموجه إلى الطائف بابن الضحاك فوقع في نفسه خوف من العزل، فأعطاه ألف دينار فأخبره الخبر وأحلفه أن لا يبرح المدينة. وجلس ابن الضحاك على رواحله حتى لحق بمسلمة بن عبد الملك فقال له: يا أبا سعيد كن لي جارا من أمير المؤمنين فإن لي رحما وقرابة، وإن خليتني من يديك افتضحت. فلقي مسلمة يزيد في غبش الليل فكلمه فيه فقال يزيد: لا أرين وجهه ولا يخرج إلى عسكري حتى يرجع من حيث جاء فينفذ فيه أمري. فرجع من دمشق حتى وافى المدينة فوجد النصري بها فأغرمه أربعين ألف دينار، فلم يصل إليها حتى سأل الناس فيها، وكان أخذ هذه الأربعين الألف الدينار من بيت المال ففرقها على نفر من قريش وغيرهم.

■ (2) فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب: تابعية، من راويات الحديث. روت عن جدتها فاطمة مرسلا، وعن أبيها وغيرهما. ولما قتل أبوها حملت إلى الشام مع أختها سكينة، وعمتها أم كلثوم بنت علي، وزينب العقيلية، فأدخلن على يزيد، فقالت: يا يزيد أبنات رسول الله سبايا ؟ قال: بل حرائر كرام، أدخلي على بنات عمك، فدخلت على أهل بيته، فما وجدت فيهن سفيانية إلا نادبة تبكي. وعادت إلى المدينة فتزوجها ابن عمها الحسن بن الحسن بن علي ومات عنها، فتزوجها عبد الله ابن عمرو بن عثمان، ومات، فأبت الزواج من بعده إلى أن توفيت. 110 هـ

■ (1) عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، أحد أشراف العرب، ولي إمرة المدينة فأحسن إلى أهلها. خطب فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب فألح عليها فشكته إلى يزيد فغضب لها وعزله وغرمه أربعين ألف دينار، وأبوه هو المقتول يوم مرج راهط. وتوفي عبد الرحمن المذكور في حدود 110 هـ.

■ (3) عبد الرحمن بن هرمز أبو داود، عرف بالأعرج حافظ قارئ،مولى عمر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. من أهل المدينة، وكان يكتب المصاحف أول من برز في القرآن والسنن، رابط بثغر الإسكندرية مدة ومات بها سنة117 هـ.ق ال الذهبي: ابن لهيعة عن أبي النضر، قال: كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية، وكان أعلم الناس بأنساب قريش.

■ (4) عبد الواحد بن عبد الله بن بسر النضري: بمعجمة نسبة لجده نضر بن معاوية، أمير مكة والمدينة والطائف في سنة 104 هـ، إلى أن عزل في سنة 106 هـ بإبراهيم بن هشام المخزومي، وكان صالحا بارز الأمر، لا يسر شيئا، وإذا أتى برزقه في الشهر وهو ثلاثمائة دينار يقول: إن الذي يخون بعدك لخائن، ومع ذلك: فقد عزل بسبب إخراج القاضي سعيد بن سليمان بن يزيد بن ثابت الأمر من تحت يده، وتوجع القاسم بن محمد لعزله وجزع، قال الواقدي: لم يقدم أهل المدينة، وال أحب إليهم منه، كان لا يفصل أمرا إلا استشار القاسم بن محمد وسالما، وكان الذي عزله من الإمرة: هشام بن عبد الملك، وولي خاله إبراهيم بن إسماعيل بن هشام المخزومي.

■ (5) أبو سعيد، مسلمة بن عبد الملك، أمير أُموي، وقائد عسكري، وابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب) ولد سنة 66 هـ وتوفي سنة121 هـ.

قال الأصمعي: لما ولي محمد بن الضحاك بن قيس الفهري المدينة صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، لن تعدموا مني ثلاث خلال: لا اجر لكم جيشا، وإن أمرت فيكم بخير عجلته لكم، أو بشر أخرته عنكم، ولا يكون بيني وبينكم حجاب. فمكث عندهم كذلك. فلما عزل صعد المنبر، فبكى، وبكى الناس لبكائه، وقال: والله ما أبكي جزعا من العزل، وضنا بالولاية، ولكني أربأ بهذه الوجوه أن يتبدلها بعدي من لا يرى لها من الحق ما كنت أراه، وإني وإياكم يا معشر أولاد المهاجرين والأنصار لكما قال أخو كنانة: الطويل: فما القيد أبكاني ولا السجن شفني..ولكنني من خشية النار أجزع..بلى إن أقواما أخاف عليهم..إذا مت أن يعطوا الذي كنت مانع. وقع في رواية الأصمعي: لما ولي محمد بن الضحاك، وإنما هو عبد الرحمن بن الضحاك.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الوافي بالوفيات/ سر أعلام النبلاء/ طبقات النسابين/ طبقات خليفة/ أنساب الأشراف/

روى أن عمر بن هبيرة الفزاري[1] والي العراق وخراسان أيام يزيد بن عبد الملك، دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامر الشعبي[2] فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علماً، ثم أقبل على الحسن البصري[3] فسأله، ثم قال: هما هذان، هذا رجل الكوفة، يعني الشعبي، وهذا رجل أهل البصرة ، يعني الحسن، فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن. فأقبل على الشعبي فقال: يا أبا عمرو إني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم، وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه في بيت المال ومن نيتي أن أرده عليهم، فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إلى أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه، وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة. فهل علي في هذا تبعة وفي أشباهه من الأمور والنية فيها على ما ذكرت ؟ قال الشعبي. فقلت أصلح الله الأمير إنما السلطان والد يخطئ ويصيب، قال. فسر بقولي وأعجب به ورأيت البشر على وجهه وقال: فلله الحمد. ثم أقبل على الحسن، فقال: ما تقول يا أبا سعيد؟ قال: قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم، وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة وإني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا اسْتَرْعَى اللهُ عَبْدًا رَعِيَّةً فَلَمْ يُحِطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ ويقول: إني ربما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم، فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع إنفاذ كتابه، وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع، و﴿لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ﴾ فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقاً لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذه؛ يا ابن هبيرة اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك؛ يا ابن هبيرة إن الله ليمنعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لا طاعة في معصية الله وإني أحذرك بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين. فقال ابن هبيرة: أربع على ظلعك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين؛ فإنه صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وإنما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته. قال الحسن: يا ابن هبيرة، الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد، يا ابن هبيرة، إنك إن تلق من ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقي رجلاً يغريك ويمنيك. فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه. قال الشعبي: فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته. فقال: إليك عني يا عامر. قال: فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلاً لما أدى إليه كنا أهلاً أن يفعل ذلك بنا. فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربي بين المقارف* وما شهدنا مشهد إلا برز علينا. وقال لله عز وجل، وقلنا مقاربة لهم. قال عامر الشعبي: وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطاناً بعد هذا المجلس فأحابيه.

عن ابن خلكان قال: لما ولي ابن هبيرة العراق وخراسان نيابة عن يزيد بن عبد الملك، استدعى الحسن، وابن سيرين، والشّعبيّ، وذلك في سنة 103 هـ، فقال لهم: إنّ الخليفة كتب إليّ بأمر فأقلده ما تقلد من ذلك الأمر. فقال ابن سيرين والشّعبيّ قولا فيه بعض تقيّة. فقال: ما تقول يا حسن؟ قال: يا ابن هبيرة، خف الله في يزيد، ولا تخف يزيدا في الله، فإن الله يمنعك من يزيد، ولا يمنعك يزيد من الله، ويوشك أن يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لا ينجيك إلّا عملك. يا ابن هبيرة إياك أن تعصي الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله تعالى وعباده، فلا تتركن دين الله وعباده لهذا السلطان، فإنه ﴿لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ فأضعف جائزة الحسن عليهما. فقالا: سفسفنا* له فسفسف لنا.

----

*(الفرس العربي بين المقارف) وفي نسخة المقاريف وكلاهما جمع مُقْرِف كمحسن، وهو ما كان أبوه غير عربي ويقابله الهجين (السفساف) الرديء من العطية.

■ (3) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

■ (2) عامر بن شراحيل الشعبي، شعب همدان، أبو عمرو. علامة أهل الكوفة في زمانه، ولد في وسط خلافة عمر. وروى عن علي يسيرا، وعن المغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، وعائشة، وأبي هريرة، وجرير البجلي، وعدي بن حاتم، وابن عباس، ومسروق، وخلق كثير، قال أحمد بن عبد الله العجلي: مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحا. وقال عاصم الأحول: كان الشعبي أكثر حديثا من الحسن، وأكبر منه بسنتين، ولد لأربع بقين من خلافة عمر. وقال خليفة: ولد سنة 21 هـ، وقيل غير ذلك. عن منصور بن عبد الرحمن الغداني، عن الشعبي قال: أدركت خمس مائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أكثر. قال أبو أسامة: كان عمر في زمانه، وكان بعده ابن عباس، وكان بعده الشعبي، وكان بعده الثوري في زمانه. وعن ابن سيرين، قال: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة، والصحابة يومئذ كثير. قال إسماعيل بن مجالد: توفي الشعبي سنة 104 هـ وله 82 سنة. وقال الواقدي: سنة 105 هـ.وقال الفلاس: مات في أول سنة 106 هـ وقيل غير ذلك.

■ (1) عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين، الأمير، أبو المثنى، الفزاري الشامي، أمير العراقين ويكنى أبا خالد ووالد أميرها يزيد بن عمر بن هبيرة المعروف بـ يزيد بن هبيرة، كان ينوب ليزيد بن عبد الملك فعزله هشام بن عبد الملك، وقد ولي غزو البحر سنة سبع نوبة قسطنطينية، وجمعت له العراق في سنة ثلاث 103 هـ ثم عزل بـ خالد بن عبد الله القسري، فقيده وألبسه عباءة وسجنه، فتحيل غلمانه ونقبوا سربا أخرجوه منه، فهرب واستجار بالأمير مسلمة بن عبد الملك، فأجاره ثم لم يلبث أن مات سنة 107 هـ تقريبا. وله من العمر نيف وخمسون سنة على قول أغلب المؤرخين.

دخل أبو النظر سالم[1] مولى عمر بن عبيد الله على عامل للخليفة فقال له: يا أبا النظر إنه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها لا نجد بداً من إنفاذها، فماذا ترى؟ قال أبو النظر: لقد أتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة، فأيهما اتبعت كنت من أهله.

عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ﴾ وعن ابن مسعود مرفوعا، قال:﴿مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَّطَهُ اللهُ عَلَيْهِ﴾ وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا لِيَدْحَضَ بِبَاطِلِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ اللهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ﴾ وكان شريح القاضي يقول:﴿سَيَعْلَمُ الظَّالِمُونَ حَقَّ مَنْ انْتَقَصُوا، إِنَّ الظَّالِمَ لَيَنْتَظِرُ الْعِقَابَ، وَالْمَظْلُومُ يَنْتَظِرُ النَّصْرَ وَالثَّوَابَ﴾ عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿ثَلَاثٌ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي: الِاسْتِسْقَاءُ بِالْأَنْوَاءِ وَحَيْفُ السُّلْطَانِ وَتَكْذِيبٌ بِالْقَدَرِ﴾ (حيف السلطان) أي جوره وظلمه. عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ أَنْتَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ﴾ (فقد تودع منهم) من التوديع. قال الزمخشري أي استريح منهم، وخذلوا، وخلي بينهم وبين ما يرتكبون من المعاصي. قال السندي أي قطع منهم العون الإلهي والتأييد الرباني على صلاح الحال. عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لا تَنَالُهُمَا شَفَاعَتِي: سُلْطَانٌ ظَلُومٌ غَشُومٌ، وَغَالٍ فِي الدِّينِ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ فَيَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ دَعَا لِظَالِمٍ بِالْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصَى اللهُ فِي أَرْضِهِ﴾ أي بأن قال: بارك الله في عمرك. وسئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية، هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا. فقيل له: يموت؟! فقال: دعه يموت. قيل لابن عباس: إن الناس قد فسدوا ولا يصلحهم إلا الشر. قال: بالله الذي لا إله إلا هو للجور أشب للشر، والعدل أطفأ للجور. وفي العدل كفاية، وإليه انتهت السياسة. وقد يصيب الوالي في رعيته بأربع من نفسه وأربع من أنفسهم؛ فأما الأربع اللواتي منهم فالرغبة والرهبة والأمانة والنصيحة. وأما الأربع اللواتي من نفسه فإعطاء من نصحه، والجزاء لمن أبلاه، وعقوبة ذي الذنب بقدر ذنبه، والتنكيل بمن تعدى أمره. فإن هو لم يفعل ذلك وتراخى ابتلى منهم بأربع: بالغش والخذلان والخيانة والنكد.

عن عيسى بن أبي عيسى الحناط عن الشعبي قال: إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان العقل والنسك فإن كان ناسكا ولم يكن عاقلا، قال هذا أمر لا يناله إلا العقلاء فلم يطلبه وإن كان عاقلا ولم يكن ناسكا قال هذا أمر لا يناله إلا النساك فلم يطلبه. قال الشعبي ولقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم من ليست فيه واحدة منهما لا عقل ولا نسك. وعن محمد بن بشر أو بشير قال الشعبي اتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين فإنهما آفة كل مفتون وقال داود بن أبي هند عن الشعبي الرجال ثلاثة رجل ونصف رجل ولا شيء فأما الرجل التام فهو الذي له رأي وهو يستشير وأما نصف رجل فالذي ليس له رأي وهو يستشير وأما الذي لا شيء فالذي ليس له رأي ولا يستشير. وعن مجالد عن الشعبي قال: إني لجالس يوما إذ أقبل حمال معه دن حتى وضعه ثم جاءني فقال: أنت الشعبي؟ قلت: نعم، قال: أخبرني عن إبليس، هل له زوجة؟ قلت: إن ذاك لعرس ما شهدته، قال: ثم ذكرت قول الله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ [الكهف] قال: فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة. وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال لي الشعبي: ألا أطرفك عني بطريفة كنت اليوم في المسجد في مجلس القضاء وعندي امرأة ليس عندي غيرها فجاء رجل فقال لي: أيكما الشعبي؟ فقلت: هذه.

■ (1) سالم بن أمية أبو النضر مولى عمر بن عبيد الله بن معمر القرشي، التيمي، المدني، الفقيه. قال ابن المديني: له نحو خمسين حديثا. روى عن أنس وابن أبي أوفى وعوف بن مالك الأشجعي وغيرهم روى عنه مالك والثوري وابن عيينة الليث وموسى بن عقبة وغيرهم وقدم على عمر بن عبد العزيز وكان لعمر بن عبد العزيز أخوان في الله أحدهما زياد والآخر سالم كلاهما عبدان. قيل توفي في خلافة مروان بن محمد سنة 129 هـ وقيل سنة 133 هـ.

مراجع: سراج الملوك/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ كنز العمال/ مصنف ابن أبي شيبة / حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ إحياء علوم الدين/ الوافي بالوفيات/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ المستدرك على الصحيحين/ـ مجلة المنار/ تاريخ دمشق/ تهذيب الكمال/

قال ابن خلكان: لما أبى يزيد بن المهلب[1] أن يؤدي المال إلى عمر بن عبد العزيز ألبسه جبة صوف وحمله على جمل، ثم قال: سيروا به إلى دهلك* فلما أخرج يزيد مروا به على الناس، فجعل يزيد يقول: ما لي عشيرة يذهب بي إلى دهلك إنما يذهب إلى دهلك بالفاسق المريب، سبحان الله، أما لي عشيرة فدخل على عمر سلامة بن نعيم الخولاني[2]، وقال يا أمير المؤمنين، أردد يزيد إلى محبسه، فإني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه، فإني رأيت قومه قد غضبوا له، فرده إلى محبسه ولم يزل في محبسه حتى بلغه مرض عمر. وقيل إن عدي بن أرطأة[3] سلمه إلى وكيع بن حسان بن أبي سود التميمي[4] مغلولا مقيدا في سفينة ليوصله إلى عين التمر*حتى يحمل إلى عمر، فعرض لوكيع ناس من الأزد لينتزعوه منه، فوثب وكيع وانتضى سيفه وقطع قلس السفينة، وأخذ سيف يزيد بن المهلب، وحلف بطلاق امرأته ليضربن عنقه إن لم يتفرقوا عنه، فناداهم يزيد وأعلمهم بيمين وكيع، فتفرقوا، ومضى به حتى سلمه إلى الجند بعي التمر، وحمله الجند إلى عمر فحبسه. واستمر في حبسه إلى أن مرض عمر في سنة إحدى ومائة، فخاف يزيد بن المهلب من يزيد بن عبد الملك بن مروان أن يلي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز، وكان يزيد بن المهلب لما ولي العراق قد عذب آل أبي عقيل، -وهم رهط الحجاج- وكانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل عند يزيد بن عبد الملك، وهي أم فاسق بني أمية، وهي بنت أخي الحجاج، وكان يزيد بن عبد الملك قد عاهدها لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقا، فكان يخشى ذلك، فأخذ يعمل في المهرب، فبعث إلى مواليه فأعدوا له إبلا، وكان مرض عمر في دير سمعان، فلما اشتد مرض عمر نزل يزيد من محبسه وخرج حتى أتى المكان الذي فيه إبله، وقد واعدهم إليه، فاحتمل وخرج، فلما جاز كتب إلى عمر: إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسي، ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك، فقال عمر: اللهم إن كان يريد بهذه الأمة شرا فاكفهم شره واردد كيده في نحره. ومضى يزيد بن المهلب، وزعم الواقدي أن يزيد بن المهلب: إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر. قلت: وجدت في مسودة تاريخ القاضي كمال الدين بن العديم الحلبي، أن عمر حبس يزيد بن المهلب وابنه معاوية بحلب وهربا منها، والله أعلم. ولما مات عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ولي مكانه يزيد بن عبد الملك بن مروان. ثم إن يزيد بن المهلب لحق بالبصرة فغلب عليها، وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك وهو عدي بن أرطأة الفزاري فحبسه، وخلع يزيد بن عبد الملك ورام الخلافة لنفسه، فجاءته إحدى حظاياه وقبلت الأرض بين يديه وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فأنشدها: رويدك حتى تنظري عم تنجلي..عماية هذا العارض المتألق. قلت: وهذا البيت من جملة أبيات لبشر بن قطية الأسدي. ثم إن يزيد بن عبد الملك جهز لقتاله أخاه مسلمة بن عبد الملك[5]، وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك[6]، ومعهما الجيش، وخرج يزيد بن المهلب للقائهم، واستخلف على البصرة ولده معاوية بن يزيد[7] وعنده الرجال والأموال والأسرى، وقدم بين يديه أخاه عبد الملك بن المهلب[8] وسار حتى نزل العقر*. ثم أقبل مسلمة بن عبد الملك حتى نزل على يزيد بن المهلب فاصطفوا، ثم اقتتل القوم، فشد أهل البصرة على أهل الشام فكشفوهم، ثم إن أهل الشام كروا عليهم فكشفوهم، وكان على مقدمة جيش بن يزيد أخوه عبد الملك، فلما انكشف جاء إلى أخيه يزيد، وكان الناس يبايعون يزيد بن المهلب، وكانت مبايعته على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن لا تطأ الجنود بلادهم ولا بيضتهم، ولا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج، وكان مروان بن المهلب[9] بالبصرة يحرض الناس على حرب أهل الشام ويسرح الناس إلى أخيه يزيد. وكان الحسن البصري[10] رضي الله عنه يثبط الناس عن يزيد بن المهلب، فقال يوما في مجلسه: يا عجبا لفاسق من الفاسقين ومارق من المارقين غير برهة من دهره، يهتك الله في هؤلاء القوم كل حرمة، ويركب له فيهم كل معصية ويأكل ما أكلوا ويقتل ما قتلوا، حتى إذا منعوه لماظة كان يتلمظها قال: أنا لله غضبان فاغضبوا، ونصب قصبا عليها خرق، وتبعه رجراجة رعاع هباء ما لهم أفئدة وقال: أدعوكم إلى سنة عمر بن عبد العزيز، ألا وإن من سنة عمر أن توضع رجلاه في قيد ثم يوضع حيث وضعه عمر، فقال له رجل: أتعذر أهل الشام يا أبا سعيد يعني بني أمية، فقال: أنا أعذرهم لا عذرهم الله! والله لقد حدث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ بِمَا حَرَّمْتَ بِهِ بَلَدَكَ مَكَّةَ﴾ فدخلها أهل الشام ثلاثا لا يغلق لها باب إلا أحرق بما فيه، حتى إن الأقباط والأنباط ليدخلون على نساء قريش فينتزعون خمرهن من رؤوسهن وخلاخلهن من أرجلهن، سيوفهم على عواتقهم، وكتاب الله تحت أرجلهم، أنا أقتل نفسي لفاسقين تنازعا هذا الأمر والله لوددت أن الأرض أخذتهما خسفا جميعا. فبلغ ذلك يزيد بن المهلب فأتى الحسن، هو وبعض بني عمه إلى حلقته في المسجد متنكرين، فسلما عليه ثم خلوا به، فاشرأب الناس ينظرون إليهم، فلاحاه يزيد، فدخل في ملاحاتهما ابن عم يزيد، فقال له الحسن: وما أنت وذاك يا ابن اللخناء فاخترط سيفه ليضربه به، فقال يزيد: ما تصنع قال: أقتله، فقال له يزيد: اغمد سيفك فوالله لو فعلت لانقلب من معنا علينا. وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ اجتمع هو ومسلمة بن عبد الملك ثمانية أيام، حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة مضت من صفر سنة اثنتين ومائة أمر مسلمة أن تحرق السفن فأحرقت، والتقى الجمعان وشبت الحرب، فلما رأى الناس الدخان قيل لهم: أحرق الجسر، انهزموا، فقيل ليزيد: قد انهزم الناس، فقال: مم انهزموا فقيل له: أحرق الجسر فلم يلبث أحد، فقال: قبحهم الله بق دخن عليه فطار. وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار، وجاءه من أخبره أن أخيه حبيبا[11] قد قتل فقال: لا خير في العيش بعد حبيب، قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة فوالله ما ازددت لها إلا بغضا، امضوا قدما، قال: أصحابه: فعلمنا أن الرجل قد استقتل. وأخذ من يكره القتال ينكص، وأخذوا يتسالون، وبقيت معه جماعة حسنة، وهو يزدلف، فكلما مر بخيل كشفها أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه، فجاء أبو رؤبة المرجئ وقال: ذهب الناس، فهل لك أن تنصرف إلى واسط فإنها حصن تنزلها ويأتيك أهل البصرة ويأتيك أهل عمان والبحرين في السفن وتضرب خندقا فقال له: قبح الله رأيك، ألي تقول ذا الموت أيسر علي من ذلك، فقال له: فغني أتخوف عليك، أما ترى ما حولك من جبال الحديد فقال له: فأنا أباليها أجبال حديد كانت أم جبال نار اذهب عنا إن كنت لا تريد قتالا معنا. وأقبل على مسلمة لا يريد غيره، حتى إذا دنا منه دعا مسلمة بفرسه ليركبه، فعطفت عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه، فقتل يزيد بن المهلب، وقتل معه أخوه محمد[؟] وجماعة من أصحابه، وقال القحل ابن عياش الكلبي[13]، لما نظر إلى يزيد: يا أهل الشام هذا والله يزيد، لأقتلنه أو ليقتلني، إن دونه ناسا، فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل إليه فقال له ناس من أصحابه: نحن نكمل معط، فحملوا بأجمعهم، فاضطربوا ساعة وسطع الغبار وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا، وعن القحل بن عياش بآخر رمق، فأومأ إلى أصحابه يريهم مكان يزيد، وجاء برأس يزيد مولى لبني مرة، فقيل له: أنت قتلته فقال: لا. وفي أثناء الوقعة نظر الحواري بن زياد[؟] إلى برذون عائر فقال: الله أكبر، هذا برذون الفاسق ابن المهلب، قد قتله الله إن شاء الله، فطلبوه، فأتي مسلمة برأسه، فلم يعرف الرأس، ولم ينكر، فقيل له: مر برأسه فليغسل ثم ليعمم، ففعل ذلك به فعرفه، فبعث به إلى أخيه يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط. والله أعلم بالصواب.

----

*(دهلك)جزيرة في بحر عيذاب بالقرب من سواكن كان الخلفاء يحبسون بها من نقموا عليه (عين التمر) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة على طرف البادية فتحها خالد بن الوليد عنوة سنة 12هـ بعد معركة جرت بينه وبين العرب المتنصرة (العقر) عقر بابل، وهي عند الكوفة بالقرب من كربلاء، الموضع الذي قتل فيه الحسين رضي الله عنه، وهو في الأصل اسم القصر، والمواضع المسماة بالعقر أربعة: أحدها هذا

■ (10) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

■ (1) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أبو خالد الأزدي. ولد سنة 53 هـ، وولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك، ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن أرطأة، وطلبه عمر وسجنه. وكان الحجاج قد عزله وعذبه، فسأله أن يخفف عنه الضرب على أن يعطيه كل يوم مئة ألف درهم. فقصده الأخطل ومدحه، فأعطاه مئة ألف، فعجب الحجاج من جوده في تلك الحال وعفا عنه.واعتقله، ثم هرب من حبسه ثم قتل في صفر سنة 102 هـ.قال الذهبي قلت: قتل عن 49 سنة،ولقد قاتل قتالا عظيما، وتفللت جموعه (انكسروا وانهزموا) فما زال يحمل بنفسه في الألوف، لا لجهاد بل شجاعة وحمية حتى ذاق حمامه. نعوذ بالله من هذه القتلة الجاهلية.

■ (11) حبيب بن المهلب بن أبي صفرة: أحد شجعان العرب وأشرافهم في العصر المرواني. كانت له ولاية كرمان وعزله الحجاج عنها سنة 87 هـ. ثم صحب أخاه يزيد بن المهلب في أعماله وغزواته، وقتل معه في خروجه بالعراق على يزيد بن عبد الملك سنة 102 هـ..

■ (3) عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي أخو زيد بن أرطأة الفزاري، والده هو الصحابي أرطأة بن كعب الفزاري. عدي ولاه عمر عبد بن العزيز البصرة، وغيرها من بلاد العراق فستمر عليها حتى قتل سنة 102 هـ.أيام يزيد بن عبد الملك.

■ (8) عبد الملك بن المهلب بن أبي صفرة الازدي: من شجعان العرب وأشرافهم. خرج على بني مروان مع أخيه يزيد. وشهد الوقائع في العراق، فقتل أخوه وتفرقت جموعهما. ثم قتل مع أخيه المفضل، على أبواب قندابيل بالسند سنة 102 هـ.

■ (9) مروان بن المهلب بن أبى صفرة: شجاع، خطيب، من أشراف العرب. خرج بالعراق مع أخيه يزيد حين خلع طاعة بني مروان. وكانت وقائع قتل في آخرها صاحب الترجمة. سنة 102 هـ

■ (7) معاوية بن يزيد بن المهلب، عندما هرب بنو المهلب إلى السند أيام يزيد بن عبد الملك، أرسل إليهم مسلمة جيشان؛ جيش تحت قيادة هلال بن أحوز التميمي، وجيش تحت قيادة مدرك بن ضب الكلبي، فقتل هلال منهم معاوية بن يزيد بن المهلب في آخرين من أهل بيته وقومة.

■ (6) العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو الحارث الأموي. كان يقال له فارس بني مروان. استعمله أبوه على حمص، وولي المغازي، وافتتح عدة حصون، ولكنه كان ينال من عمر بن عبد العزيز بجهل. وقد مات في سجن مروان بن محمد في حدود سنة 130 هـ

■ (5) أبو سعيد، مسلمة بن عبد الملك، أمير أُموي، وقائد عسكري، وابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان –من الأب–. ولد سنة 66 هـ وتوفي سنة121 هـ.

■ (13) القحل بن عياش بن حسان بن سمير بن شراحيل بن عرين، قتل يزيد بن المهلب وقتله يزيد ضرب كل واحد منهما صاحبه فقتله. وقيل: بل قتل يزيد الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي؟ (؟) الحواري بن زياد؟ (؟) محمد بن المهلب؟

☪

في رواية قال: كان مروان بن المهلب وهو بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشام، ويسرح الناس إلى يزيد، وكان الحسن البصري يثبط الناس عن يزيد ابن المهلب. قال أبو مخنف: فحدثني عبد الحميد البصري، أن الحسن البصري كان يقول في تلك الأيام: أيها الناس، الزموا رحالكم، وكفوا أيديكم، واتقوا الله مولاكم، ولا يقتل بعضكم بعضا على دنيا زائلة، وطمع فيها يسير ليس لأهلها بباق، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براض؛ إنه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي والمعروف التقى، فمن كان منكم خفيا فليلزم الحق، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفا؛ وكفى له بها من الدنيا خلفا؛ ومن كان منكم معروفا شريفا، فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا إرادة الله بذلك، فواها لهذا! ما أسعده وأرشده وأعظم أجره وأهدى سبيله! فهذا غدا – يعني يوم القيامة – القرير عينا، الكريم عند الله مآبا. فلما بلغ ذلك مروان بن المهلب قام خطيبا كما يقوم، فأمر الناس بالجد والاحتشاد، ثم قال لهم: لقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي – ولم يسمه – يثبط الناس، والله لو أن جاره نزع من خص داره قصبة لظل يرعف أنفه؛ أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقنا، وأن ننكر مظلمتنا! أما والله ليكفن عن ذكرنا وعن جمعه إلينا سقاط الأبلى وعلوج فرات البصرة – قوما ليسوا من أنفسنا، ولا ممن جرت عليه النعمة من أحد منا – أو لأنحين عليه مبردا خشنا. فلما بلغ ذلك الحسن قال: والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه. فقال ناس من أصحابه: لو أرادك ثم شئت لمنعناك، فقال لهم: فقد خالفتكم إذا إلى ما نهيتكم عنه! آمركم ألا يقتل بعضكم بعضا مع غير، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضا دوني! فبلغ ذلك مروان بن الهلب، فاشتد عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرقوا. ولم يدع الحسن كلامه ذلك، وكف عنه مروان بن المهلب.

مراجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ تاريخ الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ الأعلام للزركلي/

◆ عمر بن هبيرة الفزاري (عامل يزيد بن عبد الملك، تاسع ملوك الدولة الأموية) ومحمد بن سيرين 0539

قال جعفر بن مرزوق[1]: بعث ابن هبيرة[2] إلى ابن سيرين[3] والحسن[4] والشعبي[5]،قال: فدخلوا عليه، فقال لـ ابن سيرين: يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قربت من بابنا؟ قال: رأيت ظلما فاشيا، قال: فغمزه ابن أخيه بمنكبه، فالتفت إليه ابن سيرين فقال: إنك لست تسأل إنما أنا أسأل، فأرسل إلى الحسن بأربعة آلاف، وإلى ابن سيرين بثلاثة آلاف، وإلى الشعبي بألفين، فأما ابن سيرين فلم يأخذها.

عن جعفر بن أبي الصلت قال: قلت لمحمد بن سيرين: ما منعك أن تقبل من ابن هبيرة؟ قال: فقال لي: يا أبا عبد الله، أو يا هذا، إنما أعطاني على خير كان يظنه بي، ولئن كنت كما ظن بي فما ينبغي لي أن أقبل، وإن لم أكن كما ظن فبالحري أن لا يجوز لي أن أقبل. وعن ابن عون قال: أرسل ابن هبيرة إلى ابن سيرين، فأتاه فقال له: كيف تركت أهل مصرك؟ قال: تركتهم والظلم فيهم فاش. قال ابن عون: كان محمد يرى أنها شهادة يسأل عنها، فكره أن يكتمها.

عن أيوب، عن ابن سيرين، فذكر شيئا، قال: وقسم عمر بن عبد العزيز بين الناس، فبعث إلى ابن سيرين، فأبى أن يقبله، وقال: ليس بي طعن على عمر في شيء، ولكنه الاستغناء عنه.

----

(3) محمد بن سيرين الأنصاري البصري، يكنى أبا بكر، مولى أنس بن مالك. كاتبه أنس. وقال ابن عائشة: كان سيرين من أهل جرجرايا* وكان يعمل قدور النحاس، فجاء إلى عين التمر يعمل بها فسباه خالد بن الوليد. أسند محمد بن سيرين عن زيد بن ثابت، وابن عمر، وابن عباس، وأبي سعيد، وعمران ابن حصين، وجندب. وأنس، وأبي هريرة، وأبي بكرة في آخرين. وعن حماد بن سلمة، عن أيوب: كان ابن سيرين يصوم يوما ويفطر يوما. وتوفي ابن سيرين لتسع مضين من شوال سنة 110 هـ بعد الحسن بمائة يوم، وهو ابن نيف وثمانين سنة. عن ابن عون، قال: لما حضرت الوفاة محمد بن سيرين قال لابنه يا بني: اقض عني وتقض عني، إلا الوفاء. قال: يا أبت أعقق عنك؟ قال: إن الله تعالى لقادر أن يأجرني وإياك فيما صنعت من خير.

(4) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

(5) عامر بن شرحبيل الشعبي، شعب همدان، أبو عمرو. علامة أهل الكوفة في زمانه، ولد في وسط خلافة عمر. وروى عن علي يسيرا، وعن المغيرة بن شعبة، وعمران بن حصين، وعائشة، وأبي هريرة، وجرير البجلي، وعدي بن حاتم، وابن عباس، ومسروق، وخلق كثير، وقرأ القرآن على علقمة، وأبي عبد الرحمن السلمي. قال أحمد بن عبد الله العجلي: مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحا. وقال عاصم الأحول: كان الشعبي أكثر حديثا من الحسن، وأكبر منه بسنتين، ولد لأربع بقين من خلافة عمر. وقال خليفة: ولد سنة 21 هـ، وقيل غير ذلك. عن منصور بن عبد الرحمن الغداني، عن الشعبي قال: أدركت خمس مائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أكثر. قال أبو أسامة: كان عمر في زمانه، وكان بعده ابن عباس، وكان بعده الشعبي، وكان بعده الثوري في زمانه. وعن ابن سيرين، قال: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة، والصحابة يومئذ كثير. قال إسماعيل بن مجالد: توفي الشعبي سنة 104 هـ، وله اثنتان وثمانون سنة. وقال الواقدي: سنة 105 هـ.وقال الفلاس: مات في أول سنة 106 هـ، وقيل غير ذلك.

(2) عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين، الأمير، أبو المثنى، الفزاري الشامي، أمير العراقين ويكنى أبا خالد ووالد أميرها يزيد بن عمر بن هبيرة المعروف بـ يزيد بن هبيرة، كان ينوب ليزيد بن عبد الملك فعزله هشام بن عبد الملك، وقد ولي غزو البحر سنة سبع نوبة قسطنطينية، وجمعت له العراق في سنة ثلاث 103 هـ ثم عزل بـ خالد بن عبد الله القسري، فقيده وألبسه عباءة وسجنه، فتحيل غلمانه ونقبوا سربا أخرجوه منه، فهرب واستجار بالأمير مسلمة بن عبد الملك، فأجاره ثم لم يلبث أن مات سنة 107 هـ تقريبا. وله من العمر نيف وخمسون سنة على قول أغلب المؤرخين.

(1) محمد بن مرزوق، أبو عبد الله الباهلي البصري. قدم بغداد، وحدث بها عن محمد بن عبد الله الأنصاري، وأبي عامر العقدي، وأبي سعيد الأصمعي، وهانئ بن يحيى المجاشعي.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب] أي راقبوا الله في جميع أقوالكم وأفعالكم، وقولوا قولا مستقيما مرضيا لله، قال الطبري: أي قولا قاصدا غير جائر، حقا غير باطل. عن عبادة بن الوليد بن عبادة، عن أبيه، عن جده، قال:﴿ بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا رَآهُ﴾ قول الحق عند الأمير ورد أمره إذا خالف أمر الله ما وقع بين عمر وأبي، وقول عمر: لا خير في أمير لا يقال عنده الحق. قال الحسن البصري: لقد أدركت الأمراء ممن كان قبلكم، كانوا والله وعاة لكتاب الله وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم، يفرشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون الذي خلقهم في فكاك رقابهم، إذا عملوا الحسنة دأبوا في سترها وسألوا الله أن يتقبلها، وإذا عملوا السيئة تابوا وسألوا الله أن يغفرها لهم، فوالله ما زالوا كذلك وعلى ذلك، والله ما سلموا من الذنوب، ولا نجوا إلا بالمغفرة.حدث سليمان بن سعد عن ابن شهاب أن رجلا أتى عمر بن الخطاب فقال: كيف تأمرني أن لا أبالي في الله لومة لائم أم أقبل على خويصة نفسي؟ فقال له عمر: إن وليت شيئا من أمر الناس فلا تبال في الله لومة لائم، وإن لم تل شيئا فأقبل على نفسك وأمر بالمعروف وانه عن المنكر. قال ابن شهاب: فذكرتها لعمر بن عبد العزيز فقام بها إلى المنبر، فقلت له: ما حملك على هذا؟ فقال: إني لم أسمك. وعن الحسن أن عمر بن الخطاب رد عن أبي بن كعب قراءة آية، فقال أبي: لقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت يلهيك -يا عمر- الصفق بالبقيع. فقال عمر: صدقت إنما أردت أن أجربكم هل منكم من يقول الحق؟ فلا خير في أمير لا يقال عنده الحق ولا يقوله. وعن عاصم بن محمد عن أبيه قال: قال رجل لابن عمر: إنا ندخل على سلطاننا فنقول ما نتكلم بخلافه إذا خرجنا من عندهم، قال: كنا نعد هذا نفاقا. وعن حذيفة قال: إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدِّقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه. وعن ابن عباس قال: قال لي أبي: أي بني، إني أرى أمير المؤمنين يدعوك ويقربك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عني ثلاث خصال: إتق الله لا يجربن عليك كذبة، ولا تفشين له سرا، ولا تغتابن عنده أحدا. قال عامر: فقلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف. قال: كل واحدة خير من عشرة آلا ف. وعن موسى بن أبي عيسى قال: أتى عمر بن الخطاب مشربة بني حارثة فوجد محمد بن مسلمة، فقال عمر: كيف تراني يا محمد؟ قال: أراك – والله – كما أحب وكما يحب من يحب لك الخير، أراك قويا على جمع المال، عفيفا عنه، عدلا في قسمه، ولو ملت عدلناك كما يعدل السهم في الثقاب. فقال عمر: هاه وقال: لو ملت عدلناك كما يعدل السهم في الثقاب. فقال: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملت عدلوني.

ناظر المأمون يوما محمد بن القاسم النوشجاني، فجعل يصدقه ويغضي له، فقال له المأمون: تنقاد إلى ما تظن أنه يسرني قبل وجوب الحجة عليك، ولو شئت أن أقيس الأمور بفضل بيان وطول لسان وأبهة الخلافة وسطوة الرئاسة لصدقت وإن كنت كاذبا، وصوبت وإن كنت مخطئا، وعدلت وإن كنت جائرا، ولكني لا أرضى إلا بإزالة الشبهة وغلبة الحجة، وإن شر الملوك عقلا وأسخفهم رأيا من رضي بقولهم: صدق الأمير. من ذلك ما حدث أبو مالك عبيد الله بن محمد عن أبيه قال: أنشد أبو دلامة أبا جعفر المنصور شعرا استحسنه جدا، فجعل من عنده من ندمائه يظهرون استحسانه، فلما أفرطوا، قال أبو دلامة: والله يا أمير المؤمنين إنهم لا يعرفون رديئه من جيده، وإنما يستحسن منه باستحسانك، وإن شئت بينت لك ذلك، قال: افعل. فأنشده: أنعت مهرا كاملا في قدره..مركبا عجانه في ظهره. حتى فرغ منها، فاستحسنوها، فقال أبو دلامة: ألم أخبرك يا أمير المؤمنين؟ قال المنصور: صدق والله أبو دلامة، كيف يكون عجانه في ظهره؟.

☪

قال ابن شوذب: كان ابن سيرين يمازح أصحابه ويقول: مرحبا بالمدرفشين.يعني أنكم تشهدون الجنائز وتحملون الموتى. وعن بشر بن عمر قال: حدثتنا أم عباد، امرأة هشام بن حسان[1]،قالت: نزلنا مع محمد ابن سيرين في الدار، فكنا نسمع بكاءه بالليل وضحكه بالنهار. وعن هشام بن حسان قال: ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في جوف الليل وهو يصلي. وعن أنس بن سيرين قال: كان لمحمد بن سيرين سبعة أوراد يقرأها بالليل فإذا فاته منها شيء قرأه من النهار. وعن هشام قال: كان ابن سيرين يحيي الليل في رمضان. وعن مهدي قال: كنا نجلس إلى محمد فيحدثنا ونحدثه ويكثر علينا ونكثر إليه فإذا ذكر الموت تغير لونه واصفر وأنكرناه وكأنه ليس بالذي كان. وعن محمد بن سيرين قال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه. وعنه قال: إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه يأمره وينهاه. وعنه قال: ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم وتكتم خيره. وعن أبي قال: كان الرجل إذا سأل ابن سيرين عن الرؤيا قال: أتقي الله في اليقظة ولا يضرك ما رأيت في المنام. وعن ابن عون قال: كانوا إذا ذكروا عند محمد رجلاً بسيئة ذكره محمد بأحسن ما يعلم. وعن جرير بن حازم قال: سمعت محمد بن سيرين يحدث رجلاً فقال: ما رأيت الرجل الأسود ثم قال: أستغفر الله ما أراني إلا قد اغتبت الرجل.

----

*(جرجرايا) تتبع أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد.

(1) الإمام هشام بن حسان أبو عبد الله القردوسي توفي سنة 148 هـ وهذا أصح.

مراجع: صحيح مسلم / مسند أحمد/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ حياة الصحابة/ صفوة التفاسير/ مختصر تاريخ دمشق/

◆ يزيد بن أبي مسلم، والي إفريقية (عامل يزيد بن عبد الملك، تاسع ملوك الدولة الأموية) ومحمد بن يزيد الأنصاري 0540

كتب الحجاج[(1)] إلى عبد الملك[(2)] يشير عليه أن يستكتب محمد بن يزيد[(3)] وكتب إليه: إن أردت رجلا مأمونا فاضلا عادلا ورعا مسلما كتوما، تتخذه لنفسك، وتضع عنده سرك وما لا تحب أن يظهر، فاتخذ محمد بن يزيد؛ فكتب إليه عبد الملك: احمله؛ فحمله، فاتخذه عبد الملك كاتبا. قال محمد: فلم يكن يأتيه كتاب إلا دفعه إلي، ولا بشر شيئا إلا أخبرني به، وكتمه الناس، ولا يكتب إلى عامل إلا أعلمنيه؛ فإني لجالس يوما نصف النهار، إذا أنا ببريد قد قدم من مصر، فقال: الإذن على أمير المؤمنين؛ قلت: ليست هذه ساعة إذن، فأعلمني ما قدمت له؛ قال: لا؛ قلت: فإن كان معك كتاب فادفعه إلي؛ قال: لا؛ قال: فأبلغ بعض من حضرني أمير المؤمنين، فخرج فقال: ما هذا؟ قلت: رسول قدم من مصر؛ قال: فخذ الكتاب؛ قلت: زعم أنه ليس معه كتاب؛ قال: فسله عما قدم فيه؛ قلت: قد سألته، فلم يخبرني؛ قال: أدخله؛ فدخل فقال: آجرك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز[(4)]؛ فاسترجع وبكى، ووجم ساعة؛ ثم قال: يرحم الله عبد العزيز، مضى لشأنه وتركنا وما نحن فيه، وبكى النساء وأهل الدار؛ ثم دعاني من غد، فقال لي: قد مضى عبد العزيز لسبيله ولابد للناس من علم وقائم يقوم بالأمر من بعدي فمن ترى؟ قلت: يا أمير المؤمنين سيد الناس وأرضاهم وأفضلهم الوليد بن عبد الملك[(5)]؛ قال: صدقت وفقك الله؛ ثم من ترى أن يكون بعد؟ قلت: يا أمير المؤمنين أين تعدوها عن سليمان[(6)] فتى العرب؟ قال: وفقت، أما إنا لو تركناها للوليد لجعلها لبنيه، اكتب عهد الوليد وسليمان من بعده؛ فكتبت بيعة الوليد ثم سليمان من بعده، فغضب علي الوليد فلم يولني شيئا حين أشرت لسليمان من بعده.

قال محمد بن يزيد: لما قام سليمان بن عبد الملك بعثني إلى العراق إلى المسيرين، إلى أهل الديماس* الذي سجنهم الحجاج؛ قال: فأخرجتهم فيهم يزيد الرقاشي[(7)] ويزيد الضبي[(8)] وعابدة من أهل البصرة، فأخرجتهم في عمل ابن أبي مسلم[(9)] وعنفت ابن أبي مسلم بصنيعه، وكسوت كل رجل منهم بثوبين؛ فلما مات سليمان ومات عمر[(10)] كنت مستعملا على إفريقية*، فقدم علي يزيد بن أبي مسلم[(9)] أميرا في عمل يزيد بن عبد الملك[(11)] فعذبني عذابا شديدا حتى كسر عظامي، فأتي بي يوما أحمل في كساء عند المغرب؛ فقلت: ارحمني، قال: التمس الرحمة عند غيري، لو رأيت ملك الموت عند رأسك لناذرته نفسك، اذهب حتى أصبح لك. قال: فدعوت الله عز وجل، فقلت: اللهم، اذكرني ما كان مني في أهل الديماس، اذكرني يزيد الرقاشي وفلانا وفلانا واكفني شر ابن أبي مسلم، وسلط عليه من لا يرحمه، واجعل ذلك من قبل أن يرتد إلي طرفي، وجعلت أحبس طرفي رجاء الإجابة، فدخل عليه ناس من الري فقتلوه، ثم أتوني يطلقوني؛ فقلت: اذهبوا ودعوني فإني أخاف إن فعلتم أن يروا أن ذلك من سببي؛ فذهبوا وتركوني.

وحدث بطريق آخر: قال: بعثني عمر بن عبد العزيز حين ولي فأخرجت من في السجون من حبس سليمان، ما خلا يزيد بن أبي مسلم فنذر دمي، فلما مات عمر ولاه يزيد بن عبد الملك إفريقية وأنا بها فأخذت فأتى بي في شهر رمضان عند الليل، فقال لي: محمد بن يزيد؟ قلت: نعم؛ قال: الحمد لله الذي أمكنني منك بلا عهد ولا عقد، وطالما سألت الله أن يمكنني منك؛ فقلت: وأنا طال ما سألت الله أن يعيذني منك؛ فقال: والله ما أعاذك الله مني، لو أن ملك الموت يسابقني إليه لسبقته؛ قال: وأقيمت المغرب، فصلى ركعة وثار به الجند فقتلوه؛ وقالوا لي: خذ أي طريق شئت.

قيل: كان السبب في قتل يزيد بن أبي مسلم والي إفريقية، أن كان عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج، فأجمع رأيهم على قتله، فقتلوه، وولوا على أنفسهم الوالي الذي كان عليهم قبل وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار، وكان في حبس يزيد بن مسلم، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك: إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضي الله والمسلمين، فقتلناه وأعدنا عاملك؛ فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك: إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم؛ وأقر محمد بن يزيد على إفريقية.

----

*(إفريقية) كانت تشمل ما يسمى اليوم شمال تونس وشرق الجزائر وغرب ليبيا إقليم طرابلس وكان مركزها القيروان (الديماس) زنزانة وخاصة تحت الأرض. وقيل الديماس سجن كان للحجاج. وسليمان بن عبد الملك هو الذي هدم الديماس. أيضا الديماس اسم بلدة في ريف دمشق.

■ (3) محمد بن يزيد الأنصاري– ويقال القرشي– مولاهم البصري، قدم دمشق واستكتبه عبد الملك بن مروان، كان في صحابة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وولي أفريقيا وفي نسخ قال: الوضاح بن خيثمة، وفي هذه نسخ هو: محمد بن يزيد الأنصاري ؟!

■ (7) يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري، القاص الزاهد، مات قبل 120 هـ. أسند يزيد عن أنس بن مالك، وروى عن الحسن وغيره إلا أن التعبد شغله عن حفظ الحديث فكان ضعيفا قدريا فأعرضت النقلة عما يروي.

■ (8) يزيد الضبي من عباد أهل البصرة يروى عن الحسن روى عنه أهل البصرة ما له حديث مسند يرجع إليه

■ (10) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (2) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الوليد، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

■ (5) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ. وتخلف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه.وكان الوليد اجتهد في خلع سليمان هذا من ولاية العهد وتولية ولده العزيز؛ فامتنع سليمان من ذلك حتى مات الوليد.

■ (6) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.حج سنة 97 هـ، عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. كانت الفتوحات محدودة في أيامه، فعلى الجبهة الغربية غزا القسطنطينية برا وبحرا تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك، ورابط بنفسه هناك، وأقسم ألا يعود حتى يفتحها، فتوفي أثناء حصارها سنة 99 هـ على الجبهة الشرقية: فتح يزيد بن المهلب جرجان و طبرستان عام 98 هـ. توفي سنة 99 هـ

■ (11) يزيد (الثاني) بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو خالد الأموي الدمشقي؛ تولى الحكم بعد عمر بن عبد العزيز لست بقين من رجب سنة 101 هـ، وله 37 سنة وتوفي بأرض البلقاء، وقيل بعمان، لخمس بقين من شعبان سنة 105 هـ.

■ (9) يزيد بن أبي مسلم بن دينار الثقفي، أبو العلاء مولاهم، أمير المغرب،كان مولى الحجاج وكاتبه ومشيره، استخلفه الحجاج عند موته على أموال الخراج، فضبط ذلك، وأقره الوليد، ثم أمره على إفريقية يزيد بن عبد الملك، فثارت عليه الجند ففتكوا به لظلمه سنة 102 هـ.

■ (1) الحجاج بن يوسف الثقفي، أبو محمد، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة 86، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

■ (4) عبد العزيز بن مروان ابن الحكم بن أبى العاص أمير مصر، أبو الأصبغ المدني ولي العهد بعد أخوه عبد الملك عقد له بذلك أبوه واستقل بملك مصر عشرين سنة وزيادة. وهو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز. يروي عن أبيه، وأبي هريرة وعقبة بن عامر وابن الزبير. روى عنه ابنه؛ عمر بن عبد العزيز، والزهري، وكثير بن مرة، وعلي بن رباح، وابن أبي ملكية، وبحير بن ذاخر. ولد سنة 27 هـ ومات سنة 85 هـ. وقيل سنة 86 هـ والأول أصح، وقد كان مات قبله ابنه أصبغ بستة عشر يوما، فحزن عليه ومرض ومات بحلوان؛ مدينة صغيرة أنشأها على بريد فوق مصر وعاش أخوه عبد الملك بعده فلما جاءه نعيه عقد بولاية العهد لابنيه: الوليد ثم سليمان.

☪

نقل ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق، في ترجمة يزيد المذكور عن يعقوب أنه قال: في سنة 101 هـ، أمر يزيد بن أبي مسلم على إفريقية، ونزع إسماعيل بن عبيد بن أبي المهاجر[(1)] مولى بني مخزوم، فسار أحسن سيرة، وفي سنة 102 هـ قتل يزيد.قال الطبري في تاريخه الكبير: وكان سبب ذلك أنه كان– فيما ذكر– عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فأسلم بالعراق، ممن ردهم إلى قرارهم ورساتيقهم*، ووضع على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم، فلما عزم على ذلك تأمروا، فأجمع رأيهم على قتله فقتلوه، وولوا على أنفسهم الوالي الذي كان قبل يزيد بن أبي مسلم، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك: إنا لم نخلع أيدينا عن الطاعة، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك، فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك: إنني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم. وأقر محمد بن يزيد على إفريقية، وكان ذلك في سنة 102 هـ.

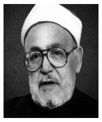

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: الحكم الاستبدادي تهديم للدين وتخريب للدنيا، فهو بلاء يصيب الإيمان والعمران جميعا. وهو دخان مشؤوم الظل تختنق الأرواح والأجسام في نطاقه حيث امتد، فلا سوق الفضائل والآداب تنشط، ولا سوق الزراعة والصناعة تروج. وكان يحلو للغزالي القول نريد أن نحقق في الأرض لا إله إلا الله. وكان يرى أن قمة تدهور الأمة الإسلامية في الاستبداد السياسي، مع انتشار أصول فكرية تعمل على تشريع وتأطير القهر والظلم، والاهتمام بقشور ومظاهر ليست من صميم الدين إن لم تكن وافدة عليه. اعتد الغزالي بقيمة العلم والعلماء، وانتقد ابتذال العلماء ونفاقهم للسلطة، فكان يقول: أنا ورئيس الدولة نأخذ مرتباتنا من وعاء واحد، من مال المسلمين، أنا لا آخذ مرتبي من كيس أحد حتى أجعل ولائي له من دون الله.. وشن هجمات متعددة على العلماء المداهنين للحكام [..] قال أبو الدرداء*: ﴿إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مُحَبَّبًا فِي جِيرَانِهِ مَحْمُودًا عِنْدَ إِخْوَانِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُدَاهِنٌ﴾ إني أكره الشيوخ الذين يسترضون الرؤساء بالفتاوى الجهلاء، إنهم يدورون في القاهرة وفي كل عاصمة بذممهم، كما يدور سائقو سيارات الأجرة بعرباتهم، يتلفتون: هل من راكب؟ قبحهم الله وقبح من كلفهم وقبل منهم. وعن دعاة الصبر على الحكام الظلمة قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: إن أي كلام يفيد منه الاستبداد السياسي، أو التظالم الاجتماعي، أو العطن الثقافي، أو التخلف الحضاري، لا يمكن أن يكون دينا، إنه مرض نفسي أو فكري، والإسلام صحة نفسية وعقلية.

----

*(الرستاق) والجمع رساتيق وهي قرى السواد (أبو الدرداء) وفي رواية القائل هو: سفيان الثوري.

■ (1) أبو عبد الحميد، إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر تابعي وفقيه، ووالي إفريقية في خلافة عمر بن عبد العزيز.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الثقات لابن حبان/ وفيات الأعيان/

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وعطاء بن أبي رباح 0541

عن عثمان بن عطاء الخراساني[1] قال: انطلقت مع أبي وهو يريد هشام بن عبد الملك[2]،فلما قربنا إذا بشيخ أسود على حمار، عليه قميص دريس*،وجبة دنسة، وقلنسوة لاطية* دنسة، وركاباه* من خشب. فضحكت وقلت لأبي: من هذا الأعرابي؟ قال: اسكت، هذا سيد فقهاء أهل الحجاز، هذا عطاء بن أبي رباح[3].فلما قرب نزل أبي عن بغلته، ونزل هو عن حماره، فاعتنقا وتساءلا، ثم عادا فركبا فانطلقا حتى وقفا بباب هشام، فلما رجع أبي سألته، فقلت: حدثني ما كان منكما. قال: لما قيل لهشام عطاء بن أبي رباح بالباب أذن له، فو الله ما دخلت إلا بسببه. فلما رآه هشام قال: مرحبا مرحبا هاهنا هاهنا. فرفعه حتى مست ركبته ركبه، وعنده أشراف الناس يتحدثون، فسكتوا. فقال هشام: ما حاجتك يا أبا محمد؟ قال: يا أمير المؤمنين، أهل الحرمين، أهل الله، وجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيهم أعطياتهم وأرزاقهم، قال: نعم، يا غلام اكتب لأهل المدينة وأهل مكة بعطاءين وأرزاقهم لسنة، ثم قال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الحجاز، وأهل نجد، أصل العرب، ترد فيهم فضول صدقاتهم قال: نعم، يا غلام أكتب بأن ترد فيهم صدقاتهم. قال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الثغور* يرمون من وراء بيضتكم، ويقاتلون عدوكم، قد أجريتم لهم أرزاقا تدرها عليهم، فإنهم إن هلكوا غزيتم. قال: نعم، اكتب بحمل أرزاقهم إليهم يا غلام، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل ذمتكم يجبى صغارهم ولا يتعتع كبارهم، ولا يكلفون إلا ما يطيقون. قال: نعم، اكتب لهم يا غلام، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، اتق الله في نفسك، فإنك خلقت وحدك، وتموت وحدك، وتحشر وحدك، وتحاسب وحدك، ولا والله ما معك ممن ترى أحدا. قال: فأكب هشام وقام عطاء، فلما كان عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس ما أدري ما فيه، أدراهم أم دنانير. فقال: إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا. فقال: لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على رب العالمين. قال: ثم خرج عطاء، فلا والله ما شرب عنده حسوة من ماء فما فوقه.

عن الأوزاعي، قال: قدم عطاء الخراساني على هشام بن عبد الملك فنزل على مكحول[4]،فقال عطاء لمكحول: ههنا أحد يحركنا؟-يعني يعظنا- قال: نعم، يزيد بن ميسرة[5]،فأتوه، فقال له عطاء: حركنا رحمك الله، قال: نعم، كانت العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا قال: أعد علي، فأعاد عليه. فرجع ولم يلق هشاما.

روى الناس هذا الكلام على وجه آخر، فقالوا: قال الأوزاعي: خرج مكحول وعطاء الخراساني يريدان هشام بن عبد الملك، يطلبان صلته، فأتيا الباب، فلم يؤذن لهما، فقال عطاء لمكحول: ادخل بنا المسجد حتى يؤذن لنا، فدخلا، فإذا علماء القوم حلق حلق، وإذا بخصيف الجزري[6] أعظمهم حلقة وهو أصغرهم سنا، فجلسا إليه، فقال له مكحول: حدثنا يرحمك الله، فأومى بوجهه إلى ناحية أخرى، فقال: حدثنا رحمك الله فهذا عطاء الخراساني وأنا مكحول الدمشقي، فالتفت إليهما فقال: كان العلماء لا يعرفون، فإذا عرفوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا. قال عطاء لمكحول: عظة والله! فركبا رواحلهما ولم يدخلا على هشام. وفي حديث آخر بمعناه: فبلغ ذلك هشاما، فبعث بالجائزة في طلبهم.

قال وهب[7] لعطاء الخراساني:[8] ويحك يا عطاء، ألم أخبر أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا وأبواب الأمراء؟ ويحك يا عطاء، أتأتي من يغلق عنك بابه ويظهر لك فقره ويواري عنك غناه؟وتترك باب من يقول:﴿قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر] ويحك يا عطاء، إن كان يغنيك ما يكفيك فأوهى(فأدنى) ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا شئ يكفيك، ويحك يا عطاء، إنما بطنك بحر من البحور، وواد من الاودية، لا يملاه شئ إلا التراب.

لما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر إلى أهله يبكون حوله فقال: جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء، وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما حمل، ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له!.

----

*(دريس) الدرس والدريس: الثوب الخلق. (لاطية) لطأ بالأرض: لصق. (ركاباه) الركاب من السرج كالغرز من الرجل (الثغور) هي مراكز عسكرية تجعل على حدود البلاد الإسلامية لصد الكفار عنها

■ (3) أبو محمد، عطاء بن أبي رباح أسلم، وقيل سالم بن صفوان مولى بني فهر أو جمح المكي، وقيل إنه مولى أبي ميسرة الفهري، من مولدي الجند وهي بلدة مشهورة باليمن خرج منها جماعة من العلماء؛ كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع إلى خلقا كثيرا من الصحابة، وروى عنه خلق كثير. توفي سنة 115 هـ، وقيل 114 هـ وعمره 88 سنة. وقال ابن أبي ليلى: حج عطاء سبعين حجة وعاش مائة سنة، والله أعلم.

■ (8) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، أرسل عن أبي الدرداء، وابن عباس(قال الدارقطني: ثقة في نفسه إلا أنه لم يلق ابن عباس!)، والمغيرة بن شعبة، وطائفة. وروى عن: ابن المسيب، وعروة، وعطاء بن أبي رباح، وابن بريدة، ونافع، وعمرو بن شعيب، وعدة. روى عنه: معمر، وشعبة، وسفيان، ومالك، وحماد بن سلمة، وإسماعيل بن عياش، وعدد كثير، حتى إن شيخه عطاء حدث عنه. وذكره البخاري في (الضعفاء).قيل: مولده سنة 50 هـ. قال سعيد بن عبد العزيز: توفي بأريحا، ودفن ببيت المقدس.وقال ابنه عثمان: مات أبي سنة 135 هـ. قال إسماعيل بن عياش: قلت لعطاء الخراساني: من أين معاشك؟ قال: من صلة الإخوان، وجوائز السلطان.

■ (7) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار وهو الأسوار، الإمام، العلامة، الإخباري، القصصي، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني، الذماري، الصنعاني. أخو: همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه.وأخذ عن: ابن عباس، وأبي هريرة -إن صح- وأبي سعيد، والنعمان بن بشير، وجابر، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص -على خلاف فيه- وطاووس. حتى إنه ينزل ويروي عن: عمرو بن دينار، وأخيه؛ همام، وعمرو بن شعيب، وفنج اليماني - ولا يدرى من فنج؟!. وروايته (للمسند) قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب. قال أحمد: كان من أبناء فارس، له شرف. ولد في سنة 34 هـ والصواب أن وفاته في سنة 110 هـ وليس 114 هـ . فالله أعلم.

■ (4) مكحول بن عبد الله، عالم أهل الشام وكان من سبي كابل. قيل كان مولى لامرأة من هذيل، وقيل: هو مولى سعيد بن العاص، وقيل: مولى لبني ليث، توفي سنة 112 هـ، وقيل 114 هـ، وقيل 116 هـ، وقيل 118 هـ .روى عن خلق كثير.

■ (5) يزيد بن ميسرة بن حلبس، أبو حلبس، الدمشقي. سمع أم الدرداء، وأبي إدريس الخولاني. روى عنه: أخوه يونس، وصفوان بن عمرو، ومعاوية بن صالح، وآخرون. سكن حمص، وكان واعظا زاهدا عارفا. قيل توفي سنة 111 هـ.

■ (6) خصيف بن عبد الرحمن الجزري، أبو عون الحراني الخضرمي الأموي مولى عثمان بن عفان ويقال مولى معاوية بن أبي سفيان وهو أخو خصاف بن عبد الرحمن وكانا توأما رأى أنس بن مالك وروى عن سعيد بن جبير وسفيان الثوري وهو من شيوخه.كان ثقة مات سنة 137 هـ

■ (2) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (1) عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني، أبو مسعود الدمشقي، ضعيف، ليس بالقوي في الحديث، من السابعة، وهو مولى المهلب بن أبي صفرة الأزدي سكن أبوه الشام أصله من بلخ. مات سنة 155 هـ، وقيل 151 هـ.

عن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:﴿الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ﴾ عن أبي عنبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تحرجوا أمتي – ثلاث مرات – اللهم من أمر أمتي بما لم تأمرني به. فإنهم منه في حل. وعن ابن عمر، قال:﴿قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْعِبَادِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: أَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ. قِيلَ: فَأَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ. قِيلَ: وَمَا سُرُورُ الْمُؤْمِنِ؟ قَالَ: إِشْبَاعُ جَوْعَتِهِ وَتَنْفِيسُ كُرْبَتِهِ، وَقَضَاءُ دَيْنِهِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَتِهِ كَانَ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَاعْتِكَافِهِ وَمَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ يُعِينُهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَإِنَّ الْخُلُقَ السَّيِّءَ يُفْسِدُ الْأَعْمَالَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ﴾ وعن ابن شهاب أن سالما أخبره أن عبد الله بن عمر أخبره: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ﴾.

قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء.حكي عن وكيع قال: قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت: أخطأت في خمسة أبواب في المناسك بمكة فعلمنيها حجام، وذلك إني أردت أن أحلق رأسي، فقال لي: أعربي أنت؟ قلت: نعم، وكنت قد قلت له: بكم تحلق رأسي؟ فقال: النسك لا يشارط فيه، اجلس، فجلست منحرفا عن القبلة، فأومأ لي باستقبال القبلة، وأردت أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر، فقال: أدر شقك الأيمن من رأسك، فأدرته، وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت، فقال لي: كبر، فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب، فقال: أين تريد؟ قلت: رحلي! فقال: صلي ركعتين وامض، فقلت: ما ينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجام إلا ومعه علم، فقلت: من أين لك ما رأيتك أمرتني به؟ فقال: رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا.

حكي عن خليفة بن سلام عن يونس قال: سمعت الحسن البصري ذات يوم في مجلسه يقول: اعتبروا من المنافق بثلاث، إن حدث كذب، وإن اؤتمن خان وإن وعد أخلف، فبلغ ذلك عطاء، فقال: قد كانت هذا الخلال الثلاث في ولد يعقوب، حدثوه فكذبوه، وائتمنوه فخانوه، ووعده فأخلفوه، فأعقبهم الله النبوة، فبلغ الحسن، فقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف] وعن معاذ بن سعيد قال: كنا عند عطاء بن أبي رباح، فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر في حديثه، فقال عطاء: سبحان الله، ما هذه الأخلاق، ما هذه الأخلاق! إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا اعلم منه به فأريه أني لا أحسن منه شيئا، وعن عثمان بن الأسود، قال: قلت لعطاء: الرجل يمر بالقوم فيقذفه بعضهم، أيخبره؟ قال: لا، المجالس بالأمانة.

قال إبراهيم بن عمر ابن كيسان: أذكرهم في زمان بني أمية، يأمرون في الحج، صائحا يصيح: لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح، قال سفيان الثوري عن أسلم المنقري: جاء أعرابي يسأل فأرشد إلى سعيد بن جبير فجعل الأعرابي يقول: أين أبو محمد؟ فقال سعيد: ما لنا ها هنا مع عطاء شيء. وعن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان: ما رأيت مفتيا خيرا من عطاء بن أبي رباح، إنما كان مجلسه ذكر الله لا يفتر وهم يخوضون فإن تكلم أو سئل عن شيء أحسن الجواب، وقال أيوب بن سويد الرملي عن الأوزاعي: مات عطاء بن أبي رباح يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس، وما كان يشهد مجلسه إلا سبعة أو ثمانية، وقال يحيى بن سعيد عن ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة. وعن ابن جريج قال: كان عطاء بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرا مائتي آية من البقرة وهو قائم ما يزول منه شيء ولا يتحرك. قيل لأهل مكة: كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم؟ قالوا: كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد. قال الأصمعي: كان عطاء بن أبي رباح يقول في دعائه: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وعند الموت صرعتي، وفي القبور وحدتي، ومقامي غدا بين يديك.

مراجع: صحيح البخاري/صحيح مسلم/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء سنن الترمذي/ وفيات الأعيان/ سير أعلام النبلاء/ تهذيب الكمال/

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وطاووس اليماني (١) 0542

عن ابن خلكان[1] قال: قدم هشام بن عبد الملك حاجا إلى بيت اللهّ الحرام، فلما دخلها.. قال: آتوني برجل من الصحابة. فقيل له: يا أمير المؤمنين قد تفانوا. فقال: من التابعين. فاتي بطاووس اليماني[2] العالم الجليل رحمه الله، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يسلم عليه بأمير المؤمنين، ولكن قال: السلام عليك يا هشام. ولم يكنه، وجلس بإزائه بغير إذنه. وقال: كيف أنت يا هشام ؟. فغضب هشام من ذلك غضبا شديدا وهم بقتله. فقيل له: أنت في الحرم الله وحرم رسوله لا يمكنك ذلك. فقال: يا طاووس، ما الذي حملك على ما صنعت ؟ قال طاووس: وما الذي صنعت !؟. فاشتد غضبه وغيظه. وقال: خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي، ولم تسلم بإمرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بإزاءي بغير إذني وقلت: يا هشام كيف أنت؟. فقال طاووس: أما ما فعلت بخلع نعلي بحاشية بساطك، فإني اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات، فلا يعاتبني، ولا يغضب علي. وأما قولك لم تقبل يدي، فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول: ﴿لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَهُ مِنْ شَهْوَةٍ أَوْ وَلَدَهُ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ وأما قولك لم تسلم علي بإمرة المؤمنين، فليس كل الناس راضيين بإمرتك فكرهت أن أكذب، وأما قولك لم تكنني، فإن الله عز وجل سمى أنبياءه وأولياءه فقال:﴿يَا دَاوُدُ، يَا يَحْيَى، يَا عِيسَى﴾ وكنى أعداءه فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد] وأما قولك جلست بإزاءي، فإني سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول: ﴿إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَانْظُرْ إِلَى رَجُلٌ جَالِسٌ وَحَوْلَهُ قَوْمٌ قِيَامٌ﴾ فقال هشام: عِظْني. قال طاووس: سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول: ﴿إِنَّ فِي جَهَنَّمَ حَيَّاتٍ كَالْقِلَالِ وَعَقَارِبُ كَالْبِغَالِ تَلْدَغُ كُلَّ أَمِيرٍ لاَ يَعْدِلُ فِي رَعِيَّتِهِ﴾ ثم قام وخرج.

■ (2) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميرى، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان، وطاووس لقبه، وقد فسرّ يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير. روى عن أبي هريرة، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وجابر، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، وطائفة وروى عنه ابنه عبد الله (بن طاووس)، ومجاهد، والزهري، وعمرو بن دينار، وسليمان التيمي، وخلق. واكثر روايته عن ابن عباس. قال سفيان قلت لعبيد الله بن ابي يزيد مع من كنت تدخل على ابن عباس قال مع عطاء والعامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة. وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ عقب خروجه من عند هشام وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

■ (١) ابن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الشافعي. صاحب كتاب وفيات الأعيان. ولد بأربيل سنة 608 هـ. وتوفي بدمشق سنة 681 هـ.

☪

أيها الإخوة المؤمنون، بمثل هؤلاء العلماء الصالحين، والأولياء المجاهدين حفظ الله لنا هذا الدين، كان أحدهم إذا سئل عن جرأته في كلامه ومواعظه مع السلاطين يقول كما قال أحدهم: استحضرت عظمة الله فصغرت في عيني هيبة السلطان. فالثبات الثبات يا أهل الإصلاح، والثبات الثبات أيها المجاهدون في سبيل الله، فإن لكم في أمثلهم قدوة، ولنا كما كان لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فإنها الأمنة وسنسأل عنها، ولن يجد الواحد وليس بينه وبين ربه ترجمان إلا ما قدم. نسأل الله الثبات على الحق والعزيمة على الرشد، والله ولي الصالحين. عن عبد الله بن الحارث بن جزء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبِغَالِ الْمُوْكَفَةِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا﴾ (كأمثال البخت) أي كالإبل الخراسانية (اللسعة) أي اللدغة (فيجد) أي ملسوعها (حموتها) أي أثر سمها وسورة ألمها (أربعين خريفا) أي أربعين عاما، (كأمثال البغال المؤكفة) من أكفت الحمار وأوكفه شددت عليها الأكاف.

﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل]

المخرب... المملكة المراكشية = الوكالة الصهيونية الفرنسية

المغرب.. وما أدراك ما المغرب !

الوكالة الصهيومخزنية..مملكة الحشيش.. وسياحة المتعة (وبواخر قوس قزح) ..

وإذا سألت المغاربة (عبيد قزم فرنسا): ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود] قالوا:

﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف]

قال طاووس بن كيسان، سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: ﴿لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَهُ مِنْ شَهْوَةٍ أَوْ وَلَدَهُ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ وعن أبي هريرة: ﴿أَنَّ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ الأَنْصَارِ فَإِذَا فِيهِ جَمَلَانِ يَضْرِبَانِ وَيَرْعَدَانِ فَاقْتَرَبَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمَا فَوَضَعَا جِرَانَهُمَا بِالأَرْضِ فَقَالَ مَنْ مَعَهُ سَجَدَ لَهُ فَقَالَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا لِمَا عَظَّمَ اللهُّ عَلَيْهَا مِنْ حَقِّهِ﴾ وفي المسند وغيره: ﴿لَمَّا رَجَعَ مُعَاذٌ مِنْ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا هَذِهِ يَا مُعَاذُ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِّ رَأَيْتهمْ فِي الشَّامِ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَيَذْكُرُونَ ذَلِكَ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ فَقَالَ: كَذَبُوا عَلَيْهِمْ، لَوْ كُنْت آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدِ لَأَمَرْت الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ أَجْلِ حَقِّهِ عَلَيْهَا، يَا مُعَاذُ إنَّهُ لَا يَنْبَغِي السُّجُودُ إلَّا للهِّ﴾ قال ابن تيمية: وأما فعل ذلك تدينا وتقربا فهذا من أعظم المنكرات. ومن اعتقد مثل هذا قربة ودينا فهو ضال مفتر، بل يبين له أن هذا ليس بدين ولا قربة، فإن أصر على ذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل. وأما إذا أكره الرجل على ذلك بحيث لو لم يفعله لأفضى إلى ضربه أو حبسه أو أخذ ماله أو قطع رزقه الذي يستحقه من بيت المال ونحو ذلك من الضرر، فإنه يجوز عند أكثر العلماء، فإن الإكراه عند أكثرهم يبيح الفعل المحرم كشرب الخمر ونحوه، وهو المشهور عن أحمد وغيره، ولكن عليه مع ذلك أن يكرهه بقلبه، ويحرص على الامتناع منه بحسب الإمكان. ومن علم الله منه الصدق أعانه الله تعالى، وقد يعافى ببركة صدقه من الأمر بذلك. وذهب طائفة إلى أنه لا يبيح إلا الأقوال دون الأفعال، ويروى ذلك عن ابن عباس ونحوه، قالوا: إنما التقية باللسان، وهو الرواية الأخرى عن أحمد، وأما فعل ذلك لأجل فضل الرياسة والمال فلا، وإذا أكره على مثل ذلك ونوى بقلبه أن هذا الخضوع لله تعالى كان حسنا مثل أن يكرهه على كلمة الكفر وينوي معنى جائزا، والله أعلم. وصرح ابن الجوزي بأن تقبيل يد الظالم معصية إلا أن يكون عند خوف.

قال العتبي: دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبل يده، فقال: أف له. إن العرب ما قبلت الأيدي إلا هلوعا* ولا قبلتها العجم إلا خضوعا. وفي رواية، دخل عقال بن شبة على هشام وأراد أن يقبل يده فقال: لا يفعل هذا من العرب إلا هلوع*، ولا من العجم إلا خضوع. واستأذن رجل المأمون في تقبيل يده، فقال: إن القبلة من المؤمن ذلة، ومن الذمي خديعة؛ ولا حاجة بك أن تذل، ولا حاجة بنا أن نخدع. والصحابة لقوا النبي صلى الله عليه وسلم مرارا وتكرارا، وما نقل عنهم أنهم كلما رأوه قبلوا رأسه ويده. وكان السلف رحمهم الله بخلاف ذلك، إذا جاء شخص يقبل يده ربما سحب يده، وعندما استأذن رجل الإمام أحمد في تقبيل رأسه، قال: لم أبلغ أنا ذاك، لم أصل إلى درجة أن تقبل رأسي أنا دون ذلك، فكان من ورعهم وتواضعهم أنهم لا يسمحون للناس بتقبيل أيديهم ورؤوسهم، ويقولون: نحن أدنى من هذا، وكره أحمد المسح على اليد للتبرك ونحوها، فقال لمن مسح يده عليه عمن أخذتم هذا؟ وغضب ونفض يده. وفي حديث أنس بن مالك قال:﴿قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِّ، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِي لَهُ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: أَفَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ﴾.

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ تَضَعْضَعَ لِغَنِيٍّ لِيَنَالَ فَضْلَ مَا عِنْدَهُ أُحْبِطَ عَمَلُهُ﴾ وعن كعب الأحبار قال:﴿مَنْ تَوَاضَعَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ذَهَبَ ثُلُثُ دِينِهِ﴾ وعن معاوية بن أبي سفيان مرفوعا:﴿مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ النَّاسُ قِيَاماً، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ صُفُوفًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿يَقُولُ اللهُّ تَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ﴾ ولقد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على من خاطبه بقوله﴿مَا شَاءَ اللهُّ وَشِئْتَ. فَقَالَ: أَجَعَلْتَنِي للهِّ نِدًّا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُّ وَحْدَهُ﴾ وعن أنس بن مالك أن رجلا قال: ﴿يَا مُحَمَّدُ يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِّ عَبْدُ اللهَّ وَرَسُولُهُ وَاللهَّ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ﴾ وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير يحدث عن أبيه قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿أَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السَّيِّدُ اللهُّ. قَالَ: أَنْتَ أَفْضَلُهَا فِيهَا قَوْلاً وَأَعْظَمُهَا فِيهَا طَوْلاً. فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِيَقُلْ أَحَدُكُمْ بِقَوْلِهِ وَلاَ يَسْتَجِرُّهُ الشَّيْطَانُ﴾ وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ أَنْتَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ﴾ (فقد تودع منهم) من التوديع. قال الزمخشري أي استريح منهم، وخذلوا، وخلي بينهم وبين ما يرتكبون من المعاصي. قال السندي أي قطع منهم العون الإلهي والتأييد الرباني على صلاح الحال.

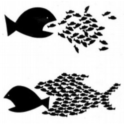

قال سيد قطب: ﴿فَمَا يَخْدَعُ الطُّغَاةُ شَيْءٌ مَا تَخْدَعُهُمْ غَفْلَةُ الجَمَاهِيرِ وَذِلَّتِهَا وَطَاعَتُهَا وَانْقِيَادُهَا. وَمَا الطَّاغِيَةُ إِلَّا فَرْدٍ لَا يَمْلِكُ فِي الحَقِيقَةِ قُوَّةً وَلَا سُلْطَانًا. إِنَّمَا هِيَ الجَمَاهِيرُ الغَافِلَةُ الذَّلُولَ تَمَطِّي لَهُ ظَهْرُهَا فَيَرْكَبُ! وَتَمُدُّ لَهُ أَعْنَاقَهَا فَيَجُرُّ! وَتُحْنِي لَهُ رُؤُوسُهَا فَيَسْتَعْلِي! وَتَتَنَازَلُ لَهُ عَنْ حَقِّهَا فِي العِزَّةِ وَالكَرَامَةِ فَيَطْغَى!. وَالجَمَاهِيرُ تَفْعَلُ هَذَا مَخْدُوعَةً مِنْ جِهَةٍ وَخَائِفَةً مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. وَهَذَا الخَوْفُ لَا يَنْبَعِثُ إِلَّا مِنَ الوَهْمِ. فَالطَّاغِيَةُ – وَهُوَ فَرْدٌ – لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى مِنَ الأُلُوفِ وَالمَلَايِينَ لَوْ أَنَّهَا شَعَرَتْ بِإِنْسَانِيَّتِهَا وَكَرَامَتِهَا وَعِزَّتِهَا وَحُرِّيَّتِهَا. وَكُلُّ فَرْدٍ فِيهَا هُوَ كُفْءٌ لِلطَّاغِيَةِ مِنْ نَاحِيَةِ القُوَّةِ وَلَكِنَّ الطَّاغِيَةَ يَخْدَعُهَا فَيُوهِمُهَا أَنَّهُ يَمْلِكُ لَهَا شَيْئًا! وَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَطْغَى فَرْدٌ فِي أُمَّةٍ كَرِيمَةٌ أَبَدًا. وَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَطْغَى فَرْدٌ فِي أُمَّةٍ رَشِيدَةٌ أَبَدًا. وَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَطْغَى فَرْدٌ فِي أُمَّةٍ تَعْرِفُ رَبَّهَا وَتُؤْمِنُ بِهِ وَتَأْبَى أَنْ تَتَعَبَّدَ لِوَاحِدٍ مِنْ خَلْقِهِ لَا يَمْلِكُ لَهَا ضَرًّا وَلَا رُشْدًا!﴾.

----

*(هلوعا)مصدر هلع يهلع كفرح : إذا حرص فهو هلع ككتف. وفي التنزيل قوله تعالى: إن الإنسان خلق هلوعا واختلف في تفسير الهلوع فقيل: هو من يجزع ويفزع من الشر وقيل: هو الذي يحرص ويشح على المال وقال معمر والحسن: هو الشره أو الضجور.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ مسند أحمد/ إحياء علوم الدين/ صحيح ابن حبان/ العقد الفريد/ محاضرات الأدباء/ تاج العروس/ فى ظلال القرآن/ سلسلة الآداب الإسلامية/ الفتاوى الكبرى/

دخل طاووس[(1)] على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق يوم الأذان. فقال هشام: وما يوم الأذان؟ قال: اقرأ قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف] فصعق هشام. فقال طاووس: هذا ذل الصفة فكيف المعاينة؟.. أي أنك صعقت بمجرد أن وصفت لك اليوم، فكيف إذا عاينته ورأيته بعينيك؟!

روي أن أعرابياً وفد على هشام بن عبد الملك يتظلم من بعض عماله فقال: إن فلانا ممن رفعت خسيسته، وأثبت ركنه، وأعليت ذكره، وأمرته بنشر محاسنك، فطواها، وإظهار مكارمك، فأخفاها، وعمد إلى أمورك في رعيتك فتعداها، استخفافا بالحرمة، وقلة شكر النعمة، قد أخرب البلاد، وأضاع الأجناد، وأظهر الفساد، وأخرج الناس من سعة العدل إلى ضيق الجور، حتى باعوا الطارف والتلاد*، وهموا ببيع النسل والأولاد. فقال هشام: يا أعرابي، أحقا ما تقول؟ قال: نعم، والذي بلغك أعلى مراتب الشرف، والله لو كان على سويقة من أسواق البحرين ما أجزأها*، مع أنه يخلط ذلك بلؤم الحسب وذفر النسب وسوء الأدب.

وفي رواية: دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك يشكو عاملا لهم، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه والله ما أدركنا أحدا قعد مقعدك أعدل منك، وإن أهل الشكر لعدلك، هم عيونك على مكارمك، يجب عليهم أن يرفعوا إليك كل مكرمة غبت عنها، حفظا لغيبك، وتأدية لحقك وحق إمامتك، وفلان بن فلان رفعت خسيسته، وأثبت ركنه، وأعليت ذكره، وأمرته بنشر محاسنك فطواها، وإظهار مكارمك فأخفاها، وقد أخرب البلاد، وأظهر الفساد، وأجاع الأكباد، وأخرج الناس من سعة العدل إلى ضيق الجور، حتى باعوا الطارف والتالد. قال: يا أعرابي، إن كان ما تقوله حقا عزلناه وجعلناه نكالا لمن سار بسيره .

----

* (أجزأ) قضى وأغنى وكفى (تلد) التالد المال القديم الأصلي الذي ولد عندك من حيوان وغيره يورث عن الآباء وهو نقيض الطارف، وقالوا: التليد: ما ولد عند غيرك ثم اشتريته صغيرا فثبت عندك والتلاد: ما ولدت أنت (الطارف) الطريف والطارف من المال المستحدث وهو خلاف التالد والتليد

■ (1) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان، وطاووس لقبه، وقد فسرّ يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير. روى عن أبي هريرة، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وجابر، وابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، وطائفة وروى عنه ابنه عبد الله (بن طاووس)، ومجاهد، والزهري، وعمرو بن دينار، وسليمان التيمي، وخلق. واكثر روايته عن ابن عباس. قال سفيان قلت لعبيد الله بن أبي يزيد مع من كنت تدخل على ابن عباس قال مع عطاء والعامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة. وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصلى عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

قال الله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ [الأعراف] أي فنادى مناد، وأعلم مُعْلِمٌ بينهم، قيل: هو إسرافيل صاحب الصور، وقيل: جبريل يسمع الفريقين تفريحا وتبريحا، وقيل: ملك غيره معين. روى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر فإذا رفعهم أشرفوا على الجنة وبينهم حجاب ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف] فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر جهنم. قال: بعض المفسرين: هو معنى قول الله عز وجل: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة] وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ! حَتَّى قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ. قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود] والظلم هو وضع الشيء غير موضعه. قال الشيخ علي بادحدح: لا بد أن ندرك أن سنة الله عز وجل ماضية في أن الظلم عاقبته إلى خسار ونهايته إلى دمار: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] وأن الظلم ظلمات يوم القيامة، وأن الظلم في الدنيا حسرة وندامة، أيا كان هذا الظلم حتى وإن كان المسلم هو الظالم فإن له عقوبة دنيوية وأخروية، كيف والظالمون من الكافرين! كيف والظالمون يظلمون أهل إسلام وإيمان في الجملة وفي بلاد الإسلام قاطبة؟! والله سبحانه وتعالى قد بين لنا ذلك في آيات كثيرة، وجلاه رسولنا صلى الله عليه وسلم في أحاديثه وفي المواقف العديدة من سيرته، ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف] إن موعدهم آت وإنه لقريب، و﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود] ليل لا بد له من نهار، وظلمة لا بد أن تنجلي عن إشراق وأنوار، لكن لا بد من اليقين بذلك ولا بد من العمل له، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوذي هو وأصحابه وهاجر وقاتل ودمي وجهه الشريف، وقتل بين يديه خلص أصحابه وأقربائه، ثم علت رايته وانتشرت عقيدته وعظمت في بلاد الأرض كلها دولته؛ لأنها قامت على هذا اليقين، وكل تكبر وطغيان فإن مصيره إلى الهلاك. والله قد قص علينا في كتابه قصص أمم كثيرة طغت، وبغت، وتجبرت، وتكبرت، فأذلها الله عز وجل وأرغم أنوفها ومرغها في التراب، وجعل عاليها سافلها، وذلك عندما وجد الخلص من عباده معلقين حبالهم به، ملقين ولاءهم له ولأوليائه، متعلقين به في عبادتهم وطاعتهم، محكمين لشرعه في أحوالهم وعلاقتهم ومعاملاتهم؛ عند ذاك تتحقق هذه السنن وتمضي كما بينه الله سبحانه وتعالى، يقول الحق جل وعلا: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر].

مراجع: تاريخ دمشق/ البداية والنهاية / البحر المحيط في التفسير/ صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ شرح سنن ابن ماجه/ تفسير القرطبي/ وفيات الأعيان/ هادم اللذات/ دروس للشيخ علي بن عمر بادحدح/ لسان العرب/ تاج العروس/ لباب الآداب لأسامة بن منقذ/

لما قدم زيد بن علي[1] إلى الشام كان حسن الخلق، حلو اللسان، فبلغ ذلك هشام بن عبد الملك، فاشتد عليه، فشكا ذلك إلى مولى له، فقال له: ائذن للناس إذنا عاما، واحجب زيدا، ثم ائذن له في آخر الناس، فإذا دخل عليك فسلم فلا ترد عليه، ولا تأمره بالجلوس، فإذا رأى أهل الشام هذا سقط من أعينهم. ففعل، فأذن للناس إذنا عاما وحجب زيدا وأذن له في آخر الناس، فدخل فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فلم يرد عليه، فقال: السلام عليك يا أحول، إذ لم تر نفسك أهلا لهذا الاسم. فقال له هشام: أنت الطامع في الخلافة، وأمك أمة! فقال: إن لكلامك جوابا، فإن شئت أجبت. قال: وما جوابك؟ قال: لو كان في أم الولد تقصير لما بعث الله إسماعيل نبيا وأمه هاجر، فالخلافة أعظم أم النبوة؟ فأفحم هشام.

فلم خرج قال لجلسائه: أنتم القائلون إن رجالات بني هاشم هلكت؟ والله ما هلك قوم هذا منهم. فرده وقال: يا زيد، ما كانت أمك تصنع بالزوج، ولها ابن مثلك؟ قال: أرادت آخر مثلي. قال: ارفع لي حوائجك، فقال: أما وأنت الناظر في أمور المسلمين فلا حاجة لي. ثم قام فخرج، فأتبعه رسولا وقال: اسمع ما يقول، فتبعه فسمعه يقول: من أحب الحياة ذل. ثم حلف أن لا يلقى هشاما ولا يسأله صفراء ولا بيضاء، فخرج في أربعة آلاف بالكوفة، فاحتال عليه بعض من كان يهوى هشاما، فدخلوا عليه وقالوا: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال:رحم الله أبا بكر وعمر صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أين كنتم قبل اليوم؟ قالوا: ما نخرج معك أو تتبرأ منهما. فقال: لا أفعل، هما إماما عدل. فتفرقوا عنه، وبعث هشام إليه فقتلوه، فقال الموكل بخشبته: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، وقد وقف على الخشبة وقال: هكذا يصنعون بولدي من بعدي؟ يا بني، يا زيد، قتلوك قتلهم الله، صلبوك صلبهم الله. فخرج هذا في الناس، وكتب يوسف بن عمر[2] إلى هشام أن عجل إلى العراق فقد فتنهم. فكتب إليه: أحرقه بالنار. فأحرقه، رحمة الله عليه. في رواية: دخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك، فلم يجد موضعا يقعد فيه: فعلم أن ذلك فعل به على عمد؛ فقال: يا أمير المؤمنين، اتق الله. قال: أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله؟ قال زيد: إنه لا يكبر أحد فوق تقوى الله، ولا يصغر دون تقوى الله. قال له هشام: بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها؛ إنك ابن أمة.قال: زيد: أما قولك إني أحدث نفسي بالخلافة، فلا يعلم الغيب إلا الله؛ وأما قولك إني ابن أمة، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن أمة من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم، وإسحاق ابن حرة أخرج من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت.قال له: قم. قال: إذن لا تراني إلا حيث تكره. فلما خرج من عنده قال: ما أحب أحد قط الحياة إلا ذل. قال له حاجبه: لا يسمع هذا الكلام منك أحد.ثم خرج بخراسان فقتل وصلب في كناسة. وفيه يقول سديف بن ميمون[3] عندما دخل على السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك[4]: واذكروا مقل الحسين وزيدا..وقتيلا بجانب المهراس. يريد حمزة بن عبد المطلب المقتول بأحد في رواية دخل زيد بن علي بن الحسين بن علي على هشام بن عبد الملك، وكان زيد لأم ولد، فقال له هشام: يا زيد، بلغني أن نفسك تسمو بك إلى الإمامة، والإمامة لا تصلح لأبناء الإماء. فقال له زيد: يا أمير المؤمنين، هذا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام كان لأمة وقد صلحت له النبوة، و﴿كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم] والنبوة أكبر من الإمامة. فقال له هشام: يا زيد، إن الله لا يجمع النبوة والملك لأحد. فقال زيد: يا أمير المؤمنين، ما هكذا، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء] وفي رواية عن عبد الله بن سلم الفهري قال: دخل زيد بن علي بن الحسين على هشام، فلما مثل بين يديه لم ير لنفسه موضعا يجلس فيه، فعلم أنه إنما فعل ذلك به على عمد، فقال: يا أمير المؤمنين إنه ليس أحد فوق أن يؤمر بتقوى الله، ولا أحد دون أن يأمر بها. قال: اسكت لا أم لك. قال: أم لم تلدني؟ قال: أنت الذي تنازعك نفسك الخلافة وأنت ابن أمة؟ قال: يا أمير المؤمنين إن لك جوابا، قال: هاته فما أنت وجوابك. قال: إن الأمهات لا يقعدن بالرجل دون بلوغ الغايات، كانت أم إسماعيل أمة، فلم يمنعه ذلك أن ابتعثه الله نبيا، وجعله أبا العرب وأخرج من صلبه محمدا صلى الله عليه وسلم، أفتقول هذا لي وأنا ابن فاطمة وجدي علي؟ قال: صدقت، ثم خرج فقال هشام لمن بقي عنده من أهل بيته: زعمتم أن أهل البيت قد بادوا. لا لعمري ما انقرض قوم هذا خلفهم.قالوا: وخرج زيد على هشام بالكوفة، وقتل ودفن ليلا، فدل على قبره عامل الكوفة فنبش وصلب، وكان فيمن نبشه خداش بن حوشب أخو العوام بن حوشب المحدث.وكتب هشام إلى عامله بالعراف: إن زيدا قد قدم علي فرأيت حولا قلبا خليقا لصوغ الكلام وتنميقه. قال عبد الله بن جعفر: دخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك، فرفع دينا كثيرا وحوائج، فلم يقض له هشام حاجة، وتجهمه، وأسمعه كلاما شديدا، قال عبد الله بن جعفر: فأخبرني سالم[5] مولى هشام وحاجبه أن زيد بن علي خرج من عند هشام وهو يأخذ شاربه بيده ويفتله، ويقول: ما أحب الحياة أحد قط إلا ذل، ثم مضى، فكان وجهه إلى الكوفة، فخرج بها، ويوسف بن عمر الثقفي عامل لهشام بن عبد الملك على العراق، فوجه إلى زيد بن علي من يقاتله، فاقتتلوا، وتفرق عن زيد من خرج معه، ثم قتل وصلب. قال سالم: فأخبرت هشاما بعد ذلك بما قال زيد يوم خرج من عنده فقال: ثكلتك أمك، ألا كنت أخبرتني بذلك قبل اليوم، وما كان يرضيه، إنما كانت خمس مئة ألف، فكان ذلك أهون علينا مما صار إليه. وروى معاذ بن أسد البصري قال: أقر ولد لخالد بن عبد الله القسري[6] على زيد بن علي وجماعة أنهم عزموا على خلع هشام، فقال هشام لزيد بن علي: قد بلغني كذا، قال: ليس بصحيح؛ قال: قد صح عندي، قال: أحلف لك، قال: لا أصدقك، قال: إن الله لم يرفع من قدر أحد حلف له بالله فلم يصدق، قال: اخرج عني، قال إذا لا تراني إلا حيث تكره، قال: فلما خرج قال: من أحب الحياة ذل.

قال عبد الرحمن بن عبد الله الزهري: دخل زيد بن علي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف النهار في يوم حار من باب السوق، فرأى سعد بن إبراهيم[7] في جماعة من القرشيين قد حان قيامهم، فقاموا، فأشار إليهم، فقال لهم سعد بن إبراهيم: هذا زيد يشير إليكم فقوموا له. فجاءهم، فقال: أي قوم! أنتم أضعف من أهل الحرة؟ فقالوا: لا . فقال: فأنا أشهد أن يزيد ليس شرا من هشام بن عبد الملك، فما لكم؟ فقال سعد لأصحابه: مدة هذا قصيرة، فلم ينشب أن خرج فقتل.

---

(1) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين الهاشمي، العلوي، المدني. أخو: أبي جعفر الباقر، وعبد الله، وعمر، وعلي، وحسين. وكان ذا علم وجلالة وصلاح، وخرج، فاستشهد. وفد على متولي العراق يوسف بن عمر، فأحسن جائزته، ثم رد، فأتاه قوم من الكوفة، فقالوا: ارجع نبايعك، فما يوسف بشيء. فأصغى إليهم، وعسكر، فبرز لحربه عسكر يوسف، فقتل في المعركة، سنة 122 هـ ثم صلب أربع سنين.

(3) سديف بن إسماعيل بن ميمون، مولى لامرأة من خزاعة وكان لها زوج من اللهبيين وادعى سديف بذلك ولاء بني هاشم، وزعم المدائني أنه مولى بني العباس وشاعرهم. شهد العصر الأموي والعباسي الأول، اشتهر بتعصبه لبني هاشم وبهجائه بني أمية. إلا أن علاقته مع العباسيين لم تكن جيدة أيضاً، خاصة مع أبي جعفر المنصور، الذي تورط في مشاكل معه، بسبب تقاربه مع العلويين ومبايعته محمد النفس الزكية ومن بعده إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، وبعد فشل الانتفاضات على العباسيين اختفى سديف مدة من الزمن، وظهر بعد ذلك إلى العلن وأرسل قصيدة إلى أبي جعفر المنصور يطلب فيها العفو، ولكن المنصور أمر عامله في مكة عبد الصمد بن علي بقتله، فتوفي سديف في مكة مقتولا سنة 146 هـ

(2) أبو عبد الله، يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، ابن عم الحجاج، ولاه هشام بن عبد الملك ولاية اليمن سنة106 هـ ثم ضم إليه ولاية العراق سنة 120هـ، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وذهب إلى العراق،أقره الوليد بن يزيد حتى قتل سنة 127 هـ

(5) سالم مولى هشام بن عبد الملك كان يتقلد له ديوان الرسائل، وهو ممن نبه بالكتابة؛ سالم مولى هشام بن عبد الملك قيل أحد الواضعين لنظام الرسائل، وأستاذ عبد الحميد الكاتب الذي آلت إليه زعامة الكتابة الآخر الدولة الأموية

(4) سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي. أخذ عن عطاء وغيره. وولي غزو الروم فلما بويع الوليد بن يزيد حبسه، ثم أخرجه يزيد الناقص وصيره من أمرائه فلما ولي مروان هرب منه ثم أمنه ثم خلع مروان وطمع في الملك واستفحل أمره وكاد أن يملك واجتمع إليه نحو من سبعين ألفاً فبعث مروان جيشه فهزموه وتحصن بحمص فسار إليه مروان بنفسه فهرب ولحق بالضحاك الخارجي وبايعه ثم ظفرت به المسودة (أتباع آل البيت والعباسيون الذين اتخذوا السواد شعارا لهم) فقتلوه في سنة 132 هـ. =وفي رواية قيل=: بعد مقتل الضحاك تولى أمر أصحابه شيبان الحروري، فتحالف معه لقتال مروان بن محمد، فهزم أيضاً، فرحل بأهله إلى السند. عندما تولى السفاح العباسي الملك، أقبل عليه سليمان، فآمنه، ثم أمر السفاح بقتله سنة 132هـ.

(7) سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أبو أسحاق ويقال أبو إبراهيم القرشي الزهري المديني أخو صالح كان من جلة التابعين وصالحيهم يقال كان يصوم الدهر ويقرأ القرآن في ليلة أو في يوم وليلة وولي قضاء المدينة زمن القاسم بن محمد ويقال ولي قضاءها مرتين مات سنة 125 هـ ويقال سنة 126 هـ وقيل سنة 127 هـ

(6) أبو يزيد وأبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري. كان أمير مكة المكرمة للوليد بن عبد الملك، ثم أمير العراقين لهشام بن عبد الملك، ثم عزل وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج.وقتل بالحيرة سنة 126هـ.

☪

قال أبو عمير بن النحاس: حدثني أبي قال: كان لا يدخل بيت مال هشام مال حتى يشهد أربعون قسامة: لقد أخذ من حقه ولقد أعطى لكل ذي حق حقه. قال ابن تغري: كان حليما ، لين الجانب للرعية ، محببا لهم . قال الأصمعي : أسمع رجل مرة هشام بن عبد الملك كلاما ؛ فقال –يعني هشام- : يا هذا ! ليس لك أن تسمع خليفتك ! ولم يزده على ذلك. قال: وغضب مرة على رجل؛ فقال: والله لقد هممت أن أضربك سوطا. وحدث سحيل بن محمد قال : ما رأيت أحدا من الخلفاء أكره إليه الدماء ولا أشد عليه من هشام ، ولقد داخله من مقتل زيد بن علي ويحيى بن زيد العلويين أمر شديد ، وقال : وددت أني كنت أفتديهما. قال ابن تغري: كانا خرجا عليه فقتلا. وصلب زيد بواقعة جرت له طويلة. ولما ظهرت دعوة العباسيين عمد عبد الله بن علي بن عباس فنبش هشاما من قبره وصلبه ؛ فعد ذلك من غلطات عبد الله بن علي.

☪

قال عيسى بن يونس: جاءت الرافضة زيدا، فقالوا: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى ننصرك. قال: بل أتولاهما. قالوا: إذا نرفضك، فمن ثم قيل لهم: الرافضة. وأما الزيدية، فقالوا بقوله، وحاربوا معه. قال عمرو بن القاسم: دخلت على جعفر الصادق، وعنده ناس من الرافضة، فقلت: إنهم يبرؤون من عمك زيد. فقال: برأ الله ممن تبرأ منه، كان والله أقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله، وأوصلنا للرحم، ما تركنا وفينا مثله. وروى هاشم بن البريد، عن زيد بن علي، قال: كان أبو بكر رضي الله عنه إمام الشاكرين، ثم تلا: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران] ثم قال: البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي. ويقال: إن زيدا بينا هو على باب هشام في خصومة عبد الله بن حسن في الصدقة ورد كتاب يوسف بن عمر في زيد، وداود بن علي بن عبد الله بن العباس، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وأيوب بن سلمة، فحبس زيد، وبعث إلى أولئك، فقدم بهم، ثم حملهم إلى يوسف بن عمر بالكوفة، فاستحلفه ما عنده لخالد مال، وخلا سبيله. حتى إذا كان بالقادسية لحقته الشيعة، فسألوه الرجوع معهم والخروج، ففعل، ثم تفرقوا عنه إلا نفر يسير، فنسبوا إلى الزيدية، ونسب من تفرق عنه إلى الرافضة.

☪

قال مالك رضي الله عنه: إنما هؤلاء أقوم أرادوا القدح في النبي عليه الصلاة والسلام فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين أو كما قال وذلك أنه ما منهم رجل إلا كان ينصر الله ورسوله ويذب عن رسول الله بنفسه وماله ويعينه على إظهار دين الله وإعلاء كلمة الله وتبليغ رسالات الله وقت الحاجة وهو حينئذ لم يستقر أمره ولم تنتشر دعوته ولم تطمئن قلوب أكثر الناس بدينه ومعلوم أن رجلا لو عمل به بعض الناس نحو هذا ثم آذاه أحد لغضب له صاحبه وعد ذلك أذى له وإلى هذا أشار ابن عمر قال نسير بن ذعلوق: سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول: لا تسبوا أصحاب محمد فإن مقام أحدهم خير من عملكم كله. رواه اللالكائي وكأنه أخذه من قول النبي صلى الله عليه و سلم: ﴿لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ﴾ وهذا تفاوت عظيم جدا.

مراجع: البداية والنهاية/ البحر المحيط في التفسير/ صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ شرح سنن ابن ماجه/ تفسير القرطبي/ وفيات الأعيان/ إعتاب الكتاب/ رجال مسلم/ أنساب الأشراف/ مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب 0545

قال سفيان بن عيينة:[(1)] دخل هشام الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله [(2)]،فقال: سلني حاجة؟ قال سالم: إني استحي من الله أن أسأل في بيته غيره! فلما خرجا قال هشام: الآن فسلني حاجة؟ فقال سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الأخرة؟ قال هشام: من حوائج الدنيا. قال سالم: والله ما سألت الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها!

عن عبيد الله بن محمد القرشي [(3)]،قال: كنا مع سفيان الثوري [(4)] بمكة، فجاءه كتاب من عياله من الكوفة: بلغت بنا الحاجة أنا نقلي النوى فنأكله، فبكى سفيان. فقال له بعض أصحابه: يا أبا عبد الله! لو مررت إلى السلطان، صرت إلى ما تريد! فقال سفيان: والله لا أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها. وكان يقول: إذا رأيتم رجل يدخل على الأمير فهو قاطع طريق.

قال الحسن: كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الإسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عبد الله بن المبارك: عنى به سعد بن أبي وقاص [(5)] رضي الله عنه، قال: وكان لا يغشى السلاطين وينفر عنهم، فقال له بنوه: يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الإسلام فلو أتيتهم، فقال: يا بني، آتي جيفة قد أحاط بها قوم! والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها، قالوا: يا أبانا، إذن نهلك هزالاً، قال: يا بني، لأن أموت مؤمناً مهزولاً أحب إلي من أن أموت منافقاً سميناً. قال الحسن: خصمهم والله إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان، وفي هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق ألبتة وهو مضاد للإيمان.

قال أبو حامد الغزالي:[(6)] وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقى إليه أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والإطراء وفيه هلاك الدين.

قال الأصمعي: حج هشام فأرد سالم بن عبد الله الدخول عليه بالمدينة فقال له بنوه: لو اعتممت فاستعاروا له عمامة، ولما دخل على هشام قال له: يا أبا عمر العمامة لا تشبه الثياب. قال: إنا استعرناه. قال: ما طعامك؟ قال: الخل والزيت. قال: أما تأجمها؟ قال: إذا أجمتها تركتها حتى أشتهيها. ثم قام فخرج فقال هشام: ما رأيت قط ابن سبعين أقوى كدنة منه. فما وصل إلى بيته إلا محموما، فقال: أترون الأحول لعقني بعينه. ولم يبرح هشام المدينة حتى صلى عليه.

■ (2) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبو عبد الله، ويقال: أبو عبيد الله ويقال: أبو عمر العدوي المدني الفقيه قدم الشام على عبد الملك بن مروان بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليد بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز. وكان أشبه أولاد أبيه به، عن مالك قال لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. روى عن أبيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ورافع بن خديج وأبي هريرة . توفي سنة 106 هـ. ووافق موته حج هشام، فصلى عليه وكان في طريق عودته من الحج، بالمدينة.ودُفن بالبقيع.

■ (4) سفيان الثوري هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم و زبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك وابن المبارك وأمم لا يحصون.

■ (5) سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أبو إسحاق القرشي الزهري المديني شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولاه عمر وعثمان الكوفة ومات بالمدينة قال عمرو بن علي مات سنة 55 هـ وصلى عليه مروان وقد أسلم وهو ابن 19 ومات وهو ابن 74 وقال أبو نعيم مات في سنة 58 هـ. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن خولة بنت حكيم السلمية في الدعاء، وروى عنه أبو عثمان النهدي في الإيمان وعامر بن سعد ومحمد بن سعد وجابر بن سمرة ومصعب بن سعد وغنيم بن قيس وأبو عبد الله دينار القراظ وسعيد بن المسيب ومالك بن أوس وابنه إبراهيم بن سعد وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وشريح بن هانىء أبو عثمان النهدي وبسر بن سعيد وقيس بن أبي حازم.

■ (3) عبيد الله بن محمد القرشي، هو عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر القرشي التيمي، أبو عبد الرحمن البصري المعروف بالعيشي والعائشي وبابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، قدم بغداد. مات في رمضان سنة228 هـ.

■ (1) سفيان بن عيينة، أبو محمد بن سفيان بن عيينه بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولى امرأة من بني هلال بن عامر رهط ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل مولى بني هاشم، وقيل مولى الضحاك بن مزاحم، وقيل مولى مسعر بن كدام؛ وأصله من الكوفة، وقيل ولد بالكوفة ونقله أبوه إلى مكة، كان إماما عالما ثبتا حجة زاهدا ورعا مجمعا على صحة حديثه وروايته، وحج سبعين حجة. روى عن وعنه خلق كثير. ولد سفيان بالكوفة سنة 107 هـ. وتوفي سنة 198 هـ بمكة ودفن بالحجون.

■ (6) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد.حجة الإسلام، فيلسوف، له نحو مئتي مصنف بعضها بالفارسية، مولده سنة450 هـ ووفاته سنة555 هـ في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو ألى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف.من أشهر كتبه (إحياء علوم الدين) و (تهافت الفلاسفة) رد عليه الفيلسوف ابن رشد بكتاب: (تهافت التهافت)، (محك النظر)، و(معارج القدس في أحوال النفس)، و(الفرق بين الصالح وغير الصالح)، و(مقاصد الفلاسفة)، و(المضنون به على غير أهله) وفي نسبته إليه كلام، و(الوقف والابتداء) في التفسير، و(البسيط) في الفقه، و(المعارف العقلية)، و(المنقذ من الضلال)، و(بداية الهداية).

أيها الإخوة المؤمنون، ما أعجب حال الإنسان، وما أشد غرور السلاطين، وما أغرب فتنة السلطة والملك، في جوف الكعبة! حيث يُسأل رب البيت، ولا يلذ بغيره. لم تفارق السلطان المغرور أوهامه فراح يطلب من الإمام المسألة، ولم تكفه الموعظة البليغة والتذكير المؤدب أن يقول له الشيخ: أنه يستحي من أن يسأل غير الله في بيته، وكأنه يقول له: فلتستحي أنت من أن تظن أنك موضع السؤال وطلب الحاجة. حتى ولو غرر بك المنافقون وطلاب الدنيا، الذين انشغلوا بطلب العبيد عن سؤال رب العبيد. ولكنه الطغيان، وحتى بعد الموعظة، يعاود طلب المسألة، هكذا يشعر بالعظمة وبحاجة الناس إليه، ويقول للمخدوعين لا عليكم، فهذا كبير أئمتكم يطلب حاجته عندي، هذا القدوة الصالح رمز الزهد يسألوني حاجته وفي بيت الله وحرمه، فلا عليكم من الوقوف على أعتاب والي الأمر. ولكن الدرس الموعظة والصفعة المؤدبة جأته من تذكير الشيخ له: أمن حاجات الأخرة أسألك؟! ليقول له أنك عاجز لا تملك الحاجة. رحمة الله ورضوانه، فعرف السلطان حدوده فقال: بل من حوائج الدنيا، فعرفه الإمام قدر العلم والعلماء وقدر الزهاد العارفين الحقيقين، إننا لا نسأل حاجات الدنيا، لم نسألها من يملكها لأنها مقدورة مقسومة حقيرة لا يهتم بها ويغتم لها إلا من هبط قدره لطين فهل نسألكها أنت يا عاجز؟!

أيها الإخوة، سبحنا الله ولا حول ولا قوة إلا به على هذا الزمان الذي أطلانا حتى يتذكر المرء وهو يطالع في قصص هذه القمم السامقة، في أي حضيض نعيش، وإلى أي دركات هبط قراء زمننا، إلا من رحم الله، ولولا هؤلاء الذين رحم من الذين أصبحوا نجوم يتلألأ نورها وسط هذه الدياجي لأطبق اليأس على قلوب المظلمين، ولكن الحمد لله، فما زال لصالحين ثلة أولين بقية صالحة من قليل الأخرين، نسأل الله أن يأخذ بأيديهم ويفرج عنهم ليعيدوا الأمور إلى نصابها ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم] صدق الله العظيم والعاقبة للمتقين.

قال أبو عمر محمد بن سليمان بن أبي داود اللباد: حضرت مجلس أبي عبد الله بن الجلاء[(1)] فحدثنا أن هارون الرشيد دخل إلى بيت الله الحرام، ومعه رجل من بني شيبة، فأقام معه طويلا، فقال له هارون: يا شيبي، قد دخلت معي هذا البيت فهل لك من حاجة؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره. قال: فأعجب هارون هذا الكلام. فلما خرج هارون من البيت أمر له بسبع بدر، فقال الحسن بن حبيب[(2)] لابن الجلاء: يا حبيبي، أمر له بسبع بدر؟! فأعادها عليه مرارا، فقال له ابن الجلاء: كم ترددها! إذا رأيت أحدا يعظم أمر الدنيا مقته قلبي.

عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿خُذُوا الْعَطَاءَ مَا دَامَ عَطَاءً، فَإِذَا صَارَ رِشْوَةً عَلَى الدِّينِ فَلَا تَأْخُذُوهُ، وَلَسْتُمْ بِتَارِكِيهِ يَمْنَعُكُمُ الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ، أَلَا إِنَّ رَحَى الْإِسْلَامِ دَائِرَةٌ فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلَا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ فَلَا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَقْضُونَ لَكُمْ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ نَصْنَعُ؟. قَالَ:كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ، وَحُمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ، مَوْتٌ فِي طَاعَةِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ﴾ وفي رواية في الصحيحين:﴿لَيْسَ الْمِسكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتانِ، وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنىً يُغْنِيه، وَلاَ يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيهِ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ﴾.

■ (1) أبو عبد الله بن الجلاء، أحمد بن يحيى، وقيل: محمد بن يحيى.يقال: أصله بغدادي، صحب والده، وأبا تراب النخشبي، وذا النون المصري وحكى عنه. أخذ عنه: أبو بكر الدقي، ومحمد بن سليمان اللباد، ومحمد بن الحسن اليقطيني.أقام بالرملة وبدمشق. توفي سنة306 هـ

■ (2) الحسن بن حبيب بن عبد الملك بن حبيب أبو علي الفقيه الشافعي المعروف بالحصائري إمام مسجد باب الجابية، أحد الثقات الأثبات. سمع بمصر وبالشام وبمكة. ولد الحسن بن حبيب سنة 242 هـ، وتوفي سنة 368 هـ. وكان حافظا لمذهب الشافعي رحمه الله، وحدث بكتاب الأم كله

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ صحيح البخاري/ـمجمع الزوائد/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ صفة الصفوة/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ سير أعلام النبلاء/ أنساب الأشراف/

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وأبو حازم 0546

عن زمعة بن صالح، قال: قال الزهري[1] لسليمان[2] أو هشام:[3] ألا تسأل أبا حازم[4] ما قال في العلماء؟!. قال يا أبا حازم ما قلت في العلماء؟ قال: وما عسيت أن أقول في العلماء إلا خيرا إني أدركت العلماء وقد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا ولم يستغن أهل الدنيا بدنياهم عن علمهم، فلما رأى ذلك هذا وأصحابه تعلموا العلم فلم يستغنوا به واستغنى أهل الدنيا بدنياهم عن عملهم فلما رأوا ذلك قذفوا بعلمهم إلى أهل الدنيا ولم ينلهم أهل الدنيا من دنياهم شيئا، إن هذا وأصحابه ليسوا علماء، إنما هم رواة. قال الزهري: إنه جاري منذ حين وما علمت أن هذا عنده! قال: صدق، أما إني لو كنت غنيا عرفني. قال: فقال له سليمان: ما المخرج مما نحن فيه؟ قال: تمضي ما في يديك بما أمرت به وتكف عما نهيت عنه، قال: سبحان الله، ومن يطيق هذا؟ قال: من طلب الجنة وفر من النار، وما هذا فيما تطلب وتفر منه بقليل.

وفي رواية، أرسل بعضُ الأمراء إلى أبي حازم، فأتاه وعنده الإفريقي والزهري وغيرهما، فقال له: تكلَّم يا أبا حازم. فقال أبو حازم: إنَّ خيرَ الأمراء من أحب العلماء، وإنَّ شر العلماء مَن أحبَّ الأمراء، وإنه كان فيما مَضَى إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم، وإذا أعطوهم لم يقبلوا منهم، وإذا سألوهم، لم يرخصوا لهم، وكان الأمراء يأتون العلماء في بيوتهم فيسألونهم، فكان في ذلك صلاحٌ للأمراء، وصلاح للعلماء، فلما رأى ذلك أناسٌ من الناس، قالوا: ما لنا لا نطلب العلمَ حتى نكون مثل هؤلاء، فطلبوا العلم فأتوا الأمراء فحدَّثوهم، فرخصوا لهم، وأعطوهم فقبلوا منهم، فجرأت الأمراء على العُلماء، وجرأت العلماء على الأُمراء.

عن الذيال بن عاد قال:كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: اعلم أن الجاه جاهان، جاه يجريه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه، وأنهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إن اللهَّ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدوا، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ سَوْدَاءَ مُظْلِمَةٍ﴾ فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهَّ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهَّ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة]

قال المروذي سمعت رسول الخليفة يقول لأبي عبد الله:[5] يجيئك ابني بين المغرب والعشاء فتحدثه بحديث واحد أو حديثين، فقال: لا، لا يجيء، فلما خرج سمعته يقول: ترى لو بلغ أنفه طرف السماء حدثته أنا أحدث حتى يوضع الحبل في عنقي!

■ (4) أبو حازم، سلمة بن دينار الأعرج، مولى لقوم من بني ليث بن بكر. اسند أبو حازم عن ابن عمر وسهل بن سعد وانس بن مالك وقيل انه رأى أبا هريرة، وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبي سلمة وعروة وغيرهم. توفي بعد سنة 140 هـ في خلافة المنصور.

■ (1) محمد بن شهاب الزهري؛ محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي هكذا نسبه مصعب الزبيري وغيره ليس في ذلك اختلاف قال مصعب وأمه من بني الدئل بن عبد مناة بن كنانة قال أبو عمر كنيته أبو بكر وكان من علماء التابعين وفقهائهم مقدم في الحفظ والإتقان والرواية والاتساع إمام جليل من أئمة الدين أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم منهم أنس بن مالك وسهل بن سعد وعبد الرحمن بن أزهر الزهري وسنين أبو جميلة السلمي ومنهم عبد الله بن عمر.ولد الزهري سنة 51 هـ وقيل سنة 58 هـ في آخر خلافة معاوية. ومات سنة 124 هـ في شهر رمضان لليلة 17 منه وهو ابن 66 سنة وذلك قبل موت هشام بعام. وقيل إنه مات وهو ابن 72 سنة ودفن بموضع يقال له إدامى وهي خلف شغب وبدا وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز

■ (5) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن ادريس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة الشيباني الذهلي من ربيعة أصله مروزي سكن بغداد كنيته أبو عبد الله كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة أغاث الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه. ولد في ربيع الأول سنة164 هـ وتوفي في سنة 241 هـ. روى عن محمد بن جعفر غندر وعن هشيم بن بشير وعن معتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن كثير ومحمد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الرزاق وأبي داود الطيالسي سليمان بن داود ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة وإسماعيل بن علية وسفيان بن عيينة ويعقوب بن إبراهيم.

■ (3) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام. بويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (2) سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي. أخذ عن عطاء وغيره. وولي غزو الروم فلما بويع الوليد بن يزيد حبسه، ثم أخرجه يزيد الناقص وصيره من أمرائه فلما ولي مروان هرب منه ثم أمنه ثم خلع مروان وطمع في الملك واستفحل أمره وكاد أن يملك واجتمع إليه نحو من سبعين ألفاً فبعث مروان جيشه فهزموه وتحصن بحمص فسار إليه مروان بنفسه فهرب ولحق بالضحاك الخارجي وبايعه ثم ظفرت به المسودة (أتباع آل البيت والعباسيون الذين اتخذوا السواد شعارا لهم) فقتلوه في سنة 132 هـ. -وفي رواية قيل-: بعد مقتل الضحاك تولى أمر أصحابه شيبان الحروري، فتحالف معه لقتال مروان بن محمد، فهزم أيضاً، فرحل بأهله إلى السند. عندما تولى السفاح العباسي الملك، أقبل عليه سليمان، فآمنه، ثم أمر السفاح بقتله سنة 132هـ.

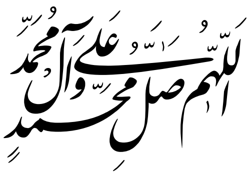

عن الأحوص بن حكيم عن أبيه، قال:﴿سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الشَّرِّ. فَقَالَ لَا تَسْأَلُونِي عَنِ الشَّرِّ، وَسَلُونِي عَنِ الْخَيْرِ يَقُولُهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ أَلَا إِنَّ شَرَّ الشَّرِّ شِرَارُ الْعُلَمَاءِ وَإِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ خِيَارُ الْعُلَمَاءِ﴾ وعن زياد بن حدير، قال: قال لي عمر: ﴿هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا! قَالَ: يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ وَحُكْمُ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ﴾ وعن هرم بن حيان أنه قال: إياكم والعالم الفاسق.فبلغ عمر رضي الله عنه، فكتب إليه، وأشفق منها: ما العالم الفاسق؟ فكتب: ما أردت إلا الخير، يكون إمام يتكلم بالعلم، ويعمل بالفسق، ويشبه على الناس، فيضلوا. وعن ابن عيينة، قال:﴿دَخَلَ أَبُو حَازِمٍ عَلَى أَمِيرِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ تَكَلَّمْ، فَقَالَ لَهُ: انْظُرِ النَّاسَ بِبَابِكَ إِنْ أَدْنَيْتَ أَهْلَ الْخَيْرِ ذَهَبَ أَهْلُ الشَّرِّ، وَإِنْ أَدْنَيْتَ أَهْلَ الشَّرِّ ذَهَبَ أَهْلُ الْخَيْرِ﴾ وعن ابن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال:﴿كُنْتُ مَعَ أَبِي حَازِمٍ فِي الصَّائِفَةِ، فَأَرْسَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَالِدٍ -وَكَانَ أَصْلَحَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا- إِلَى أَبِي حَازِمٍ أَنِ ائْتِنَا حَتَّى نُسَائِلَكَ وَتُحَدِّثَنَا، فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ مَعَاذَ اللهِ أَدْرَكْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ، لَا يَحْمِلُونَ الدِّينَ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، فَلَنْ أَكُونَ بِأَوَّلِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ فَأَبْلِغْنَا، فَتَصَدَّى لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَسَأَلَهُ، وَقَالَ لَهُ لَقَدِ ازْدَدْتَ عَلَيْنَا بِهَذَا كَرَامَةً﴾ وعبد العزيز بن أبي حازم، قال: سمعت أبي يقول: ﴿إِنَّ الْعُلَمَاءَ كَانُوا فِيمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ إِذَا لَقِيَ الْعَالِمُ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الْعِلْمِ كَانَ يَوْمَ غَنِيمَةٍ، وَإِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ ذَاكَرَهُ، وَإِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ دُونَهُ لَمْ يَزْهُ عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا كَانَ هَذَا الزَّمَانُ فَهَلَكَ النَّاسُ﴾ وعن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (الأئمة) وهم الأمراء والعلماء، وإمام الضلالة: الذي يدعو إلى ضلالة (إذا وضع السيف في أمتي) أي من بعضهم لبعض (لم يرفع عنها إلى يوم القيامة) وقد ابتدئ في زمن معاوية وهلم جرا لا يخلو عنه طائفة من الأمة. وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَسْتُ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي جُوعًا يَقْتُلُهُمْ وَلَا عَدُوًّا يجتاحهم وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّةً مُضِلِّينَ إِنْ أَطَاعُوهُمْ فَتَنُوهُمْ وَإِنْ عَصَوْهُمْ قَتَلُوهُمْ﴾ وعن أبي تميم الجيشاني، قال سمعت أبا ذر، يقول:﴿كُنْتُ مُخَاصِرَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَّالِ فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَدْخُلَ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ شَيْءٍ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِكَ مِنَ الدَّجَّالِ؟ قَالَ الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ﴾ (مخاصر) أي ماشيا معه آخذا بيده.

☪

عن ثوابة بن رافع، قال: قال أبو حازم: ﴿مَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا فَحُلْمٌ، وَمَا بَقِيَ فَأَمَانِيٌّ﴾ وعن سفيان، قال: ﴿قِيلَ لِأَبِي حَازِمٍ يَا أَبَا حَازِمٍ مَا مَالُكَ؟ قَالَ: ثِقَتِي بِاللهِ تَعَالَى، وَإِيَاسِي مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ﴾ وعن سعيد بن عامر، عن بعض، أصحابه قال أبو حازم:﴿نِعْمَةُ اللهِ فِيمَا زَوَى عَنِّي مِنَ الدُّنْيَا أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيَّ فِيمَا أَعْطَانِي مِنْهَا، إِنِّي رَأَيْتُهُ أَعْطَاهَا قَوْمًا فَهَلَكُوا﴾ وعن يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم، أنه قال: ﴿تَجِدُ الرَّجُلَ يَعْمَلُ بِالْمَعَاصِي، فَإِذَا قِيلَ لَهُ تُحِبُّ الْمَوْتَ؟ قَالَ: لَا، وَكَيْفَ وَعِنْدِي مَا عِنْدِي. فَيُقَالُ لَهُ أَفَلَا تَتْرُكُ مَا تَعْمَلُ مِنَ الْمَعَاصِي، فَيَقُولُ مَا أُرِيدُ تَرْكَهُ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَمُوتَ حَتَّى أَتْرُكَهُ﴾ حدث هشام بن عمار قال: قال عمر بن عبد العزيز: إن من الغرة بالله أن يصر العبد على المعصية، ويتمنى على الله المغفرة. وعن سعيد بن عبد الرحمن، عن أبي حازم، قال:﴿إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ تَسُرُّهُ حِينَ يَعْمَلُهَا، وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ سَيِّئَةٍ أَضَرَّ لَهُ مِنْهَا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ السَّيِّئَةَ حَتَّى تَسُوءَهُ حِينَ يَعْمَلُهَا، وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ حَسَنَةٍ أَنْفَعَ لَهُ مِنْهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ تَسُرُّهُ حِينَ يَعْمَلُهَا، فَيَتَجَبَّرُ فِيهَا وَيَرَى أَنَّ لَهُ بِهَا فَضْلًا عَلَى غَيْرِهِ، وَلَعَلَّ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُحْبِطَهَا وَيُحْبِطَ مَعَهَا عَمَلًا كَثِيرًا، وَإِنَّ الْعَبْدَ حِينَ يَعْمَلُ السَّيِّئَةَ تَسُوءُهُ حِينَ يَعْمَلُهَا، وَلَعَلَّ اللهَ تَعَالَى يُحْدِثُ لَهُ بِهَا وَجَلًا يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَإِنَّ خَوْفَهَا لَفِي جَوْفِهِ بَاقٍ﴾ وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال: ﴿قُلْتُ لِأَبِي حَازِمٍ يَوْمًا إِنِّي لَأَجِدُ شَيْئًا يُحْزِنُنِي قَالَ وَمَا هُوَ يَا ابْنَ أَخِي؟ قُلْتُ حُبِّي الدُّنْيَا، فَقَالَ لِي اعْلَمْ يَا ابْنَ أَخِي أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ مَا أُعَاتِبُ نَفْسِي عَلَى حُبِّ شَيْءٍ حَبَّبَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَيَّ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَبَّبَ هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَيْنَا، وَلَكِنْ لِتَكُنْ مُعَاتَبَتُنَا أَنْفُسَنَا فِي غَيْرِ هَذَا أَنْ لَا يَدْعُونَا حُبُّهَا إِلَى أَنْ نَأْخُذَ شَيْئًا مِنْ شَيْءٍ يَكْرَهُهُ اللهُ، وَلَا أَنْ نَمْنَعَ شَيْئًا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّهُ اللهُ، فَإِذَا نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ لَا يَضُرُّنَا حُبُّنَا إِيَّاهَا﴾ ولما ثقل عبد الملك بن مروان رأى غسالاً يلوي بيده ثوباً فقال: وددت أني كنت غسالاً لا أعيش إلا بما أكتسبه يوماً فيوماً! فبلغ ذلك أبا حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى عنده ما هم فيه.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ تاريخ مدينة دمشق/ أنساب الأشراف/

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) ورجل من أشراف الناس 0547

يروى أن هشاماً[1] غضب على رجل من أشراف الناس، فشتمه فوبخه الرجل وقال له: أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله في أرضه؟. فأطرق هشام واستحي وقال له: اقتص!. فقال: أنا إذاً سفيه مثلك! قال: فخذ عن ذلك عوضاً من المال. قال: ما كنت لأفعل!. قال: فهبها لله. قال: هي لله ثم لك! فنكس هشام رأسه وقال: والله لا أعود لمثلها.

كان للوليد بن عثمان بن عفان ابن يظهر التأله يقال له عبد الله بن الوليد[2]، كان يلعن عليا ويقول: قتل جدي عثمان والزبير، وكانت أمه ابنة الزبير بن العوام، وقام إلى هشام بن عبد الملك وهو على المنبر عشية عرفة فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب، فقال له: يا عبد الله إنا لم نأت هاهنا لسب الناس ولعنهم.

----

*(أبو تراب) من كنى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

■ (1) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة 105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (2) عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان روى عن اسماء بنت ابي بكر روى عنه محمد بن اسحاق، وروى موسى بن يعقوب عن عمه يزيد عنه سمعت ابي يقول ذلك.

ذكر عن الفضل بن الربيع عن أبيه، أنه قال: بينا أنا قائما بين يدي المنصور أو على رأسه ؛ إذا أتي بخارجي قد هزم له جيوشا، فأقامه ليضرب عنقه، ثم اقتحمته عينه -أي ازدراه-، فقال: يابن الفاعلة، مثلك يهزم الجيوش! فقال له الخارجي: ويلك وسوءة لك! بيني وبينك أمس السيف والقتل، واليوم القذف والسب! وما كان ويؤمنك أن أرد عليك وقد يأست من الحياة فلا تستقيلها أبدا! قال: فاستحيا منه المنصور وأطلقه، فما رأى له وجها حولا. وذكر عن قحطبة، قال: سمعت المنصور يقول: الملوك تحتمل كل شيء من أصحابها إلا ثلاثا: إفشاء السر، والتعرض للحرمة، والقدح في الملك. لما ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدامة بن مظعون، بذل المغيرة أمره أن لا يخبر أحدا، فلم يكن له زاد فتوجهت امرأته إلى دار المغيرة فقالت: أقرضونا زادا لراكب، فإن أمير المؤمنين ولى زوجي الكوفة، فأخبرت امرأة المغيرة زوجها، فجاء إلى عمر رضي الله عنه واستأذن عليه، وقال: يا أمير المؤمنين وليت قدامة الكوفة، وهو رجل قوي أمين! فقال: ومن أخبرك؟ قال: نساء المدينة يتحدثن به. فقال: اذهب وخذ منه العهد.

قال هشام لخالد بن صفوان: [1] صف لي الأحنف بن قيس[2] قال: يا أمير المؤمنين، إن شئت أخبرتك عنه بثلاث وإن شئت باثنين وإن شئت بواحدة. فقال: أخبرني عنه بثلاث. قال: كان لا يحرص ولا يجهل ولا يدفع الحق إذا نزل به. قال: فأخبرني عنه باثنتين. قال: كان يؤثر الخير ويتوقى الشر! قال: فأخبرني عنه بواحدة. قال: كان أعظم الناس سلطاناً على نفسه. وقال أكثم بن صيفي: الغلبة والعز للحلم. وقال الأحنف: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. وصدق الأحنف فإن من حلم كان الناس أنصاره. وقيل لخالد بن صفوان: أي إخوانك أحب إليك؟ قال: الذي يغفر زللي، ويقبل عللي، ويسد خللي. وهو القائل: ثلاثة يعرفون عند ثلاثة: الحليم عند الغضب، والشجاع عند اللقاء، والصديق عند النائبة.

قال الأحنف بن قيس: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري[3]. إني لجالس معه في فناء بيته وهو يحدثنا إذ جاءت جماعة يحملون قتيلا، ومعهم رجل مأسور فقيل له: هذا ابنك قتله أخوك! فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ من منطقته، ثم أنشد: أقول لنفسي تصبيرا وتعزية: إحدى يدي أصابتني، ولم ترد كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه، وذا ولدي. ثم التفت إلى بعض ولده وقال: قم أطلق عمك ووار أخاك التراب، وسق إلى أمه مائة من الإبل فإنها غريبة. وسئل بعض أصحاب الأحنف: أكان الأحنف يغضب؟ قال: نعم، لو لم يغضب ما بان حلمه، كان يغضبه الشيء فيتبين في وجهه اليومين والثلاثة وهو يصبر ويحلم. ومن لم يغضب من الأشياء التي مثلها فقد فقد من الفضائل الشجاعة، والأنفة والحمية والدفاع والأخذ بالثأر والغيرة، فإن هذه الخصال نتائج الغضب، فمن فقد الغضب فقد فقد أس الفضائل. وقيل: عند فقد الشجاعة تكون المهانة، ومن المهانة يكون سفساف الأخلاق ورذالة الطباع، فلا يبقى لسائر فضائله موقع.

وكان يقال: من لم يغضب فليس بحليم، لأن الحليم يعرف عند الغضب. قال الشافعي: من استغضب ولم يغضب فهو حمار، ومن استرضي ولم يرض فهو جبار، وفي لفظ: من استرضي فلم يرضى فهو شيطان. وعن قتادة قال: كان ابن عمر يقول: إن الحليم ليس من ظلم ثم حلم حتى إذا هيجه قوم اهتاج، ولكن الحليم من قدر ثم عفا، وإن الوصول ليس من وصل -يعني من وصله- فتلك مجازاة، ولكن الوصول من قطع ثم وصل، وعطف على من لم يصله. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب، ولكنه إنما كان يغضب لا لنفسه بل عند انتهاك حرمة ربه. واعلم أن الله تعالى ما مدح من لم يغضب، وإنما مدح من كظم الغيظ فقال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران] يروى أن رجلا سب جعفر بن محمد[4]،فقال: أما ما قلت مما هو فينا فإنا نستغفر الله منه، وما قلت مما ليس فينا فإنا نكلك فيه إلى الله تعالى. قيل: جاءت جارية لأبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب بقصعة من ثريد تقدمها إليه، وعنده قوم فأسرعت بها فسقطت من يدها فانكسرت فأصابه وأصحابه مما كان فيها فارتاعت الجارية عند ذلك فقال لها: أنت حرة لوجه الله تعالى، لعله أن يكون كفارة للروع الذي أصابك!. قال الأصمعي: دفع أزدشير (أردشير)[5] إلى رجل كان يقوم على رأسه كتابا وقال: إذا رأيتني قد اشتد غضبي فادفعه إلي. فكان فيه: اسكن فلست بإله، إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا، وتصير عن قريب للدود والتراب! وهذه السيرة أول من سنها ملك تبع، أمر أن يكتب في كتاب: اسكن فلست بإله! وقال لصاحبه: إذا غضبت فاعرضه علي. فكان إذا غضب عرضه عليه، فإذا قرأه سكن غضب. وقيل للإسكندر:[6] إن فلانا وفلانا ينقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهم! فقال: هم بعد العقوبة أعذر في ثلبي وتنقيصي. قال سفيان بن عيينة: كان بين عمر بن ذر[7] وبين رجل يقال له: ابن عياش، شحناء، وكان يبلغ عمر بن ذر أن ابن عياش يتكلم فيه. قال: فخرج عمر ذات يوم فلقي ابن عياش فوقف معه، فقال له: لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعا، فإنا لا نكافىء أحدا عصى الله تعالى فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.وعن عمر بن ذر، قال: إني لقائم مع الشعبي ذات يوم فأتاه رجل فقال: ما تقول في علي وعثمان؟ فقال: إني لغني أن يطلبني علي وعثمان يوم القيامة بمظلمة.

■ (1) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري: من فصحاء العرب المشهورين.كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار. ولد ونشأ بالبصرة. وكان أيسر أهلها مالا، ولم يتزوج.له كلمات سائرة، قيل له: أي إخوانك أحب إليك؟ فقال: الذي يغفر زللي ويقبل عللي ويسد خللي. عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي وحظي عنده. وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشئ وذمه. وكان يعارض شبيب بن شيبة، لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة. وجمع بعض كلامه في كتاب. وكان يرمى بالبخل. وكف بصره. توفي نحو 133 هـ أو سنة 135 هـ.

■ (2) الأحنف، أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وكان سيد قومه (زعيم قائد)، موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، روى عن عمر وعثمان وعلي، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ، عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد (وهو اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم، وفيه ماء).

■ (4) أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين؛ أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة. وكانت ولادته سنة 80 هـ، وهي سنة سيل الجحاف، وقيل: بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة 83 هـ. وتوفي في شوال سنة 148 هـ بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي، فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه.وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنهم أجمعين.

■ (5) أردشير الأول، أردشير بن بابك بن ساسان. ولد في حدود 330 ق هـ (أواخر القرن الثاني ميلادي) في المرزبان وتوفي في حدود 392 ق هـ

■ (6) الإسكندر؟ هل هو الإسكندر ذو القرنين، الثالث المقدوني، أما هو ذو القرنين الذي ورد اسمه في القرآن كملك عادل، قال ابن عباس هو من حمير وهو الصعب بن مراثد، وهو الذي مكنه الله له الأرض وأتاه الله من كل شي سببا.ويرى ابن عباس أن الإسكندر غير ذي القرنين.

■ (3) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس واسم مقاعس: الحارث بن عمرو التميمي المنقري وإنما سمي الحارث مقاعسا . لتقاعسه عن حلف بني سعد بن زيد مناة . يكنى : أبا علي وقيل : أبو طلحة وقيل: أبو قبيصة. والأول أشهر. وأمه أم أسفر بنت خليفة وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم وأسلم سنة تسع. ولما رآه النبي صلى الله عليه و سلم قال: هذا سيد أهل الوبر. وكان عاقلا حليما مشهورا بالحلم قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم فقال : من قيس بن عاصم. توفي بعد النبي ؟

■ (7) عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة بن معاوية، أبو ذر الهمذاني المرهبي الكوفي روى عن أبيه، عن سعيد بن جبير، مات سنة 152 هـ وقيل سنة 153 هـ وقيل سنة 155 هـ وقيل سنة 156 هـ وقيل سنة 157 هـ.

مراجع: سراج الملوك/ صحيح البخاري/ البداية والنهاية/ مسند أحمد/ أسد الغابة/ تاريخ الخلفاء/ الجرح والتعديل - الرازي/ محاضرات الأدباء/

عن إبراهيم بن أبي عبلة[(1)] قال: بعث إلي هشام بن عبد الملك[(2)] فقال: يا إبراهيم إنا قد عرفناك صغيرا واختبرناك كبيرا، ورضينا بسيرتك وبحالك، وقد رأيت أن تختلط بنفسي وخاصتي، وأشركك في عملي، وقد وليتك خراج مصر. قال: فقلت: أما الذي عليه رأيك يا أمير المؤمنين فالله يجزيك ويثيبك، وكفى به مجازيا ومثيبا؛ وأما الذي أنا عليه فمالي بالخراج بصر، ومالي عليه قوة. قال: فغضب حتى اختلج وجهه وكان في عينيه الحول فنظر، قال: فنظر إلي نظرا منكرا، ثم قال: لتلين طائعا أو لتلين كارها. قال: فأمسكت عن الكلام، حتى رأيت غضبه قد انكسر، وسورته قد طفئت، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتكلم؟ قال: نعم؛ قلت: إن الله سبحانه وبحمده قال في كتابه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب] الآية. فوالله يا أمير المؤمنين ما غضب عليهن إذ أبين، ولا أكرههن إذ كرهن، وما أنا بحقيق أن تغضب علي إذ أبيت، ولا تكرهني إذ كرهت؛ قال: فضحك حتى بدت نواجذه؛ ثم قال: يا إبراهيم قد أبيت إلا فقها! قد رضينا عنك وأعفيناك.

قال عبد الله بن سالم الأشعري: حدثني إبراهيم بن أبي عبلة قال: كنت عند عبادة بن نسي[(3)]،فأتاه آت فقال: إن أمير المؤمنين -يعني هشاما- قد قطع يدي غيلان[(4)] ورجليه ولسانه وصلبه، فقال: حقا ما تقول؟ قال: نعم. فقال: أصاب، والله، فيه السنة والقضية، ولأكتبن إلى أمير المؤمنين فلا حسنن له ما صنع. وعن الوليد بن أبي السائب عن رجاء بن حيوة[(5)]،أنه كتب إلى هشام بن عبد الملك: بلغني، يا أمير المؤمنين، أنه دخلك شيء من قتل غيلان، ولقتل غيلان، وصالح أحب إلي من قتل ألفين من الروم.. وحدث الهيثم بن عمران حدثنا عمر بن يزيد النضري قال كتب نمير بن أوس[(6)] إلى هشام بن عبد الملك يا أمير المؤمنين إن قتل غيلان كان من فتوح الله العظام على هذه الامة.

■ (1) إبراهيم بن شمر أبي عبلة بن يقظان بن المرتحل العقيلي، وقيل عقيل بن كعب بن ربيعة. كنيته أبو إسماعيل ويقال أبو سعيد ويقال أبو إسحاق ويقال أبو العباس المقدسي ويقال الرملي ويقال الدمشقي، أحد الأشراف والعلماء بدمشق، كان الوليد بن عبد الملك يوجهه إلى بيت المقدس يقسم فيهم العطاء. ودخل على عمر بن عبد العزيز في مسجد داره. توفي بفلسطين سنة 151 أو 152 هـ.

■ (2) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (5) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام، ويقال أبو نصر، وهو تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية، روى عن أبي صالح السمان. روىء عنه محمد بن عجلان. توفي سنة 112 هـ. وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية

■ (3) عبادة بن نسي الكندي، أبو عمر، الإمام قاضي طبرية ولي قضاء الأردن من قبل عبد الملك بن مروان، ثم ولي الأردن نائبا لعمر بن عبد العزيز. مات سنة 118 هـ.

■ (4) غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان، تنسب إليه فرقة الغيلانية من القدرية، قال عنه الذهبي: غيلان بن أبي غيلان، المقتول في القدر، ضال مسكين، كان يجمع بين القدر و الإرجاء، قتله هشام بن عبد الملك سنة 105هـ على باب كيسان بدمشق.

■ (6) نمير بن أوس الأشجعي، وقيل الأشعري الفقيه قاضي دمشق. أرسل عن حذيفة وغيره وروى عن أم الدرداء. أيضا ولي قضاء أذربيجان، وكان كبير القدر صدوقا. توفي سنة 115 هـ وقال خليفة بن خياط توفي سنة 121 هـ وقال محمد بن سعد مات سنة 122 هـ في خلافة هشام بن عبد الملك.

☪

- الإرجاء: معناه في اللغة التأخير، والمراد به تأخير العمل عن الإيمان، حيث زعموا أن الأعمال الصالحة من الأقوال، والأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، وترتب على هذا القول بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، والمرجئة فرق كثيرة مختلفة في قولها في الإرجاء. فمنهم الجهمية الذين قالوا: الإيمان هو المعرفة فقط، ومنهم من قال: هو تصديق القلب، كالأشاعرة ومن نحا نحوهم، ومنهم من قال: هو قول اللسان كالكرامية، ومنهم من قال هو: تصديق القلب وقول اللسان. انظر: الفرق بين الفرق ومجموع الفتاوى لابن تيمية. قال الصفدي في الوافي بالوفيات: الإرجاء يشتق من الرجاء لأنهم يرجون لأصحاب المعاصي الثواب من الله تعالى فيقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة. قال: وقيل:الإرجاء هو تأخير حكم أصحاب الكبائر إلى الآخرة في الدنيا ولا يقضى عليهم بأنهم من أهل الجنة. قال: والمرجئة جنس لأربعة أنواع: مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الصالحة. والغيلانية من المرجئة القدرية ينتمون إلى غيلان القدري زعموا أن الإيمان هو المعرفة الثانية بالله عز وجل والمحبة له والخضوع والإقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى والمعرفة الأولى عندهم اضطرارية فلذلك لم يجعلوها من الإيمان.. انظر الفرق بين الفرق للبغدادي.
- القدرية: هم القائلون بإنكار القدر الإلهي من قبيل الاشتقاق من الضد إذ أنهم يرون أن للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى. وهم فرقتان: القدرية الأولى ، أتباع معبد الجهني وغيلان الدمشقي القائلون بإنكار القدر بمعنى العلم والتقدير. وهذه الفرقة انقرضت.القدرية الثانية: وهم المثبتون للعلم والكتابة لكنهم يقولون إن العبد يخلق فعل نفسه، وهم المعتزلة.

قال الأوزاعي: أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن[(1)] كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني[(2)] وأخذ غيلان عن معبد، وغيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد. قالوا: طلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته، فأفتى الأوزاعي بقتله، وصلب على باب كيسان بدمشق سنة 105هـ

- المعتزلة فرقة كلامية نشأت في أواخر العصر الأموي، على يد واصل بن عطاء المخزومي[(3)] الذي اعتزل الجماعة بعد خلافه مع الحسن البصري[(4)] وأحمد بن أبي دؤاد[(5)] قاضي القضاة للمعتصم والواثق هو الذي كان يمتحن العلماء في أيامه ويدعوهم إلى خلق القرآن. كان يقال أكرم من كان في دولة بني العباس البرامكة، ثم ابن أبي دؤاد، لولا ما وضع به نفسه من محبة المحنة لاجتمعت الألسن عليه، ولم يضف إلى كرمه كرم أحد.

☪

قال ياقوت الحموي: قتندة بلدة بالأندلس ثغر سرقسطة كانت بها وقعة بين المسلمين والأفرنج استشهد بها إمام المحدثين بالأندلس القاضي أبو علي الحسين بن محمد بن فيره بن حيون بن سكرة الصدفي السرقسطي[(6)] في ربيع الأول سنة 415 عن ستين سنة وكان أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين[(7)] ألزمه أن يقلده القضاء بمرسية في شرقي الأندلس فتقلده على كره منه في سنة 505 ثم استعفى من القضاء فلم يعفه فاختفى مدة وخضع حتى أعفاه وهو مغضب عليه فكتب ابن فيره إلى أمير المسلمين كتابا يقوم فيه بعذره وضمنه حديثا ذكره بإسناد له عن إبراهيم بن أبي عبلة قال: بعث إلي هشام بن عبد الملك وقال: يا إبراهيم إنا قد عرفناك صغيرا واخترناك كبيرا فرضينا سيرتك وحالك وقد رأيت أن أخالطك بنفسي وخاصتي وأشركك في عملي وقد وليتك خراج مصر فقلت: أما الذي عليه رأيك يا أمير المؤمنين فالله تعالى يجزيك ويثيبك وكفى به جازيا ومثيبا وأما الذي أنا عليه فما لي بالخراج بصر وما لي عليه قوة قال: فغضب حتى اختلج وجهه وكان في عينيه قبل فنظر إلي نظرا منكرا ثم قال لي: لتلين طائعا أو لتلين كارها قال: فأمسكت عن الكلام حتى رأيت غضبه قد انكسر وسورته قد طفئت فقلت: يا أمير المؤمنين أتكلم قال: نعم قلت: إن الله سبحانه وتعالى قال: في كتابه الكريم ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب] فوالله يا أمير المؤمنين ما غضب عليهن إذ أبين ولا أكرههن إذ كرهن وما أنا بحقيق أن تغضب علي إذ أبيت أو تكرهني إذ كرهت. قال: فضحك هشام حتى بدت نواجذه ثم قال: يا إبراهيم أبيت إلا فقها، قد رضينا عنك وأعفيناك. قال: فأجابه أمير المسلمين بما آنسه وحضه على الرجوع إلى إفادة الناس ونشر العلم. ولهذا الرجل فضائل كثيرة ورحلة إلى المشرق لقي فيها جماعة وعمل له القاضي عياض مشيخة في عدة أجزاء كتبت هذا منها وكانت بخط أبي عبيد الله الأشيري.

■ (2) معبد الجهني البصري: ويقال: معبد بن عبد الله بن عويمر، ويقال: بن عبد الله بن عكيم الجهني، ويقال: معبد بن خالد. نزيل البصرة، وأول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة.كان من علماء الوقت على بدعته.قيل: كان صدوق في الحديث. اختلف فيمن قتله ، فقيل الحجاج لخروجه مع ابن الأشعث وقيل صلب عبد الملك معبدا الجهني بدمشق حوالي سنة 80 هـ أو بعدها وقيل: يكون صلبه ثم أطلقه. وقيل: مات قبل 90 هـ.

■ (1) سنسويه أو سوسن الأسواري مختلف في اسمه، رجل نصراني أظهر الإسلام وقذف بين المسلمين القول في القدر، ثم لحق بدينه النصراني وقيل يهودي من يهود البصرة، يقال بأن معبد الجهني قد أخذ مقالته في القدر منه ودعا الناس إليه، لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم.

■ (3) واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة، من موالي بني ضبة أو بني مخزوم: رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين. سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري. ومنهم طائفة تنسب إليه، تسمى الواصلية وهو الذي نشر مذهب الاعتزال في الآفاق: بعث من أصحابه عبد الله بن الحارث إلى المغرب، وحفص بن سالم إلى خراسان، والقاسم إلى اليمن، وأيوب إلى الجزيرة، والحسن بن ذكوان إلى الكوفة، وعثمان الطويل إلى أرمينية. ولد بالمدينة، ونشأ بالبصرة. وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا، فتجنب الراء في خطابه، وضرب به المثل في ذلك. وكانت تأتيه الرسائل وفيها الراءات، فإذا قرأها أبدل كلمات الراء منها بغيرها حتى في آيات من القرآن. ومن أقوال الشعراء في ذلك، لاحدهم: أجعلت وصلي الراء، لم تنطق به..وقطعتني حتى كأنك واصل. ولابي محمد الخازن في مدح الصاحب ابن عباد: نعم، تجنب لا، يوم العطاء، كما..تجنب ابن عطاء لفظة الراء. وكان ممن بايع لمحمد بن عبد الله بن الحسن في قيامه على أهل الجور. ولم يكن غزالا، وإنما لقب به لتردده على سوق الخمر وغيره، يكون في منزلة بين منزلتين، لا مؤمنا ولا كافرا، ويرون أن إعجاز القرآن في الصرفة لا أنه في نفسه معجز، أي أن الله لو لم يصرف العرب عن معارضته لاتوا بما يعارضه، وأن من دخل النار لم يخرج منها. وسموا معتزلة لان واصل بن عطاء كان ممن يحضر درس الحسن البصري، فلما قالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بأن مرتكب الكبائر مؤمن غير كافر وإن كان فاسقا، خرج واصل عن الفرقتين، وقال: إن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر. واعتزل مجلس الحسن، وتبعته جماعة، فعرفوا بالمعتزلة. وما زال مذهبهم ينمو إلى أيام الرشيد، فوضعه موضع البحث بين العلماء. ولما ولي المأمون ناصر المعتزلة وعاقب مخالفيهم. وتابعه المعتصم ثم الواثق. ولما كانت أيام المتوكل كتب إلى الآفاق بمخالفة القائلين بالاعتزال. وضعف شأن المعتزلة حتى ذهبت بمذهبهم الايام. واشتهر منهم فضلاء وأعيان كالجاحظ والزمخشري والماوردي والصاحب بن عباد والفراء والسيرافي وابن جني وأبي علي الفارسي وابن أبي الحديد وآخرين كثيرين. توفي سنة 131 هـ

■ (5) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

■ (4) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

■ (6) حسين بن محمد بن فيره بن حيون بن سكرة الصدفي، أبو علي: قاض، محدث، كثير الرواية. من أهل سرقسطة. رحل إلى المشرق رحلة واسعة سنة 481 – 490 هـ، وأقام ببغداد خمس سنين، واستقر بمرسية. واستقضي بها، ثم استعفى وخرج منها فارا إلى المرية، فأقام بها، وقبل قضاءها على كره. ولما كانت وقعة قتندة، بثغر الاندلس، شهدها غازيا واستشهد فيها سنة 514 هـ.

■ (7) علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني، أبو الحسن: أمير المسلمين بمراكش، وثاني ملوك دولة الملثمين المرابطين. ولد بسبتة سنة 477 هـ وبويع بعد وفاة أبيه سنة 500 هـ بعهد منه، بمراكش. وقال ابن خلكان: كان حليما وقورا صالحا عادلا ومن أعماله أنه جاز إلى الاندلس سنة 503 هـ مجاهدا، فعبر البحر من سبتة في جيوش تزيد على مئة ألف فارس، فانتهى إلى قرطبة، ثم فتح مدينة طلاموت ومجريط ووادي الحجارة و 27 حصنا من أعمال طليطلة، وعاد. وكانت له بعد ذلك معارك مع الفرنج، حالفه فيها الظفر. وفي أيامه ظهر محمد بن عبد الله الملقب بالمهدي ابن تومرت فعجز علي عن دفع فتنته، واضطربت أموره، فمات غما في مراكش سنة 537 هـ. ولم يشهر خبر موته إلا بعد ثلاثة أشهر منه.ومدة خلافته 36 سنة و 7 أشهر.

مراجع: سراج الملوك/ البخاري/ البداية والنهاية/ مسند أحمد/ أسد الغابة/ تاريخ الخلفاء/ أخبار الدولة العباسية/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر / شذرات الذهب/ الإمامة والسياسة/ سير أعلام النبلاء/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة/مجلة البحوث الإسلامية/

ذكروا أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس[1] دخل وهو شيخ كبير قد غشي بصره على هشام بن عبد الملك متوكئا على ولديه أبي العباس وأبي جعفر فسلم ثم قال له هشام: ما حاجتك؟ ولم يأذن له في الجلوس فذكر قرابته وحاجة به ثم استجداه فقال هشام: ما هذا الذي بلغني عنكم يا بني العباس! ثم يأتي وهو يرى أنه أحق بها في أيدينا منا والله لا أعطيتك شيئا، فخرج محمد بن علي، فقال هشام: كالمستهزىء، إن هذا الشيخ ليرى أن الأمر سيكون لولديه هذين أو لأحدهما! فرجع محمد نحوه، فقال: أما والله إني أرى ذلك على رغم من رغم، فضحك هشام وقال: أغضبنا الشيخ، ثم مضى محمد بن علي.

قدم محمد بن علي بن عبد الله على هشام، ومعه ابنه أبو العباس غلام، فلما خرج من عنده قال لبعض أصحابه: شكوت إلى أمير المؤمنين ثقل الدين والعيال، فاستهزأ بي، وقال: أنتظر ابن الحارثية، يعني هذا الغلام.

قال عبد الله بن محمد: حدثني شيخ يكنى أبا عبد الله قال: قدم محمد بن علي، على هشام بن عبد الملك ومعه ابناه وأبو العباس، فدخل يوما على هشام بن عبد الملك، ووافق ذلك دخول ابن رأس الجالوت[2] عليه، وكان يهوديا، وكان محمد أصبح الناس وجها، وكان هشام صبيحا ما أغضى، فإذا رفع رأسه احولت عيناه، فنظر هشام إلى ابن رأس الجالوت، وقد أحد نحو محمد بصره، فقال: ما لك تنظر إليه؟ قال: خير، من هذا؟ قال: هذا من أهل نبينا صلى الله عليه وسلم. قال: هذا أقرب بالنبي صلى الله عليه وسلم؟ فوقع هشام في لطخة كرهها ولم يكذب نفسه، قال: بأب. قال: لئن كنت صادقا لهو أولى بصدر مجلسك منك، إن بيني وبين الأب الذي تكرمني اليهود لأربعين أبا. فغضب هشام عليه، وأقامه، وأقبل عليه الحاجب، وهو يخرجه، فقال: ما آمنك أن يأمرني أمير المؤمنين فأضرب عنقك؟. قال: فيكون ماذا أكثر من أن يقول الناس: يهودي قام بكلمة حق عند الخليفة فقتله.

في رواية أن علي بن عبد الله[3] دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه الخليفتان السفاح والمنصور،فأوسع له على سريره،وسأله عن حاجته،فقال:ثلاثون ألف درهم علي دين، فأمر بقضائها. قال ويستوصي بابني هذين خيرا، ففعل فشكره، وقال وصلتك رحم فلما ولي قال هشام لأصحابه: إن هذا الشيخ قد اختل وخلط فصار يقول: إن هذا الأمر سينقل إلى ولده، فسمعه علي وقال: والله ليكونن ذلك وليملكن هذان وكان عظيم المحل عند أهل الحجاز،حتى روي أنه كان إذا قدم مكة حاجا أو معتمرا عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام، وهجرت مواضع حلقها، ولزمت مجلسه إعظاما وإجلالا وتبجيلا، فإن قعد قعدوا وإن نهض نهضوا وإن مشى مشوا جميعا حوله حتى يخرج من الحرم، وكان طويلا جسيما ذا لحية طويلة وقدم عظيم جدا لا يوجد له نعل ولا خف حتى يستعمله مفرطا في طوله، اذا طاف كأنما الناس حوله مشاة وهو راكب، وكان مع هذا الطول إلى منكب أبيه عبد الله، وكان عبد الله إلى منكب أبيه العباس، وكان العباس إلى منكب أبيه عبد المطلب ذكر هذا كله المبرد. وذكر أيضا أن العباس كان عظيم الصوت، جاءته مرة غارة وقت الصبح، فصاح بأعلى صوته. واصباحاه فلم تسمعه حامل في الحي إلا وضعت.

ودخل عبد الله بن علي على هشام بن عبد الملك، فأدنى مجلسه حتى أقعده معه، وأكرم لقاءه، وأظهر بره، ثم قال: ما أقدمك؟ فذكر له حاجته، وما أصابه من خلة الزمان، فخرج بني لهشام ابن عبد الملك صغير معه قوس ونشاب، وهو يلعب كما يلعب الصبيان، فجعل الصبي يأخذ السهم فيرمي به عبد الله بن علي، حتى فعل ذلك مرات، وعبد الله بن علي ينظر إليه، ثم قام عبد الله، فخرج، فقال مسلمة بن عبد الملك:[4] يا أمير المؤمنين، أما رأيت ما صنع الصبي؟ والله لا يكون قتله، وقتل رجال أهل بيته إلا على يديه! فما مضت الأيام والليالي حتى ورد عبد الله واليا على الشام من قبل أبي العباس، فقتل ثلاثة وثمانين رجلا من بني أمية، فأتي بالصبي فيمن أتي به، فقال: أنت صاحب القوس! فقدم، فضربت عنقه.

قال ابن واصل: أخبرني من أثق به أنه وقف على كتاب عتيق فيه ما صورته إن علي بن عبد الله بن عباس بلغ بعض خلفاء بني أمية عنه أنه يقول: إن الخلافة تصير إلى ولده فأمر الأموي بعلي بن عبد الله فحمل على جمل وطيف به وضرب، وكان يقال عند ضربه هذا جزاء من يفتري ويقول إن الخلافة تكون في ولده، فكان علي بن عبد الله يقول: أي والله لتكونن الخلافة في ولدي ولا تزال فيهم حتى يأتيهم العلج* من خراسان فينتزعها منهم فكان كما قال والعلج المذكور هولاكو[5]

----

* (العلج) الرجل الضخم من كبار العجم وبعض العرب يطلقه على الكافر مطلقا والجمع: علوج وأعلاج.

■ (1) أبو عبد الله، محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، صاحب الدعوة العباسية. في عهده انتشرت الدعوة لتبلغ العراق وخراسان واتخذ من الحميمة مركزًا له ومقامًا لعيشه حيث قطنها هو وأبناءه إبراهيم وأبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور. مات سنة 125 هـ وله ستون سنة.

■ (3) أبو محمد، علي بن عبد الله بن العباس، وهو جد السفاح والمنصور؛ كان سيدا شريفا بليغا، وهو أصغر ولد أبيه، وكان أجمل قرشي على وجه الأرض وأوسمه وأكثره صلاة، وكان يدعى السجاد لذلك. وذكر الطبري في تاريخه إنه دخل على عبد الملك بن مروان فأكرمه وأجلسه على سريره وسأله عن كنيته فأخبره، فقال: لا يجتمع في عسكري هذا الاسم وهذه الكنية لأحد، وسأله: هل له من ولد وكان قد ولد له يومئذ محمد بن علي، فأخبره بذلك فكناه أبا محمد.وكانت وفاة علي بن عبد الله سنة 117 هـ بالشراة بالحميمة وهو ابن ثمانين سنة. وقال الواقدي: ولد في الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة 40 هـ ، وقيل غير ذلك، وقيل مات في سنة 114 هـ، وقيل: سنة 118 هـ، وقيل: سنة 119 هـ، والله أعلم.

■ (5) هولاكو خان بن تولوي بن جنكيز خان، الذي هلك سنة664 هـ كان حاكم إلخانيَّة فارس–الدولة الإيلخانية– غزا المغول الدولة العباسية تحت قيادة هولاكو خان سنة656هـ واستباحوا بغداد وسفكوا دم مليوني مسلم، وقتلوا الخليفة المستعصم بالله، وكان المغول –التتار– قد احتل معظم بلاد جنوب غرب آسيا وقتل الملايين. والتتار من أشد قبائل الجنس الأصفر وحشية، تعيش في صراع دائم ، كانت خاضعة في أغلب الأوقات لحكام الصين الشمالية من أفراد أسرة كين، وهذه القبائل لبس أفرادها جلود الكلاب وغيرها، كما أكلوا من لحومها. وكانوا من ألد أعداء المغول، فلما أصبح جنكيز خان قائدا للمغول تمكن من القضاء على التتار، ولم ينج منهم إلا عدد قليل، وعلى إثر ذلك أطلق اسم التتار على جنكيز خان وأتباعه من المغول تيمنا بما فعلوا، ولم يمض وقت طويل حتى أطلق عليهم اسم المغول، فعرفوا بالاسمين معا. وقد اجتاحت الشرق الإسلامي في القرنين 12 و13م

■ (4) أبو سعيد، مسلمة بن عبد الملك، أمير أُموي، وقائد عسكري، وابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب) ولد سنة 66 هـ وتوفي سنة121 هـ.

■ (2) ابن رأس الجالوت الشاعر يهودي، مات سنة 156 هـ

كان هشام أحول العين، حكي أنه خرج يوما فلقي رجلا أعور، فأمر بضربه وحبسه، فقال له الأعور: ما ذنبي؟ فقال هشام: تشاءمت بك، فقال الأعور: شؤم الأعور على نفسه، وشؤم الأحول على غيره؛ ألا ترى أني استقبلتك فلم يصبك مني شيء، وأنت استقبلتني فنالني منك السوء؟ فخجل هشام ووصله. وقيل: عرض هشام الجند بحمص، فمر به رجل من أهل حمص، وهو على فرس نفور، فقال هشام: ما حملك على أن تركب فرسا نفورا؟ فقال الحمصي: لا والله يا أمير المؤمنين، ليس بنفور، ولكنه أبصر حولتك، فظن أنك عزون البيطار، فنفر، فقال هشام: تنح؛ عليك وعلى فرسك لعنة الله، وكان عزون البيطار رجلا أحول.

قال ابن العماد الحنبلي: كان محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، –والد المنصور والسفاح– جميلا وسيما مهيبا نبيلا، وكان دعاة العباسيين يكاتبونه ويلقبونه بالإمام، وسبب انتقال الأمر للعباسيين أن الشيعة كانت تقصد إمامة محمد بن الحنفية بعد أخيه الحسين بن علي بن أبي طالب ونقلوها بعده إلى ولده أبي هاشم، عبد الله بن محمد بن الحنفية فلما حضرت أبا هاشم الوفاة ولا عقب له أوصى إلى محمد بن علي المذكور ودفع إليه كتبه وصرف الشيعة إليه ولما حضرته الوفاة أوصى إلى ولده إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بالإمام، فلما حبسه مروان بن محمد آخر ملوك الأمويين وعرف أنه مقتول أوصى إلى السفاح وهو أول خلفاء العباسيين. هذه خلاصة الأمر والشرح فيه طويل.

بويع أبو العباس السفاح، وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من سنة 132 هـ، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة 132 هـ، وقيل: في النصف من شهر جمادي الآخرة من هذه السنة، وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية، وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة، فخطب على المنبر قائما، وكانت بنو أمية تخطب قعودا، فضج الناس وقالوا: أحييت السنة يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما، ومات بالأنبار في مدينته التي بناها، وذلك في يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة 136 هـ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وقيل: ابن تسع وعشرين سنة، وكانت امه تحت عبد الملك بن مروان، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح، وعبيد الله، وداود، وميمونة.

قال ابن جريج: كنا جلوسا مع عطاء بن أبي رباح في المسجد الحرام فتذاكرنا ابن عباس وفضله، وعلي بن عبد الله في الطواف وخلفه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فعجبنا من تمام قامتهما وحسن وجوههما، قال عطاء: وأين حسنهما من حسن عبد الله بن عباس، ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة وأنا في المسجد الحرام طالعا من جبل أبي قبيس إلا ذكرت وجه عبد الله بن عباس، ولقد رأيتنا جلوسا معه في الحجر إذ أتاه شيخ قديم بدوي من هذيل يهدج على عصاه فسأله عن مسألة فأجابه، فقال الشيخ لبعض من معه: من هذا الفتى؟ قالوا: هذا عبد الله بن عباس بن عبد المطلب. قال الشيخ: سبحان الله الذي غير حسن عبد المطلب إلى ما أرى. قال عطاء: فسمعت ابن عباس يقول: سمعت أبي يقول: كان عبد المطلب أطول الناس قامة، وأحسن الناس وجها وما رآه أحد قط إلا أحبه. وكان له مفرش في الحجر لا يجلس عليه غيره، ولا يجلس عليه معه أحد، وكان الندي من قريش حرب بن أمية فمن دونه يجلسون حوله دون المفرش، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير، لم يبلغ، فجلس على المفرش فجبذه رجل، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب –وذلك بعدما كف بصره–: ما لابني يبكي؟! قالوا له: أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه، فقال عبد المطلب: دعوا ابني يجلس عليه، فإنه يحس من نفسه بشرف، وأرجو أيبلغ من الشرف ما لم يبلغ عربي قبله ولا بعده، ومات عبد المطلب والنبي صلى الله عليه وسلم ابن ثماني سنين، وكان خلف جنازة عبد المطلب يبكي حتى دفن بالحجون.

مراجع: سراج الملوك/ صحيح البخاري/ البداية والنهاية/ مسند أحمد/ أسد الغابة/ تاريخ الخلفاء/ أخبار الدولة العباسية/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ شذرات الذهب/ الإمامة والسياسة/ سير أعلام النبلاء/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/

روي أن أعرابياً قام بين يدي هشام بن عبد الملك فقال له: أيها الأمير أتت على الناس سنون ثلاثة: أما الأولى فأكلت اللحم، وأما الثانية فأذابت الشحم، وأما الثالثة فهاضت* العظم، وعندك فضول أموال فإن كانت لله فأقسمها بين عباد الله، وإن كانت لهم فلم تحظر عليهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا إن الله يجزي المتصدقين. فأمر هشام بمال فقسم بين الناس وأمر للأعرابي بمال. فقال: أكل المسلمين له مثل هذا المال؟ قال: لا يقوم بذلك بيت المال. قال: لا حاجة لي فيما يبعث لأئمة الناس على أمير المؤمنين. وفي رواية، عن المفضل الضبي قال: دخل قرواش بن حبيب[1] على هشام في غمار الناس فقال: إن أنضاء* سفر، وفل* سنة، وعندكم أموال فإن تكن فبثوها في عباد الله، وإن تكن لهم فعلام تمنعونهم إياها، وإن تكن بينكم وبينهم فقد أسأتم الأثرة وتركتم النصفة. فقال هشام: نحن أقفال عند الله مفاتيحها، فإذا أذن في شيء فتحنا له. وعن الأصمعي قال: دخل أعرابي على هشام فقال: يا أمير المؤمنين أن يكن المال الذي في أيديكم لله فبثوه في عباد الله، وإن كان بينكم وبينهم فلقد أسأتم الأثرة عليهم، وأثمتم في حرمانكم إياهم، وإن كان لكم دونهم فتصدقوا فإن الله يحب المتصدقين. فقال: والله ما ترك واحدة من ثلاث، فأعطاه فخرج وهو يقول: ما أكز يده بالمعروف.

وعن ابن كناسة الأسدي قال: قدم رصافة هشام رجل من بني أسد، ثم من بني فقعس على هشام، فدخل عليه حين جلس للعامة، فقال: يا أمير المؤمنين أتت علينا سنون ثلاث أجحفت الأموال ونجبت قلوب الرجال، فأما الأولى منهن فأذابت الشحم، وأما الثانية فنحضت اللحم، وأما الثالثة فهاضت العظم، وفي أيديكم فضول أموال، فإن تكن لله فبثوها عباده، وإن تكن لهم فعلام تحظرونها عنهم وتمنعوها ذوي خلتهم، وإن تكن لكم فتصدقوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف] قال هشام: هذه حاجتك في خاصتك، فما حاجتك في عامتك؟ قال: مالي حاجة في خاصة دون عامة، فكتب هشام إلى خالد بن عبد الله[2] أن أنفق على من أقحمته السنة حتى يأتي الله بالحيا والخصب. وكتب بمثل ذلك إلى إبراهيم بن هشام[3] عامله بالمدينة فأنفقا، فاحتسب بألفي ألف درهم، واحتسب إبراهيم بسبعين ألف دينار فسميت السنة سنة خالد. ويروى عن الأصمعي أن عراقيا قال لبعضهم –هشام أو غيره– : إن كان هذا المال لكم فقد بخلتم به، وإن كان بينكم وبين رعيتكم فقد أسأتم الأثرة ومنعتم الحق، وإن كان لكم أن تعطوا ولكن أن تمنعوا فأنتم كما قال الله: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص]

قال أبو محمد القرشي: كان يفطر عند هشام قوم في شهر رمضان فسأله رجل منهم حاجة فقال هشام: ألم أنهكم عن أن يكلمني أحد في حاجة هذا الشهر؟ فقال له رجل يكنى أبا نوح من بني تميم، ممن كان يفطر معه: والله لقد أمر لي أمير المؤمنين بخصي فما منعني من تنجز ذلك إلا هذا الشهر. قال هشام: ما أعلمني أمرت لك بشيء، قال: بلى يا أمير المؤمنين قد أمرت لي به ولكنك نسيت. قال: فمن يعلم ذلك؟ قال: إبراهيم بن هشام خالك، فقال: أكذلك يا إبراهيم؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين وما كن أرى نسيانك يبلغ هذا، فأمر له هشام بالخصي. فلما خرج أبو نوح وقف لإبراهيم، فلما خرج إبراهيم قال: جزاك الله خيرا، قال: لكن لا جزاك الله خيرا، ويحك ألا أعلمتني أنك تريد هذا قبل أن تقوله، ثم قال: إياك أن تعود لمثلها.

----

*(هاض عظمه) كسره بعد الجبر (أنضلت) قالوا: أنضلت البعير: أعييته وهزلته (أنضاء) جمع نضو، وهو المهزول (الفل) القوم المنهزمون

■ (2) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، من بجيلة، أبو يزيد وأبو الهيثم: أمير العراقين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم. يماني الأصل، من أهل دمشق. ولي مكة سنة 89 هـ للوليد بن عبد الملك، ثم ولاه هشام العراقين الكوفة والبصرة سنة 105 هـ، فأقام بالكوفة. وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة 120 هـ وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج وأمره أن يحاسبه، فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة، ثم قتله بالحيرة في أيام الوليد بن يزيد سنة 126 هـ. وكان خالد يرمى بالزندقة، وللفرزدق هجاء فيه.

■ (3) إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي القرشي: أمير المدينة المنورة، وخال هشام بن عبد الملك. اشتهر بشدته وعتوه وهو الذي ضرب يحيى بن عروه حتى مات.حج بالناس بعض السنين وولي المدينة ومكة والطائف سنة 107 هـ وكثرت شكوى آل الزبير وغيرهم منه. وعزله هشام سنة 115 هـ فانقطع خبره

■ (1) قرواش بن حبيب ؟

☪

وفي رواية، وفد أعرابي على عبد الملك بن مروان[1] فسلم عليه، ثم قال: مرت بنا سنون ثلاثة: أما إحداها فأكلت المواشي، وأما الثانية فأنضلت* اللحم، وأما الثالثة فخلصت إلى العظم، وعندك مال، فإن يكن لله فأعط عباد الله، وإن يكن لك فتصدق علينا، إن الله يجزي المتصدقين. قال: فأعطاه عشرة آلاف درهم، ثم قال: لو كان الناس يحسنون أن يسألوا هكذا ما حرمنا أحدا. ذكر أعرابي في ظلم وال وليهم فقال: ما ترك لنا فضة إلا فضها ولا دهبا إلا ذهب به، ولا غلة إلا غلها، ولا ضيعة إلا أضاعها ولا عقارا إلا عقره، ولا علقا إلا اعتلقه، ولا عرضا إلا عرض له، ولا ماشية إلا امتشها، ولا جليلا إلا جله، ولا دقيقا إلا دقه.

قيل: أتى أعرابي عمر بن عبد العزيز فقال: رجل من أهل البادية، ساقته إليك الحاجة، وبلغت به الغاية، والله سائلك عن مقامي هذا. فقال عمر. ما سمعت أبلغ من قائل ولا أوعظ لمقول له من كلامك هذا.

قال الأصمعي:[2] وقفت أعرابية فقالت: يا قوم، سنة جردت وأيد جمدت، وحال أجهدت؛ فهل من فاعل لخير، وآمر بمير؟ رحم الله من رحم، وأقرض من يقرض. وقال: أصابت الأعراب أعوام جدبة وشدة وجهد، فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم أعرابي وهو يقول: أيها الناس، إخوانكم في الدين، وشركاؤكم في الإسلام، عابرو سبيل، وفلال بؤس، وصرعى جدب، تتابعت علينا سنون ثلاثة، غيرت النعم وأهلكت النعم، فأكلنا ما بقي من جلودها فوق عظامها فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا، ونمني بالغيث قلوبنا، حتى عاد مخنا عظاما، وعاد إشراقنا ظلاما، وأقبلنا إليك يصرعنا الوعر، ويكننا السهل، وهذه آثار مصائبنا، لائحة في سماتنا، فرحم الله متصدقا من كثير، ومواسيا من قليل، فلقد عظمت الحاجة، وكسف البال وبلغ المجهود، والله يجزي المتصدقين. وقال: كنت في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابي سائلا، فقال: أيها الناس، إن الفقر يهتك الحجاب، ويبرز الكعاب؛ وقد حملتنا سنو المصائب، ونكبات الدهور، على مركبها الوعر، فواسوا أبا أيتام، ونضو زمان، وطريد فاقة، وطريح هلكة، رحمكم الله. وقال: وجاءت أعرابية تسأل فقالت: يا قوم طرائد زمان وفرائس نازلة ولحان وضم، نبذتنا الرجال وأنشزتنا الحال وأطمعنا السؤال، فهل من مكتسب للأجر أو راغب في الذخر؟ وقال: أعرابي وهو يسأل: رحم الله من أعطى من فضل وآثر من قلة وواسى من كفاف. وسأل أعرابي فقال: سنة جردت وحال جهدت وأيد جمدت فرحم الله من رحم وأقرض من لا يظلم.

وقال الأصمعي: وقفت على سائل بالمربد وهو يقول: قد رهنت القصاع من شهوة الخبز. فقلت له: أتممه. فقال: أتممه أنت. فقلت: فمن لي بمن يفك القصاعا، فقال: اضمم إليه بيتا. فقلت: ما رهنت القصاع يا قوم حتى..خفت والله أن أموت ضياعا..فقال: أنت والله أحوج إلى المسألة وأحق بها مني. وقالت أعرابية لحاتم الطائي[3]: أتيتك من بلاد نائية شاسعة تخفضني خافضة وترفعني رافعة للملمات من الأمور نزلن بي فبرين عظمي وأذهبن لحمي فرتكتني بالجريض قد ضاق بي البلد العريض، لم يترك لي سبدا ولم يبقين لي لبدا، غاب الوالد وهلك الرافد، وأنا امرأة من هوازن أقبلت في أفناء من العرب أسأل عن المرجو نائله والمحمود سائله والمأمون جانبه، فقيل لي أنت فاصنع بي إحدى ثلاث: إما أن تحسن صفدي، أو تقيم أودي، أو تردني إلى بلدي.فقال: أجمعهن لك وحبا. ففعل بها ذلك كله.

وسأل أعرابي فقال: أين الوجوه الواضحات الصباح، والعقول الراجحات الصحاح، والصدور الرحاب السماح، والمكارم الثمينة الرباح؟ وسأل أعرابي فقال: رحم الله امرأ لم يمج أذنه كلامي وقدم لمعاذة من سوء مقامي، فإن البلاد مجدبة والحال مسغبة والحياء زاجر ينهى عن كلامكم والفقر عاذر يدعو إلى إخباركم فرحم الله امرأ واسى بمير أو دعا بخير. فقال رجل: ممن يا أعرابي؟ فقال: أخ في كتاب الله وجار في بلاد الله وطالب خير من رزق الله. وسأل آخر فقال: نقص الكيل وعجفت الخيل وقل النيل فهل من رحيم أجره لله فإنه غنى عن الله لقوله جل وعز: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة] لم يستقرض ربنا جل وعز من عدم ولكن ليبلو ويختبر. وسأل آخر فقال: إني رجل من مدينة رسول الله عليه وعلى آله السلام، مشيت حتى انتعلت الدم، فرحم الله من حملني على نعلين فكأنما حملني على ناقتين، فلا قليل من الأجر ولا غنى من الله جل وعز. وقيل لسائل أعرابي: أين منزلك؟ قال: ما لي منزل إنما أشتمل الليل إذا عسعس وأظهر بالنهار إذا تنفس.

قيل: إنه أتى سائل دارا يسأل منها فأشرفت عليه امرأة من الغرفة فقال لها: يا أمة الله أن تصدقي علي بشيء! قالت: أي شيء تريد؟ قال: درهما. قالت: ليس. قال: فدانقا. قالت: ليس. قال: ففلسا. قالت: ليس. قال: فكسوة. قالت: ليس. قال: فكفا من دقيق. قالت: ليس. قال: فزيت، حتى عد كل شيء يكون في البيوت وهي تقول: ليس. فقال لها: يا زانية فما يجلسك؟ مري تصدقي معي.

قال صاحب العقد وقف أعرابي على حلقة يونس فقال: الحمد لله وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه إنا أناس قدمنا المدينة ثلاثون رجلا لا ندفن ميتا ولا نتحول من منزل وإن كرهناه فرحم الله عبدا تصدق على ابن سبيل ونضو طريق وفل سنة فإنه لا قليل من الأجر ولا غنى عن الله ولا عمل بعد الموت يقول الله عز وجل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة] إن الله لا يستقرض من عوز ولكن ليبلو خيار عباده.

قال أبو الحسن سمعت أعرابيا في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة ثلاث وخمسين ومائة وهو يقول أما بعد فإنا أبناء سبيل وأنضاء طريق وفل سنة تصدقوا علينا فإنه لا قليل من الأجر ولا غنى عن الله ولا عمل بعد الموت أما والله إنا لنقوم هذا المقام وفي الصدر حزازة وفي القلب غصة.

----

*(الجريش) غليظ الطعام *(هاض عظمه) كسره بعد الجبر (أنضلت) قالوا : أنضلت البعير : أعييته وهزلته.

■ (2) الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، له تصانيف كثيرة فى اللغة والشعر منها الأصمعيات. ولد في البصرة سنة 122 هـ وتوفي سنة 216 هـ .كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان هارون الرشيد يسميه شيطان الشعر. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

■ (3) حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي: فارس، شاعر، جواد، جاهلي. يضرب المثل بجوده. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيئ) قال ياقوت: وقبر حاتم عليه. شعره كثير، ضاع معظمه، وبقي منه (ديوان) صغير. وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب والتاريخ. وأرخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم.سنة46 ق هـ

■ (1) عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الوليد، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، فانتزع العراق من الخليفة ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. توفي سنة 86 هـ.

مراجع: البداية والنهاية / مسند أحمد/ صحيح البخاري/ سراج الملوك/ـمحض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ العقد الفريد/ مختصر تاريخ دمشق/ مقاييس اللغة/ أنساب الأشراف/ نثر الدر/

بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش[1] أن اكتب لي مناقب عثمان ومساوئ علي، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها*، وقال لرسوله: قل له هذا جوابك، فقال له الرسول: إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آته بجوابك، وتحمل عليه بإخوانه، فقالوا له: يا أبا محمد أنقذه من القتل، فلما ألحوا عليه كتب له: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد يا أمير المؤمنين، فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعلي رضي الله عنه مساوئ أهل الأرض ما ضرتك، فعليك بخويصة نفسك، والسلام. قال عيسى بن يونس:[2] ما رأيت الأغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته. وقال حميد: سمعت أبي يقول: سمعت الأعمش يقول: لا تنثروا اللؤلؤ تحت أظلاف الخنازير، يعني: لا تبذلوا العلم لمن لا يستحقه. وسأل منصور بن أبي الأسود: [3] الأعمش عن قوله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام] ما سمعتهم يقولون فيه؟ قال: سمعتهم يقولون: إذا فسد الناس أمر عليهم شرارهم.

----

*(لوك) لاك الشيء في فمه علكه وبابه قال ولاك الفرس اللجام.

■ (1) أبو محمد، سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد، المعروف بالأعمش الكوفي الإمام المشهور؛ كان ثقة عالماً فاضلاً، وكان أبوه من دنباوند (ناحية من رستاق الري في الجبال)، وقدم الكوفة وامرأته حامل بالأعمش فولدته بها؛ قال السمعاني: وهو لا يعرف بهذه النسبة، بل يعرف بالكوفي، وكان يقارن بالزهري في الحجاز، ورأى أنس ابن مالك وكلمه، ولكنه لم يرزق السماع عليه، وما يرويه عن أنس فهو إرسال أخذه عن أصحاب أنس. سمع داود بن سويد وأبا وائل وإبراهيم التيمي وسعيد بن جبير ومجاهداً والنخعي، ولقي كبار التابعين، قيل ولد بالكوفة في عاشوراء سنة 61 هـ وتوفي سنة 148هـ بالكوفة. وقيل سنة147 هـ، وقيل سنة 149 هـ.

■ (2) عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله الهمداني، الإمام، القدوة، الحافظ، الحجة، أبو عمرو، وأبو محمد الهمداني، السبيعي، الكوفي، المرابط بثغر الحدث، أخو الحافظ إسرائيل.، من الثامنة، قيل مات في نصف شعبان سنة 87 هـ، وقيل: سنة 91 هـ. وقال المروذي: عن أحمد: ثبت، وكنا نخبر أنه سنة في الغزو، وسنة في الحج، وقد قدم بغداد في شيء من أمر الحصون، فأمر له بمال، فأبى أن يقبله.

■ (3) منصور بن أبي الأسود، مولى لبني ليث، واسمه فيما قيل: حازم الليثي الكوفي. شيعي لكنه صدوق، وكان تاجرا، وكان كثير الحديث.وهو أخو الأسود بن أبي الأسود.

قال أنس بن مالك: يقولون لا يجتمع حب علي وعثمان في قلب رجل مؤمن كذبوا والله لقد جمع الله حبهما في قلوبنا. وعن عمر بن ذر، قال: إني لقائم مع الشعبي ذات يوم فأتاه رجل فقال: ما تقول في علي وعثمان؟ فقال: إني لغني أن يطلبني علي وعثمان يوم القيامة بمظلمة. وكان ابن عمر، يقول: لا تسبوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره. وعن ابن أبي مليكة قال: ما خص عمر أحدا من أهل الشورى دون أحد إلا أنه خلا بعلي وعثمان كل واحد منهما على حدة فقال: يا فلان اتق الله فإن ابتلاك الله بهذا الأمر فلا ترفع بني فلان على رقاب الناس وقال للآخر مثل ذلك. وعن حسن بن محمد قال: قال عمر لعثمان: اتق الله وإن وليت شيئا من أمور الناس فلا تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس وقال لعلي: اتق الله، وإن وليت شيئا من أمور الناس فلا تحمل بني هاشم على رقاب الناس.

عن عمرو بن شرحبيل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ يُعْطُونَ الشَّهَادَةَ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلُوهَا﴾ وعن عبد الله بن مولة، قال: كنت أسير مع أبي برزة الأسلمي فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَكُونُ فِيهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ﴾ وعن عبد الله بن مولة قال:﴿بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ بِالْأَهْوَازِ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَسِيرُ بَيْنَ يَدَيَّ عَلَى بَغْلٍ أَوْ بَغْلَةٍ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ ذَهَبَ قَرْنِي مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ فَأَلْحِقْنِي بِهِمْ. فَقُلْتُ وَأَنَا فَأَدْخِلْ فِي دَعْوَتِكَ. قَالَ وَصَاحِبِي هَذَا إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي مِنْهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ -قَالَ وَلاَ أَدْرِى أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لاَ- ثُمَّ تَخْلُفُ أَقْوَامٌ يَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ يُهَرِقُونَ الشَّهَادَةَ وَلاَ يَسْأَلُونَهَا﴾ قال فإذا هو أبو برزة الأسلمي. وفي لفظ: أبو بردة ولعله خطأ مطبعي أو نسخي؛ فإنه لا وجود لأبي بردة الأسلمي في الصحابة.

وعن محمد بن تمام البهراني بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: يا ويح لبيد حيث يقول: ذهب الذين يعاش في أكنافهم.. وبقيت في خلف كجلد الأخرب. قالت عائشة: فكيف لو أدرك زماننا هذا؟ قال عروة: رحم الله عائشة، كيف لو أدركت زماننا هذا؟ قال الزهري: رحم الله عروة، كيف لو أدرك زماننا هذا؟ قال الزبيدي: رحم الله الزهري، كيف لو أدرك زماننا هذا؟ قال: محمد بن مهاجر: رحم الله الزبيدي، كيف لو أدرك زماننا هذا؟ قال عثمان: رحم الله محمد بن مهاجر، كيف لو أدرك زماننا هذا؟ قال عمرو: رحم الله أبي، كيف لو أدرك زماننا هذا؟ قال محمد بن تمام: رحم الله عمرا، كيف لو أدرك زماننا هذا؟ قال علي: رحم الله محمدا، كيف لو أدرك زماننا هذا؟ قال القاضي: رحم الله عليا، كيف لو أدرك زماننا هذا؟ قال عبد العزيز: رحم الله القاضي، كيف لو أدرك زماننا هذا؟ قال الفقيه: رحم الله عبد العزيز، كيف لو أدرك زماننا هذا؟ قال الحافظ: رحم الله الفقيه، كيف لو أدرك زماننا هذا؟ قال أبو البركات: رحم الله الحافظ، كيف لو أدرك زماننا هذا؟

☪

اشتهر الأعمش بين الناس بالقناعة وعزة النفس والشجاعة في الحق، وكثرة ذكره للموت. وعرف بين أصحابه ومعاصريه بظرفه وفكاهته، فقد جاءه أصحاب الحديث يوما ليسمعوا عليه، فخرج إليهم، وقال: لولا أن في منزلي من هو أبغض إلي منكم ما خرجت إليكم. وأراد إبراهيم النخعي أن يماشيه فقال الأعمش: إن الناس إذا رأونا معاً قالوا: أعور وأعمش، قال النخعي: وما عليك أن نؤجر ويأثموا فقال له الأعمش: وما عليك أن يسلموا ونسلم. وجاء رجل يطلبه في منزله ووصل وقد خرج مع امرأته إلى المسجد فجاء فوجدهما في الطريق فقال: أيكما الأعمش فقال الأعمش: هذه، وأشار إلى المرأة. وطلبه رجل يقال له أبو ليلى مكفوف ليصلح بينه وبين زوجته، فقال الرجل لزوجته: لا تنظري إلى عموشة عينيه، وحموشة ساقيه، فإنه إمام. فقالت: ما لديوان الرسائل أريده. فقال الأعمش: يا أعمى، أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك، قد أخبرتها بعيوبي كلها؛ اخرج من بيتي.

قال محمد بن حميد، حدثنا جرير قال: جئنا الأعمش يوما فوجدناه قاعدا في ناحية فجلسنا في ناحية أخرى وفي الموضع خليج من ماء المطر، فجاء الأعمش رجل عليه، فلما بصر بالأعمش وعليه فروة حقيرة قال: قم فعبرني هذا الخليج، وجذب يده وأقامه وركبه وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج فرمى به وقال: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ثم خرج وترك الأسود يخبط في الماء. ويقال إن الإمام أبا حنيفة عاده يوما في مرضه، فطول القعود عنده، فلما عزم على القيام قال له: ما كأني إلا ثقلت عليك، فقال: والله إنك لتثقل علي وأنت في بيتك. وعاده أيضا جماعة فأطالوا الجلوس عنده فضجر منهم، فأخذ وسادته وقام وقال: شفى الله مريضكم بالعافية؛ وقيل عنده يوما: قال صلى الله عليه وسلم: من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه. فقال: ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني. وكانت له نوادر كثيرة رحمه الله.

عن أبي بكر بن عياش قال: دخلت على الأعمش في مرضه الذي توفي فيه، فقلت: أدعو لك الطبيب؟ قال: ما أصنع به؟ لو كانت نفسي معي لطرحتها في الحش، إذا أنا مت فلا تؤذنن بي أحدا، واذهب بي واطرحني في لحدي. قال ابن المديني: للأعمش نحو ألف وثلاثمائة حديث. قال وكيع بن الجراح: كان الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى. وقال عمر بن علي: كان الأعمش يسمى المصحف من صدقه.

مراجع: شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ البصائر والذخائر/ من أعلام السلف/ وفيات الأعيان/ مصنف ابن أبي شيبة/ صفة الصفوة/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ مختصر تاريخ دمشق/ المعجم الوسيط/ـمختار الصحاح/ مختصر تاريخ دمشق/

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) والكميت، الشاعر 0552

من العقد لابن عبد ربه: كان الكميت[1] الشاعر المشهور مادح أهل البيت يمدح بني هاشم، ويعرض ببني أمية، فطلبه هشام بن عبد الملك، فهرب عنه، فكان مطردا عشرين سنة لا يستقر له قرار؛ خوفا من هشام، وكان مسلمة بن عبد الملك[2] أخو هشام له حاجة على هشام يقضيها له كل سنة، ولا يرده فيها كائنة ما كانت، فخرج مسلمة إلى بعض حروبه، ثم أتى، فأتاه الناس يسلمون عليه، وأتاه من جملتهم الكميت بن زيد، فقال: السلام عليك أيها الأمير، أما بعد: من مجزوء الكامل: قف بالديار وقوف زائر..وتأي إنك غير صاغر. حتى انتهى إلى قوله: يا مسلم يا بن الولي..د لميت إن شئت ناشر..علقت حبالي من حبا..لك ذمة الرجل المجاور..فالآن صرت إلى أمي..ية والأمور لها مصاير..والآن كنت به المصي..ب لمهتد بالأمس حائر. فقال مسلمة: سبحان الله، من هذا الهندكي الجلحاب الذي أقبل من أخريات الناس، فبدأ بالسلام، ثم أما بعد، ثم الشعر؟ قيل له: الكميت، فأعجب به وبفصاحته، فذكر له الكميت بعد أن تم إنشاده رعبه من هشام، وطول تشرده، فضمن له مسلمة أمانه، وتوجه حتى أدخله على هشام، وهو لا يعرفه، فقال الكميت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، الحمد لله، فقال هشام: نعم، الحمد لله يا هذا، فقال الكميت مبتدئ الحمد ومبتدعه، واستمر في خطبة طويلة بديعة فيها قوله: تهت في حيرة، وحرت في سكرة، ادلأم بي خطرها، وأهاب بي داعيها، فأجابني غاويها، فاقطوطيت إلى الضلالة، وتسكعت في الظلمة والجهالة، جائرا عن الحق، قائلا بغير الصدق، فهذا مقام العائذ، ومنطق التائب اللائذ، ومصير الهداية بعد العمي، يا أمير المؤمنين، كم من عاثر أقلتم عثرته، ومجترم عفوتم عن جرمه..إلى آخر ما قال، فقال هشام: ويحك من سن لك الغواية، وأهاب بك في الغيابة؟ فقال الكميت: الذي أخرج أبي من الجنة، ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه] وهو مترصد لبنيه، فعفا عنه هشام.

روي صاحب العقد قال كان الكميت بن زيد الأسدى يمدح بني هاشم ويعرض ببني أمية فطلبه هشام فهرب منه عشرين سنة لا يستقر به القرار من خوف هشام وكان مسلمة بن عبد الملك له على هشام حاجة في كل يوم يقضيها له ولا يرده فيها فلما خرج مسلمة يوما إلى بعض صيوده أتى الناس يسلمون عليه وأتاه الكميت بن زيد فيمن أتي فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد: قف بالديار وقوف زائر..وتأن إنك غير صاغر. حتى انتهى إلى قوله: يا مسلم بن أبي الوليد لميت إن شئت ناشر..علقت حبالي من حبالى..ذمة الجار المجاور..فالآن صرت إلى أمية والأمور إلى المصاير..والآن كنت به المصيب كمهتد بالأمس حائر. فقال مسلمة: سبحان الله، من هذا الهندكي الجلحاب الذي أقبل من أخريات الناس، فبدأ بالسلام، ثم أما بعد، ثم الشعر قيل له: هذا الكميت بن زيد، فأعجب به لفصاحته وبلاغته، فسأله مسلمة عن خبره وما كان فيه طول غيبته، فذكر له سخط أمير المؤمنين عليه، فضمن له مسلمة أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام، وهشام لا يعرفه، فقال الكميت: السلام عليك، يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، الحمد لله، قال هشام: نعم الحمد لله، ما هذا؟ قال الكميت: مبتدئ الحمد ومبتدعه الذي خص بالحمد نفسه، وأمر به ملائكته، جعله فاتحة كتابه ومنتهى شكره، وكلام أهل جنته، أحمده حمد من علم يقينا، وأبصر مستبينا، وأشهد له بما شهد به لنفسه قائما بالقسط وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده العربي، ورسوله الأمي، أرسله والناس في هفوات حيرة ومدلهمات ظلمة عند استمرار أبهة الضلال، فبلغ عن الله ما أمر به ونصح لأمته وجاهد في سبيله، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، ثم إني يا أمير المؤمنين، تهت في حيرة وحرت في سكرة ادلأم بي خطرها، وأهاب بي داعيها، وأجابني غاويها، فاقطوطيت إلى الضلالة، وتسكعت في الظلمة والجهالة، جائرا عن الحق، قائلا بغير صدق، فهذا مقام العائذ، ومنطق التائب، ومبصر الهدى بعد طول العمى، يا أمير المؤمنين، كم من عاثر أفلتم عثرته، ومجترم عفوتم عن جرمه، فقال له هشام: وأيقن أنه الكميت، ويحك من سن لك الغواية، وأهاب بك في العماية؟ قال: الذي أخرج أبي آدم من الجنة، ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه]، وأمير المؤمنين كريح رحمة أثارت سحابا متفرقا، فلفقت بعضه إلى بعض، حتى التحم، فاستحكم هدر رعده وتلألؤ برقه، فنزل الأرض، فرويت، واخضلت، واخضرت، وأسقيت، فروي ظمآنها، وامتلأ عطشانها، فكذلك نعدك أنت يا أمير المؤمنين، أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد العموس فيها، وحقن بك دماء قوم، أشعر خوفك قلوبهم، فهم يبكون لما يعلمون من حزمك، وبصيرتك، وقد علموا أنك الحرب وابن الحرب إذا احمرت الحدق، وعضت المغافير بالهام، عز بأسك، واستربط جأشك مسعار هتان وكاف بصير بالأعداء مغري الخيل بالنكراء مستغن برأيه عن رأي ذوي الألباب برأي أريب ،وحلم مصيب، فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء، وتمم عليه النعماء، ودفع به الأعداء، فرضي عنه هشام، وأمر له بجائزة.

■ (1) الكميت بن زيد بن خنس الاسدي، أبو المستهل: شاعر الهاشميين. من أهل الكوفة. اشتهر في العصر الاموي. وكان عالما بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، ثقة في علمه، منحازا إلى بني هاشم، كثير المدح لهم، متعصبا للمضرية على القحطانية. وهو من أصحاب الملحمات. أشهر شعره الهاشميات وهي عدة قصائد في مدح الهاشميين، ويقال: إن شعره أكثر من خمسة آلاف بيت، قال أبو عبيدة: لو لم يكن لبني أسد منقبة غير الكميت، لكفاهم. وقال أبو عكرمة الضبي: لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان. اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في شاعر: كان خطيب بني أسد، وفقيه الشيعة، وكان فارسا شجاعا، سخيا، راميا لم يكن في قومه أرمى منه. وقال الميداني: الكميت ثلاثة: الكميت ابن ثعلبة، ثم الكميت بن معروف، ثم الكميت بن زيد، وكلهم من بني أسد. توفي سنة 126 هـ.

■ (2) أبو سعيد، مسلمة بن عبد الملك، أمير أُموي، وقائد عسكري، وابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب) ولد سنة 66 هـ وتوفي سنة121 هـ.

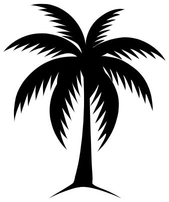

حكى الزبير بن بكار: قال هشام لأبي النجم الفضل بن قدامة العجلي: صف لي إبلا، قال أبو النجم: فذهب بي الروي إلى أن قلت: من الرجز: وصارت الشمس كعين الأحول. فغضب هشام، فقال: أخرجوا هذا، ثم بعد مدة أدخلت عليه، فقال: هل لك أهل؟ قلت: نعم، وابنتان، قال: زوجتهما؟ قلت: إحداهما، قال: فما أوصيتها؟ قلت: من الرجز: أوصيت من برة قلبا حرا..بالكلب خيرا والحماة شرا..لا تسأمي خنقا لها وجرا..والحي عميهم بشر طرا..وإن حبوك ذهبا ودرا..حتى يروا حلو الحياة مرا. فضحك هشام، واستلقى، وقال: ما هذه وصية يعقوب بنيه، قلت: يا أمير المؤمنين، ولا أنا مثل يعقوب، عليه السلام، قال: فما زدتها؟ قلت: من الرجز: سبى الحماة وابهتي عليها..وإن نأت فأزلفي إليها..واقرعي بالود مرفقيها..مظاهر اليد به عليها. قال: فما فعلت أختها؟ قلت: درجت بين أبيات الحي، فنفعتنا، قال: فما قلت فيها؟ قال: قلت: من السريع أو الرجز: كأن ظلامة أخت شيبان..يتيمة ووالداها حيان..ألرأس قفل كله وصوبان..وليس في الرجلين إلا خيطان..فهي التي يذعر منها الشيطان. فوصلني هشام بدنانير، وقال: اجعلها في رجلي ظلامة، وهذا أبو النجم هو القائل: من الرجز: أنا أبو النجم وشعري شعري.

مراجع: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ الأعلام للزركلي/ جمهرة خطب العرب/

حج هشام بن عبد الملك في خلافة عبد الملك أو الوليد، فطاف بالبيت وأراد أن يستلم الحجر فلم يقدر عليه من الزحام، فنصب له منبر، فجلس عليه، وأطاف به أهل الشام. فبينا هو كذلك إذ أقبل علي بن حسين (زين العابدين) [1]،عليه إزار ورداء، أحسن الناس وجها، وأطيبهم رائحة، بين عينيه سجادة كأنها ركبة عنز، فجعل يطوف بالبيت، فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحى الناس له عنه حتى يستلمه هيبة له وإجلالا، فغاظ ذلك هشاما، فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فأفرجوا له عن الحجر؟ فقال هشام: لا أعرفه، لئلا يرغب فيه أهل الشام؛ فقال الفرزدق[2] وكان حاضرا: لكني أعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فقال الفرزدق [من البسيط] : هذا الذي تعرف البطحاء وطأته..والبيت يعرفه والحل والحرم..هذا ابن خير عباد الله كلهم..هذا التقي النقي الطاهر العلم..إذا رأته قريش قال قائلها..إلى مكارم هذا ينتهي الكرم.حتى انتهى إلى قوله: من يعرف الله يعرف أولية ذا..فالدين من بيت هذا ناله الأمم.

قال: فغضب هشام، وأمر بحبس الفرزدق، فحبس بعسفان بين مكة والمدينة، فبلغ ذلك علي بن الحسين، فبعث إلى الفرزدق باثني عشر ألف درهم، وقال: اعذر أبا فراس، لو كان عندنا أكثر منها لوصلناك بها. فردها وقال: يا بن رسول الله: ما قلت الذي قلت إلا غضبا لله ولرسوله ما كنت لأرزأ عليها شيئا. فردها إليه، وقال: بحقي عليم لما قبلتها، فقد رأى الله مكانك، وعلم نيتك، فقبلها وهجا هشاما، فكان مما قال فيه [من الطويل] : يحبسني بين المدينة والتي..إليها قلوب الناس يهوي منيبها..يقلب رأسا لم تكن رأس سيد..وعينين حولاوين باد عيوبها.

■ (2) الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم أبو فراس بن أبي خطل التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن أبي هريرة، والحسين، وابن عمر، وأبي سعيد، وطائفة. وعنه الكميت، ومروان الأصفر، وخالد الحذاء، وأشعث الحمراني، والصعق بن ثابت، وابنه لبطة، وحفيده أعين بن لبطة.ولد الفرزدق سنة 38 هـ، و توفي في البصرة سنة 110 هـ.

■ (1) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ألقابه: السجاد، زين العابدين. ويكنى أبو الحسن، أبو محمد، ولد في المدينة المنورة سنة 38 هـ وتوفي فيها سنة 95 هـ، وقيل غير ذلك ودفن بالبقيع. أيضا من أولاد الحسين: علي الأكبر، وعلي الأصغر وكانوا من شهداء كربلاء.

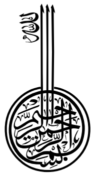

قال عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب: جاء نفر إلى علي بن حسين، فأثنوا عليه، فقال: ما أكذبكم وأجرأكم على الله، لسنا كما تقولون لنا، ولكنا قوم من صالحي قومنا وكفانا، أو بحسبنا أن نكون من صالحيهم. وعنه قال: يا أهل العراق، أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شينا. وفي رواية: حتى صار سبة. وفي رواية: حتى صار علينا عارا، أو صار علينا عتبا. وفي رواية: مازال بنا ما تقولون حتى بغضتمونا إلى الناس. وقال علي بن الحسين: لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم. ولا اصطحب اثنان على غير طاعة الله إلا أوشك أن يتفرقا على غير طاعة الله.

قال علي بن الحسين: إن للحمق دولة* على العقل، وللمنكر دولة على المعروف، وللشر دولة على الخير، وللجهل دولة على الحلم، وللجزع دولة على الصبر، وللخرق دولة على الرفق، وللبؤس دولة على الخصب، وللشدة دولة على الرخاء، وللرغبة دولة على الزهد، وللبيوتات الخبيثة دولة على بيوتات الشرف، وللأرض السبخة دولة على الأرض العذبة، وما من شيء إلا وله دولة حتى تنقضي دولته، فتعوذوا بالله من تلك الدول، ومن الحيات في النقمات*.

قال عبد الله بن صالح العجلي: أبطأ عن علي بن الحسين أخ له كان يأنس به، فسأله عن إبطائه، فأخبره أنه مشغول بموت ابن له، وأن ابنه كان من المسرفين على نفسه. فقال له علي بن الحسين: إن من وراء ابنك لثلاث خلال: أما أولها: فشهادة أن لا إله إلا الله. وأما الثانية: فشفاعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما الثالثة: فرحمة الله التي وسعت كل شيء. قال المدائني: قارف الزهري ذنبا فاستوحش من ذلك، وهام على وجهه، فقال له علي بن الحسين: يا زهري، قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك، فقال الزهري: الله أعلم حيث يجعل رسالاته. فرجع إلى ماله وأهله. وعن يزيد بن عياض قال: أصاب الزهري دما خطأ، فخرج وترك أهله وضرب فسطاطا وقال: لا يظلني سقف بيت، فمر به علي بن حسين، فقال: يا بن شهاب، قنوطك أشد من ذنبك، فاتق الله واستغفر، وابعث إلى أهله بالدية، وارجع إلى أهلك؛ فكان الزهري يقول: علي بن حسين أعظم الناس علي منة.

سمع علي بن الحسين يغتاب رجلا، فقال: إياك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس. وكان علي بن الحسين يلبس كساء خز* بخمسين دينارا يلبسه في الشتاء، فإذا كان الصيف تصدق به، أو باعه فتصدق بثمنه. وكان يلبس في الصيف ثوبين ممشقين من متاع مصر، ويلبس ما دون ذلك من الثياب، ويقرأ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف] وحدث علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد قال: كان علي بن الحسين إذا سار على بغلته في سكك المدينة لم يقل لأحد: الطريق وكان يقول: الطريق مشترك، ليس لي أن أنحي أحدا عن الطريق. وله أحاديث ومناقب كثيرة رحمه الله.

قال ياقوت الحموي: كان مروان بن الحكم قد طرد الفرزدق من المدينة لأمر أنكره عليه وكان الفرزدق قد هرب من زياد، قال الفرزدق: فخرجت أريد اليمن حتى صرت بأعلى ذي قسي وهو طريق اليمن من البصرة إذا رجل قد أقبل فأخبرني بموت زياد، فنزلت عن الراحلة وسجدت شكرا لله تعالى، فرجعت فمدحت عبيد الله بن زياد وهجوت مروان، فقلت: وقفت بأعلى ذي قسي مطيتي أمثل في مروان وابن زياد فقلت عبيد الله خيرهما أبا وأدناهما من رأفة وسداد.

----

*(الدولة) الاستيلاء والغلبة والشيء المتداول من مال أو نحو ذلك (النقمات) وفي المختصر: النعمات.(الخز) ثياب تنسج من صوف وحرير

مراجع: شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ البصائر والذخائر/ من أعلام السلف/ وفيات الأعيان/ مصنف ابن أبي شيبة/ صفة الصفوة/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ مختصر تاريخ دمشق/ المعجم الوسيط/ـمختار الصحاح/ معجم البلدان/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وابن شهاب الزهري، وسليمان بن يسار 0554

قال الشافعي: حدثنا عمي قال: سأل هشام بن عبد الملك، سليمان بن يسار[1] عن تفسير قوله تعالى في قصة الإفك: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور]فقال هشام: من الذي تولى كبره فيه؟ قال سليمان: هو عبد الله بن أبي بن سلول، فقال هشام: كذبت! إنما هو علي بن أبي طالب –ويظهر أن هشاما لم يكن جادا فيما يقول، ولكنه يريد أن يختبر شدتهم في الحق–، فقال سليمان بن يسار: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، ثم وصل ابن شهاب[2]، فقال له هشام: من الذي تولى كبره منهم؟ فقال الزهري: هو عبد الله بن أبي بن سلول، فقال له هشام: كذبت، إنما هو علي بن أبي طالب، قال الزهري وقد امتلأ غضبا: أنا أكذب؟! لا أبا لك!، فوالله لو ناداني مناد من السماء: بأن الله أحل الكذب ما كذبت.. حدثني سعيد وعروة وعبيد الله وعلقمة بن وقاص، عن أم المؤمنين عائشة: أن الذي تولى كبره منهم هو عبد الله بن أبي بن سلول، قال الشافعي –وهو راوي هذا الخبر–: فما زالوا يغرون به هشاما حتى قال له: ارحل، فوالله! ما كان ينبغي لنا أن نحمل عن مثلك –وكان الزهري تركبه الديون لكثرة كرمه فيقضي عنه الخلفاء ديونه الفترة بعد الفترة– قال ابن شهاب: ولم ذاك؟ أنا اغتصبتك على نفسي؛ أو أنت اغتصبتني على نفسي؟ فخل عني، قال له هشام: لا ولكنت استدنت ألفي ألف (مليونين) فقال الزهري: قد علمت وأبوك قبلك أني ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك، ثم خرج الزهري مغضبا، فقال هشام: إنا نهيج الشيخ!.. ثم أمر فقضى عنه من دينه ألف ألف؛ فأخبر بذلك فقال: الحمد لله الذي هذا هو من عنده!..

عن رجاء بن أبي سلمة قال: قضى هشام بن عبد الملك عن الزهري أربعة آلاف دينار ثم قال: لعلك عائدا للدين يا ابن شهاب؟ قال: لا يا أمير المؤمنين سمعت سعيد ابن المسيب[3] يقول: ﴿لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ﴾ قال رجاء: فحدثني يونس عن الزهري: أنه عاد إلى الدين، ولكن كانت له عقدة وفاء لدينه. وحدث إبراهيم بن سعد[4] عن أبيه: إن هشام بن عبد الملك قضى دين ابن شهاب ثمانين ألف درهم. وسمعت أبي وهو يعاتب ابن شهاب في الدين ويقول: قد قضى عنك هشام بن عبد الملك ثمانين ألفا، وقد عرفت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين. فقال ابن شهاب لأبي: إني أعتمد على مال الله لو بقيت لي هذه المشربة ثم ملئت لي أسفلها ذهبا أو ورقا –قال إبراهيم أنا أشك أي ذلك قال– ما رأيته عوضا من مالي. قال إبراهيم: وهو إذ ذاك في مشربة.

حدث إبراهيم بن سعد قال: سمعت ابن شهاب يحدث أبي قال: أرسل إلي هشام بن عبد الملك: أن أكتب لبني بعض أحاديثك. فقلت: لو سألتني عن حديثين ما تابعت بينها، ولكن إن كنت تريده فادع كاتبا فإذا اجتمع إلي الناس يسألوني كتبت لهم ما تريد. قال: فأرسل كاتبا ومكث سنة، ما يأتي يوم إلا ملأته. قال: فلقيني بعض بني هشام فقال لي: يا أبا بكر ما أرانا إلا قد أنقصناك. قال ابن شهاب: فقلت له: إنما كنت في عزاز الأرض إنما هبطت بطون الأودية اليوم.

حدث الوليد بن مسلم عن سعيد: أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يملي على بعض ولده، فدعا بكاتب فأملى عليه أربع مائة حديث، ثم خرج الزهري من عند هشام قال: أين أنتم يا أصحاب الحديث: فحدثهم بتلك الاربع مائة حديث، ثم أقام هشام شهرا أو نحوه، ثم قال للزهري: إن ذلك الكتاب الذي أمليت علينا قد ضاع. قال: فلا عليك ادع بكاتب. فدعا بكاتب فحدثه بالاربع مائة حديث، ثم قابل هشام بالكتاب الأول فإذا هو لا يغادر حرفا واحدا. وحدث عبد الرزاق عن معمر قال: سمعت الزهري يقول: كنا نكره الكتاب حتى أكرهنا عليه الأمراء، فرأيت أن لا أمنعه مسلما.

قال أبو الحسن المدائني:[4] خرج الزهري يوما من عند هشام بأربع، قيل له: وما هن؟ قال: دخل رجل على هشام فقال: يا أمير المؤمنين، احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك. فقال: هاتهن. فقال: لا تعدن عدة لا تثق من نفسك بإنجازها. قال: هذه واحدة فهات الثانية. قال لا يغرنك المرتقى وإن كان سهلا إذا كان المنحدر وعرا. قال: هات الثالثة. قال: واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب. قال: هات الرابعة. قال: واعلم أن الأمور بغتات فكن على حذر.

في رواية قال الزهري: لقد تكلم اليوم رجل عند أمير المؤمنين، ما سمعت كلاما أحسن منه. قال له: يا أمير المؤمنين، اسمع مني أربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك. قال: ما هن؟ قال: لا تعدن أحدا عدة وأنت لا تريد إنجازها، ولا يغرنك مرتقى سهل إذا كان المنحدر وعرا، واعلم أن للأعمال آخرا فاحذر العواقب، وأن الدهر تارات فكن على حذر.

■ (2) محمد بن شهاب الزهري؛ محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي هكذا نسبه مصعب الزبيري وغيره ليس في ذلك اختلاف قال مصعب وأمه من بني الدئل بن عبد مناة بن كنانة قال أبو عمر كنيته أبو بكر وكان من علماء التابعين وفقهائهم مقدم في الحفظ والإتقان والرواية والاتساع إمام جليل من أئمة الدين أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم منهم أنس بن مالك وسهل بن سعد وعبد الرحمن بن أزهر الزهري وسنين أبو جميلة السلمي ومنهم عبد الله بن عمر.ولد الزهري سنة 51 هـ وقيل سنة 58 هـ في آخر خلافة معاوية. ومات سنة 124 هـ في شهر رمضان ليلة 17 منه وهو ابن 66 سنة وذلك قبل موت هشام بعام. وقيل إنه مات وهو ابن 72 سنة ودفن بموضع يقال له إدامى وهي خلف شغب وبدا وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز.

■ (1) سليمان بن يسار الهلالي المدني. أبو أيوب = يقال أبو عبد الرحمن، ويقال ابو عبد الله = مولى ميمونة وقيل أم سلمة ثقة فاضل أحد الفقهاء السبعة من كبار الثالثة مات بعد المائة وقيل قبلها. قيل توفي سنة 107 هـ. وقيل 103 هـ وهو ابن 73 سنة. أسند سليمان عن أبي هريرة وابن عمرو، وابن عباس، وأم سلمة، في خلق كثير من الصحابة. روى عنه الزهري وجماعة من الأكابر. وكان المستفتي إذا أتى سعيد بن المسيب يقول له: اذهب إلى سليمان بن يسار، فإنه أعلم من بقي اليوم. قال قتادة: قدمت المدينة، فسألت من أعلم أهلها بالطلاق فقالوا: سليمان بن يسار. وكان سليمان المذكور أخا عطاء بن يسار، وكان عالما ثقة عابدا ورعا ؛ قال الحسن بن محمد: سليمان بن يسار عندنا أفهم من سعيد بن المسيب، ولم يقل أعلم ولا أفقه. وعن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: كان سليمان بن يسار يصوم الدهر وكان عطاء بن يسار يصوم يوما ويفطر يوما.

■ (5) أبو الحسن المدائني علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف أبو الحسن المعروف بالمدائني الإخباري، مولى عبد الرحمن بن سمرة القرشي، سكن المدائن ثم بغداد، صاحب المصنفات المشهورة. عالما بالمغازي والسير والأنساب وأيام العرب.ولد سنة 135هـ ومات سنة 225هـ.

■ (3) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم، الإمام أبو محمد القرشي المخزومي المدني، الملقب بعالم أهل المدينة، وبسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، وقيل: لسنتين مضتا منها. ورأى عمر، وسمع: عثمان، وعليا، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبا موسى الأشعري، وأبا هريرة، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن زيد المازني، وأم سلمة، وطائفة من الصحابة.قيل توفي سنة 94 هـ وقيل سنة 93 هـ وقيل سنة 91 أو 92 هـ.قال أبو عبد الله الحاكم: فأما أئمة الحديث فأكثرهم على أنه توفي سنة 105 هـ

■ (4) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري،الإمام أبو إسحاق القرشي المدني سمع أباه، والزهري، وصفوان بن سليم، وصالح بن كيسان، ويزيد بن الهاد، وابن إسحاق، والوليد بن كثير، وطائفة. كان من العلماء الثقات عاش خمسا وسبعين سنة. وولي قضاء المدينة، وقد كان أبوه أيضا قاضيها. مات ستة185 هـ

حدث داؤد بن عبد الله بن أبي الكرام الجعفري قال: سمعت مالك بن أنس يقول: كان ابن شهاب من أسخى الناس، فلما أصاب تلك الأموال قال له مولى له –وهو يعظه– : قد رأيت ما مر عليك من الضيق والشدة فانظر كيف تكون وأمسك عليك مالك. فقال ابن شهاب: ويحك إني لم أر الكريم تحكمه التجارب. حدث مالك عن ابن شهاب: أنه كان يشق الزق الذي فيه العسل فيلعق الناس. قال مالك ولم يكن ابن المسيب ولا غيره يفعل مثل هذا. قال ضمرة: كان يشتري تمر الصدقة، ثم يدعوا إليه الأعراب فيقسمه بينهم.حدث عمرو قال: ما رأيت أحدا أنس للحديث من ابن شهاب، وما رأيت الدينار والدرهم أهون منه على ابن شهاب. قال سفيان: سئل الزهري عن الزهد في الدنيا ؟ فقال: هو من لم يمنع الحلال شكره، ولم يغلب الحرام صبره.وقال: قالوا للزهري في حديث ذكره: أعده علينا. قال: إعادة الحديث أشد من نقل الصخر. وحدث شعيب عن الزهري قال: مكثت خمسا وأربعين سنة أختلف من الحجاز إلى الشام ومن الشام إلى الحجاز فما كنت أسمع حديثا أستطرفه.حدث عبد الرزاق عن معمر قال: سمعت الزهري، وقيل له أنهم يقولون أنك لم تحدث عن الموالي ؟ قال وما أصنع بالموالي وأنا أجد أبناء المهاجرين والأنصار أتكيء على أيهم شئت. قال: وسمعت الحجاج بن أبي منيع الرصافي يقول: أقام الزهري بالرصافة عشرين سنة إلا أربعة أشهر خلافة هشام كلها إلا أن يكون حج فاستمكنوا منه. حدث عبد الرزاق قال: قال معمر: كنا نرى أنا قد أكثر عن الزهري حتى قتل الوليد، فأخرجت دفاتر الزهري قد حملت على الدواب. حدث علي بن حوشب الفزاري قال: سمعت مكحولا وذكر الزهري فقال: كل كليلة –وكانت به لكنة– فقال يزيد: قل قليلة أي رجل هو لولا أفسد نفسه بصحبة الملوك.قال سفيان:مات الزهري يوم مات وليس أحد أعلم بالسنة منه.

☪

قال أسامة سليمان: ظهر النفاق في المدينة بعد غزوة بدر، فمكة لم يكن فيها نفاق، فقد كان المؤمنون في مكة يؤذون ويضطهدون ويخرجون ويعذبون، ثم بعد غزوة بدر ظهر النفاق في المدينة، وقد حذر ربنا عز وجل من أهل النفاق في القرآن الكريم، وكان عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق وصاحب حادثة الإفك، قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور] أي كان السبب في عظمه، أو حمل معظمه، أو تحمل إثمه أو وزره (قرئ بكسر الكاف وضمها) والضمير فيه يعود على الإفك، والمشهور أن الذي تولي كبره هو عبد الله بن أبي رأس النفاق فهو الذي أوقع حديث الإفك واختلقه وأشاعه وهو الذي قال:﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون] ويقصد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، أي: ليخرج من المدينة الأعز ذليلا، فلما وصلت هذه الكلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال له ولده عبد الله بن عبد الله، فابنه صحابي كـ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط صحابية وأبوها كافر: يا رسول الله! مرني أن أقتل أبي إن شئت، حتى لا يقتله غيري فأعير به فأقتله، فأكون قد قتلت مسلما بكافر. فإن أردت أن تقتله فمرني أنا فآتيك برأسه، وهذا ولاء وبراء. قال: لا نريد أن نقتله.قال: يا رسول الله! والله لن يدخلها –أي: المدينة– حتى يعلم من الأعز ومن الأذل. ثم وقف على باب المدينة إلى أن جاء أبوه، فقال: دعني أدخلها. قال: لن تدخل المدينة إلا أن تقول: أنا الأذل ورسول الله الأعز. فقال عبد الله بن أبي: أنا الأذل ورسول الله الأعز، فسمح له بدخولها. وموقف الابن هنا عزة وكرامة للإسلام، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون]

مراجع: سلسلة من أعلام السلف/ مسند أحمد/ شرح صحيح البخاري/ صفة الصفوة / معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ العقد الفريد/ تاريخ مدينة دمشق/ موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر/ لسان العرب/ القلائد من فرائد الفوائد/ الوافي بالوفيات

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وإبراهيم بن محمد بن طلحة 0555

قال العتبي:[1] إني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك، إذ أقبل إبراهيم بن محمد بن طلحة[2] وصاحب حرس هشام، حتى قعدا بين يديه، فقال: إن أمير المؤمنين جراني في خصومة بينه وبين إبراهيم. فقال القاضي: شاهديك على الجراية (أي الوكالة) قال أتراني قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل، وليس بيني وبينه إلا هذه السترة (الستارة)؟ قال: بلى، ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك إلا ببينة. قال: فقام الحرسي فدخل إلى هشام فأخبره، فلم نلبث أن قعقعت الأبواب وخرج الحرسي فقال: هذا أمير المؤمنين. وخرج هشام، فلما نظر إليه القاضي قام، فأشار إليه وبسط له مصلى، فقعد عليه وإبراهيم بين يديه، وكنا حيث نسمع بعض كلامهم ويخفى عنا بعضه. قال: فتكلما وأحضرا البينة. فقضى القاضي على هشام. فتكلم إبراهيم بكلمة فيها بعض الخرق، فقال: الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك. فقال له هشام: لقد هممت أن أضربك ضربة ينتثر منها لحمك عن عظمك. قال: أما والله لئن فعلت لتفعلنه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق. فقال هشام: استرها علي! قال: لا ستر الله علي إذا ذنبي يوم القيامة إن سترتها. قال: فإني معطيك عليها مائة ألف. قال إبراهيم: فسترتها عليه حياته ثمنا لما أخذت منه، وأذعتها بعد مماته تزيينا له.

روى الزبير بن أبي بكر، قال: فأخبرني عمي مصعب بن عبد الله[3]،قال: إن هشاما قدم حاجا وقد كان تظلم منه إلى عبد الملك بن مروان في دار ابن علقمة[4]التي بين الصفا والمروة وكان لآل طلحة شيء منها، فأخذه نافع بن علقمة الكناني[5]وهو خال مروان بن الحكم وكان عاملا لعبد الملك بن مروان على مكة، فلم ينصفهم عبد الملك من نافع بن علقمة، فقال له هشام: ألم تكن ذكرت ذلك لأمير المؤمنين؟ فقال: بلى، ترك الحق وهو يعرفه، قال: فما صنع الوليد؟ قال: اتبع أثر أبيه، وقال ما قال القوم الظالمون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف] قال: فما فعل فيها سليمان؟ قال: لا قفي ولا سيري، قال: فما فعل فيها عمر بن عبد العزيز؟ قال: ردها يرحمه الله، قال: فاستشاط هشام غضبا وكان إذا غضب بدت حولته ودخلت عينه في حجاجه، ثم أقبل عليه فقال: أما والله أيها الشيخ، لو كان فيك مضرب لأحسنت أدبك، قال إبراهيم: فهو والله في الدين والحسب، لا يبعدن الحق وأهله، ليكونن لها نبأ* بعد اليوم. وفي رواية قال. فأقبل هشام على الأبرش الكلبي فقال: يا أبرش، لعن الله من زعم أن قومي هلكوا، ابن عروة يتهددني بالمدينة، وهذا يشتم آبائي في وجهي! قد كان قائل قال له: هلكت قريش بالمدينة.

قال: وحدثني مصعب بن عثمان بما جرى بين إبراهيم بن محمد وهشام بن عبد الملك في هذه القصة، واختلفا في بعض الخبر. ثم طلب ولد إبراهيم بن محمد في حقهم من الدار إلى أمير المؤمنين الرشيد، وجاؤوا ببينة تشهد لهم على حقهم من هذه الدار، فردها على ولد طلحة، وأمر قاضيه وهب بن وهب بن كبير[6]، أن يكتب لهم به سجلا، ففعل. قال عمي مصعب بن عبد الله: فكنت فيمن شهد على قضاء أبي البختري[6]، بردها عليهم وكان القائم لولد طلحة فيها محمد بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد الله[7]؛ ثم اشتراها أمير المؤمنين هارون من ولد طلحة، وكتب الشراء عليها وقبضها، فلم تزل في القبض حتى قدم أمير المؤمنين المأمون من خراسان، فقدم عليه ولد نافع بن علقمة فردها عليهم.

قال محمد بن إسماعيل بن جعفر: دخل إبراهيم بن محمد بن طلحة على هشام بن عبد الملك، فكلمه بشيء لحن فيه، فرد عليه إبراهيم الجواب ملحونا، فقال هشام: أتكلمني وأنت تلحن! فقال له إبراهيم: ما عدوت أن رددت عليك نحو كلامك؛ فقال هشام: إن تقل ذلك، فما وجدت للعربية طلاوة بعد أمير المؤمنين سليمان؛ فقال له إبراهيم: وأنا ما وجدت لها طلاوة بعد بني تماضر من بني عبد الله بن الزبير. ومما هاج هشاما على أن يقول ما قال لإبراهيم؛ أن إبراهيم طلب الإذن عليه، فأبطأ ذلك، فقال له على الباب رافعا صوته: اللهم غلقت دونه الأبواب، وقام بعذره الحجاب؛ فبلغ ذلك هشاما فأغضبه.

عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: أمر لأهل المدينة بالعطاء في خلافة هشام بن عبد الملك، فلم يتم من الفيء، فأمر هشام أن يتم من صدقات اليمامة، فحمل إليهم، وبلغ ذلك إبراهيم بن محمد بن طلحة، فقال: والله لا نأخذ عطاءنا من صدقات الناس وأوساخهم، حتى نأخذه من الفيء؛ وقدمت الإبل تحمل ذلك المال، فخرج إليهم وأهل المدينة، فجعلوا يردون الإبل ويضربون وجوهها بأكمتهم ويقولون: والله لا يدخلها وفيها درهم من الصدقة؛ فردت الإبل، وبلغ هشام بن عبد الملك، فأمر أن تصرف عنهم الصدقة وأن يحمل إليهم تمام عطاياهم من الفيء.

ذكروا عن الهيثم ابن عدي قال: كان سعيد بن هشام بن عبد الملك[8] عاملا لأبيه على حمص، وكان يرمى بالنساء والشراب، فقدم حمصي لهشام، فلقيه أبو جعد الطائي[9] في طريق، فقال له: هل ترى أن أعطيك هذه الفرس، فإني لا أعلم بمكان مثلها على أن تبلغ هذا الكتاب أمير المؤمنين، ليس فيه حاجة بمسألة دينار ولا درهم؟ فأخذها وأخذ الكتاب. فلما قدم على هشام سأله: ما قصة هذه الفرس؟ فأخبره. فقال: هات الكتاب، فإذا فيه: أبلغ إليك أمير المؤمنين فقد..أمددتنا بأمير ليس عنينا..عورا يخالف عمرا في حليلته..وعند ساحته يسقى الطلا دينا. فلما قرأ الكتاب بعث إلى سعيد فأشخصه، فلما قدم عليه علاه بالخيزرانة وقال: يا بن الخبيثة، تزني وأنت ابن أمير المؤمنين! ويلك! أعجزت أن تفجر فجور قريش؟ أو تدري ما فجور قريش لا أم لك؟ قتل هذا، وأخذ مال هذا، والله لا تلي له عملا حتى تموت. قال قال: فما ولي له عملا حتى مات.

في رواية قال الصفدي في تذكرته: من أولاد هشام: سعيد بن هشام بن عبد الملك بن مروان، كان منهمكا في لذات الدنيا مغرى بحب النساء، وفيه يقول القائل مخاطبا أباه هشاما: من البسيط: أبلغ هشاما أمير المؤمنين فقد..أغظتنا بأمير غير عنين..طورا يشارك هذا في حليلته..وتارة لا يراعي حرمة الدين. قال: فحبسه أبوه هشام، فقال أبو محمد السلمي[10]، وكان هذا السلمي في حبس هشام: إن سعيدا كان في بيت على حدة، وكنت أسمع من بيته صوت العود، فخرجت يوما إليه، فإذا هو قد أخذ جفنة فنقبها، وعلق فيها أوتارا، فقلت: ويحك على هذه الحال، تفعل هذا! فقال: لا أبا لك لولا هذا متناغما، وهو القائل: من الرجز: أرسلت كلبي طالبا ما يأكله..من الذي يرده أو يجهله. وبلغ أباه هشاما ما صنعه، فأمر بإخراجه، وقال له: لعنك الله، أفسقا كفسق العوام، هلا فسقا كفسق الملوك؟ فقال له ابنه: وهل للملوك فسق يمتازون به؟! قال: نعم، قال: وما هو؟! قال أن تحيي هذا، وتقتل هذا، وتأخذ مال هذا، فتعطيه هذا، ومن شعر سعيد هذا قوله: من الرمل: آل مروان أراهم في عمى..غضب العيش عليهم والفرح..كلهم يسعى لما يتعبه..وأنا أسعى لأنس وقدح.

----

*(نبأ) في رواية قالوا: بحث، وأخرى قالوا: "ليكونن لهذا نحت بعد اليوم"

■ (2) إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي المدني أبو إسحاق. قتل أبوه محمد السجاد يوم الجمل. كان يسمى أسد قريش، قوالا بالحق، بليغا، وقورا، كبير القدر.وفد على عبد الملك، فأجلسه على فرشه فنصحه ووعظه. ولي خراج العراق لابن الزبير. توفي سنة 110 هـ.

■ (6) أبو البختري وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد ، القرشي الأسدي المدني، حدث عن عبيد الله بن عمر العمري وهشام بن عروة بن الزبير وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم، وكان متروك الحديث مشهورا بوضعه، انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولاه القضاء بعسكر المهدي في شرقي بغداد، ثم عزله وولاه القضاء بمدينة رسول الله بعد بكار بن عبد الله الزبيري، وجعل إليه ولاية حربها مع القضاء، ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي سنة200 هـ ببغداد، في خلافة المأمون. وأبو البختري: مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء، وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحتري وهو الشاعر.

■ (1) العتبي، محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أبو عبد الرحمن، المعروف بالعتبي، كان أديبا فاضلا شاعرا مجيدا، وكان يروي الأخبار وأيام العرب.توفي العتبي سنة 228 هـ.

■ (5) نافع بن علقمة بن صفوان بن محرث الكناني، كان عبد الملك بن مروان أمره على مكة، وهو خال مروان بن الحكم (فإن أم مروان هي أم عثمان آمنة بنت علقمة بن صفوان المذكور)

■ (3) مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو عبد الله الزبيري المدني عم الزبير بن بكار، سكن بغداد. توفي سنة 236 هـ، وهو ابن ثمانين سنة.قال الزبير بن بكار: كان وجه قريش مروة علما وشرفا وبيانا وجاها وقدرا.

■ (4) دار علقمة: بمكة تنسب إلى طارق بن المعقل وهو علقمة بن عريج بن جذيمة بن مالك بن سعد بن عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة.

■ (8) سعيد بن هشام بن عبد الملك بن مروان، أمير أموي، ولد ونشأ بدمشق، وولي بعض المغازي في خلافة أبيه. وغزا الصائفة سنة 111 هـ فبلغ قيسارية. ثم كان مع أخيه سليمان حين خلع مروان بن محمد سنة 127 هـ وتحصن بحمص، فصالح مروان أهل حمص على أن يسلموا إليه سعيدا وابنين له، فسلموهم، فأمر مروان بحبس سعيد في حران. ثم قتل بها سنة130 هـ.

■ (9) أبو جعد الطائي ، شاعر ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (10) أبو محمد السلمي ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (7) محمد بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد الله (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن قال:﴿كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟ قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو، قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يَرْضَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (ولا آلو) أي ما أقصر. وعن علي قال:﴿بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا؛ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ؛ إِذَا تَقَاضَى إِلَيْكَ رَجُلَانِ فَلَا تَقْضِ لِلْأَوَّلِ حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ الْآخَرِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ، قَالَ: فَمَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَعْدُ﴾ عن عبد الله بن عمرو وأبي هريرة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ﴾ وعن سعيد بن المسيب: ﴿أَنَّ مُسْلِمًا وَيَهُودِيًّا اخْتَصَمَا إِلَى عُمَرَ، فَرَأَى الْحَقَّ لِلْيَهُودِيِّ، فَقَضَى لَهُ عُمَرُ بِهِ. فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَضَيْتَ بِالْحَقِّ، فَضَرَبَهُ عُمَرُ بِالدِّرَّةِ، وَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ قَالَ الْيَهُودِيُّ: وَاللَّهِ إِنَّا نَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّهُ لَيْسَ قَاضٍ يَقْضِي بِالْحَقِّ إِلَّا كَانَ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكٌ، وَعَنْ شِمَالِهِ مَلَكٌ، يُسَدِّدَانِهِ وَيُوَفِّقَانِهِ لِلْحَقِّ مَا دَامَ مَعَ الْحَقِّ، فَإِذَا تَرَكَ الْحَقَّ عَرَجَا وَتَرَكَاهُ﴾ وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ -وفي رواية-: لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ﴾ وعن زيد بن خالد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ؟ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا﴾ (ألا أخبركم بخير الشهداء) جمع شاهد (الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها) أي قبل أن تطلب منه الشهادة. قال النووي: فيه تأويلان. أصحهما وأشهرهما تأويل مالك وأصحاب الشافعي، أنه محمول على من عنده شهادة؛ لإنسان بحق، ولا يعلم ذلك الإنسان أنه شاهد، فيأتي إليه فيخبره بأنه شاهد له؛ لأنها أمانة له عنده، والثاني: أنه محمول على شهادة الحسبة في غير حقوق الآدميين كالطلاق والعتق والوقف والوصايا العامة والحدود ونحو ذلك، فمن علم شيئا من هذا النوع وجب عليه رفعه إلى القاضي وإعلامه به. قال الله تعالى:﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق] وحكي تأويل ثالث أنه محمول على المبالغة في أداء الشهادة بعد طلبها، كما يقال: الجواد يعطي قبل السؤال؛ أي يعطي سريعا عقيب السؤال من غير توقف، وليس في هذا الحديث مناقضة للحديث الآخر من قوله صلى الله عليه وسلم:﴿يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ﴾.

مراجع: سلسلة من أعلام السلف/ صفة الصفوة / الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ العقد الفريد/ تاريخ مدينة دمشق/ موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر/ لسان العرب/ القلائد من فرائد الفوائد/ أخبار مكة للفاكهي/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/

حدث جنادة بن عمرو عن أبيه عن جده الجنيد بن عبد الرحمن[1] قال: دخلت من حوران* آخذ عطائي، فصليت الجمعة، ثم خرجت إلى باب الدرج، وإذا عليه شيخ يقال له أبو شيبة القاص[2]، يقص على الناس، فرغب فرغبنا، وخوف فبكينا. فلما انقضى حديثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب، فلعنوا أبا تراب. فالتفت عن يميني فقلت له: ومن أبو تراب؟ فقال: علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته، وأول الناس إسلاما، وأبو الحسن والحسين. فقلت: ما أصاب هذا القاص! فقمت إليه وكان ذا وفرة*، فأخذت وفرته بيدي، وجعلت ألطم وجهه وأنطح برأسه الحائط، وصاح واجتمع أعوان المسجد، فوضعوا ردائي في رقبتي، وساقوني حتى أدخلوني على هشام بن عبد الملك وأبو شيبة يقدمني، فصاح: يا أمير المؤمنين، قاصك وقاص آبائك وأجدادك أتى إليه اليوم أمر عظيم. فقال: من فعل بك هذا؟ فالتفت إلى هشام وعنده أشراف الناس فقال: أبو يحيى، متى قدمت؟ فقلت: أمس، وكنت على المصير إلى أمير المؤمنين فأدركتني الجمعة، فصليت، وخرجت إلى باب الدرج، فإذا هذا الشيخ قائم يقص، فجلست إليه فقرأ فسمعنا، ورغب فرغبنا، وحذر فبكينا، ودعا فأمنا، وقال في آخر كلامه، اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب. فسألت: من أبو تراب؟ فقيل: علي بن أبي طالب، أول الناس إسلاما، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته، وأبو الحسن والحسين، فوالله يا أمير المؤمنين، لو ذكر هذا قرابة لك بمثل هذا الذكر ولعنه هذه اللعنة لأحللت به الذي أحللت به، فكيف لا أغضب لصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته؟! قال: فقال هشام: بئس ما صنع. ثم عقد لي على السند. ثم قال لبعض جلسائه: مثل هذا لا يجاورني هاهنا فيفسد علينا البلد فباعدته إلى السند. فقال لنا بشر بن عبد الوهاب:[3]وهو ممثل على باب السند، بيده اليمنى سيف وبيده اليسرى كيس يعطي منه.ومات الجنيد بالسند. فقال فيه الشاعر: ذهب الجود والجنيد جميعا..فعلى الجود والجنيد السلام.

قال الواقدي: حدثني ابن أبي الزناد[4]عن أبيه قال: كتب إلي هشام بن عبد الملك قبل أن يدخل المدينة أن اكتب لي سنن الحج فكتبتها له وتلقاه أبو الزناد قال أبو الزناد يومئذ: فإني يمئذ في الموكب خلفه وقد لقيه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان[5] وهشام يسير فنزل له فسلم عليه ثم سار إلى جنبه فصاح هشام أبو الزناد فتقدمت فسرت إلى جنبه الآخر فأسمع سعيدا يقول يا أمير المؤمنين: إن الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين وينصر خليفته المظلوم ولم يزالوا يلعنون في هذه المواطن الصالحة أبا تراب فأمير المؤمنين ينبغي له ان يلعنه في هذه المواطن الصالحة قال: فشق على هشام وثقل عليه كلامه ثم قال: ما قدمنا لشتم أحد ولا للعنة قدمنا حجاجا ثم قطع كلامه وأقبل علي فقال: يا عبد الله بن ذكوان فرغت مما كتبت إليك؟ فقلت: نعم فقال أبو الزناد: وثقل على سعيد ما حضرته يتكلم به عند هشام فرأيته منكسرا كلما رآني.

----

*(حَوْران) المنطقة الجنوبية من سوريا (الوفرة) شعر الرأس إلى وصل إلى شحمة الأذن.

■ (1) جنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث، أبو يحيى المري من أهل دمشق. استعمله هشام بن عبد الملك سنة 111 هـ على السند وخراسان فمات بها، وكان من الأجواد.وكان الجنيد بن عبد الرحمن تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب، فغضب هشام على الجنيد وولى عاصم بن عبد الله خراسان، وكان الجنيد سقي بطنه فقال هشام لعاصم: إن أدركته وبه رمق فأزهق نفسه، فقدم عاصم وقد مات الجنيد. في المحرم سنة 116 هـ

■ (3) بشر ويقال بشير بن عبد الوهاب بن بشير، أبو الحسن الأموي مولى بشر بن مروان من أهل دمشق زاهد. قالوا: بشر بن عبد الوهاب القرشي مولى بني أمية وكان صاحب خير وفضل وكان ينزل دمشق. مات بدمشق يوم السبت لليلتين خلتا من رجب سنة 254 هـ .

■ (2) أبو شيبة القاص: غزا بلاد الروم، واجتاز في غزاته بحلب، أو ببعض عملها، وكان مع مكحول وعبد الله بن زيد، روى عنه علي بن أبي حملة، وقد ذكرنا عنه حكاية في ترجمة مكحول (بغية الطلب في تاريخ حلب).

■ (4) أبو الزناد، عبد الله بن ذكوان القرشي المدني: محدث، من كبارهم. قال الليث: رأيت أبا الزناد وخلفه ثلاث مئة تابع، من طالب فقه وعلم وشعر وصرف. وكان سفيان يسميه أمير المؤمنين في الحديث. وكان يغضب إذا قيل له أبو الزناد ويكتني بأبي عبد الرحمن. قال مصعب الزبيري: كان فقيه أهل المدينة، وكان صاحب كتابة وحساب، وفد على هشام بحساب ديوان المدينة. توفي فجأة بالمدينة سنة 131 هـ وكان ثقة في الحديث عالما بالعربية فصيحا.

■ (5) سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان ؟

عن أبي عبد الله الجدلي، قال:﴿دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقَالَتْ لِي: أَيُسَبُّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: مَعَاذَ اللهِ، أَوْ سُبْحَانَ اللهِ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ سَبَّ عَلِيًّا، فَقَدْ سَبَّنِي﴾ مر ابن عباس بقوم ينالون من علي ويسبونه، فقال لقائده: أدنني منهم، فأدناه، فقال: أيكم الساب الله؟ قالوا: نعوذ بالله أن نسب الله، فقال: أيكم الساب صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا: نعوذ بالله أن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أيكم الساب علي بن أبي طالب؟ قالوا: أما هذه فنعم، قال: أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ اللهَّ وَمَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي﴾ فأطرقوا، فلما ولى قال لقائده: كيف رأيتهم؟ فقال: نظروا إليك بأعين مزوزة..نظر التيوس إلى شفار الجازر.فقال: زدني فداك أبي وأمي، فقال: خزر العيون منكسي أذقانهم..نظر الذليل إلى الغزير القاهر.قال: زدني فداك أبي وأمي، قال: ما عندي مزيد، قال: ولكن عندي: أحياؤهم تجني على أمواتهم..والميتون فضيحة للغابر.

عن عبد الله بن المخارق بن سليم، عن أبيه، قال: قال علي: إني لا أرى هؤلاء القوم إلا ظاهرين عليكم لتفرقكم عن حقكم واجتماعهم على باطلهم، وإن الإمام ليس بشاق شعرة، وإنه يخطئ ويصيب، فإذا كان عليكم إمام يعدل في الرعية ويقسم بالسوية فاسمعوا له وأطيعوا، وإن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر، أو فاجر، فإن كان برا فللراعي وللرعية، وإن كان فاجرا عبد فيه المؤمن ربه وعمل فيه الفاجر إلى أجله، وإنكم ستعرضون على سبي، وعلى البراءة مني، فمن سبني فهو في حل من سبي، ولا تبرؤوا من ديني فإني على الإسلام.

عن الأعمش، عن شمر، عن رجل، قال: كنت عريفا في زمان علي، قال: فأمرنا بأمر، فقال: أفعلتم ما أمرتكم، قلنا، لا قال: والله لتفعلن ما تؤمرن به، أو ليركبن أعناقكم اليهود والنصارى. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: طلبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدني في جدول نائما فقال: قم ما ألوم الناس يسمونك أبا تراب. قال: فرآني كأني وجدت في نفسي من ذلك فقال: قم والله لأرضينك أنت أخي، وأبو ولدي تقاتل عن سنتي وتبرئ ذمتي من مات في عهدي فهو كنز الله ومن مات في عهدك فقد قضى نحبه ومن مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان طلعت شمس أو غربت ومن مات يبغضك مات ميتة جاهلية وحوسب بما عمل في الإسلام.

قال الأصمعي: سمع عامر بن عبد الله بن الزبير ابنه ينال من علي، رضي الله عنه، فقال: يا بني إياك وذكر علي، رضي الله عنه، فإن بني أمية تنقصته ستين عاما فما زاده الله بذلك إلا رفعة. قال: وقال عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف: جنبني دماء آل أبي طالب فإني رأيت بني حرب لما قتلوا الحسين رضي الله عنه، نزع الله ملكهم. وعن شداد أبى عمار قال: دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم، فذكروا عليا فلما قاموا قال لي: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: بلى، قال: أتيت فاطمة، رضى الله تعالى عنها، أسألها عن على قالت: توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن وحسين، فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه [على]، وحسن، وحسين آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم ثوبه، أو كساء ثم تلا هذه الآية:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهَّ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب]، وقال: ﴿اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَأَهْلُ بَيْتِي أَحَقُّ﴾ وعن أبي بكر بن خالد بن عرفطة أنه أتى سعد بن مالك فقال: بلغني أنكم تعرضون علي سب علي بالكوفة، فهل سببته؟ قال: معاذ الله، قال: والذي نفس سعد بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: في علي شيئا، لو وضع المنشار على مفرقي على أن أسبه ما سببته أبدا. وقيل إنه حضر مجلس عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، جماعة من أهل العلم فذكروا عليا، وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين، وما كان بينهم فأكثروا وعمر ساكت، قال القوم: ألا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أقول شيئا، تلك دماء طهر الله منها كفي فلا أغمس فيها لساني.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ مصنف ابن أبي شيبة/ إتحاف الخيرة المهرة/ مروج الذهب/ تاريخ الطبري/

عن أبي عمرو بن العلاء المقرئ قال: سمعت عاصم بن الحدثان يحدث أن البادية قحطت زمن هشام بن عبد الملك، فقدمت وفود العرب من القبائل؛ فجلس هشام لرؤسائهم، فدخلوا عليه وفيهم درباس بن حبيب[1] وله أربع عشرة سنة، عليه شملتان*، له ذؤابة*، فأحجم القوم وهابوا هشاما، فوقعت عين هشام على درباس فاستصغره فقال لحاجبه: ما يشاء أحد يصل إلي إلا قد وصل حتى الصبيان! فعلم درباس أنه يريده، فقال يا أمير المؤمنين، إن دخولي لم يضرك ولا أنقصك ولكنه شرفني، وإن هؤلاء قدموا لأمر فأحجموا دونه؛ وإن الكلام لنشر، وإن السكوت طي لا يعرف إلا بنشره؛ قال: فانشر لا أبالك وأعجبه كلامه. فقال: إنه أصابتنا سنون ثلاث، فسنة أكلت اللحم، وسنة أذابت الشحم، وسنة أنقت العظم*؛ وفي أيديكم فضول أموال، فإن كانت لله عز وجل ففرقوها على عباد الله، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها، فإن الله عز وجل يجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين، يا أمير المؤمنين، أشهد بالله لقد سمعت أبي حبيب بن درباس بن لاحق يحدث عن أبيه عن جده لاحق بن معد بن ذهل أنه وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه يقول:﴿أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَإِنَّ الْوَالِيَ مِنْ الرَّعِيَّةِ كالرُّوحِ مِنَ الجَسَدِ، لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهَا﴾ فاحفظ ما استرعاك الله عز وجل من رعيته. فقال هشام: سمعا لمن فهم عن الله وذكر به؛ ثم قال هشام: ما ترك الغلام في واحدة عذرا. ثم أمر أن يقسم في أهل البوادي ثلاث مئة ألف، وأمر لـ درباس بمئة ألف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين، ارددها إلى جائزة المسلمين فإني أخاف أن تعجز عن بلوغ كفايتهم؛ قال: فما لك حاجة؟ قال: تقوى الله عز وجل، والعمل بطاعته؛ قال: ثم ماذا؟ قال: مالي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين. وفي حديث آخر بمعناه أنه أمر له بمئة ألف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين، ألكل رجل منها مثلها؟ قال: لا، قال: لا حاجة لي فيها، تبعث علي صدقة. فلما صار إلى منزله بعث إليه بالمئة ألف درهم، ففرق درواس في تسعة أبطن من العرب حوله عشرة آلاف عشرة آلاف، وأخذ لنفسه عشرة آلاف. فبلغ ذلك هشاما فقال: إن الصنيعة عند درواس لتضعف على سائر الصنائع.

وقيل: أصاب القوم مجاعة في عهد هشام، فدخل إليه وجوه الناس من الأحياء وفي جملتهم درواس بن حبيب العجلي، وعليه جبة صوف مشتمل عليها بشملة، قد اشتمل بها الصماء، فنظر هشام إلى جابه نظر لائم في دخول درواس إليه وقال: أيدخل علي كل من أراد الدخول؟ وكان درواس مفوها، فعلم أنه عناه فقال درواس: يا أمير المؤمنين ما أخل بك دخولي عليك، ولقد شرفني ورفع من قدري تمكني من مجلسك، وقد رأيت الناس دخلوا لأمر أعجموا عنه، فإن أذنت في الكلام تكلمت. فقال هشام: لله أبوك! تكلم فما أرى صاحب القوم غيرك. فقال: يا أمير المؤمنين تتابعت علينا سنون ثلاث: أما الأولى فأذابت الشحم، وأما الثانية فأكلت اللحم، وأما الثالثة فانتقت المخ ومصت العظم، ولله في أيديكم أموال، فإن تكن لله فأعطفوا بها على عباد الله، وإن تكن لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن تكن لكم فتصدقوا عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين. فقال هشام: لله أبوك! ما تركت واحدة من ثلاث. وأمر بمائة ألف دينار فقسمت في الناس، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم فقال: يا أمير المؤمنين ألكل رجل من المسلمين مثلها؟ قال: لا ولا يقوم بذلك بيت المال. فقال: لا حاجة لي فيما يبعث على ذمك. فلما عاد إلى داره أمر بذلك فبعث إليه فقسم تسعين ألف درهم في تسعة من أحياء العرب، وحبس عشرة آلاف درهم، فبلغ ذلك هشاما فقال: لله دره إن صنيعة مثله تبعث على الاصطناع!

----

*(الشملة): كساء يتغطى به ويتلفف فيه (ذؤابة) الشعر المضفور من شعر الرأس (أنقت العظم) ونقي العظم استخرج نقيه. والنقي: المخ. وفي رواية قال: (فهاصت العظم) الهيص: العنف بالشيء ودق العنق.﴿أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَإِنَّ الْوَالِيَ مِنْ الرَّعِيَّةِ كالرُّوحِ مِنَ الجَسَدِ، لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهَا﴾ الخبر في الإصابة ثم قال ابن حجر : وأورده ابن عساكر لكنه قال : درياس ورأيته بخط شيخ شيخنا الحافظ العلائي بباء موحدة من تحت.

■ (1) درباس بن حبيب بن درباس بن لاحق بن معد بن ذهل، ويقال درواس بن حبيب بن درواس ويقال: درواس بن وردان العجلي وفد على هشام بن عبد الملك.

☪

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:﴿إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكَمًا، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا﴾ واختلف العلماء في المعنى المقصود بهذا اللفظ قوله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا هل هو على معنى الذم أو على معنى المدح. قال أبو العتاهية: قدم علي أعرابي من هجر، فخاطبني بأحسن مخاطبة، وكلمني بأفصح كلام، ثم قال: ما رأيت أحسن مما كان يقال عنك إلا ما شهدته منك. ثم وعدته بأشياء قدم لها وتضمنت له القيام بها، فقال لي: والله ما أستقل قليلك، لأنه أكثر من كثير غيرك، ولا أستكثر كثيرك، لأنه دون همتك. قال المفضل الضبي: سألت أعرابيا عن البلاغة فقال: الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل. وسئل بعضهم عن البلاغة فقال: كلام وجيز معناه إلى قلبك أقرب من لفظه إلى سمعك. وقال جعفر بن محمد الصادق: إنما سمي البليغ بليغا لأنه يبلغ حاجته بأهون سعيه. وقيل للعتابي: ما البلاغة؟ فقال: من أفهمك حاجته من غير إعاقة ولا حبسة ولا استعانة. وقيل: البلاغة ما كان من الكلام حسنا عند استماعه، موجزا عند بديهته. وقيل: البلاغة لمحة دالة على ما في الضمير. وقيل: البلاغة معرفة الفصل من الوصل*، وفرق ما بين المشترك والمفرد وفصل ما بين المقيد والمطلق، وما يحتمل التأويل ويستغني عن الدليل. قال المأمون لبعضهم: من أبلغ الناس؟ فقال: من قرب الأمر البعيد المتناول، والصعب الدرك بالألفاظ اليسيرة، قال: ما عدل سهمك عن الغرض. ولكن البليغ من كان كلامه في مقدار حاجته، ولا يجيل الفكرة في اختلاس ما صعب عليه من الألفاظ، ولا يكره المعاني على إنزالها في غير منازلها، ولا يتعمد الغريب الوحشي، ولا الساقط السوقي، فإن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام. ونسب إلى المأمون أيضا قوله: ما أتفحص من رجل شيئا كتفحصي عن الفصل والوصل في كتابه.. وقال بعضهم: البلغة تصحيح الأقسام، واختيار الكلام، وخير الكلام ما أغنى قليله عن كثيره وأبلغ الكلام ما سبق معناه لفظه... وقيل غير ذلك.

☪

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ﴾ قال النووي، في الكلام على هذا الحديث: الكلام على أربعة أنواع: قول استبان لك رشده، وتعين قوله، فهو الواجب فانطق به. وقول استبان لك غيه، والمنع منه، فأمسك عنه. وقول غلب على ظنك أن خيره أكثر من شره فتكلم به. وقول لا تدري أيغلب خيره شره أم شره خيره فأمسك عنه. ومثل ذلك، قال أبو إسحاق الفزاري: كان إبراهيم بن أدهم[1] يطيل السكوت، فإذا تكلم انبسط، فقلت له ذات يوم: لو تكلمت! فقال: الكلام على أربعة وجوه، فمنه كلام ترجو منفعته وتخشى عاقبته، فالفضل منه السلامة؛ ومنه كلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته، فأقل ما لك في تركه خفة المؤونة على بدنك ولسانك؛ ومنه كلام لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته، وهذا هو الداء العضال؛ ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشره. قال: فإذا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام. ومما يذكر من كلام حكماء الصين أن أحدهم كان يقول عبارة فيها لطافة ظرافة، وهي تتعلق بالزرافة، قال: كان يرغب أن تكون له رقبة مثل رقبة الزرافة، فلما سئل عن ذلك، قال: حتى يكون هناك وقت بين صعود الكلمة وخروجها، فأتأمل فيها؛ فإن كانت في الحكمة والصواب أنفذتها وإلا أمسكتها. ولا شك أنها حكمة من حكيم.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا تُوَسْوِسُ بِهِ صُدُورُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ قال علي بن نايف: ولعل تعبير بعض الأدباء والدعاة أن اللسان كالسيف، وأن اللسان كالسنان، وأن طعن اللسان أقوى من طعن السنان، لا شك أنه تعبير بليغ؛ فإن الإنسان لو كان يحمل في يده سيف، أو يحمل في يده سكينة حادة، ثم يسير بين الناس ويتكلم معهم، ويخوض فيما بينهم وسيفه مشرع، وسكينه ظاهر، فكم من طعنة ستقع؟ وكم من جرح سيبتلى به هذا، وسيقع في هذا ؟ وهذا حال المتكلم يضرب لسانه يمينا ويسارا، ويتكلم هنا وهناك، ويقول في هذا الباب وفي ذاك، وإذا به يطعن ويجرح، ويقع منه ما يقع نسأل الله عز وجل السلامة.

عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللهَّ، لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا﴾ والأمر في ذلك يطول وحسبنا تنبيها منه عليه الصلاة والسلام للأبرار والأطهار والأشراف من أصحابه رضوان الله عليهم وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن فهذه عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا–قال غير مسدد تعني قصيرة– فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام في وصيته:﴿لا تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلا مَعْرُوفًا ولاَ تَبْسُطْ يَدَكَ إِلا إِلَى خَيْرٍ﴾ فنقول لكل من وقع أو يقع: احفظوا اللسان.

☪

كان سائب خاثر[2] منقطعا إلى عبد الله بن جعفر[3]، فنسب إلى ولائه، وكان عبد الله بن جعفر يخرج به إلى معاوية إذا خرج وغيره من القرشيين، فقال معاوية لعبد الله بن جعفر: هذا الرجل الذي لا يخلو من رقاعكم ومن حوائجكم، ترفعون اسمه في حوائجكم! أي شيء صناعته؟ قال له عبد الله بن جعفر: إن شئت يا أمير المؤمنين أن يدخل عليك، حتى يسمعك بعض صناعته. فدخل على معاوية بن أبي سفيان، وهو على وسادة قد جلس عليها، فقال له عبد الله بن جعفر: أسمع أمير المؤمنين بعض ما عندك. قال: فأسمعه، فلما سمع بعض ذلك قال: قم، لا أقام الله رجليك، والله لقد كدت أن أقوم عن وسادتي. قيل: إن سائبا قتل يوم الحرة.

----

*علاقة الجملة بغيرها في كل منها. قال صلاح الدين العلائي: الفن المسمى بالفصل والوصل في علم البيان وهو من أدق أبوابه وأغمضها مسلكا ولا يقوم به إلا من أوتي في فهم كلام العرب فهما دقيقا وطبعا سليما ورزق في إدراكه ذوقا صحيحا..

■ (1) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي وقيل التميمي أبو إسحاق البلخي الزاهد، عربي كان ينزل خراسان فتحول إلى الشام وهو من الخيار الأفاضل. مات سنة 161 هـ ودفن بسوقين حصن ببلاد الروم وقيل مات سنة 162 هـ ودفن على ساحل البحر.

■ (2) سائب بن يسار الليثي بالولاء، أبو جعفر: أحد أئمة الغناة والتلحين في العرب. فارسي الاصل، كان أبوه مولى لبني ليث وأعتقوه. ونشأ سائب في المدينة، فاحترف التجارة وأثرى. وكان حسن الصوت، حلو المعشر. قال النويري: وهو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به، وأول صوت غني به في الاسلام، من الغناء العربي المتقن، هو الابيات التي أولها: لمن الديار، رسومها قفر. من صنعة سائب.وقال الاصبهاني: لم يكن يضرب بالعود، إنما كان يقرع بقضيب ويغني مرتجلا. وهو أستاذ معبد المغني المشهور، وابن سريج وعزة الميلاء وآخرين. وسمع معاوية غناءه مرارا. وقيل في سبب تسميته سائب خاثر إنه غنى صوتا ثقيلا، فقال من سمعه: هذا غنا خاثر، أي غير محذوق، فلصق به لقبا. ولما قدم جيش يزيد بن معاوية، وعليه مسلم بن عقبة المري، يريد دخول المدينة، خرج أهل المدينة لقتاله في الحرة وكان في جملتهم سائب خاثر فقتل في المعركة سنة 63 هـ.

■ (3) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم. السيد، العالم، أبو جعفر القرشي، الهاشمي، ولد في الحبشة سنة 1 هـ ، وله صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وروى أيضا عن عمه؛ علي، وعن أمه؛ أسماء بنت عميس. حدث عنه أولاده، وآخرون. وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم. وله وفادة على معاوية.ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ. ويقال: سنة 90 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ لسان العرب/ محاضرات الأدباء/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ لباب الآداب لأسامة بن منقذ/ صحيح البخاري/ الآحاد والمثاني/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ محاضرات الأدباء/

مما يحكى عن هشام بن عبد الملك[1] أنه خرج ذات يوم إلى الصيد، فنظر إلى ظبي فتبعه، فأحالته الكلاب إلى أن وصل به إلى صبي يرعى غنما، فقال له: يا صبي دونك الظبي أيتني به. فقال له الصبي: فقدت الحياة لو نظرت إلي باستصغار وعاشرتني باحتقار وكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار. قال: يا غلام أو لم تعرفني؟قال: بلى قد عرفني بك سوء أدبك، إذ بدأتني بكلامك قبل سلامك. قال له: وأنا هشام بن عبد الملك. قال:لا قرب الله دارك ولا حيا قرارك. قال:فوالله ما استتم كلامه حتى أحدقت به الخيول من كل جانب ومكان، كل له يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: اقصروا من السلام واحفظوا بالغلام، والحقوني به، قال: ثم ركب مغضبا إلى داره، فلما وصل إلى داره وركب على سرير ملكه أقبلت إليه الحرفاء والوزراء والأمراء والكتاب، كل يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين، وذلك الصبي ساكت، قد أرسل ذقنه على صدره، وقرن عينيه وسكت عن الكلام وامتنع عن السلام. فقال له بعض الوزراء: يا كلب العرب ما منعك أن تسلم على أمير المؤمنين؟ قال: يا بردعة الحمار، منعني من ذلك طول الطريق ونهز* الدرجة والتعويق . فقال له بعض الحرفاء: يا جحش العرب بلغ من فضولك أن تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمة. فقال:لقيك الخذل ولامك الويل والهبل: أو ما سمعت قول الله عز وجل في كتابة المنزل على نبيه المرسل: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل] فإذا كان الله تعالى يجادل جدالا، فمن هشام حتى لا يخاطب خطابا ؟! فعند ذلك اغتاظ الملك من كلامه، وقال: علي برأس الغلام فقد أكثر الكلام، فوضع ذلك الصبي في نطع الدم، وجرد سيف النقمة ليضرب عنقه، فقال له الضراب: يا سيدي عبدك المذل بنفسه المنقلب إلى رمسه أضرب عنقه وأنا بريء من دمه؟. قال: اضرب عنقه: فاستأذنه ثانية فأذن له، ثم استأذنه ثالثة فأذن له، فضحك ذلك الصبي وهو في نطع الدم، فقال: أقيموه، ثم قال له: يا غلام أنت تضحك في المهات، وتجادل في الحياة، اتستهزىء بنا أم بنفسك؟قال: يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمتين وأفعل ما بدا لك. قال:قل، قال: فوالله إن هذا أول أوقاتي من الآخرة وآخر أوقاتي من الدنيا، فوالله لئن كان من المدة تقصير وفي الأجل تأخير لا يضرني من كلامك هذا لا قليل ولا كثير، ولكن يا أمير المؤمنين أبيات من الشعر حضرتني اسمعها مني، قال:قل، فقال: نبئت أن الباز علق مرة..عصفور بر ساقه المقدور..فتكلم العصفور في أظفاره..والباز منهمك عليه يطير..ما في ما يغني لمثلك شبعة..ولئن أكلت فأنني محقور..فتعجب الباز المدل بنفسه..عجبا وأفلت ذلك العصفور. قال فخر هشام بن عبد الملك على وجهه ضاحكا، وقال: والله لو تلفظ بهذا الكلام في وقت من أول أوقاته وطلب ما دون الخلافة لأعطيته إياه، يا غلام احش فاه درا وجوهرا، قال:فحشى فاه درا وجوهرا وأعطاه الجائزة والكسوة وراح إلى أهله مسرورا. في رواية بلغ هشام بن عبد الملك عن رجل كلام فأتى به فتكلم بحجته فقال هشام: أو تتكلم أيضا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل يقول:﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل] أفنجادل الله جدالا ولا تكلم أنت كلاما؟! قال: تكلم بما أحببت.

----

*(نهز) يدل على حركة ونهوض وتحريك الشيء.

■ (1) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

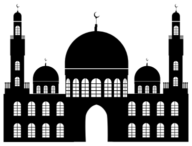

عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ لِدِينِهِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ﴾ وعن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ﴾ وعن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عباس، قال:﴿أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ رَجُلًا قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مَا جَزَاؤُهُ؟، قَالَ:جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ [النساء]﴾ الْآيَةَ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، ثُمَّ اهْتَدَى. فَقَالَ: وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، إِنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذًا بِرَأْسِهِ تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ حَتَّى يَقِفَ بِهِ عِنْدَ الْعَرْشِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟﴾ وعن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أَوْ مَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء]

روي أن رجلا جاء إلى إبراهيم بن أدهم[1] فقال له: يا أبا إسحاق إني مسرف على نفسي فاعرض علي ما يكون لها زاجرا ومستنقذا لقلبي، قال: إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية ولم توبقك ثنا لذة قال: هات يا أبا إسحاق قال: أما الأولى فإذا أردت أن تعصي الله عز وجل فلا تأكل رزقه قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه؟ قال له: يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه؟! قال: لا هات الثانية، قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئا من بلاده قال الرجل: هذه أعظم من الأولى، يا هذا إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن؟! قال: يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟! قال: لا، هات الثالثة، قال: إذا أردت أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده فانظر موضعا لا يراك فيه مبارزا له فاعصه فيه، قال: يا إبراهيم كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر؟! قال: يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به به؟! قال: لا، هات الرابعة، قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحا وأعمل لله عملا صاحلا، قال: لا يقبل مني! قال: يا هذا فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص؟! قال: هات الخامسة، قال: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذونك هذا إلى النار فلا تذهب معهم، قال: لا يدعونني ولا يقبلون مني! قال: فكيف ترجو النجاة إذا ؟! قال له يا إبراهيم: حسبي حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه، ولزمه في العبادة حتى فرق الموت بينهما.

■ (1) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي وقيل التميمي أبو إسحاق البلخي الزاهد، عربي كان ينزل خراسان فتحول إلى الشام وهو من الخيار الأفاضل. مات سنة 161 هـ ودفن بسوقين حصن ببلاد الروم وقيل مات سنة 162 هـ ودفن على ساحل البحر.

مراجع: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ كتاب التوابين/ مختصر تاريخ دمشق/

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) والأبرش الكلبي 0559

عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي: أتت الخلافة هشاما، وعنده سالم[1] كاتبه، وكان مولاه، وإليه تنسب أجمة سالم؛ والربيع[2] حاجبه؛ والأبرش الكلبي[3] جليسه؛ فسجد هشام وكاتبه وحاجبه، ولم يسجد الأبرش، فلما رفع هشام رأسه قال: يا أبرش، ما منعك من السجود وقد سجدت وسجد هذا وهذا؟ قال: أما أنت فأتتك الخلافة فشكرت الله عز وجل على عطاء جزيل، وأما هذا فكاتبك وشريكك، وأما هذا فحاجبك والمؤدي عنك وإليك، وأما أنا فرجل من العرب لي بك حرمة وخاصية، وأنا أخاف أن تغيرك الخلافة، فعلى ماذا أسجد؟ قال: وإنما منعك من السجود ما ذكرت !؟ نعم؛ قال: فلك ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا أتغير عليك؛ قال: الآن طاب السجود، الله أكبر.

قال: وأنكر هشام عليه شيئا بعد ذلك، واشتد غضبه فشتمه، فقال الأبرش: استحييت لك، ليس بينك وبين الله واسطة، وأنت خليفته في عباده وأرضه، تقول يا بن الفاعلة ! والله لو قال هذا عبد من عبيدك لآخر مثله لكان قبيحا !. فاستحيا هشام منه وقال: فاقتص مني وقل لي كما قلت لك، فقال: إذن أكون سفيها مثلك ! قال له: هبها لي، فقال: قد فعلت، فقال هشام: والله لا أعود إلى مثلها أبدا.

حدث الأبرش، قال: دخلت على هشام بن عبد الملك، فسألته حاجة، فامتنع علي، فقلت: يا أمير المؤمنين لا بد منها، فإنا قد ثنينا عليها رجلا؛ قال: ذاك أضعف لك، أن تثني رجلك على ما ليس عندك؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما كنت أظن أني أمد يدي إلى شيء مما قبلك إلا نلته؛ قال: ولم؟ قلت: لأني رأيتك لذلك أهلا، ورأيتني مستحقة منك؛ قال: يا أبرش، ما اكثر من يرى أنه مستحق أمرا ليس له بأهل؛ فقلت: أف لك! إنك والله ما علمت قليل الخير نكده، والله إن نصيب منك الشيء إلا بعد مسألة، فإذا وصل إلينا مننت به، والله إن أصبنا منك الخير قط. قال: لا والله، ولكنا وجدنا الأعرابي أقل شيء شكرا؛ قلت: والله إني لأكره الرجل يحصي ما يعطي. ودخل عليه أخوه سعيد بن عبد الملك[4]، ونحن في ذلك، فقال: مه* يا أبا مجاشع، لا تقل ذلك لأمير المؤمنين. قال: فقال هشام: أترضى بأبي عثمان بيني وبينك؟ قلت: نعم؛ قال: قال سعيد: ما تقول يا أبا مجاشع؟ فقلت: لا تعجل، صحبت والله هذا، وهو أرذل بني أبيه، وأنا يومئذ سيد قومي، وأكثرهم مالا، وأوجههم جاها، ادعى إلى الأمور العظام من قبل الخلفاء، وما يطمع هذا يومئذ فيما صار إليه حتى إذا صار إلى البحر الأخضر غرف لنا منه غرفة، ثم قال: حسبك؛ فقال هشام: يا أبرش، اغفرها لي، فوالله لا أعود بشيء تكرهه أبدا، صدق يا أبا عثمان. قال: فوالله ما زال لي مكرما حتى مات.

عن أبي اليقظان، قال: كان بين مسلمة[5] وهشام تباعد، وكان الأبرش الكلبي يدخل إليهما، وكان أحسن الناس حديثا وعقلا وعلما، فقال له هشام: كيف تكون خاصا بي وبمسلمة على ما بيننا؟ فقال: لأني كما قال الشاعر: من الطويل: أعاشر قوما لست أخبر بعضهم..بأسرار بعض، إن صدري واسع. فقال: كذلك والله أنت.

قيل كان الأبرش يحب أن يفسد حال عمر بن هبيرة[6] عند هشام، وكان ابن هبيرة يسير إذا ركب بالبعد عنه، وكان هشام معجبا بالخيل؛ فاتخذ الأبرش الكلبي عدة من الخيل الجياد وأضمرها وأمر مجريها أن يعارضوا هشاما إذا ركب فإذا سألهم هشام يقولون: هي لابن هبيرة! فركب هشام يوما فعورض بالخيل فنظر إلى قطعة من الخيل حسنة فقال: لمن هذه؟ فقالوا له: لابن هبيرة، فاستشاط غضبا وقال: واعجبا! اختان ما اختان ثم قدم فوالله ما رضيت عنه بعد، ثم هم يوائمني بالخيل؟! علي بابن هبيرة! فدعا به من جانب الموكب فجاء مسرعا فقال له هشام: ما هذه يا عمر، ولمن هي؟ فرأى الغضب في وجهه فعلم أنه قد كيد فقال له: خيل لك يا أمير المؤمنين، علمت عجبك بها وأنا عالم بجيادها فاخترتها وطلبتها من مظانها فمر بقبضها! فقبضها وكان ذلك سبب إقباله عليه فانعكست الحلية على الأبرش الكلبي. وطعن قوم في تسب الأبرش الكلبي.

----

*(مه) كلمة زجر بمعنى كف واسكت وانته

■ (3) سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي الأبرش، واسمه سعيد، والأبرش لقب؛ أبو مجاشع الكلبي.كان يكتب لهشام بن عبد الملك وأحد الفصحاء من أصحاب هشام بن عبد الملك. قيل كان الأبرش الكلبي الشامي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية عاش إلى خلافة المنصور.

■ (2) الربيع بن زياد بن سابور: ويقال ابن سليم بن سابور الحرشي مولاهم الكاتب، كان بالرصافة كاتبا لهشام ابن عبد الملك على الرسائل، وولي خاتمه وحجابه وحرسه، وحكى عن هشام بن عبد الملك، وحكى عنه علي بن محمد المداري.

■ (1) سالم بن عبد الله: ويقال ابن عبد الرحمن، أبو العلاء الأموي، كاتب هشام بن عبد الملك ومولاه وقيل مولى سعيد بن عبد الملك وقيل مولى المنذر بن عبد الملك، كان مع هشام بن عبد الملك بالرصافة من عمل قنسرين، وكان يكتب له، وشهد وفاته بالرصافة وكان على ديوان رسائله ورسائل الوليد بن يزيد، حكى عن هشام بن عبد الملك والأبرش الكلبي. روى عنه عمرو بن طليع، ومحمد بن شهاب الزهري، وعبد الله بن جعفر المخرمي، وقيل إنه كان أستاذ عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد في الكتابة.

■ (4) سعيد بن عبد الملك بن موران: أمير، من بني مروان، من أهل دمشق. كان حسن السيرة متعبدا. ولي الغزو في خلافة أخيه هشام، وولي فلسطين للوليد. وكان عاملا على الموصل وإليه تنسب سوق سعيد فيها وقتل يوم نهر أبي فطرس قرب الرملة، بفلسطين سنة132 هـ وكان يقال له سعيد الخير. وهو الذي حفر نهر سعيد بقرب الرقة، وأقام العمران فيما حوله.

■ (5) أبو سعيد، مسلمة بن عبد الملك، أمير أُموي، وقائد عسكري، وابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب). ولد سنة 66 هـ وتوفي سنة121 هـ.

■ (6) عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين، الأمير، أبو المثنى، الفزاري الشامي، أمير العراقين ويكنى أبا خالد ووالد أميرها يزيد بن عمر بن هبيرة المعروف بـ يزيد بن هبيرة، كان ينوب ليزيد بن عبد الملك فعزله هشام بن عبد الملك، وقد ولي غزو البحر سنة سبع نوبة قسطنطينية، وجمعت له العراق في سنة ثلاث 103 هـ ثم عزل بـ خالد بن عبد الله القسري، فقيده وألبسه عباءة وسجنه، فتحيل غلمانه ونقبوا سربا أخرجوه منه، فهرب واستجار بالأمير مسلمة بن عبد الملك، فأجاره ثم لم يلبث أن مات سنة 107 هـ تقريبا. وله من العمر نيف وخمسون سنة على قول أغلب المؤرخين.

قال سالم كاتب هشام بن عبد الملك: خرج علينا هشام يوما، هادلا عنقه، مرخيا عنان دابته، مسترخية ثيابه عليه، فسار قليلا، ثم إنه انتبه، فجذب عنان برذونه، وسوى عليه ثيابه ثم قال للربيع – وكان على حرسه – : ادع لي الأبرش بن الوليد، فأقبل عليه الأبرش، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد رأيت اليوم منك شيئا، قال: وما هو؟ فأخبره بحاله التي خرج عليهم فيها، قال: ويحك يا أبرش! كيف لا أكون بذلك، وزعم أهل العلم بالنجوم أني أموت إلى ثلاثة وثلاثين يوما من يومي هذا؟ فكتبت: ذكر أمير المؤمنين أنه مسافر إلى ثلاثة وثلاثين يوما من يومي هذا وأدرجت الكتاب، وختمته. فلما كان في الليلة التي صبيحتها ثلاثة وثلاثون يوما أتاني خادم، فقال: أدرك أمير المؤمنين، وائت بالدواء معك – وكان دواء الذبحة، يكون معه – فذهبت بالدواء إليه، فجعل يتغرغر به، وما يسكن عنه ما يجد، حتى مضى من الليل شيء، ثم قال: انصرف، ودع الدواء عندي، فقد وجدت بعض الراحة، فانصرفت إلى منزلي، فلم أنم حتى سمعت الصراخ عليه.

قال هشام يوما، وهو يسير في موكبه: يا لك دنيا! ما أحسنك! لولا أنك ميراث لآخرك، وآخرك كأولك. فلما حضرته الوفاة نظر إلى ولده يبكون حوله، فقال: جاد لكم هشام بالدنيا، وجدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما جمع، وتركتم عليه ما كسب، ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له!

قال الأبرش الكلبي لهشام بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين ، لا تصنع إلي معروفا ، حتى تعدني، فإنه لم يأتني منك سيب على غير وعد، إلا هان علي قدره، وقل مني شكره، فقال له هشام: لئن قلت ذلك، لقد قال سيد أهلك أبو مسلم الخولاني: أنجع المعروف في القلوب، وأبرده على الأكباد، معروف منتظر من وعد لا يكدر بالمطل. وكان يحيى بن خالد لا يقضي حاجة إلا بوعد.

قال الأبرش الكلبي لخالد بن صفوان: هلم أفاخرك، وهما عند هشام بن عبد الملك، فقال له خالد: قل؛ فقال الأبرش: لنا ربع البيت – يريد الركن اليماني – ومنا حاتم طيىء، ومنا المهلب بن أبي صفرة. قال خالد بن صفوان: منا النبي المرسل، وفينا الكتاب المنزل، ولنا الخليفة المؤمل؛ قال الأبرش: لا فاخرت مضريا بعدك.

عن محمد بن سلام، قال: حدا الأبرش بالمنصور، فقال: من الراجز: أغر بين حاجبيه نوره..إذا توارى ربه ستوره. فأطرب المنصور، فأمر له بدرهم! فقال: يا أمير المؤمنين؛ إني حدوت بهشام بن عبد الملك، فطرب فأمر لي بعشرة آلاف درهم؛ فقال: يا ربيع، طالبه بها، وقد أعطاه ما لا يستحقه، وأخذه من غير حله؛! فلم يزل أهل الدولة يشفعون له حتى رد الدرهم وخلي.

قال أبو العباس أحمد بن أبي خالد: كنت يوما عند المأمون أكلمه في بعض الأمر فحضرتني عطسة فرددتها، وفهم المأمون ذلك، وقال: يا أحمد، لم فعلت هذا؟ أما علمت أنه ربما قتل ولسنا نحمل أحدا على هذه الخطيئة، فدعوت له وقلت: يا أمير المؤمنين ما سمعت كلمة لملك أشرف من هذه. قال: بلى، كلمة هشام حين أراد الأبرش الكلبي أن يسوي عليه ثوبه فقال له هشام: إنا لا نتخذ الإخوان خولا .

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ أنساب الأشراف/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ إعتاب الكتاب/ الأعلام للزركلي/

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وخالد بن صفوان (١) 0560

عن خالد بن صفوان بن الأهتم[1] قال أوفدني يوسف بن عمر[2] إلى هشام بن عبد الملك في وفد العراق فقدمت عليه وقد خرج متبديا بقرابته وأهله وحشمه وغاشيته* من جلسائه فنزل في أرض قاع صحصح* متنائف* أفيح* في عام قد بكر وسميه* وتتابع وليه* وأخذت الأرض زينتها من اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونق فهو في أحسن منظر وأحسن مختبر* وأحسن مستمطر* بصعيد كأن ترابه قطع الكافور حتى لو أن قطعة ألقيت فيه لم تترب وقد ضرب له سرادق من حبر* كان صنعه له يوسف بن عمر باليمن فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعة* من خز أحمر مثلها عمامتها وقد أخذ الناس مجالسهم فأخرجت رأسي من ناحية السماط فنظر إلى مثل المستنطق لي فقلت أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمة وسوغكها بشكره وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشدا وعافية* ما تؤول إليه حمدا أخلصه لك بالتقى وكثره لك بالنماء لا كدر عليك منه ما صفا ولا خالط مسروره الردى* فقد أصبحت للمسلمين ثقة ومستراحا إليك يفزعون في مظالمهم وإليك يلجؤون في أمورهم وما أجد يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك شيئا هو أبلغ عن قضاء حقك وتوقير مجلسك لما من الله علي من مجالستك والنظر إلى وجهك من أن أذكرك نعمة الله عندك فأنبهك على شكرها وما أجد في ذلك شيئا هو أبلغ في حديث من تقدم قبلك من الملوك فإن أذن لي أمير المؤمنين أخبرته وكان متكئا فاستوى قاعدا. فقال: هات يا ابن الأهتم.فقلت: يا أمير المؤمنين إن ملكا من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامنا إلى الخورنق* والسدير* في عام قد بكر وسميه وتتابع وليه وأخذت الأرض فيه زينتها من اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونق فهو في أحسن منظر وأحسن مختبر وأحسن مستمطر بصعيد كأن ترابه قطع الكافور حتى لو أن بضعة* ألقيت فيه لم تترب وكان قد أعطي فتاء السن مع الكثرة والغلبة والنماء* فنظر فأبعد النظر فقال لمن حوله: هل رأيتم مثل ما أنا فيه؟ هل أعطي أحد مثل ما أعطيت؟ وعنده رجل من بقايا حملة الحجة والمضي على أدب الحق ومنهاجه فقال له: أيها الملك إنك قد سألت عن أمر أفتأذن في الجواب؟ قال: نعم، قال: أرأيتك هذا الذي قد أعجبت به أهو شئ لم تزل فيه أم هو شئ صار إليك ميراثا عن غيرك وهو زائل عنك وصائر إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: فكذلك هو، قال: أفلا أراك إنما أعجبت بشئ يسير تكون فيه قليلا وتغيب عنه طويلا ويكون غدا لحسابه مر تهنا؟ قال: ويحك فأين المهرب؟ وأين المطلب؟ قال: أما أن تقيم في ملكك فتعمل فيه بطاعة ربك على ما ساءك وسرك ومضك وأرمضك وإما أن تضع تاجك وتضع* أطمارك وتلبس أمساحك* وتعبد ربك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك، قال: فإذا كان السحر فاقرع علي بابي فإن اخترت ما أنا فيه كنت وزيرا لا تعصى وإن اخترت خلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفيقا لا تخالف فلما كان السحر قرع عليه بابه فإذا هو قد وضع تاجه ووضع أطماره ولبس أمساحه وتهيأ للسياحة فلزم والله الجبل حتى أتتهما آجالهما وذلك حيث يقول أخو بني تميم عدي بن زيد العبادي المرائي[3]: أيها الشامت المعير بالدهر أأنت المبرأ الموفور..أم لديك العهد الوثيق من الأيام بل أنت جاهل مغرور..من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام حقير..أين كسرى كسرى الملوك أبو ساسان أم أين قبله سابور . وفي رواية قال خالد: وفدت على هشام بن عبد الملك فوجدته قد بدا لشرب اللبن وذلك في عام قد بكر وسميه وتتابع وليه، وأخذت الأرض زخرفها، وأنواع زينتها، فهي كالزرابي المبثوثة والقباطي المنشورة، وكأن ترابها الكافور، فلو ألقيت بضعة لم تترب، وقد ضربت له سرادقات حبره بعث بها يوسف بن عمر[4] من اليمن، فهي تتلألأ كأنها العقيان، فذكرني مسلمة له فأرسل إلي، فدخلت إليه، وإذا تحته أربعة أفرشة موشاة مثلها مرافقها ومخادها، وعليه جبة خز، وعمامة خز، فجددت له دعاء، ولم أزل قائما حتى أذن لي في الجلوس، ثم نظر إلي كالمستنطق لي فقلت: يا أمير المؤمنين أتم الله عليك نعمه، ودفع عنك نقمه هذا مقام زين الله به أمري، ورفع قدري وذكري، وأطاب نشري، إذ أراني وجه أمير المؤمنين، ولن أرى لمقعدي هذا جزاء هو أفضل من أن أنبه أمير المؤمنين على تفضيل الله إياه ليحمد الله على ما أولاه وأعطاه، ولا أرى موعظة هي أحضر من حديث ملك من سالف الملوك فإن أذن لي أمير المؤمنين حدثته، فاستوى جالسا ثم قال: هات يا بن الأهتم. فقلت: كان ملك فيما مضى جمع له فتاء السن، وذكاء الشباب، وصحة الطباع، وكثرة المال، وسعة الملك، فأشرف يوما وذلك بالخورنق فنظر إلى ما جمع له فأعجبته نفسه، فقال لمن حضره: هل علمتم أحدا أوتي مثل ما أوتيت؟ فسكت القوم وفيهم رجل من بقايا حملة الحجة، فقال له: إن أذنت تكلمت. قال: قل. قال: أرأيت ما جمع الله لك أشيء هو لك لم يزل ولا يزال، أم شيء كان لمن قبلك فزال عنهم وصار إليك وكذلك يزول عنك؟ قال: لا بل شيء كان لمن قبلي وهو زائل عني، فقال: لا أراك إلا مفتونا بشيء تذهب عنك لذته وتبقى تبعته، تكون فيه قليلا، وترتهن به طويلا. فبكى وقال: إلى أين المهرب، وعلى ماذا يكون المعول؟ فقال: إما أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة ربك، وإما أن تلقي عليك أمساحا وتلحق بجبل تعبد فيه ربك حتى يأتيك أجلك، فتكون لك حياة لا موت بعدها، وصحة لا سقم معها. فألقى عليه أمساحا وتعبد في بعض الجبال حتى مات.قال: وأنشدته قول عدي بن زيد العبادي: أين كسرى كسرى الملوك أن..وشروان أم أين قبله سابور..وأخو الحضر إذ بناه وإذ..دجلة تجبى إليه والخابور..لم يهبه ريب المنون فزا..ل الملك عنه فبابه مهجور..وتفكر رب الخورنق أذ أش..رف يوما وللهدى تفكير..سرع جمعه وكثرة ما يمل..ك والبحر معرضا والسدير..فارعوى مبصرا فقال وما غبط..ة حي إلى الممات يصير..ثم بعد الفلاح والملك والأم..ة وارتهم هناك القبور..ثم أمسوا كأنهم ورق ج..ف فألوت به الصبا والدبور. فبكى هشام ونشج، ثم قام كالمغضب وقام من في مجلسه، فقال لي حاجبه: يا هذا ما أعياك لقد كسبت نفسك شرا، دعاك أمير المؤمنين لتحدثه وتسره وتلهيه، وقد علمت أنه انفرد بهذا المكان لئلا يرى ولا يسمع شيئا يكرهه ويؤذيه للعلة التي هو فيها، فما عدوت أن نعيت إليه نفسه وكدرت عليه عيشه. قال: فأقمت أياما أتوقع ما أكره وجعل الشاميون يقولون أين هذا العراقي الأحمق الذي أغضب أمير المؤمنين؟ وجعل هشام يقول: يا مسلمة إنك لا تزال تأتيني بما أكره، ثم لقيني الحاجب فقال: إن أمير المؤمنين قد ذكرك فقال: لله در ابن الأهتم، وأمر لك بصلة، وأذن لك في الانصراف.وقال هشام بن عبد الملك لخالد: عظني وأوجز: فقال: أنت يا أمير المؤمنين فوق الخلق، كذلك جعلك الله، وليس فوقك إلا الله، وأنت صائر إلى الله.

*(غاشيته) الأصل: وعاشيته والمثبت عن المصدرين السابقين والغاشية: من يختلف إليه من القوم (صحصح) الأرض المستوية (متنائف) في معجم الأدباء: تنائف والتنوفة القفر من الأرض وأصل بنائها التنف وهي المفازة والجمع تنائف وقيل التنوفة من الأرض المتباعدة ما بين الأطراف وقيل التنوفة التي لا ماء بها من الفلوات ولا أنيس وإن كانت معشبة وقيل التنوفة البعيدة وفيها مجتمع كلإ ولكن لا يقدر على رعيه لبعدها (الافيح) الواسع (الوسمي) مطر الربيع (الولي) المطر يسقط بعد المطر (المستمطر) براز من الأرض منكشف والمستمطر المكان المحتاج إلى المطر إن لم يمطر وهو مجاز (البضعة) قطعة من اللحم مجتمعة، وجمعها بضع، وهي الهبرة (الدراعة) الجبة مشقوقة المقدم (عافية) معجم الأدباء وابن العديم: وعاقبة (الردى) معجم البلدان: ولا خلط سروره بالردى (الخورنق) قصر بالعراق بناه النعمان الأكبر و(السدير) قصر في الحيرة أحد قصور النعمان (النماء) معجم الأدباء: والقهر (وتضع) معجم الأدباء: وتخلع أطمارك (أمساحك) معجم الأدباء: مسوحك والمسوح جمع مسح وهو ثوب من عشر كثوب الرهبان (مختبر) منظر؟ (الحبر) والحبرة والحبرة ضرب من برود اليمن منمر والجمع حبر وحبرات

■ (1) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري: من فصحاء العرب المشهورين.كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار. ولد ونشأ بالبصرة. وكان أيسر أهلها مالا، ولم يتزوج.له كلمات سائرة، قيل له: أي إخوانك أحب إليك؟ فقال: الذي يغفر زللي ويقبل عللي ويسد خللي. عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي وحظي عنده. وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشئ وذمه. وكان يعارض شبيب بن شيبة، لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة. وجمع بعض كلامه في كتاب. وكان يرمى بالبخل. وكف بصره. توفي نحو 133 هـ أو سنة 135 هـ.

■ (2) أبو عبد الله، يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، ابن عم الحجاج، ولاه هشام بن عبد الملك ولاية اليمن سنة106 هـ ثم ضم إليه ولاية العراق سنة 120هـ، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وذهب إلى العراق،أقره الوليد بن يزيد حتى قتل سنة 127 هـ

■ (3) عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي. شاعر من دهاة الجاهليين، كان قرويا من أهل الحيرة، فصيحا، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجمانا بينه وبين العرب، فسكن المدائن ولما مات كسرى وولي الحكم هرمز أعلى شأنه ووجهه رسولا إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، فزار بلاد الشام، ثم تزوج هندا بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة سنة36 ق. هـ الأبيات في معجم الأدباء وبغية الطلب ومختصر ابن منظور وانظر تخريجها فيه.

■ (4) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم أبو يعقوب، الثقفي: – وهو ابن عم الحجاج – أمير، من جبابرة الولاة في العهد الاموي. كانت منازل أهله في البلقاء بشرقي الاردن وولي اليمن لهشام بن عبد الملك سنة 106 هـ ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة 121 هـ وأضاف إليه إمرة خراسان، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن، ودخل العراق، وعاصمته يومئذ الكوفة فأقام بها. ثم قتل سلفه في الامارة خالد بن عبد الله القسري تحت العذاب. واستمر إلى أيام يزيد بن الوليد، فعزله يزيد في أواخر 126 هـ وقبض عليه، وحبسه في دمشق، إلى أن أرسل إليه يزيد بن خالد القسري من قتله في السجن بثأر أبيه. وعمره نيف وستون سنة. سنة 127 هـ وكان صغير الجحم، قصير القامة عظيم اللحية، فصيحا، جوادا كان سماطه كل يوم خمسمائة مائدة يسلك سبيل الحجاج في الاخذ بالشدة والعنف. وكان يضرب به المثل في التيه والحمق، يقال: أتيه من أحمق ثقيف! قال الذهبي: كان مهيبا جبارا ظلوما.

☪

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ﴾ وعن عبيدة عن عبد الله قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر والثرى على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، قال: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر] (النواجذ) جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس. قال يحيى بن يحيى: جلس مالك يوما فأطرق مليا، ثم رفع رأسه فقال: يا حسرة على الملوك، لأنهم تركوا في نعيم دنياهم، وماتوا قبل أن يموتوا حزنا على ما خلفوا، وجزعا مما استقبلوا. وقال الحسن، وذكر عنده الملوك: أما إنهم وإن هملجت بهم البغال، وأطافت بهم الرجال، وتعاقبت لهم الأموال، إن ذل المعصية في قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه. قال علي رضي الله عنه: النفس تبكي على الدنيا وقد علمت أن السلامة فيها ترك ما فيها لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها وكم من مدائن في الآفاق قد بنيت أمست خرابا وأفنى الموت أهليها أين الملوك التي كانت مسلطنة حتى سقاها بكأس الموت ساقيها إن المكارم أخلاق مطهرة الدين أولها والعقل ثانيها والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف سادسها لا تركنن إلى الدنيا وزينتها فالموت لا شك يفنينا ويفنيها وأعمل لدار غدا رضوان خازنها والجار أحمد والرحمان بانيها قصورها ذهب والمسك طينتها والزعفران حشيش نابت فيها أنهارها لبن مصفى ومن عسل والخمر يجري رحيقا في مجاريها والطير تجري على الأغصان عاكفة تسبح الله جهرا في مغانيها من يشتري الدار في الفردوس يعمرها بركعة في ظلام الليل يحييها. وعن عبد الله بن حكيم قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه فقال: أما بعد: فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاح بالمسألة، فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء]، ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، فاشترى القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله، وانتصحوا كتابه، واستوضئوا منه ليوم الظلمة، فإنما خلقكم للعبادة، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم وأنتم في عمل لله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم، ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا مثلهم. فالوحا الوحا، ثم النجا النجا، فإن وراءكم طلبا حثيثا مره سريع وفي رواية أخرى: أين من تعرفون من إخوانكم ومن أصحابكم؟! قد وردوا على ما قدموا، قدموا ما قدموا في أيام سلفهم، وحلوا فيه بالشقوة والسعادة. أين الجبارون الذين بنوا المدائن، وحففوها بالحوائط، قد صاروا تحت الصخر والآبار. أين الوضاءة الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك وأين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر، فأصبحوا في ظلمات القبور. لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم. إن الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا، ولا يصرفه عن سوء، إلا بطاعته واتباع أمره، وإنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة، واعلموا أنكم ما أخلفتم لله عز وجل فربكم أطعتم، وحقكم حفظتم، وأوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم أن تتقوه، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تستغفروه إنه كان غفارا، أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ الأعلام للزركلي/ مقاييس اللغة/ تاج العروس/ لسان العرب/ أبو بكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره/ أنساب الأشراف/

عن خالد بن صفوان[1] أنه كان بالرصافة عند هشام بن عبد الملك فقدم العباس بن الوليد بن عبد الملك[2]، فغشيه الناس، فكان خالد فيمن أتاه، وكان العباس يصوم الاثنين والخميس. قال خالد: فدخلت عليه في يوم خميس فقال لي: يا بن الأهتم، خبرني عن تسويدكم للأحنف[3]، وانقيادكم له، وكنتم حيا لم تملكوا في جاهلية قط. فقلت له: إن شئت أخبرتك عنه بخصلة لها سود، وإن شئت بثنتين، وإن شئت بثلاث، وإن شئت حدثتك عنه بقية عشيتك حتى تنقضي، ولم تشعر بصومك. قال: هات الأولى، فإن اكتفينا وإلا سألناك. قال: فقلت: كان أعظم من رأينا وسمعنا –ثم أدركني ذهني فقلت: غير الخلفاء– سلطانا على نفسه في ما أراد حملها عليه، وكفها عنه. قال: لقد ذكرتها نجلاء كافية. فما الثانية؟ قلت: قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه، ولا يكون بصيرا بالمحاسن والمساوىء ولم ير ولم يسمع بأحد أبصر بالمحاسن والمساوىء منه، فلا يحمل السلطنة إلا على حسن، ولا يكفها إلى عن قبيح. قال: قد جئت بصلة الأولى لا يصلح إلا بها. فما الثالثة؟ قلت: قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه بصيرا بالمحاسن والمساوىء، ولا يكون حظيظا، فلا يفشو له ذلك في الناس، فلا يذكر به، فيكون عند الناس مشهورا. قال: وأبيك، لقد جئت بصلة الأولين، فما بقية ما يقطع عني العشي؟ قلت: أيامه السالفة. قال: وما أيامه السالفة؟ قلت: يوم فتح خراسان: اجتمعت إليه جموع الأعاجم بمر والروذ* فجاء ما لا قبل له به، وهو في منزل بمضيعة وقد بلغ الأمر به. فصلى عشاء الآخرة، ودعا ربه، وتضرع إليه أن يوفقه ثم خرج يمشي في العسكر مشي المكروب، يتسمع ما يقول الناس، فمر بعبد يعجن وهو يقول لصاحب له: أتعجب لأميرنا، يقيم بالمسلمين في منزل مضيعة، وقد جاءه العدو من وجوه. وقد أطافوا بالمسلمين من نواحيهم، ثم اتخذوهم أغراضا، وله متحول، فجعل الأحنف يقول: اللهم وفق، اللهم سدد، فقال العبد للعبد: فما الحيلة؟ قال: أن ينادي الساعة بالرحيل، فإنما بينه وبين الغيضة فرسخ، فيجعلها خلف ظهره فيمنعه الله بها، فإذا امتنع ظهره بها بعث بمجنبتيه اليمنى واليسرى فيمنع الله بهما ناحيتيه ويلقى عدوه من جانب واحد. فخر الأحنف ساجدا ثم نادى بالرحيل مكانه، فارتحل المسلمون مكبين على رايتهم، حتى أتى الغيضة، فنزل في قبلها، وأصبح فأتاه العدو، فلم يجدوا إليه سبيلا إلا من وجه واحد وضربوا بطبول أربعة، فركب الأحنف، وأخذ الراية، وحمل بنفسه على طبل ففتقه وقتل صاحبه، وهو يقول: إن على كل رئيس حقا..أن يخضب الصعدة أو تندقا. ففتق الطبول الأربعة، وقتل حملتها. فلما فقد الأعاجم أصوات طبولهم انهزموا، فركب المسلمون أكتافهم، فقتلوهم قتلا لم يقتلوا مثله قط. وكان الفتح.

واليوم الثاني أن عليا[4] لما ظهر على أهل البصرة يوم الجمل أتاه الأشتر[5] وأهل الكوفة بعدما اطمأن به المنزل، وأثخن في القتل، فقالوا: أعطنا، إن كنا قاتلنا أهل البصرة حين قاتلناهم وهم مؤمنين فقد ركبنا حوبا كبيرا، وإن كنا قاتلناهم كفارا وظهرنا عليهم عنوة فقد حلت لنا غنيمة أموالهم وسبي ذراريهم، وذلك حكم الله تعالى وحكم نبيه في الكفار إذا ظهر عليهم. فقال علي: إنه لا حاجة بكم أن تهيجوا حرب إخوانكم، وسأرسل إلى رجل منهم فأستطلع برأيهم وحجتهم فيما قلتم، فأرسل إلى الأحنف بن قيس في رهط، فأخبرهم بما قال أهل الكوفة. فلم ينطق أحد غير الأحنف، فإنه قال: يا أمير المؤمنين، لماذا أرسلت إلينا؟! فوالله إن الجواب عنا لعندك، ولا نتبع الحق إلا بك، ولا علمنا العلم إلا منك. قال: أحببت أن يكون الجواب عنكم منكم ليكون أثبت للحجة، وأقطع للتهمة فقل. فقال: إنهم قد أخطؤوا وخالفوا كتاب الله وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم إنما كان السبي والغنيمة على الكفار الذين دارهم دار الكفر. والكفر لهم جامع، ولذراريهم. ولسنا كذلك. وإنها دار إيمان ينادى فيها بالتوحيد وشهادة الحق وإقام الصلاة. وإنما بغت طائفة أسماؤهم معلومة، أسماء أهل البغي، والثانية حجتنا أنا لم نستجمع على ذلك البغي، فإنه قد كان من أنصارك من أثبتهم بصيرة في حقك، وأعظمهم غناء عنك، طائفة من أهل البصرة، فأي أولئك يجهل حقه وينسى قرابته؟ إن هذا الذي أتاك به الأشتر وأصحابه قول متغلمة أهل الكوفة، وأيم الله، لئن تعرضوا لها لتكرهن عاقبتها، ولا تكون الآخرة كالأولى. فقال علي: ما قلت إلا ما تعرف. فهل من شيء تخصون به إخوانكم بما قاسوا من الحرب؟ قال: نعم، أعطياتنا في بيت المال. ولم تك لتصرفها في عدلك عنا. فقد طبنا عنها نفسا في هذا العام، فاقسمها فيهم. فدعاهم علي، فأخبرهم بحجج القوم، وما قالوا، وبموافقتهم إياه. ثم قسم المال بينهم: خمسئة لكل رجل. فهذا اليوم الثاني.

وأما اليوم الثالث فإن زيادا[6] أرسل إليه بليل وهو جالس على كرسي في صحن داره، فقال: يا أبا بحر، ما أرسلت إليك في أمر تنازعني فيه مخلوجة، ولكني أرسلت إليك وأنا على صريمة، فكرهت أن يروعك أمر يحدث ولا تعلمه. قال: فما هو؟ قال: هذه الحمراء قد كثرت بين أظهر المسلمين، وكثر عددهم، وخفت عدوتهم، والمسلمون في ثغرهم وجهادهم عدوهم، وقد خلفوهم في نسائم وحرمهم، فأردت أن أرسل إلى كل من كان في عرافة من المقاتلة فيأتوا بسلاحهم، ويأتيني كل عريف بمن في عرافته من عبد أو مولى فأضرب رقابهم فتؤمن ناحيتهم. قال الأحنف: ففيم القول وأنت على صريمة؟ قال: لتقولن. قال: فإن ذلك ليس لك. يمنعك من ذلك خصال ثلاث: أما الأولى فحكم الله عز وجل في كتاب عن الله، وما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس من قال: لا إله إلا الله وشهد أن محمدا رسول الله، بل حقن دمه. والثانية أنهم غلة الناس، لم يغز غاز فخلف لأهل ما يصلحهم إلا من غلاتهم، وليس لك أن تحرمهم. وأما الثالثة فهم يقيمون أسواق المسلمين، أفتجعل العرب يقيمون أسواقهم قصابين وقصارين وحجامين؟! قال: فوثب عن كرسيه، ولم يعلمه أنه قبل منه، وانصرف الأحنف. قال: فما بت بليلة أطول منها، أتسمع الأصوات. قال: فلما نادى أول المؤذنين قال لمولى له: ائت المسجد فانظر هل حدث أمر؟ فرجع فقال: صلى الأمير وانصرف، ولم يحدث إلا خير.

----

*(مرو الروذ) المرو: الحجارة البيض تقتد حبها النار، والروذ: بالفارسية النهر، ومرو الروذ قريبة من مرو الشاهجان، وتقع على نهر عظيم. وبالأحنف هو الذي افتتح مروورود في خلافة عثمان سنة 31. مرو: وهي مدينتان متقاربتان :مرو الشاهجان و مرو الروذ. من أهم مدن خراسان.

■ (1) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري: من فصحاء العرب المشهورين.كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار. ولد ونشأ بالبصرة. وكان أيسر أهلها مالا، ولم يتزوج.له كلمات سائرة، قيل له: أي إخوانك أحب إليك؟ فقال: الذي يغفر زللي ويقبل عللي ويسد خللي. عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي وحظي عنده. وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشئ وذمه. وكان يعارض شبيب بن شيبة، لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة. وجمع بعض كلامه في كتاب. وكان يرمى بالبخل. وكف بصره. توفي نحو 133 هـ أو سنة 135 هـ.

■ (3) أبو بحر، الضحاك بن قيس بن معاوية، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه: صخر، وقيل: حصين وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه: مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي ودعا له ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، وشهد مع علي وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان. وهو الذي افتتح مروورود في خلافة عثمان سنة 31.–مروروذ/ مرو الروذ من بلاد بني مازن؛من مدينة مرو إلى مروورود خمس مراحل– وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ، عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد.

■ (2) العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو الحارث الأموي. كان يقال له فارس بني مروان. استعمله أبوه على حمص، وولي المغازي، وافتتح عدة حصون، ولكنه كان ينال من عمر بن عبد العزيز بجهل. وقد مات في سجن مروان بن محمد في حدود سنة 130 هـ.

■ (6) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ.

■ (5) مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بـ الأشتر. أدرك الجاهلية وكان من أصحاب علي وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها.وحضر خطبة عمر في الجابية، وسكن الكوفة، وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها، وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي، وولاه علي مصر فقصدها فمات في الطريق سنة 37 هـ.

■ (4) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

عن مصعب بن حيان عن جويبرعن الضحاك قال: كتب عمر بن الخطاب إلى موسى رضي الله عنهما في العام الذي مات فيه أن وجه الأحنف في خمسة آلاف إلى خراسان، فتوفي عمر قبل أن يسرحه. قال ابن سيرين: بعث عمر الأحنف بن قيس على جيش قبل خراسان فبيتهم العدو وفرقوا جيوشهم، وكان الأحنف معهم، ففزع الناس، فكان أول من ركب الأحنف ومضى نحو الصوت وهو يقول: الرجز: إن على كل رئيس حقا..أن يخضب الصعدة أو تندقا. ثم حمل على صاحب الطبل فقتله، وانهزم العدو، فتقلوهم وغنموا، وفتحوا مدينة يقال لها: مروروذ. قالوا: ثم سار الأحنف بن قيس بن مروروذ إلى بلخ فصالحوه على أربع مئة ألف. ثم أتى خوارزم ولم يطقها فرجع.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

بلغ خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري[1] من هشام بن عبد الملك محلا رفيعا، فأفسد أمره العجب والكبر وأدياه إلى الهلكة، وعذب حتى مات: روي أنه التفت يوما إلى ابنه يزيد بن خالد[2] وهو عند هشام فقال له: كيف بك يا بني إذا احتاج إليك ولد أمير المؤمنين؟ فقال: أواسيهم ولو بقميصي. فتبين الغضب في وجه هشام واحتملها. وكان إذا ذكر هشام قال: ابن الحمقاء. فسمعها رجل من أهل الشام فقال لهشام: إن هذا البطر الأشر الكافر لنعمتك ونعمة أبيك يذكرك بأسوأ الذكر، قال: ماذا يقول؟ لعله يقول الأحوال، قال: لا والله ولكن يقول ما لا تلتقي به الشفتان، قال لعله قال: ابن الحمقاء؟ فأمسك الشامي فقال: قد بلغني كل ذلك عنه. وكان خالد يقول: والله ما إمارة العراق مما يشرفني، فبلغ ذلك هشاما فغاظه فكتب إليه: بلغني أنك يا ابن النصرانية تقول: ما إمارة العراق مما يشرفك، وأنت دعي إلى بجيلة* القليلة الذليلة. أم والله إني لأظن أن أول ما يأتيك ضغن من قيس فيشد يدك إلى عنقك. قال خالد بن صفوان بن الأهتم[3]: لم تزل أفعال خالد حتى عزله هشام وعذبه وقتل ابنه يزيد بن خالد، فرأيت في رجله شريطا قد شد به، والصبيان يجرونه، فدخلت إلى هشام يوما فحدثته فأطلت، فتنفس وقال: يا خالد، رب خالد كان أحب إلي قربا وألذ عندي حديثا منك، يعني خالدا القسري، فانتهزتها ورجوت أن أشفع له فتكون لي عند خالد يدا، فقلت: يا أمير المؤمنين ما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده، فقد أدبته بما فرط منه. فقال: هيهات إن خالدا أوجف فأعجف، وأدل فأمل، وأفرط في الإساءة فأفرطنا في المكافأة، فحلم الأديم، ونغل الجرح، وبلغ السيل الزبى والحزام الطبيين، ولم يبق فيه مستصلح، ولا للصنيعة عنده موضع؛ عد إلى حديثك.

كان هشام إذا أراد أمرا أمر الأبرش[4] فكتب به إلى خالد فكتب الأبرش إنه بلغ أمير المؤمنين أن عبد الرحمن بن ثويب[5] الضني ضنة سعد إخوة عذرة بن سعد* قام إليك فقال يا خالد إني لأحبك لعشر خصال إن الله كريم وأنت كريم والله جواد وأنت جواد والله رحيم وأنت رحيم والله حليم وأنت حليم حتى عد عشرا وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن تحقق عنده ذلك ليستحلن دمك فاكتب إلي بالأمر على وجهه لأخبر به أمير المؤمنين فكتب إليه خالد إن ذلك المجلس كان أكثر أهلا من أن يجوز لأحد من أهل البغي والفجور أن يحرف ما كان فيه إلى غيره قام إلي عبد الرحمن بن ثويب فقال: يا خالد أني لأحبك لعشر خصال إن الله كريم يحب كل كريم، والله يحبك وأنا أحبك لحب الله إياك ،حتى عدد عشر خصال، ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شقي الحميري إلى أمير المؤمنين وقوله: يا أمير المؤمنين خليفتك في أهلك أكرم عليك أم رسولك؟ فقال أمير المؤمنين: بل خليفتي في أهلي، فقال ابن شقي: فأنت خليفة الله ومحمد رسوله، ولعمري لضلالة رجل من بجيلة –يعني نفسه–، إن ضل أهون على العامة والخاصة من ضلال أمير المؤمنين، فأقرأ الأبرش هشاما كتابه فقال: خرف أبو الهيثم.

----

*(بجيلة) حي من اليمن، وقد يقال: إنهم من معد (بني عذرة) قبيلة حميرية كانت تقطن في وادي القرى، هم بنو عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن حمير بن سبأ (ضنة) بالكسر : خمس قبائل من العرب وقول الجوهري : قبيلة قصور : ضنة بن سعد في قضاعة وابن عبد الله في عذرة وابن الحلاف في أسد بن خزيمة وابن العاص في الأزد وابن عبد الله في نمير .

■ (1) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، من بجيلة، أبو يزيد وأبو الهيثم: أمير العراقين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم. يماني الأصل، من أهل دمشق. ولي مكة سنة 89 هـ للوليد بن عبد الملك، ثم ولاه هشام العراقين الكوفة والبصرة سنة 105 هـ، فأقام بالكوفة. وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة 120 هـ وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج وأمره أن يحاسبه، فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة، ثم قتله بالحيرة في أيام الوليد بن يزيد سنة 126 هـ. وكان خالد يرمى بالزندقة، وللفرزدق هجاء فيه.

■ (2) يزيد بن خالد بن عبد الله بن يزيد ابن أسد القسري البجلي: أمير. كان مع أبيه في العراق. وقتل أبوه، فانتقل إلى غوطة دمشق، فأقام إلى أن ولي الخلافة مروان بن محمد بن مروان، وانتقض أهل الغوطة، فنادوا به أميرا عليهم، وهاجموا دمشق فحصروها، فأقبل عليهم جمع لمروان من حمص، وخرج لقتالهم من في دمشق، فانهزموا. وأخذ يزيد فقتل وصلب على باب الفراديس بدمشق، وبعث برأسه إلى مروان وهو يومئذ بحمص.سنة 127 هـ

■ (3) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري: من فصحاء العرب المشهورين.كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار. ولد ونشأ بالبصرة. وكان أيسر أهلها مالا، ولم يتزوج.له كلمات سائرة، قيل له: أي إخوانك أحب إليك؟ فقال: الذي يغفر زللي ويقبل عللي ويسد خللي. عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي وحظي عنده. وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشئ وذمه. وكان يعارض شبيب بن شيبة، لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة. وجمع بعض كلامه في كتاب. وكان يرمى بالبخل. وكف بصره. توفي نحو 133 هـ أو سنة 135 هـ.

■ (4) سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي الأبرش، واسمه سعيد، والأبرش لقب؛ أبو مجاشع الكلبي.كان يكتب لهشام بن عبد الملك وأحد الفصحاء من أصحاب هشام بن عبد الملك. قيل كان الأبرش الكلبي الشامي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية عاش إلى خلافة المنصور.

■ (5) أبو منقذ عبد الرحمن بن ثويب تابعي.؟

☪

عن عروة بن محمد، حدثني أبى، عن جدي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا اسْتَشَاطَ السُّلْطَانُ، تَسَلَّطَ الشَّيْطَانُ﴾ قال الشعبي والأصمعي عن أبيه قالا: جرى بين رجل يقال له أبو الجهم وبين معاوية كلام فتكلم أبو الجهم بكلام فيه غمر لمعاوية، فأطرق معاوية. ثم رفع رأسه فقال: يا أبا الجهم إياك والسلطان فإنه يغضب غضب الصبيان، ويأخذ أخذ الأسد، وإن قليله يغلب كثير الناس. ثم أمر معاوية لابي الجهم بمال فقال: أبو الجهم في ذلك يمدح معاوية: نميل على جوانبه كأننا.. نميل إذا نميل على أبينا نقلبه لنخبر حالتيه..فنخبر منها كرما ولينا. قال الزهري سمعت رجلا من أهل الري يقول: سمعت زيادا على المنبر يقول: إن أكذب الناس من قام على رأس مئة ألف فكذبهم. إني والله لا أعدكم خيرا إلا أنجزته لكم، ولا شرا إلا أنجزته لكم، ولا أعاقبكم بذنب حتى أتقدم إليكم فيه، فاتقوا غضب السلطان، فإنه يغضبه ما يغضب الوليد، ويأخذ أخذ الأسد، وله ملك مؤجل، فإذا انقضت مدته كشفه الله عنكم.

قال أبو حاتم: من صحب السلطان فلا يجب أن يكتمه نصيحته لأن من كتم السلطان نصيحته والأطباء مرضه والإخوان بثه فقد خان نفسه ومن يصحب السلطان لا ينجو من الآثام كما أن راكب العجل لا يأمن العثار ولا يجب أن يأمن غضب السلطان إن صدقه ولا عقوبته إن كذبه ولا يجتريء عليه وإن أدناه لأن الحازم العاقل لا يشرب السم اتكالا على ما عنده من الترياق والأدوية وإني لأستحب لمن امتحن بصحبة السلطان أن يعلمه لزوم تقوى الله والعمل الصالح كأنه يتعلم منه ويؤدبه كأنه يتأدب به ويتقي سخطاته والسخط إذا كان الرضا عنه موجودا وإذا كان من غير علة ينقطع حينئذ الرجاء ولا يجب أن يعلم كل ما تأتي الملوك من أمورها لأن في معرفتهم إياها بعض الفتنة وهيهات من ذا صحب السلطان فلم يفتتن ومن اتبع الهوى فلم يعطب إن الشجرة الحسنة ربما كان سبب هلاكها طيب ثمرتها وربما كان ذنب الطاووس الذي في جماله سبب حتفه لأنه يثقله حتى يمنعه من الهرب ومن صحب السلطان لم يأمن التغير على نفسه لأن الأنهار إنما تكون عذبه ما لم تنصب إلى البحور فإذا وقعت في البحور ملحت على أن قعود العلماء عن أبواب الملوك زيادة في نور علمهم وكثرة غشيانهم إياهم غشاوة على قلوبهم ومن صحب الملوك لم يأمن تغيرهم ومن زايلهم لم يأمن تفقدهم وإن قطع الأمور دونهم لم يأمن فيها مخالفتهم وإن عزم على شيء لم يجد بدا من مؤامرتهم وأسمج شيء بالملوك الحدة.

☪

عن داود بن عبد الرحمن العطار إن شاء الله قال: كان خالد بن عبد الله القسري في إمارته على مكة في زمن الوليد بن عبد الملك يذكر الحجاج في خطبته كل جمعة إذا خطب ويقرظه فلما توفي الوليد وبويع لـ سليمان بن عبد الملك أقر خالدا على مكة وكتب إلى عماله يأمرهم بلعن الحجاج بن يوسف فلما أتاه الكتاب قال: كيف أصنع كيف أكذب نفسي في هذه الجمعة بذمه وقد مدحته في الجمعة التي قبلها ما أدري كيف أصنع؟! فلما كان يوم الجمعة خطب ثم قال في خطبته: أما بعد أيها الناس فإن إبليس كان من ملائكة الله تبارك وتعالى في السماء وكانت الملائكة ترى له فضلا بما يظهر من طاعة الله عز وجل وعبادته وكان الله عز وجل قد اطلع على سريرته فلما أراد أن يهتكه أمره بالسجود لآدم عليه السلام فامتنع فلعنه وإن الحجاج بن يوسف كان يظهر من طاعة الخلفاء ما كنا نرى له بذلك علينا فضلا وكنا نزكيه وكأن الله قد اطلع سليمان أمير المؤمنين من سريرته وخبث مذهبه على ما لم يطلعنا عليه فلما أراد الله تبارك وتعالى هتك ستر الحجاج أمرنا أمير المؤمنين سليمان بلعنه فالعنوه لعنه الله.

وكانت قريش بمكة أهل كثرة وثروة وأهل مقال في كل مقام هم أهل النادي والبلد وعليهم يدور الأمر وفي الناس يومئذ بقية ومسكة فأحدث خالد بن عبد الله في ولايته هذه حدثا منكرا فقام إليه رجل من بني عبد الدار بن قصي يقال له طلحة بن عبد الله بن شيبة، ويقال بل هو عبد الله بن شيبة الأعجم كما سمعت رجلا من أهل مكة يحدث بذلك، فأمره بالمعروف ونهاه عما فعل، فغضب خالد غضبا شديدا وأخالف الرجل فخرج الرجل إلى سليمان بن عبد الملك يشكو إليه ويتظلم منه فحدثنا الزبير بن أبي بكر قال: ثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال: أخاف رجلا من بني عبد الدار خالد بن عبد الله القسري، وهو عامل على مكة، فخرج إلى سليمان بن عبد الملك، فشكا إليه أمره، فكتب إلى خالد ألا تعرض له بأمر يكرهه، فلما جاء الكتاب وضعه، ولم يفتحه، وأمر به فبرز وجلد، ثم فتح الكتاب فقرأه، فقال: لو كنت دريت بما في كتاب أمير المؤمنين لما ضربتك، فرجع العبدري إلى سليمان فأخبره، فغضب وأمر بالكتاب في قطع يد خالد، فكلمه فيه يزيد بن المهلب، وقبل يده فوهب له يده، وكتب في قوده منه فجلد خالدا مثل ما جلده، فقال الفرزدق: لعمري لقد صبت على ظهر خالد..شآبيب ما استهللن من سبل القطر..أتجلد في العصيان من كان عاصيا..وتعصي أمير المؤمنين أخا قسر. وقال أيضا: سلو خالدا لا قدس الله خالدا ..متى وليت قسر قريشا تهينها..أبعد رسول الله أم قبل عهده..وجدتم قريشا قد أغث سمينها..رجونا هداه لا هدى الله قلبه..وما أمه بالأم يهدى جنينها.

قالوا: بعث خالد بن عبد الله القسري إلى هشام بمال، وأرسل قوما يشهدون أنه طيب أخذ من حله، فصانع رجل بألفي درهم حتى جعل مع الشهود، وصبر آخرهم، فقدموا على هشام فقال: أين المزكون، فدعا رجلا رجلا فحلفوا بالله أنه ما أخذ شيئا من ذلك المال إلا من حلال، ولا حمل إليه خالد إلا الفضل بعد أن أعطى كل ذي حق حقه، حتى قام ذلك الرجل المصانع بالألفين فحلف بالله لقد شهدوا بزور وفجور. فقال هشام: أراك مستأجرا؟ فقال: والله لقد صانعت بألفي درهم حتى الحقت بالشهود، قال: أفأنت خارجي؟ قال: لا والله ما أنا بخارجي، ولكني نظرت لك فاتق الله. فقال هشام لمن حضره: ما ترون؟ فقالوا: نرى أن تقتله فإن له مذهب سوء، وإلا فلم صانع ليخبث بنفس أمير المؤمنين، ويجرح شهادات مثل هؤلاء فقتله وصلبه، ويقال بعث به إلى خالد فقتله وصلبه بواسط.

قال عبد الله بن عبد الرحمن بن شمر الخولاني: حدثني عبد الملك مولى خالد بن عبد الله القسري قال: إني لأسير بين يدي خالد في يوم شديد البرد في بعض نواحي الكوفة ومعه يومئذ وجوه الناس وكبارهم إذ قام إليه رجل فقال: حاجة أصلح الله الأمير، فوقف وكان كريما فقال: وما هي؟ قال: تأمر رجلا فيضرب عنقي! قال: لم قطعت طريقا؟ قال: لا، قال: فأخفت سبيلا؟ قال: لا، قال: فنزعت يدا من طاعة؟ قال: لا، قال: فعلى ما أضرب عنقك؟! قال: الفقر والحاجة، أصلح الله الأمير قال: تمنه، قال: ثلاثين ألفا؟ قال: فالتفت خالد إلى أصحابه فقال: هل علمتم تاجرا ربح الغداة ما ربحت ؟! نويت له مائة ألف فتمنى علي ثلاثين ألفا، فربحت سبعين ألفا، ارجعوا بنا فلا حاجة لنا بربح أكثر من هذا، ارجعوا بنا، فرجع من مركبه ذلك وأمر له بثلاثين ألفا.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ التذكرة الحمدونية/ جمهرة اللغة/ غاية المقصد في زوائد المسند/ البداية والنهاية/ أخبار مكة للفاكهي/ الكامل في التاريخ/ تاريخ الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ القاموس المحيط/

قال ابن خلكان: لما أراد هشام عزل خالد[1] عن العراق، وعنده -جندب مولى يوسف-رسول يوسف بن عمر[2] من اليمن، قال: إن صاحبك قد تعدى طوره، وفعل وفعل، ثم أمر بتخريق ثيابه وضربه أسواطا، وقال: امض إلى صاحبك فعل الله به، ثم دعا بسالم كاتبه، -سالم مولى عنبسة وهو على الديوان- وقال: اكتب إلى يوسف، سر إلى العراق واليا سرا، واشفني من ابن النصرانية وعماله، ثم أمسك الكتاب بيده، وجعله في طي كتاب آخر، ولم يشعر الرسول، فقدم اليمن، فقال يوسف: ما وراءك ؟ قال: الشر، ضربني أمير المؤمنين، وخرق ثيابي، ولم يكتب إليك، بل إلى صاحب ديوانك. ففض الكتاب وقرأه، ثم وجد الكتاب الصغير، فاستخلف على اليمن ابنه الصلت[3]، وسار إلى العراق، وجاءت العيون إلى خالد، فأشار عليه نائبه طارق[4] ائذن لي إلى أمير المؤمنين، وأضمن له مالي السنة مئة ألف ألف، وآتيك بعهدك، قال: ومن أين هذه الاموال؟ قال: أتحمل أنا وسعيد بن راشد[5] أربعين ألف الف، وأبان[6] والزينبي[7] عشرين ألف ألف، ويفرق الباقي على باقي العمال، فقال: إني إذا للئيم أسوغهم شيئا، ثم أرجع فيه، قال: إنما نقيك، ونقي أنفسنا ببعض أموالنا، وتبقى النعمة علينا، فأبى، فودعه طارق، ووافى يوسف، فمات طارق في العذاب، ولقي خالد كل بلاء، ومات في العذاب جماعة من عماله بعد أن استخرج منهم يوسف تسعين ألف ألف درهم. وقيل: إن هشاما حقد على خالد بكثرة أمواله وأملاكه، ولانه كان يطلق لسانه في هشام، وكتب إلى يوسف أن سر إليه في ثلاثين راكبا. فقدم الكوفة في سبع عشرة ليلة، فبات بقرب الكوفة وقد ختن واليها طارق ولده، فأهدوا لطارق ألف عتيق وألف وصيف، وألف جارية، سوى الاموال والثياب، فأتى رجل طارقا، فقال: إني رأيت قوما أنكرتهم، وزعموا أنهم سفار، وصار يوسف إلى دور بني ثقيف، فأمر رجلا، فجمع له من قدر عليه من مضر، ودخل المسجد الفجر، فأمر المؤذن بالاقامة، فقال: لا حتى يأتي الامام، فانتهره وأقام، وصلى، وقرأ:﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة] و﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج]، ثم أرسل إلى خالد وأصحابه، فأخذوا وصادرهم.

قال أشرس الاسدي: أتى كتاب هشام يوسف فكتمنا، وقال: أريد العمرة، فخرج وأنا معه، فما كلم أحدا منا بكلمة، حتى أتى العذيب*، فقال: ما هي بأيام عمرة، وسكت حتى أتى الحيرة*، ثم استلقى على ظهره، وقال: فما لبثتنا العيس أن قذفت بنا ..نوى غربة والعهد غير قديم. ثم دخل الكوفة فصلى الفجر، وكان فصيحا طيب الصوت. وقيل: إن هشام بن عبدالملك كتب إلى يوسف: لئن شاكت خالدا شوكة لاقتلنك، فأتى خالد الشام، فلم يزل بها يغزو الصوائف حتى مات هشام. وقيل: بل عذبه يوسف يوما واحدا، وسجنه بضعة عشر شهرا، ثم أطلق، فقدم الشام سنة اثنتين وعشرين. ونقل ابن خلكان أن يوسف عصره حتى كسر قدميه وساقيه، ثم عصره على صلبه، فلما انقصف مات، وهو في ذلك لا يتأوه ولا ينطق، وهذا لم يصح، فإنه جاء إلى الشام وبقي بها حتى قتله الوليد الفاسق. قال ابن جرير: لبث خالد بن عبد الله في العذاب يوما، ثم وضع على صدره المضرسة، فقتل من الليل في المحرم سنة ست وعشرين ومئة في قول الهيثم بن عدي، فأقبل عامر بن سهلة الاشعري، فعقر فرسه على قبره، فضربه يوسف بن عمر سبع مئة سوط. وقال فيه أبو الأشعث العبسي: ألا إن خير الناس حيا وميتا..أسير ثقيف عندهم في السلاسل.. لعمري لقد أعمرتم السجن خالدا..وأوطأتموه وطأة المتثاقل.. فإن سجنوا القسري لا يسجنوا اسمه..ولا يسجنوا معروفه في القبائل.. لقد كان نهاضا بكل ملمة..ومعطي اللها غمرا كثير النوافل. ويقال أن امرأة أتته فقالت: أصلح الله الأمير، إني امرأة مسلمة وإن عاملك فلانا المجوسي وثب علي، فأكرهني على الفجور وغصبني نفسي، فقال لها: كيف وجدت قلفته؟ فكتب بذلك حسان النبطي[8] إلى هشام، وعنده يومئذ رسول يوسف بن عمر. فكتب معه إليه بولاية العراق ومحاسبة خالد وعماله.

عن مسلمة بن محارب قال: قال خالد بن صفوان: دخلت على هشام بن عبد الملك في يوم شديد الحر وهو في بركة ماؤها يغمر الكعبين، وقد وضع له كرسي فجلس عليه، فلما رآني دعا لي بكرسي، ثم جلس يسائلني فأقبلت أحدثه، ثم قال: يا خالد لرب خالد جلس مجلسك كان أحب إلي منك -يعني خالد بن عبد الله القسري- قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، لو تفضلت عليه بصفحك وتغمدته بحلمك؟ فقال: إن خالدا أدل فأمل، وأوجف فأعجف، فسكت. وعن الهيثم قال: أهدى خالد بن عبد الله وهو على العراق إلى ولد هشام وحشمه هدايا، وأغفل خادما له، فأخذ الخادم ابنا له صغيرا فوقف به حيث يسمع هشام الكلام، ثم قرصه قرصة أبكته فقال: والله لو كنت من ولد خالد بن عبد الله القسري ما عدا، فسمع هشام قوله فكان ذلك أول ما وقر في قلبه. قالوا: ولما غضب هشام على خالد أرسل إليه يذكره حرمته، فقال إن الإفراط في الدالة يفسد الحرمة.

----

*(العذيب) بظاهر الكوفة، والعذيب أيضا لبني تميم وكذلك بارق (الحيرة) مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف

■ (1) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، من بجيلة، أبو الهيثم: أمير العراقين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم. يماني الاصل، من أهل دمشق. ولي مكة سنة 89 هـ للوليد ثم سليمان، ثم ولاه هشام العراقين الكوفة والبصرة سنة 105 هـ، فأقام بالكوفة.وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة 120 هـ وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه، فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد. سنة 126 هـ وكان خالد يرمى بالزندقة، وللفرزدق هجاء فيه.وقيل كان يقول في علي ما لا يحل ذكره.

■ (2) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم أبو يعقوب، الثقفي: = وهو ابن عم الحجاج - أمير، من جبابرة الولاة في العهد الاموي. كانت منازل أهله في البلقاء بشرقي الاردن وولي اليمن لهشام بن عبد الملك سنة 106 هـ ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة 121 هـ وأضاف إليه إمرة خراسان، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن، ودخل العراق، وعاصمته يومئذ الكوفة فأقام بها. ثم قتل سلفه في الامارة خالد بن عبد الله القسري تحت العذاب. واستمر إلى أيام يزيد بن الوليد، فعزله يزيد في أواخر 126 هـ وقبض عليه، وحبسه في دمشق، إلى أن أرسل إليه يزيد بن خالد القسري من قتله في السجن بثأر أبيه. وعمره نيف وستون سنة. سنة 127 هـ وكان صغير الحجم، قصير القامة عظيم اللحية، فصيحا، جوادا كان سماطه كل يوم خمسمائة مائدة يسلك سبيل الحجاج في الاخذ بالشدة والعنف. وكان يضرب به المثل في التيه والحمق، يقال: أتيه من أحمق ثقيف! قال الذهبي: كان مهيبا جبارا ظلوما.

■ (8) حسان النبطي كاتب الحجاج؟ مولى بني ضبة وصاحب حوض حسان بالبصرة وقناة حسان بالبطائح وقرية حسان بواسط لما ولي بذلك للوليد ثم لهشام بن عبد الملك (3) الصلت بن يوسف بن عمر قتل سنة 129 هـ ؟ (5) سعيد بن راشد ؟ (4) طارق بن أبي زياد عامل فارس ؟ (6) أبان بن الوليد البجلي ولاه خالد بن عبد الله القسري المبارك بلدة بسواد العراق ؟ (7) الزينبي... الزبير عامل أصبهان والري وقومس ؟

☪

قال ابن كثير: ذكر الاصمعي عن أبيه: أن خالدا حفر بئرا بمكة ادعى فضلها على زمزم، وله في رواية عنه تفضيل الخليفة على الرسول، وهذا كفر إلا أن يريد بكلامه غير ما يبدو منه والله أعلم. والذي يظهر أن هذا لا يصح عنه، فإنه كان قائما في إطفاء الضلال والبدع كما قدمنا من قتله للجعد بن درهم[1] وغيره من أهل الالحاد، وقد نسب إليه صاحب العقد أشياء لا تصح، لان صاحب العقد كان فيه تشيع شنيع ومغالاة في أهل البيت، وربما لا يفهم أحد من كلامه ما فيه من التشيع، وقد اغتر به شيخنا الذهبي فمدحه بالحفظ وغيره. وقد ذكر ابن جرير وابن عساكر وغيرهما: أن الوليد بن يزيد[2] كان قد عزم على الحج في إمارته فمن نيته أن يشرب الخمر على ظهر الكعبة، فلما بلغ ذلك جماعة من الامراء اجتمعوا على قتله وتولية غيره من الجماعة، فحذر خالد أمير المؤمنين منهم، فسأله أن يسميهم فأبى عليه فعاقبه عقابا شديدا، ثم بعث به إلى يوسف بن عمر فعاقبه حتى مات شر قتلة وأسوأها، وذلك في محرم من هذه السنة -أعني سنة ست وعشرين ومائة- وذكر القاضي ابن خلكان في الوفيات وقال: كان متهما في دينه، وقد بنى لامه كنيسة في داره، قال فيه بعض الشعراء وقال صاحب الاعيان كان في نسبه يهود فانتموا إلى القرب، وكان يقرب [من] شق وسطيح. (شق وسطيح اثنان من الكهان كانا في الجاهلية)

☪

قال ابن أبي خيثمة: حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي، سمعت أبا بكر بن عياش يقول: رأيت خالدا القسري حين أتى بالمغيرة بن سعيد[3] أصحابه، وكان يريهم أنه يحيي الموتى، فقتل خالد واحدا منهم، ثم قال للمغيرة: أحيه فقال: والله ما أحيي الموتى، قال: لتحيينه أو لاضربن عنقك، ثم أمر بطن من قصب فأضرموه، وقال: اعتنقه، فأبى، فعدا جل من أتباعه فاعتنقه، قال أبو بكر: فرأيت النار تأكله وهو يشير بالسبابة، فقال خالد: هذا والله أحق بالرئاسة منك، ثم قتله وقتل أصحابه. عن قتيبة بن سعيد وغيره، قالا: حدثنا القاسم بن محمد، عن عبدالرحمن بن محمد بن حبيب، عن أبيه، عن جده، قال: شهدت خالدا القسري في يوم أضحى، يقول: ضحوا تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا، ثم نزل فذبحه. قلت: هذه من حسناته، هي، وقتله مغيرة الكذاب.

☪

قال الاصمعي: أن أعرابيا قال لخالد القسري: أصلحك الله، لم أصن وجهي عن مسألتك، فصنه عن الرد، وضعني من معروفك حيث وضعتك من رجائي، فوصله. وقال أعرابي: يأمر الامير لي بملء جرابي دقيقا ؟ قال: املؤوه له دراهم، فقيل للاعرابي، فقال: سألت الامير ما أشتهي، فأمر لي بما يشتهي. قال عبد الله بن شمر الخولاني، حدثني عبدالملك مولى خالد بن عبد الله، قال: إني لاسير بين يدي خالد بالكوفة ومعه الوجوه، فقام إليه رجل، فقال: أصلح الله الامير، فوقف، وكان كريما، فقال: مالك ؟ قال: تأمر بضرب عنقي ؟ قال: لم ؟ قطعت طريقا ؟ قال: لا، قال: فنزعت يدا من طاعة ؟ قال: لا، قال: فعلام أضرب عنقك ؟ قال: الفقر والحاجة، قال: تمن ؟ قال: ثلاثين ألفا، فالتفت إلى أصحابه فقال: هل علمتم تاجرا ربح الغداة ما ربحت ؟ نويت له مئة ألف، فتمنى ثلاثين ألفا، ثم أمر له بها.وقيل: كان خالد يجلس ثم يدعو بالبدر، ويقول: إنما هذه الاموال ودائع لابد من تفريقها.

روى العتبي عن رجل، قال: خطب خالد بن عبد الله بواسط، فقال: إن أكرم الناس من أعطى من لا يرجوه، وأعظم الناس عفوا من عفا عن قدرة، وأوصل الناس من وصل عن قطيعة. وقيل: أنشده أعرابي: أخالد بين الحمد والاجر حاجتي..فأيهما يأتي فأنت عماد أخالد إني لم أزرك لحاجة..سوى أنني عاف وأنت جواد فقال: سل، قال: مئة ألف، قال: أسرفت يا أعرابي، قال: فأحط للامير؟ قال: نعم.قال: قد حططتك تسعين ألفا، فتعجب منه، فقال: سألتك على قدرك، وحططتك على قدري، وما أستأهله في نفسي، قال: لا والله لا تغلبني، يا غلام أعطه مئة ألف. قال الاصمعي: أنشده أعرابي في مجلس الشعراء: تعرضت لي بالجود حتى نعشتني..وأعطيتني حتى ظننتك تلعب. فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى..حليف الندى ما للندى عنك مذهب. فأعطاه مئة ألف. قال الاصمعي، عن يونس بن حبيب نحوها وزاد، فقام أعرابي آخر، فقال: قد كان آدم قبل حين وفاته..أوصاك وهو يجود بالحوباء..ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم..فكفيت آدم عيلة الابناء. فتمنى أن يعطيه عشرين ألفا، فأعطاه أربعين ألفا، وأن يضرب خمسين جلدة، وأن ينادى عليه: هذا جزاء من لا يحسن قيمة الشعر. وعنه قال: لا يحتجب الامير عن الناس إلا لثلاث: لعي، أو لبخل، أو اشتمال على سوءة.

■ (3) المغيرة بن سعيد البجلي الكوفى، أبو عبد الله: دجال مبتدع، من أهل الكوفة. يقال له الوصاف. قالوا إنه جمع بين الالحاد والتنجيم. ويقول بتأليه علي وتكفير أبى بكر وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع علي. ويزعم أنه هو، أو علي -في رواية الذهبي- لو أراد أن يحيي عادا وثمودا لفعل! وخرج بالكوفة، في إمارة خالد بن عبد الله القسرى، داعيا لمحمد بن عبد الله بن الحسن، وكان يقول: هو المهدى. وظفر به خالد، فصلبه وأحرق بالنار خمسة من أتباعه وهم يسمون المغيرية سنة 119 هـ

■ (1) الجعد بن درهم، من أهل الشام. مؤدب مروان الحمار، أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلا، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله. والقول بخلق القرآن. قال المدائني: كان زنديقا. قتله والي العراق خالد بن عبد الله القسري سنة 124هـ بأمر من هشام بن عبد الملك، وكان أول زنديق اطلع عليه بنو أمية، وبه سمى مروان بن محمد يعنى الجعدي. وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية الذين يقولون: إن الله في كل مكان بذاته تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وكان الجعد بن درهم قد تلقى هذا المذهب الخبيث عن أبان بن سمعان، وأخذه أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الاعصم، عن خاله لبيد بن الاعصم اليهودي.

■ (2) الوليد بن يزيد بن عبد الملك، أبو العباس، الملك الأموي الحادي عشر، بويع له بعد عمه هشام في السنة الخالية بعهد من أبيه وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ولد سنة 90 هـ وقيل 92 هـ، وقتل سنة 126 هـ، ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله، ومع ذلك إنما قتل لفسقه، وقيل وزندقته. فالله أعلم

مراجع: أنساب الأشراف/مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ وفيات الأعيان/ سير أعلام النبلاء/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ الوافي بالوفيات/ تاريخ خليفة بن خياط/ التذكرة الحمدونية/ البداية والنهاية/ الروض المعطار في خبر الأقطار/

روى الإمام اللالكائي من طريق الوليد بن هشام عن أبيه قال: بلغ هشام بن عبد الملك أن رجلا (في راية قال: غيلان بن مسلم الدمشقي)[1] قد ظهر يقول بالقدر، وقد أغوى خلقا كثيرا، فبعث إليه هشام فأحضره، فقال: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: وما هو؟ قال: تقول: إن الله لم يقدر على خلق الشر؟ قال: بذلك أقول، فأحضر من شئت يحاجني فيه، فإن غلبته بالحجة والبيان علمت أني على الحق، وإن غلبني بالحجة فاضرب عنقي. قال: فبعث هشام إلى الأوزاعي[2] فأحضره لمناظرته، فقال له الأوزاعي: إن شئت سألتك عن واحدة، وإن شئت عن ثلاث، وإن شئت عن أربع؟ فقال: سل عما بدا لك، قال الأوزاعي: أخبرني عن الله عز وجل هل تعلم أنه قضى على ما نهى؟ قال: ليس عندي في هذا شيء، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه واحدة. ثم قلت له: أخبرني هل تعلم أن الله حال دون ما أمر؟ قال: هذه أشد من الأولى، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه اثنتان. ثم قلت له: هل تعلم أن الله أعان على ما حرم؟ قال: هذه أشد من الأولى والثانية، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه ثلاث قد حل بها ضرب عنقه. فأمر به هشام فضربت عنقه. ثم قال للأوزاعي: يا أبا عمرو، فسر لنا هذه المسائل، قال: نعم يا أمير المؤمنين. سألته: هل يعلم أن الله قضى على ما نهى؟ نهى آدم عن أكل الشجرة ثم قضى عليه بأكلها. وسألته: هل يعلم أن الله حال دون ما أمر؟ أمر إبليس بالسجود لآدم، ثم حال بينه وبين السجود. وسألته: هل يعلم أن الله أعان على ما حرم؟ حرم الميتة والدم، ثم أعاننا على أكله في وقت الاضطرار إليه. قال هشام: فأخبرني عن الأربع ما هي؟ قال: كنت أقول له: أخبرني عن الله عز وجل، خلقك حيث خلقك كما شاء أو كما شئت؟ فإنه كان يقول: كما شاء؛ ثم أقول له: أخبرني عن الله عز وجل، يتوفاك إذا شاء أو إذا شئت؟ فإنه كان يقول: إذا شاء، ثم كنت أقول له: أخبرني عن الله عز وجل، يرزقك إذا شاء أو إذا شئت؟ فإنه كان يقول: إذا شاء؛ ثم كنت أقول به: أخبرني عن الله عز وجل إذا توفاك إلى أين تصير حيث شئت أو حيث شاء؟ فإنه كان يقول: حيث شاء، ثم قال الأوزاعي: يا أمير المؤمنين من لم يمكنه أن يحسن خلقه، ولا يزيد في رزقه ولا يؤخر أجله ولا يصير نفسه حيث شاء، فأي شيء في يديه من المشيءة يا أمير المؤمنين؟! قال: صدقت يا أبا عمرو. ثم قال له الأوزاعي: يا أمير المؤمنين! إن القدرية ما رضوا بقول الله عز وجل، ولا بقول الأنبياء، ولا بقول أهل الجنة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول الملائكة، ولا بقول أخيهم إبليس. فأما قول الله عز وجل: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم] وأما قول الملائكة:﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة] وأما قول الأنبياء فما قال شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [هود] وقال إبراهيم:﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام] وقول نوح: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود] وأما قول أهل الجنة فإنهم قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف] وأما قول أهل النار:﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ [إبراهيم] وأما قول أخيهم إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[الحجر].

■ (2) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من كبار تابعي التابعين. ولقب بـ الأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهى بطن من ذي الكلاع باليمن. ولد سنة 88 هـ بقرية بعلبك فى لبنان وربته أمه يتيما، ثم استقر بدمشق. وقد برع الأوزاعي في تفسير القران الكريم، وحفظ الحديث، والأخبار، والمغازي، وكان صاحب مذهب ساد في الشام زمنا، ثم ما لبث أن ضعف انتشاره، بسبب انتشار المذهبين المالكي والشافعي اللذين حلا محله. وقد التزم الأوزاعي في فتاويه بالتوقف عند النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. وللأوزاعي كتابان في الفقه، هما السنن والمسائل، وقد ضمن كتاب المسائل الفتاوى التي أفتى بها. توفى الأوزاعي سنة 157هـ في بيروت.

■ (1) غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان، تنسب إليه فرقة الغيلانية من القدرية، قال عنه الذهبي: غيلان بن أبي غيلان، المقتول في القدر، ضال مسكين، كان يجمع بين القدر والإرجاء، قتله هشام بن عبد الملك سنة 105هـ على باب كيسان بدمشق.

الغيلانية من المرجئة القدرية ينتمون إلى غيلان القدري زعموا أن الإيمان هو المعرفة الثابتة بالله عز وجل والمحبة له والخضوع والإقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى والمعرفة الأولى عندهم اضطرارية فلذلك لم يجعلوها من الإيمان.والمدعو غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان، المقتول في القدر، ضال مسكين، كان يجمع بين القدر والإرجاء، وقالوا: هو ثالث من تكلم في القدر لم يسبقه سوى معبد الجهني وسوسن بالعراق، يقول بالقدر خيره وشره من العبد. طلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته،فأفتى الأوزاعي بقتله، وصلب على باب كيسان بدمشق سنة 105هـ. والقدرية مفهوم يرى أن الله لا يعلم شيء إلا بعد وقوعه وأن الأحداث بمشيئة البشر وليست بمشيئة الله. قال الصفدي في الوافي بالوفيات: والإرجاء يشتق من الرجاء لأنهم يرجون لأصحاب المعاصي الثواب من الله تعالى فيقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة.قال : وقيل: الإرجاء هو تأخير حكم أصحاب الكبائر إلى الآخرة في الدنيا ولا يقضى عليهم بأنهم من أهل الجنة. قال : والمرجئة جنس لأربعة أنواع: الأول مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الصالحة. وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي.

☪

• سئل أبو العباس ابن تيمية: عن الخير والشر؛ والقدر الكوني؛ والأمر والنهي الشرعي.فأجاب: الحمد لله، اعلم أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه لا رب غيره ولا خالق سواه ؛ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ وهو على كل شيء قدير؛ وبكل شيء عليم؛ والعبد مأمور بطاعة الله؛ وطاعة رسوله؛ منهي عن معصية الله؛ ومعصية رسوله؛ فإن أطاع كان ذلك نعمة من الله أنعم بها عليه؛ وكان له الأجر والثواب بفضل الله ورحمته، وإن عصى كان مستحقا للذم والعقاب؛ وكان لله عليه الحجة البالغة؛ ولا حجة لأحد على الله؛ وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره ومشيئته وقدرته؛ لكنه يحب الطاعة ويأمر بها؛ ويثيب أهلها عليها ويكرمهم؛ ويبغض المعصية وينهى عنها؛ ويعاقب أهلها عليها ويهينهم. وما يصيب العبد من النعم فإن الله أنعم بها عليه؛ وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه. كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى] وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء] أي ما أصابك من خصب ونصر وهدى فالله أنعم بها عليك؛ وما أصابك من جدب وذل وشر فبذنوبك وخطاياك؛ وكل الأشياء كائنة بمشيئته وقدرته وخلقه فلا بد أن يؤمن العبد بقضاء الله وقدره؛ وأن يؤمن بشرع الله وأمره. فمن نظر إلى الحقيقة القدرية وأعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد كان مشابها للمشركين؛ ومن نظر إلى الأمر والنهي وكذب بالقضاء والقدر كان مشابها للمجوسيين، ومن آمن بهذا وهذا، وإذا أحسن حمد الله؛ وإذا أساء استغفر الله؛ وعلم أن ذلك كله بقضاء الله وقدره فهو من المؤمنين. فإن آدم عليه السلام لما أذنب تاب فاجتباه ربه وهداه، وإبليس أصر واستكبر واحتج بالقدر؛ فلعنه وأقصاه، فمن تاب كان آدميا، ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليسيا، فالسعداء يتبعون أباهم آدم، والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس. فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. والله أعلم. وقال الشيخ رحمه الله: حديث علي رضي الله عنه المخرج في الصحيح لما طرقه النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة –وهما نائمان– فقال: ﴿أَلَا تُصَلِّيَانِ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا [الكهف]﴾ هذا الحديث نص في ذم من عارض الأمر بالقدر، فإن قوله: (أنفسنا بيد الله) إلى آخره. استناد إلى القدر في ترك امتثال الأمر، وهي في نفسها كلمة حق، لكن لا تصلح لمعارضة الأمر بل معارضة الأمر فيها من باب الجدل المذموم الذي قال الله فيه: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ وهؤلاء أحد أقسام القدرية وقد وصفهم الله في غير هذا الموضع بالمجادلة الباطلة.

• اختلف العلماء في سبب قتل هشام بن عبد الملك لغيلان. فيرى (ابن المرتضى الرافضي) أن هشاما قتله، لأنه قد رآه ينادي على بيع ما في خزائنهم أيام ولاه عليها عمر بن عبد العزيز وأنه يسب بني أمية، فأقسم ليقتلنه إذا ولي هذا الأمر، فلما وليه نفذ ما أقسم عليه وقتله، فيكون قتل هشام لغيلان سياسيا لا دينيا. وأما بقية المؤرخين فيرون أن هشاما قتله لقوله بالقدر. وأنه أحضر له الأوزاعي فسأله في ثلاث مسائل لم يجب غيلان على واحدة منها، فأخذه هشام وأمر به فقطعت يداه ورجلاه فمات، وقيل صلب حيا على باب (كيسان) بدمشق. ويذكر ابن نباته هذه المناظرة فيقول: لما بلغ هشام بن عبد الملك مقالة غيلان في القدر أرسل إليه وسأله: يا غيلان ما هذه المقالة التي بلغتني عنك في القدر؟ فقال: يا أمير المؤمنين هو ما بلغك، فأحضر من أحببت يحاجني، فإن غلبني ضربت رقبتي.فأحضر الأوزاعي، فقال له الأوزاعي: يا غيلان، إن شئت ألقيت سبعا، وإن شئت خمسا، وإن شئت ثلاثا. فقال غيلان: ألق ثلاثا، – أي ثلاثة أسئلة– فقال له الأوزاعي: أقضى الله على عبد ما نهى عنه؟. قال غيلان: ما أدري ما تقول. فقال الأوزاعي: فأمر الله بأمر حال دونه؟. قال غيلان: هذه أشد من الأولى. فقال الأوزاعي: فحرم الله حراما ثم أحله؟. قال غيلان: ما أدري ما تقول؟ فأمر به هشام فقطعت يداه ورجلاه فمات .

• هناك مناظرتان جاء ذكرهما في شرح العقيدة الطحاوية . جاء في الأولى عن عمر بن الهيثم. قال: خرجنا في سفينة وصحبنا فيها قدري ومجوسي، فقال القدري للمجوسي: أسلم، قال المجوسي: حتى يريد الله. فقال القدري: إن الله يريد، ولكن الشيطان لا يريد، قال المجوسي: أراد الله وأراد الشيطان، فكان ما أراد الشيطان! هذا شيطان قوي، وفي رواية أنه قال: فأنا مع أقواهما.أما الثانية فجاء فيها: أن أعرابيا وقف على حلقة فيها عمرو بن عبيد من شيوخ المعتزلة فقال: يا هؤلاء إن ناقتي قد سرقت، فادعوا الله أن يردها علي، فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت، فارددها عليه، فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك، قال: ولم؟ قال: أخاف كما أراد أن لا تسرق فسرقت أن يريد ردها فلا ترد. ويروى في هذا المقام أن عليا مر بقدري، وهو يتكلم في القدر، فقال له: أبالله تقدر، أم مع الله أم دون الله؟. فسكت الرجل ولم يعلم بماذا يجيب. فقال له: إن قلت دون الله كفرت، وإن قلت مع الله أشركت، وإن قلت بالله أصبت فقال الرجل: بالله أقدر، فقال له: لو قلت غيرها ضربت عنقك. فبهذا القول تتم البراءة من القدرية والجبرية كذلك، لأن الجبري لا يقول أقدر بالله ولا بغيره فيؤديه مذهبه إلى تعطيل الاكتساب والعبادات، ومذهب أهل الحق التوسط، يشتمل على التوحيد في الأفعال والأدب مع الفعال. ويروى كذلك في هذا الشأن عن علي أن قائلا قال له عند انصرافه من صفين: أرأيت مسيرنا إلى صفين أبقضاء وقدر؟ فقال علي: والله ما علونا جبلا ولا هبطنا واديا ولا خطونا خطوة إلا بقضاء وقدر. فقال الشيخ: عند الله احتسب عنائي إذن مالي أجر. فقال له علي: يا شيخ فإن هذا قول أولياء الشيطان وخصماء الرحمن قدرية هذه الأمة ومجوسها. فإن الله أمر تخييرا ونهى تحذيرا لم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها. فضحك الشيخ ونهض مسرورا ثم قال: يوم القيامة من ذي العرش رضوانا..أنت الإمام الذي نرجو بطاعته..جزاك ربك عنا فيه إحسانا..أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا. وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي قال: قيل لعلي: إن ههنا رجلا يتكلم في المشيئة، فقال له علي: يا عبد الله خلقك الله كما يشاء أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء، قال: فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال بل إذا شاء، قال: فيدخلك حيث شئت أو حيث شاء؟ قال: بل حيث يشاء، قال: والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف. وعن نافع قال: كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه عبد الله بن عمر أنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فإياك أن تكتب إلي: فإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ﴾ وعن النزال بن سبرة قال: قيل لعلي: يا أمير المؤمنين، إن ههنا قوما يقولون: إن الله لا يعلم ما يكون حتى يكون، فقال: ثلكتهم أمهاتهم من أين قالوا هذا؟ قيل: يتأولون القرآن في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد] فقال علي: من لم يعلم هلك، ثم سعد المنبر بحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس تعلموا العلم واعملوا به وعلموه، ومن أشكل عليه شيء من كتاب الله فليسألني، وبلغني أن قوما يقولون: إن الله لا يعلم ما يكون حتى يكون لقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ [محمد] وإنما قوله: حتى نعلم، ويقول: حتى نرى من كتب عليه الجهاد والصبر إن جاهد وصبر على ما نابه وأتاه مما قضيت عليه. وتقدم في التوكل قول علي: إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء، وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلآنه حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره، وإن علي من الله جنة حصينة، فإذا جاء أجلي كشف عني، وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن مسعود قال: كان عمر كثيرا ما يخطب، كان يقول على المنبر: خفض عليك فإن الأمور..بكف الإله مقاديرها..فليس بآتيك منيها..ولا قاصر عنك مأمورها.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ موسوعة الخطب والدروس/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ مجموع الفتاوى/ حياة الصحابة للكاندهلوى/.

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وعبد الله بن عروة بن الزبير بن العوام 0565

روى محمد بن الضحاك، عن أبيه قال: كتب عبد الله بن عروة[1] إلى هشام بن عبد الملك، يشكو إبراهيم بن هشام[2] فيما صنع به، فكتب هشام بن عبد الملك إلى إبراهيم بن هشام يأمره أن يكف عن عبد الله بن عروة، ويبني قصر عروة، وينثل* بئره، ورأى صنع إبراهيم بن هشام بعبد الله بن عروة ظلما وتعديا وضرارا، فكتب إليه: إن اصطناع المرء في جل قومه..لصرف الليالي نعم مال المثمر (لصرف الليالي بعمر مال الميمر؟). قال مصعب بن عثمان: كان عبد الله بن عروة قد دخل على هشام بن عبد الملك عام حج بالمدينة فقال: إنك أطعمت إبراهيم بن هشام ما بين منابت الزيتون من الشأم، إلى منابت القرظ من اليمن، فلم يغنه كثير ما بيده، عن قليل ما بأيدنا، وإنا والله ما طبنا أنفسا بفراق الأحبة، إلا بما ترك بأيدينا من معايشنا، ولولا ذلك لاخترنا بطن الأرض على ظهرها، وقد أعطيتمونا من الأمان ما قد علمتم، فإما وفيتم لنا بعهدنا، أو رددتم إلينا سيوفنا.فأعجب قوله هشاما. ومن طريق المعافى بن زكريا: أن عبد الله بن عروة بن الزبير – وأمه ابنة المغيرة بن شعبه – دخل على هشام بن عبد الملك، وقد كان إبراهيم بن هشام أضر به وهو على المدينة، فقال له عبد الله: يا أمير المؤمنين، إنك قد وليت خالك ما بين المدينة إلى عدن، فلم يمنعه كثير ما في يديه من قليل ما في أيدينا أن نازعته نفسه اختلاس ما في اختلاسه هلكنا، فأنشدك الله، يا أمير المؤمنين أن تصل رحما بقطيعة أخرى، فوالله ما سخا بأنفسنا عن الأموات إلا ما كف وجوه الأحياء، ولأن نموت مرفوعين أحب إلينا من أن نعيش مخفوضين. فقال هشام لعبد الله: إنه لا سلطان لخالي عليك بعد يومك هذا. وحج هشام، فاجتمع عنده عبد الله بن عروة وإبراهيم بن هشام، وحضر مسلمة بن عبد الملك[3] فقال عبد الله بن عروة: يا أمير المؤمنين، إن مما طيب أنفسنا عن من أصيب منا، لما بقي بأيدينا مما كف الله به وجوهنا عن قومنا وغيرهم، فتناول هذا أعراضنا وأموالنا، فكيف الحياة مع هذا؟ فقال هشام: ألا تسمع يا إبراهيم ما يقول هذا؟ فقال إبراهيم:أمير المؤمنين أمير المؤمنين وأنا أنا وهو هو..، وهو هو. فقال هشام: فما هذا الكلام؟ أجل لعمري، إن ذا لكذا..وأقبل هشام بعد ذلك على مسلمة فقال: سمعت ما قال ابن عروة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، كأنك قد قلت لي تجهز إلى الحجاز، قد سمعت كلام رجل لا يقيم على ما شكا، إن أقام، إلا قليلا. روى أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن محمد عن أبيه عن عامر بن عبد الله قال: أراد هشام الحج فقال: من بقي من رجال قريش في المدينة ممن يتكلم؟ فقالوا: لم يبق أحد يرد على السلطان، فحج فأتاه عبد الله بن عروة بن الزبير فقال: يا أمير المؤمنين اعدني على خالك إبراهيم بن هشام، فإنك وليته ما بين المدينة واليمن فلم يمنعه كثير ما في يديه عن قليل ما في أيدنا، فأنشدك الله أن تصل رحما بقطيعة أخرى. قال: لا أعديك عليه قال: ولم فوالله ما منعنا أن نموت مع عبد الله إلا هذه الأموال، وقد أخذت ولأن يموت الرجل عزيزا خير له من أن يموت ذليلا، فقال هشام: هذا واحد. ثم أتاه إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله[4] فقال: يا أمير المؤمنين أعدني على نافع بن علقمة[5]، فإنه أخذ داري. قال: أفلا رفعت ذلك إلى أمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: قد فعلت فسلك بي غير طريق الحق، قال: أفلا أتيت الوليد؟ قال: قد فعلت فسلك طريق أبيه. قال: أفلا رفعت إلى سليمان؟ قال: قد فعلت فسلك بي طريق أبيه وأخيه. قال: فعمر بن عبد العزيز؟ قال: عوجل رحمه الله، فغضب هشام وقال: لايزال الرجل يتكلم عند أمير المؤمنين بما يستحق من يتكلم بمثله أن يدق أنفه ويسحب على وجهه. قال: إذا يسبق خيرك شرك، وتقطع رحمك، وتكون يد الله فوق يدك، وأمر الله من ورائك، أما والله، أن القضاء ليتعقب وإن الفاسق ليصلح. فقال هشام: قبح الله من زعم أن قومي قد ذهبوا، هذا زعم إن قضائي يرد، وابن عروة يتهددني. ثم قال لإبراهيم: لو كان فيك مضرب لضربتك مائة، قال إبراهيم: في مضرب ألف، قال هشام: سوءة اكتمها علي. قال: فما أخبرت بها أحدا حتى مات، فلما مات حدثت بها لأنها مكرمة.

*(نثل) النثيلة مثل النبيثة وهو تراب البئر وقد نثلت البئر نثلا وأنثلتها استخرجت ترابها

■ (1) عبد الله بن عروة بن الزبير بن العوام، الاسدي: تابعي. من الخطباء شجعان. كان يشبه بعبد الله بن الزبير في لسانه وجلده. وله شعر. ولد سنة 30 هـ وتوفي سنة 126 هـ قال الحاكم أبو أحمد: هو والد عمر بن عبد الله بن عروة.سئل أبو حاتم عن عبد الله بن عروة، فقال ثقة.

■ (2) إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي القرشي: أمير المدينة المنورة، وخال هشام بن عبد الملك. اشتهر بشدته وعتوه وهو الذي ضرب يحيى بن عروه حتى مات.حج بالناس بعض السنين وولي المدينة ومكة والطائف سنة 107 هـ وكثرت شكوى آل الزبير وغيرهم منه. وعزله هشام سنة 115 هـ فانقطع خبره

■ (3) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: أمير قائد، من أبطال عصره. من بني أمية في دمشق، يلقب بالجرادة الصفراء. وهو ابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب) له فتوحات مشهورة. سار في مئة وعشرين ألفا لغزو القسطنطينية في دولة أخيه سليمان وبنى مسجد مسلمة بالقسطنطينية (؟) سنة 96 هـ وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية. وغزا الترك والسند سنة 109 هـ. ومات بالشام سنة 120 هـ وقيل مات سنة 121 هـ. وإليه نسبة بني مسلمة وكانت منازلهم في بلاد الاشمونيين بمصر قال الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر إخوته.

■ (4) إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي المدني أبو إسحاق. قتل أبوه محمد السجاد يوم الجمل.استعمله عبد الله بن الزبير على خراج الكوفة وبقي حتى أدرك هشاما، وكان يقال له: أسد الحجاز، قوالا بالحق، بليغا، وقورا، كبير القدر.وفد على عبد الملك، فأجلسه على فرشه فنصحه ووعظه. مات بالمدينة سنة 110 هـ.

■ (5) نافع بن علقمة بن صفوان بن محرث الكناني، كان عبد الملك بن مروان أمره على مكة، وهو خال مروان بن الحكم (فإن أم مروان هي أم عثمان آمنة بنت علقمة بن صفوان المذكور)

☪

كان عبد الله بن عروة أسن بني عروة، وبه كان يكنى، وبلغ خمسا أو ستا وتسعين سنة، لم يكن بينه وبين أبيه إلا خمس عشرة سنة، وكان له عقل وحزم، ولسان وفضل، وشرف، وكان يشبه عبد الله في لسانه، وكان عبد الله بن الزبير[1] يعرف ذلك له، وهو رسول عبد الله ابن الزبير إلى الحصين بن نمير[2] حين لقيه بمر.قال عبد الله بن عروة: بعث إلي عبد الله بن الزبير، فقال: انطلق إلى الحصين بن نمير حتى تلقاه، فتناظره، فانطلقت حتى لقيت الحصين بن نمير، فأدناني منه، فكلمته وأنا مشرف عليه، فجعل يتطاول إلي بعنقه. قال حماد بن عطيل بن فضالة[3]: رأيت عبد الله بن عروة في سنيات خالد بن عبد الملك بن الحارث – وكان واليا لهشام بن عبد الملك على المدينة سبع سنين قحط المطر في تلك السبع فكان يقال لها: سنيات خالد[6]، فجلا الناس من بادية الحجاز، فلحقوا بالشام، فحضرت عبد الله بن عروة بن الزبير في أمواله بالفرع – يدخل الناس في مربد تمره طرفي النهار: غدوة فيتغدون من التمر، وعشية فيتعشون، فما زال كذلك يفعل حتى أحيا الناس. وقال: جلونا مرة إلى الشام في جهد أصاب الناس، ثم رجعنا فوجدنا عبد الله بن عروة قد هدم الثلم، وكسر الوشع، وأمرج الناس في مال أبيه، وجنى لهم فأطعمهم. قال يوسف بن يعقوب بن الماجشون[4]: كنت مع أبي في حاجة، فلما انصرفنا قال لي أبي: هل لك في هذا الشيخ؟ فإنه بقية من بقايا قريش، وأنت واجد عنده ما شئت من حديث ونبيل رأي –يريد عبد الله بن عروة– قال: فدخلنا عليه، فحادثه أبي طويلا، ثم ذكر أبي بني أمية، وسوء سيرتهم، وما قد لقي الناس منهم، وقال: انقطع آمال الناس من قريش. فقال عبد الله: أقصر أيها الشيخ، فإن الناس لم يبرح لهم أمر صالح من قريش ما لم يل بنو فلان، فإذا وليت بنو فلان انقطع آمالهم. فقال له سلمة الأعور[5] صاحبنا: بنو هاشم؟ فقال برأسه: أي نعم. قال مصعب بن عبد الله: جمع عبد الله بن عروة بنيه، ثم قال: يا بني، إن الله تعالى لم يبن شيئا فهدمه، وإن الناس لم يبنوا شيئا قط إلا هدموه، وإن بني أمية من عهد معاوية إلى اليوم يهدمون بشرف علي، فلا يزيده الله إلا شرفا وفضلا ومحبة في قلوب المؤمنين، يا بني، فلا تشتموا عليا. وكان عبد الله بن عروة يشهد الجمعة، وينصت لخالد بن عبد الملك بن الحارث[6]، فإذا شتم خالد عليا تكلم عبد الله بن عروة، وأقبل على أدنى إنسان يكون إلى جنبه يحدثه، فيقال له: الإمام يخطب! فيقول: إنا لم نؤمر ننصت لهذا. قالوا لعبد الله بن عروة بن الزبير: ألا تأتي المدينة؟ فقال: ما بقي بالمدينة إلا حاسد لنعمة، أو فرح بنقمة.عن عمارة بن غزية، عن عبد الله بن عروة قال: إلى الله أشكو عيبي ما لا أترك، ونعتي ما لا أتي. وأنشد عبد الله بن عروة: من البسيط: يكون بالدين للدنيا وبهجتها..أرباب دنيا، عليها كلهم صادي..لا ينظرون لشيء من معادهم..تعجلوا حظهم في العاجل البادي..لا يهتدون، ولا يهدون تابعهم..ضل المقود، وضل القائد الهادي.

☪

قال الزبير بن خبيب: أرسل معاوية بن أبي سفيان[7] رسولا، وكتب معه إلى عبد الله بن الزبير يخطب إليه أبنته أم حكيم بنت عبد الله[8]، على أبنه يزيد بن معاوية[9]، فزوجها عبد الله بن عروة، وكان أول من زوج من بني أخيه، فقال له رسول معاوية: ما تجيب به أمير المؤمنين؟ قال: ما له عندي جواب إلا ما رأيت. قال عبد الله بن عروة: كان عمي عبد الله بن الزبير يبيت عند أمه كما يبيت عند أهله. فإذا كانت الليلة التي يكون فيها عند أمه جئته، فيقوم فيصلي ليلته، وأقوم إلى جنبه أصلي حتى الصباح، وأهجر كل يوم فأصلي معه. فمكث بذلك ما شاء الله، فأدركني يوما وأنا رائح بالهجير إلى المسجد، فصاح بي: مهيم! فوقفت له، فاتكى على يدي حتى بلغ باب المسجد، ثم قال أفيك خير؟ قلت: وأين تذهب بالخير عني؟ قال: أزوجك ابنتي أم حكيم، قد عرفت منزلتها مني. قلت: نعم. فدخلت بي المسجد، فجلس إلى عبد الله بن عمر[10]، فحمد الله وأثنى عليه، وزوجني أم حكيم. ثم قام وقمت معه حتى أتى مصلاه فوقف فيه، وخرجت حتى أتيت أبي فأعلمته، فكذبني وقال: لا يسمعن هذا منك أحد. فقلت: قد والله كان ذلك. فأرسل إلى عبد الله بن الزبير: أكان ما ذكر عبد الله؟ قال: نعم، زوجته أم حكيم. فقال لي: هذا مال لك عندي ورثته من أمك، وهو عشرون ألف درهم، فأحمله إليها. ففعلت. فأرسل إلى عمي عبد الله فجئته، فقال: ألم تعدني الخير من نفسك؟ قال: قلت: بلى. قال: فما حملك على أن تبعث إلينا بمال؟ لو أردت المال لوجدته عند غيرك، يريد معاوية، أحمل مالك فلا حاجة لنا فيه. قال: فرحت بالمال إلى أبي. وكانت أم حكيم بنت عبد الله قالت لأبيها: لم تؤثر بنيك بالنخل علينا، وبناتك أحق بالأثرة لضعفهن؟ أترى بنيك يؤثروننا على نسائهم؟ فقال لها: لا أفعل بعدها. فقال عمي مصعب بن عبد الله: وكانت أم حكيم أحب ولد عبد الله إليه.

*(الفرع) الفرع قرية من نواحي المدينة على طريق مكة (الوشع) جمع وشيع والوشيعة حظيرة الشجر حول الكرم والبستان (أمرج) يقال: أمرج الدابة وغيرها: إذا أرسلها ترعى في المرج وتذهب حيث شاءت

■ (1) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة ورواية عن النبي وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو ابن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (9) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء

■ (10) عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه، مات بمكة سنة 73 هـ

■ (2) الحصين بن نمير بن نائل، أبو عبد الرحمن الكندي ثم السكوني: قائد، من القساة الاشداء المقدمين في العصر الاموي من أهل حمص. وهو الذي حاصر عبد الله ابن الزبير بمكة ورمى الكعبة بالمنجنيق وكان في آخر أمره على ميمنة عبيد الله ابن زياد في حربه مع إبراهيم ابن الاشتر، فقتل مع ابن زياد على مقربة من الموصل. سنة 67 هـ

■ (7) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (4) يوسف بن يعقوب بن أبي سلمة الماجشون، الامام المحدث المعمر، أبو سلمة التيمي المنكدري، مولاهم المدني. حدث عن: أبيه، وعن الزهري، ومحمد بن المنكدر، وصالح بن إبراهيم العوفي، وطائفة. قال يحيى بن أيوب المقابري: سمعت يوسف بن الماجشون يقول: ولدت على عهد سليمان بن عبدالملك، ففرض لي في المقاتلة، فلما قام عمر بن عبد العزيز، مر بي باسمي، وكان بنا عارفا، فقال: ما أعرفني بمولد هذا الغلام. فنحاني من المقاتلة، وردني عيلا. توفي يوسف بن الماجشون في سنة 185 هـ. عاش ثمانيا وثمانين سنة.

■ (6) ابن مطيرة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص. (سنيات خالد) يضرب المثل بها أهل المدينة فى القحط والشدة كما يضرب المثل بسنى يوسف وخالد هذا هو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المعروف بابن مطرة ولى لهشام بن عبد الملك خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة سبع سنين فأقحط الناس حتى أجلى أهل البوادى إلى الشام وكان يقال سنيات خالد لا أعاد الله أمثالها (8) أم حكيم بنت عبد الله بن الزبير ؟ وأمها ريطة أو جثيمة بنت عبد الرحمن المخزومية ؟ (3) حماد بن عطيل بن فضالة بن رداد الليثي.؟ (5) سلمة الأعور ؟

مراجع: جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار/ سير أعلام النبلاء/ لسان العرب/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ أنساب الأشراف/

قال البلاذري: حدثني أبو عدنان عن الهيثم بن عدي هشام ابن الكلبي عن عوانة قال: وفد على هشام بن عبد الملك وفد كلهم من قريش، وكلهم خطيب، فتكلموا ثم قال إسماعيل بن محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي[1] أو غيره من ولد أبي الجهم[2]: يا أمير المؤمنين هذه خطباء قريش قد نطقت فأطنبت وتكلمت فأسهبت، فوالله ما بلغ متكلمهم قدرك، ولا جاوز أبلغهم فضلك أفأوجز أم أطيل؟ قال: بل أوجز. قال: تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى، وزينك بالتقوى، ويسرك لليسرى، وجمع لك خير الآخرة والأولى، إن لي يا أمير المؤمنين حوائج أفأذكرها؟ قال: نعم. قال: كبرت سني، وكثر عيالي فإن رأى أمير المؤمنين أن يصلني بصلة يجبر بها كسري، وينفي فيها فقري فعل. قال: وما وصلتك التي تفعل بك هذا الذي ذكرت؟ قال: ألف دينار، وألف دينار، وألف دينار. قال: هيهات، وهيهات، رمت مراما صعبا، هذا والله ما لا يحتمله بيت مال المسلمين. ثم نكس هشام وإسماعيل ماثل بين يديه، فرفع رأسه ثم قال: هيه. قال: وما هيه يا أمير المؤمنين كأنك آليت إلا تقضي لي حاجة في مقدمي هذا، أما والله إن الأمر لواحد، لا أن الله آثرك بهذا المجلس، فإن تعطني فحقي أعطيت، وإن تمنعني فإني أسل الله الذي بيده ما حويت، فإن الله جعل العطية محبة والمنع مبغضة، ووالله لأن أحبك أحب إلي من أن أبغضك. قال: فألف دينار لماذا؟ قال: أقضي بها دينا، فدحني حمله، وأضر بي أهله. قال: نعم المسلك أسلكتها تؤدي حقا وتضع عنك ثقلا، أو قال تؤدي عن أمانتك، وتحط حملا ثقيلا عن ظهرك. وألف لماذا؟ قال: أزوج بها من أدرك من ولدي. قال: تغض بصرا، وتعف فرجا، وترجوا نسلا، نعم المسلك أسلكتها، وألف لماذا؟ قال: اشتري بها أرضا يكون فضلها لنفقتي في حياتي ويبقى عقدة لعقبي. قال: فإنا قد أمرنا لك بما سألت، قال: المحمود على ذلك الله، فلما ولى قال هشام: إذا كان القرشي فليكن مثل هذا، ثم قال هشام: أما والله ما نعطي تبذيرا، ولا نمنع تقتيرا، وإنما نحن خزان الله على بلاده، وأمناؤه على عباده، فإذا شاء أعطينا، وإذا منع أبينا، ولو كان كل قائل يصدق، وكل سائل يستحق ما جبهنا قائلا، ولا رددنا سائلا.

في رواية قال أحمد بن علي القلقشند: يحكى أنه وفد أهل الحجاز من قريش على هشام بن عبد الملك بن مروان وفيهم محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي[3] (؟) وكان أعظمهم قدرا وأكبرهم سنا فقال أصلح الله أمير المؤمنين إن خطباء قريش قد قالت فيك وأقلت وأكثرت وأطنبت وما بلغ قائلهم قدرك ولا أحصى مطنبهم فضلك وإن أذنت في القول قلت قال قل وأوجز قال تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى وزينك بالتقوى وجمع لك خير الآخرة والأولى إن لي حوائج أفأذكرها قال هاتها قال كبرت سني ودق عظمي ونال الدهر مني فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى وينفي فقري، قال: وما الذي ينفي فقرك ويجبر كسرك؟ قال: ألف دينار وألف دينار وألف دينار، فأطرق هشام طويلا ثم قال: هيهات يا ابن أبي الجهم بيت المال لا يحتمل ما سألت، فقال: أما إن الأمر لواحد ولكن الله آثرك لمجلسك فإن تعطنا فحقنا أديت وإن تمنعنا نسأل الذي بيده ما حويت إن الله جعل العطاء محبة والمنع مبغضة ولأن أحبك أحب إلي من أن أبغضك، قال: فألف دينار لماذا؟ قال: أقضي بها دينا قد حم قضاؤه وحناني حمله وأضر بي أهله، قال: فلا بأس تنفس كربة وتؤدي أمانة، وألف دينار لماذا؟ قال: أزوج بها من بلغ من ولدي، قال: نعم المسلك سلكت أغضضت بصرا وأعففت ذكرا وروجت نسلا، وألف دينار لماذا؟ قال: أشتري بها أرضا يعيش بها ولدي وأستعين بفضلها على نوائب دهري وتكون ذخرا لمن بعدي، قال: فإنا قد أمرنا لك بما سألت، قال: فالمحمود الله على ذلك وخرج، فقال هشام: ما رأيت رجلا أوجز في مقال ولا أبلغ في بيان منه وإنا لنعرف الحق إذا نزل ونكره الإسراف والبخل وما نعطي تبذيرا ولا نمنع تقتيرا وما نحن إلا خزان الله في بلاده وأمناؤه على عباده فإن أذن أعطينا وإذا منع أبينا ولو كان كل قائل يصدق وكل سائل يستحق ما جبهنا قائلا ولا رددنا سائلا فنسأل الذي بيده ما استحفظنا أن يجريه على أيدينا فإنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا، فقالوا: يا أمير المؤمنين لقد تكلمت فأبلغت وما بلغ في كلامه ما قصصت، فقال: إنه مبتدى وليس المبتدي كالمقتدي.

في رواية عن الأصمعي قال: قدم وفد على أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، وفيهم رجل من قريش، يقال له: إسماعيل بن أبي الجهم[1]؛ وكان أكبرهم سنا، وأفضلهم رأيا وحلما، فقام متوكئا على عصا، فقال: يا أمير المؤمنين، إن خطباء قريش قد قالت فيك فأطنبت، وأثنت عليك فأحسنت، ووالله ما بلغ قائلهم قدرك، ولا أحصى مثنيهم فضلك، أفتأذن لي في الكلام ؟ قال: فتكلم قال: فأوجز أم أطنب ؟ قال: بل أوجز. قال: تولاك الله، يا أمير المؤمنين، بالحسنى، وزينك بالتقوى، وجمع لك خير الآخرة والأولى، إن لي حوائج فأذكرها ؟ قال: نعم، قال: كبرت سني، وضعفت قواي، واشتدت حاجتي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسري وينفي فقري: فعل. فقال: يابن أبي الجهم، وما يجبر كسرك وينفي فقرك ؟ قال: ألف دينار وألف دينار وألف دينار، قال: هيهات يابن أبي الجهم ! بيت المال لا يحتمل هذا. قال: كأنك آليت، يا أمير المؤمنين، أن لا تقضي لي حاجة مقامي هذا ؟! قال: فألف دينار لماذا ؟ قال: أقضي بها دينا فدحني حمله، وأرهقني أهله. قال: نعم المسلك أسلكتها، دينا قضيت، وأمانة أديت، وألف دينار لماذا ؟ قال: أزوج بها من أدرك من ولدي، فأشد بهم عضدي، ويكثر بهم عددي. قال: ولا بأس، غضضت طرفا، وحصنت فرجا، وأكثرت نسلا، وألف دينار ؟ قال: اشتري بها أرضا أعود بها على ولدي، ويفضل فضلها على ذوي قراباتي. قال: ولا بأس، أردت ذخرا، ورجوت أجرا، ووصلت رحما، قد أمرنا لك بها. قال: المحمود الله على ذلك، وجزاك الله، يا أمير المؤمنين، والرحم خيرا. فقال هشام: تالله ما رأيت رجلا ألطف في سؤال، ولا أرفق في مقال: منه، هكذا فليكن القرشي.

■ (1) إسماعيل بن محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ؟

■ (2) عبيد بن حذيفة بن غانم بن عامر، أبو جهم العدوي القرشي، مشهور بكنيته: ويقال: اسمه عامر، أسلم يوم فتح مكة، وقدم المدينة بعد ذلك، فابتنى بها دارا، واستعمله سيدنا رسول الله على بعض الصدقات، وشهد اليرموك، وأشخص في تحكم الحكمين بدومة الجندل من الشام،وكان عالما بالنسب، وقيل كان أبو جهم من المعمرين بنى الكعبة مرتين: في الجاهلية حين بنتها قريش وحين بناها ابن الزبير، وهو أحد الأربعة الذين دفنوا عثمان. وأبو جهم هذا هو الذي أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة لها علم فشغلته في الصلاة فردها عليه.وقدم على معاوية في خلافته غير مرة، وكان شديد العارضة، فكان عمر بن الخطاب قد أشرف عليه وأخافه، حتى كف من غرب لسانه عن الناس، ومات بالمدينة في خلافة معاوية، ويقال: بقي أبو جهم إلى فتنة ابن الزبير، وفيها مات.

■ (3) محمد بن أبي جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي. ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتله معقل بن سنان يوم الحرة صبرا بالمدينة سنة 63 هـ. (؟) قاله أبو عمر وقد ذكره أبو نعيم.

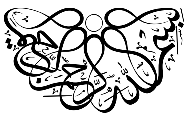

عن سعيد بن أبي سعيد قال: أغلظ أبو الجهم بن حذيفة لمعاوية وقال: أراحنا الله منك، فقال: ويحك إلى من؟ إلى بني زهرة؟ فما عندهم بصر ولا فضل، أم إلى بني مخزوم؟ فوالله لو ولوا من الأمر شيئا ما كلموكم كبرا. أم إلى بني هاشم؟ فوالله لو ولوا لاستأثروا عليكم. وقال أبو الجهم: أمر لي معاوية بمائة ألف درهم فذممته، فلما ورد يزيد أعطاني خمسين ألف درهم، ثم أتيت ابن الزبير فأعطاني ألفا، فقلت: أبقاك الله، فإنا لا نزال بخير مذ بقيت. فقيل: أتدعو لابن الزبير بالبقاء ولم تدع لمعاوية ولا ليزيد. فقلت: أخشى والله ألا يأتي بعده إلا خنزير. وعن الواقدي أن معاوية قال لأبي الجهم بن حذيفة: أين سني من سنك؟ فقال: والله! إني لأذكر دخول أمك على زوجها، فقال: أي أزواجها فوالله أن كانت لكريمة المناكح فإياك يا أبا الجهم والإقدام بعدي على السلطان.

مراجع: أنساب الأشراف/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ صبح الأعشى/ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة/ أسد الغابة/ لباب الآداب لأسامة بن منقذ/ المستجاد من فعلات الأجواد/ الأمالي في لغة العرب/

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وعبد الكريم بن سليط الحنفي 0567

قال المدائني: قدم عبد الكريم بن سليط الحنفي[1] على يوسف[2] فأمضاه إلى هشام، فقال له هشام: بلغني أن لك بخراسان علما، قال: أجل، قال: فمن ترى لها؟ قال: رجل أهلها الكرماني*، قال: وممن هو؟ قال: من الأزد*. فتبينت الكراهة في وجه هشام. قال: ما اسمه؟ قال: جديع بن علي[3]، فتطير من اسمه وقال: لا حاجة لي فيه. قال: فأبو الميلاء يحيى بن نعيم بن هبيرة[4]، ابن أخي مصقلة بن هبيرة الشيباني[؟]، فقال: إن ربيعة لا تسد بها الثغور. قال: فعقيل بن معقل الليثي[5]. فأعجبه، فقال: إن اغتفرت منه خصلة. قال: وما هي؟ قال:ليس هو بعفيف البطن والفرج، قال هشام: فلا حاجة لي فيه. قال: فالمجرب الأديب منصور بن عمر بن أبي الخرقاء السلمي[6]، فأعجبه. قال: إن اغتفرت منه واحدة. قال: وما هي؟ قال: أشأم العرب، قال: لا حاجة لي فيه. قال: فالمسن العاقل مجشر بن مزاحم السلمي[7].إن اغتفرت منه واحدة. قال: وما هي؟ قال: أكذب العرب. فقال: أي عقل مع الكذب، لا حاجة لي فيه. قال: فابن ذي الطاعة يحيى بن الحضين بن المنذر[8]. قال: ألم أقل أن ربيعة لا تسد بها الثغور. فقال: قطن بن قتيبة بن مسلم[9]على أنه ثائر بأبيه. قال: لا حاجة لي فيه. فقال: نصر بن سيار[10]، فتفاءل باسمه. قال: فإنه لا عشيرة له بخراسان. قال: أنا عشيرته، لا أبالك، أتريد عشيرة أكرم مني، اكتب عهده يا غلام، وأمره في عهده أن يعامل يوسف بن عمر. قال: فخرج بعهده ولم يمر على يوسف وأخذ طريق حلوان*.

----

*(كرمان) ناحية مشهورة، شرقها مكران وغربها فارس وشمالها خراسان وجنوبها بحر فارس. تنسب إلى كرمان بن فارس بن طهمورث. وهي بلاد واسعة الخيرات وافرة الغلات (الأزد) قبيلة عربية تنتمي إلى كهلان بن سبأ. وهم غير قبيلة بني أسد العدنانية (بنو ربيعة)ربيعة أحد الشعبين الرئيسيين الذين ينقسم إليهما جذم العرب العدنانية إلى جانب مضر ويقال لهم العرب الربعية (حلوان) مدينة قديمة في منطقة جبال زاغروس وهي اليوم بغرب إيران.وقد فتحها المسلمون سنة 16 هـ

■ (1) عبد الكريم بن سليط بن عقبة ويقال: ابن عطية الهفاني الحنفي المروزي وفد على هشام بن عبد الملك، وبعث معه بعهد نصر بن سيار على خراسان.

■ (2) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم أبو يعقوب، الثقفي: =وهو ابن عم الحجاج – أمير، من جبابرة الولاة في العهد الاموي. كانت منازل أهله في البلقاء بشرقي الاردن وولي اليمن لهشام بن عبد الملك سنة 106 هـ ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة 121 هـ وأضاف إليه إمرة خراسان، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن، ودخل العراق، وعاصمته يومئذ الكوفة فأقام بها. ثم قتل سلفه في الامارة خالد بن عبد الله القسري تحت العذاب. واستمر إلى أيام يزيد بن الوليد، فعزله يزيد في أواخر 126 هـ وقبض عليه، وحبسه في دمشق، إلى أن أرسل إليه يزيد بن خالد القسري من قتله في السجن بثأر أبيه. وعمره نيف وستون سنة. سنة 127 هـ وكان صغير الحجم، قصير القامة عظيم اللحية، فصيحا، جوادا كان سماطه كل يوم خمسمائة مائدة يسلك سبيل الحجاج في الاخذ بالشدة والعنف. وكان يضرب به المثل في التيه والحمق، يقال: أتيه من أحمق ثقيف! قال الذهبي: كان مهيبا جبارا ظلوما.

■ (3) جديع بن علي الازدي المعني: شيخ خراسان وفارسها في عصره، وأحد الدهاة الرؤساء. ولد بكرمان. وإليها نسبته، وأقام في خراسان إلى أن وليها نصر بن سيار، فخاف شر الكرماني فسجنه، فغضبت الازد، فأقسم لهم نصر أنه لا يناله منه سوء. وفر جديع من السجن، فاجتمع معه ثلاثة آلاف، فصالحه نصر، فأقام زمنا يؤلف الجموع سرا، ثم خرج من جرجان وتغلب على مرو، فصفت له. وظهر أبو مسلم الخراساني، فاتفق معه على قتال نصر، فكتب نصر إلى جديع يدعوه إلى الصلح، فرضي به، وخرج ليكتبا بينهما كتابا معاهدة ومعه مئة فارس فوجه إليه نصر ثلاث مئة فارس قتلوه في الرحبة سنة 129 هـ.

■ (4) يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني أبو الميلاء، ابن أخي مصقلة بن هبيرة الشيباني، (؟) مصقلة بن هبيرة بن شبل الثعلبي الشيباني، من بكر بن وائل: قائد، من الولاة. كان من رجال علي بن أبي طالب. وأقامه علي عاملا له في بعض كور الاهواز. وتحول إلى معاوية ابن أبي سفيان، في خبر أورده المسعودي، فكان معه في صفين. ولما استقر الامر لمعاوية جهزه في عشرة آلاف مقاتل ويقال في عشرين ألفا وولاه طبرستان قبل فتحها فتوجه إليها، وتوغل في بلادها ومضايقها، وأهمل ما يسميه العسكريون خط الرجعة فبينما هو عائد يجتاز بعض عقباتها تسلط عليه العدو، فقذفوه بالحجارة وبالصخور من الجبال، فقتل، وهلك أكثر من معه.نحو 50 هـ وضرب الناس به المثل : لا يكون هذا حتى يرجع مصقلة من طبرستان!.

■ (10) نصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني. أمير، من الدهاة الشجعان. كان شيخ مضر بخراسان، ووالي بلخ، ثم ولي إمرة خراسان سنة 120هـ، بعد وفاة أسد بن عبد الله القسري، ولاه هشام بن عبد الملك، وغزا ما وراء النهر، ففتح حصونا وغنم مغانم كثيرة، وأقام بمرو، وقويت الدعوة العباسية في أيامه، فكتب إلى بني مروان بالشام يحذرهم وينذرهم، فلم يأبهوا للخطر، فصبر يدبر الأمور إلى أن أعيته الحيلة وتغلب أبو مسلم على خراسان، فخرج نصر من مرو سنة 130 هـ ورحل إلى نيسابور، فسير أبو مسلم إليه قحطبة بن شبيب، فانتقل نصر إلى قومس وكتب إلى ابن هبيرة –وهو بواسط– يستمده، وكتب إلى مروان –وهو بالشام– وأخذ يتنقل منتظرا النجدة إلى أن مرض في مفازة بين الري وهمذان، ومات بساوة.سنة 131 هـ. وقد ولي إمرة خراسان عشر سنين.

■ (5) هل هو: عقيل بن معقل بن منبه اليماني سمع عمه وهب بن منبه روى عنه هشام بن يوسف، ثنا عبد الرحمن سمعت ابى يقول ذلك، نا عبد الرحمن قال ذكره ابى عن اسحاق بن منصور عن يحيى بن معين قال عقيل بن معقل ثقة، قال أبو محمد وروى عنه عبد الرزاق.

■ (8) يحيى بن الحضين بن المنذر ؟(6) نصور بن عمر بن أبي الخرقاء السلمي ؟ (7) المجشر بن مزاحم السلمي أحد بني حرام ؟ محسن بن مزاحم السلمي؟

في رواية: لما توفي الإمام محمد بن علي[1] كتب يوسف بن عمر، وكان على العراقين، إلى هشام، يخبره بذلك، فكتب هشام إلى يوسف، يأمره أن يبعث إليه رجلا، له علم بخراسان، ومعرفة بمن فيها من قوادها، وجنودها. وقد كان يوسف بن عمر عزل عنها الجنيد بن عبد الرحمن[2]، واستعمل عليها جعفر بن حنظلة البهراني[3]. فكتب جعفر إلى يوسف بن عمر مع عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفي، يخبره بتفاقم أمر المسودة بخراسان، وكثرة من أجاب الدعاة بها. فلما أتاه كتاب هشام يأمره أن يوجه إليه رجلا، له علم بخراسان، حمل عبد الكريم بن سليط إليه على البريد. قال عبد الكريم: فسرت حتى وافيت دمشق، فدخلت على هشام، فسلمت عليه بالخلافة. فقال لي: من أنت ؟ قلت: أنا عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفي. قال: كيف علمك بخراسان وأهلها ؟ قلت: أنا بها جد عالم. ثم أخبرته أن وجهي كان منها بكتاب أميرها جعفر بن حنظلة البهراني إلى يوسف بن عمر يخبره بما حدث فيها. قال: إني أريد أن أولي أمرها رجلا من القواد، الذين هم مرتبون بها، فمن ترى أن أولي أمرها منهم، وأيهم أقوم بها ؟ قال عبد الكريم: – وكان هواي في اليمانية – فقلت: يا أمير المؤمنين، أين أنت من رجل من قوادها ذي حزم، وبأس، ومكيدة، وقوة، ومكانفة من قومه؟ قال: ومن هو؟ قلت: جديع بن علي الأزدي المعروف بالكرماني. قال: وكيف يسمى الكرماني؟ قلت: ولد بكرمان، كان أبوه مع المهلب[4]عند محاربته الأزارقة، فولد هذا هناك. قال: لا حاجة لي في اليمانية –وكان هشام يبغض اليمانية، وكذلك سائر بني أمية–. قلت: يا أمير المؤمنين، فأين أنت من المجرب البطل النافذ اللسن ؟ قال: ومن هو؟ قلت: يحيى بن نعيم، المعروف بأبي الميلاء، وهو ابن أخي مصقلة بن هبيرة. قال: لا حاجة لي فيه، لأن ربيعة لا تسد بها الثغور. فقلت: يا أمير المؤمنين، فعليك بالماجد اللبيب الأريب، الكامل الحسيب، عقيل بن معقل الليثي. قال، فكأنه هوية. فقلت: إن اغتفرت منه هنه فيه. قال: وما هي ؟ قلت: ليس بعفيف البطن والفرج. قال: لا حاجة لي فيه. قلت: فالكامل النافذ، الفارس المجرب، محسن بن مزاحم السلمي. قال، فكأنه هوية، للمضرية. قلت: إن اغتفرت هنه فيه. قال: وما هي؟ قلت: أكذب، ذي لهجة. قال: لا حاجة لي فيه. قلت: فذو الطاعة لكم، المتمسك بعهدكم، المقتدي بقدوتكم، يحيى بن الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة. قال: ألم أخبرك أن ربيعة لا تسد بها الثغور؟ قلت: فالكامل النافذ الشجاع البطل، قطن بن قتيبة بن مسلم. قال: فمال إليه بالمضرية. قلت: إن اغتفرت منه هنه. قال: وما هي؟ قلت: لا آمنه أن أفضى إليه السلطان أن يطلب جنود خراسان بدم أبيه قتيبة، فإنهم جميعا تظافروا عليه. قال: لا حاجة لي فيه. قلت: فأين أنت من العفيف المجرب، الباسل المحنك، نصر بن سيار الليثي؟ قال: فكأنه تفاءل به، ومال إليه، بالمضرية. قلت: إن اغتفرت منه خصلة. قال: وما هي؟ قلت: ليست له بخراسان عشيرة من جنودها، وإنما يقوى على ولاية خراسان من كانت له بها عشيرة من جنودها. قال: فأي عشيرة أكثر مني، لا أبا لك، يا غلام؟ انطلق إلى الكتاب، فمرهم بإنشاء عهده، وائتوني به. فكتب له عهده، وأتى به. فناولنيه، وقال: انطلق حتى توصله إليه. ثم أمر أن أحمل على البريد. فسرت حتى وافيت خراسان، فأتيته في منزله، فناولته العهد، فأمر لي بعشرة آلاف درهم. ثم تناول العهد، فانطلق إلى جعفر بن حنظلة، الأمير كان بها، فدخل عليه، وهو جالس على سريره، فناوله العهد. فلما قرأه أخذ بيد نصر، فرفعه حتى أجلسه معه على سريره، وقال: سمعا وطاعة لأمير المؤمنين. فقال له نصر: أبا خلف، السلطان سلطانك، فمر بأمرك. ودعا له جعفر بن حنظلة، وسلم الأمر إليه.

■ (1) محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو عبد الله، صاحب الدعوة العباسية. في عهده انتشرت الدعوة لتبلغ العراق وخراسان واتخذ من الحميمة مركزًا له ومقامًا لعيشه حيث قطنها هو وأبناءه إبراهيم وأبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور. مات سنة 125 هـ وله ستون سنة.قال إسماعيل بن علي الخطبي كان ابتداء دعاة بني العباس إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وتسميتأهم إياه بالإمام ومكاتبتهم له وطاعتهم لأمره وكان ابتداء ذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة 87 ولم يزل الأمر في ذلك ينمى ويقوى ويتزايد إلى أن توفي في مستهل ذي القعدة من سنة 124 وقد انتشرت دعوته وكثرت شيعته وبلغ من السن نيفا وستين سنة.

■ (4) المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، أبو سعيد البصري، واسم أبي صفرة ظالم بن سارق، ويقال: ابن سراق بن صبح بن كندي، ويقال: كندير بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد، ويقال: الأسد أيضا، بن عمران بن عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. كان المهلب بن أبي صفرة واليا على خراسان من جهة الحجاج. مات سنة81 هـ أو سنة 82 هـ. وزاد بعضهم: في ذي الحجة بمرو الروذ. وقيل: إن المهلب كان يقول: ما شيء أبقى للملك من العفو، وخير مناقب الملوك العفو. وكان يقول: لأن يطيعني سفهاء قومي أحب إلي من أن يطيعني حلماؤهم. وكان يقول لبنيه: يا بني لا تتكلوا على فعل غيركم، وافعلوا ما ينسب إليكم.

■ (2) جنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث، أبو يحيى المري من أهل دمشق. استعمله هشام بن عبد الملك سنة 111 هـ على السند وخراسان فمات بها، وكان من الأجواد.وكان الجنيد بن عبد الرحمن تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب، فغضب هشام على الجنيد وولى عاصم بن عبد الله خراسان، وكان الجنيد سقي بطنه فقال هشام لعاصم: إن أدركته وبه رمق فأزهق نفسه، فقدم عاصم وقد مات الجنيد. في المحرم سنة 116 هـ

■ (3) جعفر بن حنظلة البهراني وكان من ذوي الرأي من أهل خراسان.؟

مراجع: أنساب الأشراف/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ الجرح والتعديل/ الاخبار الطوال للدينوري/ـ

عن أبي عبيدة بن محمد قال: شرق* ما بين ربيعة الرأي[1] وأبي الزناد[2] الخراج وما رواء بابه، وكان خالد بن عبد الملك[3] قد علم الذي بينهما، فأرسل إلى ربيعة، وخثيم بن عراك[4]، ومحمد بن عطاء الليثي[5]، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد[6]، فوجد عبد الرحمن قد تغيب فضرب هؤلاء وحلقهم، وقال: إنهم يطعنون على الأئمة ويرون رأي الخوارج. وكتب خالد إلى هشام يعلمه بضرب هؤلاء النفر، وأنه طلب عبد الرحمن فوجده قد تغيب، وتوجه إلى ابن شريح بخراسان يدعو إليه، فجاء الكتاب إلى هشام وهو يومئذ بالرصافة فقال: أي رجل عبد الرحمن بن القاسم؟ فقال إبراهيم بن هشام[7]: يا أمير المؤمنين، من أهل السنة والجماعة، فرمى بالكتاب فقرأه فقال: باطل والله يا أمير المؤمنين، وما خرج ابن القاسم إلا إليك. فأفرخ روع هشام، فقال: أرى ذلك، ووكل إبراهيم غلاما له يتفقد عبد الرحمن عند مسلحة عليها طريق من قدم من المدينة إلى هشام، فكان مقيما عندها أيام، ثم طلع عبد الرحمن على بغلة له وهو معتم فسلم فقالوا من الرجل؟ قال: رجل من قريش. قالوا: من أي قريش أنت؟ فأخبرهم، فأتى عبد الرحمن إبراهيم بن هشام، فأتى إبراهيم هشاما، فأدخله إليه فقال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام، كيف أنت يا عبد الرحمن، كيف أهل بيتك؟ قال: بخير يا أمير المؤمنين. قال: أحب أن يكونوا بخير، فما أقدمك يا عبد الرحمن؟ قال: ظلامتي، خاصمت إلي خالد: ابن أبي عتيق[8]، فمال علي ميلا بينا، فرحلت إلى أمير المؤمنين مستغيثا به لنصرتي.

فكتب إلى خالد: أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فأحضر رجالا من أهل الفضل والستر والصدق والعفاف ممن يخبرهم عبد الرحمن بن القاسم، ثم أجمع بينه وبين خصمه، ثم مرهم أن يجزموا القضاء على أحدهما، ولا تعرض لعبد الرحمن في خصومة ولا غيرها، فإن لعبد الرحمن فضلا، ومكان أبي بكر في الإسلام مكانه. ثم ختم الكتاب ودفعه إلى عبد الرحمن فقال عبد الرحمن: قد بررت وقضيت الحاجة وأعفيتني من الظلم وعلي أربعمائة دينار. فقال: يا عبد الرحمن، لو جمعنا لأحد أن نرد ظلامته ونقضي دينه لفعلنا ذلك بك، ولكنا لا نفعله بأحد فامض لشأنك. قال عبد الرحمن: فلحقني حسان النبطي[9] فقال: قد سمعت كلامك في دينك، وهذه أربعمائة دينار من مالي فخذها واقض بها دينك. فقال عبد الرحمن: ما أستجيز أخذها منك وأنا أستجيز أخذها من الخليفة، وأنا أقبلها على أن تكون قرضا، فأخذها على هذه الجهة فقضاه إياها ورثة عبد الرحمن بعد ذلك.

----

*(شرق ما بينهم بشر) أي نشب الشر فيهم فلا يفارقهم. وأصل الشرق في الشرب يقال شرق بالماء كما يقال غص بالطعام

■ (6) عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي القرشي، أبو محمد: من سادات أهل المدينة، فقها وعلما وديانة، وحفظا للحديث، وإتقانا. وفد على هشام بن عبد الملك متظلما من عامل المدينة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم، المعروف بابن مطيرة. واستوفده الوليد بن يزيد مع فقهاء من أهل المدينة ليستفتيهم عن الطلاق قبل النكاح، فمات بالفدين من أرض حوران، في الشام ودفن بها سنة 126 هـ.؛ وكان بعث إليه وإلى أبي الزناد، ومحمد بن المنكدر، وربيعة بن أبي عبد الرحمن.وفي رواية: مات بالمدينة.

■ (3) خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص المعروف بأبي مطير. ولي المدينة المنورة سنة 114هـ في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان، بعد عزل إبراهيم بن هشام المخزومي خال الخليفة بسبب شدته على الناس. وخالد بن عبد الملك ولي المدينة المنورة سبع سنين توالى القحط فيها حتى أجلى أهل البوادي إلى الشام وكان يقال سنيات خالد لا أعاد الله أمثالها وفي سنة 118 هـ عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم عن المدينة، واستعمل عليها محمد بن هشام بن إسماعيل فجمعت له مكة والمدينة

■ (1) ربيعة بن أبي عبد الرحمن التيمي، أبو عثمان المدني، واسم أبي عبد الرحمن فروخ مولى آل المنكدر، ويكنى ربيعة أبا عثمان. ويقال أبا عبد الرحمن. المشهور بربيعة الرأي. وتوفي بالأنبار وقيل بل رجع إلى المدينة فمات بها سنة 136 هـ. في آخر خلافة أبي العباس وكان قد أدرك بعض أصحاب النبي والأكابر من التابعين وكان صاحب الفتوى بالمدينة يجلس إليه وجوه الناس بالمدينة، وكان يحصى في مجلسه أربعون معتما،وعنه أخذ مالك بن أنس.سمع ربيعة من أنس بن مالك والسائب بن يزيد وعامة التابعين من أهل المدينة. روى عنه مالك والثوري وشعبة والليث بن سعد. وعن يونس بن يزيد قال: رأيت أبا حنيفة عند ربيعة وكان مجهود أبي حنيفة أن يفهم ما يقول ربيعة.وعن مالك بن أنس قال: ذهبت حلاوةُ الفقه منذ مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن. قال الليث: وقال لي عبيد الله بن عمر في ربيعة: هو صاحب معضلاتنا وأعلمنا وأفضلنا.

■ (4) خثيم بن عراك بن مالك الغفاري المديني: والد إبراهيم بن خثيم وحاتم، روى عن ابيه وسليمان بن يسار روى عنه يحيى بن سعيد الانصاري ووهيب وحماد بن زيد وسليمان ابن بلال وابنه ابراهيم سمعت ابى يقول ذلك.

■ (2) أبو الزناد، عبد الله بن ذكوان القرشي المدني: محدث، من كبارهم. قال الليث: رأيت أبا الزناد وخلفه ثلاث مئة تابع، من طالب فقه وعلم وشعر وصرف. وكان سفيان يسميه أمير المؤمنين في الحديث. وكان يغضب إذا قيل له أبو الزناد ويكتني بأبي عبد الرحمن. قال مصعب الزبيري: كان فقيه أهل المدينة، وكان صاحب كتابة وحساب، وفد على هشام بحساب ديوان المدينة. توفي فجأة بالمدينة سنة 131 هـ وكان ثقة في الحديث عالما بالعربية فصيحا.

■ (7) إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي القرشي: أمير المدينة المنورة، وخال هشام ابن عبد الملك. اشتهر بشدته وعتوه. وهو الذي ضرب يحيى بن عروه (أنظر ترجمته في الاعلام) حتى مات. حج بالناس سنة 105هـ وبعض السنين التي بعدها وولي المدينة ومكة والطائف سنة 107 هـ وكثرت شكوى آل الزبير وغيرهم منه. وعزله هشام سنة 115 هـ فانقطع خبره. مات بعد 115 هـ

■ (8) ابن أبي عتيق، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، التيمي المدني: وهو ابن أبي عتيق كنية والده ووالد محمد وعبد الله،يروي عن أم المؤمنين عائشة عمة أبيه وعن عبد الله بن عمر، وتوفي في حدود 110 هـ، وعبد الله بن أبي عتيق صاحب النوادر المشهورة.

■ (9) حسان النبطي كاتب الحجاج؟ مولى بني ضبة وصاحب حوض حسان بالبصرة وقناة حسان بالبطائح وقرية حسان بواسط لما ولي بذلك للوليد ثم لهشام بن عبد الملك

■ (5) محمد بن عطاء الليثي ؟

☪

قال إبراهيم بن المنذر: كان سبب جلد ربيعة سعاية أبي الزناد، سعى به فولي بعد فلان التيمي، فأرسل إلى أبي الزناد، فأدخله بيتا وسد باب البيت ليقتله جوعا وعطشا، فبلغ ذلك ربيعة، فجاء إلى الوالي فكلمه وأنكر ما فعل، فقال: وهل فعلت به هذا إلا لما كان منه إليك؟ دعه يموت، فأبى عليه حتى أخرجه وقال: سأحاكمه إلى الله عز وجل. هذا أو نحوه. وجلد ربيعة وحلق رأسه ولحيته، فنبتت لحيته مختلفة، شق أطول من الآخر، فقيل له: يا أبا عثمان؛ لو سويته، قال: لا، حتى ألتقي معهم بين يدي الله. قال كثير بن الوليد: قال رجل للزهري[1]: يا أبا بكر، تركت دار الهجرة ولزمت شعبا! فأراه قال: أفسدها العبدان: ربيعة وأبو الزناد.

وكان أبو الزناد فقيه أهل المدينة، وكان صاحب كتاب وحساب، وكان كاتبا لخالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بالمدينة. وكان كاتبا لعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب[2]، وقدم على هشام بن عبد الملك بحساب ديوان المدينة، فجالس هشاما مع ابن شهاب، فسأل ابن شهاب: في أي شهر كان يخرج عثمان العطاء فيه لأهل المدينة؟ قال: لا أدري. قال أبو الزناد: كنا نرى أن ابن شهاب لا يسأل عن شيء إلا وجد علمه عنده. قال أبو الزناد: فسألني هشام فقلت: المحرم، فقال هشام لابن شهاب: يا أبا بكر، هذا علم أفدته اليوم. قال ابن شهاب: مجلس أمير المؤمنين أهل أن يفاد منه العلم. وكان أبو الزناد معاديا لربيعة بن أبي عبد الرحمن، وكانا فقيهي البلد في زمانهما وكان يعقوب بن أبي سلمة الماجشون[3]يعين ربيعة على أبي الزناد،وكان الماجشون أول من علم الغناء من أهل المروءة بالمدينة فقال أبو الزناد: مثلي ومثل الماجشون مثل ذئب كان يلج على أهل قرية، فيأكل صبيانهم ودواجنهم، فاجتمعوا له، وخرجوا في طلبه فهرب منهم، فتقطعوا عنه إلا صاحب فخار، فألح في طلبه، فوقف له الذئب فقال: هؤلاء عذرتهم، أرأيتك أنت، ما لي ولك؟! والله ما كسرت لك فخارة قط. ثم قال: الماجشون مالي وله؟! والله ما كسرت له كبرا ولا بربطا.

قال أبو حنيفة: قدمت المدينة، فأتيت أبا الزناد، ورأيت ربيعة فإذا الناس على ربيعة، وأبو الزناد أفقه الرجلين، فقلت له: أنت أفقه أهل بلدك والعمل على ربيعة، فقال: ويحك، كف من حظ خير من جراب من علم. قال الليث: رأيت أبا الزناد وخلفه ثلاث مئة تابع، من طالب فقه وعلم وشعر، وصنوف، ثم لم يلبث أب بقي وحده، وأقبلوا على ربيعة. وكان ربيعة يقول: شبر من حظوة خير من باع من علم. قال عبد ربه بن سعيد: رأيت أبا الزناد دخل مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه من الأتباع مثلي ما على السلطان بين سائل عن حديث، وبين سائل عن قراءة، وبين سائل عن فريضة، وبين سائل عن حساب، وبين سائل عن عربية، وبين سائل عن شعر.

قال يحيى بن معين: قال مالك بن أنس[4]: أبو الزناد، كان كاتب هؤلاء القوم، يعني: بني أمية، وكان لا يرضاه. قال عبد الرحمن بن القاسم: سألت مالك بن أنس عمن يحدث بالحديث الذي قالوا: إن شاء الله تبارك وتعالى خلق آدم على صورته، فأنكر ذلك مالك إنكارا شديدا، ونهى أن يتحدث به أحد، فقيل له: فإن ناسا من أهل العلم يتحدثون به، فقال: من هم؟ فقيل له: محمد بن عجلان[5] عن أبي الزناد، فقال: لم يكن يعرف ابن عجلان هذه الأشياء، ولم يكن عالما. وذكر أبا الزناد فقال: إنه لم يزل عاملا لهؤلاء حتى مات. وكان صاحب عمال يتبعهم.

■ (2) عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي، أبو عمر: وال، من أهل المدينة، ثقة في الحديث. استعمله عمر بن عبد العزيز على الكوفة. وتوفي بحران في خلافة هشام نحو 115 هـ

■ (1) محمد بن شهاب الزهري؛ محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي هكذا نسبه مصعب الزبيري وغيره ليس في ذلك اختلاف قال مصعب وأمه من بني الدئل بن عبد مناة بن كنانة قال أبو عمر كنيته أبو بكر وكان من علماء التابعين وفقهائهم مقدم في الحفظ والإتقان والرواية والاتساع إمام جليل من أئمة الدين أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم منهم أنس بن مالك وسهل بن سعد وعبد الرحمن بن أزهر الزهري وسنين أبو جميلة السلمي ومنهم عبد الله بن عمر.ولد الزهري سنة 51 هـ وقبل سنة 58 هـ في آخر خلافة معاوية. ومات سنة 124 هـ في شهر رمضان ليلة 17 منه وهو ابن 66 سنة وذلك قبل موت هشام بعام. وقيل إنه مات وهو ابن 72 سنة ودفن بموضع يقال له إدامى وهي خلف شغب وبدا وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز.

■ (3) يعقوب بن أبي سلمة دينار، أو ميمون التيمي بالولاء، المدني، أبو يوسف، الملقب بالماجشون: أول من علم الغناء، من أهل المروءة، بالمدينة. كان من رجال الحديث، يجالس عروة ابن الزبير أحد الفقهاء السبعة وعمر بن عبد العزيز قبل ولايته الخلافة. وكان يتخذ القيان ويعلمهن الغناء. وفي الاغاني ما مؤداه: نظرت سكينة بنت الحسين إليه فقالت: كأنه الماجشون وهو صبغ أصفر تخالطه حمره فلقب به. توفي سنة 124 هـ

■ (4) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، ربيعة الرأي، أيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع.و حدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

■ (5) محمد بن عجلان. كان مولى لفاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة. ولد في خلافة عبد الملك بن مروان. وكان فقيها مفتيا، عابدا صدوقا، كبير الشأن. له حلقة كبيرة في مسجد رسول الله. وقد خرج على المنصور مع ابن حسن، فلما قتل ابن حسن، هم والي المدينة جعفر بن سلميان أن يجلده. فقالوا له، أصلحك الله: لو رأيت الحسن البصري فعل مثل هذا أكنت تضربه ؟ قال: لا. قيل: فابن عجلان في أهل المدينة كالحسن في أهل البصرة، وقيل: إنه هم بقطع يده حتى كلموه، وازدحم على بابه الناس. قال: فعفا عنه.قالوا: ومات ابن عجلان سنة 148 هـ.

مراجع: أنساب الأشراف/مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/مجمع الأمثال/ كتاب جمهرة الأمثال/

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وعروة بن أذينة الليثي 0569

قالوا: وقدم عروة بن أذينة الليثي[1] على هشام، فسأله: ألست القائل: لقد علمت وما الإسراف من خلقي..أن الذي هو رزقي سوق يأتيني..أسعى له فيعنيني تطلبه..ولو صبرت أتاني لا يعنيني. وإني لأحسبك ممن يفضل قوله فعله، فقال عروة: فإني استغفر الله وأستقيله ولا أرغب إلا إليه، فخرج من عنده ولم يبت إلا في الطريق منصرفا إلى أهله. وتذمم هشام مما استقبله به حين بلغه انصرافه، فبعث إليه بألف دينار، فلما أتاه بها رسوله قال: أقرئ أمير المؤمنين السلام وقل له إني رضيت بالله ورغبت إليه فأتاني برزقي على فراشي، فقال هشام: صدق. إنما نحن خزان الله، فإذا أذن في شيء أمضيناه على محبة منا وكرامة.

■ (1) ابن أذينة، عروة بن يحيى –ولقبه أذينة– بن مالك بن الحارث الليثي: شاعر غزل مقدم. من أهل المدينة. وهو معدود من الفقهاء والمحدثين أيضا. ولكن الشعر أغلب عليه. وهو القائل: لقد علمت وما الاسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني..أسعى إليه فيعييني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني. توفي نحو 130 هـ

قال المدائني: قال عمرو بن عتبة المخزومي: أذن هشام يوما إذنا عاما، فدخل أعرابي فقال: يا أمير المؤمنين قد كبرت سني، ورق عظمي فأعني بالفرض لابني فإنهما كما يحب أمير المؤمنين في طاعتها وجلدهما قال: ما ذاك لك عندنا، قال: فأقطعني دار إلى جانب داري كانت ليهودي هلك، ولا وارث له أوسع بها منزلي، قال: بيت المال أحق بها، قال: فأزرعني مزرعة إلى جانبي تخفف من خراجها عني، قال: لا. فولى الرجل وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط رجل أفحش بخلا ولا أسوأ ردا، وسمع هشام كلامه فنكس، ورفع الشرط عليه العمد، قال عمرو: فضممت إلي ثوري مخافة أن يقتل فيصيبني دمه، أو يشدخ فينتضح علي من دماغه، فقال الأعرابي: ما ينبغي أن ألومك وإني لأعلم أنك عبد من عبيد الله لا تعطي ولا تمسك إلا بإذنه، قال هشام: ردوه، كيف قلت؟ فأعاد قوله فقال: صدقت، أعد علي حوائجك، فقضاها.

قالوا: وأهدي إلى هشام حسان النبطي[1] هدايا كثيرة، وركب هشام فعرضها عليه وأرضى حسان كل من يطيف بهشام غير خادمين صغيرين له احتقرها، فدخل هشام المتوضأ وجاء الوصيفان بالماء، فقال أحدهما أما تعلم أمير المؤمنين أن حسان يم يهد ما أهدى حتى أخذ لنفسه مثله؟ قال الآخر: بل لنفسه عشرة أمثاله، أفمن بيت أمه أهدى هذا؟ وسمعهما هشام، فلما دخل عليه حسان قال: وهبت لهذين شيئا؟ قال: لا ولقد أغفلتهما. قال: فأحسن إليهما. فبعث إلى كل واحد منهما بألفي درهم. وخلا به هشام وهما على باب البيت، فقال أحدهما: نحن نتكلم في أمر هذا الرجل بما لا نعلم، و أمير المؤمنين أعلم بنصيحته وتوفيره، وقال الآخر: ما صارت له عند أمير المؤمنين هذه المنزلة إلا بفضل نصيحته وما فعل أحد مثل فعله، عماله يأكلون الدنيا ولا يهدون شيئا. فقال هشام لحسان: أرضيتهما؟ قال: نعم. فضحك هشام وقال: ما أخبثهما قد رأينا أثر ذلك.

وعن أبي عبيدة قال: دخل أعرابي على هشام في غمار الناس، فقال هشام لحاجبه: أكل من شاء أن يدخل دخل؟ فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين إن دخولي عليك لا ينقص من قدرك، وهو يزيد في قدري. فقال لا بأس إذا، أذكر حاجتك، فتظلم من واليهم، فكتب بإنصافه.قال المدائني: أتى هشاما محمد بن يزيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فسأله فقال: لست معطيك شيئا، فإياك أن يغرك الناس فيقولون إن أمير المؤمنين لم يعرفك، قد عرفتك، أنت محمد بن يزيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فلا تقم فينفق ما معك، والحق بأهلك.وعن الهيثم بن عدي قال: قال هشام: ما ندمت على شيء ندامتي على ما أهب. إن الخلافة تحتاج إلى الأموال كما يحتاج المريض إلى الدواء. قالوا: وكان هشام يقف على باب القصاب فيسأله عن سعر اللحم، ورأى رجلا من خاصته يبتاع لحما فغمزه فأتاه فقال: بكم تشتري؟ قال: بدرهم، قال: أحسنت، وأكثر من هذا سرف، وقال هشام: لا يلام المرء على إصلاح ماله والقصد فيه. ويقال إن هشاما –أو الوليد بن عبد الملك– كان يقف على البقال قبل الخلافة فيقول: ناولني تلك الحزمة، فيناوله حزمة من البقل فيقول: بكم هذه؟ فيقول: بفلسين، فيقول: زد فيها. وفي هشام يقول الشاعر:باتصال دعوت يا عبد شمس..بعدما نابهن أو يا مغيرا..قمري مكة المضيء دجاها... يجلوان الدجنة الديجورا. وعن الوليد بن مسلم قال: قال هشام: إني لأرى الرجل فأعرف عقله من حسن سماعه، وكان يقول: أنا أعرف الجاهل الأحمق بسرعة جوابه بالخطأ، وكثرة تلفته، وتدويمه نظره إلى جليسه بغير علة يصوب ويصعد فيه. قال المدائني: لما اشتد وجع هشام بكى نساؤه وولده، فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء، فترك لكم ما جمع، وتركتم عليه ما كسب، ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له، ثم فاظت نفسه،

■ (1) حسان النبطي كاتب الحجاج؟ مولى بني ضبة وصاحب حوض حسان بالبصرة وقناة حسان بالبطائح وقرية حسان بواسط لما ولي بذلك للوليد ثم لهشام بن عبد الملك

مراجع: أنساب الأشراف/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر[1] قال: كنا مع رجاء بن حيوة[2] فتذاكرنا شكر النعم، فقال: ما أحد يقوم بشكر نعمة، وخلفنا رجل على رأسه كساء، فكشف الكساء عن رأسه، فقال: ولا أمير المؤمنين؟ قلنا: وما ذكر أمير المؤمنين ها هنا ؟! إنما أمير المؤمنين رجل من الناس، فغفلنا عنه، فالتفت رجاء فلم يره، فقال: اتيتم من صاحب الكساء، ولكن إن دعيتم واستحلفتم، فاحلفوا، فما علمنا الا وبحرسي قد اقبل، فقال: اجيبوا أمير المؤمنين، فأتينا باب هشام، فأذن لرجاء من بيننا، فلما دخل عليه، قال: هيه، يا رجاء، يذكر أمير المؤمنين، فلا تحتج له؟ قال: فقلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذكرتم شكر النعم، فقلتم ما أحد يقوم بشكر نعمة، قيل لكم: ولا أمير المؤمنين، فقلتم: أمير المؤمنين رجل من الناس، فقلت: لم يكن ذلك، قال: الله، قلت: الله، قال رجاء: فأمر بذلك الساعي، فضرب سبعون سوطا، وخرجت وهو متلوث في دمه، فقال: هذا وأنت بن حيوة، قلت: سبعون سوطا في ظهرك، خير من دم مؤمن، قال بن جابر: وكان رجاء بن حيوة بعد ذلك إذا جلس في مجلس التفت، فقال: احذروا صاحب الكساء.

----

(2) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام، ويقال أبو نصر، وهو تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية، روى عن أبي صالح السمان. روى عنه محمد بن عجلان. توفي سنة 112 هـ. وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية

(1) عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. أبو عتبة الأزدي الداراني الدمشقي الحافظ. وفد على المنصور لما طلبه وكان كبير القدر من أئمة الشاميين. وهو أخو يزيد بن يزيد بن جابر. مات سنة 153 هـ. وقيل: سنة 154 هـ وقيل سنة 156 هـ.

☪

كان عند ميمون رجل من قراء أهل الشام فقال: إن الكذب في بعض المواطن خير من الصدق، فقال الشامي: لا، الصدق في كل موطن خير، فقال ميمون: أرأيت لو رأيت رجلاً يسعى وآخر يتبعه بالسيف فدخل الدار فانتهى إليك؟ فقال: أرأيت الرجل؟ ما كنت قائلاً؟ قال: كنت أقول: لا، قال: فذاك.قال ميمون: إذا أتى رجل باب سلطان فاحتجب عنه فليأت بيوت الرحمن فإنها مفتحة وليصل ركعتين وليسل حاجته.

قال إبراهيم البيهقي: قال بعض الحكماء: عليك بالصدق فما السيف القاطع في كف الرجل الشجاع بأعز من الصدق، والصدق عز وإن كان فيه ما تكره، والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب، ومن عرف بالكذب اتهم في الصدق. وقيل: الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل، والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور. وقال ابن السماك: ما أحسبني أؤجر على ترك الكذب لأني أتركه أنفة. وقال الشعبي: عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك. وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لاَ يَصْلُحُ الْكَذِبُ إِلاَّ فِي ثَلاَثٍ: كذب الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، أَوْ إِصْلاَحٌ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ كَذِبٌ فِي الْحَرْبِ﴾ وفي ذلك روي عن المغيرة بن إبراهيم قال: لم يرخص لأحد في الكذب إلا للحجاج بن علاط[1]، فإنه لما فتحت خيبر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لي عند امرأة من قريش وديعة -وهي أم شيبة بنت أبي طلحة- فإن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أكذب كذبة فلعلي أن أستل وديعتي. قال: فرخص له. فقدم مكة فأخبرهم أنه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا في أيديهم يأتمرون فيه، قائل يقول يقتل وقائل يقول لا بل يبعث إلى قومه فيكون ذلك منة. فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويوئسون العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم منه والعباس يريهم التجلد. وأخذ الرجل وديعته، فاستقبله العباس فقال: ويحك ما الذي أخبرت به؟! فأعمله السبب ثم أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر واستنكح صفية بنت حيي بن أخطب[2] وقتل أباها وزوجها، وقال له: اكتم علي اليوم وغدا حتى أمضي، ففعل ذلك. فلما مضى أخبرهم العباس بالذي أخبره فكبتوا.

وروي أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أستسر بخلال أربع: الزناء والسرق وشرب الخمر والكذب، فأيهن أحببت تركته لك سرا. فقال: دع الكذب. فمضى الرجل فهم بالزناء فقال: يسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن جحدت نقضت ما جعلته له وإن أقررت حددت، فلم يزن، ثم هم بالسرقة وبشرب الخمر ففكر في مثل ذلك فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له، عليه السلام: تركتهن أجمع. وعن عبد الله بن جراد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله هل يزني المؤمن، قال قد يكون ذاك، قال هل يسرق المؤمن، قال قد يكون ذاك، قال هل يكذب المؤمن، قال لا، ثم اتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى:﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل] وقال بعض الحكماء: الصدق عز والكذب خضوع. وقال آخر: لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لقد كان حقيقا بذلك فكيف وفيه المأثم والعار!.

☪

لما لقي أسقف نجران عمر بن الخطاب قال: يا أمير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة. قال: ومن قاتل الثلاثة ؟ قال: الرجل يأتي الإمام بالحديث الكذب فيقبله الإمام، فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وإمامه. فقال عمر رضي الله عنه: ما أراك أبعدت. ووجدنا في حكم القدماء أبغض الناس إلى الله عز وجل المثلث. قال الأصمعي: هو الرجل يسعى بالنميمة في أخيه إلى الإمام فيهلك نفسه وأخاه وإمامه. وذكر الرجل السعاة عند المأمون فقال: لو لم يكن من عيبهم إلا أنهم أصدق ما يكون أبغض ما يكون عند الله عز وجل. وكتب بعضهم إلى المأمون رقعة فيها: إن رجلا مات وخلف مالا عظيما وليس له وارث إلا طفل مرضع، وإن تحكم القضاء فيه أضاع ماله، وأمير المؤمنين أولى به. قال: فأخذ الرقعة وكتب على ظهرها: الطفل حبره إلا الله وأنشاه، والمال ثمره الله وأنماه، والميت رحمه الله ورضي عنه وأرضاه؛ وأما الساعي لي في أخذه فلعنه الله وأخزاه. روي عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر عنده وشاية في رجل آخر فقال عمر: إن شئت حققنا هذا الأمر الذي تقول فيه وننظر فيما نسبته إليه. فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات] وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم] وإن شئت عفونا عنك فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا. وروي أن رجلاً سعى بجار له عند الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد: أما أنت فتخبرنا أنك جار سوء فإن شئت أرسلنا معك، فإن كنت صادقاً أبغضناك وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت تركناك. قال: فاتركني يا أمير المؤمنين. فقال: قد تركناك!. وقال يحيى بن زيد: قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما لما سقي السم: أخبرني من سقاك. فدمعت عيناه وقال: أنا في آخر قدم من الدنيا وأول قدم من الآخرة، أتأمرني أن أغمز؟. وقال رجل للمهدي: عندي نصيحة يا أمير المؤمنين. قال: لمن نصيحتك هذه ألنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك ؟. قال: لك يا أمير المؤمنين.قال مهدي: ليس الساعي بأعظمهم عورة ولا بأقبح حالاً ممن قبل سعايته، ولا يخلوا من أن تكون حاسد نعمة فلا يشفى لك غيظك، أو عدوا فلا يعاقب لك عدوك. ثم أقبل على الناس وقال: يا أيها الناس لا ينصح لنا ناصح إلا بما لله فيه رضى وللمسلمين فيه صلاح. وروي أن رجلاً سعى برجل إلى الفضل بن سهل فوقع على ظهر كتابه: نحن نرى قبول السعاية أسوأ من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء كمن قبل وجاز لأن من فعل أشر ممن قال. وروي أن رجلاً رفع إلى المنصور نصيحة فوقع على ظهرها: هذه النصيحة لم يرد بها وجه الله تعالى، ولا جواب عندنا لمن آثرنا على الله تعالى. وروي أن رجلاً قال للمأمون يا أمير المؤمنين الله الله في أصحاب الأخبار فإنهم قوم إذا أعطوا مدحوا، وإن حرموا ذموا وهم كاذبون !. فقال المأمون: لله درها من كلمة ما أصدقها وأبين فضلها !. وأمر أن يثبت في ديوان أصحاب الأخبار. وقال المأمون لولده: يا بني نزهوا أقداركم وطهروا أحسابكم عن دنس الوشاة وتمويه سعايتهم فكل جان يده في فيه وليس يشي إليكم إلا أحد الرجلين ثقة وظنين، أما الثقة فقد قيل إنه لا يبلغ ولا يشين بالوشاية قدره، وأما الظنين فأهل أن يتهم صدقه ويكذب ظنه ويرد باطله، وما سعى رجل برجل إلي قط إلا انحط من قدره عندي ما لا يتلافاه أبدا، فلا تعطوا الوشاة أمانيهم فيمن يشون بهم، فقد قال بعض الملوك لرجل سعى بآخر: لو كنت أنت أنا ما كنت صانعا به؟ قال: كنت أقتله. فقال: أما إذ لم تكن أنت أنا فإني غير قاتله ومع ذلك فلا تدعوا الفحص عما يلقى إليكم مما تحذرون رجوع ضرره عليكم. وقال حكيم الفرس: الصدق زين على كل أحد إلا السعاية، فإن الساعي أذم وآثم ما يكون إذا صدق. ولله در الإسكندر حين وشى إليه واش برجل فقال له الإسكندر: إن شئت قبلناك على صاحبك بشرط أن نقبله عليك، وإن شئت أقلناك. قال: أقلني. قال: قد أقلناك، كف عن الشر يكف عنك الشر. روى ابن قتيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا دَيُّوثُ وَلَا قلاع﴾ الديوث الذي يجمع (يدث) بين الرجال والنساء. والقلاع الساعي الذي يقع في الناس عند الأمراء لأنه يقصد الرجل المكين عند السلطان فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه. وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَلْعُونٌ ذُو الْوَجْهَيْنِ، مَلْعُونٌ ذُو اللِّسَانَيْنِ مَلْعُونٌ كُلُّ شَفَّارٍ*، مَلْعُونٌ كُلُّ قَتَّاتٍ، مَلْعُونٌ كُلُّ مَنَّانٍ﴾ والشفار (وفي رواية قيل:السغار/ الشغاز): المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة والقتات: النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن به. وعن أبي هريرة رضي الله عنه خبر:﴿تَجِدُونَ مِنْ شَرِّ عِبَادِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِحَدِيثِ هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ بِحَدِيثِ هَؤُلَاءِ﴾ وفي رواية: ﴿ يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ﴾ وذي الوجهين هو ذو اللسانين. قال الغزالي: ذو اللسانين من يتردد بين متعاديين ويكلم كلا بما يوافقه، وقل من يتردد بين متعاديين إلا وهو بهذه الصفة وهذا عين النفاق.قال معاوية للأحنف في شيء بلغه عنه، فأنكر ذلك الأحنف؛ فقال له معاوية: بلغني عنك الثقة! فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين، إن الثقة لا يبلغ. روي فيما أظن عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سعى رجلان بمؤمن آل فرعون إليه وقالا: إن فلانا لا يقول أنك ربه. فأحضره فرعون وقال للساعيين: من ربكما؟ فقالا: أنت. وقال للمؤمن: من ربك؟ فقال: ربي ربهما. فقال: سعيتما برجل على ديني لأقتله، لأقتلنكما! وأمر بهما فقتلا، فذلك قول الله عز وجل:﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر] وأنكر بعضهم لمحة جليس له فنسبه إلى النميمة فقال: ما نطقت ولكن رمقت، ورب عين أنم من لسان وطرف أشد من سيف، وأوجع من حتف. وقال الرشيد لأبي عمرو الشفافي: فلان نم بك. فقال: يا أمير المؤمنين إن فلانا لو كان بينك وبين واسطة لسعى بك إليه. وقال أعرابي: أتى فلان بنميمة منمنمة وسخيمة مسخمة.

----

(2) صفية بنت حيي بن أخطب، من الخزرج: من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كانت في الجاهلية من ذوات الشرف. تدين باليهودية، من أهل المدينة. تزوجها سلام ابن مشكم القرظي، ثم فارقها فتزوجها كنانة ابن الربيع النضري، وقتل عنها يوم خيبر. وأسلمت، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. لها في كتب الحديث 10 أحاديث. توفيت في المدينة سنة 50 هـ.

(1) الحجاج بن علاط بن خالد بن ثويرة أبو كلاب ويقال أبو محمد ويقال أبو عبد الله السلمي ثم البهزي له صحبة، وأسلم عام خيبر. وكان يسكن المدينة وبنى بها مسجدا في بنى أمية فنسب اليه، ورخص له رسول الله أن يقول فيه بما شاء عند أهل مكة عام خيبر من أجل ماله وولده حتى جمع ماله بها من أهل وولد. وهو أول من بعث بصدقته إلى رسول الله من معدن بني سليم، عداده في أهل الحجاز. والحجاج مات في خلافة عمر وهو مدفون بقاليقلا من أرض الروم.

مراجع: تهذيب الكمال/ / الأعلام للزركلي/ سراج الملوك/ تذكرة الحفاظ وذيله/ الثقات لإبن حبان/ موارد الظمآن لدروس الزمان/محاضرات الأدباء/

ذكر الحريري صاحب المقامات في كتابه درة الغواص ما مثاله:قال حماد الراوية[1]: كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك بخلافته، وكان أخوه هشام يحقدني لذلك، فلما مات يزيد وتولى هشام خفته، ومكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا إلى من أثق به من إخواني سرا فلما لم أسمع أحدا ذكرني في السنة أمنت فخرجت يوما أصلي الجمعة بالرصافة، فإذا شرطيان قد وقفا علي، وقالا يا حماد، اجب الأمير، فقلت في نفسي: من هذا كنت أخاف، ثم قلت لهما: هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي فأودعهم وداع من لا يرجع إليهم ثم أسير معكما؟ فقالا: ما إلى ذلك سبيل، فاستسلمت في أيديهما، فمثلت إلى الأمير[2] على العراق، وهو في الإيوان الأحمر، فسلمت عليه، فرد علي السلام، ورمى إلي كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند هشام أمير المؤمنين إلى فلان ابن فلان أمير العراق.أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع، وادفع له خمس مائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق، قال: فأخذت الدنانير، ونظرت فإذا جمل مر حول، فركبته وسرت، حتى وافيت دمشق في اثنتي عشرة ليلة، فنزلت على باب هشام واستأذنت فأذن لي، فدخلت عليه في دار قوراء* مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب، وهشام جالس على طنفسة حمراء، وعليه ثياب حمر من الخز، وقد تضمخ* بالمسك والعنبر، فسلمت عليه فرد علي السلام، فاسدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله، فإذا جاريتان لم أر مثلهما قط في أذن كل جارية حلقتان فيهما لؤلؤتان تتقدان، فقال:كيف أنت يا حماد؟ وكيف حالك؟ فقلت: بخير يا أمير المؤمنين، فقال: اتدري فيما بعثت إليك؟ قلت: لا فقال: بسبب بيت خطر ببالي لا أعرف قائله، قلت: و ما هو؟ قال: ودعوا بالصبوح يوما فجاءت..قينة في يمينها إبريق. قلت يقوله عدي بن يزيد العبادي[3] في قصيدة، فقال: انشدنيها، فأنشدته: بكر العاذلون في وضح الصبح..يقولون لي أما تستفيق..ويلومون فيك يا ابنة عبد..الله والقلب عندكم موثوق..لست أدري إذا كثر العذل فيها..أعدو يلومني أم صديق. قال: فأنشدته حتى انتهيت إلى قوله: ودعوا بالصبوح يوما فجاءت..قينة في يمينها إبريق. مع أبيات أخر يطول ذكرها، قال: فطرب هشام، ثم قال: احسنت يا حماد. -قال ابن خلكان: وفي هذه الحكاية زيادة: قال اسقيه يا جارية فسقتني، قال:وهذا ليس بصحيح، فإن هشاما لم يشرب-، ثم قال: يا حماد سل حاجتك، فقلت كائنة ما كانت، قال: نعم. قلت:احدى الجاريتين، قال: هما جميعا لك بما عليهما وما لهما، وأنزله في داره، ثم نقله إلى دار أعدها له، فوجد فيها جاريتين وكل ما لهما وكل ما يحتاج إليه، وأقام عنده مدة، وصله بمائة ألف درهم.

ولما مات حماد رثاه عبد الأعلى المعروف بابن كناسة: لو كان نجي من الردى حذر..نجاك مما أصابك الحذر..يرحمك الله من أخي ثقة..لم يك في صفو وده كدر..فهكذا يفسد الزمان ويفنى..العلم وتدرس الأثر. ودفن بقرية من أعمال ماسبدان، وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة[4] شعرا منه هذا البيتان، وقد غيرت المصراع الأول من الأول منهما ليكون عدولا عما لا يجوز من لفظ: سقى الله قبرا من سحائب رحمة..ثوى فيه حماد بماسبدان..عجبت لأيد هالت الترب فوقه..ضحى،كيف لم ترجع بغير بنان. ولفظه الذي غيرته هو قوله: وأكرم قبر بعد قبر محمد..نبي الهدى قبر بما سبدان. فقد فضله كما ترى على جميع الأولياء، بل على جمع الأنبياء غير نبينا، صلى الله عليه وآله وسلم، على ما نقله عنه أهل التواريخ، وبئس القول والقائل.

----

*(قوراء) واسعة (تضمخ) تلطخ

■ (1) حماد بن سابور بن المبارك، أبو القاسم: أول من لقب بالراوية. وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها. أصله من الديلم، ومولده في الكوفة. جال في البادية ورحل إلى الشام. وتقدم عند بني أمية، فكانوا يستزيرونه ويسألونه عن أيام العرب وعلومها، ويجزلون صلته. وهو الذي جمع السبع الطوال المعلقات. وقيل: كان في أول مرة يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ثم طلب الادب وترك ماكان عليه. وفيه يقول الطهوي: نعم الفتى لو كان يعرف ربه أو حين وقت صلاته، حماد. وتوفي في بغداد سنة 155 هـ. والحمادون ثلاثة: هذا، وحماد الراوي وحماد بن الزبرقان. كانوا يشربون الخمر، ويتهمون بالزندقة بالكوفة

■ (2) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم أبو يعقوب، الثقفي: ـ وهو ابن عم الحجاج – أمير، من جبابرة الولاة في العهد الاموي. كانت منازل أهله في البلقاء بشرقي الاردن وولي اليمن لهشام بن عبد الملك سنة 106 هـ ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة 121 هـ وأضاف إليه إمرة خراسان، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن، ودخل العراق، وعاصمته يومئذ الكوفة فأقام بها. ثم قتل سلفه في الامارة خالد بن عبد الله القسري تحت العذاب. واستمر إلى أيام يزيد بن الوليد، فعزله يزيد في أواخر 126 هـ وقبض عليه، وحبسه في دمشق، إلى أن أرسل إليه يزيد بن خالد القسري من قتله في السجن بثأر أبيه. وعمره نيف وستون سنة. سنة 127 هـ وكان صغير الحجم، قصير القامة عظيم اللحية، فصيحا، جوادا كان سماطه كل يوم خمسمائة مائدة يسلك سبيل الحجاج في الاخذ بالشدة والعنف. وكان يضرب به المثل في التيه والحمق، يقال: أتيه من أحمق ثقيف! قال الذهبي: كان مهيبا جبارا ظلوما.

■ (3) عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي. شاعر من دهاة الجاهليين، كان قرويا من أهل الحيرة، فصيحا، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجمانا بينه وبين العرب، فسكن المدائن ولما مات كسرى وولي الحكم هرمز أعلى شأنه ووجهه رسولا إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، فزار بلاد الشام، ثم تزوج هندا بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة. مات سنة 36 ق. هـ

■ (4) مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، كنيته أبو الهيندام أو أبو السمط، ولقبه ذو الكمر. شاعر عالي الطبقة، كان جده أبو حفصة مولى لمروان بن الحكم أعتقه يوم الدار، ولد باليمامة من أسرة عريقة في قول الشعر، وأدرك العصرين الأموي والعباسي، وقد وفد على المهدي فمدحه ثم الهادي من بعده ثم إلى مديح هارون الرشيد ومدح البرامكة وزراء الرشيد.وعلى كثرة ما أصابه من خلفاء بني العباس وعلى يساره، فقد كان بخيلا بخلا شديدا، ضربت به الأمثال ورويت عنه الحكايات. ويمتاز شعره بالعراقة والجودة ومتانة الألفاظ وسداد الرأي ودافع بشعره عن العباسيين ودعى إليهم واحتج على خصومهم وعارضهم. وقد دفع ثمن تعصبه للعباسيين حياته، إذ اغتاله بعض المتطرفين من الشيعة العلويين ببغداد.سنة 182 هـ

☪

قال اليافعي: كان الراوية من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها، وهو الذي جمع السبع الطوال فيما ذكره أبو جعفر النحاس، وكانت ملوك بنى أمية تقدمه وتؤثره وتستزيره، فيفيد عليهم وينال منهم، ويسألونه عن أيام العرب وعلومها. قال له الوليد بن يزيد الأموي يوما وقد حضر مجلسه: بما استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية؟ فقال:اني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم أروي الأكثر منهم ممن تعرف أنك لا تعرفه ولا أسمعت به، ثم لا ينشدني أحد شعرا قديما ولا حديثا إلا ميزت القديم من الحديث، فقال له: فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ فقال:كثير، ولكنني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام، فقال:سأمتحنك في هذا، وأمره بالإنشاد فأنشد حتى ضجر الوليد، ثم وكل به من استخلفه إن يصدقه عنه ويستوفي عليه، فأنشده ألفين وتسع مائة قصيدة جاهلية، فأخبر الوليد بذلك، فأمر له بمائة ألف درهم. قال حماد الراوية: كنت عند الوليد بن يزيد يوما، فدخل عليه رجلان كانا منجمين، فقالا : نظرنا فيما أمرتنا به، فوجدناك تملك سبع سنين مؤيدا منصورا، يستقيم لك الناس، ويجبى لك الخراج. قال حماد: فاغتنمتها، وأردت أن أخدعه كما خدعاه؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، كذبا؛ نحن أعلم بالرواية والآثار وضروب العلوم منهما، وقد نظرنا في هذا، ونظر الناس فيه قديما، فوجدناك تملك أربعين سنة في الحال التي وصفا. فأطرق الوليد، ثم رفع رأسه إلي، فقال: لا ما قال هذان يكسرني، ولا ما قلت يعزني، والله لأجبين هذا المال من حله جباية من يعيش الأبد، ولأصرفنه في حقه صرف من يموت في غد. وقد روي مثل هذا الكلام عن الوليد بن عبد الملك. وقال حماد الراوية: أرسل إلي أبو مسلم ليلا فراعني ذلك، فلبست أكفاني ومضيت. فلما دخلت عليه تركني حتى سكن جأشي، ثم قال لي: ما شعر فيه أوتاد؟ قلت: من قائله أصلح الله الأمير؟ قال: لا أدري. قلت: فمن شعراء الجاهلية أم من شعراء الإسلام؟ قال: لا أدري. قال: فأطرقت حينا أفكر فيه، حتى بدر إلى وهمي شعر الأفوه الأودي[1] حيث يقول: لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم..ولا سراة إذا جهالهم سادوا..والبيت لا يبتنى إلا له عمد..ولا عماد إذا لم ترس أوتاد..فإن تجمع أوتاد وأعمدة..يوما فقد بلغوا الأمر الذي كادوا. فقلت: هو قول الأفوه الأودي أصلح الله الأمير، وأنشدته الأبيات. فقال: صدقت، انصرف إذا شئت. فقمت، فلما خطوت الباب لحقني أعوان له معهم بدرة، فصحبوني إلى الباب. فلما أردت أن اقبضها منهم، قالوا: لا بد من إدخالها إلى موضع منامك. فدخلوا معي، فعرضت أن أعطيهم منها. فقالوا: لا نقدم على الأمير. ذكر أبو بكر الصولي أن حماد الراوية قرأ والغاديات صبحا بالغين المعجمة وبالصاد؛ فسعي به إلى عقبة بن سلم[2]. وفي رواية: وإن بشارا الأعمى سعي به إلى عقبة بن سلم، أنه يروي جل أشعار العرب، ولا يحسن من القرآن غير أم الكتاب، فامتحنه عقبة بتكليفه القراءة في المصحف فصحف في آيات عدة منها: ومن الشجر ومما تغرسون وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أباه عذابي أصيب به من أساء هم أحسن أثاثا وزيا، ليكون لهم عدوا وحربا، وما يجحد بآياتنا إلا كل جبار كفور، بل الذين كفروا في غرة وشقاق يوم يحمى غليها في نار جهنم، ونتلو أخباركم، صنعة الله ومن أحسن من الله صنعة، فاستعانه الذي من شيعته: بالعين والنون، سلام عليكم لا نتبع الجاهلين: بالعين، فأنا أول العائذين بالنون وبادوا: بالباء ولات حين مناص من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كأسوتهم. وعن المدائني أن يحيى بن زياد الحارثي[3] وحمادا الراوية كان بينهما وبين معلم بن هبيرة ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من النفاسة، وكان معلم بن هبيرة يحب أن يطرح حمادا في لسان من يهجوه، قال حماد الراوية: فقال لي يوما بحضرة يحيى بن زياد: أتقول لأبي عطاء السندي[4] أن يقول زج و جرادة ومسجد بني شيطان؟ قلت: نعم، فما تجعل لي على ذلك؟ قال: بغلتي بسرجها ولجامها. فأخذت عليه بالوفاء موثقا، وجاء أبو عطاء السندي فجلس إلينا فقال: مرهبا بكم هياكم الله! فرحبت به وعرضت عليه العشاء، فأبى وقال: هل عندكم نبيذ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا فشرب حتى احمرت عيناه، فقلت: يا أبا عطاء، إن إنسانا طرح علينا أبياتا فيها لغز فلست أقدر على إجابته البتة ففرج عني. فقال: هات! قلت [من الوافر]: أبن لي إن سئلت، أبا عطاء..يقينا كيف علمك بالمعاني فقال: خبير عالم فاسأل تجدني..بها طبا وآيات المثاني فقلت: فما اسم حديدة في رأس رمح..دوين الكعب ليست بالسنان؟ فقال: هو الزز الذي لم بات ضيفا..لصدرك لم تزل لك لوعتان فقلت: فما صفراء تدعى أم عوف..كأن رجيليتها منجلان؟ فقال: أردت زرادة وأقول حقا..بأنك ما عدوت سوى لساني فقلت: أتعرف مسجدا لبني تميم..فويق الميل دون بني أبان؟ فقال: بنو سيطان دون بني أبان..كقرب أبيك من عبد المدان. قال حماد: فرأيت عينيه قد ازدادت حمرة، ورأيت الغضب في وجهه وتخوفته فقلت: يا أبا عطاء، هذا مقام المستجير بك، ولك نصف ما أخذته. قال: فاصدقني! فأخبرته فقال: أولى لك، قد سلمت وسلم لك جعلك، خذه بورك لك فيه، فلا حاجة لي إليه. وانقلب يهجو معلم بن هبيرة. وفي رواية قال حماد بن الزبرقان لحماد الراوية: إن قلت لأبي عطاء السندي أن يقول: جرادة، وشيطان، وزج، فبغلتي وسرجها ولجامها لك، فقال حماد: يا أبا عطاء، كيف علمك بالأدب؟ قال: سلني، قال حماد: [من الوافر] وما صفراء تكنى أم عوف..كأن رجيلتيها منجلان ؟ قال أبو عطاء: زرادة، فقال: [من الوافر] أتعرف مسجدا لبني تميم..فويق الشال دون بني أبان قال: ذاك مسجد بني سيطان، قال: [من الوافر] فما اسم حديدة في رأس رمح..دوين الصدر ليست بالسنان قال: زز. قال: فلم يستحق البغل ولا السرج ولا اللجام.؟

قال علي بن محمد بن أبي سيف المدائني: ومن أهل الكوفة ثلاثة نفر من بكر بن وائل أئمة: أبو حنيفة في الفقه، وحمزة الزيات في القراءة، وحماد الراوية في الشعر.

■ (2) عقبة بن سلم الهنائي وهو أمر البصرة، استخلف محمد بن أبي العباس سنة 149 هـ على معونة البصرة فأقره أبو جعفر، وكان على اليمامة والبحرين وكان عاتيا جبارا، اغتاله رجل بخنجر، وهو في دار عمر بن بزيغ فمات ببغداد.سنة 167 هـ

■ (3) يحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي، أبو الفضل. شاعر ماجن، يرمى بالزندقة، من أهل الكوفة، له في السفاح والمهدي مدائح، وهو ابن خال السفاح. أقام ببغداد مدة ولم يحمد زمانه فيها، فخرج عنها. وكانوا إذا وصفوا إنسانا بالظرف قالوا هو أظرف من الزنديق، يعنون يحيى لأنه كان ظريفا، توفي في أيام المهدي.مات سنة 160 هـ

■ (4) أفلح بن يسار السندي، أبو عطاء: شاعر فحل قوي البديهية. كان عبدا أسود، من موالي بني أسد. من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية. نشأ بالكوفة. وتشيع للاموية، وهجا بني هاشم.وشهد حرب بني أمية وبني العباس، فأبلى مع بني أمية. قيل مات عقب أيام المنصور (ووفاة المنصور سنة 158 هـ) وقيل توفي بعد 180 هـ

■ (1) الافوه الاودي، صلاءة بن عمرو بن مالك، من بني أود، من مذحج: شاعر يماني جاهلي، يكنى أبا ربيعة. قالوا: لقب بالافوه لانه كان غليظ الشفتين، ظاهر الاسنان. كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم. وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره. أشهر شعره أبياته التي منها: لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا. مات نحو 50 ق هـ

مراجع: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ فهرس شعراء الموسوعة الشعرية/ العقد الفريد/

قال غاضرة بن حاتم: وفد عروة بن أذينة[1] على هشام بن عبد الملك، فلما دخل إليه شكا خلة ودينا، فقال هشام: ألست القائل: من البسيط: لقد علمت وما الإشراف من خلقي..أن الذي هو رزقي سوف يأتيني..أسعى إليه فيعنيني تطلبه..ولو جلست أتاني لا يعنيني..وما اشتريت بمال قط محمدة..إلا تيقنت أني غير مغبون..ولا دعيت إلى مجد ولا كرم..إلا أجبت إليه من يناديني. ثم قد جئت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق، فقال عروة: وعظت يا أمير المؤمنين فأبلغت. وخرج إلى راحلته، فركبها ثم وجهها نحو الحجاز، فمكث هشام يومه، فلما كان في الليل ذكره فقال: رجل من قريش وفد إلي، فجبهته ورددته عن حاجته، وهو مع ذا شاعر، ولا آمن يقول في ما يبقى ذكره! فلما أصبح دعا مولاه فدفع إليه ألفي دينار وقال: الحق بهذه ابن أذينة. قال المولى: فخرجت إلى المدينة فقرعت عليه الباب، فخرج إلي فأعطيته المال فقال: أبلغ أمير المؤمنين السلام، وقل له: كيف رأيت قولي؟ سعيت فأكذبت، ورجعت إلى منزلي فأتاني، ولكني قد قلت: من الكامل: شاد الملوك قصورهم وتحصنوا..من كل طالب حاجة أو راغب..فإذا تلطف للدخول عليهم..عاف تلقوه بوعد كاذب..فارغب إلى ملك الملوك ولا تكن..يا ذا الضراعة طالبا من طالب. فأقسم بالله لا سألت أحد حاجة حتى ألقى الله. فكان ربما سقط سرطه فينزل عن فرسه ويأخذه ولا يسأل أحدا أن يناوله إياه.

---

(1) ابن أذينة، عروة بن يحيى ولقبه أذينة بن مالك بن الحارث الليثي: شاعر غزل مقدم. من أهل المدينة. وهو معدود من الفقهاء والمحدثين أيضا. ولكن الشعر أغلب عليه. وهو القائل: لقد علمت وما الاسراف من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني..أسعى إليه فيعييني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني. مات نحو 130 هـ

عروة بن أذينة وهو لقب واسم أذينة، يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن رجل بن يعمر الشداح بن عوف بن كعب بن عامر أبو عامر الليثي. شاعر من أهل الحجاز، وفد على هشام بن عبد الملك. وفي نسبه اختلاف.

قال عروة بن أذينة: خرجت مع جدة لي عليها مشي إلى البيت، حتى إذا كنا ببعض الطريق، فأرسلت مولى لها يسأل عبد الله بن عمر، قال: فخرجت معه نسأله، فقال عبد الله: مرها فلتركب، ثم لتمشي من حيث عجزت. قال مالك: ونرى مع ذلك عليها الهدي. وعروة شاعر مكثر فصيح، مأمون على ما روى من المسند وغيره، ولحق بالدولة العباسية بعد سن عالية. مرت سكينة بعروة بن أذينة فقالت: يا أبا عامر، أنت الذي تقول: من البسيط: يا نظرة لي ضرت يوم ذي سلم..حتى لي هذا الضر في نظري..قالت وأبثثتها سري فبحت به..قد كنت عندي تحب الستر فاستتر..ألست تبصر من حولي فقلت لها..غطى هواك وما ألقى على بصري. وأنت القائل: من البسيط: إذا وجدت أذى للحب في كبدي..أقبلت نحو سقاء القوم أيترد..هذا بردت ببرد الماء ظاهرة..فمن لحر على الأحشاء يتقد. قالت: هن حرائر وأشارت إلى جواريها إن كان هذا خرج من قلب سليم. قال عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير: كان عروة بن أذينة نازلا مع أبي في قصر عروة بن الزبير بالعقيق فسمعه ينشد نفسه: من الكامل: إن التي زعمت فؤادك ملها..خلقت هواك كما خلقت هوى لها..فيك الذي زعمت بها فكلاكما..أبدى لخلته الصبابة كلها..ولعمرها لو كان حبك فوقها..يوما وقد حجبت إذا لأظلها..وإذا وجدت لها وساوس سلوة..شفع الضمير لها إليك فسلها..بيضاء باكرها النعيم فصاغها..بلباقة فأدقها وأجلها..لما عرضت مسلما لي حاجة..أخشى صعوبتها وأرجو ذلها..حجبت تحيتها فقلت لصاحبي..ما كان أكثرها لنا وأقلها..فدنا فقال: لعلها معذورة..في بعض رقبتها، فقلت: لعلها. قال عروة: فجاءني أبو السائب يوما بالعقيق، فقلت له بعد الترحيب به: ألك حاجة؟ قال: أبيات لعروة بن أذينة بلغني أنك سمعتها منه، قلت: أي أبيات؟ قال: وهل يخفى القمر؟! إن التي زعمت فؤادك ملها. فأنشدته إياها فقال: ما يروي هذه إلا أهل المعرفة والعقل، هذا والله الصادق الود، الدائم العهد، لا الهذلي الذي يقول: من الكامل: إن كان أهلك يمنعونك رغبة..عني فأهلي بي أضن وأرغب. لقد عدا الأعرابي طوره، وإني لأرجو أن يغفر الله لصاحبه في حسن الظن بها، وطلب العذر لها، ودعوت له بطعام، فقال: لا والله حتى أروي هذه الأبيات، فلما رواها وثب فقلت: كما أنت حتى تأكل. فقال: ما كنت لأخلط بمحبتي لها وأخذي إياها غيرها. وانصرف. قال عروة بن أذينة الشاعر: عجبت لمن علم أنه يموت كيف لا يموت! كان عروة بن أذينة إذا نام الناس بالبصرة خرج فنادى في سككها: يا أهل البصرة، الصلاة الصلاة ثم يتلو: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الأعراف]

حدث الأعمش عن أبي وائل قال: ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان الفارسي، فجلسنا عنده فقال: لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن التكلف لتكلفت لكم، ثم جاء بخبز وملح ساذج لا أبزار عليه، فقال صاحبي: لو كان في ملحنا صعتر. فبعث سلمان بمطرته فرهنها على الصعتر. فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي أقنعنا بما رزقنا. فقال سلمان: لو قنعت بما رزقك الله لم تكن مطهرتي مرهونة. قال عباد بن منصور: كان بالبصرة من هو أفقه من عمرو بن عبيد وأفصح، ولكنه أصبر عن الدرهم والدينار، فساد أهل البصرة. قال له خالد بن صفوان: لم لا تأخذ مني؟ قال: لا يأخذ أحد من أحد إلا ذله، وأنا أكره أن أذل لغير الله. وكان معاشه من دار غلتها كل شهر دينار. كان الناس يكسبون الرغائب بعلم الخليل، وهو فيما بين أخصاص البصرة لا يلتفت إلى الدنيا ولا يطلبها. قيل للحسن: إن أبا ذر كان يقول: الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة. فقال الحسن: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتكل على حسن الاختيار من الله لم يتمن أنه في غير الحال التي اختارها الله له. في بعض الكتب: يقول الله: يا ابن آدم، أتخاف أن أقتلك بطاعتي هزلا وأنت تتفتق بمعصيتي سمنا؟ قيل لأبي حازم: ما مالك؟ قال: لي مالان لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس. وروى شيئان لا عيلة علي معهما: الرضا عن الله والغنى عن الناس. أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: قل لعبادي المستخطين لرزقي: إياكم أن أغضب فأبسط عليكم الدنيا. قالت رابعة لسفيان: أترى الله عليك غضبان؟ قال: لا أدري، قالت: ومن أعلم بذلك منك؟ أنظر إن كنت عنه راضيا فهو عنك راض. قيل: متى يكون العبد راضيا عن ربه؟ قالت: إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة. كان عبد الله بن مرزوق من ندماء المهدي، فسكر يوما ففاتته الصلوات فجاءت جارية بجمرة فوضعتها على رجله، فانتبه مذعورا، فقالت له: لم تصبر على نار الدنيا، فكيف تصبر على نار الآخرة؟ فقام فصلى الصلوات، وتصدق بما معه، وذهب يبيع البقل. فدخل عليه فضيل وابن عيينة، فإذا تحت رأسه لبنة وما تحت جنبه شيء، فقالا: إنه لم يدع أحد شيئا إلا عوضه الله منه بدلا، فما عوضك مما تركت له؟ قال: الرضا بما أنا فيه. قال إبراهيم التيمي: اشترى أبي عبيدا بأربعة آلاف درهم من البصرة فبنوا له داره، ثم باعهم بربح أربعة آلاف درهم. فقلت له: لو عدت إلى البصرة فاشتريت مثل هؤلاء فربحت. فقال يا بني، ما فرحت بذلك حين أصبته، ولا حدثتني نفسي بإصابة مثله. قال الثوري: ما وضع أحد يده في قصعة غيره إلا ذل له. وعنه: لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة. قال مسعر بن كدام: من صر على الخل والبقل لم يستعبد. عن ابن عمر رفعه: أجملوا في الطلب، فوا الذي بعثني بالحق إن الرزق ليطلب أحدكم كما يطلبه الموت. عن ابن مسعود رفعه: ليس أحد بأكيس من أحد، فقد كتب له النصيب والأجل، وقسم المعيشة والعمل، فالناس يجرون فيهما إلى منتهى. قال عمر رضي الله عنه: تعلموا أن الطمع فقر، وأن اليأس غنى، وأن المرء إذا يئس من شيء استغنى عنه. وعن أنس بن مالك قال أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر، فأطعم خادمه طائرا فلما كان من الغد أتته به، فقال لها: ﴿أَلَمْ أَنْهَكِ أَنْ تَرْفَعِي شَيْئاً فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْتِي بِرِزْقِ كُلِّ غَدٍ﴾ وعن عبد الله بن عمر رفعه: لقد أفلح من أسلم، ورزقه الله كفافا، وقنعه الله تعالى بما آتاه. في وصيى علي رضي الله عنه: وألجيء أمورك كلها إلى إلهك، فإنك تلجئها إلى كهف حريز ومانع عزيز. وفيها: وأعلم علما يقينا أنك لن تبلغ أملك، ولن تعدو أجلك، فإنك في سبيل من كان قبلك. فأحسن في الطلب، وأجعل في المكتسب، فإنه رب طلب جر إلى حرب، وليس كل طالب بمرزوق، ولا كل مجمل بمحروم. وفيها: وقد يكون اليأس إدراكا، إذا كان الطمع هلاكا. ولي عبد الله بن عامر العراق، فقصده صديقان له أنصاري وثقفي، فلما سارا تخلف الأنصاري وقال: الذي أعطى ابن عامر العراق قادر أن يعطيني. ووفد الثقفي وقال: أحرز الحظين. فلما دخل قال له: ما فعل زميلك الأنصاري؟ ووصله بأربعة آلاف دينار، ووصل الأنصاري بضعفها. فخرج الثقفي وهو يقول: أمامة ما حرص الحريص بنافع..فعفتي ولا زهد القنوع بضائر..خرجنا جميعا من مساقط روسنا..على ثقة منا بجود ابن عامر..فلما أنخنا الناعجات ببابه..تخلف عنا اليثربي ابن جابر..وقال ستكفيني عطية قادر..على ما يشاء اليوم للخلق قاهر..فإن الذي أعطى العراق ابن عامر..لربي الذي أرجو لسد مفاقري..فقلت خلا لي وجهه ولعله..سيجعل لي حظ الفتى المتزاور..فلما رآني سال عنه صبابة..إليه كما حنت ظؤور الأباصر..فأبت وقد أيقنت أن ليس نافعا..ولا ظائرا شيء خلاف المقادر. حين حج الرشيد ماشيا أعياه المشي يوما، فاستلقى على قفاه في ظل ميل، فوقف عليه من قال له: وما تصنع بالدنيا..وظل الميل يجزيك.

قال الحسن: كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان أميرا على زهاء ثلاثين ألفا من المسلمين، وكان يخطب في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها، فإذا خرج عطاؤه تصدق به، وأكل من سفيف يده. قال صالح المري: تغدو الطير خماصا، وتروح بطانا، واثقة بأن لها في كل غدوة رزقا لا يفوتها. والذي نفسي بيده إنكم لو غدوتم إلى أسواقكم على مثل إخلاصها رجعتم وأنتم أبطن من بطون الحوامل. أنشد الجاحظ للحسين بن الضحاك: يا روح من حسمت قناعته..سبب المطامع في غد وغد..من لم يكن لله متهما..لم يمس محتاجا إلى أحد. وعن هب بن منبه في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل] قال: القناعة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وأبو النجم، الراجز 0573

قال هشام للشعراء: صفوا لي إلابلا فقيظوهن وأوردوهن وأصدروهن حتى كأني أنظر إليهن. قال أبو النجم[1]: فذهب بي الروي حتى قلت: وصارت الشمس كعين الأحول. فغضب هشام، وكان أحول، وقال: أبي تعرض يا ابن اللخناء، أخرجوا هؤلاء، لا يدخلن هذا علي. وكان بالرصافة أحدهما يغدي والآخر يعشي، فكنت أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر، وأبيت في المسجد، فأمسى هشام ذات ليلة لقس النفس*، فقال لحاجبه ربيع: ابغني رجلا غريبا يحدثني، فخرج فأخرجني من المسجد، فأدخلني عليه، فقال لأبي النجم: ألم يكن أمرنا بإخراجك عن هذه القرية، فمن آواك ومن أم مثواك؟ فقلت: أما الغداء فمن عند فلان، والعشاء من عند فلان، والمبيت من حيث أخرجت. فقال: ما مالك وولدك؟ قلت: أما المال فلا مال، وأما الأهل فابنتان. قال: هل زوجتهما؟ قلت: إحداهما، قال: فما أوصيتها؟ قال: مالا يجديه علي أمير المؤمنين. قال: هاته، قال: من مشطور الرجز: أوصيت من برة قلبا حرا..بالكلب خيرا والحماة شرا..لا تسأمي خنقا لها وجرا..والحي عميهم بشر طرا..وإن حبوك ذهبا ودرا..حتى يروا حلو الحياة مرا. فضحك حتى استلقى وقال: يا أبا النجم! ما هذه وصية يعقوب لبنيه! قلت: يا أمير المؤمنين، ولا أنا مثل يعقوب. قال: فما زدتها؟ قلت: بلى، قال: هاته. قلت: من مشطور الرجز: سبي الحماة وابهتي عليها..فإن دنت فازدلفي إليها..وإقرعي بالود مرفقيها..وظاهري النذر به عليها..لاتخبري الدهر به ابنتيها. قال: فما فعلت أختها؟ قال: درجت بين أبيات الحي ونفعتنا، قال: هل قلت فيها شيئا قلت: نعم، قال: هاته، قلت: من مشطور السريع: كأن ظلامة أخت شيبان..يتيمة والدها حيان..الرأس قمل كله وصئبان..وليس في الرجلين إلا خيطان..فهي التي يذعر منها الشيطان. فقال هشام لخصي على رأسه: يا بديح، ما فعلت دنانير فلانة؟ قال: ها هي يا أمير المؤمنين، قال: ادفعها إلى أبي النجم يجعلها في رجلي ظلامة.

وفي رواية وفد على هشام بن عبد الملك وقد طعن في السن ، فقال له هشام: حدثني يا أبا النجم. فقال : أعني أم عن غيري ؟ فقال: بل عنك. فأنشأ يحدثه وهو يضحك وصار يختلف إليه، وكان طرده هشام حين أنشده أرجوزته التي يمثلون في الكلام على الفصاحة بمطلعها (الحمد لله العلي الأجلل) وفيه مخالفة القاعدة الصرفية في الإدغام . وذلك أنه لما بلغ أطرف تشبيه فيها وهو (والشمس في الأفق كعين الأحول) فطن قبل أن ينطق بالكلمة الأخيرة ؛ لأن هشاما كان أحول، فلم يقلها فلما وقف، قال هشام: أجز . فقالها، فطرده. وضاق صدر هشام في ليلة، فقال لأحد الخدم: اطلب لي محدثا أعرابيا شاعرا، فخرج الخادم إلى المسجد، فإذا هو بأبي النجم وكان ينام فيه بعد طرده، فضربه برجله وقال: أجب أمير المؤمنين. فقال: إنني أعرابي غريب. فقال: إياك أبغي، هل تروي الشعر؟ قال: نعم وأقوله. فانطلق به حتى أدخله القصر، وأغلق الباب، فظن أبو النجم الشر والانتقام، ثم مضى به فأدخله على هشام، فإذا هو في بيت صغير، والشمع يزهر بين يديه، وإذا هو قد ضرب بينه وبين نسائه سترا رقيقا، فلما رآه هشام قال: أبو النجم؟ قال: نعم، طريد أمير المؤمنين. فأذن له بالجلوس، وسأله عن منزله ومبيته مباسطة، ثم قال له: ما لك من الولد؟ قال: ثلاث بنات وبني اسمه شيبان. فقال: هل أخرجت من بناتك أحدا؟ قال: نعم، زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمز في أبياتنا كأنها نعامة. قال: وما أوصيت به الأولى؟ فقال: أوصيت من (برة) قلبا حرا..بالكلب خيرا والحماة شرا..لا تسأمي ضربا لها وجرا..حتى ترى حلو الحياة مرا..وإن كستك ذهبا ودرا..والحي عميهم بشر طرا. فضحك هشام وقال: فما قلت للأخرى؟ قال: قلت: سبي الحماة وابهتي عليها..وإن دنت فازدلفي إليها..وأوجعي بالنهز ركبتيها..ومرفقيها واضربي جنبيها..وظاهري النذر لها عليها..لا تخبر الدهر بها ابنتيها. فضحك هشام حتى سقط على قفاه وقال: ويحك ما هذه وصية يعقوب عليه السلام ولده. فقال: ولا أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين. قال: فما قلت للثالثة ؟ قال: قلت: أوصيك يا بنتي فإني ذاهب..أوصيك أن تحمدك الأقارب..والجار والضيف الكريم الساغب..لا يرجع المسكين وهو خائب..ولا تني أظفارك السلاهب..لهن في وجه الحماة كاتب..والزوج إن الزوج بئس الصاحب. قال: وكيف قلت هذا ولم تتزوج؟ وأي شيء قلت في تأخر تزويجها؟ قال: قلت: كأن ظلامة أخت شيبان..يتيمة ووالداها حيان..الرأس قمل كله وصيبان..وليس في الساقين إلا خيطان..تلك التي يفزع منها الشيطان. فضحك هشام حتى ضحكت النساء لضحكه، وأمر له بثلاثمائة دينار، وقال: اجعلها في رجلي ظلامة مكان الخيطين.

دخل أبو النجم على هشام بن عبد الملك فقال له: كيف رأيك يا أبا النجم في النساء؟ قال: ما لهن عندي خير، ما أنظر إليهن إلا شزرا*، وما ينظرن إلي إلا خزرا*، فما ظنك يا أمير المؤمنين؟ قال: ظني بنفسي، قال: لا علم لك يا أبا النجم. ثم أرسل إلى جوار له فسألهن عما ظن أبو النجم، فقلن: يا أمير المؤمنين، وما علم هذا! ثم أقبلن على أبي النجم فقلن: يا أعرابي، أتقول هذا لأمير المؤمنين، وليس منا امرأة تصلي إلا بغسل منه؟! قال هشام: يا أبا النجم، دونك هذه الجارية –لواحدة منهن– فأخذ بيدها ثم أمره أن يغدو عليه بخبرها. فغدا عليه ولم يصنع شيئا، فلما رآه قال: ما صنعت يا أبا النجم؟ قال: ما صنعت شيئا ولقد قلت في ذلك شعرا. قال: وما هو؟ قال: قلت: نظرت فأعجبها الذي في درعها..من حسنه ونظرت في سربالها..فرأت لها كفلا ينوء بخصرها..وعثا روادفه وأخثم ناتيا..ضيقا يعض بكل عرد ناله..كالقعب أو ضرع يرى متجافيا..ورأيت منتشر العجان مقبضا..رخوا حمائله وجلدا باليا..أدني له الركب الحليق كأنما..أدني إليه عقاربا وأفاعيا..إن الندامة والسدامة فاعلمن..لو قد صبرتك للمواسي خاليا..ما بال رأسك من ورائي خالفا..أحسبت أن حر الفتاة ورائيا..فاذهب فإنك ميت لا ترتجى..أبد الأبيد ولو عمرت لياليا..أنت الغرور إذا خبرت وربما ... كان الغرور لمن رجاه شافيا.

----

*(لقست نفسه) غثت وخبثت(النظر الشزر) النظر بجانب العين في إعراض (النظر الخزر) بإسكان الزاي الذي فيه كبر واستخفاف للمنظور إليه (المظاهرة) المعاونة، والنذر معروف، وبمعنى الإنذار (تني) تقصر، والسلاهب: الطوال.

■ (1) الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم، من بني بكر بن وائل. ويقال: اسمه المفضل بن قدامة. وفي نسبه اختلاف. من أكابر الرجاز ومن أحسن الناس إنشادا للشعر. نبغ في العصر الاموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان. ووفد على سليمان وهشام. قال أبو عمرو بن العلاء: كان ينزل سواد الكوفة، وهو أبلغ من العجاج في النعت. مات سنة 130 هـ وكان مقدما عند جماعة من أهل العلم على العجاج، ولم يكن أبو النجم كغيره من الرجاز الذين لم يحسنوا أن يقصدوا، لأنه يقصد فيجيد

قال معاوية يوما لجلسائه: أي أبيات العرب في الضيافة أحسن؟ فأكثروا، فقال: قاتل الله أبا النجم حيث يقول: من الطويل: لقد علمت عرسي قلانة أنني..طويل سنا ناري بعيد خمودها..إذا حل ضيفي بالفلاة فلم أجد..سوى مثبت الأطناب شب وقودها. وبقي إلى أيام هشام بن عبد الملك. وكان الأصمعي يغمز عليه وهو القائل: من مشطور الرجز: والمرء كالحالم في المنام..يقول إني مدرك أمامي..في قابل ما فاتني في العام..والمرء يدنيه من الحمام..مر الليالي السود والأيام..إن الفتى يصبح للأسقام..كالغرض المنصوب للسهام..أخطأ رام وأصاب رام. كان أبو عمرو بن العلاء يقول: أشعر أرجوزة قالتها العرب قول أبي النجم: الحمد لله الوهوب المجزل..أعطى فلم يبخل ولم يبخل. قال: ولم أر أسير منها، لم أر عربيا إلا وهو ينشدها أو بعضها. ذوك رؤبة بالأراجيز فقال وقد ذكر أبو النجم قصيدته تلك: لعنها الله –يعني هذه اللامية لاستجادته إياها وغضبه منها وحسده عليها. قال أبو سليم العلاء: قلت لرؤبة: كيف رجز أبي النجم عندكم؟ قال: لاميته تلك عليها لعنة الله. فإذا هي قد غاظته وبلغت منه. وكان أبو النجم ربما قصد فأجاد، ولم يكن كغيره من الرجاز الذين لم يحسنوا أن يقصدوا، وكان صاحب فخر وبذخ. اجتمع الشعراء عند سليمان بن عبد الملك فأمرهم أن يقول كل رجل منهم قصيدة يذكر فيها مآثر قومه ولا يكذب: ثم جعل لمن برز منهم جارية مولدة. فأنشدوه وأنشد أبو النجم حتى أتى على قوله: من الكامل: عدوا كمن ربع الجيوش لصلبه..عشرون وهو يعد في الأحياء. قال: أشهد إن كنت صادقا إنك لصاحب الجارية. فقال أبو النجم: سل الملأ عن ذلك يا أمير المؤمنين. فقال الفرزدق: أما أنا فأعرف منه ستة عشر، ومن ولد ولده أربعة كلهم قد ربع. فقال سليمان ولد ولده هم ولده، ادفع إليه الجارية.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ لسان العرب/

قال محمد بن عائذ، أخبرني الوليد، حدث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن صاحب الخزر كايد هشاما بإرساله رجلا من العرب قد سماه لنا، فنسيته، قد كان أصاب أهله وولده، وجعل له تخلية سبيل أهله وولده بإبلاغه تلك الرسالة إلى هشام، والرجعة إليه بخبر ما يبلغه، وحمله على بريد المسلمين، فأقبل متحزما حتى دخل على هشام، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، الجراح بن عبد الله[1] يقرأ على أمير المؤمنين السلام، ويخبره بسلامته وبسلامة من معه من المسلمين، بمكان كذا وكذا، وأنه من عدوه منتصف، ويعزم على أمير المؤمنين ليردني إليه بعد إبلاغي الرسالة بخبر أمير المؤمنين، قال: ويحك! من غير كتاب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فدعا بدواب البريد فحمله من ساعته، وأقام هشام يومه حتى إذا كان من غروب الشمس قال لخاصته: ويحكم رسول الجراح يأتيني بغير كتاب ثم رجع لم يأتني مصداق لخبره من صاحب بريد ولاعامل، إن نحن إلا في مكر من عدونا، علي بسعيد الحرشي[2] .فأتي به، فعقد له في عشرة من قومه على البريد، وقال له: سر في أصحابك، فإن قدمت والجراح حي فأنت مدد له، وإن كان قتل فأنت أمير على أرمينية حتى يأتيك رأي أمير المؤمنين، وعقد له هشام بيده، ودفع إليه اللواء، وقال: ادع حاملا، فنادى سعيد: يا فرج، فقال هشام: أصنعت هذا ؟ قال: لا، ولكنه أحد موالي وأعواني، قال هشام: هذا أول الفرج. قال: فحدثني غير ابن جابر أن هشاما وجه الحرشي على البريد، وأصحبه ممن هو في عسكره من وجوه الناس، نحوا من أربع مائة رجل، وأمره أن لا يمر بشريف من العرب إلا استنفره من قومه ففعل.

قال: فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: فأقبل سعيد الحرشي سريعا على البريد وأنا ببردعة على بيت مال أرمينية قال فلقيته فرأيته كاسفا لونه منخزلا ظهره على دابته، فلما دنوت منه قلت: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله، قال: عبد الرحمن! فاعتدل على سرجه ورد السلام، قال: ويحك، ما فعل الجراح؟ قلت يرحم الله الجراح، فأسفر لونه وذهبت عنه كآبته، وأقبل علي يسألني عن خبرهم وأمورهم، حتى دخل بردعة، ثم عسكر معسكرا وضوى إليه الفل، وبقية الناس، وأهل الحسبة، حتى صار في الألف دون العشرة، فأخبر أن صاحب خزر وجه بها غنم من بلاد المسلمين من النساء والذرية وغيرهم من أهل ذمتهم مع طرخان* من طراخنته، من نحو من عشرين ألفا أو قال ثلاثين ألفا إلى بلاده، فدعا المسلمين إلى قتالهم ولقائهم فأجابوه إلى ذلك، فسار بمن كان معه.قال: فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وشيخ من أهل حمص، قالا: فسار إليهم حتى لقيهم بهم، فقاتلوهم قتالا شديدا فنصرهم الله عليهم، فاستنقذ جميع ما كان من ذلك والذرية والسقبه*، ثم ثبت لهم معسكرا ليعترض من مر به منهم، فانتخبوا الأبطال والفرسان منهم -يعني من خزر- ثلاثين ألفا، أو قالا: أكثر منها، فاقتتلوا قتالا شديدا فهزمهم الله، وقتلوهم مقتلة لم يقتلها قوم قط، وبلغ ذلك الطاغية وقد بلغه إقبال مسلمة بن عبد الملك[3] بالجموع، فولى قافلا إلى بلاده. وكان قتل الجراح سنة اثنتي عشرة ومئة.

قال الأصمعي: دخل سعيد بن عمرو الحرشي على هشام، فأهوى إلى يده ليقبلها، فلما ولى قال: كنت أظن هذا أرجح مما هو. فقيل له: يا أمير المؤمنين، إنه لراجح، ولكنه كان بخراسان، وهذا من سنتهم.

----

*(كاسفا لونه منخزلا) الخزلة بالضم: الكسرة في الظهر والاخزل من الابل: ما ذهب سنامه كلهه (حتى صار في الألف) كذا ولعله الالاف (السقبه) كذا رسمها بالاصل وفي م: والسيقة (طرخان) اسم للرجل الشريف بلغة أهل خراسان والجمع الطراخنة، وقيل طرخان اسم رجل بلغة خراسان

■ (2) سعيد بن عمرو بن الأسود بن مالك بن كعب الحرشي: قائد، من الولاة الشجعان. من أهل الشام. وهو الذي قتل شوذب الخارجي، وفتك بمن معه، سنة 101 هـ. وولاه ابن هبيرة خراسان سنة 103 هـ. ثم بلغ ابن هبيرة أنه يكاتب الخليفة ولا يعترف بإمارته، فعزله وسجنه. ثم أخرجه خالد القسري وأكرمه، فعاد إلى الشام، فولاه هشام غزو الخزر سنة 112 هـ فرحل إلى أرمينية. ثم أمره هشام بالعودة إليه، فعاد. قال ابن حزم: وولده بأرمينية. وكان تقيا بطلا وصفه ابن هبيرة بفارس قيس. نسبته إلى الحريش بن كعب بن ربيعة. توفي بعد سنة 112 هـ

■ (1) الجراح بن عبد الله بن جعادة بن أفلح بن الحارث بن درة (ذوة) بن حدقة بن مظة،واسمه سفيان بن سليم بن الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، أبو عقبة الحكمي من قواد أهل الشام من دمشق. ولي البصرة في أيام الوليد بن عبد الملك للحجاج، ثم ولي العراق في أيام سليمان خلافة ليزيد بن المهلب، ثم ولي خرا سان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، وولي عدة جهات وكان قارئا غازيا قتله الترك بأذربيجان غازيا في سنة 112 هـ. وقيل كان على أرمينية، قتلته الخزر* (من الترك) سنة 105 هـ

■ (3) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: أمير قائد، من أبطال عصره. من بني أمية في دمشق، يلقب بالجرادة الصفراء. وهو ابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب) له فتوحات مشهورة. سار في مئة وعشرين ألفا لغزو القسطنطينية في دولة أخيه سليمان وبنى مسجد مسلمة بالقسطنطينية (؟) سنة 96 هـ وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية. وغزا الترك والسند سنة 109 هـ. ومات بالشام سنة 120 هـ وقيل مات سنة 121 هـ . وإليه نسبة بني مسلمة وكانت منازلهم في بلاد الاشمونيين بمصر قال الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر إخوته.

سعيد بن عمرو بن الأسود الحرشي شامي.قيل: إنه كان سائلا يسأل على الأبواب، ثم صار يسقي الماء، ثم صار في الجند، فولي إمرة خراسان من قبل عمر بن هبيرة، ثم عزله، وسجنه. فلما ولي خالد القسري أخرجه من السجن، وأكرمه، فلما هرب ابن هبيرة من سجن خالد بعث خالد سعيدا في إثره فلم يدركه إلا بعد قدومه على هشام. وقدم سعيد على هشام، وولاه غزو الخزر من بعد قتل الجراح بن عبد الله، وعلت حاله، وكان ولده بارمينية.

ولما ولى ابن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي خراسان قال له: يا سعيد، اجعل حاجبك عاقلا، فإنه وجهك ولسانك والمخبر عنك والمؤدي إليك، وعليك بعمال العزر. قال: وما عمال العزر؟ قال: من شاورت فيه العامة فأشاروا عليك به، فإنهم إن أحسنوا كان حسنهم لك، وإن أساؤوا اتسع العذر بينك وبينهم وبين الناس.

قال ابن أبي العقب ورأيت في رواية يزيد بن عبد الصمد قال أبو عبد الله يعني ابن عائذ وقال الشاعر يمدح سعيدا الحرشي: أنت الذي أدرك الله العباد به..بعد البلاء بتأييد وإظفار..موفق للهدى والرشد مضطلع..كيد الحروب أريب زنده واري..تضمن الحذب والإيمان منبره..كالصبح أقبل في غر وإسفار..لأمت ما شئت من شعب ومن شعب..للمسلمين بجد غير عثار..على أوان شديد ليس يعلمه..من شأننا كان غير الخالق الباري..قد أبدت الحرب فيه عن نواجذها..وشمرت عن شذاها أي تشمار..وأنت يوم أبي حزوان إذ رجعت..فيه الطراخين ذو نقض وإمرار..لقيتهم بليوث في اللقاء وقد..وافوا بأرعن ناوى الزم جرار..فجستهم جوس قرم ما يقيلهم..بالخيل تنقض أوتارا بأوتار..والخيل ساهمة تضح الدماء بها..من علها بعد إنهال وإصدار..من كل طرف شديد الشعب منصلت..نهدا شق كصدر الرمح خطار..فهم يولون والفرسان تضر بهم..بكل عضب شديد المتن بتار..أمام ليث هزبر فرهم أزر..صلب الدواس هصور هيصم ضار..عبل الذراعين أبي شبلين ذي لبـ..ـد دلس هو عداء على الساري..ويوم أسراب إذ جاشت جموعهم..وأسعروا نار حرب أي إسعار..وأقبلوا كالتاع البرق بيضهم..لهم عصار تراه بعد إعصار..فسرت بالخيل والرايات تقدمها..بخيرة من عباد الله أخيار..أمدك الله رب العالمين بهم..مسومين أمام الناس أنصار..فأهلك الله جمع الشرك إذ رجعوا..على يديك وأخزيكل كفار.

مراجع: كتاب الصوائف/ الأعلام للزركلي/ كتاب العين/ لسان العرب/مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/

◆ هشام بن عبد الملك الأموي القرشي (عاشر ملوك الدولة الأموية) وأعرابي 0575

دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك[1] فقال له: عظنى يا أعرابى، فقال: كفى بالقرآن واعظا، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين] ثم قال: يا أمير المؤمنين، هذا جزاء من يطفف في الكيل والميزان، فما ظنك بمن أخذه كله ؟!

----

(1) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

كانت الأعراب تنتجع هشام بن عبد الملك بالخطب كل عام فتقدم إليهم الحاجب يأمرهم يالإيجاز فقام أعرابى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن الله تبارك وتعالى جعل العطاء محبة والمنع مبغضة، فلأن نحبك خير من أن نبغضك، فأعطاه وأجزل له. وقام أعرابي بين يدي هشام فقال: يا أمير المؤمنين أتت على الناس ثلاث سنين أما الأولى فلحت اللحم وأما الثانية فأكلت الشحم وأما الثالثة فهاضت العظم، وعندكم فضول أموال فإن كانت لله فاقسموها بين عباده، وإن كانت لهم ففيم تحظر عنهم، وإن كانت لكم فتصدقوا عليهم بها، إن الله يجزى المتصدقين، قال هشام: هل من حاجة غير هذه يا أعرابي؟ قال: ما ضربت إليك أكباد الإبل أدرع الهجير وأخوض الدجى لخاص دون عام، فأمر هشام بمال فقسم بين الناس، وأمر للأعرابي بمال، فقال: أكل المسلمين له مثل هذا؟ قالوا: لا، ولا يقوم بذلك بيت مال المسلمين، قال: فلا حاجة لي فيما يبعث لأئمة الناس على أمير المؤمنين.

وقف أعرابى بباب عبيد الله بن زياد فقال: يأهل الغضارة، حقب السحاب، وانقشع الرباب، واستأسدت الذئاب، وردم الثمد، وقل الحفد، ومات الولد، وكنت كثير العفاة، صخب السقاة، عظيم الدلاة لاتصال الزمان، وغفل الحدثان، حي حلال، وعدد ومال، فتفرقتا أيدي سبا بين فقد الأبناء والاباء، وكنت حسن الشارة، خصيب الدارة، سليم الجارة، وكان محلي حمي، وقومي أسي، وعزى جدا، قضى الله ولا رجعان لما قضى، بسواف المال، وشتات الرجال، وتغير الحال، فأعينوا من شخصه، شاهده، ولسانه، وافده، وفقره سائقه، وقائده.

ودخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكرة بالبصرة، فوقفت بين السماطين فقالت: أصلح الله الأمير، وأمتع به، حدرتنا إليك سنة اشتد بلاؤها، وانكشف غطاؤها، أقود صبية صغارا وآخرين كبارا في بلدة شاسعة تخفضنا خافضة، وترفعنا رافعة، لملمات من الدهر برين عظمى، وأذهبن لحمي، وتركنني والهة، أدور بالحضيض، وقد ضاق بي البلد العريض، فسألت في أحياء العرب من الكاملة فضائله، المعطي سائله، المكفى نائله، فدللت عليك، أصلحك الله تعالى، وأنا امرأة من هوازن، قد مات الوالد وغاب الرافد، وأنت بعد الله غياثى ومنتهى أملي، فافعل بي إحدى ثلاث خصال: إما أن تردني إلى بلدي، أو تحسن صفدي، أو تقيم أودي، فقال: بل أجمعهن لك فلم يزل يجرى عليها كما يجرى على عياله حتى ماتت.

ودخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري فقال: أصلح الله الأمير شيخ كبير حدته إليك بارية العظام ومؤرثة الأسقام ومطولة الأعوام، فذهبت أمواله، وذعذعت آباله، وتغيرت أحواله، فإن رأي الأمير أن يجبره بفضله، وينعشه بسجله، ويرده إلى أهله، فقال: كل ذلك وأمر له بعشرة الاف درهم.

وقدم أعرابي من بني كنانة على معن بن زائدة وهو باليمن فقال: إني والله ما أعرف سببا بعد الإسلام والرحم أقوي من رحلة مثلي من أهل السن والحسب إليك من بلاده، بلا سبب، ولا وسيلة، إلا دعاءك إلى المكارم، ورغبتك في المعروف، فإن رأيت أن تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك فافعل، فوصله وأحسن إليه.

وخرج المهدى يطوف بعد هدأة من الليل فسمع أعرابية من جانب المسجد وهي تقول: قوم متظلمون نبت عنهم العيون وفدحتهم الديون وعضتهم السنون بادت رجالهم وذهبت أموالهم وكثر عيالهم أبناء سبيل وأنضاء طريق وصية الله ووصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهل من امرئ يجبر كلأه الله في سفره وخلفه في أهله فأمر نصيرا الخادم فدفع إليها خمسمائة درهم.

ولى جعفر بن سليمان أعرابيا بعض مياههم فخطبهم يوم الجمعة فقال: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، أما بعد، فإن الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار، فخذوا لمقركم من ممركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها ابدانكم، ففيها حييتم، ولغيرها خلقتم، اليوم عمل بلا حساب، وغدا حساب بلا عمل، إن الرجل إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدم؟ فلله اباؤكم قدموا بعضا يكون لكم قرضا، ولا تخلفوا كلا يكون عليكم كلا، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، والمحمود الله والمصلى عليه محمد، والمدعو له الخليفة، ثم إمامكم جعفربن سليمان، قوموا إلى صلاتكم. وخطب أعرابي فقال: الحمد لله الحميد المستحمد، وصلى الله على النبى محمد، أما بعد، فإن التعمق في ارتجال الخطب لممكن، والكلام لا يثنى حتى ينثنى عنه، والله تبارك وتعالى لا يدرك واصف كنه صفته، ولا يبلغ خطيب منتهى مدحته، له الحمد كما مدح نفسه، فانهضوا إلى صلاتكم، ثم نزل فصلى. وخطب أعرابي قومه فقال: الحمد لله، وصلى الله على النبى المصطفى، وعلى جميع الأنبياء، ما أقبح بمثلى أن ينهى عن أمر ويرتكبه، ويأمر بشيء ويجتنبه، وقد قال الأول: ودع مالمت صاحبه عليه..فذم أن يلومك من تلوم. ألهمنا الله وإياكم تقواه، والعمل برضاه. وقدم أعرابي إلى السلطان فقال له قل الحق وإلا أوجعتك ضربا قال له وأنت فاعمل به فوالله ما أوعدك الله على تركه أعظم مما توعدني به

مراجع: ذيل جمهرة خطب العرب/ الأعلام للزركلي/

◆ مسلمة بن عبد الملك بن مروان، أمير، وقائد عسكري، ووالي، ورجل دولة (من زمن والده عبد الملك إلى زمن أخيه غير الشقيق، هشام بن عبد الملك) وميمون بن مهران 0576

عن عمرو بن ميمون[1]، عن أبيه[2]، قال: قال مسلمة بن عبد الملك[3]: أليس قد أمرتم بطاعتنا؟ يعني:﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء] قال: قلت: إن الله قد انتزعه منكم إذا خالفتم الحق، قال الله تعالى:﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء] قال: فأين الله؟ قلت: الكتاب. قال: فأين الرسول؟ قلت: السنة.

قال الزبير بن بكار في تسمية ولد عبد الملك، قال: ومسلمة بن عبد الملك، كان من رجالهم، وكان يلقب الجرادة الصفراء، وله آثار كثيرة في الحروب ونكاية في الروم. عن عبيد الله بن بشر الغنوي، عن أبيه[4]، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ﴾ قال: فدعاني مسلمة بن عبد الملك. قال: فحدثته بهذا الحديث فغزاهم.

قال الأصمعي: حاصر مسلمة بن عبد الملك حصنا، فأصابهم فيه جهد عظيم، فندب الناس إلى نقب منه، فما دخله أحد، فجاء رجل من الجند فدخله، ففتح الله عليهم، فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما وجد أحد، حتى نادى مرتين أو ثلاثا أو أربع. فجاء في الرابعة رجل فقال: أنا أيها الأمير صاحب النقب، آخذ عهودا ومواثيقا ثلاثا؛ لا تسودوا اسمي في صحيفة، ولا تأمروا لي بشيء، ولا تشغلوني عن أمري. قال: فقال مسلمة: قد فعلنا ذلك بك. قال: فغاب بعد ذلك فلم ير؛ فكان مسلمة بعد ذلك يقول في دبر صلاته: اللهم اجعلني مع صاحب النقب. قال الأوزاعي: لما غزا مسلمة بن عبد الملك الروم أخذه صداع شديد، فبعث إليه ملك الروم بقلنسوة، فقال: ضعها على رأسك، فإنها تذهب بصداعك. فقال: مكيدة؛ فأخذها فوضعها على بعض البهائم فلم ير إلا خيرا، ثم أخذها فوضعها على رأس بعض أصحابه فلم ير إلا خيرا، ثم أخذها فوضعها على رأسه فذهب الصداع عنه؛ فأمر بها ففتقت فإذا فيها كتاب فيه سبعون سطرا هذه الآية مكررة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر]

----

(2) ميمون بن مهران مولى بني أسد كان مملوكا لامرأة بالكوفة فأعتقته وبها نشأ وكنيته أبو أيوب،كان مؤدب أولاد الخليفة عمر، سكن الجزيرة بعد وقعة الجماجم، وتولى قضاء الرقة لعمر، يروي عن ابن عمر، ولد سنة 40 هـ سنة المجاعة ومات بالرقة سنة 118 هـ وقيل سنة 117 هـ

(1) عمرو بن ميمون بن مهران، كنيته أبو عبد الله الجزري ويقال أبو عبد الرحمن، يقال أن جده مهران كان كاتبا لبني نصر بن معاوية فعتق وأن أباه ميمون يكنى أبا أيوب كان مملوكا لأم عز امرأة من الأزد من ثمالة فأعتقته ولم يزل بالكوفة إلى هيج الجماجم ثم تحول إلى الجزيرة.مات سنة145 هـ بحصن مسلم أو سنة 147 هـ بالكوفة

(3) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: أمير قائد، من أبطال عصره. من بني أمية في دمشق، يلقب بالجرادة الصفراء. وهو ابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب) له فتوحات مشهورة. سار في مئة وعشرين ألفا لغزو القسطنطينية في دولة أخيه سليمان وبنى مسجد مسلمة بالقسطنطينية (؟) سنة 96 هـ وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية. وغزا الترك والسند سنة 109 هـ. ومات بالشام سنة 120 هـ وقيل مات سنة 121 هـ . وإليه نسبة بني مسلمة وكانت منازلهم في بلاد الاشمونيين بمصر قال الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر إخوته.

(4) بشير بن ربيعة الغنوي أبو عبد الله، وقيل: الخثعمي، روى عنه ابنه عبيد الله.

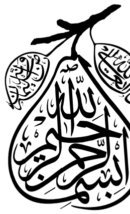

عن العتبي، قال: دخل مسلمة إلى الوليد فاسترضاه من شيء بلغه عنه، فرضي عنه. وخرج مسلمة بعد المغرب فقال الوليد: خذوا الشمع بين يدي أبي سعيد، فقال مسلمة:يا أمير المؤمنين لا سريت الليلة إلا في ضياء رضاك.

قال مسلمة: إن أقل الناس هما في الآخرة أقلهم هما بالدنيا. وقال: ما أحدث نفسي على ظفر ابتدأته بعجز، ولا لمتها على مكروه ابتدأته بحزم. وقال: مروءتان ظاهرتان: الرياس والفصاحة. وعن شيخ من باهلة، قال: كان مسلمة بن عبد الملك إذا كثر عليه أصحاب الحوائج وخاف أن يضجر قال لآذنه: ائذن لجلسائي، فيأذن لهم، فيفتن ويفتنون في محاسن الناس ومروءاتهم، فيتطرب لها ويرتاح عليها، ويصيبه ما يصيب صاحب الشراب، فيقول لأصحابه: ائذن لأصحاب الحوائج؛ فلا يبقى أحد إلا قضيت حاجته. قال المدائني: قال مسلمة لنصيب: سلني، قال: لا، لأن كفك الجزيل أكثر من مسائلتي باللسان، فأعطاه ألف دينار. قال مسلمة: الأنبياء لا يتثاءبون، ما تثاءب نبي قط.

عن موسى بن زهير بن مضرس بن منظور بن زيان بن سيار، عن أبيه، قال: كنت في عسكر هشام بن عبد الملك لما مات مسلمة بن عبد الملك، فرأيت هشاما في شرطته، ونظرت إلى الوليد بن يزيد قد أقبل يجر مطرف خز عليه حتى وقف على هشام، والوليد نشوان، فقال: يا أمير المؤمنين، إن عقبى من بقي لحوق من مضى، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد والمرمى، واختل الثغر فوهى، وعلى أثر من سلف يمضي من خلف،﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة] فلم يحر هشام جوابا، وسكت الناس فلم يترهسم أحد بشيء، فأنشأ الوليد يقول: من الوافر: أهيمنة حديث القوم أم هم..نيام بعد ما متع النهار..عزيز كان بينهم نبيا..فقول القوم وحي لا يحار..كأنا بعد مسلمة المرجى..شروب طوحت هم عقار..أو ألاف هجائن في قيود..تلفت كلما جنت ظؤار..فليتك لم تمت وفداك قوم..تراخى بينهم عنا الديار..سقيم الصدر أو شرف نكيد..وآخر لا يزور ولا يزار. قال: سقيم الصدر، عنى به يزيد بن الوليد الناقص. والشرف النكيد: عنى به هشاما. والذي لا يزور ولايزار: مروان بن محمد. قال خليفة: وفي سنة عشرين ومئة مات مسلمة بن عبد الملك، يوم الأربعاء في المحرم بالشام! وقيل: سنة إحدى وعشرين.

☪

عن أبي قبيل قال:سمعت عبد الله بن عمرو قال:﴿بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَكْتُبُ إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ.فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا بَلْ مَدِينَةُ هِرَقْلَ أَوَّلًا﴾

قال بعض العلماء: تفتح القسطنطينية أكثر من مرة بلا شك، أما الفتح الأول: فقد مضى في القرن التاسع حين فتحها السلطان محمد الفاتح، وقد جاء في حديث رواه أحمد و الحاكم عن بشر الغنوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ﴾ وهذا الحديث الذي رواه أحمد ورواه الحاكم قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجه ووافقه الذهبي فقال: صحيح وفي سنده ضعف لعله ينجبر بشواهده. وأما الفتح الثاني: فهو فتح في آخر الزمان أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم:﴿تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ﴾.

قال عبد الرحمن بن صالح المحمود: إن العزة للإسلام، والرسول صلى الله عليه وسلم أعطانا عدة بشارات وسأشير إلى اثنتين منها: البشارة الأولى: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: لتفتحن القسطنطينية وروما (رومية ؟)، وروما هي عاصمة إيطاليا، وفيها دولة الفاتيكان أم النصرانية في العالم...، وهل فتحت روما؟ حتى الآن لم تفتح روما، وستفتح بوعد الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم... البشارة الثانية: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح:.﴿لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الدين مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ وَأَهْلَه﴾ هكذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم. إذا العزة والمستقبل للإسلام، العزة للإسلام، والمستقبل لمن حمل راية الإسلام، فلماذا لا نكون نحن -أيها الحبيب- من حملته؟ ولماذا لا نربي عليه أنفسنا وأولادنا ونساءنا وأقرباءنا؟ فلنترب عليه لنعود مرة أخرى. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن اعتصم به وتوكل عليه واعتز بدينه.

اللهم، إنا نسألك أن تغرس في قلوبنا الإيمان، وأن تثبتنا عليه إلى أن نلقاك. اللهم، أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة، ويذل فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، ويقام فيه علم الجهاد.والله أعلم.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ بغداد/ الأعلام للزركلي/ دروس للشيخ عبد الرحمن المحمود/

◆ يوسف بن عمر الثقفي، ابن عم الحجاج، أمير اليمن والعراق (زمن هشام بن عبد الملك ثم الوليد بن يزيد) ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى 0577

قال: محمد بن يحيى الحارثي العكندي: أخبرني عبد الله بن الأجلح أن يوسف بن عمر[1] قال لمقرن: اطلب لي رجلا يصلح للقضاء وليكن عاقلا صليتا قال: فحدثني مقرن قال: سألت فما وجدت الخير يصح إلا على محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى[2] والقاسم بن الوليد الهمداني[3] فبعثت إليهما فقلت: إن الأمير سألني رجلا للقضاء، وقد وقع الخير عليكما فما رأيكما؟ فبكيا وقالا: أعفنا من هذا، فقلت: إنما كنت أرى هذا معروفا، فأما إذا وقع منكما على الخوف وانصرفا فلما كان من الغد جاءني ابن أبي ليلى فقال: فكرت فيما قلت ولي عيال، وقد رأيت أن أرحل فيه، قال: قلت: اغد إلى الحيرة فإني غاد إلى الأمير، فحضر، فلما دخلت على يوسف قال لي: أين الرجل؟ قلت: بالباب، قال: أدخلوه، وكان ابن أبي ليلى جميلا فصيحا، فقال له يوسف: ممن الرجل؟ قال: من اليمن، قال: من أي بطن؟ قال: من الأنصار، قال: فأنت موضع لحاجتنا، ما رأيك في القضاء؟ فقلت: أعمل بها رأيت، قال: وقد وليتك قضاء الكوفة وأجريت عليك مائتي درهم، واقعد للناس بالغداة والعشي، إلا أن يستغنوا، قال: فإن رأى الأمير أن يبعث معي حرسا حتى يقعدني في المسجد الأعظم ليراه الناس فيكون أجل لي، قال: يا فلان اركب معه. قال مقرن: ثم قال لي: أراد ابن أبي ليلى أن يخبر الناس أنه مجنون، قال: فأسر يونس بناحية ابن أبي ليلى وقربه. قال أبو بكر بن عياش: بعث يوسف بن عمر إلى ابن أبي ليلى يستقضيه على الكوفة وكانوا لا يولون إلا عربيا أو مولى، فقال له: أعربي أو مولى عمر بن أبي ليلى؟ فقال: أصابتنا يد في الجاهلية، فقال: لو كذبتني في نفسك ما صدقتك في غيرك، لم يزل العرب يصيبها في الجاهلية، فقد وليتك القضاء بين أهل الكوفة وأجريت عليك مائة درهم في الشهر، فاجلس لهم بالغداة والعشي فإنما أنت أجير (أمين) للمسلمين.

قال عباد بن كثير الأسدي؛ أخبرني حماد أخي؛ قال: رأيت القاسم بن الوليد الهمداني وأرسل إليه يوسف بن عمر يوليه القضاء فرأيته يكحل عينيه بالزيت، ويجز لحيته؛ فلما دخل على يوسف قال: هذا مجنون ! أخرجوه.

■ (2) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار. وقيل داود. ابن بلال الأنصاري الكوفي: قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس. ولد بالكوفة سنة 74 هـ واستمر 33 سنة. له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره. مات بالكوفة سنة 148 هـ وكان أبوه عبد الرحمن استعمله الحجاج على القضاء ثم عزله، ثم ضرب ليسب عليا، وشهد وقعة الجمل، وكانت راية علي بن أبي طالب بيده، يروي عن عمر وعلي وعبد الله وأبي، وكان خرج مع ابن الأشعث وقتل بدجيل، وقيل غرق في نهر البصرة، وقيل فقد بدير الجماجم سنة 83 هـ للهجرة، وقيل سنة إحدى، وقيل سنة اثنتين.

■ (1) أبو عبد الله، يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، ابن عم الحجاج، ولاه هشام بن عبد الملك ولاية اليمن سنة106 هـ ثم ضم إليه ولاية العراق سنة 120هـ، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وذهب إلى العراق، أقره الوليد بن يزيد حتى قتل سنة 127 هـ

■ (3) القاسم بن الوليد الهمداني ثم الخبذعي، أبو عبد الرحمن الكوفي القاضي، والد الوليد بن القاسم بن الوليد الهمداني، وخبذع هو بن مالك بن ذي بارق قبيل من همدان، روى عن الشعبي والباقر وعنه ابنه الوليد وأبو نعيم، قيل ثقة وهو في عداد الشيوخ وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال يخطئ ويخالف، مات سنة سنة 141 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابن الأجلح عن ابن أبي ليلى قال: دخل الضحاك بن قيس الخارجي[1] واحد الكوفة فأقام بها سنتين، فقدمت إليه فقال له أعوانه: هذا من أعوان الظالمين، قال: ما تقول؟ قلت: أجبرت على القضاء وأنك أمير المؤمنين وأنت لا تجبر الناس،وهأنذا بين يديك. قال:إنك تكاتب الأحزاب وتكاتب أهل الشام؟ قلت: نعم، قال: ولم ؟ قلت: لأن ثم إخوة لك ولنا من أهل الدين فيكتبون يشكون فاكتب بنصرهم وعونهم. قال: فما ينقمون عليه من ذا ! قد وليتك القضاء، فأقام على القضاء. قال: وكادوا يقتلونني مرتين، أما المرة الأولى فنجوت، وأما المرة الثانية فتقدم إلى رجلان يختصمان في امرأة، أحدهما يذهب مذهب الضحاك والآخر من المسلمين، هذا يدعي أنها زوجته فسألتها، فقالت: إن هذا منافق وإني احتجت إلى هذا من أصحاب أمير المؤمنين يعني الضحاك، قال: قلت إن قضيت بين هذين قتلت وأمسكت بطني وقلت للغلام: ارفع القمطر وانصرفوا حتى أنظر في ذا، فلم يعودوا إلي، قال ابن أبي ليلى: فقلت: أنا على شرف القتل، قال: فدخلت على الضحاك، فبينا أنا أتغدى معه إذ قلت: يا أمير المؤمنين، ما تقول فيمن صد عن المسجد الحرام ولم يحج قط؟ قال: كافر بالله، قلت: هذا يفخر علي بالرزق الذي يجري ولم يحج قط، أفتأذن لي؟ قال:سبحان الله أو يحل لي أن أمنعك؟ ولكن عجل على المسير، قلت في نفسي: لا والله لا قدمت الكوفة وهو بها، فخرجت إلى مكة وخرج الضحاك قبل أن أقدم. قال سليمان بن أبي شيخ: غلب الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي على الكوفة فولى غيلان بن جامع المحاربي[2] وهكذا قال أبو هشام قال: أمر الضحاك ابن قيس الشيباني الخارجي ابن أبي ليلى أن يجيز شهادة العبيد فيمن معهم فهرب إلى مكة فولت الخوارج غيلان بن جامع المحاربي.

■ (1) الضحاك الشيباني، الضحاك بن قيس الشيباني: زعيم حروري، من الشجعان الدهاة. خرج مع سعيد بن بهدل سنة 126 هـ، في مئتين من حرورية الجزيرة. ومات سعيد سنة 127 هـ فخلفه الضحاك، وبايع له الشراة، فقصد أرض الموصل ثم شهرزور. واجتمعت عليه الصفرية حتى صار في أربعة آلاف. فسار إلى العراق، واستولى على الكوفة، وحاصر واسطا فصالحه عاملها، وكاتبه أهل الموصل فاحتلها. وناهز عدد جيشه مئة ألف، فقصده مروان الخليفة الأموي فالتقيا بنواحي كفرتوثا من أعمال ماردين فقتل الضحاك سنة 129 هـ. قال الجاحظ في وصفه: من علماء الخوارج، ملك العراق، وسار في خمسين ألفا، وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وسليمان بن هشام بن عبد الملك، وصليا خلفه.

■ (2) غيلان بن جامع بن أشعث المحاربي: أبو عبد الله الكوفي، قاضيها. روى عنه الإمام أبو حنيفة. له نحو عشرين حديثا. ذكره ابن حبان في الثقات، مات كهلاً في ولاية يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ بغداد/ المعارف/ المحن/ الوافي بالوفيات/ وفيات الأعيان/ أخبار القضاة/ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال/ الأعلام للزركلي/ تهذيب الكمال/ مغاني الأخيار/

◆ بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، أمير البصرة (عامل أمير العراقين خالد بن عبد الله القسري، زمن هشام بن عبد الملك، عاشر ملوك الدولة الأموية) ومحمد بن واسع العابد 0578

قال أبو الحسن المدائني:[1] نظر خالد[2] إلى بلال[3]، يطيل الصلاة، فأرسل إليه: والله لو صليت حتى تموت، ما وليتك شيئا. قال بلال للرسول: قل له: والله لئن وليتني، لا تعزلني أبدا، قال: فأرسل إليه فولاه. وقال عمر بن شبة بن عبيدة النميري: كان بلال ظلوما جائرا، لا يبالي ما صنع في الحكم، ولا في غيره.

قال محمد بن واسع الأزدي:[4] دخلت على بلال بن أبي بردة أمير البصرة، فقلت له: يا بلال، إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ: هَبْهَبٌ. حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُسْكِنَهُ كُلَّ جَبَّارٍ﴾ فإياك يا بلال، أن تكون ممن يسكنه. ودخل عليه مرة، وكان ثوبه إلى نصف ساقه، فقال له بلال: ما هذه الشهرة يا ابنَ واسع؟ فقال له ابن واسع: أنتم شهرتمونا، هكذا كان لباس مَن مضى، وإنَّما أنتم طولْتم ذيولَكم، فصارت السنة بينكم بِدْعًا وشُهرة.

قال أبو محمد الثقفي: أصاب يزيد بن المهلب[5] تاجا بجرجان فيه جوهر، فقال: أترون أحدا يزهد في هذا التاج؟ قالوا: لا، فدعا محمد بن واسع الأزدي، فقال: خذ هذا التاج فهو لك، قال: لا حاجة لي فيه، قال: عزمت عليك، فأخذه، وخرج فأمر يزيد رجلا ينظر ما يصنع به، فلقي سائلا فدفعه إليه، فأخذ الرجل السائل، فأتى به يزيد وأخبره الخبر، فأخذ يزيد التاج، وعوض السائل مالا كثيرا.

دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم[6] بخراسان، وعليه جبة صوف، فقال له قتيبة: ما يدعوك إلى لبس هذه؟ فسكت؛ فقال قتيبة: أكلمك فلا تجيبني؟ فقال: أكره أن أقول: زهدا؛ فأزكي نفسي أو: فقرا؛ فأشكو ربي. وأريد محمد بن واسع على القضاء، فأبى، فعاتبته امرأته، فقالت: لك عيال وأنت محتاج؛ قال: ما دمت ترينني أصبر على الخل والبقل فلا تطمعي في هذا مني. وقيل أراد ابن هبيرة[7] محمد بن واسع على القضاء، فقال: لتجلسن أو لأضربنك مئة سوط؛ فقال: إن تفعل فمسلط، وذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة. وأراده بعض الأمراء على بعض الأمر فأبى، فقال له: إنك لأحمق فقال محمد: ما زلت يقال لي هذا مذ أنا صغير. قال محمد بن واسع: لقم الغضب وسف التراب خير من الدنو من السلطان.

قال عبيد الله بن محمد: سمعت شيخا يحدثه قال استعمل بعض أمراء البصرة عبد الله بن محمد بن واسع على الشرطة فأتاه محمد بن واسع فقيل للأمير محمد بالباب، قال: فقال: للقوم ظنوا به، فقال بعضهم: جاء يشكر الأمير على استعمال ابنه، فقال: لا، ولكنه جاء يطلب لابنه الإعفاء، أو قال: العافية، قال: فأذن له: فلما دخل، قال: أيها الأمير بلغني أنك استعملت ابني، وإني أحب أن تسترنا سترك الله، قال: قد أعفيناه، يا أبا عبد الله.

قال ابن شوذب: قسم أمير من أمراء البصرة على قراء أهل البصرة، فبعث إلى مالك بن دينار[8]، فقبل، فأتى محمد بن واسع فقال: يا مالك قبلت جوائز السلطان؟ قال: فقال: يا أبا بكر سل جلسائي؛ فقالوا: يا أبا بكر اشترى بها رقابا فأعتقهم؛ فقال له محمد: أنشدك الله أقلبك الساعة له على ما كان عليه قبل أن يجيزك؟ قال: اللهم لا؛ قال: أترى أي شيء دخل عليك؟ فقال مالك لجلسائه: إنما مالك حمار حمار، إنما يتعبد الله مثل محمد بن واسع. وقال مالك بن دينار: القراء ثلاثة، قارئ للدنيا، وقارئ للرحمان عز وجل، وقارئ للملوك وأبناء الملوك؛ وإن محمد بن واسع من قراء الرحمان.

■ (4) محمد بن واسع الأزدي البصري، كنيته أبو بكر ويقال أبو عبد الله، وكان من العباد خرج إلى خراسان غازيا وكان في فتح ما وراء النهر مع قتيبة بن مسلم، مات سنة 123 هـ وقيل إنه مات سنة 127 هـ بالبصرة. روى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير في الحج.

■ (3) بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس بن حَضَّار الأشعري اليماني، أبو عمرو، قيل أبو عبد الله الكوفي وقيل البصري أمير البصرة وقاضيها أخو سعيد بن أبي بردة وعم بريد بن عبد الله بن أبي بردة. لما ولي يوسف بن عمر العراق أخذ بلالا وعذبه حتى مات بعد سنة 120

■ (5) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أو خالد الأزدي. ولد زمن معاوية سنة 53 هـ، وولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك، ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن أرطأة، وطلبه عمر وسجنه. وكان الحجاج قد عزله وعذبه، فسأله أن يخفف عنه الضرب على أن يعطيه كل يوم مئة ألف درهم. فقصده الأخطل ومدحه، فأعطاه مئة ألف، فعجب الحجاج من جوده في تلك الحال وعفا عنه.واعتقله، ثم هرب من حبسه ثم قتل في صفر سنة 102 هـ.قال الذهبي: قتل عن 49 سنة،ولقد قاتل قتالا عظيما، وتفللت جموعه (انكسروا وانهزموا) فما زال يحمل بنفسه في الألوف، لا لجهاد، بل شجاعة وحمية، حتى ذاق حمامه. نعوذ بالله من هذه القتلة الجاهلية.

■ (2) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري. أبو يزيد وأبو الهيثم. كان أمير مكة المكرمة للوليد بن عبد الملك، ثم أمير العراقين لهشام بن عبد الملك، ثم عزل وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج.وقتل بالحيرة سنة 126هـ

■ (1) أبو الحسن المدائني علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف أَبو الحسن المعروف بالمدائني الإخباري، مولى عبد الرحمن بن سمرة القرشي، سكن المدائن ثم بغداد، صاحب المصنفات المشهورة. عالما بالمغازي والسير والأنساب وأيام العرب.ولد سنة 135هـ ومات سنة 225هـ.

■ (7) عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين، الأمير، أبو المثنى، الفزاري الشامي، أمير العراقين ويكنى أبا خالد ووالد أميرها يزيد بن عمر بن هبيرة المعروف بـ يزيد بن هبيرة، كان ينوب ليزيد بن عبد الملك فعزله هشام بن عبد الملك، وقد ولي غزو البحر سنة سبع نوبة قسطنطينية، وجمعت له العراق في سنة ثلاث 103 هـ ثم عزل بـ خالد بن عبد الله القسري، فقيده وألبسه عباءة وسجنه، فتحيل غلمانه ونقبوا سربا أخرجوه منه، فهرب واستجار بالأمير مسلمة بن عبد الملك، فأجاره ثم لم يلبث أن مات سنة 107 هـ تقريبا. وله من العمر نيف وخمسون سنة على قول أغلب المؤرخين.

■ (8) أبو يحيى مالك بن دينار البصري، وهو من موالي بني سامة بن لؤي القرشي، كان عالما زاهدا كثير الورع قنوعا لا يأكل إلا من كسبه، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، ورويه عنه أنه قال: قرأت في التوراة أن الذي يعمل بيده طوبى لمحياه ومماته. وكان من كبار السادات. أسند مالك بن دينار عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين: كالحسن وابن سيرين والقاسم بن محمد وسالم بن عبيد الله. توفي رحمه الله تعالى سنة 131 هـ بالبصرة، قبل الطاعون بيسير.

■ (6) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة، أبو حفص الباهلي. ولد سنة 49 هـ وقتل سنة 96 هـ أو 99 هـ. أمير خراسان كلها بعد إمرة الري، وهو الذي افتتح خوارزم وبخارى وسمرقند، وقد كانوا كفروا ونقضوا، ثم افتتح فرغانة والترك. وولي خراسان عشر سنين. وقد سمع، من: عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري. ولما مات الوليد بن عبد الملك نزع الطاعة، فلم يوافقه على ذلك أكثر الناس. وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان بن قيس الغداني عن رياسة تميم، فحقد عليه، وسعى في تأليب الجند، ثم وثب على قتيبة في أحد عشر من أهله، فقتلوه وقتل أخوه أبو صالح، وكان أبوه مسلم بن عمرو من أصحاب مصعب بن الزبير وإلى العراق من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وقاتل معه في حربه ضد عبد الملك بن مروان سنة 72 هـ

☪

قال الشيخ الشحود: الشهرة في اللباس تكون في الإسبال، وفي التشمير المخل، وفي السعة، واللون، والهيئة، والصفة، والتشبه بالكفار، وهو كل ما خرج عن العادة والعرف الشرعي،عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللهُّ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (ثوب شهرة) أي ثوب تكبر وتفاخر وتجبر، أو ما يتخذه المتزهد ليشهر نفسه بالزهد، أو ما يشعر به المتسيد من علامة السيادة كالثوب الأخضر، أو ما يلبسه المتفقهة من لبس الفقهاء، والحال أنه من جملة السفهاء (ألبسه الله ثوب مذلة) ضد المعزة (يوم القيامة) أي جزاء وفاقا؛ فإن المعالجة بالأضداد، ومفهومه أن من اختار ثوب مذلة وتواضع لله في الدنيا ألبسه الله ثوب معزة في العقبى، قال القاضي: الشهرة ظهور الشيء في شيئه بحيث يشهر به صاحبه، والمراد بثوب شهرة ما لا يحل لبسه، وإلا لما رتب الوعيد عليه، أو ما يقصد بلبسه التفاخر والتكبر على الفقراء والإذلال بهم وكسر قلوبهم، أو ما يتخذه المساخر ليجعل به نفسه ضحكة بين الناس، أو ما يرائي به من الأعمال، فكني بالثوب عن العمل وهو شائع قال الطيبي: والوجه الثاني أظهر لقوله: ألبسه الله ثوب مذلة وفي النهاية: أي أشمله بالذل كما يشمل الثوب البدن.وعن أم المؤمنين عائشة: ﴿احْذَرُوا الشُّهْرَتَيْنِ: الصُّوفَ وَالْخَزَّ﴾وعن ابن هزال قال، قال عمر رضي الله عنه نجد الرجل يلبس الصوف لو ظلم ما انتصر، وإن قلبه في ذاك لمملوء كبرا وإعجابا، وإنك لتجد الرجل يتجمل في ثيابه وفي كثير من أمره، وإن في قلبه الخشوع والتواضع، وذلك أملك التواضع بالعبد. وعن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ رَجُلٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ﴾ وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا. قَالَ: إِنَّ اللهَّ تَعَالَى جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ﴾ (إن الله جميل) أي في ذاته وصفاته وفعاله وكل جمال صوري أو جميل معنوي، فهو أثر جماله، فلا جمال ولا جلال ولا كمال إلا له سبحانه (يحب الجمال) أي ظهوره في مخلوقاته، ولذلك أظهرهم وجعلهم مظاهره، ويؤيده حديث:﴿وَيُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ وَيُبْغِضُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ﴾ (الكبر بطر الحق) بفتح الموحدة والمهملة أي الكبر المذموم بطلان جمال الحق (وغمص) أي استحقار الخلق، وأصل البطر شدة الفرح والنشاط، والمراد هنا قيل سواء احتمال الغنى، وقيل الطغيان عند النعمة والمعنيان متقاربان. حدث حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم أن عمر بن الخطاب جهز جيشا فغنموا مغنما، فلما قدموا المدينة استقبلهم وقد لبسوا أقبية الديباج وثياب العجم فأعرض عنهم وقال: ألقوا عنكم ثياب أهل النار، فألقوها ولبسوا ثيابهم وقالوا: إنا أردنا أن نريك الذي أفاء الله علينا، قال: فلا تشبهوا بهم في لباسهم، فإنه لهم في الدنيا ولكم في الآخرة، وأذن في العلم ما كان أصبعين وثلاثا وأربعا.وعن ابن عمر قال:﴿مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ﴾ أي من شبه نفسه بالكفار مثلا في اللباس وغيره.والتواضع في كل شيء سمة المتقين، والإسراف سمة الجهلة والمتكبرين ومن تواضع لله رفعه،ومن ترفع على الله أذله. قال ابن عمر:﴿مَرَرْتُ بِرَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءٌ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهَّ! ارْفَعْ إِزَارَكَ، فَرَفَعْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: زِدْ، فَزِدْتُ. فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ. فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ﴾ قيل لعمر رضي الله عنه: مَا يمنعك أَلا تفشي الْعَمَل فِي الأفاضل من أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، قَالَ: هم أجل من أَن أدنسهم بِالْعَمَلِ. عن عاصم بن أبي النجود،﴿أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، كَانَ إِذَا بَعَثَ عُمَّالًا اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ: أَلَا تَرْكَبُوا بِرْذَوْنَا، وَلَا تَأْكُلُوا نَقِيًّا، وَلَا تَلْبَسُوا رَقِيقًا، وَلَا تُغْلِقُوا أَبْوَابَكُمْ دُونَ حَوَائِجِ النَّاسِ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ حَلَّتْ بِكُمُ الْعُقُوبَةُ، ثُمَّ يُشَيِّعُهُمْ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ قَالَ: إِنِّي لَمْ أُسَلِّطْكُمْ عَلَى دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا عَلَى أَبْشَارِهِمْ، وَلَا عَلَى أَعْرَاضِهِمْ، وَلَا عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَلَكِنِّي بَعَثْتُكُمْ لِتُقِيمُوا فِيهِمُ الصَّلَاةَ، وَتَقْتَسِمُوا فِيهِمْ فَيْئَهُمْ، وَتَحْكُمُوا بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ فَارْفَعُوهُ إِلَيَّ، أَلَا وَلَا تَضْرِبُوا الْعَرَبَ فَتُذِلُّوهَا، وَلَا تُجَمِّدُوهَا فَتَفْتِنُوهَا، وَلَا تُقْبِلُوا عَلَيْهَا فَتُحْرَمُوهَا فَيَرُدُّوا الْقُرْآنَ﴾ وفي رواية عن يحيى بن حضين، سمع طارق بن شهاب يقول:﴿قَالَ عُمَرُ فِي عُمَّالِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَبْعَثْهُمْ لِيَأْخُذُوا أَمْوَالَهُمْ، وَلا لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَهُمْ، مَنْ ظَلَمَهُ أَمِيرُهُ فَلا إِمْرَةَ عَلَيْهِ دُونِي﴾ (عماله) جمع عامل؛ أي حكامه (برذونا) أي خيلا تركيا في المغرب، البرذون التركي من الخيل، والجمع براذين، وخلافها العراب والأنثى برذونة، قال الطيبي: إذا جعل العلة للنهي عن ركوب الخيلاء والتكبر؛ كان النهي عن العراب أحرى وأولى (ولا تأكلوا نقيا) وهو ما نخل مرة بعد أخرى، ولا تلبسوا رقيقا، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة؛ أي في الدنيا، أو العقبى (ثم يشيعهم) وهو عطف على (شرط) والمشايعة مستحبة. قال إبراهيم بن أدهم: كان عمر إذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسفارهم، وعن من يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم، وهل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض؟ فإن قالوا نعم حمد الله تعالى، وإن قالوا لا كتب إليه أن أقبل. وفي رواية أخرى عن الأسود بن يزيد، قال: ﴿كَانَ الْوَفْدُ إِذَا قَدِمُوا عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ سَأَلَهُمْ عَنْ أَمِيرِهِمْ، فَيَقُولُونَ خَيْرًا، فَيَقُولُ: هَلْ يَعُودُ مَرْضَاكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: هَلْ يَعُودُ الْعَبْدَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: كَيْفَ صَنِيعُهُ بِالضَّعِيفِ؟ هَلْ يَجْلِسُ عَلَى بَابِهِ؟ فَإِنْ قَالُوا لِخَصْلَةٍ مِنْهَا: لَا، عَزَلَهُ﴾ وعن ابن طاوس، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب قال: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنِ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خَيْرَ مَنْ أَعْلَمُ ثُمَّ أَمَرْتُهُ بِالْعَدْلِ، أَفَقَضَيْتُ مَا عَلَيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَا، حَتَّى أَنْظُرَ فِي عَمَلِهِ أَعَمِلَ بِمَا أَمَرْتُهُ أَمْ لَا﴾وعن الحسن قال: قال عمر: هان شيء أصلح به قوما أن أبدلهم أميرا مكان أمير. وعن الزهري أن عمر قال: لا يحرج أن أستعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مسند أحمد/ صحيح مسلم/ سراج الملوك/ تاريخ الطبري/ مصنف عبد الرزاق/ التاريخ الكبير/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ سنن الدارمي/ تفسير ابن كثير/ البداية والنهاية/ موسوعة الدين النصيحة/ سير أعلام النبلاء/ عيون الأخبار/

◆ بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، أمير البصرة (عامل أمير العراقين خالد بن عبد الله القسري، زمن هشام بن عبد الملك، عاشر ملوك الدولة الأموية) ومالك بن دينار 0579

يروى أن أمير البصرة بلال بن أبي بردة [1] خرج في جنازة، فنظر إلى جماعة وقوف فقال: ما هذا؟ قالوا: مالك بن دينار [2] يذكِّر الناس. فقال لِوَصيفٍ معه: اذهب إلى مالك بن دينار، فقل له: يرتفع إلينا إلى القبر. فجاء الوصيفُ فأدى الرِّسالة إلى مالك، فصاح به مالك: ما لي إليه حاجَة، فأجيبه فيها، فإن تكن له حاجة، فلْيَجِئ إلى حاجةِ نفسه. فلما دفنوا مَيِّتهم، قام بلال بمن معه إلى حلقة مالك، فلما دنا منه، نزل ونزل من معه، ثم جاء يَمشي إلى الحلقة حتى جلس، فلما رآه مالك بن دينار، سكت فأطال السكوت. فقال له بلال: يا أبا يَحيى، ذكرنا؟ فقال: ما نسيت شيئًا، فأذكرك به. قال: فحدثنا. قال: أمَّا هذا، فنعم، قدم علينا أميرٌ من قبلك على البصرة، فمات فدفنَّاه في هذه الجبانة، ثم أتينا بزنجي فدفنَّاه إلى جنبه، والله ما أدري أيُّهما كان أكرم على الله سبحانه. فقال بلال: يا أبا يَحيى، أتدري ما الذي جَرَّأك علينا، وما الذي أسكتنا عنك؟ لأنَّك لم تأكلْ من دراهمِنا شيئًا، أَمَا والله، لو أخذت من دراهمنا شيئًا، ما اجترأت علينا هذه الجُرأة.

قال الحسن: [3] قدم علينا بشر بن مروان أخو عبد الملك بن مروان الخليفة أمير المصرين، وأشب* الناس،وأقام عندنا أربعين يوما، ثم طعن في قدميه فمات وأخرجناه إلى قبره فلما صرنا إلى الجبان فإذا نحن بأربعة سودان يحملون صاحبا لهم إلى قبره، فوضعنا السرير فصلينا عليه، ووضعوا صاحبهم فصلوا عليه، ثم حملنا بشرا إلى قبره وحملوا صاحبهم إلى قبره ودفنا بشرا ودفنوا صاحبهم ثم انصرفوا وانصرفنا، ثم التفت التفاتة فلم أعرف قبر بشر من قبر الحبشي، فلم أر شيئا قط كان أعجب منه عن إبراهيم بن المبارك، عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبي بردة وهو أمير البصرة، فقال: أيها الأمير، إني قرأت في بعض الكتب: من أحمق من السلطان ومن أجهل ممن عصاني ومن أعز ممن أعزني. أيا راعي السوء دفعت إليك غنما سمانا سحاحا* فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت* بالسمن ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع*.وفي رواية قال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى: من أحمق من السلطان ومن أجهل ممن عصاني ومن أغر ممن اغتر بي؟ يا راعي السوء دفعت لك غنما سماما صحاحا، فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف، وتركتها عظاما تقعقع ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير، اليوم أنتقم لها منك!.

----

*(التأشيب)، التحريش بين القوم، والتأشيب، التجميع، يقال: تأشب به أصحابه، أي: اجتمعوا إليه وطافوا به. (سحاحا) سمنت غاية السمن. (الأدم) بالضم ما يؤكل بالخبز أي شيء كان. (تتقعقع) يقال للمهزول صار عظاما يتقعقع من هزاله وكل شيء يسمع عند دقه صوت..

■ (2) مالك بن دينار البصري، أبو يحيى، من موالي بني سامة بن لؤي القرشي، كان عالما زاهدا كثير الورع قنوعا لا يأكل إلا من كسبه و يكتب المصاحف بالأجرة، أسند مالك بن دينار عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين: توفي سنة 131 هـ بالبصرة، قبل الطاعون بيسير.

■ (3) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، من سادات التابعين. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

■ (1) بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس بن حَضَّار الأشعري اليماني، أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله الكوفي، ويقال: البصري، أمير البصرة وقاضيها، أخو سعيد بن أبي بردة، وعم بريد بن عبد الله بن أبي بردة. مات سنة نيف وعشرين ومائة.

☪

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلاً للدنيا ولابن آدم عند الموت، كمثل رجل له ثلاثة أخلاء، فلما حضره الموت قال لأحدهم: قد كنت لي خلاً مكرماً مؤثراً وقد حضرني من أمر الله تعالى ما ترى، فماذا عندك؟ فيقول: هذا أمر الله غلبني عليك ولا أستطيع أن أنفس كربك، ولكن ها أنا بين يديك فخذ مني زاداً ينفعك. ثم قال للثاني: قد كنت عندي آثر الثلاثة، وقد نزل بي أمر الله تعالى ما ترى، فماذا عندك؟ فيقول: هذا أمر الله تعالى غلبني عليك ولا أستطيع أن أنفس كربك، ولكن ها سأقوم عليك في مرضك، فإذا مت أنقيت غسلك وجودت كسوتك وسترت جسدك وعورتك. ويقول للثالث: قد نزل بي أمر الله تعالى ما ترى، وأنت أهون الثلاثة علي فماذا عندك؟ فيقول: إني قرينك وحليفك في الدنيا والآخرة، أدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج منه حين تخرج ولا أفارقك أبداً. قال النبي صلى الله عليه وسلم: الأول ماله والثاني أهله والثالث عمله.

عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ﴾قال ابن عباس: إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقي ربه وهو حسن الظن به وإذا كان حيا فخوفوه وقال الفضيل: الخوف أفضله من الرجاء ما كان العبد صحيحا فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف. قال عبد الأعلى التيمي:﴿مَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ إِلَّا وَيَتَصَفَّحُهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ﴾ وعن سعيد الأزدي قال: شهدت أبا أمامة وهو في النزع، فقال لي: يا سعيد! إذا أنا مت فافعلوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا:﴿إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَنَثَرْتُمْ عَلَيْهِ التُّرَابَ، فَلْيَقُمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ عِنْدَ رَأْسِهِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُ، وَلَكِنَّهُ لَا يُجِيبُ، ثُمَّ لِيَقُلْ: يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَسْتَوِي جَالِساً، ثُمَّ لِيَقُلْ: يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: أَرْشِدْنَا يَرْحَمْكَ اللهُ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اذكُرْ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا؛ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّكَ رَضِيتَ بِاللهِ رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً، فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ: اخْرُجْ بِنَا مِنْ عِنْدِ هَذَا مَا نَصْنَعُ بِهِ، وَقَدْ لُقِّنَ حُجَّتَهُ؟ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنْ لَمْ أَعْرِفْ أمه قال: انْسِبْهُ إِلَى حَوَّاءَ﴾ عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَتِهِ فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا، وَرُوحُوا بِشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا﴾ وعن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ﴾ وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت عمر يقول لطلحة بن عبيد الله:﴿مَا لِي أَرَاكَ قَدْ شَعِثْتَ وَاغْبَرَرْتَ مُنْذُ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَعَلَّكَ سَاءَكَ يَا طَلْحَةُ إِمَارَةُ ابْنِ عَمِّكَ، قَالَ: مَعَاذَ اللهِ، إِنِّي لَأَجْدَرُكُمْ أَنْ لَا أَفْعَلَ ذَاكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ عِنْدَ حَضْرَةِ الْمَوْتِ إِلَّا وَجَدَ رُوحُهُ لَهَا رَوْحًا حِينَ تَخْرُجُ مِنْ جَسَدِهِ، وَكَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.فَلَمْ أَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا، وَلَمْ يُخْبِرْنِي بِهَا، فَذَلِكَ الَّذِي دَخَلَنِي، قَالَ عُمَرُ فَأَنَا أَعْلَمُهَا، قَالَ: فَلِلَّهِ الْحَمْدُ، قَالَ: فَمَا هِيَ؟ قَالَ: هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا لِعَمِّهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ طَلْحَةُ: صَدَقْتَ﴾ وعن أبي عنبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ قِيلَ وَمَا عَسَلُهُ قَالَ يَفْتَحُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ﴾ وحديث البخاري عن أبي هريرة: ﴿أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ﴾ وعن القاسم أن عمر حيث طعن جاء الناس يثنون عليه ويدعون له فقال عمر رحمه الله: أبالإمارة تزكونني؟ لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبض وهو عني راض وصحبت أبا بكر فسمعت وأطعت فتوفي أبو بكر وأنا سامع مطيع وما أصبحت أخاف على نفسي إلا إمارتكم هذه. روي أن عمر بن الخطاب، لما طعن دعا بلبن فشرب منه فخرج من طعنته فقال: الله أكبر. فجعل جلساؤه يثنون عليه. فقال: وددت أني أخرج منها كفافاً كما دخلت فيها، لو أن لي اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع! قال ابن عمر: ولما احتضر عمر غشي عليه فأخذت رأسه فوضعته في حجري فقال: ضع رأسي بالأرض لعل الله يرحمني. فمسح خديه من التراب وقال: ويل لعمر وويل لأمه إن لم يغفر له! فقلت: وهل حجري والأرض إلا سواء يا أبتاه؟ فقال: ضع رأسي بالأرض لا أم لك كما آمرك! فإذا قضيت فأسرعوا بي إلى حفرتي فإنما هو خير تقدمون إليه أو شر تضعونه عن رقابكم! ثم بكى فقيل له: وما يبكيك؟ قال: خبر السماء لا أدري إلى جنة ينطلق بي أو إلى نار. وعن أبي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿جاءني جبريل فقلت له أخبرني عن فضائل عمر وماذا له عند الله تعالى، قال لي: لو جلست معك قدر ما لبث نوح في قومه لم أستطع أن أخبرك بفضائل عمر وما له عند الله عز وجل، ثم قال: يا محمد ليبكين الإسلام من بعد موتك على موت عمر بن الخطاب﴾

☪

عن فطر بن حماد، حدثني أبي قال: سمعت مالك بن دينار يقول: يقول الناس: مالك بن دينار، يعني مالك بن دينار زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها. وعن عثمان بن إبراهيم قال: سمعت مالك بن دينار يقول لرجل من أصحابه: إني لأشتهي رغيفا بلبن رائب. قال: فانطلق فجاء به قال: فجعله على الرغيف. فجعل مالك يقلبه وينظر إليه ثم قال: اشتهيتك منذ أربعين سنة فغلبتك حتى كان اليوم، وتريد أن تغلبني؟ إليك عني وأبى أن يأكله. وكان مالك بن دينار يطوف بالبصرة في الأسواق فينظر إلى أشياء يشتهيها فيرجع فيقول لنفسه: أبشري فوالله ما حرمتك ما رأيت إلا لكرامتك علي. وعن سلام بن أبي مطيع قال: دخلنا على مالك بن دينار ليلا وهو في بيت بغير سراج وفي يده رغيف يكدمه. فقلنا له: أبا يحيى ألا سراج؟ ألا شيء تضع عليه خبزك؟ فقال: دعوني فوالله إني لنادم على ما مضى. وعن سعيد بن عصام قال: سمعت مالك بن دينار يقول: كان الأبرار يتواصون بثلاث: بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة. وعن جعفر بن سليمان قال: جاء محمد بن واسع إلى مالك بن دينار فقال: يا أبا يحيى إن كنت من أهل الجنة فطوبى لك. فقال: ينبغي لنا إذا ذكرنا الجنة أن نخزى. وعن الحارث بن سعيد قال: كنا عند مالك بن دينار وعندنا قارئ يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة] فجعل مالك ينتفض وأهل المجلس يبكون ويصرخون حتى انتهى إلى هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة] قال: فجعل مالك، والله، يبكي ويشهق حتى غشي عليه فحمل بين القوم صريعا.وعن محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال: سمعت أبي يقول: سمعت مالك بن دينار يقول: عجبا لمن يعلم أن الموت مصيره والقبر مورده كيف تقر بالدنيا عينه؟ وكيف يطيب فيها عيشه؟ قال: ثم يبكي مالك حتى يسقط مغشيا عليه. وعن عبد الله بن مرزوق قال: بلغني أن مالك بن دينار دخل المقابر ذات يوم فإذا رجل يدفن، فجاء حتى وقف على القبر فجعل ينظر إلى الرجل وهو يدفن فجعل يقول: مالك، غدا هكذا يصير وليس له شيء يتوسده في قبره. فلم يزل يقول: غدا مالك هكذا يصير، حتى خر مغشيا عليه في جوف القبر فحملوه فانطلقوا به إلى منزله مغشيا عليه. وعن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال: إن الله جعل الدنيا دار مفر والآخرة دار مقر فخذوا لمقركم وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، ففي الدنيا حييتم ولغيرها خلقتم؛ إنما مثل الدنيا كالسم أكله من لا يعرفه واجتنبه من عرفه ومثل الدنيا مثل الحية مسها لين وفي جوفها السم القاتل يحذرها ذوو العقول ويهوي إليها الصبيان بأيديهم. وعن جعفر قال: رأيت مالك بن دينار يتقنع بعباء، أو قال بكساء، ثم يقول: إله مالك، قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأي الدارين دار مالك وأي الرجلين مالك؟ ثم يبكي، وسمعته يقول: لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانا لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها يا أيها الناس النار النار.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سراج الملوك/ عمر بن عبد العزيز ومعالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة/ وفيات الأعيان/ صفة الصفوة/ مسند أحمد/ مصنف ابن أبي شيبة/ التذكرة للقرطبي/ لسان العرب/

◆ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (حادي عشر ملوك الدولة الأموية، المروانية بالشام) وأبو الزناد 0580

قال ابن منظور: كان الزهري[1] يقدح أبدا عند هشام بن عبد الملك[2] في خلع الوليد بن يزيد[3]، ويعيبه، ويذكر أمورا عظيمة لا ينطق بها حتى يذكر الصبيان أنهم يخضبون بالحناء. ويقول لهشام: ما يحل لك إلا خلعه، وكان هشام لا يستطيع ذلك؛ للعقد الذي عقد له، ولا يسوءه ما يصنع الزهري؛ رجاء أن يؤلب ذلك الناس عليه. قال أبو الزناد [4]: فكنت يوما عند هشام في ناحية الفسطاط، وأسمع ذرق* كلام الزهري في الوليد، وأنا أتغافل، فجاء الحاجب، فقال: هذا الوليد على الباب، فأدخله، فأوسع له هشام على فراشه، وأنا أعرف في وجه الوليد الغضب والشر. فلما استخلف الوليد بعث إلي وإلى عبد الرحمن بن القاسم[5] وابن المنكدر[6] وربيعة [7]، فأرسل إلي ليلة مختليا بي، وقدم العشاء، وقال بعد حديث: يا بن ذكوان أرأيت يوم دخلت على الأحوال، وأنت عنده، والزهري يقدح في؛ أفتحفظ من كلامه يومئذ شيئا؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، أذكر يوم دخلت وأنا أعرف الغضب في وجهك. قال: كان الخادم الذي رأيت على رأس هشام نقل ذلك كله إلي، وأنا على الباب قبل أن أدخل إليكم، وأخبرني أنك لم تنطق عنه بشيء. قلت: نعم، لم أنطق فيه بشيء يا أمير المؤمنين. قال: قد كنت عاهدت الله لئن أمكنني القدرة بمثل هذا اليوم أن أقتل الزهري، فقد فاتني.

قال يحيى بن عبد الله بن بكير: كان الوليد بن يزيد يظن أن عند ربيعة ما كان عند الزهري، فكان يسأله، فلا يجد عنده ما أمل فيه، فسأله يوما عن ناز* له، فقال: ليس عندي فيه رواية، فقال الوليد: ولكن ذاك الذي فعل الله به في قبره وفعل، لو سقط قضيبي هذا من يدي لروى فيه شيئا. فقلت: ولم قال هذا في الزهري، أمن سوء رأي في الزهري. فقال: نعم، كان الوليد فيه وفيه...

----

*(ناز) تحرفت بالأصل إلى نازلة وناز من نزا والنزو: الوثبان ولا يقال إلا للشاء والدواب والبقر في معنى السفاد(الذرق) إخراج ما في البطن كذرق الطائر: زرقه، قال حسان، لما سأله عمر عن هجاء الحطيئة الزبرقان: ما هجاه، بل ذرق عليه.

■ (4) أبو الزناد، عبد الله بن ذكوان القرشي المدني: محدث، من كبارهم. قال الليث: رأيت أبا الزناد وخلفه ثلاث مئة تابع، من طالب فقه وعلم وشعر وصرف. وكان سفيان يسميه أمير المؤمنين في الحديث. وكان يغضب إذا قيل له أبو الزناد ويكتني بأبي عبد الرحمن. قال مصعب الزبيري: كان فقيه أهل المدينة، وكان صاحب كتابة وحساب، وفد على هشام بحساب ديوان المدينة. توفي فجأة بالمدينة سنة 131 هـ وكان ثقة في الحديث عالما بالعربية فصيحا.

■ (1) محمد بن شهاب الزهري؛ محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي هكذا نسبه مصعب الزبيري وغيره ليس في ذلك اختلاف قال مصعب وأمه من بني الدئل بن عبد مناة بن كنانة قال أبو عمر كنيته أبو بكر وكان من علماء التابعين وفقهائهم مقدم في الحفظ والإتقان والرواية والاتساع إمام جليل من أئمة الدين أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم منهم أنس بن مالك وسهل بن سعد وعبد الرحمن بن أزهر الزهري وسنين أبو جميلة السلمي ومنهم عبد الله بن عمر.ولد الزهري سنة51 هـ وقيل سنة 58 هـ في آخر خلافة معاوية. ومات سنة 124 هـ في شهر وهو ابن 66 سنة وذلك قبل موت هشام بعام. وقيل إنه مات وهو ابن 72 سنة ودفن بموضع يقال له إدامي وهي خلف شغب وبدا وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز.

■ (5) عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي القرشي، أبو محمد: من سادات أهل المدينة، فقها وعلما وديانة، وحفظا للحديث، وإتقانا. توفي في الشام سنة 126 هـ.

■ (6) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير (بالتصغير) بن عبد العزى القرشى التيمى من بنى تيم بن مرة المدنى: زاهد، من رجال الحديث. من أهل المدينة. أدرك بعض الصحابة وروى عنهم. له نحو مئتى حديث. قال ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق. توفي سنة 130 هـ

■ (7) ربيعة بن فروخ التيمي بالولاء، المدني، أبو عثمان: إمام حافظ فقيه مجتهد، كان بصيرا بالرأي (وأصحاب الرأي عند أهل الحديث، هم أصحاب القياس، لانهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثا أو أثرا) فلقب ربيعة الرأي وكان من الاجواد. أنفق على إخوانه أربعين ألف دينار. ولما قدم السفاح المدينة أمر له بمال فلم يقبله. قال ابن الماجشون: ما رأيت أحد أحفظ لسنة من ربيعة. وكان صاحب الفتوى بالمدينة وبه تفقه الامام مالك. توفي بالهاشمية من أرض الانبار سنة 136 هـ.

■ (2) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (3) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو العباس الأموي الدمشقي، الملك الأموي الحادي عشر، بويع له بعد عمه هشام في السنة الخالية بعهد من أبيه. وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي. ولد سنة 90 هـ، وقيل 92 هـ، وقتل سنة 126 هـ، ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله، ومع ذلك إنما قتل لفسقه، وقيل وزندقته. فالله أعلم.

☪

كان الزهري يقول لعمر بن عبد العزيز*[1]: يا أمير المؤمنين، اخلع الوليد؛ فإن من الوفاء بعهد الله خلعك إياه.فقال: أخشى أن الأجناد يأبون ذلك. فقال الزهري: فوجهني حتى أسير في الأجناد جندا جندا فأخلعه، فأبى عليه. فأرسل الوليد إلى ماله ببدا وشغب، فعقر أشجاره. وخاصمه الزهري إلى عمر، وكان مال الزهري اشتراه من قوم كان النبي صلى الله عليه وسلم أقطع لهم، فأخرج كتابه، وخاصم الوليد. فقال عمر للزهري: فإنه لا يحكم عليه إلا أنت، فاحكم عليه. فقال: يا أمير المؤمنين، يغرس لي مكان كل نخلة قطعها وشجرة نخلة وشجرة، ويعمرها حتى يبلغ ذلك مبلغ ما قطع لي، ويغرم لي مثلما كنت أستغل منها. فأجاز حكمه عليه، وألزمه ذلك. وكان الوليد يقول للزهري: إن أمكنني الله منك يوما فستعلم. وكان الزهري يقول: إن الله أعدل من أن يسلط علي سفيها. قال ابن بكير: وأنكر ربيعة وأبو الزناد ذلك، وقالا: ما كان وجه الحكم ما حكم به أبو بكر الزهري. فبلغ ذلك الزهري، فقال الزهري: ذانك العلجان أفسد أهل تلك الحرة -يعني المدينة- كأنه قال: من قبل الرأي. * (لعمر) قال ابن عساكر: كذا بالأصل: عمر بن عبد العزيز ولعله خطأ فقد كان الوليد في العهد هشام بن عبد الملك بعهد من أبيه يزيد بن عبد الملك ولعل الصواب أن يكون : لهشام بن عبد الملك.

☪

حدث العلاء[2] قال: كان الوليد[3] زنديقا، وكان رجل من كلب من أهل الشام، يقول بمقالة الثنوية*، فدخلت على الوليد يوما وذلك الكلبي عنده، وإذا بينهما سفط قد رفع رأسه عنه، وإذا ما يبدو منه حرير أخضر، فقال: يا علاء ادن، فدنوت، فرفع الحريرة فإذا في السفط صورة إنسان، وإذا الزئبق والنوشادر قد جعلا في جفنة، فجفنه يطرف كأنه يتحرك، فقال: يا علاء هذا ماني لم يبعث الله نبيا قبله ولا يبعث نبيا بعده. فقلت: يا أمير المؤمنين! اتق الله ولا يغرنك هذا الذي ترى من دينك: فقال له الكلبي: يا أمير المؤمنين، قد قلت لك: إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث. قال العلاء: ومكث أياما، ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يشرف منه، والكلبي عنده، وقد كان الوليد حمله على برذون هملاج أشقر من أفره ما سخر، فخرج على برذونه ذلك، فمضى في الصحراء حتى غاب في العسكر، فما نشعر إلا والأعراب قد جاؤوا به يحملونه، متفسخة عنقه ميتا وبرذونه يقاد، حتى أسلموه؟ فبلغني ذلك، فخرجت متعمدا حتى أتيت أولئك الأعراب، وكانت لهم بالقرب أبيات في أرض البخراء، لا حجر فيها ولا مدر، فقلت لهم: كيف كانت قصة هذا الرجل؟ فقالوا: أقبل علينا على برذون، فكأنه دهن يسيل على صفاة من فراهيته، فعجبنا لذلك! إذ انقض رجل من السماء، عليه ثياب بيض، فأخذ بضبعيه فاحتمله ثم نكسه فضرب برأسه الأرض، فدق عنقه ثم غاب عن عيوننا، فاحتملناه فجئنا به. -في كتاب أبي الفرج علي بن الحسين الأموي.. قال ابن عساكر: وأبو الفرج لا يوثق بما يحكيه-.

☪

قدم شراعة بن زيد على الوليد بن يزيد، وكان كتب في إقدامه عليه، فلما دخل ما سأله عن سفرة، ولا عن نفسه، حتى قال: يا شراعة، إني والله ما أرسلت إليك لأسألك عن كتاب الله، ولا أستفتيك عن سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام. قال: لو سألتني عنهما لوجدتني حمارا. قال: إنما أرسلت إليك لأسألك عن الفتوة، قال: يا أمير المؤمنين فاسأل عنها طبيبها الرفيق، ودهقانها العالم. قال: أخبرني عن الأشربة. قال: سلني: قال ما تقول في الماء؟ قال: لا بد لي منه، والحمار شريكي فيه. قال ما تقول في اللبن؟ قال: ما رأيته منذ فطمت، إلا استحيلت أمي لطول مصي ثديها. قال: فما تقول في السويق: قال: شراب المريض والمحزون والمستعجل. قال: فما تقول في نبيذ التمر؟ قال سريع امتلاؤه، وسريع انتشاره، وضرط أكثره، قال فما تقول في الزبيب: قال: يحام به حول الأمر. قال: فما تقول في الخمر؟ قال: فوضع يده على صدره ثم قعد، وقال: يا أمير المؤمنين تلك صديقة روحي، قال: وأنت أيضا صديقي. قال فما تقول في الطعام؟ قال: ليس لصاحب النبيذ على الطعام سبيل. قال: فأي المجالس أعجب إليك؟ قال: يا أمير المؤمنين والله العجب لمن لم يغرقه المطر، أو تحرقه الشمس، كيف يجلس إلا تحت السحاب؟! والله ما شرب الناس على وجه، أحسن من وجه السماء.

بلغ الوليد عن شراعة بن زيد ورود حسن عشرة وحلاوة مجالسة، فبعث في إحضاره، فلما أدخل إليه قال: إني ما بعثت إليك لأسألك عن كتاب ولا سنة، قال: ولست من أهلهما، قال: إنما أسألك عن القهوة، قال: سل عن أي ذلك شئت يا أمير المؤمنين، قال: ما تقول في الشراب؟ قال: عن أية تسأل؟ قال: ما تقول في الماء؟ قال: يشاركني فيه البغل والحمار، قال: فنبيذ الزبيب؟ قال: خمار وأذى، قال: فنبيذ التمر؟ قال: ضراط كله، قال: فالخمر؟ قال: شقيقة روحي، وأليفه نفسي، قال: فما تقول في السماع؟ قال: يبعث مع التأني على ذكر الأشجان، ويجدد اللهو على مواقع الأحزان، ويؤنس الخلي الوحيد، ويسر العاشق الفريد، ويبرد غليل القلوب، ويثير من خواطر الضمائر خطرة ليست من الملاهي لغيره، يسرع ترقيها في أجزاء الجسد، فتهيج النفس، وتقوي الحس، قال: فأي المجالس أحب إليك؟ قال: ما رأيت فيه السماء من غير أن ينالني فيه أذى، قال: فما تقول في الطعام؟ قال: ليس لصاحب الطعام اختيار ما وجده أكله، فاتخذه الوليد نديما.

----

*(الثنوية) وهم القائلون بوجود إلهين اثنين، إله الخير وإله الشر. والزنديق من الثنوية، وهو فارسي معرب، وجمعه زنادقة، وقد تزندق، والاسم الزندقة.

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله بن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (2) العلاء بن المغيرة البندار كان من صحابة عمر بن عبد العزيز بن مروان وبقي إلى أيام يزيد بن عبد الملك حكى عنه محمد النوفلي.

■ (3) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو العباس الأموي الدمشقي، الملك الأموي الحادي عشر، بويع له بعد عمه هشام في السنة الخالية بعهد من أبيه. وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي. ولد سنة 90 هـ، وقيل 92 هـ، وقتل سنة 126 هـ، ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله، ومع ذلك إنما قتل لفسقه، وقيل وزندقته. فالله أعلم.

مراجع: تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ تاريخ الإسلام للذهبي/ سير أعلام النبلاء/ كتاب تكملة الطبقات الكبرى/ تاريخ ابن خلدون/ نثر الدر/ كتاب بغداد/ مروج الذهب/

عن أبي سفيان الحميري وصالح بن سليمان قالا: أراد الوليد بن يزيد[0] الحج وهو خليفة، فاتعد فتية من وجوه أهل اليمن أن يفتكوا به في طريقه، وسألوا خالدا القسري[1] أن يكون معهم فأبى، قالوا: فاكتم علينا: فأتاه خالد فقال: يا أمير المؤمنين دع الحج فأني خائف عليك قال: ومن الذي تخافهم علي سمهم، قال: قد نصحتك ولن أسميهم لك، قال: إذا أبعث بك إلى عدوك يوسف بن عمر[2] قال: وإن فعلت، فبعث به إلى يوسف بن عمر فعذبه حتى قتله، ولم يسم له القوم.

قال محمد بن جرير: فلبث خالد يوما في العذاب ثم وضع على صدره المضرسة*فقتل من الليل، ودفن بناحية الحيرة في عباءته التي كان فيها، وذلك في المحرم سنة ست وعشرين ومائة، في قول الهيثم، فأقبل عامر بن سهلة الأشعري فعقر فرسه على قبره، فضربه يوسف سبعمائة سوط.

في رواية قال ابن خلدون:... خرج زيد[3] وقتل وانقضى أمره فسعى يوسف بخالد عند هشام[4] بأنه الذي داخل زيدا في الخروج، فرد هشام سعايته ووبخ رسوله، وقال: لسنا نتهم خالدا في طاعة، وسار خالد إلى الصائفة، وأنزل أهله دمشق وعليها كلثوم بن عياض القشيري[5] وكان يبغض خالدا فظهر في دمشق حريق في ليال، فكتب كلثوم إلى هشام بأن موالى خالد يريدون الوثوب إلى بيت المال، ويتطرقون إلى ذلك بالحريق كل ليلة في البلد، فكتب إليه هشام بحبس الكبير منهم والصغير والموالي، فحبسهم ثم ظهر على صاحب الحريق وأصحابه، وكتب بهم الوليد بن عبد الرحمن[6] عامل الخراج، ولم يذكر فيهم أحدا من آل خالد ومواليه، فكتب هشام إلى كلثوم يوبخه ويأمره بإطلاق آل خالد، وترك الموالى، فشفع فيهم خالد عند مقدمه من الصائفة، فلما قدم دخل منزله وأذن للناس فاجتمعوا ببابه فوبخهم، وقال: إن هشاما يسوقهن إلى الحبس كل يوم، ثم قال: خرجت غازيا سامعا مطيعا، فحبس أهلي مع أهل الجرائم كما يفعل بالمشركين، ولم يغير ذلك أحد منكم، أخفتم القتل؟ أخافكم الله، والله ليكفن عني هشام أو لأعودن إلى عراقي الهوى شامي الدار حجازي الأصل، يعنى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس[7] وبلغ ذلك هشاما، فقال: خرف أبو الهيثم، ثم تتابعت كتب يوسف بن عمر إلى هشام بطلب يزيد بن خالد[8] فأرسل إلى كلثوم بإنفاده إليه، فهرب يزيد فطلبه كلثوم من خالد، وحبسه فيه، فكتب إليه هشام بتخليته ووبخه. ولما ولى الوليد بن يزيد استقدم خالدا وقال: أين ابنك؟ قال: هرب من هشام، وكنا نراه عندك حتى استخلفك الله فلم نره، وطلبناه ببلاد قومه من الشراة، فقال: ولكن خلفته طلبا للفتنة، فقال: أنا أهل بيت طاعة، فقال: لتأتيني به أو لأزهقن نفسك، فقال: والله لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه، فأمر الوليد بضربه، ولما قدم يوسف بن عمر من العراق بالأموال اشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف، فقال له الوليد: أن يوسف يشتريك بكذا فاضمنها لي قبل أن أدفعك إليه، فقال: ما عهدت العرب تباع، والله لو سألتني عودا ما ضمنته فدفعه إلى يوسف، فألبسه عباءة وحمله على غير وطاء، وعذبه عذابا شديدا، وهو لا يكلمه ثم حمله إلى الكوفة، فاشتد في عذابه ثم قتله ودفنه في عباءة، يقال أنه قتله بشيء وضعه على وجهه وقيل وضع على رجليه الأعواد، وقام عليها الرجال حتى تكسرت قدماه، وذلك في المحرم سنة ستة وعشرين ومائة.

----

*(الضروس) الحجارة التي طويت بها البئر.

■ (1) خالد القسري، خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، من بجيلة، أبو الهيثم: أمير العراقين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم. يماني الاصل، من أهل دمشق. ولي مكة سنة 89 هـ للوليد بن عبد الملك، ثم ولاه هشام العراقين الكوفة والبصرة سنة 105 هـ، فأقام بالكوفة. وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة 120 هـ وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه، فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد. سنة 126 هـ وكان خالد يرمى بالزندقة، وللفرزدق هجاء فيه.

■ (2) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، أبو عبد الله، ابن عم الحجاج، ولاه هشام بن عبد الملك ولاية اليمن سنة 106 هـ ثم ضم إليه ولاية العراق سنة 120هـ، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وذهب إلى العراق،أقره الوليد بن يزيد حتى قتل سنة 127 هـ

■ (0) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو العباس الأموي الدمشقي، الملك الأموي الحادي عشر، بويع له بعد عمه هشام في السنة الخالية بعهد من أبيه. وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي. ولد سنة 90 هـ، وقيل 92 هـ، وقتل سنة 126 هـ، ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله، ومع ذلك إنما قتل لفسقه، وقيل وزندقته. فالله أعلم.

■ (3) يزيد بن خالد بن عبد الله بن يزيد ابن أسد القسري البجلي: أمير. كان مع أبيه في العراق. وقتل أبوه، فانتقل إلى غوطة دمشق، فأقام إلى أن ولي الخلافة مروان بن محمد بن مروان، وانتقض أهل الغوطة، فنادوا به أميرا عليهم، وهاجموا دمشق فحصروها، فأقبل عليهم جمع لمروان من حمص، وخرج لقتالهم من في دمشق، فانهزموا. وأخذ يزيد فقتل وصلب على باب الفراديس بدمشق، وبعث برأسه إلى مروان وهو يومئذ بحمص.سنة 127 هـ

■ (4) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (3) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين الهاشمي، العلوي، المدني. أخو: أبي جعفر الباقر، وعبد الله، وعمر، وعلي، وحسين. وكان ذا علم وجلالة وصلاح، وخرج، فاستشهد وفد على متولي العراق يوسف بن عمر، فأحسن جائزته، ثم رد، فأتاه قوم من الكوفة، فقالوا: ارجع نبايعك، فما يوسف بشيء. فأصغى إليهم، وعسكر، فبرز لحربه عسكر يوسف، فقتل في المعركة، سنة 122 هـ ثم صلب أربع سنين.

■ (5) كلثوم بن عياض القشيري: أمير إفريقية، وأحد الأشراف الشجعان القادة. ولاه هشام بن عبد الملك، بعد عزل عبيد الله بن الحبحاب، وسيره إلى إفريقية بجيش عظيم سنة 123 هـ، فقتل في معركة مع البربر، في وادي سبو من أعمال طنجة، واستباح عسكره أبو يوسف الأزدي رأس الصفرية.

■ (7) محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو عبد الله، صاحب الدعوة العباسية. في عهده انتشرت الدعوة لتبلغ العراق وخراسان واتخذ من الحميمة مركزًا له ومقامًا لعيشه حيث قطنها هو وأبناءه إبراهيم وأبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور. مات سنة 125 هـ وله ستون سنة.قال إسماعيل بن علي الخطبي كان ابتداء دعاة بني العباس إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وتسميتأهم إياه بالإمام ومكاتبتهم له وطاعتهم لأمره وكان ابتداء ذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة 87 ولم يزل الأمر في ذلك ينمي ويقوى ويتزايد إلى أن توفي في مستهل ذي القعدة من سنة 124 وقد انتشرت دعوته وكثرت شيعته وبلغ من السن نيفا وستين سنة.

■ (6) الوليد بن عبد الرحمن الجرشي بضم الجيم الحمصي روى عن أبي هريرة وابن عمر وعنه داود بن أبي هند وإبراهيم بن أبي عبلة وثقه أبو حاتم. وأول من أحدث القراءة بفلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجرشي، وقيل الوليد بن عبد الرحمن مولى لآل أبى سفيان من ثقات لا يصح له عن أبى أمامة ولا غيره من الصحابة سماع

☪

عن الهيثم بن عمران قال: كتب هشام بن عبد الملك إلى كلثوم بن عياض وبلغه، أن خالدا القسري اشترى أرضا من أرض الغوطة بغير إذنه فقال: أيشتري أرضا بغير إذني؟! فأمر سالما الكاتب أن يكتب إلى كلثوم بن عياض عزمت عليك أن تضع كتابي من يدك حتى تغرم الوليد بن عبد الرحمن عاملي على الغوطة أربعمئة دينار وتبعث بها إلي إذا اشتريت أرض بغير إذنه وكتب إلى كلثوم أن اضرب وكيلي القسري مائة مائة وأطف بهما ومر من ينادي عليهما هذا جزاء من اشترى أرضا بغير إذن أمير المؤمنين، وذلك أنه وجد فيها وضع عمر بن عبد العزيز حين استخلف، قال: هل نهت الولاة قبلي عن شري الأرض من أهل الذمة، قالوا: لم ينهوا، قال: فإني قد سلمت لمن اشترى، ولكن من اليوم أنهى عن بيعها، إنها من أرض المسلمين دفعت إلى أهل الذمة على أن يأكلوا منها ويؤدوا خراجها، وليس لهم بيعها، ومن اشترى بعد اليوم فيعاقب البائع والمشتري، وترد الأرض إلى النبطي، ويؤخذ الثمن من المسلم فيجعل في بيت المال، لما انتهكوا من المعصية، ويدخل المال الذي أخذ النبطي بيت مال المسلمين، لما وضع عمر في ذلك الديوان، فهي المدة ما كان قبل المدة، يعني قبل عمر بن عبد العزيز، وما كان بعد المدة يعني بعد عمر. قال أبو زرعة: فاستحسن أحمد بن محمد بن مدبر هذا الحديث، وأنكر العقوبة، فقلت له: لا تنبذ له رأيه، وأخبرته بحدث حدثنيه هشام بن عمار ثنا يحيى بن حمزة حدثني بعض مشيختنا عن إسحاق بن مسلم، وكان عاملا لعمر بن عبد العزيز على خراج الأردن، فكتب إلى عمر: أما بعد فإني وجدت أرضا من أرض أهل الذمة بأيدي ناس من المسلمين فما يرى أمير المؤمنين فيها ؟ فكتب إليه إن تلك أرض أوقفها أول المسلمين على آخرهم، فامنع ذلك البيع إن شاء الله والسلام.

☪

قال الأصمعي: حدثنا شبيب بن شيبة قال: خطب خالد بن عبد الله القسري فقال: وهو على المنبر: يسومونني أن أقتد من كاتبي وإن أقدت منه لقد أقدت من نفسي، وإن أقدت من نفسي لقد أقاد أمير المؤمنين من نفسه، وإن أقاد أمير المؤمنين من نفسه لقد أقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه، ولئن أقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه ليقيدن هاه هاه هاه، يومي بيده أو قال باصبعه إلى فوق جل ربنا وتعالى علوا كبيرا.

حدث محمد بن عمران عن أبيه قال: كتب خالد القسري إلى أبان بن الوليد البجلي[1]،وكان قد ولاه المبارك (بلدة بسواد العراق): أما بعد فإن بالرعية من الحاجة إلى ولاتها مثل الذي بالولاة من الحاجة إلى رعيتها وإنما هم من الوالي بمنزلة جسده من رأسه وهو منهم بمنزلة رأسه من جسده، فأحسن إلى رعيتك بالرفق بهم، وإلى نفسك بالإحسان إليها ولا يكونن هم إلى صلاحهم أسرع منك إليه، ولا عن فسادهم أدفع منك عنه، ولا يحملك فضل القدرة على شدة السطوة بمن قل ذنبه، ورجوت مراجعته ولا تطلب منهم إلا مثل الذي تبذل لهم، واتق الله في العدل عليهم والإحسان إليهم و﴿إِنَّ اللهَّ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل] أصرم فيما علمت، واكتب إلينا فيما جهلت يأتك أمرنا في ذلك إن شاء الله والسلام.

قال ابن أبي الدنيا: حدث عبد الملك مولى خالد بن عبد الله، قال: إني لاسير بين يدي خالد بالكوفة ومعه الوجوه، فقام إليه رجل، فقال: أصلح الله الامير، فوقف، وكان كريما، فقال: مالك ؟ قال: تأمر بضرب عنقي ؟ قال: لم ؟ قطعت طريقا ؟ قال: لا، قال: فنزعت يدا من طاعة؟ قال: لا، قال: فعلام أضرب عنقك؟ قال: الفقر والحاجة، قال: تمن؟ قال: ثلاثين ألفا، فالتفت إلى أصحابه فقال: هل علمتم تاجرا ربح الغداة ما ربحت؟ نويت له مئة ألف، فتمنى ثلاثين ألفا، ثم أمر له بها.

وقيل: كان خالد يجلس ثم يدعو بالبدر، ويقول: إنما هذه الأموال ودائع لابد من تفريقها. قال الهيثم بن عدي: كان خالد يقول: لا يحتجب الوالي إلا لثلاث خصال: إما رجل عيي فهو يكره أن يطلع الناس على عيه، وإما رجل مشتمل على سوء فهو يكره أن يعرف الناس ذلك، وإما رجل بخيل يكره أن يسال. قال الأصمعي:قال أعرابي لخالد بن عبد الله القسري: أصلح الله الأمير لم أصن وجهي عن مسألتك، فصن وجهك عن ردي وضعني من معروفك حيث وضعتك من رجائي، فأمر له بما سأل. ودخل إليه أعرابي ومعه جراب فقال: أصلح الله الأمير يأمر لي بملأ جرابي دقيقا، فقال خالد املؤوه دراهم، فخرج على الناس، فقيل له: ما صنعت في حاجتك؟ قال: سألت الأمير ما أشتهي فأمر لي بما يشتهي. حدث محمد بن الحارث قال: سمعت المدائني يقول: أول ما عرف به سؤدد خالد بن عبد الله القسري أنه مر في سوق دمشق وهو غلام فأوطأ فرسه صبيا فوقف عليه، فلما رآه لا يتحرك أمر غلامه فحمله، ثم أتى به إلى مجلس قوم فقال: إن حدث بهذا الغلام حدث فأنا صاحبه أوطأته فرسي ولم أعلم. قال يحيى بن معين: كان خالد القسري والياً لبني أمية، وكان رجل سوء، وكان يقع في علي بن أبي طالب.وقال الفضل بن الزبير: سمعت خالد القسري وذكر عليا فذكر كلاما لا يحل ذكره.وقال الاصمعي:خبرت أن القسري ذم زمزم، وقال: يقال:إن زمزم لا تنزح ولا تذم، بلى والله إنها تنزح وتذم، ولكن هذا أمير المؤمنين قد ساق لكم قناة بمكة. وقال أبو عاصم النبيل: ساق خالد ماء إلى مكة، فنصب طستا إلى جنب زمزم، وقال: قد جئتكم بماء العاذبة لا تشبه أم الخنافس يعني زمزم، فسمعت عمر بن قيس يقول:لما أخذ خالد بن عبد الله سعيد بن جبير وطلق ابن حبيب، خطب، فقال: كأنكم أنكرتم ما صنعت، والله لو كتب إلي أمير المؤمنين لنقضتها حجرا حجرا يعني الكعبة

■ (1) أبان بن الوليد بن مالك الزيدي، من بني زيد بن الغوث، البجلي: وال، مدحه الكميت. كان من أشراف بجيلة في العراق، أيام ولاية خالد بن عبد الله القسري. وكان حيا حين وصول يوسف بن عمر الثقفي واليا على العراق سنة 120 هـ وله خبر معه في وساطة بينه وبين نائب خالد القسري في الكوفة. ولقي إياس بن معاوية وكانت بينهما محاورة ذكرها الجاحظ توفي نحو 125 هـ

مراجع: بغية الطلب في تاريخ حلب/ الصحاح في اللغة/ مختصر تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ ابن خلدون/ تاريخ دمشق/ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال/ مشاهير علماء الأمصار لابن حبان/

قال طريح[1]: خصصت بالوليد[2] حتى صرت أخلوا معه، فقلت له ذات يوم ونحن في مشرقة: يا أمير المؤمنين، خالك يحب أن تعلم شيئا من خلقه. قال: وما هو؟ قلت: لم أشرب شرابا ممزوجا قط إلا من لبن أو عسل. قال: قد عرفت ذلك، ولم يباعدك من قلبي. قال: ودخلت يوما إليه وعنده الأمويون فقال: إلي يا خال، فأقعدني إلى جنبه، ثم أتى بشراب فشرب، ثم ناولني القدح، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد أعلمتك رأيي في الشراب. قال: ليس لذلك أعطيتك، إنما دفعته إليك لتناوله الغلام، وغضب، فرفع القوم أيديهم، كأن صاعقة وقعت على الخوان، فذهبت أقوم فقال: اقعد. فلما خلا البيت افترى علي ثم قال: يا عاض كذا وكذا، أردت أن تفضحني؟! لو لا أنك خالي لضربتك ألف سوط، ثم نهى الحاجب عن إدخالي، وقطع عني أرزاقي، فمكثت ما شاء الله، ثم دخلت عليه يوما متنكرا، فلم يشعر إلا وأنا بين يديه وأنا أقول من أبيات: البسيط: يا بن الخلائف ما لي بعد تقربة..إليك أقصى وفي حاليك لي عجب..كأنني لم يكن بيني وبينكم..إل ولا خلة ترعى ولا نسب..قد كان بالود قدما منك أزلفني..بقربك الود والإشفاق والحدب..وكنت دون رجال قد جعلتهم..دوني إذا ما رأوني مقبلا كذبوا..إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا..شرا أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا. قال: فتبسم، وأمرني بالجلوس، ورجع لي، وقال: إياك أن تعاود. منها: أين الذمامة والحق الذي نزلت..بحفظه وبتعظيم له الكتب؟..وحوكي الشعر أصفيه وأنظمه..نظم القلائد فيها الدر والذهب..وإن سخطك شيء لم أناج به..نفسا ولم يك مما كنت أحتسب..لكن أتاك بقول آثم كذب..قوم بغوني فنالوا في ما طلبوا. وهي طويلة. وقيل في سبب غضبته على طريح غير هذا.كان جماعة من بيت الوليد قد حسدوا طريحا وتحيلوا على الوليد إلى أن أغضبوه عليه، فبقي نحو السنة لم يأذن له، حتى تحيل طريح ودخل عليه فأنشده: يا ابن الخلائف ما لي بعد تقربة..إليك أقصى وفي حاليك لي عجب..ما لي أذاد وأقصى حين أقصدكم..كما توقي من ذي العرة الجرب..كأنني لم يكن بيني وبينكم..إل ولا خلة ترعى ولا نسب..لو كان بالود يدنى منك أزلفني..بقربك الود والإشفاق والحدب..وكنت دون رجال قد جعلتهم..دوني إذا ما رأوني مقبلا قطبوا..إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا..سوءا أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا..رأوا صدودك عني في اللقاء فقد..تحدثوا أن حبلي منك منقضب..فذو الشماتة مسرور بهيضتنا..وذو النصيحة والإشفاق مكتئب. قال: فتبسم الوليد وأمره بالجلوس ورجع وقال: إياك أن تعاود. ومن شعره في الوليد: المنسرح: أنت ابن مسلنطح البطاح ولم..تطرق عليك الحني والولج..لو قلت للسيل دع طريقك وال..موج عليه كالهضب يعتلج..لارتد أوساخ أو لكان له..في سائر الأرض عنك منعرج..طوبى لفرعيك من هنا وهنا..طوبى لأعراقك التي تشج. أراد فرعه من قبل أبيه، وهم بنو أمية، وفرعه من قبل أمه، وهم ثقيف.

وفد شيخ من ثقيف (من أهل الحجاز) على الوليد بن يزيد وهو ولي عهد في خلافة عمه هشام. قال طريح بن إسماعيل الثقفي: كنت عند الوليد، فدعا بالشطرنج فأخذت معه فيها، فدخل الآذن فقال: بالباب رجل من أخوالك له نبل وهيئة يستأذن، فقال: أما هذا الوقت فلا، فإني مقبل على ما ترى. فقلت له: سبحان الله! يأتيك رجل من أخوالك مسلماً فتحجبه؟ قال: كيف بنا ونحن على هذه الحال؟ فقلت: ترفع الشطرنج، وتأذن له. فقال: ذاك لما اتجهت عليك! فقلت: يغطى بمنديل وتنحرف، ويدخل لحظة وينصرف. ففعل، وأذن له. فدخل رجل جسيم معتم على قلنسوة مشرفة، مشمراً ثيابه في زي الفقهاء، بين عينيه سجادة فسلم، وجلس، وقال: أيها الأمير، خرجت من المدينة أريد عسقلان للرباط بها، فأحببت أن أؤدي حق القرابة والرحم. فقال له الوليد: يا خال، كيف حفظك لمغازي أهل بلدك، لعلك تفيدنا منها أحرفاً. قال: ما أحفظ منها شيئاً. قال: فكيف علمك بالسنة ونظرك في الفرائض؟ قال: ما نظرت في شيء من ذلك. قال: فكيف روايتك لشعر قومك، وغيرهم من الشعراء؟ قال: ما أروي منه شيئاً. قال: فكيف علمك بأيام العرب، وأخبارها؟ قال: قد أغفل خالك ذلك.قال: فعسى أن يكون همك مصروفاً إلى معنى آخر من مفاكهات أهل المدينة ومزاحاتهم؟ قال: خالك يربأ بنفسه عن ذلك. قال الوليد: يا غلام، ارفع المنديل. العب يا طريح، فليس معنا أحد.وفي رواية قال البلاذري حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال: كان هشام يلاعب الأبرش بالشطرنج.. [وذكر القصة]

■ (1) طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفي، أبو الصلت: طريح الثقفي شاعر الوليد بن يزيد الاموي، وخليله. انقطع إليه قبل أن يلي الخلافة، واستمر اتصاله به، وأكثر شعره في مدحه. وجعله الوليد أول من يدخل عليه وآخر من يخرج من عنده، وكان يستشيره في مهماته. وعاش إلى أيام الهادي العباسي. مات سنة 165 هـ

■ (2) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو العباس الأموي الحادي عشر، الملك الأموي الدمشقي، بويع له بعد عمه هشام في السنة الخالية بعهد من أبيه. وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي. ولد سنة 90 هـ وقيل 92 هـ، وقتل سنة 126 هـ، ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله، ومع ذلك إنما قتل لفسقه، وقيل وزندقته. فالله أعلم.

☪

قال عمر بن عبد العزيز[1] لطريح بن إسماعيل الثقفي: أنشدني أبياتا يكون فيها نصح ومعتبر فأنشده: وأفضل أعمال الفتى الزاد للتي..تدوم وتحلو لي عليها العواقب..وافضل بر برك الرحم التي..عليها تجازى آجلا بالرغائب..وحسن ثنا الأبرار في كل محفل..يدوم له ما جد في السير راكب. قال الحرمازي، عن أبي إسماعيل الثقفي: اتخذ هشام[2] مالا بالطائف، فقدم طريح عليه في بعض أمره، فسأله عنه فقال: رأيت خير مال، مكرمة في الذكر، وكنزا للدهر، فاق الأموال، وبذ الأعمال أفسد ما كان قبله، وأعجز من طلب مثله، زين لمن ابتدعه، وغنى لمن حبي به، رأيت عريضا أريضا بمجباة سيل ومدب غيل، كريما تربه، عذبا شربه، فيه نبت تشيح عروقه في الثرى، وتمطر نواصيه الندى، وقد اعلولب وسما، وحسن ونما، شجره دوح، وعروشه سطوح، عظيم أمده، كثير نضده، نهاره ليل، وليله هول، وأمره عجب، ووصفه تعب، يفوت الخبر، ويحسر البصر، طال الأموال، وراق الرجال، يسر الودود، ويصرف عين الحسود.

ولما دخل على أبي جعفر المنصور[3] في الشعراء قال له: لا حياك الله ولا بياك، أما اتقيت الله ويلك حين قلت للوليد ابن يزيد: لو قلت للسيل دع طريقك...البيتين. فقال طريح: قد علم الله أني قلت ذلك ويدي ممدودة إلى الله عز وجل، وإياه تبارك وتعالى عنيت، فقال للربيع أما ترى هذا التخلص؟. ودخل طريح على المهدي[4]، فانتسب له، وسأله أن يسمع، فقال: ألست الذي يقول للوليد بن يزيد: أنت ابن مسلنطح البطاح ولم..تطرق عليك الحني والولج. والله لا تقول في مثل هذا، ولا أسمع منك شعرا، وإن شئت وصلتك. ومن شعر طريح: الكامل: والمال جنة ذي المعايب إن يصب..يحمد وإن يدع الطريقة يعذر..والمرء يحمد إن يصادف حظه..قدر ويعذل في الذي لم يقدر..والناس أعداء لكل مدفع..صفر اليدين وإخوة للمكثر..وإذا امرؤ في الناس لم يك عارفا..بالعرف لم يكن منكرا للمنكر. ومن شعره: الطويل: سعيت ابتغاء الشكر فيما صنعت بي..فقصرت مغلوبا وإني لشاكر..لأنك تعطيني الجزيل بداهة..وأنت لما استكثرت من ذاك حاقر. وعن العقدي عن ابي جعفر قال: كان داود بن علي[5] يتقلد الكوفة واعمالها فدفع اليه طريح بن إسماعيل رقعة في حاجة فقال: نقضي حاجتك مع حاجة فلان، فقال طريح: يريد داود بن علي: تخل لحاجتي واشدد قواها..فقد أضحت بمنزلة الضياع..إذا أرضعتها بلبان اخرى..أضربها مشاركة الرضاع..ودونك فاغتنم حمدي وشكري..وأشفق من مكاشفة القناع. فقضى حاجته من وقته. وعن مروان بن أبي حفصة[6] من قوله: دخلت أنا وطريح بن إسماعيل الثقفي والحسين بن مطير الأسدي[7] في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو في فرش قد غاب فيها وإذا رجل عنده كلما أنشد شاعر شعرا وقف الوليد بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان، من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان حتى أتى على أكثر الشعراء، فقلت:من هذا؟فقالوا:حماد الراوية[8]. قال أبو عبيدة: حدثني يونس بن حبيب قال: لما استخلف مروان بن محمد[9] دخل الشعراء يهنئونه بالخلافة، فتقدم إليه طريح بن إسماعيل الثقفي، خال الوليد بن يزيد، فقال: الحمد الله الذي أنعم بك على الإسلام إماما، وجعلك لأحكام دينه قوما، ولأمة محمد المصطفى جنة ونظاما، ثم أنشده شعره الذي يقول فيه: تسوء عداك في سداد ونعمة..خلافتنا تسعين عاما وأشهرا. فقال مروان: كم الأشهر؟ قال: وفاء المائة يا أمير المؤمنين، تبلغ فيها أعلى درجة وأسعد عاقبة في النصرة والتمكين. فأمر له بمائة ألف درهم.

■ (4) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

■ (3) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور، عبد الله الأكبر. الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

■ (2) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (1) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (9) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي، المعروف بالحمار، الملك الأموي الرابع عشر وآخر ملوك بني أمية بويع له بعد قتل الوليد بن يزيد، وبعد موت يزيد بن الوليد، وخلع إبراهيم بن يزيد بن عبد الملك، واستتب له الأمر في سنة 127 هـ، وقتل سنة 132 هـ

■ (5) داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو سليمان: أمير، من بني هاشم. هو عم السفاح العباسي. كان خطيبا فصيحا، من كبار القائمين بالثورة على بني أمية. وكان بالحميمة من أرض الشراة ولما ظهر العابسيون ولاه السفاح إمارة الكوفة، ثم عزله عنها وولاه إمارة المدينة ومكة واليمن واليمامة والطائف، فانصرف إلى الحجاز، وأقام في المدينة، فعاجلته منيته. وهو أول من ولي المدينة من بني العباس، وأول من أقام الحج للناس في ولاية العباسيين. توفي سنة 133 هـ

■ (7) الحسين بن مطير بن مكمل الاسدي، مولاهم: شاعر متقدم في القصيد والرجز، من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية. له أماديح في رجالهما. وكان زيه وكلامه كزي أهل البادية وكلامهم. وفد على معن بن زائدة لما ولي اليمن، فمدحه. ولما مات معن رثاه. مات سنة 169 هـ.

■ (8) حماد بن سابور بن المبارك، أبو القاسم: أول من لقب بالراوية. وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها. أصله من الديلم، ومولده في الكوفة. جال في البادية ورحل إلى الشام. وتقدم عند بني أمية، فكانوا يستزيرونه ويسألونه عن أيام العرب وعلومها، ويجزلون صلته. وهو الذي جمع السبع الطوال المعلقات. وقيل: كان في أول مرة يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ثم طلب الادب وترك ماكان عليه. وفيه يقول الطهوي: نعم الفتى لو كان يعرف ربه أو حين وقت صلاته، حماد. وتوفي في بغداد سنة 155 هـ. والحمادون ثلاثة: هذا، وحماد الراوي وحماد بن الزبرقان. كانوا يشربون الخمر، ويتهمون بالزندقة بالكوفة.

■ (6) مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، كنيته أبو الهيندام أو أبو السمط، ولقبه ذو الكمر. شاعر عالي الطبقة، كان جده أبو حفصة مولى لمروان بن الحكم أعتقه يوم الدار، ولد باليمامة من أسرة عريقة في قول الشعر، وأدرك العصرين الأموي والعباسي، وقد وفد على المهدي فمدحه ثم الهادي من بعده ثم إلى مديح هارون الرشيد ومدح البرامكة وزراء الرشيد.وعلى كثرة ما أصابه من خلفاء بني العباس وعلى يساره، فقد كان بخيلا بخلا شديدا، ضربت به الأمثال ورويت عنه الحكايات. ويمتاز شعره بالعراقة والجودة ومتانة الألفاظ وسداد الرأي ودافع بشعره عن العباسيين ودعى إليهم واحتج على خصومهم وعارضهم. وقد دفع ثمن تعصبه للعباسيين حياته، إذ اغتاله بعض المتطرفين من الشيعة العلويين ببغداد.سنة 182 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ الوافي بالوفيات/ العقد الفريد/

◆ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (حادي عشر ملوك الدولة الأموية، المروانية بالشام) والكهل 0583

قال ابن حج: ومما تخيرته من سلوان المطاع لابن ظفر: أن الوليد ابن يزيد[1] لما بلغه أن ابن عمه يزيد ابن الوليد بن عبد الملك[2] قد شرد عنه القلوب واستجاش عليه أهل اليمن ونازعه في ملكه احتجب عن سماره ودعا في بعض الليالي خادما فقال له: انطلق متنكرا حتى تقف ببعض الطرق وتأمل من يمر بك من الناس فإذا رأيت كهلا رث الهيئة يمشي مشيا هوينا وهو مطرق فسلم عليه وقل له في أذنه : أمير المؤمنين يدعوك فأن أسرع في الإجابة فائتني به وإن استراب فدعه واطلب غيره حتى تجد رجلا على الشرط الذي ذكرت لك فانطلق الخادم فأتاه برجل على الشرط فلما دخل الرجل على الوليد حياه بتحية الخلافة فأمره الوليد بالجلوس والدنو منه وصبر إلى أن ذهب روعه وسكن جأشه ثم اقبل عليه فقال له: أتحسن المسامرة للخلفاء؟ فقال: نعم، يا أمير المؤمنين، فقال الوليد: إن كنت تحسنها فأخبرنا ما هي؟ فقال: يا أمير المؤمنين، المسامرة أخبار لمنصت وأنصات لمخبر، ومفاوضة فيما يعجب ويليق، فقال له الوليد: أحسنت، لا أزيدك امتحانا، فقل أسمع لقولك، فقال الكهل: نعم، يا أمير المؤنين، ولكن المسامرة صنفان لا ثالث لهما، أحدهما الإخبار بما يوافق خبرا مسموعا، والثاني الإخبار بما يوافق غرضا من أغراض صاحب المجلس، وإني لم أسمع بحضرة أمير المؤمنين طريقة فأنحو نحوها وألزم أسلوبها، فقال الوليد: صدقت، وها نحن نقترح لك ما تقتفيه، قد بلغنا أن رجلا من رعيتنا سعى في ضرر ملكنا، فأثر سعيه وشق ذلك علينا، فهل سمعت بذلك؟ فقال الكهل: نعم، يا أمير المؤمنين، فقال له الوليد: قل الآن على حسب ما سمعت، وعلى ما ترى من التدبير، فقال: يا أمير الممنين، بلغني عن أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان[3] أنه لما ندب الناس لقتال ابن الزبير[4] وخرج بهم متوجها إلى مكة، حرسها الله تعالى، استصحب عمرو بن سعيد بن العاص[5]، وكان عمرو قد انطوى على فساد نية وخبث طوية وطماعية في نيل الخلافة، وكان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد فطن لذلك، إلا أنه كان يحترمه، ولما أبعد أمير المؤمنين عن دمشق تمارض عمرو بن سعيد فاستأذن أمير المؤمنين في العود إلى دمشق، فأذن له، فلما دخل عمرو دمشق صعد المنبر فخطب الناس خطبة، نال فيها من الخليفة واستولى على دمشق، ودعا الناس إلى خلع عبد الملك، فأجابوه إلى ذلك وبايعوه، وحصن بعد ذلك سور دمشق وحمى حوزتها، فبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه إلى ابن الزبير وبلغه مع ذلك أن والي حمص قد نزع يده من الطاعة، وأن أهل الثغور قد تشوفوا للخلاف فأحضر وزراءه فأطلعهم على ما بلغه، وقال لهم: دمشق ملكنا، قد استولى عليها عمر بن سعيد، وهذا عبد الله ابن الزبير قد استولى على الحجاز والعراق واليمن ومصر وخراسان، وهذا النعمان بن بشير أمير حمص وزفر بن الحرث أمير فلسطين قد خرجا عن الطاعة، وبايعا الناس لابن الزبير، وهذه المضرية بسيوفها تطالبنا بقتلى المرج، فلما سمع وزراؤه مقالته ذهلت عقولهم، فقال لهم عبد الملك: مالكم لا تنطقون، هذا وقت الحاجة إليكم؟ فقال أفضلهم: وددت أن أكون طيرا على عود من أعواد تهامة حتى تنقضي هذه الفتن، فلما سمع عبد الملك مقالة صاحبه قام أمرهم بلزوم موضعهم، وركب منفردا وأمر جماعة من شجعانه أن يتبعوه متباعدين ففعلوا، وسار عبد الملك حتى انتهى إلى شيخ ضعيف البدن سيىء الحال وهو يجمع سماقا، فسلم عليه عبد الملك وآنسه بحديثه، ثم قال له: أيها الشيخ، ألك علم بنزول هذا العسكر؟ فقال الشيخ: وما سؤالك عنه؟ فقال عبد الملك: أني أردت الانتظام في سلكه، فقال له: أني أرى عليك سمة الرياسة، فينبغي لك أن تصرف نفسك عن هذا الرأي فإن الأمير الذي أنت قاصده قد انحلت عرا ملكه والسلطان في اضطراب أموره كالبحر إذا هاج، فقال عبد الملك: أيها الشيخ، قد قوي علي جذب نفسي إلى صحبة هذا الأمير، فهل لك أن ترشدني إلى رأي أتفق به عنده فلعله يكون سبب قربي منه، فقال الشيخ: أن هذه النازلة التي نزلت بهذا الأمير من النوازل التي لا تنفذ فيها العقول، وإني لأكره أن أرد مسألتك بالخيبة، فقال له عبد الملك: قبل جزاك الله خيرا، فقال الشيخ: إن هذا الخليفة خرج إلى قتال عدوه، والإرادة غير قابلة لمراده، والدليل على ذلك أن الله تعالى لم يرد من قصده من محاربة ابن الزبير، ووثوب عمرو بن سعيد على منبره واستيلائه على بيوت أمواله وسرير خلافته، فإذا قصدت هذا الأمير وانتظمت في سلكه، أنظر في أمره فإن رأيته قد أصر على قصده ابن الزبير، فأعلم أنه مخذول فأجنبه، وإن رأيته قد رجع من حيث جاء وترك قصده الأول، فأرج له النصر والسلامة. فقال عبد الملك: يا شيخ، وهل رجوعه إلى دمشق إلا كمسيره إلى ابن الزبير؟ فقال الشيخ: إن الذي أشكل عليك لواضح، وها أنا أزيل عنك اللبس، وهو أن عبد الملك إذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم لأن ابن الزبير، لم يطعه طاعة قط ولا وثب له على ملكة، فإذا قصد ابن سعيد كان في صورة مظلوم لأنه نكث بيعته وخان أمانته ووثب على دار ملك لم تكن له ولا لأبيه من قبله، بل كانت لعبد الملك ولأبيه من قبله وعمرو عليها متعد، ومن الأمثال سمين الغضب مهزول وولي الغدر معزول وسأضرب لك مثلا يشفي النفس ويزيل اللبس.زعموا أن ثعلبا كان يسمى ظالما وكان له جحر يأوي إليه وكان مغتبطا به فخرج يوما يبتغي ما يأكل ثم رجل فوجد فيه حية فانتظر خروجها فلم تخرج فعلم أنها استوطنته وذلك أن الحية لا تتخذ جحرا بل إذا أعجبها جحر اغتصبته وطردت من به من الحيوان ولهذا قيل فلان أظلم من حية فهذا ظلمها ولما رأى ظالم أن الحية قد استوطنت جحره ولم يمكنه السكنى معها ذهب يطلب لنفسه مأوى فانتهى به السير إلى جحر حسن الظاهر في أرض منيعة ذات أشجار ملفتة وماء معين فأعجبه وسأل عنه فقالوا هذا الحجر يملكه ثعلب اسمه مفوض وأنه ورثه عن أبيه فناداه ظالم فخرج إليه ورحب به وأدخله إلى جحره وسأله عن حاله فقص عليه خبره مع الحية فرق له مفوض وقال له الموت في طلب الثأر خير من الحياة في العار والرأي عندي أن تنطلق معي إلى مأواك الذي أخذ منك غصبا حتى أنظر إليه فلعلي أهتدي إلى مكيدة تخلص بها مأواك فانطلقا معا إلى ذلك الجحر فتأمله مفوض وقال لظالم اذهب معي فبت الليلة عندي لأنظر ليلتي هذه فيما يسنح من الرأي والمكيدة ففعلا ذلك وبات مفوض مفكرا وجعل ظالم يتأمل مسكن مفوض فرأى من سعته وطيب هوائه وحصانته ما اشتد به حرصه عليه وطفق يدبر في حيلة اغتصابه ونفي مفوض عنه فلما أصبحا قال مفوض لظالم أني رأيت ذلك الجحر بعيدا من الشجر والماء فأصرف نفسك عنه وهلم أعينك على احتفار جحر في هذا المكان المشتهى فقال ظالم هذا غير ممكن لأن لي نفسا تهلك لبعد الوطن حنينا فلما سمع مفوض ما قاله ظالم وما تظاهر به من الرغبة في وطنه قال له أني أرى أن نذهب يومنا هذا فنحتطب حطبا ونربط منه حزمتين فإذا جاء الليل انطلقنا إلى بعض هذه الخيام فأخذنا قبس نار واحتملنا الحطب والقبس إلى مسكنك فنجعل الحزمتين في بابه نضرم النار فإن خرجت الحية احترقت وإن لزمت الجحر قتلها الدخان فقال له ظالم هذا نعم الرأي فذهبا واحتطبا حزمتين ولما جاء الليل انطلق مفوض إلى ظاهر تلك الخيام فأخذ قبسا فعمد ظالم إلى إحدى الزمتين فأزالها إلى موضع غيبها فيه ثم جر الحزمة الآخرة إلى باب مسكن مفوض فسده بها سدا محكما وقدر في نفسه أن مفوضا إذا أتى الجحر لم يمكنه الدخول إليه لحصانته فإذا يئس منه ذهب فنظر لنفسه مأوى وكان ظالم قد رأى في منزل مفوض طعاما أدخره لنفسه فعول ظالم على أنه يقتات به إن حاصره مفوض وهو من داخل وأذهله الشره والحرص عن فساد هذا الرأي ثم إن مفوضا جاء بالقبس فلم يجد ظالما ولا وجد الحطب فظن أن ظالما قد حمل الحزمتين تخفيفا عنه وأنه سبقه إلى مسكنه الذي فيه الحية اشفاقا على مفوض فشق ذلك عليه وظهر له من الرأي أن يبادر إليه ويلحقه ليحمل معه الحطب فوضع القبس بالقرب من الحطب ولم يشعر أن الباب مسدود به لشدة الظلمة فما بعد عن الباب إلا وضوء النار وشدة الدخان قد لحقا به فعاد وتأمل الباب فرأى الحطب قد صار نارا فعلم مكيدة ظالم ورآه قد احترق ن داخل الجحر وحاق به مكره فقال هذا الباحث على حتفه بظلفه ثم إن مفوضا صبر حتى انطفأت النار فدخل جحره فأخرج جثة ظالم فألقاها واستوطن جحره آمنا فهذا المثل ضربته لك لأنه ملائم لفعل عمرو بن سعيد في بغيه ومخادعته عبد الملك وحيلته في أخذ دار ملكه وتحصينها منه وهذا كفعل ظالم مع مفوض والله أعلم. فلما سمع عبد الملك حكمة الشيخ في ضرب أمثاله سر بذلك سرورا عظيما ثم أقبل عليه، فقال: جزيت عني خيرا، وأني أريد أن تجعل بيني وبينك موعدا وتعرفني مكانك لألقاك به بعد يومي هذا، فقال الشيخ: وما تريد بذلك؟ فقال له عبد الملك: إني أريد مكافأتك على ما كان منك، فقال له الشيخ: إني أعطيت الله عهدا أن لا أقبل منة لبخيل، فقال عبد الملك: ومن أين علمت أني بخيل؟ فقال: لأنك أخرت صلتي مع القدرة، فما عليك لو وصلتني ببعض ما عليك، فقال عبد الملك: أقسم بالله، لقد ذهلت ثم نزع سيفه، وقال له: أقبل مني هذا واحرص عليه فقيمته عشرون ألف درهم، فقال الشيخ: إني لا أقبل صلة ذاهل، فدعني وربي الذي لا يذهل ولا يبخل، فهو حسبي، فلما سمع عبد الملك كلام الشيخ عظم في عينه، وعلم فضله في دينه، فقال له: أنا عبد الملك، فأرفع حوائجك إلي، فقال الشيخ: وأنا عبد الملك، فهلم نرفع حوائجنا إلى من أنا وأنت له عبدان، فانطلق عبد الملك وعمل برأي الشيخ، فأنجح الله قصده، وانتصر على أعدائه، فلما سمع الوليد ما أخبره به الكهل استرجح عقله، واستظرف أدبه واستحسن محاضرته، وسأله عن نفسه فتسمى له وانتسب فلم يعرفه الوليد فاستحى منه، وقال له : من جهل مثلك في رعيته ضاع. فقال له الكهل: يا أمير المؤمنين إن الملوك لا تعرف إلا من تعرف إليها، ولزم أبوابها، فقال له الوليد: صدقت، ثم أمر له بصدقة معجلة وعهد إليه في ملازمته فكان يتمتع بأدبه وحكمته إلى أن كان من أمر الوليد ما هو مشهور

■ (1) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو العباس الأموي الدمشقي، الملك الأموي الحادي عشر، بويع له بعد عمه هشام في السنة الخالية بعهد من أبيه. وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي. ولد سنة 90 هـ، وقيل 92 هـ، وقتل سنة 126 هـ، ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله، ومع ذلك إنما قتل لفسقه، وقيل وزندقته. فالله أعلم.

■ (2) يزيد (الثالث) بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. أبو خالد، بويع له أول ما بويع في قرية المزة، من قرى دمشق، ثم دخل دمشق فغلب عليها، ثم أرسل الجيوش إلى ابن عمه الوليد بن يزيد فقتله، واستحوذ على الملك في هذه السنة، وكان يلقب بالناقص لنقصه الناس العشرات التي زادهم إياها الوليد بن يزيد، وقيل إنما سماه بذلك مروان الحمار، وكان يقول: الناقص ابن اليد، وأمه كسروية. وكان مولده في سنة 90 هـ، وقيل في سنة 96 هـ وكان عادلا دينا محبا للخير مبغضا للشر قاصدا للحق.وكانت وفاته بالخضراء من طاعون أصابه، في هذه السنة. وأكثر ما قيل في عمره 46 سنة، وقيل 30 سنة، وقيل غير ذلك فالله أعلم.وكانت مدة ولايته ستة أشهر على الأشهر، وقيل خمسة أشهر وأيام. وصلى عليه أخوه إبراهيم بن الوليد (الملك الأموي الثالث عشر)، وهو ولي العهد من بعده.

■ (3) أبو الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي، ولقب بالموفق لأمر الله. مولده سنة 26 هـ. ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا فقيها، ومن علماء المدينة، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان بن الحكم، (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز كلها بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الملك (الخليفة) منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع بحكمته وسياسته أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي في شوال سنة 86 هـ.

■ (5) عمرو بن سعيد بن العاص، يسمى الأشدق ولطيم الشيطان، ولي المدينة ليزيد، وكان مروان قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك فقتله عبد الملك، فقيل أنها كانت أول غدرة كانت في الإسلام، دخل مصر مع مروان وقتل سنة 69 هـ وقيل 70 هـ

■ (4) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

☪

صدق من قال: إن الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان في غمد واحد.أي لا ينفع فيه نسب: لأنه تقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق، أو لأن الأب يقتل ابنه إذا خافه على الملك، وهذا نقله الجوهري، أو لأنه يقتل في طلبه الأب والولد والأخ والعم، قاله ثعلب. ومن المجاز:ريح عقيم: غير لاقح، أي لا يأتي بمطر إنما هي ريح الإهلاك. وقد كان هذا النمط من النظام -الملكية-ولا يزال ملازما للاستعلاء والاستكبار ومنشأ للإرهاب والكبت وهو لا شك أمر مرفوض في منطق القرآن الكريم الذي يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص]

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

كان الوليد بن يزيد[1]، أحد خلفاء بني أمية، فلما أعلن بالكفر* خرج عليه ابن عمه، يزيد بن عبد الملك[2]،وهو الذي يقال له: الناقص، وخرجت معه الغيلانية[3]، وهم يقولون بالعدل والتوحيد، فقتل الوليد، وولي الأمر بعده وسمي الناقص، لأنه نقص الجند من أرزاقهم. وكان يزيد بن الوليد صالحا، مرضي السيرة، ولم يكن من خلفاء بني أمية مثله، ومثل عمر بن عبد العزيز. فلما استولى يزيد على الأمر، قام في الناس خطيبا، فقال: بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم: والله ما خرجت أشرا، ولا بطرا، ولا حرصا على الدنيا، ولا رغبة في الملك، وما أطري نفسي وإني لها لظلوم، ولكني خرجت غضبا لله، ولدينه، وداعيا إلى كتاب الله، وسنة نبيه، لما هدمت معالم الهدى، وأطفئ نور أهل التقى، وظهر الجبار العنيد، المستحل لكل حرمة، والراكب لكل بدعة، مع أنه والله ما كان ليؤمن بيوم الحساب، وأنه لابن عمي في الحسب وكفيئي في النسب، فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمري، وسألته ألا يكلني إلى نفسي، واستعنت من أطاعني من أهل ولايتي، إلى أن أراح الله منه العباد، وطهر منه البلاد، بحول الله وقوته، لا بحولي وقوتي. أيها الناس: إن لكم علي ألا أضع حجرا، ولا أجري نهرا، ولا أكتنز مالا، ولا أعطيه زوجة ولا ولدا، ولا أنقل مالا من بدل إلى بلد، حتى أسد فقرة ذلك البلد، وخصصت أهله بما يغنيهم، فإن فضلت فضلة نقلته إلى البلد الذي يليه، ممن هو أحوج إليه، ولا أجهزكم في ثغوركم، فأفتنكم وأفتن أهاليكم، ولا أغلق بابي دونكم، فيأكل قويكم ضعيفكم، ولا أحمل أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم، ولكن لكم عطاياكم كل سنة، وأرزاقكم في كل شهر، حتى تستدر المعيشة بين المسلمين، فيكون أقصاهم كأدناهم؛ فإن أنا وفيت لكم بهذا، فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة؛ وإن لم أف لكم، فلكم أن تخلعوني إلا أن تستتيبوني، فإن تبت قبلتم مني، فإن رأيتم أحدا، أو عرفتموه بالفضل يعطيكم من نفسه، مثل ما أعطيتكم، وأردتم أن تبايعوه، فأنا أول من يبايعه، ويدخل في طاعته. أيها الناس، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم.

وكانت ولاية يزيد بن الوليد خمسة أشهر ثم مات. وولي بعده مروان بن محمد بن مروان[4]، وهو الذي يقال له الحمار، فأمر بـ يزيد ابن الوليد، فنبش وصلب، وكان مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية.

كان الوليد بن يزيد استقدم محمد بن المنكدر[5] الشام مع جماعة من فقهاء المدينة يستفتيه في طلاق زوجته أم سلمة.قال صدقة بن عبد الله[6]: جئت إلى محمد بن المنكدر وأنا مغضب، فقلت له: أنت أحللت للوليد بن يزيد أم سلمة؟ قال: ما أنا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حدثني جابر بن عبد الله، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لاَ طَلاَقَ لِمَنْ لاَ يَمْلِكُ وَلاَ عِتْقَ لِمَنْ لاَ يَمْلِكُ﴾ وفي لفظ قال: ﴿لاَ طَلاَقَ لِمَنْ لاَ يَنْكِحُ ، وَلاَ عِتْقَ لِمَنْ لَمْ يَمْلِكْ﴾.

* ذكروا عنه أشياء قبيحة في الدين والعرض– وأنا كما قال الروي– أكره ذكرها، والله أعلم بذلك، قالوا: ولذلك قاموا عليه مع ابن عمه يزيد بن الوليد.

■ (2) يزيد (الثالث) بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. أبو خالد، بويع له أول ما بويع في قرية المزة، من قرى دمشق، ثم دخل دمشق فغلب عليها، ثم أرسل الجيوش إلى ابن عمه الوليد بن يزيد فقتله، واستحوذ على الملك في هذه السنة، وكان يلقب بالناقص لنقصه الناس العشرات التي زادهم إياها الوليد بن يزيد، وقيل إنما سماه بذلك مروان الحمار، وكان يقول: الناقص ابن اليد، وأمه كسروية. وكان مولده في سنة 90 هـ، وقيل في سنة 96 هـ وكان عادلا دينا محبا للخير مبغضا للشر قاصدا للحق.وكانت وفاته بالخضراء من طاعون أصابه، في هذه السنة. وأكثر ما قيل في عمره 46 سنة، وقيل 30 سنة، وقيل غير ذلك فالله أعلم.وكانت مدة ولايته ستة أشهر على الأشهر، وقيل خمسة أشهر وأيام. وصلى عليه أخوه إبراهيم بن الوليد (الملك الأموي الثالث عشر)، وهو ولي العهد من بعده.

■ (1) الوليد (الثاني) بن يزيد بن عبد الملك بن مروان. أبو العباس. قال ابن خلدون: ساءت القالة فيه كثيرا، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به.ولي الملك سنة 125هـ بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك.خلعه الناس وبايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك بينما كان غائبا في الأغداف (شرقي الأردن) فجاءه النبأ فانصرف إلى النجراء فقصده جمع من أصحاب يزيد فقتلوه سنة 126 هـ في قصر النعمان بن بشير وحمل رأسه إلى دمشق فنصب في الجامع ولم يزل أثر دمه على الجدران إلى أن قدم المأمون دمشق سنة 215 وأمر بحكه.

■ (3) الغيلانية من المرجئة القدرية ينتمون إلى غيلان القدري زعموا أن الإيمان هو المعرفة الثابتة بالله عز وجل والمحبة له والخضوع والإقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى والمعرفة الأولى عندهم اضطرارية فلذلك لم يجعلوها من الإيمان. والمدعو غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان، المقتول في القدر، ضال مسكين، كان يجمع بين القدر والإرجاء، وقالوا: هو ثالث من تكلم في القدر لم يسبقه سوى معبد الجهني وسوسن بالعراق، يقول بالقدر خيره وشره من العبد. طلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته،فأفتى الأوزاعي بقتله، وصلب على باب كيسان بدمشق سنة 105هـ. والقدرية مفهوم يرى أن الله لا يعلم شيء إلا بعد وقوعه وأن الأحداث بمشيئة البشر وليست بمشيئة الله. قال الصفدي في الوافي بالوفيات: والإرجاء يشتق من الرجاء لأنهم يرجون لأصحاب المعاصي الثواب من الله تعالى فيقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة.قال : وقيل: الإرجاء هو تأخير حكم أصحاب الكبائر إلى الآخرة في الدنيا ولا يقضى عليهم بأنهم من أهل الجنة. قال : والمرجئة جنس لأربعة أنواع: الأول مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الصالحة. وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي.

■ (4) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي، المعروف بالحمار، الملك الأموي الرابع عشر وآخر ملوك بني أمية بويع له بعد قتل الوليد بن يزيد، وبعد موت يزيد بن الوليد، وخلع إبراهيم بن يزيد بن عبد الملك، واستتب له الأمر في سنة 127 هـ، وقتل سنة 132 هـ

■ (5) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهذير القرشي التيمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو بكر المدني، أخو أبي بكر بن المنكدر، وعمر بن المنكدر.أسند محمد بن المنكدر عن ابن عمر وأبي قتادة وجابر وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وأميمة بنت رقيقة..توفي بالمدينة سنة 130 هـ أو131 هـ

■ (6) صدقة بن عبد الله، أبو معاوية الدمشقي السمين. ولد في إمرة الوليد، أو قبل ذلك، وحدث عن: القاسم أبي عبد الرحمن، ومحمد بن المنكدر، ويحيى بن يحيى الغساني، وعدة، وينزل إلى الرواية عن الاوزاعي. كان من كبار العلماء، وقيل: يكنى أبا محمد. وكناه مسلم: أبا معاوية، وقال: منكر الحديث. مات سنة 166 هـ.

☪

قال العصامي: وفي ربيع الأبرار للزمخشري: انقرضت دولة بني أمية، وكانوا أربعة عشر نفرا: معاوية، ويزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد الذي يقال له: معاوية الأصغر رضي الله عنه، ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية رضي الله عنه وأرضاه، ويزيد بن عبد الملك بن مروان، وهشام بن عبد الملك بن مروان، والوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الفاسق ممزق المصحف بالسهام، ومقدم الجارية تؤم الناس في صلاة الصبح جنبا سكرى، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك، وإبراهيم بن الوليد أخي يزيد المذكور قبله، يليه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم المنبوز بالحمار.

قيل تتبعوا بني أمية بالقتل، فقتل سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس[1] عم السفاح بالبصرة جماعة منهم، ورموا بأشلائهم في الطريق، فأكلتها الكلاب، ونبش عبد الله ابن علي عم السفاح أيضا قبور الخلفاء منهم، فلم يجدوا في القبور إلا شبه الرماد، وخيطا في قبر معاوية، وجمجمة في قبر عبد الملك، وربما وجدوا فيها بعض الأعضاء، إلا هشام بن عبد الملك، فإنه وجد كما هو لم يبل، فضربه بالسياط، ثم صلبه وحرقه وذراه في الريح. قال ابن خلدون:كذا قيل، والله أعلم بصحة ذلك. واستقصوا في تتبعهم قتلا، ولم يفلت إلا الرضعاء، أو من هرب إلى الأندلس مثل عبد الرحمن الملقب بالداخل[2]؛ لأنه أول من دخل إلى بلاد المغرب، وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وغيره ممن تبعه من قرابته.

وفي سراج الملوك: سئل بعض العلماء ما الذي أذهب ملك بني أمية؟ فقال: تحاسد الأكفاء، وانقطاع الأخبار، وذلك أن يزيد بن عمر بن هبيرة[3]وزير مروان كان يحب أن يضع نصر بن سيار[4] أمير خراسان لمروان، فكان لا يمده بالرجال، ولا يرفع إلى مروان ما يرد من الأخبار. وسئل بعض بني أمية عن سبب زوال ملكهم؟ فقال: استعمال الصغار من الرجال، على الكبير من الأعمال، وتقديم الأرذال والأنذال، على أهل الدين والكمال، وذوي النجدة من الرجال، فآل أمرنا إلى ما آل. وقال بعضهم –وقد سئل عن مثل ذلك– فقال: نوم الغدوات، وشرب العشيات، والاجتراء بإعلان الفجور وترك النهي عن المنكرات. ولا شيء أضيع للملك وأهلك للرعية من شدة الحجاب، وعدم القبول لقول العقلاء؛ لأنهم قالوا: من تم سروره قصرت شهوره، والحزم أسد الآراء، والغفلة أضر الأعداء، ومن قعد عن حيلة تدبير الملك أقامته شدائد الفتن، ومن نام عن عدوه نبهته المكائد والمحن، ومن أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه، ومن استضعف عدوه اغتر، ومن اغتر ظفر به عدوه، ومن طالت عداوته زالت سلطته، ومن كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلكه وفناؤه، ورأس الحكمة التودد إلى الناس. قلت: صدق فيما به نطق، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتحول سلطانه!!

☪

قال يزيد بن الوليد الناقص: يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فإنه داعية الزنا. وقال ابن عبد الحكيم عن الشافعي: لما ولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي يقال له الناقص دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه وقرب غيلان. قاله ابن عساكر. قال: ولعله قرب أصحاب غيلان، لان غيلان قتله هشام بن عبد الملك. وقال محمد بن المبارك: آخر ما تكلم به يزيد بن الوليد الناقص واحزناه واشقاآه. يقال في المثل الاشج والناقص أعدلا بني مروان، والمراد عمر بن عبد العزيز وهذا. مر مسلمة بن عبد الملك يوما بقصر أخيه سليمان فسمع صوت مغن فغدا إلى سليمان وقال: يا أمير المؤمنين مررت أمس بالقصر الذي فيه حرمك فسمعت فيه غناء، أما علمت أن الفرس يصهل فتشال الحجر، والحمار ينهق فتستودق له الأتان، والثور يخور فتستخرم له البقر، والتيس ينب فيثغو له المعز، والكلب يعوي فتصرف له الكلبة، والمغني يغني فترتاح له النساء؟ فقال سليمان: قد وعظت وأحسنت والله علي راع وكفيل، لا يدخل داري مغن ذكر ولا أنثى! ونزل قوم بالكميت فأضافهم فتغنى رجل منهم وكان حسن الصوت فقال: حق على الرجل أن يحصن سمع امرأته كما يحصن فرجها.

وفد شيخ من ثقيف (من أهل الحجاز) على الوليد بن يزيد وهو ولي عهد في خلافة عمه هشام. قال طريح بن إسماعيل الثقفي: كنت عند الوليد، فدعا بالشطرنج فأخذت معه فيها، فدخل الآذن فقال: بالباب رجل من أخوالك له نبل وهيئة يستأذن، فقال: أما هذا الوقت فلا، فإني مقبل على ما ترى. فقلت له: سبحان الله! يأتيك رجل من أخوالك مسلماً فتحجبه؟ قال: كيف بنا ونحن على هذه الحال؟ فقلت: ترفع الشطرنج، وتأذن له. فقال: ذاك لما اتجهت عليك! فقلت: يغطى بمنديل وتنحرف، ويدخل لحظة وينصرف. ففعل، وأذن له. فدخل رجل جسيم معتم على قلنسوة مشرفة، مشمراً ثيابه في زي الفقهاء، بين عينيه سجادة فسلم، وجلس، وقال: أيها الأمير، خرجت من المدينة أريد عسقلان للرباط بها، فأحببت أن أؤدي حق القرابة والرحم. فقال له الوليد: يا خال، كيف حفظك لمغازي أهل بلدك، لعلك تفيدنا منها أحرفاً. قال: ما أحفظ منها شيئاً. قال: فكيف علمك بالسنة ونظرك في الفرائض؟ قال: ما نظرت في شيء من ذلك. قال: فكيف روايتك لشعر قومك، وغيرهم من الشعراء؟ قال: ما أروي منه شيئاً. قال: فكيف علمك بأيام العرب، وأخبارها؟ قال: قد أغفل خالك ذلك.قال: فعسى أن يكون همك مصروفاً إلى معنى آخر من مفاكهات أهل المدينة ومزاحاتهم؟ قال: خالك يربأ بنفسه عن ذلك. قال الوليد: يا غلام، ارفع المنديل. العب يا طريح، فليس معنا أحد.وفي رواية قال البلاذري حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال: كان هشام يلاعب الأبرش بالشطرنج... [وذكر القصة]

■ (2) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي. الأمير الأموي المرواني الداخل إلى الأندلس. المعروف بلقب صقر قريش وعبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن الأول. ولد بدمشق سنة 113 هـ وتوفي بقرطبة سنة 172 هـ وهو أول من تملك الأندلس، وذلك أنه هرب وانفلت من بني العباس عند استيلائهم، وأبعد إلى المغرب، فروى جابر بن عبد الله الأندلسي أن عبد الرحمن بن معاوية لما سار هاربا من مصر صار إلى أرض برقة، فأقام بها خمس سنين، ثم رحل منها يريد الأندلس، فدخل بدر مولاه يتجسس عن الأخبار، فقال للمضرية: لو وجدتم رجلا من أهل الخلافة أكنتم تبايعونه؟ قالوا: وكيف لنا بذلك؟ فقال بدر: هذا عبد الرحمن بن معاوية فائتوه فبايعوه، فولي عليهم 33 سنة، ثم ولي ابنه من بعده. وكان يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس إلى أن دخل عبد الرحمن بن معاوية سنة 139 هـ

■ (1) سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: أمير عباسي، من الأجواد الممدوحين. ولاه ابن أخيه السفاح إمارة البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان سنة 133 هـ فأقام فيها إلى أن عزله المنصور سنة 139 هـ فلم يزل في البصرة إلى أن توفي سنة 142 هـ.وهو ابن تسع وخمسين سنة.

■ (3) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري المعروف بيزيد بن هبيرة أمير العراقين نائب مروان الحمار.ولد سنة 87 وقتل سنة 132 هزمته الخراسانية فدخل إلى واسط فحاصره المنصور ثم آمنه ونكث، فقتلوه، وقد ولي حلب للوليد بن يزيد وولي أبوه إمرة العراقين ليزيد بن عبد الملك بعد المائة

■ (4) نصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني. أمير، من الدهاة الشجعان. كان شيخ مضر بخراسان، ووالي بلخ، ثم ولي إمرة خراسان سنة 120هـ، بعد وفاة أسد بن عبد الله القسري، ولاه هشام بن عبد الملك، وغزا ما وراء النهر، ففتح حصونا وغنم مغانم كثيرة، وأقام بمرو، وقويت الدعوة العباسية في أيامه، فكتب إلى بني مروان بالشام يحذرهم وينذرهم، فلم يأبهوا للخطر، فصبر يدبر الأمور إلى أن أعيته الحيلة وتغلب أبو مسلم على خراسان، فخرج نصر من مرو سنة 130 هـ ورحل إلى نيسابور، فسير أبو مسلم إليه قحطبة بن شبيب، فانتقل نصر إلى قومس وكتب إلى ابن هبيرة –وهو بواسط– يستمده، وكتب إلى مروان –وهو بالشام– وأخذ يتنقل منتظرا النجدة إلى أن مرض في مفازة بين الري وهمذان، ومات بساوة.سنة 131 هـ. وقد ولي إمرة خراسان عشر سنين.

مراجع: تاريخ دمشق/ مروج الذهب/ تاج العروس/ الحور العين/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ اللباب في تهذيب الأنساب/ سير أعلام النبلاء/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ مجلة البحوث الإسلامية/ سمط النجوم العوالي/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ الجليس الصالح /محاضرات الأدباء/

عن عثمان بن داود قال: خطب يزيد بن الوليد[1] بعد قتل الوليد[2] فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، أيها الناس إني والله ما خرجت أشرا ولا بطرا في الملك وما بي أطراء ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة نفسي إني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي ولكني خرجت غضبا لله ورسوله ودينه داعيا إلى الله وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هدمت معالم الهدى وأطفئ نور أهل التقوى وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة والراكب لكل بدعة مع أنه والله ما كان يصدق بالكتاب ولا يؤمن بيوم الحساب وإنه لابن عمي في الحسب وكفيي في النسب فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره وسألته ألا يكلني إلى نفسي ودعوت إلى ذلك من أجابني من أهل ولايتي وسعيت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد بحول الله وقته لا بحولي وقوتي. أيها الناس إن لكم علي ألا أضع حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة ولا أكري نهرا ولا أكثر مالا ولا أعطيه زوجة ولا ولدا ولا أنقل مالا من بلدة إلى بلدة حتى أسد ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يعنيهم فإن فضل نقلته إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوج إليه ولا أجمركم في ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم ولا أغلق بابي دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم ولا أحمل على أهل جزيتكم ما يجليهم عن بلادهم ويقطع نسلهم وإن لكم أعطياتكم عندي في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون اقصاهم كأدناهم فإن وفيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة وإن أنا لم أف فلكم أن تخلعوني إلا أن تستتيبوني فإن تبت قبلتم مني فإن علمتم أحدا ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته. أيها الناس إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا وفاء له بنقض عهد إنما الطاعة طاعة الله فأطيعوه بطاعة الله ما أطاع فإذا عصى الله ودعا إلى المعصية فهو أهل أن يعصى ويقتل أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. ثم دعا الناس إلى تجديد البيعة له فكان أول من بايعه الأفقم يزيد بن هشام[3] وبايعه قيس بن هانئ العبسي[4] فقال:يا أمير المؤمنين، أتق الله ودم على ما أنت عليه، فما قام مقامك أحد من أهل بيتك وإن قالوا عمر بن عبد العزيز[5] فأنت أخذتها بحبل صالح وإن عمك أخذها بحبل سوء فبلغ مروان بن محمد[6] قوله فقال: ماله! قاتله الله، ذمنا جميعا وذم عمر، فلما ولى مروان بعث رجلا، فقال: إذا دخلت مسجد دمشق فانظر قيس بن هانئ فإنه طالما صلى فيه فاقتله،فانطلق الرجل فدخل مسجد دمشق فرأى قيسا يصلي فقتله.

----

(4) قيس بن هانئ العبسي، ويقال: العنسي.؟

(1) يزيد (الثالث) بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. أبو خالد، بويع له أول ما بويع في قرية المزة، من قرى دمشق، ثم دخل دمشق فغلب عليها، ثم أرسل الجيوش إلى ابن عمه الوليد بن يزيد فقتله، واستحوذ على الملك في هذه السنة، وكان يلقب بالناقص لنقصه الناس العشرات التي زادهم إياها الوليد بن يزيد، وقيل إنما سماه بذلك مروان الحمار، وكان يقول: الناقص ابن اليد، وأمه كسروية. وكان مولده في سنة 90 هـ، وقيل في سنة 96 هـ وكان عادلا دينا محبا للخير مبغضا للشر قاصدا للحق.وكانت وفاته بالخضراء من طاعون أصابه، في هذه السنة. وأكثر ما قيل في عمره 46 سنة، وقيل 30 سنة، وقيل غير ذلك فالله أعلم.وكانت مدة ولايته ستة أشهر على الأشهر، وقيل خمسة أشهر وأيام. وصلى عليه أخوه إبراهيم بن الوليد (الملك الأموي الثالث عشر)، وهو ولي العهد من بعده.

(2) الوليد (الثاني) بن يزيد بن عبد الملك بن مروان. أبو العباس. قال ابن خلدون: ساءت القالة فيه كثيرا، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به.ولي الملك سنة 125هـ بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك.خلعه الناس وبايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك بينما كان غائبا في الأغداف (شرقي الأردن) فجاءه النبأ فانصرف إلى النجراء فقصده جمع من أصحاب يزيد فقتلوه سنة 126 هـ في قصر النعمان بن بشير وحمل رأسه إلى دمشق فنصب في الجامع ولم يزل أثر دمه على الجدران إلى أن قدم المأمون دمشق سنة 215 وأمر بحكه.

(6) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي، المعروف بالحمار، الملك الأموي الرابع عشر وآخر ملوك بني أمية بويع له بعد قتل الوليد بن يزيد، وبعد موت يزيد بن الوليد، وخلع إبراهيم بن يزيد بن عبد الملك، واستتب له الأمر في سنة 127 هـ، وقتل سنة 132 هـ

(5) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

(3) يزيد بن هشام بن عبد الملك بن مروان الذي يقال له : الأفقم، قيل كان من رجالات بني أمية وكان أحد من يطعن على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ويغري الناس به.

حدث مالك أن عمر بن عبد العزيز قال ذات ليلة، ومعه مزاحم، ورجل يقال له: ابن صافنة[1] قال: فدخلت عليه، فإذا بمائدة عليها صحفة مخمرة بمنديل، وعمر قائم يركع، قال: فركع ركعتين، ثم أقبل، فجلس، فاجتبذ المائدة بيده، ثم قال لي: كل، أين عيشنا اليوم من عيشنا إذ كنا بمصر؟ قال: فقلت: لا شيء يا أمير المؤمنين، فقال عمر: لقد رأيتني وكنا لو صافني أهل قرية لوجدتما يعمهم. ثم قال: أين عيشنا هذا من عيشنا بالمدينة؟! ثم استبكى. قال: فنادى مزاحم: أن قم، قال: فقمت، قال: فأخبرني من الغد أنه إذا أصابه مثل هذا لم يعد إلى طعامه. سئل أبو زرعة عن كثير بن زيد، فقال: هو صدوق، وفيه لين. وسئل أبو حاتم عنه فقال: صالح، ليس بالقوي، يكتب حديثه.

☪

عن أبي الحسين بن راهوية الكاتب، عن من أخبره: أن مروان بن محمد جلس يوما وقد أحيط به، وعلى رأسه خادم له، فقال له: ألا ترى ما نحن فيه؟ لهفي على يد ما ذكرت، ونعمة ما شكرت، ودولة ما نصرت. فقال له: يا أمير المؤمنين، من ترك القليل حتى يكثر، والصغير حتى يكبر، والخفي حتى يظهر، وأخر فعل اليوم لغد، حل به أكثر من هذا. فقال: هذا القول أشد علي من فقد الخلافة. وعن محمد بن المبارك، قال: كان آخر ما تكلم به مروان بن محمد قال لابن هبيرة: قاتل وإلا فتلتك. فقال ابن هبيرة: بودي أنك تقدر على ذلك.

☪

كان منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو بن خالد بن حارثة الكلبي، من قرية المزة خرج مع يزيد بن الوليد، وولاه يزيد العراقين، وجمع له المصرين: الكوفة والبصرة، وكان ممن سعى في قتل الوليد بن يزيد.وكان قدريا ثم صار خارجيا، وكان أعرابيا جافيا غيلانيا أن ولم يكن من أهل الدين، وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية، وحمية لقتل يوسف بن عمر خالد القشري، فشهد لذلك قتل الوليد، قال يزيد له لما ولاه العراق: قد وليتك العراق فسر إليه، واتق الله، واعلم أني إنما قتلت الوليد لفسقه، ولما أظهر من الجور، فلا ينبغي أن تركب مثلما قتلناه عليه. فدخل على يزيد بن الوليد يزيد بن حجرة الغساني، وكان دينا فاضلا ذا قدر في أهل الشام، قد قاتل الوليد ديانة، فقال: يا أمير المؤمنين، أوليت منصورا العراق؟ قال: نعم، لبلائه وحسن معونته.قال: يا أمير المؤمنين، إنه ليس هنالك في أعرابيته وجفائه في الدين.قال: فإذا لم أول منصورا في حسن معاونته فمن أولي؟ قال:تولي رجلا من أهل الدين والصلاح، والوقوف عند الشبهات، والعلم بالأحكام والحدود، ومالي لا أرى أحدا من قيس يغشاك،ولا يقف ببابك؟ قال:لولا أنه ليس من شأني سفك الدماء لعاجلت قيسا، فوالله ما عزت (عزوا) إلا ذل الإسلام.ولما غزل منصور بن جمهور عن العراق أتى السند،فغلب عليها، ونزل العسكر،وسماها المنصورة؟ وتوجه إليه أبو العباس موسى بن كعب لقتاله في سنة أربع وثلاثين ومئة،فلقيه فهزمه ومن كان معه،فمضى ومات عطشا بالرمال.وقيل أصابه بطن، ورحل خليفة منصور لما بلغته الهزيمة بعيال منصور وثقله وعدة من ثقاته، فدخل بهم بلاد الخزر

----

(1) كثير بن زيد يكنى أبا محمد، مولى لبني سهم من أسلم، يقال له: ابن صافنة، وهي أمه. قال خليفة بن خياط: في الطبقة السابعة من أهل المدينة. قدم خناصرة في خلافة عمر بن عبد العزيز، توفي آخر زمن أبي جعفر.

مراجع: تاريخ دمشق/ تاريخ الطبري/ الأعلام للزركلي/

◆ يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري (أمير العراقين، في عهد مروان بن محمد، آخر ملوك الدولة الأموية) والإمام أبو حنيفة النعمان 0586

كان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري (يزيد بن هبيرة)[1] أمير العراقين* أراد أبي حنيفة [2] أن يلي القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد[3]، آخر ملوك بني أمية، فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط، كل يوم عشرة أسواط، وهو على الامتناع، فلما رأى ذلك خلى سبيله. وكان أحمد بن حنبل، إذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبي حنيفة، وذلك بعد أن ضرب أحمد على القول بخلق القرآن*. قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة:[4] مررت مع أبي بالكناسة* فبكى، فقلت له: يا أبت ما يبكيك فقال: يا بني، في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة أبي عشرة أيام، في كل يوم عشرة أسواط، على أن يلي القضاء، فلم يفعل.

قال منصور بن المعتمر[4] لابن هبيرة حين أراده على القضاء: ما كنت لألي لك بعد ما حدثني إبراهيم. قال: وما حدثك؟ قال: حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ الظَّلَمَةُ وَأَعْوَانُ الظَّلَمَةِ وَأَشْبَاهِ الظَّلَمَةِ حَتَّى مَنْ بَرَى لَهُمْ قَلَمًا أَوْ لَاقَ لَهُمْ دَوَاةً، فَيُجْمَعُونَ فِي تَابُوتٍ حَدِيدٍ ثُمَّ يَرْمِي بِهِمْ فِي جَهَنَّمَ﴾ وكان يقول: لا أحسن إلى أن عزل، قال أبو عوانة: لما ولي منصور القضاء كان يأتيه الخصمان فيقص ذا قصة ويقص ذا قصة، فيقول: قد فهمت ما قلتما ولست أدري ما أرد عليكما. فبلغ ذلك خالد بن عبد الله[5] أو ابن هبيرة الذي كان ولاه فقال: هذا أمر لا ينفع إلا من أعان عليه بشهوة، قال يعني فعزله. وقال زائدة: امتنع منصور من القضاء، فدخلت عليه وقد جئ بالقيد ليقيد، فجاءه خصمان، فقعدا، فلم يسألهما ولم يكلمهما، فقيل ليوسف بن عمر[6]: لو نثرت لحمه لم يل القضاء، فتركه.وقال أبو بكر بن عياش: ربما كنت مع منصور جالسا في منزله فتصيح به أمه وكانت فظة عليه فتقول: يا منصور يريدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى وهو واضع لحيته على صدره ما يرفع طرفه إليها. وكان رحمه الله صواما قواما.

----

*(الكناسة) بضم الكاف، موضع بالكوفة (العراقين) البصرة، والكوفة..! (القول بخلق القرآن) عقيدة باطلة، قالت بها الجهمية، وتبعها على ذلك المعتزلة، وهي حقيقة قول الأشعرية والماتريدية، وهي ناتجة عن تعطيل صفات الله، وإنكارهم صفة الكلام لله عز وجل. والذي دل عليه القرآن والسنة، وعليه السلف الصالح أن الله تعالى يتكلم حقيقة، بكلام بدأ منه بحرف وصوت، يسمع منه متى شاء كيف شاء، والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق. وقد استقصى علماء السلف الأدلة على ذلك في كتب السنة والإيمان والتوحيد. انظر: مثلا: كتاب التوحيد من صحيح البخاري.

■ (2) أبو حنيفة، النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة، وهو من رهط حمزة الزيات؛ كان خزازا يبيع الخز (نوع من الأقمشة)، وجده زوطى من أهل كابل (ناحية معروفة من بلاد الهند)، وقيل بابل، وقيل من أهل الأنبار، وقيل من أهل نسا، وقيل من أهل ترمذ، وهو الذي مسه الرق فأعتق، وولد ثابت على الإسلام. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، من أبناء فارس من الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط. وكانت ولادة أبي حنيفة سنة 80 هـ ، وقيل سنة 61 هـ، والأول أصح، وتوفي في رجب، وقيل في شعبان سنة 150 هـ، وقيل 11 جمادى الأولى من السنة، وقيل 151 هـ وقيل 153 هـ، والأول أصح؛ وكانت وفاته في السجن ليلي القضاء فلم يفعل، وقيل إنه لم يمت في السجن، وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي سنة 150 هـ، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور.

■ (4) أبو عتاب، منصور بن المعتمر السلمي الكوفي، أحد رجال الحديث.كان ثقة ثبتا.صام ستين سنة، يقوم ليلها ويصوم نهارها. وفيه تشيع يسير، وكان قد عمش من البكاء، وأكره على قضاء الكوفة فقضى شهرين، مات سنة 132ويقال سنة 133 هـ بعد ظهور المسودة أي آل العباس.

■ (4) إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت يكنى أبا حيان وقيل أبا عبد الله ولي قضاء الجانب الشرقي من بغداد بعد محمد بن عبد الله الأنصاري، فأقام مدة ثم صرف، وولي قضاء البصرة في سنة عشر ومائتين أيضا لما عزل عنه يحيى بن أكثم، وكان إسماعيل أحد الفقهاء على مذهب جده أبي حنيفة، وحدث عن أبيه، وعن مالك بن مغول، وعمر بن ذر، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، والقاسم بن معن، وأبي شهاب الحناط. روى عنه غسان بن المفضل الغلابي، وعمر بن إبراهيم الثقفي، وسهل بن عثمان العسكري، وعبد المؤمن بن علي الرازي. توفي في سنة 212 هـ. قيل كان يقول: القرآن مخلوق. فالله أعلم.

■ (1) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أبو خالد أمير العراقين نائب مروان الحمار.ولد سنة 87 هـ.وقتل سنة 132 هـ هزمته الخراسانية فدخل إلى واسط فحاصره المنصور ثم آمنه، ونكث، فقتلوه، وقد ولي حلب للوليد بن يزيد وولي أبوه أيضا إمرة العراقين ليزيد بن عبد الملك بعد المائة.

■ (3) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي، المعروف بالحمار، آخر ملوك بني أمية بويع له بعد قتل الوليد بن يزيد، وبعد موت يزيد بن الوليد، وخلع إبراهيم بن يزيد بن عبد الملك، واستتب له الأمر في سنة 127 هـ، قتل سنة 132 هـ

■ (5) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري.أبو يزيد وأبو الهيثم كان أمير مكة المكرمة للوليد بن عبد الملك، ثم أمير العراقين لهشام بن عبد الملك، ثم عزل وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج.وقتل بالحيرة سنة 126هـ

■ (6) أبو عبد الله، يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، ابن عم الحجاج، ولاه هشام بن عبد الملك ولاية اليمن سنة 106 هـ ثم ضم إليه ولاية العراق سنة 120هـ، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وذهب إلى العراق،أقره الوليد بن يزيد حتى قتل سنة 127 هـ

دخل يزيد بن عمر بن هبيرة على المنصور فقال له: يا أمير المؤمنين؛ توسع توسعا قرشيا، ولا تضق ضيقا حجازيا. وقال: يا أمير المؤمنين، إن سلطانكم حديث، وإمارتكم جديدة، فأذيقوا الناس حلاوة عدلها، وجنبوهم مرارة جورها، فوالله يا أمير المؤمنين لقد مخضت لك. ثم نهض فنهض معه تسعمائة من قيس، فأتأره المنصور بصره ثم قال: لا يعز ملك فيه مثل هذا.

قال جعفر بن الربيع: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين، فما رأيت أطول صمتا منه، فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي، وسمعت له دويا وجهارة في الكلام. وقال ابن المبارك: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله، ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة، ما سمعته يغتاب عدوا له قط، فقال: هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها. قال أسد بن عمرو: صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة، وكان عامة ليلة يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه: لما مات أبي سألنا الحسن ابن عمارة أن يتولى غسله ففعل، فلما غسله قال: رحمك الله وغفر لك! لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنة، وقد أتعبت من بعدك، وفضحت القراء.

قال يزيد بن الكميت الضبي الكوفي: كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى، فقرأ بنا علي بن الحسن المؤذن ليلة العشاء الأخيرة سورة الزلزلة وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس، فقلت: أقوم لا يشتغل قلبه بي، فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه، وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيرا، و يا من يجزي بمثقال ذرة شر شرا، أجر النعمان عبدك من النار، ومما يقرب منها من السوء، وأدخله في سعة رحمتك، قال: فأذنت وإذا القنديل يزهر وهو قائم، فلما دخلت قال لي: تريد أن تأخذ القنديل، قلت: قد أذنت لصلاة الغداة، فقال: اكتم علي ما رأيت، وركع ركعتين وجلس حتى أقمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل. وقال يزيد بن الكميت: سمعت أبا حنيفة يقول وقد ناظره رجل في مسألة وقال له يا مبتدع يا زنديق، فقال: غفر الله لك، الله يعلم مني خلاف ما قلت، وهو يعلم أني ما عدلت به أحدا منذ عرفته ولا رجوت إلا عفوه ولا خفت إلا عقابه ثم بكى عند ذكر العقاب فسقط صريعا ثم أفاق فقال له الرجل: اجعلني في حل، فقال: كل من قال ما ليس في من أهل الجهل فهو في حل، وكل من قال شيئا مما ليس في من أهل العلم فهو في حرج، فإن غيبة العلماء تبقى شيئا بعدهم.

قال عبد الله بن رجاء: كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف، يعمل نهاره أجمع، حتى إذا جنه الليل رجع إلى منزله، وقد حمل لحما فطبخه أو سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب، حتى إذا دب الشراب فيه غرد بصوت، وهو يقول: أضاعوني وأي فتى أضاعوا..ليوم كريهة وسداد ثغر. فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة، وأبو حنيفة كان يصلي الليل كله، ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه، فقيل: أخذه العسس منذ ليال وهو محبوس، فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غد، وركب بغلته، واستأذن على الأمير، فقال الأمير: يدنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ببغلته، ففعل، ولم يزل الأمير يوسع له في مجلسه، وقال: ما حاجتك فقال: لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ليال، يأمر الأمير بتخليته، فقال: نعم، وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا، فأمر بتخليتهم أجمعين، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه وقال: يا فتى أضعناك فقال: لا، بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ورعاية الحق، وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه. وحكى الحسن بن زياد قال: دفن رجل مالا في موضع، ثم نسي في أي موضع دفنه فلم يقع عليه، فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه، فقال له أبو حنيفة: ما هذا فقه فأحتال لك، ولكن اذهب فصل الليلة، ففعل الرجل، ولم يقم إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره، فقال له: قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى يذكرك، فهلا أتممت ليلتك شكرا لله عز وجل.

قال خلف بن تميم: حدثنا زائدة، أن منصورا صام أربعين سنة، وقام ليلها، وكان يبكي، فتقول له أمه يا بني: قتلت قتيلا ؟ فيقول: أنا أعلم بما صنعت بنفسي، فإذا كان الصبح، كحل عينيه، ودهن رأسه، وبرق شفتيه وخرج إلى الناس. وذكر سفيان بن عيينة منصورا، فقال: قد كان عمش من البكاء. وقال أحمد العجلي: كان منصور أثبت أهل الكوفة لا يختلف فيه أحد، صالح متعبد أكره على القضاء فقضى شهرين، قال ابن عيينة: كان منصور في الديوان فكان إذا دارت نوبته لبس ثيابه وذهب فحرس يعني في الرباط.وقال سفيان الثوري: كنت إذا رأيت منصورا قلت: الساعة يموت. كان في خده خال مما ظهر من البكاء. قيل قالت فتاة لأبيها: يا أبه الأسطوانة التي كانت في دار منصور ما فعلت قال: يا بنية ذاك منصور كان يصلي بالليل فمات.قال العلاء بن سالم: كان منصور يصلي في سطحه فلما مات، قال غلام لامه: يا أمه الجذع الذي في سطح آل فلان، ليس أراه، قالت: يا بني ليس ذاك بجذع، ذاك منصور. رحمه الله مناقبه كثيرة شهيرة.

مراجع: تاريخ بغداد / وفيات الأعيان/ مختصر تاريخ دمشق/ أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ التذكرة الحمدونية/ ربيع الأبرار/ نثر الدر/

◆ أبو العباس السفاح، عبد الله (الأصغر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (أول ملوك الدولة العباسية) والإمام الأوزاعي 0587

تذكر كتب التاريخ عن لقاء الإمام الأوزاعي[1] إمام أهل الشام بقائد جيش العباسيين الذي أطاح بأخر خلفاء بني أمية، لما دخل دمشق بعد أن أجلى بني أميّة عنها قصة فيها زاد وعبرة، فلنستمع إلى وقائع اللقاء يرويه صاحبه بنفسه رحمه الله. قال: وكان عبد الله بن علي[2]،أمير العباسيين قد طلبه إليه، فتأخر عليه بعد أن طلبه ثلاثة أيام. قال الأوزاعي: دخلت عليه وهو على سريره وفي يده خيزرانة والحراس عن يمنه وشماله معهم السيوف مصلتة*والغمد والحديد. فسلمت عليه فلم يرد، ونكت بتلك الخيزرانة التي في يده، ثم قال: يا أوزاعي، ما ترى فيما صنعناه من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد؟ أجهاد ورباط هو؟. فقلت: أيها الأمير، سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول سمعت محمد بن إبراهيم التميمي يقول سمعت علقمة بن وقاص يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ﴾ فنكت بالخيزرانة أشد ما ينكت وجعل من حوله يقبضون أيدهم على قبضات سيوفهم. ثم قال: يا أوزاعي ما تقول في دماء بني أمية؟ فقلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ﴾ فنكت بها أشد من ذلك، ثم قال: ما تقول في أموالهم؟ فقلت: إن كانت في أيدهم حرام فهي حرام عليك أيضا، وإن كانت حلال فلا تحل لك إلا بطريق شرعي. فنكت أشد ما ينكت قبل ذلك ثم قال: ألا نوليك القضاء؟!. قلت: إن أسلافك لم يكونوا يشقون علي في ذلك، وإني أحب أن يتم ما ابتدئوني به من الإحسان. ثم انتظرت رأسي أن يسقط بين يدي، فأمرني بالانصراف.

روى أبو نعيم في الحلية عن الأوزاعي، قال: سألني عبد الله بن علي – والمسودة[3]قيامٌ على رُؤوسنا بالكافر كُوبات*–. فقال: أليس الخلافة وصية لنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل عليها عليٌّ بصفين؟ قال: قلت: لو كانت وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حَكَّم عليٌّ الحَكَمين*. قال: فنكس رأسه.

----

*(الكافر كوبات) جمع الكافر كوب وهي المقرعة.(سيف صلت) انجرد من غمده. (الحكمين) وهما أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، اجتمعوا بدومة الجندل بأذرح –بين الشام والكوفة– وشهد ذلك معهم جماعة من رؤوس الناس.

■ (1) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من كبار تابعي التابعين. ولقب بـ الأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهى بطن من ذي الكلاع باليمن. ولد سنة 88 هـ بقرية بعلبك فى لبنان وربته أمه يتيما، ثم استقر بدمشق. وقد برع الأوزاعي في تفسير القران الكريم، وحفظ الحديث، والأخبار، والمغازي، وكان صاحب مذهب ساد في الشام زمنا، ثم ما لبث أن ضعف انتشاره، بسبب انتشار المذهبين المالكي والشافعي اللذين حلا محله. وقد التزم الأوزاعي في فتاويه بالتوقف عند النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. وللأوزاعي كتابان في الفقه، هما السنن والمسائل، وقد ضمن كتاب المسائل الفتاوى التي أفتى بها. توفى الأوزاعي سنة 157هـ في بيروت.

■ (2) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، السفاح، يكنى أبا العباس ويقال له أيضا المرتضى والقائم.وعبد الله الأصغر بن محمد. ولد بالشراة، سنة 105 هـ، وهو أول ملوك بني العباس بويع بالكوفة، وكان أصغر سنا من أخيه أبي جعفر. بويع السفاح، ليلة الجمعة13 ربيع الآخر من سنة 132 هـ، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء11 ربيع الآخر سنة 132 هـ، وقيل: في النصف من شهر جمادي الآخرة من هذه السنة، وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثية، وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة، فخطب على المنبر قائما، وكانت بنو أمية تخطب قعودا، فضج الناس وقالوا: أحييت السنة يا ابن عم رسول الله، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما، ومات بالجدري بالأنبار في مدينته التي بناها، وذلك في يوم الأحد12 ذي الحجة سنة 136 هـ وصلى عليه عيسى بن علي، ودفن بالأنبار، وهو ابن 33 سنة، وقيل: ابن 29 سنة، وكانت امه تحت عبد الملك بن مروان، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح، وعبيد الله، وداود، وميمونة.

■ (3) المسودة هم أتباع آل البيت والعباسيون الذين اتخذوا السواد شعارا لهم. أو لسواد أغطية رؤوسهم.

أيها الإخوة المؤمنون، كان عبد الله بن علي هذا أخو أبو جعفر المنصور من اشد قواد بني العباس بأس وأكثرهم سفك للدماء وقد أوقع في الأمويون وبقياهم مقتلة عظيمة، كان جبار مرهوب الجانب، ومع ذلك أنظر رعاك الله إلى موقف عالمنا الأوزاعي بين يديه، وثبات جنانه، وحسن جوابه، كان يريد منه الإفتاء له في حلية الدماء التي سفكها، بل وباعتبار ذلك جهاد ورباط، وحلية الأموال التي حازها من أسلفه أيضا، بل إنه لم رأى منه ثبات أرده أن يحوزه إلى حاشيته فعرض عليه القضاء. فما زاده إلا ثبات وبعداً عنه، فأين من هؤلاء اليوم علماء اصطفوا في حاشية أولياء الأمور يسبقون بفتاويهم الباطلة ضلال الأمراء وما هم فيه من الظلم والطغيان، حتى جعلوا لهم الحلال حرام والحرام حلال. كل ذلك من أجل حيازة دنيا باطلة، فأين هذا من ثبات سلفنا الصالح، وهم يقولون الحق ينتظر أحدهم، كما قال الأوزاعي رحمه الله: أن يسقط رأسه بين يديه، فما يزيده هذا إلا ثبات. فسلام الله على من سار على دربهم من علمائنا الثابتين في سجون الحكام الظالمين..

في صفة اجتماع الحكمين وهما أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، بدومة الجندل*. قال ابن الجوزي: بعث علي رضي الله عنه أربعمائة رجل عليهم شريح بن هانئ الحارثي، وفيهم أبو موسى، وبعث معهم عبد الله بن عباس يصلي ويلي أمورهم، ولم يحضر علي وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام، ثم جاء معاوية، واجتمعوا بأذرح، وشهد معهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، أوالمغيرة بن شعبة في جماعة كثيرة.والتقى الحكمان، فقال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، أرأيت أول ما يقضى به من الحق أن يقضى لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال: وما ذاك؟ قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وافوا وقدموا للموعد؟ قال: بلى، قال عمرو: اكتبها، فكتبها أبو موسى، قال: ألست تعلم أن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما؟ قال: أشهد، قال: أفلست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه؟ قال: بلى، قال: فإن الله عز وجل قال:﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء] فما يمنعك من معاوية ولي عثمان، وبيته في قريش كما قد علمت، فإن قال الناس ليس له سابقة فلك حجة، وهي أن تقول: إني وجدته ولي عثمان المظلوم، والطالب بدمه، وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: إني لم أكن لأوليه، وأدع المهاجرين الأولين والأنصار، ولو خرج لي من سلطانه ما كنت لأرتشي في حكم الله، ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب. فأبى عمرو وقال: أخبرني عن رأيك، قال: رأيي أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا، فقال له عمرو: فإن الرأي ما رأيت، فأقبلا إلى الناس فقال عمرو: يا أبا موسى أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع، فتكلم أبو موسى فقال: رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة، فقال عمرو: صدق وبر، يا أبا موسى، تقدم فتكلم. فتقدم أبو موسى ليتكلم فدعاه ابن عباس فقال له: ويحك، والله إني لأظنه قد خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلم بذلك قبلك، فإني لا آمن أن يخالفك، فقال: إنا قد اتفقنا. فتقدم أبو موسى، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد اجتمع عليه رأيي ورأي عمرو، وهو أن نخلع عليا ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر، فيولوا منهم ما أحبوا عليهم، وإني قد خلعت عليا ومعاوية، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا، ثم تنحى. وأقبل عمرو فقام مقامه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية، فإنه ولي عثمان، والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه، فقال له أبو موسى: مالك، لا وفقك الله، غدرت وفجرت، إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. قال عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا. وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقنعه* بالسوط، وحمل على شريح ابن لعمرو فضربه بالسوط، وقام الناس فحجزوا بينهم. فالتمس أهل الشام أبا موسى فركب راحلته ولحق بمكة. وكان يقول: اطمأننت إلى عمرو وظننت أنه لن يؤثر شيئا على نصح الأمة، ولقد حذرنيه ابن عباس.

وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة وقام معاوية عشية في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، من كان متكلما في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، قال ابن عمر: فأطلعت حويتي فأردت أن أقول: يتكلم فيه رجال قاتلوك وأباك على الإسلام، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجماعة ويسفك فيها دم وأحمل فيها على غير رأيي، وذكرت ما وعد الله في الجنان فأمسكت. قال عمرو بن العاص: بلغني أن عتبة بن أبي سفيان قال لعبد الله بن عباس: ما منع عليا أن يبعثك مكان أبي موسى، فقال عبد الله: منعه والله من ذلك حاجز القدر، وقصر المدة، ومحنة الابتلاء، أما والله لو بعثني لاعترضت في مدارج نفس عمرو ناقضا ما أبرم ومبرما لما نقض، أسف إذا طار وأطير إذا أسف، ولكن مضى قدر وبقي أسف، والآخرة خير لأمير المؤمنين. حدث عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي قلت: ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: يا بني، إيش أقول فيهما، أعلم أن عليا كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيبا فلم يجدوا، فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فوضعوا له فضائل كيدا منهم له. أو كما قال.

حكى المدائني قال: قام عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب فأطرى معاوية بن أبي سفيان وبني أمية وذكر مشاهده بصفين، واجتمعت قريش فأقبل عبد الله بن عباس على عمرو فقال: يا عمرو إنك بعت دينك من معاوية وأعطيته ما بيدك، ومناك ما بيد غيره، فكان الذي أخذ منك أكثر مما أعطاك، والذي أخذت منه دون الذي أعطيته، وكل راض بما أخذ وأعطي، فلما صارت مصر في يدك كدرها عليك بالعزل والتنغيص حتى لو كانت نفسك بيدك ألقيتها، وذكرت مشاهدك بصفين فوالله ما ثقلت علينا وطأتك ولقد كشفت فيها عورتك، وإن كنت لطويل اللسان، قصير السنان، آخر الخيل إذا أقبلت، وأولها إذا أدبرت، لك يدان: يد لا تبسطها إلى خير وأخرى لا تقبضها عن شر، ووجهان: وجه موحش ووجه مؤيس، ولعمري أن من باع دينه بدنيا غيره لحري أن يطول ندمه. لك لسان وفيك خطل، ولك رأي وفيك نكد، ولك قدر وفيك حسد، فأصغر عيب فيك أكبر عيب في.

روى سليمان بن حبيب المحاربي، قال: دخلت مسجد حمص، فإذا مكحول، وابن أبي زكرياء جالسان، فقال مكحول: لو قمنا إلى أبي أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأدينا من حقه، وسمعنا منه، قال: فقمنا جميعا، حتى أتيناه، فسلمنا عليه، فرد السلام، ثم قال: إن دخولكم علي رحمة لكم وحجة عليكم، ولم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيء أشد خوفا على هذه الأمة من الكذب والعصبية، ألا وإياكم والكذب والعصبية، ألا وإنه أمرنا أن نبلغكم ذلك عنه، ألا وقد فعلنا فأبلغوا عنا ما بلغناكم.

----

*(فقنعه) فلانا بالسيف أو السوط أو العصا علاه به (دومة الجندل) حصن وقرى في البادية بين نجد وبلاد الشام قرب جبل طيئ وكانت بنو كنانة تسكن هذه الديار، والحصن هو حصن أكيدر بن عبد الملك بن الحارث الكندي.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ البداية والنهاية/ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ لسان العرب/

أبو العباس السفاح، عبد الله (الأصغر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (أول ملوك الدولة العباسية) وربيعة الرأي 0588

عن مالك[1] قال: قال لي ربيعة[2] حين أراد الخروج إلى العراق: إن سمعت إني حدثتهم شيئاً أو أفتيتهم فلا تعدّني شيئاً. فكان كما قال: لّما قدمها لزم بيته فلم يخرج إليهم ولم يحدثهم بشيء حتى رجع. قال مالك: لّما قدم على أمير المؤمنين أبي العباس أمر له بجائزة فأبى أن يقبلها. فأعطاه خمسة آلاف درهم ليشتري بها جارية فأبى أن يقبلها. وكان أبو العباس السفاح قد أقدم عليه ربيعة الأنبار ليوليه القضاء فلم يفعل، وعرض عليه العطاء فلم يقبل.

----

(2) ربيعة بن أبي عبد الرحمن التيمي، أبو عثمان المدني، واسم أبي عبد الرحمن فروخ مولى آل المنكدر، ويكنى ربيعة أبا عثمان. ويقال أبا عبد الرحمن. المشهور بربيعة الرأي. وتوفي بالأنبار وقيل بل رجع إلى المدينة فمات بها سنة 136 هـ. في آخر خلافة أبي العباس وكان قد أدرك بعض أصحاب النبي والأكابر من التابعين وكان صاحب الفتوى بالمدينة يجلس إليه وجوه الناس بالمدينة، وكان يحصى في مجلسه أربعون معتماً،وعنه أخذ مالك بن أنس.سمع ربيعة من أنس بن مالك والسائب بن يزيد وعامة التابعين من أهل المدينة. روى عنه مالك والثوري وشعبة والليث بن سعد. وعن يونس بن يزيد قال: رأيت أبا حنيفة عند ربيعة وكان مجهود أبي حنيفة أن يفهم ما يقول ربيعة.وعن مالك بن أنس قال: ذهبت حلاوةُ الفقه منذ مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن. قال الليث: وقال لي عبيد الله بن عمر في ربيعة: هو صاحب معضلاتنا وأعلمنا وأفضلنا.

(1) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، ربيعة الرأي، أيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع.وحدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

قال يزيد بن عبد الله بن هرمز: رأيت ربيعة جلد وحلق رأسه ولحيته فنبتت لحيته شق أطول من الآخر فقيل له: يا أبا عثمان لوسويته، قال: لا، حتى ألتقي معهم بين يدي الله. قال مصعب الزبيري: كان أبو الزناد[1] فقيه أهل المدينة وكان صاحب كتابه وحساب وفد على هشام الخليفة بحساب ديوان المدينة وكان يعاند ربيعة. قال إبراهيم بن المنذر: كان سبب جلد ربيعة سعاية أبي الزناد، سعى به، فولي بعد ذلك المدينة فلان التميمي، فأرسل إلى أبي الزناد، فأدخله بيتا وسد باب البيت ليقتله جوعا وعطشا، فبلغ ذلك ربيعة، فجاء إلى الوالي فكلمه وأنكر ما فعل، فقال: وهل فعلت به هذا إلا لما كان منه إليك؟ دعه يموت، فأبى عليه حتى أخرجه وقال: سأحاكمه إلى الله عز وجل. هذا أو نحوه.حدث بكر بن مضر قال: قال الوليد بن يزيد لربيعة: لم تركت الرواية ؟ فقال: يا أمير المؤمنين تقادم الزمان وقل أهل القناعة.

قال ابن وهب وحدثني مالك: أن ربيعة قال لابن شهاب –وكلمه في شيء من العلم– فقال: يا ابن شهاب تحدث الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أخبرهم برأيي فإن شاءوا أخذوه وإن شاءوا تركوه، فانظر ما تحدث الناس به.

قال مالك أخبرني رجل: أنه دخل على ربيعة فوجده يبكي فقال: ما يبكيك؟ –وارتاع لبكائه– فقال له: أدخلت عليك مصيبة؟ قال: لا ولكن استفتي من لا علم له وظهر في الاسلام أمر عظيم. قال مالك: كان ربيعة يتحدث كثيرا ويقول: الساكت بين النائم والأخرس، فوقف عليه أعرابي يوما وطول فقال: يا أعرابي ما البلاغة عندكم قال: الإيجاز وإصابة المعنى، قال: فما العي قال: ما أنت فيه، فخجل ربيعة.عن يحيى بن سعيد أنه قال: ما رأيت أحدا أسد عقلا من ربيعة. وقال الليث: وكان صاحب معضلات أهل المدينة ورئيسهم في الفتيا.قال مطرف: سمعت مالكا يقول: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة. قال ابن معين: مات ربيعة بالأنبار في مدينة السفاح وكان جاء به للقضاء سنة ست وثلاثين ومائة رحمه الله.

كان سفيان الثوري يقول: إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص. وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مراء، وإياك أن تخدع، فيقال لك: ترد مظلمة، تدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس اتخذها للقراء سلما. يقول الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا، أي من عمال الحكومة. وعن معاذ بن جبل: ما من عالم أتى صاحب سلطان طوعا إلا كان شريكه في كل لون يعذب به في نار جهنم. عن حذيفة: إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه. حكى المروذي قال سمعت عبد الصمد يقول: قال بشر: إن الله عز وجل إذا أبغض عبده نبذه إلى هؤلاء المترفين وقال شعيب بن حرب: سمعت سفيان الثوري يقول: إني لألقى الرجل أبغضه، فيقول لي: كيف أصبحت؟ فيلين له قلبي، فكيف بمن أكل ثريدهم، ووطئ بساطهم. قال أبو ذر لسلمة بن قيس: لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه. ومثل ذلك قول ابن مسعود : إن على أبواب السلطان فتنا كمبارك الإبل والذي نفسي بيده لا تصيبون من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينكم مثله. عن عبيد بن عمير، قال من ازداد منهم قربا ازداد الله منه بعدا، ومن كثر ماله اشتد حسابه، ومن كثر تباعه كثرت شياطينه. عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَقُولُونَ نَأْتِي الْأُمَرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ، كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقَتَادِ إِلَّا الشَّوْكُ، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مَنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا الْخَطَايَا﴾ وعن علقمة بن وقاص قال كان علقمة يدخل على الأمراء ثم جلس عنهم فقيل له ما يجلسك عنهم قال حدثني بلال بن الحارث قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِن أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ بِهَا سَخَطِهِ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ﴾ وعن كعب بن عجرة قال: ﴿خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ تِسْعَةٌ وَبَيْنَنَا وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ: سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي أُمَرَاءُ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ﴾ وعن ابن طاووس، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿كَانَتْ أَنْبِيَاءُ، وَسَيَكُونُ بَعْدَهُمْ أُمَرَاءُ، يَتْرُكُونَ بَعْضَ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، فَمَنْ نَاوَأَهُمْ نَجَا، وَمَنِ اعْتَزَلَهُمْ سَلِمَ، أَوْ كَادَ يَسْلَمُ، وَمَنْ وَقَعَ مَعَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ﴾ وعن عبد الله بن العيزار قال: كان مطرف بن عبد الله بن الشخير يقول: اللهم، إني أعوذ بك من أن أقول شيئا من الحق أريد به سواك، وأعوذ بك من ضر ينزل بي يضطرني إلى معصيتك، وأعوذ بك أن تزين لي شيئا من شأني يشينني عندك، وأعوذ بك أن يكون غيري أسعد بما أعطيتني مني، وأعوذ بك أن أكون عبرة للناس.

دخل خالد بن صفوان التميمي على السفاح وعنده أخواله من بني الحارث بن كعب فقال: ما تقول في أخوالي؟ قال: هم هامة الشرف وخرطوم الكرم، وغرس الجود إن فيهم لخصالا ما اجتمعت في غيرهم من قومهم إنهم لأطولهم أمما، وأكرمهم شيما، وأطيبهم طعما، وأوفاهم ذمما وأبعدهم هِمما، هم الجمرة في الحرب، والرفد في الجدب، والرأس في كل خطب، وغيرهم بمنزلة العجب. فقال له: وصفت أبا صفوان فأحسنت، فزاد أخواله في الفخر، فغضب أبو العباس لأعمامه فقال: أفخر يا خالد؟ فقال: أعلى أخوال أمير المؤمنين؟. قال: نعم، وأنت من أعمامه. فقال: وكيف أفاخر قوما هم بين ناسج برد وسائس قرد، ودابغ جلد، وراكب عرد. دل عليهم الهدهد، وغرقتهم فأرة، وملكتهم امرأة؟ فأشرق وجه أبي العباس وضحك.

----

(1) أبو الزناد، عبد الله بن ذكوان القرشي المدني: محدث، من كبارهم. قال الليث: رأيت أبا الزناد وخلفه ثلاث مئة تابع، من طالب فقه وعلم وشعر وصرف. وكان سفيان يسميه أمير المؤمنين في الحديث. وكان يغضب إذا قيل له أبو الزناد ويكتني بأبي عبد الرحمن. قال مصعب الزبيري: كان فقيه أهل المدينة، وكان صاحب كتابة وحساب، وفد على هشام بحساب ديوان المدينة. توفي فجأة بالمدينة سنة 131 هـ وكان ثقة في الحديث عالما بالعربية فصيحا.

مراجع: صفة الصفوة/ الوافي بالوفيات/ تاريخ بغداد/ العقد الفريد/ تفسير المنار/ البداية والنهاية/ صحيح ابن حبان/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ الثقات لابن حبان/ إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين/ المعرفة والتاريخ/ نثر الدر/

◆ أبو العباس السفاح، عبد الله (الأصغر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (أول ملوك الدولة العباسية) وعمران بن إبراهيم العدوي 0589

حدث يعقوب بن إبراهيم بن سعد[1]،قال: دخل عمران بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع العدوي[5]على أبي العباس في أول وفد وفد عليه من المدينة، فأمروا بتقبيل يده فتبادروها، وعمران واقف، ثم حياه بالخلافة، وهنأه، وذكر حسبه ونسبه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنها والله لو كانت تزيدك رفعة، وتزيدني من الوسيلة إليك ما سبقني بها أحد، وإني لغني عما لا أجر لنا فيه، وعلينا فيه ضعة، قال: ثم جلس، فوالله ما نقص من حظ أصحابه.

■ (2) عمران بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع العدوي... ؟. إبراهيم بن محمد العدوي...؟ (كتاب محاضرات الأدباء) (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (1) يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي،كنيته أبو يوسف، من أهل المدينة سكن العراق يروي عن أبيه وابن أخي الزهري روى عنه عبد بن حميد وأهل العراق مات بفم الصلح سنة 208 هـ

اللهم صل على محمد وآل محمد

قالت امرأة لأبي مسلم: ناولني يدك أقبلها فقد نذرت! فقال: عليك بالحجر الأسود تصيبين أجرا وتفضين نذرا! ودخل عقال بن شبة على هشام وأراد أن يقبل يده فقال: لا يفعل هذا من العرب الأهلوع، ولا من العجم إلا خضوع.

كان محمد بن هبة الله، أبو الحسن بن الوراق[1]النحوي شيخ العربية ببغداد.استدعاه القائم بأمر الله [2]لتعليم أولاده ، وكان ضريرا؛ فلما وصل إلى الباب الذي فيه الخليفة ، قال له الخادم: وصلت فقبل الأرض، فلم يفعل وقال: السلام عليك ورحمة الله يا أمير المؤمنين، وجلس؛ فقال القائم: وعليك السلام يا أبا الحسن، ادن مني، فدناه فسأله عن قوله: ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد. فشرحه، ثم سأله عن غوامض العروض والنحو، فأجاب، فلما خرج، قال القائم: هذا هو البحر.

قال طاووس بن كيسان، سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: ﴿لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَهُ مِنْ شَهْوَةٍ أَوْ وَلَدَهُ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ وعن أبي هريرة: ﴿أَنَّ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ الأَنْصَارِ فَإِذَا فِيهِ جَمَلَانِ يَضْرِبَانِ وَيَرْعَدَانِ فَاقْتَرَبَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمَا فَوَضَعَا جِرَانَهُمَا بِالأَرْضِ فَقَالَ مَنْ مَعَهُ سَجَدَ لَهُ فَقَالَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا لِمَا عَظَّمَ اللهُ عَلَيْهَا مِنْ حَقِّهِ﴾ وفي المسند وغيره: ﴿لَمَّا رَجَعَ مُعَاذٌ مِنْ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا هَذِهِ يَا مُعَاذُ قَالَ يَا رَسُولَ اللهَّ رَأَيْتهم فِي الشَّامِ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَيَذْكُرُونَ ذَلِكَ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ فَقَالَ: كَذَبُوا عَلَيْهِمْ، لَوْ كُنْت آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْت الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ أَجْلِ حَقِّهِ عَلَيْهَا، يَا مُعَاذُ إنَّهُ لَا يَنْبَغِي السُّجُودُ إلَّا للهِ﴾ قال ابن تيمية: وأما فعل ذلك تدينا وتقربا فهذا من أعظم المنكرات. ومن اعتقد مثل هذا قربة ودينا فهو ضال مفتر، بل يبين له أن هذا ليس بدين ولا قربة، فإن أصر على ذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل. وأما إذا أكره الرجل على ذلك بحيث لو لم يفعله لأفضى إلى ضربه أو حبسه أو أخذ ماله أو قطع رزقه الذي يستحقه من بيت المال ونحو ذلك من الضرر، فإنه يجوز عند أكثر العلماء، فإن الإكراه عند أكثرهم يبيح الفعل المحرم كشرب الخمر ونحوه، وهو المشهور عن أحمد وغيره، ولكن عليه مع ذلك أن يكرهه بقلبه، ويحرص على الامتناع منه بحسب الإمكان. ومن علم الله منه الصدق أعانه الله تعالى، وقد يعافى ببركة صدقه من الأمر بذلك. وذهب طائفة إلى أنه لا يبيح إلا الأقوال دون الأفعال، ويروى ذلك عن ابن عباس ونحوه، قالوا: إنما التقية باللسان، وهو الرواية الأخرى عن أحمد، وأما فعل ذلك لأجل فضل الرياسة والمال فلا، وإذا أكره على مثل ذلك ونوى بقلبه أن هذا الخضوع لله تعالى كان حسنا مثل أن يكرهه على كلمة الكفر وينوي معنى جائزا، والله أعلم. وصرح ابن الجوزي بأن تقبيل يد الظالم معصية إلا أن يكون عند خوف.

قال العتبي: دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبل يده، فقال: أف له. إن العرب ما قبلت الأيدي إلا هلوعا* ولا قبلتها العجم إلا خضوعا. وفي رواية، دخل عقال بن شبة على هشام وأراد أن يقبل يده فقال: لا يفعل هذا من العرب إلا هلوع*، ولا من العجم إلا خضوع. واستأذن رجل المأمون في تقبيل يده، فقال: إن القبلة من المؤمن ذلة، ومن الذمي خديعة؛ ولا حاجة بك أن تذل، ولا حاجة بنا أن نخدع. والصحابة لقوا النبي صلى الله عليه وسلم مرارا وتكرارا، وما نقل عنهم أنهم كلما رأوه قبلوا رأسه ويده. وكان السلف رحمهم الله بخلاف ذلك، إذا جاء شخص يقبل يده ربما سحب يده، وعندما استأذن رجل الإمام أحمد في تقبيل رأسه، قال: لم أبلغ أنا ذاك، لم أصل إلى درجة أن تقبل رأسي أنا دون ذلك، فكان من ورعهم وتواضعهم أنهم لا يسمحون للناس بتقبيل أيديهم ورؤوسهم، ويقولون: نحن أدنى من هذا، وكره أحمد المسح على اليد للتبرك ونحوها، فقال لمن مسح يده عليه عمن أخذتم هذا؟ وغضب ونفض يده. وفي حديث أنس بن مالك قال:﴿قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهَّ، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِي لَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَفَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ﴾.

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ تَضَعْضَعَ لِغَنِيٍّ لِيَنَالَ فَضْلَ مَا عِنْدَهُ أُحْبِطَ عَمَلُهُ﴾ وعن كعب الأحبار قال:﴿مَنْ تَوَاضَعَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنيا ذَهَبَ ثُلُثُ دِينِهِ﴾ وعن معاوية بن أبي سفيان مرفوعا:﴿مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ النَّاسُ قِيَاماً، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ صُفُوفًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ﴾ ولقد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على من خاطبه بقوله﴿مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ. فَقَالَ: أَجَعَلْتَنِي للهَّ نِدًّا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ﴾ وعن أنس بن مالك أن رجلا قال: ﴿يَا مُحَمَّدُ يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ عَبْدُ اللهَّ وَرَسُولُهُ وَاللهَّ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِى فَوْقَ مَنْزِلَتِى الَّتِى أَنْزَلَنِى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ﴾ وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير يحدث عن أبيه قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿أَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السَّيِّدُ اللهُ. قَالَ: أَنْتَ أَفْضَلُهَا فِيهَا قَوْلاً وَأَعْظَمُهَا فِيهَا طَوْلاً. فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِيَقُلْ أَحَدُكُمْ بِقَوْلِهِ وَلاَ يَسْتَجِرُّهُ الشَّيْطَانُ﴾ وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ أَنْتَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ﴾ (فقد تودع منهم) من التوديع. قال الزمخشري أي استريح منهم، وخذلوا، وخلي بينهم وبين ما يرتكبون من المعاصي. قال السندي أي قطع منهم العون الإلهي والتأييد الرباني على صلاح الحال.

----

*(هلوعا)مصدر هلع يهلع كفرح : إذا حرص فهو هلع ككتف. وفي التنزيل قوله تعالى: إن الإنسان خلق هلوعا واختلف في تفسير الهلوع فقيل: هو من يجزع ويفزع من الشر وقيل: هو الذي يحرص ويشح على المال وقال معمر والحسن: هو الشره أو الضجور.

■ (2) عبد الله بن أحمد القادر بالله ابن الامير إسحاق ابن المقتدر العباسي، أبو جعفر، القائم بأمر الله: خليفة، من العباسيين في العراق، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 422 هـ بعهد منه. وكان ورعا، عادلا، كثير الرفق بالرعية. له فضل، وعناية بالادب والانشاء. وفي أيامه كانت فتنة البساسيري سنة 450 هـ وحديثها مستوفى في تاريخ ابن الاثير وغيره. أمه أرمنية. مات سنة 467 هـ

■ (1) محمد بن هبة الله بن محمد، أبو الحسن بن الوراق: شيخ العربية والادب ببغداد، في عصره. كان ضريرا، يعلم أولاد القائم بأمر الله الخليفة. وروى عنه التبريزي وآخرون. قال السمعاني : تفرد بعلم النحو، وانتهى إليه علم العربية في زمانه، وكانت له في القراءات وعلوم القرآن باع طويل، وكان مأمونا صدوقا، متحريا ذا سلامة وصلاح ووقار وسكينة؛ وهو سبط أبي سعيد السيرافي، قال خيرالدين الزركلي: مات سنة 470 هـ

مراجع: تاريخ بغداد/ الأعلام للزركلي/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الوافي بالوفيات/ تاريخ الإسلام للذهبي/ محاضرات الأدباء/

◆ أبو العباس السفاح، عبد الله (الأصغر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (أول ملوك الدولة العباسية) وعبد الله بن الحسن بن الحسن 0590

حدث أحمد بن سعيد بن سلم الباهلي، عن أبيه، قال: حدثني من حضر مجلس السفاح وهو أحشد ما كان ببني هاشم والشيعة، ووجوه الناس، فدخل عبد الله بن الحسن بن الحسن[1] ومعه مصحف، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف، قال: فأشفق الناس من أن يعجل السفاح بشيء إليه فلا يريدون ذلك في شيخ بني هاشم في وقته، أو يعيى بجوابه فيكون ذلك نقصا له، وعارا عليه، قال: فأقبل عليه غير مغضب ولا مزعج، فقال: إن جدك عليا، -وكان خيرا مني وأعدل-، ولي هذا الأمر، أفأعطى جديك الحسن والحسين، -وكانا خيرا منك-، شيئا؟ وكان الواجب أن أعطيك مثله، فإن كنت فعلت فقد أنصفتك، وإن كنت زدتك فما هذا جزائي منك، قال: فما رد عبد الله جوابا وانصرف، والناس يعجبون من جوابه له. وعن غسان الليثي عن أبيه قال: كان أبو العباس قد خص عبد الله بن الحسن بن الحسن حتى كان يتفضل بين يديه في قميص بلا سراويل، فقال له يوما: ما رأى أمير المؤمنين على هذه الحال غيرك، ولا أعدك إلا والدا، ثم سأله عن ابنيه، فقال له: ما خلفهما عني، فلم يفدا علي مع من وفد علي من أهلهما، ثم أعاد عليه المسألة عنهما مرة أخرى، فشكى ذلك عبد الله بن الحسن إلى أخيه الحسن بن الحسن[2]، فقال له: إن أعاد عليك المسألة عنهما فقل له علمهما عند عمهما، فقال له عبد الله: وهل أنت محتمل ذلك لي؟ قال: نعم، قال: فأعاد أبو العباس على عبد الله المسألة عنهما، فقال له: علمهما يا أمير المؤمنين عند عمهما، فبعث أبو العباس إلى الحسن، فسأله عنهما، فقال: يا أمير المؤمنين، أكلمك على هيبة الخلافة، أو كما يكلم الرجل بن عمه؟ فقال له أبو العباس: بل كما يكلم الرجل بن عمه، فقال له الحسن: أنشدك الله، يا أمير المؤمنين، إن الله قدر لمحمد، وإبراهيم، أن يليا من هذا الأمر شيئا فجهدت وجهد أهل الأرض معك أن تردوا ما قدر لهما، أيردونه؟ قال: لا، قال: فما تنغيصك على هذا الشيخ النعمة التي أنعمت بها عليه، فقال أبو العباس: لا أذكرهما بعد اليوم، فما ذكرهما حتى فرق الموت بينهما.

■ (1) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: تابعي. من أهل المدينة، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف. وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز. ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين، على السفاح وهو بالانبار، فأعطاه ألف ألف درهم. وعاد إلى المدينة. ثم حبسه المنصور، عدة سنوات، من أجل ابنيه محمد وإبراهيم. ونقله إلى الكوفة، فمات سجينا فيها سنة 145 هـ قبل مقتل ابنه محمد بن عبد الله بأشهر.

■ (2) الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أخو عبد الله وإبراهيم مات في سجن المنصور سنة 145 هـ كان من أجل بني الحسن المثنى، حمله المنصور مع أخيه عبد الله وحبسه بالهاشمية ومات عن ثمان وتسعين سنة ومات قبل أخيه بقليل

☪

قال رجاء: قدم عبد الله بن الحسن -وهو إذ ذاك فتى شاب- على سليمان بن عبد الملك[1]، فكان يختلف إلى عمر[2] يستعين به على سليمان في حوائجه، فقال له عمر: إن رأيت ألا تقف ببابي إلا في الساعة التي ترى بأنه يؤذن لك فيها علي، فإني أكره أن تقف ببابي فلا يؤذن لك علي. قال: فجاءه ذات يوم فقال: إن أمير المؤمنين قد بلغه أن في العسكر مطعونا فالحق بأهلك، فإني أضن بك.وقدم عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: إنك لن تغنم أهلك شيئا خيرا من نفسك، فرجع وأتبعه حوائجه. قال عبد الله بن حسن: وفدت على هشام بن عبد الملك[3] فقال لي: ما لي لا أرى ابنيك محمدا[4] وإبراهيم[5] يأتياننا فيمن أتى؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، حبب إليهما البادية والخلوة فيها، وليس تخلفهما عن أمير المؤمنين لمكروه، فسكت هشام. قال: فلما ظهر ولد العباس تغيبا أيضا فلم يأتيا أحدا منهم، وسأل عنهما أبو العباس فأخبره أبوهما عنهما بنحو مما قاله لهشام، فكف أبو العباس عنهما. وكان عبد الله بن حسن من العباد وكان له شرف وعارضة وهيبة، ولسان شديد. وأدرك دولة بني العباس، ووفد على أبي العباس بالأنبار ثم رجع إلى المدينة. فلما ولي المنصور[6] حبس عبد الله بالمدينة لأجل ابنيه محمد وإبراهيم عدة سنين، ثم نقله إلى الكوفة فحبسه بها حتى مات.

أخذ أبو جعفر عبد الله بن حسن بن حسن فقيده وحبسه في داره. فلما أراد الخروج إلى الحج جلست إليه ابنة لعبد الله بن حسن بن حسن يقال لها فاطمة، فلما مر بها أنشأت تقول: ارحم كبيرا سنة متهرما..في السجن بين سلاسل وقيود..وارحم صغار بني يزيد إنهم..يتموا لفقدك لا لفقد يزيد..إن جدت بالرحم القريبة بيننا..ما جدنا من جدكم ببعيد. فقال أبو جعفر: أذكرتنيه، ثم أمر به فحدر إلى المطبق فكان آخر العهد به. قال ابن داحة: يزيد هذا أخ لعبد الله بن حسن، قال إسحاق بن محمد: سألت زيد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي عن يزيد هذا فقال: لم يقل شيئا، ليس في ولد علي بن أبي طالب يزيد، إنما هذا شيء تمثلت به، ويزيد ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر.

☪

لما ولي أبو جعفر ألح في طلب محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن وتغيبا بالبادية، وأمر أبو جعفر زياد بن عبد الله الحارثي بطلبهما، فكان يغبب في ذلك ولا يجد في طلبهما، فعزله أبو جعفر عن المدينة، وولاها محمد بن خالد بن عبد الله القسري وأمره بطلبهما، فلم يبالغ أيضا وكان يعلم مكانهما، فيرسل الخيل في طلبهما إلى مكان آخر، وبلغ ذلك أبا جعفر فغضب عليه فعزله، وولى رياح بن عثمان بن حيان المري وأمره بالجد في طلبهما وقلة الغفلة عنهما.

قال محمد بن حرب: قال عبد الله بن حسن بن حسن لابنه محمد حين أراد الاختفاء من أبي جعفر المنصور: يا بني، إني مؤد إليك حق الله علي في نصيحتك، فأد إلى الله حقه عليك في الاستماع والقبول، يا بني، كف الأذى، وأفض الندى، واستعن على السلامة بطول الصمت في المواطن التي تدعوك نفسك إلى الكلام فيها، فإن الصمت حسن على كل حال، وللمرء ساعات يضر فيهن خطاؤه، ولا ينفع صوابه، اعلم أن من أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة، يا بني، احذر الجاهل وإن كان لك ناصحا كما تحذر العاقل إذا كان لك عدوا، فيوشك الجاهل أن يورطك بمشورته في بعض اغتراك، فيسبق إليك مكر العاقل، وإياك ومعاداة الرجال، فإنها لا تعدمك مكر حليم أو مباداة جاهل.

☪

سئل مالك بن أنس عن السدل* فقال: لا بأس، قد رأيت من يوثق به يفعل ذلك. فلما قام الناس سئل: من هو؟ قال: عبد الله بن الحسن. قال مصعب بن عبد الله: ما رأيت أحدا من علمائنا يكرمون أحدا ما يكرمون عبد الله بن حسن بن حسن. وعنه روى مالك الحديث في السدل في الصلاة. قال عبد الله بن إسحاق الجعفري: كان عبد الله بن حسن يكثر الجلوس إلى ربيعة. قال: فتذاكروا يوما السنن، فقال رجل كان في المجلس: ليس العمل على هذا. فقال عبد الله: أرأيت إن كثر الجهال حتى يكونوا هم الحكام، أفهم الحجة على السنة؟ قال ربيعة: أشهد أن هذا كلام أبناء الأنبياء. قال حفص بن قيس: سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخفين فقال: امسح، فقد مسح عمر بن الخطاب[7]، فقلت: أنا أسألك أنت: أتمسح؟ قال: ذلك أعجز لك، حين أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي، فعمر كان خيرا مني، وملء الأرض مثلي، قلت: يا أبا محمد، إن ناسا يقولون: إن هذا منكم تقية. فقال لي: ونحن بين القبر والمنبر، اللهم إن هذا قولي في السر والعلانية، فلا تسمعن قول أحد بعدي، ثم قال: هذا الذي يزعم أن عليا كان مقهورا، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بأمر فلم ينفذه، فكفى هذا إزراء على علي رضي الله عنه، ومنقصة أن يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بأمر فلم ينفذه. قال محمد بن القاسم الأسدي أبو إبراهيم: رأيت عبد الله بن الحسن بن علي ذكر قتل عثمان[8] فبكى حتى بل لحيته وثوبه. قال سليمان بن قرم: قلت لعبد الله بن حسن: في أهل قبلتنا كفار؟ قال: نعم، الرافضة. قال أبو خالد الأحمر: سألت عبد الله بن الحسن عن الصلاة خلف هؤلاء فقال: من صلاها في وقتها فصل خلفه، ومن لم يصلها في وقتها فلا صلى الله عليه. قال فضيل بن مرزوق: سمعت عبد الله بن الحسن بن الحسن يقول لرجل من الرافضة: والله إن قتلك لقربة لولا حق الجوار. وقع بين جعفر بن محمد وبين عبد الله بن حسن كلام في صدر يوم، قال: فأغلظ في القول عبد الله بن حسن، ثم افترقا وراحا إلى المسجد، فالتقيا على باب المسجد فقال أبو عبد الله جعفر بن محمد لعبد الله بن حسن: كيف أمسيت يا أبا محمد؟ قال: بخير: -كما يقول المغضب- فقال: يا أبا محمد، أما علمت أن صلة الرحم تخفف الحساب؟ فقال: لا تزال تجيء بالشيء لا نعرفه. قال: فإني أتلو عليك قرآنا. قال: وذلك أيضا؟ قال: نعم. قال: فهاته. قال: قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد] قال: فلا تراني بعدها قاطعا رحما. قال الحسين بن يزيد: سب رجل عبد الله بن حسن بن حسن فأعرض عنه عبد الله. فقيل له: لم لا تجيبه؟ قال: لم أعرف مساوئه، وكرهت بهته بما ليس فيه. وتعرض رجل لعبد الله بن حسن فسبه فأنشأ يقول: أظنت سفاها من سفاهة رأيها..أن أهجوها لما هجتني محارب؟..فلا وأبيها إنني بعشيرتي..هنالك عن ذاك المقام لراغب. ومن شعر عبد الله بن حسن بن حسن: لم يبق شيء يسامه أحد..إلا وقد سامناه إخوتنا..فوجدونا نحمي الذمار ونأ..بى الضيم أن تستباح حرمتنا..بذاك أوصى من قبل والدنا..وتلك أيضا غدرا وصيتنا. وحدث أيضا عن أبي عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن محمد بن أبي كامل بسنده إلى علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل إذا غضب على أمة لم ينزل بها عذاب خسف ولا مسخ، غلت أسعارها ويحبس عنها أمطارها ويلي عليها شرارها.

*(السدل) هو ان يلتحف بثوبه ويدخل يده من داخل فيركع ويسجد وهو كذلك. وقيل السدل: هو ان يضع وسط الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلها على كتفيه

■ (1) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.حج سنة 97 هـ عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، كانت الفتوحات محدودة في أيامه، توفي سنة 99 هـ

■ (2) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

■ (8) عثمان بن عفان، أبو عبد الله، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،والسابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي؛ رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل شهيدا سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه ودفن بالبقيع.

■ (7) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي، يكنى بالفاروق، وثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة 6 من النبوة وقيل سنة 5. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق،وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر

■ (3) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الوليد، كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (4) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة 145 هـ وهو بن 45 سنة.

■ (5) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، خرج بالبصرة على المنصور، وتحول إلى الكوفة، وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة 145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة وأهل مكة، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة، فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى، فخرج إلى المدينة، فلقيه محمد بن عبد الله، فانهزم بأصحابه وقتل.ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقي إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر

■ (6) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور،عبد الله الأكبر.الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

مراجع: تاريخ بغداد/ الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ تهذيب الكمال/

حكي أنه لما حمل رأس مروان بن محمد الجعدي[1] إلى أبي العباس وهو بالكوفة قعد له مجلسا عاما وجاؤوا بالرأس فوضع بين يديه فقال لمن حضره: أمنكم أحد يعرف هذا الرأس؟ فقام سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة[2] فأكب عليه وتأمله طويلا ثم قال: هذا رأس أبي عبد الملك خليفتنا بالأمس رحمه الله، وعاد إلى مجلسه، فوثب أبو العباس حتى خرج من المجلس وانصرف ابن جعدة وتحدث الناس بكلامه، فلامه بنوه وأهله وقالوا: عرضتنا ونفسك للبوار! فقال: اسكتوا قبحكم الله! ألستم أشرتم علي بالأمس بحران بالتخلف عن مروان ففعلت ذلك غير فعل ذي الوفاء والشكر وما كان ليغسل عار تلك الفعلة إلا هذه، وإنما أنا شيخ هامة فإن نجوت يومي هذا من القتل مت غدا! قال: وجعل بنوه يتوقعون رسل أبي العباس أن تطرقه في جوف الليل، فأصبحوا ولم يأته أحد وغدا الشيخ فإذا هو بـ سليمان بن مجالد[3] فلما أبصره قال: يا ابن جعدة ألا أبشرك بحسن رأي أمير المؤمنين فيك؟ إنه ذكر في هذه الليلة ما كان منك. فقال: أما ما أخرج هذا الكلام من الشيخ إلا الوفاء ولهو أقرب بنا قرابة وأمس بنا رحما منه بـ مروان إن أحسنا إليه. قال: أجل. وذكر أن المنصور[4] أرسل إلى شيخ من أهل الشام وكان من بطانة هشام بن عبد الملك بن مروان[5] فسأله عن تدبير هشام في حروبه مع الخوارج فوصف الشيخ له ما دبر، فقال: فعل رحمه الله كذا وصنع رحمه الله كذا. فقال المنصور: قم عليك لعنة الله! تطأ بساطي وتترحم على عدوي؟ فقام الرجل فقال وهو مول: إن نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها إلا غاسلي! فقال له المنصور: ارجع يا شيخ، فرجع. فقال: أشهد أنك نهيض حرة وغراس شريف، ارجع إلى حديثك. فعاد الشيخ في حديثه حتى إذا فرغ دعا له بمال فأخذه وقال: والله يا أمير المؤمنين ما لي إليه حاجة ولقد مات عني من كنت في ذكره فما أحوجني إلى وقوف على بابه أحد بعده ولولا جلالة أمير المؤمنين وإيثاري طاعته ما لبست نعمة أحد بعده! فقال المنصور: إذا شئت لله أنت فلو لم يكن لقومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم مجدا مخلدا وعزا باقيا.

----

(2) سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة المخزومي الكوفي، كان من علماء قريش ورجالها، وهو صاحب الفتنة بالبصرة بعد قتل الوليد بن يزيد.عن أبيه، وأبي عبيدة ابن عبد الله بن مسعود، وعنه يونس بن أبي إسحاق، والقاسم بن مالك المزني، والمسعودي، وغيرهم. قال عبد الله بن خراش: صدوق.

(3) سليمان بن مجالد بن أبي مجالد الوزير من أهل الأردن كان أخا أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين من الرضاعة وكان معه بالحميمة في أرض الشام فلما أفضت إليه الخلافة قربه وأدناه وكان معه كالوزير وقدم معه بغداد حين بناها وولاه الري وولي له الخزائن إلى حين وفاته فلما توفي ولى المنصور ابن أخيه إبراهيم بن صالح بن مجالد مكانه

(5) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

(4) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور،عبد الله الأكبر.الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

(1) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، المعروف بالحمار، أو الجعدي نسبة إلى مؤدبه جعد بن درهم. ومروان هو آخر ملوك بني أمية بويع له بعد قتل الوليد بن يزيد، وبعد موت يزيد بن الوليد، وخلع إبراهيم بن يزيد بن عبد الملك، واستتب له الأمر في سنة 127 هـ، وقتل سنة 132 هـ

☪

قال ابن زنبل: قتل مع مروان ابنه عبيد الله[1]، وهرب ابنه الآخر عبد الله [2] حتى انتهى إلى ملك النوبة، فلما وصل إليها، وصل إليه ملك البلاد، وما رضي بالجلوس فوق الفرش بل جلس فوق التراب، فقال للترجمان: قل للملك، لم فعلت ذلك؟ فقال له: إني ملك، وحق على كل ملك أن يكون متواضعا لعظمة الله تعالى، ثم أقبل ينكث في الأرض بإصبعه، ثم رفع رأسه، وقال له: كيف سلبتم نعمة الملك، وأنتم أقرب الناس إلى نبيكم؟! فقال: جاء من هو أقرب منا إليه، وقتلنا وطردنا، وجئت أنا مستجيرا إليك، ثم قال: كيف كنتم تشربون الخمر، وهي محرمة عليكم في كتابكم؟ فقال: فعله عبيدنا وأتباعنا من العجم وغيرهم، لما دخلوا في ملكنا من غير علمنا، ثم قال: فلم كنتم تركبون على دوابكم بآلة الذهب والفضة والديباج، وهو محرم عليكم؟ فقال له مثل الأول، ثم قال: فلم كنتم إذا خرجتم لصيد طائر لا خطر له، هجمتم في أهل القرى، وكلفتموهم الضيافة، وما لا قدرة لهم عليه، وأفسدتم مزارعهم بدوابكم، والفساد محرم في دينكم؟! فتعذر بمثل الأول، وقال: كرهنا مخالفتهم؛ لأن مماليكنا تمكنوا في البلاد، فهز رأسه، وقال: لا والله، ولكنكم استحللتم ما حرم عليكم، وارتكبتم ما نهاكم عنه وأحببتم الفساد والظلم، وكرهتم العدل، فسلبكم الله تعالى العز وألبسكم الذل. والنقمة إذا نزلت عمت، والبلية إذا حلت شملت، وإن لله فيكم نقمة لن تبلغ غايتها، فاخرج من بلدي؛ وإلا قتلتك ومن معك. قال: فخرج من بلاده ملوما مدحورا. قال ابن خلدون: بقي عبد الله بن مروان المذكور إلى أيام المهدي العباسي، فأخذه عامل فلسطين، وسجنه إلى أن مات في السجن. وكان مروان بطلا شجاعا مهيبا، كانوا يعدونه في مقابلة ألف مقاتل، أبيض اللون ربعة أشهل العين ضخما كث اللحية، كان حاكما سائسا لقب بالجعدي، قال العلامة السيوطي في تاريخه: نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم؛ لتمسكه بمذهبه، كان يقول بخلق القرآن، ويتزندق، أمر هشام بن عبد الملك خالدا القسري بقتله لذلك فقتله، ويلقب مروان بالحمار -أيضا- لأنه كان لا يجف له لبد في محاربة الخارجين عليه، كان يصل السري بالسري، ويصبر على مكاره الحرب، ويقال في المثل: فلان أصبر من حمار، أو لأن العرب تسمى كل مائة سنة حمارا، فلما قارب ملك بني أمية في زمنه مائة سنة، لقبوه بالحمار. قال مروان: وا لهفتاه على دولة ما نصرت، وكف ما ظفرت، ونعمة ما شكرت، فقال له خادمه وكان من أولاد عظماء النصارى: من أهمل الصغير حتى يكبر، والقليل حتى يكثر، والخفي حتى يظهر، أصابه مثل هذا. مدة خلافته خمس سنين وعشرة أشهر، وعمره خمسون سنة، وقيل: سبع وخمسون، وقيل: ثمان، وقيل: ستون. وفي روض الأخبار: ذهبت الدولة من بني أمية في عهد ثلاثة من الرجال: مروان ابن محمد، وصاحب عسكره يزيد بن عمر بن هبيرة[3]، وكان خطيبا شجاعا يضرب بشجاعته المثل، ووزيره وكاتبه عبد الحميد، وكان يقال: بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد[4].

☪

قال عمر بن الخطاب:لأن يضعني الصدق وقلما يفعل، أحب إلي من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل. وقال بعض الحكماء: الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مرديك وإن أمنته.وعليك بالصدق فما السيف القاطع في كف الرجل الشجاع بأعز من الصدق، والصدق عز وإن كان فيه ما تكره، والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب، ومن عرف بالكذب اتهم في الصدق. وقال الجاحظ: الصدق والوفاء توأمان والصبر والحلم توأمان فهن تمام كل دين وصلاح كل دنيا وأضدادهن سبب كل فرقة وأصل كل فساد، قال الماوردي: وقد يظن البعض أن في الكذب اجتلاب النفع واستدفاع الضر فيرى أن الكذب أسلم وأغنم فرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع واستشفاقا للطمع وربما كان الكذب أبعد لما يؤمن وأقرب لما يخاف لأن القبيح لا يكون حسنا والشر لا يكون خيرا وهل يجنى من الشوك العنب ومن الكرم الحنظل.وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِّ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِّ كَذَّابًا. وفي رواية قال: إِنَّ الصِّدْقَ بِرٌّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ. وَإِنَّ الْكَذِبَ فُجُورٌ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ﴾ وعن مجمع بن يحيى يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿تَحَرَّوُا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، وَاجْتَنِبُوا الْكَذِبَ وَإِنَّ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ النَّجَاةَ فَإِنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ﴾ قيل الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل، والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور.قال ابن السماك: ما أحسبني أؤجر على ترك الكذب لأني أتركه أنفة.قال الشعبي: عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك.

----

(4) محمد بن الحسين العميد بن محمد، أبو الفضل: وزير، من أئمة الكتاب. كان متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم، ولقب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله. قال الثعالبي: بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد. ولي الوزارة لركن الدولة البويهي. وكان حسن السياسة خبيرا بتدبير الملك، كريما ممدوحا. قصده جماعة من الشعراء فأجازهم، ومدحه المتنبي فوهبه ثلاثة آلاف دينار. وكانت وزارته أربعا وعشرين سنة، وعاش نيفا وستين. ومات بهمذان سنة 360 هـ.

(2) عبد الله بن مروان: من بقايا بني أمية في الشام. شهد وقائع الكارثة وزوال دولتهم في أيام أبيه سنة 131 هـ وفر من عبد الله بن علي العباسي (عم السفاح) إلى بلاد النوبة. ثم ظفر به الأمير نصر بن محمد بن الأشعث، في فلسطين – وقيل في جدة – فأخذه وقدم به على المهدي العباسي في بغداد، فحبسه في المطبق سنة161 هـ ومات في أيام الرشيد نحو 170 هـ وقيل: لم قتل مروان بن محمد المعروف بـ مروان الحمار أو مروان الجعدي سنة 132 هـ، هرب ابناه عبد الله وعبيد الله إلى الحبشة، فقتلوا الأحباش عبيد الله، وهرب عبد الله، ثم بعد فترة ظفر به أبو جعفر المنصور، فاعتقله، ولم يقتله.

(1) عبيد الله بن مروان كان ولي عهد أبيه مروان بن محمد، وهو الداخل إلى بلاد النوبة وله مع ملكها حكاية. وقيل إن الذي حكى هذه الحكاية عبد الله أخوه، وعبيد الله قتلته النوبة. وكان قدم مع أبيه دمشق، فعقد له ولاية العهد، ولأخيه عبد الله بدير أيوب عمل دمشق. وتزوج عبيد الله هذا عائشة بنت هشام بن عبد الملك، ولم يعقب

(3) يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري المعروف بيزيد بن هبيرة أمير العراقين نائب مروان الحمار.ولد سنة 87 وقتل سنة 132 هزمته الخراسانية فدخل إلى واسط فحاصره المنصور ثم آمنه ونكث، فقتلوه، وقد ولي حلب للوليد بن يزيد وولي أبوه إمرة العراقين ليزيد بن عبد الملك بعد المائة

مراجع:المحاسن والمساوئ/ تاريخ الإسلام للذهبي/ حذف من نسب قريش/ تاريخ دمشق/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/

◆ أبو العباس السفاح، عبد الله (الأصغر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (أول ملوك الدولة العباسية) وإبراهيم بن سليمان بن عبد الملك 0592

روي عن الحسن بن الحصين. قال: لما أفضت الخلافة إلى بني العباس كان من جملة من اختفى إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك(1) فلم يزل مختفيا إلى أن أضناه وأضجره الاختفاء، فأخذ له أمان من السفاح(2)، فقال له: لقد مكثت زمانا طويلا مختفيا فحدثني بأعجب ما رأيت في اختفائك، فإنها كانت أيام تكدير. فقال: يا أمير المؤمنين، وهل سمع بأعجب من حديثي؟ لقد كنت مختفيا في منزل أنظر منه إلى البطحاء فبينما أنا على مثل ذلك، وإذا بأعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة* فوقع في ذهني أنها خرجت تطلبني، فخرجت متنكرا حتى أتيت الكوفة من غير الطريق، وأنا والله متلددا (متحيرا)، ولا أعرف بها أحدا، وإذا أنا بباب كبير في رحبة منيعة. فدخلت في تلك الرحبة فوقفت قريبا من الدار، وإذا برجل حسن الهيئة، وهو راكب فرسا ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه، فدخل الحربة فرآني واقفا مرتابا فقال لي: ألك حاجة؟ قلت: غريب خائف من القتل. قال: ادخل، قد خلت إلى حجرة في داره، فقال: هذه لك، وهيأ لي ما أحتاج إليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب، وأقمت عنده ووالله ما سألني قط من أنا، ولا ممن أخاف؟ وهو في أثناء ذلك يركب في كل يوم ويعود تعبا متأسفا كأنه يطلب شيئا فاته ولم يجده، فقلت له يوما: أراك تركب في كل يوم وتعون تعبا متأسفا كأنك تطلب شيئا فاتك؟ فقال لي: إن إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل أبي وقد بلغني أنه مختف من السفاح، وأنا أطلبه لعلي أجده وآخذ بثأري منه. فتعجبت والله يا أمير المؤمنين من هربي وشؤم بختي الذي ساقني إلى منزل رجل يريد قتلي ويطلب ثأره مني. فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما نالني من الشدة، فسألت الرجل عن اسم أبيه وعن سبب قتله، فعرفني الخبر فوجدته صحيحا، فقلت: يا هذا قد وجب علي حقك، وأن من حقك أن أدلك على قاتل أبيك وقرب إليك الخطوة وأسهل عليك ما بعد. فقال: أتعلم أين هو؟ قلت: نعم. فقال: أين هو؟ فقلت: والله هو أنا فخذ بثأرك مني. فقال لي: أظن أن الاختفاء أضناك فكرهت الحياة. قلت: نعم والله أنا قتلته يوم كذا وكذا. فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه وأطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه إلي وقال لي: أما أبي فسيلقاك غدا يوم القيامة فيحاكمك عند من لا تخفى عليه خافية، وأما أنا فلست مخفرا ذمتي ولا مضيعا نزيلي، أخرج عني فإني لا آمن من نفسي عليك بعد هذا اليوم. ثم وثب يا أمير المؤمنين إلى صندوق فأخرج منه صرة فيها خمسمائة دينار وقال: خذ هذه واستعن بها على اختفائك. فكرهت أخذها وخرجت من عنده وهو أكرم رجل رأيت. فبقي السفاح يهتز طربا ويتعجب. قلت الحكاية ذكرها ابن الجوزي في سلوة الأحزان.

----

*(الحيرة) مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف (متلددا) أي متحيرا

■ (1) إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي له عقب. وكان إبراهيم رجلا عالما عاملا أديبا كاملا وهو في سن الشبيبة فأخذ له علي بن داوود أمانا من أبي العباس السفاح.

■ (2) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، السفاح، يكنى أبا العباس ويقال له أيضا المرتضى والقائم.وعبد الله الأصغر بن محمد. ولد بالشراة، سنة 105 هـ، وهو أول ملوك بني العباس بويع بالكوفة، وكان أصغر سنا من أخيه أبي جعفر. بويع السفاح، ليلة الجمعة13 ربيع الآخر من سنة 132 هـ، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء11 ربيع الآخر سنة 132 هـ، وقيل: في النصف من شهر جمادي الآخرة من هذه السنة، وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية، وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة، فخطب على المنبر قائما، وكانت بنو أمية تخطب قعودا، فضج الناس وقالوا: أحييت السنة يا ابن عم رسول الله، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما، ومات بالجدري بالأنبار في مدينته التي بناها، وذلك في يوم الأحد12 ذي الحجة سنة 136 هـ وصلى عليه عيسى بن علي، ودفن بالأنبار، وهو ابن 33 سنة، وقيل: ابن 29 سنة، وكانت امه تحت عبد الملك بن مروان، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح، وعبيد الله، وداود، وميمونة.

قال أبو الحسن المدائني خرج الحسن والحسين رضي الله عنهما وعبد الله بن جعفر رضي الله عنه حجاجا ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقال أحدهم هل من شراب قالت نعم فأناخوا إليها وليس لها إلا شويهة فقالت احلبوها فاشربوا لبنها ففعلوا فقالوا هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيىء لكم ما تأكلون فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنا صانعون إليك خيرا فارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب وقال ويحك تذبحين شاتي لقوم لا أعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلا يلتقطان البعر ويعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فإذا الحسن بن علي على باب داره فعرف العجوز وهي منكرة فبعث إليها غلامه فدعا بها فقال لها يا أمة الله أتعرفينني قالت لا قال أنا ضيفك بالأمس يوم كذا وكذا قالت بابي أنت وأمي ثم اشترى لها من شاة الصدقة ألف شاة وأمر لها بألف دينار بعث بها مع غلامه إلى الحسين رضي الله عنهما فأمر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال عنه فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفي شاة وألفي دينار فقال لها لو بدأت بي لأتعبتها في العطاء أعطوها عطيتها فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة.

مراجع:إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ فاكهة الخلفاء و مفاكهة الظرفاء/ طيب المذاق من ثمرات الأوراق/ بدائع السلك في طبائع الملك/ لباب الآداب لأسامة بن منقذ/ ثمرات الأوراق/

◆ أبو العباس السفاح، عبد الله (الأصغر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (أول ملوك الدولة العباسية) وخالد بن صفوان (١) 0593

ذكر ابن الجوزي في كتاب الأذكياء عن خالد بن صفوان[1] أنه دخل يوما على أبي العباس السفاح وليس عنده أحد، فقال: يا أمير المؤمنين إني والله ما زلت منذ قلدك الله خلافته أطلب أن أصير معك بمثل هذا الموقف في الخلوة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب فعل حتى نفرغ. فأمر الحاجب بذلك، فقال له: يا أمير المؤمنين، إني فكرت في أمرك واستجلبت الفكر فيك، فلم أر أحدا له قدرة واتساع في الاستمتاع بالنساء ولا أضيق فيهن عيشا منك. إنك ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين فاقتصرت عليها، فإن مرضت مرضت وإن غابت غبت، وإن عزلت عزلت وحرمت، يا أمير المؤمنين، على نفسك التلذذ بما يشتهى منهن، فإن منهن الطويلة التي تشتهى لحسنها، والبيضاء التي تحب لرؤيتها، والسمراء اللعساء*، والصفراء الذهبية، ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الألسنة العذبة والجواب الحاضر، وبنات سائر الملوك وما يشتهى من نضارتهن ونظافتهن. وتخلل خالد لسانه فأطنب في صفات ضروب الجواري وشوقه إليهن. فلما فرغ من كلامه قال له السفاح: ويحك ملأت مسامعي، ما شغل خاطري والله ما سلك مسامعي كلام أحسن من هذا فأعد علي كلامك فقد وقع مني موقعا. فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأ به. ثم قال له: انصرف! فانصرف وبقي أبو العباس مفكرا. فدخلت عليه أم سلمة[2] زوجته، وكان قد حلف لها أنه لا يتزوج عليها سرية ووفى لها. فلما رأته على تلك الحالة قالت له: إني لأنكرك يا أمير المؤمنين، فهل حدث شيء تكرهه أو أتاك خبر ارتعت له؟ قال: لا. فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد فقالت له: وما قلت لابن الفاعلة؟ فقال لها: أينصحني وتشتميه؟ فخرجت إلى مواليها وأمرتهم بضرب خالد. قال خالد: فخرجت من الدار مسرورا بما ألقيت إلى أمير المؤمنين. ولم أشك في الصلة.فبينما أنا واقف إذ أقبل موالي أم سلمة يسألون عني فحققت الجائزة فقلت لهم: ها أنا واقف. فاستبق إلي أحدهم بخشبة فغمزت برذوني فلحقني وضرب كفل البرذون، وركضت ففررت منهم واستخفيت في منزلي أياما ووقع في قلبي أني أمنت من أم سلمة. فبينما أنا ذات يوم جالس في المنزل فلم أشعر إلا بقوم قد هجموا علي فقالوا: أجب أمير المؤمنين، فسبق إلى قلبي أنه الموت فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، لم أر دم شيخ أضيع من دمي. فركبت إلى دار أمير المؤمنين فأصبته جالسا ولحظت في المجلس بيتا عليه ستور رقاق وسمعت حسا خفيفا خلف الستر فأجلسني. ثم قال: يا خالد أنت وصفت لأمير المؤمنين صفة فأعدها. فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، أعلمتك أن العرب ما اشتقت اسم الضرتين إلا من الضر وإن أحدا لم يكثر من النساء أكثر من واحدة إلا كان في ضر وتنغيص. فقال السفاح: لم يكن هذا من كلامك أولا؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس وتشييب الرأس. فقال: برئت من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت سمعت هذا منك أولا أو مر في حديثك. قلت: بلى يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن الأربع من النساء شر مجتمع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه. قال: والله ما سمعت منك هذا أولا؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن أبكار الإماء رجال إلا نه ليست لهن خصاء. قال أمير المؤمنين: أفتكذبني؟ قلت: أفتقتلني؟ قال خالد، فسمعت ضحكا خلف الستر، ثم قلت وأخبرتك إن عندك ريحانة قريش وأنت تطمع بعينيك إلى النساء والجواري. فقيل لي من وراء الستر: صدقت يا عماه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بها في خاطره عن لسانك. فقال السفاح: ما بك قاتلك الله؟ قال خالد، فانسللت وخرجت فبعثت إلي أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذونا* وتخت ثياب، انتهى.

وفي رواية قال خالد بن صفوان: دخلت على أبي العباس وهو خالي المجلس فقلت: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تأمر بحفظ الستر لألقي إليك شيئا أنصحك به أو قال فيه. فأمر بذلك. فقلت: يا أمير المؤمنين فكرت في هذا الأمر الذي ساقه الله إليك ومن به عليك فرأيتك أبعد الناس من لذاته وأتعب الخلق فيه؟ قال: وكيف ذاك يا خالد؟ قلت: باقتصارك من الدنيا على امرأة واحدة وتركك البيضاء المشتهاة لبياضها والخضرة التي تراد لخضرتها والسمينة المشتهاة لوطائها وذكرت الرشيقة الرخيمة والجعدة السبطة، فقال: يا خالد هذا أمر ما مر بسمعي! فاستأذن في الانصراف فأذن له. وخرجت إليه أم سلمة وهو ينكت بالقلم على دواة بين يديه، فقالت: يا أمير المؤمنين أراك مفكرا، أنتقض عليك عدو؟ قال: كلا ولكن كلام ألقاه إلي خالد بن صفوان فيه نصيحتي. وشرح ذلك لها. قالت: فما قلت لابن الزانية؟ قال: ينصحني وتشتمينه! فقامت عنه وبعثت إلى مائة من مواليها فقالت: لهذا اليوم اتخذتكم وأعددتكم! امضوا إلى خالد بن صفوان فحيث وجدتم خالدا فاهووا إلى أعضائه عضوا عضوا فرضوها. فطلبت ومررت بقوم أحدثهم إذ أقبل القوم فدخلت في جملتهم ولجأت إلى دار ووقعت البغلة فرضوها بالأعمدة وبقيت لا تظلني سماء ولا تقلني أرض. فإني جالس ذات يوم إذ هجم علي قوم فقالوا: أجب أمير المؤمنين. فقمت ولا أملك من نفسي شيئا حتى دخلت عليه وهو في ذلك المجلس وأنا أسمع حركة من وراء الستر فقلت أم سلمة والله. فقال: يا خالد من أين ترى؟ قلت: كنت في غلة لي. ثم قال: الكلام الذي كنت ألقيته إلي في بعض الأيام أعده علي. قلت: نعم يا أمير المؤمنين، إن العرب اشتقت اسم الضر من اسم الضرتين، وإن الضرائر شر الذخائر، والإماء آفة المنازل، ولم يجمع رجل بين امرأتين إلا كان بين جمرتين تحرقه واحدة بنارها وتلحقها أخرى بشرارها. قال: ليس هذا هو! قلت: بلى. قال: ففكر. قلت: نعم يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن الثلاث إذا اجتمعن كن كالأثافي المحرقة، وأن الأربع يتغايرن فلا يصبرن ويتعالين فلا يهوين، وإن أعطين لم يرضين. قال: لا والله ما هو هذا. قلت: يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الأربع هم ونصب وضجر وصخب إنما صاحبهن بين حاجة تطلب وبلية تترقب، إن خلا بواحدة منهن خاف شر الباقيات، وإن آثرها كن له أعدى من الحيات، وأخبرتك أن الجواري رجال لا خصى لهن وخرق لا حياة معهن. قال: لا والله ما هو هذا! قلت: بلى إن بني مخزوم ريحانة العرب وكنانة بيت قريش، وعندك ريحانة الرياحين وسيدة نساء العالمين، وحدثتني أنك تهم بالتزوج فقلت لك هيهات تضرب في حديد بارد ليس ذلك بكائن آخر الزمان المعاين! قال: ويلك أتستعمل الكذب؟ قلت: فمع السيوف لعب! قال: فاذهب فإنك أكذب العرب، قلت: فأيهما أصلح، أكذب أم تقتلني أم سلمة؟ فاستلقى ضاحكا وقال: اخرج قبحك الله! وارتفع الضحك من وراء الستر وانصرفت إلى منزلي فإذا خادم لأم سلمة ومعه خمس بدر وخمسة تخوت وقال: الزم ما سمعناه منك.

----

*(اللعساء) سوداء اللسان والفم؛ سواد ما يظهر من حمرة الشفتين.واللعساء من اللعس وهو سمرة في اللثات والشفتين.(البرذون) يطلق على غير العربي من الخيل والبغال

■ (1) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري: من فصحاء العرب المشهورين.كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار. ولد ونشأ بالبصرة. وكان أيسر أهلها مالا، ولم يتزوج.له كلمات سائرة، قيل له: أي إخوانك أحب إليك؟ فقال: الذي يغفر زللي ويقبل عللي ويسد خللي. عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي وحظي عنده. وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشئ وذمه. وكان يعارض شبيب بن شيبة، لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة. وجمع بعض كلامه في كتاب. وكان يرمى بالبخل. وكف بصره. توفي نحو 133 هـ أو سنة 135 هـ.

■ (2) أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية امرأة حازمة كانت تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ثم خلف عليها مسلمة ابن هشام بن عبد الملك ثم تزوجها أبو العباس السفاح ثم تزوجت من بعده عمّه إسماعيل بن علي بن عبد الله العباسي.

☪

قال علي بن نايف: قد يظن البعض أن هناك تعارض بين الآيتين الكريمتين: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ و﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء] ونحن نقول أنه إذا كانت النصوص قد خرجت من مشكاة واحدة، فلا يظن بنصوص الوحي وجود تعارض. ونجد الرافضون لقضية التعدد قد استدلوا على عدم مشروعية التعدد بقوله تعالى:﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ فرأوا أن الآية جاءت مبينة عدم الاستطاعة ومن ثم عدم جواز التعدد وهذه شبهة واهية فالقرآن ليس متناقضا حتى يجيز شيئا في مكان ويحرمه في مكان آخر فالقرآن أوجب على الرجل أن يعدل بين نسائه كما جاء في قوله تعالى:﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء] ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ﴾ ولا تعارض بين ما أوجبه الله من العدل، وبين ما نفاه سبحانه في قوله:﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء] فإن العدل المطلوب هو العدل في النفقة والسكنى والمبيت وهو العدل الظاهر المقدور عليه وليس هو العدل في المودة والمحبة فإن ذلك لا يستطيعه أحد. قال محمد بن سيرين رحمه الله: سألت عبيدة عن هذه الآية فقال: هو الحب والجماع. قال أبو بكر بن العربي رحمه الله: صدق فإن ذلك لا يمكن إذ قلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفه كيف يشاء وكذلك الجماع فقد ينشط للواحدة ما لا ينشط للأخرى، فإذا لم يكن ذلك بقصد منه فلا حرج عليه فيه فإنه مما لا يستطيعه فلا يتعلق به تكليف. وقالت أم المؤمنين عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول:﴿اللَّهُمَّ، هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ﴾ يعني في الحب والهوى القلبي فهذا لا يشترط العدل وهذا الذي قال عنه الحق تبارك وتعالى:﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء] يعني لن تعدلوا في الهوى القلبي فلا سلطان للإنسان على قلبه كما قال أبو داود وغيره.

جميعنا يعرف أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أعدل الخلق وهو مربي البشرية ومعلمها كان يحب أم المؤمنين عائشة أكثر من غيرها لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ومن العجيب أنه عندما سئل: أي الناس أحب إليك ؟ قال: عائشة. فرد السائل: من الرجال ؟ قال: أبوها. فكان رسول الله يعرف ذلك من نفسه ومع ذلك كان يعدل بين زوجاته في العطاء والنفقة والمبيت. وكان النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره وغزواته يقرع بين نسائه. يعني يضرب بينهن القرعة ليختار من تذهب معه تلك الأسفار والغزوات، إنه العدل فيما يملك. وخلاصة القول: أن الآية الكريمة: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء] أفادت أن العدل في الحب بين النساء غير مستطاع وأن على الزوج أن لا يميل عن الأولى كل الميل فيذرها كالمعلقة وهي غير مطلقة بل عليه أن يعاملها باللطف والحسنى عسى أن يصلح قلبها ويكسب مودتها. وقد فهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفهم من الآية فكان يعدل بين زوجاته ويقول: ﴿اللَّهُمَّ، هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا لَا تُؤَاخِذْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ﴾ يعني بذلك حبه وميله القلبي للسيدة أم المؤمنين عائشة أكثر من غيرها من زوجاته.

☪

حدث أحمد بن يحيى قال: سمعت ابن السكيت يقول: قال خالد بن صفوان: فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها، وأشد من المصيبة سوء الخلف منها، وأنشد لامرأة من ولد حسان بن ثابت في مثله: سل الخير أهل الخير قدما..ولا تسل فتى ذاق طعم العيش منذ قريب. قال الأصمعي: قيل لخالد بن صفوان: أي الأخوان أحب إليك؟ قال: الذي يسد خللي، ويغفر زللي، ويقبل عللي. وقال: قيل لخالد بن صفوان: ما بلغ من علم الحسن؟ قال: استغنى. وحدث القحذمي عن أبيه قال: قال خالد بن صفوان: البر شيء هين، وجه طليق، وكلام لين. وحدث الوليد بن هشام القحذمي قال: قال خالد بن صفوان: لا تسأل الحوائج ثلاثة رجال: لا تسألها كذوبا، فإنه يقرب بعيدها ويباعد قريبها، ولا تسألها أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، ولا تسألها رجلا له إلى صاحبك حاجة فإنه يصير حاجتك بطانة لحاجته.

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ تاريخ دمشق/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ سنن أبي داود/

حدث الهيثم بن عدي قال: كان أبو العباس يعجبه السمر ومنازعة الرجال، فحضره ذات ليلة في سفره إبراهيم بن مخرمة الكندي[1]، وناس من بني الحارث بن كعب[2]وهم أخواله، وخالد بن صفوان بن إبراهيم التميمي[3]، فخاضوا في الحديث وتذاكروا مضر* و اليمن، فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين إن اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا، وكانت لهم القرى*، ولم يزالوا أربابا ورثوا ذلك كابرا عن كابر، أولا عن آخر، منهم النعمانيات* والمنذريات* والقابوسيات والتتابعة* ومنهم من حمت لحمه الدبر*، ومنهم غسيل الملائكة* ومنهم من اهتز لموته العرش*، ومنهم مكلم الذئب*، ومنهم الذي كان يأخذ كل سفينة* غصبا، وليس شيء له خطر إلا إليهم ينسب من فرس رائع، وسيف قاطع، ودرع حصينة، أو حلة مصونة، أو درة مكنونة، إن سئلوا أعطوا، وإن سيموا أبوا، وإن نزل بهم ضيف قروا، لا يبلغهم مكاثر ولا ينالهم مفاخر، هم العرب العاربة وغيرهم المتعربة. قال أبو العباس: ما أظن التميمي يرضى بقولك، ثم قال: ما تقول يا خالد؟ قال: إن أذنت لي في الكلام وآمنتي من الموجدة تكلمت، قال: قد أذنت لك فتكلم ولا تهب أحدا، فقال: أخطأ يا أمير المؤمنين المتقحم بغير علم ونطق بغير صواب فكيف يكون ما قال والقوم ليست لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة ولا حجة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة، وهم منا على منزلتين إن جاروا عن قصدنا أكلوا وإن جازوا حكمنا قتلوا، يفخرون علينا بالنعمانيات والمنذريات وغير ذلك مما سنأتي عليه، ونفخر عليهم بخير الأنام وإكرام الكرام محمد عليه السلام، ولله علينا المنة وعليهم، لقد كانوا أتباعه، فبه عزوا وله أكرموا، فمنا النبي المصطفى، ومنا الخليفة المرتضى، ولنا البيت المعمور والمشعر*وزمزم، والمقام والمنبر والركن والحطيم والمشاعر والحجابة والبطحاء، مع ما لا يخفي من المآثر ولا يدرك من المفاخر وليس يعدل بنا عادل، ولا يبلغ فضلنا قول قائل، ومنا الصديق والفاروق والرضي* وأسد الله سيد الشهداء* وذو الجناحين* وسيف الله*، وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه، ومن عادانا اصطلمناه* ثم التفت فقال: أعالم أنت بلغة قومك؟ قال: نعم، قال: فما اسم العين؟ قال: الحجمة، قال: فما اسم السن؟ قال: الميدن*، قال فما اسم الأذن؟ قال: الصنارة، قال: فما اسم الأصابع؟ قال: الشناتر، قال: فما اسم الذئب؟ قال: الكنع، قال: فقال له: أفمؤمن أنت بكتاب الله تعالى، قال: نعم، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف]وقال:﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم] فنحن العرب والقرآن بلساننا نزل، ألم تر أن الله قال: ﴿الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ [المائدة] ولم يقل الحجمة بالحجمة وقال:﴿السِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ [المائدة] ولم يقل الميدن بالميدن، وقال:﴿الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾ [المائدة] ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [نوح] ولم يقل شناترهم في صناراتهم، وقال: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف] ولم يقل أكله الكنع. ثم قال: أسألك عن أربع إن أنت أقررت بهن قهرت وأن جحدتهن كفرت، قال: وما هن؟ قال: الرسول منا أو منكم؟ قال: منكم، قال: فالقرآن نزل علينا أو عليكم؟ قال: عليكم، قال: فالبيت الحرام لنا أو لكم؟ قال: لكم، قال: فالخلافة فينا أو فيكم؟ قال: فيكم، قال خالد: فما كان بعد هذه الأربع فلكم.

----

*(مضر) قبيلة مضر وهم بنو مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وينتمي إلى مضر النبي محمد صلى الله عليه وسلم (القرى) ما يقدم إلى الضيف (لحمه الدبر) يعني عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح قتل يوم الرجيع.انظر سيرة ابن هشام (غسيل الملائكة) غسيل الملائكة هو حنظلة بن أبي عامر استشهد يوم أحد. سيرة ابن هشام الاصابة (اهتز لموته العرش) سعد بن معاذ الذي اهتز لموته العرش (مكلم الذئب) رجل من خزاعة على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. انظر خبره في دلائل النبوة للبيهقي. ودلائل النبوة لابي نعيم (يأخذ كل سفينة) قيل اسمه الجلندي وقيل هو دبدد وقيل غير ذلك (الميدن) في الجليس الصالح: الميزم بالميزم (والمشعر) في الجليس الصالح : والمسعى (والرضي) الجليس الصالح وابن العديم : والوصي (أسد الله سيد الشهداء) هو حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ذو الجناحين) هو جعفر بن أبي طالب أخو علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وسيف الله) وهو خالد بن الوليد (الميدن) في الجليس الصالح: الميزم وفي ابن العديم: البدن (الصلم) قيل اصطلم القوم أبيدوا والاصطلام إذا أبيد قوم من أصلهم قيل اصطلموا (المنذريات) المنذر الأصغر أبو النعمان بن المنذر والمنذر الأكبر جد النعمان (التتابعة) التبابعة هكذا بياءين موحدتين: ملوك اليمن ويوجد في بعض النسخ: التتابعة بتاءين فوقيتين وهو غلط الواحد تبع ككسر سموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضا كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعا له على مثل سيرته وزادوا الهاء في التبابعة لإرادة النسب (النعمانيات) نعمان بن المنذر: ملك العرب، نسب إليه الشقائق، لإنه حماه. قال أبو عبيدة: إن العرب كانت تسمى ملوك الحيرة النعمان، لإنه كان آخرهم. (القابوسيات) قابوس بن المنذر، وأبو قابوس كنية النعمان بن المنذر ملك العرب؟

■ (3) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري: من فصحاء العرب المشهورين.كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار. ولد ونشأ بالبصرة. وكان أيسر أهلها مالا، ولم يتزوج.له كلمات سائرة، قيل له: أي إخوانك أحب إليك؟ فقال: الذي يغفر زللي ويقبل عللي ويسد خللي. عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي وحظي عنده. وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشئ وذمه. وكان يعارض شبيب بن شيبة، لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة. وجمع بعض كلامه في كتاب. وكان يرمى بالبخل. وكف بصره. توفي نحو 133 هـ أو سنة 135 هـ.

■ (2) الحارث بن كعب بن عمرو بن علة، من مذحج، من كهلان: جد جاهلي، من نسله بنو الديان رؤساء نجران وشريح ابن هانئ من أصحاب علي ومطرف بن طريف، وآخرون، كلهم حارثيون كهلانيون، من قحطان.

■ (1) إبراهيم بن محمد الكندي... وفي رواية: إبراهيم بن مخرمة الكندي (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

فخر على خالد بن صفوان ناس من بني الحارث بن كعب عند السفاح فقال له السفاح: ألا تتكلم يا خالد؟ فقال: أخوال أمير المؤمنين وعصبته، وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد وراكب عرد؟ دل عليهم هدهد وملكتهم امرأة وغرفتهم فأرة! فأشرق وجه أبي العباس. قال الجاحظ[1]وقد بلغه مقاله: لئن تفكر في هذا الكلام وأعده إنه لرواية كبير، ولئن حضره حين حرك فما له في العالمين نظير!. وفاخر خالد بن صفوان رجلا من بنى عبد الدار الذين يسكنون اليمامة فقال له العبدري من أنت؟ قال: أنا خالد بن صفوان بن الأهتم، فقال له العبدري: أنت خالد، وقال الله تعالى:﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ [محمد] وأنت ابن صفوان وقال الله تعالى:﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ [البقرة] وأنت ابن الأهتم، والصحيح خير من الأهتم، فقال له خالد ابن صفوان: يا أخا بني عبد الدار أتتكلم! وقد هشمتك هاشم وأمتك بنو أمية وخزمتك بنو مخزوم وجمحتك بنو جمح، فأنت عبد دارهم*تفتح إذا دخلوا وتغلق إذا خرجوا،فقام العبدري محموما. وفي رواية قال رجل من قريش لخالد بن صفوان: ما اسمك؟ قال خالد بن صفوان بن الأهتم، فقال الرجل: إن اسمك لكذب، ما خلد أحد، وإن أباك لصفوان وهو حجر، وإن جدك لأهتم وإن الصحيح خير من الأهتم. قال خالد: من أي قريش أنت؟ قال: من بني عبد الدار، قال: فمثلك يشتم تميما في عزها وحسبها، وقد هشمتك هاشم، وأمتك أمية، وجمحت بك جمح، وخزمتك مخزوم، وأقصتك قصي، فجعلتك عبد دارها وموضع شنارها، تفتح لهم الأبواب إذا دخلوا، وتغلقها إذا خرجوا. قال عمر بن عبد العزيز لنعيم بن سلامة الحميري[2]ممازحا: قومك الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾؟ [سبأ] فقال نعيم: الذي قال قومك أشد يا أمير المؤمنين:﴿إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؟ [الأنفال] فتبسم عمر. قال الأبرش الكلبي لخالد بن صفوان: هلم أفاخرك، وهما عند هشام بن عبد الملك، فقال له خالد: قل؛ فقال الأبرش: لنا ربع البيت -يريد الركن اليماني- ومنا حاتم طيىء، ومنا المهلب بن أبي صفرة. قال خالد بن صفوان: منا النبي المرسل، وفينا الكتاب المنزل، ولنا الخليفة المؤمل؛ قال الأبرش: لا فاخرت مضريا بعدك.

☪

قال جواد علي رحمه الله: اتفق الرواة وأهل الأخبار، أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب من حيث القدم إلى طبقات: عرب بائدة، وعرب عاربة، وعرب مستعربة. أو عرب عاربة، وعرب متعربة، وعرب مستعربة. أو عرب عاربة وعرباء وهم الخلص، والمتعربة. واتفقوا أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب من حيث النسب إلى قسمين: قحطانية، منازلهم الأولى في اليمن. وعدنانية، منازلهم الأولى في الحجاز. واتفقوا، أو كادوا يتفقون على أن القحطانيين هم عرب منذ خلقهم الله، وعلى هذا النحو من العربية التي نفهمها ويفقهها من يسمع هذه الكلمة. فهم الأصل، والعدنانية الفرع، منهم أخذوا العربية، وبلسانهم تكلم أبناء إسماعيل بعد هجرتهم إلى الحجاز، شرح الله صدر جدهم إسماعيل، فتكلم بالعربية، بعد أن كان يتكلم بلغة أبيه التي كانت الإرمية، أو الكلدانية، أو العبرانية على بعض الأقوال. ونجد الإخباريين والمؤرخين يقسمون العرب أحيانا إلى طبقتين: عرب عاربة، وعرب مستعربة. ويدخلون في العرب العاربة: عادا وعبيل ابني عوص بن إرم، وثمود وجديس ابني جاثر بن إرم، وعمليق وطسم وأميم بني لوذان بن إرم، و بني يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام، وهم: جرهم، وحضرموت، والسلف، وجاسم بن عمان بن سبأ بن يقشان بن إبراهيم.

أما الهمداني، فقد عد كل القبائل التي أولها جاسم وآخرها عبس الأولى من العرب العاربة. والقبائل المذكورة هي جاسم الذين نزلوا بعمان والبحرين، وبنو هيف، وسعد، وهزان الأولى، وبنو مطر، وبنو الأزرق، وبنو بديل، وراجل، وغفار، وتيماء، وبنو أثابر، وبنو عبد ضخم. وظل الرواة يتوارثون هذا التقسيم كلما بحثوا في تأريخ العرب قبل الإسلام، وفي موضوع الأنساب. ولا حاجة بنا إلى أن نعود، فنقول: إن كل ما روي من هذا التقسيم وما رواه الرواة من أخبار تلك الطبقات، لم يرد إلينا من النصوص الجاهلية، وإنما ورد إليها متوترا من الكتب المدونة في الإسلام، لذلك لا نستطيع أن نجرؤ فنقول: إن هذا التقسيم وضعه الجاهليون، وتوارثوا كابرا عن كابر، حتى وصل إلى صدر الإسلام، ثم منه إلينا...[..]

☪

عن خيفان بن عرابة العنسي قال: قدمت على عثمان رضي الله عنه في ثلاث مئة راكب من اليمن، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أنا خيفان بن عرابة العنسي قدمت عليك من خبج وخبيج لتلحقنا بالمهاجرين وتجعل لنا سهما في المسلمين، فقال عثمان: أخبرني عما مررت به من أفاريق العرب في بلاد اليمن، فقلت له: يا أمير المؤمنين، أما هذا الحي من بني الحارث بن كعب فحسك أمراس ومسك أحماس إذا اشتد الباس. وأما هذا الحي من مذحج فأنجاد بسل، ومساعير غير عزل، وأما هذا الحي من خثعم فجعابيب أصحاب أنابيب بنو أب وأولاد علة، وأما هذا الحي من الأزد فكرام في الجاهلية سادة، وحماة في الإسلام قادة. وأما هذا الحي من حمير فبخ بخ أولئك الملوك أرباب الملوك، فقال عثمان مرحبا بأهل اليمن أعلم في الدين قادة في المسلمين، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الإيمان يمان، والحكمة يمانية، ورحا الإسلام دائرة فيها ولد قحطان، والجفوة والقسوة فيها ولد عدنان، حمير رأس العرب ونابها، ومذحج هامتها وغلصمتها والأزد كاهلها وجمجمتها، والأنصار مني وأنا منهم، اللهم، اغفر للأنصار وأبناء الأنصار، اللهم أعز غسان أكرم العرب في الجاهلية وأفضل أناس في الإسلام تقية، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم الأنصار، وزروني ونصروني وحموني، هم شيعتي وأصحابي وأول من يدخل في بحبوحة الجنة من أمتي. قيل إن خيفان هو ابن عرانة بالنون. والله أعلم. عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَضْعَفُ قُلُوبًا الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ السَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ قِبَلَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ﴾ وعن عقبة بن عمرو أبي مسعود قال: أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده نحو اليمن فقال﴿الْإِيمَانُ يَمَانٍ هَا هُنَا أَلَا إِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ﴾ (الفدادون) الفداد الذي يعلو صوته في حرثه ومواشيه ودوابه.

----

*(بنى عبد الدار) من بيوتات قريش كان بأيديهم:الرفادة واللواء والحجابة والندوة: أي: لا يدخل البيت أحد إلا بإذنهم وإذا عقدت قريش راية حرب عقدها لهم بنو عبد الدار وإذا اجتمعوا لأمر إبراما أو نقضا لا يكون اجتماعهم إلا بدار الندوة ولا ينفذ إلا بها.

■ (1) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الادب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده سنة 163 هـ ووفاته في البصرة سنة 255 هـ. فلج في آخر عمره. وكان مشوه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة.

■ (2) نعيم بن سلامة السبائي ويقال: الشيباني. ويقال: الغساني. ويقال: الحميري مولاهم، الأردني كان على خاتم سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز.

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ مختصر تاريخ دمشق/ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار/ لب اللباب في تحرير الأنساب/ لسان العرب/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ الصحاح في اللغة/ تاج العروس/ صحيح البخاري/ المستجاد من فعلات الأجواد/ جمهرة خطب العرب/ تاريخ الخلفاء/

حدث إسحاق بن منصور قال: حدثني أبو الخصيب الأسدي قال: لما تناهت أيام بني أمية وانقضت دولتهم وأفضت الخلافة إلى بني العباس، وولى منهم السفاح[٥] -وهو ابن الحارثية- اتصل الخبر بسديف[1] وهو إذ ذاك بمكة، فاستوى على راحلته وتوجه نحو أبي العباس -وكان به عارفا- فلما وصل إليه قال له: من أنت؟ قال: أنا سديف بن ميمون. قال: مولاي سديف؟ نعم يا أمير المؤمنين، ثم هنأه بالخلافة، ودعا له بالبركة، وأنشده قصيدة التي أولها: أصبح الملك ثابت الآساس..بالبهاليل من بني العباس..لا تقيلن عبد شمس عثارا..واقطعن كل رقلة وغراس..ولقد ساءني وساء سوائي..قربهم من منابر وكراسي..فاذكروا مصرع الحسين وزيد..وقتيلا بجانب المهراس..والقتيل الذي بحران أضحى..رهن رمس وغربة وتناسى..ذلها أظهر التودد منها..وبها منكم كحز المواسي..أنزلوها بحيث أنزلها الل..ه بدار الإتعاس والإنكاس. فعملت كلمته في أبي العباس وحركت منه، وعنده قوم من بني أمية فقالوا: أعرابي جلف جاف لا يدري ما يخرج من رأسه.

فتفرق القوم على ذلك، فلما كان من الغد، وجه أبو العباس إليهم: أن اجتمعوا واغدوا على أمير المؤمنين مع سيدكم سليمان بن هشام[2] ليفرض لكم ويجيزكم -وكان سليمان يكنى أبا الغمر، وكان صديقا لأبي العباس من قبل أن تفضي إليه الخلافة، يكاتبه ويقضي حوائجه- فلما أصبحوا تهيئوا بأجمعهم، وبكروا إلى أبي العباس مع أبي الغمر، فأذن لهم ورفع مجالسهم، وأجلس أبا الغمر سليمان بن هشام عن يمينه على سريره، وجاء سديف حين سمع باجتماعهم حتى استأذن عليه، فلما مثل بين يديه ونظر إلى مجالسهم كهيئتها بالأمس ورأى أبا الغمر على السرير -وفيهم رجل من كلب من أخوال أبي الغمر، وكان منعه الحاجب وقت دخولهم، فنادى: يا أبا الغمر هذا يمنعني من الدخول، فقال أبو الغمر: هذا رجل من أخوالي فاتركه، فقال له الحاجب: ويلك ارجع فهو خير لك، فقال لا والله لأدخلن، قال: أنت أعلم- ثم أنشأ سديف يقول: لا يغرنك ما ترى من رجال..إن تحت الضلوع داء دويا..فضع السيف وارفع السوط حتى..لا ترى فوق ظهرها أمويا. واستمر في القصيدة حتى أتى على آخرها، وأبو العباس يغتاظ. ويحنق ويتلون. فقال سليمان بن هشام لسديف: يا ابن الفاعلة ألا تسكت؟ فلما قال ذلك اشتد غضب أبي العباس. ونظر إلى رجال خراسان وهم وقوف بالأعمدة فقال لهم بالفارسية: دهيد، يعني اضربوا. فشدخوا رءوسهم بالأعمدة حتى أتوا على آخرهم، ثم نظر إلى سليمان وقال له: يا أبا الغمر مالك في الحياة خير بعد هؤلاء، فقال: أجل، فشدخوا رأسه وجروه برجله حتى ألقوه مع القوم، وصاح الرجل الكلبي فقال: يا أمير المؤمنين أنا رجل من كلب، فقال أبو العباس: ساعدت القوم في سرائهم فساعدهم في ضرائهم، وأومأ أن اضربوه فإذا هو مع القوم، ثم جمعهم وأمر بالأنطاع فبسطت عليهم ثم جلس فوقهم، ودعا بالغداء فتغدى، وإن بعض القوم ليتحرك، وفيهم من يسمع أنينه، فلما فرغ من غدائه قيل له هلا أمرت بهم فدفنوا أو حولوا إلى مكان آخر فإن رائحتهم تؤذيك؟ قال: والله إن هذه الرائحة لأطيب عندي من رائحة المسك والعنبر الآن سكن غليلي.

وقيل: إن القائل للشعر الاول هو شبل بن عبد الله مولى بني هاشم، لا سديف. ثم تتبعوا بني أمية بالقتل، فقتل سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس[3] عم السفاح بالبصرة جماعة منهم، ورموا بأشلائهم في الطريق، فأكلتها الكلاب، ونبش عبد الله ابن علي[4] عم السفاح أيضا قبور الخلفاء منهم، فلم يجدوا في القبور إلا شبه الرماد، وخيطا في قبر معاوية، وجمجمة في قبر عبد الملك، وربما وجدوا فيها بعض الأعضاء، إلا هشام بن عبد الملك، فإنه وجد كما هو لم يبل، فضربه بالسياط، ثم صلبه وحرقه وذراه في الريح. قال ابن خلدون: كذا قيل، والله أعلم بصحة ذلك. واستقصوا في تتبعهم قتلا، ولم يفلت إلا الرضعاء، أو من هرب إلى الأندلس مثل عبد الرحمن الملقب بالداخل؛ لأنه أول من دخل إلى بلاد الغرب، وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وغيره ممن تبعه من قرابته.

■ (1) سديف بن إسماعيل بن ميمون، مولى لامرأة من خزاعة وكان لها زوج من اللهبيين وادعى سديف بذلك ولاء بني هاشم، وزعم المدائني أنه مولى بني العباس وشاعرهم. شهد العصر الأموي والعباسي الأول، اشتهر بتعصبه لبني هاشم وبهجائه بني أمية. إلا أن علاقته مع العباسيين لم تكن جيدة أيضاً، خاصة مع أبي جعفر المنصور، الذي تورط في مشاكل معه، بسبب تقاربه مع العلويين ومبايعته محمد النفس الزكية ومن بعده إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، وبعد فشل الانتفاضات على العباسيين اختفى سديف مدة من الزمن، وظهر بعد ذلك إلى العلن وأرسل قصيدة إلى أبي جعفر المنصور يطلب فيها العفو، ولكن المنصور أمر عامله في مكة عبد الصمد بن علي بقتله، فتوفي سديف في مكة مقتولا سنة 146 هـ

■ (2) سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي. أخذ عن عطاء وغيره. وولي غزو الروم فلما بويع الوليد بن يزيد حبسه، ثم أخرجه يزيد الناقص وصيره من أمرائه فلما ولي مروان هرب منه ثم أمنه ثم خلع مروان وطمع في الملك واستفحل أمره وكاد أن يملك واجتمع إليه نحو من سبعين ألفاً فبعث مروان جيشه فهزموه وتحصن بحمص فسار إليه مروان بنفسه فهرب ولحق بالضحاك الخارجي وبايعه ثم ظفرت به المسودة (أتباع آل البيت والعباسيون الذين اتخذوا السواد شعارا لهم) فقتلوه في سنة 132 هـ -وفي رواية قيل-: بعد مقتل الضحاك تولى أمر أصحابه شيبان الحروري، فتحالف معه لقتال مروان بن محمد، فهزم أيضاً، فرحل بأهله إلى السند. عندما تولى السفاح العباسي الملك، أقبل عليه سليمان، فآمنه، ثم أمر السفاح بقتله سنة 132هـ.

■ (3) سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: أمير عباسي، من الأجواد الممدوحين. ولاه ابن أخيه السفاح إمارة البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان سنة133 هـ فأقام فيها إلى أن عزله المنصور سنة 139 هـ فلم يزل في البصرة إلى أن توفي سنة142 هـ.وهو ابن تسع وخمسين سنة.

■ (٥) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، السفاح، يكنى أبا العباس ويقال له أيضا المرتضى والقائم.وعبد الله الأصغر بن محمد. ولد بالشراة، سنة 105 هـ، وهو أول ملوك بني العباس بويع بالكوفة، وكان أصغر سنا من أخيه أبي جعفر. بويع السفاح، ليلة الجمعة13 ربيع الآخر من سنة 132 هـ، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء11 ربيع الآخر سنة 132 هـ، وقيل: في النصف من شهر جمادي الآخرة من هذه السنة، وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثية، وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة، فخطب على المنبر قائما، وكانت بنو أمية تخطب قعودا، فضج الناس وقالوا: أحييت السنة يا ابن عم رسول الله، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما، ومات بالجدري بالأنبار في مدينته التي بناها، وذلك في يوم الأحد12 ذي الحجة سنة 136 هـ وصلى عليه عيسى بن علي، ودفن بالأنبار، وهو ابن 33 سنة، وقيل: ابن 29 سنة، وكانت امه تحت عبد الملك بن مروان، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح، وعبيد الله، وداود، وميمونة.

■ (4) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباس: أمير. هو عم الخليفتين السفاح والمنصور. وهو الذي هزم مروان بن محمد بالزاب شمال العراق، وتبعه إلى دمشق، وفتحها وهدم سورها، وقتل من أعيان بني أمية 80 رجلا بأرض الرملة، ومهد دمشق لدخول السفاح وظل أميرا على بلاد الشام مدة خلافته. فلما ولي المنصور خرج عبد الله عليه، ودعا إلى نفسه، فانتدب المنصور لإخضاعه أبا مسلم الخراساني، فقاتله في نصيبين، فانهزم عبد الله واختفى.وصار إلى البصرة، فأمنه المنصور، فاستسلم، وأشخص إلى بغداد وحبس بها، فوقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله سنة 147 هـ.

☪

دخل أبو نخيلة الحماني[1] على أبي العباس، وعنده إسحاق بن مسلم العقلي[2]، فأنشده أرجوزة يمدحه فيها، ويذكر بني أمية، ويقول فيها: أين أبو الورد؟ وأين الكوثر؟ وأين مروان؟ وأين الأشقر؟ فقال إسحاق: في حر أم أبي نخيلة العاهرة؟ فقال أبو العباس: أتقول هذا لشاعرنا؟ قال: قد سمعته يقول لأعدائكم فيكم ما هو أعظم من هذا، فقال زياد بن عبيد الله الحارثي[3]: يا أمير المؤمنين، خذ للرجل بحقه، فقال له أبو العباس: ما أغفلك يا خال أترى قيسا تسلم سيدها وشيخها حتى يحد؟ قال: فما يصنعون؟ قال: يجيئ لألف منهم فيشهدون أن أم أبي نخيلة كانت عاهرة كما قال إسحاق، فتجلب على الرجل بلاء عظيما. وقيل: دخل أبو نخيلة على هشام وعليه لحاف سمور مظهر بخز، فرمقه أبو نخيلة، فقال: ما بالك ترمقه ولست من أهله؟ قال: صدقت يا أمير المؤمنين، ولكني من أهل الشرف والافتخار، فرمى به إليه. ثم دخل عليه، وعليه جبة خز، فقال: يا أمير المؤمنين ، لا أحسن أن أنظر إليك، قال: ولم؟ قال: أخاف أن تقول: ومالك ترمق الجبة؟ قال: أو أعجبتك؟ فرمى بها إليه. ودخل عليه، وعليه رداء وشي أفواف، فجعل ينكت بإصبعه على الأرض ويقول: كسوتنيها فهي كالتجفاف..كأنني فيها وفي اللحاف..من عبد شمس أو بني مناف..والخز مشتاق إلى الأفواف. فرمى بالرداء إليه.

☪

في ربيع الأبرار للزمخشري: انقرضت دولة بني أمية، وكانوا أربعة عشر نفرا: معاوية، يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد الذي يقال له: معاوية الأصغر رضي الله عنه، مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، عبد الملك بن مروان، الوليد بن عبد الملك، سليمان بن عبد الملك، عمر بن عبد العزيز بن مروان رضي الله عنه وأرضاه، يزيد بن عبد الملك بن مروان، هشام بن عبد الملك بن مروان، الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الفاسق ممزق المصحف بالسهام، ومقدم الجارية تؤم الناس في صلاة الصبح جنبا سكرى، يزيد ابن الوليد بن عبد الملك، إبراهيم بن الوليد أخي يزيد المذكور قبله، يليه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم المنبوز بالحمار.

وفي أكثر التواريخ: ذكروا أن مدة ملكهم ألف شهر؛ لأن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما، حين تكلموا عليه في تسليم الأمر إلى معاوية قال:﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر] وذلك ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، فقول الحسن رضي الله عنه، كان تقريبا لا تحديدا، ويمكن أن يكون تحديدا على بعض الحساب؛ نظرا إلى تمكنهم وانهزامهم، وقتلهم من تداخل السنين والشهور، وهي يسيرة.

☪

قال السدوسي؟ : وابن المعتز وإن كان غير ثقة إلا أن القصة ثابتة في كثير من المصادر. وحسبك أن ابن الأثير استشهد ببيت سديف -لا حياه الله- في كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر فقال: وضع في حديث الحج: وأوضع في وادي محسر. يقال وضع البعير يضع وضعا وأوضعه راكبه إيضاعا إذا حمله على سرعة السير. ومنه حديث عمر: إنك والله سقعت الحاجب وأوضعت بالراكب. أي حملته على أن يوضع مركوبه. ومنه حديث حذيفة بن أسيد: شر الناس في الفتنة الراكب الموضع. أي المسرع فيها وقد تكرر في الحديث. وفيه: من رفع السلاح ثم وضعه فدمه هدر. وفي رواية: من شهر سيفه ثم وضعه. أي من قاتل به يعني في الفتنة يقال وضع الشيء من يده يضعه وضعا إذا ألقاه فكأنه ألقاه في الضريبة. ومنه قول سديف للسفاح: فضع السيف وارفع السوط حتى..لا ترى فوق ظهرها أمويا. أي ضع السيف في المضروب به وارفع السوط لتضرب به. وذكر القصة كذلك ابن الأثير المؤرخ.

☪

قال المظفر بن الفضل: ومن تأثير الشعر أن ابن هشام بن الوليد كان قد ولى عبد الرحمن بن حزم الأنصاري المدينة، فقال الأحوص: لا ترحمن لحزمي مررت به..يوما ولو ألقي الحزمي في النار..الناخسين بمروان بذي خشب..والداخلين على عثمان في الدار. فلما سمع هشام شعر الأحوص عزل عبد الرحمن عن المدينة وأمر بقبض ضياعهم وأموالهم. فلما ولي المنصور دخل عليه بعض أولاد بني حزم فقال: يا أمير المؤمنين لنا ستون سنة ما أخذنا عطاء ولا وصلنا الى شيء من أموالنا لقول الأحوص وأنشده البيتين فتأثر لهما وقال: إذا والله تحمد العاقبة عند بني هاشم، اكتبوا برد ضياعهم والقبض على ضياع بني أمية وتسليمها إليهم ليستغلوها ستين سنة، ثم أمر له بعشرة آلاف دينار صلة.

■ (3) زياد بن عبيد الله بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي. الأمير من أخوال السفاح. ولي إمرة الموسم سنة 133 هـ ثم ولي إمرة الحرمين للمنصور. عزله أبو جعفر المنصور سنة 141 هـ وتوفي في حدود 150 هـ

■ (1) أبو نخيلة وهو اسمه، وكنيته أبو الجنيد بن حزن بن زائدة بن لقيط ابن هدم، من بني حِمان من سعد بن زيد مناة بن تميم، الحماني السعدي التميمي: شاعر راجز. كان عاقا لابيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام فاتصل بمسلمة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحدا بعد واحد، فأغنوه. ولما نكب بنو أمية وقامت دولة بني العباس انقطع إليهم ولقب نفسه بشاعر بني هاشم. ومدحهم وهجا بني أمية. واستمر إلى أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، فسخط عليه عيسى، فهرب يريد خراسان، فأدركه مولى لعيسى فذبحه وسلخ وجهه نحو سنة 145 هـ.

■ (2) إسحاق بن مسلم بن ربيعة بن عاصم بن حزن بن عامر بن عوف بن عقيل بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أبو صفوان العقيلي كان قائدا من قواد مروان بن محمد، وولي إرمينية، وشهد مع مروان حربه بعين الجر مع سليمان بن هشام، ودخل معه دمشق، وكان إسحاق مع مروان حين توجه إلى دمشق لطلب الخلافة، وبقي إلى خلافة بين العباس، وكان أثيرا عند أبي جعفر المنصور..وعن المدائني، قال: مات إسحاق بن مسلم ببثرة خرجت به في ظهره، فحضر المنصور جنازته، وحمل سريره حتى وضعه، وصلى عليه، وجلس عند قبره؛ فقال له موسى بن كعب أو غيره: أتفعل هذا به، قال: وكان والله مبغضا لك كارها لخلافتك؟ فقال: ما فعلت هذا إلا شكرا لله إذ قدمه أمامي؛ قال: أفلا أخبر أهل خراسان بهذا من رأيك، فقد دخلتهم وحشة لك لما فعلت؟ قال: بلى؛ فأخبرهم فكبروا.

مراجع: طبقات الشعراء/ الأعلام للزركلي/ أرشيف ملتقى أهل الحديث/ ضعفاء العقيلي/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ نضرة الاغريض في نصرة القريض/ نثر الدر/ ربيع الأبرار/

◆ أبو العباس السفاح، عبد الله (الأصغر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (أول ملوك الدولة العباسية) وأبو بكر الهذلي 0596

حدث محمد بن عباد المهلبي، عن أبو بكر الهذلي[1] قال:اجتمعنا عند أبي لعباس السفاح،ولم يكن من أهل البصرة غيري،وكان من أهل الكوفة محمد بن عبد الرحمان بن أبي ليلى[2] والحجاج بن أرطاة[3] وحضر الحسن بن زيد (الحسن ابن زياد؟)[4] فذكروا أهل البصرة وأهل الكوفة، فقال ابن أبي ليلى: نحن والله، يا أمير المؤمنين. أكثر منهم خراجا وأوسع أنهارا. فقال السفاح: ذاك إن رضي أبو بكر. قال: قلت: معاذ الله! وكيف يكون ذلك ولنا السند* والهند، وكرمان* ومكران*، والقرض* والفرض*، (الفرض والعرض؟) والديار وسعة الانهار؟! فقال ابن أبي ليلى: نحن أكثر منهم فقها، وأغزر علما، مقر بذلك أهل البصرة لأهل الكوفة، كما أقر أهل مكة لأهل المدينة.فقال أبو بكر: هم أكثر أنبياء وأقل أتقياء وأعظم كبرياء، منهم المغيرة[5] الخبيث السريرة وبيان وأبو بيان، وتنبت فيهم الأنبياء، والله ما أتانا إلا نبي واحد صلى الله عليه وسلم، والله ما رأيت بلدا قط أكثر نبيا مصلوبا ولا رأسا مضروبا من أهل الكوفة. فقال الحسن بن زيد: أنتم أصحاب علي[6] يوم سرتم إليه لتقتلوه. فقال أبو بكر: نحن والله أصحاب علي يوم سرنا إليه لنقتله، فكف الله أيدينا وشوكتنا عنه وعن غيره، وسار إليه أهل الكوفة فقتلوه، فأينا أعظم ذنبا؟! فقال الحجاج بن أرطأة: والله يا أمير المؤمنين، لقد أخبرني بعض أشياخنا أن أهل البصرة كانوا يومئذ ثلاثين ألفا (أهل البصرة كانوا يومئذ عشرين ألفا وكان أهل الكوفة خمسة آلاف؟)، فلما ألتقت حلقتا البطان وتناهد النهدان وأخذت الرجال أقرانها فما كانوا إلا كرماد في يوم عاصف. فقال أبو بكر: كيف يكون ذلك وخرجت ربيعة سامعة مطيعة تعين عليا، وخرج الأحنف بن قيس[7] في سعد والرباب وهم السنام الأعظم والجمهور الأكبر يعين عليا؟! ولكن سل هؤلاء، يا أمير المؤمنين، كم كان عدتنا يوم استعانوا بنا! فلما التقت حلقتا البطان وتناهد النهدان وأخذت الرجال أقرانها شدخنا منهم في صعيد واحد سبعة آلاف نقتلهم قتل الحمنانن! – يعني القردان الصغار. فقال أبن ابي ليلى: والله يا أمير المؤمنين، نحن أشرف منهم أشرافا، وأذكر منهم أسلافا، مقر بذلك أبو بكر! فقلت: معاذ الله، يا أمير المؤمنين! هل كان في تميم الكوفة مثل الأحنف ابن قيس في تميم البصرة الذي فيه يقول الشاعر: إذا الأبصار أبصرت ابن قيس..ظللن مهابة منه خشوعا. وهل كان في قيس الكوفة مثل قتيبة بن مسلم[8] في قيس البصرة الذي يقول فيه الشاعر: كل عام يحوي قتيبة نهبا..ويزيد الأموال مالا جديدا..دوخ الصغد بالقبائل حتى..ترك الصغد بالعراء قعودا..باهلي تعصب التاج حتى..شبن منه مفارق كن سودا. وهل كان في أزد الكوفة مثل مهلب بن أبي صفرة[9] في أزد البصرة الذي يقول فيه الشاعر: إذا كان المهلب من ورائي..هدا ليلي وقر له فؤادي..ولم أخش الدنية من أناس..ولو صالوا بقوة قوم عاد. وهل كان في بكر الكوفة مثل مالك بن مسمع[10] في بكر البصرة الذي يقول فيه الشاعر: إذا ما خشينا من أمير ظلامة..أمرنا أبا غسان يوما فعسكروا. وهل كان في عبد قيس الكوفة مثل الحكم بن المنذر بن الجارود[11] في عبد قيس البصرة الذي يقول فيه الشاعر: يا حكم بن المنذر بن الجارود..أنت الجواد بن الجواد المحمود..سرادق المجد عليك ممدود. فانقطعوا كلهم، فضحك أبو العباس حتى ضرب برجله وقال: والله ما رأيت مثل هذه الغلبة قط.

----

*(كرمان) ناحية مشهورة، شرقها مكران وغربها فارس وشمالها خراسان وجنوبها بحر فارس. تنسب إلى كرمان بن فارس بن طهمورث. وهي بلاد واسعة الخيرات وافرة الغلات (مكران) بالضم ثم السكون اسم لسيف البحر 700 كم في باكستان والباقي في إيران (السند) ناحية بين الهند وكرمان وسجستان؛ وسجستان منطقة تاريخية تقع معظمها في أفغانستان وأجزاء منها في بلكستان و إيران.(الفرق بين القرض والفرض) أن القرض ما يلزم إعطاؤه، والفرض ما لا يلزم إعطاؤه

(1) سلمة بن عبد الله أبو بكر الهذلي. وقيل اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى البصري. وقيل: سلمان أو سلم، وقيل: سليمان بن عبد الله، قال الرازي:سليمان خطأ، وهو سلمى بن عبد الله أبو بكر الهذلي. وأمه بنت حميد بن عبد الرحمان الحميري كان عالما بأيام العرب وسيرها وأحد أصحاب الحديث. ولقي الزهري والحسن البصري ومحمد بن سيرين. وكان بصريا. كان في صحابة المنصور، وكان أخباريا علامة. لم يرضه يحيى القطان. وقال ابن معين: ليش بشيء. وقال أحمد: ضعيف. وقال البخاري: ليس بالحافظ. وروى له ابن ماجة. قال ياقوت فيه سلمة. وقال الشيخ شمس الدين: سلمى بن عبد الله بن سلمى. توفي سنة 159 هـ، ويقال: مات سنة 166 هـ

(2) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار. وقيل داود. ابن بلال الأنصاري الكوفي: قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس. ولد بالكوفة سنة 74 هـ واستمر 33 سنة. له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره. مات بالكوفة سنة 148 هـ وكان أبوه عبد الرحمن استعمله الحجاج على القضاء ثم عزله، ثم ضرب ليسب عليا، وشهد وقعة الجمل، وكانت راية علي بن أبي طالب بيده، يروي عن عمر وعلي وعبد الله وأبي، وكان خرج مع ابن الأشعث وقتل بدجيل، وقيل غرق في نهر البصرة، وقيل فقد بدير الجماجم سنة 83 هـ للهجرة، وقيل سنة إحدى، وقيل سنة اثنتين.

(3) حجاج بن أرطاة بن ثور النخعي: قاض، من أهل الكوفة. كان من رواة الحديث وحفاظه، استفتي وهو ابن ست عشرة سنة. وولي قضاء البصرة. وتوفي بخراسان أو بالري. سنة 145 هـ وكان تياها معجبا يعاب بتغيير الالفاظ في الحديث.

(11) الحكم بن المنذر بن الجارود سيد عبد القيس مات في حبس الحجاج الذى يعرف بالديماس، وهذه نسبته من الجمهرة: الجارود: هو بشر بن حنش بن المعلى، وهو الحارث بن يزيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز.

(7) أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية، المعروف بالأحنف، وقيل اسمه صخر، وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. والحارث المذكور لقبه مقاعس.كان من سادات التابعين؛ أدرك عهد النبي ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة، وشهد مع علي وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان.وبقي الأحنف إلى زمن مصعب بن الزبير، فخرج معه إلى الكوفة فمات بها سنة 67 هـ، وقيل 68 هـ وقيل 71 هـ وقيل 77 هـ عن 70 سنة، والأول أشهر، ودفن بالثوية عند قبر زياد.

(6) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

(8) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة، أبو حفص الباهلي. ولد سنة 49 هـ وقتل سنة 96 ه أو 99 هـ. أمير خراسان كلها بعد إمرة الري، وهو الذي افتتح خوارزم وبخارى وسمرقند، وقد كانوا كفروا ونقضوا، ثم افتتح فرغانة والترك. وولي خراسان عشر سنين. وقد سمع، من: عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري. ولما مات الوليد بن عبد الملك نزع الطاعة، فلم يوافقه على ذلك أكثر الناس. وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان بن قيس الغداني عن رياسة تميم، فحقد عليه، وسعى في تأليب الجند، ثم وثب على قتيبة في أحد عشر من أهله، فقتلوه وقتل أخوه أبو صالح، وكان أبوه مسلم بن عمرو من أصحاب مصعب بن الزبير وإلى العراق من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وقاتل معه في حربه ضد عبد الملك بن مروان سنة 72 هـ

(5) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي. يقال له مغيرة الرأي. ولد في الطائف بالحجاز 20 ق هـ وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك فدخل الاسكندرية وافدا على المقوقس، وعاد إلى الحجاز. فلما ظهر الاسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة 5 هـ، فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. وشهد القادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة. وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة 50 هـ. قال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية للاناة، وعمرو بن العاص للمعضلات، والمغيرة للبديهة، وزياد بن أبيه للصغير والكبير. وللمغيرة 136 حديثا. وهو أول من وضع ديوان البصرة، وأول من سلم عليه بالامرة في الاسلام.

(9) المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، أبو سعيد البصري، واسم أبي صفرة ظالم بن سارق، ويقال: ابن سراق بن صبح بن كندي، ويقال: كندير بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد، ويقال: الأسد أيضا، بن عمران بن عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. كان المهلب بن أبي صفرة واليا على خراسان من جهة الحجاج. مات سنة81 هـ أو سنة 82 هـ. وزاد بعضهم: في ذي الحجة بمرو الروذ. وقيل: إن المهلب كان يقول: ما شيء أبقى للملك من العفو، وخير مناقب الملوك العفو. وكان يقول: لأن يطيعني سفهاء قومي أحب إلي من أن يطيعني حلماؤهم. وكان يقول لبنيه: يا بني لا تتكلوا على فعل غيركم، وافعلوا ما ينسب إليكم.

(10) مالك بن مسمع بن شيبان البكري الربعي، أبو غسان: سيد ربيعة في زمانه. كان مقدما رئيسا. ولد في عهد النبي صلى الله عليه وآله، وفيه يقول حصين بن منذر: حياة أبي غسان خير لقومه لمن كان قد قاس الامور وجربا. قال المبرد: وإليه تنسب المسامعة. وذكر المسعودي أنه كان في جملة من انصاف إلى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، حين قدم البصرة، من مكة، ناكثا بيعة عبد الله ابن الزبير، وقاتلهم مصعب بن الزبير، فانهزموا بعد حروب إلى الشام سنة 71 هـ وقال ابن قتيبة: لم يل شيئا قط، وهلك في أول خلافة عبد الملك بن مروان، بالبصرة، سنة 73 هـ وعقبه كثير. وكان أعور، أصيب عينه في معركة بالجفرة موضع بالبصرة ويقال: ساد الاحنف بحلمه، وساد مالك بن مسمع بمحبة العشيرة له. (4) الحسن بن زيد / الحسن ابن زياد؟

☪

لما توفيت أمرأة الهذلي وبلغ ذلك المنصور فأمر الربيع الحاجب أن يأتيه ويعزيه عنها، ويقول له: إن أمير المؤمنين موجه الليل بجارية نفيسة لها أدب وظرف وهيئة ومعرفة تسليك عن امرأتك. فلم يزل أبو بكر يتوقع ذلك فلم يره، وأنسيه المنصور، ثم حج وأبو بكر معه، فقال وهو بالمدينة: إني أحب أن أطوف الليلة في المدينة، فانظروا لي رجلا يعرف منازل أهل المدينة ومساكنها ورباعها وطرقها وأخبارها، يكون معي فيعرفني ذلك! فقالوا له: ما تعلم أحدا أعلم بذلك من أبي بكر. فأمر بالحضور، وخرج المنصور على حمار يطوف معه في سكك المدينة، ويسأله عن ربع ربع وسكة سكة، فيخبره لمن هو ولمن كان، حتى مر ببيت عاتكة، فسأل عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص، من الكامل: يابيت عاتكة الذي أتعزل..حذر العدى وبه الفؤاد موكل. وأنشده القصيدة حتى بلغ قوله: وأراك تفعل ما تقول ومنهم..مذق الحديث يقول ما لايفعل. فقال له المنصور: ويحك يا أبا بكر وفي الدنيا أحد يعد ولاينجز ويقول ولايفعا! قال: نعم، يا أمير المؤمنين، إذا نسي. قال: فضحك المنصور وقال: صدقت! أذكرتني ماكنت وعدتك، لاجرم والله لاتصبح حتى يأتيك ذلك! قال: فلم يصبح حتى وجه بجارية نفيسة بفرشها وأثاثها ووصلنا بمال.

قال الهذلي: طلبت إذن على المنصور، فوعدت بيوم أدخل عليه فيه، فوافيت ذلك اليوم، فوجدت أبا حنيفة وعمرو بن عبيد قد سبقاني، فقعدنا قليلا، ثم خرج الآذان فأذن، وكنت هيأت كلاما ألقى به أبا جعفر المنصور، وهيأ أبو حنيفة مثل ذلك.

فلما رأيناه أرتج علينا وكان جهدنا أن أقمنا التسليم، فأومأ برأسه إلينا، فجلست أنا وأبو حنيفة في شق، وجلس عمرو بن عبيد في شق. فأقبل أبو جعفر ينكت في الأرض وقد طأطأ رأسه، فرفع عمرو رأسه فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (5) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر] يا أمير المؤمنين، بالمرصاد لمن عمل مثل عملهم أن ينزل به مثل مانزل بهم، فاتق الله يا أمير المؤمنين، فإن وراءك نيرانا تأجج من الجور، ما يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. فقال: يا أبا عثمان، إنا لنكتب إليهم في الطوامير فآمرهم بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإن لم يفعلوا فما عسى أن نصنع؟ فقال: يا أمير المؤمنين، مثل أذن فأرة يجزيك من الطوامير، الله تكتب إليهم في حاجة نفسك فينفذونها، وتكتب إليهم في حاجة الله فلا تنفذ، إنك والله لو لم ترض من عمالك إلا بالعدل إذن لتقرب إليك من لانية له فيه! ثم ذكر سليمان بن مجالد ومعارضته لعمرو. فقال له عمرو: يا ابن مجالد، خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين، ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصيحته! يا أمير المؤمنين، إن هؤلاء اتخذوك سلما لشهواتهم، فأنت كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب، فاتق الله يا أمير المؤمنين، فإنك ميت وحدك ومبعوث وحدك ومحاسب وحدك، لن يغني عنك هؤلاء من الله شيئا! فأطرق أبو جعفر يفكر في كلامه، ثم دعا خادما فسار بشيء، فأتاه بمنديل فيه دنانير، فقال: يا أبا عثمان، بلغني ما الناس فيه من الشدة، فاصرف هذه حيث شئت! قال: ماكنت لآخذها! قال: لتأخذنها! قال: لا آخذها! قال: والله لتأخذنها! قال: والله لا آخذها! فقال له المهدي: أيحلف أمير المؤمنين لتأخذنها وتحلف أنت لا تأخذه؟! فقال عمرو: يا أبن أخي، أمير المؤمنين أقدر على الكفارة مني! فقال أبو جعفر للمهدي: اسكت فإن عمك بنا واثق. قال: فسكت وقعد قليلا، وقمنا، فقلت لأبي حنيفة عند خروجنا: عد أنا نسينا ما أردنا من الكلام، فكيف ذهب عنا أن نجيء بما جاءؤ به عمرو من كتاب الله؟!

قال: ودخلت على محمد بن سيرين، وقد خدرت رجلاه، وقد نقعهما في الماء وهو يتمثل بقول قيس بن ذريح: من الطويل: إذا خدرت رجلي تذكرت من لها..فناديت لبنى باسمها ودعوت..دعوت التي لو أن نفسي تطيعني..لألقيت نفسي نحوها فقضيت. فقلت: يا أبا بكر، أتنشد مثلها؟ فقال: يالكع، إنما هو كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح! وقال: قال لي السفاح: بأي شيء بلغ حسنكم مابلغ؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، جمع كتاب الله وهو ابن اثنتي عشرة سنة؛ فلم يجاوز سورة إلى غيرها حتى يعرف تأويلها وفيما أنزلت، ولم يقلب درهما في تجارة، ولم يل لسلطان إمارة، ولم يأمر بشيء حتى يدعه. فقال: بهذا بلغ الشيخ.

مراجع: نور القبس/مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ تاريخ دمشق/ المحاسن والمساوئ/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/

◆ أبو مسلم الخراساني، صاحب الدعوة العباسية في خراسان، والوالي (زمن عبد الله السفاح، ثم أبو جعفر عبد الله المنصور) وإبراهيم الصائغ 0597

كان إبراهيم بن ميمون الصائغ[1] ومحمد بن ثابت العبدي[2] صديقين لأبي مسلم[3] الداعية بخراسان يجلسان إليه ويسمعان كلامه فلما أظهر الدعوة بخراسان وقام بهذا الأمر دس إليهما من يسألهما عن نفسه وعن الفتك به، فقال محمد بن ثابت: لا أرى أن يفتك به لأن الأيمان قيد الفتك، وقال إبراهيم الصائغ: أرى أن يفتك به ويقتل، فولى أبو مسلم محمد بن ثابت العبدي قضاء مرو، وبعث إلى إبراهيم الصائغ فقتل، وقد روي أن إبراهيم الصائغ كان أتى أبا مسلم فوعظه فقال له: أنصرف إلى منزلك فقد عرفنا رأيك، فرجع ثم تحنط بعد ذلك وتكفن وأتاه وهو في مجمع من الناس فوعظه وكلمه بكلام شديد فأمر به فقتل وطرح في بئر.

وفي رواية كان إبراهيم بن ميمون الصائغ من أصحابه وجلسائه في زمن الدعوة، وكان يعده إذا ظهر أن يقيم الحدود، فلما تمكن أبو مسلم ألح عليه إبراهيم بن ميمون في القيام بما وعده به حتى أحرجه، فأمر بضرب عنقه، وقال له: لم لا كنت تنكر على نصر بن سيار[4] وهو يعمل أواني الخمر من الذهب فيبعثها إلى بني أمية ؟ فقال له: إن أولئك لم يقربوني من أنفسهم ويعدوني منها ما وعدتني أنت.

وفي رواية أخرى قال الحسن بن رشيد العنبري: سمعت يزيد النحوي، يقول: أتاني إبراهيم الصائغ، فقال لي: ما ترى ما يعمل هذا الطاغية، إن الناس معه في سعة، غيرنا أهل العلم. قلت، لو علمت أنه يصنع بي إحدى الخصلتين لفعلت، إن أمرت ونهيت يقبل أو يقتل، ولكني أخاف أن يبسط علينا العذاب، وأنا شيخ كبير، لا صبر لي على السياط. فقال الصائغ: لكني لا أنتهي عنه، فذهب فدخل عليه، فأمره ونهاه، فقتله.وذكر بعضهم أن أبا مسلم كان يجتمع – قبل أن يدعو – بإبراهيم الصائغ، ويعده بإقامة الحق، فلما ظهر وبسط يده، دخل عليه فوعظه.

قال ابن المبارك: لما بلغ أبا حنيفة[5] قتل إبراهيم الصايغ بكى حتى ظننا أنه سيموت، فخلوت به فقال: والله كان رجلا عاقلا ولقد كنت أخاف عليه هذا الأمر قلت: وكيف كان سببه؟ قال: كان يقدم ويسألني وكان شديد البذل لنفسه في طاعة الله وكان شديد الورع وكنت ربما قدمت إليه بشيء فيسألني عنه ولا يرضاه ولا يذوقه وربما رضيه فأكله فيسألني عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن اتفقنا على أنه فريضة من الله تعالى فقال لي: مد يدك حتى أبايعك فأظلمت الدنيا بيني وبينه فقلت: ولم ؟ قال: دعاني إلى حق من حقوق الله فامتنعت عليه وقلت له: إن قام به رجل واحد قتل ولم يصلح للناس أمر ولكن إن كان وجد عليه أعوانا صالحين ورجل يرأس عليهم مأمونا على دين الله، قال: وكان يتقاضى ذلك كلما قدم علي تقاضي الغريم الملح وكلما قدم علي تقاضاني فأقول له هذا الأمر لا يصلح بواحد ما أطاقته الأنبياء حتى عقدت عليه من السماء وهذه فريضة ليست كالفرائض يقوم لها الرجل وحده وهذا متى أمر الرجل به وحده أشاط بدمه وعرض نفسه للقتل فأخاف أن يعين على قتل نفسه ولكن ينتظر فقد قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة] الآية ثم خرج إلى مرو حتى كان أبو مسلم فكلمه بكلام غليظ فأخذه فاجتمع عليه فقهاء أهل خرسان وعبادهم حتى أطلقوه ثم عاوده فزجره ثم عاوده ثم قال: ما أجد شيئا أقوم به لله تعالى أفضل من جهادك ولا جاهدنك بلساني ليس لي قوة بيدي لكان يراني الله وأنا أبغضك فيه فقتله رحمه الله تعالى، روى له النسائي وأبو داود وقال النسائي لا بأس به.

■ (1) إبراهيم بن ميمون الصائغ كنيته أبو إسحاق من أهل مرو يروى عن عطاء بن أبي رباح ونافع روى عنه حسان بن إبراهيم وداود بن أبي الفرات وأهل بلده وكان إبراهيم فقيها فاضلا من الأمارين بالمعروف قتله أبو مسلم سنة131 هـ قال إسحاق عن يحيى: ثقة. وقال أبو زرعة: لا بأس به. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به

■ (2) محمد بن ثابت العبدي من أهل البصرة أخو عزرة بن ثابت بن أبي زيد بن أخطب واسم أبي زيد عمرو يروي عن نافع وعمرو بن دينار كنيته أبو عبد الله وقد قيل أبو النضر كان على قضاء مرو مات سنة 147 هـ روى عنه بن المبارك ووكيع وهم إخوة ثلاثة عزرة ومحمد وعلي فما عزرة فثقة وأما علي فصدوق في الرواية قليل الحديث وأما محمد فإنه كان يرفع المراسيل ويسند الموقوفات توهما من سوء حفظه فلما فحش ذلك منه بطل الاحتجاج به.

■ (3) أبو مسلم الخراساني، عبد الرحمن بن مسلم: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة. ولد سنة 100 في ماه البصرة مما يلي أصبهان عند عيسى ومعقل ابني إدريس العجلي، فربياه إلى أن شب، فاتصل بابراهيم بن الامام محمد من بني العباس فأرسله إبراهيم إلى خراسان، داعية، فأقام فيها واستمال أهلها. ووثب على ابن الكرماني والي نيسابور فقتله واستولى على نيسابور، وسلم عليه بامرتها، فخطب باسم السفاح العباسي عبد الله بن محمد ثم سير جيشا لمقاتلة مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فقابله بالزاب بين الموصل وإربل وانهزمت جنود مروان إلى الشام، وفر مروان إلى مصر، فقتل في بوصير، وزالت الدولة الاموية الاولى سنة 132 هـ وصفا الجو للسفاح إلى أن مات، وخلفه أخوه المنصور، فرأى المنصور من أبي مسلم ما أخافه أن يطمع بالملك، وكانت بينهما ضغينة، فقتله برومة المدائن سنة 137 هـ عاش أبو مسلم سبعا وثلاثين سنة بلغ بها منزلة عظماء العالم، حتى قال فيه المأمون: أجل ملوك الأرض ثلاثة، وهم الذين قاموا بنقل الدول وتحويلها: الاسكندر، وأزدشير، وأبو مسلم الخراساني. وكان فصيحا بالعربية والفارسية، مقداما، داهية حازما، راوية للشعر، يقوله، قصير القامة، أسمر اللون، رقيق البشرة حلو المنظر، طويل الظهر قصير الساق، لم ير ضاحكا ولا عبوسا، تأتيه الفتوح فلا يعرف بشره في وجهه، وينكب فلا يرى مكتئبا، خافض الصوت في حديثه، قاسي القلب: سوطه سيفه. وفي (الروض المعطار): كان إذا خرج رفع أربعة آلاف أصواتهم بالتكبير، وكان بين طرفي موكبه أكثر من فرسخ، وكان يطعم كل يوم مئة شاة.وفي (البدء والتاريخ): كان أقل الناس طمعا: مات وليس له دار ولا عقار ولا عبد ولا أمة ولا دينار. وقال الذهبي: (كان ذا شأن عجيب، شاب دخل خراسان ابن تسع عشرة سنة، على حمار بإكاف، وحزمة وعرمة، فما زال يتنقل حتى خرج من مرو، بعد عشر سنين، يقود كتائب أمثال الجبال، فقلب دولة وأقام دولة، وذلت له رقاب الامم، وراح تحت سيفه ستمائة ألف أو يزيدون !) وللمرزباني محمد بن عمران المتوفي سنة 378 كتاب (أخبار أبي مسلم) في نحو مئة ورقة.

■ (4) نصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني. أمير، من الدهاة الشجعان. كان شيخ مضر بخراسان، ووالي بلخ، ثم ولي إمرة خراسان سنة 120هـ، بعد وفاة أسد بن عبد الله القسري، ولاه هشام بن عبد الملك، وغزا ما وراء النهر، ففتح حصونا وغنم مغانم كثيرة، وأقام بمرو، وقويت الدعوة العباسية في أيامه، فكتب إلى بني مروان بالشام يحذرهم وينذرهم، فلم يأبهوا للخطر، فصبر يدبر الأمور إلى أن أعيته الحيلة وتغلب أبو مسلم على خراسان، فخرج نصر من مرو سنة 130 هـ ورحل إلى نيسابور، فسير أبو مسلم إليه قحطبة بن شبيب، فانتقل نصر إلى قومس وكتب إلى ابن هبيرة –وهو بواسط– يستمده، وكتب إلى مروان –وهو بالشام– وأخذ يتنقل منتظرا النجدة إلى أن مرض في مفازة بين الري وهمذان، ومات بساوة.سنة 131 هـ. وقد ولي إمرة خراسان عشر سنين.

■ (5) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة، وهو من رهط حمزة الزيات؛ كان خزازا يبيع الخز (نوع من الأقمشة)، وجده زوطى من أهل كابل (ناحية معروفة من بلاد الهند)، وقيل بابل، وقيل من أهل الأنبار، وقيل من أهل نسا، وقيل من أهل ترمذ، وهو الذي مسه الرق فأعتق، وولد ثابت على الإسلام. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، من أبناء فارس من الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط. وكانت ولادة أبي حنيفة سنة 80 هـ، وقيل سنة 61 هـ، والأول أصح، وتوفي في رجب، وقيل في شعبان سنة 150 هـ، وقيل لأحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من السنة، وقيل 151 هـ وقيل 153 هـ، والأول أصح؛ وكانت وفاته في السجن ليلي القضاء فلم يفعل، هذا هو الصحيح، وقيل إنه لم يمت في السجن، وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي سنة 150 هـ،، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور.

قال العصامي: وفي ابن خلكان وغيره: كان أبو مسلم قد سمع الحديث وروى عنه، وأنه خطب يوما فقام إليه رجل، فقال: ما هذا السواد الذي أرى عليك؟ فقال أبو مسلم: حدثني أبو الزبير، عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح، وعلى رأسه عمامة سوداء، وهذه ثياب الهيبة وثياب الدولة، يا غلام، اضرب عنقه. قلت: حديث جابر هذا في صحيح مسلم، ومن ثم كان شعار بني العباس في الخطبة السواد.وكان أبو مسلم فصيحا عالما بالأمور شجاعا فاتكا، ولم ير قط مازحا، ولا يظهر عليه سرور ولا غضب، ولا يأتي النساء إلا مرة واحدة في السنة، وكان يقول: النكاح جنون، ويكفي العاقل أن يجن في السنة إلا مرة واحدة. وأحصي من قتله أبو مسلم صبرا، وفي حروبه، فكانوا ستمائة ألف ونيفا. وفي المحاسن قال: قال ابن المعافي لأبي مسلم: أيها الأمير، لقد قمت بأمر لا يقصر بك ثوابه عن الجنة في إقامة دولة بني العباس، فقال: خوفي من النار والله أولى من طمعي في الجنة؛ إني أطفأت من بني أمية جمرة، وألهبت من بني العباس نيرانا، فإن أفرح بالإطفاء فواحسرتا من الإلهاب. وحدث أبو نميلة، عن أبيه قال: سمعت أبا مسلم بعرفات يقول في الموقف باكيا: اللهم، إني أتوب إليك مما أظن أنك لن تغفره لي، فقلت: أيها الأمير، أيعظم على الله تعالى غفران ذنب؟ فقال: إني نسجت ثوبا من الظلم لا يبلى ما دامت الدولة لبني العباس، فكم صارخ وصارخة تلعنني عند تفاقم هذا الأمر، فكيف يغفر الله تعالى لمن هذا الخلق خصماؤه؟! انتهى.

قال خير الدين الزركلي: عاش أبو مسلم سبعا وثلاثين سنة بلغ بها منزلة عظماء العالم، حتى قال فيه المأمون: أجل ملوك الأرض ثلاثة، وهم الذين قاموا بنقل الدول وتحويلها: الاسكندر، وأزدشير، وأبو مسلم الخراساني. وكان فصيحا بالعربية والفارسية، مقداما، داهية حازما، راوية للشعر، يقوله، قصير القامة، أسمر اللون، رقيق البشرة حلو المنظر، طويل الظهر قصير الساق، لم ير ضاحكا ولا عبوسا، تأتيه الفتوح فلا يعرف بشره في وجهه، وينكب فلا يرى مكتئبا، خافض الصوت في حديثه، قاسي القلب: سوطه سيفه. وفي (الروض المعطار): كان إذا خرج رفع أربعة آلاف أصواتهم بالتكبير، وكان بين طرفي موكبه أكثر من فرسخ، وكان يطعم كل يوم مئة شاة. وفي (البدء والتاريخ): كان أقل الناس طمعا: مات وليس له دار ولا عقار ولا عبد ولا أمة ولا دينار. وقال الذهبي: كان ذا شأن عجيب، شاب دخل خراسان ابن تسع عشرة سنة، على حمار بإكاف، وحزمة وعرمة، فما زال يتنقل حتى خرج من مرو، بعد عشر سنين، يقود كتائب أمثال الجبال، فقلب دولة وأقام دولة، وذلت له رقاب الأمم، وراح تحت سيفه ستمائة ألف أو يزيدون !. وكان أبو مسلم سفاكا للدماء، يزيد على الحجاج في ذلك. وللمرزباني محمد بن عمران المتوفي سنة 378 كتاب (أخبار أبي مسلم) في نحو مئة ورقة.

قال رؤبة بن العجاج[1]: كان أبو مسلم فصيحا على غلظ وفصح كان في لسانه، دخلت عليه فأنشدته:لبيك إذ دعوتني لبيكا..أحمد ربا ساقني إليكا..أصبح سيف الله في يديكا.فأمر لي بكسوة ومال وقال لي: يا رؤبة، إن لك إلينا عودة وعلينا معولا، والدهر اطراق مستتب، فإذا أتيت خراسان فصر إلي أغنك، فقلت له: إني أريد أن أسالك وأنا أفرق منك، فقال: سل آمنا، فقلت: أرى لسانا عضبا وكلاما فصيحا، فأين نشأت أيها الأمير؟ قال: بالكوفة والشام، قلت: بلغني أنك لا ترحم، قال: كذبوا إني لأرحم؛ قلت: فما هذا القتل؟ قال: إنما أقتل من يريد قتلي. وقال ابن شبرمة: دخلت على أبي مسلم وفي حجره مصحف وإلى جانبه سيف، فسلمت عليه، فقال: يا أبا شبرمة إنما هما أمران: زهد في الدنيا أو سيف يضرب به أهل العناد.

قالوا: وكان المنصور يقول: أخطأت مرات وقاني الله شرها، قتلت أبا مسلم وحولي من يقدم طاعته على طاعتي فلو وثبوا بي وأنا في خرق لذهبت ضياعا، وخرجت يوم الراوندية ولو أصابني سهم غرب لذهبت ضياعا، وخرجت إلى الشام ولو اختلفت بالعراق سيفان لذهبت الخلافة ضياعا. قال أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب: سمعت علي بن عثام يقول: قال إبراهيم الصايغ: لما رأيت العرب وصنيعها خفت ألا يكون لله فيهم حاجة فلما سلط الله عليهم أبا مسلم رجوت أن يكون لله فيهم حاجة. قال علي: كان يقال: ما انتقم الله لقوم إلا بشر منهم. وقد رأى بعضهم لإبراهيم بن ميمون هذا منازل عالية في الجنة بصبره على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه كان آمرا ناهيا قائما في ذلك، فقتله أبو مسلم رحمه الله.

■ (1) رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحاف، أو أبو محمد: راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة. مات في البادية، في أيام المنصور سنة 145 هـ وقد أسن. وله ديوان رجز وفي الوفيات: لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ الثقات لابن حبان/ البداية والنهاية/ مغاني الأخبار/ الطبقات الكبرى/ طبقات الحنفية/ الأعلام للزركلي/ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/

◆ أبو جعفر عبد الله المنصور، والي أرمينية (عامل أبو العباس عبد الله السفاح، أول ملوك الدولة العباسية) ورجل من الرعية 0598

عن بعض الهاشميين قال: كنت جالسا عند المنصور[1] بأرمينية، وهو أميرها لأخيه أبي العباس، وقد جلس للمظالم، فدخل عليه رجل، فقال: إن لي مظلمة، وإني أسألك أن تسمع مني مثلا أضربه قبل أن أذكر مظلمتي، قال: قل، قال: إني وجدت الله تبارك وتعالى؛ خلق الخلق على طبقات، فالصبي إذا خرج إلى الدنيا لا يعرف إلا أمه ولا يطلب غيرها، فإذا فزع من شيء لجأ إليها، ثم يرتفع عن ذلك طبقة فيعرف أن أباه أعز من أمه فإن أفزعه شيء لجأ إلى أبيه، ثم يبلغ ويستحكم فإن أفزعه شيء لجأ إلى سلطانه فإن ظلمه ظالم انتصر به فإذا ظلمه السلطان لجأ إلى ربه واستنصره، وقد كنت في هذه الطبقات وقد ظلمني ابن نهيك[2] في ضيعة لي في ولايته فإن نصرتني عليه وأخذت بمظلمتي وإلا استنصرت إلى الله عز وجل ولجأت إليه، فانظر لنفسك أيها الأمير، أو دع! فتضاءل أبو جعفر، وقال: أعد علي الكلام ؟ فأعاده، فقال: أما أول شيء فقد عزلت ابن نهيك عن ناحيته وأمر برد ضيعته.

■ (1) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور، عبد الله الأكبر. الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

■ (2) عثمان بن نهيك؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

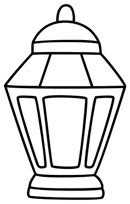

قال مولى لأبي الدرداء: سمعت أبا الدرداء وهو يوصي حبيب بن مسلمة فقال: إياك ودعوة المظلوم، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا ظُلِمَ فلم يَنْتَصِرْ، ولم يكنْ له من ينصرُهُ، فرفعَ طرفَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَدَعَا الله فلبَّاهُ، فقال: لَبَّيْك، وَإِنَّ الله يلبّيه وَيَقُولُ: يَا عَبْدِي أَنَا أَنْتَصِر لك عَاجِلًا وَآجِلًا﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ﴾ (وعزتي لأنصرنك) بفتح الكاف أي أيها المظلوم، وبكسرها أي: أيتها الدعوة (ولو بعد حين) والحين يستعمل لمطلق الوقت، ولستة أشهر، ولأربعين سنة، والله أعلم بالمراد، والمعنى لا أضيع حقك ولا أرد دعاءك، ولو مضى زمان طويل لأني حليم لا أعجل عقوبة العباد لعلهم يرجعون عن الظلم والذنوب إلى إرضاء الخصوم والتوبة، وفيه إيماء إلى أنه تعالى يمهل الظالم ولا يهمله.قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم] وقال عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ [الكهف] روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ﴾ وروى أبو الشيخ ابن حبان أيضا، قال الله عز وجل:﴿وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظَّالِمِ فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، وَلَأَنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظْلُومًا فَقَدَرَ أَنْ يَنْصُرَهُ وَلَمْ يَفْعَلْ﴾ جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿لَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مَوْقِفٍ يُضْرَبُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم قال:﴿أُمِرَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ يُضْرَبُ فِي قَبْرِهِ مِائَةَ جَلْدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُهُ وَيَدْعُو حَتَّى صَارَتْ جَلْدَةً وَاحِدَةً فَامْتَلَأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا، فَلَمَّا ارْتَفَعَ عَنْهُ وَأَفَاقَ قَالَ: عَلَامَ جَلَدْتُمُونِي؟ قِيلَ: إِنَّكَ صَلَّيْتَ بِغَيْرِ طَهُورٍ، وَمَرَرْتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ﴾ فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع قدرته على نصره فكيف حال الظالم؟.

عن إسحاق الموصلي قال: لم يكن المنصور يظهر لندمائه بشرب ولا غناء بل يجلس و بينه وبين الندماء ستارة وبينهم وبينها عشرون ذراعا وبينها وبينه كذلك وأول من ظهر للندماء من خلفاء بني العباس المهدي. قال محمد بن علي الخراساني: المنصور أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية ككتاب كليلة ودمنة وإقليدس وهو أول من استعمل مواليه على الأعمال وقدمهم على العرب وكثر ذلك بعده حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها وكان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وكانوا قبل شيئا واحدا وآذى المنصور خلقا من العلماء ممن خرج معهما أو أمر بالخروج قتلا وضربا وغير ذلك: منهم أبو حنيفة[1] وعبد الحميد بن جعفر[2] وابن عجلان[3] وممن أفتى بجواز الخروج مع محمد[4] على المنصور، مالك بن أنس رحمه الله وقيل له: إن في أعناقنا بيعة للمنصور فقال: إنما بايعتكم مكرهين وليس على مكره يمين. في سنة 145 هـ كان خروج الأخوين محمد[4] و إبراهيم[5] ابني عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب[6] فظفر بهما المنصور فقتلهما وجماعة كثيرة من آل البيت، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وعن عبد الصمد بن علي أنه قال للمنصور: لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو قال: لأن بني مروان لم تبل رممهم وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقة واليوم خلفاء فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة.

قال الأصمعي: لقي المنصور أعرابيا بالشام فقال: أحمد الله يا أعرابي الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت قال: إن الله لا يجمع علينا حشفا وسوء كيل ولايتكم والطاعون. وفي رواية قال المنصور: لبعض أهل الشام: ألا تحمدون الله إذ رفع عنكم الطاعون منذ وليناكم؟ فقال الشامي: إن الله أعدل من أن يجمعكم علينا والطاعون ؛ فسكت، ولم يزل يطلب له العلل حتى قتله. ومن كلام المنصور: الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاثة خلال: إفشاء السر والتعرض للحرم والقدح في الملك، وقال: إذا مد عدوك إليك يده فاقطعها إن أمكنك وإلا فقبلها.

■ (1) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة، وهو من رهط حمزة الزيات؛ كان خزازا يبيع الخز (نوع من الأقمشة)، وجده زوطى من أهل كابل (ناحية معروفة من بلاد الهند)، وقيل بابل، وقيل من أهل الأنبار، وقيل من أهل نسا، وقيل من أهل ترمذ، وهو الذي مسه الرق فأعتق، وولد ثابت على الإسلام. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، من أبناء فارس من الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط. وكانت ولادة أبي حنيفة سنة 80 هـ ، وقيل سنة 61 هـ، والأول أصح، وتوفي في رجب، وقيل في شعبان سنة 150 هـ، وقيل لأحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من السنة، وقيل 151 هـ وقيل 153 هـ، والأول أصح؛ وكانت وفاته في السجن ليلي القضاء فلم يفعل، هذا هو الصحيح، وقيل إنه لم يمت في السجن، وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي سنة 150 هـ، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور.

■ (2) عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع بن سنان الأنصاري الأوسي، أبو الفضل، ويقال: أبو حفص المدني، والد سعد بن عبد الحميد بن جعفر، ويقال: إنهم من ولد الغطيون حلفاء الأوس، ويقال: إن رافع بن سنان جده لأمه.كان الثوري ينقم عليه خروجه مع محمد بن عبد الله. وكان من فقهاء المدينة. يرمى بالقدر. مات بالمدينة سنة 153 هـ، وهو ابن سبعين سنة.

■ (3) محمد بن عجلان. كان مولى لفاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة. ولد في خلافة عبد الملك بن مروان. وكان فقيها مفتيا، عابدا صدوقا، كبير الشأن. له حلقة كبيرة في مسجد رسول الله. وقد خرج على المنصور مع ابن حسن، فلما قتل ابن حسن، هم والي المدينة جعفر بن سلمان أن يجلده. فقالوا له، أصلحك الله: لو رأيت الحسن البصري فعل مثل هذا أكنت تضربه ؟ قال: لا. قيل: فابن عجلان في أهل المدينة كالحسن في أهل البصرة، وقيل: إنه هم بقطع يده حتى كلموه، وازدحم على بابه الناس. قال: فعفا عنه.قالوا: ومات ابن عجلان سنة 148 هـ.

■ (4) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة 145 هـ وهو بن 45 سنة.

■ (5) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، خرج بالبصرة على المنصور، وتحول إلى الكوفة، وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة 145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة وأهل مكة، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في شهر رمضان، فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن أبا جعفر المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى، فخرج إلى المدينة، فلقيه محمد بن عبد الله، فانهزم بأصحابه وقتل.ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر.

■ (6) عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، كان من العباد وكان له شرف وعارضة وهيبة ولسان شديد وأدرك دولة بني العباس ووفد على أبي العباس بالأنبار وكان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز في خلافته ثم أكرمه أبو العباس ووهب له ألف ألف درهم ومات في أيام أبي جعفر وقال ابنه موسى بن عبد الله توفي في حبس أبي جعفر وهو بن 75 سنة وقال الواقدي كان موته قبل مقتل ابنه محمد بن عبد الله بأشهر.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ الخلفاء/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ سير أعلام النبلاء/ مقاييس اللغة/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ بغداد/ الجليس الصالح/ تهذيب الكمال/

◆ أبو عون عبد الملك بن يزيد، أمير مصر (عامل أبو العباس السفاح، أول ملوك الدولة العباسية) وعمران بن إبراهيم العدوي 0599

حدث محرز بن يسار اليشكري، قال: قدم أبو عون[1] مصر، وقتل بها من قتل، واستولى على البلد، أرسل إلى حيوة بن شريح:[2] ائتني، قال: فجاء، فدخل عليه، قال: فقال: إنا معشر الملوك لا نعصى، فمن عصانا قتلناه، قد وليتك القضاء، قال: أو آمر أهلي؟،قال: اذهب. قال: فجاء حيوة بن شريح إلى أهله، فغسل رأسه ولحيته، ونال شيئا من طيب، ولبس أنظف ما قدر عليه من الثياب، قال: ثم جاء فدخل عليه، قال: فقال: من جعل السحرة أولى بها قالوا منا:﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه] فلست أتولى لك شيئا، قال: فأذن له فرجع.

■ (2) حيوة بن شريح بن صفوان التجيبي (أو الحضرمي) أبو زرعة المصري الفقيه، من رؤوس العلم والعمل بديار مصر. روى عن ربيعة بن يزيد القصير وعقبة بن مسلم ويزيد بن أبي حبيب وأبي يونس سليم بن جبير وطائفة. وعنه ابن المبارك وأبو وهب وأبو عاصم. والمقري وعبد الله بن يحيى البرلسي، وجماعة آخرهم موتا هانئ بن المتوكل الإسكندراني. توفي حيوة سنة 158 هـ على الصحيح.

■ (1) عبد الملك بن يزيد، أبو عون الأزدي مولاهم الجرجاني. مولى بني هناءة من الأزد. أحد قواد بني العباس. شهد حصار دمشق مع عبد الله وصالح ابني علي. وكان نازلا على باب كيسان، ومضى إلى مصر في طلب مروان، وولي إمرة مصر في خلافة السفاح خلافة لصالح بن علي مرتين، وكانت ولايته الثانية عليها ثلاث سنين وستة أشهر.من سنة 133 هـ إلى سنة 136 هـ ثم ثاني مرة من سنة 137 هـ إلى سنة141 هـ فكان في زمن السفاح على أرمينية وأذربيجان والجزيرة أبو جعفر المنصور، وعلى الشام وأعمالها عبد الله بن علي عم السفاح، وعلى خراسان وأعمالها أبو مسلم الخراساني، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك. وفي زمن المنصور عزل حميد بن قحطبة، وولى أبا عون عبد الملك بن يزيد، ثم عزله. وقد ولي الخلافة المهدي فرد حميد بن قحطبة وفي زمن المهدي توفي حميد بن قحطبة وهو على خراسان، فاستعمل المهدي بعده عليها أبا عون عبد الملك بن يزيد. وقيل معاذ بن مسلم.

■ (1) عبد الله بن عون ابن أمير الديار المصرية أبي عون عبد الملك بن يزيد الهلالي البغدادي أبو محمد الأدمي الخراز الزاهد. أخو محرز بن عون. وقال صالح جزرة: ثقة مأمون، يقال إنه كان من الأبدال. وقال ابن منيع: ثنا عبد الله بن عون الخزاز وكان من خيار عباد الله. قال: ومات في رمضان سنة 132 هـ، قلت: وقع حديثه عاليا.

ذكر أن أبا عون عبد الملك بن يزيد مرض، فعاده المهدي؛ فإذا منزل رث وبناء سوء؛ وإذا طاق صفته التي هو فيها لبن. قال: وإذا مضربة ناعمة في مجلسه، فجلس المهدي على وسادة، وجلس أبو عون بين يديه، فبره المهدي، وتوجع لعلته. وقال أبو عون: أرجو عافية الله يا أمير المؤمنين؛ وألا يميتني على فراشه حتى أقتل في طاعتك؛ وإني لواثق بألا أموت حتى أبلى الله في طاعتك ما هو أهله؛ فإنا قد روينا، قال: فأظهر له المهدي رأيا جميلا، وقال: أوصني بحاجتك، وسلني ما أردت، واحتكم في حياتك ومماتك؛ فوالله لئن عجز مالك عن شيء توصي به لأحتملنه كائنا ما كان؛ فقل وأوص. قال: فشكر أبو عون ودعا، وقال: يا أمير المؤمنين؛ حاجتي أن ترضى عن عبد الله بن أبي عون[1]، وتدعو به، فقد طالت موجدتك عليه. قال: فقال: يا أبا عون، إنه على غير الطريق، وعلى خلاف رأينا ورأيك؛ إنه يقع في الشيخين أبي بكر وعمر، ويسيء القول فيهما. قال: فقال أبو عون: هو والله يا أمير المؤمنين على الأمر الذي خرجنا عليه، ودعونا إليه؛ فإن كان قد بدا لكم فمرونا بما أحببتم حتى نطيعكم. قال: وانصرف المهدي، فلما كان في الطريق قال لبعض من كان معه من ولده وأهله: ما لكم لا تكونون مثل أبي عون! والله ما كنت أظن منزله إلا مبنيا بالذهب والفضة؛ وأنتم إذا وجدتم درهما بنيتم بالساج والذهب.

حدث أبو يحيى الخليل الشيعي قال: قدم عبد الملك بن يزيد وخالد بن برمك على الإمام فقال لعبد الملك: نعم العون أنت لنا فأنت أبو عون، وأنت يا خالد فإنك ستصير وزيرا لولد العباس، فأنت أبو العباس، فهو الذي كناهما.

■ (1) عبد الله بن عون ابن أمير الديار المصرية أبي عون عبد الملك بن يزيد الهلالي البغدادي أبو محمد الأدمي الخراز الزاهد. أخو محرز بن عون. وقال صالح جزرة: ثقة مأمون، يقال إنه كان من الأبدال. وقال ابن منيع: ثنا عبد الله بن عون الخزاز وكان من خيار عباد الله. قال: ومات في رمضان سنة 132 هـ، قلت: وقع حديثه عاليا.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ / تاريخ بغداد/ تاريخ الرسل والملوك/ تاريخ الطبري/.

قال إبراهيم بن عيسى بن أبي جعفر المنصور: سمعت عمي سليمان بن أبي جعفر[1] يقول: كنت واقفا على رأس المنصور ليلة وعنده إسماعيل بن علي[2]، وصالح بن علي[3]، وسليمان بن علي[4]، وعيسى بن علي[5]، فتذاكروا زوال ملك بني أمية وما صنع بهم عبد الله[6]، وقتل من قتل منهم بنهر أبي فطرس*، فقال المنصور: رحمة الله ورضوانه على عمي، ألا من عليهم حتى يروا من دولتنا ما رأينا من دولتهم، ويرغبوا إلينا كما رغبنا إليهم، فلقد لعمري عاشوا سعداء وماتوا فقراء، فقال له إسماعيل بن علي: يا أمير المؤمنين! إن في حبسك عبد الله بن مروان بن محمد[7]،–وقيل عبيد الله؟– وقد كانت له قصة عجيبة مع ملك النوبة، فابعث فسله عنها، فقال: يا مسيب[8]علي به، فأخرج فتى مقيدا بقيد ثقيل وغل ثقيل فمثل بين يديه، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: يا عبد الله! رد السلام أمن، ولم تسمح لك نفسي بذلك بعد، ولكن اقعد، فجاؤوا بوسادة فثنيت فقعد عليها، فقال له: لقد بلغني أنه كانت لك قصة عجيبة مع ملك النوبة فما هي؟ قال: يا أمير المؤمنين! لا والذي أكرمك بالخلافة، ما أقدر على النفس من ثقل الحديد، ولقد صدىء قيدي مما أرشش عليه من البول، وأصب عليه الماء في أوقات الصلوات، فقال: يا مسيب! أطلق عنه حديده، ثم قال: نعم يا أمير المؤمنين، لم قصد عبد الله بن علي إلينا، كنت المطلوب من بين الجماعة، لأني كنت ولي عهد أبي من بعده، فدخلت إلى خزانة فاستخرجت منها عشرة آلاف دينار، ثم دعوت عشرة من غلماني وحملت كل واحد على دابة ودفعت إلى كل غلام ألف دينار وأوقرت خمسة أبغل فرشا، وشددت في وسطي جوهرا له قيمة مع ألف دينار، وخرجت هاربا إلى بلاد النوبة فسرت فيها ثلاثا، فوقفت إلى مدينة خراب فأمرت الغلمان فعدلوا إليها وكشحوا منها ما كان قذرا ثم، بسطنا بعض تلك الفرش، ودعوت غلاما لي كنت أثق بعقله، فقلت: انطلق إلى الملك فأقرئه مني السلام، وخذ لي منه الأمان وابتع لي ميرة، قال: فأبطأ علي حتى سؤت به ظنا، ثم أقبل ومعه رجل آخر، فلما أن دخل كفر* لي ثم قعد بين يدي، فقال لي: الملك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: من أنت؟ وما جاء بك إلى بلادي؟ أمحارب أم راغب إلي أم مستجير بي، قلت: ترد على الملك السلام، وتقول له: أما محاربا لك فمعاذ الله فأما راغبا في دينك فما كنت أبغي بديني بدلا، وأما مستجير بك فلعمري، قال: فذهب ثم رجع إلي، فقال: إن الملك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: أنا صائر إليك غدا فلا تحدثن في نفسك حدثا ولا تتخذ شيئا من ميرة فإنها تأتيك وما تحتاج إليه، فأقبلت الميرة فأمرت غلماني ففرشوا ذلك الفرش كله وأمرت بفرش فنصبت له ولي مثله، وأقبلت من غد أرقب مجيئه، فبينا أنا كذلك إذ أقبل غلماني يحضرون*، قالوا: إن الملك قد اقبل، فقمت بين شرفتين من شرف القصر أنظر إليه، فإذا أنا برجل قد لبس بردين ائتزر بأحدهما وارتدى الآخر، حاف راجل وإذا عشرة معهم الحراب ثلاثة يقدمونه وسبعة خلفه، وإذا الرجل الموجه إلي جنبة فاستصغرت أمره، وهان علي لما رأيته في تلك الحال، وسولت لي نفسي قتله، فلما قرب من الدار إذا أنا بسواد عظيم، فقلت: ما هذا السواد؟ فقيل: الخيل، فوافى يا أمير المؤمنين زهاء عشرة آلاف عنان، وكان موافاة الخيل الدار في وقت دخوله فأحد قوابها، فدخل إلي فلما نظر إلي، قال: لترجمانه: أين الرجل؟ فأومأ الترجمان إلي، فلما نظر إلي، وثبت له فأعظم ذلك وأخذ بيدي فقبلها ووضعها على صدره، وجعل يدفع ما وإلى الفسطاط برجله ويشوش الفرش، فظننت أن ذلك شيئا يجلونه أن يطؤوا على مثله حتى انتهى إلى الفراش فقلت لترجمانه: سبحان الله لم لم يقعد على الموضع الذي قد وطىء، فقال: قل له: إني ملك، وحق كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه الله، قال: ثم أقبل طويلا ينكت بإصبعه في الأرض ثم رفع رأسه، فقال لي، كيف سلبتم هذا الملك وأخذ منكم وأنت أقرب الناس إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فقلت: جاء من كان أقرب قرابة إلى نبينا صلى الله عليه وسلم فسلبنا وقتلنا فطردنا، فخرجت إليك مستجيرا بالله عز وجل ثم بك، قال: كنتم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم؟ فقلت: فعل ذلك عبيد وأتباع وأعاجم دخلوا في ملكنا، من غير رأينا، قال: فلم كنتم تلبسون الحرير والديباج، وعلى دوابكم الذهب والفضة وقد حرم ذلك عليكم، قلت: عبيد وأتباع دخلوا في ملكنا، قال: قال: فلم كنتم أنتم بأعيانكم إذا خرجتم إلى نزهكم وصيدكم تقحمتم على القرى فكلفتم أهلها ما لا طاقة لهم به، بالضرب الوجيع ثم لا يقنعكم ذلك حتى تدوسوا زروعكم فتفسدوها في طلب دراج قيمته نصف درهم، أو في عصفور قيمته لا شيء والفساد محرم عليكم في دينكم، قلت: عبيد وأتباع، قال: لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم وأتيتم ما عنه نهاكم، فسلبكم الله العز وألبسكم الذل، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد، وإني أتخوف أن تنزل النقمة وهي إذا نزلت عمت وشملت، فاخرج بعد ثلاث، فإني أن وجدتك بعدها أخذت جميع ما معلك وقتلتك وقتلت جميع من معك، ثم وثب فخرج. فأقمت ثلاثا وخرجت إلى مصر، فأخذني واليك فبعث بي إليك فها أنذا والموت أحب إلي من الحياة ، قال: فهم أبو جعفر بإطلاقه، فقال له إسماعيل بن علي: في عنقي بيعة له، قال: فماذا ترى؟ قال: ينزل في دار من دورنا ونجري عليه ما يجري على مثله، قال: ففعل ذلك به، فوالله ما أدري أمات في حبسه أن أطلقه المهدي.

خرجتم إلى نزهكم وصيدكم تقحمتم على القرى فكلفتم أهلها ما لا طاقة لهم به، بالضرب الوجيع ثم لا يقنعكم ذلك حتى تدوسوا زروعكم فتفسدوها في طلب دراج قيمته نصف درهم، أو في عصفور قيمته لا شيء والفساد محرم عليكم في دينكم، قلت: عبيد وأتباع، قال: لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم وأتيتم ما عنه نهاكم، فسلبكم الله العز وألبسكم الذل، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد، وإني أتخوف أن تنزل النقمة وهي إذا نزلت عمت وشملت، فاخرج بعد ثلاث، فإني أن وجدتك بعدها أخذت جميع ما معلك وقتلتك وقتلت جميع من معك، ثم وثب فخرج. فأقمت ثلاثا وخرجت إلى مصر، فأخذني واليك فبعث بي إليك فها أنذا والموت أحب إلي من الحياة ، قال: فهم أبو جعفر بإطلاقه، فقال له إسماعيل بن علي: في عنقي بيعة له، قال: فماذا ترى؟ قال: ينزل في دار من دورنا ونجري عليه ما يجري على مثله، قال: ففعل ذلك به، فوالله ما أدري أمات في حبسه أن أطلقه المهدي.

قال الأصمعي: عزم عبد الله بن علي على أن يقتل بني أمية بالحجاز، فقال له عبد الله بن الحسن بن الحسن[9]: يا بن عم، إذا أسرعت بالقتل في أكفائك فمن تباهى بسلطانك؟ فاعف يعف الله عنك، ففعل.

----

*(نهر أبي فطرس) قرب الرملة، بفلسطين(كفر لي) أي سجد لي (يحضرون) أي يجرون كجري الفرس

■ (7) عبد الله بن مروان: من بقايا بني أمية في الشام. شهد وقائع الكارثة وزوال دولتهم في أيام أبيه سنة 131 هـ وفر من عبد الله بن علي العباسي (عم السفاح) إلى بلاد النوبة. ثم ظفر به الأمير نصر بن محمد بن الأشعث، في فلسطين – وقيل في جدة – فأخذه وقدم به على المهدي العباسي في بغداد، فحبسه في المطبق سنة161 هـ ومات في أيام الرشيد نحو 170 هـ وقيل: لم قتل مروان بن محمد المعروف بـ مروان الحمار أو مروان الجعدي سنة 132 هـ، هرب ابناه عبد الله وعبيد الله إلى الحبشة، فقتلوا الأحباش عبيد الله، وهرب عبد الله، ثم بعد فترة ظفر به أبو جعفر المنصور، فاعتقله، ولم يقتله.

■ (7) عبيد الله بن مروان كان ولي عهد أبيه مروان بن محمد، وهو الداخل إلى بلاد النوبة وله مع ملكها حكاية. وقيل إن الذي حكى هذه الحكاية عبد الله أخوه، وعبيد الله قتلته النوبة. وكان قدم مع أبيه دمشق، فعقد له ولاية العهد، ولأخيه عبد الله بدير أيوب عمل دمشق. وتزوج عبيد الله هذا عائشة بنت هشام بن عبد الملك، ولم يعقب

■ (6) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباس: أمير. هو عم الخليفتين السفاح والمنصور. وهو الذي هزم مروان بن محمد بالزاب شمال العراق، وتبعه إلى دمشق، وفتحها وهدم سورها، وقتل من أعيان بني أمية 80 رجلا بأرض الرملة، ومهد دمشق لدخول السفاح وظل أميرا على بلاد الشام مدة خلافته. فلما ولي المنصور خرج عبد الله عليه، ودعا إلى نفسه، فانتدب المنصور لإخضاعه أبا مسلم الخراساني، فقاتله في نصيبين، فانهزم عبد الله واختفى.وصار إلى البصرة، فأمنه المنصور، فاستسلم، وأشخص إلى بغداد وحبس بها، فوقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله سنة 147 هـ.

■ (8) المسيب بن زهير بن عمرو بن جبيل بن الأعرج بن ربيعة بن مسعود بن منقذ بن كوز ، يكنى أبو مسلم الضبي، كان من رجالات الدولة العباسية. ولد في خلافة عمر بن عبد العزيز، وولي شرطة بغداد في أيام المنصور أيام حياته وولي شرط المهدي في أول خلافته ثم ولاه خراسان مدة قصير سنة 166 وولي شرط أمير المؤمنين الرشيد. وتوفى سنة 175 هـ بمنى فدفن أسفل العقبة وقيل: توفي سنة 176 هـ وهو بن ست وسبعين سنة.

■ (4) سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: أمير عباسي، من الأجواد الممدوحين. ولاه ابن أخيه السفاح إمارة البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان سنة133 هـ فأقام فيها إلى أن عزله المنصور سنة 139 هـ فلم يزل في البصرة إلى أن توفي سنة142 هـ.وهو ابن تسع وخمسين سنة.

■ (9) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: تابعي. من أهل المدينة، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف. وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز. ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين، على السفاح وهو بالانبار، فأعطاه ألف ألف درهم. وعاد إلى المدينة. ثم حبسه المنصور، عدة سنوات، من أجل ابنيه محمد وإبراهيم. ونقله إلى الكوفة، فمات سجينا فيها سنة 145 هـ قبل مقتل ابنه محمد بن عبد الله بأشهر.

■ (1) سليمان بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو أيوب الهاشمي. كان أمير دمشق من قبل الرشيد ووليها أيضا من قبل الأمين مرتين. توفي سليمان بن أبي جعفر سنة 199 هـ، وهو ابن 50 سنة

■ (2) إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس، عم المنصور، ولي إمرة البصرة، وأمه أم ولد، وولد بالسراة سنة 103 هـ، وخرج مع ابني أخيه إلى العراق وولي إمرة الموسم سنة 137 هـ. وكان كبير القدر عند المنصور. مات كهلا سنة 147 هـ.

■ (3) صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي الأمير عم السفاح والمنصور، وأول من ولي مصر من قبل الخلفاء العباسيين سنة 133هـ

■ (5) عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عم السفاح والمنصور، مات ببغداد، سنة 181 هـ.

☪

قال القاضي في هذا الخبر اتعاظ ومعتبر وتحذير ومزدجر، والله نسأل توفيقنا وعصمتنا مما يوجب حلول الغير، ويلهمنا الشكر، وييسرنا لأعمال البر، وان يحكم عقدة الأنس بيننا وبين نعمه، حتى يألفنا لشكرنا إياها، وتأدية حق ربنا المنعم علينا بها، ويوطنها فلا نتأى عنها. قيل: لما أحيط بـ مروان الجعدي وهو آخر ملوك بني أمية. قال: والهفاه على دولة ما نصرت وكف ما ظفرت ونعمة ما شكرت! فقال له خادمه بسيل وكان من أشراف أولاد الروم: من أغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر، والخفي حتى يظهر أصابه مثل هذا. وكان العباسيون يؤسسون لدولتهم ولا تصل أخبارهم إلى بني أمية، حتى استفحل أمرهم وضعف أمر بني أمية. وسئل مروان بن محمد الجعدي وهو آخر ملوك بني أمية: ما الذي أضعف ملكك بعد قوة السلطان وثبات الأركان؟ فقال: الاستبداد برأيي، لما كثرت علي كتب نصر بن سيار أن أمده بالأموال والرجال، قلت في نفسي: هذا رجل يريد الاستكثار من الأموال بما يظهر من فساد الدولة قبله، وهيهات أن ينتقض على خراسان فانتقضت دولته من خراسان.

☪

في سنة إحدى وستين ومائة ظفر نصر بن محمد بن الأشعث بعبد الله بن مروان بالشام، فأخذه، وقدم به على المهدي، فحبسه في المطبق، وجاء عمرو بن سهلة الأشعري[1]، فادعى أن عبد الله قتل أباه، وحاكمه عند عافية القاضي فتوجه الحكم على عبد الله فجاء عبد العزيز بن مسلم العقيلي إلى القاضي فقال: زعم عمرو بن سهلة أن عبد الله قتل أباه، وكذب، والله، ما قتل أباه غيري؛ أنا قتلته بأمر مروان، وعبد الله بريء من دمه؛ فترك عبد الله، ولم يعرض المهدي لعبد العزيز، لأنه قتله بأمر مروان. وعن سلمويه أبي صالح قال: لما أقيم عبد الله بن مروان بين يدي المهدي –وكان عامل اليمن وجهه إلى أبي جعفر– فوافى فقال أبو جعفر: أيكم يعرف هذا؟ فتأمله عبد العزيز بن مسلم العقيلي فقال: آه أبا الحكم كيف كنت بعدي؟ نعم يا أمير المؤمنين هذا عبد الله بن مروان، فأمر به إلى المطبق فمات فيه. قالوا: وكان على عبد الله فص ياقوت أحمر يساوي ألف دينار، فكان يقول وهو يمشي: ليت لي به دابة أركبها. وقال بعض من كان مع عبد الله بن مروان: ما رأينا مثله، قاتل فكان أشد الناس، ومشى فكان أقواهم على المشي، وجاعوا فكان أصبرهم على الجوع. قالوا: وبلغ مروان وهو بمصر قتل من قتل بنهر أبي فطرس فبكى حتى كاد يموت.

■ (1) عمرو بن سعيد بن العاص، يسمى الأشدق ولطيم الشيطان، ولي المدينة ليزيد، وكان مروان قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك فقتله عبد الملك، فقيل أنها كانت أول غدرة كانت في الإسلام، دخل مصر مع مروان وقتل سنة 69 هـ وقيل 70 هـ

تنبيه: عمرو بن سعيد بن العاص هو اسمه الصحابي أبو أمية الذي استشهد بأجنادين في نهاية خلافة أبي بكر أو بداية خلافة عمر بن الخطاب سنة 13 هـ

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ الأعلام للزركلي/ سراج الملوك/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) ورجل من الرعية (؟) 0601

ذكر الغزالي وابن بليان وغيرهما، أن أبا جعفر المنصور[1] حج في سنة أربعين ومائة، ونزل في دار الندوة، وكان يخرج سحرا فيطوف بالبيت، فخرج ذات ليلة سحرا، فبينما هو يطوف إذ سمع قائلا يقول: اللهم، إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله الطمع، فهرول المنصور حتى ملأ مسامعه، ثم رجع إلى دار الندوة، وقال لصاحب الشرطة: إن بالبيت رجلا يطوف صفته كذا، فائتني به، فخرج فوجد رجلا عند الركن اليماني، فقال: أجب أمير المؤمنين، فلما دخل عليه، قال له المنصور: الذي سمعتك آنفا تشكوه إلى الله تعالى من ظهور البغي والفساد... إلى آخره؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني! فقال له: يا أمير المؤمنين إن أمنتني أنبأتك بالأمور على جليتها وأصولها، فأمنه فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، إن الذي دخله الطمع، وحال بين الحق وأهله أنت، فقال له المنصور: ويحك! كيف يدخلني طمع، والصفراء والبيضاء ببابي، وملك الأرض في قبضتي؟! فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين، وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك؟! إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم، فأهملت أمورهم، واهتممت بجمع أموالهم، واتخذت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر، وحجبة تمنعهم البلاغ، وأمرت ألا يدخل عليك إلا فلان وفلان، ثم استخلصتهم لنفسك، وآثرتهم على رعيتك، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الجائع ولا العاري، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق. فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجمع الأموال ولا تقسمها، قالوا: هذا قد خان الله ورسوله، فما لنا لا نخونه؟! فاجتمعوا على ألا يصل إليك من أموال الناس إلا ما أرادوا، فصاروا شركاءك في سلطانك، وأنت غافل عنهم، وإذا جاء المظلوم إلى بابك، وجدك قد أوقفت ببابك رجلا ينظر في المظالم؛ فإن كان الظالم من بطانتك، علل المظلوم وسوف به من وقت إلى وقت، فإذا اجتهد وظهرت أنت، فصرخ بين يديك، ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره، وأنت ترى ذلك فلا تنكره. ولقد كانت الخلفاء من قبلك إذا انتهت إليهم الظلامة، أزيلت في الحال. ولقد كنت أسافر إلى الصين، فقدمت مرة إليه، فوجدت الملك الذي به فقد سمعه فبكى، فقال وزراؤه: ما يبكيك؟ فقال: ما بكيت لمصيبة نزلت بي، إنما أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمعه، ثم قال: إن ذهب سمعي، فلم يذهب بصري، نادوا في الناس: لا يلبس أحد أحمر إلا مظلوما. وكان يركب الفيل ويذهب في البلد لعله يجد لابس ثوب أحمر فينصفه؛ فهذا يا أمير المؤمنين رجل مشرك بالله، غلبت رأفته على شح نفسه بالمشركين. فكيف بك وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ يا أمير المؤمنين، إنما يجمع المال لإحدى ثلاث: إن قلت: إنما أجمع المال للولد، فقد أراك الله عبرة في الطفل؛ إذ يسقط من بطن أمه وليس له على وجه الأرض من مال، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه، فلم يزل لطف الله تعالى بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس فيه، وحوى ما حوته تلك اليد الشحيحة، ولست بالذي تعطي، وإنما الله سبحانه وتعالى المعطي. وإن قلت: إنما أجمعه لمصيبة تنزل بي، فقد أراك الله تعالى عبرة في الملوك والقرون الذين خلوا من قبلك، ما أغنى عنهم ما أعدوا من الأموال والذخائر والكراع حين أراد الله تعالى ما أراد. وإن قلت: إنما أجمعه لغاية هي أحسن من الغاية التي أنت فيها، فوالله ما فوق غايتك إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح. فبكى المنصور بكاء شديدا، ثم قال: كيف أعمل، والعلماء قد فرت مني، والصالحون لم يدخلوا علي؟! فقال: يا أمير المؤمنين، افتح الباب، وانتصر للمظلوم من الظالم، وخذ المال مما حل، واقسمه بالحق والعدل، وأنا ضامن من هرب منك أن يعود إليك. ثم خرج الرجل، فقام المنصور للصلاة، فلما صلى، طلب الرجل فلم يجده.

■ (1) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور،عبد الله الأكبر.الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

قال عبد العزيز بن محمد السلمان: العدل: ضد الجور وهو الاعتدال والاستقامة والميل إلى الحق. وشرعا: هو الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينا وفي اصطلاح الفقهاء العدالة استواء أحواله في دينه واعتدال أقواله وأفعاله. ويعتبر لها شيئان الصلاح في الدين واجتناب المحرم، والعدالة تارة يقال لها هي الفضائل كلها من حيث لا يخرج شيء من الفضائل عنها، وتارة يقال لها هي أجمل الفضائل من حيث أن صاحبها يقدر أن يستعملها في نفسه وفي غيره.وقيل في قوله تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى] أي العدل والإنصاف، كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن] وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد] قال قتادة ومجاهد ومقاتل: العدل. وسمي العدل ميزانا لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية، وعبر عن العدالة بالميزان إذ كان من أثرها، ومن أظهر أفعالها للحاسة. ومن مزية العدل أن الجور الذي هو ضد العدل لا يتسبب إلا به فلو أن لصوصا أو نحوهم تشارطوا فيما بينهم شرطا فلم يراعوا العدالة فيه لم ينتظم أمرهم . ومن فضلها أن كل نفس تتلذذ بسماعها وتتألم من ضدها ولذلك حتى الجائر يستحسن عدل غيره إذ رآه أو سمعه. والعدل يدعو إلى الألفة والمحبة ويبعث على الطاعة وتعمر به البلاد وتنمي به الأموال ويكثر معه النسل ويأمن به السلطان لحصول الأمن العادل وانبساط الآمال. وقد قال المرزبان رئيس المجوس لعمر رضي الله عنه لما رآه مبتذلا لا حارس له: عدلت فأمنت فنمت.. والذي يجب أن يستعمل الإنسان العدل معه. أولا : بينه وبين رب العزة جل وعلا بمعرفة أحكامه وتطبيقها بالعمل بها. فأعظم الحقوق على الإطلاق حق الله تعالى على عباده وذلك بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات] وقال عز من قائل:﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة] وفي حديث معاذ المتفق عليه:﴿حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فمن قام بهذا الحق فعبد الله وحده وأدى هذا الحق وقام بحقوقه مخلصا لله، فقد قام بأعظم العدل، ومن صرفه لغير الله فقد جار وظلم، وعدل عن العدل واستحق العقوبة. الثاني : أن يعدل مع نفسه وذلك بحملها على ما فيه صلاحها وكفها عن القبائح ثم بالوقوف في أحوالها جور على أعدل الأمرين من تجاوز أو تقصير، فإن التجاوز في الأحوال جور على النفس والتقصير فيها ظلم لها لمنعها عن كمالها ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم ومن جار على نفسه فهو على غيره أجور، لأن من لم يراع حقوق نفسه فعدم مراعاته حقوق غيره أولى وأحرى. الثالث: عدل الإنسان فيمن دونه كالسلطان في رعيته والرئيس مع صحابته ، وذلك بأمور: الأول إتباع الميسور لهم وترك المعسور وحذفه عنهم وترك التسليط والقهر بالقوة وابتغاء الحق في الميسور ويقيم العدل فيهم قريبهم وبعيدهم غنيهم وفقيرهم وأن يكونوا عنده في هذا سواء. ولا يقصر شيئا من واجبه مع رعيته ولا يهمل شيئا يرقي أدانهم وعقولهم وأخلاقهم ويحفظ عليهم أموالهم ودمائهم وأعراضهم ويكون لهم مثلا أعلى في معاملة بعضهم بعضا بالعدل والإنصاف، فالحاكم كالقلب من الجسد إذا صلح صلح الجسد، فإذا صلح الراعي صلحت الرعية وإذا فسد فسدت، فلهذا مسؤولية ولاة الأمور عظيمة في نظر الشريعة الإسلامية. وقد حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم تحذيرا شديدا روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال:﴿قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي؛ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ؛ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ؛ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا﴾ رواه مسلم، وحقها في نظر الدين أن يقوم بكل شيء فيه مصلحة للمحكومين. ومما يجب عليه أن يستنيب لكل عمل الأكفأ الأمين وليحذر أن يولي عليهم رجلا وفي رعيته خير منه. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنْ عِصَابَةٍ وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مِنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَخَانَ رَسُولَهُ وَخَانَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ رواه الحاكم . وعن يزيد بن أبي سفيان قال: قال لي أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين بعثني إلى الشام: يا يزيد أن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَداً مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ﴾ رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. وعلى الإمام أن يوصي من استنابه بإقامة العدل ويحذرهم من الجور وظلم العباد في الدماء والأموال والأعراض، ويذكرهم حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ﴾ ويتفقدهم في ذلك الأمر الذي هو أساس الصلاح الديني والدنيوي فلا يصلح الدين إلا بالعدل ولا تصلح الدنيا وتستقيم الأمور إلا على العدل. وقال الشيخ تقي الدين أمور الناس تستقم في الدنيا مع العدل الذي فيه اشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وذلك أن العدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، عَدْلُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً، قِيَامُ لَيْلِهَا وَصِيَامُ نَهَارِهَا، وَيَا أَبَا هُرَيْرَةَ: جَوْرُ سَاعَةٍ فِي حُكْمٍ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مَعَاصِي سِتِّينَ سَنَةً﴾ وفي رواية: ﴿عَدْلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً﴾ رواه الأصبهاني. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا: إِمَامٌ عَادِلٌ وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُمْ عَذَابًا -وفي رواية-: وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ جَائِرٌ﴾، وفي الحديث المتفق عليه:﴿سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ -وعد منهم-: الإِمَامُ الْعَادِلُ﴾.

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ أنساب الأشراف/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ التذكرة الحمدونية/ العقد الفريد/ تهذيب الرياسة وترتيب السياسة/ موارد الظمآن لدروس الزمان/ مسند أحمد/ المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) والرجل الثبت الجنان 0602

حدث أحمد بن موسى قال: ما رأيت رجلا أثبت جنانا* ولا أحسن معرفة ولا أظهر حجة من رجل رفع فيه عند المنصور بأن عنده أموالا لبني أمية، فأمر المنصور حاجبه الربيع[1] أن يحضره، فلما حضر بين يديه. قال المنصور: رفع إلينا أن عندك ودائع وأموالا وسلاحا لبني أمية فأخرجها لنا لنجمع ذلك إلى بيت المال. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، أنت وارث لبني أمية ؟ قال: لا. قال: فلم تسأل إذن عما في يدي من أموال بني أمية ولست بوارث لهم ولا وصي. فأطرق المنصور ساعة، ثم قال: إن بني أمية ظلموا الناس وغصبوا أموال المسلمين. فقال الرجل: يحتاج أمير المؤمنين إلى بينة يقبلها الحاكم تشهد أن المال الذي لبني أمية هو الذي في يدي وأنه هو الذي غصبوه من الناس. وأن أمير المؤمنين يعلم أن بني أمية كانت لهم أموال لأنفسهم غير أموال المسلمين التي اغتصبوها على ما يتهم أمير المؤمنين ؟ قال: فسكت المنصور ساعة، ثم قال: يا ربيع، صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شيء، ثم قال للرجل: ألك حاجة ؟ قال: نعم. قال: ما هي ؟ قال: أن تجمع بيني وبين من سعى في إليك فوالله يا أمير المؤمنين ما لبني أمية عندي مال ولا سلاح. وإنما أحضرت بين يديك وعلمت ما أنت فيه من العدل والإنصاف واتباع الحق واجتناب المظالم، فأيقنت أن الكلام الذي صدر مني هو أنجح وأصلح لما سألتني عنه. فقال المنصور: يا ربيع، اجمع بينه وبين الذي سعى به فجمع بينهما. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا أخذ لي خمسمائة دينار وهرب، ولي عليه مسطور شرعي. فسأل المنصور الرجل فأقر بالمال. قال: فما حملك على السعي كاذبا ؟ قال: أردت قتله ليخلص لي المال. فقال الرجل: قد وهبتها له يا أمير المؤمنين، لأجل وقوفي بين يديك وحضوري مجلسك ووهبته خمسمائة دينار أخرى لكلامك لي. فاستحسن المنصور فعله وأكرمه ورده إلى بلده مكرما. وكان المنصور كل وقت يقول: ما رأيت مثل هذا الشيخ قط، ولا أثبت من جنانه ولا من حجني مثله ولا رأيت مثل حمله ومروءته، انتهى.

وذكر عن الفضل بن الربيع عن أبيه، أنه قال: بينا أنا قائما بين يدي المنصور أو على رأسه؛ إذا أتي بخارجي قد هزم له جيوشا، فأقامه ليضرب عنقه، ثم اقتحمته عينه -أي ازدراه-، فقال: يابن الفاعلة، مثلك يهزم الجيوش! فقال له الخارجي: ويلك وسوءة لك! بيني وبينك أمس السيف والقتل، واليوم القذف والسب! وما كان ويؤمنك أن أرد عليك وقد يأست من الحياة فلا تستقيلها أبدا! قال: فاستحيا منه المنصور وأطلقه، فما رأى له وجها حولا.

----

*(الجنان) روع القلب يقال: ما يستقر جنانه من الفزع سمى به لان الصدر أجنه. ويقال: ثبت الجنان: ثابت القلب

■ (1) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان العباسي، مولا هم.الأمير الحاجب، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم ولي وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه إلى الغاية. ويقال: إن الربيع لم يكن يعرف له أب، فدخل هاشمي على المنصور وأخذ يذكره والد الربيع ويترحم عليه، فقال له الربيع: كم ذا تترحم عليه بحضرة أمير المؤمنين، فقال الهاشمي: يا ربيع أنت معذور لا تعرف مقدار الآباء، فخجل منه. وقطيعة الربيع محلة كبيرة ببغداد تنسب إليه.

☪

ذكر لأبي جعفر تدبير هشام بن عبد الملك في حرب كانت له، فبعث إلى رجل كان ينزل برصافة هشام يسأله عن تلك الحرب، فقدم عليه الرجل، فقال له: أنت صاحب هشام، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فأخبرني كيف فعل في حرب دبرها في سنة كذا وكذا، قال: فعل رضي الله عنه فيها كذا وكذا، وفعل رحمه الله كذا وكذا، فأغاظ ذلك المنصور، فقال له: قم عليك غضب [الله]، تطأ بساطي وتترحم على عدوي، فقام الشيخ وهو يقول: إن لعدوك قلادة في عنقي، ومنه في رقبتي لا ينزعها إلا غاسلي، فأمر المنصور برده، وقال: كيف قلت: قال: إنه كفاني الطلب، وصان وجهي عن السؤال، فلم أقف على باب عربي ولا عجمي منذ رأيته، أفلا يجب لي أن أذكره إلا بخير وأتبعه بثنائي: فقال: لله نهضت عنك! أشهد أنك نهيض حرة وغراس كريم، ثم أستمع منه، وأمر له بجائزة، فقال: يا أمير المؤمنين، ما آخذها لحاجة، وما هو إلا أن اتبجح بحبائك وأتشرف بصلتك، فأخذ الصلة، فقال له المنصور: مت إذا شئت، لله أنت لو لم يكن لقومك غيرك كنت قد أبقيت لهم مجدا وقال لجلسائه بعد خروجه عنه: في مثل هذا تحسن الصنيعة، ويوضع المعروف، ويجاد بالمصون، وأنه في عسكرنا مثله.

قال ابن منظور: كان المنصور يسأل مالك بن أدهم كثيرا عن حديث عجلان بن سهيل أخي حوثرة بن سهيل، قال: كنا جلوسا مع عجلان إذ مر بنا هشام بن عبد الملك، فقال رجل من القوم: قد مر الأحوال؛ قال: من تعني؟ قال: هشاما؛ قال: تسمي أمير المؤمنين بالنبز، والله ولولا رحمك لضربت عنقك؛ فقال المنصور: هذا والله الذي ينفع مع مثله المحيا والمات.

حدث علي بن محمد المدائني: أن المنصور قال: صحبت رجلا ضريرا إلى الشام وكان يريد مروان بن محمد بشعر قاله فيه، قال: فسألته أن ينشدني فأنشدني: ليت شعري أفاح رائحة الم..سك وما إن إخال بالخيف إنسي..حين غابت بنو أمية عنه..والبهاليل من بني عبد شمس..خطباء على المنابرفرسا..ن عليها، وقالة غير خرس..لا يعابون قائلين، وإن قا..لوا أصابوا، ولم يقولوا بلبس..وحلوم إذا الحلوم استخفت..ووجوه مثل الدنانير ملس.قال المنصور: فوالله ما فرغ من شعره حتى ظننت أن العمى قد أدركني، وكان والله ممتع الحديث حسن الصحبة. قال: وحججت سنة إحدى وأربعين ومائة، فنزلت على الحمارة في جبلي زرود في الرمل أمشي لنذر كان علي، فإذا أنا بالضرير، فأومأت إلى من كان معي أن يتأخروا، فتأخروا، ودنوت منه، فأخذت بيده فسلمت عليه: فقال: من أنت جعلني الله فداك فما أثبتك معرفة؟ قلت: رفيقك إلى الشام في أيام بني أمية وأنت متوجه إلى مروان، فسلم علي وتنفس وأنشأ يقول: آمت نساء بني أمية منهم..وبناتهم بمضيعة أيتام..نامت جدودهم وأسقط نهمهم..والنجم يسقط والجدود نيام..خلت المنابر والأسرة منهم..فعليهم حتى المات سلام. فقلت له: كم كان مروان أعطاك؟ فقال: أغناني فلا أسأل أحدا بعده، فقلت: كم؟ فقال: أربعة آلاف دينار وخلع وحملان، قلت: وأين ذاك؟ قال: بالبصرة، قلت: أتثبتني معرفة؟ فقال: أما معرفة الصحبة فقد لعمري وأما معرفة النسب فلا، فقلت: أنا أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين، فوقع عليه الإفكل*، وقال: يا أمير المؤمنين اعذر فإن ابن عمك محمدا صلى الله عليه وسلم قال: ﴿جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا﴾ قال أبو جعفر: فهممت والله به ثم تذكرت الحرمة والصحبة، فقلت للمسيب: أطلقه فأطلق ثم بدا لي في مسامرته رأي، فأمرت بطلبه فكأن البيداء أبادته.

☪

قال الباحث علي بن نايف: في الغرب تجسدت النصرانية -وهي عقيدة بلا شريعة - بالكنيسة، ومع تقدم الأيام أصيبت الكنيسة بالتيبس والجمود، فحين اخترع شخص ألماني مصباحا يعمل بالغاز، حكمت الكنيسة بكفره، لأنه خالف إرادة الرب، بجعل الليل المظلم منورا.. وحين قال العلماء بكروية الأرض ثارت الكنيسة وعرضتهم على محاكم التفتيش الدينية، التي راحت تحكم بقتلهم، وقدر عدد من عرض على هذه المحاكم السيئة أكثر من ثلاثمائة وخمسين ألف إنسان بينهم الكثير من مسلمي الأندلس، وهنا حصلت ثورة ضد الكنيسة انتهت بهزيمتها، وكان من أسوأ مفرزاتها إلحاد العلماء، ورفع شعار: العالم لا يكون متدينا، والمتدين لا يكون عالما.

الإسلام ليس لديه كنيسة ولا رجال دين، ولا معصوم - كما هو حال البابا - والفقهاء رجال علم، قيمة ما يقولون يتأتى من قوة الدليل وصحته، وليس من مركز المعصومية التي لا تخطئ.. وحين أراد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب منع المغالاة في المهور، تصدت له امرأة - على رؤوس الأشهاد - وساقت الدليل الشرعي، فلم يزد الخليفة على أن قال: أخطأ عمر وأصابت امرأة.

وقال له صحابي يوما وهو على المنبر: لو نعلم فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا.. فلم يزد أن قال: الحمد لله أن وجد في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يقوم اعوجاج عمر...

ويقول حذيفة رضي الله عنه: دخلت على عمر وهو مهموم حزين، فقلت: ما أهمك يا أمير المؤمنين؟! قال: إني أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد عنه منكم تعظيما لي، أي: أنه كان يخشى أن تصد هيبته الناس من أن يأخذوا حريتهم في بيان الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال حذيفة : والله! لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك، ففرح عمر لذلك وقال: الحمد لله الذي جعل لي أصحابا يقومونني إذا اعوججت! ويوما صعد على المنبر وقال: يا معشر المسلمين ماذا تقولون لو ملت برأسي إلى الدنيا كذا؟ فقام إليه رجل فقال: أجل.. كنا نقول بالسيف كذا، وأشار بالقطع، فقال عمر: إياي تعني بقولك؟ أجاب الرجل: نعم إياك أعني بقولي. فقال عمر: رحمك الله،الحمد لله الذي جعل في رعيتي من إذا تعوجت قومني! وعمر رضي الله عنه في خطبته قال: لو صرفناكم عما تعرفون إلى ما تنكرون ما كنتم صانعين؟ فأزموا، قال ذلك ثلاثا. فقام علي فقال: يا أمير المؤمنين، إذن كنا نستتيبك فإن تبت قبلناك، قال: فإن لم أتب؟ قال: نضرب الذي فيه عيناك. فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في هذا الأمة من إذا اعوججنا أقام أودنا. وكان عمر الفاروق رضي الله عنه من أكثر من أمر رعيته أن تنتقده إذا بدا لهم منه شيء فلربما يكون على المنبر، ويقول لهم: أنشدكم الله ! لا يعلم أحد مني عيبا إلا عابه ! فقال رجل: نعم يا أمير المؤمنين ! فيك عيبان ! قال: وما هما ؟ قال: تديل بين البردين، أي تلبسه و تخليه وتلبس غيره، وتجمع بين الأدميين ولا يسع ذلك الناس. قال: فما أدال بين بردين ولا جمع بين أدميين حتى لقي الله تعالى. قال رجل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: رأيتك تسحب ذيلك. قال: فهلا قلت لي، قال: هبتك، قال: أما علمت أن القائل الحق من الله سلطانا.

إن المجتمع الشرقي عموما، والإسلامي على وجه الخصوص، يتخذ من الدين والقيم الدينية ملاذه، بل مصدر قوته، وهو يصارع الدولة (؟)، التي تحلم بالتوسع دائما، وبالغلبة أبدا، وأن يكون الولاء لها أولا وآخرا.. إن معركتنا الأولى ضد الدولة التي لا تخضع لسوى قانون القوة، والتي تنتج القوة. والمطلوب من الدين لجم سلطة القوة، وإخضاعها لمبادئ الشريعة وأحكامها، من هنا كان الإسلام وما زال قريبا من المجتمع، وكانت الكنيسة ضد المجتمع، وضد العلم تحديدا. إن شرعية الدين في الغرب بيد الدولة، فهي التي تعترف بالكنيسة أو لا تعترف.. أما شرعية الدولة - عندنا - فهي بيد الإسلام، فالدولة التي لا يرضى عنها الإسلام لا شرعية لها..

- قلت: هذا الكلام قد يعيه إنسان صاحب فطرة سليمة. .أما حكام العرب الكفرة اليوم فهيهات قد انسلخوا عن آدميتهم منذ زمن بعيد (من زمن الاستدمار الذي صنع بعضهم وهيأ لهم للحكم بالوكالة) ؛ فعسكر العرب (الأنجاس) اليوم سكارى وغدا مفاليس يوم القيامة.

----

*(الإفكل) الرعدة (جبل) خلق وطبع (بجح) بجحه فتبجح أي فرحه ففرح (حبك) الحباك والحبيكة الطريقة في الرمل ونحوه وجمع الحباك حبك وجمع الحبيكة حبائك، والحبكة محركة : الأصل من أصول الكرم كالحبك

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ كتاب العين/ لسام العرب/ تاج العروس/ مروج الذهب/ مختصر تاريخ دمشق/ مختار الصحاح/ الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل/ ربيع الأبرار/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) وأبو عبيد الله، وزير المهدي 0603

عن منصور بن أبي مزاحم[1]، قال: سمعت الوزير أبا عبيد الله[2] يقول: دخلت على أبي جعفر المنصور[3] يوما، فقال لي: إني أريد أن أسألك عن شيء، فاحلف بالله أنك تصدقني. قال: فرماني بأمر عظيم، فقلت: يا أمير المؤمنين، وأدين الله بغير طاعتك وصدقك، أو أستحل أن أكتمك شيئا علمته؟ قال: دعني من هذا، والله لتحلفن. قال: فأشار إلي المهدي[4] أن أفعل. فحلفت؛ فقال: ما قولك في خلفاء بني أمية؟ فقلت: وما عسيت أن أقول فيهم، إنه من كان منهم لله مطيعا، وبكتابه عاملا، ولسنة نبيه صلى الله عليه وسلم متبعا فإنه إمام تجب طاعته ومناصحته، ومن كان منهم على غير ذلك فلا. فقال: جئت بها -والذي نفسي بيده- عراقية، هكذا أدركت أشياخك من أهل الشام يقولون؟ قلت: لا، أدركتهم يقولون: إن الخليفة إذا استحلف غفر الله له ما مضى من ذنوبه. فقال لي المنصور: إي والله، وما تأخر من ذنوبه، أتدري ما الخليفة؟: به تقام الصلاة، وبه يحج البيت، ويجاهد العدو. قال: فعدد من مناقب الخليفة ما لم أسمع أحدا ذكر مثله، ثم قال: والله لو عرفت من حق الخلافة في دهر بني أمية ما أعرف اليوم لرأيت من الحق أن آتي الرجل منهم حتى أضع يدي في يده، ثم أقول له: مرني بما شئت. فقال له المهدي: فكان الوليد منهم؟ فقال: قبح الله الوليد ومن أقعد الوليد خليفة! قال: فكان مروان منهم؟ فقال أبو جعفر: مروان؟ لله در مروان! ما كان أحزمه، وأمرسه، وأعفه عن الفيء. قال: فلم لمتموه وقتلتموه؟ قال: للأمر الذي سبق في علم الله تعالى.

----

(3) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور،عبد الله الأكبر.الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

(4) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بإيذج سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بـ ماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

(2) أبو عبيد الله، وزير المهدي وكاتبه. اسمه معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري، مولاهم. أصله من طبرية، وكان ذا دين وتعبد، من خيار الوزراء. وكان المهدي يعظمه ولا يخالفه في رأي. قلا حفيده عبيد الله بن سليمان بن أبي عبيد الله: أبلى أبو عبيد الله سجادتين، وأسرع في الثالث موضع الركبتين، والوجه، واليدين، من كثرة صلاته. وكان له في كل يوم كر دقيق يتصدق به، فلما اشتد الغلاء أتاه مولاه فقال: قد غلا السعر فلو نقصنا من الكر، فقال: أنت شيطان، صيره كرين. قال: وأخبرت أن الجسور يوم مات امتلأت، فلم يعبر عليها أحد إلا من تبع جنازته من مواليه واليتامى والأرامل والمساكين. قيل توفي سنة 170 هـ وإلى جانب، أبو عبد الله هذا هناك أيضا يعقوب بن داود بن عمر (أو بن طهمان) السلمي بالولاء، أبو عبد الله: كاتب، من أكابر الوزراء. مات سنة 187 هـ. في ولاية هارون الرشيد وهو الذي يقول فيه بشار: بني أمية هبوا، طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود !.

(1) منصور بن أبي مزاحم أبو نصر التركي، واسم أبيه بشير. وولاؤه للأزد. كان كاتبا ثقة صاحب سنة. وكان له ديوان فتركه. سمع: مالكا، وشريكا، وإبراهيم بن سعد، وأبا الأحوص، وإسماعيل بن جعفر. ورأى شعبة. مات في ذي القعدة سنة 235 هـ.

دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك -في رواية قال:على يزيد بن عبد الملك؟-، فقال: يا ابنَ شهاب، ما حديث يحدثنا به أهل الشام ؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال: حدثونا أنَّ الله تبارك وتعالى إذا استرعى عبدًا رعية كتب له الحسنات، ولم يكتب عليه السيئات. قال: كَذبوا يا أمير المؤمنين، أنَبِيٌّ خليفة أقرب إلى الله، أم خليفة ليس بنَبِي؟ قال: بل نبي خليفة. قال: فأنا أحدثك يا أمير المؤمنين بما لا تشكُّ فيه، قال الله تعالى لنبيه داود:﴿يَا داود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص] يا أمير المؤمنين، فهذا وعيد الله لنبي خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبي؟! فقال الوليد: إنَّ الناس ليغروننا عن ديننا.

قيل دخل رؤبة بن العجاج على سليمان بن عبد الملك وقد جلس الصحابة وهيأ الجوائز فقال: خرجت بين قمر وشمس..بين ابن مروان وعبد شمس..يا خير نفس خرجت من نفس. فقال له عمر بن عبد العزيز وهو جالس إلى جنب سليمان: كذبت! ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما توفي عمر بن عبد العزيز، وولي يزيد بن عبد الملك، قال: سيروا بسيرة عمر، قال: فأتى بأربعين شيخا فشهدوا له: ما على الخلفاء حساب ولا عذاب.

قال الذهبي: غفران ما سلف من الذنوب لا يكون بالاستخلاف، وإنما يكون بالتوبة والإنابة، والعمل الصالح، ومتابعة هدي الرسول صلى الله عليه وسلم. وأما غفران ما تأخر منها فهو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم بمقتضى النص.

يقول شيخ الإسلام: في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي قال في آخره عن الله تعالى:﴿قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ﴾ هذا الحديث لم يجعله النبي صلى الله عليه وسلم عاما في كل ذنب من كل من أذنب وتاب وعاد؛ وإنما ذكره حكاية حال عن عبد كان منه ذلك؛ فأفاد أن العبد قد يعمل من الحسنات العظيمة ما يوجب غفران ما تأخر من ذنوبه، وإن غفر له بأسباب أخر. وهذا مثل حديث حاطب بن أبي بلتعة الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لعمر:﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ﴾ وما جاء أن غلام حاطب شكاه فقال: ﴿يَا رَسُولَ الله، لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَلا، إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ﴾ ففي هذه الأحاديث بيان أن المؤمن قد يعمل من الحسنات ما يغفر له بها ما تأخر من ذنبه، وإن غفر بأسباب غيرها. ويدل على أنه يموت مؤمنا، ويكون من أهل الجنة وإذا وقع منه ذنب يتوب الله عليه كما تاب على بعض البدريين كقدامة بن عبد الله لما شرب الخمر متأولا واستتابه عمر وأصحابه رضي الله عنهم وجلدوه، وطهر بالحد والتوبة، وإن كان ممن قيل لهم:﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ ومغفرة الله لعبده لا تنافي أن تكون المغفرة بأسبابها، ولا تمنع أن تصدر منه توبة إذ مغفرة الله لعبده مقتضاها ألا يعذبه بعد الموت، وهو سبحانه يعلم الأشياء على ما هي عليه فإذا علم من العبد أنه سيتوب أو يعمل حسنات ماحية غفر له في نفس الأمر، إذ لا فرق بين من يحكم له بالمغفرة أو بدخوله الجنة. ومعلوم أن بشارته صلى الله عليه وسلم بالجنة إنما هي لعلمه بما يموت عليه المبشر ولا يمنع أن يعمل سببها. وعلم الله بالأشياء وآثارها لا ينافي ما علقها عليه من الأسباب، كما أخبر أن:﴿مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾، ومع ذلك قال:﴿اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ﴾ ولأن من أخبره أنه ينتصر على عدوه لا يمنع أن يأخذ أسبابه ولا من أخبره أنه يكون له ولد لا يمنع أن يتزوج أو يتسرى. وكذا من أخبره بالمغفرة أو الجنة لا يمنع أن يأخذ بسبب ذلك مريدا للآخرة وساعيا لها سعيها. ومن ذلك الدعاء المذكور في آخر سورة البقرة فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿قَدْ فَعَلْتُ﴾ ومع ذلك فمن المشروع لنا أن ندعوه. ومنه قوله تعالى لنبيه سنة ست من الهجرة:﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهَّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح] ومع هذا فما زال صلى الله عليه وسلم يستغفر ربه بقية عمره؛ وأنزل عليه في آخر عمره سورة النصر:﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ وكان يتأول ذلك في ركوعه وسجوده: أي يمتثل ما أمره به ربه. فإذا كان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يستغفر ربه كيف لا يستغفر غيره ويتوب؟ وإن قيل له ذلك أبى وأخذته العزة. ولهذا ما زال سبحانه يخاطب أهل بدر وبيعة الرضوان بالأمر والنهي والوعد والوعيد ويذكر أنه يتوب عليهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهَّ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة] وقد نزلت بعد عام الحديبية بثلاث سنين. وقد كان من شأن مسطح الذي كان يصله أبو بكر لرحمه ما كان وهو من أهل بدر رضي الله عنهم وعده الله في قوله: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾، وقوله:﴿وَهُوَ عِنْدَ اللهَّ عَظِيمٌ﴾، وقوله:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور]، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم جلدهم. فقد وقع هذا البدري المغفور له في هذا الإفك العظيم؛ لكن تاب منه بلا ريب. فتبين أن قوله:﴿قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ﴾، لا يمنع أن يعملوا بعد ذلك ذنوبا ويتوبون منها؛ بل لا بد أن يكون لئلا يتكلوا على الأخبار فقط بل لا بد من فعل السبب من التوبة والحسنات الماحية المتقدمة، أو غير ذلك من الأسباب كالمصائب في الدنيا أو في البرزخ أو عرصات القيامة أو يرحمهم. وهذه الأسباب يشترك فيها من علم أنه قد غفر له ومن لم يعلم لكن قد علم أن الله يغفر للتائب ويدخله الجنة. وأما الجاهل بحاله فلا يدري حاله عند الله فعلمه بأن الله يغفر الذنب ويأخذ به وإيمانه العظيم الذي في قلبه بذلك أفاده أنه صار عند الله ممن يغفر له لا محالة، فلا بد له من الأسباب فإنه لابد أن يدوم على الإيمان، ودوامه على الإيمان من أعظم الحسنات الماحية وأن يصلي ويتوب ويستغفر، ونحو ذلك من موجبات المغفرة. ومن كرر التوبة مرات واسترسل في الذنوب وتعلق بهذا الحديث كان مخدوعا مغرورا من وجهين: أحدهما: ظنه أن الحديث عام في حق كل تائب وإنما هو حكاية حال فيدل على أن من عباد الله من هو كذلك. والثاني: أن هذا لا يقتضي أن يغفر له بدون أسباب المغفرة كما قدمنا. ومن كرر التوبة المذكورة والعود للذنب لا يجزم له أنه قد دخل في معنى هذا الحديث، وأنه قد يعمل بعد ذلك ما شاء لا يرجى له أن يكون من أهل الوعد، ولا يجزم لمعين بهذا الحكم، كما لا يجزم في حق معين بالوعيد كسائر نصوص الوعد والوعيد فإن هذا كقوله: من فعل كذا دخل الجنة ومن فعل كذا دخل النار، لا يجزم لمعين لكن يرجى للمحسن، ويخاف المسيء. ومن هذا الباب حديث البطاقة التي قدر الكف فيها التوحيد وضعت في الميزان فرجحت على تلك السجلات من السيئات. وليس كل من تكلم بالشهادتين كان بهذه المنزلة لأن هذا العبد صاحب البطاقة كان في قلبه من التوحيد واليقين والإخلاص ما أوجب أن عظم قدره حتى صار راجحا على هذه السيئات. ومن أجل ذلك صار المد من الصحابة رضي الله عنهم أفضل من مثل جبل أحد ذهبا من غيرهم. ومن ذلك حديث البغي التي سقت كلبا فغفر لها؛ فلا يقال في كل بغي سقت كلبا غفر لها؛ لأن هذه البغي قد حصل لها من الصدق والإخلاص والرحمة بخلق الله ما عادل إثم البغي وزاد عليه ما أوجب المغفرة والمغفرة تحصل بما يحصل في القلب من الإيمان الذي يعلم الله وحده مقداره وصفته. وهذا يفتح باب العمل، ويجتهد به العبد أن يأتي بهذه الأعمال وأمثالها من موجبات الرحمة وعزائم المغفرة ويكون مع ذلك بين الخوف والرجاء كما قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون] ولهذا استثنى ابن مسعود وغيره في الإيمان فكان يقول أحدهم: أنا مؤمن إن شاء الله فإن الإيمان المطلق الكامل يقتضي أداء الواجب، وأحدهم لا يعلم بيقين أنه أدى كل الواجب كما أمر. ولئن أدوا فهو فضل من الله ورحمة، فلهذا استثنوا فيه. واستثنوا في الصلاة وغيرها؛ لأنه لا يجزم بأنه أتى بها على وجهها، فيأتي بما أتى به من الخير وقلبه وجل. وإن كان للاستثناء وجه آخر وهو خوف الخاتمة، وأن المؤمن المطلق هو أنه من علم الله أنه يموت على الإيمان الكامل. ووجه ثالث وهو التبرك بمشيئة الله. ومثل هذا الحديث يفيد فائدتين عظيمتين. إحداهما: أن يعمل الإنسان مثل هذا العمل مجتهدا في تقوى الله تعالى حين يثيبه بمثل هذا الجزاء. الثانية: أنه إذا رأى غيره من المؤمنين له من الذنوب ما يمكن أن يكون له معها مثل هذه الحسنة التي يكون صاحبها مغفورا له لم يشهد له بالنار ولم يعامله بما يعامل به أهل الكبائر؛ بل يرجو أن يرحمه الله؛ بل قد يكون من أولياء الله فإن من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا فلا يحكم على أحد معين من أهل القبلة أنه من أهل النار ولو قتل نفسه، إلا أن يكون له علم يقين كالذي شهد له النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار لقتله نفسه بالمشقص*، وعبد الله بن أبي بن سلول، وإبليس والله أعلم.

----

*(المشقص) سهم، من النصال ما طال وعرض

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ المستدرك على مجموع فتاوى لابن تيمية/ الآحاد والمثاني/

روت كتب الأثر أن أبو جعفر المنصور[1] تناهى إلى سمعه من بعض الوشاة أن الإمام جعفر الصادق[2] يجمع من أموال الزكاة ما يمد به محمد بن عبد الله بن الحسن، الذي كان قد خرج على المنصور، فأمر بإحضاره ليحقق معه أمام شهود يزعمون أنه فعل ذلك، وأنه يرسل موله معلى بن حبيس للقيام بهذه المهمة، ودار بينهما الحوار التالي: قال المنصور: يا جعفر ما هذه الأموال التي يجبها لك المعلى بن حبيس؟. فأجابه الصادق: معاذ الله من ذلك يا أمير المؤمنين، فعرض عليه المنصور أن يقسم على ذلك بالطلاق والعتاق*. فما كان من الإمام جعفر الصادق إلا أن قال له: نعم يا أمير المؤمنين، أحلف بالله أنه ما مكان شيء من ذلك. فقال أبو جعفر: بل تحلف بالطلاق والعتاق. فستغرب الإمام قائلا: أما ترض بيمين بالله الذي لا إله إلا هو! فقال المنصور: دع عنك هذا، ولا تتفقه علي، فإن أجمع بينك الآن وبين الرجل الذي يشهد عليك بهذا. ثم أدخل الرجل الشاهد، وسأله المنصور بحضور الإمام. فقال: نعم، هذا صحيح، وهذا هو جعفر بن محمد الذي قلت فيه ما قلت. فقال له الإمام الصادق: أتحلف أيها الرجل أن الذي رفعته صحيح؟. فقال الرجل: نعم، ثم أردف يقول والله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب الحي القيوم.. فقاطعه الإمام قائلا: لا تعجل بيمينك، فإني أستحلفك. فقال المنصور للإمام: وما أنكرت من يمينه؟ فقال الإمام : إن الله تعالى حي كريم يستحي من عبده إذا أثنى عليه أن يعاجله بالعقوبة لمدحه له، ولكن قل أيها الرجل، أبرأ إلى الله من حوله وقوته وألجأ إلى حولي وقوتي لصادق برا فيما أقول. فقال المنصور للرجل: أحلف بما استحلفك أبو عبد الله. قال الروي: فحلف الرجل بهذه اليمين فلم يستتم كلامه حتى خر ميتا، فراع المنصور ذلك وارتعد، وقال للصادق: يا أبا عبد الله اذهب فوالله، لا قبلت بعدها فيك قول أحد.

عن عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه[3] قال:حج أبو جعفر سنة 147 فقدم المدينة وقال: ابعث إلي جعفر بن محمد من يأتينا به تعباً، قتلني الله إن لم أقتله، فتغافل عنه الربيع[4] لينساه ثم أعاد ذكره للربيع وقال: أرسل إليه من يأتي به متعبا فتشاغل عنه، ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة في جعفر وأمره أن يبعث إليه، ففعل فلما أتاه، قال له: يا أبا عبد الله، اذكر الله، فانه قد أرسل إليك التي لا سوى لها. قال جعفر: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم اعلم أبا جعفر حضوره، فلما دخل أوعده وقال: أي عدو الله، اتخذك أهل العراق إماما، يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل، قتلني الله إن لم أقتلك! فقال: يا أمير المؤمنين، إن سليمان عليه السلام أعطى فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، وأنت من ذلك السنخ. فقال له أبو جعفر: إلي وعندي أبا عبد الله، البريء الساحة السليم الناحية، القليل الغائلة جزاك الله من ذي رحم افضل ما جزى ذوي الأرحام عن أرحامهم. ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه، ثم قال: علي بالمتحفة فغلفه بيده حتى خلت لحيته قاطرة، ثم قال: في حفظ الله وفي كلاءته ثم قال: يا ربيع ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته، انصرف أبا عبد الله في حفظ الله، وفي كنفه فانصرف ولحقته، فقلت له: أني قد رأيت قبل ذلك ما لم تره، ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت فما قلت، يا أبا عبد الله حين دخلت؟ قال: قلت: اللهم، احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، واغفر لي بقدرتك علي لا أهلك، وأنت رجائي، اللهم، إنك اكبر واجل ممن أخاف، واحذر، اللهم، بك ادفع في نحره، واستعذ بك من شره. في رواية عامر بن صالح، قال: سمعت الفضل بن الربيع يحدث عن أبيه الربيع،قال: قدم المنصور المدينة فأتاه قوم فوشوا بجعفر بن محمد، وقالوا: إنه لا يرى الصلاة خلفك وينقصك ولا يرى التسليم عليك، فقال: يا ربيع ائتني بجعفر بن محمد، قتلني الله إن لم أقتله، فدعوت به، فلما دخل عليه كلمه إلى أن زال عنه الغضب، فلما خرج قلت له يا أبا عبد الله همست بكلام أحببت أن أعرفه، قال نعم كان جدي علي ابن الحسين يقول: من خاف من سلطان ظلامة أو تغطرسا فليقل: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بكنفك الذي لا يرام وأغفر لي بقدرتك علي، ولا أهلكن وأنت رجائي، فكم من نعمة قد أنعمت بها علي قل لك عندها شكري، وكم بلية ابتليتني بها قل لك عندها صبري فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني، و يا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني، و يا من رآني على الخطايا فلم يفضحني، و يا ذا النعماء التي لا تحصى، و يا ذا الأيادي التي لا تنقضي، بك أستدفع مكروه ما أنا فيه، وأعوذ بك من شره، يا أرحم الراحمين.

*قيل: يكره الحلف بالطلاق والعتاق لقوله عليه الصلاة والسلام:﴿مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ﴾ ولأنها من أيمان الفساق كما ورد ذلك في حديث اختلف في رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله:﴿الطَّلَاقُ وَالْعَتَاقُ مِنْ أَيْمَانِ الْفُسَّاقِ﴾.

(2) أبو عبد الله، جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين؛ أحد الأئمة الإثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة. وكانت ولادته سنة 80 هـ، وهي سنة سيل الجحاف، وقيل: بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة 83 هـ. وتوفي في شوال سنة 148 هـ بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي، فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه.وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنهم أجمعين.

(1) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور،عبد الله الأكبر.الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

(4) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان العباسي، مولا هم.أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ من عسل مسموم سقاه الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه. ويقال: إن الربيع لم يكن يعرف له أب، فدخل هاشمي على المنصور وأخذ يذكره والد الربيع ويترحم عليه، فقال له الربيع: كم ذا تترحم عليه بحضرة أمير المؤمنين، فقال الهاشمي: يا ربيع أنت معذور لا تعرف مقدار الآباء، فخجل منه. وقطيعة الربيع محلة كبيرة ببغداد تنسب إليه.

(3) أبو العباس، الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة واسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، وجاء ذكر أبيه في شيء من أخباره مع أبي جعفر، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم، فكان في نفسه منهم إحن وشحناء، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب: من أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان

أيها الإخوة المؤمنون، هو التاريخ يعيد نفسه وشياطين الإنس والجن هم اليوم كما كانوا في كل زمان، الوشاة الكاذبون والمخبرون القتاتون، يأكلون أرزاقهم بدماء المظلومين الصالحين والله بالمرصاد وعقابه محيط بهم، ولإن استدرجهم في هذه الدنيا فلا تغرنهم النجاة فإن لهم موعداً لن يخلفوه، وبيننا وبينهم موعداً أبعده يوم الحشر، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء] وهذه الآية عامة في كل ظالم.

لما لقي أسقف نجران عمر بن الخطاب قال: يا أمير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة. قال: ومن قاتل الثلاثة ؟ قال: الرجل يأتي الإمام بالحديث الكذب فيقبله الإمام، فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وإمامه. فقال عمر رضي الله عنه: ما أراك أبعدت. ووجدنا في حكم القدماء أبغض الناس إلى الله عز وجل المثلث. قال الأصمعي: هو الرجل يسعى بالنميمة في أخيه إلى الإمام فيهلك نفسه وأخاه وإمامه. وذكر الرجل السعاة عند المأمون فقال: لو لم يكن من عيبهم إلا أنهم أصدق ما يكون أبغض ما يكون عند الله عز وجل. وكتب بعضهم إلى المأمون رقعة فيها: إن رجلا مات وخلف مالا عظيما وليس له وارث إلا طفل مرضع، وإن تحكم القضاء فيه أضاع ماله، وأمير المؤمنين أولى به. قال: فأخذ الرقعة وكتب على ظهرها: الطفل جبره إلا الله وأنشاه، والمال ثمره الله وأنماه، والميت رحمه الله ورضي عنه وأرضاه، وأما الساعي لي في أخذه فلعنه الله وأخزاه. وروي أن رجلاً سعى بجار له عند الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد: أما أنت فتخبرنا أنك جار سوء فإن شئت أرسلنا معك، فإن كنت صادقاً أبغضناك وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت تركناك. قال: فاتركني يا أمير المؤمنين. فقال: قد تركناك!. كان الفضل بن سهل يبغض السعاة، فإذا أتاه ساع يقول: إن صدقتنا أبغضناك، وإن كذبتنا عاقبناك، وإن إستقلتنا أقلناك. ودخل رجل على عبد الملك فقال: هل من خلوة؟ فأقبل عبد الملك على أصحابه وقال: إذا شئتم. فقاموا فقال له عبد الملك: إسمع لا تمدحني في وجهي فإني أعرف بنفسي منك، ولا تكذبني فليس لكذوب رأي، ولا تسعين بأحد إلي. فقال الرجل: أأنصرف؟ قال: إذا شئت. فقام وانصرف. ووقع عبد الله بن طاهر في قصة ساع: سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين. ورفع رجل قصة إلى أنوشروان أن رجلا من العامة دعاه إلى منزله فأطعمه طعام الخاصة، فوقع في قصته: قد أحمدنا فعلك فيما تأتيه وذممنا صاحبك لسوء اختياره لمن يؤاخيه. ووقع طاهر بن الحسين في رقعة متنصح: قد سمعنا ما كره الله فانصرف لا رحمك الله. ووقع السفاح في قصة ساع: أنت ظاهر السعاية قليل النكاية. وسعي إلى عبد الملك بن مروان في عبد الحميد فوقع: أقلوا عليه لا أبا لأبيكم..من اللوم أو سدوا المكان الذي سدا. وقال الواثق لأحمد بن أبي داؤد: مازال القوم في ثلبك إلى الساعة! فقال: يا أمير المؤمنين لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم، والله ولي جزائه وعقابك من ورائه فما الذي قلت لهم؟ قال قلت: وسعى إلي بعيب عزة نسوة..جعل الإله خدودهن نعالها. الموسوي: وأوطأت أقوال الوشاة أخامصي..وقد كان سمعي مدرجا للنمائم. وقال يحيى بن زيد: قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما لما سقي السم: أخبرني من سقاك. فدمعت عيناه وقال: أنا في آخر قدم من الدنيا وأول قدم من الآخرة، أتأمرني أن أغمز؟. وقال رجل للمهدي: عندي نصيحة يا أمير المؤمنين. قال: لمن نصيحتك هذه ألنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك ؟. قال: لك يا أمير المؤمنين.قال مهدي: ليس الساعي بأعظمهم عورة ولا بأقبح حالاً ممن قبل سعايته، ولا يخلوا من أن تكون حاسد نعمة فلا يشفى لك غيظك، أو عدوا فلا يعاقب لك عدوك. ثم أقبل على الناس وقال: يا أيها الناس لا ينصح لنا ناصح إلا بما لله فيه رضى وللمسلمين فيه صلاح. وروي أن رجلاً سعى برجل إلى الفضل بن سهل فوقع على ظهر كتابه: نحن نرى قبول السعاية أسوأ من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء كمن قبل وجاز لأن ممن فعل أشر ممن قال. وروي أن رجلاً رفع إلى المنصور نصيحة فوقع على ظهرها: هذه النصيحة لم يرد بها وجه الله تعالى، ولا جواب عندنا لمن آثرنا على الله تعالى. وروي أن رجلاً قال للمأمون يا أمير المؤمنين الله الله في أصحاب الأخبار فإنهم قوم إذا أعطوا مدحوا، وإن حرموا ذموا وهم كاذبون !. فقال المأمون: لله درها من كلمة ما أصدقها وأبين فضلها !. وأمر أن يثبت في ديوان أصحاب الأخبار. وقال المأمون لولده: يا بني نزهوا أقداركم وطهروا أحسابكم عن دنس الوشاة وتمويه سعايتهم فكل جان يده في فيه وليس يشي إليكم إلا أحد الرجلين ثقة وظنين، أما الثقة فقد قيل إنه لا يبلغ ولا يشين بالوشاية قدره، وأما الظنين فأهل أن يتهم صدقه ويكذب ظنه ويرد باطله، وما سعى رجل برجل إلي قط إلا انحط من قدره عندي ما لا يتلافاه أبدا، فلا تعطوا الوشاة أمانيهم فيمن يشون بهم، فقد قال بعض الملوك لرجل سعى بآخر: لو كنت أنت أنا ما كنت صانعا به؟ قال: كنت أقتله. فقال: أما إذ لم تكن أنت فإني غير قاتله ومع ذلك فلا تدعوا الفحص عما يلقى إليكم مما تحذرون رجوع ضرره عليكم. وقال حكيم الفرس: الصدق زين على كل أحد إلا السعاية، فإن الساعي أذم وآثم ما يكون إذا صدق. ولله در الإسكندر حين وشى إليه واش برجل فقال له الإسكندر: إن شئت قبلناك على صاحبك بشرط أن نقبله عليك، وإن شئت أقلناك. قال: أقلني. قال: قد أقلناك، كف عن الشر يكف عنك الشر. روى ابن قتيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا دَيُّوثٌ وَلَا قَلَاعٌ﴾ الديوث الذي يجمع (يدث) بين الرجال والنساء. والقلاع الساعي الذي يقع في الناس عند الأمراء لأنه يقصد الرجل المكين عند السلطان فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه. وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَلْعُونٌ ذُو الْوَجْهَيْنِ، مَلْعُونٌ ذُو اللِّسَانَيْنِ مَلْعُونٌ كُلُّ شَغَّارٍ*، مَلْعُونٌ كُلُّ قَتَّاتٍ، مَلْعُونٌ كُلُّ مَنَّانٍ﴾ والشغار (وفي رواية قيل:السغار/ الشغاز): المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة والقتات: النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن به. وعن أبي هريرة رضي الله عنه خبر:﴿تَجِدُونَ مِنْ شَرِّ عِبَادِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِحَدِيثِ هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ بِحَدِيثِ هَؤُلَاءِ﴾ وفي رواية: ﴿ يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ﴾ وذي الوجهين هو ذو اللسانين. قال الغزالي: ذو اللسانين من يتردد بين متعاديين ويكلم كلا بما يوافقه، وقل من يتردد بين متعاديين إلا وهو بهذه الصفة وهذا عين النفاق.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ سراج الملوك/ وفيات الأعيان/ حلية الأولياء/ كنز العمال/ أدب الدنيا والدين/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ المحاسن والمساوئ/ محاضرات الأدباء/

قال رزام [1]: بعث بي المنصور إلى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين [2] رضي الله عنهم، فلما أقبلت به إليه والمنصور بالحيرة* وعلونا النجف، نزل جعفر بن محمد عن راحلته، فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة، فصلى ركعتين ثم رفع يديه؛ قال رزام، فدنوت منه فإذا هو يقول: اللهم، بك أستفتح، وبك أستنجح، وبمحمد عبدك ورسولك أتوسل؛ اللهم، سهل حزونته، وذلل في صعوبته، وأعطني من الخير أكثر مما أرجو، واصرف عني من الشر أكثر مما أخاف. ثم ركب راحلته، فلما وقف بباب المنصور وأعلم بمكانه فتحت الأبواب ورفعت الستور، فلما قرب من المنصور قام إليه فتلقاه وأخذ بيده، وما شاه حتى انتهي به إلى مجلسه، فأجلسه فيه ثم أقبل عليه يسأله عن حاله، وجعل جعفر يدعو له، ثم قال: قد عرفت ما كان مني في أمر هذين الرجلين يعني محمدا [3] وإبراهيم [4] ابني عبد الله بن الحسن [5] وترى كأن بهما وقد استخفا بحقي، وأخاف أن يشقا العصا، وأن يلقيا بين أهل هذا البيت شرا لا يصلح أبدا، فأخبرني عنهما؛ فقال له جعفر: والله لقد نهيتما فلم يقبلا، فتركتهما كراهية أن أطلع على أمرهما، وما زلت حاطبا في حبلك، مواظبا على طاعتك؛ قال: صدقت، ولكنك تعلم أنني أعلم أن أمرهما لن يخفى عنك، ولن تفارقني إلا أن تخبرني به، فقال له: يا أمير المؤمنين، أفتأذن لي أن أتلو آية من كتاب الله عليك فيها منتهى عملي وعلمي؟ قال: هات على اسم الله، فقال جعفر: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [الحشر] قال: فخر أبو جعفر ساجدا ثم رفع رأسه، فقبل بين عينيه وقال: حسبك، ثم لم يسأله بعد ذلك عن شيء حتى كان من أمر إبراهيم ومحمد ما كان.

وكان المنصور أراد إشخاصه إلى العراق معه عند مسيره إلى المدينة فاستعفاه من ذلك فلم يعفه، فاستأذنه في المقام بعده أياما ليصلح أمورا مختلفة، فأبى عليه، فقال له جعفر: سمعت أبي يحدث عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الرَّجُلَ لَيَبْقَى أَمَلُهُ وَيَنْقَضِي أَجَلُهُ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ فَيَزْدَادُ فِي عُمْرِهِ﴾ قال: اه، لقد سمعت ذلك عن أبيك عن جدك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم نعم، فأعفاه من الشخوص وأقره بالمدينة وأجازه ووصله.

قال أبو الحسن المدائني: بعث أبو جعفر المنصور إلى جعفر بن محمد فأتاه فقال: إني أريد أن أستشيرك في أمر؛ قد رأيت إطباق المدينة على ختري وقد تأنيت بهم مرة بعد أخرى ولا أراهم ينتهون، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يجمر نخلها ويغور عيونها فما ترى؟، فسكت جعفر، فقال: ما بالك لا تتكلم؟، قال: يا أمير المؤمنين، إن سليمان بن داود أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف قدر فغفر، وقد جعلك الله من نسل الذين يغفرون ويصفحون، قال: فطفئ غيظه.

وفي رواية : كان أهل المدينة لما ظهر محمد أجمعوا على حرب المنصور، ونصر محمد؛ فلما ظفر المنصور، أحضر جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الصادق، فقال له: قد رأيت إطباق أهل المدينة على حربي، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يغور عيونهم، ويجمر نخلهم. فقال له جعفر: يا أمير المؤمنين، إن سليمان أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف قدر فغفر؛ فاقتد بأيهم شئت، وقد جعلك الله من نسل الذين يعفون ويصفحون، فقال أبو جعفر: إن أحدا لا يعلمنا الحلم، ولا يعرفنا العلم، وإنما قلت هممت، ولم ترني فعلت، وإنك لتعلم أن قدرتي عليهم تمنعني من الإساءة إليهم.

يقال إن سليمان بن علي [6] عم المنصور أخذ غلاما لجعفر، فكتب جعفر إليه: أيها الأمير، إن الإنسان ينام على الشك ولا ينام على الحرام، فإما أن رددت غلامي وإلا عرضت أمرك على الله خمس مرات في اليوم والليلة؛ فرده عليه.

قال إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس [7]: دخلت على أبي جعفر المنصور يوما وقد اخضلت لحيته بالدموع، فقال لي: ما علمت ما نزل بأهلك فقلت: وما ذلك، يا أمير المؤمنين؟ قال: فإن سيدهم وعالمهم وبقية الأخيار منهم توفي، فقلت: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: جعفر بن محمد، فقلت: أعظم الله أجر أمير المؤمنين وأطال لنا بقاءه، فقال لي: إن جعفرا كان ممن قال الله فيه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر] وكان ممن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات.

----

*(المتحفة) مدهن كبير فيه غلاية (كلاءته) حفظه (كنفه) كنفه الله أي: رعاه وحفظه.(الحيرة) مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف

■ (2) أبو عبد الله، جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب؛ أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة. وكانت ولادته سنة 80 هـ، وهي سنة سيل الجحاف، وقيل: ولد سنة 83 هـ. وتوفي سنة 148 هـ بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي، فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه. وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق .

■ (6) سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: أمير عباسي، من الأجواد الممدوحين. ولاه ابن أخيه السفاح إمارة البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان سنة 133 هـ فأقام فيها إلى أن عزله المنصور سنة 139 هـ فلم يزل في البصرة إلى أن توفي سنة 142 هـ.وهو ابن تسع وخمسين سنة.

■ (7) إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس، عم المنصور، ولي إمرة البصرة، وأمه أم ولد، وولد بالسراة سنة 103 هـ، وخرج مع ابني أخيه إلى العراق وولي إمرة الموسم سنة 137 هـ. وكان كبير القدر عند المنصور. مات كهلا سنة 147 هـ.

■ (3) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة 145 هـ وهو بن 45 سنة.

■ (4) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي، خرج بالبصرة على المنصور، وتحول إلى الكوفة، وممن آزره أبو حنيفة قتله حميد بن قحطبة سنة 145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة بايعه أهل المدينة وأهل مكة وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في رمضان فاجتمع الناس إليه فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن أبا جعفر المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى فخرج إلى المدينة فلقيه محمد بن عبد الله فانهزم بأصحابه وقتل.ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر.

■ (5) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: تابعي. من أهل المدينة، قال الطبري: كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف. وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز. ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين، على السفاح، وهو بالانبار، فأعطاه ألف ألف درهم. وعاد إلى المدينة. ثم حبسه المنصور، عدة سنوات، من أجل ابنيه محمد وإبراهيم. ونقله إلى الكوفة، فمات سجينا فيها سنة 145 هـ.

■ (1) رزام مولى محمد بن خالد القسري (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قيل لجعفر بن محمد إن أبا جعفر المنصور لا يلبس منذ استخلف إلا الخشن، ولا يأكل إلا الجشب. قال: لم يا ويحه، مع ما مكن الله من السلطان وجبي إليه من الأموال؟ فقال: بخلا وجمعا للمال: فقال: الحمد لله الذي حرمه من دنياه ما ترك له دينه.

عن مالك بن أنس عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، قال: لما قال سفيان الثوري: لا أقوم حتى تحدثني، قال له: أنا أحدثك، وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها، فأكثر من الحمد والشكر عليها فإن الله تعالى قال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم] وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح] يا سفيان إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنة، فعقد سفيان بيده، وقال: ثلاث وأي ثلاث، قال جعفر: عقلها والله أبو عبد الله، ولينفعنه الله بها. وعن يحيى بن الفرات قال: قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: لا يتم المعروف إلا بثلاثة بتعجيله وتصغيره وستره. وسئل جعفر بن محمد لم حرم الله الربا؟ قال: لئلا يتمانع الناس المعروف.وعن جعفر بن محمد قال: من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة.

عن بعض أصحاب جعفر الصادق قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه، وهو يوصيه بهذه الوصية، فكان مما حفظت منها أن قال: يا بني أقبل وصيتي واحفظ مقالتي فانك إن حفظتها تعش سعيدا وتمت حميدا يا بني، انه من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيرا، ومن لم يرض بما قسم الله عز وجل له اتهم الله تعالى في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعصم زلة غيره، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه، يا بني، من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، يا بني، قل الحق لك وعليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، يا بني، إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه.

☪

قال الهيثم: حدثني بعض أصحاب جعفر الصادق قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية، فكان مما حفظت منها أن قال: يا بني أقبل وصيتي واحفظ مقالتي، فإنك إن حفظتها تعش سعيدا وتمت حميدا؛ يا بني إنه من قنع بما قسم له استغنى، ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيرا، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه؛ يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئرا سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل التهم أتهم؛ يا بني قل الحق لك وعليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال؛ يا بني إن طلبت الجود فعليك بمعادنه. واشتكى ابن لجعفر فاشتد جزعه عليه ثم أخبر بموته فسري عنه، فقيل له في ذلك فقال: إنا ندعو الله فيما نحب فإذا وقع ما نكره لم نخالف فيما أحب. وقيل له: ما بلغ من حبك له قال: كان يسرني ألا يكون لي ولد غيره فيشركه في حبي له؛ وفضله اشهر من أن يذكر.

مراجع: وفيات الأعيان/ صفة الصفوة/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ الأعلام للزركلي/ تاريخ اليعقوبي/ الوافي بالوافيات/ زهر الآداب وثمر الألباب/ ربيع الأبرار/

عن مالك بن أنس [1]،قال بعث أبو جعفر المنصور إليّ وإلى ابن طاوُوس [2]،فأتيناه فدخلنا عليه، فإذا هو جالس على فُرُش قد نضدت، وبينَ يديْه أنْطاع* قد بسطت، وجَلاوِزة [3] بأيديهمُ السّيوفُ يَضربون الأعناق. فأومأ إلينا: أنِ اجْلِسا، فجلسنا. فأطرق عنّا طويلاً، ثمّ رفع رأسَه والتفتَ إلى ابنِ طاووس. فقال له حدّثني عن أبيك. وأبوه هو ابن كيسان التابعي رحمه الله. قال طاوُوس نعم، سمعت أبي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إنّ أشدَّ النّاسِ عذاباً يومَ القيامةِ رجلٌ أشرَكَهُ الله في حُكْمِهِ فأدخلَ عليهِ الجَوْرَ في عَدْلِه﴾ فأمسكَ المنصورُ ساعة.. قال مالك: فضممتُ ثيابي من ثيابه –يعني ابن طاووس– مخافة أن يملأني من دمه. ثمّ التفتَ إليه أبو جعفر، فقال: عِظْني يا ابن طاووس. قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، إنّ الله تعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ. وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ. وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ. الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ. فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ. فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ. إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر] قال مالك: فضممتُ ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأني من دمه. فأمسك المنصور ساعةً حتى اسْوَدَّ ما بيننا وبينه. ثمّ قال: يا ابن طاووس، ناولْني هذه الدواة. فأمسك عنه. ثمّ قال أبو جعفر المنصور: ناولني هذه الدواة. فأمسك عنه. فقال أبو جعفر: ما يمنعك أن تناولنيها ؟، قال طاوُوس: أخشى أن تكتب بها معصيةً لله فأكونَ شريكَكَ فيها. فلمّا سمعَ ذلك، قال: قوما عَنّي. قال ابن طاووس:﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ*﴾ [الكهف] قال مالك: فما زلتُ أعرفُ لابن طاووس فضله.

---

*(الأنطاع) جمع نطع: وهو جلد يبسط عليه رماد كثير تقطع فوقه الأعناق.(ذلك ما كنا نبغ) أي الذي كنا نبغي؛ أي : ذلك الذي نطلب من العلامة الدالة على مطلوبنا.

■ (2) عبد الله بن طاووس بن كيسان. أصله من اليمن، ويكنى أبا محمد. كان يختلف إلى مكة. سمع أباه وأكثر عنه ، وعكرمة بن خالد، سمع منه الثوري، وابن عيينة. عن معمر، وروح بن القاسم، ووهيب بن خالد، وآخرون..ولم يأخذ عن أحد من الصحابة، ويسوغ أن يعد في صغار التابعين، لتقدم وفاته. قال معمر: كان من أعلم الناس بالعربية، وأحسنهم خلقا، ما رأينا ابن فقيه مثله. وعنه قال لي أيوب: إن كنت راحلا إلى أحد فعليك بابن طاووس. قيل مات في أول خلافة أبي العباس سنة 132 هـ. وفي هذه السنة قتل آخر الخلفاء الأموية؛ مروان الحمار، وقام فيها السفاح. هذا يعني أن المنصور كان فقط ولي عهد، لأن الخليفة العباسي الثاني،أبو جعفر المنصور بويع له بالخلافة في سنة 136 هـ بعد وفاة السفاح، الذي كان أصغر منه سنًا، ولكنه تولى الخلافة قبله امتثالًا لوصية أخيهم إبراهيم الإمام (زعيم الدعوة العباسية) فالله أعلم.

■ (1) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، ربيعة الرأي، أيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع.و حدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

■ (3) جَلاوِزَةٌ : جمع جلواز، بكسر الجيم وهو الشّرطي وهم جند لقتل من وجب عليه القتل بمنزلة السيَّاف اليوم.

أيها الإخوة، نعم لقد كان ابن طاووس فقيه ورعا، رفض أن يناول المنصور دواة خشية أن يشاركه في معصيته.قال الله تعالى:﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ [النساء] والشافع الذي يعين غيره فيصير معه شفعا بعد أن كان وترا ولهذا فسرت الشفاعة الحسنة بإعانة المؤمنين على الجهاد والشفاعة السيئة بإعانة الكفار على قتال المؤمنين كما ذكر ذلك ابن جرير وأبو سليمان..

فاحذر أخي أن تكون من الظلمة أو تركن إليهم. وهل يقوم ظلم الظالمين إلا بأعوانهم المجرمين! الذين باعوا أخرتهم بدنياهم ودنيا ولاة أمورهم. وهل هناك في هؤلاء الأعوان الأشرار شراً ممن ناول القلم والدواة وجهز الفتوى الظالمة الباطلة لتفضي الشرعية على الظلم وتصوغ الكفر والتشريع من دون الله وإحلال الربا وتسليم البلاد والعباد للكفار وإفشاء المظالم وقتل وسجن الذين يأمرون بالقسط من الناس!. هل هناك شراً ممن جعل هذه الموبقات أنها حكم الله وشرع الله! تعالى الله عما يقولون ويضللون علوا كبيرا. أين هؤلاء الذين يرى أحدهم أنه نال المنى إذا قضى دقائق معدودة في حضر أمير صعلوك من ابن طاووس الذي يقول له المنصور قوما عني، فيقول: ذلك ما كنا نبغي. لقد سجل تاريخنا الزاهر سير هؤلاء الأفاضل بمداد من ذهب، فخلدوا ذكرهم في الصالحين، فما ندري بأي مداد سيسجل تاريخ هؤلاء المبطلون الأسود وبأي ذكر ستذكرهم الأجيال، فضلا عما ينتظرهم عند ربهم،﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر] ورد في الخبر: ﴿يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الظَّلَمَةُ وَأَعْوَانُهُمْ ؟ فَمَا يَبْقَى أَحَدٌ حَبَّرَ لَهُمْ دَوَاةً أَوْ بَرَى لَهُمْ قَلَمًا فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا حَضَرَ مَعَهُمْ فَيُجْمَعُونَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فَيُلْقَوْنَ فِي جَهَنَّمَ﴾ قال عطاء: ﴿كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ، مَا تَقُولُ فِيَّ؟ قَالَ: وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِيكَ؟ قَالَ: إِنِّي عَامِلٌ بِقَلَمٍ. فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يُؤْتَى بِصَاحِبِ الْقَلَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ مُقْفَلٍ عَلَيْهِ بِأَقْفَالٍ مِنْ نَارٍ، فَإِنْ كَانَ أَجْرَاهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ فُكَّ عَنْهُ التَّابُوتُ، وَإِنْ كَانَ أَجْرَاهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ هَوَى بِهِ التَّابُوتُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، حَتَّى بَارِي الْقَلَمِ، وَلَايِقِ الدَّوَاةِ﴾ قال الثوري:﴿لَا تُخَالِطُ السُّلْطَانَ وَلَا مَنْ يُخَالِطُهُ، وَقَالَ: صَاحِبُ الْقَلَمِ، وَصَاحِبُ الدَّوَاةِ، وَصَاحِبُ الْقِرْطَاسِ، وَصَاحِبُ اللِّيطَةِ بَعْضُهُمْ شُرَكَاءُ بَعْضٍ﴾ (الليطة) قشرة القصب المحددة. روى أن خياطا سأل عبد الله بن المبارك عن خياطته للحكام:﴿هَلْ أَنَا دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا؟ قَالَ: بَلْ يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ يَبِيعُكَ الْإِبْرَةَ﴾ قال ابن مسعود:﴿مَنْ رَضِيَ بِأَمْرِ الظَّالِمِ وَإِنْ غَابَ عَنْهُ؛ كَانَ كَمَنْ شَهِدَهُ وَتَلَا الْآيَةَ: وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ، ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد قال غير واحد من السلف: أعوان الظلمة من أعانهم ولو أنهم لا ق لهم دواة أو برى لهم قلما ومنهم من كان يقول بل من يغسل ثيابهم من أعوانهم. وأعوانهم هم من أزواجهم المذكورين في الآية فان المعين على البر والتقوى من أهل ذلك والمعين على الإثم والعدوان من أهل ذلك. ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية لما أتاه الجلاد في سجنه بدمشق وقال له: اغفر لي يا شيخنا فأنا مأمور. فقال له ابن تيمية: والله لولاك ما ظلموا.! وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿يُؤْتَى بِالْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَمَرَنِي هَذَا. فَيُؤْخَذُ بِأَيْدِيهِمَا جَمِيعًا فَيُقْذَفَانِ فِي النَّارِ﴾ وقال ميمون بن مهران: الظالم والمعين على الظلم والمحب له سواء.

عن عمار بن سيف، أنه سمع سفيان الثوري يقول:﴿النَّظَرُ إِلَى السُّلْطَانِ خَطِيئَةٌ﴾ وقال: ﴿لَوْ خُيِّرْتُ بَيْنَ ذَهَابِ بَصَرِي وَبَيْنَ أَنْ أَمْلَأَ بَصَرِي مِنْهُمْ لَاخْتَرْتُ ذَهَابَ بَصَرِي﴾ قال ابن المسيب: ﴿لَا تَمْلَؤُوا أَعْيُنَكُم مِنْ أَعْوَانِ الظَّلَمَةِ إِلاَّ بِإِنْكَارٍ مِنْ قُلُوبِكُم، لِكَيْلاَ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُم الصَّالِحَةِ﴾ وعن وهب بن إسماعيل، قال: ﴿كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ سُفْيَانَ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْجُنْدِ فَجَعَلَ سُفْيَانُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْنَا، ثُمَّ قَالَ: يَمُرُّ بِكُمُ الْمُبْتَلَى وَالْمَكْفُوفُ وَالزَّمْنَى الَّذِينَ يُؤْجَرُونَ عَلَى بَلَائِهِمْ فَتَسْأَلُونَ اللهَ الْعَافِيَةَ وَيَمُرُّ بِكُمْ هَؤُلَاءِ فَلَا تُسْأَلُونَ اللهَ الْعَافِيَةَ﴾ وعن ابن شهاب قال: كنت ليلة مع سفيان الثوري فرأى نارا من بعيد فقال: ما هذا؟ فقلت: نار صاحب الشرطة، فقال: اذهب بنا في طريق آخر لأنه يستضيء بنارهم، قلت: وما أنسب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود] حكى الأوزاعي عن بلال بن سعد: ﴿أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ يَنْظُرُ أَحَدُكُمْ إِلَى الشُّرْطِيِّ فَيَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنْهُ وَيَنْظُرُ إِلَى عُلَمَاءُ الدُّنْيَا الْمُتَصَنِّعِينَ لِلْخَلْقِ الْمُتَشَوِّفِينَ إِلَى الرِّيَاسَةِ فَلَا يَمقُتُهُم وَهُمْ أَحَقُّ بِالْمَقْتِ مِنْ ذَلِكَ الشُّرْطِيِّ﴾ وعن داود عن أبيه قال: كنت مع سفيان الثوري فمررنا بشرطي نائم وقد حان وقت الصلاة، فذهبت أحركه فصاح سفيان فقال: مه! فقلت: يا أبا عبد الله يصلي، فقال: دعه لا صلى الله عليه، فما استراح الناس حتى نام هذا.

وعن محمد بن أبي منصور أو غيره قال: عاتب سفيان رجلا من إخوانه كان هم أن يتلبس بشيء من أمر هؤلاء –أي: الأمراء– فقال له: يا أبا عبد الله! إن علي عيالا، قال: لئن تجعل في عنقك مخلاة فتسأل على الأبواب خير من أن تدخل في شيء من أمر هؤلاء. وعن يزيد بن هارون (تلميذ أحمد بن حنبل)، قال: كنا عند أَحْمَد فجاءه رجلان عليهما أقبية أظن أنهما جند فسألاه عَنْ مسألة فلم يجبهما.قال في رواية المروذي: سأله: يكتب (أي الحديث) عن الرجل إذا كان جنديا؟ فقال الإمام أحمد بن حنبل: أما نحن فلا نكتب عنهم، وكذلك قال في رواية إبراهيم بن الحارث: إذا كان الرجل في الجند لم أكتب عنه. قال القاضي: وهذا محمول على طريق الورع، لأن الجندي لا يتجنب المحرمات في الغالب.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح / طبقات الشافعية الكبرى للسبكي/ المعجم الأوسط/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مجمع الفتاوى/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ إحياء علوم الدين/ سراج الملوك/ـطبقات الحنابلة/ المسودة لابن تيمية/ التاريخ الكبير/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/

دخل عمرو بن عبيد [1] على المنصور فأكرمه وعظَّمه وقرَّبه، وسأله عن أهله وعياله ثم قال له: عظني، فقال له: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل سيوقفك ويسألك عن ذرة من الخير والشر، وإن الأمة خصماؤك يوم القيامة، وإن الله عز وجل لا يرضى منك إلا بما ترضاه لنفسك، ألا وإنك لا ترض لنفسك إلا بأن يعدل عليك، وإن الله عز وجل لا يرض منك إلا بأن تعدل في رعيتك، وإن وراء بابك ناران تتأجج من الظلم والجور، والله ما يعمل خلف بابك بكتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم. فبكى أبو جعفر بكاء شديدا. فقال سليمان بن مجالد[2] وهو واقف على رأس المنصور: اكفف عن أمير المؤمنين، فقد شققت عليه. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين من هذا ؟ قال: أخوك سليمان بن مجالد. قال عمرو: ويلك يا سليمان إن أمير المؤمنين يموت، وإن كل ما تره يفقد، وإنك جيفة غداً بالفناء، ولا ينفعك إلا عمل صالح قدمته، وما نفع أمير المؤمنين من قربك إن كنت تطوي عنه النصيحة، وتنهى من ينصحه، يا أمير المؤمنين إن هؤلاء اتخذوك سلما إلى شهواتهم. فكلهم يوقد عليك ناره، ثم تلا ﴿أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ – إلى أن بلغ-: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر] يا أمير المؤمنين، لمن عمل مثل أعمالهم، وفعل مثل فعالهم. يا أمير المؤمنين، لولا أنها مضت عن من كان قبلك لم يصل إليك منها شيء، فاعلم أنك وارث من مضى ومورث غدا، وقادم على ربك، ومجزي بعملك، فاتق ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده، وهي ليلة القيامة*. فخلع أبو جعفر خاتمه، وقال: دونك ما ورائي يا أبا عثمان، فادع لي أصحابك واستعملهم، فوالله؛ إني لآمر عمالي بالعدل، وأكتب ذلك في عهودهم. قال: ادعهم أنت بعمل صالح تحدثه، وأمر بهذا الخناق فليرفع عن أعناق الناس، واطرد هؤلاء الشياطين عن بابك، لأن أهل الدين لن يأتوك، وهؤلاء ببابك، لأنهم إن عملوا بما يرضيك أسخطوا خالقهم، وإن عملوا بما يرضي خالقهم أسخطوك فأرشوك، ولكن استعمل في اليوم الواحد عمال كل ما رأبك منهم ريب أو أنكرت على رجل عزلته ووليت غيره، فوالله لإن لم تقبل منهم إلا العدل ليتقربا به إليك من لا نية له فيه، ولا حسبة. ثم قام، فخرج. وفي رواية قال فبكى المنصور ونزل عن فرشه، ثم سكن، فقال: يا أبا عثمان ناولني هذه الدواة، فأبى أن يناوله، فقال: أقسمت لتفعلن، فقال: والله لا ناولتك إياها، فقال له المهدي، وكان حاضرا: يحلف عليك أمير المؤمنين فتراده باليمين؟ فقال: إن أمير المؤمنين أقدر على الكفارة مني، ثم قال: من هذا الفتى يا أمير المومنين؟ قال: هذا ابن أخيك، هذا محمد المهدي ولي عهد المسلمين، فقال: أرى شبابا وجمالا ونشاطا، وقد رشحته لأمر يصير إليه إن صار، وأنت عنه في شغل، وقد وطأت له الدنيان وأنت منتقل عنها إلى الآخرة فهناك الحساب، إن الله قد جعلك فوق كل أحد فلا ترضى أن يكون فوقك في طاعته أحد. ثم سكت عمرو، فقال له المنصور: سلني حوائجك، فقال: حاجتي أن لا تبعث إلي حتى أجيئك [..]

كان أبو جعفر المنصور يجل عمرو بن عبيد، وقد أمر له ذات مرة بعد موعظة بعشرة ألف درهم. فقال: لا حاجة لي فيها. قال المنصور: والله تأخذها. قال عمرو: والله لا أخذها. وكان المهدي ولد المنصور حاضراً، فقال: يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت!. فلتفت عمرو إلى المنصور وقال: من هذا الفتى؟. قال: هو ولي العهد أبني المهدي. فقال: أما والله لقد ألبسته لباس ماهراً من لباس الأبرار، وسميته باسم ما استحقه، ومهدت له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه. ثم التفت إلى المهدي فقال: نعم يا أبن أخي إذا حلف أبوك حنثه عمك لأن أبك أقوى على الكفارات من عمك. فقال المنصور: هل من حاجة ؟ قال: لا تبعث إلي حتى أتيك. قال: إذن لا تلقاني، فقال: هي حاجتي. ثم مضى. فأتبعه المنصور طرفة وهو يقول:

كلكم يمشي رويد..كلكم يطلب صيد..غير عمرو بن عبيد.

قال محمد بن منصور البغدادي: قام بعض الزهاد بين يدي المنصور، فقال: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك ببعضها، واذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلةً، واذكر ليلةً تمخّض عن يومٍ لا ليلة بعده. قال: فأفحم أبو جعفر من قوله، فقال الربيع:[3] أيها الرجل، إنك قد غممت أمير المؤمنين! فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، هذا صحبك عشرين سنةً لم يرَ لك عليه أن ينصحك يوماً واحداً، ولا عمل وراء بابك بشيءٍ من كتاب الله تبارك وتعالى، ولا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر له المنصور بمالٍ، فقال: لو احتجت إلى مالك لما وعظتك.

----

* (القيامة الصغرى) هي الموت، فكل من مات فقد قامت قيامته وتسمى أيضا بالمعاد الأول، كما تسمى البرزخ. والعلامات المباشرة للموت هي الغرغرة، ومشاهدة الإنسان للملائكة؛ وهم ينزلون لقبض روحه، فحينئذ لا ينفع نفسا إيمانها. فأما الساعة العظمى (القيامة الكبرى)، وهي وقت اجتماع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فهذا ما استأثر الله بعلم وقته.يقول ابن القيم: الموت بعث ومعاد أول. فإن الله جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزي فيهما الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. فالبعث الأول: مفارقة الروح للبدن، ومصيرها إلى دار الجزاء الأول. والبرزخ في الشريعة: الدار التي تعقب الموت إلى البعث. قال تعالى: ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون [المؤمنون] قال مجاهد: هو ما بين الموت والبعث، وقيل للشعبي: مات فلان، ليس هو في دار الدنيا، ولا في الآخرة. وقاله ابن القيم:عذاب القبر ونعيمه اسمه لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة ، قال تعالى: ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون [المؤمنون] وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة.

■ (1) عمرو بن عبيد بن باب وهو مولى لبني تميم، وجده باب، من سبي فارس، مولى لآل عرادة، من بلعدوية، من حنظلة تميم، وعبيد أبو عمرو، كان نساجا، ثم تحول شرطيا للحجاج، وهو من سبي سجستان، وقال ابن قتيبة، والفسوي: هو عمرو بن عبيد بن باب، مولى لآل عرادة بن يربوع بن مالك، ويكنى أبا عثمان، وكان عبيد أبوه يختلف إلى أصحاب الشر، ولعله يقصد الشرط بالبصرة؛ فكان الناس إذا رأوا عمرا مع أبيه، قالوا: خير الناس ابن شر الناس، فيقول عبيد: صدقتم هذا إبراهيم، وأنا آزر، وقال ابن كثير عند التعريف به: عمرو بن عبيد بن ثوبان، ويقال ابن كيسان التيمي، مولاهم، أبو عثمان البصري، من أبناء فارس، شيخ القدرية، والمعتزلة.ولد عمرو بن عبيد سنة 80 هـ، وتوفي سنة 144 هـ قال ابن حبان: كان عمرو بن عبيد من العباد الخشن، وأهل الورع الدقيق، ممن جالس الحسن سنين كثيرة، ثم أحدث ما أحدث، واعتزل مجلس الحسن البصري، ومعه جماعة؛ فسموا المعتزلة، وكان عمرو بن عبيد داعية إلى الاعتزال. روي ابن كثير، أن أبا جعفر اغتر بزهد عمرو، وأخفى بدعته.وقال ابن كثير: كان عمرو يغر الناس بتقشفه، وهو مذموم ضعيف الحديث جدا.. ، وقد كان محظيا عند أبي جعفر المنصور، وكان المنصور يحبه، ويعظمه؛ لأنه كان يفد على المنصور مع القراء، فيعطيهم المنصور، فيأخذون، ولا يأخذ عمرو منه شيئا.

■ (2) سليمان بن مجالد بن أبي مجالد الوزير من أهل الأردن كان أخا أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين من الرضاعة وكان معه بالحميمة في أرض الشام فلما أفضت إليه الخلافة قربه وأدناه وكان معه كالوزير وقدم معه بغداد حين بناها وولاه الري وولي له الخزائن إلى حين وفاته فلما توفي ولى المنصور ابن أخيه إبراهيم بن صالح بن مجالد مكانه

■ (3) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان العباسي، مولا هم.الأمير الحاجب، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم ولي وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه إلى الغاية. ويقال: إن الربيع لم يكن يعرف له أب، فدخل هاشمي على المنصور وأخذ يذكره والد الربيع ويترحم عليه، فقال له الربيع: كم ذا تترحم عليه بحضرة أمير المؤمنين، فقال الهاشمي: يا ربيع أنت معذور لا تعرف مقدار الآباء، فخجل منه. وقطيعة الربيع محلة كبيرة ببغداد تنسب إليه.

☪

أيها الإخوة المؤمنين، همسة حق استخرجنها من كنوز تاريخنا المجيد، ومواقف أعلامنا الأجلاء، همسة في أذن ملوك بغوا وتجبروا ليروا كيف كانت سيرة الملوك، وهمسة في أذن أعوان الطواغيت ليعلموا ماذا ينتظرهم، وأخيراً، همسة في أذن كل من يمشي رويدا ويطلب صيدا من علماء الطواغيت فإن الله تعالى يقول:﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف].

لما استأذن الهرمزان[1] على عمر بن الخطاب لم يجد عنده حاجباً ولا بواباً فقيل له: هو في المسجد، فأتى المسجد فوجده مستلقياً متوسداً كوماً من الحصى ودرته بين يديه، فقال له الهرمزان:﴿يَا عُمَرُ عَدَلْتُ فَأَمِنْتُ فَنِمْتُ﴾ وعن أنس بن مالك أن الهرمزان رأى عمر بن الخطاب نائما في المسجد بالمدينة، فقال: هذا والله هو الملك الهنيء. قال الحسن بن علي: رأيت عثمان وقد جمع الحصى في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عند رأسه، وقد وضع إحدى جانبي ردائه عليه وهو يومئذ أمير المؤمنين، ما عنده أحد من الناس ودرته بين يديه. قالت الحكماء: رم ما شئت بالإنصاف وأنا زعيم لك بالظفر به. والظلم أدعى شيء إلى تغيير نعمة أو تعجيل نقمة. وقال الحكيم: شر الزاد إلى المعاد الذنب بعد الذنب، وشر من هذا العدوان على العباد، ومتى أراد السلطان حسن الصيت وجميل الذكر فليقم سوق العدل، وإن أحب الزلفى عند الله وشرف المنزلة عنده فليقم سوق العدل، والذي يخلد به ذكر الملوك على غابر الدهور عدل واضح أو جور فاضح، هذا يوجب له الرحمة وهذا يوجب له اللعنة. عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَلَمْ يَعْدِلْ فِيهِمْ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا حَتَّى يُفَكَّ عَنْهُ الْعَدْلُ، أَوْ يُوبِقَهُ الْجَوْرُ﴾ وعن عمر بن الخطاب قال:﴿اللَّهُمَّ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُبَالِي إِذَا قَعَدَ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيَّ عَلَى مَنْ قَالَ الْحَقُّ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ فَلَا تُمْهِلْنِي طَرْفَةَ عَيْنٍ﴾ وقال عمر بن الخطاب لأبي مريم الحنفي قاتل زيد بن الخطاب:[2] والله لا يحبك قلبي أبدا حتى تحب الأرض الدم. قال: يا أمير المؤمنين، فهل تمنعني لذلك حقا؟ قال:لا. قال: فحسبي.وقيل: قتله سلمة بن صبيح ابن عم أبي مريم قال أبو عمر: النفس أميل إلى هذا، ولو كان أبو مريم قتل زيدا لما استقضاه عمر. حدث بشر بن عبد الله بن يسار السلمي قال: خطب عمر الناس فقال: أيها الناس، لا يعدن عليكم، ولا يطولن يوم القيامة، فإنه من وافته منيته فقد قامت عليه قيامته، لا يستطيع أن يزيد في حسن، ولا يعتب من سيئ، ألا لا سلامة لامرئ في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا وإنكم تسمون الهارب من ظلم إمامه العاصي، ألا وإن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم. وعن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب:﴿ظَنَنْتُ أَنَّهُ أَرَادَ عَلِيًّا، قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى طَعَامٍ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قُرَيْشٍ فَقَالَ: إِنَّ لَكُمْ عَلَى قُرَيْشٍ حَقًّا، وَلَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَقٌّ مَا اسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا، واسْتَحْكَمُوا فَعَدَلُوا، وَائْتُمِنُوا فَأَدَّوْا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا﴾ عن يزيد بن أبي سفيان قال: قال لي أبو بكر الصديق حين بعثني إلى الشام: يا يزيد، إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمرة، وذلك أكبر ما أخاف عليك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من ولي من أمر المسلمين شيئا، فأمر عليهم أحدا محاباة له، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، حتى يدخله جهنم، ومن أعطى رجلا من مال أخيه شيئا محاباة له فعليه لعنة الله، أو قال: برئت منه ذمة الله*، وإن الله دعا الناس إلى أن يؤمنوا بالله، فيكونوا في حمى الله، فمن انتهك في حمى الله شيئا فعليه لعنة الله، أو قال: برئت منه ذمة الله.

جلس يوما عبد الملك بن مروان وعند رأسه خالد بن عبد الله بن خالد بن، أسيد، وعند رجليه أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج حتى وضعت بين يديه، فقال: هذا والله التوفير وهذه الأمانة! لا ما فعل هذا، وأشار إلى خالد، استعملته على العراق فاستعمل كل ملط فاسق، فأدوا إليه العشرة واحدا، وأدى إلي من العشرة واحدا؛ واستعملت هذا على خراسان، وأشار إلى أمية، فأهدى إلى برذونين* حطمين، فإن استعملتكم ضيعتم، وإن عزلتكم قلتم استخف بنا وقطع أرحامنا. فقال خالد بن عبد الله: استعملتني على العراق وأهله رجلان: سماع مطيع مناصح*، وعدو مبغض مكاشح*،فإنا داريناه ضغنه، وسللنا حقده، وكثرنا لك المودة في صدور رعيتك؟ وإن هذا جنى الأموال، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال، فيوشك أن تنبت البغضاء، فلا أموال ولا رجال. فلما خرج ابن الأشعث قال عبد الملك: هذا والله ما قال خالد. قال الله تعالى:﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء]

----

* النصح والنصيحة والمناصحة : إرادة الخير للغير وإرشاده له وهي كلمة جامعة لإرادة الخير (الكاشح) الذي يطوي على العداوة كشحه. ويقال: طويت كشحي على الأمر، إذا أضمرته وسترته. وقيل الذي يتباعد عنك.(برئت منه ذمة الله) حرم من حفظ الله وعنايته، فإن لكل أحد من الله عهدا بالحفظ والكلاءة، فإذا ألقى بيده إلى التهلكة، أو فعل ما حرم عليه، أو خالف ما أمر به خذلته ذمة الله تعالى (ذمة الله) عهده وأمانه في الدنيا والآخرة (البرذون) يطلق على غير العربي من الخيل والبغال

■ (2) زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، أخو عمر بن الخطاب، كنيته أبو عبد الرحمن، وكان أسن من عمر، وأسلم قبله. شهد بدرا والمشاهد، قتل يوم اليمامة في عهد أبي بكر الصديق، وكانت راية المسلمين معه، فلم يزل يقدم بها في نحر العدو، ثم قاتل حتى قتله أبو مريم الحنفي في الحديقة، فوقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة.وحزن عليه عمر، وكان يقول: أسلم قبلي، واستشهد قبلي. استشهد سنة 12 هـ.

■ (1) الهرمزان، اسم لبعض أكابر الفرس، وهو دهقانهم الأصغر، حاكم الأهواز أثناء فتح فارس في عهد يزدجرد الثالث.وكان قائد الجيش الفارسي في معركة القادسية، أسره أبو موسى الأشعري وبعثه إلى عمر بن الخطاب،وقيل أرسله أبو سبرة بن أبي رهم. أسلم سنة 23 هـ قتله عبيد الله بن عمر اتهاما أنه قاتل أبيه أو الآمر به

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ مرقاة المفاتيح/ سراج الملوك/ حلية الأولياء /ـ مجمع الفتاوى/ هل يعتبر الفراعنة بمصرع من سبقهم؟/ موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام/ الوافي بالوفيات/ سير أعلام النبلاء/ العقد الفريد/ مقاييس اللغة/ تاج العروس /ـ مختصر تاريخ دمشق/ القيامة الصغرى/ أنساب الأشراف/

حدث الإمام عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي[1]،عن لقاء له بأبو جعفر المنصور الخليفة العباسي فقال: بعث إلي أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين، وأنا بالساحل، فأتيته، فلما وصلت إليه وسلمت عليه رد علي واستجلسني. ثم قال لي: ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي؟. فقلت: وما الذي تريد يا أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم. قلت: انظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئاً مما أقول. قال: كيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له؟ فقلت: أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به. قال الأوزاعي: فصاح بي الربيع[2] (الحاجب) وأهوى بيده إلى السيف. فانتهره المنصور وقال: هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة. فطابت نفسي وانبسطت في الكلام. فقلت: يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنَ اللهِّ فِي دِينِهِ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللهِّ سِيقَتْ إِلَيْهِ فَإِنْ قَبِلَهَا بِشُكْرٍ وَإِلا كَانَتْ حُجَّةً مِنَ اللهِّ عَلَيْهِ لِيَزْدَادَ بِهَا إِثْمًا وَيَزْدَادَ اللهُّ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطًا﴾ يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَيُّمَا وَالٍ بَاتَ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ، حَرَّمَ اللهُّ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله، إن الله هو الحق المبين. ﴿أَنَّ اللهَّ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور] يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت ملكهم، أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم، وكل له عليك نصيب من العدل، فكيف بك إذا انبعث منهم فئام* وراءهم فئام، وليس منهم أحد إلا وهو يشكوا بلية أدخلتها عليه أو ظلمة سقتها إليه؟ يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم، قال: ﴿كَانَتْ بِيَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيدَةٌ يُرَوِّعُ بِهَا الْمُنَافِقِينَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ الَّتِي كَسَرْتَ بِهَا قُلُوبَ أُمَّتِكَ، وَمَلَأْتَ قُلُوبَهُمْ رُعْبًا﴾ فكيف بمن شق أستارهم وسفك دمائهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه؟. يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد بن جارية عن حبيب بن مسلمة: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ فِي خَدْشَةٍ خَدَشَ أَعْرَابِيًّا لَمْ يَتَعَمَّدْهَا فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَّ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا وَلَا مُسْتَكْبِرًا، فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَعْرَابِيَّ فَقَالَ: اقْتَصَّ مِنِّي، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: قَدْ أَحْلَلْتُكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَدًا، وَلَوْ أَتَتْ عَلَى نَفْسِي، فَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ﴾ يا أمير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدِهِ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا﴾ يا أمير المؤمنين إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك، وكذا لا يبقى لك كما لم يبقى لغيرك. يا أمير المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ قال الصغيرة: التبسم، والكبيرة: الضحك، فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن؟. يا أمير المؤمنين بلغني أن عمر رضي الله عنه قال: ﴿لَوْ مَاتَتْ سَخْلَةٌ* عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ ضَيْعَةً، لَخِفْتُ أَنْ أُسْأَلَ عَنْهَا﴾ فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك؟ يا أمير المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية:﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ [ص] قال الله تعالى في الزبور: ﴿يَا دَاوُدُ إِذَا قَعَدَ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَكَانَ لَكَ فِي أَحَدِهِمَا هَوًى، فَلَا تَمَنَّيَنَّ فِي نَفْسِكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْحَقُّ فَيَفْلُجَ عَلَى صَاحِبِهِ فَأَمْحُوكَ مِنْ نُبُوَّتِي، ثُمَّ لَا تَكُونَ خَلِيفَتِي وَلَا كَرَامَةَ، يَا دَاوُدُ إِنَّمَا جَعَلْتُ رُسُلِي إِلَى عِبَادِي رِعَاءً كَرِعَاءِ الْإِبِلِ لِعِلْمِهِمْ بِالرِّعَايَةِ وَرِفْقِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ، لِيَجْبُرُوا الْكَسِيرَ، وَيَدُلُّوا الْهَزِيلَ عَلَى الْكَلَأِ وَالْمَاءِ﴾ يا أمير المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه. يا أمير المؤمنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الأنصاري: أن عمر بن الخطاب استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيماً فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله. قال: لا. قال: وكيف ذلك؟ قال: إنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَا مِنْ وَالٍ يَلِي مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا إِلَّا أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ عَلَى جِسْرٍ مِنْ نَارٍ فَيَنْتَفِضُ بِهِ الْجِسْرُ انْتِفَاضًا يُزِيلُ كُلَّ عُضْوٍ مِنْهُ عَنْ مَوْضِعِهِ، ثُمَّ يُعَادُ فَيُحَاسَبُ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَجَا بِإِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْخَرَقَ بِهِ ذَلِكَ الْجِسْرُ فَهَوَى بِهِ فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا﴾ فقال له عمر ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي ذر وسلمان. فأرسل إليهما عمر فسألهما. فقالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمر: واعمراه من يتولاها بما فيها ؟ فقال أبو ذر: من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض. قال: فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني. ثم قلت يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا عَبَّاسَ، يَا عَمَّ النَّبِيِّ، نَفْسٌ تُحْيِيهَا -تنجيها؟- خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا﴾ نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره أنه لا يغني عنه من الله شيئاً إذ أوحى الله إليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء] فقال: ﴿يَا عَبَّاسَ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ النَّبِيِّ، إِنِّي لَسْتُ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهَّ شَيْئًا إِلَّا لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ وقد قال عمر بن الخطاب:﴿لَا يُقِيمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ الْعَقْلِ أَرِيبُ الْعُقْدَةِ، لَا يُطَّلَعُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ، وَلَا يَحْنُو عَلَى حَوِيَّةٍ وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللهَّ لَوْمَةُ لَائِمٍ. وَقَالَ: السُّلْطَانُ أَرْبَعَةُ أُمَرَاءَ؛ فَأَمِيرٌ قَوِيٌّ ظَلَفَ* نَفْسَهُ وَعُمَّالَهُ، فَذَاكَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهَّ، يَدُ اللهَّ بَاسِطَةٌ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ، وَأَمِيرٌ ضَعِيفٌ ظَلَفَ نَفْسَهُ وَأَرْتَعَ* عُمَّالَهُ فَضَعُفَ فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَاكٍ إِلَّا أَنْ يَرْحَمَهُ اللهُّ، وَأَمِيرٌ ظَلَفَ عُمَّالَهُ وَأَرْتَعَ نَفْسَهُ، فَذَلِكَ الْحُطَمَةُ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شَرُّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ. فَهُوَ الْهَالِكُ وَحْدَهُ، وَأَمِيرٌ أَرْتَعَ نَفْسَهُ وَعُمَّالَهُ فَهَلَكُوا جَمِيعًا﴾ يا أمير المؤمنين لو أن ثوباً من النار صب على ما في الأرض لأحرقه، فكيف بمن يتقمصه؟ ولو أن ذنوباً* من النار صب على ما في الأرض لأحرقه، فكيف بمن يتجرعه؟ ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب، فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عاتقه؟. يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، وإنه من طلب العزة بطاعة الله رفعه الله واعزه، ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه، فهذه نصيحتي إليك والسلام. قال محمد بن مصعب: فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال: أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا. وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك (أي لم يغضب عليه).

----

*(فئام) الجماعة.(سخلة) صغار الغنم. (خريفا) عاما. (ظلف) ظلف العيش أي بؤسه وشدته وخشونته، من ظلف الأرض. ظلف نسفه عن الشيء: منعها عن هواها. وقوله (أرتع) من أرتع فلان إبله، أي: تركها للأكل (الذنوب) دلو الماء.

■ (1) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من كبار تابعي التابعين. ولقب بالأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهى بطن من ذي الكلاع باليمن. ولد سنة 88 هـ بقرية بعلبك فى لبنان وربته أمه يتيما، ثم استقر بدمشق. وقد برع الأوزاعي في تفسير القران الكريم، وحفظ الحديث، والأخبار، والمغازي، وكان صاحب مذهب ساد في الشام زمنا، ثم ما لبث أن ضعف انتشاره، بسبب انتشار المذهبين المالكي والشافعي اللذين حلا محله. وقد التزم الأوزاعي في فتاويه بالتوقف عند النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. وللأوزاعي كتابان في الفقه، هما السنن والمسائل، وقد ضمن كتاب المسائل الفتاوى التي أفتى بها. توفى الأوزاعي سنة 157هـ في بيروت.

■ (2) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان العباسي، مولا هم.الأمير الحاجب، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم ولي وزارته بعد أبي أيوب الموریاني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه إلى الغاية. ويقال: إن الربيع لم يكن يعرف له أب، فدخل هاشمي على المنصور وأخذ يذكره والد الربيع ويترحم عليه، فقال له الربيع: كم ذا تترحم عليه بحضرة أمير المؤمنين، فقال الهاشمي: يا ربيع أنت معذور لا تعرف مقدار الآباء، فخجل منه. وقطيعة الربيع محلة كبيرة ببغداد تنسب إليه.

☪

عن أبي موسى قال:﴿دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَا وَرَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَمِّي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَسُولَ اللهَّ! أَمِّرْنَا عَلَى بَعْضِ مَا وَلَّاكَ اللهُّ، وَقَالَ الْآخَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّا وَاللهَّ لَا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ – وفي رواية قال –: لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ﴾ وعن الوليد بن حنطب أن عمر رضي الله عنه: أبى أن يستعمل أهل شرف الشرك وقال: أنياب في الشرك ورؤوس في الإسلام لا يكون هذا أبدا. وعن أم بكر بنت المسور، عن أبيها: أن رجلا نعى* عمر بن الخطاب، فاستوقفه فوقف، فقال: يا أمير المؤمنين تستعملني؟ فأقبل عمر يضرب على جبينه ويقول: سبحان الله: إن كاد هذا ليغرني: لقد قال ما قال وإني لا أرضى له عملا. وفي رواية أراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلا، فبدر الرجل يطلب منه العمل فقال عمر: والله لقد أردتك لذلك، ولكن من طلب هذا الأمر لم يعن عليه، وعن سالم قال: بلغني أن عمر قال: لا يحب الامارة أحد فيعدل. وعن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الْأَمْرِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ﴾ (كراهية لهذا الأمر) أي أمر الإمارة (حتى يقع فيه) أي فيكون بعده ندامة. وروى الحسن البصري ﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لِيَسْتَعْمِلَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله خِرْ لِي. قَالَ: اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ﴾ (خرلي) أي اختر لي. وعن هِلَال بن يساف قال ﴿اسْتعْمل النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِقْدَاد على سَرِيَّة فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيفَ رَأَيْت الْإِمَارَة؟. قَالَ خَرَجْتُ يَا رَسُول الله وَمَا أرى أَنَّ لِي فَضْلًا عَلَى أَحَد مِنَ الْقَوْمِ فَمَا رَجَعْتُ إِلَّا وَكلهمْ عبيد لي، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَكَذَلِكَ الْإِمَارَة أَبَا مَعْبَدٍ﴾ وفي رواية عن عمير بن إسحاق، قال: ﴿اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَمَلٍ، فَلَمَّا رَجِعْتُ قَالَ: كَيْفَ وَجَدْتَ الْإِمَارَةَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَوَلٌ لِي، وَالله لَا أَلِي عَلَى عَمَلٍ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (خول لي) إذا اتخذهم عبيدا. وعن خيثمة، قال: حدثني فلان بن فلان، ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي سَرِيَّةٍ أَمِيرًا، فَلَمَّا قَدِمَ سَأَلَهُ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرِهِ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: كَيْفَ وَجَدْتَ الْإِمَارَةَ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ وَأَنَا فِي نَفْسِي مِثْلُ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ، فَجَعَلْتُ إِذَا رَكِبْتُ رَكِبُوا، وَإِذَا صَلَّيْتُ صَلَّوْا مَعِي، وَإِذَا نَزَلْتُ نَزَلُوا، فَمَا زَالَ بِي الْأَمْرُ حَتَّى رَأَيْتُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ أَفْضَلُ فِي نَفْسِي مِنِّي، قَالَ: إِنَّ السُّلْطَانَ عَلَى بَابِ عَنَتٍ*، إلا مَنْ عَصَمَهُ اللهُّ، قَالَ الرَّجُلُ عِنْدَ ذَاكَ: وَاللهَّ، لا أَعْمَلُ وَلا لِغَيْرِكَ أَبَدًا﴾ وعن ابن عباس قال: بينما أنا أمشي مع عمر ذات يوم وهو يضرب وحشي قدمه* بالدرة تنفس تنفسة ظننت أنها قد قضت أضلاعه، فقلت: سبحان الله ! وما أخرج هذا منك يا أمير المؤمنين إلا أمر عظيم قال: ويحك يا ابن عباس ! والله ما أدري كيف أصنع بأمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟ قلت: والله إنك بحمد الله لقادر على أن تصنع ذاك منها في البقية، قال: إنه والله يا ابن عباس ما يصلح هذا الامر إلا القوي في غير عنف، اللين في غير ضعف، الجواد في غير سرف، الممسك في غير بخل. يقول ابن عباس: والله ما أعرفه غير عمر. وقال أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد: فر من الشرف يتبعك الشرف ؛ واحرص على الموت توهب لك الحياة. وطلب العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم إلى النبي ولاية. فقال: ﴿يَا عَبَّاسَ، يَا عَمَّ النَّبِيِّ، نَفْسٌ تُحْيِيهَا -تنجيها؟- خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا﴾ وفي رواية عن عبد الله بن عمرو قال:﴿جَاءَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ اجْعَلْنِي عَلَى شَيْءٍ أَعِيشُ بِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا حَمْزَةُ، نَفْسٌ تُحْيِيهَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ نَفْسٌ تُمِيتُهَا ؟. قَالَ: بَلْ نَفْسٌ أُحْيِيهَا. قَالَ: عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ﴾ وتقول النصارى: لا يختار للجثلقة إلا زاهدا فيها غير طالب لها.

----

*(عنت): العنت: المشقة والفساد، والهلاك، والإثم والغلط والخطأ والزنا كل ذلك قد جاء وأطلق العنت عليه (نعى) أي صاح به ونادى عليه. (وحشي القدم) الجانب الايمن منه

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سراج الملوك/ حسن السلوك الحافظ دولة الملوك/ إحياء علوم الدين/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ العقد الفريد/ مسند أحمد/

حدث أبو سعيد الثَّعلبي، قال: لما خرج إبراهيم[1] ومحمد[2] على أبي جعفر المنصور، أراد أهلَ الثغور* أنْ يعينوه عليهما، فأَبَوا ذلك، فوقع في يد ملك الروم الألوف من المسلمين أسرى وكان ملك الروم يُحب أن يفادي بهم، ويأبى أبو جعفر، فكتب الأوزاعي[3] إلى أبي جعفر كتابًا: أما بعد؛ فإنَّ اللهَ تعالى استرعاك أمر هذه الأُمَّة؛ لتكون فيها بالقسط قائمًا، وبنبيِّه صلى الله عليه وسلم في خفض الجناح والرأفة متشبِّهًا، وأسأل الله تعالى أن يسكنَ على أمير المؤمنين دهماء هذه الأمة، ويرزقه رحمتها، فإن سائحة (سياحة؟) المشركين غلبت عام أَول مَوطُؤُهم حريمَ المسلمين، واستنزالهم العواتق والذَّراري من المعاقل والحصون. وكان ذلك بذنوب العباد، وما عفا الله عنه أكثر، فبذنوب العباد استنزلت العواتق والذراري من المعاقل والحصون، لا يلقون لهم ناصرًا ولا عنهم مدافعًا، كاشفات عن رُؤوسهن وأقدامهن، فكان ذلك بمرأى ومسمع، وحيث ينظر الله إلى خلقه وعراضهم عنه، فليَتَّقِ اللهَ أمير المؤمنين، وليبتغِ بالمفاداة بهم من الله سبيلاً، وليخرج من محجة الله تعالى فإنَّ الله تعالى قال لنبيه: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ [النساء] والله يا أمير المؤمنين، ما لهم يومئذ فيء مَوقوف ولا ذمة تؤدي خراجًا إلا خاصَّة أموالهم. وقد بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿إِنِّي لَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ خَلْفِي فِي الصَّلَاةِ فَأَتَجَوَّزُ فِيهَا مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَتَنَ أُمُّهُ﴾ فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين في أيدي عدوهم يمتهنونهم ويتكشفون منهم ما لا نستحله نحن إلا بنكاح، وأنت راعي الله، والله تعالى فوقك، ومستوفٍ منك يومَ توضع موازين القسط ليوم القيامة ﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء].

كتب أبو جعفر أمير المؤمنين إلى الأوزاعي: أما بعد، فقد جعل أمير المؤمنين في عنقك ما جعل الله لرعيته قبلك في عنقه، فأطلعه طلعهم، واكتب إليه بما رأيت فيه المصلحة لهم، وبما أحببت وبدا لك. قال: فكتب إليه الأوزاعي: أما بعد، فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين يعلمني أنه قد جعل في عنقي ما جعل الله لرعيته في عنقه، ويأمرني أن أطلعه طلعهم وأكتب إليه بما رأيت فيه المصلحة لهم، وبما أحببت، وبدا لي، فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله وطاعته، وتواضع يرفعك الله يوم يضع المتكبرين في الأرض بغير الحق، واعلم أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزيد حق الله عليك إلا عظيما، ولا طاعته إلا وجوبا، ولا الإياس فيما خالف ذلك منه إلا إنكارا. والسلام.

----

*(الثغور) هي مراكز عسكرية تجعل على حدود البلاد الإسلامية لصد الكفار عنها

■ (3) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من كبار تابعي التابعين. ولقب بالأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهى بطن من ذي الكلاع باليمن. ولد سنة 88 هـ بقرية بعلبك فى لبنان وربته أمه يتيما، ثم استقر بدمشق. وقد برع الأوزاعي في تفسير القران الكريم، وحفظ الحديث، والأخبار، والمغازي، وكان صاحب مذهب ساد في الشام زمنا، ثم ما لبث أن ضعف انتشاره، بسبب انتشار المذهبين المالكي والشافعي اللذين حلا محله. وقد التزم الأوزاعي في فتاويه بالتوقف عند النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. وللأوزاعي كتابان في الفقه، هما السنن والمسائل، وقد ضمن كتاب المسائل الفتاوى التي أفتى بها. توفى الأوزاعي سنة 157هـ في بيروت.

■ (2) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة 145 هـ وهو بن 45 سنة.

■ (1) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، خرج بالبصرة على المنصور، وتحول إلى الكوفة، وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة 145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة ومكة، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في رمضان، فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى، فخرج إلى المدينة، فلقيه محمد بن عبد الله، فانهزم بأصحابه وقتل.ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر.

☪

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ﴾ (الإمام جنة) أي كالستر لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي بيضة الإسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته ومعنى يقاتل من ورائه أي يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد وينصر عليهم ومعنى يتقى به أي شر العدو وشر أهل الفساد والظلم مطلقا والتاء في يتقى مبدلة من الواو لأن أصلها من الوقاية. وعن عبد الله بن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾ وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ السُّلْطَانَ ظِلُّ اللهِ فِي الْأَرْضِ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا عَدَلَ؛ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الشُّكْرُ، وَإِذَا جَارَ كَانَ عَلَيْهِ الْإِصْرُ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الصَّبْرُ﴾.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَيْلٌ لِلْأُمَرَاءِ، وَيْلٌ لِلْعُرَفَاءِ، وَيْلٌ لِلْأُمَنَاءِ، لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ نَوَاصِيَهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِالثُّرَيَّا، يَتَجَلْجَلُونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَلُوا عَمَلًا – وفي رواية– أَنَّ ذَوَائِبَهُمْ كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِالثُّرَيَّا، يَتَذَبْذَبُونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَكُونُوا عُمِّلُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ (ويل للأمراء) وهو الحزن والهلاك والمشقة من العذاب، وقيل واد في النار، وقد ورد ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره (للعرفاء) جمع عريف بمعنى فاعل؛ وهو القيم بأمر قبيلة، ومحلة يلي أمرهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم، ومنهم رؤساء القرى، وأرباب الولايات (ويل للأمناء) جمع أمين؛ وهو من ائتمنه الإمام على الصدقات، والخراج وسائر أمور المسلمين، ويدل عطفه على الأمراء والعرفاء، ويشمل بعمومه كل من ائتمنه غيره على مال، أو غيره، ومنهم وصي الأيتام، وناظر الأوقاف. عن صالح بن يحيى بن المقدام عن جده المقدام بن معدي كرب: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ عَلَى مَنْكِبِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَفْلَحْتَ يَا قُدَيْمُ إِنْ مُتَّ وَلَمْ تَكُنْ أَمِيرًا وَلَا كَاتِبًا وَلَا عَرِيفًا﴾ (ولا عريفا) هو القيم بأمر القبيلة والمحلة، أو الجماعة من الناس يلي أمرهم، ويتعرف الأمير منه أحوالهم، لمعرفته بها، وفي لسان العرب، العريف هو دون الرئيس. وفي الحديث تحذير من التعرض للرياسة والتأمر على الناس، لما فيه من الفتنة، ولأنه إذا لم يقم بحقه، ولم يؤد أمانة فيه، أثم، واستحق من الله العقوبة، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: العرفاء في النار. عن رجل ، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْعِرَافَةَ وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ عُرَفَاءَ وَلَكِنَّ الْعُرَفَاءَ فِي النَّارِ﴾ وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُقَرِّبُونَ شِرَارَ النَّاسِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فلَا يَكُونَنَّ عَرِيفًا وَلَا شُرْطِيًا وَلَا جَابِيًا وَلَا خَازِنًا﴾

وعن محمد بن المنكدر، قال: بينما عمر بن الخطاب يصلي على جنازة، إذ بهاتف يهتف من خلفه لا تسبقنا بالصلاة يرحمك الله. فانتظره حتى لحق بالصف، فكبر عمر، وكبر معه الرجل، فقال الهاتف: إن تعذبه فكثير عصاك، وإن تغفر له ففقير إلى رحمتك، قال: فنظر عمر وأصحابه إلى الرجل فلما دفن الميت وسوى الرجل عليه من تراب القبر، قال: طوبى لك يا صاحب القبر، قال: طوبى لك يا صاحب القبر إن لم تكن عريفا أو جابيا أو خازنا أو كاتبا أو شرطيا، فقال عمر: خذوا لي الرجل، نسأله عن صلاته وكلامه هذا عمن هو قال: فتوارى عنهم فنظروا فإذا أثر قدمه ذراع فقال عمر: هذا والله الخضر* الذي حدثنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا مِنْ حَاكِمٍ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَلَكٌ آخِذٌ بِقَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِنْ قَالَ: أَلْقِهْ أَلْقَاهُ فِي مَهْوَاةٍ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا﴾ (ما من حاكم): (من) زائدة للاستغراق و(حاكم) نكرة في سياق النفي فيشمل كل عادل وظالم (يحكم بين الناس إلا جاء يوم القيامة وملك آخذ) بصيغة الفاعل (بقفاه، ثم يرفع) أي الملك (رأسه إلى السماء) أي منتظرا لأمر الله فيه (فإن قال) أي الله تعالى (ألقه) أي ارمه (ألقاه في مهواة) أي مهلكة ومسقطة (أربعين خريفا) أي سنة. وعن عبد الرحمن بن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ! لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ وَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ – وفي رواية–: فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ﴾ (لا تسأل الإمارة) أي لا تطلب الحكومة والولاية لا من الخلق ولا من الخالق (فإنك إن أوتيتها) أو أعطيتها (عن مسألة) أي بعد سؤالك إياها أو إعطاء صادرا عن مسألة (وكلت إليها) أي تركت إليها وخليت معها من غير إعانة لك فيها لأنك استقللت في طلبها. وقال الطيبي: أي فوضت إلى الإمارة ولا شك أنها أمر شاق لا يقوم بها أحد بنفسه من غير معاونة من الله إلا أوقع نفسه في ورطة خسر فيها دنياه وعقباه وإذا كان كذلك فلا يسألها اللبيب الحازم (وإن أوتيتها عن غير مسألة أعنت عليها) أي أعانك الله على تلك الإمارة. ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول:لا يحب الإمارة أحد فيعدل. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ﴾ (إنكم ستحرصون) حرص كضرب ومنع (على الإمارة وستكون) أي الإمارة المقرونة بالحرص (ندامة يوم القيامة) أي عند العجز عن الجواب في المحاسبة وحصول العتاب في مقابلة الحقوق والمطالبة (فنعم المرضعة) وفي نسخ المصابيح: فنعمت المرضعة (وبئست الفاطمة) قال القاضي: شبه الولاية بالمرضعة وانقطاعها بالموت، أو العزل بالفاطمة؛ أي نعمت المرضعة الولاية؛ فإنها تدر عليك المنافع واللذات العاجلة، وبئست الفاطمة المسيئة فإنها تقطع عنك اللذائذ والمنافع وتبقي عليك الحسرة والندامة، فلا ينبغي للعاقل أن يلم بلذات يتبعها حسرات. وقيل جعل الإمارة في حلاوة أوائلها ومرارة أواخرها، كمرضعة تحسن بالإرضاع وتسيء بالفطام، قال الملا علي القاري: قلت فيه إشارة لطيفة إلى أن حلاوة الإمارة ومرارة الولاية المشبهتين بالرضاع والفطام، إنما هو بالنسبة إلى أطفال الطريقة دون الرجال الواصلين إلى مرتبة الحقيقة ولذا قال بعضهم: أضغاث أحلام وظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع ولكن أكثر أهل الجنة البله الواقفون على الباب وللعليين أرباب الألباب.

☪

عن إبراهيم بن الأشتر، عن أبيه، عن أم ذر، قالت: لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: ما لي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض، وليس عندي ثوب يسعك كفنا، قال: فلا تبكي وأبشري، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم: ﴿لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك في قرية جماعة، وأنا الذي أموت بفلاة، والله ما كذبت ولا كذبت، فأبصري الطريق، قالت: وأنى وقد ذهب الحاج وانقطعت الطرق، قال: اذهبي فتبصري، قالت: فكنت أجيء إلى كثيب، فأتبصر، ثم أرجع إليه فأمرضه، فبينما أنا كذلك إذا أنا برجال على رحالهم، كأنهم الرخم* فأقبلوا حتى وقفوا علي وقالوا: ما لك أمة الله؟ قلت لهم: امرؤ من المسلمين يموت، تكفنونه؟ قالوا: من هو؟ فقلت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: نعم، قالت: ففدوه بآبائهم وأمهاتهم، وأسرعوا إليه، فدخلوا عليه، فرحب بهم، وقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم: ﴿لَيَمُوتَنَّ مِنْكُمْ رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وليس من أولئك النفر أحد إلا هلك في قرية وجماعة، وأنا الذي أموت بفلاة أنتم تسمعون إنه لو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي أو لامرأتي، لم أكفن إلا في ثوب لي أو لها، أنتم تسمعون إني أشهدكم أن يكفنني رجل منكم كان أميرا أو عريفا أو بريدا أو نقيبا، فليس أحد من القوم إلا قارف بعض ذلك إلا فتى من الأنصار، فقال: يا عم، أنا أكفنك لم أصب مما ذكرت شيئا، أكفنك في ردائي هذا، وفي ثوبين في عيبتي* من غزل أمي حاكتهما لي، فكفنه الأنصاري في النفر الذين شهدوه منهم حجر بن الأدبر، ومالك بن الأشتر في نفر كلهم يمان.

----

*(الرخم) بالتحريك، واحد الرخمة؛ وهو طائر أبقع من الجوارح، يشبه النسر في الخلقة (عيبتي) أي خاصتي وموضع سري. وذلك أن الرجل إنما يضع في عيبته حر متاعه وثيابه (الخضر) صاحب موسى عليه السلام اختلف في نسبه وفي كونه نبيا وفي طول عمره وبقاء حياته وعلى بقائه إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وحياته بعده .

مراجع: صحيح مسلم/ مسند أحمد/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ صفة الصفوة/ صحيح ابن حبان/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ العقد الفريد/ تاريخ المدينة المنورة/ عصر الخلافة الراشدة/ تاج العروس/ مختصر تاريخ دمشق/

قال الحواري بن الحواري أبو عيسى الجعي: دخل الأوزاعي[1] على أبي جعفر فلما أراد أن ينصرف استعفى من لبس السواد فأجابه فلما خرج الأوزاعي قال أبو جعفر للربيع[2]: الحقه فاسأله لم استعفى من لبس السواد؟ ولا يعلم أني أمرتك فلحقه الربيع فقال: يا أبا عمرو رأيتك استعفيت أمير المؤمنين من السواد فما بأس بالسواد؟ قال: يا ابن أخي لم يحرم فيه محرم قط ولا يكفن فيه ميت قط ولم تزين فيه عروس قط فما أصنع بلبسه ؟! وفي رواية عن عبد الرحمن بن عبد الله القرشي قال: رفع إلى المهدي[3] أن الأوزاعي لا يلبس السواد ويحرمه، فقال لأبي عبيد الله[4] وزيره: ادع هذا الشيخ فسله عما عنده من تحريم السواد، فأحضره أبو عبيد الله فقال له: يا شيخ، إنه رفع إلى أمير المؤمنين أنك تحرم السواد، فما عندك فيه؟ فقال: لا احرمه، ولكني أكرهه. قال: وما الذي تكره منه؟ فقال الأوزاعي: لم أر محرما أحرم فيه، ولا عروسا جليت فيه، ولا ميتا كفن فيه، فمن ها هنا أكرهه. فدخل أبو عبيد الله على المهدي فأخبره بقول الأوزاعي، فاستضحك المهدي(؟)، وقال: ما أحسن ما تخلص الشيخ، لا تعرضوا له، فإنه شيخ فاضل. هكذا ورد المهدي، وإنما هو المنصور، والأوزاعي لم يبق إلى دولة المهدي.

قال بشر بن بكر: كان وال بالشام قد أراد الأوزاعي على شيء فلم يجده عنه. قال: فهم أن يؤذيه (يؤدبه)، فقال له بعض من يعتاده: لا تفعل، فإنه لا مقام لك بالشام مع الأوزاعي، فإن يكن من أمير المؤمنين شيء كان من غيرك. قال: فكف عنه. قال: فبينا هم كذلك إذ جاءه كتاب أن يخرج إلى فلان الشاري*، فيقابله. قال: فقال له أولئك: الآن جاءك ما تحب منه، لو ضربت رقبته لم يجبك فيه بشيء. قال: فأرسل إليه، فاجتمع، واجتمع من كان يؤلبه على الأوزاعي وغيرهم. قال: فقال له الوالي: يا أبا عمرو، هذا كتاب أمير المؤمنين يأمر فيه بالخروج إلى هذا الظالم الشاري. قال: فقال الأوزاعي: حدثني يحيى بن أبي كثير اليمامي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ﴾ قال: فقال له الوالي: أخبرك عن كتاب أمير المؤمنين وتعارضني بغيره؟! قال: فقال له الأوزاعي: اسكت، أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعارضني بغيره؟! قال: فأشار إليه بعض من كان يؤلبه عليه بيده أن يسكت. قال: فقال له: انصرف يا أبا عمرو. قال: فلما قام قال لهم الوالي: هذا رجل معصوم. قال: وقال الوالي لمن كان يؤلبه: إشارتكم إلي أن أسكت لم كان؟ قالوا: لو أشار إلى أهل الشام لضربت رقبتك (عنقك).

----

*(الشاري) المشتري والبائع ومن يبيع نفسه في طاعة الله، جمعها: شراة والشراة فرقة من الخوارج

■ (1) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، أبو عمرو، من كبار تابعي التابعين. ولقب بـ الأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهى بطن من ذي الكلاع باليمن. ولد سنة 88 هـ بقرية بعلبك في لبنان وربته أمه يتيما، ثم استقر بدمشق. وقد برع الأوزاعي في تفسير القران الكريم، وحفظ الحديث، والأخبار، والمغازي، وكان صاحب مذهب ساد في الشام زمنا، ثم ما لبث أن ضعف انتشاره، بسبب انتشار المذهبين المالكي والشافعي اللذين حلا محله. وقد التزم الأوزاعي في فتاويه بالتوقف عند النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. وللأوزاعي كتابان في الفقه، هما السنن والمسائل، وقد ضمن كتاب المسائل الفتاوى التي أفتى بها. توفى الأوزاعي سنة 157هـ في بيروت.

■ (2) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان العباسي، مولاهم.أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ من عسل مسموم سقاه الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه. ويقال: إن الربيع لم يكن يعرف له أب، فدخل هاشمي على المنصور وأخذ يذكره والد الربيع ويترحم عليه، فقال له الربيع: كم ذا تترحم عليه بحضرة أمير المؤمنين، فقال الهاشمي: يا ربيع أنت معذور لا تعرف مقدار الآباء، فخجل منه. وقطيعة الربيع محلة كبيرة ببغداد تنسب إليه.

■ (3) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

■ (4) أبو عبيد الله، وزير المهدي وكاتبه. اسمه معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري، مولاهم. أصله من طبرية، وكان ذا دين وتعبد، من خيار الوزراء. وكان المهدي يعظمه ولا يخالفه في رأي. فلا حفيده عبيد الله بن سليمان بن أبي عبيد الله: أبلى أبو عبيد الله سجادتين، وأسرع في الثالث موضع الركبتين، والوجه، واليدين، من كثرة صلاته. وكان له في كل يوم كر دقيق يتصدق به، فلما اشتد الغلاء أتاه مولاه فقال: قد غلا السعر فلو نقصنا من الكر، فقال: أنت شيطان، صيره كرين. قال: وأخبرت أن الجسور يوم مات امتلأت، فلم يعبر عليها أحد إلا من تبع جنازته من مواليه واليتامى والأرامل والمساكين. قيل توفي سنة 170 هـ وإلى جانب، أبو عبد الله هذا هناك أيضا يعقوب بن داود بن عمر (أو بن طهمان) السلمي بالولاء، أبو عبد الله: كاتب، من أكابر الوزراء. مات سنة 187 هـ. في ولاية هارون الرشيد وهو الذي يقول فيه بشار: بني أمية هبوا، طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود !.

☪

قال ابن أبي العشرين: سمعت أميرا كان بالساحل يقول وقد دفنا الأوزاعي ونحن عند القبر: رحمك الله أبا عمرو، لقد كنت أخافك أكثر ممن ولاني. قال أبو مهر: ما مات الأوزاعي حتى جلس وحده، ما يجلس إليه أحد، وحتى ملئت أذنه شتما وهو يسمع. قال محمد بن عبيد الطنافسي: كنت جالسا عند الثوري، فجاءه رجل فقال: رأيت كأن ريحانة من المغرب قلعت –وفي رواية: من الشام رفعت– قال: إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعي، فكتبوا ذلك فجاء موت الأوزاعي في ذلك اليوم، أو تلك الليلة. قال خيران بن العلاء وكان من خيار أصحاب الأوزاعي وكان الأوزاعي روى عنه قال: دخل الأوزاعي الحمام، وكان لصاحب الحمام حاجة، فاغلق الباب عليه، وذهب قال: ثم جاء ففتح الباب، فوجده ميتا، قد وضع يده اليمنى تحت خده، وهو مستقبل القبلة. وقيل: إن امرأته أغلقت عليه باب حمام فمات فيه. ولم تكن عامدة لذلك، فأمرها سعيد بن عبد العزيز بعتق رقبة. قال: وما خلف ذهبا ولا فضة ولا عقارا ولا متاعا إلا ستة دنانير، فضلت من عطائه، وكان قد اكتتب في ديوان الساحل. توفي الأوزاعي سنة خمسين ومئة. وقيل: سنة إحدى وخمسين ومئة. وقيل: سنة ست وخمسين. وقيل: سنة سبع وخمسين. وكان مولده سنة فتح الطوانة سنة ثمان وثمانين. فلم يتم عمره سبعين سنة. ولما مات شيع جنازته أهل أربعة أديان: المسلمون، واليهود، والنصارى، والقبط. قال يزيد بن مذعور: رأيت الأوزاعي في منامي فقلت: يا أبا عمرو، دلني على درجة أتقرب بها إلى الله عز وجل قال: ما رأيت هناك أرفع من درجة العلماء، ومن بعدها درجة المحرومين.

☪

قال أبو عبيد الله كاتب المنصور: كانت ترد على المنصور من الأوزاعي رحمه الله كتب يتعجب منها، ويعجز كتابه عن الإجابة، فكانت تنسخ في دفاتر، وتوضع بين يدي المنصور، فيكثر النظر فيها استحسانا لألفاظها، فقال لسليمان بن مجالد: وكان من أحظى كتابه عنده، وأشدهم تقدما في صنعته: ينبغي أن نجيب الأوزاعي عن كتبه جوابا تاما، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أحسن ذلك وإنما أرد عليه ما أحسن، وإن له نظما في الكتب لا أظن أحدا من جميع الناس يقدر على إجابته عنه، وأنا أستعين بألفاظه على من لا يعرفها ممن نكاتبه في الآفاق.قال محمد بن عجلان: ما أعلم مكان أحد أنصح للمسلمين من الأوزاعي. قال إسحاق بن إبراهيم: إذا اجتمع سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي على أمر فهو سنة، وإن لم يكن في كتاب ناطق فإنهم أئمة. قال عبد الرحمن بن مهدي: سفيان الثوري إمام في الحديث، وليس بإمام في السنة، والأوزاعي إمام في السنة، وليس بإمام في الحديث، ومالك بن أنس إمام فيهما جميعا. قال إبراهيم بن إسحاق الحربي: سألت أحمد بن حنبل قلت: ما تقول في مالك بن أنس؟ فقال: حديث صحيح ورأي ضعيف. قلت: فالأوزاعي؟ قال: حديث ضعيف ورأي ضعيف. قلت: فالشافعي؟ قال: حديث صحيح ورأي صحيح. قال أحمد البيهقي: قوله في الأوزاعي: حديث ضعيف يريد به بعض ما احتج به، لا انه ضعيف في الرواية، والأوزاعي إمام ثقة في نفسه، لكنه قد يحتج في بعض مسائله بأحاديث من عساه لم يقف على حاله، ثم يحتج بالمراسيل والمقاطيع وذلك بين في كتبه. وعن الأوزاعي قال: كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله شيئا كأنما على رؤوسهم الطير مقبلين على أنفسهم، حتى لو أن حميا لأحدهم غاب عنه حينا ثم قدم ما التفت إليه، فلا يزالون كذلك حتى يكون قريبا من طلوع الشمس، ثم يقوم بعضهم إلى بعض فيتحلقون، فأول ما يقتضون فيه أمر معادهم وما هم صائرون إليه، ثم يتحلقون إلى الفقه والقرآن. وعن الأوزاعي قال: طالب العلم بلا سكينة ولا حلم كالإناء المنخرق، كلما حمل فيه شيء تناثر. قال الأوزاعي: كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم المزيف، فما عرفوا منه أخذنا، وما أنكروا منه تركنا. قال الوليد بن مسلم: كنا إذا جالسنا الأوزاعي فرأى فينا حدثا قال: يا غلام، قرأت القرآن؟ فإن قال: نعم قال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء] فإن قال: لا، قال: اذهب تعلم القرآن قبل أن تطلب العلم. كان الأوزاعي يقول: ندور مع السنة حيثما دارت. قال عمرو بن أبي سلمة: قلت للأوزاعي: في المناولة أقول فيها: حدثنا؟ قال: إن كنت حدثتك فقل، فقلت: أقول أخبرنا؟ قال: لا، قلت: فكيف أقول؟ قل: قال أبو عمرو، وعن أبي عمرو. وعن الأوزاعي قال: ما زال هذا العلم غزيرا يتلاقاه الرجال حتى وقع في الصحف، فحمله أو دخل فيه غير أهله. وفي رواية: كان هذا الأمر شيئا شريفا إذ كان الناس يتلاقونه بينهم. فلما كتب ذهب نوره، وصار إلى غير أهله. قال أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر: بكر أصحاب الحديث على الأوزاعي، قال: فالتفت إليهم فقال: كم من حريص خاشع ليس بمنتفع ولا نافع. قال أبو مسهر: وكان الأوزاعي لا يلحن. قال بشر بن أبي بكر: سئل الأوزاعي فقيل: يا أبا عمرو، الرجل يسمع الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه لحن أيقيمه على عربيته؟ قال: نعم، إن سول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم إلا بعربي. وقال الأوزاعي: أعربوا الحديث، فإن القوم كانوا عربا. وقال الأوزاعي: لا بأس يا صلاح الخطأ واللحن في الحديث. قال الوليد بن مسلم: احترقت كتب الأوزاعي زمنه الرجفة، ثلاثة عشر قنداقا، فأتاه رجل بنسخها، فقال: يا أبا عمرو، هذه نسخة كتابك، وإصلاحك بيدك، فما عرض لشيء منها حتى فارق الدنيا. مر إبراهيم بن أدهم رحمه الله بالأوزاعي وحوله الناس فقال: على هذا عهدت الناس، كأنك معلم وحولك الصبيان، والله لو أن هذه الحلقة على أبي هريرة لعجز عنهم. قال: فقام الأوزاعي وترك الناس. كان الأوزاعي من العبادة على شيء لم يسمع بأحد قوي عليه، ما اتى عليه زوال قط إلا وهو فيه قائم يصلي. قا الأوزاعي: من أطال القيام بالليل هون الله عليه طول القيام يوم القيامة. قال ضمرة بن ربيعة: حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومئة، فما رأيته مضطجعا على المحمل في ليل ولا نهار قط، كان يصلي، فإذا غلبه النوم استند إلى القتب. وكان الأوزاعي لا يكلم أحدا بعد صلاة الفجر حتى يذكر الله تعالى، فإن كلمه أحد أجابه. وقال بشر بن المنذر: رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع. قال ابن عفان: حدثتني أمي قالت: دخلت على امرأة الأوزاعي فرأيت الحصير الذي يصلي عليه مبلولا، فقلت: يا أختي، أخاف أن يكون الصبي بال على الحصير، فبكت وقالت: ذلك دموع الشيخ. قال أبو مسهر: ما رئي الأوزاعي باكيا قط، ولا ضاحكا حتى تبدو نواجده، وإنما كان يتبسم أحيانا. كما روي في الحديث. وكان يحيي الليل صلاة وقرآنا وبكاء. دخل محمد بن عبد الله دمشق فهرب الأوزاعي، فبقي ثلاثة أيام صائما يطوى، لا يجد ما يأكله، فقصد صديقا له عند الإفطار، فقدم إليه، فقال: لو علمت قبل هذا لتقدمنا لك، فقام الأوزاعي وخرج عنه، ولم يفطر.قال العباس بن مزيد: سمعت أصحابنايقولون: صار إلى الأوزاعي أكثر من سبعين ألف دينار، يعني من السلطان من بني امية وبني العباس.فلما مات ما خلف إلا سبعة دنانير، بقية من عطائه، وما كان له أرض ولا دار. قال العباس: نظرنا فإذا هو قد أخرجها كلها في سبيل الله والفقراء. قال محمد بن الأوزاعي: قال لي أبي: يا بني، لوكنا نقبل من الناس كل ما يعرضون علينا لأوشك بنا أن نهون عليهم.قال أبو هزان: كان الأوزاعي من أسخا الناس، وإن كان الرجل ليعرض بالشيء فينقلب الأوزاعي، فيعالج الطعام فيدعوه. وعن الأوزاعي قال: اصبر على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما يسعهم.

مراجع: مختصر تاريخ بغداد/ تاريخ بغداد/المعجم الوسيط/

انتفض أهل الموصل على أبي جعفر المنصور، وقد اشترط عليهم أنهم إن انتفضوا تحل دماؤهم له فجمع المنصور الفقهاء وفيهم أبو حنيفة. فقال: أليس صحيحا أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿الْمُؤْمِنُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ﴾ وأهل الموصل قد شرطوا ألا يخرجوا عليّ وقد خرجوا على عاملي وقد حلت دماؤهم. فقال رجل منهم: يدك مبسوطة عليهم وقولك مقبول فيهم فان عفوت فأنت أهل العفو وإن عاقبت فبما يستحقون. فقال لأبي حنيفة: [1]ما تقول أنت يا شيخ؟ ألسنا في خلافة نبوة وبيت أمان؟. فأجابه الإمام: إنهم شرطوا لك ما لا يملكون، وهو استحلال دمائهم، وشرطت عليهم ما ليس لك و﴿لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ﴾ فأمرهم المنصور بالقيام فتفرقوا فدعاه وحده. فقال: يا شيخ القول ما قلت. انصرف إلى بلادك ولا تفت الناس بما هو شين على إمامك فتبسط أيدي الخوارج.

دعاه المنصور يوما، فقال الربيع: يا أمير المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جدك، كان عبد الله بن عباس يقول: إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء، وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء إلا متصلا باليمين، فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين، إن الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك بيعة، قال: وكيف؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون، فتبطل أيمانهم، فضحك المنصور وقال: يا ربيع لا تعرض لأبي حنيفة، فلما خرج أبو حنيفة، قال له الربيع: أردت أن تشيط بدمي، قال: لا، ولكنك أردت أن تشيط بدمي فخلصتك وخلص نفسي. قال خالد بن النضر: سمعت عبد الواحد بن غياث، يقول: كان أبو العباس الطوسي[2] سيئ الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فدخل أبو حنيفة على أبي جعفر أمير المؤمنين وكثر الناس، فقال الطوسي: اليوم أقتل أبا حنيفة، فأقبل عليه، فقال: يا أبا حنيفة، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو، أيسعه لأن يضرب عنقه؟ فقال: يا أبا العباس، أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل؟ قال: بالحق، قال: انفذ الحق حيث كان ولا تسل عنه، ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته.

عن بشر بن الوليد الكندي قال: طلب المنصور أبا حنيفة فأراده على القضاء وحلف ليله فأبى، وحلف أن لا يفعل، فقال الربيع حاجب المنصور: ترى أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف قال: أمير المؤمنين كفارة يمينه أقدر مني. فأمر به إلى السجن فمات فيه ببغداد. وقيل دفع صاحب الشرطة حميد الطوسي[2] فقال له: يا شيخ إن أمير المؤمنين يدفع إلي الرجل فيقول لي: اقتله أو قطعه أو اضربه، ولا علم لي بقصته، فما أفعل فقال أبو حنيفة: هل يأمرك أمير المؤمنين بأمر قد وجب أو بأمر لم يجب قال: بل بما قد وجب، قال: فبادر إلى الواجب. في رواية قال أبو خازم القاضي قال أبو حنيفة: كنا نأتي حماد بن أبي سليمان[3]، فلا ننصرف من عنده إلا بفائدة فجئناه يوما فلم نفد منه شيئا، إلا أنه قال: إذا وردت عليك مسألة معضلة فاجعل جوابها منها، فحفظت ذلك و أنا لا أرى أنه شيء، فلما كان بعده بدهر صرت إلى دار المنصور فخرج إلى الربيع الحاجب ممتحنا، فقال: أفتني في أمير المؤمنين، يأمرني بقتل النفس وأخذ الأموال، أعلي في طاعته شيء؟ فذكرت قول حماد فقلت: أليس يأمرك أمير المؤمنين بحق؟! قال: بلى، قلت: فافعل، إذا امرك بذلك، وأنت مأجور.

■ (1) أبو حنيفة، النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة، وهو من رهط حمزة الزيات؛ كان خزازا يبيع الخز (نوع من الأقمشة)، وجده زوطى من أهل كابل (ناحية معروفة من بلاد الهند)، وقيل بابل، وقيل من أهل الأنبار، وقيل من أهل نسا، وقيل من أهل ترمذ، وهو الذي مسه الرق فأعتق، وولد ثابت على الإسلام. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، من أبناء فارس من الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط. وكانت ولادة أبي حنيفة سنة 80 هـ، وقيل سنة 61 هـ، والأول أصح، وتوفي في رجب، وقيل في شعبان سنة 150 هـ، وقيل 11 جمادى الأولى من السنة، وقيل 151 هـ وقيل 153 هـ، والأول أصح؛ وكانت وفاته في السجن ليلي القضاء فلم يفعل، هذا هو الصحيح، وقيل إنه لم يمت في السجن، وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي سنة 150 هـ، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور. أصحابه يقولون: لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم، ولم يثبت ذلك عند أهل النقل. قال جعفر بن الربيع: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين، فما رأيت أطول صمتا منه، فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي، وسمعت له دويا وجهارة في الكلام. وقال ابن المبارك: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله، ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة، ما سمعته يغتاب عدوا له قط، فقال: هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها. قال أسد بن عمرو: صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة، وكان عامة ليلة يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه: لما مات أبي سألنا الحسن ابن عمارة أن يتولى غسله ففعل، فلما غسله قال: رحمك الله وغفر لك! لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنة، وقد أتعبت من بعدك، وفضحت القراء.

■ (3) حماد بن أبي سليمان، الامام فقيه العراق، أبو إسماعيل بن مسلم الكوفي مولى الاشعريين، أصله من أصبهان. وليس هو بالمكثر من الرواية، لانه مات قبل أوان الرواية، وأكبر شيخ له: أنس بن مالك، فهو في عداد صغار التابعين. مات حماد سنة 120 هـ، أرخه خليفة، وقيل: سنة 119 هـ.

■ (2) أبو العباس الطوسي: أبو العباس الفضل بن سليمان بن المهاجر بن سنان بن حكيم الطوسي، أمير خراسان. المتوفي بعد سنة 171 هـ. ؟

☪

الاستثناء في الحلف: قالوا: يصح الاستثناء في كل يمين مكفرة، وهي: اليمين بالله تعالى، والظهار*، والنذر* ونحوه، كقول الحالف: هو يهودي، أو بريء من الإسلام، فإن حلف بشيء منها فقال: إن شاء الله، أو أراد الله، أو إلا أن يشاء الله وقصد بذلك المشيئة لا من أراد محبته أو أمره لم يحنث، فعل أو ترك، قدم الاستثناء أو أخره إذا كان متصلا لفظا أو حكما، كانقطاعه بتنفس، أو سعال أو عطاس، أو عي ونحو. قال الشارح: أجمع العلماء على تسميته استثناء وأنه متى استثنى في يمينه لم يحنث فيها لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ حَلَفَ فَاسْتَثْنَى فَإِنْ شَاءَ رَجَعَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ غَيْرَ حِنْثٍ﴾ رواه الإمام أحمد، وأبو داود. ولأنه متى قال: لأفعلن إن شاء الله فقد علمنا أنه متى شاء الله فعل، ومتى لم يفعل لم يشأ الله ذلك، فإن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. انتهى. وقال ابن الجوزي: فائدة الاستثناء خروجه من الكذب، قال موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف] ولم يصبر فسلم منه بالاستثناء. وبتعين النطق به، ولا ينفع بالقلب إلا من مظلوم قصد الاستثناء قبل تمام المستثنى منه، وعن أحمد رواية أخرى: أنه يجوز الاستثناء إذا لم يطل الفصل. وهذا قول الأوزاعي، قال في رجل قال: لا أفعل كذا وكذا، ثم سكت ساعة لا يتكلم ولا يحدث نفسه بالاستثناء، فقال له إنسان: قل إن شاء الله، قال: إن شاء الله، أيكفر يمينه؟ قال: أراه قد استثنى، ووجه ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿وَاللَّهِ لَأَغْزُوَنَّ قُرَيْشًا. ثُمَّ سَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ رواه أحمد وأبو داود، وزاد قال الوليد بن مسلم: ﴿ثُمَّ لَمْ يَغْزُهُمْ﴾ وحكي عن الحسن، وعطاء، وبعض الحنابلة: أنه يصح الاستثناء مادام في المجلس. وعن ابن عباس: له أن يستثنى ولو بعد حين، وهو قول مجاهد. والذي عليه العمل أن الاتصال شرط، لقوله عليه الصلاة والسلام: ﴿مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَقَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَا حِنْثَ عَلَيْهِ﴾ رواه الخمسة إلا أبا داود. وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ حَلَفَ فَاسْتَثْنَى﴾ وهذا يقتضي كونه عقبه، لأن الفاء للتعقيب، ولأن الاستثناء من تمام الكلام فاعتبر اتصاله كالشرط وجوابه، وكالاستثناء بإلا.

☪

قال إبراهيم بن سعيد الجوهري: كنت عند أمير المؤمنين الرشيد إذ دخل أبو يوسف، فقال له الرشيد: يا أبا يوسف صف لي أخلاق أبي حنيفة رضي الله عنه، فقال إن الله تعالى يقول: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق] وهو عند لسان كل قائل كان علمي بأبي حنيفة أنه كان شديد الذب* عن محارم الله أن تؤتى، شديد الورع أن ينطق في دين الله بما لا يعلم، يحب أن يطاع الله ولا يعصى، مجانبا لأهل الدنيا في زمانهم لا ينافس في عزها، طويل الصمت، دائم الفكر على عمل واسع، لم يكن مهذارا ولا ثرثارا، إن سئل عن مسألة كان عنده فيها علم نطق به وأجاب فيها بما سمع، وإن كان غير ذلك قاس على الحق واتبعه، صائنا نفسه ودينه بذولا للعلم والمال، مستغنيا بنفسه عن جميع الناس، لا يميل إلى طمع بعيدا عن الغيبة لا يذكر أحدا إلا بخير. فقال له الرشيد: هذه أخلاق الصالحين. ثم قال للكاتب: اكتب هذه الصفة وادفعها إلى ابني ينظر فيها. ثم قال له: احفظها يا بني حتى أسألك عنها، إن شاء الله.

☪

حدث محمد بن يحيى الربعي، قال: قال ابن شبرمة[1]: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد بن علي[2]، فسلمت، وكنت له صديقا، ثم أقبلت على جعفر، فقلت له: أمتع الله بك، هذا رجل من أهل العراق، له فقه وعلم. فقال لي جعفر: لعله الذي يقيس الدين برأيه. ثم أقبل علي، فقال: هو النعمان بن ثابت؟ قال: ولم أعرف اسمه إلا ذلك اليوم. قال: فقال أبو حنيفة: نعم، أصلحك الله، فقال له جعفر: اتق الله ولا تقس الدين برأيك، فإن أول من قاس إبليس، إذ أمره الله تعالى بالسجود لآدم، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف / ص] ثم قال له جعفر: هل تحسن أن تقيس رأسك من جسدك؟ فقال: لا، فقال: أخبرني عن الملوحة في العينين، وعن المرارة في الأذنين، وعن الماء في المنخرين، وعن العذوبة في الشفتين لأي شيء جعل ذلك؟ قال: لا أدري. قال له جعفر: إن الله تبارك وتعالى خلق العينين فجعلهما شحمتين، وجعل الملوحة فيهما منا منه على ابن آدم، ولولا ذلك لذابتا فذهبتا، وجعل المرارة في الأذنين منا منه عليه، ولولا ذلك لهجمت الدواب فأكلت دماغه. وجعل الماء في المنخرين ليصعد منه النفس وينزل، ويجد منه الريح الطيبة من الريح الردية. وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم لذة مطعمه ومشربه. ثم قال لأبي حنيفة: أخبرني عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان ما هي؟ قال: لا أدري. قال: قول الرجل: لا إله إلا الله، فلو قال: لا إله، ثم أمسك كان مشركا، فهذه كلمة أولها شرك وآخرها إيمان. ثم قال: ويحك أيما أعظم عند الله تعالى، قتل النفس التي حرم الله أم الزنا؟ قال: لا بل قتل النفس. قال له جعفر: إن الله تبارك اسمه قد رضي وقبل في قتل النفس بشاهدين، ولم يقبل في الزنا إلا أربعة، فكيف يقوم لك قياس؟ ثم قال: أيما أعظم عند الله، الصوم أم الصلاة؟ قال: لا بل الصلاة. قال: فما بال المرأة إذا حاضت تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة؟ اتق الله يا عبد الله ولا تقس، نقف نحن غدا وأنت ومن خالفنا بين يدي الله عز وجل، فنقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه، قال الله عز وجل، وتقول أنت وأصحابك: سمعنا ورأينا، فيعمل بنا وبكم ما يشاء.

عن يوسف السمتي: أن أبا جعفر المنصور أجاز أبا حنيفة بثلاثين ألف درهم في دفعات، فقال: يا أمير المؤمنين، إني ببغداد غريب، وليس لها عندي موضع، فاجعلها في بيت المال، فأجابه المنصور إلى ذلك، قال: فلما مات أبو حنيفة، أخرجت ودائع الناس من بيته، فقال المنصور: خدعنا أبو حنيفة. قال مغيث بن بديل: قال خارجة بن مصعب[3]: أجاز المنصور أبا حنيفة بعشرة آلاف درهم، فدعي ليقبضها فشاورني، وقال: هذا رجل أن رددتها عليه غضب، وإن قبضتها دخل علي في ديني ما أكرهه، فقلت: إن هذا المال عظيم في عينه، فإذا دعيت لتقبضها، فقل: لم يكن هذا أملي من أمير المؤمنين، فدعي ليقبضها، فقال ذلك، فرفع إليه خبره، فحبس الجائزة، قال: فكان أبو حنيفة لا يكاد يشاور في أمره غيري.

*(الذب) الدفع والمنع (الظهار) تحريم الرجل امرأته على نفسه بقوله: أنت علي كظهر أمي (النذر) إذا أوجبت على نفسك شيئا تبرعا؛ من عبادة، أو صدقة، أو غير ذلك.

■ (1) عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان الضبي. الإمام، العلامة، فقيه العراق، أبو شبرمة، قاضي الكوفة. وهو عم عمارة بن القعقاع، ولكن عمارة أسن منه. توفي: سنة 144 هـ. حدث عن أنس بن مالك، وأبي الطفيل عامر بن واثلة، وأبي وائل شقيق، وعامر الشعبي، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وإبراهيم التيمي، وإبراهيم النخعي، وسالم بن عبد الله، والحسن البصري، ونافع، وسالم بن أبي الجعد، وعبد الله بن شداد بن الهاد، وأبي زرعة، وطائفة. وكان من أئمة الفروع، وأما الحديث، فما هو بالمكثر منه، له نحو من ستين أو سبعين حديثا.

■ (2) أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين؛ أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة. وكانت ولادته سنة 80 هـ، وهي سنة سيل الجحاف، وقيل: بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة 83 هـ. وتوفي في شوال سنة 148 هـ بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي، فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه. وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنهم أجمعين.

■ (3) خارجة بن مصعب، ابن خارجة، الامام العامل المحدث، شيخ خراسان، مع إبراهيم بن طهمان، أبو الحجاج الضبعي السرخسي. قال ولده مصعب: توفي أبي سنة 168 هـ، وله ثمان وسبعون سنة.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ صحيح مسلم/ رجال ومناهج في الفقه الإسلامي/ أخبار أبي حنيفة وأصحابه/ مسند أحمد/ الطبقات الكبرى/ تاريخ بغداد/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ أخبار أبي حنيفة/ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ وفيات الأعيان/

تروي كتب التاريخ أن الإمام أبو حنيفة النعمان [1] رحمه الله، لم يكن راضيا عن سياسة المنصور، وقد وجه بذلك مرار فلم يخفي ذلك، بل إن مما كان يغيض المنصور منه، أنه لم يكن يخفي تعاطف مع أئمة أهل البيت والترحم عليهم، بل إنه أفتى إلى بعضهم وأيدهم لم خرجوا على المنصور، وكان من ما يغضبهم عليه أيضا أنه كان جريء في الحق يعلن من رأيه ما بد له صواب، لا يخشى في ذلك لومة لائم، حتى شكاه علماء وقضاة بني العباس إلى الخليفة أكثر من مرة، ولقد حاول المنصور استمالة الإمام أبو حنيفة بعطاياه وجوائزه ولكنه رفض صلات الخليفة مما زاده عليه نقمة وحنق، حتى أن المنصور عاتبه في ذلك ذات مرة، فقال له أبو حنيفة: ما وصلني أمير المؤمنين بشيء من ماله فرددته ولو وصلني بذلك لقبلته، إنما وصلني أمير المؤمنين من بيت مال المسلمين ولا حق لي في بيت مالهم، إني لست ممن يقاتل من ورائهم، فأخذ ما يأخذه المقاتل، ولست من ولدانهم فأخذ ما يأخذه الولدان، ولست من فقرائهم فأخذ من ما يأخذه الفقراء. ولم يبقى أمام المنصور من حيلة يتخلص بها من صمود الإمام الجليل إلا أن يوله القضاء وكان يظن أنه سيوقعه في هذا الفخ، وقد حدث الإمام عن رفضه ذلك فقال: إن هذا دعاني إلى القضاء فأعلمته أنني لا أصلح له وإنني لأعلم أن﴿الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ﴾ ولكنه لا يصلح للقضاء إلا رجل يكون له نفس يحكم بها عليك وعلى ولدك وقوادك وليست لي تلك النفس، وإنك لتدعوني فما ترجع نفسي حتى أفارقك.

روى الربيع بن يونس قال: رأيت أمير المؤمنين ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء وهو يقول له: اتق الله ولا تدع أمانتك.ويرد عليه أبو حنيفة: والله ما أنا بمأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب؟ ولو اتجه الحكم عليك ثم هددتني أن تغرقني في الفرات أو إلى الحكم لخترت أن أغرق، لك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك ولا أصلح لذلك. فيقول له المنصور: كذبت إنك تصلح. فيرد أبو حنيفة: قد حكمت على نفسك كيف يحل لك أن تولي قاضيا على أمانتك كذابا. فأمر المنصور بامتحانه وعقابه. روي عن داود بن رشد الواسطي قوله: كنت شاهداً حين عذب الإمام أبو حنيفة ليتولى القضاء وكان يخرج كل مرة فيضرب عشرة سياط حتى ضرب عشرة ومئة سوط، وكان يقال له: اقبل القضاء. فيقول: لا أصلح. فلما تتابع عليه الضرب قال خفيا: اللهم أبعد عني شرهم بقدرتك، ولما آبى دسوا عليه السم فقتلوه. وروي أنه ضرب بالسياط ثم أخرج وألزم بيته ومنع من ألتدرس والإفتاء وأقام في بيته حتى توفي، ثم وجدوه قد أوصى أن لا يدفن في أرض أتهم أمير أنه غصبها، حتى روي أنه لم بلغ ذلك إلى المنصور، قال: من يعذرني من أبي حنيفة حيا أو ميتا ؟!.

■ (1) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة، وهو من رهط حمزة الزيات؛ كان خزازا يبيع الخز (نوع من الأقمشة)، وجده زوطى من أهل كابل (ناحية معروفة من بلاد الهند)، وقيل بابل، وقيل من أهل الأنبار، وقيل من أهل نسا، وقيل من أهل ترمذ، وهو الذي مسه الرق فأعتق، وولد ثابت على الإسلام. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، من أبناء فارس من الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط. وكانت ولادة أبي حنيفة سنة 80 هـ ، وقيل سنة 61 هـ، والأول أصح، وتوفي في رجب، وقيل في شعبان سنة 150 هـ، وقيل لأحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من السنة، وقيل 151 هـ وقيل 153 هـ، والأول أصح؛ وكانت وفاته في السجن ليلي القضاء فلم يفعل، هذا هو الصحيح، وقيل إنه لم يمت في السجن، وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي سنة 150 هـ، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور.

أيها الإخوة، لم يريد إمامنا الجليل أن يعطي من توليه للقضاء شهادة حسن سيرة وسلوك لملك ظالم من ملوك المسلمين، وشريعة الله قائمة، وجيوشه تغزوا وتفتح في أطرف الأرض، لأن في حكمه جور وظلم، إنها لفتة نضعها بين يدي قضاة الظلم وعلماء السوء في بلاد علا فيها الجبابرة واستعلوا بنقض شرائع الله، والتشريع للناس بأهوائهم وضلالات أسيادهم، في بلاد عم فيها الظلم ونشأ العدوان وصارت القاعدة أن إذا سرق الشريف تركه بل بجلوه ورفعوه وإذا أخطأ الضعيف أقاموا عليه الحد بل إنهم يقيمون الحدود والمظالم على الأبرياء بل حتى على الصالحين والدعاة والمجاهدين في سبيل الله، فليترقبوا يوما توضع الموازين القسط ليوم القيامة: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء] ويدعى كل أناس بكتابهم وكل جمع بإمامهم ويقال:﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (23) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات] (أزواجهم) أي قرناؤهم وأمثالهم.. قال الأصمعي: لقي أعرابي بين مكة والمدينة، فسئل عن شيء، فقال: ما أرى الناس إلا بقرنائهم؛ انظروا إلى الحجاج من قيض له ابن أبي مسلم؟ وإلى فرعون من قيض له هامان؟ وانظروا إلى عمر بن عبد العزيز من قيض له رجاء بن حيوة؟ فما أرى الناس إلا بقرنائهم.

عن أبي غادية قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم العقبة فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟. قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ﴾ وعن عمرو بن الحمق قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ، فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِلِ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا﴾ وعن خرشة بن الحر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا يَشْهَدَنَّ أَحَدُكُمْ قَتِيلًا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قُتِلَ مَظْلُومًا فَتُصِيبُهُ السَّخْطَةُ﴾ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُقْتَلُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ ؛ حَيْثُ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ، وَلَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُضْرَبُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا ؛ فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ﴾ وعن خرشة بن الحر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿سَيَكُونُ بَعْدِي فِتْنَةٌ النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَمَنْ أَتَتْ عَلَيْهِ فَلْيَمْشِ بِسَيْفِهِ إِلَى صَفَاةٍ فَلْيَضْرِبْهُ بِهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ، ثُمَّ لِيَضْطَجِعَ لَهَا حَتَّى تَنْجَلِيَ عَمَّا انْجَلَتْ﴾ وعن محمد بن مسلمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَقْتَتِلُونَ عَلَى الدُّنْيَا فَاعْمِدْ بِسَيْفِكَ عَلَى أَعْظَمِ صَخْرَةٍ فِي الْحَرَّةِ فَاضْرِبْهُ بِهَا حَتَّى يَنْكَسِرَ، ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ. فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ وعن الحسن: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ سَيْفًا فَقَالَ: قَاتِلْ بِهِ الْمُشْرِكِينَ مَا قُوتِلُوا فَإِذَا رَأَيْتَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَأْتِ بِهِ أُحُدًا فَاضْرِبْهُ بِهِ حَتَّى تَقْطَعَهُ ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ﴾.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح / رجال ومناهج في الفقه الإسلامي/ سراج الملوك / مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ أخبار أبي حنيفة وأصحابه/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ مختصر تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/

حدث عبد الوهاب بن محمد قال: خبرت عن عبيد بن إسماعيل، قال: بعث المنصور إلى أبي حنيفة[1] وسفيان الثوري[2] وشريك[3] فأدخلوا عليه، فقال لهم: لم أدعكم إلا لخير، وكتب قبل ذلك ثلاث عهود، فقال لسفيان: هذا عهدك على قضاء البصرة فخذه والحق بها، وقال لشريك: هذا عهدك على قضاء الكوفة فخذه وامض، وقال لأبي حنيفة: هذا عهدك على قضاء مدينتي وما يليها فخذه، ثم قال لحاجبه: وجه معهم أو كما قال فمن أبى فاضربه مائة سوط، فأما شريك فأخذ عهده ومضى، وأما سفيان فقال لعون كان وكل به: هو ذا أخرج ودخل منزله فوضع الكتاب في طاق بيته وهرب إلى اليمن، فيقال: أن هشام بن يوسف وعبد الرزاق سمعا منه هناك ويقال إنه كان يحدثهم قائما على رجله خشية فحدثهم أربعة آلاف حديث، فأما أبو حنيفة فلم يقبل العهد فضرب مائة سوط وحبس ومات في الحبس، هكذا حدثنيه عبيد بن إسماعيل وقال عبد الوهاب: سمعت محمد بن شجاع يقول سمعت شيخا يكنى أبا معشر يحدث بهذا الحديث فسألت الحسن بن أبي مالك عن ذلك فقال لي: هذا مشهور من أمره ما زلنا نتذاكر هذا ونتحدث به، قال: جيء بأبي حنيفة إلى المنصور فأنزله، قال: فجاء الحسن بن عمارة[4] فقال له: يا أبا حنيفة، قد احتجت إليك وإلى رأيك اليوم قد أمر لي بجائزة وذكر ألوف دراهم فإن لم أقبلها خشيت أن أقتل فاحتل لي في صرفها عني، قال: وأمر لأبي حنيفة بعشرة آلاف درهم وكان المتولي لإعطاء ذلك الحسن بن قحطبة[5] فلما أحس أبو حنيفة بأنه يرسل بها إليه أصبح لا يكلم أحدا كأنه مغمى عليه فأتى في ذلك اليوم بالدراهم فجاء بها رسول الحسن بن قحطبة فدخل بها عليه فقالوا له: ما تكلم اليوم بكلمة فقال: كيف أصنع؟ قالوا: أنظر ما ترى، فوضعها في مسجدي في ناحية البيت فانصرف، فمكثت تلك البدرة* في ذلك الموضع، فلما مات أبو حنيفة كان ابنه حماد غائبا فقدم بعد موته فحمل البدرة فأتى بها باب الحسن ابن قحطبة، فاستأذن فأذن له فدخل، فقال: إني وجدت في وصية أبي إذا دفنت فخذ هذه البدرة التي في زاوية البيت فأت بها الحسن بن قحطبة فقل: هذه وديعتك التي كانت عندنا فأدخلت البدرة فنظر إليها الحسن وقال له: رحم الله أباك، لقد شح على دينه إذ سخت به أنفس أقوام كثيرة.

وفي رواية عن العسكري أنه لما جيئ به إلى المنصور أمر له بعشرة آلاف درهم على يد حسن بن قحطبة فلما أحس أنه يؤتي بمال جعل لا يكلم أحدا فحمل إليه المال فقيل: إنه ما تكلم اليوم فقال الحمالون: ما نصنع بالمال؟ فوضعوه فى زاوية من البيت، فلما مات كان ابنه حماد غائبا فقدم فذهب بالمال إلى ابن قحطبة وكان ذلك المال لم يحرك من مكانه فقال: هذه وديعتك كانت في زاوية البيت فخذها فنظر إليه الحسن وقال ابن عباس سللت على نفسك مائة ألف سيف هذا فقيه العراق وفقيه المشرق فأمر له بثلاثين ألف درهم وكان كل درهم مقدار مائة درهم اليوم لعزة الدراهم فلما وضعت بين يديه رفضها فقيل له لو تصدقت بها فقال أبو جد عندهم الحلال.

----

*(البدرة) كيس فيه ألف، أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار. والجميع: البدور وثلاث بدرات

■ (1) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة، وهو من رهط حمزة الزيات؛ كان خزازا يبيع الخز (نوع من الأقمشة)، وجده زوطى من أهل كابل (ناحية معروفة من بلاد الهند)، وقيل بابل، وقيل من أهل الأنبار، وقيل من أهل نسا، وقيل من أهل ترمذ، وهو الذي مسه الرق فأعتق، وولد ثابت على الإسلام. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، من أبناء فارس من الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط. وكانت ولادة أبي حنيفة سنة 80 هـ، وقيل سنة 61 هـ، والأول أصح، وتوفي في رجب، وقيل في شعبان سنة 150 هـ، وقيل لأحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى من السنة، وقيل 151 هـ وقيل 153 هـ، والأول أصح؛ وكانت وفاته في السجن ليلي القضاء فلم يفعل، هذا هو الصحيح، وقيل إنه لم يمت في السجن، وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي سنة 150 هـ، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور.

■ (2) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم وزبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك وابن المبارك ويحيى وعبد الرحمن وابن وهب وأمم لا يحصون.

■ (3) شريك بن عبد الله أبو عبد الله النخعي الكوفي القاضي، أدرك عمر بن عبد العزيز، وقدم بغداد مرات وحدث بها. ولد شريك سنة 95 هـ. ومات سنة 177 هـ.

■ (4) الحسن بن عمارة بن المضرب، البجلي، مولاهم، أبو محمد الكوفي الفقيه، كان على قضاء بغداد في خلافة أبي جعفر المنصور. قيل: ليس بثقة، ولا يكتب حديثه. مات سنة 153 هـ.

■ (5) الحسن بن قحطبة الطائي: أحد القادة الشجعان المقدمين في بدء العصر العباسي، استخلفه المنصور سنة 136 هـ على أرمينية، ثم استقدمه سنة 137 هـ لمساعدة أبي مسلم الخراساني على قتال عبد الله بن علي. وسيره سنة 140هـ مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام في سبعين ألفا إلى ملطية، فكان للحسن فيها أثر عظيم، وغزا الصائفة سنة 162 هـ في ثمانين ألفا، فأوغل في بلاد الروم، وسمته لروم: التنين.توفي في بغداد سنة 181 هـ.

الله أكبر

عن الحسين بن مالك عن الإمام أنه قال: وقع بين المنصور وامرأته مشاجرة فاختارت الإمام ليكون حكما فدعاه المنصور وجلست امرأته وراء الستر فقال المنصور: كم يحل للرجل من الحراير قال: أربع قال: ومن الإماء قال: ما شاء بلا عدد قال: هل يجوز لأحد خلاف فى ذلك قال: لا قال الخليفة: اسمعي ما قال قالت: سمعت قال الإمام: يا أمير المؤمنين إنما تحل الأربع لمن عدل فمن لم يعدل أو خاف أن لا يعدل فلا تحل إلا واحدة قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء] الآية فسكت الخليفة وقام أبو حنيفة فلما بلغ الإمام منزله بعثت الحرة إليه بخمسين ألف درهم وبجارية حسناء معها وبمركب شكرا لما صنع فجاء الخادم بكل ذلك إليه فلم يقبل منه شيأ وقال: ما أردت بهذا الكلام تقربا إلى أحد ولا إلتماسا للبر من المخلوق ولم يمس منه شيئا ولم ينظر إليه حتى رفع من بين يديه. وفي رواية وقع يوما بين الخليفة المنصور وزوجته شقاق وخلاف بسبب ميله عنها، فطلبت منه العدل فقال لها: من ترضين في الحكومة بيني وبينك؟ قالت: أبا حنيفة، فرضي هو به فجاءه فقال له: يا أبا حنيفة زوجتي تخاصمني فانصفني منها، فقال له أبو حنيفة: ليتكلم أمير المؤمنين. فقال المنصور: كم يحل للرجال أن يتزوج من النساء؟ قال: أربع. قال المنصور لزوجته: أسمعت. فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين إنما أحل الله هذا لأهل العدل فمن لم يعدل أو خاف أن لا يعدل فواحدة لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء] فينبغي لنا أن نتأدب مع الله و نتعظ بمواعظه. فسكت المنصور وطال سكوته، فقام أبو حنيفة وخرج فلما بلغ منزله أرسلت إليه زوجة المنصور خادما ومعه مال وثياب، فردها وقال: أقرئها السلام وقل لها إنما ناضلت عن ديني وقمت بذلك المقام لله ولم أرد بذلك تقربا إلى أحد ولا التمست به دنيا.

☪

عن يحيى بن نصر، قال: كان أبو حنيفة يفضل أبا بكر وعمر، ويحب عليا وعثمان، وكان يؤمن بالأقدار، ولا يتكلم في القدر، وكان يمسح على الخفين، وكان من أعلم الناس في زمانه وأتقاهم. وعن أبي يوسف، عن أبي حنيفة، أنه قال: من قال: القرآن مخلوق فهو مبتدع، فلا يقولن أحد بقوله، ولا يصلين أحد خلفه. وروى أن ابن المبارك قدم على أبي حنيفة، فقال له أبو حنيفة: ما هذا الذي دب فيكم؟ قال له: رجل يقال له جهم. قال: وما يقول؟ قال: يقول القرآن مخلوق. فقال أبو حنيفة: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف] وكان معلى بن منصور الرازي، يقزل: ما تكلم أبو حنيفة، ولا أبو يوسف، ولا زفر، ولا محمد، ولا أحد من أصحابهم في القرآن، وإنما تكلم بشر المريسي، وابن أبي داود. يروي يحيى ابن خلف الطرسوسي وكان من ثقات المسلمين قال: كنت عند مالك، فدخل عليه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق؟ فقال مالك: زنديق اقتلوه، فقال: يا أبا عبد الله، إنما أحكي كلاما سمعته، قال: إنما سمعته منك، وعظم هذا القول.

مراجع: الجواهر المضيه فى طبقات الحنفية/ أخبار أبي حنيفة/ سير أعلام النبلاء/ الطبقات السنية في تراجم الحنفية/ موسوعة الدين النصيحة/ روائع أبى حنيفة/

حدث قطن بن معاوية الغلابي[1] قال: كنت ممن سارع إلى إبراهيم[2]، واجتهد معه؛ فلما قتل طلبني أبو جعفر، واستخفيت فقبض أموالي ودوري، فلحقت بالبادية، فجاورت في بني نصر بن معاوية*، ثم في بني كلاب*، ثم في بني فزارة*، ثم في بني سليم*، ثم تنقلت في بلاد قيس أجاورهم حتى ضقت ذرعا، فأزمعت على القدوم على أبي جعفر، والاعتراف له؛ فقدمت البصرة فنزلت في طرف منها، ثم أرسلت إلى أبي عمرو بن العلاء[3]، وكان لي ودا، فشاورته في الذي أزمعت عليه، فقيل رأيي، وقال: والله إذا ليقتلنك، وإنك لتعين على نفسك، فلم ألتفت إليه، وشخصت حتى قدمت بغداد، وقد بنى أبو جعفر مدينته، ونزلها، وليس من الناس أحد يركب فيها ما خلا المهدي[4]، فنزلت الخان، ثم قلت لغلماني: أنا ذاهب إلى أمير المؤمنين، فأمهلوا ثلاثا، فإن جئتكم وإلا فانصرفوا. ومضيت حتى دخلت المدينة، فجئت دار الربيع[5]، والناس ينتظرونه وهو يومئذ داخل المدينة في الشارعة على قصر الذهب*، فلم ألبث أن خرج يمشي، فقام إليه الناس، وقمت معهم، فسلمت عليه فرد علي وقال: من أنت؟ قلت: قطن بن معاوية، قال: انظر ما تقول! قلت: أنا هو. فأقبل على مسودة معه، فقال: احتفظوا بهذا. قال: فلما حرست لحقتني ندامة، وتذكرت رأي أبي عمرو، فتأسفت عليه، ودخل الربيع، فلم يطل حتى خرج خصي فأخذ بيدي فأدخلني قصر الذهب، ثم أتى بيتا حصينا فأدخلني فيه، ثم أغلق بابه وانطلق فاشتدت ندامتي، وأيقنت بالبلاء، وخلوت بنفسي ألومها، فلما كانت الظهر أتاني الخصي بماء، فتوضأت وصليت وأتاني بطعام، فأخبرته أني صائم، فلما كانت المغرب أتاني بماء، فتوضأت وصليت، وأرخى الليل علي سدوله، فيئست من الحياة، وسمعت أبواب المدينة تغلق، وأقفالها تشده، فامتنع مني النوم، فلما ذهب صدر الليل أتاني الخصي، ففتح عني، ومضى بي فأدخلني صحن دار ثم أدناني من ستر مسدول، فخرج علينا خادم، فأدخلنا، فإذا أبو جعفر وحده والربيع قائم في ناحية، فأكب أبو جعفر هنيهة مطرقا، ثم رفع رأسه فقال: هيه! قلت: يا أمير المؤمنين أنا قطن ابن معاوية، قد والله جهدت عليك جهدي؛ فعصيت أمرك، وواليت عدوك، وحرصت على أن أسلبك ملكك؛ فإن عفوت فأهل ذاك أنت، وإن عاقبت فبأصغر ذنوبي تقتلني، قال: فسكت هنيهة، ثم قال: هيه!؟ فأعدت مقالتي، فقال: فإن أمير المؤمنين قد عفا عنك. فقلت: يا أمير المؤمنين، فإني أصير من وراء بابك، فلا أصل إليك، وضياعي ودوري، فهي مقبوضة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يردها، فعل. فدعا بالدواة، ثم أمر خادما، فكتب بإملائه، إلى عبد الملك بن أيوب النميري[6]، وهو يومئذ على البصرة: أن أمير المؤمنين، قد رضي عن قطن ابن معاوية ورد عليه ضياعه ودوره، وجميع ما قبض له، فاعلم ذلك، وأنفذه له إن شاء الله. قال: ثم ختم الكتاب، ودفعه إلي. فخرجت من ساعتي، لا أدري أين أذهب، فإذا الحرس بالباب، فجلست بجانب أحدهم أحدثه. فلم ألبث أن خرج علينا الربيع، فقال: أين الرجل الذي خرج آنفا؟ فقمت أليه. فقال: انطلق أيها الرجل، فقد والله سلمت. فانطلق بي إلى منزله، فعشاني، وأفرشني. فلما أصبحت، ودعته، وأتيت غلماني، فأرسلتهم يكترون لي، فوجدوا صديقا لي من الدهاقين*، من أهل ميسان*، قد اكترى سفينة لنفسه، فحملني معه. فقدمت على عبد الملك بن أيوب، بكتاب أبي جعفر، فأقعدني عنده، فلم أقم حتى رد علي جميع ما اصطفي لي.

----

* (ميسان) كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط (قصر الذهب) قصر الذهب يسمى أيضا قصر المنصور، وقصر القبة الخضراء، وقصر باب الذهب، شيده الملك العباسي أبو جعفر المنصور، في وسط مدينته المدورة؛ مدينة السلام (الدِهقان) رئيس القرية (بني نصر بن معاوية) نصر بن معاوية: بطن من هوازن، من قيس بن عيلان، من العدنانية، وهم: بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن (بني كلاب) كلاب بن ربيعة: بطن عظيم، من عامر بن صعصعة، من العدنانية، وهم: بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هواز بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان (بني فزارة) فزارة بن ذبيان: بطن عظيم من غطفان، من العدنانية، وهم: بنو فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان (بني سليم) سليم بن منصور: قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان، من العدنانية. تنتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان (بلاد قيس)

■ (1) قطن بن معاوية الغلاب (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (2) إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي، خرج بالبصرة على المنصور وتحول إلى الكوفة وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة 145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة وأهل مكة وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في رمضان فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن أبا جعفر المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى فخرج إلى المدينة فلقيه محمد بن عبد الله فانهزم بأصحابه وقتل ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر

■ (5) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان العباسي، مولا هم.أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ من عسل مسموم سقاه الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه. ويقال: إن الربيع لم يكن يعرف له أب، فدخل هاشمي على المنصور وأخذ يذكره والد الربيع ويترحم عليه، فقال له الربيع: كم ذا تترحم عليه بحضرة أمير المؤمنين، فقال الهاشمي: يا ربيع أنت معذور لا تعرف مقدار الآباء، فخجل منه. وقطيعة الربيع محلة كبيرة ببغداد تنسب إليه.

■ (4) أبو عبد الله، محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بـ الجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بـ ماسبذان سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

■ (3) أبو عمرو بن العلاء، المازني المقريء النحوي البصري اسمه زبان على الأصح وقيل العريان وقيل يحيى وقيل محبوب وقيل جنيد وقيل عيينة وقيل عثمان وقيل عياد وهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان وقيل ابن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم التميمي ثم المازني وقال الأصمعي وعمر بن شبة اسمه كنيته. وعن الأصمعي قال اسمه زبان وله إخوة سفيان ومعاذ وأبو حفص عمر. ولد أبو عمرو بمكة سنة 68 هـ وقيل سنة 70 هـ ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة سنة 154 هـ.

■ (6) عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميري كان أمير البصرة، ثم وعزله المنصور سنة 155 هـ واستعمل عليها الهيثم بن معاوية العتكي وفي سنة 159 هـ عزل المهدي عن أحداث البصرة سعيد بن دعلج وعزل عن الصلاة والقضاء من أهلها عبيد الله بن الحسن وولى مكانهما عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميري وكتب إلى عبد الملك يأمره بإنصاف من تظلم من أهل البصرة من سعيد بن دعلج ثم صرفت الأحداث في هذه السنة عن عبد الملك بن أيوب إلى عمارة رجلا من أهل البصرة يقال له المسور بن عبد الله بن مسلم الباهلي وأقر عبد الملك على الصلاة (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

ذكر الزبير بن بكار[1]،قال المنصور لولده عبد الله المهدي: لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه؛ فإن فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيئاته واعلم أن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى والسلطان لا تصلحه إلا الطاعة والرعية لا يصلحها إلا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه. قال: أي بني استدم النعمة بالشكر والمقدرة بالعفو والطاعة بالتألف والنصر بالتواضع والرحمة للناس.

حدث مبارك بن فضالة[2]،قال: أني يوما لعند أبي جعفر إذ أتي برجل فأمر بقتله، فقلت في نفسي: يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال: وما هو؟ قلت: سمعته يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جُمِعَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ حَيْثُ يَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ، فَيَقُومُ مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَقُولُ: لِيَقُومَنَّ مَنْ لَهُ عَلَى اللهِ يَدٌ، فَلَا يَقُومَنَّ إِلا مَنْ عَفَا﴾ فأقبل علي، فقال: آلله لسمعته من الحسن؟ قال: قلت: آلله لسمعته من الحسن، قال: خليا عنه. وفي رواية عنه أيضا قال: كنا عند أمير المؤمنين المنصور فدعا برجل ودعا بالسيف فأخرج المبارك رأسه من السماط فقال: يا أمير المؤمنين سمعت الحسن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.فلما سمعه المنصور يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل عليه بوجهه يسمع منه فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَامَ مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ يُنَادِي لِيَقُمْ الَّذِينَ أَجْرُهُمْ عَلَى اللهِ فَلا يَقُومُ إِلا مَنْ عَفَا﴾ فقال المنصور: خلوا سبيله، ثم أقبل على جلسائه يخبرهم بعظم جرمه وما صنع.

قال الأصمعي: أتي المنصور برجل يعاقبه على شيء بلغه عنه، فقال: يا أمير المؤمنين الانتقام عدل، والتجاوز فضل، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين، فعفا عنه. وقال المنصور لجان عجز عن الاعتذار: ما هذا الوجوم وعهدي بك خطيبا لسنا؟ فقال: يا أمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة تلفي بالاستكانة والخشوع والذلة والخضوع فرق له وعفا عنه. وسعى إلى المنصور برجل من ولد الأشتر النخعي ذكر عنه الميل إلى بني علي بن أبي طالب والتعصب لهم فأمر بإحضاره فلما مثل بين يديه قال: يا أمير المؤمنين ذنبي أعظم من نقمتك وعفوك أوسع من ذنبي ثم قال: فهبني شيأ كالذي قلت ظالما..فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل..فإن لم أكن للعفو منك لسوء ما..أتيت به أهلا فأنت له أهل. فعفا عنه. وأتي المنصور برجل أذنب فقال: يا أمير المؤمنين إن الله أمر بالعدل والإحسان فإن أخذت في غيري بالعدل فخذ في بالإحسان فعفا عنه.

قال الله تعالى:﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف] وقال: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة] وقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [الشورى] وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ﴾ رواه مسلم والترمذي. قال محمد زكي محمد خضر: قال بعضهم: ليس الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر إنتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر عفى.. وقال عمر رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم. وقال علي رضي الله عنه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله ، وإن أحسنت حمدت الله وإن أسأت إستغفرت الله تعالى. إن ما ورد في هذا الحديث حث على عدم الحقد على الناس نتيجة أذاهم ومعاملتهم بالعفو، وليس ذلك ظاهرا فقط فيما بينه وبينهم، بل وباطنا أيضا فيما بينه وبين الله تعالى، فهو يعفو عنهم ويدعو الله أن يهديهم، كما حكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نبي يدعو: ﴿اللَّهُمَّ، اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، بعد أن ضربوه فأدموه، لذلك فهو يعفو عن أذاهم لشخصه. أما من أصر على محاربة الله ورسوله ودينه فلا عفو معه لأن حق الله تعالى في إقامة حدوده ليس بيد الناس إن شاؤوا أخذوا به وإن شاؤوا عفو عنه، بل ذلك لله وحده وهو قد فرض حدوده لإقامة الحياة. أما شؤونهم الخاصة فقد حثهم الله تعالى على العفو عنها، في هذا الحديث. لما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح (وكان أحد أقاربه) حيث كان من بين الذين تحدثوا بحديث الإفك عن عائشة رضي الله عنها، وكان قبل ذلك ينفق عليه، نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور] فقال أبوبكر: نعم نحب ذلك وعاد إلى الإنفاق عليه. وهكذا فالمؤمن لا يحقد على أحد، بل يعفو ويصفح، لكنه كيس فطن ولا يلدغ من جحر مرتين.

■ (2) المبارك بن فضالة بن أبي أمية، أبو فضالة مولى زيد بن الخطاب من أهل البصرة حدث عن الحسن البصري، وثابت البناني، وعبد العزيز بن صهيب، وحميد الطويل، وحبيب بن أبي ثابت، وهشام بن عروة، وخبيب بن عبد الرحمن، ويونس بن عبيد، ونصر بن راشد، وعبيد الله بن عمر العمري. روى عنه الحسن بن موسى الأشيب، والهيثم بن جميل، ويزيد بن هارون، وعفان بن مسلم، وموسى بن داود، وسعيد بن سليمان، وعبد الله بن خيران، وعلي بن الجعد. توفي المبارك بن فضالة سنة 164 هـ

■ (1) أبو عبد الله الزبير بن بكر بن بكار = وكنيته أبو بكر = بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي الزبير؛ كان من أعيان العلماء، وتولى القضاء بمكة حرسها الله تعالى، وصنف الكتب النافعة، منها كتاب أنساب قريش وقد جمع فيه شيئا كثيرا، وعليه اعتماد الناس في معرفة نسب القرشيين، وله غيره مصنفات دلت على فضله واطلاعه ولد في المدينة المنورة سنة 172هـ وتوفي بمكة وهو قاض عليها سنة 256 هـ، وتوفي والده سنة 195 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ بغداد/ معجم قبائل العرب/ تاريخ الطبري/ أنساب الأشراف/ الاستقامة في مائة حديث نبوي/.

قال أبو الفضل الربعي[1]: حدثني أبي قال: بينما المنصور ذات يوم يخطب، وقد علا بكاؤه، إذ قام رجل فقال: يا وصاف، تأمر بما تحتقبه*،وتنهى عما ترتكبه بنفسك فابدأ ثم بالناس. فنظر إليه المنصور وتأمله مليا، وقطع الخطبة، ثم قال: يا عبد الجبار[2] خذه إليك، فأخذه عبد الجبار، وعاد إلى خطبته حتى أتمها، وقضى الصلاة، ثم دخل ودعا بعبد الجبار، فقال له: ما فعل الرجل؟ قال: محبوس عندنا يا أمير المؤمنين، قال: أمل عليه ثم عرض له بالدنيا، فإن صدف عنها، وقلاها فلعمري إنه لمريد*، وإن كان كلامه ليقع موقعا حسنا، وإن مال إلى الدنيا، ورغب فيها إن لي فيه أدبا يزعه عن الوثوب على الخلفاء، وطلب الدنيا بعمل الآخرة. فخرج عبد الجبار، فدعا بالرجل، وقد دعا بغدائه، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: حق الله كان في عنقي، فأديته إلى خليفته، قال: ادن فكل من هذا الطعام حتى يدعو بك أمير المؤمنين، قال: لا حاجة لي فيها، قال: وما عليك من أكل الطعام؟ إن كانت نيتك حسنة فلا يفثؤك* عنها شيء، فدنا، فأكل فلما أكل طمع فيه، فتركه أياما، ثم دعاه فقال: لهي عنك أمير المؤمنين وأنت محبوس، فهل لك في جارية تؤنسك، وتسكن إليها؟ قال: ما أكره ذلك، فأعطاه جارية، ثم أرسل إليه: هذا الطعام قد أكلت، والجارية قد قبلت، فهل لك في ثياب تكتسيها، وتكسو عيالك -إن كان لك عيال- ونفقة تستعين بها على أمرك إلى أن يدعو بك أمير المؤمنين؟ قال: ما أكره ذلك، فأعطاه، ثم قال له: ما عليك أن تصنع خلة تبلغ بها الوسيلة من أمير المؤمنين إن أردت الوسيلة عنده، إذا ذكرك، قال: وما هي؟ قال: أوليك الحسبة والمظالم، فتكون أحد عماله، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قال: ما أكره ذلك، فولاه الحسبة والمظالم، فلما انتهى شهر قال عبد الجبار للمنصور: الرجل الذي تكلم بما تكلم به، فأمرت بحبسه قد أكل من طعام أمير المؤمنين، ولبس من ثيابه، وعاث* في نعمته، وصار أحد ولاته، وإن أحب أمير المؤمنين أن أدخله إليه في زي الشيعة* فعلت. قال: فأدخله، فخرج عبد الجبار إلى الرجل، فقال: قد دعا بك أمير المؤمنين وقد أعلمته أنك أحد عماله على المظالم والحسبة، فادخل عليه في الزي الذي يجب، فدخل، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، قال: وعليك، ألست القائم بنا والواعظ لنا ومذكرنا بأيام الله على رؤوس الملأ؟ قال: نعم، قال: فكيف ملت عن مذهبك؟ قال: يا أمير المؤمنين فكرت في أمري فإذا أنا قد أخطأت فيما تكلمت به، ورأيتني مصيبا في مشاركة أمير المؤمنين في أمانته، فقال: هيهات أخطأت استك الحفرة*! هبناك يوم أعلنت الكلام، وظننا أنك أردت الله به، فكففنا عنك! فلما تبين لنا أنك الدنيا أردت جعلناك عظة لغيرك حتى لا يجترئ بعدك مجترئ على الخلافة، أخرجه يا عبد الجبار، فاضرب عنقه! فأخرجه فقتله.

----

*(تحتقبه) في الجليس الصالح: تجتنبه.واحتقب فلان الإثم: كأنما جمعه واحتقبه من خلفه (يفثأك) فثأت عني فلانا فثأ إذا كسرته عنك وفثأ الشئ عنه: كفه (وعاث في نعمته) الصواب: وعاش في نعمته (في زي الشيعة) الأصل: ذي الساعة. والمثبت عن الجليس الصالح الكافي (أخطأت استك الحفرة) يضرب لمن لم يصب موضع الحاجة

■ (1) جعفر بن القاسم بن جعفر بن علي بن حبيش الشيخ رضي الدين أبو الفضل الربعي الحراني ثم الدمشقي، المجود المقرئ المعروف بابن دبوقا. قرأ على السخاوي وتعانى الخدم والكتابة وأضر في آخر عمره وانقطع إلى الإقراء والإمامة بمسجد رأس الخواصين، ويقرئ عند قبر هود. وكان فصيح التلاوة له عبادة ومعرفة متوسطة بالقراءات وله مشاركة في الأدب. قال الشيخ شمس الدين: لكن حدثني شمس الدين الرقي أنه كان يدخل روحه في السيمياء والسحر. قرأ عليه البرهان بن الكحال وغيره وقرأ عليه ببعض الروايات الشيخ بدر الدين محمد بن بضحان، وروى الحديث عن السخاوي وتوفي سنة 691 هـ.

■ (2) عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، وقد كان يلي الشرطة، ثم عزله وولاه خراسان، فعصى هناك، فوجه إليه المهدي في الجيوش، فحاربه حتى ظفر به، فحمله إلى أبي جعفر فضرب عنقه وصلبه.

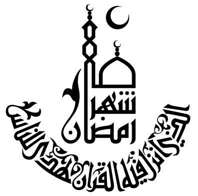

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ لَزِمَ السُّلْطَانَ افْتُتِنَ وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ دُنُوًّا إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا﴾ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿مَنْ ازْدَادَ فِي الْعِلْمِ رُشْدًا، فَلَمْ يَزْدَدْ فِي الدُّنْيَا زُهْدًا، لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا﴾ وعن الحسن، قال: ﴿يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ أَمْرَ دُنْيَاهُمْ، لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ حَاجَةٌ، فَلَا تُجَالِسُوهُمْ﴾ وقال مالك بن دينار: من لم يؤت من العلم ما يقمعه، فما أوتي منه لا ينفعه. وقال بعض الحكماء: الفقيه بغير ورع كالسراج يضيء البيت ويحرق نفسه. وروى في الخبر: من آتاه الله علما فلم يتنزه به عن الدنيا كتب بين عينيه: الفقير إلى يوم القيامة. قال مالك: قلت للحسن، ما عقوبة العالم؟ قال: موت قلبه. قلت: وما هو؟ قال: طلب الدنيا بعمل الآخرة. قال بعض الأدباء: لأن تطلب الدنيا بأقبح من تطلب به أحسن من أن تطلبها بأحسن ما تطلب به الآخرة. قال علي بن الحسين: بئس القوم قوم ختلوا الدنيا بالدين، وبئس القوم قوم عملوا بأعمال يطلبون بها الدنيا.

عن أبي أمية الشعباني، قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني، فقلت:﴿يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟: عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة] فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا خَبِيرًا سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ أَمْرَ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَوَامِّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ مِنْهُمْ، قَالَ: أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ. وَزَادَ فِي غَيْرِهِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ قَالَ:أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ﴾ وهذا عند ظهور الفتن، ليس معنى قوله: عليك بخاصة نفسك، أن تترك الناس، وإنما مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، وهذا هو مفهوم الكلام؛ لأن البعض يفهم الحديث أن يغلق الباب على نفسه، وينأى بها عند مخالطة الناس، وليس هذا هو المقصود بحال. وعن قيس بن أبي حازم قال: قال أبو بكر الصديق:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتْلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة] وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ - وفي لفظ- إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ - أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾.

قال علي بن نايف: تعرف النصيحة على أنها الصدق والإخلاص والنقاء والصراحة والصفاء وهي مشتقة من الفعل نصح أي خلص والناصح هو النقي الخالص من كل شئ والنصح نقيض الغش ويقال نصحت له أي أخلصت وصدقت.قال ابن الأثير: النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له فليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها. عن تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قِيلَ: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ﴾ والنصيحة لأئمة المسلمين تكون بنصرتهم ومعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين والعباد وإلا يغروا بالثناء الكاذب عليهم والدعاء لهم بالصلاح. أما النصيحة لعامة المسلمين فتكون بإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الأذى عنهم وتعليمهم ما يجهلونه من دينهم وإعانتهم عليه بالقول والفعل وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق ولين والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم وتنشيط هممهم إلى الطاعات.

عن شعيب بن صفوان قال: خطب معاوية رضي الله عنه فقال: أيها الناس، إنا قد أصبحنا في دهر عنود، وزمن شديد، يعد فيه المحسن مسيئا، ويزداد الظالم فيه عتوا، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عما جهلنا، ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا. فالناس أربعة أصناف: منهم من لا يمنعه من الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه وكلال حده ونضيض وفره؛ ومنهم المصلت لسيفه والمجلب بخيله ورجله والمعلن بشره، قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه أو مقنب يقوده أو منبر يفرعه، ولبئس المتجران تراهما لنفسك ثمنا ومما عند الله عوضا. ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامن من شخصه وقارب من خطوه، وشفر من ثوبه، وزخرف نفسه للأمانة، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية. ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضؤولة في نفسه وانقطاع من سببه، فقصر به الحال عن أمله، فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس الزهاد، وليس من ذاك في مراح ولا مغدى. وبقي رجال غض أبصارهم ذكر المرجع، وأراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد ناد، وخائف منقمع، وساكت مكعوم، وداع مخلص، وموجع ثكلان، قد أخملتهم التقية، وشملتهم الذلة، فهم في بحر أجاج، أفواههم ضامرة، وقلوبهم ضامرة، وقلوبهم قرحة، قد وعظوا حتى ملوا، وقهروا حتى ذلوا، وقتلوا حتى قلوا. فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ وقراضة الجلم، واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، وارفضوها ذميمة، فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ المستقصي في أمثال العرب/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/ كتاب المشيخة/ الوافي بالوفيات/ محاضرات الأدباء/ أدب الدنيا والدين/ سنن أبي داود/ المستدرك على الصحيحين للحاكم/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ البلدان لليعقوبي/

قال عباد بن كثير[1] لـ سفيان الثوري[2]: قلت لأبي جعفر المنصور: أتؤمن بالله!؟ قال: نعم، قلت: فحدثني عن الأموال التي اصطفيتموها من أموال بني أمية، فوالله لئن كانت صارت إليهم ظلما وغصبا لما رددتموها إلى أهلها الذين ظلموا أو غصبوا!؟ ولئن كانت الأموال لهم لقد أخذتم ما لا يحل، وما لا يطيب، إذا دعيت يوم القيامة بنو أمية بالعدل جاؤوا بـ عمر بن عبد العزيز[3]،فإذا دعيتم أنتم بالعدل وأنتم أمس رحما برسول الله صلى الله عليه وسلم لم تجيئوا بأحد، فكن أنت ذلك الأحد؛ فقد مضت من خلافتك ست عشرة سنة، وما رأينا خليفة قبلك بلغ اثنتين وعشرين سنة، فهبك تبلغها، فما ست سنين تعدل فيها!؟ فقال لي: يا أبا عبد الله ما أجد على هذا الأمر أعوانا، قلت: علي أعوانك بغير مرزئة* أنت تعلم أن أبا أيوب المورياني[4] يريد منك في كل سنة بيت مال وأنا اجيئك بمن يعمل بغير رزق ويتصدق على المسلمين بنفسه آتيك بـ الأوزاعي[5] تقلده كذا وبـ سفيان الثوري كذا واكون أنا بينك وبين الناس على مظالمهم ابلغهم عنك وأبلغك عنهم بلا دينار ولا درهم فقال: حتى استكمل بناء مدينة السلام* واخرج إلى البصرة وأوجه إليك. فقال له سفيان الثوري: ولم ذكرتني له؟ فقال عباد والله: ما أردت إلا النصيحة للمسلمين، ثم قال لـ سفيان: يا أبا عبد الله، ويل لمن دخل عليهم إذا لم يكن كثير العقل (كبير العقل؟) كثير الفهم كيف يكون فتنة عليهم وعلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وفي نسخة وبلاء على أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

قال النضر بن زرارة: ادخل سفيان الثوري على أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين، فأقبل عليه أبو جعفر يوبخه، فقال: تبغضنا، وتبغض هذه الدعوة، وتبغض عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم،قال: وسفيان ساكت يقول: سلم، سلم، قال: فلما قضى أبو جعفر كلامه، قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ –إلى قوله– إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر] قال: ونكس أبو جعفر رأسه، وجعل ينكت بقضيب في يده الأرض، فقال سفيان: البول البول، قال: قم، قال: فخرج، وأبو جعفر ينظر إليه.

عن بكر العابد قال: قال سفيان الثوري لأبي جعفر المنصور.إني لأعلم رجلا إن صلح صلحت الأمة، قال: ومن هو؟ قال: أنت.

قال محمد بن منصور البغدادي: قام بعض الزهاد بين يدي المنصور، فقال: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك ببعضها، واذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة، واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده. قال: فأفحم أبو جعفر من قوله، فقال الربيع: أيها الرجل، إنك قد عممت أمير المؤمنين! فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، هذا صحبك عشرين سنة لم ير لك عليه أن ينصحك يوما واحدا، ولا عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله تبارك وتعالى، ولا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر له المنصور بمال، فقال: لو احتجت إلى مالك لما وعظتك.

----

*(مرزئة) يقال: ما رزا فلانا شيئا أي ما أصاب من ماله شيئا ولا نقص منه (مدينة السلام) بغداد على ضفتي نهر دجلة كانت عاصمة الدنيا ومركز الخلافة العباسية أُطلق عليها اسم الزوراء قديما، بناها أبو جعفر المنصور، وسماها مدينة المنصور، ومدينة السلام، وجعل لها أبواب: باب خُراسان وبابُ الشام وبابُ الكوفةِ وباب البصرة.

■ (1) عباد بن كثير الثقفي، مولاهم البصري العابد نزيل مكة؛ قال ابن معين: ليس بشيء، وقال البخاري: شيخ بصري سكن مكة، تركوه؛ توفي في حدود 160 هـ.قال أبو سعد السمعاني: عباد بن كثير الثقي الكاهلي، أصله من البصرة، سكن مكة، وقال ابن حبان: ليس هو بعباد بن كثير الرملي.وقد قال أصحابنا: إنهما واحد. يعني فأخطئوا. روى عنه المحاربي والناس. قال: مجيب بن موسى: كنت مع سفيان الثوري بمكة. فمات عباد بن كثير، فلم يشهد سفيان جنازته.

■ (2) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم وزبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك وابن المبارك ويحيى وعبد الرحمن وابن وهب وأمم لا يحصون.

■ (3) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر.

■ (5) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من كبار تابعي التابعين. ولقب بـ الأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهى بطن من ذي الكلاع باليمن. ولد سنة 88 هـ بقرية بعلبك فى لبنان وربته أمه يتيما، ثم استقر بدمشق. وقد برع الأوزاعي في تفسير القران الكريم، وحفظ الحديث، والأخبار، والمغازي، وكان صاحب مذهب ساد في الشام زمنا، ثم ما لبث أن ضعف انتشاره، بسبب انتشار المذهبين المالكي والشافعي اللذين حلا محله. وقد التزم الأوزاعي في فتاويه بالتوقف عند النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. وللأوزاعي كتابان في الفقه، هما السنن والمسائل، وقد ضمن كتاب المسائل الفتاوى التي أفتى بها. توفى الأوزاعي سنة 157هـ في بيروت.

■ (4) أبو أيوب الموریاني وزير المنصور، سليمان بن أبي سليمان الخوزي تمكن من المنصور تمكنا لا مزيد عليه، وكان أولا كاتبا للأمير سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، وكان المنصور ينوب عن هذا الأمير في بعض كور فارس، فيما نقله ابن خلكان. فصادره وضربه، فلما صارت الخلافة إلى المنصور قتله. وكان الموریاني قد دافع عند سليمان كثيرا عن المنصور، فاستوزره ثم غضب عليه، ونسبه إلى أخذ الأموال، وأضمر له، فكان كلما هم به دخل أبو أيوب وقد دهن حاجبيه بدهن مسحور، فسار في ألسنة العامة: دهن أبي أيوب.ثم إنه استأصله وعذبه وأخذ منه أموالا عظيمة. وكذلك الدنيا الدنية، قريبة الرزية. مات سنة 154 هـ، وكان من دهاة العالم، وله مشاركة قوية في الأدب والفلسفة والحساب والكيمياء والسحر والنجوم، ولكنه ليس بفقيه، وكان سمحا جوادا متمولا.

روى عبد الرحمن بن أبي بكر السيوط: في 158 هـ أمر المنصور نائب مكة بحبس سفيان الثوري وعباد بن كثير فحبسا وتخوف الناس أن يقتلهما المنصور إذا ورد الحج فلم يوصله الله مكة سالما بل قدم مريضا ومات وكفاهما الله شره وكانت وفاته بالبطن في ذي الحجة ودفن بين الحجون وبين بئر ميمون، وقال سلم الخاسر[1]: قفل الحجيج وخلفوا ابن محمد..رهنا بمكة في الضريح الملحد..شهدوا المناسك كلها و إمامهم..تحت الصفائح محرما لم يشهد.

قال الذهبي: أمر المنصور نائب مكة محمد بن إبراهيم الهاشمي[2] بحبس سفيان الثوري، وعباد بن كثير، فحبسها، وكان يسامرهما خفية، ثم أهمه أمرهما، وخاف أن يحج المنصور فيقتلهما، فنذر راحلة وذهبا في السر إلى عباد وسفيان، وإلى شخص علوي ليهربوا أو يختفوا. وقدم المنصور بآخر رمق، فمات ووقى الله شره، وتم الربيع الحاجب موته، ومنع النساء من البكاء، فلما أصبح جمع الأمراء وأخذ البيعة للمهدي.

☪

قال ابن الأثير: قيل: كان المنصور يقول: ما أحوجني أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعف منهم، هم أركان الدولة ولا يصلح الملك إلا بهم، أما أحدهم: فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم؛ والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي؛ والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية. ثم عض على إصبعه السبابة ثلاث مرات، يقول في كل مرة: آه آه. قيل: ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال: صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة.

وقيل: دعا المنصور بعامل قد كسر خراجه، فقال له: أد ما عليك ! فقال: والله ما أملك شيئا. وأذن مؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله ! فقال: يا أمير المؤمنين هب ما علي لله وشهادة أن لا إله إلا الله. فخلى سبيله. وقيل: وأتي بعامل، فحبسه وطالبه، فقال العامل: عبدك يا أمير المؤمنين؛ فقال: بئس العبد أنت! فقال: لكنك نعم المولى. قال: أما لك فلا. قيل: وأتي بخارجي قد هزم له جيوشا، فأراد ضرب رقبته، ثم ازدراه فقال: يا ابن الفاعلة ! مثلك يهزم الجيوش ؟ فقال له: ويلك وسوأة لك، أمس بيني وبينك السيف، واليوم القذف والسب، وما كان يؤمنك أن أرد عليك وقد يئست من الحياة فلا تستقيلها أبدا ؟ فاستحيا منه المنصور وأطلقه. قال وولى المنصور رجلا من أهل الشأم شيئا من الخراج فأوصاه وتقدم إليه فقال ما أعرفني بما في نفسك الساعة يا أخا أهل الشأم تخرج من عندي الساعة فتقول الزم الصحة يلزمك العمل.

قيل: وكان شغل المنصور، في صدر نهاره، بالأمر والنهي، والولايات، والعزل، وشحن الثغور والأطراف، وأمن السبل، والنظر في الخراج والنفقات، ومصلحة معاش الرعية، والتلطف بسكونهم وهديهم، فإذا صلى العصر جلس لأهل بيته؛ فإذا صلى العشاء الآخرة جلس ينظر فيما ورد من كتب الثغور والأطراف والآفاق، وشاور سماره؛ فإذا مضى ثلث الليل قام إلى فراشه، وانصرف سماره؛ وإذا مضى الثلث الثاني قام فتوضأ وصلى، حتى يطلع الفجر، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيجلس في إيوانه. قيل: وقال للمهدي: لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه، فإن فكر العاقل مرآته تريه حسنه وسيئه. يا بني ! لا يصلح السلطان إلا بالتقوى، ولا تصلح رعيته إلا بالطاعة، ولا تعمر البلاد بمثل العدل، وأقدر الناس على العفو أقدرهم على العقوبة، وأعجز الناس من ظلم من هو دونه، واعتبر عمل صاحبك وعلمه باختياره. يا أبا عبد الله ! لا تجلس مجلسا إلا ومعك من أهل العلم من يحدثك؛ ومن أحب أن يحمد أحسن السيرة، ومن أبغض الحمد أساءها، وما أبغض الحمد أحد إلا استذم*، وما استذم إلا كره. يا أبا عبد الله ! ليس العاقل الذي يحتال للأمر الذي غشيه، بل العاقل الذي يحتال للأمر حتى لا يقع فيه. وقال للمهدي يوما: كم راية عندك ؟ قال: لا أدري. قال: إنا لله أنت لأمر الخلافة أشد تضييعا، ولكن قد جمعت لك ما لا يضرك معه ما ضيعت، فاتق الله فيما خولك.

----

*(استذم) إليه فعل ما يذمه عليه وبفلان تذمم به، استذم الرجل إلى الناس أتى بما يذم عليه

■ (2) محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي. ولي دمشق لا بن عمه المهدي، ثم للرشيد، وولي مكة والموسم، وكان كبير الشأن، يذكر للخلافة. حدث عن: جعفر الصادق، وعن المنصور. روى عنه: ابنه؛ موسى، وحفيده؛ عبد الصمد، وغيرهما.وما علمت أحدا تجاسر على تضعيف هؤلاء الأمراء لمكان الدولة. ولد في حدود 122 هـ وتوفي ببغداد سنة 185 هـ

■ (1) سلم بن عمرو بن حماد: شاعر، خليع، ماجن، من أهل البصرة، من الموالي. سكن بغداد. له مدائح في المهدي والرشيد العباسيين، وأخبار مع بشار بن برد وأبي العتاهية. وشعره رقيق رصين. قيل: سمي الخاسر، لانه باع مصحفا واشترى بثمنه طنبورا. مات سنة 186 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مدينة دمشق/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ الخلفاء/ تاريخ الإسلام للذهبي/ الوافي بالوافيات/ الأنساب للسمعاني/ ميزان الاعتدال / تاريخ الطبري/ الكامل في التاريخ/ـمختار الصحاح/ المعجم الوسيط/ـ

ذكروا أنه لما كان أبو جعفر بمنًى* في العام الذي حجَّ فيه سفيان الثوري[1] وسليمان الخوَّاص[2] قال أحدهما لصاحبه: ألا ندخل على هذا الطاغي الذي كان يزاحمنا بالأمس في مجالس العلم عند منصور والزهري، فنكلمه ونأمره بحقٍّ وننهاه عن باطل فلعلَّ أن يقع كلامنا منه موقعًا ينفع الله به المسلمين ويأجرنا عليه. فقال سليمان الخوَّاص: إني لأخشى أن يأتي علينا منه يوم سوء. فقال الثوري: ما أخاف ذلك فإن شئت فادخل وإن شئت دخلت. فدخل سليمان الخوَّاص فأمره ونهاه ووعظه، وذكَّره الله وما هو صائر إليه ومسؤول عنه. فقال له أبو جعفر: ما تقول في كذا وكذا لشيء سأله عنه من باب العلم، فأجابه. فلمَّا خرج قال سفيان الثوري: ماذا صنعت؟ قال: أمرت ونهيت ووعظت وذكرت فرضًا كان في رقابنا أدَّيناه مع أنه لا يقبل، وسألني عن مسألة فأجبته. قال سفيان: ما صنعت شيئًا. فدخل سفيان الثوري فقال له: هاهنا أبا عبد الله إليَّ إليَّ ادنُ منِّي. فقال: إني لا أطأ ما لا أملك ولا تملك. فقال أبو جعفر: يا غلام، أدرج البساط وارفع الوطاء، فتقدم سفيان فصار بين يديه وقعد ليس بينه وبينه الأرض شيء وهو يقول:﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه] فدمعت عينا أبي جعفر، ثم تكلَّم سفيان دون أن يستأذن، فوعظ وأمر ونهى وذكَّر وأغلظ في قوله. فقال له الحاجب: أيها الرجل أنت مقتول. قال سفيان: وإن كنت مقتولاً فالساعة، فسأله أبو جعفر عن مسألة فأجابه. ثم قال سفيان: فما تقول أنت يا أمير فيما أنفقت من مال الله ومال أمة محمد بغير إذنهم، وقد قال عمر في حجة حجَّها وقد أنفق ستة عشر دينارًا هو ومَن معه: ما أرانا إلا وقد أجحفنا ببيت المال؟ وقد علمت ما حدثنا به منصور بن عمار[3] وأنت حاضر ذلك، وأوَّل كاتب كتبه في المجلس عن إبراهيم عن الأسود عن علقمة عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿رَبِّ مُتَخَوِّضٍ* فِي مَالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَالِ رَسُولِهِ فِيمَا شَاءَتْ نَفْسُهُ لَهُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فقال أبو عبيدة[4] الكاتب: أمير المؤمنين يُستقبَل بمثل هذا؟ فقال له سفيان: اسكت، فإنما أهلك فرعون هامان وهامان فرعون، ثم خرج سفيان. فقال أبو عبيدة الكاتب: ألا تأمر بقتل هذا الرجل فوالله ما أعلم أحدًا أحق بالقتل منه؟ فقال أبو جعفر:اسكت يا أنْوَك (أي يا أحمق)، فوالله ما بقي على الأرض أحد اليوم يُستحَى منه غير هذا ومالك بن أنس.

حدث سفيان الثوري فقال: أدخلت على أبي جعفر بمنى، فقال لي: ارفع إلينا حاجتك. فقلت له: اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا. قال، فطأطأ رأسه ثم رفعه، فقال: ارفع إلينا حاجتك. فقلت: إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعا، فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم. فطأطأ رأسه ثم رفعه، فقال: ارفع إلينا حاجتك.فقلت: حج عمر فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر دينارًا.. وأرى ههنا أموالهم لا تطيق الجمال حملها.

حكي أن المنصور رآه في الطواف فضرب يده على عاتقه فقال: ما منعك أن تأتينا ؟ قال: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود] ! فالتفت المنصور إلى أصحابه وقال: القينا الحب إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا ! ثم قال له: سلني حاجتك يا أبا عبد الله ! فقال: وتقضيها يا أمير المؤمنين ؟ قال: نعم. قال: حاجتي أن لا ترسل إلي حتى آتيك، وأن لا تعطيني شيئا حتى أسألك.

ودخل مرة على الخليفة أبي جعفر فضرب سفيان البساط برجله بقوة، ثم تقدم وجلس فقال له الحجَّاب: كيف تجلس قبل أن يأذن لك أمير المؤمنين؟، فقال: إني لا أحتاج إلى إذن أحد، ثم تكلم على أمير المؤمنين ونصحه بقوة وشدة. فقال الحراس والحجاب للخليفة: يا أمير المؤمنين إن ترك مثل هذا يكون سبباً في الجراءة عليك وعلى سلطانك وقد يمرغ سمعة الدولة ويعرضها للخطر، فلو قتلته،فتبسم الخليفة وتبسم سفيان ، قال الخليفة: إنه سيقول لكم قولاً عظيماً، ما تقول في هؤلاء يا سفيان ؟ قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله غيره شر من بطانة فرعون، فإن بطانة فرعون قالوا له: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف] يعني من الإرجاء التأخير: ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الشعراء] أما هؤلاء فهم طلبوا قتلي سريعاً، فتبسم الخليفة وقال له: قم سليماً معافى، وأخرجه ولم يتعرض له، وإن كان سفيان قضى بقية حياته كلها مختفياً متوارياً، بل مات ودفن وهو مختفٍ متوارٍ. وكان في مرض موته يبكي كثيرا، فقال له: أراك كثير الذنوب ! فرفع شيئا من الأرض وقال: ذنوبي أهون علي من هذا وإنما أخاف سلب الإيمان قبل أن أموت. وقال حماد بن سلمة: لما حضر سفيان الوفاة كنت عنده، قلت: يا أبا عبد الله، ابشر فقد نجوت مما كنت تخاف، وإنك تقدم على رب غفور! فقال: يا أبا سلمة، أترى يغفر الله لمثلي؟ قلت: إي والذي لا إله إلا هو ! فكأنما سري عنه. توفي سنة إحدى وستين ومائة عن ست وستين سنة بالبصرة. رحمه الله ورضي عنه وأرضاه.

قال منصور بن عمار: دخلت على المنصور أمير المؤمنين فقال لي: يا منصور! عظني وأوجز، فقلت: إن من حق المنعم على المنعم عليه أن لا يحول (يجعل) ما أنعم به عليه سببا لمعصيته. فقال: أحسنت وأوجزت!

----

*(مِنى) وادي تحيط به الجبال، شرق مكة، على الطريق بين مكة وجبل عرفة.(متخوض) متصرف في مال الله بما لا يرضاه وآخذ له بغير حق

(1) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم وزبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك وابن المبارك ويحيى وعبد الرحمن وابن وهب وأمم لا يحصون.

(2) سليمان الخواص زاهد أهل الشام كان أكثر مقامه ببيت المقدس ودخل بيروت ولم يرو الخواص شيئا وتوفي في حدود 170 هـ وكنيته أبو أيوب وله مناقب كثيرة أوردها ابن عساكر في ترجمته.

(3) منصور بن عمار بن كثير أبو السري السلمي الخراساني. الإمام الزاهد الواعظ البغدادي القاضي المشهور.توفي ببغداد سنة 225 هـ.

(4) أبو عبيد الله، وزير المهدي وكاتبه. اسمه معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري، مولاهم. أصله من طبرية، وكان ذا دين وتعبد، من خيار الوزراء. وكان المهدي يعظمه ولا يخالفه في رأي. قلا حفيده عبيد الله بن سليمان بن أبي عبيد الله: أبلى أبو عبيد الله سجادتين، وأسرع في الثالث موضع الركبتين، والوجه، واليدين، من كثرة صلاته. وكان له في كل يوم كر دقيق يتصدق به، فلما اشتد الغلاء أتاه مولاه فقال: قد غلا السعر فلو نقصنا من الكر، فقال: أنت شيطان، صيره كرين. قال: وأخبرت أن الجسور يوم مات امتلأت، فلم يعبر عليها أحد إلا من تبع جنازته من مواليه واليتامى والأرامل والمساكين. قيل توفي سنة 170 هـ وإلى جانب، أبو عبد الله هذا هناك أيضا يعقوب بن داود بن عمر (أو بن طهمان) السلمي بالولاء، أبو عبد الله: كاتب، من أكابر الوزراء. مات سنة 187 هـ. في ولاية هارون الرشيد وهو الذي يقول فيه بشار: بني أمية هبوا، طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود !.

قال ابن عيينة: كان العلم ممثلا بين يدي سفيان وقال شعبة وابن معين وجماعة: سفيان أمير المؤمنين في الحديث. ومع جمعه بين العلم والعمل لم يكن بالمعصوم، فقد لخص الحافظ الذهبي مناقبه وما أخذ عليه رحمه الله. وعن يحيى بن معين قال: ما خالف أحد سفيان في شيء إلا كان القول قول سفيان. ومع علو شأنه وارتفاع قدره زهده وورعه رحمه الله: والمقصود بالزهد: خلو القلب من الدنيا وعدم الحرص عليها، فليس الزهد نفض اليدين منها والقلب متعلق بها شديد الشغف بحبها.

قال وكيع: سمعت سفيان يقول: ليس الزهد بأكل الغليظ ولبس الخشن، ولكنه قصر الأمل، وارتقاب الموت. وعن عبد العزيز القرشي قال: سمعت سفيان يقول: عليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا، وعليك بالورع يخفف الله عنك حسابك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك. وعن ابن وهب قال: رأيت الثوري في المسجد الحرام بعد المغرب صلى ثم سجد سجدة فلم يرفع رأسه حتى نودي لصلاة العشاء. وقال رجل لـ سفيان: أوصني! فقال: اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر مقامك فيها. وعن عطاء الخفاف قال: ما لقيت سفيان الثوري إلا باكيا. فقلت: ما شأنك؟ قال: أخاف أن أكون في أم الكتاب شقيا. وعن عبد الرحمن رسته قال: سمعت ابن مهدي يقول: بات سفيان عندي فجعل يبكي. فقيل له؟ فقال: لذنوبي عندي أهون من ذلك –ورفع شيئا من الأرض– إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت. وعن يحيى القطان قال: ما رأيت رجلا أفضل من سفيان، لولا الحديث كان يصلي ما بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، فإذا سمع مذاكرة الحديث ترك الصلاة وجاء. وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: كنا نكون عند سفيان الثوري فكأنه قد أوقف للحساب فلا نجترئ أن نكلمه، فنعرض بذكر الحديث فيذهب ذلك الخشوع، فإذا هو حدثنا وحدثنا. قالوا لـ سفيان الثوري: نراك كثير الأعداء، قال: كلمة الحق لم تترك لي صديقا، فـ سفيان دائما مع كلمة حق، فهو يدخل على أبي جعفر وينزل السوق، يقول عنه الذهبي: كان سفيان إذا لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر بال الدم، فهذا ثابت عنه في السيرة، وقال: كان يغمى عليه، وكان يقوم ينتفض في الليل، فيقولون له: مالك؟ يقول: مررت اليوم بشيء فما نهيت عنه فأصابني منه شيء، فلله دره ما أعظمه.

حدث محمد بن سلام قال:سمعت يزيد بن سعيد يقول: دخل سعيد بن عبد العزيز على سليمان الخواص فقال له: أراك في ظلمة، قال: ظلمة القبر أشد من هذا. قال: أراك وحدك. قال: إن للصاحب على الصاحب حقا فخفت أن لا أقوم بحق صاحبي، قال: فأخرج سعيد صرة فيها شيء، فقال له: تنفق هذا، وأنا أحلها لك بين يدي الله تعالى، إنه حلال. قال: لا حاجة لي فيها، فقال له: رحمك الله ما ترى ما الناس فيه دعوة. قال: فصرخ سليمان صرخة، ثم قال: مالك يا سعيد فتنتني بالدنيا وتفتني بالدين، ما لي وللدعاء من أنا، فخرج سعيد، فأخبر بما كان الأوزاعي، فقال الأوزاعي: دعوا سليمان، لو كان سليمان من الصحابة كان مثلا. وقال الفريابي: كنت في مجلس فيه الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وسليمان الخواص، فذكر الأوزاعي الزهاد فقال: أما تريد أن ترى مثلهم؟ فقال سعيد: ما رأيت أزهد من سليمان الخواص، ولم يشعر سعيد بأنه في المجلس، فقنع سليمان رأسه وقام، فأقبل الأوزاعي على سعيد فقال: لا تعقل ما تقول؟ تؤذي جليسنا؛ تزكيه في وجهه!

وعن يعقوب بن كعب الأنطاكي، عن أبيه، عن سليمان الخواص، وقيل له: إن الناس شكوك أنك تمر فلا تسلم عليهم، فقال: والله ما ذاك لفضل أراه عندي، ولكني شبه الحنش؛ إن ثورته ثار، وإن قعدت مع الناس جاءني ما أريد وما لا أريد.

عن خولة بنت قيس، امرأة حمزة بن عبد المطلب:﴿أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى حَمْزَةَ، فَتَذَاكَرَا الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، بُورِكَ لَهُ فِيهَا، وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِي مَالِ اللهِ، وَمَالِ رَسُولِهِ، لَهُ النَّارُ يَوْمَ يَلْقَى اللهَ﴾ وعن مالك بن أوس بن الحدثان، قال:﴿كَانَ عُمَرُ يَحْلِفُ عَلَى أَيْمَانٍ ثَلَاثٍ، يَقُولُ: وَاللهِ مَا أَحَدٌ أَحَقَّ بِهَذَا الْمَالِ مِنْ أَحَدٍ، وَمَا أَنَا بِأَحَقَّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ، وَاللهِ مَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ فِي هَذَا الْمَالِ نَصِيبٌ إِلَّا عَبْدًا مَمْلُوكًا، وَلَكِنَّا عَلَى مَنَازِلِنَا مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَقَسْمِنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالرَّجُلُ وَبَلَاؤُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَقَدَمُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَغَنَاؤُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّجُلُ وَحَاجَتُهُ، وَوَاللهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ، لَيَأْتِيَنَّ الرَّاعِيَ بِجَبَلِ صَنْعَاءَ حَظُّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَهُوَ يَرْعَى مَكَانَهُ﴾ وعن مالك بن أوس قال: ﴿قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ [التوبة] حَتَّى بَلَغَ: عَلِيمٌ حَكِيمٌ. فَقَالَ هَذِهِ لِهَؤُلَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ [الأنفال] حَتَّى بَلَغَ: ابْنِ السَّبِيلِ. ثُمَّ قَالَ هَذِهِ لِهَؤُلَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى [الحشر] حَتَّى بَلَغَ: لِلْفُقَرَاءِ. ثُمَّ قَرَأَ: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ [الحشر] ثُمَّ قَالَ هَذِهِ اسْتَوْعَبَتِ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، فَلَئِنْ عِشْتُ فَلَيَأْتِيَنَّ الرَّاعِيَ وَهُوَ بِسَرْوِ حِمْيَرَ نَصِيبُهُ مِنْهَا، لَمْ يَعْرَقْ فِيهَا جَبِينُهُ﴾ خاف التقصير فجد واصطبر، وقال:لو مات جَدْيٌ بالفرات لخشيت أن يحاسب به عمر. وكان من شدّة التشمير يرى فيه عمله القلة، فكان يقول عند موته: الويل لعمر إن لم يغفر له.

مراجع: صحيح ابن حبان/ مسند أحمد/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ الطبقات الكبرى/ سراج الملوك/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ الوافي بالوفيات/ من أعلام السلف/ آثار البلاد وأخبار العباد/

قال إسحاق بن عيسى: لم يكن أحد من بني العباس يتكلم فيبلغ حاجته على البديهة، غير المنصور، وأخيه العباس بن محمد[1]، وعمهما داود بن علي[2]؛ قيل: وخطب المنصور يوما، فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فاعترضه إنسان فقال: أيها الإنسان أذكرك من ذكرت به ! فقطع الخطبة، ثم قال: سمعا، سمعا لمن حفظ عن الله، وأعوذ بالله أن أكون جبارا عنيدا، أو تأخذني العزة بالإثم، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين. وأنت أيها القاتل، فوالله ما أردت بهذا القول الله، ولكنك أردت أن يقال قام فقال فعوقب فصبر، وأهون بها ويلك لقد هممت واغتنمها إذ عفوت وإياك وإياكم معاشر المسلمين أختها، فإن الحكمة علينا نزلت ومن عندنا فصلت فردوا الأمر إلى أهله، توردوه موارده، وتصدروه مصادره.ثم عاد إلى خطبته، كأنما يقرأها، فقال: وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. وفي رواية حدث إبراهيم بن عيسى قال: خطب أبو جعفر المنصور في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة ببغداد،فلما بلغ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران] قام إليه رجل فقال: وأنت يا عبد الله فاتق الله حق تقاته، فقطع أبو جعفر الخطبة وقال: سمعا سمعا لمن ذكر بالله هات يا عبد الله فما تقى الله؟ فانقطع الرجل فلم يقل شيئا فقال أبو جعفر: الله الله، أيها الناس في أنفسكم لا تحملونا من أموركم ما لا طاقة لكم به لا يقوم رجل هذا المقام إلا أوجعت ظهره وأطلت حبسه ثم قال: خذه إليك يا ربيع قال: فوثقنا له بالنجاة وكانت العلامة فيه إذا أراد بالرجل مكروها قال: خذه إليك يا مسيب[3]قال: ثم رجع في خطبته من الموضع الذي كان قطعه، فاستحسن الناس ذلك منه فلما فرغ من الصلاة دخل القصر وجعل عيسى بن موسى[4]يمشي على هينته خلفه فأحس به أبو جعفر فقال: أبو موسى، فقال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: كأنك خفتني على هذا الرجل؟! قال:والله لقد سبق إلى قلبي بعض ذلك إلا أن أمير المؤمنين أكثر علما وأعلى نظرا من أن يأتي في أمره إلا الحق، فقال: لا تخفني عليه فلما جلس، قال: علي بالرجل فأتي به فقال: يا هذا إنك لما رأيتني على المنبر، قلت هذا الطاغية لا يسعني إلا أن أكلمه ولو شغلت نفسك بغير هذا لكان أمثل لك فاشغلها بظماء الهواجر وقيام الليل وتغبير قدميك في سبيل الله أعطه يا ربيع أربعمائة درهم واذهب فلا تعد.

حدث الأصمعي: أن المنصور صعد المنبر؛ فشرع في الخطبة؛ فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أذكر من أنت في ذكره؛ فقال له: مرحبا، لقد ذكرت جليلا، وخوفت عظيما، وأعوذ بالله أن أكون ممن﴿إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة] والموعظة منا بدت ومن عندنا خرجت، وأنت يا قائلها: فأحلف بالله ما الله أردت، إنما أردت أن يقال: قام فقال فعوقب فصبر؛ فأهون بها من قائلها، واهتبلها* من الله، ويلك! وإياكم معشر الناس وأمثالها. ثم عاد إلى خطبته؛ فكأنما يقرأ من كتاب. في رواية زياد عن مالك بن أنس قال: خطب أبو جعفر المنصور، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، اتقوا الله. فقال إليه رجل من عرض الناس فقال: أذكرك الله الذي ذكرتنا به يا أمير المؤمنين. فأجابه أبو جعفر بلا فكرة ولا روية: سمعا وطاعة لمن ذكر بالله، وأعوذ بالله أن اذكر به وأنساه فتأخذني العزة بالإثم لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين. وأما أنت، فو الله ما الله أردت بها، ولكن ليقال: قال فعوقب فصبر! وأهون بها لو كانت، وأنا أحذركم أيها الناس أختها؛ فإن الموعظة علينا نزلت، ومنا أخذت. ثم رجع إلى موضعه من الخطبة.

ذكر عن أبي توبة الربيع بن نافع عن ابن أبي الجوزاء[5]أنه قال: قمت إلى أبي جعفر وهو يخطب ببغداد في مسجد المدينة على المنبر فقرأت:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف] فأخذت فأدخلت عليه فقال من أنت ويلك إنما أردت أن أقتلك فاخرج عني فلا أراك قال: فخرجت من عنده سليما. وعن محمد بن منصور البغدادي قال: قام بعض الزهاد بين يدي المنصور فقال: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها واذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده فأفحم المنصور وأمر له بمال فقال: لو احتجت إلى مالك ما وعظتك.

روى عمر بن أبي شيبة عن المدائني وغيره أن المنصور لما احتضر قال: اللهم، إني قد ارتكبت الأمور العظام جرأة مني عليك، وقد أطعتك في أحب الأشياء إليك: شهادة أن لا إله إلا الله، منا منك لا منا عليك، ومات.

----

*في رواية الطبري قال: ويلك لو هممت، فاهتبلها إذ غفرت. (اهتبلها) أي: اغتنمها. وفي رواية: اهتبلها لله، واهتبلها الله

■ (4) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس .شيخ الدولة.جعله عمه السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور جعله ولي عهده بعد ابنه المهدي ولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور.ولد سنة 103هـ أو 104 هـ توفي سنة 167 هـ

■ (3) المسيب بن زهير بن عمرو بن جبيل بن الأعرج بن ربيعة بن مسعود بن منقذ بن كوز ، يكنى أبو مسلم الضبي، كان من رجالات الدولة العباسية. ولد في خلافة عمر بن عبد العزيز، وولي شرطة بغداد في أيام المنصور أيام حياته وولي شرط المهدي في أول خلافته ثم ولاه خراسان مدة قصير سنة 166 وولي شرط أمير المؤمنين الرشيد. وتوفى سنة 175 هـ بمنى فدفن أسفل العقبة وقيل: توفي سنة 176 هـ وهو بن ست وسبعين سنة.

■ (5) ابن أبي الجوزاء .؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (1) العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان من رجالات بني هاشم وولي إمرة الجزيرة في أيام الرشيد، ولد سنة 121 هـ أو 122 هـ أو سنة 118 هـ وأمه أم ولد وذكر أبو محمد بن حزم أنه ولد سنة 120 هـ قبل موت أبيه بعامين وكان أصغر ولد أبيه. قال علي بن حرب قدم العباس بن محمد دمشق واليا عليها وعلى الشام كلها سنة 140 هـ فولى ابن الأشعث الأردن. ومات العباس سنة 186 هـ وكان يتولى الجزيرة وأهله يتهمون فيه الرشيد ويزعمون أنه سمه وأنه سقى بطنه فمات في هذه العلة.

■ (2) داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو سليمان: أمير، من بني هاشم. هو عم السفاح العباسي. كان خطيبا فصيحا، من كبار القائمين بالثورة على بني أمية. وكان بالحميمة من أرض الشراة ولما ظهر العباسيون ولاه السفاح إمارة الكوفة، ثم عزله عنها وولاه إمارة المدينة ومكة واليمن واليمامة والطائف، فانصرف إلى الحجاز، وأقام في المدينة، فعاجلته منيته. وهو أول من ولي المدينة من بني العباس، وأول من أقام الحج للناس في ولاية العباسيين. توفي سنة 133 هـ

صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿النَّاسُ سَوَاسِيَة كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى﴾ وهذا الحديث أصح الأحاديث لمطابقته للحكمة ومجيئه مفسرا الآية:﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات] فإن الله جل شأنه ساوى بين عباده مؤمنين وكافرين في المكرمة بقوله:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء] ثم جعل الأفضلية في الكرامة للمتقين فقط. ومعنى التقوى لغة ليس كثرة العبادة، كما صار إلى ذلك حقيقة عرفية غرسها علماء الاستبداد القائلين في تفسير (عند الله)؛ أي في الآخرة دون الدنيا؛ بل التقوى لغة هي الاتقاء؛ أي الابتعاد عن رذائل الأعمال احترازا من عقوبة الله. فقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات] كقوله: إن أفضل الناس أكثرهم ابتعادا عن الآثام وسوء عواقبها.قال بعض العلماء: التقوى اجتماع الطاعات، وأوله ترك الشرك، وآخره اتقاء كل ما نهى الله تعالى عنه. عن مرة بن شراحيل ، قال: قال عبد الله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران] وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر وإيتاء المال على حبه أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخاف الفقر، وفضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية. دخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك، فلم يجد موضعا يقعد فيه: فعلم أن ذلك فعل به على عمد؛ فقال: يا أمير المؤمنين، اتق الله. قال: أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله؟ قال زيد: إنه لا يكبر أحد فوق تقوى الله، ولا يصغر دون تقوى الله. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ﴾ وأشار بأصابعه إلى صدره.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ﴾ (جنة) أي كالستر لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي بيضة الإسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته ومعنى يقاتل من ورائه أي يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد وينصر عليهم ومعنى يتقى به أي شر العدو وشر أهل الفساد والظلم مطلقا والتاء في يتقى مبدلة من الواو لأن أصلها من الوقاية. وعن أنس بن مالك ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الإِسْلامُ عَلانِيَةٌ وَالإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ، ثُمَّ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ: التَّقْوَى هَاهُنَا التَّقْوَى هَاهُنَا﴾ وعن عبد الله بن قيس، قال: ﴿صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاةً، ثُمَّ قَالَ: عَلَى مَكَانِكُمُ اثْبُتُوا، ثُمَّ أَتَى الرِّجَالَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ آمُرَكُمْ، أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ وَأَنْ تَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ وعن أبي ذر، قال:﴿قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي. قَالَ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ أَزْيَنُ لِأَمْرِكَ كُلِّهِ. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: عَلَيْكَ بِتِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ ذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ، وَنُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: عَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ، فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ، فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: لا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: لِيَحْجُزْكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْلَمُ مِنْ نَفْسِكَ﴾ (ليحجزك) أي ليمنعك (عن الناس) أي عيوبهم (ما تعلم من نفسك) أي من عيوبها، كما ورد عن أنس أخرجه الديلمي: ﴿طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ﴾ قال بكر بن عبد الله: إذا رأيتم الرجل موكلا بعيوب الناس ناسيا لعيبه فاعلموا أنه قد مكر به.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون﴾ [المائدة] وقال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة] وقال الله تعالى:﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة] يقول عبد الله الفقيه: إن ميزان التفاضل بين الناس ومقياس الكرامة عند الله تعالى هو التقوى، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات] وقد ذكرت الآية الكريمة ثلاثة أشياء: المساواة بين الناس، فالناس سواسية كأسنان المشط في الأصل والمنشأ فهم جميعا من أب واحد وأم واحدة، وهم متساوون في الحقوق والواجبات..واختلاف الألسنة والألوان والمواهب والطباع والاستعدادات..لا ينبغي أن يكون مدعاة للشقاق والتفاخر.. وإنما هو للتعارف فقط ولا ينبني عليه أي حكم، وليس للون والجنس.. قيمة في ميزان الله تعالى، فالأكرم عند الله تعالى الأرفع منزلة عنده في الدنيا والآخرة هو الأتقى الأصلح في نفسه وللجماعة المسلمة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ الخلفاء/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ سير أعلام النبلاء/ مقاييس اللغة/ تاريخ بغداد/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) وعيسى بن موسى (١) 0619

قال الذهبي: كان السفاح[1] لما احتضر جعل الخلافة للمنصور[2]، ثم بعده لعيسى بن موسى[3]،وقد لاطفه المنصور، وكلمه بألين الكلام في ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين فكيف بالأيمان والعهود والمواثيق التي علي وعلى المسلمين، فلما رأى المنصور امتناعه تغير له، وأعرض عنه، وجعل يقدم المهدي[4] عليه في المجالس، ثم شرع المنصور يدس من يحفر عليه بيته ليسقط عليه، فجعل يتحفظ ويتمارض. وقيل: بل سقاه المنصور فاستأذن في الذهاب إلى الكوفة ليتداوى، وكان الذي جرأه على ذلك طبيبه بختيشوع[5]، وقال له: والله ما أجسر على معالجتك، وما آمن على نفسي، فأذن له المنصور، وبلغت العلة من عيسى كل مبلغ، حتى تمعط*شعره، ثم إنه نصل من علته، ثم سعى موسى[6] ولد عيسى بن موسى في أن يطيع أبوه المنصور، خوفا عليه منه وعلى نفسه، ودبر حيلة أوحاها إلى المنصور، فقال: مر بختيشوع قدام أبي إن لم يخلع نفسه، قال: فبعث المنصور، من فعل به ذلك، فصاح أبوه وأذعن بخلع نفسه، وقال: هذه يدي بالبيعة للمهدي، وأشهدك أن نسواني طوالق، وعبيدي أحرار، وما أملك في سبيل الله. وقيل: إن المنصور لما أراد البيعة للمهدي بالعهد، تكلم الجند في ذلك فكان عيسى إذا ركب يسمعونه ما يكره، فشكاهم إلى المنصور، فلم يمنع في الباطن، ومنع في الظاهر، فأسرفوا، حتى خلع الرجل نفسه.

وقيل: إن خالد بن برمك[7]مضى إليه في ثلاثين نفسا برسالة المنصور، فامتنع، فجاء خالد وقال: قد خلع نفسه، واستشهد أولئك الثلاثين، فشهدوا عليه. وقيل: بل بذل له المنصور على خلع نفسه خمسمائة ألف دينار حتى فعل.

لما هم أبو جعفر المنصور بالبيعة للمهدي دخل عليه الحسن بن قحطبة[8] فقال: يا أمير المؤمنين! ما تنتظر بالفتى المقتبل المبارك؟ جدد له البيعة فما أحد يمتنع ممن وراء هذا الباب، ومن أبى فلهذا سيفي. وبلغ الخبر عيسى بن موسى فقال: والله لئن ظفرت به لأشرب البارد. وبلغ الحسن بن قحطبة الخبر والمنصور، فدخل الحسن بن قحطبة على المنصور وعنده عيسى بن موسى فتمثل المنصور قول جرير: من الكامل: زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا..أبشر بطول سلامة ما مربع. فتمثل الحسن بن قحطبة بقول جرير: من الوافر: إذا اجتمعوا علي فخل عنهم.. عن باز يصك حبا ريات. ومربع: رجل من بني جعفر بن كلاب، كان يروي شعر جرير فنذر الفرزدق دمه، فقال جرير هذا الشعر فيه.

----

*(تمعط) سقط

■ (3) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس .شيخ الدولة.جعله عمه السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور جعله ولي عهده بعد ابنه المهدي ولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور.ولد سنة 103هـ أو 104 هـ توفي سنة 167 هـ

■ (2) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور، عبد الله الأكبر. الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

■ (1) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، السفاح، يكنى أبا العباس ويقال له أيضا المرتضى والقائم.وعبد الله الأصغر بن محمد. ولد بالشراة، سنة 105 هـ، وهو أول ملوك بني العباس بويع بالكوفة، وكان أصغر سنا من أخيه أبي جعفر. بويع السفاح، ليلة الجمعة13 ربيع الآخر من سنة 132 هـ، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء11 ربيع الآخر سنة 132 هـ، وقيل: في النصف من شهر جمادي الآخرة من هذه السنة، وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية، وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة، فخطب على المنبر قائما، وكانت بنو أمية تخطب قعودا، فضج الناس وقالوا: أحييت السنة يا ابن عم رسول الله، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما، ومات بالجدري بالأنبار في مدينته التي بناها، وذلك في يوم الأحد12 ذي الحجة سنة 136 هـ وصلى عليه عيسى بن علي، ودفن بالأنبار، وهو ابن 33 سنة، وقيل: ابن 29 سنة، وكانت امه تحت عبد الملك بن مروان، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح، وعبيد الله، وداود، وميمونة.

■ (6) موسى بن عيسى بن موسى بن محمد العباسي الهاشمي: أمير، من آل عباس. كان جوادا عاقلا. ولي الحرمين للمنصور والمهدى، مدة طويلة. ثم ولي اليمن للمهدى. وولي مصر للرشيد سنة 171 هـ وكان سلفه فيها علي بن سليمان قد هدم الكنائس المحدثة بمصر، فرفع إليه أمرها، فاستشار خاصته، فقالوا: هي من عمارة البلاد، واحتجوا بأن عامة الكنائس التي بمصر ما بنيت إلا في الإسلام، في زمن الصحابة والتابعين، فأذن في بنائها، فبنيت كلها.وأقام على الولاية سنة وخمسة أشهر ونصفا. وصرف عنها سنة 172 هـ فعاد إلى العراق، فولاه الرشيد الكوفة، فدمشق. ثم أعيد ثانية إلى إمرة مصر سنة 175 هـ وصرف سنة 176 هـ وأعيد ثالثة سنة 179 هـ وصرف سنة 180 هـ فأقام ببغداد إلى أن توفى 183 هـ.

■ (5) بختيشوع الكبير ، بختيشوع بن جرجس: طبيب، سرياني الاصل مستعرب. اشتهر وتقدم عند الخلفاء العباسيين. وهو جد بختيشوع بن جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس. وهما من بيت علم وفلسفة. خدم هارون الرشيد وتميز في أيامه. له كناش مختصر صنفه لابنه جبرائيل. مات نحو 184 هـ

■ (4) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

■ (7) خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف: أبو البرامكة، وأول من تمكن منهم في دولة بني العباس. كان أبوه برمك من مجوس بلخ، وتقلد خالد قسمة الغنائم بين الجند في عسكر قحطبة ابن شبيب بخراسان. وكان قحطبة يستشيره ويعمل برأيه. ولما بويع السفاح ودخل خالد لمبايعته توهمه من العرب، لفصاحته، وأقره على الغنائم، وجعل إليه ديوان الخراج وديوان الجند بعد ذلك، وحل منه محل الوزير وبعد وفاة السفاح أقره المنصور نحو سنة ثم صرفه عن الديوان وقلده بلاد فارس الري، وطبرستان، ودنباوند وما إليها فأقام – بطبرستان – سبع سنين، وعزله ونكبه. ثم رضي عنه وأمره على الموصل. ولما ولي المهدي أعاده إلى إمارة فارس، ووجهة مع ابنه هارون الرشيد في صائفة سنة 163 هـ. ومات بعدها، وقيل: بعد أوبته منها. سنة 163 هـ وكان سخيا سريا عاقلا فيه نبل، قال المسعودي: لم يبلغ مبلغ خالد أحد من ولده، في جوده ورأيه وبأسه وعلمه، لا يحيى في رأيه ووفور عقله، ولا الفضل بن يحيى في جوده ونزاهته، ولا جعفر في كتابته وفصاحة لسانه، ولا محمد بن يحيى في شرفه وبعد همته، ولا موسى في شجاعته وبأسه.

■ (8) الحسن بن قحطبة الطائي: أحد القادة الشجعان المقدمين في بدء العصر العباسي، استخلفه المنصور سنة 136 هـ على أرمينية، ثم استقدمه سنة 137 هـ لمساعدة أبي مسلم الخراساني على قتال عبد الله بن علي. وسيره سنة 140هـ مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام في سبعين ألفا إلى ملطية، فكان للحسن فيها أثر عظيم، وغزا الصائفة سنة 162 هـ في ثمانين ألفا، فأوغل في بلاد الروم، وسمته لروم: التنين.توفي في بغداد سنة 181 هـ.

☪

عن صالح بن الوجيه عن أبيه قال: بلغ المنصور أن عيسى بن موسى قتل رجلا من ولد نصر بن سيار[1] كان مستخفيا بالكوفة فدل عليه فضرب عنقه فأنكر ذلك وأعظمه وهم في عيسى بأمر كان فيه هلاكه ثم قطعه عن ذلك جهل عيسى بما فعل فكتب إليه: أما بعد فإنه لولا نظر أمير المؤمنين واستبقاؤه لم يؤخرك عقوبة قتل ابن نصر بن سيار واستبدادك به بما يقطع أطماع العمال في مثله، فأمسك عمن ولاك أمير المؤمنين أمره من عربي وأعجمي وأحمر وأسود ولا تستبدن على أمير المؤمنين بإمضاء عقوبة في أحد قبله تباعة، فإنه لا يرى أن يأخذ أحدا بظنة قد وضعها الله عنه بالتوبة، ولا بحدث كان منه في حرب أعقبه الله منها سلما ستر به عن ذي غلة وحجر به عن محنة ما في الصدور، وليس ييأس أمير المؤمنين لأحد ولا لنفسه من الله من إقبال مدبر، كما أنه لا يأمن إدبار مقبل إن شاء الله، والسلام.

☪

قال ابن منظور في كتابه: عيسى بن موسى أبو موسى الهاشمي جعله السفاح ولي عهده بعد المنصور، فلما ولي المنصور أخره وجعله ولي عهده بعد ابنه المهدي. وكان جليلا في أهل بيته. شهد حرب محمد[2] وإبراهيم[3] وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، وكان قتلهما على يديه؛ ولما قتلا شرع المنصور في تأخير عيسى وتقديم ابنه المهدي عليه في ولاية العهد في سنة سبع وأربعين ومئة. وجرى بين المنصور وبين عيسى بن موسى في ذلك خطوب ومكاتبات وامتناع من عيسى، ثم أجابه إلى ذلك، فقدم المهدي في ولاية العهد عليه، وأقر عيسى بذلك وأشهد على نفسه به، فبايع الناس على ذلك، وخطب المنصور الناس وأعلمهم ما جرى في امر عيسى من تقديم المهدي عليه ورضاه بذلك، وتكلم عيسى وسلم الأمر للمهدي فبايع الناس على ذلك بيعة مجددة للمهدي، ثم لعيسى من بعده. وقال المنصور يومئذ: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل] فلما أفضى الأمر إلى المهدي طلب عيسى بن موسى بخلع نفسه من ولاية العهد البتة، وتسليمه لموسى بن المهدي[4]، وألح عليه في ذلك إلحاحا شديدا، وبذل له مالا عظيما وخطرا جسيما، وجرت في ذلك خطوب إلى أن أحضره من الكوفة إلى بغداد، وتقرر الأمر أن يخلع نفسه ويسلم الأمر لموسى بن المهدي ويدفع إليه عشرة آلاف ألف درهم، ويقال عشرين ألف ألف درهم، ويقطعه مع ذلك قطائع كثيرة وقد كان عيسى ذكر أن عليه أيمانا في أهله وماله، فأحضر له المهدي من القضاة والفقهاء من أفتاه في ذلك وعوضه المهدي من ذلك وأرضاه فيما يلزمه من الحنث في ماله ورقيقه وسائر أملاكه، فقبل ذلك ورضي به وخلع نفسه في عشية الأربعاء لأربع بقين من المحرم سنة ستين ومئة في قصر الرصافة، وبايع للمهدي ولموسى بن المهدي، وحضر الخواص، فبايعوا في القصر للمهدي. ثم خرج المهدي إلى جامع الرصافة، واجتمع الناس في المسجد فصعد المهدي المنبر وصعد بعده موسى ابنه، فكان دونه، ثم صعد عيسى بن موسى فكان على أول مرقاة من المنبر، فقام المهدي فحمد الله وأثنى عليه وأخبر بما اجتمع عليه أهل بيته وشيعته في ذلك، وأن موسى عامل فيهم بكتاب الله وأحسن السيرة وأعفاها..في كلام تكلم به، وجلس موسى دونه في جانب المنبر لكي لا يستر وجهه ولا يحول بينه وبين من يصعد إليه ليبايعه ويمسح على يده، وقام عيسى مكانه على أول مرقاة، فقرئ كتاب الخلع، وخروج عيسى مما كان إليه من ولاية العهد، وتحليل الناس جميعا مما كان له من البيعة في رقابهم، وأن ذلك كان منه وهو طائع غير مكره، فأقر عيسى بذلك كله، وأشهد به على نفسه وصعد إلى المهدي فبايعه ومسح على يده ثم بايع موسى ومسح على يده ثم انصرف؛ ووفى المهدي لعيسى بن موسى بما ضمن له من الأموال والقطائع وأرضاه، وكتب بذلك كتابا، وشهد فيه خلق من الأشراف والوجوه والكبراء وغيرهم، عدتهم أربع مئة وخمسة وعشرون رجلا. ورجع عيسى بعد ذلك إلى الكوفة، فلم يزل مقيما بها في غير ولاية حتى توفي بها سنة سبع وستين ومئة وهو ابن خمس وستين سنة وكانت مدة عيسى في ولاية العهد من أوله إلى آخره ثلاثا وعشرين سنة. وقيل إن عيسى كان لقب في ولاية العهد بالمرتضى.

■ (4) موسى الهادي بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور يكنى أبا محمد بويع له بعد أبيه وكان بجرجان وقت موت المهدي. ولد الهادي بالري سنة 144 هـ أو 147 هـ توفي سنة 167 هـ أو 170 هـ واختلف في سبب موته وقد بلغ 23 سنة وكانت خلافته سنة وشهرا وبعض آخر.

■ (3) إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي، خرج بالبصرة على المنصور وتحول إلى الكوفة وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة وأهل مكة وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في رمضان فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن أبا جعفر المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى فخرج إلى المدينة فلقيه محمد بن عبد الله فانهزم بأصحابه وقتل ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر.

■ (2) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة145 هـ وهو بن 45 سنة.

■ (1) نصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني. أمير، من الدهاة الشجعان. كان شيخ مضر بخراسان، ووالي بلخ، ثم ولي إمرة خراسان سنة 120هـ، بعد وفاة أسد بن عبد الله القسري، ولاه هشام بن عبد الملك، وغزا ما وراء النهر، ففتح حصونا وغنم مغانم كثيرة، وأقام بمرو، وقويت الدعوة العباسية في أيامه، فكتب إلى بني مروان بالشام يحذرهم وينذرهم، فلم يأبهوا للخطر، فصبر يدبر الأمور إلى أن أعيته الحيلة وتغلب أبو مسلم على خراسان، فخرج نصر من مرو سنة 130 هـ ورحل إلى نيسابور، فسير أبو مسلم إليه قحطبة بن شبيب، فانتقل نصر إلى قومس وكتب إلى ابن هبيرة –وهو بواسط– يستمده، وكتب إلى مروان –وهو بالشام– وأخذ يتنقل منتظرا النجدة إلى أن مرض في مفازة بين الري وهمذان، ومات بساوة.سنة 131 هـ. وقد ولي إمرة خراسان عشر سنين.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ الخلفاء/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/

قال أحمد العجلي: كان عيسى بن موسى[(1)] لا يقطع أمرا دون ابن شبرمة[(2)] قال: فبعث أبو جعفر المنصور إلى عيسى بعمه عبد الله بن علي[(3)] ليحبسه، ثم كتب إليه: أن اقتله، فإنه..وإنه..فاستشار ابن شبرمة، فقال له: لم يرد المنصور غيرك ؟! وكان عيسى ولي العهد. فقال: ما ترى؟ قال: احبسه واكتب إليه أنك قتلته. ففعل. فجاء إخوته إلى عيسى فقال: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن اقتله، فقد قتلته، فرجعوا إلى أبي جعفر فقال: كذب، لأقيدنه به. فارتفعوا إلى القاضي. فلما حققوا على عيسى أخرجه إليهم. فقال أبو جعفر، قتلني الله إن لم أقتل الأعرابي -يريد ابن شبرمة- فإن عيسى لا يعرف هذا. قال: فما زال ابن شبرمة مختفيا حتى مات بخراسان سيره إليها عيسى بن موسى حين خشي عليه، وقتل أبو جعفر عمه بعد وكان عمه خبيثا عوقب عليه ميتا سفاكا قتل بنى أمية قتلا شديدا وخلع أبو جعفر من العهد وأرضاه وإنما أراد أن لو قتل عبد الله بن جعفر فيقتله بد فيكون قد قتلهما جميعا.

في رواية المسعودي قال: طال حبس عبد الله بن علي بأمر المنصور، وأقام في محبسه تسع سين، وقيل غير ذلك فلما أرادا المنصور الحج في سنة تسع وأربعين حوله من عنده إلى عيسى بن موسى، وأمره بقتله، وأن لا يعلم بذلك أحدا، فبعث عيسى بن موسى إلى ابن أبي ليلى[(4)] وابن شبرمة، فشاورهما في ذلك، فقال ابن أبي ليلى: أمض بها أمرك به أمير المؤمنين، وقال ابن شبرمة: لا تفعل، فأبى أن يقتله، وأظهر لأبي جعفر أنه قتله، وشاع ذلك فكلم بنو علي المنصور في أخيهم عبد الله، فقال لهم: هو عند عيسى بن موسى، فلما قدموا مكة أتوا عيسى بن موسى فسألوه عنه، فقال: قد قتلته، فرجعوا إلى أبي جعفر، فقالوا: زعم عيسى أنه قد قتله، فأظهر أبو جعفر الغضب على عيسى، وقال: يقتل عمي. والله لأقتلنه، وكان أبو جعفر أحب أن يكون عيسى قتله فيقتله به فيستريح منهما جميعا، قال: فدعا به، فقال: لم قتلت عمي، قال: أنت أمرتني بقتله، قال: لم أمرك بذلك، فقال: هذا كتابك إلي فيه، قال: لم اكتبه، فلما رأى الجد من المنصور، وتخوف على نفسه قال: هو عندي لم أقتله، قال: ادفعه إلى أبي الازهر المهلب بن أبي عيسى[(5)]، فدفعه إليه، فلم يزل عنده محبوسا، ثم أمره بقتله، فدخل عليه ومعه جارية له فبدأ بعبد الله فخنقه حتى مات، ثم مده على الفراش، ثم أخذا الجارية ليخنقها فقالت: يا عبد الله، قتلة غير هذه، فكان أبو الأزهر يقول: ما رحمت أحدا قتلته غيرها، فصرفت وجهي عنها، وأمرت بها فخنقت، ووضعتها معه في الفراش، وأدخلت يدها تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمعتنقين، ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما، ثم احضرنا القاضي ابن علاثة[(6)] وغيره فنظروا إلى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال، ثم أمر به فدفن في مقبرة أبي سويد* بباب الشام من بغداد في الجانب الغربي.

قال المنصور لأبي بكر بن عياش[(0)]: يا أبا بكر أخبرني عن عين فقأت عينا؟يريد رجلا أول اسمه عين قتل رجلا أول اسمه عين، وأراد أن يعلم هل تحدث الناس بها كان منه إلى عبد الله بن علي فقال: نعم يا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتله عبد الرحمن بن ملجم، وعبد الله بن الزبير قتله عبد الملك بن مروان، وعبد الملك قتله ابن عمه عمرو بن سعيد، وسقط البيت على عبد الله في عهد أمير المؤمنين عبد الله المنصور فقال: ويلك وذلك مني. وكان عبد الله بن علي خرج على المنصور فوجه إليه أبا مسلم فهزمه، ثم صار إلى المنصور بأمان فقيل: إنه بنى له بيتا جعل في أساسه الملح وأجري الماء تحته فوقع فمات، ولذلك قال ما قال، وقال مروان: نجد في كتبنا أن علي ابن عين ابن عين يقتل ميم ابن ميم ابن ميم وأظن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قاتلي، فأنا مروان بن محمد بن مروان قال:يا أبا إسحاق اقلب..نظم إسحاق وصحف..واترك الحاء على حا..ل فما للحال مصرف.

في رواية: قال المسعودي: وذكر عبد الله بن عياش المنتوف[(7)] قال: قال المنصور يوما ونحن عنده: أتعرفون جبارا أول اسمه عين قتل جبارا أول اسمه عين، وجبارا أول اسمه عين، قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين، عبد الملك بن مروان[(8)] قتل عمرو بن سعيد بن العاص[(9)]، وعبد الله بن الزبير[(10)]، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[(11)]، فقال المنصور: أتعرفون خليفة أول اسمه عين قتل جبارا أول اسمه عين، وجبارا أول اسمه عين، وجبارا أول اسمه عين، قلت: نعم، أنت يا أمير المؤمنين، قتلت عبد الرحمن بن مسلم[(12)]، وعبد الجبار بن عبد الرحمن[(13)]، وعمك عبد الله ابن على سقط عليه البيت، قال: فما ذنبي إن كان سقط عليه البيت، قلت: لا ذنب لك، فتبسم ثم قال: هل تحفظ الأبيات التي قالتها زوجة الوليد بن عبد الملك[(14)] أخت عمرو بن سعيد حين قتل عبد الملك أخاها، قلت: نعم يا أمير المؤمنين، خرجت في اليوم الذي قتل فيه أخوها عمرو وهي حاسرة تنشد: أيا عين جوعي بالدموع على عمرو..عشية يبتز الخلافة بالقهر..غدرتم بعمر ويابني خيط باطل..وكلكم يبني البيوت على غدر..وما كان عمرو عاجزا،غيرأنه..أتته المنايا بغتة وهو لا يدري..كأن بني مروان اذ يقتلونه..خشاش من الطيراجتمعن على صقر..لحى الله دنيا تعقب النارأهلها..وتهتك ما بين القرابة من ستر..ألا يا لقومي للوفاء وللغدر..وللمغلقين الباب قسراعلى عمرو..فرحنا وراح الشامتون عشية..كأن على أعناقهم فلق الصخر . قال ابن عياش: فقال المنصور: فما الأبيات التي بعث بها عمرو بن سعيد إلى عبد الملك بن مروان. قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين كتب إليه: يريد ابن مروان أمورا أظنها..ستحمله مني على مركب صعب..لينقض عهدا كان مروان شده..وأدرك فيه بالقطيعة والكذب..فقدمته قبلي، وقد كنت قبله..ولولا انقيادي كان كرب من الكرب..وكان الذي اعطيت مروان هفوة..غلبت بهارأيا، وخطبا من الخطب..فإن تنفذ الأمر الذي كان بيننا..فقلنا جميعا بالسهولة والرحب..وإن يعطها عبد العزيز ظلامة..فأولى بها منا ومنه بنو حرب. وكان عبد الله بن عياش صاحب رواية للأخبار والآداب وكان في صحابة أبي جعفر المنصور ونزل بغداد في الموضع المعروف بدور الصحابة ناحية شط الصراة ويقال إن دجلة مدت وأحاط الماء بداره فركب المنصور ينظر إلى الماء وبن عياش معه فرأى داره وسط الماء فقال: لمن هذه الدار؟ فقال بن عياش: لوليك يا أمير المؤمنين، فقال المنصور: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود] فقال له بن عياش: وكان جريئا عليه ما اظن أمير المؤمنين يحفظ من القرآن آية غيرها، فضحك منه وامر له بصلة.

■ (1) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو موسى الهاشمي، شيخ الدولة، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح، نشأ بالحميمة من أرض البلقاء من كور دمشق ثم انتقل مع أهله إلى العراق وجعله السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور أخره وجعله ولي عهده بعد ابنه المهدي وكان جليلا في أهل بيته وولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور، ولد سنة 103 هـ أو104 هـ وتوفي بالكوفة سنة 167 هـ

■ (2) عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان الضبي. الإمام، العلامة، فقيه العراق، أبو شبرمة، قاضي الكوفة. وهو عم عمارة بن القعقاع، ولكن عمارة أسن منه. توفي: سنة 144 هـ.حدث عن أنس بن مالك، وأبي الطفيل عامر بن واثلة، وأبي وائل شقيق، وعامر الشعبي، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وإبراهيم التيمي، وإبراهيم النخعي، وسالم بن عبد الله، والحسن البصري، ونافع، وسالم بن أبي الجعد، وعبد الله بن شداد بن الهاد، وأبي زرعة، وطائفة. وكان من أئمة الفروع، وأما الحديث، فما هو بالمكثر منه، له نحو من ستين أو سبعين حديثا.

■ (3) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباسي: أمير. هو عم الخليفتين السفاح والمنصور. وهو الذي هزم مروان بن محمد بالزاب شمال العراق، وتبعه إلى دمشق، وفتحها وهدم سورها، وقتل من أعيان بني أمية 80 رجلا بأرض الرملة، ومهد دمشق لدخول السفاح وظل أميرا على بلاد الشام مدة خلافته. فلما ولي المنصور خرج عبد الله عليه، ودعا إلى نفسه، فانتدب المنصور لإخضاعه أبا مسلم الخراساني، فقاتله في نصيبين، فانهزم عبد الله واختفى.وصار إلى البصرة، فأمنه المنصور، فاستسلم، وأشخص إلى بغداد وحبس بها، فوقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله سنة 147 هـ.

■ (6) ابن علاثة، أبو اليسير، محمد بن عبد الله بن علاثة العقيلي الجزري. قاضي الخلافة ويقال له قاضي الجن، وعلاثة هو ابن علقمة بن مالك العقيلي الجزري.روى عن عبدة بن أبي لبابة، وعبد الكريم بن مالك، وخصيف والأوزاعي، وعدة. ولي القضاء للمهدي. ولي معه القضاء عافية.مات سنة 168 هـ

■ (0) أبو بكر بن عياش ابن سالم الاسدي، مولاهم الكوفي الحناط بالنون المقرئ، الفقيه، المحدث، شيخ الاسلام، وبقيه الاعلام، مولى واصل الاحدب. وفي اسمه أقوال: أشهرها شعبة، فإن أبا هاشم الرفاعي، وحسين ابن عبد الاول، سألاه عن اسمه، فقال: شعبة. وسأله يحيى بن آدم وغيره عن اسمه، فقال: اسمي كنيتي. وأما النسائي فقال: اسمه محمد. وقيل: اسمه مطرف. وقيل: رؤبة. وقيل: عتيق. وقيل: سالم. وقيل: أحمد، وعنترة، وقاسم، وحسين، وعطاء، وحماد، وعبد الله. قال هارون بن حاتم: سمعته يقول: ولدت سنة 95 هـ. مات أبو بكر في جمادى الاولى سنة 193 هـ. عاش ستا وتسعين سنة.

■ (7) عبد الله بن عياش الهمذاني الكوفي كنيته أبو الجراح. صاحب الشعبي ويعرف بالمنتوف لأنه كان ينتف لحيته، وكان أبرص.وكان راوية للأخبار والأداب ويقع في أخباره المناكير وكان ينادم المنصور ويضحكه .حمل عن الشعبي وغيره، أخذ عن الهيثم بن عدي وجماعة. توفي سنة 158 هـ. السنة التي مات فيها المنصور أمير المؤمنين

■ (11) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي أمير سجستان، بعد هزيمته في دير الجماجم سنة 83 هـ تتابعت هزائم جيشه فلجأ إلى رتبيل (ملك الترك) فيما وراء سجستان فحماه مدة ثم قتله سنة 85 هـ وبعث برأسه إلى الحجاج. فأرسله هذا إلى عبد الملك بالشام، وبعث به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر.

■ (9) عمرو بن سعيد بن العاص، يسمى الأشدق ولطيم الشيطان، ولي المدينة ليزيد، وكان مروان قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك فقتله عبد الملك، فقيل أنها كانت أول غدرة كانت في الإسلام، دخل مصر مع مروان وقتل سنة 69 هـ وقيل 70 هـ

■ (8) عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الوليد، ولقب بالموفق لأمر الله ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الخليفة منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي سنة 86 هـ.

■ (10) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات. وتخلف بعده ابنه عبد الملك، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق سنة 72 هـ ثم ندب الحجاج لقتال ابن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار إلى الحجاز، وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب ابن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (12) أبو مسلم الخراساني، عبد الرحمن بن مسلم: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة. ولد سنة 100 في ماه البصرة مما يلي أصبهان عند عيسى ومعقل ابني إدريس العجلي، فرباه إلى أن شب، فاتصل بابراهيم بن الامام محمد من بني العباس فأرسله إبراهيم إلى خراسان، داعية، فأقام فيها واستمال أهلها. ووثب على ابن الكرماني والي نيسابور فقتله واستولى على نيسابور، وسلم عليه بامرتها، فخطب باسم السفاح العباسي عبد الله بن محمد ثم سير جيشا لمقاتلة مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فقابله بالزاب بين الموصل وإربل وانهزمت جنود مروان إلى الشام، وفر مروان إلى مصر، فقتل في بوصير، وزالت الدولة الاموية الاولى سنة 132 هـ وصفا الجو للسفاح إلى أن مات، وخلفه أخوه المنصور، فرأى من أبي مسلم ما أخافه أن يطمع بالملك، وكانت بينهما ضغينة، فقتله برومة المدائن سنة 137 هـ

■ (13) عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، وقد كان يلي الشرطة، ثم عزله وولاه خراسان، فعصى هناك، فوجه إليه المهدي في الجيوش، فحاربه حتى ظفر به، فحمله إلى أبي جعفر فضرب عنقه وصلبه

■ (14) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ. وتخلف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه.وكان الوليد اجتهد في خلع سليمان هذا من ولاية العهد وتولية ولده العزيز؛ فامتنع سليمان من ذلك حتى مات الوليد.

■ (5) أبو الازهر المهلب بن عبيثر المهري ؟ / أبي الازهر المهلب بن أبي عيسى.؟ / أبو الأزهر عبد الملك بن عبيثر المهرى ؟

قال أحمد بن عبد الله العجلي: كان ابن شبرمة عفيفا، صارما، عاقلا، خيرا، يشبه النساك. وكان شاعرا، كريما، جوادا. له نحو من خمسين حديثا. روى ابن فضيل، عن ابن شبرمة قال: كنت إذا اجتمعت أنا والحارث العكلي على مسألة لم نبال من خالفنا. وقال فضيل بن غزوان: كنا نجلس أنا وابن شبرمة، والحارث بن يزيد العكلي، والمغيرة، والقعقاع بن يزيد بالليل نتذاكر الفقه، فربما لم نقم حتى نسمع النداء بالفجر. وقال عبد الوارث: ما رأيت أحدا أسرع جوابا من ابن شبرمة.

وقال معمر: رأيت ابن شبرمة إذا قال له الرجل: جعلت فداك، يغضب، ويقول: قل: غفر الله لك. وروى ابن السماك، عن ابن شبرمة قال: من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها خصم. ولا يطيق الحق من بالى على من دار من الأمر. وروى ابن المبارك، عن ابن شبرمة قال: عجبت للناس يحتمون من الطعام مخافة الداء ولا يحتمون من الذنوب مخافة النار.

قال عيسى بن موسى لابن أبي ليلى وابن شبرمة: أسألكما عن الرجل فتخبراني عنه بخير، فإذا بلوناه واستعملناه لم نجده كذلك! قالا: لو سألت عنه أيها الأمير في ذلك الوقت غيرنا لأخبرك بمثل ما أخبرناك، ولكنها الدنيا تعرض لهم فيتغيرون.

قال: صدقتما.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ الخلفاء/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ مروج الذهب/ أنساب الأشراف/ نفح الطيب/ نوادر المخطوطات/ البيان والتبيين/ تاريخ بغداد/ محاضرات الأدباء/ سير أعلام النبلاء/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) وابن أبي ذئب (١) 0621

روى الأمام الشافعي قال: حدثني عمي محمد بن علي قال: إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب[1] وكان وآلي المدينة الحسن بن يزيد[2]،فأتى الغفاريون[3] فشكوا إلى أبي جعفر شيئاً من أمر الحسن بن يزيد، فقال الحسن: يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب. فقال أبو جعفر المنصور: ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب؟ فقال: أشهد أنهم أهل تحطم في أعراض الناس كثير والأذى لهم. فقال أبو جعفر: قد سمعتم؟ فقال الغفاريون: يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن يزيد. فقال: يابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن يزيد؟ فقال أشهد أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه. فقال: قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح؟ فقال: يا أمير المؤمنين سله عن نفسك. فقال: ما تقول فيّ؟ قال: تعفيني يا أمير المؤمنين. قال: أسألك بالله إلا أخبرتني؟ قال: تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك!؟ قال: والله لتخبرني؟ قال: أشهد أنك أخذت المال من غير حقه فجعلته في غير آهله وأشهد أن الظلم ببابك فاش. فجاء أبو جعفر المنصور من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه، ثم قال: أما والله لولا أني جالس ههنا لأخذت الفارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك. فقال ابن أبي ذؤيب: يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذا الحق وقسما بالسوية وأخذا بأقفاء فارس وروم واصغرا آنوفهم. فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال: والله لولا أني أعلم أنك صادق لقتلتك. فقال ابن أبي ذؤيب: والله يا أمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك المهدي. فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له: يا أبا الحرث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي. فقال: يغفر الله لك يا أبا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد.

وفي رواية أبو العرب عن سعيد بن داود قال: حدثنا الدراوردي قال: قدم أهل المدينة على أبي جعفر فقال لهم: من بالمدينة اليوم؟ فقيل له: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب أبو الحارث، قال: وما بلغ من أمره؟ قالوا: لا يخاف في الله لومة لائم، أزهد الناس في الدنيا وأصدقهم لهجة، فكتب أبو جعفر إلى والي المدينة أن يقدمه عليه في رجال من أهل العلم يسألهم عن رجل قد سماه، قال: فأقدم ابن أبي ذئب، فلما اجتمعوا عند أبي جعفر قالوا له: يا أمير المؤمنين هذا أبو الحارث بن أبي ذئب، فقال له: ما تقول في بني مخزوم؟ يريد قوما من آل أبي ذئب، قال: وما أقول في فراش نار وذبان طمع، لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر، قال: فما تقول في قومي من قريش؟ قال: أشره الخلق إن أعطوا رضوا وإن منعوا سخطوا، قال: فما تقول فيّ؟ يريد نفسه قال: تعفني من ذلك، قال: لا أفعل قال ابن أبي ذئب إن قلت فيك قولا تعرفه من نفسك أترجع عنه قال: فسكت ثم قال له: لتقولن فيّ! قال ابن أبي ذئب: إن قلت فيك ما ليس فيك أتقبله؟ قال: فقال أبو جعفر: لتقولن! قال له ابن أبي ذئب: ما عرفتك مذ عرفتك على شيء من الحق، قال له أبو جعفر: أحسبك خارجيا ! قال: لا بل، أنا خير لك من ابنك المهدي إن أطعتني في وصيتي، قال: فحدثوني أصحابنا قالوا: اتقينا على ثيابنا من دمه ما لم نتوق من قتله قال: فقال: أخرجوا هذا عني فلما قدم المدينة كتب إلي والي المدينة أحضر علماء المدينة وفاة فلان قال أبو العرب: يعني الحسن بن زيد وليكن فيهم ابن أبي ذئب قال: فلما أحضرهم أخرجه إليهم وقال لهم: هذا فلان بن فلان يعني الحسن بن زيد ليس فيه ضرب ولا أثر فإن مات فموته نفسه فاشهدوا قال: وأخذ القوم الكتاب ليشهدوا فقال ابن أبي ذئب: امسكوا الكتاب ثم كتب هذا ما شهد عليه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب شهد أنه صح عنده أن والي المدينة أخذ فلانا الفلاني صحيحا فأدخله بيتا وأغلق عليه بابا ولم يطعمه ولم يسقه فإن مات فهو يقتله قال: فكتب بذلك والي المدينة إلى أبي جعفر فكتب إليه أبو جعفر إذا أتاك كتابي هذا فاضرب ابن أبي ذئب مائة سوط فإن مات فاصلبه وإن عاش فانفه من المسجد قال: فجاء الكتاب وندم الوالي فأرسل إلى قومه ان يأمروا ابن أبي ذئب أن يخرج من المدينة وأخبرهم الخبر فأتوه فقالوا له ذلك فقال: والله لا أفعل ولا أترك حظي من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون ماذا هل هو إلا أن أقتل قد تمنى عمر بن الخطاب الشهادة وهو بالمدينة وقال: التمسوا إلي سراويل أو ثيابا قال: فما أعطاه أحد سراويل فثبت في المسجد قال: ودخل بربري يصحب الوالي فقال له: أي شيء يقول الناس فيّ؟ قال: يزعمون أنك شر خلق الله لا تحسن تحسب ولا تفرق بين عشرة ومائة قال: وكيف ذلك؟ قال: تضرب خير المسلمين وأرهبهم مائة سوط فأنت شر خلق الله قال: فاستضحك من قوله فالتوى عرق في بطنه واشتكى الوالي ومات أبو جعفر قبل أن يبرأ الوالي.

في رواية محمد بن عمر قال: حج أبو جعفر.فدعا الحسن بن زيد ودعا ابن أبي ذئب. فأراد أن يغري الحسن بابن أبي ذئب: وعرف أبو جعفر أن صاحب الحسن غير مغفول عنه. فقال لابن أبي ذئب. نشدتك الله. ما تعلم من الحسن بن زيد؟ قال: أما إذا نشدتني. فإنه يدعونا فيستشيرنا. فنخبره بالحق. فيدعه ويعمل بهواه. إن اشتهى شيئا أخذ به. وإن لم يرده تركه. قال فقال الحسن بن زيد: نشدتك الله يا أمير المؤمنين إلا سألته عن نفسك. قال: فقال أبو جعفر لابن أبي ذئب: نشدتك بالله ما تعلم مني؟ ألست أعمل بالحق؟ أليس تراني أعدل؟ فقال ابن أبي ذئب: أما إذ نشدتني بالله فأقول: اللهم، لا. ما أراك تعدل. وإنك لجائر. وإنك لتستعمل الظلمة وتدع أهل الخير والفضل. قال: قال محمد بن عمر: فحدثني محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي[4] وإبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي[5] وأخبرت عن عيسى بن علي[6] .قالوا: نحن عند أبي جعفر حين كلمه ابن أبي ذئب بما كلمه به من ذلك الكلام الشديد فظننا أن أبا جعفر سيعالجه. فجعلنا نكف إلينا ثيابنا ونتنحى مخافة أن يصيبنا من دمه. قال: وجزع أبو جعفر واغتم قال له: قم فاخرج. قال: ورزقه الله السلامة من أبي جعفر فخرج ابن أبي ذئب إلى أم ولده سلامه وهي معه فقال: احتسبي دنانيرك التي كان حسن بن زيد يجريها عليك. قالت: ولم؟ قال: سألني أبو جعفر عنه فقلت له: كذا وكذا. وحسن حاضر. فقالت: ففي الله خلف وعوض منها. قال: فخرج حسن بن زيد. وذكر ذلك لابن أبي الزناد. قال: والله ما ساءني كلامه. ولقد علمت على أنه أراد الله بذلك. ولم يرد به الدنيا. ولا رضى أبي جعفر. ولكن كان ذلك الحق عنده فأراد الله به. فلما كان رأس الهلال زاده حسن بن زيد خمسة دنانير أخرى في كل شهر. فصارت عشرة. فلم يزل يجريها عليه في كل شهر حتى مات. وقال: إنما زدته ذلك لإرادته الله.

----

*(أبي ذئب) ما ذكر من أنه أبي ذؤيب قد يكون من تحريف النساخ، والله أعلم.(ساج) الطيلسان.

■ (1) ابن أبي ذئب، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب. يكنى أبا الحارث ولد في سنة 80 هـ عام الجحاف وكان من أورع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريا وكان يصلي الليل أجمع. وكان يصوم يوما ويفطر يوما فوقعت الرجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له قم تغذى قال دعه اليوم فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتو فيه ويصيف ويحفظ حديثه كله. سمع ابن أبي ذئب من عكرمة ونافع وسعيد المقبري وأبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. وكان فقيها صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أقدمه المهدي بغداد فحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة. قال أحمد كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب قيل لأحمد خلف مثله ببلاده قال لا ولا بغيرها. مات ابن أبي ذئب فدفن بالكوفة سنة 159 هـ وهو ابن تسع وسبعين.

■ (2) الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، العلوي الحسني الزيدي الأمير. توفي سنة 270 هـ ظهر بطبرستان سنة 50 هـ، فغلب على جرجان وتلك الديار، واستفحل أمره، وهزم جيوش الخليفة، ودخل الري ثم رجع إلى طبرستان، وصاهر الديلم، وتمكن وقوي أمره، وامتدت أيامه. توفي سنة 270 هـ في شعبان، وقام بالأمر بعده أخوه محمد بن زيد، فاتصلت أيامه إلى أن قتل سنة 287 هـ وقيل: بعد ذلك.

■ (3) الغفاريون أو غفار قبيلة من القبائل العربية.وهم بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وسبق منهم إلى الإسلام أبو ذر الغفاري وآخره أنيس ورجع أبو ذر إلى قومه فأسلم الكثير منهم.

■ (4) محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المعروف بالإمام، ولد سنة 122 هـ. كان يلي إمارة الحاج وإقامة شعائر الحج في خلافة المنصور عدة سنين. توفي.سنة 185 هـ ببغداد فصلى عليه الأمين، ودفن بالعباسية.

■ (6) عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عم السفاح والمنصور، مات ببغداد، سنة181 هـ.

■ (5) إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان العامل على مكة والطائف. (عمه المنصور) (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

أيها الإخوة المؤمنين، لقد ظن أبو جعفر أن قيامه بالدفاع عن بلاد المسلمين وأعراضهم مما حفظ العباد من شر الكفار المحيطين بهم في تلك الأيام يبرر له المظالم، وامتن على أبي ذؤيب أنه يحمي رقبته من أن يصله بطش أولئك الكفار، فماذا يقول هؤلاء الحاكم الظلمة اليوم !، وقد سبب وجودهم في عروشهم أن تمتلك الكفار من اليهود والنصار والمجوس وغيرهم رقاب المسلمين، فاستباحوا مقدساتهم ووضعوا عليهم الذلة والصغار وسلبوا ما امتن به الله عليهم من ثروات وخيرات، وجعلوا دمائهم مباحة لا ثمن لها. لقد أدى ابن أبي ذؤيب شهادة الحق عند المنصور عليه وعلى حاشيته وولاته ولم تأخذه في الله لومة لائم مع ما يعلم من إقامة المنصور لشرع الله وذبه عن بيضة الإسلام. وافهمه أن ذلك واجبه، لا منة له فيه على العباد ولا سبيل، وخاصمه وحاججه حتى شهد له المنصور رغم تضجره غيضا بالصدق. فليعتبر أولاءك الذين يشهدون بالباطل اليوم على الطغاة المجرمين بالعدل، ويصوغون إجرامهم، بل ويشنعون على كل من وقف في وجه باطلهم وليتمادوا في غيهم وشهادتهم بالباطل إن شئوا، فقد قال الله تعالى:﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف] فاللهم، أرنا في طغاة العرب قدرتك، وأنزل بهم بأسك، وخلص العباد من شرهم، وألحق من بقي منهم بأسلافهم الذين مضوا بأليم عقابك.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ إحياء علوم الدين/ الطبقات الكبرى/

ذكروا عن مالك بن أنس[1] قال: لما ولي أبو جعفر الخلافة وافى إليه الملاقون المشاؤون بالنميمة عني بكلام كان قد حفظ علي فأتاني رسوله ليلا ونحن بمنى، قال: أجب أمير المؤمنين، وذلك بعد مفارقتي له وخروجي عنه فلم أشك أنه للقتل ففرغت من عهدي واغتسلت وتوضأت و لبست ثياب كفني وتحنطت ثم نهضت فدخلت عليه في السرداق* وهو قاعد على فراش قد نظم بالدر الأبيض والياقوت الأحمر والزمرد الأخضر حكى له أنه كان من فرش هشام بن عبد الملك[2] كان قد أهداه إليه صاحب القسطنطينية لا يعلم ثمنه ولا يدري ما قيمته والشمع يحترق بين يديه وابن أبي ذؤيب[3] وابن سمعان[4] قاعدان بين يديه وهو ينظر في صحيفة في يده، فلما صرت بين يديه سلمت فرفع رأسه فنظر إلي وتبسم تبسم المغضب ثم رمي بالصحيفة وأشار لي إلى موضع عن يمينه أقعد فيه، فلما قعدت وأخذت مقعدي وسكن روعي رفعت رأسي أنظر تلقائي فإذا أنا بواقف عليه درع وبيده سيف قد شهره يلمع له ما حوله فالتفت عن يميني فإذا أنا بواقف بيده جرز من حديد ثم التفت عن يساري فإذا أنا بواقف عليه درع وبيده سيف قد شهره وهم أجمعون قد أصغوا إليه ورمقوه بأبصارهم خوفا من أن يأمر في أحد أمرا فيجده غافلا، ثم التفت إلينا وقال: أما بعد معشر الفقهاء فقد بلغ أمير المؤمنين عنكم ما أخشن صدره وضاق به ذرعه وكنتم أحق الناس بالكف من ألسنتكم والأخذ بما يشبهكم وأولى الناس بلزوم الطاعة والمناصحة في السر والعلانية لمن استخلفه الله عليكم. قال مالك فقلت: يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات] فقال أبو جعفر: على ذلكم أي الرجال أنا عندكم أمن أئمة العدل أم من أئمة الجور؟. فقال مالك: فقالت: يا أمير المؤمنين أنا متوسل إليك بالله تعالى وأتشفع إليك بمحمد صلى الله عليه وسلم وبقرابتك منه إلا ما أعفيتني من الكلام في هذا. قال: قد أعفاك أمير المؤمنين. ثم التفت إلى ابن سمعان، فقال له :أيها القاضي ناشدتك الله تعالى أي الرجال أنا عندك؟. فقال ابن سمعان: أنت والله خير الرجال يا أمير المؤمنين، تحج بيت الله الحرام وتجاهد العدو وتؤمن السبل، ويأمن الضعيف بك أن يأكله القوي، وبك قوام الدين، فأنت خير الرجال، وأعدل الأئمة. ثم التفت إلى ابن أبي ذؤيب، فقال له: ناشدتك الله أي الرجال أنا عندك. قال: أنت والله عندي شر الرجال استأثرت بمال الله ورسوله وسهم ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وأهلكت الضعيف، وأتعبت القوي، وأمسكت أموالهم، فما حجتك غدا بين يدي الله !؟. فقال له: أبو جعفر ويحك ما تقول أتعقل انظر ما أمامك. قال: نعم، قد رأيت أسيافا وإنما هو الموت ولا بد منه عاجله خير من آجله. ثم خرجا، وجلست. قال: إني لأجد رائحة الحنوط عليك. قلت: أجل لما نمي إليك عني ما نمي، وجاءني رسولك في الليل ظننته القتل فاغتسلت، وتطيبت، ولبست ثياب كفني. فقال: أبو جعفر سبحان الله ما كنت لأثلم الإسلام، وأسعى في نقضه أو ما تراني أسعى في أود الإسلام، وإعزاز الدين عائذا بالله مما قلت، يا أبا عبد الله انصرف إلى مصرك راشدا مهديا وإن أحببت ما عندنا فنحن ممن لا يؤثر عليك أحدا، ولا يعدل بك مخلوقا. فقلت: إن يجبرني أمير المؤمنين على ذلك فسمعا، وطاعة، وإن يخيرني أمير المؤمنين اخترت العافية. فقال: ما كنت لأجبرك، ولا أكرهك انقلب معافى مكلوءا*.قال: فبت ليلتي فلما أصبحنا أمر أبو جعفر بصرر دنانير في كل صرة خمسة آلاف دينار ثم دعا برجل من شرطته. فقال له: تقبض هذا المال، وتدفع لكل رجل منهم صرة، أما مالك بن أنس إن أخذها فبسبيله، وإن ردها لا جناح عليه فيما فعل، وإن أخذها ابن أبي ذؤيب فأتني برأيه، وإن ردها عليك فبسبيله لا جناح عليه، وإن يكن ابن سمعان ردها فأتني برأسه، وإن أخذها فهي عافيته. فنهض بها إلى القوم فأما ابن سمعان فأخذها فسلم، وأما ابن أبي ذؤيب فردها فسلم، وأما أنا فكنت والله محتاجا إليها فأخذتها. ثم رحل أبو جعفر متوجها إلى العراق.

----

*(الملاق) الذي لا يصدق وده. الإملاق: الإفساد. وإنه لملق أي: مفسد (المشاء) الذي يمشي بين الناس بالنميمة (السرادق) كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب أو الحائط المشتمل على الشيء والسرادق يجمع على السرادقات.(كلأ) يقال كلأك الله كلاءة أي :حفظك وحرسك والمفعول: مكلوء.

■ (3) ابن أبي ذئب، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب. يكنى أبا الحارث ولد في سنة 80 هـ عام الجحاف (سيل كان بمكة) وكان من أورع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريا وكان يصلي الليل أجمع. وكان يصوم يوما ويفطر يوما فوقعت الرجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له قم تغذى قال دعه اليوم فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتو فيه ويصيف ويحفظ حديثه كله. سمع ابن أبي ذئب من عكرمة ونافع وسعيد المقبري وأبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. وكان فقيها صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أقدمه المهدي بغداد فحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة. قال أحمد بن حنبل كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب قيل لأحمد خلف مثله ببلاده قال لا ولا بغيرها. مات ابن أبي ذئب فدفن بالكوفة سنة 159 هـ وهو ابن تسع وسبعين.

■ (1) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات.

■ (2) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (4) عبد الله بن زياد بن سمعان مولى أم سلمة مديني، قال أبو محمد روى عن نافع مولى ابن عمر والزهري وربيعة وسليمان بن حبيب المحاربي ويحيى بن سعيد الأنصاري. عن عبد الرحمن بن القاسم قال: سألت مالكا عن ابن سمعان فقال: كذاب.

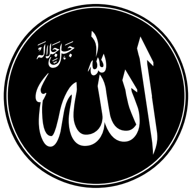

عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لاَ يَصْلُحُ الْكَذِبُ إلاَّ فِي ثَلاَثٍ: كذب الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، أَوْ إِصْلاَحٌ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ كَذِبٌ فِي الْحَرْبِ﴾ وقال بعض الحكماء: الصدق عز والكذب خضوع. وقال آخر: لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لقد كان حقيقا بذلك فكيف وفيه المأثم والعار! ومن المعروفين بالصدق أبو ذر الغفاري، قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلاَ أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ﴾* ومنهم العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. وعن عبد الله بن جراد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله هل يزني المؤمن، قال قد يكون ذاك، قال هل يسرق المؤمن، قال قد يكون ذاك، قال هل يكذب المؤمن، قال لا، ثم اتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى:﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل] وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ﴾ وعن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ﴾ (يطبع) أي يخلق ويجبل (على الخلال) أي الخصال زنة ومعنى (كلها) أي جميع الأخلاق الذميمة؛ لأن الكلام فيها أو الأعم منها (إلا الخيانة والكذب) أي غيرهما، فإن المؤمن يخلق ويجبل على الصدقة والأمانة، كما هو مقتضى التصديق والإيمان، ولذا قال تعالى بصيغة الحصر: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل] أي الكاملون في الكذب أو المجبولون عليه. وقال صلى الله عليه وسلم:﴿لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ﴾ فما يصدر عن المؤمن من الكذب والخيانة، فهو من الأمور العارضة لطبيعته لا من أصل خلقته وجبلته، ويمكن أن يراد به المبالغة في نفي المؤمن عنهما. قال في النهاية قوله: يطبع عليها أي يخلق، والطباع ما ركب في الإنسان من جميع الأخلاق التي لا يكاد يزايلها (يزاولها) من الخير والشر .قال الطيبي: وإنما كانت الخيانة والكذب منافيين بحاله، فإن الإيمان أفعال من الأمن، وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة؛ ولأنه حامل أمانة الله تعالى، فينبغي أن يكون أمينا لا خائنا.

----

*(الخضراء) السماء (أقلت) حملت (الغبراء) الأرض (اللهجة) لغة الإنسان وكلامه

مراجع: الإمامة والسياسة/ الجرح والتعديل/ كتاب العين/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مسند أحمد/ أدب الدنيا والدين/ صحيح البخاري/ فيض القدير/ المحكم والمحيط الأعظم/ المحاسن والمساوئ/ مصنف ابن أبي شيبة/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) وابن أبي ذئب (٣) 0623

قال أبو نعيم: حججت سنة حج أبو جعفر وأنا ابن إحدى وعشرين سنة، ومعه ابن أبي ذئب[1] ومالك بن أنس، فدعا ابن أبي ذئب فأقعده معه على دار الندوة عند غروب الشمس، فقال له: ما تقول في الحسن بن زيد بن الحسن؟ [2]، -يعني أمير المدينة-. قال: فقال: إنه ليتحرى العدل، فقال له: ما تقول في؟ -مرتين أو ثلاثا-، فقال: ورب هذه البنية إنك لجائر. قال: فأخذ الربيع بلحيته، فقال له أبو جعفر: كف يا ابن اللخناء*. وأمر لابن أبي ذئب بثلاثمائة دينار.

حدث محمد بن القاسم بن خلاد، قال: قال ابن أبي ذئب للمنصور: يا أمير المؤمنين، قد هلك الناس، فلو أعنتهم مما في يديك من الفيء؟ قال: ويلك لولا ما سددت من الثغور* وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في منزلك وتذبح، فقال ابن أبي ذئب: فقد سد الثغور، وجيش الجيوش، وفتح الفتوح، وأعطى الناس أعطياتهم من هو خير منك، قال: ومن هو ويلك؟ قال: عمر بن الخطاب، فنكس المنصور رأسه، والسيف بيد المسيب[3]، والعمود بيد مالك بن الهيثم[4]، فلم يعرض له والتفت إلى محمد بن إبراهيم الإمام [5]، فقال: هذا الشيخ خير أهل الحجاز.

----

*(ابن أبي ذئب) ما ذكر من أنه أبي ذؤيب قد يكون من تحريف النساخ، والله أعلم. (اللخن) نتن الريح عامة، ويقال: اللخناء: التي لم تختن.. وقوله: يا ابن اللخناء: قيل معناه يا دنئ الأصل أو يا لئيم الأم (الثغور) هي مراكز عسكرية تجعل على حدود البلاد الإسلامية لصد الكفار عنها

■ (1) ابن أبي ذئب (ذؤيب!)، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب. يكنى أبا الحارث ولد في سنة 80 هـ عام الجحاف وكان من أورع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريا وكان يصلي الليل أجمع. وكان يصوم يوما ويفطر يوما فوقعت الرجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له قم تغذى قال دعه اليوم فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتو فيه ويصيف ويحفظ حديثه كله. سمع ابن أبي ذئب من عكرمة ونافع وسعيد المقبري وأبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. وكان فقيها صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أقدمه المهدي بغداد فحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة. قال احمد بن حنبل كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب قيل لأحمد خلف مثله بيلاده قال لا ولا بغيرها. مات ابن أبي ذئب فدفن بالكوفة سنة 159 هـ وهو ابن تسع وسبعين.

■ (2) الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد الهاشمي المديني، ويكنى أبا محمد،حدث عن أبيه، وعن عكرمة مولى ابن عباس، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. روى عنه محمد بن إسحاق بن يسار، ومالك بن أنس، وابن أبي ذئب، وعبد الرحمن بن أبي الزناد وغيرهم. وكان أحد الأجواد، وولاه أبو جعفر المنصور المدينة خمس سنين، ثم غضب عليه فعزله، واستصفى كل شيء له، وحبسه ببغداد، فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور وولي المهدي، فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شيء ذهب له، ولم يزل معه. وذكر محمد بن خلف وكيع أن الحسن بن زيد مات ببغداد، ودفن في مقابر الخيزران. وذلك خطأ إنما مات بالحاجر، على خمسة أميال من المدينة،وهو يريد الحج، وكان في صحبة المهدي، سنة 168 هـ.وهو ابن خمس وثمانين، ودفن هناك.وقيل صلى عليه علي بن المهدي.

■ (5) محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المعروف بالإمام، ولد سنة 122 هـ. كان يلي إمارة الحاج وإقامة شعائر الحج في خلافة المنصور عدة سنين. توفي.سنة 185 هـ ببغداد فصلى عليه الأمين، ودفن بالعباسية.

■ (4) مالك بن الهيثم بن عوف بن وهب بن عميرة ويقال عمرو بن عمير بن هاجر بن عبد العزى بن قمير بن سلول بن كعب..، أبو نصر الخزاعي المروزي أحد وجوه دعاة بني العباس وفد على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالحميمة.

■ (3) المسيب بن زهير بن عمرو بن جبيل بن الأعرج بن ربيعة بن مسعود بن منقذ بن كوز ، يكنى أبو مسلم الضبي، كان من رجالات الدولة العباسية. ولد في خلافة عمر بن عبد العزيز، وولي شرطة بغداد في أيام المنصور أيام حياته وولي شرط المهدي في أول خلافته ثم ولاه خراسان مدة قصير سنة 166 وولي شرط أمير المؤمنين الرشيد. وتوفى سنة 175 هـ بمنى فدفن أسفل العقبة وقيل: توفي سنة 176 هـ وهو ابن ست وسبعين سنة.

عن أبي ذر، قال:﴿قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ أَوْصِنِي. قَالَ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهَّ، فَإِنَّهُ أَزْيَنُ لِأَمْرِكَ كُلِّهِ. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ ذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ، وَنُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: عَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ، فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ، فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: لَا تَخَفْ فِي اللهَّ لَوْمَةَ لَائِمٍ. قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: لِيَحْجُزْكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْلَمُ مِنْ نَفْسِكَ﴾ (ليحجزك) أي ليمنعك (عن الناس) أي عيوبهم (ما تعلم من نفسك) أي من عيوبها، كما ورد عن أنس أخرجه الديلمي: ﴿طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ﴾ وعن مجمع بن يحيى يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿تَحَرَّوُا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، وَاجْتَنِبُوا الْكَذِبَ وَإِنَّ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ النَّجَاةَ فَإِنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ﴾ قال الجاحظ: الصدق والوفاء توأمان والصبر والحلم توأمان فهن تمام كل دين وصلاح كل دنيا وأضدادهن سبب كل فرقة وأصل كل فساد، قال الماوردي وقد يظن بعض الناس أن في الكذب اجتلاب النفع واستدفاع الضر فيرى أن الكذب أسلم وأغنم فرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع واستشفاقا للطمع وربما كان الكذب أبعد لما يؤمن وأقرب لما يخاف لأن القبيح لا يكون حسنا والشر لا يكون خيرا وهل يجنى من الشوك العنب ومن الكرم الحنظل. عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ﴾ (يطبع المؤمن) بصيغة المفعول أي يخلق ويجبل (على الخلال) أي الخصال زنة ومعنى (كلها) أي جميع الأخلاق الذميمة؛ لأن الكلام فيها أو الأعم منها (إلا الخيانة والكذب) بنصبهما أي غيرهما، فإن المؤمن يخلق ويجبل على الصدقة والأمانة، كما هو مقتضى التصديق والإيمان، ولذا قال الله تعالى بصيغة الحصر: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهَّ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل] أي الكاملون في الكذب أو المجبولون عليه. وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ﴾ على ما رواه أحمد والبيهقي عن أنس، فما يصدر عن المؤمن من الكذب والخيانة، فهو من الأمور العارضة لطبيعته لا من أصل خلقته وجبلته، ويمكن أن يراد به المبالغة في نفي المؤمن عنهما. قال في النهاية قوله: يطبع عليها أي يخلق، والطباع ما ركب في الإنسان من جميع الأخلاق التي لا يكاد يزايلها من الخير والشر. قال الطيبي: وإنما كانت الخيانة والكذب منافيين بحاله، فإن الإيمان أفعال من الأمن، وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة؛ ولأنه حامل أمانة الله تعالى، فينبغي أن يكون أمينا لا خائنا. وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهَّ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهَّ كَذَّابًا -وفي رواية قال-: إِنَّ الصِّدْقَ بِرٌّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ. وَإِنَّ الْكَذِبَ فُجُورٌ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ﴾ وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ﴾.

مراجع: صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ البداية والنهاية / السنن الكبرى للبيهقي/ تذكرة الحفاظ/ البداية والنهاية/ مجموع الفتاوى/ الوافي بالوفيات/ فهرس الفهارس والإثبات/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) وسوار بن عبد الله (١) 0624

كان أبو جعفر المنصور قد عرف سوار بن عبد الله العنبري[(1)] قبل أن يوليه القضاء، وذلك أنَّ المنصور هَمَّ أن يغلق نَهْرَ ابن عمر، فوفد إليه وفد من أهل البصرة فيهم سَوَّار بن عبد الله، وداود بن أبي هند[(2)]، وسعيد بن أبي عروبة[(3)] فكلموه، فقال سوَّار يا أمير المؤمنين، إن أردت أن تقتل مائة ألف من الناس عطشًا فأغلقه، وإني أحذرك أهل البصرة. فقال: أتخوفني بأهلِ البصرة؟ والله لهممت أنْ أوجه إليهم بقائد يَجْثُم على أكبادهم حتى يأتي على آخرهم. قال يا أمير المؤمنين، لم أذهب حيثُ ذهبت، ولكن خوفتك دعوةَ اليتيم والأرملة ومن لا حيلةَ له. فأحسن الرجوع، وأضرب عما كان عزم عليه. وقال اكتبوا عهد الأحمر على القضاء. وروى شيخ تميم يقال له يحيى، قال دخل سوَّار على المنصور فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. قال وعليك السلام ورحمة الله، ادنُ أبا عبد الله. فقال يا أمير المؤمنين أدنو على ما مضى عليه الناس أو ما أحدثوا؟ قال بل على ما مضى عليه الناس. فدنا فصافحه، ثم جلس، فقال أبا عبد الله قد عزمت على أنْ أدعوَ أهل البصرة بسجلاتهم وأسرتهم، فأنظر فيها. فقال يا أمير المؤمنين، أناشدك الله أن تعرض لأهل البصرة. فقال أيا سوار أبأهل البصرة تُهددني؟ والله، لهممت أن أوجه إليهم من يأخذ بأفواه سككهم وطرقهم، ثم يضع فيهم السيف حتى يفنيهم. فقال يا أمير المؤمنين، ذهبت إلى غير ما ذهب إليه، إنَّما كرهت أن تعرض للأرملة واليتيم والشيخ الفاني والحدث الضعيف. فقال يا أبا عبد الله، أنا للأرملة بعل، ولليتيم أب، وللشيخ أخ، وللضعيف عم، وإنَّما أريد أن أنظر في سجلاتهم وأسرتهم؛ ليستخرج ما في أيدي الأغنياء مما أخذوه بقوتهم وجاههم من حقوق الضُّعفاء والفقراء. فقال وفَّقك الله لما يُحب يا أمير المؤمنين، وأرشدك لما يَرضى. قال بشر بن المفضل حدث سوَّار بن عبد الله. قال ما تركت في نفسي شيئًا إلاَّ كلمت به أبا جعفر، قال قلت يا أمير المؤمنين، إنَّ الحسن كان يقول:﴿إِنَّ تَصْدِيقَ القَوْلِ العَمَلَ فَمِنْ صِدْقٍ عَمَلُهُ قُولهُ فَذَاكَ وَمَنْ لَا فَقَدْ هَلَكَ﴾ أو كما قال الحسن. فقال أبو جعفر: صدق.

عن ابن وهب، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: كتب أبو جعفر إلى قاضي له يقال له: سوار، وكان صالحا يطعم الناس، فعمد إلى ذلك الذي أمره أن يطعم الناس ففرقه في القبائل، فقيل له: لو أطعمت الناس كان أجمل بك يا سيد الناس؛ فقال: لا أريد أن يذهب رجل إلى أهله وبيده ريح الغمر* ولم يطعم أهله شيئا.

كان سوار أول من تشدد في القضاء، وعظم أمره، واتخذ الأمناء، وأجرى عليهم الأرزاق، وقدم على القرعة، وقبض الوقوف، وأدخل على الأوصياء الأمناء، وطول السجلات، ودعا الناس بأسمائهم لم يكنهم، فضم الأموال المجهول أربابها، وسماها الحشريه، وكان حليما بطيء الغضب متحريا للخير. كتب المنصور إلى سوار بن عبد الله القاضي في مال كان له على سلمة بن سعيد[(4)]، لما مات سلمة، وكان عليه ديون للناس وللمنصور، فكتب إليه: استوف لأمير المؤمنين دينه، وفرق ما يبقى بين الغرماء. فلم يلتفت إلى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لواحد من الغرماء، ثم كتب إليه: إني رأيت أمير المؤمنين غريما من الغرماء. فكتب إليه المنصور: ملئت الأرض بك عدلا. وقد روى الناس هذا الكلام على وجه آخر، فقالوا: مات رجل بالبصرة، كان لأبي جعفر المنصور عليه مال. وكانت عليه ديون للناس فكتب المنصور إلى سوار: بلغني أن فلانا توفي، فانظر في تركته، فاستوف منها مالنا قبله، واقسم ما بقي من الغرماء. فكتب إليه سوار: وصلني كتاب أمير المؤمنين، وعلمت ما تضمنه، وإني قدمت كتاب الله على كتابه. وإنما أمير المؤمنين غريم من الغرماء، يسعه ما يسعهم. فكتب إليه المنصور: ملأت بك الأرض عدلا يا سوار. وأخرج عن عبد الله بن صالح قال : كتب المنصور إلى سوار بن عبد الله قاضي البصرة: انظر التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر فادفعها إلى القائد فكتب إليه سوار: إن البينة قد قامت عندي أنها للتاجر فلست أخرجها من يده إلا ببينة فكتب إليه المنصور: والله الذي لا إله إلا هو لتدفعنها إلى القائد فكتب إليه سوار: والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجتها من يد التاجر إلا بحق فلما جاءه الكتاب قال: ملأتها والله عدلا وصار قضاتي تردني إلى الحق. وفي رواية: قال الأصمعي: كتب أبو جعفر أمير المؤمنين إلى سوار في شيء كان عنده خلاف الحق فلم ينفذ سرار كتابه، وأمضى الحكم عليه، فاغتاظ أبو جعفر عليه وتوعده، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إنما عدل سوار مضاف إليك وتزيين خلافتك، فأمسك. وعن الحسن بن علي الحرمازي قال: نظر المنصور إلى بعض القضاة، وبين عينيه سجادة فقال له: لئن كنت أردت الله بالسجود فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه، وان كنت إنما أردتنا بهذه السجادة فينبغي لنا أن نحترس منك.

عن النضر بن عمر، قال: دخل سوار على أبي جعفر، فجلس ولم يقبل يده، وعطس أبو جعفر فلم يحمد الله، فلم يشمته، ثم عطس فحمد الله فشمته، ثم نهض سوار فأتبعه أبو جعفر بصره، فقال: أتزعمون أن هذا يحابى؟ والله ما حابى في عطسة.

عن عبد الله بن صالح بن مسلم، قال: كان سوار بن عبد الله وصاحب له يطلبان العلم، فلحق صاحبه ببعض الثغور*، وولي سوار بن عبد الله القضاء، فكتب سوار إلى صاحبه يعتذر إليه مما دخل فيه، وذكر شدة الزمان وكثرة العيال، وجفوة السلطان، فكتب إليه صاحبه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: يا سوار، فعليك بتقوى الله، فإن التقوى عوض من كل فائدة من الدنيا، وليس في شيء من الدنيا عوض عن التقوى، فإن التقوى عقدة كل عاقل مبصر، به يستنير، وإليه يستريح، ولم يظفر أحد مثل ما ظفر به أولياء الله الذين شربوا بكأس حبه، فكانت قرة أعينهم، ومدة أملهم، وذلك أنهم أعملوا أنفسهم في جسيم الأدب، وراضوها رياضة الأصحاء الصادقين، وطلقوها عن الشهوات، فألزموها القوت المعلق، وجعلوا الجوع والعطش شعارا لها برهة من الزمان، حتى انقادت وأذعنت لهم عن فضول الحطام، فلما طعن فضول الدنيا عن قلوبهم، وزايلتها أهواؤهم، وصارت الآخرة قرة أعينهم، ومدة أملهم، أثبت الله في قلوبهم ينابيع الحكمة، وقلدت ينابيع العصم، وسطعت بهم نور المعالم، الذين يشعبون الصدع، ويلمون فيه الشعث، فلم يزالوا كذلك حتى أتاهم من الله موعود صادق اختص به العالمين به، والعاملين له دون من سواهم، فإن سرك يا سوار أن تستمع صفة الأصحاء الصادقين فصفة هؤلاء، فاستمع وسائلهم الطيبة فاتبع، وإياك وبينات الطريق: شدة الزمان، وكثرة العيال، وجفوة السلطان، والسلام.

قال المدائني: وعظ سوار المنصور فوصله فأبى قبول صلته، فقيل له في ذلك فقال: كرهت أن أكون مثل سعيد بن الفضل وعظ هشاما ثم سأله فأعطاه، فقال هشام: إلى هذا أجري الحديث! .

----

*(الغمر) بالتحريك: السهك وزنخ اللحم وما يعلق باليد من دسمه كالوضر من السمن. أي الدسم والرائحة الكريهة من اللحم (الثغور) هي مراكز عسكرية تجعل على حدود البلاد الإسلامية لصد الكفار عنها

■ (1) سوار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة بن كعب من بني العنبر كان قضي لأبي جعفر على البصرة سبع عشرة سنة وولي صلاة البصرة مرتين، ومات وهو أميرها سنة 156 هـ، وقد تولى قضاء البصرة أيضا ابنه القاضي عبد الله بن سوار المتوفي سنة228 هـ. وحفيده القاضي سوار بن عبد الله بن سوار المتوفي سنة 245 هـ

■ (2) داود بن أبي هند أبو محمد بن دينار بن عذافر البصري.من الموالي، أصله من خراسان، وكان من الأئمة الأعلام، ويقال: اسم أبيه طهمان، ويقال: ولاؤه لبني قشير، ويقال: كنيته أبو بكر. روى عن: سعيد بن المسيب، وأبي العالية، وأبي منيب الجرشي، والشعبي، وأبي عثمان النهدي، ومكحول، ومحمد بن سيرين ، وجماعة، ورأى أنس بن مالك.وعنه: شعبة، وسفيان، وحماد بن سلمة، وهشيم، وابن علية، ويحيى القطان، ويزيد بن هارون، وبشر بن المفضل، وخلق، سمع منه يزيد بن هارون تسعة وتسعين حديثا.ولد بمرو. ومات سنة 139 هـ. وقال الفلاس: سمعت ابن أبي عدي يقول: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله، كان خزازا يحمل معه غداءه فيتصدق به في الطريق ويرجع عشاء، فيفطر معهم.

■ (3) سعيد بن أبي عروبة مهران، مولى بني عدي، عالم البصرة، أبو النضر العدوي الحافظ.ولد في حياة أنس بن مالك، وروى عن الحسن، وابن سيرين قليلا، وعن قتادة فأكثر، والنضر بن أنس، وعبد الله الداناج، وأبي رجاء العطاردي، ومطر الوراق، وأبي نضرة العبدي، وطائفة سواهم. وروى عنه سفيان، وشعبة، ويزيد بن زريع، وبشر بن المفضل، وابن علية، وخالد بن الحارث، والنضر بن شميل، ويحيى القطان، وغندر، وسعيد بن عامر الضبعي، والأنصاري، وأبو عاصم، وروح بن عبادة، وعبد الوهاب بن عطاء، وخلق كثير. توفي سنة 156 هـ

■ (4) سلمة بن سعيد .؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم) هل هو سلمة بن سعيد بن جابر، صهر أبي مسلم ؟

☪

عن أبي شريح قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿اللَّهُمَّ، إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ﴾ (أحرج) ألحق الحرج وهو الإثم بمن ضيع حقهما، وأحذر من ذلك تحذيرا بليغا، وأزجر عنه زجرا أكيدا. عن أبي الدرداء عويمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿ابْغُونِي الضُّعَفَاء، فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ، بِضُعَفَائِكُمْ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ – وَأَحْسَبُهُ قَالَ-: وَكَالقَائِمِ الَّذِي لاَ يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لاَ يُفْطِرُ﴾ وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ. وَأَشَارَ الرَّاوِي وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَس بالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى﴾ (كافل اليتيم) القائم بأموره. وعن مصعب بن سعد، قال:﴿رَأَى سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ﴾ (رأى) ظن (فضلا) زيادة منزلة بسبب شجاعته وغناه ونحو ذلك (بضعفائكم) بركتهم ودعائهم لصفاء ضمائرهم وقلة تعلقهم بزخرف الدنيا فيغلب عليهم الإخلاص في العبادة ويستجاب دعاؤهم.

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن فقال:﴿إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ﴾ (ليس بينها وبين الله) أي قبوله لها (حجاب) أي مانع، بل هي معروضة عليه تعالى، وقيل: هو كناية عن سرعة القبول.

عن المقداد بن الأسود، وأبي أمامة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ﴾ (ابتغى الريبة) أي التهمة (في الناس) بأن طلب عيوبهم وتجسس ذنوبهم واتهمهم في تفحص أحوالهم (أفسدهم) أي أفسد عليهم أمور معاشهم، ونظام معادهم؛ لأن الإنسان قلما يخلو عن ذم، فلو أدبهم لكل قول وفعل بهم لشق الحال عليهم، بل ينبغي له ما أمكنه أن يستر عليهم، ألا ترى ما تقدم في الحدود من تلقين المعترف بالذنب دفعا لدرء الحد عنه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وقال: ﴿مَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤْمِنٍ عَوْرَةً فَكَأَنَّمَا أَحْيَا مَيِّتًا﴾ وعن معاوية، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ﴾ أي إذا بحثت عن معائبهم وجاهرتهم بذلك، فإنه يؤدي إلى قلة حيائهم عنك فيجترئون على ارتكاب أمثالها مجاهرة.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ الطبقات الكبرى/ صحيح مسلم/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ تاج العروس/ تاريخ أبي زرعة الدمشقي/

دخل سوار بن عبد الله[1] على المنصور، والمصحف من حجره، وعيناه تهملان، فقال السلام عليكم. يا أمير المؤمنين فقال يا سوار، ألا مرة على المؤمنين؟؟ هدمت ديني، وذهبت بآخرتي، وأفسدت ما كان من صالح عملي. قال سوار: فانتهزتها فرصة، وطلبت ثواب الله في عظته فقلت: يا أمير المؤمنين، إنك جدير بالبكاء، حقيق بطول الحزن ما أقمت في الدنيا. وقد استرعاك الله أمر المسلمين، واستحفظك أموالهم، يسألك عما عملت فيما أسترعاك في اليوم الذي أعلمت في كتابه، فقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة] فازداد بكاء، وقال: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾ [مريم] ثم قال: يا سوار إني أعالج نفسي، وأعاتبها منذ وليت أمور المسلمين على حمل الدرة على عنقي، والمشي في الأسواق على قدمي، وأن أسد بالجريش من الطعام جوعتي، وأوارى بأخشن الثياب عورتي، وأضع قدر من أراد الدنيا، وأرفع قدر من أراد الآخرة، وسعى لها، فلم تطعني، وعصتني، ونفرت نفورا شديدا. قال سوار لا تجتسمها يا أمير المؤمنين صعاب الأمور، ولا تحملها ما لا تطيق، وألزمها أربع خصال تسلم لك دنياك وأخرتك: أقم الحدود واحكم بالعدل، واجب الأموال من وجوهها، واقسمها على أهلها بالحق.

■ (1) سوار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة بن كعب من بني العنبر كان قضي لأبي جعفر على البصرة سبع عشرة سنة وولي صلاة البصرة مرتين، ومات وهو أميرها سنة 156 هـ، وقد تولى قضاء البصرة أيضا ابنه القاضي عبد الله بن سوار المتوفي سنة228 هـ. وحفيده القاضي سوار بن عبد الله بن سوار المتوفي سنة 245 هـ

قال المنصور لعمرو بن عبيد: عظني، فقال: أعما رأيت أو ما سمعت؟ فقال: بل عظني بما رأيت، فقال له: مات عمر بن عبد العزيز فخلف أحد عشر ابنا وبلغت تركته سبعة عشر دينارا، كفن منها بخمسة دنانير، واشترى موضع قبره بدينارين، وأصاب كل واحد من ولده ثمانية عشر قيراطا، ومات هشام فخلف أحد عشر ابنا وأصاب كل واحد من ولده ألف ألف دينار، فرأيت رجلا من ولد عمر بن عبد العزيز قد حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله، ورأيت رجلا من ولد هشام يسأل الناس ليتصدق عليه. كان يحيى بن معاذ يقول للناس: لا تكونوا ممن يفضحهم يوم موتهم ميراثه، ويوم القيامة ميزانه. قال أبو حازم: ما كرهت أن يكون معك غدا فاتركه اليوم، وما أحببت أن يكون معك غدا فقدمه اليوم. كان بعض التابعين إذا قيل له: كيف أصبحت؟ يقول: في أجل منقوص، وعمل محفوظ، والموت في رقابنا، والنار من ورائنا، ولا ندري ما الله يفعل بنا. وكان روح بن مدرك يقول في موعظته: الآن قبل أن تسقم فتضنى، وتهرم فتفنى ثم تموت فتنسى، ثم تقبر فتبلى، ثم تنشر فتحيا، ثم تبعث فتشقى، ثم تحضر فتدعى، ثم توقف فتجزى بما قدمت فأمضيت، وأذهبت فأفنيت، من موبقات سيئاتك، وسالفات شهواتك، وملفقات فعلاتك، الآن سالمون، الآن وأنتم مستعتبون. قال أبو حازم: عجبا لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحلة، ويتركون أن يعملوا لدار يرحلون إليها كل يوم مرحلة. قيل لمحمد بن واسع: كيف حالك؟ فقال: كيف حال من لا يدري كيف حاله؟. قال يحيى بن معاذ الرازي: إن لله عليك نعمتين: السراء للتذكير، والضراء للتطهير، فكن في السراء عبدا شكورا، وفي الضراء حرا صبورا. وكان ابن السماك يقول: إذا فعلت الحسنة فافرح بها واستقللها؛ فإنك إذا استقللتها زدت عليها، وإذا فرحت بها عدت إليها. قال أبو حازم الأعرج: إن عوفينا من شر ما أعطينا لم يضرنا فقد ما زوي عنا. وقال: الدنيا غرت أقواما فعملوا فيها بغير الحق ففاجأهم الموت فخلفوا ما لهم لمن لا يحمدهم، وصاروا إلى من لا يعذرهم، وقد خلفنا بعدهم فينبغي لنا أن ننظر إلى الذي كرهنا منهم فنجتنبه، والذي غبطناهم به فنستعمله. قال قتادة: يعطي الله العبد على نية الآخرة ما شاء من الدنيا والآخرة، ولا يعطيه على نية الدنيا إلا الدنيا. قال مطرف بن عبد الله: لا تنظروا إلى خفض عيشهم، ولين لباسهم، ولكن انظروا إلى سرعة ظعنهم، وسوء منقلبهم.

مراجع: نثر الدر/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/

قال عبد الرحمن بن زياد[1]: أرسل إلي أبو جعفر المنصور، فقدمت عليه، فدخلت والربيع قائم على رأسه، فاستدناني ثم قال لي: يا عبد الرحمن، كيف ما مررت به من أعمالنا إلى أن وصلت إلينا؟ قال: قلت: رأيت يا أمير المؤمنين أعمالا سيئة، وظلما فاشيا، وظننته لبعد البلاد منك، فجعلت كلما دنوت منك كان أعظم للأمر. قال: فنكس رأسه طويلا ثم رفعه إلي فقال: كيف لي بالرجال؟ قلت: أفليس عمر بن عبد العزيز كان يقول: إن الوالي بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها، فإن كان برا أتوه ببرهم، وإن كان فاجرا أتوه بفجورهم. قال: فأطرق طويلا، فقال لي الربيع وأومأ إلي أن اخرج، فخرجت، وما عدت إليه.

قال عبد الرحمن بن زياد: كنت أطلب العلم مع أبي جعفر أمير المؤمنين قبل الخلافة، فادخلني منزله، فقدم إلي طعاما ومريقة من حبوب ليس فيها لحم، ثم قدم إلي زبيبا ثم قال: يا جارية، عندك حلواء؟ قالت: لا، قال: ولا التمر؟ قالت: ولا التمر، فاستلقى ثم قرأ الآية:﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف] فلما ولي المنصور الخلافة أرسل إلي فقدمت عليه فدخلت والربيع قائم على رأسه فاستدناني وقال يا عبد الرحمن، بلغني أنك كنت تفد إلى بني أمية قال: قلت: أجل، كنت أفد لهم، وأفد إليهم، قال: وكيف رأيت سلطاني من سلطانهم؟ وكيف ما مررت به من أعمالنا حتى وصلت إلينا ؟ قال فقلت يا أمير المؤمنين رأيت أعمالا سيئة وظلما فاشيا ووالله يا أمير المؤمنين ما رأيت في سلطانهم من الجور والظلم إلا رأيته في سلطانك،وكنت ظننته لبعد البلاد منك فجعلت كلما دنوت كان الأمر أعظم أتذكر يا أمير المؤمنين يوم أدخلتني منزلك فقدمت إلي طعاما ومريقة من حبوب لم يكن فيها لحم، ثم قدمت إلي زبيبا، ثم قلت:يا جارية، عندك حلواء؟ قالت: لا، قلت: ولا التمر؟ قالت: ولا التمر، فاستلقيت ثم تلوت:﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف] الآية، فقد والله أهلك عدوك، واستخلفك في الأرض، فانظر ما تعمل، قال: فنكس رأسه طويلا ثم رفع رأسه إلي وقال: يا عبد الرحمن، إنا لا نجد الأعوان! قلت: يا أمير المؤمنين، أليس عمر بن عبد العزيز كان يقول إن الوالي بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها فإن كان برا أتوه ببرهم وإن كان فاجرا أتوه بفجورهم فأطرق طويلا ؛ فكأني ألقمته الحجر، فلم يرد علي شيئا. فأومأ إلي الربيع أن أخرج فخرجت وما عدت إليه.

في رواية عن إسماعيل بن عياش، قال: ظهر بأفريقية جور من السلطان، فلما قام ولد العباس قدم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم على أبي جعفر، فشكا إليه العمال ببلده، فأقام ببابه أشهرا، ثم دخل عليه، فقال: ما أقدمك؟ قال: ظهر الجور ببلدنا، فجئت لأعلمك، فإذا الجور يخرج من دارك. فغضب أبو جعفر وهم به، ثم أمر بإخراجه.

قال عمر بن علي بن مقدم:[2] كنت ببغداد مع أخي، وهو على المظالم، وكان بها عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، فدخل يوما على أبي جعفر المنصور، فقال له: يابن أنعم، أما تحمد ربا أراحك من باب هشام بن عبد الملك، وذوي هشام، وما كنت ترى بأبوابهم؟ قال: فقال، كل شيء كنت أراه بباب هشام إلا وأنا أرى منه اليوم طرفا بالقيروان، قال: فغضب أبو جعفر فسكت، ثم أقبل عليه، فقال: ما منعك من أن ترفع ذاك إلينا، وأنت تعلم أن قولك عندنا مقبول؟ ! قال: إني رأيت السلطان سوقا، وإنما يحمل إلى كل سوق ما يجوز فيها. قال: فغضب أبو جعفر أيضا، ثم قال له: كأنك قد كرهت صحبتنا؟ قال: والله، ما يصاب المال والشرف إلا من صحبتك وصحبة من هو مثلك، ولقد تركت عجوزا لي كبيرة وإني أحب الرجوع إليها، قال: اذهب فقد أذنا لك، فقام فخرج.

■ (1) عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، أبو خالد الإفريقي، سمع أباه، وأبا عبد الرحمن الحبلي، وبكر بن سوادة، وكان أول مولود ولد بإفريقية في الإسلام، ولي القضاء بإفريقية، ووفد إلى أبي جعفر المنصور، وهو ببغداد.قيل: منكر الحديث ولكنه كان رجلا صالحا.توفي بإفريقية سنة 156 هـ

■ (2) عمر بن علي بن عطاء بن مقدم أبو حفص المقدمي، مولى بني ثقيف، بصري حافظ. وهو والد محمد، وعاصم، وعم محمد بن أبي بكر الحافظ.توفي سنة 190 هـ. قال عفان بن مسلم: كان رجلا صالحا، ولم يكونوا ينقمون عليه غير التدليس، ولم أكن أقبل منه حتى يقول حدثنا.

اعلم أرشدك الله أن منزلة العمال من الوالي بمنزلة السلاح من المقاتل، هكذا قال الطرطوشي. وينبغي أن يعرف أن أولي الأمر كالسوق ما نفق فيه جلب إليه، هكذا قال عمر بن عبد العزيز، فإن نفق فيه الصدق والبر والعدل والأمانة، جلب إليه ذلك، وإن نفق فيه الكذب والفجور والجور والخيانة، جلب إليه ذلك. كان علي بن أبي طالب إذا بلغه أن بعض نوابه ظلم، يقول: اللهم، إني لم آمرهم أن يظلموا خلقك، ولا أن يتركوا حقك. قيل حمل مرة إلى عمر مال عظيم من الخمس، فقال: ﴿إِنَّ قَوْمًا أَدَّوْا الْأَمَانَةَ فِي هَذَا لَأُمَنَاءَ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: إِنَّكَ أَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ إِلَى اللهِّ تَعَالَى، فَأَدَّوْا إِلَيْكَ الْأَمَانَةَ، وَلَوْ رَتَعْتَ لَرَتَعُوا﴾ وقال عمرو بن العاص: لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل. وقالوا: إنما السلطان بأصحابه كالبحر بأمواجه. وقالوا: ليس شيء أضر بالسلطان من صاحب يحسن القول ولا يحسن الفعل ولا خير في القول إلا مع الفعل، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصدق إلا مع الوفاء، ولا في الفقه إلا مع الورع، ولا في الصدقة إلا مع حسن النية، ولا في الحياة إلا مع الصحة. وقالوا: إن السلطان إذا كان صالحا ووزراؤه وزراء سوء امتنع خيره من الناس ولم يستطع أحد أن ينتفع منه بمنفعة. وشبهوا ذلك بالماء الصافي يكون فيه التمساح فلا يستطيع أحد أن يدخله وإن كان محتاجا إليه. وقال الأحنف بن قيس: من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء، ومن غص بالماء فلا مساغ له، ومن خانه ثقاته فقد أتي من مأمنه. وقالت الحكماء: لا ينفع الملك إلا بوزرائه وأعوانه ولا ينفع الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة، ولا تنفع المودة والنصيحة إلا مع الرأي والعفاف. ثم على الملوك بعد ألا يتركوا محسنا ولا مسيئا ما دون جزاء؛ فإنهم إذا تركوا ذلك، تهاون المحسن، واجترأ المسيء، وفسد الأمر، وبطل العمل. ويبين ذلك كله قول عمر بن الخطاب:﴿السُّلْطَانُ أَرْبَعَةُ أُمَرَاءَ؛ فَأَمِيرٌ قَوِيٌّ ظَلَفَ* نَفْسَهُ وَعُمَّالَهُ، فَذَاكَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِّ، يَدُ اللهِّ بَاسِطَةٌ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ، وَأَمِيرٌ ضَعِيفٌ ظَلَفَ نَفْسَهُ وَأَرْتَعَ* عُمَّالَهُ فَضَعُفَ فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَاكٍ إِلَّا أَنْ يَرْحَمَهُ اللهُّ، وَأَمِيرٌ ظَلَفَ عُمَّالَهُ وَأَرْتَعَ نَفْسَهُ، فَذَلِكَ الْحُطَمَةُ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شَرُّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ. فَهُوَ الْهَالِكُ وَحْدَهُ، وَأَمِيرٌ أَرْتَعَ نَفْسَهُ وَعُمَّالَهُ فَهَلَكُوا جَمِيعًا﴾.

عن عبد الله بن المبارك قال: كان عمر بن الخطاب يكتب أموال عماله إذا ولاهم ويقاسمهم ما زاد على ذلك وربما أخذه منهم، فكتب إلى عمرو بن العاص وهو بمصر أنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن لك حين وليت مصر؟ فكتب عمرو: إن أرضنا أرض متجر ومزدرع، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنفقتنا، فكتب إليه عمر: إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى، وكتابك إلي كتاب ضجر قد أقلقه الأخذ بالحق، فقد سؤت بك ظنا، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك، فاخرج مما يطالبك به، واعفه من الغلظة عليك، فانه برح الخفاء. وعن عاصم بن عروة بن مسعود قال: كان عمرو بن العاص إذا ذكر عمر قال: لله در ابن حنتمة، قدمت عليه بمال من مصر فقال: ما جبيت إلا هذا؟ قلت: أتستقل هذا؟ قال: إن الأرض حفلت حفلا لم تحفل مثله فحلبت وبقيت، فما أخطأ، فقلت: صدقت وأنا أعطيك عهدا ألا أخونك، وأعطني مثله ألا تصدق علي، فقال: أمسك عليك إني لا آمن إن فعلت أن تهم وإن هممت حثت، وأيم الله لأكممن أفواهكم عن هذا المال كما ظلفت نفسي عنه، فلو قد مت لتكافحن عليه بالسيوف، فكان كما قال. وقال عدي بن أرطاة[1] لإياس بن معاوية[2]: دلني على قوم من القراء أولهم. فقال له: القراء ضربان: فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك. وضرب يعملون للدنيا. فما ظنك بهم إذا أمكنتهم منها؟ ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولهم. وبعث عمر بن عبد العزيز إلى هانئ بن كلثوم[3] يستخلفه على فلسطين: عربها وعجمها، فأبى، ومات في ولايته. فلما بلغته وفاته قال: أحتسب عند الله صحبة هانئ الجيش. وسأل عمر بن عبد العزيز أبا مجلز[4] عن رجل يوليه خراسان. فقال له: ما تقول في فلان؟ قال: مصنوع له وليس بصاحبها. قال: ففلان؟ قال: سريع الغضب بعيد الرضا، يسأل الكثير ويمنع القليل، يحسد أخاه وينافس أباه ويحقر مولاه. قال: ففلان؟ قال: يكافئ الأكفاء ويعادي الأعداء ويفعل ما يشاء. قال: ما في واحد من هؤلاء خير.

----

*(ظلف) ظلف العيش أي بؤسه وشدته وخشونته، من ظلف الأرض. ظلف نسفه عن الشئ: منعها عن هواها. وقوله (أرتع) من أرتع فلان إبله، أي: تركها للأكل (الحطمة) الراعي الظلوم للماشية يهشم بعضها ببعض كالحطم، ضربه مثلا لوالي السوء ويقال أيضا حطم بلا هاء

■ (1) عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي أخو زيد بن أرطأة الفزاري، والده هو الصحابي أرطأة بن كعب الفزاري. ولاه عمر عبد بن العزيز البصرة، وغيرها من بلاد العراق فستمر عليها حتى قتل سنة 102 هـ.أيام يزيد بن عبد الملك.

■ (2) أبو وائلة، إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن سوأة بن سارية بن ذبيان بن سليم بن أوس بن مزينة المزني؛ وهو السن البليغ والألمعي المصيب، والمعدود مثلا في الذكاء والفطنة، ورأسا لأهل الفصاحة والرجاحة. كان صادقا الظن لطيفا في الأمور، مشهورا بفرط الذكاء، وبه يضرب المثل في الذكاء، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه قضاء البصرة. وكان لإياس جد أبيه صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل لمعاوية بن قرة والد إياس: كيف ابنك لك فقال: نعم الابن، كفاني أمر دنياي وفرغني لآخرتي. وكان إياس أحد العقلاء الفضلاء الدهاة. توفي سنة 122 هـ، أو سنة 121 هـ، وعمره 76 سنة.

■ (4) أبا مجلر ؟...أبا مجلذ ؟.. أبو مجلز لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي، البصري، مشهور بكنيته ثقة، من كبار الثالثة، توفي سنة 106هـ وقيل سنة 109 هـ لحق كبار الصحابة كأبي موسى وابن عباس وكان ينزل خراسان وعقبه بها وكان عمر بن عبد العزيز بعث إليه فأشخصه ليسأله عنها وقال قرة بن خالد كان عاملا على بيت المال وعلى ضرب السكة قال هشام بن حسان كان قليل الكلام فإذا تكلم كان من الرجال.

■ (3) هانئ بن كلثوم بن عبد الله بن شريك بن ضمضم ويقال ابن حبان الكناني الفلسطيني. قيل روى عن عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان وابن عمر ومحمود بن الربيع وحرقوص ابن سعد وأبي مسلم الخليلي. مات في خلافة عمر بن عبد العزيز بالسافرية بالقرب من الرملة.

مراجع: سير أعلام النبلاء/ صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ مسند أحمد/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ سراج الملوك/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية/ تاريخ بغداد/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ الولاء والبراء في الإسلام/ مجموع الفتاوى/ العقد الفريد/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) وشبيب بن شيبة 0627

لما فشا استخدام أهل الكتاب في مصالح المسلمين أيام الخلافة العباسية نهض أحد العلماء بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الشأن وهو شبيب بن شيبة[1] فقد استأذن على أبي جعفر المنصور فإذن له، فقال: يا أمير المؤمنين، اتق الله فإنها وصية الله إليكم جاءت وعنكم قبلت وإليكم تؤدى، وما دعاني إلى قولي إلا محض النصيحة لك والإشفاق عليك، وعلى نعم الله عندك. اخفض جناحك إذا علا كعبك وابسط معروفك إذا أغنى الله يديك. يا أمير المؤمنين، إن دون بابك نيرانا تأجج من الظلم والجور لا يعمل فيها بكتاب الله ولا سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. يا أمير المؤمنين، سلطت الذمة على المسلمين، ظلموهم وعسفوهم، وأخذوا ضياعهم وغصبوهم أموالهم، وجاروا عليهم، واتخذوك سلما لشهواتهم، وإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا يوم القيامة. فقال المنصور خذ خاتمي فابعث به إلى من تعرفه من المسلمين وقال: يا ربيع: اكتب إلى الأعمال واصرف من بها من الذمة. ومن أتاك به شبيب فأعلمنا بمكانه لنوقع باستخدامه، فقال شبيب: يا أمير المؤمنين، إن المسلمين لا يأتونك وهؤلاء الكفرة في خدمتك، إن أطاعوهم أغضبوا الله، وإن أغضبوهم أغروك بهم، ولكن تولي في اليوم الواحد عدة فكلما وليت رجلا عزلت آخر.

قال شبيب: كنت أسير في موكب أبي جعفر أمير المؤمنين فقلت: يا أمير المؤمنين، رويدا فإني أمير عليك فقال: ويلك أمير علي؟! فقلت: نعم. حدثني معاوية بن قرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أقطفُ القومِ دابةً أميرُهم﴾ ضعيف فقال أبو جعفر: أعطوه دابة فهو أهون علينا من أن يتأمر علينا. وحدث عبد الله بن صالح بن مسلم، قال: حدثني شبيب بن شيبة، قال: قال لي أبو جعفر، يعني المنصور وكنت في سماره: يا شبيب عظني وأوجز. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله لم يرض من نفسه إن جعل فوقك أحدا من خلقه، فلا ترض له من نفسك بان يكون عبد اشكر منك. قال: والله لقد أوجزت وقصرت. قال: قلت: والله لئن كنت قصرت فما بلغت كنه النعمة فيك (أي غاية النعمة فيك).

■ (1) شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم، أبو معمر التميمي المنقري الأهتمي البصري الخطيب توفي نحو سنة 170 هـ قيل لعبد الله بن المبارك: تأخذ عن شبيب بن شيبة وهو يدخل على الأمراء؟ فقال: خذوا عنه فإنه اشرف من أن يكذب.

☪

قال المؤرخون: في دولة بني العباس افترقت كلمة الإسلام وسقط اسم العرب من الديوان وأدخل الأتراك في الديوان واستولت الديلم* ثم الأتراك وصارت لهم دولة عظيمة وانقسمت ممالك الأرض عدة أقسام وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقهر. قالوا: فأول من قام من بني العباس: السفاح واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فبقي نحو أربع أو ست سنين ثم مات وعهد إلى أخيه المنصور فبقي فيها اثنتين وعشرين سنة ثم توفي وعهد إلى ابنه المهدي فبقي نحو عشر سنين ثم مات وقام بعده ابنه موسى الهادي فبقي سنة وشهرا ثم توفي، وقام بعده أخوه هارون الرشيد فبقي أكثر من عشرين سنة ثم مات، وقام بعده ابنه الأمين -وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور- وبقي نحو ثلاث سنين ثم قتله عسكر أخيه المأمون، وقام بعده عشرين سنة وهو الذي جر على المسلمين كثيرا من الفتن في العقائد فترجم كتب اليونان في الفلسفة وأظهر القول بخلق القرآن وألزم الناس القول به وامتحن الإمام أحمد وغيره من الأئمة رحمهم الله في ذلك... ثم قام بعده أخوه محمد المعتصم بالله فبقي نحو عشر سنين ثم مات، وعهد إلى ابنه هارون الثاني الواثق بالله فبقي فيها خمس سنوات ثم توفي، وعهد إلى أخيه جعفر المتوكل على الله فبقي فيها اثنا عشر أو خمسة عشر سنة ثم قتله الأتراك (العسكر!). وعهد إلى ابنه محمد المنتصر بالله فبقي فيها أقل من ستة أشهر ثم ثم قتله أيضا الأتراك (العسكر!)، وكانت هذه بداية عصر ضعف الدولة العباسية..قال الحافظ:..غلبة مواليهم عليهم بحيث صاروا محجورا عليهم ثم اشتد الأمر فغلب عليهم الديلم فضايقوهم في كل شئ حتى لم يبق للخليفة إلا الخطبة واقتسم المتغلبون الممالك في جميع الأقاليم ثم طرأ عليهم طائفة بعد طائفة حتى انتزع الأمر منهم في جميع الأقاليم والأقطار ولم يبق للخليفة إلا مجرد الاسم في بعض الأمصار.

• قلت: اليوم المسلمون لا خليفة لهم لا اسما ولا رسما، ولا أحكام شريعة قائمة ولا عدل ولو نسبيا، باستثناء قانون الغاب المطبق في دويلات وظيفية أشبه ما تكون بحظائر البهائم وحالة انحطاط هي امتداد للاستدمار، يقودها عسكر عميل وكافر وعائلات نجسة صنيعة الغرب.

شَرَارُ الخَلْقَ / أَلْعَنُ الخَلْقَ (وكفى بأفعالهم/ الجيف المقبورة.. أفسدوا حياة الملايين.. من أجل ماذا ؟.. من أجل صنم كذبة الوطن والدولة؟)

عن عمرو بن مرة قال: قيل لعمر بن الخطاب: من شر الناس؟ قال: الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف] ألا لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على عسكر العرب

مافيوية عسكرية مقيتة /ثكنات تفريخ المنحرفين! وأشباه أشباه الرجال!/مخلوقات مهزومة لا عقل لها ولا دين ولا خلق يضبط تصرفاتها وأفعالها

اللصوص المتغلبة
الوكالات الشُّرطية الغربية في المنطقة
القوميات القُطرية الزائفة.. صنيعة الغرب
رقعة الشطرنج المزقة المشوهة في المنطقة
رعاع حظائر البهائم (عار الإنسانية)
كذبة المواطن والوطن (صنم المغفلين)

أتاهم الموت فاستوعبهم.. فخرجوا من الدنيا مرملين مفلسين مسنتين.. لم يأخذوا لما أحبوا من الآخرة عدة.. ولا لما كرهوا جنة.،، واقتسم ما جمعوا من لم يحمدهم.. وصاروا إلى من لا يعذرهم...تلاحقهم لعنات المظلمين .. فلعنة الله على الظالمين.

الصهاينة في فلسطين امتدد للحروب الصليبية وحكام العرب امتداد للاستدمار الغربي الغائب الحاضر اليوم والطغاة نتيجة حتمية لجهل وفسق الشعوب

قال عمر بن عبد العزيز لميمون بن مهران: يا ميمون كيف لي بأعوان على هذا الأمر أثق بهم وآمنهم؟ قال: يا أمير المؤمنين لا تشغل قلبك بهذا فإنك سوق وإنما يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها فإذا عرف الناس أنه لا ينفق عندك إلا الصحيح لم يأتوك إلا بالصحيح.

عن ابن عباس: ﴿أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: مَنْ أَبْغَضَ النَّاسَ وَأَبْغَضَهُ النَّاسُ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: الَّذِي لَا يُقِيلُ عَثْرَةً وَلَا يَقْبَلُ مَعْذِرَةً وَلَا يَغْفِرُ ذَنْبًا ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: مَنْ لَا يُؤْمَنُ شَرّه وَلَا يُرْجَى خَيْرُهُ﴾ لما دخل زياد العبدي على عمر بن عبد العزيز قال: يا زياد ألا ترى إلى ما ابتليت به من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين والله لو أن كل شعرة منك قطعت ما بلغت كنه ما أنت فيه، فاعمل لنفسك في الخروج مما أنت فيه، يا أمير المؤمنين كيف حال رجل له خصم ألد؟ قال: سيئ الحالة. قال: فإن كان له خصمان ألدان؟ قال: أسوأ الحالة. قال: فإن كانوا ثلاثة؟ قال: لا يهنيه عيش. قال: فو الله ما من أحد من أمة محمد إلا وهو خصمك! فبكى حتى تمنيت أن لا أكون قلت له ذلك. قلت: تلك النصيحة كانت لعمر بن عبد العزيز رحمه الله، الذي عد الخلافة ابتلاء!، فما بالكم اليوم بعسكر في عداء للدين والفطرة، وقد تبين أن ديدنه الإفساد في الأرض، يقول تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر] (طغوا) أي تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظلم والعدوان (فأكثروا فيها الفساد) أي الجور والظلم. لأن الطغيان والبغي يولد معه الفساد والظلم. هذا العسكر العميل كان يفترض أن وظيفته تنفيذية لا غير ثم استشارية ومحدودة (وفي تخصصه) ولا علاقة له إطلاقا بإدارة الدولة وحياة الناس، لا من قريب ولا من بعيد. يقول مالك بن نبي رحمه الله: العسكر لا يصلح إلا أن يكون مرؤوسا..والعسكر إذا لم يحكموا بالعصى حكموا الناس بالعصى..ويقول عبد الحميد مهري رحمه الله: الديمقراطية التي يدعمها العسكر ديمقراطية مريضة.. فلعنة الله على العسكر العميل الذي أفسد العباد والبلاد وأهلك الحرث والنسل. مفلسون مفلسون ورب الكعبة..فو الله ما من أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا وهو خصمكم! ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء] قال بعض الجند للحسن البصري رحمه الله: ترى أن آخذ أرزاقي أو أتركها حتى آخذ من حسناتهم يوم القيامة؟ فقال الحسن: مر فخذ أرزاقك، فإن القوم يوم القيامة مفاليس. يقول سفيان الثوري: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَلْقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِسَبْعِينَ ذَنْبًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعِبَادِ﴾ ومثل ذلك قول سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: ﴿أُدْعُ لِي. فَقَالَ: أَنَا أَدْعُو اللهَ لَكَ هَهُنَا وَمَظْلُومٌ بِأَلْبَابِ يَدْعُو اللهُ عَلَيْكَ فَأَيُّ الدَّعْوَتَيْنِ أَحَقَّ بِالإِجَابَةِ؟﴾ قالت الحكماء: ﴿أَفْقَرَ النَّاسُ أَكْثَرَهُمْ كَسْبًا مِنْ حَرَامٍ لِأَنَّهُ إِسْتَدَانَ بِالظُّلْمِ مَا لَا بُدَّ مِنْ رَدِّهِ﴾ عن أبي أمامة قال: ﴿يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ بَيْنَ الظَّلْمَاءِ وَالْوُعْرَةِ، لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ، وَعَرَّفَهُ، وَعَرَّفَ مَا ظَلَمَهُ بِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الَّذِينَ ظُلِمُوا بِالَّذِينَ ظَلَمُوا حَتَّى يَنْتَزِعُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا حَسَنَاتِهِمْ رُدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مِثْلُ مَا ظَلَمُوا حَتَّى يُورَدُوا فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ عِرْضٍ أَوْ مَالٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ تُؤْخَذَ مِنْهُ يَوْمَ لَا دِينَارَ وَلَا دِرْهَمَ، فَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ، فَجُعِلَتْ عَلَيْهِ﴾ (فليتحلله) أي ليسأله أن يجعله في حل من قبله، يقال: تحللته واستحللته: إذا سألته أن يجعلك في حل، ومعناه أن يقطع دعواه ويترك مظلمته. قال ابن عطية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى﴾ [التوبة] الشهادة ماحية لكل ذنب إلا لمظالم العباد. وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ*، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ﴾ وعن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي، فَلَا تَظَالَمُوا﴾ وعن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿تُرْفَعُ لِلرَّجُلِ صَحِيفَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يَرَى أَنَّهُ نَاجٍ، فَمَا تَزَالُ مَظَالِمُ بَنِي آدَمَ تَتْبَعُهُ حَتَّى مَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ، وَيُزَادُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ﴾ وعن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ﴾ ثم قرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ، إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] (ليملي) ليمهل (لم يفلته) لم يخلصه ولم يتركه حتى يستوفي عقابه (وكذلك) أي كما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب (أخذ ربك) إهلاكه وعذابه (أخذ القرى) أخذ أهلها. كان شريح القاضي يقول: ﴿سَيَعْلَمُ الظَّالِمُونَ حَقَّ مَنْ انْتَقَصُوا، إِنَّ الظَّالِمَ لَيَنْتَظِرُ الْعِقَابَ، وَالْمَظْلُومُ يَنْتَظِرُ النَّصْرَ وَالثَّوَابَ﴾ روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ﴾ وعن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ، فَظُلْمٌ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ، وَظُلْمٌ يَغْفِرُهُ اللهُ، وَظُلْمٌ لَا يَتْرُكُهُ اللهُ: فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ فَالشِّرْكُ، وَقَالَ اللهُ: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [لقمان] وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يَغْفِرُهُ اللهُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ لِأَنْفُسِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَتْرُكُهُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، حَتَّى يَدِينَ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.

• اللهم، أرنا في طغاة العرب قدرتك، وأنزل بهم بأسك، وخلص العباد من شرهم، وألحق من بقي منهم بأسلافهم الذين مضوا بأليم عقابك. اللهم، إنا نسألك الصدق في اتباع الحق والصدق في طلب الشهادة، ونسألك اللهم، حسن الخاتمة.

----

* (الديلم) جيل من العجم كانوا يسكنون نواحي أذربيجان والداهية والأعداء. وقيل: الديلم أو الديالمة، إحدى الشعوب الإيرانية التي عاشت في شمال الهضبة الإيرانية (الجلحاء) هي الجماء التي لا قرن لها (مرملين) أي نفذ زادهم. وأصله من الرمل، كأنهم لصقوا بالرمل، (مسنتين) أي مجدبين، أصابتهم السنة، وهي القحط والجدب

مراجع: سير أعلام النبلاء/ صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ مسند أحمد/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ سراج الملوك/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية/ تاريخ بغداد/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ الولاء والبراء في الإسلام/ مجموع الفتاوى/ العقد الفريد/ المعجم الوسيط/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) وسفيان بن حسين 0628

حدث أبو بشر المقدمي[1]،عن أبيه، قال: قال أبو جعفر المنصور لسفيان بن حسين[2]،وكان حسن الصوت بالقرآن: اقرأ، قال: القرآن لا يتلذذ به، قال: عالم أنت؟ فسكت، فقال له الربيع: أجب أمير المؤمنين، قال: سألني عن مسألة لا جواب لها، إن قلت: لست عالما وقد قرأت كتاب الله كنت كاذبا، وإن قلت أنا عالم كنت بقولي جاهلا.

عن عمر بن علي بن مقدم، عن سفيان بن حسين، قال: كنت عند إياس بن معاوية[3] وعنده رجل تخوفت إن قمت من عنده أن يقع في، قال: فجلست حتى قام، فلما ذكرته لإياس، قال: فجعل ينظر في وجهي فلا يقول لي شيئا حتى فرغت، فقال لي: أغزوت الديلم؟ قلت: لا. قال: فغزوت السند؟ قلت: لا. قال: فغزوت الهند؟ قلت: لا. قال: فغزوت الروم؟ قلت: لا. قال: فسلم منك الديلم، والسند، والهند، والروم وليس يسلم منك أخوك هذا. فلم يعد سفيان إلى ذلك.

■ (2) سفيان بن حسين بن الحسن مولى بني سليم وقيل مولى عبد الرحمن بن سمرة يكنى أبا محمد ويقال أبا الحسن، من أهل واسط، فقدم بغداد، قيل كان مؤدب ولد عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ثم كان يؤدب ولد يزيد بن عمر بن هبيرة ثم ضمه أبو جعفر إلى المهدى يعلمه، وخرج معه إلى الري. وثقه جمعة من الأئمة إلا في روايته عن الزهري فكان يخطئ، روى له الأربعة. قيل توفي في خلافة أبي جعفر سنة 160 هـ أو سنة نيف وخمسين ومئة، وقيل مات بالري في خلافة المهدى، وقيل مات في ولاية هارون سنة 190 هـ أو 189 هـ

■ (3) أبو وائلة إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن سوأة بن سارية بن ذبيان بن سليم بن أوس بن مزينة المزني؛ كان مشهورا بفرط الذكاء، وبه يضرب المثل في الذكاء، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه قضاء البصرة.توفي سنة 122 هـ أو 121 هـ وعمره 76

■ (1) عمر بن علي بن عطاء بن مقدم أبو حفص المقدمي، مولى بني ثقيف، بصري حافظ. وهو والد محمد، وعاصم، وعم محمد بن أبي بكر الحافظ.توفي سنة 190 هـ. قال عفان بن مسلم: كان رجلا صالحا، ولم يكونوا ينقمون عليه غير التدليس، ولم أكن أقبل منه حتى يقول حدثنا.

☪

قال علي بن نايف: إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح: روح المعرفة المنشئة للعمل. إنه لم يجيء ليكون كتاب متاع عقلي، ولا كتاب أدب وفن، ولا كتاب قصة وتاريخ – وإن كان هذا كله من محتوياته– إنما جاء ليكون منهاج حياة. منهاجا إلهيا خالصا. وكان الله سبحانه يأخذهم بهذا المنهج مفرقا، يتلو بعضه بعضا:﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء] انتهى. عن علي رضي الله عنه قال: ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه؟ الذي لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة إلى غيره. إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فقه فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها. قال ابن عمر: لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يرى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم، فنتعلم حلالها وحرامها، وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن نقف عنده منها كما تعلمون أنتم اليوم القرآن، ثم لقد رأيت اليوم رجلا لا يرى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، وما يدري ما آمره، ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، فينثر نثر الدقل. وقال أحمد بن عصام الأصبهاني: كان يدي في يد زهير بن نعيم البابي امشي معه فانتهينا إلى رجل مكفوف يقرأ فلما سمع قراءته وقف ونظر وقال: لا تغرنك قراءته، والله والله إنه شر من الغناء وضرب العود، وكان مهيبا فلم أسأله يومئذ فلما كان بعد أيام ارتفع إلى بني قشير (المسجد؟) فقمت وسلمت عليه فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إنك قلت لي: يوم كذا وكذا فكان نصب عينيه، فقال لي: يا أخي، نعم لان يطلب الرجل هذه الدنيا بالزمر والغناء والعود خير من أن يطلبها بالدين. قال حسين بن علي الجعفي: سمعت بن أبي رواد يقول: كان زناة أهل الجاهلية أشد حياء من قراء أهل زماننا. عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿يَكُونُ خَلْفٌ مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ سَنَةً أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ثُمَّ يَكُونُ خَلْفٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةٌ مُؤْمِنٌ وَمُنَافِقٌ وَفَاجِرٌ﴾ قال الوليد بن قيس: المنافق كافر به، والفاجر يتأكل به، والمؤمن يعمل به. روي عن عمر بن الخطاب، أنه قال: هذا القرآن كلام الله فضعوه مواضعه. واقرؤوا القرآن، وسلوا الله به قبل أن يقرأه أقوام يسألون الله به.وقال: اقرؤوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله.وقال همام بن مسلم القرشي: كنت مع ابن محيريز بمرج الديباج، فرأيت منه خلوة، فسألته عن مسألة فقال لي: ما تصنع بالمسائل؟ قلت: لولا المسائل ذهب العلم. قال: لا تقل ذهب العلم، لا يذهب العلم ما قرئ القرآن، ولكن لو قلت: لذهب الفقه. روي عن عثمان المهري، أنه قال:أتانا كتاب عمر بن الخطاب ونحن بأذربيجان يأمرنا بأشياء، ويذكر فيها: تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة. وقد روي أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ:﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة] بجر رسولِه، فتوهم عطفه على المشركين. فقال: أو برئ الله من رسوله؟ فبلغ ذلك عمر فأمر أن لا يقرأ القرآن إلا من يحسن العربية. وقال ميمون بن مهران: يا أصحاب القرآن، لا تتخذوا القرآن بضاعة تلتمسون به الشف يعني الربح في الدنيا، والتمسوا الدنيا بالدنيا، والتمسوا الآخرة بالآخرة. وحدث أبو مكينة قال: قال فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ هذا المصحف، فأمسك علي ولا ترد علي ألفا ولا واوا فإنه سيكون قوم لا يسقطون ألفا ولا واوا. ثم رفع فضالة يديه فقال: اللهم لا تجعلنا منهم. ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين، فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ فقال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لتقومان عني أو لأقوم عنكما. قال: فقام الرجلان فخرجا: فقال بعض القوم: يا أبا بكر وما عليك أن يقرأ عليك آية من كتاب الله تعالى، فقال له ابن سيرين: إني خشيت أن يقرأ علي آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي. ورروي عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: جردوا القرآن لا تكتبوا فيه شيئا إلا كلام الله عز وجل. قال مكحول: ﴿مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ ثُمَّ صَحِبَ السُّلْطَانَ تَمَلُّقًا إِلَيْهِ وَطَمَعًا فِيمَا لَدَيْهِ خَاضَ فِي بَحْرٍ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ بِعَدَدِ خُطَاهِ؟﴾ وعن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يَتَأَكَّلُ بِهِ النَّاسَ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ عَظْمٌ لَيْسَ عَلَيْهِ لَحْمٌ﴾ وعن عمران بن حصين﴿أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَاصٍّ يَقْرَأُ، ثُمَّ يَسْأَلُ فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللَّهَ بِهِ فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ﴾ (يقرأ) أي القرآن حال، أو استئناف (ثم يسأل) أي يطلب منهم شيئا من الرزق (فاسترجع) أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. لأنه بدعة وظهور معصية وأمارة القيامة (فليسأل الله به) أي فليطلب من الله تعالى بالقرآن ما شاء من أمور الدنيا والآخرة لا من الناس، أو المراد أنه إذا مر بآية رحمة فليسألها من الله تعالى أو بآية عقوبة فيتعوذ إليه بها منها، وإما بأن يدعو الله عقيب القراءة بالأدعية المأثورة، وينبغي أن يكون الدعاء في أمر الآخرة وإصلاح المسلمين في معاشهم ومعادهم. وعن أنس بن مالك: أنه سمع رجلا يقرأ القرآن بهذه الألحان التي أحدث الناس، فأنكر ذلك ونهى عنه. هذه طرق حسنة في باب الترهيب، وهذا يدل على أنه محذور كبير، وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء، وقد نص الأئمة على النهي عنه، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفا أو ينقص حرفا، فقد اتفق العلماء على تحريمه، والله أعلم. وكره أبو عبد الله القراءة بالألحان، وقال: هي بدعة؛ وذلك لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿أَنَّهُ ذَكَرَ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُتَّخَذَ الْقُرْآنُ مَزَامِيرَ، يُقَدِّمُونَ أَحَدَهُمْ لَيْسَ بِأَقْرَئِهِمْ وَلَا أَفْضَلِهِمْ إِلَّا لِيُغَنِّيَهُمْ غِنَاءً﴾ ولأن القرآن معجز في لفظه ونظمه، والألحان تغيره.وكلام أحمد في هذا محمول على الإفراط في ذلك، بحيث يجعل الحركات حروفا، ويمد في غير موضعه.

فأما تحسين القراءة والترجيع فغير مكروه؛ فإن عبد الله بن المغفل قال: ﴿سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ. قَالَ: فَقَرَأَ ابْنُ الْمُغَفَّلِ، فَرَجَّعَ فِي قِرَاءَتِهِ. وَفِي لَفْظٍ قَالَ: قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ فِي مَسِيرٍ لَهُ سُورَةَ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَرَجَّعَ فِي قِرَاءَتِهِ﴾ قال معاوية بن قرة: لولا أني أخاف أن تجتمع علي الناس لحكيت لكم قراءته. وروى أبو هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ كَإِذْنِهِ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ﴾، يجهر به. يعني ليستمع. وعن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ﴾ (ابن أم عبد) هو عبد الله بن مسعود. وعن قباث بن رزين اللخمي قال سمعت علي بن رباح اللخمي يقول سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول: كنا جلوسا في المسجد نقرأ القرآن فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم علينا فرددنا عليه السلام ثم قال: ﴿تَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ وَاقْتَنُوهُ – قَالَ قَبَاثٌ وَحَسِبْتُهُ قَالَ – وَتَغَنُّوا بِهِ فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الْمَخَاضِ مِنَ الْعُقُلِ﴾ (العقل) جمع العقال وهو الحبل الذي يربط به البعير (المخاض) الحوامل واحدتها خلفة على غير قياس. وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ﴾ وقد اختلف السلف في معنى قوله: يتغنى بالقرآن. فقال: ابن عيينة، وأبو عبيد، وجماعة، وغيرهما: معناه يستغني بالقرآن. ألا تراه يقول ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (87) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [الحجر] فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال، قال أبو عبيد: وكيف يجوز أن يحمل على أن من لم يغن بالقرآن ليس من النبي صلى الله عليه وسلم؟ وقالت طائفة منهم: معناه يحسن قراءته، ويترنم به، ويرفع صوته به. كما قال أبو موسى للنبي صلى الله عليه وسلم:﴿لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ قِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا﴾ وقال الشافعي: يرفع صوته به. وقال أبو عبد الله: حزنه فيقرؤه بحزن مثل صوت أبي موسى. وعلى كل حال، فقد ثبت أن تحسين الصوت بالقرآن، وتطريبه، مستحب غير مكروه، ما لم يخرج ذلك إلى تغيير لفظه، وزيادة حروفه، فقد روي عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أَسْتَمِعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ لَمْ أَسْمَعْ قِرَاءَةً أَحْسَنَ مِنْ قِرَاءَتِهِ. فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَمَعَ قِرَاءَتَهُ، ثُمَّ قَالَ هَذَا سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَ هَذَا﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى:﴿إِنِّي مَرَرْتُ بِكَ الْبَارِحَةَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ، فَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ فَقَالَ أَبُو مُوسَى: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَسْتَمِعُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا﴾ وحدث سالم بن عبد الله: أن عبد الله بن عمر قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ فَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وعن الحسن بن مسلم، عن طاووس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَيُّ النَّاسِ أَحْسَنُ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ رَأَيْتَهُ يَخْشَى اللَّهَ﴾والغرض أن المطلوب شرعا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي، فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك، عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿اقرؤوا الْقُرْآنَ بِلُحُونِ الْعَرَبِ وَأَصْوَاتِهَا، وَإِيَّاكُمْ وَلُحُونَ أَهْلِ الْفِسْقِ وَأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، وَيَجِيءُ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِي يُرَجِّعُونَ بِالْقُرْآنِ تَرْجِيعَ الْغِنَاءِ وَالرَّهْبَانِيَّةِ وَالنَّوْحِ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، مَفْتُونَةٌ قُلُوبُهُمْ وَقُلُوبُ الَّذِينَ يُعْجِبُهُمْ شَأْنُهُمْ﴾ وعن أبي سعيد الخدري أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة، فقال:﴿أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ، وَشَرِّ النَّاسِ، إِنَّ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ: رَجُلًا عَمِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ، أَوْ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ، أَوْ عَلَى قَدَمَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ، وَإِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ: رَجُلًا فَاجِرًا جَرِيئًا، يَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ لَا يَرْعَوِي إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ﴾ وقال فروة بن نوفل الأشجعي: كنت جارا لخباب وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت معه يوما من المسجد وهو آخذ بيدي فقال: يا هذا تقرب لله بما استطعت فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه. وعن يزيد بن عبد الملك بن المغيرة عن محمد بن كعب قال من قرأ القرآن متع بعقله وإن بلغ مائتي سنة.وقال العباس بن حمزة: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: من أحب أن يعرف بشيء من الخير أو يذكر به فقد أشرك في عبادته، ومن عبد على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى محبوبه.وقال: إني لأقرأ القرآن فأنظر في آية آية فيحار عقلي فيها فأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن؟أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحا بما رزقوا.

مراجع: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/ تاريخ بغداد/ موضوعات المستدرك للذهبي/ تفسير القرآن العظيم صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مسند أحمد/ العقد الفريد/ الوافي بالوفيات/ تهذيب الكمال/ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير/

حدث يحيى بن عبد الله بن بكير[1] قال: قال الليث بن سعد:[2] قال لي أبو جعفر: تلي لي مصر؟ قلت: يا أمير المؤمنين إني أضعف من ذلك وإني رجل من الموالي، فقال: ما بك من ضعف معي ولكن ضعفت نيتك في العمل لي على ذلك أتريد قوة أقوى مني ومن عملي فأما إذا أبيت فدلني على رجل أقلده أمر مصر، قلت: عثمان بن الحكم الجذامي[3] رجل له صلاح وله عشيرة، قال: فبلغه ذلك، فعاهد الله أن لا يكلم الليث بن سعد. وفي رواية قال ابن بكير حدثني شعيب بن الليث قال قال أبي: ودعت أبا جعفر أمير المؤمنين ببيت المقدس قال: أعجبني ما رأيت من عقلك ولقد فرحت إذ بقى الله في الرعية مثلك. قال شعيب: وقال لي أبي: لا تحدث بهذا عني ما دمت حيا. قال وقال لي أبو جعفر: ألا تنظر لي رجلا استعمله على مصر؟ فقلت له: فلان وإليك كان عليها. قال: لا ذاك ضعيف. قلت: يا أمير المؤمنين هو قوي. قال: لا ذاك ضعيف. قلت: أمير المؤمنين أبصر برعيته. فقال لي: أنظر لي رجلا أستعمله عليها. فقلت: أفعل قال: فما يمنعك أنت ؟ قال قلت: أنا لا أقوى وأنا ضعيف. قال فقال لي: أنت قوي إلا أن تضعف نيتك فينا. قال صالح بن علي[4] لعمرو بن الحارث:[5] لا أدع الليث حتى يتولى لي. فقال عمرو: لا يفعل. فقال: لأضربن عنقه. فجاءه عمرو، فحذره، فولي ديوان العطاء، وولي الجزيرة أيام أبي جعفر، وولي الديوان أيام المهدي (الملك العباسي الثالث). والمنذر بن عبد الله بن المنذر القرشي[6] ،عرض عليه المهدي أن يلي القضاء ويعطيه من بيت المال مائة ألف درهم، فقال: إني عاهدت الله ألا ألي شيئا، وأعيذ أمير المؤمنين بالله أن أخيس* بعهدي فقال له المهدي: الله؟ قال: الله. قال: انطلق فقد أعفيتك، وقيل حج المنذر في ذلك العام ماشيا، إذ لم يجد ما يكترى به ما يركب.

----

* (لا أخيس بالعهد) أي لا أنقضه:.ألا أفي بعهدي.

- (2) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، ثقة فقيه، من السابعة، يكنى أبا الحارث، مولى لقيس. ولد سنة 93 هـ واستقل بالفتوى بمصر. أسند الليث عن خلق كثير من التابعين كعطاء، ونافع، وأبي الزبير، وقيل إنه أدرك نيفا وخمسين تابعيا.وتوفي سنة 175 هـ.
- (3) عثمان بن الحكم الجذامي، أول من أدخل علم مالك مصر ولم تنبت مصر أنبل منه يروى عن مالك وموسى بن عقبة وابن جريج وغيرهم. وكان فقيها، زاهدا، كبير القدر، عرض عليه قضاء الديار المصرية فأبى، وهجر الليث بن سعد لكونه نبه عليه. مات كهلا سنة 163 هـ.
- (6) المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة ابن عبد الله بن خالد بن حزام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي الحزامي المدني، والد إبراهيم بن المنذر الحزامي. روى عن هشام بن عروة، وموسى بن عقبة، وداود بن قيس الفراء. دعاه المهدي إلى قضاء المدينة فامتنع. مات سنة 181 هـ.
- (7) يحيى بن حمزة بن واقد، أبو عبد الرحمن الحضرمي من بيت لهيا. قاضي دمشق. توفي سنة 182 هـ أو 183 هـ، وقيل: سنة 176 هـ.
- (4) صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي الأمير عم السفاح والمنصور، وأول من ولي مصر من قبل الخلفاء العباسيين سنة 133 هـ
- (5) عمرو بن الحارث بن يعقوب مولى الأنصار كنيته أبو أمية كان مؤدبا لصالح بن على بالمدينة فأخرجه منها وكان من أهل الضبط والإتقان والورع، مات سنة 148 هـ
- (1) يحيى بن عبد الله بن بكير، الإمام، المحدث، أبو زكريا القرشي المخزومي مولاهم المصري. ولد سنة 155 هـ. وتوفي سنة 231 هـ. سمع من الإمام مالك، ومن الليث كثيرا، وخلق سواهم..

قال أشهب بن عبد العزيز: كان الليث له كل يوم أربعة مجالس فيها، أما أولها فيجلس ليأتيه السلطان في نوائبه وحوائجه، وكان الليث يغشاه السلطان، فإذا أنكر من القاضي أمرا، أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين، فيأتيه القرار، ويجلس لأصحاب الحديث. وكان يقول: نحوا أصحاب الحوانيت؛ فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم، ويجلس للمسائل؛ يغشاه الناس، فيسألونه ويجلس لحوائج الناس؛ لا يسأله أحد من الناس فيرده، كبرت حاجته أو صغرت. قال: وكان يطعم الناس في الشتاء الهرائس بعسل النحل، وسمن البقر، وفي الصيف سويق اللوز بالسكر. وعن أبي صالح قال: كنا على باب مالك فامتنع عن الحديث، فقلنا: ما يشبه هذا صاحبنا! قال: فسمع مالك كلامنا، فأدخلنا عليه، فقال: من صاحبكم؟ قلنا: الليث. فقال مالك: تشبهونا برجل كتبنا إليه في قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا، فأنفذ إلينا ما صبغنا به ثياب صبياننا، وصبيان جيراننا، وبعنا الفضلة بألف دينار. جاءته امرأة ذات يوم وقالت له: يا شيخنا، إن لي ابنا مريضا يشتهي أكل العسل، فقال الليث: يا غلام، أعطها مرطا من عسل (والمرط: مائة وعشرون رطلا) وكان مع المرأة إناء صغير الحجم، فلما رآه الغلام قال: يا شيخنا إنها تطلب قليلا من العسل، فقال الليث: إنها طلبت على قدرها ونحن نعطيها على قدرنا، وأمره أن يعطيها المرط. ولم يكن الليث بن سعد كريما على أهل بلده فحسب، بل كان سخيا كريم اليد على الآخرين، فيحكى عنه أنه لما جاء إلى المدينة المنورة بعث إليه الإمام مالك بن أنس بطبق من الرطب، فلم يشأ الليث أن يرد الطبق إلى الإمام مالك خاويا، فوضع في الطبق ألف دينار ورده إليه.

قال سعيد الأدم[1]: مررت بالليث بن سعد، فتنحنح لي، فرجعت إليه، فقال لي: يا سعيد، خذ هذا القنداق* فاكتب لي فيه من يلزم المسجد ممن لا بضاعة له، ولا غلة. قال: فقلت: جزاك الله خيرا يا أبا الحارث. وأخذت منه القنداق، ثم صرت إلى المنزل، فلما صليت أوقدت السراج، وكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قلت: فلان بن فلان. قال: فبينا أنا على ذلك إذ أتاني آت، فقال: هاالله يا سعيد، تأتي إلى قوم عاملوا الله سرا، فتكشفهم لآدمي؟ مات الليث، ومات شعيب بن الليث، أليس مرجعهم إلى الله الذي عاملوه! قال: فقمت، ولم أكتب شيئا. فلما أصبحت أتيت الليث بن سعد، فلما رآني تهلل وجهه، فناولته القنداق، فنشره، فأصاب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم ذهب ينشره، فقلت: ما فيه غير ما كتبت. فقال لي: يا سعيد، وما الخبر؟ فأخبرته بصدق عما كان، فصاح صيحة فاجتمع عليه الناس من الخلق، فقالوا: يا أبا الحارث، إلا خيرا! فقال: ليس إلا خيرا. ثم أقبل علي، فقال: يا سعيد، بينتها، وحرمتها، صدقت، مات الليث، أليس مرجعهم إلى الله!؟.

سئلت أم المؤمنين عائشة عن القاضي العادل، إذا استقضاه الأمير الباغي، هل يجيبه، فقالت:﴿إِنْ لَمْ يَقْضِ لَكُمْ خِيَارُكُمْ، قَضَى لَكُمْ شِرَارُكُمْ﴾ قال عمر بن شبة في كتاب السلطان: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال:﴿اجْتَمَعْتُ أَنَا وَنَفَرٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُهَاجِرِينَ، فَقُلْنَا: لَوْ رَحَلْنَا إِلَى مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ اسْتَشَرْنَا أُمَّنَا عَائِشَةَ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا، فَذَكَرْنَا لَهَا الْعِيَالَ وَالدَّيْنَ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا لِلنَّاسِ بُدٌّ مِنْ سُلْطَانِهِمْ، قُلْنَا: إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَسْتَعْمِلَنَا، قَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَإِذَا لَمْ يَسْتَعْمِلْ خِيَارَكُمْ، يَسْتَعْمِلْ شِرَارَكُمْ﴾ روي أنه صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّا لَا نُكْرِهُ أَحَدًا عَلَى الْقَضَاءِ﴾ وعن نافع، أن ابن عمر قال لعثمان:﴿يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَا أَقْضِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ، قَالَ: فَإِنَّ أَبَاكَ كَانَ يَقْضِي. فَقَالَ: إِنَّ أَبِي لَوْ أُشْكِلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ أُشْكِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ لَهُ شَيْءٌ سَأَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنِّي لَا أَجِدُ مَنْ أَسْأَلُهُ، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ عَاذَ بِاللَّهِ، فَقَدْ عَاذَ بِعَظِيمٍ. وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ عَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ. وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تَجْعَلَنِي قَاضِيًا! فَأَعْفَاهُ، قَالَ: لَا تُخْبِرْ أَحَدًا﴾ (لا تخبر أحدا) أي لا تعلم أحدا غيرك بما ذكرته لئلا ينسد الباب هذا. وروي أن الشافعي أوصى المزني في مرض موته، بأن لا يتولى القضاء. وشاهد أبو بكر بن الحداد الشافعي ببغداد سنة عشر وثلاث مائة باب أبي علي بن خيران مسمورا لامتناعه من القضاء، وقد استتر.قال: فكان الناس يأتون بأولادهم الصغار، فيقولون لهم: انظروا حتى تحدثوا بهذا.

قال الفضيل: لا تغبطوا القضاة، وارحموا الرعاة، ومن ولي القضاء فقد ذبح بلا سكين، وينبغي للقاضي إذا بلي بالقضاء أن يكون يوما في القضاء، ويوما في البكاء، فإن له موقفا بين يدي الله عز وجل غدا. وعن ابن شبرمة، قال: لا يتقدم رجل على القضاء حتى يجتزئ على السيف. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ﴾ قال السيوطي: معنى هذا الحديث التحذير من طلب القضاء، وفى هذا إيضاح أن القضاء محنة وليست منحة، واختبار، وليس اختيار. ولقد عرف السلف الصالح خطر القضاء، فكانوا يفرون من توليته خوفاً من الوقوع فيما يغضب الله تعالى. حدث همام بن إسماعيل قال: حدثني العلاء بن بشير أن فتى شابا كان قد أعجب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما أراد الفتى الخروج إلى بلده قال: يا أمير المؤمنين أخلني فإن لي حاجة فأخلاه فقال: إني أردت الانصراف إلى بلدي فإن رأى أمير المؤمنين أن يوليني القضاء فقال عمر رضي الله عنه: لقد كدت تغرني إن هذا الأمر لا يقوم به من أحبه.

وعن أم بكر بنت المسور عن أبيها أن رجلا نعى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستوقفه فوقف فقال: يا أمير المؤمنين تستعملني فأقبل عمر رضي الله عنه يضرب على جبينه ويقول: سبحان الله إن كاد هذا ليغرني لقد قال ما قال وإني لا أرضى له عملا. وهذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله بعد أن ولاه سليمان بن عبد الملك قبل وفاته، يقف خطيباً في الناس، فيقول: أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا بأنفسكم. فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فل امرنا باليمن والبركة. والسيوطي في رسالته ينصح للمسلمين بمعرفة خطر القضاء، وعظم شأنه، فبه قد تضيع الأموال، وتسفك الدماء، وتدنس الأعراض، وبه يكون العدل بين الناس، وإعطاء المظلوم حقه، ورفع الظلم عمن ظلم. فالقضاء أمر عظيم، لذا فالتحذير منه نصيحة غالية لمن يظنون أنه مكسب للسمعة والجاه، ورافع للمنزلة. وهو إنذار لمن ظنوا أنه كنزٌ قد وقعوا عليه فليغتنموه، وليأخذوا منه ما استطاعوا إليه سبيلاً. روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا يصلح أن يلي القضاء إلا من كان حصيف العقل، شديدا في غير عنف، لينا في غير ضعف، قليل الغرة، بعيد الهيبة، لا يطلع الناس منه على عورة. وقال الشافعي: من ولي القضاء ولم يفتقر فهو سارق وقال: من حفظ القرآن نبل قدره ومن تفقه عظمت قيمته ومن حفظ الحديث قويت حجته ومن حفظ العربية والشعر رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه العلم.

لما قدم المنصور دمشق سنة ثلاث وخمسين استعمل يحيى بن حمزة[2] وقال له: يا شاب، إني أرى أهل بلدك قد أجمعوا عليك، فإياك والهدية، فلم يزل قاضيا حتى مات في خلافة هارون. قال يحيى بن حمزة: ولاني المهدي القضاء وقال لي: يا يحيى، عليك بالحق والشد على يد المظلوم وقمع الظالم، فإني سمعت أبي يقول عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال ربك:﴿وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْتَقِمَنَّ مِنْ الظَّالِمِ فِي عَاجِلِ امْرِهِ أَوْ فِي آجِلِهِ، وَلَأَنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظْلُومًا يُظْلَمُ فَقَدَرَ أَنْ يَنْتَصِرَ لَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ –وفي رواية–: فَلَمْ يَنْصُرْهُ﴾.

----

*(القنداق) صحيفة الحساب

- (2) يحيى بن حمزة بن واقد، أبو عبد الرحمن الحضرمي من بيت لهيا. قاضي دمشق. توفي سنة 182 هـ أو 183 هـ، وقيل: سنة 176 هـ.
- (1) سعيد بن زكريا الآدم أبو عثمان المصري مولى مروان بن الحكم، قال أبو سعيد بن يونس توفي بأخميم سنة 207 هـ وكانت له عبادة وفضل وكان يسكن مراد

مراجع: صفة الصفوة/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين/ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير/ أخبار القضاة/ تاريخ بغداد/ المعرفة والتاريخ/ أخبار المدينة/ تهذيب الكمال/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) والحسن بن زيد بن الحسن 0630

عن أحمد بن يوسف بن القاسم، قال: سمعت إبراهيم بن صالح[1]، يقول: كنا في مجلس ننتظر الآذن فيه على المنصور، فتذاكرنا الحجاج[2]، فمنا من حمده ومنا من ذمه، فكان ممن حمده معن بن زائدة[3] وممن ذمه الحسن بن زيد[4]، ثم أذن لنا فدخلنا على المنصور، فانبرى الحسن بن زيد، فقال: يا أمير المؤمنين، ما كنت أحسبني حتى يذكر الحجاج في دارك وعلى بساطك، فيثني عليه. فقال أبو جعفر: ما استنكرت من ذلك؟رجل استكفاه قوم فكفاهم؛ والله لوددت أني وجدت مثل الحجاج حتى أستكفيه أمري، وأنزله أحد الحرمين. قال: فقال له معن: يا أمير المؤمنين، إن لك مثل الحجاج عدة لو استكفيتهم كفوك، قال: ومنهم؟ كأنك تريد نفسك! قال: كلا لست كذلك؛ عن الحجاج ائتمنه قوم فأدى إليهم الأمانة، وإنا ائتمناك فختنتنا!

قال شهاب بن خراش: حدثني عمي يزيد بن حوشب قال: بعث إلي المنصور أبو جعفر فقال: حدثني بوصية الحجاج بن يوسف، فقلت: أعفني يا أمير المؤمنين، قال حدثني بها، فقلت: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف: أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك[6] عليها يحيى، وعليها يموت، وعليها يبعث وأوصى بتسعمائة درع حديد: ستمائة منها لمنافقي أهل العراق يغزون بها، وثلاثمائة للترك. قال: فرفع أبو جعفر رأسه إلى العباس الطوسي[6]، وكان قائما على رأسه، فقال: هذه والله الشيعة لا شيعتكم.

■ (4) الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد الهاشمي المديني، ويكنى أبا محمد،حدث عن أبيه، وعن عكرمة مولى ابن عباس، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. أحد الأجواد، ولاه المنصور المدينة خمس سنين، ثم غضب عليه فعزله، واستصفى كل شيء له، وحبسه ببغداد، فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور وولي المهدي، فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شيء ذهب له ولم يزل معه.وذكر محمد بن خلف وكيع أن الحسن بن زيد مات ببغداد ودفن في مقابر الخيزران.وذلك خطأ إنما مات بالحاجر على خمسة أميال من المدينة،وهو يريد الحج، وكان في صحبة المهدي سنة 168 هـ وهو ابن 85 ودفن هناك.وقيل صلى عليه علي بن المهدي.

■ (2) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

■ (3) معن بن زائدة أمير العرب، أبو الوليد الشيباني، أحد أبطال الإسلام، وعين الأجواد.كان من أمراء متولي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة، فلما تملك آل العباس، اختفى معن مدة والطلب عليه حيث فلما كان يوم خروج الريوندية والخراسانية على المنصور وحمي القتال وحار المنصور في أمره ظهر معن، وقاتل الريوندية، فكان النصر على يده وهو مقنع في الحديد، فقال المنصور: ويحك، من تكون؟ فكشف لثامه وقال: أنا طلبتك معن. فسربه وقدمه وعظمه ثم ولاه اليمن وغيرها.ولمعن أخبار في السخاء، وفي البأس والشجاعة.ثم ولي سجستان، وثبت عليه خوارج وهو يحتجم، فقتلوه، فقتلهم ابن أخيه يزيد ابن مزيد الأمير سنة 152 هـ، وقيل: سنة158 هـ.

■ (1) إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي، أمير الشام للمهدي، ثم أمير مصر للرشيد، وزوجه بأخته عباسة، وهو أخو عبد الملك. وولاه مصر، وبها مات سنة 176 هـ. وله عدة إخوة أمراء، سادة، قادة، قل أن يتفق إخوة مثلهم في الجلالة والسؤدد، وهم: إسماعيل، وعبد الوهاب، وعبد الله، وعبد الملك، والفضل.

■ (1) أو هو الوزير: إبراهيم بن صالح بن مجالد. كان سليمان بن مجالد بن أبي مجالد الوزير، من أهل الأردن، كان أخا أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين من الرضاعة، وكان معه بالحميمة من أرض الشام فلما أفضت إليه الخلافة قربه وأدناه، وكان معه كالوزير، وقدم معه بغداد حين بناها وولاه الري وولي له الخزائن إلى حين وفاته. فلما توفي ولى المنصور ابن أخيه إبراهيم بن صالح بن مجالد مكانه [الوافي بالوفيات]

■ (6) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ. وتخلف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه.وكان الوليد اجتهد في خلع سليمان هذا من ولاية العهد وتولية ولده العزيز؛ فامتنع سليمان من ذلك حتى مات الوليد.

■ (6) صاحب الشرطة حميد الطوسي ؟. حميد بن عبد الحميد بن ربعي الطائي الطوسي، أبو غانم، الأمير القائد، توفي بفم الصلح لما توجه صحبة المأمون للدخول على بوران بنت الحسن. يوم عيد الفطر سنة 210 أو 220 هـ ، أم هو: أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي، أمير خراسان.المتوفي بعد سنة 171 هـ.؟ .أيضا: أبو العباس الطوسي هو: أبي العباس الفضل بن سليمان بن المهاجر بن سنان بن حكيم الطوسي، أمير خراسان.المتوفي بعد سنة 171 هـ. ؟

قال محمد بن علي بن حمزة العلوي حدثني بن أبي سلمة قال حدثني أبي قال كنت ببغداد عند باب قصر الذهب قال: فقيل: الحسن بن زيد يخرج من السجن ينازع محمد بن عبد العزيز[1] وكان على قضاء مدينة أبي جعفر الجمحي[2] فأمر أن ينظر بينهما أمره أمير المؤمنين بذلك قال: فجاء الحسن بن زيد وجاء محمد بن عبد العزيز فجلس إلى جانبه في مجلس الحكم فأقبل الحسن بن زيد على بن المولى فقال: تعال فاجلس بيني وبين هذا الرجس وكره أن يلتزق به فأقبل أخ لمحمد بن عبد العزيز يقال له سندلة على الحسن بن زيد فقال: إيها يا بن أم رقوق وباسور المراق يا بن عم من يزعم أن في السماء إلها وفي الأرض إلها ولاك أمير المؤمنين فكفرت نعمته وأردت الخروج عليه يا معشر الملأ هل ترون وجه خليفة قال: فأقبل عليه الحسن بن زيد فقال: مثلي ومثلك كما قال الشاعر: وليس بنصف أن أسب مجاشعا.. بآبائي الشم الكرام الخضارم..ولكن نصفا لو سببت وسبني..بنو عبد شمس من مناف وهاشم. قال: فتركهم الجمحي ساعة يتنازعون ثم إن الجمحي أقبل عليهم فقال: دعونا منكم هات يا بن عبد العزيز ما تقول؟ قال: اصلح الله القاضي جلدني مائة وشقق قضاياي وعلقها في عنقي وأقامني –أي للناس– على البلس* فقال: ما تقول يا حسن؟ قال: أمرني أمير المؤمنين بذلك. قال: حجتك؟ فأخرج كتابا من كمه وقال: هذا حجتي. قال: هاته قال: ما كنت لأدفع حجتي إلى غيري ولكن إن أردت أن تنسخه فانسخه ثم أعاده إلى كمه.

وفي رواية ابن معقل بن إبراهيم بن وداعة عن أبيه قال: كنت ببغداد في مسجد الجامع في خلافة أبي جعفر إذ تعرض الخلق إلى مجلس القاضي الجمحي، وقد أمره أبو جعفر أن يجلس للحسن ولمحمد بن إسحاق بن عبد العزيز.فجلس القاضي الزهري وجاء الحسن فجلس بين يديه مجلس الخصوم، وجاء محمد بن عبد العزيز ليجلس إلى جنب الحسن، فكأن الحسن تقذره، فأقبل على مولى له يقال له: ابن البواب فقال: تعال فاجلس بيني وبين هذا الرجس، فأقبل أخ لمحمد بن عبد العزيز فقال للحسن بن زيد: يابن أم رقرق ومأسور النزق تزعم أن في السماء إلها وفي الأرض إلها ولاك أمير المؤمنين فجحدت نعمته ونعمة آبائه وأردت الخروج عليه.قال: فنظر إليه الحسن ولم يكلمه، ثم التفت إلى القاضي وهو ينشد: وليس ينصف أن أسب مقاعسا*..بآبائي الشم الكرام الخضارم..ولكن نصفا لو سببت وسبني..بنو عبد شمس من قريش وهاشم..فأعتد أن أهجو كليبا بدارم..أولئك آبائي فجئني بمثلهم. قال: فتركهما الجمحي يتماعنان ساعة ثم أقبل على الزهري فقال:هات ما تقول، قال: جلدني مائة سوط وأنا قاضي المدينة وحرق قضاياي وعلقها في عنقي وأقامني على الناس. فقال للحسن: ما تقول؟ قال: صدق قد فعلت ذاك به، قال:فما حجتك في إقرارك.قال: فأخرج كتابا من ردنه* وقال: كتب إلى أمير المؤمنين أن أفعل ذلك به. قال الجمحي: هات الكتاب قال: ما كنت لأدفع حجتي إليك، ولكن إن أحببت أن تنسخه مليته عليك، فقال الجمحي للزهري: قد احتج بأن أمير المؤمنين كتب إليه وليس ههنا أمر دون لقاء أمير المؤمنين، ثم نهض فدخل على أبي جعفر فقال: يا أمير المؤمنين كان وكان، فقال: لا والله ما كتبت إليه، وقد أعجبتني صرامته يرد الحسن على المدينة ويعزل الزهري عن القضاء.

☪

قال بعضهم: إن من أكثر الشخصيات التي لم تنل حقها في البحث والدراسة شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي..وقال: لقد كان لهذه الشخصية المكان والمرتع الخصب لأصحاب الشهوات وأهل الأهواء للطعن في العصر الأموي بوصفه عصر سفك للدماء و تسلط للأمراء.. ولقد كان لشخص الحجاج النصيب الأوفر من هذه التهم.. فالحجاج كان ضحية المؤرخين الذين افتروا عليه شتى المفتريات تمشيا مع روح العصر الذي يكتبون فيه ؛ ونرى أننا كلما بعدنا عن عصر الحجاج كثرت المفتريات والأباطيل.. ومن الإنصاف أن يسجل المؤرخ لمن يؤرخ له ما أصاب فيه بمثل ما يسجل عليه ما أخطأ فيه..واضعا قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة] نصب عينيه..فإن الحجاج قد شوهت صورته ونسجت حولها الخرافات بشكل يجعلها أقرب إلى الأسطورة من الحقيقة.. نعم كان الحجاج كما قال عنه الحسن البصري: إن الحجاج عذاب الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع، فإنه تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون] فالحجاج كان من الولاة الذين اشتهروا بالظلم والقسوة في المعاملة، وهي شدة كان للظروف التي تولى فيها هي السبب الرئيسي في أن يكون بهذه الصفة..فثورات الخوارج المتتالية والتي أنهكت الدولة الأموية..والفتن الداخلية..كان للحجاج الفضل بعد الله في القضاء عليها، وهذه لا ينكرها أحد حتى الأعداء..ولا ننسى ثورة ابن الأشعث التي كادت أن تلغي وتقضي على الخلافة الإسلامية.. ومع هذا نقول: ليس كل ما يشاع عن شخص قد ثبت فعلا.. وليس كل ما هو مشهور معروف..فكم سمعنا وقرأنا أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تنصح الخارجين بالثورة على عثمان وقتله! فهل نصدق هذا، وكم سمعنا أن عثمان رضي الله عنه قد استحدث أمورا خرج بسببها من الإسلام !! فهل نصدق هذه أيضا.. وكذلك ما اشتهر من أن عمر رضي الله عنه أمر بقتل الستة الذين اختارهم ليكون أحدهم خليفة من بعده إن تخلف أحدهم تضرب عنقه !! و هكذا..فليس كل ما هو مشهور صحيح.. و الله تعالى يقول ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم] والمؤمن خير من ملئ الأرض من الكافر..وعلى فرض ثبوت صحة ما أشيع حول الحجاج –ولا ننكر بعضها– فهل يعني هذا أنه قد خرج بموجبها من دائرة الإيمان ؟! لقد ثبتت للحجاج سيئات كثيرة جعلته في نظر الناس من الذين لا يمكن أن يغفر الله لهم..سبحان الله ! هل جعلنا الله موكلين بتصنيف الناس هذا مغفور له وهذا مغضوب عليه ؟! هل نسينا أن فتح بلاد السند وما وراء النهر قد تم بعد فضل الله تعالى على يد أبطال قد أرسلهم الحجاج من أجل نشر الإسلام في تلك المناطق..وما يدريك لعل الله أراد أن يجعل له بابا آخر للأجر وتكون أعمال أولئك القوم الذين دخلوا في الإسلام في ميزان حسنات الحجاج..إن الله على كل شيء قدير فلا نحجر واسعا.

- تعليق:رغم ما قيل في الحجاج سيظل في النهاية من المسلمين المدافعين عن بيضة الاسلام –له ما له وعليه ما عليه–والحجاج وإن كان ظالما سفاكا للدماء لن يكن أبدا كحكام العرب اليوم الكفرة الخونة الذين نجسوا البلاد العربية شرقا وغربا فأفسدوا حياة الملايين وعطلوا نهضة الأمة

----

*(البلس) غرائر كبار من مسوح –ثوب من الشعر غليظ – يجعل فيها التين ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه (مقاعس) هو الحارث بن عمر بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم [والأبيات من قول الفرزدق] (ردن) مقدم الكم. يقال أردنت القميص جعلت له ردنا.، والجمع أردان

■ (1) محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، كان من سروات قريش، وكان على قضاء المدينة وعلى بيت مالها في زمن أبى جعفر المنصور روى عن أبيه وأبي الزناد وابن شهاب.وورد بغداد غير مرة وكان من أهل الفضل موصوفا بالسخاء والبذل. لكنه منكر الحديث ويقال بمشورته جلد مالك الإمام.

■ (2) عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحي.قيل: قدم عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحي من مكة فولاه أبو جعفر القضاء فلم يزل على القضاء إلى أن مات المنصور، فولاه المهدي مدينة الرسول عليه السلام: حربها وصلاتها وعزله عن قضاء بغداد.

مراجع:الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار/ تاريخ الرسل والملوك/ تاريخ بغداد/ أخبار القضاة/ لسان العرب/ مقاييس اللغة/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

عن نمير المدني [1] قال: قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة، ومحمد بن عمران الطلحي [2] على قضائه، وأنا كاتبه، فاستعدى الجمالون (الحمالون!) على أمير المؤمنين في شيء ذكروه، فأمرني أن أكتب إليه كتابا بالحضور معهم، وإنصافهم، فقلت: تعفيني من هذا، فإنه يعرف خطي، فقال: اكتب! فكتبت، ثم ختمه، فقال: لا يمضي به والله غيرك، فمضيت به إلى الربيع [3] وجعلت أعتذر إليه، فقال: لا عليك فدخل عليه بالكتاب، ثم خرج الربيع فقال للناس: -وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم- إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام، ويقول لكم: إني قد دعيت إلى مجلس الحكم، فلا أعلمن أحدا قام إلي، إذا خرجت أو بدأني بالسلام، ثم خرج المسيب [4] بين يديه، والربيع، وأنا خلفه، وهو في إزار ورداء، فسلم على الناس، فما قام إليه أحد، ثم مضى حتى بدأ بالقبر، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم التفت إلى الربيع، فقال: يا ربيع، ويحك! أخشى إن رآني ابن عمران أن يدخل قلبه لي هيبة، فيتحول عن مجلسه، وبالله لئن فعل لا ولي ولاية أبدا! فلما رآه وكان متكئا أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتبى به، ودعا بالخصوم والجمالين، ثم دعا بأمير المؤمنين، ثم ادعى عليه القوم، فقضى لهم عليه، فلما دخل الدار قال للربيع: اذهب فإذا قام وخرج من عنده من الخصوم فادعه، فقال: يا أمير المؤمنين ما دعا بك إلا بعد أن فرغ من أمر الناس جميعا، فلما دخل عليه سلم، فقال: جزاك الله عن دينك،وعن نبيك، وعن حسبك، وعن خليفتك أحسن الجزاء، قد أمرت لك بعشرة آلاف دينار فاقبضها،وكانت عامة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة.

وفي رواية: كان محمد بن عمران، قاضياً لزياد بن عبيد الله الحارثي [5] على المدينة أيام المنصور، حين ولى المنصور زياداً المدينة ؛ وكانت الأمراء هم الذين يولون القضاة.وكان محمد بن عمران من أهل المروءة والعفاف والصلابة في القضاء، لا يطمع في حكمه: قدم أبو أيوب المورياني-وزير المنصور- [6] حاجاً المدينة؛ فظلم أكرياءه ؛ فاستعدوا عليه محمد بن عمران ؛ فأرسل إليه يأمره أن يوكل معهم أو يحضر؛ فلم توكل ولم تحضر! فرد عليه أبو أيوب كلاماً غليظاً ؛ فمد يده إليه محمد بن عمران ليبطش به ؛ وكان محمد أيداً جسيماً ؛ فحال دونه الأمير والشرط. وانصرف محمد إلى منزله ؛ فقيل له: إنك إن خرجت عرض لك موالي أبي أيوب وأعوانه ؛ فتقلد السيف ثم خرج حتى أتى إلى المسجد؛ فهابوه فلم يقدم عليه أحد وكان رجلاً مصلحاً للمال ينسب إلى البخل فبلغه بعض ما يقول الناس؛ فقال: والله إني لأجمد في الحق، ولا أذوب في الباطل.

----

(2) محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي المدني أبو سليمان.أحد الأشراف. ولي قضاء المدينة لبني أمية ثم وليها للمنصور. قال ابن سعد: كان مهيباً جليلاً صليباً من الرجال. وكان قليل الرواية. مات سنة 154 هـ، فلما بلغ موته المنصور قال: اليوم استوت قريش. وولي بعد محمد بن عمران هذا قضاء المدينة ابنه عبد الله بن محمد وهو لأم ولد، ولاه إياه المهدي أمير المؤمنين، وكان سخيا، وولاه الرشيد هارون ابن المهدي أمير المؤمنين مكة. وقيل ولي قضاء المدينة لهارون أمير المؤمنين ثم عزله واستعمله على قضاء مكة ثم عزله واستعمله على قضاء المدينة ثم عزله فلحق بهارون فلم يزل معه حتى خرج إلى الري فخرج معه فمات بالري سنة 189 هـ وكان عبد الله بن محمد يكنى أبا محمد وكان قليل الحديث.

(6) أبو أيوب المورياني وزير المنصور، سليمان بن أبي سليمان الخوزي تمكن من المنصور تمكنا لا مزيد عليه، وكان أولا كاتبا للأمير سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، وكان المنصور ينوب عن هذا الأمير في بعض كور فارس، فيما نقله ابن خلكان. فصادره وضربه، فلما صارت الخلافة إلى المنصور قتله. وكان المورياني قد دافع عند سليمان كثيرا عن المنصور، فاستوزره ثم غضب عليه، ونسبه إلى أخذ الأموال، وأضمر له، فكان كلما هم به دخل أبو أيوب وقد دهن حاجبيه بدهن مسحور، فسار في ألسنة العامة: دهن أبي أيوب.ثم إنه استأصله وعذبه وأخذ منه أموالا عظيمة. وكذلك الدنيا الدنية، قريبة الرزية. مات سنة 154 هـ، وكان من دهاة العالم، وله مشاركة قوية في الأدب والفلسفة والحساب والكيمياء والسحر والنجوم، ولكنه ليس بفقيه، وكان سمحا جوادا متمولا.

(3) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان العباسي، مولا هم.الأمير الحاجب، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم ولي وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ، من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه إلى الغاية. ويقال: إن الربيع لم يكن يعرف له أب، فدخل هاشمي على المنصور وأخذ يذكره والد الربيع ويترحم عليه، فقال له الربيع: كم ذا تترحم عليه بحضرة أمير المؤمنين، فقال الهاشمي: يا ربيع أنت معذور لا تعرف مقدار الآباء، فخجل منه. وقطيعة الربيع محلة كبيرة ببغداد تنسب إليه.

(4) المسيب بن زهير بن عمرو بن جبيل بن الأعرج بن ربيعة بن مسعود بن منقذ بن كوز ، يكنى أبو مسلم الضبي، كان من رجالات الدولة العباسية. ولد في خلافة عمر بن عبد العزيز، وولي شرطة بغداد في أيام المنصور أيام حياته وولي شرط المهدي في أول خلافته ثم ولاه خراسان مدة قصير سنة 166 وولي شرط أمير المؤمنين الرشيد. وتوفى سنة 175 هـ بمنى فدفن أسفل العقبة وقيل: توفي سنة 176 هـ وهو بن ست وسبعين سنة.

(5) زياد بن عبيد الله بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي. الأمير من أخوال السفاح. ولي إمرة الموسم سنة 133 هـ ثم ولي إمرة الحرمين للمنصور. عزله أبو جعفر المنصور سنة 141 هـ وتوفي في حدود 150 هـ

(1) نمير المدني ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه)

☪

قال الشيخ صالح بن فوزان -في معرض حديثه عن الإيمان بالكتب-: قد اقتضت حكمة الله أن تكون الكتب السابقة لآجال معينة ولأوقات محددة، ووكل حفظها إلى الذين استحفظوا عليها من البشر؛ كما قال تعالى:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة] أما القرآن الكريم؛ فقد أنزله الله لكل الأجيال من الأمم في كل الأوطان إلى يوم القيامة، وتولى حفظه بنفسه؛ لأن وظيفة هذا الكتاب لا تنتهي إلا بنهاية حياة البشر على الأرض؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت] ويجب تحكيم هذا القرآن في جميع الخلافات، ويجب رد جميع النزاعات إليه. وقد جعل الله التحاكم إلى غير كتابه تحاكما إلى الطاغوت؛ قال تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء]، والطاغوت: فعلوت من الطغيان، وهو مجاوزة الحد. وقد ذم الله المدعين للإيمان بالكتب كلها وهم يتركون التحاكم إلى الكتاب والسنة ويتحاكمون إلى بعض الطواغيت.. وهذا من أعظم تغيير الدول ونشوب الفتن والتناحر بين الشعوب؛ لأن الإيمان بالكتاب يوجب التحاكم إليه؛ فمن ادعى الإيمان بالكتاب وهو يتحاكم إلى غيره؛ فهو متناقض في دعواه، والكتاب لا يتجزأ؛ فيجب تطبيقه كله والعمل به كله في كل المجالات؛ في العقائد والعبادات والمعاملات، وفي الأحوال الشخصية والجنايات والحدود، وفي الآداب والسلوك. قال الله تعالى:﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة] وقال تعالى:﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فنفى الإيمان نفيا مؤكدا بالقسم عمن لم يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في موارد النزاع، مع انشراح صدره وانقياده.

قال أحمد شاكر رحمه الله: من حكم بغير ما أنزل الله عامدا عارفا فهو كافر. ومن رضي عن ذلك وأقره فهو كافر سواء أحكم بما يسميه شريعة أهل الكتاب أم بما يسميه تشريعا وضعيا فكله كفر وخروج من الملة، أعاذنا الله من ذلك.

☪

قيل لأبي جعفر المنصور: هل بقي لذات الدنيا شيء لم تنله؟ قال: بقيت خصلة؛ أن أقعد في مصطبة وحولي أصحاب الحديث، يقول المستملي: من ذكرت رحمك الله ؟ قال: فغدا عليه الندماء، وأبناء الوزير بالمحابر والدفاتر فقال: لستم به، إنما هم الدنسة ثيابهم، المشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم برد الآفاق ونقلة الحديث. وعن محمد بن سلام والزيادي قالا: اجتمع جماعة من أهل العلم عند المنصور فيهم عمرو بن عبيد، فسأل المنصور عمرو بن عبيد عن الحديث: ﴿فِيمَنِ اقْتَنَى كَلْبًا لِغَيْرِ زَرْعٍ وَلا حِرَاسَةٍ أَنَّهُ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَجْرِهِ قِيرَاطٌ﴾ [المجالسة وجواهر العلم] فقال له عمرو بن عبيد: هكذا جاء الحديث، قال المنصور: خذها بحقها؛ إنما قيل ذلك لأنه ينبح الضيف، ويروع السائل، ثم أنشد: من الكامل: أعددت للضيفان كلبا ضاريا..عندي، وفضل هراوة من أرزن..ومعاذرا كذبا، ووجها باسرا..وتشكيا عض الزمان الألزن. قال: فما بقي أحد في المجلس إلا كتب عن المنصور.

قال أبو العيناء: دخل المنصور من باب الذهب، فإذا ثلاثة قناديل مصطفة، فقال: ما هذا؟ أما واحد من هذا كان كافيا؟يقتصر من هذا على واحد، فلما أصبح أشرف على الناس وهم يتغدون،فرأى الطعام قد خف من بين أيديهم من قبل أن يشبعوا، فقالوا: يا غلام، علي بالقهرمان، قال: ما لي رأيت الطعام قد خف من بين أيدي الناس قبل أن يشبعوا؟ قال: يا أمير المؤمنين، رأيتك قد قدرت الزيت فقدرت الطعام، قال: فقال: وأنت لا تفرق بين زيت يحترق في غير ذات الله، وهذا طعام إذا فضل فضل وجدت له آكلا! ابطحوه، فبطحوه فضربه سبع درر.

عن الربيع الحاجب قال: لما مات المنصور قال لي المهدي: يا ربيع، قم بنا حتى ندور في خزائن أمير المؤمنين، قال: فدرنا فوقعنا على بيت فيه أربعمائة حب مطينة الرؤوس، قال: فقلنا: ما هذه؟ قيل: هذه فيها أكباد مملحة، أعدها المنصور للحصار.

عن يونس قال: كتب زياد بن عبيد الله الحارثي إلى المنصور يسأله الزيادة في عطائه وأرزاقه، وأبلغ في كتابه فوقع المنصور في القصة: إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعا في رجل أبطراه، وأمير المؤمنين يشفق عليك من ذلك، فاكتف بالبلاغة.

قال المنصور: إذا مد إليك عدوك يده، فإن قدرت على قطعها وإلا قبلها. وعن محمد بن سلام قال: رأت جارية للمنصور قميصه مرقوعا، فقالت: خليفة وقميصه مرقوع؟! فقال: ويحك! أما سمعت ما قال ابن هرمة: من الكامل: قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه..خلق، وجيب قميصه مرقوع. لما قتل المنصور أبا مسلم قال وهو طريح بين يديه: من الوافر: قد اكتنفتك خلات ثلاث..جلبن عليك محتوم الحمام..خلافك وامتناعك من يميني..وقودك للجماهير العظام. وله لما عزم على قتله: من الطويل: إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة..فإن فسادها الرأي أن تترددا..ولا تمهل الأعداء يوما بقدرة..وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا.

قال الربيع الحاجب: حججت مع المنصور أبي جعفر، فلما كنا بالقادسية، قال لي: يا ربيع، إني مقيم بهذا المنزل ثلاثا، فناد في الناس، فناديت، فلما كان من الغد قال لي: يا ربيع، أجمت المنزل، فناد بالرحيل، فقلت: ناديت أمس أنك مقيم بهذا المنزل ثلاثا، وترحل الساعة!؟ قال: أجمت المنزل، فرحل، ورحل الناس، وقربت له ناقة ليركب، وجاؤوه بمجمر ليتبخر، فقمت بين يديه، فقال: ما عندك؟ فقلت: رحل الناس، فأخذ فحمة من المجمر، فبلها بريقه، وقام إلى الحائط، فجعل يكتب على الحائط بريقه حتى كتب أربعة أسطر، ثم قال: اركب يا ربيع، فكان في نفسي هم لأعلم ما كتب، ثم حججنا، فكان من أمر وفاته ما كان، ثم رجعت من مكة، فبسط لي في الموضع الذي بسط له فيه في القادسية، فدخلت وفي نفسي أن أعلم ما كتب على الحائط، فإذا هو قد كتب على الحائط: مجزوء الكامل: المرء يأمل أن يعي..ش وطول عمر قد يضره..تبلى بشاشته ويب..قى بعد حلو العيش مره..وتخونه الأيام حت..ى لا يرى شيئا يسره..كم شامت بي إن هلك..ت وقائل لله دره.

وقال: لما مرض أمير المؤمنين المنصور بالله مرضه الذي مات فيه بمكة أتيته يوما وهو وحده، فنظر إلى القبلة، فرأى فيها كتابا، فقرأه وقال: يا ربيع، قم بيني وبين القبلة، فإذا الكتابة في صدري، فقال: افتح الباب، فعاد الكتاب إلى القبلة، فقال: ظننت هذا من حيلة الآدميين، وإذا فيه: من الطويل: أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت..سنوك وأمر الله لا بد واقع..أبا جعفر هل كاهن أو منجم..لك اليوم من ريب المنية دافع.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ بغداد/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ الجليس الصالح/ تهذيب الكمال/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ المجالسة وجواهر العلم/

كان أزهر السمان[1] صديقا لأبي جعفر المنصور في أيام بني أمية وكانا قد سافرا جميعا وسمعا الحديث، وكان المنصور يألفه، ويأنس إليه، ويكبر عنده، فلما أفضت الخلافة إليه أشخص إليه من البصرة، فسأله المنصور عن زوجته وبناته، وكان يعرفهن بأسمائهم، وأظهر بره وإكرامه، ووصله بأربعة آلاف درهم، وأمره أن لا يقدم إليه مستمحا، فلما كان بعد حول صار إليه، فقال له: ألم آمرك أن لا تسير إلي مستميحا، فقال له: ما صرت إليك إلا مسلما ومجددا بك عهدا، قال: ما أرى الأمر كما ذكرت، فأمر له بأربعة آلاف درهم، وأمره أن لا يصير إليه مسلما ولا مستميحا، فلما كان بعد سنة صار إليه، فقال: إني لم أقدم عليك للأمرين اللذين نهيتني عنهما، وإنما بلغني أن علة عرضت لأمير المؤمنين فأتيته عائدا، فقال: ما أظنك أتيت إلا مستوصلا، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فلما كان بعد الحول ألح عليه بناته وزوجته، وقلن له: أمير المؤمنين صديقك فارجع إليه، فقال: ويحكن!! ماذا أقول له وقد قلت له أتيتك مستميحا ومسلما وعائدا؟ ماذا أقول في هذه المرة؟ وبم أحتج؟ فأبوا على الشيخ إلا الإلحاح، فخرج فأتى المنصور وقال: لم آتك مسترفدا، ولا زائرا، ولا عائدا، وإنما جئت لسماع حديث كنا سمعناه جميعا في بلد كذا من فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه اسم من أسماء الله تعالى من سأل الله به لم يرده ولم يخيب دعوته، فقال له المنصور: لا ترده فإني قد جربته فليس هو بمستجاب، وذلك أني مذ جئتني أسأل الله به أن لا يردك إلي، وها أنت ترجع لا تنفك من قولك مسلما أو عائدا أو زائرا؟ووصله بأربعة آلاف درهم، وقال له: قد أعيتني فيك الحيلة فصر إلي متى شئت.

قال صلاح الدين الصفدي: كان محمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس[2] صاحب مروءة وفضل متصديا لقضاء حوايج الناس جوادا عاقلا سمحا وكانت له من المنصور منزلة ويعجب به ويلتذ بمحادثته وكان مكانته من المنصور يفزع الناس إليه بحوايجهم فلما افرط في ذلك حجبه المنصور عنه أياما ثم اشتاق إلى محادثته فقال: يا ربيع، أن جميع اللذات عندي قد اخلقن إلا محادثة محمد ومؤانسته وقد كدرها علي بما يحملني من حوايج الناس، فاحتل عليه لعله يقصر من ذلك فجاء الربيع إلى محمد وعاتبه واتفقا على أنه لا يحمل لأحد قصته فلما غدا إلى المنصور بلغ الناس خبره فوقف له أرباب الحوايج على الطرق وبايديهم الرقاع فاعتذر إليهم فالحوا عليه فقال: لست اكلم أمير المؤمنين في حاجة فإن أحببتم أن تودعوا رقاعكم كمى فافعلوا فقذفوا بالرقاع في كمه ودخل على المنصور وهو في القبة فعاتبه وتحادثا ساعة وكان المنصور يشرف على دجلة والفرات والبساتين والمزارع فقال له: ما ترى ما أحسن مشترفنا فقال محمد يا أمير المؤمنين ما بنت العرب والعجم في الإسلام والكفر مدينة احسن منها ولا أحصن ولا اجمع لخصال الخير لكن ليس لي فيها ضيعة فقال اقطعتك ثلث ضياع في اكنافها فاغد على أمير المؤمنين ليسجل لك بها فبينا هو يحادثه إذ بدت الرقاع من كمه فضحك المنصور فقال له ما هذه فاخبره الخبر فقال له المنصور أبيت يا ابن معلم الخير إلا كرما ثم أمره فنثرها بين يديه فوقع عليها وقضى حوايج أربابها وتمثل بقول الشاعر: لسنا وإن احسابنا كرمت..يوما على الإحساب نتكل..نبنى كما كانت أوايلنا..تبنى وتفعل مثل ما فعلوا.

وفي رواية البلاذري قال: حدثني أبو علي الحرمازي عن الفضل بن الربيع قال: كان المنصور معجبا بمحمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس، وكان كريما يسأله الحوائج للناس حتى ثقل ذلك عليه، فحجبه أياما ثم أذن له على أن لا يسأله حاجة لأحد، فدخل عليه يوما وكمه مملوء رقاعا، فلما جلس تناثرت من كمه فجعل يردها ويقول: إرجعن خاسئات؛ فقال المنصور: ما هذه الرقاع؟ قال: فيها حوائج للناس، فضحك وقال: لا تبرح حتى تقضى كلها، فقضاها له.

قال الحرمازي: وبعضهم يزعم أن الرجل يحيى بن جعفر بن تمام، وهو آخر من بقي من ولد تمام، وكان المنصور له محبا.

----

(1) أزهر بن سعد السمان الباهلي بالولاء البصري. يكنى أبا بكر، ولد سنة 111 هـ. روى عن حميد الطويل وروى عنه أهل العراق كان يصحب المنصور قبل أن يلي الخلافة، وله وقائع وحكايات مأثورة. توفي سنة 203 هـ وقيل سنة 207 هـ، وكان ثقة نبيلا عمر أربعا وتسعين سنة.

(2) محمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي. كان من ندماء المنصور، كان اديبا لبيبا يعد من عقلة الرجال. وكان المنصور يمازحه ويلتذ بمحادثته. وكان يكلم المنصور في حوائج الناس. وكانت وفاته قريبة من وفاة المنصور. وقيل سنة 162 هـ.

بعث المنصور إلى زياد بن عبد الله[1] مالا وأمره أن يفرقه في القواعد والأيتام والعميان، فدخل إليه أبو حمزة الرقي[2] فقال:أصلح الله أمير المؤمنين قد بلغني الكبر فاكتبني في القاعدين. قال: يغفر الله لك إنما القواعد النساء اللواتي قعدن عن الأزواج. قال: فاكتبني في العميان فإن الله جل ذكره يقول:﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج] وأنا أشهد أن قلبي أعمى، واكتب ولدي في الأيتام فإن من كنت أباه فهو يتيم.قال: اكتبوه في العميان واكتبوا ولده في الأيتام. وفي رواية: كتب المنصور إلى زياد بن عبد الله الحارثي، ليقسم بين القواعد والعميان والأيتام مالا. فدخل عليه أبو زياد التميمي[3]، وكان مغفلا (؟)، فقال: أصلحك الله اكتبني في القواعد، فقال له: عافاك الله، القواعد هن النساء اللاتي قعدن عن أزواجهن. فقال: فاكتبني في العميان. قال : اكتبوه منهم، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج] قال أبو زياد: واكتب ابني في الأيتام، قال: نعم من كنت أباه فهو يتيم.

☪

في قضاء الحوائج: عن أبي هريرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ نَفَّسَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا قَعَدَ قَوْمٌ فِي مَسْجِدٍ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ﴾ . قال إبراهيم الدويش: بذل المعروف وقضاء الحوائج سهم تملك به القلوب وله تأثير عجيب صوره الشاعر بقوله: أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم..فطالما استعبد الإنسان إحسان. بل تملك به محبة الله عز وجل كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ﴾ والله عز وجل يقول:﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة] وقيل: عجبا لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الأحرار بمعروفه، ومن انتشر إحسانه كثر أعوانه.

وفي بذل المال قال إبراهيم الدويش: إن لكل قلب مفتاح، والمال مفتاح لكثير من القلوب خاصة في مثل هذا الزمان، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ﴾ كما في البخاري.

صفوان ابن أمية فر يوم فتح مكة خوفا من المسلمين بعد أن استنفذ كل جهوده في الصد عن الإسلام والكيد والتآمر لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيعطيه الرسول صلى الله عليه وسلم الأمان ويرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويطلب منه أن يمهله شهرين للدخول في الإسلام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لك تسير أربعة أشهر، وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين والطائف كافرا، وبعد حصار الطائف وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر في الغنائم يرى صفوان يطيل النظر إلى واد قد امتلأ نعما وشاء ورعاء. فجعل عليه الصلاة والسلام يرمقه ثم قال له يعجبك هذا يا أبا وهب؟ قال نعم، قال له النبي صلى الله عليه وسلم هو لك وما فيه. فقال صفوان عندها: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. لقد استطاع الحبيب صلى الله عليه وسلم بهذه اللمسات وبهذا التعامل العجيب أن يصل لهذا القلب بعد أن عرف مفتاحه. فلماذا هذا الشح والبخل؟ ولماذا هذا الإمساك العجيب عند البعض من الناس؟ حتى كأنه يرى الفقر بين عينيه كلما هم بالجود والكرم والإنفاق. عن أم المؤمنين عائشة قالت: ﴿دَخَلَتْ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةُ أَبِى سُفْيَانَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ لاَ يُعْطِينِي مِنَ النَّفَقَةِ مَا يَكْفِينِي وَيَكْفِي بَنِي إِلاَّ مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ.فَهَلْ عَلَي فِي ذَلِكَ مِنْ جُنَاحٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكِ وَيَكْفِي بَنِيكِ﴾ وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿دِينَارٌ أَعْطَيْتَهُ مِسْكِينًا وَدِينَارٌ أَعْطَيْتَهُ فِي رَقَبَةٍ وَدِينَارٌ أَعْطَيْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ قَالَ: الدِّينَارُ الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُ أَجْرًا﴾.

----

(1) زياد بن عبيد الله بن عبد الله الحارثي، خال السفاح، في الطبري: زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، وفي ابن الاثير: زياد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي. وفد على عبد الملك. وقيل على مروان بن محمد، وجده عبد الله وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان اسمه عبد الحجر بن عبد المدان، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله. وولي زياد الحرمين للسفاح والمنصور، وأقام الحج للناس سنة ثلاث وثلاثين ومائة، ثم عزله المنصور، وتوفي في حدود 150 هـ.

(3) أبو زياد التميمي. عن النعمان بن بشير. مجهول. (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه)

(2) أبو حمزة الرقي (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه)

مراجع: مروج الذهب/ تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ بغداد/ الوافي بالوفيات/ صحيح البخاري/ مسند أبي يعلي/ مصنف ابن أبي شيبة/ سنن الترمذي/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ نثر الدر/ موسوعة الخطب والدروس/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (١) 0633

دعا المنصور ابن أبي ليلى[1]، فأراده على القضاء، فأبى، فتوعده إن لم يفعل، فأبى أن يفعل، ثم إن غداء المنصور حضر، فأتى فيما أتى بصحفة فيها مثال رأس. فقال لابن أبي ليلى: خذ أيها الرجل من هذا. قال ابن أبي ليلى: فجعلت أضرب بيدي إلى الشيء، فإذا وضعته في فمي سال، لا أحتاج إلى أن أمضغه. فلما فرغ الرجل جعل يلحس الصحفة. فقال لي: يا محمد. أتدري ما كنت تأكل؟ قلت: لا – والله – يا أمير المؤمنين. قال: هذا مخ النينان معقود بالسكر الطبرزذ*. وتدري بكم تقوم هذه الصحفة علينا؟ قلت: لا، يا أمير المؤمنين. فقال: تقوم بثلاث مائة وبضعة عشر. أتدري: لم ألحسها؟ هذه صحفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأنا أطلب البركة بذلك. فلما خرج ابن ليلى من عنده رفع رأسه إلى الربيع. فقال: لقد أكل الشيخ عندما أكلة لا يفلح بعدها أبدا. فلما كان عشى ذلك اليوم راح ابن أبي ليلى إلى المنصور، فقال: يا أمير المؤمنين، فكرت فيما عرضت علي، فرأيت أنه لا يسعني خلافك. فولاه القضاء. ثم قال للربيع: كيف رأيت حدسي؟.

----

* (النينان) جمع النون وهو الحوت وفي رواية أخبار القضاة: مخ الثنيتان (الطبرزد) السكر معربوفي رواية أخبار القضاة: الطبرزد

■ (1) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار. وقيل داود. ابن بلال الأنصاري الكوفي: قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس. ولد بالكوفة سنة 74 هـ واستمر 33 سنة. له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره. مات بالكوفة سنة 148 هـ وكان أبوه عبد الرحمن استعمله الحجاج على القضاء ثم عزله، ثم ضرب ليسب عليا، وشهد وقعة الجمل، وكانت راية علي بن أبي طالب بيده، يروي عن عمر وعلي وعبد الله وأبي، وكان خرج مع ابن الأشعث وقتل بدجيل، وقيل غرق في نهر البصرة، وقيل فقد بدير الجماجم سنة 83 هـ للهجرة، وقيل سنة إحدى، وقيل سنة اثنتين.

كان ابن أبي ليلى ولي القضاء لبني أمية، وبعدهم لبني العباس. وقيل: وهو أول من تولى قضاء بغداد. وقيل: بل أول من تولاها من القضاة شريك[1] وكانت بينه وبين أبي حنيفة وحشة يسيرة، وكان يجلس للحكم في مسجد الكوفة، فيحكى أنه انصرف يوما من مجلسه، فسمع امرأة تقول لرجل: يا ابن الزانيين، فأمر بها فأخذت ورجع إلى مجلسه، وأمر بها فضربت حدين وهي قائمة. فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال: أخطأ القاضي في هذه الواقعة في ستة أشياء: في رجوعه إلى مجلسه بعد قيامه منه، ولا ينبغي له أن يرجع بعد أن قام منه، وفي ضربه الحد في المسجد، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إقامة الحدود في المساجد، وفي ضربه المرأة قائمة، وإنما تضرب النساء قاعدات كاسيات (قعودا كاسين)، وفي ضربه إياها حدين، وإنما يجب على القاذف إذا قذف جماعة بكلمة واحدة حد واحد، ولو وجب أيضا حدان لا يوالي بينهما، بل يضرب أولا ثم يترك حتى يبرأ من الألم الأول، وفي إقامة الحد عليها بغير طالب*. فبلغ ذلك محمد بن أبي ليلى، فسير إلى والي الكوفة وقال: ها هنا شاب يقال له أبو حنيفة يعارضني في أحكامي ويفتي بخلاف حكمي ويشنع (ويشيع) علي بالخطأ، فأريد أن تزجره عن ذلك، فبعث إليه الوالي ومنعه عن الفتيا، فيقال إنه كان يوما في بيته وعنده زوجته وابنه حماد وابنته، فقالت له ابنته: إني صائمة وقد خرج من بين أسناني دم وبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهر عليه أثر الدم، فهل أفطر إذا بلعت الآن الريق فقال لها: سلي أخاك حمادا فإن الأمير منعني من الفتيا. وهذه الحكاية معدودة في مناقب أبي حنيفة وحسن تمسكه بامتثال إشارة رب الأمر، فإن إجابته طاعة، حتى إنه أطاعه في السر، ولم يرد على ابنته جوابا، وهذا غاية ما يكون من امتثال الأمر.

قال عطاء بن مسلم: كنت عند ابن أبي ليلى فشهد عنده رجل بشهادة فقال: اكتبوا شهادته ثم نظر إلى شعره مصففا على جبينه فقال: تصفف شعرك؟ ردوا شهادته، فقال: إن لي عذرا، قال. وما عذرك ؟ قال: إن برأسي سجاع فأنا أفاديها بهذا الشعر. قال: لا بأس اكتبوا شهادته، ثم نظر فإذا أظفاره فيها آثار الحناء فقال له: تخضب يدك بالحناء؟ ردوا شهادته، فقال: إن لي عذرا، قال: وما هو؟ قال: إن لي أبا شيخا فأنا أخضبه،قال: لا بأس اكتبوا شهادته، ثم ولى فنظر في قفاه فإذا ثوبه يجره فقال له: تجر ثوبك؟ ردوا شهادته، قال: إن لي عذرا، قال: وما عذرك؟ قال: إنا ثلاثة إخوة في حالنا بعض الضعف وإنا قطعنا هذا القميص على أوسطنا يتجمل به إذا خرج وإني إذا لبسته أنا أجره، قال: لا بأس اكتبوا شهادته.

وشهد أبو دلامة[2] لجارة له عند ابن أبي ليلى القاضي، على أتان نازعها فيه رجل، فلما فرغ من الشهادة، قال لابن أبي ليلى: اسمع ما قلت قبل أن آتيك، ثم اقض بما شئت، قال هات: فأنشده من الطويل: إن الناس غطوني تغطيت عنهم..وإن بحثوا عني ففيهم مباحث..وإن حفروا بئري حفرت بئارهم..ليعلم يوما كيف تلك النبائث. فأقبل القاضي على المرأة، وقال: أتبيعينني الأتان؟ قالت: نعم، قال: بكم؟ قالت: بمائة درهم، قال: ادفعوها إليها، ففعلوا، وأقبل على الرجل فقال: قد وهبتها لك. وقال لأبي دلامة: قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابتعت ممن شهدت له ووهبت ملكي لمن رأيت، أرضيت؟ قال: نعم، وانصرف. وقيل: لما وقع الوباء بالكوفة فر ابن أبي ليلى على حمار فسمع منشدا ينشده: لن يسبق الله على حمار..ولا على ذي منسر طيار..أو يأتي الحتف على مقدار..قد يصبح الله أمام الساري. فقال: إذا كان الله أمام الساري فلا مهرب ورجع.

[طرفة] أتي رجل نخاسا (تاجر الدواب) فقال: اشتر لي حمارا ليس بالصغير المحتقر، ولا الكبير المشتهر؛ إن أشبعته شكر، وإن أجعته صبر، وإن خلا الطريق تدفق، وإن كثر الزحام ترفق، لا يصدم بي السواري*، ولا يدخل بي تحت البواري*، إن ركبته هام، وإن ركبه غيري هام. فقال له النخاس: أنظرني (أمهلني) قليلا، فإن مسخ الله ابن أبي ليلى القاضي حمارا اشتريته لك!.

----

* (الأتان) الحمار يقع على الذكر والأنثى، والأتان الحمارة الأنثى خاصة (وفي إقامة الحد عليها بغير طالب) في هامش ن تعليق يستفاد منه أن المعترض على حكم ابن أبي ليلى هو امرأة مجنونة يقال لها أم عمران (السواري) جمع سارية وهي الاسطوانة التي يعتمد عليها السقف (البواري) جمع بورية، وهي الحصير المنسوج من القصب.

■ (1) شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي. أبو عبد الله، القاضي. أدرك عمر بن عبد العزيز: يعني بالسن، ولم يره. ولد في بخارى سنة 95هـ. ونشأ بالكوفة.وسمى البخاري جده سنانا، وسماه أبو نعيم حارثا. استقضاه المنصور على الكوفة سنة 153 هـ، ثم عزله. وأعاده المهدي، فعزله الخليفة موسى الهادي. توفي بالكوفة سنة 177 هـ

■ (2) أبو دلامة زند بن الجون الأسدي. شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم كان أبوه عبدا لرجل من أسد وأعتقه. نشأ في الكوفة واتصل بالخلفاء من بني العباس، فكانوا يستلطفونه ويغدقون عليه صلاتهم، وله في بعضهم مدائح. وكان يتهم بالزندقة لتهتكه، وأخباره كثيرة متفرقة. توفي سنة161هـ

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ بغداد/ المعارف/ المحن/ الوافي بالوفيات/ وفيات الأعيان/ أخبار القضاة/ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ معرفة الثقات للعجلي/ القلائد من فرائد الفوائد/

حدث عبد الله البلتاجي، قال: دخل ابن أبي ليلى[1] على أبي جعفر المنصور، وكان ابن أبي ليلى قاضيا، فقال أبو جعفر: إن القاضي يرد عليه. من ظرائف الناس ونوادرهم أمور، فإن كان ورد عليك شيء فحدثنيه، فقد طال علي يومي. قال: والله يا أمير المؤمنين، قد ورد علي منذ ثلاثة أيام أمر ما ورد علي مثله. أتتني عجوز تكاد تنال الأرض بوجهها أو تسقط من انحنائها فقالت: أنا بالله وبالقاضي أن يأخذ لي بحقي وأن يعينني على خصمي. قلت: ومن خصمك؟ قالت: إبنة أخ لي. فدعوت بها فجاءت امرأة ضخمة ممتلئة شحما فجلست منبهرة. فذهبت العجوز تتظلم، فقالت الشابة: أصلح الله القاضي، مرها فلتسكت حتى أتكلم بحجتي وحجتها فإن لحنت بشيء فلترد علي، فإن أذنت لي أسفرت. فقالت العجوز: إن أسفرت قضيت لها. فقلت لها: أسفري، فأسفرت عن وجه والله ما ظننت أنه يكون مثله إلا في الجنة. فقالت: أصلح الله القاضي، هذه عمتي مات والدي وتركني يتيمة في حجرها فربتني فأحسنت التربية، حتى إذا بلغت مبلغ النساء قالت لي: يا بنت أخي، هل لك في التزويج؟ قلت: ما أكره ذلك يا عمة. قالت العجوز: نعم. قالت: فخطبني وجوه أهل الكوفة فلم ترض إلا رجلا صيرفيا، فتزوجني، فكنا كأننا ريحانتان ما أظن أن الله خلق غيره يغدو إلى سوقه ويروح علي بما رزقه الله تعالى. فلما رأت العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على ذلك، وكانت لها ابنة فشوفتها وهيأتها لدخول زوجي، فوقعت عيناه عليها، فقال: يا عمة هل لك أن تزوجيني ابنتك؟ قالت: نعم بشرط. فقال لها: وما الشرط.؟ قالت: تصير أمر ابنة أخي إلي. قال: قد صيرت أمرها إليك. قالت: فإن قد طلقتها ثلاثا بتة. وزوجت ابنتها زوجي، فكان يغدو عليها ويروح، فقلت لها : يا عمتي أتأذنين لي أن أنتقل عنك؟ قالت: نعم. فانتقلت عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال: ما لي لا أرى ربيبتنا؟ قالت: طلقها زوجها فانتقلت عنا. فقال: إن لها من الحق علينا أن نعزيها بمصيبتها. فلما بلغني مجيئه إلي تهيأت له وتشوفت. فلما دخل علي عزاني بمصيبتي، ثم قال: إن فيك بقية من الشباب؛ فهل لك أن أتزوج بك؟ قلت: ما أكره ذلك ولكن على شرط. قال لي: وما الشرط؟ قلت: تصير أمر عمتي بيدي. قال: فإني قد فعلت وصيرت أمرها بيدك. قلت: فإني قد طلقتها ثلاثا بتة. قالت: فقدم علي بثقله من الغد ومعه ستة آلاف درهم فأقام عندي ما أقام، ثم إنه اعتل وتوفي فلما انقضت عدتي جاء زوجي الأول الصيرفي يعزيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تهيأت وتشوفت له، فلما دخل علي قال لي: يا فلانة إنك تعلمين أنك كنت أعز الناس علي وأحبهم إلي، وقد حلت المراجعة، فهل لك في ذلك؟ قلت: ما أكره ذلك، ولكن اجعل أمر ابنة عمتي بيدي. قال: فإني قد فعلت. قلت: فإني قد طلقتها ثلاثا بتة، أصلح الله القاضي، فرجعت إلى زوجي فما اعتدائي عليها. فقالت العجوز: أنا فعلت مرة، وفعلت مرة بعد أخرى. فقلت: إن الله لم يوقت في هذا وقتا، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ﴾ [الحج] فواحدة بواحدة والبادي أظلم. فقال القاضي: إن زوج العمة لم يكن له أن يتزوج ابنة أخيها وهي في عدته؛ فأرادت العجوز أن تتولى التفريق بينه وبينها استيفاء لها ومجازاة لها على فعلها، فقلت لها: قد فرقت بينكما، قومي إلى منزلك.

■ (١) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار. وقيل داود. ابن بلال الأنصاري الكوفي: قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس. ولد بالكوفة سنة 74 هـ واستمر 33 سنة. له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره. مات بالكوفة سنة 148 هـ وكان أبوه عبد الرحمن استعمله الحجاج على القضاء ثم عزله، ثم ضرب ليسب عليا، وشهد وقعة الجمل، وكانت راية علي بن أبي طالب بيده، يروي عن عمر وعلي وعبد الله وأبي، وكان خرج مع ابن الأشعث وقتل بدجيل، وقيل غرق في نهر البصرة، وقيل فقد بدير الجماجم سنة 83 هـ للهجرة، وقيل سنة إحدى، وقيل سنة اثنتين.

قال ابن أبي الحديد: المرأة عقرب حلوة اللسبة. واللسبة: اللسعة، لسبته العقرب بالفتح: لسعته، ولسبت العسل بالكسر، أي لعقته. وقيل لسقراط: أي السباع أجسر؟ قال المرأة. ونظر حكيم إلى أمرأة مصلوبة على شجرة فقال: ليت كل شجرة تحمل مثل هذه الثمرة. مرت بسقراط امرأة وهى تتشوف فقالت: يا شيخ، ما أقبحك؟ فقال: لولا أنك من المرايا الصدئة لغمني ما بان من قبح صورتي فيك. ورأى بعضهم مؤدبا يعلم جارية الكتابة، فقال: لا تزد الشر شرا، إنما تسقى سهما سما لترمى به يوما ما. ورأى بعضهم جارية تحمل نارا فقال: نار على نار، والحامل شر من المحمول. وتزوج بعضهم امرأة نحيفة، فقيل له في ذلك، فقال: اخترت من الشر أقله. كتب فيلسوف على بابه: ما دخل هذا المنزل شر قط، فقال له بعضهم: اكتب: إلا المرأة. ورأى بعضهم امرأة غريقة في الماء، فقال: زادت الكدر كدرا، والشر بالشر يهلك. وفي الحديث المرفوع: ﴿اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ شِرَارِ النِّسَاءِ، وكونوا من خيارهن على حذر﴾ وفى كلام الحكماء: اعص هواك والنساء، وافعل ما شئت. دعا بعضهم لصاحبه، فقال: أمات الله عدوك؟ فقال: لو قلت: زوج الله عدوك، لكان أبلغ في الانتقام. ومن الكنايات المشهورة عنهن: سلاح إبليس. وفي الحديث المرفوع: ﴿إِنَّهُنَّ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ﴾ وقد تقدم من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في هذا الكتاب ما هو شرح وإيضاح لهذا المعنى. وجاء في الحديث أيضا: ﴿شَاوِرُوهُنَّ وَخَالِفُوهُنَّ﴾ وفي الحديث أيضا: ﴿النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ﴾ وفى الحديث أيضا: ﴿مَا تَرَكْت بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ﴾ وفي الحديث أيضا: ﴿الْمَرْأَةُ ضِلَعٌ عَوْجَاءُ إِنْ داريتها سْتَمْتَعْتَ بِهَا، وإن تقويمها كَسَرْتَ﴾ وقال الشاعر في هذا المعنى: هي الضلع العوجاء لست تقيمها..ألا إن تقويم الضلوع انكسارها أيجمعن ضعفا واقتدارا على الفتى..أليس عجيبا ضعفها واقتدارها؟ ومن كلام بعض الحكماء: ليس ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة إلا بعد موتها. وفي الأمثال: لا تحمدن أمة عام شرائها، ولا حرة عام بنائها. ومن كلام عبد الله المأمون: إنهن شر كلهن، وشر ما فيهن ألا غنى عنهن. وقال بعض السلف: إن كيد النساء اعظم من كيد الشيطان، لان الله تعالى ذكر الشيطان، فقال: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء]. وذكر النساء فقال: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف]. وكان يقال: من الفواقر امرأة سوء إن حضرتها لسبتك، وإن غبت عنها لم تأمنها. وقال حكيم: أضر الأشياء بالمال والنفس والدين والعقل والعرض شدة الإغرام بالنساء، ومن أعظم ما يبتلى به المغرم بهن أنة لا يقتصر على ما عنده منهن ولو كن ألفا، ويطمح إلى ما ليس له منهن. وقال بعض الحكماء: من يحصى مساوئ النساء! اجتمع فيهن نجاسة الحيض والاستحاضة، ودم النفاس، ونقص العقل والدين، وترك الصوم والصلاة في كثير من أيام العمر، ليست عليهن جماعة ولا جمعة، ولا يسلم عليهن، ولا يكون منهن إمام ولا قاض ولا أمير ولا يسافرن إلا بولي. وكان يقال: ما نهيت امرأة عن أمر إلا أتته. وفي هذا المعنى يقول طفيل الغنوي: إن النساء كأشجار نبتن معا..هن المرار وبعض المر مأكول إن النساء متى ينهين عن خلق..فإنة واجب لا بد مفعول.

كان أبوه : عبد الرحمن بن أبي ليلى أبو عيسى الأنصاري الكوفي، ويقال أبو محمد الفقيه المقريء.روى عن: عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي ذر، وأبي بن كعب، وصهيب، وقيس بن سعد بن عبادة، وأبي أيوب، والمقداد وروايته عن معاذ في السنن الأربعة، ولم يلحقه وطائفة سواهم. ولأبيه صحبة. ولد في وسط خلافة عمر، وهو يصغر عن السماع عنه، بل رآه يمسح على الخفين. روى عنه: الحكم بن عتيبة، وعمرو بن مرة، وعبد الملك بن عمير، وحصين بن عبد الرحمن، والأعمش، وكان قد أخذ عن علي القرآن. وقال ابنه محمد بن عبد الرحمن: وفد أبي على معاوية. وقال شعبة بن عمرو بن مرة، عن ابن أبي ليلى قال: صحبت عليا في الحضر والسفر، وأكثر ما يحدثون عنه باطل. قال محمد بن سيرين: جلست إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى وأصحابه يعظمونه كأنه أمير. وقال ثابت البناني: كنا إذا قعدنا إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لرجل: اقرأ القرآن فإنه يدلني على ما تريدون، نزلت هذه الآية في كذا، وهذه في كذا. وقال عطاء بن السائب، عن ابن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار، إذا سئل أحدهم عن شيء ود أن أخاه كفاه. وعن عبد الله بن الحارث، أنه اجتمع بابن أبي ليلى فقال: ما شعرت أن النساء ولدن مثل هذا.

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ معاهدة التنصيص/ أخبار القضاة/ الأعلام للزركلي/ معرفة السنن والآثار للبيهقي / نفح الطيب/ تاريخ الإسلام للذهبي/ الوافي بالوفيات/ شرح نهج البلاغة/ المبسوط/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) وغوث بن سليمان 0635

قال أبو عمر الكندي: وقع بين أبي جعفر وبين أم المهدي وهي أروى بنت يزيد بن منصور بن عبد الله الحميري[1] خصومة، فقلت: لا أرضى إلا بحكم غوث بن سليمان[2] قاضي مصر، فحمل إلى العراق حتى حكم بينهما ورجع إلى مصر. وأورد ابن يونس قصة من طريق عبد الواحد بن زرارة سمعت غوث بن سليمان يقول: بعث إلي أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور فحملت إليه، فقال لي: يا غوث، إن صاحبتكم الحميرية خاصمتني إليك في شروطها. قلت: أفترضي يا أمير المؤمنين بحكمي عليك؟، قال: نعم. قلت: فالحكم له شروط أفيحتملها أمير المؤمنين بحكمي عليك؟، قال: نعم. قلت فيأمرها أمير المؤمنين أن توكل وكيلا وتشهد على وكالته خادمين آخرين يعدلها أمير المؤمنين على نفسه. ففعل فوكلت خادما وبعثت معه بكتاب صداقها، وشهد الخادمات بالوكالة، فقلت: قد تمت الوكالة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يساوى الخصم في مجلسه. قال: فانحط عن فرشه وجلس مع الخصم، ودفع إلى الوكيل كتاب الصداق فقرأته عليه فقلت: يقر أمير المؤمنين بما فيه؟ قال: نعم. قلت: رأى في الكتاب شروطا مؤكدة وبها يتم النكاح بينكما. أرأيت يا أمير المؤمنين لو خطبت إليهم ولن تشترط لهم هذه الشروط أكانوا مزوجيك؟ قال: لا، قلتك فبهذا الشرط تم النكاح، وأنت أحق من وفى لها بشرطها. قال: قد علمت إذ أجلستني هذا المجلس أنك ستحكم علي. قال: فقلت له: أعظم جائزتي وأطلق سبيل. قال: جائزتك علي من حكمت له. قال: ثم أمر لي بخلعة وجائزة. قال: ثم أمر أبو جعفر باحتباس غوث بن سليمان ليحكم بين أهل الكوفة فقال له غوث: يا أمير المؤمنين، ليس البلد بلدي، ولا معرفة لي بأهله، فإذا أنا ناديت من له حاجة بخصومة فلم يأت أحد أتأذن لي يا أمر المؤمنين في الرجوع بلدي؟ قال: نعم. قال: فجلس غوث يحكم ثم نادى بعد فانقطعت عنه الخصوم فرجع إلى مصر. وقال غير أبي عمر: كان من الشرط أنه لا يتسرى، ولا يتزوج عليها، فأكدت عليه ذلك، وأشهدت شهودا. فبقي عشر سنين من سلطانه كذلك. فكان يكتب إلى الفقيه بعد الفقيه ليفتيه برخصة، إذا علمت المرأة بذلك أرسل إلى ذلك الفقيه بمال، وتسأله أن لا يفتيه فيه برخصة. قال: فلم يزل على ذلك حتى ماتت، فبلغه وفاتها وهو بـ حولان* فأهديت إليه في تلك الليلة مائة بكر. ولم يزل غوث بن سليمان على ولايته هذه إلى أن مات في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين ومائة، وكانت ولايته الأخيرة سنة واحدة، وصلى عليه موسى بن مصعب الخثعمي[3] أمير مصر.

----

*(الصداق) المهر (النكاح) الزواج (حولان) حرلان وهي من قرى غوطة دمشق

■ (2) غوث بن سليمان بن زياد بن ربيعة بن نعيم بن ربيعة بن عمرو بن عبيدة ابن جذيمة الحضرمي ثم الصوراني (وهذه النسبة إلى صوران قرية باليمن للحضارمة) أبو يحيى. ولي القضاء بمصر ثلاث مرات من قبل المنصور والمهدي. مات زمن المهدي سنة 168 هـ قال المفصل بن فضالة: لم يكن غوث بن سليمان فقيها، ولكن كان أعلم الناس بمعاني القضاء وسياسته، فكان أمره من أحسن شيء وكان هونا.

■ (3) موسى بن مصعب الخثعمي: أمير، من القواد في العصر العباسي. ولي مصر سنة 167 هـ، للمهدى. وتشدد في طلب الخراج، فنقم عليه الجند والناس. ثم ثار بعض أهل مصر، فقاتلهم بالجند، فانهزم جنده وقتل هو في مكان يسمى العريرا. سمة 168 هـ قال ابن تغري بردي: كان ظالما غاشما، من شر ملوك مصر.

■ (1) أم موسى بنت منصور الحميرية، اسمها أروى وتكنى بأم موسى، هي زوجة الخليفة أبو جعفر المنصور العباسي ووالدة الخليفة المهدي العباسي، كان أبوها منصور بن عبد الله بن ذي سهم بن يزيد الحميري. وقد بقي المنصور على عهده ولم يتزوج بامرأة أخرى حتى وفاتها قبل سنة 146هـ

حدث أبو رجاء حماد بن المسور، قال: قدمت امرأة من الريف وغوث ذاهب إلى المسجد عند السراجين فشكت إليه أمرها وأخبرته بحاجتها، فنزل عن دابته في بعض حوانيت السراجين وكتب لها بحاجتها، ثم ركب إلى المسجد، فانصرفت المرأة وهي تقول: أصابت والله أمك حين سمتك غوثا، وأنت والله غوث عند اسمك.

قال سعيد بن عفير: كان غوث أول من سأل عن الشهود بمصر، وكان الناس قبل ذلك يشهدون فمن عرف بالخير قبل ومن لم يعرف سئل عن جيرانه، فما ذكروه به من خير أو شر عمل به. ومن لم يعرف لم يقبل، حتى فشت شهادة الزور، فسأل غوث عن الشهود في السر. فمضى الأمر على ذلك. وكان من أثنوا عليه قبلت شهادته، ثم كان واحدا من الناس، ولم يكن أحد يومئذ يوسم بالشهادة ولا يشار إليه بها.

فلما كان في شهر رمضان سنة أربع وأربعين، ورد كتاب المنصور بحبس غوث، فحبس واختلف في سبب ذلك، فقيل إن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي مضى فارا من المنصور واستتر بمصر، فاتهم غوث بن سليمان أن يكون تغيب عنده. وذكر ابن يونس عن فتيان بن أبي المسح: أن غوثا اتهم براي الإباضية من الخوارج. وقال غير ابن يونس: وقيل إنه اتهم بمكاتبة أبي الخطاب الإباضي. قال فتيان ابن أبي المسح: حدثني ربيعة النفوسي قال: أنا حملت كتاب أبي الخطاب الإباضي من إفريقية إلى غوث، وحملت كتاب غوث إلى أبي الخطاب. وحبس مع غوث كاتبه حمزة بن زياد، فشفع صالح بن علي في حمزة، فكتب المنصور برده حيث وجد فوصل وهو بحلب. فأبى أن يرجع، وقدم العراق فاعتذر للمنصور لما قدم من الحج فعذره ورده إلى مصر، ثم أعيد غوث بن سلميان المرة الثالثة في جمادى الأولى سنة سبع وستين من قبل المهدي.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ تاريخ بغداد/ الأعلام للزركلي/ رفع الإصر عن قضاة مصر/

قال أبو العرب حدثني يحيى بن عبد العزيز عن بقي بن مخلد عن أبي حصين وحسن بن يونس عن حجاج بن محمد الأعور وكان مؤدبا لآل سليمان بن مجالد[1] قال: قدم علينا عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب[2] وكان أمير المؤمنين أقدمه فلقيه سليمان بن مجالد وهو قد دخل القصر قال: فسلم قال: فقال له: ما لي غير هذا الرجل قال: فقال: ما أرى لك عنده خيرا فإنه أبلغ ما أبلغ قال: فما عندك فأشر به علي قال: ما أرى لك شيئا إلا أن تذكره إدناء عمر بن الخطاب[3] عبد الله بن عباس[4] وتقديمه على غيره قال: فدخل فلما رآه عبد الله بن عمر قال: نعم يا أمير المؤمنين قال: يا عدو الله فعلت ما فعلت قال: يا أمير المؤمنين لست بعدو الله ولكني عدو من عادى الله ورسوله يا أمير المؤمنين ليس كما بلغك عني فاذكر إدناء أبي أباك وتقديمه إياه على بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان لأبي على أبيك فهو لي عندك من الحق قال: فأمر به فضرب له في وسط المطبق* خيمة وترك فيها قال: فكان يدخل إلى المطبق بعض أولئك التابعين فربما ذكروا الصحابة قال: فلما طال ذلك عمد إلى عمود الخباء* فأخذه ثم وثب عليهم فكسر أيديهم وأرجلهم قال: فحملوا فأدخلوا على أمير المؤمنين فقال: من فعل بهم هذا؟ قال: مديني في المطبق فقال: علي به فأتي به فاستقبله سليمان بن مجالد فسلم عليه وقال له: إن كنت نجوت من الأولى فما أحسبك تنجو من هذه قال: فقال: والله لأصدقنه ثم ليفعل ما شاء قال: فلما دخل عليه قال له: عبد الله بن عمر قال: نعم قال: يا عدو الله ما نهتك الأولى عن أخراك قال: يا أمير المؤمنين لست بعدو الله ولكني عدو من عادى الله ورسوله اسمع مني يا أمير المؤمنين ما أقول ثم أنتهي إلى ما أحببت من أمري قال: تكلم قال: يا أمير المؤمنين إني كنت بموضع لوكنت به يا أمير المؤمنين كنت أشد نكرة عليهم مني وأشد تغييرا لما كان منهم إني رأيت هؤلاء يشتمون عمومتك من المهاجرين قال: فقال: أخرجوه إلى المدينة فأخرجوه إلى المدينة.

وفي رواية حدث أبو مسعود، قال: أقدم المنصور، عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب من المدينة بسبب محمد بن عبد الله بن الحسن[5]، ويقال لأمر بلغه عنه غير ذلك، فلما أدخل إليه قال له: يا عدو الله، قال: لست بعدو الله، وليس الأمر على ما بلغك، واذكر إدناء أبي أباك وتقديمه إياه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: قبحك الله، أفما كان لي عليك من الحق ما كان لأبي أبيك؟ ثم أمر به إلى المطبق، فوقع بينه وبين قوم من الرافضة* ملاحاة* فوثب إلى خشبة فاقتلعها ثم ضربهم بها، فبلغ ذلك المنصور فأمر أن يؤتى به. فلما وقف بين يديه قال له: أما نهتك أولاك عن أخراك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني كنت أسمع شيئا لو سمعته لأنكرته، سمعت هؤلاء يشتمون عمومتك من المهاجرين: أبا بكر، وعمر، وعثمان، فقال: ردوه إلى المدينة.

وحدث محمد بن سعد قال: خرج عبد الله بن عمر مع محمد بن عبد الله بن حسن فلم يزل معه حتى انقضى امره وقتل واستخفى عبد الله بن عمر ثم طلب فوجد فأتى به أبو جعفر المنصور فأمر بحبسه فحبس في المطبق سنين ثم دعا به فقال: ألم افضلك وأكرمك ثم تخرج علي مع الكذاب! قال: يا أمير المؤمنين، وقعنا في أمر لم نعرف له وجها والفتنة بعد، فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو ويصفح ويحفظ في عمر بن الخطاب، فليفعل، قال: فتركه وخلى سبيله. وتوفى بالمدينة سنة إحدى أو اثنتين وسبعين ومائة في أول خلافة هارون بن محمد.

----

*(عمود الخباء) من خشب قائم في الوسط (المطبق) سجن بناه المنصور ببغداد سنة 146هـ (الرافضة) فرقة من شيعة الكوفة سموا بذلك لأنهم رفضوا أي تركوا زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن في الصحابة فلما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه ثم استعمل هذا في كل من غلا في هذا المذهب وأجاز الطعن في الصحابة (لاحاه) ملاحاة ولحاء نازعه وخاصمه ولاومه

■ (2) عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب: أبو عبد الرحمن، العدوي العمري، المدني من أهلها، أخو عبيد الله وعاصم وأبي بكر، وأحد أوعية العلم، وكان كما لابن أبي الدنيا يكنى أبا القاسم، فتركها واكتنى أبا عبد الرحمن، قال أحمد: لا بأس به، كان رجلا صالحا لكنه كان يزيد في الأسانيد ويخالف، كان يسأل في حياة أخيه عبيد الله عن الحديث فيقول: أما وأبو عثمان وهي كنيته حي فلا، وكذا قال ابن عدي: لا بأس به في رواياته ولا يلحق أخاه، وقال العجلي: لا بأس به في رواياته، وقال ابن المديني: ضعيف، وقال النسائي، ليس بالقوي، وضعفاء العقيلي وابن حبان، مات بالمدينة سنة على الصحيح، وقيل سنة 172 هـ، وقيل 173 هـ

■ (4) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله،يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

■ (1) سليمان بن مجالد بن أبي مجالد الوزير من أهل الأردن كان أخا أبي جعفر المنصورمن الرضاعة وكان معه بالحميمة في أرض الشام فلما أفضت إليه الخلافة قربه وأدناه وكان معه كالوزير وقدم معه بغداد حين بناها وولاه الري وولي له الخزائن إلى حين وفاته فلما توفي ولى المنصور ابن أخيه إبراهيم بن صالح بن مجالد مكانه

■ (3) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (5) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة 145 هـ وهو بن 45 سنة.

النفس الزكية، محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، الملقب بالارقط وبالمهدي وبالنفس الزكية: أحد الامراء الاشراف من الطالبيين. ولد ونشأ بالمدينة. وكان يقال له صريح قريش، لان أمه وجداته لم يكن فيهن أم ولد. وسماه أهل بيته بالمهدي. وكان غزير العلم، فيه شجاعة وحزم وسخاء. ولما بدأ الانحلال في دولة بني أمية بالشام، اتفق رجال من بني هاشم بالمدينة على بيعته سرا، وفيهم بعض بني العباس، وقيل: كان من دعاته أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور ثم ذهب ملك الاموين، وقامت دولة العباسيين، فتخلف هو وأخوه إبراهيم عن الوفود على السفاح، ثم على المنصور. ولم يخف على المنصور ما في نفسه، فطلبه وأخاه، فتواريا بالمدينة، فقبض على أبيهما واثني عشر من أقاربهما، وعذبهم، فماتوا في حبسه بالكوفة بعد سبع سنين. وقيل: طرحهم في بيت وطين عليهم حتى ماتوا. وعلم محمد النفس الزكية بموت أبيه، فخرج من مخبئه ثائرا، في مئتين وخمسين رجلا، فقبض على أمير المدينة، وبايعه أهلها بالخلافة. وأرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة فغلب عليها وعلى الاهواز وفارس. وبعث الحسن بن معاوية إلى مكة فملكها. وبعث عاملا إلى اليمن. وكتب إليه المنصور يحذره عاقبة عمله، ويمنيه بالامان وواسع العطاء، فأجابه: لك عهد الله إن دخلت في بيعتي أن أؤمنك على نفسك وولدك. وتتابعت بينهما الرسل، فانتدب المنصور لقتاله ولي عهده عيسى بن موسى العباسي، فسار إليه عيسى بأربعة آلاف فارس، فقاتله محمد بثلاثمئة على أبواب المدينة. وثبت لهم ثباتا عجيبا، فقتل منهم بيده في إحدى الوقائع سبعين فارسا. ثم تفرق عنه أكثر أنصاره، فقتله عيسى في المدينة، وبعث برأسه إلى المنصور. سنة 145 هـ وكان شديد السمرة، ضخما، يشبهونه في قتاله بالحمزة. وهو أبو الاشتر العلوي عبد الله، السابقة ترجمته.

مراجع:أنساب الأشراف/ المحن/ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة/ كتاب العين/ المعجم الوسيط/ أنساب الأشراف/ الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/ نسب قريش/ تاريخ بغداد/

قال الزمخشري: أتي المنصور ببشير الرحال[1] ومطر الوراق[2] مكبلين، وقد كانا خرجا مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن[3]، فقال لبشير: أنت القائل أجد في قلبي غما لا يذهبه إلا برد عدل أو حرسنان؟ قال: نعم، قال: فوالله لأذيقنك حر سنان يشيب منه رأسك، قال: إذن اصبر صبرا يذل به سلطانك. فقطعت يده فما قطب ولا تحلحل. وقال لمطر: يا ابن الزانية؟ قال: إنك تعلم أنها خير من سلامة–وهى ام المنصور–، قال: يا أحمق! قال: ذاك من باع آخرته بدنياه فرمى به من سطح فمات.

----

(1) بشير الرحال ؟ (2) مطر الوراق ؟

(3) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي، خرج بالبصرة على المنصور وتحول إلى الكوفة وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة 145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة وأهل مكة وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في رمضان فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن أبا جعفر المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى فخرج إلى المدينة فلقيه محمد بن عبد الله فانهزم بأصحابه وقتل ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر

قال نشوان الحميري: خرجت المعتزلة مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب على أبي جعفر المنصور، ورئيس المعتزلة يومئذ: بشير الرحال، وكان متقلدا سيفا حمائله تسعة، وعليه مدرعة صوف، متشبها بعمار ابن ياسر، فقتلوا بين يديه صبرا، وذلك أن أصحاب إبراهيم انهزموا، فوقف هو والمعتزلة، فقتلوا جميعا بباخمرى على ستة عشر فرسخا من الكوفة. وكان أبو جعفر المنصور يقول: ما خرجت المعتزلة حتى مات عمرو بن عبيد[1]. وكان بلغ المنصور أن محمد بن عبد الله، النفس الزكية[2]، كتب إلى عمرو بن عبيد يستمليه؛ فضاق المنصور بذلك ذرعا وأرسل إلى عمرو بن عبيد، فلما وصله، أكرمه وشرفه، وقال له: بلغني أن محمد بن عبد الله كتب إليك كتابا؛ قال عمرو: قد جاءني كتاب، يشبه أن يكون كتابه؛ فقال له المنصور: فبم أجبته؟ قال: لم أجبه إلى ما أراد؛ فقال المنصور: أجل، ولكن أحب أن تحلف لي ليطمئن قلبي؛ فقال عمرو: ولئن كنت كذبتك تقية، لأحلفن لك تقية؛ فقال له المنصور: أعني بأصحابك؛ فقال له عمرو: أظهر الحق والعدل، يتبعك أهله. فقال له المنصور: عظنا يا أبا عثمان. فقال عمرو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر] ... إلى آخرها. فبكى المنصور بكاء شديدا كأنه لم يسمع تلك الآيات إلا الساعة. ثم قال: اتق الله، فإن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها، فأفقد نفسك منه ببعضها، واعلم أن الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد غيرك ممن كان قبلك، ثم أفضى إليك، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك، وأحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة. فبكى المنصور بكاء شديدا، كبكائه الأول، حتى كادت نفسه تفيض. فقال له سليمان بن مخالد[3]: رفقا بأمير المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم. فقال له عمرو: اسكت لا أبا لك، وماذا خفت عليه إن بكى من خشية الله؟ فلما هم عمرو بالنهوض، قال له المنصور: هل من حاجة يا أبا عثمان؟ فقال عمرو: نعم، وذلك ألا تبعث إلي حتى آتيك؛ قال المنصور: إذا لا نلتقي؛ فقال عمرو: عن حاجتي سألتني؛ فقال المنصور: أستحفظك الله، وودعه. وانصرف عمرو.

قال جابر قميحة: أبو جعفر المنصور (95– 158 هـ) هو الخليفة الثاني في دولة بني العباس. حكم لمدة واحد وعشرين عاما (137 – 158 هـ) كان شجاعا حازما ولكنه كان جبارا ظالما فقتل خلقا كثيرا ظلما وعدوانا ومن ضحاياه الإمام أبو حنيفة الذي سجنه وقتله بالسم لأنه أفتي بالخروج عليه. ومن عجب أنه استهل حكمه بقتل أبي مسلم الخراساني الذي لولا سيفه ما قامت الدولة العباسية. ومن ظلمه واستهانته بالرعية أنه ألزم الناس بلبس القلانس الطوال علي رؤوسهم والقلانس أغطية للرأس كالطواقي أو الطرابيش المدببة من أعلي. كما يحسب عليه أنه أوقع بين العباسيين والعلويين وكانوا قبله قوة واحدة تعيش في تلاق وصفاء. ومن غدره أنه خلع عمه عيسي بن موسي من ولاية العهد وكان السفاح، مؤسس الدولة العباسية، عهد إليه من بعد المنصور فخلعه وعهد إلي ولده المهدي. ولظلمه خرج عليه كثيرون بالسيف ومنهم من عمل علي إثارة الناس وتحريضهم علي الخروج عليه ويشد النظر من هؤلاء جميعا بشير الرحال وكان واحدا من كبار وجوه البصرة المعتزلة الذين عرفوا بالعبادة والزهد وإنما لقب بالرحال لأنه كان له سنة رحلة إلي الحج وسنة رحلة إلي الجهاد في سبيل الله. ولما رأي من ظلم المنصور في الناس ما رأي أعطي لله عهدا ألا يختلف في أمر المنصور سيفان إلا كان مع الذي عليه منهما. وعاش آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر شديدا في جنب الله لا يخشي في الحق لومة لائم وكان يوجه كلمات كالسهام إلي المهادنين للظالم النائمين الراضين المستسلمين لسطوته وخصوصا أعيان الناس و كبارهم. ويروي أنه في المسجد أشار إلي هؤلاء وقال: .... والله لولا هؤلاء ما نفذت لله معصية.. وأقسم بالله لئن بقيت لأجهدن في ذلك جهدي أو يريحني من هذه الوجوه المشوهة المستكرة في الإسلام. ووقف يعرض بأبي جعفر المنصور ويخطب في الناس بصوت قارع:.. أيها القائل بالأمس: إن ولينا عدلنا وفعلنا وصنعنا فقد وليت فأي عدل أظهرت؟ وأي جور أزلت؟ وأي مظلوم أنصفت؟ آه ما أشبه الليلة بالبارحة. إن في صدري نارا لا يطفيها إلا برد عدل أو حر سنان. ورأي ذات يوم بعض رجال السلطة يتجسسون علي الناس وقد تقنعوا ولكن بشير الرحال كشفهم وقال:.. ويتقنعون وينظرون من بعيد أفلا يتقنعون لله عز وجل في الحديد؟، أي ياليتهم لبسوا عدة الحرب ومنها أقنعة الحديد للجهاد في سبيل الله. وكان الناس يخافون الاقتراب منه اتقاء لعسكر المنصور. وقبض عليه ووقف أمام المنصور فقال لبشير: أأنت القائل: إن في صدري نارا لا يطفيها إلا برد عدل أو حر سنان؟ قال: أنا ذاك. فقال المنصور: والله لأذيقنك حد سنان يشيب رأسك. قال بشير: ولكني لا أعينك علي معاصي الله... قال الراوي: فمدوا يده فقطعت ثم مدوا الأخري فقطعت فما قطب ولا عبس ولا تململ. وفي الموقف نفسه كان مطر الوراق وهو صنو بشير الرحال في الخروج علي المنصور. خاطبه المنصور قائلا: يا مطر نسيت الحرمة وطول الصحبة؟ قال: نسيناها بنسيانك كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضييعك أمور المسلمين. قال المنصور: فتخرج علي مع من لم تأنس منه رشدا؟ فهذا خلاف مذهبك. قال: لو خرج –ايتمرد– عليك الذر–وهم أضعف الخلق– لخرجت معهم؛حتي أؤدي ما افترض الله علي فيك. قال المنصور: يا ابن حسنة الزانية قال مطر: إنك تعلم أنها خير من سلامة–وهي ام المنصور– ولولا أنه قبيح بذي الشيب السفه لأعلمتك ما تكره ولا تطيق رده قال المنصور: خذوه. قال مطر: إن بعد موقفك هذا موقفا وإن بعد أخذتك هذه أخذة. فانظر لمن تكون العاقبة.. قال الراوي: فجزع المنصور من قوله جزعا شديدا ظهر فيه. ثم قتله.

ومات المنصور وعلى يديه استشهد بشير الرحال ومطر الوراق وجاءت بعد العصر العباسي عصور ودفن الحاكم المتجبر الظالم تحت ركام من لعنات التاريخ. وبقيت كلمات الشهيدين منارة للأجيال على هديها يمضي الأطهار الأحرار والدعاة الشامخون الأعزة الأباة: إن في الصدر نارا لا يطفيها إلا برد عدل أو حر سنان...لا ولاء لحاكم أغفل الكتاب والسنة وضيع أمور المسلمين...أيها الظالم إن بعد موقفك هذا موقفا بين يدي الله...أيها الظالم تذكر أن العاقبة ليست لك ولكنها للمتقين. وكلها كلمات من دستور أهم آلياته الخالدة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما، كما قال حجة الإسلام الغزالي: القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين. ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة (الضعف) وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشري الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد. ويقول الشهيد عبد القادر عودة: ومن المتفق عليه بين الفقهاء أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس حقا للأفراد يأتونه إن شاءوا ويتركونه إن شاءوا وليس مندوبا إليه يحسن بالأفراد إتيانه وعدم تركه وإنما هو واجب علي الأفراد ليس لهم أن يتخلوا عن أدائه وفرض لا محيص لهم من القيام بأعبائه.

----

(1) عمرو بن عبيد بن باب وهو مولى لبني تميم، وجده باب، من سبي فارس، مولى لآل عرادة، من بلعدوية، من حنظلة تميم، وعبيد أبو عمرو، كان نساجا، ثم تحول شرطيا للحجاج، وهو من سبي سجستان، وقال ابن قتيبة، والفسوي: هو عمرو بن عبيد بن باب، مولى لآل عرادة بن يربوع بن مالك، ويكنى أبا عثمان، وكان عبيد أبوه يختلف إلى أصحاب الشرط، ولعله يقصد الشرط بالبصرة؛ فكان الناس إذا رأوا عمرا مع أبيه، قالوا: خير الناس ابن شر الناس، فيقول عبيد: صدقتم هذا إبراهيم، وأنا آزر، وقال ابن كثير عند التعريف به: عمرو بن عبيد بن ثوبان، ويقال ابن كيسان التيمي، مولاهم، أبو عثمان البصري، من أبناء فارس، شيخ القدرية، والمعتزلة.ولد عمرو بن عبيد سنة 80 هـ، وتوفي سنة 144 هـ قال ابن حبان: كان عمرو بن عبيد من العباد الخشن، وأهل الورع الدقيق، ممن جالس الحسن سنين كثيرة، ثم أحدث ما أحدث، واعتزل مجلس الحسن البصري، ومعه جماعة؛ فسموا المعتزلة، وكان عمرو بن عبيد داعية إلى الاعتزال. روي ابن كثير، أن أبا جعفر اغتر بزهد عمرو، وأخفى بدعته.وقال ابن كثير: كان عمرو يغر الناس بتقشفه، وهو مذموم ضعيف الحديث جدا.. ، وقد كان محظيا عند أبي جعفر المنصور، وكان المنصور يحبه، ويعظمه؛ لأنه كان يفد على المنصور مع القراء، فيعطيهم المنصور، فيأخذون، ولا يأخذ عمرو منه شيئا.

(3) سليمان بن مجالد بن أبي مجالد الوزير من أهل الأردن كان أخا أبي جعفر المنصور أمير المؤمنين من الرضاعة وكان معه بالحميمة في أرض الشام فلما أفضت إليه الخلافة قربه وأدناه وكان معه كالوزير وقدم معه بغداد حين بناها وولاه الري وولي له الخزائن إلى حين وفاته فلما توفي ولى المنصور ابن أخيه إبراهيم بن صالح بن مجالد مكانه

(2) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة 145 هـ وهو بن 45 سنة.

مراجع:/ الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/ نثر الدر/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ الحور العين/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) وهشام بن عروة 0638

كان هشام بن عروة [1] أحد تابعي المدينة المشهورين المكثرين في الحديث، المعدودين من أكابر العلماء وجلة التابعين، وهو معدود في الطبقة الرابعة من أهل المدينة رضي الله عنهم. ذكر الخطيب في تاريخ بغداد أن المنصور قال له يوما: يا أبا المنذر، تذكر يوم دخلت عليك أنا وإخوتي الخلائف وأنت تشرب سويقا بقصبة يراع، فلما خرجنا من عندك قال لنا أبونا: اعرفوا لهذا الشيخ حقه، فإنه لا يزال في قومكم بقية ما بقي، فقال: لا أذكر ذلك يا أمير المؤمنين. فلما خرج هشام قيل له: يذكرك أمير المؤمنين ما تمت به إليه فتقول لا أذكره! فقال: لم أكن أذكر ذلك، ولم يعودني الله في الصدق إلا خيرا.

وروي عنه أنه دخل على المنصور فقال: يا أمير المؤمنين، اقض عني ديني، قال: وكم دينك؟ قال: مائة ألف، قال: وأنت في فقهك وفضلك تأخذ دينا مائة ألف ليس عندك قضاؤها ! فقال: يا أمير المؤمنين شب فتيان من فتياننا، فأحببت أن أبوئهم*، وخشيت أن ينتشر علي من أمرهم ما أكره، فبوأتهم واتخذت لهم وأولمت عنهم ثقة بالله وبأمير المؤمنين، قال: فردد عليه مائة ألف!! استعظاما لها، ثم قال: قد أمرنا لك بعشرة آلاف، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطني ما أعطيت وأنت طيب النفس، فإنني سمعت أبي يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿مَنْ أَعْطَى عَطِيَّةً وَهُوَ بِهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بُورِكَ لِلْمُعْطِي وَلِلْمُعْطَى﴾ حديث مرسل قال: فإني طيب النفس بها.

حدث المنذر بن عبد الله الحزامي قال: لما قدم أمير المؤمنين أبو جعفر المدينة، وأوجه هشام بن عروة، جاءته بنو أسد فقالوا: قد بلغنا رأي أمير المؤمنين فيك، ونحن نحب أن تكلمه فينا، وتستفرض لنا منه. فقال لهم هشام: حياكم الله، ما من أحد أحب إلي من قومي، ثم الأقرب فالأقرب منهم، فإن يا تسع لي ما عند أمير المؤمنين أفعل، وإن يضق عني، فسأقتصر بذلك على أدنى الناس مني. قال: فأعطاه أمير المؤمنين فرائض، فأقتصر بها على ولده وولد بنيه. قال: فو الله ما استطاع أحد أن ينطق عليه بمنع ولا خلاف. وأخباره كثيرة رضي الله عنه.

----

*(بوء) بوأها بيتا أي أنزلها منزلا مع الزوج وألزمها ذلك وتبوأ الرجل دارا أي اتخذها مسكنا وفي الحديث عليكم بالباءة يعني النكاح والتزويج

■ (1) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، الفقيه أبو المنذر الأسدي المدني أحد أئمة الحديث أدرك عمه عبد الله بن الزبير، وقدم الكوفة أيام أبي جعفر المنصور فسمع منه الكوفيون.ولد بالمدينة سنة 61 هـ وتوفي ببغداد سنة 146 هـ وصلى عليه المنصور

قال إبراهيم البيهقي: قال بعض الحكماء: عليك بالصدق فما السيف القاطع في كف الرجل الشجاع بأعز من الصدق، والصدق عز وإن كان فيه ما تكره، والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب، ومن عرف بالكذب اتهم في الصدق. وقيل: الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل، والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور. وقال ابن السماك: ما أحسبني أؤجر على ترك الكذب لأني أتركه أنفة. وقال الشعبي: عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك. وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لاَ يَصْلُحُ الْكَذِبُ إِلاَّ فِي ثَلاَثٍ: كذب الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، أَوْ إِصْلاَحٌ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ كَذِبٌ فِي الْحَرْبِ﴾ وفي ذلك روي عن المغيرة بن إبراهيم قال: لم يرخص لأحد في الكذب إلا للحجاج بن علاط [1]، فإنه لما فتحت خيبر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لي عند امرأة من قريش وديعة –وهي أم شيبة بنت أبي طلحة– فإن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أكذب كذبة فلعلي أن أستل وديعتي. قال: فرخص له. فقدم مكة فأخبرهم أنه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا في أيديهم يأتمرون فيه، قائل يقول يقتل وقائل يقول لا بل يبعث إلى قومه فيكون ذلك منة. فجعل المشركون يتباشرون بذلك وييئسون العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم منه والعباس يريهم التجلد. وأخذ الرجل وديعته، فاستقبله العباس فقال: ويحك ما الذي أخبرت به؟! فأعمله السبب ثم أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر واستنكح صفية بنت حيي بن أخطب [2] وقتل أباها وزوجها، وقال له: اكتم علي اليوم وغدا حتى أمضي، ففعل ذلك. فلما مضى أخبرهم العباس بالذي أخبره فكبتوا.

وروي أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أستسر بخلال أربع: الزناء والسرق وشرب الخمر والكذب، فأيهن أحببت تركته لك سرا. فقال: دع الكذب. فمضى الرجل فهم بالزناء فقال: يسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن جحدت نقضت ما جعلته له وإن أقررت حددت، فلم يزن، ثم هم بالسرقة وبشرب الخمر ففكر في مثل ذلك فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له، عليه السلام: تركتهن أجمع. وعن عبد الله بن جراد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله هل يزني المؤمن، قال قد يكون ذاك، قال هل يسرق المؤمن، قال قد يكون ذاك، قال هل يكذب المؤمن، قال لا، ثم اتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى:﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل] وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ﴾ قيل: الإيمان يزيد وينقص. قال النووي: أي لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان. وعن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ﴾ (يطبع) أي يخلق ويجبل (على الخلال) أي الخصال زنة ومعنى (كلها) أي جميع الأخلاق الذميمة؛ لأن الكلام فيها أو الأعم منها (إلا الخيانة والكذب) أي غيرهما، فإن المؤمن يخلق ويجبل على الصدقة والأمانة، كما هو مقتضى التصديق والإيمان، ولذا قال تعالى بصيغة الحصر:﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل] أي الكاملون في الكذب أو المجبولون عليه. وقال صلى الله عليه وسلم:﴿لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ﴾ فما يصدر عن المؤمن من الكذب والخيانة، فهو من الأمور العارضة لطبيعته لا من أصل خلقته وجبلته، ويمكن أن يراد به المبالغة في نفي المؤمن عنهما. قال في النهاية قوله: يطبع عليها أي يخلق، والطباع ما ركب في الإنسان من جميع الأخلاق التي لا يكاد يزايلها (يزاولها) من الخير والشر. قال الطيبي: وإنما كانت الخيانة والكذب منافيين بحاله، فإن الإيمان أفعال من الأمن، وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة؛ ولأنه حامل أمانة الله تعالى، فينبغي أن يكون أمينا لا خائنا. عن مجمع بن يحيى يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿تَحَرَّوُا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، وَاجْتَنِبُوا الْكَذِبَ وَإِنَّ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ النَّجَاةَ فَإِنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ﴾ قال الجاحظ: الصدق والوفاء توأمان والصبر والحلم توأمان فهن تمام كل دين وصلاح كل دنيا وأضدادهن سبب كل فرقة وأصل كل فساد، قال الماوردي وقد يظن بعض الناس أن في الكذب اجتلاب النفع واستدفاع الضر فيرى أن الكذب أسلم وأغنم فرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع واستشفاقا للطمع وربما كان الكذب أبعد لما يؤمن وأقرب لما يخاف لأن القبيح لا يكون حسنا والشر لا يكون خيرا وهل يجنى من الشوك العنب ومن الكرم الحنظل. عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا﴾ وفي رواية قال ﴿إِنَّ الصِّدْقَ بِرٌّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ. وَإِنَّ الْكَذِبَ فُجُورٌ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ﴾.

التاريخ يعيد نفسه..!

جيناتهم المريضة..لا تريد أن تنسى أبدًا أنهم بني عبيد.. أحذية للمعسكر

المتلازمة الخالدة : الجهل والفقر والظلم (الحلقة الجهنمية التي تتغذى على بعضها)

- قلت: هذه الأحاديث الشريفة، تذكرني بحقيقة طيف واسع من المغاربة المتأسلمين أو المتمسلمين المهزومين أصحاب عقدة الخواجة (أي احتقار الذات) وكأنهم جبلوا على الكذب والخيانة، بل أكد أجزم (والعلم لله وحده) أن البربر الذين ارتدوا مرارا لم يعرفوا حقيقة الدين الحنيف وأكثرهم اعتنقوه خوفا وخضوعا وطمعا، كما قال موسى بن نصير: هم أشبه العجم بالعرب.. غير أنهم أغدر الناس، لا وفاء لهم ولا عهدا. قلت: فلا عجب أن أحفادهم (أحقادهم) تحن إلى أحذية الفرنسيس (فرنسا) كما كان أحفاد الوثني الخائن ماسينيسا النوميدي تحن إلى أحذية أسيادهم الرومان. عندما نقارن بين البربر الهمج في شمال إفريقيا وبين شعوب آسيا نجد أكثر تلك الشعوب الأسيوية اعتنقت الإسلام طواعية دون رغبة دفينة أو رهبة، بل إن كثيرا منهم دخل الإسلام بسبب المعاملة وما رؤوه من حسن خلق عند التاجر المسلمين. ولذلك أنجبت لنا تلك المناطق رجالا من أمثال: البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والطبري وابن المبارك وابن ماجة والبغوي والرازي وأبو داود وابن حبان والحاكم والبيهقي والدارمي وابن سيناء والخوارزمي وغيرهم الكثير عكس قبائل شمال إفريقيا التي أنجبت لنا جيشا من زندقة زوايا التصوف ولذلك أجدادهم الأوائل تمردوا وارتدوا مرارا وقتلوا بالغدر والخيانة وما زال أحفادهم (أحقادهم) الطابور الخامس يناصبون الإسلام العداء في تونس صنم المرأة و الإلحاد وجزائر عصابة العسكر ومغرب الخيانة مملكة الحشيش المراكشية التي خرج منها أكثر من مليون صهيوني قاتل إلى فلسطين المسلمة.

■ (2) صفية بنت حيي بن أخطب، من الخزرج: من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كانت في الجاهلية من ذوات الشرف. تدين باليهودية، من أهل المدينة. تزوجها سلام ابن مشكم القرظي، ثم فارقها فتزوجها كنانة ابن الربيع النضري، وقتل عنها يوم خيبر. وأسلمت، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. لها في كتب الحديث 10 أحاديث. توفيت في المدينة سنة 50 هـ.

■ (1) الحجاج بن علاط بن خالد بن ثويرة أبو كلاب ويقال أبو محمد ويقال أبو عبد الله السلمي ثم البهزي له صحبة، وأسلم عام خيبر. وكان يسكن المدينة وبنى بها مسجدا في بنى أمية فنسب اليه، ورخص له رسول الله أن يقول فيه بما شاء عند أهل مكة عام خيبر من أجل ماله وولده حتى جمع ماله بها من أهل وولد. وهو أول من بعث بصدقته إلى رسول الله من معدن بني سليم، عداده في أهل الحجاز. والحجاج مات في خلافة عمر وهو مدفون بقاليقلا من أرض الروم.

مراجع:تاريخ بغداد/ الوافي بالوفيات/ تاريخ الإسلام للذهبي/ أنساب الأشراف/ وفيات الأعيان/ تهذيب الكمال/ سير أعلام النبلاء/ المحاسن والمساوئ/ تعجيل المنفعة/ طلبة الطلبة/ لسان العرب/ معجم المؤلفين/ ذيل تاريخ بغداد لابن النجار البغدادي/ المحاسن والأضداد/

قال ابن الأثير: لما حج المنصور سنة أربع وأربعين ومائة أرسل محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة[1]، ومالك بن أنس[2] إلى بني الحسن، وهم في الحبس، يسألهم أن يدفعوا إليه محمدا [3] وإبراهيم[4] ابني عبد الله[5] فدخلا عليهم وعبد الله قائم يصلي، فأبلغاهم الرسالة، فقال الحسن بن الحسن[6] أخو عبد الله: هذا عمل ابني المشومة ! أما والله ما هذا عن رأينا ولا عن ملاء منا ولنا فيه حكم. فقال له أخوه إبراهيم[7]: علام تؤذي أخاك في ابنيه وتؤذي ابن أخيك في أمه؟ ثم فرغ عبد الله من صلاته فأبلغاه الرسالة، فقال: لا والله لا أرد عليكما حرفا، إن أحب أن يأذن لي فألقاه فليفعل. فانطلق الرسولان فأبلغا المنصور، فقال: أراد أن يسحرني، لا والله لا ترى عينه عيني حتى يأتيني بابنيه.وكان عبد الله لا يحدث أحدا قط إلا قلبه عن رأيه. ثم سار المنصور لوجهه، فلما حج ورجع لم يدخل المدينة ومضى إلى الربذة*، فخرج إليه رياح[8] إلى الربذة فرده إلى المدينة وأمره بإشخاص بني الحسن إليه ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان[9] أخو بني الحسن لأمهم – فاطمة[10] بنت الحسين بن علي–، فرجع رياح فأخذهم وسار بهم إلى الربذة، وجعلت القيود والسلاسل في أرجلهم وأعناقهم، وجعلهم في محامل بغير وطاء؛ ولما خرج بهم رياح من المدينة وقف جعفر بن محمد[11] من وراء ستر يراهم ولا يرونه وهو يبكي ودموعه تجري على لحيته وهو يدعو الله، ثم قال: والله، لا تحفظ لله حرمه بعد هؤلاء. ولما ساروا كان محمد وإبراهيم ابنا عبد الله يأتيان كهيئة الأعراب فيسايران أباهما ويستأذنانه بالخروج، ويقول: لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك. وقال لهما: إن منعكما أبو جعفر، يعني المنصور، أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين. فلما وصلوا إلى الربذة أدخل محمد بن عبد الله العثماني على المنصور وعليه قميص وإزار رقيق، فلما وقف بين يديه قال: إيها يا ديوث ! قال محمد: سبحان الله ! لقد عرفتني بغير ذلك صغيرا وكبيرا ! قال: فممن حملت ابنتك؟ وكانت تحت إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، وقد أعطيتني الأيمان أن لا تغشني ولا تمالئ علي عدوا، أنت ترى ابنتك حاملا وزوجها غائب وأنت بين أن تكون حانثا أو ديوثا ! وايم الله إني لأهم برجمها ! قال محمد: أما أيماني فهي علي إن كنت دخلت لك في أمر غش علمته، وأما ما رميت به هذه الجارية فإن الله قد أكرمها بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها، ولكني ظننت حين ظهر حمله أن زوجها ألم بها على حين غفلة منا. فاغتاظ المنصور من كلامه وأمر بشق ثيابه عن إزاره، فحكي أن عورته قد كشفت، ثم أمر به فضرب خمسين ومائة سوط، فبلغت منه كل مبلغ والمنصور يفتري عليه لا يكنى، فأصاب سوط منها وجهه، فقال: ويحك اكفف عن وجهي! فإن له حرمة برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأغرى المنصور فقال للجلاد: الرأس الرأس! فضرب على رأسه نحوا من ثلاثين سوطا وأصاب إحدى عينيه سوط فسالت، ثم أخرج وكأنه زنجي من الضرب، وكان من أحسن الناس، وكان يسمى الديباج* لحسنه. فلما أخرج وثب إليه مولى له فقال: ألا أطرح ردائي عليك؟ قال: بلى جزيت خيرا ! والله لشق إزاري أشد علي من الضرب. وكان سبب أخذه أن رياحا قال للمنصور: يا أمير المؤمنين أما أهل خراسان فشيعتك، وأما أهل العراق فشيعة آل أبي طالب، وأما أهل الشام فوالله ما علي عندهم إلا كافر، ولكن محمد بن عبد الله العثماني لو دعا أهل الشام ما تخلف عنه منهم أحد. فوقعت في نفس المنصور، فأمر به فأخذ معهم، وكان حسن الرأي فيه قبل ذلك.

ثم إن أبا عون[12] –عامل خراسان ؟– كتب إلى المنصور: إن أهل خراسان قد تقاعسوا عني وطال عليهم أمر محمد بن عبد الله العثماني. فأمر المنصور بقتل العثماني ، وأرسل رأسه إلى خراسان، وأرسل معه من يحلف أنه رأس محمد بن عبد الله وأن أمه فاطمة بنت سول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قتل قال أخوه عبد الله بن الحسن: إنا لله وإنا إليه راجعون ! إن كنا لنأمن به في سلطانهم ثم قد قتل منا في سلطاننا ! ثم إن المنصور أخذهم وسار بهم من الربذة فمر بهم على بغلة شقراء، فناداه عبد الله بن الحسن: يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر ! فأخسأه* أبو جعفر وثقل عليه ومضى، فلما قدموا إلى الكوفة قال عبد الله لمن معه: أما ترون في هذه القرية من يمنعنا من هذا الطاغية ؟ قال: فلقيه الحسن وعلي ابنا أخيه مشتملين على سيفين فقالا له: قد جئناك يا بن رسول الله فمرنا بالذي تريد. قال: قد قضيتما ما عليكما ولن تغنيا في هؤلاء شيئا، فانصرفا. ثم إن المنصور أودعهم بقصر ابن هبيرة* شرقي الكوفة، وأحضر المنصور محمد بن إبراهيم بن الحسن[13]،وكان أحسن الناس صورة، فقال له: أنت الديباج الأصغر؟ قال: نعم. قال: لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحدا ! ثم أمر به فبني عليه أسطوانة وهو حي فمات فيها. وكان إبراهيم بن الحسن أول من مات منهم، ثم عبد الله بن الحسن فدفن قريبا من حيث مات، فإن يكن في القبر الذي يزعم الناس أنه قبره وإلا فهو قريب منه. ثم مات علي بن الحسن.وقيل: إن المنصور أمر بهم فقتلوا، وقيل: بل أمر بهم فسقوا السم، وقيل: وضع المنصور على عبد الله من قال له إن ابنه محمدا قد خرج فقتل فانصدع قلبه فمات، والله أعلم. ولم ينج منهم إلا سليمان وعبد الله ابنا داود بن الحسن بن الحسن بن علي، وإسحاق وإسماعيل ابنا إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وجعفر بن الحسن، وانقضى أمرهم.

----

*(الربذة) موقع شرق المدينة؛ إحدى محطات القوافل بين الكوفة ومكة. أبو ذر كان أول من سكنه (أخسأ) طرد وأبعد (قصر ابن هبيرة) قصر بناه يزيد بن هبيرة، لما ولي العراق، أيام مروان بن محمد، على بعد اثني عشر فرسخا من بغداد، غربي نهر الفرات. لم يعش ابن هبيرة ومات قبل أن يتم، نزل فيه السفاح أول خليفة عباسي وأتم بناءه ودعاه قصر الهاشمية تخليدا لذكرى جده هاشم بن عبد مناف.(الديباج) الثياب المتخذة من الإبريسم أي الحرير الرقيق، وديباجة الوجه حسنه وماؤه والمدبج الرجل القبيح الوجه

■ (9) محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي المدني الصدوق، الديباج لقب به لحسن وجهه، وهو أخو عبد الله بن الحسن بن الحسن لامه، قتله المنصور سنة 145 هـ

■ (1) محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي المدني أبو سليمان.أحد الأشراف. ولي قضاء المدينة لبني أمية ثم وليها للمنصور. قال ابن سعد: كان مهيباً جليلاً صليباً من الرجال. وكان قليل الرواية. مات سنة 154 هـ، فلما بلغ موته المنصور قال: اليوم استوت قريش.وولي بعد محمد بن عمران هذا قضاء المدينة ابنه عبد الله بن محمد وهو لأم ولد، ولاه إياه المهدي أمير المؤمنين، وكان سخيا، وولاه الرشيد هارون ابن المهدي أمير المؤمنين مكة. وقيل ولي قضاء المدينة لهارون أمير المؤمنين ثم عزله واستعمله على قضاء مكة ثم عزله واستعمله على قضاء المدينة ثم عزله فلحق بهارون فلم يزل معه حتى خرج إلى الري فخرج معه فمات بالري سنة 189 هـ وكان عبد الله بن محمد يكنى أبا محمد وكان قليل الحديث.

■ (2) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات.

■ (4) إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي، خرج بالبصرة على المنصور وتحول إلى الكوفة وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة وأهل مكة وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في رمضان فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن أبا جعفر المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى فخرج إلى المدينة فلقيه محمد بن عبد الله فانهزم بأصحابه وقتل ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر.

■ (3) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة145 هـ وهو بن 45 سنة.

■ (5) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: تابعي. من أهل المدينة، قال الطبري: كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف. وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز. ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين، على السفاح، وهو بالانبار، فأعطاه ألف ألف درهم. وعاد إلى المدينة. ثم حبسه المنصور، عدة سنوات، من أجل ابنيه محمد وإبراهيم. ونقله إلى الكوفة، فمات سجينا فيها سنة145 هـ.

■ (6) الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أخو عبد الله وإبراهيم مات في سجن المنصور سنة 145 هـ كان من أجل بني الحسن المثنى، حمله المنصور مع أخيه عبد الله وحبسه بالهاشمية ومات عن ثمان وتسعين سنة ومات قبل أخيه بقليل

■ (7) إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخذه أبو جعفر المنصور وأخذ أخاه عبد الله فحبسهما بسبب محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن قيل إن إبراهيم بن الحسن مات ببغداد والصحيح أن وفاته كانت بالهاشمية في محبسه سنة 145 هـ وهو في حبس أبي جعفر وهو بن 67 وهو أول من مات في الحبس من بنى الحسن

■ (8) رياح بن عثمان بن حيان المري. ولي إمرة دمشق لصالح بن علي الهاشمي أمير الشأم ومصر من قبل المنصور. ثم ولي المدينة للمنصور وعزل محمد بن خالد بن عبد الله القسري ليجد رياح في طلب ابني عبد الله بن حسن بن حسن. فخرج محمد بن عبد الله وحبس رياح بن عثمان وذلك في جمادى الآخرة سنة 145 هـ وأقام بالمدينة حتى قدم عليه عيسى بن موسى بن محمد في جيش بعثه المنصور من الكوفة. فقتل محمد بن عبد الله في رمضان سنة 145 هـ ودخل أصحاب محمد على رياح السجن فقتلوه ذبحه إبراهيم بن مصعب بن الزبير المعروف بابن خضير كما تذبح الشاة ولم يجهز عليه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى مات. وقتل معه أخوه عباس بن عثمان وكان مستقيم الطريقة فعاب الناس ذلك. ثم قتل ابن خضير مع محمد بن عبد الله وكانت له شجاعة موصوفة.

■ (11) أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين؛ أحد الأئمة الا ثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة. وكانت ولادته سنة 80 هـ، وهي سنة سيل الجحاف، وقيل: بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة 83 هـ. وتوفي في شوال سنة 148 هـ بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي، فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه.وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنهم أجمعين.

■ (13) محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأمه أم ولد تدعى عالية. وكان يدعى الديباج الأصفر من حسنه. قيل قتله أبو جعفر حين أمر باسطوانة مبنية ففرقت، ثم أدخل فيها فبنيت عليه، وهو حي.

■ (12) أبو عون، عبد الملك بن يزيد الأزدي ،الخراساني مولى هناءة من الأزد وهو من أهل جرجان. كان أمير مصر (زمن أبو العباس) من سنة 133 هـ إلى سنة 136 هـ ثم ثاني مرة من سنة 137 هـ إلى سنة 141 هـ –في رواية– لم هلك حميد بن قحطبة عامل المهدي على خراسان ولى المهدي مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد –وفي رواية– أقام بها حميد بن قحطبة مدة ثم عزله المنصور، وولى أبا عون عبد الملك بن يزيد، ثم عزل عبد الملك بن يزيد ؟

■ (10) فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب.تابعية روت عن جدتها فاطمة مرسلا وعن أبيها، ولما قتل أبوها حملت إلى الشام وعادت إلى المدينة فتزوجها ابن عمها الحسن بن الحسن ومات عنها فتزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان ومات فأبت الزواج من بعده وتوفيت سنة110 هـ

قال الزبير بن بكار:حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبي السائب قال: احتجت إلى لقحة فكتبت إلى محمد الديباج أسأله أن يبعث إلي بلقحة، فإني لعلى بابي إذا أنا بزاجر يزجر إبلا وإذا هو عبد يزجرها، فقلت: يا هذا ليس ها هنا الطريق.قال: أردت دار أبي السائب، فقلت: أنا هو، فدفع إلي كتاب محمد بن عبد الله فإذا فيه: أتاني كتابك تطلب لقحة وقد جمعت ما كان بحضرتنا منها وهي تسع عشرة لقحة وبعثت معها بعبد يرعاها. قال فبعت منها بثلاثمائة دينار سوى ما حبست. وروى الزبير عن سليمان بن العباس السعدي يمدح محمد بن عبد الله بن عمرو: وجدنا المحض الأبيض من قريش..فتى بين الخليفة والرسول..أتاك المجد من هذا وهذا..وكنت له بمعتلج السيول..فما للمجد رونك من مبيت..وما للمجد دونك من مقيل. وكان أخوه لامه عبد الله بن الحسن بن الحسن يقول: لما ولد محمد أبغضته بغضا ما أبغضته أحدا قط فلما كبر وبرني أحببته حبا ما أحببته أحدا قط وكان جوادا ممدحا وفيه يقول أبو وجزة السعدي[1]: وجدنا المحض الابيض من قريش..فتى بين الخليفة والرسول.

----

*(اللقحة) اللقحة واحدة اللقاح وهي التي تنتج في أول الربيع

■ (1) يزيد بن عبيد السلمي السعدي، أبو وجزة: شاعر محدث مقرئ من التابعين. أصله من بني سليم. نشأ في بني سعد بن بكر بن هوازن فنسب إليهم. وسكن المدينة، فانقطع إلى آل الزبير، ومات بها سنة 130 هـ

مراجع: نهاية الأرب في فنون الأدب/ الكامل في التاريخ/ الوافي بالوفيات/ مقاتل الطالبيين/ تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير/ مشكل الآثار للطحاوي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ تهذيب التهذيب/.

كان عبد الله بن عياش[1] ويعرف بالمنتوف أحد العلماء بأيام الناس، وكان أحد مسامري المنصور وثاقته، ويقال إنه ما أعاد عليه حديثا عشر سنين. وهو الذي درأ بادرته عن أهل البصرة يوم أراد أن يغرقهم لقيامهم مع إبراهيم بن عبد الله[2] وشفع فيهم فقال: يا أمير المؤمنين ملك سليمان فشكر، وابتلي أيوب فصبر، وظلم يوسف فقدر فغفر. فأطرق أبو جعفر مليا ثم قال: يا ابن عياش، فإنا قد شكرنا وصبرنا وغفرنا، وتركنا ما كنا هممنا به في أهل البصرة. وكان الناس يقولون: ما على الأرض بصري إلا ولابن عياش عليه منة. وكان ذلك بعد ظفر المنصور بإبراهيم بن عبد الله العلوي الخارج بها. وخرج مرة، أبو جعفر ليصلي بالناس العصر وكان ذلك في الصيف في سراويل ورداء فقال له الربيع[3]: يا أمير المؤمنين تخرج على الناس في هذا اللباس! فقال له أبو جعفر: ويحك أبقي أحد يستحيا منه؟ ثم رمى ببصره في الحجرة فإذا هو بعبد الله بن عياش فقال: يا ربيع إنما بقي من الناس هذا الشيخ، فإذا مات فقد مات الناس.

قيل حضر بباب المنصور جماعة من أهل الكوفة فيهم ابن عياش يطعنون على عاملهم ويتظلمون من أميرهم، فقال للربيع: أخرج وقل لهم: إن أمير المؤمنين يقول لكم: إن اجتمع اثنان منكم في موضع لأحلقن رؤسهما ولحاهما ولأضربن ظهورهما، فالزموا منازلكم وابقوا على أنفسكم! فخرج إليهم الربيع بهذه الرسالة، فقال له ابن عياش: يا شبيه عيسى بن مريم، أبلغ أمير المؤمنين عنا كما أبلغتنا عنه وقل له: والله مالنا بالضرب طاقة فأما حلق اللحى فإذا شئت! وكان ابن عياش منتوفا، فأبلغه، فضحك وقال: قاتله الله ما أدهاه! -وكان يطعن على الربيع الحاجب في نسبه فيخدعه بقوله: فيك شبه من عيسى بن مريم! يعني ليس له أب-.

حدث الوضاح بن حبيب بن بديل التميمي، عن أبيه[4]، قال: كنت يوما عند أبي جعفر المنصور، وعبد الله بن عياش الهمداني المنتوف، وعبد الله بن الربيع الحارثي[5]، وإسماعيل بن خالد بن عبد الله القسري[6]؛ وكان أبو جعفر ولى سلم بن قتيبة البصرة[7]، وولى مولى له كور البصرة والأبلة، فورد الكتاب من مولى أبي جعفر يخبر أن سلما ضربه بالسياط، فاستشاط أبو جعفر، وضرب إحدى يديه على الأخرى وقال: أعلي يجترئ سلم؟ والله لأجعلنه نكالا وعظة؛ وجعل يقرأ كتابا بين يديه. قال: فرفع ابن عياش رأسه وكان أجرأنا عليه فقال: يا أمير المؤمنين، لم يضرب سلم مولاك بقوته ولا بقوة أبيه، ولكنك قلدته سيفك، وأصعدته منبرك، فأراد مولاك أن يطأطئ من سلم ما رفعت، ويفسد ما صنعت، فلم يحتمل له ذلك؛ يا أمير المؤمنين، إن غضب العربي في رأسه إذا غضب لم يهدأ حتى يخرجه بلسان أو يد؛ وإن غضب النبطي في استه فإذا خري ذهب غضبه. فضحك أبو جعفر، وقال: قبحك الله يا منتوف؛ وكف عن سلم.

كتب إليه معن بن زائدة[8] من اليمن: قد بعثت إليك بخمسمائة دينار ومن الثياب اليمنية بخمسين ثوبا أشتري بها دينك. فكتب إليه: قد بعتك ديني كله إلا التوحيد لعلمي بقلة رغبتك فيه! قال ابن عياش: فحدثت المنصور بذلك فما زال يضحك منه ويعجب له. وكان شاعرا هجاء يتقى لسانه. قال له رجل: لي إليك حاجة صغيرة، فقال أطلب لها صغيرا مثلها.

قال المنصور يوما لعبد الله بن عياش المنتوف: قد بغضت إلي صورتك عشرتك، وحلفت بالله لئن نتفت شعرة من لحيتك لأقطعن يدك. فأعفاها حتى اتصلت، فكان عنده يوما وحدثه بأحاديث استحسنها، فقال له: سل حاجتك.فقال: نعم يا أمير المؤمنين، تقطعني لحيتي أعمل بها ما أريد. فضحك المنصور وقال له: قد فعلت. في رواية كان المنصور قد أخذ عليه العهد بإعفاء لحيته من النتف، فلما مات المنصور جعل يصرخ عليه ويقول: يا أمير المؤمنيناه! وينتف لحيته حتى أتى عليها جمعاء.

قال البلاذري: حدثني ابراهيم بن عتاب، حدثني سلام الأبرش قال: أرق المنصور ذات ليلة فقال للربيع: انظر من في الدار من الصحابة فأدخله إلا أن يكون عبد الله بن عياش فإنه سائل ملحف، فنظر فلم يجد في الدار غيره، فقال: أدخله وتقدم إليه في ترك مسألتي شيئا، فضمن له أن لا يسأل ليلته شيئا، فلما دخل أقبل يحدث بأمر السواد وفتوحه وما كان يرتفع من جباياته، ثم قال: فطول السواد يا أمير المؤمنين كذا وعرضه كذا ولا والله ما لعبدك منه شبر في شبر، فضحك المنصور وقال: قد أقطعتك غلة ثلاثين ألف درهم من حيث تختار من السواد.

قال البلاذري: وحدثني عبد الله بن مالك الكاتب، عن الربيع قال: جلس المنصور يوما بالنجف بالكوفة يشرف على الخورنق وظهر الكوفة، فقال: يا ربيع ابغني رجلا يحدثني، فقال: يا أمير المؤمنين بالباب عبد الله بن الربيع الحارثي وأنت تحب حديثه، فقال: نعم لولا كثرة سؤاله الحوائج، فقال: أنا أقطع عنك حوائجه في هذا اليوم، فخرج إليه فاشترى منه مسألته الحوائج بمائتي دينار، فلما دخل ورأى طيب نفس المنصور جعل يعرض بالسخاء وينشد شعر حاتم الطائي، فقال: يا ربيع لا تف له فإنه لم يف لك، كفى بالتعريض مسألة. وقال: أنشدني قول كثير: إذا المال لم يوجب عليك، فأنشده: إذا المال لم يوجب عليك عطاءه..صنيعة تقوى أو صديق تخالقه..منعت وبعض المنع حزم وقوة..فلم يفتلذك المال إلا حقائقه. فكان عبد الله بن الربيع يقول: خرجت من عند المنصور وأنا أحب الناس إليه.

■ (1) عبد الله بن عياش الهمذاني الكوفي كنيته أبو الجراح. صاحب الشعبي ويعرف بالمنتوف–المسوف– لأنه كان ينتف لحيته، وكان أبرص.وكان راوية للأخبار والآداب ويقع في أخباره المناكير وكان ينادم المنصور ويضحكه .حمل عن الشعبي وغيره، أخذ عن الهيثم بن عدي وجماعة. توفي 158 هـ. السنة التي مات فيها المنصور.

■ (3) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان، مولا هم.الأمير الحاجب، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم ولي وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ، من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه إلى الغاية. ويقال: إن الربيع لم يكن يعرف له أب، فدخل هاشمي على المنصور وأخذ يذكره والد الربيع ويترحم عليه، فقال له الربيع: كم ذا تترحم عليه بحضرة أمير المؤمنين، فقال الهاشمي: يا ربيع أنت معذور لا تعرف مقدار الآباء، فخجل منه.

■ (2) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي، خرج بالبصرة على المنصور وتحول إلى الكوفة وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة 145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة وأهل مكة وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في رمضان فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن أبا جعفر المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى فخرج إلى المدينة فلقيه محمد بن عبد الله فانهزم بأصحابه وقتل ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر

■ (7) سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي الخراساني، أبو عبد الله: والي البصرة. وليها ليزيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان بن محمد، ثم وليها في أيام أبي جعفر المنصور، فكان من الموثوق بهم في الدولتين (الاموية والعباسية) وكان من عقلاء الامراء، عادلا حسنت سيرته. ومات بالري. سنة 149 هـ

■ (8) معن بن زائدة، أبو الوليد الشيباني، أحد أبطال الإسلام، وعين الأجواد.كان من أمراء متولي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة، فلما تملك آل العباس اختفى معن مدة والطلب عليه حيثث فلما كان يوم خروج الريوندية والخراسانية على المنصور وحمي القتال وحار المنصور في أمره ظهر معن وقاتل الريوندية، فكان النصر على يده وهو مقنع في الحديد، فقال المنصور: ويحك، من تكون ؟ فكشف لثامه وقال: أنا طلبتك معن. فسربه وقدمه وعظمه ثم ولاه اليمن وغيرها. ولمعن أخبار في السخاء، وفي البأس والشجاعة، وله نظم جيد. ثم ولي سجستان، وثبت عليه خوارج وهو يحتجم، فقتلوه، فقتلهم ابن أخيه يزيد ابن مزيد الأمير في سنة 152 هـ وقيل: سنة 158 هـ.

■ (4) حبيب بن بديل بن قرة بن عبيد بن ربيعة بن عبد عمرو بن قطن بن نهشل. قال أبو اليقظان: كان حبيب بن بديل يلي الولايات في زمن أبي جعفر..

■ (6) إسماعيل بن خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد البجلي القسري من وجوه أهل دمشق، كان في صحابة المنصور.والقسري نسبة إلى قسر بطن من بجيلة...

■ (5) عبد الله بن الربيع الحارثي استعمله المنصور على المدينة ثم عزله عنها سنة 146 هـ وولى مكانه جعفر بن سليمان...

☪

قال الجاحظ: من حق الملك أن لا يعاد عليه الحديث مرتين، وإن طال بينهما الدهر، وغبرت بينهما الأيام؛ إلا أن يذكره الملك؛ فإن ذكره، فهو إذن منه في إعادته. وكان روح بن زنباع[1] يقول: أقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة من أيامه، ما أعدت عليه حديثا. وكان الشعبي يقول: ما حدثت بحديث مرتين لرجل بعينه قط. وكان أبو العباس يقول: ما رأيت أحدا أغزر علما من أبي بكر الهذلي[2]، لم يعد علي حديثا قط. وكان ابن عياش يقول: حدثت المنصور أكثر من عشرة آلاف حديث. فقال لي ليلة، وقد حدثته عن يوم ذي قار: قد اضطررت إلى التكرار، يا ابن عياش! قلت: ما هذا منها يا أمير المؤمنين قال: أما تذكر ليلة الرعد والأمطار، وأنت تحدث عن ذي قار، فقلت لك: ما يوم ذي قار بأصعب من هذه الليلة؟ وكان الشرقي بن القطامي يعيد الحديث مرارا، وذلك أن أكثر أحاديثه مضاحيك، وكانت تعجب المهدي فيستعيده. وكان ابن وأب، إذا حدث موسى أمير المؤمنين بالحديث، أعاده عليه في القابلة حتى يحفظه. ويقال إنه لم يسامر الخلفاء أحد كان أنبل من عيسى بن دأب[3]، ولا أتم صنعة، ولا أحسن ألفاظا، ولا أفكه مجلسا، ولا أعظم أبهة وقدرا منه. وكان عيسى بن دأب يتكيء في مجلس أمير المؤمنين. ولم يكن هذا لأحد. غير أنه يحكى أن روح بن زنباع مرض فكان يدعو له عبد الملك بن مروان بمتكأ. وعلى المحدث للملك أن لا يعجل في كلامه، وأن يدمج ألفاظه، ولا يشير بيده، ولا يحرك رأسه، ولا يزحف من مجلسه، ولا يراوح بين قعدته، ولا يرفع صوته، ولا يلتفت يمينا ولا شمالا، ولا يقبل على غير الملك بملاحظته، ولا يكون غرضه أن يسمع حديثه أو يفهم عنه سواه.

☪

قال المسعودي: حضره أبو بكر الهذلي ذات يوم، والسفاح[4] مقبل عليه يحادثه بحديث لأنوشروين في بعض حروبه بالمشرق مع بعض ملوك الأمم، فعصفت الريح فأذرت ترابا وقطعا من الاجر من أعلى السطح إلى المجلس، فجزع من حضر المجلس لوقوع ذلك، وارتاع له، والهذلي شاخص نحو أبي العباس لم يتغير كما تغير غيره، فقال له أبو العباس: لله أنت يا أبا بكر، لم أر كاليوم، أما راعك ما راعنا ولا أحسست بما ورد علينا، فقال: يا أميرالمؤمنين، ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وإنما جعل للرجل قلب واحد، فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال، والله عز وجل إذا أفرد بكرامته أحدا وأحب أن يبقى له ذكرها جعل تلك الكرامة على لسان نبي أو خليفة، وهذه كرامة خصصت بها فمال إليها ذهني، وشغل بها فكري، فلوا انقلبت الخضراء على الغبراء ما احسست بها، ولا وجمت لها، إلا بما يلزمني من نفسي لأمير المؤمنين أعزه الله تعالى، فقال له السفاح: لئن بقيت لك لأرفعن منك وضيعا لا تطيف به السباع، ولا ينحط عليه العقاب.

■ (2) أبو بكر الهذلي اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى البصري. كان في صحابة المنصور وكان اخباريا علامة. روى عن جماعة. لم يرضه يحيى القطان. وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال أحمد: ضعيف. وقال البخاري: ليس بالحافظ عندهم. وأما غندر فقال: كذاب. يقال: مات سنة سبع وستين.

■ (1) روح بن زنباع، أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال: أبو زنباع، وكان ذا اختصاص بعبد الملك، لا يكاد يغيب عنه، وهو كالوزير له. ولأبيه زنباع بن روح بن سلامة صحبة، أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان. وقال مسلم: له صحبة. ولم يتابع مسلما أحد. مات سنة 84 هـ

■ (3) عيسى بن يزيد بن دأب الليثي من أدباء المدينة، ويعد من رواة الشعر واللغة والأخبار. مات سنة 171 هـ في أول خلافة الرشيد.

■ (4) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، السفاح، يكنى أبا العباس ويقال له أيضا المرتضى والقائم.وعبد الله الأصغر بن محمد. ولد بالشراة، سنة 105 هـ، وهو أول ملوك بني العباس بويع بالكوفة، وكان أصغر سنا من أخيه أبي جعفر. بويع السفاح، ليلة الجمعة13 ربيع الآخر من سنة 132 هـ، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء11 ربيع الآخر سنة 132 هـ، وقيل: في النصف من شهر جمادي الآخرة من هذه السنة، وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية، وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة، فخطب على المنبر قائما، وكانت بنو أمية تخطب قعودا، فضج الناس وقالوا: أحييت السنة يا ابن عم رسول الله، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما، ومات بالجدري بالأنبار في مدينته التي بناها، وذلك في يوم الأحد12 ذي الحجة سنة 136 هـ وصلى عليه عيسى بن علي، ودفن بالأنبار، وهو ابن 33 سنة، وقيل: ابن 29 سنة، وكانت امه تحت عبد الملك بن مروان، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح، وعبيد الله، وداود، وميمونة.

مراجع: / مختصر تاريخ دمشق/ نور القبس/ جمع الجواهر في الملح والنوادر/ الإكليل/ تاج العروس/ لسان العرب/ التاج في أخلاق الملوك/ تاريخ الإسلام للذهبي/ معجم الأدباء/ مروج الذهب/ أنساب الأشراف/ نثر الدر/

قال ابن عياش الهمداني[1]: بينا أنا يوما على باب أبي جعفر ننتظر الإذن إذ خرج الربيع بن يونس[2]، فقال: يقول لكم أمير المؤمنين بمن تشبهونني من خلفاء بني أمية؟ فسكت أصحابي، فقلت للربيع: أنا أعلم من يشبه أمير المؤمنين من خلفائهم، فقال: من؟ قلت: لا أقول لك ولا أقول إلا لأمير المؤمنين. فدخل ثم رجع فقال: يقول لك أمير المؤمنين: ليس بك الجواب وإنما تريد الدخول للكدية. قال: وكان في كمي تلك الساعة رقعة لآل خالد بن عبد الله القسري[3] أتقمن* بها وقتا أوصلها إليه فيه فقلت: أبقى الله أمير المؤمنين ما بنا عنه غنى في كل حال، ولكن لا أجيب عن الذي سأل عنه غيره. فقال الربيع: إن أمير المؤمنين يعلم أنك سأال، كثير الحوائج تبرمه بالمسائل والرقاع، فقلت: إن أذن أبقاه الله دخلت، وإلا فأنا بموضعي، ودخل ثم رجع فقال: ادخل. فدخلت، فسلمت، ودعوت له، فقال: ويحك يا بن عياش، ما أكثر حوائجك ورقاعك ومساءلتك واحتيالك للدخول حتى تنغص علينا مجلسك وحديثك. فقلت: لا أعدمناك الله يا أمير المؤمنين.

قال: بمن تشبهني من خلفاء بني أمية؟ فقلت: لعبد الملك بن مروان[4]. قال: وكيف ذلك؟ قلت: لأن أول اسمه عين وأول اسمك عين، وأول اسم أبيه ميم وأول اسم أبيك ميم. قلت: وأخذ حقه بالسيف، جاهد دونه محتسبا، وأخذت حقك بالسيف، جاهدت دونه حتى أظهر الله حجتك. قال: هيه. قلت: وقتل ثلاثة من الجبابرة أسماؤهم على العين، وقتلت ثلاثة من الجبابرة أسماؤهم على العين. قال: من قتل؟ قلت: عبد الله بن الزبير[5]، وعمرو بن سعيد[6]، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[7]. قال: فأنا من قتلت؟ قال: قتلت: عبد الرحمن بن مسلم[8]، أعني أبا مسلم، قال: هيه. قلت: وقتلت عبد الجبار بن عبد الرحمن[9]، قال: هيه. قال: وأدركني ذهني فقلت: وسقط البيت على عبد الله بن علي[10] فقتله. قال: فالبيت سقط على عبد الله بن علي فأنا ما ذنبي؟ قال: قلت: ما ذكرتك أنت، وإنما أخبرت أن البيت سقط على ذاك فقتله –وإنما أراد ابن عياش أنك قتلت عمك، بنيت له بيتا في أساس ملح فسقط عليه. فلم يصرح ولكن عرض به لأن عمه كان خرج عليه– قال: فسكت، وكأني آنست منه لينا فقلت: إي والله، وهذا الآخر أيضا حائطه مائل، إن لم تدعموه بشيء خفت أن يسقط عليه البيت فيقتله، أعني عيسى بن موسى[11] قال: وإذا عيسى عنده محبوس ذلك اليوم في بيت قد اعتقله، يريغه* على خلع نفسه من العهد ليجعل الخلافة بعده للمهدي[12]، فامتنع عيسى، فاعتقله في بيت من القصر ولا علم لي، فلما قلت: حائطه مائل، تبسم حتى كاد يغلبه الضحك، واستتر مني بكفه، وتغافل كأنه لم يفهم ما قلت، فتخشخشت الرقعة في كمي، فقلت: استقري، فليس هذا يومك، فقد تبرم أمير المؤمنين بكثرة سؤالنا ورقاعنا. فقال المنصور: دعها أنت مكانها ولا تحركها، فإنها ليست تتحرك، فأخرجتها فقلت: أو ينظر أمير المؤمنين فيها بما أراه الله؟ أتدري لمن هي يا أمير المؤمنين؟ هي لآل خالد بن عبد الله القسري أضحوا عالة يسألون الفلق، ويتكففون الطرق. فقال: ألم أقل: إنك تحتال للكدية وسؤال الحوائج؟ ثم تبسم وأخذها، وقال: لأحدثنك عن خالد القسري حديثا تأكل به الخبز: إني لما تزوجت أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن يزيد[13] كان مهرها ثلاثين ألف درهم؛ ففدحني*، فقلت: آتي الكوفة فإن لنا بها شيعة، فلما كنت بقرية من السواد، أنا ومولى لي على حمارين ضعيفين مررنا بشيخ في مستشرف على باب دار، فسلمنا عليه، فما حفل بنا، فقال مولاي: أين تمضي بنا؟ بت في هذه القرية. قال: فعدلنا فإذا نحن بدار واسعة ظنناها فندقا فنزلنا نحط رحالنا، فسأل بعض من في تلك الدار مولاي عن اسمي ونسبي ومن أين جئت وأين أريد، فأخبره، وقعدنا متحيرين في حفاية بنا، إذا رسول قد جاء برقعة بزة يسألني المصير إليه، ويقول: أبي عليل، وأحببت أن أقضي من حديثك أربا. فهممت بالقيام فقال مولاي: إلى أين تقوم؟ إلى رجل لم يرنا أهلا لرد السلام؟ فقمت على حيال فسلمت عليه، فاستحيا واعتذر بالعلة من الرسالة إلي، وسألني عن مخرجي، وما لقيت من سفري، فهممت أن أشرح له خبري، فاستحييت وقلت: يكون ذلك في مجلس آخر. فمد يده إلى الدواة فكتب رقعة وختمها وقال لمولاي: الق وكيلي بها. فأخذ المولى الرقعة، وقمت ولم أحفل بالرقعة، وأتينا بما نحتاج إليه من زاد وعلف، واحتقرنا أمر الرقعة، فإذا وكيله قد غدا علينا فقال: ألا توصلون إلينا رقعتكم، وتقبضون مالكم؟ فقلت لمولاي: هات تلك الرقعة، وقلت للوكيل: وما مالنا؟ كم هو؟ قال: قد أمر لك بمئة ألف درهم وهو مستقل لها، فلم أصدق. وفك الرقعة فقرأها وقال للمولى: تعال اقبض مالك، فقلت: حميرنا مضعفة، احمل لنا منها ثلاثين ألف درهم وندخل الكوفة فنقبض منك الباقي هناك، فقال: وأين تريدون إذا صدرتم عن الكوفة؟ قلنا: الشام: قال: أي الشام؟ قلت: الحميمة، فأحضر المال وقال: يأمركم أبو الهيثم أن تلقوا وكيله في قرية كذا بالشام بهذه الرقعة الأخرى. وقبض الرقعة الأولى فخرقها، وسلم إلينا الثلاثين الف درهم. فقلت للوكيل: ومن هذا الشيخ؟ قال: هذا الأمير خالد بن عبد الله القسري، هو ههنا يشرب اللبن من علة به. قال: فدخلنا الكوفة، وكانت الثلاثون ألف درهم أكبر همنا، وما حدثنا أنفسنا بشيء بعدها، ولم نعبأ بالرقعة الثانية، فقضينا حوائجنا بالكوفة، وتجهزنا، وخرجنا نريد الشام. فلما كنا بقرب القرية التي قال لنا وكيله: القوا الوكيل الآخر بها، قال لي المولى: لم لا تلقى وكيل الشيخ بهذه الرقعة التي معنا، فلعله أمر لنا بتتمة المئة ألف درهم؟ ومضى فدفع الرقعة إلى وكيله؛ فوافانا ببر كثير وهدايا وبز وطرف، وزودنا من ذلك وقال: إن رأيتم أن تحسنوا وتقبضوا المال مني ههنا فإني مشغول عن حمله معكم، ولكني أوجه معكم من يخفركم فافعلوا. قلنا: وكم مالنا؟ قال: أمرني أن أدفع إليكم مئة ألف درهم وأحملها معكم إلى منازلكم. فأحضرها ووكل بنا قوما خفرونا حتى رجعنا إلى أهلنا.

يا بن عياش: فما جزاء ولد من هذا فعله؟ فقلت: أمير المؤمنين أعلى عينا بكل جميل، ومثله عفا عن السوءى وكافأ بالحسنى، ثم قرأ الرقعة، ووقع فيها برد ضياعهم وأموالهم عليهم، وكان ذلك شيئا كثيرا، وأمر بتعجيله. قال: فرد عليهم مال جليل القدر ورباع ومستغلات. وكان سبب سخطه على محمد بن خالد القسري، أنه حين ولاه المدينة تقدم إليه في أخذ محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن حتى ينفذهما إليه موثقين أو يقتلهما، فقصر محمد بن خالد حتى عزل، وخرجا عليه، فحقد ذلك عليه أبو جعفر؛ فعزله واستصفى أموالهم.

----

*(ريغ) أي ما تريد وما تطلب فلان يريغني على أمر وعن أمر أي: يراودني ويطلبه مني ومنه وأراغ وارتاغ بمعنى طلب وأراد تقول أرغت الصيد وماذا تريغ أي ما تريد وتطلب ويقال أريغوني إراغتكم أي اطلبوني طلبتكم(أتقمن) أتحين (فدحني) أثقلني

■ (1) عبد الله بن عياش الهمداني الكوفي كنيته أبو الجراح. صاحب الشعبي ويعرف بالمنتوف لأنه كان ينتف لحيته، وكان أبرص.وكان راوية للأخبار والآداب ويقع في أخباره المناكير وكان ينادم المنصور ويضحكه .حمل عن الشعبي وغيره، أخذ عن الهيثم بن عدي وجماعة. توفي سنة 158 هـ. السنة التي مات فيها المنصور أمير المؤمنين

■ (7) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي أمير سجستان، بعد هزيمته في دير الجماجم سنة 83 هـ تتابعت هزائم جيشه فلجأ إلى رتبيل (ملك الترك) فيما وراء سجستان فحماه مدة ثم قتله سنة 85 هـ وبعث برأسه إلى الحجاج. فأرسله هذا إلى عبد الملك بالشام، وبعث به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر.

■ (6) عمرو بن سعيد بن العاص، يسمى الأشدق ولطيم الشيطان، ولي المدينة ليزيد، وكان مروان قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك فقتله عبد الملك، فقيل أنها كانت أول غدرة كانت في الإسلام، دخل مصر مع مروان وقتل سنة 69 هـ وقيل 70 هـ

■ (4) عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الوليد، ولقب بالموفق لأمر الله ولاه معاوية على المدينة وعمره 16 عاما. وكان قبل خلافته عابدا زاهدا، شارك في فتوحات أفريقيا عام 41، 45 هـ..في سنة 65 هـ تولى الأمر بعد وفاة والده مروان (وكان الخليفة ابن الزبير) فانتزع العراق من ابن الزبير، ثم أخضع الحجاز بعد أن قتل ابن الزبير، فبايعته باقي الأمصار، وغدا الخليفة منذ سنة 73 هـ، فاستقر له الوضع تماما.ويعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية، فقد تولى والعالم الإسلامي متفكك واستطاع أن يرد البلاد كلها إلى الطاعة ويقضي على كل تمرد وعصيان. وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم، توفي سنة 86 هـ.

■ (5) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات. وتخلف بعده ابنه عبد الملك، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق سنة 72 هـ ثم ندب الحجاج لقتال ابن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار إلى الحجاز، وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب ابن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (2) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان، مولا هم.الأمير الحاجب، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم ولي وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ، من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه إلى الغاية. ويقال: إن الربيع لم يكن يعرف له أب، فدخل هاشمي على المنصور وأخذ يذكره والد الربيع ويترحم عليه، فقال له الربيع: كم ذا تترحم عليه بحضرة أمير المؤمنين، فقال الهاشمي: يا ربيع أنت معذور لا تعرف مقدار الآباء، فخجل منه .

■ (3) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري، أبو يزيد وأبو الهيثم. كان أمير مكة المكرمة للوليد بن عبد الملك، ثم أمير العراقين لهشام بن عبد الملك، ثم عزل وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج.وقتل بالحيرة سنة 126هـ

■ (8) أبو مسلم الخراساني، عبد الرحمن بن مسلم: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة. ولد سنة 100 في ماه البصرة مما يلي أصبهان عند عيسى ومعقل ابني إدريس العجلي، فرباه إلى أن شب، فاتصل بابراهيم بن الامام محمد من بني العباس فأرسله إبراهيم إلى خراسان، داعية، فأقام فيها واستمال أهلها. ووثب على ابن الكرماني والي نيسابور فقتله واستولى على نيسابور، وسلم عليه بامرتها، فخطب باسم السفاح العباسي عبد الله بن محمد ثم سير جيشا لمقاتلة مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فقابله بالزاب بين الموصل وإربل وانهزمت جنود مروان إلى الشام، وفر مروان إلى مصر، فقتل في بوصير، وزالت الدولة الاموية الاولى سنة 132 هـ وصفا الجو للسفاح إلى أن مات، وخلفه أخوه المنصور، فرأى من أبي مسلم ما أخافه أن يطمع بالملك، وكانت بينهما ضغينة، فقتله برومة المدائن سنة 137 هـ

■ (12) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

■ (9) عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، وقد كان يلي الشرطة، ثم عزله وولاه خراسان، فعصى هناك، فوجه إليه المهدي في الجيوش، فحاربه حتى ظفر به، فحمله إلى أبي جعفر فضرب عنقه وصلبه

■ (10) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباس: أمير. هوعم الخليفتين السفاح والمنصور. وهو الذي هزم مروان بن محمد بالزاب شمال العراق، وتبعه إلى دمشق، وفتحها وهدم سورها، وقتل من أعيان بني أمية 80 رجلا بأرض الرملة، ومهد دمشق لدخول السفاح وظل أميرا على بلاد الشام مدة خلافته. فلما ولي المنصور خرج عبد الله عليه، ودعا إلى نفسه، فانتدب المنصور لاخضاعه أبا مسلم الخراساني، فقاتله في نصيبين، فانهزم عبد الله واختفى.وصار إلى البصرة، فأمنه المنصور، فاستسلم، وأشخص إلى بغداد وحبس بها، فوقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله سنة 147 هـ

■ (11) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو موسى الهاشمي، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح، نشأ بالحميمة من أرض البلقاء من كور دمشق ثم انتقل مع أهله إلى العراق وجعله السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور أخره وجعله ولي عهده بعد ابنه المهدي وكان جليلا في أهل بيته وولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور، ولد سنة 103 هـ أو104 هـ وتوفي بالكوفة سنة 167 هـ

■ (13) أروى بنت منصور بن عبد الله بن يزيد الحميرية، تكنى بأم موسى، هي زوجة ابو جعفر المنصور العباسي ووالدة المهدي العباسي،توفيت سنة 146هـ

☪

قال أبو حيان التوحيدي: قال ابن أبي طاهر: خلا المنصور بأبي أيوب المورياني[1] وسلمة بن مجاهد (سليمان بن مجالد؟) وعبد الملك بن حميد[2] كاتبه فقال: بمن تشبهونني من الخلفاء؟ فقال ابن حميد: أما أنا فأشبهك بعبد الملك بن مروان، فقال: ذاك شنأة الخلفاء وما أشبهه، قال: بالوليد، قال: ذاك لاعب، قال: بعمر بن عبد العزيز، قال: ذاك شديد الأنقطاع، قالوا: فيزيد، قال: ذاك ماجن، قالوا: فهشام، قال: بخ بخ وما أشبهه، فقالوا: فلا ندري بمن تشبه، قال: أشبه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه. سمع هذه الحكاية أبو الفضل ابن العميد فقال: ما كان أحوج أبا جعفر عند هذا القول إلى من يسلح بيد يديه من أن يشبه عمر بن الخطاب، ثم قال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ أَمْرِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ﴾ وأبو جعفر أكبر من ذاك، ولعل الحكاية موضوعة عليه، فآفة الأخبار كثيرة، والظنة إلى أهلها سريعة، وتخليص السقيم من الصحيح صعب، وقد دهي الناس في جميع وأتوا منها، كذاك الرافضي في رفضه، والحروري في تحكيمه، ومجال العقل فيها ضيق، وسلطانه عليها واه، ولسانه فيها كليل، وإنما الأمر في الأخبار موقوف على السابق في النفس، وعلى حسن الظن بالرواية، وعلى مخرج الكلام في التأويل، والكلام كله مصرف ومتعسف، ومتى تدبرت هذا الباب في صروف الدهر وحوادث الليالي، وجدته كما حكيته ورويته؛ نسأل الله عز وجل رب الأولين والآخرين ستر العورة، وإقامة العثرة، ومجانبة الهوى والمعصية، فإنه خير مسؤول، وأكرم مأمول.

■ (1) أبو أيوب سليمان بن أبي سليمان المورياني، مولى بني سليم وزير المنصور، استوزره ثم غضب عليه، وعذبه وأخذ منه أموالا عظيمة. مات سنة 154 هـ، وكان من دهاة العالم، وله مشاركة قوية في الأدب والفلسفة والحساب والكيمياء والسحر والنجوم، ولكنه ليس بفقيه، وكان سمحا جوادا متمولا.

■ (2) عبد الملك بن حميد، مولى حاتم بن النعمان الباهلي: من اهل حران، قلده المنصور كتابته ودواوينه، وكانت له عنده منزلة رفيعة، ولما بنى مدينة السلام قسمها ارباعا، فجعل الربع منها الى عبد الملك بن حميد الكاتب، ولم يزل على حاله الى ان لحقته علة من نقرس لحقه فلزم منزله

مراجع: / مختصر تاريخ دمشق/ نور القبس/ جمع الجواهر في الملح والنوادر/ الإكليل/ تاج العروس/ لسان العرب/ البصائر والذخائر/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) ورجل من همذان 0642

ذكر ابن عياش المنتوف[1]: أن المنصور كان جالسا في مجلسه المبني على طاق باب خراسان من مدينته التي بناها وأضافها إلى اسمه، وسماها مدينة المنصور*، مشرفا على دجلة، وكان قد بنى على كل باب من أبواب المدينة في الأعلى من طاقه المعقود مجلسا يشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه، وكانت أربعة أبواب شوارع محدقة وطاقات معقودة، وهي باقية إلى وقتنا هذا الذي هو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، فأول أبوابها باب خراسان، وكان يسمى باب الدولة، لإقبال الدولة العباسية من خراسان، ثم باب الشام، وهو تلقاء الشام، ثم باب الكوفة، وهو تلقاء الكوفة، ثم باب البصرة، وهو تلقاء البصرة، وقد أتينا على كيفية خبر بناء تلك المدينة –كتاب مروج الذهب–، واختيار المنصور لهذه البقعة بين دجلة والفرات ودحيل والصراة، وهذه أنهار تأخذ من الفرات، وأخبار بغداد وعلة تسميتها بهذا الاسم، وما قاله الناس في ذلك، وخبر القبة الخضراء وسقوطها في هذا العصر، وقصة قبة الحجاج الخضراء التي كان الحجاج بناها بواسط العراق، وبقاؤها إلى ذلك الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، في كتابنا الأوسط الذي كتابنا هذا تال له، فبينما المنصور جالس في هذا المجلس من أعالي باب خراسان إذ جاء سهم عائر* حتى سقط بين يديه، فذعر منه المنصور ذعرا شديدا ثم أخذه فجعل يقلبه فإذا هو مكتوب عليه بين الريشتين: أتطمع في الحياة إلى التناد..وتحسب أن مالك من معاد..ستسأل عن ذنوبك والخطايا..وتسأل بعد ذاك عن العباد. ثم قرأ عند الريشة الأخرى: أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت..ولم تخف سوء ما يأتي به القدر..وسالمتك الليالي فاغتررت بها..وعند صفو الليالي يحدث الكدر. ثم قرأ عند الريشة الأخرى: هي المقادير تجري في أعنتها..فاصبرفليس لها صبر على حال..يوما ثر بك خسيس القوم ترفعه..إلى السماء، ويوما تخفض العالي. وإذا على جانب السهم مكتوب: همذان* منها رجل مظلوم في حبسك، فبعث من فوره بعدة من خاصته، ففتشوا الحبوس والمطابق فوجدوا شيخا في بنية من الحبس فيه سراج يسرج وعلى بابه بارية مسبلة، وإذا الشيخ موثق بالحديد متوجه نحو القبلة يردد هذه الآية: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء] فسألوه عن بلده، فقال همذان، فحمل، ووضع بين يدي المنصور، فسأله عن حاله فأخبره أنه رجل من أبناء مدينة همذان، وأرباب نعمها، وأن واليك علينا دخل بلدنا ولي ضيعة في بلدنا تساوي ألف ألف درهم، فأراد أخذها مني، فامتنعت فكبلني في الحديد، وحملني وكتب إليك إني عاص، فطرحت في هذا المكان، فقال: منذ كم لك في الحبس. قال: منذ أربعة أعوام، فأمر بفك الحديد عنه، والإحسان إليه، والإطلاق له، وأنزله أحسن منزل ورده إليه، فقال له: يا شيخ قد رددنا عليك ضيعتك بخراجها ما عشت وعشنا، وأما مدينتك همذان فقد وليناك عليها، وأما الوالي فقد حكمناك فيه، وجعلنا أمره إليك، فجزاه خيرا، ودعا له بالبقاء، وقال: يا أمير المؤمنين أما الضيعة فقد قبلتها، وأما الولاية فلا أصلح لها، وأما واليك فقد عفوت عنه، فأمر له المنصور بمال جزيل، وبر واسع، واستحله وحمله إلى بلده مكرما، بعد أن صرف الوالي وعاقبه على ما جنى من انحرافه عن سنة العدل وواضحة الحق، وسال الشيخ مكاتبته في مهماته وأخبار بلده، وإعلامه بما يكون من ولاته على الحرب والخراج، ثم أنشأ المنصور يقول: من يصحب الدهر لا يأمن تصرفه..يوما، وللدهر إحلاء وإمرار..لكل شيء وإن دامت سلامته..إذا انتهى فله لا بد إقصار.

----

*(سهم عائر) أي لا يدري راميه (همذان) هَمذان أو همذان تعرف أيضا بأسم أكبتانا أكبر مدينة في إقليم الجبال.وأيضا همذان: مدينة باليمن في شماله الغربي قرب صعدة (مدينة المنصور) هي بغداد حتى يومنا هذا. أطلقت على المدينة أسماء أخرى مثل: الزوراء، مدينة السلام، دار السلام ومدينة الخلفاء والمدينة المدورة وعاصمة الرشيد

■ (1) عبد الله بن عياش الهمذاني الكوفي كنيته أبو الجراح. صاحب الشعبي ويعرف بالمنتوف لأنه كان ينتف لحيته، وكان أبرص.وكان راوية للأخبار والأداب ويقع في أخباره المناكير وكان ينادم المنصور ويضحكه .حمل عن الشعبي وغيره، أخذ عن الهيثم بن عدي وجماعة. توفي سنة 158 هـ. السنة التي مات فيها المنصور أمير المؤمنين

حدث أحمد بن ربيعة[1] بسنده قال: كان أبو جعفر المنصور قد استعمل على معونة البصرة عقبة بن سلم الهنائي[2]، فذكر من إقدامه على دماء المسلمين وأموالهم وتجبره وعتوه على الله عز وجل أمرا منكرا فظيعا، وكان على القضاء يومئذ سوار بن عبد الله[3]، قال: فقدم رجل من التجار في البحر بجوهرة نفيسة فبلغ خبرها عقبة بن سلم فأخذ الجوهرة منه وسجنه، فجاءت زوجة له إلى سوار بن عبد الله فقالت له: أنا بالله ثم بالقاضي فقال: وما شأنك؟. قالت: إن زوجي قدم من البحر ومعه جوهرة نفيسة، فبلغ الأمر عقبة بن سلم فخبرها فاغتصبه إياها وحبسه في السجن، قال: فبعث إليه سوار رسولا يذكر له ما تظلمت منه المرأة إليه ويقول: إن كان ذلك حقا فأطلق الرجل واردد عليه جوهرته، فزجره عقبة وشتم سوارا شتما قبيحا، فرجع الرسول فأخبر سوارا بذلك، فوجه سوار لجماعة من أمنائه بمثل تلك الرسالة ليسمعوا ما يرد الجواب فأتوه فأدوا الرسالة فرد عليهم من الشتم لهم ولسوار أمرا قبيحا، فأتوه فأخبروه بذلك، فأرسل إليه سوار: والله لئن لم تطلق الرجل وترد عليه جوهرته لآتينك في ثياب بياض ماشيا ولأدمرن عليك بغير سلاح ولا رجال، ولأقتلنك قتلة يتحدث بها الناس. فلما سمع جلساؤه رسالة سوار قالوا له: أيها الأمير، إنه والله ما يقول شيئا إلا يفعله، وهو سوار قاضي أمير المؤمنين، وقبائل مضر وتميم وبلعنبر (بني العنبر) كلها مستجيبة له، وأنت رجل من أهل اليمن ليس بالنصرة من عشيرتك كثير، فأجبه إلى ما أمر به، فوجه عقبة بالرجل وبالجوهرة. ووجه معه رجالا يشهدون عليه بقبض الرجل والجوهرة. فلما صاروا إليه صاح بهم: يا أعداء الله بماذا تشهدون علي: تطلق الرجل وترد عليه جوهرته؟! قال: فانصرفوا مرعوبين.

قال إسماعيل القاضي: دخل سوار بن عبد الله القاضي –الحفيد– على محمد بن عبد الله بن طاهر[4]، فقال: أيها الأمير، إني جئت في حاجة رفعتها إلى الله عز وجل قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها، حمدنا الله وشكرناك، وإن لم تقضها، حمدنا الله وعذرناك. قال: فقضى جميع حوائجه.

■ (1) أحمد بن ربيعة بن سليمان ابن خالد بن عبد الرحمن بن زبر والد القاضي أبي محمد حدث عن جماعة، وروى عنه ولده أبو محمد عبد الله بن أحمد القاضي. توفي سنة 286 هـ.

■ (2) عقبة بن سلم الهنائي وهو أمر البصرة، استخلف محمد بن أبي العباس سنة 149 هـ على معونة البصرة فأقره أبو جعفر، وكان على اليمامة والبحرين وكان عاتيا جبارا، اغتاله رجل بخنجر، وهو في دار عمر بن بزيع فمات ببغداد.سنة 167 هـ

■ (4) أبو العباس، محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي؛ كان شيخاً فاضلاً وأديباً شاعراً، ولي إمارة بغداد في خلافة المتوكل على الله (الملك العباسي العاشر) وغيره، وهو الذي صلى على أحمد بن حنبل لما مات، وإسحاق بن إبراهيم، وكان مألفاً لأهل العلم والدب؛ وعظم سلطانه في دولة المعتز إلى أن مات بالخوانيق سنة 253 هـ..

■ (3) سوار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة بن كعب من بني العنبر، أبو عبد الله، التميمي العنبري البصري، كان قضي لأبي جعفر على البصرة سبع عشرة سنة وولي صلاة البصرة مرتين، ومات وهو أميرها سنة 156 هـ، وقد تولى قضاء البصرة أيضا ابنه القاضي عبد الله بن سوار، أبو السوار، المتوفي سنة 228 هـ. وحفيده القاضي سوار بن عبد الله بن سوار، أبو عبد الله، المتوفي سنة 245 هـ

مراجع: الروض المعطار في خبر الأقطار/ مروج الذهب/ سير أعلام النبلاء/ مختصر تاريخ دمشق/

القاضي التنوخي: ذكر ابن عبدوس في كتابه، كتاب الوزراء: أن المنصور ضم رجلا يقال له فضيل بن عمران الكوفي[1] إلى جعفر[2] ابنه، يكتب له، ويقوم بأمره. وكانت لجعفر حاضنة تعرف بأم عبيدة[3]، فثقل عليها مكان فضيل، فسعت به إلى أبي جعفر، وادعت عنده أنه يلعب بجعفر، فبعث المنصور، مولاه الريان[4]، وهارون بن غزوان[5]، مولى عثمان بن نهيك[6]، إلى الفضيل، وأمرهما بقتله، وكتب لهما منشورا بذلك، فصارا إليه فقتلاه. وكان الفضيل دينا، عفيفا، فقيل للمنصور في ذلك، وأنه أبرأ الناس مما قرف به، فأحضر المنصور غلاما من غلمانه وجعل له عشرة آلاف درهم، إن أدركه قبل أن يقتل، فصار إليه، فوجده قد قتل، ولم يجف دمه. واتصل خبر قتله بجعفر بن أبي جعفر، فطلب الريان، فلما جيء به، قال له: ويلك، ما يقول أمير المؤمنين في قتل رجل مسلم بغير جرم ؟ فقال له الريان: هو أمير المؤمنين، يفعل ما يشاء. فقال له جعفر: يا ماص بظر أمه، أكلمك بكلام الخاصة، فتكلمني بكلام العامة؟ جروا برجله، فألقوه في دجلة. قال الريان: فأخذوا –والله– برجلي، فقلت: أكلمك بكلمة، ثم اعمل ما شئت. فقال: ردوه، فرددت، فقال: قل. فقلت له: أبوك إنما يسأل عن قتل فضيل بن عمران وحده؟ ومتى يسأل عنه، وقد قتل عمه عبد الله بن علي[7]، وقتل عبد الله بن الحسن[8]، وعشرات من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قتل من أهل الدنيا ما لا يحصى ولا يعد، هو إلى أن يسأل عن فضيل بن عمران جوشانة تحت خصى فرعون. قال: فضحك، وقال: خلوا عنه، لعنه الله، فأفلت منه.

في رواية الطبري ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود بن معاوية بن بكر –وكان من الصحابة– أن المنصور ضم رجلا من أهل الكوفة، يقال له الفضيل بن عمران، إلى ابنه جعفر، وجعله كاتبه، وولاه أمره، فكان منه بمنزلة أبي عبيد الله[9] من المهدي[10]، وكان أبو جعفر أراد أن يبايع لجعفر بعد المهدي، فنصبت أم عبيد الله حاضنة جعفر للفضيل بن عمران، فسعت به إلى المنصور، وأومأت إلى أنه يعبث بجعفر. قال: فبعث المنصور الريان مولاه وهارون بن غزوان مولى عثمان بن نهيك إلى الفضيل – وهو مع جعفر بحديثه الموصل – وقال: إذا رأيتما فضيلا فاقتلاه حيث لقيتماه، وكتب لهما كتابا منشورا، وكتب إلى جعفر يعلمه ما أمرهما به، وقال: لا تدفعا الكتاب إلى جعفر حتى تفرغا من قتله. قال: فخرجا حتى قدما على جعفر، وقعدا على بابه ينتظران الإذن؛ فخرج عليهما فضيل، فأخذاه، وأخرجا كتاب المنصور، فلم يعرض لهما أحد؛ فضربا عنقه مكانه، ولم يعلم جعفر حتى فرغا منه – وكان الفضيل رجلا عفيفا دينا – فقيل للمنصور: إن الفضيل كان أبرأ الناس مما رمي به، وقد عجلت عليه. فوجه رسولا، وجعل له عشرة آلاف درهم إن أدركه قبل أن يقتل، فقدم الرسول قبل أن يجف دمه. فذكر معاوية بن بكر عن سويد مولى جعفر، أن جعفرا أرسل إليه، فقال: ويلك! ما يقول أمير المؤمنين في قتل رجل عفيف دين مسلم بلا جرم ولا جناية! قال سويد[11]: فقلت: هو أمير المؤمنين يفعل ما يشاء؛ وهو أعلم بما يصنع؛ فقال : يا ماص بظر أمه، أكلمك بكلام الخاصة وتكلمني بكلام العامة! خذوا برجله فألقوه في دجلة. قال فأخذت، فقلت: أكلمك، فقال: دعوه، فقلت: أبوك إنما يسأل عن فضيل، ومتى يسأل عنه، وقد قتل عمه عبد الله بن عبد الله بن علي، وقد قتل عبد الله بن الحسن وغيره من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلما، وقتل أهل الدنيا ممن لا يحصى ولا يعد! هو قبل أن يسأل عن فضيل جرذانة تجب خصى فرعون قال: فضحك، وقال: دعوه إلى لعنة الله.

----

*(جوشانة تحت خصى فرعون /_ جرذانة تجب خصى فرعون) ؟ (جرذانة) الجراذين: ضرب من التمر، الواحدة جرذانة.

■ (6) عثمان بن نهيك: أصيب في محاربة بسهم، فمرض أيام ومات فصلى عليه المنصور، سنة 141 هـ أو 142 هـ، وكان أمير الحرمين، فاستعمل المنصور مكانه عليهما أخاه عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وجعل على الحرس أبا العباس الطوسي وذكر بالهاشمية.في الطبري: الراوندية، وهم قوم من أهل خراسان، كانوا على رأي أبي مسلم صاحب دعوة بني هاشم، يقولون بتناسخ الارواح، ويزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور، وأن الهيثم بن معاوية جبريل. وكان خروجهم سنة 141 هـ.

■ (2) جعفر الأكبر بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان يتولى إمارة الموصل ومات في حياة أبيه أبي جعفر المنصور.قال يعقوب بن سفيان سنة 150 هـ فيها توفي جعفر بن أبي جعفر بمدينة السلام وصلى عليه أبو جعفر ليلا ودفن في مقابر قريش. وهو أول من دفن في مقابر قريش على ما ذكر. قال أبو حسان الزيادي سنة 151 هـ فيها مات جعفر بن أبي جعفر المنصور الأكبر في صفر. ذكر يعقوب بن سفيان أن جعفر بن أبي جعفر الذي مات في سنة 151 هـ هو الأصغر–المعروف بابن الكردية–، وليس بالذي ذكرناه آنفا. كذلك قال يعقوب سنة 151 هـ فيها مات جعفر الصغير بن أبي جعفر في صفر بمدينة السلام ولم يذكر أبو حسان جعفر الأصغر في تاريخه فالله أعلم. قال البلاذري: جعفر بن المنصور وهو الأكبر، ويكنى أبا الفضل، وأمه أم موسى، ولاه أبوه الموصل وأعمالها والجزيرة وتوفي ببغداد. وولد جعفر بن أبي جعفر: عيسى بن جعفر، وجعفر بن جعفر، وزبيدة بنت جعفر.فأما عيسى بن جعفر فولي للرشيد أعمال البصرة، وكور دجلة، والأهواز، واليمامة، والبحرين، والسند، وكان أليف الرشيد وأنيسه وعديله إذا ركب جملا أو بغلا عليه قبة، وكان جسيما، فإذا ركب مع الرشيد ثقلت ناحية الرشيد بحجر أو بمثقلات رصاص. وأما جعفر بن جعفر فقد ولي البصرة للرشيد وولايات، وهو صاحب الدار التي ببغداد عند الباب المعروف بباب النقب وهي مطلة على دجلة. وأما زبيدة وهي أم جعفر، فتزوجها الرشيد، فولدت له محمد الأمين قتل ببغداد وهو خليفة، ثم ولي أمير المؤمنين المأمون بعده.

■ (7) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباس: أمير. هو عم الخليفتين السفاح والمنصور. وهو الذي هزم مروان بن محمد بالزاب شمال العراق، وتبعه إلى دمشق، وفتحها وهدم سورها، وقتل من أعيان بني أمية 80 رجلا بأرض الرملة، ومهد دمشق لدخول السفاح وظل أميرا على بلاد الشام مدة خلافته. فلما ولي المنصور خرج عبد الله عليه، ودعا إلى نفسه، فانتدب المنصور لاخضاعه أبا مسلم الخراساني، فقاتله في نصيبين، فانهزم عبد الله واختفى.وصار إلى البصرة، فأمنه المنصور، فاستسلم، وأشخص إلى بغداد وحبس بها، فوقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله سنة 147 هـ

■ (8) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: تابعي. من أهل المدينة، قال الطبري: كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف. وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز. ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين، على السفاح، وهو بالانبار، فأعطاه ألف ألف درهم. وعاد إلى المدينة. ثم حبسه المنصور، عدة سنوات، من أجل ابنيه محمد وإبراهيم. ونقله إلى الكوفة، فمات سجينا فيها سنة 145 هـ.

■ (10) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

■ (9) أبو عبيد الله، وزير المهدي وكاتبه. اسمه معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري، مولاهم. أصله من طبرية، وكان ذا دين وتعبد، من خيار الوزراء. وكان المهدي يعظمه ولا يخالفه في رأي. قلا حفيده عبيد الله بن سليمان بن أبي عبيد الله: أبلى أبو عبيد الله سجادتين، وأسرع في الثالث موضع الركبتين، والوجه، واليدين، من كثرة صلاته. وكان له في كل يوم كر دقيق يتصدق به، فلما اشتد الغلاء أتاه مولاه فقال: قد غلا السعر فلو نقصنا من الكر، فقال: أنت شيطان، صيره كرين. قال: وأخبرت أن الجسور يوم مات امتلأت، فلم يعبر عليها أحد إلا من تبع جنازته من مواليه واليتامى والأرامل والمساكين. قيل توفي سنة 170 هـ وإلى جانب، أبو عبد الله هذا هناك أيضا يعقوب بن داود بن عمر (أو بن طهمان) السلمي بالولاء، أبو عبد الله: كاتب، من أكابر الوزراء. مات سنة 187 هـ. في ولاية هارون الرشيد وهو الذي يقول فيه بشار: بني أمية هبوا، طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود !.

■ (1) فضيل بن عمران الكوفي ؟ (3) حاضنة تعرف بأم عبيدة ؟ (4) الريان مولى المنصور؟ (5)وهارون بن غزوان، مولى عثمان بن نهيك؟ (11) سويد مولى جعفر؟

كان مطيع بن إياس الكناني[1] يخدم جعفر بن أبي جعفر المنصور وينادمه، فكره ذلك أبو جعفر لما شهر به مطيع في الناس، وخشي أن يفسده، فدعا بمطيع وقال له، قد عزمت على أن تفسد ابني علي وتعلمه زندقتك؟! قال: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من أن تظن بي هذا فأهلك، والله ما يسمع مني إلا ما إذا وعاه جمله وزينه ونبله. قال: ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلا ما يضره ويعره. فلما رأى مطيع لجاجة في أمره قال له: أتؤمنني من غضبك حتى أصدقك؟ قال: أنت آمن قال: وأي مستصلح فيه، أو أي نهاية لم يبلغها في الفساد والهلاك؟! قال: ويلك بأي شيء؟ قال: يزعم أنه يتعشق امرأة من الجن، وهو مجتهد في خطبتها، وقد جمع أصحاب العزائم عليها، وهم يغرونه ويعدونه بها ويمنونه، فوالله ما فيه فضل لغير ذلك من جد ولا هزل، ولا كفر ولا إيمان. فقال له المنصور: ويلك أتدري ما تقول؟ قال: الحق والله أقول، فسل عن ذلك. فقال: له: عد إلى صحبته واجتهد أن تزيله عن هذا الأمر، ولا تعلمه أني علمت بذلك حتى اجتهد في إزالته عنه. ودخل المنصور دار جعفر ابنه هذا، وخرج جعفر من دار حرمه، فقال لأبيه: ما حملك على أن دخلت علي بغير إذن؟ فقال له أبو جعفر: لعنك الله، ولعن من أشبهته، قال: والله لأنا أشبه بك منك بأبيك.

قال إبراهيم بن عيسى: كان للمنصور خادم أصفر إلى الأدمة، ماهر لا بأس به، فقال المنصور يوما: ما جنسك؟ قال: عربي، يا أمير المؤمنين، قال: ومن أي العرب أنت؟ قال: من خولان، سبيت من اليمن، فأخذني عدو لنا، فجبني فاسترقت، فصرت إلى بعض بني أمية، ثم صرت إليك. قال: أما إنك نعم الغلام؛ ولكن لا يدخل علي قصري عربي يخدم حرمي؛ اخرج عافاك الله؛ فاذهب حيث شئت!

عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي عم أبي جعفر المنصور ولاه أبو العباس السفاح حرب مروان بن محمد فسار عبد الله إلى مروان حتى قتله واستولى على بلاد الشام ولم يزل أميرا عليها مدة خلافة السفاح فلما ولي المنصور خالف عليه ودعا إلى نفسه فوجه إليه المنصور أبا مسلم صاحب الدولة فحاربه بنصيبين فانهزم عبد الله بن علي واختفى وصار إلى البصرة فاشخصه سليمان بن على والى البصرة إلى بغداد فحبسه أبو جعفر المنصور ولم يزل في حبسه ببغداد حتى وقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله.

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد من أهل المدينة وقدم مع جماعة من الطالبين على أبي العباس السفاح وهو بالأنبار ثم رجعوا إلى المدينة فلما ولي المنصور حبس عبد الله بالمدينة لأجل ابنيه محمد وإبراهيم عدة سنين ثم نقله إلى الكوفة فحبسه بها حتى مات.

■ (1) مطيع بن إياس الكناني، أبو سلمى: شاعر، من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية. كان ظريفا، مليح النادرة، ماجنا، متهما بالزندقة. مولده ومنشأه بالكوفة، وأصل أبيه من فلسطين. مدح الوليد بن يزيد ونادمه، في العصر الاموى، وانقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن المنصور فكان معه إلى أن مات. وكان صديقا لحماد عجرد الشاعر وحماد الراوية. أقام ببغداد زمنا، وولاه المهدى العباسي الصدقات بالبصرة فتوفى فيها سنة 166 هـ. وأخباره كثيرة، وفى شعره ما كان يغنى به.

مراجع: الفرج بعد الشدة للتنوخي/ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة/ سير أعلام النبلاء/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ تاريخ الرسل والملوك/ تاريخ بغداد/ تاج العروس/ الاغاني/ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة/ التذكرة الحمدونية/

قال المدائني: ماتت ابنة للمنصور، فرأى المنصور أبا دلامة[1] عند قبرها فقال: ما أعددت لهذا المضجع؟ قال: التي حفر لها يا أمير المؤمنين، فقال: ويلك الا قلت كما قال الفرزدق[2] حين سأله البصري[3] ورآه عند قبر النوار امرأته عن مثل ما سألتك فقال: شهادة أن لا إله إلا الله مذ ثمانون سنة! فقال أبو دلامة: إنا لا نحب المعاد من الكلام. وفي رواية قال محمد بن زياد: سمعت ثعلبا يقول: لما ماتت حمادة بنت عيسى ابنة عم أبي جعفر فحضر جنازتها وجلس لدفنها وهو متألم لفقدها كئيب عليها وهي زوجته، فأقبل أبو دلامة وجلس قريبا منه، فقال له المنصور: ويحك! ما أعددت لهذا المكان (لهذه الحفرة؟) وأشار إلى القبر، فقال: ابنة عم أمير المؤمنين، فضحك المنصور حتى استلقى، ثم قال له: ويحك، فضحتنا بين الناس.

وفي رواية قال أبو العباس ثعلب: لما ماتت حمادة بنت عيسى امرأة المنصور وقف المنصور والناس معه على حفرتها ينتظرون مجيء الجنازة وأبو دلامة فيه فأقبل عليه المنصور فقال: يا أبا دلامة ما أعددت لهذا المصرع؟ قال: حمادة بنت عيسى يا أمير المؤمنين، قال: فأضحك القوم.

قال الحرمازي: دخل أبو دلامة على المنصور فأنشد: لو كان يقعد فوق الشمس من كرم..قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس..ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم..إلى السماء فأنتم أكرم الناس. فقال المنصور: لقد غدا بك أمر، قال: نعم، ولدت لي البارحة ابنة فقلت فيها: فما ولدتك مريم أم عيسى..ولم يكفلك لقمان الحكيم..ولكن قد تضمك أم سوء..إلى لباتها وأب لئيم. فتبسم المنصور وأمر له بأربعة آلاف درهم.

قال المدائني: حدثني أبو العالية البصري قال: أنشد المنصور أبو دلامة قوله: قالت تبغ لنا نخلا ومزرعة..كما لجيراننا نخل ومزدرع..خادع خليفتنا عن ذاك في لطف..إن الخليفة للسؤال ينخدع. فقال لعبد الملك بن حميد[4]: أقطعه ألف جريب نصفها عامر ونصفها غامر. فقال: بأبي أنت وما الغامر؟ قال: الذي لا يناله الماء إلا بالكلفة والنفقة، قال: أبو دلامة: فإني قد أقطعت عبد الملك بن حميد بادية بني أسد وصحراء بزيقيا وصحراء أنقف، فضحك المنصور وأمر أن تجعل الألف جريب عامرة كلها، فقال له: جعلني الله يا أمير المؤمنين فداك ايذن لي في تقبيل رجلك، فقال: لست أفعل.

في رواية دخل أبو دلامة على المنصور فقال: يا أمير المؤمنين تأمر لي بكلب صيد؟ قال: أعطوه. قال: كلب بلا صقر؟ قال: أعطوه صقرا. قال: كلب وصقر بلا بازبان؟! قال: أعطوه غلاما بازبانا. قال: فلا بد لهم من دار! قال: أعطوه دارا. قال: فمن أي شيء يعيشون؟ قال: قد أقطعتك أربع مائة جريب منها مائتا جريب عامر ومائتان غامر. قال: وما الغامر؟ قال: الخراب. قال: فأنا أقطعتك أربعة آلاف جريب بالدهناء* غامرة. قال: فقد جعلتها كلها عامرة فهل بقي لك شيء؟ قال: نعم تدعني أقبل يدك. قال: ليس إلى ذلك سبيل. فقال: ما منعتني شيئا أهون على عيالي من هذا.

دخل أبو دلامة على أبي جعفر المنصور وقال: يا أمير المؤمنين! قال: نعم، قال: رأيت في البارحة أني قبلت رأسك وأعطيتني ألف دينار! قال أبو جعفر: أما التقبيل فأنا أؤوله لك، وأما الألف دينار فلا أفعله. قال: لا والله هي حاجتان لا بد منهما، قال أبو جعفر: فوالله لا أتركك تقبل رأسي أبدا، قال: اعطني ألف دينار وسامحك الله في التقبيل. وهذا من الكذب في الرؤيا، وإلا فيمكن أنه ما رأى، والله أعلم، ولكن حصل على ألف دينار.

قال مبارك الطبري: أشار أبو عبد الله[5] على المهدي أن ينزل الرافقة*، وأراد أن يبعده عن أبي جعفر، فكتب أبو دلامة إلى أبي جعفر: إن الخليفة والمهدي إن قربا فنحن في حنث، لا ماء، ولا شجر، ولا نهار، ولا ليل يطيب لنا، ولا يطيب لنا شمس ولا قمر، الله يعلم أني ناصح لكم فيما أقول، وإني حية ذكر أرى وأسمع ما لا تسمعان به من الحسود، وفي في الحاسد الحجر. فرد أبو جعفر المهدي إليه، ولم يأذن له في نزول الرافقة، ولم يباعده عنه.

ودخل أبو دلامة على أبي جعفر المنصور، وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد والقلانس الطوال، تدعم بعيدان من داخلها، وأن يعلقوا السيوف في المناطق، ويكتبوا على ظهورهم: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة]. فلما دخل عليه أبو دلامة في هذا الزي قال له المنصور: ما حالك؟ قال: شر حال يا أمير المؤمنين، وجهي في نصفي، وسيفي في استي، وقد صبغت بالسواد ثيابي ونبذت كتاب الله وراء ظهري، ثم أنشد: وكنا نرجى منحة من إمامنا..فجاءت بطول زاده في القلانس..تراها على هام الرجال كأنها..دنان يهود جللت بالبرانس. فضحك منه المنصور وأعفاه وحذره من ذلك، وقال: إياك أن يسمع هذا منك أحد.

----

*(جريب) الجريب من الطعام والأرض مقدار معلوم وجمعه أجربة و جربان قلت الجريب مكيال وهو أربعة أقفزة والجريب من الأرض مبذر الجريب الذي هو المكيال (الدهناء) موضع، وهو رمل لين، والنسبة إليها دهناوي. وفي مختار الصحاح: الدهناء:موضع ببلاد تميم يمد ويقصر(مزيقياء) لقب عمرو بن عامر ماء السماء. أي حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن السبراح بن الأزد. ملك اليمن، صاحب سد مأرب، وهو جد الأنصار (الرافقة) مدينة على نهر الفرات جانب الرقة وهي متصلة بها بناها المنصور وأتمها المهدي وسكنها الرشيد.

■ (1) أبو دلامة زند بن الجون الأسدي. شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم كان أبوه عبدا لرجل من أسد وأعتقه. نشأ في الكوفة واتصل بالخلفاء من بني العباس، فكانوا يستلطفونه ويغدقون عليه صلاتهم، وله في بعضهم مدائح. وكان يتهم بالزندقة لتهتكه، وأخباره كثيرة متفرقة. توفي سنة 161هـ

■ (2) همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن طائفة.ولد سنة 38 هـ وتوفي في البصرة سنة 110 هـ.

■ (3) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

■ (4) عبد الملك بن حميد، مولى حاتم بن النعمان الباهلي: من اهل حران، قلده المنصور كتابته ودواوينه، وكانت له عنده منزلة رفيعة، ولما بنى مدينة السلام قسمها ارباعا، فجعل الربع منها الى عبد الملك بن حميد الكاتب، ولم يزل على حاله الى ان لحقته علة من نقرس لحقه فلزم منزله

■ (5) هل هو : معاوية بن عبيد الله ابن يسار، أبو عبيد الله، الأشعري، مولى عبد الله بن عضاه الأشعري، وزير المهدي، ولاه هشام بن عبد الملك صدقات عذرة. توفي سنة 170 هـ، وقيل سنة 169 هـ، وله سبعون سنة. وكان مولده في سنة 100 هـ.

حدث نصر بن محمد الخزري عن بعض رواة الأخبار قال: كان أبو العباس مولعا بأبي دلامة، لا يفارقه ليلا ولا نهارا لحسن أدبه، وجودة شعره، وكثرة ملحه، ومعرفته بأخبار الناس وأيامهم، وكان أبو دلامة خليعا ماجنا، وكان يهرب منه، ويأتي حانات الخمارين، فيشرب مع إخوانه. ويكره مجالس الخلفاء لما في ذلك من المشقة والتعب وشدة التوقي، أبو دلامة يحب أن ينبسط ويتكلم، وكان لا يتهيأ ذلك له في مجلس الخلافة، فهرب، فعاتبه أبو العباس على ذلك وقال: ويحك، أراك تحيد عنا وعن مجالسنا، وتهرب منا. فليت شعري لم ذاك؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، ما الخير والشرف والعز والفضل إلا في مجالستك، والوقوف على أبوابكم، ولزوم خدمتكم، ونكره مع ذلك أن تملونا، فنقبض على أنفسنا بعض القبض، ليكون أبقى لحالنا عندكم. قال أبو العباس: ما مللتك قط، وما ذاك كما ذكرت، ولكن قد اعتدت حانات الخمارين والخلعاء والمجان. ثم وكل به، وألزمه ألا يبرح حضرته، وكان يصلي معه الصلوات كلها، فأضر ذلك به. ففي ذلك يقول أبو دلامة: ألم تعلمي أن الخليفة لزني..بمسجده والقصر، مالي وللقصر..أصلي به الأولى مع العصر دائبا..فويلي من الأولى وويلي من العصر..ويحبسني عن مجلس استلذه..أعلل فيه بالسماع وبالخمر..ووالله ما بي نية في صلاته..ولا البر والإحسان والخير من أمري..وما ضره والله يصلح أمره..لو أن ذنوب العالمين على ظهري. فلما سمع أبو العباس الأبيات قال: والله ما يفلح هذا أبدا، فذروه وأصحابه.

حدث محمد بن خالد البصري قال: حدثني ابن أبي العوجاء قال: أراد موسى بن داوود بن علي بن عبد الله بن عباس الخروج إلى الحج. فدعا أبا دلامة وقال تأهب للخروج معي إلى هذا الوجه المبارك، فإنما هو الحج وأعطاه عشرة آلاف درهم وقال: إن كان عليك دين فاقضه وخلف لعيالك ما يكفيهم واخرج –وكان طمع في أن يعادله فيتمتع بفوائده وملحه ونوادره، فإنه كان من أتراب الملوك– فأخذ المال وأجابه إلى ذلك، فلما حضر خروج موسى طلبه فلم يقدر عليه، ففتش عن أمره، فقيل له: إنه بسواد الكوفة يتقلب في حانات الخمارين، وخاف موسى أن يفوته الحج فقال: اتركوه إلى لعنة الله، وخرج فلما شارف القادسية إذا هو بأبي دلامة قد خرج من قرية يريد الحيرة، فقال: ائتوني بعدو الله الفاسق، هرب من الحق إلى الباطل، ومن الحج إلى حانات الخمارين، فجيء به إليه، فقيده وألقاه في بعض المحامل، وساروا، فلما رأى أبو دلامة ذلك أنشأ يقول: يا أيها الناس قولوا أجمعين معا..صلى الإله على موسى بن داوود..كأن ديباجي خديه من ذهب..إذا تشرف في أثوابه السود..أما أبوك فعين الجود نعرفه..وأنت أشبه خلق الله بالجود..نبئت أن طريق الحج معطشة..من الطلاء وما شربي بتصريد..والله ما بي من خير فتطلبني..في المسلمين وما ديني بمحمود..إني أعوذ بداوود وتربته..من أن أحج بكره يا بن داوود. فقال موسى القوه عن المحمل لعنه الله حتى يذهب حيث يشاء، فألقوه عن المحمل ومضى لوجهه، فما زال أبو دلامة في السواد حتى أتلف ذلك المال؛ وانصرف موسى. فدخل أبو دلامة عليه مهنئا فقال له: يا محارف ماذا فاتك من تلك المشاهد؟ فقال: يا سيدي والله فاتني أفاضلها، يعني الحانات.

حدث ابن داوود قال: حدثني العوفي قال: دخل أبو دلامة على المهدي وعنده عيسى بن موسى والعباس بن محمد وناس من بني هاشم، فقال له المهدي: اهج أينا شئت. فنظر إلى القوم وتصفحهم، فكلما مر نظره إلى رجل غمز بعينه: إني على رضاك ولا تفعل. فمكث هنيهة ثم أنشأ يقول: ألا أبلغ لديك أبا دلامة..فلست من الكرام ولا كرامة..جمعت دمامة وجمعت لؤما..كذاك اللؤم تتبعه الدمامة..فإن تك يا عليج أصبت مالا..فيوشك أن تقوم بك القيامة..إذا لبس العمامة قلت قرد..وخنزير إذا وضع العمامة. فضحك المهدي وتعجب من حسن ما أتى به من التخلص مما كان دفع إليه، فلم يبق أحد في القوم إلا وصله وأهدى إليه.

مراجع: طبقات الشعراء/ـمختار الصحاح/ مقاييس اللغة/ المحاسن والمساوئ/ الأعلام للزركلي/ أنساب الأشراف/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير/ نهاية الأرب في فنون الأدب/

قال أبو مالك عبيد الله بن محمد: حدثنا أبي قال: لما توفي أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة[1] على أبي جعفر المنصور[0] والناس عنده تعزيه فأنشأ يقول: أمسيت بالأنبار يا بن محمد..لا تستطيع إلى البلاد حويلا..ويلي عليك وويل أهلي كلهم..ويلا يكون إلى الممات طويلا..مات الندى إذ مت يا بن محمد..فجعلته لك في التراب عديلا..أني سألت الناس بعدك كلهم..فوجدت أسمح من رأيت بخيلا..ألشقوتي أخرت بعدك للذي..يدع السمين من العيال هزيلا. فأبكى الناس قوله، فغضب المنصور غضبا شديدا وقال: لئن سمعتك بعدها تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك. فقال أبو دلامة: إن أبا العباس كان لي مكرما، وهو الذي جاء بي من البدو، كما جاء الله يوسف عليه السلام، بإخوته، فقل كما قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف] فقال له: أقلناك فسل حاجتك. فقال أبو دلامة: قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا في مرضه، ولم أقبضها، فقال المنصور: ومن يعلم ذلك؟ فقال: هؤلاء وأشار بيده إلى جماعة ممن حضره، فقام سليمان بن مجالد[3] وأبو الجهم فقالا: يا أمير المؤمنين، صدق أبو دلامة ونحن نعلم ذلك. فقال المنصور لأبي أيوب الخازن: يا سليمان أدفعها إليه وأخرجه في هذا الجيش الخارج إلى الطاغية، يعني عبد الله بن علي [2] –وكان قد أظهر الخلاف بالشام ودعا إلى نفسه وجمع جمعا كثيرا وبقايا أصحاب مروان: خلقا من أهل الشام. وخاف المنصور أن يتمادى أمره– فوثب أبو دلامة وقال: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تخرجني مع هذا العسكر فإن والله مشؤوم، فقال المنصور: إن يمني يغلب شؤمك فاخرج مع العسكر فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين، ما أحب لك أن تجرب ذلك، فإني لا أدري أي المنزلتين تحصل، ولا آمن أن يغلب شؤمي، فقال له: دع عنك هذا، فما لك بد من المسير في الجيش، قال: يا أمير المؤمنين والله لأصدقنك، إني شهدت تسعة عساكر كلها هزمت، فأنا أعيذك بالله أن يكون العاشر. فاستفرغ ضحكا أبو جعفر، وأمره بالمقام مع عيسى بن موسى [4] بالكوفة.

قال محمد بن الصلت الكوفي: اختصم أبو دلامة مع رجل إلى عافية[5] قاضي أبي جعفر المنصور، فأدعى الرجل عليه، فقال له القاضي: ما تقول؟ قال: اسمع أولا، وأنشأ يقول: لقد خاصمتني دهاة الرجال..وخاصمتها سنة وافيه..فما أدحض الله لي حجة..ولا خيب الله لي قافيه..فمن خفت من جوره في القضاء..فلست أخافك يا عافيه. فغضب وقال: لأشكونك إلى أمير المؤمنين. قال أبو دلامة: ولم تشكوني؟ قال: لأنك هجوتني قال: إذن والله يعزلك. قال عافيه: ولم يعزلني؟ قال: لأنك لا تعرف المدح من الهجاء. واتفق أن أبا دلامة تأخر عن الحضور بباب أبي جعفر أياما ثم حضر، فأمر بإلزامه القصر، وألزمه بالصلاة في مسجده، ووكل به من يلاحظه في ذلك، فمر به أبو أيوب المورياني[6] وهو إذ ذاك وزير أبي جعفر، فقام إليه أبو دلامة ودفع رقعة مختومة، وقال: هذه ظلامة لأمير المؤمنين، فأوصلها أعزك الله إليه بخاتمها، فأخذها أبو أيوب، فلما دخل على أبي جعفر أوصلها إليه فقرأها فإذا فيها: ألم تعلموا أن الخليفة لزني..بمسجده والقصر، ما لي وللقصر..أصلي به الأولى مع العصر دائما..فويلي من الأولى وويلي من العصر..ووالله ما لي نية في صلاتهم..ولا البر والإحسان والخير من أمري..وما ضره والله يصلح أمره..لو أن ذنوب العالمين على ظهري. فضحك المنصور وأمر بإحضاره، فلما حضر قال: هذه قصتك قال: دفعت إلى أبي أيوب رقعة مختومة أسأل فيها إعفائي من لزوم الذي أمرني بلزومه، فقال له أبو جعفر: اقرأها، قال: ما أحسن أن أقرأ، وعلم أنه إن أقر بكتابته لها يحده بذكره الصلاة وتعريضه بها، فلما رآه يحيد من ذلك، قال له: يا خبيث أما لو أقررت لضربتك الحد، ثم قال: لقد أعفيتك من لزوم المسجد، فقال أبو دلامة: أو كنت ضاربي يا أمير المؤمنين لو أقررت قال: نعم، قال: مع قول الله عز وجل﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء] فضحك منه وأعجب من انتزاعه، ووصله.

وكان المنصور قد أمر بهدم دور كثيرة وكان من جملتها دار أبي دلامة، فكتب إلى المنصور: يابن عم النبي دعوة شيخ..قد دنا هدم داره وبواره..فهو كالماخض التي اعتادها الطل..ق فقرت وما يقر قراره..لكم الأرض كلها فأعيروا..عبدكم ما احتوى عليه جداره. فأمر له بدار عوضا عنها.

■ (1) أبو دلامة زند بن الجون الأسدي. شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم كان أبوه عبدا لرجل من أسد وأعتقه. نشأ في الكوفة و أدرك أبو دلامة آخر بني أمية ولم يكن له نباهة في أيامهم، ونبغ في أيام بني العباس، فانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي. وكان يتهم بالزندقة لتهتكه، وأخباره كثيرة متفرقة.توفي سنة161هـ ويقال: إنه عاش إلى أيام هارون الرشيد، وكانت ولاية الرشيد في سنة سبعين ومائة.

■ (6) أبو أيوب الموريانى وزير المنصور، سليمان بن أبي سليمان الخوزي تمكن من المنصور تمكنا لا مزيد عليه، وكان أولا كاتبا للأمير سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، وكان المنصور ينوب عن هذا الأمير في بعض كور فارس، فيما نقله ابن خلكان. فصادره وضربه، فلما صارت الخلافة إلى المنصور قتله. وكان المورياني قد دافع عند سليمان كثيرا عن المنصور، فاستوزره ثم غضب عليه، ونسبه إلى أخذ الأموال، وأضمر له، فكان كلما هم به دخل أبو أيوب وقد دهن حاجبيه بدهن مسحور، فسار في ألسنة العامة: دهن أبي أيوب.ثم إنه استأصله وعذبه وأخذ منه أموالا عظيمة. وكذلك الدنيا الدنية، قريبة الرزية. مات سنة 154 هـ، وكان من دهاة العالم، وله مشاركة قوية في الأدب والفلسفة والحساب والكيمياء والسحر والنجوم، ولكنه ليس بفقيه، وكان سمحا جوادا متمولا.

■ (0) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور، عبد الله الأكبر. الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

■ (3) سليمان بن مجالد بن أبي مجالد الوزير من أهل الأردن كان أخا أبي جعفر المنصورمن الرضاعة وكان معه بالحميمة في أرض الشام فلما أفضت إليه الخلافة قربه وأدناه وكان معه كالوزير وقدم معه بغداد حين بناها وولاه الري وولي له الخزائن إلى حين وفاته فلما توفي ولى المنصور ابن أخيه إبراهيم بن صالح بن مجالد مكانه

■ (4) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو موسى الهاشمي، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح، نشأ بالحميمة من أرض البلقاء من كور دمشق ثم انتقل مع أهله إلى العراق وجعله السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور أخره وجعله ولي عهده بعد ابنه المهدي وكان جليلا في أهل بيته وولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور، ولد سنة 103 هـ أو104 هـ وتوفي بالكوفة سنة 167 هـ

☪

قال شهاب الدين النويري: هو أبو دلامة زند بن الجون. وزند بالنون. وهو كوفي، أسود، مولى لبني أسد، كان أبوه عبدا لرجل منهم يقال له قصاقص، فأعتقه. وأدرك آخر زمن بني أمية ولم يكن له نباهة في أيامهم، ونبغ في أيام بني العباس، فانقطع إلى أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور والمهدي، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره. قال أبو الفرج الأصفهاني: كان أبو دلامة رديء المذهب، مرتكبا للمحارم، مضيعا للفروض، متجاهرا بذلك، وكان يعلم هذا منه ويعرف به، فيتجافى عنه للطف محله. وله أخبار وأشعار ليس هذا موضع ذكرها، وإنما نثبت في هذا الموضع ما له من نادرة حكاية مستظرفة [نهاية الأرب في فنون الأدب].

قال الهيثم بن عدي رحمة الله عليه: حجت الخيزران، فلما خرجت، صاح أبو دلامة: جعلني الله فداك، الله الله في أمري فقالت: من هذا؟ قالوا: أبو دلامة. فقالت: سلوه ما أمره، قالوا له: ما أمرك؟ قال: أدنوني من محملها، قالت: أدنوه، فأدنى، فقال لها: أيها السيدة، إني شيخ كبير وأجرك في عظيم. قالت: فمه قال : تهبيني جارية من جواريك تؤنسني، وترفق بي وتريحني من عجوز عندي، قد أكلت رفدي، وأطالت كدي، فقد عاف جلدي جلدها، وتشوقت فقدها. فضحكت الخيزران وقالت: سوف آمر لك بما سألت. فلما رجعت تلقاها وأذكرها وخرج معها إلى بغداد، فأقام حتى غرض. ثم دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون فدفع إليها رقعة قد كتب بها إلا الخيزران، فقها: أبلغي سيدتي با..لله يا أم عبيده..أنها أرشدها ا..لله وإن كانت رشيده..وعدتني قبل أن تخ..رج للحج وليده..فتأنيت وأرسل..ت بعشرين قصيده..كلما أخلقن أخلف..ت بعشرين قصيده..ليس في بيتي لتمهي..د فراشي من قعيده..غير عجفاء عجوز..ساقها مثل القديده..وجهها أقبح من حو..ت طري في عصيده..ما حياة مع أنثى..مثل عرسي بسعيده. فلما قرأت عليها، ضحكت ودعت بجارية من جواريها فائقة الجمال، فقالت لها: خذي كل مالك في قصري، ففعلت، ثم دعت بعض الخدم وقالت له: سلمها إلى أبي دلامة. فانطلق الخادم بها فلم يصادفه في منزله، فقال لامرأته: إذا رجع أبو دلامة فادفعيها إليه وقولي له: تقول لك السيدة: أحسن صحبة هذه الجارية فقد أمرت لك بها. فقالت له نعم. فلما خرج الخادم دخل ابنها دلامة فوجد أمه تبكي، فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت: إن أردت أن تبرني يوما من الأيام فاليوم. قال: قولي ما شئت فإني أفعله. قالت: تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها وتطؤها فتحرمها عليه وإلا ذهبت بعقله فجفاني وجفاك، ففعل ودخل إلى الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه، وخرج. فدخل أبو دلامة فقال لامرأته: أين الجارية؟ قالت: في ذلك البيت، فدخل إليها شيخ محطم ذاهب، فمد يده إليها ذهب ليقبلها، فقالت: مالك ويحك تنح وإلا لطمتك لطمة دققت منها أنفك. فقال لها: أبهذا أوصتك السيدة؟ قالت: بعثت بي إلى فتى من هيئته وحاله كيت وكيت، وقد كان عندي آنفا ونال مني حاجته. فعلم أنه قد دهي من أم دلامة وابنها. فخرج أبو دلامة إلى دلامة فلطمه ولببه وحلف ألا يفارقه إلا إلى المهدي. فمضى به ملببا حتى وقف بباب المهدي، فعرف خبره، وأنه جاء بابنه على تلك الحال. فأمر بإدخاله فلما دخل قال: مالك ؟ قال: فعل بي هذا ابن الخبيثة ما لم يفعله ولد بأبيه، ولا يرضيني إلا أن تقتله. قال: ويحك وما فعل بك؟ فأخبره الخبر، فضحك حتى استلقى ثم جلس. فقال له أبو دلامة: أعجبك فعله فتضحك منه؟ فقال: علي بالسيف والنطع. فقال له دلامة: قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين، فاسمع حجتي. قال: هات قال: هذا الشيخ أصفق الناس وجها، هو يفعل بأمي منذ أربعين سنة ما غضبت، وفعلت أنا بجاريته مرة واحدة غضب وصنع بي ما ترى. فضحك المهدي أشد من ضحكه الأول، ثم قال: دعها له يا أبا دلامة، وأنا أعطيك خيرا منها، قال: على أن تخبأها لي بين السماء والأرض وإلا فعل بها والله كما فعل بهذه، فتقدم إلى دلامة ألا يعاود مثل فعله، وحلف أنه إن عاود قتله، ثم وهب له جارية.

قال عبد الله بن صالح رحمه الله جاء ابن أبي دلامة يوما إلى أبيه وهو في محفل من جيرانه وعشيرته فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إن شيخي كما تؤون قد كبر سنه ورق جلده ودق عظمه، وبنا إلى حياته حاجة شديدة، فلا أزال أشير عليه بالشيء يمسك رمقه ويبقى قوته فيخالفني فيه، وإني أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته، فأسعفوني بمسألته معي. فقالوا: نفعل حبا وكرامة، ثم أقبلوا على أبي دلامة بألسنتهم فتناولوه بالعتاب حتى رضي ابنه وهو ساكت، قال: قولوا للخبيث فليقل ما يريد، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببلية. فقالوا له: قل، فقال: إن أبي إنما قتله كثرة الجماع، فتعاونوني حتى أخصيه، فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء فيكون أصح لجسمه وأطول لعمره. فعجبوا بما أتى به وضحكوا. ثم قالوا لأبي دلامة: قد سمعت فأجب. قال: قد سمعتم أنتم فعرفتكم أنه لم يأت بخير. قالوا: فما عندك في هذا؟ قال: قد جعلت أمه حكما فيما بيني وبينه، فقوموا بنا إليها. فقاموا بأجمعهم ودخلوا إليها، وقص أبو دلامة القصة عليها وقال: قد حكمتك. فأقبلت على الجماعة فقالت: إن ابني هذا أبقاه الله قد نصح أباه ولم يأل جهدا، وما أنا إلى بقاء أبيه أحوج مني إلى بقائه، وهذا أمر لم يقع به تجربة منا ولا جرى بمثله عادة لنا، وما أشك في معرفته بذلك، فليبدأ بنفسه فليخصها، فإذا عوفي ورأينا ذلك قد أثر عليه أثرا محمودا استعمله أبوه. فضحك أبوه والقوم وانصرفوا يعجبون من خبثهم جميعا.

مراجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ الأعلام للزركلي/ طبقات الشعراء/ نهاية الأرب في فنون الأدب/

قال: وشرب أبو دلامة[1] في بعض الحانات وسكر، فمضى وهو يميل، فلقيه العسس فأخذه، فقيل له: من أنت؟ وما دينك؟ فقال: ديني على دين بني العباس.. ما ختم الطين على القرطاس..إذا اصطحب أربعا بالكاس.. فقد أدار شربها براسي..فهل بما قلت لكم من باس. فأخذوه وخرقوا ثيابه وساجه، وأتي به إلى أبي جعفر، فأمر بحبسه مع الدجاج في بيت. فلما أفاق جعل ينادي غلامه مرة وجاريته أخرى فلا يجيبه أحد، وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاء الديك. فلما أكثر قال له السجان: ما شأنك؟ قال: ويلك من أنت؟ وأين أنا؟ قال: قال: أنت في الحبس، وأنا فلان السجان. قال: ومن حبسني؟ قال: أمير المؤمنين. قال: ومن خرق طيلساني؟ قال: الحرس. فطلب أن يأتيه بدواة وقرطاس، ففعل فأتاه، فكتب إلى أبي جعفر المنصور يقول: أمير المؤمنين فدتك نفسي..علام حبستني وخرقت ساجي..أمن صهباء صافية المزاج..كأن شعاعها لهب السراج..وقد طبخت بنار الله حتى..لقد صارت من النطف النضاج..تهش لها القلوب وتشتهيها..إذا برزت ترقرق في الزجاج..أقاد إلى السجون بغير جرم.. كأني بعض عمال الخراج..فلو معهم حبست لكان سهلا..ولكني حبست مع الدجاج..وقد كانت تخبرني ذنوبي..بأني من عقابك غير ناج..على أني وإن لاقيت شرا..لخيرك بعد ذاك الشر راجي.

فاستدعاه المنصور وقال: أين حبست يا أبا دلامة؟ قال: مع الدجاج. قال: فما كنت تصنع؟ قال: أقوقي معهم إلى الصباح، فضحك وخلى سبيله وأمر له بجائزة. فلما خرج قال الربيع: إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين، أما سمعت قوله: وقد طبخت بنار الله؟ يعني الشمس قال: لا والله، ما عنيت إلا نار الله الموقدة التي تطلع على فؤاد الربيع. فضحك المنصور وقال: خذها يا ربيع ولا تعاود التعرض له.

----

(1) أبو دلامة زند بن الجون الأسدي. شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم كان أبوه عبدا لرجل من أسد وأعتقه. نشأ في الكوفة و أدرك أبو دلامة آخر بني أمية ولم يكن له نباهة في أيامهم، ونبغ في أيام بني العباس، فانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي. وكان يتهم بالزندقة لتهتكه، وأخباره كثيرة متفرقة.توفي سنة161هـ، ويقال: إنه عاش إلى أيام هارون الرشيد، وكانت ولاية الرشيد في سنة سبعين ومائة.

كان روح بن حاتم المهلبي[1] واليا على البصرة، فخرج إلى حرب الجيوش الخراسانية ومعه أبو دلامة، فخرج من صف العدو مبارز، فخرج إليه جماعة فقتلهم، فتقدم روح إلى أبي دلامة بمبارزته فامتنع فألزمه فاستعفاه فلم يعفه، فأنشد أبو دلامة: إني أعوذ بروح أن يقدمني..إلى القتال فيخزى بي بنو أسد..إن المهلب حب الموت أورثكم..ولم أرث أنا حب الموت من أحد..إن الدنو إلى الأعداء أعلمه..مما يفرق بين الروح والجسد فأقسم عليه ليخرجن (لتخرجن؟)، وقال: لماذا تأخذ رزق السلطان؟ قال: لأقاتل عنه، قال: فمالك لا تبرز إلى عدو الله؟! فقال: أيها الأمير، إن خرجت إليه لحقت بمن مضى، وما الشرط أن أقتل عن السلطان، بل أقاتل عنه، فحلف روح: لتخرجن إليه فتقتله أو تأسره أو تقتل دون ذلك، فلما رأى أبو دلامة الجد منه قال: أيها الأمير، تعلم أن هذا أول يوم من أيام الآخرة، ولا بد فيه من الزوادة، فأمر له بذلك، فأخذ رغيفا مطويا على دجاجة ولحم وسطيحة من شراب وشيئا من نقل، وشهر سيفا وحمل، وكان تحته فرس جواد، فأقبل يجول ويلعب بالرمح، وكان مليحا في الميدان، والفارس يلاحظه ويطلب منه غرة، حتى إذا وجدها حمل عليه، والغبار كالليل، فأغمد أبو دلامة سيفه وقال للرجل: لا تعجل واسمع مني –عافاك الله– كلمات ألقيهن إليك، فإنما أتيتك في مهم، فوقف مقابله وقال: ما المهم؟ قال: أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا أبو دلامة، قال: قد سمعت بك حياك الله، فكيف برزت إلي وطمعت في بعد من قتلت من أصحابك؟ فقال: ما خرجت لأقتلك ولا لأقاتلك، ولكني رأيت لباقتك وشهامتك فاشتهيت أن تكون لي صديقا، وإني لأدلك على ما هو أحسن من قتالنا، قال: قل على بركة الله تعالى، قال: أراك قد تعبت وأنت بغير شك سغبان* ظمآن !، قال: كذلك هو، قال: فما علينا من خراسان والعراق، إن معي خبزا ولحما وشرابا ونقلا كما يتمنى المتمني، وهذا غدير ماء نمير بالقرب منا، فهلم بنا إليه نصطبح وأترنم لك بشيء من حداء الأعراب، فقال: هذا غاية أملي، فقال: ها أنا أستطرد لك فاتبعني حتى نخرج من حلق الطعان، ففعلا، وروح يتطلب أبا دلامة فلا يجده، والخراسانية تطلب فارسها فلا تجده، فلما طابت نفس الخراساني قال له أبو دلامة: إن روحا كما عملت من أبناء الكرام، وحسبك بابن المهلب جوادا، وإنه يبذل لك خلعة فاخرة وفرسا جوادا ومركبا مفضضا وسيفا محلى ورمحا طويلا وجارية بربرية وينزلك في أكثر العطاء، وهذا خاتمه معي لك بذلك، قال: ويحك! وما أصنع بأهلي وعيالي فقال: استخر الله وسر معي ودع أهلك، فالكل يخلف عليك، فقال: سر بنا على بركة الله، فسارا حتى قدما من وراء العسكر، فهجما على روح، فقال: يا أبا دلامة أين كنت؟ قال: في حاجتك، أما قتل الرجل فما أطقته، وأما سفك دمي فما طبت به نفسا، وأما الرجوع خائبا فلم أقدم عليه، وقد تلطفت وأتيتك به أسير كرمك، وقد بذلت له عنك كيت وكيت، فقال: ممضى إذا وثق لي، قال: بماذا؟ قال: بنقل أهله، قال الرجل: أهلي على بعد ولا يمكنني نقلهم الآن، ولكن امدد يدك أصافحك وأحلف لك متبرعا بطلاق الزوجة أني لا أخونك، فإن لم أف إذا حلفت بطلاقها لم ينفعك نقلها، قال: صدقت، فحلف له وعاهده، ووفى له بما ضمنه أبو دلامة وزاد عليه، وانقلب معهم الخراساني يقاتل الخراسانية، وينكي فيهم أشد نكاية، وكان أكبر أسباب ظفر روح.

ذكر ابن شبة في كتاب أخبار البصرة أن أبا دلامة كتب إلى سعيد بن دعلج[2] –وكان يومئذ يتولى الأحداث بالبصرة– وأرسلها إليه من بغداد مع ابن عم له: إذا جئت الأمير فقل سلام..عليك ورحمة الله الرحيم..وأما بعد ذاك فلي غريم..من الأعراب قبح من غريم..له ألف علي ونصف أخرى..ونصف النصف في صك قديم..دراهم ما انتفعت بها ولكن..وصلت بها شيوخ بني تميم.فسير له ابن دعلج ما طلب.

وفي رواية عن جعفر بن حسين اللهبي قال: حدثني أبو دلامة قال: أتى بي المنصور أو المهدي وأنا سكران، فحلف ليخرجني في بعث حرب ، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلبي لقتال الشراة*. فلما التقى الجمعان قلت لروح: أما والله لو أن تحتي فرسك ومعي سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثرا ترتضيه فضحك وقال: والله العظيم لأدفعن إليك ذلك ولآخذنك بالوفاء بشرطك، فنزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفع ذلك إلي، وعاد بغيره فاستبدل به. فلما حصل ذلك في يدي قلت: أيها الأمير، هذا مقام العائذ بك، وقد قلت أبياتا فاسمعها. قال: هات، فأنشدته: إني استجرتك أن أقدم في الوغى..لتطاعن وتنازل وضراب..فهب السيوف رأيتها مشهورة..وتركتها ومضيت في الهراب..ماذا تقول لما يجيء ولا يرى.. من بادرات الموت بالنشاب.فقال: دع هذا عنك، وبرز رجل من الخوارج يدعو إلى المبارزة فقال: اخرج إليه يا أبا دلامة. فقال: أنشدك الله أيها الأمير في دمي. فقال: والله لتخرجن فقلت: أيها الأمير، فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، وأنا والله جائع ما تنبعث مني جارحة من الجوع، فمر لي بشيء آكله ثم أخرج، فأمر لي برغيفين ودجاجة، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف. فلما رآني الشاري* أقبل نحوي وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل، وأصابته الشمس فاقفعل وعيناه تقدان، فأسرع إلي، فقلت: على رسلك يا هذا فوقف، فقلت: أتقتل من لا يقاتلك؟ قال: لا. قلت: أتستحل أن تقتل رجلا على دينك؟ قال: لا. قلت: أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من تقابله إلى دينك؟ قال: لا، فاذهب عني إلى لعنة الله، فقلت: لا أفعل أو تسمع مني. قال: قل. فقلت: هل كانت بيننا عداوة أو ترة أو تعرفني بحال تحفظك علي أو تعلم بيني وبين أهلك وترا؟ قال: لا والله، قلت: ولا أنا والله لك إلا على جميل الرأي، فإني لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أرادك. فقال: يا هذا، جزاك الله خيرا فانصرف. قلت: إن معي زادا أريد أن آكله وأريد مؤاكلتك لتتوكد المودة بيننا ويرى أهل العسكرين هوانهم علينا، قال: فافعل. فتقدمت إليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها وجعلنا نأكل والناس قد غلبوا ضحكا. فلما استوفينا ودعني، ثم قلت له: إن هذا الجاهل، إن أقمت على طلب المبارزة ندبني إليك فتتعب وتتعبني، فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل. قال: قد فعلت، فانصرف وانصرفت. فقلت لروح: أما أنا فقد كفيتك قرني، فقل لغيري يكفيك قرنه كما كفيتك. وخرج آخر يدعو إلى البراز، فقال لي: اخرج إليه، فقلت: إني أعوذ بروح أن يقدمني..إلى القتال فتخزى بي بنو أسد..إن البراز إلى الأقران أعلمه..مما يفرق بين الروح والجسد..قد حالفتك المنايا إذا رصدت لها..وأصبحت لجميع الخلق كالرصد..إن المهلب حب الموت أرثكم..فما ورثت اختيار الموت عن أحد..لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها..لكنها خلقت فردا فلم أجد. قال: فضحك روح وأعفاني.

----

*(الشاري) المشتري والبائع ومن يبيع نفسه في طاعة الله، جمعها: شراة والشراة فرقة من الخوارج (سغبان) وسغب أي جوعان أو عطشن

(1) روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الازدي: أمير، من الاجواد الممدوحين. كان حاجبا للمنصور العباسي، وولاه المهدي ابن المنصور السند، ثم نقله إلى البصرة فالكوفة. وولاه الرشيد على فلسطين، ثم صرفه عنها، فتوجه إلى بغداد، فوافق وصوله نعي أخيه يزيد بن حاتم، أمير إفريقية فأرسله الرشيد إليها واليا على القيروان سنة 171 هـ، فاستمر إلى أن مات فيها. سنة 174 هـ ودفن إلى جانب أخيه. وكان موصوفا بالعلم والشجاعة والحزم.

(2) سعيد بن دعلج ولي شرطة البصرة سنة 156 هـ وعزل واستعمل على البحرين سنة 157 هـ وولي طبرستان والرويان وعزل سنة 163 هـ

مراجع: / الأعلام للزركلي/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ طبقات الشعراء/ نهاية الأرب في فنون الأدب/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) وأبو أيوب الوزير، والغلام 0647

روى المعافى بن زكريا في كتاب الجليس والأنيس: كان أبو جعفر المنصور في بعض أسفاره في أيام بني أمية تزوج امرأة من الأزد بالموصل عن ضر شديد أصابه، حتى أكرى نفسه مع الملاحين يمد في الحبل، أو فعل ذلك لأمر خافه على نفسه، فتنكر وأكرى نفسه في مدادي السفن، فخطب هذه المرأة ورغبها في نفسه ووعدها ومناها، وأخبرها أنه جليل القدر وأنه من أهل بيت شرف، وأنها إن تزوجته سعدت، ولم يزل يمنيها حتى أجابته، وأقام معها يختلف في أسبابه ويجعل طريقه عليها بما رزقه الله تعالى؛ ثم اشتملت على حمل فقال لها: أيتها المرأة، هذه رقعة مختومة عندك لا تفتحيها حتى تضعي ما في بطنك، فإن ولدت ابنا فسميه جعفرا وكنيه أبا عبد الله، وإن ولدت بنتا فسميها فلانة، وأنا عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، فاستري أمري فإنا قوم مطلوبون، والسلطان إلينا سريع، وودعها وخرج؛ فقضي أنها ولدت ذكرا، فأخرجت الرقعة فقرأت ما فيها، وسمته جعفرا، وضرب الدهر على ذلك، ما تسمع له خبرا، ونشأ الصبي مع أخواله وأهل بيت أمه، وكان كيسا ذهنا لقنا، واستخلف أبو العباس، فقيل للمرأة: إن كنت صادقة في رقعتك وكان من كتبها صادقا فإن زوجك الخليفة أمير المؤمنين. قالت: ما أدري، صفوا لي صفة هذا الخليفة، قالوا: غلام حين بقل*(تبين؟) وجهه، قالت: ليس هو هو، قالوا: فاستري أمرك، ولم يلبث أبو العباس أن مات واستحكم عندها اليأس، وأقبل ابنها على الأدب فتأدب وكتب ونزعت به همته إلى بغداد فدخل ديوان أبي أيوب[1] كاتب المنصور وانقطع إلى بعض أهله فأتى عليه زمان يتقوت بالكسب ويزيد في أدبه وفهمه وخطه حتى صار يكتب بين يدي أبي أيوب، إلى أن تهيأ أن خرج خادم يوما إلى الديوان يطلب كاتبا يكتب بين يدي المنصور، فقال أبو أيوب للغلام: خذ دواتك وقم واكتب بين يدي أمير المؤمنين، فدخل الغلام فكتب، وكان يتهيأ من أبي جعفر إليه النظرة بعد النظرة يتامله، والقيت عليه محبته واستجاد خطه واسترشق فهمه، فكتب زمانا واستراح أبو أيوب إلى مكانه، ورأى أنه قد حمل عنه ثقلا، وبر الغلام ووصله وكساه كسوة تصلح أن يدخل بها على أمير المؤمنين؛ ثم إن أبا جعفر قال للغلام يوما: ما اسمك قال: جعفر، قال: ابن من فسكت متحيرا، قال ابن من ويحك قال: ابن عبد الله، قال: وأين أبوك قال: لم أره ولم أعرفه، ولكن أمي أخبرتني أن أبي شريف وأن عندها رقعة بخطه فيها نسبه: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، فساعة ذكر الرقعة تغير وجه المنصور فقال: وأين أمك قال: في موضع كذا، قال: أتعرف فلانا قال: نعم، هو إمام مسجد محلتنا، قال: أتعرف فلانا قال: نعم، خياط في مسجدنا، قال: أفتعرف فلانا قال: نعم في سكننا، فلما رأى الغلام أبا جعفر ينزع بأسماء قوم يعرفهم أدركته هيبة له وجزع وتدمع، فأدركت أبا جعفر الرقة عليه، فلم يتمالك أن قال: فلانة بنت فلانة من هي منك قال: أمي، قال: فلانة قال: خالتي، قال: فلان قال: خالي، فضمه إليه وبكى، وقال: يا غلام لا تعلمن أبا أيوب ولا أحدا ما دار بيني وبينك، انظر انظر، احذر احذر، فنهض الغلام وخرج، فقال له أبو أيوب: لقد احتبست عند أمير المؤمنين، قال: كتبت كتبا كثيرة أملاها علي، فأين هي قال: جعلها نسخا يردد فيها نظره حتى يحكمها، ثم خرج إلى الديوان. ثم إن أبا جعفر جعل يقول في بعض الأيام لأبي أيوب: هذا الغلام الذي يكتب بين يدي استوص به، فاتهم أبو أيوب الغلام أنه يلقي إلى أبي جعفر الشيء بعد الشيء من خبره، ثم لم يلبث أن سأله مرة بعد مرة، فقذف في قلب أبي أيوب بغض الغلام وأنه يقوم مقامه إن فقده أبو جعفر، وأبو جعفر يزداد ولها إلى الغلام ويجن به جنونا وليس يمنعه من إدنائه وإظهار أمره إلا أمر يريد الله، فلما رأى أبو أيوب ذلك احتبسه عنده عنادا، ثم قال المنصور للخادم: اخرج إلى الديوان فجئني بفلان، فإن بعث معك بغيره فقل: أمرني أمير المؤمنين لا يدخل عليه غيره، ففعل الخادم ذلك، واستحكم في قلب أبي أيوب ما حذره وحدثته به نفسه، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين قد تعرفت من أبي أيوب البغض وله غوائل لا يحيط بها علمي وأنا أخاف على نفسي، فقال له أبو جعفر: يا بني قد حاك [ذلك] في صدري، فإذا كان الغد فتعرض لأن يغلظ لك فإذا أغلظ فقم وانصرف كأنك مغضب ولا تعد إلى الديوان، واجعل وجهك إلى أمك وأوصل إليها هذا العقد وهذا الكيس وكتابي هذا واحمل أمك ومن اتبعها من قرابتك وأقبل فانزل في موضع كذا فغني منفذ إليك خادما يتفقد أمورك ويعرف خبرك، فلا تطلعن أحدا من الخلق على ما معك وامض بهذا المال وهذا العقد وأحرزه أولا قبل رجوعك إلى الديوان؛ ثم قال للخادم: أخرجه من باب كذا وكذا، فخرج الغلام فأحرز ما كان معه ثم رجع إلى بهج مسرور لا يخفى ذلك عليه وظهر الفرح في وجهه وشمائله، فقال أبو أيوب: أحلف بالله لقد رجع هذا الغلام بغير الوجه الذي مضى به، ولقد دار بينه وبين أمير المؤمنين من ذكري ما سره، فاستشعر الوحشة منه وصرف أكثر عمله عنه، ثم لم ينشب أن أغلظ له فقال الغلام: أنا إنسان غريب أطلب الرزق وأنت تستخف بي فأني قد ثقلت عليك فأتنحى عنك قبل أن تطردني، ثم قام وانصرف فافتقده أبو أيوب أياما ورأى أن أبا جعفر لا يسأل عنه ولا يذكره، ثم إن نفس أبي أيوب نازعته إلى علم حقيقة خبره فأرسل من يسأل عنه في الموضع الذي كان نازلا به، فقيل له إنه قد تهيأ وتجهز جهازا حسنا وشخص إلى أهله بالموصل، فقال أبو أيوب في نفسه: ومن أين له ما يتجهز به، وكم مبلغ ما ارتزق معي وارتفق به لهذا الأمر وجعلت نفسه تزداد وحشة منه ومن خبره إلى أن قيل له: قد كان أبو جعفر وصله بمال ووهب له شيئا، فقال في نفسه: هذا الذي ظننت، وقد نصبه مكاني، ويجوز أن يكون استأذنه في أن يخرج إلى أهله فيسلم عليهم ثم يرجع إليه فيقلده مكاني، فقال لرجل من أصحابه: اخرج إلى طريق الموصل قرية قرية برا وبحرا فإذا عرفت موضعه فاقتله وجئني بما معه، فشخص. وإن الغلام لما خرج من بغداد رأى أنه قد أمن في مسيره، وكان يقيم في الموضع الذي يستطيبه اليوم واليومين والأكثر والأقل، فلحقه رسول أبي أيوب وعرفه فباتا في قرية فقام الرسول إليه فخنقه وطرحه في بئر وأخذ خرجه وخرائط كانت معه وركب دابة له ورجع إلى أبي أيوب فسلم ذلك إليه وشرح له الخبر، ففتش أبو أيوب متاعه فإذا المال والعقد فعرفه، وإذا كتاب المنصور بخطه إلى أمه، فوجم أبو أيوب وندم، وعلم أنه قد عجل وأخطأ وأن الخبر لم يكن كما ظن، وعزم على الحلف والمكابرة إن عثر على شيء من أمره. وأبطأ خبر الغلام واستبطأه في الوقت الذي ضربه له فدعا خادما من ثقاته ورجلا من خاصته وقال لهما: استقريا المنازل إلى الموصل منزلا منزلا وقرية قرية وأعطيا صفة الغلام حتى تدخلا ثم اقصدا موضع كذا من الموصل فاسألا عن فلانة، ووصف لهما كل ما أراد، ففعلا، فلما انتهيا إلى الموضع الذي أصيب فيه الغلام أعلما خبره، وذكرا الوقت الذي أصيب فيه فإذا التاريخ بعينه، ثم مضيا إلى الموصل فسألا عن أمه فوجداها أشد الخلق ولها على ابنها وحاجتها إلى علم خبره، فأطلعاها على حاله وأمرها أن تستر نفسها، ولم ترد الدنيا بعده فكان المنصور يذكره واستصفى أمواله وأموال أهل بيته ثم قتلهم جميعا واباد خضراءهم، وكان إذا ذكر أبا أيوب لعنه وسبه وقال: ذاك قاتل حبيبي.

(تعليق: هذه الرواية رغم ما فيها من موعظة حسنة إلا أنها أشبه ما تكون برواية ألف ليلة وليلة)

----

*(حين بقل وجهه) أي أول ما نبتت لحيته

■ (1) أبو أيوب المورياني وزير المنصور، سليمان بن أبي سليمان الخوزي تمكن من المنصور تمكنا لا مزيد عليه، وكان أولا كاتبا للأمير سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، وكان المنصور ينوب عن هذا الأمير في بعض كور فارس، فيما نقله ابن خلكان. فصادره وضربه، فلما صارت الخلافة إلى المنصور قتله. وكان المورياني قد دافع عند سليمان كثيرا عن المنصور، فاستوزره ثم غضب عليه، ونسبه إلى أخذ الأموال، وأضمر له، فكان كلما هم به دخل أبو أيوب وقد دهن حاجبيه بدهن مسحور، فسار في ألسنة العامة: دهن أبي أيوب.ثم إنه استأصله وعذبه وأخذ منه أموالا عظيمة. وكذلك الدنيا الدنية، قريبة الرزية. وكان من دهاة العالم، وله مشاركة قوية في الأدب والفلسفة والحساب والكيمياء والسحر والنجوم، ولكنه ليس بفقيه، وكان سمحا جوادا متمولا. ثم المنصور أوقع به، وعذبه وأخذ أمواله وقتله سنة 154 هـ

يقول المسعودي في مروج الذهب: وقد ذكر كثير من الناس ممن له معرفة بأخبارهم أن هذه أخبار، موضوعة من خرافات مصنوعة، نظمها من تقرب للملوك برواياتها، وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة بها، وأن سبيلها الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية، وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب هزار أفسانة، وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية ألف خرافة، والخرافة بالفارسية يقال لها أفسانة، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة، وهو خبر الملك والوزير وابنه وجاريتها وهما شيرزاد ودينا زاد، ومثل كتاب فرزة وسيماس وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء، ومثل كتاب السندباد، وغيرها من الكتب في هذا المعنى.

مراجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) وأبو مسلم الخراساني، والي خراسان (١) 0648

كان السفاح[1] كثير التعظيم لأبي مسلم[2] لما صنعه ودبره، وكان أبو مسلم عند ذلك ينشد في كل وقت: أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت..عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا..ما زلت أسعى بجهدي في دمارهم..والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا..حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا..من نومة لم ينمها قبلهم أحد..ومن رعى غنما في أرض مسبعة..ونام عنها تولى رعيها الأسد.

ولما مات السفاح في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بعلة الجدري –وكانت وفاته بالأنبار– وتولى الخلافة أخوه أبو جعفر المنصور يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة وهو بمكة، صدرت من أبي مسلم أسباب وقضايا غيرت قلب المنصور عليه فعزم على قتله، وبقي حائرا بين الاستبداد برأيه في أمره أو الاستشارة، فقال يوما لسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي[3]: ما ترى في أمر أبي مسلم قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء] فقال: حسبك يا ابن قتيبة، لقد أودعتها أذنا واعية. وكان أبو مسلم قد حج، فلما عاد نزل الحيرة التي عند الكوفة وكان بها نصراني عمره مائتا سنة يخبر عن الكوائن، فأحضره وسمع كلامه، وكان في جملته أنه يقتل، وقال له: إن صرت إلى خراسان سلمت، فعزم على الرجوع إليها. فلم يزل المنصور يخدعه بالرسائل حتى أحضره إليه، وكان أبو مسلم ينظر في كتب الملاحم ويجد خبره فيها وأنه مميت دولة ومحيي دولة وأنه يقتل ببلاد الروم، وكان المنصور يومئذ برومية المدائن التي بناها كسرى، ولم يخطر بقلب أبي مسلم أنها موضع قتله، بل راح وهمه إلى بلاد الروم، فلما دخل على المنصور رحب به ثم أمره بالانصراف إلى مخيمه، وانتظر المنصور فيه الفرص والغوائل، ثم إن أبا مسلم ركب إليه مرارا فأظهر له التجني، ثم جاءه يوما فقيل له: إنه يتوضأ للصلاة، فقعد تحت الرواق، ورتب المنصور له جماعة يقفون وراء السرير الذي خلف أبي مسلم، فإذا عاتبه لا يظهرون فإذا ضرب يدا على يد ظهروا وضربوا عنقه؛ ثم جلس المنصور ودخل عليه أبو مسلم فسلم فرد عليه وأذن له في الجلوس وحادثه ثم عاتبه وقال: فعلت وفعلت، فقال أبو مسلم: ما يقال هذا لي بعد سعيي واجتهادي وما كان مني، فقال له: يا ابن الخبيثة إنما فعلت ذلك بجدنا وحظنا، ولو كان مكانك أمة سوداء لعملت عملك (ما عملت ؟) ألست الكاتب إلي تبدأ بنفسك قبلي ألست الكاتب تخطب عمتي آسيا[4] وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن العباس[5] لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا. فأخذ أبو مسلم بيده يعركها ويقبلها ويعتذر إليه، فقال له المنصور وهو آخر كلامه: قتلني الله إن لم أقتلك، ثم صفق بإحدى يديه على الأخرى، فخرج إليه القوم وخبطوه بسيوفهم، والمنصور يصيح (يقول؟) : اضربوا قطع الله أيديكم، وكان أبو مسلم قد قال عند أول ضربة: استبقني يا أمير المؤمنين لعدوك، قال: لا أبقاني الله أبدا إذا (إن أنا أبقيتك؟)، وأي عدو أعدى منك. وكان قتله يوم الخميس لخمس بقين من شعبان، وقيل لليلتين، وقيل يوم الأربعاء لسبع ليال خلون منه، سنة سبع وثلاثين ومائة، وقيل سنة ست وثلاثين، وقيل سنة أربعين وهذا القول ضعيف، وكان قتله برومية المدائن، وهي بلدة بالقرب من بغداد على دجلة بالجانب الغربي معدودة من مدائن كسرى. ولما قتله أدرجه في بساط فدخل عليه جعفر بن حنظلة[6] فقال له المنصور: ما تقول في أمر (قتل؟) أبي مسلم فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنت أخذت من رأسه شعرة فاقتل ثم اقتل، فقال المنصور: وفقك الله، هاهو في البساط، فلما نظر إليه قتيلا قال: يا أمير المؤمنين عد هذا اليوم أول خلافتك، فأنشد المنصور: فألقت عصاها واستقرت بها النوى..كما قر عينا بالإياب المسافر، ثم أقبل المنصور على من حضره، وأبو مسلم طريح بين يديه وأنشد: زعمت أن الدين لا يقتضى..فاستوف بالكيل أبا مجرم..اشرب بكأس كنت تسقي بها..أمر في الحلق من العلقم. وكان المنصور بعد قتله أبا مسلم كثيرا ما ينشد جلساءه قول بعضهم: طوى كشحه عن أهل كل مشورة..وبات يناجي عزمه ثم صمما..وأقدم لما لم يجد ثم مذهبا..ومن لم يجد بدا من الأمر أقدما. قلت: ومن ها هنا أخذ البحتري[7] قوله في قصيدته التي مدح بها الفتح بن خاقان[8] صاحب المتوكل[9] على الله وقد لقي أسدا في طريقه فلم يقدم عليه الأسد فقتله الفتح، وهي من غرر قصائده والمقصود منها قوله: فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا..وأقدم لما لم يجد منك مهربا. والله أعلم.

■ (2) أبو مسلم الخراساني، عبد الرحمن بن مسلم: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة. ولد سنة 100 في ماه البصرة مما يلي أصبهان عند عيسى ومعقل ابني إدريس العجلي، فرباه إلى أن شب، فاتصل بابراهيم بن الامام محمد من بني العباس فأرسله إبراهيم إلى خراسان، داعية، فأقام فيها واستمال أهلها. ووثب على ابن الكرماني والي نيسابور فقتله واستولى على نيسابور، وسلم عليه بامرتها، فخطب باسم السفاح العباسي عبد الله بن محمد ثم سير جيشا لمقاتلة مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فقابله بالزاب بين الموصل وإربل وانهزمت جنود مروان إلى الشام، وفر مروان إلى مصر، فقتل في بوصير، وزالت الدولة الاموية الاولى سنة 132 هـ وصفا الجو للسفاح إلى أن مات، وخلفه أخوه المنصور، فرأى المنصور من أبي مسلم ما أخافه أن يطمع بالملك، وكانت بينهما ضغينة، فقتله برومة المدائن سنة 137 هـ عاش أبو مسلم سبعا وثلاثين سنة بلغ بها منزلة عظماء العالم، حتى قال فيه المأمون: أجل ملوك الأرض ثلاثة، وهم الذين قاموا بنقل الدول وتحويلها: الاسكندر، وأزدشير، وأبو مسلم الخراساني. وكان فصيحا بالعربية والفارسية، مقداما، داهية حازما، راوية للشعر، يقوله، قصير القامة، أسمر اللون، رقيق البشرة حلو المنظر، طويل الظهر قصير الساق، لم ير ضاحكا ولا عبوسا، تأتيه الفتوح فلا يعرف بشره في وجهه، وينكب فلا يرى مكتئبا، خافض الصوت في حديثه، قاسي القلب: سوطه سيفه. وفي (الروض المعطار): كان إذا خرج رفع أربعة آلاف أصواتهم بالتكبير، وكان بين طرفي موكبه أكثر من فرسخ، وكان يطعم كل يوم مئة شاة.وفي (البدء والتاريخ): كان أقل الناس طمعا: مات وليس له دار ولا عقار ولا عبد ولا أمة ولا دينار. وقال الذهبي: (كان ذا شأن عجيب، شاب دخل خراسان ابن تسع عشرة سنة، على حمار بإكاف، وحزمة وعرمة، فما زال يتنقل حتى خرج من مرو، بعد عشر سنين، يقود كتائب أمثال الجبال، فقلب دولة وأقام دولة، وذلت له رقاب الامم، وراح تحت سيفه ستمائة ألف أو يزيدون !) وللمرزباني محمد بن عمران المتوفي سنة 378 كتاب (أخبار أبي مسلم) في نحو مئة ورقة.

■ (7) البحتري، الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري: شاعر كبير، يقال لشعره سلاسل الذهب. وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبحتري. قيل لابي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري. ولد بمنبج بين حلب والفرات ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، وتوفي بمنبج. سنة 284 هـ

■ (8) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، أبو محمد: أديب، شاعر، فصيح، كان في نهاية الفطنة والذكاء. فارسي الاصل، من أبناء الملوك. اتخذه المتوكل العباسي أخا له، واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه. وكان يقدمه على جميع أهله وولده. واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن. وألف كتابا سماه اختلاف الملوك وكتابا في: الصيد والجوارح وكتاب الروضة والزهر. وقتل مع المتوكل سنة 247 هـ.

■ (3) سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي الخراساني، أبو عبد الله: والي البصرة. وليها ليزيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان بن محمد، ثم وليها في أيام أبي جعفر المنصور، فكان من الموثوق بهم في الدولتين (الاموية والعباسية) وكان من عقلاء الامراء، عادلا حسنت سيرته. ومات بالري. سنة 149 هـ

■ (9) أبو الفضل،جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، ولد سنة 205 هـ بويع له بعد موت أخيه هارون الواثق سنة 232 هـ، كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر، ثم المعتز، ثم المؤيد، ثم إنه أراد تقديم المعتز لمحبته لأمه، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد، فأبى، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه، فدخلوا عليه في مجلس لهوه وقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة 247 هـ.قال خليفة بن خياط: استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها.

■ (1) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، السفاح، يكنى أبا العباس ويقال له أيضا المرتضى والقائم.وعبد الله الأصغر بن محمد. ولد بالشراة، سنة 105 هـ، وهو أول ملوك بني العباس بويع بالكوفة، وكان أصغر سنا من أخيه أبي جعفر. بويع السفاح، ليلة الجمعة13 ربيع الآخر من سنة 132 هـ، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء11 ربيع الآخر سنة 132 هـ، وقيل: في النصف من شهر جمادي الآخرة من هذه السنة، وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية، وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة، فخطب على المنبر قائما، وكانت بنو أمية تخطب قعودا، فضج الناس وقالوا: أحييت السنة يا ابن عم رسول الله، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما، ومات بالجدري بالأنبار في مدينته التي بناها، وذلك في يوم الأحد12 ذي الحجة سنة 136 هـ وصلى عليه عيسى بن علي، ودفن بالأنبار، وهو ابن 33 سنة، وقيل: ابن 29 سنة، وكانت امه تحت عبد الملك بن مروان، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح، وعبيد الله، وداود، وميمونة.

■ (4) عمة المنصور آسية (آسيا) بنت على بن عبد الله بن عباس /ـ في رواية قال: آمنة (أمينة) بنت علي بن عبد الله بن العباس وكانت أمينة بنت علي عند يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس بن عبد المطلب فلم تلد له شيئا (6) جعفر بن حنظلة البهراني وكان من ذوي الرأي من أهل خراسان.؟ (5) بن سليط بن عبد الله بن العباس ؟

قال **الدميري**: لما قتله المنصور، خطب الناس فذكر أن أبا مسلم أحسن أولا وأساء آخر. ثم قال في آخر خطبته: وما أحسن ما قال النابغة الذبياني[1] للنعمان بن المنذر[2]: فمن أطاعك فانفعه لطاعته..كما أطاعك وأدله على الرشد..ومن عصاك فعاقبه معاقبة..تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد. والضمد بفتح الضاد المعجمة والميم الحقد. وكان قتله في شعبان سنة ست أو سبع وثلاثين ومائة. قال ابن خلكان وغيره: وكان أبو مسلم قد سمع الحديث وروي عنه، وأنه خطب يوما فقام إليه رجل فقال ما هذا السواد الذي أراه عليك؟ فقال أبو مسلم: حدثني أبو الزبير، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح، وعلى رأسه عمامة سوداء، وهذه ثياب الهيبة وثياب الدولة. يا غلام اضرب عنقه. قلت: حديث جابر هذا في صحيح مسلم قال ابن الرفعة: وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر، وعلى رأسه عمامة سوداء، قد أرخى طرفها بين كتفيه، وهو أيضا في صحيح مسلم. قال ابن الرفعة: ومن ثم كان شعار بني العباس في الخطبة السواد. قيل: أحصي من قتله أبو مسلم صبرا وفي حروبه، فكانوا ستمائة ألف واختلف في نسبه فقيل من العرب، وقيل من العجم، وقيل من الأكراد، وروي أنه قيل لعبد الله بن المبارك رحمه الله: أبو مسلم خير أم الحجاج؟ فقال: لا أقول إن أبا مسلم كان خيرا من أحد ولكن كان الحجاج شرا منه. وكان أبو مسلم فصيحا عالما بالأمور ولم يرقط مازحا ولم يظهر عليه سرور ولا غضب، ولا يأتي النساء إلا مرة في السنة، وكان يقول: الجماع جنون ويكفي الإنسان أن يجن في السنة مرة واحدة، وروي أنه قيل لأبي مسلم: ما كان سبب خروج الدولة عن بني أمية. قال: لأنهم أبعدوا أولياءهم ثقة بهم، وادنوا أعداءهم تألفا لهم، فلم يصر العدو صديقا بالدنو، وصار الصديق عدوا بالإبعاد. وكان أبو مسلم مميت دولة بني أمية، ومحيي دولة بني العباس.

قال ابن الطقطقي: كان أبو مسلم قد قويت شوكته فسار إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله ثم أظهر الدولة العباسية. ثم ظهرت الدولة العباسية واشتهرت دعوتها. وأما نسبه ففيه اختلاف كثير لا فائدة في استقصاء القول فيه. فقيل: هو حر من ولد بزرجمهر وإنه ولد بأصفهان ونشأ بالكوفة، فاتصل بإبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فغير اسمه وكناه بأبي مسلم وثقفه وفقهه حتى كان منه ما كان. وقيل هو عبد تنقل في الرق حتى وصل إلى إبراهيم الإمام، فلما رآه أعجبه سمته وعقله، فابتاعه من مولاه وثقفه وفهمه، وصار يرسله إلى شيعته وأصحاب دعوته بخراسان، ومازال على ذلك حتى كان من الأمر ما كان. وأما هو فإنه لما قويت شوكته ادعى أنه ابن سليط بن عبد الله بن العباس.ولسليط هذا خبر هذا موضع شرحه على سبيل الاختصار: كان لعبد الله بن عباس جارية فوقع عليها مرة من المرات ثم اعتزلها مدة، فاستنكحها عبدا فوطئها فولدت منه غلاما سمته سليطا ثم ألصقته بعبد الله بن العباس؛ وأنكره عبد الله ولم يعترف به.ونشأ سليط وهو أكره الخلق إلى عبد الله ابن عباس؛ فلما مات عبد الله نازع سليط ورثته في ميراثه وأعجب ذلك بني أمية ليغضوا من علي بن عبد الله بن عباس، فأعانوه وأوصوا قاضي دمشق في الباطن، فمال إليه في الحكم وحكم له بالميراث، وجرت في ذلك خطوب ليس هذا موضعا لشرحها، فادعى أبو مسلم حين قويت شوكته أنه من ولد سليط هذا. ثم ترسل أبو مسلم لإبراهيم الإمام إلى خراسان ودعا إليه سرا، ومازال على ذلك حتى ظهرت الدعوة وتم الأمر.

■ (1) النابغة الذبياني، هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. كان حظيا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة زوجة النعمان فغضب منه النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمنا. ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه. شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. عاش عمرا طويلا. توفي سنة 18 ق. هـ

■ (2) النعمان (الثالث) ابن المنذر (الرابع) ابن المنذر بن امرئ القيس اللخمي، أبو قابوس: من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية. كان داهية مقداما. وهو ممدوح النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وحاتم الطائي. وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى والقصة مشهورة وباني مدينة النعمانية على ضفة دجلة اليمنى، وصاحب يومي البؤس والنعيم، وقاتل عبيد بن الابرص الشاعر، في يوم بؤسه وقاتل عدي بن زيد وغازي قرقيسيا بين الخابور والفرات كان أبرش أحمر الشعر، قصيرا. ملك الحيرة إرثا عن أبيه، نحو سنة 31 ق هـ /ـ 592 م، وكانت تابعة للفرس، فأقره عليها كسرى فاستمر إلى أن نقم عليه كسرى أبرويز أمرا، فعزله ونفاه إلى خانقين، فسجن فيها إلى أن مات نحو 15 ق هـ وقيل: ألقاه تحت أرجل الفيلة، فوطئته، فهلك. وفي صحاح الجوهري: قال أبو عبيدة: إن العرب كانت تسمي ملوك الحيرة – أي كل من ملكها = النعمان لانه كان آخرهم.

مراجع: الأعلام للزركلي/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ كتاب البدء والتأريخ/ الاخبار الطوال/ حياة الحيوان الكبرى/ الفخري في الآداب السلطانية/

قال خليفة بن خياط في تاريخه: قدم أبو مسلم[1] على أبي جعفر بالمدائن، فسمعت يحيى بن المسيب[2] يقول: قتله وهو في سرادقاته –يعني الدهليز– ثم بعث إلى عيسى بن موسى[3] ولي العهد، فأعلمه، وأعطاه الرأس والمال فخرج به، فألقاه إليهم، ونثر الذهب، فتشاغلوا بأخذه. وقال خليفة في مكان آخر: فلما حل أبو مسلم بحلوان، ترددت الرسل بينه وبين أبي جعفر، فمن ذلك كتب إليه أبو جعفر: أما بعد، فإنه يرين على القلوب ويطبع عليها المعاصي، فقع أيها الطائر، وأفق أيها السكران، وأنتبه أيها الحالم، فإنك مغرور بأضغاث أحلام كاذبة، وفي برزخ دنيا قد غرت قبلك سوالف القرون، فهل تحس منهم من أحد، أو تسمع لهم ركزا ؟ وإن الله لا يعجزه من هرب، ولا يفوته من طلب، فلا تغتر بمن معك من شيعتي وأهل دعوتي. فكأنهم قد صاولوك إن أنت خلعت الطاعة، وفارقت الجماعة، فبدا لك ما لم تكن تحتسب. فمهلا مهلا، احذر البغي أبا مسلم، فإن من بغى واعتدى تخلى الله عنه، ونصر عليه من يصرعه لليدين وللفم. فأجابه أبو مسلم بكتاب فيه غلظ يقول فيه: يا عبد الله بن محمد: إني كنت فيكم متأولا فأخطأت. فأجابه: أيها المجرم ! تنقم على أخي وإنه لامام هدى، أوضح لك السبيل، فلو به اقتديت ما كنت عن الحق حائدا، ولكنه لم يسنح لك أمران إلا كنت لارشدهما تاركا، ولاغواهما موافقا، تقتل قتل الفراعنة، وتبطش بطش الجبارين، ثم إن من خيرتي أيها الفاسق ! أني قد وليت خراسان موسى بن كعب[4]. فأمرته بالمقام بنيسابور، فهو من دونك بمن معه من قوادي وشيعتي، وأنا موجه للقائك أقرانك، فاجمع كيدك وأمرك غير موفق ولا مسدد، وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل. فشاور أبو مسلم أبا إسحاق المروزي، فقال له: ما الرأي، هذا موسى بن كعب لنا دون خراسان، وهذه سيوف أبي جعفر من خلفنا وقد أنكرت من كنت أثق به من أمرائي؟ فقال: أيها الامير هذا رجل يضطغن عليك أمورا متقدمة، فلو كنت إذ ذاك هذا رأيك، ووليت رجلا من آل علي، كان أقرب. ولو أنك قبلت توليته إياك خراسان والشام والصائفة*، مدت بك الايام، وكنت في فسحة من أمرك، فوجهت إلى المدينة، فاختلست علويا، فنصبته إماما، فاستملت أهل خراسان وأهل العراق، ورميت أبا جعفر بنظيره، لكنت على طريق تدبير. أتطمع أن تحارب أبا جعفر وأنت بحلوان، وعساكره بالمدائن، وهو خليفة مجمع عليه ؟ ليس ما ظننت. لكن بقي لك أن تكتب إلى قوادك وتفعل كذا وكذا. فقال: هذا رأي، إن وافقنا عليه قوادنا. قال: فما دعاك إلى خلع أبي جعفر وأنت على غير ثقة من قوادك ؟ أنا أستودعك الله من قتيل ! أرى أن توجه بي إليه حتى أسأله لك الامان، فإما صفح، وإما قتل على عز، قبل أن ترى المذلة والصغار من عسكرك، إما قتلوك، وإما أسلموك. قال: فسفرت بينه وبين المنصور السفراء، وطلبوا له أمانا، فأتى المدائن. فأمر أبو جعفر، فتلقوه وأذن له، فدخل على فرسه، ورحب به، وعانقه، وقال: انصرف إلى منزلك، وضع ثيابك، وادخل الحمام، وجعل يتنظر به الفرص، فأقام أياما يأتي أبا جعفر، فيرى كل يوم من الاكرام ما لم يره قبل. ثم أقبل على التجني عليه، فأتى أبو مسلم الامير عيسى بن موسى، فقال: اركب معي إلى أمير المؤمنين، فإني قد أردت عتابه، قال: تقدم وأنا أجيء قال: إني أخافه، قال: أنت في ذمتي، قال: فأقبل، فلما صار في الرواق الداخل، قيل له: أمير المؤمنين يتوضأ، فلو جلست، وأبطأ عليه عيسى، وقد هيأ له أبو جعفر عثمان بن نهيك[5] في عدة، وقال: إذا عاينته وعلا صوتي، فدونكموه.

قال نفطويه: حدثنا أبو العباس المنصوري قال: لما قتل أبو جعفر أبا مسلم قال: رحمك الله أبا مسلم، بايعتنا وبايعناك، وعاهدتنا وعاهدناك، ووفيت لنا ووفينا لك.وإنا بايعنا على ألا يخرج علينا أحد إلا قتلناه، فخرجت علينا فقتلناك.

وقيل: قال لاولئك: إذا سمعتم تصفيقي فاضربوه، فضربه شبيب بن واج[6]، ثم ضربه القواد، فدخل عيسى وكان قد كلم المنصور فيه. فلما رآه قتيلا، استرجع.

----

*(الصائفة) الغزوة في الصيف وبها سميت غزوة الروم لانهم كانوا يغزون صيفا اتقاء البرد والثلج.(خراسان) خراسان الكبرى منطقة جغرافية واسعة من الناحية التاريخية: تشمل إقليم خراسان الإسلامي شمال غرب أفغانستان مثل مدينة حيرات وأجزاء من جنوب تركمانستان، إضافة لمقاطعة خراسان الحالية في إيران. من مدنه التاريخية: حيرات ونيسابور وطوس تعرف باسم مشهد اليوم وبلخ ومرو. وكان إقليم خراسان الساساني أصغر حجماً من خراسان الإسلامية. فقد كان يمتد من شرق لوكانيا جرجان حتى نهر المرغاب.

■ (1) أبو مسلم الخراساني، عبد الرحمن بن مسلم: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة. ولد سنة 100 في ماه البصرة مما يلي أصبهان عند عيسى ومعقل ابني إدريس العجلي، فربياه إلى أن شب، فاتصل بابراهيم بن الامام محمد من بني العباس فأرسله إبراهيم إلى خراسان، داعية، فأقام فيها واستمال أهلها. ووثب على ابن الكرماني والي نيسابور فقتله واستولى على نيسابور، وسلم عليه بامرتها، فخطب باسم السفاح العباسي عبد الله بن محمد ثم سير جيشا لمقاتلة مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فقابله بالزاب بين الموصل وإربل وانهزمت جنود مروان إلى الشام، وفر مروان إلى مصر، فقتل في بوصير، وزالت الدولة الاموية الاولى سنة 132 هـ وصفا الجو للسفاح إلى أن مات، وخلفه أخوه المنصور، فرأى المنصور من أبي مسلم ما أخافه أن يطمع بالملك، وكانت بينهما ضغينة، فقتله بِرومية المدائن سنة 137 هـ عاش أبو مسلم سبعا وثلاثين سنة بلغ بها منزلة عظماء العالم، حتى قال فيه المأمون: أجل ملوك الأرض ثلاثة، وهم الذين قاموا بنقل الدول وتحويلها: الاسكندر، وأزدشير، وأبو مسلم الخراساني. وكان فصيحا بالعربية والفارسية، مقداما، داهية حازما، راوية للشعر، يقوله، قصير القامة، أسمر اللون، رقيق البشرة حلو المنظر، طويل الظهر قصير الساق، لم ير ضاحكا ولا عبوسا، تأتيه الفتوح فلا يعرف بشره في وجهه، وينكب فلا يرى مكتئبا، خافض الصوت في حديثه، قاسي القلب: سوطه سيفه. وفي (الروض المعطار): كان إذا خرج رفع أربعة آلاف أصواتهم بالتكبير، وكان بين طرفي موكبه أكثر من فرسخ، وكان يطعم كل يوم مئة شاة.وفي (البدء والتاريخ): كان أقل الناس طمعا: مات وليس له دار ولا عقار ولا عبد ولا أمة ولا دينار. وقال الذهبي: (كان ذا شأن عجيب، شاب دخل خراسان ابن تسع عشرة سنة، على حمار بإكاف، وحزمة وعرمة، فما زال يتنقل حتى خرج من مرو، بعد عشر سنين، يقود كتائب أمثال الجبال، فقلب دولة وأقام دولة، وذلت له رقاب الامم، وراح تحت سيفه ستمائة ألف أو يزيدون !) وللمرزباني محمد بن عمران المتوفي سنة 378 كتاب (أخبار أبي مسلم) في نحو مئة ورقة.

■ (3) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو موسى الهاشمي، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح، نشأ بالحميمة من أرض البلقاء من كور دمشق ثم انتقل مع أهله إلى العراق وجعله السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور أخره وجعله ولي عهده بعد ابنه المهدي وكان جليلا في أهل بيته وولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور، ولد سنة 103 هـ أو104 هـ وتوفي بالكوفة سنة 167 هـ

■ (4) موسى بن كعب بن عيينة التميمي، أبو عيينة: وال، من كبار القواد، وأحد الرجال الذين رفعوا عماد الدولة العباسية وهدموا أركان الاموية. كان مع أبى مسلم في خراسان. وجعله محمد بن علي في جملة النقباء الاثنى عشر في عهد بني أمية، فأقام يبث الدعوة لبني العباس. وشعر به أسد بن عبد الله البجلي القسرى والي خراسان فقبض عليه وألجمه بلجام فتكسرت أسنانه. ثم أنطلق، فوجهه أبو مسلم قبل ظهور الدعوة العباسية إلى أبيورد فافتتحها. ثم شهد الوقائع الكثيرة. وكان مع السفاح حين ظهوره بالكوفة. وهو أول من بايعه بالخلافة، وأخرجه إلى الناس. ولما ولي المنصور ولاه شرطته وأضاف إليه ولاية الهند ومصر، فأرسل موسى نائبين عنه إلى ذينك القطرين، وأقام مع المنصور. وكانت ولاية الشرطة للخلفاء تعدل قيادة الجيش العامة في عرفنا اليوم. وأغدق عليه العباسيون النعم، فكان يقول: كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز، ولما جاء الخبز ذهبت الاسنان ! ورحل إلى مصر في عام وفاته فأقام سبعة أشهر وأياما. وصرف عن إمرتها، فعاد إلى بغداد، ولم يلبث أن توفى سنة 141 هـ، وهو على شرط المنصور وعلى الهند، وخليفته في الهند ابنه عيينة.

■ (5) عثمان بن نهيك: أصيب في محاربة بسهم، فمرض أيام ومات فصلى عليه المنصور، سنة 141 هـ أو 142 هـ، وكان أمير الحرمين، فاستعمل المنصور مكانه عليهما أخاه عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وجعل على الحرس أبا العباس الطوسي وذكر بالهاشمية.في الطبري: الراوندية، وهم قوم من أهل خراسان، كانوا على رأي أبي مسلم صاحب دعوة بني هاشم، يقولون بتناسخ الارواح، ويزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور، وأن الهيثم بن معاوية جبريل. وكان خروجهم سنة 141 هـ.

■ (6) شعيب بن رزاح/ شبيب بن واج

☪

قيل: لما قتله ودخل جعفر بن حنظلة[1]، فقال: ما تقول في أمر أبي مسلم ؟ قال: إن كنت أخذت من شعره فاقتله، فقال: وفقك الله. ها هو في البساط قتيلا، فقال: يا أمير المؤمنين: عد هذا اليوم أول خلافتك، وأنشد المنصور: فألقت عصاها واستقرت بها النوى..كما قر عينا بالاياب المسافر * وقرأت في كتاب: أن المنصور لم يزل يخدع أبا مسلم ويتحيل عليه حتى وقع في براثنه بعهود وأيمان. وكان أبو مسلم ينظر في الملاحم. ويجد أنه مميت دوله، ومحيي دولة، ثم يقتل ببلد الروم. وكان المنصور يومئذ برومية المدائن، وهي معدودة من مدائن كسرى بينها وبين بغداد سبعة فراسخ، قيل: بناها الاسكندر لما أقام بالمدائن. فلم يخطر ببال أبي مسلم أن بها مصرعه، وذهب وهمه إلى الروم. وقيل: إن المنصور كان يقول: فعلت وفعلت، فقال أبو مسلم: ما يقال لي هذا بعد بيعتي واجتهادي، قال: يا ابن الخبيثة ! إنما فعلت ذلك بجدنا وحظنا، ولو كان مكانك أمة سوداء، لعملت عملك، وتفعل كذا، وتخطب عمتي، وتدعي أنك عباسي، لقد ارتقيت مرتقى صعبا. فأخذ يفرك يده ويقبلها، ويخضع، وأبو جعفر يتنمر. وعن مسرور الخادم قال: لما رد أبو مسلم، أمره أبو جعفر أن يركب في خواص أصحابه، فركب في أربعة آلاف غلام، جرد، مرد، عليهم أقبية الديباج والسيوف بمناطق الذهب، فأمر المنصور عمومته أن يستقبلوه، وكان قد بقي من عمومته: صالح، وسليمان، وداود، فلما أن أصحر، سايره صالح بجنبه، فنظر إلى كتائب الغلمان ورأى شيئا لم يعهد مثله، فأنشأ صالح يقول: سيأتيك ما أفنى القرون التي مضت..وما حل في أكناف عاد وجرهم ومن كان أقوى منك عزا ومفخرا..وأقيد للجيش اللهام العرمرم فبكى أبو مسلم ولم يحر جوابا. قال أبو حسان الزيادي، ويعقوب الفسوي، وغيرهما: قتل في شعبان سنة سبع وثلاثين ومئة. قلت: وعمره سبعة وثلاثون عاما.

ولما قتل، خرج بخراسان سنباذ للطلب بثأر أبي مسلم، وكان سنباذ مجوسيا، فغلب على نيسابور والري، وظفر بخزائن أبي مسلم، واستفحل أمره، فجهز المنصور لحربه جمهور بن مرار العجلي في عشرة آلاف فارس، وكان المصاف بين الري وهمذان، فانهزم سنباذ، وقتل من عسكره نحو من ستين ألفا، وعامتهم كانوا من أهل الجبال، فسبيت ذراريهم، ثم قتل سنباذ بأرض طبرستان.

☪

قيل: خلا المنصور مع يزيد بن أسيد[2]، فقال: يا يزيد ما ترى في قتل أبي مسلم؟ قال: أرى يا أمير المؤمنين أن تقتله، وتتقرب إلى الله بدمه، فوالله لا يصفو ملكك، ولا تهنأ بعيش ما بقي بك عدوك. قال يزيد: فنفر مني نفرة ظننت أنه سيأتي علي، ثم قال:قطع الله لسانك وأشمت بك عدوك، أتشير علي بقتل أنصح الناس لنا، وأثقلهم على عدونا؟ أما والله لولا حفظي ما سلف منك، وأني أعدها هفوة من رأيك لضربت عنقك، قم لا أقام الله رجليك قال يزيد: فقمت وقد أظلم بصري، وتمنيت أن تسيخ الأرض بي. فلما كان بعد قتله بدهر قال لي: يا يزيد، أتذكر يوم شاورتك في أمر العبد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، وما رأيتني قط ادنى إلى الموت مني يومئذ قال: فوالله لكان ذلك رأيي وما لا أشك فيه، ولكني خشيت أن يظهر ذلك منك، فتفسد علي مكيدتي.

----

*() البيت في المؤتلف والمختلف لمعقر بن حمار البارقي وقبله: تهيبك الاسفار من خشية الردى..وكم قد رأينا من رد لا يسافر. ونقل في اللسان، عن ابن بري أنه لعبد ربه السلمي ويقال: لسليم بن ثمامة الحنفي، وكان هذا الشاعر سير امرأته من اليمامة إلى الكوفة. وأول الشعر: تذكرت من أم الحويرث بعد ما..مضت حجج عشر، وذو الشوق ذاكر وقوله: فألقت عصاها واستقر بها النوى. يضرب هذا مثلا لكل من وافقه، شئ فأقام عليه.

■ (2) يزيد بن أسيد بن زافر بن أسماء السلمي، من بني بهثة بن سليم بن منصور: وال، من رجال الدولة العباسية. كانت أمه نصرانية. ولي أرمينية للمنصور ولوالده المهدي. وغزا الروم سنة 158 هـ واستولى على حصون من ناحية قاليقلا سنة 162 هـ. توفي بعد سنة 162 هـ

■ (1) جعفر بن حنظلة البهراني وكان من ذوي الرأي من أهل خراسان.؟

مراجع: الأعلام للزركلي/مختصر تاريخ دمشق/ نثر الدر/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) وعبد الحميد، الكاتب 0650

روى محمد بن العباس اليزيدي بإسناد ذكره قال: أتي أبو جعفر المنصور أخو السفاح -وهو ثاني خلفاء بني العباس بعد قتل مروان بن محمد الجعدي[1]- بعبد الحميد الكاتب[2] والبعلبكي المؤذن[3] وسلام الحادي[4]، فهم المنصور بقتلهم جميعا لكونهم من أصحاب مروان، فقال سلام: استبقني يا أمير المؤمنين فإني أحسن الناس حداء*، فقال: وما بلغ من حدائك فقال: تعمد إلى إبل فتظمئها ثلاثا ثم توردها الماء، فإذا وردت رفعت صوتي بالحداء فترفع رؤوسها وتدع الشرب ثم لا تشرب حتى أسكت، قال: فأمر المنصور بإبل فأظمئت ثلاثة أيام، ثم أوردت الماء، فلما بدأت بالشرب رفع سلام صوته بالحداء فامتنعت من الشرب ثم لم تشرب حتى سكت، فاستبقى سلاما وأجازه وأجرى عليه رزقه. وقال له البعلبكي [المؤذن]: استبقني يا أمير المؤمنين، قال: وما عندك قال: أنا مؤذن، قال: وما بلغ من أذانك قال: تأمر جارية تقدم إليك طستا وتأخذ بيدها أبريقا وتصب عليك، وأبتدئ الآذان فتدهش ويذهب عقلها إذا سمعت أذاني حتى تلقي الأبريق من يدها وهي لا تعلم؛ فأمر جارية فأعدت أبريقا فيه ماء وقدمت إليه طستا وجعلت تصب عليه ورفع البعلبكي صوته بالآذان فبقيت الجارية شاخصة وألقت الأبريق من يدها فاستبقاه وأجازه وأجرى عليه الرزق وصير أمر الجامع إليه. قال له: عبد الحميد الكاتب: استبقني يا أمير المؤمنين قال: وما عندك قال: أنا أبلغ أهل زماني في الكتابة، فقال له المنصور: أنت الذي فعلت بنا الأفاعيل وعملت بنا الدواهي. فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم ضربت عنقه، والله أعلم أي ذلك كان.

----

*(حدوت) الشيء حداء وحدوا سقته والإبل سقتها بالشعر(ردن) المغزل الذي لا صنارة له. وارتدنت المرأة: اتخذت مردنا، وهي المردان.

■ (2) عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري، بالولاء، المعروف بالكاتب: عالم بالادب، من أئمة الكتاب. كان جده مولى للعلاء بن وهب العامري، فنسب إلى بني عامر. يضرب به المثل في البلاغة، وعنه أخذ المترسلون.أصله من قيسارية. سكن الشام، واختص بمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية في المشرق، ويقال: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد. وكان يعقوب بن داود، وزير المهدي، يكتب بين يديه، وعليه تخرج. له رسائل تقع في نحو ألف ورقة، طبع بعضها. وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب. ولما قوي أمر العباسيين وشعر مروان بزوال ملكه، قال لعبد الحميد: قد احتجت أن تصير إلى عدوي، وتظهر الغدر بي، وإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك ستحوجهم إلى حسن الظن بك. فأبى عبد الحميد مفارقته، وبقي معه إلى أن قتلا معا، في بوصير بمصر سنة 132 هـ.

■ (1) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي، المعروف بالحمار، الملك الأموي الرابع عشر وآخر ملوك بني أمية بويع له بعد قتل الوليد بن يزيد، وبعد موت يزيد بن الوليد، وخلع إبراهيم بن يزيد بن عبد الملك، واستتب له الأمر في سنة 127 هـ، وقتل سنة 132 هـ.

■ (3) البعلبكي المؤذن ؟ (4) سلام الحادي؟ سلامة الحادي؟

☪

قال ابن خلكان: كان عبد الحميد كاتب مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي آخر ملوك بني أمية المعروف بالجعدي، فقال له يوما وقد أهدى له بعض العمال عبدا أسود فاستقله: اكتب إلى هذا العامل كتابا مختصرا، وذمه على ما فعل، فكتب إليه: لو وجدت لونا شرا من السواد وعددا أقل من الواحد لأهديته، والسلام. ومن كلامه أيضا: القلم شجرة ثمرتها الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة. وقال إبراهيم بن العباس الصولي، وقد ذكر عبد الحميد المذكور عنده: كان والله الكلام معانا له، ما تمنيت كلام أحد من الكتاب قط أن يكون لي مثل كلامه. وفي رسالة له: والناس أخياف مختلفون، وأطوار متباينون، منهم علق مضنة لا يباع، وغل مظنة لا يبتاع. وكتب على يد شخص كتابا بالوصاة عليه إلى بعض الرؤساء فقال: حق موصل كتابي إليك عليك كحقه علي إذ رآك موضعا لأمله، ورآني أهلا لحاجته، وقد أنجزت حاجته، فصدق أمله. ومن كلامه: خير الكلام ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا. وكان كثيرا ما ينشد: إذا جرح الكتاب كانت دويهم..قسيا وأقلام الدوي لها نبلا وله رسائل بليغة. وكان حاضرا مع مروان في جميع وقائعه عند آخر أمره، ويحكى أن مروان قال له حين أيقن بزوال ملكه: قد احتجت أن تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي، فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك يحوجهم إلى حسن الظن بك، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي، وإلا لم تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي. فقال له عبد الحميد: إن الذي أشرت به علي أنفع الأمرين لك وأقبحهما بي، وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله تعالى أو أقتل معك؛ وأنشد:أسر وفاء ثم أظهر غدرة..فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهر . ذكر ذلك أبو الحسن المسعودي في كتاب مروج الذهب. ثم إن عبد الحميد قتل مع مروان، وكان قتل مروان يوم الاثنين ثالث عشر ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، بقرية يقال لها بوصير من أعمال الفيوم بالديار المصرية، رحمهما الله تعالى. ورأيت بخطي في مسوداتي أنه لما قتل مروان بن محمد الأموي استخفى عبد الحميد بالجزيرة، فغمز عليه، فأخذ ودفعه أبو العباس، وأظنه السفاح، إلى عبد الجبار بن عبد الرحمن صاحب شرطته، فكان يحمي له طستا بالنار ويضعه على رأسه حتى مات. وكان من أهل الأنبار وسكن الرقة، وشيخه في الكتابة سالم مولى هشام بن عبد الملك. وكان ولده إسماعيل كاتبا ماهرا نبيلا معدودا في جملة الكتاب المشاهير. وكان يعقوب بن داود وزير المهدي كاتبا بين يدي عبد الحميد المذكور، وممن تخرج عليه وتعلم منه. وساير عبد الحميد يوما مروان بن محمد على دابة قد طالت مدتها في ملكه، فقال له مروان: قد طالت صحبة هذه الدابة لك، فقال: يا أمير المؤمنين إن من بركة الدابة طول صحبتها وقلة علفها، فقال له: فكيف سيرها فقال: همها أمامها وسوطها عنانها وما ضربت قط إلا ظلما. وقال أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتاب أخبار الوزراء: وجدت بخط أبي علي أحمد بن إسماعيل: حدثني العباس بن جعفر الأصبهاني، قال: طلب عبد الحميد بن يحيى الكاتب وكان صديقا لابن المقفع، ففاجأهما الطلب وهما في بيت، فقال الذين دخلوا عليهما: أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما: أنا، خوفا من أن ينال صاحبه مكروه وخاف عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع فقال: ترفقوا بنا فإن كلا منا له علامات، فوكلوا بنا بعضكم ويمضي البعض الآخر ويذكر تلك العلامات لمن وجهكم ففعلوا، وأخذ عبد الحميد. وبوصير: بضم الباء الموحدة وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء. ويقال: إن مروان لما وصل إليها منهزما والعساكر في طلبه قال: ما اسم هذه القرية فقيل له: بوصير، فقال: إلى الله المصير، فقتل بها، وهي واقعة مشهورة. وقال إبراهيم بن جبلة: رآني عبد الحميد الكاتب أخط خطا رديئا فقال لي: أتحب أن تجود خطك فقلت: نعم، فقال: أطل جلفة قلمك وأسمنها، وحرف قطتك وأيمنها، ففعلت فجاد خطي.قال الأخفش قال أحمد بن يوسف الكاتب رآني عبد الحميد بن يحيى أكتب خطا رديا فقال لي: إن أردت أن يجود خطك، فأطل جلفتك وأسمنها، وحرف قطتك وأيمنها، ثم قال: إذا جرح الكتاب كان قسيهم دويا، وأقلام الدوري لهم نبلا، قال الأخفش: قوله جلفتك، أراد فتحة رأس القلم.

☪

قال صالح الفوزان: في رده على ما يسمى بالأناشيد الإسلامية. وجوابنا من وجوه: الوجه الأول: أن هناك فروقا واضحة بين ماتسمونه بالأناشيد الإسلامية وبين مارخص فيه الشارع من الحداء في السفر والارتجاز عند مزوالة الأعمال الشاقة، وإنشاد الأشعار التي فيها مدح الإسلام، وذم الكفر وهجاء المشركين، مع وجود هذه الفروق لايصح إلحاق هذه الأناشيد بتلك الأشياء.والفروق كما يلي: 1-الحداء في السفر، والارتجاز عند الضجر، وإنشاء الشعر المشتمل على مدح ا لإسلام وذم الكفر وهجاء الكفار لايسمى نشيداً إسلاميا – كما تسمون نشيدكم بذلك، وإنما يسمى نشيدا عربيا.إذا فبينهما فرق من جهة التسمية والحقيقة. 2- أن الحداء أنما يباح في السفر لأجل الحاجة إليه في السير في الليل، لطرد النعاس، واهتداء الإبل إلى الطريق بصوت الحادي، وكذا الارتجاز عند مزوالة الأعمال الشاقة، كالبناء ونحوه، أبيح للحاجة بصفة مؤقته، وبأصوات فردية لا أصوات جماعية. وماتسمونه بالأناشيد الإسلامية يختلف عن ذلك تماما، فهو يفعل في غير الأحوال التي يفعل فيها النوع الأول، وبنظام خاص وأصوات جماعية منغمة وربما تكون أصوات فاتنه، كأصوات المردان وحدثاء الأسنان من البنين والبنات، والأصل في الغناء التحريم، إلا ماورد الرخصة فيه. 3- أن الحداء والارتجاز وإنشاء الشعر الذي جاء الدليل بالترخيص فيه بقدر معين وحالة معينة لايأخذ كثيرا من وقت المسلم، ولايشغله عن ذكر الله، ولايزاحم ماهو أهم. أما ماتسمونه بالأناشيد الإسلامية، فقد أعطي أكثر مما يستحق من الوقت والجهد والتنظيم، حتى أصبح فنا من الفنون يحتل مكانا من المناهج الدراسية والنشاط المدرسي، ويقوم أصحاب التسجيل بتسجيل كميات هائلة منه للبيع والتوزيع، حتى ملأ غالب البيوت، وأقبل على استماعه كثيرمن الشباب والشابات حتى شغل كثيرا من وقتهم، وأصبح استماعه يزاحم تسجيلات القرآن الكريم والسنة النبوية والمحاضرات والدروس العلمية المفيدة. فأين هذا من ذاك ؟ ومعلوم أن ما شغل عن الخير، فهو محرم وشر . الوجه الثاني: أن محاولة تسويغ تسمية هذه الأناشيد بالأناشيد الإسلامية محاولة فاشلة، لأن تسميتها بذلك يعطيها صبغة الشرعية، وحينئذ نضيف إلى الإسلام ماليس منه. وقول أخينا: إن هذه التسمية لأجل التمييز بينها وبين الأناشيد والأهازيج المحرمة. قول غير صحيح، لأنه يمكن التمييز بينها بأن يقال: الأناشيد المباحة، بدلا من الأناشيد الإسلامية، كغيرها من الأشياء التي يقال فيها: هذا مباح، وهذا محرم ولايقال هذا إسلامي، وهذا غير إسلامي، ولأن تسميتها بالأناشيد الإسلامية تسمية تلتبس على الجهال، حتى يظنوها من الدين، وأن في إستماعها أجرا وقربة. وقول الأخ: إن هذه التسمية من المصطلحات الحديثة، مثل الحضارة الإسلامية، والعمارة الإسلامية. نقول له: النسبة إلى الإسلام ليست من الأمور الأصطلاحية، وإنما هي من الأمور التوقيفية، التي تعتمد على النص من الشارع، ولم يأت نص من الشارع بتسمية شيء من هذه الأمور إسلاميا، فيجب إبقاء الشعر على أسمه الأصلي، فيقال: الشعر العربي، والأناشيد العربية، وأما تسمية العمارة والحضارة بالإسلامية، فهي تسمية الجهال، فلاعبرة بها، ولادليل فيها.

الوجه الثالث: أن تفريق الأخ بين مايسميه بالأناشيد الإسلامية وبين أناشيد الصوفية تفريق لاوجه له، لأن بإمكان الصوفية أن يدعوا في أنا شيدهم ماتدعونه في أناشيدكم من الفائدة، والترغيب في الخير، والتنشيط على العبادة والذكر، فكما أنكم تدعون أن في أناشيدكم الحث على الجهاد، وأنها كلام طيب بصوت حسن، وفيها مدح الإسلام وذم الكفر.. إلى غير ذلك، فيمكنهم أن يقولوا مثل ذلك في أنا شيدهم. وقولكم: إن أناشيد الصوفية لاتخلو من الآلة التي تقرن بتلحين الغناء. هذا فارق مؤقت، فربما يأتي تطوير جديد لأناشيدكم يدخل فيه استعمال الآلة فيها، وتسمى موسيقى إسلامية، أو دف إسلامي، ويزول الفارق عند ذلك، كما ورد أنه في آخر الزمان تغير أسماء بعض المحرمات، وتستباح، كأسم الخمر، وأسم الربا.. وغير ذلك. فالواجب على المسلمين سد هذه الأبواب، والتنبيه، والتنبيه للمفاسد الراجحة والوسائل التي تفضي إلى الحرام، والتنبيه كذلك لدسائس الأعداء في الأناشيد وغيرها. [الموضوع كامل في كتاب: مؤلفات الفوزان]

----

*(ردن) المغزل الذي لا صنارة له. وارتدنت المرأة: اتخذت مردنا، وهي المردان.(الرجز) بحر من بحور الشعر معروف ونوع من أنواعه يكون كل مصراع منه مفردا وتسمى قصائده أراجيز واحدتها أرجوزة وهي كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر ويسمى قائله راجزا كما يسمى قائل بحور الشعر شاعرا .

مراجع: الأعلام للزركلي/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد/ إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد– مؤلفات الفوزان/ ربيع الأبرار/ المستطرف/ كتب الردود/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ المحيط في اللغة/ لسان العرب/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/

عن الحكم بن هشام حدثني مسعر[1] قال: دعاني أبو جعفر ليوليني، فقلت: أصلح الله الأمير إن أهلي ليريدونني على أن أشترى الشيء بدرهمين، فأقول اعطوني أشتري لكم، فيقولون لا والله ما نرضى اشتراءك، فأهلي لا يرضون أشتري الشيء بدرهمين، وأمير المؤمنين يوليني، أصلحك الله إن لنا قرابة وحقا، وقد قال الشاعر: تشاركنا قريش في تقاها..وفي أحسابها شرك العنان..فما ولدت نساء بني هلال..وما ولدت نساء بني أبان. قال: أيم الله ما لنا في العرب قرابة أحب إلينا منها فأعفاه. وعن سعيد بن عفير قال: بعث أمير المؤمنين، أبو جعفر الى مسعر فلما دخل عليه، قال: يا مسعر، ما بد لنا من أن نستعين بك على بعض أعمالنا، فقال: والله، يا أمير المؤمنين، ما أرضى أن اشتري لأهلي حوائج بدرهم حتى أستعين بغيري، فكيف أعينك في عملك ولأنا الى غير ذلك أحوج منك أن تصل قرابتي ورحمي، فقد قال نابغة بن جعدة: وشاركنا قريشا في تقاها..وفي أنسابها شرك العنان..فما ولدت نساء بني هلال..وما ولدت نساء بني أبان. قال: فأعطاه أربعةآلاف درهم، وكساه ولم يزل يصله ويتعاهده. وعن سفيان عن مسعر قال: دخلت على أبي جعفر، فقال: لو كان الناس كلهم مثلك لخرجت فمشيت بين أظهرهم. وعن سفيان بن عيينة عن مسعر قال: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين، فقلت: نحن لك والد، وأنت لنا ابن، وكانت أمه أم الفضل الهلالية، فقال لي: تقربت الى بأحب أمهاتي إلي، لو كان الناس كلهم مثلك لمشيت معهم في الطريق.

---

(1) مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الرواسي، أبو سلمة: من ثقات أهل الحديث، كوفي. كان يقال له المصحف لعظم الثقة بما يرويه. وكان مرجئا، وعنده نحو ألف حديث، وخرج له الستة. توفي بمكة سنة 152 هـ وقيل 155 هـ؟

عن إبراهيم بن سعيد قال سمعت ابن كناسة يقول أثنى رجل على مسعر فقال تثنى علي وأنا أبني الآجر وأقبض جوائز السلطان.وعن سفيان قال قلت لمسعر تحب أن يهدي إليك عيوبك قال أما من ناصح فنعم وأما من موبخ فلا.
عن جعفر بن عون أو غيره قال قال مسعر بن كدام العلم شرف الأحساب يرفع الخسيس في نسبه ومن قعد به حسبه نهض به أدبه. وعن حسن بن يحيى بن آدم عن أبيه قال لما حضرت مسعرا الوفاة دخل عليه سفيان الثوري فوجده جزعا فقال له لم تجزع فوالله لوددت أني مت الساعة فقال مسعر أقعدوني فأعاد عليه سفيان الكلام فقال إنك إذا لواثق بعملك يا سفيان لكني والله لكأني على شاهق جبل لا أدري أين أهبط فبكى سفيان فقال أنت أخوف لله عز و جل مني. وحدث محمد بن مسعر قال: كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن، فإذا فرغ من ورده لف رداءه ثم هجع عليه هجعة خفيفة ثم يثب كالرجل الذي ضل منه شيء فهو يطلبه وإنما هو السواك والطهور ثم يستقبل المحراب فكذلك إلى الفجر وكان يجهد على إخفاء ذلك جدا. وعن علي بن حكيم الأودي قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: يقول مسعر بن كدام: من أراد هذا العلم لنفسه فليقل منه ومن طلبه للناس فليكثر فان مؤنتهم شديدة.وعن ابن السماك عن مسعر قال من طلب العلم لنفسه فقد اكتفى وإن طلبت للناس فأنت في شغل شاغل. وعن محمد بن شجاع قال سمعت أبا عبيدة الحذاء يقول سألت شعبة عن مسعر فقال ذاك عند الكوفيين مثل ابن عون عند البصريين. وعن سفيان قال قالوا للأعمش إن مسعرا يشك في حديثه قال شك مسعر كيقين غيره. وعن محمد بن قارن قال سمعت أبا حاتم الرازي يقول قال شعبة شك مسعر أحب إلي من يقين غيره. وعن علي بن مسلم الطوسي قال سمعت عبدالله بن داود يقول سمعت سفيان الثوري يقول كنا إذا اختلفنا في شيء أتينا مسعرا . وعن محمد بن خلاد قال: سمعت ابن عيينة يقول: سمعت مسعرا يقول: وددت أن الحديث كانت قوارير على رأسي فسقطت فتكسرت. وعن محمد بن خلاد قال: سمعت ابن عيينة يقول: سمعت مسعرا يقول: من أبغضني جعله الله محدثا. وعن محمد بن عبدالله قال سمعت الحسن بن علي الحلواني يقول سمعت مسعرا يقول إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون.وعن محمد بن كناسة قال سمعت مسعرا يقول من همته نفسه تبين ذلك عليه. وعن الأشجعي قال: استسقت أم مسعر ماء منه في بعض الليل فذهب فجاء بقربة ماء فوجدها قد غلبها النوم فثبت بالشربة على يديه حتى أصبح. وعن محمد بن مهران الحمال قال سمعت عبدالرحمن بن الحكم بن الشريد يذكر عن جعفر بن عون قال قال مسعر الإيمان قول وعمل.وعن زيد بن الحباب قال كان مسعر يقول الإيمان يزيد وينقص. وعن معتمر بن سليمان قال سمعت أبا مخزوم يذكر عن مسعر قال إن التكذيب بالقدر أبو جاد الزندقة. وعن سفيان بن عيينة عن مسعر قال: إن الجنة والنار لقيتا السمع من بني آدم، فاذا قال العبد: اللهم، إني أسألك الجنة، قالت: اللهم، بلغه. وإذا قال: اللهم، إني أعوذ بك من النار، قالت: اللهم، أعذه، فاذا لم يذكرهما، قالت الملائكة: إغفلوا العظيمتين. وعن أبي أسامة قال قال لي مسعر: يا أبا أسامة من رضي بالخل والبقل لم يستعبده الناس. وعن أبي أسامة قال قال لي مسعر يا حماد إن صبرت على أكل البقل والخبز لم يستعبدك كثير من هؤلاء. وعن حماد بن داود التغلبي عن مسعر بن كدام: أنه خرج يوما إلى الجبان، فإذا هو بأعرابي يتشرق الشمس وهو يقول: جاء الشتاء وليس عندي درهم..ولقد يخص بمثل ذاك المسلم..قد قطع الناس الجباب وغيرها..وكأنني بفناء مكة محرم، قال: فنزع مسعرجبته فأعطاه.

مراجع: حلية الأولياء/ الأعلام للزركلي/

عن عبد الله بن الربيع قال: قال أبو جعفر لإسماعيل بن عبد الله[1]: صف لي الناس، فقال: أهل الحجاز مبتدأ الإسلام وبقية العرب، وأهل العراق ركن الإسلام ومقاتلة عن الدين، وأهل الشام حصن الأمة وأبنية الأئمة، وأهل خراسان فرسان الهيجاء وأعنة الرجاء، والترك منابت الحصون وأبناء المغازي، وأهل الهند حكماء، استغنوا ببلادهم فاكتفوا بها عما سواها، والروم أهل كتاب وتدين نحاهم من القرب إلى البعد، والأنباط كان ملكهم قديماً فهم لكل قوم عبيد. قال: فأي الولاة أفضل؟ قال: الباذل للعطاء، والمعرض عن السيئة. قال فأيهم أخرق؟ قال: أنهكهم للرعية، وأتعبهم لها بالخرق والعقوبة. قال: فالطاعة على الخوف أبلغ في حاجة الملك أم الطاعة على المحبة؟ قال: يا أمير المؤمنين، الطاعة عند الخوف تسر الغدر(العدو)، وتتابع عند المعاينة. والطاعة على المحبة تضر الاجتهاد، وتتابع عند الغفلة. قال: فأي الناس أولاهم بالطاعة؟ قال: أولاهم بالمضرة والمنفعة، قال: ما علامة ذلك؟ قال: سرعة الإجابة وبذل النفس. قال: فمن ينبغي للملك أن يتخذه وزيراً؟ قال: أسلمهم قلباً، وأبعدهم من الهوى.

----

(1) إسماعيل بن عبد الله ؟... إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، الهاشمي المدني: أخو إسحاق، ومعاوية، وعلي، سمع أباه. مات سنة 145 هـ عن سن عالية.

قال معاوية رضي الله عنه يوما لصعصعة بن صوحان وكان من البلغاء: صف لي الناس. فقال: خلق الناس أخيافا، فطائفة للعبادة، وطائفة للتجارة، وطائفة خطباء، وطائفة للبأس والنجدة، ورجرجة فيما بين ذلك، يكدرون الماء، ويغلون السعر ويضيقون الطريق. وقال معاوية للأحنف: صف لي الناس وأوجز، قال: رؤوس رفعهم الحظ، وأكاف عظمهم التدبير، وأعجاز شهرهم المال، وأذناب ألحقهم بهم الأدب؛ ثم الناس بعدهم أشباه البهائم، أن شبعوا ناموا، وإن جاعوا استاموا. وقال الآخر في نحو هذا: الناس هم ثلاثة..فواحد ذو درقه..وذو علوم دارس..كتبه وورقه..ومنفق في واجب..ذهبه وورقه..ومن سواهم همج..لا ودك لا مرقه. وفي كلام مولانا علي كرم الله وجهه لكميل بن زياد: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع، أتباع كا ناعق. وقال الآخر: ما الناس إلا العارفون بربهم..وسواهم متطفل في الناس. وهذا المعنى له تفصيل وتحقيق، والاشتغال به يطيل، ويكفي اللبيب فيه ما مر عند ذكر الحسب وتفصيل المزايا في الناس. لله الأمر من قبل ومن بعد. قال وهب بن منبه: لما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس قال له ملكها: يا ذا القرنين، صف لي الناس، قال: إن محادثتك من لا يعقل بمنزلة رجل يغني الموت، ومحادثة من لا يعقل بمنزلة رجل يبل الصخر حتى يبتل، ويطبخ الحديد يلتمس إدامه، ومحادثتك من لا يعقل بمنزلة من يضع الموائد لأهل القبور؛ ونقل الحجارة أيسر من محادثتك من لا يعقل. وعن وهب بن منبه: أن ذا القرنين قال لبعض الأمم: ما بال كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة؟ قالوا: من قبل أنا لا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضاً.

☪

قيل: أرسل محمد[1] إلى إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقد شاخ لبيايعه فقال: يا ابن أخي، أنت والله مقتول، كيف أبايعك فارتدع الناس عنه قليلا، فأتته حمادة بنت معاوية بن عبد الله فقالت: يا عم، إن إخوتي قد أسرعوا إلى ابن خالهم فلا تثبط عنه الناس فيقتل ابن خالي وإخوتي، فأبى إلا أن ينهى عنه، فيقال إنها قتلته، فأراد محمد الصلاة عليه، فقال ابنه عبد الله: يقتل أبي وتصلي عليه، فنحاه الحرس وصلى محمد.

----

(1) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة 145 هـ وهو بن 45 سنة.

مراجع: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة/ الأعلام للزركلي/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/

قال أبو مصعب: سمعت مالكا[1] يقول: دخلت على أبي جعفر بالغداة حين وقعت الشمس بالأرض، وقد نزل عن شماله إلى بساط، وعلى البساط برذونان قائمان من حين دخلت إلى حين خرجت، لا يبولان ولا يروثان أدبا، وإذا بصبي يخرج ثم يرجع، فقال: أتدري من هذا؟ قلت: لا؟ قال: هو ابني، وإنما يفزع من شيبتك، وفي رواية: إنه استنكر قرب مجلسك مني ولم يربه أحد قط، وحقيق أنت بكل خير وخليق بكل إكرام، وقد كان أدناه إليه وألصق بركبته، فلم يزل يسألني حتى أتاه المؤذن بالظهر، فقال لي: أنت أعلم الناس وفي رواية أهل الأرض. فقلت: لا، والله، يا أمير المؤمنين. قال: بلى. ولكنك تكتم ذلك. وفي رواية: فما أحد أعلم منك اليوم بعد أمير المؤمنين. ولئن بقيت لأكتبن كتابك بماء الذهب، وفي رواية: كما تكتب المصاحف ثم أعلقها في الكعبة، وأحمل الناس عليها. فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإن في كتابي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول الصحابة، وقول التابعين، ورأيا هو إجماع أهل المدينة، لم أخرج عنهم، غير أني لا أرى أن يعلق في الكعبة. قال: وقال له أبو جعفر وهو بمكة: اجعل العلم يا أبا عبد الله علما واحدا. قال: فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في البلاد، فأفتى كل في مصره بما رآه، وفي طريق، إن لأهل هذه البلاد قولا ولأهل المدينة قولا، ولأهل العراق قولا، تعدوا فيه طورهم. فقال: أما أهل العراق فلست اقبل منهم صرفا ولا عدلا، وإنما العلم علم أهل المدينة، فضع للناس العلم. وفي رواية: فقلت له: إن أهل العراق لا يرضون علمنا. فقال أبو جعفر: يضرب عليه عامتهم بالسيف، وتقطع عليه ظهورهم بالسياط، وفي بعضه: إن أبا جعفر قال له: إني عزمت أن أكتب كتبك هذه نسخا، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة آمرهم بأن يعملوا بما فيها، ولا يتعدوها إلى غيرها من هذا العلم المحدث، فإنني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعملهم. فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث وروايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودالوا له من اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم، وإن ردهم عما اعتقدوا شديد، فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم. فقال: لو طاوعتني على ذلك لأمرت به. وفي رواية: إن المنصور قال له: يا أبا عبد الله، ضم هذا العلم ودون كتبا وجنب فيها شدائد ابن عمر، ورخص ابن عباس، وشواذ ابن مسعود، وأقصد أوسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة.

قال الزبيري عن مالك: لما دخلت على أبي جعفر، وذكر قصته معه في حمل الناس على كتبه نحو القصة التي قدمها. قال: كلمته في الناس وحضضته عليهم وجعل يسألني عن بني وعن ابني وعن أهلي فأخبره، فقال لي: أترى أني أعرف منزلك ولا أعرف أمر الناس؟ ثم قال لي: إن رابك ريب في عامل المدينة أو سوء سيرة في الرعية، فاكتب إلي بذلك، أنزل بهم ما يستحقون، وقد كتبت إلى عمالي بهذا أن يسمعوا منك ويطيعوا في كل ما تعهد إليهم، فانههم عن المنكر وأمرهم بالمعروف تؤجر على ذلك، وأنت حقيق أن تطاع ويسمع منك، ثم خرجت فتبعتني صلة، ذكر أنها كانت خمسة آلاف وكسوة حسنة ولابنه محمد ألف. قال: فلما لحقه الخصي جعلها على منكبه، وكذلك كانوا يفعلون، يخرج بها على الناس، فانحنى مالك عنها كراهية لذلك، فناداه أبو جعفر بلغها إلى رجل أبي عبد الله.

ووعظ المنصور في افتقاد أحوال الرعية، فقال: أليس إذا بكت ابنتك من الجوع تأمر بحجر الرحا فيحرك كيلا يسمع الجيران بكاءها؟ فقال مالك: والله ما علم بهذا إلا الله. فقال له: فعلمت هذا ولا أعلم حال الرعية؟

قال ابن وهب وابن عبد الحكم: قال مالك: دخلت على أبي جعفر فرأيت غير واحد من بني هاشم يقبل يده المرتين والثلاث، فرزقني الله العافية من ذلك فلم أفعل. وروى أنه كان جالسا مع أبي جعفر فعطس أبو جعفر فشمته مالك، فلما خرج أنكر عليه الحاجب ذلك، وتهدده إن عاد لتشميته، فلما كان بعد ذلك جلس عنده فعطس أبو جعفر، فنظر مالك للحاجب، ثم قال للمنصور: أي حكم تريد يا أمير المؤمنين، أحكم الله أم حكم الشيطان؟ قال: لا، بل حكم الله. قال: يرحمك الله.

وناظر أبو جعفر المنصور مالكا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فرفع أبو جعفر صوته، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، إن الله تعالى أدب قوما فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِي﴾ الآية، ومدح قوما فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ الآية، وذم قوما فقال:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات] الآية، وإن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر. وقال له أبو جعفر: أدعو مستقبلا القبلة أم مستقبلا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. فقال: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به إلى ربك يشفعك، قال الله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ [النساء] الآية.

قال أسامة بن زيد: لما قد أبو جعفر، دخلنا مسلمين عليه، وأخذنا مجالسنا، فبينما نحن كذلك إذ دخل مالك، فقال له أبو جعفر: إلى ها هنا يا أبا عبد الله...[لم] تركتم قول علي وابن عباس، وأخذتم بقول ابن عمر، قال لأنه آخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال المنصور والله يا أبا عبد الله ما بقي على الأرض أعلم مني ومنك. خذ بقول ابن عمر ودعني مما سواه.

قال موسى بن داود: سمعت مالكا يقول: قدم علينا أبو جعفر المنصور سنة خمسين ومائة، فقال: يا مالك! كثر شيبك! قلت: نعم يا أمير المؤمنين، من أتت عليه السنون، كثر شيبه. قال: ما لي أراك تعتمد على قول ابن عمر من بين الصحابة؟ قلت: كان آخر من بقي عندنا من الصحابة، فاحتاج إليه الناس، فسألوه، فتمسكوا بقوله.

وروي أن المهدي[2] قال له: ضع كتابا أحمل الأمة عليه، فقال له مالك: أما هذا الصقع يعني الغرب، فقد كفيته، وأما الشام ففيه الأوزاعي[3]، وأما أهل العراق.. فهم أهل العراق.

■ (1) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات.

■ (3) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من كبار تابعي التابعين. ولقب بالأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهى بطن من ذي الكلاع باليمن. ولد سنة 88 هـ بقرية بعلبك فى لبنان وربته أمه يتيما، ثم استقر بدمشق. وقد برع الأوزاعي في تفسير القران الكريم، وحفظ الحديث، والأخبار، والمغازي، وكان صاحب مذهب ساد في الشام زمنا، ثم ما لبث أن ضعف انتشاره، بسبب انتشار المذهبين المالكي والشافعي اللذين حلا محله. وقد التزم الأوزاعي في فتاويه بالتوقف عند النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. وللأوزاعي كتابان في الفقه، هما السنن والمسائل، وقد ضمن كتاب المسائل الفتاوى التي أفتى بها. توفى الأوزاعي سنة 157هـ في بيروت.

■ (2) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

قال القاضي رحمه الله: سئل عيسى بن عمر المدني، أكان مالك يغشى الأمراء؟ قال لا، إلا أن يبعثوا إليه فيأتيهم، وقيل لمالك تدخل على السلاطين وهم يظلمون ويجورون؟ فقال: يرحمك الله وأين المتكلم بالحق؟ وقال مالك: حق على كل مسلم أو رجل فعل الله في صدره شيئا من العلم والفقه أن يدخل إلى ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر ويعظه، حتى يتبين دخول العالم على غيره، لأن العالم إنما يدخل يأمره بالخير وينهاه عن الشر، فإذا كان فهو الفضل الذي لا بعده فضل.

قال أحمد العوضي: كان ابن شهاب الزهري يدخل على الخلفاء ويجالسهم ويتقبل هداياهم ، وكان مؤدبا لأبناء هشام. وقد توافق مالك مع شيخه ابن شهاب في الدخول على الخلفاء وقبول هداياهم، فيروى قبوله عطاء أبي جعفر، فقد قبل ثلاثة ألآف دينار أعطاها له أبو جعفر ليشتري مسكنا له، كذلك شكى إلى الرشيد دينا ألم به، فأمر له بألف دينار، فلما هم بالانصراف قال: يا أمير المؤمنين: وزوجت ابني محمدا فصار علي فيه ألف دينار؛ فأمر الرشيد له بألف أخرى. وورد أنه سئل عن حكم قبول العطاء فقال: أما الخلفاء فلا شك، وأما من دونهم فإن فيه شيئا... فكان مالك يرى أن للعالم حقا في بيت المال، وأن الخلفاء إن أعطوا فإنما يعطون من المال العام وليس من خاصة ماله. والعالم له رزق في بيت المال يستحقه لقاء تفرغه للتعليم والتربية والفتيا، ثم إنه لو لم يقبلها لعل الحاجة تؤدي به إلى ما لا يليق بأمثاله. فكان له مستنده الشرعي وضابطه الفقهي في ذلك الاتجاه الفكري والمنهج السلوكي. لقد توافق مالك مع شيخه الزهري في الدخول على الخلفاء وقبول عطاياهم، غير أن روايات ذكرت عدم سرور مالك وهو يقبل عطايا الخلفاء وأنه كان يرى في ذلك شيئا؛ فروي: أنه سئل عن ذلك، فكرهه، فقيل له: إنك تقبلها. فقال: أتريد أن تبوء بإثمي وإثمك معا. وفي رواية :أجئت تبكتني بذنوبي. وأرجو أن لا أجافي الصواب إذا قررت عدم التعارض بين قبول مالك عطايا الخلفاء وكرهه لذلك، فيحمل قبوله لها وطلبه إياها على حال الاستحقاق في بيت المال. ويحمل كرهه لها على حال أخذها بغير حق، وحال التوسع في أخذها ولو كان بحق، ولعله خشي أن يفسر فعله ذلك على غير وجهه، فيقلده فيه الجهال أو غير الورعين، فيقبلون عليه من غير مستند شرعي أو يقبلون عليه من غير ضابط فقهي.لقد كان مالك منطلقا في منهجه في قبول العطاء من مستند شرعي ونظر اجتهادي وليس تقليدا لشيخه الزهري ولا تأثرا به.

قال عتيق بن يعقوب: كان مالك إذا دخل على الوالي وعظه وحثه على مصالح المسلمين، ولقد دخل يوما على هارون الرشيد فحثه على مصالح المسلمين، قال له: لقد بلغني أن عمر بن الخطاب كان في فضله وقدمه ينفخ لهم عام الرمادة النار تحت القدور يخرج الدخان من لحيته، وقد رضي الناس منكم بدون هذا. ودخل عليه مرة وبين شطرنج منصوب وهو ينظر فيه، فوقف مالك ولم يجلس، وقال: أحق هذا يا أمير المؤمنين؟ قال لا.قال:﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس] فرفع هارون رجله وقال: لا ينصب بين يدي بعد. وقال لبعض الولاة يوما: تفقد أمور الرعية، فإنك مسؤول عنهم، فإن عمر بن الخطاب قال: والذي نفسي بيده، لو هلك حمل بشاطىء الفرات ضياعا لظننت أن الله يسألني عنه يوم القيامة. وقال الحنيني: سمعت مالكا يحلف بالله ما دخلت على أحد منهم، يعني السلاطين، إلا أذهب الله هيبته من قلبي، حتى أقول له الحق. قال خلف بن عمر: قلت لمالك: الناس يكثرون أنك تأتي الأمراء. فقال: إن ذلك الحمل من نفسي وذلك أنه ربما استشير من لا ينبغي. قال لي آخر: لولا أني رأيتهم ما رأيت للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه المدينة سنة معمولا بها.

وقال لمالك بعض ولاة المدينة: لم لا تخضب كما يخضب أصحابك؟ فقال مالك: لم يبق عليها من العدل إلا أن أخضب؟ وأثني على والي المدينة بحضرته عند مالك، فغضب مالك. ثم التفت إليه، وقال: إياك أن يغرك هؤلاء بثنائهم عليك، فإن من أثنى عليك وقال فيك من الخير ما ليس فيك، أوشك أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك، فاتق الله في التزكية منك لنفسك، وترضى بها من يقولها لك في وجهك، فإنك أنت أعرف بنفسك منهم. فإنه بلغني أن رجلا امتدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿قَطَعْتُمْ ظَهْرَه أو عُنُقَه لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَح﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿احْثُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ﴾.

مراجع: ترتيب المدارك وتقريب المسالك/ الأعلام للزركلي/ ترجمة الأئمة الأربعة/مجلة جامعة أم القرى/

قال إبراهيم بن محمد بن عرفة: في سنة خمس وأربعين ومئة تحول المنصور إلى مدينة السلام، واستتم بناءها سنة ست وأربعين، ثم كتب إلى أهل المدينة أن يوفدوا عليه خطباءهم وشعراءهم، فكان فيمن وفد عليه إبراهيم بن هرمة[1]قال: فلم يكن في الدنيا خطبة أبغض إلي من خطبة تقربني منه، واجتمع الخطباء والشعراء من كل مدينة، وعلى المنصور ستر يرى الناس من ورائه ولا يرونه، وأبو الخصيب[2] حاجبه قائم، وهو يقول: يا أمير المؤمنين، هذا فلان الخطيب، فيقول: اخطب، ويقول: هذا فلان الشاعر، فيقول: أنشد، حتى كنت آخر من بقي؛ قال: يا أمير المؤمنين هذا ابن هرمة؛ فسمعته يقول: لا مرحبا ولا أهلا، ولا أنعم الله بن عينا؛ فقلت: إنا لله ون إليه راجعون. ذهبت والله نفسي، ثم رجعت إلى نفسي فقلت: يا نفس، هذا موقف إن لم تشتدي فيه هلكت. فقال أبو الخصيب: أنشد، فأنشدته:من الطويل: سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل..وقرب للبين الخليط المزايل.حتى انتهيت إلى قولي: له لحظات في حوافي سريره..إذا كرها فيها عقاب ونائل..فأم الذي أمنته تأمن الردى..وأم الذي حاولت بالثكل ثاكل. فقال: يا غلام، ارفع عني الستر، فرفع؛ فإذا وجهه كأنه فلقه قمر، ثم قال: تمم القصيدة؛ فلما فرغت منها قال: ادن، فدنوت، ثم قال: اجلس، فجلست، وبين يديه مخصرة، فقال: يا إبراهيم قد بلغني عنك أشياء، لولا ذلك لفضلتك على نظرائك، فأقر لي بذنوبك أعفها عنك فقلت: هذا رجل فقيه عالم، وإنما يريد أن يقتلني بحجة تجب علي، فقلت: يا أمير المؤمنين، كل ذنب بلغك مما عفوته عني، فأنا مقر به؛ فتناول المخصرة فضربني بها، فقلت: من الرجز: أصبر من ذي ضاغط عركرك..ألقى بواني زوره للمبرك.قال: ثم ثنى فضربني، فقلت: من الرجز: أصبر من عود بجنبيه جلب..قد أثر البطان فيه والحقب. ثم قال: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم وخلعة، وألحقتك بنظائرك من طريح بن إسماعيل[3]، ورؤبة بن العجاج[4]، ولئن بلغني عنك أمر أكرهه لأقتلنك؛ قلت: نعم، أنت في حل من دمي إن بلغك أمر تكرهه. قال ابن هرمة: فأتيت المدينة، فأتاني رجل من الطالبيين، فسلم علي، فقلت: تنح عني، لا تشيط بدمي. وزاد في رواية؛ بعد بيتي المدح: فقال: يا أمير المؤمنين، إني أسألك شيئا، قال: سل؛ قال: إن عمال أمير المؤمنين بالمدينة قد أنهكوا أكتافي مما يحدونني على السكر، فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب لي كتابا، إن وجدت سكرانا فلا أحد، فليفعل؛ فقال له المنصور: ما كنت لأرفع حدا من حدود الله بحب، ولكن أكتب لك كتابا: من جاء بك سكران جلد مئة، وجلدت أنت ثمانين؛ قال: قدر ضيت.قال: فكتب له بذلك، قال: فكان إبراهيم بن هرمة يسكر، ويطرح نفسه في الشوارع، ويقول: من يشتري ثمانين بمئة؟ فليتقدم.

وعن عبد الله بن شبيب ومهدي بن إسحاق قالا: لما ولي المنصور الخلافة حضر على بابه ثلاثمائة شاعر فأعلمه بذلك الربيع، فقال: اخرج إليهم فعرفهم أن جائزتنا ألف، وعقوبتنا ألف، من مدحنا فاقتصد اجزناه، ومن أفرط وتجاوز عاقبناه، فخرج فعرفهم، فقال بعضهم لبعض: ما منا إلا من أفرط في المدح، فانصرفوا إلا إبراهيم بن هرمة فإنه لم يبرح، قال: فدخل فعرفه أنهم قد انصرفوا إلا إبراهيم بن هرمة المدني، فقال: ما علمته إلا سجاما، ومع ذلك مجيدا، فأذن له، فلما دخل قال: عرفت شرطنا؟ قال: قد عرفت، قال: هات، فأنشده شعرا طويلا، وقال فيه: له لحظات في حوافي سريره.. إذا كرها فيها عقاب ونائل فأم الذي أمنت أمنه الردى..وأم الذي حاولت بالثكل ثاكل. فقال له: بارك الله عليك وأجازه بألف، وكان في المنصور جفاء، فقال له: يا إبراهيم، هل لك أن تدعها للطالبيين إلى أن تطلق أرزاقهم، ونضعف لك، قال إبراهيم: إنما جئت أستمنح أمير المؤمنين، ولا استشيره، وتعجيلها أحب إلي، فعجلت له.

قال الغلابي: أنا ابن عائشة قال: قدم ابن هرمة على المنصور فمدحه، فأعطاه عشرة آلاف درهم وقال: يا بن هرمة إن الزمان ضيق بأهله، فاشتر بهذه إبلا عوامل، وإياك أن تقول: كلما مدحت أمير المؤمنين أعطاني مثلها، هيهات والعود إلى مثلها.

قال محمد بن منصور: رأت جارية المنصور وعليه قميص مرقوع، فقال وقد سمعها تقول: خليفة قميصه مرقوع: ويحك، أما سمعت قول ابن هرمة: من الكامل: قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه..خلق وجيب قميصه مرقوع.

وكان المنصور يلقب بأبي الدوانيق، لقب بذلك لأنه لما بني مدينة بغداد كان يباشرها بنفسه ويحاسب الصناع، فيقول لهذا: أنت نمت القائلة، ولهذا: لم تبكر، ولهذا: انصرفت قبل أن تكمل اليوم، فيسقط لهذا دانقا، ولهذا دانقين، فلا يكاد يعطي لأحد أجرة كاملة، وكان يقول: يزعمون أني بخيل، وما أنا ببخيل، ولكن رأيت الناس عبيد المال، فمنعتهم عنه، ليكونوا عبيدا لي. ويحكي عنه أنه قال لطباخه: لكم ثلاثة وعليكم اثنتان، لكم الرؤوس والأكارع والجلود، وعليكم الحبوب والتوابل. ومن حكاياته الدالة على بخله: أن صاحبه الربيع بن يونس[5] قال له يوما: يا أمير المؤمنين، إن الشعراء ببابك وهم كثير، وقد طالت أيامهم ونفدت نقفاتهم، فقال: اخرج إليهم وسلم عليهم، وقل لهم من مدحنا منكم فلا يصف الأسد، فإنما هو كلب من الكلاب، ولا الحية، فإنما هي دويبة منتنة تأكل التراب، ولا الجبل فإنه حجر أصم، ولا البحر، فإنه عطن بض لجب، فمن ليس في شعره شيء من هذا فليدخل، ومن كان في شعره شيء منه فلينصرف، فأبلغهم فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هرمة فقال: أنا له يا ربيع فأدخلني عليه: فأدخله، فلما مثل بين يديه، قال له: يا ربيع قد علمت أنه لا يجيبك غيره فأنشده قصيدته التي منها: له لحظات في حفافي سريره..إذا كرها فيها عقاب ونائل..فأم الذي أمنت آمنة الردى..وأم الذي خوفت بالثكل ثاكل. فرفع له الستر وأقبل عليه وأصغى إليه، فلما فرغ من إنشاده أمر له بعشرة آلاف درهم وقال له: يا إبراهيم، لا تتلفها طمعا في نيل مثلها منا، فما كل وقت تصل إلينا، فقال إبراهيم: ألقاك يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعليها الجهبذ.

----

(1) إبراهيم بن هرمة شاعر زمانه أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر الفهري، المدني، أحد البلغاء من شعراء الدولتين. وكان منقطعا إلى العلوية. وتوفي سنة 176 هـ قال الدارقطني: هو مقدم في شعراء المحدثين. قدمه بعضهم على بشار. وقال ابن عائشة: وفد ابن هرمة، فمدح المنصور، فأعطاه عشرة آلاف درهم.

(2) مرزوق أبو الخصيب: حدث أبو فراس الشامي قال: كان حاجب المنصور عيسى بن روضة مولاه، ومعه مرزوق أبو الخصيب مولاه، فلما نحي ابن روضة أو مات صير أبا الخصيب مكانه، وكان الربيع مع أبي الخصيب يكون فلما مات أبو الخصيب صار الربيع مكانه. [أنساب الأشراف/ المحبر]

(3) طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفي، أبو الصلت: طريح الثقفي شاعر الوليد بن يزيد الاموي، وخليله. انقطع إليه قبل أن يلي الخلافة، واستمر اتصاله به، وأكثر شعره في مدحه. وجعله الوليد أول من يدخل عليه وآخر من يخرج من عنده، وكان يستشيره في مهماته. وعاش إلى أيام الهادي العباسي. مات سنة 165 هـ

(4) رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحاف، أو أبو محمد: راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة. مات في البادية، وقد أسن سنة 145 هـ. وفي الوفيات: لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة.

(5) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان، مولا هم.الأمير الحاجب، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم ولي وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ، من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه إلى الغاية. ويقال: إن الربيع لم يكن يعرف له أب، فدخل هاشمي على المنصور وأخذ يذكره والد الربيع ويترحم عليه، فقال له الربيع: كم ذا تترحم عليه بحضرة أمير المؤمنين، فقال الهاشمي: يا ربيع أنت معذور لا تعرف مقدار الآباء، فخجل منه .

☪

قال رجل من أهل الشام: قدمت المدينة فقصدت منزل إبراهيم بن هرمة، فإذا بنية له صغيرة تلعب بالطين، فقلت لها: ما فعل أبوك؟ قالت: وفد على بعض الملوك الأجواد، فما لنا به علم منذ مدة، فقلت: انحري لنا ناقة فإنا أضيافك؛ قالت: والله ما عندنا، قلت: فشاة، قالت: والله ما عندنا، قلت، فدجاجة، قالت: والله ما عندنا، قلت: فأعطينا بيضة، قالت: والله ما عندنا. قلت: فباطل ما قال أبوك: من المنسرح: كم ناقة قد وجات منحرها..بمستهل الشؤبوب أو جمل. قالت: فذلك الفعل من أبي هو الذي أصارنا إلى أن ليس عندنا شيء. قال محمد لن زكريا: اجتاز نصيب مرة بالسيالة، وبها منزل ابن هرمة، فناداه: يا أبا إسحاق، فخرجت إليه بنته مذعورة، فقال: أين أبوك؟ قالت: راح لحاجة انتهز برد الفيء، قال: فهل من قرئ؟ قالت: لا والله، قال: ولا جزور ولا شاة؟ قالت: لا والله، ولا دجاجة ولا بيضة، قال: قاتل الله أباك ما أكذبه إذ يقول: من المنسرح: لا أمتع العوذ بالفصال ولا..أبتاع إلا قصيرة الأجل..إني إذا ما البخيل أمنها..باتت ضموزا مني على وجل. قالت: فعله والله ذاك بها، أقلها عندنا.

عن عبد الله بن أبي عبيد الله بن عمار بن ياسر، قال: زرت عبد الله بن حسن[1] ببادیته، وزاره ابن هرمة، فجاءه رجل من أسلم؛ فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن: أصلحك الله، سل الأسلمي أن يأذن لي أن أخبرك خبري وخبره؛ فقال عبد الله بن حسن: إيذن له. فأذن له الأسلمي، فقال ابن هرمة: خرجت أصلحك الله أبغي ذودا* لي، فأوحشت فضفت هذا الأسلمي، فذبح لي شاة وخبز لي خبزا، وأكرمني، ثم غدوت من عنده، فأقمت ما شاء الله؛ ثم خرجت أيضا في بغاء ذود لي فأوحشت فقلت: لو ضفت الأسلمي، فجاءني بلبن وتمر، ثم ضفته بعدما أوحشت، فقلت: التمر واللبن خير من الطوى، فجاءني بلبن حامض. قال الأسلمي: قد أجبته إلى ما سأل، فاسأله أن يأذن لي أن أخبرك لم فعلت ذلك؛ فقال: إيذن له، فأذن له، فقال: ضافني أصلحك الله فسألته: من هو؟ فقال: رجل من قريش، فذبحت له الشاة التي ذكر، والله لو كان عندي غيرها لذبحته له حين ذكر أنه من قريش؛ فقالوا: ليس من قريش؛ إنما هو دعي فيها؛ فضافني الثانية، قال: إنه دعي في قريش، فجئته بتمر ولبن، ثم غدا من عندي، وغدا الحي فقالوا: من ضيفك البارحة؟ قال: فقلت: الذي ذكرتم أنه الدعي في قريش؛ فقالوا: لا والله، ما هو فيها بدعي ولكنه دعي أدعياء؛ فضافني الثالثة على أنه دعي أدعياء لقريش، فواله لو وجدت له شرا من لبن حامض لجئته به؛ فانكسر ابن هرمة وضحكنا منه.

☪

ذكر عمر بن عثمان قال: دخل المنصور أمير المؤمنين قصرا، فرأى في جداره مكتوبا: وتحته مكتوب:إيه إيه. فقال المنصور:أي شيء إيه إيه؟ فقال له الربيع، وهو يومئذ تحت يد أبي الخصيب الحاجب، يا أمير المؤمنين إنه لما كتب البيت؛ أحب أن يخبر أنه يبكي، فقال له قائله: الله ما كان أظرفه؛ فكان هذا أول ما ارتفع به الربيع. قال عمرو بن عثمان دخل المنصور قصرا فوجد في جداره كتابا: ومالي لا أبكي بعين حزينة..وقد قربت للظاعنين حمول. وتحته مكتوب إيه إيه.- قال أبو عمرو ويروى آه آه- فقال المنصور: أي شيء إيه إيه؟ فقال له الربيع -وهو إذ ذاك تحت يدي أبي الخصيب الحاجب-: يا أمير المؤمنين. إنه لما كتب البيت أحب أن يخبر أنه يبكي. فقال: قاتله الله ما أظرفه. قال أبو الفضل الربعي حدثني أبي قال: قال المأمون لعبد الله بن طاهر[2]: أيما أطيب مجلسي أو منزلك قال: ما عدلت بك يا أمير المؤمنين، فقال: ليس إلى هذا ذهبت، إنما ذهبت إلى الموافقة في العيش واللذة، قال: منزلي يا أمير المؤمنين، قال: ولم ذاك؟ قال: لأني فيه مالك، وأنا ههنا مملوك.

----

*(الذود) القطيع من الابل من الثلاث إلى التسع وقيل ما بن الثلاث إلى الثلاثين ولا يكون إلا من الاناث دون الذكور وهو واحد وجمع أو جمع لا واحد له أو جمع لا واحد له أو واحد (الجهبذ) الذي يقوم بجباية الخِراج، ويضطلع بتسليم وتحرير دفع الخِراج والإعفاء منه، والجهبذ حرفة معروفة في نقد الذهب

(1) عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، كان من العباد وكان له شرف وعارضة وهيبة ولسان شديد وأدرك دولة بني العباس ووفد على أبي العباس بالأنبار وكان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز في خلافته ثم أكرمه أبو العباس ووهب له ألف ألف درهم ومات في أيام أبي جعفر وقال ابنه موسى بن عبد الله توفي في حبس أبي جعفر وهو بن 75 سنة وقال الواقدي كان موته قبل مقتل ابنه محمد بن عبد الله بأشهر.

(2) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس: أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من باذغيس بخراسان وكان جده الاعلى زريق من موالي طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات وولي صاحب الترجمة إمرة الشام، مدة. ونقل إلى مصر سنة 211 هـ، فأقام سنة، ونقل إلى الدينور. ثم ولاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الاطراف. واستمر إلى أن توفي بنيسابور وقيل: بمرو سنة230 هـ وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه، قال ابن الاثير: كان عبد الله من أكثر الناس بذلا للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مراث كثيرة. وقال ابن خلكان: كان عبد الله سيدا نبيلا عالي الهمة شهما، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. وقال الذهبي في دول الاسلام: كان عبد الله من كبار الملوك. وقال الشابشتي: كان المأمون تبناه ورباه. الطاهريون سلالة عربية من قبيلة خزاعة تولت إمرة ولاية خراسان وشرق تركستان أثناء الدولة العباسية ما بين205-259 هـ

مراجع: / الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ أنساب الأشراف/ المحبر/ تاريخ بغداد/ الاغاني/ التذكرة الحمدونية/ أخبارالظراف والمتماجنين/ تاريخ الإسلام للذهبي/ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة/ نهاية الأرب في فنون الأدب/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) وإبراهيم بن هرمة، الشاعر 0655

كان إبراهيم بن هرمة[1] مغرما بالشراب، حده جماعة من عمال المدينة فلما طال ذلك عليه رحل إلى أبي جعفر المنصور، وقيل: إنما رحل إلى المهدي وامتدحه بقصيدته التي يقول فيها: له لحظات في حفافي سريره..إذا كرها فيها عقاب ونائل..له تربة بيضاء من آل هاشم..إذا اسود من لؤم التراب القبائل. فاستحسن شعره وقال له: سل حاجتك، فقال: تأمر لي بكتاب إلى عامل المدينة ألا يحدني على شراب، فقال له: ويلك لو سألتني عزل عامل المدينة وتوليتك مكانه لفعلت ، قال : يا أمير المؤمنين ، ولو عزلته ووليتني مكانه أما كنت تعزلني أيضا وتولي غيري قال : بلى ، قال : فكنت أرجع إلى سيرتي الأولى فأحد ، فقال المهدي لوزرائه : ما تقولون في حاجة ابن هرمة وما عندكم فيها من التلطف ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ، إنه سأل مالا سبيل إليه ، إسقاط حد من حدود الله عز وجل ، فقال المهدي : له حيلة إذا أعيتكم الحيل فيه ، اكتبوا إلى عامل المدينة : من أتاك بابن هرمة سكرانا فاضربه مائة سوط واجلد ابن هرمة ثمانين ، فكان إذا شرب ومشى في أزقة المدينة يقول : من يشتري مائة بثمانين ؟ وأما من شربها منهم واشتهر بها ، جماعة من الأكابر والأعيان والخلفاء .

في كتاب الأوائل للعسكري: كان ابن هرمة شديد الرغبة في الخمر فدخل على المنصور فأنشده: له لحظات من خفا في سريرة..إذا كرها فيها عقاب و نائل..فأم الذي أمنت آمنة الردى..وأم الذي حاولت بالثكل ثاكل. فأعجب به المنصور وقال: ما حاجتك؟ قال: تكتب إلى عاملك بالمدينة أن لا يحدني إذا وجدني سكران. فقال: لا أعطل حدا من حدود الله. قال: تحتال لي، فكتب إلى عامله: من أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين. فكان العون إذا مر به وهو سكران يقول: من يشتري مائة بثمانين؟ ويتركه ويمضي قال: وأعطاه المنصور في هذه المرة عشرة آلاف درهم وقال له: يا إبراهيم احتفظ بها فليس لك عندنا مثلها. فقال: إني ألقاك على الصراط بها بختمة الجهبذ*.

----

*(الجهبذ) الذي يقوم بجباية الخِراج، ويضطلع بتسليم وتحرير دفع الخِراج والإعفاء منه، والجهبذ حرفة معروفة في نقد الذهب

■ (1) إبراهيم بن هرمة شاعر زمانه أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر الفهري، المدني، أحد البلغاء من شعراء الدولتين. وكان منقطعا إلى العلوية. وتوفي سنة 176 هـ قال الدارقطني: هو مقدم في شعراء المحدثين. قدمه بعضهم على بشار. وقال ابن عائشة: وفد ابن هرمة، فمدح المنصور، فأعطاه عشرة آلاف درهم.

دعا المنصور طبيبا للخيزران، وكانت قد اشتكت عينها، فقال: إن هذه في عينها شوكة سنبل، فانتزع من عينها فإذا هو شيء طار من السنبل ولصق بعينها، وتراكبت إلا كحال التي تعالج بها فزال الألم في الوقت، فأعطاه عشرة آلاف درهم، فلما دفعها إليه ندم فأوصاه فقال: احفظها فإنها مال له خطر. فقال: نعم وفارقه فاسترده وقال: إياك أن تنفق منها شيئا حتى تنفق ضيعة تشتريها بها. فقال: نعم. وفارقه ثم استرده فأوصاه فقال: إن رأيت يا أمير المؤمنين فاختمها بختمك حتى ألقاك بها يوم القيامة على الصراط بختمك. فضحك وخلاه. قيل: المنة تهدم الصنيعة. وقيل لأعرابي: فلان يزعم أنه كساك. فقال: المعروف إذا من به كدر، ومن ضاق قلبه اتسع لسانه. وقيل لآخر في المعروف إذا أحضى. قال: إن الذين يسوغ في أعناقهم..طعم يمن عليهم للئام. آخر: أفسدت بالمن ما قدمت من حسن..ليس الجواد إذا أسدى بمنان. وقيل لرجل: هل لك في ندى فلان؟ فقال: لا خير في تمرة مقترنة بزنبور: ومن ذا الذي يلتذ شهدا بعلقم..أبت لهواتي ذاك والشفتان. وقيل: شوى أخوك حتى إذا أنضج رمد. وقول الله تعالى:﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا الإنسان﴾ [الإنسان] قال: فتقديره يقولون إنما نطعمكم، قال مجاهد: لم يكن ذلك منهم مقالا وإنما أخبر عما كان لهم اعتقادا.

قال المنصور للوضين بن عطاء: ما عيالك؟ . قال: ثلاث بنات والمرأة. قال؛ فقال: أربع في بيتك. قال: فردد ذلك حتى ظننت أنه سيصلني. قال: ثم رفع رأسه؛ فقال أنت أيسر العرب، أربعة مغازل تدور في بيتك. قال دينار الحجام: حجمت أبا جعفر المنصور في خلافته؛ فأعطاني أربعة دوانق فضة، وأخذت شعر سعيد بن أبي عروبة؛ فأمر لي بقوصرة فارغة. قل أبو سهل الرازي القاضي: دخلت على يحيى بن أكثم يوما، والمائدة بين يديه، والغلام واقف؛ فقال لي: يا محمد، هذا غلامي، يأتي علي وقت لا أدري ما اسمه؛ وهذا حدا سلم الحادي بالمنصور في طريقه إلى الحج؛ فحدا يوما بقول الشاعر: أغر بين حاجبيه نوره..يزينه حياؤه وخيره ومسكه يشوبه كافوره. فطرب المنصور حتى ضرب برجله المحمل، ثم قال: يا ربيع؛ أعطه نصف درهم؛ فقال سلم: نصف درهم يا أمير المؤمنين؟ والله لقد حدوت لهشام فأمر لي بثلاثين ألف درهم؛ فقال له المنصور: ما كان له أن يعطيك ثلاثين ألف درهم من بيت مال المسلمين. يا ربيع، وكل به من يستخرج منه هذا المال. قال الربيع: فما زلت أسفر بينهما حتى شرط عليه ألا يلزمه مئونة في خروجه وقفوله، ويحدو له.

قيل: سقى قوم أعرابية مسكرا، فقالت: أيشرب نساؤكم هذا الشراب؟ قالوا: نعم. قالت: فما يدري أحدكم من أبوه. وقال قصي بن كلاب لبنيه: اجتنبوا الخمر فإنه يصلح الأبدان ويفسد الأذهان. وقيل لعدي بن حاتم: مالك لا تشرب النبيذ؟ قال: معاذ الله أصبح حليم قوم وأمسي سفيههم. وقيل لأعرابي: مالك لا تشرب النبيذ؟ قال: لا أشرب ما يشرب عقلي. وقيل لعثمان بن عفان: ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك؟ قال: إني رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئا يذهب جملة ويعود جملة. وقال عبد العزيز بن مروان لنصيب بن رباح: هل لك فيما يثمر المحادثة؟ يريد المنادمة، فقال: أصلح الله الأمير الشعر مفلفل واللون مرمد، ولم أقعد إليك بكرم عنصر ولا بحسن منظر، وإنما هو عقلي ولساني، فإن رأيت ألا تفرق بينهما فافعل. ودخل مصيب هذا على عبد الملك بن مروان فأنشده فاستحسن عبد الملك شعره فوصله، ثم دعا بالطعام فطعم معه. فقال له عبد الملك: هل لك أن تنادم عليه؟ قال: يا أمير المؤمنين، تأملني. قال قد أراك. قال: يا أمير المؤمنين، جلدي أسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح ولست في منصب، وإنما بلغ بي مجالستك ومؤاكلتك عقلي، وأنا أكره أن أدخل عليه ما ينقصه. فأعجبه كلامه وأعفاه. وقال الحسن: لو كان العقل عرضا لتغالي الناس في ثمنه، فالعجب لمن يشتري بماله شيئا ليشربه فيذهب عقله. وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج بن يوسف في وفدة وفدها عليه وقد أكلا: هل لك في الشراب؟ قال: يا أمير المؤمنين، ليس بحرام ما أحللت، ولكن أمنع أهل عملي، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وهو قوله تعالى:﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود] وقالوا: للنبيذ حدان، حد لا هم معه، وحد لا عقل معه، فعليك بالأول واتق الثاني.

في ما قيل في إباحة المطبوخ. قال: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: والمطبوخ يسمى الطلاء وهو الذي طبخ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. سمي بذلك لأنه شبيه بطلاء الإبل في ثخنه وسواده. وقد اختلف العلماء في المطبوخ، فقال بعضهم: كل عصير طبخ حتى ذهب نصفه فهو حلال إلا أنه يكره، وإن طبخ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه فهو حلال مباح شربه وبيعه إلا أن السكر منه حرام. وحجتهم في ذلك ما روي: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى بعض عماله: أن ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. وعن عبد الله بن يزيد الخطمي قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أما بعد، فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان في عود الكرم، فإن له اثنين ولكم واحد. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن نوحا عليه السلام لما نازعه الشيطان في عود الكرم فقال: هذا لي، وقال: هذا لي، فاصطلحا على أن لنوح ثلثها وللشيطان ثلثيها. وسئل سعيد بن المسيب: ما الشراب الذي أحله عمر رضي الله عنه؟ فقال: الذي يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه. وحكي أن أبا موسى الأشعري وأبا الدرداء كانا يشربان من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. وعلى الجملة فمجموع هذه الأخبار في مثلث لم يسكر البتة. ودليل ذلك ما حكي عن عبد الله بن عبد الملك ابن الطفيل الخزرجي قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: ألا تشربوا من الطلاء حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه، وكل مسكر حرام. هذا الذي عليه أكثر العلماء. وقال قوم: إذا طبخ العصير أدنى الطبخ صار حلالا، وهو قول إسماعيل بن علية وبشر المريسي وجماعة من أهل العراق. وذهب بعضهم إلى أن الطلاء الذي رخص فيه إنما هو الرب والدبس. والله عز وجل أعلم.

مراجع: / الأعلام للزركلي/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ نثر الدر/ـمحاضرات الأدباء/

عن أبي عبد الله الحسين بن أحمد قال: قدم على المنصور مولى له يقال له سديف[1]،وكان شديد السواد أعرابيا بدويا، فنظر إلى رجل من بني أمية في مجلس المنصور فعرفه فقال: والله يا أمير المؤمنين إن هذا لذو وثب وكمين خب، يلحظك بعين العدو، ويطلبك بذخل الوتر. فتكلم الأموي، فقال له سديف: أفلت نجومك، وحان أجلك، يا أمير المؤمنين، أطف شعلة طبه وشهاب كلبه. فقال الأموي: أصبحنا ما بحمد الله نتخوف بادرة غضبه، ولا شوكة مخلبه، وقد قل به الجور بعد كثرته، وكثر به العدل بعد قلته، فقال سديف: يا أمير المؤمنين، دونكه قبل أن ينصب لك شباك حيله وأشراك دغله فإنه الذي كدمنا* بأعضله، وكلمنا بكلكله*. فقال الأموي: قد والله رفع الله أمير المؤمنين عن خلف الوعد ونقض العهد، هذا أمان ليس لك علي فيه سلطان بيد ولا لسان، فاكفف عني أيها الوغد الوضر. فقال له المنصور: اكفف يا سديف، وأخبرني هل أطرفتنا بشيء من شعرك؟ قال: لقد أطرفتك بسبائك ذهب، ودر نظم، وجوهر عقيان، فصلتهن لك بزبرجد منضود في سلك معقود لتعرف أني ناصح الجيب أمين الغيب، فأنشده أبياتا يحرضه على الأموي، فما فرغ من إنشادها حتى دعا بالأموي فقتله والأبيات: من البسيط: يا راتق الفتق من جلباب دولته..ومن سنا قلبه مستيقظ عادي..إني ومن أين لي في كل منزلة..مولى كأنت لإبراق وإرعاد..أو مثل بحرك بحر لا يزال به..ريان مرتحل أو وارد صادي..لا تبق من عبد شمس حية ذكرا..تسعى إليك بإرصاد وإلحاد.. جدد لهم رأي عزم منك مصطلم..يكبون منه عباديدا على الهاد..ولا تقيلن منهم عثرة أحدا..فكلهم وفتاهم حية الوادي..وهل يعلم هما جمزة حدث..عبد ومولاه نحرير بها هادي..آليت لو أن لي بالقوم مقدرة..لما بقي حاضر منهم ولا بادي. ولم يزل سديف يطلب ولد بسر بن أبي أرطأة [2] حتى ظفر بابنين له بساحل دمشق، فقتلهما لقتل بسر جدهما ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب[3] باليمن، لما بعثه معاوية أميرا عليها بعد قتل عثمان.

----

*(كدمه) عضه بأدنى فمه أو أثر فيه بحديدة (الكلاكل) جمع كلكل ، وهو الصدر ، ويقال للامر الثقيل (قد اناخ عليهم بكلكله) ، أي هدمهم ورضهم كما يهد البعير البارك من تحته إذا انحى عليه بصدره

■ (1) سديف بن إسماعيل بن ميمون، -مولى أبي لهب- مولى لامرأة من خزاعة وكان لها زوج من اللهبيين وادعى سديف بذلك ولاء بني هاشم، وزعم المدائني أنه مولى بني العباس وشاعرهم. شهد العصر الأموي والعباسي الأول، اشتهر بتعصبه لبني هاشم وبهجائه بني أمية. إلا أن علاقته مع العباسيين لم تكن جيدة أيضاً، خاصة مع أبي جعفر المنصور، الذي تورط في مشاكل معه، بسبب تقاربه مع العلويين ومبايعته محمد النفس الزكية ومن بعده إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، وبعد فشل الانتفاضات على العباسيين اختفى سديف مدة من الزمن، وظهر بعد ذلك إلى العلن وأرسل قصيدة إلى أبي جعفر المنصور يطلب فيها العفو، ولكن المنصور أمر عامله في مكة عبد الصمد بن علي بقتله، فتوفي سديف في مكة مقتولا سنة 146 هـ

■ (2) بسر بن أرطأة، ويقال: بن أبي أرطأة بن عويمر، يكنى أبا عبد الرحمن.مختلف في صحبته، شهد فتح مصر واختط بها وكان من شيعة معاوية وقد وجهه معاوية إلى اليمن والحجاز في أول سنة أربعين وله دار بالبصرة ومات بالمدينة وقد خرف في ولاية عبد الملك بن مروان.

■ (3)عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، له صحبة ورواية، ولي اليمن لعلي، فسار إليه بشر بن أرطأة فذبح ولديه، وكان أحد الأجواد أشاع بعض الناس أنه يدعو الناس للغداء ولا علم له فامتلأت رحبة بيته فقال ما شأنهم قالوا إنك دعوتهم فقال لا يخرجن منهم أحد وغداهم جميعا ثم نادى مناديه أن يحضروا كل يوم. موفي سنة 58 هـ

روي عن سديف مولى اللهبيين أنه كان يقول: اللهم، قد صار فيئنا دولة بعد القسمة، وإمارتنا غلبة بعد المشورة، وعهدنا ميراثا بعد الاختيار للأمة، واشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة، وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمة، وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة، اللهم، وقد استحصد زرع الباطل، وبلغ نهيته، واجتمع طريده، اللهم، فأتح له يدا من الحق حاصدة تبدد شمله، وتفرق أمره، ليظهر الحق في أحسن صورته وأتم نوره.

☪

قال عبد الرحمن بن محمد الكندي: أخبرني محمد بن داود العباسي وكان أمير مكة قال: لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب[1] بالمدينة مال إليه سديف وبايعه وكان من خاصته وجعل يطعن على أبى جعفر ويقول فيه ويمتدح بنى علي ويتشيع بهم قال: فقال يوما ومحمد بن عبد الله على المنبر وسديف عن يمين المنبر يقول ويشير بيده إلى العراق يريد أبا جعفر: أسرفت في قتل البرية جاهدا فاكفف يديك أظلها مهديها فلتأتينك غارة حسنية جرارة يحثها حسنها حتى يصبح قرية كوفية لما تغطرس ظالما حرميها، ويشير إلى محمد بن عبد الله، قال: فبلغ ذلك أبا جعفر فقال: قتلني الله ان لم أسرف في قتله، قال: فلما قتل عيسى بن موسى[2] محمد بن عبد الله بعث أبو جعفر إلى عمه عبد الصمد بن علي[3]، وكان عامله على مكة أن ظفر بسديف أن يقتله، فظفر به علانية على رؤوس الناس وكان يحفظ له ما كان من مدائحه إياهم قبل خروجه، فقال له: ويحك يا سديف، ليس لي فيك حيلة وقد أخذتك ظاهرا على رؤوس الناس، ولكن أعاود فيك أمير المؤمنين فكتب إلى أبى جعفر يخبر بأمره، فكتب إليه يأمره بقتله، فجعل يدافع عنه ويعاوده في أمره فكتب إليه والله لان لم تقتله لاقتلنك، فلا يغرنك قولك أنا عمه فدافع بقتله حتى حج المنصور فلما قرب من الحرم أخرج عبد الصمد سديفا من الحرم فضرب عنقه، ثم خرج للقاء المنصور فلما لقيه دنا منه وهو في قبتة فسلم عليه، فقال له: أبو جعفر من قبل أن يرد عليه السلام، ما فعلت في أمر سديف؟ قال: قتلته يا أمير المؤمنين، قال: وعليك السلام يا عم، يا غلام أوقف فأوقف ثم أمره فعاد له يعني في المحمل. وذكر أبو بكر البلاذري بسنده عن علي بن صالح قال: كان سديف مائلا إلى المنصور، فلما استخلف وصله بألف دينار، فدفعها إلى محمد بن عبد الله بن الحسن معونة له، فلما قتل محمد صار مع أخيه إبراهيم[4] بالبصرة، حتى إذا قتل إبراهيم أتى المدينة، فاستخفى بها، فيقال: إنه طلب له الأمان من عبد الصمد بن علي وهو واليها، فأمنه، وأحلفه أن لا يبرح من المدينة، وقدم المنصور المدينة فقيل له: هذا سديف رأيناه ذاهبا وجائيا. فبعث في طلبه، وأخذ عبد الصمد بن أشد أخذ ووجد عليه في أمره، فلما أتي بسديف أمر به فجعل في جوالق، ثم خيط عليه، وضرب بالخشب حتى كسر، ثم رمي به في بئر وبه رمق حتى مات.

☪

ذكروا أن عليا ولى عبيد الله بن العباس اليمن، فهلك علي، فبعث معاوية بسر بن أبي أرطأة الفهري على اليمن، فأصاب ابنين لعبيد الله صغيرين، فقتلهما، وكانت أمهما تجيء إلى الموسم كل سنة تبكي عليهما، وتقول: من البسيط: ها من أحس بنيي اللذين هما..كالدرتين تشظى عنهما الصدف..هامن أحسن بنيي اللذين هما..مخ العظام فمخي اليوم مزدهف..خبرت يسرا وما أيقنت مازعموا..من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا..أنحى على ودجي ابني مرهفة..مشحوذة لم يخالط حدها عقف..من دل والهة عبرى مسلبة..على صبيين ضلا إذا غدا السلف. قال: فدخل عبيد الله على معاوية حين استقام له الناس، وقد عزل بسر بن أبي أرطأة عن اليمن، فقال عبيد الله: يا أمير المؤمنين، إن بسرا قتل ابني ظالما لهما، ولو أبنه أصاب ابنيك على الوجه الذي أصاب ابني عليه قتلهما، ولو ولينا من أمره ما وليت أقدناكه، فأقدنيه يابني، وايم الله لو قتلت بسرا بهما لما كان من قتله بواء بهما، ولكن لاسبيل لي إلا على من قتل ابني، وإني في ذلك لكما قال امرؤ القيس في قاتل حجر أبيه: من الوافر: قد يشفي الضغينة غير كفء..وقد يملا الوطاب من الحباب. وقد علمت قريش أني غير هش المشاشة، ولامرىء المأكلة. وإن أولنا ساد أولكم، وإن آخرنا هدى آخركم، فإن كنت أمرت بسرا بقتل ابني خلينا عنه وطلبناك، وإن كنت لم تفعل خليناك وطلبناه، وأيم الله لولا أنه: لافتك في الإسلام. لما سألناك استقادة بسر. فقال معاوية: يا عبيد الله، إن بسرا قتل ابنيك ظالما لهما، فاقتل ابنيه بابنيك، فدونك الرجل. وأما قولك: إني غير هش المشاشة، ولامرىء المأكلة، فكذلك بنو عبد مناف، وقريش بعضها أكفاء بعض، عرض بعرض، ودم بدم. ولا والله، ما أمرته بقتلهما، ولاعزلته إلا لهما، ولو أمرته لاعتذرت إليك، وطلبك بسرا أهون علي من طلبي.

■ (1) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة 145 هـ وهو بن 45 سنة.

■ (3) عبد الصمد بن علي ابن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب، أبو محمد الهاشمي، العباسي، عم السفاح والمنصور. ولد بالبلقاء، سنة نيف ومائة.وكان عظيم الخلقة، وقد خرج عند موت السفاح مع أخيه عبد الله على المنصور، وحاربهما أبو مسلم الخراساني، وتقلبت به الأيام، وعاش إلى زمن الرشيد، وكان يجله ويحترمه.ولي إمرة دمشق، وإمرة البصرة، وغير ذلك. مات عبد الصمد بالبصرة، سنة 185 هـ وعمره 80 سنة.

■ (2) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس .شيخ الدولة.جعله عمه السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور جعله ولي عهده بعد ابنه المهدي ولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور.ولد سنة 103هـ أو 104 هـ توفي سنة 167 هـ

■ (4) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي، خرج بالبصرة على المنصور، وتحول إلى الكوفة، وممن آزره أبو حنيفة قتله حميد بن قحطبة سنة 145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة بايعه أهل المدينة وأهل مكة وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في رمضان فاجتمع الناس إليه فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن أبا جعفر المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى فخرج إلى المدينة فلقيه محمد بن عبد الله فانهزم بأصحابه وقتل.ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ الأعلام للزركلي/ شرح نهج البلاغة/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) وابن أبي سبرة 0657

قال جمال الدين المزي: كان أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة[1]، وأمه: أم ولد، كان من علماء قريش؛ خرج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسنبن علي بن أبي طالب بالمدينة على المنصور، وكان أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة على صدقات أسد طيء؛ فقدم على محمد بن عبد الله بأربعة وعشرين ألف دينار، فدفعها إليه؛ فكانت قوة لمحمد بن عبد الله؛ فلما قتل محمد بن عبد الله بالمدينة – قتله عيسى بن موسى[2]– قيل لأبي بكر: اهرب! قال: ليس مثلي يهرب! فأخذ أسيرا، فطرح في حبس المدينة، ولم يحدث فيه عيسى بن موسى شيئا غير حبسه؛ فولى المنصور جعفر بن سليمان[3] المدينة، وقال له: إن بيننا وبين أبي بكر بن عبد الله رحما، وقد أساء وقد أحسن؛ فإذا قدمت عليه، فأطلقه وأحسن جواره، وكان الإحسان الذي ذكر المنصور من أبي بكر: أن عبد الله بن الربيع الحارثي[4] قدم إلى المدينة بعدما شخص عيسى بن موسى، ومعه جند، فعاثوا بالمدينة وأفسدوا؛ فوثب عليهم سودان المدينة والصبيان والرعاع والنساء، فقتلوا فيهم، وطردوهم، وانتهبوا عبد الله بن الربيع وجنده؛ فخرج عبد الله بن الربيع حتى نزل بئر المطلب في طريق العراق، على خمسة أميال من المدينة؛ وعمد السودان، فكسروا السجن، وأخرجوا أبا بكر، وحملوه حتى جاؤوا به المنبر، وأرادوا كسر حديده؛ فقال لهم: ليس على هذا فوت، دعوني حتى أتكلم. فقالوا له: فاصعد المنبر وتكلم ، فأبى وتكلم أسفل المنبر؛ فحمد الله وأثنى عليه، وصل على النبي صلى الله عليه وسلم؛ ثم حذرهم الفتنة، وذكر لهم ما كانوا فيه، ووصف عفو الخليفة عنهم، وأمرهم بالسمع والطاعة؛ فافترق الناس على كلامه؛ فاجتمع القرشيون، فخرجوا إلى عبد الله بن الربيع؛ فضمنوا له ما ذهب له ومن جنده؛ وتأمر على السودان أحدهم، زنجي يقال له وثيق؛ فمضى إليه محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة[5]؛ فلم يزل يخدعه محمد بن عمران حتى دنا إليه، فقبض عليه، وأمر من معه، فأوثقوه؛ فشد في الحديد؛ ورجع عبد الله بن الربيع، وطلبوا ماذهب من متاعه؛ فردوا ما وجدوا منه، وغرموا لجنده؛ وكتب بذلك إلى المنصور؛ فقبل منهم. ورجع ابن سبرة أبو بكر بن عبد الله إلى الحبس، حتى قدم عليه جعفر بن سليمان؛ فأطلقه وأكرمه؛ وسار بعد ذلك إلى المنصور؛ فاستقضاه؛ ومات ببغداد. وأخوه محمد بن عبد الله، وأمه: أم ولد، كان قاضيا بالمدينة.

قال سعيد بن عمرو: كان أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عاملا لرباح بن عثمان بن حيان[6] على مسعاة أسد وطيء، فلما خرج محمد بن عبد الله بن حسن جاءه أبو بكر بما صدق من مسعاه أسد وطيء، فدفع ذلك إليه، فلما قتل محمد أمر المنصور بحبس أبي بكر وتحديده. فحبس وحدد. فلما قام السودان بعبد الله بن الربيع الحارثي أخرج القرشيون أبا بكر، فحملوه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنهى عن معصية أمير المؤمنين، وحث على طاعته. وقيل له: صل بالناس؟ فقال: إن الأسير لا يؤم. ورجع إلى محبسه. فلما ولى المنصور جعفر بن سليمان بن علي المدينة أمر بإطلاق ابن أبي سبرة، وأوصاه به، وقال له: إنه إن كان أساء فقد أحسن. فأطلقه جعفر بن سليمان، فجاء إلى جعفر، فسأله أن يكتب له بوصاة إلى معن بن زائدة[7]، وهو إذ ذاك على اليمن، فكتب له بوصاة إليه، فلقي الرابحي[؟]، فقال: هل لك في الخروج معي إلى العمرة؟ قال: والله ما أخرجني من منزلي إلا طلب شيء لأهلي؛ ما تركت عندهم شيئا، قال ابن أبي سبرة: تكفاهم. فأمر لأهله بما يصلحهم، وخرج به معه. فلما قضيا عمرتهما قال للرابحي: هل لك بنا في معن بن زائدة؟ قال: حال أهلي ما أخبرتك ! فخرج معه، وأمر لأهله بما يصلحهم.

وقدم ابن أبي سبرة على معن والرابحي معا، فدخل عليه ابن أبي سبرة، فدفع إليه كتاب جعفر بن سليمان، فقرأه بالوصاة به. ثم قال له معن: جعفر أقوى على صلتك مني، انصرف، فليس لك عندي شيء. فانصرف مغموما، فلما انتصف النهار أرسل إليه، فجاءه، فقال له: يا بن أبي سبرة، ما حملك على أن قدمت علي وأمير المؤمنين عليك واجد؟ ثم سأله: كم دينه؟ فقال: أربعة آلاف دينار، فأعطاه إياها، وأعطاه ألفي دينار، فقال: أصلح بهما من أمرك. فانصرف، وأخبر الرابحي، فراح الرابحي إلى معن. فأنشده الرابحي يقول في مدح لأبي الوليد أخي المهدي الغمر: من الكامل: ملك بصنعاء الملوك له..ما بين بيت الله والشحر..لو جاودته الريح مرسلة..لجرى بجود فوق ما تجري..حملت به أم مباركة..فكأنها بالحمل ما تدري..حتى إذا ما تم تاسعها..ولدته أول ليلة القدر..فأتت به بيضا أسرته..يرجى لحمل نوائب الدهر..مسح القوابل وجهه فبدا..كالبدر أو أبهى من البدر..فنذرن حين رأين غرته..إن عاش أن سيفين بالنذر..لله صوما شكر أنعمه..والله أهل الحمد والشكر..فنشا بحمد الله حين نشا..حسن المروءة نابه الذكر..حتى إذا ما طر شاربه..خضع الملوك لسيد فهري..فإذا رمي ثغر يقال له..يا معن أنت سداد ذا الثغر.

قال: أنا الوليد؛ أعطه ألف دينار، فأعطيها. فرجع إلى ابن أبي سبرة. فخرج ابن أبي سبرة إلى مكة وخرج به معه، فلما قدما مكة قال ابن أبي سبرة للرابحي: أما الأربعة الآلاف التي أعطاني معن في ديني فقد حبستها حتى أقضي بها ديني، لا أوثر عليه شيئا، وأما ألفا الدينار اللذان أعطاني فلي منها ألف دينار، وخذ أنت ألفا. فقال الرابحي: قد أعطاني ألف دينار ! فقال: أقسمت عليك إلا أخذت. فأخذها، وقام هو والرابحي حتى بلغه أهله بالمدينة. فانصرف ابن أبي سبرة لقضاء دينه، وفضل ألف دينار، وانصرف الرابحي بألفي دينار. قال: ونمي الخبر إلى المنصور فكتب إلى معن: ما الذي حملك على أن تعطي ابن أبي سبرة ما أعطيته، وقد علمت ما فعل؟ فكتب إليه معن: إن جعفر بن سليمان كتب إلي يوصيني به، فلم أحسب جعفرا أوصاني به حتى رضي عنه أمير المؤمنين. فكتب المنصور إلى جعفر بن سليمان يبكته بذلك، فكتب إليه جعفر: إنك يا أمير المؤمنين أوصيتني به، فلم يكن من استيصائي به شيء أيسر من كتاب وصاة إلى معن بن زائدة.

■ (1) ابن أبي سبرة، الفقيه الكبير، قاضي العراق، أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة بن أبي رهم، وكان جد أبيه أبو سبرة بدريا، من السابقين المهاجرين، ابن أبي رهم بن عبدالعزى القرشي، ثم العامري. توفي زمن عثمان رضي الله عنهما وكانت أمه برة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه لامه أبا سلمة المخزومي رضي الله عنه وما علمته روى شيئا. قال أبو داود: كان مفتي أهل المدينة. وقال البخاري: ضعيف الحديث. وقال النسائي: متروك. وروى عبد الله وصالح ابنا أحمد، عن أبيهما، قال: كان يضع الحديث. قلت: يقال: اسمه: محمد، وقيل: عبد الله. قال ابن سعد: ولي القضاء لموسى الهادي إذا هو ولي عهد، ثم ولي قضاء مكة لزياد بن عبيد الله، وعاش ستين سنة، فلما مات استقضي بعده القاضي أبو يوسف. قال: وتوفي ببغداد سنة 162 هـ، وكذا ورخ موته جماعة. وفي طبقات أبي اسحاق: سنة 172 هـ. وهو وهم.

■ (3) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو القاسم، ابن عم المنصور. ولي المدينة، ثم مكة معها، ثم عزل، فولي البصرة للرشيد. قال عبد السميع بن علي: لا نعرف في بني هاشم أغبط منه، حصل له الشرف والإمرة والمال الجم، والأولاد الزهر، والعبيد.توفي سنة 174 هـ.

■ (2) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو موسى الهاشمي، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح، نشأ بالحميمة من أرض البلقاء من كور دمشق ثم انتقل مع أهله إلى العراق وجعله السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور أخره وجعله ولي عهده بعد ابنه المهدي وكان جليلا في أهل بيته وولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور، ولد سنة 103 هـ أو104 هـ وتوفي بالكوفة سنة 167 هـ

■ (4) عبد الله بن الربيع الحارثي استعمله المنصور على المدينة ثم عزله عنها سنة 146 هـ وولى مكانه جعفر بن سليمان...

■ (5) محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي المدني أبو سليمان.أحد الأشراف. ولي قضاء المدينة لبني أمية ثم وليها للمنصور. قال ابن سعد: كان مهيباً جليلاً صليباً من الرجال. وكان قليل الرواية. مات سنة 154 هـ، فلما بلغ موته المنصور قال: اليوم استوت قريش.وولي بعد محمد بن عمران هذا قضاء المدينة ابنه عبد الله بن محمد وهو لأم ولد، ولاه إياه المهدي أمير المؤمنين، وكان سخيا، وولاه الرشيد هارون ابن المهدي أمير المؤمنين مكة. وقيل ولي قضاء المدينة لهارون أمير المؤمنين ثم عزله واستعمله على قضاء مكة ثم عزله واستعمله على قضاء المدينة ثم عزله فلحق بهارون فلم يزل معه حتى خرج إلى الري فخرج معه فمات بالري سنة 189 هـ وكان عبد الله بن محمد يكنى أبا محمد وكان قليل الحديث.

■ (6) رياح بن عثمان بن حيان المري. ولي إمرة دمشق لصالح بن علي الهاشمي أمير الشأم ومصر من قبل المنصور. ثم ولي المدينة للمنصور وعزل محمد بن خالد بن عبد الله القسري ليجد رياح في طلب ابني عبد الله بن حسن بن حسن. فخرج محمد بن عبد الله وحبس رياح بن عثمان وذلك في جمادى الآخرة سنة 145 هـ وأقام بالمدينة حتى قدم عليه عيسى بن موسى بن محمد في جيش بعثه المنصور من الكوفة. فقتل محمد بن عبد الله في رمضان سنة 145 هـ ودخل أصحاب محمد على رياح السجن فقتلوه ذبحه إبراهيم بن مصعب بن الزبير المعروف بابن خضير كما تذبح الشاة ولم يجهز عليه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى مات. وقتل معه أخوه عباس بن عثمان وكان مستقيم الطريقة فعاب الناس ذلك. ثم قتل ابن خضير مع محمد بن عبد الله وكانت له شجاعة موصوفة.

■ (7) معن بن زائدة أمير العرب، أبو الوليد الشيباني، أحد أبطال الإسلام، وعين الأجواد.كان من أمراء متولي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة، فلما تملك آل العباس، اختفى معن مدة، والطلب عليه حثيث، فلما كان يوم خروج الريوندية والخراسانية على المنصور، وحمي القتال، وحار المنصور في أمره، ظهر معن، وقاتل الريوندية، فكان النصر على يده، وهو مقنع في الحديد، فقال المنصور: ويحك، من تكون ؟ فكشف لثامه، وقال: أنا طلبتك معن. فسربه، وقدمه وعظمه، ثم ولاه اليمن وغيرها. ولمعن أخبار في السخاء، وفي البأس والشجاعة، وله نظم جيد. ثم ولي سجستان، وثبت عليه خوارج وهو يحتجم، فقتلوه، فقتلهم ابن أخيه يزيد ابن مزيد الأمير في سنة 152 هـ، وقيل: سنة 158 هـ.

☪

قال مصعب: أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة. كان من علماء قريش. ولاه المنصور القضاء. وذكره ابن سعد في الطبقة السادسة. وكان كثير العلم والسماع والرواية. ولي قضاء مكة لزياد بن عبيد الله. وكان يفتي بالمدينة، ثم كتب إليه، فقدم به بغداد، فولي قضاء موسى بن المهدي وهو يومئذ ولي عهد. ثم مات ببغداد سنة اثنتين وستين ومائة في خلافة المهدي وهو ابن ستين سنة. فلما مات ابن أبي سبرة بعث إلى أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، فاستقضي مكانه، فلم يزل قاضيا مع موسى وهو ولي عهد، وخرج معه إلى جرجان. قال أبو بكر بن أبي سبرة: قال لي ابن جريج: اكتب لي أحاديث من أحاديثك جيادا. قال: فكتبت له ألف حديث، ودفعتها إليه، ما قرأها علي، ولا قرأتها عليه. قال محمد بن عمر: ثم رأيت ابن جريج قد أدخل في كتبه أحاديث كثيرة من حديثه يقول: حدثني أبو بكر بن عبد الله، وحدثني أبو بكر بن عبد الله يعني ابن أبي سبرة وكان كثير الحديث ليس بحجة. قال الخطيب: وأبو سبرة صحابي شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا. وأبو بكر من أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أخو محمد بن عبد الله بن أبي سبرة الذي تولى قضاء المدينة من قبل زياد بن عبيد الله الحارثي. قدم بغداد، وولي القضاء بها، وبها كانت وفاته.

قال مالك: لما لقيت أبا جعفر قال لي: يا مالك، من بقي بالمدينة من المشيخة؟ قلت: ابن أبي ذئب، وابن أبي سلمة، وابن أبي سبرة. قال عبد الله بن الحارث المخزومي: كتب ابن جريج إلى ابن أبي سبرة، فكتب إليه بأحاديث من أحاديثه، وختم عليها.

قال يحيى بن معين: روى ابن جريج عن أبي بكر السبري، وكتبه منه إملاء. قال: وكان ابن أبي سبرة قدم العراق، فجعل يقول لمن أتاه: عندي سبعون ألف حديث، فإن أخذتم عني كما أخذ ابن جريج فخذوا. قال: وكان ابن جريج أخذ عنه مناولة. وقال يحيى القطان، ويحيى بن معين، وابن المديني، والبخاري، وأبو زرعة، والجوزجاني، والدارقطني، وغيرهم: ابن أبي سبرة ضعيف. قال أحمد بن حنبل: أبو بكر بن أبي سبرة كان يضع الحديث. قال لي حجاج: قال لي أبو بكر السبري: عندي سبعون ألف حديث في الحلال والحرام. قال أحمد: ليس بشيء، كان يضع الحديث، ويكذب. وقال: أبو بكر بن أبي سبرة لا يساوي حديثه شيئا. قال الواقدي: تروى عنه العجائب. قال يحيى بن معين: أبو بكر بن أبي سبرة الذي يقال له: السبري، هو مديني، كان ببغداد، وليس حديثه بشيء، قدم ها هنا فاجتمع الناس عليه، فقال: عندي سبعون ألف حديث، إن أخذتم كما أخذ ابن جريج يعني عرضا وإلا فلا. وقال ابن المديني والبخاري: أبو بكر بن أبي سبرة منكر الحديث زاد ابن المديني: هو عندي نحو ابن أبي يحيى. وقال النسائي: هو متروك الحديث. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم. وذكره يعقوب بن سفيان في باب من يرغب عن الرواية عنهم. ورأيت أصحابنا يضعفونهم. قال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ، وهو في جملة من يضع الحديث. ومات ببغداد سنة اثنتين وستين ومائة، وبلغ ستين سنة.

مراجع: الأعلام للزركلي/مختصر تاريخ دمشق/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) والرومي 0658

قال أبو العيناء: بلغني أن المنصور[1] جلس يوما فقال للربيع[2]: انظر من بالباب من وفود الملوك فادخله قال قلت وافد من قبل ملك الروم قال أدخله فدخل فبينا هو جالس عند أمير المؤمنين إذ سمع المنصور صرخة كادت تقلع القصر فقال يا ربيع ينظر ما هذا قال ثم سمع صرخة هي أشد من الأولى فقال يا ربيع ينظر ما هذا قال ثم سمع صرخة هي أشد من الأوليين فقال يا ربيع اخرج بنفسك قال فخرج الربيع ثم دخل فقال يا أمير المؤمنين بقرة قربت لتذبح فغلبت الجازر وخرجت تدور في الأسواق فاصغى الرومي إلى الربيع يتفهم ما قال ففطن المنصور لاصغاء الرومي فقال يا ربيع أفهمه قال فأفهمه فقال الرومي يا أمير المؤمنين انك بنيت بناء لم يبنه أحد كان قبلك وفيه ثلاثة عيوب قال وما هي قال أما أول عيب فيه فبعده عن الماء ولا بد للناس من الماء لشفاههم وأما العيب الثاني فان العين خضرة وتشتاق إلى الخضرة وليس في بنائك هذا بستان وأما العيب الثالث فان رعيتك معك في بنائك وإذا كانت الرعية مع الملك في بنائه فشا سره قال فتجلد عليه المنصور فقال له أما قولك في الماء فحسبنا من الماء ما بل شفاهنا وأما العيب الثاني فانا لم نخلق للهو واللعب وأما قولك في سري فمالي سر دون رعيتي قال ثم عرف الصواب فوجه بشميس وخلاد وخلاد هو جد أبي العيناء فقال مدا لي قناتين من دجلة واغرسوا لي العباسية وانقلوا الناس إلى الكرخ قال الشيخ أبو بكر مد المنصور قناة من نهر دجيل الآخذ من دجلة وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات وجرهما إلى مدينته في عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها وكانت كل قناة منهما تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب والأرباض وتجري صيفا وشتاء لا ينقطع ماؤها في وقت وجر لأهل الكرخ وما اتصل به نهرا يقال له نهر الدجاج وانما سمي بذلك لأن أصحاب الدجاج كانوا يقفون عنده ونهرا يقال له نهر القلائين حدثنا من أدركه جاريا يلتقي في دجلة تحت الفرضة ونهرا يسمى نهر طابق ونهرا يقال له نهر البزازين فسمعت من يذكر انه توضأ منه ونهرا في مسجد الأنباريين رأيته لا ماء فيه وقد تعطلت هذه الأنهار ودرس أكثرها حتى لا يوجد له أثر وأنهارا نذكرها بعد ان شاء الله تعالى .

■ (1) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور، عبد الله الأكبر. الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

■ (2) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان، مولا هم.الأمير الحاجب، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم ولي وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ، من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه إلى الغاية. ويقال: إن الربيع لم يكن يعرف له أب، فدخل هاشمي على المنصور وأخذ يذكره والد الربيع ويترحم عليه، فقال له الربيع: كم ذا تترحم عليه بحضرة أمير المؤمنين، فقال الهاشمي: يا ربيع أنت معذور لا تعرف مقدار الآباء، فخجل منه .

حدث أبو علي أحمد بن إسماعيل قال: لما صارت الخلافة إلى المنصور، هم بنقض ايوان المدائن، فاستشار جماعة من أصحابه، وكلهم أشار بمثل ما هم به، وكان معه كاتب من الفرس، فاستشاره في ذلك، فقال له: يا أمير المؤمنين، أنت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم، خرج من تلك القرية، يعني المدينة، وكان له بها مثل ذلك المنزل، ولأصحابه مثل تلك الحجر، فخرج أصحاب ذلك الرسول حتى جاؤوا مع ضعفهم إلى صاحب هذا الإيوان، مع عزته وصعوبة أمره، فغلبوه وأخذوه من يديه قسرا وقهرا، ثم قتلوه، فيجيء الجائي من أقاصي الأرض، فينظر إلى تلك المدينة والى هذا الإيوان، ويعلم أن صاحبها قهر صاحب هذا الإيوان، فلا يشك أنه بأمر الله تعالى، وأنه هو الذي أيده وكان معه ومع أصحابه، وفي تركه فخر لكم، فاستغشه المنصور واتهمه لقرابته من القوم، ثم بعث في نقض الإيوان، فنقض منه الشيء اليسير، ثم كتب إليه هو ذا يغرم في نقضه أكثر مما يسترجع منه، وأن هذا تلف الأموال وذهابها، فدعا الكاتب واستشاره فيما كتب به إليه، فقال: لقد كنت أشرت بشيء لم يقبل مني، فأما الآن فإني آنف لكم أن يكون أولئك بنوا بناء تعجزون أنتم عن هدمه، والصواب أن تبلغ به الماء، ففكر المنصور فعلم أنه قد صدق، ثم نظر فإذا هدمه يتلف الأموال، فأمر بالإمساك عنه.

قال عبد الرحمن بن صالح حدثنا يونس بن بكير قال قال أبو جعفر المنصور لعبد الله بن الربيع الحارثي إني وإياك لكمجير أم عامر قال يا أمير المؤمنين وما مجير أم عامر قال خرج قوم يطلبون الصيد فلم يجدوا إلا الضبع فألجأوها إلى خيمة أعرابي فأرادوها فنادى يا أهل آل بيت فلان فذهبوا وتركوها فأقبل يغذوها باللحم واللبن حتى أسمنها فخرج لحاجته وترك أخاه إلى جانب الخيمة مريضا فرجع فوجد الضبع قد ذهب ووجد أخاه مقطعا فأنشا يقول: ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر..أذم لها حين استجارت برحله لتأمن ألبان اللقاح الدرائر..وأسمنها حتى إذا ما تكاملت فرته بأنياب لها وأظافر..فقل لذوي المعروف هذا جزاء من أراد يد المعروف من غير شاكر. والبيت الأخير عن محمد بن عباد قال فسمعت أبا يحيى الحارثي يقول لعبد الرحمن بن صالح إنما قال هذا أبو جعفر لزياد بن عبيد الله الحارثي.

قال مصعب بن سلام حدثنا أبو حارثة صاحب بيت المال قال استعمل أبو جعفر المفضل بن بلال بن مالك الغنوي على باروسما فقدم حين فرغ من عمله فدخل عليه فقال أشركتك في أمانتي فخنتني ما مثلي ومثلك إلا مجير أم عامر قال يا أمير المؤمنين ما مجير أم عامر فأخبره القصة فقال المفضل لا والله يا أمير المؤمنين ما خنتك دينارا ولا درهما ولا أصبت إلا هذا المقلب (المثقال) قلت أتكارى به فأرجع إلى أهلي كما خرجت من عندك قال هلم نحن أحق به منك.

مراجع: الأعلام للزركلي/ تاريخ بغداد/ قضاء الحوائج - ابن أبي الدنيا/ اصطناع المعروف/

◆ أبو جعفر المنصور، عبد الله (الأكبر) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ثاني ملوك الدولة العباسية) ورجل جوهري 0659

قيل إن رجلا جوهريا من تجار المشرق قصد المنصور[1] من مدينة عدن بجوهر كثير وأحجار نفيسة، فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنه ودفع إلى التاجر الجوهري صرته، وكانت قطعة يمانية، فأخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شط النهر. فلما توسطها –واليوم قائظ وعرقه منصب– دعته نفسه إلى التبرد ي النهر، فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط، فمرت حدأة* فاختطفت الصرة تحسبها لحما، وصاعدت في الأفق ذاهبة، فقطعت الأفق التي تنظر إليه عين التاجر، فقامت قيامته، وعلم أنه لا يقدر أن يستدفع ذلك بحيلة، فأسر الحزن في نفسه، ولحقه لأجل ذلك علة اضطرب فيها. وحضر الدفع إلى التجار، فحضر الرجل لذلك بنفسه، فاستبان للمنصور ما بالرجل من المهانة والكآبة وفقد ما كان عنده من النشاط وشدة العارضة، فسأله المنصور عن شأنه، فأعلمه بقصته. فقال له: هلا أتيت إلينا بحدثان وقوع الأمر فكنا نستظهر على الحيلة، فهل هديت إلى الناحية التي أخذ الطائر إليها؟ قال: مر مشرقا على سمعت هذا الجبل الذي يلي قصرك –يعني الرملة– فدعا المنصور شرطيه الخاص به، فقال له: جئني بمشيخة أهل الرملة الساعة. فمضى وجاء بهم سريعا، فأمرهم بالبحث عن من غير حال الإقلال منهم سريعا، وانتقل عن الإضافة دون تدريج، فتناظروا في ذلك، ثم قالوا: يا مولانا، ما نعلم إلا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بأيديهم ويتناولون السبق بأقدامهم عجزا عن شراء دابة، فابتاع اليوم دابة، واكتسى هو وولده كسوة متوسطة، فأمر بإحضاره من الغد، وأمر التاجر بالغدو إلى الباب. فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور، فاستدناه والتاجر حاضر، وقال له: سبب ضاع منا وسقط إليك ما فعلت به؟ قال: هو ذا يا مولاي، وضرب بيده إلى حجزة سراويله فأخرج الصرة بعينها. فصاح التاجر طربا وكاد يطير فرحا، فقال له المنصور: صف لي حديثها، فقال: بينما أنا أعمل في جناني تحت نخلة إذ سقطت أمامي فأخذتها وراقني منظرها، فقلت: إن الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار، فاحترزت بها ودعتني فاقتي إلى أخذ عشرة مثاقيل عيونا كانت معها مصرورة، وقلت: أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها. فأعجب المنصور ما كان منه، وقال للتاجر: خذ صرتك وانظرها واصدقني عن عددها، ففعل، وقال: ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبتها له، فقال له المنصور: نحن أولى بذلك منك، ولا ننغص عليك فرحك، ولولا جمعه بين الإصرار والإقرار لكان ثوابه موفورا عليه، ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضا عن دنانيره، وللجنان بعشرة دنانير ثوابا لتأنيه عن فساد ما وقع بيده. و قال: لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لأوسعناه جزاء، قال: فأخذ التاجر في الثناء على المنصور وقد عاوده نشاطه: الدهر يعب ما يضر وينفع..والمرء فيما منه كان مصيره..فاحذر مفاجأة المنون فإنه..أين الذين تجمعوا وتحصنوا..وتعظموا وتحشموا وتجبروا..صاحت بهم نوب الزمان فأسرعوا..ألا احتموا عنه بعضب باتر..كانت منازلهم بهم مأنوسة..واستوطنوا الأجداث بعد قصورهم..ماذا أعدثوا في الجواب لمنكر..وجدوا الذي عملوا، فوجه أبيض..أبني كن متمسكا بنصيحتي..واحذر مجاورة الحسود فإنه..وعليك بالحق الجميل فإنه..وتجنب الدنيا وكن متعففا..وخذ الكتاب بقوة واعمل بها..واسلك سبيل رسوله في أمره..واعلم بأن الله ليس كمثله..حي قدير واحد متنزه..متكلم عدل جواد منعم..ذو العرش لا تخفى عليه سريرة..في الحشر يظهر للعباد بلطفه..العدل يحكم في القيامة بيننا..خير البرية بعده صديقه..وكذلك الفاروق أكرم صاحب..ومجهز الجيش العظيم، ومن ثوى..وحسيبه ونسيبه وصفيه..لهم المناقب والمواهب والعلا..وهم الذين بهم يفوز محبهم..والصبر أحمد ما إليه يرجع..حينا، وليس عن المنية مدفع..لا يلتجى منها ولا يستشفع..وتوثقوا وتجيشوا وتمنعوا..وتكبروا وتمولوا وترفعوا..وحدا بهم حادي البلى فتقطعوا..أو مانعوه بالذي قد جمعوا..فتفرقت أوصالهم وتضعضعوا..وسفت على الآثار ريح زعزع..أن غرهم فيه وماذا يصنع..بجميل طاعته ووجه أسفع..ما دمت حيا فالنصيحة تنفع..بخلاف ما في نفسه يتذرع..من كل شيء يقتنى لك أنفع..فالحر يرضى بالقليل ويقنع..أمر المهيمن فهو حق يتبع..تنجو به فهو الطريق المهيع..شيء، إليه مصيرنا والمرجع..صمد تذل له الرقاب وتخضع..بالقسط يعطي من يشاء ويمنع..منا ويعلم ما نقول ويسمع..كل يذل له وكل يضرع..ونبينا فينا إليه يشفع..هو في الخلافة سابق مستتبع..من بعده حبر جواد سلفع..مستسلما في الدار وهو يبضع..وحسامه ذاك البطين الأنزع..وهم الصواحب والنجوم الطلع..يوم المعاد وكل ذخر ينفع. والله أعلم، وصل الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

----

*(الحدأة) من الطيور الجارحة من الفصيلة البازية و تضم ثلاثة أسر وتعيش في المناطق الدافئة من العالم في المناطق الريفية وقرب مصادر المياه.

■ (1) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور، عبد الله الأكبر. الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

ومن دهاء المنصور أنه كان جالسا في بعض الليالي، وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر، فدعا بأحد الفرسان، وقال له: انهض الآن إلى فج طليارش وأقم فيه، فأول خاطر يخطر عليك سقه إلي. قال: فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والريح والمطر واقفا على فرسه، إذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له ومعه آلة الحطب، فقال له الفارس: إلى أين تريد يا شيخ؟ فقال: وراء حطب. فقال الفارس في نفسه: هذا شيخ مسكين نهض إلى الجبل يسوق حطبا، فما عسى أن يريد المنصور منه؟ قال: فتركته فسار عني قليلا، ثم فكرت في قول المنصور، وخفت سطوته، فنهضت إلى الشيخ، وقلت له: ارجع إلى مولانا المنصور. فقال: وما عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي، سألتك بالله أن تتركني لطلب معيشتي؟ فقال له الفارس: لا أفعل، ثم قدم به على المنصور ومثله بين يديه، وهو جالس لم ينم ليلته تلك. فقال المنصور للصقالبة: فتشوه، ففتش فلم يوجد عنده شيء، فقال: فتشوا برذعة حماره، فوجدوا داخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزوعوا إلى المنصور يخدمون عنده إلى أصحابهم من النصارى، ليقبلوا ويضروا في إحدى النواحي المعلومة، فلما انبلج الصبح، أمر بإخراج أولئك النصارى إلى باب الزاهرة، فضربت أعناقهم، وضربت رقبة الشيخ معهم.

وذكروا أن أحد التجار قدم إلى العراق من خراسان فتأهب للحج وبقي معه ألف دينار لا يحتاج إليها. فقال: إن حملتها خاطرت بها وإن أودعتها خفت جحد المودع. فمضى إلى الصحراء فرأى شجرة خروع فحفر تحتها ودفنها، ثم خرج إلى الحج وعاد فحفر المكان فلم يجد شيئا. فجعل يبكي، فإذا سئل عن حاله؟ قال: الأرض سرقت مالي، فقيل له: لو قصدت عضد الدولة، فإن له فطنة فقصده فأخبره بقصته، فجمع الأطباء، وقال: هل تداوي عندكم في هذه السنة بعروق الخروع أحد؟ فقال أحدهم: أنا داويت فلانا وهو من خواصك، فقال: علي به، فجاء. فقال له: هل تداويت هذه السنة بعروق الخروع، قال: نعم. قال: من جاءك به؟ قال: فلان الفراش، قال: علي به، فلما جاء، قال له: من أين أخذت عروق الخروع؟ فقال: من المكان الفلاني. فقال: اذهب بهذا معك فأره المكان الذي أخذ منه، فذهب بصاحب المال إلى تلك الشجرة، وقال: من هذه الشجرة أخذت. فقال: هاهنا والله تركت مالي فرجع إلى عضد الدولة، فأخبره، فقال للفراش: هلم المال فتلكأ فأوعده، فأحضر المال. والله أعلم، وصل الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

جاء يوما بعض خدم الخليفة المعتضد إلى مجلس القضاء مع خصم له فترفع في المجلس على خصمه، فأمره حاجب القاضي يوسف بن يعقوب أن يساوي خصمه فامتنع إدلالا بجاهه عند الخليفة فزجره القاضي، وقال: ائتوني بالدلال النخاس حتى أبيع هذا العبد وأبعث بثمنه إلى الخليفة. وجاء صاحب القاضي فأخذ بيده وأجلسه مع خصمه، فلما انقضت القضية رجع الخادم إلى المعتضد فبكى بين يديه، فقال له: مالك؟ فأخبره بالخبر وما أراد القاضي من بيعه. فقال: والله لو باعك لأجزت بيعه ولما استرجعتك أبدا، فليس خصوصيتك عندي تزيل مرتبة الشرع، فإنه عمود السلطان وقوام الأديان.

مراجع: إيقاظ أولي الهمم العالية/ الأعلام للزركلي/

دخل عمارة بن حمزة [1] على المنصور [2] فقعد في مجلسه، وقام رجل فقال: مظلوم يا أمير المؤمنين، قال: من ظلمك؟ قال: عمارة غصبني ضيعتي، فقال المنصور: يا عمارة قم فاقعد مع خصمك، فقال: ما هو لي بخصيم؛ إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها، وإن كانت لي فهي له، ولا أقوم من مجلس قد شرفني أمير المؤمنين بالرفعة إليه لأقعد في ادنى منه بسبب ضيعة.

وحكى عن عمارة بن حمزة أنه قال: انصرفت يوما من دار أبي جعفر المنصور بعد أن بايع للمهدي [3] بالعهد إلى منزلي، فلما صرت إليه صار إلي المهدي فقال: قد بلغني أن أمير المؤمنين قد عزم على أن يبايع لأخي جعفر بالعهد بعدي، وأعطي الله عهدا لئن فعل لأقتلنه. قال: فمضيت من فوري إلى أمير المؤمنين، فلما دخلت إليه قال: هيه يا عمارة، ما جاء بك؟ قلت: أمر حدث، أنا ذاكره، قال: فأنا أخبرك به قبل أن تخبرني، جاءك المهدي فقال لك: كيت وكيت، قلت: والله يا أمير المؤمنين لكأنك كنت ثالثنا، قال: قل له: نحن أشفق عليه من أن نعرضه لك يا أبا عبد الله.

■ (1) عمارة بن حمزة بن ميمون، من ولد عكرمة مولى ابن عباس: كاتب، من الولاة الاجواد الشعراء الصدور. كان المنصور والمهدي العباسيان يرفعان قدره. وكان أعور ومن الدهاة وجمع له بين ولاية البصرة وفارس والاهواز واليمامة والبحرين. له في الكرم أخبار عجيبة. وفيه تيه شديد يضرب به المثل أتيه من عمارة !. وله تصانيف، منها: ديوان رسائل والرسالة الماهانية ورسالة الخميس. توفي سنة 199 هـ وقيل في حدود 180.

■ (3) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

■ (2) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور، عبد الله الأكبر. الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

كان أبو العباس [1] يعرف عمارة بالكبر وعلو القدر وشدة التنزه، فجرى بينه وبين أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومية [2] كلام فاخرته فيه بأهلها، فقال لها أبو العباس: أنا أحضرك الساعة على غير أهبة مولى من موالي، ليس في أهلك مثله ثم أمر بإحضار عمارة على الحال التي يكون عليها، فأتاه الرسول في الحضور فاجتهد في تغيير زيه، فلم يدعه، فجاء به إلى أبي العباس، وأم سلمة خلف الستر، وإذا عمارة في ثياب ممسكة قد لطخ لحيته بالغالية، حتى قامت واستتر شعره، فقال: يا أمير المؤمنين ما كنت احب أن تراني على مثل هذه الحال، فرمى إليه بمدهن كان بين يديه فيه غالية، فقال: يا أمير المؤمنين، أترى لها في لحيتي موضعا؟ فأخرجت إليه أم سلمة عقدا وكان له قيمة جليلة، وقالت للخادم: أعلمه أنني أهديته إليه فأخذه بيده، وشكر أبا العباس ووضعه بين يديه ونهض، فقالت أم سلمة لأبي العباس: إنما أنسيه، فقال أبو العباس للخادم: ألحقه به وقل له: هذا لك، فلم خلفته؟ فاتبعه الخادم فلما وصل إليه قال له: ما هو لي، فارده، فلما أدى الرسالة قال له: إن كنت صادقا فهو لك، وانصرف الخادم بالعقد، وعرف أبا العباس ما جرى، وامتنع من رده على أم سلمة وقال: قد وهبه لي فاشتريه بعشرين ألف دينار.

بعث أبو أيوب المكي بعض ولده إلى عمارة، فأدخله الحاجب، قال: وأدناني إلى ستر مسبل، فقال: ادخل، فدخلت، فإذا هو مضطجع، محول وجهه إلى الحائط، فقال الحاجب: سلم، فسلمت، فلم يرد علي، فقال الحاجب: اذكر حاجتك، فقلت: جعلني الله فداءك، أخوك أبو أيوب يقرئك السلام، ويذكر دينا بهضه وفتر وجهه، ويقول لك: لولاه لكنت مكان رسولي، تسأل أمير المؤمنين قضاءه عني. فقال: وكم دين أبيك؟ فقلت: ثلاث مائة ألف درهم، فقال: أوفي مثل هذا أكلم أمير المؤمنين؟ يا غلام، احملها معه؛ ولم يلتفت إلي، ولم يكلمني بغير هذا.

قال الفضل بن الربيع [2]: كان أبي يأمرني بملازمة عمارة بن حمزة، فاعتل عمارة –وكان المهدي [3] سيئ الرأي فيه– فقال أبي يوما: يا أمير المؤمنين، مولاك عمارة بن حمزة عليل، وقد أفضى إلى بيع فرشه وكسوته؛ فقال: غفلنا عنه، وما كنت أظن حاله بلغت إلى هذا، احمل إليه خمس مائة ألف درهم، وأعلمه أن له عندي بعدها ما يحب. قال: فحملها أبي إليه من ساعته، وقال لي: اذهب بها إلى عمك عمارة. فقال: فأتيته، ووجهه إلى الحائط، فسلمت، فقال: من أنت؟ قلت: ابن أخيك الفضل بن الربيع، فقال: مرحبا بك، فقلت له: أخوك يقرئك السلام، ويقول لك: أذكرت أمير المؤمنين أمرك، فاعتذر من غفلته عنك، وأمر لك بهذا المال؛ فقال لي: قد كان طال لزومك لنا، وكنا نحب أن نكافئك على ذلك، ولم يمكنا قبل هذا الوقت، انصرف بالمال فهو لك، قال: فهبته أن أرد عليه، فتركت البغال على بابه، وانصرفت إلى أبي، وأعلمته الخبر؛ قال: يا بني، خذها، بارك الله لك فيها، فليس عمارة ممن يراجع.

■ (2) أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية امرأة حازمة كانت تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ثم خلف عليها مسلمة ابن هشام بن عبد الملك ثم تزوجها أبو العباس السفاح ثم تزوجت من بعده عمّه إسماعيل بن علي بن عبد الله العباسي.

■ (1) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، السفاح، يكنى أبا العباس ويقال له أيضا المرتضى والقائم.وعبد الله الأصغر بن محمد. ولد بالشراة، سنة 105 هـ، وهو أول ملوك بني العباس بويع بالكوفة، وكان أصغر سنا من أخيه أبي جعفر. بويع السفاح، ليلة الجمعة13 ربيع الآخر من سنة 132 هـ، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء11 ربيع الآخر سنة 132 هـ، وقيل: في النصف من شهر جمادي الآخرة من هذه السنة، وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية، وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة، فخطب على المنبر قائما، وكانت بنو أمية تخطب قعودا، فضج الناس وقالوا: أحييت السنة يا ابن عم رسول الله، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما، ومات بالجدري بالأنبار في مدينته التي بناها، وذلك في يوم الأحد12 ذي الحجة سنة 136 هـ وصلى عليه عيسى بن علي، ودفن بالأنبار، وهو ابن 33 سنة، وقيل: ابن 29 سنة، وكانت امه تحت عبد الملك بن مروان، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح، وعبيد الله، وداود، وميمونة.

■ (2) أبو العباس، الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة واسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، وجاء ذكر أبيه في شيء من أخباره مع أبي جعفر، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم، فكان في نفسه منهم إحن وشحناء، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب: من أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان

■ (3) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

مراجع: الوافي بالوفيات/ الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/ معجم الأدباء/ تاريخ بغداد/ لسان العرب/ نثر الدر/ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب/

◆ جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي (ابن عمه أبو جعفر عبد الله المنصور، ثاني ملوك الدولة العباسية) والإمام مالك0661

في ابتداء خلافة أبي جعفر المنصور حصلت فتنة في المدينة، فبعث إليها ابن عمه جعفر بن سليمان[1] ليسكن هيجتها ويجدِّد بيعة أهلها، فقدمها، وهو عازم على أخذ المخالفين بالشدة، وكان الإمام مالك بن أنس[2] قد بلغ من العلم والوجاهة والنُّبل ما أثار حفيظة ذوي الحسد وسعيهم للنيل منه. فدسُّوا إلى جعفر بن سليمان مَن قال له: إن مالكًا[2] يفتي الناس بأن أيمان البيعة لا تحل ولا تلزمهم؛ لمخالفتك واستكراهك إياهم عليها، وزعموا أنه يفتي بذلك أهل المدينة أجمعين؛ لحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ﴾ فعظُم ذلك على جعفر واشتدَّ عليه، وخاف أن ينحل عليه ما أبرم من بيعة أهل المدينة، فأراد أن يبطش به، فحذَّره بعض الناس من ذلك؛ نظرًا لمنزلة مالك عند أمير المؤمنين وكرامته عنده، فدسَّ إليه جعفر بعض مَن لم يكن مالك يخشى أن يؤتَى من قِبَلِه، فسأله عن الأيمان في البيعة فأفتاه مالك بذلك، فلم يشعر مالك إلا ورسول جعفر بن سليمان قد جاءه لإحضاره لدى جعفر فأتوا به إليه بعد إهانته، فأمر به فضُرِب سبعين سوطًا سببت له آلامًا بليغة، حتى صار لا يقوى على رفع يديه في الصلاة ويسدِلها، ولما علم أبو جعفر بذلك أبدى استنكاره وعزل جعفر بن سليمان، وأمر أن يؤتَى به إلى بغداد على قتب، وولى مكانه رجلاً من قريش من بني مخزوم فيه عقل ودين وحزم وذكاء. وكتب أبو جعفر إلى مالك بن أنس ليقدم عليه في بغداد فاعتذر مالك من ذلك، فكتب إليه أبو جعفر أن وافني بالموسم القابل إن شاء الله فإني خارج إلى الموسم.

في سنة ثلاث وستين ومائة التقى مالكٌ بأبي جعفر فأكرمه إكرامًا شديدًا وأجلسه إلى جانبه ملاصقًا له، واعتذر له عمَّا فعل به جعفر بن سليمان، وأقسم بالله أنه لم يأمر بذلك ولا رضيه، وأنه منذ أن بلغه ما صنعه جعفر عزله وأهانه، وسيعاقبه أضعاف ما نال مالكًا منه وقال أبو جعفر لمالك: يا أبا عبد الله لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم، ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمة. وقال مالك: إنه قد عفا عن جعفر؛ لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أمير المؤمنين. فقال أبو جعفر: وأنت فعفا الله عنك ووصلك، وطلب منه أن يكتب كتابًا يدوِّن فيه العلم قصدًا بين شدائد عبد الله بن عمر ورخص ابن عباس، وليتحرَّ ما اجتمع عليه الأئمة والصحابة؛ ليحمل الناس عليها ويبثها في الأمصار، وتحدَّثا طويلاً ثم استأذن مالك في الانصراف فأمر له المنصور بألف دينار عينًا ذهبًا وكسوة عظيمة، وأمر لابن الإمام مالك بألف دينار. لكن مالك رفض عرض الخليفة إلزام الناس بالموطأ. قال مالك بن أنس: لما حج أبو جعفر المنصور دعاني فدخلت عليه فحدثته، وسألني فأجبته.فقال: إني قد عزمت أن آمر بكتبك هذه التي وضعتها يعني: الموطأ فتنسخ نسخًا، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة، وآمُرهم أن يعملوا بما فيها لا يتعدوها إلى غيرها، ويدعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدَث، فإني رأيت أصل هذا العمل رواية أهل المدينة وعلمهم. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل؛ فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخَذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به ودانوا به، من اختلاف الناس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنَّ ردَّهم عمَّا اعتقدوه شديد، فدعِ الناس وما هم عليه وما اختار كل بلد لأنفسهم. فقال: لعمري لو طاوعني على ذلك لأمرت به.

قيل امتحن مالك سنة 147 وضرب بالسياط، واختلف الناس في سبب ذلك فقيل: أنه أفتى بعدم وقوع طلاق المكره، وقد كانوا يكرهون الناس على الحلف بالطلاق عند البيعة، فرأوا أن فتوى مالك تجعل الناس في حل من نقض البيعة، قيل: إن ابن القاسم سأل مالكا عن البغاة يجوز قتالهم. فقال: إن خرجوا على مثل عمر بن عبد العزيز. قال: فإن لم يكن مثه. فقال: دعهم ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم من كليهما. فكانت هذه الفتوى سبب محنته، فضربه عامل المنصور بالمدينة سبعين سوطا، ولما بلغ ذلك المنصور غضب على عامله وعزله، ثم لقي المنصور مالكا من قابل في موسم الحج، فاعتذر إليه، وفاتحه في كثير من مسائل الدين، وطلب إليه أن يجمع ما ثبت لديه من الأحاديث، والآثار ويدونها في كتاب يوطئه للناس، فاعتذر الإمام عن ذلك فلم يقبل المنصور عذره، فألف كتاب الموطأ، ولما جاء المهدي حاجا بعد ذلك سمعه منه، ولم يزل مالك محل احترام الخلفاء، وإجلالهم وتقدير العلماء وتعظيمهم، وقد سمع منه الرشيد وأولاده الموطأ في موسم الحج. وقال له الرشيد: أردت أن أعلق كتابك هذا في الكعبة، وأفرقه في الأمصار، وأحمل الناس عليه. فقال له مالك: لا تفعل، فإن الصحابة تفرقوا في الآفاق، ورووا أحاديث غير أحاديث أهل الحجاز، وأخذ الناس بها، فاتركهم وما هم عليه فقال له الرشيد: جزاك الله خيرا يا أبا عبد الله. وكان مالك كثير التواضع، جم الحياء عظيم الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إنه كان لا يركب دابة في المدينة، إجلالا لأرض ضمت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

■ (2) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات.

■ (1) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو القاسم، ابن عم المنصور. ولي المدينة، ثم مكة معها، ثم عزل، فولي البصرة للرشيد. قال عبد السميع بن علي: لا نعرف في بني هاشم أغبط منه، حصل له الشرف والإمرة والمال الجم، والأولاد الزهر، والعبيد.توفي سنة 174 هـ.

☪

قد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على أن الولاية العامة لا تكون إلا بشورى ورضى من الأمة وهذا ما كانت به الولاية لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين. والإمامة لا تتم إلا بالبيعة، وهي عقد من العقود، وقاعدة الشريعة الإسلامية في العقود هي ضرورة رضى المتعاقدين، وهي من جنس الوكالة. فالحاكم وكيل عن الأمة في تطبيق أحكام الإسلام، ولهم خلعه إذا خالف مقتضى العقد بالكفر أو الظلم.

عن الحسن بن أبي الحسن قال:لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه، جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ما ترون، وإني لأظنني إلا المأتي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدي، ورد عليكم أمركم، فأمروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمرتم عليكم في حياة مني كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي، فقاموا في ذلك وحلوا عليه، ولم يستقم لهم فقالوا: أرأى لنا يا خليفة رسول الله، قال: فلعلكم تختلفون؟، قالوا: لا، قال: فعليكم عهد الله على الرضي، قالوا: نعم، قال: فأمهلوني أنظر لله ولدينه ولعباده، فأرسل أبو بكر إلى عثمان بن عفان قال: أشر علي برجل، والله إنك عندي لها لأهل وموضع، قال:عمر، فقال:اكتب، وكتب حتى انتهى إلى الاسم فغشي عليه ثم أفاق، فقال: اكتب عمر. وعن الواقدي عن أشياخه: أن أبا بكر لما اشتد به المرض دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال:أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإن، فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان فقال: أخبرني عن عمر، فقال: أنت أخبرنا به، قال: على ذلك يا أبا عبد الله، فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله. فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عدوتك. وشاور معهما سعيد بن زيد، وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وسمعه بعضهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا على أبي بكر، فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلاف عمر علينا وقد ترى غلظته؟، فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تخوفوني! خاب من تزود من أمركم بظلم أقول: اللهم، استخلفت عليهم خير أهلك، أبلغ عني ما قلت من ورائك، ثم اضطجع. وعن أم المؤمنين عائشة قالت: كتب أبي وصيته سطرين:﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَة، عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الدُّنْيَا، حِينَ يُؤْمِنُ الْكَافِرُ، وَيَنْتَهِي الْفَاجِرُ، ويَصدُق الْكَاذِبُ: إِنِّي اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عُمَر بْنَ الْخَطَّابِ، فَإِنْ يَعْدِلْ فَذَاكَ ظَنِّي بِهِ، وَرَجَائِي فِيهِ، وَإِنْ يَجُرْ وَيُبَدِّلْ فَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء]

عن ابن عمر، قال: ﴿حَضَرْتُ أَبِي حِينَ أُصِيبَ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، وَقَالُوا: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَقَالَ: رَاغِبٌ وَرَاهِبٌ، قَالُوا: اسْتَخْلِفْ، فَقَالَ: أَتَحَمَّلُ أَمْرَكُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا، لَوَدِدْتُ أَنَّ حَظِّي مِنْهَا الْكَفَافُ، لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، فَإِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي - يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ - وَإِنْ أَتْرُكْكُمْ فَقَدْ تَرَكَكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حِينَ ذَكَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ﴾ وفي رواية قيل له: فلو أنك عهدت إلى عبد الله، فإنه لها أهل في دينه وفضله وقديم إسلامه؟. قال: بحسب آل الخطاب أن يحاسب منهم رجل واحد عن أمة محمد ولوددت أني نجوت من هذا الأمر كفافا لا لي ولا علي. (راغب وراهب) أي راج وخائف ومعناه الناس صنفان أحدهما يرجو والثاني يخاف أي راغب في حصول شيء مما عندي أو راهب مني وقيل راغب في الخلافة فلا أحب تقديمه لرغبته وراهب لها فأخشى عجزه عنها (فإن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني) حاصله أن المسلمين أجمعوا على أن الخليفة إذا حضرته مقدمات الموت وقبل ذلك يجوز له الاستخلاف ويجوز له تركه فإن تركه فقد اقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا وإلا فقد اقتدى بأبي بكر رضي الله عنه وأجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان إذا لم يستخلف الخليفة وأجمعوا على جواز جعل الخليفة الأمر شورى بين جماعة كما فعل عمر بالستة وفي هذا الحديث دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص على خليفة وهو إجماع أهل السنة وغيرهم، قال القاضي: وخالف في ذلك بكر ابن أخت عبد الواحد فزعم أنه نص على أبي بكر، وقال ابن الراوندي: نص على العباس، وقالت الشيعة والرافضة: على علي، وهذه دعاوي باطلة وجسارة على الافتراء ووقاحة في مكابرة الحس وذلك لأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على اختيار أبي بكر وعلى تنفيذ عهده إلى عمر وعلى تنفيذ عهد عمر بالشورى ولم يخالف في شيء من هذا أحد ولم يدع علي ولا العباس ولا أبو بكر وصية في وقت من الأوقات وقد اتفق علي والعباس على جميع هذا من غير ضرورة مانعة من ذكر وصية لو كانت فمن زعم أنه كان لأحد منهم وصية فقد نسب الأمة إلى اجتماعها على الخطأ واستمرارها عليه وكيف تحل لأحد من أهل القبلة أن ينسب الصحابة إلى المواطأة على الباطل في كل هذه الأحوال ولو كان شيء لنقل فإنه من الأمور المهمة. عن ابن عمر، قال: ﴿دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقَالَتْ: أَعَلِمْتَ أَنَّ أَبَاكَ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِيَفْعَلَ، قَالَتْ: إِنَّهُ فَاعِلٌ، قَالَ: فَحَلَفْتُ أَنِّي أُكَلِّمُهُ فِي ذَلِكَ، فَسَكَتُّ حَتَّى غَدَوْتُ وَلَمْ أُكَلِّمْهُ، قَالَ: فَكُنْتُ كَأَنَّمَا أَحْمِلُ بِيَمِينِي جَبَلًا حَتَّى رَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْ حَالِ النَّاسِ وَأَنَا أُخْبِرُهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ مَقَالَةً، فَآلَيْتُ أَنْ أَقُولَهَا لَكَ، زَعَمُوا أَنَّكَ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ، وَإِنَّهُ لَوْ كَانَ لَكَ رَاعِي إِبِلٍ، أَوْ رَاعِي غَنَمٍ، ثُمَّ جَاءَكَ وَتَرَكَهَا رَأَيْتَ أَنْ قَدْ ضَيَّعَ فَرِعَايَةُ النَّاسِ أَشَدُّ، قَالَ: فَوَافَقَهُ قَوْلِي، فَوَضَعَ رَأْسَهُ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحْفَظُ دِينَهُ، وَإِنِّي لَئِنْ لَا أَسْتَخْلِفْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْتَخْلِفْ، وَإِنْ أَسْتَخْلِفْ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدِ اسْتَخْلَفَ، قَالَ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ذَكَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَعْدِلَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا، وَأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَخْلِفٍ﴾ (آليت) حلفت. مات عمر رضي الله عنه وترك الأمر شورى بين ستة من الصحابة هم علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، يختاروا رجلا منهم.

- قلت: العرب اليوم تحت سطوة حفنة من ديدان الملوك والعسكر (كلاب الحراسة وكلاء الغرب) بالنار والحديد تملك البلاد والعباد وتحتكر كل شيء، فسادها يمتد من دويلة المغرب؛ مملكة الحشيش وتجارة البغاء (صنيعة فرنسا) إلى دويلة البحرين؛ مملكة الكازينوهات والخمور(صنيعة بريطانيا) مرورا ببقية الوكالات الشرطية الغربية في المنطقة.هؤلاء الوكلاء المرضي بعد أن أفسدوا حياة الملايين وزرعوا اليأس في حياة الشباب اتخذوهم خولا في الجندية ثم لم يكتفوا بسرقة ثروات الأمة فأقطعوها الأعداء تريليونات محجوزة أومصادرة في بنوك الصهاينة.

مراجع: الحديث والمحدثون/ صحيح مسلم/ مواقف الصحابة/ البداية والنهاية/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/

◆ جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي (ابن عمه أبو جعفر عبد الله المنصور، ثاني ملوك الدولة العباسية) والفقيه الصالح 0662

قال الأصمعي: ركب جعفر بن سليمان[1] أمير البصرة في زي عجيب من اللباس والغلمان والدواب والصقور والفهود، وكان عندنا رجل بالبصرة يتفقه، وكان في حداثة سنه يجالس العباد، فغلب على عقله، فخرج في طريق جعفر فلما أبصره وقف وقال: يا جعفر بن سليمان ! أنظر أي رجل تكون إذا خرجت من قبرك وحدك، وحملت على الصراط وحدك، وقدم إليك كتابك وحدك، وهذا الجمع والزي لا يساوي غدا حبة ولا يغنون عنك من الله شيئا، يا جعفر إنك تموت وحدك. وتقف بين يدي الله وحدك، وتدخل قبرك وحدك، ويحاسبك الله وحدك، فانظر لنفسك، قد نصحت لك. فرجع جعفر من نزهة تلك، وسأل عن الرجل فقيل له مغلوب على أمره.

■ (1) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو القاسم، ابن عم المنصور. ولي المدينة، ثم مكة معها، ثم عزل، فولي البصرة للرشيد. قال عبد السميع بن علي: لا نعرف في بني هاشم أغبط منه، حصل له الشرف والإمرة والمال الجم، والأولاد الزهر، والعبيد.توفي سنة 174 هـ.

ذكر أعرابي السلطان الجائر فقال: ﴿وَاللهِ لَئِنْ عَزَوْا فِي الدُّنْيَا بِالْجَوْرِ لَقَدْ ذَلُّوا فِي الآخِرَةِ بِالعَدْلِ وَبِقَلِيلٍ فَإِنَّ رَضُوا مِنْ كَثِيرٍ بَاقٍ وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّدَمُ حَيْثُ لَا يُنْفَعُ النَّدَمُ﴾ وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال في بعض خطبه: ﴿إِنَّ الْمُلْكَ إِذَا مَلَكَ زهدَهُ اللهَ فِي مُلكه وَرَغبه فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَأَشْرَب قَلْبَهُ الإِشْفَاق فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى القَلِيلِ وَيُسْخطُ عَلَى الكَثِيرِ جَدَّلَ الظَّاهِرُ حَزِينٌ البَاطِنِ فَإِذَا وَجَبَتْ نَفْسُهُ وَنَضَبَ عُمْرُهُ وَضَحَا ظِلُّهُ حَاسَبَهُ اللهُ فَأَشَد حِسَابِه وَأَقَلَّ عَفْوَهُ﴾ وعن سعيد بن أبي هلال، قال: ﴿بَلَغَنَا أَنَّ الصِّرَاطَ يَكُونُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ أَدَقَّ مِنَ الشَّعْرِ، وَعَلَى بَعْضِ النَّاسِ مِثْلَ الْوَادِي الْوَاسِعِ﴾ وعن عبد الصمد بن معقل عن وهب قال: وجدت في زبور داود: يا داود هل تدري من أسرع الناس مرا على الصراط؟ الذين يرضون بحكمي، وألسنتهم رطبة بذكري. وعن أم المؤمنين عائشة، قالت:سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ [إبراهيم] فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: عَلَى الصِّرَاطِ﴾ عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أخبرني جبرئيل، أن لا اله إلا الله انس للمسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره، يا محمد، لو تراهم حين يقومون من قبورهم ينفضون رؤوسهم- هذا يقول: لا اله إلا الله والحمد لله، فيبيض وجهه- وهذا ينادى: يحسرتى على ما فرطت في جنب الله، مسودة وجوههم. وعن ابن عباس وابن عمر قالا : من أراد الله به خيرا أبقى في قلبه لا إله إلا الله. وعن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ﴾ وعن ابن عباس، سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وهو يقول: ﴿إِنَّكُمْ مُلَاقُو اللهَّ مُشَاةً حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا﴾ (الغرل) جمع أغرل وهو الذي لم يختتن. وعن أم سلمة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿يُحْشَرُ النَّاسُ عُرَاةً حُفَاةً فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاسَوْءَتَاهُ يَنْظُرُ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: شُغِلَ النَّاسُ، قُلْتُ: مَا شَغَلَهُمْ ؟ قَالَ: نَشْرُ الصُّحُفِ، فِيهَا مَثَاقِيلُ الذَّرِّ، وَمَثَاقِيلُ الْخَرْدَلِ﴾ وعن القاسم، قال: قالت أم المؤمنين عائشة: قلت: ﴿كَيْفَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: عُرَاةً حُفَاةً قُلْتُ: وَالنِّسَاءُ؟ قَالَ: وَالنِّسَاءُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ فَمَا يُسْتَحْيَا؟ قَالَ: الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ وعن ابن عباس، قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال: ﴿إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللهَّ حُفَاةً عُرْلًا: كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ [الأنبياء] فَأَوَّلُ الْخَلَائِقِ يُلْقَى بِثَوْبٍ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ قَالَ: ثُمَّ يُؤْخَذُ قَوْمٌ مِنْكُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا. إلى قوله: الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [المائدة]﴾ وعن سودة بنت زمعة قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يُبْعَثُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعِرْقُ وَبَلَغَ شُحُومَ الآذَانِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، يَنْظُرُ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: شُغِلَ النَاسُ عَنْ ذَلِكَ﴾ وتلا: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس] (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أي لك إنسان يوم القيامة شأن يشغله عن الأقرباء ويصرفه عنهم، وقيل إنما يفر عنهم حذرا من مطالبتهم إياه بما بينهم، وقيل يفر عنهم لئلا يروا ما هو فيه من الشدة، وقيل لعلمه أنهم لا ينفعونه ولا يغنوه عنه شيئا، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [الدخان] والجملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب الفرار، قال ابن قتيبة: يغنيه: أي يصرفه عن قرابته ومنه يقال: أغن عني وجهك: أي اصرفه، قرأ الجمهور (يغنيه) بالغين المعجمة وقرأ ابن محيصن بالعين المهملة مع فتح الياء: أي يهمه من عناه الأمر إذا أهمه.

عن ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر: ﴿يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَالْقَبْرَ أَمْنُهُ، وَالْجَنَّةَ مَصِيرُهُ. يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّ الدُّنْيَا جَنَّةُ الْكَافِرِ، وَالْقَبْرَ عَذَابُهُ، وَالنَّارَ مَصِيرُهُ﴾ وعن عبد الله بن عمرو، قال: ﴿الدُّنْيَا جَنَّةُ الْكَافِرِ وَسِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ حِينَ تَخْرُجُ نَفْسُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَ فِي سِجْنٍ فَأُخْرِجَ، فَجَعَلَ يَتَقَلَّبُ فِي الْأَرْضِ وَيَتَفَسَّحُ فِيهَا﴾ وروي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة فإذا هو بقبر قال: قبر من هذا؟ قالوا: قبر خباب بن الأرت. فوقف عليه وقال: رحم الله خباباً أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتلي في جسمه آخراً، ألا ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً. ثم مضى فإذا قبور فجاء حتى وقف عليها فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، أنتم لنا سلف ونحن تبع وبكم عما قليل لا حقون. اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم. طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب، وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى. ثم قال: يا أهل القبور، أما الأزواج فقد نكحت، وأما الديار فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما إنهم لو تكلموا لقالوا: وجدنا خير الزاد التقوى.

يقول عمر: لو نودي يوم القيامة: كل الناس يدخلون الجنة إلا واحدا، لخشيت أن أكون أنا هو. وكان أبو بكر يقول: لو كانت إحدى قدمي في الجنة والأخرى خارج الجنة ما أمنت مكر الله عز وجل. وكان هرم بن حيان يخرج في شطر الليل، فينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة، كيف ينام طالبها، وعجبت من النار كيف ينام هاربها، ثم يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِّ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِّ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف] يقول جعفر الصادق: تأخير التوبة اغترار وطول التسويف حيرة والاعتلال على الله هلكة والإصرار على الذنب من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

مراجع: سراج الملوك/ الأولياء لابن أبي الدنيا/ صحيح مسلم / التفسير المظهري/ سير أعلام النبلاء/ كنز العمال/ مختصر تاريخ دمشق/

◆ جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي (ابن عمه أبو جعفر عبد الله المنصور، ثاني ملوك الدولة العباسية) وأسلم مولى عمر 0663

روى زيد بن أسلم[1] عن أبيه[2] قال: قلت لجعفر بن سليمان، والي المدينة: أحذر أن يأتي رجل غداً ليس له في الإسلام نسب ولا أب ولا جد، فيكون أولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك، كما كانت امرأة فرعون أولى بنوح ولوط من زوجتيهما، وكما كانت زوجة لوط أولى بفرعون من زوجته، من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه.

■ (2) أسلم، القرشي، العدوي، العمري، المدني، أبو زيد، ويقال: أبو خالد، مولى عمر بن الخطاب. قيل هو من سبي عين التمر. وقيل هو يماني. وقيل حبشي اشتراه عمر بمكة إذ حج بالناس في العام الذي يلي حجة الوداع زمن الصديق. قال الواقدي: سمعت أسامة بن زيد بن أسلم يقول نحن قوم من الأشعريين ولكنا لا ننكر منة عمر . حدث عن أبي بكر، وعمر وعثمان ومعاذ وأبي عبيدة بن الجراح وكعب الأحبار وابن عمر وطائفة.توفي أسلم سنة 80 هـ. وقيل: مات في خلافة عبد الملك. ويقال: عاش مائة وأربع عشرة سنة ولم يصح ذلك.

■ (1) زيد بن أسلم هو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي العمري المدني، والده أسلم مولى عمر بن الخطاب، توفي سنة 136هـ.روى عن عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع وأنس بن مالك وعطاء بن يسار، وتلقى على يديه مالك والثوري والأوزاعي وسفيان بن عيينة

☪

قال الله تعالى:﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة] (تلك أمة قد خلت) أي مضت (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) أي إن السلف الماضين من آبائكم من الأنبياء والصالحين لا ينفعكم انتسابكم إذا لم تفعلوا خيرا يعود نفعه عليكم، فإن لهم أعمالهم التي عملوها ولكم أعمالكم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) وقال أبو العالية والربيع وقتادة (تلك أمة قد خلت) يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط ولهذا جاء في الأثر: من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ﴾ أي من أخره تفريطه في العمل الصالح في الدنيا لم ينفعه في الآخرة شرف النسب. نعم يا عبد الله! لو كان أبوك صالحا ومجاهدا وعالما أينفعك هذا؟ إلا أن تتأسى به في دين الله جل وعلا، كيف بمن انتسب إلى غير هذا؟ عن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر، يقول:﴿أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي، يَعْنِي فُلَانًا، لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يعني فلانا) هي من بعض الرواة خشي أن يسميه فيترتب عليه مفسدة وفتنة إما في حق نفسه وإما في حقه وحق غيره فكنى عنه والغرض إنما هو قوله صلى الله عليه وسلم إنما ولي الله وصالح المؤمنين ومعناه إنما ولي من كان صالحا وإن بعد نسبه مني وليس ولي من كان غير صالح وإن كان نسبه قريبا. وعن قسّ بن ساعدة: من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه. وعن أبي هريرة، قال: ﴿لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [الشعراء]، دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا﴾ البلال: الماء ومعنى الحديث: سأصلها، شبه قطيعتها بالحرارة تطفأ بالماء وهذه تبرد بالصلة. وعن أنس، قال:﴿أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: فِي النَّارِ، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ﴾ (فلما قفى) أي ذهب موليا وكأنه من القفا أي أعطاه قفاه وظهره.

عن مسروق قال: كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتذاكروا الأحساب*، فقال عمر: حسب المرء دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله. وعن ابن عياش عن أبيه عن نافع قال: رأى عمر رجلين يتفاخران فقال: إن كان لكما تقى فلكما حزم، وإن كان لكما دين فلكما حسب، وإن كان لكما عقل فلكما مروءة وإن كان لكما مال تعودان بفضله فلكما شرف، وإلا فأنتما شر من حمارين، ولئن رأيتكما تعودان للتفاخر لأوجعن رؤوسكما. عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ* الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهَّ مِنَ الْجِعْلاَنِ* الَّتِى تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ﴾ وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَرْبَعٌ لاَ يَدَعُهَا النَّاسُ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ النِّيَاحَةُ وَالتَّعَايُرُ فِى الأَحْسَابِ وَقَوْلُهُمْ سُقِينَا بِنَوْءِ* كَذَا وَالْعَدْوَى جَرِبَ بَعِيرٌ فَأَجْرَبَ مِائَةَ بَعِيرٍ فَمَنْ أَجْرَبَ الأَوَّلَ﴾.

قال الأصمعي: دخلت في الطواف عند السحر، فإذا أنا بغلام شاب حسن الوجه، حسن القامة، عليه شملة، وله ذؤابتان، وهو متعلق بأستار الكعبة يقول: من الطويل: ألا أيها المأمول في كل ساعة..شكوت إليك الضر فارحم شكايتي..ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي..فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي..فزادي قليل ما أراه مبلغي..أللزاد أبكي أم لبعد مسافتي..أتيت بأعمال قباح ردية..فما في الورى خلق جنى كجنايتي..أتحرقني بالنار يا غاية المنى..فأين رجائي ثم أين مخافتي.

فقدمت إليه، وكشفت عن وجهه، فإذا به الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فقلت: يا سيدي مثلك من يقول هذه المقالة وأنت من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة؟! قال: هيهات! يا أصمعي، إن الله خلق الجنة لمن أطاعه وإن كان عبدا حبشيا، وخلق النار لمن عصاه وإن كان ولدا قرشيا، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون] وعن عبد الرحمن بن حبيب بن أردك، قال: سمعت نافع بن جبير، يقول لعلي بن الحسين:﴿غَفَرَ اللهُ لَكَ، أَنْتَ سَيِّدُ النَّاسِ وَأَفْضَلُهُمْ، تَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْعَبْدِ فَتَجْلِسُ مَعَهُ -يَعْنِي زَيْدَ بْنَ أَسْلَمَ- فَقَالَ: إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعِلْمِ أَنْ يُتْبَعَ حَيْثُمَا كَانَ﴾.

ورد في الصحيح: أن عمر بن الخطاب لقى نافع بن الحارث بعسفان، وعسفان ما بين مكة والمدينة، وهي أقرب إلى مكة، وكان قد استخلفه عمر على أهل الوادي، فلما لقيه قال: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: ابن أبزى. قال: من ابن أبزى؟ قال: رجل من موالينا-والمولى يطلق على العبد، ويطلق على العبد الذي أعتق – فقال: رجل من موالينا، فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، فقال عمر: ألا إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: ﴿إِنَّ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ﴾ قال ابن عيينة: رأيت الأعمش لبس فروا مقلوبا، وثيابا تسيل خيوطه على رجليه، ثم قال: أرأيتم لولا أني تعلمت العلم من كان يأتيني؟ لو كنت بقالا كان يقذرني الناس أن يشتروا مني.

قيل لحفص بن أبي حفص الأبار: رأيت الأعمش؟ قال: نعم، وسمعته يقول: إن الله يرفع بالعلم أو بالقرآن أقواما ويضع به آخرين، وأنا ممن يرفعني الله به، لولا ذلك لكان على عنقي دم صحن أطوف به في سكك الكوفة.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى ثِيَابِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ﴾ قال إبراهيم بن إسحاق الحربي كان عطاء بن أبي رباح عبدا اسود لامرأة من أهل مكة وكان انفه كأنه باقلاة قال وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلي فلما صلى انفتل* إليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم ثم قال سليمان لابنيه قوما فقاما فقال يا ابني لاتنيا في طلب العلم فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود. وعن الحرمازي قال كان رجل من أهل السواد يلزم جعفر بن محمد ففقده فسأل عنه فقال له رجل إنه نبطي يريد أن يضع منه فقال جعفر أصل الرجل عقله وحسبه ودينه وكرمه تقواه والناس في آدم مستون.

حدث يعقوب قال أراه عن أبيه قال أذن عمر بن عبد العزيز لزياد بن أبي زياد والأمويون هناك ينتظرون الدخول عليه قال هشام أما رضي ابن عبد العزيز أن يصنع ما يصنع حتى أذن لعبد ابن عياش يتخطى رقابنا، فقال الفرزدق من هذا. قالوا رجل من أهل المدينة من القراء عبد مملوك، فقال الفرزدق: أيه القارئ المقضي حاجته..هذا زمانك إني قد خلا زمني.

قال الأصمعي: مدح نصيب عبد الله بن جعفر، فأمر له بمال كثير وكسوة شريفة، ورواحل موقرة براً وتمراً، فقيل له: أتفعل هذا بمثل هذا العبد الأسود؟ فقال: أما والله إن كان عبداً إن شعره لحر، وإن كان أسود إن ثناءه لأبيض، وإنما أخذ مالاً يفنى وثياباً تبلى، ورواحل تنضى، وأعطى مديحاً يروى، وثناء يبقى.

قال ابن أبي ليلى: [1]قال لي عيسى بن موسى وكان جائرا شديد العصبية: من كان فقيه البصرة؟ قلت: الحسن بن أبي الحسن. قال: ثم من؟ قلت: محمد بن سيرين. قال: فما هما؟ قلت: موليان. قال: فمن كان فقيه مكة؟ قلت: عطاء بن أبي رباح، ومجاهد بن جبر، وسعيد ابن جبير، وسليمان بن يسار. قال: فما هؤلاء؟ قلت موالي. فتغير لونه، ثم قال: فمن أفقه أهل قباء؟ قلت ربيعة الرأي، وابن أبي الزناد، قال: فما كانا؟ قلت من الموالي. فاربد وجهه، ثم قال: فمن كان فقيه اليمن؟ قلت: طاووس، وابنه وهمام بن منبه. قال: فما هؤلاء؟ قلت: من الموالي. فانتفخت أوداجه فانتصب قاعدا، [ثم] قال: فمن كان فقيه خراسان؟ قلت: عطاء بن عبد الله الخراساني. قال: فما كان عطاء هذا؟ قلت: مولى. فازداد وجهه تربدا واسود اسودادا حتى خفته، ثم قال: فمن كان فقيه الشام؟ قلت: مكحول. قال: فما كان مكحول هذا؟ قلت: مولى. فازداد تغيظا وحنقا؛ ثم قال: فمن كان فقيه الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران. قال: فما كان؟ قلت: مولى. قال: فتنفس الصعداء، ثم قال: فمن كان فقيه الكوفة؟ قلت: فو الله لولا خوفه لقلت: الحكم بن عيينة، وعمار بن أبي سليمان، ولكن رأيت فيه الشر، فقلت: إبراهيم، والشعبي. قال: فما كانا؟ قلت: عربيان. قال: الله أكبر! وسكن جأشه. وسأل عبد الملك بن مروان عن فقيه أهل المدينة، فقيل: سليمان بن يسار، وعن فقيه أهل مكة، فقالوا: عطاء بن أبي رباح، وعن فقيه أهل اليمن، قالوا: طاووس، وعن فقيه أهل الجزيرة، فقيل: ميمون بن مهران، وعن فقيه أهل الشام، فقيل: مكحول، وعن فقيه أهل البصرة، فقيل: الحسن بن أبي الحسن، وعن فقيه أهل الكوفة، فقيل: سعيد بن جبير، فقال: ما أراهم إلا أبناء السبايا، ومحكول من سبي كابل مولى لامرأة من هذيل.

عن أبي هشام قال: سمعت عمي يقول: كان عيسى بن موسى أميراً، فأمر ابن أبي ليلى أن يجمع الفقهاء فجمعهم، فجاء الأعمش في جبة فرو وقد ربط وسطه بشريط فأبطئوا، فقام الأعمش فقال: إن أردتم أن تعطونا شيئاً وإلا فخلوا سبيلنا، فقال: يا ابن أبي ليلى! قلت لك تأتي بالفقهاء تجيء بهذا؟ قال: هذا سيدنا الأعمش.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما مات العبادلة: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي: فقيه مكة عطاء، وفقيه اليمن طاووس، وفقيه اليمامة يحيى ابن أبي كثير، وفقيه البصرة الحسن، وفقيه الكوفة إبراهيم النخعي، وفقيه الشام مكحول، وفقيه خراسان عطاء الخراساني، إلا المدينة فإن الله تعالى خصها بقرشي فقيه غير مدافع: سعيد بن المسيب.

----

* (فتل) يقال انفتل فلان عن صلاته أي انصرف.(الأحساب) جمع حسب وهو الشرف والمجد والكرم (الجعل) جمع الجعل وهو دويبة سوداء كالخنفساء تدير الخراء بأنفها (العبية) الكبر والفخر (النوء) المنزلة من منازل القمر وكانت العرب تنسب المطر إليها

■ (1) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار. وقيل داود. ابن بلال الأنصاري الكوفي: قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس. ولد بالكوفة سنة 74 هـ واستمر 33 سنة. له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره. مات بالكوفة سنة 148 هـ

مراجع: سراج الملوك/ صحيح مسلم/ البداية والنهاية/ طبقات الفقهاء/ مسند البزار/ من أعلام السلف/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ صفة الصفوة/ تاريخ دمشق لابن عساكر/ حدائق الأزاهر/ وفيات الأعيان/ـمختصر تاريخ دمشق لابن منظور/ مختصر تاريخ دمشق/ مسند أحمد/

◆ محمد بن سليمان، أمير العراق (عامل أبو جعفر عبد الله المنصور، ثاني ملوك الدولة العباسية) وحمّاد بن سلمة 0664

حدث مقاتل بن صالح الخراساني، صاحب الحميدي بمكة قال: دخلت على حماد بن سلمة [1] فإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس وفي يديه مصحف يقرأ فيه وجراب فيه عملة ومطهرة يتوضأ منها فبينما أنا جالس إذ دق الباب. فقال حمّاد: يا حبيبة (الصبية!) اخرجي فانظري من هذا؟ فقالت: هو رسول محمد بن سليمان الهاشمي[2] .وهو أمير البصرة والكوفة.. فأذن له بالدخول. فدخل فسلم فناوله كتابه، قال اقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة أما بعد: فصبحك الله بما صبح به أوليائه، وأهل طاعته، وقعت مسألة فأتينا نسأل عنها. فقال: يا حبيبة هات الدواة. ثم قال: لي اقلب كتابه واكتب أما بعد: فأنت صبّحك الله بما صبّح به أولياءه وأهل طاعته إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون لأحد فان وقعت لك مسألة فأتنا وسل ما بدا لك وإن أتيتني فلا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح إلا تقيّا والسلام. فبينما أنا جالس إذ دق الباب. فقال: يا حبيبة فانظري من هذا؟ قالت: هذا محمد بن سليمان. قال: قولي له يدخل وحده. فدخل وجلس بين يديه ثم ابتدأ فقال: ما لي إذا نظرت فيك امتلأت رعبا؟ قال حمّاد: حدثني ثابت البناني قال سمعت أنسا يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا أَرَادَ بِعِلْمِهِ وَجْهَ اللهِّ هَابَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَكْتَنِزَ بِهِ الْكُنُوزَ هَابَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فقال: ما تقول رحمك الله في رجل له ابنان وهو على أحدهما أرضى فأراد أن يجعل له في حياته ثلثي ماله؟ فقال حماد: لا يفعل، رحمك الله فاني سمعت أنسا يقول: عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَ عَبْدًا مِنْ عُبَّادِهِ فِي حَيَاتِهِ وَفِقْهِ إِلَى وَصِيَّةٍ جائرة﴾ فعرض عليه مالا فلم يقبل وخرج.

عن المازني قال: حدثني الأخفش[3] قال: كان أمير في البصرة يقرأ على المنبر: ﴿إِنَّ اللهَّ وَمَلَائِكَته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي﴾ [الأحزاب] بالرفع فصرت إليه ناصحا له ومنبها فتهددني وأوعدني وقال: تلحنون أمراءكم ثم عزل وتقلد محمد بن سليمان الهاشمي فكأنه تلقنها من في المعزول فقلت: هذا هاشمي نصيحته واجبة فجبنت عنه وخشيت أن يتلقاني بمثل ما تلقاني به الأول ثم حملت على نفسي فأتيته فإذا هو في غرفة له وعنده أخوه والغلمان على رأسه فقلت: هذا. وأومأت إلى أخيه فنهض أخوه وتفرق الغلمان فقلت: أصلح الله الأمير، أنتم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة والفصاحة وتقرأ: ﴿إِنَّ اللهَّ وَمَلَائِكَته﴾ [الأحزاب] بالرفع وهو لحن ولا وجه له؟ فقال: جزاك الله خيرا قد نبهت ونصحت فانصرف مشكورا. فانصرفت فلما صرت في نصف الدرجة إذا قائل يقول لي: قف. فوقفت وخفت أن يكون أخوه أغراه بي فإذا ببغلة سفواء* وغلام وبدرة وتخت ثياب وقائل يقول: هذا لك قد أمر به الأمير. فانصرفت مغتبطا.

----

*(بغلة سفواء) سريعة المر كالريح ، وهو مجاز .

■ (1) حماد بن سلمة، أبو سلمة مولى لبني تميم، وهو ابن أخت حميد الطويل. كان عالما عابدا محاسبا لنفسه لا يضيع لحظة في غير طاعة. قال عبد الرحمن بن محمد: لو قيل لحماد بن سلمة إنك تموت غدا ما قدر أن يزيد في العمل شيئا. قال موسى بن إسماعيل: لو قلت لكم إني رأيت حماد بن سلمة ضاحكا قط صدقتكم كان مشغولا بنفسه، إما أن يحدث وإما أن يقرأ وإما أن يسبح، وإما أن يصلي. كان قد قسم النهار على هذه الأعمال.وكان يبيع الثياب، قال سوار بن عبد الله: حدثنا أبي قال: كنت آتي حماد بن سلمة في سوقه فإذا ربح في ثوب حبة أو حبتين شد جونته فلم يبع شيئا. فكنت أظن أن ذلك يقوته. فإذا وجد قوته لم يزد عليه شيئا. قال يونس بن محمد: مات حماد بن سلمة في المسجد وهو يصلي سنة 168 هـ.. وقد أسند حماد بن سلمة عن خلق لا يحصون من التابعين.

■ (3) الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري مولى بني مجاشع إمام النحو أخذ عن الخليل بن أحمد ولزم سيبويه حتى برع وكان من أسنان سيبويه بل أكبر. توفي سنة211 هـ وقيل 221 هـ وكان يقول ما وضع سيبويه في كتابه شيئا إلا بعد أن عرضه علي، وللأخفش المذكور عدة مصنفات وهو الذي زاد في العروض بحر الخبب. والذين يسمون بالأخفش ثلاثة أولهم: الأخفش الأكبر وهو أبو الخطاب عبد الحميد من أهل هجر وكان نحويا أيضا. ثم الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة الإمام المذكور. ثم الأخفش الأصغر المتأخر وهو علي بن سليمان بن الفضل وكان الأخفش الأصغر المذكور نحويا أيضا، توفي سنة315 هـ وقيل 316 هـ

■ (2) محمد بن سليمان بن علي، وابن عم المنصور، أمير البصرة، وليها في أيام المهدي. وكان على البصرة وكور دجلة والبحرين وعمان وكور الاهواز وفارس،والذي ثبت دولتهم بعمله وبلائه يوم باخمرا، وكان قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن على يده، وكان بطلا شجاعا ممدحا، وكان الرشيد يجله، ويبالغ في إكرامه، وقد ولي أيضا الكوفة، وعزل سنة 164 وأعاده الرشيد، وزوجه أخته العباسة بنت المهدي سنة 172 واستمر في البصرة إلى أن توفي.173 هـ وكان غنيا نبيلا، سمت نفسه إلى الخلافة، وصده عن الجهر بطلبها ما كانت عليه من القوة، في أيام المهدي والرشيد قيل: إن الرشيد استولى على تركته، واصطفاها، فكانت بنحو خمسين ألف ألف درهم. كان مولده بالحميمة من الشام سنة 122 هـ. ومات سنة 173 هـ، واصطفى الرشيد عامة ما خلف.

حدث أبو المنذر إسماعيل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الرحمن العمري يقول: إن من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله عز وجل بأن ترى ما يسخطه فتجاوزه لا بأمر فيه ولا بنهي عن منكر خوفا ممن لا يملك لك ضرا ولا نفعا. وسمعته يقول من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الطاعة فلو أمر ولده أو بعض مواليه لا ستخف به.

قال نافع بن مالك: قلت للزهري: أما بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من طلب شيئا من هذا العلم الذي يراد به وجه الله ليطلب به شيئا من عرض الدنيا دخل النار؟.فقال الزهري: لا، ما بلغني هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له: وكل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغك؟ قال: لا، قلت: فنصفه؟ قال: عسى، قلت: فهذا في النصف الذي لم يبلغك. حدث مخلد بن حسين عن هشام عن الحسن قال: ﴿مَنْ طَلَبَ شَيْئاً مِنْ هَذَا الْعِلْمِ فَأَرَادَ بِهِ مَا عِنْدَ اللهَّ يُدْرِكْ إِنْ شَاءَ اللهَّ، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ الدُّنْيَا فَذَاكَ وَاللهَّ حَظُّهُ مِنْهُ﴾ وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي سَيَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَقُولُونَ: نَأْتِي الْأُمَرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا. وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ، كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقَتَادِ إِلَّا الشَّوْكُ، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا – قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ: كَأَنَّهُ يَعْنِي – الْخَطَايَا﴾ وعن معاذ مرفوعاً:﴿لا تَزَالُ يَدُ الله مَبْسُوطَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مَا لَمْ يَرْفُقْ خِيَارَهُمْ بِشَرَارِهِمْ وَيُعَظِّمْ بَرُّهُمْ فَأُجَرُهُمْ وَتُعِنْ قُرَّاؤُهُمْ عَلَى أُمَرَاءَهُمْ عَلَى مَعْصِيَةِ الله. فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ نَزَعَ الله يَدَهُ عنهم﴾ وفي رواية، عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لا تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ تَحْتَ يَدِ الله وَكَنَفُهُ مَا لَمْ يماري قُرَّاؤُهَا أُمَرَاءَهَا﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿تَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنْ جُبِّ الْحَزَنِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ! وَمَا جُبُّ الْحَزَنِ؟ قَالَ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَمِائَةِ مَرَّةٍ . قِيلَ يَا رَسُولَ اللهَّ! وَمَنْ يَدْخُلُهَا؟ قَالَ: الْقُرَّاءُ الْمُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ﴾ رواه الترمذي، وكذا ابن ماجه، وزاد فيه: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الْقُرَّاءِ إِلَى اللهَّ تَعَالَى الَّذِينَ يَزُورُونَ الْأُمَرَاءَ﴾ وعن عبد الله بن مسعود، قال:﴿لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ، وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ، لَسَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ بَذَلُوهُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، فَهَانُوا عَلَيْهِمْ، سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللهَّ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهَّ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ﴾ وقال الفضيل بن عياض:﴿لَوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ أَكْرَمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَشَحُّوا عَلَى دِينِهِمْ وَأَعَزُّوا العِلْمَ وَصَانُوهُ وَأَنْزَلُوهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ اللهُ لَخَضَعَتْ لَهُمْ رِقَابُ الجَبَابِرَةِ وَانْقَادَ لَهُمُ النَّاسُ وَاشْتَغَلُوا بِمَا يَعْنِيهِمْ وَعَزَّ الإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ لَكِنَّهُمْ اِسْتَذَلُّوا أَنْفُسَهُمْ وَلَمْ يُبَالَوْا بِمَا نَقَصَ مِنْ دِينِهِمْ إِذَا سَلَّمَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ وَبَذَلُوا عِلْمَهُمْ لِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا لِيُصِيبُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ فَذَلُّوا وَهَانُوا عَلَى النَّاسِ﴾ قال سفيان الثوري: ﴿إِذَا دَعَوْكَ لِتَقْرَأَ عَلَيْهِمْ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ فَلَا تَأْتِهِمْ قُلْتُ لِأَبِي شِهَابٍ: يَعْنِي السَّلَاطِينَ قَالَ: نَعَمْ﴾ وقال: ﴿إِيَّاكَ أَنْ تُخْدَعَ، يَقُولُ: تَرُدُّ مَظْلَمَةً، أَوْ تَدْفَعُ عَنْ مَظْلُومٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَدْعَةُ إِبْلِيسَ، اتَّخَذَهَا فُجَّارُ الْقُرَّاءِ سُلَّمًا﴾ قال مكحول الدمشقي:﴿مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ ثُمَّ صَحِبَ السُّلْطَانَ تَمَلُّقًا إِلَيْهُ وَطَمَعًا فِيمَا لَدَيْهُ خَاضَ فِي بَحْرٍ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ بِعَدَدِ خُطَاهِ؟﴾ وعن سفيان الثوري: ﴿إِذَا رَأَيْتَ الْقَارِئَ يَلُوذُ بِبَابِ السُّلْطَانِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِصٌّ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ يَلُوذُ بِبَابِ الْأَغْنِيَاءِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُرَاءٍ﴾ قال سليمان الخواص: لو دخلت على بعض هؤلاء، يعني الولاة، لم أحب أن أطأ بساطه، كراهية أن يلين قلبي بوطء بساطه، وتلى يوما قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان] فقال: ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى. يقول سفيان بن عيينة لو أن أهل العلم طلبوه لما عند الله لهابهم الناس ولكن طلبوا به الدنيا فهانوا على الناس.

مراجع: إحياء علوم الدين/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ المختصر في أخبار البشر/ تاج العروس/ سنن الدارمي/

قال محمد بن عمر: دعا زياد الحارثي[1] ابن أبي ذئب ليستعمله على بعض عمله فأبى. فحلف زياد ليعملن. فحلف ابن أبي ذئب[2] أن لا يفعل فقال زياد: ادفعوا إليه كتابه. قال: لا أقبله. قال: ادفعوه إليه شاء أو أبى. واسحبوه برجله. وقال له زياد: ابن الفاعلة. فقال له ابن أبي ذئب: والله ما هو من هيبتك تركت أن أردها عليك مائة مرة. ولكن تركتها لله تعالى. قال: وندم زياد على ما قال له وصنع به. وقال له من حضره: إن من مثل ابن أبي ذئب لا يصنع به مثل هذا. إن من شرفه وحاله في نفسه وقدره عند أهل البلد أمرا عظيما. فازداد زياد ندامة. وغمه ما صنع به. وقال: فأنا آتيه فأترضاه وأتحلله مما قلت له. قالوا: ألا تفعل فإنه أمحك ما يكون عند ذلك. ولا نأمن أن يسمعك ما تكره. فأرسل إلى أخيه طالوت. فقال: هذه مائة دينار خذها واعطها أخاك. وتحلل لي منه. فقال طالوت: ما أجترئ عليه بذلك وهو لا يحللك أبدا. قال: فخذ هذه الدنانير فأوصلها إليه. قال: إن علم أنها من قبلك لم يقبلها. قال: فخذها واصنع له بها شيئا يصل إليه نفعه. قال: فأخذها فاشترى له منها جارية. فهي أم ولده. اسمها سلامة. ولا يعلم ابن أبي ذئب بذلك. ولو علم ما قبلها أبدا. قال: وكان لا يذكر فرية زياد عليه إلا بكى وتلهف. فقال: لولا خوف الله لرددتها عليه.

----

*(ابن أبي ذئب) ما ذكر من أنه أبي ذؤيب قد يكون من تحريف النساخ، والله أعلم. (اللخن) نتن الريح عامة، ويقال: اللخناء: التي لم تختن.. وقوله: يا ابن اللخناء: قيل معناه يا دنئ الأصل أو يا لئيم الأم (الثغور) هي مراكز عسكرية تجعل على حدود البلاد الإسلامية لصد الكفار عنها (الساج) الطيلسان الأخضر.

■ (2) ابن أبي ذئب (ذؤيب!)، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب. يكنى أبا الحارث ولد في سنة 80 هـ عام الجحاف وكان من أورع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريا وكان يصلي الليل أجمع. وكان يصوم يوما ويفطر يوما فوقعت الرجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له قم تغذى قال دعه اليوم فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتو فيه ويصيف ويحفظ حديثه كله. سمع ابن أبي ذئب من عكرمة ونافع وسعيد المقبري وأبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. وكان فقيها صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أقدمه المهدي بغداد فحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة. قال احمد بن حنبل كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب قيل لأحمد خلف مثله ببلاده قال لا ولا بغيرها. مات ابن أبي ذئب فدفن بالكوفة سنة 159 هـ وهو ابن تسع وسبعين.

■ (1) زياد بن عبيد الله بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي. الأمير من أخوال السفاح. ولي إمرة الموسم سنة 133 هـ ثم ولي إمرة الحرمين للمنصور. عزله أبو جعفر المنصور سنة 141 هـ وتوفي في حدود 150 هـ

إن مع العسر يسرا

قال محمد بن عمر: لما ولي جعفر بن سليمان بن علي[1] على المدينة المرة الأولى أرسل إلى ابن أبي ذئب بمائة دينار. فاشترى منها ساجا* كرديا بعشرة دنانير فلبسه عمره. ثم لبسه ولده بعده ثلاثين سنة. وكانت حاله ضعيفة جدا. وأرسل إليه فقدم به عليهم بغداد. فلم يزالوا به حتى قبل منهم. فأعطوه ألف دينار فلم يقبل فقالوا: خذها وفرقها فيمن رأيت. فأخذها وانصرف يريد المدينة. فلما كان بالكوفة اشتكى ومات. فدفن بالكوفة وهو يومئذ ابن تسع وسبعين سنة. وكان ابن أبي ذئب يفتي بالمدينة وكان عالما ثقة فقيها ورعا عابدا فاضلا. وكان يرمي بالقدر. ولم يكن الذي بينه وبين مالك بن أنس[2] بذلك. وسئل أحمد[3] عن ملك و بن أبي ذؤيب فقال: ابن أبي ذؤيب أصلح في دينه وأكثر ورع وأقوم بالحق من مالك عند السلاطين وقد دخل ابن أبي ذؤيب على أبي جعفر المنصور فلم يهبه أن قال له الحق قال له: الظلم فاش ببابك، وأبو جعفر أبو جعفر. قال محمد بن عمر: كان ابن أبي ذئب إذا جلس إليه رجل فافتقده سأل أهل المجلس ما فعل صاحبكم فإن قالوا لا ندري قال أين منزله فإن قالوا لا ندري ضجر عليهم وقال لأي شيء تصلحون يجلس إليكم رجل لا تدرون إذا اعتل لم تعودوه وإن كانت له حاجة لم تعينوه فإن عرفوا منزله قال قوموا بنا إليه حتى نأتيه في منزله فنسأل به ونعوده.

قال محمد بن عمر: كان الحسن بن زيد[4] يجري على ابن أبي ذئب خمسة دنانير في كل شهر فلما غضب أبو جعفر المنصور على حسن بن زيد عزله عن المدينة وولى عبد الصمد بن علي وأمر بحبس حسن بن زيد والتضييق عليه فأرسل المهدي إلى عبد الصمد بن علي سرا: أن وسع على الحسن بن زيد ولا تضيق عليه، فأرسل عبد الصمد إلى عشرة من أهل المسجد فيهم ابن أبي ذئب، فقال: ادخلوا على حسن بن زيد فانظروا إليه وإلى ما هو فيه فدخلوا عليه ونظروا إليه وخرجوا ودعا بهم عبد الرحمن بن عبد الصمد بن علي ورسول المهدي عنده يريد أن يسمع مقالهم فيخبر بذلك المهدي، فقال لهم عبد الصمد: كيف رأيتم الرجل وحاله في حبسه؟ فقالوا: رأيناه في سعة وفي خير وطيب وعنده ريحان، قالوا: وابن أبي ذئب ساكت، لا يتكلم، فقال: ما تقول أنت؟ قال ابن أبي ذئب: كذبوك وخدعوك وغروك، الرجل في مكان ضيق ويحدث تحته ورأيت ضيعة ثم قام ليخرج، فقال له عبد الصمد: تعال أي شيء عندك؟ قال: عندي الذي أخبرتك.

ودخل يوما على عبد الصمد بن علي[5] وهو والي المدينة فكلمه في شيء فقال له عبد الصمد: إني لأراك مرائيا، فأخذ عودا أو شيئا من الأرض فقال: من أرائي؟ فوالله للناس عندي أهون من هذا.

☪

عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ أَكْبَرَ الذَّنْبِ عِنْدَ اللهِ أَنْ يَسُبَّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قَالُوا: وَكَيْفَ يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ﴾ عن ابن أبي نجيح، عن أبيه قال: يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ من أَرْبَى الرِّبَا تَفَضُّلُ الرَّجُلِ فِي عَرْضِ أَخِيهِ بِالشَّتْمِ، وَإِنَّ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَشْتُمُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ النَّاسَ فَيَسْتَسِبُّ النَّاسُ بِهِمَا﴾ وعن أبي جري الهجيمي قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْهَدْ إِلَيَّ، قَالَ: لاَ تَسُبَّ أَحَدًا، قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ أَحَدًا عَبْدًا، وَلاَ حُرًّا، وَلاَ شَاةً، وَلاَ بَعِيرًا﴾ وعن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أَبَاهُ مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أُمَّهُ مَلْعُونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ مَلْعُونٌ مَنْ كَمَهَ أَعْمَى عَنْ طَرِيقٍ مَلْعُونٌ مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوط﴾

----

*(الساج) الطيلسان الأخضر (التخوم) جمع تخم وهو معالم الأرض وحدودها وقيل أراد حدود الحرم خاصة (كمه) أضل

■ (1) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو القاسم، ابن عم المنصور. ولي المدينة ثم مكة معها، ثم عزل، فولي البصرة للرشيد. قال عبد السميع بن علي: لا نعرف في بني هاشم أغبط منه، حصل له الشرف والإمرة والمال الجم، والأولاد الزهر، والعبيد.توفي: سنة 174 هـ.

■ (5) عبد الصمد بن علي ابن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب، أبو محمد الهاشمي، العباسي، عم السفاح والمنصور. ولد بالبلقاء، سنة نيف ومائة.وكان عظيم الخلقة، وقد خرج عند موت السفاح مع أخيه عبد الله على المنصور، وحاربهما أبو مسلم الخراساني، وتقلبت به الأيام، وعاش إلى زمن الرشيد، وكان يجله ويحترمه.ولي إمرة دمشق، وإمرة البصرة، وغير ذلك. مات عبد الصمد بالبصرة، سنة 185 هـ، وعمره 80 سنة.

■ (2) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، ربيعة الرأي، أيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع.و حدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

■ (3) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن إدريس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة الشيباني الذهلي من ربيعة أصله مروزي سكن بغداد كنيته أبو عبد الله كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة أغاث الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه. ولد في ربيع الأول سنة164 هـ وتوفي في سنة 241 هـ.

■ (4) الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، العلوي الحسني الزيدي الأمير. توفي سنة 270 هـ

مراجع: الطبقات الكبرى/ مصنف ابن أبي شيبة/ الأعلام للزركلي/ مسند أحمد/

◆ رياح بن عثمان بن حيان، أمير المدينة (عامل أبو جعفر عبد الله المنصور، ثاني ملوك الدولة العباسية) وعبد الله بن حسن 0666

قال موسى بن عبد العزيز: لما أراد أبو جعفر عزل محمد بن خالد بن عبد الله القسري[1] عن المدينة ركب ذات يوم. فلما خرج من بيته استقبله يزيد بن أسيد السلمي[2]، فدعاه فسايره ثم قال: أما تدلني على فتى من قيس مقل أغنيه وأشرفه وأمكنه من سيد اليمن يلعب به؟ يعني ابن القسري قال: بلى، قد وجدته يا أمير المؤمنين، قال: من هو؟ قال: رياح بن عثمان المري[3]، قال: فلا تذكرن هذا لأحد. ثم انصرف فأمر بنجائب وكسوة ورحال، فهيئت للمسير. فلما انصرف من صلاة العتمة دعا برياح، فذكر له ما يلاقي من غش زياد[4] وابن القسري في ابني عبد الله[5]، وولاه المدينة، وأمره بالمسير من ساعته قبل أن يصل إلى منزله، وأمره بالجد في طلبهما؛ فخرج مسرعا حتى قدمها في رمضان سنة أربع وأربعين ومئة.

وفي حديث: أن رياحا لما دخل دار مروان وعبد الله يعني ابن حسن بن حسن محبوس في قبة الدار التي على الطريق إلى المقصورة، حبسه فيها زياد بن عبيد الله، قال لأبي البختري[6] –الحاجب؟-: خذ بيدي ندخل على هذا الشيخ، فأقبل متكئا علي حتى وقف على عبد الله بن حسن، فقال: أيها الشيخ، إن أمير المؤمنين والله ما استعملني لرحم قريبة، ولا ليد سلفت إليه، والله لا لعبت بي كما لعبت بزياد وابن القسري، والله لأزهقن نفسك أو لتأتيني بابنيك محمد[7] وإبراهيم[8]. قال: فرفع إليه رأسه وقال: نعم، أما والله إنك لأزيرق قيس، المذبوح فيها كما تذبح الشاة. قال أبو البختري: فانصرف رياح آخذا بيدي أجد برد يده، وإن رجليه لتخطان مما كلمه. قال: قلت: إن هذا ما اطلع على الغيب، قال: إيها ويلك! فوالله ما قال إلا ما سمع، قال: فذبح والله ذبح الشاة. قال الحارث بن إسحاق: ذبح إبراهيم بن مصعب[9] المعروف بابن خضير رياحا ولم يجهز عليه، فجعل يضرب برأسه الجدار حتى مات، وقتل معه أخاه عباس بن عثمان[10] وكان مستقيم الطريقة، فعاب الناس ذلك عليه. ثم مضى إلى ابن القسري وهو محبوس فنذر به، فردم بابي الدار دونه فعالج البابين، فاجتمع من في الحبس فشدوهما ولم يقدر عليهم، فرجع إلى محمد فقاتل بين يديه حتى قتل.

■ (5) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: تابعي. من أهل المدينة، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف. وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز. ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين، على السفاح وهو بالانبار، فأعطاه ألف ألف درهم. وعاد إلى المدينة. ثم حبسه المنصور، عدة سنوات، من أجل ابنيه محمد وإبراهيم. ونقله إلى الكوفة، فمات سجينا فيها سنة 145 هـ قبل مقتل ابنه محمد بن عبد الله بأشهر.

■ (3) رياح بن عثمان بن حيان المري. ولي إمرة دمشق لصالح بن علي الهاشمي أمير الشام ومصر من قبل المنصور. ثم ولي المدينة للمنصور وعزل محمد بن خالد بن عبد الله القسري ليجد رياح في طلب ابني عبد الله بن حسن بن حسن. فخرج محمد بن عبد الله وحبس رياح بن عثمان وذلك في جمادى الآخرة سنة 145 هـ وأقام بالمدينة حتى قدم عليه عيسى بن موسى بن محمد في جيش بعثه المنصور من الكوفة. فقتل محمد بن عبد الله في رمضان سنة 145 هـ ودخل أصحاب محمد على رياح السجن فقتلوه ذبحه إبراهيم بن مصعب بن الزبير المعروف بابن خضير كما تذبح الشاة ولم يجهز عليه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى مات. وقتل معه أخوه عباس بن عثمان وكان مستقيم الطريقة فعاب الناس ذلك. ثم قتل ابن خضير مع محمد بن عبد الله وكانت له شجاعة موصوفة.

■ (1) محمد بن خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري غلب على الكوفة، ودعا إلى بني العباس حين ظهروا، ثم أمر على المدينة للمنصور سنة إحدى وأربعين ومئة،أيام خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن. وعزل محمد بن خالد بن عبد الله القسري عن المدينة سنة أربع وأربعين ومئة وولي مكانه رياح بن عثمان المري، وأمر بحبس محمد بن خالد وكاتبه وعماله واستخراج ما قبلهم من الأموال.

■ (2) يزيد بن أسيد بن زافر بن أسماء السلمي، من بني بهثة بن سليم بن منصور: وال، من رجال الدولة العباسية. كانت أمه نصرانية. ولي أرمينية للمنصور ولوالده المهدي. وغزا الروم سنة 158 هـ واستولى على حصون من ناحية قاليقلا سنة 162 هـ. توفي بعد سنة 162 هـ

■ (7) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة 145 هـ وهو بن 45 سنة.

■ (8) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، خرج بالبصرة على المنصور، وتحول إلى الكوفة، وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة 145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة وأهل مكة، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة، فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى، فخرج إلى المدينة، فلقيه محمد بن عبد الله، فانهزم بأصحابه وقتل.ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر

■ (4) زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي. الأمير من أخوال السفاح. ولي إمرة الموسم سنة 133 هـ ثم ولي إمرة الحرمين للمنصور. عزله أبو جعفر المنصور سنة 141 هـ وتوفي في حدود 150 هـ

■ (9) إبراهيم بن مصعب بن الزبير، المعروف بابن خضير، قتل مع محمد بن عبد الله. وكان صاحب شرطة محمد بن عبد الله بن الحسن لما خرج. وكانت له شجاعة موصوفة.

■ (6) أبو البختري – أبو البحتري؟- كان حاجب رياح بن عثمان بن حيان المري

■ (10) العباس بن عثمان بن حيان المري أخو رياح دمشقي حسن الطريقة له ذكر قتل مع أخيه رياح سنة 145 هـ بالمدينة

قال رجاء: قدم عبد الله بن الحسن[1] –وهو إذ ذاك فتى شاب- على سليمان بن عبد الملك[2]، فكان يختلف إلى عمر[3] يستعين به على سليمان في حوائجه، فقال له عمر: إن رأيت ألا تقف ببابي إلا في الساعة التي ترى بأنه يؤذن لك فيها علي، فإني أكره أن تقف ببابي فلا يؤذن لك علي. قال: فجاءه ذات يوم فقال: إن أمير المؤمنين قد بلغه أن في العسكر مطعونا فالحق بأهلك، فإني أضن بك.وقدم عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: إنك لن تغنم أهلك شيئا خيرا من نفسك، فرجع وأتبعه حوائجه. قال عبد الله بن حسن: وفدت على هشام بن عبد الملك[4] فقال لي: ما لي لا أرى ابنيك محمدا[5] وإبراهيم[6] يأتياننا فيمن أتى؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، حبب إليهما البادية والخلوة فيها، وليس تخلفهما عن أمير المؤمنين لمكروه، فسكت هشام. قال: فلما ظهر ولد العباس تغيبا أيضا فلم يأتيا أحدا منهم، وسأل عنهما أبو العباس فأخبره أبوهما عنهما بنحو مما قاله لهشام، فكف أبو العباس عنهما. وكان عبد الله بن حسن من العباد وكان له شرف وعارضة وهيبة، ولسان شديد. وأدرك دولة بني العباس، ووفد على أبي العباس بالأنبار ثم رجع إلى المدينة. فلما ولي المنصور[7] حبس عبد الله بالمدينة لأجل ابنيه محمد وإبراهيم عدة سنين، ثم نقله إلى الكوفة فحبسه بها حتى مات.

قال اليعقوبي: قدم عبد الله بن الحسن بن الحسن على أبي العباس السفاح ومعه أخوه الحسن بن الحسن بن الحسن[8] فأكرمه أبو العباس وبره وآثره ووصله الصلات الكثيرة ثم بلغه عن محمد بن عبد الله أمر كرهه فذكر ذلك لعبد الله بن الحسن فقال: يا أمير المؤمنين ما عليك من محمد شيء تكرهه وقال له الحسن بن الحسن أخو عبد الله بن الحسن: يا أمير المؤمنين! أتتكلم بلسان الثقة والقرابة أم على جهة الرهبة للملك والهيبة للخلافة فقال: بل بلسان القرابة. فقال: أرأيت يا أمير المؤمنين إن كان الله قضى لمحمد أن يلي هذا الأمر ثم أجلبت وأهل السموات والأرض معك أكنت دافعا عنه قال: لا، قال: فإن كان لم يقض ذلك لمحمد ثم أجلب محمد وأهل السموات والأرض معه أيضرك محمد قال: لا، والله، ولا القول إلا ما قلت. قال: فلم تنغص هذا الشيخ نعمتك عليه ومعروفك عنده قال: لا تسمعني ذاكرا له بعد اليوم..وطفئ أمر محمد في خلافة أبي العباس فلم يظهر منه شيء وكان متى بلغ أبا العباس عنه شيء ذكر ذلك لعبد الله فيقول: يا أمير المؤمنين! أنا نحميها بكل قذاة يخل ناظرك منها فيقول: بك أثق وعلى الله أتوكل. وكان أبو العباس كريما حليما جوادا وصولا لذوي أرحامه.

----

*(السدل) هو ان يلتحف بثوبه ويدخل يده من داخل فيركع ويسجد وهو كذلك. وقيل السدل: هو ان يضع وسط الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلها على كتفيه

■ (1) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: تابعي. من أهل المدينة، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف. وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز. ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين، على السفاح وهو بالانبار، فأعطاه ألف ألف درهم. وعاد إلى المدينة. ثم حبسه المنصور، عدة سنوات، من أجل ابنيه محمد وإبراهيم. ونقله إلى الكوفة، فمات سجينا فيها سنة 145 هـ قبل مقتل ابنه محمد بن عبد الله بأشهر.

■ (8) الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أخو عبد الله وإبراهيم مات في سجن المنصور سنة 145 هـ كان من أجل بني الحسن المثنى، حمله المنصور مع أخيه عبد الله وحبسه بالهاشمية ومات عن ثمان وتسعين سنة ومات قبل أخيه بقليل

■ (3) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (2) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.حج سنة 97 هـ، عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. كانت الفتوحات محدودة في أيامه، فعلى الجبهة الغربية غزا القسطنطينية برا وبحرا تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك، ورابط بنفسه هناك، وأقسم ألا يعود حتى يفتحها، فتوفي أثناء حصارها سنة 99 هـ على الجبهة الشرقية: فتح يزيد بن المهلب جرجان و طبرستان عام 98 هـ. توفي سنة 99 هـ

■ (4) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (5) إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي، خرج بالبصرة على المنصور وتحول إلى الكوفة وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة وأهل مكة وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في رمضان فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن أبا جعفر المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى فخرج إلى المدينة فلقيه محمد بن عبد الله فانهزم بأصحابه وقتل ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر.

■ (6) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة145 هـ وهو بن 45 سنة.

■ (7) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور، عبد الله الأكبر. الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

مراجع: / مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

◆ سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أمير البصرة (عامل أبو جعفر عبد الله المنصور، ثاني ملوك الدولة العباسية) وابن المقفع 0667

قال ابن خلكان: كان ابن المقفع[1] يعبث بسفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة[2] أمير البصرة وينال من أمه ولا يسميه إلا بابن المغتلمة، وكثر ذلك منه، فقدم سليمان[3] وعيسى[4] ابنا علي[5] البصرة – وهما عما المنصور[6] – ليكتبا أمانا لأخيهما عبد الله بن علي[7] من المنصور، وكان عبد الله المذكور قد خرج على ابن أخيه المنصور وطلب الخلافة لنفسه، فأرسل إليه المنصور جيشا مقدمه أبو مسلم الخراساني، فانتصر أبو مسلم عليه. وهرب عبد الله بن علي إلى أخويه سليمان وعيسى، واستتر عندهما خوفا على نفسه من المنصور، فتوسطا له عند المنصور ليرضى عنه، ولا يؤاخذه بما جرى منه، فقبل شفاعتهما، واتفقوا على أن يكتب له أمان من المنصور، وهذه الواقعة مشهورة في كتب التواريخ. وقد أتيت منها في هذا المكان بما تدعو الحاجة إليه لينبني الكلام بعضه على بعض. فلما أتيا البصرة قالا لعبد الله ابن المقفع: اكتبه أنت وبالغ في التأكيد كي لا يقتله المنصور. وقد ذكرت أن ابن المقفع كان كاتبا لعيسى بن علي، فكتب ابن المقفع الأمان وشدد فيه حتى قال في جملة فصوله: ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي، فنساؤه طوالق، ودوابه حبس، وعبيده أحرار، والمسلمون في حل من بيعته. وكان ابن المقفع يتنوق في الشروط فلما وقف عليه المنصور عظم ذلك عليه، وقال: من كتب هذا فقالوا له: رجل يقال له عبد الله ابن المقفع يكتب لأعمامك، فكتب إلى سفيان متولي البصرة المقدم ذكره يأمره بقتله، وكان سفيان شديد الحنق عليه للسبب الذي تقدم ذكره، فاستأذن ابن المقفع يوما على سفيان، فأخر إذنه حتى خرج من كان عنده، ثم أذن له فدخل، فعدل به إلى حجرة فقتل فيها. وقال المدائني: لما دخل ابن المقفع على سفيان، قال له: أتذكر ما كنت تقول في أمي فقال: أنشدك الله أيها الأمير في نفسي، فقال: أمي مغتلمة إن لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد، وأمر بتنور فسجر، ثم أمر بابن المقفع فقطعت أطرافه عضوا عضوا، وهو يلقيها في التنور، وهو ينظر، حتى أتى على جميع جسده، ثم أطبق عليه التنور، وقال: ليس علي في المثلة بك حرج لأنك زنديق وقد أفسدت الناس. وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل: إنه دخل دار سفيان سليما ولم يخرج منها، فخاصماه إلى المنصور، وأحضراه إليه مقيدا، وحضر الشهود الذين شاهدوه وقد دخل داره ولم يخرج، فأقاموا الشهادة عند المنصور، فقال لهم المنصور: أنا أنظر في هذا الأمر، ثم قال لهم: أرأيتم إن قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت –وأشار إلى باب خلفه– وخاطبكم ما تروني صانعا بكم أأقتلكم بسفيان! فرجعوا كلهم عن الشهادة، وأضرب عيسى وسليمان عن ذكره، وعلموا أن قتله كان برضا المنصور. ويقال: إنه عاش ستا وثلاثين سنة.

■ (1) عبد الله بن المقفع:من أئمة الكتاب، وأول من عني في الا سلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، ولد في العراق مجوسيا مزدكيا وأسلم على يد عيسى ابن علي عم السفاح وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم له كتب أرسطوطاليس الثلاثة، في المنطق، وكتاب المدخل إلى علم المنطق المعروف بايساغوجي. وترجم عن الفارسية كتاب كليلة ودمنة وهو أشهر كتبه. وأنشأ رسائل غاية في الابداع، منها الادب الصغير ورسالة الصحابة واليتيمة واتهم بالزندقة، فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبي سنة 142 هـ ويقال بعد الاربعين. قال الخليل بن أحمد: ما رأيت مثله، وعلمه أكثر من عقله. وكان ابن المقفع مع سعة فضله،وفرط ذكائه فيه طيش

■ (4) عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عم السفاح والمنصور، مات ببغداد، سنة181 هـ.

■ (3) سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: أمير عباسي، من الأجواد الممدوحين. ولاه ابن أخيه السفاح إمارة البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان سنة 133 هـ فأقام فيها إلى أن عزله المنصور سنة 139 هـ فلم يزل في البصرة إلى أن توفي سنة 142 هـ.وهو ابن تسع وخمسين سنة.

■ (7) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباس: أمير. هو عم الخليفتين السفاح والمنصور. وهو الذي هزم مروان بن محمد بالزاب شمال العراق، وتبعه إلى دمشق، وفتحها وهدم سورها، وقتل من أعيان بني أمية 80 رجلا بأرض الرملة، ومهد دمشق لدخول السفاح وظل أميرا على بلاد الشام مدة خلافته. فلما ولي المنصور خرج عبد الله عليه، ودعا إلى نفسه، فانتدب المنصور لإخضاعه أبا مسلم الخراساني، فقاتله في نصيبين، فانهزم عبد الله واختفى.وصار إلى البصرة، فأمنه المنصور، فاستسلم، وأشخص إلى بغداد وحبس بها، فوقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله سنة 147 هـ.

■ (5) أبو محمد، علي بن عبد الله بن العباس، وهو جد السفاح والمنصور؛ كان سيدا شريفا بليغا، وهو أصغر ولد أبيه، وكان أجمل قرشي على وجه الأرض وأوسمه وأكثره صلاة، وكان يدعى السجاد لذلك. وذكر الطبري في تاريخه إنه دخل على عبد الملك بن مروان فأكرمه وأجلسه على سريره وسأله عن كنيته فأخبره، فقال: لا يجتمع في عسكري هذا الا سم وهذه الكنية لأحد، وسأله: هل له من ولد وكان قد ولد له يومئذ محمد بن علي، فأخبره بذلك فكناه أبا محمد.وكانت وفاة علي بن عبد الله سنة 117 أو 118 هـ بالشراة بالحميمة وهو ابن ثمانين سنة. وقيل ولد في الليلة التي قتل فيها علي بن أبي طالب سنة 40 هـ ، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

■ (6) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور، عبد الله الأكبر. الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

■ (2) سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، والي البصرة من قبل المنصور؟

قال ابن خلكان: ذكر الهيثم بن عدي أن ابن المقفع كان يستخف بسفيان كثيرا، وكان أنف سفيان كبيرا، فكان إذا دخل عليه قال: السلام عليكما، يعني نفسه وأنفه؛ وقال له يوما: ما تقول في شخص مات وخلف زوجا وزوجة يسخر به على رؤوس الناس، وقال سفيان يوما: ما ندمت على سكوت قط، فقال له ابن المقفع: الخرس زين لك فكيف تندم عليه ! وكان سفيان يقول: والله لأقطعنه إربا إربا وعينه تنظر، وعزم على أن يغتاله، فجاءه كتاب المنصور بقتله فقتله.

وقال البلادري: لما قدم عيسى بن علي البصرة في أمر أخيه عبد الله بن علي قال لابن المقفع: اذهب إلى سفيان في أمر كذا وكذا، فقال: ابعث إليه غيري، فإني أخاف منه، فقال: اذهب فأنت في أماني، فذهب إليه ففعل به ما ذكرناه، وقيل: إنه ألقاه في بئر المخرج وردم عليه الحجارة، وقيل أدخله حماما وأغلق عليه بابه فاختنق.

قلت: ذكر صاحبنا شمس الدين أبو المظفر يوسف الواعظ سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي الواعظ المشهور في تاريخه الكبير الذي سماه مرآة الزمان، أخبار ابن المقفع وما جرى له وقتله في سنة خمس وأربعين ومائة، ومن عادته أن يذكر كل واقعة في السنة التي كانت فيها، فيدل على أن قتله كان في السنة المذكورة، وفي كلام عمر بن شبه في كتاب أخبار البصرة، ما يدل على أن ذلك كان في سنة اثنتين وأربعين ومائة أو ثلاث وأربعين. ولا خلاف في أن سليمان بن علي المقدم ذكره مات في سنة اثنتين وأربعين ومائة، وقد ذكرنا أنه قام مع أخيه عيسى بن علي في طلب ثأر ابن المقفع، فيدل أيضا على أنه قتل في هذه السنة، والله أعلم.

وقال الهيثم ابن عدي: جاء ابن المقفع إلى عيسى بن علي فقال له: قد دخل الإسلام في قلبي، وأريد أن أسلم على يدك، فقال له عيسى: ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس، فإذا كان الغد فاحضر؛ ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم، فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم على عادة المجوس، فقال له عيسى: أتزمزم وأنت على عزم الإسلام فقال: أكره أن أبيت على غير دين، فلما أصبح أسلم على يده.

كان ابن المقفع مع فضله يتهم بالزندقة، فحكى الجاحظ أن ابن المقفع ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد كانوا يتهمون في دينهم؛ قال بعضهم: فكيف نسي الجاحظ نفسه وكان المهدي بن المنصور الخليفة يقول: ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع؛ وقال الأصمعي: صنف ابن المقفع المصنفات الحسان منها: الدرة اليتيمة، التي لم يصنف في فنها مثلها؛ وقال الأصمعي: قيل لابن المقفع: من أدبك فقال: نفسي، إذا رأيت من غيري حسنا أتيته وإن رأيت قبيحا أبيته. واجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد صاحب العروض، فلما افترقا قيل للخليل: كيف رايته فقال: علمه أكثر من عقله، وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل فقال: عقله أكثر من علمه. ويقال: إن ابن المقفع هو الذي وضع كتاب كليلة ودمنة، وقيل: إنه لم يضعه وإنما كان باللغة الفارسية فعربه ونقله إلى العربية، وإن الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه.

قيل لابن المقفع: من أدبك ؟ قال: نفسي، إذا رأيت من أحد حسنا أتيته، وإن رأيت قبيحا أبيته. وقيل: اجتمع بالخليل، فلما تفرقا قيل للخليل: كيف رأيته ؟ قال: علمه أكثر من عقله. وسئل هو: كيف رأيت الخليل ؟ قال: عقله أكثر من علمه.

وقيل: إن والي البصرة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب قال يوما: ما ندمت على سكوت قط. فقال ابن المقفع: فالخرس زين لك. وقال له مرة: ما تقول في رجل مات عن زوج وزوجة ؟ فأحنقه. قال الاصمعي: صنف ابن المقفع: الدرة اليتيمة، التي ما صنف مثلها. ومن قوله: شربت من الخطب ريا ولم أضبط لها رويا، فغاضت ثم فاضت فلا هي هي نظاما ولا هي غيرها كلاما.

☪

لما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله وصار إلى المنصور أمر الربيع بخلع سواده والوقوف به على رءوس اليمانية في المقصورة يوم الجمعة ثم قال: قل لهم، يقول لكم أمير المؤمنين قد عرفتم ما كان من إحساني إليه وحسن بلائي وقديم نعمتي عليه، والذى حاول من الفتنة، ورام من البغي، وأراد من شق العصا، ومعاونة الأعداء، وإراقة الدماء، وإنه قد استحق بهذا من فعله أليم العقاب وعظيم العذاب، وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه، ورب نعمائه السابقة عنده، لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه ،وما يؤمله من الخير العاجل والاجل عند العفو عمن ظلم والصفح عمن أساء، وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم.

مراجع: / وفيات الأعيان/ الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/

◆ عبد الوهاب بن إبراهيم الهاشمي، أمير فلسطين (؟) (عامل أبو جعفر عبد الله المنصور، ثاني ملوك الدولة العباسية) والامام الأوزاعي 0668

ذكر الأوزاعي[1] أن عبد الوهاب بن إبراهيم الهاشمي[2] خاصم امرأته في ضيعة بدمشق فقال لها: بيني وبينك القاضي، قالت: إن القاضي يقضي لك، قال: فأرضي برجل يحكم بيني وبينك، قالت: الأوزاعي.فبعث إليه فأتاه فذكر له وهي مختدرة قال: فليقم خصمها فليتكلم بحجتها، قال: فتكلم خصمها بحجتها، وعبد الوهاب بحجته، فقضى لها عليه، ثم ودعه مكانه وخرج، فقال عبد الوهاب لغلام له: خذ هذه الثلاثمائة دينار، فألحقه بها، وقل له استعن بهذه على رباطك، فأدركه الغلام فقال الأوزاعي: اقرأ على الأمير السلام، ورحمة الله، وأعلمه أنه لو لم يبعث إلا بدرهم لقبلته، إن شاء الله، ولكني حضرت محضرا أكره أن آخذ عليه جزاء، فردها، قال: يقول عبد الوهاب: وفق الله هذا الشيخ في ردها.

■ (1) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من كبار تابعي التابعين. ولقب بالأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهى بطن من ذي الكلاع باليمن. ولد سنة 88 هـ بقرية بعلبك فى لبنان وربته أمه يتيما، ثم استقر بدمشق. وقد برع الأوزاعي في تفسير القران الكريم، وحفظ الحديث، والأخبار، والمغازي، وكان صاحب مذهب ساد في الشام زمنا، ثم ما لبث أن ضعف انتشاره، بسبب انتشار المذهبين المالكي والشافعي اللذين حلا محله. وقد التزم الأوزاعي في فتاويه بالتوقف عند النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. وللأوزاعي كتابان في الفقه، هما السنن والمسائل، وقد ضمن كتاب المسائل الفتاوى التي أفتى بها. توفى الأوزاعي سنة 157هـ في بيروت.

■ (2) عبد الوهاب بن إبراهيم، الامام بن محمد، من بني العباس: أمير، من الشجعان القادة، سيره عمه المنصور سنة 140 هـ، في سبعين ألفا إلى ملطية، وبعث معه الحسن بن قحطبة، فخافتها الروم، وعمرا ملطية بعد أن خربتها أيدي الفرنجة. 151 وسنة 152 وتوفي ببغداد سنة 157 هـ قال الصفدي: ولاه المنصور إمرة دمشق وفلسطين والصائفة فلم تحمد ولايته. وولاه أيضا ما هدم الروم من حائط ملطية في سن 140 هـ. ولما بلغ المنصور سوء سيرته كتب إليه يقول: إبعث إلي ابن أبي عبلة وابن محمر الكناني فدعا بهما وغداهما...إلى بقية القصة.

حدث غير واحد أن عبد الوهاب بن إبراهيم ولي فلسطين للمنصور، فأخربها، فوجه إليه المنصور أن احمل إلي إبراهيم بن أبي عبلة[1]، وابن محمر الكناني[2] لأسألهما عن أمر البلد، فدعا بهما عبد الوهاب، فغداهما، ثم غلفهما بالغالية بيده، ثم قرأ عليهما كتاب المنصور، وأشخصهما إليه، فلما قدما، ودخلا على المنصور أدنى مجالسهما، ورفعهما، وقال: يابن أبي عبلة، كيف تركت البلد؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لقد قرأت العهود مذ زمن الوليد بن عبد الملك[3]، فما سمعت عهدا أحسن من عهدته إلى عبد الوهاب، لكنه عمد إلى جميع ما أمرته به فاجتنبه، وإلى جميع ما نهيته عنه فارتكبه. وقال ابن محمر الكناني: يا أمير المؤمنين، ترك ابن أخيك البلد كهذا الطائر، وأخرج من كمه طائرا قد نتفه. فقال المنصور: ماله؟ قبحه الله! قد عزلته، فاختاروا من أحببتم، فاختاروا العباس بن محمد[4]، فولاه عليهم. واستدعى عبد الوهاب فأهانه وشتمه وضربه بقضيب فأدمى وجهه.

قال محمد بن أبان بن حوي أبو عتبة أخبرني الربيع بن حظيان[0] قال: كنت جالسا عند المنصور في قصر الفضل بن صالح[5] بدمشق وهو مقبل علي يحدثني إذ دخل الحاجب، فقال: عبد الوهاب بن إبراهيم بالباب، فقال: يدخل ابن الفاعلة،وبيد المنصور قضيب، قال: فلما سمعت ذلك قمت، فأمرني بالجلوس، فجلست، ودخل عبد الوهاب، فسلم، فقال: لا سلم الله عليك يا بن الفاعلة ! فألقى عبد الوهاب نفسه على ركبتيه، وجعل يحبو إليه، فألقى بقضيبه قلنسوته، وجعل يضربه حتى وقع من رأسه حتى أدماه، وهو يقول؛ يا بن فلانة، تقتل الغساني، وتتعصب؟ فلو أنك إذ خرجت من دينك عممت، ولكن تعصبت، فمن يعدل بين الناس؟! قال الربيع بن حظيان: فقمت فجلست خارج البيت، فلما فرغ عبد الوهاب اخذت بيده فصببت عليه من كوز كان إلى جانبي، فغسل وجهه ومضى، وعدت إلى المنصور.

☪

قال الوليد بن مسلم: لما أفضى الأمر إلى أبي جعفر أغزى عبد الوهاب بن إبراهيم والحسن بن قحطبة في سنة تسع وثلاثين ومائة في سبعين ألفا ملطية، وأمضى طائفة منهم إلى أرض الروم. ووجه في سنة اثنتين وأربعين ومائة عبد الوهاب بن إبراهيم معه الحسن بن قحطبة في جماعة من أهل خراسان، وأهل الشام والجزيرة والموصل، وأمرهما أن يبنيا ما خربته الروم من حائط ملطية، وإعادته على ماكان. وفي سنة ست وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن إبراهيم قال خليفة: وفيها – يعني سنة أربعين ومائة – وجه أبو جعفر عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي لبناء ملطية، فأقام عليها سنة حتى بناها، وأسكنها الناس. وغزا الصائفة سنة اثنتين وخمسين فلم يدرب.

روى ابن أبي الدنيا من طريقه قال: لما احتضر عبد الوهاب بن إبراهيم، وكان أمير فلسطين، جعل يقول: يا ويحكم، أيموت مثلي!؟ توفي عبد الوهاب بن إبراهيم الهاشمي سنة ثمان وخمسين ومائة وقيل: سنة تسع وخمسين ومائة وهو والي دمشق.

■ (5) الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس الهاشمي العباسي، أبو العباس: أمير. استخلفه المنصور على إقامة الحج سنة 138 هـ، وولي مصر للمهدي في أواخر سنة 168 هـ، وكان في العراق، وتوفي المهدي في أول سنة 169 هـ، قبل أن يرحل الفضل إلى مصر، فأقره الهادي ابن المهدي، فقصد مصر، وكان أمرها مضطربا، فأخضع عصاتها وقتل زعيمهم دحية بن مصعب الاموي. ولم يكد يستقر حتى ورد البريد بعزله. وكانت ولايته أقل من سنة. وولي إمرة دمشق، فعمر أبواب جامعها، والقبة التي في صحن الجامع. وكان من شجعان الامراء، شاعرا فصيحا أديبا. مات سنة 172 هـ

■ (1) إبراهيم بن شمر أبي عبلة بن يقظان بن المرتحل العقيلي، وقيل عقيل بن كعب بن ربيعة. كنيته أبو إسماعيل ويقال أبو سعيد ويقال أبو إسحاق ويقال أبو العباس المقدسي ويقال الرملي ويقال الدمشقي، أحد الأشراف والعلماء بدمشق، كان الوليد بن عبد الملك يوجهه إلى بيت المقدس يقسم فيهم العطاء. ودخل على عمر بن عبد العزيز في مسجد داره. توفي بفلسطين سنة 151 أو 152 هـ.

■ (3) الوليد الأول بن عبد الملك الأول ابن مروان بن الحكم، الأموي القرشي، أبو العباس. بويع بالملك بعهد من أبيه عبد الملك له بعد موته، ولقب بالمنتقم بالله. وفي أيامه فتحت جزيرة الأندلس وبلاد الترك كلها وأكثر بلاد الهند وكان الوليد لحانا. وكانت وفاة الوليد سنة 96 هـ. وتخلف بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه.وكان الوليد اجتهد في خلع سليمان هذا من ولاية العهد وتولية ولده العزيز؛ فامتنع سليمان من ذلك حتى مات الوليد.

■ (4) العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان من رجالات بني هاشم وولي إمرة الجزيرة في أيام الرشيد، ولد سنة 121 هـ أو 122 هـ أو سنة 118 هـ وأمه أم ولد وذكر أبو محمد بن حزم أنه ولد سنة 120 هـ قبل موت أبيه بعامين وكان أصغر ولد أبيه. قال علي بن حرب قدم العباس بن محمد دمشق واليا عليها وعلى الشام كلها سنة 140 هـ فولى ابن الأشعث الأردن. ومات العباس سنة 186 هـ وكان يتولى الجزيرة وأهله يتهمون فيه الرشيد ويزعمون أنه سمه وأنه سقى بطنه فمات في هذه العلة.

■ (0) الربيع بن حظيان وقيل ابن حيظان ويقال: جظيان بالجيم. بصري الأصل، سكن دمشق، وولاه المنصور دار الضرب بدمشق. ذكره العسكري حظيان بالجيم، ولم يتابعه أحد عليه؛ وهو تصحيف من العسكري مصنف التصحيف. قال أبو زرعة منكر الحديث

■ (2) ابن محمر الكناني – ؟

مراجع: /-مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ / الأعلام للزركلي/

قال ابن عائشة، حدثني أبي قال:كانت عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية[1] عند هشام بن عبد الملك[2]، وكانت من أجمل النساء، فدخل عليها يوما، وعليها ثياب سود رقاق من هذه التي يلبسها النصارى يوم عيدهم، فملأته سرورا حين نظر إليها، ثم تأملها فقطب، فقالت: ما لك يا أمير المؤمنين؟ أكرهت هذه، ألبس غيرها؟ قال: لا! ولكن رأيت هذه الشامة التي على كشحك من فوق الثياب، وبك يذبح النساء، وكانت بها شامة في ذلك الموضع، أما إنهم سينزلونك عن بغلة شهباء، يعني بني العباس، وردة، ثم يذبحونك ذبحا. قال: وقوله يذبح بك النساء، يعني إذا كانت دولة لأهلك ذبحوا بك من نساء القوم الذين ذبحوك. فأخذها عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس[3]، وكان معها من الجوهر ما لا يدرى ما هو، ومعها درع يواقيت وجوهر منسوج بالذهب، فأخذ ما كان معها وخلى سبيلها. فقالت، في الظلمة: أي دابة تحتي؟ قيل لها: دهماء، في الظلمة، فقالت، نجوت. قال: فأقبلوا على عبد الله بن علي، فقالوا: ما صنعت؟ أدنى ما يكون يبعث أبو جعفر إليها، فتخبره بما أخذت منها، فيأخذه منك، اقتلها، فبعث في إثرها، وأضاء الصبح، وإذا تحتها بغلة شهباء وردة، فلحقها الرسول، فقالت: مه! فقال: أمرنا بقتلك، قالت: هذا أهون علي، فنزلت فشدت درعها من تحت قدميها وكميها على أطراف أصابعها وخمارها، فما رئي من جسدها شيء. والذي لحقها مولى لآل العباس.

■ (1) عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب، زوج هشام بن عبد الملك وعبدة هي المذبوحة، ذبحت أيام عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس

■ (3) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباس: أمير. هو عم الخليفتين السفاح والمنصور. وهو الذي هزم مروان بن محمد بالزاب شمال العراق، وتبعه إلى دمشق، وفتحها وهدم سورها، وقتل من أعيان بني أمية 80 رجلا بأرض الرملة، ومهد دمشق لدخول السفاح وظل أميرا على بلاد الشام مدة خلافته. فلما ولي المنصور خرج عبد الله عليه، ودعا إلى نفسه، فانتدب المنصور لإخضاعه أبا مسلم الخراساني، فقاتله في نصيبين، فانهزم عبد الله واختفى.وصار إلى البصرة، فأمنه المنصور، فاستسلم، وأشخص إلى بغداد وحبس بها، فوقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله سنة 147 هـ.

■ (2) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

حدث ابن عائشة أن امرأة من نساء بن يأمية قالت لعبد الله بن علي: قتلت من أهلي وذويهم اثنى عشر ألفا فيهم لحية خضبة. ودخلت ابنة مروان عليه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال: لست به. فقالت: السلام عليك أيها الأمير. قال: وعليك السلام. فقالت: ليسعنا عدلكم. قال: إذا لا يبقى على الأرض منكم أحد؛ لأنكم حاربتم علي بن أبي طالب ودفعتم حقه وسممتم الحسن ونقضتم شرطه، وقتلتم الحسين وسيرتم رأسه، وقتلتم زيدا وصلبتم جسده، وقتلتم يحيى بن زيد ومثلتم به، ولعنتم علي بن أبي طالب على منابركم وضربتم علي بن عبد الله ظلما بسياطكم، وحبستم الإمام في حبسكم، فعدلنا ألا نبقي أحدا منكم. قالت: فليسعنا عفوكم. قال: أما هذه فنعم. ثم أمر برد أموالهم عليها ثم قال: سننتم علينا القتل لا تنكرونه..فذوقوا كما ذقنا على سالف الدهر.

عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب، زوج هشام بن عبد الملك وعبدة هي المذبوحة، ذبحت أيام عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس. ولها يقول عمرو بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص حين أخذت أمها أم موسى بنت عمرو بن سعيد درع عبدة بنت عبد الله: من السريع: يا عبد لا تأسي على بعدها..فالبعد خير لك من قربها..لا بارك الرحمن في عمتي..ما أبعد الإيمان من قلبها.

في حدث أبو مسعود الكوفي قال: كانت عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية عند هشام، وكانت أجمل الناس، وكانت إذا رأت أم حكيم بنت يوسف بن يحية بن الحكم بن أبي العاص امرأة هشام أيضا عنده قالت لها: كيف انت يا أمه؟ فيضحك هشام من قولها ويعجبه ظرفها، وأم حكيم هذه التي يقول فيها الوليد بن يزيد: علاني بعاتقات الكروم..واسقياني بكأس أم حكيم. فلما صار عبد الله بن علي إلى الشام خطب عبدة، فأبت عليه التزويج فأمر بها فبقر بطنها، فكان المنصور إذا فعله بها لعنه. قال: وجعلت عبدة حين أتي بها ليبقر بطنها وتقتل تنشد: فقل للشامتين بنا أفيقوا..سيلقى الشامتون كما لقينا.

قال ابن عائشة: فرأيت من يدخل دورنا يطلب اليواقيت للمهدي[1] ليتم به تلك الدرع التي أخذت منها. وإنما كانت بدنا تغطي المرأة إذا قعدت.

لما دخلت البصرة الزنج دخلوا دار جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس[2] فجاؤوا إلى بنته آمنة وهي عجوز كبيرة قد بلغت تسعين سنة، فلما رأتهم قالت: اذهبوا بي إليه، فإنه ابن خال جدتي أم الحسن بنت جعفر بن الحسن بن علي. قالوا: بك أمرنا. فقتلوها.

قال أحمد بن إبراهيم: كانت عبدة ابنة عبد الله الأسوار بن يزيد بن معاوية عند يزيد بن عبد الملك، ثم خلف عليها هشام، وكانت من أحب الناس إليه، وكانت حولاء جميلة، فقبض عليها عبد الله بن علي بحمص ودفعها إلى الكابلي وقال له: اذهب بها فاذبحها. فلما ضرب بيده إليها أنشأت تقول متمثلة بشعر خال الفرزدق[3]: من الوافر: إذا جر الزمان على أناس..كلاكله أناخ بآخرينا..فقل للشامتين بنا أفيقوا..سيلقى الشامتون كما لقينا. فقال لها: يا خبيثة! أتدرين لم أقتلك؟ قالت: لا، قال: إنما أقتلك بامرأة زيد بن علي. فذهب بها الكابلي فذبحها بخربة بحمص. فيقال إن السفياني يخرج ثائرا بها. قال أبو القاسم: هكذا أنشدنا هذين البيتين في هذا الخبر، والذي أنشده أبو بكر بن السراج عن المرد: من الوافر: فإن نغلب فغلابون قدما..وإن نغلب فغير مغلبينا..وما إن طبنا جبن ولكن..منايانا ودولة آخرينا..فقل للشامتين بنا أفيقوا..سيلقى الشامتون كما لقينا.

■ (2) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو القاسم، ابن عم المنصور. ولي المدينة، ثم مكة معها، ثم عزل، فولي البصرة للرشيد. قال عبد السميع بن علي: لا نعرف في بني هاشم أغبط منه، حصل له الشرف والإمرة والمال الجم، والأولاد الزهر، والعبيد.توفي سنة 174 هـ.

■ (3) همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن طائفة.ولد سنة 38 هـ وتوفي في البصرة سنة 110 هـ.

■ (1) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

مراجع: نور القبس/ـمختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ تاريخ دمشق/ مصارع العشاق/ أنساب الأشراف/ التذكرة الحمدونية/ نثر الدر/

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي، المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وسفيان الثوري (١) 0670

حكى القعقاع بن حكيم، فقال: كنت عند المهدي[1] وأوتي بـ سفيان الثوري[2] كبير علماء المسلمين في عصره، فلم دخل عليه سلم ولم يسلم بالخلافة، والربيع قائم على رأسه متكأ على سيفه يرقب أمره، فأقبل عليه المهدي بوجه طلق، وقال له، يا سفيان تفر ههنا وههنا، وتظن أن لو أردناك بسوء لم نقدر عليك!، فقد قدرنا عليك الآن، أفما تخش أن نحكم فيك بهوانا؟ قال سفيان: إن تحكم في يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل. فقال الربيع: يا أمير المؤمنين، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا!، أتأذن لي أن أضرب عنقه؟ فقال المهدي: أسكت! ويلك، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشق لسعادتهم. أكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم. فكتب عهده ودفعه إليه، فأخذه وخرج ورمى به في دجلة، وغاب عن أنظار الناس، فطلب في كل بلد فلم يوجد. فعين مكانه شريك بن عبد الله النخعي. قال الشاعر: تحرز سفيان وفر بدينه..وأمسى شريك مرصدا للدراهم.

حكى عطاء بن مسلم قال: لما استخلف المهدي بعث إلى سفيان، فلما دخل خلع خاتمه فرمى به إليه، فقال: يا أبا عبد الله هذا خاتمي فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة، فأخذ الخاتم بيده وقال: تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين؟! قال عبيد قلت لـ عطاء: يا أبا مخلد! قال له: يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قال: أتكلم على أني آمن؟ قال: نعم، قال: لا تبعث إلي حتى آتيك، ولا تعطني شيئا حتى أسألك، قال: فغضب من ذلك وهم به، فقال له كاتبه: أليس قد أمنته يا أمير المؤمنين؟! قال: بلى، قال: فلما خرج حف به أصحابه فقالوا: ما منعك يا أبا عبد الله وقد أمر أن تعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة، قال: فاستصغر عقولهم ثم خرج هاربا إلى البصرة.

قيل كان سفيان الثوري يصاحب المهدي، فلما ولي الخلافة انقطع عنه، فقال له المهدي: إن لم تصاحبني فعظني! قال: إن في القرآن سورة، أولها: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين] والتطفيف لا يكون إلا شيئا نزرا فكيف من يأخذ أموالا كثيرة ؟.

روى ابن سعد في الطبقات قال: طلب سفيان فخرج إلى مكة، فكتب المهدي أمير المؤمنين إلى محمد بن إبراهيم[3] وهو على مكة يطلبه، فبعث محمد إلى سفيان فأعلمه بذلك، وقال: إن كنت تريد إتيان القوم فاظهر حتى أبعث بك إليهم، وإن كنت لا تريد ذلك فتوار، قال: فتوارى سفيان، وطلب من محمد بن إبراهيم وأمر مناديا فنادى بمكة: من جاء بـ سفيان فله كذا وكذا، فلم يزل متواريا بمكة لا يظهر إلا لأهل العلم ومن لا يخافه، قالوا: فلما خاف سفيان بمكة من الطلب خرج إلى البصرة فقدمها، فنزل قرب منزل يحيى بن سعيد القطان فقال لبعض أهل الدار: أما قربكم أحدا من أهل الحديث؟ قالوا: بلى يحيى بن سعيد قال: جئني به، فأتاه به، فقال: أنا هنا منذ ستة أيام أو سبعة، فحوله يحيى إلى جواره بينه وبينه باب، وكان يأتي بمحدثي أهل البصرة يسلمون عليه ويسمعون منه الحديث، فكان فيمن أتاه جرير بن حازم والمبارك بن فضالة وحماد بن سلمة ومرحوم العطار وحماد بن زيد وغيرهم، وأتاه عبد الرحمن بن مهدي ولزمه، فكان يحيى وعبد الرحمن يكتبان عنه تلك الأيام، وكلم أبا عوانة أن يأتيه فأبى، وقال: رجل لا يعرفني كيف آتيه. وذلك أن أبا عوانة سلم عليه بمكة فلم يرد عليه سفيان السلام -ولعله شك فيه أو كأنه لا يعرفه- وكلم في ذلك فقال: لا أعرفه، ولما تخوف سفيان أن يشهر بمقامه بالبصرة قرب يحيى بن سعيد قال له: حولني من هذا الموضع، فحوله إلى منزل الهيثم بن منصور الأعرجي من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، فلم يزل فيهم فكلمه حماد بن زيد في تنحيه عن السلطان وقال: هذا فعل أهل البدع، وما نخاف منهم؟ فأجمع سفيان وحماد أن يقدما بغداد. وسيأتي أنه توفي قبل أن يذهب. قال ابن سعد: كتب سفيان إلى المهدي أو إلى يعقوب بن داود[4] فبدأ بنفسه فقيل له: إنهم يغضبون من هذا، أي: أنه عندما يكتب: من فلان إلى فلان -وهذه سنة في الرسائل- قالوا له: إن الأمراء يغضبون من ذلك، ولا بد أن يبدأ بهم، فبدأ بهم، فأتاه جواب كتابه بما يجب من التقريب والكرامة والسمع منه والطاعة، فأراد الخروج إليهم، فحم ومرض مرضا شديدا وحضره الموت فجزع، فقال له مرحوم بن عبد العزيز: يا أبا عبد الله! ما هذا الجزع؟ إنك تقدم على الرب الذي كنت تعبده، فسكن وهدأ وقال: انظروا من هاهنا من أصحابنا الكوفيين، فأرسلوا إلى عبدان فقدم عليه عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر والحسن بن عياش أخو أبو بكر بن عياش فأوصى إلى عبد الرحمن بن عبد الملك وأوصاه أن يصلي عليه، فأقام عنده حتى مات، فأخرج بجنازته على أهل البصرة فجأة وسمعوا بموته، وشهده الخلق، وصلى عليه عبد الرحمن بن عبد الملك، وكان رجلا صالحا رضيه سفيان لنفسه، ونزل في حفرته ونزل معه خالد بن الحارث وغيرهما، ودفنوه، ثم انصرف عبد الرحمن بن عبد الملك والحسن بن عياش إلى الكوفة فأخبرا أهلها بموت سفيان رحمه الله. وحكي عن أبي صالح بن حرب المدائني – وكان أحد السادة الأئمة الأكابر في الحفظ والدين – أنه قال: إنني لأحسب بجاء بسفيان الثوري يوم القيامة حجة من الله على الخلق، يقال لهم: لم تدركوا نبيكم عليه أفضل الصلاة والسلام فلقد رأيتم سفيان الثوري، ألا اقتديتم به.

■ (2) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم وزبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك وابن المبارك ويحيى وعبد الرحمن وابن وهب وأمم لا يحصون.

■ (4) يعقوب بن داود بن عمر (أو بن طهمان) السلمي بالولاء، أبو عبد الله: كاتب، من أكابر الوزراء. كان يكتب لإبراهيم ابن عبد الله بن الحسن المثنى. وخرج إبراهيم على المنصور العباسي بالبصرة، فظفر به المنصور وقتله سنة 145 وحبس يعقوب.ثم أطلق بعد وفاة المنصور، فتقرب من المهدي وعلت منزلته عنده، حتى صدر مرسوم إلى الدواوين يقول: إن أمير المؤمنين المهدي قد آخى يعقوب بن داود واستوزره سنة 163 فغلب على الأمور كلها، وقصدته الشعراء بالمدائح، وكثر حساده، وتتابعت الوشايات فيه. وسقط عن برذون، فانكسر ساقه، فعاده المهدي في اليوم الثاني. وانتهز الوشاة فرصة غيابه عن العمل، فذكروا للمهدي صلته الأولى بالعلويين، فيقال إنه أراد اختباره، فطلب منه أن يريحه من شخص سماه له، من العلويين، فاكتفى يعقوب بأن وكل أحد رجاله بالعلوي وأعطاه مالا، وأوعز إليه بالرحيل والاختفاء، وبعد مدة سأله المهدي عنه، فقال: مات. وعرف المهدي أنه كذب عليه، فانفجر سخطه،وعزله سنة 167هـ وأمر بحبسه في المطبق وصادر أمواله. ومكث في الحبس إلى أن مضت خمس سنوات وشهور من ولاية هارون الرشيد فأخرج سنة 175هـ وقد ذهب بصره، ورد عليه الرشيد ماله، وخيره في الإقامة حيث يريد، فاختار مكة، فأذن له، فأقام بها إلى أن مات سنة 187 هـ. وهو الذي يقول فيه بشار: بني أمية هبوا، طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود !.

■ (3) محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المعروف بالإمام، ولد سنة 122 هـ. كان يلي إمارة الحاج وإقامة شعائر الحج في خلافة المنصور عدة سنين. توفي.سنة 185 هـ ببغداد فصلى عليه الأمين، ودفن بالعباسية.

■ (1) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

أيها المؤمنون، لقد علم الخليفة المهدي أن أمثال سفيان لا يعبؤون بتهديدهم، بل إنهم يروا في قتلهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سعادتهم، كما يعلم أمثال المهدي أن في ذلك شقائهم. ولقد علم هذه الحقيقة نفر من أئمة الدعوة والإصلاح في أيامنا هذه، فأدوا حق الله في العلم الذي علموه وهم اليوم بين سجين يرفع مظلمته إلى الله وطريد فر بدينه من بطش الفراعنة الطغاة، وقائم بأمر الله لا يعبأ بانتعاش الباطل وتهديداته، ولقد سقط في الامتحان آخرون فورثوا مهمة أمثال الربيع أعوان للشر، يوبقون بنصرتهم للباطل أخرتهم وأخرة من ينصرون من الطغاة، ولكن الفارق اليوم، أن أمثال المهدي كانوا يعرفون منزلة سفيان، فيرغبون إليهم ليتولوا عندهم المناصب، ليرتفعوا بهم في أعين الناس، لكن فراعين اليوم يبعدون الصالحين ويقربون شرر الناس وعلماء السوء الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَّالِ الأئمَّةُ الْمُضلُّونَ﴾ وقال: ﴿أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةُ الْمُضِلِّينَ﴾ سفيان رمى بصك تعيينه في أوحال دجلة، ولكن الخاسئين اليوم يبحثون في الأوحال عن صكوك لتعيينهم في حاشية السلاطين، سفيان اختف عن الناس فرارا من أن تضمه قائمة حاشية السلطان، ذلك السلطان الذي كان يحكم بشرع الله، ويرسل جيوشه للجهاد في سبيل الله، لأن في حكمه بعض المظالم، وشرار علمائنا اليوم يصطفون أرتالا على باب الذين عطلوا شرع الله، وساموا الناس خسفا ليفوزوا بما يوبق دنيهم واخرتهم، فلم يبق مثال لقوافل المصلحين إلا نزر يسير من أئمة الهدى، نسأل الله أن يثبتهم، وينفع بهم، ويحسن خلاصهم لتعود راية الحق خفاقة في ربوع هذه البلاد التي اعزها الله..

قيل: جاء كتاب من الخليفة إلى محمد بن إبراهيم، وكان على الموسم: ابعث إلي سفيان الثوري فقال له: يا أبا عبد الله، هذا كتاب أمير المؤمنين. قال: فمه؟ قال: كتب إلينا أن نبعث بك إليه. قال: السمع والطاعة. فقال للرسول: هذا سفيان بن سعيد وها هو يجيء معك، وأنت أعلم. فخرج سفيان إلى الرسول وعليه إزاران متزر بأحدهما، والآخر على كتفه. فلما بلغ الباب، قال للرسول: أعلم الأمير. فرجع معه. قال: رحمك الله، من ها هنا إلى العراق بغير نفقة؟ قال: يا أبا عبد الله، وتريد نفقة؟ قال: نعم. قال: يا غلام، هات كيسا. فجاء بكيس فيه ألف دينار قال: يا أبا عبد الله، إن أردت زدناك. قال: لا، في هذا بلاغ. فأخذ الكيس وخرج، فلما كان في بعض الطريق والرسول يذهب به إلى دار البريد مروا بخربة، فلف سفيان الكيس في إزاره، ووضعه على باب الخربة، وقال للرسول: أبصر هذا حتى أبول، ودخل فأقام الرسول ما شاء الله، فلما لم يره حمل الإزار ودخل فلم ير شيئا، فحمل الإزار ومضى إلى محمد بن إبراهيم، فلما رآه ضحك. قال: ويلك مالك؟ قال: خدعني وقص عليه القصة فقال له: ويلك، ولم تركته؟ قال: لم أظن أنه يذهب عريان، ويدع الكيس. قال: ثكلتك أمك، إني أحسب لو كان جميع ما يملكه تركه.

عن نافع، أن ابن عمر قال لعثمان: ﴿يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَا أَقْضِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ، قَالَ: فَإِنَّ أَبَاكَ كَانَ يَقْضِي. فَقَالَ: إِنَّ أَبِي لَوْ أُشْكِلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ سَأَلَ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ أُشْكِلَ عَلَى رَسُولِ اللهِّ لَهُ شَيْءٌ سَأَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنِّي لَا أَجِدُ مَنْ أَسْأَلُهُ، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ عَاذَ بِاللهِّ فَقَدْ عَاذَ بِعَظِيمٍ. وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ عَاذَ بِاللهِّ فَأَعِيذُوهُ. وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللهِّ أَنْ تَجْعَلَنِي قَاضِيًا! فَأَعْفَاهُ، قَالَ: لَا تُخْبِرْ أَحَدًا﴾ (لا تخبر أحدا) أي لا تعلم أحدا غيرك بما ذكرته لئلا ينسد الباب هذا. وعن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ؛ فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ﴾ و عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنِ ابْتَغَى الْقَضَاءَ وَسَأَلَ وُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أُكْرِهَ عَلَيْهِ أَنْزَلَ اللهُّ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ﴾ (من ابتغى) أي طلب في نفسه (القضاء) أي الحكومة الشاملة للإمارة (وسأل) أي وطلبه من الناس وفي رواية: وسأل فيه شفعاء (وكل إلى نفسه) أي لم يعنه الله وخلي مع طبعه وما اختاره لنفسه (ومن أكره عليه) أي واختاره بحكم إجباره، أو تعينه معتقدا أن الخير فيما اختاره الله له (أنزل الله عليه ملكا) أي من حيث لا يعلم (يسدده) أي يحمله على السداد والصواب. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ طَلَبَ قَضَاءَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَنَالَهُ، ثُمَّ غَلَبَ عَدْلُهُ جَوْرَهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ غَلَبَ جَوْرُهُ عَدْلَهُ فَلَهُ النَّارُ﴾ (من طلب قضاء المسلمين حتى يناله) أي إلى أن يدرك القضاء (ثم غلب عدله جوره) أي قوي عدله على جوره؛ بحيث منعه عن الجور، أو الظلم في الحكم (فله الجنة) أي مع الفائزين، قال الطيبي: إن يقل قوله (حتى) غاية للطلب و(حتى) للتدرج، فيفهم منه أنه بالغ في الطلب، وبلغ مجهوده فيه، ثم ناله، فمثل هذا موكول إلى نفسه، فلا ينزل عليه ملك يسدده، فكيف يغلب عدله جوره؟ وقد قال في الحديث السابق: (من ابتغى القضاء وسأل وكل إلى نفسه) فكيف الجمع بينهما؟ يمكن أن يقال الطالب رجلان؛ رجل مؤيد بتأييد الله محدث ملهم كالصحابة، ومن بعدهم من التابعين، فإذا طلبه بحقه فمثل هذا لا يكون موكولا إلى نفسه وهو يقضي بالحق، وهذا هو الذي غلب عدله جوره، ورجل ليس كذلك، وهو الذي وكل إلى نفسه، فيغلب جوره عدله، وهذا معنى قوله: (ومن غلب جوره عدله فله النار) قال التوربشتي: ربما يسبق إلى فهم بعض من لا يتحقق القول أن المراد من الغلبة أن يزيد ما عدل فيه على ما جار وهذا باطل.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ مسند أحمد/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ الوافي بالوفيات/ وفيات الأعيان/ آثار البلاد وأخبار العباد/ مختصر تاريخ دمشق/

عن سفيان الثوري[1] قال: حج المهدي، فرأيته يرمي جمرة العقبة، والناس محيطون به يمينا وشمالا يضربون الناس بالسياط، فوقفت، فقلت: يا حسن الوجه، حدثنا أيمن بن وائل عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال: ﴿رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ يَوْمَ النَّحْرِ عَلَى نَاقَةٍ صَهْبَاءَ، لَيْسَ ضَرْبَ وَلَا طَرْدَ وَلَيْسَ قِيلَ: إِلَيْكَ إِلَيْكَ﴾ وها أنت يخبط الناس بين يديك يمينا، وشمالا، فقال لرجل: من هذا ؟ قال: سفيان الثوري، فقال يا سفيان: لو كان المنصور ما احتملك على هذا، فقال: لو أخبرك المنصور بما لقي لقصرت عما أنت عليه، قال: فقيل له، قال لك يا حسن الوجه، ولم يقل يا أمير المؤمنين، فقال: اطلبوه، فطلبوه فلم يجدوه، واختفى.

قال عبد الله بن صالح العجلي: دخل سفيان على المهدي، فقال: سلام عليكم، كيف أنتم يا أبا عبد الله، ثم جلس، فقال: حج عمر بن الخطاب فأنفق في حجته ستة عشر ديناراً، وأنت حججت فأنفقت في حجتك بيوت الأموال، قال: فأي شيء تريد؟ تريد أن أكون مثلك!. قال: فوق ما أنا فيه ودون ما أنت فيه، فقال وزيره أبو عبيد الله:[2] أبا عبد الله قد كانت كتبك تأتينا فننفذها، قال: من هذا؟ قال: أبو عبيد الله وزيري، قال: احذره فإنه كذاب، إني ما كتبت إليك، ثم قام فقال له المهدي: إلى أين يا أبا عبد الله؟، قال: أعود؛ وكان قد ترك نعله حين قام، فعاد فأخذها ثم مضى، فانتظره المهدي فلم يعد، فقال: وعدنا أن يعود فلم يعد، فعلم أنه عاد لأخذ نعله، فغضب فقال: قد أمن الناس إلا سفيان الثوري وإنه لفي المسجد الحرام، فذهب فألقى نفسه بين النساء فخبأنه، فقيل له: لم فعلت فقال: إنهن أرحم؛ ثم خرج إلى البصرة فلم يزل بها حتى مات.

■ (1) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم وزبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك وابن المبارك ويحيى وعبد الرحمن وابن وهب وأمم لا يحصون.

■ (2) أبو عبيد الله، وزير المهدي وكاتبه. اسمه معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري، مولاهم. أصله من طبرية، وكان ذا دين وتعبد، من خيار الوزراء. وكان المهدي يعظمه ولا يخالفه في رأي. قلا حفيده عبيد الله بن سليمان بن أبي عبيد الله: أبلى أبو عبيد الله سجادتين، وأسرع في الثالث موضع الركبتين، والوجه، واليدين، من كثرة صلاته. وكان له في كل يوم كر دقيق يتصدق به، فلما اشتد الغلاء أتاه مولاه فقال: قد غلا السعر فلو نقصنا من الكر، فقال: أنت شيطان، صيره كرين. قال: وأخبرت أن الجسور يوم مات امتلأت، فلم يعبر عليها أحد إلا من تبع جنازته من مواليه واليتامى والأرامل والمساكين. قيل توفي سنة 170 هـ.

☪

اعلم أخي القارىء أن المعاصي في الحرم ليست كالمعاصي في غيره، قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج] وقال الله تعالى:﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة] وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب] لذا كان لزاما على الحاج أن يبتعد عن جميع المعاصي، فلا يؤذي أحدا بلسانه، ولا بيده، ولا يزاحم الحجاج والمعتمرين زحاما يؤذيهم، ولا ينقل النميمة ولا يقع في الغيبة، ولا يجادل مع أصحابه وغيرهم إلا بالتي هي أحسن، ولا يكذب، ولا يقول على الله ما لا يعلم، وغير ذلك من أنواع المعاصي والسيئات.عن قدامة بن عبد الله، قال: ﴿رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَرْمِي جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ صَهْبَاءَ، لَا ضَرْبَ، وَلَا طَرْدَ، وَلَا إِلَيْكَ إِلَيْكَ﴾ قال ابن عباس: ﴿الشَّيْطَانَ تَرْجُمُونَ وَمِلَّةَ أَبِيكُمْ تَتْبَعُونَ﴾ وعن أبي هريرة، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ﴾ قال عمر بن الخطاب:﴿مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ لَا يُرِيدُ غَيْرَهُ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ﴾ قال حبيب: دخل عثمان بن عفان فوجد غلامه يعلف ناقة له، وإذا في علفها شيء فأخذ بأذنه فعركها ثم ندم فقال للغلام: قم فاقتص مني! فأبى الغلام فلم يزل به حتى قام فأخذ بأذنه ثم قال له: اعرك اعرك، وهو يقول شد شد حتى عرف عثمان أنه بلغ منه ثم قال: واها لقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة!.

☪

قال الفريابي: كتب سفيان بن سعيد إلى عباد بن عباد فقال: من سفيان بن سعيد إلى عباد بن عباد، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله فإن اتقيت الله عز وجل كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عندك من الله شيئا، سألت أن أكتب إليك كتابا اصف لك فيه خلالا تصحب بها أهل زمانك وتؤدي إليهم ما يحق لهم عليك وتسأل الله عز وجل الذي لك، وقد سألت عن أمر جسيم، الناظرون فيه اليوم المقيمون به قليل، بل لا أعلم مكان أحد، وكيف يستطاع ذلك؟ وقد كدر هذا الزمان، إنه ليشتبه الحق والباطل، ولا ينجو من شره إلا من دعا بدعاء الغريق، فهل تعلم مكان أحد هكذا؟ وكان يقال: يوشك أن يأتي على الناس زمان لا تقر فيه عين حكيم، فعليك بتقوى الله عز وجل والزم العزلة واشتغل بنفسك واستأنس بكتاب الله عز وجل، واحذر الأمراء، وعليك بالفقراء والمساكين والدنو منهم فإن استطعت أن تأمر بخير في رفق فإن قبل منك حمدت الله عز وجل وإن رد عليك أقبلت على نفسك فإن لك فيها شغلا، واحذر المنزلة وحبها فإن الزهد فيها أشد من الزهد في الدنيا، وبلغني أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يتعوذون أن يدركوا هذا الزمان وكان لهم من العلم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركنا على قلة علم وبصر وقلة صبر وقلة أعوان على الخير مع كدر من الزمان وفساد من الناس، وعليك بالأمر الأول والتمسك به وعليك بالخمول فإن هذا زمان خمول وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إياكم والطمع فإن الطمع فقر واليأس غنى وفي العزلة راحة من خلاط السوء، وكان سعيد بن المسيب يقول: العزلة عبادة، وكان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض فأما اليوم فقد ذهب ذلك والنجاة في تركهم فيما نرى، وإياك والأمراء والدنو منهم وأن تخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تخدع فيقال لك: تشفع فترد عن مظلوم أو مظلمة فإن تلك خدعة إبليس وإنما اتخذها فجار القراء سلما، وكان يقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، وما كفيت المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم، وإياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله وينشر قوله أو يسمع منه، وإياك وحب الرياسة فإن من الناس من تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، واحذر الرياء فإن الرياء أخفى من دبيب النمل، وقال حذيفة: سيأتي على الناس زمان يعرض على الرجل الخير والشر فلا يدري أيا ركب، وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا تَزَالُ يَدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ وَفِي كَنَفِهِ وَفِي جِوَارِهِ وَجَنَاحِهِ مَا لَمْ يمل قُرَّاؤُهُمْ إِلَى أُمَرَائِهِمْ وَمَا لَمْ يَبَرَّ خِيَارُهُمْ أشرارهم وَمَا لَمْ يُعَظِّمْ فُجَّارَهُمْ أَبْرَارُهُمْ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ رَفَعَهَا عَنْهُمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَأَنْزَلَ بِهِمُ الْفَاقَةَ وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ جبابرتهم فساموهم سُوءَ الْعَذَابِ﴾ وقال: إذا كان ذلك لا يأتيهم أمر يضجون منه إلا أردفه بآخر يشغلهم عن ذلك. فليكن الموت من شأنك ومن بالك، وأقل الأمل وأكثر ذكر الموت فإنك إن أكثرت ذكر الموت هان عليك أمر دنياك، وقال عمر: أكثروا ذكر الموت إنكم إن ذكرتموه في كثير قلله وإن ذكرتموه في قليل كثره، واعلموا أنه قد حان للرجل يشتهى الموت أعاذنا الله وإياك من المهالك وسلك بنا وبك سبيل الطاعة.

☪

في رواية عن إبراهيم الجوهري قال: أغلظ ابن ثوبان[1] لأمير المؤمنين المهدي في كلام، فاستشاط ثم سكن، فقال: والله لو كان المنصور حيا ما أفاتك، قال: لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين، فوالله لو كشف لك عن المنصور حتى يخبرك بما لقي ربما عاين، ما جلست مجلسك غدا. وروى الوليد بن مزيد، عن الأوزاعي: أنه كتب إلى عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان: أما بعد فقد كنت بحال أبيك لي وخاصة سريرته، فرأيت أن صلتي إياك بالنصيحة في أول ما بلغني عنك من تخلفك عن الجمعة والصلوات فجددت ولججت. ثم بررتك فوعظتك وأجبتني بما ليس لك فيه حجة ولا عذر، وقد أحببت أن أقرن بنصيحتي إياك عهدا عسى الله أن يحدث خيرا، وقد بلغنا أن خمسا كان عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم باحسان: اتباع السنة وتلاوة القرآن ولزوم الجماعة وعمارة المساجد والجهاد في سبيل الله. وحدثني سفيان الثوري أن حذيفة بن اليمان كان يقول: من أحب أن يعلم أصابته الفتنة أولا فلينظر، فإن رأى حلالا كان يراه حراما، أو يرى حراما كان يراه حلالا، فليعلم أن قد أصابته. وقد كنت قبل وفاة أبيك رحمه الله ترى ترك الجمعة والصلوات في الجماعة حراما فأصبحت تراه حلالا، وكنت ترى عمارة المساجد من شرف الأعمال فأصبحت لها هاجرا، وكنت ترى أن ترك عصابتك من الحرس في سبيل الله حرجا فأصبحت تراه جميلا. وحدثني سفيان منقطعا عن ابن عباس أنه قال:﴿مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ أَرْبَعًا مُتَوَالِيَاتٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَقَدْ نَبَذَ الْإِسْلَامَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾وحدثني الزهري عن أبي هريرة: أنه ﴿مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ﴾ . وقد خاطرت بنفسك من هذين الحديثين عظيما فإنهم رأيك فإنه شر ما أخذت به وأرض بأسلافك. وقد كنت في ثلاث سنوات مررن –والمساجد والديار تحرق والدماء تسفك والأموال تنتهب– مع أبيك لا تخالفه في ترك جمعة ولا حضور صلاة مسجد، ولا ترغب عنه حتى مضى لسبيله، وأنت ترى أنك بوجه هذا الحديث: ﴿كن جليس بيتك﴾ ومثله من الأحاديث أعلم بها من أبيك وممن أدرك من أهل العلم، فأعيذك بالله وأنشدك به أن تعتصم برأيك شاذا به دون أبيك وأهل العلم قبله، وأن تكون لأصحاب الأهواء قوة وللسفهاء في تركهم الجمعة فتنة يحتجون بك إذا عوبروا على تركها. أسأل الله أن لا يجعل مصيبتك في دينك، ولا يغلب عليك شقاء ولا اتباع هوى بغير هدى منه، والسلام عليك. وحدث العباس بن الوليد عن أبيه قال: لما كانت السنة التي تناثرت فيها الكواكب خرجنا ليلا إلى الصحراء مع الأوزاعي وأصحابنا ومعنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان. قال: فسل سيفه فقال: إن الله قد جد فجدوا. قال: فجعلوا يسبونه ويؤذونه وينسبونه إلى الضعف. قال: فقال الأوزاعي: إني أقول أحسن من قولكم عبد الرحمن قد رفع عنه القلم – أي أنه مجنون –.

■ (1) عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان أبو عبد الله العنسي بالنون الدمشقي المحدث، أحد الصالحين. ولد في خلافة عبد الملك، وتوفي سنة 165 هـ. وهو بن تسعين سنة.وثقه أبو حاتم، واختلف قول ابن معين فيه، ووثقه دحيم. قال ابن معين: ليس به بأس، وقال ابن حنبل وغيره: أحاديثه منكرة، وقال صالح جزرة: قدري ضعيف.

مراجع: إحياء علوم الدين / سنن النسائي/ وفيات الأعيان/ المستدرك على الصحيحين للحاكم/ مصنف ابن أبي شيبة/ مسند أحمد/ سراج الملوك/ سير أعلام النبلاء/ مختصر تاريخ دمشق/ شذرات الذهب/ أرشيف ملتقى أهل الحديث/ الوافي بالوفيات/ تاريخ الإسلام للذهبي

قال سفيان الثوري:[1] لما حجَّ المهدي قال: لا بُدَّ لي من سفيان فوضعوا لي الرصَد حول البيت فأخذوني بالليل، فلمَّا مثلت بين يديه أدناني ثم قال: لأيِّ شيء لا تأتينا فنستشيرك في أمرنا، فما أمرتنا من شيء صرنا إليه وما نهيتنا عن شيء انتهينا عنه؟ فقلت له: كم أنفقت في سفرك هذا؟ قال: لا أدري لي أمناء ووكلاء. قلت: فما عذرك غدًا إذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك؟ لكن عمر بن الخطاب لما حجَّ قال لغلامه: كم أنفقت في سفرنا هذا ؟ قال: يا أمير المؤمنين ثمانية عشر دينارًا. قال: ويحك أجحفنا ببيت مال المسلمين. وقد علمت ما حدثنا به منصور عن الأسود بن علقمة عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ورُبَّ مُتَخوِّض فِيما شَاءَتْ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ مَالْ الله ورَسُولِه لَيْسَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَة إلاّ النَّار﴾ فيقول أبو عبيد الكاتب والوزير: أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا؟ فيجيبه سفيان بقوة المؤمن وعزة المسلم: اسكت إنما أهلك فرعون هامان وهامان فرعون.

وفي رواية دخل سفيان الثوري على الخليفة المهدي فنصحه وأغلظ له في القول فقال له وزير المهدي: تكلم أمير المؤمنين بمثل هذا؟ فقال له سفيان: اسكت ما أهلك فرعون إلا هامان، فلما ولى سفيان قال الوزير للمهدي: أتأذن لي أن أضرب عنقه؟ فقال له: اسكت، ما بقي على وجه الأرض من يستحيا منه غير هذا.

دخل سفيان على المهدي فكلمه بكلام فيه غلظة، فقال له عيسى بن موسى:[2] أتكلم أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام، وأنت رجل من ثور حقير ذليل؟ لعن الله ثورا وما ولد. فقال له سفيان: من أطاع الله من آل ثور خير ممن عصى الله من قومك.

■ (1) سفيان الثوري هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات.

■ (2) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو موسى الهاشمي، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح، نشأ بالحميمة من أرض البلقاء من كور دمشق ثم انتقل مع أهله إلى العراق وجعله السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور أخره وجعله ولي عهده بعد ابنه المهدي وكان جليلا في أهل بيته وولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور، ولد سنة 103 هـ أو104 هـ وتوفي بالكوفة سنة 167 هـ

عن نوفل بن أبي الفرات:﴿كَتَبَتِ الْحَجَبَةُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَأْمُرُ لِلْبَيْتِ بِكِسْوَةٍ كَمَا يَفْعَلُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ إِنِّي رَأَيْتُ أَنْ أَجْعَلَ ذَلِكَ فِي أَكْبَادٍ جَائِعَةٍ فَإِنَّهُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ وعن أبي بكر بن حفص بن عمر قال: جاءت أم المؤمنين عائشة إلى أبي بكر وهو يعالج ما يعالج الميت، ونفسه في صدره، فتمثلت هذا البيت: [البحر الطويل] لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى..إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ. فَنَظَرَ إِلَيْهَا كَالْغَضْبَانِ ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ [ق]، إِنِّي قَدْ كُنْتُ نَحَلْتُكِ حَائِطًا، وَإِنَّ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْئًا، فَرُدِّيهِ إِلَى الْمِيرَاثِ، قَالَتْ: نَعَمْ، فَرَدَدْتُهُ فَقَالَ: أَمَا إِنَّا مُنْذُ وَلِينَا أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ نَأْكُلْ لَهُمْ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَلَكِنَّا قَدْ أَكَلْنَا مِنْ جَرِيشِ طَعَامِهِمْ (أي غليظ الطعام) فِي بُطُونِنَا، وَلَبِسْنَا مِنْ خَشِنِ ثِيَابِهِمْ عَلَى ظُهُورِنَا، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ إِلَّا هَذَا الْعَبْدُ الْحَبَشِيُّ، وَهَذَا الْبَعِيرُ النَّاضِحُ، وَجَرْدُ هَذِهِ الْقَطِيفَةِ، فَإِذَا مُتُّ فَابْعَثِي بِهِنَّ إِلَى عُمَرَ وَابْرَئِي مِنْهُنَّ فَفَعَلْتُ، فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ عُمَرَ بَكَى حَتَّى جَعَلَتْ دُمُوعُهُ تَسِيلُ فِي الْأَرْضِ وَيَقُولُ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، لَقَدْ أَتْعَبَ مَنْ بَعْدَهُ، رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، لَقَدْ أَتْعَبَ مَنْ بَعْدَهُ، يَا غُلَامُ ارْفَعْهُنَّ ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ، تَسْلُبُ عِيَالَ أَبِي بَكْرٍ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَبَعِيرًا نَاضِحًا، وَجَرْدَ قَطِيفَةٍ ثَمَنَ خَمْسَةِ الدَّرَاهِمِ؟، قَالَ:فَمَا تَأْمُرُ؟، قَالَ: تَرُدُّهُنَّ عَلَى عِيَالِهِ، فَقَالَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ، أَوْ كَمَا حَلَفَ، لَا يَكُونُ هَذَا فِي وِلَايَتِي أَبَدًا، وَلَا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مِنْهُنَّ عِنْدَ الْمَوْتِ وَأَرُدُّهُنَّ أَنَا عَلَى عِيَالِهِ، الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ﴾ قال رجل[1] لعمر بن الخطاب:﴿يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ وَسَّعْت عَلَى نَفْسِك فِي النَّفَقَةِ مِنْ مَالِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَتَدْرِي مَا مَثَلِي وَمَثَلِ هَؤُلَاءِ؟ كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَجَمَعُوا مِنْهُمْ مَالًا، وَسَلَّمُوهُ إِلَى وَاحِدٍ يُنْفِقُهُ عَلَيْهِمْ، فَهَلْ يَحِلُّ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَنْ يَسْتَأْثِرَ عَنْهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ؟﴾ وحمل مرة إلى عمر مال عظيم من الخمس، فقال: ﴿إنَّ قَوْمًا أَدَّوْا الْأَمَانَةَ فِي هَذَا لَأُمَنَاءُ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: إنَّك أَدَّيْت الْأَمَانَةَ إلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَأَدَّوْا إلَيْك الْأَمَانَةَ، وَلَوْ رَتَعْت لَرَتَعُوا﴾ وكان عمر يقول: إني أنزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء] وكان رحمه الله يقول: أنا أُخبركم بما أَستَحِلُّ منه (أي من مال المسلمين) حُلَّتَيْن: حُلّةً في الشتاء وحُلّةً في الصيف وما أحجُّ عليه وعتمرٌ من الظَّهْر وقوت أهلي كقوتِ رجلٍ من قريش، ليس بأغناهم ولا أفقرهم. وعن قتادة، قال: كان معيقيب على بيت مال لعمر، فكسح بيت المال يوما فوجد فيه درهما، فدفعه إلى ابن عمر، قال معيقيب: ثم انصرفت إلى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاء يدعوني، فجئت فإذا الدرهم في يده، فقال:ويحك يا معيقيب أوجدت علي في نفسك شيئا؟، أو ما لي ولك؟، قلت:وما ذلك؟، قال:أردت أن تخاصمني أمة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الدرهم يوم القيامة؟.وعن عبد الله بن عمر قال: اشتريتُ إبلاً وارتجعتها* إلى الحِمى* فلما سَمُنَتْ قدِمتُ بها قال: فدخل عمرُ بن الخطاب السوقَ فرأى إبلاً سِمَاناً فقال: لِمَن هذه ؟ قيل: لعبد الله بن عمر، قال: فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر. بخ. بخ! ابن أمير المؤمنين !! قال عبد الله: فجئته أسعى فقلت: ما لكَ يا أمير المؤمنين ؟ قال: ما هذه الإبل؟ قلت: أبلٌ أنضاء اشتريتها وبعثتُ بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال عمر: أردت أن يُقَال: ارعُوا إبل ابن أمير المؤمنين اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين يا عبد الله بن عمر اغْدُ على رأسِ مالك واجعل باقِية في بيت مال المسلمين. هذا الأثر يدل على أن غير النبي صلى الله عليه وسلم ليس له أن يحمي لنفسه، وفيه وفيما قبله دلالة على أن قول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا حِمَى إِلَّا لِلهِّ وَرَسُولِهِ﴾، أراد به أن لا حمى إلا على مثل ما حمى عليه رسوله في صلاح المسلمين، والله أعلم. وعن إبراهيم بن محمد عن أبيه قال: اتخذ عبد الله بن أبي ربيعة أفراسا بالمدينة، فمنعه عمر بن الخطاب، فكلموه في أن يأذن له فقال: لا آذن له إلا أن يجيء بعلفها من غير المدينة، فكان يحمل علفها من أرض له باليمن. وعن العلاء بن عمار قال: خطب علي فقال:﴿أَيُّهَا النَّاسُ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا رَزَأْتُ مِنْ مَالِكُمْ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا إِلَّا هَذِهِ وَأَخْرَجَ قَارُورَةً مِنْ كُمِّ قَمِيصِهِ فِيهَا طِيبٌ. فَقَالَ: أَهْدَاهَا إِلَى الدِّهْقَانُ. ثُمَّ أَتَى بَيْتَ الْمَالِ فَقَالَ: خُذُوا. وَأَنْشَأَ يَقُولُ: أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَّهْ.. يَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَهْ -وفي رواية-: مَرَّهْ. -وفي رواية-:طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَّهْ﴾ (الْقَوْصَرَة) وعاء. وعن عنترة بن عبد الرحمن الشيباني قال: ﴿دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِالْخَوَرْنَقِ وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ وَهُوَ يُرْعِدُ مِنَ الْبَرْدِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ نَصِيبًا فِي هَذَا الْمَالِ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ بِنَفْسِكَ هَذَا؟ ! فَقَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَرْزَأُ مِنْ مَالِكُمْ شَيْئًا، وَهَذِهِ الْقَطِيفَةُ* هِيَ الَّتِي خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَيْتِي. أَوْ قَالَ: مِنَ الْمَدِينَةِ﴾ وعن مجمع بن سمعان التميمي قال: ﴿خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِسَيْفِهِ إِلَى السُّوقِ فَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي سَيْفِي هَذَا؟ فَلَوْ كَانَ عِنْدِي أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ أَشْتَرِي بِهَا إِزَارًا مَا بِعْتُهُ﴾ قال سفيان الثوري: كان في إزار علي رضي الله عنه ثمانية عشر رقعة فقيل: يا أمير المؤمنين لو لبست فقال: هذا أخشع للقلب، وأجدر أن يقتدي بي المسلم، قال سفيان: ولم أغالي بإزاري وهذا إزار أمير المؤمنين. وعن عمرو بن قيس قال: قيل: لعلي يا أمير المؤمنين لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن.

عن عبد الله الهوريني قال: لقيت بلالا رضي الله عنه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلب، فقلت: يا بلال، حدثني كيف كانت نفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما كان له شيء إلا أنا الذي كنت ألي ذلك منه منذ بعثه الله إلى أن توفي، فكان إذا أتاه الإنسان المسلم فرآه عائلا يأمرني فأنطلق فأستقرض فأشتري البردة والشيء فأكسوه وأطعمه، حتى اعترضني رجل من المشركين، فقال: يا بلال، إن عندي سعة فلا تستقرض من أحد إلا مني، ففعلت. فلما كان ذات يوم توضأت ثم قمت لأؤذن بالصلاة، فإذا المشرك في عصابة من التجار فلما رآني قال: يا حبشي -قال-: قلت: يا لبيه. فتجهمني وقال قولا عظيما -أو غليظا- وقال: أتدري كم بينك وبين الشهر؟ قلت: قريب، قال: إنما بينك وبينه أربع ليال، فآخذك بالذي لي عليك، فإني لم أعطك الذي أعطيتك من كرامتك ولا من كرامة صاحبك، وإنما أعطيتك لتصير لي عبدا فأذرك ترعى في الغنم كما كنت قبل ذلك؛ قال: فأخذني في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس، فانطلقت فناديت بالصلاة حتى إذا صليت بالعتمة، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فاستأذنت عليه فأذن لي، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إن المشرك الذي ذكرت لك أني كنت أتدين منه قد قال كذا وكذا، وليس عندك ما يقضي عني ولا عندي وهو فاضحي، فأذن لي أن آتي إلى بعض هؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا حتى يرزق الله رسوله صلى الله عليه وسلم ما يقضي عني.فخرجت حتى أتيت منزلي فجعلت سيفي وحرابي ورمحي ونعلي عند رأسي فاستقبلت بوجهي الأفق، فكلما نمت انتبهت، فإذا رأيت علي ليلا نمت حتى انشق عمود الصبح الأول، فأردت أن أنطلق فإذا إنسان يدعو: يا بلال أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت حتى آتيه، فإذا أربع ركائب عليهن أحمالهن، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنت، فقال لي رسول الله: أبشر، فقد جاءك الله بقضاء دينك، فحمدت الله، وقال: ألم تمر على الركائب المناخات الأربع؟ قال: قلت: بلى، قال: فإن لك رقابهن وما عليهن-فإذا عليهن كسوة وطعام أهداهن له عظيم فدك- فأقبضهن إليك ثم إقض دينك. قال: ففعلت، فحططت عنهن أحمالهن، ثم علفتهن، ثم عمدت إلى تأذين صلاة الصبح؛ حتى إذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت إلى البقيع، فجعلت أصبعي في أذني فقلت: من كان يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم دينا فليحضر، فما زلت أبيع وأقضي وأعرض حتى لم يبق على رسول الله صلى الله عليه وسلم دين في الأرض حتى فضل عندي أوقيتان أو أوقية ونصف. ثم انطلقت إلى المسجد وقد ذهب عامة النهار فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد وحده، فسلمت عليه فقال لي:ما فعل ما قبلك؟ قلت: قضى الله كل شيء كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق شيء قال: فضل شيء؟ قلت: نعم، ديناران؛ قال: أنظر أن تريحني منهما؛ فلست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما. فلم يأتنا أحد، فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني، حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبان، فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما، حتى إذا صلى العتمة دعاني فقال: ما فعل الذي قبلك؟ قلت: قد أراحك الله منه، فكبر وحمد الله شفقا من أن يدركه الموت وعنده ذلك، ثم اتبعته حتى جاء أزواجه فسلم على إمرأة إمرأة حتى أتى مبيته. فهذا الذي سألتني عنه.

----

*(الارتجاع) أن يقدم الرجل المصر بإبله فيبيعها ثم يشتري بثمنها مثلها أو غيرها، فتلك الرجعة.(الحمى) هو موضع فيه الكلأ والعشب يحميه الإمام من الناس فلا يرعى فيه أحد ولا يقربه أحد والمعنى لا يحمي شيء من الأرض إلا ما يرصد لرعي خيل الجهاد وإبلها وإبل الزكاة وما في معنى هذا. (القطيفة) دثار مخمل والجمع قطائف

■ (1) الربيع بن زياد بن أنس بن الديان الحارثي، له صحبة. استخلفه أبو موسى على قتال مناذر سنة 17 فافتتحها عنوة وقتل وسبى وقتل بها أخوه المهاجر بن زياد.قيل لما أته مقتل حجر بن عدي قال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه. فلم يبرح من مجلسه حتى مات سنة 53هـ.

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية / الطبقات الكبرى/ السنن الكبرى للبيهقي/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ البداية والنهاية/ سراج الملوك/ مختصر تاريخ دمشق/ حياة الصحابة للكاندهلوى/

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي، المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) ومحمد بن طلحة بن مصرف 0673

روى أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق قال: دخل محمد بن طلحة بن مصرف[1] على المهدي في حاجة. قال: فجلس مع الناس أمام القصر والمهدي في بهو له قاعد مع أصحابه. قال: فجاء المطر.قال: فقام محمد بن طلحة على رجليه، فقال: يا أمير المؤمنين، أمن العدل هذا، أن تكون في الكن*،ونحن في المطر؟! قال: فقال المهدي: من هذا؟ فقالوا: هذا محمد بن طلحة بن مصرف، رجل فيه غفلة. قال: فقال المهدي: ها هنا يا عم، ها هنا يا عم اقعد. فجعل يدنو. قال: والمهدي يقول له: ها هنا يا عم.قال: حتى جاء محمد بن طلحة فوقف بجنب المهدي قال: فقال له: ها هنا يا عم. فقال له محمد بن طلحة: إنما أردت أن أستكن* من المطر. فقال المهدي: أدركت، فحاجتك؟ قال: فسأل حاجته، فقال له المهدي: لم لا تقول لأخيك سفيان الثوري[2] يأتينا ؟قال إذن تكون له الحجة علي، قال فقال له المهدي: كيف تكون له الحجة عليك؟ قال: يقول: ما عملوا بما علموا فجاءهم ما لا يعلمون فاحتاجوا إلي، قال: فقال له: فقل لنا أنت، قال: نعم، تقوم المحتسبات ببيتك، فترد على كل ذي حق حقه، قال: أو غير هذا؟ قال: نعم، تأمر بالصلاة جامعة، واصعد المنبر، فاسأل الناس أن يسوغوك* ما في يدك، ثم تستقبل لهم العدل الآن، فقال: مقبول منك يا عم، قال: فانصرف محمد بن طلحة، قال: فقال المهدي لجلسائه: هذا الذي قلتم إنه مغفل(ما يعقل) ؟!

----

*(الكن) وقاء كل شئ وستره والبيت (استكن) أستتر.(سوغ) الشيء جعله سائغا والأمر ونحوه جوزه وأباحه وفلانا ما أصاب أي ما أخذه جوزه له وتركه خالصا وله كذا أعطاه إياه.

■ (1) محمد بن طلحة بن مصرف اليامي الكوفي صدوق له أوهام، من السابعة، يروي عن أبيه وطبقته، توفي سنة 167هـ

■ (2) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. سمع الثوري من عمرو بن مرة وسلمه بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وعمر بن دينار وابن إسحق ومنصور وحصين وأبيه سعيد بن مسروق والأسود بن قيس وجبلة بن سحيم وزبيد بن الحارث وزياد بن علاقة وسعد بن إبراهيم وأيوب وصالح مولى التوأمة وخلق لا يحصون يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات. وروى عنه ابن عجلان وأبو حنيفة وابن جريج وابن إسحاق ومسعر وهم من شيوخه وشعبة والحمادان ومالك وابن المبارك ويحيى وعبد الرحمن وابن وهب وأمم لا يحصون.

عن خباب بن الأرت في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام] قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعداً مع بلال وصهيب وخباب وناسٍ من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم، فأتوه فخلوا به فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً يعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب ترد عليك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فأقعدهم إن شئت. قال: نعم. قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً، قال: فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل عليه السلام: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام] ثم قال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام] فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيفة من يده، ثم دعانا فأتيناه وهو يقول:﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام] فدنونا منه يومئذٍ حتى وضعنا ركبنا على ركبته، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا، فإذا أراد يقوم قام وتركنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا -قال: تجالس الأشراف- وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا - يعني عيينة والأقرع- وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا. -وأما فرطا: فهلاكاً-﴾ [الكهف] ثم ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ و ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قال خباب: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه، وإلا صبر أبداً حتى نقوم. وعن ابن عباس، أن عمر قال لناس من قريش: بلغني أنكم تتخذون مجالس؛ لا يجلس اثنان معا حتى يقال: من صحابة فلان؟ من جلساء فلان؟ حتى تحوميت المجالس؛ وايم الله إن هذا لسريع في دينكم، سريع في شرفكم، سريع في ذات بينكم؛ ولكأني بمن يأتي بعدكم يقول: هذا رأي فلان، قد قسموا الإسلام أقساما؛ أفيضوا مجالسكم بينكم، وتجالسوا معا؛ فإنه أدوم لألفتكم، وأهيب لكم في الناس. اللهم، ملوني ومللتهم، وأحسست من نفسي وأحسوا مني؛ ولا أدري بأينا يكون الكون، وقد أعلم أن لهم قبيلا منهم؛ فاقبضني إليك.

عن أبي ذر، قال: ﴿أَمَرَنِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ﴾وعن جابر بن عبد الله قال: ﴿لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ قَالَ: أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟ قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا فَلَمَّا ارْتَفَعَتْ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَتَكَلَّمَتْ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقَتْ، صَدَقَتْ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ﴾.

قال ناصر بن محمد الأحمد: كيف يطهر الله أمة وينصرهم، ويرفع شأنهم، وهم لا يأخذون حق ضعيفهم من قويهم، كيف يوفق الله أمة وينصرهم وهم يحابون فيمن يقيمون الأنظمة عليهم من شعوبهم؟.كيف يريدون نصر الله لهم على أعدائهم وهم لا ينصرون العاجز إذا أكل حقه من ذويهم إما في أرض أو في عقار وهم قادرون على ذلك؟. فما أعجب حالنا إن كنا نظن أننا مع تمادينا في ذلك سوف يرفع الله شأننا ويرفع أمرنا. فلا شك أن من كان هذا حالهم في الظلم والتعدي وهضم حقوق الضعفاء وعدم تمكينهم من حاجاتهم كان مآلهم الهلاك المحقق والتأخر والانحطاط وانتصار أعدائهم عليهم. الله إنا نسألك أن تعجل لهذه الأمة فرجها..

مراجع: إحياء علوم الدين / سنن النسائي/ وفيات الأعيان/ المستدرك على الصحيحين للحاكم/ مصنف ابن أبي شيبة/ مسند أحمد/ سراج الملوك/ سير أعلام النبلاء/مختصر تاريخ دمشق/ شذرات الذهب/ تاريخ دمشق/ موسوعة الخطب والدروس/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي، المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) والخيزران 0674

في يوم قال الخليفة المهدي للخيزران:[2] أريد أن أتزوج. فقالت: لا يحلّ لك أن تتزوج عليّ. قال: بلى. قالت: بيني وبينك من شئت. قال: أترضين سفيان الثوري[1]؟ قالت: نعم. فوجه إلى سفيان. فقال: إن أم الرشيد تزعم أنه لا يحل لي أن أتزوج عليها وقد قال الله تعالى:﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء] ثم سكت. فقال له سفيان: أتم الآية يريد قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ وأنت لا تعدل. فأمر له بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها.

■ (1) سفيان الثوري هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات.

■ (2) الخيزران بنت عطاء زوجة المهدي وأم ولده. جرشية. تزوج المهدي الخيزران، فولدت له الهادي والرشيد، ولم تلد امرأة خليفتين غيرها، غير ولادة أم الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان. توفيت الخيزران ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادي الآخرة سنة 173هـ. وقد روي عن الخيزران عن المهدي حديث مسند عن محمد بن سليمان بن منصور يقول:﴿حَدَّثَتْنِي زَيْنَبُ بِنْتُ سُلَيْمَانَ، قَالَتْ حَدَّثَتْنِي الْخَيْزُرَانُ، قَالَتْ حَدَّثَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ اتَّقَى اللهَ وَقَاهُ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ﴾

قال الفضل بن الربيع: خرج الرشيد من عند زبيدة –وقد تغدى عندها ونام– وهو يضحك، فقلت: قد سرني سرور أمير المؤمنين، فقال: ما أضحك إلا تعجبا: أكلت عند هذه المرأة، ونمت، وسمعت رنة فقلت: ما هذا؟ قالوا: ثلاث مئة ألف دينار، وردت من مصر، فقالت: هبها لي يا بن عم، فدفعتها إليها، فما برحت حتى عربدت وقالت: أي خير رأيت منك!.

[طرفة] عن محمد الثقفي قال: دعا معاوية بجارية له خراسانية فخلا بها، وعرضت له وصيفة مولدة فترك الخراسانية وخلا بالوصيفة فنال منها وخرج، فقال للخراسانية: ما اسم الأسد بالفارسية؟ فقالت: كفتار،فخرج وهو يقول: انا الكفتار، فقيل له: يا أمير المؤمنين أتدري ما الكفتار؟ قال: نعم الأسد، قالوا: لا ولكنه الضبع العرجاء، فقال: ما لها الله درها ما أسرع ما أدركت بثأرها. قلت: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْغَيْرَى لاَ تُبَصِّرُ أَسْفَلَ الْوَادِي مِنْ أَعْلاَهُ﴾ ضعيف

عن أبي سعيد الخدري قال:﴿خَرَجَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِّ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِّ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا﴾ وعن ابن عباس حيث ورد في خطبة النبي عليه الصلاة والسلام بعد صلاة الكسوف: ﴿وَأُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ قَالُوا بِمَ يَا رَسُولَ اللهِّ قَالَ بِكُفْرِهِنَّ قِيلَ يَكْفُرْنَ بِاللهِّ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ﴾ متفق عليه، واللفظ للبخاري. قال علي بن نايف: مثل هذه النصوص كثيرا ما تفهم على غير وجهها وبعكس المقصود منها، بسبب المواريث الثقافية المتخلفة التي تنظر للمرأة نظرة دونية، وتقف منها موقفا سلبيا. في البداية يجدر التنويه إلى أن إخبار النبي عليه الصلاة والسلام، بأن النساء أكثر أهل النار، قد رافقه في بعض الروايات الأمر بالصدقة كيلا يدخلنها، ما يؤكد أن السياق هو سياق تحذير وشفقة وليس سياق ذم وتنديد وانتقاص، ويؤيد ذلك أن هذا الإخبار قد ارتبط بيوم العيد حيث المعتاد في أحاديث الناس في الأعياد أن تشتمل على التمنيات الطيبة، والدعوات بالخير والصحة والسلامة وقبول الطاعات، والكلام الطيب اللطيف وكل ما يدخل البهجة والسرور على النفوس، وليس أحد بأكثر لباقة من الرسول صلى الله عليه وسلم في سلوك ولا كلام. إن الكثيرين، وبخاصة في المجتمعات المتخلفة، يجعلون من الضعفاء عموما ومن النساء بالذات، كبش فداء، ويتهمونهن بكل نقيصة، ويزعمون أنهن أساس كل شر وفتنة، ويكفي أن المرأة، بزعمهم، هي سبب خروج آدم من الجنة، وهو الأمر الذي ليس له أصل في النصوص الشرعية الإسلامية، وإن تسلل إلى غيرها. وإذا كان هذا هو منطق الإنسان المتخلف المعزول عن الهدي الإلهي، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يحمل هذه النظرة السوداوية، وليس له موقف سلبي من النساء، بل إنه ليؤكد أنه قد حبب إليه من دنيانا النساء، وحين يسأل عن أحب الناس إليه فإنه عليه الصلاة والسلام، لا يتردد بالقول إنها زوجه السيدة عائشة رضي الله عنها. إن الأكثرية تبدأ من (50٪ + 1) ولا تعني بالضرورة الغالبية العظمى، والرسول الكريم عندما يقول بأن النساء أكثر أهل النار، فإن ذلك لا يعني أنهن الأكثر شرا، كما قد يتوهم البعض لأول وهلة، بل إن ذلك ناتج بداية عن كون النساء هن أكثر أهل الدنيا، إذ أن الحروب تحصد الكثير من الرجال ما يجعل الميزان العددي يميل لصالح المرأة، ومن هنا فإن تشريع تعدد الزوجات لا تعدد الأزواج، له علاقة في بعض جوانبه، بنسبة الرجال إلى النساء.

ذكر الشبلنجي رحمه الله في كتابه نور الأبصار قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره، فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل قائلا: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر فكيف حالي؟، فخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك يا أخي؟، فقال: يا أمير المؤمنين، جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها علي، فسمعت زوجتك كذلك، فرجعت وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟، فقال له عمر: تحملتها لحقوق لها علي، فإنها طباخة لطعامي، خبازة لخبزي، غسالة لثيابي، مرضعة لولدي، وليس ذلك بواجب عليها!، وسكن قلبي بها عن الحرام، فأنا أتحملها لذلك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكذلك زوجتي، قال: فتحملها يا أخي، فإنها هي مدة يسيرة (يعني الفراق بالموت). قال عبد العزيز السلمان: فانظر إلى هذا الإنصاف لأمير المؤمنين فإنه لاحظ الأخلاق الجميلة والمحاسن وغض عن المساوئ بالكلية وتناساها .ثم انظر كيف أثرت سيرته على هذا الرجل الذي جاء إليه ليشكو. وعن جابر بن عبد الله: أنه جاء إلى عمر يشكو إليه ما يلقى من النساء، فقال عمر: إنا لنجد ذلك، حتى إني لأريد الحاجة فتقول لي: ما تذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن!، فقال له عبد الله بن مسعود: أما بلغك أن إبراهيم عليه السلام، شكا إلى الله خلق سارة، فقيل له: إنها خلقت من ضلع، فألبسها على ما كان فيها ما لم تر عليه خربة في دينها؟. وعن أيوب بن موسى حدثه رجل من عمال عمر رضي الله عنه كتب إليه يزعم أن رجلا قال لامرأته: حبلك على غاربك. فكتب إليه عمر رضي الله عنه أن مره فليوافني. قال: فقدم عليه الرجل مكة. فقال: يا أمير المؤمنين، أنا الرجل الذي كتبت فيه إلى فلان أن أي يوافيك. قال له عمر: أنشدك بالله، رب هذا البيت ورب هذا البلد ورب هذا المقام، ما أردت بقولك حبلك على غاربك؟ قال: أما والله لولا أنك نشدتني في مكانك هذا ما أخبرتك، اللهم، أردت فراقها، قال: ففرق بينهما.

في عام اثنين وخمسين ميلادي/ 1371 هـ قام محمد نجيب متغطرسا وقال: سنساوي المرأة بالرجل في جميع الحقوق، وخرجت الصحف من الغد فيها أن الرئيس محمد نجيب ذكر في خطابه أنه سيساوي المرأة بالرجل، كان شيخ الأزهر في ذلك الوقت الخضر حسين[1] رحمه الله (وهو تونسي المولد جزائري الوالدين)، فعندما علم بالخبر اتصل بالرئيس محمد نجيب وقال له: إما أن تكذب الخبر، وإما سأنزل غدا بكفني إلى السوق وأدعو الناس إلى مواجهتك.فجاءه أعضاء مجلس الثورة في مشيخة الأزهر وقالوا له: يا شيخنا هذا الأمر صعب ولكننا نقول لك: هذا غير صحيح. قال: لا ينفع هذا الكلام أريد كما أعلنت أمام الملأ أن تكذب أمام الملأ، وإلا سأنزل غدا وأنا ألبس كفني، والله لن أقف حتى أنتصر في هذه المعركة أو تذهب روحي. قال له: يا مولانا أأنت مُصر على موقفك؟ قال: نعم، فقام محمد نجيب وأعلن تكذيب الخبر وأنه مزيف، وكذا، وكذا وكيف يجوز لي أن أقول بهذا القول وهو يخالف الكتاب والسنة، وبدأ يتكلم في موقف هذا العالم الجليل رحمه الله.[..]

■ (1) محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني: عالم إسلامي أديب باحث، يقول الشعر، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وممن تولوا مشيخة الأزهر.جزائري الأصل ولد سنة 1293 هـ في نفطة من بلاد تونس وتخرج بجامع الزيتونة. ودرس فيه. وولي قضاء بنزرت واستعفى وعاد إلى التدريس بالزيتونة. وزار الجزائر ثلاث مرات، وانتقل إلى المشرق فاستقر في دمشق مدرسا في المدرسة السلطانية قبل الحرب العامة الأولي. وانتدبته الحكومة العثمانية في خلال تلك الحرب للسفر إلى برلين، مع الشيخ عبد العزيز جاويش وآخرين، فنشر بعد عودته إلى دمشق سلسلة من أخبار رحلته، في جريدة المقتبس الدمشقية. ولما احتل الفرنسيون سورية انتقل إلى القاهرة، وعمل مصححا في دار الكتب خمس سنوات. وتقدم لامتحان العالمية الأزهرية فنال شهادتها. ودرس في الأزهر. ثم كان من هيأة كبار العلماء وعين شيخا للأزهر أواخر 1371 واستقال 73 وتوفي بالقاهرة سنة 1377 هـ

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ السياسة الشرعية/ الطبقات الكبرى/ السنن الكبرى/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/ البداية والنهاية/ سراج الملوك/ـمختصر تاريخ دمشق/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ البخاري/ الأعلام للزركلي/ أنساب الأشراف/

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي، المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وشريك بن عبد الله النخعي (١) 0675

قال مصعب بن عبد الله الزبيري: حدثني أبي، قال: تقدم إلى شريك بن عبد الله[1] وكيل لمؤنسة (بنت المهدي!) مع خصم له فجعل يستطيل على خصمه إدلالا بموضعه من مؤنسة، فقال له شريك: كف لا أبا لك، قال: أتقول لي هذا وأنا وكيل مؤنسة، فأمر به فصفع عشر صفعات، فانصرف ودخل على مؤنسة وشكى، فكتبت مؤنسة إلى المهدي، فعزل شريكا، وكان قبل هذا قد دخل شريك على المهدي، فقال له: ما ينبغي أن تقلد الحكم بين المسلمين، قال: ولم؟ قال: لخلافك على الجماعة وقولك بالإمامة، فقال: أما قولك: لخلافك على الجماعة، فمن الجماعة أخذت ديني، فكيف أخالفهم وهم أصل ديني، وأما قولك: وقولك بالإمامة، فما أعرف إلا كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأما قولك: مثلك لا يقلد الحكم بين المسلمين، فهذا شيء أنتم فعلتموه، فإن كان خطأ فلتستغفروا الله منه، وإن كان صوابا فامسكوا عليه. قال: ما تقول في علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما قال فيه جدك العباس وعبد الله، قال: وما قالا فيه قال: أما العباس فمات وعلي عنده أفضل الصحابة، وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل وما احتاج إلى أحد حتى لحق بالله. وأما عبد الله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين، وكان في حروبه رأسا متبعا وقائدا مطاعا، فلو كانت إمامة علي جورا لكان أول من يقعد عنها أبوك لعلمه بدين الله وفقهه في أحكام الله. فسكت المهدي وأطرق، ولم يمض بعد هذا المجلس إلا قليل حتى عزل شريك.

قال الآبي: ولما دعاه المهدي إلى القضاء قال له: لا اصلح لذلك. قال: ولم ذلك؟ قال: لأني نساء. قال: عليك بمضغ اللبان. قال: إني حديد. قال: قد فرض لك أمير المؤمنين فالوذجة توقرك*. قال: إني امرؤ أقضي على الوارد، والصادر. قال: اقض علي، وعلى والدي. قال: فاكفني حاشيتك. قال: قد فعلت. فكانت أول رقعة وردت عليه خالصة جارية المهدي. فجاءت لتتقدم الخصم، فقال: وراءك مع خصمك مرارا. فأبت. فقال: وراءك بالخناء قالت: يا شيخ، أنت أحمق. قال: قد أخبرت مولاك، فأبى علي. فجاءت إلى المهدي تشكو إليه فقال لها: الزمي بيتك، ولا تعرضي له.

----

*(القمطر) القمطر والقمطرة ما تصان فيه الكتب (المحاضر؟) (عيسى بن موسى) في سنة 147 خلع المنصور عمه عيسى بن موسى من ولاية العهد وكان السفاح عهد إليه من بعد المنصور وكان عيسى هو الذي حارب له الأخوين محمد و إبراهيم ابني عبد الله بن حسن فظفر بهما فكافأه بأن خلعه مكرها وعهد إلى ولده المهدي.

(الفالوذ) من الحلواء هو الذي يؤكل يسوى من لب الحنطة فارسي معرب (الوقار) السكينة والوداعة ورجل وقور ووقار ومتوقر: ذو حلم ورزانة

■ (١) شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي. أبو عبد الله، القاضي. أدرك عمر بن عبد العزيز: يعني بالسن، ولم يره. ولد في بخارى سنة 95هـ. ونشأ بالكوفة.وسمى البخاري جده سنانا، وسماه أبو نعيم حارثا. استقضاه المنصور على الكوفة سنة 153 هـ، ثم عزله. وأعاده المهدي، فعزله الخليفة موسى الهادي. توفي بالكوفة سنة 177 هـ

لما عزل شريك عن القضاء قام إليه رجل، فقال: الحمد لله الذي عزلك فقد كنت تطيل النشوة، وتقبل الرشوة، وتوطى العشوة. فقام رجل فخنقه. فجعل يصيح: قتلني يا أبا عبد الله – جعلني الله فداك – فقال شريك: قد ذل من ليس له سفيه.

ودخل على المهدي فقال له: يا شريك، بلغني أنك فاطمي. فقال: أتحب فاطمة؟ أعثر الله من لا يحب فاطمة. فقال المهدي: آمين فلما خرج شريك قال المهدي لمن عنده: لعنه الله، ما أظنه إلا عناني. وقال له يوما: أينا أشرف: نحن أم ولد علي؟ فقال شريك أما مثل فاطمة حتى تساويهم في الشرف. قال حجاج بن يوسف الشاعر سمعت أبا احمد الزبيري يقول: كنت إذا جلست إلى الحسن بن صالح رجعت وقد نغص على ليلتي، وكنت إذا جلست إلى سفيان الثوري رجعت وقد هممت أن أعمل عملا صالحا، وكنت إذا جلست إلى شريك بن عبد الله رجعت وقد استفدت أدبا حسنا.

وروى صالح بن علي قال: كنت مع المهدي فدخل عليه شريك بن عبد الله فأراد أن يبخره، فقال لخادم على رأسه: هات عودا للقاضي، فجاء الخادم بالعود الذي يلهى به فوضعه في حجر شريك، فقال شريك: ما هذا يا أمير المؤمنين قال: هذا أخذه صاحب العسس البارحة فأحببت أن يكون كسره على يد القاضي، فقال: جزاك الله يا أمير المؤمنين خيرا، فكسره. ثم أفاضوا في حديث حتى نسي الأمر ثم قال المهدي لشريك: ما تقول في رجل أمر وكيلا له أن يأتي بشيء بعينه فأتى بغيره فتلف ذلك الشيء فقال: يضمن يا أمير المؤمنين، فقال للخادم: اضمن ما تلف بقيمته.

وقال عبد الله العجلي: قدم هارون الكوفة فعزل شريكا عن القضاء، وكان موسى بن عيسى واليا على الكوفة، فقال موسى لشريك: ما صنع أمير المؤمنين بأحد ما صنع بك: عزلك عن القضاء، قال له شريك: هم أمراء المؤمنين يعزلون الولاة ويخلعون ولاة العهود فلا يعاب ذلك عليهم، فقال موسى: ما ظننت أنه مجنون هكذا لا يبالي ما تكلم به، وكان أبوه عيسى بن موسى ولي العهد بعد أبي جعفر فخلعه أبو جعفر.

وحكى الحريري في كتاب درة الغواص أنه كان لشريك المذكور جليس من بني أمية، فذكر شريك في بعض الأيام فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ذلك الأموي: نعم الرجل علي، فأغضبه ذلك وقال: ألعي يقال نعم الرجل فأمسك حتى سكن غضبه ثم قال: يا أبا عبد الله ألم يقل الله تعالى في الإخبار عن نفسه:﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات] وقال في أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص] وقال في سليمان:﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص] فلا ترضى لعلي بما رضي الله به لنفسه ولأنبيائه فتنبه شريك عند ذلك لوهمه، وزادت مكانة ذلك الأموي من قلبه.وكان عادلا في قضائه كثير الصواب حاضر الجواب، قال له رجل يوما: ما تقول فيمن أراد أن يقنت في الصبح قبل الركوع فقنت بعده فقال: هذا أراد أن يخطئ فأصاب.

عن أبي نضرة، حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ ، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ –قَالَ: وَلَا أَدْرِي قَالَ: أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا– كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ﴾ قالت أم المؤمنين عائشة:﴿كَانَتْ امْرَأَةٌ مَخْزُومِيَّةٌ تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ وَتَجْحَدُهُ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ يَدِهَا، فَأَتَى أَهْلُهَا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَكَلَّمُوهُ، فَكَلَّمَ أُسَامَةُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أُسَامَةُ، لَا أَرَاكَ تُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا، فَقَالَ: إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ قَطَعُوهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَقَطَعْتُ يَدَهَا، فَقَطَعَ يَدَ الْمَخْزُومِيَّةِ﴾ يقول الله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء] كان عمر في رسالته إلى أبي موسى الأشعري مثلا للإنسانية، إذ يوصيه: ساو بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك. وقد تقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين بالمثال عن نفسه، وذويه فقال بما هو بيان وتأكيد للتشريع وهو يتحدث إلى ذويه:﴿يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا يَأْتِينِي النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ وَتَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ فَأَقُولُ إِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ ثم يجيء عمر فيقيم الحد على ولداه، ويأمر بالقصاص من ابن عمرو، ويأمر بالقصاص للأعرابي الذي لطمه ابن الأيهم، وهو من أمراء الغساسنة أثناء طوافهما بالكعبة، فيقتص الأعرابي ويلطم الأمير.فالمساواة إذن حق مقرر في الإسلام قبل أن تقرره المواثيق الدولية العرجاء.

مراجع: تاريخ بغداد/ حقوق الإنسان في الإسلام لجمل الليل/ مسند أحمد/ تاريخ مدينة دمشق/ كتاب العين/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ الأعلام للزركلي/

قال يعقوب بن شيبة: دعا المنصور شريكا[1] فقال: إني أريد أن أوليك قضاء الكوفة. فقال: اعفني يا أمير المؤمنين. قال: لست أعفيك. قال: فأنصرف يومي هذا وأعود، فيرى أمير المؤمنين رأيه. قال: تريد أن تتغيب، ولئن فعلت لأقدمن على خمسين من قومك بما تكره. فولاه القضاء، فبقي إلى أيام المهدي، فأقره المهدي، ثم عزله. قال: وكان شريك مأمونا، ثقة، كثير الحديث، أنكر عليه الغلط والخطأ. قيل: لما ولي القضاء اضطرب حفظه.

ودخل يوما على المهدي فقال له: لابد أن تجيبني إلى خصلة من ثلاث خصال، قال: وما هن يا أمير المؤمنين قال: إما أن تلي القضاء أو تحدث ولدي وتعلمهم أو تأكل عندي أكلة، وذلك قبل أن يلي القضاء، فأفكر ساعة ثم قال: الأكلة أخفها على نفسي، فأجلسه وتقدم إلى الطباخ أن يصلح له ألوانا من المخ المعقود بالسكر الطبرزذ والعسل وغير ذلك، فعمل ذلك وقدمه إليه فأكل، فلما فرغ من الأكل قال له الطباخ: والله يا أمير المؤمنين ليس يفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبدا؛ قال الفضل بن الربيع: فحدثهم والله شريك بعد ذلك، وعلم أولادهم وولي القضاء لهم. ولقد كتب له برزقه على الصيرفي فضايقه في النقد، فقال له الصيرفي: إنك لم تبع به بزا، فقال له شريك: بل والله بعت أكثر من البز، بعت به ديني.

قال نصر بن زيد المجدر:[2] كنت شاهدا حين أدخل شريك، ومعه أبو أمية[3]، وكان أبو أمية رفع إلى المهدي أن شريكا حدثه عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿اسْتَقِيمُوا لِقُرَيْشٍ مَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ، فَإِذَا زَاغُوا عَنِ الْحَقِ فَضَعُوا سُيُوفَكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ، ثُمَّ أَبِيدُوا خَضْرَاءَهُمْ﴾ [ضعيف] قال المهدي: أنت حدثت بهذا ؟ قال: لا. فقال أبو أمية: علي المشي إلى بيت الله، وكل مالي صدقة، إن لم يكن حدثني. فقال شريك: وعلي مثل الذي عليه إن كنت حدثته. فكأن المهدي رضي. فقال أبو أمية: يا أمير المؤمنين، عندك أهدى العرب، إنما يعني مثل الذي علي من الثياب. قل له يحلف كما حلفت. فقال: احلف. فقال شريك: قد حدثته. فقال المهدي: ويلي على شارب الخمر* -يعني الأعمش-، وذلك أنه كان يشرب المنصف* ، لو علمت موضع قبره لأحرقته -وكان الأعمش وهو إمام معروف مشهور قد مات رحمه الله وقتها-. قال شريك: لم يكن يهوديا، كان رجلا صالحا، قال: بل زنديق. قال: للزنديق علامات: بتركه الجمعات، وجلوسه مع القيان، وشربه الخمر. فقال: والله لأقتلنك. قال: ابتلاك الله بمهجتي. قال: أخرجوه، فأخرج، وجعل الحرس يشققون ثيابه، وخرقوا قلنسوته. قال نصر: فقلت لهم: أبو عبد الله. فقال المهدي: دعهم.

قال محمد بن يزيد: حدثني حمدان بن الأصبهاني قال: كنت عند شريك، فأتاه ابن المهدي، فاستند وسأل عن حديث، فلم يلتفت شريك، فأعاد، فعاد، فقال: كأنك تستخف بأولاد الخلفاء؟ قال: لا، ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضنعوه.

قال: فجثا على ركبتيه فسأله، فقال شريك: هكذا يطلب العلم.

----

*(المنصف) وصفه بأنه سكران وأنه يشرب الخمر، لأن الأعمش كان يتأول في بعض ألوان النبيذ الذي يتأول فيه أهل العراق، وليس من الخمر المسكر ولكنه من النبيذ الذي يسمونه هم بالمَنَصَّف، وهو العصير الذي يطبخ حتى يذهب نصفه. قال ابن المبرد: كل ما أسكر كثيره فقليله حرام من أي شيء كان، من عنب، أو تمر، أو شعير أو عسل ونحو ذلك ويسمى خمرا، ولا يحل شربه مطلقا، لا للذة، ولا لتداوي، ولا لعطش، ولا غيره، إلا أن يضطر إليه لدفع لقمة غص بها فيجوز، فإن وجده ووجد ماء الغير، فالماء مقدم عليه، وإن وجد بولا فإن كان بول حيوان مأكول اللحم فهو مقدم، وإلا فخلاف هل يقدم الخمر أم البول؟. والله أعلم (استقيموا لقريش ما استقاموا لكم..) شريك سيئ الحفظ، وسالم بن أبي الجعد لم يسمع من ثوبان، وأخرجه أحمد من طريق وكيع، عن الأعمش، عن سالم، عن ثوبان مختصرا، وأخرجه الطبراني في الصغير من طريق شعبة، عن الأعمش، عن سالم. وفي الباب عن النعمان بن بشير، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه. ومعنى الحديث: أطيعوهم ما داموا مستقيمين على الدين وثبتوا على الإسلام. خضراؤهم: سوادهم، ودهماؤهم

■ (1) شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي.أبو عبد الله، القاضي. أدرك عمر بن عبد العزيز: يعني بالسن، ولم يره. ولد في بخارى سنة95هـ. ونشأ بالكوفة. وسمى البخاري جده سنانا، وسماه أبو نعيم حارثا. استقضاه المنصور على الكوفة سنة 153 هـ، ثم عزله. وأعاده المهدي، فعزله الخليفة موسى الهادي. توفي بالكوفة سنة 177 هـ

■ (2) نصر بن زيد المجدر، أبو الحسن، البغدادي، مولى بني هاشم -مولى جعفر الأكبر بن أبي جعفر المنصور- أصله من سجستان روى عن شريك بن عبد الله ومالك بن أنس ويعقوب بن عبد الله القمي. ومات قديما قبل أن يحدث.

■ (3) أبو أمية ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قال يحيى بن اليمان: لما ولي شريك القضاء أكره على ذلك وأقعد معه جماعة من الشرط يحفظونه، ثم طاب للشيخ فقعد من نفسه، فبلغ سفيان الثوري أنه قعد من نفسه فجاء فتراء له، فلما رأى الثوري قام إليه فعظمه وأكرمه ثم قال: يا أبا عبد الله، هل من حاجة قال: نعم، مسألة، قال: أو ليس عندك من العلم ما يجزئك قال: أحببت أن أذكرك بها، قال: قل، قال: ما تقول في امرأة جاءت فجلست على باب رجل فاحتملها ففجر بها، لمن تحد منهما فقال: الرجل دونها لأنها مغصوبة، قال: فإنه لما كان من الغد جاءت فتزينت وتبخرت وجلست على ذلك الباب ففتح الرجل فرآها فاحتملها ففجر بها، لم تحد قال: أحدهما جميعا لأنها جاءت من نفسها وقد علمت الخبر بالأمس، قال: أنت كان عذرك حين كان الشرط يحفظونك؛ اليوم أي عذر لك قال: يا أبا عبد الله، أكلمك، قال: ما كان الله ليراني أكلمك أو تتوب قال: ووثب فلم يكلمه حتى مات؛ وكان إذا ذكره قال: أي رجل كان لو لم يفسدوه.

واجتمع شريط ويحيى بن عبد الله بن الحسن البصري في دار الرشيد، فقال يحيى لشريك: ما تقول في النبيذ قال: حلال، قال: شربه خير أم تركه قال: بل شربه، قال: قليله خير أم كثيره قال: بل قليله؛ قال يحيى: ما رأيت خيرا قط إلا والازدياد منه خير إلا خيرك هذا، فإن قليله خير من كثيره.

عن علي بن حسين، أن المسور بن مخرمة، قال:﴿إِنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ، فَاطِمَةُ فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لاَ تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ، يَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ أَنْكَحْتُ أَبَا العَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ، فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا، وَاللَّهِ لاَ تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ، عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ. فَتَرَكَ عَلِيٌّ الخِطْبَةَ﴾ عن عبد الله بن الزبير، أن عليا ذكر ابنة أبي جهل، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال:﴿إِنَّمَا فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي، يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا، وَيُنْصِبُنِي مَا أَنْصَبَهَا﴾ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ بَعْدَ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةَ ابْنَةِ خُوَيْلِدٍ﴾ عن عروة، عن أم المؤمنين عائشة، قالت:﴿دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهَا فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ، قَالَتْ: فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: سَارَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَنِي: أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي، أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ أَتْبَعُهُ، فَضَحِكْتُ﴾ عن أنس بن مالك،﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمُرُّ بِبَيْتِ فَاطِمَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْفَجْرِ فَيَقُولُ: الصَّلَاةَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب] وعن زيد بن أرقم، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال لفاطمة وحسن وحسين:﴿أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ﴾ وعن مغيرة، عن الشعبي قال:﴿لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُلَاعِنَ أَهْلَ نَجْرَانَ أَخَذَ بِيَدِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي خَلْفَهُ﴾وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم﴿الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَائِهِمْ، إِلَّا مَا كَانَ لِمَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ﴾وعن ابن عمر، قال: قال أبو بكر:﴿ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ﴾.

مراجع: السنن الكبرى للنسائي/ مسند أحمد/ تاريخ بغداد/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار/ وفيات الأعيان/ صحيح مسلم/ صحيح البخاري/ مصنف ابن أبي شيبة/ تاريخ الإسلام للذهبي/ تهذيب الكمال/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي، المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وشريك بن عبد الله النخعي (٣) 0677

قال العتبي: كان بين شريك القاضي(1) والربيع(2) حاجب المهدي، معارضة؛ فكان الربيع يحمل عليه المهدي فلا يلتفت إليه، حتى رأى المهدي في منامه شريكا القاضي مصروفا وجهه عنه، فلما استيقظ من نومه دعا الربيع وقص عليه رؤياه. فقال: يا أمير المؤمنين، إن شريكا مخالف لك وإنه فاطمي محض. قال المهدي: علي به؛ فلما دخل عليه قال له: يا شريك، بلغني أنك فاطمي. قال له شريك: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون غير فاطمي، إلا أن تعني فاطمة بنت كسري. قال: ولكني أعني فاطمة(3) بنت محمد صلى الله عليه وسلم. قال: أفتلعنها يا أمير المؤمنين؟ قال: معاذ الله! قال: فماذا تقول فيمن يلعنها؟ قال: عليه لعنة الله. قال: فالعن هذا– يعني الربيع– فإنه يلعنها، فعليه لعنة الله. قال الربيع: لا والله يا أمير المؤمنين، ما ألعنها. قال له شريك: يا ماجن، فما ذكرك لسيدة نساء العالمين وابنة سيد المرسلين في مجالس الرجال؟ قال المهدي: دعني من هذا، فإني رأيتك في منامي كأن وجهك مصروف عني وقفاك إلي (مقبل عليك أكلمك وأنت تكلمني من قفاك)، وما ذلك إلا بخلافك علي، ورأيت في منامي كأني أقتل زنديقا. قال شريك: إن رؤياك يا أمير المؤمنين ليست برؤيا يوسف الصديق صلوات الله على محمد وعليه، وإن الدماء لا تستحل بالأحلام، وإن علامة الزندقة بينة. قال: وما هي؟ قال: شرب الخمر، والرشا في الحكم، ومهر البغي. قال: صدقت والله أبا عبد الله! أنت والله خير من الذي حملني عليك. ودخل شريك القاضي على المهدي، فقال له الربيع: خنت مال الله ومال أمير المؤمنين. قال: لو كان ذلك لأتاك سهمك.

وفي رواية كان شريك يشاحن الربيع صاحب شرطة المهدي، فكان يحمل المهدي عليه، فدخل شريك يوما على المهدي فقال له المهدي: بلغني أنك ولدت في قوصرة*، قال: يا أمير المؤمنين، ولدت بخراسان والقواصر هناك عزيزة، قال: إني لأراك فاطميا خبيثا، قال: والله إني لأحب فاطمة، وأبا فاطمة صلى الله عليه وسلم، قال: وأنا والله أحبها، ولكني رأيتك في منامي مصروفا وجهك عني، وما ذاك إلا لبغضك لنا، وما أراني إلا قاتلك لأنك زنديق، قال: يا أمير المؤمنين إن الدماء لا تسفك بالأحلام، وليست رؤياك رؤيا يوسف عليه السلام؛ وأما قولك إني زنديق فإن للزنادقة علامة يعرفون بها، قال: وما هي قال: شرب الخمور والضرب بالطنبور، قال: صدقت أبا عبد الله، وأنت خير من الذي حملني عليك.

وفي رواية حدث أبو عبد الله محمد بن حرب قال دخل شريك بن عبد الله القاضي على المهدي فسلم عليه بالخلافة فأعرض عنه ثم سلم عليه الثانية فقال: لا سلم الله على الأبعد قال: ولم يا أمير المؤمنين ألشيء جنيته أم لأمر أحدثته؟! قال: فقال: السيف والنطع قال: ولم ؟ يا أمير المؤمنين لا يجوز قتلي إلا عن علم تعلمني بذنبي قال: رأيت في منامي كأنك تطأ بساطي وأنت معرض عني فقصصت رؤياي على من عبرها فقال يظهر لك طاعة ويضمر معصية فقال له: يا أمير المؤمنين ما رؤياك برؤيا الخليل إبراهيم ولا معبرك بيوسف الصديق عليهما السلام أفبالأحلام الكاذبة تضرب أعناق المؤمنين؟! قال: فاستحيا المهدي وتطامن* ثم قال: أخرج عني فتبعه سلم بن سعد فقال له: ما ظننت أنه بقي على وجه الأرض لك نظير قال: فقال له شريك متعجبا: رأيت أعجب من هذا يضرب أعناق المؤمنين بالأحلام الكاذبة ؟!.

----

*(التطامن) الخضوع والتواضع (قوصرة) وعاء من قصب يحمل فيه التمر

(1) شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي.أبو عبد الله، القاضي. أدرك عمر بن عبد العزيز: يعني بالسن، ولم يره. ولد في بخارى سنة95هـ. ونشأ بالكوفة. وسمى البخاري جده سنانا، وسماه أبو نعيم حارثا. استقضاه المنصور على الكوفة سنة 153 هـ، ثم عزله. وأعاده المهدي، فعزله الخليفة موسى الهادي. توفي بالكوفة سنة 177 هـ

(3) فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . أمها خديجة بنت خويلد ولدتها وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين وهي اصغر بناته تزوجها علي بن أبي طالب في السنة الثانية من الهجرة ، فولدت له الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم. فتزوج زينب عبد الله بن جعفر فولدت له عبد الله وعوناً وماتت عنده. وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيداً . ثم خلف عليها بعد عمر عون بن عبد الله بن جعفر فلم تلد له. ثم مات وخلف عليها محمد بن جعفر فولدت له جارية ثم خلف عليها بعده عبد الله بن جعفر فلم تلد له وماتت عنده. وزاد ابن اسحق في أولاد فاطمة من علي: محسناً. قال: ومات صغيراً وزاد الليث بن سعد: رقيّة قال: وماتت ولم تبلغ. توفيت الزهراء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة اشهر سنة11 هـ وهي بنت 28 سنة ونصف وغسلها علي وصلى عليها وقيل: صلى عليها العباس ودفنت ليلا.

(2) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان العباسي، مولا هم.الأمير الحاجب، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم ولي وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ، من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه إلى الغاية. ويقال: إن الربيع لم يكن يعرف له أب، فدخل هاشمي على المنصور وأخذ يذكره والد الربيع ويترحم عليه، فقال له الربيع: كم ذا تترحم عليه بحضرة أمير المؤمنين، فقال الهاشمي: يا ربيع أنت معذور لا تعرف مقدار الآباء، فخجل منه. وقطيعة الربيع محلة كبيرة ببغداد تنسب إليه.

كان عكرم البربري مولى ابن عباسة سريع البديهة، ذكيا جدا، شكا إليه شخص وقال: قذفني فلان في المنام. قال: إذا وقف في الشمس اضرب ظله، واجلده ثمانين سوطا. انظر كيف التعبير الذكي، يقول: إن فلانا قذفني في عرضي، وأنا نائم. قال: إذا وقف في الشمس ورأيت ظله فاضرب ظله ثمانين سوطا. يعني أنك تضرب شيئا غير حقيقي كما أنه ما قذفك حقيقة، هل الإنسان يملك أنه يرى رؤيا؟ هل الإنسان يحدد الرؤيا وهو يراها؟ لا. ولذا الرؤى أمرها مشكل عند كثير من الناس.

قال سعود الشريم: وقد ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق: أن بعضهم رأى في المنام الشافعي رحمه الله فقال له: كذب علي يونس بن الأعلى في حديث ما هذا من حديثي ولا تحدثت به فقال الحافظ ابن كثيررحمه الله معلقا على هذا الكلام: يونس بن الأعلى من الثقات لا يطعن فيه بمجرد منام. وقد نقل الذهبي رحمه الله عن المروزي قال: أدخلت إبراهيم الحصري على أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وكان رجلا صالحا فقال: إن أمي رأت لك مناما هو كذا وكذا وذكرت الجنة، فقال: يا أخي! إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا وخرج إلى سفك الدماء، وقال: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره.

من فصول كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي: الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعا على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا. كما يحكى عن الكتاني رحمه الله قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: ادع الله أن لا يميت قلبي. فقال: قل كل يوم أربعين: مرة يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت. فهذا كلام حسن لا إشكال في صحته، وكون الذكر يحيي القلب صحيح شرعا. وفائدة الرؤيا التنبيه على الخير، وهو من ناحية البشارة. وإنما يبقى الكلام في التحديد بالأربعين، وإذا لم يوجد على اللزوم استقام. وعن أبي يزيد البسطامي رحمه الله قال: رأيت ربي في المنام، فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعال. وشأن هذا الكلام من الشرع موجود، فالعمل بمقتضاه صحيح ؛ لأنه كالتنبيه لموضع الدليل ؛ لأن ترك النفس معناه ترك هواها بإطلاق، والوقف على قدم العبودية. والآيات تدل على هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات]، وما أشبه ذلك. فلو رأى في النوم قائلا يقول: إن فلانا سرق فاقطعه، أو عالم فاسأله، أو اعمل بما يقول لك، أو فلان زنى فحده، وما أشبه ذلك، لم يصح له العمل حتى يقوم له الشاهد في اليقظة، وإلا كان عاملا بغير شريعة، إذ ليس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي. ولا يقال: إن الرؤيا من أجزاء النبوة فلا ينبغي أن تهمل. وأيضا إن المخبر في المنام قد يكون النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قد قال: ﴿مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي﴾، وإذا كان ... فإخباره في النوم كإخباره في اليقظة ؛ لأنا نقول : إن كانت الرؤيا من أجزاء النبوة فليست إلينا من كمال الوحي؛ بل جزء من أجزائه، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه ؛ بل إنما يقوم مقامه في بعض الوجوه، وقد صرفت إلى جهة البشارة والنذارة، وفيها كاف. وأيضا فإن الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة من شرطها أن تكون صالحة من الرجل الصالح، وحصول الشروط مما ينظر فيه، فقد تتوفر، وقد لا تتوفر. وأيضا فهي منقسمة إلى الحلم، وهو من الشيطان، وإلى حديث النفس، وقد تكون سبب هيجان بعض أخلاط، فمتى تتعين الصالحة حتى يحكم بها وتترك غير الصالحة؟ ويلزم أيضا على ذلك أن يكون تجديد وحي بحكم بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو منهي عنه بالإجماع.

وحكى الغزالي عن بعض الأئمة أنه أفتى بوجوب قتل رجل يقول بخلق القرآن، فروجع فيه، فاستدل بأن رجلا رأى في منامه إبليس قد اجتاز بباب المدينة ولم يدخلها فقيل: هل دخلتها؟ فقال: أغناني عن دخولها رجل يقول بخلق القرآن، فقام ذلك الرجل فقال: لو أفتى إبليس بوجوب قتلي في اليقظة هل تقلدونه في فتواه؟ فقالوا: لا، فقال: قوله في المنام لا يزيد على قوله في اليقظة. وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الرائي بالحكم فلا بد من النظر فيها أيضا، لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشريعته، فالحكم بما استقر، وإن أخبر بمخالف، فمحال، لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته، لأن الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي النومية، لأن ذلك باطل بالإجماع، فمن رأى شيئا من ذلك فلا عمل عليه، وعند ذلك نقول: إن رؤياه غير صحيحة. إذ لو رآه حقا لم يخبره بما يخالف الشرع. لكن يبقى النظر في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ رَآنِي فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَآنِي﴾ وفيه تأويلان: أحدهما: ما ذكره ابن رشد إذ سئل عن حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في قضية، فلما نام الحاكم ذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: ما تحكم بهذه الشهادة؟ فإنها باطلة. فأجاب بأنه لا يحل له أن يترك العمل بتلك الشهادة، لأن ذلك إبطال لأحكام الشريعة بالرؤيا، وذلك باطل لا يصح أن يعتقد، إذ لا يعلم الغيب من ناحيتها إلا الأنبياء الذين رؤياهم وحي، ومن سواهم إنما رؤياهم جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة. ثم قال: وليس معنى قوله:

﴿مَنْ رَآنِي فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَآنِي﴾، إن كل من رأى في منامه أنه رآه فقد رآه حقيقة. بدليل أن الرائي قد يراه مرات على صور مختلفة، ويراه الرائي على صفة، وغيره على صفة أخرى ولا يجوز أن تختلف صور النبي صلى الله عليه وسلم ولا صفاته. وإنما معنى الحديث: من رآني على صورتي التي خلقت عليها. فقد رآني، إذ لا يتمثل الشيطان بي ؛ إذ لم يقل: من رأى أنه رآني، فقد رآني. وإنما قال: من رآني فقد رآني وإني لهذا الرائي الذي أرى أنه رآه على صورته أنه رآه عليها ؟ وإن ظن أنه رآه، ما لم يعلم أن تلك الصورة صورته بعينها، وهذا ما لا طريق لأحد إلى معرفته. فهذا ما نقل عن ابن رشد. وحاصله يرجع إلى أن المرئي قد يكون غير النبي صلى الله عليه وسلم، إن اعتقد الرائي أنه هو. والتأويل الثاني: يقوله علماء التعبير: إن الشيطان قد يأتي النائم في صورة ما من معارف الرائي وغيرهم، فيشير له إلى رجل آخر: هذا فلان النبي، وهذا الملك الفلاني؛ أو من أشبه هؤلاء ممن لا يتمثل الشيطان به فيوقع اللبس على الرائي بذلك وله علامة عندهم، وإذا كان كذلك أمكن أن يكلمه المشار إليه بالأمر والنهي غير الموافقين للشرع، فيظن الرائي أنه من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يكون كذلك، فلا يوثق بما يقول له أو يأمر أو ينهى. وما أحرى هذا الضرب أن يكون الأمر أو النهي فيه مخالفا لكمال الأول، حقيق بأن يكون فيه موافقا، وعند ذلك لا يبقى في المسألة إشكال، نعم لا يحكم بمجرد الرؤيا حتى يعرضها على العلم، لإمكان اختلاط أحد القسمين بالآخر، وعلى الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المنة. نعم يأتي المرئي تأنيسا وبشارة ونذارة خاصة، بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكما، ولا يبنون عليها أصلا، وهو الاعتدال في أخذه، حسبما فهم من الشرع فيها، والله أعلم .

مراجع: مجلة المنار/ / الأعلام للزركلي/ وفيات الأعيان/ مصنع ابن أبي شيبة/ دروس للشيخ سعيد بن مسفر/ دروس للشيخ سعود الشريم/

عن عمر بن الهياج بن سعيد[1] أخي مجالد بن سعيد، قال: كنت من صحابة شريك[2]، فأتيته يوما وهو في منزله باكرا، فخرج إلي في فرو ليس تحته قميص، عليه كساء. فقلت له: قد أضحت* عن مجلس الحكم، فقال: غسلت ثيابي أمس فلم تجف، فأنا أنتظر جفوفها، اجلس. فجلست فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير إذن مواليه، فقال: ما عندك فيه؟ ما تقول فيه؟ وكانت الخيزران[3] قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز* بالكوفة، وكتبت إلى موسى بن عيسى[4] أن لا يعصي له أمرا، فكان مطاعا بالكوفة، فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق يخرج إلى النخع* معه جماعة من أصحابه عليه جبة خز* وطيلسان* على برذون* فاره، وإذا رجل بين يديه مكتوف وهو يقول: واغوثا بالله، أنا بالله ثم بالقاضي، وإذا آثار سياط في ظهره، فسلم على شريك وجلس إلى جانبه، فقال الرجل المضروب: أنا بالله ثم بك أصلحك الله، أنا رجل أعمل هذا الوشي*، كراء مثلي مائة في الشهر، أخذني هذا مذ أربعة أشهر فاحتبسني في طراز يجري علي القوت وعلي عيال قد ضاعوا فأفلت اليوم منه، فلحقني ففعل بظهري ما ترى. فقال: قم يا نصراني فاجلس مع خصمك، فقال: أصلحك الله يا أبا عبد الله هذا من خدم السيدة، مر به إلى الحبس، قال: قم ويلك فاجلس معه كما يقال لك، فجلس، فقال: ما هذه الآثار التي بظهر هذا الرجل من أثرها به قال: أصلح الله القاضي إنما ضربته أسواطا بيدي وهو يستحق أكثر من هذا، مر به إلى الحبس، فألقى شريك كساءه ودخل داره، فأخرج سوطا ربذيا* ثم ضرب بيده إلى مجامع ثوب النصراني وقال للرجل: انطلق إلى أهلك، ثم رفع السوط فجعل يضرب به النصراني، وهو يقول له: يا صبحي قد مر قفا جمل، لا يضرب والله المسلم بعدها أبدا، فهم أعوانه أن يخلصوه من يديه، فقال: من هاهنا من فتيان الحي؟ خذوا هؤلاء فاذهبوا بهم إلى الحبس، فهرب القوم جميعا وأفردوا النصراني فضربه أسواطا، فجعل النصراني يعصر عينيه ويبكي ويقول له: ستعلم. فألقى السوط في الدهليز، وقال: يا أبا حفص ما تقول في العبد يتزوج بغير إذن مواليه؟ وأخذ فيما كنا فيه كأنه لم يصنع شيئا، وقام النصراني إلى البرذون ليركبه فاستعصى عليه، ولم يكن له من يأخذ بركابه فجعل يضرب البرذون، قال: يقول له شريك: ارفق به ويلك فإنه أطوع لله منك، فمضى. قال: يقول هو: خذ بنا فيما كنا فيه، قال: قلت: ما لنا ولذا، قد والله فعلت اليوم فعلة ستكون لها عاقبة مكروهة. قال: أعز أمر الله يعزك الله، خذ بنا فيما نحن فيه قال: وذهب النصراني إلى موسى بن عيسى فدخل عليه، فقال: من بك؟ وغضب الأعوان وصاحب الشرط، فقال: شريك فعل بي كيت وكيت قال: لا والله ما أتعرض لشريك. فمضى النصراني إلى بغداد فما رجع.

غضب المهدي يوما على شريك فقال: يا بن الزانية. فقال شريك: أمة يا أمير المؤمنين. فما علمتها إلا صوامة قوامة. فقال له: يا زنديق، لأقتلنك. فقال شريك، وكان جهوري الصوت: إن للزنادقة علامات يعرفون بها، شربهم القهوات، واتخاذهم القينات، ونومهم عن العتمات فأطرق المهدي، وقام شريك، فخرج.

----

*(أضحيت) تقول من الضحاء: أقمت بالمكان حتى أضحيت (الطراز) بالكسر الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة معرب (النخع) أبو قبيلة من العرب.تنتسب إلى النخع وهو جسر بن عمرو.وكان شريك من النخع (الوشي) من الثياب معروف والجمع وشاء (الربذي) الوتر والسوط. والربذية الأصبحية من السياط وأربذ الرجل إذا اتخذ السياط الربذية وهي معروفة (البرذون) يطلق على غير العربي من الخيل والبغال (الطيلسان) ثوب يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن ينسج للبس، خال من التفصيل والخياطة (الخز) ثياب تنسج من صوف وحرير

■ (2) شريك بن عبد الله بن الحارث بن أوس النخعي الكوفي. أبو عبد الله أدرك عمر بن عبد العزيز: يعني بالسن ولم يره.ولد في بخارى سنة95هـ ونشأ بالكوفة وسمى البخاري جده سنانا وسماه أبو نعيم حارثا.استقضاه المنصور على الكوفة سنة 153 هـ، ثم عزله وأعاده المهدي فعزله الخليفة موسى الهادي. توفي بالكوفة سنة 177 هـ

■ (3) الخيزران بنت عطاء زوجة المهدي وأم ولده. جرشية. تزوج المهدي الخيزران، فولدت له الهادي والرشيد، ولم تلد امرأة خليفتين غيرها، غير ولادة أم الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان. توفيت الخيزران ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادي الآخرة سنة 173هـ. وقد روي عن الخيزران عن المهدي حديث مسند عن محمد بن سليمان بن منصور يقول:﴿حَدَّثَتْنِي زَيْنَبُ بِنْتُ سُلَيْمَانَ، قَالَتْ حَدَّثَتْنِي الْخَيْزُرَانُ، قَالَتْ حَدَّثَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ﴾

■ (4) موسى بن عيسى بن موسى بن محمد العباسي الهاشمي: أمير، من آل عباس. كان جوادا عاقلا. ولي الحرمين للمنصور والمهدى، مدة طويلة. ثم ولي اليمن للمهدى. وولي مصر للرشيد سنة 171 هـ وكان سلفه فيها علي بن سليمان قد هدم الكنائس المحدثة بمصر، فرفع إليه أمرها، فاستشار خاصته، فقالوا: هي من عمارة البلاد، واحتجوا بأن عامة الكنائس التي بمصر ما بنيت إلا في الإسلام، في زمن الصحابة والتابعين، فأذن في بنائها، فبنيت كلها.وأقام على الولاية سنة وخمسة أشهر ونصفا. وصرف عنها سنة 172 هـ فعاد إلى العراق، فولاه الرشيد الكوفة، فدمشق. ثم أعيد ثانية إلى إمرة مصر سنة 175 هـ وصرف سنة 176 هـ وأعيد ثالثة سنة 179 هـ وصرف سنة 180 هـ فأقام ببغداد إلى أن توفى 183 هـ

■ (1) عمر بن الهياج بن سعيد ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قال أبي عبد الله: قدم هارون الكوفة فعزل شريكا عن القضاء، وكان موسى بن عيسى واليا على الكوفة. فقال موسى لشريك: ما صنع أمير المؤمنين بأحد ما صنع بك، عزلك عن القضاء، فقال له شريك: هم أمراء المؤمنين يعزلون القضاة، ويخلعون ولاة العهود (ولاة العهد)، فلا يعاب ذلك عليهم. فقال موسى: ما ظننت أنه مجنون هكذا، لا يبالي ما تكلم به. وكان أبوه عيسى بن موسى[1] ولي العهد بعد أبي جعفر، فخلعه بمال أعطاه إياه، وهو ابن عم أبي جعفر.

قال أحمد بن خلاس: لما عزل شريك عن القضاء تعلق به رجل ببغداد فقال: يا أبا عبد الله لي عليك ثلاثمائة درهم فاعطنيها قال: من أنا؟ قال: أنت شريك بن عبد الله القاضي، قال: ومن أين هي لك؟ قال: ثمن هذا البغل الذي تحتك، قال: نعم، تعال فجاء يمشي معه حتى إذا بلغ الجسر، قال: من ها هنا ؟ فقام إليه أولئك الشرط، فقال: خذوا هذا فاحبسوه، لئن أطلقتموه لاخبرن أبا العباس عبد الله بن مالك[2]، فقالوا له: إن هذا الرجل يتعلق بالقاضي إذا عزل فيدعى عليه فيفتدى منه وقد تعلق بـ سلمة الأحمر[3] حين عزل عن واسط فأخذ منه أربعمائة درهم، فقال: هكذا ! فكلم فيه فأبى أن يطلقه، فقال له عبد الله بن مالك: إلى كم تحبس هذا الرجل؟ قال: حتى يرد إلى سلمه الأحمر أربعمائة درهم، قال: فرد على سلمه أربعمائة، فجاء سلمة إلى شريك فشكر له، فقال له: يا ضعيف كل من سالك مالك أعطيته إياه؟!.

قال محمد بن عيسى الأنصاري واسطي تقدم هشيم بن بشير مع خصم له إلى سلمه بن صالح وهو على قضاء واسط في زمن الرشيد فكلم الخصم هشيما بكلمة فرفع هشيم يده فلطم الخصم بين يدي سلمة بن صالح فأمر سلمة بهشيم فضرب عشر درر وقال: تتعدى على خصمك بحضرتي؟! فاغضب ذلك مشيخة واسط فخرجوا إلى بغداد إلى الرشيد فأقاموا ببابه إلى أن خرج الرشيد إلى مكة فخرجوا بأجمعهم معه وهم عباد بن العوام ومحمد بن يزيد وخالد بن عبد الله وغيرهم من المشيخة فلما صاروا إلى مكة اعترضوا الرشيد وهو يطوف بالبيت فكلموه في أمر سلمة فقالوا: يا أمير المؤمنين لسنا نطعن على سلمة ولكن رجل مكان رجل، فرق لهم الرشيد وقال: أما هذا فنعم، فأمر بعزله وتقليد رجل سواه.

قال محمد صالح المنجد: مما يدخل في الفراسة سرعة البديهة، وهي جزء من أجزاء الفراسة أو نوع منها، فمن ذلك أن شريكا القاضي دخل على المهدي، فقال للخادم: هات عودا للقاضي يعني: البخور، فجاء الخادم بعود يضرب به فوضعه في حجر شريك، فقال شريك: ما هذا؟ فبادر المهدي وحضرته البديهة فقال: هذا عود أخذه صاحب العسس البارحة صادره بالأمس، فأحببت أن يكون كسره على يديك فدعا له وكسره. وفي رواية : ثم أفاضوا في الحديث حتى نسي الأمر فقال المهدي لشريك: ما تقول في رجل أمر وكيلا له أن يأتي بشيء بعينه فجاء بغيره فتلف ذلك الشيء؟ فقال: للخادم اضمن ما أتلفت .

----

*((عيسى بن موسى) في سنة 147 خلع المنصور عمه عيسى بن موسى من ولاية العهد وكان السفاح عهد إليه من بعد المنصور وكان عيسى هو الذي حارب له الأخوين محمد و إبراهيم ابني عبد الله بن حسن فظفر بهما فكافأه بأن خلعه مكرها وعهد إلى ولده المهدي.

■ (3) سلمة بن صالح الأحمر، أبو إسحاق الجعفي الكوفي، كان قد ولى القضاء بواسط في زمن الرشيد ثم عزل وقدم بغداد فأقام بها إلى أن مات سنة ثمان وثمانين 188 هـ

■ (1)عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس .شيخ الدولة.جعله عمه السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور جعله ولي عهده بعد ابنه المهدي ولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور.ولد سنة 103هـ أو 104 هـ وتوفي سنة 167 هـ وقيل: في سنة 147خلع المنصور عمه عيسى بن موسى من ولاية العهد وكان السفاح عهد إليه من بعد المنصور وكان عيسى هو الذي حارب له الأخوين محمد و إبراهيم ابني عبد الله بن حسن فظفر بهما فكافأه بأن خلعه مكرها وعهد إلى ولده المهدي.

■ (2) عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي. كان قائدا عسكريا وحاكما في الدولة العباسية وصاحب الشرط للمهدي والهادي، ثم أقره هارون ثم عزله، توفي سنة 212 هـ وهو ابن مالك بن الهيثم الخزاعي الذي كان من أهم قادة الحركة العباسية في خراسان والثورة التي أطاحت الأمويين.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/ أخبار القضاة/ تهذيب الكمال/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ لسان العرب/ نثر الدر/ طيب المذاق من ثمرات الأوراق/

روي عن أبي موسى محمد بن الفضل بن يعقوب كاتب عيسى بن جعفر قال: حدثني أبي قال: كنت أتردد إلى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس[1] وأخدمها فتوجهت إلى خدمتها يوما فقالت: أقعد حتى أحدثك حديثا كان بالأمس يكتب على الآماق، كنت أمس عند الخيزران [2] ومن عادتي أن أجلس بإزائها وفي الصدر مجلس للمهدي[5] يجلس فيه وهو يقصدنا في كل وقت فيجلس قليلا ثم ينهض فبينما نحن كذلك إذ دخلت علينا جارية من جواريها فقالت: أعز الله السيدة، بالباب امرأة ذات جمال وخلقة حسنة ليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية، تستأذن عليك وقد سألتها عن اسمها فامتنعت من أن تخبرني فالتفتت إلي الخيرزان وقالت: ما تريدين؟ فقلت: أدخليها فإنه لا بد من فائدة أو ثواب، فدخلت امرأة من أجمل النساء لا تتوارى بشيء، فوقفت بجنب عضادة الباب ثم سملت متضائلة ثم قالت: أنا مزنة بنت مروان بن محمد الأموي[3]، فقالت الخيزران: لا حياك الله، ولا قربك، فالحمد لله الذي أزال نعمتك، وهتك سترك، وأذلك، أتذكرين يا عدوة الله، حين أتاك عجائز أهل بيتي يسألنك أن تكلمي صاحبك في الأذن في دفن إبراهيم بن محمد[4] فوثبت عليهن وأسمعتيهن ما لا سمعن قبل وأمرت فأخرجن على تلك الحالة التي أخرجن عليها. فضحكت مزنة فما أنسى حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة، ثم قالت: يا بنت العم، أي شيء أعجبك من حسن صنيع الله بي على العقوق حتى أردت أن تتأسي بي فيه ، والله إن فعلت بنسائك ما فعلت فأسلمني الله لك ذليلة جائعة عريانة، وكان ذلك مقدار شرك لله تعالى على ما أولاك بي، ثم قالت: السلام عليكم، ثم ولت مسرعة، فصاحت بها الخيزران فرجعت، قالت زينب: فنهضت إليها الخيزران لتعانقها، فقالت: وليس في لذلك موضع مع الحال التي أنا عليها، فقالت الخيزران لها: فالحمام إذا، وأمرت جماعة من جواريها بالدخول معها إلى الحمام، فدخلت وطلبت ماشطة ترمي ما على وجهها من الشعر، فلما خرجت من الحمام، وافتها الخلع والطيب، فأخذت في الموضع الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي، ثم قالت لها الخيزران: هل لك في الطعام؟ فقالت: والله، ما فيكن أحوج مني إليه فعجعلوه، فأتي بالمائدة فجعلت تأكل غير محتشمة إلى أن اكتفت ثم غسلنا أيدينا، فقالت لها الخيزران: من وراءك مما تعتنين به؟ قالت: ما خارج هذه الدار من بيني وبينه نسب، فقالت: إذا كان الأمر هكذا فقومي حتى تختاري لنفسك مقصورة من مقاصيرنا، وتحولي لها جميع ما تحتاجين إليه ثم لا نفترق إلى الموت، فقامت ودارت بها في المقاصير فاختارت أوسعها وأنزهها، ولم تبرح حتى حولت إليها جميع ما تحتاج إليه من الفرش والكسوة، قالت زينب: ثم تركناها وخرجنا عنها، فقالت الخيزران: هذا المرأة قد كانت فيما كانت فيه وقد مسها الضر، وليس يغسل ما في قلبها إلا المال، فاحملوا إليها خمسمائة ألف درهم، فحملت إليها وفي أثناء ذلك وافى المهدي، فسألنا عن الخبر فحدثته الخيزران حديثها وما لقيتها به فوثب مغضبا، وقال للخيزران: هذا مقدار شكر الله على أنعمه، وقد أمكنك من هذه المرأة مع الحالة التي هي عليها، فوالله، لولا محلك بقلبي لحلفت أن لا أكلمك أبدا، فقالت الخيزران: يا أمير المؤمنين، قد اعتذرت إليها ورضيت وفعلت معها كذا وكذا، فلما علمني المهدي ذلك، قال لخادم كان معه: أحمل إليها مائة بدرة، وأدخل إليها وأبلغها مني السلام، وقل لها: والله، ما سررت في عمري كسروري اليوم وقد وجب على أمير المؤمنين إكرامك ولولا احتشامك لحضر إليك مسلما عليك وقاضيا لحقك، فمضى الخادم بالمال، والرسالة، فأقبلت على الفور، فسلمت على المهدي بالخلافة وشكرت صنعه، وبالغت في الثناء على الخيزران عنده، وقالت: ما على أمير المؤمنين حشمة إنا في عدد حرمه، ثم قامت إلى منزلها، فخلفتها عند الخيزران وهي تتصرف في المنازل والجواري كتصرف الخيزران، فأخها عندك فإنها من أحسن النوادر.

----

*المقاصير) المقاصير واحدتها مقصورة وقيل في جمعها: مقاصر. والمقصورة: الدار الواسعة المحصنة أو هي أصغر من الدار ولا يدخلها إلا صاحبها (البدرة) كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم (الخلع) الخلع واحدتها خلعة وهي ما يخلع على الانسان وخيار المال

■ (3) مزنة (مرنة؟) بنت مروان بن محمد الأموي ؟

■ (2) الخيزران بنت عطاء زوجة المهدي وأم ولده. جرشية. تزوج المهدي الخيزران، فولدت له الهادي والرشيد، ولم تلد امرأة خليفتين غيرها، غير ولادة أم الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان. توفيت الخيزران ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادي الآخرة سنة 173هـ. وقد روي عن الخيزران عن المهدي حديث مسند عن محمد بن سليمان بن منصور يقول:﴿حَدَّثَتْنِي زَيْنَبُ بِنْتُ سُلَيْمَانَ، قَالَتْ حَدَّثَتْنِي الْخَيْزُرَانُ، قَالَتْ حَدَّثَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ﴾

■ (1) زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، الهاشمية كانت مع أهلها بالحميمة من أرض البلقاء، وهي زوج محمد بن إبراهيم الإمام، وإليها ينسب الزينبيون من ولد العباس: لأن زوجها كان له ولد من غيرها فنسب ولدها إليها ليفرق بينهم وبين ولد الزوج الأخرى. وكانت من أولات الفضل، ودخلت على مروان بن محمد عند هلاك إبراهيم بن محمد بن علي الإمام تستأذنه في دفنه، فأذن لها.توفيت بعد المأمون، وتوفي المأمون سنة 218 هـ.

■ (4) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب المعروف بإبراهيم الإمام أخو السفاح، كان مروان الحمار يحتال على الوقف على حقيقة لأمر وإلى من يدعو أبو مسلم الخراساني منهم فلم يزل على ذلك إلى أن ظهر له أنه يدعو إلى الإمام إبراهيم وكان مقيما عند أخته وأهله بالحميمة – تصغير حمامة – فأرسل إليه وقبض عليه وأحضره إلى حران فأوصى إبراهيم بالأمر من بعده لأخيه عبد الله السفاح، ولما وصل إلى خراسان حبسه ثم غمه بتراب في جراب طرح فيه نورة وجعل رأسه فيه وسده إلى أن مات رحمه الله تعالى في صفر سنة 132 هـ ومائة. وقيل إنه قتله غير هذه القتلة ولكن الأكثرون على هذا، وكان دفنه هناك في حران، وكان بنو أمية يمنعون بني هاشم من نكاح الحارثيات للخبر المروي في ذلك أن هذا الأمر يتم لابن الحارثية، فلما قام عمر بن عبد العزيز أتاه محمد بن علي وقال: إني أردت أن أتزوج ابنة خالي من بني الحارث بن عبد أفتأذن لي؟ قال: تزوج من شئت، فتزوج ريطة بنت عبد الله بن عبد المدان فأولدها السفاح.

■ (5) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

عن أحمد بن الخليل بن مالك بن ميمون أبو العباس: رأيت زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس أيام المأمون وقد دخلت دار أمير المؤمنين، فرفع عطاء لها الستر، وعلي بن صالح يومئذ الحاجب حاجب المأمون وعطاء يخلفه فقام إليها فقبل رجلها في الركاب، وهي على حمار لها أشهب مختمرة بخمار عدني أسود، وعليها طيلسان مطبق أبيض. فقال علي بن صالح لها: يا مولاتي، حديث سمعته من أمير المؤمنين، يذكره عنك، قالت: اذكر منه شيئا، قال: حديث أبيك عبد الله بن عباس حين بعثه العباس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسمعت زينب تقول: أخبرني أبي عن جدي عن أبيه عبد الله بن عباس قال: بعثني أبي العباس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجئت وعنده رجل، فقمت خلفه، فلما قام الرجل التفت إلي فقال: يا حبيبي متى جئت؟ قلت: منذ ساعة. قال: فرأيت عندي أحدا؟ قلت: نعم، الرجل. قال: ذاك جبريل، أما إنه ما رآه أحد إلا ذهب بصره إلا أن يكون نبيا، وأنا أسأل الله أن يجعل ذلك في آخر عمرك، اللهم، فقهه في الدين، وعلمه التأويل، واجعله من أهل الإيمان. توفيت بعد المأمون، وتوفي المأمون سنة ثماني عشرة ومئتين.

☪

عن الأصمعي قال قصدت في بعض الأيام رجلا كنت أغشاه لكرمه فوجدت على بابه بوابا فمنعني من الدخول إليه ثم قال والله يا أصمعي ما أوقفني على بابه لأمنع مثلك إلا لرقة حاله وقصور يده فكتبت رقعة فيها: إذا كان الكريم له حجاب..فما فضل الكريم على اللئيم. ثم قلت له أوصل رقعتي إليه ففعل وعاد بالرقعة وقد وقع على ظهرها: إذا كان الكريم قليل مال..تحجب بالحجاب عن الغريم ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار فقلت والله لأتحفن المأمون بهذا الخبر فلما رآني قال من أين يا أصمعي قلت من عند رجل أكرم الأحياء حاشى أمير المؤمنين قال ومن هو فدفعت إليه الورقة والصرة وأعدت عليه الخبر فلما رأى الصرة قال هذا من بيت مالي ولا بد لي من الرجل فقلت والله يا أمير المؤمنين إني أستحي أن أروعه برسلك فقال لبعض خاصته امض مع الأصمعي فإذا أراك الرجل قل له أجب أمير المؤمنين من غير ازعاج قال فلما حضر الرجل بين يدي المأمون قال له أما أنت الذي وقعت بالامس وشكوت رقة الحال وأن الزمان قد أناخ عليك بكلكله فدفعنا إليك هذه الصرة لتصلح بها حالك فقصدك الأصمعي ببيت واحد فدفعتها إليه فقال نعم يا أمير المؤمنين والله ما كذبت فيما شكوت لأمير المؤمنين من رقة الحال لكن استحيت من الله تعالى أن أعيد قاصدي إلى كما أعادني أمير المؤمنين فقال له المأمون لله أنت فما ولدت العرب أكرم منك ثم بالغ في إكرامه وجعله من جملة ندمائه.

ونقل عن الواقدي قال: كان لي صديقان أحدهما هاشمي والآخر نبطي فكنا في الصداقة كنفس واحدة فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي أما نحن فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد نقطع قلبي عليهم رحمة لأنهم يرون صبيان جيراننا وقد تزينوا في عيدهم وهم فرحون ولا بأس بالاحتيال فيما نصرفه في كسوتهم قال فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علي بشيء فوجه إلي كيسا فيه ألف درهم فما استقر قراره حتى كتب إلي صديقي الآخر يشكو إلي مثل ما شكوته إلى الهاشمي فوجهت إليه بالكيس على حاله وخرجت إلى المسجد وأنا مستح من امرأتي فلما دخلت عليها لم تعنفني لعلمها بالحال فبينما أنا كذلك إذ أقبل صديقي الهاشمي ومعه الكيس بختمه فقال أصدقني عما فعلته فيما وجهت به إليك فاعلمته بالخبر فقال إنك وجهت به إلي ولا أملك إلا ما بعثت به إليك وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه إلي كيس بختمه فاخرجنا للمرأة مائة درهم وتقاسمنا الباقي أثلاثا ونما الخبر إلى المأمون فاحضرني وسألني عن الخبر فشرحته له فأمر لنا بسبعة آلاف دينار منها ألف للمرأة وألفان لكل واحد منا.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ المستجاد من فعلات الأجواد/ طيب المذاق من ثمرات الأوراق/ الأعلام للزركلي/ تهذيب الرياسة وترتيب السياسة/ ثمرات الأوراق/

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي، المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) ومسور بن مساور 0680

قال الحسن: وحدثني مسور بن مساور[1]، قال: ظلمني وكيل للمهدي، وغصبني ضيعة لي، فأتيت سلاما [2] صاحب المظالم، فتظلمت منه وأعطيته رقعة مكتوبة، فأوصل الرقعة إلى المهدي، وعنه عمه العباس بن محمد[3] وابن علاثة [4] وعافية [5] القاضي. قال: قال المهدي: ادنه، فدنوت، فقال: ما تقول؟ قلت: ظلمني، قال: فترضى بأحد هذين؟ قال: قلت: نعم، قال: فادن مني، فدنوت حتى التزقت بالفراش، قال: تكلم، قلت: أصلح الله القاضي! إنه ظلمني في ضيعتي هذا، فقال القاضي: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ قال: ضيعتي وفي يدي، قال: قلت: أصلح الله القاضي! سله صارت الضيعة إليه قبل الخلافة أو بعدها؟ قال: فسأله: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ قال: صارت إلي بعد الخلافة. قال: فأطلقها له، قال: قد فعلت، فقال العباس بن محمد: والله يا أمير المؤمنين لذا المجلس أحب إلي من عشرين ألف ألف درهم.

وكتب المهدي إلى عبيد الله بن الحسن[6] قاضي البصرة أن ينظر الأنهار التي كانت في أيام عمر وعثمان، رضي الله عنهما، فيأخذ الصدقة منها، نحو نهر معقل ونهر الأبلة وما أشبهها، ويأخذ من الأنهار التي أحدثت بعد ذلك الخراج، فلم ينفذ كتابه، فتوعده، فلما بلغ عبيد الله الخبر أحضر أشراف أهل البصرة من أهل العلم بالقضاء، وأشهدهم أنه قد قضى لأهل الأنهار كلها التي بجزيرة العرب بالصدقة، فلم يردد المهدي شيئا عليه من فعله.

ذكر علي بن محمد بن سليمان قال: حدثني أبي قال: حضرت المهدي وقد جلس للمظالم فتقدم إليه رجل من آل الزبير[7] فذكر ضيعة اصطفاها عن أبيه بعض ملوك بني أمية ولا أدري الوليد أم سليمان فأمر أبا عبيد الله [8] أن يخرج ذكرها من الديوان العتيق ففعل، فقرأ ذكرها على المهدي وكان ذلك أنها عرضت على عدة منهم لم يروا ردها منهم عمر بن عبد العزيز، فقال المهدي: يا زبيري، هذا عمر بن عبد العزيز وهو منكم معشر قريش كما علمتم لم ير ردها! قال: وكل أفعال عمر ترضى؟ قال: وأي أفعاله لا ترضى؟ قال: منها أنه كان يفرض للسقط من بني أمية في خرقة في الشرف من العطاء ويفرض للشيخ من بني هاشم في ستين، قال: يا معاوية أكذلك كان يفعل عمر؟ قال: نعم، قال: اردد على الزبيري ضيعته.

قال الهيثم بن عدي: دخل على المهدي رجل، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن أمير المؤمنين المنصور شتمني وقذف أمي؛ فإما أمرتني أن أحله؛ وإلا عوضتني واستغفرت الله له. قال: ولم شتمك؟ قال: شتمت عدوه بحضرته؛ فغضب، قال: ومن عدوه الذي غضب لشتمه؟ قال: إبراهيم بن عبد الله بن الحسن[9]،قال: إن إبراهيم أمس به رحما وأوجب عليه حقا، فإن كان شتمك كما زعمت، فعن رحمه ذب، وعن عرضه دفع؛ وما أساء من انتصر لابن عمه. قال: إنه كان عدوا له!، قال: فلم ينتصر للعداوة؛ وإنما انتصر للرحم؛ فأسكت الرجل، فلما ذهب ليولي، قال: لعلك أردت أمرا فلم تجد له ذريعة عندك أبلغ من هذه الدعوى! قال: نعم، قال: فتبسم وأمر له بخمسة آلاف درهم.

وبسنده إلى أبي عمرو الشغافي قال: صلينا مع المهدي المغرب، ومعنا العوفي[10] -يعني الحسين بن الحسن بن عطية- وكان على مظالم المهدي، فلما انصرف المهدي من المغرب، جاء العوفي، حتى قعد في قبلته، فقام المهدي يتنفل، فجذب ثوبه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شيء أولى بك من النافلة. قال: وما ذاك؟ قال: سلام مولاك، أوطأ قوما الخيل، وغصبهم على ضيعتهم، وقد صح ذلك عندي، تأمر بردها، وتبعث من يخرجهم. قيل: وكان سلام إذ ذاك واقفا على رأس المهدي، فقال له المهدي: نصبح إن شاء الله تعالى ونفعل، فقال العوفي: لا، إلا الساعة. فقال المهدي: فلان القائد، اذهب الساعة إلى موضع كذا وكذا، فأخرج من فيها، وسلم الضيعة إلى فلان. قال: فما أصبحوا حتى ردت الضيعة على صاحبها.

■ (1) مسور بن مساور بن سعد بن أبي الغادية يسار بن سبع المزني روى عن جده سعد بن أبي الغادية..؟

■ (10) الحسين بن الحسن بن عطية العوفى. عن أبيه والاعمش. ضعفه يحيى بن معين وغيره. قال الخطيب: ولى قضاء الشرقية ببغداد بعد حفص بن غياث، ثم نقل إلى قضاء عسكر المهدى.توفى سنة 201 هـ

■ (3) العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان من رجالات بني هاشم وولي إمرة الجزيرة في أيام الرشيد، ولد سنة 121 هـ أو 122 هـ أو سنة 118 هـ وأمه أم ولد وذكر أبو محمد بن حزم أنه ولد سنة 120 هـ قبل موت أبيه بعامين وكان أصغر ولد أبيه. قال علي بن حرب قدم العباس بن محمد دمشق واليا عليها وعلى الشام كلها سنة 140 هـ فولى ابن الأشعث الأردن. ومات العباس سنة 186 هـ وكان يتولى الجزيرة وأهله يتهمون فيه الرشيد ويزعمون أنه سمه وأنه سقى بطنه فمات في هذه العلة.

■ (5) عافية بن يزيد بن قيس بن عافية بن شداد بن ثمامة بن سلمة بن كعب بن أود بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان الأودي ولاه أمير المؤمنين المهدي القضاء ببغداد، في الجانب الشرقي. وحدث عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وسليمان الأعمش، ومحمد بن عمرو، ومجالد بن سعيد. روى عنه موسى بن داود الضبي، وأسد بن موسى المصري. وقلما روى، لأنه مات كهلا. قال الخطيب: كان عالما، زاهدا، حكم مدة على سداد وصون، ثم استعفى من القضاء، فأعفي. قيل توفي سنة 180 هـ.

■ (9) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي، خرج بالبصرة على المنصور وتحول إلى الكوفة وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة وأهل مكة وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في رمضان فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن أبا جعفر المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى فخرج إلى المدينة فلقيه محمد بن عبد الله فانهزم بأصحابه وقتل ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر

■ (8) أبو عبيد الله، وزير المهدي وكاتبه. اسمه معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري، مولاهم. أصله من طبرية، وكان ذا دين وتعبد، من خيار الوزراء. وكان المهدي يعظمه ولا يخالفه في رأي. قلا حفيده عبيد الله بن سليمان بن أبي عبيد الله: أبلى أبو عبيد الله سجادتين، وأسرع في الثالث موضع الركبتين، والوجه، واليدين، من كثرة صلاته. وكان له في كل يوم كر دقيق يتصدق به، فلما اشتد الغلاء أتاه مولاه فقال: قد غلا السعر فلو نقصنا من الكر، فقال: أنت شيطان، صيره كرين. قال: وأخبرت أن الجسور يوم مات امتلأت، فلم يعبر عليها أحد إلا من تبع جنازته من مواليه واليتامى والأرامل والمساكين. قيل توفي سنة 170 هـ

■ (7) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي. أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حوراي رسول الله . هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر . أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله روى عنه ابناه عبد الله وعروة ، وروى عنه أيضا الأحنف بن قيس ومالك بن أوس وغيرهم . قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة .سنة 36 هـ

■ (4) ابن علاثة، أبو اليسير، محمد بن عبد الله بن علاثة العقيلي الجزري. قاضي الخلافة ويقال له قاضي الجن، وعلاثة هو ابن علقمة بن مالك العقيلي الجزري.روى عن عبدة بن أبي لبابة، وعبد الكريم بن مالك، وخصيف والأوزاعي، وعدة. ولي القضاء للمهدي. ولي معه القضاء عافية.مات سنة 168 هـ

■ (6) عبيد الله بن الحسن بن الحصين القاضي وهو ابن عم سوار. وكان عبيد الله أحد الأدباء الفقهاء الصلحاء. مات عبيد الله بن الحسن سنة 168 هـ.

■ (2) سلام صاحب المظالم ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم).

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لاَ قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لاَ يُعْطَى الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ﴾ (لا قدست أمة) أي لا زكيت ولا طهرت، ولا نزهها الله تعالى من الأرجاس الشيطانية، والظاهر أنه دعا عليهم فإن كلمة لا لا تدخل على الماضي في غير الدعاء إلا مكررة غالبا مثل لا صدق ولا صلى (متعتع) أي غير خائف، وبلا اكراه. روى الخطيب بإسناده إلى أبي العباس المنصوري قال: لما حصلت في يد المهدي الخزائن والأموال وذخائر المنصور، أخذ في رد المظالم، وإخراج ما في الخزائن، ففرقه، حتى أكثر من ذلك، وبر أهله وأقرباءه ومواليه وذوي الحرمة به، وأخرج لأهل بيته أرزاقا لكل واحد منهم في كل شهر خمس مئة درهم، لكل رجل ستة آلاف درهم في السنة، وأخرج لهم في الأقسام لكل رجل عشرة آلاف درهم، وزاد بعضهم، وأمر ببناء مسجد الرصافة، وحاط حائطها، وخندق خندقها. وذلك كله في السنة التي قدم فيها مدينة السلام. وبسنده إلى الربيع أنه قال: مات المنصور، وفي بيت المال شيء لم يجمعه خليفة قط قبله: مئة ألف ألف درهم وستون ألف ألف درهم. فلما صارت الخلافة إلى المهدي، قسم ذلك وأنفقه. وقال الربيع: نظرنا في نفقة المنصور، فإذا هو ينفق في كل سنة ألفي درهم مما يجيء من مال الشراة.

عن إسماعيل الفهري قال: سمعت المنصور في يوم عرفة على منبر عرفة يقول في خطبته: أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه ورشده وخازنه على فيئه أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه وقد جعلني الله عليه قفلا: إذا شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم وإذا شاء أن يقفلني عليه أقفلني فارغبوا إلى الله أيها الناس وسلوه في هذا البيت الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة] أن يوفقني للصواب ويسددني للرشاد ويلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ويفتحني لإعطائكم وقسم أرزاقكم بالعدل فإنه سميع مجيب. وأخرجه الصولي وزاد في أوله: أن سبب هذه الخطبة أن الناس بخلوه، وزاد في آخره: فقال بعض الناس: أحال أمير المؤمنين بالمنع على ربه. قال العسكري في الأوائل: كان المنصور في ولد العباس كعبد الملك في بني أمية في بخله رأى بعضهم عليه قميصا مرقوعا. فقال: سبحان من ابتلى أبا جعفر بالفقر في ملكه! وحدا به سلم الحادي فطرب حتى كاد يسقط من الراحلة فأجازه بنصف درهم فقال: لقد حدوت بهشام فأجازني بعشرة آلاف! فقال: ما كان له أن يعطيك ذلك من بيت المال، يا ربيع، وكل به من يقبضها منه، فما زالوا به حتى تركه على أن يحدو به ذهابا وإيابا بغير شيء . وعن محمد بن سلام قال: رأت جارية المنصور قميصه مرقوعا فقالت: خليفة وقميصه مرقوع! فقال: ويحك! أما سمعت قول ابن هرمة: قد يدرك الشرف الفتى ورادؤه..خلق وجيب قميصه مرقوع. وعن يونس بن حبيب قال: كتب زياد بن عبد الله الحارثي إلى المنصور يسأله الزيادة في عطائه وأرزاقه وأبلغ في كتابه فوقع المنصور في القصة: إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعتا في رجل أبطرتاه وأمير المؤمنين يشفق عليك من ذلك فاكتف بالبلاغة.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار/ وفيات الأعيان/ مصنف ابن أبي شيبة/ تاريخ الإسلام للذهبي/ تهذيب الكمال/ صبح الأعشى/ الطبقات السنية في تراجم الحنفية/ ميزان الاعتدال للذهبي/ الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة/

ذكر أبو الأشعث الكندي قال: حدثني سليمان بن عبد الله قال: قال الربيع:[1] رأيت المهدي يصلي في بهو له في ليلة مقمرة فما أدري أهو أحسن أم البهو أم القمر أم ثيابه، قال: فقرأ هذه الآية:﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد] قال فتم صلاته والتفت إلي فقال: يا ربيع قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال: علي بموسى وقام إلى صلاته، قال: فقلت: من موسى ابنه موسى أو موسى بن جعفر وكان محبوسا عندي؟ قال: فجعلت أفكر، قال: فقلت: ما هو إلا موسى بن جعفر[2] قال: فأحضرته، قال: فقطع صلاته وقال: يا موسى إني قرأت هذه الآية: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد] فخفت أن أكون قد قطعت رحمك فوثق لي أنك لا تخرج علي، قال: فقال: نعم، فوثق له وخلاه. في رواية عن الفضل بن الربيع عن أبيه أنه لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى المهدي في النوم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول: يا محمد، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد] قال الربيع: فأرسل إلي ليلا فراعني ذلك فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتا فقال: علي بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال: يا أبا الحسن، رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم يقرأ علي كذا، فتؤمنني إن تخرج علي أو على أحد من ولدي؟ فقال: والله، لا فعلت ذلك ولا هو من شأني، قال: صدقت، يا ربيع، أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله إلى المدينة. قال الربيع: فأحكمت أمره ليلا فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق.

■ (2) موسى بن جعفر الكاظم، هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ولد بالمدينة في سنة 128 هـ وقيل 129 هـ وأقدمه المهدي بغداد ثم رده إلى المدينة فأقام بها إلى أيام الرشيد فقدم الرشيد المدينة فحمله معه وحبسه ببغداد إلى أن توفي بها سنة 183 هـ

■ (1) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان العباسي، مولا هم.الأمير الحاجب، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم ولي وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ، من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه إلى الغاية. ويقال: إن الربيع لم يكن يعرف له أب، فدخل هاشمي على المنصور وأخذ يذكره والد الربيع ويترحم عليه، فقال له الربيع: كم ذا تترحم عليه بحضرة أمير المؤمنين، فقال الهاشمي: يا ربيع أنت معذور لا تعرف مقدار الآباء، فخجل منه. وقطيعة الربيع محلة كبيرة ببغداد تنسب إليه.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ.قَالَ: نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ: بَلَى.قَالَ: فَذَاكَ لَكِ.ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (23) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا [محمد]﴾ وعن أم المؤمنين عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ﴾ وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ﴾ قال سفيان يعنى قاطع رحم. وعن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ﴾وعن أبى هريرة أن رجلا قال:﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ﴾.

ذكر أبو عبد الله، قال: حدثني أبي، قال: خطب المهدي يوما، فقال: عباد الله؛ اتقوا الله؛ فقام إليه رجل، فقال: وأنت فاتق الله؛ فإنك تعمل بغير الحق. قال: فأخذ فحمل، فجعلوا يتلقونه بنعال سيوفهم؛ فلما أدخل عليه قال: يا ابن الفاعلة، تقول لي وأنا على المنبر: اتق الله! قال: سوءة لك! لو كان هذا من غيرك كنت المستعدي بك عليه، قال: ما أراك إلا نبطيا، قال: ذاك أوكد للحجة عليك أن يكون نبطي يأمرك بتقوى الله. قال: فرئي الرجل بعد ذلك؛ فكان يحدث بما جرى بينه وبين المهدي. قال: فقال أبي: وأنا حاضره، إلا أني لم أسمع الكلام. قيل وأتي المهدي برجل قد تنبأ فلما رآه قال: أنت نبي؟ قال: نعم قال: وإلى من بعثت؟ قال: وتركتموني أذهب إلى من بعثت إليه وجهت بالغداة فاخذتموني بالعشي ووضعتموني في الحبس قال: فضحك المهدي منه وخلى سبيله.

قال حسن الوصيف: أصابتنا ريح في أيام المهدي حتى ظننا أنها تسوقنا إلى المحشر، فخرجت أطلب أمير المؤمنين، فوجدته واضعا خده على الأرض، يقول: اللهم، احفظ محمدا في أمته، اللهم، لا تشمت بنا أعدائنا من الأمم، اللهم، إن كنت أخذت هذا العالم بذنبي فهذه ناصيتي بين يديك؛ قال: فما لبثنا إلا يسيرا حتى انكشفت الريح وانجلى ما كنا فيه.

قال علي بن نايف الشحود: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام] (فلولا) عند أهل العلم بمعنى: هلا، يعني: فهلا إذا جاءهم بأسنا. والبأس، قيل: النكبة في الحياة، وقيل: المصائب التي يبتلي بها الله الناس، وهي أخذ الله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [هود] معنى الآية ببساطة، يقول سبحانه لماذا عندما أتاهم بأسنا وعذابنا، ونكباتنا ، ومصائبنا ما رجعوا إلينا، وتضرعوا ، وبكوا، وندموا، واستغفروا. هذه الآية ، أيها المسلمون نحن نعيش ظلالها هذه الأيام فلا ينقذنا ، والله، من الله ، ومن عذاب الله، ولا من نقمة الله، ولا من تدمير الله إلا هو، والله لن تنقذنا أمريكا، ولا غير أمريكا..، ولا دول الأرض، فإن الله إذا غضب، فلن يقوم لغضبه أحد، فالمفر إلى الله الذي يقول:﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذريات]، والذي يعتقد أن قوى الأرض وأن أركان الأرض هم الذين يحولون بينه وبين أخذ الله، والله، هو واهم. فعلينا أن نحفظ النعم بالشكر، ولا نكون كالبلد الذي رأيناه، كان بلدا ناعما سعيدا بات هادئا وما علم أنه سوف يجتاح في الصباح. يا راقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا. ولكن ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [هود] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل] إذا غضب الله فلا يقوم لغضبه أحد، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود] ويقول سبحانه: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ﴾ [الطلاق] عتت: أي تمردت على آياتنا، ناعمة، لكن لا يصلي أهلها جماعة في المساجد، ويخرجون على شريعة الله، ويتعدون حدود الله، ويسهرون على معاصي الله ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (8) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق] قوله تعالى: تضرعوا [الأنعام] عادوا إلى الله. كان السلف إذا أتت حروب على الحدود يلجأون إلى المساجد بقيادة الخلفاء ويكثرون من النوافل ومن دعاء النوازل ومن البكاء. وقعت في المدينة هزة خفيفة ، يقولون: سقطت بعض الحوائط والخليفة كان عمر فلما وقعت الهزة صعد المنبر، وقال: الصلاة الصلاة، في الظهيرة، فاجتمع الناس، فخطبهم وبكى، وقال: ما هذه الهزة ؟ قالوا: من الله. قال: أعلم أنها من الله ، فما سببها ؟ قالوا: لا ندري يا أمير المؤمنين. قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم] والذي نفسي بيده لو تكررت هذه الهزة لا أجاوركم في المدينة. قالوا : ماذا نفعل ؟ قال: توبوا إلى الله، وتضرعوا، فإن الله يقول: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام] وقال أهل التاريخ: هبت ريح شديدة على بغداد، وأخذت بعض الشجر، وهدمت بعض القرى، والخليفة هارون الرشيد، نزل من قصره، ودخل المسجد، وكشف البساط، ووضع خده، قال: والله يا رب لا أرفع خدي حتى تهدأ الريح؛ لأنك إن قتلت أمة محمد فبسبب ذنوبي. قالوا: فما رفع رأسه، حتى هدأت الريح، واطمأنوا إلى رحمة الله عز وجل. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر بن الخطاب حاج فاشتدت عليهم، فقال عمر لمن حوله: من يحدثنا عن الريح؟ فلم يرجعوا إليه شيئا، فبلغني الذي سأل عنه عمر من ذلك، فاستحثثت راحلتي حتى أدركته فقلت: يا أمير المؤمنين، أخبرت أنك سألت عن الريح وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا وَسَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا وَاسْتَعِيذُوا بِهِ مِنْ شَرِّهَا﴾ رواه أحمد. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن رجلا نازعته الريح رداءه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلعنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَلْعَنْهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ﴾ رواه أبو داود. ومن حديث عائشة رضي الله عنها قالت:كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه وأقبل وأدبر فإذا مطرت سر به وذهب عنه ذلك قالت عائشة: فسألته فقال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي﴾ ويقول إذا رأى المطر: ﴿رَحْمَةٌ﴾ أي: هذا رحمة.

----

*(الأثر) الأجل (ينسأ) يؤخر (الظهير) المعين الدافع لأذاهم (الملّ) الرماد الحار الذي يحمى ليدفن فيه الطعام لينضج.

مراجع: تاريخ بغداد/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ وفيات الأعيان/ تاريخ الإسلام للذهبي/ صفة الصفوة/ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة/ صحيح مسلم/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ مسند أحمد/ سنن أبي داود/

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي، المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وابن أبي ذئب (١) 0682

كان ابن أبي ذئب[1] جالسًا في المسجد النبوي، فدخل المهدي فلم يبقَ أحدٌ إلا قام، فلمَّا وصل ابن أبي ذئب قال له المسيب بن زهير[2]:قُمْ، هذا أمير المؤمنين. فقال: إنما يقوم الناس لرب العالمين. فقال له المهدي: دعْه، فلقد قامت كل شعرة في رأسي.

جاز أبي جعفر المنصور يوما، والفرج بن فضالة[3] جالس على باب قصر الذهب، فقام الناس جميعا، ولم يقم الفرج، فاستشاط المنصور غضبا، ودعا به، وقال: ما منعك من القيام؟ قال: خفت أن يسألني الله تعالى: لم فعلت؟ ويسألك: لم رضيت؟

وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، فسكن غضبه، وقربه، وقضى حاجته.

حكى الصفدي: لما أحضر المأمون أصحاب الجواهر ناظرهم*على متاع كان معهم ثم نهض المأمون لحاجته وعاد، فقام له كل أحد إلا ابن الجعد[4] فنظر إليه المأمون كالمغضب ثم استخلاه وقال له: يا شيخ، ما منعك أن تقوم لي كما فعل أصحابك؟ فقال: أجللت أمير المؤمنين للحديث الذي نأثره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وما هو؟ قال: سمعت المبارك بن فضالة[5] يقول: سمعت الحسن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ النَّاسُ قِيَاماً، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ فأطرق المأمون ساعة وقال: لا يشتري لنا إلا من هذا الشيخ، فاشترى منه بثلاثين ألف دينار.

وجه المتوكل إلى أحمد بن المعذل[6] وغيره من العلماء فجمعهم في داره، ثم خرج عليهم فقام الناس كلهم له غير أحمد بن المعذل فقال المتوكل لعبيد الله[7]: إن هذا لا يرى بيعتنا. فقال له: بلى، يا أمير المؤمنين، ولكن في بصره سوء. فقال أحمد بن المعذل: يا أمير المؤمنين، ما في بصري سوء، ولكنني نزهتك من عذاب الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه.

----

*(ابن أبي ذئب) ما ذكر من أنه أبي ذؤيب قد يكون من تحريف النساخ، والله أعلم. (ناظرهم) في رواية الصفدي قال: شاطرهم.

■ (1) ابن أبي ذئب (ذؤيب!)، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب. يكنى أبا الحارث ولد في سنة 80 هـ عام الجحاف وكان من أورع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريا وكان يصلي الليل أجمع. وكان يصوم يوما ويفطر يوما فوقعت الرجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له قم تغذى قال دعه اليوم فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتو فيه ويصيف ويحفظ حديثه كله. سمع ابن أبي ذئب من عكرمة ونافع وسعيد المقبري وأبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. وكان فقيها صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أقدمه المهدي بغداد فحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة. قال احمد بن حنبل كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب قيل لأحمد خلف مثله ببلاده قال لا ولا بغيرها. مات ابن أبي ذئب فدفن بالكوفة سنة 159 هـ وهو ابن تسع وسبعين.

■ (6) أحمد بن المعذل، ابن غيلان بن حكم، شيخ المالكية، أبو العباس العبدي البصري، وكان من بحور الفقه، صاحب تصانيف. وقد كان أهل البصرة يسمون أحمد الراهب لتعبده ودينه. وقيل إنه توفي وقد قارب الأربعين سنة.أما أخوه عبد الصمد المعذل الشاعر مات سنة 240 هـ.

■ (7) ابن خاقان، أبو الحسن، عبيد الله بن يحيى بن خاقان التركي، ثم البغدادي. وزر للمتوكل، وللمعتمد. وجرت له أمور. وقد نفاه المستعين إلى برقة، ثم قدم بغداد بعد خمس سنين، ثم وزر سنة 256 هـ.وقيل: لم يكن له حظ من الصناعة، فأيد بأعوان وكفاة. وكان واسع الحيلة. ونفاه المعتز، فلما ولي المعتمد طلبه، وخلع عليه، فأدبته النكبة، وتهذب كثيرا. وله أخبار في الحلم والسخاء. مات وعليه ست مئة ألف دينار، مع كثرة ضياعه. قيل: صدمه خادمه رشيق في لعب الصوالجة، فسقط، ثم مات ليومه، سنة 263 هـ. وقد وزر ابنه أبو علي محمد بن عبيد الله، ووزر حفيده أبو القاسم عبد الله بن محمد للمقتدر سنة 312 هـ. وتوفي سنة أربع عشرة.

■ (4) علي بن الجعد بن عبيد الله، أبو الحسن الهاشمي، مولاهم الجوهري البغدادي مسند بغداد في زمانه روى عنه البخاري وأبو داود وأبو زرعة وأبو حاتم وإبراهيم الحربي وأبو يعلى الموصلي وجماعة. ولد سنة 134 هـ وتوفي سنة 230 هـ.

■ (3) فرج بن فضالة بن النعمان بن نعيم التنوخي القضاعي، أبو فضالة الشامي الحمصي، ويقال: الدمشقي. ولد في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، في سنة 88 هـ. وقدم بغداد، وولي بيت المال في أول خلافة المهدي وكان يسكن مدينة أبي جعفر، ومات بها سنة 176 هـ في خلافة هارون، عن أبي داود: سمعت أحمد بن حنبل سئل عن إسماعيل بن عياش: هو أثبت أو أبو فضالة؟ قال: أبو فضالة يحدث عن ثقات أحاديث مناكير.

■ (2) المسيب بن زهير بن عمرو بن جبيل بن الأعرج بن ربيعة بن مسعود بن منقذ بن كوز ، يكنى أبو مسلم الضبي، كان من رجالات الدولة العباسية. ولد في خلافة عمر بن عبد العزيز، وولي شرطة بغداد في أيام المنصور أيام حياته وولي شرط المهدي في أول خلافته ثم ولاه خراسان مدة قصير سنة 166 وولي شرط أمير المؤمنين الرشيد. وتوفى سنة 175 هـ بمنى فدفن أسفل العقبة وقيل: توفي سنة 176 هـ وهو بن ست وسبعين سنة.

■ (5) المبارك بن فضالة بن أبي أمية، أبو فضالة مولى زيد بن الخطاب من أهل البصرة حدث عن الحسن البصري، وثابت البناني، وعبد العزيز بن صهيب، وحميد الطويل، وحبيب بن أبي ثابت، وهشام بن عروة، وخبيب بن عبد الرحمن، ويونس بن عبيد، ونصر بن راشد، وعبيد الله بن عمر العمري. روى عنه الحسن بن موسى الأشيب، والهيثم بن جميل، ويزيد بن هارون، وعفان بن مسلم، وموسى بن داود، وسعيد بن سليمان، وعبد الله بن خيران، وعلي بن الجعد. توفي المبارك بن فضالة سنة 164 هـ

☪

قال جمال الدين القاسمي: ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى بهم قاعدا في مرضه وصلوا قياما، فأمرهم بالقعود، وقال:﴿لَا تُعَظِّمُونِي كَمَا يُعَظِّمُ الْأَعَاجِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا﴾ فقد نهاهم عن القيام في الصلاة وهو قاعد؛ لئلا يشبه الأعاجم الذين يقومون لعظمائهم وهم قعود. وعن أبي غالب، عن أبي أمامة، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوكئ على عصا، فقمنا إليه، فقال: ﴿لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ يُعَظِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا﴾ وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِي مَجْلِسِهِ. وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ عَنْ مَجْلِسِهِ، لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ﴾ قالت الحكماء:﴿أَظْلَمُ النَّاسِ لِنَفْسِهِ مَنْ تَوَاضَعَ لِمَنْ لَا يُكْرِمُهُ، وَرَغِبَ فِيمَنْ يُبْعِدُهُ﴾ وحدث أبو عمرو الجملي، عن زاذان: أن عمر رضي الله عنه خرج من المسجد فإذا جمع على رجل فسأل: ما هذا ؟ قالوا: هذا أبي بن كعب، كان يحدث الناس في المسجد. فخرج الناس يسألونه، فأقبل عمر حردا فجعل يعلوه بالدرة خفقا، فقال: يا أمير المؤمنين، انظر ما تصنع، قال: فإني على عمد أصنع، أما تعلم أن هذا الذي تصنع فتنة للمتبوع مذلة للتابع؟!.وروى عن الأوزاعي حدثني بعض حرس عمر بن عبدالعزيز قال: خرج علينا عمر ونحن ننتظره يوم الجمعة فلما رأيناه قمنا فقال: إذا رأيتموني فلا تقوموا ولكن توسعوا.

لما ولي عمر بن عبد العزيز قام الناس بين يديه، فقال: يا معشر المسلمين إن تقوموا نقم وإن تقعدوا نقعد، فإنما يقوم الناس لرب العالمين، وإن الله فرض فرائض وسن سننا، من أخذ بها لحق ومن تركها محق (أي أهلكه وأباده). في كتاب علي الصلابي قال: أراد عمر أن يقضي على العادات الموروثة التي أشبه بها الولاة آنذاك الأكاسرة والقياصرة، وعزم صارم على العودة بالأمة إلى منهج الخلفاء الراشدين، وعمر هنا يحجم دافعين قويين يدفعانه إلى مجاراة عشيرته في مظاهرهم.. أولهما طموح النفس نحو الظهور وفرض السلطة والهيبة في قلوب الناس، وثانيهما رغبة عشيرته الملحة في الإبقاء على هذه المظاهر، وتشنيعهم عليه في مخالفة ما كان عليه أسلافه ولكنه تغلب على هذين الدافعين بحزم وإيمان قوي، وكان الدافع الذي يدفعه إلى التواضع ورفض المظاهر الدنيوية هو خوفه من الله تعالى ورغبته فيما عنده، وطموح فكره نحو الآخرة وتجاوز المستقبل الدنيوي، وكان هذا الدافع أقوى بكثير من الجواذب الأرضية، فنجح في إلجام نفسه عن هواها وإسكات أصحاب المظاهر الخادعة، وتصحيح مفاهيم المجتمع فيما يجب أن تكون عليه الولاة والعلاقة بينهم وبين الرعية. وفي قوله: إن الله فرض فرائض. بيان لأسباب السعادة والشقاوة الحقيقية في الدنيا والآخرة، فمن طبقها لحق بركب المتقين في الدنيا، وأكرم به من رفقة صالحة، وسيق يوم القيامة إلى رضوان الله تعالى والجنة وأكرم به من مآل وعاقبة. قال رجل من حرس عمر بن عبد العزيز:خرج علينا عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة، فقمنا. فقال: إذا رأيتموني فلا تقوموا، ولكن توسعوا. ثم قال: أيعرف أحدكم فلان؟ فقلنا: كلنا نعرفه. قال: فليقم أحدثكم سنا، فقام أحدثنا سنا، فدعاه له، فجاء الرجل وقد تهيأ وشد عليه ثيابه. فقال عمر: إنا بعثناك في أمر عجلة من أمور المسلمين، فلا يحملك استعجالنا لك على أن تخرج حتى تصلي الجمعة، فإن اليوم الجمعة، وإذا حضرت الصلاة، فصلها لوقتها، فإنك لا محالة أن تصليها، وإن الله ذكر قوما فقال: ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم] ولم تكن إضاعتهم إياها أن تركوها، ولو تركوها لسماهم بتركها كفارا.

عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال﴿سَيَلِي أُمُورَكُمْ بَعْدِي رِجَالٌ يُطْفِئُونَ السُّنَّةَ وَيَعْمَلُونَ بِالْبِدْعَةِ وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُهُمْ كَيْفَ أَفْعَلُ قَالَ تَسْأَلُنِي يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ كَيْفَ تَفْعَلُ لَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللَّهَ﴾

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ﴾ قال المظهر: يعني سمع كلام الحاكم وطاعته واجب على كل مسلم سواء أمره بما يوافق طبعه أو لم يوافقه بشرط أن لا يأمره بمعصية فإن أمره بها فلا تجوز طاعته. وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ﴾ وعن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ﴾ (لا طاعة) أي لأحد كما في رواية الجامع الصغير أي من الإمام وغيره كالوالد والشيخ (في معصية) وفي رواية الجامع: في معصية الله (في المعروف) أي ما لا ينكره الشرع. وعن عبادة بن الصامت قال:﴿بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ -وفي رواية-: وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ﴾ وعن ابن عمر قال:﴿كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ يَقُولُ لَنَا: فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال: ﴿أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي، الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرَبَهُمْ اللَّهُ بِالذُّلِّ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمْ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ﴾ وقوله رضي الله عنه: (ولِّيت عليكم ولست بخيركم) من باب التواضع وإلا فإن الصحابة كلهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم، رضي اللَّهُ عنهم أجمعين.والخليفة عمر رضي الله عنه يقول:﴿أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ رَأَى مِنْكُمْ فِيّ اعْوِجَاجًا فَلْيُقَوِّمْهُ، فَقَامَ لَهُ رَجُلٌ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ رَأَيْنَا فِيكَ اعْوِجَاجًا لَقَوَّمْنَاهُ بِسُيُوفِنَا، فَقَالَ عُمَرَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ يُقَوِّمُ اعْوِجَاجَ عُمَرَ بِسَيْفِهِ﴾والخليفة عثمان رضي الله عنه يقول:﴿إِنْ وَجَدْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ تَضَعُوا رِجْلِي فِي الْقَيْدِ فَضَعُوهَا﴾ وعنه ضي الله عنه قال:﴿فَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ تَبَعٌ﴾ وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول لأهل الكوفة:﴿أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ كُنْتُ ظَالِمًا فَخْذُلُونِي وَإِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا فَأَعِنُونِي﴾ والخليفة الراشد عمر ابن عبد العزيز يقول:﴿يَا أَيهَا النَّاس مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فَقَدْ وَجَبَتْ طَاعَته وَمَنْ عَصَى اللَّهَ فَلَا طَاعَة لَهُ أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ﴾ وحدث سليمان بن داؤد الخولاني: إن رجلا بايع عمر بن عبد العزيز فمد يده إليه، ثم قال: بايعني بلا عهد ولا ميثاق تطيعني ما أطعت الله فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليك فبايعه.

عن علي ضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنْ تَسْتَخْلِفُوا أَبَا بَكْرٍ تَجِدُوهُ مُسْلِمًا أَمِينًا زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا رَاغِبًا فِي الآخِرَةِ وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عمر تجدوه قَوِيًّا أَمِينًا لا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ. قَالَ: وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عَلِيًّا تَجِدُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًا يَسْلُكُ بِكُمُ الطَّرِيقَ﴾ وعن حذيفة رضي الله عنه: ﴿إِنْ تَسْتَخْلِفُوا أَبَا بَكْرٍ تَجِدُوهُ قَوِيًّا فِي أَمْرِ اللَّهِ ضَعِيفًا فِي بَدَنِهِ، وَإِنْ تَسْتَخْلِفُوهُ عُمَرَ تَجِدُوهُ قَوِيًّا فِي أَمْرِ الله قَوِيًّا فِي بَدَنِهِ، وَإِنْ تَسْتَخْلِفُوهُ عَلِيًّا -وَمَا أَرَاكُمْ فَاعِلِينَ- تَجِدُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا. يَحْمِلُكُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ﴾ أخرجه أبو نعيم في فضائل الصحابة وفي الحلية. قال الحسن: إن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أكياساً، عملوا صالحاً وأكلوا طيباً وقدموا فضلاً، لم ينافسوا (يناقشوا) أهل الدنيا في دنياهم ولم يجزعوا من ذلها، أخذوا صفوها وتركوا كدرها والله ما تعاظمت في أنفسهم حسنة عملوها ولا تصاغرت في أنفسهم سيئة أمرهم الشيطان بها.

مراجع: صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ البداية والنهاية/ السنن الكبرى للبيهقي/ تذكرة الحفاظ/ البداية والنهاية/ مجموع الفتاوى/ الوافي بالوفيات/ فهرس الفهارس والإثبات/ الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار/ مختصر تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/ المعرفة والتاريخ/

حدث حسن بن زيد[1]، قال: كان عبد الصمد[2] ولي على المدينة، قال: فعاقب بعض القرشيين وحبسه حبسا ضيقا، قال: وكتب بعض قرابته إلى أبي جعفر فشكى ذلك إليه وأخبره، فكتب أبو جعفر إلى المدينة وأرسل رسولا، وقال: اذهب فانظر قوما من العلماء فأدخلهم عليه حتى يروا حاله وتكتبوا إلي بها، فأدخلوا عليه في حبسه مالك بن أنس، وابن أبي ذئب[3]،وغيرهم من العلماء، فقال: اكتبوا بما ترون إلى أمير المؤمنين، قال: وكان عبد الصمد لما بلغه الخبر حل عنه الوثاق وألبسه ثيابا، وكنس البيت الذي كان فيه، ورشه ثم أدخلهم عليه، فقال لهم الرسول: اكتبوا بما رأيتم، فأخذوا يكتبون: يشهد فلان، وفلان، فقال ابن أبي ذئب: لا تكتب شهادتي، أنا أكتب شهادتي بيدي، إذا فرغت فارم إلي بالقرطاس، قال: فكتبوا: رأينا محبسا لينا، ورأينا هيئة حسنة، وذكروا ما يشبه هذا من الكلام، قال: ثم دفع القرطاس إلى ابن أبي ذئب، فلما نظر في الكتاب فرأى هذا الموضع، قال: يا مالك داهنت وفعلت وفعلت إلى الهوى؟، لكن اكتب: رأيت محبسا ضيقا وأمرا شديدا.قال: فجعل يذكر شدة الحبس، قال: وبعث بالكتاب إلى أبي جعفر، قال: فقدم أبو جعفر حاجا فمر بالمدينة فدعاهم، فلما دخلوا عليه جعلوا يذكرون، وجعل ابن أبي ذئب يذكر شدة الحبس وضيقه، وشدة عبد الصمد وما يلقون منه، قال: وجعل أبو جعفر يتغير لونه، وينظر إلى عبد الصمد غضبان، قال الحسن بن زيد: فلما رأيت ذلك رأيت أن ألينه، وخشيت على عبد الصمد من أبي جعفر أن يعجل عليه، فقلت: يا أمير المؤمنين ويرضي هذا أحدا؟ قال ابن أبي ذئب: أما والله إن سألني عنك لأخبرنه، فقال أبو جعفر: وإني أسألك، فقال: يا أمير المؤمنين، ولي علينا ففعل بنا وفعل وأطنب في، فلما ملأني غيظا، قلت: أفيرضي هذا أحدا يا أمير المؤمنين؟ سله عن نفسك، فقال له أبو جعفر: فإني أسألك عن نفسي، قال: لا تسألني، فقال: أنشدك بالله كيف تراني، قال: اللهم، لا أعلمك إلا ظالما جائرا، قال: فقام إليه وفي يده عمود، فجلس قربه، قال الحسن بن زيد: فجمعت إلي ثوبي مخافة أن يصيبني من دمه، فقلت: ألا تضرب العمود؟ فجعل يقول له: يا مجوسي، أتقول هذا الخليفة الله في أرضه؟ وجعل يرددها عليه، وابن أبي ذئب يقول: نشدتني بالله يا عبد الله، إنك نشدتني بالله، قال: ولم ينله بسوء، قال: وتفرقوا على ذلك.

قال أبو زكريا العابد: وحدثني بهذا الحديث كله أبو عيسى كوفي نخعي، وزاد فيه: فلما كان الغد دعي به ليدخل على أبي جعفر، وكان لأبي جعفر خادم كريم عليه، قال أبو عيسى: فحدثني فلان، فلقد رأيت ذلك الخادم حين دنا ابن أبي ذئب من الباب ليدخل على أبي جعفر قام إليه الخادم، وكان أمر أن يدخله، فجعل يمس على صدر ابن أبي ذئب، ويقول: مرحبا برجل لا تأخذه في الله لومة لائم.

عن هارون بن سفيان قال: قال أبو نعيم: حججت سنة حج أبو جعفر وأنا ابن إحدى وعشرين سنة ومعه بن أبى ذئب ومالك بن أنس فدعا بن أبي ذئب فأقعده معه على دار الندوة عند غروب الشمس فقال له: ما تقول في الحسن بن زيد بن الحسن بن فاطمة [4]؟ قال: فقال: انه ليتحرى العدل. فقال له: ما تقول في مرتين أو ثلاثا. فقال: ورب هذه البنية إنك لجائر. قال: فأخذ الربيع بلحيته. فقال له أبو جعفر: كف يا بن اللخناء، وأمر له بثلاثمائة دينار.

----

*(ابن أبي ذئب) ما ذكر من أنه أبي ذؤيب من تحريف النساخ والله أعلم.

■ (3) ابن أبي ذئب (ذؤيب!)، محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ابن الحارث بن أبي ذئب. يكنى أبا الحارث ولد في سنة 80 هـ عام الجحاف وكان من أورع الناس وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريا وكان يصلي الليل أجمع. وكان يصوم يوما ويفطر يوما فوقعت الرجفة بالشام فقدم رجل من أهل الشام فحدثه عن الرجفة وكان يوم إفطاره فقلت له قم تغذى قال دعه اليوم فسرد الصوم من ذلك اليوم إلى أن مات وكان يتعشى بالخبز والزيت وله طيلسان وقميص يشتو فيه ويصيف ويحفظ حديثه كله. سمع ابن أبي ذئب من عكرمة ونافع وسعيد المقبري وأبي الزناد ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. وكان فقيها صالحا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أقدمه المهدي بغداد فحدث بها ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة. قال احمد بن حنبل كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب قيل لأحمد خلف مثله ببلاده قال لا ولا بغيرها. مات ابن أبي ذئب فدفن بالكوفة سنة 159 هـ وهو ابن تسع وسبعين.

■ (4) الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد الهاشمي المديني، ويكنى أبا محمد،حدث عن أبيه، وعن عكرمة مولى ابن عباس، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. أحد الأجواد، ولاه المنصور المدينة خمس سنين، ثم غضب عليه فعزله، واستصفى كل شيء له، وحبسه ببغداد، فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور وولي المهدي، فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شيء ذهب له ولم يزل معه.وذكر محمد بن خلف وكيع أن الحسن بن زيد مات ببغداد ودفن في مقابر الخيزران.وذلك خطأ إنما مات بالحاجر على خمسة أميال من المدينة،وهو يريد الحج، وكان في صحبة المهدي سنة 168 هـ وهو ابن 85 ودفن هناك.وقيل صلى عليه علي بن المهدي.

■ (2) عبد الصمد بن علي ابن حبر الأمة عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب، أبو محمد الهاشمي، العباسي، عم السفاح والمنصور. ولد بالبلقاء، سنة نيف ومائة.وكان عظيم الخلقة، وقد خرج عند موت السفاح مع أخيه عبد الله على المنصور، وحاربهما أبو مسلم الخراساني، وتقلبت به الأيام، وعاش إلى زمن الرشيد، وكان يجله ويحترمه.ولي إمرة دمشق، وإمرة البصرة، وغير ذلك. مات عبد الصمد بالبصرة، سنة 185 هـ، وعمره ثمانون سنة.

■ (1) الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، العلوي الحسني الزيدي الأمير. توفي سنة 270 هـ

☪

عن خريم بن فاتك، قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح، فلما انصرف قام قائما، فقال: ﴿عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (30) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج] قال عمر بن الخطاب:﴿أَلَا لَا يُؤْسَرُ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ بِشَهَادَةِ الزُّورِ، فَإِنَّا لَا نَقْبَلُ إِلَّا الْعُدُولَ﴾ وعن أبي عمر، عن ابن الحنفية،﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ [الإسراء] قال: شَهَادَةُ الزُّورِ﴾ وعن وائل بن ربيعة، قال:﴿عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَتَلَا أَحَدُهُمَا: وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ [الفرقان] وَتلا الآخَرَ: وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ [الحج]﴾ وعن أبي حصين، قال: جلس إلي القاسم، فقال: أي شيء كان يصنع شريح بشاهد الزور إذا أخذه، قال: قلت: كان يكتب اسمه عنده، فإن كان من العرب بعث به إلى مسجد قومه، وإن كان من الموالي بعث به إلى سوقه، يعلمهم ذلك منه. وعن الجعد بن ذكوان، قال: شهدت شريحا ضرب شاهد الزور خفقات، ونزع عمامته، عن رأسه.وعن عبد الكريم الجزري، قال: شهد قوم عند عمر بن عبد العزيز على هلال رمضان، فاتهمهم فضربهم سبعين سبعين، وأبطل شهادتهم. وعن الحسن، قال: شاهد الزور يضرب شيئا ويعرف الناس ويقال: إن هذا يشهد بزور.

☪

قيل للإمام مالك: إنك تدخل على السلطان وهم يظلمون ويجورون. قال: يرحمك الله، فأين التكلم بالحق؟ وقال إسحاق بن إبراهيم الحنيني: كان مالك يقول: والله ما دخلت على ملك من هؤلاء الملوك حتى أصل إليه إلا نزع الله جل وعلا هيبته من صدري. وقال: حق على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره شيئا من العلم والفقه، أن يدخل إلى كل ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر، ويعظه، حتى يتبين دخول العالم على غيره؛ لأن العالم إنما يدخل على السلطان لذلك، فإذا كان فهو الفضل الذي لا بعده فضل.يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل سمعت أبي يقول: كان ابن أبي ذئب ومالك يحضران عند الأمراء فيتكلم ابن أبي ذئب يأمرهم وينهاهم ومالك ساكت، قال أبي: ابن أبي ذئب خير من مالك وأفضل، وقال علي بن المديني: سألت يحيى بن سعيد القطان فقلت: أيهما أحب إليك، رأي مالك أو رأي سفيان؟ فقال: سفيان لا نشك في هذا. ثم قال يحيى: وسفيان فوق مالك في كل شيء. وكان سفيان يقول: إن فجار القراء اتخذوا سلما إلى الدنيا، فقالوا: ندخل على الأمراء نفرج عن مكروب ونكلم في محبوس. وكان يقول: إذا لم تصل إلى حقك إلا بالخصومة والسلطان فدعه لما ترجو من سلام دينك. وقال حماد الخياط: كان ابن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب في فضله. وقد دخل ابن أبي ذؤيب على أبي جعفر المنصور فلم يهبه أن قال له الحق، قال له: الظلم فاش ببابك، وأبو جعفر أبو جعفر. وعن علقمة بن وقاص قال: مر به رجل له شرف، فقال له علقمة: إن لك رحما، وإن لك لحقا، وإني رأيتك تدخل على هؤلاء الأمراء، وتتكلم عندهم بما شاء الله أن تتكلم به، وإني سمعت بلال بن الحارث المزني، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ﴾ قال علقمة فانظر ويحك ماذا تقول؟ وماذا تكلم به، فرب كلام قد منعني أن أتكلم به، ما سمعت من بلال بن الحارث. قال أبو عمر لا أعلم خلافا في قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة إنها الكلمة عند السلطان الجائر الظالم ليرضيه بها فيما يسخط الله عز وجل ويزين له باطلا يريده من إراقة دم أو ظلم مسلم ونحو ذلك مما ينحط به في حبل هواه فيبعد من الله وينال سخطه وكذلك الكلمة التي يرضي بها الله عز وجل عند السلطان ليصرفه عن هواه ويكفه عن معصية يريدها يبلغ بها أيضا من الله رضوانا لا يحسبه، والله أعلم، وهكذا فسره ابن عيينة وغيره. قال مهنا:[1]﴿سَأَلْت الْأَمَامَ أَحْمَدَ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ الْهَرَوِيِّ، فَقَالَ: رَجُلٌ وَسِخٌ ، فَقُلْت مَا قَوْلُك إنَّهُ وَسِخٌ قَالَ: مَنْ يَتْبَعُ الْوُلَاةَ وَالْقُضَاةَ فَهُوَ وَسِخٌ﴾ وقد ذكرنا أن هذا رأي جماعة من السلف، منهم: طاووس، وأبو حازم، والثوري، وابن عياض..فكانوا يقولون لا تأتوهم، ولا تأمروهم، يعني السلطان. يقول الله تعالى:﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود] والركون إلى الشيء هو السكون إليه بالأنس والمحبة فاقتضى ذلك النهى عن مجالسة الظالمين ومؤانستهم والإنصات إليهم وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام] قال أبو قلابة:﴿لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ﴾وقال سفيان الثوري: ﴿إِذَا دَعَوْكَ لِتَقْرَأَ عَلَيْهِمْ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَلَا تَأْتِهِمْ قُلْتُ لِأَبِي شِهَابٍ: يَعْنِي السَّلَاطِينَ قَالَ: نَعَمْ﴾ قال الإمام الشافعي: كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء، قال: أما إني على بينة من ربي وديني، وأما أنت فشاك، اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه.

☪

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ﴾ وروي عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ﴾ وعن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قَالَ: قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ:يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ﴾ وعن عبد الله بن عمر: ﴿جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلى اللَّهِ؟، فَقَالَ: أَحَبُّ النَّاسِ إِلى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ شَهْرًا﴾ وعن ابن عمر، قال:﴿قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْعِبَادِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: أَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ. قِيلَ: فَأَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ. قِيلَ: وَمَا سُرُورُ الْمُؤْمِنِ؟ قَالَ: إِشْبَاعُ جَوْعَتِهِ وَتَنْفِيسُ كُرْبَتِهِ، وَقَضَاءُ دَيْنِهِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَتِهِ كَانَ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَاعْتِكَافِهِ وَمَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ يُعِينُهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبُهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَإِنَّ الْخُلُقَ السَّيِّئَ يُفْسِدُ الْأَعْمَالَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ﴾.

■ (1) (مهنا) أبو عبد الله مهنا بن يحيى الشامي السلمي، من كبار أصحاب أحمد، لزمه وروى عنه مسائل كثيرة.

مراجع: تاريخ بغداد/ مصنف ابن أبي شيبة/ شعب الإيمان/ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد/ إتحاف الخيرة المهرة/

كان صالح بن بشر المري[1] من الزهَّاد المعدودين، وكان يعظ ويحضر مجلسه سفيان الثوري وغيره من العلماء، وكان سفيان يقول: هذا نذير قوم، وقد استدعاه المهدي ليحضر عنده، فجاء إليه راكبًا على حمار، فدنا من بساط الخليفة وهو راكب، فأمر الخليفة ابنيه وليي العهد من بعده: موسى الهادي، وهارون الرشيد أن يقوما إليه لينزلاه عن دابته، فابتدراه فأنزلاه، فأقبل صالح على نفسه فقال: لقد خبت وخسرت إن أنا داهنت ولم أصدع بالحق في هذا اليوم وفي هذا المقام، ثم جلس إلى المهديِّ فوعظه موعظة بليغة حتى أبكاه، قال فيها: يا أمير المؤمنين احمل لله ما أكلمك به اليوم فان أولى الناس بالله أحملهم لغلظة النصيحة فيه وجدير بمن له قرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرث أخلاقه ويأتمّ بهديه وقد ورثك الله من فهم العلم وإنارة الحجة ميراثا قطع به عذرك. فمهما ادّعيت من حجة أو ركبت من شبهة لم يصح لك فيها برهان من الله حل بك من سخط الله بقدر ما تجاهلته من العلم أو أقدمت عليه من شبهة الباطل واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خصم من خالف أمته يبتزها أحكامها ومن كان محمد صلى الله عليه وسلم خصمه كان الله خصمه فأعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسوله حججا تضمن لك النجاة أو استسلم للهلكة. واعلم أن أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه إلى الله قربة، وأن أثبت الناس قدما يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، فمثلك لا يكابر بتجديد المعصية ولكن تمثل له الإساءة إحسانا ويشهد عليه خونة العلماء وبهذه الحبالة تصيدت الدنيا نظرائك فأحسن الحمل فقد أحسنت إليك الأداء.

فبكى المهدي ثم أمر له بشيء فلم يقبله. وحكى بعض الكتاب أنه رأى هذا الكلام مكتوبا في دواوين المهدي.

■ (1) صالح بن بشير بن وادع بن أبي الأقعس القارئ أبو بشر البصري القاص المعروف بالمري. وكان من عباد أهل البصرة وقرائهم، وهو الذي يقال له: صالح الناجي، قال أبو حاتم: مات سنة 176 هـ، وقد قيل: سنة 172 هـ. وكان من أحزن أهل البصرة صوتا وأرقهم قراءة، غلب عليه الخير والصلاح حتى غفل عن الإتقان في الحفظ، فاستحق الترك. ولما ذكره أبو العرب فيهم قال: لما ولي المهدي الخلافة وقدم البصرة سأل عن خير أهلها، فقيل: المري، قال أبو الفرج كان من أهل الخير لا يتعمد الكذب وإنما يغلط لقلة معرفته بالحديث لغفلته عن الإتقان والحفظ، وعن أحمد: هو صاحب قصص ليس بصاحب حديث ولا يعرف الحديث.

قال علي بن يقطين:[1] كنت عند أمير المؤمنين المهدي ذات ليلة نسمر إذ ذهب به النوم فما مكث طويلا، حتى فرغ، وقام من مجلسه وبقي يبكي حتى علا انتحابه، فقمت من فراشي ووقفت بإزائه ساعة لا أدري ما أقول، فقلت: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، قد بلغ بنا ما ترى من بكائك، فإن كان أمره الذي أبكاك من الأمور التي يجوز لمثلي أن يطلع عليها فلعله يكون عندي فيها بعض الفرج، فقال: يا علي، ويحك بينا أنا نائم من فراشي إذ أتاني آت في منامي، فقال: عجبت لضحك المرأ والموت خلفه..وللمشتري دنياه بالدين أعجب..وأعجب من هذين من باع دينه..بدنيا سواه فهو من ذين أخيب (أعجب!).

كان موسى بن عبيدة الربذي[2] مريضا، وكان الحجيج يمرون به يعودونه، فقالوا لمعاذ بن مسلم بن معاذ[3] -أمير خراسان زمن المهدي-: لو دخلت عليه فعدته، فقال: اذهبوا بنا. قال: فدخل عليه معاذ، فسلم فشم ريح الطيب منه، قال: فقال: من هذا؟ من أنت عافاك الله؟ قال: أنا معاذ بن مسلم، قال: أنت، فلا حياك الله، ولا حيا من أدخلك علي، قال: قد أمرت لك بمائتي دينار. قال: فولى وجهه والله عني، فوالله ما نظر إلي حتى خرجت عنه، ووالله ما رأيت ذلا أذل من مقامي بين يديه.

☪

قال علي بن نايف: إن من العدل في التعامل مع النصوص الشرعية أن ينظر الباحث فيها إليها جملة، وأن يجمع النصوص الواردة في الباب الواحد، وحين ينظر إلى جانب واحد منها فقط؛ فسيخرج بنتيجة غير شرعية، ففي مقابل النصوص التي تتوعد أهل الكبائر بالعقوبة والنكال هناك نصوص تفتح أمامهم باب الرجاء.. لذا فالذي ينظر لجانب واحد من النصوص؛ يكون كما قال ابن القيم رحمه الله: نظروا بعيني أعور إذ فاتهم نظر البصير وغارت العينان.

لقد ابتلى الله هذه الأمة بعلماء السلطة المنافقون، يضفون نوعا من الشرعية الدينية على الحاكم الطاغوتي المستبد، فيحلون له الحرام ويحرمون له الحلال، بل ويساعدونه على التسلط والاستبداد بفتواهم التي لا يرعون فيها ذمة، ولا يصونون بها علما، مما يجعل الحاكم يستمد منهم وجوده وشرعيته، فينسون النصح له، ولا يرون مقاومة ظلمه وجبروته، ويطوعون النصوص الدينية لخدمته فيلون أعناقها ويؤولنها حسب ما يراه ويعتقده، فيدعون أن طاعة الحاكم وإن كان طاغوتيا ظالما واجبة ولا يجوز الخروج عليه، لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهّ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهّ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء] ولا يذكرون اتفاق المفسرين على أن طاعة الله مطلقة وطاعة رسوله مطلقة، ولكن طاعة ولي الأمر مقيدة بالمعروف، ولذا لم تكرر الآية لفظ: (وأطيعوا) عند ذكر أولى الأمر. عن طارق بن شهاب، أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضع رجله في الغرز، أي الجهاد أفضل؟ قال: ﴿كَلِمَةَ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ﴾ فكم من علماء دين أفسدوا الحاكم بفتاويهم وأناموا الشعوب وخذلوهم بتأويلاتهم، ونشروا اليأس بين الناس في التغيير والإصلاح بكلامهم. عن أبي تميم الجيشاني، قال: سمعت أبا ذر، يقول: كنت مخاصر النبي صلى الله عليه وسلم يوما إلى منزله، فسمعته يقول: ﴿غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَّالِ فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَدْخُلَ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ شَيْءٍ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِكَ مِنَ الدَّجَّالِ؟ قَالَ الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ﴾ ناظر المأمون يوما محمد بن القاسم النوشجاني، فجعل يصدقه ويغضي له، فقال له المأمون: تنقاد إلى ما تظن أنه يسرني قبل وجوب الحجة عليك، ولو شئت أن أقيس الأمور بفضل بيان وطول لسان وأبهة الخلافة وسطوة الرئاسة لصدقت وإن كنت كاذبا، وصوبت وإن كنت مخطئا، وعدلت وإن كنت جائرا، ولكني لا أرضى إلا بإزالة الشبهة وغلبة الحجة، وإن شر الملوك عقلا وأسخفهم رأيا من رضي بقولهم: صدق الأمير.وكان المأمون يقول: إذا وضحت الحجة ثقل علي استماع المنازعة فيها.

قال عبد الرحمن الكواكبي: الاستبداد: أعظم بلاء، يتعجل الله به الانتقام من عباده الخاملين، ولا يرفعه عنهم حتى يتوبوا توبة الأنفة. نعم؛ الاستبداد أعظم بلاء؛ لأنه وباء دائم بالفتن وجدب مستمر بتعطيل الأعمال، وحريق متواصل بالسلب والغصب، وسيل جارف للعمران، وخوف يقطع القلوب، وظلام يعمي الأبصار، وألم لا يفتر، وصائل لا يرحم، وقصة سوء لا تنتهي. وإذا سأل سائل: لماذا يبتلي الله عباده بالمستبدين؟ فأبلغ جواب مسكت هو: إن الله عادل مطلق لا يظلم أحدا، فلا يولى المستبد إلا على المستبدين. ولو نظر السائل نظرة الحكيم المدقق لوجد كل فرد من أسراء الاستبداد مستبدا في نفسه، لو قدر لجعل زوجته وعائلته وعشيرته وقومه والبشر كلهم، حتى وربه الذي خلقه تابعين لرأيه وأمره. فالمستبدون يتولاهم مستبد، والأحرار يتولاهم الأحرار، وهذا صريح معنى: ﴿كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّ عَلَيْكُمْ﴾ ما أليق بالأسير في أرض أن يتحول عنها إلى حيث يملك حريته، فإن الكلب الطليق خير حياة من الأسد المربوط. وقال: المستبد: يود أن تكون رعيته كالغنم درا وطاعة، وكالكلاب تذللا وتملقا، وعلى الرعية أن تكون كالخيل إن خدمت خدمت، وإن ضربت شرست، وعليها أن تكون كالصقور لا تلاعب ولا يستأثر عليها بالصيد كله، خلافا للكلاب التي لا فرق عندها أطعمت أو حرمت حتى من العظام. نعم؛ على الرعية أن تعرف مقامها: هل خلقت خادمة لحاكمها، تطيعه إن عدل أو جار، وخلق هو ليحكمها كيف شاء بعدل أو اعتساف؟ أم هي جاءت به ليخدمها لا يستخدمها؟ .. والرعية العاقلة تقيد وحش الاستبداد بزمام تستميت دون بقائه في يدها؛ لتأمن من بطشه، فإن شمخ هزت به الزمام وإن صال ربطته. وقال: المستبد: يتجاوز الحد ما لم ير حاجزا من حديد، فلو رأى الظالم على جنب المظلوم سيفا لما أقدم على الظلم، كما يقال: الاستعداد للحرب يمنع الحرب. وقال: المستبد: إنسان مستعد بالطبع للشر وبالإلجاء للخير، فعلى الرعية أن تعرف ما هو الخير وما هو الشر فتلجئ حاكمها للخير رغم طبعه، وقد يكفي للإلجاء مجرد الطلب إذا علم الحاكم أن وراء القول فعلا. ومن المعلوم أن مجرد الاستعداد للفعل فعل يكفي شر الاستبداد.

ويقول ابن خلدون رحمه الله، عن إفساد الاستبداد لأخلاق الناس: إن الملك إذا كان قاهراً وباطشاً، بالعقوبات منقباً عن عورات الناس، وتعديد ذنوبهم، شملهم الخوف والذل. ولاذوا منه بالمكر والكذب والخديعة، فتخلقوا بها، وفسدت بصائرهم وأخلاقهم، وربما خذلوه في مواطن الحروب، والمدافعات، ففسدت الحمية بفساد النيات، وربما أجمعوا على قتله لذلك. فتفسد الدولة ويخرب السياج، وإن دام أمرهم عليهم وقهره، فسدت العصبية وفسد السياج من أصله، بالعجز عن الحماية، وإذا كان رفيقاً بهم متجاوزاً عن سيئاتهم. استناموا إليه ولاذوا به، وأشربوا محبته، واستماتوا دونه، في محاربة أعدائه، فاستقام الأمر، من كل جانب.

■ (2) موسى بن عبيدة بن نشيط بن عمرو بن الحارث الربذي، أبو عبد العزيز المدني،قيل يكنى أبا عروة أخو عبد الله بن عبيدة ومحمد بن عبيدة، ينتسبون إلى اليمن، والناس ينسبونهم إلى الولاء. قال أحمد بن الحسن الترمذي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لا تكتب حديث أربعة: موسى بن عبيدة، وإسحاق بن أبي فروة، وجويبر، وعبد الرحمن بن زياد. وقال يعقوب بن شيبة: صدوق، ضعيف الحديث جدا، ومن الناس من لا يكتب حديثه لوهائه، وضعفه، وكثرة اختلاطه، وكان من أهل الصدق. توفي بالمدينة سنة 153 هـ. في خلافة أبي جعفر.

■ (3) معاذ بن مسلم بن معاذ بن مسلم أبو سلمة النيسابوري. ولي إمارة خراسان سنة 160 هـ للمهدي، ثم عزله المهدي وولى المسيب بن زهير سنة 163 هـ ومعاذ بن مسلم مولى القعقاع بن ثور صحب بني مروان في دولتهم ثم بني العباس فطعن في مائة وخمسين سنة.

■ (1) علي بن يقطين بن موسى، أبو الحسن مولى بني أسد. ولد بالكوفة في سنة أربع وعشرين 124 هـ، لما أفضت الخلافة إلى المهدي استوزر علي ابن يقطين وقدمه وجعله على ديوان الزمام وديوان البسر والخاتم، فلم يزل في يده حتى توفى المهدي وأفضى الامر إلى الهادي فأقره على وزارته ولم يشرك معه أحدا من أمره إلى أن توفى الهادي، وصار الامر إلى الرشيد فأقره شهرا ثم صرفه بيحيى بن خالد البرمكي. مات سنة 182 هـ ببغداد وهو ابن 57 سنة، وأبوه يومئذ حي.

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ إحياء علوم الدين/ البداية والنهاية/ الأحكام السلطانية للفراء/ هل يعتبر الفراعنة بمصرع من سبقهم؟/ طبقات الحنابلة/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين/ ذيل تاريخ بغداد/

وعظ الإمام مالك[1] الخليفة المهدي حينما طلب منه أن يوصيه فقال له: أوصيك بتقوى الله وحده، والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيرانه، فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿الْمَدِينَةُ مُهَاجِرِي وَبِهَا قَبْرِي وَبِهَا مَبْعَثِي وَأَهْلُهَا جِيرَانِي وَحَقِيقٌ عَلَى أُمَّتِي حِفْظِي فِي جِيرَانِي فَمَنْ حفظهُمْ كُنْت لَهُ شَهِيدًا وَشَفِيعًا يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ وعن حسين بن عروة أنه قال: قدم المهدي فبعث إلى مالك بألفي دينار أو بثلاثة آلاف دينار، ثم أتاه الربيع بعد ذلك فقال: إن أمير المؤمنين يحب أن تعادله إلى مدينة السلام؛ فقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ والمال عندي على حاله.

وفي رواية قال حسين بن عروة: لما قدم المهدي المدينة بعث إلى مالك بألفي دينار أو بثلاثة آلاف دينار مع الربيع، فلما خرج من عنده، قال: يا جارية، لا تمسي هذا المال، فإني قد تفرست حين نظرت وجه الربيع، ورأيت فيه أمرا منكرا، ولهذا المال سبب فلما حج المهدي، وقدم المدينة أتاه الربيع بعد ذلك، فقال له: أمير المؤمنين، يقرؤك السلام ويجب (ويحب؟) أن تعادله إلى مدينة السلام. فقال مالك: اقرء أمير المؤمنين السلام، وقل له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ والمال عندي على حاله، أخرجيه يا جارية. أخرجيه. فأبى الربيع أن يقبله، فلم يزل به مالك، حتى أخذه، فأتى الربيع المهدي، فغمه رد المال، فلما كان وقت رحلته، شيعه الناس فوصلهم ووجه إلى مالك، فودعه، ولم يأمر له بشيء، فلما أتى منزله وجه له ستة آلاف دينار. فالتفت إلى من كان حاضرا وقال: من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا مما ترك. قال مصعب لما قدم المهدي المدينة استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال، فلما أبصر بمالك انحرف المهدي إليه فعانقه وسلم عليه وسايره. فالتفت مالك إلى المهدي فقال: يا أمير المؤمنين، إنك تدخل الآن بالمدينة فتمر بقوم عن يمينك ويسارك وهم أولاد المهاجرين والأنصار، فسلم عليهم، فإن ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة، ولا خير من المدينة. فقال له: ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: لأنه لا يعرف قبر نبي اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد صلى الله عليه وسلم، ومن قبر محمد عندهم فينبغي أن يعلم فضلهم على غيرهم. ففعل المهدي ما أمره به مالك. فلما دخل المدينة ونزل وجه بغلة إلى مالك ليركبها ويأتيه، فرد البغلة وقال: إني لأستحي من الله أن أركب في مدينة، فيها جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ماشيا. وكانت به علة فاتكأ على المغيرة المخزومي[2] وعلى ابن حسن العلوي[3] وعلى ابن أبي علي اللهبي[4] وهؤلاء علماء المدينة وأشرافها. فلا بصر به المهدي قال: يا سبحان الله، ترك ركوب البغلة إجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقيض الله تعالى له هؤلاء، فاتكأ عليهم، والله لو دعوتهم أنا إلى هذا ما أجابوني. فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين، نحن قد افتخرنا على أهل المدينة لما اتكأ علينا. واستسقى مالك عند المهدي فأتي بقدح زجاج في أذنه حلقة فضة فأبى أن يشرب، فأتي بكوز فخار فشرب، فأمر المهدي بالحلقة فقلعت.

عن عمر بن المحبر الرعيني قال: قدم المهدي المدينة، فبعث إلى الإمام مالك فأتاه؛ فقال لهارون وموسى: اسمعا منه؛ فبعثا إليه فلم يجبهما؛ فأعلما المهدي؛ فكلمه فقال: يا أمير المؤمنين؛ العلم يؤتى أهله؛ فقال صدق مالك؛ صيرا إليه؛ فلما صارا إليه قال له مؤدبها: اقرأ علينا؛ فقال: إن أهل المدينة يقرؤون على العالم كما يقرأ الصبيان على المعلم، فإذا أخطؤوا أفتاهم؛ فرجعوا إلى المهدي، فبعث إلى مالك فكلمه، فذكر له الإمام مالك أمر السلف؛ فقال المهدي لهم: في هؤلاء قدوة؛ صيروا إليه فاقرؤوا عليه؛ ففعلوا. وفي رواية إبراهيم بن حماد الزهري قال: سمعت مالكا يقول: قال لي المهدي: ضع يا أبا عبد الله كتابا أحمل الأمة عليه. فقلت: يا أمير المؤمنين، أما هذا الصقع -وأشرت إلى الغرب- فقد كفيته، وأما الشام، ففيهم من قد علمت -يعني: الأوزاعي[5]- وأما العراق، فهم أهل العراق.

لما قدم المهدي إلى المدينة جاءه الناس مسلمين عليه فلما أخذوا مجالسهم، استأذن مالك، فقال: الناس اليوم يجلس مالك آخر الناس، فلما دنى ونظر إلى ازدحام الناس، قال: يا أمير المؤمنين أين يجلس شيخك مالك؟ فناداه عندي يا أبا عبد الله. فتخطى الناس حتى وصل إليه، فرفع المهدي ركبته اليمنى وأجلسه، حتى أتى المهدي بالطست والإبريق فغسل يده، ثم قال للغلام: قدمه إلى أبي عبد الله، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، ليس من الأمر المعمول به، ارفع يا غلام، فأكل معه غير متوضئ فذكر قصته معه في الموطأ. قال ابن عبد الحكم: استأذن المهدي على مالك، فحبسه ساعة ثم أذن له، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين، إن العيال سمعوا بمجيئك، فأحبوا أن يصلحوا من منزلهم.

----

(1) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات.

(5) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من كبار تابعي التابعين. ولقب بالأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهى بطن من ذي الكلاع باليمن. ولد سنة 88 هـ بقرية بعلبك فى لبنان وربته أمه يتيما، ثم استقر بدمشق. وقد برع الأوزاعي في تفسير القران الكريم، وحفظ الحديث، والأخبار، والمغازي، وكان صاحب مذهب ساد في الشام زمنا، ثم ما لبث أن ضعف انتشاره، بسبب انتشار المذهبين المالكي والشافعي اللذين حلا محله. وقد التزم الأوزاعي في فتاويه بالتوقف عند النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. وللأوزاعي كتابان في الفقه، هما السنن والمسائل، وقد ضمن كتاب المسائل الفتاوى التي أفتى بها. توفى الأوزاعي سنة 157هـ في بيروت.

(2) المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش المخزومي، أبو هاشم: فقيه أهل المدينة بعد مالك بن أنس. عرض عليه الرشيد القضاء بها، فامتنع. وكان مدار الفتوى فيها عليه وعلى محمد بن إبراهيم ابن دينار. مات سنة 186 هـ

(4) علي بن أبي علي اللهبي الحجازي من ولد أبي لهب ويقال ابن علي يروي عن ابن المنكدر لم يرضه أحمد وقال يحيى ليش بشيء وقال البخاري منكر الحديث وقال أبو حاتم الرازي تركوه وقال النسائي متروك الحديث وقال ابن حبان يروي عن الثقات الموضوعات لا يجوز الاحتجاج به قال المصنف قلت وجملة من يجيء في الحديث علي بن أبي علي سبعة لم نعرف قدحا في غير هذا (3) ابن حسن العلوي ؟

☪

كان ابن عباس على جلالة قدره وسعة علمه يأتي إلى بيت زيد بن ثابت[1] للأخذ عنه، ويقول: العلم يؤتى ولا يأتي. وكان إذا ركب أخذ بركابه، ويقول ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء، فيأخذ زيد كفه ويقبلها، ويقول: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم . وهو قول الإمام مالك: العلم أولى أن يوقر ويؤتى، قاله للمهدي العباسي حين استدعى به لولديه ليسمعا منه. ويروى بلفظ: العلم يزار ولا يزور، ويؤتى ولا يأتي ، وأنه قال لعله قاله لهارون الرشيد. وفي لفظ أنه قال له: أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون، ومنكم خرج العلم وأنتم أولى الناس بإعظامه، ومن إعظامكم له أن لا تدعوا حملته إلى أبوابكم. وقال له أيضا حين التمس منه خلوة للقراءة: إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم تنتفع به الخاصة. ذكر ذلك كله القاضي عياض في كتابه المدارك في ترجمة الإمام مالك. ونقل عن البخاري أنه قال: العلم يؤتى ولا يأتي. وفي رواية: العلم يصغى إليه. وفي أمثال العرب: في بيته يؤتى الحكم. وصدق الشاعر: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ لَيَحْكُمَ عَلَى الوَرَى ..وَعَلَى الْمُلُوكِ لِتَحَكُّمِ العُلَمَاءِ﴾ كما قالت الحكماء: ﴿مَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِي عِزِّ الدُّنْيَا شَارَكَهُ فِي ذُلِّ الْآخِرَةِ﴾ وقالوا:﴿أَشْقَى النَّاسِ أَقْرَبهُم مِنَ السُّلْطَانِ، كَمَا أَنَّ أَقْرَبَ الأَشْيَاءِ مِنَ النَّارِ أَسْرَعُهَا احْتِرَاقًا﴾ خرج الحسن من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقراء على الباب فقال: ما يجلسكم هاهنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء؟ أما والله ما مجالستهم بمجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم، وأجسادكم قد لقحتم نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجززتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله، وأما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، لكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم، أبعد الله من أبعد.

☪

قال ابن المبارك: ما رأيت أحدا ارتفع مثل ما ارتفع مالك، من رجل لم يكن له كثير صلاة، إلا أن تكون له سريرة. وقال أشهب: رأيت أبا حنيفة بين يدي مالك كالصبي بين يدي أبيه. وقال الشافعي: قلت لمالك، هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته. وقال أبو مصعب: سمعت مالكا يقول: سألني أبو جعفر عن أشياء ثم قال: أنت والله أعقل الناس، وأنت اعلم الناس. قلت: لا والله يا أمير المؤمنين. قال: بلى، ولكنك تكتم. والله لئن بقيت لأكتبن قولك كما تكتب المصاحف، ولأبعثن به إلى الآفاق، فأحملهم عليه. وروى عتبة بن حماد الدمشقي، عن مالك قال: قال لي المنصور: ما على ظهرها أعلم منك. قلت: بلى. قال: فسمهم لي. قلت: لا أحفظ أسماءهم. قال: قد طلبت هذا الشأن في زمان بني أمية فقد عرفته، فأما أهل العراق فأهل إفك وباطل، أما أهل الشام فأهل جهاد، وليس فيهم كبير علم، وأما أهل الحجاز، ففيهم بقية العلم فأنت عالم الحجاز. زاد أبو حاتم: فلا تردن على أمير المؤمنين قوله. ثم قال: أكتب هذا العلم لمحمد. وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: لقد حدثت بأحاديث وددت أني ضربت بكل حديث منها سوطين ولم أحدث بها. وقال حفص بن عبد الله: سمعت غبراهيم بن طهمان يقول: أتيت المدينة فكتبت بها ثم قدمت الكوفة فأتيت أبا حنيفة، فسلمت عليه، فقال لي: عمن كتبت أكتبت عن مالك شيئا ؟ قلت: نعم. قال جئني بما كتبت عنه. فأتيته به فدعا بقرطاس ودواة، فجعلت أمل عليه وهو يكتب. قال محمد بن عمر قال: كان مالك يشهد الصلوات والجمعة والجنائز، ويعود المرضى ويقضي الحقوق، ويجلس في المسجد. ثم ترك الجلوس في المسجد، فكان يصلي ويرجع إلى منزله. وترك شهود الجنائز فكان يأتي أصحابها فيعزيهم، ثم ترك ذلك كله حتى ترك الجمعة. واحتمل الناس ذلك كله وكانوا أرغب ما كانوا فيه وأشده له تعظيما، حتى مات على ذلك. وكان ربما كلم في ذلك فيقول: ليس كل واحد يقدر أن يتكلم بعذره.

يقولون: مات رضي الله عنه سنة تسع وسبعين ومائة، عن تسع وثمانون سنة. قال إسماعيل بن أبي أويس: اشتكى مالك: فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت. قال تشهد ثم قال: لله الأمر من قبل ومن بعد.

قال عنه الإمام الشافعي: كان إذا شك في حديث طرحه كله. قال عبد الله بن وهب: حججت سنة 148 هـ وصائح يصيح: لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس وابن الماجشون. وعن مالك بن علي القرشي عن القعنبي قال: دخلت على الإمام مالك فوجدته باكيا فقلت: يا أبا عبد الله؛ ما الذي يبكيك؟ قال عظم الله أجره: يا ابن قعنب؛ على ما فرط مني، ليتني جلدت بكل كلمة تكلمت بها في هذا الأمر بسوط ولم يكن فرط مني ما فرط من هذا الرأي وهذه المسائل.قال الهيثم بن جميل: سمعت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فأجاب في اثنتين وثلاثين منها بـ لا أدري. قال عنه أحمد بن حنبل: هو إمام في الحديث وفي الفقه. قال عنه الشافعي: مالك معلمي، وعنه أخذت العلم. وقال: مالك كالنجم، وهو وسفيان الثوري القرينان. قال ابن وهب: لو شئت أن أملأ ألواحي من قول مالك: لا أدري، لفعلت. قال ابن وهب، سمعت مالكا يقول: ليس هذا الجدل من الدين بشيء. وسمعته يقول: قلت لأمير المؤمنين فيمن يتكلم في هذه المسائل المعضلة: الكلام فيها، يا أمير المؤمنين، يورث البغضاء.

----

(1) زيد بن ثابت بن الضحاك بن كوزان الأنصاري البخاري أبو سعيد وأبو خارجة صحابي مشهور، كتب الوحي. أمره أبو بكر أن يجمع القرآن وأمره عثمان فكتب المصحف وابي بن كعب يملي عليه. ولد في حدود 12 ق.هـ وتوفي سنة 45 هـ أو 48 هـ وقيل: بعد 50 هـ. عن يحيى بن سعيد قال لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا. وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارحم أمتي أبو بكر واشدها في دين الله عز وجل عمر واصدقها حياء عثمان واعلمها بالفرائض زيد بن ثابت.

مراجع: نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الدين/ مجمع الزوائد/ سراج الملوك/ طبائع الاستبداد/ التبر المسبوك في نصيحة الملوك/ حياة التابعين/ تاريخ بغداد/ كشف الخفاء/ عثمان بن عفان ذو النورين/ تاريخ الإسلام للذهبي/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ ترجمة الأئمة الأربعة/

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي، المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وشبيب بن شيبة 0686

دخل شبيب[1] يوما على المهدي فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، إن الله لما قسم الأقسام لم يرض لك من الدنيا إلا أسناها وأعلاها، فلا ترض لنفسك من الآخرة إلا مثل ما رضي الله لك به من الدنيا، وعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله، فإنها عليكم نزلت، ومنكم قبلت، وإليكم ترد. قال شبيب: كان لي مجلس من المهدي في عشية كل خميس خامس خمسة، فذكر يوما عيسى بن زيد[2] حين توارى، فقال: غمض علي أمره فما ينجم لي منه شيء، ولقد خفته على المسلمين أن يفتنهم فلما سكت قلت: وما يعنيك من أمره؟ فوالله لا يجتمع عليه اثنان، وما هو لذلك بأهل. قال: فرأيته يكره ما أقول، فقطعت كلامي. فلما سكت قال: والله، ما هو كما قلت، هو والله المحقوق أن يتبع وأن يشق العصا. فلما فرغ قمت وخرجت، فقال للفضل بن الربيع:[3] احجبه عن هذا المجلس. فحجبني أشهرا ثم حضرت، فقال الفضل بن ربيع: يا أمير المؤمنين، هذا شبيب بالباب فقال: ائذن له. فلما دخلت قال: مرحبا بابي المعتمر –وكذا كان يكنيني– أبقاك الله طويلا، فإن في بقاء مثلك صلاحا للعامة والخاصة. فلما سكت قلت: يا أمير المؤمنين، إني وإياك كما قال رؤبة[4]لبلال بن أبي بردة: [5]إني وقد تعني أمور تعتني..على طريق العذر إن عذرتني..فلا ورب الأمنات القطن..ما آيب سرك إلا سرني..شكرا فإن عرك أمر عرني..ما الحفظ أم ما النصح إلا أنني..أخوك والراعي لما استرعيتني..إني وإن لم ترني كأنني..أراك الغيب وإن لم ترني..من غش أوني فإني لا اني..عن رفدكم خيرا بكل موطن. قال: صدقت يا فضل، ردوه إلى مجلسه وأمر له بعشرة آلاف درهم.

وخرج شبيب من دار المهدي فقيل له: كيف تركت الناس قال: تركت الداخل راجيا والخارج راضيا.

■ (1) شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم ، أبو معمر التميمي المنقري الأهتمي البصري الخطيب توفي نحو سنة 170 هـ قيل لعبد الله بن المبارك: نأخذ عن شبيب بن شيبة وهو يدخل على الأمراء؟ فقال: خذوا عنه فإنه اشرف من أن يكذب.

■ (2) عيسى بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي. قام في أيام المهدي، فبايعه أهل الكوفة وأهل البصرة والأهواز، ووردت عليه بيعة أهل الحجاز، وهو متوار. واشتد الطلب له من المنصور وأخذ الناس على الظنة، فاستتر عيسى بالأهواز، وأكثر مقامه بها في زمن المنصور. فلما ولي الأمر المهدي أظهر نفسه، فدس إليه المهدي رجلا من أصحابه، قيل: إنه أعطاه مقدار مائتي ألف دينار؛ فسمه في طعامه، وهو بسواد الكوفة مما يلي البصرة؛ فمات فجر اليوم الثالث، ودفن سرا، ولا يعرف قبره. وكان قيامه سنة 156 هـ، ووفاته سنة 166 هـ . عمره: 46 سنة.

■ (3) أبو العباس، الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة واسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، وجاء ذكر أبيه في شيء من أخباره مع أبي جعفر، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم، فكان في نفسه منهم إحن وشحناء، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب: من أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان

■ (5) بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس بن حَضَّار الأشعري اليماني، أبو عمرو، قيل أبو عبد الله الكوفي وقيل البصري أمير البصرة وقاضيها أخو سعيد بن أبي بردة وعم بريد بن عبد الله بن أبي بردة. لما ولي يوسف بن عمر العراق أخذ بلالا وعذبه حتى مات بعد سنة 120

■ (4) رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحاف أو أبو محمد. راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية سنة 145 هـ وقد أسن. وفي الوفيات: لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة.

كان أهل الذمة في زمن المهدي قد قويت شوكتهم، فاجتمع المسلمون إلى بعض الصالحين، وسألوه أن يعرفه بذلك وينصحه، وكان له عادة في حضور مجلسه، فاستدعي للحضور عند المهدي، فامتنع، فجاء المهدي إلى منزله وسأله السبب في تأخره –أي: أن الشيخ لم يحب أن يذهب إلى المهدي فانقطع عن مجلسه– فجاءه الخليفة وقال له: لماذا لم تأت إلى مجلسي؟ فقص عليه القصة، وذكر اجتماع الناس إلى بابه متظلمين من ظلم الذمة، ثم أنشده: بأبي وأمي ضاعت الأحلام أم ضاعت الأذهان والأفهام؟!..من صد عن دين النبي محمد أله بأمر المسلمين قيام؟!..إن لا تكن أسيافهم مشهورة فينا فتلك سيوفهم أقلام!.يقول: هذا حين كان النصارى يحاربون الإسلام بالأقلام؛ لأنهم يكتبون في الدواوين فقط، فكيف إذا كان أكثر؟! ثم قال: يا أمير المؤمنين! إنك تحملت أمانة هذه الأمة، وقد عرضت على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها ثم سلمت الأمانة التي خصك الله بها إلى أهل الذمة دون المسلمين! يا أمير المؤمنين! أما سمعت تفسير جدك، عبد الله بن عباس، لقوله تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف] أن الصغيرة التبسم، والكبيرة القهقهة؟! فما ظنك بأموال المسلمين وأماناتهم وأسرارهم؟!وقد نصحتك وهذه النصيحة حجة علي ما لم تصل إليك، فولى عمارة بن حمزة[1] أعمال الأهواز وكور دجلة وكور فارس، وقلد حمادا أعمال السواد. وأمره أن ينزل إلى الأنبار وإلى جميع الأعمال، ولا يترك أحدا من الذمة يكتب لأحد من العمال، وإن علم أن أحدا من المسلمين استكتب أحدا من النصارى، إلا قطعت يده فقطعت يد شاهونة، وجماعة من الكتاب، الذين أبوا إلا أن يكونوا كتابا قطعت أيديهم، حتى لا يقول أحد من المسلمين: إن هذا عنده خبرة، فلماذا لانستخدمه ونستكتبه؟!

كان للمهدي على بعض ضياعه كاتبا نصرانيا بالبصرة، فظلم الناس في معاملته، فتظلم المتظلمون إلى سوار بن عبد الله القاضي –ويلاحظ دائما أن الأمة في أي وقت تقع عليها المصائب والمشاكل، فيرجعون بعد الله تعالى، إلى العلماء والقضاة فهذا واجبهم– فسوار بن عبد الله كان قاضي البصرة فأحضر وكلاء النصراني واستدعى بالبينة، فشهدت على النصراني بظلم الناس وتعدي مناهج الحق ومضى النصراني فأخذ كتاب المهدي إلى القاضي بالتثبت في أمره، فجاء البصرة ومعه الكتاب وجماعة من حمقى النصارى، وجاءوا إلى المسجد، فوجدوا سوارا جالسا للحكم بين المسلمين. فدخل المسجد، وتجاوز الموضع الذي كان يجب الوقوف عنده؛ لأن عنده كتابا من الخليفة فتعدى وتجاوز فمنعه الخدم، فلم يعبأ بهم وسبهم ودنا حتى جلس عن يمين سوار، ودفع له الكتاب، فوضعه بين يديه ولم يقرأه، وقال: ألست نصرانيا؟ فقال: بلى، أصلح الله القاضي، فرفع رأسه، وقال: جروا برجله، فسحب إلى باب المسجد، وأدبه تأديبا بالغا، وحلف ألا يبرح واقفا إلى أن يوفي المسلمين حقوقهم. فقال له كاتبه: قد فعلت اليوم أمرا يخاف أن يكون له عاقبة –أي: يخشى أن يكون له عاقبة عند النصارى، أو عند الخليفة، فقال: أعز أمر الله يعزك الله ولا تخف من أحد.

قال الأصمعي: أخبرني من رأى شبيب بن شيبة المنقري وقد اشتد حجاب المهدي عليه، وهو يطلب الوصول فلا يصل فقال: يا أبا معمر، جاهك وقدرك وشرفك تذل نفسك هذا الذل؟! قال: اسكت نذل لهم لنعز عند غيرهم، فإنه من رفعوه ارتفع، ومن وضعوه اتضع. قال موسى بن إبراهيم: كان شبيب بن شيبة يصلي بنا في المسجد الشارع في مربعة أبي عبيد الله، فصلى بنا يوما الصبح فقرأ بالسجدة و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان] فلما قضى الصلاة قام رجل فقال: لا جزاك الله عني خيرا، فإني كنت غدوت لحاجة. فلما أقيمت الصلاة دخلت أصلي، فأطلت حتى فاتتني حاجتي. قال: وما حاجتك؟ قال: قدمت من الثغر في شيء من مصلحته وكنت وعدت البكور إلى دار الخليفة لأتنجز ذلك. قال: فأنا أركب معك.فركب معه ودخل على المهدي فأخبره الخبر. قال: فتريد ماذا؟ قال: قضاء حاجته، فقضى حاجته وأمر له بثلاثين ألف درهم فدفعها إلى الرجل ودفع إليه شبيب من ماله أربعة آلاف درهم قال له: لم تضرك السورتان.

وقال الأصمعي: كان شبيب بن شيبة رجلا شريفا يفزع إليه أهل البصرة في حوائجهم، وكان يغدو في كل يوم ويركب، فإذا أراد أن يغدو أكل من الطعام شيئا ثم يركب، فقيل له: إنك تباكر الغداء، فقال: أجل أطفئ به فورة الجوع وأقطع به خلوف فمي وأبلغ به في قضاء حاجتي، فاني وجدت خلاء الجوف وشهوة الطعام يقطعان الحكيم عن بلوغ حاجته ويحمله ذلك على التقصير فيما به الحاجة، وإني رأيت النهم لا مروءة له، ورأيت الجوع داء، فخذ من الطعام ما يذهب عنك النهم وتداوي به الداء. قيل إن شبيبا أتى سليمان بن علي الأمير في حاجة، فقال له سليمان: قد حلفت أني لأقضي هذه الحاجة، فقال: أيها الأمير إن كنت لم تحلف بيمين قط فحنثت فيها فما أحب أن أكون أول من أحنثك، وغن كنت ترى غيرها خيرا منها فكفر، فقال: أستخير الله، ثم قضاها. وكان يقول: من سمع كلمة يكرهها فسكت انقطع عنه ما يكره، فإن أجاب سمع أكثر مما يكره.

■ (1) عمارة بن حمزة بن ميمون، من ولد عكرمة مولى ابن عباس: كاتب، من الولاة الاجواد الشعراء الصدور. كان المنصور والمهدي العباسيان يرفعان قدره. وكان أعور ومن الدهاة وجمع له بين ولاية البصرة وفارس والاهواز واليمامة والبحرين. له في الكرم أخبار عجيبة. وفيه تيه شديد يضرب به المثل أتيه من عمارة !. وله تصانيف، منها: ديوان رسائل والرسالة الماهانية ورسالة الخميس. توفي سنة 199 هـ وقيل في حدود 180.

مراجع: سير أعلام النبلاء / تاريخ بغداد/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ المحاسن والمساوئ/ الأعلام للزركلي/ المحاسن والمساوئ/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ دروس للشيخ سفر الحوالي/ حسن السلوك الحافظ دولة الملوك/

حكى عن شبيب بن شيبة[1] أنه قال: كنا جلوسا عند المهدي، وذكر الوليد[2]، فقال المهدي: كان زنديقا، فقام ابن علاثة[3] الفقيه فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى أعدل من أن يولي خلافة النبوة، وأمر الأمة زنديقا، إنه أخبرني عنه من كان يشهده في ملاعبه وشربه بمروءة في طهارته وصلاته؛ فكان إذا حضرت الصلاة، يطرح الثياب التي عليه المطيبة المصبغة، ثم يتوضأ فيحسن الوضوء، ويؤتي بثياب بيض نظيفة، فيلبسها ويصلي فيها، فإذا فرغ، عاد إلى تلك الثياب فلبسها واشتغل بشربه ولهوه؛ أترى هذا من فعال من لا يؤمن بالله؟! فقال له المهدي: بارك الله فيك يا بن علاثة، وإنما كان الرجل محسدا في خلاله، ومزاحما بكبار عشيرته، وأهل بيته من عمومته، مع لهو كان يصاحبه أوجد لهم السبيل على نفسه، فكان من خلاله قرض الشعر الوثيق، ونظم الكلام البليغ. وللوليد كلام حسن ؛ فمن أحسن كلامه ما قاله لهشام بن عبد الملك[4] لما مات مسلمة بن عبد الملك[5] وقعد هشام للعزاء، فأتاه الوليد وهو نشوان يجر مطرف خز عليه، فوقف على هشام فقال: يا أمير المؤمنين، إن عقبي من بقي لحوق من مضى، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى، واختل الثغر فهوى، وعلى أثر من سلف بمضى من خلف ؛ ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة] فأعرض هشام ولم يحر جوابا ، وسكت القوم فلم ينطقوا.

■ (3) ابن علاثة، أبو اليسير، محمد بن عبد الله بن علاثة العقيلي الجزري. قاضي الخلافة ويقال له قاضي الجن، وعلاثة هو ابن علقمة بن مالك العقيلي الجزري.روى عن عبدة بن أبي لبابة، وعبد الكريم بن مالك، وخصيف والأوزاعي، وعدة. ولي القضاء للمهدي. ولي معه القضاء عافية.مات سنة 168 هـ

■ (2) الوليد (الثاني) بن يزيد بن عبد الملك بن مروان. أبو العباس. قال ابن خلدون: ساءت القالة فيه كثيرا، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به.ولي الملك سنة 125هـ بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك.خلعه الناس وبايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك بينما كان غائبا في الأغداف (شرقي الأردن) فجاءه النبأ فانصرف إلى النجراء فقصده جمع من أصحاب يزيد فقتلوه سنة 126 هـ في قصر النعمان بن بشير وحمل رأسه إلى دمشق فنصب في الجامع ولم يزل أثر دمه على الجدران إلى أن قدم المأمون دمشق سنة 215 وأمر بحكه.

■ (1) شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم، أبو معمر التميمي المنقري الأهتمي البصري الخطيب توفي نحو سنة 170 هـ قيل لعبد الله بن المبارك: نأخذ عن شبيب بن شيبة وهو يدخل على الأمراء؟ فقال: خذوا عنه فإنه اشرف من أن يكذب.

■ (4) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد، ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

■ (5) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: أمير قائد، من أبطال عصره. من بني أمية في دمشق، يلقب بالجرادة الصفراء. وهو ابن عم عمر بن عبد العزيز. ومسلمة هو أخو فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (من الأب) له فتوحات مشهورة. سار في مئة وعشرين ألفا لغزو القسطنطينية في دولة أخيه سليمان وبنى مسجد مسلمة بالقسطنطينية (؟) سنة 96 هـ وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية. وغزا الترك والسند سنة 109 هـ. ومات بالشام سنة 120 هـ وقيل مات سنة 121 هـ . وإليه نسبة بني مسلمة وكانت منازلهم في بلاد الاشمونيين بمصر قال الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر إخوته.

☪

قال ابن تغري: قد رأيت في تاريخ الإسلام في ترجمة الخليفة محمد المهدي بن الرشيد هارون العباسي أنه سأل بعض جلسائه عن أحوال الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الأموي، فقال له بعض من حضر: وما السؤال عنه يا أمير المؤمنين؟! كان رجلا فاسقا زنديقا.فلما سمع الخليفة المهدي كلامه نهره وقال له: صه، خلافة الله أجل أن جعلها في زنديق، وأقامه من مجلسه. وكان الوليد كما قال الرجل، غير أن المهدي غار على منصب الخلافة، فقال ذلك مع علمه بحال الوليد.

☪

قال العصامي: لما توفي هشام بالرصافة، ولي بعده الوليد ابن أخيه يزيد، وكان متلاعبا، وله مجون وشراب وندمان، وأراد هشام خلعه فلم يمكنه، وكان يضرب من يؤخذ في صحبته، فخرج الوليد في خاصته ومواليه، وخلف كاتبه عياض بن مسلم، ليكاتبه بالأحوال، فضربه هشام وحبسه. ولم يزل الوليد مقيما في البرية حتى مات هشام، وجاءه مولى أبي محمد السفياني[1] على البريد بكتاب سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل بالخبر، فسأل عن كاتبه عياض فقال: إنه لم يزل محبوسا حتى مات هشام، فأرسل إلى الخزان أن يحتفظوا بما في أيديهم حتى منعوا هشاما من كفن، ثم خرج عياض بعد موت هشام من الحبس، وكتب أبواب الخزائن، ثم كتب الوليد من وقته إلى عمه العباس بن عبد الملك أن يأتي الرصافة فيحصي ما فيها من أموال هشام وولده وماله وحشمه، إلا مسلمة بن هشام[2]، فإنه كان يراجع أباه هشاما بالرفق بالوليد، فانتهى لما أمره به الوليد، ثم استعمل الوليد العمال، وكتب إلى الآفاق بأخذ البيعة، فجاءته بيعتهم، وكتب مروان بيعته، واستأذن في القدوم، ثم عهد الوليد من سنته لابنيه الحكم وعثمان بعده، وجعلهما ولي عهده، وكتب بذلك إلى العراق وخراسان.

قال الذهبي: كان أبوه يزيد بن عبد الملك[3] حين احتضر، عهد بالأمر إلى هشام ابن عبد الملك وأخيه بأن يكون العهد من بعده لولده الوليد بن يزيد، فلما مات هشام، بويع له بالخلافة يوم موت عمه هشام، وهو إذ ذاك بالبرية فارا من عمه هشام؛ لأنه كان بينه وبين عمه هشام منافسة؛ لأجل استخفافه بالدين، وشربه الخمر، واشتهاره بالفسق والفجور، فهم هشام بقتله ففر وصار لا يقيم بأرض خوفا من هشام، فلما كان الليلة التي قدم عليه البريد في صبحها بالخلافة، قلق تلك الليلة قلقا شديدا، فقال لبعض أصحابه: ويحك قد أخذني الليلة قلق، فاركب بنا حتى ننبسط، فسار مقدار ميلين، وهما يتحادثان في أمر هشام، وما يكتب إليه من التهديد والوعيد، ثم نظرا فرأيا في البعد رهجا وصوتا، فقالا: اللهم، أعطنا خيرهم، فلما قدم البريد، وأثبتوا الوليد معرفة، ترجلوا وجاءوا فسلموا عليه بالخلافة، فبهت، ثم قال: ويحكم أمات هشام؟. قالوا: نعم، ثم أعطوه الكتب فقرأها. وسار من فوره إلى دمشق، فأقام على اشتهاره بالمنكرات، وتظاهر بالكفر والزندقة.

قال ابن عساكر وغيره: انهمك الوليد في شرب الخمر ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره، وأقبل على القصف واللهو والتلذذ مع الندماء والمغنين، وكان يضرب بالعود، ويوقع بالطبل، ويمشي بالدف، وكان قد انتهك محارم الله حتى قيل له: الفاسق، وعرف بذلك، ومع هذا: كان أكمل بني أمية أدبا وفصاحة وظرفا وأعرفهم باللغة والنحو والحديث، وكان جوادا مفضالا، ولم يكن في بني أمية أكثر منه إدمانا للشراب والسماع، ولا أشد مجونا وتهتكا منه، واستخفافا بالدين وأمر الأمة، يقال: إنه واقع جارية وهو سكران وجاءه المؤذنون يؤذنونه بالصلاة، فحلف ألا يصلي بالناس إلا هي، فلبست ثيابه وصلت بالمسلمين، وهي جنب سكرى، وقيل: إنه صنع بركة، فملأها خمرا، وكان إذا طرب، ألقى نفسه فيها ويشرب منها حتى يظهر النقص في أطرافها. وحكى الماوردي في كتاب أدب الدين والدنيا، عنه: أنه تفاءل ذات يوم في المصحف، فخرج له قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم] فأمر بالمصحف فنصب ورماه بالسهام حتى مزقه، وهو يقول: من الوافر، ~~أتوعد كل جبار عنيد.. فها أنا ذاك جبار عنيد. إذا ما جئت ربك يوم حشر.. فقل يا رب مزقني الوليد~~ وقد جاء في الحديث: ﴿يَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ هُوَ شَرٌّ مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ فتأوله العلماء بالوليد بن يزيد هذا، فخلعه أهل دمشق لما ذكر، وقتله يزيد ابن عمه الوليد في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة، وكانت خلافته سنة واحدة.

قال ابن خلدون: لما ولى الوليد لم يقلع عما كان عليه من الهوى والمجون حتى نسب إليه في ذلك كثير من الشنائع مثل رمية المصحف بالسهام حين استفتح فوقع على قوله ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم] وينشدون له في ذلك بيتين تركتهما لشناعة مغزاهما ولقد ساءت القالة فيه كثيرا وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا انها من شناعات الاعداء الصقوها به.

قال العصامي: إنما كان الرجل محسدا في خلاله، ومزاحما بكبار عشيرته، وأهل بيته من عمومته، مع لهو كان يصاحبه أوجد لهم السبيل على نفسه، فكان من خلاله قرض الشعر الوثيق، ونظم الكلام البليغ...وأما حكاية مقتله: فإنه لما تعرض له بنو عمه، ونالوا من عرضه، أخذ في مكافأتهم، فضرب سليمان[4] ابن عمه هشام مائة سوط، وحلقه وغربه إلى معان من أرض الشام، فحبسه إلى آخر دولته، وحبس أخاه يزيد بن هشام، وفرق بين روح بن الوليد وبين امرأته، وحبس عدة من ولد الوليد، وطعنوا عليه في تولية ابنيه الحكم وعثمان العهد مع صغرهما، وكان أشد الناس عليه يزيد بن الوليد لأنه يتنسك؛ فكان الناس إلى قوله أميل؛ فخرج عليه يزيد بن الوليد المذكور الملقب بالناقص، وتغلب على دمشق.

قال شبلي النعماني (مجلة المنار): أما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وأنه أمر بالمصحف فعلقوه وأخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزقه وأنشد: ~~أتوعد كل جبار عنيد.. فها أنا ذاك جبار عنيد. إذا لاقيت ربك يوم حشر.. فقل لله مزقني الوليد~~.
ونقل هذه الرواية عن الأغاني فهي من خرافات الأغاني، ومعلوم أن صاحب الأغاني شيعي ديانته شنآن بني أمية والحط منهم. وأما الأبيات فأثر التوليد ظاهر عليها، ومن له أدنى مسكة بالأدب يشهد أن نسجها غير نسج الأوائل، فأما جهابذة المحدثين المرجوع إليهم في نقد الروايات والذين قولهم فصل في هذا الباب فيجحدون أمثال هذه الروايات المختلقة. قال العلامة الذهبي: هو رأس الحديث ومرجع الرواية –:لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك. ثم إن هناك أمرا آخر وهو أن الناقم على الوليد وقاتله هو خليفة أموي، فكيف ينسب استهانة الدين إلى خلفاء بني أمية عامتهم. ثم إن هذا الذي عزا إليه صاحب الأغاني الاستهانة بالقرآن قد ذكر له صاحب العقد ما ينبئ عن تعظيمه للقرآن وتفخيمه شأنه وحث الناس على حفظه وتعهده قال صاحب العقد: إنه شكا رجل من بني مخزوم دينا لزمه فقال الوليد: أقضيه عنك إن كنت لذلك مستحقا قال: يا أمير المؤمنين كيف لا أكون مستحقا في منزلتي وقرابتي؟ قال قرأت القرآن؟ قال: لا، قال: فادن مني فدنا منه فنزع العمامة عن رأسه بقضيب في يده فقرعه قرعة وقال لرجل من جلسائه: ضم إليك هذا العلج ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن. فقام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين اقض ديني، فقال له: أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشرا من الأنفال وعشرا من براءة فقرأ، فقال: نعم، نقضي دينك وأنت أهل لذلك. فأنت ترى أن الوليد يعد من لا يقرأ القرآن علجا والمؤلف يعد الوليد علجا [..]

■ (4) سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي. أخذ عن عطاء وغيره. وولي غزو الروم فلما بويع الوليد بن يزيد حبسه، ثم أخرجه يزيد الناقص وصيره من أمرائه فلما ولي مروان هرب منه ثم أمنه ثم خلع مروان وطمع في الملك واستفحل أمره وكاد أن يملك واجتمع إليه نحو من سبعين ألفاً فبعث مروان جيشه فهزموه وتحصن بحمص فسار إليه مروان بنفسه فهرب ولحق بالضحاك الخارجي وبايعه ثم ظفرت به المسودة (أتباع آل البيت والعباسيون الذين اتخذوا السواد شعارا لهم) فقتلوه في سنة 132 هـ. –وفي رواية قيل–: بعد مقتل الضحاك تولى أمر أصحابه شيبان الحروري، فتحالف معه لقتال مروان بن محمد، فهزم أيضاً، فرحل بأهله إلى السند. عندما تولى السفاحِ العباسي الملك، أقبل عليه سليمان، فآمنه، ثم أمر السفاح بقتله سنة 132هـ.

■ (1) زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان خرج على مروان بن محمد آخر الملوك الأمويين،سنة 126 هـ وقبض عليه مروان، وحبسه، ثم أطلقه بعد سنة. وبعد قيام الدولة العباسية خرج مع مجزأة بن الكوثر، وانضمت إليه أهل حمص، وتدمر ، ونصب زياداً خليفة عليهم. توجه إليهم جيش عباسي بقيادة عبد الله بن علي، والتقوا في معركة مرج الأجم عند حلب ثم هزموا على يد العباسيين. ثم فر زياد إلى مكة حتى علم والي الحجاز زياد بن عبد الله بأمره، فقتله، وأرسل ولديه، مع رأس زياد إلى الملك أبي جعفر المنصور.

■ (2) مسلمة بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو شاكر الأموي كان شريفا ممدوحا، ولي في أيام أبيه الموسم وغزو الصائفة، وقال خليفة: سنة عشرين ومئة غزا مسلمة بن هشاه أرض الروم. وفي سنة إحدى وعشرين ومئة: غزا مسلمة بن هشام على الصائفة، وسار معه هشام حتى أتى ملطية

■ (3) يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو خالد الأموي الدمشقي؛ تولى الحكم بعد عمر بن عبد العزيز لست بقين من رجب سنة101 هـ وله 37 سنة وتوفي بأرض البلقاء، وقيل بعمان، لخمس بقين من شعبان سنة 105 هـ.

مراجع:سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ تاريخ ابن خلدون/ أنساب الاشراف/ أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين/ مختصر تاريخ دمشق/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ المنار/

روى إبراهيم البيهقي: لما خرج جعفر الأحمري[1] من الحبس وأدخل على المهدي في الحديد قال له: يا فاسق أزلك الشيطان وأغواك، وفي غمرة الجهل أرداك، وعن الهدى بعد البصيرة أعماك، حتى تركت الطريقة ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة، كيف رأيت الله كشف أمرك وأعلن فسقك وأظهر ما كنت تخفي من سقم سريرتك وخبث نيتك فأوردك حوض منيتك وذلك بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد! قال جعفر: لا والذي لم يزل بعباده خبيرا، وبعث محمدا، عليه وعلى آله السلام، بالحق بشيرا، طهر أهله من دنس الريب تطهيرا، ووقفني بيد يديك أسيرا، وجعلك علينا سلطانا أميرا، ما خنت الإسلام نقيرا، ولا أضللت الهدى منذ كنت بصيرا، فلا تقدم علي بالشبهة تقديرا، بسعي ساع سوف يجزي بسعيه سعيرا. فقال المهدي: ما يغني عنك وسواسك، فما تهذي من أم رأسك، قد تناهت إلي أخبارك، وأداها من كان يقفو آثارك، ويعرف أسرارك، ومن بايعك من أعوانك الذين وازروك على ضلالك، فأقلل، لا أم لك، تشجعك، فقد حل قضاؤك، وحان حصادك. فقال جعفر: إن تقتلني تقتل مني علما فلا تجعل لي على ظهرك وزرا فأصير لك يوم القيامة خصما، وأنت تعلم أنك لا تجيء بقتلي عدلا ولا تنال به فضلا، فاتق الذي خلقك وأمر عباده ملكك وبالعدل فيهم أمرك، ولا تحكم علي بحكم عن الهدى مائل، فإنك للدنيا مفارق وعنها راحل، وكل ما أنت فيه فمضمحل زائل. قال له المهدي: تطالبني وأنت المطلوب، وبباطلك تغلب حقي وأنت المغلوب، الآن ظهر فسادك، وبلغ غرسك، ودبت عقاربك، اللهم إلا أن تقر بذنبك وتعترف بجرمك وتتوب إلى ربك وتحقن بالإنابة دمك، فإن فعلت ذلك أمهلنا أمرك وأطلنا حبسك وإلا فاحتسب نفسك ولا تلم إلا جهلك. قال جعفر: ما لي ذنب فأستغفر ولا جرم فأعترف ولا لي بك قوة فأنتصر، وأنت على ظلمي مقتدر، فإن كنت تعلم أن ما بعد الموت مصدر ولا للعباد بعد البلى محشر ولا للظالم موعد يخاف منه ويحذر فاعمل من هذا ما شئت واستكثر. قال المهدي: لا والذي بمكة بيته الحرام، وحوله الشعث العاكفون قيام، ما أخشى في إقامة الأحكام عليك وعلى أشباهك إثما ولا زورا، فاستسلم للقتل ودع الكلام، فإنه إذا عقر الأساس تداعى النظام، وإذا انكسرت القوس تعطلت السهام، وأنت فطال ما أعنت على إطفاء النور بريح الظلام. قال جعفر: اعف فإنك كريم جواد سامح، ولا تقبل في قول العدو الكاشح، فإني من الإسلام على الطريق الواضح، رفيق على أهله ولهم ناصح، أبر العالمين بفهم راجح، فلا تقدم علي بقول كلب نابح، فقتلك إياي عمل غير صالح. قال المهدي: مذهبك واعتقادك تزعم أن الآخرة بعد فراق الساهرة، وأن الناس كانوا أعلاما زاهرة، وأشجارا ناضرة، وزروعا غاضرة، تلبث يسيرا ثم تعود هشيما، وإن من مات لا يعود كما أن ضوء المصباح إذا طفيء لا يرجع. قال جعفر: لا والذي يخلق ويبيد، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، ما قلت ذلك وهو له شهيد، وإني أخلص له التوحيد والتفريد والمشية والتحديد، وأشهد أنه الغفور الودود، يعلم منقلب العبيد. قال المهدي: إن كنت تحب خلاص نفسك ورقبتك فأحضرني كتاب زندقتك الذي بالجهل ألفته وبالباطل زينته وبالضلال زخرفته، سميته أس الحكمة وبستان الفلسفة، زعمته مستخرجا من ديوان الإلهام منظما بحسن الكلام، عنفت فيه الإسلام وأضللت فيه الأنام. فقال جعفر: لا والذي خلق الظلمات والنور، ودبر الأمور وهو قادر على أن يبعث من في القبور، ما هذا إلا إفك مجترح وزور، وإن ديني لظاهر منير تقديمي ذرية من هو مع الله جل وعز في كل فرض لازم أمام النبيين في البيت المعمور، فاتق الذي خلقك وأمر عبادك قلدك يعلم خفيات الأمور. قال المهدي: وأصفح لك عن هذا فما حجتك في كتابك الذي أضل أهل الشقاق والنفاق ومن منهم في الأندية والأسواق يقرؤونه ويتدارسونه في الآفاق، أما بعد أعلمكم أن الله جل وعز عدل لا يوالي الظالمين ولا يرضى فعال الجاهلين، وأنه ليس لله بولي من رضي بأحكام الجائرين، فسيحوا في الأرض حيث لا تنالكم أيدي المعتدين، فإن بني العباس طغاة كفرة، أولياؤهم فسقة وأعوانهم ظلمة، دولتهم شر الدول، عجل الله بوارهم وهدم منارهم والعاقبة للمتقين. قال جعفر: هذا والله بهتان عظيم جدا قذفني به قاذف عمدا وأنت تعلم أني ما خالفت لكم أمرا ولا غبت منكم أحدا، فاقبل المعذرة وأقل العثرة وتغمد الهفوة واغتفر الزلة فإنك راع مسؤول. قال المهدي: أولم أبلغ أنك في الغوغاء تحثهم على شق العصا ومخالفة الأمر وتحيدهم عن طاعة الخلفاء، فأي داهية أدهى منك؟ قال جعفر: ما بلغت حقا ولقد طوى النصيحة من أودع قلبك بهتانا وإفكا فلا تقبل في قول من ظلم واعتدى وبفسادي إليك سعى، فإن الله جل وعز سائله يوم يود الظالم يا ليته لم يكن أميرا، ولا كان المضل له وزيرا. قال المهدي: إنك لجاهل أن تقيم اعوجاجك بكثرة احتجاجك، هيهات لا يكدر صفوتي مزاجك، وقد قيل: من ظفر بحية لا يأمن لسعها ثم لم يشدخ رأسها كانت سبب حتفه، ولعمري إن من يكون له عدو مثلك يرقب غرته وينتظر فورته ولا يطلق يده بقتله لعاجز. قال جعفر: وما بلغ الله بقدر النملة ونكاية النحلة وإنما يكتفي مثلي من مثلك بلحظة، فالكرماء رحماء بررة، والقسوة في اللئام الشررة. قال المهدي: من تنته أيامه لاحت في الظلام أعلامه وأسرع به أن يذوق حمامه، يا غلام سيفا قاطعا وضاربا حاذقا! قال جعفر: إن كنت تؤمن بالمعاد وتتقي من الحشر يوم التناد، يوم يجمع الله فيه العباد، تعلم أن طالب ثأري لك بالمرصاد، ومن لم يكن له في الموت خير فلا خير له في الحياة، إن قدمتني أمامك فأنا قاعد لك على الجادة التي ليس عنها مرحل الحاكم يومئذ غيرك. قال: فسكت المهدي طويلا ثم التفت إلى أصحابه فقال: كيف أقدم على قتل رجل لا يخاف مكيدتي ولا يرعبه سلطاني ولا يتقي سطوتي وأعواني، يناصبني كلامي ويفسخ احتجاجي، كيف ولو كنا بين يدي من لا يخاف جوره ولا يتقى ميله وحيفه كان لسانه أمضى وقلبه أجرى وخصمه أذل! خلوا سبيله. فمضى.

■ (1) جعفر بن زياد الأحمر الكوفي، أبو عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن الأحمر الكوفي، كان في جملة متشيعة الكوفة، وهو صالح في رواية الكوفيين. قيل مات سنة 165هـ وقيل سنة 167 هـ وله سبع وستون سنة. ذهب إلى خراسان فبلغ المنصور عنه أمر يتعلق بالدولة، فقبض عليه مدة ثم أطلقه. قال حفيده حسين بن علي: كان جدي من رؤساء الشيعة بخراسان، فكتب فيه أبو جعفر، فأشخص إليه في ساجور مع جماعة من الشيعة فحبسهم في المطبق دهرا.

قال علي بن جعفر الأحمر، حدثني أبي، قال: كنت أجتمع أنا، وعيسى بن زيد، والحسن[1]، وعلي[2] ابنا صالح بن حي (وهما توأمان)، وإسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق[3]، وجناب بن نسطاس[4]، في جماعة من الزيدية في دار بالكوفة، فسعى ساع إلى المهدي بأمرنا ودله على الدار، فكتب إلى عامله بالكوفة بوضع الأرصاد علينا، فإذا بلغه اجتماعنا كبسنا وأخذنا ووجه بنا إليه. فاجتمعنا ليلة في تلك الدار، فبلغه خبرنا فهجم علينا، ونذر القوم به وكانوا في علو الدار، فتفرقوا ونجوا جميعا غيري، فأخذني وحملني إلى المهدي فأدخلت إليه، فلما رآني شتمني بالزنا وقال لي: يا ابن الفاعلة أنت الذي تجتمع مع عيسى بن زيد وتحثه على الخروج علي وتدعو إليه الناس؟. فقلت له: يا هذا، أما تستحيي من الله، ولا تتقي الله ولا تخافه، تشتم المحصنات وتقذفهن بالفاحشة، وقد كان ينبغي لك ويلزمك في دينك وما وليته، أن لو سمعت سفيها يقول مثل قولك أن تقيم عليه الحد. فأعاد شتمي ثم وثب إلي فجعلني تحته، وضربنه بيديه، وخبطني برجليه، وشتمني. فقلت له: إنك لشجاع شديد أيد، حين قويت على شيخ مثلي تضربه، لا يقدر على المنع من نفسه ولا انتصار لها. فأمر بحبسي والتضييق علي، فقيدت بقيد ثقيل وحبست سنين، فلما بلغه وفاة عيسى بن زيد بعث إلي فدعاني فقال لي: من أي الناس أنت؟ قلت من المسلمين. قال: أعرابي أنت؟ قلت لا. قال فمن أي الناس أنت؟. قلت: كان أبي عبدا لبعض أهل الكوفة وأعتقه فهو أبي. فقال لي: إن عيسى بن زيد قد مات. فقلت: أعظم بها مصيبة، رحمه الله، فلقد كان عابدا ورعا، مجتهدا في طاعة الله، غير خائف لومة لائم. قال: أفما علمت بوفاته؟ قلت: بلى. قال: فلم لم تبشرني بوفاته؟. فقلت: لم أحب أن أبشرك بأمر لو عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه لساءه. فأطرق طويلا ثم قال: ما أرى في جسمك فضلا للعقوبة، وأخاف أن أستعمل شيئا منها فيك فتموت وقد كفيت عدوي، فانصرف في غير حفظ الله، والله لئن بلغني أنك عدت لمثل فعلك لأضربن عنقك. قال: فانصرفت إلى الكوفة فقال المهدي للربيع: أما ترى قلة خوفه وشدة قلبه، هكذا يكون والله أهل البصائر.

■ (1) الحسن بن صالح بن حي الهمداني الثوري الكوفي، أبو عبد الله: من زعماء الفرقة البترية من الزيدية. كان فقيها مجتهدا متكلما. أصله من ثغور همدان وتوفي متخفيا في الكوفة سنة 168 هـ. قال الطبري: كان اختفاؤه مع عيسى بن زيد في موضع واحد سبع سنين، والمهدي جاد في طلبهما. له كتب منها التوحيد وإمامة ولد علي من فاطمة والجامع في الفقه. وهو من أقران سفيان الثوري، ومن رجال الحديث الثقات، وقد طعن فيه جماعة لما كان يراه من الخروج بالسيف على أئمة الجور.

■ (2) علي بن صالح بن حي الإمام، القدوة الكبير، أبو الحسن. كان طلبه للعلم هو وأخوه معا، ومات كهلا قبل أخيه بمدة. قال عبد الله بن موسى: سمعت الحسن بن صالح يقول: لما احتضر أخي، رفع بصره، ثم قال: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء]. ثم خرجت نفسه، فنظرنا، فإذا ثقب في جنبه قد وصل إلى جوفه، وما علم به أحد. قلت: وكانا مقرئين مجودين للأداء. تلا علي على عاصم، ثم على حمزة، وتصدر للإقراء، فقرأ عليه عبيد الله بن موسى وغيره. ولعلي حديث واحد في صحيح مسلم في حسن الخلق. مات سنة 154 هـ. قال العباس سمعت عبيد الله بن موسى يقول كان علي بن صالح بن حي والحسن بن صالح بن حي إخوة توأم إلا أن عليا ولد قبله بساعة وكان الحسن يوقره بتلك الساعة يقول قال أبو محمد وقال أبو محمد وكان لا يسميه وكان الحسن بن صالح إذا قعد علي بن صالح أخوه في مقعد لم يقعد بجنبه بل يقعد أسفل منه يعظمه بتلك الساعة التي ولد قبله.

■ (3) إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق، عمرو بن عبد الله، الحافظ، الإمام الحجة، أبو يوسف الهمداني السبيعي الكوفي. روى عن خلق كثير. وكان من أوعية الحديث، ومن مشايخ الإسلام كأبيه وجده وأخيه عيسى. ولد إسرائيل سنة 100 هـ. وقيل: صدوق، وليس بالقوي، مات سنة 160 هـ.وقيل: مات سنة 162 هـ.

■ (4) جناب بن نسطاس الجنبي كوفي يروي عن الأعمش ومحمد بن عبيد الله العزرمي روى عنه ابنه محمد بن جناب

مراجع: سير أعلام النبلاء/ تاريخ بغداد/ المحاسن والمساوئ/ الأعلام للزركلي/ مقاتل الطالبيين/ ميزان الاعتدال للذهبي/

قال الواقدي:[1] دخلتُ على الخليفة المهدي بمحبرة ودفاتر وكتب عن أشياء أريد أن أحدثه بها، وبعد أن أذن لي بالجلوس نهض. وقال: كن مكانك حتى أعود إليك، ودخل دار الحريم ثم خرج متجهِّما ممتلئًا غضبًا. فلما جلس قلت: خرجت على خلاف الحال التي دخلت. قال: نعم، دخلت على الخيزران فوثبت عليَّ وقالت: يا قشَّاش، وأي خير رأيت منك. وإني اشتريتها من نخاس، ورأتْ منِّي ما رأتْ، وعقدتُ لابنيها بولاية العهد ثم تقول: يا قشاش. قلت: يا أمير المؤمنين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّهُنَّ يَغْلِبْنَ الْكِرَامَ، وَيَغْلِبُهُنَّ اللِّئَامُ﴾وقال:﴿خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي﴾ وقال:﴿خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ إِنْ قَوَّمْتَهُ كَسَرْتَهُ﴾ وحدثته في هذا الباب بكل ما حضرني فسكن غضبُه وأسفر وجهه، وطوى ما كان يريد أن يتصرفه مع زوجته، وأمر لي بألف دينار وانصرفت. ولما وصلت منزلي وافاني رسول الخيزران وقال: إن سيدتي سمعت جميع ما كلمت به أمير المؤمنين فأحسن الله جزاءك وهذه ألف دينار إلا عشرة بعثت بها إليك؛ لأني لا أحب أن تساوي صلتي صلة أمير المؤمنين ووجهت إليَّ ثيابًا.

روى المسعودي في كتاب مروج الذهب، أن الواقدي المذكور قال: كان لي صديقان أحدهما هاشمي، وكنا كنفس واحدة، فنالتني ضائقة شديدة، وحضر العيد فقالت امرأتي: أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة، فلو احتلت في شيء تصرفه في كسوتهم، قال: فكتبت إلى صديق لي وهو الهاشمي أسأله التوسعة علي بما حضر، فوجه إلي كيسا مختوما ذكر أن فيه ألف درهم، فما استقر قراري حتى كتب إلي الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي، فوجهت إليه الكيس بحاله، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتي مستحييا من امرأتي، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه، فبينا أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته، فقال لي: اصدقني عما فعلته فيما وجهت به إليك، فعرفته الخبر على وجهه، فقال لي: إنك وجهت إلي وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة، فوجه كيسي بخاتمي، قال الواقدي: فتواسينا ألف درهم فيما بيننا، ثم إنا أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك، ونمي الخبر إلى المأمون، فدعاني وسألني، فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار، لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار. وقد ذكر الخطيب في تاريخ بغداد هذه الحكاية وبينها وبين ما ذكرناه ها هنا اختلاف يسير.

---

(1) أبو عبد الله، محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني مولى بني هاشم، وقيل مولى بني سهم بن أسلم؛ كان إماما عالما له التصانيف في المغازي وغيرها، وله كتاب الردة ذكر فيه ارتداد العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ومحاربة الصحابة، لطليحة بن خويلد الأزدي والأسود العنسي ومسيلمة الكذاب، وما أقصر فيه. سمع من أبي ذئب ومعمر بن راشد ومالك بن أنس والثوري وغيرهم. وروى عنه كاتبه محمد بن سعد وجماعة من الأعيان، وتولى القضاء بشرقي بغداد، وولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي*. وضعفوه في الحديث وتكلموا فيه.

كانت ولادة الواقدي في أول سنة 130 هـ وتوفي سنة 207 هـ، وقيل مات سنة 209 هـ، وقيل سنة 206 هـ، والأول أصح. وهو يومئذ قاض ببغداد في الجانب الغربي، كذا قاله ابن قتيبة. وقال السمعاني: كان قاضيا بالجانب الشرقي كما تقدم، والله أعلم. وصلى عليه محمد بن سماعة التميمي ودفن في مقابر الخيزران. وعسكر المهدي هي المحلة المعروفة اليوم بالرصافة في الجانب الشرقي من بغداد، عمرها أبو جعفر المنصور لولده المهدي فنسب إليه، وهذا يؤيد أن الواقدي كان قاضي الجانب الشرقي لا الغربي، فالله أعلم.

☪

رفع الواقدي رحمه الله إلى المأمون رقعة، فوقع فيها المأمون: إنك رجل فيك خلتان:سخاء وحياء، فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك، وأما الحياء فهو الذي منعك من أن تطلعنا على ما أنت عليه، وقد أمرنا لك بثلاثة آلاف درهم. فان كنا أصبنا إرادتك فذاك، وإن لم نكن فبجنايتك على نفسك، وأنت حدثتني وأنت على قضاء الرشيد، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للزبير:﴿يا زبير! إن مفاتيح الرزق، بإزاء العرش، ينزل الله للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فمن كثر كثر له، ومن قلل قلل له﴾ موضوع. قال الواقدي: فقلت له: يا أمير المؤمنين! قد نسيت هذا الحديث،فكان تذكارك إياي له أعجب إلي من الجائزة.

☪

قال الهيثم بن عدي الطائي حدثني أبي أن عبد الملك بن مروان كان من أشد الناس حبا لامرأته عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فغضبت على عبد الملك، وكان بينهما باب فحجبته، وأغلقت ذلك الباب، فشق على عبد الملك، فشكا إلى خاصته، فقال له عمر بن بلال الأسدي: ما لي عندك إن رضيت؟ قال: حكمك، قال: فأتى عمر بن بلال بابها، فبكى، فخرجت إليه حاضنتها ومواليها وجواريها؛ فقلن: مالك؟ فقال: فزعت إلى عاتكة ورجوتها، فقد علمت مكاني من أمير المؤمنين معاوية ومن يزيد بعده، فقلن: مالك؟ فقال: كان لي ابنان لم يكن لي غيرهما فقتل أحدهما صاحبه: فقال أمير المؤمنين: أنا قاتل الآخر، فقلت: أنا الولي، وقد عفوت، فقال: لا أعود الناس هذه العادة، فرجوت أن يحيي الله ابني بك، فدخلن عليها، فقالت: فما أصنع مع غضبي عليه؟ وما أظهرت له؟ فقلن: إذا والله يقتل ابنه، فلم يزلن بها حتى دعت بثيابها، فلبستها، ثم خرجت من الباب، وأقبل خديج الخادم، فقال: يا أمير المؤمنين، عاتكة قد أقبلت، فقال: ويلك! ما تقول؟ قال: قد والله طلعت، قال: فأقبلت، فسلمت، فلم يرد، فقالت له: أما والله لولا عمر بن بلال ما جئت قط، ولا بد من أن تهب لي ابنه فإنه الولي، وقد عفا، قال: إني أكره أن أعود الناس هذه العادة، فقالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، فقد عرفت مكانه من معاوية بن يزيد، ولم تزل حتى أخذت رجله فقبلتها، فقال: هو لك، ولم يبرحا حتى اصطلحا. قال: ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال له: حاجتك؟ قال: مزرعة بعبيدها، وما فيها، وألف دينار، وفرائض لولدي، وأهل بيتي، وإلحاق عيالي، قال: ذلك لك.

☪

ذكر الشبلنجي رحمه الله في كتابه نور الأبصار، قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره، فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل قائلا: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر فكيف حالي؟، فخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك يا أخي؟، فقال: يا أمير المؤمنين، جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها علي، فسمعت زوجتك كذلك، فرجعت وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟، فقال له عمر: تحملتها لحقوق لها علي، فإنها طباخة لطعامي، خبازة لخبزي، غسالة لثيابي، مرضعة لولدي، وليس ذلك بواجب عليها!، وسكن قلبي بها عن الحرام، فأنا أتحملها لذلك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكذلك زوجتي، قال: فتحملها يا أخي، فإنها هي مدة يسيرة (يعني الفراق بالموت). وعن جابر بن عبد الله: أنه جاء إلى عمر يشكو إليه ما يلقى من النساء، فقال عمر: إنا لنجد ذلك، حتى إني لأريد الحاجة فتقول لي: ما تذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن!، فقال له عبد الله بن مسعود: أما بلغك أن إبراهيم عليه السلام، شكا إلى الله خلق سارة، فقيل له: إنها خلقت من ضلع، فألبسها على ما كان فيها ما لم تر عليه خربة في دينها؟.

حدث النجاري عن مسعر عن ابن طليق قال: تذاكروا النساء يوما عند عمر فقال جرير بن عبد الله: يا أمير المؤمنين، ما أستطيع أن أقبل ابن إحداهن في يوم صاحبتها وإني لأكون في حاجة إحداهن فترى أني في غير ذلك، قال: فوقع عمر في النساء ونال منهن فقال ابن مسعود: أما علمت أن إبراهيم شكا إلى ربه ذرا في خلق سارة فأوحى الله إليه إنما المرأة كالضلع إن أقمته كسرته فدارها تعش بها فضرب عمر بيده على جنب عبد الله وقال لقد جعل الله بين جنبيك من العلم غير قليل، قال النجاري: فبلغني أن بعض الشعراء قال: في ذلك:أتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى..أليس عجيبا ضعفها واقتدارها..هي الضلع العوجاء لست مقيمها..ألا إن تقويم الضلوع انكسارها.وعن أبي الخلال العتكي قال: قدمت على عثمان رضي الله عنه في وفد من وفد أهل البصرة فرفعنا إليه حوائجنا فقال: إذا شئتم ثم قال: بل الله أملك بل الله أملك. فقلت: يا أمير المؤمنين رجل منا جعل أمر امرأته في يدها؟. فقال: فهو في يدها.أخبر شعيب بن صفوان عن أبي معشر: أن رجلا آلى بيمين أن لا يتزوج حتى يستشير مئة نفس، لما قاسى من بلاء النساء، فاستشار تسعة وتسعين نفسا وبقي واحد، فخرج على أن يسأل أول من نظر إليه فرأى مجنونا قد اتخذ قلادة من عظم وسود وجهه وركب قصبة فسلم عليه وقال: مسألة، فقال سل ما يعنيك وإياك وما لا يعنيك، فقلت مجنون والله ثم قلت: إني أصبت من النساء بلاء وآليت أن لا أتزوج حتى استشير مئة نفس وأنت تمام المئة، فقال: اعلم أن النساء ثلاث، واحدة لك وواحدة عليك، وواحدة لا لك ولا عليك، فأما التي لك فشابة طرية لم تمس الرجال فهي لك لا عليك إن رأت خيرا حمدت وإن رأت شرا قالت: كل الرجال على مثل هذا، وأما التي عليك فامرأة ذات ولد من غيرك فهي تسلخ الزوج وتجمع لولدها، وأما التي لا لك ولا عليك فامرأة قد تزوجت قبلك فإن رأت خيرا قالت: هكذا يجب وإن رأت شرا حنت إلى زوجها الأول. فقلت: نشدتك الله ما الذي غير من أمرك ما أرى؟ قال: ألم اشترط عليك أن لا تسأل عما لا يعنيك!، فأقسمت عليه، فقال: إني رشحت للقضاء فاخترت ما ترى على القضاء.

عن أبي موسى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ﴾ وعن أبي هريره. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ﴾ وعن عبد الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ، فَإِنَّكُنَّ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ. فَقَامَتِ امْرَأَةٌ لَيْسَتْ مِنْ عِلْيَةِ النِّسَاءِ، فَقَالَتْ: لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لِأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ﴾ وعن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، لِكَثْرَةِ اللَّعْنِ وَكُفْرِ الْعَشِيرِ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ، أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ: فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ لَا تُصَلِّي وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ﴾ وكفر العشير، أي: إنكار إحسان الزوج. وعن سعد بن أبي وقاص، قال:﴿اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاَءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ﴾ وعن أوفى بن دلهم أنه كان يقول: النساء أربع، فمنهن معمع لها شيئها أجمع، ومنهن تبع تضر ولا تنفع، ومنهن صدع تفرق ولا تجمع، ومنهن غيث همع إذا وقع ببلد أمرع. قال الأصمعي: فذكرت بعض هذا الحديث لأبي عوانة فقال: كان عبد الله بن عمير يزيد فيه: ومنهن القرثع: وهي التي تلبس درعها مقلوبا، وتكحل إحدى عينيها وتدع الأخرى. وعن علي بن يزيد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاث من الفواقر: جار مقامة، أن رأى حسنة سترها، وإن رأى سيئة أذاعها؛ وامرأة إن دخلت لسنتك، وإن غبت عنها لم تأمنها؛ وسلطان إن أحسنت لم يحمدك، وإن أسأت قتلك.

مراجع: السنن الكبرى للنسائي/ مسند أحمد/ تاريخ بغداد/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار/ وفيات الأعيان/ صحيح مسلم/ صحيح البخاري/ مصنف ابن أبي شيبة/ عقلاء المجانين/ تاريخ دمشق/ـمختصر تاريخ دمشق/ أخبار المدينة/ بهجة المجالس وأنس المجالس/ السلسلة الضعيفة/

عن عمران بن موسى أو غيره قال: أهدر المهدي دم رجل من أهل الكوفة، كان سعى في فساد دولته، وبذل لمن ذل عليه مئة ألف درهم، فاستخفى الرجل حينا، ثم خرج إلى مدينة السلام، فكان كالمستخفي، فإنه لفي بعض طرقات المدينة إذ بصر به رجل قد كان عرف حاله، فأهوى إلى مجامع ثوبه وصاح: هذا فلان طلبة أمير المؤمنين، فبينما الرجل على تلك الحال، إذ سمع وقع حوافر الدواب، فالتفت، فإذا بموكب كثير الغاشية، فقال: من هذا؟ فقالوا: معن بن زائدة(1). قال: وما يكنى؟ قالوا: يكنى بأبي الوليد، فلما حاذاه، قال: يا أبا الوليد، خائف فأجره، وميت فأحيه. فوقف معن في موكبه، وسأل عن حاله، فقال صاحبه: هذا طلبة أمير المؤمنين، قد جعل لمن جاء به مئة ألف درهم. قال: فاعلم أمير المؤمنين أني قد أجرته. وقال لبعض غلمانه: انزل عن دابتك، واركب أخانا. فركب، وانطلق به إلى منزله، ومضى الرجل إلى باب المهدي، فإذا سلام الأبرش (الخادم) يريد الدخول عليه، فقص عليه القصة، فدخل سلام المهدي، فأخبره. فقال: يحضر معن، فجاءته الرسل، فركب، وأوصى به حاشيته، ومن ببابه من مواليه، قال: لا يخلص إليه، وفيكم عين تطرف، فإن رامه أحد فموتوا دونه. ودخل معن على المهدي يسلم، فلم يرد عليه، وقال: يا معن، وتجير علي أيضا؟ ! قال: نعم. قال: ونعم أيضا؟ ! قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قتلت في طاعتكم وعن دولتكم أربعة آلاف مصل في يوم واحد، ولا يجار لي رجل واحد استجار بي؟ ! فأطرق المهدي طويلا، ثم رفع رأسه وقال: قد أجرنا من أجرت. قال: يا أمير المؤمنين، إن الرجل ضعيف الحال. قال: قد أمرنا له بثلاثين ألف درهم. قال: إن جنايته عظيمة، وصلات الخلفاء على حسب جناية الرعية. قال: قد أمرنا له بمئة ألف درهم. قال: أهنأ المعروف أعجله. قال: يتقدمه ما أمرنا له به. فانصرف معن، وقد سبقه المال، فأحضر الرجل، وقال: ادع الله لأمير المؤمنين، فقد حقن دمك، وأجزل صلتك. وأصلح نيتك فيما تستقبل.

---

(1) معن بن زائدة أمير العرب، أبو الوليد الشيباني، أحد أبطال الإسلام، وعين الأجواد.كان من أمراء متولي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة، فلما تملك آل العباس، اختفى معن مدة، والطلب عليه حثيث، فلما كان يوم خروج الريوندية والخراسانية على المنصور، وحمي القتال، وحار المنصور في أمره، ظهر معن، وقاتل الريوندية، فكان النصر على يده، وهو مقنع في الحديد، فقال المنصور: ويحك، من تكون ؟ فكشف لثامه، وقال: أنا طلبتك معن. فسربه، وقدمه وعظمه، ثم ولاه اليمن وغيرها. ولمعن أخبار في السخاء، وفي البأس والشجاعة، وله نظم جيد. ثم ولي سجستان، وثبت عليه خوارج وهو يحتجم، فقتلوه، فقتلهم ابن أخيه يزيد ابن مزيد الأمير في سنة 152 هـ، وقيل: سنة 158 هـ.

عن أبي الهيثم أنه قال: الجار والمجير والمعيذ واحد. ومن عاذ بالله، أي استجار به أجاره، ومن أجاره الله لم يوصل إليه، وهو يجير ولا يجار عليه أي يعيذ. وقال الله لنبيه: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ﴾ [الجن] أي لن يمنعني من الله أحد. والجار والمجير هو الذي يمنعك ويجيرك. وعن عبد الرحمن بن مسلمة؛ أن رجلا أمن قوما وهو مع عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وأبي عبيدة بن الجراح، فقال عمرو، وخالد: لا نجير من أجار، فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول﴿يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ﴾ وعن فاختة أم هانئ بنت أبي طالب قالت:﴿لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ، فَرَّ إِلَيَّ رَجُلانِ مِنْ أَحْمَائِي فَأَجَرْتُهُمَا، أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا، فَدَخَلَ عَلَيَّ أَخِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: لأَقْتُلَنَّهُمَا، قَالَتْ: فَأَغْلَقْتُ الْبَابَ عَلَيْهِمَا، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَرْحَبًا، وَأَهْلاً بِأُمِّ هَانِئٍ مَا جَاءَ بِكِ ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ فَرَّ إِلَيَّ رَجُلانِ مِنْ أَحْمَائِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ أَخِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَزَعَمَ أَنَّهُ قَاتِلُهُمَا، فَقَالَ: لاَ قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ، وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ﴾.

قال عمر بن شبة: أتي معن بن زائدة بثلاث مئة أسير، فأمر بضرب أعناقهم، فقدم غلام منهم ليقتل، فقال: يا معن! لا يقتل أسراك وهم عطاش! فقال: اسقوهم ماء؛ فلما شربوا، قام الغلام، فقال: أيها الأمير! لا تقتل أضيافك! فأطلقهم كلهم.

قال أبو أحمد الزبيري : كنت في مسجد الخيف مع سفيان الثوري والمنادي ينادي: من جاء بـ سفيان فله عشرة آلاف. وقيل: إنه من أجل الطلب والملاحقة هرب إلى اليمن ، فاتهموه –وهم لا يعرفونه في اليمن – بأنه سرق شيئا؛ فأتوا به والي اليمن معن بن زائدة ، وكان عنده خبر من الخليفة بشأن طلب سفيان، فقيل للأمير: هذا قد سرق منا، فقال: لم سرقت متاعهم؟ قال سفيان: ما سرقت شيئا. فقال لهم الأمير: تنحوا حتى نسائله –حتى أحقق معه– ثم أقبل على سفيان فقال: ما اسمك؟ فقال: عبد الله بن عبد الرحمن، وأراد ألا يكذب ولا يذكر اسمه لأنه مطلوب عند الخليفة، فقال الأمير: نشدتك بالله لما انتسبت سأله بالله، فكان لا بد أن يجيب، قال: فقلت: أنا سفيان بن سعيد بن مسروق، قال: الثوري؟ فقلت: الثوري، قال: أنت بغية أمير المؤمنين؟ قلت: أجل! فأطرق ساعة يفكر ثم قال: ما شئت أقم ومتى شئت فارحل، فوالله لو كنت تحت قدمي ما رفعتها. أي: أحميك وأدافع عنك، ولا أسلمك. وكان معن بن زائدة فيه خير كثير.

عن محمد بن داود عن محمد بن عيسى عن بعض أصحابه قال: مر سفيان الثوري في طريق اليمن ببعض المنازل وفيها معن بن زائدة، فقال معن: إن أتاني أعطيته مائة ألف درهم، فقلنا: لسفيان لو أتيته فسلمت عليه، فقال سفيان: بلغني أنه يسخط الله المقام الواحد والكلمة الواحدة فأكره أن أقوم مقاما أو أتكلم بكلام أسخط الله علي.

قال عتاب بن إبراهيم: دخل معن على المنصور فقارب في خطوه، فقال: كبرت سنك يا معن. فقال: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: إنك لتتجلد، قال: لأعدائك، قال: وإن فيك لبقية، قال: هي لك يا أمير المؤمنين،. قال سعيد بن سالم: لما ولي معن أذربيجان للمنصور قصده قوم من أهل الكوفة فنظر إليهم في هيئة رثة فوثب على أريكته وأنشأ يقول: إذا نوبة نابت صديقك فاغتنم..مرمتها فالدهر بالناس قلب..فأحسن ثوبيك الذي هو لابس..وأفره مهريك الذي هو يركب. يا غلام أعط لكل واحد أربعة آلاف، فقال الغلام: دنانير يا سيدي أو دراهم فقال معن: والله لا تكون همتك أرفع من همتي، صفرها لهم. وقيل: إن معنا دخل يوما على المنصور فقال: هيه يا معن تعطي مروان ابن أبي حفصة مائة ألف على قوله: معن بن زائدة الذي زيدت به..شرفا على شرف بنو شيبان. قال: كلا يا أمير المؤمنين إنما أعطيته على قوله: مازالت يوم الهاشمية معلنا..بالسيف دون خليفة الرحمن..فمنعت حوزته وكنت وقاءه..من وقع كل مهند وسنان. فقال: أحسنت يا معن. ولمعن أشعار جيدة في الشجاعة. وفي أواخر أيامه ولي إمرة سجستان ووفد عليه الشعراء فلما كان في سنة إحدى أو اثنتين وقيل في سنة ثمان وخمسين كان في داره صناع فاندس بينهم قوم من الخوارج فوثبوا عليه فقتلوه وهو يحتجم ثم تتبعهم ابن أخيه الأمير يزيد بن مزيد فقتلهم. ورثته الشعراء، ولقد أبلغ وأبدع مروان بن أبي حفصة في كلمته: مضى لسبيله معن وأبقى..مكارم لن تبيد ولن تنالا..كأن الشمس يوم أصيب معن..من الإظلام ملبسة جلالا..وعطلت الثغور لفقد معن..وقد يروى بها الأسل النهالا..وأظلمت العراق وأورثتها..مصيبته المجللة اختلالا..وظل الشام يرجف جانباه..لركن العز حين وهى فمالا.

---

* (العراقان) الكوفة والبصرة (الراوندية) قوم من أهل خراسان، كانوا على رأي أبي مسلم صاحب دعوة بني هاشم، يقولون بتناسخ الأرواح، ويزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور، وأن الهيثم بن معاوية جبريل. وكان خروجهم سنة 141 هـ.

مراجع: تاريخ بغداد/ المستجاد من فعلات الأجواد/ سير أعلام النبلاء/ تهذيب اللغة/ تاريخ الإسلام للذهبي/

روى أبو بكر الحافظ بإسناده إلى فائقة بنت عبد الله[1] أم عبد الواحد بن جعفر بن سليمان[2] قالت: أنا يوما عند المهدي أمير المؤمنين، وكان قد خرج متنزها إلى الأنبار إذ دخل عليه الربيع[3]، ومعه قطعة من جراب*، فيه كتابة برماد وخاتم من طين قد عجن بالرماد، وهو مطبوع بخاتم الخلافة، فقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت أعجب من هذه الرقعة، جاءني بها رجل أعرابي، وهو ينادي: هذا كتاب أمير المؤمنين المهدي، دلوني على هذا الرجل الذي يسمى الربيع، فقد أمرني أن أدفعها إليه، وهذه الرقعة. فأخذها المهدي وضحك، وقال: صدق؛ هذا خطي، وهذا خاتمي، أفلا أخبركم بالقصة كيف كانت؟ قلنا: أمير المؤمنين أعلى عينا في ذلك. قال: خرجت أمس إلى الصيد في غب سماء*، فلما أصبحت، هاج علينا ضباب شديد، وفقدت أصحابي، حتى ما رأيت منهم أحدا، وأصابني من البرد والجوع والعطش ما الله به أعلم، وتحيرت عند ذلك، فذكرت دعاء سمعته من أبي يحكيه عن أبيه عن جده عن ابن عباس، رفعه، قال: من قال إذا أصبح وإذا أمسى: ﴿بِسْمِ اللهِّ وَبِاللهِّ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِّ، اعْتَصَمْتُ بِاللهِّ، وتَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِّ، حَسْبِيَ اللهُّ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِّ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ﴾ وقي وكفي وشفي من الحرق والغرق والهدم وميتة السوء. فلما قلتها رفع لي ضوء نار، فقصدتها فإذا بهذا الأعرابي في خيمة له، وإذا هو يوقد نارا بين يديه، فقلت: أيها الأعرابي، هل من ضيافة؟ قال: انزل، فنزلت، فقال لزوجته: هاتي ذاك الشعير، فأتت به، فقال: اطحنيه، فابتدأت تطحنه، فقلت له: اسقني ماء، فأتاني بسقاء فيه مذقة* من لبن أكثرها ماء، فشربت منها شربة، ما شربت قط شيئا إلا هي أطيب منه. قال: وأعطاني حلسا* له، فوضعت رأسي عليه، فنمت نومة، ما نمت نومة أطيب منها وألذ. ثم انتبهت، فإذا هو قد وثب إلى شويهة، فذبحها، وإذا امرأته تقول له: ويحك قتلت نفسك وصبيتك إنما كان معاشكم من هذه الشاة، فذبحتها، فبأي شيء نعيش؟! قال: فقلت: لا عليك، هات الشاة، فشققت جوفها، واستخرجت كبدها بسكين كانت في خفي، فشرحتها، ثم طرحتها على النار، فأكلتها. ثم قلت: هل عندك شيء أكتب لك فيه؟ فجاءني بهذه القطعة من جراب وأخذت عودا من الرماد الذي كان بين يديه، فكتبت له هذا الكتاب، وختمته بهذا الخاتم، وأمرته أن يجيء، ويسأل عن الربيع، فيدفعها إليه. فإذا في الرقعة خمس مئة ألف درهم. فقال: والله ما أردت إلا خمسين ألف درهم، ولكن جرت بخمس مئة ألف درهم، لا أنقص والله منها درهما واحدا، ولو لم يكن في بيت المال غيرها. احملوها معه. فما كان إلا قليلا حتى كثرت إبله وشاؤه. وصار منزلا من المنازل ينزله الناس، ممن أراد الحج من الأنبار إلى مكة. وسمي منزل مضيف أمير المؤمنين المهدي.

----

*(الجراب) وعاء الزاد والعامة تفتحه والجمع أجربة (مذقة من لبن) يقال: مذق اللبن يمذقه مذقا خلطه بالماء (الحلس) بالكسر وبالتحريك: كل شئ ولي ظهر البعير تحت الرجل وقيل: هو كساء رقيق يكون تحت البرذعة. (في غب سماء) قيل: تحت غب سماء.أي عقب المطر.

■ (2) عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (لم أقف له على ترجمة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (1) فائقة بنت عبد الله (لم أقف لها على ترجمة) زوجها: جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، ابن عم المنصور. ولي المدينة ثم مكة معها، ثم عزل، فولي البصرة للرشيد.وتوفي: سنة 174 هـ.

■ (3) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان، مولا هم.الأمير الحاجب، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم ولي وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ، من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه إلى الغاية.

☪

روى الخطيب بإسناده إلى أبي العباس المنصوري قال: لما حصلت في يد المهدي الخزائن والأموال وذخائر المنصور، أخذ في رد المظالم، وإخراج ما في الخزائن، ففرقه، حتى أكثر من ذلك، وبر أهله وأقرباءه ومواليه وذوي الحرمة به، وأخرج لأهل بيته أرزاقا لكل واحد منهم في كل شهر خمس مئة درهم، لكل رجل ستة آلاف درهم في السنة، وأخرج لهم في الأقسام لكل رجل عشرة آلاف درهم، وزاد بعضهم، وأمر ببناء مسجد الرصافة، وحاط حائطها، وخندق خندقها. وذلك كله في السنة التي قدم فيها مدينة السلام. وبسنده إلى الربيع أنه قال: مات المنصور، وفي بيت المال شيء لم يجمعه خليفة قط قبله: مئة ألف ألف درهم وستون ألف ألف درهم. فلما صارت الخلافة إلى المهدي، قسم ذلك وأنفقه. وقال الربيع: نظرنا في نفقة المنصور، فإذا هو ينفق في كل سنة ألفي درهم مما يجيء من مال الشراة. وذكر عن هارون بن أبي عبيد الله، قال: كان المهدي إذا جلس للمظالم، قال: أدخلوا علي القضاة؛ فلو لم يكن ردي للمظالم إلا للحياء منهم لكفى.

روى الخطيب بإسناده أن الربيع قال: فتح المنصور يوما خزانة مما قبض من خزائن مروان بن محمد، فأحصى فيها اثني عشر ألف عدل خز فأخرج منها ثوبا، وقال: يا ربيع، اقطع من هذا الثوب جبتين: لي واحدة، ولمحمد واحدة، فقلت: لا يجيء منه هذا. قال: اقطع لي منه جبة وقلنسوة. وبخل بثوب آخر يخرجه للمهدي. فلما أفضت الخلافة إلى المهدي، أمر بتلك الخزانة بعينها، ففرقت على الموالي والغلمان والخدم.

قال الزبير بن بكار: حدثني شيخ من أهل المدينة قال: لما دق أمير المؤمنين المهدي المقصورة، وجلس لأشراف قريش، فأجازهم، وكساهم، وكان فيمن وصل عبد الأعلى بن عبيد الله بن محمد بن صفوان[1]،فأجازه، وكساه. وتظلم إليه عبد الأعلى من زفر بن عاصم[2] فيما له عنده من الأرزاق، فأمر زفر بدفع ذلك إليه. فقال له عبد الأعلى: وصلك الله يا أمير المؤمنين، وجعلني فداك، فقد وصلت الرحم، ورددت الظلامة، وعندي بنت عم-يعني زوجته!-أحب الناس إلي، غدوت اليوم وأنا مغاضب لها، فإن رأيت أن تجعل للصلح بيني وبينها موضعا، فافعل. فأعطاه ألف دينار وخمسين ثوبا، وقال: هذا يصلح ما بينك وبينها؟ قال: نعم جعلني الله فداك. فقال له أمير المؤمنين المهدي: والله لو قلت: لا، ما زلت أزيدك إلى الليل.

عن أبي عبيدة قال: كان المهدي يصلي بنا الصلوات في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها فأقيمت الصلاة يوما فقال أعرابي: يا أمير المؤمنين لست على طهر وقد رغبت إلى الله في الصلاة خلفك فأمر هؤلاء أن ينتظروني فقال: انتظروه رحمكم الله ودخل إلى المحراب ووقف إلى أن قيل له قد جاء الرجل فكبر فعجب الناس من سماحة أخلاقه. قال الأصمعي: سمعت المهدي على منبر البصرة يقول: إن الله أمر بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال: ﴿إِنَّ اللهَّ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب] آثره صلى الله عليه وسلم بها من بين الرسل، واختصكم بها من بين الأمم، فقابلوا نعمة الله بالشكر.

☪

خرج حسين بن علي[3] وعبد الله بن جعفر[4] وسعيد بن العاص[5] إلى مكة في حج أو عمرة. فلما قفلوا اشتاقوا إلى المدينة، فركبوا صدور رواحلهم بأبدانهم، وخلفوا أثقالهم، وكان ذلك في الشتاء فلما بلغوا المنحنين قرب الليل أصابهم مطر واشتد عليهم البرد، فاحتاجوا إلى مبيت وكن، فنظروا إلى نار تلوح لهم عن ناحية من الطريق، فأموها، فإذا هي نار لإنسان من مزينة فسألوا المبيت فقال: نعم، والقرى، فأنزلهم وأدخلهم خباءه وحجز بينهم وبين امرأته وصبيانه بكساء أو شيء ثم قام إلى شاة عنده فذبحها وسلخها، ثم قربها إليهم، وأضرم لهم نارا عظيمة، فباتوا عليها، ودخل على امرأته وهو يظن أنهم قد ناموا فقالت له: ويحك، ما صنعت بأصبيتك؟! فجعتهم بشويهتهم، لم يكن لهم غيرها يصيبون من لبنها، لقوم مروا بك كسحابة أفرغت ما فيها ثم استقلت، لا خير عندهم. قال: ويحك، والله لقد رأيت أوجها صباحا لا تسلمهم إلا إلى خير. قال: فباتوا عنده. فلما أرادوا المضي قالوا: يا أخا مزينة، هل عندك من صحيفة ودواة؟ قال: لا والله، إن هذا الشيء ما اتخذته قط. قال: فكتبوا أسماءهم في خرقة بحممة ثم قالوا: احتفظ بها، قال: فأكنها المزني. وأيس من خيرهم. فمكث بذلك ما شاء الله. ثم إنه نزل قوم من أهل المدينة قريبا منه، فذهب إليهم بالخرقة فقال: أتعرفون هؤلاء بأبي أنتم؟ قالوا: ويلك من أين لك هؤلاء؟ فأخبرهم بقصتهم فقالوا: انطلق معنا. قال: فانطلق المزني مع المدنيين حتى قدم المدينة فغدا إلى سعيد وهو كان أمير المدينة، فلما نظر إليه رحب به وقال: أنت المزني؟ قال: نعم، قال: جئت واحدا من أصحابي؟ قال: لا. قال: يا كعب، اذهب فأعطه ألف شاة ورعاتها، فقال له كعب: إن شئت اشترينا لك وإن شئت فإغلاء القيمة، فاختار الثمن، فأعطاه الثمن. ثم صار إلى حسين فرحب به وقال: جئت واحدا من أصحابي؟ قال: نعم سعيدا. قال: فما صنع بك؟ قال: أعطاني ألف شاة ورعاتها فقال لقيمه: أعطه ألف شاة ورعاتها وزده عشرة آلاف درهم. فقال: إن شئت اشترينا لك، فاختار الثمن. ثم ذهب إلى عبد الله بن جعفر فرحب به وقال: هل جئت أحدا من أصحابي؟ قال: نعم كلاهما. قال: فما صنعا؟ قال: أما سعيد فأعطاني ألف شاة برعاتها، وأما حسين فأعطاني ألف شاة ورعاتها وعشرة آلاف درهم. قال: يا بديح، أعطه ألف شاة ورعاتها وسجل له فلانة بينبع، قال: لعين عظيمة الخطر تغل مالا كثيرا. قال: هم أولئك المزنيون الذين يسكنون الخليج، وهم مياسير إلى اليوم. قال بديح مولى عبد الله بن جعفر: خرجت معه في بعض أسفاره فنزلنا إلى جانب خباء من شعر وإذا بصاحب الخباء رجل من بني عذرة، فبينا نحن كذلك إذا أعرابي يسوق ناقة حتى وقف علينا ثم قال: ابغوني شفرة فناولناه الشفرة، فوجأ في لبتها، وقال شأنكم بها. قال: وأقمنا اليوم الثاني وإذا نحن بالشيخ العذري يسوق ناقة أخرى فقال: ابغوني شفرة. قال: فقلنا: إن عندنا من اللحم ما ترى فقال: أبحضرتي تأكلون الغاب؟! ناولوني الشفرة فوجأ في لبتها ثم قال: شأنكم بها، وبقينا اليوم الثالث، فإذا نحن بالعذري يسوق أخرى فقال: أي قوم، ابغوني شفرة فقلنا: إن معنا من اللحم ما ترى، قال: أبحضرتي تأكلون الغاب؟! إني لأحسبكم قوما لئاما، ناولوني الشفرة فناولناه، فوجأ في لبتها ثم قال: شأنكم بها. قال: وأخذنا في الرحيل، فقال ابن جعفر لخازنه: ما معك؟ قال: رزمة ثياب وأربع مئة دينار. قال: اذهب بها إلى الشيخ العذري، فذهب بها فإذا جارية في الخباء فقال: يا هذه، خذي هدية ابن جعفر، قالت: إنا قوم لا نقبل على قرانا أجرا، فجاء إلى ابن جعفر فأخبره فقال: عد إليها، فإن هي قبلت وإلا فارم بها على الخيمة، فعاودها فقالت: اذهب عنا، فوالله لئن جاء شيخي فرآك ها هنا لتلقن منه أذى، فرمى بالرزمة والصرة على باب الخباء، ثم ارتحلنا، فما سرنا إلا قليلا حتى إذا نحن بالشيخ العذري ومعه الصرة والرزمة فرمى بذلك إلينا ثم ولى مدبرا، فجعلنا ننظر في قفاه هل يلتفت فهيهات. فكان جعفر يقول: ما غلبنا بالسخاء إلا الشيخ العذري.

■ (1) عبد الأعلى بن عبيد الله بن محمد بن صفوان القرشي الجمحي خلف والده على قضاء المدينة في زمن المهدي. وقدم بغداد... (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (2) زفر بن عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي أبا عبد الله، ولاه المهدي على المدينة في ذي الحجة سنة 159 هـ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (5) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان.اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة.

■ (4) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم. السيد، العالم، أبو جعفر القرشي، الهاشمي، ولد في الحبشة سنة 1 هـ ، وله صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وروى أيضا عن عمه؛ علي، وعن أمه؛ أسماء بنت عميس. حدث عنه أولاده، وآخرون. وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم. وله وفادة على معاوية.ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ. ويقال: سنة 90 هـ.

■ (3) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

مراجع: تاريخ بغداد/ تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ وفيات الأعيان/ مختار الصحاح/ الأعلام للزركلي

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي، المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وعبد الله بن مرزوق 0692

قال ابن قتيبة رحمه الله: ذكروا أن أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين لما حج ودخل في الطواف بالبيت الحرام أمر بالناس فنحوا عن البيت ثم طاف أسبوعه فوثب إليه عبد الله بن مرزوق(1) وقال: من جرأك على هذا؟ فلببه بردائه وهزه ثم قال له: من جعلك أحق بهذا البيت من الناس تحول بينه وبينهم وتنحيهم عنه؟ فنظر أبو جعفر في وجهه فعرفه، فقال: عبد الله بن مرزوق؟ قال: نعم، فقال: من جرأك على هذا ومن أقدمك عليه؟ فقال عبد الله بن مرزوق: وما تصنع بي بيدك ضر أو نفع والله ما أخاف ضرك ولا أرجو نفعك حتى يكون الله عز وجل يأذن لك فيه ويلهمك إلى فعله، فقال له أبو جعفر: إنك أحللت بنفسك وأهلكتها، فقال عبد الله بن مرزوق: اللهم، إن كان بيد أبي جعفر ضري فلا تدع من الضر شيئا إلا أنزلته علي وإن كان بيده منفعتي فاقطع عني كل منفعة منه، أنت يا رب بيدك كل شيء ومليك كل شيء فأمر به أبو جعفر فحمل إلى بغداد فسجنه بها. وكان يسجنه بالنهار ويبعث إليه بالليل يبيت عنده ويسامره يلبث نهاره أجمع بالسجن ثم يسامره بالليل ليظهر للناس أنه سجن أول من اعترض عليه لئلا يجترئ الجاهل فيقول قد وسع عفو أمير المؤمنين فلانا أفلا يسعني فكان دأبه هذا معه زمانا طويلا حتى نسي أمره وانقطع خبره ثم خلي سبيله فلحق بمكة فلم يزل بها حتى مات أبو جعفر وولي ابنه المهدي. فلما حج المهدي فعل مثل ذلك ففعل به عبد الله بن مرزوق مثل ذلك أيضا فأراد قتله فقيل له يا أمير المؤمنين إنه قد فعل هذا بأبيك فكان من صنيعه أن حمله إلى بغداد فسجنه بالنهار وسامره بالليل وأنت أحق من أخذ بهديه واحتذى على مثاله وورث أكروماته فحمله المهدي معه فمات ببغداد رحمه الله.

وفي رواية للإمام أبي حامد الغزالي: أن المهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما أخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له: انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه وقد قال الله تعالى ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج] من جعل لك هذا؟! فنظر في وجهه وكان يعرفه لأنه من مواليهم، فقال: أعبد الله ابن مرزوق؟ قال: نعم، فأخذ فجيء به إلى بغداد فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا إليه فرسا عضوضا سيىء الخلق ليعقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس قال: ثم صيروه إلى بيت وأغلق عليه وأخذ المهدي المفتاح عنده فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأوذن به المهدي فقال له: من أخرجك؟ فقال: الذي حبسني، فضج المهدي وصاح وقال: ما تخاف أن أقتلك! فرفع عبد الله إليه رأسه يضحك وهو يقول: لو كنت تملك حياة أو موتا! فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة قال: وكان قد جعل على نفسه نذرا إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة، فكان يعمل في ذلك حتى نحرها.

■ (1) عبد الله بن مرزوق، أبو محمد الزاهد البغدادي المتوفي ببغداد سنة 196 هـ (لم أقف له على ترجمة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

التوبة

روي أبو سعيد بإسناد له أن عبد الله بن مرزوق كان مع المهدي (؟) في دنيا واسعة فشرب ذات يوم على لهو وسماع فلم يصل الظهر والعصر والمغرب وفي كل ذلك تنبهه جارية حظية عنده فلما جاز وقت العشاء جاءت الجارية بجمرة فوضعتها على رجله فانزعج وقال: ما هذا؟ قالت: جمرة من نار الدنيا فكيف تصنع بنار الآخرة ؟! فبكى بكاء شديدا ثم قام إلى الصلاة ووقع في نفسه مما قالت الجارية فلم ير شيئا ينجيه إلا مفارقة ما هو فيه من ماله فأعتق جواريه وتحلل من معامليه وتصدق بما بقي حتى صار يبيع البقل وتبعته على ذلك الجارية فدخل عليه سفيان بن عيينة وفضيل بن عياض فوجدا تحت رأسه لبنة وليس تحته شئ فقال له سفيان: إنه لم يدع أحد لله شيئا إلا عوضه الله منه بدلا فما عوضك مما تركت له قال:الرضى بما أنا فيه.

قال أحمد بن أبي الحواري: ورأى عبد الله بمكة فقيل له: راكبا جئت أم راجلا؟ فقال: ما حق العبد العاصي أن يرجع إلى باب مولاه راكبا، لو أمكنني جئت على رأسي.قال سفيان بن عيينة: ما من عملي شيء أرجى عندي من بغض هؤلاء، قال الفضيل: رجل لا يخالط هؤلاء ولا يزيد على المكتوبة أفضل عندنا من رجل يقوم الليل ويصوم النهار ويحج ويعتمر ويجاهد في سبيل الله ويخالطهم. وفي رواية قال المفضل بن غسان الغلابي حدثني أبي عن رجل قال: كنت مع ابن عيينة وفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك قال: فقال سفيان: قوموا بنا إلى عبد الله بن مرزوق فإنه ثقيل لنعوده فقاموا حتى دخلوا على عبد الله فوجدوه في بيت ليس بينه وبين الحصى* شيء وعلى عورته خرقة تكاد تستره ورأسه على دكان وهو مسجد البيت فقال له سفيان : يا أبا محمد بلغني أنه ليس أحد يدع من الدنيا شيئا إلا عوضه الله خيرا من ذلك وقد تركت أشياء من الدنيا فما عوضك الله منها؟ قال: الرضا بما ترون.

في رواية صلاح الدين الصفدي قال: كان عبد الله بن مرزوق، أبو محمد الزاهد البغدادي وزير الرشيد (؟) فخرج من ذلك وتخلى عن ماله وتزهد وكان كثير البكاء والحزن وسبب حزنه أنه نام يوما عن صلاة الظهر وكانت له جارية فعمدت إلى جمرة من نار فوضعتها على قدمه فانتبه فزعا وقال: ما هذا؟ قالت: هذه نار الدنيا فكيف بنار الآخرة، فقام فدخل على هارون فاستعفاه فأعفاه. وقال سلامة، قال عبد الله في مرضه الذي مات فيه: يا سلامة، إن لي إليك حاجة! قلت: وما هي؟ قال: تحملني فتطرحني على تلك المزبلة لعلي أموت عليها فيرى ذلي ومكاني فيرحمني. وكانت وفاته رحمه الله تعالى ببغداد سنة ست وتسعين ومائة.

قال علي بن أبي طالب: أفضل الجهاد الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافقين، ومن أبغض الفاسق، وغضب لله غضب الله له. وقال أبو الدرداء: لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ويدعو أخياركم فلا يستجاب لهم، وتستغفرون فلا يغفر لكم، وتستنصرون فلا تنصرون. قال بعض العلماء: المعروف كل فعل أو قول أو قصد حسن شرعا، والمنكر كل فعل أو قول أو قصد قبح شرعا، والإنكار في ترك الواجب وفعل الحرام واجب، وفي ترك المندوب وفعل المكروه مندوب، والإنكار باليد أمكن وإلا باللسان وإلا بالقلب، وعلى الناس والولاة فعل ذلك وإعانة من يفعله وتقويته فإنه حفظ الدين، ويجب الإنكار على من ترك الإنكار الواجب، ويبدأ في الإنكار بالأسهل فإن زال وإلا أغلظ فإن زال وإلا رفعه إلى الإمام، ولا ينكر على غير مكلف إلا تأديبا، وزجرا، ولا على ذمي لا يجهر بالمنكر. وقال حذيفة: يأتي على الناس زمان لأن يكون جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر. وقالت أم المؤمنين عائشة: ﴿عَذَّبَ أَهْلَ قَرْيَةٍ فِيهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا عَمَلُهُم عَمَلَ الْأَنْبِيَاءِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ؟ قال: لَمْ يَكُونُوا يَغْضَبُونَ للهِ، وَلاَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلاَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ قال طارق بن شهاب: أول من أخر الخطبة مروان، فقام إليه رجل فقال: يا مروان خالفت خالف الله بك. قال: يا فلان أترك ما هنالك. فقام أبو سعيد الخدري فقال: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ﴾وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ﴾ وعن الحسن البصري مرسلا قال: قال رسول الله: صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفْضَلُ شُهَدَاءِ أُمَّتِي رَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُ عَنْ الْمُنْكَرِ فَقَتَلَهُ عَلَى ذَلِكَ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ مَنْزِلَتُهُ فِي الْجَنَّةِ بَيْنَ حَمْزَةَ وَجَعْفَرٍ﴾.

---

*(البطحاء) صغار الحصى

مراجع: إحياء علوم الدين/ تاريخ بغداد/ تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ كتاب التوابين/ معالم القربة في طلب الحسبة/ ربيع الأبرار/ المستطرف/ التذكرة الحمدونية/ شعب الإيمان/ الإمامة والسياسة/ صفة الصفوة/ الوافي بالوفيات/

ذكر الذهبي: في سنة ست وستين ومائة غضب المهدي على الوزير أبي عبيد الله يعقوب بن داود بن طهمان[1]، وكان والده داود كاتبا لنصر بن سيار[2]، فلما كانت أيام خروج يحيى بن زيد بن علي بن الحسين[3] كان داود يناصحه سرا، فلما ظهر أبو مسلم[4] صاحب الدعوة وطلب بدم يحيى بن زيد وتتبع قتلته، كان داود هذا مطمئنا، فصادره أبو مسلم ثم أمنه، فخرج أولاده أدباء فضلاء، ولم يروا لهم منزلة عند بني العباس وهلك أبوهم، ثم أنهم أظهروا مقالة الزيدية[5]، وانضموا إلى آل حسن، وترجوا أن يقوم لهم دولة. وكان يعقوب بن داود يجول في البلاد، وكتب أخوه علي بن داود لإبراهيم بن عبد الله بن حسن[6] وقت ظهوره، فلما قتل إبراهيم اختفوا مدة، ثم ظفر المنصور بهذين الأخوين، فحبسهما حتى مات، ثم من عليهما المهدي، وكان معهما في المطبق* إسحاق بن الفضل الهاشمي[7]، وكانا يلزمانه، وبقي المهدي مدة يتطلب عيسى بن زيد بن علي[8]، والحسن بن إبراهيم بن عبد الله[9]، فدل على أن يعقوب بن داود تحصل له حسنا، فأدخل عليه وعليه عباءة وعمامة قطن، ففاتحه فوجده رجلا كاملا بارعا، فسأله عن عيسى، فيزعمون أنه وعده بأن يدخل بينه وبينه، فعظمه المهدي واختص به، فلم يزل أمره يرتفع لديه حتى استوزره، وفوض إليه الأمور وتمكن، فولى الزيدية المناصب، وفي ذلك يقول بشار بن برد: بني أمية هبوا طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود. ثم إن موالي المهدي حسدوا يعقوب وسعوا به. ومما حظي به يعقوب عند المهدي أنه أحضر له الحسن بن إبراهيم بن عبد الله وجمع بينه وبينه بمكة، ودخل في الطاعة، فاستوحش أقارب حسن من صنيع يعقوب، فعلم أنه إن كانت لهم دولة لم يبقوه، وعلم أن المهدي لا ينظره لكثرة السعاة في شأنه، فمال إلى إسحاق بن الفضل الهاشمي، وأقبل يربص له الأمور، وسعوا إلى المهدي حتى قالوا: البلاد في قبضة يعقوب وأصحابه، إنما يكفيه أن يكتب إليهم فيثوروا في يوم واحد على ميعاد، فيملكوا الدنيا، ويستخلف إسحاق بن الفضل، فملأ هذا القول مسامع المهدي.

قال علي بن محمد النوفلي: فذكر لي بعض خدم المهدي أنه كان قائما على رأس المهدي، إذا دخل يعقوب فقال: يا أمير المؤمنين قد عرفت اضطراب مصر، وأمرتني أن ألتمس لها رجلا، وقد أصبته، قال: ومن هو قال: عمك إسحاق بن الفضل، فتغير المهدي، ورأى يعقوب تغيره، فقام وخرج، وأتبعه المهدي بصره، ثم قال: قتلني الله إن لم أقتلك، ثم رفع رأسه وقال لي: أكتم ويلك هذا.

وقيل: كان يعقوب قد عرف من المهدي خلقه ونهمته في النساء والجماع، وكان يباسطه في ذلك، فذكر علي بن يعقوب بن داود[10]، عن أبيه قال: بعث إلي المهدي فدخلت، فإذا هو في مجلس مفروش في غاية الحسن، وبستان فيه أنواع الأزهار، وإذا عنده جارية ما رأيت مثلها، فقال: كيف ترى قلت: متع الله أمير المؤمنين، لم أر كاليوم، فقال: هو لك، خذ المجلس بما فيه والجارية. فدعوت له ثم قال: ولي إليك حاجة. قلت: الأمر لك، فحلفني بالله، فحلفت له، فقال: ضع يدك على رأسي واحلف. ففعلت، فقال: هذا فلان من ولد فاطمة أحب إلي أن تريحني منه وتسرع، قلت: أفعل. قال: فحولته إليه وحولت الجارية والمفارش، وأمر لي بمائة ألف. فمضيت بالجميع، فلشدة سروري بالجارية تركتها عندي في المجلس، وأدخلت علي العلوي، فأخبرني بجمل من حاله، فإذا ألب الناس وأحسنهم إبانة، وقال لي: ويحك، تلقى الله غدا بدمي، وأنا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت: فهل فيك خير، قال: إن فعلت بي خيرا شكرت، ذلك عندي دعاء واستغفارا، قلت: فأي الطريق تحب ثم أعطيته مالا، وهيأت معه من يوصله في الليل، فإذا الجارية قد حفظت علي قولي، فبعثت به إلى المهدي، فشحن تلك الطريق برجال، فلم يلبث أن جاءوه بالعلوي. قال: فلما طلع النهار طلبني المهدي، فدخلت عليه، فأحضر العلوي والمال، بعد أن كان حلفني أنني قتلته، فحلفت، قال: فأسقط في يدي، فقال لي: قد حل دمك، ثم حبسني في المطبق دهرا، وأصبت ببصري، وطال شعري حتى استرسل، قال: فإني لكذلك، إذا دعي لي، فمضوا بي إلى موضع، فقيل: سلم على أمير المؤمنين وقد عميت فسلمت، فقال لي: أي أمير المؤمنين أنا قلت: المهدي، قال: رحم الله المهدي. قلت: فالهادي، قال: رحم الله الهادي. قلت: فالرشيد، قال: نعم، سل حاجتك، قلت المجاورة بمكة، قال: نفعل، فهل غير هذا قلت: ما بقي في مستمتع لشيء ولا بلاغ، قال: فراشدا. فخرجت إلى مكة، قال ابنه: فلم تطل أيامه بها حتى مات. قلت: مات في سنة اثنتين وثمانين ومائة.

----

*(المطبق) سجن المطبق الذي بناه الخليفة أبو جعفر المنصور ببغداد سنة 146هـ

■ (1) يعقوب بن داود بن عمر (أو بن طهمان) السلمي بالولاء، أبو عبد الله: كاتب، من أكابر الوزراء. كان يكتب لإبراهيم ابن عبد الله بن الحسن المثنى. وخرج إبراهيم على المنصور العباسي بالبصرة، فظفر به المنصور وقتله سنة 145 وحبس يعقوب.ثم أطلق بعد وفاة المنصور، فتقرب من المهدي وعلت منزلته عنده، حتى صدر مرسوم إلى الدواوين يقول: إن أمير المؤمنين المهدي قد آخى يعقوب بن داود واستوزره سنة 163 فغلب على الأمور كلها، وقصدته الشعراء بالمدائح، وكثر حساده، وتتابعت الوشايات فيه. وسقط عن برذون، فانكسر ساقه، فعاده المهدي في اليوم الثاني. وانتهز الوشاة فرصة غيابه عن العمل، فذكروا للمهدي صلته الأولى بالعلويين، فيقال إنه أراد اختباره، فطلب منه أن يريحه من شخص سماه له، من العلويين، فاكتفى يعقوب بأن وكل أحد رجاله بالعلوي وأعطاه مالا، وأوعز إليه بالرحيل والاختفاء، وبعد مدة سأله المهدي عنه، فقال: مات. وعرف المهدي أنه كذب عليه، فانفجر سخطه، وعزله سنة 167هـ وأمر بحبسه في المطبق وصادر أمواله. ومكث في الحبس إلى أن مضت خمس سنوات وشهور من ولاية هارون الرشيد فأخرج سنة 175هـ وقد ذهب بصره، ورد عليه الرشيد ماله، وخيره في الإقامة حيث يريد، فاختار مكة، فأذن له، فأقام بها إلى أن مات 187 هـ. وهو الذي يقول فيه بشار: بني أمية هبوا، طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود !.

■ (2) نصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني. أمير، من الدهاة الشجعان. كان شيخ مضر بخراسان، ووالي بلخ، ثم ولي إمرة خراسان سنة 120هـ، بعد وفاة أسد بن عبد الله القسري، ولاه هشام بن عبد الملك، وغزا ما وراء النهر، ففتح حصونا وغنم مغانم كثيرة، وأقام بمرو، وقويت الدعوة العباسية في أيامه، فكتب إلى بني مروان بالشام يحذرهم وينذرهم، فلم يأبهوا للخطر، فصبر يدبر الأمور إلى أن أعيته الحيلة وتغلب أبو مسلم على خراسان، فخرج نصر من مرو سنة 130 هـ ورحل إلى نيسابور، فسير أبو مسلم إليه قحطبة بن شبيب، فانتقل نصر إلى قومس وكتب إلى ابن هبيرة –وهو بواسط– يستمده، وكتب إلى مروان –وهو بالشام– وأخذ يتنقل منتظرا النجدة إلى أن مرض في مفازة بين الري وهمذان، ومات بساوة.سنة 131 هـ. وقد ولي إمرة خراسان عشر سنين.

■ (8) عيسى بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي. قام في أيام المهدي، فبايعه أهل الكوفة وأهل البصرة والأهواز، ووردت عليه بيعة أهل الحجاز، وهو متوار. واشتد الطلب له من المنصور وأخذ الناس على الظنة، فاستتر عيسى بالأهواز، وأكثر مقامه بها في زمن المنصور. فلما ولي الأمر المهدي أظهر نفسه، فدس إليه المهدي رجلا من أصحابه، قيل: إنه أعطاه مقدار مائتي ألف دينار؛ فسمه في طعامه، وهو بسواد الكوفة مما يلي البصرة؛ فمات فجر اليوم الثالث، ودفن سرا، ولا يعرف قبره. وكان قيامه سنة 156 هـ، ووفاته سنة 166 هـ . عمره: 46 سنة.

■ (3) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: أحد الابطال الاشداء. ثار مع أبيه على بني مروان. وقتل أبوه وصلب بالكوفة، فانصرف إلى بلخ، ودعا إلى نفسه سرا، فطلبه أمير العراق يوسف بن عمر فقبض عليه نصر بن سيار. وكتب يوسف إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخبره، فكتب الوليد يأمره بأن يؤمنه ويخلي سبيله، فأطلقه نصر، وأمره أن يلحق بالوليد، فسار إلى سرخس وأبطأ بها، فكتب نصر إلى عامل سرخس أن يسيره عنها، فانتقل يحيى إلى بيهق ثم إلى نيسابور، وامتنع، فقاتله واليها عمرو بن زرارة وهو في عشرة آلاف ويحيى في سبعين رجلا، فهزمهم يحيى، وقتل عمرا، وانصرف إلى هراة. ثم سار عنها، فبعث نصر بن سيار صاحب شرطته سلم بن أحوز المازني التميمي في طلبه، فلحقه في الجوزجان فقاتله قتالا شديدا، ورمي يحيى بسهم أصاب جبهته فسقط قتيلا، سنة 125 هـ في قرية يقال لها أرغوية وحمل رأسه إلى الوليد، وصلب جسده بالجوزجان. وبقي مصلوبا إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني واستولى على خراسان، فقتل سلم بن أحوز وأنزل جثة يحيى فصلى عليها ودفنت هناك.قال الذهبي: وكل من ولد في تلك السنة، من أولاد الاعيان، سمي يحيى، وقال المسعودي: كان يحيى، يوم قتل، يكثر من التمثيل بشعر الخنساء.

■ (6) إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي، خرج بالبصرة على المنصور وتحول إلى الكوفة وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة وأهل مكة وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة في رمضان فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن أبا جعفر المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى فخرج إلى المدينة فلقيه محمد بن عبد الله فانهزم بأصحابه وقتل ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقي إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر.

■ (7) إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.هو وأبوه وجده شعراء وابناه محمد وعبد الله ابنا إسحاق شاعران وكان المنصور يكرم إسحاق لمحله في نفسه وموضعه من العلم ثم اتهمه بسبب إبراهيم بن عبد الله بن حسن فحبسه وإخوته إحدى عشرة سنة،

■ (4) أبو مسلم الخراساني، عبد الرحمن بن مسلم: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة. ولد سنة 100 في ماه البصرة مما يلي أصبهان عند عيسى ومعقل ابني إدريس العجلي، فرباه إلى أن شب، فاتصل بابراهيم بن الامام محمد من بني العباس فأرسله إبراهيم إلى خراسان، داعية، فأقام فيها واستمال أهلها. ووثب على ابن الكرماني والي نيسابور فقتله واستولى على نيسابور، وسلم عليه بامرتها، فخطب باسم السفاح العباسي عبد الله بن محمد ثم سير جيشا لمقاتلة مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فقابله بالزاب بين الموصل وإربل وانهزمت جنود مروان إلى الشام، وفر مروان إلى مصر، فقتل في بوصير، وزالت الدولة الاموية الاولى سنة 132 هـ وصفا الجو للسفاح إلى أن مات، وخلفه أخوه المنصور، فرأى المنصور من أبي مسلم ما أخافه أن يطمع بالملك، وكانت بينهما ضغينة، فقتله برومة المدائن سنة 137 هـ عاش أبو مسلم سبعا وثلاثين سنة بلغ بها منزلة عظماء العالم، حتى قال فيه المأمون: أجل ملوك الأرض ثلاثة، وهم الذين قاموا بنقل الدول وتحويلها: الاسكندر، وأزدشير، وأبو مسلم الخراساني. وكان فصيحا بالعربية والفارسية، مقداما، داهية حازما، راوية للشعر، يقوله، قصير القامة، أسمر اللون، رقيق البشرة حلو المنظر، طويل الظهر قصير الساق، لم ير ضاحكا ولا عبوسا، تأتيه الفتوح فلا يعرف بشره في وجهه، وينكب فلا يرى مكتئبا، خافض الصوت في حديثه، قاسي القلب: سوطه سيفه. وفي (الروض المعطار): كان إذا خرج رفع أربعة آلاف أصواتهم بالتكبير، وكان بين طرفي موكبه أكثر من فرسخ، وكان يطعم كل يوم مئة شاة.وفي (البدء والتاريخ): كان أقل الناس طمعا: مات وليس له دار ولا عقار ولا عبد ولا أمة ولا دينار. وقال الذهبي: (كان ذا شأن عجيب، شاب دخل خراسان ابن تسع عشرة سنة، على حمار بإكاف، وحزمة وعرمة، فما زال يتنقل حتى خرج من مرو، بعد عشر سنين، يقود كتائب أمثال الجبال، فقلب دولة وأقام دولة، وذلت له رقاب الامم، وراح تحت سيفه ستمائة ألف أو يزيدون !) وللمرزباني محمد بن عمران المتوفي سنة 378 كتاب (أخبار أبي مسلم) في نحو مئة ورقة.

■ (5) سئل عيسى بن يونس عن الرافضة والزيدية، فقال: أما الرافضة: فأول ما ترفضت جاءوا إلى زيد بن علي حين خرج وقالوا: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نكون معك! قال: بل أتولاهما وأبرأ ممن يبرأ منهما! فقالوا: فإذن نرفضك! فسميت الرافضة، وأما الزيدية: فقالوا: نتولاهما ونبرأ ممن يبرأ منهما فخرجوا مع زيد فسميت الزيدية.

■ (9) الحسن بن إبراهيم بن عبد الله..وأمه أمامة بنت عصمة بن عبد الله بن حنظلة بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب من بني عامر بن صعصعة ..

■ (10) علي بن يعقوب بن داود (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

عن يعقوب الوزير قال: كان المهدي لا يحب النبيذ، لكن يتفرج على غلمانه وهم يشربون، فأعظه في سقيهم النبيذ وفي الطرب أقول، ما على ذا استوزرتني، أبعد الصلوات الخمس في الجامع يشرب النبيذ عندك وتسمع السماع فكان يقول: قد سمعت عبد الله بن جعفر[1]، فأقول: ليس هذا من حسناته، ولو كان هذا قربة لكان كلما داوم عليه العبد أفضل وفي ذلك يقول بعض الشعراء حثا للمهدي على ذلك: فدع عنك يعقوب بن داود جانبا..وأقبل على صهباء طيبة النشر.

قال عبد الله بن يعقوب: كان أبي قد ألح على المهدي في حسمه عن السماع حتى ضيق عليه، وكان أبي قد ضجر من الوزارة وتاب ونوى الترك، قال: فكنت أقول للمهدي: والله لخمر أشربه وأتوب، أحب إلي من الوزارة، وإني لأركب إليك، فأتمنى يدا خاطئة تصيبني، فاعفني وول من شئت، فإني أحب أن أسلم عليك وولدي، فلما أتفرغ، وليتني أمور الناس وإعطاء الجند، وليس دنياي عوضا عن آخرتي. وقال: فكان يقول: اللهم غفرا، اللهم أصلح قلبه. وقال قائل: فدع عنك يعقوب بن داود جانبا..وأقبل على صهباء طيبة النشر. ولما حبسه المهدي عزل أصحابه، وسجن أهل بيته.

قال الإتليدي: يحكى أن المهدي خرج يتصيد، فسار به فرسه حتى دخل إلى خباء* أعرابي، فقال: يا أعرابي. هل من قرى؟ قال: نعم، فأخرج له قرص شعير فأكله، ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه، ثم أتاه بنبيذ في ركوة* فسقاه قعبا*. فلما شرب قال: يا أخا العرب أتدري من أنا؟ قال: لا والله. قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة. قال: بارك الله في موضعك. ثم سقاه قعبا آخر فشربه فقال: يا أعرابي، أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة. قال: لا، بل أنا من قواد أمير المؤمنين. قال: رحبت بلادك وطاب مرادك. ثم سقاه ثالثا فلما فرغ منه قال: يا أعرابي، أتدري من أنا؟ قال: زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين. قال: لا، ولكني أمير المؤمنين. فأخذ الأعرابي الركوة وأوكأها*وقال: والله لو شربت الرابع لادعيت أنك رسول الله. فضحك المهدي حتى غشي عليه وأحاطت به الخيل ونزلت إليه الملوك والأشراف فطار قلب الأعرابي فقال له: لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال.

----

*(الخباء) الخيمة (الركوة) إناء صغير من جلد للشرب وغيره (القعب) قدح وإناء يروي رجلا واحدا (النبيذ) ما يعمل من الأشربة من التمر والزبيب والعسل والحنطة والشعير وغير ذلك يقال: نبذت التمر والعنب إذا تركت عليه الماء ليصير نبيذا (الوكاء) كل سير أو خيط يشد به السقاء أو الوعاء: وقد أوكيته بالوكاء إيكاء إذا شددته

■ (1) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم. السيد، العالم، أبو جعفر القرشي، الهاشمي، ولد في الحبشة سنة 1 هـ ، وله صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة. استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ونشأ في حجره. وروى أيضا عن عمه؛ علي، وعن أمه؛ أسماء بنت عميس. حدث عنه أولاده، وآخرون. وهو آخر من رأى النبي وصحبه من بني هاشم. وله وفادة على معاوية.ومات سنة 80 هـ أو سنة 84 هـ، أو 85 هـ. ويقال: سنة 90 هـ. كما تناقل المؤرخون أخبار تنعّمه، وحبه للغناء؟؟.

مراجع: تاريخ الإسلام للذهبي/ الوافي بالوفيات/ الطبقات الكبرى/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني/

دخل عمارة[1] يوما على المهدي[2] فأعظمه، فلما قام قال له رجل من أهل المدينة من القرشيين: يا أمير المؤمنين، من هذا الرجل الذي أعظمته هذا الإعظام كله؟ فقال له: هذا عمارة بن حمزة مولاي. فسمع عمارة كلام المهدي، فرجع إليه، وقال: يا أمير المؤمنين، جعلتني كبعض خبازيك وفراشيك، ألا قلت: هذا عمارة بن حمزة بن ميمون مولى عبد الله بن عباس، ليعرف الناس مكاني منك! وكان عمارة بن حمزة يوما يماشي المهدي في أيام المنصور[3] ويده في يده، فقال له رجل: من هذا أيها الأمير؟ فقال: أخي وابن عمي عمارة بن حمزة، فلما ولى الرجل ذكر المهدي ذلك لعمارة كالمازح، فقال عمارة: إنما انتظرت أن تقول: مولاي، فأنفض والله يدي من يدك، فضحك المهدي.

وكان عمارة أعور دميما، وكره أهل البصرة لتيهه وعجبه، فذكر الأرقط: أنه رفع أهل البصرة على عمارة أنه أختان مالا كثيرا، فسأله المهدي عن ذلك فقال: والله يا أمير المؤمنين، لو كانت هذه الأموال التي يذكرونها في جانب بيتي ما نظرت إليها، فقال: أشهد إنك لصادق ولم يراجعه فيها. وكانت نخوة عمارة وتيهه يتواصفان ويستسرفان، فأراد أبو جعفر أن يعبث به، وخرج يوما من عنده فأمر بعض خدمه أن يقطع حمائل سيفه لينظر أيأخذه أم لا؟ وسقط السيف، ومضى عمارة ولم يلتفت، وحدث ميمون بن هارون عمن يثق به: أن عمارة بن حمزة كان من تيهه إذا أخطأ يمضي على خطئه ويتكبر عن الرجوع ويقول: نقض وإبرام في ساعة واحدة، الخطأ أهون من ذلك.

وكان الفضل بن يحيى بن برمك[4] شديد الكبر، عظيم التيه، فعوتب على ذلك، فقال: هيهات، هذا شيء حملت عليه نفسي لما رأيته من عمارة بن حمزة؛ فإن أبي كان يضمن فارس من المهدي، فحل عليه ألف ألف درهم، فأمر المهدي أبا عون عبد الله بن يزيد[5] بمطالبته، وقال له: إن أدى إليك المال قبل أن تغرب الشمس من يومنا هذا، وإلا فأتني برأسه –وكان متغضبا عليه، وكانت حيلته لا تبلغ عشر المال– فقال: يا بني إن كانت لنا حيلة، فليس إلا من قبل عمارة بن حمزة، وإلا فأنا هالك، فامض إليه. فمضيت إليه، فلم يعرني الطرف، ثم تقدم بحمل المال، فحمل إلينا. فلما مضى شهران جمعنا المال، فقال أبي: امض إلى الشريف الحر الكريم، فأد إليه ماله. فلما عرفته الخبر، غضب فقال: ويحك، أكنت قسطارا* لأبيك؟! (أكنت صيرفيا له ؟) فقلت: لا، ولكنك أحييته، ومننت عليه، وهذا المال، وقد استغنى عنه. فقال: هو لك. فعدت إلى أبي، فقال: لا، والله ما تطيب به نفسي لك، ولكن لك منه مئتا ألف درهم. فتشبهت به، حتى صار خلقا لا أستطيع مفارقته.

وفي رواية الذهبي والخطيب البغدادي عن الأصمعي: قال الفضل بن يحيى: حل على أبي خراج الأهواز للرشيد[6] ثلاثة آلاف ألف، فأرسل إليه: إن حملت ما وجب عليك إلى العصر وإلا قتلت. فقال لي أبي: يا بني قد ترى ما نحن فيه، والله ما عندي عشرها، فامض إلى عمارة بن حمزة. فمضيت إليه، فسمع كلامي فأعرض ولم يجبني. فانصرفت، فلم أجد إلا وقد سبقني المال. فلما كان بعد ذلك وتحصل المال قال لي أبي: آمض إلى هذا الكريم واحمل المال. فمضيت به وشكرته وسألته أن يقبض المال. فقال كالمغضب: أتظن أني كنت قسطارا لأبيك، إذهب فهو لك. قال: فذهبت به إلى أبي وعرفته ما جرى فقال لي: يا بني، والله ما تسمح نفسي لك بالكل. ولكن خذ ألف ألف واترك ألفي ألف.

جرى بين الرشيد وزبيدة نزاهة نفس عمارة بن حمزة وكبره، فقالت له: ادع به وهب له سبحتى هذه، فإن شراءها خمسون ألف دينار، فإن ردها عرفنا نزاهته، فوجه إليه فحضر، فحادثه وأعطاه السبحة، فجعلها عمارة بين يديه، فلما قام تركها، فقالت: أنسيها؟ فأتبعوه خادما بالسبحة، فقال للخادم: هي لك، فرجع وقال: وهبها لي عمارة، فأعطت زبيدة بها الخادم ألف دينار وأخذتها. وقد روي أن هذا الخبر كان مع أبي العباس السفاح وزوجته أم سلمة.

----

*(قسطر) القسطر والقسطري والقسطار منتقد الدراهم

■ (1) عمارة بن حمزة بن ميمون، من ولد عكرمة مولى ابن عباس: كاتب، من الولاة الاجواد الشعراء الصدور. كان المنصور والمهدي العباسيان يرفعان قدره. وكان أعور ومن الدهاة وجمع له بين ولاية البصرة وفارس والاهواز واليمامة والبحرين. له في الكرم أخبار عجيبة. وفيه تيه شديد يضرب به المثل أتيه من عمارة !. وله تصانيف، منها: ديوان رسائل والرسالة الماهانية ورسالة الخميس. توفي سنة 199 هـ وقيل في حدود 180.

■ (2) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

■ (3) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور، عبد الله الأكبر. الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

■ (4) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (6) هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الرشيد ابن المهدي ابن المنصور. ولد بالري سنة 147 هـ ، وبويع له بمدينة السلام بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170 هـ، وتوفي بطوس سنة 193 هـ، وكان يحج سنة ويغزو سنة.

■ (4) الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماش بن بشتاسف البرمكي، أبو العباس، وزير هارون الرشيد.وكان ابنه الفضل من رجال الكمال، ولي إمرة خراسان، وعمل الوزارة، وكان فيها =قيل = أسخى من أخوه جعفر البرمكي، ولكنه يضرب بكبره وتيهه المثل، وكان أخا للرشيد من الرضاعة وعمل الوزارة مدة لهارون، ثم حولها منه إلى جعفر، واستعمل على المشرق كله هذا، واستعمل جعفرا على المغرب كله. ولد الفضل البرمكي سنة 176 هـ وتوفي بالسجن سنة 193 هـ. (5) ابن عون عبد الله بن يزيد ؟

قال محمد بن يزداد: قلد المنصور عمارة بن حمزة الخراج بكور دجلة، والأهواز وكور فارس، وتوفي المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة وعمارة يتقلد جميع هذه الكور، وبلغ موسى الهادي[1] حال بنت جميلة لعمارة، فراسلها، فقالت لأبيها، فقال: قولي له ليأتي إليك، وضعيه في موضع يخفى أثره. فأرسلت إليه، فحضر إليها، فأدخلته حجرة له قد أعدت بالفرش الجميل، فلما صار فيها دخل إليه عمارة، فقال: السلام عليك أيها الأمير، ماذا تصنع هاهنا؟ اتخذناك ولي عهد فينا أو فحلا لنسائنا؟ ثم أمر به فبطح مكانه، وضربه عشرين درة خفيفة، ورده إلى منزله. فحقدها عليه الهادي، فلما ولي الخلافة، دس عليه رجلا يدعي عليه أنه غصبه الضيعة الفلانية بالكوفة، وكان قيمتها ألف ألف درهم؛ فبينا الهادي ذات يوم جالس للمظالم وعمارة بحضرته، إذ وثب الرجل، وتظلم منه، فقال له الهادي: قم واجلس مع خصمك –وأراد إهانته– فقال: إن كانت الضيعة لي فهي له، ولا أساوي هذا النذل في المجلس؛ ثم قام وانصرف مغضبا.

كان عمارة يقول: يخبز في داري ألفا رغيف في كل يوم، يؤكل منها ألف وتسعمائة وتسعة وتسعون رغيفا حلالا، وآكل منها رغيفا واحدا حراما، وأستغفر الله، وكان يقول: ما أعجب قول الناس: فلان رب الدار، إنما هو كلب الدار. ودخل صالح بن خليل الناسك على المهدي فوعظه وأبكاه طويلا، وذكر له سيرة العمرين، فأجابه المهدي: بفساد الزمان وتغير أهله وما حدث له من العادات، وذكر له جماعة من أصحابه وما لهم من الأموال والنعمة، وذكر فيهم عمارة بن حمزة وقال: بلغني أن له ألف دواج بوبر، سوى ما لا وبر فيه، وسوى غيها من الأصناف التي يتدثر بها.

■ (1) موسى الهادي بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور يكنى أبا محمد بويع له بعد أبيه وكان بجرجان وقت موت المهدي. ولد الهادي بالري سنة 144 هـ أو 147 هـ توفي سنة 167 هـ أو 170 هـ واختلف في سبب موته وقد بلغ 23 سنة وكانت خلافته سنة وشهرا وبعض آخر.

مراجع: الوافي بالوفيات/ الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/ معجم الأدباء/ تاريخ بغداد/ لسان العرب/ نثر الدر/

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي، المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) ورجل من آل زياد 0695

عن علي بن سليمان أن أباه حدثه، قال: حضرت المهدي وهو ينظر في المظالم إذ قدم عليه رجل من آل زياد[1] يقال له الصغدي بن سلم بن حرب، فقال له: من أنت؟ قال: ابن عمك، قال: أي ابن عمي أنت؟ فانتسب إلى زياد، فقال له المهدي: يا ابن سمية الزانية، متى كنت ابن عمي! وغضب وأمر به فوجئ في عنقه، وأخرج، قال: فلما خرجت لحقني عيسى بن موسى[2] -أو موسى بن عيسى[3]- فقال: أردت والله أن أبعث إليك، أن أمير المؤمنين التفت إلينا بعد خروجك، فقال: من عنده علم من آل زياد؟ فو الله ما كان عند أحد منا من ذاك شيء، فما عندك يا أبا عبد الله؟ فما زلت أحدثه في زياد وآل زياد حتى صرنا إلى منزله بباب المحول*، فقال: أسألك بالله والرحم لما كتبت لي هذا كله حتى أروح به إلى أمير المؤمنين، وأخبره عنك. فانصرفت فكتبت، وبعثت به إليه. فراح إلى المهدي، فأخبره، فأمر المهدي بالكتاب إلى هارون الرشيد[3]؛ وكان والي البصرة من قبله يأمره أن يكتب إلى واليها يأمر أن يخرج آل زياد من قريش وديوانهم والعرب، وأن يعرض ولد أبي بكرة[4] على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن أقر منهم ترك ماله في يده، ومن انتمى إلى ثقيف اصطفى ماله. فعرضهم، فأقروا جميعا الولاء، إلا ثلاثة نفر، فاصطفيت أموالهم. ثم إن آل زياد بعد ذلك رشوا صاحب الديوان حتى ردهم إلى ما كانوا عليه، فقال خالد النجار في ذلك: إن زيادا ونافعا وأبا..بكرة عندي من أعجب العجب..ذا قرشي كما يقول، وذامولى، وهذا بزعمه عربي.

وكان سبب رد المهدي آل بكرة من نسبهم في ثقيف إلى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أن رجلا من آل أبي بكرة رفع ظلامة إلى المهدي وتقرب إليه فيها بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال المهدي: إن هذا نسب واعتزاء، ما تقرون به إلا عند حاجة تعرض لكم، وعند اضطراركم إلى التقرب به إلينا.فقال له: من جحد ذلك، يا أمير المؤمنين، فإنا سنقر، وأنا أسألك أن تردني ومعشر آل أبي بكرة إلى نسبنا من ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتأمر بآل زياد بن عبيد فيخرجوا من نسبهم الذي ألحقهم به معاوية[5] رغبة عن قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْوَلَدَ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ﴾ فيردوا إلى نسبهم من عبيد في موالي ثقيف. فأمر المهدي برد آل أبي بكرة إلى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب فيه إلى محمد بن موسى[6](في رواية: محمد بن سليمان) بذلك، وأن من أقر منهم بذلك ترك ماله بيده، ومن أباه اصطفى ماله. فعرضهم، فأجابوا جميعا إلا ثلاثة نفر، وكذلك أيضا أمر برد نسب آل زياد إلى عبيد وأخرجهم من قريش.

----

*(باب المحول) قال ياقوت: المحول: بليدة حسن طيبة نزهة كثيرة البساتين والفواكه والاسواق والمياه، بينها وبين بغداد فرسخ. وباب المحول: محلة كبيرة هي اليوم منفردة بجنب الكرخ –قسم من بغداد– وكانت متصلة بالكرخ أولا

■ (5) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان الأموي، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ

■ (1) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (3) موسى بن عيسى بن موسى بن محمد، ولي الحرمين للمنصور والمهدى، مدة طويلة. ثم ولي اليمن للمهدى. وولي مصر للرشيد سنة 171 هـ وكان سلفه فيها علي بن سليمان قد هدم الكنائس المحدثة بمصر، فرفع إليه أمرها، فاستشار خاصته، فقالوا: هي من عمارة البلاد، واحتجوا بأن عامة الكنائس التي بمصر ما بنيت إلا في الإسلام، في زمن الصحابة والتابعين، فأذن في بنائها، فبنيت كلها.وأقام على الولاية سنة وخمسة أشهر ونصفا. وصرف عنها سنة 172 هـ فعاد إلى العراق، فولاه الرشيد الكوفة فدمشق ثم أعيد ثانية إلى إمرة مصر سنة 175 هـ وصرف سنة 176 هـ وأعيد ثالثة سنة 179 هـ وصرف سنة 180 هـ فأقام ببغداد إلى أن توفى سنة 183 هـ

■ (2) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .شيخ الدولة.جعله عمه السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور جعله ولي عهده بعد ابنه المهدي ولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور.ولد سنة 103هـ أو104 هـ توفي سنة 167هـ

■ (3) هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الرشيد ابن المهدي ابن المنصور. ولد بالري سنة 147 هـ ، وبويع له بمدينة السلام بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170 هـ، وتوفي بطوس سنة 193 هـ، وكان يحج سنة ويغزو سنة.

■ (4) أبو بكرة الثقفي اسمه نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو. وقيل: نفيع بن مسروح. وقيل: كان عبدا للحارث فاستلحقه، وهو أخو زياد بن أبيه لأمه، واسمها سمية مولاة الحارث بن كلدة، وقد كان تدلى يوم الطائف من الحصن ببكرة، وأتى إلى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، وكني يومئذ بأبي بكرة. وله أحاديث، وكان أبو بكرة ممن شهد على المغيرة، فحده عمر لعدم تكميل أربعة شهداء، وأبطل شهادته، ثم قال له: تب لنقبل شهادتك، فقال: لا أشهد بين اثنين أبدا. وكان أبو بكرة كثير العبادة. وكان أولاده رؤساء البصرة شرفا وعلما وولاية. عن شباك، عن رجل، أن ثقيفا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد إليهم أبا بكرة عبدا، -كان من رقيق أهل الطائف- فقال: لا، هو طليق الله وطليق رسوله.توفي سنة اثنتين وخمسين، وقال غيره: سنة إحدى وخمسين. قال الشعبي: أردوا أبا بكرة على الدعوة فأبى –يعني ينتسب إلى الحارث بن كلدة– وقال لبنيه عند الموت: أبي مسروح الحبشي.

☪

قيل: وقف رجل على الواثق فقال: يا أمير المؤمنين، صل رحمك وارحم أقاربك وارحم رجلا من أهلك. فقال الواثق: من أنت، فإني لا أعرفك قبل اليوم؟. قال: ابن جدك آدم. فقال: يا غلام، أعطه درهما؟ فقال: يا أمير المؤمنين، وما أصنع بالدرهم؟ قال: أرأيت لو قسمت المال بين إخوتك أولاد جدي أكان ينوبك منه حبة. فقال: لله درك ما أذكى فهمك. فأمر له بعطاء وانصرف مكرما.

☪

كتاب المهدي إلى والي البصرة في رد آل زياد إلى نسبهم بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد؛ فإن أحق ما حمل عليه ولاة المسلمين أنفسهم وخواصهم وعوامهم في أمورهم وأحكامهم، العمل بينهم بما في كتاب الله والاتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصبر على ذلك، والمواظبة عليه، والرضا به فيما وافقهم وخالفهم؛ للذي فيه من إقامة حدود الله ومعرفة حقوقه، واتباع مرضاته، وإحراز جزائه وحسن ثوابه، ولما في مخالفة ذلك والصدود عنه وغلبة الهوى لغيره من الضلال والخسار في الدنيا والآخرة. وقد كان من رأي معاوية بن أبي سفيان في استلحاقه زياد بن عبيد عبد آل علاج من ثقيف، وادعائه ما أباه بعد معاوية عامة المسلمين وكثير من منهم في زمانه، لعلمهم بزياد وأبي زياد وأمه من أهل الرضا والفضل والورع والعلم، ولم يدع معاوية إلى ذلك ورع ولا هدى، ولا اتباع سنة هادية، ولا قدوة من أئمة الحق ماضية، إلا الرغبة في هلاك دينه وآخرته، والتصميم على مخالفة الكتاب والسنة. والعجب بزياد في جلده ونفاذه، وما رجا من معونته وموازرته إياه على باطل ما كان يركن إليه في سيرته وأثاره وإعماله الخبيثة. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الْوَلَدَ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ﴾، وقد قال: ﴿مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ لَا صَرْفًا وَلَا عَدْلًا﴾ ولعمري ما ولد زياد في حجر أبي سفيان ولا على فراشه، ولا كان عبيد عبدا لأبي سفيان، ولا سمية أمة له، ولا كانا في ملكه، ولا صارا إليه لسبب من الأسباب. ولقد قال معاوية فيما يعلمه أهل الحفظ للأحاديث عند كلام نصر بن الحجاج[1] ومن كان معه من موالي بني المغيرة المخزوميين وإرادتهم استلحاقه وإثبات دعوته، وقد أعد لهم معاوية حجرا تحت بعض فرشه فألقاه إليهم، فقالوا له: نسوغ لك ما فعلت في زياد، ولا تسوغ لنا ما فعلنا في صاحبنا، فقال: قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لكم من قضاء معاوية. فخالف معاوية بقضائه في زياد واستلحاقه إياه وما صنع فيه وأقدم عليه، أمر الله جل وعز وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع في ذلك هواه رغبة عن الحق ومجانبة له، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص]، وقال لداود صلى الله عليه وسلم وقد آتاه الحكم والنبوة والمال والخلافة:﴿يَا داود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص] الآية إلى آخرها. فأمير المؤمنين يسأل الله أن يعصم له نفسه ودينه، وأن يعيذه من غلبة الهوى، ويوفقه في جميع الأمور لما يحب ويرضى؛ إنه سميع قريب. وقد رأى أمير المؤمنين أن يرد زيادا ومن كان من ولده إلى أمهم ونسبهم المعروف ويلحقهم بأبيهم عبيد؛ وأمهم سمية، ويتبع في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه الصالحون وأئمة الهدى، ولا يجيز لمعاوية ما أقدم عليه مما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان أمير المؤمنين أحق من أخذ بذلك وعمل به؛ لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه آثاره وإحيائه سنة، وإبطاله سنن غيره الزائغة الجائرة عن الحق والهدى، وقد قال الله جل وعز: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس] فاعلم أن ذلك من رأي أمير المؤمنين في زياد، وما كان من ولد زياد فألحقهم بأبيهم زياد بن عبيد، وأمهم سمية، واحملهم عليه، وأظهره لمن قبلك من المسلمين حتى يعرفوه ويستقيم فيهم؛ فإن أمير المؤمنين قد كتب إلى قاضي البصرة وصاحب ديوانهم بذلك. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب معاوية بن عبيد الله[2] في سنة تسع وخمسين ومائة. فلما وصل الكتاب إلى محمد بن سليمان[3] وقع بإنقاذه، ثم كلم فيهم، فكف عنهم؛ وقد كان كتب إلى عبد الملك بن أيوب[4] بمثل ما كتب به إلى محمد، فلم ينفذه لموضعه من قيس، وكراهته أن يخرج أحد من قومه إلى غيرهم.

■ (3) محمد بن سليمان بن علي، وابن عم المنصور، أمير البصرة، وليها في أيام المهدي. وكان على البصرة وكور دجلة والبحرين وعمان وكور الاهواز وفارس،والذي ثبت دولتهم بعمله وبلائه يوم باخمرا، وكان قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن على يده، وكان بطلا شجاعا ممدحا، وكان الرشيد يجله، ويبالغ في إكرامه، وقد ولي أيضا الكوفة، وعزل سنة 164 وأعاده الرشيد، وزوجه أخته العباسة بنت المهدي سنة 172 واستمر في البصرة إلى أن توفي.173 هـ وكان غنيا نبيلا، سمت نفسه إلى الخلافة، وصده عن الجهر بطلبها ما كانت عليه من القوة، في أيام المهدي والرشيد قيل: إن الرشيد استولى على تركته، واصطفاها، فكانت بنحو خمسين ألف ألف درهم. كان مولده بالحميمة من الشام سنة 122 هـ. ومات سنة 173 هـ، واصطفى الرشيد عامة ما خلف.

■ (1) نصر بن حجاج بن علاط السلمي ثم البهزي: شاعر. من أهل المدينة. كان جميلا. قالت إحدى نساء المدينة: ياليت شعري عن نفسي، أزاهقة..مني، ولم أقض ما فيها من الحاج !. هل من سبيل إلى خمر فأشربها ؟..أم من سبيل إلى نصر بن حجاج ؟ وسمع البيتين أمير المؤمنين عمر، فقال: لا أرى رجلا في المدينة تهتف به العواتق في خدورهن! وطلبه، فجاء، فأمر به فحلق شعر رأسه، ثم نفاه إلى البصرة. ولنصر أبيات في حلق جمته. وأطال ابن أبي الحديد في خبره، فذكر له قصة مع امرأة أخرى في البصرة، نفاه بسببها أبو موسى الاشعري إلى فارس، وأن دهقانة أعجبت به في فارس فكتب أميرها عثمان بن أبي العاص الثقفي بخبره إلى عمر، فجاءه: جزوا شعره وشمروا قميصه وألزموه المساجد. ولما قتل عمر، عاد نصر إلى المدينة.

■ (2) أبو عبيد الله، وزير المهدي وكاتبه. اسمه معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري، مولاهم. أصله من طبرية، وكان ذا دين وتعبد، من خيار الوزراء. وكان المهدي يعظمه ولا يخالفه في رأي. قلا حفيده عبيد الله بن سليمان بن أبي عبيد الله: أبلى أبو عبيد الله سجادتين، وأسرع في الثالث موضع الركبتين، والوجه، واليدين، من كثرة صلاته. وكان له في كل يوم كر دقيق يتصدق به، فلما اشتد الغلاء أتاه مولاه فقال: قد غلا السعر فلو نقصنا من الكر، فقال: أنت شيطان، صيره كرين. قال: وأخبرت أن الجسور يوم مات امتلأت، فلم يعبر عليها أحد إلا من تبع جنازته من مواليه واليتامى والأرامل والمساكين. قيل توفي سنة 170 هـ وإلى جانب، أبو عبد الله هذا هناك أيضا يعقوب بن داود بن عمر (أو بن طهمان) السلمي بالولاء، أبو عبد الله: كاتب، من أكابر الوزراء. مات سنة 187 هـ. في ولاية هارون الرشيد وهو الذي يقول فيه بشار: بني أمية هبوا، طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود !.

■ (4) عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميري كان أمير البصرة، ثم وعزله المنصور سنة 155 هـ واستعمل عليها الهيثم بن معاوية العتكي وفي سنة 159 هـ عزل المهدي عن أحداث البصرة سعيد بن دعلج وعزل عن الصلاة والقضاء من أهلها عبيد الله بن الحسن وولى مكانهما عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النميري وكتب إلى عبد الملك يأمره بإنصاف من تظلم من أهل البصرة من سعيد بن دعلج ثم صرفت الأحداث في هذه السنة عن عبد الملك بن أيوب إلى عمارة رجلا من أهل البصرة يقال له المسور بن عبد الله بن مسلم الباهلي وأقر عبد الملك على الصلاة (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

مراجع: الكامل في التاريخ/ تاريخ الرسل والملوك/ الانساب للسمعاني/ تاريخ الإسلام للذهبي/ أسد الغابة/

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي، المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وسعيد بن عبد الرحمن(؟) 0696

روى داود بن رشيد، قال: قلت للهيثم بن علي(عدي؟)[1]: بأي شيء استحق سعيد بن عبد الرحمن[2] أن ولاه المهدي القضاء وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة؟ فقال: إن خبره باتصاله بالمهدي ظريف، فإن أحببت شرحته لك. قلت والله قد أحببت. قال: اعلم أنه وافى الربيع[3] الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي وقال له: استأذن لي على أمير المؤمنين، فقال له: من أنت وما حاجتك؟ قال: أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين أعزه الله رؤيا صالحة، وقد أحببت أن تذكرني له، فقال الربيع: يا هذا، إن القوم لا يصدقون فيما يرونه لأنفسهم فكيف بما يراه لهم غيرهم، فاحتل بحيلة غير هذه، فقال: إن لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني إليه وأخبره أني سألتك الإذن لي عليه فلم تفعل؟ فدخل الربيع على المهدي، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنكم قد أطمعتم الناس في أنفسكم فقد احتالوا عليكم بكل ضرب. فقال له المهدي: هكذا تصنع الملوك فماذا؟ قال: رجل بالباب يزعم أنه رأى لأمير المؤمنين أيده الله رؤيا حسنة، وقد أحب أن يقصها عليك.

فقال المهدي: يا ربيع، إني والله أرى الرؤيا لنفسي فلا تصح لي فكيف يمكن ادعاؤها ممن لعله قد افتعلها؟ قال: والله قلت له مثل هذا فلم يقبل. قال: هات الرجل. قال: فأدخل عليه سعيد وكان له رؤية وجمال ومروة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق، فقال له: ما رأيت بارك الله فيك؟ قال: رأيت يا أمير المؤمنين آتيا أتاني في منامي فقال: أخبر أمير المؤمنين أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة، وآية ذلك أنه يرى في ليلته الآتية في منامه كأنه يقلب يواقيت ثم يعدها فيجد ثلاثين ياقوتة كأنها قد وهبت له. فقال المهدي: ما أحسن ما رأيت، ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا: فإن كان الأمر على ما ذكرت أعطيناك فوق ما تريد، وإن كان الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا أن الرؤيا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت. قال: يا أمير المؤمنين، فما أصنع أنا الساعة إذا صرت إلى منزلي وعيالي وأخبرتهم أني كنت عند أمير المؤمنين أكرمه الله، ثم رجعت صفر اليد؟ فقال له المهدي: فكيف نعمل؟ فقال: يعجل لي أمير المؤمنين أعزه الله تعالى ما أحب وما أحلف له بالطلاق إني قد صدقت. فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمر بأن يؤخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم فقبض المال وقال له: من يكفلك؟ فمد عينه إلى خادم حسن الوجه والزي وقال: هذا يكفلني. فقال له المهدي: أتكفله يا غلام؟ فاحمر وخجل، وقال: نعم يا أمير المؤمنين، فكفله وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم. فلما كانت تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفا بحرف وأصبح سعيد فوافى الباب واستأذن، فأذن له. فلما وقعت عين المهدي عليه قال له: أين مصداق ما قلت لنا عليه؟ فقلت له: وما رأى أمير المؤمنين. فضحك في جوابه، فقال له: امرأتي طالق إن لم تكن رأيت شيئا؟ فقال: لأني أحلف على صدق. قال له المهدي: فقد والله رأيت ذلك مبينا. فقال سعيد: الله أكبر، فأنجز لي يا أمير المؤمنين ما وعدتني. قال: حبا وكرامة. ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار وعشر تخوت ثياب من كل صنف وثلاثة مراكب من أنفس دوابه محلاة، فأخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذي كان كفله. وقال: سألتك بالله هل لهذه الرؤيا من أصل؟ فقال سعيد: لا والله. فقال الخادم: كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته؟ قال: هذا من المخاريق* التي لا أب لها، وذلك أني لما ألقيت هذا الكلام خطر بباله وحدث به نفسه وأسرى به قلبه واشتغل به فكره ففي ساعة نام خيل له ما حل في قلبه واشتغل به فكره فنام فرآه. فقال له الخادم: قد حلفت بالطلاق. قال: طلقة واحدة وبقيت معي على اثنتين وأزيد مهرها عشرة دراهم. وأتحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت من أصناف الثياب، وثلاثة مراكب فارهة. فبهت الخادم وتعجب من ذلك. فقال له سعيد: قد صدقتك وجعلت ذلك مكافأتك على كفالتك فاستر علي. ثم طلبه المهدي لمنادمته فنادمه وحظي عنده وقلده القضاء على العسكر*. فلم يزل كذلك حتى مات. انتهى.

----

*(العسكر) عسكر المهدي هي المحلة المعروفة اليوم بالرصافة في الجانب الشرقي من بغداد، عمرها أبو جعفر المنصور لولده المهدي فنسب إليه (المخاريق) جمع مخراق، وهو المنديل أو نحوه يلوى فيضرب به. ما يلعب به الصبيان من الخرق المفتولة

■ (2) سعيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جميل، أبو عبد الله المديني الجمحي، منشأه في المدينة.وهو من رجال الحديث.أحد جلة العلماء ممن يقدم على ربيعة الرأي ظنا. ولي القضاء ببغداد في عسكر المهدي زمن هارون الرشيد، ومات ببغداد سنة 176 هـ عن اثنتين وسبعين سنة.

■ (3) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان، مولا هم.الأمير الحاجب، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم ولي وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ، من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه إلى الغاية.

■ (1) في هذه الرواية : الهيثم بن علي ... فهل هو تصحيف ؟... والصواب: (1) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الثعلي الطائي البحتري الكوفي، أبو عبد الرحمن: مؤرخ، عالم بالادب والنسب. أصله من منبج وإقامته وشهرته بالكوفة، ووفاته في فم الصلح قرب واسط عند الحسن بن سهل. اختص بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد، وروى عنهم. وكان يتعرض لمعرفة أصول الناس ونقل أخبارهم، فأورد في بعض كتبه معايبهم، وأظهرها، فكره لذلك، وطعن في نسبه، ونقل عنه أنه ذكر العباس بن عبد المطلب بشيء، فحبس عدة سنين. قال ابن قتيبة وآخرون: كان يرى رأي الخوارج. وكان له عقب ببغداد. وهو عند علماء الحديث من المدلسين، ومن غير الثقات. ولم يكن من أهل هذا الشأن. مات سنة 207 هـ.

عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ﴿الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ فَمَنْ رَأَى خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَّ عَلَيْهِ وَلْيَذْكُرْهُ وَمَنْ رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهَّ مِنْ شَرِّ رُؤْيَاهُ وَلاَ يَذْكُرْهَا فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثاً وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ. قَالَ: وَقَالَ: الرُّؤْيَا ثَلاَثَةٌ فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَى مِنَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَالرُّؤْيَا تَحْزِيناً مِنَ الشَّيْطَانِ وَالرُّؤْيَا مِنَ الشَّيْءِ يُحَدِّثُ بِهِ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلاَ يُحَدِّثْهُ أَحَداً وَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، قَالَ: وَأُحِبُّ الْقَيْدَ فِى النَّوْمِ وَأَكْرَهُ الْغُلَّ الْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِى الدِّينِ﴾ (إذا اقترب الزمان) يعنى إذا اقترب الليل والنهار يعنى يستويان (الغل) القيد فى العنق وهو يفسر فى الرؤيا بتحمل دين أو مظالم. وعن عبد الرحمن بن أبى بكرة قال: وفدت مع أبى إلى معاوية بن أبى سفيان فأدخلنا عليه فقال يا أبا بكرة: حدثنى بشىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الرؤيا الصالحة ويسأل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم: ﴿أَيُّكُمْ رَأَى رُؤْيَا؟. فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا يَا رَسُولَ اللهَّ، رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَاناً دُلِّىَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ بِأَبِى بَكْرٍ فَرَجَحْتَ بِأَبِى بَكْرٍ ثُمَّ وُزِنَ أَبُو بَكْرٍ بِعُمَرَ فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ بِعُمَرَ ثُمَّ وُزِنَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ فَرَجَحَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ. فَاسْتَاءَ لَهَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: خِلاَفَةُ نُبُوَّةٍ ثُمَّ يُؤْتِى اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال أبي: قال عفان فيه: فَاسْتَاءَ لَهَا. قال وقال حماد: فَسَاءَهُ ذَلِكَ. وعن ابن عباس قال كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستارة والناس صفوف خلف أبى بكر فقال: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ أَلاَ وَإِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِى الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (قمن) خليق وجدير. وحديث ابن عباس، أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطُفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا فَالْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ وَإِذَا سَبَبٌ وَاصِلٌ مِنَ الأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلاَ بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلاَ بِهِ، ثُم أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ ثُمَّ وُصِلَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِى أَنْتَ، وَاللهِ لَتَدَعَنِّي فَأَعْبُرَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اعْبُرْ قَالَ: أَمَّا الظُّلَّةُ فَالإِسْلاَمُ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطُفُ مِنَ الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ فَالْقُرْآن، حلاَوَتُهُ تَنْطِفُ فَالْمُسْتَكْثِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِلُّ وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ؛ تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ ثُمَّ يَأْخُذُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يُوَصَّل لَهُ فَيَعْلُو بِهِ فَأَخْبِرْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ، أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا قَالَ: فَوَاللهِ لَتُحَدِّثَنِي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ قَالَ: لاَ تُقْسِمْ﴾.

قال سلمان بن يحي المالكي: قسم العلماء رحمهم الله تعالى ما يراه الناس في مناماتهم إلى ثلاثة أنواع وأقسام: أولا: الرؤى الصالحة وهي من عند الله تعالى بشرى وفرح وتطمين وتثبيت لهذا المؤمن. الثانية: حلم مؤذ من الشيطان، وهو تحزين وتخويف وأذى، وربما سماه بعض العوام بالكابوس. الثالث: أضغاث أحلام، وحديث نفس لا أثر له وربما رجع حديث النفس إلى أحد النوعين السابقين، إما أن يكون رؤيا صالحة أو حلما مؤذ من الشيطان. إذا فالحاصل أن المعتبر هو في القسمين الأولين. إما أن تكون الرؤيا من الله فرح وتطمين، أو من الشيطان حزن وتخمين. ومما يتعلق بتعبير الرؤى وأحكامها: أنه يجب العلم أنه لا يترتب على هذه الرؤى أيا كانت سواء رؤى من الله تعالى في بابا البشرى والتطمين أو حلما من الشيطان، أنه لا يترتب على هذه المنامات أية أحكام شرعية دينية أو اعتقادات لأن العلم و القول والاعتقاد مبني على الوحي الشريف من كلام الله تعالى القرآن وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الصحيحة فقط، ولا ينبني من الرؤى من الأحكام والاعتقادات والأحوال شيء، وإنما الذي يبني على هذه المنامات الأحكام والاعتقادات هم الصوفية وأهل البدعة والخرافة والشعوذة وبعض الطوائف والفرق وأهل الهوى على الرؤى المنامية يعولون أحكاما شرعية واعتقادات دينية وتأملات وتصورات ورجما بالغيب وكل ذلك ليس بصحيح، بل هو دائر أن يكون من الهوى أو من الشيطان، ولهذا هؤلاء يعتبرون المنامة مصدرا من مصادر الديانة بالإلهام وهذا أمر خطير جدا على العقيدة قبل أن يكون خطيرا على السلوك والعمل [..]

حكي أن هارون الرشيد رأى ملك الموت عليه السلام، قد مثل له، فقال له: يا ملك الموت كم بقي من عمري؟ فأشار إليه بخمس أصابع كفه مبسوطة، فانتبه مذعورا باكيا من رؤياه، وقصها على حجام موصوف بالتعبير، فقال: يا أمير المؤمنين، قد أخبرك أن خمسة أشياء علمها عند الله، تجمعها هذه الآية: ﴿إِنَّ اللهَّ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان] الآية. فضحك هارون وفرح بذلك. ورأى أمير المؤمنين هارون الرشيد، كأنه في الحرم يرتضع من أخلاف ظبية. فسأل الكرماني مشافهة عن تأويلها، فقال: يا أمير المؤمنين، الرضاع بعد الفطام حبس في السجن، ومثلك لا يحبس، ولكنك منحبس بحب جارية قد حرمت. فكان كذلك. وعن ابن سيرين وبعض الخلفاء حكاية: أنه رأى كأن أسنانه سقطت جميعها فقصها على معبر فقال: يموت أهلك كلهم فغضب لذلك وانفد إلى معبر كان له مريض فحمل إليه وقص عليه الرؤيا فقال: يا أمير المؤمنين أنت أطول أهلك عمرا ففرح بذلك لأنه أحسن العبارة وذكر الحياة ولم يذكر الموت .والمعنى واحد.

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ الأعلام للزركلي/ سنن الترمذي/ مسند أحمد/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ البخاري/ موسوعة للخطب المنبرية والدروس/ تفسير الأحلام لابن سيرين/ تعبير الرؤيا/

ذكر محمد بن عمر عن حفص مولى مزينة عن أبيه قال: كان هشام الكلبي[1] صديقا لي فكنا نتلاقى فنتحدث ونتناشد فكنت أراه في حال رثة وفي أخلاق على بغلة هزيل والضر فيه بين وعلى بغلته فما راعني إلا وقد لقيني يوما على بغلة شقراء من بغال الخلافة وسرج ولجام من سروج الخلافة ولجمها في ثياب جياد ورائحة طيبة فأظهرت السرور ثم قلت له: أرى نعمة ظاهرة ! قال لي: نعم، أخبرك عنها فاكتم، فبينا أنا في منزلي منذ أيام بين الظهر والعصر إذ أتاني رسول المهدي فسرت إليه ودخلت عليه وهو جالس خال ليس عنده أحد وبين يديه كتاب فقال: ادن يا هشام، فدنوت فجلست بين يديه، فقال: خذ هذا الكتاب فاقرأه ولا يمنعك ما فيه مما تستفظعه أن تقرأه، قال: فنظرت في الكتاب فلما قرأت بعضه استفظعته فألقيته من يدي ولعنت كاتبه، فقال لي: قد قلت لك إن استفظعت فلا تلقه، اقرأه بحقي عليك حتى تأتي على آخره، قال: فقرأته فإذا كتاب قد ثلبه في كتابه ثلبا عجيبا لم يبق له فيه شيئا، فقلت: يا أمير المؤمنين من هذا الملعون الكذاب؟ قال: هذا صاحب الأندلس[2]، قال: قلت: فالثلب والله يا أمير المؤمنين فيه وفي آبائه وفي أمهاته، قال: ثم اندرأت أذكر مثالبهم، قال: فسر بذلك، وقال: اقسمت عليك لما أمللت مثالبهم كلها على كاتب، قال: ودعا بكاتب من كتاب السر فأمره فجلس ناحية وأمرني فصرت إليه، فصدر الكاتب من المهدي جوابا وأمللت عليه مثالبهم فأكثرت فلم أبق شيئا حتى فرغت من الكتاب ثم عرضته عليه، فأظهر السرور ثم لم أبرح حتى أمر بالكتاب فختم وجعل في خريطة*، ودفع إلى صاحب البريد وأمر بتعجيله إلى الأندلس، قال: ثم دعا بمنديل فيه عشرة أثواب من جياد الثياب وعشرة آلاف درهم وهذه البغلة بسرجها ولجامها فأعطاني ذلك، وقال لي: اكتم ما سمعت.

----

*(الخريطة) بالفتح وعاء من أدم وغيره تشرج على ما فيها

■ (1) هشام الكلبي، هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي، الكوفي أبو المنذر نسابة، اخباري. روى عن ابيه وعن مجاهد بن سعيد وغيرهما، وتوفي بالكوفة سنة 204 هـ. وقيل 206 هـ تصانيفه كثيرة وأحسنها وأنفعها كتاب الجمهرة في معرفة الأنساب. إلا أنه متروك الحديث فيه رفض قال أحمد بن حنبل إنما هو صاحب سمر، ونسب، ما ظننت أن أحدا يحدث عنه،قال جواد علي: والده أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي المتوفى سنة 146هـ، من علماء الكوفة بالتفسير والأخبار والأنساب

■ (2) هل هو عبد الرحمن الداخل ؟ زمن الخليفة العباسي أبو عبد الله محمد المهدي بالله... عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي. الأمير الأموي المرواني الداخل إلى الأندلس. المعروف بلقب صقر قريش وعبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن الأول. ولد بدمشق سنة 113 هـ وتوفي بقرطبة سنة 172 هـ وهو أول من تملك الأندلس، وذلك أنه هرب وانفلت من بني العباس عند استيلائهم، وأبعد إلى المغرب، فروى جابر بن عبد الله الأندلسي أن عبد الرحمن بن معاوية لما سار هاربا من مصر صار إلى أرض برقة، فأقام بها خمس سنين، ثم رحل منها يريد الأندلس، فدخل بدر مولاه يتجسس عن الأخبار، فقال للمضرية: لو وجدتم رجلا من أهل الخلافة أكنتم تبايعونه؟ قالوا: وكيف لنا بذلك؟ فقال بدر: هذا عبد الرحمن بن معاوية فائتوه فبايعوه، فولي عليهم 33 سنة، ثم ولي ابنه من بعده. وكان يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس إلى أن دخل عبد الرحمن بن معاوية سنة 139 هـ

قال إسحاق الموصلي: رأيت ثلاثة يذوبون إذا رأوا ثلاثة: الهيثم بن عدي[1] إذا رأى هشاما الكلبي وعلويه[2] إذا رأى مخارقا[3] وأبا نواس[4] إذا رأى أبا العتاهية[5]، وقال ابن المعتز: قال لي الحسن بن عليك العنزي، كان يحيى بن معين يحسن الثناء على هشام، وكان أحمد بن حنبل يكرهه، وقال: حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد، كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن، فحفظته في ثلاثة أيام، ونظرت يوما في المرآة، فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة، فأخذت منها ما فوق القبضة، وهذا الخبر يروى عن أبيه أيضا، وكان هشام يقول: الإسناد في الخبر مثل العلم في الثوب.

قال جواد علي: ولأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي فضل كبير على دراسات تأريخ العرب قبل الإسلام؛ فأغلب معارفنا عن هذا العهد تعود إليه. وقد سلك مسلكا جعله في طليعة الباحثين في الدراسات الآثارية عند المسلمين، برجوعه إلى الأصول، واعتماده على المراجع التأريخية، متبعا سبيلا تختلف عن سبيل أهل اللغة في البحث، وهو –بطريقته هذه– قريب من طريقة المؤرخين في تدوين التاريخ. ولكنه لم يخل مع ذلك من مواطن الضعف التي تكون عادة في الإخباريين، مثل سرعة التصديق، ورواية الخبر على علاته دون نقد أو تمحيص. وقد اتهم بالوضع والكذب. ولذلك تجنب جماعة من العلماء الرواية عنه، وقالوا عن بعض أسانيده أنها سلسلة الكذب. وذهب بروكلمن –مستشرق ألماني؟– إلى أن ما اتهم عليه ابن الكلبي لم يكن كله صحيحا، وأن البحوث العلمية التي قام بها المستشرقون دلتهم على أن الحق كان في جانبه في كثير من المواضع التي اتهم عليها. وأنا لا أريد أن أبرئه من الوضع أو من تهمة أخذه كل ما يقال له، ولا سيما إذا كان القائل من أهل الكتاب، دون مناقشة ولا إبداء رأي؛ ففي المنسوب إليه شيء كثير من الإسرائيليات والقصص المسوخ الذي يدل على جهل قائله أو استخفافه بعقل السامع وعلمه، مثل اختراع سلاسل من النسب زعم أنها واردة في التوراة، أو عند أهل النسب، مع أن الوضع فيها بين واضح، وهي غير واردة في التوراة ولا في التلمود. ولعل حرصه على الظهور بمظهر العالم المحيط بكل شيء من أخبار الماضين، هو الذي حمله على الوضع، وقد وضع غيره من أقرانه شعرا ونثرا، وصنع قصصا؛ ليتفوق بذلك على أقرانه وخصومه وليظهر بمظهر العالم الذي لا يفوته شيء من العلم. وقد عالج بعض الباحثين زعم ابن الكلبي أنه كان يستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر ومبالغ أعمار من عمل منهم، وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة؛ فرأى أن كتابات أهل الحيرة كانت بالكتابة النبطية وبالأرقام النبطية، كما أثبت ذلك نص النمارة أيضا، وأن ابن الكلبي لم يكن يحسن قراءة النبطية ولم يفهمها، وعندما حاول قراءتها لم يتمكن من ذلك فوقع في أوهام، وجاء بأمثلة على ذلك تتعلق بما ذكره ابن الكلبي من مدد حكم أولئك الملوك؛ فوجد أنه لم يميز مثلا بين الرقم 20 والرقم 100 وذلك لتشابه شكل الرقم الأول مع شكل الرقم الثاني في النبطية، فقرأ العشرين مائة، فزاد سني حكم الملو. ومن هنا أخطأ في ضبط مدد حكم ملوك الحيرة، ولا سيما بالنسبة للقدامى منهم؛ لأن الكتابات النبطية المتقدمة لم تكن مثل الكتابات النبطية المتأخرة في قربها من الأبجدية العربية القديمة. هذا ولم يبحث موضوع أخذ ابن الكلبي من بيع الحيرة حتى الآن بحثا علميا مركزا. وهو موضوع أرى أنه جدير بالدراسة والعناية. وحري بأن يقارن ما ذكره ابن الكلبي بما جاء في الموارد النصرانية عن آل نصر، لنرى مقدار الصحة من الخطأ في فهم ابن الكلبي لتلك الموارد التي ذكر أنه قرأها وأنه استعان بها في جمع تأريخ عرب العراق قبل الإسلام. ولم يبق من القائمة الطويلة التي ضمنها ابن النديم مؤلفات ابن الكلبي غير قليل. وهي في المآثر والبيوتات والمنافرات والمثودات وأخبار الأوائل، وفيها قارب الإسلام من أمر الجاهلية، وفي أخبار الشعر وأيام العرب، والأخبار والأسماء والأنساب. وهناك بعض الشبه بين بحوث أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، المتوفى سنة عشر ومائتين(؟) الذي كان له علم بالجاهلية، ومصنفات وبحوث في القبائل والأنساب، وبين ابن الكلبي في اتجاهه ومناحيه؛ ولكنه دونه في أخباره عن الجاهلية، ومؤلفاته في أمور الجاهلية لا تعد شيئا بالنسبة إلى ما ينسب إلى ابن الكلبي من مؤلفات، كما أن أخباره ورواياته عنها قليلة بالنسبة إلى أخبار ابن الكلبي ورواياته.

■ (1) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الثعلي الطائي البحتري الكوفي، أبو عبد الرحمن: مؤرخ، عالم بالادب والنسب. أصله من منبج وإقامته وشهرته بالكوفة، ووفاته سنة 207 هـ في فم الصلح قرب واسط عند الحسن بن سهل. اختص بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد، وروى عنهم. وكان يتعرض لمعرفة أصول الناس ونقل أخبارهم، فأورد في بعض كتبه معايبهم، وأظهرها، فكره لذلك، وطعن في نسبه، وقيل فيه: إذا نسبت عديا في بني ثعل..فقدم الدال قبل العين في النسب. ونقل عنه أنه ذكر العباس بن عبد المطلب بشيء، فحبس عدة سنين. قال ابن قتيبة وآخرون: كان يرى رأي الخوارج. وكان له عقب ببغداد. وهو عند علماء الحديث من المدلسين، ومن غير الثقات. ولم يكن من أهل هذا الشأن.

■ (2) علي بن عبد الله بن سيف، أو يوسف، أبو الحسن، المعروف بعلوية، مولى بني أمية. موسيقي بغدادي، أصله من السغد بين بخارى وسمرقند تخرج على إبراهيم الموصلي وبرع في الغناء والتلحين والضرب بالعود. وغنى للامين العباسي، وعاش إلى أيام المتوكل. قال أبو الفرج: كان مغنيا حاذقا ومؤدبا محسنا، وصانعا متفننا، وضاربا متقدما، مع خفة روح، وطيب مجالسة، وملاحة نوادر. وكان إسحاق بن إبراهيم يتعصب له على مخارق ومات بعد إسحاق بقليل سنة 236 هـ. وكان الواثق العباسي يقول: غناء علوية مثل نقر الطست، يبقى ساعة في السمع بعد سكوته! وكان أعسر، عوده مقلوب الاوتار: البم أسفل الاوتار كلها، ثم المثلث فوقه، ثم المثنى ثم الزير. له أخبار مع الامين والمأمون والمعتصم وإبراهيم ابن المهدي وغيرهم.

■ (3) مخارق بن يحيى ين ناووس الجزار مولى الرشيد أبو المهنا، إمام عصره في فن الغناء. ومن أطيب الناس صوتا. كان الرشيد العباسي يعجب به حتى أقعده مرة على السرير معه، وأعطاه 30 ألف درهم. واتصل بعد ذلك بالمأمون. وزار معه دمشق. وتوفى بسر من رأى. سنة 231 هـ أخباره كثيرة جدا. كان مملوكا لعاتكة بنت شهدة بالكوفة، وهى التى علمته الغناء والضرب على العود. وباعته، فصار إلى الرشيد، فذكره له إبراهيم الموصلي، فسمعه، وأعتقه، وأغناه، وكناه بأبى المهنأ. وكان لحانا، لا يقيم الاعراب. وأبوه جزار من المماليك.

■ (5) أبو إسحاق، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء، العيني المعروف بأبي العتاهية الشاعر المشهور؛ مولده بعين التمر سنة 130هـ،وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة، وقيل إنها من أعمال سقي الفرات وقيل إنها قرب الأنبار، فالله أعلم. توفي سنة 213 هـ

■ (4) الحسن بن هانئ بن عبد الاول بن صباح الحكمي بالولاء، أبو نواس: شاعر العراق في عصره. ولد في الاهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخصيب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها سنة 198 هـ.كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمي، أمير خراسان، فنسب إليه. وفي تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق، من الجند من رجال مروان بن محمد، انتقل إلى الاهواز فتزوج امرأة من أهلها اسمها جلبان فولدت له ولدين أحدهما أبو نواس. قال الجاحظ: ما رأيت رجلا أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس. وقال أبو عبيدة: كان أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للمتقدمين. وقال الامام الشافعي: لولا مجون أبي نواس لا خذت عنه العلم. وحكى أبو نواس عن نفسه قال: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب. فما ظنك بالرجال ؟ وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية. وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياته.

مراجع: تاريخ الطبري/ الأعلام للزركلي/ معجم المؤلفين/ الوافي بالوفيات/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/

قال بعض الشعراء:أتيت بشارا [1] وبين يديه مائتا دينار فقال لي:خذ منها ما شئت أو تدري ما سببها؟قلت:لا قال:جاءني فتى فقال:أنت بشار قلت: نعم فقال لي: كنت آليت على نفسي أن أدفع إليك مائتي دينار وذلك أني عشقت امرأة وجئت إليها وكلمتها فلم تلتفت إلي فهممت بأن أتركها ثم ذكرت قولك:لا يؤنسك من مخبأة..قول تغلظه وإن جرحا..عسر النساء إلى مياسرة..والصعب يمكن بعدما جمحا. فعدت إليها ولازمت فناءها، فلم أرجع حتى بلغت حاجتي.ولما بلغ المهدي هذان البيتان استدعاه فلما قدم عليه استنشده فأنشده إياهما، وكان المهدي غيورا، فقال: تلك أمك يا عاض كذا وكذا من أمه، تحض النساء على الفجور وتقذف المحصنات المخبآت! والله لئن قلت بعد هذا بيتا واحدا فيه تشبيب لآتين على نفسك! ولم يحظ بشيء منه فهجاه في قصيدة فقال: خليفة يزني بعماته..يلعب بالدبوق والصولجان..أبدلنا الله به غيره..ودس موسى في حر الخيزران. وأنشدها في حلقة ابن يونس النحوي[2] فسعي به إلى يعقوب بن داود[3]وكان بشار قد هجاه فقال: بني أمية هبوا طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود..ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا..خليفة الله بين الناي والعود.فدخل يعقوب على المهدي فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا الأعمى الملحد الزنديق بشارا قد هجاك، قال: بأي شيء قال: بما لا ينطق به لساني ولا يتوهمه فكري، فقال: بحياتي أنشدني إياه، فقال: والله لو خيرتني بين إنشادي إياه وضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي،فحلف عليه المهدي بالأيمان المغلظة التي لا فسحة له فيها أن يخبره،فقال:أما لفظا فلا ولكني أكتب لك فكتبه ودفعه إليه فكاد ينشق غيظا، وعمل على الانحدار إلى البصرة للنظر في أمرها، وما وكده غير بشار، فانحدر، فلما بلغ البطيحة*سمع أذانا في ضحى النهار فقال: انظروا ما هذا الأذان، فإذا بشار سكران فقال له: يا زنديق يا عاض بظر أمه، عجبت أن يكون هذا غيرك، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران ! ثم دعا بأبي نهيك وأمره بضربه فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطا أتلفه فيها، فكان إذا أصابه السوط يقول: حس حس، وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع، فقال له بعضهم:انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين، يقول حس ولا يقول: بسم الله، فقال: ويلك أطعام هو فأسمي عليه قال له آخر: أفلا قلت: الحمد لله قال: أو هي نعمة فأحمد الله عليها إنما هي بلية أسترجع منها؛ فلما ضربه سبعين سوطا بان الموت فيه، فألقي في سفينة، فقال: ليت عين أبي الشمقمق[4]تراني حيث يقول: إن بشار بن برد..تيس أعمى في سفينه.ولما مات ألقيت جثته في البطيحة في موضع يعرف بالجرار فحمله الماء فأخرجه إلى دجلة، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة لدفنه؛ قال النوفلي: فأخرجت جنازته فما تبعه أحد إلا جارية سوداء سندية عجماء رأيتها خلف جنازته تصيح: واسيداه، ما تفصح؛ ولما نعي لأهل البصرة تباشر عامتهم وهنا بعضهم بعضا، وحمدوا الله وتصدقوا ما كانوا قد بلوا به من لسانه.

قيل: كان بشار بن برد جالسا في دار المهدي، والناس ينتظرون الإذن. فقال بعض موالي المهدي، وهو المعلي بن طريف، لمن حضر: ما عندكم في قول الله عزوجل:: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل] فقال له بشار: النحل التي يعرفها الناس؟! قال: هيهات يا أبا معاذ، النحل بنو هاشم وقوله:﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل] يعني العلم، فقال له بشار: أراني الله شرابك وطعامك مما يخرج من بطون بني هاشم فقد أوسعتنا غثاثة*. فغضب وشتم بشارا. وبلغ المهدي الخبر فدعا بهما وسألهما عن القصة، فحدثه بشار بها، فضحك حتى أمسك على بطنه، ثم قال للمولى: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فإنك بارد غث.

---

*(غثث) الغثيث والغث بالفتح اللحم المهزول وهو أيضا الحديث الرديء الفاسد تقول منهما غث يغث بالكسر غثاثة وغثوثة فهو غث (البطيحة) أرض واسعة بين واسط والبصرة، وسميت بطائح لان المياه تبطحت فيها، أي سالت واتسعت في الارض.

■ (1) بشار بن برد العقيلي، بالولاء، أبو معاذ: أشعر المولدين على الاطلاق. أصله من طخارستان (غربي نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة (عقيلية) قيل إنها أعتقته من الرق. وكان ضريرا. نشأ في البصرة وقدم بغداد. وأدرك الدولتين الاموية والعباسية. وشعره كثير متفرق من الطبقة الاولى، قال الجاحظ: كان شاعرا راجزا، سجاعا خطيبا، صاحب منثور ومزدوج، وله رسائل معروفة. واتهم بالزندقة فمات ضربا بالسياط، ودفن بالبصرة.سنة 167 هـ وكانت عادته، إذا أراد أن ينشد أو يتكلم، أن يتفل عن يمينه وشماله ويصفق باحدى يديه على الاخرى ثم يقول. وأخباره كثيرة.

■ (3) يعقوب بن داود بن عمر (أو بن طهمان) السلمي بالولاء، أبو عبد الله: كاتب، من أكابر الوزراء. كان يكتب لإبراهيم ابن عبد الله بن الحسن المثنى. وخرج إبراهيم على المنصور العباسي بالبصرة، فظفر به المنصور وقتله سنة 145 وحبس يعقوب.ثم أطلق بعد وفاة المنصور، فتقرب من المهدي وعلت منزلته عنده، حتى صدر مرسوم إلى الدواوين يقول: إن أمير المؤمنين المهدي قد آخى يعقوب بن داود واستوزره سنة 163 فغلب على الأمور كلها، وقصدته الشعراء بالمدائح، وكثر حساده، وتتابعت الوشايات فيه. وسقط عن برذون، فانكسر ساقه، فعاده المهدي في اليوم الثاني. وانتهز الوشاة فرصة غيابه عن العمل، فذكروا للمهدي صلته الأولى بالعلويين، فيقال إنه أراد اختباره، فطلب منه أن يريحه من شخص سماه له، من العلويين، فاكتفى يعقوب بأن وكل أحد رجاله بالعلوي وأعطاه مالا، وأوعز إليه بالرحيل والاختفاء، وبعد مدة سأله المهدي عنه، فقال: مات. وعرف المهدي أنه كذب عليه، فانفجر سخطه، وعزله سنة 167هـ وأمر بحبسه في المطبق وصادر أمواله. ومكث في الحبس إلى أن مضت خمس سنوات وشهور من ولاية هارون الرشيد فأخرج سنة 175هـ وقد ذهب بصره، ورد عليه الرشيد ماله، وخيره في الإقامة حيث يريد، فاختار مكة، فأذن له، فأقام بها إلى أن مات 187 هـ. وهو الذي يقول فيه بشار: بني أمية هبوا، طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود !.

■ (4) مروان بن محمد، الملقب بأبي الشمقمق: شاعر هجاء، من أهل البصرة. خراساني الاصل، من موالى بني أمية. له أخبار مع شعراء عصره، كبشار وأبي العتاهية وأبي نواس وابن أبي حفصة. وله هجاء في يحيى بن خالد البرمكي وغيره. كان عظيم الانف، أهرت الشدقين، منكر المنظر. زار بغداد في أول خلافة الرشيد العباسي. وكان بشار يعطيه في كل سنة مئتى درهم، يسميها أبوالشمقمق جزية !. قال المبرد: كان أبوالشمقمق ربما لحن، ويهزل كثيرا ويجد فيكثر صوابه. مات نحو 200 هـ

■ (2) أبي العباس محمد بن الحسن ابن يونس النحوي

☪

قال الدميري: ذهبت طائفة إلى أن هذه الآية وأوحى ربك إلى النحل إنما يراد بها أهل البيت من بني هاشم، وأنهم النحل وأن الشراب هو القرآن، وقد ذكر بعضهم هذا في مجلس أبي جعفر المنصور فقال له رجل: جعل الله طعامه وشرابه مما يخرج من بطون بني هاشم، فأضحك الحاضرين وأبهت القائل. قال: ودخل يزيد بن منصور الحميري[1] على المهدي وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد من منصور وكان فيه غفلة، فقال: يا شيخ ما صناعتك؟ قال: أثقب اللؤلؤ، فضحك المهدي ثم قال لبشار: أعزب، أتتنادر على خالي؟! فقال: وما أصنع به يرى شيخا أعمى ينشد الخليفة شعرا يسأله عن صناعته.

قال الأصمعي: ولد بشار أعمى فما نظر إلى الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء في شعره بعضها ببعض فيأتي بما لا يقدر البصراء على أن يأتوا بمثله، فقيل له يوما وقد أنشد قوله: كأن مثار النقع فوق رؤوسنا..وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه ما قيل أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولا شيئا فيها فقال: إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكر قريحته.وحدث الأصمعي قال: قلت لبشار: يا أبا معاذ، الناس يعجبون من أبياتك في المشورة، قال: يا أبا سعيد إن المشاور بين صواب يفوز بثمرته، أو خطأ يشارك في مكروهه، فقلت له: أنت والله في قولك أشعر منك في شعرك. وكان بشار بن برد يدين بالرجعة ويكفر الجميع من الأمم ويصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين، وقد ذكر ذلك في شعره حيث يقول: الأرض مظلمة والنار مشرقة..والنار معبودة مذ كانت النار . رأيت في بعض الكتب أن عبد الله بن ظاهر لما قدم نيسابور صحبه من أولاد المجوس شاب متطبب يدعي تحقيق الكلام فأظهر مسئلة تحريق النفس بالنار، وكان يزعم أن الجسد منتن في حال الحياة فإذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب إلى زيادة نتنه، وإن الواجب إحراقه وإذراء رماده، فقيل لبعض الفقهاء: إن الناس قد افتتنوا بمقالة المجوسي، فكتب الفقيه إلى عبد الله بن طاهر أن اجمع بيننا وبين هذا المجوسي نسمع منه؛ فاجتمعوا بمجلس عبد الله بن طاهر، فلما تكلم المجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه: أخبرنا عن صبي تداعته أمه وحاضنته أيهما أولى به، فقال: الأم، فقال: إن هذه الأرض هي الأم منها خلق آدم وأولى بأولادها أن ترد إليها، وأنشد لأمية بن أبي الصلت: والأرض معقلنا وكانت أمنا..فيها مقابرنا ومنها نولد. فأفحم المجوسي وقطعه. وقيل لبشار: ما لكم معشر الشعراء لا تكافأون في قدر مديحكم قال: لأنا نكذب في العمل فنكذب في الأمل؛ ومثل هذا قيل لأبي يعقوب الخزيمي محمد ابن منصور بن زياد: شعرك في مديحك أجود من شعرك في مرائيك، قال: إن ذلك للرجاء وهذا للوفاء وبينهما بون. ووقف على بشار بعض المجان وهو ينشد شعرا بسكة فقال له: استر شعرك كما تستر عورتك، فصفق بشار بيديه وغضب وقال له: ويلك من أنت فقال: أنا أعزك الله رجل من باهلة وأخوالي سلول وأصهاري عك واسمي كلب ومولدي بأضاخ ومنزلي بنهر بلال، قال: فضحك بشار وقال: اذهب ويلك فأنت عتيق لؤمك، قد علم الله أنك استترت مني بحصون من حديد. ومر بشار برجل قد رمحته بغلة وهو يقول: الحمد لله شكرا، فقال له: استزده يزدك.ومر به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشي بها فقال: ما لهم مسرعين أتراهم سرقوها فهم يخافون أن يلحقوا فتؤخذ منهم، وتوفي ابن لبشار فجزع عليه فقيل له: اجر قدمته وفرط أفرطته وذخر أحرزته، فقال: ولد دفنته وثكل تعجلته وغيب وعدته وانتظرته، والله لئن لم أجزع للنقص لم أفرح بالمزيد، وقال يرثيه من أبيات: عجبت لإسراع المنية نحوه..وما كان لو مليته بعجيب. قيل: رفع غلام بشار ليه في حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم، فصاح به بشار وقال: والله ما سمع بأعجب من هذا، جلاء مرآة أعمى عشرة دراهم، والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم. وقال هلال بن عطية[2]لبشار وكان صديقا له يمازحه: إن الله عز وجل لم يذهب بصر أحد إلا عوضه شيئا، فما عوضك فقال: الطويل العريض، قال: وما هو قال: لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء؛ ثم قال: يا هلال أتطيعني في نصيحة أخصك بها قال: نعم، قال: إنك كنت تسرق الحمير زمانا، ثم تبت وصرت رافضيا، فعد إلى سرقة الحمير فهي والله خير لك من الرفض؛ وكان هلال يستثقل، وفيه يقول بشار: وكيف يخف لي بصري وسمعي..وحولي عسكران من الثقال..إذا ما شئت صبحني هلال..وأي الناس أثقل من هلال. وقد قيل إن الذي خاطب بشارا بهذه المخاطبة هو ابن سيابة[3]، فلما أجابه بشار قال له: من أنت قال له: أنا ابن سيابة، قال: يا ابن سيابة، لو نكح الأسد لما افترس؛ قال: وكان يهتم بالابنة. وقالت امرأة لبشار: ما أدري لم تهابك الناس مع قبح وجهك، فقال بشار: أليس من قبحه يهاب الأسد. وحكى محمود الوراق: أتينا بشارا فأذن لنا فدخلنا والمائدة موضوعة بين يديه فلم يدعنا إلى طعامه، فلما أكل دعا بطست فكشف عن سوءته وبال، ثم حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم يصل، فدنونا منه وقلنا له: أنت أستاذنا فقد رأينا منك أشياء نكرهها، قال: ما هي قلنا: دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا، فقال: إنما أذنت لكم لتأكلوا ولو لم أرد ذاك لما أذنت لكم، قال: ثم ماذا قلنا: ودعوت بالطست ونحن حضور فبلت ونحن نراك، فقال: أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بغض الأبصار دوني، قال: مه ثم ماذا قلنا: حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم تصل، قال: إن الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملا. وقيل إن امرأة قالت لبشار: أي رجل أنت لو كنت أسود الرأس واللحية، فقال بشار: أما علمت أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان فقالت: أما قولك فحسن في السمع، فمن لك بأن يحسن [شيبك] في العين كما حسن [قولك] في السمع فكان بشار يقول: ما أفحمني إلا هذه المرأة.

■ (2) هلال بن يحيى بن مسلم البصري: قيل هو هلال الرازي وهلال الرأي. فقيه من أعيان الحنفية. من أهل البصرة. لقب بالرأي، لسعة علمه وكثرة أخذه بالقياس. مات سنة 245 هـ

■ (3) ابن سيابة، إبراهيم بن سيابة، هو من موالي بني هاشم من موالي بني هاشم وليس له شعر شريف ولا نباهة وإنما كان يميل بمودته إلى إبراهيم الموصلي وابنه فغنيا في شعره وذكراه عند الخلفاء والوزراء وكان خليعا طيب النادرة،

■ (1) يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد بن شهر بن مثوب، من ولد ذي الجناح الحميري، أبو خالد: وال. هو خال المهدي العباسي. كان مقدما في دولة بني العباس. ولي للمنصور البصرة سنة 152 هـ ثم اليمن سنة 154 هـ بعد الفرات بن سالم. وأقام في اليمن باقي خلافة المنصور، وسنة من خلافة المهدي. وعزل سنة 159 هـ وولاه المهدي سنة 161 هـ على سواد الكوفة. ومات بالبصرة. سنة 156 هـ ولبشار بن برد، هجاء فيه. وبقي من أعقابه جماعة كانوا يعرفون باليزيدية. وإليه نسبة يحيى بن المبارك العدوي اليزيدي. كان يؤدب ولده، فنسب إليه.

مراجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ الأعلام للزركلي/ الأغاني/ الكشكول/ حياة الحيوان الكبرى/ المحاضرات في اللغة و الأدب/ سير أعلام النبلاء/

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي، المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وصالح بن عبد القدوس، الشاعر 0699

كان صالح بن عبد القدوس[1] أحد الشعراء، اتهمه المهدي بالزندقة فأمر بحمله، فأحضر، فلما خاطبه أعجب بغزارة أدبه وعلمه وبراعته وحسن بيانه وكثرة حكمته فأمر بتخلية سبيله، فلما ولى رده وقال: ألست القائل: والشيخ لا يترك أخلاقه..حتى يوارى في ثرى رمسه..إذا ارعوى عاد إلى جهله..كذي الضنى عاد إلى نكسه. قال: بلى يا أمير المؤمنين. قال: فأنت لا تترك أخلاقك، ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك، ثم أمر به فقتل وصلب على الجسر؛ ويقال إن المهدي أبلغ عنه أبياتا عرض فيها بذكر النبي صلى الله عليه وسلم، فأحضره المهدي وقال له: أنت القائل هذه الأبيات قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أشركت بالله طرفة عين، فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ﴾ وجعل يتلو عليه القرآن حتى رق له وأمر بتخليته. فلما ولى قال: أنشدني قصيدتك السينية، فأنشده حتى بلغ إلى قوله فيها: والشيخ لا يترك أخلاقه. فأمر به حينئذ فقتل. ومن مستحسنات قصائد صالح المذكور القصيدة التي أولها: المرء يجمع والزمان يفرق..ويظل يرقع والخطوب تمزق.

روى قريش الختلي[2]: أن المهدي دعاني يوما فذكر أنه أمره بالمسير على البريد إلى الشام، وكتب له عهدا أنه أمين على كل بلد يدخله، حتى يخرج منه، وأمره إذا دخل دمشق أن يأتي إلى حانوت عطار أو حانوت قطان، فيلقى رجلا يكثر الجلوس هناك، وهو شيخ فاضل ناصل الخضاب. يقال له صالح بن عبد القدوس، فسار وفعل ودخل الحانوت، فإذا بصالح فيه، فأخذه وقيده، فحمله على البريد إلى العراق. فقال المهدي: أنت فلان قال: نعم، أنا صالح. قال: فزنديق قال: لا، ولكن شاعر أفسق في شعري، قال: اقرأه، فالتقوى سكنية، قال: ثم قرأ كتاب الزندقة فقال: أتوب إلى الله فاستبقني، وأنشده لنفسه: ما يبلغ الأعداء من جاهل..ما يبلغ الجاهل من نفسه..والشيخ لا يترك أخلاقه..حتى يوارى في ثرى رمسه. فقال المهدي: يا قريش، امض به إلى المطبق، قال: ففعلت، فلما قربت من الخروج أمرني فرددته، فقال له: ألست القائل: والشيخ لا يترك أخلاقه قال: بلى، قال: لا تدع أخلاقك حتى تموت، خذوه، فضربوه بأسيافهم، ثم وثب المهدي فضربه نصفين.

قال ابن المعتز: وحدثت من غير هذا الوجه بما هو عندي أثبت من الأول، وذلك ما رويناه أنه أنهى إلى الرشيد عنه هذه الأبيات، يعرض فيها بالنبي صلى الله عليه وآله: ~~غصب المسكين زوجته..فجرت عيناه من درره..ما قضى المسكين من وطر..لا ولا المعشار من وطره..عذت بالله اللطيف بنا..أن يكون الجور من قدره~~.-عليه لعنة الله إن كان قالها- فقال له الرشيد: أنت القائل هذه الأبيات؟ قال: لا، والله يا أمير المؤمنين، ما أشركت بالله طرفة عين، ولا تسفك دمي على الشبهة، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله:﴿ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وأخذ يرقق قلبه، ويستنزله عما عزم عليه بفصاحته وبيانه، ويتلو القرآن، حتى رق له وأمر بتخلية سبيله، فلما أراد أن يخرج من بين يديه قال: أنشدني قصيدتك السينية فأنشده حتى إذا بلغ قوله: والشيخ لا يترك أخلاقه..حتى يواري في ثرى رمسه. قال: يا شيخ، هذا الكلام يشبه هذا الكلام، وهذا الشعر من نمط ذلك الشعر -يعني الأبيات التي نسبت إليه- ونحن نتمثل وصيتك، ثم أمر فضربت عنقه وصلب على الجسر.

■ (1) صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الازدي الجذامي، مولا هم، أبو الفضل: شاعر حكيم، كان متكلما، يعظ الناس في البصرة. له مع أبي الهذيل العلاف مناظرات، وشعره كله أمثال وحكم وآداب. اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة، فقتله ببغداد. قال المرتضى: قيل: رؤي ابن عبد القدوس يصلي صلاة تامة الركوع والسجود، فقيل له: ما هذا، ومذهبك معروف؟ قال: سنة البلد، وعادة الجسد، وسلامة الاهل والولد ! وعمي في آخر عمره. مات نحو 160 هـ

■ (2) قريش الختلي؟

كان المهدي قد ألح في طلب الزنادقة وقتلهم حتى قتل خلقا كثيرا فبلغه أن صالح بن أبي عبيد الله كاتبه زنديق فأحضره فلما صح عنده أمره استتابه فقال: لا رغبة عما أنا عليه ولا حاجة في غيره، فأمر المهدي أبا عبيد الله أباه أن يقوم فيضرب عنقه فقام فأخذ السيف ثم دنا من ابنه فلما رفعه رجع، فقال: يا أمير المؤمنين إني قمت سامعا مطيعا وأنه أدركني ما يدرك الرجل في ولده، فأمره فجلس ثم أمر بضرب عنقه بين يديه ثم أملى عليه كتابا وهو ينظر إلى ابنه مقتولا ثم قال: إن كنت كرهت قتل عدو لله كافر به فأبعدك الله، فلما قام أبو عبيد الله قال: بعض الجلساء ما أحسب هذا يطيب قلبه أبدا، فقال: كذلك والله أظنه وإنه لقريب من ابنه ثم كانت السخطة عليه وصير مكانه يعقوب بن داود.

عن الأصمعي، قال: كان آدم بن عبد العزيز[1] وهو ابن عمر بن عبد العزيز، في أيام حداثته، يشرب الخمر ويفرط في المجون والخلاعة، ويقول الشعر، فرفع إلى المهدي أنه زنديق، وأنشد شعرا له كان قاله في أيام الحداثة على طريق المجون، فأخذه وضربه ثلاثمئة سوط يقرره بالزندقة، فقال: والله لا أقر على نفسي بباطل أبدا، ولو قطعت عضوا عضوا، والله ما أشركت بالله طرفة عين قط؛ فقال المهدي: فأين قولك؟ من الرمل: اسقني واسق خليلي..في مدى الليل الطويل..قهوة صهباء صرفا..سبيت من نهر بيل..قل لمن يلحاك فيها..من فقيه أو نبيل..أنت دعها وارج أخرى..من رحيق السلسبيل. قال: يا أمير المؤمنين، كنت من فتيان قريش أشرب النبيذ، وأتمجن مع الشباب، واعتقادي مع ذلك الإيمان بالله وتوحيده، فلا تؤاخذني بما أسلفت من قولي. قال: فخلى سبيله.

■ (1) آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبو عمر الأموي، وأمه أم عاصم بنت سفيان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم كان بالشام حين ذهب ملك أهل بيته، وأراد عبد الله بن علي قتله فيمن قتل منهم بنهر أبي فطرس، فاستعطفه فتركه، وسكن العراق بعد ذلك، وكان شاعرا ماجنا، ثم تنسك بعد.

مراجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ الأعلام للزركلي/ تاريخ اليعقوبي/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ تاريخ الإسلام للذهبي/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ طبقات الشعراء/

◆ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي، المهدي بالله (ثالث ملوك الدولة العباسية) وأبو عبيد الله، وزير المهدي وكاتبه 0700

قال جعفر بن يحيى: أخبرني الفضل بن الربيع[(1)] أن الموالي كانوا يشنعون أبا عبيد الله[(2)] عند المهدي، ويسعون عليه عنده، وكانت كتب أبي عبيد الله تنفذ إلى المنصور بما يدبر من الأمور، ويتخلى الموالي بالمهدي، فيبلغونه عن أبي عبيد الله ويحرضونه عليه. قال الفضل: وما كانت كتب أبي عبيد الله إلى أبي تترى، يشكو الموالي وما يلقى منهم، فلا يزال يذكره عند المنصور ويخبره، ويستخرج الكتب إلى المهدي بالوصية به وترك القبول فيه، ولما رأى أبو عبيد الله غلبة الموالي على المهدي وخلوهم به، نظر إلى أربعة رجال من قبائل شتى من أهل الأدب والعلم، فضمهم إلى المهدي، فكانوا في صحابته، فلم يكونوا يدعون الموالي يتخلون به، ثم إن أبا عبيد الله كلم المهدي في بعض أموره إذ اعترض رجل من هؤلاء الأربعة في الأمر الذي تكلم فيه، فسكت أبو عبيد الله، فلم يراده وخرج، فأمر بحجبه عن المهدي، فحجبه عنه، وبلغ خبره أبي. قال: وحج أبي مع المنصور في السنة التي مات فيها، وقام أبي من أمر المهدي بما قام به من أمر البيعة وتجديدها على أهل بيت أمير المؤمنين، والقواد، والموالي؛ فلما قدم تلقيته بعد المغرب، فتجاوز منزله وترك دار المهدي ومضى إلى أبي عبيد الله، فقلت له: تترك أمير المؤمنين ومنزل أهلك وتأتي أبا عبيد الله؟! قال: يا بني! هو صاحب الرجل، وليس ينبغي أن نعامله على ما كنا نعامله عليه، ولا أن نحاسبه بما كان منا في أمره من نصرتنا له، فمضينا حتى أتينا باب أبي عبيد الله، فما زال واقفا حتى صليت العتمة، فخرج الحاجب فثنى رجله وثنيت رجلي، فقال: إنما استأذنت لك يا أبا الفضل وحدك. قال: اذهب فأخبره أن الفضل معي. ثم أقبل علي فقال: وهذا أيضا من ذلك. فخرج الحاجب فأذن لنا فدخلنا فإذا أبو عبيد الله في صدر المجلس على مصلى متكئ على وسادة، فقلت: يقوم إلى أبي إذا دخل عليه، فلم يقم، فقلت: يستوي جالسا، فلم يفعل، فقلت: يدعو له بمصلى، فلم يفعل، فجلس بين يديه على البساط وهو متكئ، فجعل يسائله عن مسيره وسفره وحاله، وجعل أبي يتوقع أن يسأله عما كان منه في أمر المهدي وتجديد بيعته، فأعرض عن ذلك، فذهب أبي يبتدئ ذكره فقال: قد بلغنا نبؤكم. فذهب أبي لينهض، فقال: لا أرى الدروب إلا وقد أغلقت، فلو أقمت. فقال أبي: إن الدروب لا تغلق دوني. قال: بلى قد أغلقت. قال: فظن أبي أنه يريد أن يحبسه ليسكن من مسيره، ويريد أن يسأله. قال: فأقيم. قال: يا غلام، اذهب فهيئ لأبي الفضل في منزل محمد بن أبي عبيد الله مبيتا. فلما رأى أبي أنه يريد أن يخرج من الدار قال: فليس تغلق الدروب دوني. فاعتزم فقام، فلما خرجنا من الدار أقبل علي وقال: يا بني! أنت أحمق. قال: قلت: وما حمقي أنا؟ قال: تقول لي كان ينبغي لك أن لا تجيء، وكان ينبغي إذ جئنا ألا نقيم حتى صليت العتمة، وأن ترجع فتنصرف ولا تدخل، وكان ينبغي إذ دخلت فلم يقم إليك أن ترجع ولا تقيم عليه، ولم يكن الصواب إلا ما علمت كله، ولكن والله الذي لا إله إلا هو – واستغلق في اليمين – لأخلقن جاهي، ولأنفقن مالي حتى أبلغ مكروه أبي عبيد الله. ثم جعل يضطرب بجهده ولا يجد مساغا إلى مكروهه، ويحتال الحيل، إلى أن ذكر الرجل الذي كان أبو عبيد الله حجبه، فأرسل إليه: إنك قد علمت ما ركبك به أبو عبيد الله، وقد بلغ مني كل غاية من المكروه، وقد أذعت أمره بجهدي، فما وجدت عليه طريقا، فعندك حيلة في أمره؟ فقال: إنما يؤتى أبو عبيد الله من وجوه ثلاثة: يقال هو جاهل بصناعته، وأبو عبيد الله أحذق الناس؛ أو يقال هو ظنين في الذي يتقلده، وأبو عبيد الله أعف الناس، لو كانت بنات المهدي في حجره لكان لهن موضعا؛ أو يقال هو يميل إلى أن يخالف السلطان، فليس يؤتى أبو عبيد الله من ذلك، إلا أنه يميل إلى القول بالقدر، وليس يتسلق عليه بذاك، ويقال هو متهم في الله، فعند أبي عبيد الله عقد وثيق، ولكن هذا كله مجتمع لك في ابنه. فتناوله الربيع فقبل بين عينيه، ثم رب لابن أبي عبيد الله، فما زال يحتال ويدس إلى المهدي ويتهمه ببعض حرم المهدي حتى استحكم عند المهدي الظنة لمحمد بن أبي عبيد الله، فأمر فأحضر وأخرج أبو عبيد الله فقال: يا محمد! اقرأ. فذهب ليقرأ، فاستعجم عليه القرآن فقال: يا معاوية! ألم تعلمني أن ابنك جامع للقرآن؟! قال: قد أخبرتك، ولكنه فارقني منذ سنين، وفي هذه المدة التي نأى فيها عني ما نسي القرآن. قال: قم فتقرب إلى الله بدمه. قال: فذهب يقوم فوقع، فقال العباس بن محمد[(3)]: إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تعفي الشيخ. ففعل، وأمر به فضربت عنقه. قال: واتهمه المهدي في نفسه، فقال له الربيع: قتلت ابنه وليس ينبغي أن يكون معك، ولا أن تثق به. قال: فأوحش المهدي. وكان الذي كان من أمره وبلغ الربيع ما أراد. قال عبد الله بن يعقوب: ضرب المهدي رجلا من الأشعريين*، فأوجعه، فتغضب أبو عبيد الله له، وكان مولى لهم وقال: القتل يا أمير المؤمنين أحسن من هذا. فقال له المهدي: يا يهودي! اخرج من معسكري لعنك الله! فقال: ما أدري إلى أين أخرج إلا إلى النار. قال: قلت يا أمير المؤمنين: من الكامل: وأخو هناه مثلها يتوقع.

دخل الربيع على المهدي وأبو عبيد الله جالس يعرض كتبا، فقال له أبو عبيد الله: يا أمير المؤمنين! يتنحى هذا – يعني الربيع – فقال له المهدي: تنح. قال: لا أفعل. قال: كأنك تراني بالعين الأولى. قال: بل أراك بالعين التي أنت بها. قال: فلم لا تتنحي إذا أمرتك؟ قال: لا آمن أن يكون معه حديدة ينالك بها وأنت سقر (سقره؟) المسلمين، وقد قتلت ابنه. فقام المهدي مذعورا، وأمر بتفتيشه، فوجدوا بين جوربيه وخفيه سكينا فردت الأشياء إلى الربيع، فجعل كاتبه يعقوب بن داود[(4)] فقال فيه الشاعر: من مجزوء الكامل: أدخلته فعلا علي..ك كذاك شؤم الناصيه..يعقوب يحكم في الأمو..ر وأنت تنظر ناحيه. توفي أبو عبيد الله سنة سبعين، وقيل سنة تسع وستين، وله سبعون سنة. وكان مولده في سنة مئة.

■ (2) أبو عبيد الله، وزير المهدي وكاتبه. اسمه معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري، مولاهم. أصله من طبرية، وكان ذا دين وتعبد، من خيار الوزراء. وكان المهدي يعظمه ولا يخالفه في رأي. قلا حفيده عبيد الله بن سليمان بن أبي عبيد الله: أبلى أبو عبيد الله سجادتين، وأسرع في الثالث موضع الركبتين، والوجه، واليدين، من كثرة صلاته. وكان له في كل يوم كر دقيق يتصدق به، فلما اشتد الغلاء أتاه مولاه فقال: قد غلا السعر فلو نقصنا من الكر، فقال: أنت شيطان، صيره كرين. قال: وأخبرت أن الجسور يوم مات امتلأت، فلم يعبر عليها أحد إلا من تبع جنازته من مواليه واليتامى والأرامل والمساكين. قيل توفي سنة 170 هـ وإلى جانب، أبو عبد الله هذا هناك أيضا يعقوب بن داود بن عمر (أو بن طهمان) السلمي بالولاء، أبو عبد الله: كاتب، من أكابر الوزراء. مات سنة 187 هـ. في ولاية هارون الرشيد وهو الذي يقول فيه بشار: بني أمية هبوا، طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود !.

■ (1) الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة، أبو العباس، واسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، وجاء ذكر أبيه في شيء من أخباره مع أبي جعفر، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم، فكان في نفسه منهم إحن وشحناء، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب: من أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان

■ (4) يعقوب بن داود بن عمر (أو بن طهمان) السلمي بالولاء، أبو عبد الله: كاتب، من أكابر الوزراء. كان يكتب لإبراهيم ابن عبد الله بن الحسن المثنى. وخرج إبراهيم على المنصور العباسي بالبصرة، فظفر به المنصور وقتله سنة 145 وحبس يعقوب.ثم أطلق بعد وفاة المنصور، فتقرب من المهدي وعلت منزلته عنده، حتى صدر مرسوم إلى الدواوين يقول: إن أمير المؤمنين المهدي قد آخى يعقوب بن داود واستوزره سنة 163 فغلب على الأمور كلها، وقصدته الشعراء بالمدائح، وكثر حساده، وتتابعت الوشايات فيه. وسقط عن برذون، فانكسر ساقه، فعاده المهدي في اليوم الثاني. وانتهز الوشاة فرصة غيابه عن العمل، فذكروا للمهدي صلته الأولى بالعلويين، فيقال إنه أراد اختباره، فطلب منه أن يريحه من شخص سماه له، من العلويين، فاكتفى يعقوب بأن وكل أحد رجاله بالعلوي وأعطاه مالا، وأوعز إليه بالرحيل والاختفاء، وبعد مدة سأله المهدي عنه، فقال: مات. وعرف المهدي أنه كذب عليه، فانفجر سخطه،وعزله سنة 167هـ وأمر بحبسه في المطبق وصادر أمواله. ومكث في الحبس إلى أن مضت خمس سنوات وشهور من ولاية هارون الرشيد فأخرج سنة 175هـ وقد ذهب بصره، ورد عليه الرشيد ماله، وخيره في الإقامة حيث يريد، فاختار مكة، فأذن له، فأقام بها إلى أن مات 187 هـ. وهو الذي يقول فيه بشار: بني أمية هبوا، طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود !.

■ (3) العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان من رجالات بني هاشم وولي إمرة الجزيرة في أيام الرشيد، ولد سنة 121 هـ أو 122 هـ أو سنة 118 هـ وأمه أم ولد وذكر أبو محمد بن حزم أنه ولد سنة 120 هـ قبل موت أبيه بعامين وكان أصغر ولد أبيه. قال علي بن حرب قدم العباس بن محمد دمشق واليا عليها وعلى الشام كلها سنة 140 هـ فولى ابن الأشعث الأردن. ومات العباس سنة 186 هـ وكان يتولى الجزيرة وأهله يتهمون فيه الرشيد ويزعمون أنه سمه وأنه سقى بطنه فمات في هذه العلة.

☪

عن عبد الله بن ياسين قال: كان في المهدي غزل، وشدة حب للخلوة بالنساء، فبلغه عن ابنة لأبي عبيد الله كاتبه، جمال، فقال للخيزران: استزيريها، فزارتها، وجاءت إليها، فقالت لها: هل لك في الحمام؟ قالت: نعم، فلما دخلت الحمام، وافاها المهدي، فبرزت له، ولم تستتر عنه، فقال لها المهدي: إنا وليك فزوجيني نفسك، فقالت: أنا أمتك، فتزوجها ونال منها، فلما انصرفت أخبرت أخوتها بما كان، فقالوا: أمسكي عنه، فلما كان بعد مدة، قالوا لها: استزيري الخيزران، فاستزارتها، فلما صارت إليها قالت: هل لك في الحمام؟ قالت: نعم، فلما دخلتا معا ما شعرت الخيزران إلا ببني أبي عبيد الله قد عمدوا عليها فاستترت عنهم، فقالوا: لو أردنا أن نفعل كما فعلتم بحرمتنا لفعلنا، ولكنا لا نستحل، فقالت لهم: والله لو رمتم ذلك لأمرت الخدم بقتلكم، فانصرفوا، فلما رجعت الخيزران، أخبرت المهدي بذلك، فكان السبب في قتل المهدي محمد بن أبي عبيد الله على الزندقة [المحاسن والأضداد].

☪

قال أبو عبيد الله: جاء قوم إلى المهدي يتظلمون من عباد الوصيف، فأغلظ لهم المهدي، فخرج شيخ وهو يقول: ليسمع المهدي ومن حضر، اللهم لا صبر لنا على أناتك، وأتينا هذا وأيسنا من عزل عباد، فاعزله أنت عنا يا أرحم الراحمين. قال: فمات عباد من ليلته. وصف رجل أبا عبيد الله كاتب المهدي فقال: ما رأيت أوفر من حلمه، ولا أطيش من قلمه. أبلى أبو عبيد الله مصليين وأشرع في الثالث – أو ثلاثة وأشرع في الرابع – موضع الركبتين والوجه والقدمين لكثرة صلاته؛ وكان له كل يوم كر دقيق يتصدق به على المساكين وكان يلي ذلك مولى له، فاشتد الغلاء فقال له: قد غلا السعر، فلو نقصنا من هذا. فقال: أنت شيطان – أو رسول شيطان – صيره كرين، فكان له في كل يوم كران يخبزان للمساكين. ويوم مات امتلأ الجسور، فلما يعبر عليها إلا من تبع جنازته من مواليه واليتامى والأرامل والمساكين. وبعث أبو عبيد الله إلى عبد الله بن مصعب، يعني ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير، في أول ما صحب أمير المؤمنين المهدي، بألفي دينار صلة، وعشرين ثوبا، فلم يقبلها. وكتب إليه: أن لو كان قابلا من سوى الخليفة قبلها، وكتب إليه: أصلحك الله وأمتع بك، ما لسببك ومناحتك آخيناك، ولا لاستقلال ما بعثت به والسخط له كان ردنا إياه عليك، ولكنا آخيناك وودناك وشكرناك لفضلك ونبلك، وقسم الله لك في رأيك ومعرفتك ورعايتك حق ذوي الحقوق؛ ولقد أصبحت عندنا بالمنزل الذي لا يزيدك فيه صلة وصلتنا بها، ولا يضرك ردناها.

☪

الأشاعرة (قبيلة): بنو أشعر او اشعرن او الأشاعرة قبيلة كهلانية سبئية قديمة تنتسب إلى بنو أشعر واسمه نبت بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ذكرت في نقوش المسند وكانت تقطن في اب في مملكة حمير. هناك اختلاف في نسب الأشاعرة فبعض الاخباريون ينسبون قبيلة الأشاعرة إلى كهلان بن سبأ واخرون إلى حمير بن سبأ [..] قال محمد الخضري بك في كتابة الدولة الأموية: الأشعريين هم قبيلة سبئية تنسب إلى الأشعر بن أدر من كهلان بن سبأ وينسب إليها الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري وعمه الصحابي أبو عامر الأشعري. [..] والأشعرية نسبة إلى إمامها ومؤسسها أبي الحسن الأشعري، الذي ينتهي نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشعري، هي مدرسة إسلامية سنية، اتبع منهاجها في العقيدة عدد كبير من فقهاء أهل السنة والحديث [..][الموسوعة الحرة]

عن أبي موسى قال:﴿قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ﴾ وعن أبى موسى قال: ﴿أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى رَهْطٍ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ نَسْتَحْمِلُهُ فَقَالَ: وَاللهِ لاَ أَحْمِلُكُمْ وَمَا عِنْدِى مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ. قَالَ: فَلَبِثْنَا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أُتِىَ بِإِبِلٍ فَأَمَرَ لَنَا بِثَلاَثِ ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرَى فَلَمَّا انْطَلَقْنَا قُلْنَا – أَوْ قَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ – لاَ يُبَارِكُ اللهُ لَنَا أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسْتَحْمِلُهُ فَحَلَفَ أَنْ لاَ يَحْمِلَنَا ثُمَّ حَمَلَنَا. فَأَتَوْهُ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: مَا أَنَا حَمَلْتُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَمَلَكُمْ وَإِنِّى وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ أَرَى خَيْرًا مِنْهَا إِلاَّ كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِى وَأَتَيْتُ الَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾.

---

*(الذرى) جمع الذروة وهى أعلى الشيء والمراد السنام (الذود) من الإبل ما بين الثنتين إلى التسع وقيل ما بين الثلاث إلى العشر

مراجع: الأعلام للزركلي/مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ تاريخ الطبري/ المحاسن والأضداد/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ صحيح مسلم/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/

◆ إبراهيم بن صالح بن علي العباسي، (أمير الشام للمهدي، ثم أمير مصر للرشيد) وعباد الخواص 0701

قال أحمد بن أبي الحواري: حدثني أخي محمد قال: دخل عباد الخواص[1] على إبراهيم بن صالح[2]، وهو أمير فلسطين، فقال إبراهيم: عظني. قال: بلغني أن الأعمال من الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى، فانظر ماذا يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك. فبكى إبراهيم. قيل: مات بمصر في شعبان سنة ست وسبعين ومائة. أرخه ابن يونس.

----

(1) أبو عبيدة الخواص واسمه عباد بن عباد وقد اشتهر بأبي عبيدة الساحلي و إنما هو أبو عتبة كذلك ذكره البخاري وغيره

(2) إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي، أمير الشام للمهدي، ثم أمير مصر للرشيد، وزوجه بأخته عباسة، وهو أخو عبد الملك. وولاه مصر، وبها مات سنة 176 هـ. وله عدة إخوة أمراء، سادة، قادة، قل أن يتفق إخوة مثلهم في الجلالة والسؤدد، وهم: إسماعيل، وعبد الوهاب، وعبد الله، وعبد الملك، والفضل.

يروى أن إبراهيم بن المهدي قال: تأخر جبريل بن بختيشوع[1] عن الرشيد فشتمه، فقال: تشاغلت بإبراهيم بن صالح لأنه يموت. فبكى وجزع ولم يأكل. فقال له جعفر البرمكي[2]: جبريل أعلم بطب الروم، وابن بهلة[3] أعلم بطب الهند. قال: فبعث الرشيد بابن بهلة إلى إبراهيم، فرجع وحلف له إنه لا يموت في علته. فأكل الرشيد وسكن، فلما أمسوا جاءه الموت فبكى، وقال: ابن عمي في الموت وأنا آكل وأتمتع، ثم تقيأ ما أكل. وبكر لحضور الجنازة إلى دار إبراهيم. فأتاه ابن بهلة فقال: الله الله يا أمير المؤمنين أن تطلق نسائي وتعتق أرقائي، ابن عمك لم يمت فقام الرشيد معه، فنخسه ابن بهلة بمسلة تحت ظفره، فحرك يده. ثم أمر بنزع الكفن عنه، ثم دعا بمنفخة وكندس، فنفخ في أنفه، فعطس وفتح عينيه، فرأى الرشيد فأخذ يده فقبلها. فقال: كيف حالك؟ فقال: قد كنت في ألذ نومة، فعض شيء إصبعي فآلمني. قال: ثم عوفي من علته وزوجه بعباسة أخته، وولاه إمرة مصر وبها مات. فكانوا يقولون: رجل توفي ببغداد ودفن بمصر، من هو.

كتب بن عباد الخواص إلى إخوانه يعظهم: إنكم في زمان قد رق فيه الورع وقل فيه الخشوع، وحمل العلم مفسدوه فأحبوا أن يعرفوا بحمله، وكرهوا أن يعرفوا بإضاعة العمل به، فنطقوا فيه بالهوى ليزينوا ما دخلوا فيه من الخطر، فذنوبهم ذنوب لا يستغفر منها، وتقصيرهم تقصير لا يعترف به. أحبوا الدنيا وكرهوا منزلة أهلها فشاركوهم في العيش وزايلوهم بالقول.. وكتب سفيان إلى عباد الخواص: إنك إن اتقيت الله، كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئا، فعليك بتقوى الله، ولزوم العزلة، واشتغل بنفسك عن غيرك، واستأنس بكتاب الله، وتفقد دينك وورعك وأصلح قلبك ونيتك، وأحب المساكين، وأمر بالخير في رفق، فإن قبل منك حمدت الله وإن لا أقبلت على نفسك، لم تمتهنها لغيرك.

قال عبد الأعلى بن سليمان: رأيت أبا عبيدة الخواص على سرته خرقة، وعلى رقبته خرقة وهو يمشي في طريق البصرة. وهو يقول واشوقاه إلى من يراني ولا أراه.

خطبة عباد بن عباد الخواص الشامي أبي عتبة: أخبرنا عبد الملك بن سليمان أبو عبد الرحمن الأنطاكي عن عباد بن عباد الخواص الشامي أبي عتبة قال: أما بعد، اعقلوا والعقل نعمة، فرب ذي عقل قد شغل قلبه بالتعمق عما هو عليه ضرر، عن الانتفاع بما يحتاج إليه، حتى صار عن ذلك ساهيا. ومن فضل عقل المرء ترك النظر فيما لا نظر فيه، حتى لا يكون فضل عقله وبالا عليه في ترك منافسة من هو دونه في الأعمال الصالحة، أو رجل شغل قلبه ببدعة قلد فيها دينه رجالا دون أصحاب رسول الله صلى اللهم عليه وسلم، أو اكتفى برأيه فيما لا يرى الهدى إلا فيها ولا يرى الضلالة إلا بتركها، يزعم أنه أخذها من القرآن وهو يدعو إلى فراق القرآن، أفما كان للقرآن حملة قبله وقبل أصحابه يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه، وكانوا منه على منار كوضح الطريق، فكان القرآن إمام رسول الله وكان رسول الله صلى اللهم عليه وسلم إماما لأصحابه وكان أصحابه أئمة لمن بعدهم، رجال معروفون منسوبون في البلدان، متفقون في الرد على أصحاب الأهواء مع ما كان بينهم من الاختلاف، وتسكع أصحاب الأهواء برأيهم في سبل مختلفة جائرة عن القصد مفارقة للصراط المستقيم، فتوهت بهم أدلاؤهم في مهامه مضلة، فأمعنوا فيها متعسفين في تيههم، كلما أحدث لهم الشيطان بدعة في ضلالتهم انتقلوا منها إلى غيرها، لأنهم لم يطلبوا أثر السالفين ولم يقتدوا بالمهاجرين. وقد ذكر عن عمر أنه قال لزياد: هل تدري ما يهدم الإسلام؟ زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون، اتقوا الله وما حدث في قرائكم وأهل مساجدكم من الغيبة والنميمة والمشي بين الناس بوجهين ولسانين، وقد ذكر أن من كان ذا وجهين في الدنيا كان ذا وجهين في النار، يلقاك صاحب الغيبة فيغتاب عندك من يرى أنك تحب غيبته ويخالفك إلى صاحبك فيأتيه عنك بمثله، فإذا هو قد أصاب عند كل واحد منكما حاجته وخفي على كل واحد منكما ما أتي به عند صاحبه، حضوره عند من حضره حضور الإخوان وغيبته على من غاب عنه غيبة الأعداء، من حضر منهم كانت له الأثرة ومن غاب منهم لم تكن له حرمة، يفتن من حضره بالتزكية ويغتاب من غاب عنه بالغيبة، فيا لعباد الله أما في القوم من رشيد ولا مصلح؟ يقمع هذا عن مكيدته ويرده عن عرض أخيه المسلم، بل عرف هواهم فيما مشى به إليهم فاستمكن منهم وأمكنوه من حاجته، فأكل بدينه مع أديانهم. فالله الله ذبوا عن حرم أغيابكم وكفوا ألسنتكم عنهم إلا من خير، وناصحوا الله في أمتكم إذ كنتم حملة الكتاب والسنة، فإن الكتاب لا ينطق حتى ينطق به، وإن السنة لا تعمل حتى يعمل بها. فمتى يتعلم الجاهل إذا سكت العالم فلم ينكر ما ظهر ولم يأمر بما ترك؟ وقد ﴿أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران]. اتقوا الله فإنكم في زمان رق فيه الورع وقل فيه الخشوع وحمل العلم مفسدوه، فأحبوا أن يعرفوا بحمله، وكرهوا أن يعرفوا بإضاعته، فنطقوا فيه بالهوى لما أدخلوا فيه من الخطإ، وحرفوا الكلم عما تركوا من الحق إلى ما عملوا به من باطل، فذنوبهم ذنوب لا يستغفر منها، وتقصيرهم تقصير لا يعترف به، كيف يهتدي المستدل المسترشد إذا كان الدليل حائرا؟ أحبوا الدنيا وكرهوا منزلة أهلها فشاركوهم في العيش وزايلوهم بالقول، ودافعوا بالقول عن أنفسهم أن ينسبوا إلى عملهم، فلم يتبرءوا مما انتفوا منه ولم يدخلوا فيما نسبوا إليه أنفسهم، لأن العامل بالحق متكلم وإن سكت، وقد ذكر أن الله تعالى يقول إني لست كل كلام الحكيم أتقبل ولكني أنظر إلى همه وهواه، فإن كان همه وهواه لي جعلت صمته حمدا ووقارا لي وإن لم يتكلم، وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة] كتبا، وقال: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة] قال العمل بما فيه، ولا تكتفوا من السنة بانتحالها بالقول دون العمل بها، فإن انتحال السنة دون العمل بها كذب بالقول مع إضاعة العمل، ولا تعيبوا بالبدع تزينا بعيبها، فإن فساد أهل البدع ليس بزائد في صلاحكم، ولا تعيبوها بغيا على أهلها، فإن البغي من فساد أنفسكم، وليس ينبغي للطبيب أن يداوي المرضى بما يبرئهم ويمرضه، فإنه إذا مرض اشتغل بمرضه عن مداواتهم، ولكن ينبغي أن يلتمس لنفسه الصحة ليقوى به على علاج المرضى. فليكن أمركم فيما تنكرون على إخوانكم نظرا منكم لأنفسكم ونصيحة منكم لربكم وشفقة منكم على إخوانكم، وأن تكونوا مع ذلك بعيوب أنفسكم أعنى منكم بعيوب غيركم، وأن يستطعم بعضكم بعضا النصيحة، وأن يحظى عندكم من بذلها لكم وقبلها منكم، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رحم الله من أهدى إلي عيوبي. تحبون أن تقولوا فيحتمل لكم، وإن قيل لكم مثل الذي قلتم غضبتم، تجدون على الناس فيما تنكرون من أمورهم، وتأتون مثل ذلك فلا تحبون أن يوجد عليكم، اتهموا رأيكم ورأي أهل زمانكم وتثبتوا قبل أن تكلموا، وتعلموا قبل أن تعملوا، فإنه يأتي زمان يشتبه فيه الحق والباطل ويكون المعروف فيه منكرا والمنكر فيه معروفا، فكم من متقرب إلى الله بما يباعده ومتحبب إليه بما يغضبه عليه، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر] الآية.. فعليكم بالوقوف عند الشبهات حتى يبرز لكم واضح الحق بالبينة، فإن الداخل فيما لا يعلم بغير علم آثم، ومن نظر لله نظر الله له، عليكم بالقرآن فأتموا به وأموا به، وعليكم بطلب أثر الماضين فيه. ولو أن الأحبار والرهبان لم يتقوا زوال مراتبهم وفساد منزلتهم بإقامة الكتاب وتبيانه ما حرفوه ولا كتموه، ولكنهم لما خالفوا الكتاب بأعمالهم التمسوا أن يخدعوا قومهم عما صنعوا، مخافة أن تفسد منازلهم وأن يتبين للناس فسادهم، فحرفوا الكتاب بالتفسير، وما لم يستطيعوا تحريفه كتموه، فسكتوا عن صنيع أنفسهم إبقاء على منازلهم، وسكتوا عما صنع قومهم مصانعة لهم، وقد ﴿أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران] بل مالئوا عليه ورققوا لهم فيه.

----

(1) جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس: طبيب هارون الرشيد وجليسه وخليله. يقال إن منزلته مازالت تقوى عند الرشيد حتى قال لاصحابه: من كانت له حاجة إلي فليخاطب بها جبرئيل فاني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني. فكان القواد يقصدونه في كل أمورهم. ولما توفي الرشيد خدم الامين، فلما ولي المأمون سجنه ثم أطلقه وأعاده إلى مكانته عند أبيه الرشيد، فلم يزل إلى أن توفي ودفن في دير مار جرجس بالمدائن.سنة 213 هـ

(3) صالح بن بهلة الهندي متميز من علماء الهند، وكان خبيرا بالمعالجات التي لهم، وله قوة وإنذارات في تقدمة المعرفة، وكان بالعراق في أيام الرشيد هارون.

(2) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماش بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

مراجع: موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/

◆ أبو محمد موسى الهادي بن محمد امهدي بن المنصور العباسي (رابع ملوك الدولة العباسية) وعلي بن الحسين 0702

ذكر عمر بن شبة: أن كان علي[1] بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قد تزوج رقية بنت عمرو العثمانية[2] -وكانت قبله تحت المهدي- فبلغ ذلك موسى الهادي[3] في أول خلافته، فأرسل إليه، وحمل إليه، فجهله وقال له: أعياك النساء إلا امرأة أمير المؤمنين؟ فقال: ما حرم الله على خلقه إلا نساء جدي صلى الله عليه وسلم، فأما غيرهن فلا ولا كرامة. فشجه بمحضرة (مخصرة)* كانت في يده، وأمر بضربه خمسمائة سوط، فضرب، وأراده أن يطلقها فلم يفعل، وكان قد غشي عليه من الضرب، فحمل من بين يديه في نطع فألقى ناحية؛ وكان في يده خاتم نفيس (سري)، فرآه بعض الخدم وقد غشي عليه من الضرب، فأهوى إلى الخاتم، فقبض على يد الخادم فدقها، فصاح؛ وأتي موسى الهادي، فأراه يده، فاستشاط وقال: يفعل هذا بخادمي، مع استخفافه بأبي، وقوله لي! وبعث إليه: ما حملك على ما فعلت؟ قال: قل له وسله، واستحلفه أن يصدقك؛ ففعل. فأخبره الخادم وصدقه، فقال: أحسن الله، أشهد أنه ابن عمي، ولو لم يفعل ذلك لانتفيت منه. وأمر بإطلاقه.

----

* (المحضرة) الدرة تضرب بها الدابة [في المحكم والمحيط الأعظم]. والمخصرة: ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه، من عصاء أو عنزة أو عكازة وما أشبهها [في تهذيب اللغة].

■ (1) الجزري ، علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. قيل: كان يلقب بالجزري، أو الجرزي، تزوج رقية بنت عمرو العثمانية.وكانت قبله تحت المهدي.

■ (2) رقية بنت عمرو بن خالد بن عبد الله بن عمرو، التي تزوجها المهدي أمير المؤمنين محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فولدت غلاماً توفي صغيراً، وفارقها.

■ (3) موسى الهادي بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور يكنى أبا محمد بويع له بعد أبيه وكان بجرجان وقت موت المهدي. ولد الهادي بالري سنة 144 هـ أو 147 هـ توفي سنة 167 هـ أو 170 هـ واختلف في سبب موته وقد بلغ 23 سنة وكانت خلافته سنة وشهرا وبعض آخر.

قال الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب] قوله تعالى: (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) عن معمر عن قتادة أن رجلا قال: لو قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت عائشة، فأنزل، الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب] الآية.ونزلت: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب] وقال ابن عطية: روي أنها نزلت بسبب أن بعض الصحابة قال: لو مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزوجت عائشة، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأذى به، هكذا كني عنه ابن عباس ببعض الصحابة.روى أن رجلا من المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بعد أبي سلمة،وحفصة بعد خنيس بن حذافة: ما بال محمد يتزوج نساءنا!والله لو قد مات لاجلنا السهام على نسائه، فنزلت الآية في هذا، فحرم الله نكاح أزواجه من بعده، وجعل لهن حكم الأمهات.وهذا من خصائصه تمييزا لشرفه وتنبيها على مرتبته صلى الله عليه وسلم. قال الشافعي:وأزواجه صلى الله عليه وسلم اللاتي مات عنهن لا يحل لاحد نكاحهن، ومن استحل ذلك كان كافرا، لقوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الأحزاب] وقد قيل: إنما منع من التزوج بزوجاته لأنهن أزواجه في الجنة، وأن المرأة في الجنة لآخر أزواجها. قال حذيفة لامرأته: إن سرك أن تكوني زوجتي في الجنة إن جمعنا الله فيها فلا تزوجي من بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها.

ذكر صاحب الكردان: أن الهادي كان يوما في بستان يتنزه على حمار، ولا سلاح معه وبحضرته جماعة، من خواصه وأهل بيته، فدخل عليه حاجبه وأخبره أن بالباب بعض الخوارج له بأس ومكايد، وقد ظفر به بعض القواد فأمر الهادي بإدخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه. فلما أبصر الخارجي الهادي جذب يديه من الرجلين واختطف سيف أحدهما وقصد الهادي ففر كل من كان حوله وبقي وحده، وهو ثابت على حماره، حتى إذا دنا منه الخارجي وهم أن يعلوه بالسيف أومأ إلى وراء الخارجي وأوهمه أن غلاما وراءه وقال: يا غلام اضرب عنقه، فظن الخارجي أن غلاما وراءه والتفت الخارجي، فنزل الهادي مسرعا عن حماره فقبض على عنق الخارجي وذبحه بالسيف الذي كان معه، ثم عاد إلى ظهر حماره من فوره، وأتباع الهادي ينظرون إليه ويتسللون عليه وقد ملئوا منه حياء ورعبا، فما عاتبهم ولا خاطبهم في ذلك بكلمة، ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم، ولم يركب إلا جوادا من الخيل. فانظر إلى هذا المقدار في ثبات جأش الملوك، فإنه قل من يفعل ذلك، وهذه مرتبة لم يصل إليها أحد إلا نادرا.

مراجع:الكامل في التاريخ/ مسند أحمد/ تاريخ بغداد/ المحاسن والمساوئ/ ذيل تاريخ بغداد لابن النجار/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ تفسير القرطبي/

قال يحيى بن عبد الصمد: خوصم أمير المؤمنين الهادي إلى القاضي أبي يوسف[1] في بستانه، وكان الحكم في الظاهر للهادي وفي الباطن خلاف ذلك، فقال الهادي للقاضي أبي يوسف: ما صنعت في الأمر الذي نتنازع إليك فيه فقال: خصم أمير المؤمنين يسألني أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق، فقال له الهادي: وترى ذلك قال: فقد كان ابن أبي ليلى[2] يراه، فقال: اردد البستان عليه، وإنما احتال عليه أبو يوسف لعلمه أن الهادي لا يحلف. وفي رواية قال أبو يوسف: وليت هذا الحكم وأرجو الله أن لا يسألني عن جور ولا ميل إلى أحد، إلا يوما واحدا جاءني رجل فذكر أن له بستانا وأنه في يد أمير المؤمنين، فدخلت إلى أمير المؤمنين فأعلمته فقال: البستان لي اشتراه لي المهدي. فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يحضره لا سمع دعواه. فأحضره فادعى بالبستان فقلت: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ فقال: هو بستاني. فقلت للرجل: قد سمعت ما أجاب. فقال الرجل: يحلف، فقلت أتحلف يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا، فقلت سأعرض عليك اليمين ثلاثا فإن حلفت وإلا حكمت عليك يا أمير المؤمنين. فعرضتها عليه ثلاثا فامتنع فحكمت بالبستان للمدعي. قال: فكنت في أثناء الخصومة أود أن ينفصل ولم يمكنني أن أجلس الرجل مع الخليفة.وبعث القاضي أبو يوسف في تسليم البستان إلى الرجل.

وذكر أن موسى الهادي رأي جارية فائقة فى الجمال فاشتراها بمال عظيم وأراد اسقاط الاستبراء وقال الفقهاء: لا بد من الاستبراء أو الاعتاق والتزوج، ولم يحب الهادي التزوج فأحضر أبو يوسف فقال: يزوجها الخليفة من بعض خدمه ثم يقبضها ثم يأمره بالطلاق فيطلقها بعد قبض الخليفة قبل الخلوة فلا يلزمها العدة، فسر به الهادي وأجازه بعشرة آلاف درهم. وحدث المطلب بن عكاشة المزني[3] قال: قدمنا على أبي محمد الهادي شهودا على رجل منا أنه شتم قريشا وتخطى إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، فجلس لنا مجلسا أحضر فيه فقهاء أهل زمانه ومن كان بالحضرة على بابه، وأحضر الرجل وأحضرنا فشهدنا عليه بما سمعنا منه. فتغير وجه الهادي ثم نكس رأسه ثم رفعه ثم قال: إني سمعت أبي المهدي يحدث عن أبيه المنصور، عن أبيه علي بن عبد الله بن عباس قال: ﴿مَنْ أَهَانَ قُرَيْشاً أَهَانَهُ اللَّهُ﴾ وأنت يا عدو الله لم ترض بأن أذيت قريشا حتى تخطيت إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم؟ أضربوا عنقه. فما برحنا حتى قتل. قال سعيد بن سلم الباهلي صلى بنا الهادي صلاة الغداة فقرأ سورة النبأ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُون–فلما بلغ قوله-: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ أرتج عليه فرددها ولم يجسر أحد أن يفتح عليه لهيبته وكان أهيب الناس فعلم ذلك فقرأ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيد﴾ [هود] ففتحنا عليه، وكنا نعد من محاسنه.

ذكر أبو موسى هارون بن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي أن علي بن صالح[4] حدثه أنه كان يوما على رأس الهادي وهو غلام وقد كان جفا المظالم عامة ثلاثة أيام فدخل عليه الحراني[5] فقال له يا أمير المؤمنين: إن العامة لا تنقاد على ما أنت عليه لم تنظر في المظالم منذ ثلاثة أيام فالتفت إلي وقال: يا علي ائذن للناس علي بالجفلى لا بالنقرى فخرجت من عنده أطير على وجهي ثم وقفت فلم أدر ما قال لي فقلت: أراجع أمير المؤمنين فيقول أتحجبني ولا تعلم كلامي؟ ثم أدركني ذهني فبعثت إلى أعرابي كان قد وفد وسألته على الجفلى والنقرى فقال: الجفلى جفالة الرجال والنقرى ينقر خواصهم (ترتيبهم) فأمرت بالستور فرفعت وبالأبواب ففتحت فدخل الناس على بكرة أبيهم فلم يزل ينظر في المظالم إلى الليل، فلما تقوض المجلس مثلت بين يديه فقال: كأنك تريد أن تذكر شيئا يا علي؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين كلمتني بكلام لم أسمعه قبل يومي هذا وخفت مراجعتك فتقول أتحجبني وأنت لم تعلم كلامي، فبعثت إلى أعرابي كان عندنا ففسر لي الكلام فكافئه عني يا أمير المؤمنين قال: نعم مائة ألف درهم تحمل إليه، فقال له: يا أمير المؤمنين إنه أعرابي جلف وفي عشرة آلاف درهم ما أغناه وكفاه، فقال: ويلك يا علي أجود وتبخل؟.

----

*(المحضرة) الدرة تضرب بها الدابة [في المحكم والمحيط الأعظم]. والمخصرة: ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه، من عصا، أو عنزة أو عكازة وما أشبهها [في تهذيب اللغة].

■ (1) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، كان تلميذ أبي حنيفة. وهو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة،حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطأة ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ.

■ (2) أبو عبد الرحمن، محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار. وقيل: داود ابن بلال الأنصاري الكوفي: قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس. واستمر 33 سنة. له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره. مات بالكوفة سنة 148 هـ.

■ (3) المطلب بن عكاشة المزني أو المري ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (4) علي بن صالح، كان حاجب المأمون ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (5) إبراهيم بن دكوان الحراني(لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

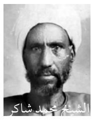
الشيخ محمد شاكر

قال عبد العزيز بن محمد: من العقوبات التي حلت بمن انتقص الرسول صلى الله عليه وسلم ولو تعريضا في هذا الزمان ما ذكره الشيخ أحمد شاكر[1] رحمه الله عن أحد خطباء مصر، وكان فصيحا متكلما مقتدرا وأراد هذا الخطيب أن يمدح أحد أمراء مصر عندما أكرم طه حسين –وهو كاتب اتهم بالكفر والإلحاد–، فقال في خطبته: ﴿جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس] فما عبس بوجهه وما تولى !، فما كان من الشيخ محمد شاكر[2] – والد الشيخ أحمد شاكر – إلا أن قام بعد الصلاة، يعلن للناس أن صلاتهم باطلة، وعليهم إعادتها ؛ لأن الخطيب كفر بما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول أحمد شاكر: ولكن الله لم يدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا، قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى، فأقسم بالله لقد رأيته بعيني رأسي – بعد بضع سنين، وبعد أن كان عاليا منتفخا، مستعزا بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء – رأيته مهينا ذليلا، خادما على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذلة وصغار، حتى لقد خجلت أن يراني، وأنا أعرفه وهو يعرفني، لا شفقة عليه، فما كان موضعا للشفقة، ولا شماتة فيه؛ فالرجل النبيل يسمو على الشماتة، ولكن لما رأيت من عبرة وعظة.

عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ شَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ قُتِلَ، وَمَنْ شَتَمَ أَصْحَابِي جُلِدَ﴾ قال ابن تيمية: إن سب الله أو سب رسوله صلى الله عليه وسلم كفر ظاهراً وباطناً، سواء كان السَّاب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلاً، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده. ويقول ابن راهويه: قد أجمع المسلمون أن من سب الله تبارك وتعالى أو سب رسول الله صلى الله عليه وسلم.. أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بما أنزل الله. قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (57) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب] فرّق الله عزّ وجلّ في الآية بين أذى الله ورسوله، وبين أذى المؤمنين والمؤمنات، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً، وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد، وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل. قال القاضي عياض: لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم. وقال أحمد في رواية عبد الله في رجل قال لرجل: يا بن كذا وكذا –أعني أنت ومن خلقك–: هذا مرتد عن الإسلام تضرب عنقه.وقال ابن قدامة: من سب الله تعالى كفر، سواءً كان مازحاً أو جاداً. فإذا كان مَنْ سب الرب سبحانه أو سب الدين ينتسب للإسلام فإنه يكون مرتداً بذلك عن الإسلام ويكون كافراً يستتاب، فإن تاب وإلا قتل من جهة ولي أمر البلد بواسطة المحكمة الشرعية، وقال بعض أهل العلم: إنه لا يستتاب بل يقتل؛ لأن جريمته عظيمة، لكن الأرجح أن يستتاب لعل الله تعالى يمن عليه بالهداية فيلزم الحق، ولكن ينبغي أن يعزر بالجلد والسجن حتى لا يعود لمثل هذه الجريمة العظيمة، وهكذا لو سب القرآن أو سب الرسول صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأنبياء فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، فإنَّ سب الدين أو سب الرسول صلى الله عليه وسلم أو سب الرب عزّ وجلّ من نواقض الإسلام، وهكذا الاستهزاء بالله أو برسوله صلى الله عليه وسلم أو بالجنة أو بالنار أو بأوامر الله تعالى كالصلاة والزكاة، فالاستهزاء بشيء من هذه الأمور من نواقض الإسلام، قال الله سبحانه وتعالى:﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة] ولا يجوز البقاء بين قوم يسبون الله عزّ وجلّ لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء] وعن ميمون قال: لا تجالسوا أهل القدر، ولا تسبوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ولا تعلموا النجوم. وعن ميمون بن مهران قال: قال لي ابن عباس: يا ميمون، لا تشتم السلف، وادخل الجنة بسلام.

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنِ اتَّقَاهُ النَّاسُ يَعْنِي لِفُحْشِهِ﴾ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يَنْبَغِي لِلصِّدِيقِ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا﴾ أي لا يجوز لصديق بكسر فتشديد أي مبالغ في الصدق والمراد به المؤمن لقوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد] ورواية لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعانا أي كثير اللعن وهو الطرد والمراد به هنا الدعاء بالبعد عن رحمة الله تعالى وإنما أتى بصيغة المبالغة لأن الاحتراز عن قليله نادر الوقوع في المؤمنين، قال ابن الملك وفي صيغة المبالغة إيذان بأن هذا الذم لا يكون لمن يصدر منه اللعن مرة أو مرتين. عن عبد الله بن عمرو رفعه سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأوقفه مسعر، قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ مِنَ الْكَبَائِرِ أَنْ يَشْتِمَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قَالُوا: وَكَيْفَ يَشْتِمُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ﴾ والمسلم لا يجوز أن يكون لعانا، ولا بذيئا، المسلم يجب أن يكون مؤدبا، ويتكلم بالكلام الطيب ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة] ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت] عن أم المؤمنين عائشة قالت: ﴿دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ. فَقَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْلاً يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ. قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ﴾ (السام) الموت. وهكذا ينبغي للمسلم أنه يحفظ لسانه عن القول البذيء، وحتى البهائم والدواب والمساكن لا يجوز لعنها، فقد لعنت امرأة ناقة لها وهي تسير مع النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ ما على الناقة وتركها تمشي، لا يتعرض لها أحد، نسأل الله العافية.

■ (1) محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، من أسرة أبي علياء: قاض مصري، من الكتاب. ولد بجرجا، وتعلم بالأزهر، وعين (قاضي قضاة) في السودان، أربعة أعوام، فشيخا لعلماء الإسكندرية سنة 1332 هـ فوكيلا للأزهر.وكان من أعضاء هيئة كبار العلماء، ومن أعضاء الجمعية التشريعية سنة 1331هـ وناصر الحركة الوطنية في أيام سعد زغلول. وكتب مقالات كثيرة في الشؤون السياسية المصرية. وتوفي بالقاهرة سنة 1358 هـ

■ (2) أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، من آل أبي علياء، يرفع نسبه إلى الحسين بن علي: عالم بالحديث والتفسير، مصري. مولده ووفاته في القاهرة. وأبواه من بلاد جرجا بصعيد مصر. سماه أبوه أحمد، شمس الأئمة أبا الاشبال ! واصطحبه معه حين ولي القضاء في السودان سنة 1900 فأدخله في كلية غوردون وانتقل، وهو معه إلى الإسكندرية فألحقه بمعهدها سنة 1904 ثم إلى القاهرة، وألحقه بالأزهر ففاز بشهادة العالمية سنة 1917 وعين في بعض الوظائف القضائية. ثم كان قاضيا إلى سنة 1951 ورئيسا للمحكمة الشرعية العليا وأحيل إلى المعاش فانقطع للتأليف والنشر إلى أن توفي سنة 1377 هـ

مراجع:الكامل في التاريخ/ مسند أحمد/ تاريخ بغداد/ المحاسن والمساوئ/ ذيل تاريخ بغداد لابن النجار/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ التذكرة الحمدونية/ نثر الدر/ الأعلام للزركلي/ مجلة البيان/ البداية والنهاية/ الجواهر المضيه فى طبقات الحنفية/

ذكر يحيى بن الحسن أن الهادي نابذ أمه ونافرها؛ لما صارت إليه الخلافة، فصارت خالصة إليه يوما، فقالت: إن أمك تستكسيك، فأمر لها بخزانة مملوءة كسوة. قال: ووجد للخيزران في منزلها من قراقر الوشي* ثمانية عشر ألف قرقر. قال: وكانت الخيزران[1] في أول خلافة موسى تفتات عليه في أموره، وتسلك به مسلك أبيه من قبله في الاستبداد بالأمر والنهي، فأرسل إليها ألا تخرجي من خفر الكفاية إلى بذاذة التبذل*؛ فإنه ليس من قدر النساء الاعتراض في أمر الملك؛ وعليك بصلاتك وتسبيحك وتبتلك؛ ولك بعد هذا طاعة مثلك فيما يجب لك. قال: وكانت الخيزران في خلافة موسى كثيرا ما تكلمه في الحوائج؛ فكان يجيبها إلى كل ما تسأله حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته، وانثال* الناس عليها، وطمعوا فيها؛ فكانت المواكب تغدو إلى بابها؛ قال: فكلمته يوما في أمر لم يجد إلى إجابتها إليه سبيلا، فاعتل بعلة، فقالت: لا بد من إجابتي، قال: لا أفعل، قالت: فإني قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك[2]. قال: فغضب موسى وقال: ويل على بن الفاعلة! قد علمت أنه صاحبها؛ والله لا قضيتها لك، قالت: إذا والله لا سألتك حاجة أبدا، قال: إذا والله لا أبالي. وحمي وغضب. فقامت مغضبة، فقال: مكانك تستوعي كلامي والله، وإلا فأنا نفي من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو أحد من خاصتي أو خدمي لأضربن عنقه؛ ولأقبضن ماله؛ فمن شاء فليلزم ذلك. ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كل يوم! أما لك مغزل يشغلك، أو مصحف يذكرك، أو بيت يصونك! إياك ثم إياك؛ ما فتحت بابك لملي أو لذمي. فانصرفت ما تعقل ما تطأ؛ فلم تنطق عنده بحلوة ولا مرة بعدها.وعن سعيد بن سالم قال: قال الهادي لأمه الخيزران حين ولي الخلافة:إن الأمر والنهي لا يبلغه قدر النساء، فلا يخرجن من خفر الكفاية إلى بذلة التدبير*، اختمري بخمرتك، وعليك بسبحتك، ولا أعلمنك تعديت ذلك إلى تكليف يعزلك، وتعنيف يلزمك، ولك علي بعد ذلك الطاعة التي أوجبها الله في غير كفر ولا مأثم. وقيل: اعتلت أمه الخيزران، فأراد الركوب إليها، فقال عمر بن بزيع[3] ألا أدلك على ما هو انفع من عيادتها، وأجلب لعافيتها؟ قال: بلى. قال: تجلس للمظالم، فقد احتاج الناس إلى ذلك، فرجع وجلس ووجه إليها:إني أردتك اليوم، فعرض من حق الله ما هو أوجب، فملت إليه، وأنا أجيئك في غد إن شاء الله. قال يحيى بن الحسن: وحدثني أبي، قال: سمعت خالصة تقول للعباس بن الفضل بن الربيع[4]: بعث موسى إلى أمه الخيزران بأرزة، وقال: استطبتها فأكلت منها، فكلي منها. قالت خالصة: فقلت لها: أمسكي حتى تنظري؛ فإني أخاف أن يكون فيها شيء تكرهينه، فجاءوا بكلب فأكل منها، فتساقط لحمه؛ فأرسل إليها بعد ذلك: كيف رأيت الأرزة؟ فقالت: وجدتها طيبة، فقال: لم تأكلي؛ ولو أكلت لكنت استرحت منك، متى أفلح خليفة له أم! قال وحدثني بعض الهاشميين، أن سبب موت الهادي كان أنه لما جد في خلع هارون والبيعة لابنه جعفر، وخافت الخيزران على هارون منه، دست إليه من جواريها لما مرض من قتله بالغم والجلوس على وجهه، ووجهت إلى يحيى بن خالد[5]:إن الرجل قد توفي، فاجدد في أمرك ولا تقصر وذكر محمد بن عبد الرحمن بن بشار أن الفضل بن سعيد حدثه، عن أبيه، قال: كان يتصل بموسى وصول القواد إلى أمه الخيزران، يؤملون بكلامها في قضاء حوائجهم عنده، قال: وكانت تريد أن تغلب على أمره كما غلبت على أمر المهدي؛ فكان يمنعها من ذلك ويقول: ما للنساء والكلام في أمر الرجال! فلما كثر عليه مصير من يصير إليها من قواده، قال يوما وقد جمعهم: أيما خير؟ أنا أو أنتم؟ قالوا: بل أنت يا أمير المؤمنين؛ قال: فأيما خير؛ أمي أو أمهاتكم؟ قالوا: بل أمك يا أمير المؤمنين، قال: فأيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه، فيقولوا: فعلت أم فلان، وصنعت أم فلان، وقالت أم فلان؟ قالوا: ما أحد منا يحب ذلك، قال: فما بال الرجال يأتون أمي فيتحدثون بحديثها! فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها البتة، فشق ذلك عليها فاعتزلته، وحلفت ألا تكلمه؛ فما دخلت عليه حتى حضرته الوفاة.

----

*(من خفر الكفاية إلى بذلة التدبير) في رواية: من خفر الكفاية إلى بذاذة التبذل (البذاذة) رثاثة الهيئة (التبذل) ترك التصاون (القرقر) من لباس النساء شبهت بشرة الوجه به والقراري الخياط (الوشي) نقش الثوب ويكون من كل لون ونوع من الثياب الموشية (انثال عليه الناس) أي اجتمعوا وانصبوا من كل وجه

■ (1) الخيزران بنت عطاء زوجة المهدي وأم ولده. جرشية. تزوج المهدي الخيزران، فولدت له الهادي والرشيد، ولم تلد امرأة خليفتين غيرها، غير ولادة أم الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان. توفيت الخيزران ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادي الآخرة سنة 173هـ. وقد روي عن الخيزران عن المهدي حديث مسند

■ (3) عمر بن بزيع، الكاتب كان يخلف الربيع بن يونس في وزارته للهادي، فلما مات الربيع بقى عمر هذا في نيابة الوزارة إلى أن مات الهادي.

■ (2) عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي.كان قائدا عسكريا وحاكما في الدولة العباسية وصاحب الشرط للمهدي والهادي، ثم أقره هارون ثم عزله، توفي سنة 212 هـ وهو ابن مالك بن الهيثم الخزاعي الذي كان من أهم قادة الحركة العباسية في خراسان والثورة التي أطاحت الأمويين.

■ (5) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (4) العباس بن الفضل بن الربيع بن يونس مولى المنصور. من كبار الأمراء، ولي حجابة الأمين، وكان من الشعراء والفصحاء. توفي في حياة أبيه. سنة 193 هـ

☪

قال ابن المقفع للرجل: إياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن. واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن، فإن شدة الحجاب، خير لك من الارتياب. وليس خروجهن بأشد من دخول من لا تثق به عليهن، فإن استطعت ألا يعرفن عليك فافعل. ولا تملكن امرأة ما جاوز نفسها، فإن ذلك أنعم لحالها وأرخى لبالها؛ وأدوم لجمالها، وإنما المرأة ريحانة وليست بـ قهرمانة*، فلا تعد بكرامتها نفسها، ولا تعطها أن تشفع عندك لغيرها. ولا تطل الخلوة مع النساء فيمللنك ويمللن؛ واستبق من نفسك بقية، فإن إمساكك عنهن وهن يردنك باقتدار، خير من أن يهجمن عليك على انكسار. وإياك والتغاير في غير موضع غيرة، فإن يدعو الصحيحة منهن إلى السقم. قيل: النساء عي (أي جاهلات) حمقاوات وعورة، فداووا عيهن بالسكوت، وعوراتهن بالبيوت.وقيل: شاوروهن وخالفوهن، وقيل أكثروا لهن من لا فإن نعم تغريهن بالمسألة. وقيل مات لعبد الملك ابن، فجاء الوليد فعزاه، فقال: يا بني، مصيبتي فيك أعظم من مصيبتي بأخيك، متى رأيت ابنا عزى أباه؟ قال: يا أمير المؤمنين، أمي أمرتني بذلك. قال: هو من مشورة النساء. كان يقال: ما من قوم تمالئوا على أمرهم، ثم شاوروا امرأة إلا تبر الله أمرهم. قال صلى الله عليه وسلم: ﴿لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً﴾ (ولوا أمرهم امرأة) جعلوا لها ولاية عامة من رئاسة أو وزارة أو إدارة أو قضاء، رواه البخاري. هذا الحديث واضح الدلالة على أن المرأة ليست من أهل الولاية العامة بل في ذكر النسائي له في كتاب القضاء دلالة على أنها ليست أهلا لما دون ذلك وهو القضاء. وقال الماوردي والفراء عن وزارة التنفيذ: لا يجوز أن تقوم بذلك امرأة وإن كان خبرها مقبولا لما تضمنه معنى الولايات المصروفة عن النساء لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ﴾ ولأن فيها من طلب الرأي وثبات العزم ما تضعف عنه النساء ومن الظهور في مباشرة الأمور ما هو عليهن محظور. قال الحسين البغوي: اتفقوا على أن المرأة لا تصلح أن تكون إماما ولا قاضيا لأن الإمام يحتاج إلى الخروج لإقامة أمر الجهاد والقيام بأمور المسلمين والقاضي يحتاج إلى البروز لفصل الخصومات والمرأة عورة لا تصلح للبروز وتعجز لضعفها عن القيام بأكثر الأمور ولأن المرأة ناقصة والإمامة والقضاء من كمال الولايات فلا يصلح لها إلا الكامل من الرجال. وقال محمد بن إسماعيل الصنعاني: فيه دليل على أن المرأة ليست من أهل الولايات ولا يحل لقومها توليتها لأن تجنب الأمر الموجب لعدم الفلاح واجب. وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: وقد حرص الإسلام على أن يبعد المرأة عن جميع ما يخالف طبيعتها، فمنعها من تولي الولاية العامة كرئاسة الدولة والقضاء وجميع ما فيه مسؤوليات عامة، لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً﴾ فتبين لنا من هذا الحديث: أن مناط عدم الفلاح هو الأنوثة وهو نص في منع المرأة من تولي أي من الولايات العامة وكونها وزيرة إنما هو من الولايات العامة. قال الماوردي: فلما منعها نقص الأنوثة من إمامة الصلوات مع جواز إمامة الفاسق كان المنع من القضاء الذي لا يصح من الفاسق أولى. وقال الدكتور محمد البهي: قد تولت المرأة في العشر سنوات الماضية في بعض دول آسيا وأمريكا اللاتينية في الهند وسيلان والأرجنتين: الرياسة الكبرى وخرجت كل واحدة منهن من ولايتها العامة بضياع كل الثقة تماما التي أولتها هذه الولاية وبرصيد كبير من الانحرافات في الحكم تعطي الدليل الواضح على تقلب المرأة وسرعتها في الاستجابة العاطفية للمؤثرات وعدم الاطمئنان إلى فصلها في الأمور بروح التجرد أو بروح التأني والروية.

☪

ذكر الموصلي عن محمد بن يحيى، قال: عزم الهادي بعد كلام أبي له على خلع الرشيد، وحمله عليه جماعة من مواليه وقواده؛ وأجابه إلى الخلع أو لم يجبه، واشتد غضبه منه، وضيق عليه. وقال يحيى لهارون: استأذنه في الخروج إلى الصيد، فإذا خرجت فاستبعد ودافع الأيام، فرفع هارون رقعة يستأذن فيها، فأذن له؛ فمضى إلى قصر مقاتل، فأقام به أربعين يوما حتى أنكر الهادي أمره وغمه احتباسه، وجعل يكتب إليه ويصرفه، فتعلل عليه حتى تفاقم الأمر، وأظهر شتمه، وبسط مواليه وقواده ألسنتهم فيه؛ والفضل بن يحيى إذ ذاك خليفة أبيه، والرشيد بالباب، فكان يكتب إليه بذلك، وانصرف وطال الأمر. قال الكرماني: فحدثني يزيد مولى يحيى بن خالد، قال: بعثت الخيزران عاتكة -ظئرا* كان لهارون- إلى يحيى، فشقت جيبها بين يديه، وتبكي إليه وتقول له: قالت لك السيدة: الله الله في ابني لا تقتله، ودعه يجيب أخاه إلى ما يسأله ويريده منه، فبقاؤه أحب إلي من الدنيا بجمع ما فيها. قال: فصاح بها وقال لها: وما أنت وهذا! إن يكن ما تقولين فإني وولدي وأهلي سنقتل قبله، فإن اتهمت عليه فلست بمتهم على نفسي ولا عليهم. قال: ولما لم ير الهادي يحيى بن خالد يرجع عما كان عليه لهارون بما بذل له من إكرام وإقطاع وصلة، بعث إليه يتهدده بالقتل إن لم يكف عنه. قال: فلم تزل تلك الحال من الخوف والخطر، وماتت أم يحيى وهو في الخلد ببغداد؛ لأن هارون كان ينزل الخلد، ويحيى معه، وهو ولي العهد، نازل في داره يلقاه في ليله ونهاره. وذكر أبو حفص الكرماني أن محمد بن يحيى بن خالد حدثه قال: بعث الهادي إلى يحيى ليلا، فأيس من نفسه وودع أهله وتحنط وجدد ثيابه، ولم يشك أنه يقتله، فلما أدخل عليه قال: يا يحيى مالي ولك؟ قال: أنا عبدك يا أمير المؤمنين فما يكون من العبد إلى مولاه إلا طاعته، قال: فلم تدخل بيني وبين أخي وتفسده علي؟ قال: يا أمير المؤمنين، من أنا حتى أدخل بينكما ؟! إنما صيرني المهدي معه وأمرني بالقيام بأمره فقمت بما أمرني به، ثم أمرتني بذلك فانتهيت إلى أمرك، قال: فما الذي صنع هارون؟ قال: ما صنع شيئا ولا ذلك فيه ولا عنده، قال: فسكن غضبه، وقد كان هارون طاب نفسا بالخلع، فقال له يحيى: لا تفعل، فقال: أليس يترك لي الهنيء والمريء فهما يسعانني وأعيش مع ابنة عمي، وكان هارون يجد بأم جعفر وجدا شديدا، فقال له يحيى: وأين هذا من الخلافة ! ولعلك ألا يترك هذا في يدك حتى يخرج أجمع ومنعه من الإجابة.قال الكرماني: حدثني خزيمة بن عبد الله، أمر الهادي بحبس يحيى بن خالد على ما أراده عليه من خلع الرشيد، فرفع إليه يحيى رقعة: إن عندي نصيحة، فدعا به، فقال: يا أمير المؤمنين، أخلني، فأخلاه، فقال: يا أمير المؤمنين؛ أرأيت إن كان الأمر – أسأل الله ألا نبلغه، وأن يقدمنا قبله – أتظن أن الناس يسلمون الخلافة لجعفر؛ وهو لم يبلغ الحلم، ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم! قال: والله ما أظن ذلك، قال: يا أمير المؤمنين، أفتأمن أن يسمو إليها أهلك وجلتهم مثل فلان وفلان، ويطمع فيها غيرهم، فتخرج من ولد أبيك؟ فقال له: نبهتني يا يحيى – قال: وكان يقول: ما كلمت أحدا من الخلفاء كان أعقل من موسى– قال: وقال له: لو أن هذا الأمر لم يعقد لأخيك، أما كان ينبغي أن تعقده له، فكيف بأن تحله عنه، وقد عقده المهدي له! ولكن أرى أن تقر هذا الأمر يا أمير المؤمنين على حاله؛ فإذا بلغ جعفر، وبلغ الله به، أتيته بالرشيد فخلع نفسه، وكان أول من يبايعه ويعطيه صفقة يده. قال: فقبل الهادي قوله ورأيه، وأمر بإطلاقه.

----

*(القهرمان) هو الخازن أو مدير المال بالفارسية، والقهرمانة مدبرة البيت ومتولية شؤونه مع ومنه القول المأثور المرأة ريحانة وليست بقهرمانة (ظئرا) أي زوج مرضعته

مراجع: الكامل في التاريخ/ تاريخ بغداد/ المحاسن والمساوئ/ نثر الدر/ تاريخ الرسل والملوك/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ـعيون الأخبار/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ تاريخ الإسلام للذهبي/ لسان العرب/ مختار الصحاح/ المعجم الوسيط/

قال محمد بن الصلت الكوفي: مدح أبو دلامة[1] المهدي، فلما أنشده سر بذلك وقال: سل حاجتك. فقال له: يا أمير المؤمنين تأمر لي بكلب صيد، قال المهدي: يا ابن الحمقاء وما تصنع بكلب؟ وأية حاجة هذه؟ قال: يا أمير المؤمنين، الحاجة لي أم لك؟ قال: بل لك. قال: فإني أسألك أن تهب لي كلب صيد. فأمر له بكلب، فقال: يا أمير المؤمنين وإن تهيأ لي أن أخرج إلى الصيد أفأخرج راجلا؟ فأمر له بدابة قال: ومن يسوس الدابة؟ قال: أعطوه سائس. قال: فمن يطبخ لنا في صيدنا؟ قال: أعطوه طباخا. قال: وهؤلاء كلهم من يعولهم؟ قال: اكتبوا له بمائتي جريب* غامرة قال: فما الغامرة يا أمير المؤمنين؟ قال: التي لا شيء فيها، فأنا أكتب لأمير المؤمنين بمائة ألف جريب من صحراء مزيقيا*. قال: فمن أين تريد أن أجعلها لك؟ قال: هب لي جريبا واحدا من بيت المال، قال: على أن تخرج ما فيه، قال: إذن يكون غامرا. فضحك منه وقال: قد جعلناها لك عامرة كلها، قال: يا أمير المؤمنين ناولني يدك أقبلها (؟). قال: أما هذه فدعها. قال: والله ما منعت عيالي شيئا هو أهون عليهم من هذا. فضحك منه حتى استلقى.

وفي رواية قال أبو العيناء: بلغنا عن أبي دلامة أنه دخل على المهدي(؟) فأنشده قصيدة، فقال له: سلني حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي كلبا، فغضب، وقال: أقول لك سلني حاجتك، فتقول: هب لي كلبا فقال: يا أمير المؤمنين، الحاجة لي أم لك قال بل لك، قال: فإني أسألك أن تهب لي كلب صيد، فأمر له بكلب، فقال: يا أمير المؤمنين، هبني خرجت إلى الصيد أفأعدو على رجلي فأمر له بدابة، فقال: يا أمير المؤمنين، من يقوم عليها فأمر به بغلام، فقال: يا أمير المؤمنين، هبني صدت صيدا وأتيت به المنزل فمن يطبخه فأمر له بجارية، فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء يبيتون في البادية فأمر له بدار، فقال: يا أمير المؤمنين، قد صيرت في عنقي كفاء من عيال، جريب غامرا، قال: أما العامر فقد عرفت، فما الغامر قال: الخراب الذي لا شيء فيه، قال: أنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب بالبدو، ولكني أسأل أمير المؤمنين من ألف جريب جريبا واحدا عامرا، قال: من أين قال: من بيت المال، فقال المهدي: حولوا المال وأعطوه جريبا، قال: يا أمير المؤمنين، إذا حول منه المال صار غامرا، فضحك منه، قال: فهل بقيت لك حاجة قال: نعم، تأذن لي أن أقبل يدك، فقال: ما لك إلى ذلك سبيل، قال: والله ما رددتني عن حاجة أهون علي فقدا منها.

في رواية دخل أبو دلامة على المنصور[2](؟) فقال: يا أمير المؤمنين تأمر لي بكلب صيد؟ قال: أعطوه. قال: كلب بلا صقر؟ قال: أعطوه صقرا. قال: كلب وصقر بلا بازبان؟! قال: أعطوه غلاما بازبانا. قال: فلا بد لهم من دار! قال: أعطوه دارا. قال: فمن أي شيء يعيشون؟ قال: قد أقطعتك أربع مائة جريب منها مائتا جريب عامر ومائتان غامر. قال: وما الغامر؟ قال: الخراب. قال: فأنا أقطعتك أربعة آلاف جريب بالدهناء* غامرة. قال: فقد جعلتها كلها عامرة فهل بقي لك شيء؟ قال: نعم تدعني أقبل يدك (؟). قال: ليس إلى ذلك سبيل. فقال: ما منعتني شيئا أهون على عيالي من هذا.

وفي رواية دياب الإتليدي: أن أبو دلامة الشاعر كان واقفا بين يدي السفاح[3](؟) في بعض الأيام فقال: سلني حاجتك؟ فقال له أبو دلامة: أريد كلب صيد. فقال: أعطوه إياه. فقال: ودابة أتصيد عليها. فقال: أعطوه دابة. فقال: وغلاما يقود الكلب والصيد. فقال: أعطوه غلاما. فقال: وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه. فقال: أعطوه جارية.فقال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها. فقال: أعطوه دارا تجمعهم. ثم قال: وإن تكن لهم الدار فمن أين يعيشون؟ قال: قد أقطعتك عشرة ضياع عامرة وعشرة غامرة من فيافي بني إسرائيل. قال: وما معنى الغامرة يا أمير المؤمنين؟ قال: ما لا نبات فيها. قال: قد أقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافي بني سعد. فضحك منه وقال: أعطوه كلها عامرة.

قال الحافظ: فانظر إلى حذقه بالمسالة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فصهل القضية وجعل يأتي بمسألة مسألة على ترتيب وفكاهة حتى نال ما سأله. ولو سأل ذلك بديهة لما وصل إليها، بارك الله فيه، انتهى.

----

*(جريب) الجريب من الطعام والأرض مقدار معلوم وجمعه أجربة و جربان قلت الجريب مكيال وهو أربعة أقفزة والجريب من الأرض مبذر الجريب الذي هو المكيال (الدهناء) موضع، وهو رمل لين، والنسبة إليها دهناوي. وفي مختار الصحاح: الدهناء:موضع ببلاد تميم يمد ويقصر(مزيقياء) لقب عمرو بن عامر ماء السماء. أي حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن السبراح بن الأزد. ملك اليمن، صاحب سد مأرب، وهو جد الأنصار.

■ (1) أبو دلامة زند بن الجون الأسدي. شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم كان أبوه عبدا لرجل من أسد وأعتقه. نشأ في الكوفة واتصل بالخلفاء من بني العباس، فكانوا يستلطفونه ويغدقون عليه صلاتهم، وله في بعضهم مدائح. وكان يتهم بالزندقة لتهتكه، وأخباره كثيرة متفرقة. توفي سنة161هـ

■ (2) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور، عبد الله الأكبر. الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

■ (3) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، السفاح، يكنى أبا العباس ويقال له أيضا المرتضى والقائم.وعبد الله الأصغر بن محمد. ولد بالشراة، سنة 105 هـ، وهو أول ملوك بني العباس بويع بالكوفة، وكان أصغر سنا من أخيه أبي جعفر. بويع السفاح، ليلة الجمعة13 ربيع الآخر من سنة 132 هـ، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء11 ربيع الآخر سنة 132 هـ، وقيل: في النصف من شهر جمادي الآخرة من هذه السنة، وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثية، وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة، فخطب على المنبر قائما، وكانت بنو أمية تخطب قعودا، فضج الناس وقالوا: أحييت السنة يا ابن عم رسول الله، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما، ومات بالجدري بالأنبار في مدينته التي بناها، وذلك في يوم الأحد12 ذي الحجة سنة 136 هـ وصلى عليه عيسى بن علي، ودفن بالأنبار، وهو ابن 33 سنة، وقيل: ابن 29 سنة، وكانت امه تحت عبد الملك بن مروان، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح، وعبيد الله، وداود، وميمونة.

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ﴿لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَ أَحَدٍ إِلَّا امْرَأَتَهُ مِنْ شَهْوَةٍ أَوْ وَلَدَهُ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ وعن أبي هريرة: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ الْأَنْصَارِ فَإِذَا فِيهِ جَمَلَانِ يَضْرِبَانِ وَيَرْعَدَانِ فَاقْتَرَبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمَا فَوَضَعَا جِرَانَهُمَا بِالْأَرْضِ فَقَالَ مَنْ مَعَهُ سَجَدَ لَهُ فَقَالَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا لِمَا عَظَّمَ اللهُ عَلَيْهَا مِنْ حَقِّهِ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ تَضَعْضَعَ لِغَنِيٍّ لِيَنَالَ فَضْلَ مَا عِنْدَهُ أُحْبِطَ عَمَلُهُ﴾ يقول كعب الأحبار:﴿مَنْ تَوَاضَعَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنيا ذَهَبَ ثُلُثُ دِينِهِ﴾ قالت الحكماء:﴿أَظْلَمُ النَّاسِ لِنَفْسِهِ مَنْ تَوَاضَعَ لِمَنْ لَا يُكْرِمُهُ، وَرَغِبَ فِيمَنْ يُبْعِدُهُ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم:﴿يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ﴾.

☪

قال محمد بن إدريس الشافعي: أكل الغاضري[1] عند يزيد بن الوليد فالوذجا فقال له يزيد: لا تكثر منه، فإنه يقتلك فقال: منزلي والله يا أمير المؤمنين عند زقاق الجنائز، ما رأيت جنازة أحد قط قتله الفالوذج. دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك وبين يديه فالوذج فقال: ما هذا يا أمير المؤمنين، قال: هذا شيء من أكله مات، قال: أفلا أذوقه! قال: ذقه، فذاقه وشمر عن ساعده، وجعل يأكل ويقول: أوصيكم بعيالي خيرا. وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك فلما أتى بالفالوذج جعل يسرع فيه فقال سليمان: أتدري ما تأكل يا أعرابي؟ فقال: بلى، يا أمير المؤمنين، إنى لأجد ريقا هنيئا ومزدردا لينا وأظنه الصراط المستقيم الذى ذكره الله في كتابه، فضحك سليمان وقال: أزيدك منه يا أعرابى، فإنهم يذكرون أنه يزيد في الدماغ؟ قال: كذبوك يا أمير المؤمنين، لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل. قال ثابت بن إبراهيم: مررت بالغاضري يوما وهو يأكل رطبا، فقال: إن أردت ادن فكل: فقلت: لا أشتهيه، فقال: يا أخي، ادن فكل، فإنه لا يمنعني أن أقسم عليه إلا أن علي يمينا أن لا أقسم على أنصاري أبدا في طعام. قلت: ولم؟ قال: مر بي رجل منهم وأنا آكل رطبا فقلت: اجلس كل. فأكل ثلاث رطبات، فأقسمت عليه ليأكلن، فأبر يميني بخمس مئة رطبة. قدم سفيان الثوري المدينة فسمع الغاضري يتكلم ببعض ما يضحك منه الناس فقال: يا شيخ، أما علمت أن لله يوما يحشر فيه المبطلون؟ قال: فلم تزل تعترف في الغاضري حتى لقي الله عز وجل. (فما زالت ترى في الشيخ حتى فارق الدنيا).

☪

أكل شعبة مع زياد وهو يتأمله، وكان يأكل أكلا ذريعا فقال له زياد: كم لك من الولد؟ فقال: تسع بنات أنا أجمل منهن وهن آكل مني فقال: ما أحسن ما استعطيت لهن، فأثبتهن في العطاء. ساير رجل بعض الولاة فقال له الوالي: ما أهزل برذونك! فقال: يده مع أيدينا فوصله. عرض عمرو بن الليث عسكره، فمر به رجل تحته دابة مهزولة فقال: أتأخذون المال وتسمنون به فقاح نسائكم؟ فقال: أيها الأمير لو نظرت إلى فقحة امرأتي لوجدتها أهزل من كفل دابتي! فضحك منه وأمر له بزيادة عطائه. وكان لأبي الأسود جبة خز قد تقطعت فقال له معاوية: ما تمل لبسها؟ فقال: رب مملول لا يستطاع فراقه! فأمر له بمال. قال أبو جعفر الوراق للصاحب: إن جرذان داري يمشين بالعصا هزالا فقال: بشرهن بمجيء الحنطة، وكان أبو الحسن الوراق قصد سيف الدولة في جملة الشعراء فناوله درجا يوهم أنه شعر له، فنشره سيف الدولة فقال: ليس فيه شيء مكتوب. فقال: سيدنا يكتب فيه لعبده! فضحك وأمر له بمال: وقسم عبد الله بن عبيد مالا بين بنيه فقال له عبد صغير: فأعطني أولا. فقال له: ولم؟ قال لأن الله تعالى يقول: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف] فبدأ بالمال وأنا مالك. فأعطاه وقدمه. وسأل أعرابي عبد الملك فقال له: سل الله. فقال: سألته فأحالني عليك. فضحك منه وأعطاه.

■ (1) المضحك الغاضري المدني وفد على يزيد بن الوليد بن عبد الملك

مراجع: طبقات الشعراء/ـمختار الصحاح/ مقاييس اللغة/ المحاسن والمساوئ/ الأعلام للزركلي/ أنساب الأشراف/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ مختصر تاريخ دمشق/ نثر الدر/ محاضرات الأدباء/ ذيل جمهرة خطب العرب/

قال ابن داوود: حدثني العوفي قال: دخل أبو دلامة[1] على المهدي وعنده عيسى بن موسى[2] والعباس بن محمد[3] وناس من بني هاشم، فقال له المهدي: اهج أينا شئت. فنظر إلى القوم وتصفحهم، فكلما مر نظره إلى رجل غمز بعينه: إني على رضاك ولا تفعل. فمكث هنيهة ثم أنشأ يقول: ألا أبلغ لديك أبا دلامة..فلست من الكرام ولا كرامة..جمعت دمامة وجمعت لؤما..كذاك اللؤم تتبعه الدمامة..فإن تك يا عليج أصبت مالا..فيوشك أن تقوم بك القيامة..إذا لبس العمامة قلت قرد..وخنزير إذا وضع العمامة. فضحك المهدي وتعجب من حسن ما أتى به من التخلص مما كان دفع إليه، فلم يبق أحد في القوم إلا وصله وأهدى إليه. وهذه الرواية تشير إلى أن أبا دلامة لم يكن حسن الشكل.

ولما قدم المهدي بن المنصور من الري إلى بغداد دخل عليه أبو دلامة للتسليم والتهنئة بقدومه، فأقبل عليه المهدي، وقال له: كيف أنت يا أبا دلامة فقال: يا أمير المؤمنين: إني حلفت (ولقد نذرت؟) لئن رأيتك سالما..بقرى العراق وأنت ذو وفر..لتصلين على النبي محمد..ولتملأن دراهما حجري. فقال المهدي: أما الأولى فنعم، وأما الثانية فلا، فقال: جعلني الله فداك! إنها كلمتان لا يفرق بينهما، فقال: يملأ حجر أبي دلامة دراهم، فقعد وبسط حجره فملئ دراهم، فقال له: قم الآن يا أبا دلامة، فقال: ينخرق قميصي يا أمير المؤمنين، حتى أشيل الدراهم وأقوم، فردها إلى الأكياس ثم قام فدعا له وخرج بها .

قال العتابي: خرج المهدي وعلي بن سليمان[4] إلى الصيد ومعهما أبو دلامة، فرمى المهدي ظبيا فأصابه، ورمى علي بن سليمان ظبيا فأخطأه وأصاب كلبا، فضحك المهدي، وقال: يا أبا دلامة، قل في هذا، فقال: قد رمى المهدي ظبيا..شك بالسهم فؤاده..وعلي بن سليما..ن رمى كلبا فصاده فهنيئا لكما كل امرئ يأكل زاده. فأمر له بثلاثين ألف درهم.

ودخل أبو دلامة على المهدي، فقال: يا أمير المؤمنين، ماتت أم دلامة، وبقيت ليس أحد يعاطيني، فقال: إنا لله، أعطوه ألف درهم يشتري بها أمة تعاطيه، وكان قد دس أم دلامة على الخيزران[5]، فقالت: يا سيدتي مات أبو دلامة وبقيت ضائعة، فأمرت لها بألف درهم، فدخل المهدي على الخيزران، وهو حزين، فقالت: ما بال أمير المؤمنين قال: ماتت أم دلامة، فقالت: إنما مات أبو دلامة، فقال: قاتل الله أبا دلامة وأم دلامة، قد خدعانا والله.

----

(1) أبو دلامة زند بن الجون الأسدي. شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم كان أبوه عبدا لرجل من أسد وأعتقه. نشأ في الكوفة واتصل بالخلفاء من بني العباس، فكانوا يستلطفونه ويغدقون عليه صلاتهم، وله في بعضهم مدائح. وكان يتهم بالزندقة لتهتكه، وأخباره كثيرة متفرقة. توفي سنة 161هـ

(2) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو موسى الهاشمي، وهو ابن أخي أبي العباس السفاح، نشأ بالحميمة من أرض البلقاء من كور دمشق ثم انتقل مع أهله إلى العراق وجعله السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور أخره وجعله ولي عهده بعد ابنه المهدي وكان جليلا في أهل بيته وولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور، ولد سنة 103 هـ أو104 هـ وتوفي بالكوفة سنة 167 هـ

(3) العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان من رجالات بني هاشم وولي إمرة الجزيرة في أيام الرشيد، ولد سنة 121 هـ أو 122 هـ أو سنة 118 هـ وأمه أم ولد وذكر أبو محمد بن حزم أنه ولد سنة 120 هـ قبل موت أبيه بعامين وكان أصغر ولد أبيه. قال علي بن حرب قدم العباس بن محمد دمشق واليا عليها وعلى الشام كلها سنة 140 هـ فولى ابن الأشعث الأردن. ومات العباس سنة 186 هـ وكان يتولى الجزيرة وأهله يتهمون فيه الرشيد ويزعمون أنه سمه وأنه سقى بطنه فمات في هذه العلة.

(5) الخيزران بنت عطاء زوجة المهدي وأم ولده. جرشية. تزوج المهدي الخيزران، فولدت له الهادي والرشيد، ولم تلد امرأة خليفتين غيرها، غير ولادة أم الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان. توفيت الخيزران ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادي الآخرة سنة 173هـ. وقد روي عن الخيزران عن المهدي حديث مسند عن محمد بن سليمان بن منصور يقول:«حَدَّثَتْنِي زَيْنَبُ بِنْتُ سُلَيْمَانَ، قَالَتْ حَدَّثَتْنِي الْخَيْزُرَانُ، قَالَتْ حَدَّثَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ»

(4) علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي من وجوه بني العباس. قدم مع المهدي دمشق،وولي له الجزيرة: خراجها وحربها وصلاتها، وعدة ولايات. قال خليفة: سنة ثمان وستين كتب المهدي إلى علي بن سليمان بن علي يأمره ببناء مدينة الحدث، فوجه علي المسيب بن زهير فأقام بنيانها. وهو أخو الأميرين جعفر، ومحمد. توفي إبراهيم وعلي ابنا سليمان بن علي في سنة 172 هـ

قيل: دخل أبو دلامة على أمير المؤمنين (؟) وهو رجل دعوب مزاح طريف يدخل على الخلفاء العباسيين، فقال له: يا أبا دلامة سمعنا أنك انقطعت عنا لتتعلم الحديث النبوي في هذه الفترة؛ فماذا تعلمت؟ قال: تعلمت علما نافعا يا أمير المؤمنين!

قال: أخبرني ماذا حفظت، قال: حدثنا فلان عن فلان، عن عكرمة رحمه الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حفظ خصلتين دخل الجنة. نسي عكرمة خصلة ونسيت الثانية.

يقول الشيخ القرني: ما الفائدة؟!! ربما كانت منه طرافة، وإلا ربما يكون قد حفظ واحدة على الأقل، وإما أن يكون بليدا بلغ في البلادة المنتهى، فهذا لا التفت للعلم ولا لتمييز الأصيل من الدخيل.

☪

من أخباره: أنه مرض ولده، فاستدعى طبيبا ليداويه وشرط له جعلا معلوما، فلما برئ قال له: والله ما عندنا شيء نعطيك، ولكن ادع على فلان اليهودي –وكان ذا مال كثير– بمقدار الجعل، وأنا وولدي نشهد لك بذلك، فمضى الطبيب إلى القاضي بالكوفة –وكان يومئذ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى[1]، وقيل: عبد الله بن شبرمة[2]– وحمل إليه اليهودي المذكور، وادعى عليه بذلك المبلغ، فأنكر اليهودي، فقال: لي بينة، وخرج لإحضارها، فأحضر أبا دلامة وولده، فدخلا إلى المجلس، وخاف أبو دلامة أن يطالبه القاضي بالتزكية فأنشد في الدهليز قبل دخوله بحيث يسمع القاضي: إن الناس غطوني تغطيت عنهم..وإن بحثوا عني ففيهم مباحث..وإن نبثوا نبثت بثارهم..ليعلم قوم كيف تلك النبائث. ثم حضرا بين يدي القاضي، وأديا الشهادة، فقال له: كلامك مسموع وشهادتك مقبولة، ثم غرم المبلغ من عنده وأطلق اليهودي، وما أمكنه أن يرد شهادتهما خوفا من لسانه، فجمع بين المصلحتين وتحمل الغرم من ماله.

وكان أبو عطاء السندي مولى بني أسد قد هجاه بقوله: ألا أبلغ هديت أبا دلامة..فليس من الكرام ولا كرامة..إذا لبس العمامة كان قردا..وخنزيرا إذا وضع العمامة. فلم يتعرض له أبو دلامة. ونوادره كثيرة.

----

(1) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار. وقيل داود. ابن بلال الأنصاري الكوفي: قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس. ولد بالكوفة سنة 74 هـ واستمر 33 سنة. له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره. مات بالكوفة سنة 148 هـ وكان أبوه عبد الرحمن استعمله الحجاج على القضاء ثم عزله، ثم ضرب ليسب عليا، وشهد وقعة الجمل، وكانت راية علي بن أبي طالب بيده، يروي عن عمر وعلي وعبد الله وأبي، وكان خرج مع ابن الأشعث وقتل بدجيل، وقيل غرق في نهر البصرة، وقيل فقد بدير الجماجم سنة 83 هـ للهجرة، وقيل سنة إحدى، وقيل سنة اثنتين.

(2) عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان الضبي. الإمام، العلامة، فقيه العراق، أبو شبرمة، قاضي الكوفة. وهو عم عمارة بن القعقاع، ولكن عمارة أسن منه. توفي: سنة 144 هـ.حدث عن أنس بن مالك، وأبي الطفيل عامر بن واثلة، وأبي وائل شقيق، وعامر الشعبي، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وإبراهيم التيمي، وإبراهيم النخعي، وسالم بن عبد الله، والحسن البصري، ونافع، وسالم بن أبي الجعد، وعبد الله بن شداد بن الهاد، وأبي زرعة، وطائفة. وكان من أئمة الفروع، وأما الحديث، فما هو بالمكثر منه، له نحو من ستين أو سبعين حديثا.

مراجع: طبقات الشعراء/ـمختار الصحاح/ مقاييس اللغة/ المحاسن والمساوئ/ الأعلام للزركلي/ أنساب الأشراف/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ تاريخ الإسلام للذهبي/ مختصر تاريخ دمشق/

روى بإسناده إلى إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: خرج المهدي[1] يوما إلى الصيد، فانقطع عن خاصته، فدفع إلى أعرابي، وهو يريد البول، فقال: يا أعرابي احفظ علي فرسي حتى أنزل، فسعى نحوه وأخذ بركابه، فنزل المهدي، ودفع الفرس إليه، فأقبل الأعرابي على السرج، يقلع حليته، وفطن المهدي، وقد أخذ حاجته، فقدم إليه فرسه. وجاءت الخيل نحوه، وأحاطت به، ونذر بها الأعرابي، فولى هاربا، فأمر برده، فقال –وخاف أن يكون قد غمز به، فقال–: خذوا ما أخذنا منكم، ودعونا نذهب إلى خزي الله وناره. فقال المهدي، وصاح به: تعال لا بأس عليك. فقال: ما تشاء، جعلني الله فداء فرسك؟ فضحك من حضره، وقالوا: ويلك، هل رأيت إنسانا قد قال هذا؟! قال: فما أقول؟ قالوا: قل جعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين. قال: وهذا أمير المؤمنين؟ قالوا: نعم. قال: والله لئن أرضاه هذا مني، ما يرضيني ذاك فيه، ولكن جعل الله جبريل وميكائيل فداءه وجعلني فداءهما. فضحك المهدي، واستطابه، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فأخذها، وانصرف.

وبالإسناد نفسه قال: وبلغني أن المهدي لما فرغ من بناء عيسى باذ*، ركب في جماعة، يسير، لينظر، فدخله مفاجأة، وأخرج من كان هناك من الناس، وبقي رجلان تخفيا عن أبصار الأعوان، فرأى المهدي أحدهما، وهو دهش ما يعقل، فقال: من أنت؟ قال: أنا أنا أنا. قال: ويلك، من أنت؟ قال: لا أدري. قال: ألك حاجة؟ قال: لا، لا. قال: أخرجوه، أخرج الله نفسه! فدفع في قفاه، فلما خرج، قال لغلام له: اتبعه من حيث لا يعلم، فسل عن أمره ومهنته، فإني إخاله حائكا. فخرج الغلام يقفوه. ثم رأى الآخر، فاستنطقه، فأجابه بقلب جريء ولسان بسيط. فقال: من أنت؟ فقال: رجل من أبناء رجال دعوتك. قال: ما جاء بك إلى ها هنا؟ قال: جئت لأنظر إلى هذا البناء الحسن، فأتمتع بالنظر، وأكثر الدعاء لأمير المؤمنين بطول المدة، وتمام النعمة، ونماء العز والسلامة. قال: أفلك حاجة؟ قال: نعم؛ خطبت ابنة عمي، فردني أبوها، وقال: لا مال لك، والناس يرغبون في الأموال. وأنا بها مشغوف، ولها وامق. قال: قد أمرت لك بخمسين ألف درهم. قال: جعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين، قد وصلت، ومننت، فأجزلت الصلة، وأعظمت المنة، فجعل الله باقي عمرك أكثر من ماضيه، وآخر أيامك خيرا من أولها، وأمتعك بما أنعم به، وأمتع رعيتك بك. فأمر أن يعجل له في صلته، ووجه بعض خاصته معه، وقال: سل عن مهنته، فإني إخاله كاتبا. فرجع الرسولان معا، فقال الأول: وجدت الأول حائكا، وقال الآخر: وجدت الرجل كاتبا. فقال المهدي: لم يخف علي مخاطبة الكاتب والحائك.

----

*(عيسى باذ) محلة كانت بشرق بغداد نسبت إلى عيسى بن المهدي وباذ: معناه العمارة

■ (1) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

عن عبد الملك بن قريب الأصمعي قال: حدثني أبي قال: بينما نحن بمنهل من طريق مكة إذا نحن بأعرابي، بيده جارية سوداء فجاء حتى وفد علينا ، فقال : أفيكم أحد يكتب ؟ قلت : نعم ، فقال: فهل معك من صحيفة؟ : قلت : نعم. قال: فأخرجها ، فأخرجتها ، فقال لي : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعتق هلال بن عبد الله الكلا جاريته لؤلؤة لوجه الله ، ولجواز العقبة، الله أعتقك وله المنة علي في ذلك ، ولا سبيل لي عليك إلا بولائي ، أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم قال الأصمعي ، فحدث به يوما شبيب بن شيبة فشخص إلى المهدي أمير المؤمنين، ثم تقدم ، فقال لي: يا أبا سعيد حدثت بحديث الأعرابي أمير المؤمنين فتعجب ، وقال : يا شبيب اشتر ألف رأس وأعتقهم عني ، واكتب لهم بمثل هذا الكتاب قال شبيب ففعلت.

قال المفضل بن محمد الضبي[1]: كنت يوما جالسا على باب منزلي، أحتاج إلى درهم، وعلي دين عشرة آلاف درهم، إذ جاءني رسول المهدي، فقال: أجب أمير المؤمنين، فقلت في نفسي: وما بغية أمير المؤمنين؟ لعل ساعيا سعى بي إليه! ثم دخلت منزلي، ولبست ثيابي، وصرت إليه، فلما مثلت بين يديه، سلمت عليه، فقال: وعليك السلام، وأومأ لي بالجلوس. فجلست. فلما سكن جأشي، قال لي: يا مفضل، ما أفخر بيت قالته العرب؟ فأرتج علي ساعة، ثم قلت: يا أمير المؤمنين، بيت الخنساء[2]، فاستوى جالسا، وكان متكئا، ثم قال: أي بيت؟ قلت: قولها: من البسيط: وإن صخرا لتأتم الهداة به..كأنه علم في رأسه نار. فقال: قد قلت له، وأبى علي! وأومأ إلى إسحاق بن بزيع[3]. قلت: الصواب مع أمير المؤمنين. ثم قال: يا مفضل، حدثني. فحدثته حتى انتصف النهار. وقال: يا مفضل، كيف حالك؟ قلت: يا أمير المؤمنين، كيف يكون حال من عليه عشرة آلاف درهم، وليس معه درهم؟! فقال: يا إسحاق، أعطه عشرة آلاف درهم قضاء لدينه، وعشرة آلاف درهم يستعين بها على دهره، وعشرة آلاف درهم يصلح بها من شأنه.

روى أبو بكر الخطيب بإسناده إلى يونس بن عبد الله الخياط قال: دخل ابن الخياط[4] المكي على أمير المؤمنين المهدي، وقد مدحه، فأمر له بخمسين ألف درهم. فلما قبضها، فرقها على الناس، وقال: من الطويل: أخذت بكفي كفه أبتغي الغنى..ولم أدر الجود من كفه يعدي..فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى..أفدت، وأعداني فبددت ما عندي. فنمي إلى المهدي، فأعطاه بدل كل درهم دينارا.

وروى بإسناده إلى محمد بن زياد قال: دخل مروان بن أبي حفصة[5] على المهدي، وعنده جماعة، فأنشده: من الطويل: صحا بعد جهل واستراحت عواذله. قال: فقال: ويحك، كم هي بيتا؟ قلت: يا أمير المؤمنين، سبعون بيتا. قال: فإن لك عندي سبعين ألفا. قال: فقلت في نفسي: بالنسيئة، إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم قلت: يا أمير المؤمنين، اسمع مني أبياتا حضرت، فما في الأرض أنبل من كفيلي. قال: هات. فاندفعت، فأنشدته: من الطويل: كفاكم بعباس أبي الفضل والدا..فما من أب إلا أبو الفضل فاضله..كأن أمير المؤمنين محمدا..أبو جعفر في كل أمر يحاوله..إليك قصرنا النصف من صلواتنا..مسيرة شهر بعد شهر نواصله..فلا نحن نخشى أن يخيب مسيرنا..إليك، ولكن أهنأ الخير عاجله. قال: فتبسم، وقال: عجلوها له. فحملت إلي من وقتها.

وروى الخطيب بإسناده إلى جماعة قال: خرج المؤمل بن أميل المحاربي[6] إلى المهدي، وهو أمير على الري، ممتدحا له، فأمر له بعشرين ألف درهم، ورفع الخبر إلى المنصور، قال: فلما اتصل به قربي من العراق، أنفذ لي قاعدا على جسر النهروان يستقري القوافل، فلما مررت به قال: من أنت؟ قلت: المؤمل بن أميل مادح الأمير المهدي وشاعره. قال: إياك طلبت. فأخذ بيدي، فأدخلني على المنصور، وهو بقصر الذهب، فقال لي: أتيت غلاما غرا، فخدعته؟ ! قال: بل أتيت غلاما كريما، فخدعته، فانخدع. قال: فأنشدني ما قلت فيه. فأنشدته: من الوافر: هو المهدي إلا أن فيه..مشابه صورة القمر المنير..تشابه ذا وذا، فهما إذا ما..أنارا يشكلان على البصير..فهذا في الظلام سراج نار..وهذا بالنهار سراج نور..ولكن فضل الرحمن هذا..على ذا بالمنابر والسرير..وبالملك العزيز، فذا أمير..وماذا بالأمير ولا الوزير..ونقص الشهر يخمد ذا، وهذا..منير عند نقصان الشهور..فيا بن خليفة الله المصفى..به تعلو مفاخرة الفخور..لقد فت الملوك وقد توافوا..إليك من السهولة والوعور..لقد سبق الملوك أبوك حتى..بقوا من بين كاب أو حسير..وجئت وراءه تجري خبيبا..وما بك حين تجري من فتور..فقال الناس ما هذان إلا..كما بين الفتيل إلى النقير..فإن سبق الكبير فأهل سبق..له فضل الكبير على الصغير.

----

*(سعى بي إليه) أي وشى به إليه (الجَأْش) والجمع جُؤوش: مصدر جَأَشَ، والجَأْش: النفْس أَو القلب يُقال هو رابط الجأْش: ثَابتٌ عند الشدائد

■ (4) عبد الله بن سالم الخياط ؟

■ (5) مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، كنيته أبو الهيندام أو أبو السمط، ولقبه ذو الكمر. شاعر عالي الطبقة، كان جده أبو حفصة مولى لمروان بن الحكم أعتقه يوم الدار، ولد باليمامة من أسرة عريقة في قول الشعر، وأدرك العصرين الأموي والعباسي، وقد وفد على المهدي فمدحه ثم الهادي من بعده ثم إلى مديح هارون الرشيد ومدح البرامكة وزراء الرشيد.وعلى كثرة ما أصابه من خلفاء بني العباس وعلى يساره، فقد كان بخيلا بخلا شديدا، ضربت به الأمثال ورويت عنه الحكايات. ويمتاز شعره بالعراقة والجودة ومتانة الألفاظ وسداد الرأي ودافع بشعره عن العباسيين ودعى إليهم واحتج على خصومهم وعارضهم. وقد دفع ثمن تعصبه للعباسيين حياته، إذ اغتاله بعض المتطرفين من الشيعة العلويين ببغداد.سنة 182 هـ

■ (6) المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي: شاعر من أهل الكوفة. أدرك العصر الاموى. واشتهر في العصر العباسي، وكان فيه من رجال الجيش. وانقطع إلى المهدى قبل خلافته وبعدها. عمي في أواخر عمره. وهو صاحب الابيات التى أولها: إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر !) عمي في أواخر عمره. توفي نحو 190 هـ

■ (1) المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر الضبي، أبو العباس: راوية، علامة بالشعر والادب وأيام العرب. من أهل الكوفة. قال عبد الواحد اللغوى: هو أوثق من روى الشعر من الكوفيين. يقال: إنه خرج على المنصور العباسي، فظفر به وعفا عنه. ولزم المهدى، وصنف له كتابه المفضليات وسماه الاختيارات. قال ابن النديم: وهى 128 قصيدة وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواة عنه، والصحيحة التى رواها عنه ابن الاعرابي. ومن كتبه الامثال ومعاني الشعر والالفاظ والعروض.توفي سنة 178هـ ويقال في سنة 168 هـ

■ (2) الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السلمية، من بني سليم، من قيس عيلان، من مضر: أشهر شواعر العرب، وأشرهن على الاطلاق. من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الاسلام فأسلمت. ووفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم، فكان رسول الله يستنشدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشد وهو يقول: هيه يا خنساء ! أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لاخويها صخر ومعاوية وكانا قد قتلا في الجاهلية. وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية سنة 16 هـ فجعلت تحرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعا فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم !. توفيت سنة 24 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ تاريخ بغداد/ تاريخ دمشق/ معجم ابن الأعرابي/ خزانة الأدب/

حكى ابن الأقيشر[1] الشاعر أنه دخل عليه فقال له: أنشدني في الخمر؛ فقال: كميت إذا فضت وفي الكاس وردة..لها في عظام الشاربين دبيب. فقال الهادي: والله لأحدنك حد الخمر ؛ فقال: ولم يا أمير المؤمنين ؟! قال: لأنك وصفتها وصف عالم بها ؛ فقال: أمني حتى ألحن بحجتي؛ فقال: تكلم وأنت آمن؛ فقال: أجدت وصفها أم لم أجد؟! قال: بل أجدت. قال: وما يدريك أني أجدت؟! إن كنت مدحتها بطبعي دون معرفتي فقد شاركتني فيها بطبعك دون معرفتك، وإن كنت مدحتها بالمعرفة فقد شاركتني بالمعرفة. فضحك الهادي وقال: نجوت مني بحيلتك، قاتلك الله. في رواية قال عبد الملك للأقيشر: أنشدني أبياتك في الخمر. فأنشده: [من الطويل] تريك القذى من دونها وهي دونه..لوجه أخيها في الإناء قطوب..كميت إذا شجت وفي الكأس وردة..لها في عظام الشاربين دبيب. فقال له: أحسنت والله يا أبا معرض، ولقد أجدت وصفها، وأظنك قد شربتها، فقال: والله يا أمير المؤمنين، إنه ليريبني منك معرفتك بها.

■ (1) المغيرة بن عبد الله بن معرض، الأسدي، أبو معرض. شاعر هجاء، عالي الطبقة من أهل بادية الكوفة، كان يتردد إلى الحيرة. ولد في الجاهلية ونشأ في أول الإسلام وعاش وعمر طويلا وكان عثمانيا من رجال عثمان بن عفان، وأدرك دولة عبد الملك بن مروان وقتل بظاهر الكوفة خنقا بالدخان. سنة 80 هـ لقب بالأقيشر لأنه كان أحمر الوجه أقشر وكان يغضب إذا دعي به، قال المرزباني: هو أحد مجان الكوفة وشعرائهم، هجا عبد الملك ورثى مصعب بن الزبير.

☪

قال أبو عبيدة: قدم رجل من بني سلول بكتاب على قتيبة بن مسلم، من عامله المعلى بن عمرو المحاربي على الري، فدخل قدامة بن جعدة بن هبيرة المخزومي على قتيبة فقال: ببابك ألأم العرب، سلولي رسول محاربي إلى باهلي. فتبسم قتيبة تغيظا، ثم دعا مرداس بن خذام الأسدي فقال: أنشدني ما قال الأقيشر لهذا بالحيرة؛ فأنشده: من الرمل: رب ندمان كريم سيد..ماجد الجدين من فرعي مضر..قد سقيت الكأس حتى هرها..لم يخالط صفوها فيها كدر..قلت قم صلي فصلى قاعدا..تتغاشاه سمادير السكر..قرن الظهر مع العصر كما..قرن الحقة بالحق الذكر..ترك الطور فما يقرؤها..وتلا الكوثر من بين السور.

قال عبد الله بن مصعب: دخل مروان بن أبي حفصة [1]، شاعر وقته، على أمير المؤمنين الهادي، فأنشده مديحا له حتى إذا بلغ قوله: من الطويل: تشابه يوما بأسه ونواله..فما أحد يدري لأيهما الفضل. فقال له الهادي: أيما أحب إليك، ثلاثون ألفا معجلة أو مئة ألف تدون في الدواوين؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أنت تحسن ما هو أحسن من هذا، ولكنك أنسته، أفتأذن لي أن أذكرك؟ قال: نعم. قال: تعجل الثلاثون الألف وتدون المئة الألف. قال: يعجلان لك جميعا. فحمل ذلك إليه.

عن الفضل بن بزيع، قال: رأيت مروان بن أبي حفصة قد دخل على المهدي بعد موت معن بن زائدة في جماعة من الشعراء منهم سلم الخاسر وغيره، فأنشده مديحا له، فقال له: من؟ قال: شاعرك مروان بن أبي حفصة. فقال المهدي: ألست القائل: من الوافر: أقمنا باليمامة بعد معن..مقاما ما نريد به زيالا..وقلنا: أين نرحل بعد معن..وقد ذهب النوال فلا نوالا. قد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال؟ لا شيء عندنا جروه برجله.قال فجروه برجله حتى آخرجوه.فلما كان من العام المقبل،تلطف حتى دخل مع الشعراء،وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء كل عام مرة، قال: فمثل بين يديه، وأنشده قصيدته التي قال: فأنصت لها حتى بلغ إلى قوله: هل تطمسون من السماء نجومها..بأكفكم أو تسترون هلالها..أو تدفعون مقالة عن ربكم..جبريل بلغها النبي فقالها..شهدت من الأنفال آخر آية..بتراثهم فأردتم إبطالها. يعني بني علي وبني العباس. قال: فرأيت المهدي وقد تزاحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجابا بما سمع، ثم قال له: كم هي بيتا؟ قال: مئة بيت. فأمر له بمئة ألف درهم. قال: فإنها لأول مئة ألف أعطيها شاعر في خلافة بني العباس. قال: فلم تلبث الأيام أن أفضت الخلافة إلى هارون الرشيد. قال: فرأيت مروان ماثلا مع الشعراء بين يدي الرشيد، وقد أنشده شعرا، فقال له: من؟ قال: شاعرك مروان بن أبي حفصة. قال: ألست القائل – البيتين اللذين له في معن اللذين أنشدهما المهدي – خذوا بيده فأخرجوه فإنه لا شيء له عندنا. فأخرج، فلما كان بعد ذلك بيومين تلطف حتى دخل، فأنشده قصيدته التي يقول فيها: من الطويل: لعمرك لا أنسى غداة المحصب..إشارة سلمى بالبنان المخضب..وقد صدر الحجاج إلا أقلهم..مصادر شتى موكبا بعد موكب. قال: فأعجبه، فقال له: كم قصيدتك بيتا؟ قال له: ستون – أو سبعون – ، فأمر له بعد أبياتها ألوفا، فكان ذلك رسم مروان حتى مات.

☪

عن الأصمعي، قال: كان آدم بن عبد العزيز[2] وهو ابن عمر بن عبد العزيز، في أيام حداثته، يشرب الخمر ويفرط في المجون والخلاعة، ويقول الشعر، فرفع إلى المهدي أنه زنديق، وأنشد شعرا له كان قاله في أيام الحداثة على طريق المجون، فأخذه وضربه ثلاثمئة سوط يقرره بالزندقة، فقال: والله لا أقر على نفسي بباطل أبدا، ولو قطعت عضوا عضوا، والله ما أشركت بالله طرفة عين قط؛ فقال المهدي: فأين قولك؟ من الرمل: اسقني واسق خليلي ... في مدى الليل الطويل: قهوة صهباء صرفا..سبيت من نهر بيل..قل لمن يلحاك فيها..من فقيه أو نبيل..أنت دعها وارج أخرى..من رحيق السلسبيل. قال: يا أمير المؤمنين، كنت من فتيان قريش أشرب النبيذ، وأتمجن مع الشباب، واعتقادي مع ذلك الإيمان بالله وتوحيده، فلا تؤاخذني بما أسلفت من قولي. قال: فخلى سبيله. قال: ومن قوله أيضا شعرا: من الرمل: اسقني واسق غصينا..لا نرد بالنقد دينا..أسقنيها مزة الطع..م تريك الشين زينا. قال: ثم أناب وأقلع، وقال في ذلك أشعارا، منها قوله: من الطويل: ألا هل فتى عن شربه الراح صابر ... ليجزيه يوما بذلك قادر..شربت فلما قيل ليس بمقلع.. نزعت وثوبي من أذى اللوم طاهر.

وقال أبو بكر الخطيب: كان شاعرا خليعا، ثم نسك بعد ذلك، وكان ببغداد في صحابة أمير المؤمنين المهدي. قال: وكان المهدي يدني آدم ويحبه ويقربه، وهو الذي قال لعبد الله بن علي لما أمر بقتله بنهر أبي فطرس: إن أبي لم يكن كآبائهم، وقد علمت مذهبه فيكم؛ فقال: صدقت، وأطلقه؛ وكان طلق النفس، متصونا، ومات على توبة ومذهب جميل.

وعن إسحاق، قال: كان مع المهدي رجل من أهل الموصل، يقال له: سليمان بن المختار، وكانت له لحية عظية عظيمة طويلة، فذهب يوما ليركب، فوقعت لحيته تحت قدمه في الركاب، فذهب عامتها، فقال آدم بن عبد العزيز في ذلك: من الهزج: قد استوجب في الحكم..سليمان بن مختار..بما طول من لحي..ته جزا بمنشار..أو النتف أو الحلق..أو التحريق بالنار..فقد صار بها أش..هر من راية بيطار. فأنشدها عمر بن بزيع المهدي، فضحك، وسارت الأبيات، فقال أسيد بن أسيد وكان وافر اللحية: ينبغي لأمير المؤمنين أن يكف هذا الماجن عن الناس، فبلغت آدم، فقال: من الرمل: لحية تمت وطالت..لأسيد بن أسيد..يعجب الناظر منها..من قريب أو بعيد..هي إن زادت قليلا..قطعت حبل الوريد.

وعن المدائني، قال: قال آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: من الوافر: فإن قالت رجال: قد تولى..زمانكم وذا زمن جديد..فما ذهب الزمان لنا بمجد..ولا حسب إذا ذكر الجدود..وما كنا لنخلد لو ملكنا..وأي الناس دام له الخلود؟.

أنشد أبو العيناء لآدم بن عبد العزيز في البراغيث ببغداد: من الطويل: هنيئا لأهل الري طيب بلادهم..وواليهم الفضل بن يحيى بن خالد..تطاول في بغداد ليلي ومن يبت..ببغداد يلبث ليله غير راقد..بلاد إذا زال النهار تقافزت..براغيثها من بين مثنى وواحد..ديازجة شهب البطون كأنها..بغال بريد سرح في موارد.

وعن الزبير، قال: وكان آدم بن عبد العزيز كلبا على الفدام والسؤال، وكان بطالا، فجاء أعرابي إلى فيئة فقال: هل تعرفن أحدا يصنع المعروف ويرغب فيه؟ فدلوه على آدم، وقالوا: ذاك ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز، فجاءه وهو جالس في فتية من بني عمه، فقال: يا آدم، إن السماء حبست قطرها، والأرض نبتها، وإن البادية أجحفت بنا، وإن عيالي قد هلكوا جوعا، ووقع النقار في غنمي، فانظر في أمري؛ فقال آدم: يا ابن الخبيثة، والله لوددت أن السماء صارت عليك طبق نحاس، لا تبض بقطرة، وأن الأرض ضنت عليك فلا تنبت سنبلة، وأن عيالك ماتوا قبل أن تأتيني بخمسمئة سنة؛ يا بليق خذه، فوثب الكلب عليه فشق فروه وعقره؛ فتنحى الأعرابي غير بعيد ثم قال: يا آدم، لقد خلقك اله فشوه خلقك، ورزقك العظيمة في صرفك، فأعضك الله ببظر أمك وبظر أمهات هؤلاء الذين حولك.

وعن الزبير بن بكار، قال: قال آدم بن عمر بن عبد العزيز: من الرمل: يا أمين الله إني قائل..قول ذي دين وبر وحسب..عبد شمس لا تهنها إنما..عبد شمس عم عبد المطلب..عبد شمس كان يتلو هاشما..وهما بعد لأم ولأب.

■ (1) مروان بن سلمان بن يحيى بن أبي حفصة، كنيته أبو الهيندام أو أبو السمط، ولقبه ذو الكمر. شاعر عالي الطبقة، كان جده أبو حفصة مولى لمروان بن الحكم أعتقه يوم الدار، ولد باليمامة من أسرة عريقة في قول الشعر، وأدرك العصرين الأموي والعباسي، وقد وفد على المهدي فمدحه ثم الهادي من بعده ثم إلى مديح هارون الرشيد ومدح البرامكة وزراء الرشيد.وعلى كثرة ما أصابه من خلفاء بني العباس وعلى يساره، فقد كان بخيلا بخلا شديدا، ضربت به الأمثال ورويت عنه الحكايات. ويمتاز شعره بالعراقة والجودة ومتانة الألفاظ وسداد الرأي ودافع بشعره عن العباسيين ودعى إليهم واحتج على خصومهم وعارضهم. وقد دفع ثمن تعصبه للعباسيين حياته، إذ اغتاله بعض المتطرفين من الشيعة العلويين ببغداد.سنة 182 هـ.

■ (2) آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو عمر الأموي وأمه أم عاصم بنت سفيان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم كان بالشام حين ذهب ملك أهل بيته، وأراد عبد الله بن علي قتله فيمن قتل منهم بنهر أبي فطرس، فاستعطفه فتركه، وسكن العراق بعد ذلك، وكان شاعرا ماجنا، ثم تنسك بعد.

مراجع: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/ الأعلام للزركلي/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/

حدث محمد بن عبدب الغفار أبو عبيد الله عمن أسنده إليه من وجوه الكتاب قال: قال موسى أمير المؤمنين لعلي بن يقطين[1] وهارون يراه: إن أبي كان يسر إليك أشياء يسترها عمن دونك فحدثني بها ! فماطله على بذلك حتى أحفظه موسى، فقال له: لتخبرني بما أسألك عنه وإلا فما لك ذمة، فقال له علي: أفعل ذاك يا أمير المؤمنين، إنا عبيد نحمل على السر يا أمير المؤمنين ولكن تؤخرني يومي، قال: فإني قد أخرتك، فلما كان من غدا غدا علي في ثياب جدد وجد منها رائحة أنكرها موسى فقال: ما هذا ؟ قال: يا أمير المؤمنين إنا عبيد نحمل على السر، فإذا أفشيناه عمن يمضي لم يسكن إلينا من بقي، وقد حملتني على أن أحدثك، بما رأيت بذل دمي دونه، فإن أعفيتني من ذلك وإلا فأنا بين يديك، قال له موسى: فإنك لباذل دمك دون أن تخبرني بما سألتك عنه، قال: أجل يا أمير المؤمنين، قال: فإني قد أعفيتك من ذلك.

■ (1) علي بن يقطين بن موسى، أبو الحسن، مولى بني أسد. ولد بالكوفة في سنة 124 هـ لما أفضت الخلافة إلى المهدي استوزر علي ابن يقطين وقدمه وجعله على ديوان الزمام وديوان البسر والخاتم، فلم يزل في يده حتى توفى المهدي وأفضى الامر إلى الهادي فأقره على وزارته ولم يشرك معه أحدا من أمره إلى أن توفى الهادي، وصار الامر إلى الرشيد فأقره شهرا ثم صرفه بيحيى بن خالد البرمكي. مات سنة 182 هـ ببغداد وهو ابن 57 سنة، وصلى عليه ولي العهد محمد بن الرشيد، وأبوه يومئذ حي.وتوفي أبوه بعده في سنة 185 هـ، ولعلي بن يقطين كتاب ما سأل عنه الصادق من أمور الملاحم، وكتاب مناظرته للشاك بحضرة جعفر. وذكر بن الجوزي في المنتظم أن علي بن يقطين -الزنديق؟- قتله الهادي على الزندقة سنة 167 هـ ؟ فهل يقصد: ازديادار كاتب يقطين بن موسى أو شخص أخر؟ [كما جاء في كتاب البدء والتأريخ]

☪

قال علي بن يقطين: كنت عند أمير المؤمنين المهدي ذات ليلة نسمر إذ ذهب به النوم فما مكث طويلا، حتى فرغ، وقام من مجلسه وبقي يبكي حتى علا انتحابه، فقمت من فراشي ووقفت بإزائه ساعة لا أدري ما أقول، فقلت: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، قد بلغ بنا ما ترى من بكائك، فإن كان أمره الذي أبكاك من الأمور التي يجوز لمثلي أن يطلع عليها فلعله يكون عندي فيها بعض الفرج، فقال: يا علي، ويحك بينا أنا نائم من فراشي إذ أتاني آت في منامي، فقال: عجبت لضحك المرأ والموت خلفه..وللمشتري دنياه بالدين أعجب..وأعجب من هذين من باع دينه..بدنيا سواه فهو من ذين أخيب (أعجب!). ذكر الباهلي أن أبا شاكر أخبره، وكان من كتاب المهدي على بعض دواوينه، قال: سأل علي بن يقطين المهدي أن يتغذى عنده، فوعده أن يفعل، ثم إعتزم على إتيان ماسبذان؛ فوالله لقد أمر بالرحيل كأنه يساق إليها سوقا، فقال له علي: يا أمير المؤمنين؛ إنك قد وعدتني أن تتغذى عندي غدا، قال: فاحمل غداءك إلى النهروان. قال: فحمله فتغدى بالنهروان، ثم انطلق. وقال علي بن يقطين: كنا مع المهدي بما سبذان، فقال لي يوما: أصبحت جائعا فأتني بأرغفة ولحم بارد، ففعلت، فأكل ثم دخل البهو ونام، وكنا نحن في الرواق، فأنتبهنا لبكائه، فبادرنا إليه مسرعين، فقال أما رأيتم ما رأيت. قلنا: ما رأينا شيئا، قال: وقف علي رجل لو كان في ألف رجل ماخفي على صوته ولا صورته فقال: كأني بهذا القصر قد باد أهله..واوحش منه ربعه ومنازله..وصارعميد القوم من بعد بهجة..وملك إلى قبرعليه جنادله..فلم يبق إلاذكره وحديثه..تنادي عليه معولات حلائله..تزود من الدينا فإنك ميت..وإنك مسؤول فما أنت قائله قال علي: فما أتت على المهدي بعد رؤياه إلا عشرة أيام حتى توفي.

حدث محمد بن عمر الجرجاني، عن الفضل بن دكين قال: قال علي بن يقطين: ما سقط غبار موكبي على لحية رجل إلا أوجبت حقه. وروى أبو محلم قال: كان الرقاشي[1]، وأبو العتاهية متصلين بعلي بن يقطين فتوفى بعض أهل علي فوافاه المعزون وتأخر الرقاشي أياما، ثم أتاه معزيا فقال علي: التعزية بعد ثلاثة تجدد للمصيبة، والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة، فقال أبو العتاهية: يارقاشي تعلم واعترف بالحق تسلم..إن ذكراك التعازي بعد طول العهد مغرم.

☪

عن علي بن يقطين قال كنت في عسكر أبي جعفر المنصور حين سار إلى الصراة يلتمس موضعا لبناء مدينة قال فنزل الدير الذي على الصراة في العتيقة فما زال على دابته ذاهبا جائيا منفردا عن الناس يفكر قال وكان في الدير راهب عالم فقال لي لم يذهب الملك ويجيء قلت أنه يريد أن يبني مدينة قال فما اسمه قلت عبد الله بن محمد قال أبو من قلت أبو جعفر قال هل يلقب بشيء قلت المنصور قال ليس هذا الذي يبنيها قلت ولم قال لأنا قد وجدنا في كتاب عندنا نتوارثه قرنا عن قرن أن الذي يبني هذا المكان رجل يقال له مقلاص قال فركبت من وقتي حتى دخلت على المنصور ودنوت منه فقال لي ما وراءك قلت خير ألقيه إلى أمير المؤمنين وأريحه من هذا العناء فقال قلت أمير المؤمنين يعلم أن هؤلاء معهم علم وقد أخبرني راهب هذا الدير بكذا وكذا فلما ذكرت له مقلاص ضحك واستبشر ونزل عن دابته فسجد وأخذ سوطه وأقبل يذرع به فقلت في نفسي لحقه اللجاج ثم دعاء المهندسين من وقته وأمرهم بخط الرماد فقلت له أظنك يا أمير المؤمنين أردت معاندة الراهب وتكذيبه فقال لا والله ولكني كنت ملقبا بمقلاص وما ظننت أن أحدا عرف ذلك غيري وذاك أننا كنا بناحية السراة في زمان بني أمية على الحال التي تعلم فكنت أنا ومن كان في مقدار سني من عمومتي وإخوتي من الأيام وما أملك درهما واحدا فلم أزل أفكر وأعمل الحيلة إلى أن أصبت غزلا لداية كانت لهم فسرقته ثم وجهت به فبيع لي واشتري لي بثمنه ما احتجت إليه وجئت إلى الداية وقلت لها افعلي كذا واصنعي كذا قالت من أين لك ما أرى قلت اقترضت دراهم من بعض أهلي ففعلت ما أمرتها به فلما فرغنا من الأكل وجلسنا للحديث طلبت الداية الغزل فلم تجده فعلمت أني صاحبه وكان في تلك الناحية لص يقال له مقلاص مشهور بالسرقة فجاءت ألى باب البيت الذي كنا فيه فدعتني فلم أخرج إليها لعلمي أنها وقفت على ما صنعت فلما ألحت وأنا لا أخرج قالت اخرج يا مقلاص الناس يتحذرون من مقلاصهم وأنا مقلاصي معي في البيت فمزح معي إخوتي وعمومتي بهذا اللقب ساعة ثم لم أسمع به ألا منك الساعة فعلمت أن أمر هذه المدينة يتم على يدي لصحة ما وقفت عليه ثم وضع أساس المدينة مدورا وجعلو قصره في وسطها وجعل لها أربعة أبواب وأحكم سورها وفصيلها فكان القاصد إليها من الشرق يدخل من باب خراسان والقاصد من الحجاز يدخل من باب الكوفة والقاص من المغرب يدخل من باب الشام والقاصد من فارس والأهواز وواسط والبصرة واليمامة والبحرين يدخل من باب البصرة [..]

☪

قال ابن الجوزي وهو يؤرخ لسنة تسع وستين ومائة:وفيها اشتد طلب موسى للزنادقة، فقتل منهم جماعة، فكان فيمن قتل كاتب (؟) يقطين وابنه علي بن يقطين (؟)، وكان علي قد حج فنظر إلى الناس في الطواف يهرولون، فقال: ما أشبههم ببقر يدور في البيدر؛ فقال شاعر: قل لأمين الله في خلقه وارث الكعبة و المنبر..ماذا ترى في رجل كافر يشبه الكعبة بالبيدر؟..ويجعل الناس إذا ما سعوا حمرا يدوس البر والدوسر؟. فقتله موسى ثم صلبه.

وفي رواية المطهر بن طاهر المقدسي: بويع الهادي وتولى له البيعة هارون وهو بجرجان فأقبل إلى بغداد على دواب البريد وخرج عليه الحسين بن علي[2] بالمدينة في الطالبيين يحيى[3] وإدريس[4] وإسماعيل[5] الذي يقال له طباطبا وعلي[6] وعمر الذي يقال له الأفطس وأخرجوا عامل المدينة ونهبوا بيت المال ثم قصد الحسين بن علي على مكة وبعث الهادي موسى بن عيسى فأدركه على فرسخ من مكة فقتله وحمل رأسه إلى المهدي وتفرق من كان معه من آل أبي طالب فوقع إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى الأندلس وغلب عليها وأخوه يحيى بن عبد الله إلى جبال الديلم فأما إدريس فولى إلى تلك الناحية وولده إلى اليوم بها وأما يحيى فإنه آمنة هارون وأخرجه ثم غدر به وبنى على بطنه اسطوانة وغضب الهادي على موسى بن عيسى في قتل الحسين بن علي من غير موفقة وتركه أن يقدم به عليه فيرى فيه رأيه فقبض على أمواله وضياعه وتتبع الهادي الزنادقة فقتلهم أبرح قتل منهم ازديادار(؟) كاتب يقطين بن موسى نظر إلى الناس في الطواف يهرولون فقال: ما أشبههم ببقر تدوس البيدر فقال الشاعر فيه: ماذا ترى فر رجل كافر..يشبه الكعبة بالبيدر. و قال آخر: قد مات ماني منذ أعصار..و قد بدا إزدايادار..حج إلى البيت أبو خالد..مخافة القتل أو العار..وود والله أبو خالد..لو كان بيت الله في النار..لا يقتل الحيات في دينه..كفرا ولا العصفور في الدار..و ليس يؤذي الفأر فيحجره..يقول روح الله في الفأر. فقتله الهادي و صلبه فسقطت خشبته على رجل من الحاج فقتله وقتلت حماره ومات الهادي بعيسى آباذ سنة سبعين ومائة وكان بلغ من السن ثلاثا وعشرين سنة وولي سنة و شهرا.

قال الطبري: لما قتل الحسين بن علي وجاء برأسه يقطين بن موسى فوضع بين يدي الهادي قال كأنكم والله جئتم برأس طاغوت من الطواغيت إن أقل ما أجزيكم به أن أحرمكم جوائزكم قال فحرمهم ولم يعطهم شيئا.

قال ابن كثير: كان يقطين بن موسى (المتوفي سنة 185) أحد الدعاة إلى دولة بني العباس، وكان داهية ذا رأي، وقد احتال مرة حيلة عظيمة لما حبس مروان الحمار إبراهيم بن محمد بحران، فتحيرت الشيعة العباسية فيمن يولون، ومن يكون ولي الامر من بعده إن قتل؟ فذهب يقطين هذا إلى مروان فوقف بين يديه في صورة تاجر فقال: يا أمير المؤمنين إني قد بعت إبراهيم بن محمد بضاعة ولم أقبض ثمنها منه حتى أخذته رسلك، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجمع بيني وبينه لاطالبه بمالي فعل، قال: نعم.فأرسل به إليه مع غلام، فلما رآه.قال: يا عدو الله إلى من أوصيت بعدك آخذ مالي منه؟ فقال له: إلى ابن الحارثية، يعني أخاه عبد الله السفاح،فرجع يقطين إلى الدعاة إلى بني العباس فأعلمهم بما قال،فبايعوا السفاح فكان من أمره ما ذكرناه

■ (2) الحسين الطالبي، الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ابن ابي طالب، أبو عبد الله، المعروف بصاحب فخ: شريف من الشجعان الكرماء. قدم على المهدي العباسي فأعطاه أربعين ألف دينار، ففرقها في النا س ببغداد والكوفة. ثم رأى من الهادي ما أحفظه، فخرج عليه في المدينة، وبايعه الناس على الكتاب والسنة للمرتضى من آل محمد، فانتدب الهادي لقتله بعض قواده، فناجزوه إلى أن قتلوه بمكة سنة 169 هـ وحملوا رأسه إلى الهادي، فأظهر الحزن عليه.

■ (4) إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن بن علي بن أبي طالب: مؤسس دولة الادارسة في الغرب. وإليه نسبتها. أول ما عرف عنه أنه كان مع الحسين ابن علي بن الحسن المثلث، في المدينة، أيام ثورته على الهادي العباسي سنة 169 هـ ثم قتل الحسين، فانهزم إدريس إلى مصر فالغرب الاقصى سنة 172 هـ، ونزل بمدينة وليلي على مقربة من مكناس وهي اليوم مدينة قصر فرعون وكان كبيرها يومئذ إسحاق بن محمد فعرفه إدريس بنفسه، فأجاره وأكرمه، ثم جمع البربر على القيام بدعوته، وخلع طاعة بني العباس، فتم له الامر سنة 172 فجمع جيشا كثيفا وخرج به غازيا فبلغ بلاد تادلة قرب فاس ففتح معاقلها، وعاد إلى وليلي، ثم غزا تلمسان فبايع له صاحبها. وعظم أمر إدريس فاستمر إلى أن توفي مسموما في وليلي سنة 177 هـ. وهو أول من دخل الغرب الإسلامي من الطالبيين.

■ (3) يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب: من كبار الطالبيين في أيام موسى الهادي وهارون الرشيد العباسيين. رباه جعفر الصادق في المدينة، فروى الحديث وتفقه. وكان مع ابن عمه الحسين بن علي بن الحسن في ثورته بالمدينة واستيلائه عليها، أيام موسى الهادي، وحضر مقتله في معركة فخ سنة 169 هـ، ونجا فدعا إلى نفسه، فبايعه كثير من أهل الحرمين واليمن ومصر. وذهب إلى اليمن فأقام مدة. ودخل مصر والغرب. وعاد إلى الشرق فدخل العراق متنكرا. وقصد بلاد الري وخراسان فوصل إلى ما وراء النهر. واشتد الرشيد في طلبه، فانصرف إلى خاقان ملك الترك ومعه من شيعته وأنصاره نحو 170 رجلا، فأقام سنتين وستة أشهر. وخرج إلى طبرستان، فبلاد الديلم. وأعلن بها دعوته سنة 175 وكثر جمعه، فندب الرشيد لحربه الفضل بن يحيى البرمكي في خمسين ألفا. وضعف أمر الطالبي، وخاف أن يغدر به ملك الديلم، فطلب أمان الرشيد، فأجابه بخطه، واستقدمه إلى بغداد، فدخلها. وأغدق عليه الرشيد عطاياه، إلى أن بلغه أنه يدعو لنفسه سرا، وأنه ما زال عنده من يقوم بدعوته، فحبسه عند الفضل بن يحيى. ورق له هذا بعد مدة، فأطلقه. وعلم الرشيد، فكان ذلك مما أحفظه على البرامكة، وأرسل من أعاد يحيى إلى الاعتقال، في سرداب. ووكل به مسرورا السياف. وكان كثيرا ما يدعو به إليه فيناظره. واستمر إلى أن مات في حبسه. وقيل: قتل بالجوع والعطش نحو 180 هـ

■ (1) الفضل بن عبد الصمد بن الفضل الرقاشي البصري، أبو العباس: شاعر مجيد، من أهل البصرة. فارسي الاصل. انتقل إلى بغداد، ومدح الخلفاء. وكانت بينه وبين أبي نواس مهاجاة ومباسطة. وانقطع إلى البرامكة، ورثاهم بعد نكبتهم. وكان متهتكا خليعا، مات نحو 200 هـ قال المبرد: كان الفضل يظهر الغنى وهو فقير، ويظهر العز وهو ذليل، ويتكثر وهو قليل، فكانت الشعراء تهجوه.

■ (6) علي بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (5) إبراهيم طباطبا، هو إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وإسماعيل بن إبراهيم الغمر هو إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

مراجع: ذيل تاريخ بغداد/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الرسل والملوك/ مروج الذهب/ البداية والنهاية/

قال ابن طاهر: حدثوني عن عبد الله بن مالك[1] قال: كنت أتولى الشرطة للمهدي وكان يبعث إلي في ندماء الهادي ومغنيه أني أضربهم وأحبسهم صيانة له عنهم، فبعث الهادي يسألني الرفق بهم والترفيه عنهم، فلا ألتفت إلى ذلك وأمضي إلى ما يأمر به المهدي، فلما ولي الهادي الخلافة أيقنت بالتلف فبعث إلي يوما فدخلت عليه متكفنا متحنطا، فإذا هو على كرسي والنطع والسيف بين يديه، فسلمت فقال: لا سلم الله عليك! تذكر يوم بعثت إليك في أمر الحراني[2] لما أمر أمير المؤمنين رضي الله عنه، بضربه فلم تجبني في فلان وفي فلان، وجعل يعد ندماءه، ولم يلتفت إلى قولي؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، أفتأذن لي في استيفاء الحجة؟ قال: نعم، قلت: نشدتك الله يا أمير المؤمنين أيسرك أن وليتني ما ولاني أبوك وأمرتني بأمر فبعث إلي بعض بنيك بأمر يخالف أمرك فاتبعت أمره وعصيت أمرك؟ قال: لا، قلت: فكذلك أنا لك وكذا لأبيك وأخيك. فاستدناني فقبلت يده وأمر بخلع فصبت علي وقال: قد وليتك ما كنت تتولاه فامض راشدا. فخرجت من عنده وصرت إلى منزلي مفكرا في أمره وأمري وقلت حدث والقوم الذين عصيته في أمرهم ندماؤه ووزراؤه وكتابه فكأني بهم حين يغلب عليه الشراب(؟) وقد أزالوه عن رأيه في وحملوه في أمري ما كنت أتخوفه، قال: فإني لجالس وبين يدي بنية لي والكانون بين يدي ورقاق أشطره بكامخ* وأسخنه وأطعمه الصبية حتى توهمت أن الدنيا قد اقتلعت بي وزلزلت لوقع حوافر الدواب وكثرة الضوضاء فقلت: هاه كان والله ما ظننت! فإذا الباب قد فتح وإذا الخدم قد دخلوا وإذا أمير المؤمنين الهادي على حمار(؟) في وسطهم، فلما رأيتهم وثبت عن مجلسي مبادرا وقبلت يده ورجله وحافر حماره، فقال: يا أبا عبد الله إني فكرت في أمرك فقلت يسبق إلى قلبك أني إذا شربت(؟) وجاءني أعداؤك أزالوا ما حسن من رأيي فيك فأقلقك وأوحشك فصرت إلى منزلك لأؤنسك وأعلمك أن السخيمة* قد زالت عن قلبي فهات اطعمني ما كنت تأكل وافعل فيه ما كنت تفعل لتعلم أني قد تحرمت بطعامك وأنست بمنزلك فيزول خوفك ووحشتك. فأدنيت إليه ذلك الرقاق والسكرجة* التي فيها الكامخ فأكل منها ثم قال: هاتوا الزلة* التي زللتها لأبي عبد الله من مجلسي، فأدخل إلي أربعمائة بغل(؟) موقرة دراهم، فقال: هذه زلتك فاستعن بها على أمرك واحفظ هذه البغال عندك فلعلي أحتاج إليها لبعض أسفاري، وانصرف راجعا. فأخبرني موسى بن عبد الله أن أباه أعطاه بستانه الذي كان وسط داره فبنى حوله معالف لتلك البغال وكان هو يتولى القيام عليها مدة حياة الهادي.

قال الحسن بن قتيبة[3]: دخلت مع عبد الله بن مالك الخزاعي على المهدي في مجلس له فإذا هو قاعد وبين يديه قميص له يرقع جيبه بيده فقلت أصلحك الله أمكني منه فأوقعه لك فقال لي: حدثني شيخ لنا أنه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شيء إذا خلا أحب إليه من أن يرقع ثوبا له.

وجلس المهدي جلوسا عاما فدخل عليه رجل وبيده منديل فيه نعل، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهديتها لك، فأخذها منه وقبلها ووضعها على عينيه وأعطاه عشرة آلاف درهم، فلما خرج قال لجلسائه: ما ترون؟ إني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرها فضلا عن أن يكون قد لبسها، ولو كذبناه لقال للناس: أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها علي، وكان من يصدقه أكثر ممن يكذبه، إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها، والنصرة للضعيف على القوي وإن كان ظالما، فاشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله، وكان الذي فعلناه أرجح وأنجح.

----

*(الكامخ) ما يؤتدم به أو المخللات المشهية جمع كوامخ (السكرجة) إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم وكل ما يوضع فيه الكوامخ ونحوها على المائدة حول الأطعمة للتشهي والهضم مع سكارج (الزلة) السقطة والخطيئة والعرس والوليمة يقال اتخذ فلان زلة والصنيعة والعطية (السخيمة) الحقد والضغينة يقال سللت سخيمته باللطف والترضي

(1) عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي.كان قائدا عسكريا وحاكما في الدولة العباسية وصاحب الشرط للمهدي والهادي، ثم أقره هارون ثم عزله، توفي سنة 212 هـ وهو ابن مالك بن الهيثم الخزاعي الذي كان من أهم قادة الحركة العباسية في خراسان والثورة التي أطاحت الأمويين.

(2) هل هو : إبراهيم بن دكوان الحراني (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قال ابن الطقطقي: كان إبراهيم بن دكوان الحراني قد اتصل بالهادي في أيام حداثته؛ كان يدخل إليه مع معلم كان يعلم الهادي، فخف إبراهيم على قلب الهادي وألفه وصار لا يصبر عنه، ثم سعى به إلى المهدي فكره لابنه صحبته فنهاه عنه فما انتهى، فتهدده بالقتل والهادي لا يباعده، فاشتدت به السعايات إلى المهدي فأرسل إلى ابنه الهادي أن أرسل إلى إبراهيم الحراني وإلا خلعتك من الخلافة. فأرسله إليه صحبة بعض خدمه مرفها ، فوصل إليه والمهدي يريد الركوب إلى الصيد، فلما رآه قال: يا إبراهيم، والله لأقتلنك! ثم قال: احفظوه حتى أعود من الصيد. فأقبل على الدعاء والتضرع. فاتفق أن المهدي أكل الطعام المسموم، فمات من ساعته، وتخلص الحراني، وجلس الهادي على سرير الخلافة، ثم بعد ذلك بمديدة استوزر الحراني، ولم تطل الأيام حتى مات الهادي.

(3) الحسن بن قتيبة عم الحجاج بن يوسف بن قتيبة (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

ذكر محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود السلمي قال: أخبرني أبي[1] قال: كان علي بن عيسى بن ماهان[2] يغضب غضب الخليفة ويرضى رضا الخليفة وكان أبي يقول ما لعربي ولا لعجمي عندي ما لعلي بن عيسى فإنه دخل إلى الحبس وفي يده سوط فقال أمرني أمير المؤمنين موسى الهادي أن أضربك مائة سوط قال: فأقبل يضعه على يدي ومنكبي يمسني به مسا إلى أن عد مائة وخرج، فقال له: ما صنعت بالرجل؟ قال: صنعت به ما أمرت، قال: فما حاله؟ قال: مات، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويلك فضحتني والله عند الناس، هذا رجل صالح، يقول الناس قتل يعقوب بن داود، قال: فلما رأى شدة جزعه، قال: هو حي يا أمير المؤمنين لم يمت، قال: الحمد لله على ذلك. قال: وكان الهادي قد استخلف على حجابته بعد الربيع ابنه الفضل، فقال له: لا تحجب عني الناس فإن ذلك يزيل عني البركة، ولا تلق إلي أمرا إذا كشفته أصبته باطلا فإن ذلك يوقع الملك ويضر بالرعية. وقال موسى بن عبد الله: أتي موسى برجل فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده، فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين اعتذاري مما يقرعني به رد عليك وإقراري يوجب علي ذنبا ولكني أقول..فإن كنت ترجو في العقوبة رحمة..فلا تزهدن عند المعافاة في الأجر. قال فأمر بإطلاقه.

يقال للسكباج الخلية والمخللة والشمقمقة، والصفصاف لغة ثقيف، وسموه أم القرى. ولم يكن يطلق السكباج أن يطبخ في أيام الفرس إلا بخاتم من الملك. وسئل بعضهم عنه فقال: إنه يشفي العرم ويفتق الشهوة، ويقدم في الثرائد وتزين به الموائد، تجيدها الخاصة ولا تغلط فيها العامة قال الحجاج لطباخه: اتخذ لنا صفصافة وأكثر فيجنها. فلم يدر الطباخ ما عناه فسأل ابن القرية فقال: اتخذ سكباجة وأكثر سدابها. وقال المنصور يوما لحظية له: إلى كم نأكل السكباج؟ يعرض بها. فقالت: يا أمير المؤمنين هو مخ الأطعمة لا يمل حارها ولا يكره باردها. فاستحيا منها.

----

(2) علي بن عيسى بن ماهان: من كبار القادة في عصر الرشيد والأمين العباسيين. وهو الذي حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد. وسيره الامين لقتال المأمون بجيش كبير، ولاه إمارة الجبل وهمذان وأصفهان وقم وتلك البلاد، فخرج من بغداد في 40 ألف فارس، فتلقاه طاهر بن الحمسين قائد جيش المأمون، في الري، فقتل ابن ماهان وانهزم أصحابه سنة 195هـ

(1) يعقوب بن داود بن عمر (أو بن طهمان) السلمي بالولاء، أبو عبد الله: كاتب، من أكابر الوزراء. كان يكتب لإبراهيم ابن عبد الله بن الحسن المثنى. وخرج إبراهيم على المنصور العباسي بالبصرة، فظفر به المنصور وقتله سنة 145 وحبس يعقوب.ثم أطلق بعد وفاة المنصور، فتقرب من المهدي وعلت منزلته عنده، حتى صدر مرسوم إلى الدواوين يقول: إن أمير المؤمنين المهدي قد آخى يعقوب بن داود واستوزره سنة 163 فغلب على الأمور كلها، وقصدته الشعراء بالمدائح، وكثر حساده، وتتابعت الوشايات فيه. وسقط عن برذون، فانكسر ساقه، فعاده المهدي في اليوم الثاني. وانتهز الوشاة فرصة غيابه عن العمل، فذكروا للمهدي صلته الأولى بالعلويين، فيقال إنه أراد اختباره، فطلب منه أن يريحه من شخص سماه له، من العلويين، فاكتفى يعقوب بأن وكل أحد رجاله بالعلوي وأعطاه مالا، وأوعز إليه بالرحيل والاختفاء، وبعد مدة سأله المهدي عنه، فقال: مات. وعرف المهدي أنه كذب عليه، فانفجر سخطه،وعزله سنة 167هـ وأمر بحبسه في المطبق وصادر أمواله. ومكث في الحبس إلى أن مضت خمس سنوات وشهور من ولاية هارون الرشيد فأخرج سنة 175هـ وقد ذهب بصره، ورد عليه الرشيد ماله، وخيره في الإقامة حيث يريد، فاختار مكة، فأذن له، فأقام بها إلى أن مات 187 هـ. وهو الذي يقول فيه بشار: بني أمية هبوا، طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود !.

مراجع: تاريخ الطبري/ الكامل في التاريخ/ المحاسن والمساوئ/ المعجم الوسيط/ الأعلام للزركلي/ الفخري في الآداب السلطانية/ الوافي بالوفيات/ فوات الوفيات/ محاضرات الأدباء/

◆ أبو محمد موسى الهادي بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (رابع ملوك الدولة العباسية) والربيع بن يونس 0711

ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب، قال: حدثني ابن القداح، قال: كانت للربيع جارية يقال لها أمة العزيز، فائقة الجمال، ناهدة الثديين، حسنة القوام، فأهداها لإلى المهدي، فلما رأى جمالها وهيئتها، قال: هذه لموسى أصلح، فوهبها له؛ فكانت أحب الخلق إليه، وولدت له بنيه الأكابر. ثم إن بعض أعداء الربيع[1] قال لموسى: إنه سمع الربيع يقول: ما وضعت بيني وبين الأرض مثل أمة العزيز، فغار موسى من ذلك غيرة شديدة، وحلف ليقتلن الربيع، فلما استخلف دعا الربيع في بعض الأيام، فتغدى معه وأكرمه، وناوله كأسا فيها شراب عسل؛ قال: فقال الربيع: فعلمت أن نفسي فيها، وأني إن رددت الكأس ضرب عنقي؛ مع ما قد علمت أن في قلبه علي من دخولي على أمه، وما بلغه عني، ولم يسمع مني عذرا.فشربتها. وانصرف الربيع إلى منزله، فجمع ولده، وقال لهم: إني ميت في يومي هذا أو من غد، فقال له ابنه الفضل[2]: ولم تقول هذا جعلت فداك! فقال: إن موسى سقاني شربة سم بيده، فأنا أجد عملها في بدني، ثم أوصى بما أراد، ومات في يومه أو من غده. ثم تزوج الرشيد أمة العزيز بعد موت موسى الهادي، فأولدها علي بن الرشيد[3].

وزعم الفضل بن سليمان بن إسحاق الهاشمي أن الهادي لما تحول إلى عيساباذ* في أول السنة التي ولي الخلافة فيها، عزل الربيع عما كان يتولاه من الوزارة وديوان الرسائل، وولى مكانه عمر بن بزيع[4] وأقر الربيع على الزمام؛ وأوذن بموته فلم يحضر جنازته، وصلى عليه هارون الرشيد؛ وهو يومئذ ولي عهد، وولى موسى مكان الربيع إبراهيم بن ذكوان الحراني[5]، واستخلف على ما تولاه إسماعيل بن صبيح[6]، ثم عزله واستخلف يحيى بن سليم، وولى إسماعيل زمام ديوان الشام وما يليها.

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، خال الفضل بن الربيع، أن أباه حدثه، أن موسى الهادي قال: أريد قتل الربيع؛ فما أدري كيف أفعل به! فقال له سعيد بن سلم[7]: تأمر رجلا باتخاذ سكين مسموم، وتأمره بقتله، ثم تأمر بقتل ذلك الرجل. قال: هذا الرأي، فأمر رجلا فجلس له في الطريق، وأمره بذلك، فخرج بعض حلفاء الربيع، فقال له: إنه قد أمر فيك بكذا وكذا، فأخذ في غير ذلك الطريق، فدخل منزله، فتمارض، فمرض بعد ذلك ثمانية أيام؛ فمات ميتة نفسه. وكانت وفاته سنة تسع وستين ومائة؛ وهو الربيع بن يونس.

----

*(بعيساباذ) أو بعيساباد: قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: عيساباذ هذا مما تقدم كثير من أمثاله وذكرنا أن باذ فيه مما تستعمله الفرس ومعنى باذ العمارة فكأن معناه عمارة عيسى ويسمون العامر أباذان هذه محلة كانت بشرقي بغداد منسوبة إلى عيسى بن المهدي وأمه وأم الرشيد والهادي الخيزران هو أخوهما له وبها مات موسى ابن المهدي بن الهادي وبنى بها المهدي قصره الذي سماه قصر السلام فبلغت النفقة عليه خمسين ألف ألف درهم

■ (1) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان، مولا هم.الأمير الحاجب، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم ولي وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ، من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه إلى الغاية.

■ (2) الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة، أبو العباس، واسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، وجاء ذكر أبيه في شيء من أخباره مع أبي جعفر، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم، فكان في نفسه منهم إحن وشحناء، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب: من أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان

■ (3) علي بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، كان يلقب بالمؤتمن: وأمه أمة العزيز أم ولد موسى الهادي، حج بالناس في سنة 194 هـ، ذكر ذلك محمد بن جرير الطبري في تاريخه. وروى الصولي: أن علي بن الرشيد مات سنة 214 هـ.

■ (6) إسماعيل بن صبيح اليشكري الكوفي صدوق من التاسعة، كتب للرشيد، وخص به، يروى عن حماد بن سلمة روى عنه أبو كريب محمد بن العلاء روى له بن ماجة مات سنة 217 هـ

■ (4) عمر بن بزيع، الكاتب كان يخلف الربيع بن يونس في وزارته للهادي، فلما مات الربيع بقى عمر هذا في نيابة الوزارة إلى أن مات الهادي.

■ (7) سعيد بن سلم بن قتيبة أبو محمد الباهلي البصري؛ كان ولي بعض أعمال خراسان ثم قدم بغداد وحدث بها؛ وكان عالما بالحديث والعربية وغيرهما. مات سنة 217 هـ. ؟

■ (5) إبراهيم بن ذكوان بن الفضل الحراني من موالي المنصور وزير الهادي موسى بن المهدي

ذكر علي بن محمد، أن أباه حدثه عن علي بن يقطين[1]، قال: إني لعند موسى ليلة مع جماعة من أصحابه؛ إذ أتاه خادم فسار بشيء، فنهض سريعا، وقال: لا تبرحوا، ومضى فأبطأ، ثم جاء وهو يتنفس، فألقى بنفسه على فراشه يتنفس ساعة حتى استراح، ومعه خادم يحمل طبقا مغطى بمنديل، فقام بين يديه، فأقبل يرعد، فعجبنا من ذلك. ثم جلس وقال للخادم: ضع ما معك، فوضع الطبق، وقال: ارفع المنديل، فرفعه فإذا في الطبق رأسا جاريتين؛ لم أر والله أحسن من وجوههما قط ولا من شعورهما، وإذا على رؤوسها الجوهر منظوم على الشعر، وإذا رائحة طيبة تفوح، فأعظمنا ذلك، فقال: أتدرون ما شأنهما؟ قلنا: لا، قال: بلغنا أنهما تتحابان قد اجتمعتا على الفاحشة، فوكلت هذا الخادم بهما ينهي إلي أخبارهما، فجاءني فأخبرني أنهما قد اجتمعتا، فجئت فوجدتهما في لحاف واحد على الفاحشة فقتلتهما، ثم قال: يا غلام، ارفع الرأسين قال: ثم رجع في حديثه كأنه لم يصنع شيئا.

وذكر محمد بن عبد الله، قال: قال لي سعيد القارئ العلاف[2]–وكان صاحب أبان القارئ–: إنه كان عند موسى جلساؤه، فيهم الحراني وسعيد بن سلم وغيرهما؛ وكانت جارية لموسى تسقيهم؛ وكانت ماجنة، فكانت تقول لهذا: يا جلفي؛ وتعبث بهذا وهذا؛ ودخل يزيد بن مزيد[3] فسمع ما تقول لهم، فقال لها: والله الكبير؛ لئن قلت لي مثل ما تقولين لهم لأضربنك ضربة بالسيف، فقال لها موسى: ويلك! إنه والله يفعل ما يقول؛ فإياك. قال: فأمسكت عنه ولم تعابثه قط. قال: وكان سعيد العلاف وأبان القارئ إباضيين.

☪

قال ابن تغري: لم تطل مدة أبو محمد موسى الهادي في الخلافة، ومات بقرحة أصابته في جوفه. وقيل: سمته أمه الخيزران لما أجمع الهادي على قتل أخيه الرشيد. وقيل: إنها سمته بسبب آخر؛ وهو أنها كانت حاكمة مستبدة بالأمور الكبار، وكانت المواكب تغدو إلى بابها ؛ فزجرهم الهادي عن ذلك، وكلمها بكلام فج وقال: إن وقف ببابك أمير لأضربن عنقه، أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو سبحة؟! فقامت من عنده وهي لا تعقل من الغضب؛ فقيل: إنه بعث إليها بعد ذلك بطعام مسموم، فأطعمت منه كلبا فانتثر لحمه؛ فعملت على قتله لما وعك بأن غموا وجهه ببساط جلسوا على جوانبه. وكان قصده هلاك الرشيد ليولي العهد لولد له صغير عمره عشر سنين. وقيل : إنه مات بعيساباذ في نصف ربيع الآخر سنة سبعين ومائة. وكانت خلافته سنة واحدة وثلاثة أشهر. وعاش ستا وعشرين سنة. وخلف سبع بنين. وتولى الخلافة من بعده أخوه الرشيد هارون .

■ (3) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، أبو خالد: أمير، من القادة الشجعان. كان واليا بأرمينية وأذربيجان. وانتدبه هارون الرشيد لقتال الوليد بن طريف الشيباني عظيم الخوارج في عهده، فقتل ابن طريف سنة 179 هـ وعاد إلى أرمينية. وكان فيها وليه اليمن. وأخبار شجاعته وكرمه كثيرة. توفي ببردعة من بلاد أذربيجان سنة 185 هـ ورثاه شعراء كثيرون. وهو ابن أخي معن بن زائدة.

■ (1) علي بن يقطين بن موسى، أبو الحسن مولى بني أسد. ولد بالكوفة في سنة أربع وعشرين 124 هـ، لما أفضت الخلافة إلى المهدي استوزر علي ابن يقطين وقدمه وجعله على ديوان الزمام وديوان البسر والخاتم، فلم يزل في يده حتى توفى المهدي وأفضى الامر إلى الهادي فأقره على وزارته ولم يشرك معه أحدا من أمره إلى أن توفى الهادي، وصار الأمر إلى الرشيد فأقره شهرا ثم صرفه بيحيى بن خالد البرمكي. مات سنة 182 هـ ببغداد وهو ابن 57 سنة، وأبوه يومئذ حي.

■ (2) سعيد بن العلاف القارئ كان رأس هذه القراءة في زمنه، لأنه اتصل بالرشيد فأعجب بقراءته وكان يحظيه ويعطيه حتى عرف بين الناس بقارئ أمير المؤمنين.

مراجع: تاريخ الطبري/ الكامل في التاريخ/ المحاسن والمساوئ/ المعجم الوسيط/ الأعلام للزركلي/ معجم البلدان/ تهذيب الكمال/ تاريخ بغداد / ذيل تاريخ بغداد/ تاريخ الأدب العربي للرافعي/ المعارف/ مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/

في رواية الزمخشري قال: خرج موسى الهادي[1] على جلسائه مهموما منتقع اللون، فسألوه، فقال: لم أر كالدنيا وصحبتها، لا أطول هموما، ولا أعظم بلية!! لبابة بنت جعفر بن أبي جعفر[2] قد عرفتم موقعها مني، كلمتني بالادلال، فلم يكن لها عندي احتمال، ولا عندها الأقصار، فضربتها؛ فسكتوا جميعا، فقال ابن دأب[3]: يا أمير المؤمنين إنك لم تأت منكرا، ولم تفعل بديئا، قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدبون نساءهم هذا الزبير بن العوام[4] حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن عمته، وفضله فضله، وثب على امرأته أسماء بنت الصديق[5] أخت عائشة[6]، وهي أفضل نساء زمانها، فضربها في شيء عتب فيه عليها، حتى كسر يدها، وكان سبب فرقتها، وذلك أنها استغاثت بولدها، فأغاثها الله بعبد الله[7]، فقال: هي طالق إن حلت بيني وبينها، فلم يقلع. وهذا كعب بن مالك الأنصاري[8] أخو الزبير، آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما، عتب على امراته، وكانت من المهاجرات الأول، فضربها حتى حال بنوها بينه وبينها فقال: ولو لا بنوها حولها لخبطتها..كخبطة فروج لوم أتلعثم. فسري عن الهادي، وطابت نفسه، وأمر له ببدرة وثلاثين ثوبا.

في رواية قال الجاحظ: كان الهادي يشاور من أصحابه عبد العزيز بن موسى، وعيسى ابن دأب، والعزيزي[9]، وعبد الله بن مالك[10]، فخرج ذات يوم إليهم وهو مغضب، كأنه جمل هائج، منتفخ الأوداج ، منتقع اللون، فأقبل حتى جلس في مجلسه، وكان العزيزي أجرأهم عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنا نرى بوجهك ما كدر علينا عيشنا، وبغض الدنيا إلينا، فإن رأى أمير المؤمنين أن يخبرنا بالسبب، فإن كان عندنا حيلة أعلمناه بها، وإن تكن مشورة أشرنا بها، وإن أمكن احتمال الغم وقيناه بأنفسنا، وحملنا الغم عنه. قال: فأطرق طويلا، والعزيزي قائم، فقال له: اجلس يا عزيزي، فإني لم أر كصاحب الدنيا قط أكثر آفات، وأعظم نائبة، ولا أنغص عيشا، قال العزيزي: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: لبابة بنت جعفر بن أبي جعفر قد علمتم موقعها مني، وأثرتها عندي، كلمتني بإدلال فأغلظت، فلم يكن لها عندي احتمال، ولا عندها اقصار، حتى وثبت عليها وضربتها ضربا موجعا. قال: وسكت، فقال ابن دأب: يا أمير المؤمنين، إنك والله لم تأت منكرا، ولا بديعا، قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدبون نساءهم ، ويضربونهن. هذا الزبير بن العوام، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته، وثب على امرأته أسماء بنت أبي بكر، وهي أفضل نساء أهل زمانها، فضربها في شئ عتب عليها فيه ضربا مبرحا، حتى كسر يدها، وكان ذلك سبب فراقها، وذلك أنها استغاثت بولدها عبد الله، فجاء يخلصها من أبيه فقال: هي طالق إن حلت بيني وبينها، ففعل وبانت منه، وهذا كعب بن مالك الأنصاري، عتب على امرأته، وكانت من المهاجرات، فضربها حتى حال بنوها بينه وبينها، فقال: فلولا بنوها حولها لخبطتها..كخبطة فروج ولم أتلعثم. قال: فسري عن موسة الغضب وطابت نفسه ودعا بالطعام فأكلنا وأمر له بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا. فتلهفت وتعجبت من انقطاعي عن الحديثين وهما في بالي وأنا أعلم بهما منه؟.

في رواية قال ياقوت الحموي: حدث المرزباني فيما رفعه إلى مصعب الزبيري عن أبيه قال: كنا جماعة تجالس الهادي أنا وسعيد بن سلم الناهلي(الباهلي؟)[11] وابن دأب وعبد الله بن مسلم العزيزي وكان أجرأنا عليه، فخرج علينا مغيظا متغيرا فسأله العزيزي عن خبره فقال: لم أر كصاحب الدنيا أكثر آفات ولا أدوم هموما، قد عرفتم موضع لبانة بنت جعفر بن أبي جعفر مني، وأثرتها عندي، وأنها أغلظت لي بإدلالها في شيء فلم أجد صبرا فنلتها بيدي فندمت عليه. فسكتنا خوفا من تعنيفه أو تصويب رأيه فيبلغها ذلك. فقال ابن دأب: وما في ذلك يا أمير المؤمنين؟ هذا الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته، ضرب امرأته أسماء بنت أبي بكر الصديق وهي من أفضل نساء زمانها حتى كسر يدها وكان ذلك سبب مفارقته إياها لأنه قال: أنت طالق إن حال عبد الله بيني وبينك يعني ابنه عبد الله بن الزبير، فلم يخله وخلصها، وهذا عمر رضي الله عنه يقول: لا يسأل الرجل فيم يضرب امرأته؟ (؟) وهذا كعب بن مالك الأنصاري وهو أخو الزبير –آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما– عتب على امرأته وهي من المهاجرات في شيء ضربها حتى حال بنوها بينهما فقال: لولا بنوها حولها لخبطتها..إلى أن تداني الموت غير مذمم..ولكنهم حالوا بمنعي دونها..فلا تعدميهم بين ناه ومقسم..فمالت وفيها حائش من عبيطها..كحاشية البرد اليماني المسهم. قال: فضحك الهادي وسري عنه وأمر بالطعام، وأمر لابن دأب بخمسين ألف درهم وخمسين ثوبا. قال عبد الله بن مصعب: فتأسفت كيف سبقني إلى شيء أحفظه مثل حفظه.

■ (3) عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب الليثي البكري الكناني، أبو الوليد: خطيب، شاعر، عالم بالانساب، راوية. من أهل المدينة. اشتهر بأخبار مع المهدي العباسي. وحظي عند الهادي حظوة لم تكن لاحد. واتهم بوضع الشعر وأحاديث السمر، ونسبتها إلى العرب. قال ابن قتيبة: له عقب بالبصرة، وكان أبوه يزيد عالما أيضا بأخبار العرب وأشعارها، والاغلب على آل دأب الاخبار. مات سنة 171 هـ

■ (1) موسى الهادي بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور يكنى أبا محمد بويع له بعد أبيه وكان بجرجان وقت موت المهدي. ولد الهادي بالري سنة 144 هـ أو 147 هـ توفي سنة 167 هـ أو 170 هـ واختلف في سبب موته وقد بلغ 23 سنة وكانت خلافته سنة وشهرا وبعض آخر.

■ (8) كعب بن مالك بن أبي كعب، عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الانصاري، الخزرجي العقبي الاحدي. شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلفوا، فتاب الله عليهم. شهد العقبة، وقيل: كانت كنيته في الجاهلية: أبا بشير. وقال ابن أبي حاتم: كان كعب من أهل الصفة. وذهب بصره في خلافة معاوية. وقد ذكره عروة في السبعين الذين شهدوا العقبة. وروى صدقة بن سابق، عن ابن إسحاق، قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين طلحة بن عبيد الله، وكعب بن مالك. وقيل: بل آخى بين كعب والزبير. وعن الهيثم، والمدائني: أن كعبا مات سنة 40 هـ. وروى الواقدي: أنه مات سنة 50 هـ. وعن الهيثم بن عدي أيضا: أنه توفي سنة 51 هـ. وقصة توبة الثلاثة في الصحيح، وشعره منه في السيرة.

■ (4) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عبد الله ،القرشي الأسدي. ابن عمه النبي. أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . حواري رسول الله . هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشوري بعد عمر . أسلم وله 12 سنة ، وقيل 8 سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفا في سبيل الله. شهد بدرا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله روى عنه ابناه عبد الله وعروة ، وروى عنه أيضا الأحنف بن قيس ومالك بن أوس وغيرهم . قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة .سنة 36 هـ

■ (5) أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة، الملقبة بذات النطاقين صحابية جليلة، أخت السيدة عائشة لأبيها، وزوج الصحابي الجليل الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأم عبد الله بن الزبير الذي قتله الحجاج بن يوسف. ولدت أسماء بمكة قبل الهجرة سنة 27 ق.هـ، وأسلمت بعد سبعة عشر مسلما، وقد شاركت رضي الله عنها في أحداث الهجرة، فكانت تحمل الزاد والماء والأخبار إلى النبي وأبيها الصديق رضي الله عنه، أثناء وجودهما في غار ثور ولقبت خلالها بذات النطاقين؛ لأنها اضطرت إلى شق نطاقها نصفين لتضع في أحدهما الطعام وتستر بالآخر رأسها. وكانت رضي الله عنها مثالا في الجود والكرم، كثيرة البذل والعطاء، وكانت تقول لبناتها: أنفقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن انتظرتن الفضل لم تفضلن شيئا. روت أسماء الحديث عن النبي؛ حيث روى عنها علماء الحديث ثمانية وخمسين حديثا. وتوفيت رضي الله عنها بمكة في جمادى الأولى سنة 73 هـ بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير بثلاثة أشهر.

■ (6) أم المؤمنين عائِشة بنت أبي بكر الصِديق التيمية القُرشية. زوجة النبي وإحدى أمهات المؤمنين.كانت من أعلم النساء بالدين والقرآن والتفسير والحديث والفقه. ولدت رضي الله عنها سنة 19 ق.هـ وتوفيت سنة 58 هـ

■ (7) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، له صحبة ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (10) عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي. كان قائدا عسكريا وحاكما في الدولة العباسية وصاحب الشرط للمهدي والهادي، ثم أقره هارون ثم عزله، توفي سنة 212 هـ وهو ابن مالك بن الهيثم الخزاعي الذي كان من أهم قادة الحركة العباسية في خراسان والثورة التي أطاحت الأمويين.

■ (11) سعيد بن سلم بن قتيبة أبو محمد الباهلي البصري؛ كان ولي بعض أعمال خراسان ثم قدم بغداد وحدث بها؛ وكان عالما بالحديث والعربية وغيرهما. مات سنة 217 هـ. ؟

■ (9) عبد الله بن مسلم العزيزي ؟ (2) لبابة بنت جعفر بن أبي جعفر ؟

☪

عن الأشعث بن قيس قال ضفت عمر ليلة فلما كان فى جوف الليل قام إلى امرأته يضربها فحجزت بينهما فلما أوى إلى فراشه، قال لى: يا أشعث، احفظ عنى شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لاَ يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ يَضْرِبُ امْرَأَتَهُ وَلاَ تَنَمْ إِلاَّ عَلَى وِتْرٍ﴾ ونسيت الثالثة. حديث: لا تسأل الرجل فيم يضرب امرأته ولا تسأله عمن يعتمد من إخوانه ولا يعتمدهم ولا تنم إلا على وتر. تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح . وقال الألباني: ضعيف. في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة وعن إياس بن عبد الله بن أبى ذباب قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: ﴿لاَ تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللهِّ﴾ فجاء عمر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، قد ذئر* النساء على أزواجهن فأمر بضربهن. فضربن فطاف بآل محمد صلى الله عليه وسلم، طائف نساء كثير فلما أصبح قال: ﴿لَقَدْ طَافَ اللَّيْلَةَ بِآلِ مُحَمَّدٍ سَبْعُونَ امْرَأَةً كُلُّ امْرَأَةٍ تَشْتَكِى زَوْجَهَا فَلاَ تَجِدُونَ أُولَئِكَ خِيَارَكُمْ﴾ (ذئر) : اجترأ. وعن عائشة قالت: ﴿مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِّ صلى الله عليه وسلم خَادِمًا لَهُ وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا﴾ وعن عبد الله بن زمعة قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر النساء فوعظهم فيهن ثم قال: ﴿إِلاَمَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الأَمَةِ وَلَعَلَّهُ أَنْ يُضَاجِعَهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ﴾ وعن القاسم بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ضرب النساء فقيل يا رسول الله إنهن قد فسدن قال﴿اضربوهن ولا يضرب إلا شراركم﴾ مرسلا والرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالنساء فجاء حديث جابر الطويل الذي رواه مسلم في صحيحه قال صلى الله عليه وسلم:﴿فَاتَّقُوا اللهَّ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِّ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِّ وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

☪

كان معلم أنوشروان يضربه بلا ذنب، ويأخذه بأن يمسك الثلج في يده حتى تكاد كفه تسقط: فآلى لئن ملكت لأقتلنه؛ فلما ملك هرب، فأمنه فأتاه؛ فسأله عن الضرب ظلما، فقال: لتعرف حقد المظلوم إذا ظلمته؛ قال: أحسنت، فالثلج الذي كنت تعذبني به؟ قال: ستعرف ذلك؛ فغزا فأصبحوا في غداة باردة، فلم يقدروا على توتير قسيهم، فوترها لهم، فقاتل وظفر، فعرف مراد مؤدبه.قيل ليحيى بن خالد: إنك لا تؤدب غلمانك؛ قال هم أمناؤنا على أنفسنا، فإذا أخفناهم كيف نأمنهم؟ قال أبو نؤاس: دخلت على عنان جارية الناطفي، وقد ضربها مولاها وهي تبكي، فقلت: إن عنانا أرسلت أدمعا..كاللؤلؤ المرفض من خيطه..فأشارت عنان إلى مولاها وقالت: فليت من يضربها ظلما..تجف يمناه على سوطه. فقال مولاها: هي حرة لوجه الله إن ضربتها ظالما أو غير ظالم. قال عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده: ليكن أول إصلاحك بني أصلاحك نفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء، وتهددهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، ولا تتكل على عذر مني، فقد اتكلت على كفاية منك. لما كبر عبد الله بن جدعان أخذت بنو تيم على يده، ومنعوه أن يعطي ماله، فإذا أتاه السائل قال: أدن مني فيلطم وجهه، ثم يقول اذهب فاطلب لطمتك أو ترضى منها؛ فيطالبه الرجل بلطمته، فترضيه بنو تيم من ماله، وذلك عنى ابن الرقيات بقوله في قصيدة يذكر فيها سادات قريش: والذي إن أشار نحوك لطما..تبع اللطم نائل وعطاء.

مراجع: ربيع الأبرار/ الأعلام للزركلي/ محاسن والأضداد/ نسب قريش/ معجم الأدباء/ أخبار النساء/ سنن ابن أبي ماجه/ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة/

دخل صالح بن عبد الجليل[1] على المهدي[2] فسأله أن يأذن له في الكلام فقال: تكلم، فقال: إنه لما سهل علينا ما توعر على غيرنا من الوصول إليك، قمنا مقام الأداء عنهم، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر، والنهي عن انقطاع عذر الكتمان، ولا سيما حين اتسمت بميسم التواضع، ووعدت الله وحملة كتابه إيثار الحق على ما سواه، فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص، ليتم مؤدينا على موعود الأداء عنهم، وقابلنا على موعود القبول أو يزيدنا تمحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية، ويحلينا حلية الكذابين، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل، وأشد منه عذابا من أقبل إليه العلم وأدبر عنه، ومن أهدى الله إليه علما فلم يعمل به، فقد رغب عن هدية الله، وقصر بها، فاقبل ما أهدى الله إليك من ألسنتنا قبول تحقيق، وعمل لا قبول سمعة ورياء، فإنه لا يعدمك منا إعلام لما تجهل أو مواطأة على ما تعلم أو تذكير لك من غفلة، فقد وطن الله عز و جل نبيه عليه الصلاة والسلام على نزولها تعزية عما فات وتحصينا من التمادي، ودلالة على المخرج، فقال: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف] فأطلع الله على قلبك بما ينور الله به القلوب من إيثار الحق، ومنابذة الأهواء، فإنك إن لم تفعل ذلك، ير أثرك وأثر الله عليك فيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

في رواية: قال أبو حيان التوحيدي: حكى لنا في هذا اليوم أن صالح بن عبد الجليل، وكان مفوها ناسكا، دخل على المهدي وسأله أن يأذن له في الكلام، فقال: تكلم، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لما سهل علينا ما توعر على غيرنا من الوصول إليك، قمنا مقام المؤدي عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي لانقطاع عذر الكتمان في البينة، لا سيما حين اتسمت بميسم التواضع ووحدت الله، وحملت كتابه إيثارا للحق على ما سواه، فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص ليتم مؤدينا على موعد الأداء عنهم، وقابلنا من موعود القبول، ما أوردنا تمحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية؛ وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل، وأشد منه عذابا من أقبل إليه العلم فأدبر عنه، ومن أهدي إليه علم فلم يعمل به، فقد رغب عن هدية الله وقصر بها، فأقبل على ما أدى الله إليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل لا قبول رياء وسمعة، فإنه لا يخلفك منا إعلام على ما نجهل أو مواطأة على فضل ما تعلم، فقد وطن الله جل اسمه نبيه عليه الصلاة والسلام على تزولها تعزية عما فات، وتحصينا من التمادي، ودلالة على المخرج فقال: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف] [فصلت] فأطلع على قلبك بما ينور به القلب من إيثار الحق ومباينة الهوى، فإنك إن لم تفعل لم تر لله أثرة على قلبك.فبكى المهدي حتى هم من كان على رأسه بضرب صالح وظنوا أنه يسكت حين ذهب به البكاء فقال: يا صالح، لو وجدت رجالا يعملون بما آمرهم وبها أنوي في رعيتي لظننت أني ألقى الله عز وجل وأمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم أقل ذنوبي وأهون حسابي، ولكن دلني على وجه النجاة، فإن لم أعمل كنت أنا الجاني على طهري والمؤثر هواي على رضا ربي، قال له صالح: أنت يا أمير المؤمنين أعلم مني بمواضع النجاة، قال: لو كنت أعلم بموضع النجاة ما كنت أولى بعظتي، وما هو إلا أن أركب سيرة عمر بن الخطاب[3]، ولا يصلح عليها أحد من أهل هذا العصر، وذاك أن الناس في الزمن الماضي كان يرضي أحدهم الطمر البالي، وتقنعه الكسرة اليابسة والماء القراح، وهم اليوم في مضاعف الخز والوشي، ومائدة أحدهم في اليوم بمثل غنى ذي العيال في زمن عمر؛ أو أسيح في الأرض ذات العرض، فإلى من أكلهم؟ إلى ولد أبي طالب؟ فوالله ما أعلم للمسلمين راحة فيهم ولا فرجا عندهم. ولو أنني حملت الناس على سيرة العمرين في هذا العصر كنت أول مقتول، وذلك أن الفطام عن هذا الحطام شديد، ولا يصبر عليه إلا المبرز السابق، فأنى ذلك اليوم، يا صالح؟ والله لقد بلغني أن لسعيد بن سلم[4] ألف سراويل، ولحازم[5] ألف جبة، ولعمارة بن حمزة[6] ألف دواج*، وهي أقل ملكهم، فما ظنك بي وهم عددي وناسي وسهام كنانتي ومن أشبههم كمعن بن زائدة[7] وعبد الله بن مالك[8]، فلو أني حملتهم على التقشف والنسك وأخذت ما في أيديهم فوضعته حيث راه أنت وأنا، هل كانت نفس أبغض إليهم من نفسي، أو حياة أثقل عليهم من حياتي؟ فأطرق صالح مفكرا ثم رفع رأسه وقال: يا أمير المؤمنين، إنه ليقع في خلدي أنك قبلت قولي قبول تحقيق لا قبول رياء وسمعة، فقال المهدي: شهيدي على ذلك الله، فقام صالح فدنا من المهدي فقبل رأسه وقال: أعانك الله يا أمير المؤمنين على صالح نيتك، وأعطاك أفضل ما تأمله في رعيتك، ووهب لك أعوانا بررة صالحين، يعلمون بما يجب عليهم فيك، ثم خرج. فقال له أصحابه: ما صنعت؟ قال: والله ما ترك شيئا عليه إلا سبقني إليه، ولا شيئا له إلا أوضح العذر فيه.

----

*(دواج) الدواج والدواج: اللحاف الذي يلبس، وقيل : هو ضرب من الثياب

■ (1) صالح بن عبد الجليل من قدماء مشايخ بغداد. صحب الفضيل، وكان من أقران بشر الحافي. / صالح بن عبد الجليل بصرى وكان واعظا زاهدا روى عنه أبو سليمان الداراني.

■ (4) سعيد بن سلم بن قتيبة أبو محمد الباهلي البصري؛ كان ولي بعض أعمال خراسان ثم قدم بغداد وحدث بها؛ وكان عالما بالحديث والعربية وغيرهما. مات سنة 217 هـ. ؟

■ (6) عمارة بن حمزة بن ميمون، من ولد عكرمة مولى ابن عباس: كاتب، من الولاة الاجواد الشعراء الصدور. كان المنصور والمهدي العباسيان يرفعان قدره. وكان أعور ومن الدهاة وجمع له بين ولاية البصرة وفارس والاهواز واليمامة والبحرين. له في الكرم أخبار عجيبة. وفيه تيه شديد يضرب به المثل أتيه من عمارة !. وله تصانيف، منها: ديوان رسائل والرسالة الماهانية ورسالة الخميس. توفي سنة 199 هـ وقيل في حدود 180.

■ (7) معن بن زائدة أمير العرب، أبو الوليد الشيباني، أحد أبطال الإسلام، وعين الأجواد.كان من أمراء متولي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة، فلما تملك آل العباس، اختفى معن مدة والطلب عليه حثيث فلما كان يوم خروج الريوندية والخراسانية على المنصور وحمي القتال وحار المنصور في أمره ظهر معن، وقاتل الريوندية، فكان النصر على يده وهو مقنع في الحديد، فقال المنصور: ويحك، من تكون؟ فكشف لثامه وقال: أنا طلبتك معن. فسربه وقدمه وعظمه ثم ولاه اليمن وغيرها.ولمعن أخبار في السخاء، وفي البأس والشجاعة.ثم ولي سجستان، وثبت عليه خوارج وهو يحتجم، فقتلوه، فقتلهم ابن أخيه يزيد ابن مزيد الأمير سنة 152 هـ، وقيل: سنة158 هـ.

■ (8) عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي. كان قائدا عسكريا وحاكما في الدولة العباسية وصاحب الشرط للمهدي والهادي، ثم أقره هارون ثم عزله، توفي سنة 212 هـ وهو ابن مالك بن الهيثم الخزاعي الذي كان من أهم قادة الحركة العباسية في خراسان والثورة التي أطاحت الأمويين.

■ (3) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

■ (5) هل هو: خازم بن خزيمة بن عبد الله بن حنظلة بن نضلة بن حرثان بن مطلق بن صخر بن نهشل القائد، صاحب شرطة بني العباس. ويكنى أبا خزيمة، وهو الذي قتل ملبد بن حرملة الخارجي، وكان ميمون النقيبة، ولي خراسان، وولي عمان، ومات ببغداد فعزي عليه أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين.

حدث أبو سليمان الداراني قال: سمعت صالح بن عبد الجليل يقول ذهب المطيعون لله بلذيذ في الدنيا والآخرة يقول الله لهم يوم القيامة رضيتم بي في الدنيا بدلا من خلقي فلكم اليوم عندي حبوتي وكرامتي آرثرتموني في الدنيا على شهواتكم فعندي اليوم فباشروها فوعزتي ماخلقت الجنان إلا من أجلكم. وعن أبو سليمان الداراني قال: مر علي صالح بن عبد الجليل وأنا على باب داري اقرأ القرآن، فقال: قم فانظر أظلم بيت في دارك فاجلس فيه، فلأكلك السكر بالرانج أحب إلي من قراءتك القرآن على باب الدار. وعن ميمون بن مهران، قال: قال أبو الدرداء: ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات. وقال بعض الحكماء: لولا العقل لم يكن علم، ولولا العلم لم يكن عمل، ولأن أدع الحق جهلا به خير من أن أدعه زهدا فيه. وقالوا: قالت الحكمة: ابن آدم إن التمستني وجدتني في حرفين، تعمل بخير ما تعلم، وتدع شر ما تعلم. وقال رجل لإبراهيم بن أدهم: قال اللهأعز وجل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر] فما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال إبراهيم: من أجل خمسة أشياء: قال: وما هي؟ قال: عرفتم الله فلم تؤدوا حقه. وقرأتم القرآن فلم تعملوا بما فيه. وقلتم: نحب الرسول وتركتم سنته. وقلتم: نلعن إبليس وأطعتموه. والخامسة: تركتم عيوبكم وأخذتم في عيوب الناس. وقال عبد الله بن مسعود: إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها، وإن العالم من يخشى الله وتلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر] . وعن أبي بن كعب، قال: تعلموا العلم واعملوا به ولا تعلموه لتتجملوا به، فإنه يوشك إن طالب بكم زمان أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه. وعن يزيد بن يزيد بن جابر، قال: قال معاذ بن جبل: اعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعملوا. حدث عباد بن عبد الصمد، قال: سمعت أنس بن مالك، يقول: تعلموا ما شئتم أن تعلموا، فإن الله لا يأجركم على العلم حتى تعملوا به، إن العلماء همتهم الوعاية وإن السفهاء همتهم الرواية.

مراجع: البصائر والذخائر/ جمهرة خطب العرب/ الأعلام للزركلي/ جامع بيان العلم وفضله/ التذكرة الحمدونية/

بعث هارون[1] إلى مالك[2] وقال له: يا أبا عبد الله، ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا الموطأ. فرد عليه مالك يقول: أعز الله أمير المؤمنين، إن هذا العلم منكم خرج، فإن أنتم أعززتموه عز، وإن أذللتموه ذل، والعلم يؤتى ولا يأتي. فقال له هارون: صدقت. ثم قال لولديه اخرجا إلى المسجد حتى تسمعا مع الناس. فقال مالك: بشريطة أن لا يتخطيا رقاب الناس، ويجلسا حيث ينتهي بهما المجلس، فحضرا على هذا الشرط. وفي رواية ابن نافع في هذا الحديث: لما دخل مالك على هارون رفع مجلسه وقال لابنيه: قوما فاجلسا بين يدي عمكما فقاما فجلسا بين يدي مالك. فقال: حدثهما، فتغير وجه مالك ثم التفت إلى هارون وقال: أن الله رفعك وجعلك في موضعك الذي أنت فيه للعلم، فلا تكن أول من يضع عز العلم فيضع الله عزك، فالتفت هارون إلى ابنيه، وقال لهما: قوما فإذا مضى عمكما فأتيا منزله فاسمعا منه. فلما انصرف مالك ركبا إليه ونزلا ودقا الباب، فلم يفتح لهما فتركا فجلسا على الباب والريح تضرب وجوههما بتراب العقيق فلما أيسا انصرفا. قال بعضهم قدم الرشيد المدينة ومالك عليل فبعث إليه أن يأتيه ليسأله عن مسألة، فقال: أنا عليل، فقال: لا بد من لقائك، ووجه إليه محفة وحمله على أيدي الخدم، فلما دخل قام إليه الفضل بن الربيع[3] فسأله عن مسألة، فقال مالك: يا وغد إليك حملت؟ لأخبرن أمير المؤمنين، فأكب عليه الفضل يقبله ويستعطفه، فلما دخل إلى هارون سأله عما أراد.

حدث عتيق بن يعقوب الزبيدي، قال: قدم هارون الرشيد المدينة وكان قد بلغه أن مالك بن أنس عنده الموطأ يقرأه على الناس، فوجَّه إليه البرمكي فقال: أقرئه السلام وقل له يحمل إليَّ الكتاب ويقرأه عليَّ. فأتاه البرمكي فقال: أقرئه السلام وقل له إن العلم يؤتَى ولا يأتي. فأتاه البرمكي فأخبره وكان عنده أبو يوسف القاضي، فقال: يا أمير المؤمنين، يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك في أمر فخالفك، اعزم عليه، فبينما هو كذلك إذ دخل مالك فسلَّم وجلس فقال له الرشيد: يا ابن أبي عامر، أبعث إليك وتخالفني. فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني الزهري عن خارجة بن زيد عن أبيه قال: كنت أكتب الوحي بين يدي رسول الله فقال:﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء] وابن أم مكتوم[4] عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني رجل ضرير وقد أنزل الله عليك في فضل الجهاد ما قد علمت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا أدري وقلمي رطب ما جفَّ، ثم وقع فخذ النبي صلى الله عليه وسلم على فخذي ثم أُغْمِي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم جلس النبي صلى الله عليه وسلم: فقال: يا زيد، اكتب:﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء] و يا أمير المؤمنين حرف واحد بعث فيه جبريل والملائكة عليهم السلام من مسيرة خمسين ألف عام ألا ينبغي لي أن أعزه وأجله. وإن الله تعالى رفعك وجعلك في هذا الموضع بعملك، فلا تكن أنت أوَّل مَن يضيع عز العلم فيضيع الله عزَّك. فقام الرشيد يمشي مع مالك إلى منزله ليسمع منه الموطأ، فأجلسه معه على المنصَّة. فلمَّا أراد أن يقرأه على مالك قال له: تقرأه عليَّ. قال: ما قرأته على أحد منذ زمان. قال: فيخرج الناس عنِّي حتى أقرأه أنا عليك. فقال: إن العلم إذا مُنِع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله تعالى به الخاصة. فأمر معنَ بن عيسى القزاز ليقرأه عليه فلما بدا ليقرأه قال مالك لهارون: يا أمير المؤمنين، أدركت أهل العلم ببلدنا، وإنهم ليحبُّون التواضع للعلم. فنزل هارون عن المنصَّة وجلس بين يديه وسمعه. ولما حج هارون الرشيد بعث إلى مالك بن أنس بكيس فيه خمسمائة دينار، فلمَّا قضى نسكه وانصرف ودخل المدينة بعث إلى مالك بن أنس أن أمير المؤمنين يحبُّ أن تنتقل معه إلى مدينة السلام. فقال للرسول: قل له: إن الكيس بخاتمه وقال الرسول عليه الصلاة والسَّلام ﴿وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

■ (2) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات.

■ (1) هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الرشيد ابن المهدي ابن المنصور. ولد بالري سنة 147 هـ، وبويع له بمدينة السلام بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170 هـ، وتوفي بطوس سنة 193 هـ، وكان يحج سنة ويغزو سنة.

■ (4) عبد الله بن أم مكتوم الأعمى القرشي، نزلت فيه سورة عبس، وهو عبد الله بن عمرو بن شريح بن قيس بن زائدة بن الأصم من بني عامر قدم المدينة بعد بدر بيسير فنزل دار مخرمة بن نوفل ومن قال هو عبد الله بن زائدة فقد نسبه إلى جد جده زائدة وكان اسمه الحصين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ومنهم من زعم أن اسم ابن أم مكتوم عمرو وأم مكتوم هي أمه واسمها عاتكة من بني مخزوم قدم المدينة مهاجرا بعد بدر بسنتين فذهب بصره وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستخلفه على المدينة ليصلي بالناس في عامة غزواته وشهد القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع ثم رجع إلى المدينة ومات بها في خلافة عمر بن الخطاب.سنة 14 هـ

■ (3) الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة، أبو العباس، واسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، وجاء ذكر أبيه في شيء من أخباره مع أبي جعفر، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم، فكان في نفسه منهم إحن وشحناء، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب: من أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان

☪

قال أبا معاوية[1] الضرير يقول: أكلت مع الرشيد يوما، فصب على يدي رجل لا أعرفه، فقال هارون: يا أبا معاوية! تدري من يصب على يديك؟ قلت: لا. قال: أنا. قلت: أنت أمير المؤمنين! قال: نعم إجلالا للعلم. قيل: إن ابن السماك[2] الواعظ دخل على الرشيد كرة؛ فبالغ الرشيد فِي اكرامه واحترامه؛ فقال له ابن السماك: تواضعك فِي شرفك أشرف من شرفك. وكان الرشيد يأتي بنفسه إلى الفضيل بن عياض[3] ويسمع وعظه؛ فقال له يوما: يا حسن الوجه؛ أنت المسئول عن هذه الأمة؛ فبكى الرشيد بكاء عظِيما. وقال منصور بن عمار: ما رأيت أغزر دمعا عند الذّكر من ثلاثة: الفضيل ابن عياض، والرشيد هارون، وآخر.

قال يحيى بن أكثم:[4] قال لي الرشيد: ما أنبل المراتب؟ قلت: ما أنت فيه يا أمير المؤمنين، قال: فتعرف. أجل مني؟ قلت: لا، قال: لكني أعرفه، رجل في حلقة يقول: حدثنا فلان عن فلان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم..قلت: يا أمير المؤمنين، هذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولي عهد المسلمين؟ قال: نعم، ويلك، هذا خير مني لأن اسمه مقترن باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت أبدا، نحن نموت ونفنى، والعلماء باقون ما بقي الدهر.

☪

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ، تُخْرِجُ الْخَبِيثَ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ﴾ (كالكير) منفخ الحداد أو الموضع (خبث الحديد) خبث الحديد والفضة هو وسخهما وقذرهما الذي تخرجه النار منهما. وعن جابر بن عبد الله، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه على الإسلام فجاء من الغد محموما، فقال أقلني ثلاث مرات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طِيبُهَا﴾ وعن سفيان بن أبي زهير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿تُفْتَحُ الشَّامُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْعِرَاقُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (يبسون) يتحملون بأهليهم وقيل يدعون إلى بلاد الخصب. وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنِّي أَشْهَدُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا﴾ (من استطاع منكم أن يموت بالمدينة) أي بأن لا يخرج منها إلى أن يموت. قال الدميري فائدة زيارة النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل الطاعات وأعظم القربات: لقوله صلى الله عليه وسلم ﴿مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجبيتْ لهُ شَفَاعَتِي﴾ ولقوله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لَا تُعْمِلُهُ حَاجَةٌ إِلَّا زِيَارَتِي، كَانَ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر رضي الله عنه، قال: ﴿اللَّهُمَّ، ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي بَلَدِ رَسُولِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ وعن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿اللَّهُمَّ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّكَ حَرَّمْتَ مَكَّةَ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ، اللَّهُمَّ وَأَنَا عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا﴾ قال أبو مروان: لابتيها، حرتي المدينة. وعن علي، قال: ما عندنا شيء إلا كتاب الله، وهذه الصحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿الْمَدِينَةُ حَرَمٌ، مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كَذَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ، وَقَالَ: ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، فَمَنْ أَخْفَرَ* مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ، وَمَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلَا عَدْلٌ﴾ قال أبو عبد الله: عدل: فداء. وعن أبي بكرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:﴿لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ﴾ وعن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: ﴿اللَّهُمَّ، اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ﴾ وعن أنس﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ، أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا﴾ وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال:﴿مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي﴾ وعن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ اللهَ سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةَ﴾.

عن سيعد بن المسيب قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: هل بالعراق أرض يقال لها خراسان؟ قالوا: نعم، قال: فإن الدجال يخرج منها، وعند نعيم بن حماد في الفتن عن أبي بكر الصديق قال: يخرج الدجال من مرو من يهوديتها. وعن عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوت عى ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت، وأخرجه الحاكم عن ابن أبي مليكة نحوه غير أن في روايته: فخشيت أن يكون الدجال قد طرق، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقد تقدم في معاشرة النساء قول حفصة لسودة رضي الله عنهما:يا سودة خرج الأعور، قالت: نعم ففزعت فزعا شديدا، فجعلت تنتفض، قالت: أي أختبيء؟ قالت: عليك بالخيمة، هخيمة لهم من سعف يختبئون فيها، فذهبت فاختبأت فيها، وفيها القذر ونسيج العنكبو، فذكر الحديث وفيه: فذهب، أي رسول الله، فإذا سودة ترعد؛ فقال لها: يا سودة مالك؟ قالت: يا رسول الله خرج الأعور قال: ما خرج وليخرجن، ما خرج وليخرجن، فأخرجها فجعل ينفض عنها الغبار ونسيج العنكبوت؛ أخرجه أبو يعلى والطبراني عن رزينة رضي الله عنها مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

*(أخفره): نقض عهده

■ (2) ابن السماك، أبو العباس محمد بن صبيح المذكر مولى بني عجل، المعروف بابن السماك القاص الكوفي الزاهد المشهور؛ كان زاهدا عابدا حسن الكلام صاحب مواعظ، جمع كلامه وحفظ، ولقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم: مثل هشام بن عروة والأعمش وغيرهما. وروى عنه أحمد بن حنبل وأنظاره؛ وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة 183هـ.

■ (3) أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الفنديني، الزاهد كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تاليا يتلو:﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد] فقال: يارب قد آن، فرجع، وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم:حتى نصبح فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا فتاب الفضيل وآمنهم.وكان من كبار السادات، ومناقب الفضيل كثيرة. ومولده بأبيورد وقيل بسمرقند ونشأ بأبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات سنة 187هـ.

■ (4) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج، التميمي الأسيدي المروزي، أبو محمد التميمي، من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. وكان عالما بالفقه بصيرا بالأحكام، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

■ (1) محمد بن خازم التميمي السعدي مولاهم أبو معاوية الضرير الكوفي. ولد سنة 113 هـ. يقال عمي وهو بن ثمان سنين أو أربع. روى عن خلق كثير وروى عنه خلق كثير. مات سنة 195 هـ.

مراجع: صحيح مسلم/ صفة الصفوة/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ السنن الكبرى للنسائي/ سنن ابن ماجه/ صحيح البخاري/ الثقات لابن حبان/ حياة الصحابة للكاندهلوى/ ترتيب المدارك وتقريب المسالك/

قال أبو الحسن المدائني: دخل هارون الرشيد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى مالك بن أنس[1] فقيه المدينة، فأتاه وهو واقف بين قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنبر؛ فلما قام بين يديه وسلم عليه بالخلافة، قال: يا مالك، صف لي مكان أبي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة الدنيا. فقال: مكانهما منه يا أمير المؤمنين كمكان قبريهما من قبره. فقال: شفيتني يا مالك.

ذكروا أن هارون الرشيد*سأل مالك بن أنس عن هدم الكعبة وردها إلى بناء ابن الزبير[2] للأحاديث في ذلك. فقال مالك: نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك، لا يشاء أحد إلا نقضه وبناه ، فتذهب هيبته من صدور الناس. فترك ما هم به. ويضيف الزركشي -في إعلام الساجد- قائلا: فاستحسن الناس هذا من مالك، وعملوا عليه، فصار هذا كالإجماع على أنه لا يجوز التعرض له -أي البيت- بهدم أو تغيير والله أعلم. وقال الشافعي:[3] أحب أن لا تهدم الكعبة وتبنى لئلا تذهب حرمتها.

قال مصعب الزبيري وابن نافع: دخل هارون المسجد فركع، ثم أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه، ثم أتى مجلس مالك فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. ثم قال لمالك: هل لمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفيء حق؟ قال: لا كرامة ولا مسرة. قال: من أين قلت ذلك؟ قال: قال الله عز وجل: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح] فمن عابهم فهو كافر، ولا حق لكافر في الفيء. واحتج مرة أخرى في ذلك بقوله تعالى:﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِم﴾ [الحشر].. إلى آخر الآيات الثلاث، قال: فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا معه وأنصاره، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر] فمن عدا هؤلاء فلا حق لهم فيه. وفي فعل خواص الفرق من هذا المعنى كثير.

قال يعيش بن هشام الخابوري: كنت عند مالك إذ أتاه رسول المأمون[4]، ويقال الرشيد وهو الصحيح، ينهاه أن يحدث بحديث معاوية في السفرجل. قال: ثم تلا مالك قول الله تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [البقرة] الآية. ثم قال: والله لأخبرن بها في هذه الصرفة، واندفع، فقال: حدثنا نافع عن ابن عمر، قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهدي إليه سفرجل فأعطى أصحابه واحدة واحدة وأعطى معاوية ثلاث سفرجلات، وقال: القن بهن في الجنة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم السفرجل يذهب طحاء القلب. قال المؤلف رحمه الله: لم يدرك مالك أيام المأمون توفى قبلها، وذكر المأمون هنا وهم.

----

*هكذا ذكر النووي أن السائل لمالك بن أنس هو هارون الرشيد. وقال السهيلي: إن السائل هو أبو جعفر المنصور

■ (1) مالك بن أنس بن مالك، ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات.

■ (3) محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي الإمام. ولد في سنة 150 هـ، بغزة من بلاد الشام، وقيل باليمن، ونشأ بمكة، وكتب العلم بها، وبمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقدم بغداد مرتين، وحدث بها، وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته سنة 204 هـ.

■ (2) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، له صحبة ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان. وهو بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (4) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

قدم على علي بن الحسين نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان فلما فرغوا من كلامهم قال لهم: ألا تخبروني من أنتم؟ أنتم المهاجرون الأولون﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ قالوا: لا،قال فأنتم﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ قالوا: لا، فقال أما أنتم الذين قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى فيهم:﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر] اخرجوا عني فعل الله بكم وصنع

عن محمد أبي سلمة، أن عليا سئل عن أبي بكر وعمر، فقال: على الخبير سقطت. كانا والله إمامين صالحين مصلحين، خرجا من الدنيا خميصين*. وعنه قال: سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثنى أبو بكر وثلث عمر؛ ثم خبطتنا فتنة عمياء [يعفو الله فيها] عمن يشاء. وعن أبي جعفر محمد الباقر، أنه قيل له: إن فلانا حدثني أن علي بن الحسين قال:﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر] نزلت في أبي بكر وعمر وعلي، قال: والله فيهم نزلت؛ ففيمن نزلت إلا فيهم؟! قيل: فأي غل هو؟ قال: غل الجاهلية؛ إن بني تيم وبني عدي وبني هاشم، كان بينهم شيء في الجاهلية، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة، فجعل علي يسخن يده ويكمد بها خاصرة أبي بكر، فنزلت هذه الآية فيهم. وعن علي أن هذه الآية نزلت في هذه البطون الثلاثة: تيم، وعدي، وبني هاشم، وقال: منهم أنا وأبو بكر وعمر.

وفي الطيوريات بسنده إلى جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال رجل لعلي رضي الله عنه : نسمعك تقول في الخطبة: اللهم، أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين، فمن هم؟ فاغرورقت عيناه، فقال: هما حبيبا نبيي، أبو بكر وعمر، إماما الهدى وشيخا الإسلام، ورجلا قريش، المقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، من اقتدى بهما عصم، ومن اتبع آثارهما هدي الصراط المستقيم، ومن تمسك بهما فهو من حزب الله. وعن سالم بن أبي حفصة، وهو شيعي؛ لكنه ثقة قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد، عن الشيخين؛ فقالا: يا سالم، تولهما وابرأ من عدوهما؛ فإنهما كانا إمامي هدى. وعن جعفر الصادق، أنه قيل له: إن فلانا يزعم أنك تتبرأ من أبي بكر وعمر، فقال: برئ الله من فلان، إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر، ولقد مرضت فأوصيت إلى خالي عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر. وعن كثير، قلت لأبى جعفر محمد ابن علي: أخبرني، أظلمكم أبو بكر وعمر من حقكم شيئا؟ فقال: ومنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا، ما ظلمنا من حقنا ما يزن حبة خردل. قال: قلت: أفأتولاهما، جعلني الله فداك؟! قال: نعم يا كثير، تولهما في الدنيا والآخرة. قال: وجعل يصك عنق نفسه، ويقول: ما أصابك فبعنقي، ثم قال: برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد وأبي زينب؛ فإنهما كذبا علينا أهل البيت. وعن بسام الصيرفي، قلت لأبي جعفر: ما تقول في أبي بكر وعمر. فقال: والله، إني لأتولاهما وأستغفر لهما، وما أدركت أحدا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما. وعن محمد الباقر، أنه قيل له: هل كان أحد من أهل البيت يسب أبا بكر وعمر؟ قال: معاذ الله! بل يتولونهما ويستغفرون لهما ويترحمون عليهما. وعن الحسن بن محمد ابن الحنفية، قال: يا أهل الكوفة، اتقوا الله عز وجل ولا تقولوا في أبي بكر وعمر ما ليسا له بأهل. وعن جندب الأسدي، أن محمد بن عبد الله بن الحسن آتاه قوم من أهل الكوفة والجزيرة، فسألوه عن أبي بكر وعمر، فالتفت إلي وقال: انظر إلى أهل بلدك يسألوني؛ لهما عندي أفضل من علي!. وعن عبد الله بن الحسن، أنه قال: والله! لا يقبل الله توبة عبد تبرأ منهما، وإنهما ليعرضان على قلبي فأدعو الله عز وجل لهما أتقرب به إلى الله عز وجل. وعن عبد الجبار الهمداني، أن جعفرا الصادق أتاهم، وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة، فقال: إنكم إن شاء الله من صالحي مصركم، فأبلغوهم عني: من زعم إني إمام مفترض الطاعة، فإني منه بريء؛ ومن زعم إني بريء من أبي بكر وعمر، فأنا منه بريء. وعنه رضي الله عنه أنه قال: إن الخبثاء من أهل العراق يزعمون أنا نقع في أبي بكر وعمر، وهما والداي؛ أي: لأن أمه: أم فروة، ابنة القاسم الفقيه بن محمد بن أبي بكر، وأمها: أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ومن ثم سبق له قوله: ولدني أبو بكر مرتين.

قال العصامي: فهذه أقاويل الأئمة المعتبرين من أهل البيت، رواها عنهم الأئمة الحفاظ الذين عليهم المعول في معرفة الحديث والآثار، وتمييز صحيحها من سقيمها، بأسانيدهم المتصلة؛ فكيف يسع المتمسك بحبل أهل البيت الزاعم حبهم، أن يعدل عما قالوه؟ من تعظيم أبي بكر وعمر، واعتقادهم خلافتهما، وما كانا عليه، وقد صرحوا بتكذيب من نقل عنهم خلافه، ومع ذلك ينسب إليهم ما تبرؤوا منه ورأوه ذما في حقهم، حتى قال الإمام زين العابدين بن علي بن الحسين رضي الله عنهم يا أيها الناس، أحبونا حب الإسلام، فوالله! ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا. وفي رواية: حتى بغضتمونا إلى الناس؛ أي: بسبب ما نسبوه إليهم مما هم براء منه، فلعن الله من كذب على هؤلاء الأئمة، ورماهم بالزور والبهتان!.

----

*(خميصين) مثني خميص يقال رجل خمصان وخميص إذا كان ضامر البطن يريد أنهماكانا عفيفين خرجا من الدنيا ضامرين فقد كانا عفيفي النفس عن أكل أموال الأمة. (وايم الله) أي يمين الله.

مراجع: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف/ موسوعة الخطب والدروس/ تاريخ المساجد الشهيرة/ العقد الفريد/

قال إبن قتيبة الدينوري: ذكروا أنه لما كانت سنة أربع وسبعين ومائة خرج هارون حاجا إلى مكة فقدم المدينة زائرا قبر النبي عليه الصلاة والسلام فبعث إلى مالك بن أنس[1] فأتاه فسمع منه كتابه الموطأ وحضر ذلك يومئذ فقهاء الحجاز والعراق والشام واليمن ولم يتخلف منهم أحد إلا حضر ذلك الموسم مع الرشيد وسمع وسمعوا من مالك موطأه الذي وضع وكان قارئه يومئذ حبيب[2] كاتب الرشيد فلما أتم قراءته قال هارون لفقهاء الحجاز والعراق: هل أنكرتم شيئا من هذا العلم؟! قالوا: ما أنكرنا شيئا إلا ما ذكر من أمر الدماء والتدمية* في القتل فإن هذا من أنكر ما يكون من العلم وأبطله يقول الرجل: قتلني فلان فيقبل منه ويحلف أولياؤه على القاتل خمسين يمينا ثم يقتل ولعل أولياءه لم يحضروا ولم يكونوا بمصر فيعرض بهم الحنث في الإيمان فيقبل قول رجل على غيره وهو لا يقبل في ربع دانق يدعيه إلا ببينة تقوم إن هذا لهو الضلال وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه ابن عباس حيث قال: ﴿لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ قَوْمٍ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَكِنِ الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنِ ادَّعَى وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ﴾ قال الرشيد: ويحكم إن في كتاب الله ما يصدق ذلك، ولا أخال أبا عبد الله أخذه إلا من كتاب الله فاستثبتوه، فأرسل إليه فأقبل، فقال هارون: يا أبا عبد الله إن أصحابنا هؤلاء لم يختلف منهم اثنان في الإنكار عليك فيما وضعت في موطئك من التدمية وتصديق قول من ادعى وأنت وهم تزعمون بطل دعوى من ادعى على رجل دانقا إلا ببينة تقول له فأخبر القوم وأوضح لهم حجتك في ذلك وأنا معك عليهم فإني لا أعلم بعد أمير المؤمنين أحدا أعلم منك فقال مالك: يا أمير المؤمنين إن مما يصدق القسامة* ما في كتاب الله من القتل والأخذ بالدم الذي كان في بني إسرائيل قال الله عز وجل ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [البقرة] فذبحت البقرة ثم ضربوه بعضو من أعضائها فحيي القتيل ثم تكلم فقال: فلان قتلني. فقتله موسى بن عمران عليه السلام بقوله ذلك وهو حكم التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا فالذين أسلموا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقد حكم بالتوراة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرجوم اليهودي الذي زنى فرجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهوديا لقي جارية من جواري الأنصار في بعض أنقاب المدينة وعليها أوضاح* من ذهب وورق فأخذ الأوضاح منها وشدخ رأسها بين حجرين فأدركت الجارية وبها رمق فاتهم بها اليهود فأتى بهم فعرضوا عليها رجلا رجلا وهي لا تتكلم حتى أتى بصاحبها الذي قتلها فعرفته فقيل لها: هذا الذي قتلك؟ فأومأت برأسها أن نعم. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدخ رأسه بين حجرين. فهذا يا أمير المؤمنين حكم الدماء والقسامة فيها سنة قائمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء فقنعوا منه بذلك وصاروا إلى الرضا بقوله والتصديق لروايته والتسليم لتأويل ما تأول من القران الكريم ثم قال له مالك: إن أباك يا أمير المؤمنين بعث إلي في هذا المجلس كما بعثت إلي وحدثته بما حدثتك به في شأن أهل المدينة وما يصبرون عليه من البلاء وشدة الزمان وغلاء الأسعار صبرا على ذلك واختيارا لجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هارون: ذلك هو أبي وأنا ابنه وسوف أفعل ما فعل وأمر لأهل المدينة بعشرة أبيات مال ضعف ما أمر به المهدي وكان أبو يوسف القاضي[3] مع الرشيد يومئذ فسأله أن يجمع بينه وبين مالك ليكلمه في الفقه فقال الرشيد لمالك: كلمه يا أبا عبد الله فأنف من ذلك مالك وتنزه عنه وقال لهارون: هاهنا من فتيان قريش من تلامذتنا من يبلغ حاجة أمير المؤمنين ويخصمه فيما يتكلم به ويذهب إليه فسر ذلك الرشيد حين أضاف ذلك إلى قريش فقال: من هو؟ فقال: المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي[4]. فبعث إليه الرشيد فجمعه بأبي يوسف فقال: كلمني بما بدا لك أجاوبك. فقال أبو يوسف القاضي: يا أمير المؤمنين إن هؤلاء يعني مالكا وأصحابه يقضون بغير ما في كتاب الله يقول الله عز وجل ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [الطلاق] وقال ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُم﴾ [البقرة] وهؤلاء يقضون باليمين مع الشاهد ولا نسمع أن الله تعالى ذكر إلا شاهدين وأربعة شهداء ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قضى به وإنما يدور هذا الحديث الذي روى فيه سهيل عن أبي صالح عن أبيه ثم نسبه سهيل فكان يحدث ويقول حدثني ربيعة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد فلما نسبه سهيل بطل الخبر وأثبت أصله فلا معنى لذكره. قال المغيرة: قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى به علي[5] رضي الله عنه بالكوفة فقال أبو يوسف: أنا أكلمك بالقرآن وأنت تكلمني بأفعال الناس أتراك تعرفني بهذا وبها قضى به علي وغيره؟! فقال المغيرة: فأنت كافر بنبي قضى باليمين مع الشاهد أو مؤمن به؟ فسكت أبو يوسف فحجه المغيرة. فسر بذلك الرشيد وأمر للمغيرة بألف دينار. ثم أرسل الرشيد إلى مالك فقال: ما تقول في هذا المنبر فإني أريد أن أنزع ما زاد فيه معاوية بن أبي سفيان[6] وأرده إلى الثلاث درجات التي كانت بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك: لا تفعل يا أمير المؤمنين فإنما هو من عود ضعيف قد تخرمته المسامير فإن نقضته تفكك وذهب أكثره ومع هذا إنه يا أمير المؤمنين لو أعدته إلى ثلاث درجات لم آمن عليه أن ينتقل عن المدينة يأتي بعدك أحد فيقول أو يقال له ينبغي لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون معك حيث كنت فإنما المنبر للخليفة فينتقل كما انتقل من المدينة كل ما كان بها من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعلم أنه ترك له عليه الصلاة والسلام بها نعل ولا شعر ولا فراش ولا عصا ولا قدح ولا شيء مما كان له هاهنا من آثاره إلا وقد انتقل فأطاعه الرشيد وانتهى عن ذلك برأي مالك بن أنس. وكان ذلك رحمة من الله لأهل المدينة وتثبيتا لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم.

----

*(الأوضاح) بقايا الحلي والصليان. والأوضاح: حلي من فضة. والأوضاح حلي من الدراهم الصحاح

■ (1) مالك بن أنس بن مالك، ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات.

■ (4) المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة واسم أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، الإمام أبو هاشم المخزومي المدني الفقيه. سمع: هشام بن عروة، ويزيد بن عبيد، وابن عجلان، وعبد الله بن سعيد بن أبي هند، وغيرهم. وكان أحد الفقهاء الأعلام، وثقه ابن معين.قال الزبير بن بكار: عرض عليه الرشيد قضاء المدينة فامتنع، فأعفاه ووصله بألفي دينار. قال: وكان فقيه المدينة بعد مالك. وقال محمد بن سلمة المخزومي: قال المغيرة بن عبد الرحمن: نحن أعلم الناس بالقرآن وأجهلهم به. صيرنا العلم بعظيم قدره إلى الجهل بكثير من معانيه. وقال ابنه عياش: مات أبي في سابع صفر سنة 186 هـ. قلت: عاش اثنتين وستين سنة. وقد وثقه جماعة، وضعفه أبو داوود وحده.

■ (3) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، كان تلميذ أبي حنيفة. وهو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة،حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطأة ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ.

■ (5) علي بن أبي طالب، أبو الحسن. ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (6) معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو عبد الرحمن، من الموصوفين بالدهاء والحلم. أول ملوك بني أمية بالشام وهم أربعة عشر ملكا مدة حكمهم نيف وتسعون سنة.ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل بسبع، وقيل بثلاث عشرة. وتوفي بدمشق سنة 60 هـ.

■ (2) حبيب كاتب الرشيد ؟

قال الزبير بن بكار: كان المغيرة بن عبد الرحمن فقيه أهل المدينة بعد مالك بن أنس. وعرض عليه هارون الرشيد قضاء المدينة وجائزة أربعة آلاف دينار فامتنع، فأبى أمير المؤمنين إلا أن يلزمه القضاء. فقال: والله يا أمير المؤمنين لأن يخنقني الشيطان أحب إلي من أن ألي القضاء. فقال الرشيد: ما بعد هذا غاية. وأعفاه من القضاء، وأجازه بألفي دينار.ومات المغيرة سنة 186 هـ. ووقع من البخاري ومسلم قلب في نسب المغيرة فقالا فيه: المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن عياش..

وزعموا أن قوما قعدوا يذكرون الأغنياء من قريش؛ فقال أحدهم: المغيرة بن عبد الرحمن. فقال له القوم: وهل لمغيرة من مال؟ فقال الرجل: أليس له أربع بنات وأربع أخوات؟ وكان المغيرة يقول: لا أزوج كفوءا إلا بألف دينار! فكان، إذا خطب إليه الكفؤ، قال له: قد علمت قولي؟ فيقول له الخاطب: قد علمت، وقد أحضرت المال؛ فيزوجه ويقبض المال منه؛ ثم يقول له: اختم عليه بخاتمك ، فإذا أدخل زوجته، بعدما يجهزها بما يصلحها، ويخدمها خادمين، ويدخل بيتها نفقة سنة، دفع إليها صداقها مختوما بخاتم زوجها؛ ثم يقول لها: هذا مالك، وما جهزناك به صلة منا لك؛ وزوجك أولى بك منا اليوم؛ فأحسني ما بينك وبينه، ثم يسلم عليها، ويودعها، ويقول لها: إنك لن تريني إلا في أحد أمرين: إما مؤدبا لك، وإما ناقلك من بيتك مطلقة أو ميتة.

القسامة : هي أن يوجد قتيل بين قوم فيتهمون بقتله فيتبرؤون من قتله ويقولون: نحن ما قتلناه. فعند ذلك تكون القسامة، وهي أن يطلب من المدعين أن يحلف منهم خمسون، فإن حلفوا وحصل منهم الحلف جميعا فإنه يقضى على أولئك ويدفع إلى المدعين الشخص المدعى عليه بعينه فيؤخذ بالقتيل، وإن لم يحلف المدعون خمسون يمينا، فإن المدعى عليهم هم الذين يحلفون وتبرأ ساحتهم بذلك. فالقسامة سميت قسامة لأن فيها هذا النوع من القسم الذي هو خمسون يمينا من المدعين أو المدعى عليهم، والبدء في الحلف إنما هو بالمدعين؛ لأن عندهم اللوث الذي هو القرينة أو البينة الناقصة، فإن لم يحلفوا حلف المدعى عليهم وسلموا. عن سهل بن أبي حثمة قال:﴿انْطَلَقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ زَيْدٍ إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ فَتَفَرَّقَا فِي حَوَائِجِهِمَا فَأَتَى مُحَيِّصَةُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ قَتِيلًا فَدَفَنَهُ ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ وَحُوَيِّصَةُ وَمُحَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَبِّرْ الْكُبْرَ وَهُوَ أَحْدَثُ الْقَوْمِ فَسَكَتَ فَتَكَلَّمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَحْلِفُونَ بِخَمْسِينَ يَمِينًا مِنْكُمْ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ أَوْ صَاحِبَكُمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَحْلِفُ وَلَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَرَ فَقَالَ أَتُبَرِّئُكُمْ يَهُودُ بِخَمْسِينَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَأْخُذُ أَيْمَانَ قَوْمٍ كُفَّارٍ فَعَقَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِنْدِهِ﴾ (يتشحط في دمه) يضطرب فيه قتيلا (كبر الكبر) أي يتكلم الأكبر (أتحلفون) استفهام طلبي(كيف نحلف ولم نشهد ولم نر) أي أن هذا لا يمكن (فتبرئكم يهود) أي تبرأ من دم صاحبكم بخمسين يمينا أي يحلفون خمسين يمينا أنهم ما قتلوا وما علموا (فعقله) أي ساق ديته من عنده.(القسامة) راجع: كتب مثل كتاب: بدائع الصنائع. وكتاب: تأسيس الأحكام..الخ

اللوث: اللوث عند الشافعي شبه الدلالة ولا يكون بينة تامة وفي حديث القسامة ذكر اللوث وهو أن يشهد شاهد واحد على إقرار المقتول قبل أن يموت أن فلانا قتلني أو يشهد شاهدان على عداوة بينهما أو تهديد منه له أو نحو ذلك.

التدمية : وهي قول القتيل قبل موته: دمي عندي فلان أو فلان قتلني، أو ضربني. فذكر أبو عبدالله الأبي أن المالكية على جعل التدمية شبهة تثبت القسامة، ولكنهم اختلفوا في اشتراط وجود أثر بالقتيل: فبعضهم يقول بإثبات القسامة بمجرد التدمية وإن لم يوجد بالقتيل أي أثر، وعزاه إلى أصبغ. وبعضهم يشترط وجود أثر بالقتيل، وعزاه إلى ابن كنانة واللخمي وابن رشد. قال الأبي –عقب ذكره للقول الثاني-: (وبه العمل).

مراجع: الإمامة والسياسة/ تاريخ الإسلام للذهبي/ لسان العرب/ نسب قريش/.

قال القاضي رحمه الله: قال عبد العزيز بن يحيى: لما قدم أمير المؤمنين المدينة ومعه أبو يوسف[1] والبرمكي[2] وكان قاضيا، لمالك[3] (كذا) يجب خطه ووقعه. فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، إن مالكا حمل الناس على رأيه، ورأى الاستخفاف برأي أهل العراق، فلو جمعت بينه وبين أبي يوسف فإن كان الحق بيده، عرفت ذلك وإن كان الحق بيد غيره عرفت ذلك. فوجه أمير المؤمنين إليه يقرؤه السلام ويأمره بالمثي إليه. فكتب إليه مالك: إن كان أمير المؤمنين أراد أن يسألني عما أشكل عليه فأرى أن يكتب إلي بذلك ليأتيه فيه الجواب، فإني ضعيف البدن لا تحملني رجلاي. فقال له يحيى: يسمع الناس أنك وجهت إلى مالك فلم يأتك فاكتب إليه بعزيمة. ففعل. فجاء مالك فدخل عليه متوكئا على ثلاثة نفر من أصحابه، المغيرة المخزومي[4] وعبد الرحمان بن عبد الله العمري[5] وسعيد بن سليمان المساحقي العامري[6]. فلما جلسوا وكان هؤلاء الثلاثة يومئذ أشراف المدينة والمنظور إليهم فجاء أبو يوسف حتى جلس مستقبل مالك. فقال: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في مناظرة أبي عبد الله؟ فقال: ناظره. فقال أبو يوسف: إن أبا عبد الله يقول: لو أن رجلا أخذ لوزة فحلف بالطلاق أن فيها توأما ثم كسرها كسرا عنيفا فلم يعرف ما فيها لكان حانثا. فقال المساحقي: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في الكلام، فلصقت بمالك، فقلت له: إن هذا يعنتك* فلا تجبه، وأمير المؤمنين لا يكره ذلك، فلما انصرفنا، عاد أبو يوسف، فلم يجبه مالك، وقال: إنما حسبته مسترشدا، وأظنه إنما يسأل معنتا فلا أجيبه.

قال بعضهم: سأل أبو يوسف الرشيد، أن يأمر مالكا يناظره، فقال: ناظره يا أبا الله. فقال مالك: إن العلم ليس كالتحرش بين البهائم والديكة. فلم يعف هارون عنه، وجعل يقول: ناظره. ومالك ساكت. فقال عبد الملك بن الماجشون[7]: إن شيخنا يا أمير المؤمنين، قد جل عن المناظرة والكلام، ونحن تلاميذه نقوم مقامه، فنحن نناظره ونتكلم عنه، فإن رأى خطأ، لم يسكت عليه. فقال هارون: ذاك. فلما تناظرا ذكر أبو يوسف صداق المرأة، وقال: لها إن تصنع به ما شاءت (إن شاءت) رمت به وجاءته في قميص، وإن شاءت جعلته في خيط الدوامة. فقال مالك: لو أن أمير المؤمنين خطب إمرأة من أهله وأصدقها مائة ألف درهم فجاءته في قميص لم يحكم لها بذلك. ولكن يأمرها أن تتجهز وتتهيأ له بما يشبهه مما يتجهز به النساء، فقال هارون: أصبت، قال: وأخذ الحديث إلى أن قال أبو يوسف: أجرى النبي صلى الله عليه وسلم الخيل في الغابة؟ فقال: لا، يا أمير المؤمنين، إنما هي الغابة. وهي وراءك.

قال أبو محمد الزهري: وقال أبو يوسف لمالك: ما تقول في رجل بعث مع رجل دينارا وبعث معه آخر بدينارين فخلطهما، ثم سقط له منها دينار. فقل مالك: أما واحد فلصاحب الاثنين لا شك فيه، وواحد فيه شك، فيتشاطرانه.

قال عبد الملك ابن الماجشون: سأل رجل من أهل العراق مالكا عن صدقة الحبس. فقال: إذا حيزت مضت. فقال العراقي: إن شريحا[8] قال: لا حبس عن كتاب الله. فضحك مالك وكان قليل الضحك ثم قال: رحم الله شريحا، لم يدر. ما صنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا.

----

*(عنت) العسف والحمل على المكروه. أعنته يعنته إعناتا. ويقال العنت أيضا من الإثم عنت يعنت عنتا، إذا اكتسب مأثما.

■ (3) مالك بن أنس بن مالك، ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات.

■ (1) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، كان تلميذ أبي حنيفة. وهو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة،حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطأة ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ.

■ (4) المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة واسم أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، الإمام أبو هاشم المخزومي المدني الفقيه. سمع: هشام بن عروة، ويزيد بن عبيد، وابن عجلان، وعبد الله بن سعيد بن أبي هند، وغيرهم. وكان أحد الفقهاء الأعلام، وثقه ابن معين.قال الزبير بن بكار: عرض عليه الرشيد قضاء المدينة فامتنع، فأعفاه ووصله بألفي دينار. قال: وكان فقيه المدينة بعد مالك. وقال محمد بن سلمة المخزومي: قال المغيرة بن عبد الرحمن: نحن أعلم الناس بالقرآن وأجهلهم به. صيرنا العلم بعظيم قدره إلى الجهل بكثير من معانيه. وقال ابنه عياش: مات أبي في سابع صفر سنة 186 هـ. قلت: عاش اثنتين وستين سنة. وقد وثقه جماعة، وضعفه أبو داوود وحده.

■ (2) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (5) عبد الرحمن بن عبد الله العمري: قاضي مصر، في أيام هارون الرشيد. وهو أول من عمل تابوت القضاة في بيت المال، كان يجعل فيه أموال اليتامى ومال من لا وارث له. قدم إلى مصر، قاضيا من قبل الرشيد، سنة 185 هـ، واستمر تسع سنين وشهرين. وعزله الأمين لما ولي الخلافة سنة 194 هـ وفرح الناس بعزله. وسجنه القاضي الذي جاء بعده، فهرب من السجن ولم يدرك. له أخبار كثيرة. ولبعض الشعراء هجاء فيه. وكانت له معرفة بالغناء، قال الكندي: ولم تكن بمصر مسمعة إلا ركب إليها يسمع غناءها، وربما قوم ما انكسر من غنائها. توفي بعد 194 هـ

■ (6) سعيد بن سليمان المساحقي، هو سعيد بن سليمان بن نوفل بن مساحق ابن عبد الله بن مخرمة. كان من جلساء مالك وأصحابه، وعليه دخل مالك على الرشيد متوكئا وعلى المخزومي والعامري. وإنما سعيد ابن عبد الرحمان جمحي أخذ عنه أيضا، وذكره ابن شعبان أيضا. قال الزبير: كان المساحقي من سراة قريش عقلا وجلدا وجمالا وشعرا وأدبا، وعارضة. وكان مسددا في قضائه. هو أول قاض استقضاه المهدي بالمدينة وأقره الرشيد صدرا من ولايته. ومات سعيد وهو عند العباس وأمه أمة الوهاب ابنة عمر بن مساحيق

■ (8) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية: من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الاسلام. أصله من اليمن. ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية. واستعفى في أيام الحجاج، فأعفاه سنة 77 هـ. وكان ثقة في الحديث، مأمونا في القضاء، له باع في الادب والشعر. وعمر طويلا، ومات بالكوفة سنة 78 هـ.

■ (7) عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله التيمي بالولاء أبو مروان ابن الماجشون: فقيه مالكي فصيح، دارت عليه الفتيا في زمانه، وعلى أبيه قبله. أضر في آخر عمره. وكان مولعا بسماع الغناء في إقامته وارتحاله.توفي سنة 212 هـ

☪

قال بعضهم: لما قدم الرشيد المدينة ،وقال آخر: بعض الخلفاء (قيل: المهدي؟)، أراد أن ينقض منبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لمالك: ما ترى؟ فقال: ما أرى! فغضب وقال: لقد زاد فيه معاوية. فقال مالك: إن المنبر إذ ذاك كان صلبا فلست آمن إن نقضته أن تذهب البركة منه. وفي رواية: أن يتهافت، فيتشاءم الناس منك، ويقولون: زال على يده أثر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: أحسن الله جزاءك. فترك ما كان نواه. قال: وشاور المهدي مالكا في ثلاثة أشياء، في الكعبة أن ينقضها ويردها على ما كانت عليه، فأشار عليه أن لا يفعل، وفي النبر أن ينقضه ويرده على ما كان عليه، وذلك حين أراد أن يرد المنابر كلها صغارا على منبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له مالك: إنما هو من طرفاء الغابة* وقد سمر إلى هذه العيدان، يعني التي زادها معاوية (عامله مروان؟)، وأخشى إن نقضته أن يخرب وينكسر، ولولا ذلك لرأيت أن ترده إلى حالته الأولى، وشاوره في نافع بن أبي نعيم[1] القارىء، أن يقدمه للصلاة فأشار عليه أن لا يفعل. وقال: هو إمام الآف أن يكون منه شيء من الغفلة فيحكى عنه.

قالت العلماء: إن مسألة وضع كتاب واحد برأي واحد في كل مسألة ليحمل الناس عليه تكررت من الخليفة أبي جعفر المنصور ثم الخليفة المهدي ثم من الخليفة هارون الرشيد، وفي كل مرة كان مالك يبين أن المصلحة في عدم حمل الناس على راي واحد أرجح، فمما روي في ذلك: أن المهدي قال لمالك: ضع كتابا أحمل الأمة عليه، فقال مالك: يا أمير المؤمنين، أما هذا الصقع وأشار إلى المغرب، فقد كفيتكه، وأما الشام ففيهم الرجل الذي علمته، يعني الأوزاعي، وأما أهل العراق فهم أهل العراق. كذلك ورد أن مالكا قال: شاورني هارون الرشيد في ثلاثة، أن يعلق الموطأ في الكعبة، ويحمل الناس على مافية، وفي أن ينقض منبر رسوله الله صلى الله عليه وسلم ويجعله من جوهر وذهب وفضه، وفي أن يقدم نافع بن نعيم إماما يصلي بالناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت:يا أمير المؤمنين، أما تعليق الموطأ في الكعبة فإن أصحاب رسول الله اختلفوا في الفروع فافترقوا في البلدان، وكل عند نفسه مصيب، وأما نقض المنبر فلا أرى أن تحرم الناس أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تقدمك نافعا يصلي بالناس فإن نافعا إمام في القراءة لا يؤمن أن تبدر منه في المحراب بادرة فتحفظ عنه. فقال: وفقك الله يا أبا عبد الله.

دخل محمد بن عجلان[2] على مالك وكانت فيه حدة. فقال له وهو قائم: أرأيت الذي يفتي الناس فيه أن محرم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذي الحليفة؟ فقال له مالك: إن جلست فاستمعت كلمتك. فجلس. فقال له مالك: أرأيت إن كان ماقلت أن محرم رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيداء، أليس يأتي على ذلك ويدخل فيه ما أقول؟ قال بلى. فقلت: أفرأيت لو أقول إن محرمه صلى الله عليه وسلم من المسجد أليس يخرج من ذلك من عمل بما تقول، وقد اختلف في ذلك؟ فالحيطة في مسجد ذي الحليفة والحديث فيه أقوى، وقد قال ابن عمر: بيداؤكم هذه التي تكذبون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر الرواية عنه، وكان معه في صحبته يدون أفعاله ليفعلها ويستقريها، حتى إن كان ليخرج إلى الحج والعمرة فيتحرى في بعض المواضع التي عرف مواطىء أخفاف راحلة النبي صلى الله عليه وسلم، وعاش بعده ثلاثا وستين سنة، ويرى ما فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلم يزل يكلمه حتى تبين لابن عجلان قوله. فقام إلى رأس مالك فقبله.قال حامد بن يحيى وغيره، وبعضهم يزيد على بعض: فأتيناه بالخبر كاملا بزيادته. اجتمع عند أمير مكة مالك بن أنس وعمر بن قيس المعروف بسندل أخو حميد بن قيس[3] فقيل لعمر: هذا رجل من ذي أصبح. قال: وأنا رجل من ذي أمسى. وأقبل على مالك، فقال له: ما تقول فيمن كسر ثنية ظبي؟ فقال عليه ما نقصته. فقال عمر: الأحيان يخطىء والأحيان لا يصيب. فقال مالك: هكذا الناس. ثم فطن فقال عمر: لا لكن هذا أنت، فقام مالك على الأمير وقال: ما ظننت أن الأمير يحضر مجلسه اللعابين. ثم قال: من هذا؟ قيل: عمر بن قيس أخو حميد. فقال: لو علمت أن لحميد أخا مثل هذا ما رويت عنه.

----

* (الغابة) الأجمة ذات الشجر المتكاثف؛ لأنها تغيب ما فيها، وقيل الغابة: الأجمة التي طالت ولها أطراف باسقة، يقال: ليث غابة. وقيل الغابة أجمة القصب. وفي الحديث: كان منبر الرسول من أثل الغابة، وفي رواية من طرفاء الغابة، والغابة غيضة ذات شجر كثير، وهي على تسعة أميال من المدينة. وقيل: "موضع قريب من المدينة. والعرب تسمي ما لم تصبه الشمس من النبات كله: الغيبان.

■ (2) محمد بن عجلان. مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة.ولد في خلافة عبد الملك بن مروان.وكان فقيها مفتيا عابدا صدوقا، كبير الشأن. له حلقة كبيرة في مسجد رسول الله. وقد خرج على المنصور مع ابن حسن، فلما قتل ابن حسن، هم والي المدينة جعفر بن سلميان أن يجلده. فقالوا له، أصلحك الله: لو رأيت الحسن البصري فعل مثل هذا أكنت تضربه ؟ قال: لا. قيل: فابن عجلان في أهل المدينة كالحسن في أهل البصرة، وقيل: إنه هم بقطع يده حتى كلموه، وازدحم على بابه الناس. قال: فعفا عنه.قالوا: ومات ابن عجلان سنة 148 هـ.

■ (3) حميد بن قيس أبو صفوان المكي الأعرج مولى بني أسد ابن عبد العزى وقيل: مولى منظور بن زبان الفزاري وهو أخو عمر بن قيس الملقب بسندل روى عنه مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة، وفد على عمر بن عبد العزيز. توفي في خلافة أبي العباس، وكانت خلافته سنة 132 هـ.

■ (1) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني: أحد القراء السبعة المشهورين. كان أسود، شديد السواد، صبيح الوجه، حسن الخلق، فيه دعابة. أصله من أصبهان. اشتهر في المدينة وانتهت إليه رياسة القراءة فيها، وأقرأ الناس نيفا وسبعين سنة، وتوفي بها سنة 169 هـ.

مراجع: ترتيب المدارك وتقريب المسالك/ الأعلام للزركلي/ مقاييس اللغة/ خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى/ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام/ المجروحين/ مجلة جامعة أم القرى/

قال سعيد بن داود بن أبي زنبر: دخل هارون المدينة ومعه أبو يوسف[1] فأتى إليه مالك[2]، فسلم عليه وأبو يوسف عن يسار الرشيد وأبناؤه الأمين[3] والمأمون[4] تجاهه، فلما دخل مالك غمز ابنيه فقال: قوما بين يدي عمكما، حتى يخرج. يعني مالكا. قال أبو يوسف: فدخل وكان على مالك ثياب عتيقة سود، فو الله ما رأيت قط أحسن منه فيها. فتزحزح هارون له حتى أجلسه معه على المنصة، فكأن أبا يوسف حسده فقال له: ما تقول يا أبا عبد الله في محرم كسر ثنيه ظبي؟ فقال مالك: عليه الفدية. فضحك أبو يوسف وقال: وهل للظبي ثنايا؟ فرفع مالك رأسه إلى هارون وقال له: يا سبحان الله، ما علمت أن أحدا يذكر العلم فيضحك. فلا وقر العلم ولا مجلس أمير المؤمنين، وإنما أجبته إن كان الظبي في حالة يكون له سن في موضع الثنايا، ففعله محرم فعليه الفدية وإلا فقد علمته ما علم، وليس هذا ينبغي لناس أن يعلموه ولا هو واجب عليهم. ولكن ما تقول في إمام عرفة إذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة. هل عليه أن يجهر بالقراءة ؟، فإن هذا واجب على المسلمين أن يعملوه. فقال أبو يوسف: يجهر بها. فقال مالك: أخطأت، والله ما يذهب هذا على صبيان مكة وسودانهم دون غيرهم، الجمعة إذا وافقت عرفة لا يجهر فيها يتوارثها الأبناء عن الآباء من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زماننا هذا. ثم التفت إلى هارون وقال: يا أمير المؤمنين، سفيه سأل عن مسائل لسفهاء، توليه على أمور المسلمين، وقام، فلما كان وقت الرواح عاد إليه وهو متكىء على المغيرة[5] والمساحقي[6]، فسلم عليه، فالتفت أبو يوسف إلى هارون، فقال: يا أمير المؤمنين، أبو عبد الله لا يحدث عن إباء أمير المؤمنين، العباس وعبد الله وعلي، وإنما يحدث عن معاوية ومروان وابنه، قد جعل أحاديثهم سننا. قال: ومالك ساكت. فقال المغيرة: يأذن لي أمير المؤمنين في الكلام؟ قال: تكلم. قال: إن عبد الله يحدث عن أباء أمير المؤمنين العباس وابنه وعن بني أعمامه علي وأولاده وعن أعطاف أمير المؤمنين معاوية ومروان وابنه ولا يحدث عن فلان الفلاني ولا يحدث عن فلان القتات ولا فلان صاحب الشعر وهؤلاء معروفون لا شك فيهم. يعني الذي روى مالك عنهم. فنكس أبو يوسف رأسه وسكت. فقام مالك، فقال: يا أمير المؤمنين، قد حضرتني العلة التي ذكرتها لتسعفني. وأما أبو يوسف فرجل بطال ومن علم أن الزمان يفنى والموت يأتي يكون عمله بخلاف عمل يعقوب.

قال سعيد بن أبي مريم[7] ومصعب بن عيد الله[8]: قدم هارون المدينة ومعه أبو يوسف فدخل عليه مالك، فرفعه فوق أبي يوسف. وقال مصعب: فقال مالك: أين يجلس الشيخ؟ فقال هارون: حيث شاء، فجلس فوق أبي يوسف. فقال له: يا يعقوب ناظر أبا عبد الله. فقال أبو يوسف: ما تقول في رجل قال لإمرأته: أنت طالق ملء سكرجة*؟ فأطرق مالك ساعة ثم رفع رأسه، فقال له هارون: أجبه يا أبا عبد الله. فقال مالك: نظرت مسألة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقول الصحابة والتابعين فلم أجد أصل مسألته فيها، ولا خير في علم لا يكون فيما ذكرته. فالتفت هارون إلى أبي يوسف وقال له: يا يعقوب إن أبا عبد الله اجتث مسائلك من اصلها. قال مصعب، فقال: يا أمير المؤمنين ليس عنده في ذلك شيء. ولو كان لأجاب، وضحك. فالتفت إليه مالك وقال: ساء ما أدبك أهلك أتضحك في مجلس أمير المؤمنين؟ فخجل أبو يوسف، ثم سأل أمير المؤمنين مالكا عن مسائل فأجابه فيها فسر بذلك.

وكان في المجلس رجل يقال له سندل[9] فقال: إن أبا عبد الله مرة يخطىء ومرة لا يصيب. فقال مالك: كذا الناس. فلما فكر في قوله غضب غضبا شديدا، ثم قال: يا أمير المؤمنين، قال الله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد] الآية. وما ظننت أن أحدا من المسلمين يذكر الله ورسوله فلا يمرض قلبه خوفا لهما. قال الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب] فلا عرفتم حق عظمة الله ولا عرفتم قدر رسوله ولا عرفتم حق مجلس أمير المؤمنين ثم قام مغضبا. يقول: بليتم وبلي بكم أهل الإسلام وخرج. فصعب ذلك على هارون وقال لأبي يوسف: قم والحق الشيخ وارضه، وخرج، فوجد مالكا قد جلس في حانوت صديق له سراج يستريح فيه [فأقبل؟] أبو يوسف على فرس فحل بين يديه، وقال: كيف تراني يا أبا عبد الله؟ فنظر إليه، وقال: مثل قيصر في قومه. فخجل ومضى.

قال أبو مصعب: قال أبو يوسف: تؤذنون بالترجيع وليس عندكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه حديث. فالتفت مالك إليه وقال: يا سبحان الله، ما رأيت أمرا أعجب من هذا ينادى على رؤوس الإشهاد في كل يوم خمس مرات يتوارثه الأبناء عن الآباء من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زماننا هذا، أيحتاج فيه إلى فلان عن فلان. هذا أصح عندنا من الحديث.وسأله عن الصاع، فقال: خمسة أرطال وثلث، فقال: ومن أين قلتم ذلك؟ فقال مالك لبعض أصحابه: أحضروا ما عندكم من الصاع، فأتى أهل المدينة أو عامتهم من المهاجرين والأنصار وتحت كل واحد منهم صاع. فقال: هذا صاع ورثته عن أبي جدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال مالك: هذا الخبر الشائع عندنا أثبت من الحديث. فرجع أبو يوسف إلى قوله.

قال معن: دخل مالك على هارون وعنده أبو يوسف فلم يزل هارون يدنيه حتى أخذ بيده وأجلسه إلى جنبه، وجعل يسأله يا أبا عبد الله يا أبا عبد الله. فقال له أبو يوسف: كيف أنت يا أبا عبد الله؟ فأعرض عنه، فقال هارون: هذا قاضينا. فأعرض عنه. وسأله أبو يوسف عن مسألة فلم يجبه. فقال له هارون: أجبه. فقال مالك، وهو معرض عنه: إذا رأيتنا جلسنا إلى أهل الباطل فتعالى أجيبك.قال ابن حنبل: سأل أبو يوسف مالكا عن مسألة عند هارون، فقال أبو يوسف لهارون: قل له يجبني.فقال: ساء ما أدبك أهلك.

----

*(سكرجة) هي إناء صغير يؤكل فيه الشئ القليل من الادم

■ (2) مالك بن أنس بن مالك، ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات.

■ (1) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، كان تلميذ أبي حنيفة. وهو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة،حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطأة ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ

■ (5) المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة واسم أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، الإمام أبو هاشم المخزومي المدني الفقيه. سمع: هشام بن عروة، ويزيد بن عبيد، وابن عجلان، وعبد الله بن سعيد بن أبي هند، وغيرهم. وكان أحد الفقهاء الأعلام، وثقه ابن معين.قال الزبير بن بكار: عرض عليه الرشيد قضاء المدينة فامتنع، فأعفاه ووصله بألفي دينار. قال: وكان فقيه المدينة بعد مالك. وقال محمد بن سلمة المخزومي: قال المغيرة بن عبد الرحمن: نحن أعلم الناس بالقرآن وأجهلهم به. صيرنا العلم بعظيم قدره إلى الجهل بكثير من معانيه. وقال ابنه عياش: مات أبي في سابع صفر سنة 186 هـ. قلت: عاش اثنتين وستين سنة. وقد وثقه جماعة، وضعفه أبو داوود وحده.

■ (6) سعيد بن سليمان المساحقي، هو سعيد بن سليمان بن نوفل بن مساحق ابن عبد الله بن مخرمة. كان من جلساء مالك وأصحابه، وعليه دخل مالك على الرشيد متوكئا وعلى المخزومي والعامري. وإنما سعيد ابن عبد الرحمان جمحي أخذ عنه أيضا، وذكره ابن شعبان أيضا. قال الزبير: كان المساحقي من سراة قريش عقلا وجلدا وجمالا وشعرا وأدبا، وعارضة. وكان مسددا في قضائه. هو أول قاض استقضاه المهدي بالمدينة وأقره الرشيد صدرا من ولايته. ومات سعيد وهو عند العباس وأمه أمة الوهاب ابنة عمر بن مساحيق

■ (4) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

■ (3) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة198 هـ

■ (9) عمر بن أبى كبشة المكى: أبو حفص المعروف بسندل، أخو حميد بن قيس الأعرج المقرىء، مولى آل بنى أسد بن عبد العزى، ويقال له: مولى آل منصور (منظور؟) بن سيار الفزارى. يروى عن عطاء وكان فيه دعابة يقلب الاسانيد ويروى عن الثقات ما لا يشبه حديث الاثبات.

■ (7) سعيد بن أبي مريم، الحافظ العلامة الفقيه، محدث الديار المصرية، أبو محمد، سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم الجمحي مولاهم المصري. قال أبو سعيد بن يونس: سعيد بن الحكم بن أبي مريم الفقيه مولى أبي فاطمة، ويقال: أبو فطيمة، مولى أبي الضبيع، مولى بني جمح. ولد سنة أربع وأربعين 144 هـ، ومات سنة 224 هـ.

■ (8) مصعب بن عيد الله ؟

☪

قال الزبير: كان المغيرة، فقيه المدينة بعد مالك. قال أبو عمر بن عبد البر: كان مدار الفتوى في زمان مالك وبعده علي المغيرة ومحمد بن دينار. حكى ذلك عبد الملك بن الماجشون، وكان ابن أبي حازم ثالثهم في ذلك، وعثمان بن كنانة وابن نافع. قال ابن بكير: كان المغيرة يفتي في حياة مالك، وللمغيرة كتب فقه قليلة في أيدي الناس، قال الواقدي: كان المغيرة فقيه أهل المدينة بعد مالك. قال غيره: كان بين المغيرة ومالك أول أمره معارضته ثم زالت آخرا وجالسه. قال محمد بن عبد الله البكري: رأيت المغيرة يأتي مالكا فيستند في المجلس وما يرتفع إلى مجلس مثله. وقال غيره: وكان لمالك مجلس كالدكة يقعد فيه وإلى جانبه المخزومي لا يقعد فيه سواه، وإن غاب المخزومي. قال الزبير: وعرض عليه أمير المؤمنين الرشيد قضاء المدينة وجائزة أربعة آلاف دينار فامتنع، فأبى إلا أن يلزمه ذلك، فقال والله يا أمير المؤمنين لئن يخنقني الشيطان أحب إلي من أن ألي القضاء. فقال الرشيد ما بعد هذا شيء، وأعفاه. وأجازه بألفي دينار. وقال الواقدي: لما جمع الرشيد بين مالك وأبي يوسف وأبي مالك أن يناظره، قام المغيرة وقال: يا أمير المؤمنين، منا من يكفي أبا عبد الله الجواب إن أذن أمير المؤمنين. قال من هو؟ قال: أنا. فأذن له فناظره المغيرة في مسألة من الرهن، وكان فقيه المدينة بعد مالك، فقويت حجة المغيرة على أبي يوسف فتناظرا إلى المغرب حتى خرجوا. قال الواقدي: فقال لي يحيى بن برمك: يا واقدي ماذا لقي صديقك أبو يوسف من المغيرة؟ لقد حيره حتى جعلت أتمنى أن يؤذن المؤذن بالمغرب فيتفرق المجلس لما لقي أبو يوسف منه. وقال المغيرة لمالك حين خرجوا: كيف رأيت مناظرتي للرجل؟ قال رأيتك مستعليا عليه، غير أنك كنت تترك شيئا. قال وما هو؟ قال كنت إذا ظهرت عليه في مسألة فضاقت به، أخرجك إلى غيرها وتخلص منها بذاك، وكان ينبغي أن لا تفارقه فيها حتى يفرغ منها.

☪

قال علي بن نايف الشحود: اتفق الفقهاء على الصيغة الأصلية للأذان المعروف الوارد بكيفية متواترة من غير زيادة ولا نقصان، وهو مثنى مثنى،كما اتفقوا على التثويب، أي الزيادة في أذان الفجر بعد الفلاح وهي: الصلاة خير من النوم. مرتين، عملا بما ثبت في السنة عن بلال،ولقوله صلى الله عليه وسلم لأبي محذورة :... فإذا كان أذان الفجر، فقل: الصلاة خير من النوم مرتين. واختلفوا في الترجيع ؛ وهو أن يأتي بالشهادتين سرا قبل أن يأتي بهما جهرا، فأثبته المالكية والشافعية، وأنكره الحنفية والحنابلة، لكن قال الحنابلة: لو أتى بالترجيع لم يكره. قال الحنفية والحنابلة على المختار: الأذان خمس عشرة كلمة، لا ترجيع فيه، كما جاء في خبر عبد الله بن زيد، وهي: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة،حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر،الله أكبر، لا إله إلا الله. واتفقوا على أن الأذان مثنى ما عدا الجملة الأخيرة منه، وهي قول: لا إله إلا الله. فهي مفردة. ودليلهم حديث أنس بن مالك قال: أمر بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة إلا الإقامة.

مراجع: ترتيب المدارك وتقريب المسالك/ الأعلام للزركلي/ موسوعة الخطب والدروس/

قال الفضيل بن عياض[1] لهارون الرشيد: إن الله لم يجعل أحدًا من هؤلاء فوقك في الدنيا، فاجهد نفسك أن لا يكون أحدٌ منهم فوقك في الآخرة، فاكدح لنفسك وأعملها في طاعة ربك. وقال له ابن السماك:[2] إن الله لم يجعل أحدًا فوقك، فاجتهد أن لا يكون فيهم أحد أطْوَعَ إلى الله منك. فقال: لئن كنت أقصرت في الكلام لقد أبلغت في الموعظة. ودخل عليه ابن السماك يومًا فاستسقى الرشيد فأُتِي بقُلة فيها ماء مبرد. فقال لابن السماك: عظني. فقال: يا أمير المؤمنين، بكم كنت مشتريًا هذه الشربة لو مُنِعتها؟ فقال: بنصف ملكي. فقال: اشرب هنيئًا. فلما شرب قال: أرأيت لو مُنِعت خروجها من بدنك بكم كنت تشتري ذلك؟ فقال: بنصف ملكي الآخر. فقال: إن ملكًا قيمة نصفه شربة ماء وقيمة نصفه الآخر بَوْلة لخليق أن لا يُتنافَس فيه، فبكى هارون. وقال له ابن السماك يومًا: إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث منه وحدك، فاحذر المقام بين يدي الله عزَّ وجلَّ والوقوف بين الجنة والنار حين يؤخذ بالكظم، وتزل القدم، ويقع الندم، فلا تقبل توبة، ولا عثرة تقال، ولا يقبل فداء بمال. فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته. فقال يحيى بن خالد:[3] يا ابن السماك، لقد شققت على أمير المؤمنين الليلة. فقام فخرج من عنده وهو يبكي.

قال له ابن عياض في كلام كثير ليلة وعظه بمكة:يا صبيح الوجه، إنك مسؤول عن هؤلاء كلهم وقد قال الله تعالى﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة] حدثنا ليث عن مجاهد قال:الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا.فبكى الرشيد حتى جعل يشهق حدث سفيان بن عيينة[4] قال: دعانا هارون الرشيد فدخلنا عليه، ودخل الفضيل آخرنا مقنعا رأسه بردائه، فقال لي: يا سفيان، وأيهم أمير المؤمنين فقلت: هذا، وأومأت إلى الرشيد، فقال له: يا حسن الوجه، أنت الذي أمر هذه الأمة في يدك وعنقك لقد تقلدت أمرا عظيما، فبكى الرشيد، ثم أتي كل رجل منا ببدرة، فكل قبلها إلا الفضيل، فقال الرشيد: يا أبا علي إن لم تستحل أخذها فأعطها ذا دين أو أشبع بها جائعا أو اكس بها عاريا فاستعفاه منها، فلما خرجنا قلت: يا أبا علي، أخطأت، ألا أخذتها وصرفتها في أبواب البر فأخذ بلحيتي ثم قال: يا أبا محمد، أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط لو طابت لأولئك لطابت لي.

وحج هارون الرشيد، فأرسل إلى سفيان بن عيينة فأمره أن يحدث بنيه، فقال يا أمير المؤمنين قد سألني الناس فامتنعت عليهم، ولكني أجلس لبنيك وللناس، فقال: نعم. فلما جلس صاح به الناس: سألناك الجلوس لنا فأبيت علينا،فلما جاءك المال والجائزة جلست.فقال للمستملي: أنصتهم لي.فصاح المستملي: صه صه. فسكت الناس، فأخرج سفيان بن عيينة رأسه إليهم،وقال: حدثني الزهري، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ما شيء أحل وأطيب من ثلاثة :صداق الزوجة، والميراث،وما أتاك الله به من غير مسألة، فإنه رزق ساقه الله إليك﴾ والله ما جئت هذا الرجل ولا سألته شيئا من ماله، ولو وجه إلي شطر ماله لقبلته، ثم أدخل رأسه ولم يحدثهم في ذلك الموسم بشيء.

----

(1) أبو علي، الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الفنديني، الزاهد المشهور، كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تاليا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد] فقال: يا رب قد آن، فرجع، وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وآمنهم. وكان من كبار السادات، ومناقب الفضيل كثيرة. ومولده بأبيورد، وقيل بسمرقند، ونشأ بأبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات في المحرم سنة 187هـ.

(2) ابن السماك، أبو العباس محمد بن صبيح المذكر مولى بني عجل، المعروف بابن السماك القاص الكوفي الزاهد المشهور؛ كان زاهدا عابدا حسن الكلام صاحب مواعظ، جمع كلامه وحفظ، ولقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم: مثل هشام بن عروة والأعمش وغيرهما. وروى عنه أحمد بن أحمد بن حنبل وأنظاره؛ وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة 183هـ.

(4) سفيان بن عيينة، أبو محمد بن سفيان بن عيينه بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولى امرأة من بني هلال بن عامر رهط ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل مولى بني هاشم، وقيل مولى الضحاك بن مزاحم، وقيل مولى مسعر بن كدام؛ وأصله من الكوفة، وقيل ولد بالكوفة ونقله أبوه إلى مكة، كان إماما عالما ثبتا حجة زاهدا ورعا مجمعا على صحة حديثه وروايته، وحج سبعين حجة. روى عن الزهري وأبي إسحاق السبيعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر وأبي الزناد وعاصم بن أبي النجود المقرئ والأعمش وعبد الملك بن عمير وغير هؤلاء؛ وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد ابن إسحاق وابن جريج والزبير بن بكار وعمه مصعب وعبد الرزاق بن همام الصنعاني ويحيى بن أكثم القاضي وخلق كثير. ولد سفيان بالكوفة في منتصف شعبان سنة 107 هـ. وتوفي يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة، وقيل أول يوم من رجب سنة 198 هـ بمكة ودفن بالحجون.

(3) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

قال الله تعالى:﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة] (تقطعت) تفرقوا وانقسموا على أنفسهم و(الأسباب) جمع سبب وهو في الأصل الحبل ثم استعير لكل شيء يتوصل به إلى أمر من الأمور. قال ابن عباس: المودة. وقال: الوصلات في الدنيا، أي التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا من رحم و نسب وولاء وتبعية وغيرها جمع وصلة وهي الاتصال وكل ما يصل بين شيئين. وأبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا [الانشقاق] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ﴾ قال كعب: يقول الله عز وجل للإمام الجائر:﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة] فيسحب على وجهه، فينتشر لحمه وعظامه ومخه. ذكر أعرابيّ السلطان الجائر فقال: ﴿أَمَّا وَاللهِ لَئِنْ عَزُّوا فِي الدُّنْيَا بِالْجَوْرِ لَقَدْ ذَلُّوا فِي الآخِرَةِ بِالعَدْلِ﴾.

ذكر الزمخشري[1] في كتاب ربيع الأبرار في آخر باب الطعام أن الفضيل قال يوما لأصحابه: ما تقولون في رجل في كمه ثمر يقعد على رأس الكنيف فيطرحه فيه ثمرة ثمرة قالوا: هو مجنون، قال: فالذي يطرحه في بطنه حتى يحشوه فهو أجن منه، فإن هذا الكنيف يملأ من هذا الكنيف. ومن كلام الفضيل: إذا أحب الله عبدا أكثر غمه، وإذا أبغض عبدا وسع عليه دنياه. وقال: لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي على أن لا أحاسب عليها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه. وقال: ترك العمل لأجل الناس هو الرياء، والعمل لأجل الناس هو الشرك. وقال: إني لأعصى الله تعالى فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي. وقال: لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه ويحسن خلقه معهم خير له من قيام ليله وصيام نهاره. قال الأصمعي: نظر الفضيل إلى رجل يشكو إلى رجل فقال للشاكي: يا هذا؛ تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك. قال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل ثلاثين سنة، ما رأيته ضاحكا ولا متبسما إلا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك، فقال: إن الله أحب أمرا فأحببت ذلك الأمر، وكان ولده المذكور شابا سريا من كبار الصالحين. وقال الفضيل: لو أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام. قيل: وكيف ذلك يا أبا علي؟ قال: متى صيرتها في نفسي لم تجزني، ومتى صيرتها في الإمام، فإصلاح الإمام إصلاح العباد والبلاد، قيل: وكيف ذلك يا أبا علي؟ فسر لنا هذا، قال: أما إصلاح البلاد فإذا أمن الناس ظلم الإمام عمروا الخراب، فتزكو الأرض، وأما العباد فينظر إلى قوم من أهل الجهل، يقول: قد شغلهم طلب المعيشة عن طلب ما ينفعهم من تعلم القرآن وغيره، فيجمعهم في دار، خمسين خمسين، أقل أو أكثر، يقول لرجل: لك ما يصلحك وعلم هؤلاء أمر دينهم. وانظر ما أخرج الله من فيهم مما يزكي الأرض فرجه عليهم. فقال: كذا صلاح البلاد والعباد. قال رباح الكوفي: إن ابن المبارك قبل جبهته في جبهته في هذا الحديث فقال: يا معلم الخير من يحسن هذا غيرك؟ وقال الفضيل: ما لكم وللملوك؟ ما أعظم منتهم عليكم أن قد تركوا لكم طريق الآخرة! فاركبوا طريق الآخرة، ولكن لا ترضون، تعيبونهم بالدنيا ثم تزحمونهم على الدنيا! ما ينبغي لعالم أن يرضى بهذا لنفسه. وقال الفضيل: إنما ينبغي للدنيا أن تتلاعب بالجاهل لا بالعالم. وقالوا له: لو كلمت هارون في أمر الرعية فإنه يحبك. قال: لست هناك؛ فكرر القول عليه فقال: لو كنت داخلا عليه يوما ما كلمته إلا في علماء السوء، أقول: يا أمير المؤمنين، إنه لا بد للناس من راع. ولا بد للراعي من عالم يشاوره، ولا بد له من قاض ينظر في أحكام المسلمين، وإذا كان لا بد من هذين الرجلين فلا يأتك عالم ولا قاض إلا على حمار بإكاف خلفه أغبر، فبالحري أن يؤدوا إلى الراعي والرعية النصيحة؛ يا أمير المؤمنين، متى يطمع العلماء والقضاة أن يؤدوا إليك النصيحة ومركب أحدهم بكذا وكذا؟ فإذا حملتهم على حمر بأكف، فبالحري أن يؤدوا إليك النصيحة. قال: وقال الفضيل: تقرأ في وترك: نخلع ونترك من يفجرك (الدعاء!). ثم تعدو إلى الفاجر فتعامله! قال: وقال الفضيل: لا تنظر إليهم من طريق الغلظة عليهم، ولكن انظر من طريق الرحمة. يعني السلطان. قال فضيل: آفة العلم النسيان، وآفة القراء العجب والغيبة، وأشد الناس عذابا يوم القيامة الساعي والنمام، واحذروا أبواب الملوك فإنها تزيل النعم. وتذهب بالنعم. قلنا: يا أبا علي، هذا الحديث الذي جاء: إن عليها فتنا كمبارك الإبل؟ - ﴿قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ عَلَى أَبْوَابِ السُّلْطَانِ فِتَنًا كَمَبَارِكِ الإِبِلِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تُصِيبُونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ شَيْئًا إِلا أَصَابُوا مِنْ دِينِكُمْ مِثْلَيْهِ﴾- قال: لا، ولكنه هو الرجل يكون عليه من الله نعمة، لا يكون به إلى خلق من خلق الله حاجة، فإذا دخل على هؤلاء ورأى ما قد بسط لهم استصغر ما هو فيه، فمن ثم تذهب النعمة أو تزول النعمة. وقال فضيل: ليس الآمر الناهي الذي يدخل عليهم يأمرهم وينهاهم ثم يدعونه بعد إلى طعامهم وشرابهم فيجيبهم، إنما الآمر الناهي الذي اعتزلهم ولم يدخل عليهم، فهو الآمر الناهي.

ومن كلام ابن السماك: خف الله كأنك لم تطعه، وارج الله كأنك لم تعصه. وكان هارون الرشيد قد حلف أنه من أهل الجنة، فاستفتى العلماء فلم يفته أحد بأنه من أهلها فقيل له عن ابن السماك المذكور، فاستحضره وسأله، فقال له هل قدر أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفا من الله تعالى فقال: نعم، كان لبعض ألزمي جارية فهويتها وأنا إذ ذاك شاب، ثم إني ظفرت بها مرة، وعزمت على ارتكاب الفاحشة معها، ثم إني فكرت في النار وهولها وأن الزنا من الكبائر، فأشفقت من ذلك، وكففت عن الجارية مخافة من الله تعالى، فقال له ابن السماك: أبشر يا أمير المؤمنين فإنك من أهل الجنة، فقال هارون: ومن أين لك هذا فقال: من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات] فسر هارون بذلك. ودخل على بعض الرؤساء يشفع إليه فقال له: إني أتيتك في حاجة، وإن الطالب والمطلوب منه عزيزان إن قضيت الحاجة، ذليلان إن لم تقضها، فاختر لنفسك عز البذل على ذل المنع، واختر لي عز النجح على ذل الرد؛ فقضى حاجته. وتكلم يوما وجاريته تسمع كلامه، فقال لها: كيف سمعت كلامي فقالت هو حسن، لولا أنك تردده، فقال: أردده كي يفهمه من لم يفهمه، فقالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه يمله من فهمه. وأخباره ومواعظه كثيرة، رحمه الله.

----

(1) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جار الله أبو القاسم. من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) سنة 467 هـ وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية، (من قرى خوارزم) فتوفي فيها، سنة 538 هـ وله ديوان شعر. وكان معتزلي المذهب مجاهرا شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره. أشهر كتبه (الكشاف)، و(المقدمة) معجم عربي فارسي مجلدان، و(مقدمة الأدب) في اللغة و(الفائق) في غريب الحديث، و(المستقصي) في الأمثال، مجلدان، و(رؤوس المسائل) وغيرها الكثير.

مراجع: صحيح البخاري/ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار/ سراج الملوك/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ صفة الصفوة/ شرح السنة للبغوي/ بهجة المجالس وأنس المجالس/.

قال الراوى: وفد أبو العتاهية[1] إلى بغداد في خلافة المهدي[2] في نحو الثلاثين من عمره وكانت بغداد التي أنشأها أبو جعفر المنصور[3] سنة 149هـ قد أخذت في الازدهار فانتقل النشاط العلمي من الكوفة والبصرة إليها بعد أن أصبحت دار الخلافة ودار الإسلام. وكان أبو العتاهية حين وصل إلى بغداد يجتهد في الوصول إلى قصر الخلافة، فأقبل يمدح المهدي، ويفكر في الوسائل التي تدنيه منه. يقول ابنه محمد: فلما تطاولت أيامه أحب أن يشهر نفسه بأمر يصل به إليه، فلما بصر بعتبة راكبة في جمع من الخدم تتصرف في حوائج الخلافة تعرض لها، وأمل أن يكون تولعه بها هو السبب الموصل إلى حاجته، وانهمك في التشبيب* والتعرض في كل مكان لها، والتغرد بذكرها وإظهار شدة عشقها.

وله مع عتبة حوادث عديدة منها ما رواه المبرد أن أبا العتاهية أهدى إلى المهدي برنية صينية فيها ثوب ممسك فيه سطران مكتوبا عليه بالغالية: نفسي بشيء من الدنيا معلقة..الله والقائم المهدي يكفيها..إني لأيأس منها ثم يطمعني..فيها احتقارك للدنيا وما فيها. قال: فهم أن يدفع إليه عتبة. فقالت له: يا أمير المؤمنين مع حرمتي وخدمتي تدفعني إلى بائع جرار متكسب بالشعر؟. فبعث إليه: أما عتبة فلا سبيل لك إليها وقد أمرنا لك بملء برنية مالا.

وكان يتجاسر على التشبيب بها في مقدمة مدائحه للمهدي فقد روى الحافظ بن عبد البر في مقدمته لديوان شعر أبو العتاهية أن الشعراء حضروا يوما عند المهدي فقدم أبو العتاهية في الإنشاد فقال بشار بن برد لأشجع السلمي[4]: يا أخا سليم من هذا الذي قدم للإنشاد علينا؟ أهو ذلك الكوفي الملقب؟. قال: نعم. فقال بشار: لا جزى الله خيرا من جمعنا به أيستنشد قبلنا؟. فقال له أشجع: هو ما ترى.. فأنشد أبو العتاهية: تدل فأحمل إدلالها..ألا ما لسيدتي ما لها..جنيت سقى الله أطلالها..و إلا ففيما تجنت وما..م قد أسكن الحب سرباﻟها..ألا إن جارية للإما..تجاذب في المشي أكفالها..مشت بين حور قصار الخطا..و أتعب باللوم عذاﺑﻬا..و قد أتعب الله نفسي بها. فقال بشار: أبهذا الشعر يقدم علينا؟. فلما أتى على قوله: إليه تجرر أذيالها..أتته الخلافة منقادة..ولم يك يصلح إلا لها..فلم تك تصلح إلا له..لزلزلت الأرض زلزالها..و لو رامها أحد غيره..لما قبل الله أعمالها..و لو لم تعطه نيات القلوب..إليه ليبغض من قالها..وإن الخليفة من قول لا. فاهتز بشار طربا، وقال: يا أخا سليم أترى الخليفة لم يطر طربا عن فراشه لما يأتي به هذا الكوفي ؟. وقضى أبو العتاهية مدة طويلة يتغزل بعتبة حتى شاع فيها شعره، فأمر المهدي بجلده وإدخاله السجن، ولم يعف عنه إلا بشفاعة خاله يزيد بن منصور الحميري[5].

وفي أيام الرشيد عاد الشاعر يتغزل بعتبة والسعي للزواج منها. حدث أبو العباس يحي بن ثعلب قال: كان أبو العتاهية قد أكثر في مسألة الرشيد في عتبة فوعده بتزويجها وأنه يسألها في ذلك. ثم دعا به وقال: ضمنت لك يا أبا العتاهية، وفي غد تقضى حاجتك إن شاء الله. وبعث إلى عتبة: إن لي إليك حاجة فانتظرني الليلة في منزلك. فأكبرت ذلك وأعظمته وصارت إليه تستعفيه، فحلف أن لا يذكر لها حاجته إلا في منزلها. فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه فقال لها: لست أذكر حاجتي أو تضمنين قضاءها. قالت: أنا أمتك وأمرك نافذ فيما خلا أمر أبي العتاهية، فإني حلفت لأبيك رضي الله عنه بكل يمين يحلف بها بر وفاجر، وبالمشي إلى بيت الله الحرام حافية، كلما انقضت عني حجة وجبت علي أخرى لا أقتصر على الكفارة، وكلما أفدت شيئا تصدقت به إلا ما أصلي فيه. وبكت بين يديه فرق لها ورحمها وانصرف عنها. وغدا عليه أبو العتاهية فقال له الرشيد: والله ما قصرت في أمرك ومسرور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك، وشرح له الخبر. قال أبو العتاهية: فلما أخبرني بذلك مكثت مليا لا أدري أين أنا قائم أو قاعد، وقلت: الآن يئست منها إذ ردتك وعلمت أنها لا تجيب أحدا بعدك. فلبس أبو العتاهية الصوف وقال في ذلك من أبيات: قطعت منك حبائل الآمال..و حططت عن ظهر المطي رحالي..ووجدت برد اليأس بين جوانحي..و أرحت من حلي وترحالي. هي قصيدة طويلة تعتبر من أروع قصائده ومنها: يا دار كل تشتت وزوال..الآن يا دنيا عرفتك فاذهبي..فغدا علي وراح بالأمثال..و الآن صار لي الزمان مؤدبا..و تفرغت همومي عن الأشغال..و الآن أبصرت السبيل إلى الهدى..يفضي إلي بمفرق وقذال..و لقد أقام لي المشيب نعاته. ومنها: نسبا يقاس بصالح الأعمال..و إذا تناسبت الرجال فما أرى..رجل يصدق قوله بفعال..و إذا بحثت عن التقي وجدته..فتراه بين مكارم ومعال..و إذا اتقى الله امرؤ وأطاعه..تاجان تاج سكينة وجلال..و على التقي إذا ترسخ في التقى. و منها: في قبره متفرق الأوصال..يا أيها البطر الذي هو في غد..و أرى مناك طويلة الأذيال..حذف المنى عنه المشمر في الهدى..من لاعب قرح بها مختال..و لقلما تلقى أغر بنفسه..حتى متى بالغي أنت تغالي..يا تاجر الغي المضر نفسه..خسرت ولم تربح يد البطال..الحمد لله الحميد بمنه..و تشيب منه ذوائب الأطفال..لله يوم تقشعر جلودهم..مل فيه إذ يقذفن بالأحمال..يوم النوازل والزلازل والحوا..زن والأمور عظيمة الأهوال..يوم التغابن والتباين والتوا..بمقطعات النار والأغلال..يوم ينادي فيه كل مضلل..علت الوجوه بنضرة وجمال..للمتقين هناك نزل كرامة..فلها بريق عنده وتلالي..زمر أضاءت للحساب وجوهها..خمص البطون خفيفة الأثقال..و سوابق عز محجلة جرت..خلق الرداء مرقع السربال..من كل أشعث كان أغبرنا حلا..في دار ملك جلالة وظلال..نزلوا بأكرم سيد فأظلهم. و منها: والموت يقطع حيلة المحتال..حيل ابن آدم في الأمور كثيرة..حرك الخطى وطلوع كل هلال..و من النعاة إلى ابن آدم نفسه..أخلقت يا دنيا وجوه رجال..مالي أراك لحر وجهك مخلقا..من كل عارفة أتت بسؤال..قست السؤال فكان أعظم قيمة..ممن يضن عليك بالأموال..كن بالسؤال أشد عقد ضنانة..في الوزن ترجح بذل كل نوال..و صن المحامد ما استطعت فإنها..نسي المثمر زينة الإقلال..و لقد عجبت من المثمر ما له..فابذله للمتكرم المفضال..فإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا..فاشدد يديك بعاجل الترحال..و إذا خشيت تعذرا في بلدة..فرج الشدائد مثل حل عقال..و اصبر على غير الزمان فإنما.

----

*(التشبيب) هو في الأصل ذكر أيام الشباب واللهو والغزل ويكون في ابتداء القصائد، سمي ابتداؤها مطلقا وإن لم يكن فيه ذكر الشباب. وشبب بالمرأة: قال فيها الغزل والنسيب.

■ (1) أبو إسحاق، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء، العيني المعروف بأبي العتاهية الشاعر المشهور؛ مولده بعين التمر سنة 130هـ،وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة، وقيل إنها من أعمال سقي الفرات وقيل إنها قرب الأنبار، فالله أعلم. توفي سنة 213 هـ

■ (2) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

■ (3) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور،عبد الله الأكبر.الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

■ (4) بشار بن برد العقيلي، بالولاء، أبو معاذ: أشعر المولدين على الاطلاق. أصله من طخارستان (غربي نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة (عقيلية) قيل إنها أعتقته من الرق. وكان ضريرا. نشأ في البصرة وقدم بغداد. وأدرك الدولتين الاموية والعباسية. وشعره كثير متفرق من الطبقة الاولى، قال الجاحظ: كان شاعرا راجزا، سجاعا خطيبا، صاحب منثور ومزدوج، وله رسائل معروفة. واتهم بالزندقة فمات ضربا بالسياط، ودفن بالبصرة.سنة 167 هـ وكانت عادته، إذا أراد أن ينشد أو يتكلم، أن يتفل عن يمينه وشماله ويصفق باحدى يديه على الاخرى ثم يقول. وأخباره كثيرة.

■ (5) يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد بن شهر بن مثوب، من ولد ذي الجناح الحميري، أبو خالد: وال. هو خال المهدي العباسي. كان مقدما في دولة بني العباس. ولي للمنصور البصرة سنة 152 هـ ثم اليمن سنة 154 هـ بعد الفرات بن سالم. وأقام في اليمن باقي خلافة المنصور، وسنة من خلافة المهدي. وعزل سنة 159 هـ وولاه المهدي سنة 161 هـ على سواد الكوفة.ومات بالبصرة سنة 165 هـ. ولبشار بن برد، هجاء فيه. وبقي من أعقابه جماعة كانوا يعرفون باليزيدية. وإليه نسبة يحيى بن المبارك العدوي اليزيدي. كان يؤدب ولده، فنسب إليه.

☪

قال الشيخ محمد شريف الزيبق: وهكذا نجد في هذه القصيدة ملامح فن أبي العتاهية في الزهد الممزوج بالحكمة والمرصع والاقتباسات البديعة من كتاب الله عز وجلو كلام السلف الصالح، وقد أبدى بن الأعرابي إعجابه البالغ بهذه القصيدة وقال: ما رأيت قط شاعر أطبع ولا أقدر على البيت من أبي العتاهية وما أحسب مذهبه إلا ضربا من السحر. وثار برجل كان في مجلسه لأنه قال: إن أبا العتاهية ضعيف الشعر. فقال له: الضعيف والله عقلك، لأبي العتاهية تقول ضعيف الشعر ؟!.

ونذكر أخيرا في سبب توبة أبي العتاهية من مصاحبة المجان وقرض الشعر في الغزل والهجاء والمديح، وقصر شعره على الزهد والحكمة، ما روي عن أبي سلمة الغنوي أنه سأل أبا العتاهية: ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد؟. فأجابه: إذن والله أخبرك. إني لما قلت: أهدت لي الصد والملالات..الله بيني وبين مولاتي..فكان هجرانها مكافاتي..منحتها مهجتي وخالصتي..أحدوثة في جميع جاراتي..هيمني حبها وصيرني. رأيت في المنام في تلك الليلة كأن آتيا أتاني فقال: ما أصبت أحدا تدخله بينك وبين عتبة يحكم علينا بالمعصية إلا الله تعالى؟. فانتبهت مذعورا وتبت إلى الله تعالى من ساعتي من قول الغزل.

قيل السبب في تلقيبه بأبي العتاهية أن الخليفة المهدي قال له يوما: أنت إنسان متحذلق - أي متظرف- متعته، فاستوى له من ذلك لقب غلب عليه دون اسمه وكنيته. ويقول بن منظور: لقب بذلك لأن المهدي قال له: أراك متخلطا متعتها، وكان قد نعته بجارية للمهدي واعتقل بسببها وعرض عليها المهدي أن يزوجها له فأبت، واسم الجارية عتبة. وقيل: لقب بذلك لأنه كان طويلا مضطربا. وقيل: لأنه يرمى بالزندقة ولأنه كان يحب المجون والتعته. وقد أصاب المهدي في إطلاق هذا اللقب أبي العتاهية على الشاعر لدلالته أبلغ دلالة على صفاته الجسمية والخلقية فدل على اختلاطه واضطرابه ومجونه وطوله وتعتهه بحب عتبة.

روي أنه اجتاز بفتيان جلوس يتناشدون الشعر، وكان يحمل قفص فخار ويدور به ويبيع منه، فسلم ووضع القفص عن ظهره ثم قال للفتيان: أراكم تتذاكرون الشعر وتقولونه أفأقول شيئا منه فتجيزونه؟ فإن فعلتم فلكم علي عشر دراهم وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم؟. فهزئوا منه وسخروا وقالوا: نعم لا بد أن نشتري بأحد القمارين رطبا يؤكل، فإنه قمار حاصل. وجعل رهنه على يد أحدهم، ففعلوا فقال: أجيزوا ساكني الأجداث أنتم. و جعل بينه وبينهم وقتا وعلامة في ذلك الموضع إذا بلغته الشمس ولم يجزوا البيت وجب القمار عليهم فلم يأتوا بشيء، فأخذ الدراهم وجعل يهزأ منهم وتمم الشعر: مثلنا بالأمس كنتم ليت شعري ما صنعتم أربحتم أم خسرتم.

و مع أن أبا العتاهية بدأ حياته مع المجان والمتخنثين وفساق الشعراء، وكان في أول أمره يتخنث ويحمل زاملة المخنثين، فإن بواكير شعره كانت في الزهد ووصف الموت وأحواله ونزل (الحيرة) وهي قريبة من الكوفة فهوى امرأة نائحة من أهل الحيرة لها حسن وجمال وتدعى سعدى وكان ينظم لها الشعر الذي تنوح به على الموتى، وكانت سعدى مولاة لبني معن ابن زائدة وقد أدت صلته بها إلى خلاف ومهاجاة بينه وبين عبد الله ابن معن بن زائدة .

مراجع: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/ الأعلام للزركلي/

قال الفضيل:[1] استدعاني الرشيد يوما وقد زخرف منازله وأكثر الطعام والشراب واللذات فيها، ثم استدعى أبا العتاهية[2] فقال له: صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعم فقال: عش ما بدا لك سالما..في ظل شاهقة القصور تسعى عليك بما اشتهيت..لدى الرواح إلى البكور فإذا النفوس تقعقعت..عن ضيق حشرجة الصدور فهناك تعلم موقنا..ما كنت إلا في غرور. قال: فبكى الرشيد بكاء كثيرا شديدا. ومن وجه آخر أن الرشيد قال لأبي العتاهية: عظني بأبيات من الشعر وأوجز فقال: لا تأمن الموت في طرف ولا نفس..ولو تمتعت بالحجاب والحرس واعلم بأن سهام الموت صائبة..لكل مدرع منها ومترس ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها..إن السفينة لا تجري على اليبس. قال: فخر الرشيد مغشيا عليه.

في رواية، قال الأصمعي:[3] بعث إلي الرشيد، وقد زخرف مجلسه وبالغ فيها وفي بنائها، وصنع فيها طعاما كثيرا، ثم وجه إلى أبي العتاهية فأتاه فقال: صف لنا ما نحن فيه من نعيم الدنيا. فأنشأ يقول: عش ما بدا لك سالما..في ظل شاهقة القصور فقال: أحسنت ثم ماذا؟ فقال: يسعى عليك بما اشتهيت..لدى الرواح وفي البكور.فقال: ثم ماذا؟ فقال: فإذا النفوس تقعقعت..في ضيق حشرجة الصدور..فهناك تعلم موقنا..ما كنت إلا في غرور. فبكى هارون، فقال الفضل بن يحيى:[4] بعث إليك أمير المؤمنين لتسره، فأحزنته، فقال هارون: دعه، فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا عمى.

عن ثابت بن الزبير بن حبيب قال: أخبرني ابن أخت أبي خالد الحراني قال: قال لي هرون الرشيد:أحبس أبا العتاهية حتى يقول شعرا رقيقا، وأمرني بالتضييق عليه، قال:فأخذته فحبسته في بيت خمسة أشبار في خمسة أشبار، فصاح الموت، أخرجوني أنا أقول لكم ما شئتم، قال: فقلت له فقل، فقال: أخرجني حتى أتنفس فأخرجته وأعطيته قرطاسا ودواة فكتب فيه: من لعبد أذله مولاه..ما له شافع إليه سواه..يشتكي ما به إليه ويخشا..ه ويرجوه مثلما يخشاه. قال: فجئت بها مسرورا الخادم، فأدخلها إلى أمير المؤمنين، فتقدم الرشيد إلى إبراهيم الموصلي[5] فغنى بها، ودعا به فقال: أنشدني: يا عتب سيدتي أمالك دين. فأنشده إياها، فوعده أن يزوجه بها، فلما خرج قال له النساء: عنه شبب بها* وشهرها في الناس وان زوجته إياها حققت عليها ما قال فيها، فأمر له عوضا من ذلك بخمسين ألف درهم.

عن محمد بن أبي العتاهية قال: غني الرشيد يوما في شعر أبي وهو في الحبس:خليلي مالي ما تزال مضرتي..تكون على الأقدار حتما من الحتم..كفاك بحق الله ما قد ظلمتني..فهذا مقام المستجير من الظلم..ألا في سبيل الله جسمي وقوتي..أما (ألا) مسعد حتى أنوح على جسمي. فأمر الرشيد بإحضاره فقال له: أيجوز لك هذا، بالأمس ينهاك أمير المؤمنين المهدي عن القول في عتبة (جارية المهدي) فتأبى إلا لجاجا ومحكا، واليوم آمرك بالقول فيها فتأبى ذلك؟! قال: يا أمير المؤمنين أن الحسنات يذهبن السيئات، كنت أقول في الغزل ولي شباب وحدة، وبي حراك وقوة، واليوم فأنا شيخ ضعيف لا يحسن بمثلي لهو ولا تصاب، فقال: والله لا رضيت منك إلا بالذي كنت عليه، ثم قال له: أنشدني بعض ما قلت فيها، فسكت، فقال: والله لتنشدني شيئا من ذلك، فأنشده: نفسي شيء من الدنيا معلقة..الله والقائم المهدي يكفيها..إني لآيس منها ثم يطمعني..فيها احتقارك للدنيا وما فيها. فقال له الرشيد: هل لك في التزويج بها؟ قال: لا والله، قال: إنك أن قبلت ذلك خليت سبيلك وزدت في منزلتك، قال: علي عهد الله عز وجل ألا أتزوج على أم ولدي حتى ألقى الله، فاعفني من ذلك يا أمير المؤمنين عفا الله عنك، فأمر الرشيد برده إلى الحبس.

قال مخارق: لما تنسك أبو العتاهية ولبس الصوف أمره الرشيد أن يقول شعرا في الغزل فامتنع فضربه الرشيد ستين عصا وحلف ألا يخرج من حبسه حتى يقول شعرا في الغزل، فلما رفعت المقارع عنه قال أبو العتاهية: كل مملوك له حر وامرأته طالق إن تكلم سنة إلا بالقرآن أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله، فكأن الرشيد تحزن مما فعله فأمر أن يحبس في دار ويوسع عليه ولا يمنع من دخول من يريد إليه. قال مخارق: وكانت الحال بينه وبين إبراهيم الموصلي لطيفة فكان يبعثني إليه في الأيام أتعرف خبره فإذا دخلت وجدت بين يديه ظهرا ودواة فيكتب إلي ما يريد وأكلمه فمكث هكذا سنة واتفق أن إبراهيم الموصلي صنع صوته: أعرفت دار الحي بالحجر..فشدوريان فقنة الغمر..وهجرتنا وألفت رسم بلى..والرسم كان أحق بالهجر.

قال مخارق: فقال لي إبراهيم: اذهب إلى أبي العتاهية حتى تغنيه هذا الصوت، فأتيته في اليوم الذي انقضت فيه يمينه فغنيته إياه، فكتب إلي بعد أن غنيته هذا اليوم تنقضي فيه يميني فأحب أن تقيم عندي إلى الليل فأقمت عنده نهاري كله حتى إذا أذن الناس المغرب كلمني فقال: يا مخارق، قلت: لبيك، قال: قل لصاحبك يابن الزانية أما والله لقد أبقيت للناس فتنة إلى يوم القيامة فانظر أين أنت من الله غدا قال مخارق: فكنت أول من أفطر على كلامه فقلت: دعني من هذا، هل قلت شيئا للتخلص من هذا الموضع؟ فقال: نعم قد قلت في امرأتي شعرا، قلت: هاته فأنشدني: من لقلب متيم مشتاق..شفه شوقه وطول الفراق..طال شوقي إلى قعيدة بيتي..ليت شعري فهل لنا من تلاقي..هي حظي قد اقتصرت عليها..من ذوات العقود والأطواق..جمع الله عاجلا بك شملي..عن قريب وفكني من وثاقي. قال فكتبتها وصرت بها إلى إبراهيم فصنع فيها لحنا ودخل بها على الرشيد فكان أول صوت غناه إياه في ذلك المجلس وسأله لمن الشعر والغناء فقال إبراهيم: أما الغناء فلي وأما الشعر فلأسيرك أبي العتاهية. فقال: أو قد فعل؟ قال: نعم قد كان ذلك. فدعا به ثم قال لمسرور الخادم: كم ضربنا أبا العتاهية؟ قال: ستين عصا، فأمر بستين ألف درهم وخلع عليه وأطلقه.

----

*(التشبيب) هو في الأصل ذكر أيام الشباب واللهو والغزل ويكون في ابتداء القصائد، سمي ابتداؤها مطلقا وإن لم يكن فيه ذكر الشباب. وشبب بالمرأة: قال فيها الغزل والنسيب.

■ (2) أبو إسحاق، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء، العيني المعروف بأبي العتاهية الشاعر المشهور؛ مولده بعين التمر سنة 130هـ،وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة، وقيل إنها من أعمال سقي الفرات وقيل إنها قرب الأنبار، فالله أعلم. توفي سنة 213 هـ.

■ (1) أبو علي، الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الفنديني، الزاهد، كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تاليا يتلو:﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد] فقال: يا رب قد آن، فرجع، وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم:حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وآمنهم. ومناقب الفضيل كثيرة. مولده بأبيورد، وقيل بسمرقند، ونشأ بأبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات سنة 187هـ.

■ (4) أبو العباس، الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماسب بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد.وكان ابنه الفضل من رجال الكمال، ولي إمرة خراسان، وعمل الوزارة، وكان فيها ــ قيل ــ أسخى من أخوه جعفر البرمكي، ولكنه يضرب بكبره وتيهه المثل، وكان أخا للرشيد من الرضاعة وعمل الوزارة مدة لهارون، ثم حولها منه إلى جعفر، واستعمل على المشرق كله هذا، واستعمل جعفرا على المغرب كله. ولد الفضل البرمكي سنة 176 هـ وتوفي بالسجن سنة 193 هـ.

■ (3) الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، له تصانيف كثيرة فى اللغة والشعر منها الأصمعيات. ولد في البصرة سنة 122 هـ وتوفي سنة 216 هـ .كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان هارون الرشيد يسميه شيطان الشعر. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

■ (5) النديم الموصلي، ابراهيم بن ماهان (أو ميمون) بن بهمن، الموصلي التميمي بالولاء، أبو اسحاق النديم: أوحد زمانه في الغناء واختراع الالحان. شاعر، من ندماء الخلفاء. فارسي الاصل، من بيت كبير في العجم. انتقل والده إلى الكوفة، فولد بها. ومات أبوه وهو صغير فكفله بنو تميم وربوه، فنسب إليهم. ورحل إلى الموصل فأقام سنة يتعلم الضرب بالعود، فنسب إليها أيضا. وأجاد الغناء الفارسي والعربي. وكانت له عند الخلفاء منزلة حسنة. وأول من سمعه منهم المهدي العباسي، ثم حبسه لشربه النبيذ، فحذق القراءة والكتابة في الحبس. ولما ولي موسى (الهادي) أغدق عليه نعمه، وكذلك هارون الرشيد من بعده، وجعله من ندمائه وخاصته، واستصحبه معه إلى الشام. ومرض فعاده الرشيد، فمات بعد قليل ببغداد سنة 188 هـ أخباره كثيرة جدا. كان ينظم الابيات ويلحنها ويغنيها.

☪

أبو العتاهية هو أحد من سار قوله وانتشر شعره. ولم يجتمع لأحد ديوان شعر لكثرته. وقد نسك بآخره. وقال في الزهد والمواعظ، فأحسن وأبلغ، وأربى على كل من ذهب ذلك المذهب، وأكثر شعره حكم وأمثال، وكان سهل القول، قريب المأخذ، بعيدا عن التكليف، مقدما في الطبع، وكان أبو نواس يعظمه ويخضع له، ويقول: والله ما رأيته إلا توهمت أنه سماوي وأني أرضي.وقد مدح أبو العتاهية الخلفاء والبرامكة والكبار.قال أبو تمام: خمسة أبيات لأبي العتاهية ما تهيأ لأحد مثلها: قوله: الناس في غفلاتهم..ورحى المنية تطحن.وقوله: ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى..وأن الغنى يخشى عليه من الفقر. وقوله في موسى الهادي: ولما استقلوا بأثقالهم..وقد أزمعوا للذي أزمعوا..قرنت التفاتي بآثارهم..وأتبعتهم مقلة تدمع. وقوله: هب الدنيا تساق إليك عفوا..أليس مصير ذاك إلى زوال. وكتب مرة إلى المهدي وعرض بطلبها منه: نفسي بشيء من الدنيا معلقة..الله والقائم المهدي يكفيها..إني لأيأس منها ثم يطمعني..فيها احتقارك للدنيا وما فيها.

كان أبو العتاهية قد ترك قول الشعر، فحكى قال: لما امتنعت من قوله، أمر المهدي بحبسي في سجن الجرائم، فلما دخلته دهشت ورأيت منظرا هالني، فطلبت موضعا آوي فيه، فإذا أنا بكهل[1] حسن البزة والوجه عليه سيما الخير فقصدته، وجلست من غير سلام عليه لما أنا فيه من الجزع والحيرة والفكر، فمكثت كذلك مليا، وإذا الرجل ينشد: تعودت مس الضر حتى ألفته..وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر..وصيرني يأسي من الناس واثقا..بحسن صنيع الله من حيث لا أدري. قال: فاستحسنت البيتين وتبركت بهما، وثاب إلي عقلي، فقلت له: تفضل، أعزك الله، علي بإعادتهما، فقال: يا إسماعيل، ويحك ما أسوأ أدبك وأقل عقلك ومروءتك، دخلت فلم تسلم علي تسليم المسلم على المسلم، ولا سألتني مسألة الوارد على المقيم، حتى [إذا] سمعت مني بيتين من الشعر الذي لم يجعل الله تعالى فيك خيرا ولا أدبا ولا معاشا غيره، طفقت تستنشدني مبتدئا كأن بيننا أنسا وسالف مودة توجب بسط القبض!، ولم تذكر ما كان منك، ولا اعتذرت عما بدا من إساءة أدبك!، فقلت: اعذرني متفضلا، فدون ما أنا فيه يدهش، قال: وفيم أنت؟ تركت الشعر الذي هو جاهك عندهم وسببك إليهم، ولا بد أن تقوله فتطلق، وأنا يدعى الساعة بي، فأطلب بعيسى بن زيد[2] ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن دللت عليه لقيت الله تعالى بدمه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمي فيه، وإلا قتلت، فأنا أولى بالحيرة منك، وها أنت ترى صبري واحتسابي، فقلت: يكفيك الله عز وجل وخجلت منه، فقال: لا أجمع عليك التوبيخ والمنع، اسمع البيتين، ثم أعادهما علي مرارا حتى حفظتها، ثم دعي به وبي. فقلت له: من أنت؟ أعزك الله عز وجل، قال: أنا حاضر صاحب عيسى بن زيد، فأدخلنا على المهدي، فلما وقفنا بين يديه، قال الرجل: أين عيسى بن زيد؟ قال: وما يدريني أين عيسى بن زيد تطلبته فهرب منك في البلاد وحبستني، فمن أين أقف على خبره؟ قال له: متى كان متواريا وأين آخر عهدك به وعند من لقيته؟ قال: ما لقيته منذ توارى، ولا عرفت له خبرا! قال: والله لتدلن عليه، أو لأضربن عنقك الساعة، فقال: اصنع ما بدا لك، فوالله ما ادلك على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألقى الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام بدمه، ولو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت لك عنه، قال: اضربوا عنقه، فأمر به فضربت عنقه، ثم دعا بي فقال: أتقول الشعر، أو ألحقك به؟ قلت: بل أقول، قال: أطلقوه، فأطلقت. وحكايات أبي العتاهية كثيرة.

■ (1) قيل هو: حاظر مولى لهم (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (2) عيسى بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي. قام في أيام المهدي، فبايعه أهل الكوفة وأهل البصرة والأهواز، ووردت عليه بيعة أهل الحجاز، وهو متوار. واشتد الطلب له من المنصور وأخذ الناس على الظنة، فاستتر عيسى بالأهواز، وأكثر مقامه بها في زمن المنصور. فلما ولي الأمر المهدي أظهر نفسه، فدس إليه المهدي رجلا من أصحابه، قيل: إنه أعطاه مقدار مائتي ألف دينار؛ فسمه في طعامه، وهو بسواد الكوفة مما يلي البصرة؛ فمات فجر اليوم الثالث، ودفن سرا، ولا يعرف قبره. وكان قيامه سنة 156 هـ، ووفاته سنة 166 هـ . عمره: 46 سنة.

مراجع: صحيح البخاري/ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار/ سراج الملوك/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ صفة الصفوة/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ وفيات الأعيان/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ الاغاني/ تاج العروس/.

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) والفضيل بن عياض(١) 0722

روى أبو نعيم[1] في الحلية، عن الفضيل بن عياض:[2] قال: لما دخل على هارون أمير المؤمنين. قال: أُيُّكم هو؟ قال: فأشاروا إلى أمير المؤمنين. فقال: أنت هو يا حسن الوجه؟ لقد وليت أمرًا عظيمًا، إني ما رأيت أحدًا هو أحسن وجهًا منك، فإن قدرت أن لا تسوِّد هذا الوجه بلفحة من النار فافعل. فقال له: عظني. قال: ماذا أعظك ؟ هذا كتاب الله تعالى بين الدفتين، انظر ماذا عمل بِمَن أطاعه، وماذا عمل بِمَن عصاه، وقال: إني رأيت الناس يغوصون على النار غوصًا شديدًا ويطلبونها طلبًا حثيثًا، أما والله لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسر لنالوها. فقال: عُدْ إليَّ. قال: لو لم تبعث إليَّ لم آتك، وإن انتفعت بما سمعت منِّي عدت إليك.

قيل: طاف الرشيد بالبيت فوطئ جرادة، فلم يدر ما عليه فيها، فبعث المأمون إلى الفضيل بن عياض، فسلم عليه وقال: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول: لنا إليك حاجة فأحب أن تصير إلينا، فلم يجب الفضيل بشيء، فرجع المأمون وقال: رأيت رجلا ليست به إليك حاجة، فقام الرشيد مغضبا حتى تخوفنا على الفضيل منه، قال: فوقف عليه وسلم، فوسع الفضيل، أورد السلام عليه، فلما جلس أقبل على الفضيل فقال: رحمك الله، قد كان الواجب أن تأتينا، وتعرف حقنا؛ إذ ولانا الله أموركم، وصيرنا الحكام في دمائكم، والذابين عن حريمكم، وإذ لم تأتنا فقد أتيناك، إني وطئت الآن في الطواف على جندبة فما ديتها؟ قال: فبكى الفضيل بكاء شديدا حتى علا صوته، وقال: إذا كان الراعي يسأل الغنم هلكت الغنم، وإنما يجب على الراعي أن يرتاد لغنمه الرعى وجيد الكلأ وعذب الماء، فإذا كنت يا أمير المؤمنين غافلا عن معالم الدين فبأي شيء تسوس رعيتك؟ قال: فخجل الرشيد حتى عرق وانصرف.

■ (2) أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الفنديني، الزاهد المشهور، كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تاليا يتلو:﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد] فقال: يا رب قد آن، فرجع، وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وآمنهم. ومناقب الفضيل كثيرة. مولده بأبيورد، وقيل بسمرقند، ونشأ بأبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات سنة 187هـ.

■ (1) الحافظ أبو نعيم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الحافظ المشهور صاحب كتاب حلية الأولياء؛ كان من الأعلام المحدثين، وأكابر الحفاظ الثقات، أخذ عن الأفاضل، وأخذوا عنه، وانتفعوا به، وكتابه الحلية من أحسن الكتب، وله كتاب تاريخ أصبهان، وذكر أن جده مهران أسلم، إشارة إلى أنه أول من أسلم من أجداده، وأنه مولى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. ولد سنة 336 هـ، وقيل: سنة 334 هـ، وتوفي سنة 430 هـ بأصبهان.

صلى الله عليه

عن عبد الله، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ (الجنة أقرب) كناية عن سهولة دخولها لمن أطاع وكذلك دخول النار لمن عصى (شراك نعله) السير الذي تدخل فيه الأصابع. عن الضحاك قال: جهنم سوداء، وماؤها أسود، وشجرها أسود، وأهلها سود. وقد دل على سواد أهلها قوله تعالى:﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران] وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة، أن من عصاة الموحدين، من يحترق في النار حتى يصير فحما. قال أبو معشر رأيت أبا حازم في مجلس عون بن عبد الله وهو يقص في المسجد ويبكي ويمسح بدموعه وجهه فقلت له يا أبا حازم لم تفعل هذا قال إن النار لا تصيب موضعا أصابته الدموع من خشية الله وقال له سليمان وقد أحضره تكلم يا أعرج فقال ما للأعرج من حاجة فيتكلم بها ولولا اتقاء شركم ما أتاكم الأعرج فقال سليمان ما ينجينا من أمرنا هذا الذي نحن فيه قال أخذ هذا المال من حله ووضعه في حقه قال ومن يطيق ذلك قال من طلب الجنة وهرب من النار قال سليمان ما بالنا لا نحب الموت قال لأنك جمعت متاعك فوضعته بين عينيك فأنت تكره أن تفارقه ولو قدمته أمامك لأحببت أن تلحق به لأن قلب المرء عند متاعه فتعجب منه سليمان. وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَكْثِرُوا مَسْأَلَةَ اللَّهِ الْجَنَّةَ، وَاسْتَعِيذُوا بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنَّهُمَا شَافِعَتَانِ مُشَفَّعَتَانِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَكْثَرَ مَسْأَلَةَ الْجَنَّةِ قَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ، عَبْدُكَ هَذَا الَّذِي سَأَلْنِيكَ فَأَسْكِنْهُ إِيَّايَ. وَتَقُولُ النَّارُ: يَا رَبِّ، عَبْدُكَ هَذَا الَّذِي اسْتَعَاذَ بِكَ مِنِّي فَأَعِذْهُ مِنِّي﴾ وعنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا اسْتَجَارَ عَبْدٌ مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِلَّا قَالَتِ النَّارُ؟ يَا رَبِّ، إِنَّ عَبْدَكَ فُلَانًا قَدِ اسْتَجَارَ مِنِّي فَأَجِرْهُ. وَلَا سَأَلَ عَبْدٌ الْجَنَّةَ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ، إِنَّ عَبْدَكَ فُلَانًا سَأَلَنِي فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ﴾ وعن كليب بن حرب، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿ا طْلُبُوا الْجَنَّةَ جُهْدَكُمْ، وَاهْرُبُوا مِنَ النَّارِ جُهْدَكُمْ؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَنَامُ طَالِبُهَا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يَنَامُ هَارِبُهَا، وَإِنَّ الْآخِرَةَ الْيَوْمَ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ الدُّنْيَا مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَلَا تُلْهِيَنَّكُمْ عَنِ الْآخِرَةِ﴾ وعن أبي هريرة مرفوعا: ﴿مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ﴾ وعن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ﴾ وعن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَكْثَرُ مَا يَلِجُ بِهِ الْإِنْسَانُ النَّارَ الْأَجْوَفَانِ ؛ الْفَرْجُ وَالْفَمُ، وَأَكْثَرُ مَا يَلِجُ بِهِ الْإِنْسَانُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ﴾ وعن أبي أحمد الزبيري قال: كتب رجل إلى الثوري: أن عظني فأوجز، فكتب إليه: عافانا الله وإياك من السوء كله، يا أخي! إن الدنيا غمها لا يفنى، وفرحها لا يدوم، وفكرها لا ينقضي، فاعمل لنفسك حتى تنجو، ولا تتوانى فتعطب، والسلام.

☪

عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ،فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً﴾ قال عبد العزيز السلمان: هذا الحديث يفيد أن الجليس الصالح جميع أحوال صديقه معه خير وبركة ونفع ومغنم مثل حامل المسك الذي تنتفع بما معه منه، إما بهبة، أو ببيع أو أقل شيء مدة الجلوس معه، وأنت قرير النفس، منشرح الصدر، برائحة المسك وهذا تقريب، وتشبيه له بذلك وإلا فما يحصل من الخير الذي يصيبه العبد من جليسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر، فإنه إما أن يعلمك أمورا تنفعك في دينك، وإما أن يعلمك أمورا تنفعك في دنياك، أو فيهما جميعا، أو يهدي لك نصيحة تنفعك مدة حياتك، وبعد وفاتك أو ينهاك عما فيه مضرة لك. فأنت معه دائما في منفعة، وربحك مضمون بإذن الله فتجده دائما يرى أنك مقصر في طاعة الله فتزداد همتك في الطاعة ويجتهد في الزيادة منها وتراه يبصرك بعيوبك ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها بقوله وفعله وحاله. فالإنسان مجبول على التقليد والاقتداء بصاحبه، وجليسه والطباع والأرواح جنود مجندة يقود بعضها بعضا إلى الخير أو إلى الشر وأقل نفع يحصل من الجليس الصالح انكفاف الإنسان بسببه عن السيئات، والمساوي والمعاصي، رعاية للصحبة ومنافسة في الخير وترفعا عن الشر والله الموفق. ومن ما يستفاد من الجليس الصالح أنه يحمي عرضك في مغيبك، وفي ضرتك يدافع ويذب عنك ومن ذلك أنك تنتفع بدعائه لك حيا وميتا. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ﴾

مراجع: النهاية في الفتن والملاحم/ صحيح البخاري/ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ من أعلام السلف/ البداية والنهاية/ نثر الدر/

حدث الفضل بن الربيع[1] فقال: كنت بمنزلي ذات يوم وقد تهيأت للنوم، فإذا بقرع شديد على بابي. فقلت: من هذا؟ فقال الطارق: أجب أمير المؤمنين. فخرجت مسرعا أتعثر في خطي، فإذا بالرشيد قائما على بابي، وفي وجهه تجهم حزين. فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي لأتيتك! فقال: ويحك قد حاك في نفسي شيء أطار النوم من أجفاني وأزعج وجداني، شيء لا يذهب به إلا عالم تقي من زهادك، فأنظر لي رجل أسأله. قال ابن الربيع: فجئت به إلى الفضيل بن عياض[2]،وإذا هو قائم يصلي في غرفته، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية] فقال الرشيد: إن انتفعنا بشيء فبهذا. فقرعت الباب. فقال الفضيل: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين. فقال: ما لي ولأمير المؤمنين! فقلت: سبحان الله، أم عليك طاعته!؟ فقال: أوليس قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ﴾ فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة. فجعلنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كف الرشيد كفي إليه. فقال: آواه من كف ما ألينها إن نجت من عذاب الله. فقال الرشيد: خذ فيما جئناك به يرحمك الله. فقال له الفضيل بن عياض: وفي ما جئت؟وقد حملت نفسك ذنوب الرعية التي سمتها هوانا، وجميع من معك من بطانتك وولاتك تضاف ذنوبهم يوم الحساب إلى ذنوبك، فبك بغوا وبك جاروا وهم مع هذا أبغض الناس لك وأسرعهم فرار منك يوم الحساب، حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم أن يحملوا عنك سقطًا (جزءا) من ذنب ما فعلوه، ولكن أشدهم حبا لك أشدهم هربا منك. ثم قال: إن عمر بن عبد العزيز، لم ولي الخلافة، دعا سالم بن عبد الله[3]،ومحمد بن كعب[4]،ورجاء بن حيوة[5]،فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشروا علي. فعد الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة. فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن أفطارك فيها الموت. وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا، وأوسطهم عندك أخا، واصغرهم عندك ابنا، فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك. وقال رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إن شئت. وإني أقول لك يا هارون: إني أخاف عليك أشد الخوف يوما تزل فيه الأقدام. فهل معك مَن يأمرك بمثل هذا ؟ فبكى هارون. قال ابن الربيع، فقلت: أرفق بأمير المؤمنين. فقال: تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا! ثم قال: يا أمير المؤمنين، بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه سهرًا فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: يا أخي، اذكر سهر أهل النار في النار وخلود الأبد، فإن ذلك يطرد بك إلى ربك نائمًا ويقظان، وإياك أن تزلَّ قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك، فلمَّا قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه. فقال له عمر: ما أقدمك؟ قال له: خلعت قلبي بكتابك لا وليت لك ولاية أبدًا حتى ألقى الله تعالى. فبكى هارون بكاءً شديدًا ثم قال: زدني. فقال: يا أمير المؤمنين قد سأل العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم الإمارة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا عَبَّاسَ، يَا عَمَّ النَّبِيِّ، نَفْسٌ تُحْيِيهَا -تنجيها؟- خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا﴾ إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميرًا فافعل. فبكى هارون الرشيد بكاءً شديدًا ثم قال: زدني يرحمك الله. فقال: يا حسن الوجه، أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه فافعل، وإياك أن تصبح أو تمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ أَصْبَحَ لَهُمْ غاشًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةُ الجَنَّةِ﴾ فبكى الرشيد ثم قال: هل عليك دين؟ فقال: نعم. دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني والويل لي إن ناقشني والويل لي إن لم ألهم حجتي. فقال الرشيد: إنما أعني دين العباد. فقال: إن ربي لم يأمرني بهذا. وقد قال عز و جل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات] فقال الرشيد: هذه ألف دينار، خذها وأنفقها على عيالك وتقوى بها على عبادتك. قال: سبحان الله!. أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا! قال ابن الربيع: فخرجنا من عنده. فقال هارون: إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا. هذا سيد المسلمين اليوم.

ويحكى أن الرشيد قال له يوما: ما أزهدك! فقال الفضيل: أنت أزهد مني. قال: وكيف ذلك؟. قال: لأني أزهد في الدنيا وأنت تزهد في الآخرة والدنيا فانية والآخرة باقية.

----

(2) أبو علي، الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الفنديني، الزاهد المشهور، كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تاليا يتلو:﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد] فقال: يا رب قد آن، فرجع، وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وآمنهم. ومناقب الفضيل كثيرة. ومولده بأبيورد، وقيل بسمرقند، ونشأ بأبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات في المحرم سنة 187هـ.

(3) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه أم ولد، يكنى أبو عبد الله، ويقال: أبو عبيد الله ويقال: أبو عمر العدوي المدني الفقيه قدم الشام على عبد الملك بن مروان بكتاب أبيه بالبيعة له، وعلى الوليد بن عبد الملك، وعلى عمر بن عبد العزيز. وكان أشبه أولاد أبيه به، عن مالك قال لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد والعيش منه. أسند سالم عن أبيه وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. روى عن أبيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ورافع بن خديج وأبي هريرة . توفي سنة 106 هـ. ووافق موته حج هشام، فصلى عليه وكان في طريق عودته من الحج، بالمدينة.ودُفن بالبقيع.

(4) محمد بن كعب القرظي أبو حمزة أو أبو عبد الله. وقد ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، اسند محمد بن كعب عن زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأبي هريرة وانس وابن عباس وعبد الله بن يزيد الخطمي في آخرين من الصحابة. قال الواقدي مات سنة 117 هـ أو 118 هـ وقال غيره سنة 129 هـ وقيل كان يقص على أصحابه فسقط المسجد عليه وعليهم فقتلهم رحمهم الله.

(5) رجاء بن حيوة الكندي أبو المقدام، ويقال أبو نصر، وهو تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية، روى عن أبي صالح السمان. توفي سنة 112 هـ. وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية، وله روايات وكلام حسن.

(1) أبو العباس، الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة واسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، وجاء ذكر أبيه في شيء من أخباره مع أبي جعفر، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم، فكان في نفسه منهم إحن وشحناء، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب: من أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَدْلٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً، وَحَدٌّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ بِحَقِّهِ أَزْكَى مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا﴾ ولذلك قال ابن تيمية: ﴿إِنَّ اللهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ العَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُشركة وَيُهْلِكُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةٌ – وفي رواية–: إِنَّ اللهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ العَادِلَةَ وَإِنَّ كَانَتْ كَافِرَةٌ وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةٌ﴾ وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لِصَاحِبِهِ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ﴾ فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة. وقد قالت الحكماء: من حرم العدل فلا خير له ولا للناس في سلطانه. يقول الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود] (وما كان ربك ليهلك القرى) أي أهل القرى (بظلم) أي بشرك وكفر (وأهلها مصلحون) أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق، أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وقوم لوط بالشذوذ، ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب. وفي صحيح الترمذي من حديث أبي بكر الصديق قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ وإن كان علماء الاستبداد يفسرون مادة الصلاح والإصلاح بكثرة التعبد كما حولوا معنى مادة الفساد والإفساد: من تخريب نظام الله إلى التشويش على المستبدين. روي أن سعد بن إبراهيم وأبا سلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ومحمد بن صفوان، قالوا لسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت:﴿لِقَضَاءِ يَوْمٍ بِالحَقِّ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ صَلَوَاتِكَ عُمْرَكَ﴾وتتضح صحة هذه الأقوال إذا وقفت على ما نالته الرعية من الصلاح بصلاح الحاكم.﴿وَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ رُتْبَةِ السُّلْطَانِ العَادِلِ رُتْبَةٌ وَخَيْرُهُ يَعُمُّ كَذَلِكَ لَيْسَ دُونَ رُتْبَةِ السُّلْطَانُ الشِّرِّيرُ الجَائِرُ رُتْبَةً وَشَرّه يَعُمُّ﴾ لما استأذن الهرمزان على عمر بن الخطاب لم يجد عنده حاجباً ولا بواباً فقيل له: هو في المسجد، فأتى المسجد فوجده مستلقياً متوسداً كوماً من الحصى ودرته بين يديه، فقال له الهرمزان:﴿يَا عُمَرُ عَدَلْتُ فَأَمِنْتُ فَنِمْتُ!﴾ قال الحسن بن علي: ﴿رَأَيْتُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَدْ جَمَعَ الحَصَى فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ رَأْسِهِ وَقَدْ وَضَعَ إِحْدَى جَانِبِيٌّ رِدَائِهِ عَلَيْهِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا عِنْدَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَدُرَّتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ خطب سعيد بن سويد بمحص، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إن للإسلام حائطا منيعا، وبابا وثيقا. فحائط الإسلام الحق وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعا ما اشتد السلطان، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل.

مراجع: البداية والنهاية/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ العقد الفريد/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وابن السماك (١) 0724

قال أحمد بن أبي الحواري:[1] سمعت رجلاً يحدث عن ابن السماك[2] قال: بعث إلي هارون، فلما انتهيت إلى باب القصر أخذ حرسيان بضبعي فأعجلا بي في دهليز القصر، فلما انتهيت إلى باب القاعة لقيني خصيان ضخمان فأخذاني من الحرسيين فأعجلا بي في قاعة القصر، فانتهيت إلى البهو الذي هو فيه، فتلقاني خصيان دونهما فأخذاني فأعجلا بي في البهو، فقال لهما هارون: رفقاً بالشيخ. فلما وقفت بين يديه قلت له: يا أمير المؤمنين، ما مر بي يوم منذ ولدتني أمي أتعب من يومي هذا! فاتق الله في خلقه واحفظ محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته، وانصح لنفس في رعيتك، فإن لك مقاماً بين يدي الله تعالى أنت فيه أذل من مقامي هذا بين يديك، فاتق الله واعلم أن الله آخذ سطواته وانتقامه من أهل معاصيه، قال: فاضطرب على فراشه حتى نزل إلى مصلى بين يدي فراشه. فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا ذل الصفة فكيف لو رأيت ذل المعاينة؟ قال: فكادت نفسه تخرج، وكان يحيى بن خالد[3] إلى جنبه، فقال للخصيين: أخرجاه فقد أبكى أمير المؤمنين.ثم دخل مرة أخرى فقال له: يا أمير المؤمنين إن الذي أكرمك بها أكرمك به لحقيق عليك أن تحب ما أحبه وتبغض ما أبغضه، فوالله لقد أحب الله داراً وأبغضتها وأبغض داراً وأحببتها، فكأنما أردت خلاف ربك أو أردت سواه. واعلم يا أمير المؤمنين أن الذي في يديك لو بقي على من كان قبلك لم يصل إليك، فكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك، فاتق الله في خلافته واحفظ وصية محمد صلى الله عليه وسلم في أمته.

قال أبو المغيرة بن شعيب: حضرت يحيى بن خالد البرمكي يقول لابن السماك: إذا دخلت على هارون أمير المؤمنين فأوجز ولا تكثر عليه. قال: فلما دخل عليه وقام بين يديه قال: يا أمير المؤمنين إن لك بين يدي الله تعالى مقاماً وإن لك من مقامك منصرفاً، فانظر إلى أين منصرفك، إلى الجنة أم إلى النار؟ قال: فبكى هارون حتى كاد يموت.

قال محمد بن الحسين النخغي: سمعت محمد بن الحسين البرجلاني يقول: قال الرشيد لابن السماك: عظني، فقال: يا أمير المؤمنين، انك تموت وحدك، وتغسل وحدك، وتكفن وحدك، وتقبر وحدك، يا أمير المؤمنين، إنما هو دبيب من سقم فيؤخذ بالكظم، وتزل القدم، ويقع الفوت والندم، فلا توبة تنال، ولا عثرة تقال، ولا يقبل فداء بمال.

■ (2) ابن السماك هو أبو العباس محمد بن صبيح المذكر مولى بني عجل، المعروف بابن السماك القاص الكوفي الزاهد المشهور؛ كان زاهدا عابدا حسن الكلام صاحب مواعظ، جمع كلامه وحفظ، ولقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم: مثل هشام بن عروة والأعمش وغيرهما. وروى عنه أحمد بن حنبل وأنظاره؛ وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة 183هـ.

■ (3) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (1) أحمد بن أبي الحواري بن ميمون. يكنى أبا الحسن، سكن دمشق وكان له ابن يقال له عبد الله من الزهاد، وأخ يقال له محمد يشبهه في الورع والزهد. وأبوه أبو الحواري من أهل الورع أيضا. فبيتهم بيت الورع والزهد. أسند أحمد بن أبي الحواري عن حفص بن غياث وأبي معاوية ووكيع ونظرائهم. وتوفي سنة 230 هـ.

عن أبي هريرة، قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا﴾ (ما أعلم) من الأحوال والأهوال التي تكون عند النزع وفي القبر ويوم القيامة. وعن الحسن البصري: من علم أن الموت مورده والقيامة موعده والوقوف بين يدي الله تعالى مشهده فحقه أن يطول في الدنيا حزنه. وعن أبي الدرداء، قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم تبكون لا تدرون تنجون أو لا تنجون. وعن أبي طلحة، قال: قدم أنس بن مالك الكوفة، فاجتمعنا عليه، قال: فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وهو يقول: أيها الناس، انصرفوا عني، حتى ألجأناه إلى حائط القصر، فقال: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا، ولضحكتم قليلا، أيها الناس، انصرفوا عني، فانصرفنا عنه. قال عبد الأعلى التيمي: ﴿شَيْئَانِ قَطَعَا عَنِّي لَذَاذَةَ الدُّنْيَا: ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا ابْنَ آدَمَ لا تَزُولَ قَدَمَاكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللهَّ حَتَّى تُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عُمْرِكَ فِيمَا أَفْنَيْتَهُ، وَجَسَدِكَ فِيمَا أَبْلَيْتَهُ، وَمَالِكَ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَهُ، وَأَيْنَ أَنْفَقْتَهُ﴾ وعن سعد ابن جنادة قال: ﴿لَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، نَزَلْنَا قَفْرًا مِنَ الْأَرْضِ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْمَعُوا، مَنْ وَجَدَ عُودًا فَلْيَأْتِ بِهِ، وَمَنْ وَجَدَ حَطَبًا أَوْ شَيْئًا فَلْيَأْتِ بِهِ، قَالَ: فَمَا كَانَ إِلَّا سَاعَةٌ حَتَّى جَعَلْنَاهُ رُكَامًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَرَوْنَ هَذَا؟ فَكَذَلِكَ تُجْمَعُ الذُّنُوبُ عَلَى الرَّجُلِ مِنْكُمْ كَمَا جَمَعْتُمْ هَذَا، فَلْيَتَّقِ اللهَّ رَجُلٌ وَلَا يُذْنِبْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً، فَإِنَّهَا مُحْصَاةٌ عَلَيْهِ﴾.

قال الذهبي: ابن السماك الزاهد، القدوة، سيد الوعاظ، أبو العباس محمد بن صبيح العجلي، مولاهم الكوفي، ابن السماك. روى عن: هشام بن عروة، والاعمش، ويزيد بن أبي زياد، وطائفة. ولم يكثر. روى عنه: يحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن أيوب العابد، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وآخرون. قال ابن نمير: صدوق. قلت: ما وقع له شئ في الكتب الستة. وهو القائل: كم من شئ إذا لم ينفع لم يضر، لكن العلم إذا لم ينفع، ضر. قيل: وعظ مرة، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لك بين يدي الله مقاما، وإنه لك من مقامك منصرفا، فانظر إلى أين تكون. فبكى الرشيد كثيرا. قيل: دخل ابن السماك على رئيس في شفاعة لفقير. فقال: إني أتيتك في حاجة، والطالب والمعطي عزيزان إن قضيت الحاجة، ذليلان إن لم تقض، فاختر لنفسك عز البذل عن ذلك المنع، وعز النجح على ذل الرد. وعنه قال: همة العاقل في النجاة والهرب، وهمة الاحمق في اللهو والطرب. عجبا لعين تلذ بالرقاد، وملك الموت معها على الوساد، حتى متى يبلغنا الوعاظ أعلام الآخرة، حتى كأن النفوس عليها واقفة، والعيون ناظرة، أفلا منتبه من نومته، أو مستيقظ من غفلته، ومفيق من سكرته، وخائف من صرعته، كدحا للدنيا كدحا، أما تجعل للآخرة منك حظا، أقسم بالله، لو رأيت القيامة تخفق بأهوالها، والنار مشرفة على آلها، وقد وضع الكتاب، وجئ بالنبيين والشهداء، لسرك أن يكون لك في ذلك الجمع منزلة، أبعد الدنيا دار معتمل، أم إلى غير الآخرة منتقل ؟. هيهات ولكن صمت الآذان عن المواعظ، وذهلت القلوب عن المنافع، فلا الواعظ ينتفع، ولا السامع ينتفع. وعنه: هب الدنيا في يديك، ومثلها ضم إليك، وهب المشرق والمغرب يجئ إليك، فإذا جاءك الموت، فماذا في يديك ؟ ! ألا من امتطى الصبر، قوي على العبادة، ومن أجمع الناس، استغنى عن الناس، ومن أهمته نفسه لم يول مرمتها غيره، ومن أحب الخير، وفق له، ومن كره الشر، جنبه، ألا متأهب فيما يوصف أمامه، ألا مستعد ليوم فقره، ألا مبادر فناء أجله. ما ينتظر من ابيضت شعرته بعد سوادها، وتكرش وجهه بعد انبساطه، وتقوس ظهره بعد انتصابه، وكل بصره، وضعف ركنه، وقل نومه، وبلي منه شئ بعد شئ في حياته، فرحم الله امرأ عقل الامر، وأحسن النظر، واغتنم أيامه. وعنه: الدنيا كلها قليل، والذي بقي منها قليل، والذي لك من الباقي قليل، ولم يبق من قليلك إلا قليل، وقد أصبحت في دار العزاء، وغدا تصير إلى دار الجزاء، فاشتر نفسك لعلك تنجو. توفي ابن السماك سنة ثلاث وثمانين ومئة، وقد أسن.

مراجع: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ تفسير ابن كثير/ سراج الملوك/ شعب الإيمان/ سير أعلام النبلاء/ مصنف ابن أبي شيبة/ فتح الباري لابن حجر/ تاريخ بغداد/

دخل ابن السماك [1] على هارون الرشيد فقال له: عظني. قال: يا أمير المؤمنين، إن الله لم يرضَ لخلافته في عباده غيرك فلا ترضَ من نفسك إلا بما رضي الله به عنك، فإنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أَوْلَى الناس بذلك، يا أمير المؤمنين، مَن طلب فِكَاك رقبته في مهلة من أجله كان خليقًا أن يعتق نفسه، يا أمير المؤمنين مَن ذوَّقته الدنيا حلاوته بركون منه إليها أذاقته الآخرة مرارتها بتجافيها. يا أمير المؤمنين، ناشدتك الله أن تقدِم إلى جنة عرضها السماوات والأرض وقد دُعيت إليها وليس لك فيها نصيب. يا أمير المؤمنين، إنك تموت وحدك، وتحاسَب وحدك، وإنك لا تقدم إلى على نادم مشغول، ولا تخلف إلا مفتونًا مغرورًا، وإنك وإيانًا في دار سفر وجيران ظعن.

قدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوما من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي درهم فكان داود الطائي [2] ممن كتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي فقالوا: داود يجيبكم أرسلوا إليه، قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة: [3] نحن نذهب إليه، قال ابن السماك لحماد في الطريق: إذا نحن دخلنا عليه فانثرها بين يديه فإن للعين حظها، فقال حماد: رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردها!! فلما دخلوا عليه فنثروها بين يديه قال: سوءة، إنما يفعل هذا بالصبيان، وأبى أن يقبلها.

■ (1) أبو العباس محمد بن صبيح المذكر مولى بني عجل، المعروف بابن السماك القاص الكوفي؛ كان زاهدا عابدا حسن الكلام صاحب مواعظ، جمع كلامه وحفظ، ولقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم: مثل هشام بن عروة والأعمش، وهو كوفي قدم بغداد زمن الرشيد فمكث بها مدة ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة 183هـ.

■ (2) أبو سليمان، داود بن نصير الطائي الكوفي؛ سمع عبد الملك بن عمير وحبيب بن أبي عمرة وسليمان الأعمش ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى؛ روى عنه إسماعيل بن عيينة ومصعب بن المقدام وأبو نعيم الفضل بن دكين وغيرهم؛ وكان داود ممن شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه وغيره من العلوم ثم اختار بعد ذلك العزلة وآثر الانفراد والخلوة فلزم العبادة واجتهد فيها إلى آخر عمره، وقدم بغداد في أيام المهدي ثم عاد إلى الكوفة وفيها كانت وفاته؛ وتوفي في سنة 165 هـ في خلافة المهدي.

■ (3) حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت، تفقه على أبيه وأفتى في زمانه، وكان الغلب عليه الورع والزهد واستقضي على الكوفة.

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز. أما بعد: فكأنك بالدنيا لم تكن، وكأنك بالآخرة لم تزل. قيل لخالد بن صفوان: من أبلغ الناس؟ قال: الحسن البصري لقوله: فضح الموت الدنيا. لو عقل أهل الدنيا خربت الدنيا. وقال: أهينوا الدنيا فو الله لأهنأ ما تكون حين تهينونها. وقال له رجل: ما تقول في الدنيا؟ قال: حلالها حساب، حرامها عذاب. فقال له: ما رأيت أوجز من كلامك. فقال الحسن بل كلام عمر بن عبد العزيز أوجز من كلامي. كتب إليه بعض عمال حمص: أما بعد: فإن مدينة حمص قد تهدمت، واحتاجت إلى إصلاح. فكتب إليه عمر: حصنها بالعدل، ونق طرقها من الجور. والسلام. وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إلى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة أو يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة؟ فكتب إليه عمر: خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله.

عن صالح بن رستم، قال: سمعت الحسن، يقول: ﴿رَحِمَ اللهُ رَجُلًا لَمْ يَغُرَّهُ كَثْرَةُ مَا يَرَى مِنْ كَثْرَةِ النَّاسِ ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ تَمُوتُ وَحْدَكَ وَتَدْخُلُ الْقَبْرَ وَحْدَكَ وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ وَتُحَاسَبُ وَحْدَكَ، ابْنَ آدَمَ وَأَنْتَ الْمَعْنِيُّ وَإِيَّاكَ يُرَادُ﴾ قال المبارك بن فضالة، سمعت الحسن، يقول: ﴿ابْنَ آدَمَ طَأِ الْأَرْضَ بِقَدَمِكَ فَإِنَّهَا عَنْ قَلِيلٍ، قَبْرُكَ، إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي هَدْمِ عُمُرِكَ مُنْذُ سَقَطْتَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ﴾ وعن الحسن، قال: ﴿لَا تُخَالِفُوا اللهَ عَنْ أَمْرِهِ، فَإِنَّ خِلَافًا عَنْ أَمْرِهِ، عِمْرَانُ دَارٍ قُضِيَ عَلَيْهَا الْخَرَابُ﴾ وعنه قال: ﴿أَبَى اللهُ تَعَالَى أَنْ يُعْطِيَ، عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بِعِوَضِ خَطَرِ مِثْلِهِ مِنْ بَلَاءٍ إِمَّا عَاجِلًا وَإِمَّا آجِلًا﴾ وعن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ كَانَ بَلَاءً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ اللهُ: اصْبُغُوهُ صِبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ فِيهَا صِبْغَةً فَيَقُولُ اللهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ أَوْ شَيْئًا تَكْرَهُهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَكْرَهُهُ قَطُّ ثُمَّ يُؤْتَى بِأَنْعَمِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُولُ: اصْبُغُوهُ صِبْغَةً فِي النَّارِ فَيُصْبَغُ فِيهَا فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ قَطُّ قُرَّةَ عَيْنٍ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْتُ خَيْرًا قَطُّ﴾ وعن خلف بن حَوْشَبٍ قال، قال عيسى، عليه السلام للحواريين: ﴿كَمَا تَرَكَ لَكُمُ الْمُلُوكُ الْحِكْمَةَ، فَكَذَلِكَ فَاتْرُكُوا لَهُمُ الدُّنْيَا﴾ وعن ابن عمر قال، قال عيسى، عليه السلام، للحواريين: ﴿كُلُوا خُبْزَ الشَّعِيرِ، وَاشْرَبُوا الْمَاءَ الْقَرَاحَ، وَاخْرُجُوا مِنَ الدُّنْيَا سَالِمِينَ آمِنِينَ، لَحَقٌّ مَا أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ حَلَاوَةَ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ، وَإِنَّ مَرَارَةَ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ، وَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ، لَحَقٌّ مَا أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ شَرَّكُمْ عَالِمٌ يُؤْثِرُ هَوَاهُ عَلَى عِلْمِهِ، يَوَدُّ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ مِثْلُهُ﴾ وقال أحمد بن حرب: ﴿عَبَدْتُ اللهَ خَمْسِينَ سَنَةً، فَمَا وَجَدْتُ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ حَتَّى تَرَكْتُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: تَرَكْتُ رِضَى النَّاسِ حَتَّى قَدِرْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ، وَتَرَكْتُ صُحْبَةَ الْفَاسِقِينَ حَتَّى وَجَدْتُ صُحْبَةَ الصَّالِحِينَ، وَتَرَكْتُ حَلَاوَةَ الدُّنْيَا حَتَّى وَجَدْتُ حَلَاوَةَ الْآخِرَةِ﴾ قال: فضيل بن عياض: ﴿فَرَحُكَ بِالدُّنْيَا لِلدُّنْيَا يَذْهَبُ بِحَلَاوَةِ الْعِبَادَةِ، وَهَمُّكَ بِالدُّنْيَا يَذْهَبُ بِالْعِبَادَةِ كُلِّهَا﴾ وقال مالك بن دينار: ﴿حُزْنُكَ عَلَى الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا يَذْهَبُ بِحَلَاوَةِ الْآخِرَةِ مِنْ قَلْبِكَ، وَفَرَحُكَ بِالدُّنْيَا لِلدُّنْيَا يَذْهَبُ بِحَلَاوَةِ الْآخِرَةِ مِنْ قَلْبِكَ﴾ وقال فضيل بن عياض: ﴿كُلُّ حَزَنٍ يَبْلَى، إِلَّا حُزْنُ التَّائِبِ﴾ وقال يزيد الرقاشي: ﴿الدُّعَاءُ الْمُسْتَجَابُ الَّذِي تُهَيِّجُهُ الْأَحْزَانُ، وَمِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ التَّضَرُّعُ﴾ تمنى قوم عند يزيد الرقاشي أماني فقال يزيد: أتمنى كما تمنيتم؟ قالوا: تمنه، فقال يزيد: ليتنا لم نخلق، وليتنا إذ خلقنا لم نمت، وليتنا إذا متنا لم نحاسب، وليتنا إذا حوسبنا لا نعذب، وليتنا إن عذبنا لا نخلد. قال دهثم العجلي: قلت ليزيد: كيف أصبحت رحمك الله؟ قال: كيف يصبح من تعد عليه أنفاسه؟ ويحصى لانقضاء أجله؟ لا يدري على خير مقدم أم على شر، ثم ذرفت عيناه. قال يزيد الرقاشي: انظروا إلى هذه القبور سطورا بأفناء الدور، تدانوا في خططهم، وقربوا في مزارهم، وبعدوا في لقائهم، سكنوا فأوحشوا، وعمروا فأخربوا، فمن سامع بساكن موحش، وعامر مخرب غير أهل القبور؟ قال يزيد الرقاشي: خمس يقبحن من خمس: الحرص من القراء، والعجلة من الأمراء، والفحش من ذوي الشرف، والبخل من ذوي الأموال، والفتوة من ذوي الأسنان. ولما حضر الموت يزيد الرقاشي قرأ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران] ألا إن الأعمال محضرة، والأجور مكملة، ولكل ساع ما سعى، وغاية الدنيا وأهلها إلى الموت، ثم بكى، وقال: يا من القبر مسكنه، وبين يدي الله موقفه، والنار غدا مورده، ماذا قدمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ما أعددت لوقوفك بين يدي ربك؟. وعن شريح بن عبيد الحضرمي، أن أبا مالك الأشعري لما حضرته الوفاة قال: ﴿يَا سَامِعَ الْأَشْعَرِيِّينَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: حُلْوَةُ الدُّنْيَا مُرَّةُ الْآخِرَةِ، وَمُرَّةُ الدُّنْيَا حُلْوَةُ الْآخِرَةِ﴾ عن حوشب، قال: سمعت الحسن، يقول: ﴿وَاللهِ لَقَدْ عَبَدَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْأَصْنَامَ بَعْدَ عِبَادَتِهِمْ لِلرَّحْمَنِ تَعَالَى بِحُبِّهِمُ الدُّنْيَا﴾.

كان ابن السماك يقول: من أذاقته الدنيا حلاوتها لميله إليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها. وقال: إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت وعاش ما بعده فسأل الرجعة فأسعف بطلبه وأعطي حاجته فهو متأهب مبادر، فافعل فإن المغبون من لم يقدم من ماله شيئاً ومن نفسه لنفسه. وقال علي رضي الله عنه: الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى إحداهما تسخط الأخرى. وقال: الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب. وقال الحسن: والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذا أو ذهبت إلى ذا. دخل قوم على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه، وإذا فيهم شاب داثر ناحل الجسم فقال له عمر: ما الذي بلغ بك ما أرى؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أمراض وأسقام. قال: سألتك بالله إلا صدقتني. فقال: يا أمير المؤمنين، ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة، فصغر في عيني زهرتها وحلاوتها، واستوى عندي حجرها وذهبها، وكأني أنظر إلى عرش ربي، والناس يساقون إلى الجنة والنار، فأظمأت لذلك نهاري، وأسهرت ليلي، وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه. وقال الفضيل بن عياض: لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه. وقال سفيان الثوري: خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك. قال ابن عمر: ساعة للدنيا، وساعة للآخرة، وبين ذلك؛ اللهم، اغفر لنا. وقال: لا يصيب عبد من الدنيا شيئا إلا انتقص من درجاته عند الله، وإن كان على الله كريما دخل الحسن البصري على عبد الله بن الأهتم يعوده في مرضه، فرآه يصعد بصره في صندوق في بيته ويصوبه، ثم التفت إلى الحسن فقال: أبا سعيد، ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل منها رحما؟ فقال له: ثكلتك أمك! ولمن كنت تجمعها؟ قال: لروعة الزمان، وجفوة السلطان، ومكاثرة العشيرة. ثم مات، فشهد الحسن جنازته، فلما فرغ من دفنه ضرب بيده على القبر ثم قال: انظروا إلى هذا، أتاه شيطانه فحذره روعة زمانه، وجفوة سلطانه، ومكاثرة عشيرته، عما استودعه الله إياه، وغمره فيه، انظروا إليه يخرج منها مذموما مدحورا. ثم قال: أيها الوارث، لا تخدعن كما خدع صويحبك بالأمس، أتاك هذا المال حلالا فلا يكونن عليك وبالا، أتاك عفوا صفوا، ممن كان له جموعا منوعا؛ من باطل جمعه، ومن حق منعه؛ قطع فيه لجج البحار، ومفاوز القفار؛ لم تكدح فيه بيمين، ولم يعرق لك فيه جبين؛ إن يوم القيامة يوم حسرة وندامة، وإن من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك في ميزان غيرك؛ فيالها حسرة لا تقال، وتوبة لا تنال. وقيل لعبد الله بن عمر: توفى زيد بن حارثة وترك مائة ألف. قال: لكنها لا تتركه.كان عبد الله بن مسعود إذا قعد يقول: إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن زرع خيرا يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شرا يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع ما زرع، ولا يسبق بطيء حظه ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، فمن أعطي خيرا فالله أعطاه، ومن وقي شرا فالله وقاه. العلماء سادة، والفقهاء قادة، مجالستهم زيادة.

لما مات داود جاء ابن السماك ووقف على قبره ثم قال: أيها الناس إن أهل الزهد في الدنيا تعجلوا الراحة على أبدانهم مع يسير الحساب غدا عليهم، وإن أهل الرغبة فيها تعجلوا التعب على أبدانهم مع ثقل الحساب غدا عليهم، والزهادة راحة لصاحبها في الدنيا والآخرة، والرغبة تعب لصاحبها في الدنيا والآخرة؛ رحمك الله أبا سليمان ما كان أعجب شأنك، ألزمت نفسك الصبر حتى قومتها: أجعتها وإنما تريد شبعها، وأظمأتها وإنما تريد ريها، أخشنت المطعم وإنما تريد طيبه، أخشنت الملبس وإنما تريد لينه؛ أبا سليمان: أما كنت تشتهي من الطعام طيبه، ومن الماء بارده، ومن اللباس لينه بلى ولكن أخرت ذلك لما بين يديك، فما أراك إلا قد ظفرت بما طلبت وما إليه رغبت، فما أيسر ما ضيعت، وأحقر ما فعلت في جنب ما أملت، فمن سعى مثلك عزم عزمك وصبر صبرك، آنس ما يكون إذا كنت بالله خاليا وأوحش ما يكون آنس ما يكون الناس. سمعت الحديث وتركت الناس يحدثون وتفهمت في دين الله وتركتهم يفتون. لا تقبل من السلطان عطية، ولا من الإخوان هدية، سجنت نفسك في بيتك فلا محدث لك، ولا ستر على بابك، فلو رأيت جنازتك وكثرة تابعك علمت أنه قد شرفك وأكرمك وألبسك رداء عملك، فلو لم يرغب عبد في الزهد في الدنيا إلا لمحبة هذا الستر الجميل والتابع الكثير لكان حقيقا بالاجتهاد، فسبحان من لا يضيع مطيعا ولا ينسى لأحد صنيعا. وقيل إن ابن السماك لما قام على قبر داود قال: رحمك الله يا داود! كنت تسهر ليلك والناس نائمون، وكنت تربح إذ الناس يخسرون، فقال الناس جميعا: صدقت؛ وكنت تسلم إذ الناس يخوضون، فقال الناس جميعا: صدقت؛ حتى عدد فضائله كلها. ولما فرغ قام أبو بكر النهشلي [1] فحمد الله ثم قال: يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا، اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله، وفرغ من دفنه وقام الناس.

■ (1) أبو بكر النهشلي الكوفي، من علماء الكوفة. في اسمه أقوال، ولا يعرف إلا بكنيته. وأصح ما قيل في اسمه: عبد الله. وهو الذي يقول فيه وكيع: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي القطاف. قالوا: توفي النهشلي سنة 166 هـ.

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ البداية والنهاية/ سير أعلام النبلاء/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ صفة الصفوة/ إحياء علوم الدين/ وفيات الأعيان/ الجامع للأعلام والمؤلفات/ الهم والحزن لابن أبي الدنيا/ مصنف ابن أبي شيبة/

روي أن جعفر بن محمد[1] دخل على الرشيد وقد استخفه الغضب فقال: يا أمير المؤمنين، إنك إنما تغضب لله تعالى فلا تغضب له بأكثر من غضبه لنفسه واعلم أرشدك الله تعالى أن هذه الكلمة لا قيمة لها، والله أعلم حيث يضع رسالته، فما أفخمها وأجل قدرها وأعظم شأنها! لأنك إذا كنت أيها السلطان إنما تتصرف في ملك الله بأمر الله، فالله تعالى قد حدد حدوداً وشرع شرائع، وأقام فروضاً وسنناً ونهى عن حدود ورسوم، ثم قدر في كل خصلة عند مخالفته حداً محدوداً، ونهى أن يتجاوز ذلك الحد، فلا تقتل من استحق القطع والحبس والأدب والحد، ولا تحبس غير من استحق الحبس. وكانت الخلفاء يؤدبون الناس على قدر منازلهم، فمن عثر من ذوي المروءات أقيلت عثرته ولم يقابل بشيء، لقوله صلى الله عليه وسلم:﴿أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ﴾ومن سواهم كان يقابل على قدر منزلته وهفوته، فكان يقام قائماً في مجلس يقعد فيه نظراؤه فتكون هذه عقوبته، وآخر يشق جيبه وآخر تنزع عمامته من على رأسه، وآخر يكلم بالكلام الذي فيه بعض الغلظة.

■ (1) جعفر بن محمد بن الأشعث ؟، قيل: هو صاحب خاتم الخلافة أو ديوان الخاتم، الذي ولاه الرشيد على خراسان. ثم عزله في سنة 173 هـ. وولى عوضه ولده العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث.

☪

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿اللَّهُمَّ، إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ وَإِنِّي قَدْ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ أَوْ شَتَمْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال أبو هريرة: لقد رفع علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الدرة ليضربني بها، لأن يكون ضربني بها أحب إلي من حمر النعم، ذلك بأني أرجو أن أكون مؤمنا وأن تستجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته. قال عماد الشربيني: وليس في ذلك الغضب خروج عن شرعه، وعصمته في سلوكه وخلقه، بل في ذلك كمال خلقه، ودلالة على بشريته، ولا يفهم من قوله :وأغضب كما يغضب البشر. أن الغضب حمله على مالا يجب، بل يجوز أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه أو سبه، وأنه مما كان يحتمل، ويجوز عفوه عنه، أو كان مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه.

عن أم المؤمنين عائشة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ﴾ وعن ابن عباس ولفظه: ﴿ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ، وَأَقِيلُوا الْكِرَامَ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ﴾ (أقيلوا) أمر من الإقالة (ذوي الهيئات عثراتهم) بفتحتين أي زلاتهم (إلا الحدود) أي إلا ما يوجب الحدود، قال الشافعي في تفسير ذوي الهيئة: هو من لم يظهر منه ذنبه. وقال ابن الملك: الهيئة الحالة التي يكون عليها الإنسان من الأخلاق المرضية. وقال القاضي: الهيئة في الأصل صورة أو حالة تعرض لأشياء متعددة فيصير بسببها مقولا عليها إنها واحدة ثم يطلق على الخصلة، فيقال لفلان هيئات أي خصال، المراد بذوي الهيئات أصحاب المروءات والخصال الحميدة، وقيل: ذوو الوجوه بين الناس. والمعني بهم الأشراف، وقيل: أهل الصلاح والورع، وقيل: خوفا كأنه عليه الصلاة والسلام خاف تغير الزمان، وميل الناس إلى المداهنة مع الأكابر في التجاوز والستر إلى أن يتركوا إقامة الحدود عليهم، وعلى من يلازمهم منهم أو طمعا فيهم، فأمرهم أن يقيموا الحدود عليهم كما يقيمون على السوقة*، فإن وقع العفو فليقع فيما لا يوجب الحد.عن أم المؤمنين عائشة: ﴿أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ*، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا﴾ وفي رواية أخرى عن أم المؤمنين عائشة، قالت :﴿سَرَقَتِ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، فَأُتِيَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُهُ فِيهَا؟ قَالُوا: أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَتَاهُ فَكَلَّمَهُ، فَزَبَرَهُ وَقَالَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الْوَضِيعُ قَطَعُوهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُهَا﴾.

☪

قال بعض الحكماء: احذروا الغضب، فرب غضب استحق الغضبان به غضب الله تعالى. وقال أكثم بن صيفي: لا يكون الرجل حليما حتى يقول السفيه أنه لضعيف مستذل، ولا يكون مخلصا حتى يقول الأحمق أنه لمفسد. ووصف أعرابي رجلا فقال: أحلم من فرخ طائر. وقال أعرابي: إن الغضب عدو العقل، ولذلك يحول بين صاحبه وبين العقل. وقال صعصعة بن صوحان: الغضب مرقدة العقل، فربما أصلده وربما أربده. وقال أعرابي: إذا جاء الغضب تسلط العطب. وكان ابن عون إذا غضب على أحد قال: سبحان الله بارك الله فيك! وأسند ابن أبي الدنيا عن بعضهم قال: جاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجل شاة له، فقال له أبو ذر: من كسر رجل هذه الشاة؟ قال: أنا، قال: ولم؟ قال: لأغيظك، لتضربني، فتأثم. فقال أبو ذر: لأغيظن من حرضك على غيظي! فأعتقه. وقال الأصمعي: دفع أزدشير إلى رجل كان يقوم على رأسه كتابا وقال: إذا رأيتني قد اشتد غضبي فادفعه إلي. فكان فيه: اسكن فلست بإله، إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا، وتصير عن قريب للدود والتراب! وهذه السيرة أول من سنها ملك تبع، أمر أن يكتب في كتاب: اسكن فلست بإله! وقال لصاحبه: إذا غضبت فاعرضه علي. فكان إذا غضب عرضه عليه، فإذا قرأه سكن غضبه. وقال معاوية: أفضل ما أعطي الرجل العقل والحلم، فإذا ذكر ذكروا وإذا أعطى شكر، وإذا ابتلي صبر وإذا غضب كظم، وإذا قدر عفا وإذا أساء استعفى وإذا وعد أنجز. ومن كلام الحكماء: من أطاع الغضب حرم السلامة، ومن عصى الحق غمره الذل. وقال بعض الحكماء: كظم الغيظ حلم والحلم صبر، والتشفي ضرب من الجزع. وقال آخر: أول الغضب جنون وآخره ندم. وقال بعض الحكماء: إذا غلب على الرجل أربع خصال فقد عطب: الرغبة والرهبة والشهوة والغضب. وقيل لبعض الصالحين: إن فلانا يقع فيك بقول. فقال: لأغيظن من أمره يغفر الله لي وله! قيل له: ومن أمره؟ قال: الشيطان. وقال رجل لأخيه: إني مررت بفلان وهو يقع فيك ويذكرك بأشياء رحمتك منها. قال: فهل سمعتني أذكره بشيء؟ قال: لا . قال: فإياه فارحم، وقال الفضيل: ثلاثة لا يلامون على الغضب: المريض والصائم والمسافر. وقال المسيح عليه السلام: ما حلم من لم يصبر عند الجهل، وما قوة من لم يرد الغضب، وما عبادة من لم يتواضع للرب تعالى؟ ويروى عن جرير بن عبد الله: بينما هو راكب قد أردف ابنه إذ لقيه رجل فنال منه وجرير ساكت، فلما ولي قال له ابنه: يا أبت لم سكت عنه؟ قال له: يا بني إذن أوسع جرحي. وقالت الحكماء: متى أشفي غيظي، أحين أقدر فيقال لو عفوت، أم حين أعجل فيقال لو صبرت؟ وقال الشعبي: الجاهل خصم والحليم حاكم.

جاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف] أن الطائف من الشيطان هو الغضب ويروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي قَوْلًا يَنْفَعُنِي وَأَقْلِلْ عَلَيَّ لَعَلِّي أَعِيهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَغْضَبْ فَأَعَادَ عَلَيْهِ مِرَارًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَا تَغْضَبْ﴾ وقال يحيى بن زكريا لعيسى عليهما السلام: أخبرني بما يقربني من رضا ربي ويبعدني من سخطه، قال: لا تغضب. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا تَعُدُّونَ الشَّدِيدَ فِيكُمْ ؟ قَالُوا: الشَّدِيدُ الْبَطْشِ، قَالَ: لَيْسَ بِذَاكَ، وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ الَّذِي إِذَا امْتَلأَ غَيْظًا مَلَكَ نَفْسَهُ، فَذَاكَ الشَّدِيدُ﴾ وذكر أن جعفر بن محمد الصادق دخل على المهدي وقد امتلأ غضبا على إنسان فقال: يا أمير المؤمنين إنك لا تغضب إلا لله فلا تغضب له أكثر من غضبه لنفسه، وقد قال بعض الحكماء: إياكم والغضب، فرب غضب استحق به الغضبان غضب الله عز وجل عليه، ويقال إن في التوراة: يا ابن آدم لا تغضب فاغضب عليك، يا ابن آدم اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق، وقالوا: إياك وغرة الغضب، فإنها تفضي بك إلى ذلة الاعتذار، وقالوا: الغضب على من لا تملك لؤم وعلى من تملك شؤم، وقال بعض الأعراب: الغضب عدو العقل فإنه يحول بين صاحبه وبين العقل، والفهم فيستولي عليه سلطان الهوى فيصرفه عن الحسن وهو الاحتيال إلى القبيح وهو الغضب، ومن عصى الحق غمره الباطل، وقال ابن المعتز: الغضب يصدئ القلب حتى لا يرى صاحبه شيأ حسنا فيفعله ولا قبيحا فيجتنبه، ويقال: ما ترك شيأ من الأحوال الذميمة ولا تأخر عن سبب من الأسباب اللئيمة من أنفذ غضبه، وأساء في الانتقام أدبه، واستطاب فعله واستعذبه، وقالوا: ليس من عادات الكرام سرعة الغضب والانتقام، وقالوا: ثلاثة يعدون في المجانين وإن كانوا عقلاء الغضبان والسكران والغيران، وقال عمر بن عبد العزيز: ثلاثة من كن فيه فقد استكمل الايمان من إذا غضب لم يخرجه غضبه إلى الباطل، وإذا رضي لم يخرجه رضاه عن الحق، وإذا قام جدال لا يأخذ ما ليس له، وإذا تمكن منه الغضب على أحد حبسه ثلاثة أيام حتى يسكن غضبه، ثم يحضره فإن وجب عليه العقوبة عاقبه وإلا أطلقه.

لما هجم ابن حمران على مصر في أيام المستنصر بالله واحرق دار الزيت وتخطف عسكره اجتمع الناس إلى أبي الفضل الجوهري[1] الواعظ، فشكوا حالهم إليه فكتب إلى المستنصر إن كنت خالقا فارحم خلقك وإن كنت مخلوقا فخف خالقك والسلام فرفع ذلك عنهم. وغضب محمد بن سليمان[2] على رجل فأمر بطرحه في القصر فقال له رجل: اتق الله في، فقال: خلوا سبيله، فإني كرهت أن أكون كالذي﴿إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة] وقدم إلى أحمد بن نصير[3] مجوسي جنى جناية فأمر بضربه، فقال: أيها الأمير اضرب بقدر ما تقوى عليه، يريد بذلك القصاص في الآخرة، فتركه وترك العمل. وأخذ مصعب رجلا من أصحاب المختار بن أبي عبيدة فأمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك الذي يستضاء به وأتعلق بأطرافك وأقول رب سل مصعبا فيم قتلني؟ قال: أطلقوه، فقال: أيها الأمير، اجعل ما وهبت من حياتي في خفض عيش، قال: اعطوه مائة ألف درهم، فقال: أيها الأمير، أشهد أن لابن قيس الرقيات منها خمسين الفا، قال: ولم؟ قال لقوله فيك: إنما مصعب شهاب من الل..ه تجلت عن وجهه الظلماء..ملكه ملك رأفة ليس فيه..جبروت كلا ولا كبرياء..يتقي الله في الأمور وقد أف..لح من كان همه الاتقاء. فتبسم مصعب وقال: إن فيك لموضعا للصنيعة وأمر بملازمة جنابه فلم يزل معه حتى قتل في جمادي الأولى سنة اثنتين وتسعين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا جَلْدَ فَوْقَ عَشْرِ جَلْدَاتٍ، إِلَّا فِي حُدُودِ اللَّهِ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام﴿ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أوقفوا الحدود ما وجدتم موقفا، ولأن يخطئ الامام في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة، فإذا وجدتم مخرجا للمسلم فادرؤا عنه الحدود.

----

*(السوقة) الرعية وأوساط الناس وتطلق على الواحد وغيره فيقال هو سوقة وهم سوقة والجمع السوق.(وايم الله) أي يمين الله.

■ (1) هل هو: حاتم بن الليث بن الحارث بن عبد الرحمن أبو الفضل الجوهري. سمع عبد الله بن موسى وسعيد بن داود وإسماعيل بن أبي أويس وإمامنا أحمد فيما ذكره أبو محمد الخلال وكان ثقة ثبتا متقنا حافظا روى عنه محمد بن مخلد ومات سنة 262 هـ.

■ (2) محمد بن سليمان بن علي، وابن عم المنصور، أمير البصرة، وليها في أيام المهدي. وكان على البصرة وكور دجلة والبحرين وعمان وكور الاهواز وفارس،والذي ثبت دولتهم بعمله وبلائه يوم باخمرا، وكان قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن على يده، وكان بطلا شجاعا ممدحا، وكان الرشيد يجله، ويبالغ في إكرامه، وقد ولي أيضا الكوفة، وعزل سنة 164 وأعاده الرشيد، وزوجه أخته العباسة بنت المهدي سنة 172 واستمر في البصرة إلى أن توفي.173 هـ وكان غنيا نبيلا، سمت نفسه إلى الخلافة، وصده عن الجهر بطلبها ما كانت عليه من القوة، في أيام المهدي والرشيد قيل: إن الرشيد استولى على تركته، واصطفاها، فكانت بنحو خمسين ألف ألف درهم. كان مولده بالحميمة من الشام سنة 122 هـ. ومات سنة 173 هـ، واصطفى الرشيد عامة ما خلف. (3) هل هو: عامل الخليفة بالكوفة أحمد بن نصير بن حمزة بن مالك الخزاعي ؟

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ البداية والنهاية / السنن الكبرى للنسائي/ صحيح البخاري/ سراج الملوك/ الجوهر النفيس في سياسة الرئيس/مختصر تاريخ دمشق/ رد شبهات حول عصمة النبي صلى الله عليه وسلم/ غرر الخصائص الواضحة/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وعبيد الله العمري 0727

يروى أن رجلاً قال لعبيد الله العمري:[1] هذا هارون الرشيد في الطواف قد أخلي له المسعى، فقال له: لا جزاك الله عني خيراً كلفتني أمراً كنت عنه غنياً! ثم جاء إليه فقال: يا هارون! فلما نظر إليه قال: لبيك يا عم! قال: كم ترى ههنا من خلق الله تعالى؟ قال: لا يحصيهم إلا الله. قال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه، وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم، فانظر كيف تكون؟ قال: فبكى هارون وجلس فجعلوا يعطونه منديلاً منديلاً للدموع، ثم قال له: والله إن الرجل ليسرف في مال نفسه فيستحق الحجر عليه، فكيف بمن أسرف في مال المسلمين؟ ثم تركهم وانصرف والرشيد يبكي. فيقال إن هارون كان يقول بعد ذلك: إني أحب أن أحج في كل عام، وما يمنعني من ذلك إلا عبيد الله العمري.

قال محمد بن خلف: سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول: بلغني أن هارون الرشيد قال: إني لأحب أن أحج كل سنة ما يمنعني إلا رجل من ولد عمر ثم يسمعني ما أكره وقد روي لنا من طريق آخر أنه لقيه في المسعى فاخذ بلجام دابته فأهوت إليه الأجناد فكفهم عنه الرشيد فكلمه فإذا دموع الرشيد تسيل على معرفة دابته ثم انصرف وانه لقيه مرة فقال: يا هارون، فعلت وفعلت، فجعل يسمع منه ويقول: مقبول منك يا عم على الرأس والعين، فقال: يا أمير المؤمنين، من حال الناس كيت وكيت؟ فقال: عن غير علمي وأمري، وخرج العمري إلى الرشيد مرة ليعظه فلما نزل الكوفة زحف العسكر حتى لو كان نزل بهم مائة ألف من العدو ما زادوا على هيبته ثم رجع ولم يصل إليه.

عن بعض ولد عبد الله بن عبد العزيز، قال: قال الرشيد: والله ما أدري ما آمر في هذا العمري! أكره أن أقدم عليه وله خلف أكرههم، وإني لأحب أن أعرف طريقه ومذهبه، وما أثق بأحد أبعثه إليه، فقال عمر بن بزيع[2] وابن الربيع:[3] فنحن يا أمير المؤمنين، قال: فأنتيا، فخرجا من العرج إلى موضع من البادية يقال له خلص، وأخذا معهما أدلاء من أهل العرج، حتى إذ وردا عليه في منزله أتياه مع الضحى، فإذا هو في المسجد، فأناخا راحلتيهما ومن كان معهما من أصحابهما، ثم أتياه على زي الملوك من الريح والثياب والطيب، فجلسا إليه وهو في مسجد له، فقالا له: يا أبا عبد الرحمن، نحن رسل من خلفنا من أهل المشرق يقولون لك: اتق الله ربك فإذا شئت فقم فأقبل عليهما، وقال: ويحكما! فيمن ولمن! قالا: أنت، فقال: والله ما أحب أني لقيت الله بمحجمة* دم امرئ مسلم، وإن لي ما طلعت عليه الشمس، فلما أيسا منه قالا: فإن معنا شيئا تستعين به على دهرك قال: لا حاجة لي فيه أنا عنه في غنى فقالا له: إنها عشرون ألف دينار، قال: لا حاجة لي فيها، قالا: فأعطها من شئت، قال: أنتيا، فأعطياها من رأيتما، ما أنا لكما بخادم ولا عون قال: فلما يئسا منه ركبا راحلتيهما حتى أصبحا مع الخليفة بالسقيا في المنزل الثاني فوجدا الخليفة ينتظرهما فلما دخلا عليه حدثاه بما كان بينهما وبينه فقال: ما أبالي ما أصنع بعد هذا. فحج عبد الله في تلك السنة، فبينا هو واقف على بعض أولئك الباعة يشتري لصبيانه، إذا هارون يسعى بين الصفا والمروة على دابة، إذ عرض له عبد الله وترك ما يريد، فأتاه حتى أخذ بلجام دابته، فأهوت إليه الأجناد والأحراس، فكفهم عنه هارون فكلمه قال: فرأيت دموع هارون، وإنها لتسيل على معرفة دابته، ثم انصرف.

----

*(المحجمة) الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة عند المص.

(1) عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العمري، ويكنى أبا عبد الرحمن. اسند الحديث وأدرك من التابعين أبا طوالة، روى عن أبيه وإبراهيم بن سعد، وكان عابدا زاهدا، وعظ الرشيد وله معه مواقف محمودة. توفي بالمدينة سنة 184 هـ وهو ابن 66 سنة

(2) عمر بن بزيع، الكاتب كان يخلف الربيع بن يونس في وزارته للهادي، فلما مات الربيع بقى عمر هذا في نيابة الوزارة إلى أن مات الهادي.

(3) أبو العباس، الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة واسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، وجاء ذكر أبيه في شيء من أخباره مع أبي جعفر، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم، فكان في نفسه منهم إحن وشحناء، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب: من أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان

أيها الإخوة المؤمنين، لولا حلم الله لخسف الأرض بالعرب، حيث أرسل لهم رسولا من أنفسهم أسس لهم أفضل حكومة أسست في الناس، جعل قاعدتها قوله:﴿كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾ أي كل منكم سلطان عام ومسؤول عن الأمة. وهذه الجملة التي هي أسمى وأبلغ ما قاله مشرع سياسي من الأولين والآخرين، فجاء من المنافقين من حرف المعنى عن ظاهره وعموميته إلى أن المسلم راع على عائلته ومسؤول عنها فقط. كما حرفوا معنى الآية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة] على ولاية الشهادة دون الولاية العامة. وهكذا غيروا مفهوم اللغة، وبدلوا الدين، وطمسوا على العقول حتى جعلوا الناس ينسون لغة الاستقلال، وعزة الحرية بل جعلوهم لا يعقلون كيف تحكم أمة نفسها بنفسها دون سلطان قاهر. وكأن المسلمين لم يسمعوا بقول النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿النَّاسُ سَوَاسِيَة كَأَسْنَانِ الْمُشطِ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَقْوَى﴾ وهذا الحديث أصح الأحاديث لمطابقته للحكمة ومجيئه مفسرا الآية:﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات] فإن الله جل شأنه ساوى بين عباده مؤمنين وكافرين في المكرمة بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء] ثم جعل الأفضلية في الكرامة للمتقين فقط. ومعنى التقوى لغة ليس كثرة العبادة، كما صار إلى ذلك حقيقة عرفية غرسها علماء الاستبداد القائلين في تفسير (عند الله)؛ أي في الآخرة دون الدنيا؛ بل التقوى لغة هي الاتقاء؛ أي الابتعاد عن رذائل الأعمال احترازا من عقوبة الله. فقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات] كقوله: إن أفضل الناس أكثرهم ابتعادا عن الآثام وسوء عواقبها. قال بعض العلماء: التقوى اجتماع الطاعات، وأوله ترك الشرك، وآخره اتقاء كل ما نهى الله تعالى عنه. عن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بمنى قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط أيام التشريق فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا بِتَقْوَى اللهِ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ثُمَّ قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ. قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ. قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ. قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ قَالَ: وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ﴾.

عن أبي يحيى الزهري قال: قال عبد الله بن عبد العزيز العمري عند موته: بنعمة ربي أحدث أني لم أصبح املك إلا سبعة دراهم من لحاء شجر فتلته بيدي وبنعمة ربي أحدث لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي ما يمنعني أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ما أزلتها. وعن عبد الله بن خبيق قال: تعبد عبد الله العمري وسكن المقابر وكان لا يرى إلا وفي يده كتاب يقرأه وترك مجالسه الناس فسئل عن فعله فقال: لم أر أوعظ من قبر ولا انس من كتاب ولا اسلم من الوحدة فقيل له قد جاء في الوحدة ما جاء قال لا تفسد إلا جاهلا. وعن أبي إسماعيل المؤدب قال جاء رجل إلى العمري فقال: عظني. قال فاخذ حصاة من الأرض فقال: زنة هذه من الورع يدخل قلبك خير لك من صلاة أهل الأرض. قال زدني. قال: كما تحب أن يكون الله عز وجل لك غدا فكن له اليوم. وعن الفضل بن غسان عن أبيه قال: رأى العمري رجلا من آل علي يمشي يخطر فأسرع إليه فاخذ بيده فقال: يا هذا إن الذي أكرمك الله به لم تكن هذه مشيته. قال فتركها الرجل بعد. وقال سمعته يقول: من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الطاعة فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لا ستخف به.

مراجع: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد/ مسند أحمد/ سراج الملوك/ البداية والنهاية / صفة الصفوة/ تاريخ الطبري/مختصر تاريخ دمشق/

يقال: إن شقيقًا البلخي[1] دخل على هارون الرشيد فقال له: أنت شقيق الزاهد. فقال أنا شقيق ولست بزاهد. فقال له: أوصني. فقال: إن الله تعالى قد أجلسك مكان الصديق[2] وإنه يطلب منك مثل صدقه، وإنه أعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق[3] وإنه يطلب منك الفرق بين الحق والباطل مثله، وأنه أقعدك موضع عثمان بن عفان[4] ذي النورين وهو يطلب منك مثل حيائه وكرمه، وأعطاك موضع علي بن أبي طالب[5] وهو يطلب منك العلم والعدل كما يطلب منه. فقال له: زدني من وصيتك. فقال: نعم، اعلم أن لله تعالى دارًا تُعْرَف بجهنم، وأنه جعلك على أبواب تلك الدار وأعطاك ثلاثة أشياء: بيت المال، والسوط، والسيف، وأمرك أن تمنع الخلق من دخول النار بهذه الثلاثة، فمَن جاءك محتاجًا فلا تمنعه من بيت المال، ومَن خالف أمر ربه فأدِّبه بالسوط، ومَن قتل نفسًا بغير حق فاقتله بالسيف بإذن وليِّ المقتول، فإن لم تفعل ما أمرك فأنت الزعيم لأهل النار، والمتقدِّم إلى دار البوار. فقال له: زدني. فقال: إنما مثَلك كمثل معين الماء، وسائر العلماء في العالم كمثل السواقي، فإذا كان المعين صافيًا لا يضرُّ كدر السواقي، وإذا كان المعين كدرًا لا ينفع صفاء السواقي.

قال أبو بكر المروذي سمعت أبا حامد الخراساني يقول: نزل شقيق في بعض هذه المدن التي في طريق خراسان، فإذا قاضيها قد أتاه، فقال له شقيق: تقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فاقرأ تبارك، فقرأ حتى بلغ ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك]، فتلبب به شقيق، ثم قال له: أيكم أحسن مركبا، أو أيكم أحسن ثوبا، أو أيكم أحسن وجها، أو أيكم أحسن دارا؟ ، قال: فقال القاضي لشقيق: إني أعاهد الله، أو قال: أعطيت الله عهدا، إن دخلت في عمل، حتى ألقى الله عز وجل.

■ (1) أبو علي، شقيق بن إبراهيم البخلي؛ من مشايخ خراسان، له لسان في التوكل حسن الكلام فيه، صاحب إبراهيم بن أدهم، وهو أستاذ حاتم الأصم، وكان قد خرج إلى بلاد الترك للتجارة وهو حدث، فدخل إلى بيت أصنامهم، فقال لعالمهم: إن هذا الذي أنت فيه باطل، ولهذا الخلق خالق ليس كمثله شيء رازق كل شيء، فقال له: ليس يوافق قولك فعلك، فقال له شقيق: كيف قال: زعمت أن لك خالقا قادرا على كل شيء وقد تعنيت إلى ها هنا لطلب الرزق، قال شقيقك فكان سبب زهدي كلام التركي، فرجع وتصدق بجميع ما يملك، وطلب العلم. وقد ورد عن شقيق مع انقطاعه وزهده أنه من كبار المجاهدين في سبيل الله، وكذا فليكن زهد الأولياء. ذكر أبو يعقوب القراب أن شقيق بن إبراهيم رحمة الله عليه قتل في غزوة كولان سنة 194 هـ.

■ (2) أبو بكر، الصديق، عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر التيمى القرشى، كنيته: أبو بكر، ولقبه: عتيق. أول الخلفاء الراشدين. ولد سنة 50 ق.هـ بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وأشهر.بمكة ونشأ سيد من سادات قريش وكانت العرب تلقبه بعالم قريش، وقيل أول من آمن من الرجال شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ. قضى فى الخلافة سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام. توفي سنة 13 هـ، بعد مرض استمر أسبوعين، كان سببه الحمى، وتولى بعده الفاروق عمر.

■ (3) أبو حفص، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي.القرشي العدوي أمير المؤمنين. ولد سنة 40 ق.هـ.وأسلم وهو ابن 26 سنة بعد 40 رجلا وعشر نسوة، سنة ست من النبوة. واستشهد سنة 23 هـ وولي الخلافة عشر سنين ونصفا بعد موت أبو بكر سنة 13 هـ.

■ (4) أبو عبد الله، عثمان بن عفان الأموي القرشي، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة،ومن السابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات النبي صلى الله عليه وسلم، رقية ثم بعد وفاتها أم كلثوم. ولد سنة 47 ق هـ. بويع سنة 23 هـ وقتل سنة 35 هـ.حصر في منزله أياما ثم دخلوا عليه فقتلوه واختلف في قاتله فقيل الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم وقيل سودان بن رومان المرادي ويقال ضربه التجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف وكان صائما يومئذ. ودفن بالبقيع.

■ (5) أبو الحسن، علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو رابع (أو قال ثالث!) الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

دخل هارون على بعض النساك فسلم عليه فقال: وعليك السلام أيها الملك! ثم قال له: أيها الملك تحب الله؟ قال: نعم. قال: فتعصيه؟ قال: نعم. قال: كذبت والله في حبك إياه! إنك لو أحببته إذا ما عصيته، ثم أنشد يقول: تعصي الإله وأنت تظهر حبه..هذا لعمري في الفعال بديع..لو كان حبك صادقا لأطعته..إن المحب لمن يحب مطيع..في كل يوم يبتديك بنعمة..منه وأنت لشكر ذاك مضيع.

حدث سليمان بن حميد: أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الملك بن عمر: أنه ليس من أحد رشده وصلاحه أحب إلي من رشدك وصلاحك إلا أن يكون والي عصابة من المسلمين أو من أهل العهد، يكون لهم في صلاحه ما لا يكون لهم في غيره، أو يكون عليهم من فساده ما لا يكون عليهم في غيره. قال الفضيل بن عياض: لو كانت لي دعوة مُسْتَجابة ما صيّرتها إلا في الإمام، لو صيرتُها في نفسي لم تجزني، ومتى صيرتها في الإمام فإصلاحه إصلاح العباد والبلاد، وقال الثوري لأبي جعفر المنصور: إني لأعلم رجلًا إن صَلح صلحتْ الأمة قال ومن هو؟ قال أنت. ذكر أعرابي في ظلم وال وليهم فقال: ما ترك لنا فضة إلا فضها ولا دهبا إلا ذهب به، ولا غلة إلا غلها، ولا ضيعة إلا أضاعها ولا عقارا إلا عقره، ولا علقا إلا اعتلقه، ولا عرضا إلا عرض له، ولا ماشية إلا امتشها، ولا جليلا إلا جله، ولا دقيقا إلا دقه.وقال عمر بن عبد العزيز: تهْلك العامة بذنب الخاصة ولا تهلك الخاصة بعمل العامة والخاصة هم الولاة، وفي رواية: إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة ولكن إذا عمل المنكر جهارًا استحَقوا العقوبة كلهم. يقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال] سأل معاوية يوما أحنف بن قيس: كيف الزمان؟ قال الأحْنف بن قيس:أنت الزمان، إذا صلحت صلح الزمان، وإذا فسدت فسد الزمان. ومثل ذلك قول معاوية لابن الكوا: صف لي الزمان والإخوان فقال: أنت الزمان والإخوان، فإن تصلح صلحا وإن تفسد فسدا. قال: صدقت. وقول هارون الرشيد لمعن بن زائدة: كيف زمانك يا معن؟ قال: يا أمير المؤمنين، أنت الزمان؛ فإن صلحت صلح الزمان، وإن فسدت فسد الزمان. وفي الخبر:﴿النَّاسُ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ﴾ قال عبيدة السلماني لعلي:﴿يا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا بَالِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَر أَنْطَاعُ النَّاسَ لَهُمَا وَالدُّنْيا عَلَيْهِمَا أَضْيَقُ مِنْ شِبْرٍ فَاتَّسَعْتَ عَلَيْهِمَا وُولِيتَ أَنْتِ وَعُثْمَانُ الخَلَافَةُ وَلَمْ يَنْطَاعُوا لَكُمَا وَقَدْ اِتَّسَعَتْ فَصَارَتْ عَلَيْكُمَا أَضْيَقَ مِنْ شِبْرٍ؟. فَقَالَ: لِأَنَّ رَعِيَّةَ أَبِي بَكْرُ وَعُمَر كَانُوا مُثْلَى وَمِثْل عُثْمَانَ وَرَعِيَّتِي أَنَا اليَوْمَ مِثْلَكِ وَشِبْهُكَ!﴾ كتب أخ لمحمد بن يوسف يشكو إليه جور العمال، فكتب إليه: يا أخي بلغني كتابك تذكر ما أنتم فيه وأنه ليس ينبغي لَمن عمل بالمعْصِية أن ينكِر العقوبة وما أرَى ما نْتم فيه إلا مِن شؤم الذنُوب. دخل مسلمة بن يزيد بن وهب على عبد الملك فقال له: أي الزمان أدركت أفضل، وأي الملوك أكمل؟ قال: أما الملوك فلم أر إلا حامدا أو ذاما، وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع أقواما، وكلهم يذم لأنه يبلي جديدهم، ويفرق عديدهم، ويهرم صغيرهم، ويهلك كبيرهم. وقال الشيباني: أتانا يوما أبو مياس الشاعر، ونحن في جماعة فقال: ما أنتم فيه؟ وما تتذاكرون؟ قلنا: نذكر الزمان وفساده، قال:كلا، إنما الزمان وعاء ما ألقي فيه من خير أو شر كان على حاله، ثم أنشأ يقول: يقولون الزمان به فساد..وهم فسدوا وما فسد الزمان. وقال حبيب بن أوس: لم أبك من زمن لم أرض خلته..إلا بكيت عليه حين ينصرم. وجد في صندوق عبد الله بن الزبير صحيفة فيها مكتوب: إذا كان الحديث خلفا، والميعاد خلفا، والمقيت إلفا، وكان الولد غيظا، والشتاء قيظا، وغاض الكرام غيضا، وفاض اللئام فيضا، فاعنز عفر في جبل قفر خير من ملك بني النضر.

قال شقيق البلخي: كنت شاعرا فرزقني الله التوبة، وخرجت من ثلاثمائة ألف درهم، وكنت مرابيا، لبست الصوف عشرين سنة وأنا لا أدري، حتى لقيت عبد العزيز بن أبي رواد، فقال: ليس الشأن في أكل الشعير ولبس الصوف، الشأن أن تعرف الله بقلبك لا تشرك به شيئا، والثانية: الرضى عن الله، والثالثة: تكون بما في يد الله أوثق منك بما في أيدي الناس. وعن شقيق قال: عملت في القرآن عشرين سنة حتى ميزت بين الدنيا والآخرة، فأصبته في حرفين؛ في قوله تعالى:﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الشورى] وعنه قال: من شكا مصيبة نزلت به إلى غير الله، لم يجد حلاوة الطاعة أبدا. وعن حاتم الأصم، عن شقيق قال: لو أن رجلا عاش مائتي سنة لا يعرف هذه الأربعة لم ينج؛ أولها: معرفة الله، الثاني: معرفة النفس، الثالث: معرفة أمر الله ونهيه، الرابع: معرفة عدو الله وعدو النفس. وعن شقيق قال: لقيت سفيان الثوري فأخذت منه لباس الدون، رأيت له إزارا ثمن أربعة دراهم، إذا جلس متربعا أو مد رجليه يخاف أن تبدو عورته، وأخذت الخشوع من إسرائيل. قال الحاكم في تاريخه: قدم شقيق نيسابور عند خروجه راجلا في ثلاثمائة من زهاد خراسان معه أيام المأمون؛ يعني أيام ولايته خراسان. قال: فطلب المأمون الاجتماع به، فامتنع حتى تشفع إليه المأمون.

مراجع: سراج الملوك/ الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ حسن السلوك الحافظ دولة الملوك/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ وفيات الأعيان/ العقد الفريد/ الأغاني/ المعرفة والتاريخ/ التذكرة الحمدونية/ نثر الدر/

قال أبو العيناء محمد بن القاسم:[1] حدثني ابن أبي البختري[2] عن أبيه قال: كنَّا مع الرشيد في سفر له إلى الروم وقد تقدَّمت حمولة الثلج فاستسقى، فبعث الخيل في طلب الثلج فجعلت الخيل تحصف الجبل وقد اشتدَّ عطشه. فقال: اسقني من ماء الرحل فلمَّا أقرَّه في فيه مجَّه*. فقال له أبو البختري: يا أمير المؤمنين، قد كنت ألتمس موضعًا لوَعْظك فلا أجد وقد أمكنني الآن أفتأذن؟ قال: نعم. قال فقلت: يا أمير المؤمنين، لو شربت الحار والقار، ولبست الليِّن والخشن، وأكلت الطيب والخبيث، فإنك لا تدري ما يكون من تصرُّف الدهر. فانتفخ في ثوبه حتى ظننته سينحاز عنه ثم انحمص (سكن) وعاد لونه وقال: يا أبا البختري، إنا نلبس هذه النعمة ما أعطتنا فإذا فارقتنا رجعنا إلى عود غير خوار.

قال شبيب بن شيبة:[3] كنا في طريق مكة، فجاء أعرابي في يوم صائف شديد الحر، ومعه جارية له سوداء، وصحيفة، فقال: أفيكم كاتب؟ قلنا: نعم، وحضر غداؤنا، فقلنا له: لو أصبت من طعامنا، فقال: إني صائم، فقلنا له: أفي هذا الحر الشديد، وجفاء البادية تصوم؟! فقال: إن الدنيا كانت ولم أكن فيها، وتكون ولا أكون فيها، وإنما لي منها أيام قلائل، وما أحب أن أغير أيامي، ثم نبذ إلينا الصحيفة، فقال: اكتب، ولا تزيدن على ما أقول حرفا: هذا ما أعتق عبد الله بن عقيل الكلابي جارية له سوداء يقال لها: لؤلؤة ابتغاء وجه الله، وجواز العقبة العظمى، وإنه لا سبيل لي عليها إلا سبيل الولاء والمنة لله الواحد القهار، قال الأصمعي:[4] فحدثت بهذا الحديث الرشيد، فأمر أن يشترى له ألف نسمة ويعتقون، ويكتب لهم هذا الكتاب.

حدث ميمون بن علي بن يعقوب بن علي بن أبي البختري وهب بن وهب القرشي الأسدي من أهل صيدا. عن جده أبي البختري قال: قال لي هارون الرشيد: أين أنخت لولدك من بعدك؟ قلت: يا أمير المؤمنين بالشام، قال: وأي موضع بالشام؟ قلت: بساحل دمشق بحصن يقال له صيدا، قال: وكيف أنخته الشام وهو – ذكروا – مأواة الفتن وفيه العصبية؟ فقلت له: يا أمير المؤمنين إنه بلد أرضه طعام وسماؤه إدام، قال لي: فتحملنا أن نصير إليه؟ قال: قلت: فما نحملك يا أمير المؤمنين.

----

*(مجج) مج الشراب والشيء من فيه يمجه مجا ومج به رماه. و مج الماء من الفم صبه من فمه قريبا أو بعيدا.

■ (2) أبو البختري وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد ، القرشي الأسدي المدني، حدث عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر العمري وهشام بن عروة بن الزبير وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم، وكان متروك الحديث مشهورا بوضعه، انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولاه القضاء بعسكر المهدي في شرقي بغداد، ثم عزله وولاه القضاء بمدينة رسول الله بعد بكار بن عبد الله الزبيري، وجعل إليه ولاية حربها مع القضاء، ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي سنة200 هـ ببغداد، في خلافة المأمون. وأبو البختري: مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء، وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحتري وهو الشاعر.

■ (3) شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم ، واسمه سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر التميمي المنقري الاهتمي، أبو معمر البصري الخطيب، روى عن الحسن، وابن عمه خالد بن صفوان بن الأهتم، وأبيه شيبة بن عبد الله بن الأهتم، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، وعطاء بن أبي رباح، وعلي بن زيد بن جدعان، ومحمد بن سيرين، ومحمد بن المنكدر، ومعاوية بن قرة المزني، وهشام بن عروة. توفي نحو سنة 170 هـ قيل لعبد الله بن المبارك: نأخذ عن شبيب بن شيبة وهو يدخل على الأمراء؟ فقال: خذوا عنه فإنه اشرف من أن يكذب.

■ (1) أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد البصري، العلامة، الإخباري، أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد البصري، الضرير النديم. ولد بالأهواز سنة 191 هـ، ونشأ بالبصرة.ومات سنة 283 هـ، وقد جاوز التسعين. قلما روى من المسندات، ولكنه كان ذا ملح ونوادر وقوة ذكاء. قال له الوزير أبو الصقر: ما أخرك عنا؟ قال: سرق حماري. قال: وكيف سرق؟ قال: لم أكن مع اللص فأخبرك. قال: فهلا جئت على غيره؟ قال: أخرني عن السرى قلة يساري، وكرهت ذلة العواري، ونزق المكاري.

■ (4) الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، له تصانيف كثيرة في اللغة والشعر منها الأصمعيات. ولد في البصرة سنة 122 هـ وتوفي سنة 216 هـ .كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان هارون الرشيد يسميه شيطان الشعر. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

عن عبد الله بن عمر، قال:﴿وَجَدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حُلَّةً مِنْ إِسْتَبْرَقٍ تُبَاعُ بِالسُّوقِ، فَأَخَذَهَا، فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْتَعْ هَذِهِ فَتَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ، وَلِلْوَفْدِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسُ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ، قَالَ: فَلَبِثَ عُمَرُ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجُبَّةِ دِيبَاجٍ، فَأَقْبَلَ بِهَا عُمَرُ حَتَّى أَتَى بِهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْتَ: إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسُ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ أَوْ إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ، ثُمَّ أَرْسَلْتَ إِلَيَّ بِهَذِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَبِيعُهَا وَتُصِيبُ بِهَا حَاجَتَكَ﴾ وعن أبي عثمان، قال: ﴿كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ: يَا عُتْبَةُ بْنَ فَرْقَدٍ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أَبِيكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أُمِّكَ، فَأَشْبِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَلَبُوسَ الْحَرِيرِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ لَبُوسِ الْحَرِيرِ، قَالَ: إِلَّا هَكَذَا، وَرَفَعَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةَ وَضَمَّهُمَا، قَالَ زُهَيْرٌ: قَالَ عَاصِمٌ: هَذَا فِي الْكِتَابِ، قَالَ: وَرَفَعَ زُهَيْرٌ إِصْبَعَيْهِ﴾ وعن أبي عثمان النهدي قال: كنت مع عتبة بن فرقد حين افتتح أذربيجان، فصنع سفطين من خبيص ألبسهما الجلود واللبود، ثم بعث بهما إلى عمر رضي الله تعالى عنه مع سحيم مولى عتبة، فلما قدم عليه قال: ما الذي جئت به أذهب أم ورق؟ وأمر به فكشف عنه فذاق الخبيص فقال: إن هذا لطيب لين، أفكل المهاجرين أكل منه شبعه؟ قال: لا، انما هو شيء خصك به، فكتب إليه: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عتبة بن فرقد، أما بعد فليس من كدك، ولا كد أمك، ولا كد أبيك، لا تأكل إلا ما شبع به المسلمون في رحالهم. وروى بعضهم هذا الحديث وزاد فيه: ورد الخبيص على عتبة. وعن أبي عثمان أن عتبة بن فرقد قدم على عمر، فدعا عمر بشفرة ليقطع بها كمه، وكان عليه قميص سنبلاني في كمه طول، فقال: دعه يا أمير المؤمنين فأنا أقطعه فأني أستحيي من الناس فقطعه.وعن علي بن أبي طالب قال:﴿نَهَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ التَّخَتُّمِ بِالذَّهَبِ، وَعَنْ لِبَاسِ الْقَسِّيِّ*، وَعَنِ الْقِرَاءَةِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، وَعَنْ لِبَاسِ الْمُعَصْفَرِ*﴾ وحدث أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي، عن رجل من قومه قال: غزونا مع عمر بن الخطاب الشام، فنزلنا منزلا، فجاء دهقان يستدل على عمر حتى أتاه، فلما أتاه الدهقان*، سجد حين رأى عمر. فقال عمر: ما هذا السجود؟! قال: هكذا نفعل بعظمائنا. فقال عمر: اسجد للذي خلقك. قال: يا أمير المؤمنين، إني صنعت لك طعاما لتأتيني. فقال عمر: لعل في بيتك شيئا من زخرف العجم؟ قال: نعم. قال: لا حاجة لي في بيتك، ولكن ابعث إلي بلون واحد من طعام، ولا تزيدن عليه. وانطلق، فبعث إليه بطعام، فأكل منه عمر، فاستقبله الناس في ثياب الحرير والديباج. فقال: هذا لباس أهل الشرك، بئس ما استقبلتموني به، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لاَ تَلْبِسُوا الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ ، وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ ، فَإِنَّهَا لَهُم فِي الدُّنيا ولَكُم فِي الآخِرَةِ﴾، ثم أمر بطلاء فصنع له شيء ذهب ثلثاه وبقي ثلثه فشربه فوافقه، فقال: إني قد أمرت بشراب من العنب فطبخ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه، وخفت أن تقولوا أمر به عمر؛ فتشربون غيره، وإني لا آمركم إلا بمثل هذا. وفي رواية عن أبي عثمان النهدي، قال: لما قدم عتبة بن فرقد أذربيجان أتي بالخبيص*، فلما أكله وجد شيئا حلوا طيبا فقال: والله لو صنعت لأمير المؤمنين من هذا، فجعل له سفطين* عظيمين، ثم حملهما على بعير مع رجلين، فسرح بهما إلى عمر رضي الله عنه فلما قدما عليه فتحهما، قال: أي شيء هذا؟ قالوا:خبيص، فذاقه فإذا شيء حلو، فقال للرسول: أكل المسلمين شبع من هذا في رحالهم؟ قال: لا قال: أما لا، فارددهما ثم كتب إليه أما بعد: فإنه ليس من كدك ولا كد أمك أشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك. قال عتبة بن فرقد: قدمت على عمر رضي الله عنه بسلال خبيص عظام، ما آلو أن أحسن وأجيد، فقال:ما هذه؟ قلت: طعام أتيتك به، لأنك تقضى حاجات الناس أول النهار، فأحببت إذا رجعت أن ترجع إلى طعام فتصيب منه، فيقويك، قال: فكشف عن سلة منها، فقال: عزمت عليك يا عتبة إذا رجعت إلا رزقت كل رجل من المسلمين منه؟، فقلت: والذي يصلحك يا أمير المؤمنين لو أنفقت مال قيس* كلها ما وسع ذلك، قال: فلا حاجة لي منه، ثم دعا بقصعة من خبر جريش، ولحم غليظ، وهو يأكل معي أكلا شهيا، فجعلت أهوى إلى البضعة* البيضاء أحسبها سناما فإذا هي عصبة، والبضعة من اللحم أمضغها فلا أسيغها فإذا غفل عني جعلتها بين الخوان* والقصعة، ثم دعا بعس من نبيذ قد كاد يكون خلا، فقال: اشرب فأخذته وما أكاد أسيغه ثم أخذه فشرب، ثم قال: اسمع يا عتبة إننا ننحر كل يوم جزورا فأما ودكها، وأطايبها فلمن حضرنا من آفاق المسلمين، وأما عنقها فلآل عمر نأكل هذا اللحم الغليظ، ونشرب هذا النبيذ الشديد، يقطعه في بطوننا أن يؤذينا.

----

*(الدهقان) بكسر الدال وضمها:زعيم فلاحى العجم. وقيل رئيس القرية ومقدم التناء والتناء: المقيمون بالبلد وهم كأنهم الأصول فيها. وأصحاب الزراعة وهو معرب.(القسي) كتان مخلوط من حرير، (المعصفر) صبغ أصفر اللون (الخبيص) المعمول من التمر والسمن (السفط) واحد الأسفاط. وهو كالجوالق (قيس) يريد: قيس بن عيلان بن مضر، جد سليم بن منصور القبيلة التي ينتمي إليها عتبة.(البضعة) في هامش الأصل: لعله: القطعة، و البضعة وقد تكسر: القطعة من اللحم. (الخوان) ـ كغراب -: ما يؤكل عليه الطعام وإني إن سلكت غير طريقهما سلك بي غير طريقهما، وإني، والله لأشركنهما في مثل عيشهما الشديد، لعلي أدرك معهما عيشهما الرخي. يعني بصاحبيه: النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه.

مراجع: مسند أحمد/ صحيح مسلم/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني/ لسان العرب/ أنساب الأشراف/ مختصر تاريخ دمشق/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وأبو وهب (١) 0730

عن عبد الله بن مهران قال: حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياماً ثم ضرب بالرحيل، فخرج الناس، وخرج بهلول[1] (أبو وهب) فيمن خرج بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به؛ إذ أقلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته: يا أمير المؤمنين. فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه. فقال: لبيك يا بهلول. فقال: يا أمير المؤمنين؛ حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفاً من عرفة * على ناقة له صهباء؛ لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك، وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك. فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض. ثم قال: يا بهلول زدنا رحمك الله. قال: نعم يا أمير المؤمنين، رجل آتاه الله مالاً وجمالاً فأنفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار. قال: أحسنت يا بهلول، ودفع له جائزة. فقال: أردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها. قال: يا بهلول فإن كان عليك دين قضيناه. قال: يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لا يجوز. قال: يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك أو يقيمك. فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال: يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني. فأسبل هارون السجاف ومضى.

في رواية الفضل بن الربيع، قال: حججت مع هارون الرشيد أمير المؤمنين، فمررنا بالكوفة في طلب المحامل فإذا بهلول المجنون! قاعد يهذي، فقلت له: اسكت، فقد أقبل أمير المؤمنين فسكت. فلما حاذى الهودج قال: يا أمير المؤمنين، حدثني أيمن بن نابل ثنا قدامة بن عبد الله العامري قال: رأيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمنى على جمل وتحته رجل رث، فلم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا إليك إليك. فقلت: يا أمير المؤمنين إنه بهلول المجنون!. قال: قد عرفت به، وبلغني كلامه قل: يا بهلول. قال: يا أمير المؤمنين، هب أنك قد ملكت الأرض طرا ودان لك البلاد فكان ماذا؟ أليس غدا مصيرك جوف قبر ويحثو الترب هذا ثم هذا؟. قال: أجدت يا بهلول أفغيره. قال: نعم يا أمير المؤمنين، من رزقه الله عز وجل جمالا ومالا فعف في جماله وواسى في ماله كتب في ديوان الأبرار. قال: فظن أنه يريد شيئا قال: فإنا قد أمرنا أن يقضى دينك. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا تقض دينا بدين، اردد الحق إلى أهله، واقض دين نفسك من نفسك، فإن نفسك هذه نفس واحدة، وإن هلكت والله ما أنجح عليها. قال: فإنا قد أمرنا أن يجرى عليك جراية. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا يعطيك وينساني، أجرى علي الذي أجرى عليك، لا حاجة لي في جرايتك ومضى.

عن بعض الكوفيين قال: حج الرشيد فذكر بهلولا حين دخل الكوفة فأمر بإحضاره وقال ألبسوه سوادا وضعوا على رأسه قلنسوة طويلة وأوقفوه في مكان كذا ففعلوا به ذلك وقالوا إذا جاء أمير المؤمنين فادع له، فلما حاذاه الرشيد رفع رأسه إليه وقال يا أمير المؤمنين اسأل الله أن يرزقك ويوسع عليك من فضله، فضحك الرشيد وقال آمين، فلما جازه الرشيد دفعه صاحب الكوفة في قفاه وقال: أهكذا تدعو لأمير المؤمنين يا مجنون؟! قال بهلول: اسكت، ويلك يا مجنون، فما في الدنيا أحب إلى أمير المؤمنين من الدراهم، فبلغ ذلك الرشيد فضحك وقال: والله ما كذب.

قال نعيم الخشاب كتب بهلول إلى الواثق: أما بعد فإن المراء قد لعب بدينك والأهواء قد أحاطت بك ومقالات أهل البدع قد سلخت عنك عقلك وابن أبي داود المشئوم قد بدل عليك كلام ربك، اقرأ:﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى- إلى قوله-: فَاعْبُدْنِي﴾ [طه] أيكون هذا الكلام مخلوقا ؟، فرماك الله بحجارة ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود] ثم كتب عنوانه من الخائف الذليل إلى المخالف لكلام ربه تعالى.

قيل دخل بهلول يوما إلى دار الحكومة في الكوفة، فجلس على مسند الوالي وأخذ يقلد الوالي في أفعاله، فلما رآه الحرس والحجّاب ضحكوا عليه، ثم أدركوا أن الوالي لو دخل عليهم ووجد بهلول جالسا على مسنده سوف يبدل ضحكهم إلى بكاء، لذا هرعوا إلى بهلول – بعد أن نصحوه أن ينزل من مسند الوالي فامتنع – وأخذوا يضربنه حتى أنزلوه. ذهب بهلول إلى زاوية من القصر وصار يبكي، وفي هذه الأثناء دخل الوالي فرأى أن وضع القصر غير طبيعي، سأل رئيس الحرس وقال: ما الذي حدث؟. قال رئيس الحرس – بعد أن انحنى تعظيما للوالي -: سيدي، إن بهلولا جلس على مسند الخلافة، فلما وعظناه بالنزول عنه امتنع، ثم اضطرنا إلى ضربه. ذهب الوالي إلى بهلول فوجده يبكي، قال له: عليك بالصبر، فإن الذي يعمل عملا مخالفا للقانون عليه أن يوطن نفسه لمثل ذلك. قال بهلول: أيها الوالي إني لا أبكي على نفسي. تعجب الوالي لذلك وقال: فما السبب في بكائك ؟. قال بهلول: إني جلست على مسندك دقائق فنزل بي من العذاب ما ترى، فكيف بك وقد حلست عليه سنوات، فإنه لا يعلم ما ينزل بك من العذاب إلا الله.

قيل: ولد لعيسى بن موسى[2] ابنة، واغتم عليها وامتنع من الطعام، فبلغ ذلك بهلولا، فجاء إلى الحجاب فسألهم الإذن عليه فأبوا، فقال بعضهم لبعض: دعوه لعله أن يكلم الأمير بكلام يسليه، قال: فأذنوا له فدخل، فلما رآه الأمير عيسى بن موسى أطرق، قال: فقال له: بلغني أنك ولد ابنة فاغتمت، أيما خير لك ابنة عاقلة أو ابن مجنون مثلي؟ قال: ابنة عاقلة؛ قال: فسلا ودعا بالطعام ووهب له.

في رواية خرج هارون يوما في رحلة صيد فمر برجل يقال له بهلول. فقال هارون: عظني يا بهلول. قال: يا أمير المؤمنين! أين آباؤك وأجدادك؟ من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيك؟ قال هارون: ماتوا. قال: فأين قصورهم؟ قال: تلك قصورهم. قال: وأين قبورهم؟ قال: هذه قبورهم. فقال بهلول: تلك قصورهم..وهذه قبورهم..فما نفعتهم قصورهم في قبورهم؟ قال: صدقت. زدني يا بهلول قال: أما قصورك في الدنيا فواسعة..فليت قبرك بعد الموت يتسع. فبكى هارون وقال: زدني. فقال: يا أمير المؤمنين: هب أنك ملكت كنوز كسرى وعمرت السنين فكان ماذا..أليس القبر غاية كل حي وتسأل بعده عن كل هذا؟ قال: بلى. ثم رجع هارون. وانطرح على فراشه مريضا. ولم تمض عليه أيام حتى نزل به الموت.

----

*قوله (منصرفا من عرفة) الصواب: يرمي الجمرة.عن قدامة بن عبد الله، قال:﴿رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ يَرْمِي الْجَمْرَةَ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ صَهْبَاءَ، لَا ضَرْبَ، وَلَا طَرْدَ، وَلَا إِلَيْكَ إِلَيْكَ ﴾ (مطل الغني ظلم) والمطل تأخير الدفع عند استحقاق الحق مع قدرته على الدفع ولو لم يطلب رب الدين الوفاء استحياء من طلبه. قال القاضي وغيره: المطل منع قضاء ما استحق أداؤه فمطل الغني ظلم وحرام ومطل غير الغني ليس بظلم ولا حرام.

■ (1) بهلول بن عمرو الصيرفي، أبو وهيب المجنون، وكان من عقلاء المجانين، ولد ونشأ في الكوفة، له كلام مليح ونوادر وأشعار واستقدمه الرشيد أو غيره من الخلفاء ليسمع كلامه.كان في منشأه من المتأدبين ثم وسوس فعرف بالمجنون توفي في حدود سنة 190 هـ أو 197 هـ

■ (2) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس. شيخ الدولة.جعله عمه السفاح ولي عهده بعد المنصور فلما ولي المنصور جعله ولي عهده بعد ابنه المهدي ولي إمرة الموسم في خلافة السفاح والمنصور وولي الكوفة للمنصور.ولد سنة 103هـ أو 104 هـ توفي سنة 167 هـ

عن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب، قال:﴿يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ تَوَاضَعَ لِي هَكَذَا، وَجَعَلَ يَزِيدُ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَدْنَاهَا إِلَى الْأَرْضِ، رَفَعْتُهُ هَكَذَا، وَجَعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَرَفَعَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ﴾ وعن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال سمعت عمر بن الخطاب يقول:﴿إِنَّ العَبْدَ إِذَا تَوَاضَعَ لله رَفَعَهُ اللهُ حِكْمَةٌ وَقَالَ لَهُ انْتَعِشْ نَعَشَكَ اللهُ فَهُوَ فِي نَفْسِهُ صَغِيرٌ وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ عَظِيمٌ وَإِذَا تَكبر وَعَدَا طَوْرَهُ وَهَصَهُ اللهُ إِلَى الأَرْضِ وَقَالَ أَخْسأ أَخْسَأَكَ اللهُ فَهُوَ فِي نَفْسِه عَظِيمٌ وَفِي أَعْيُنِ النَّاسُ حَقِيرٌ حَتَّى يَكُونُ عِنْدَهِمْ أُحَقِّرُ مِنْ الخِنْزِيرِ﴾ قال ابن الأنباري قال اللغويون (اخسأ) تفسيره أبعد و(وهصه) معناه كسره وهكذا رواه الإمام أبو عبيد في كتاب الغريب ، وعمر بن الخطاب يقول ذلك حديث في الزهد في الدنيا والصبر على ضيق العيش. وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا فِي رَأْسُهُ حِكْمَةٌ بِعْدَ مُلْكٍ فَإِذَا تَوَاضع قِيلَ لِلمَلَك أَرْفَعُ حِكْمَتِهِ وَإِذَا تَكبر قِيلَ لِلمَلِكِ ضَعْ حَكَمَتَهُ﴾ وعن ابن عمر قال:﴿مَرَرْتُ بِرَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءٌ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهَّ! ارْفَعْ إِزَارَكَ، فَرَفَعْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: زِدْ ، فَزِدْتُ فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ. فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ﴾ وعنه ﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُّ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهَّ! إِزَارِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيَلاَءَ﴾ وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا، مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ وَلَا مَخِيلَةٌ﴾ (كلوا، واشربوا) أي مقدار حاجتكم (وتصدقوا) أي بما زاد عليكم (والبسوا) أي كذلك (ما لم يخالطه) أي ما لم يدخل فيه (إسراف ولا مخيلة) وهو قيد للأخير بقرينة نفي المخيلة، ويمكن أن يتعلق به الأوامر كلها مع تكلف، والله أعلم. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُّ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهَّ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُّ﴾ وعن أبي الأحوص قال: افتخرت قريش عند سلمان الفارسي، فقال سلمان: لكني خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم يؤدى بي إلى الميزان فإن ثقلت فأنا كريم وإن خفت فأنا لئيم. ومما يذكر من تواضع عمر بن عبد العزيز جوابه لرجل ناداه: يا خليفة الله في الأرض، فقال له عمر: مه: إني لما ولدت أختار لي أهلي أسما فسموني عمر، فلو ناديتني: يا عمر، أجبتك، فلما اخترت لنفسي الكنى فكنيت بأبي حفص، فلو ناديتني يا أبا حفص أجبتك، فلما وليتموني أموركم سميتموني: أمير المؤمنين، فلو ناديتني يا أمير المؤمنين أجبتك، وأما خليفة الله في الأرض، فلست كذلك ولكن خلفاء الله في الأرض داوود والنبي صلى الله عليه وسلم وشبهه، مشيرا على قوله تعالى:﴿يَا داود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهَّ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهَّ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص] كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد؛ فإذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم فاذكر قدرة الله تعالى عليك، ونفاد ما تأتي إليهم، وبقاء ما يأتون إليك.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مسند أحمد/ مسند الفاروق لابن كثير/ السنن الكبر للنسائي/ إحياء علوم الدين/ مسند المقلين من الأمراء والسلاطين/ فوات الوفيات/ صفة الصفوة/ مصنف ابن أبي شيبة/ صحيح ابن خزيمة/ سنن ابن ماجه/ سنن الدارمي/ الثقات لابن حبان/ ميزان الاعتدال للذهبي/ قصص بهلول/

ذكروا أن البهلول[1] اجتاز ذات يوم على –رجل يدعى أبا حنيفة[2] !–، فسمعه يحدّث تلاميذه فيقول لهم: إنّ لجعفر الصادق[3] أقوالا ثلاثة لا أقبلها: القول الأول: إنه يقول: إن الشيطان يعذّب بالنار، وكيف يتم تعذيب من هو مخلوق من النار بها. الثاني: إنّه يقول: إنّ الله لا يُرى، وكيف يصحّ القول في موجود وليس يُرى. القول الأخير: حيث يقول: فاعل الفعل الإنسان نفسه، وقد وردت النصوص بخلافه. ولما فرغ أبو حنيفة من كلامه تناول البهلول من الأرض حجرا وضرب به رأس أبي حنيفة وهرب، ومن غرائب الصدف أنّه وقع في جبهته فآلمه، فتبعه راكضا مع تلامذته وقبضوا عليه، ولمّا كان من أهل الخليفة لم يجرؤوا على إيذائه، ولكن حملوه إلى الخليفة وشكوه إليه، فقال البهلول لأبي حنيفة: أي ظلم نالك منّي؟ فقال: تلك الحجارة التي ضربت بها رأسي حتّى سال دمي وأوجعتني. فقال لأبي حنيفة: أرني الألم. فقال أبو حنيفة: وهل يمكن رؤية الألم. فقال: فكيف عارضت الإمام الصادق أنّ الله يرى، إذ لا معنى لموجود وليس يرّى؟ وإنّك لتكذب بادّعائك الألم من الحجر، لأنّه تراب وأنت أيضا من التراب، والتراب لا يؤثر بالتراب ولا يعذّب به، قياسا على ما عارضت به الإمام من عدم تعذيب الشيطان بالنار لأنّه منها. وأنت استبعدت قول الإمام من أن الفعل ينسب إلى فاعله، أي هو فاعل الفعل، وإذا لم يكن العبد فاعلا لفعله، فلماذا شكوتني إلى الخليفة وحملتني إليه وطالبتني بالقصاص؟! ولمّا عجز أبو حنيفة عن الجواب ولم يأت بكلام معقول ومقبول، قام خجلا من المجلس.

■ (1) بهلول بن عمرو الصيرفي، أبو وهيب المجنون، وكان من عقلاء المجانين، ولد ونشأ في الكوفة، له كلام مليح ونوادر وأشعار واستقدمه الرشيد أو غيره من الخلفاء ليسمع كلامه.كان في منشأه من المتأدبين ثم وسوس فعرف بالمجنون توفي في حدود سنة 190 هـ أو 197 هـ

■ (3) أبو عبد الله، جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين؛ أحد الأئمة الإثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله أشهر من أن يذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة. وكانت ولادته سنة 80 هـ، وهي سنة سيل الجحاف، وقيل: بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة 83 هـ. وتوفي في شوال سنة 148 هـ بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي، فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه.وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنهم أجمعين.

■ (2) رجل مجهول يدعى أبا حنيفة !؟ هذا إذا سلمنا بصحة هذه الرواية أعلاه ؟ وإن كان للشيعة رأي اخر.

يقول محمد جمال حليم: قوله: وقد ذكروا أن البهلول... فمن هؤلاء الذين ذكروا؟ والخبر إنما تعرف صحته بصحة إسناده، ولا يعرف لهذا الخبر إسناد. ومما يؤكد بطلانها أيضا أن الخبر يحتوي على عقائد متأخري الشيعة من الرافضة، لم تعرف عند الشيعة زمن جعفر الصادق، وجعفر من أئمة السلف. أيضا من أدلة بطلانها كما حكت اللجنة أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى إمام من أئمة المسلمين، فلا يستقيم مع إمامته هذه أن يكذِّب ما نص عليه القرآن في آيات عدة من أن الشيطان مآله إلى النار، كذلك أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى لم يعرف عنه أنه عاش في مدينة بها خليفة، إنما كان مقامه بالكوفة، ولم تكن مقر خلافة، والعباسيون كانوا بها قبل خلافتهم فلما أخذوا الخلافة فارقوها، وإنما يذكر أهل التاريخ أن أبا حنيفة استقدمه أبو جعفر المنصور إلى بغداد ليوليه القضاء فرفض، فيقال إنه مات في السجن، ولم يعلم أنه طال به المقام في بغداد حتى يدّرس ويجتمع حوله الطلاب. وأما بهلول فهو كوفي أيضا، ومن ذكر أنه أقام في بغداد زمن هارون الرشيد، فيومئذ لم يكن أبو حنيفة حيا؛ لأنه توفي سنة 150 هجرية، والخليفة هارون إنما تولى الخلافة سنة 170 هجرية.

في رواية الشيعة أيضا (؟): لما كان من حرص هارون الرشـيد على الملك بحيث كان يتخذ الذرائع للقضاء على مخالفيه وازاحتهم عن الطريق مهما كلف الأمر. وكان إمام الشيعة في عهده هو الإمام موسى الكاظم[1]، وكان هارون يعتبره على رأس المخالفين، حيث كان يشكل خطرا كبيراً على ملكه، مما دعا هارون ليحاول جاهداً كسب تأييد علماء المسلمين المبرزين وإقناعهم بالإفتاء بخروج الإمام موسى الكاظم ومروقه عن الدين، وبهذا الأمر كان يمهد أرضية المواجهة مع الإمام. ولأن بهلول من علماء ذلك الوقت أراد هارون الرشيد إجباره على التوقيع في ورقة أصدر فيها أمره بقتل الإمام الكاظم. لذلك ذهب بهلول إلى الإمام وأخبره بذلك وطلب منه أن يهديه سبيلاً للخلاص من هذه الورطة، فأمره الإمام أن يتظاهر بالجنون ليكون في أمان من سطوة هارون. تظاهر بهلول بالجنون وكان بهذه الذريعة يهزأ ويطعن بالنظام الحاكم بلسان النكاية والمزاح. ولعلمه وقرابته من الخليفة كان لا يتورع عنه، حتى إنه كان يدخل عليه في أي وقت شاء ويتكلم بما يريد، فكان مصداقا للقول المعروف: المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه. وهذه بعض من حوادثه الطريفة التي امتلأت بها حياته:

كان هارون الرشيد يبث عيونه وجواسيسه في المجتمع ليأتوه بأخبار مخالفيه، وذات يوم وشي ببهلول إليه، بأنه من أتباع ومحبي الإمام موسى الكاظم. وحيث أن هارون كان يسعى لمعرفة شيعته ومحبيه ليقضي عليهم فإنه قرر إحضار البهلول إليه لينزل به العقوبة فيكون عبرة للآخرين. ولما أحضر البهلول إلى القصر وقف أمام هارون الذي استولى عليه الغضب، وقال هارون له: سمعت إنك من شيعة ومحبي موسى بن جعفر. سكت البهلول ولم يتكلم بشيء، وكان هذا السكوت مؤذياً لهارون ومثيراً لغضبه أكثر والذي قال: تظاهرت بالجنون لتفرعن عقوبتنا لكني لست بتاركك. ما كانت تفعل إن كنت صادقاً فيما تقول؟ قال بهلول وقد كان هارون يتوقع من البهلول بعد تهديده أن يقول شيئاً يظهر به عم تأييده لإمام الكاظم، لكنه فوجئ بما سمعه من البهلول وصمم في هذه المرة على أن ينزل العقوبة به، ولكن أي نوع من العقوبة يمكن إنزالها بالبهلول الذي كان من أرحامه –أقاربه– غير إنه أشتهر بين الناس بالجنون فلا يمكن إنزال أشد العقوبة به، لأن بعقوبته سيقول الناس بأن هارون لم يقدر إلى على المجانين. وعلى ذلك أخذ هارون يفكر في طريقة لعقوبة بهلول، وأخيراً أمر بخلع ملابس بهلول وإلباسه ما يسرج به الفرس، ثم أمر بوضع لجام على فمه والدوران به في أزقة المدينة. ولما عادوا بالبهلول إلى القصر وقد كان وزير هارون بالقصر أبان عودته، وحيث إنه لم يكن يعلم بالخبر ولا لماذا يفعلون به هكذا قال: ماذا فعل البهلول؟. لم يجبه أحد بشيء لفترة، ثم قام هارون من كرسيه ونفض رداءه بغرور ووقف أمام البهلول وقال: ألم تسمع ما قال وزيرنا؟ أجبه إذاً. التفت البهلول إلى الوزير بكل وقار وسكينة ولم يبدو على وجهه آثار الانزعاج من الخليفة أو الخوف منه، ثم قال: دعاني أمير المؤمنين وسأل مني شيئاً فأجبته جواب الحق، فخلع أمير المؤمنين لأجل ذلك ملابسه الغالية وأهداها إليّ. وقد تغير وضع المجلس بسماع هذا الكلام، فلم يتمالك الجميع أنفسهم من شدة الضحك بما فيهم الخليفة هارون الذي ضحك ضحكاً كثيراً. وبعد لحظات من الضحك هدأ المجلس، ثم أمر هارون بخلع ما على البهلول من السرج واللجام، وأمر بإحضار خياطه الخاص وأمره بإهداء بهلول أفضل ما خاطه للخليفة. لكن قبل أن يأتمر الخياط بأمر الخليفة قال البهلول: لا حاجة لي بملابس الخليفة. ثم لبس ملابسه البالية وخرج من القصر.

قال محمد بن أبي إسماعيل بن أبي فديك:[2] رأيت بهلولا في بعض المقابر وقد أدلى رجليه في قبر وهو يلعب بالتراب، فقلت: ما تصنع ها هنا؟ قال: أجالس أقواما لا يؤذوني وإن غبت لا يغتابوني، فقلت: قد علا السعر مرة، فهل تدعو الله فيكشف عن الناس؟ فقال: والله ما أبالي، ولو كان حبة بدينار، لله علينا أن نعبده كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا، ثم صفق يده وأنشأ يقول: يا من تمتع بالدنيا وزينتها..ولا تنام عن اللذات عيناه..شغلت نفسك فيما لست تدركه..تقول لله ماذا حين تلقاه. وعن الحسن بن الحسين، قال: سمعت أبي يقول: مر بهلول في السوق وهو يأكل، فاستقبله بعض أصحابنا، فقال له: يا بهلول، تأكل في السوق؟! فقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ﴾* وأنا لحقني الجوع في السوق، وفي كفي رغيف، فكرهت أن أمطل نفسي. قال الأصمعي: رأيت بهلولا قائما ومعه خبيص، فقلت له: أيش معك؟ قال: خبيص، فقلت: أطعمني، قال: هو ليس لي، قلت: لمن هو؟ قال: هو لحمدونة ابنة الرشيد بعثته لي آكله لها. وحدث سفيان بن عيينة ، قال: قلت لبهلول المجنون!: يا بهلول عظني، فقال: الملوك، تلك قصورهم، وهذه قبورهم. قال عبد الرحمن الكوفي: لقيني بهلول المجنون، فقال لي: اسألك، قلت اسأل، قال: أي شيء السخاء؟ قلت :البذل والعطاء، قال: هذا السخاء في الدنيا، فما السخاء في الدين؟ قلت: المسارعة إلى طاعة الله، قال: أفيريدون منه الجزاء؟ قلت: نعم بالواحد عشرة، قال: ليس هذا سخاء هذه متاجرة ومرابحة، قلت: فما هو عندك؟ قال: لا يطلع على قلبك وأنت تريد منه شيئا بشيء. قال صباح الوزان الكوفي: لقيت بهلولا يوما فقال لي: أنت الذي يزعم أهل الكوفة أنك تشتم أبا بكر وعمر؟ فقلت: معاذ الله أن أكون من الجاهلين، قال: إياك يا صباح فإنهما جبلا الإسلام وكهفاه ومصباحا الجنة وحبيبا محمد صلى الله عليه وسلم وضجيعاه وشيخا المهاجرين وسيداهم ثم قال: جعلنا الله من الذين على الأرائك يسمعون كلام الله إذا وفد القوم إلى سيدهم.

حدث المستنير بن لأخضر عن إياس بن معاوية قال: جاءه دهقان، فسأله عن المسكر، أرحام هو أم حلال؟ فقال: هو حرام. فقال: كيف يكون حراما؟ أخبرني عن التمر، أحلال أم حرام؟ قال: حلال. قال: فأخبرني عن الكشوث، أحلال هو أم حرام؟ قال: حلال. قال: فأخبرني عن الماء. قال: حلال. قال: فما خالف ما بينهما، وإنما هو التمر والكشوث والماء، أن يكون هذا حلالا وهذا حراما؟ فقال إياس للدهقان: لو أخذت كفا من تراب، فضربتك به، أكان يوجعك؟ قال: لا. قال: فأخذت كفا من ماء، فنضحته في وجهك، أكان يوجعك؟ قال: لا. قال: فأخذت كفا من تبن، فضربتك به، أكان يوجعك؟ قال: لا. قال: فإذا أخذت هذا التراب، فعجنته بالتبن والماء، ثم جعلته كتلا حتى يجف، فضربتك به، أكان يوجعك؟ قال: نعم. ويقتلني! قال: فكذا هو التمر والماء والكشوث، إذا جمع ثم عتق حرم، كما يجفف هذا.

----

* (مطل الغني ظلم) والمطل تأخير الدفع عند استحقاق الحق مع قدرته على الدفع ولو لم يطلب رب الدين الوفاء استحياء من طلبه. قال القاضي وغيره: المطل منع قضاء ما استحق أداؤه فمطل الغني ظلم وحرام ومطل غير الغني ليس بظلم ولا حرام.

■ (1) موسى بن جعفر الكاظم، هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ولد بالمدينة في سنة 128 هـ وقيل 129 هـ وأقدمه المهدي بغداد ثم رده إلى المدينة فأقام بها إلى أيام الرشيد فقدم الرشيد المدينة فحمله معه وحبسه ببغداد إلى أن توفي بها سنة 183 هـ

■ (2) محمد بن إسماعيل بن أبي فديك المدني. أبو إسماعيل، صدوق مشهور يحتج به في الكتب الستة. حدث عن ابن أبي ذئب، والضحاك بن عثمان. وعنه سلمة بن شبيب، وعبد بن حميد، وخلق. توفي سنة 200 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ كتاب مجالس المؤمنين للشيعي التستري/ عقلاء المجانين/

مرت زبيدة[1] زوجة هارون الرشيد[2] الخليفة العباسي ببهلول[3] وهو يلعب مع الصبيان ويخط على الأرض بأصابعه فلما رأت زبيدة ذلك تأملت فيما يصنع ثم قالت له: ماذا تفعل؟. قال بهلول للصبيان وهو يخط تراب الأرض بإصابعه: لا تهدموا البيت الذي بنيته. ثم ألتفت إلى زبيدة وقال: أما ترين أني مشغول ببناء البيت؟. أرادت زبيدة مساعدة بهلول إلا أنها كانت تعلم رفضه لذلك، فتأملت قليلاً ثم قالت: أراك تبني بيتاً جميلاً يليق بالعظماء، وها أنا أرغب في شرائه منك. هذا البيت ؟!، نعم أبعه إياك. أجابها وهو منكس رأسه إلى الأرض يخط ترابها بإصبعه. اشتريت منك هذه الدار فكم يكون ثمنها؟ قالت وهي تنظر للخطوط المعوجة التي رسمها. قام بهلول على قدميه وسوى ظهره، وقد كانت بيده عصا أشار بها إلى الصبيان وهو يقول: بألف دينار لي ولهؤلاء الذين أعانوني في بنائها. فأشارت زبيدة إلى أحد خدمها وقالت له: أعطيه ألف دينار. ثم انصرفت. أخذ بهلول الدنانير وكانت سككاً ذهبية وقسمها بين الفقراء فلم يبق في كيسه دينار واحد. ومضت على هذا الحادث عدة أيام. ذات ليلة رأى هارون الرشيد في المنام نفسه وكأنه يساق إلى الجنة، فلما بلغ أبوابها قيل له: هذا قصر زوجتك زبيدة. فلما أراد الدخول منعوه من ذلك. وفي صباح اليوم التالي قص هارون رؤياه على علماء قصره فقالوا له: سل زبيدة عما فعلت من البر. فلما سألها أخذت تفكر في العمل الذي استحقت من أجله قصراً في الجنة فلم تتذكر شيئاً سوى أنها أعطت لبهلول ألف دينار وقصت خبرها في ذلك على هارون. أدرك هارون الرشيد ضرورة البحث عن بهلول ليشتري منه بيتاً، البيت الذي ليس له في هذه الدنيا قرار لكنه يكون في الآخرة قصراً مشيداً. فأين بهلول؟ خرج هارون من قصره ومعه أحد أقربائه يبحث عن بهلول فوجده في إحدى أزقة بغداد جالس وحوله عدة صبيان وهو يخط تراب الأرض بإصبعه. حاول هارون التظاهر بعدم الاكتراث وقال: أرى أقرب أقربائي يلعب مع الصبيان ويعبث بإصبعه على التراب. نحن نتمتع بما رزقنا الله في هذه الدنيا، وها أنت ترى أني مشغول ببناء بيت على أرض الله لكي أبيعه. أجابه بهلول وهو يخط بإصبعه الأرض. ليس قصور الملوك كالبيوت التي أنت مشغول ببنائها إلا أني مع ذلك أود شراء أحدها. قال هارون ذلك بكل سرور وصوته يرتعش، فرفع بهلول إصبعه من التراب ووضعه نصب عينيه ثم أغمض إحداهما وأخذ ينظر إلى إصبعه بالأخرى، ثم أشار إلى الأرض بإصبعه وقال: هل تشتري مثل هذا البيت؟!. جثا هارون على ركبتيه إلى جانب تلك الخطوط التي رسمها البهلول وقال: رضيت بهذه الدار وإني قد أشتريتها منك. نظر بهلول لهارون نظرة متأمل، ثم هزأ منه ضاحكاً وقال: ثمن هذه الدار باهظ جداً. كل ما تعلقت به رغبتنا وأردناه لا يصعب علينا الحصول عليه وإن كان ثمنه باهظاً. قال هارون ذلك وهو يتظاهر بعدم المبالاة بضحك بهلول، فذكر بهلول آلاف الأكياس من الذهب والبساتين الكبيرة والأموال الطائلة قيمة لتلك الدار.سكت هارون الرشيد حتى أتم بهلول كلامه، والغضب قد استوى عليه لأن ما طلبه بهلول لم يكن بالشيء القليل فإنه لو جمعت ثروات جميع الأغنياء وتكدست على بعضها لما تبلغ معشار ما طلبه بهلول ثمن لداره. فما هو اللغز الكامن في كلام بهلول وما يريد من وراء ذكره هذا الثمن الخيالي؟! أراد هارون أن يعرف السر في ذلك ولذا قال لبهلول: لقد بعت عين هذه الدار لزبيدة بثمن أقل من ذلك بكثير، فقد بعتها إليها بألف دينار، ولما أردت شرائها منك أراك تقول قولاً شططاً. نهض بهلول من الأرض وبعثر ما كان قد رسمه عليها بأطراف أصابع قدميه، وقال: ليعلم الخليفة أن بينه وبين زوجته زبيدة فرقاً شاسعاً، فإن زبيدة اشترت وهي لم تر، وأنت رأيت وتريد أن تشتري. ثم عاد مرة أخرى يلعب مع الصبيان.

عن بعض الكوفيين قال: حج الرشيد فذكر بهلولا حين دخل الكوفة فأمر بإحضاره وقال ألبسوه سوادا وضعوا على رأسه قلنسوة طويلة وأوقفوه في مكان كذا ففعلوا به ذلك وقالوا إذا جاء أمير المؤمنين فادع له، فلما حاذاه الرشيد رفع رأسه إليه وقال يا أمير المؤمنين اسأل الله أن يرزقك ويوسع عليك من فضله، فضحك الرشيد وقال آمين، فلما جازه الرشيد دفعه صاحب الكوفة في قفاه وقال أهكذا تدعو لأمير المؤمنين يا مجنون، قال بهلول اسكت ويلك يا مجنون فما في الدنيا أحب إلى أمير المؤمنين من الدراهم، فبلغ ذلك الرشيد فضحك وقال والله ما كذب.

----

(3) بهلول بن عمرو الصيرفي، أبو وهيب المجنون، وكان من عقلاء المجانين، ولد ونشأ في الكوفة، له كلام مليح ونوادر وأشعار واستقدمه الرشيد أو غيره من الخلفاء ليسمع كلامه.كان في منشأه من المتأدبين ثم وسوس فعرف بالمجنون توفي في حدود سنة 190 هـ أو 197 هـ

(1) أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها.أعرس بها هارون الرشيد في ذي الحجة في سنة 165 في قصره المعروف بالخلد. وكانت وفاتها في سنة 216 هـ في جمادى الأولى ببغداد، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة 186 هـ.

(2) هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الرشيد ابن المهدي ابن المنصور. ولد بالري سنة 147 هـ، وبويع له بمدينة السلام بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170 هـ، وتوفي بطوس سنة 193 هـ، وكان يحج سنة ويغزو سنة.

☪

كان بهلول وعلى عادته يمشي يوماً في أزقة بغداد فلقيه رجل تاجر، فقال لبهلول: أريد استشارتك في أمر التجارة. قال بهلول وكان بيده خيزران ضرب بها كفه الأخرى بهدوء: وما الذي عدل بك عن العقلاء حتى اخترتني دونهم؟. ثم مكث هنيئة فقال: حسناً ما الذي أردت استشارتي فيه؟ إن عملي التجارة فأردت شراء متاع احتكره ثم أبعه لمن يدفع لي فيه ثمناً باهضاً. قال التاجر. ضحك بهلول حتى بانت أضراسه، وقال: إن أردت الربح في تجارتك فاشتر حديدا وفحما. شكره التاجر على ذلك وانطلق إلى السوق، ثم فكر في كلامه جيداً فرأى إن من الأفضل أن يأخذ بكلامه، فأشترى حديداً وفحماً وأودعهما في المخازن، حتى مضت عليهما مدة مديدة ولا زالا على حاليهما في المخزن، ولما احتاج التاجر إلى ثمنهما وكان قد أرتفع تلك الأيام سعرهما باعهما بأفضل ثمن، وربح عليهما ربحاً كثيراً. ولكن أثرت هذه الثروة على سلوكه، كما تؤثر على سلوك الكثير من الناس، حيث تجدهم يفقدون صوابهم ويتغير منطقهم وسلوكهم بعد ثرائهم، فتراهم ينقلبون من هذا الوجه إلى ذلك الوجه. وهكذا كان التاجر فقد أغتر بنفسه غروراً عجيباً، حتى لم يكد يعد للناس وزناً، وأخذ يتحدث عن عقله وذكائه وفطنته. وذات يوم مر التاجر ببهلول، لكنه لم يعره أي أهمية ولم يشكره على ما أشار عليه به سابقا بل أثار بوجهه الغبار وسخر منه، ثم قال: أيها المجنون ما الذي أشتري وأحتكر حتى يعود علي بالربح. أشتر ثوماً وبصلاً وأودعها في المخزن. قال بهلول وهو يضحك.خطا التاجر بعدها خطوات ثم عاد لبهلول وقال بغرور وعجب: عليك أن تفخر بمشورة تاجر موفق وشهير مثلي إياك. لم يجب بهلول بشيء إنما بهت لجهل التاجر وغروره. بينما رصد التاجر لشراء الثوم والبصل كلما يملك من أموال، وذهب صباح اليوم التالي إلى السوق لشرائها على أمل الربح الكثير عند بيعهما. بعد أشهر مضت على البصل والثوم وهما في المخزن جاء التاجر وفتح أبواب المخزن وهو لا يعلم ما ينتظره من خسران مبين، فوجد الثوم والبصل قد تعفنا ونتنا، وطبعا لم يكن أحد ليرغب بشراء مثل هذا البصل والثوم المتعفنين، بل لا بد من رميه في المزابل لأن رائحته النتنة انتشرت في كل مكان، مما اضطر التاجر أن يستأجر عدة نفر ليحملوا هذا المتاع الفاسد إلى خارج المدينة ويدفنوه في الأرض. امتعض التاجر من بهلول وازداد حنقاً عليه وغضباً لأنه فقد رأس ماله بسببه، فأخذ يبحث عنه في كل مكان حتى عثر عليه، فلما رآه أخذ التاجر بتلابيبه وقال: أيها المجنون ما هذا الذي أشرت به علي، لقد أجلستني على بساط الذلة والمسكنة. خلص بهلول نفسه من التاجر، وقال: ماذا حدث؟. قص التاجر على بهلول وصوته يرتعش من شدة الغضب ما جرى له. سكت بهلول عن التاجر هنيئة وهو يعلم عم يتحدث التاجر حتى سكت الغضب عنه، ثم قال له: لقد استشرتني أولا فخاطبتني بخطاب العقلاء فأشرت عليك بما يشيرون، لكنك لما أردت استشارتي ثانياً خاطبتني بخطاب المجانين فأشرت عليك بمشورتهم، فاعلم أن ضرك ونفعك مخبوءان تحت لسانك، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً. فأطرق التاجر إلى الأرض وهو لم يحر جواباً فتركه بهلول وأنصرف عنه.

☪

قال خلف بن سالم: قلت لأبي علي المعتوه وكان ينزل في المخرم، يا أبا علي ألك مأوى؟ قال: نعم، قلت: وأين مأواك؟ قال: في دار يستوي فيها العزيز والذليل، قال: قلت له وأين هذه الدار؟ قال: المقابر، قلت: يا أبا علي، ما تستوحش في ظلم الليل؟! قال: إني أكثر ذكر ظلم اللحد ووحشته فوهن علي ظلم الليل، قلت له: فربما رأيت في المقابر شيئا تنكره؟! قال: ربما ولكن في هول الآخر ما يشغل عن هول المقابر، قال الأشهلي: قلت لأبي: يا أبة مثل هذا الكلام الجيد الصحيح يتكلم به مجنون؟! قال: يا بني هؤلاء قوم كان لهم فضل ودين ومعرفة، فزالت عقولهم وبقي ذلك الفضل فلم يختلط فيما اختلط.

☪

قال محمد بن عبيد الرحبي: سمعت أبا بكر بن سماعة قال: كنا عند ابن أبي عمر العدني[1] بمكة فسمعناه يقول: قدم علينا هارون قدمة إلى هذا المسجد فأخبرني الخادم الذي كان معه قال: كنت معه ومعه جعفر ابن يحيى[2] فخرجنا جميعا حتى صرنا إلى الثنية فقال لي: سل عن حسين ابن علي الجعفي[3]، فلقيت رجلا فقلت: حسين بن علي الجعفى؟! فقال: هاهو ذا يطلع عليك راكبا حمارا وخلفه أسود يقود أجمالا له، فإذا هو قد طلع فقلت: هذا هو يا أمير المؤمنين فلما حاذاه قام إليه فقبل يده أو قال رجله، فقال له جعفر بن يحيى: يا شيخ تدرى من المسلم عليك؟ أمير المؤمنين هارون فالتفت إليه حسين فقال له: أنت يا حسن الوجه، أنت مسؤول عن هذا الخلق كلهم، فقعد يبكى.

----

(3) الحسين بن علي الجعفي ابن الوليد، الامام القدوة الحافظ المقرئ المجود الزاهد، بقية الاعلام، أبو عبد الله، وأبو محمد الجعفي مولاهم الكوفي. قرأ القرآن على حمزة الزيات، وأتقنه، وأخذ الحروف عن أبي عمرو بن العلاء، وعن أبي بكر بن عياش. وروى أبو هشام الرفاعي عن الكسائي، قال: قال لي هارون الرشيد: من أقرأ الناس؟ قلت: حسين الجعفي. توفي في ذي القعدة سنة ثلاث 203 هـ

(2) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

(1) محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني أبو عبد الله الحافظ نزيل مكة عن فضيل بن عياض وأبي معاوية وخلق وعنه وهلال بن العلاء وثقه ابن حبان وقال أبو حاتم صدوق حدث بحديث موضوع عن ابن عيينة قال البخاري مات سنة 243 هـ

مراجع: من كتب الشيعة ؟/ صفة الصفوة/ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال/

قال المشتولي: لما تولى هارون الرشيد[1]، جلس للناس مجلسا عاما، فدخل عليه بهلول[2] المجنون، فقال: يا أمير المؤمنين، أحذر جلساء السوء، واعتمد جليسا صالحا يذكرك بمحاسن الخلق إذا غفلت، والنظر إليهم فيهم إذا لهوت، فإن هذا نفع لك وللناس، وأكثر في الأجر مما تأتي به من صوم وصلاة وقراءة وحج. إن الرجل يلقي الكلمة عند ذي سلطان فيعمل بها فتملأ الأرض فسادا. وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لاَ يُلْقِى لَهَا بَالاً فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا﴾ ولا تكن يا أمير المؤمنين كمن قال الله تعال فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة]. فقال له: زدني فقال: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قد أقاد لك الناس وجعل أمرك فيهم مطاعا، وكلمتك فيهم نافذة، وأمرك فيهم ماضيا، وما ذلك إلا لتحملهم على الإتيان بما أمر الله، والانتهاء عما نهى الله، وتعطي من هذا المال الأرملة واليتيم والشيخ الكبير وابن السبيل. يا أمير المؤمنين أخبرني فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين في صعيد أحضر الملوك وغيرهم، وولاة أمور الناس فيقول لهم لم أمكنكم من بلادي وأطع لكم عبادي لجمع الأموال، وحشد الرجال، بل لتجمعوهم على طاعتي، وتنفذوا فيهم أمري ونهيي، وتعزوا أوليائي، وتذلوا أعدائي وتنصروا المظلومين من الظالمين﴾. يا هارون، تفكر كيف يكون جوابك في ذلك الموقف إذا حضرت ويداك مغلولتان إلى عنقك، وجهنم بين يديك، والزبانية محيطة بك تنظر ما يؤمر فيك!! فبكى هارون بكاء شديدا! فقال له بعض الحاضرين: كدرت على أمير المؤمنين مجلسه! فقال لهم هارون: قاتلكم الله، إن المغرور من غررتموه، والسعيد من بعدتم عنه ثم خرج من عنده.

■ (2) بهلول بن عمرو الصيرفي، أبو وهيب المجنون، وكان من عقلاء المجانين، ولد ونشأ في الكوفة، له كلام مليح ونوادر وأشعار واستقدمه الرشيد أو غيره من الخلفاء ليسمع كلامه.كان في منشأه من المتأدبين ثم وسوس فعرف بالمجنون توفي في حدود سنة 190 هـ أو 197 هـ

■ (1) هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الرشيد ابن المهدي ابن المنصور. ولد بالري سنة 147 هـ ، وبويع له بمدينة السلام بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170 هـ، وتوفي بطوس سنة 193 هـ، وكان يحج سنة ويغزو سنة.

قال رجل لبهلول المجنون: قد أمر أمير المؤمنين لكل مجنون بدرهمين. فقال له بهلول: فهل أخذت نصيبك. ووأودع بهلول بعض الأفنية بالكوفة عشرين درهما ورجل خياط ينظر إليه من حيث لا يعلم به بهلول؛ فلما انصرف أخذ الخياط الدراهم، فعاد بهلول يطلبها فلم يجدها، فعلم أنه لم يؤت إلا من الخياط. فمر به فقال: يا فلان؛ خذ بيدك عشرة دراهم وخذ ثلاثين وخذ كذا... حتى بلغ المائة. قال: وزدها عشرين كم يكون المال ؟ قال: مائة وعشرين. قال: أصبت ومضى. فقال الخياط في نفسه: ما أظنه إلا يمضي بهذه الدراهم التي حسبها ليزيدها على العشرين فلأردنها إلى موضعها، فإذا زاد عليها أخذت الجميع ففعل؛ فكر بهلول إلى الموضع، فأخذ الدراهم وأحدث في موضعها ثم مضى؛ فقام الرجل مسرعا، فلما أدخل يده امتلأت حدثا، ولم يجد شيئا؛ فعارضه بهلول، وقال: خذ في يدك كذا وكذا. كم في يدك ؟ قال: مائة وعشرون. قال: ما في يدك إلا حدث، فانتشر خبر الخياط، وولع الصبيان فيه حتى هرب من الكوفة. ولبهلول هذا حكم؛ وكان يتشيع فقيل له يوما: أيها أفضل أبو بكر أم علي رضي الله عنهما ؟ فقال له: أما وأنا في كندة فعلي، وأما وأنا في ضبة فأبو بكر. وكندة بالكوفة من غلاة الرافضة، وبنو ضبة أهل سنة.وقيل: إن بهلولا كان يستعمل الجنون سترا على نفسه.

☪

من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل، ويقول في الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل فيها بعمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع، وإن منع لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي ، ينهى ولا ينتهي ، ويأمر بما لا يأتي ، يحب الصالحين ولا يعمل أعمالهم ، ويبغض المسيئين وهو منهم ؛ يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ويقيم على ما يكره الموت له ، إن سقم ظل نادما ، وإن صح أمن لاهيا ، يعجب بنفسه إذا عوفي ، ويقنط إذا ابتلي ، تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن ، ولا يثق من الرزق بما ضمن له ، ولا يعمل من العمل بما فرض عليه ، إن استغنى بطر وفتن ، وإن افتقر قنط وحزن ، فهو من الذنب والنعمة موقر ، يبتغي الزيادة ولا يشكر ، ويتكلف من الناس ما لم يؤمر ، ويضيع من نفسه ما هو أكثر ، ويبالغ إذا سأل ، ويقصر إذا عمل ، يخشى الموت ، ولا يبادر الفوت ، يستكثر من معصية غيره ما يستقل أكثره من نفسه ؛ ويستكثر من طاعته ما يستقله من غيره ، فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مداهن ، اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره ، وهو يطاع ويعصي ، ويستوفي ولا يوفي .

☪

قال بعض جلساء المتوكل: كنا نكثر عنده ذكر الجماز[1] حتى اشتاقه، فكتب في حمله من البصرة. فلما دخل عليه أفحم. فقال له المتوكل: تكلم فإني أحب أن أستبرئك. فقال: بحيضة أم بحيضتين يا أمير المؤمنين ؟ فضحك المتوكل. ثم قال له الفتح: قد ولاك أمير المؤمنين على الكلاب والقردة. قال: فاسمع لي وأطع، فأنت من رعيتي. فقال له: إذا وهب لك أمير المؤمنين جارية، فما تصنع بها ؟ فقال: أنا أعرف من نفسي ما تحتاج والله جارية إلا أن أقود عليها. فضحك المتوكل، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فمات فرحا ولم يصل إلى البصرة. وأدخل على المتوكل فأنشده: ليس لي ذنب إلى الشيعة إلا خلتين..حب عثمان بن عفان وحب العمرين. وكان يرمى بالنصب وهاجى عبد الصمد بن المعذل. وللجاحظ فيه: نسب الجماز مقصور إليه منتهاه..يتحامى من أبي الجماز عنه كاتباه..ليس يدري من أبو الجماز إلا من رآه. فأجابه الجماز: يا فتى نفسه إلى الكفر تائقه..لك في الفضل والتزهد والنسك سابقه..فدع الكفر جانبا يا دعي الزنادقه. وكان لا يدخل بيته أكثر من ثلاثة لضيقه ؛ فدعا ثلاثة، فجاءه ستة، وقرعوا الباب ، ووقفوا على رجل رجل فعد أرجلهم من خلف الباب، فلما حصلوا عنده، قال: اخرجوا عني، فإنما دعوت ناسا ولم أدع كراكي . قال يموت بن المزرع جلس الجماز يأكل على مائدة بين يدي جعفر بن القاسم وجعفر يأكل على مائدة أخرى مع قوم وكانت الصحفة ترفع من بين يدي جعفر فتوضع بين يدي الجماز ومن معه فربما جاء قليل وربما لم يجيء شيء فقال الجماز أصلح الله الأمير ما نحن اليوم إلا عصبة ربما فضل لنا بعض المال وربما أخذه أهل السهام ولا يبقى لنا شيء. قال يموت وكان أبي والجماز يمشيان وأنا خلفهما فمررنا بإمام وهو ينتظر من يمر عليه فيصلي معه فلما رآنا أقام الصلاة مبادرا فقال له الجماز دع عنك هذا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يتلقى الجلب.

■ (1) الجماز هو محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن يسار.قيل ابن ياسر مولى أبي بكر الصديق وقيل هو محمد بن عبد الله بن عمرو بن حماد يكنى أبا عبد الله. وسلم بن عمرو الخاسر الشاعر عم الجماز قيل هو ابن خالة سلم وهو بصري صاحب مقطعات ولم يكن له إطالة وكان ماجنا خبيث اللسان وكان يقول أنه أكبر سنا من أبي نواس

مراجع: سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان/ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ زهر الآداب وثمر الألباب/ أخبارالظراف والمتماجنين/ جمع الجواهر في الملح والنوادر/ جمع الجواهر في الملح والنوادر/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وسعدون 0734

قال عبد الله بن خالد الطوسي: لما خرج هارون الرشيد إلى مكة فرش له من جوف العراق إلى مكة اللبود والمرعزي (في رواية: لبد مرعزي)* وكان حلف على أن يحج راجلا فاستند يوما إلى ميل وقد تعب، فإذا سعدون[1] قد عارضه وهو يقول: هب الدنيا تواتيكا..أليس الموت ياتيكا..فما تصنع بالدنيا..وظل الميل يكفيكا..ألا يا طالب الدنيا..دع الدنيا لشانيكا..فما أضحكك الدهر..كذاك الدهر يبكيكا.فشهق الرشيد شهقة فخر مغشيا عليه ثم أفاق بعد أن فاته ثلاث صلوات.

عن عبد الله بن سهل قال: كتب سعدون إلى بعض الخلفاء. أما بعد فإن الله أخذ على السماوات والأرض والجبال عهدا فأودعه إياهن فأما السماوات فتناثر أنجمها وانطمس شمسها واضمحل قمرها وتراصدت أقدام سكانها وارتعدت أكنافها، وأما الأرض فانزوى أطرافها واكدودر ماؤها وتناثر أوراق شجرها وأغصانها وثمارها، وأما الجبال فتحلمد شوامخها وسالت أوديتها ارتعادا وانتقاضا من شدة الأمانة التي كلفتها، وأنت في ضعف حياتك وبلادة خواطرك وعجزك مذ كلفت الأمانة فما تحرك عليك عضو ولا بذعر منك مفصل قد ركبت مجانب مخادعك وجعلت الدنيا نزهة بطالتك فانتبه من رقدة الوسن قبل أن يكشفك الحزن، والسلام.

----

*(اللبود) اللبد كل شعر أو صوف متلبد، سمى به للصوق بعضه ببعض وجمعه لبود (مرعزي) المرعز نسبةً لنوعٍ خاص من شعر الماعز المستحضر من بادية شمال العراق وسنجار

■ (1) سعدون المجنون؛ يقال إن اسمه سعيد وكنيته أبو عطاء ولقبه سعدون، من أهل البصرة؛ كان من عقلاء المجانين وحكمائهم، له أخبار ملاح وكلام سديد ونظم ونثر يستحسن، وطوف البلاد، استقدمه المتوكل وسمع كلامه، وكانت وفاته بعد 250 هـ

قال الحسين الصقلي نظرت وقد زار سعدون بهلولا [1] ورأيتهما فسمعت سعدون يقول لبهلول أوصني وإلا أوصيك فناداه بهلول أوصني يا أخي فقال سعدون أوصيك بحفظ نفسك ومكنها من حبك فإن هذه الدنيا ليست لك بدار، قال بهلول أنا أوصيك يا أخي، فقال قل، فقال: اجعل جوارحك مطيتك واحمل عليها زاد معرفتك واسلك بها طريق متلفك فإن ذكرتك ثقل الحمل فذكرها عاقبة البلوغ. فلم يزالا يبكيان جميعا حتى خشيت عليهما الفناء.

قال ذو النون المصري:[2] خرجت بكرة إلى مقابر عبد الله بن مالك فإذا أنا بشخص مقنع كلما رأى قبراً منخسفاً وقف عليه فقصدته، فإذا هو سعدون، فقلت سعدون، فقال سعدون فقلت ما تصنع ها هنا ؟ فقال إنما يسال عما أصنع من أنكر ما أصنع وأما من عرف ما أصنع فما معنى سؤاله ؟ فقلت يا سعدون تعال نبكي على هذه الأبدان قبل أن تبلى، فتأوه ثم قال: البكاء على القدوم على الله أولى بنا من البكاء على الأبدان، فإن يكن عندها شر أبلاها في القبور فسوف يبعثها ربها للعرض والنشور. يا ذا النون، إنك إن تدخل النار فلا ينفعك دخول غيرك الجنة وإن تدخل الجنة لا يضرك دخول غيرك النار، ثم قال: يا ذا النون، وإذا الصحف نشرت، ثم صاح واغوثاه ماذا يقابلني في الصحف، قال: فغشي علي فلما أفقت إذا هو يمسح وجهي بكمه ويقول: يا ذا النون، من أشرف منك إن مت مكانك هذا. قال محمد بن الصباح قرأت على قميص سعدون: عيني أبكي علي قبل انطلاقي.. بدموع منها تسيل المآقي..واندبي مصرعي فقد مضني الشوق..ونوحي علي قبل الفراق.

قال مالك بن دينار: دخلت جبانة البصرة فإذا أنا بسعدون، فقلت له: كيف حالك وكيف أنت؟ فقال: يا مالك، كيف يكون حال من أمسى وأصبح يريد سفراً بعيداً بلا أهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل، ثم بكى بكاء شديداً، قلت: ما يبكيك؟، قال: والله، ما أبكي حرصاً على الدنيا ولا جزعاً من الموت لكني بكيت ليوم مضى من عمري لم يحسن فيه عملي، أبكاني، والله، قلة الزاد وبعد المفازة والعقبة الكؤود ولا أدري بعد ذلك أصير إلى الجنة أو إلى النار، فسمعت منه كلام حكيم، فقلت له: إن الناس يزعمون أنك مجنون؟!. فقال: وأنت قد اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا؟! زعم الناس أنني مجنون وما بي جنة ولكن حب مولاي قد خالط قلبي وأحشائي وجرى بين لحمي ودمي وعظمي فأنا والله من حبه هائم مشغوف، قلت: فلم لا تجالس الناس وتخالطهم ؟ فأنشد الأبيات المشهورة: خذ عن الناس جانباً..كي يظنوك راهبا..وأنشد أيضاً: ولو لم يكن شيئاً سوى الموت والبلى..وتفريق أعضاء ولحم مبدد..لكنت حقيقاً يا ابن آدم بالبكا..على نائبات الدهر مع كل مسعد.

قال الفتح بن سالم: كان سعدون سياحاً لهجاً بالقول، فرأيته يوماً بالفسطاط قائماً على حلقة ذي النون المصري وهو يقول: يا ذا النون، متى يكون القلب أميراً بعد أن كان أسيراً؟ فقال ذو النون: إذا اطلع الخبير على الضمير فلم ير في الضمير إلا الخبير، قال: فصرخ سعدون، ثم خر مغشياً عليه، ثم أفاق وهو يقول: ولا خير في شكوى إلى غير مشتكى..ولابد من شكوى إذا لم يكن صبر، ثم قال: أستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: يا أبا الفيض، إن من القلوب قلوباً تستغفر قبل أن تذنب، قال: نعم، تلك قلوب تثاب قبل أن تطيع، أولئك قوم أشرقت قلوبهم بضياء روح اليقين.

قال عطاء: رأيت سعدون المجنون ذات يوم يتفلى في الشمس، فانكشفت عورته، فقلت له: استرها يا أخا الجهل، فقال: من لك مثلها فاستر. ثم مر بي يوماً وأنا آكل رماناً في السوق، فعرك أذني وقال: أرى كل إنسان يرى عيب غيره..ويعمى عن العيب الذي هو فيه..وما خير من تخفى عليه عيوبه..ويبدو له العيب الذي لأخيه..وكيف أرى عيباً وعيبي ظاهر..وما يعرف السوءات غير سفيه.

قال عطاء التيمي: كنت أبني فأشرفت من بعض الجدران فإذا سعدون يكتب بقطعة فحم على جدار: ما حال من سكن الثرى ما حاله..أمسى وقد رت هناك حباله..أمسي ولا روح الحياة يصيبه..أبدا ولا لطف الحبيب يناله..أمسي وقد درست محاسن وجهه..وتفرقت في قبره أوصاله..واستبدلت منه المحاسن غبرة..وتقسمت من بعده أمواله..ما زالت الأيام تلعب بالفتى..والمال يذهب صفوه وجلاله.

قال عيسى بن علي رأيت سعدون ذات يوم، والصبيان يؤذونه، فطردت عنه الصبيان فقال بعض الصبيان: هو يزعم أنه يرى ربه، فقلت له: أما تسمع ما يقول الصبيان؟!، قال: وما هو؟، قلت: يقولون أنك ترى الله عز وجل!، فقال: يا أخي، مذ عرفت الله ما فقدته، ثم أنشأ يقول: زعم الناس أنني مجنون..كيف أسلو ولي فؤاد مصون..علق القلب بالبكا في الدياجي..وهو بالله مغرم محزون.

■ (2) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم وقيل: الفيض بن إبراهيم المصري، المعروف بذي النون، الصالح المشهور، وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك؛ وذكر ابن يونس عنه في تاريخه أنه كان حكيما فصيحا وكان أبوه نوبيا، وقيل من أهل إخيم مولى لقريش. توفي سنة 245 هـ وقيل 246 هـ وقيل 248 هـ بمصر.

■ (1) بهلول بن عمرو الصيرفي، أبو وهيب المجنون، وكان من عقلاء المجانين، ولد ونشأ في الكوفة، له كلام مليح ونوادر وأشعار واستقدمه الرشيد أو غيره من الخلفاء ليسمع كلامه.كان في منشأه من المتأدبين ثم وسوس فعرف بالمجنون توفي في حدود سنة 190 هـ أو 197 هـ

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ إحياء علوم الدين/ مسند المقلين من الأمراء والسلاطين/ فوات الوفيات/ صفة الصفوة/ مصنف ابن أبي شيبة/ صحيح ابن خزيمة/ سنن ابن ماجه/ سنن الدارمي/ الثقات لابن حبان/ ميزان الاعتدال للذهبي/ وفيات الأعيان/ عقلاء المجانين/

قال محمد بن إسماعيل بن أبي فديك:[1] كان عندنا رجل يكنى أبا نصر[2] من جهينة* ذاهب العقل في غير ما الناس فيه، لا يتكلم حتى يكلم، وكان يجلس مع أهل الصفة[3] في آخر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان إذا سئل عن شيء أجاب فيه جوابا حسنا معجبا. فأتيته يوما وهو في آخر المسجد مع أهل الصفة منكسا رأسه واضعا جبهته بين ركبتيه فجلست إلى جنبه فحركته فانتبه فزعا فأعطيته شيئا كان معي فأخذه، وقال: قد صادف منا حاجة، فقلت له: يا أبا نصر، مال الشرف؟ قال: حمل ما ناب العشيرة أدناها وأقصاها والقبول من محسنها والتجاوز عن مسيئها. قلت له: فما المروءة؟ قال: إطعام الطعام وإفشاء السلام وتوقي الأدناس.قلت له: فما السخاء؟ قال: جهد مقل، قلت له: فما البخل؟ قال: أف وحول وجهه عني، فقلت: تجيبني، قال: قد أجبتك.

عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك قال: قدم علينا هارون الرشيد فأخلى له المسجد فوقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى منبره وفي موقف جبريل عليه السلام واعتنق اسطوانة التوبة ثم قال: قفوا بي على أصحاب الصفة فلما أتاهم، حرك أبو نصر وقيل: هذا أمير المؤمنين، فرفع رأسه وقال: أيها الرجل، انه ليس بين عبدا الله وأمة نبيه صلى الله عليه وسلم ورعيتك وبين الله خلق غيرك وإن الله سائلك عنهم فاعد للمسألة. في رواية: وعظ مرة هارون الرشيد بكلام حسن فقال: اعلم أن الله سائلك عن أمة نبيه، فأعد لذلك جوابا، وقد قال عمر بن الخطاب: لو ماتت سخلة* بالعراق ضياعا لخشيت أن يسألني الله عز وجل عنها.فقال: إني لست كعمر وإن دهري ليس كدهره فقال: ما هذا بمغن عنك شيئا. فأمر له بثلاثمائة دينار فقال: أنا رجل من أهل الصفة فمر بها فلتقسم عليهم وأنا واحد منهم.

قال: وولى سلام، أو رشيد الخادم - بعض خدام الخاصة - ضياع الرشيد بالثغور والشأمات، فتواترت الكتب بحسن سيرته وتوفيره وحمد الناس له، فأمر الرشيد بتقديمه والإحسان إليه، وضم ما أحب أن يضم إليه من ضياع الجزيرة ومصر.

قال: فقدم فدخل عليه وهو يأكل سفرجلا قد أتى به من بلخ؛ وهو يقشره ويأكل منه، فقال له: يا فلان، ما أحسن ما انتهى إلى مولاك عنك، ولك عنده ما تحب، وقد أمرت لك بكذا وكذا، ووليتك كذا وكذا، فسل حاجتك، قال: فتكلم وذكر حسن سيرته، وقال: أنسيتم والله يا أمير المؤمنين سيرة العمرين. قال: فغضب واستشاط، وأخذ سفرجلة فرماه بها، وقال: يابن اللخناء، العمرين، العمرين! هبنا احتملناها لعمر بن عبد العزيز، نحتملها لعمر ابن الخطاب!.

----

*(جهينة) قبيلة عربية من قبائل قضاعة (سخلة) صغار الغنم.

■ (2) أبو نصر الجهني المصاب، يكنى أبا نصر من جهينة. من عقلاء المجانين بالمدينة.توفي سنة 194 هـ.

■ (3) أهل الصفة أو أصحاب الصفة وهم جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا ينزلون في مكان خلف الحجرات في المسجد النبوي وعرف المكان باسمهم وكانوا متفرغين للعبادة وللمجاورة وهم فقراء المهاجرين الذين ليس لهم مأوى.

■ (1) محمد بن إسماعيل بن أبي فديك المدني. أبو إسماعيل، صدوق مشهور يحتج به في الكتب الستة. حدث عن ابن أبي ذئب، والضحاك بن عثمان. وعنه سلمة بن شبيب، وعبد بن حميد، وخلق. توفي سنة 200 هـ.

حكى ابن كثير أن أبو نصر الجهني، كان مقيما بالمدينة النبوية بالصفة من المسجد في الحائط الشمالي منه، وكان يطيل السكوت، فإذا سئل أجاب بجواب حسن، ويتكلم بكلمات مفيدة تؤثر عنه، وتكتب، وكان يخرج يوم الجمعة قبل الصلاة فيقف على مجامع الناس فيقول:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان] و﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة] ثم ينتقل من جماعة إلى جماعة حتى يدخل المسجد فيصلي فيه الجمعة، ثم لا يخرج حتى يصلي العشاء الآخرة. قال أبو مسهر: حدثنا هشام بن يحيى بن يحيى قال: كان في مسجد دمشق رجل في عقله شيء يقال له: أبو الساكن، فمر على يحيى بن يحيى[1]، فقال له: أنت ذو ميسرة، فمر لي بدرهمين، قال: كيف أصبحت؟ قال: بخير، قال: فلم تريد الدرهمين؟ قال: ويلي على عقلك! من أجل درهميك أقول لك إني بشر.

عن عبد الله بن زُرير الغافقي قال: ﴿دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - قَالَ حَسَنٌ: يَوْمَ الْأَضْحَى - فَقَرَّبَ إِلَيْنَا خَزِيرَةً، فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، لَوْ قَرَّبْتَ إِلَيْنَا مِنْ هَذَا الْبَطِّ -يَعْنِي الْوَزَّ- فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْثَرَ الْخَيْرَ. فَقَالَ: يَا ابْنَ زُرَيْرٍ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا يَحِلُّ لِلْخَلِيفَةِ مِنْ مَالِ اللَّهِ إِلَّا قَصْعَتَانِ؛ قَصْعَةٌ يَأْكُلُهَا هُوَ وَأَهْلُهُ، وَقَصْعَةٌ يَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ﴾ (خزيرة) لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذر عليه الدقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. وأكل أبو بكر، وعمر (أكل) أي أخذ أجرا من بيت مال المسلمين على قيامها بمصالحهم أيام خلافتهما. قالت أم المؤمنين عائشة:﴿يَأْكُلُ الوَصِيُّ بِقَدْرِ عُمَالَتِهِ﴾ (الوصي) الذي يقوم على مال اليتيم بما يصلحه (عمالته) أجرة عمله. وعن طريفٍ أبي تميمة، قال:﴿شَهِدْتُ صَفْوَانَ وَجُنْدَبًا وَأَصْحَابَهُ وَهُوَ يُوصِيهِمْ، فَقَالُوا: هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، قَالَ: وَمَنْ يُشَاقِقْ يَشْقُقِ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَالُوا: أَوْصِنَا، فَقَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الإِنْسَانِ بَطْنُهُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ بِمِلْءِ كَفِّهِ مِنْ دَمٍ أَهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ﴾ قلت لأبي عبد الله: من يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جندب، قال: نعم جندب (سمع) عمل للسمعة والفخر وقيل أشاع عيوب المؤمنين (سمع الله به) يظهر الله للناس سريرته. ويملأ أسماعهم بما ينطوي عليه من خبث السرائر جزاء لفعله (شاق) ضلل الناس وحملهم على ما يشق عليهم أو أثار الخلاف بينهم أو كشف مساوئهم ومعايبهم (أهراقه) أساله بغير حق. وعن حويطب بن عبد العزى: ﴿أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ السَّعْدِيِّ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ فِي خِلاَفَتِهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَلَمْ أُحَدَّثْ أَنَّكَ تَلِيَ مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ أَعْمَالًا، فَإِذَا أُعْطِيتَ العُمَالَةَ كَرِهْتَهَا، فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ عُمَرُ: فَمَا تُرِيدُ إِلَى ذَلِكَ، قُلْتُ: إِنَّ لِي أَفْرَاسًا وَأَعْبُدًا وَأَنَا بِخَيْرٍ، وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عُمَالَتِي صَدَقَةً عَلَى المُسْلِمِينَ، قَالَ عُمَرُ: لاَ تَفْعَلْ، فَإِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الَّذِي أَرَدْتَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي العَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالًا، فَقُلْتُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْهُ، فَتَمَوَّلْهُ، وَتَصَدَّقْ بِهِ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا المَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَإِلَّا فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ﴾ وعن عبد الله بن عمر قال: ﴿سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي العَطَاءَ، فَأَقُولُ أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي، حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالًا، فَقُلْتُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْهُ، فَتَمَوَّلْهُ، وَتَصَدَّقْ بِهِ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا المَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَمَالاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ﴾ (تلي) تتولى القيام بشيء من الأعمال لهم كالقضاء ونحوه (ما تريد) ما هو قصدك من فعل هذا. وعن عمر قال:﴿عَمِلْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَمَّلَنِي﴾ (عملت) أي عملا من أعمال الإمارة (على عهد) أي في زمانه وبأمره (فعملني) أي أعطاني العمالة، قال التوربشتي: أي أعطاني عمالتي وأجرة عملي، وكذا أعملني، وقد يكون عملني بمعنى ولاني وأمرني. قال الطيبي: الوجه هو الأول إذ التقدير عملت في أمر المسلمين ومصالحهم عملا فأعطاني عمالتي، والثاني لا يناسب الباب. وعن أم المؤمنين عائشة قالت: ﴿لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مُؤْنَةِ أَهْلِي، وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَيَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ﴾ (لما استخلف أبو بكر) أي جعل خليفة (لقد علم قومي) قيل أراد بهم قريشا، والأظهر أنه أراد به المسلمين (أن حرفتي) وهي ما كان يشتغل به من التجارة قبل الخلافة (عن مئونة أهلي) أي نفقة عيالي وقد اشتغلت (بأمر المسلمين) وفي نسخة بأمور المسلمين؛ أي بإصلاح أمورهم، فلا سبيل إلى التفرغ للتجارة (فسيأكل) أي ينتفع (آل أبي بكر) أي تبعا له، والمراد أهله وعياله وفيه التفات (من هذا المال) إشارة إلى الحاضر في الذهن، وهو مال بيت المال للمسلمين (ويحترف) أي أبو بكر (للمسلمين فيه) أي في مقابلة ما أكل من المال عوضا له، قال التوربشتي: فرض رضي الله عنه لنفسه مدين من طعام وإداما زيتا، أو نحوه، وإزارا ورداء في الصيف، وفروة، أو جبة في الشتاء، وظهرا معينا لحاجته في السفر والحضر. قال المظهر: وفيه بيان أن للعامل أن يأخذ من عرض المال يعمل فيه قدر ما يستحقه لعمالته إذا لم يكن فوقه إمام يقطع له أجرة معلومة. يقول أبو بكر لعائشة حين حضره الموت: أما إنَّا منذ وُلِّينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكنَّا قد أكلنا من جريش* طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليلٌ ولا كثيرٌ إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجَرْدَ من القطيفة، فإذا مِتُّ فابعثي بهم إلى عُمر وأبرئ منهم ففعلت، فلما جاء رسولُ أبي بكر عمرَ بكى حتى جعلتْ دموعُه تسيل في الأرض، ويقول: رحِم الله أبا بكر! لقد أتعب مَن بعده رحم الله أبا بكر! لقد أتعب مَن بعده. وعن صالح بن كيسان قال: قال ابن عباس: دخلت على عمر في أيام طعنته وهو مضطجع على وسادة من أدم، وعنده جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال له رجل؛ ليس عليك بأس! قال: لئن لم يكن علي اليوم ليكونن بعد اليوم. وإن للحياة لنصيبا من القلب، وإن للموت لكربة، وقد كنت أحب أن أنجي نفسي وأنجو منكم، وما كنت من أمركم إلا كالغريق يرى الحياة فيرجوها ويخشى أن يموت دونها، فهو يركض بيديه ورجليه، وأشد من الغريق الذي يرى الجنة والنار وهو مشغول. ولقد تركت زهرتكم كما هي ما لبستها فأخلقتها (أبليتها)، وثمرتكم يانعة في أكمامها ما أكلتها، وما جنيت ما جنيت إلا لكم، وما تركت ورائي درهما ما عدا ثلاثين أو أربعين درهما. ثم بكى وبكى الناس معه، فقلت: يا أمير المؤمنين، أبشر، فو الله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض، ومات أبو بكر وهو عنك راض، وإن المسلمين رضوان عنك. قال: المغرور والله من غررتموه؛ أما والله لو أن لي ما بين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المطلع. وعن عمر أنه قال: لا أحد يحل لي أن آكل من مالكم هذا إلا كما كنت آكل من صلب مالي: الخبز والزيت والسمن. قال: فكان ربما أتي بالحفنة قد صنعت بزيت فيعتذر إلى القوم، فيقول: إني رجل عربي، ولست أستمرئ هذا الزيت. وعن ابن عمر قال: دخل علين عمر وهو على مائدة، فأوسع له عن صدر المجلس، فقال: بسم الله ثم ضرب بيده، فلقم لقمة، ثم ثنى بأخرى ثم قال: إني لأجد طعم دسم، ما هو بدسم اللحم، فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، إني خرجت إلى السوق أطلب السمين لأشتريه، فوجدته غاليا، فاشتريت بدرهم من المهزول، وحملت عليه بدرهم سمنا، وأردت أن يزاد عيالي عظما عظما، فقال عمر: ما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أكل أحدهما وتصدق بالآخر، فقال عبد الله: عد يا أمير المؤمنين فلن يجتمعا عندي أبدا إلا فعلت ذلك. قال: ما كنت لأفعل. قال الأحنف بن قيس: كنا نأكل عند عمر يوما بلحم غريض، ويوما بزيت، ويوما بقديد. قال أبو حازم: دخل عمر على حفصة ابنته، فقدمت إليه مرقدا باردا وخبزا، وصبت في المرق زيتا، فقال: أدمان في إناء واحد؟ لا أذوق حتى ألقى الله.

----

*(الجريش) غليظ الطعام

■ (1) يحيى بن يحيى الغساني من أهل المدينة يروى عن سعيد بن المسيب روى عنه الشاميون كان مولده يوم مرج راهط ومات سنة 135 هـ وقد قيل سنة 133 هـ وكان سيد أهل دمشق.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مسند أحمد/ مسند الفاروق لابن كثير/ السنن الكبر للنسائي/ إحياء علوم الدين/ مسند المقلين من الأمراء والسلاطين/ فوات الوفيات/ صفة الصفوة/ مصنف ابن أبي شيبة/ صحيح ابن خزيمة/ سنن ابن ماجه/ سنن الدارمي/ الثقات لابن حبان/ ميزان الاعتدال للذهبي/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وأبو يوسف، القاضي (١) 0736

حكى أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن أبا يوسف[1] قال: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال، فجاء أبي يوما وأنا عند أبي حنيفة[2]، فانصرفت معه، فقال: يا بني، لا تمد رجلك مع أبي حنيفة، فإن أبا حنيفة خبزه مشوي، وأنت تحتاج إلى المعاش، فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي، فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني، فجعلت أتعاهد مجلسه، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي: ما شغلك عنا قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدي، فجلست، فلما انصرف الناس دفع إلي صرة وقال: استمتع بها، فنظرت فإذا فيها مائة درهم، فقال لي: الزم الحلقة وإذا فرغت هذه فأعلمني، فلزمت الحلقة، فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مائة أخرى، ثم كان يتعاهدني، وما أعلمته بخلة قط ولا أخبرته بنفاد شيء، وكأنه كان يخبر بنفادها، حتى استغنيت وتمولت. ثم قال الخطيب: وحكي أن والد أبي يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلا صغيرا، وأن أمه هي التي أنكرت عليه حضور حلقة أبي حنيفة، ثم روى الخطيب أيضا بإسناد متصل إلى علي بن الجعد[3] قال: أخبرني أبو يوسف القاضي قال: توفي أبي وخلفني صغيرا في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصار* أخدمه، فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة فأجلس أستمع، فكانت أمي تجيء خلفي فتأخذ بيدي فتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يعنى بي، لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له وإنما أطعمه من مغزلي، وآمل أن يكسب دانقا يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: اسكتي يا رعناء، ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج* بدهن الفستق، فانصرفت عنه وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك. ثم لزمته فنفعني الله تعالى بالعلم، ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قدم إلى هارون فالوذجة*، فقال لي: يا يعقوب كل منها فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها، فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين فقال: هذه فالوذجة بدهن الفستق، فضحكت، فقال لي: مم ضحكك! فقلت: خيرا، أبقى الله أمير المؤمنين، قال: لتخبرني، وألح علي، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك وقال: لعمري إن العلم لينفع دنيا ودينا، وترحم على أبي حنيفة وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه.

وحكى علي بن المحسن التنوخي[4] عن أبي عن جده قال: كان سبب اتصال أبي يوسف بالرشيد أنه كان قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة رحمه الله تعالى فحنث بعض القواد في يمين، فطلب فقيها يستفتيه، فجيء بأبي يوسف فأفتاه أنه لم يحنث، فوهب له دنانير وأخذ له دارا بالقرب منه. ودخل القائد يوما على الرشيد فوجده مغموما، فسأله عن سبب غمه فقال: شيء من أمر الدين قد حزنني فاطلب فقيها كي أستفتيه، فجاءه بأبي يوسف. قال أبو يوسف: فلما دخلت إلى ممر بين الدور رأيت فتى حسنا عليه أثر الملك، وهو في حجرة محبوس، فأومأ إلي بأصبعه مستغيثا فلم أفهم منه إرادته، وأدخلت إلى الرشيد، فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: يعقوب، أصلح الله أمير المؤمنين، قال: ما تقول في إمام شاهد رجلا يزني هل يحده؟ قلت: لا، فحين قلتها سجد الرشيد، فوقع لي أنه قد رأى بعض أهله على ذلك وأن الذي أشار إلي بالاستغاثة هو الزاني. ثم قال الرشيد: من أين قلت هذا؟ قلت: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ﴾ وهذه شبهة يسقط الحد معها، قال: وأي شبهة في المعاينة؟ قلت: ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى، والحدود لا تكون إلا بالعلم، وليس لأحد أخذ حقه بعلمه، فسجد مرة أخرى، وأمر لي بمال جزيل وأن ألزم الدار، فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى وهدية أمه وجماعته، وصار ذلك أصلا للنعمة، ولزمت الدار، فكان هذا الخادم يستفتيني وهذا يشاورني، ولم يزل حالي يقوى عند الرشيد حتى قلدني القضاء(؟).

ونقلت من كتاب اسمه اللفيف ولم يذكر فيه من هو منصفه قال: كان عبد الرحمن بن مسهر[5] أخو علي بن مسهر[6] قاضيا على المبارك* قال: فبلغ القاضي خروج الرشيد إلى البصرة ومعه أبو يوسف القاضي في الحراقة*، فقال عبد الرحمن القاضي لأهل المبارك: اثبتوا علي عند أمير المؤمنين وعند القاضي أبي يوسف، فأبوا عليه ذلك، فلبس ثيابه: و قلنسوة طويلة وطيلسانا أسود وجاء إلى الشريعة*،، فلما أقبلت الحراقة رفع صوته وقال: يا أمير المؤمنين،نعم القاضي قاضينا، قاضي صدق،ثم مضى إلى شريعة أخرى، فقال مثل مقالته الأول فالتفت الرشيد إلى أبي يوسف وقال: يا يعقوب هذا شر قاض في الأرض، قاض في موضع لا يثني عليه إلا رجل واحد! فقال له أبو يوسف: وأعجب من هذا يا أمير المؤمنين هو القاضي يثني على نفسه، قال: فضحك هارون وقال: هذا أظرف الناس، هذا لا يعزل أبدا*، وكان الرشيد إذا ذكره يقول: هذا لا يعزل أبدا* . وقيل لأبي يوسف: أتولي مثل هذا القضاء فقال: إنه أقام ببابي مدة وشكا إلي الحاجة فوليته. وقال أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، صاحب كتاب الفصاحة: أخبرني بعض أصحابنا قال، قال الرشيد لأبي يوسف: بلغني أنك تقول: إن هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل أقوالهم متصنعة، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ذاك؟ قال: لأن من صح ستره وخلصت أمانته لم يعرفنا ولم نعرفه، ومن ظهر أمره وانكشف خبره لم يأتنا ولم نقبله، وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصنعة الذين أظهروا الستر وأبطنوا غيره، فتبسم الرشيد وقال: صدقت.

----

*(المبارك) بليدة بين بغداد وواسط على شاطئ دجلة ((؟)) قلت: وهذا يخالف ما نقلته قبل هذا من أنه ولي القضاء لثلاثة من الخلفاء، والله أعلم بالصواب.(القصار) من يحور الثياب ويدقها ؛يقصر الثياب (الفالوذ) الفالوذ والفالوذق من الحلواء هو الذي يؤكل يسوى من لب الحنطة فارسي معرب. ولا يقال الفالوذج (الحراقة) بالفتح والتشديد ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر (هذا لا يعزل أبدا) في رواية قال: هذا شيخ قليل العقل فاعزله (الشريعة) الشريعة موضع على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب والشراع والمشرعة المواضع التي ينحدر إلى الماء منها

■ (1) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، كان تلميذ أبي حنيفة. وهو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة،حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطأة ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ.

■ (2) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة، وهو من رهط حمزة الزيات؛ كان خزازا يبيع الخز (نوع من الأقمشة)، وجده زوطى من أهل كابل (ناحية معروفة من بلاد الهند)، وقيل بابل، وقيل من أهل الأنبار، وقيل من أهل نسا، وقيل من أهل ترمذ، وهو الذي مسه الرق فأعتق، وولد ثابت على الإسلام. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، من أبناء فارس من الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط. وكانت ولادة أبي حنيفة سنة 80 هـ ، وقيل سنة 61 هـ، والأول أصح، وتوفي سنة 150 هـ، وقيل 151 هـ وقيل 153 هـ، والأول أصح؛ وكانت وفاته في السجن ليلي القضاء فلم يفعل، هذا هو الصحيح، وقيل إنه لم يمت في السجن، وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي سنة 150 هـ،، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور.

■ (3) علي بن الجعد بن عبيد الله، أبو الحسن الهاشمي، مولاهم الجوهري البغدادي مسند بغداد في زمانه روى عنه البخاري وأبو داود وأبو زرعة وأبو حاتم وإبراهيم الحربي وأبو يعلى الموصلي وجماعة. ولد سنة 134 هـ وتوفي سنة 230 هـ .

■ (4) علي بن المحسن بن علي التنوخي، أبو القاسم: قاض، من علماء المعتزلة. تقلد القضاء في عدة نواح، منها المدائن وأذربيجان وقرميسين. وكان ظريفا نبيلا جيد النادرة. وهو حفيد القاضي التنوخي الكبير. مات سنة 447 هـ

■ (6) علي بن مسهر القرشي بالولاء، أبو الحسن الكوفي: قاض، من حفاظ الحديث. كان ثقة، جمع الحديث والفقه. وولي القضاء بالموصل، ثم بأرمينية، وعمي فيها فرجع إلى الكوفة. له أحاديث في الكتب الستة. مات سنة 189 هـ

■ (5) عبد الرحمن بن مسهر.أبو الهيثم الكوفي، قاضي جبل، وهو أخو علي بن مسهر المتوفي سنة 189 هـ. من أصحاب أبي يوسف وكان فيه خفة وهو الذي ولاه أبو يوسف القاضي قضاء جبل، وأن الرشيد انحدر مرة إلى البصرة، قال عبد الرحمن: فسألت أهل جبل أن يثنوا علي، فوعدني ذلك. فلما قرب إلينا الرشيد وأبو يوسف معه في الحراقة، فقلت: يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبل، قد عدل، وفعل وفعل، وجعلت أثني، فعرفني أبو يوسف فضحك، ثم أخبر الرشيد، فضحك حتى فحص برجليه، ثم قال: هذا شيخ قليل العقل فاعزله، فعزلني. قلت: ومن نقص عقله كونه يحكي هذه الورطة عن نفسه. قال ابن معين: ليس بشيء. قال النسائي: متروك.

☪

قال محمد بن الحسن[1] صاحب أبي حنيفة: مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة مرضا خيف عليه منه، فعاده أبو حنيفة ونحن معه، فلما خرج من عنده وضع يده على عتبة بابه وقال: إن يمت هذا الفتى فإنه أعلم من عليها، وأومأ إلى الأرض.

وقال أبو يوسف: سألني الأعمش عن مسألة، فأجبته فيها فقال لي: من أين لك هذا؟ فقلت: من حديثك الذي حدثتنا أنت، ثم ذكرت له الحديث، فقال لي: يا يعقوب إني لأحفظ هذا الحديث قبل أن يجتمع أبواك وما عرفت تأويله حتى الآن.

وقال هلال بن يحيى: كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب، وكان أقل علومه الفقه، ولم يكن في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف. وعن الشافعي أنه قال: مضى أبو يوسف ليسمع المغازي من محمد بن إسحاق أو من غيره، وأخل بمجلس أبي حنيفة أياما، فلما أتاه قال له أبو حنيفة: يا أبا يوسف، من كان صاحب راية جالوت؟ فقال له أبو يوسف: إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤوس الملأ أيما كان أولا وقعة بدر أو أحد فإنك لا تدري أيهما كان قبل الآخر، فأمسك عنه. وذكر عن علي بن الجعد أن القاضي أبا يوسف كتب يوما كتابا، وعن يمينه إنسان يلاحظ ما يكتبه، فطن له أبو يوسف، فلما فرغ من الكتابة التفت إليه وقال له: هل وقفت على شيء من خطأ؟ فقال: لا والله ولا حرف واحد، فقال له أبو يوسف: جزيت خيرا حيث كفيتنا مؤونة قراءته، ثم أنشد: كأنه من سوء تأديبه..أسلم في كتاب سوء الأدب. وقال حماد بن أبي حنيفة : رأيت أبا حنيفة يوما وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر[2]،وهما يتجادلان في مسألة، فلا يقول أبو يوسف قولا إلا أفسده زفر، ولا يقول زفر قولا إلا أفسده أبو يوسف، إلى وقت الظهر، فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها فخذ زفر، وقال: لا تطمع في رياسة ببلدة فيها أبو يوسف، وقضى لأبي يوسف على زفر، ولم يكن بعد أبي يوسف في أصحاب أبي حنيفة مثل زفر. وقال طاهر بن أحمد الزبيري: كان يجلس إلى أبي يوسف رجل فيطيل الصمت، فقال له أبو يوسف: ألا تتكلم!؟، فقال: بلى، متى يفطر الصائم؟ فقال: إذا غابت الشمس، فقال: فإن لم تغب إلى نصف الليل!؟، فضحك أبو يوسف وقال: أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك، ثم تمثل:عجبت إزراء الغبي بنفسه..وصمت الذي قد كان بالقول أعلما..وفي الصمت ستر للغبي وإنما..صحيفة لب المرء أن يتكلما. قيل كان أبو يوسف راكبا وغلامه يعدو وراءه، فقال له رجل: أتستحل أن تعدي غلامك وراءك لم لا تركبه!؟ فقال له: أيجوز عندك أن أسلم غلامي مكاريا؟ قال: نعم، قال أبو يوسف: فيعدو معي كما كان يعدو لو كان مكاريا. ومن كلام أبي يوسف: صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة. وكان يقول: رؤوس النعم ثلاثة: فأولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها. وقال علي بن الجعد: سمعت أبا يوسف يقول: العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض كنت على غرر.

☪

قال يحيى بن عبد الصمد: خوصم أمير المؤمنين الهادي* إلى القاضي أبي يوسف في بستانه (بستان)، وكان الحكم في الظاهر للهادي وفي الباطن خلاف ذلك، فقال الهادي للقاضي أبي يوسف: ما صنعت في الأمر الذي نتنازع إليك فيه؟ فقال: خصم أمير المؤمنين يسألني أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق، فقال له الهادي: وترى ذلك؟ قال: فقد كان ابن أبي ليلى يراه، فقال: اردد البستان عليه، وإنما احتال عليه أبو يوسف لعلمه أن الهادي لا يحلف. علق ابن المؤلف هنا بقوله: قلت، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به؛ وهذا يقوي نقل من روى أنه تولى القضاء لثلاثة من الخلفاء منهم اهادي، كما تقدم ذكره، والله أعلم.

■ (2) زفر بن الهذيل بن قيس العنبري، من تميم، أبو الهذيل: فقيه كبير، من أصحاب الامام أبي حنيفة. أصله من أصبهان. أقام بالبصرة وولي قضاءها وتوفي بها. سنة 158 هـ وهو أحد العشرة الذين دونوا الكتب جمع بين العلم والعبادة. وكان من أصحاب الحديث فغلب عليه الرأي وهو قياس الحنفية، وكان يقول: نحن لا نأخذ بالرأي ما دام أثر، وإذا جاء الاثر تركنا الرأي.

■ (1) محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله: إمام بالفقه والاصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة. أصله من قرية حرستة، في غوطة دمشق، وولد بواسط. ونشأ بالكوفة، فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به وانتقل إلى بغداد، فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله. ولما خرج الرشيد إلى خراسان صحبه، فمات في الري سنة 189 هـ.

مراجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ الأعلام للزركلي/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ البصائر والذخائر/ تاريخ بغداد/

عندما طلب هارون الرشيد من أبي يوسف القاضي[1] وضع كتاب الخراج لم يفت القاضي أن يقدم النصيحة للخليفة في مقدمة الكتاب فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله، وله الحمد، قد قلّدك أمرا عظيما: ثوابه أعظم الثواب، وعقابه أشد العقاب؛ قلدك أمر هذه الأمة فأصبحت وأمسيت وأنت تبني لخلق كثير قد استرعاكهم الله وائتمنك عليهم وابتلاك بهم وولاك أمرهم، وليس يلبث البنيان إذا أسس على غير التقوى أن يأتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه، وأعان عليه؛ فلا تضيّعن ما قلدك الله من أمر هذه الأمة والرعية، فإن القوة في العمل بإذن الله. لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد فانك إذا فعلت ذلك أضعت. إن الأجل دون الأمل، فبادر الأجل بالعمل، فانه لا عمل بعد الأجل. إن الرعاة مؤدون إلى ربهم ما يؤدي الراعي إلى ربه. فأتم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار؛ فانّ أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت رعيّته، ولا تزغ فتزيغ رعيّتك، وإيّاك والأمر بالهوى والأخذ بالغضب. وإذا نظرت إلى أمرين أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، فاختر أمر الآخرة على الدنيا، فإن الآخرة تبقى والدنيا تفنى. وكن من خشية الله على حذر، واجعل الناس عندك في أمر الله سواء، القريب والبعيد، ولا تخف في الله لومة لائم. واحذر فان الحذر في بالقلب وليس باللسان، واتق الله فإنما التقوى بالتوقي، ومن يتقي الله يتقه. واعمل لأجل مفضوض، وسبيل مسلوك، وطريق مأخوذ، وعمل محفوظ، ومنهل مورود؛ فإن ذلك المورد الحق والموقف الأعظم الذي تطير فيه القلوب وتنقطع فيه الحجج لعزة ملك قهرهم جبروته، والخلق له داخرون (أي أذلاء) بين يديه، ينتظرون قضاءه ويخافون عقوبته وكأن ذلك قد كان. فكفى بالحسرة والندامة يومئذ في ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل، يوم تزل فيه الأقدام وتتغير فيه الألوان، ويطاول فيه القيام، ويشتد فيه الحساب. يقول الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج] وقال: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات] وقال: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان] وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف] وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات] فيا لها من عثرة لا تقال، ويالها من ندامة لا تنفع. إنما هو اختلاف الليل والنهار، يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، و يأتيان بكل موعود، ويجزي الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب؛ فالله الله فإن البقاء قليل والخطب خطير والدنيا هالكة وهالك من فيها، والآخرة هي دار القرار. فلا تلق الله غدا وأنت سالك سبيل المعتدين فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدين بمنازلهم. وقد حذرت الله فاحذر، فإنك لم تخلق عبثا، ولن تترك سدى. وإن الله سائلك عما أنت فيه وعما عملت به، فانظر ما الجواب. واعلم أنه لن تزول غدا قدما عبد بين يدي الله تبارك وتعالى إلا من بعد المسألة فقد قال صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَن أَربع: عَن علمهِ مَا عَمِلَ فِيهِ، وَعَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَ أَبْلاهُ﴾ فاعدد يا أمير المؤمنين للمسألة جوابها فإن ما عملت فأثبت فهو عليك غدا يقرأ، فاذكر كشف قناعك فيما بينك وبين الله في مجمع الأشهاد . إني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله ورعاية ما استرعاك الله، وألا تنظر في ذلك إلا إليه وله؛ فانك إن لا تفعل تتوعّر عليك سهولة الهدى، وتعمى في عينيك وتتخفى رسومه ويضيق عليك رحبه وتنكر منه ما تعرف وتعرف منه ما تنكر؛ فخاصم نفسك خصومة من يريد الفلج لها لا عليها؛ فان الراعي المضيّع يضمن ما هلك على يديه مما لو شاء رده عن مواطن الهلكة بإذن الله. وأورده أماكن الحياة والنجاة؛ فان ترك ذلك أضاعه وان تشاغل بغيره كانت الهلكة عليه أسرع وبه أضر. وإذا أصلح كان أسعد من هنالك بذلك ووفاه الله أضعاف ما وفى له. فاحذر أن تضيع رعيّتك فيستوفي ربها حقها منك ويضيّعك، بما أضعت، أجرك وإنما يدعم البنيان قبل أن ينهدم. وإنما لك من عملك ما عملت فيمن ولاك الله أمره وعليك ما ضيعت منه؛ فلا تنس القيام بأمر من ولاك أمره فلست تنسى. ولا تغفل عنهم وعما يصلحهم فليس يغفل عنك. ولا يضيع حظك من هذه الدنيا. وأوصيك في هذه الليالي والأيام بكثرة تحريك لسانك في نفسك بذكر الله تسبيحا وتهليلا وتمجيدا والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة وإمام الهدى. وإن الله بمنه ورحمته جعل ولاة الأمر خلفاء في أرضه، وجعل لهم نورا يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور فيما بينهم ويبين ما اشتبه من الحقوق عليهم. وإضاءة نور ولاة الأمر إقامة الحدود ورد الحقوق إلى أهلها بالتثبت والأمر البين وإحياء السنن التي سنها القوم الصالحون أعظم موقعا، فإن إحياء السنن من الخير الذي يحيا ولا يموت. وجور الراعي هلاك للرعية، واستعانته بغير أهل الشقة والخير هلاك للعامة. فاستتم ما آتاك الله يا أمير المؤمنين من النعم بحسن مجاورتها، والتمس الزيادة فيها بالشكر عليها؛ فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم] وليس شيء أحب إلى الله من الإصلاح، ولا أبغض إليه من الفساد والعمل بالمعاصي كفر النعم، وقل من كفر من قوم قط النعمة ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط الله عليهم عدوهم. وإني أسأل الله يا أمير المؤمنين الذي من عليك بمعرفته فيما أولاك أن لا يكلك في شيء من أمرك إلى نفسك، وأن يتولى منك ما تولى من أوليائه وأحبائه؛ فإنه ولي ذلك والمرغوب إليه فيه. وقد كتبت لك ما أمرت به وشرحته لك وبينته، فتفقهه وتدبره وردد قراءته حتى تحفظه، فإني قد اجتهدت لك في ذلك ولم آلك والمسلمين نصحا، ابتغاء وجه الله وثوابه وخوف عقابه. وإني لأرجو –إن عملت بما فيه من البيان– أن يوفر الله لك خراجك من غير ظلم مسلم ولا معاهد، ويصلح لك رعيتك فإن صلاحهم بإقامة الحدود عليهم ورفع الظلم عنهم والتظالم فيما اشتبه من الحقوق عليهم. وكتبت لك أحاديث حسنة، فيها ترغيب وتحضيض ما سألت عنه، مما تريد العمل به إن شاء الله. فوفقك الله لما يرضيه عنك، وأصلح بك، وعلى يديك.

----

(1) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، كان تلميذ أبي حنيفة. وهو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة،حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطأة ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ.

عن هشام بن عروة قال: استعمل ابن عامر[1] عمرو بن أصبغ على الأهواز، فلما عزله قال له: ما جئت به؟ قال له ما معي إلا مائة درهم وأثواب. قال: كيف ذلك؟ قال: أرسلتني إلى بلد أهله رجلان: رجل مسلم له ما لي وعليه ما علي، ورجل له ذمة الله ورسوله، فو الله ما دريت أين أضع يدي. قال: فأعطاه عشرين ألفا. كان جعفر بن يحيى يقول: الخراج عمود الملك، وما استغزر بمثل العدل، ولا استنزر بمثل الظلم.(استغزر) غازر والشيء طلب غزارته.

قال الفضيل بن عياض: لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد.قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة] يعني لولا أن الله تعالى أقام الخليفة العادل في الأرض يدفع القوي عن الضعيف وينصف المظلوم من الظالم، لأهلك القوي الضعيف وتواثب الخلق بعضهم إلى بعض، فلا ينتظم لهم حال ولا يستقر لهم قرار فتفقد الأرض ومن عليها، ثم امتن الله تعالى على الخلق بإقامة الخليفة فقال الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة] يعني في إقامة الخليفة في الأرض فيأمن الناس به، فيكون فضله على الظالم كف يده وفضله على المظلوم أمانة وكف يد الظالم عنه. يقول ابن تيمية: ﴿إِنَّ اللهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ العَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُشركة وَيُهْلِكُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً﴾ – وفي رواية–: إِنَّ اللهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ العَادِلَةَ وَإِنَّ كَانَتْ كَافِرَةً وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً﴾ وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام. عن علي مرفوعا: ﴿احْذَرُوا الْبَغْيَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عُقُوبَةٍ هِيَ أَحْضَرُ مِنْ عُقُوبَةِ الْبَغْيِ﴾ وعن أبي بكرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَبْغِ وَلَا تَكُنْ بَاغِيًا. فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس] وفي مسند الإمام أحمد، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُ عَذَابًا: إِمَامٌ جَائِرٌ﴾ وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ﴾ قيل للحسن: أما رويت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لاَ يَزْدَادُ الزَّمَانُ إِلاَّ شِدَّةً، وَلاَ النَّاسُ إِلاَّ شُحًّا، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ﴾ قال: بلى، قيل: فما بال عمر بن عبد العزيز وعدله وسيرته! فقال: لا بد للناس من متنفس.

عن أنس ﴿أن نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ضَرَبَ مَثَلَ الإِنْسَانِ وَالأَجَلِ وَالأَمَلِ فَقَالَ: مَثَلُ الأَجَلِ إِلَى جَانِبِهِ وَالأَمَلِ أَمَامَهُ فَبَيْنَا هُوَ يَأْمُلُ أَمَامَهُ إِذْ أَتَاهُ أَجَلُهُ فَاخْتَطَفَهُ﴾ وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أَنَّهُ خَطَّ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطًّا وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، وَخُطُوطًا إِلَى جَانِبِ الْخَطِّ الَّذِي وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، وَخَطًّا خَارِجًا مِنَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا الْإِنْسَانُ الْخَطُّ الْأَوْسَطُ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ إِلَى جَنْبِهِ الْأَعْرَاضُ تَنْهَشُهُ – أَوْ تَنْهَسُهُ – مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، أَصَابَهُ هَذَا، وَالْخَطُّ الْمُرَبَّعُ الْأَجَلُ الْمُحِيطُ، وَالْخَطُّ الْخَارِجُ الْأَمَلُ﴾ وقال سفيان الثوري: ﴿لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِلُبْسِ الْعَبَاءِ وَلَا بِأَكْلِ الْخَشِنِ، إِنَّمَا الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصَرُ الْأَمَلِ﴾ وعن أبي ثمامة، قال: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: يَا عِيسَى مَا الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ؟ قَالَ: أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ الْعَمَلَ لَا يُحِبُّ أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَالْمُنَاصِحُ لِلَّهِ الَّذِي يَبْدَأُ بِحَقِّ اللَّهِ قَبْلَ حَقِّ النَّاسِ يُؤْثِرُ حَقَّ اللَّهِ عَلَى حَقِّ النَّاسِ وَإِذَا عُرِضَ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا لِلدُّنْيَا وَالْآخَرُ لِلْآخِرَةِ بَدَأَ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ قَبْلَ أَمْرِ الدُّنْيَا﴾ وعن ثوبان، قال: ﴿لَمَّا نَزَلَ فِي الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَا نَزَلَ، قَالُوا: فَأَيَّ الْمَالِ نَتَّخِذُ؟ قَالَ عُمَرُ: فَأَنَا أَعْلَمُ لَكُمْ ذَلِكَ. فَأَوْضَعَ عَلَى بَعِيرِهِ، فَأَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا فِي أَثَرِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَّ الْمَالِ نَتَّخِذُ؟ فَقَالَ: لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ﴾ وعن أبي سعيد الخدري قال: اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار إلى شهر، فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ أُسَامَةَ الْمُشْتَرِي إِلَى شَهْرٍ إِنَّ أُسَامَةَ لَطَوِيلُ الْأَمَلِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا طَرَفَتْ عَيْنَايَ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ شُفْرَيَّ لَا يَلْتَقِيَانِ حَتَّى يَقْبِضَ اللَّهُ رُوحِي، وَلَا رَفَعْتُ طَرْفِي وَظَنَنْتُ أَنِّي وَاضِعُهُ حَتَّى أُقْبَضَ، وَلَا لَقِمْتُ لُقْمَةً إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي لَا أَسِيغُهَا حَتَّى أَغَصَّ بِهَا مِنْ الْمَوْتِ، يَا بَنِي آدَمَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ فَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ: إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ [الأنعام]﴾.

جاء فى كتاب الخراج لأبى يوسف أنه قال فى خطابه لهارون الرشيد: وينبغى يا أمير المؤمنين، أيدك الله، أن تتقدم فى الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شئ من أموالهم إلا بحق يجب عليهم؛ فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ فَأَنَا خَصْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وكان فيما تكلم عمر بن الخطاب عند وفاته: أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوهم فوق طاقتهم.

----

(1) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة، أبو عبد الرحمن، ولد بمكة سنة 4 هـ ولاه سيدنا عثمان البصرة سنة 29 هـ وهو فاتح خراسان وغيرها وشهد وقعة الجمل مع عائشة ولم يحضر وقعة صفين.وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين ثم أقام بالمدينة ومات بمكة سنة 59 هـ ودفن بعرفات.

مراجع: سراج الملوك/ مسند أحمد/ الخراج لأبي يوسف/ حياة التابعين/ سنن ابن ماجه/ تفسير المنار/ العقد الفريد/ موقف العلماء والمفكرين من الشيعة الإثني عشرية/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/

وروى ابن عساكر عن إبراهيم المهدي[1] قال: كنت يوما عند الرشيد فدعا طباخه فقال: أعندك في الطعام لحم جزور ؟ قال: نعم، ألوان منه. فقال: أحضره مع الطعام فلما وضع بين يديه أخذ لقمة منه فوضعها في فيه فضحك جعفر البرمكي[2]، فترك الرشيد مضغ اللقمة وأقبل عليه فقال: مم تضحك؟ قال: لا شئ يا أمير المؤمنين، ذكرت كلاما بيني وبين جاريتي البارحة. فقال له: بحقي عليك لما أخبرتني به. فقال: حتى تأكل هذه اللقمة، فألقاها من فيه وقال: والله لتخبرني. فقال: يا أمير المؤمنين بكم تقول إن هذا الطعام من لحم الجزور يقوم عليك ؟ قال: بأربعة دراهم. قال: لا والله، يا أمير المؤمنين بل بأربعمائة ألف درهم. قال: وكيف ذلك ؟ قال: إنك طلبت من طباخك لحم جزور قبل هذا اليوم بمدة طويلة فلم يوجد عنده، فقلت: لا يخلون المطبخ من لحم جزور، فنحن ننحر كل يوم جزور لاجل مطبخ أمير المؤمنين، لانا لا نشتري من السوق لحم جزور. فصرف في لحم الجزور من ذلك اليوم إلى هذا اليوم أربعمائة ألف درهم، ولم يطلب أمير المؤمنين لحم جزور إلا هذا اليوم. قال جعفر: فضحكت لان أمير المؤمنين إنما ناله من ذلك هذه اللقمة. فهي على أمير المؤمنين بأربعمائة ألف. قال: فبكى الرشيد بكاء شديدا وأمر برفع السماط من بين يديه، وأقبل على نفسه يوبخها ويقول: هلكت والله يا هارون. ولم يزل يبكي حتى آذنه المؤذنون بصلاة الظهر، فخرج فصلى بالناس ثم رجع يبكي حتى آذنه المؤذنون بصلاة العصر، وقد أمر بألفي ألف تصرف إلى فقراء الحرمين في كل حرم ألف ألف صدقة، وأمر بآلفي ألف يتصدق بها في جانبي بغداد الغربي والشرقي، وبألف ألف يتصدق بها على فقراء الكوفة والبصرة. ثم خرج إلى صلاة العصر ثم رجع يبكي حتى صلى المغرب، ثم رجع، فدخل عليه أبو يوسف القاضي[3] فقال: ما شأنك يا أمير المؤمنين باكيا في هذا اليوم ؟ فذكر أمره وما صرف من المال الجزيل لاجل شهوته، وإنما ناله منها لقمة. فقال أبو يوسف لجعفر: هل كان ما تذبحونه من الجزور يفسد، أو يأكله الناس ؟ قال: بل يأكله الناس. فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بثواب الله فيما صرفته من المال الذي أكله المسلمون في الايام الماضية، وبما يسره الله عليك من الصدقة، وبما رزقك الله من خشيته وخوفه في هذا اليوم، وقد قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن] فأمر له الرشيد بأربعمائة ألف.ثم استدعى بطعام فأكل منه فكان غداؤه في هذا اليوم عشاء.

----

(3) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، كان تلميذ أبي حنيفة. وهو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة،حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطأة ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ.

(1) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم

(2) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماسْ بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

☪

حدث إبراهيم بن المهدي قال: استزرت الرشيد بالرقة، فزارني، وكان يأكل االطعام الحار قبل البارد، فلما وضعت البوارد رأى فيها قرب إليه منها جام قريص مثل قريص السمك، فاستصغر القطع، وقال: لم صغر طباخك تقطيع السمك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه ألسنة السمك، قال: فيشبه أن يكون في هذا الجام مائة لسان، فقال مراقب خادمه: يا أمير المؤمنين، فيها أكثر من مائة وخمسين، فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك، فأخبره إنه قام بأكثر من ألف درهم، فرفع الرشيد يده وحلف أن لا يطعم شيئا دون أن يحضره ألف درهم فلما حضر المال أمر أن يتصدق به. وقال: أرجو أن يكون كفارة لسرفك في إنفاقك على جام سمك ألف درهم، ثم ناول الجام بعض خدمه وقال: أخرج من دار أخي، ثم انظر أول سائل تراه فادفعه إليه، قال إبراهيم: وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين دينارا، فغمزت بعض خدمي للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير إليه، وفطن الرشيد فقال له: يا غلام إذا دفعته إلى سائل فقل له يقول لك أمير المؤمنين إحذر أن تبيعه بأقل من مائتي دينار فإنه خير منها، ففعل الخادم ذلك، فوالله ما أمكن خادمي أن يخلصه من السائل إلا بمائتي دينار.

☪

أخرج عن محمد بن حفص الأنماطي قال: تغدينا مع المأمون في يوم عيد فوضع على مائدته أكثر من ثلثمائة لون قال: فكلما وضع لون نظر المأمون إليه فقال: هذا نافع لكذا ضار لكذا فمن كان منكم صاحب بلغم فليجتنب هذا ومن كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا ومن غلبت عليه السوداء فلا يعرض لهذا ومن قصد قلة الغذاء فليقتصر على هذا فقال له يحيى بن أكثم: يا أمير المؤمنين إن خضنا في الطب كنت جالينوس في معرفته أو في النجوم كنت هرمس في حسابه أو في الفقه كنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في علمه أو ذكر السخاء كنت حاتم طيء في صفته أو صدق الحديث كنت أبا ذر في لهجته أو الكرم فأنت كعب بن مامة في فعاله أو الوفاء فأنت السموأل بن عاديا في وفائه فسر بهذا الكلام وقال: إن الإنسان إنما فضل بعقله ولو لا ذلك لم يكن لحم أطيب من لحم ولا دم أطيب من دم. أخرج عن أبي أمامة قال: حدثني بعض أصحابنا أن أحمد بن أبي خالد قرأ القصص يوما على المأمون فقال: فلان الثريدي – وهو اليزيدي– فضحك المأمون وقال: يا غلام هات طعاما لأبي العباس فإنه أصبح جائعا فاستحيى وقال: ما أنا بجائع ولكن صاحب القصة أحمق نقط الياء بنقط الثاء فقال: علي ذلك فجاءه بطعام فأكل حتى انتهى ثم عاد فمر في قصة [فلان الحمصي] فقال: الخبيصي فضحك المأمون وقال: يا غلام جامة فيها خبيص فقال: إن صاحب القصة كان أحمق فتح اليم فصارت كأنها سنتان فضحك وقال: لو لا حمقها لبقيت جائعا.

☪

قال ابن خلكان: كان القاضي أبو يوسف المذكور من أهل الكوفة، وهو صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه، كان فقيها عالما حافظا،سمع أبا إسحاق الشيباني وسليمان التيمي ويحيى بن سعيد الأنصاري والأعمش وهشام بن عروة وعطاء بن السائب ومحمد بن إسحاق بن يسار، وتلك الطبقة. وجالس محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ثم جالس أبا حنيفة النعمان بن ثابت، وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة وخالفه في موضع كثيرة. وكان قد سكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء: المهدي وابنه الهادي ثم هارون الرشيد، وكان الرشيد يكرمه ويجله، وكان عنده حظيا مكينا، وهو أول من دعي بقاضي القضاة، ويقال إنه أول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان، وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئا واحدا، لا يتميز أحد عن أحد بلباسه. ولم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني في ثقته في النقل. وذكر أبو عمر ابن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب في كتابه الذي سماه كتاب الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء أن أبا يوسف المذكور كان حافظا وأنه كان يحضر المحدث ويحفظ خمسين ستين حديثا، ثم يقوم فيمليها على الناس، وكان كثير الحديث. وقال محمد بن جرير الطبري: وتحامى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة الرأي عليه وتفريعه الفروع والأحكام، مع صحبة السلطان وتقلده القضاء. وقال طلحة بن محمد بن جعفر: أبو يوسف مشهور الأمر ظاهر الفضل، وهو صاحب أبي حنيفة، وأفقه أهل عصره، ولم يتقدمه أحد في زمانه، وكان النهاية في العلم والحكم والرياسة والقدر، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة، وأملى المسائل ونشرها، وبث علي أبي حنيفة في أقطار الأرض. وقال عمار بن أبي مالك: ما كان في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف، لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا محمد بن أبي ليلى، ولكنه هو نشر قولهما وبث علمهما.

وقال محمد بن سماعة: سمعت أبا يوسف في اليوم الذي مات فيه يقول: اللهم، إنك تعلم أني لم أجر في حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمدا، ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم، وكل ما أشكل علي جعلت أبا حنيفة بيني وبينك، وكان عندي والله ممن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه.قال ابن خلكان: قلت: وهذا الكلام مأخوذ من قول أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[1] رضي الله عنه، وقد رؤي يمسح على خفيه، فقيل له: تمسح! قال: نعم، قد مسح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن جعل عمر بينه وبين الله فقد استوثق، ذكر هذا ابن قيبة في كتاب المعارف في ترجمة علي رضي الله عنه.وأخبار أبي يوسف كثيرة، وأكثر الناس من العلماء على تفضيله وتعظيمه. وقد نقل الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير الألفاظ عن عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح ويزيد بن هارون ومحمد بن إسماعيل البخاري وأبي الحسن الدارقطني وغيرهم، ينبو السمع عنها، فتركت ذكرها، والله أعلم بحاله.وكانت ولادة القاضي أبي يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة. وتوفي يوم الخميس أو لوقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد. وقيل إنه توفي في سنة اثنتين وسبعين ومائة، والأول أصح. وولي القضاء سنة ست وستين ومائة، ومات وهو على القضاء، رحمه الله تعالى. وأما ولده يوسف، فإنه كان قد نظر في الرأي وفقه وسمع الحديث من يونس بن أبي إسحاق السبيعي والسري بن يحيى وغيرهما. وولي القضاء بالجانب الغربي من بغداد في حياة أبيه، وصلى بالناس الجمعة في مدينة المنصور بأمر هارون الرشيد، ولم يزل على القضاء إلى أن مات في رجب سنة اثنتين وتسعين ومائة ببغداد. وذكر الخطيب أن أبا يوسف القاضي لما مات ولى الرشيد مكانه أبا البختري وهب بن وهب القرشي.وكان أبو يعقوب الخريمي الشاعر المشهور صديقا لأبي يوسف ولابنه يوسف، فلما توفي أبو يوسف سمع الخريمي رجلا يقول: اليوم مات الفقه، فانشد الخريمي: يا ناعي الفقه إلى أهله..أن مات يعقوب ولا يدري..لم يمت الفقه ولكنه..حول من صدر إلى صدر..ألقاه يعقوب إلى يوسف. فزال من طيب إلى طهر..فهو مقيم فإذا ما ثوى..حل وحل الفقه في قبر. رحمهما الله تعالى.

----

(1) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: تابعي. من أهل المدينة، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف. وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز. ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين، على السفاح وهو بالانبار، فأعطاه ألف ألف درهم. وعاد إلى المدينة. ثم حبسه المنصور، عدة سنوات، من أجل ابنيه محمد وإبراهيم. ونقله إلى الكوفة، فمات سجينا فيها سنة 145 هـ قبل مقتل ابنه محمد بن عبد الله بأشهر

مراجع: البداية والنهاية/مختصر تاريخ دمشق/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ مروج الذهب/

قال بشر بن الوليد الكندي:[1] كنت عند أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم[2] القاضي،صاحب أبي حنيف، فحدثنا بحديث طريف قال: بينا أنا البارحة أويت إلى فراشي فإذا داق يدق الباب، فخرجت فإذا هرثمة بن أعين[3] قال: أجب أمير المؤمنين، فقلت: يا أبا حاتم، بي لك حرمة، فإن أمكنك أن تدفع بذلك إلى الغد، فلعله أن يحدث له رأي، فقال: ما لي إلى ذلك سبيل، قلت: تأذن لي أن أصب علي ماء وأتحنط؟ فإن كان أمر من الأمور كنت قد أحكمت شأني، وإن رزق الله العافية فلن يضر، فدخلت وفعلت ما أردت، ومضينا، فإذا مسرور (الخادم) واقف، فقال له هرثمة: قد جئت به. قال: فقلت لمسرور: يا أبا هاشم، هذا وقت ضيق، فتدري لم طلبني أمير المؤمنين؟ قال: لا، قلت: فمن عنده؟ قال: عيسى بن جعفر [4]، قلت: ومن؟ قال: ما عندهما ثالث، قال: مر، فإذا صرت إلى الصحن فإنه في الرواق، وهو ذلك جالس، فحرك رجلك بالأرض، فإنه سيسألك، فقل: أنا. ففعلت، فقال الرشيد: من؟ قلت: يعقوب، قال: ادخل، فدخلت، فإذا هو جالس وعنده عيسى بن جعفر، فسلمت، فرد وقال: أظننا روعناك، قلت: إي والله، وكذلك من خلفي. قال اجلس، ثم التفت إلي فقال: يا يعقوب، تدري لما دعوتك؟ قلت: لا، قال: دعوتك لأشهدك على هذا، إن عنده جارية سألته أن يهبها لي فامتنع، وسألته أن يبيعها فأبى، والله لئن لم يفعل لأقتلنه، قال: فالتفت إلى عيسى، وقلت: وما بلغ الله بجارية تمنعها أمير المؤمنين، وتنزل نفسك هذه المنزلة؟ فقال لي: عجلت علي في القول قبل أن تعرف ما عندي: إن علي يميناً بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملك ألا أبيع هذه الجارية، ولا أهبها، فالتفت إلي الرشيد فقال: هل له في ذلك من مخرج؟ قلت: نعم، يهب لك نصفها، ويبيعك نصفها، فيكون لم يبع ولم يهب. قال عيسى: ويجوز ذلك؟ قلت: نعم. قال: فأشهدك أني قد وهبت له نصفها، وبعته النصف الباقي بمئة ألف دينار، فقال: الجارية، فأتي بالجارية وبالمال، فقال: خذها يا أمير المؤمنين، بارك الله لك فيها . فقال الرشيد: يا يعقوب، بقيت واحدة، قلت: ما هي؟ قال: هي مملوكة، ولا بد أن تستبرأ، ووالله إن لم أبت معها ليلتي أظن نفسي ستخرج، قلت: يا أمير المؤمنين، تعتقها، وتتزوجها، فإن الحرة لا تستبرأ، قال: فإني قد أعتقتها، فمن يزوجنيها؟ قلت: أنا، فدعا بمسرور وحسين، فخطبت وحمدت الله، ثم زوجته على عشرين ألف دينار، ودعا بالمال فدفعه إليها ثم قال: يا يعقوب، انصرف، وقال: يا مسرور، احمل إلى يعقوب مئتي ألف درهم، وعشرين تختاً ثياباً، فحمل ذلك معي. قال بشر بن الوليد: فالتفت إلي أبي يوسف وقال: هل رأيت بأساً فيما فعلت؟ قلت: لا، قال: فخذ منها حقك، قلت: وما حقي؟ قال: العشر، قال بشر: فشكرته، وذهبت لأقوم، فإذا بعجوز قد دخلت فقالت: يا أبا يوسف، بنتك تقرئك السلام، وتقول لك: ما وصل إلي في ليلتي هذه من أمير المؤمنين إلا المهر الذي عرفته، وقد حملت إليك النصف منه، وخلفت الباقي لما أحتاج إليه، فقال: رديه، فوالله لا قبلتها، أخرجتها من الرق، وزوجتها أمير المؤمنين وترضى لي بهذا، فلم نزل نطلب إليه أنا وعمومتي حتى قبلها، وأمر لي منها بألف دينار.

ويروي أن الرشيد دعاه ذات ليلة وقال: سرق حلي لي واتهمت واحدة من جواري الخاصة وحلفت إن لم تصدقني لأقتلها، قال أبو يوسف: فهل لي إلى رويتها من سبيل؟ قال: نعم، فدعاها في الخلوة وقال لها: إذا سألك الخليفة عن الحلي سرقت قولي نعم ، وإذا قال: هاتي، قولي ما أخذت، ولا تزيدي على هذا ولا تنقصي، ففعلت، فقال أبو يوسف: يا أمير المؤمنين صدقت في الإقرار والإنكار، فسكن غضب الرشيد، فقال: يحمل إلى داره مائة ألف درهم، فقيل له: الخازن غائب! فقال: أنه أعتقنا عن القتل الليلة فلا نؤخر صلته إلى الغد. قال أبو الوفاء: أقول وفي هذا أيضا مناقشة ظاهرة وكان الأولى بالسلطان أن لا يقتلها في تلك الليلة ويعتقها أو غيرها كفارة عن يمينه ثم قوله إن لم تصدقني يحتمل أن يكون من الصدق أو التصديق وكل منها يحتاج إلى التدقيق والتحقيق والله ولي التوفيق.

قال أبو عبد الله اليوسفي بأن أم جعفر زبيدة[5] ابنة جعفر –حفيدة أبي جعفر المنصور– زوجة الرشيد كتبت إلى أبي يوسف ما ترى في كذا ؟وأحبا الأشياء إلى أن يكون الحق فيه كذا فأفتاها بما أحبت، فبعثت بجفن فضة فيه حقان مطبقان في كل واحد لون من الطيب، وفي جام دراهم وسطها جام فيه دنانير، فقال له جليس له: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:﴿مَنْ أُهْدِيَتْ لَهُ هَدِيَّةٌ فجُلَسَاؤُهُ شُرَكَاؤُهُ فِيهَا﴾(ضعيف) فقال أبو يوسف ذلك حين كانت الهدايا بالتمر واللبن.

وقال يحيى بن معين[6] كنت عند أبي يوسف القاضي، وعنده جماعة من أصحاب الحديث، وغيرهم، فوافته هدية أم جعفر احتوت على تخوت ديبقي ومصمت وشرب وطيب وتماثيل ند وغير ذلك، فذاكرني رجل بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿مَنْ أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ جُلُوسٌ، فَهُمْ شُرَكَاؤُهُ فِيهَا﴾(ضعيف) فسمعه أبو يوسف، فقال لي: أتعرف ذلك إنما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم والهدايا يومئذ الاقط والتمر والزبيب ولم يكن الهدايا ما ترون، يا غلام أمثل إلى الخزائن.

عن بشر بن غياث قال: سمعت أبا يوسف يقول: صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة ثم قد انصبت على الدنيا سبع عشرة سنة فما أظن أجلي إلا وقد قرب فما كان إلا شهور حتى مات. وعن القاسم بن الحكم العرني قال: سمعت أبا يوسف عند موته يقول: يا ليتني مت على ما كنت عليه من الفقر واني لم أدخل في القضاء على أني ما تعمدت بحمد الله ونعمته جورا ولا حابيت خصما على خصم من سلطان ولا سوقة.

----

*(السوقة) الرعية وأوساط الناس وتطلق على الواحد وغيره فيقال هو سوقة وهم سوقة والجمع السوق. (مصمت) ثوب مصمت: لا يخالط لونه لون. (الديبقية) ثياب تنسب إلى دبيق قرية بمصر.(الاقط) بكسرتين، وبفتح فكسر: طعام يتخذ من اللبن المخيض.

■ (2) يعقوب بن إبراهيم القاضي، أبي يوسف، صاحب أبي حنيفة. ولد أبي يوسف سنة 113 هـ ومات سنة 181 هـ. أو 182 هـ قال ابن كامل هو قاضي موسى الهادي وهارون الرشيد ببغداد قال ولم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني في ثقته في النقل قال وهو أول من خوطب بقاضي القضاة وكان استخلف يوسف ابنه على الجانب الغربي فأقره الرشيد على عمله وولى قضاء القضاة بعد موت أبي يوسف أبو البختري وهب بن وهب القرشي.

■ (5) أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هائم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها.أعرس بها هارون الرشيد في ذي الحجة في سنة 165 في قصره المعروف بالخلد. وكانت وفاتها في سنة 216 هـ في جمادى الأولى ببغداد، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة 186 هـ.

■ (1) أبو الوليد بشر بن الوليد الكندي الفقيه سمع عبد الرحمن بن الغسيل ومالك بن أنس وتفقه بأبي يوسف روى عنه البغوي وأبو الوليد وحامد بن شعيب وولي قضاء ببغداد مدينة السلام (مدينة المنصور) للمأمون إلى سنة 213 هـ وكان واسع الفقه متعبدا وقد سعى به رجل إلى الدولة أنه لا يقول القرآن مخلوق فأمر به المعتصم أن يحبس في منزله فلما ولي المتوكل اطلقه ثم أنه شاخ واستولى عليه الهرم وفي آخر أمره. قال صالح جزرة هو صدوق لكنه خرف. وكانت وفاة بشر سنة 238هـ.

■ (4) عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور كان من وجوه بني هاشم وسراتهم وولي إمارة البصرة وخرج من بغداد يقصد هارون الرشيد وهو إذ ذاك بخراسان فأدركه أجله بالدسكرة من طريق حلوان. قيل مات سنة 172 هـ بطرازستان لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان.

■ (6) يحيى بن معين هو الإمام الحافظ شيخ المحدثين أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام المري، ولد سنة 158 هـ، وتوفي ليلة الجمعة سنة 233 هـ

■ (3) هرثمة بن أعين ، ذو الحكمين كان أحد قادة الدولة العباسية. وأحد أمراء المأمون، ولاه هارون الرشيد مصر، توفي سنة 200هـ

في إسقاط استبراء الأمة وتولية عقد نكاحها، قال القاضي: إسقاط أبي يوسف الاستبراء في هذه المسألة هو مذهبه ومذهب من تقدمه ومن اتبعه من أصحابه، فأما مذهب الجمهور من الحجازيين وغيرهم فعلى أن الاستبراء ها هنا باق بحاله، وأما توليه عقد نكاح هذه المعتقة فإن مذهب أبي يوسف ومتقدمي أصحابه من أهل العراق ومتأخريهم أن مولى الأمة المعتق لها أولى بعقد النكاح له ولغيره عليها، ومذهب عامة أهل العلم من الحجازيين وغيرهم من الشاميين والعراقيين،وكان الشافعي يرى أنه يعقد عليها النكاح لغيره ولا يعقده لنفسه،وأنه إذا أراد أن يتزوجها تولى العقد له عليها الحاكم، ورأيت أبا جعفر شيخنا رحمه الله قد أفتى بهذا في مسائله، والقول الأول أولى بالحق عندي وأشبه بقوله، وبيان هذا الباب وشرحه مستقصى فيما رسمناه من كتبنا في الفقه، وبالله التوفيق.

قال علي بن الجعد: سمعته يقول: توفي أبي وأنا صغير فأسلمتني أمي إلى قصار* فكنت أمر على حلقة أبي حنيفة فأجلس فيها، فكانت أمي تتبعني فتأخذ بيدي من الحلقة وتذهب بي إلى القصار، ثم كنت أخالفها في ذلك وأذهب إلى أبي حنيفة، فلما طال ذلك عليها قالت لابي حنيفة: إن هذا صبي يتيم ليس له شئ إلا ما أطعمه من مغزلي، وإنك قد أفسدته علي. فقال لها: اسكتي يا رعناء، ها هوذا يتعلم العلم وسيأكل فالوذج* بدهن الفستق في صحون الفيروزج* فقالت له: إنك شيخ قد خرفت. قال أبو يوسف: فلما وليت القضاء –وكان أول من ولاه القضاء الهادي وهو أول من لقب قاضي القضاة، وكان يقال له: قاضي قضاة الدنيا، لانه كان يستنيب في سائر الاقاليم التي يحكم فيها الخليفة–. قال أبو يوسف: فبينا أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أتي بفالوذج في صحن فيروزج فقال لي: كل من هذا، فإنه لا يصنع لنا في كل وقت. وقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال: هذا فالوذج. قال فتبسمت فقال: ما لك تتبسم؟ فقلت: لا شئ أبقى الله أمير المؤمنين. فقال: لتخبرني. فقصصت عليه القصة فقال: إن العلم ينفع ويرفع في الدنيا والآخرة. ثم قال: رحم الله أبا حنيفة، فلقد كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه. وكان أبو حنيفة يقول عن أبي يوسف: إنه أعلم أصحابه.

قيل: اختلف الرشيد وأم جعفر في اللوزينج وفالوذج أيهما أطيب، فمالت زبيدة إلى تفضيل الفالوذج ومال الرشيد إلى تفضيل اللوزينج، وتخاطرا على مائة دينار، فأحضر أبا يوسف القاضي وقالا له: يا يعقوب قد اختلفنا في كذا على كذا وكذا فاحكم فيه، فقال: يا أمير المؤمنين ما يحكم على غائب وهو مذهب أبي حنيفة، فأحضر له جامين من المذكورين، فطفق يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة، وتحقق انه إن حكم للرشيد لم يأمن غضب زبيدة، وإن حكم لها لم يأمن غضب الرشيد، فلم يزل في الأكل إلى أن نصف الجامين فقال له الرشيد: أيه أبا يوسف، فقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت خصمين أجدل منهما، كلما أردت أن أسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجته، وقد حرت بينهما، فضحك الرشيد وأعطاه المائة دينار وانصرف مشكورا.

وكان الرشيد ذات يوم، وأبو يوسف القاضي، وعبدالوهاب الكوفي في مجلسه، فتذاكروا الرطب، فقال أبو يوسف: السكر أطيب من المشان، وقال عبدالوهاب: المشان أطيب، فقال الرشيد: ليحضر الطعام، ودعا بعدة من بني هاشم كانوا هناك، فأقبلوا جميعا على السكر، وتركوا المشان، فقال الرشيد: قضوا عليك يا أبا عبدالرحمن وهم لا يعلمون، فقال أبو عبدالرحمن – عبد الوهاب الكوفي – : إني لم أر مشان قط أردأ من هذا، فقال أبو يوسف: هكذا هما إذا اجتمعا.

----

*(القصار) من يحور الثياب ويدقها ؛يقصر الثياب (الفالوذ) الفالوذ والفالوذق من الحلواء هو الذي يؤكل يسوى من لب الحنطة فارسي معرب. ولا يقال الفالوذج (الفيروزج) حجر كريم غير شفاف معروف بلونه الأزرق كلون السماء أو أميل إلى الخضرة يتحلى به (مع) ويقال لون فيروزي أزرق إلى الخضرة قليلا (اللوزينج) من الحلوى شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/ أخبار أبي حنيفة/ وفيات الأعيان/ لسان العرب/ المعجم الوسيط/ البداية والنهاية/ في النقد اللغوي/ الجواهر المضيه فى طبقات الحنفية/

حدث علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه، قال: حدثني أبي قال: كان عند الرشيد جارية من جواريه، و بحضرته عقد جوهر، فأخذ يقلبه، ففقده، فاتهمها، فسألها عن ذلك، فأنكرت. فحلف بالطلاق و العتاق، والحج، لتصدقنه، فأقامت على الإنكار، وهو متهم لها. وخاف أن يكون قد حنث في يمينه، فاستدعى أبا يوسف، و قص عليه القصة. فقال أبو يوسف: تخليني مع الجارية، وخادما معنا، حتى أخرجك من يمينك، ففعل ذلك. فقال لها أبو يوسف[1]: إذا سألك أمير المؤمنين، عن العقد، فأنكريه، فإذا أعاد عليك السؤال، فقولي: قد أخذته، فإذا أعاد عليك الثالثة، فأنكري. وخرج فقال للخادم: لا تقل لأمير المؤمنين ما جرى. وقال للرشيد: سلها يا أمير المؤمنين ثلاث دفعات متواليات عن العقد، فإنها تصدقك. فدخل الرشيد، فسألها، فأنكرت أول مرة. و سألها الثانية، فقالت: نعم، قد أخذته. فقال: أي شيء تقولين؟ فقالت: والله، ما أخذته، ولكن هكذا قال لي أبو يوسف. فخرج إليه، فقال له: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، قد خرجت من يمينك، لأنها أخبرتك، أنها قد أخذته، وأخبرتك أنها لم تأخذه، فلا يخلو أن تكون صادقة في أحد القولين، وقد خرجت أنت من يمينك. فسر ووصل أبا يوسف. فلما كان بعده مدة، وجد العقد.

وحدث الحسن بن محمد الوليدي الفقيه عن مشايخه أن أبا يوسف القاضي كان عند الرشيد ذات يوم وبين يدي الرشيد غلام مختط حسن الوجه من أبناء عمه قائم على رسم الخدمة، وكان الرشيد يحدث أبا يوسف وأبو يوسف يحدد النظر إلى الغلام، فقال له الرشيد: هو ذا أحدثك وأنت مقبل ببصرك على هذا القائم، فقال أبو يوسف: نعم يا أمير المؤمنين، حدثني ابن أبي ذئب عن الزهري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿ثَلاثَةٌ يُجَلِّينَ الْبَصَرَ: الاكتِحالِ بِالإِثْمِدِ، والنَّظَرُ إِلَى الْمَاءِ الْجَارِي ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ﴾ وأنا شيخ ضعيف البصر أحببت أن أجلو بصري، فتبسم الرشيد وأومأ بيده فقامت جارية من وراء الخدر ونقرت العود نقرا أعجب السامعين جودة فصبر أبو يوسف حتى فرغت، ثم قال: أحسنت، فقال الرشيد: لم تقتصر على حسن السماع حتى قلت أحسنت، فقال: إنما قلت أحسنت حين أمسكت، فقال الرشيد: لله دركم يا أصحاب أبي حنيفة، من ذا يقاومكم.

---

[1] يعقوب بن إبراهيم القاضي، أبي يوسف، صاحب أبي حنيفة. ولد أبي يوسف سنة 113 هـ ومات سنة 181 هـ أو 182 هـ قال ابن كامل هو قاضي موسى الهادي وهارون الرشيد ببغداد قال ولم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني في ثقته في النقل قال وهو أول من خوطب بقاضي القضاة وكان استخلف يوسف ابنه على الجانب الغربي فأقره الرشيد على عمله وولى قضاء القضاة بعد موت أبي يوسف أبو البختري وهب بن وهب القرشي.

قيل لبعض الفقهاء: لم استجزتم استعمال الحيل في الفقه؟ فقال: الله تعالى علمنا ذلك فإنه قال: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص] جحد رجل مال رجل فاحتكم إلى إياس بن معاوية فقال للطالب: أين دفعت إليه هذا المال؟ قال: عند شجرة في مكان كذا. قال: فانطلق إلى ذلك الموضع لعلك تتذكر كيف كان أمر هذا المال، ولعل الله يوضح لك سببا. فمضى الرجل وجلس خصمه فقال إياس بعد ساعة: أترى خصمك بلغ موضع الشجرة. قال: لا بعد. قال: يا عدو الله أنت خائن. قال: أقلني أقالك الله. فاحتفظ به حتى أقر ورد المال. قدمت امرأة زوجها إلى أبي عمر القاضي، وادعت عليه مالا، فاعترف به فقالت: أيها القاضي خذ بحقي ولو بحبسه. فتلطف لها لئلا تحبسه، فأبت إلا ذلك، فأمر به، فلما مشى خطوات صاح أبو عمر بالرجل وقال له: ألست ممن لا يصبر على النساء؟ ففطن الرجل فقال: بلى أصلح الله القاضي. فقال: خذها معك إلى الحبس. فلما عرفت الحقيقة ندمت على لجاجها وقالت: ما هذا أيها القاضي؟ قال: لك عليه حق، وله عليك حق. ومالك عليه لا يبطل ما له عليك. فعادت إلى السلاسة والرضا. كان يختلف إلى أبي حنيفة رجل يتحمل بالستر الظاهر، والسمت البين فقدم رجل غريب وأودعه مالا خطيرا، وخرج حاجا، فلما عاد طالبه بالوديعة فجحده، فألح الرجل عليه فتمادى، فكاد صاحب المال يهيم، ثم استشار ثقة له فقال له: كف عنه، وصر إلى أبي حنيفة، فدواؤك عنده. فانطلق إليه وخلا به وأعلمه شأنه، وشرح له قصته فقال له أبو حنيفة: لا تعلم بهذا أحدا، وامض راشدا، وعد إلي غدا. فلما أمسى أبو حنيفة جلس كعادته للناس، وجعل كلما سئل عن شيء تنفس الصعداء. فقيل له في ذلك فقال: إن هؤلاء -يعني السلطان- قد احتاجوا إلى رجل يبعثونه قاضيا إلى مكان. وقالوا لي: اختر من أحببت. ثم أسبل كمه وخلا بصاحب الوديعة، وقال له: أترغب حتى أسميك. فذهب يتمنع تحلية. فقال له أبو حنيفة: اسكت فإني أبلغ لك ما تحب. فانصرف الرجل مسرورا يظن الظنون بالجاه العريض، والحال الحسنة. وصار رب المال إلى أبي حنيفة فقال: امض إلى صاحبك ولا تخبره بما بيننا، ولوح بذكري وكفاك، فمضى الرجل واقتضاه وقال له: اردد علي مالي وإلا شكوتك إلى أبي حنيفة. فلما سمع ذلك وفاه المال. وصار الرجل إلى أبي حنيفة وأعلمه رجوع المال إليه فقال له: استره عليه. ولما غدا الرجل إلى أبي حنيفة طامعا في القضاء نظر إليه أبو حنيفة وقال له: نظرت في أمرك فرفعت قدرك عن القضاء. جاءت امرأة إلى أبي حنيفة فقالت: إن زوجي حلف بطلاقي إن أطبخ قدرا أطرح فيه مكوكا من الملح فلا يتبين طعم الملح فيما يؤكل منها. فقال لها: خذي قدرا واجعلي فيها الماء واطرحي فيها مكوك ملح، واطرحي فيها بيضا واسلقيه، فإنه لا يوجد طعم الملح في البيض.

قال علي بن نايف الشحود: أخرج السلفي في الطيوريات بسنده عن ابن المبارك قال: [لما أفضت الخلافة إلى الرشيد وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي [أبيه] فراودها عن نفسها فقالت [لا أصلح لك فإن أباك قد طاف بي] فشغف بها فأرسل إلى أبي يوسف القاضي [تلميذ أبي حنيفة] فسأله [أعتدك في هذا شيء ؟ فقال يا أمير المؤمنين أو كلما ادعت أمة شيئا ينبغي أن تصدق لا تصدقها فإنها ليست بمأمونة .قال ابن المبارك [فلم أدر من أعجب من هذا الذي وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتخرج عن حرقة أبيه أو من هذه الأمة التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين أو من هذا فقيه الأمة وقاضيها قال اهتك حرمة أبيك واقض شهوتك وصيره في رقبتي .وأخرج السلفي في الطيوريات بسنده عن إسحاق بن راهويه قال [دعا الرشيد أبا يوسف ليلا فأفتاه [في شأن جارية] فأمره له بمائة ألف درهم فقال أبو يوسف إن أرى أمير المؤمنين أمر بتعجيلها قبل الصبح فقال عجلوها ، فقال بعض من عنده [إن الخازن في بيته والأبواب مغلقة فقال أبو يوسف: [قد كانت الأبواب مغلقة حين دعاني ففتحت]. كل هذه الأخبار كاذبة لا أصل لها وكتاب الطيوريات للسلفي من الكتب المحشوة بالأكاذيب والأباطيل عن بني العباس وخلافتهم لحاجة في نفس مؤلفه الذي نشأ في ظل الدولة العبيدية الباطنية، بمصر، وأخبار هارون الرشيد كثيرة وشهيرة وتكفيه ثناء أهل العلم عليه وتمني رجل مثل الفضيل بن عياض أن يمد الله في عمر الرشيد للخير الذي يرجوه من حياته.أما القاضي أبو يوسف فقيه الأمة ومفتيها فأجل وأعلى شأنا من أن يكون كعلماء السوء في زماننا هذا الدين هم مرتزقة الحكام والسلاطين كما يشبهه السلفي في طيوريات الواهية.ويكفي للإبطال هذه الروايات الكاذبة موقف أبي يوسف من كتاب العهد والأمان الذي كان بين هارون الرشيد وإدريس الطالبي والذي حاول فيه الرشيد أن يجد سببا لنقضه عندما تخوف من إدريس، ولكن أبا يوسف رفض أن يعطي المبرر الشرعي للنقض لعدم وجوده مما حدا بالرشيد أن يعزله من منصبه ويعين رجلا آخر في منصب القضاء مما يوضع حال هذا الرجل الذي ضحى بمنصبه ولم يضح بدينه وفقهه في تبرير الأمور الخاطئة.

قال بعض العلماء : إذا كان النظر إلى الوجه الحسن يزيد في البصر فيقتضي أن النظر إلى الوجه القبيح ينقص منه وكان جعفر بن محمد رضي الله عنه وعن آبائه يقول: الجمال مرحوم وقالوا : شفيع الحسن مقبول ونظم ذلك ابن غذاء غذاء فقال: ويلي على من أطار النوم فامتنعا..وزاد قلبي إلى أوجاعه وجعا..كأنما الشمس في أعطافه لمعت..حسنا أو البدر من آزاره طلعا..مستقبل بالذي يهوى وإن كثرت..منه الذنوب ومعذور بما صنعا..في وجهه شافع يمحو إساءته..من القلوب وجيه حيث ما شفعا. قال يحيى بن علي المنجم : كنت يوما بين يدي المعتضد وهو مقطب إذ أقبل عليه مولاه وكان من الحسن على غاية فلما رآه من بعيد ضحك وقال يا يحيى من الذي يقول: في وجهه شافع. الأبيات ؟ فقلت ابن غذاء فقال لله دره ثم استنشدني الأبيات فأنشدته إياها وقد انقلب تقطيبه ضحكا وسرورا. وفرق بعض العلماء بين الجميلة والمليحة فقال الجميلة هي التي تأخذ ببصرك على البعد والمليحة هي التي تأخذ بقلبك على القرب. وقال أبو الفرج في الأغاني : قالت سكينة بنت الحسين يوما لعائشة بنت طلحة: أنا أجمل منك وقالت عائشة: بل أنا أجمل منك فاختصمتا إلى عمر ابن أبي ربيعة فقال: لأقضين بينكما أما أنت يا سكينة فأملح وأما أنت يا عائشة فأجمل فقالت سكينة : قضيت والله لي عليها. وقالت امرأة لخالد بن صفوان: ما أجملك يا أبا صفوان قال : كيف تقولين ذلك وليس لي عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه أما عموده فالقوام والاعتدال وأنا قصير وأما رداؤه فالبياض ولست بأبيض أوأما برنسه فسواد الشعر وجعودته وأنا أصلع ولو قلت ما أملحك لصدقت. وفي كتاب فقه اللغة قال أبو منصور: إذا كانت المرأة بها مسحة من جمال فهي جميلة وضيئة فإذا أشبه بعضها بعضا في الحسن فهي حسانة فإذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي غانية فإن كانت لا تبالي أن لا تلبس ثوبا حسنا ولا تتقلد قلادة حسنة فهي معطال فإذا كان حسنها بائنا كأنه قد غذاء فهي وسيمة فإذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهي قسيمة فإذا كان النظر إليها يسر الروع فهي رائعة فإذا غلبت النساء بحسنها فهي باهرة .

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّمَا لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ﴾ وقال: ﴿زِنَاءِ الْعَيْنِ النَّظَرُ﴾ . وقال عيسى عليه السلام: لا يزني فرجك ما غضضت طرفك. وقيل: من كثرت لحظاته دامت حسراته. فضول المناظرة من فضول الخواطر. قيل: نظر رجل لامرأة فقالت: لم تنظر إلي ما يقيم ايرك وينفع غيرك؟وقال أبو الفيض: خرجت حاجا فمررت بحي فرأيت جارية كأنها فلقة قمر فغطت وجهها فقلت: يرحمك الله أنا سفر وفينا أجر، فمتعينا برؤية وجهك، فقالت: وكنت متى أرسلت طرفك رائدا..لقلبك يوما أتعبتك المناظر..رأيت الذي لا كله أنت قادر..عليه ولا عن بعضه أنت صابر . ومرت أعرابية بجماعة من بني نمير فأداموا لها النظر فقالت: يا بني نمير ما فعلتم بقول الله تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ؟ولا بقول الشاعر: فغض الطرف إنك من نمير..فلا سعدا بلغت ولا كلابا. فأطرقوا حياء. وقال العباس بن الأحنف: ومستفتح باب البلاء بنظرة..تزود منها شغله آخر الدهر . أبو تمام: إن لله في العباد منايا..سلطتها على القلوب العيون. وعن ابن عباس قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَا أَدْرَكَهُ لَا مَحَالَةَ وَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَا اللِّسَانِ النُّطْقُ وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ﴾.

مراجع: شوار المحاضرة/ الأعلام للزركلي/ نثر الدر/ حماسة الظرفاء/ غذاء الألباب شرح منظومة الآداب/ محاضرات الأدباء/ مسند أحمد/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وشعيب بن حرب 0741

قال شعيب بن حرب:[1] بينما أنا في طريق مكة إذ رأيت هارون الرشيد. فقلت في نفسي: قد وجب عليك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فخوفتني نفسي ، وقالت: إنه الآن يضرب عنقك. فقلت: لا بد من ذلك. فناديته: فقلت: يا هارون، قد أتعبت الأمة، والبهائم. فقال: خذوه. فأدخلت عليه، وفي يده لت من حديد يلعب به، وهو جالس على كرسي، فقال: ممن الرجل؟ فقلت: رجل من المسلمين. فقال: ثكلتك أمك، ممن أنت؟ فقلت: من الأبناء. فقال: ما حملك على أن دعوتني باسمي؟ قال: فخطر ببالي شيء لم يخطر ببالي قبل ذلك، فقلت: أنا أدعو الله باسمه، يا الله، يا رحمن أفلا أدعوك باسمك؟! وهذا الله سبحانه قد دعا أحب خلقه إليه باسمه: محمدا، وكنى أبغض الخلق إليه، فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد] فقال الرشيد: أخرجوه أخرجوه. فأخرجت.

قام رجل إلى هارون الرشيد وهو يخطب بمكة، فقال:﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُون﴾ [الصف] فأمر به فضرب مائة سوط، فكان يئن الليل كله ويقول: الموت! الموت. فأخبر هارون أنه رجل صالح، فأرسل إليه فاستحله، فأحله.

حج هارون الرشيد، فبلغه عن عابد بمكة مجاب الدعوة معتزل في جبال تهامة، فأتاه هارون الرشيد فسأله عن حاله ثم قال له: أوصني ومرني بما شئت، فواد لا عصيتك! فسكت عنه ولم يرد عليه جوابا؛ فخرج عنه هارون، فقال له أصحابه ما منعك إذا سألك أن تأمره بما شئت وحلف ألا يعصيك أن تأمره بتقوى الله والإحسان إلى رعيته؟ فخط لهم في الرمل: إني أعظمت الله أن يكون يأمره فيعصيه، وآمره أنا فيطيعني.

■ (1) شعيب بن حرب المدائني، ويكنى أبا صالح. وهو من أبناء خراسان، نزل المدائن واعتزل بها ثم خرج إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها .سمع شعبة وسفيان الثوري وزهير بن معاوية وغيرهم، روى عنه موسى بن داود الضبي ويحيى بن أيوب المقابري وأحمد بن حنبل وغيرهم. وكان أحد المذكورين بالعبادة والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. توفي بمكة سنة 197 هـ. وقيل سنة 199 هـ

اللهم صل على محمد وآل محمد

كان شعيب بن حرب يقول: من أراد الدنيا فليتهيأ للذل. قال ابن إسماعيل: ذهبنا إلى المدائن، إلى شعيب بن حرب، وكان قاعدا على شط دجلة، وكان قد بنى كوخا، وخبز له معلق في شريط، ومطهرة يأخذ كل ليلة رغيفا يبله في المطهرة ويأكله، فقال بيده هكذا، وإنما كان جلدا وعظما. قال: فقال: أترى ههنا بعد لحما، والله لأعملن في ذوبانه حتى أدخل القبر وأنا عظام تقعقع أريد السمن للدود والحيات؟ قال: فبلغ أحمد بن حنبل قوله فقال: شعيب بن حرب حمل على نفسه الورع. قال أحمد بن الفضل: رأيت شعيب بن حرب بمكة وعليه جبة صوف رقيقة نظيفة، وعليه إزار خفيف إلى الصفرة، وعمامة، وهو حاف وقد صفر لحيته على لون، ووجهه مصفر، وفي كمه دريهمات تكون مقدار ثلاثين درهما، وقال: ما أصبحت أملك شيئا من الدنيا أستطيبه إلا هذه، ورأيته بكى حتى رأيت دموعه تسيل على لحيته.قال إبراهيم بن عبد الملك: جاء رجل إلى شعيب بن حرب وهو بمكة فقال: ما جاء بك؟ قال جئت أؤنسك. قال: جئت تؤنسني وأنا أعالج الوحدة منذ أربعين سنة.
قال عبد الله بن أيوب المخزومي: قال شعيب بن الحرب: من طلب الرياسة ناطحته الكباش، ومن رضي أن يكون ذنبا أبى الله إلا أن يجعله رأسا.

☪

قال الله تعالى:﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات] وقال الله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران] وقال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة] عن تميم الداري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ، إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟: قَالَ للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ﴾ قال الإمام أبو سليمان الخطابي النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له ومعنى الحديث عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله الحج عرفة أي عماده ومعظمه عرفة (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) أما النصيحة لله تعالى فمعناها منصرف إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصح نفسه فالله سبحانه وتعالى غنى عن نصح الناصح وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابه وأما النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به والمراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمور فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم. قال السندي: قوله (إن الدين النصيحة) المراد بالنصيحة إما الخلوص في المعاملة عن الغش، وحينئذ يظهر شمول النصيحة لله تعالى وغيره، فالنصيحة لله تعالى أن يعامل الله معاملة خالصة حسنة لائقة بجنابه العلي، وعلى هذا القياس. وإما إرادة الخير للمنصوح، لكن لا بمعنى النافع، حتى يقال: كيف يستقيم من العبد إرادة الخير للرب تعالى، بل بمعنى اللائق، فيريه من نفسه وغيره لله تعالى ما يليق به تعالى، كالتسبيح والتقديس والتحميد. وعلى هذا القياس. عن جرير، قال:﴿بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ - فَلَقَّنَنِي - فِيمَا اسْتَطَعْتُ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ﴾ قال الغزالي: إن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته، وهو إما معزول أو واجب العزل، وهو على التحقيق ليس بسلطان. مع التأكيد والتنبيه على أن واجب الأمة نصح الإمام وإرشاده قبل أن تفكر في الخروج عليه، فقد قال صلى الله عليه وسلم: الدين النصيحة.
والنصوص الدالة على أهمية المناصحة ومكانتها السامية، وما لها من شأن في الإسلام كثيرة. وذلك لما للنصيحة من أثر فعال في تلافي الأخطاء والسير على نهج قويم، وتجنب المزالق والمخاطر، والابتعاد عن مواطن الهلكة والزيغ والضلال.
والنصيحة حق للمسلم على المسلم، وواجب له على أخيه، وتتأكد نحو ولاة الأمور لما ينجم عن سلوكهم المستقيم من نفع عام، وما ينشأ عن اعوجاجهم من أثر سيئ على الناس وما يعكسه من نتائج وخيمة. لذا عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن الدين بأنه النصيحة، وفي حديث آخر النص على مناصحة ولاة الأمور.

مراجع: صحيح مسلم/ مسند أحمد/ البداية والنهاية/ وفيات الأعيان/ صفة الصفوة/ العقد الفريد/ موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر/ العقد الفريد/ إكمال الكمال/

كان الغزو في بلاد الروم لا ينقطع، ويقوده الرشيد بنفسه أحيانًا، وفي عام 187 هـ. نقض الروم بعد أن ولوا عليهم نقفور الأول[1]،الذي كتب إلى الرشيد: من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب. إذا قرأت كتابي هذا، فاردد إلى ما حمل إليك من الأموال، وافتد نفسك، وإلا فالسيف بيننا وبينك. فغضب الرشيد غضبًا شديدًا. وكتب إليه: من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قرأت كتابك يا ابن الكافرة. والجواب ما تراه دون ما تسمعه، وسار إليه على جيش كبير. حتى دخل العاصمة (هرقلة) وانتصر عليهم، وأسر ابنة ملكهم، وغنم الكثير. وفرض عليهم الجزية. ونقض أهل قبرص فأخضعهم.

قال داود بن علي الكاتب: لما افتتح هارون الرشيد هرقلة* وأباحها ثلاثة أيام، وكان بطريقها الخارج عليه بسيل الرومي[2]؛ فنظر إليه الرشيد مقبلا على جدار فيه كتاب باليونانية وهو يطيل النظر فيه. فدعا به وقال له: لم تركت النظر إلى الانتهاب والغنيمة وأقبلت على هذا الجدار تنظر فيه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قرأت في هذا الجدار كتابا هو أحب إلي من هرقلة وما فيها. قال له الرشيد: ما هو؟ قال: بسم الله الملك الحق المبين. ابن آدم، غافص* الفرصة عند إمكانها، وكل الأمور إلى وليها. ولا تحمل على قلبك هم يوم ولم يأت بعد؛ إن يكن من أجلك يأتك الله برزقك فيه؛ ولا تجعل سعيك في طلب المال أسوة المغرورين، فرب جامع لبعل حليلته، واعلم أن تقتير المرء على نفسه هو توفير منه على غيره، فالسعيد من اتعظ بهذه الكلمات ولم يضيعها. قال له الرشيد: أعدها علي يا فسيل. فأعادها عليه حتى حفظها. وقال الحسن: ابن آدم، أنت أسير في الدنيا، رضيت من لذتها بما ينقضي، ومن نعيمها بما يمضي، ومن ملكها بما ينفد، فلا تجمع الأوزار لنفسك، ولأهلك الأموال، فإذا مت حملت الأوزار إلى قبرك وتركت أموالك لأهلك.

----

*(هرقلة) مدينة ببلاد الروم، تقع شمالي غربي طرسوس، سميت بهرقلة بنت الروم، وكان الملك هارون الرشيد غزاها بنفسه، سنة191هـ ثم افتتحها عنوة بعد حصار وحرب شديد ورمى بالنار والنفط حتى غلب أهلها. والمدينة كرسي ملك القياصرة، بناها هرقل أحد القياصرة.(غافص) أخذ على غرة.

■ (2) بسيل الرومي الترجمان من حاشية الرشيد.قال كنت مع هارون الرشيد حين فتحت هرقلة وذكر خبرا.(لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (1) نقفور الأول (نيكيفوروس)، إمبراطور بيزنطية توفي سنة 196 هـ وعمره 50 أو51 سنة

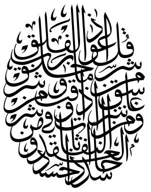

عن أبي سعيد، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة بعد العصر إلى مغيربان الشمس، حفظها منا من حفظها، ونسيها من نسي فحمد الله – قال عفان، وقال حماد: وأكثر حفظي أنه قال: بما هو كائن إلى يوم القيامة – فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ﴿أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، أَلَا إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى، مِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَا كَافِرًا وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَا مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَا كَافِرًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، أَلَا إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَالْأَرْضَ الْأَرْضَ، أَلَا إِنَّ خَيْرَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ بَطِيءَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الرِّضَا، وَشَرَّ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الرِّضَا، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ بَطِيءَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيْءِ وَسَرِيعَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفَيْءِ فَإِنَّهَا بِهَا، أَلَا إِنَّ خَيْرَ التُّجَّارِ مَنْ كَانَ حَسَنَ الْقَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ، وَشَرَّ التُّجَّارِ مَنْ كَانَ سَيِّئَ الْقَضَاءِ سَيِّئَ الطَّلَبِ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ حَسَنَ الْقَضَاءِ سَيِّئَ الطَّلَبِ، أَوْ كَانَ سَيِّئَ الْقَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ، فَإِنَّهَا بِهَا أَلَا إِنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ، أَلَا وَأَكْبَرُ الْغَدْرِ غَدْرُ أَمِيرِ عَامَّةٍ، أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ، أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ﴾ (لواء) المراد علامة يشهر بها في الناس، فلما كان عند مغيربان الشمس قال:﴿أَلَا إِنَّ مِثْلَ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا مِثْلُ مَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِيمَا مَضَى مِنْهُ﴾ وفي رواية عن أبي سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَآهُ﴾ قال أبو سعيد: حملني ذلك على أن ركبت إلى فلان* فملأت أذنيه ثم رجعت. وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ أَنْتَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ﴾ وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ الله تعالى عَنْهُ وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عليه النَّاس﴾ وعن معاذ بن جبل قال: إنكم لن تروا من الدنيا إلا بلاء، وفتنة، ولا يزيد الأمر إلا شدة، ولا الأئمة إلا علظا، وما يأتيكم أمر يهولكم إلا حقره ما بعده.

----

*عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِالْحَقِّ إِذَا شَهِدَهُ أَوْ عَلِمَهُ. قال أبو سعيد: فحملني على ذلك أن ركبت إلى معاوية فملأت أذنيه ثم رجعت. [مسند أحمد]

مراجع: صحيح مسلم/ مسند أحمد/ البداية والنهاية/ وفيات الأعيان/ صفة الصفوة/ العقد الفريد/ موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر/ العقد الفريد/ إكمال الكمال/

قال حماد بن المؤمل أبو جعفر الضرير الكلبي: حدثني شيخ على باب بعض المحدثين، قال: سألت وكيعا [1] عن مقدمه هو وابن إدريس [2] وحفص [3] على هارون الرشيد؟ فقال لي: ما سألني عن هذا أحد قبلك، قدمنا على هارون أنا وعبد الله بن إدريس، وحفص بن غياث، فأقعدنا بين السريرين، فكان أول ما دعا به أنا، فقال لي هارون: يا وكيع، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إن أهل بلدك طلبوا مني قاضيا وسموك لي فيمن سموا، وقد رأيت أن أشركك في أمانتي، وصالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة، فخذ عهدك وامض، فقلت: يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير، وإحدى عيني ذاهبة، والأخرى ضعيفة، فقال هارون: اللهم غفرا خذ عهدك أيها الرجل وامض، فقلت: يا أمير المؤمنين والله لئن كنت صادقا إنه لينبغي أن تقبل مني، ولئن كنت كاذبا فما ينبغي أن تولي القضاء كذابا، فقال: اخرج، فخرجت ودخل ابن إدريس، وكان هارون قد وسم له من ابن إدريس وسم، يعني خشونة جانبه فدخل فسمعنا صوت ركبتيه على الأرض حين برك، وما سمعناه يسلم إلا سلاما خفيا، فقال له هارون: أتدري لم دعوتك؟ قال: لا. قال: إن أهل بلدك طلبوا مني قاضيا وأنهم سموك لي فيمن سموا، وقد رأيت أن أشركك في أمانتي، وأدخلك في صالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة، فخذ عهدك وامض. فقال له ابن إدريس: ليس أصلح للقضاء، فنكت هارون بإصبعه، وقال له وددت أني لم أكن رأيتك، قال ابن إدريس وأنا وددت أني لم أكن رأيتك، فخرج ثم دخل حفص بن غياث، فقال له كما قال لنا، فقبل عهده وخرج. فأتانا خادم معه ثلاثة أكياس، في كل كيس خمسة آلاف، فقال لي إن أمير المؤمنين يقرئكم السلام، ويقول لكم: قد لزمتكم في شخوصكم مؤونة فاستعينوا بهذه في سفركم. قال وكيع: فقلت له أقرئ أمير المؤمنين السلام وقل له: وقعت مني بحيث يحب أمير المؤمنين وأنا عنها مستغن، وفي رعية أمير المؤمنين من هو أحوج إليها مني فأن رأى أمير المؤمنين أن يصرفها إلى من أحب، وأما ابن إدريس فصاح به: مر من هاهنا: وقبلها حفص، وخرجت الرقعة إلى ابن إدريس من بيننا، عافانا الله وإياك، سألناك أن تدخل في أعمالنا فلم تفعل ووصلناك من أموالنا فلم تقبل، فإذا جاءك ابني المأمون فحدثه إن شاء الله. فقال للرسول: إذا جاءنا مع الجماعة حدثناه إن شاء الله. ثم مضينا فلما صرنا إلى الياسرية* حضرت الصلاة، فنزلنا نتوضأ للصلاة، قال وكيع: فنظرت إلى شرطي محموم نائم في الشمس عليه سواده، فطرحت كسائي عليه، وقلت: يدفأ إلى أن أتوضأ، فجاء ابن إدريس فاستلبه. ثم قال لي: رحمته لا رحمك الله، في الدنيا أحد يرحم مثل ذا؟ ثم التفت إلى حفص، فقال له: يا حفص قد علمت حين دخلت إلى سوق أسد* فخضبت لحيتك، ودخلت الحمام أنك ستلي القضاء، لا والله لا كلمتك حتى تموت.قال: فما كلمه حتى مات.

في رواية عن رجل، عن وكيع: أن عبد الله بن إدريس امتنع من القضاء، وقال للرشيد: لا أصلح. فقال الرشيد: وددت أني لم أكن رأيتك.فقال: وأنا وددت أني لم أكن رأيتك، فخرج، ثم ولى حفص بن غياث، وبعث الرشيد بخمسة آلاف إلى ابن إدريس، فقال للرسول –وصاح به–: مر من هنا. فبعث إليه الرشيد: لم تل لنا، ولم تقبل صلتنا، فإذا جاءك ابني المأمون، فحدثه. فقال: إن جاء مع الجماعة حدثناه، وحلف ألا يكلم حفص بن غياث حتى يموت.

قال يعقوب بن شيبة: حدثنا عبيد بن نعيم، حدثنا الحسن بن الربيع البوراني [4]، قال: قرئ كتاب الخليفة إلى ابن إدريس وأنا حاضر: من عبد الله هارون أمير المؤمنين، إلى عبد الله بن إدريس. قال: فشهق ابن إدريس شهقة، وسقط بعد الظهر، فقمنا إلى العصر وهو على حاله، وانتبه قبيل المغرب، وقد صببنا عليه الماء، فلا شيء. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، صار يعرفني حتى يكتب إلي، أي ذنب بلغ بي هذا؟!.

في رواية قال الذهبي عن عبد الله بن إدريس العالم الكبير –الله ما أكبره! وما أحسنه!– هذا العالم استدعاه هارون الرشيد ليوليه القضاء، فلما دخل عليه، قال: تول القضاء، قال: لا أتولى، قال: ولم؟ قال: يرسلني أهلي إلى السوق لأقتضي مقاض، فأنسى الغرض الذي أرسلوني إليه، فتوليني أمور المسلمين، قال هارون وقد غضب: سمعت أنك مجنون، قال عبد الله بن إدريس : ما زال أهلي يسمونني مجنونا إلى اليوم، قال: ليتني ما رأيتك، قال عبد الله بن إدريس لـ هارون : وليتني أنا ما رأيتك، ثم خرج من عنده، فلما حضرته الوفاة، جمع ابنه وبناته، وقال: يا بني! لا تعص الله في هذا البيت، والله لقد ختمت القرآن فيه أربعة آلاف مرة.

----

*(الياسرية) منسوبة إلى ياسر اسم رجل قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى بينها وبين بغداد ميلان. (سوق أسد) بالكوفة منسوبة إلى أسد بن عبد الله القسري أخي خالد بن عبد الله أمير العراقين.

■ (2) عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي ، الإمام، الحافظ، المقرئ، القدوة، أبو محمد، الأودي، الكوفي. ولد سنة 120 هـ. وقيل: بل كان مولده سنة 115 هـ. وحدث عن أبيه، وخلق كثير. وتلا على نافع، وكان من أئمة الدين. وكان هارون الرشيد أقدمه بغداد ليوليه قضاء الكوفة فامتنع من ذلك، وعاد إلى الكوفة، فأقام بها إلى حين وفاته. مات بالكوفة سنة 192 هـ وعن حسين العنقزي، قال: لما نزل بابن إدريس الموت، بكت بنته. فقال: لا تبكي يا بنية، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة. قال يعقوب بن شيبة: كان عابدا، فاضلا، كان يسلك في كثير من فتياه ومذاهبه مسالك أهل المدينة، يخالف الكوفيين، وكان بينه وبين مالك صداقة. ثم قال: وقد قيل: إن جميع ما يرويه مالك في الموطأ، فيقول بلغني عن علي رضي الله عنه أنه سمعه من ابن إدريس. قال أبو حاتم: هو حجة، إمام من أئمة المسلمين.وقيل: لم يكن بالكوفة أحد أعبد لله من ابن إدريس.

■ (1) وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي الرؤاسي ، ابن فرس بن جمجمة بن سفيان بن الحارث بن عمرو بن عبيد بن رؤاس، الإمام، الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، ولد سنة 129 هـ وقيل: سنة 128 هـ، واشتغل في الصغر. وسمع من خلق كثير. وكان من بحور العلم، وأئمة الحفظ. حدث عنه سفيان الثوري – أحد شيوخه – وعبد الله بن المبارك، والفضل بن موسى السيناني – وهما أكبر منه – ويحيى بن آدم، وعبد الرحمن بن مهدي، والحميدي، ومسدد، وعلي، وأحمد، وابن معين، وإسحاق، وأمم سواهم. حج وكيع سنة 196 هـ ، ومات بفيد. وقيل: سنة 197 هـ، يوم عاشوراء، وقيل سنة 198 هـ.

■ (3) حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي ابن مالك بن الحارث. أبو عمر النخعي الكوفي، ولي القضاء ببغداد وحدث بها ثم عزل وولي قضاء الكوفة. كان مولده سنة 117 هـ. قال هارون بن حاتم: وفلج حفص حين مات ابن إدريس، فمكث في البيت إلى أن مات: سنة 194 هـ في العشر من ذي الحجة، وصلى عليه الفضل بن العباس أمير الكوفة يومئذ.وقيل: مات سنة 195 هـ. وقيل: سنة 196 هـ، والصحيح الأول. ولم يخلف درهما، وخلف عليه تسع مائة درهم دينا. وسمع من عاصم الأحول، وسليمان التيمي، ويحيى بن سعيد، وهشام بن عروة، ويزيد بن أبي عبيد، والعلاء بن المسيب، والأعمش، ومحمد بن زيد بن المهاجر، وابن جريج، وأبي إسحاق الشيباني، وأبي مالك الأشجعي، وحبيب بن أبي عمرة، وبريد بن عبد الله بن أبي بردة، وعبيد الله بن عمر، وليث بن أبي سليم، وهشام بن حسان، والعلاء بن خالد، وجده طلق، وخلق سواهم. وعنه يحيى بن سعيد القطان رفيقه، وابن مهدي، وابن عمه طلق بن غنام، وابنه عمر بن حفص، ويحيى بن يحيى، وأحمد، وإسحاق، ويحيى، وعلي، وابنا أبي شيبة، وأحمد الدورقي، وسفيان بن وكيع، وسلم بن جنادة، وسهل بن زنجلة، وصدقة بن الفضل، وأبو سعيد الأشج، وعلي بن خشرم، وعمرو الناقد، وابن نمير، وهارون بن إسحاق، وهناد، وأبو كريب، وأبو هشام الرفاعي، وأمم سواهم.

■ (4) الحسن بن الربيع البوراني، أبو علي البجلي القسري الكوفي الخشاب الحصار. ثقة صالح متعبد كان يبيع البواري (نسبة إلى عمل البواري التي تبسط ويجلس عليها) مات سنة 221 هـ وكان من أصحاب بن المبارك.

عن إسحاق بن إبراهيم، عن الكسائي [1]،قال: قال لي هارون الرشيد: من أقرأ الناس؟ فقلت: عبد الله بن إدريس. قال: ثم من؟ قلت: ثم حسين الجعفي [2].قال: ثم من؟ قلت: رجل آخر. قال يحيى بن معين: سمعت ابن إدريس يقول: عندي قوصرة* ملكاية*، وراوية من حوض الربابين، ودبة زيت، ما أحد أغنى مني. قال محمد بن عبد الله بن عمار: كان ابن إدريس إذا لحن أحد في كلامه، لم يحدثه. قال ابن عمار الموصلي: كان ابن إدريس من عباد الله الصالحين، من الزهاد، وكان ابنه أعبد منه، ولم أر بالكوفة أحدا أفضل من عبد الله بن إدريس، وعبدة بن سليمان. قال الفضل بن محمد الشعراني: سمعت يحيى بن أكثم يقول: صحبت وكيعا في الحضر والسفر، وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن كل ليلة. قلت: هذه عبادة يخضع لها، ولكنها من مثل إمام من الأئمة الأثرية مفضولة، فقد صح نهيه عليه الصلاة والسلام عن صوم الدهر، وصح أنه نهى أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث، والدين يسر، ومتابعة السنة أولى، فرضي الله عن وكيع، وأين مثل وكيع؟!. قال يحيى بن أيوب، حدثني بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يلزمونه:أن وكيعا كان لا ينام حتى يقرأ جزءاه من كل ليلة ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل، فيقرأ المفصل، ثم يجلس، فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر. قال محمد بن عامر المصيصي: سألت أحمد: وكيع أحب إليك أو يحيى بن سعيد [3] ؟ فقال: وكيع. قلت: كيف فضلته على يحيى، ويحيى ومكانه من العلم والحفظ والإتقان ما قد علمت؟ قال: وكيع كان صديقا لحفص بن غياث، فلما ولي القضاء، هجره، وإن يحيى كان صديقا لمعاذ بن معاذ، فلما ولي القضاء، لم يهجره يحيى.

----

*(قوصرة) وعاء من قصب يحمل فيه التمر. (ملكايا/ ملكاية) ؟

■ (1) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، الأسدي بالولاء الكوفي المعروف بالكسائي؛ أحد القراء السبعة، كان إماما في النحو واللغة والقراءات، ولم تكن له في الشعر يد، حتى قيل: ليس في علماء العربية أجهل من الكسائي بالشعر؛ وكان يؤدب الأمين بن هارون الرشيد ويعلمه الأدب. ولد قرب الكوفة سنة 119 هـ توفي سنة 189 هـ بالري وكان قد خرج إليها صحبة هارون الرشيد. وفي ذلك اليوم توفي الإمام محمد بن الحسن الشيباني (صاحب الإمام أبي حنيفة) بالري أيضا.ويقال إن الرشيد كان يقول: دفنت الفقه والعربية بالري.

■ (2) حسين بن علي الجعفي، هو أبو عبد الله الحسين بن علي الجعفي بن الوليد الكوفي.توفي سنة 203 هـ. كان سفيان الثوري إذا رآه عانقه وقال: هذا راهب جعفي. وكان سفيان بن عيينة يعظمه.وقال أحمد بن حنبل: ما رأيت بالكوفة أفضل من حسين الجعفي كان يشبه بالراهب.

■ (3) يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو بن سهل بن ثعلبة بن الحارث بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار أبو سعيد الأنصاري المديني، كان يتولى القضاء بالمدينة فأقدمه المنصور العراق، وولاه القضاء بالهاشمية، توفي سنة144 هـ أو بعدها.

مراجع: سير أعلام النبلاء/ تاريخ بغداد/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ وفيات الأعيان/ صفة الصفوة/ معجم البلدان/ إكمال الكمال/ المؤتلف والمختلف للإمام الدارقطني/ الثقات لابن حبان/ الجرح والتعديل/

قال يحيى بن الليث: باع رجل من أهل خراسان جمالا بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسي، وكيل أم جعفر (زبيدة !)، فمطله بثمنها، وحبسه، فطال ذلك على الرجل، فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث[1]،فشاوره. فقال: اذهب إليه، فقل له: أعطني ألف درهم، وأحيل عليك بالمال الباقي، وأخرج إلى خراسان، فإذا فعل هذا فالقني حتى أشير عليك. ففعل الرجل، وأعطاه مرزبان ألف درهم. قال: فأخبره. فقال: عد إليه، فقل: إذا ركبت غدا، فطريقك على القاضي، تحضر، وأوكل رجلا يقبض المال، وأخرج، فإذا جلس إلى القاضي فادع عليه بمالك، فإذا أقر، حبسه حفص، وأخذت مالك. فرجع إلى مرزبان، وسأله، فقال: انتظرني بباب القاضي. فلما ركب من الغد، وثب إليه الرجل، فقال: إن رأيت أن تنزل إلى القاضي حتى أوكل بقبض المال، وأخرج. فنزل مرزبان، فتقدما إلى حفص بن غياث. فقال الرجل: أصلح الله القاضي، لي على هذا الرجل تسعة وعشرون ألف درهم. فقال حفص: ما تقول يا مجوسي؟ قال: صدق، أصلح الله القاضي. قال: ما تقول يا رجل، فقد أقر لك؟ قال: يعطيني مالي. فقال: ما تقول؟ قال: هذا المال على السيدة. قال: أنت أحمق تقر ثم تقول: هو على السيدة! ما تقول يا رجل؟ قال: أصلح الله القاضي، إن أعطاني مالي، وإلا حبسته. قال: ما تقول يا مجوسي؟ قال: المال على السيدة.
قال القاضي: خذوا بيده إلى الحبس. فلما حبس، بلغ الخبر أم جعفر، فغضبت، وبعثت إلى السندي: وجه إلى مرزبان –وكانت القضاة تحبس الغرماء في الحبس– فعجل السندي، فأخرجه، وبلغ حفصا الخبر، فقال: أحبس أنا؛ ويخرج السندي!! لا جلست أو يرد مرزبان الحبس. فجاء السندي إلى أم جعفر، فقال: الله الله في، إنه حفص بن غياث، وأخاف من أمير المؤمنين أن يقول لي: بأمر من أخرجت؟ رديه إلى الحبس، وأنا أكلم حفصا في أمره. فأجابته، فرجع مرزبان إلى الحبس، فقالت أم جعفر لهارون: قاضيك هذا أحمق، حبس وكيلي، واستخف به، فمره لا ينظر في الحكم، وتولي أمره إلى أبي يوسف، فأمر لها بالكتاب، وبلغ حفصا الخبر. فقال للرجل: أحضرني شهودا حتى أسجل لك على المجوسي بالمال، فجلس حفص، فسجل على المجوسي بالمال، وورد كتاب هارون مع خادم له، فقال: هذا كتاب أمير المؤمنين. قال: مكانك، نحن في شيء حتى نفرغ منه. فقال: كتاب أمير المؤمنين. قال: انظر ما يقال لك. فلما فرغ حفص من السجل، أخذ الكتاب من الخادم، فقرأه، فقال: اقرأ على أمير المؤمنين السلام، وأخبره أن كتابه ورد، وقد أنفذت الحكم. فقال الخادم: قد –والله– عرفت ما صنعت؛ أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد، والله لأخبرنه بما فعلت. قال له: قل له ما أحببت. فجاء الخادم فأخبر هارون، فضحك، وقال للحاجب: مر لحفص بثلاثين ألف درهم، فركب يحيى بن خالد[2]،فاستقبل حفصا منصرفا من مجلس القضاء. فقال: أيها القاضي، قد سررت أمير المؤمنين اليوم، وأمر لك بمال، فما كان السبب في هذا؟ قال: تمم الله سرور أمير المؤمنين، وأحسن حفظه وكلاءته، ما زدت على ما أفعل كل يوم. قال: على ذلك؟ قال: ما أعلم إلا أن يكون سجلت على مرزبان المجوسي بما وجب عليه. قال: فمن هذا سر أمير المؤمنين. فقال حفص: الحمد لله كثيرا. فقالت أم جعفر لهارون: لا أنا ولا أنت إلا أن تعزل حفصا، فأبى عليها، ثم ألحت عليه فعزله عن الشرقية، وولاه قضاء الكوفة، فمكث عليها ثلاث عشرة سنة.

حدث بعض أهل البصرة قال: كان عمر بن عثمان يسترسل معهم ولا يتكبر عليهم فقال له بعض من ينتصح له: إن القاضي ينبغي له أن يمسك نفسه ويتكبر على أهل عمله فقال له عمر بن عثمان: إنكم إذا وليتم القضاء وضعتموه ها هنا وأشار إلى رأسه ونحن إذا وليناه وضعناه ها هنا وأشار تحت قدمه. قال: وخاصم بعض القرشيين عمر بن عثمان بالمدينة عند بعض ولد محمد بن إبراهيم[3]وهو خليفة أبيه بالمدينة فأسرع إليه القرشي فقال له عمر: على رسلك مالك سريع الإيقاد وشيك الضرمة وإني والله مكافئك دون أن تبلغ غاية التعدي وأبلغ غاية الإعذار.

قال: بعض البصريين: لما أعفى الرشيد عمر بن عثمان التيمي[4]عن القضاء، كتب إلى محمد بن سليمان[5]بن علي باختيار رجل للقضاء، فسمى له عبد الوهاب بن عبد الحميد[6]،ومعاذ بن معاذ[7]،ومحمد بن عبد الله الأنصاري[8]،فقال: ومن معاذ بن معاذ؟ فقيل: ابن عم سوار، وعبيد الله، فقال: هذا فأرسل إليه، فقال: إني أريد توليتك القضاة، فقال: لا أحسنه، قال: لا بد لك من ولايته، قال: إني والله ما أحسنه، وما يحل لك أن توليني صادقا كنت، أو كاذبا، قال: أسألك بقرابتك من رسول الله إما أعفيتني، قال: قد سأل سوار أبا أيوب بن سليمان ابن علي بمثل ما سألتني، فأعفاه ثم ظهر منه على مثل ما ظهر عليه فولاه، فولى.

قال: بعض البصريين: كان معاذ صليبا في ولايته الأولى، اعترض عليه حماد بن موسى في شيء؛ فقال: وما أنت يا حماد وللكلام في الحكم؟ وأدخل على أبي بكر بن محمد بن واسع المسلمي، في وقف في يديه، فنازعه أبو بكر حتى خرجا إلى أمر غليظ؛ فقال له معاذ: أنت ترسل بشمره هذا الوقت إلى حماد بن موسى، وأصحاب محمد بن سليمان، فنمى ذلك أبو بكر إلى محمد ابن سليمان، فثقل على محمد. وقدم إليه قوم سنان بن المحدث العنبري، وكان على عمل بفارس، قد ادعى عليه القوم أنه قتل ابنه هناك، فأقام عليه شهودا فأمر معاذ بحبسه، فأخرجه محمد من الحبس، فقعد معاذ في بيته، فثقل على محمد، فعزله، وولى عبد الرحمن بن محمد المخزومي[9]، وكانت ولاية معاذ هذه سنة.

■ (1) حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي ابن مالك بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن جشم بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع. أبو عمر النخعي الكوفي، ولي القضاء ببغداد وحدث بها ثم عزل وولي قضاء الكوفة. كان مولده سنة 117 هـ.قال هارون بن حاتم: وفلج حفص حين مات ابن إدريس، فمكث في البيت إلى أن مات سنة 194 هـ في العشر من ذي الحجة، وصلى عليه الفضل بن العباس أمير الكوفة يومئذ.وقيل: مات سنة 195 هـ. وقيل: سنة 196 هـ، والصحيح الأول.ولم يخلف درهما وخلف عليه تسع مائة درهم دينا

■ (7) معاذ بن معاذ بن حسان بن نصر بن حسان العنبري أبو المثنى قاضي البصرة يروي عن حميد الطويل والبصريين روى عنه أهل العراق وكان مولده سنة 119 هـ. ومات سنة 196 هـ. أو 196 هـ.

■ (5) محمد بن سليمان بن علي، وابن عم المنصور، أمير البصرة، وليها في أيام المهدي. وكان على البصرة وكور دجلة والبحرين وعمان وكور الاهواز وفارس،والذي ثبت دولتهم بعمله وبلائه يوم باخمرا، وكان قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن على يده، وكان بطلا شجاعا ممدحا، وكان الرشيد يجله، ويبالغ في إكرامه، وقد ولي أيضا الكوفة، وعزل سنة 164 وأعاده الرشيد، وزوجه أخته العباسة بنت المهدي سنة 172 واستمر في البصرة إلى أن توفي.173 هـ وكان غنيا نبيلا، سمت نفسه إلى الخلافة، وصده عن الجهر بطلبها ما كانت عليه من القوة، في أيام المهدي والرشيد قيل: إن الرشيد استولى على تركته، واصطفاها، فكانت بنحو خمسين ألف ألف درهم. كان مولده بالحميمة من الشام سنة 122 هـ. ومات سنة 173 هـ، واصطفى الرشيد عامة ما خلف.

■ (6) عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي، لعله عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت عبد الله بن الحكيم، أبو محمد البصري. وكان ثقة وفيه ضعف. ولد عبد الوهاب سنة 108 هـ. وتوفي بالبصرة سنة 194 هـ في خلافة محمد بن هارون.

■ (4) عمر بن عثمان بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر أبو حفص التيمي المدني. وأم عمرو بن عثمان: أم رومان بنت طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وعثمان بن عمر ولاه أبو جعفر المنصور قضاء عسكره، وولى الرشيد عمر بن عثمان ابنه قضاء البصرة، وكان من وجوه قريش وبلغائها وفصحائها وعلمائها وأهل الحكم منها ولاه الرشيد قضاء البصرة فخرج حاجا ثم لم يرجع إلى القضاء وأقام بالمدينة فأعفاه أمير المؤمنين من القضاء وتركه بالمدينة مقيما فلم يزل بها حتى مات.

■ (8) محمد بن عبد الله الأنصاري البصري، ولي القضاء بالبصرة بعد معاذ بن معاذ. يروي عن سليمان التيمي وحميد الطويل. روى عنه أبو الربيع الزهراني. مات بالعراق سنة 215 هـ في رجب.

■ (3) محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي. ولي دمشق لابن عمه المهدي، ثم للرشيد، وولي مكة والموسم، وكان كبير الشأن، يذكر للخلافة. حدث عن: جعفر الصادق، وعن المنصور. روى عنه: ابنه؛ موسى، وحفيده؛ عبد الصمد، وغيرهما.وما علمت أحدا تجاسر على تضعيف هؤلاء الأمراء لمكان الدولة. ولد في حدود 122 هـ .وتوفي ببغداد، سنة 185 هـ.

■ (9) عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، سكن هو وأبوه البصرة؛ وولي عبد الرحمن المذكور قضاء البصرة لمحمد بن سليمان، ولم يزل يستعفي، ويستعفى له أبوه، حتى عزل بعد أربعة أشهر؛ وهو أول قاض حنفي ولي قضاء البصرة

■ (2) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

قالت العلماء: القضاء فيه خطر عظيم ووزر كبير لمن لم يؤد الحق فيه، ولذلك كان السلف، رحمة الله عليهم، يمتنعون منه أشد الامتناع، ويخشون على أنفسهم خطره. قال إبراهيم بن مهدي: سمعت حفص بن غياث، وهو قاض بالشرقية يقول لرجل يسأل عن مسائل القضاء: لعلك تريد أن تكون قاضيا، لأن يدخل الرجل أصبعه في عينه، فيقتلعها، فيرمي بها، خير له من أن يكون قاضيا. عرض على عبد الله بن وهب القضاء. فقال: لم أكتب هذا العلم لأحشر يوم القيامة في زمرة القضاة، ولكني كتبت هذا العلم لأحشر يوم القيامة في زمرة العلماء.قال عمر بن حفص: سمعت أبي يقول: مررت بطاق اللحامين، فإذا بعليان جالس، فسمعته يقول: من أراد سرور الدنيا وحزن الآخرة، فليتمن ما هذا فيه، فوالله لقد تمنيت أني كنت مت قبل أن ألي القضاء. قال أبو بكر بن أبي شيبة: سمعت حفص بن غياث يقول: والله ما وليت القضاء حتى حلت لي الميتة.

قال حميد بن الربيع: لما جيء بعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ووكيع ابن الجراح إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ليوليهم القضاء دخلوا عليه، فأما ابن إدريس فقال: السلام عليكم، وطرح نفسه كأنه مفلوج، فقال هارون: خذوا بيد الشيخ، لا فضل في هذا؛ وأما وكيع فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أتصرف بها منذ سنة، ووضع إصبعه على عينه، وعنى إصبعه، فأعفاه؛ وأما حفص بن غياث فقال: لولا غلبة الدين والعيال ما وليت.

قال بشر الحافي: قال حفص بن غياث: لو رأيت أني أسر بما أنا فيه، لهلكت. وقال غنام بن حفص: مرض أبي خمسة عشر يوماً، فدفع إلي مائة درهم وقال: امض بها إلى العامل وقل له هذه رزق خمسة عشر يوماً لم أحكم فيها بين المسلمين لاحظ لي فيها. وكان أبو يوسف لما ولي حفص القضاء قال لأصحابه: تعالوا نكتب نوادر حفص، فلما وردت أحكامه وقضاياه على أبي يوسف قال له أصحابه: أين النوادر التي زعمت بكتبها قال: ويحكم إن حفصاً أراد الله فوفقه.

قال سعيد بن سعيد الحارثي، عن طلق بن غنام قال: خرج حفص يريد الصلاة، وأنا خلفه في الزقاق، فقامت امرأة حسناء، فقالت: أصلح الله القاضي، زوجني، فإن إخوتي يضرون بي، فالتفت إلي، وقال: يا طلق! اذهب، فزوجها إن كان الذي يخطبها كفؤا، فإن كان يشرب النبيذ حتى يسكر، فلا تزوجه، وإن كان رافضيا، فلا تزوجه. فقلت: لم قلت هذا؟ قال: إن كان رافضيا فإن الثلاث عنده واحدة، وإن كان يشرب النبيذ حتى يسكر، فهو يطلق ولا يدري.

عن الأحوص بن المفضل قال. حدثني أبي، عن أبيه؛ قال: قال لي: وكيع أدخل معاذ بن معاذ في القضاء؟ قلت: نعم يا أبا سفيان؛ قال: لقد كنت أذهب به عن ذلك. قال: يحيى بن سعيد: صحبت معاذ بن معاذ خمسين سنة لا والله إن بلغني عنه شيء أكرهه قط، ما علمته كان يسبق إلى قلبه شيء من الجبن فبلغت إليه، وما تقدمني قط في طريق، وكان يحيى أسن من معاذ بسنة. قال: وقال: معاذ بن معاذ لابنه، في يوم مطير، إي بني امضي بنا نجلس للناس، فقال له ابنه: يا أبت هذا يوم مطير لا يجيء فيه الناس، فقال: يا بني امض بنا فبم نستحل أن نأخذ كل يوم كذا وكذا درهما، وخرج فجلس. وزعم بندار بن يسار، قال: لما ولى معاذ أتاه المعتمر بن سليمان، فقال: يا أبا المتنى أوليت القضاء؟ فلم يكلمه حتى أدخله بيته، فنظر إلى فراشه في الشتاء فوجده حصيرا، و إلى دثاره فوجده كساء، وسمل قطيفة، فاغرورقت عيناه وخرج.وقال: عفن: وسمعت يحيى بن سعيد يقول: قيل للكوفيين تحيون بمثل معاذ.

مراجع: سير أعلام النبلاء/ تاريخ بغداد/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ المغني لابن قدامة/ مصنف ابن أبي شيبة/ أخبار القضاة/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ موطأ مالك/ المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري/ الطبقات الكبرى/ جمهرة أنساب العرب/ ربيع الأبرار/

أخبر عبد الرحمن بن عبد الله، عن عمه عبد الملك بن قريب الأصمعي[1]،أنه قال: كنت عند الرشيد يوما، فرفع إليه في قاض كان قد استقضاه، يقال له: عافية[2]فكبر عليه، فأمر بإحضاره، فأحضر، وكان في المجلس جمع كثير، فجعل أمير المؤمنين يخاطبه، ويوقفه على ما رفع إليه، وطال المجلس، ثم إن أمير المؤمنين عطس فشمته من كان بالحضرة ممن قرب منه سواه، فإنه لم يشمته، فقال له الرشيد: ما بالك لم تشمتني كما فعل القوم؟ فقال له: عافية، لأنك يا أمير المؤمنين لم تحمد الله، فلذلك لم أشمتك، هذا النبي صلى الله عليه وسلم عطس عنده رجلان، فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر، فقال: يا رسول الله مالك شمت ذلك ولم تشمتني؟ قال: لأن هذا حمد الله فشمتناه، وأنت فلم تحمده فلم أشمتك*، فقال له الرشيد: ارجع إلى عملك، أنت لم تسامح في عطسة تسامح في غيرها؟ وصرفه منصرفا جميلا، وزبر القوم الذين كانوا رفعوا عليه.

قال إسماعيل بن إسحاق: كان عافية يتقلد للمهدي القضاء بأحد جانبي مدينة السلام مكان ابن علاثة[3]،وكان عافية عالما زاهدا، فصار إلى المهدي في وقت الظهر في يوم من الأيام وهو خال، فاستأذن عليه فأدخله، فإذا معه قمطره، فاستعفاه من القضاء، واستأذنه في تسليم القمطر إلى من يأمر بذلك، فظن أن بعض الأولياء قد غض منه، أو أضعف يده في الحكم، فقال له في ذلك، فقال: ما جرى من هذا شيء، قال: فما سبب استعفائك؟ فقال: كان يتقدم إلي خصمان موسران وجيهان منذ شهرين في قضية معضلة مشكلة، وكل يدعي بينة وشهودا، ويدلي بحجج تحتاج إلى تأمل وتثبت، فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا، أو يعن لي وجه فصل ما بينهما، قال: فوقف أحدهما من خبري على أني أحب الرطب السكر، فعمد في وقتنا وهو أول أوقات الرطب إلى أن جمع رطبا سكرا، لا يتهيأ في وقتنا جمع مثله إلا لأمير المؤمنين، وما رأيت أحسن منه، ورشا بوابي جملة دراهم على أن يدخل الطبق إلي، ولا يبالي أن يرد، فلما أدخل إلي أنكرت ذلك وطردت بوابي، وأمرت برد الطبق فرد، فلما كان اليوم تقدم إلي مع خصمه فما تساويا في قلبي، ولا في عيني، وهذا يا أمير المؤمنين، ولم أقبل، فكيف يكون حالي لو قبلت، ولا آمن أن يقع علي حيلة في ديني فأهلك، وقد فسد الناس فأقلني أقالك الله وأعفني، فأعفاه.

عن علي بن الجعد، قال: رأيت محمد بن عبد الله بن علاثة، وعافية بن يزيد الأودي، وقد شرك المهدي بينهما في القضاء، يقضيان جميعا في المسجد الجامع في الرصافة هذا في أدناه، وهذا في أقصاه، وكان عافية أكثرهما دخولا على المهدي. قال إسحاق بن إبراهيم: كان أصحاب أبي حنيفة الذين يذاكرونه: أبو يوسف، وزفر، وداود الطائي، وأسد بن عمرو، وعافية الأودي، والقاسم بن معن، وعلي بن مسهر، ومندل وحبان ابنا علي، وكانوا يخوضون في المسألة، فإن لم يحضر عافية، قال أبو حنيفة: لا ترفعوا المسألة حتى يحضر عافية، فإذا حضر عافية، فإن وافقهم، قال أبو حنيفة: أثبتوها، وإن لم يوافقهم، قال أبو حنيفة: لا تثبتوها.

حدث أبو الفضل الربعي، قال: حدثني أبي، قال: استقضى بعض أمراء المدينة عثمان بن طلحة[4]،فامتنع عليه من ذلك، فأشرف عليه بضرب السياط، فلما رأى ذلك، قضى بين الناس حتى استوجب رزق عشرة أشهر، قال: وقدم المهدي المدينة حاجا، فدخل عليه عثمان بن طلحة، فسأله أن يعزله عن القضاء، فقال: ليس إلى ذلك سبيل، قال له عثمان: يا أمير المؤمنين، والله لو علمت أن ملك الروم يجيرني، ولا يمنعني من الصلاة، لاستجرت به. قال له المهدي: وإنك لعلى ما قلت؟ قال: والله إني لعلى ما قلت، قال: فإني قد عزلتك، فاقبض ما لك عندنا من الرزق، قال: والله ما لي عنه غنى، ولكنه كان لي نظراء وأشباه يكرهون من هذا العمل ما أكره، ثم أكرهوا عليه، فدخلوا فيه، فلما عزلوا، كرهوا العزل، فلم أجد معناهم في كراهتهم العزل إلا هذا الرزق، فلذلك كرهت أخذه.

----

*عن أنس بن مالك قال:﴿عَطَسَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الْآخَرَ، فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ:عَطَسَ فُلَانٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ أَنَا فَلَمْ تُشَمِّتْنِي، قَالَ: إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللهَ، وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللهَ﴾ قالوا: شكي سوار بن عبد الله القاضي إلى أبي جعفر المنصور، وأثني عليه عنده شرا، قال: فاستقدمه، فلما قدم دخل عليه، فعطس المنصور، فلم يشمته سوار، فقال: ما يمنعك من التشميت؟ قال: لأنك لم تحمد الله، فقال: حمدت في نفسي، قال: فقد شمتك في نفسي، فقال: ارجع إلى عملك، فإنك إذا لم تحابني لم تحاب غيري.

■ (2) عافية بن يزيد بن قيس بن عافية بن شداد بن ثمامة بن سلمة بن كعب بن أود بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الأودي ولاه أمير المؤمنين المهدي القضاء ببغداد، في الجانب الشرقي. وحدث عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وسليمان الأعمش، ومحمد بن عمرو، ومجالد بن سعيد. وقلما روى، لأنه مات كهلا. قال الخطيب: كان عالما، زاهدا، حكم مدة على سداد وصون، ثم استعفى من القضاء، فأعفي. قيل توفي سنة 180 هـ.

■ (4) عثمان بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب التيمي من أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي قضاء المدينة، وكان محمود السيرة، جميل الذكر، وورد بغداد في خلافة المهدي، ولاه المهدي قضاء المدينة، فلم يأخذ على القضاء رزقا، وحمدت سيرته، ثم استعفى، وكان من أشراف قريش.وقد روي عنه الحديث، عن محمد بن المنكدر وغيره..قيل: توفي سنة 161 هـ.

■ (1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، له تصانيف كثيرة فى اللغة والشعر منها الأصمعيات. ولد في البصرة سنة 122 هـ وتوفي سنة 216 هـ .كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان هارون الرشيد يسميه شيطان الشعر. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

■ (3) ابن علاثة، أبو اليسير، محمد بن عبد الله بن علاثة العقيلي الجزري. قاضي الخلافة ويقال له: قاضي الجن.، وعلاثة هو ابن علقمة بن مالك العقيلي الجزري. روى عن عبدة بن أبي لبابة، وعبد الكريم بن مالك، وخصيف والأوزاعي، وعدة. ولي القضاء للمهدي. ولي معه القضاء عافية.مات سنة 168 هـ.

☪

لما ورد في الولايات من التغليظ كان جماعة من السلف يهربون منها كما يروى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطأة نائبه على العراق أن اجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجرشي فول قضاء البصرة أنفذهما فقال له إياس سل عني وعنه فقيهي المصر الحسن البصري ومحمد بن سيرين وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما فعلم القاسم أنهما يشيران به فقال لا تسئل عنه ولا عني فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه وأعلم بالقضاء مني فإن كنت كاذبا فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب وإن كنت صادقا فينبغي أن تقبل قولي فقال إياس إنك جئت برجل أوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال عدي أما إذا قد فهمتها فأنت لها.

☪

روى أبو الفرج الأصبهاني عن مسلم بن الوليد[1] – المعروف بصريع الغواني – قال: كنت يوما جالسا في دكان خياط بإزاء منزلي، إذ رأيت طارقا ببابي، فقمت إليه، فإذا هو صديق لي من أهل الكوفة، قد قدم من قم، فسررت به. وكأن إنسانا لطم وجهي، لم يكن عندي درهم واحد أنفقه عليه ! فقمت فسلمت عليه وأدخلته منزلي. وأخذت خفين كانا لي أتجمل بهما، فدفعتهما، إلى جاريتي، وكتبت معها رقعة إلى بعض معارفي في السوق، وأسأله أن يبيعها ويشتري لي لحما وخبزا بشي سميته له. فمضت الجارية، وعادت إلي، وقد اشترى كل ما ذكرته له. وقد باع الخف بتسعة دراهم، وكأنها إنما جاءتني بخفين جديدين. فقعدت أنا وضيفي نطبخ، فسألت جارا لي أن يسقينا قارورة نبيذ، فوجه بها الي، وأمرت الجارية أن تغلق باب الدار، مخافة طارق يجيء فيشركنا فيما نحن فيه، ليبقى وله ما نأكله إلى أن ينصرف. فإنا لجالسان نطبخ إذ طرق طارق الباب، فقلت للجارية: انظري من هذا ؟ فنظرت في شق الباب فإذا رجل عليه سواد وشاشية ومنطقة، ومعه شاكري، فخبرتني بموضعه، فأنكرت أمري، ثم رجعت إلى نفسي، فقلت: لست بصاحب دعارة، ولا للسلطان عليه سبيل. فتحت الباب وخرجت إليه، فنزل عن دابته، وقال: أنت مسلم بن الوليد ؟ قلت: نعم. قال: كيف لي بمعرفتك؟ قلت: الذي دلك على منزلي يصحح لك معرفتي! فقال إلى غلامه امض إلى الخياط فسله عنه. فمضي فسأله عني، فقال: نعم، هو مسلم بن الوليد. فأخرج الي كتابا من خفه، قال: هذا كتاب الأمير يزيد بن مزيد[2] إلي يأمرني ألا أفضه إلا عند لقائك. فاذا فيه: اذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع اليه هذه العشرة الآلاف درهم التي أنفذتها، تكون له في منزله، وأدفع إليه ثلاثة آلاف درهم لنفقته، ليتحمل بها إلينا . فأخذت الثلاثة والعشرة، ودخلت إلى منزلي والرجل معي، فأكلنا ذلك الطعام، وازددت فيه وفي الشراب، واشتريت فاكهة، واتسعت، ووهبت لضيفي من الدراهم ما يهدي به هدية لعياله، وأخذت في الجهاز، ثم مازلت معه حتى صرنا إلى الرقة إلى باب يزيد بن مزيد، فدخل الرجل فاذا هو أحد حجابه، فوجده في الحمام، فخرج إلي فجلس معي قليلا، ثم خبر الحاجب بأنه قد خرج من الحمام، فأدخلني إليه، فاذا هو على كرسي جالس، وعلى رأسه وصيفة بيدها غلاف مرآة، وبيده هو مرآة ومشط يسرح به لحيت، فقال لي: يا مسلم، ما الذي أبطأ بك عنا ؟ فقلت: أيها الأمير، قلة ذات اليد، قال: فأنشدني، فأنشدته قصيدتي التي جئته بها: أجررت حبل خليع في الصبا غزل..وشمرت همم العذال في العذل..هاج البكاء على العين الطموح هوى..مفق بين توديع ومرتحل..أما كفى البين أن أرمى بأسهمه..حتى رماني بلحظ الأعين النجل..مما جنت لي وإن كانت منى صدقت..صبابة خلس التسليم بالقبل. فلما صرت فيها إلى قولي: موف على مهج في يوم ذي رهج..كأنه أجل يسعى إلى أمل..تراه في الأمن في درع مضاعفة..لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل..لايعبق الطيب خديه ومفرقه..ولا يمسح عينيه من الكحل.:. وضع المرآة في غلافها، وقال للجارية: انصرفي، فقد حرم مسلم علينا الطيب، فلما فرغت من القصيدة، قال لي: يا مسلم، أتدري ما الذي حداني على أن وجهت إليك ؟ فقلت: لا والله، ما أدري. فقال: كنت عند الرشيد منذ ليال أغمز رجليه إذ قال لي: يا زيد، من القائل فيك: سل الخليفة سيفا من بني مطر..يمضي فيخترم الأجساد والهاما..كالدهر لاينثني عما يهم به..قد أوسع الناس إرغاما. فقلت له: لا والله، ما أدري ! فقال الرشيد: يا سبحان الله ! إنك لمقيم على أعرابيتك، يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تدري من قائله ؟ ! فسألت عن قائله فأخبرت أنك أنت هو، فقم حتى أدخلك على الرشيد. فما علمت حتى خرج علي الاذن، فأذن لي. فدخلت على الرشيد، وأنشدته مالي فيه من الشعر، فأمر لي بمائتي ألف درهم. فلما انصرفت إلى يزيد أمر لي بمائة ألف وتسعين ألف درهم، وقال: لا يجوز لي أن أعطيك مثل ما أعطاك أمير المؤمنين. وأقطعني إقطاعات تبلغ غلتها مائتي ألف درهم. قال مسلم: ثم أفضت بي الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبني، فهجوته، فشكاني إلى الرشيد، فدعاني، فقال: أتبيعني عرض يزيد ؟ قلت: نعم، يا أمير المؤمنين. فقال لي: بكم ؟ فقلت: برغيف ! فغضب حتى خفته على نفسي، وقال: قد كنت أرى أن أشتريه منك بمال جسيم، فلست أفعل ولا كرامة، فقد علمت إحسانه إليك، أنا نفي عن أبي، ولله ثم والله لئن بلغني أنك هجوته لأنزعن لسانك من بين فكيك. فأمسكت عنه بعد ذلك، وما ذكرته بخير ولا بشر .

■ (1) مسلم بن الوليد الانصاري، بالولاء، أبو الوليد، المعروف بصريع الغوانى: شاعر غزل، هو أول من أكثر من (البديع) وتبعه الشعراء فيه. وهو من أهل الكوفة. نزل بغداد، فأنشد الرشيد العباسي قوله: وما العيش إلا أن تروح مع الصبى وتغدو، صريع الكأس والاعين النجل. فلقبه بصريع الغوانى، فعرف به. قال المرزبانى: اتصل بالفضل بن سهل فولاه بريد جرجان فاستمر إلى أن مات فيها. وقال التبريزي: هو مولى أسعد بن زرارة الخزرجي، مدح الرشيد والبرامكة وداود ابن يزيد بن حاتم ومحمد بن منصور صاحب ديوان الخراج ثم ذا الرياستين فقلده مظالم جرجان. وقال السهمى في تاريخ جرجان: قدم جرجان مع المأمون، ويقال إنه ولي قطائع جرجان، وقبره بها معروف. مات سنة 208 هـ.

■ (2) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، أبو خالد: أمير، من القادة الشجعان. كان واليا بأرمينية وأذربيجان. وانتدبه هارون الرشيد لقتال الوليد بن طريف الشيباني عظيم الخوارج في عهده، فقتل ابن طريف سنة 179 هـ وعاد إلى أرمينية. وكان فيها وليه اليمن. وأخبار شجاعته وكرمه كثيرة. توفي ببردعة من بلاد أذربيجان سنة 185 هـ ورثاه شعراء كثيرون. وهو ابن أخي معن بن زائدة.

مراجع: تاريخ بغداد/ سير أعلام النبلاء/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ شرح سنن ابن أبي داود للعباد/ كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي/ حسن السلوك الحافظ دولة الملوك/ لباب الآداب لأسامة بن منقذ/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وعمر بن حبيب 0746

حدث يزيد بن مرة الذارع (الدباغ؟/ الدراع؟)، قال: حدثنا عمر بن حبيب [1]،قال: حضرت مجلس هارون الرشيد، فجرت مسألة، فتنازعها الحضور، وعلت أصواتهم، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة [2] عن النبي صلى الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث، وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم: لا يحمل هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أبا هريرة متهم فيما يرويه، وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم، ونصر قولهم، فقلت أنا: الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة صحيح النقل، صدوق فيما يرويه عن نبي الله، وغيره، فنظر إلي الرشيد نظر مغضب، فقمت من المجلس، فانصرفت إلى منزلي، فلم ألبث حتى قيل صاحب البريد بالباب، فدخل علي، فقال لي: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول، وتحنط، وتكفن، فقلت: اللهم، إنك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك، وأجللت نبيك صلى الله عليه وسلم أن يطعن على أصحابه، فسلمني منه، فأدخلت على الرشيد، وهو جالس على كرسي من ذهب، حاسر عن ذراعيه، بيده السيف، وبين يديه النطع، فلما بصر بي، قال لي: يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الرد والدفع لقولي بمثل ما تلقيتني به! فقلت يا أمير المؤمنين إن الذي قلته، وجادلت عليه، فيه إزراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به، إذا كان أصحابه كذابين، فالشريعة باطلة، والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود، وغير مقبول، فرجع إلى نفسه، ثم قال لي: أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله، كررها ثلاث مرات! وأمر لي بعشرة آلاف درهم.

حدث الحسين بن شداد، قال: كان عمر بن حبيب على قضاء الرصافة لهارون الرشيد، فاستعدى إليه رجل على عبد الصمد بن علي [3]،فأعداه عليه، فأبى عبد الصمد أن يحضر مجلس الحكم، فختم عمر بن حبيب قمطره، وقعد في بيته، فرفع ذلك إلى هارون الرشيد، فأرسل إليه، فقال ما منعك أن تجلس للقضاء؟ فقال: أعدى علي رجل، فلم يحضر مجلسي، قال: ومن هو؟ قال: عبد الصمد بن علي، فقال هارون: والله لا يأتي مجلسك إلا حافيا، قال وكان عبد الصمد شيخا كبيرا، قال: فبسطت له اللبود من باب قصره إلى مسجد الرصافة، فجعل يمشي، ويقول: أتعبني أمير المؤمنين، أتعبني أمير المؤمنين! فلما صار إلى مجلس عمر بن حبيب أراد أن يساويه في المجلس، فصاح به عمر، وقال اجلس مع خصمك، قال: فتوجه الحكم على عبد الصمد، فحكم عليه، وسجل به، فقال عبد الصمد: لقد حكمت علي بحكم لا يجاوز أصل أذنك، فقال عمر: أما إني قد طوقتك بطوق لا يفكه عنك الحدادون، قم! كذا ذكر في هذا الخبر أنه كان على قضاء الرصافة، والمحفوظ أنه كان على قضاء الشرقية، والله أعلم.

■ (1) عمر بن حبيب العدوي من بني عدي بن عبد مناة من أهل البصرة. وكان قدم بغداد، وولي بها قضاء الشرقية، وولي قضاء البصرة وذكر ابن المنادي أنه سمع منه ببغداد. مات عمر بن حبيب العدوي قاضي الشرقية من بغداد في سنة 207 هـ، وكانت وفاته بعد رجوعه إلى البصرة.

■ (2) أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق. ولد سنة 21 ق. هـ تولى ولاية البحرين في خلافة عمر، كما تولى إمارة المدينة.ثم لزم المدينة يعلم الناس الحديث النبوي، ويفتيهم، حتى وفاته سنة 59 هـ

■ (3) عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو محمد الهاشمي، العباسي، عم السفاح والمنصور. ولد بالبلقاء، سنة نيف ومائة.وكان عظيم الخلقة، وقد خرج عند موت السفاح مع أخيه عبد الله على المنصور، وحاربهما أبو مسلم الخراساني، وتقلبت به الأيام، وعاش إلى زمن الرشيد، وكان يجله ويحترمه.ولي إمرة دمشق، وإمرة البصرة، وغير ذلك. مات عبد الصمد بالبصرة، سنة 185 هـ، وعمره ثمانون سنة.

عن أبي كثير قال حدثني أبو هريرة قال ما خلق الله عز وجل مؤمنا يسمع بي ولا يراني إلا أحبني قلت وما علمت بذلك يا أبا هريرة قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوما، فأسمعتني في رسول الله ما أكره، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله؛ إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿اللهُمَّ؛ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ﴾ قال: فخرجت مستبشرا بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما صرت إلى الباب، إذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، ثم لبست درعها، وعجلت من خمارها، وقالت: يا أبا هريرة؛ أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا أبكي من الفرح، فقلت يا رسول الله؛ أبشر فقد استجاب الله لك، وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله، وقال: خيرا ، فقلت: يا رسول الله؛ ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿اللهُمَّ؛ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا –يعني أبا هريرة – وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمَا الْمُؤْمِنِينَ﴾، فما خلق الله مؤمنا يسمع بي ولا يراني إلا أحبني.

عن الأعرج، قال: قال أبو هريرة: إنكم تقولون: أكثر أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم والله الموعد، إنكم تقولون: ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله بهذه الأحاديث؟ وما بال الأنصار لا يحدثون بهذه الأحاديث؟ وإن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق، وإن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها، وإني كنت امرأ مسكينا، وكنت أكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحضر إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وإن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يوما فقال: ﴿مَنْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ حَتَّى أَفْرُغَ مِنْ حَدِيثِي، ثُمَّ يَقْبِضُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي أَبَدًا﴾ فبسطت ثوبي، – أو قال: نمرتي – ثم قبضته إلي، فوالله ما نسيت شيئا سمعته منه، وايم الله، لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم بشيء أبدا، ثم تلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [البقرة] الآية كلها. وعن عكرمة، قال: قال أبو هريرة: إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم اثني عشر ألف مرة، وذلك على قدر ديني – أو قدر دينه. وعن فرقد السبخي، قال: كان أبو هريرة يطوف بالبيت وهو يقول: ويل لي من بطني، إذا أشبعته كظني، وإن أجعته سبني. وعن سعيد بن المسيب، قال: رأيت أبا هريرة يطوف بالسوق ثم يأتي أهله فيقول: هل عندكم من شيء. فإن قالوا: لا، قال: فإني صائم. وعن أبي هريرة، أنه كان وأصحابه، إذا صاموا قعدوا في المسجد وقالوا: نطهر صيامنا. وعن أبي هريرة، قال: كانت لي خمس عشرة تمرة، فأفطرت على خمس، وتسحرت بخمس، وبقيت خمسا لفطري. وعن عباس بن فروخ، قال: سمعت أبا عثمان النهدي، يقول: تضيفت أبا هريرة سبع ليال، فكان هو وخادمه وامرأته يعتقبون الليل أثلاثا.

قال عبد المؤمن بن عبد الله السدوسي: سمعت أبا يزيد المديني، يقول: قام أبو هريرة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، دون مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعتبة، فقال: الحمد لله الذي أهدى أبا هريرة للإسلام، الحمد لله الذي علم أبا هريرة القرآن، الحمد لله الذي من على أبي هريرة بمحمد صلى الله عليه وسلم، الحمد لله الذي أطعمني الخمير، وألبسني الحرير، الحمد لله الذي زوجني بنت غزوان بعدما كنت أجيرا لها بطعام بطني، فأرحلتني فأرحلتها كما أرحلتني ثم قال: ويل للعرب من شر قد اقترب، ويل لهم من إمارة الصبيان، يحكمون فيها بالهوى، ويقتلون بالغضب. أبشروا يا بني فروخ، والذي نفسي بيده لو أن الدين معلق بالثريا لناله منكم أقوام. وعن عطاء، قال: قال أبو هريرة: إذا رأيتم ستا، فإن كانت نفس أحدكم في يده فليرسلها، فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركني: إذا أمرت السفهاء، وبيع الحكم، وتهون بالدم، وقطعت الأرحام، وقطعت الجلاوزة، ونشأ نشء يتخذون القرآن مزامير.

عن أبي المتوكل، أن أبا هريرة، كانت له زنجية قد غمتهم بعملها، فرفع عليها السوط يوما فقال: لولا القصاص لأغشيك به، ولكني سأبيعك ممن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنت لله. وعن أبي سلمة، أن أبا هريرة مرض فدخلت عليه أعوده فقلت: اللهم اشف أبا هريرة، فقال: اللهم لا ترجعها، قال: يا سلمة، يوشك أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر. وعن سالم بن بشير بن جحل، أن أبا هريرة، بكى في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي على بعد سفري وقلة زادي، وأني أصبحت في صعود مهبط على جنة ونار، لا أدري أيهما يؤخذ بي.

مراجع: تاريخ بغداد/ كنز العمال/ صفة الصفوة/ مسند أحمد/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ تاريخ الإسلام للذهبي/ تهذيب الأسماء/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) والإمام الشافعي (١) 0747

حدث ابن عبد البر المالكي في ترجمة الشافعي قال: حمل الشافعي[1] من الحجاز مع قوم من العلوية* تسعة وهو العاشر إلى بغداد، وكان الرشيد بالرقة*،فحملوا من بغداد إلى الرقة، وأدخلوا عليه ومعه قاضيه محمد بن الحسن الشيباني[2]،وكان صديقا للشافعي، وأحد الذين جالسوه في العلم وأخذوا عنه، فلما بلغه أن الشافعي في القوم الذين أخذوا من قريش واتهموا بالطعن على هارون الرشيد اغتم لذلك غما شديدا، وراعى وقت دخولهم على الرشيد، فلما دخلوا عليه سألهم وأمر بضرب أعناقهم، فضربت أعناقهم، إلى أن بقي حدث علوي من أهل المدينة.- قال الشافعي: وأنا- فقال للعلوي: أنت الخارج علينا والزاعم أني لا أصلح للخلافة؟ فقال: أعوذ بالله أن أدعي ذلك وأقوله، فأمر بضرب عنقه، فقال له العلوي: إن كان لا بد من قتلي فأنظرني إلى أن أكتب إلى أمي فهي عجوز لم تعلم خبري، فأمر بقتله فقتل. ثم قدمت ومحمد بن الحسن جالس معه، فقال لي مثل ما قال للفتى، فقلت: يا أمير المؤمنين لست بطالبي ولا علوي، وإنما أدخلت في القوم بغيا، وإنما أنا رجل من بني عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي، ولي مع ذلك حظ من العلم، والفقه، والقاضي يعرف ذلك، أنا محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف، فقال لي: أنت محمد بن إدريس؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، فقال لي: ما ذكرك لي محمد بن الحسن، ثم عطف على محمد بن الحسن فقال: يا محمد ما يقول هذا؟ هو كما يقوله؟ قال: بلى، وله محل من العلم كبير، وليس الذي رفع عنه من شأنه. قال: فخذه إليك حتى أنظر في أمره، فأخذني محمد رحمه الله وكان سبب خلاصي لما أراد الله عز وجل، هذا لفظ ابن عبد البر بعينه.

حدث أحمد بن خالد الكرماني، قال: سمعت المقدمي بالبصرة، يقول: قال الشافعي: لم يزل محمد بن الحسن عندي عظيما جليلا، أنفقت على كتبه ستين دينارا حتى جمعني وإياه مجلس عند الرشيد، فابتدأ محمد بن الحسن، فقال: يا أمير المؤمنين إن أهل المدينة خالفوا كتاب الله نصا، وأحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين. فأخذني ما قدم وما حدث، فقلت: ألا أراك قد قصدت لأهل بيت النبوة ومن نزل القرآن فيهم وأحكمت الأحكام فيهم، وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، عمدت تهجوهم أرأيتك أنت بأي شيء قضيت، بشهادة امرأة واحدة قابلة حتى تورث ابن خليفة ملك الدنيا ومالا عظيما؟ قال: بعلي بن أبي طالب. قلت: إنما رواه عن علي رجل مجهول يقال له عبد الله بن نجى[3]، ورواه جابر الجعفي[4] وكان يؤمن بالرجعة، سمعت سفيان بن عيينة [5] يقول: دخلت على جابر الجعفي فسألني عن شيء من أمر الكهنة، ونحن معنا قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضاء علي بن أبي طالب.أنه قضى به بين أهل العراق. وقلت له: ما تقول في القسامة؟* قال: استفهام. قلت: يا سبحان الله، تزعم أن رسول رب العالمين حكم في أمته بالاستفهام، يستفهم ولا يحكم به؟ قال: فسمعها هارون. فقال: ما هذا؟ علي بالسيف والنطع، فلما جيء بهما، قلت: يا أمير المؤمنين والله ما هذا عقده في القسامة وإنه ليقول فيها بخلاف هذا، ولكن المتناظران إذا تناظر أحب أحدهما أن يدخل على صاحبه حجة يكبته بها.قال: فسرى عن هارون. قال: فلما خرجنا من عنده قال لي: كنت قد أشطت بدمي، قال: قلت: فقد خلصك الله الآن.

قال معمر بن شبيب: سمعت المأمون يقول لمحمد بن إدريس الشافعي: يا محمد لأي علة خلق الله الذباب؟ قال: فأطرق ثم قال: مذلة للملوك يا أمير المؤمنين، قال: فضحك المأمون، وقال: يا محمد رأيت الذباب قد سقط على خدي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين ولقد سألتني وما عندي جواب، فلما رأيت الذباب قد سقط بموضع لا يناله أحد انفتق في ذهني الجواب. فقال: لله درك يا محمد. ومثله قول أحمد بن عمرو بن المقدام الرازي: وقع الذباب على أبو جعفر المنصور، فذبه عنه فعاد، فذبه حتى اضجره، فدخل جعفر بن محمد الصادق، فقال له المنصور: يا أبا عبد الله، لم خلق الله عز وجل الذباب؟ قال: ليذل به الجبابرة.

حدث عمى نوح بن ميمون[6] ،قال: قال: دعاني محمد بن الحسن إلى أن أقول القرآن مخلوق*، فأبيت عليه فقال لي: زهدت في نصفك، فقلت له: بل زهدت في كلك. وحدث محمد بن إسماعيل أبو إسماعيل، قال: سمعت أحمد بن حنبل، وذكر ابتداء محمد بن الحسن، فقال: كان يذهب مذهب جهم.

----

* (الرقة) مدينة شمال سوريا والرافقة مدينة جانب الرقة بناها أبو جعفر المنصور، وأتمها المهدي، ونزلها الرشيد (القسامة) راجع: كتب مثل كتاب: بدائع الصنائع. وكتاب: تأسيس الأحكام..الخ (القول بخلق القرآن) عقيدة باطلة، قالت بها الجهمية، وتبعها على ذلك المعتزلة، وهي حقيقة قول الأشعرية والماتريدية، وهي ناتجة عن تعطيل صفات الله، وإنكارهم صفة الكلام لله عز وجل. والذي دل عليه القرآن والسنة، وعليه السلف الصالح أن الله تعالى يتكلم حقيقة، بكلام بدأ منه بحرف وصوت، يسمع منه متى شاء كيف شاء، والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق وقد استقصى علماء السلف الأدلة على ذلك في كتب السنة والإيمان والتوحيد. انظر مثلا البخاري

■ (1) محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي الإمام زين الفقهاء وتاج العلماء. ولد في سنة 150 هـ، بغزة من بلاد الشام، وقيل باليمن، ونشأ بمكة، وكتب العلم بها، وبمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقدم بغداد مرتين، وحدث بها، وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته سنة 204 هـ. وكان سمع من مالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وسفيان بن عيينة، وداود بن عبد الرحمن، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي، ومسلم بن خالد الزنجي، وإبراهيم بن أبي يحيى، وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، وعبد الله بن المؤمل المخزومي، وإبراهيم بن عبد العزيز بن أبي محذورة، وعمه محمد بن علي بن شافع، وعبد الله بن الحارث المخزومي، ومحمد بن إسماعيل بن أبي فديك، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، ومحمد بن عثمان بن صفوان الجمحي، وسعيد بن سالم القداح، ويحيى بن سليم الطائفي، وحاتم بن إسماعيل، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، وإسماعيل بن جعفر، ومطرف بن مازن، وهشام بن يوسف، ويحيى بن حسان التنيسي، ومحمد بن الحسن الشيباني، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، وإسماعيل ابن علية، وغير هؤلاء.

■ (2) محمد بن الحسن بن فرقد صاحب أبي حنيفة، يكنى أبا عبد الله مولى بني شيبان. أصله دمشقي من أهل قرية حرستا. قدم أبوه العراق فولد محمد بواسط سنة 132 هـ، ونشأ بالكوفة، وسمع من أبي حنيفة، ومسعر بن كدام، وسفيان الثوري، وعمر بن ذر، ومالك بن مغول. وكتب عن مالك بن أنس وأبي عمرو الأوزاعي، وزمعة بن صالح، وبكير بن عامر، وأبي يوسف القاضي. وسكن بغداد وحدث بها. وخرج إلى الرقة وهارون بها، فولاه قضاء الرقة ثم عزله، فقدم بغداد فلما خرج هارون إلي الري الخرجة الأولى أمره فخرج معه فمات بالري سنة 189 هـ.

■ (5) نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجلي، أبو سعيد البغدادي، ويقال: المروزي المعروف بالمضروب، سمي بذلك لضربة كانت في وجهه، ضربه اللصوص، وهو والد محمد بن نوح بن ميمون. روى عن بكير بن معروف ، وسفيان الثوري، وعبد الله بن عمر العمري، وعبد الله بن المبارك، وعقبة بن أبي الصهباء، ومالك بن أنس، ونجيح أبي معشر المدني، وأبي عصمة نوح بن أبي مريم. مات سنة 218 هـ.

■ (4) سفيان بن عيينة، أبو محمد بن سفيان بن عيينه بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولى امرأة من بني هلال بن عامر رهط ميمونة زوج النبي، وقيل مولى بني هاشم، وقيل مولى الضحاك بن مزاحم، وقيل مولى مسعر بن كدام؛ وأصله من الكوفة، وقيل ولد بالكوفة ونقله أبوه إلى مكة، كان إماما عالما ثبتا حجة زاهدا ورعا مجمعا على صحة حديثه وروايته، وحج سبعين حجة. روى عن وعنه خلق كثير. ولد سفيان بالكوفة سنة 107 هـ. وتوفي سنة 198 هـ بمكة ودفن بالحجون.

■ (4) جابر بن يزيد الجعفي كوفي، أبو زيد، وقيل: أبو عبد الله.وقد احتمله الناس ورووا عنه وعامة ما قذفوه به أنه كان يؤمن بالرجعة وقد حدث عنه الثوري ولم يتخلف أحد من الرواية عنه ولم أر له أحاديث جاوزت المقدار في الإنكار وهو مع هذا كله إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق

■ (3) عبد الله بن نجى بن سليمة بن حشم بن أسد بن خليبة الحضرمي الكوفي: قيل هو أبو عامر الحوزي أو الهوزني، حمصي لا بأس به. روى عن علي بن أبي طالب، وعن أبيه، عن علي. وروى عن عمار بن ياسر، والحسين بن علي. قال البخاري: فيه نظر.

جاء في السنن الصغرى للبيهقي، لما رواه محمد بن عبد الملك الواسطي، عن أبي عبد الرحمن المدائني عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة: أن النبي صلى الله عليه وسلم: أجاز شهادة قابلة. قال الدارقطني: أبو عبد الرحمن المدائني رجل مجهول، والذي رواه فيه عن علي إنما رواه جابر الجعفي عن عبد الله بن نجي، عن علي وجابر الجعفي وعبد الله بن نجي ضعيفان وروي عن سويد بن عبد العزيز، عن غيلان بن جامع، عن عطاء بن أبي مروان، عن أبيه، عن علي، وسويد، ضعيف، قال الشافعي: لو ثبت عن علي، صرنا إليه إن شاء الله، ولكن لا يثبت عندكم، ولا عندنا وقال إسحاق الحنظلي: لو صحت شهادة القابلة عن علي لقلنا به، ولكن في إسناده خلل. وجاء في مصنف ابن أبي شيبة، حدثنا أبو بكر قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن الزهري، قال:﴿مَضَتِ السُّنَّةُ أَنْ تَجُوزَ شَهَادَةُ النِّسَاءِ فِيمَا لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ غَيْرُهُنَّ مِنْ وِلَادَاتِ النِّسَاءِ وَعُيُوبِهِنَّ، وَتَجُوزُ شَهَادَةُ الْقَابِلَةِ وَحْدَهَا فِي الِاسْتِهْلَالِ، وَامْرَأَتَانِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ﴾.

- الرجعة: من المعتقدات الأساسية في المذهب الشيعي. ومفاده أن الأئمة الاثني عشر سيعودون إلى الدنيا في آخر الزمان، الواحد بعد الآخر؛ لكي يحكموا الدنيا تعويضا لهم عن حرمانهم من حقهم في الحكم الذي حرموا إياه إبان حياتهم، ويكون أول إمام يرجع إلى الدنيا هو الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري الذي يمهد الأمر لآبائه وأجداده؛ فيتولون الحكم من بعده واحدا بعد الآخر حسب التسلسل الزمني لهم، فيحكم الواحد منهم فترة من الزمن، ثم يموت مرة أخرى ليتولى بعده الحكم من يليه في الترتيب، وهكذا حتى الإمام الحادي عشر الحسن العسكري، وتقوم القيامة بعد ذلك.
- القسامة: هي أن يوجد قتيل بين قوم فيتهمون بقتله فيتبرؤون من قتله ويقولون: نحن ما قتلناه. فعند ذلك تكون القسامة، وهي أن يطلب من المدعين أن يحلف منهم خمسون، فإن حلفوا وحصل منهم الحلف جميعا فإنه يقضى على أولئك ويدفع إلى المدعين الشخص المدعى عليه بعينه فيؤخذ بالقتيل، وإن لم يحلف المدعون خمسون يمينا، فإن المدعى عليهم هم الذين يحلفون وتبرأ ساحتهم بذلك. فالقسامة سميت قسامة لأن فيها هذا النوع من القسم الذي هو خمسون يمينا من المدعين أو المدعى عليهم، والبدء في الحلف إنما هو بالمدعين؛ لأن عندهم اللوث الذي هو القرينة أو البينة الناقصة، فإن لم يحلفوا حلف المدعى عليهم وسلموا. عن سهل بن أبي حثمة قال:﴿انْطَلَقَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ زَيْدٍ إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ فَتَفَرَّقَا فِي حَوَائِجِهِمَا فَأَتَى مُحَيِّصَةُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ قَتِيلًا فَدَفَنَهُ ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ وَحُوَيِّصَةُ وَمُحَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَبِّرْ الْكُبْرَ وَهُوَ أَحْدَثُ الْقَوْمِ فَسَكَتَ فَتَكَلَّمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَحْلِفُونَ بِخَمْسِينَ يَمِينًا مِنْكُمْ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ أَوْ صَاحِبَكُمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَحْلِفُ وَلَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَرَ فَقَالَ أَتُبَرِّئُكُمْ يَهُودُ بِخَمْسِينَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَأْخُذُ أَيْمَانَ قَوْمٍ كُفَّارٍ فَعَقَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِنْدِهِ﴾ (يتشحط في دمه) يضطرب فيه قتيلا (كبر الكبر) أي يتكلم الأكبر (أتحلفون) استفهام طلبي(كيف نحلف ولم نشهد ولم نر) أي أن هذا لا يمكن (فتبرئكم يهود) أي تبرأ من دم صاحبكم بخمسين يمينا أي يحلفون خمسين يمينا أنهم ما قتلوا وما علموا (فعقله) أي ساق ديته من عنده.(القسامة) راجع: كتب مثل كتاب: بدائع الصنائع. وكتاب: تأسيس الأحكام..الخ
- الجهمية: قال الكرماني: الجهمية فرقة من المبتدعة ينتسبون إلى جهم بن صفوان مقدم الطائفة القائلة إن لا قدرة للعبد أصلا وهم الجبرية (بفتح الجيم وسكون الموحدة) وجهم بن صفوان مات مقتولا في زمن هشام بن عبد الملك.
- العلوية: المتنسبون إلى علي بن أبي طالب، يقال لهم العلويون، والنصيرية، وهي طائفة من الشيعة الجعفرية الإثني عشرية، تتميز بالدعوة السرية اقرب إلى الباطنية.
- الباطنية: قال ابن تيمية: الباطنية الذين جعلوا لكل ظاهر من الكتاب باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، قال الشهرستاني: الباطنية القديمة كانت تخلط كلامها ببعض كلام الفلاسفة. أما الباطنية على زمانه فقد جعلهم والإسماعيلية الغلاة فرقة واحدة.

مراجع: تاريخ بغداد/ من أعلام السلف/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ مصنف ابن أبي شيبة/ موقف العلماء والمفكرين من الشيعة الإثني عشرية/ شرح الأربعين النووية/ تاج العروس/ تحفة الأحوذي/ الوافي بالوفيات/ تأسيس الأحكام/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ مغاني الأخيار/

قال الشافعي[1]: مر بي رجل من بني عمي من الزبيريين، فقال: يا أبا عبد الله، عز علي ألا يكون مع هذه اللغة، وهذه الفصاحة، والذكاء فقه، فتكون قد سدت أهل زمانك، قال: فقلت: ومن بقي يقصد إليه؟ فقال لي: هذا مالك بن أنس[2]، قال: فوقع في قلبي، فعمدت إلى الموطأ، فاستعرته من رجل بمكة، فحفظته في تسع ليل ظاهرا، ثم دخلت إلى والي مكة، فأخذت كتابه إلى والي المدينة، وإلى مالك بن أنس. قال: فقدمت المدينة، وأبلغت الكتاب إلى الوالي، فلما أن قرأه قال: والله يا فتى، أن أمشي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافيا راجلا أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس، فإني لست أرى الذل حتى أقف على بابه، فقلت: أصلح الله الأمير، إن رأى الأمير أن يوجه إليه ليحضر، فقال، هيهات، ليتني إذا ركبت أنا معك، ومن معي، وأصابنا من تراب العقيق نلنا حاجتنا. قال: فواعدته العصر، وركبنا جميعا، فوالله لقد كان كما قال. فتقدم رجل، فقرع الباب، فخرجت إلينا جارية سوداء، فقال لها الأمير: قولي لمولاك: إني بالباب. فدخلت، فأبطأت، ثم خرجت، فقالت: إن مولاي يقرئك السلام، ويقول: إن كانت مسألة فادفعها لي في رقعة يخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس، فانصرف. فقال لها: قولي له: معي كتاب والي مكة إليه في حاجة مهمة. قال: فدخلت ثم خرجت، وفي يدها كرسي،فوضعته، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار، وهو شيخ طوال مسنون اللحية. فجلس، فدفع الوالي الكتاب، فقرأه، حتى إذا بلغ إلى مكان: هذا رجل من أمره وحاله، فتحدثه، وتفعل، وتصنع، رمى بالكتاب من يده، ثم قال: يا سبحان الله، أوصار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل؟! قال: فرأيت الوالي وقد تهيبه أن يكلمه. فتقدمت إليه، فقلت له: أصلحك الله، إني رجل مطلبي، ومن حالي، ومن قصتي. فلما أن سمع كلامي نظر إلي ساعة، وكان لمالك فراسة، فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: محمد، فقال لي: يا محمد، اتق الله، واجتنب المعاصي؛ فإنه سيكون لك شأن من الشأن، ثم قال، نعم، وكرامة، إذا كان غدا تجيء، ويجيء من يقرأ لك الموطأ. قال: فقلت: إني أقوم بالقراءة. قال: فغدوت عليه،وابتدأت أن أقرأه ظاهرا والكتاب في يدي، فكلما تهيبت مالكا وأريد أن أقطع القراءة أعجبه حسن قراءتي وإعرابي يقول لي: بالله يا فتى زد، حتى قرأته في أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة حتى توفي مالك بن أنس، ثم خرجت إلى اليمن، وأقمت بها، وارتفع لي بها شأن الشأن. وكتب والي هارون الرشيد: إن هاهنا سبعة من العلوية قد تحركوا، فإني أخاف أن يخرجوا، وهاهنا رجل من ولد شافع بن المطلب لا أمر لي معه ولا نهي، فكتب إليه هارون الرشيد: أن أحمل هؤلاء، وأحمل الشافعي معهم، فاقترنت معهم، فلما أن قدمنا على هارون، وعنده محمد بن الحسن[3]، دعا هارون بالنطع والسيف يضرب رقاب العلوية، فالتفت محمد بن الحسن، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا المطلبي لا يغلبنك بفصاحته ولسانه، فإنه رجل لسن. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، فإنك الداعي وأنا المجيب الدعاء إنك القادر على ما تريد مني، ولست القادر على ما أريد منك، يا أمير المؤمنين، ما تقول في رجلين: أحدهما يراني أخاه، والآخر يراني عبده أيها أحب إلي؟ قال: الذي يراك أخاه، قال: قلت: فذاك أنت، يا أمير المؤمنين، فقال لي: كيف ذلك؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إنكم ولد العباس، ونحن بنو المطلب، تروننا إخوانكم، وولد علي يروننا عبيدهم، قال: فسري ما كان به، واستوى جالسا، وقال: يا بن إدريس، كيف علمك بالقرآن؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، عن أي علومه تسألني؟ عن حفظه فقد حفظته، ووعيته بين جنبي، وعرفت وقفه وابتداءه، وعدد مكيه ومدنيه، وكوفيه وبصريه، وقد عرفت ناسخه ومنسوخه، وليليه ونهاريه، ووحشيه وأنسيه، وسهليه وجبليه، وما خوطب به العام يراد به الخاص، وما خوطب به الخاص يراد به العام. فقال لي: والله يا ابن إدريس، لقد ادعيت علما، فكيف علمك بالنجوم؟ فقلت: إني لأعرف منها البري والبحري، والسهلي والجبلي، وما تجب معرفته. قال: فكيف علمك بأنساب العرب؟ فقلت: غني لأعرف أنساب اللئام وأنساب الكرام، ونسبي ونسب أمير المؤمنين، فقال: والله لقد ادعيت علما، فهل من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين؟ قال: فذكرت موعظة لطاووس اليماني[4]، فوعظته بها، فبكى، ثم أمر لي بخمسين ألفا، وحملت على فرس، وركبت بين يديه، وخرجت فما وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفا على حجبة أمير المؤمنين وبوابيه، وجئت إلى منزلي، فوجهت إلى كاتب محمد بن الحسن بمائة دينار، وقلت له: اجمع لي الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن، وانسخها لي، ووجه بها إلي. فكتبت لي في ليلة، ووجه بها إلي. وكان موضع يجتمع فيه القضاة والأشراف ووجوه الناس على باب هارون يجلسون فيه إلى أن يؤذن لهم. فاجتمعنا في ذلك المكان، وفي جماعة من بني هاشم وقريش والأنصار –قال: والخلق يعظمون محمد بن الحسن لقربه من أمير المؤمنين، وتمكنه منه– فاندفع يعرض بي، ويذم أهل المدينة، فقال: من أهل المدينة؟ وأيش يحسنون –أهل المدينة؟– والله لقد وضعت كتابا على أهل المدينة كلها، لا يخالفني فيه أحد، ولو علمت أن أحد يخالفني في كتابي هذا، تبلغني إليه الرواحل لصرت إليه حتى أرد عليه. قال الشافعي: فقلت في نفسي: إن أنا سكت نكست رؤوس من هاهنا من بني هاشم وقريش، وإن أنا رددت عليه أسخطت علي السلطان. ثم إني استخرت الله تعالى في الرد عليه، فتقدمت إليه، فقلت له: أصلحك الله، طعنك على أهل المدينة، وذمك لأهل المدينة؛ إن كنت أردت رجلا واحدا، وهو مالك بن أنس فألا ذكرت ذلك الرجل بعينه، ولم تطعن وتذم أهل حرم الله وحرم رسوله، وكلهم على خلاف ما ادعيته؟ وأما كتابك الذي ذكرت أنك وضعته على أهل المدينة فكتابك من بسم الله الرحمن الرحيم خطأ إلى آخره. فاصفر محمد بن الحسن ولم يحر جوابا. وكتب أصحاب الأخبار إلى هارون بما كان، فضحك وقال: ماذا ينكر لرجل من ولد المطلب أن يقطع مثل محمد بن الحسن؟ قال: فعارضني رجل في المجلس من أصحابه، فقال لي: ما تقول في رجل دخل إلى منزل رجل، فرأى بطة، فرماها، ففقأ عينها، ماذا يجب عليه؟ قال: قلت: ينظر إلى قيمتها وهي صحيحة، وقيمتها وقد ذهبت عينها فيقوم ما بين القيمتين، ولكن ما تقول أنت وصاحبك في محرم نظر إلى فرج امرأة..قال: ولم يكن لمحمد حذاقة في المناسك، فصاح به محمد: ألم أقل لك لا تسأله! ثم إنا دخلنا على هارون، فلما استوينا بين يديه قال لي: يا أبا عبد الله، تسأل أو أسألك؟ قلت: ذاك إليك، فقال: خبرني عن صلاة الخوف، أواجبة هي؟ فقلت: نعم، فقال: ولم؟ فقلت: لقول الله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [النساء] الآية. قال: ما تنكر من قائل قال لك: إنما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وهو فيهم، فلما زال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم زالت عنهم تلك الصلاة. قلت: وكذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة] الآية فلما أن زال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم زالت عنهم الصدقة؟ قال: لا، قلت: وما الفرق بينهما، والنبي صلى الله عليه وسلم المأمور فيهما جميعا؟ فسكت. فقال: يا أهل المدينة، ما أجرأكم على كتاب الله عز وجل! فقلت: أجرؤنا على كتاب الله من يخالفه، فقال لي: الله يقول: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [الطلاق]، فقلتم أنتم نقضي باليمين مع الشاهد. فقلت: لكنا نقول بما قال الله، ونقضي بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنك أنت خالفت قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأين؟ قلت: في قصة حويصة ومحيصة وعبد الرحمن حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم في قضية القتيل:﴿أَتَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ دَمَ صَاحِبِكُمْ؟﴾ قالوا: لم نشهد، ولم نعاين، قال: فتحلف لكم يهود، فلم نكلوا عن اليمين رد اليمين على اليهود. قال: فقال: إنما كان ذلك استفهاما من رسول الله صلى الله عليه وسلم، استفهم من اليهود. فقال هارون: ثكلتك أمك يا بن الحسن، رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفهم من اليهود!؟ نطع وسيف! قال: فلما رأيت الجد من هارون قلت: يا أمير المؤمنين، إن الخصمين إذا اجتمعا تكلم كل واحد منهما بما لا يعتقده ليقطع به صاحبه، وما أرى محمدا أراد بهذا نقصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فسريت عنه. ثم ركبنا، وخرجنا من الدار، فقال لي: يا أبا عبد الله، فعلتها؟ قال: قلت: فكيف رأيتها بعد ذلك؟.

----

(1) محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي الإمام ولد في سنة 150 هـ، بغزة من بلاد الشام، وقيل باليمن، ونشأ بمكة، وكتب العلم بها، وبمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقدم بغداد مرتين، وحدث بها، وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته سنة 204 هـ. وسمع من مالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وغير هؤلاء

(3) محمد بن الحسن بن فرقد صاحب أبي حنيفة، يكنى أبا عبد الله مولى بني شيبان. أصله دمشقي من أهل قرية حرستا. قدم أبوه العراق فولد محمد بواسط سنة 132 هـ، ونشأ بالكوفة، وسمع من أبي حنيفة، ومسعر بن كدام، وسفيان الثوري، وعمر بن ذر، ومالك بن مغول. وكتب عن مالك بن أنس وأبي عمرو الأوزاعي، وزمعة بن صالح، وبكير بن عامر، وأبي يوسف القاضي. وسكن بغداد وحدث بها. وخرج إلى الرقة وهارون بها، فولاه قضاء الرقة ثم عزله، فقدم بغداد فلما خرج هارون إلى الري الخرجة الأولى أمره فخرج معه فمات بالري سنة 189 هـ.

(2) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، ربيعة الرأي، أيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع.وحدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

(4) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، لأسرة من الموالي، وقيل اسمه ذكوان، وطاووس لقبه، وقد فسّر يحيى بن معين سبب تسميته تلك قائلاً: إنما لقب به لأنه كان طاووس القراء. أحد الأئمة الأعلام، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابيا وكان كاملا في الفقه والتفسير.وكان مجاب الدعوة حج أربعين حجة وتوفي حاجا بمكة قبل التروية بيوم سنة 106 هـ وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة وصلى عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك وكان قد حج في تلك السنة.

عن أبى ليلى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سهل عن سهل بن أبى حثمة أنه أخبره هو ورجال من كبراء قومه أن عبد الله بن سهل ومحيصة خرجا إلى خيبر من جهد أصابهم، فأخبر محيصة أن عبد الله قتل وطرح فى فقير* أو عين، فأتى يهود فقال: أنتم والله قتلتموه. قالوا: ما قتلناه والله. ثم أقبل حتى قدم على قومه فذكر لهم، وأقبل هو وأخوه حويصة –وهو أكبر منه– وعبد الرحمن بن سهل، فذهب ليتكلم وهو الذى كان بخيبر فقال النبى صلى الله عليه وسلم لمحيصة: ﴿كَبِّرْ كَبِّرْ﴾ يريد السن ، فتكلم حويصة ثم تكلم محيصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِمَّا أَنْ يَدُوا صَاحِبَكُمْ، وَإِمَّا أَنْ يُؤْذِنُوا بِحَرْبٍ﴾ فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم به، فكتب ما قتلناه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحويصة ومحيصة وعبد الرحمن:﴿أَتَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ دَمَ صَاحِبِكُمْ﴾ قالوا: لا. قال: ﴿أَفَتَحْلِفُ لَكُمْ يَهُودُ﴾ قالوا: ليسوا بمسلمين. فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده مائة ناقة حتى أدخلت الدار. قال سهل: فركضتنى منها ناقة.

----

*(وداه) أعطى ديته (ركض) ضرب بالرجل (الفقير) البئر قريبة القعر

مراجع: البداية والنهاية/مختصر تاريخ دمشق/ حلية الأولياء/ الأعلام للزركلي/ صحيح البخاري/ صحيح مسلم/ معجم الأدباء/

حدث داود بن علي الأصبهاني قال: سمعت الشافعي[1] يقول: كنت امرأ أكتب الشعر فآتي البوادي فأسمع منهم قال: فقدمت مكة ثم خرجت وأنا أتمثل بشعر للبيد[2] وأضرب وحشي قدمي بالسوط فجذبني رجل من ورائي من الحجبة قال لي: رجل من قريش ثم من بني المطلب رضي من دنياه ودينه أن يكون معلما، ما الشعر يا هذا، إذا استحكمت فيه وبلغت منه كنت إلا معلما، تفقه رحمك الله يعليك الله ويرفعك وينفعك قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحجبي، فرجعت إلى مكة فكتبت من ابن عيينة[3] ما شاء الله أن أكتب، ثم إني كنت أجالس مسلم بن خالد الزنجي[4] ثم قدمت على أبي عبد الله مالك بن أنس[5] فكتبت موطأه ثم قلت: يا أبا عبد الله، أقرأ عليك؟ فقال لي: يا بن أخي تأتي برجل يقرأه علي وتسمع، فقلت له: أنا أقرأه عليك فتسمع إلى قراءتي، فقال لي: اقرأ، فلما سمع قراءتي وأصغى إلى كلامي بقراءة الكتب أعجبه ذلك، فلم يزل يقول لي: اقرأ، فقرأت عليه كتبه حتى بلغت كتاب السير، فقال: الصلاة يا بن أخي، فانتهيت ثم قال لي: يا بن أخي تفقه تعل تفقه يرفعك الله بالعلم في الدنيا والآخرة، واعلم يا بن أخي أن العلم لا يحتمل الدنس، قال: فمضيت إلى أبي مصعب بن عبد الله فكلمته وسألته أن يكلم لي بعض أهلنا رجلا من قريش أسميته له أن يدفع إلي شيئا من دنياه فإنه كان بي من الفقر والفاقة ما الله به عليم، فقال لي أبو مصعب: أتيت الرجل وكلمته في بابك، فقال: أتكلمني في رجل كان منا فخالفنا، فلم أدعه حتى أعطاني مائة دينار، وها هي هذه، قال: فدفعها أبو مصعب إلي، ثم قال أبو مصعب: إن أمير المؤمنين هارون الرشيد أصلحه الله قد كتب إلي أن أصير إلى اليمن قاضيا عليها، فتخرج معي فلعل الله أن يعوضك ما أملت من هذا الرجل وأكثر، قال: فخرج أبو مصعب قاضيا على اليمن، وخرجت معه، فلما صرنا باليمن، وجالسنا الناس كتب مطرف بن مازن[6] إلى أمير المؤمنين: إن أردت يا أمير المؤمنين أصلحك الله اليمن وأردت أن لا تخرج عن يدك فأخرج عنها محمد بن إدريس، وذكر معي أقواما من الطالبيين، قال: فكتب أمير المؤمنين هارون إلى حماد البربري[7]: أن أقبض على محمد بن إدريس وأوثقه بالحديد وأنفذه إلي إن شاء الله، قال: فأخذني حماد وثقلني بالحديد، ولم يكن لأبي مصعب حيلة في أمري، فلم أزل مثقلا بالحديد من اليمن إلى أن قدمت على أمير المؤمنين، وهو إذ ذاك بالرقة، فأدخلت عليه وأخرجت من عنده، وكان قد تبقى معي من تلك الدنانير نحو من خمسين دينارا، وكان محمد بن الحسن[8] يومئذ بالرقة، فأنفقت تلك الدنانير على كتبهم، قال: فوجدت مثلهم ومثل كتبهم كمثل رجل كان عندنا، يقال له فروخ، وكان يحمل دهنا يبيعه في زق له فكان إذا قيل له عندك برسيان؟ قال: نعم، عندك زنبق؟ قال: نعم، عندك خيري (حبر)؟ قال: نعم، فإذا قيل له أرنا منه وكان للزق رءوس كثيرة، فيخرج لهم من تلك الرؤوس، وإنما هو دهن واحد، وكذلك وجدت كتبهم وإنما يقولون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه سلم، وهم يخالفون الله ويخالفون الرسول، قال: وسمعت محمد بن الحسن، وأنا من أشد الناس غما وهو يقول لأصحابه: إن تابعكم محمد بن إدريس الشافعي فما عليكم من حجازي كلفة بعده، قال: فجئت يوما فجلست إلى محمد بن الحسن، وأنا من أشد الناس هما وغما وقلقا وأرقا من سخط أمير المؤمنين علي وأخرى أن زادي قد فني والدراهم التي أنفقتها على كتبهم، فلما أن جلست إليه وبصرني أقبل يطعن على دار الهجرة، قال: فقلت له: على من تطعن؟! أعلى البلد أم على أهله؟ فوالله، لئن طعنت على أهله، فإنما تطعن على مثل أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين، وإن طعنت على البلد، فإنها تطعن على بلدته التي دعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يبارك لهم في صاعهم ومدهم وحرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم إبراهيم مكة لا يقتل صيدها فعلى أيهما تطعن؟ فقال لي: معاذ الله أن أطعن على أحد منهم أو على بلدته، وإنما أطعن على حكم من أحكامهم، فقلت له: ما هو؟ فقال لي: اليمين مع الشاهد، قال: فقلت له: ولم طعنت عليه؟ قال: لأنه مخالف لكتاب الله تعالى، قال: فقلت له: أفكل خبر يأتيك مخالفا لكتاب الله تسقطه؟! قال: فقال لي: كذا يجب، قال: فقلت له: فما تقول في الوصية للوالدين والأقربين؟ قال: ففكر ساعة، فقلت له: أجب، فقال: لا يجب، قال: فقلت له: فهذا مخالف لكتاب الله، ثم قلت له: لم لا تجب؟ قال: لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لا وصية لوارث. قال: فقلت له: أخبرني عن الشاهدين حتم من الله تعالى؟ قال لي: ماذا تريد من هذا؟ قال: قلت: لأنك زعمت أن الشاهدين حتم من الله تعالى لا غير، كان ينبغي لك أن تقول إذا زنى زان فشهد عليه شاهدان إن كان محصنا رجمته، وإن كان غير محصن جلدته، قال لي: فإن قلت لك ليس هما حتما من الله! قال: قلت له: فإذا لم يكونا حتما من الله فيترك في كل حكم منزلة، في الزنا أربع وفي غيره شاهدان، وفي غيره رجل وامرأتان، وإنما أعني في القتل لا يجوز إلا شاهدان، فلما رأيت قتلا وقتلا أعني شهادة الزنا وشهادة القتل فكان هذا قتلا، وهذا قتلا غير أن أحكامها مختلفة فكذلك كل حكم أنزل الله حيث أنزل الله منها بأربع ومنها بشاهدين ومنها بشاهد وامرأتين ومنها بشاهد ويمين، وأنت قد تحكم بدون هذا، قال: فقال لي: وما أحكم بدون هذا ! قال: قلت له: ما تقول في الرجل والمرأة إذا اختلفا في متاع البيت، فقال لي: أصحابي يقولون فيه ما كان للرجال فهو للرجال وما كان للنساء فهو للمرأة، قال: فقلت له: أفي كتاب الله تعالى قلت هذا أم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ثم قلت له: ما تقول في الرجلين إذا اختلفا في الحائط؟ قال: فقال لي: من قول أصحابنا أنه إذا لم تكن لهما بينة ينظر إلى العقد من أين هو البناء فأحكم لصاحبه به، فقلت له: أفبكتاب الله قلت هذا أم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، ثم قلت له: ما تقول في رجلين يكون بينهما خصومة فيختلفان فيه لمن تحكم به إذا لم تكن لهما بينة؟ قال لي: أنظر إلى معاقده من أي وجه هي فأحكم له، فقلت له: أفبكتاب الله قلت هذا أم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ثم قلت له: ما تقول في ولادة المرأة إذا لم يحضرها إلا امرأة واحدة هي القابلة ولم يكن ثم غيرها؟ فقال لي: الشهادة جائزة شهادة القابلة وحدها نقبلها، قلت له: أفبكتاب الله قلت هذا ام بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ثم قلت له: من كانت هذه أحكامه فليس من سبيله أن يفكر على غيره، قال: فبقي متعجبا، فقلت له: أتعجب من حكم حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكم به أبو بكر عمر وحكم به علي بن أبي طالب بالعراق وقضى به شريح[9]؟! قال: ورجل من ورائي يكتب ألفاظي، وأنا لا أعلم به، ثم إنه أدخل ما كتب من ألفاظي وكلامي على أمير المؤمنين هارون الرشيد، فقرأه علي، فقال لي هرثمة بن أعين، وكان متكئا فاستوى جالسا ثم قال: أقرأه علي ثانية، فقرأه عليه، فأنشأ أمير المؤمنين يقول صدق الله ورسوله، صدق الله ورسوله، حتى قالها ثلاث مرات، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿تَعَلَّمُوا مِنْ قُرَيْشٍ وَلَا تُعَلِّمُوهَا وقَدِّمُوا قُرَيْشًا ولا تؤخروها﴾ ما أنكر أن يكون محمد بن إدريس الشافعي أعلم من محمد بن الحسن، ثم إنه رضي عني وأمر لي بألف دينار، قال: فخرج هرثمة، فقال لي: بالسوط هكذا، فاتبعته فحدثني بالقصة كلها، وقال لي: قد أمر لك أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه بألف دينار، وقد أضفت إليها مثلها غير خمسين دينارا، فإن أمير المؤمنين لا يساوى في جائزته، قال: فوالله ما ملكت قبلها مثل هذا المال قط، وكان أول مال كثير ملكته، وكنت رجلا استتبع فوقاني الله على يدي أبي مصعب.

----

(1) محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي الإمام ولد في سنة 150 هـ، بغزة من بلاد الشام، وقيل باليمن، ونشأ بمكة، وكتب العلم بها، وبمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقدم بغداد مرتين، وحدث بها، وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته سنة 204 هـ. وسمع من مالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وغير هؤلاء

(8) محمد بن الحسن بن فرقد صاحب أبي حنيفة، يكنى أبا عبد الله مولى بني شيبان. أصله دمشقي من أهل قرية حرستا. قدم أبوه العراق فولد محمد بواسط سنة 132 هـ، ونشأ بالكوفة، وسمع من أبي حنيفة، ومسعر بن كدام، وسفيان الثوري، وعمر بن ذر، ومالك بن مغول. وكتب عن مالك بن أنس وأبى عمرو الأوزاعي، وزمعة بن صالح، وبكير بن عامر، وأبى يوسف القاضي. وسكن بغداد وحدث بها. وخرج إلى الرقة وهارون بها، فولاه قضاء الرقة ثم عزله، فقدم بغداد فلما خرج هارون إلي الري الخرجة الأولى أمره فخرج معه فمات بالري سنة 189 هـ.

(5) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، ربيعة الرأي، أيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع. وحدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

(6) مطرف الصنعاني، أبو أيوب مطرف بن مازن، الكناني بالولاء، وقيل القيسي بالولا ء، اليماني الصنعاني؛ ولي القضاء بصنعاء اليمن، وحدث عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وجماعة كثيرة، وروى عنه الإمام الشافعي رضي الله عنه، وخلق كثير. واختلفوا في روايته: فنقل عن يحيى بن معين أنه سئل عنه فقال: كذاب. وقال النسائي: مطرف بن مازن ليس بثقة. قال ابن خلكان: رأيت في تاريخ أبي الحسين عبد الباقي بن قانع الذي جعله مرتبا على السنين أن مطرف بن مازن توفي سنة 191 هـ، وهذا يوافق ما قاله الأول من أنه توفي في أواخر خلافة هارون الرشيد.

(9) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية: من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الاسلام. أصله من اليمن. ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية. واستعفى في أيام الحجاج، فأعفاه سنة 77 هـ. وكان ثقة في الحديث، مأمونا في القضاء، له باع في الادب والشعر. وعمر طويلا، ومات بالكوفة سنة 78 هـ.

(3) سفيان بن عيينة، أبو محمد بن سفيان بن عيينه بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولى امرأة من بني هلال بن عامر رهط ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل مولى بني هاشم، وقيل مولى الضحاك بن مزاحم، وقيل مولى مسعر بن كدام؛ وأصله من الكوفة، وقيل ولد بالكوفة ونقله أبوه إلى مكة، كان إماما عالما ثبتا حجة زاهدا ورعا مجمعا على صحة حديثه وروايته، وحج سبعين حجة. روى عن وعنه خلق كثير. ولد سفيان بالكوفة سنة 107 هـ. وتوفي سنة 198 هـ بمكة ودفن بالحجون.

(7) حماد البربري، مولى هارون الرشيد، ولى اليمن ومكة سنة 184 هـ وعزل. سمعت يحيى يقول كان زكريا بن منظور قد ولى القضاء فقضى على حماد البربري فلذلك حمله هارون إلى الرقة بذاك السبب وليس بثقة

(4) مسلم بن خالد بن مسلم بن سعيد القرشي المخزومي، مولاهم، المعروف بالزنجي: تابعي، من كبار الفقهاء. كان إمام أهل مكة. أصله من الشام. لقب بالزنجي لحمرته، أو على الضد، لبياضه. وبه تفقه الامام الشافعي قبل أن يلقى مالكا. وهو الذى أذن للشافعي بالافتاء. وهو عند أكثر علماء الحديث ضعيف لا يحتج به. مات سنة 179 هـ قال ابن كثير: هو مسلم بن خالد بن سعيد بن قرفة وإنما سمي الزنجي لحمرته وكان هو الذي يفتي بمكة بعد ابن جريج.

ويروى عن الشافعي: أقمت في بطون العرب عشرين سنة، آخذ أشعارها ولغاتها، وحفظت القرآن، فما علمت أنه مر بي حرف إلا وقد علمت المعنى فيه والمراد، ما خلا حرفين، أحدهما: دساها.

عن الحسين بن علي الكرابيسي قال: قال الشافعي: كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الجد، وما سواه، فهو هذيان. وعن ابن خزيمة، وجماعة قالوا: حدثنا يونس بن عبدالاعلى: قال الشافعي: لا يقال: لم للاصل، ولا كيف. وعن يونس، سمع الشافعي يقول: الاصل: القرآن، والسنة، وقياس عليهما، والاجماع أكبر من الحديث المنفرد. وعن ابن أبي حاتم: حدثنا الربيع، سمعت الشافعي يقول: قراءة الحديث خير من صلاة التطوع، وقال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وعن ابن أبي حاتم: حدثنا يونس، قلت للشافعي: صاحبنا الليث يقول: لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء ما قبلته. قال: قصر، لو رأيته يمشي في الهواء لما قبلته. قال المزني: سمعت الشافعي يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه، لم ينفعه علمه. قال زكريا الساجي: سمعت محمد بن إسماعيل، سمعت حسين بن علي الكرابيسي يقول: شهدت الشافعي، ودخل عليه بشر المريسي، فقال لبشر: أخبرني عما تدعو إليه، أكتاب ناطق، وفرض مفترض، وسنة قائمة، ووجدت عن السلف البحث فيه والسؤال ؟ فقال بشر: لا، إلا أنه لا يسعنا خلافه، فقال الشافعي: أقررت بنفسك على الخطأ، فأين أنت عن الكلام في الفقه والاخبار، يواليك الناس وتترك هذا ؟ قال: لنا نهمة فيه. فلما خرج بشر، قال الشافعي: لا يفلح. أبو ثور والربيع: سمعا الشافعي يقول: ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح.

مراجع: تاريخ دمشق/ حلية الأولياء/ الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/ وفيات الأعيان/ البداية والنهاية/

قال الإمام الشافعي[1] رحمه الله: دخلت العراق في خلافة هارون الرشيد فعند دخول الباب تعلق بي غلام فلاطفني وقال لي: ما أسمك؟ فقلت: محمد، قال: ابن من؟ قلت: ابن إدريس الشافعي، فقال: مطلبي؟ فقلت: أجل، فكتب ذلك في لوح كان في كمه وخلى سبيلي، فأويت في بعض المساجد أفكر في عاقبة ما فعل حتى إذا ذهب من الليل النصف كبس المسجد واقبلوا يتأملون وجه كل رجل حتى أتوا إلي فقالوا للناس: لا بأس عليكم هذا هو الحاجة والغاية المطلوبة ثم أقبلوا علي وقالوا: أجب أمير المؤمنين فقمت غير ممتنع فلما بصرت بأمير المؤمنين سلمت عليه سلاما بينا فأستحسن الألفاظ ورد علي الجواب ثم قال: تزعم أنك من بني هاشم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين كل زعم في كتاب الله باطل، فقال: ابن لي عن نسبك، فانتسبت حتى لحقت آدم عليه السلام، فقال لي الرشيد: ما تكون هذه الفصاحة ولا هذه البلاغة إلا في رجل من ولد المطلب هل لك أن أوليك قضاء المسلمين وأشاطرك ما أنا فيه وتنفذ فيه حكمك وحكمي على ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واجتمعت عليه الأمة فقلت: يا أمير المؤمنين، لو سألتني أن أفتح باب القضاء بالغداة وأغلقه بالعشى بنعمتك هذه ما فعلت ذلك أبدا، فبكى الرشيد وقال: تقبل من عرض الدنيا شيء، قلت: يكون معجلا فأمر لي بألف دينار، فما برحت من مقامي حتى قبضتها ثم سألني بعض الغلمان والحشم أن أصلهم من صلتي فلم تسع المروءة إن كنت مسؤولا غير المقاسمة فيما أنعم الله به علي فخرج لي قسم كأقسامهم ثم عدت إلى المسجد الذي كنت فيه في ليلتي...

كان الرشيد رحمه الله يحب الحديث وأهله وسمع الحديث من مالك بن أنس[2] وإبراهيم بن سعد الزهري[3] وأكثر حديثه عن آبائه وروى عنه القاضي أبو يوسف[4] والإمام الشافعي ذكر ذلك ابن الجوزي ومما رواه الرشيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿عُقُّوا عَنْ أَوْلَادِكُمْ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ لَهُمْ مِنْ كُلِّ آفَةٍ﴾ وكان كثير البكاء من خشية الله تعالى سريع الدمعة عند الذكر محبا للمواعظ، قال يحيى بن أيوب العابد: سمعت منصور بن عمار[5] يقول: ما رأيت اغزر دمعا عند الذكر من ثلاثة فضيل بن عياض[6]، وأبي عبد الرحمن الزاهد[7]، وهارون الرشيد. دخل الإمام الشافعي على الرشيد فقال له: عظني، فقال: على شرط رفع الحشمة وترك الهيبة وقبول النصيحة، قال: نعم، قال: أعلم أن من أطال عنان الأمل في الغرة طوى عنان الحذر في المهلة ومن لم يعول على طريق النجاة خسر يوم القيامة إذا امتدت يد الندامة، فبكى هارون ووصله بمال جزيل.

قال أبو نصر المخزومي الكوفي، حدثنا الفضل بن الربيع حاجب هارون الرشيد أمير المؤمنين قال: دخلت على هارون الرشيد فإذا بين يديه ضبارة (حزمة!) سيوف وأنواع من العذاب فقال لي: يا فضل! فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين قال: علي بهذا الحجازي يعني الشافعي. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب هذا الرجل، قال: فأتيت الشافعي، فقلت له: أجب أمير المؤمنين، فقال: أصلي ركعتين، فقلت: صل، فصلى ثم ركب بغلة كانت له، فسرنا معا إلى دار الرشيد، فلما دخلنا الدهليز الأول حرك الشافعي شفتيه، فلما دخلنا الدهليز الثاني حرك شفتيه، فلما وصلنا بحضرة الرشيد، قام إليه أمير المؤمنين كالمشرئب له فأجلسه موضعه وقعد بين يديه يعتذر إليه، وخاصة أمير المؤمنين قيام ينظرون إلى ما أعد له من أنواع العذاب، فإذا هو جالس بين يديه فتحدثوا طويلا ثم أذن له بالانصراف، فقال لي: يا فضل! قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: احمل بين يديه بدرة، فحملت فلما صرنا إلى الدهليز الأول لخروجه قلت: سألتك بالذي صير غضبه عليك رضا إلا ما عرفتني ما قلت في وجه أمير المؤمنين حتى رضي؟ فقال لي: يا فضل! فقلت له: لبيك أيها السيد الفقيه، قال: خذ مني واحفظ عني قلت: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران] الآية. اللهم، إني أعوذ بنور قدسك وببركة طهارتك وبعظمة جلالك من كل عاهة وآفة وطارق الجن والإنس إلا طارقا يطرقنى بخير يا أرحم الراحمين، اللهم، بك ملاذي فبك ألوذ وبك غياثي فبك أغوث يا من ذلت له رقاب الفراعنة وخضعت له مقاليد الجبابرة، اللهم، ذكرك شعاري ودثاري ونومي وقراري، أشهد أن لا إله إلا أنت اضرب على سرادقات حفظك وقني رعبي بخير منك يا رحمان. قال الفضل: فكتبتها وجعلتها في بركة قبائي وكان الرشيد كثير الغضب علي وكان كلما هم أن يغضب أحركها في وجهه فيرضى فهذا مما أدركت من بركة الشافعي.

----

(1) محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي الإمام زين الفقهاء وتاج العلماء. ولد في سنة 150 هـ، بغزة من بلاد الشام، وقيل باليمن، ونشأ بمكة، وكتب العلم بها، وبمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقدم بغداد مرتين، وحدث بها، وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته سنة 204 هـ. وكان سمع من مالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وسفيان بن عيينة، وداود بن عبد الرحمن، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي، ومسلم بن خالد الزنجي، وإبراهيم بن أبي يحيى، وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، وعبد الله بن المؤمل المخزومي، وإبراهيم بن عبد العزيز بن أبي محذورة، وعمه محمد بن علي بن شافع، وعبد الله بن الحارث المخزومي، ومحمد بن إسماعيل بن أبي فديك، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، ومحمد بن عثمان بن صفوان الجمحي، وسعيد بن سالم القداح، ويحيى بن سليم الطائفي، وحاتم بن إسماعيل، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، وإسماعيل بن جعفر، ومطرف بن مازن، وهشام بن يوسف، ويحيى بن حسان التنيسي، ومحمد بن الحسن الشيباني، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، وإسماعيل ابن علية، وغير هؤلاء.

(5) منصور بن عمار بن كثير أبو السري السلمي الخراساني. الإمام الزاهد الواعظ البغدادي القاضي المشهور.توفي ببغداد سنة 225 هـ.

(6) أبو علي، الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الفنديني، الزاهد المشهور، كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تاليا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد] فقال: يا رب قد آن، فرجع، وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وآمنهم. وكان من كبار السادات، ومناقب الفضيل كثيرة. ومولده بـ أبيورد، وقيل بسمرقند، ونشأ بـ أبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات في المحرم سنة 187هـ.

(2) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، ربيعة الرأي، أيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع.وحدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

(4) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، كان تلميذ أبي حنيفة. وهو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة،حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطأة ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ.

(8) هل هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد. الزاهد؟ أم هو: أبو عبد الرحمن الزاهد صاحب المواعظ والحكم، لقب بلقمان الأمة، المتوفي سنة 237 هـ أم هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي النصيبي الموصلي؟ (لم أقف له على ترجمة، والله تعالى أعلم)

(3) أبو إسحاق، إبراهيم بن سعد الزهري العوفي المدني قاضي المدينة ومحدثها توفي سنة 183 هـ وله خمس وسبعون سنة.

☪

قال المازني: قول محمد بن إدريس حجة في اللغة، وذكر نحوه عن ثعلب والأزهري، ولما استدعى به هارون الرشيد قال: بعد قصص كثيرة: ما علمك بكتاب الله؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن علوم القرآن كثيرة، أفتسألني عن محكمه ومتشابهه. أو عن تقديمه وتأخيره. أو عن ناسخه ومنسوخه. أو عما ثبت حكمه وارتفعت تلاوته. أو عن عكس ذلك. أو عما ضرب الله به مثلا. أو عن ما جعله الله اعتبارا. أو عن أخباره، أو عن أحكامه، أو عن مكية ومدنية. أو عن ليلية ونهارية؟ أو عن سفرية وحضرية. أو عن تنسيق رصفه أو تسوية سوره. أو نظائره أو إعرابه. أو وجوه قراءته أو حروفه أو معاني لغاته أو عدد آياته؟. قال الراوي: فما زال الشافعي يعدد هذه حتى عدد ثلاثة وسبعين نوعا من أنواع علوم القرآن.

قال هارون: لقد أوعيت من القرآن علما عظيما، فقال: المحنة على الرجل كالنار على الذهب. وكذلك سأله عن السنة، فأجابه أنه يعرف منها ما خرج على وجه الإيجاب، وعلى وجه الخطر، وعلى وجه الخصوص، وعلى وجه العموم، وما خرج جواب سائل، وما خرج لإزدحام العلوم في صدره صلى الله عليه وآله وسلم، وما فعله فاقتدى به غيره، وما خص به صلى الله عليه وآله وسلم فقال الرشيد أجدت ووضعت كل قسم في مكانه، فقال: ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، فقال: كيف بصرك بالعربية؟ فقال: هي مبدأنا طباعنا وألسنتنا، فقال: كيف معرفتك بالشعر. فقال: إني لأعرف الجاهلي منه والمخضرم والمحدث وطويله ومديده وكامله وسريعه ومجتثه ومنسرحة وخفيفه ورجزه وهزجه ومتقاربه وغزله وحكمته، وكذلك سأله عن الطب، فأجابه بأنه يعرف ما قاله علماؤه، وعددهم وغير ذلك من العلوم. وكان شيوخ مكة يصفون الشافعي من أول صغره بالذكاء والعقل والصيانة، ويقولون: لم يعرف له صبوة.

☪

عن عبيدة، عن عبد الله، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، قَالَ: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا [النساء] رَفَعْتُ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ﴾ عن عرفجة السلمي قال: قال أبو بكر: ابكوا وإن لم تبكوا فتباكوا.وعن عبد الله بن شداد، قال: سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصف وهو يقرأ سورة يوسف: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ وعن أبي سعيد مولى أبي أسيد، قال: كان عمر إذا صلى أخرج الناس من المسجد فأخذ إلينا، فلما رأى أصحابه ألقى الدرة وجلس، فقال: ادعوا، فدعوا، قال: فجعل يدعو ويدعو حتى انتهت الدعوة إلي، فدعوت وأنا مملوك، فرأيته دعا وبكى بكاء لا تبكيه الثكلى، فقلت في نفسي: هذا الذي تقولون كم هو غليظ. وعن الأعمش، عن أبي صالح، قال: لما قدم أهل اليمن في زمان أبي بكر فسمعوا القرآن جعلوا يبكون، فقال أبو بكر: هكذا كنا، ثم قست القلوب. وعن عبد الله بن عبيدة، قال: رأت صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم قوما قرؤوا سجدة فسجدوا، فنادتهم: هذا السجود والدعاء فأين البكاء. وعن مغيرة بن سعد بن الأخرم، قال: ما خرج عبد الله إلى السوق فمر على الحدادين فرأى ما يخرجون من النار إلا جعلت عيناه تسيلان. وعن عبد الله بن شقيق العقيلي، قال: سمعت كعبا يقول: لأن أبكي من خشية الله تعالى حتى يسيل دمعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بوزني ذهبا والذي نفس كعب بيده ما من عبد مسلم يبكي من خشية الله حتى تقطر قطرة من دموعه إلى الأرض فتمسه النار أبدا حتى يعود قطر السماء الذي وقع إلى الأرض من حيث جاء ولن يعود أبدا. وعن ابن أبي مليكة، قال: رأيت عبد الله بن عمرو وهو يبكي فنظرت إليه، فقال: أتعجب أبكوا من خشية الله، فإن لم تبكوا فتباكوا حتى يقول أحدكم: ايه ، ايه، إن هذا القمر ليبكي من خشية الله تعالى. وعن إبراهيم التيمي ، قال: لقد أدركت ستين من أصحاب عبد الله في مسجدنا هذا أصغرهم الحارث بن سويد وسمعته يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ -حتى بلغ-: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ قال: فبكى، ثم قال: إن هذا لإحصاء شديد. وعن ابن بريدة، قال: لو عدل بكاء أهل الأرض ببكاء داود ما عدله، ولو عدل بكاء داود وبكاء أهل الأرض ببكاء آدم حين أهبط إلى الأرض ما عدله. وعن عبد الله بن رباح، عن صفوان بن محرز، أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى أرى أن قصص زوره سيندق: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء] حدث الحسن، قال: مر رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على رجل يقرأ آية ويبكي ويرددها، قال: فقال: ألم تسمعوا إلى قول الله تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل] قال: هذا الترتيل. وعن أبي داود، عن أبي بن كعب، قال: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فمسته النار أبدا، وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الله فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح فتحات ورقها عنها إلا تحاتت خطاياه كما يتحات عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصادا في سنة وسبيل خير من اجتهاد في غير سنة وسبيل، فانظروا أعمالكم، فإن كانت اقتصادا واجتهادا أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم.

مراجع: تاريخ بغداد/ من أعلام السلف/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ شذرات الذهب/ ثمرات الأورارق/ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة/ مصنف ابن أبي شيبة/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ ثمرات الأوراق/ طبقات الشافعية الكبرى/ـ

عن محمد بن إسماعيل بن الجبال الحميري عن أبيه قال: كان محمد بن إدريس الشافعي[1] رجلا شريفا وكان يطلب اللغة والعربية والفصاحة والشعر في صغره وكان كثيرا ما يخرج الى البدو ويحمل ما فيه من الأدب فبينا هو ذات يوم في حي من أحياء العرب إذ جاء اليه رجل بدوي فقال له: ما تقول في امرأة تحيض يوما وتطهر يوما؟ فقال: لا أدري، فقال له: يابن أخي، الفضيلة أولى بك من النافلة، فقال له: إنما أريد هذا لذاك، وعليه قد عزمت وبالله التوفيق، وبه أستعين، ثم خرج الى مالك بن أنس[2]، وكان مالك صدوقا في حديثه صادقا في مجلسه وحيدا في جلوسه فدخل عليه، وارتفع على أصحابه فنهره مالك فوجده موقرا في الأدب، فرفعه على أصحابه وقدمه عليهم وقربه من نفسه، فلم يزل مع مالك إلى أن توفي مالك رحمه الله ثم خرج الى اليمن وقد خرج بها الخارجي[3] (؟) على هارون الرشيد، وطعن الشافعي عليه وأعرض عمن ساعده ورفع من قعد عنه، فبلغ ذلك الخارجي ما يقول فيه، فبعث إليه، فأحضره عنده، وهم بقتله فلما سمع كلامه وتبين له شرفه وفضله وعفته، عفا عنه وعرض عليه قضاء اليمن، فامتنع من ذلك، ثم أشخص هارون جيشه إلى ذلك الخارجي، فقبض عليه وحمل الى بساط السلطان، وحمل معه الشافعي، وأحضرا جميعا بين يدي الرشيد فأمر بقتلهما، فقال له الشافعي: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تسمع كلامي، وتجعل عقوبتك من وراء لساني، ثم تضمني بعد ذلك الى ما يليق لي من الشدة والرخاء؟ فقال له: هات، فبين له القصة، وعرفه شرفه، وذكر له كلاما استحسنه هارون، وأمره أن يعيده عليه، فأعاد تلك المعاني بألفاظ أعذب منها، فقال له هارون: كثر الله في أهل بيتي مثلك، وكان محمد بن الحسن[4] حاضرا، فلم يقصر وخلى له السبيل، وسأله محمد بن الحسن، فنزل عليه أياما، ثم سأله الشافعي أن يمكنه من كتبه وكتب أبي حنيفة، فأجابه الى ذلك ثلاث ليال، وكان الشافعي قد استبعد الوراقين، فكتبوا له منها ما أراد، ثم خرج الى الشام فأقام بها مدة ينقض أقاويل أبي حنيفة ويرد عليه حتى دون كلامه، ثم استخار في الرد على مالك، فأرى ذلك في المنام فرد عليه خمسة أجزاء من الكلام أو نحو ذلك، ثم خرج الى مصر، والدار لمالك وأصحابه يحكمون فيه ويستسقون بموطئه، فلما عاينوه فرحوا به، فلما خالفهم وثبوا عليه ونالوا منه، فبلغ ذلك سلطانهم فجمعهم بين يديه، فلما سمع كلامه وتبين له فضله عليهم قدمه عليهم، وأمره أن يقعد في الجامع، وأمر الحاجب أن لا يحجبه أي وقت جاء، فلم يزل أمره يعلو وأصحابه يتزايدون إلى أن وردت مسألة من هارون الرشيد يدعو الناس إليها، وقد استكتمها الفقهاء فأجابوه الى ذلك وقبلوها منه طوعا، ومنهم كرها، فجيء بالمسألة الى الشافعي، فلما نظر فيها، قال: غفل والله، أمير المؤمنين عن الحق وأخطأ المسير عليه بهذا، وحق الله علينا أوجب وأعظم من حق أمير المؤمنين، وهذا خلاف ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلاف ما اعتقدته الأئمة والخلف، فكتب بذلك الى هارون، فكتب في حمله مقيدا فحمل حتى أحضر في دار أمير المؤمنين، فأجلس في بعض الحجر، ثم دخل محمد بن الحسن وبشر المريسي[5] جميعا، فقال لهما هارون الرشيد: القرشي الذي خالفنا في مسألتنا قد أحضر في دارنا مقيدا، فما الذي تقولان في أمره؟ فقال محمد بن الحسن: يا أمير المؤمنين، وقد بلغني أيضا أنه قد خالف صاحبه، وقد رد عليه وعلى صاحبي أيضا، وجعل لنفسه مقالة يدعو الناس إليها، ويتشبه بالأئمة، فان رأيت أن تحضره حتى نبلو خبره ونقطع حجته، ثم تضاعف عليه عقوبة أمير المؤمنين، فدعا به بقيده، فأحضر بين يدي أمير المؤمنين، فسلم عليه، فلم يرد عليه، وبقي قائما طويلا لا يؤذن له بالجلوس، وأمير المؤمنين مقبل عليهما دونه، ثم أومأ إليه فجلس بين الناس، فقال محمد ابن الحسن: هات مسألة يا شافعي نتكلم عليها، فقال له الشافعي: سلوني عما أحببتم، فتجرد بشر وقال له: لولا أنك في مجلس أمير المؤمنين وطاعته فرض لننزلن بك ما تستحقه، فليس أنت في كنف العمر، ولا أنت في ذمة العلم، فيليق بك هذا، فقال له الشافعي: عض ما أنت وذا، بلغة أهل اليمن. فأنشأ يقول: أهابك يا عمرو ما هبتني..وخاف بشراك إذ هبتني..وتزعم أمي عن أبيه..من أولاد حام بها عبتني. فأجابه الشافعي وهو يقول: ومن هاب الرجال تهيبوه..ومن حقر الرجال فلن يهابا..من قضت الرجال له حقوقا..ولم يعص الرجال فما أصابا. فأجابه بشر وهو يقول: هذا أوان الحرب فاشتدي زيم. فأجابه الشافعي وهو يقول: سيعلم ما يريد إذا التقينا..بشط الراب أي فتى أكون. فقال بشر: يا أمير المؤمنين، دعني وإياه، فقال له هارون: شأنك وإياه، فقال له بشر: أخبرني، ما الدليل على أن الله تعالى واحد؟ فقال الشافعي: يا بشر، ما تدرك من لسان الخواص فأكلمك على لسانهم، إلا أنه لا بد لي أن أجيبك على مقدارك من حيث أنت، الدليل عليه به ومنه وإليه، واختلاف الأصوات في المصوت إذا كان المحرك واحدا دليل على أنه واحد، وعدم الضد في الكمال على الدوام دليل على أنه واحد، وأربع نيرات مختلفات في جسد واحد متفقات على ترتيبه في استفاضة الهيكل، دليل على أن الله تعالى واحد، وأربع طبائع مختلفات في الخافقين أضداد غير أشكال مؤلفات على أصلاح الأحوال، دليل على أن الله تعالى واحد، وفي خلق السموات والأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون، كل ذلك دليل على أن الله تعالى واحد، لا شريك له، فقال بشر: وما الدليل على أن محمدا رسول الله؟ قال: القرآن المنزل، وإجماع الناس عليه، والآيات التي لا تليق بأحد، وتقدير المعلوم في كون الايمان بدليل واضح، دليل على أنه رسول الله، لا بعده مرسل يعزله، وامتحانك إياي بهذين السؤالين وقصدك إياي بهما دون فنون العلوم، دليل على أنك حائر في الدين تائه في الله عز و جل، ولو وسعني السكوت عن جوابك لاخترته، وإن قلت أمرا لي، لا تشمر من سؤاليك هذين، لقلت بعيد من بركات اليقين، وكيف قصرت يدي عنك، لقد وصل لساني إليك، فقال له بشر: ادعيت الاجماع، فهل تعرف شيئا اجمع الناس عليه؟ قال: نعم، أجمعوا على أن هذا الحاضر أمير المؤمنين، فمن خالفه قتل، فضحك هارون، وأمر بأخذ القيد عن رجليه، قال: ثم انبسط السافعي في الكلام فتكلم بكلام حسن فأعجب به الرشيد، وقربه من مجلسه، ورفعه عليهما، قال: ثم غاصا في اللغة، وكان بشر مد بها حتى خرجا الى لغة أهل اليمن، فانقطع بشر في مواضع كثيرة، فقال محمد بن الحسن لبشر: يا هذا، إن هذا رجل قرشي واللغة من نسكه، وأنت تتكلفها من غير طبع، فدعوني وما لكا ودعوا مالكا معي، قال الشافعي: إن كنت أبا ثور، يعقر الحرف، فجرى بينهما عشر مسائل، انقطع محمد بن الحسن في خمس منها، حتى أمر هارون الرشيد بجز رجل محمد بن الحسن، فأراد الشافعي أن يكافئه لما كان له عليه من اليد، فقال: يا أمير المؤمنين، والله، ما رأيت يمينا هو أفقه منه، وجعل يمدحه بين يدي أمير المؤمنين، ويفضله، فعلم هارون الرشيد ما يريد الشافعي بذلك، فخلع عليهما، وحمل كل واحد منهما على مهري قرطاس، يريد بذلك مرضاة الشافعي، وخلع علي الشافعي خاصة، وأمر له بخمسين ألف درهم، فانصرف إلى البيت، وليس معه شيء، قد تصدق بجميع ذلك، ووصل به الناس، فقال له هارون الرشيد: أنا أمير المؤمنين، وأنت القدوة، فلا يدخل علي أحد من الفقهاء قبلك، فأنشأ محمد بن الحسن يقول: أخذت نارا بيدي..أشعلتها في كبدي..فقلت ويحي سيدي..قتلت نفسي بيدي.

■ (1) محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي الإمام ولد في سنة 150 هـ، بغزة من بلاد الشام، وقيل باليمن، ونشأ بمكة، وكتب العلم بها، وبمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقدم بغداد مرتين، وحدث بها، وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته سنة 204 هـ. وسمع من مالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وغير هؤلاء

■ (3) يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب: من كبار الطالبيين في أيام موسى الهادي وهارون الرشيد العباسيين.رباه جعفر الصادق في المدينة، فروى الحديث وتفقه. وكان مع ابن عمه الحسين بن علي بن الحسن في ثورته بالمدينة واستيلائه عليها، أيام موسى الهادي، وحضر مقتله في معركة فخ سنة 169 هـ، ونجا فدعا إلى نفسه، فبايعه كثير من أهل الحرمين واليمن ومصر. وذهب إلى اليمن فأقام مدة. ودخل مصر والمغرب. وعاد إلى المشرق فدخل العراق متنكرا. وقصد بلاد الري وخراسان فوصل إلى ما وراء النهر. واشتد الرشيد في طلبه، فانصرف إلى خاقان ملك الترك ومعه من شيعته وأنصاره نحو 170 رجلا، فأقام سنتين وستة أشهر. وخرج إلى طبرستان، فبلاد الديلم. وأعلن بها دعوته سنة 175 هـ وكثر جمعه، فندب الرشيد لحربه الفضل بن يحيى البرمكي في خمسين ألفا. وضعف أمر الطالبي، وخاف أن يغدر به ملك الديلم، فطلب أمان الرشيد، فأجابه بخطه، واستقدمه إلى بغداد، فدخلها. وأغدق عليه الرشيد عطاياه، إلى أن بلغه أنه يدعو لنفسه سرا، وأنه ما زال عنده من يقوم بدعوته، فحبسه عند الفضل بن يحيى. ورق له هذا بعد مدة، فأطلقه. وعلم الرشيد، فكان ذلك مما أحفظه على البرامكة، وأرسل من أعاد يحيى إلى الاعتقال، في سرداب. ووكل به مسرورا السياف. وكان كثيرا ما يدعو به إليه فيناظره. واستمر إلى أن مات في حبسه نحو 180 هـ وقيل: قتل بالجوع والعطش..

■ (4) محمد بن الحسن بن فرقد صاحب أبي حنيفة، يكنى أبا عبد الله مولى بني شيبان. أصله دمشقي من أهل قرية حرستا. قدم أبوه العراق فولد محمد بواسط سنة 132 هـ، ونشأ بالكوفة، وسمع من أبي حنيفة، ومسعر بن كدام، وسفيان الثوري، وعمر بن ذر، ومالك بن مغول. وكتب عن مالك بن أنس وأبي عمرو الأوزاعي، وزمعة بن صالح، وبكير بن عامر، وأبي يوسف القاضي. وسكن بغداد وحدث بها. وخرج إلى الرقة وهارون بها، فولاه قضاء الرقة ثم عزله، فقدم بغداد فلما خرج هارون إلي الري الخرجة الأولى أمره فخرج معه فمات بالري سنة 189 هـ.

■ (5) بشر المريسي أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه الحنفي المتكلم؛ هو من موالي زيد بن الخطاب. أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي، إلا أنه استغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرآن، منذ أيام الرشيد. وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة، وكان مرجئا، وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة، وكان يقول: إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر، ولكنه علامة الكفر. توفي سنة 218 هـ، وقيل: 219 هـ ببغداد.

■ (2) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، ربيعة الرأي، أيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع.وحدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

☪

ذكر الشيخ أبو القاسم البرزهي في كتاب المحامد أنه ذكر أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في مقاتل الطالبين أن هارون الرشيد دعا الحسن بن الحسن الأفطس[1] إلى بغداد، قال: بلغني أنك تجمع الزيدية[2] وتدعوهم إلى نفسك، فقال يا أمير المؤمنين ما أنا من هذه الطبقة، أنا شاب نشأت بالمدينة أتصيد بالبزاة والبواشيق في الصحاري، ما هممت بغير ذلك قط. قال هارون الرشيد: صدقت لكني أنزلك دارا وأوكل بك رجلا، ولا يحجب من يدخل عليك، وإن أردت أن تلعب بالطيور فافعل. فقال هذا السيد: يا أمير المؤمنين نشدتك بالله في دمي، فو الله أو فعلت ذلك لذهب عقلي، فلم يقبل الرشيد ذلك وحبسه. فانفذ ذلك السيد إلى هارون الرشيد رقعة فيها كل كلام قبيح وكل شتم شنيع، فلما قرأها هارون طرحها وقال: ضاق صدر هذا الفتى، فهو يتعرض لقتله، وما يحملني فعله وقوله على قتله. ثم دعى جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي[3] وأمره أن يحوله إلى داره ويوسع عليه، ففعل جعفر ذلك، فلما كان يوم النيروز* قدمه جعفر وضرب عنقه وغسل رأسه وجعله في منديل وأهداه إلى الرشيد مع الهدايا. فلما نظر الرشيد إلى الرأس اقشعر جلده وقال: ويحك لم فعلت هذا؟ فقال: لما كتب إلى أمير المؤمنين من الكلام القبيح، فقال: ويحك قتلك إياه بغير إذني أعظم من فعله ثم أمره بغسله وتكفينه وصلى عليه ودفنه في مقابر قريش. بعد ذلك بأيام قلائل تغير عنده أحوال آل برمك، وأمر بقتل جعفر بن يحيى، وقال المسرور الخادم له: يقول الرشيد أقتلك قصاصا عن ابن عمي. وفي سائر الكتب أن ذلك السيد هو أبو محمد عبد الله بن الحسن الأفطس[4]، ولم تكن هذه الحادثة للحسن المكفوف. والأصح أن المقتول عبد الله بن الحسن الأفطس، والله أعلم.

----

*(يوم النيروز) النيروز معرب نوروز اول يوم من السنة وفي حديث أنس : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر..قال شراح الحديث إن اليومين المذكورين في الحديث هما يوم النيروز والمهرجان، وقد شرع بدلا عنهما الفطر والأضحى

■ (1) الحسن المكفوف بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى ؟.... الحسن المكفوف بن الحسن الأفطس؟

■ (4) عبد الله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو الذي يقال له ابن الأفطس. ويكنى أبا محمد. وأمه أم سعيد بنت سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف.

■ (3) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

■ (2) سئل عيسى بن يونس عن الرافضة والزيدية، فقال: أما الرافضة: فأول ما ترفضت جاءوا إلى زيد بن علي حين خرج وقالوا: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نكون معك! قال: بل أتولاهما وأبرأ ممن يبرأ منهما! فقالوا: فإذن نرفضك! فسميت الرافضة، وأما الزيدية: فقالوا: نتولاهما ونبرأ ممن يبرأ منهما فخرجوا مع زيد فسميت الزيدية.

مراجع: البداية والنهاية/مختصر تاريخ دمشق/ حلية الأولياء/ الأعلام للزركلي/ السلوك في طبقات العلماء والملوك/

قال عمارة بن زيد المدني: كنت صديقا لمحمد بن الحسن[1]، فدخلت معه إلى الرشيد، فسأله عن أحواله، فقال: في خير يا أمير المؤمنين، ثم تسارا، فسمعت محمد بن الحسن يقول: إن محمد بن إدريس الشافعي[2] يزعم أنه للخلافة أهل. قال فغضب الرشيد، وقال: علي به. فأتي به، فأتي به حتى وقف بين يدي الرشيد، فكره الرشيد أن يعجل عليه من غير امتحان، فقال له: هيه؟ قال: وما هيه يا أمير المؤمنين، أنت الداعي، وأنا المدعو. وأنت السائل وأنا المجيب. قال: فكيف علمك بكتاب الله؟ فإنه أولى أن يبتدأ به؟ قال: جمعه الله في صدري، وجعل جنبي دفتيه. قال: فكيف علمك به؟ قال: أي علم تريد، يا أمير المؤمنين، أعلم تأويله، أم علم تنزيله؟ أم مكيه أم مدنيه؟ أم ليليه، أم نهاريه؟ أم سفريه، أم حضريه؟ أم هجريه، أم عربيه..فقال: له الرشيد: لقد ادعيت من علوم القرآن أمرا عظيما، فكيف علمك في الأحكام؟ قال: أفي الفتاوى، أم في الطلاق، أم في القضايا، أم في الأشربة، أم في المحاربات، أم في الديات؟ قال: فكيف علمك بالطب؟ قال: أعرف منه ما قالت الروم وبابل وبقراط، فقال: فكيف علمك بالنجوم؟ قال: أعرف منه القطب الدائر والمائي والنهاري..قال: فكيف علمك بالشعر؟ قال: أعرف الشاذ منه، وما نبه للمكارم. قال: فكيف علمك بأنساب العرب؟ قال: أعرف أنساب الكرام، وفيها نسب أمير المؤمنين ونسبي. فقال له الرشيد: لقد ادعيت من العلوم أمرا عظيما تطول به المحنة، فعظ أمير المؤمنين موعظة تبين له فيها كل ما ذكرت. قال: نعم، يا أمير المؤمنين؛ على رفع الحشمة، وترك الهيبة، وقبول النصح، وإلقاء رداء الكبر عن منكبيك؟ قال: لك ذلك. قال: فجثا الشافعي على ركبتيه ثم نادى: يا ذا الرجل، إنه من أطال عنان الأمن في العزة طوى عذر الحذر في المهلة، ومن لم يعدل على طريق النجاة كان بجانب قلة الاكتراث بالمرجع إلى الله مقيما، ومن أحسن الظن كان في أمنة المحذور في مثل نسج العنكبوت، لا يأمن عليها نفسه. فبكى الرشيد بكاء شديدا حتى بل منديلا كان بين يديه، فقال له خاصة من يقوم على رأسه: اسكت، فقد أبكيت عيني أمير المومنين! فالتفت إليهم، فقال: يا عبيد الرجعة، والذين باعوا أنفسهم من محبوب الدنيا، أما رأيتم ما استدرج به من كان قبلكم من الأمم بالإمارة؟ أما ترون كيف فضح مستورهم، وأمطر بواكر الهوان عليهم بتبديل سرورهم؟ فأصبحوا بعد خفض عيشهم، ولين رفاهيتهم في روح بين حصاد النعم، ومدارج المثلات. فقال له الرشيد: قدك، قد سللت علينا لسانك، وهو أمضى سيفيك! قال: هو لك إن قبلت لا عليك. قال: فهل من حاجة خاصة بعد العامة؟ قال: بعد بذل مكنون النصيحة، وتجريد الموعظة؟! أتأمرني أن أسود وجه موعظتي بالمسألة؟ والتفت الرشيد إلى محمد بن الحسن، فقال: ناظره بين يدي حتى أكون فاصلا بينكما، فإن اختلفتما في فرع رجعتما إلى الأصل. قال: فالتفت محمد بن الحسن، فقال: يا شافعي، ما تقول في رجل تزوج بامرأة،ودخل بها، وتزوج بالثانية، ولم يدخل بها، وتزوج بالثالثة، ودخل بها، وتزوج بالرابعة ولم يدخل بها. أصاب الثانية أم الأولى، وأصاب الثالثة عمة الرابعة. فقال الشافعي: ينزل عن الثانية والرابعة من غير أن يلزمه شيء، ويتمسك بالأولى والثالثة. قال: ما حجتك؟ قال الشافعي: أما الثانية فإن الله عز وجل يقول: ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء] وأما الرابعة فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتزوج الرجل المرأة على عمتها أو خالتها. ما تقول أنت يا محمد؟ كيف استقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة يوم النحر وكبر؟ قال: فتعتع محمد بن الحسن. فقال الشافعي: يسألني عن الأحكام فأجيبه، وأسأله عن سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج إليها الصادر والوارد فلا يجيبني، أفمن الإنصاف هذا؟ فتبسم الرشيد، وأمر للشافعي بعشرة آلاف دينار، فخرج الشافعي، ففرقه على باب داره، وانصرف مكرما.

----

(2) محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي الإمام ولد في سنة 150 هـ، بغزة من بلاد الشام، وقيل باليمن، ونشأ بمكة، وكتب العلم بها، وبمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقدم بغداد مرتين، وحدث بها، وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته سنة 204 هـ. وسمع من مالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد، وغير هؤلاء

(1) محمد بن الحسن بن فرقد صاحب أبي حنيفة، يكنى أبا عبد الله مولى بني شيبان. أصله دمشقي من أهل قرية حرستا. قدم أبوه العراق فولد محمد بواسط سنة 132 هـ، ونشأ بالكوفة، وسمع من أبي حنيفة، ومسعر بن كدام، وسفيان الثوري، وعمر بن ذر، ومالك بن مغول. وكتب عن مالك بن أنس وأبي عمرو الأوزاعي، وزمعة بن صالح، وبكير بن عامر، وأبي يوسف القاضي. وسكن بغداد وحدث بها. وخرج إلى الرقة وهارون بها، فولاه قضاء الرقة ثم عزله، فقدم بغداد فلما خرج هارون إلى الري الخرجة الأولى أمره فخرج معه فمات بالري سنة 189 هـ.

قال الأصمعي: رأيت أمير المؤمنين المأمون سنة أربع عشرة ومائتين يقول: لقد خص الله تعالى محمد بن إدريس الشافعي بالورع والعلم والفصاحة والأدب والصلاح والديانة، لقد سمعت أبي هارون يتوسل إلى الله به والشافعي حي يرزق.

حدث معمر بن شبيب قال سمعت المأمون يقول قد امتحنت محمد بن إدريس في كل شئ فوجدته به كاملا وقد بقيت خصلة وهو أن أسقيه من النبيذ ما يغلب على الرجل الجيد الشراب قال فحدثني ثابت الخادم وقد دعا به فأعطاه رطلا فقال اشرب يا محمد فقال يا أمير المؤمنين ما شربته قط قال عزمت عليك لتشربن فشربه ثم والى عليه بالأرطال حتى سقاه عشرين رطلا فما تغير ولا زال عن حجة قال القاضي وهذا ممن لم يعتد شربه ولم يأنس به مزاجه وطباعه أبلغ في الأعجوبة وأدل على اعتدال التركيب وقوة الطبيعة ووثاقة البنية والله أعلم بصحة هذه الحكاية وثبوتها من جهة الرواية.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وشيبان الراعي 0753

قال زيد بن العباس: لما حج هارون الرشيد قيل له: يا أمير المؤمنين قد حج شيبان[1] العام. قال: اطلبوه لي، فطلبوه فأتوه به فقال له: يا شيبان عظني؟ قال: يا أمير المؤمنين أنا رجل ألكن لا أفصح بالعربية فجئني بمن يفهم كلامي حتى أكلمه، فأتي برجل يفهم كلامه فقال له بالنبطية: قل له: يا أمير المؤمنين إن الذي يخوفك قبل أن تبلغ المأمن أنصح لك من الذي يؤمنك قبل أن تبلغ الخوف. فقال: قل له: أي شيء تفسير هذا؟ قال: قل له: الذي يقول لك: يا هذا اتق الله عز وجل فإنك رجل من هذه الأمة، استرعاك الله عليها وقلدك أمورها وأنت مسئول عنها فاعدل في الرعية واقسم بالسوية، وانفر في السرية*، واتق الله في نفسك، هذا الذي يخوفك فإذا بلغت المأمن أمنت، هو أنصح لك ممن يقول: أنتم أهل بيت مغفور لكم، وأنتم قرابة نبيكم وفي شفاعته، فلا يزال يؤمنك حتى إذا بلغت الخوف عطبت. قال: فبكى هارون حتى رحمه من حوله. ثم قال: زدني. قال: حسبك. ثم خرج.

قال ابن الجوزي: قال الرشيد لشيبان: عظني قال: لأن تصحب من يخوفك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف فقال الرشيد: فسر لي هذا قال: من يقول لك: أنت مسؤول عن الرعية فاتق الله أنصح لك ممن يقول: أنتم أهل بيت مغفور لكم وأنتم قرابة نبيكم صلى الله عليه وسلم فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله. وقال له في كلامه: يا أمير المؤمنين إن تكلمت خفت منك وإن سكت خفت عليك**، وأنا أقدم خوفي عليك على خوفي منك.

----

*(السرية) هي القطعة من الجيش(**) نفس الكلمة تقريبا قالها ابن الجوزي للخليفة المستضيء؟

■ (1) شيبان أبو محمد الراعي، من عباد أهل مرو، توفي في حدود سنة 170 هـ. روى عنه أهل بلده وكان من الأمارين بالمعروف وسكة شيبان بمرو تعرف به وهو صاحب حكايات غريبة مروية وكان ابن المبارك لا يميل إليه لميله إلى مذهب الرأي.

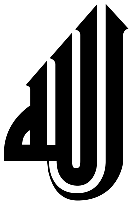

كان عمر بن الخطاب يقول: رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي. قال ميمون بن مهران:[1] قال لي عمر بن عبد العزيز: قل لي في وجهي ما أكرهه، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكرهه. قال عبد الجبار: قال عمر وهو على المنبر: أنشد الله، لا يعلم رجل عني عيبا إلا عابه، فقال رجل: نعم يا أمير المؤمنين، فيك عيبان: قال: ما هما؟ قال: تذيل* بين البردين، وتجمع بين الأدمين، ولا يسع ذاك الناس، قال: فما أذال بين بردين، ولا جمع بين أدمين حتى لقي الله عز وجل.

وقالوا: ينبغي لمن صحب السلطان أن لا يكتم عنه نصيحة وإن استثقلها، وليكن كلامه له كلام رتق، لا كلام خرق، حتى يخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك، ولكن يضرب له الأمثال، ويخبره بعيب غيره ليعرف عيب نفسه. وقال مالك: النصيحة لله في أرضه هي التي بعث الله بها أنبياءه، ومن أمر الإسلام القصد والنصيحة لعباد الله في أمورهم، والنفوس مستثقلة للنصح نافرة عن أهله مائلة إلى ما وافق هواها. وفي منثور الحكم: ودك من نصحك وقلاك من مشى في هواك. وكان يقال: أخوك من احتمل ثقل نصيحتك. وقال ابن وهب: إنما يحسن الاختيار لغيره من يحسن الاختيار لنفسه، ولا خير لك فيمن لا خير له في نفسه. وقالت العلماء: لن ينصحك امرؤ لا ينصح نفسه. وقال بعضهم: رأيي ورأيك في المعرفة أمثل لنفسك من رأيك لأنه خلو من هواك. وقال أبو الدرداء: إن شئتم لأنصحن لكم: إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويعلمون في الأرض نصحا. وقال أبو الدرداء: العلم يعلمه البر والفاجر والحكمة ينطق بها البر والفاجر، والنصيحة لله لا تثبت إلا في قلوب المنتخبين الذين صحت عقولهم وصدقت نياتهم. وعن الشعبي قال: مر رجل من مراد على أويس القرني فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله عز وجل. قال: كيف الزمان عليك؟ قال: كيف الزمان على رجل إن أصبح ظن أنه لا يمسي، وإن أمسى ظن أنه لا يصبح؟ فمبشر بالجنة أو مبشر بالنار. يا أخا مراد إن الموت وذكره لم يترك لمؤمن فرحا، وإن علمه بحقوق الله لم يترك له فضة ولا ذهبا، وإن قيامه لله بالحق لم يترك له صديقا.

عن درة بنت أبي لهب قالت: قام رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال:﴿يَا رَسُولَ اللهَّ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ فَقَالَ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَؤُهُمْ وَأَتْقَاهُمْ وَآمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ﴾ وعن حذيفة يأتي على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وقال أبو الدرداء: ﴿إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مُحَبَّبًا فِي جِيرَانِهِ مَحْمُودًا عِنْدَ إِخْوَانِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُدَاهِنٌ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللهَّ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأَذَّوْا بِهِ فَأَخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنْ الْمَاءِ فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا، فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ ، يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهَّ بِعِقَابِهِ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿يُحْشَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي من قُبُورِهِمْ إِلَى اللهِ عَلَى صُورَةِ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ بِمَا داهنوا أَهْلِ الْمَعَاصِي وَكَفُّوا عن نَهْيِهِم وَهُمْ يَسْتَطِيعُونَ﴾ قال في تفسير حقي: فلا بد من توطين النفس على الصبر وتقليل العلائق وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿عَذَّبَ أَهْلَ قَرْيَةٍ فِيهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا عَمَلُهُم عَمَلَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ كَيْفَ؟ قَالَ: لَمْ يَكُونُوا يَغْضَبُونَ للهَّ، وَلاَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلاَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾. ثم الأمر بالمعروف تابع للمأمور به إن كان واجبا فواجب وإن كان ندبا فندب. وأما النهي عن المنكر فواجب كله لأن جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح وطريق الوجوب السمع والعقل وعند البعض السمع وحده وشرط النهي بعد معرفة المنهي عنه أن لا يكون ما ينهى عنه واقعا لأن الواقع لا يحسن النهي عنه وإنما يحسن الذم عليه والنهي عن المعاودة إلى مثله أن يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو أن يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر بأعداد آلاته وأن لا يغلب على ظنه إن أنكر لحقته مضرة عظيمة.فإن قلت : كيف يباشر الإنكار؟ قلت : يبدأ بالسهل فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب لأن الغرض كف المنكر قال تعالى:﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ ثم قال:﴿فَقَاتِلُوا﴾ [الحجرات] والمباشر كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد أجمعوا أن من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الإنكار لأنه معلوم قبحه لكل أحد. وأما الإنكار الذي بالقتال فالإمام وخلفاؤه أولى لأنهم أعلم بالسياسة ومعهم عدتها.

عن تميم الداري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الدِّينُ النَّصِيحَةُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهَّ؟، قَالَ: للهَّ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، - أَوْ لِلْمُؤْمِنِينَ -، وَعَامَّتِهِمْ﴾ (الدين النصيحة) فمن لم ينصح لله وللأئمة وللعامة، كان ناقص الدين. وقوله تعالى:﴿إِذَا نَصَحُوا للهَّ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة] (نصحوا) نصح له تحرى ما ينبغي له وما يصلح وأراد له الخير وأخلص في تدبير أمره. ونصح العبد لله تعالى وقف عند ما أمر وما نهى وفعل ما يجب واجتنب ما يسخط. ونصح لرسوله صلى الله عليه وسلم صدق بنبوته والتزم ما جاء به وتخلق بأخلاقه بقدر طاقته. روى معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهَّ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ﴾ (لا يغل) بضم الياء وكسر الغين، أي لا يكون معها في قلبه غش ودغل ونفاق. وروى (لا يغل) بفتح الياء، أي لا يدخله حقد يزيله عن الحق. وعن جرير بن عبد الله قال: ﴿بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلَقَّنَنِي، فِيمَا اسْتَطَعْتُ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ﴾ وعن أنس: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ﴾ وروي أن رجلا لطم إبراهيم بن أدهم فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي إنك تثيبني وتعاقبه فلا تثبني ولا تعاقبه. عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللهَّ تَعَالَى قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، إِنَّ اللهَّ تَعَالَى يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهَّ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يُسْلِمَ قَلْبُهُ، وَلِسَانُهُ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ﴾ (أخلاقكم) أي أعمالكم، وأحوالكم (ولا يعطي الدين) أي الأخلاق الحسنة، والآداب المستحسنة (ولا يؤمن) أي عبد إيمانا تاما (حتى يأمن جاره) أي خصوصا أو مثلا (بوائقه) أي شروره.

----

*(أذال) أرسل

■ (1) ميمون بن مهران مولى بني أسد كان مملوكا لامرأة بالكوفة فأعتقته وبها نشأ وكنيته أبو أيوب،كان مؤدب أولاه الخليفة عمر، سكن الجزيرة بعد وقعة الجماجم، وتولى قضاء الرقة لعمر، يروي عن ابن عمر، ولد سنة 40 هـ سنة المجاعة ومات بالرقة سنة 118 هـ وقيل سنة 117 هـ

مراجع: صفة الصفوة / حلية الأولياء/ تاريخ الإسلام / الثقات لابن حبان/ سراج الملوك/ شرح السنة للبغوي/ تفسير حقي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ تاريخ الخلفاء/

عن عبد الله بن صالح قال: سمعت الليث بن سعد[1] يقول: لما قدمت على هارون الرشيد قال لي: يا ليث ما صلاح بلدكم؟ قلت: يا أمير المؤمنين صلاح بلدنا بإجراء النيل وإصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتي الكرم فإذا صفا رأس العين صفت السواقي، فقال: صدقت يا أبا الحارث! وهذا كقول عمر بن عبد العزيز: السوق يؤتى إليها ما ينفق فيها. فالأمير إذا كان من أهل الخير ومن أهل العلم والصلاح كان الناس متسابقين على الخير والصلاح والعبادة والطاعة، وإن كان الأمير عكس ذلك، فإن الناس يتسابقون على عكس ذلك. قال الحكماء: الناس تبع لإمامهم في الخير والشر. لما أتي عمر بن الخطاب بتاج كسرى وسواريه. قال: إن الذي أدّى هذا لأمين. قال له رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله، يؤدون إليك ما أدّيت إلى الله تعالى، فإن رتعت رتعوا. قيل اطلع مروان بن الحكم على ضيعة له بالغوطة*، فأنكر منها شيئا، فقال لوكيله: ويحك! إني لأظنك تخونني. قال: أتظن ذلك ولا تستيقنه. قال: وتفعله؟ قال: نعم والله، إني لأخونك، وإنك لتخون أمير المؤمنين، وإن أمير المؤمنين* ليخون الله؛ فلعن الله شر الثلاثة.

خرج الرشيد في بعض متنزهاته، فانفرد من الناس على نحو ميل، فرفع له خباء مضروب، فأمه، فإذا فيه أعرابي، فسلم عليه الرشيد، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا من أبغض الناس إلى الناس، فقال الأعرابي: ؟أنت إذا من معد، فمن أي معد؟ قال: من أبغض معد إلى معد، قال: أنت إذا من مضر، فمن أي مضر أنت؟قال: من أبغض مضر إلى مضر، قال: أنت إذا من كنانة، فمن أي كنانة أنت؟ قال: من أبغض كنانة إلى كنانة، قال: إذا أنت من قريش، فمن أي قريش أنت؟ قال: من أبغض قريش إلى قريش، قال: أنت إذا من بني هاشم، فمن أي بني هاشم؟ قال: من أبغض بني هاشم إلى بني هاشم، قال: أنت إذا من ولد العباس، فمن أي ولد العباس أنت؟ قال: من أبغض بني العباس إلى العباس، فوثب الأعرابي قائما وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وتوافت الجيوش، فقال الرشيد: احملوه قاتله الله ما أذهنه.

قيل أنفذ هارون الرشيد إلى مالك بن أنس[2] خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فأنفذ إليه ألف دينار، فغضب الرشيد وقال: أعطيه خمسمائة دينار وتعطيه أنت ألف دينار، وأنت من رعيتي فقال: يا أمير المؤمنين إن لي في كل يوم من غلتي ألف دينار، فاستحييت أن أعطي مثله أقل من دخل يوم. وحكي أنه لم تجب عليه زكاة قط، مع أن دخله ألف دينار في كل يوم.

----

*(غوطة دمشق) تحيط بمدينة دمشق من الشرق والغرب والجنوب وهى تتبع دمشق وريف دمشق وهي سهل ممتد عبارة عن بساتين. (أمير المؤمنين) يقصد: يزيد بن معاوية ؟!

■ (1) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، من السابعة، يكنى أبا الحارث، مولى لقيس. ولد سنة 93 هـ، واستقل بالفتوى والكرم بمصر. أسند الليث عن خلق كثير من التابعين كعطاء، ونافع، وأبي الزبير، والزهري. وقيل إنه أدرك نيفا وخمسين تابعيا. وتوفي يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان من سنة 175 هـ ودفن بعد الجمعة.

■ (2) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، ربيعة الرأي، أيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع. وحدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

قال الماوردي: قيل لبعض الحكماء من أولى بك منك وأصدق في نصيحتك من نفسك لك. قال من صدقني إن نزعت ونبهني إن غفلت. فإن أغفل هذا الفرق والتمييز واستسهل الاغترار والتجويز داهن نفسه ونافق عقله واستفسد أهل الوفاء والصدق وصار مأكلة النفاق والملق فأعقبه أذى ومضرة وتورط به في شبهة وحيرة واكتسب به هجنة ومعرة. وقد قيل المنافق نصف حسده بلا عقل. والسلطان أولى من حذر ذلك وتوقاه لأن حضرته لكثرة الراغبين فيها كالسوق التي يجلب إليها ما ينفق فيها وكل داخل عليه إنما يريد التقرب إليه بقوله وفعله إما طالبا للمنزلة وإما اجتذابا للمنفعة وإما حذرا من المخالفة فإذا لم يزجرهم عقل ولم يكفهم دين مرحوا في نفاقهم فخانوا وشانوا. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ﴾ فإذا اتسق لهم النفاق ورأوه من أرفق الأرزاق عدلوا عن زواجر العقل والمناصحة إلى مساعدة الملك على رأيه لأنهم قد علموا منه إيثار الموافقة على الهوى وحب المدح والإطراء فجعلوا ذلك أربح بضائعهم لديه وألطف وسائلهم إليه وهو سهل التكلف لا يجد المتوسل المتقرب به مسا فيتصور ذمه حمدا وقد اكتسب به ذما ويتوهم قبيحه حسنا وقد أورثه قباحة وشينا ثم لا يجد ناصحا سليما ولا مراقبا رحيما لأن النصح عنده بائر مرذول والخداع إليه نافق مقبول فإن روقبت هفواته بالإغضا وسوعد عليها بالرضا طاح في إغوائه ومرح في غلوائه فطمس بهجة محاسنه وأوهى جلالة قدره.. وهذا مما يجب أن يتوقاه الملك ويحذره ليكفى مخادعة الهوى ويميزه عن مداهنة النفس. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا مِنْ نَفْسِهِ وَزَاجِرًا مِنْ قَلْبِهِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ﴾ قال بعض الحكماء: من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ.

☪

قال ياقوت الحموي: حكي أن المنصور لما أراد بناء بغداد استشار خالد بن برمك[1] في هدم الإيوان وإدخال آلته في عمارة بغداد فقال له: لا تفعل يا أمير المؤمنين فقال: أبيت إلا التعصب للفرس! فقال: ما الأمر كما ظن أمير المؤمنين ولكنه أثر عظيم يدل على أن ملة ودينا وقوما أذهبوا ملك بانيه لدين وملك عظيم فلم يصغ إلى رأيه وأمر بهدمه فوجد النفقة عليه أكثر من الفائدة بنقضه فتركه فقال خالد: الآن أرى يا أمير المؤمنين أن تهدمه لئلا يقال إنك عجزت عن خراب ما عمره غيرك ومعلوم ما بين الخراب والعمارة فعلى قول الموبذان إنه خرب إيوان سابور بن أردشير وعلى قول غيره إنه لم يلتفت إلى قوله أيضا وتركه. وما زلت أسمع أن كسرى لما أراد بناء إيوانه هذا أمر بشراء ما حوله من مساكن الناس وإرغابهم بالثمن الوافر وإدخاله في الإيوان وأنه كان في جواره عجوز لها دويرة صغيرة فأرادوها على بيعة فامتنعت وقالت: ما كنت لأبيع جوار الملك بالدنيا جميعها، فاستحسن منها هذا الكلام وأمر ببناء الإيوان وترك دارها في موضعها منه وإحكام عمارتها ولما رأيت الإيوان رأيت في جانب منه قبة صغيرة محكمة العمارة يعرفها أهل تلك الناحية بقبة العجوز فعجبت من قوم كان هذا مذهبهم في العدل والرفق بالرعية كيف ذهبت دولتهم لولا النبوة التي شرفها الله تعالى وشرف بها عبادة.

■ (1) خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف: أبو البرامكة، وأول من تمكن منهم في دولة بني العباس. كان أبوه برمك من مجوس بلخ، وتقلد خالد قسمة الغنائم بين الجند في عسكر قحطبة ابن شبيب بخراسان. وكان قحطبة يستشيره ويعمل برأيه. ولما بويع السفاح ودخل خالد لمبايعته توهمه من العرب، لفصاحته، وأقره على الغنائم، وجعل إليه ديوان الخراج وديوان الجند بعد ذلك، وحل منه محل الوزير وبعد وفاة السفاح أقره المنصور نحو سنة ثم صرفه عن الديوان وقلده بلاد فارس الري، وطبرستان، ودنباوند وما إليها فأقام - بطبرستان = سبع سنين، وعزله ونكبه. ثم رضي عنه وأمره على الموصل. ولما ولي المهدي أعاده إلى إمارة فارس، ووجهة مع ابنه هارون الرشيد في صائفة سنة 163 هـ. ومات بعدها، وقيل: بعد أوبته منها. سنة 163 هـ وكان سخيا سريا عاقلا فيه نبل، قال المسعودي: لم يبلغ مبلغ خالد أحد من ولده، في جوده ورأيه وبأسه وعلمه، لا يحيى في رأيه ووفور عقله، ولا الفضل بن يحيى في جوده ونزاهته، ولا جعفر في كتابته وفصاحة لسانه، ولا محمد بن يحيى في شرفه وبعد همته، ولا موسى في شجاعته وبأسه.

مراجع: صفة الصفوة/ من أعلام السلف/ سير أعلام النبلاء/ الطبقات الكبرى/ تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك/ حلية الأولياء/ العقد الفريد/ معجم البلدان/

حدث أبو علي الحسن بن مليح الطرايفي بمصر عن لولو[1] الخادم خادم الرشيد قال: جرى بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة[2] مناظرة وملاحاة في شيء من الأشياء، فقال هارون لها في عرض كلامه: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة، ثم ندم واغتما جميعا بهذه اليمين، ونزلت بهما مصيبة لموضع ابنة عمه منه، فجمع الفقهاء وسألهم عن هذه اليمين، فلم يجد منها مخرجا، ثم كتب إلى سائر البلدان من عمله أن يحمل إليه الفقهاء من بلدانهم، فلما اجتمعوا جلس لهم وأدخلوا عليه، وكنت واقفا بين يديه لأمر إن حدث يأمرني بما شاء فيه، فسألهم عن يمينه وكنت المعبر عنه، وهل له منها مخلص، فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة، وكان إذا ذاك فيهم الليث بن سعد[3]، فيمن أشخص من مصر وهو جالس في آخر المجلس لم يتكلم بشيء، وهارون يراعي الفقهاء واحدا واحدا، فقال: بقي ذلك الشيخ في آخر المجلس، لم يتكلم بشيء، فقلت له: إن أمير المؤمنين يقول لك: مالك لا تتكلم كما تكلم أصحابك؟ فقال: قد سمع أمير المؤمنين قول الفقهاء، وفيه مقنع، فقال: قل إن أمير المؤمنين يقول: لو أردنا ذلك سمعنا من فقهائنا، ولم نشخصكم من بلدانكم، ولما أحضرت هذا المجلس، فقال: يخلى أمير المؤمنين مجلسه إن أراد أن يسمع كلامي في ذلك، فانصرف من كان بمجلس أمير المؤمنين من الفقهاء والناس، ثم قال: تكلم، فقال: يدنيني أمير المؤمنين، فقال: ليس بالحضرة إلا هذا الغلام، وليس عليك منه عين، فقال: يا أمير المؤمنين، أتكلم على الأمان وعلى طرح التعمل والهيبة والطاعة لي من أمير المؤمنين في جميع ما آمر به؟ قال: لك ذلك، قال: يدعو أمير المؤمنين بمصحف جامع، فأمر به فأحضر، فقال: يأخذه أمير المؤمنين فيتصفحه حتى يصل إلى سورة الرحمن، فأخذه وتصفحه حتى وصل إلى سورة الرحمن، فقال: يقرأ أمير المؤمنين، فقرأ، فلما بلغ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن] قال: قف يا أمير المؤمنين ههنا، فوقف، فقال: يقول أمير المؤمنين: والله، فاشتد على الرشيد وعلي ذلك، فقال له هارون: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، على هذا وقع الشرط، فنكس أمير المؤمنين رأسه، وكانت زبيدة في بيت مسبل عليه ستر قريب من المجلس تسمع الخطاب، ثم رفع هارون رأسه إليه، فقال: والله، قال: الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، إلى أن بلغ آخر اليمين، ثم قال: إنك يا أمير المؤمنين تخاف مقام الله؟ قال هارون: إني أخاف مقام الله، فقال: يا أمير المؤمنين، فهي جنتان وليست بجنة واحدة، كما ذكر الله تعالى في كتابه، فسمعت التصفيق والفرح من خلف الستر، وقال هارون: أحسنت والله، بارك الله فيك، ثم أمر بالجوائز والخلع لليث بن سعد، ثم قال هارون: يا شيخ، اختر ما شئت وسل ما شئت تجب فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، وهذا الخادم الواقف على رأسك؟ فقال: وهذا الخادم، فقال: يا أمير المؤمنين، والضياع التي لك بمصر، ولابنة عمك أكون عليها، وتسلم إلي لأنظر في أمورها، قال: بل نقطعك إقطاعا، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أريد من هذا شيئا، بل تكون في يدي لأمير المؤمنين، فلا يجري على حيف العمال، وأعز بذلك، فقال: لك ذلك، وأمر أن يكتب له، ويسجل بما قال، وخرج من بين يدي أمير المؤمنين بجميع الجوائز والخلع والخادم، وأمرت زبيدة له بضعف ما أمر به الرشيد، فحمل إليه، واستأذن في الرجوع إلى مصر، فحمل مكرما أو كما قال. في رواية قال له: راجع زوجتك فلا حنث عليك. فأمر له بعشرة آلاف دينار، وأقطعه ضيعة بريف مصر تعرف بقرقشندة.

■ (3) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، من السابعة، يكنى أبا الحارث، مولى لقيس. ولد سنة 93 هـ، واستقل بالفتوى والكرم بمصر.أسند الليث عن خلق كثير من التابعين كعطاء، ونافع، وأبي الزبير، والزهري. وقيل إنه أدرك نيفا وخمسين تابعيا. وتوفي يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان من سنة 175 هـ ودفن بعد الجمعة.

■ (1) أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها.أعرس بها هارون الرشيد سنة 165 في قصره المعروف بالخلد. وكانت وفاتها في سنة 216 هـ ببغداد، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة 186 هـ.

■ (1) لؤلؤ بن عبد الله أبو الحسن الخادم كان لزبيدة ويقال بل كان لهارون الرشيد فوهبه لليث بن سعد وقدم مع الليث دمشق لما رجع من بغداد إلى مصر.

الحمد لله رب العالمين

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن أبي علي القاضي المحسن عن أبيه قال: كان عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما: أنت طالق ثلاثا إن لم تكوني أحسن من القمر ، فنهضت واحتجبت عنه وقالت: طلقتني ! وبات بليلة عظيمة، فلما أصبح غدا إلى دار المنصور فأخبره الخبر، وأظهر للمنصور جزعا عظيما فاستحضر الفقهاء واستفتاهم ، فقال جميع من من حضر: قد طلقت، إلا رجلا واحدا من أصحاب أبي حنيفة فإنه كان ساكتا، فقال له المنصور: ما لك لا تتكلم ؟ فقال له الرجل: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين] يا أمير المؤمنين الإنسان أحسن الأشياء ولا شيء أحسن منه فقال المنصور لعيسى موسى، الأمر كما قال فأقبل على زوجتك، وأرسل أبو جعفر المنصور إلى زوجة الرجل: أن أطيعي زوجك ولا تعصيه فما طلقك.قال النووي: هذا الحكم والاستشهاد متفق عليه وقد نص عليه الشافعي رحمه الله وقد ذكرت النص في ترجمة الشافعي من كتاب الطبقات. قال الشيخ إبرهيم المروذي لو قال إن لم أكن أحسن من القمر فأنت طالق لا تطلق وإن كان زنجيا أسود والله أعلم. قالت العلماء: الشاهد من القصة: إن كل خلق الله حسن، وكل امرأة وكل رجل لابد أن يكون فيه حسن لوجه من الوجوه، وإذا تفاوتوا فنحن قسمنا بينهم معيشتهم.

☪

عن عبيد الله بن سعيد بن كثير بن عفير عن أبيه قال: قدم إبراهيم بن سعد[1] العراق سنة أربع وثمانين ومائة فأكرمه الرشيد وأظهر بره وسئل عن الغناء فأفتاهم بتحليله واتاه بعض أصحاب الحديث ليسمع منه أحاديث الزهري فسمعه يتغنى فقال: لقد كنت حريصا أن أسمع منك، فأما الان فلا أسمع منك حديثا أبدا، فقال: إذا لا أفقد إلا شخصك، وعلي وعلي إن حدثت ببغداد ما أقمت حديثا حتى أغني قبله، وشاعت هذه عنه ببغداد، فبلغت الرشيد، فدعا به فسأله عن حديث المخزومية التي قطعها النبي صلى الله عليه وسلم في سرقة الحلي، فدعا بعود، فقال الرشيد: أعود المجمر، فقال: لا، ولكن عود الطرق، فتبسم، ففهمها إبراهيم، فقال: لعلك يا أمير المؤمنين، بلغك حديث السفيه الذي اذاني بالأمس وألجأني أن حلفت، قال: نعم، فدعا له الرشيد بعود، فغنى: يا أم طلحة إن البين قد أفدا..قل الثواء لئن كان الرحيل غدا. فقال له الرشيد: من كان من فقهائكم يكره السماع؟ قال: من ربطه الله، قال: فهل بلغك عن مالك في هذا شيء؟ قال: إي والله، أخبرني أبي أنهم اجتمعوا في مدعاة كانت لبني يربوع، وهم يومئذ أجلة ومالك أقلهم فقها وقدرا، ومعهم دفوف ومعازف وعيدان يغنون ويلعبون ومع مالك دف مربع، وهو يغنيهم: سليمى أجمعت بينا فأين تقولها أينا وقد قالت لأتراب لها زهر تلاقينا..تعالين فقد طاب لنا العيش تعالينا. فضحك الرشيد، ووصله بمال عظيم.

☪

عن محمد بن الغار قال حدثني عبد الرحمن بن محمد ابن أخي الأصمعي قال سمعت عمى يقول توصلت بالملح وأدركت بالغريب وقال عمى للرشيد في بعض حديثه بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلا من العرب طلق في يوم خمس نسوة قال إنما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة فكيف طلق خمسا؟! قال: كان لرجل أربع نسوة، فدخل عليهن يوما، فوجدهن متلاحيات متنازعات، وكان شنطيرا، فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما إخال هذا الأمر إلا من قبلك، يقول ذلك لا مرأة منهن، اذهبي فأنت طالق، فقالت له صاحبتها: عجلت عليها بالطلاق، ولو أدبتها بغير ذلك لكان حقيقا، فقال لها: وأنت أيضا طالق، فقالت له الثالثة: قبحك الله، فوالله لقد كانتا إليك محسنتين وعليك مفضلتين، فقال: وأنت أيتها المعددة أياديهما طالق أيضا، فقالت له الرابعة، وكانت هلالية وفيها أناة شديدة: ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق؟ فقال لها: وأنت طالق أيضا، وكان ذلك بمسمع جارة له، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه، فقالت: والله، ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم، أبيت إلا طلاق نسائك فى ساعة واحدة، قال: وأنت أيضا أيتها المؤنبة المتكلفة طالق إن أجاز زوجك، فأجابه من داخل بيته: قد أجزت، قد أجزت.

■ (1) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري،الإمام أبو إسحاق القرشي المدني سمع أباه، والزهري، وصفوان بن سليم، وصالح بن كيسان، ويزيد بن الهاد، وابن إسحاق، والوليد بن كثير، وطائفة. كان من العلماء الثقات عاش خمسا وسبعين سنة. وولي قضاء المدينة، وقد كان أبوه أيضا قاضيها. مات ستة 185 هـ

مراجع: حلية الأولياء/ الأعلام للزركلي/ تاريخ دمشق/ طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار/ العقد الفريد/ روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي/ القلائد من فرائد الفوائد/

عن جعفر بن يحيى بن خالد[1] قال: ما رأينا في القراء أحدا مثل عيسى بن يونس[2]،أرسلنا إليه فأتانا بالرقة، فاعتل قبل أن يرجع، فقلت: يا أبا عمرو، قد أمر لك بعشرة آلاف فقال: هه، فقلت: هي خمسون ألفا. قال: لا حاجة لي فيها. فقلت: ولم؟ أما والله لأهنئنكها، هي والله مائة ألف. قال: لا والله، لا يتحدث أهل العلم أني أكلت للسنة ثمنا، ألا كان هذا قبل أن ترسلوا إلي! فأما على الحديث فلا والله ولا شربة ماء ولا هليلجة*.قال أبو بكر المروزي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وذكر ورع عيسى بن يونس، قال: قدم فأمر له بمائة ألف، أو قال: بمال، فلم يقبل، وتدري ابن كم كان عيسى؟ أراد أنه كان حدث السن. قال أحمد بن داود الحداني: رأيت فرجا خادم أمير المؤمنين جاء إلى عيسى وهو قاعد بدرب الحدث على بابه، فكلمه، فما رفع به رأسا، ولا نظر إليه، فانصرف ذليلا.

حدث محمد بن المنذر الكندي[3] –وكان جارا لعبد الله بن إدريس–[4] قال: حج الرشيد ومعه الأمين والمأمون، فدخل الكوفة، فقال لأبي يوسف: قل للمحدثين يأتونا يحدثونا. فلم يتخلف عنه من شيوخ الكوفة إلا اثنان: عبد الله بن إدريس وعيسى بن يونس، فركب الأمين والمأمون إلى عبد الله بن إدريس فحدثهما بمئة حديث، فقال المأمون لعبد الله: يا عم! أتأذن لي أن أعيدها عليك من حفظي؟ قال: افعل، فأعادها كما سمعها، وكان أبو إدريس من أهل الحفظ يقول: لولا أني أخشى أن ينفلت مني القرآن ما دونت العلم، فعجب عبد الله بن إدريس من حفظ المأمون! وقال المأمون: يا عم، إلى جانب مسجدك دار، إن أذنت لنا اشتريناها ووسعنا بها المسجد؟ فقال: ما بي إلى هذا حاجة، قد أجزأ* من كان قبلي، وهو يجزيني. فنظر إلى قرح في ذراع الشيخ فقال: إن معنا متطببين وأدوية، أفتأذن أن يجيئك من يعالجك؟ قال: لا، قد ظهر بي مثل هذا وبرأ. فأمر له بمال جائزة، فأبى أن يقبله. وصار إلى عيسى بن يونس، فحدثهما، فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها، فظن أنه استقلها، فأمر له بعشرين ألفا، فقال عيسى: لا ولا إهليلجة، ولا شربة ماء على حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو ملأت لي هذا المسجد ذهبا إلى السقف! فانصرفنا من عنده.

وفي رواية قال محمد بن المنكدر: حج الرشيد فدخل الكوفة فركب الأمين والمأمون إلى عيسى بن يونس فحدثهما، فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم. فأبى أن يقبلها فظن أنه استقلها. فأمر له بعشرين ألفا. فقال عيسى: لا والله ولا إهليلجة ولا شربة ماء على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ملأت لي هذا المسجد ذهبا إلى السقف.

----

*(الاهليلج) بكسر الالف وفتح اللام، وقد تكسر، والواحدة بهاء: شجر ينبت في الهند وكابل والصين ثمره على هيئة حب الصنوبر الكبار(أجزأ) قضى وأغنى وكفى

■ (2) عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله الهمداني، الإمام، القدوة، الحافظ، الحجة، أبو عمرو، وأبو محمد الهمداني، السبيعي، الكوفي، المرابط بثغر الحدث، أخو الحافظ إسرائيل. قيل مات في نصف شعبان سنة 87 هـ، وقيل: سنة 91 هـ. قيل: إن عيسى بن يونس غزا خمسا وأربعين غزوة، وحج خمسا وأربعين حجة، وتوفي سنة سبع وثمانين. وكان ثقة، ثبتا.وقال المروذي: عن أحمد: ثبت، وكنا نخبر أنه سنة في الغزو، وسنة في الحج، وقد قدم بغداد في شيء من أمر الحصون، فأمر له بمال، فأبى أن يقبله.

■ (4) عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي ، الإمام، الحافظ، المقرئ، القدوة، أبو محمد، الأودي، الكوفي. ولد سنة 120 هـ. وقيل: بل كان مولده سنة 115 هـ. وحدث عن أبيه، وخلق كثير. وتلا على نافع، وكان من أئمة الدين. حدث عنه مالك – وهو من مشايخه – وابن المبارك، ويحيى بن آدم، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وخلق كثير. وكان هارون الرشيد أقدمه بغداد ليوليه قضاء الكوفة فامتنع من ذلك، وعاد إلى الكوفة، فأقام بها إلى حين وفاته بالكوفة سنة 192 هـ وعن حسين العنقزي، قال: لما نزل بابن إدريس الموت، بكت بنته. فقال: لا تبكي يا بنية، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة. قال يعقوب بن شيبة: كان عابدا، فاضلا، كان يسلك في كثير من فتياه ومذاهبه مسالك أهل المدينة، يخالف الكوفيين، وكان بينه وبين مالك صداقة. ثم قال: وقد قيل: إن جميع ما يرويه مالك في الموطأ، فيقول بلغني عن علي رضي الله عنه أنه سمعه من ابن إدريس. قال أبو حاتم: هو حجة، إمام من أئمة المسلمين.وقيل: لم يكن بالكوفة أحد أعبد لله من ابن إدريس.

■ (1) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماسب بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

■ (3) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو بكر المدني، أخو أبي بكر بن المنكدر، وعمر بن المنكدر.أسند محمد بن المنكدر عن ابن عمر وأبي قتادة وجابر وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وأميمة بنت رقيقة. وروى عن كبار التابعين كالحسن وعروة وسعيد بن خيبر والزهري وأبي حازم ويحيى بن سعيد وأيوب ويونس بن عبيد، في خلق يطول ذكرهم. وعن ابن زيد قال: أتى صفوان بن سليم إلى محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال: يا أبا عبد الله كأني أراك قد شق عليك الموت؟ قال: فما زال يهون عليه الأمر وينجلي عن محمد حتى لكأن في وجهه المصابيح. ثم قال له محمد: لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك. ثم قضى رحمه الله.توفي بالمدينة سنة 130 هـ أو131 هـ.

عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ أَخَذَ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ قَوْساً قَلَّدَهُ الله مَكَانَهَا قَوْساً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن مجاهد قال: قال عمر بن الخطاب: يا أهل العلم والقرآن لا تأخذوا للعلم والقرآن ثمنا فتسبقكم الزناة إلى الجنة. وعن منصور، عن إبراهيم ، قال: كانوا يكرهون أن يأخذوا على الغلمان في الكتاب أجرا. وعن عبد الله بن شقيق قال: يكره أرش المعلم، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يكرهونه ويرونه شديدا. عن مغيرة بن زياد عن عبادة بن نسي، عن الأسود بن ثعلبة عنه قال: ﴿عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابَةَ وَالْقُرْآنَ، فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا فَقُلْتُ: لَيْسَت بِمَالٍ، وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ الله، لآتِيَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلأَسْأَلَنَّهُ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، رَجُلٌ أَهْدَى إِلَيَّ قَوْسًا مِمَّنْ كُنْتُ أُعَلِّمُهُ الْكِتَابَةَ وَالْقُرْآنَ، وَلَيْسَتْ بِمَالٍ، وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ الله، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تُطَوَّقَ بِهَا طَوْقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا﴾ وعن موسى بن علي، عن أبيه: ﴿أَنَّ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ كَانَ يُعَلِّمُ رَجُلاً مَكْفُوفًا، فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ غَدَّاهُ، قَالَ: فَوَجَدْتُ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ فَسَأَلْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنْ شَيْئاً يُتْحِفُكَ بِهِ فَلاَ خَيْرَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ طَعَامِهِ وَطَعَامِ أَهْلِهِ فَلاَ بَأْسَ بِهِ﴾ فما ظنك بمن يأكل بالكتب التي تحتوي على الآيات والأحاديث باسم تحقيق أو نشر ويحتكرها نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة. قيل خرج الحسن من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقراء على الباب فقال: ما يجلسكم هاهنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء؟ أما والله ما مجالستهم بمجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم، وأجسادكم قد لقحتم نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجززتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله، وأما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، لكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم، أبعد الله من أبعد.

مراجع: صفة الصفوة/ من أعلام السلف/ سير أعلام النبلاء/ الطبقات الكبرى/ تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك/ حلية الأولياء/ العقد الفريد/ السلسلة الصحيحة/ مصنف ابن أبي شيبة/مختصر تاريخ دمشق/

روى عن حبان بن عبد الله قال: تنزه هارون الرشيد بالدوين* ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر(1) فقال له هارون قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال: فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها، فقال لها: ما شأنك فقالت ليس هذا عودي، فقال للخادم: جئنا بعودها، قال: فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى، فقال: الطريق يا شيخ، فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض، فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع، فقال: احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين، فقال له صاحب الربع: ليس ببغداد أعبد من هذا! فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين؟ فقال له: اسمع ما أقول لك، ثم دخل على هارون، فقال: إني مررت على شيخ يلقط النوى، فقلت له: الطريق فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الأرض فكسره، فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه، فقال له: سليمان بن أبي جعفر، ما هذا الغضب؟ يا أمير المؤمنين ابعث إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرم به في الدجلة، فقال: لا، ولكن نبعث إليه ونناظره أولا، فجاء الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال: نعم، قال: اركب، قال: لا، فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر، فقيل لهارون: قد جاء الشيخ، فقال للندماء: أي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر؟ فقالوا له: نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح، فقاموا إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى، فقال له الخادم: أخرج هذا من كمك وادخل على أمير المؤمنين، فقال: من هذا عشائي الليلة، قال: نحن نعشيك، قال: لا حاجة لي في عشائكم، فقال هارون للخادم: أي شيء تريد منه، قال: في كمه نوى، قلت له: اطرحه وادخل على أمير المؤمنين، فقال: دعه لا يطرحه، قال: فدخل وسلم وجلس، فقال له هارون: يا شيخ، ما حملك على ما صنعت؟ قال: وأي شيء صنعت؟ وجعل هارون يستحي أن يقول كسرت عودي، فلما أكثر عليه، قال: إني سمعت أباك وأجدادك يقرؤون هذه الآية على المنبر:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل] وأنا رأيت منكرا فغيرته فقال: فغيره، فوالله ما قال إلا هذا، فلما خرج أعطى الخليفة رجلا بدرة *وقال: اتبع الشيخ، فإن رأيته يقول قلت: لأمير المؤمنين، وقال لي: فلا تعطه شيئا وإن رأيته لا يكلم أحدا فأعطه البدرة، فلما خرج من القصر إذا هو بنواة في الأرض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم أحدا، فقال له: يقول لك أمير المؤمنين: خذه هذه البدرة، فقال: قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها. ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التي يعالج قلعها من الأرض وهو يقول: أرى الدنيا لمن هي في يديه..هموما كلما كثرت لديه..تهين المكرمين لها بصغر..وتكرم كل من هانت عليه..إذا استغنيت عن شيء فدعه..وخذ ما أنت محتاج إليه.

----

*(الدوين) هذه النسبة إلى دوين بضم أوله وكسر ثانيه بليدة في طرف أذربيجان مما يلي بلاد الكرج (البدرة) كيس فيه ألف أو عشرة آلاف.

■ (1) سليمان بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو أيوب الهاشمي. كان أمير دمشق من قبل الرشيد ووليها أيضا من قبل الأمين مرتين. توفي سليمان بن أبي جعفر سنة 199 هـ وهو ابن 50 سنة

☪

كان سديف(1) مولى بني هاشم في أيام بني أمية يقول في دعائه: اللهم، قد صار فيئنا دولة بعد القسمة، وإمارتنا غلبة بعد المشورة، وعهدنا ميراثاً بعد الاختيار للامة، واشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة، وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمة، وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة. اللهم، قد استحصد زرع الباطل وبلغ نهيته واستجمع طريده، فأتح له من الحق يدا حاصدة تبدد شمله وتفرق أمره، ليظهر الحق في أحسن صورة وأتم نور.

عن أبي حصين أن رجلا كسر طنبورا* لرجل، فرفعه إلى شريح، فلم يضمنه. ذكر عن عباس بن الفضل قال حدثني يحيى بن سليم كاتب الفضل بن الربيع قال: لم ير في دار المنصور لهو قط ولا شيء يشبه اللهو واللعب والعبث إلا يوما واحدا فإنا رأينا ابنا له يقال له عبد العزيز أخا سليمان وعيسى ابني جعفر من الطليحية توفي وهو حدث قد خرج على الناس متنكبا قوسا متعمما بعمامة مترديا ببرد في هيئته غلام أعرابي راكبا على قعود بين جوالقين* فيهما مقل ونهال ومساويك وما يهديه الأعراب فعجب الناس من ذلك وأنكروه قال: فمضى الغلام حتى عبر الجسر وأتى المهدي بالرصافة فأهدى إليه ذلك فقبل المهدي ما في الجواليق وملأهما دراهم فانصرف بين الجوالقين فعلم أنه ضرب من عبث الملوك. وذكر عن حماد التركي قال: كنت واقفا على رأس المنصور فسمع جلبة في الدار فقال: ما هذا يا حماد؟ انظر، فذهبت فإذا خادم له قد جلس بين الجواري وهو يضرب لهن بالطنبور وهن يضحكن فجئت فأخبرته، فقال: وأي شيء الطنبور فقلت: خشبة من حالها وأمرها ووصفتها له، فقال لي: أصبت صفته فما يدريك أنت ما الطنبور؟ قلت: رأيته بخراسان، قال: نعم هناك، ثم قال: هات نعلي فأتيته بها، فقام يمشي رويدا حتى أشرف عليهم فرآهم فلما بصروا به تفرقوا، فقال: خذوه فأخذ، فقال: اضرب به رأسه، فلم أزل أضرب به رأسه حتى كسرته، ثم قال:يا ربيع أخرجه من قصري وابعث به إلى حمران النخاس حتى يبيعه، فوجه به الربيع من ساعته فبيع بالكرخ.

في كتاب الأوائل للعسكري: كان ابن هرمة شديد الرغبة في الخمر فدخل على المنصور فأنشده: له لحظات من خفا في سريرة..إذا كرها فيها عقاب و نائل..فأم الذي أمنت آمنة الردى..وأم الذي حاولت بالثكل ثاكل. فأعجب به المنصور وقال: ما حاجتك؟ قال: تكتب إلى عاملك بالمدينة أن لا يحدني إذا وجدني سكران. فقال: لا أعطل حدا من حدود الله. قال: تحتال لي، فكتب إلى عامله: من أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين. فكان العون إذا مر به وهو سكران يقول: من يشتري مائة بثمانين؟ ويتركه ويمضي قال: وأعطاه المنصور في هذه المرة عشرة آلاف درهم وقال له: يا إبراهيم احتفظ بها فليس لك عندنا مثلها. فقال: إني ألقاك على الصراط بها بختمة الجهبذ.ويحكى أنه أتي برجل مدني سكران إلى بعض الولاة فأمر بإقامة الحد عليه، وكان الرجل طويلا والجلاد قصيرا، فلم يتمكن من ضربه. فقال الجلاد للمدني: تقاصر لينالك الضرب.فقال: ويلك إلى أكل الفالوذج تدعوني، والله لوددت أن أكون أطول من عوج بن عنق، وأنت أقصر من يأجوج ومأجوج، فاستظرفه الأمير وخلى سبيله.

قال يزيد بن الوليد الناقص: يا بني أمية، إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بد فاعلين، فجنبوه النساء إن الغناء داعية الزنى. قيل نزل الحطيئة –الشاعر– برجل من العرب ومعه ابنته مليكة، فلما جنه الليل سمع غناء فقال لصاحب المنزل: كف هذا عني، قال له: وما تكره من ذلك؟ فقال: إن الغناء رائد من رائدة الفجور، ولا أحب أن تسمعه هذه – يعني ابنته – فإن كففته، وألا خرجت عنك. قال خالد بن عبد الرحمن: كنا في عسكر سليمان بن عبد الملك، فسمع غناء من الليل، فأرسل إليهم بكرة، فجيء بهم فقال: إن الفرس ليصهل فتستودق له الرمكة، وإن الفحل ليخطر فتضبع له الناقة، وإن التيس لينب فتستحرم له العنز، وإن الرجل ليتغنى فتشتاق إليه المرأة. ثم قال: اخصوهم. فقال عمر بن عبد العزيز: هذا مثلة ولا يحل؛ فخلى سبيلهم. وعن عبد الله بن عمر، قال: ﴿لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا، وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا﴾ وعن أبي عامر، وأبو مالك الأشعريان عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ﴾ (الحر) الفرج وأصله الحرح والمعنى أنهم يستحلون الزنا. وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَحِلُّ بَيْعُ الْمُغَنِّيَاتِ وَلَا شِرَاؤُهُنَّ وَلَا تِجَارَةٌ فِيهِنَّ، وَأَكْلُ أَثْمَانِهِنَّ حَرَامٌ﴾ وفي رواية بكر بن مضر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا تَبِيعُوا الْمُغَنِّيَاتِ، وَلَا تَشْتَرُوهُنَّ، وَلَا تُعَلِّمُوهُنَّ، وَلَا خَيْرَ فِي تِجَارَةٍ فِيهِنَّ، وَثَمَنُهُنَّ حَرَامٌ﴾.

☪

عن أم المؤمنين عائشة قالت:﴿دَخَلَ عَلَيَّ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ، تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاوَلَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ، يَوْمَ بُعَاثَ، قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُغَنِّيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَبِمَزْمُورِ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا﴾ (وليستا بمغنيتين) ليس الغناء عادة لهما وحرفة ولا هما معروفتان بذلك ولا تغنيان بتمطيط وتكسر وتهييج وحركات مثيرة وبغناء فيه تعريض بالفواحش أو تصريح بها أو ذكر الهوى والمفاتن مما يحرك الساكن ويبعث الكامن في النفس فهذا وأمثاله من الغناء لا يختلف في تحريمه لأنه مطية الزنا وأحبولة الشيطان. وعنها، قالت:﴿زُفَّتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ؟ فَإِنَّ الْأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ﴾ (زفت) أي نقلت إلى بيته أو أهديت إلى زوجها (لهو) مباح كضرب دف وغناء وقراءة شعر ليس فيه وصف للمفاتن وما يثير كوامن النفس (فإن الأنصار يعجبهم اللهو) وهذا رخصة عند العرس كذا قيل، والأظهر ما قال الطيبي: فيه معنى التخصيص كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:﴿أَلَّا أَرْسَلْتُمْ مَعَهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَيْنَاكُمْ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة:﴿أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مِنًى، تُغَنِّيَانِ وَتَضْرِبَانِ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسَجًّى بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، وَقَالَ: دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ﴾ وعنها قالت:﴿رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ وَأَنَا جَارِيَةٌ، فَاقْدِرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْعَرِبَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ﴾ (أيام منى) هي أيام عيد الأضحى أضيف إلى المكان بحسب الزمان قال النووي يعني الثلاثة بعد اليوم النحر وهي أيام التشريق (مسجى بثوبه) أي مغطى به (فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن) قال النووي معناه أنها تحب اللهو والتفرج والنظر إلى اللعب حبا بليغا وتحرص على إدامته ما أمكنها ولا تمل ذلك إلا بعد زمن طويل وقولها فاقدروا هو بضم الدال وكسرها لغتان حكاهما الجوهري وغيره وهو من التقدير أي قدروا رغبتها في ذلك إلى أن تنتهي أي قيسوا قياس أمرها في حداثتها وحرصها على اللهو ومع ذلك كانت هي التي تمل وتنصرف عن النظر إليه والنبي صلى الله عليه وسلم لا يمسه شيء من الضجر والإعياء رفقا بها وقولها العربة معناها المشتهية للعب المحبة له.عن أبي هريرة، قال:﴿بَيْنَمَا الْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِرَابِهِمْ، إِذْ دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَهْوَى إِلَى الْحَصْبَاءِ يَحْصِبُهُمْ بِهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْهُمْ يَا عُمَرُ﴾(أهوى إلى الحصباء يحصبهم بها) أهوى أي مد يده نحوها وأمالها إليها ليأخذها والحصباء هي الحصا الصغار ويحصبهم أي يرميهم بها. وعن محمد بن سيرين: أن عمر رضي الله عنه كان إذا سمع صوت دف أنكر، فإن قالوا: عرس أو ختان سكت.

----

*((الجوالق) أوعية من صوف أو جلد أو شعر (طنبورا) آلة من آلات اللهو ولعله ما يسمى الآن العود

■ (1) سديف بن إسماعيل بن ميمون، مولى لامرأة من خزاعة وكان لها زوج من اللهبيين وادعى سديف بذلك ولاء بني هاشم، وزعم المدائني أنه مولى بني العباس وشاعرهم. شهد العصر الأموي والعباسي الأول، اشتهر بتعصبه لبني هاشم وبهجائه بني أمية. إلا أن علاقته مع العباسيين لم تكن جيدة أيضاً، خاصة مع أبي جعفر المنصور، الذي تورط في مشاكل معه، بسبب تقاربه مع العلويين ومبايعته محمد النفس الزكية ومن بعده إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، وبعد فشل الانتفاضات على العباسيين اختفى سديف مدة من الزمن، وظهر بعد ذلك إلى العلن وأرسل قصيدة إلى أبي جعفر المنصور يطلب فيها العفو، ولكن المنصور أمر عامله في مكة عبد الصمد بن علي بقتله، فتوفي سديف في مكة مقتولا سنة 146 هـ

مراجع: احياء علوم الدين/ شعب الإيمان/ مختصر تاريخ دمشق/ مسند البزار/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/

كان أبو معاوية الضرير[1] عند الرشيد، فجرى الحديث إلى حديث أبي هريرة ﴿أَنَّ مُوسَى لَقِيَ آدَمَ، فَقَالَ: أَنْتَ آدمُ الَّذِي أَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ؟..﴾ الحديث، فقال رجل قرشي كان عنده من وجوه قريش: أين لقي آدم موسى؛ فغضب الرشيد وقال: النطع والسيف، زنديق والله يطعن في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما زال أبو معاوية يسكنه ويقول: كانت منه بادرة ولم يفهم يا أمير المؤمنين حتى أسكنه. وفي رواية: فغضب الرشيد وقال: من طرح إليك هذا؟ وأمر به فحبس، فقال: والله ما هو إلا شيء خطر ببالي، وحلف بالعتق وصدقة المال ومغلظات الأيمان ما سمعت من أحد، ولا جرى بيني وبين أحد في هذا الكلام. قال: فلما عرف الرشيد ذلك قال: فأمر به فأطلق، وقال: إنما توهمت أنه طرح إليه بعض الملحدين هذا الكلام الذي خرج منه، فيدلني عليهم فأستبيحهم، وإلا فأنا على يقين أن القرشي لا يتزندق. في رواية عن محمد بن خازم[1] قال: كنت أقرأ حديث الأعمش عن أبي صالح على أمير المؤمنين هارون فكلما قلت: قال رسول الله قال: صلى الله على سيدي ومولاي، حتى ذكرت حديث التقى آدم وموسى. فقال عمه –وسماه علي–، فذهب علي فقال: يا محمد أين التقيا؟ قال فغضب هارون وقال: من طرح إليك هذا؟ وأمر به قال: فحبس، ووكل بي من حشمه من أدخلني إليه في محبسه. فقال: يا محمد والله ما هو إلا شيء خطر ببالي، وحلف لي بالعتق وصدقة المال وغير ذلك من مغلظات الأيمان: ما سمعت من أحد ولا جري بيني وبين أحد في هذا كلام، وما هو إلا شيء خطر ببالي، لم يجر بيني وبين أحد فيه كلام. قال فلما رجعت إلى أمير المؤمنين كلمته. قال: ليدلني على من طرح إليه هذا الكلام. فقلت: يا أمير المؤمنين قد حلف بالعتق ومغلظات الأيمان أنه إنما هو شيء خطر ببالي، لم يجر بيني وبين أحد فيه كلام. قال فأمر به فأطلق من الحبس، وقال لي: يا محمد ويحك إنما توهمت أنه طرح إليه بعض الملحدين هذا الكلام الذي خرج منه فيدلني عليهم فأستبيحهم، وإلا فأنا على يقين أن القرشي لا يتزندق! قال هذا ونحوه من الكلام. قال الراوي قلت: وهارون الرشيد كوالده المهدي في استئصال الزنادقة وتتبعهم وقتلهم، وقد استعمل هارون الرشيد محمد بن عروة بن هشام بن عروة بن الزبير[2] على وظيفة متتبع الزنادقة. ومن أخبار هارون الرشيد في ذلك: قال أبو داود السجستاني: لما جاء الرشيد بشاكر[3] رأس الزنادقة ليضرب عنقه قال: أخبرني لم تعلمون المتعلم منكم أول ما تعلمونه الرفض والقدر؟ قال: أما قولنا بالرفض فإنا نريد الطعن على الناقلة فإذا بطلت الناقلة أوشك أن نبطل المنقول، وأما قولنا بالقدر فإنا نريد أن نجوز إخراج بعض أفعال العباد عن قدر الله فإذا جاز أن يخرج البعض جاز أن يخرج الكل. وكان هارون الرشيد يسأل عن أوصاف الزنادقة، قال عبد الله بن مصعب[4]: قال لي أمير المؤمنين هارون الرشيد: يا أبا بكر ما تقول في الذين يشتمون أصحاب رسول الله؟ فقلت: زنادقة يا أمير المؤمنين. قال: ما علمت أحدا قال هذا غيرك، فكيف ذلك؟ قال: قلت: إنما هم قوم أرادوا رسول الله فلم يجدوا أحدا من الأمة يتابعهم على ذلك فيه فشتموا أصحابه يا أمير المؤمنين، ما أقبح بالرجل أن يصحب صحابة السوء، فكأنهم قالوا: رسول الله صحب صحابة السوء. فقال لي: ما أدري الأمر إلا كما قلت. قال أحمد بن زكريا بن سفيان: سمعت أصحابنا يقولون: قال أبو معاوية: دخلت على هارون، يعني أمير المؤمنين، فقال لي: يا أبا معاوية، هممت أنه من ثبت خلافه علي، فعلت به وفعلت به، فسكت، فقال لي: تكلم، تكلم، قال: قلت: إن أذنت لي تكلمت، قال: تكلم، فقلت: يا أمير المؤمنين، قالت: تيم منا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت عدي: منا خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت بنو أمية: منا خليفة الخلفاء، فأين حظكم يا بني هاشم من الخلافة؟! والله ما حظكم فيها إلا ابن أبي طالب، فقال: صدقت.والله، يا أبا معاوية، لا يبلغني أن أحدا لم يثبت خلافة علي، إلا فعلت به كذا وكذا. قال على بن عبد الله: قال أبو معاوية الضرير: حدثنا هارون الرشيد بهذا الحديث يعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : وددت أني اقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم اقتل، فبكى هارون حتى انتحب، ثم قال: يا أبا معاوية، ترى لي أن أغزو؟ قلت: يا أمير المؤمنين، مكانك في الإسلام أكبر، ومقامك أعظم، ولكن ترسل الجيوش، قال أبو معاوية: وما ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه قط، الا قال: صلى الله على سيدي.

■ (1) أبو معاوية الضرير محمد بن خازم السعدي التميمي مولى لهم كان مولده سنة 113 هـ ومات في آخر صفر سنة 195 هـ وكان أحد الأئمة الأعلام الثقات. لم يتعرض إليه أحد. وقال ابن خراش: يقال: هو في الأعمش ثقة، وفي غيره فيه اضطراب.

■ (4) عبد الله بن مصعب بن الزبير المدني الأمير. ولي إمرة المدينة وإمرة اليمن وحمدت سيرته. وكان وسيما جميلا فصيحا مفوها، ولاه الرشيد وجعل له في العام اثني عشر ألف دينار ووصله بعشرين ألف دينار وعقد له اللواء بيده وزاده معهما ولاية عك، وتوفي سنة 184 هـ

■ (2) محمد بن عروة بن هشام بن عروة بن الزبير بن العوام أحد صحابة المهدى والرشيد انتقل إلى بغداد فنزلها وكان مع أمير المؤمنين المهدى في عسكره وكان قد ولى القضاء قبل مصيره مع المهدى للحسن بن زيد غير مرة ثم أدرك ولاية هارون الرشيد فاستعمله على الزنادقة

■ (3) شاكر أحد الزنادقة الشعوبيين في عصره. والشعوبية مذهب من المذاهب الضالة التي دفع أصحابها ضغائنهم الموجودة في قلوبهم ونفوسهم على الإسلام وأهله إلى كراهية العرب وبغضهم والتنقص منهم، وذكر معايبهم ومثالبهم، وقد ألف بعض الشعوبيين مصنفات في هذا، ومن بينهم أبو عبيدة الخارجي–وليس هو أبا عبيدة بن الجراح الصحابي المعروف– صنف كتابا في مثالب العرب ونقائصهم، وكذلك ألف ابن غرسية رسالة فصيحة في تفضيل العجم على العرب. أصحاب هذا الاتجاه يسمون بالشعوبيين وهم طائفة ضالة، ومن كره العرب بلا استثناء، فقد كفر، لأن منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن كرههم بلا استثناء يكفر، لأن معنى ذلك أنه كره الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد رد عليها بعض علماء الأندلس وغيرهم من علماء المسلمين. [محمد صالح المنجد]

☪

حكى الإمام محمد بن ظفر قال: كان الرشيد مع ظلمه، وعظيم ملكه، وجبروته يعتريه خوف الله، فمن ذلك أن خارجيا خرج عليه، فقتل أبطاله، وانتهب أمواله مرارا، ثم إنه جهز إليه جيشا كثيفا، فقاتلوه فغلبوه بعد جهد، وأتوا به الرشيد، فجلس مجلسا عاما وأمر بإدخاله عليه، فلما مثل بين يديه قال: يا هذا، ما تريد أن أصنع بك؟ قال: ما تريد أن يصنع الله بك إذا وقفت بين يديه، فعفا عنه وأمر بإطلاقه. فلما خرج، قال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين، رجل قتل أبطالك، وانتهب أموالك، تطلقه بكلمة واحدة؟ هذا مما يجرئ عليك أهل الشر، فقال الرشيد: ردوه، فعلم الرجل أنه قد تكلم فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تطعهم، فلو أطاع الله الناس فيك، ما ولاك طرفة عين، قال: صدقت، ثم أمر له بصلة.

☪

عن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿أَنَّ مُوسَى لَقِيَ آدَمَ، فَقَالَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ، فَلَوْلا مَا فَعَلْتَ لَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ* اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلامِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي فِيمَا قَدْ كَانَ كُتِبَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي؟ فَاحْتَجَّا إِلَى اللهِ فَحَجَّ* آدَمُ مُوسَى﴾ مسند البزار

☪

قال أحمد القصص: لم يكن لعبارة زنديق معنى واحد متفق عليه بين من يستخدمها ويرمون بها أناسا يقصدونهم بصفات معينه. فقد استخدمت للدلالة على معان عدة مختلفة. إلا أن ما يجمع هذه المعاني العديدة هو أنها ترمز في كل الحالات إلى أشخاص خالفوا الدين الإسلامي كليا أو جزئيا. قال صاحب الصحاح: الزنديق من الثنوية، وهو فارسي معرب، وجمعه زنادقة، وقد تزندق، والاسم الزندقة. وقال ابن منظور:الزنديق: القائل ببقاء الدهر، فارسي معرب، وهو بالفارسية: زندكر، أي يقول بدوام بقاء الدهر. ونقل عن التهذيب: الزنديق معروف وزندقته أنه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق. وقال أبو حامد الغزالي: وأما الزندقة المطلقة، فهو أن تنكر الصانع للعالم أصلا ورأسا. وهكذا نرى أن معنى الزندقة يتراوح بين الإلحاد وإنكار اليوم الآخر وبين أن يكون مذهبا من مذاهب الثنوية، وهم القائلون بوجود إلهين اثنين، إله الخير وإله الشر. وهذا واضح من كلام صاحب الصحاح: الزنديق من الثنوية. إلا أنه يبدو للمتتبع أن إطلاق الزندقة على الإلحاد وإنكار اليوم الآخر إنما أتى في وقت متأخر. ففي العصر العباسي الأول تتردد كلمة الزندقة لتشير في الغالب إلى أهل المذاهب الثنوية التي كانت تنتشر بين الفرس قبل الإسلام. وصحيح أن العبارة أطلقت بعض الأحيان على المجان الذين عاقروا الخمور وعقدوا مجالس الفجور ودفعهم السكر إلى التفوه بالرفث والفسوق والخلاعة، إلا أنه حين يتكلم المؤرخون عن ملاحقة الخلفاء للزنادقة والتنكيل بهم مستعينين بأهل الكلام، فإنهم يعنون بهم المذاهب التي كانت تنتشر في البلاد الفارسية قبل الإسلام، والتي حاولت أن تطل برأسها بين الفينة والأخرى في المجتمع الإسلامي. وأفضل تعبير يدلنا على ماهية الزنادقة الذين لاحقهم الخلفاء العباسيون هو تعبير واحد منهم، وهو الخليفة المهدي في وصيته لابنه موسى، أي الخليفة من بعده الهادي. فيحدثنا الطبري: أن المهدي قال لموسى يوما –وقد قدم إليه زنديق فاستتابه فأبى أن يتوب، فضرب عنقه وأمر بصلبه–يا بني، إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة –يعني أصحاب ماني– فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن، كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجا وتحوبا، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين: أحدهما النور والآخر الظلمة، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق، لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور، فارفع فيها الخشب، وجرد فيها السيف، وتقرب بأمرها إلى الله لا شريك له. وظاهر من كلام المهدي والعديد من النصوص التاريخية أن هؤلاء الزنادقة إنما كانوا يظهرون الإسلام نفاقا بينما هم في سرائرهم يعتنقون ديانة ماني أو غيره من الفرق الثنوية. وهذا ما يفسر تنكيل الخلفاء بهم. إذ لو كانوا يعلنون البقاء على دين آبائهم، أي المجوسية، لما فتنهم الخلفاء عن دينهم، إذ المعروف أن المسلمين لم يكرهوا المجوس على اعتناق الإسلام، كدأبهم مع اليهود والنصارى. وها هو ابن النديم يحدثنا عن جملة من أسماء الزنادقة في دولة بني العباس ورؤسائهم المتكلمين: الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة. ومما يقوله مثلا: وكان محمد بن عبيد الله كاتب المهدي زنديقا، واعترف بذلك فقتله المهدي، ولكنه يحدثنا أيضا أن المأمون أحضر أحد رؤسائهم، وهو يزدان بخت، بعد أن أمنه: فقطعه المتكلمون (أي أسقطوا حجته) فقال له المأمون: أسلم يا يزدان بخت فلولا ما أعطيناك إياه من الأمان لكان لنا ولك شأن. فقال يزدان بخت نصيحتك يا أمير المؤمنين مسموعة وقولك مقبول ولكنك ممن لا يجبر الناس على ترك مذاهبهم فقال المأمون أجل.

وخلاصة الكلام أن ظاهرة الزندقة لم تكن ذات بعد ديني وحسب وإنما كانت لها أبعاد سياسية خطيرة. ويلخص الإمام محمد أبو زهرة ظاهرة الزندقة هذه بأنها حركة: سرت في الشرق من الديار الإسلامية سرا بين الجماعات الفارسية التي أرادت الملك الفارسي، وبين عباد الأصنام في الشرق الذين أرادوا إحياء مبادئهم الدينية في داخل الدولة الإسلامية، وتضافرت الجهود من بقايا هذه الدول التي قوض الإسلام أركانها لإطفاء نوره،وقد عجزوا عن إعادة ملكهم القديم عن طريق القوة، فلم يبق إلا أن يعملوا على إضعاف قوته في قلوب أهله، وإحياء الديانات القديمة ونشرها بينهم.فالفرس عملوا على نشر مبادئ ماني الجامعة بين مبادئ مسيحية ومبادئ مجوسية وربما بعض آراء هندية، ونشر آراء زرادشت التي نظمت المجوسية، ودعت إلى القوة ومبادئ ديصان ومرقيون وغيرهما، واتجهوا إلى إحياء مبادئ مزدكالتي كانت ترمي إلى شيوعية الأموال والنساء ولا يكون أحد مختصا بشيء قط، أرادوا بذلك تخريب الدولة الإسلامية كما خرب المذهب ديار فارس عندما انتشر فيها. وقد ظهر بابك الخرمي يدعو إلى هذا المذهب وينشره، وقد ظهر في عصر المأمون،فقاومه بالسيف،وقاوم تفكيره بالمجادلة تولاها هو ومعه أصحابه من المعتزلة أمثال محمد بن عبد الملك الزيات وأحمد بن أبي دؤاد وغيرهم من كبار المعتزلة الذين كان لهم سلطان في الدولة، أو لم يكن لهم سلطان أمثال بشر بن المعتمر وجعفر بن بشر والجاحظ وغيرهم.

---

*(حج غيره) غلبه بالدليل والبرهان (اصطفى) فضل واختار

مراجع: تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ مختصر تاريخ دمشق/ سر أعلام النبلاء/ مشاهير علماء الأمصار/ ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية/ من قصص أئمة الحديث المتقدمين ونوادرهم/ الوافي بالوفيات/ تاريخ بغداد/ نشوء الحضارة الإسلامية/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/

دخل منصور بن عمار[1] على الرشيد فأدناه وقربه فقال له منصور: لتواضعك في شرفك أحب إلينا من شرفك، فقال له: يا أبا السر ي عظني وأوجز، فقال: من عف في جماله وواسى من ماله وعدل في سلطانه كتبه الله من الأبرار. ومنه قول ابن السماك لهارون الرشيد: يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك وإن امرأ آتاه الله جمالا في خلقته وتواضعا في حسبه وبسطا في ذات يده وعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله تعالى من خواص الله، كذا في الإحياء (وإن كان كثيرا فتملق) أي إظهار زيادة تودد فوق ما ينبغي.. قال منصور بن عمار: ما رأيت أغزر دمعا عند الذكر من ثلاثة: فضيل بن عياض، وأبو عبد الرحمن الزاهد[2]، وهارون الرشيد.

قال رجل من قواد هارون: دخلت على هارون وبين يديه رجل مضروب العنق، ورجل معه سيف ملطخ بالدم يمسحه على قفاه، ففزعت لما رأيته فقال: قتلت هذا الرجل لأنه كان يقول: القرآن مخلوق*، تقربت إلى الله بدمه. وعن الفضل بن غانم[3] وكان قاضيا على الري لهارون قال:أول ما سمعت بالقول في القرآن، كنت بالري فكتبت إلى الرشيد: اعلم أن قبلنا قوما يقولون: القرآن مخلوق. فكتب إلي من أصبت منهم فأخرج لسانه من قفاه وأطل حبسه وأحسن أدبه. قال عمار بن كثير الواسطي: سمعت الفضيل بن عياض[4] يقول: ما من نفس أشد علي موتا من هارون أمير المؤمنين، فلوددت أن الله زاد من عمري في عمره، فكبر ذلك علينا. فلما مات هارون، وظهرت تلك الفتن، وكان من المأمون ما حمل الناس على أن القرآن مخلوق، قلنا الشيخ أعلم بما تكلم به. ذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: سمعت أبي يقول: أول من أتى بخلق القرآن* الجعد بن درهم[5] وقاله: في سنة نيف* وعشرين ومائة، ثم من بعدهما بشر بن غياث المريسي[6]،وكان صباغا يهوديا. كفره جماعة.

قال أبو النضر هاشم: كان أبو بشر المريسي يهوديا قصارا صباغا في سويقة نصر بن مالك. وقال غير واحد: قال رجل ليزيد بن هارون:[7]إن عندنا ببغداد رجلا يقال له المريسي يقول بخلق القرآن.فقال: ما في فتيانكم أحد يفتك به. قلت: وقد كان المريسي أخذ في دولة الرشيد وأوذي لأجل مقالته. قيل دخل حميد الطوسي على المأمون وعنده بشر المريسي فقال المأمون لحميد: أتدري من هذا؟ قال لا ، قال: هذا بشر المريسي، فقال حميد: يا أمير المؤمنين هذا سيد الفقهاء هذا قد رفع عذاب القبر ومسألة منكر ونكير والميزان والصراط انظر هل يقدر أن يرفع الموت فيكون سيد الفقهاء حقا !. دخل المريسي يوما على المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، إن ها هنا شاعرا يهجو، ويقول الشعر فيما أحدثناه من أمر القرآن، فأحب أن تحدد له عقوبة، فقال المأمون: أما غنه إن كان شاعرا فلست أقدم لك عليه، وإن كان فقيها أقدمت عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه يدعي الشعر، وليس بشاعر، فقال: إنه قد خطر على فؤادي في هذه الليلة أبيات فأنا أكتب بها إليه، فإن لم يجبني أقدمت عليه فكتب: المنسرح: قد قال مأموننا وسيدنا قولا له في الكتاب تصديق إن عليا أعني أبا حسن أفضل من أقلت به النوق بعد نبي الهدى وإن لنا أعمالنا والقران مخلوق. فلما قرأها الشاعر قال: اكتب: البسيط: يا أيها الناس لا قول ولا عمل لمن يقول كلام الله مخلوق ما قال ذاك أبو بكر ولا عمر ولا النبي ولم يذكره صديق ولم يقل ذاك إلا كل مبتدع على الإله وعند الله زنديق عمدا أراد به إمحاق دينكم لأن دينهم والله ممحوق أصح يا قوم عقلا من خليفتكم يمسي ويصبح في الأغلال موثوق؟. فلما ورد الشعر على المأمون التفت إلى المريسي فقال له: يا عاض كذا من أمه، لا يكني، أليس زعمت أنه ليس بشاعر؟ وأغلظ له في القول. لقي بشر المريسي منصور بن عمار فقال له: أخبرني عن كلام الله، أهو الله أم غير الله أم دون الله؟ فقال: إن كلام الله لا ينبغي أن يقال هو الله، ولا ينبغي أن يقال هو غير الله، ولا هو دون الله، ولكنه كلامه وقوله، ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس] أي لم يقله أحد إلا الله، فرضينا حيث رضي لنفسه، واخترنا له من حيث اختار لنفسه، فقلنا: لكلام الله ليس بخالق ولا مخلوق، فمن سمى القرآن بالاسم الذي سماه الله به كان من المهتدين، ومن سماه باسم من عنده كان من الغالين فاله عن هذا ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف] فإن تأبى كنت من الذين﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة] كتب بشر المريسي إلى منصور عن عمار: بلغني اجتماع الناس عليك، وما حكي من العلم، فأخبرني عن القرآن، خالق أو مخلوق؟فكتب إليه منصور: بسم الله الرحمن الرحيم عافانا الله وإياك من كل فتنة، فإنه إن يفعل فأعظم بها نعمة، وإن لم يفعل فتلك أسباب الهلكة وليست لأحد على الله بعد المرسلين حجة؛ نحن نرى أن الكلام في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس به، وتكلف المجيب ما ليس عليه، وما أعلم خالقا إلا الله، وما دون الله مخلوق، والقرآن كلام الله، ولو كان القرآن خالقا لم يكن للذين وعوه إلى الله شافعا، ولا بالذين ضيعوه ماحلا. فانته بنفسك وبالمختلفين بالقرآن إلى أسمائه التي سماه الله بها تكن من المهتدين﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف] ولا تسمي القرآن باسم من عندك فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء] وكتب بشر إلى منصور أيضا يسأله عن قوله الله عز وجل ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه] كيف استوى؟ فكتب إليه منصور: استواؤه غير محدود، والجواب فيه تكلف، ومسألتك عن ذلك بدعة، والإيمان بجملة ذلك واجب، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران] وحده ثم استأنف الكلام فقال:﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران] فنسبهم إلى الرسوخ في العلم بأن قالوا لما تشابه منه عليهم: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ فهؤلاء هم الذين أغناهم الرسوخ في العلم على الاقتحام على السدد المضروبة دون الغيوب، بما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب؛ فمدح اعترافهم بالعجز عن تأول ما لم يحيطوا به علما، وسمي تركهم التعميق فيما لم يكلفهم رسوخا في العلم. فانته رحمك الله من العلم إلى حيث انتهى بك إليه، ولا تجاوز ذلك إلى ما حظر عنك علمه، فتكون من المتكلفين، وتهلك مع الهالكين. والسلام عليك.

----

*(النيف) ما زاد على العقد من واحد إلى ثلاثة. (القول بخلق القرآن) عقيدة باطلة، قالت بها الجهمية، وتبعها على ذلك المعتزلة، وهي حقيقة قول الأشعرية والماتريدية، وهي ناتجة عن تعطيل صفات الله، وإنكارهم صفة الكلام لله عز وجل. والذي دل عليه القرآن والسنة، وعليه السلف الصالح أن الله تعالى يتكلم حقيقة، بكلام بدأ منه بحرف وصوت، يسمع منه متى شاء كيف شاء، والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق. وقد استقصى علماء السلف الأدلة على ذلك في كتب السنة والإيمان والتوحيد. انظر: مثلا: كتاب التوحيد من صحيح البخاري.

- (1) منصور بن عمار بن كثير أبو السري السلمي الخراساني. الإمام الزاهد الواعظ البغدادي القاضي المشهور.توفي ببغداد سنة 225 هـ.قال أبو حاتم: صاحب مواعظ ليس بالقوي. وقال ابن عدي: منكر الحديث. وقال الدارقطني: له أحاديث لا يتابع عليها.
- (5) الجعد بن درهم، من أهل الشام. مؤدب مروان الحمار، أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلا، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله. والقول بخلق القرآن. قال المدائني: كان زنديقا. قتله والي العراق خالد بن عبد الله القسري سنة 124هـ بأمر من هشام بن عبد الملك، وكان أول زنديق اطلع عليه بنو أمية، وبه سمى مروان بن محمد يعنى الجعدي. وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية الذين يقولون: إن الله في كل مكان بذاته تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وكان الجعد بن درهم قد تلقى هذا المذهب الخبيث عن أبان بن سمعان، وأخذه أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الاعصم، عن خاله لبيد بن الاعصم اليهودي.
- (6) بشر المريسي أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه الحنفي المتكلم؛ هو من موالي زيد بن الخطاب. أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي، إلا أنه استغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرآن، منذ أيام الرشيد. وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة، وكان مرجئا، وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة، وكان يقول: إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر، ولكنه علامة الكفر. توفي سنة 218 هـ، وقيل: 219 هـ، ببغداد.
- (4) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الفنديني، أبو علي ، كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تاليا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد] فقال: يا رب قد آن، فرجع، وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وآمنهم. وكان من كبار السادات، ومناقب الفضيل كثيرة. ومولده بـ أبيورد، وقيل بسمرقند، ونشأ بـ أبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات سنة 187هـ
- (7) يزيد بن هارون بن زاذان السلمي مولا هم، يكنى أبا خالد، مولى لبني سليم، وقيل أصله من بخارى. ثقة متقن، عابد من التاسعة، أسند يزيد بن هارون عن يحيى بن سعيد الأنصاري، وسليمان التيمي، وعاصم الأحوال، وحميد الطويل، وداود بن أبي هند، وعبد الله بن عون، وحسين المعلم في خلق كثير. توفي في سنة 206 هـ
- (3) الفضل بن غانم، أبو علي المروزي الخزاعي. روى عن مالك، وسليمان بن بلال، وأبي يوسف. وقد تولى قضاء مصر عاما وعزل، وذلك في 198 هـ قال الدارقطني: الفضل ليس بقوي. وتكلم فيه أيضا أحمد بن حنبل. وولي قضاء الري فيما قاله ابن أبي حاتم. مات سنة 236 هـ
- (2) أبو عبد الرحمن الزاهد. اسمه عبد الله بن محمد. ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

قال عثمان بن كثير الواسطي: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ما من نفس تموت أشد علي موتا من هارون أمير المؤمنين، قال: وددت أنه أو قال: ولو وددت أن الله زاد في عمره من عمرى، فكبر ذلك علينا، فلما مات هارون وظهرت تلك الفتن، وكان من المأمون ما حمل الناس على أن القرآن مخلوق، قلنا: الشيخ كان اعلم بما تكلم به.

قال منصور بن عمار: دخلت على المنصور أمير المؤمنين فقال لي: يا منصور! عظني وأوجز، فقلت: إن من حق المنعم على المنعم عليه أن لا يحول ما أنعم به عليه سببا لمعصيته. فقال: أحسنت وأوجزت!. وكتب بشر إلى منصور بن عمار: اكتب إلي بما من الله علينا. فكتب إليه منصور: أما بعد يا أخي، فقد أصبح بنا من نعم الله ما لا نحصيه، في كثرة ما نعصيه ولقد بقيت متحيرا فيما بين هاتين: لا أدري كيف أشكره بجميل ما نشر أو قبيح ما ستر. قيل لمنصور بن عمار: تكلم بهذا الكلام ونرى منك أشياء! قال: احسبوني درة وجدتموها على كناسة، استنفعوا بالدرة ودعوا الكناسة مكانها. وقال منصور: أحسن لباس العبد التواضع والانكسار؛ وأحسن لباس العارفين التقوى، قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف]

☪

قالت أم المؤمنين عائشة: كان الجاهلية لا يسودون رجلا حتى يجتمع فيه ست خصال ثم زادت في الإسلام خصلة سبعا: السماحة والنجدة والصبر والحلم البيان والتواضع وتمامهن في الإسلام العفاف وكان يقال: من عف في جماله وعدل في سلطانه حشر في زمرة الأبرار. يقول الشيزري: إن من لا يقدر على ضبط نفسه من الرذائل لم يقدر على ضبط خاصته وهم نصب عينيه ومن لم يقدر على ضبط خاصته من أعوانه لم يقدر على ضبط رعيته وهم في أقاصي بلاده فإذا عف نفسه وجوارحه فقد انتظم أمر مملكته في دنياه وينقلب إلى الملك الدائم في عقباه. عن إبراهيم بن الأشعث قال: سألت الفضيل عن التواضع قال: التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته منه، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه. وعن أبي صالح الفراء قال: سمعت ابن المبارك يقول: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تُعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل.وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الحسين بن عبد الرحمن قال: قال بعض الناس كما تكره أن يراك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره أن يراك الفقراء في الثياب المرتفعة.وعن عبد المؤمن الموصلي قال: قال صدقة القاري: العجب للغني إذا جلس يحدث المسكين كيف لا يستحيي منه.وعن يوسف بن أسباط قال: يجزئ قليل الورع من كثير العمل، ويجزىء قليل التواضع من كثير الاجتهاد. وعن عمرو بن مرداس عن كعب قال: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة؛ وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقاً من النار يعذبه به إن شاء الله أو يتجاوز عنه. وعن إسحاق بن سعيد بن عمرو قال: قال يحيى بن الحكم لعبد الملك: أي الرجال أفضل؟ قال: من تواضع عن رفعة وزهد على قدرة وترك النصرة على قوة. وعن يونس بن حلبس قال: كان أبو عبيدة وهو أمير يحمل سطلاً له من خشب حتى يأتي حمام أبان.وعن الأصبغ بن نباتة قال: كأني أنظر إلى عمر بن الخطاب معلقاً لحماً في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله.وعن صالح بياع الأكسية عن أمه أو جدته قالت: رأيت علياً اشترى تمراً بدرهم فحمله في ملحفته فقلت أحمل عنك يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل. وعن حكيم بن محمد الأحمسي قال: كان سليمان بن داود إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى المساكين فيقعد معهم ويقول: يا رب مسكين مع مساكين.

مراجع: تاريخ الإسلام للذهبي/ مختصر تاريخ دمشق/ المنهج المسلوك في سياسة الملوك/ حاشية العطار/ شرح أصول الاعتقاد/ سر أعلام النبلاء/ مشاهير علماء الأمصار/ ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية/ مغاني الأخيار/ المنهج المسلوك في سياسة الملوك/ المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين/ أخبارالظراف والمتماجنين/

عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أبي، قال: أحضر الرشيد أبا بكر بن عياش[1]، فجاء ومعه وكيع[2] يقوده لضعف بصره، فأدناه إلى الرشيد فقال له: أدركت أيام بني أمية وأيامنا، فأينا كان خيرا ؟ قال: أولئك كانوا أنفع للناس وأنتم أقوم بالصلاة. فصرفه الرشيد، وأجازه بستة آلاف دينار، وأجاز وكيعا بثلاثة آلاف دينار. وفي رواية عن يحيى بن آدم[3] قال: لما قدم هارون الرشيد الكوفة، نزل الحيرة، ثم بعث إلى أبي بكر بن عياش، فحملناه إليه، وكنت أنا أقتاده بعد ذهاب بصره، فلما انتهيا إلى باب الخليفة، ذهب الحجاب يأخذون أبا بكر مني، فأمسك أبو بكر بيدي وقال: هذا قائدي لا يفارقني، فقالوا: ادخل أنت وقائدك يا أبا بكر، قال يحيى: فدخلت به، وإذا هارون جالس وحده، فلما دنا منه أنذرته، فسلم عليه بالخلافة، فأحسن هارون الرد، فأجلسته حيث أمرت، ثم خرجت فقعدت في مكان أراهما وأسمع كلامهما، قال: فجعلت أنظر إلى هارون يتلمح أبا بكر قال: وكان أبو بكر رجلاً قد كبر، وضعفت رقبته، فاتكأ ذقنه على صدره، فسكت هارون عنه ساعة، ثم قال له: يا أبا بكر، فقال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إني سائلك عن أمر فأسألك بالله لما صدقتني عنه، قال: إن كان علمه عندي، قال: إنك قد أدركت أمر بني أمية وأمرنا، فأسألك بالله، أيهما كان أقرب إلى الحق؟ قال يحيى: فقلت في نفسي: اللهم وفقه وثبته، قال: فأطال أبو بكر في الجواب، ثم قال له: يا أمير المؤمنين، أما بنو أمية فكانوا أنفع للناس منكم، وأنتم أقوم بالصلاة منهم. قال: فجعل هارون يشير بيده ويقول: إن في الصلاة، إن في الصلاة. قال: ثم خرج فتبعه الفضل بن الربيع، فقال: يا أبا بكر: إن أمير المؤمنين قد أمر لك بثلاثين ألفاً، فقال أبو بكر: فما لقائدي؟ فضحك الفضل وقال: لقائدك خمسة آلاف. قال يحيى: فأخذت الخمسة آلاف قبل أن يأخذ أبو بكر الثلاثين.

حدث بإسناد رفعه إلى أبي بكر بن عياش، قال: دخلت على هارون أمير المؤمنين، فسلمت وجلست، فدخل فتىً من أحسن الناس وجهاً، فسلم وجلس. فقال لي هارون: يا أبا بكر: أتعرف هذا؟ قلت: لا، قال: هذا ابني محمد، ادع الله له، فقلت: يا أمير المؤمنين، حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَاتِحٌ عَلَيْكُمْ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ عُمَّالَ ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ اتَّقَى، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ﴾. فانتفض وتغير، وقال يا مسرور: اكتب، ثم سكت ساعة، وقال: يا أبا بكر، ألا تحدثني، فقلت: يا أمير المؤمنين، حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدري ما قال عمر بن الخطاب للهروان[4]؟ قال: وما قال له؟ قلت: قال له ما يمنعك من حب المال؟ وأنت كافر القلب، طويل الأمل، قال: لأني قد علمت أن الذي لي سوف يأتيني، والذي أخلفه بعدي يكون وباله علي. ثم قال يا مسرور: اكتب ويحك. ثم قال: ألك حاجة يا أبا بكر؟ قلت: تردني كما جئت بي، قال: ليست هذه حاجة، سل غيرها، قلت: يا أمير المؤمنين: لي بنات أخت ضعاف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهن بشيء، قال: قدر لهن، قلت: يقول غيري، قال: لا يقول غيرك، قلت: عشرة آلاف، قال: لهن عشرة آلاف، وعشرة آلاف، وعشرة آلاف، وعشرة آلاف، يا فضل اكتب بها إلى الكوفة، وألا تحبس عليه. ثم قال: انصرف ولا تنسنا من دعائك.

قال أبو بكر بن عياش: قلت لهارون: يا أمير المؤمنين، انظر هذه العصابة الذين يحبون أبا بكر وعمر، ويفضلونهم فأكرمهم يعز سلطانك، ويقوى، فقال: أولست كذلك؟ أنا والله كذلك، أنا والله أحبهم، وأحب من يحبهم، وأعاقب من يبغضهم. وحدث محمد بن إسماعيل القرشي، عن أبي بكر بن عياش، قال لي الرشيد: كيف استخلف أبو بكر؟ قلت: يا أمير المؤمنين سكت الله وسكت رسوله وسكت المؤمنون. قال: ما زدتني إلا عمى (غما؟). قلت: مرض النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أيام، فدخل عليه بلال: فقال: مروا أبا بكر يصلي بالناس. فصلى بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل، فسكت رسول الله لسكوت الله، وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأعجبه ذلك، فقال: بارك الله فيك. جاء جنديان يسألان عن منزل أبي بكر بن عياش، قال: فقلت: ما تريدان منه؟ فقالا: أنت هو؟ قلت: نعم، فقالا: أجب الخليفة، قلت: أدخل ألبس ثوبي، قالا: ليس إلى ذلك سبيل، فأرسلت من جاءني بثيابي، ومضيت معهم إلى الرشيد بالحيرة، فدخلت عليه، فقال: لا أرنا إلا قد رعناك. إن أبا معاوية الضرير[5] حدثني بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَكُونُ قَوْمٌ بَعْدِي يُنْبَزُون بالرافضة فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنهم مُشْرِكُونَ﴾ فوالله لئن كان حقا لأقتلنهم. فلما رأيت ذلك خفت منه، فقلت: يا أمير المؤمنين، لئن كان ذلك فإنهم ليحبونكم أشد من نبي الله، وهم إليك أميل، فسري عنه، ثم أمر لي بأربع بدر، فأخذتها. فلقيني رجل منهم له صوت فقال يا أبا بكر أخذت الدراهم ما عذرك عند الله غدا، قال لنا الساجي وزادني بعض أصحابي فيه فقلت له: عذري عند الله أني خلصتك من القتل.

■ (1) أبو بكر بن عياش ابن سالم الاسدي، مولاهم الكوفي الحناط بالنون المقرئ، الفقيه، المحدث، شيخ الاسلام، وبقيه الاعلام، مولى واصل الاحدب. وفي اسمه أقوال: أشهرها شعبة، فإن أبا هاشم الرفاعي، وحسين ابن عبد الاول، سألاه عن اسمه، فقال: شعبة. وسأله يحيى بن آدم وغيره عن اسمه، فقال: اسمي كنيتي. وأما النسائي فقال: اسمه محمد. وقيل: اسمه مطرف. وقيل: رؤبة. وقيل: عتيق. وقيل: سالم. وقيل: أحمد، وعنترة، وقاسم، وحسين، وعطاء، وحماد، وعبد الله. قال هارون بن حاتم: سمعته يقول: ولدت سنة 95 هـ. مات أبو بكر في جمادى الاولى سنة 193 هـ. عاش ستا وتسعين سنة.

■ (2) وكيع بن الجراح بن مليح ، أبو سفيان، الرؤاسي أو الرؤاسي أو المؤاسي، الكوفي أحد الأعلام ، فقيه حافظ للحديث ، واشتهر حتى عد محدث العراق في عصره، ولد سنة 128 هـ أو 129 هـ ، أراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة، فامتنع ورعا.قال أحمد لما ولي حفص بن غياث القضاء هجره وكيع مات بفيد يوم عاشوراء 197 هـ من تصانيفه: تفسير القرآن،والسنن،والمعرفة والتاريخ

■ (3) يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الأموي: أبو زكريا الكوفي، مولى خالد بن خالد بن عقبة بن أبى معيط. مات سنة 203 هـ بفم الصلح في خلافة المأمون، وصلى عليه الحسن بن سهل.

■ (5) أبو معاوية الضرير محمد بن خازم السعدي التميمي مولى لهم كان مولده سنة 113 هـ ومات في آخر صفر سنة 195 هـ وكان أحد الأئمة الأعلام الثقات. لم يتعرض إليه أحد. وقال ابن خراش: يقال: هو في الأعمش ثقة، وفى غيره فيه اضطراب.

■ (4) هل هذه نسبة إلى قرية هروان التي تقع في إيران (ديزجرود الغربي)؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قال زكريا الساجي: حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثني محمد بن عبد الله (؟)، حدثني إبراهيم بن أبي بكر بن عياش، قال : طلب الرشيد أبي، فمضى إليه ، فقال: إن أبا معاوية حدثني بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿يَكُونُ قَوْمٌ بَعْدِي يُنْبَزُون بالرافضة فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنهم مُشْرِكُونَ﴾، فوالله لئن كان الحديث حقا لأقتلنهم، فلما رأيت ذلك خفت وقلت: يا أمير المؤمنين، لئن كان ذلك، فإنهم ليحبونكم أشد من بني أمية، وهم إليكم أميل. قال: فسري عنه وأمر لي بأربع بدر، فأخذتها. قلت: محمد بن عبد الله مجهول(؟) [أورده المصنف في الميزان ، وزاد: ولم تصح هذه الحكاية].

قال المدائني: دخل ابن الغمر بن يزيد[1] على الرشيد فسأله ممن أنت فقال: من قريش قال: من أيها فوجم فقال: قل وأنت امن ولو أنك مروان فقال: أنا ابن الغمر بن يزيد فقال: رحم الله الوليد ولعن يزيد الناقص فانه قتل خليفة مجمعا عليه ارفع حوائجك فرفعها وقضاها.

روي عن شبيب بن شبة، قال: كنا في مجلس عظيم، فورد علينا ابن المقفع – وكان من أشراف الفرس وحكمائهم – فقال لنا: من أعقل الأمم؟! فنظر بعضنا إلى بعض، وقلنا: لعله يميل إلى أصله. فقلنا: الفرس. قال: ليس هناك. ملكوا كثيرا من الأرض، وحووا عظيما من الملك، فما استنبطوا بعقولهم شيئا. فقلنا: الروم. فقال: أصحاب صنعة. فقلنا الصين. فقال: أصحاب طرفة. فقلنا: الهند. فقال أصحاب فلسفة. فقلنا: السودان. فقال: أشر خلق الله.فقلنا: الخزر. فقال: نعم سائمة. فقلنا: فمن؟! قال: العرب!! فضحكنا!!فقال: ما أردت موافقتكم. ولكن، إذا فاتني حظي من النسب، فلا يفوتني حظي من المعرفة، إن العرب، حكت على غير مثال. يجود أحدهم بقوته، ويتفضل بمجهوده، ويشارك في ميسوره ومعسوره، ويصف الشيء بعقله، فيكون قدوة. ويفعله، فيصير حجة. ويحسن ما شاء، فيحسن. ويقبح ما شاء، فيقبح، رفعتهم عقولهم. وأعزتهم هممهم حتى نالوا أكرم الفخر، وبلغوا أشرف الذكر. فلما شرفهم الله، بالرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهم على هذه الأخلاق الجميلة، والفضائل الجليلة، تنافسوا في زيادة الفضائل، وتسابقوا إلى نيل العلوم والمعارف. فاكتسبوا منها ما لم يكتسبه الأوائل. واثروا الآثار العظيمة، في أقرب مدة، من بناء المدائن، وعمل القناطر وفتح الخلجان. فقد أجرى موسى بن نصير، البحر، اثني عشر ميلا، إلى دار الصناعة بتونس وصنع مائة مرآب. وغزا صقلية، وأخذها ووصل عمرو بن العاص، بين النيل وبحر القلزم، في مدة سنة. وجرت فيه السفن، من خلافة عمر بن الخطاب، إلى ما بعد خلافة عمر بن عبد العزيز. احتفره، من الخليج، الذي في ناحية الفسطاط. وقال له: خليج أمير المؤمنين. وساقه إلى القلزم. ثم ضيعه الولاة وترك، وغلب عليه الرمل، ونقطع، وصار منتهاه، إلى ذنب التمساح. وتيسر لهم من التصنيف، في أنواع العلوم، ما لم يتيسر لأحد قبلهم. حتى إن منهم، من بلغت تصانيفه، في أنواع العلوم: ثلاثة آلاف مصنف، وزيادة، يحكى أن خزانة الكتب، بمصر، في دولة العبيديين، بلغت ألفي ألف مصنف، وستمائة ألف مصنف. وفي بعض التصانيف، مائة مجلد، إلى ثلاثمائة مجلد، كتفسير الرازي، وغيره. وبلغ ملكهم، حيث لم يبلغ ملك أمة قبلهم، من آدم إلى الآن. ثم بدا فيهم النقص. وغير الله بهم، حيث غيروا ما بأنفسهم، شأن الأمم... وكل شيء بلغ الحد، انتهى.

■ (1) الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان: من رجالات بني أمية أيام انحلال دولتهم ومطاردة العباسيين لآخر خلفائهم في المشرق مروان بن محمد. وكان الغمر في فلسطين، وأسره عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بعد معركة بينهما في نهر أبي فطرس قرب الرملة ثم قتله وقتل معه ثمانين رجلا من الامويين وصلبهم سنة 132 هـ

مراجع: تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ مختصر تاريخ دمشق/ حاشية العطار/ شرح أصول الاعتقاد/ سر أعلام النبلاء/ مجلة البحوث الإسلامية/ مشاهير علماء الأمصار/ ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية/ مغاني الأخيار/ الوافي بالوفيات/ تاريخ بغداد/ معجم الأدباء/ ذكرى العاقل وتنبيه الغافل/

كان علي بن ظبيان*[1] قاضي الرقة*، وكان الرشيد إذ ذاك بها، فجاء رجل فاستعدى إليه من عيسى بن جعفر[2]، فكتب إليه ابن ظبيان: أما بعد، أبقى الله الأمير وحفظه، وأتم نعمته عليه، أتاني رجل يذكر أنه فلان بن فلان، وأن له على الأمير، أبقاه الله، خمس مائة ألف درهم، فإن رأى الأمير، أبقاه الله، أن يحضر معه مجلس الحكم أو يوكل وكيلا يناظر خصمه فعل. قال: ودفع الكتاب إلى الرجل، فأتى باب عيسى بن جعفر فدفع الكتاب إلى حاجبه فأوصله إليه، فقال له: كل هذا الكتاب.

فرجع إلى القاضي فأخبره، فكتب إليه: أبقاك الله وحفظك وأمتع بك، حضر رجل يقال له فلان بن فلان، فذكر أن له عليك حقا فصر معه إلى مجلس الحكم أو وكيلك إن شاء الله. ووجه بالكتاب مع عونين من أعوانه، فحضرا باب عيسى بن جعفر ودفعا الكتاب إليه، فغضب ورمى به، فانطلقا إليه فأخبراه. فكتب إليه: حفظك الله وأبقاك وأمتع بك، لا بد أن تصير أنت وخصمك إلى مجلس الحكم، فإن أنت أبيت رفعت أمرك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله. ووجه الكتاب مع رجلين من أصحابه العدول، فقعدوا على باب عيسى بن جعفر حتى خرج، فقاما إليه ودفعا إليه كتاب القاضي، فلم يقرأه ورمى به، فأبلغاه ذلك. فختم قمطره وانصرف وقعد في بيته، وبلغ الخبر الرشيد فدعاه فسأله عن أمره، فأخبره بالقصة حرفا حرفا، فقال لإبراهيم بن عثمان صاحب شرطته: صر إلى باب عيسى بن جعفر فاختم عليه أبوابه كلها، ولا يخرجن أحد ولا يدخلن أحد عليه حتى يخرج إلى الرجل من حقه أو يصير معه إلى الحاكم. قال: فأحاط إبراهيم بداره ووكل بها خمسين فارسا وأغلقت أبوابه، وظن عيسى أنه قد حدث للرشيد رأي في قتله، فلم يدر ما سبب ذلك، وجعل يكلم الأعوان من خلف الباب، وارتفع الصياح من داره، وصرخ النساء، فأمرهن أن يسكتن، وقال لبعض غلمان إبراهيم: أدع لي أبا إسحاق لأكلمه، فأعلموه ما قال: فجاء حتى صار إلى الباب، فقال له عيسى ويلك ما حالنا؟ فأخبره خبر ابن ظبيان، فأمر أن تحضر خمسمائة ألف درهم من ساعته ويدفع بها إلى الرجل. فجاء إبراهيم إلى الرشيد فأخبره، فقال: إذا قبض الرجل ماله فافتح أبوابه.

عن محمد بن هارون، عن أبيه قال: وعظ الرشيد عبد الله بن عبد العزيز العمري[3]، فتلقى قوله بنعم يا عم، فلما ولى لينصرف؛ بعث إليه بألفي دينار في كيس مع الأمين والمأمون فاعترضاه بها، وقالا: يا عم؛ يقول لك أمير المؤمنين: خذها وانتفع بها أو فرقها، فقال: هو أعلم بمن يفرقها عليه، ثم أخذ من الكيس ديناراً، وقال: كرهت أن أجمع سوء القول وسوء الفعل. وشخص إليه إلى بغداد بعد ذلك، فكره الرشيد مصيره إلى بغداد، وجمع العمريين، فقال: مالي ولابن عمتكم! احتملته بالحجاز، فشخص إلى دار مملكتي؛ يريد أن يفسد علي أوليائي! ردوه عني، فقالوا: لا يقبل منا؛ فكتب إلى موسى بن عيسى[4] أن يرفق به حتى يرده، فدعا له عيسى ببني عشر سنين، قد حفظ الخطب والمواعظ، فكلمه كلاماً كثيراً، ووعظه بما لم يسمع العمري بمثله، ونهاه عن التعرض لأمير المؤمنين. فأخذ نعله، وقام وهو يقول: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك]

قال عبد الله بن عبد العزيز العمري: قال لي موسى بن عيسى: ينتهي إلى أمير المؤمنين الرشيد أنك تشتمه، وندعو عليه، فبأي شيء استجزت ذلك منه يا عمري؟ قال: قلت: أما في شتمه، فهو والله أكرم علي من نفسي، وأما في الدعاء عليه، فو الله ما قلت: اللهم إنه قد أصبح عبئا ثقيلا على أكتافنا، لا تطيقه أبداننا، وقذى في عيوننا، لا تطرف عليه جفوننا، وشجا في أفواهنا، لا تسيغه حلوقنا، فاكفنا مؤنته، وفرق بيننا وبينه، ولكني قلت: اللهم، إن كان قد تسمى بالرشيد ليرشد، فأرشده أو لغير ذلك فراجع به، اللهم، إن له في الإسلام بالعباس على كل مسلم حقا، وله بنبيك قرابة ورحما، فقربه من كل خير، وبعده من كل شر، وأسعدنا به، وأصلحه لنفسه ولنا، فقال موسى: يرحمك الله يا أبا عبد الرحمن، كذلك لعمري كان ما فعلت.

كان الرشيد يقول: أنا من أهل بيت عظمت رزيتهم*، وحسنت بقيتهم، رزئنا* رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت فينا خلافة الله عز وجل. بينما الرشيد هارون يطوف بالبيت إذ عرض له رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إني أريد أن أكلمك بكلام فيه غلظة فاحتمله لي، فقال: لا، ولا نعمة عين ولا كرامة، قد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني فأمر أن يقول له قولا لينا.

ذكر بعضهم أنه كان مع الرشيد بالرقة بعد أن شخص من بغداد، فخرج يوماً مع الرشيد إلى الصيد، فعرض له رجل من النساك، فقال: يا هارون، اتق الله، فقال لإبراهيم بن عثمان بن نهيك:[5] خذ هذا الرجل إليك حتى أنصرف، فلما رجع دعا بغدائه، ثم أمر أن يطعم الرجل من خاص طعامه، فلما أكل وشرب دعا به، فقال: يا هذا، أنصفني في المخاطبة والمسألة، قال: ذاك أقل ما يجب لك، قال: فأخبرني: أنا شر وأخبث أم فرعون؟ قال: بل فرعون، قال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات] وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص] قال: صدقت؛ فأخبرني فمن خير؟ أنت أم موسى بن عمران؟ قال: موسى كليم الله وصفيه، اصطنعه لنفسه، وأتمنه على وحيه، وكلمه من بين خلقه، قال: صدقت؛ أفما تعلم أنه لما بعثه وأخاه إلى فرعون قال لهما:﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه] ذكر المفسرون أنه أمرهما أن يكنياه؛ وهذا وهو في عتوه وجبريته؛ على ما قد علمت، وأنت جئتني وأنا بهذه الحالة التي تعلم، أؤدي أكثر فرائض الله علي، ولا أعبد أحداً سواه، أقف عند أكبر حدوده وأمره ونهيه؛ فوعظتني بأغلظ الألفاظ وأشنعها وأخشن الكلام وأفظعه؛ فلا بأدب الله تأدبت، ولا بأخلاق الصالحين أخذت، فما كان يؤمنك أن أسطو بك! فإذا أنت قد عرضت نفسك لما كنت عنه غنياً. قال الزاهد: أخطأت يا أمير المؤمنين؛ وأنا أستغفرك؛ قال: قد غفر لك الله؛ وأمر له بعشرين ألف درهم، فأبى أن يأخذها، وقال:لا حاجة لي في المال؛ أنا رجل سائح. فقال هرثمة[6] وخزره: أترد على أمير المؤمنين يا جاهل صلته! فقال الرشيد: أمسك عنه، ثم قال له:لم نعطك هذا المال لحاجتك إليه؛ولكن من عادتنا أنه لا يخاطب الخليفة أحد ليس من أوليائه ولا أعدائه إلا وصله ومنحه؛ فاقبل من صلتنا ما شئت؛ وضعها حيث أحببت.فأخذ من المال ألفي درهم وفرقها على الحجاب ومن حضر الباب.

----

*(رزأ) الرزء و المرزئة والرزيئة بالمد و الرزية المصيبة والجمع الرزايا وقد رزأته رزيئة أي أصابته مصيبة (علي بن ظبيان) في مختصر تاريخ دمشق قال: عبيد الله بن ظبيان ؟ (الرقة) مدينة شمال سوريا

■ (1) علي بن ظبيان العبسي الكوفي، أبو الحسن، ولي قضاء الجانب الشرقي ببغداد مكان أسد بن عمرو ثم ولاه هارون بعد قضاء القضاة، توفي بقصر بقرميسين سنة 192 هـ.قيل إن وكيعا قال لأبي علي بن ظبيان: كم مكث ابنك على القضاء؟ قال: سبع سنين. قال: ما كان عليه لو صبر، وكان هارون يخرجه إذا خرج إلى المواضع

■ (3) عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العمري، ويكنى أبا عبد الرحمن. اسند الحديث وأدرك من التابعين أبا طوالة، وكان عابدا زاهدا، وعظ الرشيد وله معه مواقف محمودة.توفي بالمدينة سنة 184 هـ وهو ابن 66 سنة.

■ (2) عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور كان من وجوه بني هاشم وسراتهم وولي إمارة البصرة وخرج من بغداد يقصد هارون الرشيد وهو إذ ذاك بخراسان فأدركه أجله بالدسكرة من طريق حلوان. قيل مات سنة 172 هـ بطرازستان لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان.

■ (4) موسى بن عيسى بن موسى بن محمد، ولي الحرمين للمنصور والمهدى، مدة طويلة. ثم ولي اليمن للمهدى. وولي مصر للرشيد سنة 171 هـ وكان سلفه فيها علي بن سليمان قد هدم الكنائس المحدثة بمصر، فرفع إليه أمرها، فاستشار خاصته، فقالوا: هي من عمارة البلاد، واحتجوا بأن عامة الكنائس التي بمصر ما بنيت إلا في الإسلام، في زمن الصحابة والتابعين، فأذن في بنائها، فبنيت كلها.وأقام على الولاية سنة وخمسة أشهر ونصفا. وصرف عنها سنة 172 هـ فعاد إلى العراق، فولاه الرشيد الكوفة فدمشق ثم أعيد ثانية إلى إمرة مصر سنة 175 هـ وصرف سنة 176 هـ وأعيد ثالثة سنة 179 هـ وصرف سنة 180 هـ فأقام ببغداد إلى أن توفى سنة 183 هـ

■ (6) هرثمة بن أعين ، ذو الحكمين كان أحد قادة الدولة العباسية. وأحد أمراء المأمون، ولاه هارون الرشيد مصر، توفي سنة 200هـ

■ (5) إبراهيم بن عثمان بن نهيك، قيل قتله الرشيد سنة 187 هـ.

☪

قد حث الله سبحانه المسلمين عامة وولاة الأمر بصفة خاصة على العدل، وحث على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة، بل إن الله سبحانه أمر به أمراً صريحاً، يقول جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء] أي ويأمركم إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، والأمر كما هو معروف عند علماء الأصول يقتضي الوجوب إلا أن يصرفه صارف عن ذلك، وفي الآية الأخرى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل] ويقول سبحانه فيما خاطب به رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى] وإلى جانب الآيات فهناك الأحاديث الكثيرة والوقائع المشهورة التي حصلت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في عهد الخلفاء الراشدين، ففي الحديث المتفق عليه:﴿سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ –وعد منهم-: الإِمَامُ العَادِلُ﴾ وفي الحديث الآخر:﴿إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا﴾ قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم: (الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا) معناه أن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة أو نظر على يتيم أو صدقة أو وقف وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك والله أعلم. وعن أبي هريرة: ﴿أَنَّ أَعْرَابِيًّا تَقَاضَى عَلَى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فَأَغْلَظَ لَهُ فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً. ثُمَّ قَالَ:اقْضُوهُ. فَقَالُوا: لاَ نَجِدُ إِلاَّ سِنًّا أَفْضَلَ مِنْ سِنِّهُ قَالَ: اشْتَرُوهُ وَأَعْطُوهُ فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً﴾ وعن مسروق عن خباب قال: ﴿كُنْتُ قَيْنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَرَاهِمُ فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ فَقَالَ: لاَ أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ ثُمَّ يَبْعَثَكَ قَالَ فَذَرْنِي حَتَّى أَمُوتَ ثُمَّ أُبْعَثَ فَأُوتَى مَالاً وَوَلَدًا فَأَقْضِيَكَ فَنَزَلَ: أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا [مريم]﴾ عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ مِنَ الظُّلْمِ مَطْلُ الْغَنِيِّ وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيَتْبَعْ﴾ (المطل) منع أداء الدين وتأخيره. قال ابن حزم: ومن المنكر مطل الغني، فمن صح غناه، ومنع خصمه، فقد أتى منكرا، وظلما، وكل ظلم منكر، فواجب على الحاكم تغييره باليد. ولأجل هذا الحديث استدل سحنون وأصبغ من المالكية على أن المماطل فاسق مردود الشهادة، ونازعهما غيرهما في ذلك، وقالوا لا يلزم من تسميته ظلما أن يكون كبيرة، فإن الظلم يطلق على كل معصية كبرت أو صغرت، فلا ترد شهادته حتى يتكرر ذلك منه ويصير عادة له. وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ﴾ (لى) أي المنع (الواجد) أي الغنى. قال سفيان يعنى عرضه أن يقول : ظلمني حقي وعقوبته يسجن. وجاءه عليه الصلاة والسلام زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه دينا عليه، فجبذ ثوبه عن منكبه، وأخذ بمجامع ثيابه، وأغلظ له ثم قال: إنكم يا بنى عبد المطلب مطل، فانتهره عمر وشدد له في القول، والنبي صلى الله عليه وسلم يبتسم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا عُمَرُ أَنَا وَهُوَ كُنَّا إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ أَحْوَجَ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ﴾ ومكن عكاشة أن يقتص منه، وكذلك الأعرابي الذي تعلق في زمام ناقته فانتهره مرارا فلما لم ينتهر ضربه. وغير ذلك من الحالات والوقائع المماثلة كثيرة وليس هذا مجالا سردها فليرجع إليها في كتب التاريخ والسير، لتجد الصفحات البيضاء من صفحات العدل، ومن هذا نخرج بنتيجة وهي أن العدل صفة رئيسية من صفات التشريع الإسلامي، خاصة فيما ورد فيه نص صريح من القرآن، أو نص صحيح صريح من سنة، كما يجب أن يراعى العدل في جانبين.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ موسوعة الخطب والدروس/ السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي/ مسند أحمد/ أخبار القضاة/ـمختار الصحاح/

عن أشعث بن شعبة المصيصي قال: قدم هارون الرشيد الرقة فانجفل* الناس خلف عبد الله بن المبارك[1]، وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج الخشب، فلما رأت الناس قالت: ما هذا ؟ قالوا: عالم أهل خراسان قدم الرقة، يقال له عبد الله بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان.قيل جاء هارون الرشيد إلى باب عبد الله بن المبارك فاستأذن، فلم يأذن له، فكتب هارون في رقعة: الخفيف: هل لذي حاجة إليك سبيل..لا طويل قعوده بل قليل. فكتب ابن المبارك على ظهر رقعته: أنت يا صاحب الكتاب ثقيل..وقليل من الثقيل طويل. ومن محاسنه أنه لما بلغه موت ابن المبارك جلس للعزاء وأمر الأعيان أن يعزوه في ابن المبارك.

قال إبراهيم بن نوح الموصلي: لما قدم الرشيد عين زربة* طلب ابن المبارك قال: أبو سليمان فذكرت وقلت إن ابن المبارك رجل خراساني لا آمن أن يجيب أمير المؤمنين بما يكره فيقتله فأكون قد أهلكت أمير المؤمنين وأهلكت ابن المبارك وأهلكت نفسي، فأمسك عنه ثم عاود، فقلت: يا أمير المؤمنين، ابن المبارك جلف غليظ الطباع. فأمسك هارون، ثم ظهر ابن المبارك بعد ثلاث فقيل له: تخفيت ثم ظهرت؟ قال: أردت نفسي على الموت فأبت علي فلما أجابتني ظهرت.

قال نفطويه في تاريخه: حكى بعض أصحاب الرشيد أن الرشيد كان يصلي في اليوم مائة ركعة، لم يتركها إلا لعلة. وكان يقتفي آثار جده أبي جعفر، إلا في الحرص والبخل. قال أبو معاوية الضرير: ما ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي الرشيد إلا قال: صلى الله على سيدي. وحدثته بحديثه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْت أَنِّي أُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا فَأُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا فَأُقْتَلُ﴾ فبكى حتى انتحب.

كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث. قال: فقدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب وكان مستعجلا، فخرج في النفير فلما قفل من غزوته ورجع إلى الرقة سأل عن الشاب فقالوا: إنه محبوس لدين ركبه. فقال عبد الله: وكم مبلغ دينه؟ قالوا عشرة آلاف درهم فلم يزل يستقصي حتى دل على صاحب المال فدعا به ليلا ووزن له عشرة آلاف درهم وحلفه أن لا يخبر أحدا ما دام عبد الله حيا. وقال: إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس. وأدلج عبد الله وأخرج الفتى من الحبس، وقيل له: عبد الله بن المبارك كان ها هنا وكان يذكرك، وقد خرج. فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة، فقال: يا فتى أين كنت؟ لم أرك في الخان؟ قال: نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوسا بدين. قال: وكيف كان سبب خلاصك؟ قال: جاء رجل وقضى ديني ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس. فقال له عبد الله: يا فتى احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك. فلم يخبر ذلك الرجل أحدا إلا بعد موت عبد الله.

كان ابن المبارك عند أبي الأحوص[2] فجاء رسول فلان الهاشمي بعض الولاة فقال: يقرئك السلام ويقول: يا أبا الأحوص هذا رمضان وقد وسعنا على عيالنا وهذه ألف درهم توسع بها عليهم في هذا الشهر. قال أبو الأحوص: فعل الله به وفعل به وقال: قل له يدعها عنده حتى إذا احتجنا إليها بعثنا فأخذناها قال: وانسل ابن المبارك إلى منزله فجاء بألف فقال: يا أبا الأحوص هذه الألف تنفقها فإني لا آمن أن يكون قد بلغ أهلك فيخاصمونك، وهذه من وجه أرجو أن تكون أطيب فقبلها

----

*(جفل) السحاب الذي هراق ماءه. يقال انجفل الناس إذا ذهبوا (عين زربة) بلد بالثغر من نواحي المصيصة.

■ (1) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، مولى بني حنظلة، كان قد جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس، وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة شديدة التورع، وكذلك كان أبوه.كان عبد الله قد غزا، فلما انصرف من الغزو وصل إلى هيت فتوفي بها سنة 181 هـ أو 182 هـ

■ (2) أبو الأحوص، سلام بن سليم الحنفي، مولاهم، الكوفي، ثقة، متقن، صاحب حديث من السابعة، مات سنة 179هـ ؟

قال سليمان بن داود: سألت ابن المبارك من الناس؟ قال: العلماء، قلت: فمن الملوك؟ قال: الزهاد. قلت: فمن الغوغاء؟ قال: خزيمة وأصحابه (وخزيمة رجل مبتدع وشرير). قلت: فمن السفلة ؟ قال: الذين يعيشون بدينهم. وعن ابن المبارك: من استخف بالعلماء ذهبت أخرته، ومن استخف بالأمر ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته. وقال ابن المبارك: من ضن بالحديث ولم يفده ابتلي بإحدى ثلاث: إما أن يصحب السلطان فيذهب علمه، أو يكذب في الحديث، أو يموت.

قال شريح بن مسلمة: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين. وقال ابن المبارك: طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا. وقال الحسن بن عرفة: قال لي ابن المبارك: استعرت قلما بأرض الشام فذهب على أن أرده إلى صاحبه فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي، فرجعت يا أبا علي إلى أرض الشام حتى رددته على صاحبه. وقال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش فقال: كيف استوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وقال عبد الله بن المبارك: إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفوا وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كره فينبغي لنا أن نكرهها. وعنه قال: حب الدنيا في القلوب، والذنوب قد احتوشته، فمتى يصل إليه الخير، وعنه قال: لو أن رجلا إتقى مائة شيء، ولم يتق شيئا واحدا، لم يكن من المتقين، ولو تورع عن مائة شيء، سوى شيء، لم يكن من الورعين، ومن كانت فيه خلة من الجهل، كان من الجاهلين. أما سمعت الله يقول لنوح عليه السلام في شأن ابنه:﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود] وقال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الزهد كأنه ثور قد ذبح لا يقدر أن يتكلم. قال أبو وهب المروزي سألت ابن المبارك عن الكبر قال: أن تزدري الناس، وسألته عن العجب فقال: أن ترى أن عندك شيئا ليس عند غيرك. عبدة بن سليمان قال ابن المبارك: عتق الجارية الحسناء مضيعة.

عن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيرا ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي: بأي شيء فضل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إنا نصلي، ولئن يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إنا لنحج. قال: فكنا في بعض مسيرتنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت إذ طفئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هينهة ثم جاء بالسراج فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع. فقلت في نفسي: بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة. قال المروزي: وسمعت أبا عبد الله بن حنبل قال: ما رفع الله ابن المبارك إلا بخبيئة كانت له.

قال أبو حاتم الرازي: سمعت عبدة بن سليمان المروزي يقول: كنا في سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم. فصادفنا العدو، ولما التقى الجمعان خرج رجل للمبارزة، فبرز إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فطارده ساعة، ثم طعنه فقتله، فازدحم الناس، فزاحمت فإذا هو ملثم وجهه، فأخذت بطرف ثوبه فمدته، فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا.

أدرك ابن المبارك جماعة من التابعين وروي عن كبار الأئمة كالثوري وشعبة والأوزاعي والحمادين في نظرائهم وتوفي بهيت منصرفا من الغزو لثلاث عشرة خلت من رمضان سنة إحدى و ثمانين ومائة و هو ابن ثلاث وستين سنة. قال ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل نصير: يا أبا عبد الرحمن، قل: لا إله إلا الله. فقال له: يا نصير قد ترى شدة الكلام علي فإذا سمعتني قلتها فلا تردها علي حتى تسمعني قد أحدثت بعدها كلاما، فإنما كانوا يستحبون أن يكون آخر كلام العبد ذلك. وكان أحد أئمة المسلمين.

مراجع: سير أعلام النبلاء/ تاريخ بغداد/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ وفيات الأعيان/ صفة الصفوة/ معجم البلدان/ إكمال الكمال/ المؤتلف والمختلف للإمام الدارقطني/ الثقات لابن حبان/ الجرح والتعديل/ـمختصر صفة الصفوة لابن الجوزاي/ تذكرة الحفاظ وذيوله/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) ويحيى الطالبي (١) 0763

ذكر أبو يونس إسحاق بن إسماعيل، قال: سمعت عبد الله بن العباس[1]، الذي يعرف بالخطيب، قال: كنت يوما على باب الرشيد أنا وأبي[2]، وحضر ذلك اليوم من الجند والقواد ما لم أر مثلهم على باب خليفة قبله ولا بعده، قال: فخرج الفضل بن الربيع[3] إلى أبي، فقال له: ادخل، ومكث ساعة ثم خرج إلي، فقال: ادخل، فدخلت، فإذا أنا بالرشيد معه امرأة يكلمها، فأومأ إلى أبي أنه لا يريد أن يدخل اليوم أحد، فاستأذنت لك لكثرة من رأيت حضر الباب؛ فإذا دخلت هذا المدخل زادك ذلك نبلا عند الناس. فما مكثنا إلا قليلا حتى جاء الفضل بن الربيع، فقال: إن عبد الله بن مصعب الزبيري[4] يستأذن في الدخول، فقال: إني لا أريد أن أدخل اليوم أحدا، فقال: قال: إن عندي شيئا أذكره. فقال: قل له يقله لك، قال: قد قلت له ذلك، فزعم أنه لا يقوله إلا لك، قال: أدخله. وخرج ليدخله، وعادت المرأة وشغل بكلامها، وأقبل علي أبي، فقال: إنه ليس عنده شيء يذكره؛ وإنما أراد الفضل بهذا ليوهم من على الباب أن أمير المؤمنين لم يدخلنا لخاصة خصصنا بها؛ وإنما أدخلنا لأمر نسأل عنه كما دخل هذا الزبيري. وطلع الزبيري، فقال: يا أمير المؤمنين، ها هنا شيء أذكره، فقال له: قل، فقال له: إنه سر، فقال: ما من العباس سر، فنهضت، فقال: ولا منك يا حبيبي، فجلست، فقال: قل، فقال: إني والله قد خفت على أمير المؤمنين من امرأته وبنته وجاريته التي تنام معه، وخادمه الذي يناوله ثيابه وأخص خلق الله به من قواده، وأبعدهم منه. قال: فرأيته قد تغير لونه، وقال: مماذا ؟ قال: جاءتني دعوة يحيى بن عبد الله بن حسن[5]، فعلمت أنها لم تبلغني مع العداوة بيننا وبينهم، حتى لم يبق على بابك أحدا إلا وقد أدخله في الخلاف عليك. قال: فتقول له هذا في وجهه! قال: نعم، قال الرشيد: أدخله، فدخل، فأعد القول الذي قال له، فقال يحيى بن عبد الله: والله يا أمير المؤمنين لقد جاء بشيء لو قيل لمن هو أقل منك فيمن هو أكبر مني، وهو مقتدر عليه لما أفلت منه أبدا، ولي رحم وقرابة، فلم لا تؤخر هذا الأمر ولا تعجل، فلعلك أن تكفي مؤنتي بغير يدك ولسانك، وعسى بك أن تقطع رحمك من حيث لا تعلمه! أباهه بين يديك وتصبر قليلا. فقال: يا عبد الله، قم فصل إن رأيت ذلك، وقام يحيى فاستقبل القبلة، فصلى ركعتين خفيفتين، وصلى عبد الله ركعتين، ثم برك يحيى، ثم قال: ابرك، ثم شبك يمينه في يمينه. وقال: اللهم، إن كنت تعلم أني دعوت عبد الله بن مصعب إلى خلاف على هذا – ووضع يده عليه، وأشار إليه – فاسحتني بعذاب من عندك وكلني إلى حولي وقوتي، وإلا فكله إلى حوله وقوته، واسحته بعذاب من قبلك، آمين رب العالمين. فقال عبد الله: آمين رب العالمين. فقال يحيى بن عبد الله لعبد الله بن مصعب: قل كما قلت، فقال عبد الله: اللهم، إن كنت تعلم أن يحيى بن عبد الله لم يدعني إلى الخلاف على هذا فكلني إلى حولي وقوتي واسحتني بعذاب من عندك ، وإلا فكله إلى حوله وقوته، واسحته بعذاب من قبلك، آمين رب العالمين! وتفرقا، فأمر بـ يحيى فحبس في ناحية من الدار؛ فلما خرج وخرج عبد الله بن مصعب أقبل الرشيد على أبي، فقال: فعلت به كذا وكذا، وفعلت به كذا وكذا، فعدد أياديه عليه، فكلمه أبي بكلمتين لا يدفع بهما عن عصفور، خوفا على نفسه، وأمرنا بالانصراف فانصرفنا. فدخلت مع أبي أنزع عنه لباسه من السواد – وكان ذلك من عادتي – فبينما أنا أحل عنه منطقته؛ إذ دخل عليه الغلام، فقال: رسول عبد الله بن مصعب، فقال: أدخله، فلما دخل قال له: ما وراءك؟ قال: يقول لك مولاي، أنشدك الله إلا بلغت إلي! فقال أبي للغلام: قل له: لم أزل عند أمير المؤمنين إلى هذا الوقت، وقد وجهت إليك بعبد الله، فما أردت أن تلقيه إلي فألقه إليه، وقال للغلام: اخرج فإنه يخرج في إثرك؛ وقال لي: إنما دعاني ليستعين بي على ما جاء به من الإفك؛ فإن أعنته قطعت رحمي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن خالفته سعى بي؛ وإنما يتدرق* الناس بأولادهم، ويتقون بهم المكاره؛ فاذهب إليه، فكل ما قال لك فليكن جوابك له: أخبر أبي؛ فقد وجهتك وما آمن عليك، وقد كان قال لي أبي حين انصرفا – وذلك أنا احتبسنا عند الرشيد: أما رأيت الغلام المعترض في الدار! لا والله ما صرفنا حتى فرغ منه – يعني يحيى – إنا لله وإنا إليه راجعون! وعند الله نحتسب أنفسنا. فخرجت مع الرسول، فلما صرت في بعض الطريق وأنا مغموم بما أقدم عليه، قلت للرسول: ويحك! ما أمره! وما أزعجه بالإرسال إلى أبي في هذا الوقت! فقال: إنه لما جاء من الدار، فساعة نزل عن الدابة صاح: بطني بطني! قال عبد الله بن عباس: فما حفلت بهذا الكلام من قول الغلام، ولا التفت إليه، فلما صرنا على باب الدرب – وكان في درب لا منفذ له – فتح البابين؛ فإذا النساء قد خرجن منشورات الشعور محتزمات بالحبال، يلطمن وجوههن وينادين بالويل، وقد مات الرجل، فقلت: والله ما رأيت أمرا أعجب من هذا! وعطفت دابتي راجعا أركض ركضا لم أركض مثله قبله ولا بعده إلى هذه الغاية، والغلمان والحشم ينتظرونني لتعلق قلب الشيخ بي؛ فلما رأوني دخلوا يتعادون، فاستقبلني مرعوبا في قميص ومنديل، ينادي: ما وراءك يا بني؟ قلت: إنه مات، قال: الحمد لله الذي قتله وأراحك وإيانا منه؛ فما قطع كلامه حتى ورد خادم الرشيد يأمر أبي بالركوب وإياي معه. فقال أبي ونحن في الطريق نسير: لو جاز أن يدعى لـ يحيى نبوة لادعاها أهله رحمة الله عليه، وعند الله نحتسبه! ولا والله ما نشك في أنه قد قتل. فمضينا حتى دخلنا على الرشيد؛ فلما نظر إلينا قال: يا عباس بن الحسن، أما علمت بالخبر؟ فقال أبي: بلى يا أمير المؤمنين، فالحمد لله الذي صرعه بلسانه، ووقاك الله يا أمير المؤمنين قطع أرحامك. فقال الرشيد: الرجل والله سليم على ما يحب، ورفع الستر، فدخل يحيى، وأنا والله أتبين الارتياع في الشيخ، فلما نظر إليه الرشيد صاح به: يا أبا محمد، أما علمت أن الله قد قتل عدوك الجبار! قال: الحمد لله الذي أبان لأمير المؤمنين كذب عدوه علي، وأعفاه من قطع رحمه، والله يا أمير المؤمنين؛ لو كان هذا الأمر مما أطلبه وأصلح له وأريده فكيف ولست بطالب له ولا مريده، ولو لم يكن الظفر به إلا بالاستعانة به، ثم لم يبق في الدنيا غيري وغيرك وغيره ما تقويت به عليك أبدا! وهذا والله من إحدى آفاتك – وأشار إلى الفضل بن الربيع– والله لو وهبت له عشرة آلاف درهم، ثم طمع مني في زيادة نمرة لباعك بها. فقال: أما العباسي فلا تقل له إلا خيرا، وأمر له في هذا اليوم بمائة ألف دينار، وكان حبسه بعض يوم. ثم قال أبو يونس: كان هارون حبسه ثلاث حبسات مع هذه الحبسة، وأوصل إليه أربعمائة ألف دينار.

----

* (الغموس) اليمين الكاذبة التي تغمس صاحبها في الإثم(ربد) .. يقال اربد وجهه احمر حمرة فيها سواد عند الغضب؛ والرجل تعبس.(السلق) النبت الذي يؤكل من أنواع الخضروات الورقية (تدرق) بالدرقة توقى بها ويقال تدرق به احتمى به كأنه اتخذه درقة. أي الترس:الدرع.

■ (5) يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب: من كبار الطالبيين في أيام موسى الهادي وهارون الرشيد رباه جعفر الصادق في المدينة، فروى الحديث وتفقه. وكان مع ابن عمه (الحسين بن علي بن الحسن) في ثورته بالمدينة واستيلائه عليها، أيام موسى الهادي، وحضر مقتله في معركة فخ سنة 169 هـ، ونجا فدعا إلى نفسه، فبايعه كثير من أهل الحرمين واليمن ومصر. وذهب إلى اليمن فأقام مدة. ودخل مصر والمغرب. وعاد إلى المشرق فدخل العراق متنكرا. وقصد بلاد الري وخراسان فوصل إلى ما وراء النهر. واشتد الرشيد في طلبه، فانصرف إلى خاقان (ملك الترك) ومعه من شيعته وأنصاره نحو 170 رجلا، فأقام سنتين وستة أشهر. وخرج إلى طبرستان، فبلاد الديلم. وأعلن بها دعوته سنة 175هـ وكثر جمعه، فندب الرشيد لحربه الفضل بن يحيى البرمكي في خمسين ألفا. وضعف أمر الطالبي، وخاف أن يغدر به ملك الديلم، فطلب أمان الرشيد، فأجابه بخطه، واستقدمه إلى بغداد، فدخلها.وأغدق عليه الرشيد عطاياه، إلى أن بلغه أنه يدعو لنفسه سرا، وأنه ما زال عنده من يقوم بدعوته، فحبسه عند الفضل بن يحيى. ورق له هذا بعد مدة، فأطلقه. وعلم الرشيد، فكان ذلك مما أحفظه على البرامكة، وأرسل من أعاد يحيى إلى الاعتقال، في سرداب. ووكل به مسرورا السياف. وكان كثيرا ما يدعو به إليه فيناظره. واستمر إلى أن مات في حبسه. وقيل: قتل بالجوع والعطش نحو سنة 180 هـ وكان أسمر، نحيفا، خفيف العارضين، ملء نفسه إباء واعتزاز.

■ (2) العباس بن الحسن (الحسين؟) بن عبيد الله بن عباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أبو الفضل العلوي؛ قدم بغداد في ودولة الرشيد ثم صحب المأمون، وكان شاعرا بليغا مفوها حتى قيل إنه أشعر آل أبي طالب، وتوفي سنة 193 هـ.

■ (3) أبو العباس، الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة واسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، وجاء ذكر أبيه في شيء من أخباره مع أبي جعفر، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم، فكان في نفسه منهم إحن وشحناء، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب: من أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان

■ (4) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (1) عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي، الذي يعرف بالخطيب؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

قيل إن سبب نكبة البرامكة أن الرشيد دفع يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى جعفر بن يحيى فحبسه، ثم استدعاه وسأله عن بعض أمره، فقال له: اتق الله في أمري، ولا تتعرض غدا أن يكون خصمك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوالله ما أحدثت حدثا ولا آويت محدثا، فرق له وقال: اذهب حيث شئت من بلاد الله. فقال: كيف أذهب ولا آمن أن أؤخذ ؟ فوجه معه من أوصله إلى مأمنه، وبلغ الخبر الفضل بن الربيع فرفعه إلى الرشيد، فقال: ما أنت وهذا – فلعله عن أمري ثم أحضر جعفرا وسأله عن يحيى، فقال هو بحاله في الحبس، فقال بحياتي ففطن جعفر وقال: لا وحياتك، وقص عليه أمره، وقال: علمت أنه لا مكروه عنده، فقال: نعم ما فعلت، ما عدوت ما في نفسي، فلما قام عنه قال: قتلني الله إن لم أقتلك. وقيل إن الرشيد لما دفعه لجعفر بقي عنده ما شاء الله، وكان جعفر يرى سرور الرشيد بموت من يموت في حبسه من هؤلاء، فشرب جعفر عنده يوما فقال: يا أمير المؤمنين إن يحيى قد مات، فسر بذلك وقال: الحمد لله الذي كفاني أمره ولم يؤثمني فيه. وانصرف جعفر فأخبر أباه يحيى بن خالد بما كان. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن تركناه تلفنا، وإن قتلناه فالنار لنا، ثم كتب يحيى إلى عيسى بن ماهان وإلى خراسان يعرفه ما جرى، وفزع إليه أن يكون عنده موسعا عليه، إلى أن يقضي الله فيه قضاءه، ولم يكن يحيى يعلم ما كان بين علي بن عيسى وبين الفضل وجعفر من العداوة، فلما وصل الكتاب إلى علي ووصل إليه يحيى قال: هذا من حيل الفضل وجعفر علي، فأجاب يحيى بأنه فعل ما أراد، وأنفذ كتاب يحيى إلى الرشيد، فكتب إليه الرشيد يعرفه بحسن موقع ذلك عنده، وأمره بإنفاذ يحيى بن عبد الله إليه سرا، فلما وصل إليه أوقع بالبرامكة.

☪

حكي أن رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء به إلى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنها خط الفضل فشرع في أن يبذل له الألف دينار وإذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر وجه الرجل فرأه كاد يموت من الوجل والخجل فأطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل: أتدري لم أتيتك في هذا الوقت؟ قال: لا، قال: جئت لأستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة، فأسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا في أمره فالتفت إليه الفضل وقال له: طب نفسا، فقال له: سترتني سترك الله في الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى.

مراجع: تاريخ الرسل والملوك/ الأعلام للزركلي/ تهذيب اللغة/مختار الصحاح/ المعجم الوسيط/

ذكر الضبي أن شيخا من النوفليين*، قال: دخلنا على عيسى بن جعفر[1]، وقد وضعت له وسائد بعضها فوق بعض؛ وهو قائم متكئ عليها؛ وإذا هو يضحك من شيء في نفسه، متعجبا منه، فقلنا ما الذي يضحك الأمير أدام الله سروره! قال: لقد دخلني اليوم سرور ما دخلني مثله قط، فقلنا تمم الله للأمير سروره، وزاده سرورا. فقال: والله لا أحدثكم به إلا قائما -واتكأ على الفراش وهو قائم- فقال: كنت اليوم عند أمير المؤمنين الرشيد، فدعا بـ يحيى بن عبد الله[2]، فأخرج من السجن مكبلا في الحديد، وعنده بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير[3] – وكان بكار شديد البغض لآل أبي طالب، وكان يبلغ هارون عنهم، ويسيء بأخبارهم، وكان الرشيد ولاه المدينة، وأمره بالتضييق عليهم– قال: فلما دعي بـ يحيى قال له الرشيد: هيه هيه! متضاحكا؛ وهذا يزعم أيضا أنا سممناه! فقال يحي: ما معنا يزعم؟ ها هو ذا لساني – قال: وأخرج لسانه أخضر مثل السلق* – قال: فتربد* هارون! واشتد غضبه، فقال يحي: يا أمير المؤمنين؛ إن لنا قرابة ورحما، لسنا بترك ولا ديلم، يا أمير المؤمنين؛ إنا وأنتم أهل بيت واحد، فأذكرك الله وقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! علام تحبسني وتعذبني؟ فال: فرق له هارون، وأقبل الزبيري على الرشيد، فقال: يا أمير المؤمنين، لا يغرك كلام هذا؛ فإنه شاق عاصي؛ وإنما هذا منه مكر وخبث؛ إن هذا أفسد علينا مدينتنا، وأظهر فيها العصيان. قال: فأقبل يحي عليه؛ فوالله ما استأذن أمير المؤمنين في الكلام حتى قال: أفسد عليكم مدينتكم! ومن أنتم عافاكم الله! قال الزبيري: هذا كلامه قدامك؛ فكيف إذا غاب عنك! يقول: ومن أنتم! استخفافا بنا. قال: فأقبل عليه يحي، فقال: نعم، ومن انتم عافاكم الله! المدينة كانت مهاجر عبد الله بن الزبير[4] أم مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن أنت حتى تقول: أفسد علينا مدينتنا! وإنما بآبائي هذا هاجر أبوك إلى المدينة. ثم قال: يا أمير المؤمنين؛ إنما الناس نحن وانتم؛ فإن خرجنا عليكم قلنا: أكلتم وأجعتمونا ولبستم وأعريتمونا، وركبتم وأرجلتمونا؛ فوجدنا بذلك مقالا فيكم، ووجدتم بخروجنا عليكم مقالا فينا؛ فتكافأ فيه القول، ويعود أمير المؤمنين على أهله بالفضل. يا أمير المؤمنين، فلم يجترئ هذا و ضرباؤه على أهل بيتك؛ يسعى بهم عندك! إنه والله ما يسعى بنا إليك نصيحة منه لك؛ وإنه يأتينا فيسعى بك عندنا عن غير نصيحة منه لنا؛ إنما يريد أن يباعد بيننا، ويشتفي من بعض ببعض. والله يا أمير المؤمنين؛ لقد جاء إلي هذا حيث قتل أخي محمد بن عبد الله[5]، فقال: لعن الله قاتله!وأنشدني فيه مرثية قالها نحوا من عشرين بيتا وقال: إن تحركت في هذا الأمر فأنا أول من يبايعك، وما يمنعك أن تلحق بالبصرة فأيدينا مع يدك! قال: فتغير وجه الزبيري وأسود، فأقبل عليه هارون، فقال: أي شيئ يقول هذا؟ قال: كاذب يا أمير المؤمنين؛ ما كان مما قال حرف قال: فأقبل على يحيى بن عبد الله، فقال: تروي القصيدة التي رثاه بها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أصلحك الله! قال: فأنشدها إياه، فقال الزبيري: والله يا أمير المؤمنين الذي لا إله إلا هو – حتى أتى على آخر اليمين الغموس* – ما كان مما قاله شيء؛ ولقد تقول علي ما لم أقل. قال: فأقبل الرشيد على يحي بن عبد الله، فقال: قد حلف، فهل من بينة سمعوا هذه المرثية منه؟ قال: لا يا أمير المؤمنين؛ ولكن أستحلفه بما أريد، قال: فاستحلفه، قال: فأقبل على الزبيري، فقال: قل: أن بريء من حول الله وقوته موكل إلى حولي وقوتي، إن كنت قلته. فقال الزبيري: يا أمير المؤمنين، أي شيء هذا من الحلف! أحلف له بالله الذي لا إله إلا هو، ويستحلفني بشيء لا ادري ما هو! قال يحي بن عبد الله: يا أمير المؤمنين، إن كان صادقا فما عليه أن يحلف بما أستحلفه به! فقال له هارون: احلف له ويلك! قال: فقال: أنا بريء من حول الله وقوته موكل إلي حولي وقوتي؛ قال: فاضرب منها وأرعد، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أدري أي شيء هذه اليمين التي يستحلفني بها، وقد حلفت له بالله العظيم اعظم الأشياء! قال: فقال هارون له: لتحلفن له أو لأصدقن عليك ولأعاقبنك، قال: فقال: أنا بريء من حول الله وقوته، موكل إلي حولي وقوتي إن كنت قلته. قال: فخرج من عند هارون فضربه الله بالفالج، فمات من ساعته. قال: فقال عيسى بن جعفر: والله ما يسرني أن يحي نقصه حرفا مما كان جرى بينهما، ولا قصر في شيء من مخاطبته إياه.

ذكر أبو الخطاب أن جعفر بن يحيى بن خالد[6] حدثه ليلة وهو في سمره، قال: دعا الرشيد اليوم بـ يحيى بن عبد الله بن حسن، وقد أحضره أبو البختري[7] القاضي ومحمد بن الحسن[8] الفقيه صاحب أبي يوسف، وأحضر الأمان الذي كان أعطاه يحيى، فقال لمحمد بن الحسن: ما تقول في هذا الأمان؟ أصحيح هو؟ قال: هو صحيح، فحاجه في ذلك الرشيد، فقال له محمد بن الحسن: ما تصنع للأمان؟ لو كان محاربا ثم ولى كان آمنا. فاحتملها الرشيد على محمد بن الحسن، ثم سأل البختري أن ينظر في الأمان، فقال أبو البختري: هذا منتقض من وجه كذا وكذا، فقال الرشيد: أنت قاضي القضاة؛ وأنت أعلم بذلك؛ فمزق الأمان، وتفل فيه أبو البختري – وكان بكار بن عبد الله بن مصعب حاضرا المجلس – فأقبل على يحيى بن عبد الله بوجهه، فقال: شققت العصا، وفارقت الجماعة، وخالفت كلمتنا، وأردت خليفتنا؛ وفعلت بنا وفعلت. فقال يحيى: ومن أنتم رحمكم الله! قال جعفر: فوالله ما تمالك الرشيد أن ضحك ضحكا شديدا. قال: وقام يحيى ليمضي إلى الحبس، فقال له الرشيد: انصرف، أما ترون به أثر علة! هذا الآن إن مات قال للناس: سموه. قال يحيى: كلا ما زلت عليلا منذ كنت في الحبس؛ وقبل ذلك أيضا كنت عليلا. قال أبو الخطاب: فما مكث يحيى بعد هذا إلا شهرا حتى مات.

----

* (الغموس) اليمين الكاذبة التي تغمس صاحبها في الإثم(ربد) .. يقال اربد وجهه احمر حمرة فيها سواد عند الغضب؛ والرجل تعبس.(السلق) النبت الذي يؤكل من أنواع الخضروات الورقية. في رواية كأنه كرفسة (النوفليين) من بنى نوفل بن الحارث الصحابي؟

■ (2) يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب: من كبار الطالبيين في أيام موسى الهادي وهارون الرشيد. رباه جعفر الصادق في المدينة، فروى الحديث وتفقه. وكان مع ابن عمه (الحسين بن علي بن الحسن) في ثورته بالمدينة واستيلائه عليها، أيام موسى الهادي، وحضر مقتله في معركة فخ سنة 169 هـ، ونجا فدعا إلى نفسه، فبايعه كثير من أهل الحرمين واليمن ومصر. وذهب إلى اليمن فأقام مدة. ودخل مصر والمغرب. وعاد إلى المشرق فدخل العراق متنكرا. وقصد بلاد الري وخراسان فوصل إلى ما وراء النهر. واشتد الرشيد في طلبه، فانصرف إلى خاقان (ملك الترك) ومعه من شيعته وأنصاره نحو 170 رجلا، فأقام سنتين وستة أشهر. وخرج إلى طبرستان، فبلاد الديلم. وأعلن بها دعوته سنة 175هـ وكثر جمعه، فندب الرشيد لحربه الفضل بن يحيى البرمكي في خمسين ألفا. وضعف أمر الطالبي، وخاف أن يغدر به ملك الديلم، فطلب أمان الرشيد، فأجابه بخطه، واستقدمه إلى بغداد، فدخلها.وأغدق عليه الرشيد عطاياه، إلى أن بلغه أنه يدعو لنفسه سرا، وأنه ما زال عنده من يقوم بدعوته، فحبسه عند الفضل بن يحيى. ورق له هذا بعد مدة، فأطلقه. وعلم الرشيد، فكان ذلك مما أحفظه على البرامكة، وأرسل من أعاد يحيى إلى الاعتقال، في سرداب. ووكل به مسرورا السياف. وكان كثيرا ما يدعو به إليه فيناظره. واستمر إلى أن مات في حبسه. وقيل: قتل بالجوع والعطش نحو سنة 180 هـ وكان أسمر، نحيفا، خفيف العارضين، ملء نفسه إباء واعتزاز.

■ (4) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، له صحبة وهو بن عمة رسول الله وحواريه. بويع بالخلافة لما بلغه خلع معاوية بن يزيد بن معاوية بمكة وأرض الحجاز. وقد استقر مروان بن الحكم ملك بأرض الشام، وتم أمره واستمر الخليفة بالحجاز والعراق عبد الله بن الزبير، وبالشام ومصر مروان؛ فلم تطل أيام مروان ومات بعد أشهر. وتخلف بعده ابنه عبد الملك بن مروان، ووقع بينه وبين عبد الله إبن الزبير وأخيه مصعب بن الزبير حروب دامت سنين، إلى أن قتل عبد الملك مصعب بن الزبير متولي العراق في وقعة كانت بينهما في سنة 72 هـ وكان الذي طعن مصعب زائدة الثقفي. ثم ندب عبد الملك الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير بعد أن ولاه العراق ؛ فسار بعسكره إلى الحجاز، وقاتله وحصره بحرم مكة أشهرا، إلى أن قتل أصحاب عبد الله بن الزبير، وأصيب فأخذه الحجاج وصلبه أشهرا، وطوف برأسه سنة 73 هـ

■ (5) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة 145 هـ وهو بن 45 سنة.

■ (3) بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي. الأمير أبو بكر، ولي المدينة للرشيد اثنتي عشرة سنة وأشهرا. وكان به معجبا وعنده وجيها.وكان جوادا ممدحا.متفقدا لمصالح العوام، شديدا على المبتدعة. أمنت أعمال المدينة في أيامه. مات سنة195 هـ. وقيل في حدود المائتين.

■ (1) عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور كان من وجوه بني هاشم وسراتهم وولي إمارة البصرة وخرج من بغداد يقصد هارون الرشيد وهو إذ ذاك بخراسان فأدركه أجله بالدسكرة من طريق حلوان. قيل مات سنة 172 هـ بـ طرازستان لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان.

■ (6) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

■ (7) أبو البختري وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد، القرشي الأسدي المدني، حدث عن عبيد الله بن عمر العمري وهشام بن عروة بن الزبير وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم، وكان متروك الحديث مشهورا بوضعه، انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولاه القضاء بعسكر المهدي في شرقي بغداد، ثم عزله وولاه القضاء بمدينة رسول الله بعد بكار بن عبد الله الزبيري، وجعل إليه ولاية حربها مع القضاء، ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي سنة200 هـ ببغداد، في خلافة المأمون.

■ (8) محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني مولاهم صاحب أبي حنيفة وإمام أهل الرأي، يكنى أبا عبد الله مولى بني شيبان. أصله دمشقي من أهل قرية تسمى حرستا. قدم أبوه العراق فولد محمد بواسط سنة 132 هـ، ونشأ بالكوفة، وسمع العلم بها من أبي حنيفة، ومسعر بن كدام، وسفيان الثوري، وعمر بن ذر، ومالك بن مغول. وكتب أيضا عن مالك بن أنس وأبي عمرو الأوزاعي، وزمعة بن صالح، وبكير بن عامر، وأبي يوسف القاضي. وسكن بغداد وحدث بها. وخرج إلى الرقة وهارون أمير المؤمنين بها، فولاه قضاء الرقة ثم عزله، فقدم بغداد فلما خرج هارون إلي الري الخرجة الأولى أمره فخرج معه فمات بالري سنة 189 هـ وهو ابن 58 سنة.

في رواية السيوطي قال: في سنة خمس و سبعين افترى عبد الله بن مصعب الزبيري على يحيى بن عبد الله بن حسن العلوي أنه طلب إليه أن يخرج معه على الرشيد فباهله يحيى بحضرة الرشيد وشبك يده في يده و قال قل: اللهم إن كنت تعلم أن يحيى لم يدعني إلى الخلافة و الخروج على أمير المؤمنين هذا فكلني إلى حولي و قوتي واسحتني بعذاب من عندك آمين رب العالمين فتلجلج الزبيري وقالها ثم قال يحيى مثل ذلك وقاما فمات الزبيري ليومه. قال: وأما الزبيريون فيزعمون أن امرأته قتلته؛ وهي من ولد عبد الرحمن بن عوف.

ذكر إسحاق بن محمد النخعي أن الزبير بن هشام حدثه عن أبيه، أن بكار بن عبد الله تزوج امرأة من ولد عبد الرحمن بن عوف، وكان له من قلبها موضع، فاتخذ عليها جارية، وأغارها؛ فقالت لغلامين له زنجيين: أنه قد أراد قتلكما هذا الفاسق – ولاطفتهما – فتعاونانى على قتله؟ قالا: نعم، فدخلت عليه وهو نائم، وهما جميعا معها، فقعدا على وجهه حتى مات. قال: ثم إنها سقتهما نبيذا حتى تهوعا حول الفراش، ثم أخرجتهما ووضعت عند رأسه قنينة؛ فلما أصبح اجتمع أهله، فقالت: سكر فقاء فشرق فمات. فأخذ الغلامان؛ فضربا ضربا مبرحا، فأقرا بقتله، وأنها أمرتهما بذلك؛ فأخرجت من الدار ولم تورث.

مراجع: تاريخ الرسل والملوك/ الأعلام للزركلي/ تهذيب اللغة/ـمختار الصحاح/

روى الطبري: أن عبد الملك بن صالح[1] كان له ولد اسمه عبد الرحمن، وبه كان يكنى، وكان من رجال الناس، فسعى بأبيه هو وقمامة بن يزيد[؟] كاتب أبيه، وقالا للرشيد: إنه يطلب الخلافة، ويطمع فيها؛ فأخذه، وحبسه عند الفضل بن الربيع[2] فذكر أن عبد الملك أدخل على الرشيد حين سخط عليه، فقال له الرشيد: أكفرا للنعمة وجحودا لجليل المنة والتكرمة! فقال: يا أمير المؤمنين لقد بؤت إذا بالندم وتعرضت لاستحلال النقم وما ذاك إلا بغي حاسد نافسني فيك مودة القرابة وتقديم الولاية، إنك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته وأمينه على عترته، لك عليها فرض الطاعة وأداء النصيحة، ولها عليك العدل في حكمها والتثبت في حادثها والغفران لذنوبها، فقال له الرشيد: أتضع لي من لسانك وترفع لي من جناحك! هذا كاتبك قمامة يخبر بعملك وفساد نيتك فاسمع كلامه، فقال عبد الملك: أعطاك ما ليس في عقده ولعله لا يقدر أن يعضهني* ولا يبهتني بما لم يعرفه مني، فأحضر قمامة، فقال له الرشيد: تكلم غير هائب ولا خائف، قال: أقول إنه عازم على الغدر بك والخلاف عليك، فقال عبد الملك: أهو ذا يا قمامة؟ قال: نعم، لقد أردت ختل* أمير المؤمنين، فقال عبد الملك: كيف لا يكذب علي من خلفي وهو يبهتني في وجهي، قال له الرشيد: وهذا أبنك عبد الرحمن يخبرني بعتوك وفساد نيتك، ولو أردت أن أقبح عليك بحجة لم أجد أعدل من هذين لك فلم (فبم!) تدفعها عنك؟ فقال عبد الملك: هو مأمور أو عاق، فإن كان مأمورا فمعذور وإن كان عاقا ففاجر كفور أخبر الله تعالى بعدواته وحذر منه بقوله:﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن] قال: فنهض الرشيد، وهو يقول: أما أمرك فقد وضح ولكني لا أعجل حتى أعلم الذي يرضى الله فيك فإنه الحكم بيني وبينك، فقال عبد الملك: رضيت بالله حكما وأمير المؤمنين حاكما، فإني أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه، وأمر الله على رضاه، قال: فلما كان بعد ذلك جلس مجلسا آخر فسلم لما دخل، فلم يرد عليه، فقال عبد الملك: ليس هذا يوما أحتج فيه ولا أجاذب منازعا وخصما، قال: ولم ؟ قال: لأن أوله جرى على غير السنة فأنا أخاف آخره، قال: وما ذاك؟ قال: لم ترد علي السلام ولم أنصف نصفه العوام، قال: السلام عليكم اقتداء بالسنة وإيثارا للعدل واستعمالا للتحية ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر[3]–وفي رواية الأصمعي قال: يحيى بن خالد بن برمك[3]–وهو يخاطب بكلامه عبد الملك: أريد حباءه ويريد قتلي..عذيرك من خليلك من مراد، وهذا البيت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي[4].ثم قال والله لكأني أنظر إلى شؤبوبها* قد همع* وعارضها* قد لمع*، وكأني بالوعيد قد أورى نارا* تسطع، فأقلع عن براجم* بلا معاصم* ورؤوس بلا غلاصم*، فمهلا فبي والله سهل لكم الوعر* وصفى لكم الكدر، ألقت الأمور إليكم أثناء أزمتها، ونذار* لكم نذار قبل حلول داهية إد*، خبوط* باليد لبوط* بالرجل، فقال عبد الملك: اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك وفي رعيته التي استرعاك ولا تجعل الكفر مكان الشكر ولا العقاب موضع الثواب، قد نخلت لك النصيحة ومحضت لك الطاعة وشددت أواخي* ملكك بأوثق من ركني يلملم*، وتركت عدوك مشتغلا، فالله الله في ذي رحمك أن تقطعه بعد أن بللته يظن أفصح الكتاب لي بعضه أو يبغي باغ ينهس* اللحم ويالغ* الدم فقد والله سهلت لك الوعور وذللت لك الأمور وجمعت على طاعتك القلوب في الصدور، فكم ليل تمام فيك كابدته ومقام ضيق قمته لك كنت فيه، كما قال أخو بني جعفر بن كلاب يعني لبيد[5]:ومقام ضيق فرجته..ببياني ولساني وجدل*..لو يقوم الفيل أو فياله..زل عن مثل مقامي وزحل. قال: فقال الرشيد: أما والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك.وفي رواية قال: فو الله لحار يعني الرشيد حين سمع كلامه، شكا وأقبل عليه بوجهه فقال: ما أظن الا أن الامر كما قلت يا أبا عبد الرحمن! أنت رجل محسد مكفر، وأمير المؤمنين يعلم أنك على سريرة صالحة غير مدخولة ولا خسيسة، ثم دعا عبد الملك بشربة ماء، فقال الرشيد: ما شرابك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: سحيق الطبرزد بماء الرمان، فقال: بخ بخ، عضوان لطيفان يذهبان الظمأ ويلذان المذاق، فقال عبد الملك: صفتك يا أمير المؤمنين لهم ألذ من فعلهما.وقيل:قال: فأرادا يحيى بن خالد البرمكي أن يضع من مقام عبد الملك عند الرشيد، فقال له: يا عبد الملك، بلغني إنك حقود، فقال: أصلح الله الوزير! إن يكن الحقد هو بقاء الخير والشر عندي إنهما لباقيان في قلبي، فالتفت الرشيد إلى الأصمعي، فقال: يا أصمعي حررها فوالله ما احتج أحد للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك، ثم أمر به فرد إلى محبسه، ثم التفت إلى الأصمعي، فقال: والله والله يا أصمعي لقد نظرت إلى موضع السيف من عنقه مرارا، يمنعني من ذلك إبقائي على قومي في مثله.قال الطبري: لما حبس الرشيد عبد الملك بن صالح دخل عليه عبد الله بن مالك[6] وهو يومئذ على شرطه فقال: أفي إذن أنا فأتكلم؟ قال: تكلم قال: لا، والله العظيم يا أمير المؤمنين، ما علمت عبد الملك إلا ناصحا فعلام حبسته؟ قال:ويحك بلغني عنه ما أوحشني ولم آمنه أن يضرب بين هذين، يعني الأمين[7] والمأمون[8]،فإن كنت ترى أن تطلقه من الحبس أطلقناه، قال: أما إذ حبسته يا أمير المؤمنين فلست أرى في قرب المدة أن تطلقه ولكن تحبسه محبسا كريما يشبه محبس مثلك مثله، قال: فإني افعل، فدعا الرشيد الفضل بن الربيع، فقال: امض إلى عبد الملك بن صالح إلى محبسه، وقل له: انظر ما تحتاج إليه في محبسك فأمر به حتى يقام لك؟ فذكر قصته وما سأل قال: وقال الرشيد: يوما لعبد الملك بن صالح في بعض ما كلمه ما أنت لصالح قال: فلمن أنا؟ قال: لمروان الجعدي–وهو آخر ملك أموي في دمشق–قال: ما أبالي أي الفحلين غلب علي، فحبسه الرشيد عند الفضل بن الربيع، فلم يزل محبوسا حتى توفي الرشيد، فأطلقه محمد[7] وعقد له على الشام فكان مقيما بالرقة، قيل: إنه دفع إليه كاتبه قمامة وابنه عبد الرحمن فقتل قمامة في حمام وهشم وجه ابنه بعمود– وجعل لمحمد عهد الله وميثاقه لئن قتل وهو حي لا يعطي المأمون طاعته أبدا، فمات قبل قتل محمد، فدفن في دار من دور الإمارة، فلما خرج المأمون يريد الروم أرسل إلى أبن له: حول أباك من داري، فنبشت عظامه وحولت

* (شؤبوبها) الشؤبوب: الدفعة القوية من المطر. وشؤبوبها جمعه شآبيب وهي الدفع، ويسمع أيضا في وصف الناس، يقال: خرجت في شؤبوب من الناس أي دفعة، في فوج (همع) سال وانصب (العارض)، الذي يستطير من البرق كأنه يعرض أو يطول لأنه يكون ذا طول مرة وذا عرض مرة (لمع) لاح وأخذ العين، ويقال: التمع فلان إذا أبصر شيئا يحسر عينه (أورى نارا) استخرج، يقال: ورت النار ووريت، يقال في كلام العرب: وريت بك زنادي، وزهرت بك ناري (البراجم) المفاصل والبرجمة : مفصل الأصبع (المعاصم) جمع معصم وهو موضع السوارين وأسف ذلك قليلا (الغلاصم) جمع غلصمة وهي اللحم بين الرأس والعنق (الوعر) الخشن، ولا يقال إلا في الطريق، ولا يقال في الثوب الخشن وعر لا مجازا ولا تحقيقا، يقال: طريق وعر. وقد سمع وعر – بحركة العين –، وطرق أوعار (نذار) النذير والإنذار، وكأن الإنذار إعلام إلا أنه مع تحذير، وليس كذلك التبشير، فإنه مقصور على إعلام الخبر،وأما كسر نذار فبناء، نظيره: حذار ونزال وتراك، وقطام وحذام وقيل: إنهم أشارو بهذا البناء إلى تكرير الفعل كأنهم قنعوا به عن قولهم: احذر، واترك، والله أعلم (داهية إد) الشديدة، من قولهم: آدني الأمر أي أثقلني، يؤودني، وقد رد هذا جماعة من العلماء وقالوا: لا يكون منه إد إنما يكون آيد، مثل قلل يقول فهو قائل، وأدري يأدو إذا قتل الصيد فهو آد، يا هذا، وقد يلتبس الأمر على من لم يكن ذا مهارة في هذه المواضع الخفية (خبوط باليد) ضروب باليد على جهل بمواضع الضرب، وكذلك اللبوط بالرجل(أواخي) الاواخي جمع أخية وآخية:عود يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة (يلملم) جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث (ببيان ولسان وجدل) مروج الذهب: بلسان أو بيان أو جدل (ورجل) في مروج الذهب: أو زحل. وفي م : ورحل (نهس اللحم) يأخذه بأسنانه ومقاديم فمه، ومنه: تناهست الكلاب الجيفة، وجمعها جيف (يلغ الدم) ولغ الكلب في الإناء يلغ ويالغ أي شرب منه: هو من نعت الكلب إذا احتسى الدم وجرع فيه، والميلغة: ما يلغ فيه الكلب، اللام مفتوحة، والمولغ: صاحب الكلب، والوالغ والمولغ: الكلب، وفي الناس استعارة إذا كثر سفكهم للدماء (الختل) تخادع عن غفلة (عضهه) أي قلل فيه ما لم يكن [تفسير هذا الكلام في كتاب البصائر والذخائر لأبو حيان التوحيدي]

■ (1) عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس: أمير من بني العباس. ولاه الهادي إمرة الموصل سنة 169 هـ وعزله الرشيد سنة171 هـ ثم ولاه الدينة والصوائف. وولاه مصر مدة قصيرة، فلم يذهب إليها. وولاه دمشق فأقام فيها أقل من سنة. وبلغه أنه يطلب الخلافة، فحبسه ببغداد سنة 187 هـ ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة 193 هـ فأقام بالرقة أميرا إلى أن توفي سنة 196 هـ. كان من أفصح الناس وأخطبهم، له مهابة وجلالة. قيل ليحيى بن خالد البرمكي –لما ولى الرشيد عبد الملك على المدينة– كيف ولاه المدينة من بين أعماله؟ فقال: أحب أن يباهي قريشا ويعلمهم أن في بني العباس مثله.

■ (4) عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي. فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة، ولد سنة 100 ق. هـ وفد على المدينة سنة 9هـ، في عشرة من بني زبير، فأسلم وأسلموا وعادوا. ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم، ارتد عمرو في اليمن، ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية، وكان عصبي النفس، أبيا، فيه قسوة الجاهلية، يكنى أبا ثور. وأخبار شجاعته كثيرة، له شعر جيد أشهره قصيدته التي يقول فيها: إذا لم تستطع شيئا فدعه..وجاوزه إلى ما تستطيع. توفي على مقربة من الري سنة 21 هـ وقيل: قتل عطشا يوم القادسية.

■ (2) أبو العباس، الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة واسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، وجاء ذكر أبيه في شيء من أخباره مع أبي جعفر، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم، فكان في نفسه منهم إحن وشحناء، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب: من أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان

■ (5) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، و ولفد على النبي صلى الله عليه وآله ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتا واحدا، قيل: هو : ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح. وسكن الكوفة، وعاش عمرا طويلا.وهو أحد أصحاب المعلقات. ومطلع معلقته: عفت الديار محلها فمقامها بمنى، تأبد غولها فرجامها. وكان كريما: نذر أن لا تهب الصبا إلا نحر وأطعم. جمع بعض شعره في ديوان صغير، ترجم إلى الألمانية. توفي سنة41 هـ

■ (3) سليمان بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو أيوب الهاشمي. كان أمير دمشق من قبل الرشيد ووليها أيضا من قبل الأمين مرتين. توفي سليمان بن أبي جعفر سنة 199 هـ، وهو ابن 50 سنة

■ (3) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (8) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

■ (7) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة198 هـ

■ (6) عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي. كان قائدا عسكريا وحاكما في الدولة العباسية وصاحب الشرط للمهدي والهادي، ثم أقره هارون ثم عزله، توفي سنة 212 هـ وهو ابن مالك بن الهيثم الخزاعي الذي كان من أهم قادة الحركة العباسية في خراسان والثورة التي أطاحت الأمويين.

☪

صدق من قال: إن الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان في غمد واحد.أي لا ينفع فيه نسب: لأنه تقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق، أو لأن الأب يقتل ابنه إذا خافه على الملك، وهذا نقله الجوهري، أو لأنه يقتل في طلبه الأب والولد والأخ والعم، قاله ثعلب. ومن المجاز:ريح عقيم: غير لاقح، أي لا يأتي بمطر إنما هي ريح الإهلاك. وقد كان هذا النمط من النظام –الملكية–ولا يزال ملازما للاستعلاء والاستكبار ومنشأ للإرهاب والكبت وهو لا شك أمر مرفوض في منطق القرآن الكريم الذي يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص] إن القرآن الكريم يعتبر طبيعة الملوكية بحكم كونها ناشئة من الفرد، طبيعة ميالة إلى الفساد والتفرعن، وحمل الإرادة الفردية على الشعوب بالقهر والإرغام و إذلال أبناءها إلى غير ذلك من المنكرات والمفاسد والتبعات التي عانت منها البشرية طوال قرون، إذ يقول: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل] هذه الكلمة التي نقلها اللهّ سبحانه في هذه الآية عن بلقيس ملكة سبأ، تمثل إحدى سنن التاريخ الحاكمة في الحياة البشرية، ولولا أنها كذلك لرد عليها اللهّ سبحانه ولم يمر عليها بسلام كما هو شأنه في هذه المجالات. يقول قطب رحمه الله في ظلال القرآن حول تفسير هذه الآية: فهي تعرف أن من طبيعة الملوك أنهم إذا دخلوا قرية أشاعوا فيها الفساد وأباحوا دماءها، وانتهكوا حرماتها، وحطموا القوة المدافعة عنها، وعلى رأسها رؤساؤها وجعلوهم أذلة، لأنهم عنصر المقاومة، وأن هذا هو دأبهم الذي يفعلون. إن القرآن عند ما يتعرض لأحوال الملوك الذين حكموا الأرض يذكر جشعهم وطمعهم الذي ما كان يعرف الحدود، ويصور لنا كيف أنهم ما كانوا يتركون حتى أموال الضعفاء والمساكين طمعا وجشعا. فها هو القرآن يذكر لنا عن ملك بلغ به الجشع والحرص إلى أن لا يكف عن انتزاع بعض المساكين سفينتهم التي كانوا يرتزقون من ورائها، ويحصلون بها على لقمة عيشهم فيقول:﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف] وها هو فرعون أحد ملوك مصر الذين حملوا أنفسهم على رقاب الناس وأكتافهم، يبلغ به الطمع والحرص إلى أن يعد نفسه مالكا لأرض مصر وأنهارها وما فيها من خيرات من دون مبرر ولا سبب إلا الطمع وحب الاستئثار بكل شيء لوحده، فإذا به يتباهى بما هو في يده من ملك، كما يقول القرآن عنه:﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف] والملوكية بما أنها لا تنطلق من مقاييس وضوابط إلهية دينية بل تنطلق من المقاييس الشخصية والتسلط الفردي لا يمكن أن يلازم غير صفة الاستئثار والطمع في أموال الآخرين. فإذا كانت هذه هي طبيعة الملوك وهذه هي سجيتهم فهل يسمح العقل فضلا عن الشرع بأن يفوض إليهم مقدرات الناس وأعراضهم وأموالهم ونفوسهم وما يملكون من حول وقوة؟! وهل يسمح العقل بأن يترك الأمر لتلك النفوس الجشعة والطبائع المنحرفة أن يتصرفوا في شؤون الناس كيفما شاؤوا وارتؤوا، وأن يتسلطوا على رقاب الناس ليفعلوا ما يريدون !

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ الأعلام للزركلي/ البصائر والذخائر/ تاج العروس/ مروج الذهب/ ذيل تاريخ بغداد/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وموسى بن جعفر (١) 0766

يروى أنه لما دخل هارون الرشيد إلى مكة، شرفها الله تعالى، وابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام من ذلك لينفرد بالطواف. فسبقه أعرابي، فشق ذلك على الرشيد فإلتفت إلى حاجبه منكرا عليه، فقال الحاجب للأعرابي: تخل عن الطواف حتى يطوف أمير المؤمنين. فقال الأعرابي: إن الله قد ساوى بين الإمام والرعية في هذا المقام، فقال عز وجل: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج] فلما سمع الرشيد من الأعرابي ذلك راعه أمره فأمر حاجبه بالكف عنه، ثم جاء الرشيد إلى الحجر الأسود ليستلمه فسبقه الأعرابي فاستلمه، ثم أتى الرشيد إلى المقام للمصلي فسبقه الأعرابي فصلى فيه، فلما فرغ الرشيد من صلاته قال: لحاجبه: ائتني بهذا الأعرابي، فأتاه الحاجب فقال: أجب أمير المؤمنين. فقال: ما لي إليه من حاجة إن كان له حاجة فهو أحق بالقيام إلي والسعي. فقام الرشيد حتى وقف بإزاء الأعرابي وسلم عليه، فرد عليه السلام، فقال له الرشيد: يا أخا العرب إجلس هنا بأمرك. فقال الأعرابي: ليس البيت بيتي ولا الحرم حرمي وكلنا فيه سواء. فإن شئت تجلس، وإن شئت تنصرف. قال الراوي: فعظم ذلك على الرشيد وسمع ما لم يكن في ذهنه، وما ظن أنه يواجهه أحد بمثل هذا الكلام. فجلس الرشيد وقال: يا أعرابي، أريد أن أسألك عن فرضك، فإن أنت قمت به فأنت بغيره أقوم، وإن أنت عجزت عنه فأنت عن غيره أعجز. فقال الأعرابي: سؤالك هذا سؤال تعلم أم سؤال تعنت؟ فتعجب الرشيد من سرعة جوابه وقال: بل سؤال تعلم. فقال له الأعرابي: قم فاجلس مقام السائل من المسؤول. قال: فقام الرشيد وجثا على ركبتيه بين يدي الأعرابي، فقال: قد جلست فاسأل عما بدا لك. فقال له: أخبرني عما افترض الله عليك؟ فقال له: تسألني عن أي فرض عن فرض واحد، أم عن خمسة، أم عن سبعة عشر، أم عن أربعة وثلاثين، أم عن خمسة وثمانين، أم عن واحدة في طول العمر، أم عن واحدة في أربعين، أم عن خمسة من مائتين. قال: فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه استهزاء به، ثم قال: له: سألتك عن فرضك فأتيتني بحساب الدهر؟ قال: يا هارون لولا أن الدين بالحساب لما أخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء] قال: فظهر الغضب في وجه الرشيد واحمرت عيناه حين قال: يا هارون، ولم يقل له: يا أمير المؤمنين، وبلغ مبلغا شديدا غير أن الله تعالى عصمه منه وحال بينه وبينه لما علم أنه هو الذي أنطق الأعرابي بذلك، فقال له الرشيد: يا أعرابي، إن فسرت ما قلت نجوت وإلا أمرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة. فقال له الحاجب: يا أمير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالى ولهذا المقام الشريف؟ قال: فضحك الأعرابي من قولهما حتى استلقى على قفاه، فقال: مم تضحك؟ قال: عجبا منكما إذ لا أدري أيكما أجهل الذي يستوهب أجلا قد حضر أم من يستعجل أجلا لم يحضر؟ قال: هال* الرشيد ما سمعه منه وهانت نفسه عليه، ثم قال: الأعرابي: أما سؤالك عما افترض الله علي، فقد افترض علي فرائض كثيرة، فقولي لك عن فرض واحد: فهو دين الإسلام، وأما قولي لك عن خمسة: فهي الصلوات؛ وأما قولي لك عن سبعة عشرة: فهي سبعة عشرة ركعة؛ وأما قولي لك عن أربعة وثلاثين: فهي السجدات؛ وما قولي لك عن خمسة وثمانين: فهي التكبيرات؛ وأما قولي لك عن واحدة في طول العمر: فهي حجة الإسلام واحدة في طول العمر كله، وأما قولي لك واحدة في أربعين: فهي زكاة الشياه، شاة من أربعين، وأما قولي لك خمس من مائتين: فهي زكاة الورق. قال: فامتلأ الرشيد فرحا وسرورا من تفسير هذه المسائل، ومن حسن كلام الأعرابي وعظم الأعرابي في عينه وتبدل بغضه محبة، ثم قال: الأعرابي: سألتني فأجبتك وأنا أريد أن أسألك فأجبني. قال: قل. فقال الأعرابي: ما تقول في رجل نظر إلى امرأة في وقت صلاة الفجر فكانت عليه محرمة، فلما كان وقت الظهر حلت له، فلما كان في وقت العصر حرمت عليه، فلما كان وقت المغرب حلت له، فلما كان وقت العشاء حرمت عليه، فلما كان وقت الصبح حلت له، فلما كان وقت الظهر حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما كان وقت المغرب حرمت عليه، فلما كان وقت العشاء حلت له. فقال: والله يا أخا العرب لقد أوقعتني في بحر لا يخلصني منه غيرك. فقال له: أنت خليفة ليس فوقك شيء ولا ينبغي أن تعجز عن مسألة فكيف عجزت عن مسألتي وأنا رجل بدوي لا قدرة لي؟ فقال الرشيد: قد عظم قدرك العلم ورفع ذكرك فأشتهي إكراما لي، ولهذا المقام تفسير ذلك. فقال: حبا وكرامة ولكن على شرط أن تجبر الكسير وترحم الفقير ولا تزدري الحقير. فقال: حبا وكرامة، ثم قال: إن قولي لك عن رجل نظر إلى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه حراما فهو رجل نظر إلى أمة غيره وقت الفجر فهي حرام عليه، فلما كان وقت الظهر اشتراها فحلت له، فلما كان وقت العصر أعتقها، فحرمت عليه، فلما كان وقت المغرب تزوجها فحلت له، فلما كان وقت العشاء طلقها فحرمت عليه، فلما كان وقت الفجر رجعها فحلت له، فلما كان وقت الظهر ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر أعتق عنها، فحلت له، فلما كان وقت المغرب ارتد عن الإسلام فحرمت عليه. فلما كان وقت العشاء تاب ورجع إلى الإسلام فحلت له. قال: فاغتبط الرشيد وفرح به واشتد إعجابه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، فلما حضرت قال: لا حاجة لي بها ردها إلى أصحابها. فقال له: أريد أن أجري لك جراية تكفيك مدة حياتك؟ قال: الذي أجرى عليك يجري علي. قال: فإن كان عليك دين قضيناه عنك؟ قال: لا، ولم يقبل منه شيئا، ثم أنشد يقول: هب الدنيا توافينا سنينا. فتكدر ساعة وتلذ حينا..فما أبغي لشيء ليس يبقى..وأتركه غدا للوارثينا..كأني بالتراب علي يحثى..وبالإخوان حولي نادبينا..ويوم تزفر النيران فيه..وتقسم جهرة للسامعينا..وعزة خالقي وجلال ربي..لأنتقمن منهم أجمعينا..وقد شاب الصغير بغير ذنب..فكيف يكون حال المجرمينا. فلما فرغ من إنشاده تأوه الرشيد وسأله عن أهله وبلاده، فأخبره أنه موسى الرضي[1] بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وكان يتزيا بزي أعرابي زهدا في الدنيا وتباعدا عنها، فقام إليه الرشيد وقبل ما بين عينيه، ثم قرأ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام] وانصرف رحمة الله عليهم أجمعين.

----

*(هال) هولا خاف ورعب والمرأة الناظر بحسنها أعجبته والأمر فلانا أفزعه فهو هائل وهي هائلة

■ (1) موسى بن جعفر الكاظم، هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ولد بالمدينة في سنة 128 هـ وقيل 129 هـ وأقدمه المهدي بغداد ثم رده إلى المدينة فأقام بها إلى أيام الرشيد فقدم الرشيد المدينة فحمله معه وحبسه بغداد إلى أن توفي بها سنة 183 هـ

☪

قال الإمام الشهيد حسن البنا: قلت ذات مرة مداعبا للسامعين في إحدى المحاضرات -وكانت خطوة موفقة كل التوفيق والحمد لله- إن هذه الصلاة الإسلامية التي نؤديها في اليوم خمس مرات ليست إلا تدريبا يوميا على نظام اجتماعي عملي امتزجت فيه محاسن النظام الشيوعي بمحاسن النظام الديمقراطي بمحاسن النظام الدكتاتوري، فعجبوا وقالوا: كيف كان ذلك؟.. فقلت: أفضل ما في النظام الشيوعي من حسنات تدعيم معنى المساواة والقضاء على الفوارق والطبقات ومحاربة الاعتزاز بالملكية التي يكون عنها هذا التفاوت.. وهذه المعاني كلها يستحضرها المسلم ويشعر بها تماما وتتركز في نفسه إذا دخل المسجد لأنه يستشعر لأول دخوله أن هذا المسجد لله، لا لأحد من خلقه، وأنه ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج]، لا صغير فيه ولا كبير ولا أمير ولا حقير ولا فوارق ولا طبقات، فإذا صاح المؤذن: قد قامت الصلاة..قد قامت الصلاة. استوى هذا الجمع خلف إمامه كالبنيان المرصوص فلا يركع أحد حتى يركع الإمام ولا يسجد حتى يسجد ولا يأتي بحركة أو سكون إلا تابعا له ومقتديا به ومقلدا إياه، وهذا هو أفضل ما في النظام الدكتاتوري: الوحدة والنظام في الإرادة والمظهر على السواء، ولكن هذا الإمام مقيد هو نفسه بتعاليم الصلاة ودستورها، فإذا انحرف أو أخطأ في تلاوة أو عمل كان للصبي الصغير وللرجل الكبير وللمرأة المصلية خلفه، كان لكل واحد من هؤلاء الحق كل الحق أن ينبهه إلى خطئه وأن يرده، إلى الصواب في أثناء الصلاة وكان على الإمام كائنا من كان أن ينزل على هذا الإرشاد وأن يعدل عن خطئه إلى الحق والصواب، وليس في الديمقراطية أروع من هذه الحسنات.. فماذا بقى بعد ذلك لهذه النظم من فضل على الإسلام؟!.. وقد جمع محاسنها جميعا واتقى بهذا المزج البديع كل ما فيها من سيئات ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء]

☪

قال علي بن نايف الشحود: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج] عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ لو أن رجلا هم فيه بإلحاد وهو بعدن أبين لأذاقه الله عز وجل عذابا أليما. قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ﴾ يقول: إن الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسله وأنكروا ما جاءهم به من ربهم، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه وعن المسجد الحرام الذي جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة لم يخصص منها بعضا دون بعض ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ يقول: معتدل في الواجب عليه من تعظيم حرمة المسجد الحرام وقضاء نسكه به والنزول فيه حيث شاء ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ وهو المقيم به ﴿وَالْبَادِ﴾ وهو المنتاب إليه من غيره. وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾وهو أن يميل في البيت الحرام بظلم واختلف أهل التأويل في معنى الظلم الذي من أراد الإلحاد به في المسجد الحرام أذاقه الله من العذاب الأليم، فقال بعضهم: ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به أي: بالبيت وقال آخرون: هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه وقال آخرون: بل معنى ذلك الظلم استحلال الحرم متعمدا وقال آخرون: بل ذلك احتكار الطعام بمكة وقال آخرون: بل ذلك كل ما كان منهيا عنه من الفعل حتى قول القائل: لا والله و بلى والله. وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أنه معني بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله وذلك أن الله عم بقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾، ولم يخصص به ظلما دون ظلم في خبر ولا عقل فهو على عمومه فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم فيعصي الله فيه نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له. وقال ابن القيم: ومن خواص البلد الحرام أنه يعاقب فيه على الهم بالسيئات وإن لم يفعلها قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فتأمل كيف عدى فعل الإرادة ها هنا بالباء ولا يقال: أردت بكذا إلا لما ضمن معنى فعل: هم فإنه يقال: هممت بكذا فتوعد من هم بأن يظلم فيه بأن يذيقه العذاب الأليم ومن هذا تضاعف مقادير السيئات فيه لا كمياتها فإن السيئة جزاؤها سيئة، لكن سيئة كبيرة وجزاؤها مثلها وصغيرة جزاؤها مثلها فالسيئة في حرم الله وبلده وعلى بساطه آكد وأعظم منها في طرف من أطراف الأرض ولهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في الموضع البعيد من داره وبساطه فهذا فصل النزاع في تضعيف السيئات، والله أعلم.

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ الأعلام للزركلي/ المعجم الوسيط/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية / رسائل الإمام الشهيد حسن البنا/

قال عبد الله بن مالك الخزاعي[1]: كنت شرطيا عند هارون الرشيد فأتاني رسوله ليلا في وقت لم يأتني فيه قط، فانتزعني من فراشي ومنعني من تغير ثيابي، فراعني ذلك فلما صرت إلى الدار أذن لي في الدخول فدخلت فوجدته قاعدا على فراشه فسلمت عليه فسكت ساعة، فطار عقلي وتضاعف الجزع علي، ثم قال: يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟ قلت: لا، يا أمير المؤمنين قال: إني رأيت الساعة في منامي كأن عبدا حبشيا قد أتاني ومعه حربة فقال: إن خليت عن موسى بن جعفر[2] الساعة وإلا نحرتك بهذه الحربة، فاذهب فخل عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين، أطلق موسى بن جعفر، وعاودته ثلاث مرات حتى قال: امض الساعة حتى تطلقه وأعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له: إن أحببت المقام قبلنا ولك عندنا ما تحب، وإن أحببت السير إلى المدينة فالإذن في ذلك لك، قال: فمضيت إلى الحبس لأخرجه، فلما رآني موسى وثب إلي قائما وظن أني قد أمرت فيه بمكروه، فقلت: لا تخف، فقد أمرني بإطلاقك وأن أدفع لك ثلاثين ألف درهم، وهو يقول لك إن أحببت المقام قبلنا فلك كل ما تحب، وإن أحببت الانصراف إلى المدينة فالأمر في ذلك مطلق لك، وأعطيته ثلاثين ألف درهم، وخليت سبيله وقلت له: لقد رأيت من أمرك عجبا، قال: إني أخبرك، بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا موسى، حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس، فقلت: بأبي وأمي ما أقول قال: قل يا سامع كل صوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحما ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليما ذا أناة لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصى عددا، فرج عني؛ فكان ما ترى. وله أخبار شهيرة ونوادر كثيرة.

----

(2) موسى بن جعفر الكاظم، هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ولد بالمدينة في سنة 128 هـ وقيل 129 هـ وأقدمه المهدي بغداد ثم رده إلى المدينة فأقام بها إلى أيام الرشيد فقدم الرشيد المدينة فحمله معه وحبسه ببغداد إلى أن توفي بها سنة 183 هـ.

(1) عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي. كان قائدا عسكريا وحاكما في الدولة العباسية وصاحب الشرط للمهدي والهادي، ثم أقره هارون ثم عزله، توفي سنة 212 هـ وهو ابن مالك بن الهيثم الخزاعي الذي كان من أهم قادة الحركة العباسية في خراسان والثورة التي أطاحت الأمويين.

عن مطرف بن عبد الله بن أبي مصعب المدني أنه قال: دخلت على المنصور فوجدته مغموما حزينا قد امتنع من الكلام، لفقد بعض أحبته فقال لي: يا مطرف طرقني من الهم ما لا يكشفه إلا الله الذي بلا به، فهل من دعاء أدعو به عسى يكشفه الله عني؟ فقلت: يا أمير المؤمنين حدثني محمد بن ثابت عن عمر بن ثابت البصري قال: دخلت في أذن رجل من أهل البصرة بعوضة حتى وصلت إلى صماخه فأنصبته وأسهرته ليله ونهاره، فقال له رجل من أصحاب الحسن البصري: يا هذا ادع بدعاء العلاء بن الحضرمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دعا به في المفازة وفي البحر فخلصه الله تعالى. فقال له الرجل: وما هو رحمك الله؟ فقال قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: بعث العلاء بن الحضرمي في جيش، كنت فيهم، إلى البحرين فسلكنا مفازة فعطشنا عطشا شديدا حتى خفنا الهلاك، فنزل العلاء وصلى ركعتين ثم قال: يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقنا، فجاءت سحابة كأنها جناح طائر، فقعقعت علينا وأمطرتنا حتى ملأنا الانية، وسقينا الركاب ثم انطلقنا حتى أتينا على خليج من البحر، ما خيض قبل ذلك اليوم، ولا خيض بعده، فلم نجد سفنا فصلى العلاء ركعتين، ثم قال: يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم أجرنا، ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال بسم الله جوزوا. قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر. وكان الجيش أربعة آلاف. قال فدعا الرجل بها فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه لها طنين، حتى صكت الحائط وبرأ الرجل. قال: فاستقبل المنصور القبلة ودعا بهذا الدعاء ساعة ثم أقبل بوجهه إلي وقال: يا مطرف قد كشف الله عني ما كنت أجده من الهم، ودعا بالطعام فأجلسني فأكلت معه.

قال الرشيد لموسى بن جعفر: إني قاتلك، قال: لا تفعل، فإني سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن العبد يكون واصلا لرحمه وقد بقي من أجله ثلاث سنين فيمدها الله له حتى ثلاثين سنة، ويكون العبد قاطعا لرحمه وقد بقي من أجله ثلاثون سنة فيقصرها الله حتى يجعلها ثلاث سنين [ربيع الأبرار].

سأل الرشيد موسى الكاظم بن جعفر، فقال له: لم زعمتم أنكم أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشر، فخطب إليك هل كنت تجيبه؟ فقال: سبحان الله، وكنت أفخر بذلك على العرب والعجم، فقال موسى: لكنه لا يخطب إلي ولا أزوجه؛ لأنه ولدنا ولم يلدكم. ودخل عليه يوما، فعثر بهدب البساط، فوقع، فضحك الرشيد، فالتفت إليه موسى فقال: يا أمير المؤمنين، إنه ضعف صوم، لا ضعف سكر. وكان الرشيد قد حمل موسى معه سنة أن حج، حمله معه من المدينة إلى بغداد، وحبسه غير مضيق عليه إلى أن توفي. قال الذهبي: بلغنا أنه بعث إلى الرشيد رسالة يقول: إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، ثم نقضي جميعا إلى يوم ليس له انقضاء، يخسر فيه المبطلون. قال عبد الرحمن بن صالح الأزدي: لما رأى الرشيد قبره عليه الصلاة والسلام فقال: السلام عليك يا رسول الله، يا ابن عم -يفتخر بذلك- فتقدم موسى بن جعفر فقال: السلام عليك يا أبت، فتغير وجه الرشيد، وقال: هذا الفخر حقا، قال: ولعل الرشيد ما حمله إلى بغداد وحبسه إلا لقوله: السلام عليك يا أبت؛ فإن الخلفاء لا يحتملون مثل هذا.

حكي عن الرشيد في عبد الله بن مالك الخزاعي حين غضب عليه فأمر أهله وحشمه وجميع قراباته أن يتجنبوا كلامه ومعاملته ومعاطاته حتى أثر ذلك في بدنه وتحاماه أقرب الناس إليه من ولد وأهل فلم يدن منه أحد ولم يطف به. فجاءه محمد بن إبراهيم الهاشمي[1] وكان أحد أودائه، في جوف الليل، فقال له: إن لك عندي يدا ما أنساها ومعروفا ما أكفره وقد علمت ما تقدم به أمير المؤمنين في أمرك وها أنا بين يديك ونصب عينيك فمرني بأمرك فوالله لأجعلن نفسي وقاية لك. فقال له عبد الله خيرا وأثنى عليه وأخبره بعذره فيما وجد عليه الرشيد. فلما دخل عليه قال له: أين كنت في هذه الليلة؟ قال: عبدك يا أمير المؤمنين عبد الله بن مالك كنت عنده وهو يحلف بطلاق نسائه وعتق مماليكه وصدقة ماله مع عشرين بدنة يهديها إلى بيت الله الحرام حافيا راجلا إن كان ما بلغ أمير المؤمنين سمعه الله جل وعز من عبد الله ولا اطلع عليه ولا هم به أو أظهره. قال: فأطرق الرشيد مليا مفكرا ومحمد يلحظه ووجهه يشرق مرة ويسفر أخرى وكان قد حال لونه حين دخل عليه، ثم رفع رأسه فقال: أحسبه صادقا يا محمد فمره بالرواح إلى الباب. قال: وأكون معه؟ قال: نعم. فانصرف محمد إلى عبد الله فبشره وأمره بالركوب رواحا. فدخلا جميعا، فلما أبصر عبد الله بالرشيد انحرف نحو القبلة وخر ساجدا ثم رفع رأسه، فاستدناه الرشيد فدنا وعيناه تهملان فأكب عليه وقبل بساطه ورجليه وموطيء قدميه ثم طلب أن يأذن له في الاعتذار. فقال: ما بك حاجة إلى أن تعتذر إذ قد عرفت عذرك. قال: فكان عبد الله يرى بعد ذلك إذا دخل على الرشيد بعض الانقباض، فشكا ذلك إلى محمد، فقال محمد: يا أمير المؤمنين إن عبدك عبد الله يشكو أثرا باقيا من تلك النبوة التي كانت من أمير المؤمنين ويسأل الزيادة في بسطه. فقال الرشيد: إنا معشر الملوك إذا غضبنا على أحد من بطانتنا ثم رضينا عنه بقي لتلك الغضبة أثر لا يخرجه ليل ولا نهار.

ذكر عن السفاح أنه غضب على رجل فذكره في ليلة من الليالي فقال له بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين إن فلانا لو رآه أعدى خلق الله له لرحمه وأنغض قلبه له. قال: ولم ذلك؟ قال: بغضب أمير المؤمنين عليه. قال: ما له من الذنب ما تبلغ به العقوبة هذا المبلغ! قال: من عليه يا أمير المؤمنين برضاك. قال: ما هذا وقت ذاك. قال: يا أمير المؤمنين إنك لما صغرت ذنبه طمعت له في رضاك. فقال: إنه من لم يكن بين غضبه ورضاه فرجة لم يحسن أن يغضب ولا يرضى، وعلى هذا أخلاق الملوك

قيل: وحضر صالح المري مجلس المنصور وعنده نفر من أهل بيته وقد ولي سعيد بن دعلج أحداث البصرة فدعا بنفر من أهل الجنايات ليعاقبهم، فلما أتي بهم تحرك صالح ليقوم فقال له رجل ممن حضر: أين تقوم؟ والله ما أحتاج إلى جلوسك عنده إلا الساعة. فقال: صدقت. وقال: يا أمير المؤمنين إن الله جل وعز يقول في كتابه:﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران] فبكى المنصور حتى اخضلت لحيته بالدموع وأمر بتخليتهم.

قيل: وأتي المنصور بجان فأمر فيه بعقوبة غليظة. فقال له العباس بن محمد[2]: يا أمير المؤمنين إنك غضبت لله جل ذكره فلا تغضب له بأكثر مما غضب لنفسه، وقد تبين لك ما يجب على مثله من الحد. فأمر بإطلاقه.

عزل المنصور يزيد بن أسيد[3] عن الجزيرة، وولى أخاه العباس فعسف يزيد. فقال يزيد لأبي جعفر: يا أمير المؤمنين، إن أخاك أساء عزلي، وشتم عرضي، فقال أبو جعفر: يا يزيد، اجمع بين إحساني وإساءته، يعتدلان، فقال يزيد: إذا كان إحسانكم جزاء لإساءتكم كانت الطاعة منا تفضلا.

وقيل: إنه سخط المهدي على بعض القحاطبة فقال: لا أراه إلا والسيف مسلول والنطع منشور. فأتي به وقد سل السيف ونشر النطع فبكى فقال: ألك مثل حركتك وتبكي؟ فقال: ما بكيت جزعا من الموت ولكن بكيت أن ألقى الله وأنت ساخط علي. فقال المهدي: يا غلام ادرج النطع واغمد السيف: إن الكريم إذا خادعته انخدعا.

وقال العباس بن قيس: أتي الهادي برجل أراد أن يضرب عنقه فقال: يا عدو الله ائتمنك فخنت واستنجدناك فلم تنجدنا، وأعطيناك فلم تشكرنا! فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن كلامي وحجتي رد عليك وفي أكثر مما قال أمير المؤمنين، وعفوه وإحسانه يأتيان على ذلك. فكأنما كان نارا صب عليها الماء، فخلى سبيله.

----

(1) محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي. ولي دمشق لابن عمه المهدي، ثم للرشيد، وولي مكة والموسم، وكان كبير الشأن، يذكر للخلافة. حدث عن: جعفر الصادق، وعن المنصور. روى عنه: ابنه؛ موسى، وحفيده؛ عبد الصمد، وغيرهما.وما علمت أحدا تجاسر على تضعيف هؤلاء الأمراء لمكان الدولة. ولد في حدود 122 هـ وتوفي ببغداد سنة 185 هـ

(2) العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان من رجالات بني هاشم وولي إمرة الجزيرة في أيام الرشيد، ولد سنة 121 هـ أو 122 هـ أو سنة 118 هـ وأمه أم ولد وذكر أبو محمد بن حزم أنه ولد سنة 120 هـ قبل موت أبيه بعامين وكان أصغر ولد أبيه. قال علي بن حرب قدم العباس بن محمد دمشق واليا عليها وعلى الشام كلها سنة 140 هـ فولى ابن الأشعث الأردن. ومات العباس سنة 186 هـ وكان يتولى الجزيرة وأهله يتهمون فيه الرشيد ويزعمون أنه سمه وأنه سقى بطنه فمات في هذه العلة.

(3) يزيد بن أسيد بن زافر بن أسماء السلمي، من بني بهثة بن سليم بن منصور: وال، من رجال الدولة العباسية. كانت أمه نصرانية. ولي أرمينية للمنصور ولوالده المهدي. وغزا الروم سنة 158 واستولى على حصون من ناحية قاليقلا سنة 162.توفي بعد 162 هـ

مراجع: الإشارات في علم العبارات/ المحاسن والمساوئ/ وفيات الأعيان/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ ربيع الأبرار/ حياة الحيوان الكبرى/

سأل الرشيد موسى الكاظم بن جعفر[1]، فقال له: لم زعمتم أنكم أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منا ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشر، فخطب إليك هل كنت تجيبه؟ فقال: سبحان الله، وكنت أفخر بذلك على العرب والعجم، فقال موسى: لكنه لا يخطب إلي ولا أزوجه ؛ لأنه ولدنا ولم يلدكم.

قال عبد الرحمن بن صالح الأزدي: لما رأى الرشيد قبره عليه الصلاة والسلام فقال: السلام عليك يا رسول الله، يا ابن عم، يفتخر بذلك، فتقدم موسى بن جعفر فقال: السلام عليك يا أبت، فتغير وجه الرشيد، وقال: هذا الفخر حقا، قال: ولعل الرشيد ما حمله إلى بغداد وحبسه إلا لقوله: السلام عليك يا أبت ؛ فإن الخلفاء لا يحتملون مثل هذا. ودخل عليه يوما، فعثر بهدب البساط، فوقع، فضحك الرشيد، فالتفت إليه موسى فقال: يا أمير المؤمنين، إنه ضعف صوم، لا ضعف سكر.

كان الرشيد يقول لموسى الكاظم بن جعفر: يا أبا الحسن خذ فدك حتى أردها عليك، فيأبى، حتى ألح عليه فقال: لا آخذها إلا بحدودها، قال: وما حدودها؟ قال: يا أمير المؤمنين أن حددتها لم تردها، قال: بحق جدك إلا فعلت، قال: أما الحد الأول فعدن، فتغير وجه الرشيد وقال: هيه، قال: والحد الثاني سمرقند، فاربد وجهه، قال: والحد الثالث أفريقية، فاسود وجهه وقال: هيه، قال: والرابع سيف البحر مما يلي الخزر وأرمينية، قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء فتحول في مجلسي؛ قال موسى: قد أعلمتك أني أن حددتها لم تردها. فعند ذلك عزم على قتله، واستكفى أمره يحيى بن خالد[2] . فأراه بثرة خرجت في كفه وقال: هذه علامة أهل بيتنا قد ظهرت بي، وأنا أقضى عن قرب، فقد كفيت أمري. فتركه يحيى ومات بعد أيام.

وأنى وأرضا أنت فيها ابن معمر..كمكة لم يطرب لأرض حمامها..إذا اخترت أرضا للمقام رضيتها..لنفسي ولم يغلظ علي مقامها.

وكان الرشيد قد حمل موسى معه سنة أن حج، حمله معه من المدينة إلى بغداد، وحبسه غير مضيق عليه إلى أن توفي. قال الذهبي: بلغنا أنه بعث إلى الرشيد رسالة يقول: إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، ثم نقضي جميعا إلى يوم ليس له انقضاء، يخسر فيه المطلون.

----

*(فدك) قرية قريبة من خيبر بينها وبين المدينة ست ليال

■ (1) موسى بن جعفر الكاظم، هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ولد بالمدينة في سنة 128 هـ وقيل 129 هـ وأقدمه المهدي بغداد ثم رده إلى المدينة فأقام بها إلى أيام الرشيد فقدم الرشيد المدينة فحمله معه وحبسه بغداد إلى أن توفي بها سنة 183 هـ.

■ (2) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

☪

عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ* وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللهَّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللهَّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللهُّ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، قَالَ اللهُّ: يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهَّ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات]﴾ قال بعض العلماء: التقوى اجتماع الطاعات، وأوله ترك الشرك، وآخره اتقاء كل ما نهى الله تعالى عنه. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللهَّ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ﴾ وأشار بأصابعه إلى صدره. قيل: استعمل عمر بن عبد العزيز رجلا على الصدقة يقال له زريق، أحمر كريه المنظر فرجع إلى عمر، ولم يأته بشيء، فقال: أين ما بعثناك فيه؟ قال: أخذته من حيث أمرتني وجعلته حيث أمرتني فقال عمر:﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهَّ خَيْرًا﴾ [هود] وعن أبي هريرة ﴿قِيلَ يَا رَسُولَ اللهَّ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ، قَالَ: أَتْقَاهُمْ، فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهَّ ابْنُ نَبِيِّ اللهَّ ابْنِ نَبِيِّ اللهَّ ابْنِ خَلِيلِ اللهَّ، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا﴾ وعن أبي ريحانة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ انْتَسَبَ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءٍ كُفَّارٍ يُرِيدُ بِهِمْ عِزًّا وَكَرَمًا فَهُوَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ﴾ قال محمود الألوسي: في الآية -أعلاه- إشارة إلى وجه رد التفاخر بالنسب حيث أفادت أن شرف النسب غير مكتسب ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم] وأنه لا فرق بين النسيب وغيره من جهة المادة لاتحاد ما خلقا منه، ولا من جهة الفاعل لأنه هو الله تعالى الواحد، فليس للنسب شرف يعول عليه ويكون مداراً للثواب عند الله تعالى ، ولا أحد أكرم من أحد عنده سبحانه إلا بالتقوى وبها تكمل النفس وتتفاضل الأشخاص.

يقول عصام العطار: اشتهر عبد القادر عودة كعالم وفقيه ورجل قانون محنك وخطيب مفوَّه، حصل على قدر كبير من المعرفة بالقوانين الجنائية في مصر، التي درسها طالبا ومارس تطبيقها قاضيا ومحاميا، وهو أحد أعلام الفقه الإسلامي المعاصرين، وقد دفعه حبه للشريعة الإسلامية إلى دراسة علوم الفقه الإسلامي، وأكسبته خبرته الواسعة في سلك القضاء بالمحاكم المصرية قناعة وإيمانا بضرورة إحياء علوم الشريعة والمبادرة إلى تطبيقها [..]

وقَف إلى جوار ثورة يوليو، ظنًّا منه أن عبد الناصر سيحقق الخير الذي أعلنه على الناس، وقد أغضب في ذلك الكثير من إخوانه ومحبيه، ولما تكشّفت أمامه النيات، وبدأت تظهر الحقائق، سلك الطريق الذي ألزم به نفسه في حياته ـ طريق الحق والصدق ـ قال له عبد الناصر: إنني سأقضي على كل من يعترض طريقي. فأجابه: عبد القادر عودة، في صراحة المؤمنين: ولكن من يقون منهم سيقضون بدورهم على الطغاة والظالمين.

كان قاضياً كبيراً ورأى الناس يخضعون للقانون الوضعي ولو خالف الشريعة الإسلامية فأرسل في كتابه الإسلام وأوضاعنا القانونية، صيحته الصريحة المتحدية: إنّ الدستور الأساسي للمسلم هو الشريعة الإسلامية؛ فكل قانون وضعي جاء متفقاً مع نصوصها أو مسايراً لمبادئها العامة أو روحها التشريعية فهو على العين والرأس يطيعه المسلم بأمر الله، وكل قانون جاء على خلاف ذلك فهو في الرغام وتحت الأقدام، ولا كرامة لما يخالف الإسلام، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله. وقال: إن القانون من صنع البشر، أمَّا الشريعة فمن عند الله، وكلٌ من الشريعة والقانون، يتمثل فيه بجلاء صفات صانعه، فالقانون من صنع البشر، ويتمثل فيه نقص البشر وعجزهم وضعفهم وقلة حيلتهم، ومن ثَم كان القانون عرضةً للتغيير والتبديل، أو ما نسميه التطور، كلما تطورت الجماعة إلى درجة لم تكن متوقعة، أو وُجدت حالات لم تكن منتظرةً. فالقانون ناقص دائمًا، ولا يمكن أن يبلغ حد الكمال ما دام صانعه لا يمكن أن يُوصف بالكمال، ولا يستطيع أن يُحيط بما سيكون، وإن استطاع الإلمام بما كان. وفي كتابه المال والحكم في الإسلام، يرى أن الحكم في الإسلام يقوم على أساس القرآن (المصدر الأساسي للتشريع)، ومبدأ الشورى، واحترام إرادة الأمة، ومن هنا فهو يرى أن الخليفة ينوب عن الجماعة ولا ينوب عن الله، وهي نفس الأفكار التي أكد عليها في كتابه الإسلام وأوضاعنا القانونية؛ حيث يقول:سلطة المراقبة والتقويم سلطة مقرَّرة للأمة، إذ يجب عليها مراقبة الحكام وتقويمهم بما أوجب عليها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنها مصدر سلطان الحكام باعتبارهم نوابا عنها فهم مسئولون أمامها [..]

نصح عبد القادر عودة جمال عبد الناصر عام 1954 م بضرورة إلغاء قرار حل جماعة الإخوان؛ مخافةً أن يتهور شاب منهم في حالة غيظ واندفاع، فيقوم بعمل من أعمال الاعتداء بعيدًا عن مشاورة قادة الحركة، أجاب عبد الناصر:كم عدد الإخوان؟ مليونان، ثلاثة ملايين... إنني مستغنٍ عن ثلث الأمة، ومستعد للتضحية بسبعة ملايين إذا كان الإخوان سبعة ملايين، وهنا غلب الذهول الشهيد عودة، وقال في ثورة:سبعة ملايين ثمنًا لحياة فرد.. ما أغناك عن هذا يا جمال!. وكان هذا الموقف من الأسباب التي دفعت إلى المصادقة على حكم الإعدام. من الأسباب كذلك حين وقف موقفًا وطنيًّا خالدًا حين عمد الضباط إلى اتخاذ قرار بعزل محمد نجيب من رئاسة الجمهورية، فأقدم على استلام الراية وابتدر قيادة الحركة، ونظم عشرات الآلاف من الجماهير في مظاهرة لم يشهدها تاريخ مصر كله؛ وهو ما أرغم الضباط والوزراء على الرضوخ لإرادة الشعب وإعادة اللواء محمد نجيب رئيسًا للجمهورية المصرية. ومن الأسباب كذلك أن عبد الناصر أقدم على توقيع معاهدة مع الإنجليز، فطلب مكتب الإرشاد من الفقيه القانوني عبدالقادر عودة أن يتناول الاتفاقية تناولاً قانونيًّا، بعيدًا عن أسلوب التحامل والتشهير، فجاءت الدراسة التي سلمت إلى السلطات المصرية في ذلك الوقت، دراسةً قانونيةً تبرز للعيان ما تجره الاتفاقية على البلاد من استبقاء الاحتلال البريطاني مقنعًا، مع إعطائه صفة الاعتراف الشرعية. ويوم الخميس الواقع في 9 من ديسمبر عام 1954م كان موعد تنفيذ حكم الإعدام على عبد القادر عودة وإخوانه الخمسة، وتذكر بعض المصادر أنه حين تقدم عودة إلى منصة الإعدام قال: ماذا يهمني أين أموت؛ أكان ذلك على فراشي، أو في ساحة القتال.. أسيرًا، أو حرًّا.. إنني ذاهب إلى لقاء الله، ثم توجه إلى الحاضرين وقال لهم: أشكر الله الذي منحني الشهادة..إن دمي سينفجر على الثورة، وسيكون لعنةً عليها [الشبكة]

مراجع: وفيات الأعيان/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ ربيع الأبرار/

من غريب ما يحكى، ما حكاه القاضي أبو الحسن التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة: أن منارة[1] وكان صاحب شرطة الرشيد قال: رفع إلى هارون الرشيد أن رجلا بدمشق من بقايا بني أمية عظيم المال كثير الجاه، مطاعا في البلد، له جماعة وأولاد ومماليك يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم، وأنه سمح جواد كثير البذل والضيافة، وأنه لا يؤمن منه، فعظم ذلك على الرشيد. قال منارة: وكان وقوف الرشيد على هذا، وهو بالكوفة في بعض حججه، في سنة ست وثمانين ومائة، وقد عاد من الموسم، وقد بايع للأمين والمأمون والمعتصم أولاده، فدعاني، وهو خال، وقال: إني دعوتك لأمر يهمني، وقد منعني النوم، فانظر كيف يكون؟ ثم قص علي خبر الأموي. وقال: اخرج الساعة فقد أعددت لك الخيول وأزحت علتك في الزاد والنفقة والآلة، وتضم إليك مائة غلام واسلك البرية، وهذا كتابي إلى نائب دمشق، وهذه قيود فابدأ بالرجل، فإن سمع وأطاع فقيده وجئني به، وإن عصى فتوكل عليه أنت ومن معك لئلا يهرب، وانفذ الكتاب إلى أمير دمشق ليكون مساعدا لك، واقبضا عليه وجئني به، وأجلت لذهابك ستا ولإيابك ستا ويوما لمقامك، وهذا محمل تجعله في شقة منه، إذا قيدته، وتقعد أنت في الشقة الأخرى، ولا تكل حفظه إلى غيرك، حتى تأتيني به في اليوم الثالث عشر من خروجك. فإذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها من أهله وولده وحاشيته وغلمانه، وقدر نعمته والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من ألفاظه منذ يقع طرفك عليه حتى تأتيني به، وإياك أن يشكل عليك شيء من أمره. انطلق. قال منارة: فودعته وانطلقت وخرجت فركبت الإبل وسرت أطوي المنازل أسير الليل والنهار ولا أنزل إلا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس النفس قليلا إلى أن وصلت إلى دمشق في أول الليلة السابعة، وأبواب البلد مغلقة فكرهت طروقها ليلا فبت بظاهر البلد إلى أن فتح بابها من غد، فدخلت حتى أتيت باب الرجل، وعليها صف عظيم وحاشية كثير، فلم أستأذن ودخلت بغير إذن، فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض من معي عني. قال: هذا منارة رسول أمير المؤمنين إلى صاحبكم. قال: فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت أن الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بنا فقلت: أفيكم فلان؟ قالوا: نحن أولاده وهو في الحمام. فقلت: استعجلوه. فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقد الدار والأحوال والحاشية فوجدتها ماجت بأهلها موجا كبيرا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن طال مكثه واستربت* منه واشتد قلقي وخوفي من أن يتوارى إلى أن رأيت شخصا بزي الحمام يمشي في صحن الدار وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان، وهم أولاده وغلمانه، فقلت: إنه الرجل، فجاء وجلس وسلم علي سلاما خفيفا وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته، فأخبرته بما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤوا بأطباق فاكهة فقال: تقدم يا منارة وكل معنا. فقلت: ما لي إلى ذلك من سبيل. فلم يعاودني فأكل هو ومن معه ثم غسل يديه ودعا بالطعام، فجاؤوا إليه بمائدة حسنة لم أر مثلها إلا للخليفة، فقال: يا منارة ساعدنا على الأكل. لا يزيد على أن يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة، فامتنعت عليه، فما عاودني فأكل هو ومن معه، وكانوا تسعة من أولاده، فتأملت أكله في نفسه فوجدته يأكل أكل الملوك ووجدت ذلك الاضطراب الذي كان في داره قد سكن ووجدتهم لا يرفعون شيئا من بين يديه قد وضع على المائدة لا تهيأ غيره حالا أعظم وأحسن منه. وقد كان غلمانه أخذوا لما نزلت إلى الدار مالي وغلماني وعدلوا بهم إلى دار أخرى فما أطاقوا ممانعتهم، وبقيت وحدي وليس بين يدي إلا خمس أو ست غلمان وقوف على رأسي فقلت في نفسي: هذا جبار عنيد. فإن امتنع من الشخوص لم أطق إشخاصه بنفسي ولا بمنم معي ولا حفظ إلى أن يلحقني أمير البلد، وجزعت جزعا شديدا ورابني منه استخفافه وتهاونه بأمري، يدعوني باسمي ولا يفكر في امتناعي من الأكل ولا يسأل عما جئت به ويأكل مطمئنا، وأنا مفكر في ذلك، فلما فرغ من أكله وغسل يديه دعا بالبخور فتبخر وقام إلى الصلاة وصلى الظهر، وأكثر من الدعاء والابتهال، ورأيت صلاته حسنة، فلما انتقل من المحراب أقبل علي وقال: ما أقدمك يا منارة؟ فأخرجت كتاب أمير المؤمنين ودفعته إليه، ففضه وقرأه، فلما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم أشك أنه يريد أن يوقع بي فلما تكاملوا ابتدأ فحلف إيمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج والصدقة والوقف أن لا يجتمع اثنان في موضع واحد.وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم، ولا يظهروا إلى أن ينكشف لهم أمر يعتمدون عليه. وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين بالمضي إليه، ولست أقيم بعد نظري فيه ساعة واحدة، فاستوصوا بمن ورائي من الحريم خيرا وما لي حاجة أن يصحبني أحد منكم هات قيودك يا منارة. فدعوت بها وكانت في سفط* ومد يده فقيدته وأمرت غلماني بحمله حتى صار في المحمل وركبت في الشق الآخر، وسرت من وقتي ولم ألق أمير البلد ولا غيره، وسرت بالرجل وليس معه أحد إلى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن في الغوطة، فقال لي: أترى هذا؟ قلت: نعم. قال: إنه لي، وقال: إن فيه من غرائب الأشجار كيت وكيت. ثم انتهى إلى آخر، فقال مثل ذلك. ثم انتهى إلى مزارع حسان وقرى، فقال مثل ذلك! هذا لي، فاشتد غيظي منه، وقلت: ألست تعلم أن أمير المؤمنين أهمه أمرك حتى أرسل إليك من انتزعك من بين أهلك ومالك وولدك وأخرجك فريدا مقيدا مغلولا ما تدري إلى ما تصير إليه أمرك ولا كيف يكون،وأنت فارغ القلب من هذا حتى تصف ضياعك وبساتينك بعد أن جئتك؛ وأنت لا تفكر فيما جئت به، وأنت ساكن القلب قليل التفكر. لقد كنت عندي شيخا فاضلا.فقال لي مجيبا: إنا لله وإنا إليه راجعون. أخطأت فراستي فيك. لقد ظننت أنك رجل كامل العقل وأنك ما حللت من الخلفاء هذا المحل إلا لما عرفوك، فإذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام، والله المستعان. أما قولك في أمير المؤمنين وإزعاجه وإخراجه إياي إلى بابه على صورتي هذه، فإني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصية أمير المؤمنين، ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه نفعا ولا ضرا إلا بإذن الله عز وجل، ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه، وبعد فإذا عرف أمير المؤمنين أمري وعرف سلامتي وصلاح ناصيتي سرحني مكرما، فإن الحسدة والأعداء رموني عنده بما ليس في وتقولوا علي الأقاويل، فإما أن يستحل دمي أو يخرج من إيذائي وإزعاجي ويردني مكرما، أو يقيمني ببلاده معظما مبجلا؟ وإن كان قد سبق في علم الله عز وجل أن هذا يبدو لي منه سوء وقد اقترب أجلي وكان سفك دمي على يده، فلو اجتهدت الملائكة والأنبياء وأهل الأرض والسماء على صرف ذلك عني ما استطاعوا، فلم أتعجل الفكرة فيما فرغ الله منه، وإني أحسن الظن بالله الذي خلق ورزق وأحيا وأمات، وإن الصبر والرضا والتسليم إلى من يملك الدنيا والآخرة أولى، وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا فإذن قد عرفت مبلغ فهمك، فإني لا أكلمك بكلمة واحدة حتى يفرق بيننا أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى. ثم أعرض عني فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو طلب ماء أو حاجة حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثلاث عشرة بعد الظهر، والنجب* قد استقبلتني قبل ستة فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري، فحين رأوني رجعوا عني متقدمين بالخبر إلى أمير المؤمنين، فانتهيت إلى الباب في آخر النهار فحططت رحلي، ودخلت على الرشيد وقبلت الأرض بين يديه ووقفت، فقال: هات ما عندك يا منارة وإياك أن تغفل منه عن لفظة واحدة. فسقت الحديث من أوله إلى آخره حتى انتهيت إلى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور وما حدثني به نفسي من امتناعه، والغضب يظهر في وجه أمير المؤمنين ويتزايد حتى انتهيت إلى فراغ الأمور من الصلاة والتفاته إلي وسؤاله عن سبب قدومي ودفعي الكتاب إليه ومبادرته إلى إحضار ولده وأهله وأصحابه، وحلفه عليهم أن لا يتبعه أحد وصرفه إياهم ومد رجليه، فقيدته فما زال وجه الرشيد يسفر، فلما انتهيت إلى ما خاطبني به عند توبيخي له لما ركبنا في المحمل، فقال: صدق والله ما هذا إلا رجل محسود على النعمة، مكذوب عليه، ولعمري، لقد أزعجناه وأذيناه ورعنا أهله فبادر بنزع قيوده وائتني به. قال: فخرجت فنزعت قيوده وأدخلته إلى الرشيد فما هو إلا أن رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول في وجه الرشيد فدنا الأموي وسلم بالخلافة ووقف فرد عليه الرشيد ردا جميلا وأمره بالجلوس فجلس، وأقبل عليه الرشيد فسأله عن حاله، ثم قال له: بلغنا عنك فضل هيئة وأمور أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن إليك، فاذكر حاجتك؟ فأجاب الأموي جوابا جميلا وشكر ودعا، ثم قال: ليس لي عند أمير المؤمنين إلا حاجة واحدة. فقال: مقضية، فما هي؟ قال: يا أمير المؤمنين، تردني إلى بلدي وأهلي وولدي. قال: نفعل ذلك، ولكن سل ما تحتاج إليه من مصالح جاهك ومعاشك فإن مثلك لا يخرج إلا ويحتاج إلى شيء من هذا. فقال: يا أمير المؤمنين، عمالك منصوفون وقد استغنيت بعدلهم عن مسألتي فأموري مستقيمة وكذلك أهل بلدي بالعدل الشامل في ظل أمير المؤمنين. فقال الرشيد: انصرف محفوظا إلى بلدك واكتب إلينا بأمر إن عرض لك. فودعه الأموي، فلما ولى خارجا قال الرشيد: يا منارة، احمله من وقتك وسر به راجعا كما سيرته حتى إذا وصلت إلى مجلسه الذي أخذته منه فودعه وانصرف.قال منارة: فما زلت معه حتى انتهى إلى محله، ففرح به أهله وأعطاني عطاء جزيلا وانصرفت، والله أعلم، وهذه الحكاية على سبيل الاختصار.

----

*(ريب) الشك والاسم الريبة وهي التهمة والشك و رابني فلان من باب باع إذا رأيت منه ما يريبك وتكرهه و استربت به مثله وهذيل تقول أرابني و أراب الرجل صار ذا ريبة فهو مريب و ارتاب فيه شك و ريب المنون حوادث الدهر(سفط) الذي يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. وفي المحكم: كالجوالق وفي غيره: أو كالقفة وهو عربي معروف. أيضا السفط واحد الأسفاط و الإسفنط ضرب من الأشربة فارسي معرب (النجب) النجيب من الإبل والجمع النجب والنجائب

■ (1) منارة صاحب شرطة الرشيد ...؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

قال علي بن نايف الشحود: قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء] الحسد: تمني زوال النعمة عن صاحبها، سواء كانت نعمة دين أو دنيا. والحسد: مركوز في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يتفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل.: قال النووي: الحسد قسمان: حقيقي ومجازي. أما الحقيقي: تمني زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة. قال ابن رجب: وهو شرهما وأخبثهما، وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه، وهو ذنب إبليس حيث حسد آدم عليه السلام لما رآه قد فاق على الملائكة، بأن خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه في جواره، فما زال يسعى في إخراجه حتى أخرج منها.

أما المجازي (الحسد المحمود): فهو الغبطة، وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة. عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَآخَرُ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا﴾ متفق عليه. قال السعدي:وأعظم من يغبط: من كان عنده مال قد حصل له من حله، ثم سلط ووفق على إنفاقه في الحق، في الحقوق الواجبة والمستحبة؛ فإن هذا من أعظم البرهان على الإيمان، ومن أعظم أنواع الإحسان. ومن كان عنده علم وحكمة علمه الله إياها، فوفق لبذلها في التعليم والحكم بين الناس. فهذان النوعان من الإحسان لا يعادلهما شيء. الأول: ينفع الخلق بماله، ويدفع حاجاتهم، وينفق في المشاريع الخيرية، فتقوم ويتسلسل نفعها، ويعظم وقعها. والثاني: ينفع الناس بعلمه، وينشر بينهم الدين والعلم الذي يهتدي به العباد في جميع أمورهم: من عبادات ومعاملات وغيرها. ثم بعد هذين الاثنين: تكون الغبطة على الخير، بحسب حاله ودرجاته عند الله. ولهذا أمر الله تعالى بالفرح والاستبشار بحصول هذا الخير، وإنه لا يوفق لذلك إلا أهل الحظوظ العظيمة العالية. قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس]، وقال: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت] وقد يكون من تمنى شيئا من هذه الخيرات، له مثل أجر الفاعل إذا صدقت نيته، وصمم عن عزيمته أن لو قدر على ذلك العمل، لعمل مثله، كما ثبت بذلك الحديث. وخصوصا إذا شرع وسعى بعض السعي. قلت: بعيدا عن أسلوب سرده هذه القصة الأشبه بالحكايات الشعبية !!

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ طيب المذاق من ثمرات الأوراق/ ثمرات الأوراق/ التذكرة الحمدونية/مختار الصحاح/ تاج العروس/ لسان العرب/ موسوعة للخطب المنبرية والدروس/

قال الأصمعي: كنت جالسا بين يدي هارون الرشيد أنشده شعرا، وأبو يوسف القاضي[1] جالس على يساره، فدخل الفضل بن الربيع[2]، فقال: بالباب أبو إسحاق الفزاري[3]، فقال: أدخله: فلما دخل قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال له الرشيد: لا سلم الله عليك، ولا قرب دارك، ولا حيا مزارك؛ قال: لم يا أمير المؤمنين؟ قال: أنت الذي تحرم السواد؟ فقال: يا أمير المؤمنين من أخبرك بهذا؟ لعل ذا أخبرك وأشار إلى أبي يوسف وذكر كلمة؛ والله يا أمير المؤمنين لقد خرج إبراهيم بن عبد الله[4] على جدك المنصور، فخرج أخي معه، وعزمت على الغزو، فأتيت أبا حنيفة[5] فذكرت ذلك له، فقال: مخرج أخيك أحب إلي مما عزمت عليه من الغزو؛ والله ما حرمت السواد. فقال الرشيد: فسلم الله عليك، وقرب دارك، وحيا مزارك، اجلس يا أبا إسحاق؛ يا مسرور (الخادم) ثلاثة آلاف دينار لأبي إسحاق، فأتي بها، فوضعا في يده، وخرج فانصرف. ولقيه ابن المبارك[6]، فقال: من أين أقبلت؟ فقال: من عند أمير المؤمنين، وقد أعطاني هذه الدنانير، وأنا عنها غني؛ قال: فإن كان في نفسك منها شيء فتصدق بها. فما خرج من سوق الرافقة* حتى تصدق بها كلها.

عن إسماعيل بن عيسى بن علي الهاشمي، قال: قال أبو إسحاق الفزاري: جئت إلى أبي حنيفة فقلت له: ما اتقيت الله حيث أفتيت أخي بالخروج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن حتى قتل. فقال: قتل أخيك حيث قتل يعدل قتله لو قتل يوم بدر، وشهادته مع إبراهيم خير له من الحياة. قلت له: ما منعك أنت من ذاك. قال: ودائع للناس كانت عندي.

عن إسماعيل بن إبراهيم، قال: أخذ هارون الرشيد زنديقا، فأمر بضرب عنقه، فقال الزنديق: لم تضرب عنقي يا أمير المؤمنين؟ قال: أريح العباد منك: قال: فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلها ما فيها حرف نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها ويخرجانها حرفا حرفا؟!. قال أبو مسهر: قدم الفزاري دمشق، فاجتمع الناس ليسمعوا منه، فقال لمولى: أخرج إلى الناس وقل لهم: من كان يرى القدر فلا يحضر مجلسنا. فخرجت وأخبرت الناس.

----

*(الرافقة) بلد متصل بالرقة من أعمال الجزيرة

■ (3) إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة الفزاري، أبو إسحاق: من كبار العلماء. ولد في الكوفة وقدم دمشق وحدث بها. وكان من أصحاب الأوزاعي ومعاصريه. قال ابن عساكر: والفزاري هو الذي أدب أهل الثغر (بيروت وأطرافها) وعلمهم السنة. ورحل إلى بغداد فأكرمه الرشيد وأجله. ثم عاش مرابطا بثغر المصيصة ومات بها سنة 188 هـ وقيل185 هـ. وقيل 186 هـ. وقيل غير ذلك، رحمه الله.وجدهم خارجة صحبة. وهو أخو عيينة بن حصن.قال أبو حاتم: اتفق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمام يقتدى به بلا مدافعة.

■ (1) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، كان تلميذ أبي حنيفة. وهو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة،حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطأة ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ

■ (2) أبو العباس، الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة واسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، وجاء ذكر أبيه في شيء من أخباره مع أبي جعفر، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم، فكان في نفسه منهم إحن وشحناء، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب: من أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان.

■ (4) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، خرج بالبصرة على المنصور، وتحول إلى الكوفة، وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة ومكة وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة ، فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن أبا جعفر جهز إليهم عيسى بن موسى، فخرج إلى المدينة، فلقيه محمد بن عبد الله، فانهزم بأصحابه وقتل.ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر.

■ (6) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، مولى بني حنظلة، كان قد جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس، وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة شديدة التورع، وكان قد غزا فلما انصرف من الغزو وصل إلى هيت فتوفي بها سنة181 هـ أو 182 هـ، ومولده بمرو سنة118 هـ

■ (5) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة، وهو من رهط حمزة الزيات؛ كان خزازا يبيع الخز (نوع من الأقمشة)، وجده زوطى من أهل كابل (ناحية معروفة من بلاد الهند)، وقيل بابل، وقيل من أهل الأنبار، وقيل من أهل نسا، وقيل من أهل ترمذ، وهو الذي مسه الرق فأعتق، وولد ثابت على الإسلام. وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، من أبناء فارس من الأحرار، والله ما وقع علينا رق قط. وكانت ولادة أبي حنيفة سنة 80 هـ ، وقيل سنة 61 هـ، والأول أصح، وتوفي سنة 150 هـ، وقيل 151 هـ وقيل 153 هـ، والأول أصح؛ وكانت وفاته في السجن ليلي القضاء فلم يفعل، هذا هو الصحيح، وقيل إنه لم يمت في السجن، وقيل توفي في اليوم الذي ولد فيه الإمام الشافعي سنة 150 هـ، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور.

عن محبوب بن موسى الفراء قال : سألت ابن عيينة عن حديث كنت سمعته من أبي إسحاق الفزاري، فقال: والله ما رأيت من أقدمه على أبي إسحاق الفزاري. وعن الأوزاعي أنه قال لكاتبه: أكتب إلى أبي إسحاق الفزاري، وابدأ به، فإنه والله خير مني. وعن محبوب بن موسى قال: لقيت الفضيل بن عياض، فعزاني بأبي إسحاق وقال: كان والله كريما، اشتقت إلى المصيصة، ما بي فضل الرباط إلا لأرى أبا إسحاق. قال محبوب: سمعت علي بن بكار يقو: لقيت الذين لقيهم أبو إسحاق، ابن عون وغيره، والله ما رأيت فيهم أفقه من أبي إسحاق. وقال نصر الجهضمي: قال الخريبي: كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه، وكان بعده أبو إسحاق الفزاري أفضل أهل زمانه. قال نصر: وأنا أقول كان أحمد بن حنبل أفضل أهل زمانه.

قال أحمد العجلي: أبو إسحاق أدب أهل الثغر وعلمهم السنة، وكان يأمر وينهى، وإذا دخل الثغر مبتدع أخرجه. وكان كثير الحديث فقيها. وكان عربيا فزاريا، أمر سلطانا يوما ونهاه، فضربه مائتي سوط، فغضب له الأوزاعي وتكلم في أمره.

وقال ابن مهدي: إذا رأيت الشامي يحب الأوزاعي وأبا إسحاق الفزاري فهو صاحب سنة. وقال مرة: فاطمئن إليه. سفيان بن عيينة: قال لي أبو إسحاق الفزاري. أدخلت على هارون، فلما رآني رفع رأسه إلي ثم قال: يا أبا إسحاق، إنك في موضع وفي شرف. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن ذلك لا يغني عني في الآخرة شيئا.

عن مخلد بن الحسين[1] قال: غزونا مع عبد الملك بن صالح الهاشمي[2]، فأقبلنا من غزونا، فمر بنا أبو إسحاق الفزاري فأسرع ولم يسلم، فالتفت إلي عبد الملك مغضبا، فقال لي: يا مخلد، مر بنا أبو إسحاق فأسرع ولم يسلم! فقلت له: أعز الله الأمير، لم يرك، فزدها ثانية وتبين لي فيه الغضب فقلت: أعز الله الأمير، أتأذن لي أن أحدثك رؤيا رأيتها له؟ قال: حدث. قلت: رأيت كأن القيامة قد قامت، والناس في ظلمة، في حيرة، يترددون فيها، فنادى مناد من السماء: أيها الناس، اقتدوا بأبي إسحاق الفزاري فإنه على الطريق؛ فغدوت إليه فأعلمته، فقال لي: يا مخلد، لا تحدث بهذا وأنا حي؛ ولوال غضبك أيها الأمير ما حدثتك. قال نصر بن علي الجهضمي: رأيت أبا داوود يقول: مات أبو إسحاق الفزاري، وليس على وجه الأرض أفضل منه.

■ (2) عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس: أمير من بني العباس. ولاه الهادي إمرة الموصل سنة 169 هـ وعزله الرشيد سنة 171 هـ ثم ولاه الدينة والصوائف. وولاه مصر مدة قصيرة، فلم يذهب إليها. وولاه دمشق فأقام فيها أقل من سنة. وبلغه أنه يطلب الخلافة، فحبسه ببغداد سنة 187 هـ ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة 193 هـ فأقام بالرقة أميرا إلى أن توفي سنة 196 هـ. كان من أفصح الناس وأخطبهم، له مهابة وجلالة. قيل ليحيى بن خالد البرمكي –لما ولى الرشيد عبد الملك على المدينة– كيف ولاه المدينة من بين أعماله؟ فقال: أحب أن يباهي قريشا ويعلمهم أن في بني العباس مثله.

■ (1) مخلد بن الحسين أبو محمد الأزدي المهلبي البصري، نزيل المصيصة. وكان أحد أوعية العلم مات مخلد سنة191 هـ. وعن بعضهم أنه توفي سنة 196 هـ.

مراجع: تاريخ الإسلام للذهبي/ تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ معجم الأدباء/ مقاتل الطالبيين/ تذكرة الحفاظ وذيوله/

قال بقية[1]: دخلت على هارون الرشيد فقال: يا بقية إني أحبك، فقلت: ولأهل بلدي؟ قال: لا إنهم جند سوء، لهم كذا وكذا غدرة في الديوان. قال: قلت يا أمير المؤمنين إذا أنت وليهم ماذا تعهد إليهم؟ قال: أعهد إليهم أن يكونوا لليتامى كالأب الرحيم، وللأرامل كالزوج الشفيق، ويكونوا ويكونوا، ولا أرضى منهم بذلك حتى يضعوا أيديهم على رأسي، قال: فإنهم لا يفون بذلك يا أمير المؤمنين، نحن قوم عرب يسرفون علينا، فقال هارون الرشيد: فذلك كذلك، ثم قال: حدثني يا بقية، فقلت: حدثني محمد بن زياد الألهاني، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَنَا سَابِقُ الْعَرَبِ إِلَى الْجَنَّةِ وَسَلْمَانُ سَابِقُ فَارِس إِلَى الْجَنَّةِ وَصُهَيْبٌ سَابِقُ الرُّوم إِلَى الْجَنَّةِ وَبِلاَلٌ سَابِقُ الْحَبَشَة إِلَى الْجَنَّةِ﴾ أخرجه الطبراني قال: زدني، قلت: حدثني محمد بن زياد الألهاني، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَلاَ عَذَابَ وَثَلاَثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي﴾ قال: فامتلأ من ذلك فرحا وقال: يا غلام ناولني أكتبها. قال: وكان القيم بأمره الفضل بن الربيع[2]،ومتربته بعيدة، فناداني فقال لي: يا بقية ناول أمير المؤمنين بجنبك، قلت: ناوله أنت يا هامان، فقال: سمعت ما قال لي يا أمير المؤمنين؟ قال: اسكت فما كنت أنت عنده هامان حتى كنت أنا عنده فرعون.

■ (1) بقية بن الوليد بن صائد بن كعب بن حريز، أبو يُحْمَد الكلاعي الحميري الميتمي الحمصي. أحد أعلام الحديث. بعثه أبو جعفر المنصور إلى دمشق لمساحتها. ولد بقية سنة 110 هـ، ومات سنة 196 هـ أو 197 هـ. قال النسائي: إذا قال: ثنا وحدثنا فهو ثقة، وإن قال: عن، فلا. قال يعقوب الفسوى: وبقية يذكر بحفظ إلا أنه يشتهى الملح والطرائف من الحديث، فيروى عن الضعفاء.

■ (2) أبو العباس، الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة واسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، وجاء ذكر أبيه في شيء من أخباره مع أبي جعفر، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم، فكان في نفسه منهم إحن وشحناء، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب: من أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان

قال بقية بن الوليد: قدمت على شعبة[1] فأبعدني وأقصاني، فأقمت عنده شهرين لا أصل منه إلى شيء، فبينا أنا عنده بين الظهر والعصر إذ أقبل إليه رسول الأمير فقال له: يا أبا بسطام، الأمير يقرأ عليك السلام ويقول لك: ما تقول في رجل ضرب رجلا على الرأس فادعى المضروب أنه قد منعه الشم؟ قال: فلم يكن عند شعبة جواب، فانصرف إلى جلسائه فقال لهم: ما تقولون في مسألة الأمير؟ فقالوا: وما هي؟ فأخبرهم، فلم يكن عند القوم جواب، فالتفت إلي فقال: ما اسمك؟ قلت: بقية، قال: إذا نزل بكم هذا إلى من ترجعون؟ قلت: إليك وإلى أمثالك، قال: دع هذا عنك إلى من ترجعون؟ قلت: إلى أبي عمرو عبد الحمن بن عمرو الأوزاعي[2]، قال: ما يقول في مسألة الأمير؟ قلت: أصلحك الله، يشمه الخردل المدقوق، فإن دمعت عيناه فكاذب، وإن لم تدمع عيناه فصادق. قال: فأفتى رسول الأمير بذلك. قال: وأقبل علي فحدثني في شهرين ما كنت أرضى أن يحدثنيه في ستة أشهر.

قدم شعبة بغداد مرتين وكان قدومه إحدى المرتين بسبب أخ له كان قد حبس في دين كان عليه، فجاء إلى المهدي في شأن أخيه. فقال سفيان الثوري: هوذا شعبة قد جاء إليهم، فبلغ شعبة فقال: هو لم يحبس أخوه. وكان أخوه اشترى طعاما من طعام السلطان، فخسر هو وشركاؤه، فحبس بستة آلاف دينار بحصته، فلما دخل شعبة على المهدي قال لهك يا أمير المؤمنين، أنشدني قتادة لأمية بن أبي الصلت يقول لعبد الله بن جدعان: أأذكر حاجتي أم قد كفاني..حياؤك ان شيمتك الحياء..كريم لا يعطله صباح..عن الخلق الكريم ولا مساء..فأرض أرض مكرمة بنوها..بنو تيم وأنت لهم سماء. فقال المهدي: لا يا أبا بسطام، لا تذكرها، قد عرفناها وقضيناها لك؛ ادفعوا إليه أخاه ولا تلزموه شيئا، ووهب له ثلاثين ألف درهم فقسمها، وأقطعه ألف جريب بالبصرة، فقدم فلم يجد شيئا يطيب له فتركها. وقال النضر بن شميل: ما رأيت أرحم بمسكين من شعبة؛ كان إذا رأى المسكين لا يزال ينظر إليه حتى يعطى. وكان يقول: والله لأنا في الشعر اسلم مني في الحديث، ولو أردت الله لما خرجت إليكم، ولو أردتم الله ما حييتموني، ولكنا نحب المدح ونكره الذم. ركب شعبة يوما حماره فلقيه سليمان بن المغيرة[3]فشكا إليه الفقر والحاجة، فقال: والله ما أملك غير هذا الحمار، ثم نزل عنه ودفعه إليه فابتيع بستة عشر درهما. قال أبو داود الطيالسي: كنا عند شعبة، فجاء سليمان بن المغيرة يبكي، قال: مات حماري، وذهبت مني الجمعة، وذهبت حوائجي. فقال شعبة: بكم أخذته ؟ قال: بثلاثة دنانير. قال شعبة: فعندي ثلاثة دنانير، والله ما أملك غيرها، ثم دفعها إليه.

■ (1) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الازدي، مولاهم، الواسطي ثم البصري، أبو بسطام: من أئمة رجال الحديث، حفظا ودراية وتثبتا. ولد ونشأ بواسط، وسكن البصرة إلى أن توفي. وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين، وجانب الضعفاء والمتروكين، قال الإمام أحمد: هو أمة وحده في هذا الشأن. وقال الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق. وكان عالما بالأدب والشعر، له كتاب الغرائب في الحديث. قيل ولد سنة 82 أو 83 ومات أول سنة 160هـ بالبصرة.

■ (2) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من كبار تابعي التابعين. ولقب بالأوزاعي نسبة إلى الأوزاع وهى بطن من ذي الكلاع باليمن. ولد سنة 88 هـ بقرية بعلبك فى لبنان وربته أمه يتيما، ثم استقر بدمشق. وقد برع الأوزاعي في تفسير القران الكريم، وحفظ الحديث، والأخبار، والمغازي، وكان صاحب مذهب ساد في الشام زمنا، ثم ما لبث أن ضعف انتشاره، بسبب انتشار المذهبين المالكي والشافعي اللذين حلا محله. وقد التزم الأوزاعي في فتاويه بالتوقف عند النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة. وللأوزاعي كتابان في الفقه، هما السنن والمسائل، وقد ضمن كتاب المسائل الفتاوى التي أفتى بها. توفى الأوزاعي سنة 157هـ في بيروت.

■ (3) سليمان بن المغيرة الامام الحافظ، القدوة، أبو سعيد القيسي، البصري، مولى بني قيس ابن ثعلبة، من بكر بن وائل. مات سليمان بن المغيرة سنة 165 هـ.

مراجع: تاريخ الإسلام للذهبي/ تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ سير أعلام النبلاء/

يروي الذهبي عن أبي سعد بن زكريا بن يحيى الطائي قال: كان بمكة شيخ من ولد سعيد بن عبد الملك بن مروان[1]، وكان يكنى أبا صفوان[2] وكان شيخا جميلا حسن الخضاب، فحدثني سنة أربع، أو في سنة خمس ومائتين (؟). قال: لقد رأيتني ولي أربع بنات، وما أملك قليلا ولا كثيرا، فحضر الموسم وما علي إلا أخلاق لي. فطرقتني جماعة من القرشيين فقالوا: يا أبا صفوان، إن أمير المؤمنين الرشيد كان اليوم ببطن مر*، وهو يصبحنا فهل لك أن تمضي فتلقاه بفخ* أو على العقبة* فتسأله. فمضيت معهم. فتلقيناه حين صلى الفجر، فكلمناه وقلنا له: يا أمير المؤمنين ناس من قومك جعنا وعرينا، فإن رأيت، أن تنظر لنا. فترك القوم ورماني ببصره. وقال: أنت ممن؟ قلت: من بني عبد مناف. قال: من أيهم قلت: نشدتك الله والرحم ألا تكشفني عن أكثر من هذا. قال: ويلك، من أي بني عبد مناف؟ فلما رأيت غضبه قلت: يا أمير المؤمنين رجلا من بني أمية. قال: من أي بني أمية قلت: من ولد مروان. قال: من أي ولد مروان؟ قلت: من ولد عبد الملك. فرأيت والله الغضب يتردد في وجهه، قال: ومن أي ولد عبد الملك؟ قلت: من ولد سعيد. قال: سعيد الشر؟ قلت: نعم. قال: أنخ. فأنيخت الجمازة*، ثم قال: علي بحماد[3]، وهو عامله على مكة. فأقبل بحماد فقال: ويها يا حماد. أوليك أمر قوم ويكون في ناحيتك مثل هذا ولا تطلعني عليه. فرأيت حمادا ينظر إلي نظر الجمل الصؤول* يكاد يأكلني. ثم قال: أثر يا غلام. فأثار الجمازة ومروا يطردونه، ورجعت وأنا أخزى خلق الله، وأخوفه من حماد، وانقمعت في داري. فلما كان جوف الليل أتاني أت وقال: أجب أمير المؤمنين. فودعت والله وداع الميت، وخرجت وبناتي ينتفن شعورهن ويلطمن. فأدخلت عليه، فسلمت، فرد علي وقال: حياك الله يا أبا صفوان. يا غلام، احمل مع أبي صفوان خمسة آلاف دينار. فأخذتها وجئت إلى بناتي فصببتها بين أيديهن. فوالله ما تم سرورنا حتى طرق الباب أن أجب أمير المؤمنين. قلت: والله بدا له في. فدخلت عليه، فمد يده إلى كتاب كأنه إصبع وقال: إلق حمادا بهذا الكتاب. فأخذته وصرت إلى بناتي فسكنت منهن، ثم أتيت حمادا وهو جالس عند المقام ينظر إلى الفجر، ويتوقع خروج أمير المؤمنين، وكان يغلس بالفجر، فلما نظر إلي كان يأكلني ببصره. فقلت: أصلح الله الأمير ليفرغ روعك، فقد جاءك الله بالأمر على ما تحب. فأخذ الكتاب مني، ومال إلى بعض المصابيح. فقرأه، ثم قال: يا أبا صفوان تدري ما فيه؟! قلت: لا والله. قال: اقرأه. فإذا فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، يا حماد لا تنظر إلى أبي صفوان إلا بالعين التي تنظر بها إلى الأولياء، وأجر عليه في كل شهر ثلاثة آلاف درهم. قال: فما زلت والله آخذها حياة الرشيد.

----

*(بطن مر) من نواحي مكة (وادي فخ) بمكة. قيل: وادي الزاهر دفن به أورع الصحابة وأشدهم اتباعا للنبي واقتفاء لآثاره عبد الله بن عمر بن الخطاب كذا قاله ابن حبان وغيره (العقبة) منطقة بمنى بمكة (الجماز) من الدواب السريع العدو الوثاب والجمازة الناقة تعدو الجمزى (الصؤول) الشديد الصول

■ (2) عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان الأموي أبو صفوان الدمشقي المحدث ذهبت به أمه أم جميل بنت عمرو بن عبد الله بن صفوان إلى مكة حين قتل أبوه بنهر أبي فطرس وذلك سنة 132 هـ توفي سنة 154هـ. له كتاب رحل البيت كتاب النوادر. غير أن الذهبي قال: وقد بقي وسمع منه أبو السكين الطائي بعد المائتين؟؟.

■ (3) حماد البربري، مولى هارون الرشيد، ولي اليمن ومكة سنة 184 هـ وعزل. سمعت يحيى يقول كان زكريا بن منظور قد ولي القضاء فقضى على حماد البربري فلذلك حمله هارون إلى الرقة بذاك السبب وليس بثقة

■ (1) سعيد بن عبد الملك بن موران: أمير، من بني مروان، من أهل دمشق. كان حسن السيرة متعبدا. ولي الغزو في خلافة أخيه هشام، وولي فلسطين للوليد. وكان عاملا على الموصل وإليه تنسب سوق سعيد فيها وقتل يوم نهر أبي فطرس قرب الرملة، بفلسطين سنة132 هـ وكان يقال له سعيد الخير. وهو الذي حفر نهر سعيد بقرب الرقة، وأقام العمران فيما حوله.

قال محمد بن صامل السلمي: سنة التمكين بحاجة إلى فقه المسلمين لها والعمل على نشر هذا الفقه بينهم لأنه وسيلتهم في الانتصار على العدو إذا أخذوا بأسباب التمكين والثبات على المنهج الرباني فالتمكين في الأرض هبة من الله وفق مشيئته لمن سلك الأسباب الشرعية المؤدية إليه قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران] فالتمكين بيد الله سبحانه وتعالى وتحت مشيئته وقد قضى بعدله ورحمته أن التمكين الدائم هو لأهل طاعته لكن لا يحصل إلا بتحقق شروط والقيام بواجبات وانتفاء موانع. قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور] فالذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين صححوا معتقدهم وأقاموه على وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وطريقة السلف الصالح وفهمهم ثم قاموا بعمل الواجبات الشرعية والالتزام بها وابتعدوا عن الشرك وتوابعه هؤلاء قد وعدوا من الله وعدا لا يخلف بأنه يستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم من أتباع الرسل عليهم السلام ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الإسلام. وتمكين الدين يكون: بتمكينه في القلوب وبنشره وتعليمه وبتمكينه من تصريف أمور الحياة والهيمنة عليها وذلك بمراعاة أحكامه وتنفيذها في الواقع فإذا فعلوا ذلك فقد اكتسبوا شروط التمكين وحصل لهم الأمن والاستخلاف وانتفى عنهم الخوف. ثم كرر سبحانه الشرط الأساسي في الاستخلاف وأكد عليه بقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور] ثم قال سبحانه وتعالى في الآية التي بعدها: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور] فهذه هي عدة النصر ومتطلبات التمكين كما قال جل شأنه: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج] فهذا هو واجب من مكنه الله وأعطاه سلطة وقدرة أن يقوم بتنفيذ شرع الله وحراسته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يستمر تمكين الله له فإن الأمور كلها بيد الله ويعطيها سبحانه وتعالى من يستحقها ممن قام بعبادته وحده ونفذ شرعه في واقع حياته فالتمكين ليس من أجل الحكم والملك والغلبة وقهر الآخرين والاستئثار بالدنيا إنما هو من أجل استخدامه في الإصلاح والبناء وتحقيق المنهج الذي ارتضاه الله لعباده ودفع الظلم والفساد وتحقيق العدل بين العباد. وقد يحصل التمكين المؤقت لمن يمتلك أسبابه المادية لكنه لن يكون تمكينا تاما ولن يكون مستمرا بل تتتابه الشرور والمنغصات ولن يكون فيه الأمن الحقيقي ولا البركة في الأرزاق والأولاد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه] وهذه السنن الثلاث: الابتلاء المدافعة للباطل التمكين: بينها ترابط فإن أهل الإيمان الحق يبتلون في أنفسهم وأهليهم ويعاديهم أهل الباطل من المشركين والمنافقين والعصاة فإذا ثبتوا على الحق ودافعوا أهل الباطل وسعوا في كشفه وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كتب الله لهم التمكين والنصر وأبدلهم بعد خوفهم أمنا ومن بعد شدتهم رخاء وهذه السراء من البلاء الذي يختبرون به فلا بد من مراعاة حق الله وحق عباده والقيام بذلك في كل الأحوال في السراء وفي الضراء حتى يستمر لهم التمكين والنصر في الدنيا ويستحقون الجزاء الأخروي في جنات النعيم وإن هم أعرضوا وأخلوا بشروط التمكين فإن سنة الله الأخرى تنتظرهم وتحيق بهم وهي سنة الاستبدال عندما تفقد الأمة صلاحية الاستمرار قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد] والمتأمل في وقائع السيرة النبوية وسير الدعوة يرى التعامل مع هذه السنن والوعي بها واضحا حتى كتب الله لهم النصر والتمكين.

☪

ذكر بعض العلماء أن العين حق، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أثبته، والهند والفرس تتدين به، وكذلك اليونانيون، ويذكرون أنه بخار ينصل من العين والجوف فيدخل في المعيون، ولهذا كرهوا الأكل بين يدي السباع والكب والسنور، ورأوا أن يشغلوا السباع عند أكلمهم بشيء يرمى به، لئلا ينفصل بخار رؤيته فيؤثر في المعيون. قالوا: ومثل تأثير العائن في المعيون نظر الرجل إلى العين المحمرة فتحمر عينه، والطامث تدنو من إناء اللبن لتسوطه فتفسده. وصعد سليمان بن عبد الملك المنبر يوم الجمعة وقد غلف لحيته بالغالية وقال: أنا الملك الشاب! فأصابته عين فما جمع بعدها. وكان المعدل ابن غيلان العبدي شديد العين، دخل يوما على جعفر بن سليمان فاستحسن أكله، فعانه فاقشعر جلده فقال: لدمني المعدل بعينه! فخرج عبد الله بن جعفر ليقتله فطار واستخفى. وكتب إلى جعفر: لو كنت أخشى أن أعينك قلعتها أتعين عيني نورها؟ وكان ابن الزبير ومعاوية يتسايران، فأبصرا راكبا من بعيد فقال ابن الزبير: هو فلان، فلما قدم كان إياه فقال معاوية: ما أحسن هذه الحدة مع الكبر! فقال: برك يا أمير المؤمنين، فسكت فقال ابن الزبير: ما أحسن هذه الثنايا واطرأ هذا الوجه! فقال معاوية: برك! فسكت فافترقا فشكا ابن الزبير عينه، ثم شارفت الذهاب وسقطت ثنيتا معاوية، فالتقيا بعد ذلك بسنة فقال معاوية: يا أبا بكر أينا أشوه؟ فقال: رجل معين أصابته العين وشأنه ومشوه وشقذ شديد الإصابة بالعين.

مراجع: تاريخ الإسلام للذهبي/ الأعلام للزركلي/ تاج العروس/ مجلة جامعة أم القرى/ محاضرات الأدباء/

روى السيد المرتضى في أماليه: الدرر والغرر بسنده إلى الأصمعي[1] أنه قال: تصرفت بي الأسباب على باب الرشيد مؤملا للظفر به والوصول إليه حتى إني صرت لبعض حرسه خدينا* فإني في بعض ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال: أما بالحضرة أحد يحسن الشعر؟ فقلت: الله أكبر، رب قيد مضيق قد حله التيسير، فقال لي الخادم: ادخل فلعلها أن تكون ليلة يغرس في صباحها الغنى إن فزت بالخطوة عند أمير المؤمنين. فدخلت فواجهت الرشيد في مجلسه والفضل بن يحيى[2] إلى جانبه فوقف بي الخادم حيث يسمع التسليم فسلمت، فرد علي السلام، ثم قال: يا غلام، أرحه ليفرخ روعه إن كان وجد للروعة حسا، فدنوت قليلا، ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إضاءة مجدك وبهاء كرمك مجيران لمن نظر إليك من اعتراض أذية، فقال: ادن. فدنوت فقال: أشاعر أم راوية؟ فقلت: راوية لكل ذي جد وهزل بعد أن يكون محسنا، فقال: تا لله ما رأيت ادعاء أعظم من هذا فقلت: أنا على الميدان فأطلق من عناني يا أمير المؤمنين فقال: قد أنصف القارة من راماها ثم قال: ما المعنى في هذه الكلمة بديئا؟ فقلت: فيها قولان: القارة هي الحرة من الأرض، وزعمت الرواة أن القارة كانت رماة للتبابعة والملك، إذ ذاك أبو حسان، فواقف عسكره وعسكر السغد، فخرج فارس من السغد وقد وضع سهمه في كبد قوسه فقال: أين رماة العرب؟ فقالت العرب: أنصف القارة من راماها. فقال لي الرشيد: أصبت، ثم قال: أتروي لرؤبة بن العجاج[3]، والعجاج شيئا؟ فقلت: هما شاهدان لك بالقوافي، وإن غيبا عن بصرك بالأشخاص؛ فأخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال: أنشدني: الراجز: أرقني طارق هم أرقا، فمضيت فيها مضي الجواد في سنن ميدانه تهدر بها أشداقي فلما صرت إلى مديحه لبني أمية ثنيت لساني إلى امتداحه لأبي العباس[4](؟) في قوله: قلت لزير لم تصله مريمه، فلما رآني قد عدلت من أرجوزة إلى غيرها قال: أعن حيرة أم عن عمد؟ قلت: عن عمد تركت كذبه إلى صدقه فيما وصف به جدك من مجده، فقال الفضل: أحسنت بارك الله فيك، مثلك يؤهل لمثل هذا المجلس، فلما أتيت على آخرها، قال لي الرشيد: أتروي كلمة عدي بن الرقاع[5]: عرف الديار توهما فاعتادها ؟، قلت: نعم. قال: هات. فمضيت فيها حتى إذا صرت إلى وصف الجمل، قال لي الفضل : ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعنا به من السهر في ليلتنا هذه بصفة جمل أجرب، فقال له الرشيد: اسكت، فالإبل هي التي أخرجتك من دارك، واستلبت تاج ملكك، ثم ماتت وعملت جلودها سياطا ضربت بها أنت وقومك، فقال الفضل: لقد عوقبت على غير ذنب، والحمد لله، فقال الرشيد: أخطأت، الحمد لله على النعم، ولو قلت: وأستغفر الله كنت مصيبا. ثم قال لي: امض في أمرك. فأنشدته حتى إذا بلغت إلى قوله:تزجي أغن كأن إبرة روقه، استوى جالسا ثم قال:أتحفظ في هذا ذكرا؟ قلت: نعم، ذكرت الرواة أن الفرزدق[6]قال: كنت في المجلس وجرير[7] إلى جانبي فلما ابتدأ عدي في قصيدته قلت لجرير مسرا إليه: هلم نسخر من هذا الشامي. فلما ذقنا كلامه يئسنا منه، فلما قال: تزجي أغن كأن إبرة روقه، وعدي كالمستريح قال جرير: أما تراه يستلب بها مثلا! فقال الفرزدق: يا لكع، إنه يقول: قلم أصاب من الدواة مدادها، فقال عدي: قلم أصاب من الدواة مدادها، فقال جرر: أكان سمعك مخبوءا في صدره!، فقال له: اسكت شغلني سبك عن جيد الكلام، فلما بلغ إلى قوله: ولقد أراد الله إذ ولاكها..من أمة إصلاحها ورشادها. قال الأصمعي: فقال لي: ما تراه قال حين أنشده الشاعر هذا البيت؟ قلت: قال: كذاك أراد الله. فقال الرشيد: ما كان في جلالته ليقول هذا، أحسبه قال: ما شاء، قلت: وكذا جاءت الرواية.

فلما أتيت على آخرها، قال: أتروي لذي الرمة[8]شيئا؟ قلت: الأكثر. قال: فما أراد بقوله: ممر أمرت فتله أسدية..ذراعية حلالة بالمصانع. قلت: وصف حمار وحش، أسمنه بقل روضة تواشجت أصوله، وتشابكت فروعه، من مطر سحابة كانت بنوء الأسد ثم في الذراع من ذلك. فقال الرشيد: أرح، فقد وجدناك ممتعا، وعرفناك محسنا. ثم قال: أجد ملالة، ونهض، فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في رجله، وكانت عربية، فقال الرشيد: عقرتني يا غلام، فقال الفضل: قاتل الله الأعاجم، أما إنها لو كانت سندية لما احتجت إلى هذه الكلمة. فقال الرشيد: هذه نعلي ونعل آبائي كم تعارض، فلا تترك من جواب ممض!، ثم قال: يا غلام، يؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا الرجل في ليلته هذه، ولا يجب في المستأنف . فقال الفضل: لولا أنه مجلس أمير المؤمنين، ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمثل ما أمر لك، وقد أمرت لك به إلا ألف درهم، فتلقى الخادم صباحا. قال الأصمعي: فما صليت من غد إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف درهم.

---

*(الخدين) الصديق(أبو العباس(؟)) في العقد الفريد قال: المنصور؟

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، له تصانيف كثيرة فى اللغة والشعر منها الأصمعيات. ولد في البصرة سنة 122 هـ وتوفي سنة 216 هـ .كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان هارون الرشيد يسميه شيطان الشعر. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

(2) أبو العباس، الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد.وكان ابنه الفضل من رجال الكمال، ولي إمرة خراسان، وعمل الوزارة، وكان فيها ـ قيل ـ أسخى من أخوه جعفر البرمكي، ولكنه يضرب بكبره وتيهه المثل، وكان أخا للرشيد من الرضاعة وعمل الوزارة مدة لهارون، ثم حولها منه إلى جعفر، واستعمل على المشرق كله هذا، واستعمل جعفرا على المغرب كله. ولد الفضل البرمكي سنة 176 هـ وتوفي بالسجن سنة 193 هـ.

(6) همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن طائفة.ولد سنة 38 هـ وتوفي في البصرة سنة 110 هـ.

(7) أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفي، واسمه حذيفة، والخطفي لقبه، ابن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر التميمي الشاعر المشهور؛ كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل. ولد باليمامة سنة 33 هـ وتوفي سنة 110 هـ.

(8) غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث، ذو الرمة: شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره. قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. وكان شديد القصر، دميما، يضرب لونه إلى السواد. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين. وكان مقيما بالبادية، يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيرا. وامتاز بإجادة التشبيه. قال جرير: لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته: ما بال عينك منها الماء ينسكب. لكان أشعر الناس. وقال الاصمعي: لو أدركت ذا الرمة لاشرت عليه أن يدع كثيرا من شعره، فكان ذلك خيرا له. وعشق مية المنقرية واشتهر بها. توفي بأصبهان، وقيل: بالبادية. سنة 117 هـ

(5) عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، من عاملة: شاعر كبير، من أهل دمشق، يكنى أبا داود. كان معاصرا لجرير، مهاجيا له، مقدما عند بني أمية، ومداحا لهم، خاصا بالوليد بن عبد الملك. لقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام. مات في دمشق سنة 95 هـ. وهو صاحب مالبيت المشهور: تزجي أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها.

(3) رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحاف، أو أبو محمد: راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة. مات في البادية، في أيام المنصور سنة145 هـ وقد أسن. وله ديوان رجز وفي الوفيات: لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة.

(4) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، السفاح، يكنى أبا العباس ويقال له أيضا المرتضى والقائم.وعبد الله الأصغر بن محمد. ولد بالشراة، سنة 105 هـ، وهو أول ملوك بني العباس بويع بالكوفة، وكان أصغر سنا من أخيه أبي جعفر. بويع السفاح، ليلة الجمعة13 ربيع الآخر من سنة 132 هـ، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء11 ربيع الآخر سنة 132 هـ، وقيل: في النصف من شهر جمادي الآخرة من هذه السنة، وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية، وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة، فخطب على المنبر قائما، وكانت بنو أمية تخطب قعودا، فضج الناس وقالوا: أحييت السنة يا ابن عم رسول الله، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما، ومات بالجدري بالأنبار في مدينته التي بناها، وذلك في يوم الأحد12 ذي الحجة سنة 136 هـ وصلى عليه عيسى بن علي، ودفن بالأنبار، وهو ابن 33 سنة، وقيل: ابن 29 سنة، وكانت امه تحت عبد الملك بن مروان، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح، وعبيد الله، وداود، وميمونة.

قال الأصمعي: ما بلغت الحلم حتى رويت اثني عشر ألف أرجوزة للأعراب. وكان خلف الأحمر[1] أروى الناس للشعر وأعلمهم بجيده.وقيل للأصمعي: ما يمنعك من قول الشعر؟ قال: نظري لجيده.

---

(1) خلف الاحمر، خلف بن حيان، أبو محرز، المعرو ف بالاحمر: راوية، عالم بالادب، شاعر، من أهل البصرة. كان أبواه موليين من فرغانة، أعتقهما بلال بن أبي موسى الاشعري. قال معمر بن المثنى: خلف الاحمر معلم الاصمعي ومعلم أهل البصرة. وقال الاخفش: لم أدرك أحدا أعلم بالشعر من خلف والاصمعي. وكان يضع الشعر وينسبه إلى العرب، قال صاحب مراتب النحويين: وضع خلف على شعراء عبد القيس شعرا كثيرا، وعلى غيرهم، عبثا به، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة. مات نحو 180 هـ

مراجع:خزانة الأدب/ الأعلام للزركلي/ أمالي ابن المزرع/ نور القبس/ العقد الفريد/

ذكر الأصمعي[1] أنه دخل على الرشيد -قال: وكنت قد غبت عنه بالبصرة حولا- فسلمت عليه بالخلافة، فأشار إلي بالجلوس فجلست حتى خف الناس، ثم قال: يا أصمعي، ألا تحب أن ترى محمدا[2] وعبد الله[3] ابني؟ قلت: بلى، يا أمير المؤمنين، إني لأحب ذلك، وقد أردت القصد إليهما لأسلم عليهما. ثم قال الرشيد: علي بمحمد وعبد الله، فانطلق الرسول، فأقبلا كأنهما قمرا أفق، قد قاربا خطاهما ورميا ببصرهما الأرض حتى وقفا على أبيهما فسلما عليه بالخلافة، فأومأ لهما فجلس محمد عن يمينه وعبد الله عن شماله، ثم أمرني بمطارحتهما الأدب، فكنت لا ألقى عليهما شيئا من فنون الأدب إلا أجابا فيه وأصابا. فقال: كيف ترى أدبهما؟ قلت: يا أمير المؤمنين، ما رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة فهمهما وذهنهما، فأطال الله بقاءهما ورزق الأمة رأفتهما. فضمهما إلى صدره، وسبقته عبرته فبكى حتى تحدرت دموعه على لحيته، ثم أذن لهما في القيام، فنهضا حتى إذا خرجا قال: يا أصمعي، كيف بهما إذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما، ووقع بأسهما بينهما، حتى تسفك الدماء، ويود كثير من الأحياء أن لو كان في الأموات؟ قلت: يا أمير المؤمنين، هذا شيء قضى به المنجمون عن مولدهما، أو شيء أثرته العلماء في أمرهما؟! قال: بل شيء أثرته العلماء عن الأوصياء. قال الصولي[4]: وكان الرشيد يسمع ما يجري بينهما جميعه من موسى بن جعفر الصادق[5]، ولذلك قال ما قال. قال الأصمعي: بينما أنا أسامر الرشيد ذات ليلة إذ رأيته قد قلق قلقا شديدا فكان يقعد مرة ويضطجع مرة ويبكي آخرى ثم أنشا يقول: قلد أمورعباد الفه ذا ثقة..موحد الرأي لا نكس ولا برم..واترك مقالة أقوام ذوي خطل..لا يفهمون إذا ما معشر فهموا. فلما سمعت منه ذلك علمت أنه يريد أمرا عظيما، ثم قال لمسرور الخادم: علي بيحيى[6] فما لبث أن أتاه فقال: يا أبا الفضل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات في غير وصية والإسلام جذع، والإيمان جديد، وكلمة العرب مجتمعة، قد آمنها الله تعالى بعد الخوف، وأعزها بعد الذل، فما لبث إن ارتد عامة العرب على أبي بكر، وكان من خبره ما قد علمت، وأن أبا بكر صير الأمر إلى عمر، فسلمت الأمة له، ورضيت بخلافته، ثم صيرها عمر شورى فكان بعده ما قد بلغك من الفتن حتى صارت إلى غير أهلها، وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره إلى من أرضى سيرته، وأحمد طريقته، وأثق بحسن سياسته، وأمن ضعفه ووهنه، وهو عبد الله، وبنو هاشم مائلون إلى محمد بأهوائهم، وفيه ما فيه من الإنقياد لهواه، والتبذير لما حوته يده، ومشاركة النساء والإماء في رأيه، وعبد الله المرضي الطريقة، الأصيل الرأي، الموثوق به في الأمر العظيم، فإن ملت إلى عبد الله أسخطت بني هاشم، وإن أفردت محمدا أبالأمر لم أمن تخليطه على الرعية. فأشر علي في هذا الأمر برأيك مشورة يعم فضلها ونفعها، فإنك بحمد الله مبارك الرأي لطيف النظر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كل زلة مستقالة وكل رأي يتلافى خلا هذا العهد، فإن الخطأ فيه غير مأمون، والزلة فيه لا تستدرك، وللنظر فيه مجلس غير هذا، فعلم الرشيد أنه يريد الخلوة، فأمرني بالتنحي، فقمت وقعدت ناحية بحيث أسمع كلامهما، فما زالا في مناجاة ومناظرة طويلة حتى مضى الليل، وافترقا على إن عقد الأمر لعبد الله بعد محمد. ودخلت أم جعفر[7] على الرشيد فقالت: ما أنصفت ابنك محمدا حيث وليته العراق وأعريته عن العمد والقواد، وصيرت ذلك إلى عبد الله دونه، فقال لها: وما أنت وتميز الاعمال واختبار الرجال؟ إني وليت ابنك السلم، وعبد الله الحرب، وصاحب الحرب أحوج إلى الرجال من المسالم، ومع هذا فإنا نتخوف ابنك على عبد الله، ولا نتخوف عبد الله على إبنك إن بويع. قال الرياشي: قال الأصمعي: دخلت على الرشيد وهو ينظر في كتاب ودموعه تنحدر على خديه، فظللت قائما حتى سكن، وحان منه التفاتة فقال: أجلس يا أصمعي، أرأيت ما كان؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: أما والله لو كان لأمر الدنيا ما رأيت هذا، ورمى بقرطاس فإذا فيه شعر لأبي العتاهية بخط جليل، وهو: هل أنت معتبر بمن خليت..منه غداة مضى دساكره..وبمن أذل الموت مصرعه..فتبرأت منه عشائره..وبمن خلت منه أسرته..وبمن خلت منه منابره..أين الملوك وأين غيرهم؟..صاروا مصيرا أنت صائره..يا مؤثر الدنيا بلذته..والمستعد لمن يفاخره..نل ما بدا لك إن تنال من الدنيا فإن الموت آخره. ثم قال الرشيد: كأني والله أخاطب بذلك دون الناس فلم يلبث بعد إلا يسيرا حتى مات.

----

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، له تصانيف كثيرة فى اللغة والشعر منها الأصمعيات. ولد في البصرة سنة 122 هـ وتوفي سنة 216 هـ .كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان هارون الرشيد يسميه شيطان الشعر. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

(5) موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أبو الحسن: سابع الائمة الاثنى عشر، عند الامامية. كان من سادات بني هاشم، ومن أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الاجواد. ولد في الابواء قرب المدينة وسكن المدينة، فأقدمه المهدى العباسي إلى بغداد، ثم رده إلى المدينة. وبلغ الرشيد أن الناس يبايعون للكاظم فيها، فلما حج مر بها سنة 179 هـ فاحتمله معه إلى البصرة وحبسه عند واليها عيسى ابن جعفر، سنة واحدة، ثم نقله إلى بغداد فتوفى سجينا، وقيل: قتل. وكان على زى الاعراب، مائلا إلى السواد. وفى فرق الشيعة فرقة تقول: إنه القائم المهدى وفرقة أخرى تسمى الواقفة تقول: إن الله رفعه إليه وسوف يرده. توفي سنة 183 هـ

(3) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

(2) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة198 هـ

(7) أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أم الأمين بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، أعرس بها هارون سنة 165 في قصره المعروف بالخلد. ووفاتها سنة 216 هـ ببغداد، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة 186 هـ.

(4) محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول،أبو بكر، الصولي البغدادي، صاحب التصانيف. وله النظم والنثر وكثرة الاطلاع. نادم جماعة من الخلفاء وكان حلو الايراد، مقبول القول، حسن المعتقد، خرج عن بغداد لاضافة لحقته بأخرة، وله جزء سمعناه، وكان جدهم صول ملك جرجان. توفي الصولي سنة 335 هـ. فذكر محمد بن إسحاق النديم أن الصولي نادم الراضي، وكان أولا يعلمه، وكان ألعب أهل زمانه بالشطرنج، ويضرب به المثل. توفي بالبصرة مستترا، لانه روى خبرا في حق علي عليه السلام، فطلبته العامة لتقتله. والصولي الكبير إبراهيم بن العباس الاديب هو أخو عبد الله جد أبي بكر هذا.

(6) يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل: يحيى البرمكي الوزير السري الجواد، سيد بني برمك وأفضلهم. وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه. رضع الرشيد من زوجة يحيى مع ابنها الفضل، فكان يدعوه: يا أبي ! وأمره المهدي سنة 163 هـ وقد بلغ الرشيد الرابعة عشرة من عمره، أن يلازمه، ويكون كاتبا له، وأكرمه بمئة ألف درهم، وقال: هي معونة لك على السفر مع هارون. ولما ولي هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى، وقلده أمره، فبدأ يعلو شأنه. واشتهر يحيى بجوده وحسن سياسته. واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة فقبض عليه وسجنه في الرقة إلى أن مات سنة 190 هـ، فقال الرشيد: مات أعقل الناس وأكملهم. أخباره كثيرة جدا. قال المسعودي: كانت مدة دولة البرامكة وسلطانهم وأيامهم النضرة الحسنة، من استخلاف هارون الرشيد إلى أن قتل جعفر بن يحيى، سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما. ويستفاد من كشف الظنون أن أول من عني بتعريب المجسطي يحيى بن خالد، فسره له جماعة ولم يتقنوه فأتقنه بعدهم بعض أصحاب بيت الحكمة. ومن كلام يحيى لبنيه: اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون.

☪

قال في قلادة النحر: إن المأمون مر يوما على زبيدة أم الأمين فرآها تحرك شفتيها بشيء لا يعرفه، فقال لها: يا أماه أتدعين علي أن قتلت ابنك وسلبته، فما كان الباغي إلا ابنك، وإن لكل باغ مصرعا. قالت: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: فما الذي قلت؟ قالت: يعفيني أمير المؤمنين. فألح عليها قال: ولا بد أن تقوليه. قال: قلت: قبح الله اللجاج والملاحة. قال وكيف ذلك؟ قالت: إني لألعب يوما مع أمير المؤمنين الرشيد الشطرنج على الحكم والرضا فغلبني، فأمرني أن أتجرد من أثوابي وأطوف القصر عريانة، فاستعفيته فلم يعفني، فتجردت من ثيابي وطفت القصر عارية. ثم عاودنا اللعب فغلبته، فأمرته أن يذهب إلى المطبخ فيطأ أقبح جارية أشوهها خلقة، فاستعفاني فلم أعفه، فبذل لي خراج مصر والعراق، فأبيت وقلت: والله لتفعلن ذلك فأبى، فألححت عليه وأخذت به، وجئت به إلى المطبخ، فلم أر جارية أقبح ولا أقذر ولا أنتن ريحا ولا أشوه خلقة من أمك مراجل، فأمرته أن يطأها فوطئها، فعلقت منه بك، فكنت سببا لقتل ولدي وسلبه ملكه، فولي المأمون وهو يقول: لعن الله الملاحة.أقول: نعم لعن الله الملاحة؛ إذ إلحاحه على زبيدة كان سبب سماع هذا الكلام المؤلم.وذكر عن الكسائي أنه قال: لما ولاني الرشيد تأديب ابنيه الأمين والمأمون كنت أشدد عليهما في الأدب وآخذهما أخذا شديدا خصوصا الأمين، فأتتني ذات يوم خالصة أمة زبيدة فقالت: إن السيدة تقرئك السلام وتقول لك:حاجتي أن ترفق بابني محمد، فقلت قولي لها: إن محمدا مرشح للخلافة بعد أبيه، ولا يجوز التقصير في حقه. قالت خالصة: إن لرقة السيدة سببا أنا أخبرك به، إنها في الليلة التي ولدته فيها أريت في منامها كأن أربع نسوة أقبلن عليه فاكتنفنه من جهاته الأربع، فقالت التي بين يديه: ملك قليل العمر، ضيق الصدر، عظيم الكبر، واهي الأمر، شديد الغدر.وقالت التي من خلفه: قصاف، مبذر متلاف، قليل الإنصاف كثير الإسراف وقالت التي عن يمينه: ملك عظيم الحطم، قليل اللحم كثير الإثم، قطوع الرحم. وقالت التي عن شماله: ملك غدار، كثير العثار، سريع الدمار.ثم بكت خالصة وقالت: يا كسائي،هل ينفع الحذر مع القدر؟ قلت:لا والله.

☪

وكتبت زبيدة زوجة الرشيد إلى المأمون: كل ذنب يا أمير المؤمنين وإن عظم صغير في جنب عفوك وكل إساءة وإن جلت يسيرة لدى حلمك وذلك الذي عودكه الله أطال مدتك وتمم نعمتك وأدام بك الخير ودفع عنك الشر والضير. وبعد فهذه رقعة الولهى التي ترجوك في الحياة لنوائب الدهر وفي الممات لجميل الذكر فإن رأيت أن ترحم ضعفي واستكانتي وقلة حيلتي وأن تصل رحمي وتحسب فيما جعلك الله له طالبا وفيه راغبا: فافعل: وتذكر من لو كان حيا لكان شفيعي إليك.وكتب إليها المأمون جواب المواساة الآتي: وصلت رقعتك يا أماه أحاطك الله وتولاك بالرعاية ووقفت عليها وساءني (شهد الله) جميع ما أوضحت فيها لكن الأقدار نافذة والأحكام جارية والأمور متصرفة المخلوقون في قبضتها لايقدرون على دفاعها والجنيا كلها إلى شتات وكل حي إلى ممات والغدر والبغي حتف الإنسان والمكر راجع إلى صاحبه. وقد أمرت برد جميع ما أخذ لك ولم تفقدي ممن مضى إلى رحمة الله إلا وجهه.. وأنا بعد ذلك لك علي أكثر مما تختارين والسلام.

☪

قال الأصمعي: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ﴾ لأنه لم يكن يلحن، فما رويت عنه، ولحنت فيه كذبت عليه. قال أبو قلابة: سألت الأصمعي، فقلت: يا أبا سعيد، ما قول: أحق بسقبه -يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الجَارُ أَحَقُّ بِسَقَبِهِ﴾ فقال: أنا لا أفسر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن العرب تقول: السقب اللزيق. وسئل عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم:﴿جاءكم أهل اليمن، وهم أبخع أنفسا﴾ قال: يعني أقتل أنفسا، ثم أقبل على نفسه كاللائم لها، فقال: ومن أخذني بهذا، وما علمي به؟ وكان يتقي أن يفسر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتقي أن يفسر القرآن. قال أبو حاتم السجستاني: أهديت إلى الأصمعي قدحا من هذه السجزية، فجعل ينظر إليه ويقول: ما أحسنه. فقلت: إنهم يزعمون أن فيه عرقا من الفضة، فردع علي، وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يشرب في آنية الفضة. قال الأصمعي: من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا. وقال: بلغت ما بلغت بالعلم، ونلت ما نلت بالملح. وقال: مررت بصنعاء اليمن على مزرعة، وبجنبها عين، وإذا غلام قد ملأ قربته، وهو متعلق بعراها، وهو يصيح: يا أبه، يا أبه، فاها، فاها، غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها؛ وإذا به قد أتى بوجوه الإعراب في حال الرفع والنصب والخفض.

مراجع: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ الأعلام للزركلي/ مروج الذهب/ تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ جواهر الأدب/

حدث أبو حاتم عن الأصمعي[1] قال: دخلت على الرشيد هارون ومجلسه حافل، فقال: يا أصمعي، ما أغفلك عنا وأجفاك لحضرتنا! قلت: والله يا أمير المؤمنين ما لاقتني بلاد بعدك حتى أتيتك، قال: فأمرني بالجلوس، فجلست وسكت عني، فلما تفرق الناس إلا أقلهم نهضت للقيام، فأشار إلي أن اجلس فجلست حتى خلا المجلس ولم يبق غيري ومن بين يديه من الغلمان، فقال: يا أبا سعيد، ما معنى قولك ما لاقتني بلاد بعدك؟ قلت: ما أمسكتني يا أمير المؤمنين، وأنشدت قول الشاعر: كفاك كف ما تليق درهما..جودا، وأخرى تعط بالسيف دما أي: ما تمسك درهما، فقال: أحسنت، وهكذا فكن، وقرنا في الملا، وعلمنا في الخلا، فإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالما، إما أن أسكت فيعلم الناس أني لا أفهم إذ لم أجب، وإما أن أجيب بغير الجواب فيعلم من حولي أني لم أفهم ما قلت، قال الأصمعي: فعلمني أكثر مما علمته. وفي رواية قال: قدمت على الرشيد، فاستبطأني، فقلت: ما لاقتني أرض حتى رأيت أمير المؤمنين، فلما خرج الناس، قال: ما معنى ما لاقتني؟ قلت: ما ألصقتني بها، ولا قبلتني، فقال: هذا حسن، ولكن لا تكلمني بين يدي الناس إلا بما أفهمه، حتى أجد جوابه، فإذا خلوت فقل ما شئت، وإنه لقبيح بالسلطان أن يسمع ما لا يدري، فإما أن يسكت ويعلم الناس أنه ما فهم، أو يجيب بغير الجواب، فيتحقق عندهم ذلك، فقلت: قد والله أفسدت إفسادا في أمير المؤمنين عن التأدب أكثر مما أفسدته، وقال: قال لي المأمون أيام الرشيد: لمن هذا البيت؟: ما كنت إلا كلحم ميت..دعا إلى أكله اضطرار. فقلت: لابن عيينة المهلبي[2]، فقال: كلام شريف، ثم قال لي: يا أصمعي، كأنه من قول الشاعر: وأن يقوم سوده كالفاقة..إلى سيد لو يظفرون بسيد. فقلت له: والله جاؤا به الأمير، وعجبت من فهمه مع صغر سنه.

قال الأصمعي: ذكرت يوما للرشيد نهم سليمان بن عبد الملك، وقلت: إنه كان يجلس ويحضر بين يديه الخراف المشوية وهي كما أخرجت من تنانيرها، فيريد أخذ كلاها فتمنعه الحرارة، فيجعل يده في طرف جبهته ويدخلها في جوف الخروف فيأخذ كلاه، فقال لي: قاتلك الله ما أعلمك بأخبارهم! اعلم أنه عرضت علي ذخائر بني أمية، فنظرت إلى ثياب مذهبة ثمينة وأكمامها وذكة بالدهن، فلم أدر ما ذلك حتى حدثتني بالحديث، ثم قال: علي بثياب سليمان، فأتي بها، فنظر إلى تلك الآثار فيها ظاهرة فكساني منها حلة، وكان الأصمعي ربما خرج فيها أحيانا فيقول: هذه جبة سليمان التي كسانيها الرشيد.

وحكى محمد بن هبيرة قال: قال الأصمعي للكسائي[3] وهما عند الرشيد: ما معنى قول الراعي: قتلوا ابن عفان الخليفة محرما..ودعا فلم أر مثله مخذولا. قال الكسائي: كان محرما بالحج، قال الأصمعي: ما أراد عدي بن زيد بقوله: قتلوا كسرى بليل محرما..فتولى لم يمتع بكفن. هل كان محرما بالحج وأي إحرام لكسرى فقال الرشيد للكسائي: إذا جاء الشعر فإياك والأصمعي. قال الأصمعي: قوله محرما في حرمة الإسلام ومن ثم قتل مسلما محرما، أي لم يحل في نفسه شيئا يوجب القتل؛ وقوله محرما في كسرى يعني حرمة العهد الذي كان في عنق أصحابه.

وحكى المبرد أيضا قال: مازح الرشيد أم جعفر فقال لها: كيف أصبحت يا أم نهر؟ فاغتمت لذلك ولم تفهم معناه، فأنفذت إلى الأصمعي تسأله عن ذلك، فقال: الجعفر النهر الصغير، وإنما ذهب إلى هذا، فطابت نفسها.

وقال أبو بكر النحوي: لما قدم الحسن بن سهل[4] العراق قال: أحب أن أجمع قوما من أهل الأدب، فأحضر أبا عبيده والأصمعي ونصر بن علي الجهضمي[5]، وحضرت معهم فابتدأ الحسن فنظر في رقاع بين يديه للناس في حاجاتهم، فوقع عليها، فكانت خمسين رقعة ثم أمر فدفعت إلى الخازن، ثم أقبل علينا فقال: قد فعلنا خيرا، ونظرنا في بعض ما نرجو نفعه من أمور الناس والرعية، فنأخذ الآن في ما نحتاج إليه، فأفضنا في ذكر الحفاظ، فذكرنا الزهري[6] وقتادة[7] ومررنا، فالتفت أبو عبيدة فقال: ما الغرض أيها الأمير في ذكر من مضى وبالحضرة ها هنا من يقول ما قرأ كتابا قط فاحتاج إلى أن يعود فيه ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه فالتفت الأصمعي وقال: إنما يريدني بهذا القول أيها الأمير، والأمر في ذلك على ما حكى، وأنا أقرب إليك، قد نظر الأمير فيما نظر فيه من الرقاع، وأنا أعيد ما فيها وما وقع به على الأمير على رقعة رقعة، قال: فأمر وأحضرت الرقاع، فقال الأصمعي: سأل صاحب الرقعة الأولى كذا، واسمه كذا، فوقع له بكذا، والرقعة الثانية والثالثة حتى مر في نيف وأربعين رقعة، فالتفت إليه نصر بن علي فقال: أيها الرجل، أبق على نفسك من العين، فكف الأصمعي.

قال الرشيد للأصمعي: هل رأيت في كثرة ما جلت في البدو من يعرف الاختلاف؟ قال: صحبني شاب ما رأيت مثله في فصاحته وعمله بأيام العرب وأشعارها، فأخذت معه في بحره، فضربتني أمواجه حتى إذا خفت الغرق حدت عن سننه، فقلت: قد أحكمت الشعر. ووعي جوفك من كل الآداب فكيف علمك بما تعبد الله به؟ قال: أخذت منه بما لو علمت بعشرة لنلت أوفر نصيب من ثواب الله. قلت: ما تقول في القدر؟ قال: من رد على الله فمأواه سقر. قلت: ما تقول في الجبر؟ قال: إن الله تعالى لغني عن ظلم العباد. قلت ما تقول في الإرجاء؟ قال: الاجتهاد في العمل لله أفضل من الإتكال على الأماني.

■ (1) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الاصمعي: راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر. قال الاخفش: ما رأينا أحدا أعلم بالشعر من الاصمعي. وقال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم للغة، وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم حفظا. وكان الاصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرحوزة. وتصانيفه كثيرة،وتوفي في صفر سنة 216 هـ وقيل 214 هـ وقيل 215 هـ وقيل 217 هـ بالبصرة، وقيل بمرو.

■ (3) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، الأسدي بالولاء الكوفي المعروف بالكسائي؛ أحد القراء السبعة، كان إماما في النحو واللغة والقراءات، ولم تكن له في الشعر يد، حتى قيل: ليس في علماء العربية أجهل من الكسائي بالشعر؛ وكان يؤدب الأمين بن هارون الرشيد ويعلمه الأدب. ولد قرب الكوفة سنة 119 هـ توفي سنة 189 هـ بالري وكان قد خرج إليها صحبة هارون الرشيد. وفي ذلك اليوم توفي الإمام محمد بن الحسن الشيباني (صاحب الإمام أبي حنيفة) بالري أيضا.ويقال إن الرشيد كان يقول: دفنت الفقه والعربية بالري.

■ (8) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب الزهري، كنيته أبو بكر وكان من علماء التابعين أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم.ولد الزهري سنة 51 هـ وقبل سنة 58 هـ في آخر خلافة معاوية. ومات سنة 124 هـ وهو ابن 66 سنة وذلك قبل موت هشام بعام. وقيل إنه مات وهو ابن 72 سنة ودفن بموضع يقال له إدامى وهي خلف شغب وبدا وهي أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز.

■ (9) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه. قال الا مام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. وكان يرى القدر، وقد يدلس في الحديث. مات بواسط في الطاعون سنة 118 هـ.

■ (4) الحسن بن سهل أبو محمد، الوزير الكامل، أبو محمد، حمو المأمون، وأخو الوزير ذي الرئاستين الفضل بن سهل، من بيت حشمة من المجوس، فأسلم سهل زمن البرامكة، فكان قهرمانا ليحيى البرمكي. ونشأ الفضل مع المأمون، فغلب عليه، وتمكن جدا إلى أن قتل. فاستوزر المأمون بعده أخاه، ولم يزل في توقل إلى أن تزوج المأمون بينته بوران، سنة 210 هـ، فلا يوصف ما غرم الحسن على عرسها. مات بسرخس سنة 236 هـ. وعاشت بوران: إلى حدود 270 هـ.

■ (5) نصر بن علي بن نصر بن علي بن صهبان بن أبي أبو عمرو الجهضمي البصري الحافظ الإمام الولي العالم الصالح روى القراءة عرضا عن أبيه علي وسماعا من غير عرض عن شبل بن عباد وعن إسماعيل ابن خالد عن ابن كثير كذا ذكر الهذلي ولعله مسلم بن خالد وعرض على عبيد بن عقيل والحسين بن علي الجعفي، طلبه المستعين للقضاء فقال أستخير الله فصلى ركعتين وقام فقبض وذلك في ربيع الآخر سنة 250 هـ. (2) محمد بن عيينة بن المهلب الشاعر البصري ؟

☪

قال عمر بن شبة: سمعت الأصمعي يقول: أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة. وقال إسحاق الموصلي: لم أر الأصمعي يدعي شيئا من العلم فيكون أحد أعلم به منه. وقال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي رضي الله عنه، يقول: ما عبر أحد من العرب بأحسن من عبارة الأصمعي. وقال أبو أحمد العسكري: لقد حرص المأمون على الأصمعي وهو بالبصرة أن يصير إليه فلم يفعل واحتج بضعفه وكبره، فكان المأمون يجمع المشكل من المسائل ويسيرها إليه ليجيب (فيجيب) عنها. وكن شديد الإحتراز في تفسير الكتاب والسنة، فإذا سئل عن شيء منها يقول: العرب تقول معنى هذا كذا، ولا أعلم المراد منه في الكتاب والسنة أي شيء هو.وأخباره ونوادره كثيرة، وحكي عن عباس بن الفرج قال: ركب الأصمعي حمارا دميما، فقيل له: بعد براذين الخلفاء تركب هذا فقال متمثلا: ولما أبت إلا انصراما لودها..وتكديرها الشرب الذي كان صافيا..شربنا برنق من هواها مكدر..وليس يعاف الرنق من كان صاديا. هذا وأملك ديني أحب إلي من ذاك مع فقده. وكان جده علي بن أصمع سرق بسفوان فأتوا به علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: جيئوني بمن يشهد أنه أخرجها من الرحل، فلما ك فشهد عليه بذلك عنده، فأمر به فقطع من أشاجعه، فقيل له: يا أمير المؤمنين ألا قطعته من زنده، فقال: يا سبحان الله، كيف يتوكأ كيف يصلي كيف يأكل فلما قدم الحجاج بن يوسف البصرة أتاه علي بن أصمع فقال: أيها الأمير، إن أبوي عقاني فسمياني عليا، فسمني أنت، فقال: ما أحسن ما توسلت به، قد وليتك سمك البارجاه، وأجريت لك في كل يوم دانقين فلوسا، ووالله لئن تعديتها لأقطعن ما أبقاه علي من يدك.

☪

قال الأصمعي: كنت بالبادية. كتب كل شيء أسمعه، فقال أعرابي منهم: أنت كمثل الحفظة، تكتب اللفظة، فكتبه أيضا، قال: خرجت مع صديق لي بالبادية، فبينا نحن نسير، إذ ضللنا الطريق،، ثم نزلنا فإذا خيمة، فقصدناها فسلمنا، فإذا امرأة ترد علينا السلام، وقالت: ما أنتم؟ قلنا: قوم مارون أضللنا الطريق، فرأيناكم، فأنسنا بكم، فقالت: ولوا وجوهكم حتى أقضي من زمانكم ما أنتم له أهل، ففعلنا، فطرحت لنا مسحا وقالت: اجلسا حتى يجيء ابني، فيقوم بما يصلحكم، فجلسنا، فجعلت ترفع طرف الخيمة وتنظر، إلى أن نظرت فقالت: أسألك الله بركة المقبل، أما البعير فبعير ابني، وأما الراكب فليس بابني، فجاء الراكب حتى وقف عليها، فقال: يا أم عقيل عظم الله أجرك في عقيل، قالت: ويحك ، أمات ابني؟ قال: نعم، قالت: وما سبب موته؟ قال: ازدحمت الإبل على ابنك، فرمت به في البير، قالت: انزل، فاقض زمام القوم، فنزل فذبح لنا كبشا وأصلحه مع ملح، وقربه إلينا، فأكلنا ونحن نتعجب من صبرها، فلما فرغنا خرجت إلينا فقالت: يا هؤلاء: هل، فيكم أحد يحسن من كتاب الله عز وجل شيئا؟ قال: قلت نعم، قالت: فاقرأ علي آيات من كتاب الله أتعزى بها، قال: فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة] فقالت: الله إنها لفي كتاب الله هكذا؟ قلت: الله إنها لفي كتاب الله هكذا، قالت: فالسلام عليك، ثم قامت فصفت قدميها، ثم صلت ركعتين، ورفعت يديها، وهي تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون وعند الله أحتسب عقيلا، تقول ذلك ثلاثا، ثم قالت: اللهم إنني قد فعلت ما أمرتني، فأجزل ما وعدتني.

قال الأصمعي: مررت بالبادية على رأس بئر، وإذا على رأسه جوار، وإذا واحدة فيهن كأنها البدر، فوقع علي الرعدة، وقلت لها: من البسيط: يا أحسن الناس إنسانا وأملحهم..هل ياشتكائي إليك الحب من باس..فبيني لي بقول غير ذي خلف..أبا لصريمة نمضي عنك أم ياس. قال: فرفعت رأسها، وقالت لي: أخسأ! فوقع في قلبي مثل جمر الغضا، فانصرفت عنها، وأنا حزين. قال: ثم رجعت إلى رأس البئر، فإذا هي على رأس البئر، فقالت: من البسيط: هلم نمح الذي قد كان قد وله..ونحدث الآن إقبالا من الراس..حتى نكون سواء في مودتنا..مثل الذي يحتذي نعلا بمقياس.فانطلقت معها إلى أبيها، فتزوجتها، فابني علي منها.وقال: كنت يوما في سكة من سكك البصرة فرأيت كناسا يحمل العذرة،وهو ينشد هذا البيت: من الطويل:وأكرم نفسي إنني إن أهنتها..لعمري لاتكرم على أحد بعدي.فقلت: يا هذا، أي كرامة لنفسك عندك وأنت من قرنك إلى قدمك في الخراء؟!فقال: عن سفلة مثلك، لا آتية أستقرض منه دانقا فيردني.قال: فأفحمت، فلم أجيء بجواب

مراجع: الأعلام للزركلي/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ لسان الميزان/ ربيع الأبرار/

حكى الأصمعي[1] أن هارون الرشيد أمر بحمله إليه، فلما مثل بين يديه استدناه. قال الأصمعي: فجلست، وقال لي: يا عبد الملك، وجهت إليك بسبب جاريتين أهديتاه إلي، وقد أخذتا طرفا من الأدب، أحببت أن تبور ما عندهما، وتشير علي فيهما بما هو الصواب عندك. فحضرت جاريتان ما رأيت مثلهما قط، فقلت لأحداهما: ما اسمك؟ قالت: فلانة، قلت: ما عندك من العلم؟ قالت: ما أمر الله عز وجل به، ثم ما ينظر الناس فيه من الأشعار، والآداب، والأخبار. فسألتها عن حروف من القرآن، فأجابتني كأنها تقرأ الجواب من كتاب، وسألتها عن النحو، والعروض، والأخبار، فما قصرت. فقلت: أنشدينا شيئا، فاندفعت في هذا الشعر: من الخفيف: يا غياث البلاد في كل محل..ما يريد العباد إلا رضاكا..لا ومن شرف الإمام وأعلى..ما أطاع الإله عبد عصاكا. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما رأيت أمرأة في مسك رجل مثلها. وقالت الأخرى، فوجدتها دونها، فقلت: ما تبلغ هذه منزلتها، إلا أنها إن ووظب عليها لحقت. ثم قال لي: يا عبد الملك أنا ضجر، وقد جلست أحب أن أسمع حديثا أتفرج به، فحدثني بشيء، فقلت لأي الحديث يقصد أمير المؤمنين؟ قال: لما شاهدت وسمعت من أعاجيب الناس، وطرائف أخبارهم. فقلت: يا أمير المؤمنين، صاحب لنا في بدو، كنت أغشاه، وأتحدث إليه، وقد أتت عليه ست وتسعون سنة أصح الناس ذهنا، وأجودهم أكلا، وأقواهم بدنا، فغبرت بدنا. فغبرت عنه زمانا، ثم قصدته، فوجدته ناحل البدن، كاسف البال، متغير الحال، فقلت: ما شأنك، أصابتك مصيبة؟ قالت: لا، قصدت بعض القرابة في حي بني فلان، فألفيت عندهم جارية قد لاثت رأسها، وطلت بالورس مابين قرنها إلى قدمها، وعليها قميص وقناع مصبوغان، وفي عنقها طبل توقع عليه، وتنشد هذا الشعر: من الوافر: محاسنها سهام للمنايا..مريشة بأنواع الخطوب..برى ريب المنون لهن سهما..تصيب بنصله مهج القلوب. فأجبتها: ففي شفتي في موضع الطبل ترتعي..كما قد أبحت الطبل في جيدك الحسن..هبيني عودا أجوفا تحت شنة..تمتع فيها بين نحرك والذقن. فلما سمعت الشعر مني نزعت الطبل، فرمت به في وجهي، وبادرت إلى الخباء فدخلت، فلم أزل واقفا إلى أن حميت الشمس على مفرق رأسي، لاتخرج إلي، ولا ترجع إلي جوابا، فانصرفت سخين العين، قريح القلب. فهذا الذي ترى بي من التغير، من عشقي لها. فضحك الرشيد حتى استلقى وقال ويحك يا عبد الملك بن ست وتسعين سنة يعشق! قلت: قد كان هذا، يا أمير المؤمنين، فقال: يا عباسي، فقال الفضل بن الربيع: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: أعط عبد الملك مائة ألف درهم، ورده إلى مدينة السلام، فانصرفت فإذا خادم يحمل شيئا ومعه جارية تحمل شيئا، فقال: أنا رسول بنتك، يعني الجارية التي وصفتها، وهذه جاريتها، وهي تقرأ عليك السلام، وتقول:إن أمير المؤمنين، أمر لي بمال وثياب هذا نصيبك منها، فإذا المال ألف دينار، وهي تقول: لن نخليك من المواصلة بالبر، فلم تزل تتعهدني بالبر الواسع الكثير حتى كانت فتنة محمد، فانقطعت أخبارها عني، وأمر لي الفضل من ماله بعشرة آلاف درهم. وقيل: كان الرشيد يحب الوحدة، فكان إذا ركب حماره عادله الفضل بن الربيع[2]، وكان الأصمعي يسير قريبا منه بحيث يحاذيه، وإسحاق الموصلي على دابة يسير قريبا من الفضل. فأقبل الأصمعي لا يحدث الرشيد شيئا إلا سربه، وضحك منه، فحسده إسحاق. وكان فيما حدثه الأصمعي، فقال: يا أمير المؤمنين، مررت على رجل زانكي جالس على بابه، قال ويحك. فما الزانكي؟ فوصفه له –وهو الشاطر– قال: فقلت له: يافتى، أيسرك أنك أمير المؤمنين؟ قال: لا، قلت: ولم؟. قال: لا يدعوني أذهب حيث شئت. قال: فقال الرشيد: صدق والله، ما يدعونا نذهب حيث شئنا. قال: فاستضحك الرشيد، فقال إسحاق للفضل: ما يقول كذب، فقال الرشيد: أي شيء؟ قال: فأخبره، فغضب، فقال: والله لو كان ما يقول كذبا إنه لأظرف الناس، وإن كان حقا إنه لأعلم الناس. فمكث بينهما دهرا من الدهر، فقال إسحاق:أصيمع باهل يستطيل..

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، له تصانيف كثيرة فى اللغة والشعر منها الأصمعيات. ولد في البصرة سنة 122 هـ وتوفي سنة 216 هـ .كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان هارون الرشيد يسميه شيطان الشعر. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

(2) الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس: وزير أديب حازم. كان أبوه وزيرا للمنصور العباسي. واستحجبه المنصور لما ولى أباه الوزارة، فلما آل الامر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان صاحب الترجمة من كبار خصومهم، حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة، قال صاحب غربال الزمان: وكانت نكبتهم على يديه. وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد. واستخلف الامين، فأقره في وزارته، فعمل على مقاومة المأمون. ولما ظفر المأمون استتر الفضل سنة 196 هـ ثم عفا عنه المأمون وأهمله بقية حياته. وتوفي بطوس. يسنة 208 هـ والفضل بن الربيع هو من أحفاد أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان.

☪

قال أبو عمر الجرمي[1] يوما: أنا أعلم الناس بكلام العرب. فسمعه الأصمعي، فقال: كيف تنشد هذا البيت: من الكامل: قد كن يخبأن الوجوه تسترا..فالآن حين بدأن للنظار. أو حين بدين؟ قال أبو عمر: حين بدان، فقال: أخطأت، فقال: بدين، فقال: أخطأت يا أعلم الناس بكلام العرب؛ حين بدون. قال التوزي: كنا عند الأصمعي، وعنده قوم قصدوه من خراسان، وأقاموا على بابه، فقال له قائل منهم: يا أبا سعيد، إن خراسان ترجف بعلم بالبصرة، وعلمك خاصة، وما رأينا أصح من علمك. فقال: لا عذر لي إن لم يصح علمي، دع من لقيت من العلماء، والفقهاء والرواة للحديث، والمحدثين، ولكن قد لقيت من الشعراء الفصحاء، وأولاد الشعراء، فعدهم ثم قال: وما عرف هؤلاء غير الصواب، فمن أين لا يصح علمي؟! وهل يعرفون أحدا له مثل هذه الرواية؟!. قال المبرد: كان الأصمعي أسد الشعر، والغريب، والمعاني، وكان أبو عبيدة[2]كذلك، ويفضل على الأصمعي بعلم النسب، وكان الأصمعي أعلم منه بالنحو ويقال: إن الرشيد كان يسميه شيطان الشعر.وكان الأصمعي صدوقا في الحديث. عنده عن ابن عون،وحماد ين سلمة، وحماد بن زيد وغيرهم. وعنده القراءات عن أبي عمرو، ونافع، وغيرهما، ويتوقى تفسير شيء من القرآن والحديث على طريق اللغة، وأكثر سماعة من الأعراب، وأهل البادية. قال له أعرابي وقد رآه يكتب كل شيء: ما تدع شيئا إلا نمصته –أي نتفته. وقال له آخر: أنت حتف الكلمة الشرود. قال إبراهيم الحربي: كان أهل البصرة، أهل العربية، منهم أصحاب الأهواء إلا أربعة ؛ فإنهم كانوا أصحاب سنة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأصمعي. قال الأصمعي: حضرت أنا وأبوعبيدة معمر بن المثنى عند الفضل بن الربيع فقال لي: كم كتابك في الخيل فقلت: جلد واحد، فسأل أبا عبيدة عن كتابه فقال: خمسون مجلدة، فقال له: قم إلى هذا الفرس وأمسك عضوا عضوا منه وسمه، فقال: لست بيطارا، وإنما هذا شيء أخذته عن العرب، فقال لي: قم يا أصمعي وافعل ذلك، فقمت وأمسكت ناصيته وشرعت أذكر عضوا عضوا وأضع يدي عليه وأنشد ما قالت العرب فيه، إلى أن فرغت منه، فقال: خذه، فأخذته، وكنت إذا أردت أن أغيظ أبا عبيدة ركبته إليه. وقد روي من طريق أخرى أن ذلك كان عند هارون الرشيد، وأن الأصمعي لما فرغ من كلامه في أعضاء الفرس قال الرشيد لأبي عبيدة: ما تقول فيما قال قال: أصاب في بعض وأخطأ في بعض، فالذي أصاب فيه مني تعلمه، والذي أخطأ فيه ما أدري من أين أتى به. قيل لأبي نواس: قد أحضر أبو عبيدة والأصمعي إلى الرشيد، فقال: أما أبو عبيدة فإنهم إن أمكنوه قرأ عليهم أخبار الأولين والآخرين، وأما الأصمعي فبلبل يطربهم بنغماته. وأبو سعيد الأصمعي عند أهل الأدب أشهر من أبي عبيدة، وأبو عبيدة عند أهل الحديث أصدق من الأصمعي. قال الأخفش: ما رأينا أحدا أعلم بالشعر من الأصمعي وخلف، والأصمعي أعلم لأنه كان معه نحو. وزعم الباهلي صاحب المعاني أن طلبة العلم كانوا إذا أتوا مجلس الأصمعي اشتروا البعر في سوق الدر، وإذا أتوا أبا عبيدة اشتروا الدر في سوق البعر. والمعنى أن الأصمعي كان حسن الإنشاد والزخرفة لردىء الأخبار والأشعار حتى يحسن عنده القبيح، وأن الفائدة عنده مع ذلك قليلة، وأن أبا عبيدة كان معه سوء عبارة، وفوائد كثيرة، والعلم عنده جم. قال حماد بن إسحاق الموصلي: قال لي يوما هارون أمير المؤمنين الواثق: إن لي حاجة إليك، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن هذا الكلام يجل عني، إنما أنا عبد من عبيد أمير المؤمنين، يأمرني فأأتمر، قال: قد جعلتها حاجة، فقلت: يقول أمير المؤمنين ما أحب، فقال: أحب أن تترك لي التشاغل بالأصمعي ؛ فإني ربما سألت عنك، فوجدته مشغولا به، وتعتل علي، فلا تأتيني. فقلت: يا أمير المؤمنين، أما هذا فلا أضمنه لك، أن تمنعني شيئا به حللت عندك هذا المحل، وفضلتني به على غيري. وأبو سعيد الأصمعي عند أهل الأدب أشهر من أبي عبيدة، وأبو عبيدة عند أهل الحديث أصدق من الأصمعي. قال الأصمعي: حدث يوما شعبة بحديث، فقال فيه: فذوى السواك. فقال له رجل حضره: إنما هو: فذوي. فنظر إلي شعبة، وأومأ بيده فقلت له: القول ما تقول. فزجر القائل. وقال له شعبة: لو أتفرغ لجئتك. وقال له: إني وصفتك لحماد بن سلمة، وهو يحب أن يراك. قال: فوعدته يوما، فذهبت معه إليه، فسلمت عليه، فحيا، ورحب. ثم قال لي: كيف تنشد هذا البيت: أولئك قوم إن بنوا أحسنوا ...؟ فقلت: أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا..وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا. –يعني بكسر الباء– فقال لي: انظر جيدا، فنظرت، فقلت: لست أعرف إلا هذا. فقال: يا بني، أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا، القوم إنما بنو المكارم، ولم يبنوا باللبن والطين! قال: فلم أزل هائبا لحماد بن سلمة، ولزمته بعد ذلك. قال ثعلب: وقيل للأصمعي: كيف حفظت ونسي أصحابك؟ قال: درست وتركوا. وقال الأصمعي: أحفظ ست عشرة ألف أرجوزة وقال ابن الأعرابي: شهدت الأصمعي وقد أنشد نحوا من مائتي بيت ما فيها بيت عرفناه. وقال الشافعي: ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي. ما رأيت بذلك العسكر أصدق لهجة من الأصمعي. وقال يحيى بن معين: الأصمعي ثقة وسئل عنه أبو داود فقال: صدوق. وقال عمرو بن مرزوق: رأيت الأصمعي وسيبويه يتناظران، فقال يونس: الحق مع سيبويه، وهذا يغلبه بلسانه. وقال خلف: يغلبني الأصمعي بحضور الحجة. ولما أخبر أبو نواس بأن الخليفة عمل على أن يجمع بين الأصمعي وأبي عبيدة قال: أما أبو عبيدة فعالم ما ترك مع أسفاره يقرؤها، والأصمعي بمنزلة بليل في قفص تسمع من نغمه لحونا، وترى كل وقت من ملحه فونا.قال عباس بن الفرج: ركب الأصمعي حمارا دميما، فقيل: أبعد براذين الخلفاء تركي هذا؟ ! فقال متمثلا: من الطويل: ولما أبت إلا انصراما بودها..وتكديرها الشرب الذي كان صافيا..شربنا برنق من هواها مكدر..وليس يعاف الرنق من كان صاديا. هذا، وأملك ديني ونفسي أحب إلي من ذلك مع ذهابهما. كان أبو عبيدة يقول: كان الأصمعي بخيلا، فكان يجمع أحاديث البخلاء ويتحدث بها، ويوصي بها ولده. وقال محمد بن سلام: كنا مع أبي عبيدة في جنازة ننتظر إخراج الميت، ونحن بقرب دار الأصمعي، فارتفعت ضجة في دار الأصمعي، فبادر الناس ليعرفوا ذلك، فقال أبو عبيدة: إنما يفعلون هذا عند الخبز. كذا يفعلون إذا فقدوا رغيفا. ويقال: إن جعفر بن يحيى استرد مبلغا كان أمر أن يوصل به وذلك لما رأى من رثاثة حاله، ووسخ منزله، وقال: علام نعطيه الأموال إذا لم تظهر الصنيعة عنده، ويتزيا بزي أهل المروآت؟ ! مات الأصمعي سنة سبع عشرة ومائتين – وقيل: سنة ست عشرة ومائتين، وقيل: سنة خمس عشرة ومائتين – وكان قد بلغ ثمانيا وثمانين سنة. وكانت وفاته بالبصرة. قلت: الأصمعي أخباره كثيرة.

(2) معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيد النحوي: من أئمة العلم بالادب واللغة. مولده ووفاته في البصرة. استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة 188 هـ، وقرأ عليه أشياء من كتبه. قال الجاحظ: لم يكن في الارض أعلم بجميع العلوم منه. وكان إباضيا، شعوبيا، من حفاظ الحديث. قال ابن قتيبة: كان يبغض العرب وصنف في مثالبهم كتبا. ولما مات لم يحضر جنازته أحد، لشدة نقده معاصريه. وكان، مع سعة علمه، ربما أنشد البيت فلم يقم وزنه، ويخطئ إذا قرأ القرآن نظرا. توفي سنة 209 هـ

(1) صالح بن إسحاق، الجرمي بالولاء، أبو عمر: فقيه، عالم بالنحو واللغة، من أهل البصرة. مولى بجيلة بن أنمار بن الغوث، وإنما قيل له الجرمي لأنه كان ينزل فيهم؛ سكن بغداد. توفي سنة 225 هـ بأصبهان، وكان يلقب بالكلب وبالنباح لأنه كان يذهب إلى أبي زيد الأنصاري فيناظره ويصايحه فلقبه بذلك، وكان يلقب بالمهارش لأنه كان لا يرى إلا ناظرا أو مناظرا. أخذ عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي، وقرأ سيبويه على الأخفش، وخولط آخر عمره لأنه كان تؤما، ومن خولط في الرحم يصيبه شيء. قال: أنا منذ ثلاثين سنة أفتي للناس في الفقه من كتاب سيبويه، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: أنا رجل مكثر من الحديث، وكتاب سيبويه يعلمني القياس، وأنا أقيس الحديث وأفتي به. وقال يوما في مجلسه: من سألني عن بيت من جميع ما قالته العرب لا أعرفه فله علي سبق، فسأله بعض من حضر = قيل إنه كان أبو عثمان المازني – : كيف تروي: من كان مسرورا بمقتل مالك..فليأت نسوتنا بوجه نهار..يجد النساء حواسرا يندبنه..قد قمن قبل تبلج الأسحار..قد كن يخبأن الوجوه تسترا..فاليوم حين بدون للنظار. فقال: كيف تروي: بدأن أو بدين؟ فقال له: بدأن، فقال له: أخطأت، ففكر ثم قال: إنا لله، هذا عاقبة البغي.

مراجع: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ الأعلام للزركلي/ مروج الذهب/ تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) والعباس بن الأحنف 0777

قال المبرد: حدثني محمد بن عباد الحنفي قال: أخبرني العباس بن الأحنف[1] ببغداد قال: لم أدر ذات يوم إلا والمسودة قد أحاطت بي، فمضى بي إلى دار الخلافة هارون الرشيد، فصرت إلى خالد بن يحيى[2] فقال: ويحك يا عباس، إنما اخترتك من ظرفاء الشعراء لقرب مأخذك وحسن تأتيك، وإن الذي ندبتك له من شأنك، وقد عرفت خطرات الخلفاء، وإني أخبرك أن ماردة[3] هي الغالبة على أمير المؤمنين، وقد جرى بينهما عتب، وهي بعزة دالة المعشوق تأبى أن تعتذر، وهو بعزة الخلافة وشرف الملك يأبى، وقد رمت الأمر من قبلها فأعياني، وهو أحرى أن تستقيده الصبابة، فقل شعرا تسهل به هذا السبيل. فلما قضى كلامه دعاه أمير المؤمنين، فصار إليه وأعطيت ورقا ودواة، فاعتراني الدمع ونفر عني كل شيء، ثم انفتح لي شيء من الأشياء، والرسل من الخليفة ما تغبني، فجائني أربعة أبيات رضيتها، وقعت صحيحة المعنى سهلة الألفاظ ملائمة لما طلب مني، فقلت لأحد الرسل: أبلغ الوزير أني قد قلت أربعة أبيات، فإن كان، ففيها مقنع. وفي مدة ذهاب الرسول ومجيئه حضرني بيتان من غير ذلك الروي، فكتبت الأربعة في صدر الرقعة، وعقبتها بالبيتين، وذلك قولي: من الكامل: ألعاشقان كلاهما متغضب..وكلاهما متوحد متجنب..صدت مغاضبة وصد مغاضبا..وكلاهما مما يعالج متعب..راجع أحبتك الذين هجرتهم..إن المتيم قلما يتجنب..إن التجنب إن تطاول منكما..دب السلو له فعز المطلب. ثم البيتان وهما: من السريع: لا بد للعاشق من وقفة..تكون بين الوصل والصرم..حتى إذا الهم تمادى به..راجع من يهوى على رغم. قال: ثم وجهت بالرقعة فدفعها إلى الرشيد، فقال: والله، ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من هذا، والله لكأني قصدت به، فقال يحيى: فأنت والله المقصود، يا أمير المؤمنين، هذا يقوله العباس بن الأحنف في هذه القصة. فلما قرأ البيتين، وأفضى إلى قوله: راجع من يهوى على رغم، استغرق ضحكا ثم قال: إني والله أراجعها على رغم، يا غلام، نعلي. فنهض وأذهله الجذل والسرور عن أن يأمر لي بشيء، فدعاني يحيى، وقال: إن شعرك قد وقع بغاية الموافقة. ثم جاء إنسان، فساره بشيء، فنهض ونهضت لنهوضه، فقال: يا عباس، أمسيت أنبل الناس، أتدري ما سارني به هذا الرسول. قلت: لا، قال: ذكر أن ماردة تلقت أمير المؤمنين لما علمت بمجيئه، فقالت له: كيف كان هذا يا أمير المؤمنين؟ فأعطاها الشعر، وقال: هذا الذي جاء بي، قالت: من يقوله؟ فقال: العباس بن الأحنف، قالت: فبكم كوفيء؟ فقال الخليفة: ما فعلت شيئا، قالت: إذن والله لا أجلس حتى يكافأ. وأمير المؤمنين قائم لقيامها، وأنا قائم لقيامهما، وهما يتناظران في صلتك، هذا كله لك. قلت: ما لي من هذا إلا القبلة، فضحك، وقال: هذا أحسن من شعرك، فأمر لي الخليفة بمال وأمرت هي لي بمال دونه، وأمر لي الوزير بمال دون ما أمرت به، وحملت المال على بغلة. انتهى.

■ (1) العباس بن الأحنف شاعر زمانه، كان ظريفا كيسا مجيدا حلو النادرة، له أخبار كثيرة مع الرشيد وغيره. وكان ظريفا كيسا حلو النادرة مجيدا في الغزل. مات العباس بن الأحنف سنة ثلاث وتسعين ومائة على الأصح، وقيل: مات سنة اثنتين وتسعين ومائة، قبل أبن نؤآس. والعباس هو خال إبراهيم بن العباس الصولي

■ (3) ماردة أم المعتصم، ماردة هي جارية تركية نشأت في الكوفة وقيل انها كانت من السغد شمال غرب طاجكستان كانت ماردة من أحظى النساء لدى الرشيد بسبب حسنها وجمالها وقد انجبت له ابنه محمد المعتصم بالله ثامن ملوك الدولة العباسية عام 179 هـ كما انجبت له أبو إسماعيل وأم حبيب واخران لم يعرف اسماهما .

■ (2) خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف: أبو البرامكة، وأول من تمكن منهم في دولة بني العباس.كان أبوه برمك من مجوس بلخ، وتقلد خالد قسمة الغنائم بين الجند في عسكر قحطبة ابن شبيب بخراسان. وكان قحطبة يستشيره ويعمل برأيه. ولما بويع السفاح ودخل خالد لمبايعته توهمه من العرب، لفصاحته، وأقره على الغنائم، وجعل إليه ديوان الخراج وديوان الجند بعد ذلك، وحل منه محل الوزير وبعد وفاة السفاح أقره المنصور نحو سنة ثم صرفه عن الديوان وقلده بلاد فارس الري، وطبرستان، ودنباوند وما إليها فأقام - بطبرستان - سبع سنين، وعزله ونكبه. ثم رضي عنه وأمره على الموصل. ولما ولي المهدي أعاده إلى إمارة فارس، ووجهة مع ابنه هارون الرشيد في صائفة سنة 163 هـ. ومات بعدها، وقيل: بعد أوبته منها. سنة 163 هـ وكان سخيا سريا عاقلا فيه نبل، قال المسعودي: لم يبلغ مبلغ خالد أحد من ولده، في جوده ورأيه وبأسه وعلمه، لا يحيى في رأيه ووفور عقله، ولا الفضل بن يحيى في جوده ونزاهته، ولا جعفر في كتابته وفصاحة لسانه، ولا محمد بن يحيى في شرفه وبعد همته، ولا موسى في شجاعته وبأسه.

جل جلاله

روى عن المبرد قال: حدثني من أثق به أن مسلم بن الوليد الأنصاري المسمى بصريع الغواني[1] كان يمدح من دون الخليفة، وكان يقول: إن نفسي تذوب حسرات من أن يحوي جوائز الخلفاء من لا يقاربني في الأدب، ولا يوازيني ولا يصلح أن يكون شعره خادما لشعري. فخرج ذات يوم، فلقي يزيد بن منصور الحميري[2] بباب الرشيد، فسلم عليه، وسأله أن يقربه من الخليفة، فوعده ذلك، فدخل الحميري، فأصاب أمير المؤمنين لقس النفس قد اشتمل عليه الفكر في سرعة تقضي الأمور، وأنه لا يتشبث منها بشيء إلا كان كالظل الحائل، والسراب الخادع. فقال له جعفر[3]: يا أمير المؤمنين، إنما هذا الذي أنت فيه عارض لك، وكانت الحكماء تقول: الهم مفسدة للنفس، مضلة للفهم، مشدهة للقلب، وقالت أيضا: بالسرور يطيب العيش، ومع الهم يتمنى الموت. قال: وكأن الرشيد نشط واندفع عنه ما اعتراه من ذلك الفكر، فتقدم الحميري وقال: يا أمير المؤمنين، خلفت بالباب انفا رجلا من أخوالك الأنصار، متقدما في شعره وأدبه وظرفه، أنشدني قصيدة يذكر فيها أنسه ولهوه ومحادثة إخوانه، ويذكر مجالس اتفقت بأبلغ قول وأحسن وصف، يبعث والله على الصبابة والفرح ويباعد من الهم والترح. وكأنه وفق بيمن أمير المؤمنين وسعادة جده لأن يكون زائدا في سرور أمير المؤمنين. قال: فاستفزه السرور والقلق إلى دخوله عليه واستماع قصيدته، فجعل الخليفة يتابع الرسل إليه، فدخل مسلم، فسلم بالخلافة، ثم أمهل حتى سكن، ثم أذن له في الجلوس والانبساط، واستدعى منه الشعر فانبرى ينشد: من الطويل: أديرا علي الكأس لا تشربا قبلي..ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي..فما جزعي أني أموت صبابة..ولكن على من لا يحل لها قتلي..أحب التي صدت وقالت لتربها..دعيه الثريا منه أقرب من وصلي..بلى ربما وكلت عيني بنظرة..إليها تزيد القلب خبلا على خبل..كتمت تباريح الصبابة عاذلي..فلم يدر ما بي واسترحت من العذل..ومانحة شرابها الملك قهوة..يهودية الأصهار مسلمة البعل..ربيبة شمس لم تهجن عروقها..بنار ولم يجمع لها سعف النخل..بعثنا لها منا خطيبا لبضعها..فجاء بها يمشي العرضنة في مهل..قد استودعت دنا لها فهو قائم..بها شفقا بين الكروم على رجل..فوافى بها عذراء خل أخو ندي..جزيل العطايا غير نكس ولا وغل..معتقة لا تشتكي دم عاصر..حرورية في جوفها دمها يغلي..أغارت على كف المدير بلونها..فصارت له منها أنامل كالذبل..أماتت نفوسا من حياة قريبة..وماتت فلم تطلب بوتر ولا تبل..شققنا لها في الدن عينا فأسبلت..كما أخلصت عين الخريدة بالكحل..كان فنيقا بازلا شق نخره..إذا أسفرت منها الشعاع على البزل..ودارت علينا الكأس من كف ظبية..مبتلة حوراء كالرشأ الطفل..كأن ظباء عكفا في رياضها..أباريقها أو حين قعقعة النبل..وحن لنا عود فباح بسرنا..كأن عليه ساق جارية عطل.. تضاحكه طورا وتبكيه تارة..خدلجة هيفاء ذات شوى عبل..إذا ما علت منا ذؤابة ماجد..تمشت به مشي المقيد في الوحل..فلا نحن متنا موتة الدهر بغتة..ولا هي عادت بعد عل ولا نهل.. سأنقاد للذات متبع الهوى..لأمضي هما أو أصبت فتى مثلي..هل العيش إلا أن تروح مع الصبا..وتغدو صريع الكأس والأعين النجل؟!.

قال: فجعل الرشيد يتطاول لها ويستحسن جميع ما حكاه، وأمر له بمال جزيل، وأن يتخذ له مجلس يتحول إليه، وجعل الرشيد وأصحابه يتناشدون قصيدته هذه، وسماه يومئذ بآخر بيت في القصيدة: صريع الغواني؛ فالرشيد هو الذي سماه بهذا الاسم، فلزمه. انتهى. كذا في المحاسن لإبراهيم البيهقي.

■ (1) مسلم بن الوليد الانصاري، بالولاء، أبو الوليد، المعروف بصريع الغواني: شاعر غزل، هو أول من أكثر من (البديع) وتبعه الشعراء فيه. وهو من أهل الكوفة. نزل بغداد، فأنشد الرشيد العباسي قوله: وما العيش إلا أن تروح مع الصبى وتغدو، صريع الكأس والاعين النجل. فلقبه بصريع الغوانى، فعرف به. قال المرزبانى: اتصل بالفضل بن سهل فولاه بريد جرجان فاستمر إلى أن مات فيها سنة 208 هـ. وقال التبريزي: هو مولى أسعد بن زرارة الخزرجي، مدح الرشيد والبرامكة وداود ابن يزيد بن حاتم ومحمد بن منصور صاحب ديوان الخراج ثم ذا الرياستين فقلده مظالم جرجان. وقال السهمي في تاريخ جرجان: قدم جرجان مع المأمون، ويقال إنه ولي قطائع جرجان، وقبره بها معروف.

■ (2) يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد بن شهر بن مثوب، من ولد ذي الجناح الحميري، أبو خالد: وال. هو خال المهدي العباسي. كان مقدما في دولة بني العباس. ولي للمنصور البصرة سنة 152 هـ ثم اليمن سنة 154 هـ بعد الفرات بن سالم. وأقام في اليمن باقي خلافة المنصور، وسنة من خلافة المهدي. وعزل سنة 159 هـ وولاه المهدي سنة 161 هـ على سواد الكوفة.ومات بالبصرة سنة 165 هـ. ولبشار بن برد، هجاء فيه. وبقي من أعقابه جماعة كانوا يعرفون باليزيدية. وإليه نسبة يحيى بن المبارك العدوي اليزيدي. كان يؤدب ولده، فنسب إليه.

■ (3) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

مراجع: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ الوافي بالوفيات/ المحاسن والمساوئ/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) والكسائي(١) 0778

قال النضر بن شميل[1]: حدثني الفراء[2]، عن الكسائي[3] قال: دعاني الرشيد وليس عنده إلا حاشيته وابناه المأمون[4] والأمين[5] فقال: يا علي، ما زلت ساهرا مفكرا في معاني أبيات قد خفيت علي. قلت: إن رأى أمير المؤمنين أن ينشدنيها، فأنشد: من الرجز: قد قلت قولا للغراب إذ حجل..عليك بالقود المسانيف الأول..تغد ما شئت على غير عجل. قلت: نعم يا أمير المؤمنين، إن العير إذا فصلت من خيبر، وعليها التمر، يقع الغراب على آخر العير، فطرده السائق يقول: يا هذا، تقدم إلى أوائل العير، فكل على غير عجل. والقود: جمع أقود، وهو الطويل العنق، والأنثى قوداء، والمسانيف: المتقدمة. ثم أنشدني: من الطويل: لعمري لئن عشرت من خشية الردى..نهاق الحمير إنني لجهول. فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، كان الرجل من العرب إذا وصل إلى خيبر، أكب على أربعة، وعشر تعشير الحمار، وهو أن ينهق عشر نهقات متتابعات يفعل ذلك؛ فيدفع عن نفسه حمى خيبر. ثم أنشدني قول الآخر: من البسيط: أجاعل أنت بيقورا مضرمة..ذريعة لك بين الله والمطر. قلت: نعم يا أمير المؤمنين، كانت العرب إذا أبطأ المطر، شدت العشر والسلع –وهما ضربان من النبت– في أذناب البقر، وألهبوا فيها النار، وشردوا بالبقر؛ تفاؤلا بالبرق والمطر. ثم أنشدني: من الطويل: لعمرك ما لام الفتى مثل نفسه..إذا كانت الأحياء تعرى ثيابها..وآذن بالتصفيق من ساء ظنه..فلم يدر من أي اليدين جوابها. فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، كان الرجل منهم إذا ضل في المفازة، قلب ثيابه، وصاح كأنه يومئ إلى إنسان، ويشتد شدة ويصفق بيديه، فيهتدي الطريق. ثم أنشدني: من مجزوء الكامل: قوداء تملك رحلها..مثل اليتيم من الأرانب.فقلت: نعم، يقول: هذه ناقة مثل اليتيم من الآكام، واليتيم الواحد من كل شيء، والأرانب: الآكام. ثم أنشدني لآخر: من الطويل: إلى الله أشكو هجمة هجرية..تعاورها أمر السنين الغوابر..فعادت روايا تحمل الطين بعد ما..تكون قرى للمعتفين المفاقر. قلت: نعم، هذا رجل في بستانه نخيل أتى عليها الدهر، فجفت، فقطعها وصيرها أجذاعا، وسقف بها البيوت، فقال: هذه الأجذاع كانت تحمل الرطب فنأكل ونطعم الأضياف، فجفت، فقطعتها وسقفت بها، فهي الآن تحمل الطين والتراب وغير ذلك. ثم أنشدني: من الطويل: وسرب ملاح قد رأيت وجوههم..إناث دوانيه، ذكور أواخره. قلت: نعم، يعني: الأضراس. ثم أنشدني قول الآخر: من الطويل: فإني إذن كالثور يضرب جنبه..إذا لم يعف يوما وعافت صواحبه. قلت: نعم، كانت العرب إذا وردت البقر الماء، فشربت الثيران، وأبت البقر، ضربت الثيران فتشرب البقر، وهو كما قال الشاعر الآخر: من البسيط: إني وقتلي سليكا ثم أعقله..كالثور يضرب لما عافت البقر. ثم أنشدني قول الآخر: من الطويل: ومنحدر من رأس برقاء حطه..مخافة بين أو حبيب مزايل. قلت: نعم، يعني: الدموع، والبرقاء: العين؛ لأن فيها بياضا وسوادا. حطه: أساله. قال: فوثب الرشيد، فجذبني إلى صدره، وقال: لله در أهل الأدب، ثم دعا بجارية: فقال: احملي إلى منزل الكسائي خمس بدر على أعناق خمسة أعبد يلزمون خدمته.

ثم قال لي: استنشدهما –يعني ابنيه– فأنشدني محمد الأمين فقال: من الطويل: وإني لعف الفقر مشترك الغنى..وتارك شكل لا يوافقه شكلي..وشكلي شكل لا يقوم لمثله..من الناس إلا كل ذي ثقة مثلي..ولي نيقة في المجد والبذل لم يكن..تأنقها فيما مضى أحد قبلي..وأجعل مالي دون عرضي جنة..لنفسي واستغنى بما كان من فضل. وأنشدني عبد الله المأمون: من الكامل: بكرت تلومك مطلع الفجر..ولقد تلوم بغير ما تدري..ما إن ملكت مصيبة نزلت..إذ لا تحكم طائعا أمري..ملك الملوك على مقتدر..يغطي إذا ما شاء من يسر..فلرب مغتبط تمد له..ومفجع بنوائب الدهر..ومكاشح لي قد مددت له..نحرا بلا ضرع ولا غمر..حتى يقول لنفسه لهف..في أي مذهب غاية أجري..ويرى قناتي حين يغمزها ... غمز الثقاف بطيئة الكسر.

فقال الرشيد: يا علي، كيف تراهما؟ فقلت: من الطويل: أرى قمري أفق وفرعى بشامة..يزينهما عرق كريم ومحتد..يسدان آفاق السماء بشيمة..يؤيدها حزم وعضب مهند..سليلى أمير المؤمنين وحائزي..مواريث ما أبقى النبي محمد. ثم قلت: يا أمير المؤمنين، فرع زكا أصله، وطاب مغرسه، وتمكنت عروقه، وعذبت مشاربه. غذاهما ملك أغر، نافذ الأمر، واسع العلم، عظيم الحلم. فأسأل الله أن يزيد بهما الإسلام تأييدا وعزا، ويمتع أمير المؤمنين بهما ويمتعهما بدوام سلطانه وقدرته، ما دجا ليل وأضاء نهار. ثم انقضى المجلس وخرجت جذلا مسرورا.

وحدث المرزباني في كتابه قال: كتب الكسائي إلى الرشيد وهو يؤدب محمدا الأمين: قل للخليفة ما تقول لمن..أمسى إليك بحرمة يدلى؟..مازلت منصار الأمين معي..عبدي يدي ومطيتي رجلي..وعلى فراشي ماينبهنى..من نومتي بقيامه قبلي..أسعى برجل منه ثالثة..نقصت زيادتها عن الرجل..فامنن على بما يسكنه..عني وأهد الغمد للنصل. قال: فضحك الرشيد وأمر له ببرذون بسرجه ولجامه وبجارية حسناء بآلتها وخادم وعشرة آلاف درهم. قيل للكسائي: قد أبحت علمك الناس؟ فقال يعين الله عليهم بالنسيان.

وروي أن محمد بن هارون الأمين كلن يوسف زمانه جمالا وكان الكسائي يؤدبه وإخوته. فرجع محمد إلى الرشيد ذات ليلة فقال له: إن الكسائي يحدد النظر إلي من بين إخوتي، فقال الرشيد: إن الكسائي عفيف، ولكن بكر إليه قبل الصبيان فقل له وهو وحده: إنك لتحدد النظر إلي، فإن كانت لك إلي حاجة فاعرضها علي فإنها مقضية، ثم خبرني بما يرد إليك. فبكر إليه محمد، فلما خلا به قال له ذلك، فقال الكسائي: يا بني، أما علمت أن النظر إلى الوجه الحسن يورث الغير نورا والقلب سرورا؟ فأما الحاجة إليك فلا والحمد لله، لا تعد لمثل هذا الحديث. فرجع إلى الرشيد فأخبره، فقال: لم تخطئ فراستي في الكسائي، وزاده بعد ذلك إكراما.

----

(3) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، الأسدي بالولاء الكوفي المعروف بالكسائي؛ أحد القراء السبعة، كان إماما في النحو واللغة والقراءات، ولم تكن له في الشعر يد، حتى قيل: ليس في علماء العربية أجهل من الكسائي بالشعر؛ كان يؤدب الأمين بن هارون الرشيد ويعلمه الأدب. ولد قرب الكوفة سنة 119 هـ توفي سنة 189 هـ بالري وكان قد خرج إليها صحبة هارون الرشيد. وفي ذلك اليوم توفي الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة بالري.ويقال إن الرشيد كان يقول: دفنت الفقه والعربية بالري. وقيل: إنما عرف بالكسائي لأنه أيام قراءته على حمزة كان يلتف في كساء، فلقبه أصحاب حمزة بالكسائي وقيل: بل أحرم في كساء

(2) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد أو بني منقر أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابينه، فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوما في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم. وتوفي في طريق مكة. سنة 207 هـ وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها، عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. وكان يتفلسف في تصانيفه. واشتهر بالفراء، ولم يعمل في صناعة الفراء، فقيل: لانه كان يفري الكلام. ولما مات وجد كتاب سيبويه تحت رأسه، فقيل: إنه كان يتتبع خطأه ويتعمد مخالفته. وعرف أبوه زياد بالاقطع، لان يده قطعت في معركة فخ سنة 169 هـ وقد شهدها مع الحسين بن علي بن الحسن، في خلافة موسى الهادي.

(4) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

(5) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة198 هـ

(1) النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن: أحد الاعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة. ولد بمرو من بلاد خراسان وانتقل إلى البصرة مع أبيه سنة 128 وأصله منها، فأقام زمنا. وعاد إلى مرو فولي قضاءها. واتصل بالمأمون العباسي فأكرمه وقربه. وتوفي بمرو سنة 203 هـ أو 204 هـ.

في كتاب الأذكياء: ذكر أبو جعفر أحمد بن جعفر البلخي؛ أن الرشيد جمع بين الكسائي وأبي محمد اليزيدي[1]، يتناظران في مجلسه، فسألهما الكرماني عن قول الشاعر: من مجزوء الرمل: ما رأينا خربا ين..قر عنه البيض صقر..لا يكون العير مهرا..لا يكون؛ المهر مهر.فقال الكسائي: يجب أن يكون المهر منصوبا على أنه خبر كان، ففي البيت على هذا إقواء. فقال اليزيدي: الشعر صواب؛ لأن الكلام قد تم عند قوله: لا يكون الثانية، ثم استأنف، فقال: المهر مهر، ثم ضرب بقلنسوته على الأرض، وقال: أنا أبو محمد. فقال له يحيى: أتكتني بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال الرشيد: والله، إن خطأ الكسائي مع حسن أدبه لأحب إلي من صوابك مع سوء أدبك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ فأمر بإخراجه.

وتعلم الكسائي النحو على كبر سنه، وسببه أنه مشى يوما حتى أعيا، فجلس وقال: عييت، فقيل له: لحنت، قال كيف؟ قيل: إن كنت أردت التعب، فقل أعييت، وإن كنت أردت انقطاع الحيلة، فقل: عييت بغير همز. فأنف من قولهم: لحنت، واشتغل بالنحو حتى مهر وصار إمام وقته. وكان يؤدب الأمين والمأمون، وصارت له اليد العظمى والوجاهة التامة عند الرشيد وولديه. وتوفي محمد بن الحسن والكسائي في يوم واحد سنة سبع وثمانين ومائة، ودفنا في مكان واحد، فقال الرشيد: هاهنا دفن العلم والأدب.

اجتمع الكسائي، ومحمد بن الحسن الشيباني[2] صاحب الإمام أبي حنيفةرضي الله تعالى عنهما، فقال الكسائي: من تبحر في علم النحو، اهتدى إلى سائر العلوم، فقال له محمد: ما تقول فيمن سها في سجود السهو، هل يسجد مرة أخرى. قال: لا، قال: لم ذا؟ قال: لأن النحاة يقولون: المصغر لا يصغر، قال محمد: فما تقول في تعليق العتق بالملك؟ قال: لا يصح، قال: لم؟ قال: لأن السيل لا يسبق المطر.

----

(1) يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، أبو محمد، اليزيدي: عالم بالعربية والادب. من أهل البصرة. كان نازلا في بني عدي بن عبد مناة بن تميم، أو كان من مواليهم، فقيل له العدوي. وسكن بغداد، فصحب يزيد بن منصور الحميري (خال المهدي) يؤدب ولده، فنسب إليه. واتصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون. وعاش إلى أيام خلافته. وتوفي بمرو سنة 202 هـ. من كتبه النوادر. في اللغة، ألفه لجعفر بن يحيى، والمقصور والممدود ومناقب بني العباس ومختصر في النحو. ألفه لبعض ولد المأمون. وله نظم جيد، في ديوان.وكان له خمسة بنين كلهم علماء أدباء شعراء رواة للاخبار، وكلهم ألف في اللغة والادب، وهم:محمد وإبراهيم وإسماعيل وعبد الله وإسحاق.

(2) محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله: إمام بالفقه والاصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة. أصله من قرية حرستة، في غوطة دمشق، وولد بواسط. ونشأ بالكوفة، فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به وانتقل إلى بغداد، فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله. ولما خرج الرشيد إلى خراسان صحبه، فمات في الري. سنة 189 هـ قال الشافعي: لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد ابن الحسن، لقلت، لفصاحته. ونعته الخطيب البغدادي بإمام أهل الرأي. له كتب كثيرة في الفقه والاصول

مراجع: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ الوافي بالوفيات/ حماسة الظرفاء/

عن سلمة[1] قال: كان عند المهدي[2] مؤدب يؤدب ولده الرشيد، فدعاه المهدي يوما وهو يستاك، فقال له: كيف تأمر من السواك؟ -يعني: إذا أحببت أن تقول لرجل أن يستاك فما تقول له؟- فقال: إستك يا أمير المؤمنين، فقال المهدي: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم قال التمسوا لنا من هو أفهم من هذا. فقالوا: رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي[3] من أهل الكوفة قدم من البادية قريبا، فأمر بإحضاره من الكوفة. فساعة دخل عليه قال له: يا علي بن حمزة، قال: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: كيف تأمر من السواك؟ قال: سك، يا أمير المؤمنين، قال: أحسنت وأصبت، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

قيل: أشرف الرشيد عليه يوما وهو لا يراه، فقام الكسائي ليلبس نعليه، فابتدر الأمين[4] والمأمون[5] فوضعاها بين يديه.. فأقسم عليهما أن لا يعاودوا ذلك أبدا. فلما جلس الرشيد مجلسه قال: أي الناس أكرم خدما؟ قالوا: أمير المؤمنين أعزه الله تعالى، فقال: بل الكسائي، يخدمه الأمين والمأمون، عبد الله ومحمد.وحدثهم الحديث.

قال الكسائي: حججت مع الرشيد، فقدمت لبعض الصلوات، فصليت فقرأت: ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِم﴾ [النساء] فأملت ضعافا. فلما سلمت، ضربوني بالأيدي والنعال وغير ذلك حتى غشي علي، واتصل الخبر بالرشيد، فوجه بمن استنفذني. فلما جئته قال لي: ما شأنك؟ فقلت: قرأت لهم ببعض قراءات حمزة[6] الرديئة، ففعلوا بي ما بلغ أمير المؤمنين، فقال: بئس ما صنعت. ثم إن الكسائي ترك كثيرا من قراءات حمزة.

وعن سلمة بن عاصم قال: قال الكسائي: صليت بهارون الرشيد، فأعجبتني قراءتي فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي قط، أردت أن أقول ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فقلت يرجعين فوالله ما اجترأ الرشيد أن يقول أخطأت، لكنه لما سلم قال: أي لغة هذه قلت: يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد. قال: أما هذه فنعم. وذكر ابن الدورقي قال: اجتمع الكسائي واليزيدي[7] عند الرشيد، فحضرت العشاء فقدموا الكسائي، فارتج* عليه قراءة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون﴾ [الكافرون] فقال اليزيدي: قراءة هذه السورة ترتج على قاريء أهل الكوفة قال: فحضرت صلاة فقدموا اليزيدي فارتج عليه في الحمد -يعني: الفاتحة- فلما سلم قال: احفظ لسانك لا يقول فتبلى..إن البلاء موكل بالمنطق.

*(رتج) أرتج الباب أغلقه وأرتج على القارئ على ما لم يسم فاعله إذا لم يقدر على القراءة (الهباريين) ملوك السند، نسبة إلى هبار بن الاسود بن عبد المطلب بن أسد ابن عبد العزى، من قريش: شاعر، من الصحابة. كان له قدر في الجاهلية.

■ (3) الكسائي، علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: امام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها. وتعلم بها.وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، سنة 189 هـ عن سبعين عاما. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الامين. إصله من أولاد الفرس. وأخباره مع علماء الادب في عصره كثيرة. له تصانيف. وقيل: إنما عرف بالكسائي لأنه أيام قراءته على حمزة كان يلتف في كساء، فلقبه أصحاب حمزة بالكسائي وقيل: بل أحرم في كساء.

■ (7) اليزيدي، يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، أبو محمد، اليزيدي: عالم بالعربية والادب. من أهل البصرة. كان نازلا في بني عدي بن عبد مناة بن تميم، أو كان من مواليهم، فقيل له العدوي. وسكن بغداد، فصحب يزيد بن منصور الحميري خال المهدي يؤدب ولده، فنسب إليه. واتصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون. وعاش إلى أيام خلافته. وتوفي بمرو. سنة 202 هـ له تصانيف.

■ (6) حمزة القارئ، حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، التيمي، حمزة الزيات أحد القراء السبعة كان من موالي التيم فنسب إليهم وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل ويجلب الجبن والجوز إلى الكوفة ومات بحلوان سنة 156 هـ. كان عالما بالقراآت، انعقد الاجماع على تلقي قراءته بالقبول

■ (2) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

■ (5) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

■ (4) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة198 هـ

■ (1) سلمة بن عاصم، ويكنى أبا محمد سلمة بن عاصم صاحب الفراء وأحد العلماء الكوفيين ثقة راوية عالما بالنحو روى عن الفراء كتبه كلها وكان لا يفارقه وتوفي سلمة سنة 310 هـ وله من الكتب كتاب غريب الحديث كتاب الحلول في النحو

كان سبب تعلم الكسائي النحو أنه جاء إلى قوم من الهباريين*، وقد أعيى فقال: قد عييت، فقالوا له: أتجالسنا وتلحن؟! فقال: كيف لحنت؟ فقالوا: إن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل: عييت مخففا، وإن كنت أردت من التعب فقل: أعييت. فأنف من هذه الكلمة، ثم قام من فوره وأتى إلى معاذ الهراء، ولازمه حتى أخذ ما عنده.وخرج إلى البصرة، فأتى الخليل وجلس في حلقته، فقال له رجل من الإعراب: تركت أسد الكوفة وتميما، وعندها الفصاحة، وجئت إلى البصرة!! فقال الخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة. فخرج ورجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ. فلم يكن له هم غير البصرة والخليل، فوجد الخليل قد مات وجلس في موضعه يونس النحوي. فمرت بينهما مسائل أقر له يونس فيها وصدره موضعه.

عن أبي بكر بن حماد عن خلف[1] قال: كان الكسائي إذا كان شعبان وضع له منبر فقرأ هو على الناس في كل يوم نصف سبع يختم ختمتين في شعبان، وكنت أجلس أسفل المنبر، فقرا يوما في سورة الكهف:﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا﴾ فنصب أكثر فعلمت أنه قد وقع فيه فلما فرغ أقبل الناس يسألون عن العلة في أكثر لم نصبه فثرت في وجوههم أنه أراد في فتحه أقل ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا﴾ فقال الكسائي أكثر، فمحوهم من كتبهم ثم قال لي: يا خلف أحد يكون بعدي يسلم من اللحن؟ قال: قلت: لا ، أما إذا لم تسلم أنت فليس يسلم أحد بعدك، قرأت القرآن صغيرا وأقرأت الناس كبيرا وطلبت الآثار فيه والنحو. وعن سلمة: سمعت الفراء: سمعت الكسائي يقول: ربما سبقني لساني باللحن فلا يمكنني أن أرد لساني.

قال الفراء[2]: مدحني رجل من النحويين فقال لي: ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في النحو؟! فأعجبتني نفسي، فأتيته فناظرته مناظرة الأكفاء، وكأني كنت طائرا يغرف من البحر بمنقاره. وقال الفراء: مات الكسائي وهو لا يدري حد نعم وبئس، ولا حد أن المفتوحة ولا حد الحكاية. ولم يكن الخليل[3] يحسن حد النداء ولا كان سيبويه[4] يدري حد التعجب.

قال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي. قال أبو بكر بن الأنباري: اجتمع في الكسائي أمور: كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب. وكان أوحد الناس في القرآن، وكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط عليهم، فكان يجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون، ويضبطون عنه حتى المقاطع والمباديء. قال إسحاق بن إبراهيم: سمعت الكسائي يقرأ القرآن على الناس مرتين.

وعن الفراء قال: إنما تعلم الكسائي النحو على كبر، لأنه جاء إلى قوم وقد أعيا، فقال: قد عييت. فقالوا له: تجالسنا وأنت تلحن قال: وكيف قالوا: إن أردت من التعب فقل أعييت، وإن انقطعت الحيلة في الأمر فقل عييت. فأنف من هذا وقام وسأل عمن يعلم النحو، فأرشد إلى معاذ الهراء[5]، فلزمه حتى أنفد ما عنده، ثم خرج إلى الخليل. قلت: وقد كان للكسائي عند الرشيد منزلة رفيعة، وسار معه إلى الري، فمرض ومات بقرية رنبويه*، فلما اعتل تمثل وقال: قدر أحلك ذا النخيل وقد رأى..وأبي، ومالك ذو النخيل بدار..ألا كداركم بذي بقر الحمى..هيهات ذو بقر من المزوار. ومات ومعه محمد بن الحسن[6] الفقيه، فقال الرشيد لما رجع إلى العراق: دفنت الفقه والنحو برنبويه.

حدث الخطيب أيضا بإسناد رفعه إلى عبد الرحيم ابن موسى قال: قلت للكسائي: لم سميت الكسائي؟ قال: لأني أحرمت في كساء. قال: وقيل فيه قول آخر، وذكر إسنادا رفعه إلى محمد بن يحيى المروزى قال: سألت خلف بن هشام لم سمى الكسائي كسائيا؟ فقال: دخل الكسائي الكوفة فجاء إلى مسجد السبيع وكان حمزة بن حبيب الزيات يقرئ فيه، فتقدم الكسائي مع أذان الفجر، فجلس وهو ملتف بكساء من البرد كان أسود، فلا صلى حمزة قال: من تقدم الوقت يقرأ؟ قيل له الكسائي أول من تقدم يعنون صاحب الكساء، فرمقه القوم بأبصارهم فقال: إن كان حائكا فسيقرأ سورة يوسف، وإن كان ملاحا فسيقرأ سورة طه، فسمعهم فابتدأ بسورة يوسف، فلما بلغ إلى قصة الذئب قرأ فأكله الذيب بغير همز، فقال له الزيات: بالهمز، فقال له الكسائي: وكذلك أهمز الحوت في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوت﴾ [الصافات]، قال: لا، قال، فلم همزت الذئب ولم تهمز الحوت؟ وهذا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْب﴾ [يوسف] وهذا ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوت﴾؟. فرفع حمزة بصره إلى خلاد الأحوال[7] وكان أجمل غلمانه، فتقدم إليه في جماعة من أهل المجلس، فناظروا فلم يصيبوا شيئا. فقال: أفدنا، رحمك الله ، فقال لهم الكسائي: تفهموا عن الحائك، تقول: إذا نسبت الرجل إلى الذئب قد استذأب الرجل، ولو قلت: قد استذاب بغير همز لكنت إنما نسبته إلى الهزال، تقول: استذاب الرجل: إذا استذاب شحمه بغير همز. وإذا نسبته إلى الحوت تقول: قد استحات الرجل أي كثر أكله، لأن الحوت يأكل كثيرا ولايجوز فيه الهمز، فلتلك العلة همز الذئب ولم يهمز الحوت، وفيه معنى آخر: لاتسقط الهمزة من مفرده ولا من جمعه، وأنشدهم: أيها الذئب وابنه وأبوه..أنت عندي من أذؤب ضاريات. قال: فسمى الكسائي من ذلك اليوم. وقال المنذري: أسمعني أبو بكر عن بعض مشايخه، أن الكسائي كان يقوم في المحراب يؤم، فتشذ عليه القراءة حتى لا يقوم بقراءة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة] ثم ينحرف فيقبل عليهم، فيملي القرآن حفظا وتفسيره بمعانيه.

* (الهباريين) ملوك السند نسبة إلى هبار بن الاسود بن عبد المطلب بن أسد ابن عبد العزى، من قريش: شاعر، من الصحابة. كان له قدر في الجاهلية (أرنبويه) من قرى الري مات بها الكسائي النحوي ومحمد بن الحسن الفقيه في يوم واحد سنة 189 هـ ودفنا بهذه القرية وكانا قد خرجا مع الرشيد فصلى عليهما وقال اليوم دفنت علم العربية والفقه ويقال لهذه القرية رنبويه بسقوط الهمزة أيضا وقد ذكرت

■ (7) خلاد بن خالد: الإمام الحبر المحدث المقرىء أبو عبد الله الشيباني الصيرفي الكوفي، راوي قراءة حمزة تلقاها عن سليم. توفي في الكوفة سنة 220 هـ

■ (6) محمد بن الحسن الشيباني، مولى لبني شيبان، أبو عبد الله أحد الفقهاء (صاحب الإمام أبي حنيفة) حضر مجلس أبي حنيفة سنتين ثم تفقه على أبي يوسف، وصنف الكتب الكثيرة. لينه النسائي وغيره من قبل حفظه يروي عن مالك بن أنس وغيره وكان من بحور العلم والفقه. مات بالري سنة 189 هـ وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

■ (4) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه. وصنف كتابه المسمى كتاب سيبويه في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله. ورحل إلى بغداد، فناظر الكسائي. وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم. وعاد إلى الاهواز فتوفي بها سنة 180 هـ ، وقيل: وفاته وقبره بشيراز. وكانت في لسانه حبسة. وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح. وكان أنيقا جميلا، توفي شابا. وفي مكان وفاته والسنة التي مات بها خلاف.

■ (3) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الازدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والادب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها. وهو أستاذ سيبويه النحوي. ولد ومات في البصرة سنة 170 هـ، وعاش فقيرا صابرا. كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغمورا في الناس لايعرف. قال النضر بن شميل: ما رأى الرأوون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه. من كتبه كتاب العين في اللغة والفراهيدي نسبة إلى بطن من الازد، وكذلك اليحمدي.

■ (2) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد أو بني منقر أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه، فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوما في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم. وتوفي في طريق مكة. سنة 207 هـ وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها، عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. وكان يتفلسف في تصانيفه. واشتهر بالفراء، ولم يعمل في صناعة الفراء، فقيل: لانه كان يفري الكلام. ولما مات وجد كتاب سيبويه تحت رأسه، فقيل: إنه كان يتتبع خطأه ويتعمد مخالفته. وعرف أبوه زياد بالاقطع، لان يده قطعت في معركة فخ سنة 169 هـ وقد شهدها مع الحسين بن علي بن الحسن، في خلافة موسى الهادي.

■ (1) خلف القارئ، خلف بن هشام البزار، الاسدي، أبو محمد: أحد القراء العشرة. كان عالما عابدا ثقة. أصله من فم الصِلح قرب واسط، واشتهر ببغداد وتوفي فيها مختفيا، زمان الجهمية سنة 229 هـ

■ (5) معاذ الهراء، معاذ بن مسلم الهراء، أبو مسلم: أديب معمر، له شعر. من أهل الكوفة. عرف بالهراء، لبيعه الثياب الهروية الواردة من مدينة هراة له كتب في النحو ضاعت، وأخبار مع معاصريه كثيرة. توفي سنة 187 هـ

مراجع: تاريخ الإسلام للذهبي/ تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ الوافي بالوفيات/ تاريخ بغداد/ مقاييس اللغة/ جمهرة اللغة/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/ معجم الأدباء/ لسان الميزان/ طبقات الفقهاء/ الطيوريات/

حدث فيما رفعه إلى الأحمر النحوي قال: دخل أبو يوسف[1] القاضي –وقال عبد الله بن جعفر، محمد بن الحسن[2]–، على الرشيد وعنده الكسائي[3] يحدثه فقال: يا أمير المؤمنين: قد سعد بك هذا الكوفي وشغلك، فقال الرشيد: النحو يستفرغني، لأنني أستدل به على القران والشعر، فقال محمد بن الحسن، أو أبو يوسف: إن علم النحو إذا بلغ فيه الرجل الغاية صار معلما. والفقه إذا عرف الرجل منه جملة صار قاضيا. فقال الكسائي: أنا أفضل منك، لأني أحسن ما تحسن، وأحسن مالاتحسن، ثم التفت إلى الرشيد وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن له في جوابي عن مسألة من الفقه، فضحك الرشيد وقال: أبلغت يا كسائي إلى هذا؟ ثم قال لأبي يوسف: أجبه، فقال الكسائي: ما تقول لرجل قال لامرأته أنتِ طالقٌ أن دخلت الدار؟ فقال أبو يوسف: خطأ، إذا فتحت "ان" فقد وجب الأمر، لأن " أن " بالفتح لما قد كان، وإذا كسرت فإنه لم يقع الطلاق بعد. فنظر أبو يوسف بعد ذلك في النحو. وحدث أيضا عمن سمع الكسائي يقول: اجتمعت أنا وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذم النحو ويقول: وما النحو؟ فقلت، وأردت أن أعلمه فضل النحو، : ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتلُ غلامك! وقال له آخر: أنا قاتلٌ غلامك!، أيهما كنت تأخذ به؟ قال آخذهما جميعا، فقال له هارون: أخطأت، وكان له علم بالعربية، فاستحيا وقال: كيف ذلك؟ قال: الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامِك بالإضافة، لأنه فعلٌ ماض، وأما الذي قال: أنا قاتلٌ غلامَك بالنصب فلا يؤخذ، لأنه مستقبل لم يكن بعد، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف] فلولا التنوين مستقبل ما جاز فيه غدا، فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح العربية والنحو.

حكي أن أبا يوسف القاضي دخل على الخليفة وعنده الكسائي، فقال له: لو تفقهت يا كسائي كان أنبل بك! قال: يا أبا يوسف، إني سائلك عن مسألة، قال وما مسألتك؟! قال: ما تقول في رجل أقر أن لفلان علي مائة درهم إلا عشر دراهم، إلا درهما، كم ثبت عليه من الإقرار؟ قال: تسعة وثمانون. قال الكسائي: أخطأت يا أبا يوسف. قال: لم ؟! قال: لأن الله تعالى قال: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (58) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (59) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الحجر] أخبرني يا أبا يوسف، المرأة مستثناة من القوم، أم من الآل؟ قال: من الآل، قال: فكم ثبت عليه من الإقرار؟ قال أبو يوسف: صدقت، ثبت عليه من الإقرار واحد وتسعون درهما.

وحدث فيما رفعه إلى إبراهيم بن إسماعيل[4] الكاتب قال: سأل اليزيدي[5] الكسائي بحضرة الرشيد قال: انظر، في هذا الشعر عيب؟ وأنشده: ما رأينا خربا نق..ر عنه البيض صقر..لا يكون العير مهرا..لا يكون، المهر مهر.

فقال الكسائي: قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدي انظر فيه، فقال: أقوى لابد ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان، قال: فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال: أنا أبو محمد الشعر صواب، وإنما ابتدأ فقال: المهر مهر، فقال له يحيى بن خالد[6]: أتكتني بحضرة أمير المؤمنين وتكشف رأسك؟ والله لخطأ الكسائي مع أدبه، أحب إلينا من صوابك مع سوء فعلك، فقال: لذة الغلبة أنستني من هذا ما أحسن.

قال أبو عبد الله بن مقلة: حدثني أبو العباس أحمد ابن يحيى قال: اجتماع الكسائي والأصمعي[7] عند الرشيد وكانا معه يقيمان بمقامه، ويظعنان بظعنه، فأنشد الكسائي: أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به..رئمان أنف إذ ماضن باللبن؟.

فقال الأصمعي: رئمان بالرفع، فقال له الكسائي: اسكت ما أنت وهذا؟ يجوز رئمانُ ورئمانَ ورئمانِ، ولم يكن الأصمعي بصاحب عربية، فسألت أبا العباس كيف جاز ذلك؟ فقال: إذا رفع رفع بينفع، أي أم كيف ينفع رئمان أنف، وإذا نصب نصب بيعطي، وإذا خفض رده على الهاء في به. قال: والمعنى وما ينفعني إذا وعدتني بلسانك ثم لم تصدقه بفعلك، يقال ذلك للذي يبر ولا يكون منه نفع كهذه الناقة التي تشم بأنفها مع تمنع درها، والعلوق: التي قد علق قلبها بولدها، وذلك أنه نحر عنها ثم حشي جلده تبنا أو حشيشا وجعل بين يديها حتى تشمه وتدر عليه، فهي تسكن إليه مرة ثم تنفر عنه ثانية تشمه بأنفها ثم تأباه مقلتها فيقول: فما ينفع من هذا البو إذا تشممته ثم منعت درها؟.

وقرأ بخط أبي سعيد عبد الرحمن بن علي اليزدادي اللغوي الكاتب في كتاب جلاء المعرفة من تصنيفه قيل: اجتمع إبراهيم النظام[8] وضرار[9] بين يدي الرشيد، فتناظرا في القدر حتى دقت مناظرتهما فلم يفهمها، فقال لبعض خدمه ومن يثق به ويرضى برأيه: اذهب بهذين إلى الكسائي حتى يتناظرا بين يديه ثم يخبرك لمن الفلح منهما، فلما صارا في بعض الطريق قال إبراهيم النظام لضرار: أنت تعلم أن الكسائي لا يحسن شيئا من النظر، وإنما معوله على النحو والحساب، ولكن تهيئ له مسألة نحو، وأهيئ له مسألة حساب فنشغله بهما، لأنا لا نأمن إن يسمع منا ما لم يسمعه ولم يبلغه فهمه أن ينسبنا إلى الزندقة، فلما صارا إليه سلما عليه، ثم بدأ ضرار فقال: أسألك، أصلحك الله، عن مسألة من النحو؟ قال: هاتها، قال: ماحد الفاعل والمفعول به؟ قال الكسائي: حد الفاعل الرفع أبدا، وحد المفعول به النصب أبدا، قال: فكيف تقول ضرب زيدٌ؟ فقال: ضرب زيدٌ. قال: فلم رفعت زيدا وقد شرطت أن المفعول به منصوب أبدا؟ قال لأنه لم يسم فاعله، قال له: فقد أخطأت في العبارة، إذ لم تقل إن المفعولين من إذا لم يسم فاعله كان مرفوعا، ومن جعل لك الحكم بان تجعل الرفع لمن لم يسم فاعله؟ قال: لأنا إذا لم نذكر الفاعل أقمنا المفعول به مقامه، لأن الفعل الواقع عليه غير مستحكم النقص، وعدم النقص مطابق للرفع، فإذا ذكرنا من فعل به وأفصحنا بذلك نصبناه. قال له: فإن كان النصب مطابقا للنقص فمن لم يسم فاعله أولى به، لأنا إذا قلنا: ضرب زيد فقد يمكن إن يكون ضربه مائة رجل، وإذا قلنا ضرب عبد الله زيدا فلم يضربه إلا رجل واحد، فالذي أمكن إن يضربه مائة رجل أولى بالنصب والنقص ممن لم يضربه إلا رجل واحد، فوقف الكسائي فلم يدر مايقول. ثم قال له إبراهيم: أسألك، أصلحك الله، عن مسألة من الحساب؟ قال: قل. قال: كم جذر عشرة. قال: اجتمع الحساب على إنه لاجذر لعشرة. قال: فهل علم الله جذرها؟ قال: الله عالم كل شيء ألقاه إلى نبي من أنبيائه؟ ثم ألقاه ذلك النبي إلى صفي من أصفيائه، فلم يزل ذلك العلم ينمى حتى صار علم جذر عشرة عندي، وأكون أعلم جذرها ولاتعلمه أنت، وتكون مخطئا فيما قلت، فالتفت الكسائي إلى الغلام وقال: اذهب بهذين إلى أمير المؤمنين فقل: إنهما زنديقان كافران بالله العظيم. قال: وكان الخادم لبيبا حصيفا فأحسن العبارة عنهما وحسن أمورهما، فأمر بهما بجائزة سنية وصرفهما.

قال المؤلف: وهذه الحكاية عندي مصنوعة باردة، وإنما كتبتها لكوني وجدتها بخط رجل عالم.

وحدث محمد بن إسحاق النديم قال: قرأت بخط أبي الطيب ابن أخي الشافعي قال: أشرف الرشيد على الكسائي وهو لا يراه، فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدها فابتدرها الأمين والمأمون، وكان مؤدبهما فوضعاها بين يديه، فقبل رؤوسهما وأيديهما ثم أقسم عليهما ألا يعاودا، فلما جلس الرشيد مجلسه قال: أي الناس أكرم خدما؟ قال: أمير المؤمنين، أعزه الله، قال: بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون، وحدثهم الحديث.

■ (3) الكسائي، علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: امام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها. وتعلم بها.وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، سنة 189 هـ عن سبعين عاما. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الامين. إصله من أولاد الفرس. وأخباره مع علماء الادب في عصره كثيرة. له تصانيف. وقيل: إنما عرف بالكسائي لأنه أيام قراءته على حمزة كان يلتف في كساء، فلقبه أصحاب حمزة بالكسائي وقيل: بل أحرم في كساء.

■ (1) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، كان تلميذ أبي حنيفة. وهو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة،حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطأة ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ

■ (2) محمد بن الحسن الشيباني، مولى لبني شيبان، أبو عبد الله أحد الفقهاء (صاحب الإمام أبي حنيفة) حضر مجلس أبي حنيفة سنتين ثم تفقه على أبي يوسف، وصنف الكتب الكثيرة. لينه النسائي وغيره من قبل حفظه يروي عن مالك بن أنس وغيره وكان من بحور العلم والفقه. مات بالري سنة 189 هـ وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

■ (5) يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، أبو محمد، اليزيدي: عالم بالعربية والأدب. من أهل البصرة. كان نازلا في بني عدي بن عبد مناة بن تميم، أو كان من مواليهم، فقيل له العدوي. وسكن بغداد، فصحب يزيد بن منصور الحميري (خال المهدي) يؤدب ولده، فنسب إليه. واتصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون. وعاش إلى أيام خلافته. وتوفي بمرو سنة 202 هـ. من كتبه النوادر. في اللغة، ألفه لجعفر بن يحيى، والمقصور والممدود ومناقب بني العباس ومختصر في النحو. ألفه لبعض ولد المأمون. وله نظم جيد، في ديوان.وكان له خمسة بنين كلهم علماء أدباء شعراء رواة للاخبار، وكلهم ألف في اللغة والادب، وهم:محمد وإبراهيم وإسماعيل وعبد الله وإسحاق.

■ (6) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (7) الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، له تصانيف كثيرة فى اللغة والشعر منها الأصمعيات. ولد في البصرة سنة 122 هـ وتوفي سنة 216 هـ .كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان هارون الرشيد يسميه شيطان الشعر. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

■ (8) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظام: من أئمة المعتزلة، قال الجاحظ: الاوائل يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له فان صح ذلك فأبو إسحاق من أولئك. تبحر في علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين، وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت النظامية نسبة إليه. وبين هذه الفرقة وغيرها مناقشات طويلة. وقد ألفت كتب خاصة للرد على النظام وفيها تكفير له وتضليل. أما شهرته بالنظام فأشياعه يقولون إنها من إجادته نظم الكلام، وخصومه يقولون انه كان ينظم الخرز في سوق البصرة. وفي كتاب الفرق بين الفرق أن النظام عاشر في زمان شبابه قوما من الثنوية وقوما من السمنية وخالط ملاحدة الفلاسفة وأخذ عن الجميع. وفي شرح الرسالة الزيدونية أن النظام لم يخل من سقطات عدت عليه لكثرة إصابته. وفي لسان الميزان أنه متهم بالزندقة وكان شاعرا أديبا بليغا. وذكروا أن له كتبا كثيرة في الفلسفة والاعتزال. توفي سنة 231 هـ

■ (4) إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب، أصله من العجم وهو وأخوه حمدون وداود ابنا إسماعيل شعراء وابنه حمدون بن إبراهيم أشعرهم [الوافي بالوفيات]

■ (9) هل هو: ضرار بن عمرو الغطفاني: قاض من كبار المعتزلة، طمع برياستهم في بلده، فلم يدركها. فخالفهم، فكفروه وطردوه. وصنف نحو ثلاثين كتابا، بعضها في الرد عليهم وعلى الخوارج، وفيها ما هو مقالات خبيثة. وشهد عليه الامام أحمد بن حنبل عند القاضي سعيد بن عبد الرحمن الجمحي فأفتى بضرب عنقه، فهرب، وقيل: إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه. قال الجشمي: ومن عده من المعتزلة فقد أخطأ، لانا نتبرأ منه فهو من المجبرة. مات نحو سنة 190 هـ

كان الكسائي مؤدبا لولد الرشيد، وكان أثيرا عند الخليفة حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين، وكان الكسائي قد قرأ على حمزة الزيات ثم اختار لنفسه قراءة. وسمع من سليمان ابن أرقم وأبي بكر بن عياش. وفي القراء آخر يقال له الكسائي الصغير، واسمه محمد بن يحيى، روى عنه ابن مجاهد عن خلف بن هشام النزاز.حدث عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد عن المازني عن الأصمعي قال: كان الكسائي يأخذ اللغة من أعراب من أعراب الحطمية ينزلون بقطر بل وغيرها من قرى سواد بغداد، فلما ناظر الكسائي سيبويه استشهد بكلامهم، واحتج بهم وبلغتهم على سيبويه. قال أبو العباس: حدثني سلمة قال: قال الفراء: مات الكسائي وهو لا يحسن حد نعم وبئس، ولاحد أن المفتوحة، ولاحد الحكاية، قال: فقلت لسلمة فكيف لم يناظره في ذلك؟ فقال: قد سألته ذلك فقال: أشفقت أن أحادثه فيقول في كلمة تسقطني فأمسكت قال الفراء: ولم يكن الخليل يحسن النداء، ولا كان سيبويه يدري حد التعجب. روى الزبيرعن إسحاق الموصلي قال: ما رأيت رجلا منسوبا إلى العلم أجهل بالشعر من الكسائي وبالإسناد قال: كان الكسائي من أشد خلق الله تسكعا في تفسير شعر، وما رأيت أعلم بالنحو قط منه، ولا أحسن تفسيرا، ولا أحذق بالمسائل، المسألة تشق من المسألة، والمسألة تدخل على المسألة.كان الكسائي أعلم من أبي زيد بكثير بالعربية واللغات والنوادر، ولو كان نظر في الأشعار ما سبقه أحد ولا أدركه أحد حده. وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين عن أبي حاتم قال: لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقران ولا كلام العرب، ولولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا ذكره لم يكن شيئا، وعلمه مختلط بلا حجج ولاعلل إلا حكايات الأعراب مطروحة، لأنه كان يلقنهم ما يريد، وهو على ذلك أعلم الكوفيين بالعربية والقران، وهو قدوتهم وإليه يرجعون.

مراجع: معجم الأدباء/ تاريخ الإسلام للذهبي/ الأعلام للزركلي/ نور القبس/ معجم القواعد العربية في النحو والصرف لعبد الغني الدقر/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وسيبويه 0781

قال ياقوت الحموي: حدث أبو الحسن سعيد بن مسعدة[1] والمبرد[2] وثعلب[3] وجمعت بين أقاويلهم وحذفت التكرار قالوا: قدم سيبويه[4] -إمام النحاة- إلى العراق على يحيى بن خالد البرمكي[5] فسأله عن خبره فقال: جئت لتجمع بيني وبين الكسائي[6]، فقال: لا تفعل، فإنه شيخ مدينة السلام وقارئها، ومؤدب ولد أمير المؤمنين، وكل من في المصر له ومعه، فأبى إلا أن يجمع بينهما، فعرف الرشيد خبره، فأمره بالجمع بينهما فوعده بيوم، فلما كان ذلك اليوم غدا سيبويه وحده إلى دار الرشيد، فوجد الفراء[7] والأحمر[8] وهشام بن معاوية[9] ومحمد بن سعدان[10] قد سبقوه، فسأله الأحمر عن مائة مسألة فما أجابه عنها بجواب إلا قال أخطأت يا بصري، فوجم سيبويه وقال: هذا سوء أدب، ووافى الكسائي وقد شق أمره عليه ومعه خلق كثير من العرب، فلما جلس قال له: يا بصري، كيف تقول: خرجت وإذا زيد قائم؟ قال: خرجت وإذا زيد قائم، قال: فيجوز أن تقول: خرجت فإذا زيد قائما قال: لا، قال الكسائي: فكيف تقول: قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور، فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النصب، فقال الكسائي: لحنت، وخطأه الجميع. وقال الكسائي: العرب ترفع ذلك كله وتنصبه، ودفع سيبويه قوله فقال يحيى بن خالد: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما وهذا موضع مشكل؟. فقال الكسائي: هذه العرب ببابك، وقد جمعتهم من كل أوب، ووفدت عليك من كل صقع وهم فصحاء الناس وقد قنع بهم أهل المصرين، وسمع أهل الكوفة والبصرة منهم فيحضرون ويسألون، فقال يحيى وجعفر: قد أنصفت، وأمر بإحضارهم فدخلوا وفيهم أبو فقعس[11]، وأبو دثار[12]، وأبو ثروان[13]، فسئلوا عن المسائل التي جرت بينهما فتابعوا الكسائي، فأقبل يحيى على سيبويه فقال: قد تسمع أيها الرجل؟ فانصرف المجلس على سيبويه، وأعطاه يحيى عشرة آلاف درهم وصرفه، فخرج وصرف وجهه تلقاء فارس، وأقام هناك حتى مات غما بالذرب، وقيل: بالبيضاء، وقيل : بشيراز، ولم يلبث إلا يسيرا ولم يعد إلى البصرة.

في رواية قال الرافعي: أشهر ما عرف من محاكماتهم إلى الأعراب، المسألة الزنبورية التي اختلفت فيها سيبويه البصري والكسائي الكوفي بحضرة الرشيد، وقيل إنها كانت بين سيبويه والفراء بحضرة الرشيد، أو بحضرة يحيى بن خالد البرمكي؛ وذلك أن سيبويه قدم إلى بغداد، وكان الكسائي يعلم الأمين[14]، وهو يومئذ راس الكوفيين؛ فوفد سيبويه على يحيى بن خالد وابنيه جعفر[15] والفضل[16]، وعرض عليهم ما يذهب إليه من مناظرة الكسائي؛ فسعوا له في ذلك وأوصلوه إلى الرشيد، فكان فيما سأله الكسائي: كيف تقول: ظننت أن العقرب أشد لسعة من الزنبور، فإذا هو هي، أو: إياها...؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي؛ وأجاز الكسائي القولين: بالرفع والنصب -لأن نصب الخبر المعرفة بعد إذا لا يجيزه إلا الكوفيون، ولم يأت عن العرب في سماع صحيح-. ثم قال الكسائي: كيف تقول يا بصري: خرجت فإذا زيد قائم، أو: قائما؟ فقال سيبويه: أقول: قائم، ولا يجوز النصب. فقال الكسائي: أقول: قائم؛ وقائما. فقال يحيى -أو الرشيد- قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما؟ فقال الكسائي: هذه العرب ببابك، قد سمع منهم أهل البلدين؛ فيحضرون ويسألون. فجاؤوا بالأعراب الذين كانوا بالباب يومئذ، وهم أبو فقعس، وأبو دثار-وفي رواية قيل: أبو زياد[17]-، وأبو الجراح[18]، وأبو ثروان؛ فوافقوا الكسائي؛ ويقال إنهم أرشوا على ذلك، أو أنهم علموا منزلة الكسائي عند الرشيد فنظروا إلى المنزلة، ويقال إنهم لم يزيدوا على أن قالوا في الموافقة: القول قول الكسائي، ولم ينطقوا بالنصب، وأن سيبويه قال ليحيى: مرهم أن ينطقوا بذلك فإن ألسنتهم لا تطوع به.

----

(4) سيبويه، هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه. وصنف كتابه المسمى كتاب سيبويه في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله. ورحل إلى بغداد، فناظر الكسائي. وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم. وعاد إلى الأهواز فتوفي بها، وقيل: وفاته وقبره بشيراز. وكانت في لسانه حبسة.وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح. وكان أنيقا جميلا، توفي شابا. وفي مكان وفاته والسنة التي مات بها خلاف.قيل سنة 180 هـ

(6) الكسائي، علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: امام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها. وتعلم بها.وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، سنة 189 هـ عن سبعين عاما. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الامين. إصله من أولاد الفرس. وأخباره مع علماء الادب في عصره كثيرة. له تصانيف. وقيل: إنما عرف بالكسائي لأنه أيام قراءته على حمزة كان يلتف في كساء، فلقبه أصحاب حمزة بالكسائي وقيل: بل أحرم في كساء. قال الجاحظ: كان أثيرا عند الخليفة، حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين.

(3) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثا، مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. ولد ومات في بغداد. وأصيب في أواخر أيامه بصمم فصدمته فرس فسقط في هوة، فتوفي على الاثر. سنة 291 هـ

(1) سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالاخفش الاوسط: نحوي، عالم باللغة والادب، من أهل بلخ. سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبوية. وصنف كتبا، وزاد في العروض بحر (الخبب) وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر فأصبحت ستة عشر. توفي سنة 215 هـ

(2) محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالى الازدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الادب والاخبار. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. سنة 286 هـ

(18) أبو الجراح العقيلي : من الشعراء المجهولين والأعراب المغمورين، ومن كلامه: وجدت أعراض الدنيا وذخائرها بعرض المتالف إلا ذخيرة الأدب، وعقيلة الخلة، فاستكثروا من الإخوان، واستعصموا بعرى الأدب. وهو أحد الأعراب الذين سئلوا عن المسائل التي جرت بين سيبويه والكسائي.

(17) أبو زياد الكلابي، اسمه يزيد بن الحر : أعرابي قدم بغداد أيام المهدي حين أصابت الناس مجاعة، فأقام ببغداد أربعين سنة، ومات بها، وله شعر كثير، وعلق الناس عنه أشياء كثيرة من اللغة وشواهد العربية، ونوادره خير ما صنف في نوادر الأعراب.

(7) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد أو بني منقر أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابينه، فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوما في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم. وتوفي في طريق مكة. سنة 207 هـ وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها، عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. وكان يتفلسف في تصانيفه. واشتهر بالفراء، ولم يعمل في صناعة الفراء، فقيل: لانه كان يفري الكلام. ولما مات وجد كتاب سيبويه تحت رأسه، فقيل: إنه كان يتتبع خطأه ويتعمد مخالفته. وعرف أبوه زياد بالاقطع، لان يده قطعت في معركة فخ سنة 169 هـ وقد شهدها مع الحسين بن علي بن الحسن، في خلافة موسى الهادي.

(8) الأحمر، علي بن المبارك، كان مؤدب محمد بن هارون الأمين، اشتهر بالتقدم في النحو واتساع الحفظ، جرت بينه وبين سيبويه مناظرة لما قدم بغداد. كان يحفظ أربعين ألف بيت شاهد في النحو، سوى ما كان يحفظ من القصائد وأبيات الغريب، أخذ عن الكسائي، وتوفي سنة 194 هـ.

(13) أبو ثروان العكلي أحد بني عكل، وعكل: اسم امرأة حضنت ولد عوف بن وائل وكان أبو ثروا أعرابيا بدويا، تعلم في البادية لدى، وكان فصيحا. له من الكتب: كتاب خلق الفرس، كتاب معاني الشعر.

(5) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

(16) أبو العباس، الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد.وكان ابنه الفضل من رجال الكمال، ولي إمرة خراسان، وعمل الوزارة، وكان فيها - قيل - أسخى من أخوه جعفر البرمكي، ولكنه يضرب بكبره وتيهه المثل، وكان أخا للرشيد من الرضاعة وعمل الوزارة مدة لهارون، ثم حولها منه إلى جعفر، واستعمل على المشرق كله هذا، واستعمل جعفرا على المغرب كله. ولد الفضل البرمكي سنة 176 هـ وتوفي بالسجن سنة 193 هـ.

(14) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة198 هـ

(15) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

(9) هشام بن معاوية، أبو عبد الله، الكوفي: نحوي، ضرير. من أهل الكوفة. كتبه كلها في النحو؟. توفي سنة 209 هـ

(10) محمد بن سعدان الكوفي، أبو جعفر: نحوي مقرئ ضرير. له كتب في النحو والقراآت، توفي سنة 231 هـ.

(11) أبو فقعس الأسدي، من الأعراب.

(12) أبو دثار ؟

قال أبو الحسين علي بن سليمان الأخفش: وأصحاب سيبويه إلى هذه الغاية لا اختلاف بينهم أن الجواب كما قال سيبويه، وهو فإذا هو هي، أي فإذا هو مثلها، وهذا موضع رفع وليس بموضع نصب. فإن قال قائل: فأنت تقول: خرجت فإذا زيد قائم وقائما فتنصب قائما، فلم لم يجز فإذا هو إياها؟ لأن إيا للمنصوب وهي للمرفوع؟ والجواب في هذا أن قائما انتصب على الحال وهو نكرة، وإيا مع ما بعدها مما أضيفت إليه معرفة، والحال لا تكون إلا نكرة فبطل إياها، ولم يكن إلا هي وهو خبر الابتداء، وخبر الابتداء يكون معرفة نكرة، والحال لا يكون إلا نكرة، فكيف تقع إياها وهي معرفة في موضع ما لا يكون إلا نكرة؟ وهذا موضع الرفع. وقد قال أصحاب سيبويه: الأعراب الذين شهدوا للكسائي من أعراب الحطمية الذين كان الكسائي يقوم بهم ويأخذ عنهم.

حدث أحمد بن معاوية بن بكر العليمي قال: ذكر سيبويه عند أبي فقال: عمرو بن عثمان (سيبويه) قد رأيته وكان حدث السن، كنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبت من حمل عن الخليل[1]، وقد سمعته يتكلم ويناظر في النحو وكانت في لسانه حبسة، ونظرت في كتابه فرأيت علمه أبلغ من لسانه. ولما مرض سيبويه مرضه الذي مات فيه، جعل يجود بنفسه ويقول: يؤمل دنيا لتبقى له..فمات المؤمل قبل الأمل..حثيثا يرى أصول النخيل..فعاش الفسيل ومات الرجل. قالوا: لما اعتل سيبويه وضع رأسه في حجر أخيه فبكى أخوه لما رآه لما به، فقطرت من عينه قطرة على وجه سيبويه ففتح عينه فرآه يبكي فقال: أخيين كنا فرق الدهر بيننا..إلى الأمد الأقصى، ومن يأمن الدهرا؟.

وحدث أبو الطيب اللغوي عن أبي عمر الزاهد قال: قال ثعلب يوما في مجلسه: مات الفراء وتحت رأسه كتاب سيبويه فعارضه أبو موسى الحامض[2] بما قد كتبناه في أخباره. وحدث محمد بن عبد الملك التاريخي فيما رواه عن ثعلب عن محمد بن سلام قال: حدثني الأخفش أنه قرأ كتاب سيبويه على الكسائي في جمعة فوهب له سبعين دينارا. قال: وكان الكسائي يقول لي: هذا الحرف لم أسمعه فاكتبه لي فأفعل. قال: وكان الأخفش يؤدب ولد الكسائي.

----

(1) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الازدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والادب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها. وهو أستاذ سيبويه النحوي. ولد ومات في البصرة سنة 170 هـ، وعاش فقيرا صابرا. كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغمورا في الناس لايعرف. قال النضر بن شميل: ما رأى الرأوون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه. من كتبه كتاب العين في اللغة والفراهيدي نسبة إلى بطن من الازد، وكذلك اليحمدي.

(2) سليمان بن محمد بن أحمد، أبو موسى الحامض: نحوي، من العلماء باللغة والشعر، من أهل بغداد. من تلاميذ ثعلب. كان ضيق الصدر سيئ الخلق، فلقب بالحامض. توفي سنة 305 هـ.

مراجع: الأعلام للزركلي/ الإنصاف في مسائل الخلاف/ معجم الأدباء/ـمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/ تاريخ الأدب العربي للرافعي/

ذكر يعقوب بن إسحاق الأصفهاني، قال: قال المفضل بن محمد الضبي[1]: وجه إلي الرشيد؛ فما علمت إلا وقد جاءتني الرسل ليلا، فقالوا: أجب أمير المؤمنين، فخرجت حتى صرت إليه؛ وذلك في يوم خميس؛ وإذا هو متكئ ومحمد[2] بن زبيدة[3] عن يساره، والمأمون[4] عن يمينه؛ فسلمت، فأومأ إلي فجلست، فقال لي: يا مفضل، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: كم إسما في:﴿فَسَيَكْفِيكَهُم﴾ [البقرة] ؟ قلت: ثلاثة أسماء يا أمير المؤمنين، قال: وما هي؟ قلت: الكاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والهاء والميم، وهي للكفار، والياء وهي لله عز وجل. قال: صدقت؛ هكذا أفادنا هذا الشيخ -يعني الكسائي[5]- ثم التفت إلى محمد، فقال له: أفهمت يا محمد؟ قال: نعم، قال: أعد علي المسألة كما قال المفضل، فأعادها، وفي رواية قال لي الرشيد: كم اسم في ﴿فَسَيَكْفِيكَهُم﴾ [البقرة] ؟ قلت: ثلاثة أسماء، يا أمير المؤمنين، أولها اسم الله عز وجل، والثاني اسم النبي صلى الله عليه وسلم، والثالث اسم الكفرة، فالياء والكاف والفاء والياء المتصلات بالسين لله عز وجل، والكاف المتصلة بالهاء للنبي صلى الله عليه وسلم، والهاء والميم للكفرة. قال: كذا قال الشيخ! وأشار بيده إلى الكسائي. ثم التفت إلي فقال: يا مفضل، عندك مسألة تسألنا عنها بحضرة هذا الشيخ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال وما هي؟ قلت: قول الفرزدق[6]: أخذنا بآفاق السماء عليكم..لنا قمراها والنجوم الطوالع . قال: هيهات أفادناها متقدما قبلك هذا الشيخ؛ لنا قمراها، يعني الشمس والقمر كما قالوا سنة العمرين: سنة أبي بكر وعمر، قال: قلت: فأزيد في السؤال؟ قال: زد، قلت: فلم استحسنوا هذا؟ قال: لأنه إذا اجتمع اسمان من جنس واحد، وكان أحدهما أخف على أفواه القائلين غلبوه وسموا به الآخر؛ فلما كانت أيام عمر أكثر من أيام أبي بكر وفتوحه أكثر، واسمه أخف غلبوه، وسموا أبا بكر باسمه، قال الله عز وجل:﴿بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الزخرف] وهو المشرق والمغرب. قلت: قد بقيت زيادة في المسألة! فالتفت إلى الكسائي فقال: يقال في هذا غير ما قلنا؟ قال: هذا أوفى ما قالوا، وتمام المعنى عند العرب. قال: ثم التفت إلي فقال: ما الذي بقي؟ قلت: بقيت الغاية التي إليها أجرى الشاعر المفتخر في شعره، قال: وما هي؟ قلت: أراد بالشمس إبراهيم عليه السلام، وبالقمر محمدا صلى الله عليه وسلم، وبالنجوم الخلفاء الراشدين من آبائك الصالحين.قال: فاشرأب أمير المؤمنين؛ وقال: يا فضل بن الربيع[7]؛ احمل إليه مائة ألف درهم لقضاء دينه، وانظر من بالباب من الشعراء فيؤذن لهم، فإذا العماني[8] ومنصور النمري[10]، فأذن لهما، فقال: أدن مني الشيخ، فدنا منه وهو يقول: قل للإمام المقتدي بأمه..ما قاسم[11] دون مدى ابن أمه..فقد رضيناه فقم فسمه. فقال الرشيد: ما ترضى أن تدعو إلى عقد البيعة له وأنا جالس حتى تنهضني قائما! قال: قيام عزم يا أمير المؤمنين، لا قيام حتم، فقال: يؤتى بالقاسم، فأتي به، وطبطب في أرجوزته، فقال الرشيد للقاسم: إن هذا الشيخ قد دعا إلى عقد البيعة لك، فأجزل له العطية، فقال: حكم أمير المؤمنين، قال: وما أنا وذاك! هات النمري، فدنا منه، وأنشده: ما تنقضي حسرة مني ولا جزع حتى بلغ: ما كان أحسن أيام الشباب وما..أبقى حلاوة ذكراه التي تدع..ما كنت أوفي شبابي كنه غرته..حتى مضى فإذا الدنيا له تبع. قال الرشيد: لا خير في دنيا لا يخطر فيها ببرد الشباب.

■ (1) المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر الضبي، أبو العباس: راوية، علامة بالشعر والادب وأيام العرب. من أهل الكوفة. قال عبد الواحد اللغوى: هو أوثق من روى الشعر من الكوفيين. يقال: إنه خرج على المنصور العباسي، فظفر به وعفا عنه. ولزم المهدى، وصنف له كتابه المفضليات وسماه الاختيارات. قال ابن النديم: وهى 128 قصيدة وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواة عنه، والصحيحة التى رواها عنه ابن الاعرابي. ومن كتبه الامثال ومعاني الشعر والالفاظ والعروض.توفي سنة 178هـ ويقال في سنة 168 هـ

■ (5) الكسائي، علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: امام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها. وتعلم بها.وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، سنة 189 هـ عن سبعين عاما. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الامين. إصله من أولاد الفرس. وأخباره مع علماء الادب في عصره كثيرة. له تصانيف. وقيل: إنما عرف بالكسائي لأنه أيام قراءته على حمزة كان يلتف في كساء، فلقبه أصحاب حمزة بالكسائي وقيل: بل أحرم في كساء. قال الجاحظ: كان أثيرا عند الخليفة، حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين.

■ (10) منصور بن سلمة بن الزبرقان النمري، وقيل: منصور بن الزبرقان بن سلمة، أبو القاسم شاعر، من أهل الجزيرة الفراتية، وتتلمذ لكلثوم بن عمرو العتابي، وقرظه العتابي عند الفضل بن يحيى فاستقدمه الفضل من الجزيرة واستصحبه، ثم وصله بالخليفة هارون الرشيد، فمدحه وتقدم عنده، وفاز بعطاياه، وجرت بعد ذلك وحشة بينه وبين العتابي حتى تهاجيا، وكان النمري يظهر للرشيد انه عباسي، منافر للشيعة العلوية، وله شعر بذلك، فروى العتابي للرشيد ابياتا من نظم النمري، فيها تحريض عليه وتشيع للعلوية، فغضب الرشيد، وارسل من يجيئه برأسه من بلدته رأس العين بالجزيرة فوصل الرسول ووجد النميري قد توفي ودفن. قال عمر كحالة: كان حيا قبل 193 هـ وقال ابن الغزي: مات في حدود سنة 210 هـ. من آثاره: شعر بمئة ورقة.

■ (4) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

■ (2) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة198 هـ

■ (11) القاسم بن هارون الرشيد العباسي: أمير، هو أخو الامين والمأمون. عهد إليه أبوه الرشيد بولاية العهد بعدهما، ولقبه المؤتمن وأقطعه الجزيرة والثغور والعواصم سنة 186 هـ وهو يومئذ فتى في حجر عبد الملك بن صالح. فكان المأمون ينظر في أمر هذه المقاطعات، باسم المؤتمن، إلى أن شب. وأغزاه الرشيد أرض الروم سنة 187 هـ واستخلفه على الرقة سنة 192 هـ يريد تدريبه على الحكم. ولما مات الرشيد، وولي الامين، عزل المؤتمن عن الجزيرة وأقره على قنسرين والعواصم سنة 193 هـ ولما اشتدت فتنة الامين والمأمون، سار المؤتمن إلى المأمون بخراسان، فوجهه إلى جرجان سنة 197 هـ فأقام فيها. وأعلن المأمون خلعه من ولاية العهد سنة 198 هـ بعد قتل الامين، ووترك الدعاء له على المنابر. وتوفي ببغداد في حياة المأمون فلم يل الخلافة سنة 208 هـ

■ (3) أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها.أعرس بها هارون الرشيد سنة 165 في قصره المعروف بالخلد. وكانت وفاتها في سنة 216 هـ ببغداد، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة 186 هـ.

■ (7) الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس: وزير أديب حازم. كان أبوه وزيرا للمنصور العباسي. واستحجبه المنصور لما ولى أباه الوزارة، فلما آل الامر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان صاحب الترجمة من كبار خصومهم، حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة، قال صاحب غربال الزمان: وكانت نكبتهم على يديه. وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد. واستخلف الامين، فأقره في وزارته، فعمل على مقاومة المأمون. ولما ظفر المأمون استتر الفضل سنة 196 هـ ثم عفا عنه المأمون وأهمله بقية حياته. وتوفي بطوس. يسنة 208 هـ والفضل بن الربيع هو من أحفاد أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان.

■ (6) همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري الشاعر، المعروف بالفرزدق، صاحب جرير. وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الحتات، ووفد على الوليد بن عبد الملك، وعلى هشام بن عبد الملك. أرسل عن علي، ويروي عن طائفة.ولد سنة 38 هـ وتوفي في البصرة سنة 110 هـ.

■ (8) العماني، محمد بن ذؤيب بن محمد بن قدامة الحنظلي الدارمي، أبو العباس العماني: راجز من بني تميم ثم من بني فقيم. من أهل الجزيرة. خرج إلى عمان وأقام فيها طويلا فنسب إليها. يقال: عاش 133 سنة. وهو من شعراء الدولة العباسية، له أخبار مع المهدي والرشيد. قال ابن منظور: كان شاعرا راجزا متوسطا ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدهم في عصره، مثل أشجع وسلم ومروان، ولكنه كان لطيفا داهيا مقبولا، أفاد بشعره أموالا جليلة. وقال القفطي: كان يوزن بالعجاج ورؤبة، بل كان أطبع منها وكان من أقرانهما في السن والزمان. قال خيرالدين الزركلي: توفي نحو 228 هـ

☪

سأل منصور بن جمهور كلثوم العتابي[1] عن سبب غضب الرشيد على النمري، فقال: إني استقبلت منصورا النمري يوما من الأيام، فرأيته واجما كئيبا، فقلت له: ما خبرك ؟ فقال: تركت امرأتي تطلق، وقد عسر عليها ولادها، وهي يدي ورجلي والقيمة بأمري، فقلت له: لم لا تكتب على فرجها هارون الرشيد؟ قال: ليكون ماذا؟ قلت: لتلد على المكان، قال: وكيف ذاك؟ قلت: لقولك: إن أخلف الغيث لم تخلف مخايله..أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع، فقال: يا كشحان، والله لئن تخلصت امرأتي لا ذكرن قولك هذا للرشيد، فلما ولدت امرأته قال خبر الرشيد بما كان بيني وبينه، فغضب الرشيد بذلك، وأمر بطلبي، فاستترت عند الفضل بن الربيع، فلم يزل يستل ما في قلبه علي حتى أذن لي في الظهور، فلما دخلت عليه قال لي: قد بلغني ما قلته للنمري، فاعتذرت إليه حتى قبل، ثم قلت له: والله ما حمله على التكذيب إلا ميله إلى العلوية فإن أراد أمير المؤمنين أن أنشده شعره في مديحهم، فقال: انشدني، فانشدته: شاء من الناس راتع هامل..يعللون النفوس بالباطل حتى بلغت إلى قوله: ألا مساعير يغضبون لهم..بسلة البيض والقنا الذابل. فغضب الرشيد من ذلك غضبا شديدا وقال للفضل بن الربيع: أحضره الساعة، فبعث الفضل في ذلك، فوجده قد توفي، فأمر بنبشه ليحرقه، فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه. وفي رواية حدث يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال: حدثني بعض الزينبيين قال: حبس الرشيد منصورا النمري بسبب الرفض*، فتخلصه الفضل بن الربيع ثم بلغه شعره في آل علي رضي الله عنه فقال للفضل: اطلبه، فستره الفضل عنده وجعل الرشيد يلح في طلبه حتى قال يوما للفضل: ويحك يا فضل تفوتني النمري! قال: يا سيدي هو عندي قد حصلته، قال: فجئني به، وكان الفضل قد أمره أن يطول شعره ويكثر مباشرة الشمس لشحب وتسوء حالته، ففعل فلما أراد إدخاله عليه ألبسه فروة مقلوبة وأدخله عليه وقد عفا شعره وساءت حالته، فلما رآه قال: السيف، فقال الفضل: يا سيدي من هذا الكلب حتى تأمر بقتله بحضرتك؟! قال: أليس هو القائل: إلا مساعير يغضبون لها..بسلة البيض والقنا الذابل ؟! فقال منصور: لا يا سيدي ما أنا قائل هذا، ولقد كذب علي ولكني القائل: يا منزل الحي ذا المغاني..انعم صباحا على بلاكا..هارون يا خير من يرجى..لم يطع الله من عصاكا..في خير دين وخير دنيا..من اتقى الله واتقاكا -مخلع بسيط- فأمر بإطلاقه وتخلية سبيله فقال منصور، يمدح الفضل بن الربيع: رأيت الملك مذ آزرت..قد قامت محانيه..هو الأوحد في الفضل..فما يعرف ثانيه -هزج- وعن محمد بن أرتبيل قال اجتمع عند المأمون قبل خلافته وذلك في أيام الرشيد منصور النمري والخريمي[2] والعباس بن زفر[3] وعنده جعفر بن يحيى[4] فحضر الغداء فأتي المأمون بلون من الطعام فأكل منه فاستطابه فأمر به فوضع بين يدي جعفر بن يحيى فأصاب منه ثم أمر به فوضع بين يدي العباس فأكل منه ثم نحاه فأكل منه بعده الخريمي وغيره ولم يأكل منه النمري وذلك بعين المأمون فقال له: لم لم تأكل؟! فقال: لئن أكلت ما أبقى هؤلاء إني لنهم، قال: فهل قلت في هذا شيئا؟ قال: نعم قلت: لهفي أتطعمها قيسا وآكلها..إني إذا لدنيء النفس والخطر..ما كان جدي ولا كان الهام أبي..ليأكلا سؤر عباس ولا زفر..شتان من سؤر عباس وفضلته..وسؤر كلب مغطى العين بالوبر..ما زال يلقم والطباخ يلحظه..وقد رأى لقما في الحلق بالعجر -بسيط-

----

* (الرفض) الطعن في الصحابة. وهو بغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والنيل منهم بالشتم والسب (المخلع من الشعر) ضرب من البسيط يحذف من أجزائه كما قال الأسود بن يعفر:ماذا وقوفي على رسم عفا..مخلولق دارس مستعجم (الهزج) ضرب من أعاريض الشعر وهو مفاعلين مفاعلين مفاعلين مفاعلين أربعة أجزاء على هذا البناء كله..وبحور الشعر ستة عشر بحرا وهي: الطويل، المديد، البسيط، الوافر، الكامل، الهزج، الرجز، الرمل، السريع، المنسرح، الخفيف، المضارع، المقتضب، المجتث، المتقارب، المحدث ويسمى أيضا: الخبب، المتدارك

■ (1) العتابي، كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي، أبو عمرو، من بني عتاب بن سعد: كاتب، حسن الترسل، وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة. يتصل نسبه بعمرو ابن كلثوم الشاعر. وهو من أهل الشام. كان ينزل قنسرين.وسكن بغداد، فمدح هارون الرشيد وآخرين. ورمي بالزندقة، فطلبه الرشيد فهرب إلى اليمن، فسعى الفضل بن يحيى البرمكي بأخذ الامان له من الرشيد، فأمنه. وعاد، فاختص بالبرامكة. ثم صحب طاهر ابن الحسين. وصنف كتبا، توفي سنة 220 هـ

■ (2) إسحاق بن حسان بن قوهي، أبو يعقوب الخريمي: شاعر مطبوع، وصفه أبو حاتم السجستاني بأشعر المولدين. خراساني الاصل من أبناء السغد. ولد في الجزيرة الفراتية، وسكن بغداد. واتصل بخريم الناعم فنسب إليه، أو كان اتصاله بابنه عثمان بن خريم. ثم اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة. ومدحه. ورثاه بعد موته. وأدركه الجاحظ وسمع منه. وعمي قبل وفاته.سنة 212 هـ وهو صاحب الرائية في وصف الفتنة بين الامين والمأمون، يقول فيها: يا بؤس بغداد دار مملكة..دارت على أهلها دوائرها ! وهي في 135 بيتا أوردها الطبري في تاريخه، كلها.

■ (4) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

■ (3) العباس بن يزيد بن زياد ويقال العباس بن زفر مولى عبد الله بن علي أحد قواد بني العباس شهد حصار دمشق وكان نازلا على باب توما، وقيل العباس بن زفر بن عاصم بن عبد الله ولاه الرشيد أرمينية

مراجع: تاريخ الطبري/ الأعلام للزركلي/ معجم المؤلفين/ ديوان الإسلام/ الأنساب للسمعاني/ الاغاني/ كتاب العين/ بحور الشعر العربي وأوزانه/ تاريخ دمشق/

يحكى أن هارون الرشيد أمر بقتل أبي نواس[1] فقال: أتقتلني شهوة لقتلي؟ فقال: لا، بل أنت مستحق للقتل. قال: فيم استحقيت القتل؟ قال: بقولك: ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر..ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر. فقال: يا أمير المؤمنين، أفتعلم أنه سقاني وشربت؟ فقال له أمير المؤمنين: أظن ذلك. فقال: يا أمير المؤمنين، أفتقتلني على الظن، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات] فقال له الرشيد: قد قلت ما تستحق به القتل. فقال: ما هو؟ فقال له: قولك: ما جاءنا أحد يخبر أنه..في جنة من مات أو في نار. فقال له: يا أمير المؤمنين! هل جاءنا أحد؟ قال: لا. قال: أتقتلني على الصدق؟ فقال له الرشيد: أولست القائل: يا أحمد* المرتجى في كل نائبة..قم سيدي نعص جبار السموات. –وهذا من المعاني البشعة– فقال له: يا أمير المؤمنين! أوصار القول فعلا؟ قال: لا أعلم. قال: أفتقتلني على ما لم تعلم. فقال له أمير المؤمنين: دع هذا كله، فقد اعترفت في مواضع كثيرة من شعرك بالزنا. قال أبو نواس: قد علم الله هذا قبل علم أمير المؤمنين بقوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء] فقال الرشيد: خلوا عنه. ومن هذا أخذ الصفي الحلي[2] فقال: نحن الذي جاء الكتاب مخبرا..بعفاف أنفسنا وفسق الألسن.

وقال له يوما: يا ابن اللخناء، أنت المستخف بعصى موسى عليه السلام، نبي الله! إذ تقول: فإن يك باقي سحر فرعون فيكم..فإن عصى موسى بكف خصيب!. وقال لإبراهيم بن عثمان بن نهيك[3] لا يأوى إلى عسكري من ليلته، فقال له يا سيدي، فأجل ثمود؟ فضحك، وقال أجله ثلاثا، فقال محمد الأمين[4] لإبراهيم والله لئن حصصت منه شعرة لأقتلنك، فأقام عند إبراهيم حتى مات هارون، فأخرجه محمد.ومات وهو ابن اثنتين وخمسين سنة.

وفي رواية قال ابن قتيبة: لما قال أبو نواس: لم يك باق إفك فرعون فيكم، وبلغ الرشيد فقال: يا ابن اللخناء، أنت المستخف بنبي الله موسى عليه السلام، وقال لإبراهيم بن نهيك: لا يأوينا أبا نواس عسكري من ليلته، فقال له: يا سيدي، فأجل ثمود، فضحك وقال: أجله ثلاثا، فبعث الأمين إلى إبراهيم فقال: والله لئن مسست منه شعرة لأقتلنك، فأقام عند إبراهيم حتى مات الرشيد، وأخرجه محمد الأمين سنة تسع وتسعين ومائة، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة.

وفي رواية: أدخل الفضل بن يحيى أبا نواس إلى عند الرشيد، فقال له الرشيد: أنت القائل: من مجزوء الرمل: عتقت في الدن حتى..هي في رقة ديني. أحسبك زنديقا. قال: يا أمير المؤمنين، قد قلت ما يشهد لي بخلاف ذلك، قال: وما هو؟ فقال: من السريع: أية نار قدح القادح..وأي جد بلغ المازح؟!..لله در السيب من واعظ..وناصح لو قبل الناصح..فاغد فما في الحق أغلوطة..ورح لما أنت له رائح..من يتق الله فذاك الذي..سيق إليه المتجر الرابح..لا يختلي الحوراء من خدرها..إلا امرؤ ميزانه راجح..فاسم بعينيك إلى نسوة..مهورهن العمل الصالح. فقال الرشيد: لا أعتبر بهذا الكلام، يا غلام، اضرب عنقه، فقال أبو نواس: يا أمير المؤمنين، أتقتلني شهوة لقتلي؟ قال: بل استحقاقا، قال: فإن الله تعالى يحاسب، ثم يعفو أو يعاقب؛ فبماذا استحققت عند أمير المؤمنين القتل؟! قال بقولك: من الطويل: ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر..ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر. قال: يا أمير المؤمنين، فهل علمت أنه سقاني أو شربت؟! قال: أظن، قال: أفتقتلني على الظن، وبعض الظن إثم؟ قال: وقد قلت –أيضا– ما تستحق به القتل غير هذا، قال: وما هو؟! قال: قولك في التعطيل: من الكامل: ما جاءنا أحد يخبر أنه..في جنة من مات أو في نار. قال: أفجاء أحد يا أمير المؤمنين؟! قال: لا، قال: أفتقتلني على الصدق؟! قال: أو لست القائل: من البسيط: يا أحمد المرتجى في كل نائبة..قم سيدي نعص جبار السموات. قال أبو نواس: أفقام أحمد –أحمد بن أبي صالح*– يا أمير المؤمنين، وصار القول فعلا. قال: لا أعلم، قال: أفتقتلني على ما لا تعلم؟! قال: فدع هذا كله، قد اعترفت في مواضع كثيرة من شعرك بما يوجب عليك القتل، قال: قد علم الله تعالى هذا من قبل علم أمير المؤمنين، فأخبر عني أني أقول ما لا أفعل؛ يشير إلى الآية في الشعراء: وأنهم يقولون ما لا يفعلون الشعراء، فقال الفضل: يا سيدي؛ إنه ليؤمن بالبعث، وإنه يحمله المجون على ذكر ما لم يعتقده. ثم إن أبا نواس أنشد الخليفة يقول مدحا: من الطويل: لقد طال في رسم الديار بكائي..وقد طال ترددي بها وعنائي..كأني مريع في الديار طريدة..أراها أمامي مرة وورائي..فلما بدا لي اليأس عديت ناقتي..عن الدار واستولى علي عزائي..إلى بيت حان لا تهر كلابه..علي ولا ينكرن طول ثوائي..فما رمته حتى أتى دون ما حوت..يميني وحتى ريطتي وحذائي..وكأس كمصباح السماء شربتها..على قبلة أو موعد بلقاء..أتت دونها الأيام حتى كأنها..تساقط نورا من فتوق سماء..ترى ضوءها من ظاهر البيت ساطعا..عليك ولو غطيته بغطاء..تبارك من ساس الأمور بقدرة..وفضل هارونا على الخلفاء..نراك بخير ما انطوينا على التقى..وما ساس دنيانا أبو الأمناء..إمام يخاف الله حتى كأنه..يؤمل رؤياه صباح مساء..أشم طوال الساعدين كأنما..يناط نجادا سيفه بلواء. قال: فخلع عليه الرشيد، ووصله بعشرة آلاف درهم، والفضل بمثلها، فنظر إلى جارية تختلف كأنها لؤلؤة، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا ميت في ليلتي هذه، فإذا مت، فمر أن أدفن في بطن هذه الجارية، فقال له الرشيدة خذها لا بارك الله لك فيها، فقال أبو نواس: فانصرفت بمثل الشمس حسنا، وفي منزلي غلام لي مثل القمر، فلقيني محمد بن يسير[5] فقال: أتيتك مهنئا بما حباك أمير المؤمنين، فقلت: هي نعمة تتبعها نقمة، قال: ولم ذاك؟ قلت: عندي غلام مثل القمر، وهذه الشمس إن جمعتهما أتخوف ما تعلم، وإن أفردت الجارية لم آمن عليها وغلامي لا بد منه، قال: اجعلها عند بعض إخوانك إلى وقت حاجتك، قلت: فلعل الحارس هو المحروس منه، قال: فصيرها عند عجوز تثق بها، قلت: لعلي أسترعي الذئب، قال: ثم افترقنا، فالتقى معي بعد ثلاث، فقلت له: يا محمد بن يسير، ما على وجه الأرض شر منك، شاورتك في أمر فلم تفتح علي فيه شيئا، فلما فارقتك، ازدحم علي الرأي المصيب، فقال لي: صنعت ماذا؟ قلت: زوجت الشمس بالقمر، فحصنتها لأقضي بها وطرى، فقال: كان الشيء عليك حلالا فجعلته حراما، فقال أبو نواس: يا أحمق، ما شاورتك في الحلال والحرام، إنما قلت لك: كيف الرأي في تحصينها عندي.

----

* (أحمد) كان أبو نواس يتعشق أحمد بن أبي صالح فكان يلازم دار علي بن معاذ لموضع أبي صالح وأحمد بن أبي صالح هذا هو الذي يقول فيه أبو نواس: يا أحمد المرتجى في كل نائبة ..قم سيدي نعص جبار السماوات. وهذا البيت من قصيدة

■ (1) الحسن بن هانئ بن عبد الاول بن صباح الحكمي بالولاء، أبو نواس: شاعر العراق في عصره. ولد في الاهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخصيب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها سنة 198 هـ.كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمي، أمير خراسان، فنسب إليه. وفي تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق، من الجند من رجال مروان بن محمد، انتقل إلى الاهواز فتزوج امرأة من أهلها اسمها جلبان فولدت له ولدين أحدهما أبو نواس. قال الجاحظ: ما رأيت رجلا أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس. وقال أبو عبيدة: كان أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للمتقدمين. وقال الشافعي: لولا مجون أبي نواس لا خذت عنه العلم. وحكى أبو نواس عن نفسه قال: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب. فما ظنك بالرجال؟ وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية.وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجوده خمرياته.

■ (2) الصفي الحلي، عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم السنبسي الطائي: شاعر عصره. ولد سنة 677 هـ ونشأ في الحلة بين الكوفة وبغداد واشتغل بالتجارة، فكان يرحل إلى الشام ومصر ومار دين وغيرها، في تجارته، ويعود إلى العراق، وانقطع مدة إلى أصحاب ماردين، فتقرب من ملوك الدولة الارتقية، ومدحهم، وأجزلوا له عطاياهم. ورحل إلى القاهرة سنة 726 هـ. فمدح السلطان الملك الناصر. وتوفي ببغداد. سنة 750 هـ

■ (4) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة198 هـ

■ (5) محمد بن يسير البصري، أبو جعفر: شاعر، من أهل البصرة. كان مولى لبنى أسد، أو بني رياش وكانت لهؤلاء خطة بالبصرة قال ابن قتيبة: كان في عصر أبى نواس، وعمر بعده حينا.

■ وأورد مختارات من شعره. توفي نحو 210 هـ وهو صاحب البيت المشهور: أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب أن يلجا. وأورد له الزبيدى في التاج بيتين لقب نفسه فيهما باليسيري.

■ (3) إبراهيم بن عثمان بن نهيك، قيل قتله الرشيد سنة 187 هـ.

☪

قال مالك: أتى فتيان إلى عمر بن عبد العزيز فقالوا: إن أبانا توفي وترك مالا عند عمنا حميد الأمجي*. قال: فأحضره عمر بن عبد العزيز. قال: فلما دخل عليه قال: أنت حميد؟ قال: فقال: نعم. قال: فقال: أنت القائل: من المتقارب: حميد الذي أمج داره..أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع..أتاه المشيب على شربها..فكان كريما فلم ينزع. قال: نعم. قال عمر بن عبد العزيز: ما أراني إلا سوف أحدك. قال، ولم؟ قال: لأنك أقررت بشرب الخمر، وزعمت أنك لم تنزع عنها. قال: أيهات*، أين يذهب بك؟ ألم تسمع الله عز وجل يقول: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء] ؟ قال: فقال عمر: أولى لك يا حميد، ما أراك إلا وقد أفلت، ويحك يا حميد كان أبوك رجلا صالحا وأنت رجل سوء! قال: أصلحك الله، وأينا يشبه أباه؟ كان أبوك رجل سوء وأنت رجل صالح. قال: إن هؤلاء زعموا أن أباهم توفي وترك مالا عندك. قال: صدقوا. قال: فأحضره بخاتم أبيهم. قال: قال: إن أبا هؤلاء توفي مذ كذا وكذا وإني كنت أنفق عليهم من مالي، وهذا مالهم. فقال عمر: ما أجد أحدا أحق أن يكون عنده منك. قال: فقال: أيعود إلي وقد خرج مني؟

☪

دخل الحسن خال الفضل بن الربيع[1]، وكان يتعهد المحبوسين ويشفع فيهم، وكانت غفلة فقال لأبي نواس: ما جرمك حتى حبست في حبس الزنادقة، أزنديق أنت؟ قال معاذ الله، قال: أفتعبد الكبش؟ قال: لا والله ولكن آكله بصوفه، قال: أفتعبد الشمس؟ قال: والله ما أجلس فيها من بغضها فكيف أعبدها؟ قال: أفتعبد الديك؟ قال: لا والله بل آكله، ولقد نقرني ذيك مرة فذبحت من أجله ألف ديك. قال: فلأي شيء حبست؟ قال: لأني أشرب شراب أهل الجنة وأنام خلف الناس.قال: وأنا أيضا أفعل ذلك، ثم خرج إلى الفضل، فقال: ما أحسنتم جواز نعم الله، تحبسون من لا ذنب له، سألت رجلا في الحبس عن ذنبه فقال كذا وكذا، وعرفه بكل ما جرى بينه وبين أبي نواس فضحك، ودخل على الأمين فأخبره، فأمر بتخليته، وقال في هذا: يا رب إن القوم قد ظلموني..وبلا اقتراف خطيئة حبسوني..أما الأمين فلست أرجو دفعه..عني فمن لي اليوم بالمأمون.فبلغت المأمون وهو بخراسان فقال: والله لئن بقيت له لأرفعن شأنه، فمات قبل دخول المأمون بغداد سنة أربع ومائتين. قال محمد بن نافع: كان أبو نواس لي صديقا، فوقعت بيني وبينه هجرة في آخر عمره، ثم بلغني وفاته، فتضاعف علي الحزن، فبينا أنا بين النائم واليقظان إذا أنا به، فقلت: أبو نواس ؟ قال: لات حين كنية، قلت: الحسن بن هانيء ؟ قال: نعم. قلت: ما فعل الله عز وجل بك ؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها هي تحت ثني الوسادة. فأتيت أهله، فلما أحسوا بي أجهشوا بالبكاء، قلت لهم: هل قال أخي شعرا قبل موته ؟ قالوا: لا نعلم. إلا أنه دعا بدواة وقرطاس فكتب شيئا لا ندري ما هو. قلت: ائذنوا لي أدخل. قال: فدخلت إلى مرقده فإذا ثيابه لم تحرك بعد، فرفعت وسادة فلم أر شيئا، ثم رفعت أخرى فإذا رقعة فيها مكتوب: من الكامل: يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة..فلقد علمت بأن عفوك أعظم..إن كان لا يرجوك إلا محسن..فمن الذي يدعو ويرجو المجرم ؟..أدعوك رب كما أمرت تضرعا..فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم ؟..مالي إليك وسيلة إلا الرجا..وجميل عفوك، ثم أني مسلم.

----

* (أمج) بالجيم وفتح أوله وثانيه والأمج في اللغة العطش بلد من أعراض المدينة بينها وبين مكة على أميال من قديد منها حميد الأمجي (هيهات) وهَيْهاتَ وهَيْهاتِ كلمة معناها البعد وقيل هيهات كلمة تبعيد. و أَيهاتَ: لغة في هيهات

■ (1) الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس: وزير أديب حازم. كان أبوه وزيرا للمنصور العباسي. واستحجبه المنصور لما ولى أباه الوزارة، فلما آل الامر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان صاحب الترجمة من كبار خصومهم، حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة، قال صاحب غربال الزمان: وكانت نكبتهم على يديه. وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد. واستخلف الامين، فأقره في وزارته، فعمل على مقاومة المأمون. ولما ظفر المأمون استتر الفضل سنة 196 هـ ثم عفا عنه المأمون وأهمله بقية حياته. وتوفي بطوس. يسنة 208 هـ والفضل بن الربيع هو من أحفاد أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان.

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص/ الأعلام للزركلي/ المحاضرات في اللغة و الأدب/ مختصر تاريخ دمشق/ لسان العرب/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ المحاسن والمساوئ/.

قال ابن الجوزي: حج الرشيد سنة إحدى عشرة من خلافته، فلما نزل بالكوفة، بعد قفوله من الحج، دعا إسماعيل بن صبيح[1] فقال: إني أردت الليلة أن أطوف في محال الكوفة وقبائلها فتأهب لذلك، قلت: نعم. فلما مضى ثلث الليل قام وقمت معه، وركب حمارا وركبت أنا آخر، ومعي خادم ومعه خادم من خاصة خدمه. فلم نزل نطوف المحال والقبائل حتى انتهينا إلى النخع* فسمعنا كلاما. فقال الرشيد لأحد الخادمين: أدن من الباب وتعرف ما هذا الكلام؟ فتطلع من موضع في الباب فرأى نسوة يغزلن حول مصباح وجارية منهن تنشد شعرا وتردد أبياته وتتبع كل بيت برنة وأنة، وتبدي زفرة: وتفيض عبرة، والنسوان اللواتي معها يبكين لبكائها فحفظ الخادم من شعرها هذه الأبيات: هل أرى وجه حبيب شفني،..بعد فقدانيه، أفراط الجزع؛..قد برى شوقي إليه أعظمي، وبلى قلبي هواه وفزع..ليت دهرا مر، والقلب به..جذل، والعيش حلو قد رجع؛..وعفت آثاره منه فيا،..ليت شعري، ما به الدهر صنع؟..قد تمسكت على وجدي به..بجميل الصبر، لو كان نفع.

فقال للخادمين: أعرفا الموضع إلى غد. ورجعنا إلى البصرة، فلما طلع الفجر وفرغ من صلاته وتسبيحه، قال للخادمين: أمضيا إلى الدار فإن كان فيها رجل من وجوه الحي فجيئا به حتى أسأله عما أريده. فسار الخادمان إلى الدار فلم يجدا فيها رجلا، فدخلا إلى مسجد الحي فقالا لأهله: أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: أحببت أن يجيئني منكم أربعة أسألهم عن أمر. قالوا: سمعا وطاعة. وقاموا معهما فدخلوا على الرشيد، فقربهم وأدناهم، وقال لهم: طفت البارحة في بلدكم تفقدا لأحوالكم، فسمعت في دار من دياركم امرأة تنشد شعرا وتبكي. وقد خفت أن تكون مغيبة، وأن نزاع النفس أهون من نزاع الشوق، وقطع الأوصال أهون من قطع الوصال، وقد أحببت أن أعرف خبرها منكم. قالوا: يا أمير المؤمنين، هذه البارعة بنت عوف بن سهم[2] كان أبوها زوجها ابن عم لها يقال له سليمان بن همام[2] على عشرة آلاف درهم، فهلك أبواهما من قبل أن يجتمعا، فاكتتب زوجها مع عاملك إلى اليمن لقلة ذات يده، وخرج منذ خمس سنين، فحزنت عليه، وطال شوقها إليه، فهي تنشد الأشعار فيه وتستريح إلى ذكره. فأمر الرشيد من ساعته أن يكتب إلى عامله باليمن في حمل سليمان بن همام على البريد إلى حضرته إلى بغداد. فما مضت أيام بعد وصول الرشيد حتى دخل عليه إسماعيل بن صبيح، فقال: يا أمير المؤمنين قد وصل النخعي* الذي أمرت بحمله إليك. فأمر بإدخاله عليه، فنظر إلى رجل معتدل القامة، ظاهر الوسامة، ذرب اللسان، حسن البيان، فقال: أنت سليمان بن همام؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين. قال له: أقصص علي خبرك! فقص عليه الخبر فوجده مطابقا لما خبره به الأربعة النفر، فأمر له بعشرين ألف درهم، فأخذ ذلك من يومه ورحل إلى الكوفة فدخل بأهله وكان الرشيد يتعاهده ببره.

*(النخعي) بفتح النون والخاء وبعدها عين مهملة هذه النسبة إلى النخع وهي قبيلة كبيرة من مذحج واسم النخع جسر بن عمرو بن علة بن جلد ابن مالك بن أدد وقيل له النخع لأنه أنتخع من قومه أي بعد عنهم نزله بيشة ونزلوا في الإسلام الكوفة

■ (1) إسماعيل بن صبيح اليشكري الكوفي صدوق من التاسعة، كتب للرشيد، وخص به، يروى عن حماد بن سلمة روى عنه أبو كريب محمد بن العلاء روى له بن ماجة مات سنة 217 هـ

■ (2) البارعة بنت عوف بن سهم ؟ سليمان بن همام النخعي ؟

☪

قال أحمد بن المكي: كانت دنانير –الجارية– لرجل من أهل المدينة، كان قد خرجها وأدبها، وكانت أروى الناس للغناء القديم، وكانت صفراء صادقة الملاحة. فلما رآها يحيى[1] وقعت من قلبه موقعا فاشتراها. وشغف بها الرشيد حتى كان يصير إلى منزل مولاها فيسمعها، فألفها واشتد إعجابه بها، ووهب لها هبات سنية. منها أنه وهب لها في ليلة عقدا قيمته ثلاثون ألف دينار، فردته عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك. وعرفت أم جعفر[2] الخبر فشكته إلى عمومته وأهله، فصاروا جميعا إليه فعاتبوه، فقال: مالي في هذه الجارية أرب في نفسها، وإنما أربي في غنائها، فاسمعوها، فإن استحقت أن تؤلف لغنائها وإلا فقولوا ما شئتم. فلما سمعوها عذروه، وعادوا إلى أم جعفر وأشاروا عليها ألا تلح في أمرها، فقبلت ذلك، وأهدت إلى الرشيد عشر جوار منهن أم المأمون وأم المعتصم وأم صالح. وقال عمر بن شبة: إن دنانير أصابتها العلة الكلبية فكانت لا تصبر على الطعام ساعة واحدة، وكان يحيى يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لأنها كانت لا تصومه. وبقيت عند البرامكة مدة طويلة. وقال إسحاق وأحمد بن الطيب: إن الرشيد دعا بدنانير بعد البرامكة، فأمرها أن تغني. فقالت: يا أمير المؤمنين، إني آليت ألا أغني بعد سيدي أبدا. فغضب وأمر بصفعها فصفعت، وأقيمت على رجليها وأعطيت العود، فأخذته وهي تبكي أحر بكاء، واندفعت فغنت: يا دار سلمى بنازح السند..من الثنايا ومسقط اللبد..لما رأيت الديار قد درست..أيقنت أن النعيم لم يعد. قال: فرق لها الرشيد، وأمر بإطلاقها، فانصرفت. وفي رواية قال أبو الفرج علي بن الحسين أخبرني عمي حدثني هرون بن مخارق عن أبيه[3] قال: كنت حاضرا في مجلس الرشيد وقد أحضر دنانير البرمكية بعد إحضاره إياها في الدفعة الأولى وابتياعه لها، فلما دخلت أكرمها ورفع مجلسها وطيب نفسها بعهده ثم قال لها: يا دنانير إنما كان مولاك وأهله عبيدا لي وخدما فاصطفيتهم فما صلحوا وأوقعت بهم لما فسدوا فاعد لي عمن فاتك إلى من تحصلينه، فقالت: يا أمير المؤمنين، إن القوم أدبوني وخرجوني وقدموني وأحسنوا إلي إحسانا منه أنك قد عرفتني بهم وحللت هذا المحل منك ومن إكرامك فما أنتفع بنفسي ولا بما تريده مني ولا يجيء كما تقدر بأني إذا ذكرتهم وغنيت غلب علي من البكاء ما لا يبين معه غناء ولا يصح وليس هذا مما أملك دفعه ولا أقدر على إصلاحه ولعلي إذا تطاولت الأيام أسلو ويصلح من أمري ما قد تغير وتزول عني لوعة الحزن عند الغناء ويزول البكاء، فدعا الرشيد بمسرور وسلمها إليه وقال له: اعرض عليها أنواع العقاب حتى تجيب إلى الغناء، ففعل ذلك فلم ينفع فأخبره به فقال له: ردها إلي فردها فقال لها: إن لي عليك حقوقا ولي عندك صنائع فبحياتي عليك وبحقي إلا غنيت اليوم ولست أعاود مطالبتك بالغناء بعد اليوم، فأخذت العود وغنت: تبلى مغازي الناس إلا غزوة بالطالقان جديدة الأيام ولقد غزا الفضل بن يحيى[4] غزوة تبقى بقاء الحل والإحرام ولقد حشمت الفاطمي على التي كادت تزيل رواسي الإسلام وخلعت كفر الطالقان هدية للهاشمي إمام كل إمام، ثم رمت بالعود وبكت حتى سقطت مغشية وشرقت عين الرشيد بعبرته فردها وقام من مجلسه فبكى طويلا ثم غسل وجهه وعاد إلى مجلسه، وقال لها: ويحك قلت لك سريني أو غميني وسوئيني، اعدلي عن هذا وغني غيره، فأخذت العود وغنت: ألم تر أن الجود من صلب آدم تحدر حتى صار في راحة الفضل إذا ما أبو العباس جادت سماؤه فيا لك من جود ويا لك من فضل، قال: فغضب الرشيد وقال: قبحك الله خذوا بيدها وأخرجوها، فأخرجت ولم يعد ذكرها بعد ذلك ولبست الخشن من الثياب ولزمت الحزن إلى أن ماتت ولم يف للبرامكة من جواريهم غيرها. وقال أبو عبد الله بن حمدون : إن عقيدا مولى صالح بن الرشيد خطب دنانير وشغف بها فردته، فاستشفع إليها بمولاه صالح بن الرشيد[5] وببذل والحسين بن محرز[6] فلم تجب، وأقامت على الوفاء لمولاها. فكتب إليها عقيد: يا دنانير قد تنكر عقلي..وتحيرت بين وعد ومطل..شغفي شافعي إليك وإلا..فاقتليني إن كنت تهوين قتلي..أنا بالله والأمير وما آ..مل من موعد الحسين وبذل..ما أحب الحياة يا حب إن لم..يجمع الله عاجلا بك شملي. فلم يعطفها ذلك عليه، ولم تزل على حالها حتى ماتت. ولعقيد هذا فيها أشعار فيها غناء. وكان عقيد حسن الغناء، وله فيها أصوات، منها قوله: هذي دنانير تنساني وأذكرها..وكيف تنسى محبا ليس ينساها..أعوذ بالله من هجران جارية..أصبحت من حبها أهذي بذكراها..قد أكمل الحسن في تركيب صورتها..فارتج أسفلها واهتز أعلاها..قامت لتمشي فليت الله صورني.. ذاك التراب الذي مسته رجلاها..والله والله لو كانت ، إذا برزت،..نفس المتيم في كفيه ألقاها. قيل بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت إذا هو برجل على عنقه مثل المهاة وهو يقول: عدت لهذي جملا ذلولا..موطأ أتبع السهولا..أعدلها بالكف أن تزولا..احذر أن تسقط أو تميلا..أرجو بذاك نائلا جزيلا. فقال له عمر رضي الله عنه من هذه التي وهبت لها حجك؟! قال: امرأتي، يا أمير المؤمنين، قال: بم؟! قال: إنها حمقاء مرغامة* أكول قامة ، ما تبقي لنا خامة، قال: فما لك لا تطلقها؟! قال: يا أمير المؤمنين، حسناء فلا تفرك، وأم عيال فلا تترك، قال: فشأنك بها. قال عبد الملك بن حبيب: بينما أبو حازم يطوف بالبيت إذ مرت به امرأة ذات حسن وجمال مسفرة عن وجهها وهي تطوف بالبيت، فقال لها: يا أمة الله إن هذا موضع رغبة، فلو استترت فلم تفتني الرجال! فقالت: يا أبا الحازم، أنا من اللائي قال فيهن العرجي:من اللائي لم يحججن يبغين حسبه..ولكن ليقتلن التقي المغفلا. فقال لها أبو حازم: صان الله هذا الوجه عن النار، فقيل له: أفتنتك يا أبا حازم؟! فقال: لا، ولكن الحسن مرحوم. قال الأصمعي: حدثني حسن الوصيف الحاجب حاجب المهدي قال: كنا بزبالة، إذا أعرابي يقول: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك، إني عاشق. قال: وكان يحب ذكر العشاق والعشق. فدعا الأعرابي، فلما دخل عليه، قال: سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم قعد، فقال له: ما اسمك؟ قال: أبو مياس. قال: يا أبا مياس، من عشيقتك؟ قال: ابنة عمي، وقد أبى أن يزوجنيها. قال: لعله أكثر منك مالا. قال: لا، بل أنا أكثر منه مالا. قال: فما القصة؟ قال: أدن مني رأسك. فجعل المهدي يضحك، وأصغى إليه رأسه، فقال: إني هجين. قال: ليس يضرك ذاك، إخوة أمير المؤمنين وولده أكثرهم هجن، يا غلام، علي بعمه. قال: فأتي به، فإذا أشبه خلق الله بأبي مياس، كأنهما باقلاة* فلقت، فقال المهدي: ما لك لا تزوج أبا مياس، وله هذا اللسان والأدب، وقرابته منك قرابته؟ قال: إنه هجين. قال: فإخوة أمير المؤمنين وولده أكثرهم هجين، فليس هذا مما ينقصه، زوجها منه، فقد أصدقتها عنه عشرة آلاف درهم. قال: قد فعلت. فأمر له بعشرين ألف درهم. فخرج أبو مياس، وهو يقول: من الكامل: ابتعت ظبية بالغلاء وإنما..يعطي الغلاء بمثلها أمثالي..وتركت أسواق القباح لأهلها..إن القباح وإن رخصن غوال. [أبو مياس الأعرابي الشاعر] صار أعرابي إلى سوار القاضي فقال: إن أبي مات وتركني وأخي فخط خطين ناحية، وترك هجينا فخط آخر ناحية بعيدا من الأولين، فكيف يقسم المال؟ قال: المال بينكم أثلاثا! فقال الأعرابي: لا أحسبك فهمت فأعاد عليه الفتيا فقال: المال بينكم سواء. فقال: أيأخذ الهجين كما نأخذ؟ قال سوار: نعم. فغضب الأعرابي وقال: اعلم أنك قليل الخالات بالدهناء! فقال: لا يضرني.

*(المهاة) خرزة بيضاء (مرغامة) امرأة مرغامة مغضبة لبعلها (الهجين) العربي ابن الامة (ابتاع) اشترى (الظبية) الغزالة (باقلاة) باقلاة و باقلاءة باقلاء: الفول

■ (1) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (2) أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هائم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها.أعرس بها هارون الرشيد في ذي الحجة في سنة 165 في قصره المعروف بالخلد. وكانت وفاتها في سنة 216 هـ في جمادى الأولى ببغداد، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة 186 هـ.

■ (4) أبو العباس، الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماش بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد.وكان ابنه الفضل من رجال الكمال، ولي إمرة خراسان، وعمل الوزارة، وكان فيها = قيل- أسخى من أخوه جعفر البرمكي، ولكنه يضرب بكبره وتيهه المثل، وكان أخا للرشيد من الرضاعة وعمل الوزارة مدة لهارون، ثم حولها منه إلى جعفر، واستعمل على المشرق كله هذا، واستعمل جعفرا على المغرب كله. ولد الفضل البرمكي سنة 176 هـ وتوفي بالسجن سنة 193 هـ.

■ (5) صالح بن هارون الرشيد بن محمد المهدي؛ أمه أم ولد يقال لها ريم، ولاه أخوه المأمون البصرة سنة أربع ومائتين، وحج بالناس سنة ثمان ومائتين، وكان أديبا يقول الشعر

■ توفي سنة 209 هـ، ونزل المأمون في قبره، وامتنع من الطعام والشراب أياما حتى خاف أن يضر به ذلك، وكان المأمون يعده للأمر بعده، وكان المأمون يقول: إني ليسهل علي أمر الموت وفقد الملك لمحبتي أن يلي أبو عيسى الأمر من بعدي. وكانت لأبي عيسى صناعة في الغناء.

■ (3) مخارق بن يحيى ين ناووس الجزار مولى الرشيد أبو المهنا، المطرب قدم دمشق مع المأمون.ومخارقا مات سنة231 هـ بسر من رأى.

■ (6) الحسين بن محرز المدائني.... كان شاعر ومغني

مراجع: أخبار النساء/ الأعلام للزركلي/ اللباب في تهذيب الأنساب/ معجم البلدان/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ الوافي بالوفيات/ أخبار مكة للفاكهي/ تاريخ دمشق/ـمختصر تاريخ دمشق/ لسان العرب/ محاضرات الأدباء/

لما عزم يحيى بن خالد البرمكي[1] على استخدام الفضل[2] للمأمون، وصفه بحضرة الرشيد، فقال الرشيد: أوصله إلي، فلما أدخله لحقته حيرة. فنظر الرشيد إلى الوزير يحيى نظر منكر لاختياره له، فقال الفضل: يا أمير المؤمنين، إن من أعدل الشواهد على فراهة المملوك أن تملك قلبه هيبة سيده، فقال الرشيد: لئن كنت سكت لتصوغ هذا الكلام لقد أحسنت، وإن كان بديهة لأحسن وأحسن. ثم لم يسأله بعد ذلك عن شيء إلا أجاب بما يصدق وصف يحيى له. وكان فيه فضائل، وكان يلقب بذي الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف. وكان يتشيع، وكن من اخبر الناس بعلم النجامة، وأكثرهم إصابة في أحكامه.

حكى أبو الحسين السلامي أنه لما عزم المأمون على إرسال طاهر بن الحسين[3] إلى محاربة أخيه الأمين[4]، نظر الفضل بن سهل في مسألته، فوجد الدليل في وسط السماء، وكان ذا عينين، فأخبر المأمون بأن طاهرا يظفر بالأمين. وتلقب بذي اليمينين، فكان الأمر كذلك. فتعجب المأمون من إصابة الفضل، ولقب طاهرا بذلك. وولع المأمون بالنظر في علم النجوم، قال السلامي: ومما أصاب الفصل بن سهل فيه من أحكام النجوم، أنه اختار للطاهر بن الحسين حين سمي للخروج إلى الأمين وقتا عقد فيه لواء، فسلمه إليه، ثم قال له: لقد عقدت لك لواء لا يحل خمسا وستين سنة. وكان بين خروج طاهر بن الحسين إلى وجه علي بن عيسى بن ماهان[5] مقدم جيش الأمين، وقبض يعقوب بن الليث الصفار[6] على محمد بن طاهر[7] بنيسابور خمس وستون سنة. وكان قبض يعقوب بن الليث على محمد المذكور يوم الأحد لليلتين خلتا من شوال سنة تسع وخمسين ومائتين.ومن إصاباته أيضا ما حكم به على نفسه. وذلك أن المأمون طالب والدة الفضل بما خلفه، فحملت إليه سلة مختومة مقفلة، ففتح قفلها فإذا صندوق صغير مختوم، فإذا فيه درج، وفي الدرج رقعة حرير مكتوب فيها بخطه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قضى الفضل بن سهل على نفسه، قضى أنه يعيش ثمان وأربعين سنة، ثم يقتل بين ماء ونار، فعاش هذه المدة ثم قتله غالب خال المأمون في حمام بسرخس*. وله غير ذلك إصابات كثيرة.

ويحكى أنه قال يوما لثمامة بن الأشرس[8]: ما أدري ما أصنع في طلاب الحاجات، فقد كثروا علي وأضجروني. فقال له: زل عن موضعك، وعلي أن لا يلقاك أحد منهم، قال: صدقت. وانتصب لقضاء أشغالهم. وكان قد مرض بخراسان، وأشرف على التلف. فلما أصاب العافية، جلس للناس، فدخلوا عليه، و وهنوه بالسلامة، وتصرفوا في الكلام، فلما فرغوا من كلامهم، أقبل على الناس وقال: إن في العلل لنعما، لا ينبغي للعاقل أن يجهلها بمحيص الذنوب والتعرض لثواب الصبر، والإيقاظ من الغفلة، والإذكار بالنعمة في حال الصحة، واستدعاء التوبة، والحض على الصدقة، قالوا: ولما ثقل أمره على المأمون، دس عليه خاله غالبا المسعودي الأسود، فدخل عليه الحمام بسرخس، ومعه جماعة فقتلوه مفاوضة (مغافصة*)، وذلك يوم الجمعة ثاني شعبان من السنة المذكورة، وقيل في التي تليها، وعمره أربعون، وقيل إحدى وأربعون سنة وخمسة أشهر والله أعلم.

وذكر الطبري في تاريخه أنه كان عمره ستين سنة، وقيل سنة اثنتين ومائتين يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان. قلت: وهو الصحيح. ورثاه مسلم بن الوليد ودعبل وإبراهيم بن العباس، رحمه الله تعالى. ومات والده سهل في سنة اثنتين أيضا، بعد قتل ابنه بقليل. وعاشت أمه وأم أخيه الحسن حتى أدركت عرس بوران على المأمون. ولما قتل مضى المأمون إلى والدته، ليعزيها، فقال لها: لا تأسي عليه، ولا تجزعي لفقده، فإن الله قد أخلف عليك مني ولدا به يقوم مقامه، فمهما كنت تنشطين إليه فيه، فلا تنصصي عني منه. فبكت ثم قالت: يا أمير المؤمنين، وكيف لا أحزن على ولد النسبي، ولد مثلك.

----

*(السرخسي) بفتح السين المهملة والراء وسكون الخاء المعجمة وبعدها سين مهملة، هذه النسبة إلى سرخس، وهي مدينة بخراسان.(المفاوضة) أن يشتركا في كل شيء. (غفص) والمغافصة: المفاجأة. غافصته مغافصة أي: أخذته على غرة فركبته بمساءة والاسم الغفصة مثل الخلسة

■ (2) الفضل بن سهل السرخسي الوزير، وأخو الوزير الحسن بن سهل.أسلم أبوهما على يد المهدي، وأسلم الفضل سنة تسعين 190 هـ على يد المأمون. وقيل: لما عزم جعفر البرمكي على استخدام الفضل للمأمون وصفه بحضرة الرشيد، ونطق الفضل، فرآه الرشيد فطنا بليغا. وكان يلقب ذا الرئاستين لانه تقلد الوزارة والحرب. وكان شيعيا منجما ماكرا، أشار بتجهيز طاهر بن الحسين، وحسب بالرمل بأنه يظفر بالامين. ويقال: إن من إصاباته الكاذبة أنه حكم لنفسه أنه يعيش ثمانيا وأربعين سنة، ثم يقتل بين ماء ونار، فعاش كذلك، وقتله خال المأمون في حمام سرخس في شعبان سنة 202 هـ. وقد امتدحه فحول الشعراء، وازدادت رفعته حتى ثقل أمره على المأمون، فدس عليه خاله غالبا الاسود في جماعة، فقتلوه، وبعده بأيام مات أبوه. وأظهر المأمون حزنا لمصرعه، وعزى والدته، وقال: إن الله أخلفني عليك بدل ابنك، فبكت، وقالت: كيف لا أحزن على ولد أكسبني ولدا مثلك. ثم عاشت وأدركت عرس بنت ابنها بوران على المأمون وكان الحسن بن سهل من كبار الوزراء المدحين.

■ (1) يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل: يحيى البرمكي الوزير السري الجواد، سيد بني برمك وأفضلهم. وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه. رضع الرشيد من زوجة يحيى مع ابنها الفضل، فكان يدعوه: يا أبي ! وأمره المهدي سنة 163 هـ وقد بلغ الرشيد الرابعة عشرة من عمره، أن يلازمه، ويكون كاتبا له، وأكرمه بمئة ألف درهم، وقال: هي معونة لك على السفر مع هارون. ولما ولي هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى، وقلده أمره، فبدأ يعلو شأنه. واشتهر يحيى بجوده وحسن سياسته. واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة فقبض عليه وسجنه في الرقة إلى أن مات سنة 190 هـ، فقال الرشيد: مات أعقل الناس وأكملهم. أخباره كثيرة جدا. قال المسعودي: كانت مدة دولة البرامكة وسلطانهم وأيامهم النضرة الحسنة، من استخلاف هارون الرشيد إلى أن قتل جعفر بن يحيى، سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما. ويستفاد من كشف الظنون أن أول من عني بتعريب المجسطي يحيى بن خالد، فسره له جماعة ولم يتقنوه فأتقنه بعدهم بعض أصحاب بيت الحكمة. ومن كلام يحيى لبنيه: اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون.

■ (3) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، أبو الطيب، وأبو طلحة: من كبار الوزراء والقواد، أدبا وحكمة وشجاعة. وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي. ولد في بوشنج من أعمال خراسان وسكن بغداد، فاتصل بالمأمون في صباه، وكانت لابيه منزلة عند الرشيد. ولما مات الرشيد وولي الامين، كان المأمون في مرو، فانتدب طاهرا للزحف إلى بغداد، فهاجمها وظفر بالامين وقتله سنة 198 هـ وعقد البيعة للمأمون، فولاه شرطة بغداد، ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب، في السنة نفسها 198 هـ وخراسان سنة 205 هـ وكان في نفس المأمون شئ عليه، لقتله أخاه الامين بغير مشورته. ولعله شعر بذلك. فلما استقر في خراسان، قطع خطبة المأمون، يوم جمعة، فقتله أحد غلمانه في تلك الليلة، بمرو، وقيل: مات مسموما. سنة 207 هـ ولقب بذي اليمينين لانه ضرب رجلا بشماله، فقده نصفين، أو لانه ولي العراق وخراسان، لقبه بذلك المأمون. وكان أعور.

■ (4) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة 198 هـ

■ (5) علي بن عيسى بن ماهان: من كبار القادة في عصر الرشيد والأمين. وهو الذي حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد. وسيره لقتال المأمون بجيش كبير، وولاه إمارة الجبل وهمذان وأصفهان وقم، فخرج من بغداد في 40 ألف فارس، فتلقاه طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون في الري فقتل ابن ماهان ونهزم سنة 195هـ

■ (8) ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن: من كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون. وكان ذا نوادر وملح. من تلاميذه الجاحظ. وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه. وعده المقريزي في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يسمون الثمامية نسبة إليه، وأورد بعض ما انفردوا به من الآراء والمعتقدات. وقال ابن حزم: كان ثمامة يقول: إن العالم فعل الله بطباعه. وقال الجاحظ: ما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي بلغ من حسن الافهام، مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج، مع السلامة من التكليف، ماكان بلغه. مات سنة 213 هـ وفي الموسوعة الحرة قالوا: أبو بشر ثمامة بن الأشرس النميري المعتزلي، المتكلم المشهور أبو معن النميري مات حوالي 225 هـ

■ (7) محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ابن الحسين الخزاعي: أمير خراسان. وليها بعد أبيه سنة 248 هـ وحاربه يعقوب الصفار فأسره. وخلص من الاسر يوم هزيمة الصفار سنة 262 هـ وأعيد إلى الامارة سنة 271 هـ وعزل في أواخر أيامه، فعاش خاملا في بغداد إلى أن توفي سنة 298 هـ.

■ (6) يعقوب بن الليث الصفار، أبو يوسف: من أبطال العالم، وأحد الامراء الدهاة الكبار. كان في صغره يعمل الصفر =النحاس- في خراسان ويظهر الزهد. ثم تطوع في قتال الشراة. فانضوى إليه جمع، فظفر في معركة معهم. وأطاعه أصحابه، واشتدت شوكته، فغلب على سجستان سنة 247 هـ ثم امتلك هراة وبوشنج. واعترضته الترك، فقتل ملوكهم وشتت جموعهم، فهابه أمير خراسان وغيره من أمراء الاطراف. ثم امتلك كرمان وشيراز، واستولى على فارس، فجبى خراجها. ورحل عنها إلى سجستان قاعدة ملكه. وكتب إلى الخليفة ببغداد، وهو يومئذ المعتز بالله يعرض طاعته ويقدم له هدايا من نفائس غنمها بفارس. وفي سنة 259 هـ انتحل لنفسه عذرا في اقتحام نيسابور، فدخلها عنوة، وقبض على أميرها محمد بن طاهر آخر الامراء من هذه الاسرة وتم له ملك خراسان وفارس، فطمع ببغداد، فزحف إليها بجيشه، وكان الخليفة فيها المعتمد على الله فخرج جيش المعتمد، ونشبت بينهما حرب طاحنة، ولم يظفر الصفار، فعاد إلى واسط ينظر في شؤون إمارته الواسعة، فتوفي سنة 265 هـ بجنديسابور من بلاد خوزستان وكان الحسن بن زيد العلوي يسميه السندان لثباته.

☪

خرج المأمون من مرو متوجها إلى العراق سنة 202 هـ والسبب في ذلك أن علي بن موسى بن جعفر بن محمد الرضي أخبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل أخوه محمد وبما كان الفضل بن سهل يستره عنه من أخبار الناس وأن أهل بيته قد نقموا عليه أشياء وأنهم يقولون أنه مسحور مجنون وأنهم لما رأوا ذلك بايعوا عمه إبراهيم بن المهدي بالخلافة فقال له المأمون: أنهم ما بايعوه بالخلافة وإنما صيروه أميرا يقوم بأمرهم على ما كان أخبره به الفضل فأعلمه أن الفضل قد كذبه وغشه وأن الحرب قائمة بين إبراهيم والحسن وأن الناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه ومكان بيعتي من بعدك فقال: ومن يعلم هذا من أهل عسكري؟ فقال له: يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وعدة من وجوه أهل العسكر فقال له: أدخلهم علي حتى أسألهم عما ذكرت، فأدخلهم عليه وهم هؤلاء وجماعة آخرون فيهم علي بن أبي سعيد وهو ابن أخت الفضل فسألهم المأمون عما أخبره به علي بن موسى الرضي فأبوا أن يخبروه حتى يجعل لهم الأمان من الفضل بن سهل ألا يعرض لهم فضمن ذلك لهم وكتب لكل رجل منهم كتابا بخطه ودفعه إليهم فأخبروه بما فيه الناس من الفتن وبينوا له ذلك وأخبروه بغضب أهل بيته ومواليهم وقواده في أشياء كثيرة وبما موه عليه الفضل من أمر هرثمة وأن هرثمة إنما جاء لنصحه وليس له ما يعمل عليه وأنه إن لم يتدارك أمره خرجت الخلافة منه ومن أهل بيته وأن الفضل دس إلى هرثمة من قتله حين أراد نصحه وأن طاهر بن الحسين قد أبلى في طاعته ما أبلى وافتتح له ما افتتح وقاد إليه الخلافة مزمومة حتى إذا وطأ له الأمر أخرج من ذلك كله وصير في زاوية من الأرض بالرقة وقد حظرت عليه الأموال حتى ضعف أمره وشغب عليه جنده ولو أنه كان على خلافتك ببغداد لضبط الملك ولم يجترأ عليه بمثل ما اجترى على الحسن بن سهل وأن الدنيا قد تفتقت من أقطارها وأن طاهر بن الحسين قد تنوسي في هذه السنين منذ قتل محمد بالرقة لا يستعان به في شئ من هذه الحروب وسألوا المأمون الخروج إلى بغداد وقالوا: أن بني هاشم والموالي والقواد لو قد رأوا غرتك سكنوا ونخعوا بالطاعة لك، قال: فلما تحقق ذلك عنده أمر بالرحيل إلى بغداد فلما أمر بذلك علم الفضل بن سهل ببعض أمرهم فتعنتهم حتى ضرب بعضهم بالسياط وحبس بعضا ونتف لحى بعض فعاوده علي بن موسى الرضي في أمرهم وأعلمه ما كان من ضمانه لهم فقال له: إني أداري أمري وسأبلغ ما فيه الصلاح بمشيئة الله، ثم ارتحل من مرو فلما أتى سرخس شد قوم على الفضل بن سهل وهو في الحمام فضربوه بالسيوف حتى مات وذلك يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان سنة 202 وكان الذين قتلوه أربعة نفر من حشم المأمون غالب الأسود المسعودي وقسطنطين الرومي وفرج الديلمي وموفق الصقلبي وقتل الفضل وله ستون سنة وهربوا فبعث المأمون في طلبهم وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار فجئ بهم فسألهم المأمون فقال بعضهم: أن علي بن أبي سعيد ابن أخت الفضل دسهم ومنهم من أنكر وقد حكى أن منهم من قال: أنت أمرتنا بقتله فأمر المأمون بهم فضربت أعناقهم ثم بعث إلى عبد العزيز بن عمران وعلي ومؤنس وغيرهم ممن كانوا سعوا بالفضل إليه فسألهم فأنكروا أن يكونوا علموا بشيء من ذلك فلم يقبل ذلك منهم وأمر بهم فقتلوا وبعث برؤوسهم إلى الحسن بن سهل إلى واسط وأعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل وأنه قد صيره مكانه، ورحل المأمون من سرخس نحو العراق وقد كان المطلب ابن عبد الله بن مالك يدعو في السر إلى المأمون وإلى خلع إبراهيم على أن منصور بن المهدي خليفة المأمون فأجابه منصور وخزيمة وجماعة من القواد وكاتب المطلب حميدا وعلي ابن هشام أن يتقدما ونزل حميد صرصر وعلي النهروان وتحقق عند إبراهيم الخبر فخرج من المدائن إلى نحو بغداد وطلب المطلب وأصحابه فامتنع المطلب فنادى من أراد النهب فليأت دار المطلب فانتهبوا داره ودور أهل بيته ولم يظفر بهم وندم إبراهيم حيث صنع بالمطلب ما صنع ثم لم يظفر به وبلغ الخبر حميدا وابن هشام فأما حميد فبعث من جهته من أخذ المدائن وقطع الجسر ونزلها وأما علي بن هشام فبعث من جهته من أتى نهر ديالي وقطع الجسر.

مراجع: الأعلام للزركلي/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ تجارب الأمم وتعاقب الهمم/ ديوان الأدب/ المحيط في اللغة/ لسان العرب/ الوافي بالوفيات/

قال الإمام الذهبي: في مقتل جعفر البرمكي[1]، وقد اختلف في سبب قتله على أقوال، فقيل: إن جبريل بن بختيشوع[2]الطبيب قال: إني لقاعد عند أمير المؤمنين الرشيد، إذ أتى يحيى بن خالد بن برمك[3]، وكان يدخل بلا إذن، فلما قرب سلم، فرد عليه الرشيد ردا ضعيفا، فعلم يحيى أن أمرهم قد تغير، فأقبل علي الرشيد وقال: يا جبريل، يدخل عليك أحد منزلك بلا إذن فقلت: لا قال: فما بالنا يدخل علينا بلا إذن فوثب يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، قدمني الله قبلك، والله ما هو إلا شيء خصصتني به، والآن فأكون في الطبقة الثانية من أهل الإذن إن أمرتني. فاستحيا الرشيد، وكان من أرق الخلفاء، وأطرق ثم قال: ما أردت ما تكره، ولكن الناس يقولون. قال: فظننت أنه لم يسنح له جواب يرتضيه، ثم خرج يحيى.

وقيل: إن ثمامة بن أشرس، قال: أول ما أنكر يحيى بن خالد من أمره، أن محمد بن الليث[4] أبي الربيع الكاتب كتب إلى الرشيد رسالة يعظه فيها ويذكر فيها يحيى بن خالد ويقول: يا أمير المؤمنين إن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئا، وقد جعلته فيما بينك وبين الله عز وجل، فكيف أنت إذا وقفت بين يديه فسألك عما عملت في عباده وبلاده، فقلت: أي رب! استكفيت يحيى بن خالد أمور عبادك، أتراك تحتج بحجة يرضاها؟ مع كلام فيه توبيخ وتقريع، فلما قرأها الرشيد دعا يحيى بن خالد وقد تقدم إلى يحيى خبر هذه الرسالة، فقال له: أتعرف محمدا بن الليث؟ قال: نعم، قال: فأي الرجال هو؟ قال: متهم على الإسلام. فأمر الرشيد بمحمد بن الليث فوضع في المطبق فأقام دهرا، فلما تنكر الرشيد للبرامكة ذكره فأمر بإخراجه فأحضر، فقال له بعد مخاطبة طويلة: يا محمد! أتحبني، قال: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: أوتقول هذا؟ قال: نعم، وضعت في رجلي الأكبال وحلت بيني وبين العيال بلا ذنب ولا حدث أحدثت سوى قول حاسد يكيد الإسلام وأهله، ويحب الإلحاد وأهله، فكيف أحبك؟قال: صدقت، وأمر بإطلاقه، ثم قال له: يا محمد بن الليث أتحبني، قال لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن قد ذهب بعض ما كان في قلبي، فأمر أن يدفع إليه من ساعته مائة ألف درهم فأحضرت، فقال: يا محمد أتحبني؟ قال: أما الآن فنعم، قد أنعمت وأحسنت، فقال: انتقم الله لك ممن ظلمك وأخذ بحقك ممن بغى عليك، فكان هذا أول ما ظهر من الرشيد في أمر يحيى بن خالد ثم تزيد الأمر بعد ذلك.

قال: فقال الناس في البرامكة فأكثروا، وكان ذلك أول ما ظهر من تغير حالهم. وقيل: إن يحيى بن خالد دخل بعد على الرشيد، فقام الغلمان له، وقال الرشيد لمسرور: مرهم لا يقومون. قال: فدخل، فما قام أحد، فأربد وجه يحيى. وقيل: إن سبب قتل جعفر أن الرشيد سلم له يحيى بن عبد الله بن حسن[5]، فرق له بعد قليل وأطلقه. وكان ابن حسن مربوعا، أجلح، بطينا، حسن العينين، فأتى رجل بصفته وهيئته إلى الرشيد وأنه رآه بحلوان. فأعطى الرجل جائزة. وقيل إن جعفر بنى دارا أنفق عليها عشرين ألف ألف درهم فأسرف. وعن موسى بن يحيى بن خالد[6] قال: اعتمر أبي في العام الذي نكب فيه وأنا معه، فتعلق بأستار الكعبة وجعل يقول: اللهم ذنوبي عظيمة لا يحصها غيرك، إن كنت معاقبي فاجعل عقوبتي في الدنيا، وإن أحاط ذلك بسمعي وبصري ومالي وولدي حتى أبلغ رضاك، ولا تجعل عقوبتي في الآخرة. وكان موسى هذا أحد الأبطال الموصوفين. وقيل: إن علي بن عيسى بن ماهان[7] قدح فيه عند الرشيد وأعلمه طاعة أهل خراسان له ومحبتهم إياه، وأنه يكاتبهم ويعمل على الذهاب إليهم، فاستوحش الرشيد منه. ثم ركب موسى دين فاستتر من الغرماء، فتوهم الرشيد أنه سار إلى خراسان، ثم ظهر فحبسه، فكان ذلك أول نكبتهم. فأتت زوجة يحيى بن خالد إلى الرشيد ولاطفته، فقال: يضمنه أبوه. فضمنه يحيى. وكان الرشيد قد غضب على الفضل بن يحيى[8] لتركه الشرب معه. وكان الفضل يقول: لو علمت أن شرب الماء ينقص من مروءتي ما شربته، وكان مشغوفا بالسماع. وأما جعفر فكان ينادم الرشيد، وأبوه يأمره بالإقلال من ذلك فيخالفه. وقد كان يحيى قال: يا أمير المؤمنين، أنا والله أكره مداخلة جعفرمعك، لو اقتصرت به على الإمرة دون العشرة. قال: يا أبه، ليس لعذابك، ولكنك تريد أن تقدم الفضل عليه. قال ابن جرير: حدثني أحمد بن زهير، أظنه عن عمه، زاهر بن حرب، أن سبب هلاك البرامكة أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر، وعن أخته عباسة بنت المهدي. قال وكان يحضرها مجلس الشراب، فقال: أزوجكها على أن لا تلمسها، فكانا يثملان من الشرب وهما شابان، ويقوم الرشيد، فوثب جعفر عليها، فولدت منه غلاما، فخافت الرشيد، فوجهت بالطفل مع حواضن إلى مكة واختفى الأمر. ثم ضربت جارية لها فوشت بها إلى الرشيد، فلما حج أرسل إلى الموضع الذي به الحواضن، وهم بقتل الصبي، ثم تأثم من ذلك. فلما رجع إلى الحيرة وناحية الأنبار أرسل ليلة السبت لانسلاخ المحرم إلى مسرور الخادم ومعه أبو عصمة وأجناد، فأحاطوا بجعفر ليلا، فدخل عليه مسرور وهو في مجلس لهوه، فأخرجه بعنف وقيده بقيد حمار وأتى به، فأعلم الرشيد. فأمر بضرب عنقه، ففعل. وحدث مسرور قال: وقع على رجلي يقبلها، وقال: دعني أدخل فأوصي، قلت: لا سبيل إلى ذلك، فأوص بما شئت. فأوصى وأعتق مماليكه، ثم ذبحته بعد أن راجعت الرشيد فيه، وأتيته برأسه. ثم وجه الرشيد جندا أحاطوا بأبيه وبجميع أولاده ومواليه، وأخذت أموالهم وأملاكهم. وكتب إلى سائر العمال بقبض مالهم. وبعثت جثة جعفر إلى بغداد، فنصبت على خشبة. ونودي ألا لا أمان لمن أوى أحدا من البرامكة.

■ (1) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماس بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

■ (6) موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، أبوه هو الوزير يحيى البرمكي، وأخواه جعفر والفضل ابني يحيى، و أحد وزراء وقادة الدولة العباسية، ولاه الرشيد هارون دمشق والشام بأسره أيام عصبية أبي الهيذام، فقدم دمشق وأصلح بين المضرية واليمانية. توفي سنة 221 هـ

■ (5) يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب: من كبار الطالبيين في أيام موسى الهادي وهارون الرشيد رباه جعفر الصادق في المدينة، فروى الحديث وتفقه. وكان مع ابن عمه الحسين بن علي بن الحسن في ثورته بالمدينة واستيلائه عليها، أيام موسى الهادي، وحضر مقتله في معركة فخ سنة 169 هـ، ونجا فدعا إلى نفسه، فبايعه كثير من أهل الحرمين واليمن ومصر. وذهب إلى اليمن فأقام مدة. ودخل مصر والمغرب. وعاد إلى المشرق فدخل العراق متنكرا. وقصد بلاد الري وخراسان فوصل إلى ما وراء النهر. واشتد الرشيد في طلبه، فانصرف إلى خاقان (ملك الترك) ومعه من شيعته وأنصاره نحو 170 رجلا، فأقام سنتين وستة أشهر. وخرج إلى طبرستان، فبلاد الديلم. وأعلن بها دعوته سنة 175هـ وكثر جمعه، فندب الرشيد لحربه الفضل بن يحيى البرمكي في خمسين ألفا. وضعف أمر الطالبي، وخاف أن يغدر به ملك الديلم، فطلب أمان الرشيد، فأجابه بخطه، واستقدمه إلى بغداد، فدخلها.وأغدق عليه الرشيد عطاياه، إلى أن بلغه أنه يدعو لنفسه سرا، وأنه ما زال عنده من يقوم بدعوته، فحبسه عند الفضل بن يحيى. ورق له هذا بعد مدة، فأطلقه. وعلم الرشيد، فكان ذلك مما أحفظه على البرامكة، وأرسل من أعاد يحيى إلى الاعتقال، في سرداب. ووكل به مسرورا السياف. وكان كثيرا ما يدعو به إليه فيناظره. واستمر إلى أن مات في حبسه. وقيل: قتل بالجوع والعطش نحو سنة 180 هـ.

■ (3) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (8) أبو العباس، الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماس بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد.وكان ابنه الفضل من رجال الكمال، ولي إمرة خراسان، وعمل الوزارة، وكان فيها – قيل– أسخى من أخوه جعفر البرمكي، ولكنه يضرب بكبره وتيهه المثل، وكان أخا للرشيد من الرضاعة وعمل الوزارة مدة لهارون، ثم حولها منه إلى جعفر، واستعمل على المشرق كله هذا، واستعمل جعفرا على المغرب كله. ولد الفضل البرمكي سنة 176 هـ وتوفي بالسجن سنة 193 هـ.

■ (7) علي بن عيسى بن ماهان: من كبار القادة في عصر الرشيد والأمين. وهو الذي حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد. وسيره لقتال المأمون بجيش كبير، وولاه إمارة الجبل وهمذان وأصفهان وقم، فخرج من بغداد في 40 ألف فارس، فتلقاه طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون في الري فقتل ابن ماهان وانهزم سنة 195هـ

■ (2) جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس: طبيب هارون الرشيد وجليسه وخليله. يقال إن منزلته مازالت تقوى عند الرشيد حتى قال لاصحابه: من كانت له حاجة إلي فليخاطب بها جبرئيل فاني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني. فكان القواد يقصدونه في كل أمورهم. ولما توفي الرشيد خدم الامين، فلما ولي المأمون سجنه ثم أطلقه وأعاده إلى مكانته عند أبيه الرشيد، فلم يزل إلى أن توفي ودفن في دير مار جرجس بالمدائن سنة 213 هـ

■ (4) محمد بن الليث الخطيب أبو الربيع كتب ليحيى بن خالد وله ولآء ببني أمية ويعرف بالفقيه كانت البرامكة تقدمه وتحسن اليه ويرمى بالزندقة وقيل في خبره غير ذلك محمد بن الليث من بني حصن واسع الكلام من موالي بني أمية فيه ميل على العجم كانت البرامكة تبغضه لذلك وكان واعظا في رسائله توفي في حدود سنة 234 هـ

☪

قال محمد المختار الشنقيطي: حظي البرامكة بوضع مميز لدى خلفاء العصر العباسي، وخاصة في بداياته، إذ كان لرجالهم شأن في عصر أبي العباس السفاح، والمنصور، والمهدي، والرشيد، والمأمون...، وبالرغم من قيام بعض هؤلاء الخلفاء بالقضاء عليهم لأسباب مختلفة، إلا أننا أمام فترة كان لهم فيها السطوة والنفوذ، وتنفيذ سياساتهم بحكم قربهم من الخلفاء وما اعتلوه من مناصب. والبرامكة أسرة عريقة في المجوسية، كان جدهم برمك سادن بيت النار (النوبهار)، وقد أعلنوا الإسلام، لكنهم كانوا يظهرون عقائدهم الفاسدة، والتقليل من شأن العرب، حتى قال فيهم الأصمعي الشاعر: إذا ذكر الشرك في مجلس أنارت وجوه بني برمك..وإن تليت عندهم آية أتوا بالأحاديث عن مزدك. والبداية في نفوذ البرامكة كانت بإعلان خالد بن برمك إسلامه، وتقربه إلى أبي العباس السفاح، ثم من بعده إلى أبي جعفر المنصور، وبعد خالد جاء ابنه يحيى الذي كان له التأثير الكبير على سياسة هارون الرشيد، بل وحتى أموره الشخصية حتى يعتقد بأن يحيى بن خالد البرمكي هو الذي أقنع الرشيد بالزواج من (مراجل) الفارسية، أم المأمون. ثم كان تأثير (جعفر) و (الفضل) أكبر من تأثير أبيهما يحيى واستطاعا كسب رضى الرشيد، حتى جعل يحيى وزيره، وفوضه أموره كلها سنة 178هـ، وولى ولده الفضل بن يحيى على خراسان. لم يكن عمل هؤلاء البرامكة في بلاط الخلفاء عشوائيا، بل كان جهدا منظما مدروسا استخدموا فيه أساليب عديدة من التضليل والتذلل للخلفاء وغير ذلك. ولم تكن مجالس البرامكة إلا مجالس الشرك والفساد، كما وصفها الأصمعي، وكان القيم على مجلس البرامكة الزنديق هشام بن الحكم، وهو أول من ادعى أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي رضي الله عنه، ولم يسمع ذلك عن أحد قبله. وتغير هارون الرشيد فجأة تجاه البرامكة، فقتل جعفر بن يحيى وسجن يحيى وابنه الفضل، وصادر أملاكهم وأموالهم، واختلفت التفسيرات في ذلك، فالبعض أرجعها إلى زيادة نفوذهم، ومغالاتهم بالتبذير والمصروفات، وعدم اهتمامهم بالخليفة حيث أصبحوا يدخلون عليه من غير إذن، وهذا ما جعل العامة والخاصة تحقد عليهم، وتتناولهم بالنقد، بل وتتناول الرشيد نفسه الذي فسح لهم المجال، فخاف الرشيد على ملكه من نفوذهم ومن نقمة العامة عليه.. وقيل غير ذلك. وبالرغم من أن عصر الرشيد شهد القضاء على أسرة برمك، إلا أن صنائعهم وآثارهم ظلت بعد ذلك، خاصة في عصر المأمون. حيث لما ولد المأمون بن الرشيد، رشح يحيى البرمكي مجوسيا أعلن إسلامه هو سهل الفارسي لخدمة المأمون والإشراف على رعايته وتربيته، وصار لولدي سهل –الفضل والحسن– المكانة الكبيرة، في عهد المأمون، وخاصة الفضل بن سهل الذي لا يمكن عند الحديث عن البرامكة المرور عليه مرور الكرام. وفي سنة 196هـ، عين المأمون الفضل بن سهل بمركز رفيع، وعقد له على المشرق من همذان إلى التبت طولا، ومن الخليج العربي إلى بحر الديلم (قزوين) وجرجان عرضا، ولقبه ذا الرئاستين، وجعل أخاه الحسن بن سهل على ديوان الخراج. وفي سنة 197هـ ولى المأمون الحسن على العراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن. وفي سنة 202هـ تزوج المأمون من (بوران) بنت الحسن بن سهل، وأقام عرسا في غاية البذخ ومظاهر الأبهة. وكان الفضل بن سهل وأخوه الحسن من زعماء الزنادقة، ولكنهم كانوا يتظاهرون بالإسلام، كما جاء في كتاب الفهرست لابن النديم. وعن أطماعه السياسية يقول ابن طباطبا: إن الفضل كان من أولاد ملوك الفرس قبل الإسلام، ولذلك كان يطمع في أن يستعيد هذا النفوذ للفرس عن طريق الخلفاء المسلمين، فقد تحدث الفضل ذات مرة عن علاقته بالمأمون قائلا: والله ما صحبته لأكتسب منه مالا قل أو جل، ولكن صحبته ليمضي حكم خاتمي هذا في الشرق والغرب. ونجح الفضل في إذكاء الخلاف بين المأمون وأخيه الأمين على الخلافة، بل وفي حياة والدهما الرشيد، وكان يذكر للمأمون أن أمه ليست عربيه مثل أم الأمين، حيث أخواله من بني هاشم. وكان الفضل يحذر المأمون من التنازل عن الخلافة للأمين، واستعمل عددا من وسائل الغدر والكذب لهزيمة جيش الأمين، وكان له ذلك، فزادت مكانته عند المأمون. وكان الفضل يعمل لحساب نفسه كما يجمع المؤرخون، فقد حرص أن يمد سلطانه إلى بغداد عاصمة الخلافة، وكان المأمون حينها في خراسان، وكان الفضل يوغر صدر المأمون على طاهر بن الحسين، القائد الذي كان يخضع بغداد للمأمون، وقد تم نفيه إلى الرقة كي يتم تسليم بغداد والعراق إلى الحسن شقيق الفضل وهذا ما كان. وكانت النتيجة الطبيعية لدسائس الفضل ومؤامراته أن يقتله المأمون لما انكشف أمره، وكان ذلك سنة 202هـ ، لتبدأ بعدها مرحلة جديدة بدون الفضل ومؤامراته، وبدون صنائع البرامكة والمفسدين.

مراجع: تاريخ الإسلام للذهبي/ دروس للشيخ محمد المختار الشنقيطي/ الأعلام للزركلي/ الفهرست/ هدية العارفين/

قال يحيى بن سلام الأبرش، قال: حدثني أبي قال: خرج الرشيد للصيد يوما بعدما أباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدران بني برمك فرأى لوحا مكتوبا عليه هذه الأبيات: يا منزلا لعب الزمان بأهله..فأبادهم بتفرق لا يجمع..إن الذين عهدتهم فيما مضى..كان الزمان بهم يضر وينفع..أصبحت تفزع من رآك، وطالما..كنا إليك من المخاوف نضرع..ذهب الذين يعاش في أكنافهم..وبقي الذين حياتهم لا تنفع. قال: فبكى الرشيد، وأقبل على الأصمعي[1] وقال: أتعرف شيئا من أخبار البرامكة تحدثني به؟ فقال الأصمعي: ولي الأمان. قال: ولك الأمان. فقال: أحدثك بشيء شاهدته بعيني من الفضل بن يحيى[2]، وذلك أنه خرج يوما للصيد والقنص، وهو في موكبه، إذ رأى أعرابيا على ناقة قد أقبل من صدر البرية يركض في سيره، قال: هذا يقصدني. فقلت: ومن أعلمك؟ قال: لا يكلمه أحد غيري. فلما دنا الأعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير، والجم الغفير، وسمع الغوغاء والضجة، ظن أنه أمير المؤمنين، فنزل وعقل راحلته وتقدم وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. قال: الآن قاربت، اجلس. فجلس الأعرابي فقال له الفضل: من أين أقبلت يا أخا العرب؟ قال: من قضاعة. قال: من أدناها أم من أقصاها؟ قال: من أقصاها. قال الأصمعي: فالتفت إلي الفضل وقال: كم من العراق إلى أرض قضاعة.؟ فقلت: ثمانمائة فرسخ. فقال: يا أخا العرب، مثلك لم يقصد من ثمانمائة فرسخ إلى العراق إلا لشيء. قال: قصدت هؤلاء الأماجد الأنجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد. قال: من هم؟ قال: البرامكة. قال الفضل: يا أخا العرب البرامكة خلق كثير، وفيهم جليل وخطير، ولكن منهم خاصة وعامة، فهلا أفردت لنفسك منهم من اخترت لنفسك وأتيته لحاجتك؟ قال: أجل! أطولهم باعا وأسمحهم كفا. قال: من هو؟ قال: الفضل بن يحيى بن خالد. فقال له الفضل: يا أخا العرب، إن الفضل جليل القدر عظيم الخطر، إذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه إلا العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم، أعالم أنت؟ قال: لا. قال: أفأديب أنت؟ قال: لا. قال: أفعارف أنت بأيام العرب وأشعارها؟ قال: لا. قال: هل وردت على الفضل بكتاب وسيلة؟ قال: لا. فقال: يا أخا العرب غرتك نفسك، مثلك يقصد الفضل بن يحيى، وهو كما عرفتك عنه من الجلالة، بأي ذريعة أو وسيلة تقدم عليه؟ قال: والله يا أمير المؤمنين ما قصدته إلا لإحسانه المعروف وكرمه الموصوف وبيتين من الشعر قلتهما فيه. فقال الفضل: يا أخا العرب أنشدني البيتين فإن كانا يصلحان أن تلقاه بهما أشرت عليك بلقائه، وإن كانا لا يصلحان أن تلقاه بهما بررتك بشيء من مالي ورجعت إلى باديتك وإن كنت لم تستحق بشعرك شيئا. قال: أفتفعل أيها الأمير؟ قال: نعم. قال: فإني أقول: ألم تر أن الجود من عهد آدم..تحدر حتى صار يملكه الفضل..ولو أن أما قضها جوع طفلها..ونادت على الفضل بن يحيى اغتذى الطفل. قال: أحسنت يا أخا العرب. فإن قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر، وأخذ الجائزة عليهما، فأنشدني غيرهما فما تقول؟ قال: أقول: قد كان آدم حين حان وفاته..أوصاك، وهو يجود بالحوباء..ببنيه أن ترعاهمو، فرعيتهم..وكفيت آدم عيلة الأبناء. قال: أحسنت يا أخا العرب، فإن قال لك الفضل ممتحنا: هذان البيتان أخذتهما من أفواه الناس، فأنشدني غيرهما ما تقول، وقد رمقتك الأدباء بالأبصار، وامتدت الأعناق إليك، وتحتاج أن تناضل عن نفسك؟ قال: إذن أقول: ملت جهابذ فضل وزن نائله..ومل كاتبه إحصاء ما يهب..والله لولاك لم يمدح بمكرمة..خلق، ولم يرتفع مجد ولا حسب. قال: أحسنت يا أخا العرب، فإن قال لك هذان البيتان أيضا أخذتهما من أفواه الناس ما كنت قائلا؟ قال: أقول: وللفضل صولات على مال نفسه..يرى المال منه بالمذلة والعنا..ولو أن رب المال أبصر ماله..لصلى على مال الأمير وأذنا. قال: أحسنت يا أخا العرب، فإن قال لك الفضل: هذان البيتان مسروقان، أنشدني غيرهما ما تقول؟ قال: إذن أقول: ولو قيل للمعروف ناد أخا العلا..لنادى بأعلي الصوت يا فضل يا فضل..ولو أنفقت جدواك من رمل عالج..لأصبح من جدواك قد نفد الرمل. قال: أحسنت يا أخا العرب، فإن قال لك الفضل: هذان البيتان مسروقان أيضا أنشدني غيرهما ما تقول؟ قال: أقول: وما الناس إلا اثنان: صب وباذل..وإني لذاك الصب والباذل الفضل..على أن لي مثلا كما ذكر الورى..وليس لفضل في سماحته مثل. قال: أحسنت يا أخا العرب، فإن قال لك الفضل: أنشدني غيرهما ما تقول؟ قال: أقول أيها الأمير: حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد..فقامت به التقوى وقام به العدل..وقام به المعروف شرقا ومغربا..ولم يك للمعروف بعد ولا قبل. قال: أحسنت يا أخا العرب، فإن قال لك: قد ضجرنا من الفاضل والمفضول أنشدني بيتين على الكنية لا على الاسم ما تقول؟ قال: إذن أقول: ألا يا أبا العباس يا واحد الورى..ويا ملكا خد الملوك له نعل..إليك تسير الناس شرقا ومغربا..فرادى وأزواجا كأنهم نحل. قال: أحسنت يا أخا العرب، فإن قال لك الفضل: أنشدنا غير الاسم والكنية والقافية. قال: والله لئن زادني الفضل وامتحنني بعد هذا لأقولن أربعة أبيات ما سبقني إليها عربي ولا أعجمي، ولئن زادني بعدها لأجمعن قوائم ناقتي هذه وأجعلها في حر أم الفضل وأرجعن إلى قضاعة خاسرا، ولا أبالي. فنكس الفضل رأسه، وقال للأعرابي: يا أخا العرب أسمعني الأبيات الأربعة: قال: أقولك: ولائمة لامتك، يا فضل، في الندى..فقلت لها: هل يقدح اللوم في البحر..أتنهين فضلا عن عطاياه للغنى..فمن ذا الذي ينهى السحاب عن القطر..كأن نوال الفضل في كل بلدة..تحدر هذا المزن في مهمة قفر..كأن وفود الناس في كل وجهة..إلى الفضل لاقوا عنده ليلة القدر. قال: فأمسك الفضل عن فيه، وسقط على وجهه ضاحكا، ثم رفع رأسه وقال: يا أخا العرب، أنا والله الفضل بن يحيى، سل ما شئت. فقال: سألتك بالله أيها الأمير إنك لهو؟ قال: نعم. قال له: فأقلني. قال: أقالك الله، اذكر حاجتك. قال: عشرة آلاف درهم. قال الفضل: ازدريت بنا وبنفسك، يا أخا العرب، تعطى عشرة آلاف درهم في عشرة آلاف. وأمر بدفع المال، فلما صار المال إليه حسده وزيره الفضل، وقال: يا مولاي هذا إسراف يأتيك جلف من أجلاف العرب بأبيات استرقها من أشعار العرب فتجزيه بهذا المال؟ فقال: استحقه بحضوره إلينا من أرض قضاعة. قال الوزير: أقسمت عليك يا مولاي إلا أخذت سهما من كنانتك وركبته في كبد قوسك وأومأت به إلى الأعرابي فإن رد عن نفسه ببيت من الشعر، وإلا استعدت مالك، ويكون له في بعضه كفاية. فأخذ الفضل سهما وركبه في كبد قوسه وأومأ به إلى الأعرابي وقال له: رد سهمي ببيت من الشعر؟ فأنشأ يقول: لقوسك قوس الجود والوتر والندى..وسهمك سهم العز فارم به فقري. قال: فضحك الفضل وأنشأ يقول: إذا ملكت كفي منالا ولم أنل..فلا انبسطت كفي ولا نهضت رجلي..على الله إخلاف الذي قد بذلته..فلا مسعدي بخلي ولا متلفي بذلي..أروني بخيلا نال مجدا ببخله..وهاتوا كريما مات من كثرة البذل. ثم قال الفضل لوزيره: أعط الأعرابي مائة ألف درهم لقصده وشعره، ومائة ألف درهم ليكفينا شر قوائم ناقته. فأخذ الأعرابي المال وانصرف، وهو يبكي فقال له الفضل: مم بكاؤك يا أعرابي استقلالا بالمال الذي أعطيناك؟ قال: لا، ولكني أبكي على مثلك يأكله التراب وتواريه الأرض، وتذكرت قول الشاعر: لعمرك ما الرزية فقد مال..ولا فرس يموت ولا بعير..ولكن الرزية فقد حر..يموت لموته خلق كثير. وتوجه الأعرابي بالمال مسرورا رحمة الله عليهم أجمعين.

■ (2) أبو العباس، الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماسَ بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد.وكان ابنه الفضل من رجال الكمال، ولي إمرة خراسان، وعمل الوزارة، وكان فيها = قيل- أسخى من أخوه جعفر البرمكي، ولكنه يضرب بكبره وتيهه المثل، وكان أخا للرشيد من الرضاعة وعمل الوزارة مدة لهارون، ثم حولها منه إلى جعفر، واستعمل على المشرق كله هذا، واستعمل جعفرا على المغرب كله. ولد الفضل البرمكي سنة 176 هـ وتوفي بالسجن سنة 193 هـ.

■ (1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، له تصانيف كثيرة فى اللغة والشعر منها الأصمعيات. ولد في البصرة سنة 122 هـ وتوفي سنة 216 هـ .كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان هارون الرشيد يسميه شيطان الشعر. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

☪

قيل: لما حج هارون الرشيد رحمه الله -وكان يحج سنة ويغزو سنة- وكان يرى هذه الطائفة، ويرى ما تعمل، وعرف خباياها ونواياها، حتى هيأ الله تبارك وتعالى في تلك الحجة أن اكتشفهم يقينا، وذلك عندما قال له البرامكة: يا أمير المؤمنين إن هذا البيت معظم، وإن الخلفاء يعظمونه، وخير ما يخلد به اسمك في التاريخ أن تأتي بمجامر كبيرة، وتضعها حول الكعبة وتجعل فيها أفضل أنواع العود والروائح الطيبة، ولا تزال توقد -دائما- فيكون لك من الذكر ومن الفخر ما لا يكون لأحد من الخلفاء، فشكرهم على هذا، وفطن للأمر وشاور فيه بعض العلماء، فقالوا: هذا رأي مجوسي، يا أمير المؤمنين، من نصحك وأشار عليك بهذا؟ هؤلاء مجوس يريدون أن تعود نار كسرى إلى بيت الله الحرام، ولكن تحت ستار المجامر والطيب والعود، فما إن عاد هارون الرشيد إلى بغداد حتى قضى على هذه الأسرة وأبادهم، وكفى الله تعالى شرهم.

في رواية قالوا: أصاب المأمون بخراسان كانونا من ذهب مرصعا بجوهر كثير؛ قيل: إنه كان ليزدجرد بن شهريار الفارسي لا تعرف قيمته لكثرتها، فقال ذو الرئاستين الفضل بن سهل السرخسي: يا أمير المؤمنين! الرأي أن تجعله في الكعبة يوقد عليه العود والند بالليل والنهار، فقال المأمون: افعل، وأمر بحمله إلى مكة، واتصل الخبر بيزيد بن هارون المحدث، فأمر مستمليه أن يقف يوم الخميس عند اجتماع الناس وأصحاب الحديث، فيشكر المأمون ويدعو له ويخبر بخبر الكانون، ففعل المستملي ذلك، فلما سمع يزيد كلامه صاح وانتهره وقال له: ويلك! اسكت! إن أمير المؤمنين أجل قدرا وأعلم بالله عز وجل من أن يجعل بيته بيت نار! فكتب اصحاب البريد إلى المأمون؛ فأمر بكسر الكانون وبطل ما دبره ذو الرئاستين.

يقول سفر الحوالي: علي رضي الله عنه وكان، كما تعلمون، قد أقام هنالك في العراق وهم مجاورون للفرس فجاءه رجل، وقال: يا أمير المؤمنين! هذه هدية، قال: ما هذه الهدية؟ قال: هذا يوم النيروز -أظنه يوافق أول أيام الربيع- قال علي رضي الله عنه: فاصنعوا كل يوم فيروزا. فهم قالوا: نيروز -وهذا اسمه إلى الآن- قال: اصنعوا كل يوم فيروزا، فغير الاسم ولم يرض أن يشاركهم حتى في الاسم، وقال: اصنعوا كل يوم فيروزا، حتى تنتفي المشابهة، فهم يتهادون الهدايا في يوم معين، ونحن كل يوم نصنع هذا الطعام، كفاكهة ورياحين معينة تقدم لتشم، ويقال: هذا عيد النيروز، قال: اصنعوا كل يوم فيروزا، يعني تغير عليهم، ليصبح يوما عاديا جدا، فلا يظهر أنك تحتفل بهذا العيد أو تشاركهم فيه. فهذا من شدة حرص الصحابة رضي الله عنهم، وما نسميه الحساسية من مشابهة المشركين في هذا. ويقول سفر الحوالي: لقد بدأ الانحراف عندما أخذت هذه الأمة تتلقى عن غير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن القدر أن أول من واجه هذه القضية هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فعندما فتح سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هو وجيشه الميمون المظفر مدائن كسرى تلك المدينة العظيمة التي ما كان يحلم العرب بأن يروها بأعينهم، فضلا عن أن يدخلوها! دخلوا فوجدوا فيها الكتب الكثيرة عن الحضارة الفارسية والعقائد والأديان والعلوم التي كانت عند هذه الأمة في هذه المملكة؛ فكتبوا إلى عمر: يا أمير المؤمنين! قد وجدنا كذا وكذا فما رأيك أنحملها أم ننقلها للمسلمين فلعل فيها علوما، فكتب رضي الله عنه إن الله سبحانه وتعالى قد أغنانا بمحمد صلى الله عليه وسلم فإن يكن في هذه الكتب هدى فقد هدانا الله، وإن يكن فيها غير ذلك فقد كفانا الله، فاطرحوها في الماء أو حرقوها. ولكن هذا الموقف الذي اتخذه عمر رضي الله عنه لم يظل هو الموقف المعمول به؛ فإنه جاء من بعده خالد بن يزيد الأموي الذي ترجم من كتب اليونان قليلا، ثم أبو جعفر المنصور الذي ترجم بعض الكتب أيضا، ثم جاء المأمون ففتح الباب على مصراعيه، ودخلت البدع من كل مكان، تلقي وراء ظهرها بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فظهرت أقوال القدرية، وظهرت أقوال الخوارج، وظهرت الشيعة، وهي التي نفثها اليهود في دين الإسلام ليهدموه، وظهرت هذه الفرق، فنبذت كتاب الله وراء ظهرها، وأخذت تشرع للناس من أنواع التعبدات ما لم يأذن به الله.

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ الأعلام للزركلي/ دروس للشيخ سفر الحوالي/ القلائد من فرائد الفوائد/

لما أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفرا [1] وحبس يحيى [2] أباه والفضل [3] أخاه كتب يحيى إليه من السجن من عبد أسلمته ذنوبه وأوبقته عيوبه وخذله رفيقه ورفضه صديقه فحل في الضيق بعد السعة وعالج البؤس بعد الدعة فساعته شهر وليلته دهر قد عاين الموت وقارب الفوت فتذكر يا أمير المؤمنين كبر سني وضعف قوتي وارحم شيبتي وهب لي رضاك بعفو ذنب إن كان فإن من مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة وليس أعتذر إلا باقراري حتى ترضى عني فإن رضيت رجوت أن يظهر لك من عذري وبراءة ساحتي ما لا يتعاظمك ما مننت به علي من رأفتك ورحمتك زاد الله في عمرك وجعل يومي قبل يومك فرد عليه الرشيد من كتاب إن أمير المؤمنين لم يأت على ولدك اللعين ومن رأيه ترك الباقين ولم يأمر بحبسك وهو يريد بقاء نفسك إنما أخرك وإياهم لتعالج البؤس بعد النعيم ثم تصير إلى العذاب الأليم فابشر أيها المخادع الزنديق والمخالف الفسيق بها أعدلك أمير المؤمنين من تبديد شملك وخمول ذكرك واطفاء أمرك فتوقعه صباحا ومساء ووقع الرشيد عليه وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ثم تناساه هو وابنه الفضل في سجن الرقة حتى ماتا فيه فمات يحيى في المحرم سنة تسعين ومائة فجأة من غير علة وعمره أربع وستون سنة ومات الفضل في شهر رمضان سنة اثنين وتسعين ومائة ولما بلغ الرشيد موته قال: أمري قريب من أمره وكذا كان فإنه توفي بعده بخمسة أشهر في المحرم سنة ثلاث وتسعين وقد بلغ من العمر سبعا وأربعين سنة وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وأياما فإنه ولي سنة سبعين ومائة وكان الفضل ترب الرشيد ورضيعه أرضعته أم الفضل وأرضعت الفضل أم الرشيد وذكر إن الرشيد أقام يتردد في قتل جعفر سنين لا تطاوعه نفسه في قتله.

قال حسين الخادم: أشهد بالله لقد رأيت الرشيد متعلقا بأستار الكعبة قائلا في مناجاته: اللهم، إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى، ورثاهم بعد موتهم من عامة الشعراء وغيرهم جم غفير.

■ (2) يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل: الوزير السري الجواد، سيد بني برمك وأفضلهم. وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه. رضع الرشيد من زوجة يحيى مع ابنها الفضل، فكان يدعوه: يا أبي ! وأمره المهدي سنة 163 هـ وقد بلغ الرشيد الرابعة عشرة من عمره، أن يلازمه، ويكون كاتبا له، وأكرمه بمئة ألف درهم، وقال: هي معونة لك على السفر مع هارون. ولما ولي هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى، وقلده أمره، فبدأ يعلو شأنه. واشتهر يحيى بجوده وحسن سياسته. واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة فقبض عليه وسجنه في الرقة إلى أن مات سنة 190 هـ، فقال الرشيد: مات أعقل الناس وأكملهم. أخباره كثيرة جدا. قال المسعودي: كانت مدة دولة البرامكة وسلطانهم وأيامهم النضرة الحسنة، من استخلاف هارون الرشيد إلى أن قتل جعفر بن يحيى، سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما. ويستفاد من كشف الظنون أن أول من عني بتعريب المجسطي يحيى بن خالد، فسره له جماعة ولم يتقنوه فأتقنه بعدهم بعض أصحاب بيت الحكمة. ومن كلام يحيى لبنيه: اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون.

■ (3) أبو العباس، الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماسْ بن يشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد.وكان ابنه الفضل من رجال الكمال، ولي إمرة خراسان، وعمل الوزارة، وكان فيها -قيل - أسخى من أخوه جعفر البرمكي، ولكنه يضرب بكبره وتيهه المثل، وكان أخا للرشيد من الرضاعة وعمل الوزارة مدة لهارون، ثم حولها منه إلى جعفر، واستعمل على المشرق كله هذا، واستعمل جعفرا على المغرب كله. ولد الفضل البرمكي سنة 176 هـ وتوفي بالسجن سنة 193 هـ.

■ (1) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماسْ بن يشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

عن احمد بن ابي داود قال: قال لي المأمون: لا يستطيع الناس ان ينصفوا الملوك من وزرائهم ولا يستطيعون ان ينظروا بالعدل بين الملوك وحماتهم وكفاتهم وبين صنائعهم وبطانتهم وذلك أنهم يرون ظاهر حرمة وخدمة واجتهاد ونصيحة ويرون إيقاع الملوك بهم ظاهرا احتى لا يزال الرجل يقول ما أوقع به الا رغبة في ماله او رغبة في بعض ما لا تجود النفوس به ولعل الحسد والملال وشهوة الاستبدال اشتركت في ذلك وهناك خيانات في صلب الملك او في بعض الحرم فلا يستطيع الملك ان يكشف للعامة موضع العورة في الملك ولا ان يحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب ولا يستطيع الملك ترك عقابه لما في ذلك من الفساد على علمه بأن عذره غير مبسوط للعامة ولا معروف عند أكثر الخاصة.

قال الوطواط: وقد اخترنا أبياتا من أحاسن قصائدهم أردنا أن نبين فيها محاسن مقاصدهم فمن ذلك أبيات لاشجع الأسلمي: ولي عن الدنيا بنو برمك..ولو تولى الخلق ما زادا..كأنما أيامهم كلها..كانت لأهل الأرض أعيادا. آخر: كأن أيامهم من حسن بهجتها..مواسم الحج والأعياد والجمع. آخر: يا بني برمك وأهالكم..ولأيامكم المتنقلة..كانت الدنيا عروسا بكم..فهي اليوم ثكول أرملة. وفيهم يقول الصيف بن إبراهيم من أبيات: هوت أنجم الجدوى وشلت يد الندى..وغارت بحور الجود بعد البرامك..هوت أنجم كانت لأبناء برمك..بها يعرف الساري وجوه المسالك. وللرقاشي: ألان استرحنا واستراحت ركابنا..وأمسك من يجدي ومن كان يجتدي..فقل للمطايا قد أرحت من السرى..وطي الفيافي فد فدا بعد فدفد..وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر..ولم تظفري من بعده بمسود. وقل للعطايا بعد فضل تعطلي وقل للرزايا كل يوم تجددي ويقال إن الذي سعى بهم هو علي بن عيسى بن ماهان [1] وذكر بعض المؤرخين إنه وجد على باب علي بن عيسى المذكور بعد قتل جعفر هذان البيتان ولا يعلم من كتبها ولا من قائلها: إن المساكين بنو برمك..صبت عليهم نوب الدهر..إن لنا في أمرهم عبرة..فليعتبر صاحب ذا القصر.

وكانت نكبته قريبا من نكبتهم كان الايقاع بهم بعد رجوع الرشيد من الحج في المحرم سنة تسع وثمانين ومائة وعمر جعفر يومئذ خمس وأربعون سنة وكانت مدة دولتهم سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وأياما والله در أبي كلثوم بن عمرو العتابي حيث قال يعرض بالبرامكة ويذكر عاقبة صحبة السلطان وأن ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان: تلوم على ترك الغنى باهلية..طوى الدهر عنها كل طرف وتالد..رأت حولها النسوان يرفلن في الكسا..مقلدة أجيادها بالقلائد..أسرك أني نلت ما نال جعفر..من الملك أو ما نال يحيى بن خالد..وأن أمير المؤمنين أغصني..معصمها بالمرهفات البوارد..ذريني تجيئني ميتة مطمئنة..ولم تج أهوال بتلك الموارد..فإن كريهات المعالي مشوبة..بمستودعات من بطون الأساود..وإن الذي يرقى من المجد والعلا..ملقى بأنواع الأذى والمكايد.

قدم علي بن عيسى بن ماهان [2] على الرشيد من خراسان فسأله أن يركب مع خواصه إلى الميدان لينظر إلى هداياه، وقد أمر علي بكنس الميدان وفرشه بالرياحين والآس، وأقام في أحد جانبيه أربعة آلاف غلام تركي عليهم اللباس المرتفع والمناطق المعرقة بالفضة، وبيد كل واحد شهري من أفره الدواب، كلها مجللة مبرقعة بالديباج، وعلى رأس كل غلام عمامة من جنس لباسه، وفي الجانب الآخر أربعة آلاف وصيفة تركية عليهن ثياب من الملحم الفاخر وغيره، وقد بسط في صدر الميدان بسط عليها الأنطاع صبت عليها الأموال حتى صارت جبلا عظيما، وبحذائها نوافج المسك مثلها. فلما رجع ونزل بهم قال: يا أبا جعفر [3] أين كنا عن هذه الأموال؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسرك أن أخذ علي بن عيسى أموال الفقراء والأرامل وجاءك بها نارا يتقرب بها إليك؟ والله لتعلم إذا وضحت لك عواقب الأمور أنك تستوخم فائدتها، ولتنفقن بدل كل درهم دينارا ثم لا تنجو. فقال: عادلت الرشيد حين خرج إلى خراسان فتنفس تنفسة كادت نفسه تخرج، ثم قال: لله جعفر بن يحيى، وذكر كلمته، وقال: كانت أقوى الأسباب في تغيري للبرامكة، وقد والله أنفقت بدل كل درهم دينارا وأراني لا أنجو.

■ (1) علي بن عيسى بن ماهان: من كبار القادة في عصر الرشيد والأمين العباسيين. وهو الذي حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد. وسيره الامين لقتال المأمون بجيش كبير، ولاه إمارة الجبل وهمذان وأصفهان وقم وتلك البلاد، فخرج من بغداد في 40 ألف فارس، فتلقاه طاهر بن الحمسين قائد جيش المأمون، في الري، فقتل ابن ماهان وانهزم أصحابه سنة 195هـ

■ (3) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماسْ بن يشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

■ (2) علي بن عيسى بن ماهان: من كبار القادة في عصر الرشيد والأمين العباسيين. وهو الذي حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد. وسيره الامين لقتال المأمون بجيش كبير، ولاه إمارة الجبل وهمذان وأصفهان وقم وتلك البلاد، فخرج من بغداد في 40 ألف فارس، فتلقاه طاهر بن الحمسين قائد جيش المأمون، في الري، فقتل ابن ماهان وانهزم أصحابه سنة 195هـ

مراجع: غرر الخصائص الواضحة/ الأعلام للزركلي/ البيان والتبيين/ التذكرة الحمدونية/ ربيع الأبرار/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وإسماعيل بن إبراهيم 0789

قال علي بن المديني[1]: بت عند إسماعيل بن إبراهيم[2] ليلة وكان يقرأ ثلث القرآن وما رأيته ضحك قط وكان عبد الله بن المبارك[3] يتجر في البز ويقول لولا خمسة ما تجرت سفيان الثوري وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض ومحمد بن السماك وإسماعيل بن إبراهيم -ابن علية- وكان يخرج يتجر إلى خراسان فكلما ربح من شيء أخذ القوت للعيال ونفقة الحج والباقي يصل به إخوانه الخمسة فقدم سنة فقيل له قد ولي ابن علية القضاء فلم يأته ولم يصله بالصرة التي كان يصله بها في كل سنة فبلغ ابن علية أن ابن المبارك قد قدم فركب إليه وتنكس على رأسه فلم يرفع به عبد الله بن المبارك رأسا ولم يكلمه فانصرف فلما كان من غد كتب إليه رقعة بسم الله الرحمن الرحيم، أسعدك الله بطاعته وتولاك بحفظه وحاطك بحياطته قد كنت منتظرا لبركة صلتك أتبرك بها وجئتك أمس فلم تكلمني ورأيتك واجدا علي فأي شيء رأيت مني حتى أعتذر إليك منه. فلما وردت الرقعة على عبد الله بن المبارك دعا بالدواة والقرطاس وقال: يأبي هذا الرجل إلا أن نقشر له العصا ثم كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. يا جاعل الدين له بازيا..يصطاد أموال المساكين..احتلت للدنيا ولذاتها..بحيلة تذهب بالدين..فصرت مجنونا بها بعدما..كنت دواء للمجانين..أين رواياتك في سردها..عن ابن عون وابن سيرين؟..أين رواياتك في سردها..لترك أبواب السلاطين؟..إن قلت: أكرهت فذا باطل..زل حمار العلم في الطين. فلما وقف ابن علية على هذه الأبيات قام من مجلس القضاء فوطىء بساط هارون وقال: يا أمير المؤمنين، الله الله أرحم شيبتي فإني لا أصبر للخطأ. فقال له هارون: لعل هذا المجنون أغرى بقلبك فقال: الله الله أنقذني أنقذك الله فأعفاه من القضاء، فلما اتصل بعبد الله بن المبارك ذلك وجه إليه بالصرة. وقيل لما ولي ابن عليه صدقات البصرة كتب عبد الله بن المبارك إليه هذه الأبيات فجعل ابن علية يقرأها ويبكي.

■ (2) إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الاسدي بالولاء، البصري، أبو بشر: من أكابر حفاظ الحديث. كوفي الاصل، تاجر. كان حجة في الحديث، ثقة مأمونا. وولي صدقات البصرة، ثم المظالم ببغداد في آخر خلافة هارون الرشيد، وتوفي بها سنة 193 هـ. وكان يقول من قال: ابن علية فقد اغتابني وقيل إن عليه أمه وقيل جدته أم أمه.

■ (3) عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، أبو عبد الرحمن. مولى بني حنظلة،جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس، وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة شديدة التورع، وكذلك كان أبوه. كان عبد الله قد غزا، فلما انصرف من الغزو وصل إلى هيت فتوفي بها في رمضان سنة 181 هـ أو 182 هـ

■ (1) علي بن عبد الله بن جعفر السعدي بالولاء الديني، البصري، أبو الحسن: محدث مؤرخ، كان حافظ عصره. له نحو مئتي مصنف. وكان أعلم من الامام أحمد باختلاف الحديث. ولد بالبصرة، ومات بسامراء. من كتبه الاسامي والكنى، والطبقات، وقبائل العرب، والتاريخ، واختلاف الحديث، ومذاهب المحدثين، وتسمية أولاد العشرة، وعلل الحديث ومعرفة الرجال. توفي سنة 234 هـ

القرآن الكريم

قال حماد بن سلمة: ما كنا نشبه شمائل ابن علية إلا بشمائل يونس بن عبيد حتى دخل فيما دخل فيه وقال عفان: مرة أخرى حتى أحدث. قال عفان: وكان ابن علية وهو شاب من العباد بالبصرة. وقال إبراهيم الحربي وسأله أبو يعقوب فقال: دخل ابن علية على محمد هارون فقال: له يا ابن كذا وكذا أي شتمه إيش قلت: فقال: أنا تائب إلى الله لم أعلم أخطأت، فقال: إنما كان حدث بهذا الحديث تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقتان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما، قال: فقيل لابن عليه ألهما لسان قال: نعم، فكيف تكلم فقيل إنه يقول القرآن مخلوق وإنما غلط. وقال الفضل بن زياد سالت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن وهيب وإسماعيل بن إبراهيم بن علية قلت: أيهما أحب إليك إذا اختلفا فقال: وهيب كان عبد الرحمن بن مهدي يختار وهيبا على إسماعيل قلت: في حفظه قال: في كل شيء ما زال إسماعيل وضيعا من الكلام الذي تكلم به إلى أن مات قلت: أليس قد رجع وتاب على رؤوس الناس فقال: بلى ولكن ما زال مبغضا لأهل الحديث بعد كلامه ذاك إلى أن مات ولقد بلغني أنه أدخل علي محمد بن هارون ثم قال لي: تعرف محمد بن هارون؟ قلت: نعم أعرفه قال: فلما رآه زحف إليه وجعل محمد يقول له: يا ابن عم تتكلم في القرآن! قال: وجعل إسماعيل يقول: جعله الله فداه زلة من عالم جعله الله فداه زلة من عالم، ردده أبو عبد الله غير مرة وفخم كلامه كأنه يحكي إسماعيل ثم قال لي: أبو عبد الله لعل الله أن يغفر له بها يعني لمحمد بن هارون ثم ردد الكلام وقال: لعل الله أن يغفر له لإنكاره على إسماعيل ثم قال: بعد هو ثبت يعني إسماعيل قلت: يا أبا عبد الله إن عبد الوهاب قال: لا يحب قلبي إسماعيل أبدا لقد رأيته في المنام كأن وجهه اسود فقال: أبو عبد الله عافى الله عبد الوهاب ثم قال: كان معنا رجل من الأنصار يختلف فأدخلني على إسماعيل فلما رآني غضب وقال: من أدخل هذا علي فلم يزل مبغضا لأهل الحديث بعد ذاك الكلام لقد لزمته عشر سنين إلا أن أغيب ثم جعل يحرك لسانه كأنه يتلهف ثم قال: وكان لا ينصف في الحديث قلت: كيف كان لا ينصف قال: كان يحدث بالشفاعات ما أحسن الإنصاف في كل شيء. وحدث عبد الصمد بن يزيد مردويه قال: سمعت إسماعيل بن عليه يقول القرآن كلام الله غير مخلوق. وحدث محمد بن مخلد حدثنا المروذي حدثني أبو بكر بن أبي عون ومحمد بن هشام قالا رأينا إسماعيل بن علية إذا أقيمت الصلاة قال: ههنا أحمد بن حنبل قولوا له يتقدم.

مراجع: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وولد الرشيد المعروف بالسبتي 0790

عن عبد الله بن الفرج[1] قال: خرجت يوما أطلب رجلا يرم لي شيئا في الدار فذهبت فأشير لي إلى رجل حسن الوجه بين يديه مر وزبيل فقلت: تعمل لي؟ قال: نعم بدرهم ودانق فقلت: قم فقام فعمل لي عملا بدرهم ودانق ودرهم ودانق، قال: ثم أتيت يوما آخر فسألت عنه فقيل لي ذلك رجل لا يرى في الجمعة إلا يوما واحد يوم كذا قال: فجئت ذلك اليوم فقلت: تعمل لي؟ قال نعم بدرهم ودانق، فقلت: أنا بدرهم فقال: بدرهم ودانق فقلت: قم ولم يكن بي الدانق ولكن أحببت أن أستعلم ما عنده فلما كان المساء وزنت درهما فقال لي: ما هذا؟ قلت: درهم، قال: ألم أقل لك درهم ودانق؟! أف لقد أفسدت علي فقلت: وأنا ألم أقل لك بدرهم؟ فقال: لست آخذ منه شيئا، قال: فوزنت درهما ودانقا فقلت: خذ فأبى أن يأخذه وقال: سبحان الله أقول لا آخذه وتلح علي، فأبى أن يأخذه ومضى، قال: فأقبل علي أهلي وقالت: فعل الله بك ما أردت إلى رجل عمل لك عملا بدرهم أن أفسدت عليه، قال: فجئت يوما أسأل عنه فقيل لي مريض فاستدللت على بيته فأتيته فاستأذنت عليه، فدخلت وهو مبطون وليس في بيته شيء إلا ذلك المر* والزبيل، فسلمت عليه وقلت له: لي إليك حاجة وتعرف فضل إدخال السرور على المؤمن أحب أن تجيء إلى بيتي أمرضك، قال: وتحب ذلك؟ قلت: نعم قال: بشرائط ثلاث، قلت: نعم، قال: لا تعرض على طعاما حتى أسألك، وإذا أنا مت أن تدفنني في كسائي وجبتي هذه، قلت: نعم، قال: والثالثة أشد منهما وهي شديدة، قلت: وإن كان، قال: فحملته إلى منزلي عند الظهر، فلما أصبحت من الغد ناداني يا عبد الله، فقلت: ما شأنك؟ قال: قد احتضرت افتح صرة على كم جبتي، قال: ففتحتها فإذا فيها خاتم عليه فص أحمر، فقال: إذا أنا مت ودفنتني فخذ هذا الخاتم ثم أدفعه إلى هارون أمير المؤمنين، وقل له يقول لك صاحب هذا الخاتم: ويحك لا تموتن على سكرتك هذه فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت، فلما دفنته سألت عن يوم خروج هارون أمير المؤمنين وكتبت قصة وتعرضت له قال: فدفعتها إليه وأوذيت أذى شديدا فلما دخل قصره، وقرأ القصة، قال: علي بصاحب هذه القصة، قال: فأدخلت عليه وهو مغضب، قال: تتعرضون لنا وتفعلون فلما رأيت غضبه أخرجت الخاتم فلما نظر إلى الخاتم، قال: من أين لك هذا الخاتم؟ قلت: دفعه إلي رجل طيان، فقال لي: طيان طيان وقربني منه ! فقلت له: يا أمير المؤمنين إنه أوصاني بوصية، فقال لي: ويحك قل، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنه أوصاني إذا أوصلت إليك هذا الخاتم، فقل له يقرئك صاحب هذا الخاتم السلام ويقول لك: ويحك لا تموتن على سكرتك هذه فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت، فقام على رجليه قائما وضرب بنفسه على البساط وجعل يتقلب عليه ويقول: يا بني نصحت أباك، فقلت: في نفسي كأنه إبنه ثم جلس وجاؤوا بالماء فمسحوا وجهه، وقال لي: كيف عرفته؟ فقصصت عليه قصته، قال: فبكى، وقال: هذا أول مولود ولد لي، وكان أبي المهدي ذكر إلى زبيدة أن يزوجني فبصرت بهذه المرأة فوقعت في قلبي وكانت حسنة فتزوجت بها سرا من أبي فأولدتها هذا المولود وأحدرتها إلى البصرة وأعطيتها هذا الخاتم وأشياء وقلت: اكتمي نفسك فإذا بلغك أني قد قعدت للخلافة فأتيني فلما قعدت للخلافة سألت عنهما فذكر لي أنهما ماتا ولم أعلم أنه باق فأين دفنته، قلت: يا أمير المؤمنين دفنته في مقابر عبد الله بن مالك، قال لي: إليك حاجة إذا كان بعد المغرب فقف لي بالباب حتى أخرج إليك فأخرج متنكرا إلى قبره، فوقفت له فخرج متنكرا والخدم حوله ووضع يده بيدي وصاح بالخدم فتنحوا وجئت به إلى قبره فما زال ليلته يبكي إلى أن أصبح، ويدير رأسه ولحيته على قبره، يقول: يا بني لقد نصحت أباك. قال: فجعلت أبكي لبكائه رحمة مني له ثم سمع كلاما، فقال: كأني أسمع كلام الناس؟ قلت: أجل أصبحت يا أمير المؤمنين قد طلع الفجر، فقال لي: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم واكتب عيالك مع عيالي مع من تهتم به فإن لك علي حقا بدفنك ولدي وإن أنا مت أوصيت من يلي بعدي أن يجرى عليك ما بقي لك عقب، ثم أخذ بيدي حتى إذا بلغ قريبا من القصر ويده بيدي إذا الخدم، فلما صاروا إلى القصر قال لي: انظر ما وصيتك به إذا طلعت الشمس قف لي حتى أنظر إليك وأدعو بك فتحدثني حديثه، قلت: إن شاء الله فلم أعد إليه.

(قال ابن الجوزي) قلت: وقد رويت لنا قصته من طريق آخر وفيها نوع مخالفة لهذه: عن أبي بكر بن أبي الطيب قال: بلغنا عن عبد الله بن الفرج العابد قال: احتجت إلى صانع يصنع لي شيئا من أمر الروزجاريين*فأتيت السوق فجعلت أرمق الصناع فإذا في أواخرهم شاب مصفر بين يديه زبيل كبير ومر وعليه جبة صوف ومئزر صوف فقلت له: تعمل؟ قال: نعم، قلت: بكم؟ قال: بدرهم ودانق، قلت له: قم حتى تعمل، قال: على شريطة! قلت: ما هي؟ قال: إذا كان وقت الظهر وأذن المؤذن خرجت وتطهرت وصليت في المسجد جماعة ثم رجعت، فإذا كان وقت العصر فكذلك، قلت: نعم، فقام معي فجئنا المنزل فوافقته على ما ينقله من موضع إلى موضع فشد وسطه وجعل يعمل ولا يكلمني بشيء حتى إذا أذن المؤذن للظهر قال: يا عبد الله، قد أذن المؤذن! قلت: شأنك فخرج فصلى فلما رجع عمل أيضا عملا جيدا إلى العصر، فلما أذن المؤذن، قال: يا عبد الله، قد أذن المؤذن! قلت: شأنك، فخرج فصلى ثم رجع فلم يزل يعمل إلى آخر النهار، فوزنت له أجرته وإنصرف، فلما كان بعد أيام احتجت إلى عمل، فقالت لي زوجتي: اطلب لنا ذلك الصانع الشاب، فإنه قد نصحنا في عملنا فجئت السوق، فلم أره فسألت عنه، فقالوا: تسأل عن ذلك المصفر المشؤوم الذي لا نراه إلا من سبت إلى سبت لا يجلس إلا وحده في آخر الناس فانصرفت، فلما كان يوم السبت أتيت السوق فصادفته، فقلت: تعمل، فقال: قد عرفت الأجرة والشرط! قلت: إستخر الله تعالى، فقام فعمل على النحو الذي كان عمل، قال: فلما وزنت له الأجرة زدته فأبى أن يأخذ الزيادة فألححت عليه فضجر وتركني ومضى، فغمني ذلك فاتبعته وداريته حتى أخذ أجرته فقط، فلما كان بعد مدة إحتجنا أيضا إليه فمضيت في يوم السبت فلم أصادفه فسألت عنه فقيل لي: هو عليل، وقال لي: من كان يخبر أمره إنما كان إلى السوق من سبت إلى سبت يعمل بدرهم ودانق يتقوت كل يوم دانقا وقد مرض، فسألت عن منزله فأتيته وهو في بيت عجوز، فقلت لها: هذا الشاب الروزجاري؟ فقالت: هو عليل منذ أيام، فدخلت عليه فوجدته لما به وتحت رأسه لبنة، فسلمت عليه وقلت: لك حاجة؟ قال: نعم، إن قبلت؟ قلت: أقبل إن شاء الله تعالى، قال: إذا أنا مت فبع هذا المر وأغسل جبتي هذه الصوف وهذا المئزر وكفني بهما وأفتق جيب الجبة فإن فيها خاتما فخذه ثم أنظر يوم يركب هارون الرشيد الخليفة فقف له في موضع يراك فكلمه وأره الخاتم فإنه سيدعو بك فسلم إليه الخاتم ولا يكن هذا إلا بعد دفني، قلت: نعم، فلما مات فعلت ما أمرني ثم نظرت اليوم الذي يركب فيه الرشيد فجلست له على الطريق فلما مر ناديته يا أمير المؤمنين لك عندي وديعة ولوحت بالخاتم فأمر بي فأخذت وحملت حتى دخل إلى داره ثم دعا بي ونحى جميع من عنده وقال: من أنت؟ فقلت: عبد الله بن الفرج، فقال: هذا الخاتم من أين لك؟ فحدثته قصة الشاب، فجعل يبكي حتى رحمته، فلما أنس إلي قلت: يا أمير المؤمنين من هو منك؟ قال: إبني قلت كيف سار إلى هذه الحال؟ قال ولد لي قبل أن أبتلى بالخلافة، فنشأ نشوءا حسنا وتعلم القرآن والعلم فلما وليت الخلافة تركني ولم ينل من دنياي شيئا فدفعت إلى أمه هذا الخاتم وهو ياقوت ويساوي مالا كثيرا فدفعته إليها وقلت لها: تدفعين هذا إليه وكان برا بأمه وتسأليه أن يكون معه فلعله أن يحتاج إليه يوما من الأيام فينتفع به، وتوفيت أمه فما عرفت له خبرا إلا ما أخبرتني به أنت ثم قال لي: إذا كان الليل فأخرج معي إلى قبره، فلما كان الليل خرج وحده معي يمشي حتى أتينا قبره فجلس إليه فبكى بكاء شديدا، فلما طلع الفجر قمنا فرجع، فقال لي: تعاهدني في الأيام حتى أزور قبره، فكنت أتعاهده بالليل فيخرج حتى يزور قبره ثم يرجع، قال عبد الله بن الفرج: ولم أعلم أنه إبن الرشيد حتى أخبرني الرشيد أنه إبنه أو كما قال إبن أبي الطيب: قلت: هذا طريق حسن والطريق الذي قبله أصح لأنه متصل ورواته ثقات وقد زاد القصاص في حديث السبتي وأبدؤوا وأعادوا وذكروا أن هذا الرجل كان من زبيدة وأنه خرج يتصيد فوعظه صالح المرى[2] فوقع فرسه في أشياء كلها محال فاقتصرنا على ما صح والله الموفق.

(تعليق: هذه الرواية رغم ما فيها من موعظة حسنة إلا أنها أشبه ما تكون برواية ألف ليلة وليلة في سردها وألفاظها الغريبة..).

----

*(الروزجاري) بضم الراء وسكون الزاي بينهما الواو وبالجيم المفتوحة وبعد الألف راء ـ هذه النسبة إلى الرزوجار وهو الروزكار يعني الذي يعمل بالنهار ويقال لمن يعمل بالنهار الروزكارية (المر) المسحاة أو مقبضها، وكذلك هو من المحراث. وقال الصاغاني: المر هو الذي يعمل به في الطين.

■ (1) عبد الله بن الفرج أبو محمد القنطري كان أحد العباد وكان بشر بن الحارث يوده ويزوره حكى عن فتح الموصلي وغيره حكايات روى عنه محمد بن الحسين البرجلاني وأحمد بن محمد التاحى وعلي بن الموفق وغيرهم. قيل مات عبد الله بن الفرج سنة ثمان عشرة ومائتين وله خمس وثمانون سنة وقيل سنة إحدى ومائتين

■ (2) صالح بن بشير بن وادع بن أبي الاقعس أبو بشر البصري القاص المعروف بالمري. قال خليفة مات سنة 172 هـ وقال البخاري يقال مات سنة 176 هـ عن يحيى قال كان قاصا وكان كل حديث يحدث به عن ثابت باطلا وقال عمرو بن علي ضعيف الحديث يحدث بأحاديث مناكير عن قوم ثقات وكان رجلا صالحا وكان يهم في الحديث وقال الجوزجاني كان قاصا واهي الحديث وقال البخاري منكر الحديث وقال ابن عدي صالح المري من أهل البصرة وهو رجل قاص حسن الصوت وعامة أحاديثه منكرات تنكرها الائمة عليه وليس هو بصاحب حديث وإنما أتى من قلة معرفته بالاسانيد والمتون وعندي انه مع هذا لا يتعمد الكذب بل يغلط شيئا وقال ابن حبان أقدمه المهدي بغداد وقال عفان كان شديد الخوف من الله كثير البكاء وقال الثوري لما سمع كلامه هذا نذير قوم.

عن عائشة أم المؤمنين قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا، ولم يوص بشيء. وعن عمرو بن الحارث ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخي جويرية بنت الحارث قال: والله، ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضا جعلها صدقة. وعن ابن عباس: ﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْتَفَتَ إِلَى أُحُدٍ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أُحُدًا يُحَوَّلُ لِآلِ مُحَمَّدٍ ذَهَبًا أُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَمُوتُ يَوْمَ أَمُوتُ أَدَعُ مِنْهُ دِينَارَيْنِ، إِلَّا دِينَارَيْنِ أُعِدُّهُمَا لِدَيْنٍ إِنْ كَانَ. فَمَاتَ وَمَا تَرَكَ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَا عَبْدًا، وَلَا وَلِيدَةً، وَتَرَكَ دِرْعَهُ مَرْهُونَةً عِنْدَ يَهُودِيٍّ عَلَى ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ﴾ وعن زر بن حبيش قال: سألت عائشة أم المؤمنين عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل لا أبالك؟! والله ما ورث رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا عبدا ولا أمة. وعن عمران بن يزيد قال: حدثني والدي قال: دخلنا على عائشة أم المؤمنين فقلنا: سلام عليك يا أمه فقالت: وعليك، ثم بكت فقلنا: ما بكاؤك يا أمه؟ قالت: بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواء يمريه، فذكرت نبيكم صلى الله عليه وسلم. فذلك الذي أبكاني. خرج من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم من طعامين. كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الخبز، وإذا شبع من الخبز لم يشبع من التمر.

يقول المسعودي في مروج الذهب: وقد ذكر كثير من الناس ممن له معرفة بأخبارهم أن هذه أخبار، موضوعة من خرافات مصنوعة، نظمها من تقرب للملوك برواياتها، وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة بها، وأن سبيلها الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية، وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب هزار أفسانة، وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية ألف خرافة، والخرافة بالفارسية يقال لها أفسانة، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة، وهو خبر الملك والوزير وابنه وجاريتها وهما شيرزاد ودينا زاد، ومثل كتاب فرزة وسيماس وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء، ومثل كتاب السندباد، وغيرها من الكتب في هذا المعنى.

مراجع: صفة الصفوة/ الأعلام للزركلي/ كتاب الغرباء الآجري/ الوافي بالوفيات/ تاج العروس/ اللباب في تهذيب الأنساب/ حلية الأولياء/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وسلم بن سالم البلخي، وأبو معاوية الضرير 0791

قال عبد الله بن جعفر بن خاقان المروزي: سمعت عليا يعني بن خشرم يقول: سمعت أبا معاوية الضرير[1] يقول: دعاني هارون أمير المؤمنين لاحدثه، فدخلت عليه أول الليل فحدثته إلى ان مضى من الليل هزيع، فقال لي: حاجتك، يا أبا معاوية؟ فقلت: سلم بن سالم[2] هبه لي، قال: فاستوى جالسا، فعرفت الغضب في وجهه، وفى كلامه، فقال: ان سلما ليس على رايك، وراى أصحابك، على الارجاء، وقد جلس في المسجد الحرام يقول: لو شئت ان اضرب أمير المؤمنين بمائة ألف سيف لفعلت، وليس هذا رايك، ولا رأى أصحابك، ثم سكن، فقال: حدثنا فتحدثنا عامة الليل، فقال: حاجتك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، انه أرسل إلى انه لا يقدر على الصلاة من كثرة قيوده، فقال لحسين الخادم، وهو قائم على رأسه: كم عليه من القيود؟ قال: لا أدري، قيده هرثمة[3]، فصار إلى هرثمة، فقال: كم على سلم بن سالم من القيود؟ قال: اثنا عشر قيدا، قال: فك ثمانية عنه ودع أربعة، فأرسل إلى سلم جزاك الله خيرا، فرجت عنى، توضأت وصليت.

■ (2) سلم بن سالم، البلخي الزاهد القدوة أبو محمد. وقيل أبو عبد الرحمن البلخي حدث ببغداد عن: حميد الطويل، وابن جريج، وعبيد الله بن عمر، وسفيان الثوري. كان مطاعا أمارا بالمعروف، فأقدمه الرشيد، فحبسه، فلما توفي الرشيد، أطلق، قال: وكان مرجئا ضعيفا. وذكر محمد بن إسحاق اللؤلؤي قال: رأيت سلم بن سالم مكث أربعين سنة، لم يرفع رأسه إلى السماء، ولم ير مفطرا، ولم ير له فراش.وقيل: إن الرشيد سجنه لانه قال: لو شئت لضربت الرشيد بمئة ألف سيف. توفي سلم سنة 194 هـ

■ (1) أبو معاوية الضرير محمد بن خازم السعدي التميمي مولى لهم كان مولده سنة 113 هـ ومات في آخر صفر سنة 195 هـ وكان أحد الأئمة الأعلام الثقات. لم يتعرض إليه أحد. وقال ابن خراش: يقال: هو في الأعمش ثقة، وفى غيره فيه اضطراب.

■ (3) هرثمة بن أعين ، ذو الحكمين كان أحد قادة الدولة العباسية. وأحد أمراء المأمون، ولاه هارون الرشيد مصر، توفي سنة 200هـ

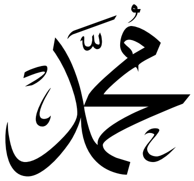

قال أبو مقاتل السمرقندي: سلم في زماننا كعمر بن عبد العزيز في زمانه. وقال ابن سعد: كان أمارا بالمعروف، وكان مطاعا، فأقدمه الرشيد وحبسه، حتى مات الرشيد فأطلقوه. قال: وكان مرجئا ضعيفا. قال الخطيب: كان مذكورا بالعبادة والزهد، ويذهب إلى الأرجاء. وقال يحيى بن ماهان: سمعت محمد بن إسحاق اللؤلؤي يقول: رأيت سلم بن سالم مكث أربعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء، ولم ير مفطرا إلا في العيد. وقيل: إن الرشيد إنما حبسه لأنه قال: لو شئت أن أضرب الرشيد بمائة ألف سيف لفعلت. وعن سلم قال: ما يسرني أن ألقي الله بعمل من مضى، وأن أقول: الايمان قول وعمل. وقال ابن المديني: أخبرني أبو يحيى قال: صحبت سلم بن سالم في طريق مكة، فما رأيته وضع جبينه في المحمل، إلا مرة مد رجله وجلس. قال محمد بن سعد: سلم بن سالم البلخي يكنى أبا محمد وكان مرجئا ضعيفا في الحديث ولكنه كان صارما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكانت له رئاسة بخراسان فبعث إليه هارون أمير المؤمنين فاقدمه عليه فحبسه فلم يزل محبوسا إلى ان مات هارون ثم أخرجه محمد بن هارون حين ولى الخلافة من سجن الرقة فقدم بغداد فأقام بها قليلا ثم خرج إلى خراسان فمات بها. وقال أحمد بن حنبل: رأيته أتى أبا معاوية، وكان صديقا له، وكان عبدا صالحا ولم أكتب عنه. كان لا يحفظ ويخطيء. وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن معين: ليس بشيء. قال عبد الله بن محمد بن الحكم: كان شيخا مسنا قال: دخل سلم بن سالم بغداد فشنع على هارون أمير المؤمنين فحبسه فكان يدعو في حبسه: اللهم، لا تجعل موتي في حبسه ولا تمتني حتى ألقى أهلي، فمات هارون، فخلت عنه زبيدة[0]، فخرج إلى الحج فوافى أهله بمكة قدموا حجاجا، فمرض فاشتهى الجمد فابردت السماء، فجمعوا له فاكل ومات.

☪

- الإرجاء : معناه في اللغة التأخير، والمراد به تأخير العمل عن الإيمان، حيث زعموا أن الأعمال الصالحة من الأقوال، والأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، وترتب على هذا القول بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، والمرجئة فرق كثيرة مختلفة في قولها في الإرجاء. فمنهم الجهمية الذين قالوا: الإيمان هو المعرفة فقط، ومنهم من قال: هو تصديق القلب، كالأشاعرة ومن نحا نحوهم، ومنهم من قال: هو قول اللسان كالكرامية، ومنهم من قال هو: تصديق القلب وقول اللسان. انظر: الفرق بين الفرق ومجموع الفتاوى لابن تيمية. قال الصفدي في الوافي بالوفيات: الإرجاء يشتق من الرجاء لأنهم يرجون لأصحاب المعاصي الثواب من الله تعالى فيقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة. قال: وقيل:الإرجاء هو تأخير حكم أصحاب الكبائر إلى الآخرة في الدنيا ولا يقضى عليهم بأنهم من أهل الجنة. قال: والمرجئة جنس لأربعة أنواع: مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الصالحة. والغيلانية من المرجئة القدرية ينتمون إلى غيلان القدري زعموا أن الإيمان هو المعرفة الثانية بالله عز وجل والمحبة له والخضوع والإقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى والمعرفة الأولى عندهم اضطرارية فلذلك لم يجعلوها من الإيمان.. انظر الفرق بين الفرق للبغدادي.
- القدرية: هم القائلون بإنكار القدر الإلهي من قبيل الاشتقاق من الضد إذ أنهم يرون أن للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى. وهم فرقتان: القدرية الأولى ، أتباع معبد الجهني وغيلان الدمشقي القائلون بإنكار القدر بمعنى العلم والتقدير. وهذه الفرقة انقرضت.القدرية الثانية: وهم المثبتون للعلم والكتابة لكنهم يقولون إن العبد يخلق فعل نفسه، وهم المعتزلة.

قال الأوزاعي: أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن[1] كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني[2] وأخذ غيلان عن معبد، وغيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد. قالوا: طلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته، فأفتى الأوزاعي بقتله، وصلب على باب كيسان بدمشق سنة 105هـ

- المعتزلة فرقة كلامية نشأت في أواخر العصر الأموي، على يد واصل بن عطاء المخزومي[3] الذي اعتزل الجماعة بعد خلافه مع الحسن البصري[4] وأحمد بن أبي دؤاد[5] قاضي القضاة للمعتصم والواثق هو الذي كان يمتحن العلماء في أيامه ويدعوهم إلى خلق القرآن. كان يقال أكرم من كان في دولة بني العباس البرامكة، ثم ابن أبي دؤاد، لولا ما وضع به نفسه من محبة المحنة لاجتمعت الألسن عليه، ولم يضف إلى كرمه كرم أحد.

■ (0) أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها.أعرس بها هارون الرشيد سنة 165 في قصره المعروف بالخلد. وكانت وفاتها في سنة 216 هـ ببغداد، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة 186 هـ.

■ (2) معبد الجهني البصري: ويقال: معبد بن عبد الله بن عويمر، ويقال: بن عبد الله بن عكيم الجهني، ويقال: معبد بن خالد. نزيل البصرة، وأول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة.كان من علماء الوقت على بدعته.قيل: كان صدوق في الحديث. اختلف فيمن قتله ، فقيل الحجاج لخروجه مع ابن الأشعث وقيل صلب عبد الملك معبدا الجهني بدمشق حوالي سنة 80 هـ أو بعدها وقيل: يكون صلبه ثم أطلقه. وقيل: مات قبل 90 هـ.

■ (1) سنسويه أو سوسن الأسواري مختلف في اسمه، رجل نصراني أظهر الإسلام وقذف بين المسلمين القول في القدر، ثم لحق بدينه النصراني وقيل يهودي من يهود البصرة، يقال بأن معبد الجهني قد أخذ مقالته في القدر منه ودعا الناس إليه، لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم.

■ (3) واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة، من موالي بني ضبة أو بني مخزوم: رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين. سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري. ومنهم طائفة تنسب إليه، تسمى الواصلية وهو الذي نشر مذهب الاعتزال في الآفاق: بعث من أصحابه عبد الله بن الحارث إلى المغرب، وحفص بن سالم إلى خراسان، والقاسم إلى اليمن، وأيوب إلى الجزيرة، والحسن بن ذكوان إلى الكوفة، وعثمان الطويل إلى أرمينية. ولد بالمدينة، ونشأ بالبصرة. وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا، فتجنب الراء في خطابه، وضرب به المثل في ذلك. وكانت تأتيه الرسائل وفيها الراءات، فإذا قرأها أبدل كلمات الراء منها بغيرها حتى في آيات من القرآن. ومن أقوال الشعراء في ذلك، لاحدهم: أجعلت وصلي الراء، لم تنطق به..وقطعتني حتى كأنك واصل. ولابي محمد الخازن في مدح الصاحب ابن عباد: نعم، تجنب لا، يوم العطاء، كما..تجنب ابن عطاء لفظة الراء. وكان ممن بايع لمحمد بن عبد الله بن الحسن في قيامه على أهل الجور. ولم يكن غزالا، وإنما لقب به لتردده على سوق الخمر وغيره، يكون في منزلة بين منزلتين، لا مؤمنا ولا كافرا، ويرون أن إعجاز القرآن في الصرفة لا أنه في نفسه معجز، أي أن الله لو لم يصرف العرب عن معارضته لاتوا بما يعارضه، وأن من دخل النار لم يخرج منها. وسموا معتزلة لان واصل بن عطاء كان ممن يحضر درس الحسن البصري، فلما قالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بأن مرتكب الكبائر مؤمن غير كافر وإن كان فاسقا، خرج واصل عن الفرقتين، وقال: إن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر. واعتزل مجلس الحسن، وتبعته جماعة، فعرفوا بالمعتزلة. وما زال مذهبهم ينمو إلى أيام الرشيد، فوضعه موضع البحث بين العلماء. ولما ولي المأمون ناصر المعتزلة وعاقب مخالفيهم. وتابعه المعتصم ثم الواثق. ولما كانت أيام المتوكل كتب إلى الآفاق بمخالفة القائلين بالاعتزال. وضعف شأن المعتزلة حتى ذهبت بمذهبهم الايام. واشتهر منهم فضلاء وأعيان كالجاحظ والزمخشري والماوردي والصاحب بن عباد والفراء والسيرافي وابن جني وأبي علي الفارسي وابن أبي الحديد وآخرين كثيرين. توفي سنة 131 هـ

■ (5) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

■ (4) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمرة وأبي بكرة والنعمان بن بشير وجندب بن عبد الله وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ثعلب وعبد الله بن عمرو ومعقل بن يسار وأبي هريرة والأسود بن سريع وأنس بن مالك وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

مراجع: تاريخ بغداد/ / الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/

قال عبد الله بن أيوب رأيت يعقوب بن داود [١] في الطواف فقلت له: أحب أن تخبرني كيف كان سبب خروجك من المطبق* والمهدي كان من أغلظ الناس عليك فقال لي إني كنت في المطبق وقد خفت على بصري فأتاني آت في منامي فقال: يا يعقوب كيف ترى مكانك؟ قلت: وما سؤالك! أما ترى ما أنا فيه ليس يكفيك هذا ؟! قال: فقم فاسبغ الوضوء فصل أربع ركعات وقل: يا محسن يا مجمل يا منعم يا مفضل يا ذا النوافل والنعم يا عظيم يا ذا العرش العظيم، اجعل لي مما أنا فيه فرجا ومخرجا، فانتبهت فقلت: يا نفس هذا في النوم، فرجعت إلى نفسي وتحفظت الدعاء، وقمت فتوضأت وصليت ودعوت به، فلما أسفر الصبح جاؤوا فاخرجوني، فقلت: ما دعاني إلا ليقتلني، فلما رآني أومأ بيده ردوه واذهبوا به إلى الحمام فنظفوه وأتوني به، فطابت نفسي، فسجدت شكرا لله، فأطلت السجود، فقالوا لي: قم، فقال لهم المهدي: دعوه ما كان ساجدا، ثم رفعت رأسي، فلما ردوني إليه، خلع علي وضرب بيده على ظهري، وقال لي: يا يعقوب، لا يمتن عليك أحد بمنة، فما زلت منذ الليلة قلقا بامرك، قال الخطيب البغدادي: كذا جاء في هذا الخبر أن المهدي أطلقه وليس ذلك بصحيح إنما الرشيد أطلقه كما حكينا أولا.

حدث عبد الله بن يعقوب بن داود قال: قال أبي: حبسني المهدي في بئر وبنيت على قبة فمكثت فيها خمس عشرة حجة حتى مضى صدر من خلافة الرشيد وكان يدلي إلي في كل يوم رغيف وكوز من ماء وأوذن باوقات الصلاة فلما كان في راس ثلاث عشرة حجة أتاني آت في منامي فقال: حنا على يوسف رب فأخرجه..من قعر جب وبيت حوله غمم. قال: فحمدت الله، وقلت: أتى الفرج، قال: فمكثت حولا لا أرى شيئا، فلما كان رأس الحول أتاني ذلك الآتي، فقال لي: عسى فرج يأتي به الله إنه..له كل يوم في خليقته أمر..قال: ثم أقمت حولا لا أرى شيئا ثم أتاني ذلك الآتي بعد الحول فقال: عسى الكرب الذي أمسيت فيه..يكون وراءه فرج قريب..فيأمن خائف ويفك عان..ويأتي أهله النائي الغريب. قال: فلما أصبحت نوديت، فظننت أني أوذن بالصلاة فدلي لي حبل أسود، وقيل لي أشدد به وسطك، ففعلت فاخرجوني، فلما قابلت الضوء غشي بصري، فانطلقوا بي، فأدخلت على الرشيد، فقيل سلم على أمير المؤمنين، فقلت: السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، المهدي! قال: لست به، قلت: السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، الهادي! قال: ولست به، قلت: السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، قال: الرشيد، فقلت: الرشيد! فقال: يا يعقوب بن داود، إنه والله ما شفع فيك الي أحد غير، أني حملت الليلة صبية لي على عنقي، فذكرت حملك اياي على عنقك، فرثيت لك من المحل الذي كنت به، فاخرجتك، قال: فاكرمني، وقرب مجلسي، قال: ثم إن يحيى بن خالد[2] تنكر لي، كأنه خاف أن أغلب على أمير المؤمنين دونه، فخفته، فاستأذنت للحج، فأذن لي، فلم يزل مقيما بمكة حتى مات بها. قلت: وكان سبب غضب المهدي عليه أنه دفع إليه رجلا علويا، وقال له: أحب أن تكفيني مؤونته، وتريحني منه، فأخذه يعقوب إليه، وأطلقه، وانتهى الخبر إلى المهدي، فوضع الأرصاد على العلوي، حتى ظفر به ثم جعله في بيت، وبعث إلى يعقوب، فسأله عن العلوي، فقال: يا أمير المؤمنين، قد أراحك الله منه، قال: مات؟ قال: نعم، قال: والله، قال: والله، قال: فضع يدك على رأسي واحلف به، ففعل، ففتح المهدي الباب على العلوي، فبقي يعقوب متحيرا، فقال له المهدي: قد حل دمك، ولو أردت لارقته، ولكن احبسوه في المطبق، فأقام فيه حتى أخرجه الرشيد، وذكر سعيد بن مسلم الباهلي أن يعقوب مات في سنة اثنتين وثمانين ومائة (؟).

----

*(المطبق) سجن بناه المنصور ببغداد سنة 146هـ

■ (1) يعقوب بن داود بن عمر (أو بن طهمان) السلمي بالولاء، أبو عبد الله: كاتب، من أكابر الوزراء. كان يكتب لإبراهيم ابن عبد الله بن الحسن المثنى. وخرج إبراهيم على المنصور العباسي بالبصرة، فظفر به المنصور وقتله سنة 145 وحبس يعقوب.ثم أطلق بعد وفاة المنصور، فتقرب من المهدي وعلت منزلته عنده، حتى صدر مرسوم إلى الدواوين يقول: إن أمير المؤمنين المهدي قد آخى يعقوب بن داود واستوزره سنة 163 فغلب على الأمور كلها، وقصدته الشعراء بالمدائح، وكثر حساده، وتتابعت الوشايات فيه. وسقط عن برذون، فانكسر ساقه، فعاده المهدي في اليوم الثاني. وانتهز الوشاة فرصة غيابه عن العمل، فذكروا للمهدي صلته الأولى بالعلويين، فيقال إنه أراد اختباره، فطلب منه أن يريحه من شخص سماه له، من العلويين، فاكتفى يعقوب بأن وكل أحد رجاله بالعلوي وأعطاه مالا، وأوعز إليه بالرحيل والاختفاء، وبعد مدة سأله المهدي عنه، فقال: مات. وعرف المهدي أنه كذب عليه، فانفجر سخطه،وعزله سنة 167هـ وأمر بحبسه في المطبق وصادر أمواله. ومكث في الحبس إلى أن مضت خمس سنوات وشهور من ولاية هارون الرشيد فأخرج سنة 175هـ وقد ذهب بصره، ورد عليه الرشيد ماله، وخيره في الإقامة حيث يريد، فاختار مكة، فأذن له، فأقام بها إلى أن مات 187 هـ(؟) وهو الذي يقول فيه بشار: بني أمية هبوا، طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود !. [الأعلام للزركلى]

■ (2) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

يعقوب بن داود بن عمر بن طهمان أبو عبد الله مولى عبد الله بن خازم السلمي استوزره أمير المؤمنين المهدي وقرب من قلبه وغلب على أمره ثم نكبه واودعه السجن فلم يزل فيه محبوسا إلى أن ولي هارون الرشيد الخلافة فأطلق عنه ويقال إن يعقوب كان سمحا جوادا كثير البر والصدقة واصطناع المعروف وذكره دعبل بن علي في شعراء أهل بغداد. قال محمد بن عبد الله بن طهمان حدثني أبي قال: جاءت امرأة من اليمامة جعدية مملوكة لبني جعدة، يقال لها وحشية، قد كاتبت على ولدها وأخيها وأهل بيتها بألف دينار، فوقفت بين يدي يعقوب بن داود، فقالت: أما ومعلم التوراة موسى..ومرسي البيت في حرم الإلال..وباعث احمدا فينا رسولا..فعلمنا الحرام من الحلال لشهرا.. نحو يعقوب سرينا..فأداني له وقت الهلال..اغثني يا فداك أبي وأمي..وعمي لا أحاشيه وخالي..يبشرني بنجحي كل طير..جرت لي عن يميني أو شمالي. قال: فقال: صدقت طيرك، فأعطاها ألف دينار، وقال: ارحلي فاشتري أهلك وولدك واقديهم، ففعلت فما زالت في عيال يعقوب هي وأهلها اجمعون حتى ماتت. ولسلم الخاسر[1] وأبي الشيص[2] وأبي حنش[؟] وغيرهم من الشعراء مدائح في يعقوب وأما بشار بن برد [3] فكان يعقوب عنه منحرفا فهجاه بشار وهجا المهدي بسببه عند غلبة يعقوب عليه فمما قال بشار في المهدي بسببه: بني أمية هبوا طال نومكم..إن الخليفة يعقوب بن داود..ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا..خليفة الله بين الزق والعود. وقيل: إن يعقوب كان يعمل على لسان بشار الشعر في هجاء المهدي وينشده المهدي على أنه لبشار وما زال يسعى عليه عند المهدي حتى قتله.

■ (3) بشار بن برد العقيلي، بالولاء، أبو معاذ: أشعر المولدين على الاطلاق. أصله من طخارستان (غربي نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة (عقيلية) قيل إنها أعتقته من الرق. وكان ضريرا. نشأ في البصرة وقدم بغداد. وأدرك الدولتين الاموية والعباسية. وشعره كثير متفرق من الطبقة الاولى، قال الجاحظ: كان شاعرا راجزا، سجاعا خطيبا، صاحب منثور ومزدوج، وله رسائل معروفة. واتهم بالزندقة فمات ضربا بالسياط، ودفن بالبصرة.سنة 167 هـ وكانت عادته، إذا أراد أن ينشد أو يتكلم، أن يتفل عن يمينه وشماله ويصفق باحدى يديه على الاخرى ثم يقول. وأخباره كثيرة.

■ (1) سلم بن عمرو بن حماد: شاعر، خليع، ماجن، من أهل البصرة، من الموالي. سكن بغداد. له مدائح في المهدي والرشيد العباسيين، وأخبار مع بشار بن برد وأبي العتاهية. وشعره رقيق رصين. قيل: سمي الخاسر، لانه باع مصحفا واشترى بثمنه طنبورا. مات سنة 186 هـ

■ (2) أبو الشيص، محمد بن علي بن عبد الله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي: شاعر مطبوع، سريع الخاطر رقيق الالفاظ. من أهل الكوفة. غلبه على الشهرة معاصراه صريع الغواني وأبو نواس. وانقطع إلى أمير الرقة عقبة بن جعفر الخزاعي، فأغناه عقبة عن سواه. وأبو الشيص لقب، وكنيته أبو جعفر. وهو ابن عم دعبل الخزاعي. عمي في آخر عمره. وتنسب إليه الابيات التي يغنى بها، وأولها: وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي..متأخر عنه ولا متقدم. قتله خادم لعقبة، في الرقة سنة 196 هـ

■ (؟) رجل آخر ؟ ذكره ابن أحمر في شعره ...: وحنش: كنية عصم بن النعمان بن عتاب. فارس تغلبي، قتل شرحبيل بن الحارث (الملك) يوم الكلاب الأول وأرسل رأسه إلى أخيه سلمة بن الحارث مع أبو أجأ التغلبي، وهو من فرسان تغلب في الجاهلية.

مراجع: تاريخ بغداد/ الأعلام للزركلى/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وجبرئيل بن بختيشوع 0793

قال فثيون: لما كان في سنة إحدى وسبعين ومائة، مرض هارون الرشيد من صداع لحقه، فقال ليحيى بن خالد[1]: هؤلاء الأطباء ليس يحسنون شيئا، فقال له يحيى: يا أمير المؤمنين، أبو قريش[2] طبيب والدك ووالدتك، فقال: ليس هو بصيرا بالطب، إنما كرامتي له لقديم حرمته، فينبغي أن تطلب لي طبيبا ماهرا، فقال له يحيى بن خالد: أنه لما مرض أخوك موسى[3]، أرسل والدك إلى جند سابور* حتى حضر رجلا يعرف ببختيشوع[4]، قال له: فكيف تركه يمضي؟ فقال: لما رأى عيسى أبا قريش، ووالدتك يحسدانه اذن له في الإنصراف إلى بلده، فقال له: أرسل بالبريد حتى يحملوه إن كان حيا، ولما كان بعد مدة مديدة وافى بختيشوع الكبير بن جورجس[4]، ووصل إلى هارون الرشيد ودعا له بالعربية وبالفارسية، فضحك الخليفة، وقال ليحيى بن خالد: أنت منطقي فتكلم معه حتى أسمع كلامه، فقال له يحيى: بل ندعو بالأطباء، فدعى بهم، وهم أبو قريش عيسى، وعبد الله الطيفوري، وداود بن سرابيون، وسرجس، فلما رأوا يختيشوع، قال أبو قريش: يا أمير المؤمنين، ليس في الجماعة من يقدر على الكلام مع هذا، لأنه كون الكلام هو وأبوه وجنسه فلاسفة، فقال الرشيد لبعض الخدم: أحضره ماء دابة حتى نجربه، فمضى الخادم وأحضره قارورة الماء، فلما رآه، قال: يا أمير المؤمنين، ليس هذا بول إنسان، قال له أبو قريش: كذبت هذا ماء حظية الخليفة، فقال له بختيشوع: لك أقول أيها الشيخ الكريم لم يبل هذا الإنسان البتة، وإن كان الأمر على ما قلت فلعلها صارت بهيمة، فقال له الخليفة: من أين علمت أنه ليس ببول إنسان؟ قال له بختيشوع: لأنه ليس له قوام بول الناس، ولا لونه ولا ريحه، قال له الخليفة: بين يدي من قرأت؟ قال له: قدام أبي جورجس قرأت، قال له الأطباء: أبوه كان اسمه جورجس، ولم يكن مثله في زمانه، وكان يكرمه أبو جعفر المنصور إكراما شديدا، ثم التفت الخليفة إلى بختيشوع، فقال له: ما ترى أن نطعم صاحب هذا الماء؟ فقال: شعيرا جيدا، فضحك الرشيد ضحكا شديدا، وأمر فخلع عليه خلعة حسنة جليلة،ووهب له مالا وافرا، وقال بختيشوع: يكون رئيس الأطباء كلهم، وله يسمعون ويطيعون، ولبختيشوع بن جرجس من الكتب كناش مختصر، كتاب التذكرة ألفه لابنه جبرائيل.

ولما كان في سنة خمس وسبعين ومائة مرض جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك. فتقدم الرشيد إلى بختيشوع أن يخدمه. ولما أفاق الجعفر من مرضه قال لبختيشوع: أريد أن تختار لي طبيبا ماهرا أكرمه وأحسن إليه. قال له بختيشوع: لست أعرف في هؤلاء الأطباء أحذق من ابني جبريل[3]. فقال له جعفر: أحضرنيه. فلما أحضره شكا إليه مرضا كان يخفيه. فدبره في مدة ثلاثة أيام وبرئ. فأحبه جعفر مثل نفسه.

وفي بعض الأيام تمطت حظية* الرشيد ورفعت يدها فبقيت مبسوطة لا يمكنها ردها والأطباء يعالجونها بالتمريخ والأدهان فلا ينفع ذلك شيئا. فقال له جعفر عن جبريل ومهارته. فأحضره وشرح له حال الصبية. فقال جبريل: إن لم يسخط أمير المؤمنين علي فلها عندي حيلة. قال له الرشيد: ما هي؟ قال: تخرج الجارية إلى هاهنا بحضرة الجمع حتى أعمل ما أريد وتتمهل علي ولا تسخط عاجلا. فأمر الرشيد فخرجت وحين رآها جبريل أسرع إليها ونكس رأسها وأمسك ذيلها فانزعجت الجارية ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت أعضاؤها وبسطت يدها إلى أسفل وأمسكت ذيلها. فقال جبريل: لقد برئت يا أمير المؤمنين. فقال الرشيد للجارية ابسطي يدك يمنة ويسرة. ففعلت. فعجب الرشيد وكل من حضر وأمر لجبريل في الوقت بخمسمائة ألف درهم وأحبه. ولما سئل عن سبب العلة قال: هذه الصبية انصب إلى أعضائها وقت الغشيان خلط رقيق بالحركة وانتشار الحرارة ولأجل أن سكون حركة الغشيان تكون بغتة جمدت الفضلة في بطون الأعصاب وما كان يحلها إلا حركة مثلها فاحتلت حتى انبسطت حرارتها وحلت الفضلة فبرئت.

ومن أخباره أن إبراهيم بن المهدي اعتل بالرقة من أعمال الجزيرة مع الرشيد علة صعبة فأمر الرشيد بإحضاره إلى والدته بمدينة السلام وكان بختيشوع جد بختيشوع الثاني يزاوله ويتولى علاجه ثم قدم الرشيد إلى مدينة السلام ومعه عيسى أبو قريش فأتي أبو قريش ابن المهدي عائدا فرأى العلة قد أذهبت لحمه وإذا ذابت شحمه فأصارته إلى اليأس من نفسه وكان أعظم ما عليه في علته شدة الحمية قال إبراهيم: فقال لي عيسى: وحق المهدي لأعاجلنك غدا علاجا يكون فيه برؤك قبل خروجي من عندك، ثم دعا بالقهرمان بعد خروجه من عنده وقال: لا تدع بمدينة السلام، أسمن من ثلاثة فراريج كسكرية تذبحها الساعة وتعلقها في ريشها حتى آمرك فيها بأمري في غد إن شاء الله، قال إبراهيم: ثم بكر إلى أبو قريش عيسى ومعه ثلاث بطيخات رامشية قد بردها في الثلج في ليلة ذلك اليوم ثم دعا بسكين فقطع لي من إحدى البطيخات قطعة ثم قال لي: كل هذه القطعة فأعلمته أن بختيشوع يحميني من رائحة البطيخ، فقال لي: لذلك طالت علتك، كل فإنه لا بأس عليك، قال: فأكلت القطعة بالتذاذ مني لها ثم أمرني بالأكل فلم أزل آكل حتى استوفيت بطيختين، ثم قطع من الثالثة قطعة، وقال: جميع ما أكلت للذة فكل هذه القطعة للعلاج، فأكلتها بتكره فقطع لي أخرى، وأومأ إلى الغلمان بإحضار الطشت فذرعني القيء فأحسبني تقيأت أربعة أضعاف ما أكلت من البطيخ، وكل ذلك مرة صفراء ثم أغمي علي بعد ذلك، وغلب علي العرق، فلم أزل في عرق متصل إلى أن صلى الظهر ثم انتبهت، وما أعقل جوعا فدعوت بشيء آكله فأحضرني الفراريج وقد طبخ لي منها سكباجا أجادها وأطلبها فأكلت منها حتى تضلعت ونمت بعد أكلي إياها إلى آخر وقت العصر، ثم قمت وما أجد منت العلة إلا قليلا ولا كثيرا فاتصل بي البرء، وما عادت لك العلة من ذلك اليوم.

---

*(جنديسابور) جند يسابور وهي مدينة بخوزستان (الحظية) إذا كان ذا حظوة ومنزلة. حظية من النساء؛ تقول: هي إحدى !حظاياي. وهو أحظى منه: أي أقرب إليه وأسعد.

■ (4) بختيشوع بن جرجس: بختيشوع الكبير، طبيب، سرياني الاصل مستعرب. اشتهر وتقدم عند الخلفاء العباسيين. وهو جد بختيشوع بن جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس. وهما من بيت علم وفلسفة. خدم هارون الرشيد وتميز في أيامه. له كناش مختصر صنفه لابنه جبرائيل. نحو 184 هـ

■ (4) جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس: طبيب هارون الرشيد وجليسه وخليله. يقال إن منزلته مازالت تقوى عند الرشيد حتى قال لاصحابه: من كانت له حاجة إلي فليخاطب بها جبرئيل فاني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني. فكان القواد يقصدونه في كل أمورهم. ولما توفي الرشيد خدم الامين، فلما ولي المأمون سجنه ثم أطلقه وأعاده إلى مكانته عند أبيه الرشيد، فلم يزل إلى أن توفي ودفن في دير مار جرجس بالمدائن.سنة 213 هـ

■ (1) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (3) موسى الهادي بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور يكنى أبا محمد بويع له بعد أبيه وكان بجرجان وقت موت المهدي. ولد الهادي بالري سنة 144 هـ أو 147 هـ توفي سنة 167 هـ أو 170 هـ واختلف في سبب موته وقد بلغ 23 سنة وكانت خلافته سنة وشهرا وبعض آخر.

■ (2) عيسى المعروف بأبي قريش كان صيدلانيا يجلس على موضع نحو باب قصر الخليفة، كناه هارون أبا قريش أي أبا العرب

☪

قال القفطي: وهذا من الحيلة في البرء ولهذا قيل في كتاب امتحان الطبيب أنه يجب أن يكون الطبيب متيقظا ذكيا له قدرة على استعمال القياس يستخرج للعلاج من تلقاء نفسه. وكان محلو يقوى ويعلو في كل وقت حتى أن الرشيد قال لأصحابه كل من كانت له حاجة إلي فليخاطب فيها جبرائيل لأني أفعل كل ما سألنيه ويطلبه مني فكان القواد يقصدونه في كل اموره وحاله يتزايد ومنذ يوم خدم الرشيد وإلى أن انقضت مدته خمس عشرة سنة لم يمرض الرشيد فحظي عنده وفي آخر أيام الرشيد عند حصوله بطوس مرض المرضة التي توفي فيها. ومن أطباء الرشيد يوحنا بن ماسويه[1] النصراني السرياني ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة. وخدم الرشيد ومن بعده إلى أيام المتوكل وكان معظما ببغداد جليل القدر وله تصانيف جميلة. وكان يعقد مجلسا للنظر ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة. وكان يدرس ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون. وكان في يوحنا دعابة شديدة يحضره من يحضره لأجلها في الأكثر. وكان من ضيق الصدر وشدة الحدة على أكثر مما كان عليه جبريل بن بختيشوع. وكانت الحدة تخرج من يوحنا الفاظا مضحكة. فما حفظ من نوادره أن رجلا شكا إليه علة كان شفاه منها الفصد فأشار عليه به. فقال له: لم أعتد الفصد. قال له يوحنا: ولا أحسبك اعتدت العلة من بطن أمك. وصار إليه قسيس وقال: قد فسدت علي معدتي. فقال له يوحنا: استعمل جوارشن الخوزي. فقال له: قد فعلت. قال: فاستعمل الكموني. قال: قد استعملت منه أرطالا. فأمره باستعمال البنداذيقون. فقال: قد شربت منه جرة. قال: استعمل المروسيا. فقال له: قد فعلت وأكثرت. فغضب يوحنا وقال له: إن أردت أن تبرأ فأسلم فإن الإسلام يصلح المعدة. وكان بختيشوع بن جبريل يداعب يوحنا كثيرا. فقال له في مجلس ابراهيم بن المهدي[2] وهم في معسكر المعتصم بالمدائن سنة عشرين ومائتين: أنت أبا زكريا أخي ابن أبي. فقال يوحنا لإبراهيم: اشهد على أقراره فوالله لأقاسمنه ميراثه من أبيه. فقال له بختيشوع: إن أولاد الزنا لا يرثون. فانقطع يوحنا ولم يحر جوابا. ومن الأطباء في أيام الرشيد صالح بن بهلة الهندي[3]. ومن عجيب ما جرى له أن الرشيد في بعض الأيام قدمت له الموائد. فطلب جبريل بن بختيشوع يحضر أكله على عادته في ذلك فلم يوجد فلعنه الرشيد. فبينما هو في لعنته إذ دخل عليه. فقال له: أين كنت وطفق يذكره بشر. فقال: إن أشتغل أمير المؤمنين بالبكاء على ابن عمه ابراهيم بن صالح[4] وترك تناولي بالسب كان أشبه. فسأله عن خبر ابراهيم. فأعلمه أنه خلفه وبه رمق ينقضي آخره وقت صلاة العتمة. فاشتد جزع الرشيد من ذلك وأمر برفع الموائد وكثر بكاؤه. فأشار جعفر بن يحيى البرمكي[5] أن يمضي صالح الطبيب الهندي إليه ويعاينه ويجس نبضه. فمضى وتأمله ورجع إلى جعفر قائلا: إن مات هذا من هذه العلة كل امرأة لي طالق ثلاثا بتاتا. فلما كان وقت العتمة ورد كتاب صاحب البريد بوفاة ابراهيم على الرشيد فأقبل يلعن الهند وطبهم. فحضر صالح بين يدي الرشيد فقال: الله الله، أن تدفن ابن عمك حيا، فوالله ما مات. قم حتى أريك عجبا. فدخل إليه الرشيد ومعه جماعة من خواصه. فأخرج صالح أبرة كانت معه وأدخلها بين ظفر ابهام يده اليسرى ولحمه. فجذب ابراهيم يده وردها إلى بدنه. فقال صالح: يا أمير المؤمنين هل يحس الميت بالوجع. ثم نفخ شيئا من الكندس في أنفه. فمكث مقدار سدس ساعة ثم اضطرب بدنه وعطس وجلس وكلم الرشيد وقبل يده. وسأله الرشيد عن قضيته. فذكر أنه كان نائما نوما لا يذكر أنه نام مثله قط طيبا إلا أنه رأى في منامه كلبا قد أهوى إليه فتوقاه بيده فعض ابهام يده اليسرى عضة انتبه بها وهو يحس بوجعها وأراه موضع الابرة. وعاش ابراهيم بعد ذلك دهرا وولي مصر وتوفي بها وهناك قبره.

■ (1) يوحنا بن ماسويه، أبو زكريا: من علماء الاطباء. سرياني الاصل. عربي المنشأ. كان أبوه صيدلانيا في جنديسابور بخوزستان ثم من أطباء العين، في بغداد. وتقدم، وخدم الرشيد. وببغداد نشأ ابنه يوحنا صاحب الترجمة ونبغ حتى كان أحد الذين عهد إليهم هارون الرشيد بترجمة ما وجد من كتب الطب القديمة، في أنقرة وعمورية وغيرهما من بلاد الروم، وجعله أمينا على الترجمة، ورتب له كتابا حاذقين بين يديه. ولم يقتصر عمله على خدمة العلم بل خدم الرشيد والمأمون ومن بعدهما إلى أيام المتوكل، بمعالجتهم وتطبيب مرضاهم، حتى كانوا لا يتناولون شيئا من أطعمتهم إلا بحضرته. وكان يقف على رؤوسهم ومعه البراني بالجوارشات المقوية والهاضمة. وأصاب شهرة واسعة وثروة طائلة. وكان مجلسه ببغداد أعمر مجلس، يجمع الطبيب والمتفلسف والاديب والظريف. له نحو أربعين كتابا معظمها رسائل، توفي بسامرا. سنة 243 هـ

■ (4) إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي، أمير الشام للمهدي، ثم أمير مصر للرشيد، وزوجه بأخته عباسة، وهو أخو عبد الملك. وولاه مصر، وبها مات سنة 176 هـ. وله عدة إخوة أمراء، سادة، قادة، قل أن يتفق إخوة مثلهم في الجلالة والسؤدد، وهم: إسماعيل، وعبد الوهاب، وعبد الله، وعبد الملك، والفضل.

■ (5) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماسْ بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

■ (3) صالح بن بهلة الهندي متميز من علماء الهند، وكان خبيرا بالمعالجات التي لهم، وله قوة وإنذارات في تقدمة المعرفة، وكان بالعراق في أيام الرشيد هارون.

■ (2) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم

مراجع: أخبار العلماء بأخيار الحكماء/ تاريخ مختصر الدول/ الأعلام للزركلى/

قال يوسف حدثني إبراهيم بن المهدي: أن لحم عيسى بن جعفر بن المنصور[1] كثر عليه حتى كاد أن يأتي على نفسه، وأن الرشيد اغتم لذلك غما شديدا أضر به في بدنه ومنعه لذة المطعم والمشرب، وأمر جميع المتطببين بمعالجته، فكلهم دفع أن يكون عنده في ذلك حيلة، فزادوا الرشيد غما إلى ما كان عليه منه، وإن عيسى[2] المعروف بأبي قريش صار إلى الرشيد سرا، فقال له يا أمير المؤمنين: إن أخاك عيسى بن جعفر رزق معدة صحيحة وبدنا قابلا للغذاء أحسن قبول، وجميع الأمور جارية له بما يحب، فليس يتمنى شيئا إلا تم له على أكثر مما يحبه، وقد وقي موت أحبته، ودخول النقص في ماله، والظلم من ناحية سلطانه، والاستقصاء عليه، والأبدان متى لم تختلط على أصحابها طبائعهم وأحوالهم فتنالهم العلل في بعض الأوقات، والصحة في بعضها والغموم في بعضها، والسرور في بعضها ورؤية المكاره في بعضها والمحاب في بعضها، وتدخلها الروعة أحيانا، والفرح أحيانا، لم يؤمن على صاحبها التلف، لأن لحمه يزداد حتى تضعف عن حمله العظام، وحتى يغمر فعل النفس، وتبطل قوى الدماغ والكبد، ومتى كان هذا عدمت الحياة، وأخوك هذا إن لمن تظهر موجدة* عليه أو تغير له أو تقصده بما ينكي قلبه من حيازة مال أو أخذ عزيز عليه من حرمه، لم آمن عليه تزايد هذا الشحم حتى يتأتى على نفسه، فإن أحببت حياته فافعل ذلك به وإلا فلا أخ لك، فقال الرشيد: أنا أعلم أن الذي ذكرت على ما قلت، غير أنه لا حيلة عندي في التغير له أو غمه بشيء من الأشياء، فإن تكن عندك حيلة في أمره فاحتل بها، فإني أكافئك عنه متى رأيت لحمه قد انحط بعشرة آلاف دينار، وآخذ لك منه مثلها، فقال عيسى عندي حيلة إلا أني أتخوف أن يعجل علي عيسى بالقتل فتتلف نفسي، فليوجه معي أمير المؤمنين خادما جليلا من خدمه، ومعه جماعة يمنعونه مني إن أمر بقتلي، ففعل ذلك به وسار إليه، فجسه وأعلمه أنه يضطر إلى مجسة عرقه ثلاثة أيام قبل أن يذكر له شيئا من العلاج، فأمره عيسى بالانصراف والعود إليه، ففعل ذلك وعاد في اليوم الثاني والثالث، فلما فرغ من مجسة عرقه قال له: إن الوصية مباركة، وهي غير مقدمة ولا مؤخرة، وأنا أرى للأمير أن يعهد فإن لم يحدث حادث قبل أربعين يوما عالجته في ذلك بعلاج لا يمضي به إلا ثلاثة أيام حتى يخرج من علته هذه، ويعود بدنه إلى أحسن مما كان عليه، ونهض من مجلسه، وقد أسكن قلب عيسى من الخوف، ما امتنع له من أكثر الغذاء، ومنعه من النوم، فلم يبلغ أربعين يوما حتى انحط من منطقته خمس بشيزجات [؟] . واستتر عيسى أبو قريش في تلك الأيام عن الرشيد خوفا من إعلام الرشيد عيسى بن جعفر تدبير عيسى المتطبب لإسكان الغم قلبه، فيفسد عليه تدبيره، فلما كان ليلة يوم الأربعين سار إلى الرشيد وأعلمه أنه لا يشك في نقصان بدن عيسى، وسأله إحضاره مجلسه أو الركوب إليه، فركب إليه الرشيد، فدخل عليه ومعه عيسى، فقال له عيسى: أطلق لي يا أمير المؤمنين، قتل هذا الكافر فقد قتلني، وأحضر منطقته فشدها في وسطه وقال، يا أمير المؤمنين، نقص هذا العدو، والله، من بدني بما أدخل علي من الروع خمس بشيزجات، فسجد الرشيد شكرا لله، وقال له: يا أخي، متعت بك بأبي عيسى، وكان الرشيد كثيرا ما يقول له بأبي عيسى، ردت إليك بعد الله الحياة، ونعم الحيلة احتال لك، وقد أمرت له بعشرة آلاف دينار، فأوصل إليه مثلها، ففعل ذلك له، وانصرف المتطبب إلى منزله بالمال، ولم يرجع إلى عيسى ابن جعفر ذلك الشحم إلى أن فارق الدنيا.

----

*(بشيزجات) و بشيزكان ؟: كيلوغرام أو الرطل ؟ (الموجدة) مصدر وجدت بمعنى غضبت وكذا الوجدان وهذه الثلاثة غير متعدية قال الأصمعي وغيره: وجدت على فلان فأنا أجد عليه موجدة وذلك في الغضب، ووجدت بفلان فأنا أجد وجدا، وذلك في الحزن، وإنه ليجد بفلانة وجدا شديدا إذا كان يهواها، ووجدت في الغنى واليسار وجدا ووجدانا، ومنه قوله: لي الواجد يحل عرضه وعقوبته

■ (2) عيسى المعروف بأبي قريش كان صيدلانيا يجلس على موضع نحو باب قصر الخليفة، كناه هارون أبا قريش أي أبا العرب

■ (1) عيسى بن جعفر بن المنصور العباسي: قائد، من أمراء بني العباس. وهو أخو زبيدة، وابن عم هارون الرشيد. بعثه الرشيد عاملا على عمان في ستة آلاف مقاتل، فلم يكد يستقر فيها حتى سير إليه إمام الازد الوارث الخروصي جيشا قاتله، فانهزم عيسى فأسر وسجن في صحار، ثم تسور عليه بعضهم السجن فقتلوه سنة 185 هـ

☪

قال فثيون الترجمان: لما مرض موسى الهادي[1] أرسل إلى جند سابور* من يحضر له بختيشوع، فمات قبل قدوم بختيشوع[2]، وكان من خبره أنه جمع الأطباء، وهم أبو قريش عيسى، وعبد الله الطيفوري[3]، وداؤد بن سرابيون وقال لهم: أنتم تأخذون أموالي وجوائزي، وفي وقت الشدة تتقاعدون بي، فقال له أبو قريش: علينا الاجتهاد والله يهب السلامة، فاغتاظ من هذا فقل له الربيع[4] قد وصف لنا أن بنهر صرصر* طبيبا ماهرا يقال له عبد يشوع بن نصر[5]، فأمر بإحضاره وبأن تضرب أعناق الأطباء، فلم يفعل الربيع هذا لعلمه باختلال عقله من شدة المرض، ولأنه كان آمنا منه، ووجه إلى صرصر حتى أحضر الرجل، ولما دخل على موسى قال له رأيت القارورة؟ قال نعم يا أمير المؤمنين، وها أنا أصنع لك دواء تأخذه، وإذا كان على تسع ساعات تبرأ وتتخلص وخرج من عنده، وقال للأطباء، لا تشغلوا قلوبكم فإنكم في هذا اليوم تنصرفون إلي بيوتكم، وكان الهادي قد أمر بأن يدفع إليه عشرة آلاف درهم ليبتاع له بها الدواء، فأخذها ووجه بها إلى بيته، وأحضر أدوية وجمع الأطباء بالقرب من موضع الخليفة وقال لهم دقوا حتى يسمع وتسكن نفسه، فإنكم في آخر النهار تتخلصون، وكان كل ساعة يدعو به ويسأله عن الدواء فيقول له هو ذا تسمع صوت الدق فيسكت، ولما كان بعد تسع ساعات مات وتخلص الأطباء؛ وهذا في سنة سبعين ومائة.

أبو قريش طبيب المهدي[6] وهذا رجل يعرف بعيسى الصيدلاني ولم يذكر هذا في جملة الأطباء لأنه كان ماهرا بالصناعة أو ممن يجب أن يلحق الأجلاء من أهل هذا الشأن وإنما يذكر لظريف خبره وما فيه من العبرة وحسن الاتفاق أن هذا الرجل اعني أبا قريش كان صيدلانيا ضعيف الحال جدا فتشكت حظية للمهدي وتقدمت إلى جاريتها بأن تخرج القارورة إلى طبيب غريب لا يعرفها وكان أبو قريش بالقرب من قصر المهدي فلما وقع نظر الجارية عليه أرته القارورة فقال لمن هذا الماء فقالت لامرأة ضعيفة فقال بل لملكة عظيمة الشأن وهي حبلى بملك وكان هذا القول منه على سبيل الرزق فانصرفت الجارية من عنده وأخبرت الحظية بما سمعته منه ففرحت بما سمعت فرحا شديدا وقالت ينبغي أن تضعي علامة على ذكائه حتى إذا صح قوله اتخذناه طبيبا لنا وبعد مدة ظهر الحبل وفرح به المهدي فرحا شديدا فأنفذت الحظية إلى أبي قريش خلعتين فاخرتين وثلاثمائة دينار وقالت استعن بهذا على أمرك فإن صح ما قلته استصحبناك فعجب أبو قريش ومن ذلك وقال هذا من عند الله جل وعز لأنني ما قلته للجارية إلا وقد كان هاجسا من غير أصل ولما ولدت الحظية وهي الخيزران[7] موسى الهادي سر المهدي به سرورا عظيما وحدثته جاريته بالحديث فاستدعي أبا قريش وخاطبه فلم يجد عنده علما بالصناعة إلا شيئا يسيرا من علم الصيدلة إلا أنه اتخذه طبيبا لما جرى منه واستخصه وأكرمه إلا كرام التام وحظي عنده ...

قال إسحاق بن علي الرهاوي في كتاب أدب الطبيب عن عيسى بن ماسة قال : أخبرني يوحنا بن ماسويه[8] أن أبا قريش كان صيدلانيا يجلس على موضع نحو باب قصر الخليفة وكان دينا صالحا في نفسه وأن الخيزران جارية المهدي وجهت بمائها مع جارية لها إلى الطبيب فخرجت الجارية من القصر فأرت أبا قريش الماء فقال لها : هذا ماء امرأة حبلى بغلام فلما مضت الأيام ولدت موسى أخا هارون الرشيد. فعند ذلك أعلمت المهدي وقالت له: إن طبيبا على الباب أخبر بهذا منذ تسعة أشهر. وبلغ الخبر جورجس بن جبرائيل فقال: كذب ومخرقة.وما مضى بعد ذلك إلا قليل حتى حبلت بأخيه هاررن الرشيد فقال جورجس للمهدي جرب أنت هذا الطبيب ! فوجه إليه بالماء فلما نظر إليه قال : هذا ماء ابنتي أم موسى وهي حبلى بغلام آخر. فرجعت الرسالة بذلك إلى المهدي وأثبت اليوم عنده فلما مضت الأيام ولدت هارون فوجه المهدي إلى أبي قريش فأحضره وأقيم بين يديه فلم يزل يطرح عليه الخلع وبدر الدنانير والدراهم حتى علت رأسه وسير هارون وموسى في حجره وكناه أبا قريش أي أبا العرب. وقال لجورجس هذا شيء أنا بنفسي جربته، فصار أبو قريش نظير جرجس بن جبرائيل بل أكبر منه، حتى تقدمه في المرتبة، وتوفي المهدي واستخلف هارون الرشيد، وتوفي جرجس وسار ابنه تبع أبي قريش في خدمة الرشيد، ومات أبو قريش وخلف اثنين وعشرين ألف دينار مع نعمة سنية.

----

*(جنديسابور) جند يسابور وهي مدينة بخوزستان (نهر صرصر) من الأنهار التي تخرج من الفرات فمنها نهر عيسى ونهر صرصر ونهر الملك ونهر كوثى وغير ذلك

■ (1) موسى الهادي بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور يكنى أبا محمد بويع له بعد أبيه وكان بجرجان وقت موت المهدي. ولد الهادي بالري سنة 144 هـ أو 147 هـ توفي سنة 167 هـ أو 170 هـ واختلف في سبب موته وقد بلغ 23 سنة وكانت خلافته سنة وشهرا وبعض آخر.

■ (6) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

■ (7) الخيزران بنت عطاء زوجة المهدي وأم ولده. جرشية. تزوج المهدي الخيزران، فولدت له الهادي والرشيد، ولم تلد امرأة خليفتين غيرها، غير ولادة أم الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان. توفيت الخيزران ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادي الآخرة سنة 173هـ. وقد روي عن الخيزران عن المهدي حديث مسند عن محمد بن سليمان بن منصور يقول:﴿حَدَّثَتْنِي زَيْنَبُ بِنْتُ سُلَيْمَانَ، قَالَتْ حَدَّثَتْنِي الْخَيْزُرَانُ، قَالَتْ حَدَّثَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِّ، صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ اتَّقَى اللهَّ وَقَاهُ اللهُّ كُلَّ شَيْءٍ﴾

■ (8) يوحنا بن ماسويه، أبو زكريا: من علماء الاطباء. سرياني الاصل. عربي المنشأ. كان أبوه صيدلانيا في جنديسابور بخوزستان ثم من أطباء العين، في بغداد. وتقدم، وخدم الرشيد. وببغداد نشأ ابنه يوحنا صاحب الترجمة ونبغ حتى كان أحد الذين عهد إليهم هارون الرشيد بترجمة ما وجد من كتب الطب القديمة، في أنقرة وعمورية وغيرهما من بلاد الروم، وجعله أمينا على الترجمة، ورتب له كتابا حاذقين بين يديه. ولم يقتصر عمله على خدمة العلم بل خدم الرشيد والمأمون ومن بعدهما إلى أيام المتوكل، بمعالجتهم وتطبيب مرضاهم، حتى كانوا لا يتناولون شيئا من أطعمتهم إلا بحضرته. وكان يقف على رؤوسهم ومعه البراني بالجوارشات المقوية والهاضمة. وأصاب شهرة واسعة وثروة طائلة. وكان مجلسه ببغداد أعمر مجلس، يجمع الطبيب والمتفلسف والاديب والظريف. له نحو أربعين كتابا معظمها رسائل، توفي بسامرا. سنة 243 هـ

■ (2) بختيشوع بن جرجس: بختيشوع الكبير، طبيب، سرياني الاصل مستعرب. اشتهر وتقدم عند الخلفاء العباسيين. وهو جد بختيشوع بن جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس. وهما من بيت علم وفلسفة. خدم هارون الرشيد وتميز في أيامه. له كناش مختصر صنفه لابنه جبرائيل. نحو 184 هـ

■ (4) الربيع بن يونس بن محمد بن كيسان، مولا هم.الأمير الحاجب، أبو الفضل، ولي حجابة المنصور، ثم ولي وزارته بعد أبي أيوب المورياني، وحجب للمهدي، وولي ابنه الفضل بن الربيع حجابة الرشيد، وولي حفيده العباس بن الفضل حجابة الأمين. وكان من رجال الدهر حزما ورأيا ودهاء. مات سنة 170 هـ، من عسل مسموم سقاه الخليفة الهادي، وقد كان المنصور كثير الوثوق بالربيع، معتمدا عليه إلى الغاية.

■ (3) عبد الله الطيفوري كان حسن العقل، طيب الحديث على لكنة سوادية كانت في لسانه شديدة لأن مولده كان في بعض قرى كسكر كان من أحظى خلق الله عند الهادي

مراجع: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ الجماهر في معرفة الجواهر/ أخبار العلماء بأخبار الحكماء/ تاريخ مختصر الدول/ نشوار المحاضرة/ الأعلام للزركلى/ القانون فى الطب/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) ورجل(؟) 0795

روى أبو زيد حماد بن دليل عن أبي يوسف[1] قال: قعد أمير المؤمنين للمظالم فكنت السفير بينه وبين المتظلمين آخذ قصصهم واوصلها اليه، فجاءني رجل كبير من أهل السواد، ومعه قصة فيها دعوى بستان محدود، يزعم أن ذلك له في يد أمير المؤمنين، وأنه غصبه عليه، فقلت: في يد من هو؟ فقال: في يد أمير المؤمنين، قلت: من أكاره؟ قال: هو في يد أمير المؤمنين، غصبني عليه، فجعلت أديره بكل وجه على أن ينصرف عن مطالبة أمير المؤمنين الى مطالبة غيره، فيأبى أن ينصرف عن دعواه أن المطلوب به أمير المؤمنين، فدخلت بالقصص، وأمير المؤمنين قاعد على كرسي، ويحيى بن خالد [2] قعد معه فجعلت اخرج القصص، فخرجت قصته بالقرب مني، فلم استجز تأخيرها، فقلت: يا أمير المؤمنين، حضر شيخ كبير من أهل السواد، فادعى بستان كذا، فجهدت به أن يطالب بدعواه رجلا من الرعية، فأبى، فقال: مطالبتي لأمير المؤمنين، فقال: هذا البستان اعرفه وهبه لي أبي، وهو لي في ملكي، قلت: أفيحضر الرجل؟ قال: نعم، فاحضرته، قلت: ما تدعي؟ قال: ادعي بستان كذا، وحدده على أمير المؤمنين هذا، واشار إليه، قلت: من يقوم به وفي يد من هو؟ قال: في يد أمير المؤمنين هذا، قلت لأمير المؤمنين: ما تقول في دعوى هذا الرجل؟ قال: ما له في يدي هذا الحق الذي يدعيه، وما هذا البستان له، قلت له: ألك بينة؟ قال: يمينه، قلت له: يا أمير المؤمنين، عليك اليمين، قال: استحلفني فاستحلفته، فحلف فوثب الشيخ منصرفا، فسمعته وقد أدبر يقول: استفه كشربة سويق، وتربد وجه أمير المؤمنين، حين حلف وأطرق يفكر، فقلت: هلكت وهلك الرجل، فقال يحيى بن خالد: يا يعقوب، رأيت مثل أمير المؤمنين، في عدله وإنصافه لرجل من رعيته انصف من نفسه حتى فعل ما رأيت، فسرى عن أمير المؤمنين، وفرح بذلك، وقال: سبحان الله، وبد من الانصاف، وقال يحيى بن خالد: لو جاءت هذه من الفاروق لكانت حسنة أو كما قال قال أبو زيد: قال لنا أبو يوسف: فما اذكر ذلك المجلس الا دخلني منه غم شديد، وخفت الله من تركي العدل فيه، فقلنا: وما يكون أكثر مما فعلت؟! قال: ألم تفهموا ما فيها؟ قلنا: لا، ما رأينا الا عدلا، وقياما بالحق، قال: كيف، ولم اسو بينه وبين الخصم في المجلس؟! فاقول: يا أمير المؤمنين، أنت على كرسي، وهو على الأرض فيدعي له بكرسي فيجلس عليه.

قال عبد الله بن مسلم بن محارب لهارون الرشيد: يا أمير المؤمنين، أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عني، فعف عنه لما ذكره قدرة الله تعالى.

■ (1) [صاحب أبي حنيفة] هو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ. حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطاة. وحدث عنه يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وعلي بن الجعد، وأسد بن الفرات، وابن سماعة، وهلال الرأي، وعمرو الناقد، ومعلى بن منصور، ومحمد بن الحسن، وعدة.

■ (2) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

أخبر علي بن عمرو من ولد قرظة بن كعب قال: رفع الى أبي يوسف رجل مسلم قتل ذميا عمدا، وقامت البينة عليه، فأمر بحبسه ليقاد منه، فلما كان في يوم مجلس القضاء، رفعت إليه رقاع الخصوم، فإذا فيها رقعة مكتوب فيها: يا قاتل المسلم بالكافر..جرت وما العادل كالجائر..يا من ببغداد وأقطارها..من فقهاء الناس او شاعر..جار على الدين ابو يوسف..بقتله المسلم بالكافر..فاسترجعوا وابكوا جميعا معا..واصطبروا فالأجر للصابر. قال: فأخذ أبو يوسف الرقعة، ودخل بها على الرشيد فأعلمه، فقال له: فاذهب فاحتل، فجلس أبو يوسف، وحضر ولي الدم، والمدعى عليه، فقامت البينة، فقال أبو يوسف لولى الدم: أقم عندي البينة أن صاحبك كان يؤدي الجزية فلم يقم له البينة فمنع القود.

ومن المنقول عن أذكياء الأطباء أن جارية من جواري الرشيد تمطت فلما أرادت أن تمد يدها لم تطق وحصل فيها الورم فصاحت وآلمها فشق على الرشيد وعجز الأطباء عن علاجها فقال له طبيب حاذق يا أمير المؤمنين لا دواء لها إلا أن يدخل إليها رجل أجنبي غريب فيخلو بها ويمرخها بدهن نعرفه فأجابه الخليفة إلى ذلك رغبة في عافيتها فأحضر الطبيب الرجل والدهن وقال أريد من أمير المؤمنين أن يأمر بتعريتها حتى يمرخ جميع أعضائها بهذا الدهن فشق ذلك على الخليفة وأمره أن يفعل وأضمر في نفسه قتل الرجل وقال للخادم خذه وأدخله عليها بعد أن تعريها فعريت الجارية وأقيمت فلما دخل عليها وقرب منها وسعى إليها وأومأ بيده إلى فرجها ليمسه غطت الجارية فرجها بيدها التي قد كانت عطلت حركتها ولشدة ما داخلها من الحياء والجزع حمي جسمها بانتشار الحرارة الغريزية فأعانها على ما أرادت من تغطية فرجها واستعمال يدها في فرجها فلما غطت فرجها قال لها الرجل الحمد لله على العافية فأخذه الخادم وجاء به إلى الرشيد وأعلمه بالحال وما اتفق فقال الرشيد للرجل فكيف نعمل في رجل نظر إلى حرمنا فمد الطبيب يده إلى لحية الرجل فانتزعها فإذا هي ملصقة وإذا الشخص جارية وقال يا أمير المؤمنين ما كنت لأبذل حرمك للرجل ولكن خشية أن أكشف لك الخبر فيتصل بالجارية فتبطل الحيلة ولا يفيد العلاج لأني أردت أن أدخل على قلبها فزعا شديدا ليحمي طبعها ويقودها إلى تحريك يدها وتمشي الحرارة الغريزية في سائر أعضائها بهذه الواسطة فسرى على الرشيد ما كان وقر في صدره من الرجل وأجزل عطيته .

مراجع:أخبار أبي حنيفة/ الأعلام للزركلي/ موسوعة الخطب والدروس/ـطيب المذاق من ثمرات الأوراق/

حدث أحمد بن عطية، قال: سمعت أبا عبيد يقول: كنا مع محمد بن الحسن[1]، إذ أقبل الرشيد، فقام إليه الناس كلهم، إلا محمد بن الحسن، فإنه لم يقم، وكان الحسن بن زياد[2] ثقيل القلب، ممتلىء البطن على محمد بن الحسن، فقام، ودخل الناس من أصحاب الخليفة. فأمهل الرشيد يسيرا، ثم خرج الآذن، فقال: محمد بن الحسن، فجزع أصحابه له، فأدخل، فأمهل، ثم خرج طيب النفس مسرورا. فقال: قال لي: ما لك لم تقم مع الناس ؟ قلت: كرهت أن أخرج عن الطبقة التي جعلتني فيها، إنك أهلتني للعلم، فكرهت أن أخرج عنه إلى طبقة الخدمة التي هي خارجة عنه، وإن ابن عمك صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَاماً، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ وإنما أراد بذلك العلماء، فمن قام بحق الخدمة، وإعزاز الملك، فهو هيبة للعدو، ومن قعد، اتبع السنة التي عنكم أخذت، فهو زين لكم. قال: صدقت يا محمد. ثم قال: إن عمر بن الخطاب، صالح بني تغلب، على أن لا ينصروا أبناءهم، وقد نصروا أبناءهم، وحلت بذلك دماؤهم، فما ترى ؟ قال: قلت: إن عمر أمرهم بذلك، وقد نصروا أبناءهم بعد عمر، واحتمل ذلك عثمان، وابن عمك، وكان من العلم مالا خفاء به عليك، وجرت بذلك السنن، فهذا صلح من الخلفاء بعده، ولا شيء يلحقك في ذلك، وقد كشفت لك الحكم، ورأيك أعلى. قال: لكنت نجريه على ما أجروه إن شاء الله، إن الله أمر نبيه بالمشورة، فكان يشاور في أمره، ثم يأتيه جبريل عليه السلام، بتوفيق الله، ولكن عليك بالدعاء لمن ولاه الله أمرك، ومر أصحابك بذلك، وقد أمرت لك بشيء تفرقه على أصحابك (أحابه؟)، قال: فخرج له مال كثير ففرقه.

عن محمد بن سماعة قال: بعث هارون الرشيد إلى محمد بن الحسن فأحضره مجلسه، ثم بعث إلى الحسن بن زياد فأحضره وأحضر رجلا من الطالبيين وأحضر كتاب أمان فدفعه إلى محمد بن الحسن، فقرأه، وقال: ما تقول فيه؟ قال: هذا أمان صحيح، ورفع صوته، وقال: يا أمير المؤمنين، هذا أمان صحيح ودم هذا الرجل الذي كتب له الكتاب حرام، فأمر بالكتاب فأخذ من يده، ودفع إلى الحسن بن زياد، فأخذه فقرأه، وقال: بصوت ضعيف هذا أمان، فغضب هارون، ودخل أبو البختري وهب بن وهب[3] القاضي، فمد يده فأخذ الكتاب، ولم يؤمر بذلك فقرأه، ثم أخرج سكينا من خفه فقطعه نصفين، ثم رمى به، وقال: هذا كتاب مفسوخ، وليس بأمان، بل هو أمان فاسد، أقتل هذا الرجل ودمه في عنقي، فأخذ هارون دواة كانت بين يديه فضرب بها وجه محمد بن الحسن، فشجه، قال ابن سماعة: وكنت حاضرا فخرج وخرجت على إثره وهو يبكي، فلما صار إلى منزله، قلت: يا أبا عبد الله، لم تبكي من شجة في سبيل الله، فقال: والله، ما لها بكيت، قال: قلت: فأي تقصير كان منك؟ قال: كان يجب علي أن أقول لأبي البختري من أين قلت وأقيم عليه الحجة، وأتكلم بالحق، وإن قتلت، ثم قال: وأي حجة لقاض من قضاة المسلمين يكون في خفه سكين مثل هذه؟ قال: وقال الطالبي يومئذ لهارون: يا هارون إتق الله، تقول لفقيهي الأرض لما لم يريا في أمانك سفك الدماء، وقالا لك دع هذه النسمة تموت بأجلها وتنعم عليها وتقبل قول رجل مشهور أنه ادعى نسبا لم يقر أبوه الذي ادعاه به؟ فأخرج أبو البختري يومئذ من نسبه الذي ادعاه ثم قال له: سل عنه مزبلي أهل المدينة الذين يزبلون في الحمامات حتى يخبروك بعلامات في ظهره يصفونها للناس، ومثل هذا لا يجوز أن يقول غير هذا، والله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت علي، ولا أموت إلا بأجلي. قال: القاسم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق أنه كان حاضرا لهذا الكلام كله، قال: والرجل الذي قتل كان يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي[4] رضي الله عنهم.

قال محمد بن سماعة حدثني محمد بن الحسن الفقيه قال أبو خازم وهو مولى لبني بيان وأصلهم من قرية بين فلسطين والرملة أعرفها وأعرف قوما من أهلها ثم انتقلوا إلى الكوفة قال لما أشخصني الرشيد ليقلدني القضاء بالشام وردت مدينة السلام فلقيت أبا يوسف وهو الذي سماني وأشار بي فقلت له: من حقي عليك ولزومي لك وتصييري لك أستاذا وإماما أن تعفيني عن هذا الأمر! فقال لي: أنا راكب معك إلى يحيى بن خالد[5] فأكلمه فركب معي إلى يحيى بن خالد، فلما دخلنا عليه، زال له يحيى عن مصلاه، فقعد معه عليه، وقعدت بباب البيت، فسمعته يقول له: هذا محمد بن الحسن ومن حاله كذا ومن حاله كيت وكيت، يصفني وذكر امتناعي عليه، فقال له يحيى: ما تقول فيه؟ قال: أقول إنكم إن أعفيتموه لم تجدوا مثله، فلما سمع يحيى كلامه لم يلتفت إلي ما أقول، وأمضى أمري، فلما ورد الرشيد الرقة، أحضرت، فدخلت إليه أنا والحسن بن زياد اللؤلؤي وأبو البختري وهب بن وهب، فأخرج إلينا الأمان الذي كتب ليحيى ابن عبد الله بن الحسن، فدفع إلي فقرأته، وقد علمت الأمر الذي أحضرنا له، فمثلت بين أن أظهر شيئا إن كان يتعلق به فأوجده السبيل إلى قتل الرجل أو أترك الطعن عليه مع ما أعلم أنه ينالني من موجدة الرشيد، فآثرت أمر الله والدار الآخرة، فقلت: هذا أمان مؤكد، لا حيلة في نقضه، فانتزع الصك من يدي، ودفع إلى اللؤلؤي، فقرأه، وقال كلمة ضعيفة لا أدري سمعت أو لم تسمع: هذا أمان، فانتزع من يده ودفع إلى أبي البختري، فقرأه، ثم قال: ما أرجيه ولا أرضاه، هذا رجل سوء قد شق العصا وسفك دماء المسلمين وفعل وفعل، فلا أمان له، ثم ضرب بيده إلى خفه، وأنا أراه واستخرج سكينا فشق الكتاب بنصفين، ثم دفعه إلى الخادم، ثم التفت إلى الرشيد، فقال: اقتله ودمه في عنقي، قال: فقمنا من المجلس، وأتاني رسول الرشيد: أن لا أفتي أحدا، ولا أحكم فلم أزل على ذلك، إلى أن أرادت أم جعفر أن تقف وقفا، فوجهت إلي في ذلك، فعرفتها أني قد نهيت عن الفتيا، فكلمت الرشيد، فأذن لي، قال محمد بن الحسن: فكنت وكل من في دار الرشيد يتعجب من أبي البختري وهو حاكم وفتياه بها أفتى به وتقلده دم رجل من المسلمين، ثم من حمله في خفه سكينا، قال: ولم يقتل الرشيد يحيى في ذلك الوقت، وإنما مات في الحبس بعد مدة، قال محمد بن سماعة في حديثه: ثم قرب الرشيد محمد بن الحسن بعد ذلك، وتقدم عنده، وولاه قضاء القضاة، وحمله معه إلى الري، فتوفى هو والكسائي[6] بها في يوم واحد، فقال الرشيد: دفنت الفقه والنحو بالري. قال بكر العمى في حديثه: إن محمد بن الحسن، لما أفتى بصحة الأمان، وأفتى أبو البختري بنقضه، وأطلق له دمه، قال له يحيى: يا أمير المؤمنين، يفتيك محمد بن الحسن وموضعه من الفقه موضعه، بصحة أماني، ويفتيك هذا ينقضه، وما لهذا والفتيا، وإنما كان أبوه طبالا بالمدينة.

■ (1) الشيباني، محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله: إمام بالفقه والاصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة. أصله من قرية حرستة، في غوطة دمشق، وولد بواسط. ونشأ بالكوفة، فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به وانتقل إلى بغداد، فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله. ولما خرج الرشيد إلى خراسان صحبه، فمات في الري سنة 189 هـ. قال الشافعي: لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد ابن الحسن، لقلت، لفصاحته. ونعته الخطيب البغدادي بإمام أهل الرأي. له كتب كثيرة في الفقه والاصول،

■ (3) أبو البختري وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد ، القرشي الأسدي المدني، حدث عن عبيد الله بن عمر العمري، وهشام بن عروة بن الزبير وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم، وكان متروك الحديث مشهورا بوضعه، انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولاه القضاء بعسكر المهدي في شرقي بغداد، ثم عزله وولاه القضاء بمدينة رسول الله بعد بكار بن عبد الله الزبيري، وجعل إليه ولاية حربها مع القضاء، ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي سنة200 هـ ببغداد، في خلافة المأمون. وأبو البختري: مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء، وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحتري وهو الشاعر.

■ (2) اللؤلؤي، الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي، أبو علي: قاض، فقيه، من أصحاب أبي حنيفة، أخذ عنه وسمع منه، وكان عالما بمذهبه بالرأي. ولي القضاء بالكوفة سنة 194 ه، ثم استعفى. نسبته إلى بيع اللؤلؤ. وهو من أهل الكوفة، نزل ببغداد. وعلماء الحديث يطعنون في روايته. وكان أبوه من موالي الانصار.مات سنة 204 هـ

■ (5) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (6) الكسائي، علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: امام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها. وتعلم بها.وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، سنة 189 هـ عن سبعين عاما. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الامين. إصله من أولاد الفرس. وأخباره مع علماء الادب في عصره كثيرة. له تصانيف. وقيل: إنما عرف بالكسائي لأنه أيام قراءته على حمزة كان يلتف في كساء، فلقبه أصحاب حمزة بالكسائي وقيل: بل أحرم في كساء.

■ (4) يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب: من كبار الطالبيين في أيام موسى الهادي وهارون الرشيد. رباه جعفر الصادق في المدينة، فروى الحديث وتفقه. وكان مع ابن عمه (الحسين بن علي بن الحسن) في ثورته بالمدينة واستيلائه عليها، أيام موسى الهادي، وحضر مقتله في معركة فخ سنة 169 هـ، ونجا فدعا إلى نفسه، فبايعه كثير من أهل الحرمين واليمن ومصر. وذهب إلى اليمن فأقام مدة. ودخل مصر والمغرب. وعاد إلى المشرق فدخل العراق متنكرا. وقصد بلاد الري وخراسان فوصل إلى ما وراء النهر. واشتد الرشيد في طلبه، فانصرف إلى خاقان (ملك الترك) ومعه من شيعته وأنصاره نحو 170 رجلا، فأقام سنتين وستة أشهر. وخرج إلى طبرستان، فبلاد الديلم. وأعلن بها دعوته سنة 175هـ وكثر جمعه، فندب الرشيد لحربه الفضل بن يحيى البرمكي في خمسين ألفا. وضعف أمر الطالبي، وخاف أن يغدر به ملك الديلم، فطلب أمان الرشيد، فأجابه بخطه، واستقدمه إلى بغداد، فدخلها.وأغدق عليه الرشيد عطاياه، إلى أن بلغه أنه يدعو لنفسه سرا، وأنه ما زال عنده من يقوم بدعوته، فحبسه عند الفضل بن يحيى. ورق له هذا بعد مدة، فأطلقه. وعلم الرشيد، فكان ذلك مما أحفظه على البرامكة، وأرسل من أعاد يحيى إلى الاعتقال، في سرداب. ووكل به مسرورا السياف. وكان كثيرا ما يدعو به إليه فيناظره. واستمر إلى أن مات في حبسه. وقيل: قتل بالجوع والعطش نحو سنة 180 هـ وكان أسمر، نحيفا، خفيف العارضين، ملء نفسه إباء واعتزاز.

الحمد لله

قال حرملة سمعت الشافعي يقول ما رأيت أحدا قط إذا تكلم رأيت القرآن نزل بلغته إلا محمد بن الحسن فأنه كان إذا تكلم رأيت القرآن نزل بلغته ولقد كتبت عنه حمل بعير ذلك وإنما قلت ذكر لأنه بلغني أنه يحمل أكثر مما تحمل الأنثى

وقال الشافعي: ما رأيت رجلا أعلم بالحرام والحلال والعلل والناسخ والمنسوخ من محمد بن الحسن. وقال: إني لأعرف الأستاذية علي لمالك ثم لمحمد بن الحسن، وقال أبو عبيد: ما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله من محمد بن الحسن

وقال الشافعي: لو أنصف الناس الفقهاء لعلموا أنهم لم يروا مثل محمد بن الحسن ما جالست فقيها قط أفقه منه ولا فتق لساني بالفقه مثله لقد كان يحسن من الفقه وأسبابه شيئا يعجز عنه الأكابر. قال أبو عبيد: قدمت على محمد بن الحسن فرأيت الشافعي عنده فسأله عن شيء فأجابه فاستحسن الجواب وأخذ شيئا وكتب فيه فرآه محمد بن الحسن فوهب له مائة درهم وقال له: الزم إن كنت تشتهي العلم، فسمعت الشافعي يقول: لقد كتبت عن محمد بن الحسن وقر بعير ذكر ولولاه ما فتق لي من العلم ما انفتق، فالناس كلهم في الفقه عيال على أهل العراق، وأهل العراق عيال على أهل الكوفة، وأهل الكوفة كلهم عيال على أبي حنيفة.

مراجع:أخبار أبي حنيفة/ الأعلام للزركلي/ تاريخ بغداد/ نشوار المحاضرة/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وسفيان الثوري 0797

لما ولي هارون الرشيد[1] رحمه الله الخلافة زاره العلماء يهنئونه، فكافأهم، فتفقد سفيان الثوري[2] فلم يجده ممن زاره من العلماء، وكان بينهما أخوة وتواصل، فكتب إليه يعاتبه في ذلك، قال الرسول الذي ذهب بالرسالة إلى سفيان: فرميت بالكتاب إليه، فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه، فركع وسجد وسلم، وأدخل يده في كمه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه بيده ثم رماه إلى من كان خلفه وقال: يأخذه بعضكم يقرؤه، لأني أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظلام بيده، قال: فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه، ثم فضه وقرأه، وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب، فلما فرغ من قراءته قال: اقلبوه واكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه، فقيل له: يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه في قرطاس نقي، فقال: اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه، فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به، ولا يبقى شئ مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا، فقيل له: ما تكتب؟، فقال: اكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري إلى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذي سلب حلاوة الإيمان، أما بعد، فإني قد كتبت إليك أعرفك أني قد صرمت حبك وقطعت ودك وقلبت موضعك، فإنك قد جعلتني شاهدا عليك بإقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين، فأنفقته في غير حقه وأنفذته في غير حكمه، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى كتبت إلي تشهدني على نفسك، أما إني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك، وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى، يا هارون، هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم، هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل؟ أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام؟ أم هل رضي بذلك خلق من رعيتك؟ فشد يا هارون مئزرك، وأعد للمسألة جوابا وللبلاء جلبابا، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل، فقد رزئت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما، وللظالمين إماما، يا هارون، قعدت على السرير، ولبست الحرير، وأسبلت سترا دون بابك، وتشبهت بالحجبة برب العالمين، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك،يظلمون الناس ولا ينصفون، يشربون الخمور ويضربون من يشربها، ويزنون ويحدون الزاني، ويسرقون ويقطعون السارق!، أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس؟! فكيف بك يا هارون غدا إذا نادى المنادي من قبل الله تعالى:﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات] أين الظلمة وأعوان الظلمة. فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك، والظالمون حولك، وأنت لهم سابق وإمام إلى النار، كأني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المشاق، وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك، وسيئات غيرك في ميزانك زيادة على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة. فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها، واعلم أني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصح غاية، فاتق الله يا هارون واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته، واحسن الخلافة عليهم، واعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل إليك، وهو صائر إلى غيرك، وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحدا بعد واحد، فمنهم من تزود زادا نفعه، ومنهم من خسر دنياه وآخرته، وإني أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته، فإياك أن تكتب لي كتابا بعد هذا، فلا أجيبك عنه والسلام. قال عباد -الرسول-: فألقى إلي، أي سفيان الثوري، الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم، فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة، وقد وقعت الموعظة من قلبي، فناديت: يا أهل الكوفة، فأجابوني، فقلت لهم: يا قوم، من يشتري رجلا هرب من الله إلى الله؟ فأقبلوا إلي بالدنانير والدراهم، فقلت: لا حاجة لي في مال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية، قال: فأوتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين، وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا، فهزأ بي من كان على باب الخليفة، ثم استؤذن لي، فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقعد، ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول: انتفع الرسول وخاب المرسل، مالي وللدنيا، مالي وللملك يزول سريعا. ثم ألقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع إلي، فأقبل هارون يقرأه ودموعه تنحدر من عينه، ويقرأ ويشهق، فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان، فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت السجن كنت تجعله عبرة لغيره، فقال هارون: أتركونا يا عبيد الدنيا، المغرور من غررتموه، والشقي من أهلكتموه، وإن سفيان أمة وحده، فاتركوا سفيان وشأنه. ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله.

■ (2) سفيان الثوري هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار شيخ الإسلام أبو عبد الله الثوري، الفقيه الكوفي سيد أهل زمانه علما وعملا وهو من ثور مضر وليس هو من ثور همدان على الصحيح كذا نسبه ابن سعد والهيثم بن عدي وغيرهما. مولده سنة 97 هـ ووفاته سنة 161 هـ وكان أبوه سعيد من ثقات المحدثين. يقال إنه أخذ عن ست مائة شيخ وعرض القرآن أربع مرات على حمزة بن الزيات.

■ (1) هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الرشيد ابن المهدي ابن المنصور. ولد بالري سنة 147 هـ، وبويع له بمدينة السلام بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170 هـ، وتوفي بطوس سنة 193 هـ، وكان يحج سنة ويغزو سنة.

يقول علي بن نايف: قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله بعد أن أورد القصة: فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله، فإنه عليه يحاسب، وبه يجازى، وبالله التوفيق. قلت: ما أحوجنا إلى أمثال الإمام سفيان الثوري من العلماء الدعاة العاملين المحتسبين بصدق، وما أحوجنا إلى أمثال هارون الرشيد من ولاة الأمر المتصحين بنصح العلماء ومواعظهم، الذين نفع الله بهم البلاد والعباد. قال الإمام الغزالي بعد أن أورد تلك القصة مع مجموعة من قصص العلماء في احتسابهم مع الأمراء: فهذه كانت حالة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطو السلاطين، لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة، فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها، وأما الآن فقيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم، فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا، ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل، فكيف على الملوك والأكابر؟ والله المستعان على كل حال.

يقول علي بن نايف: ..اتضح لنا أن فئات المجتمع المسلم جميعها معنية بأمر الحسبة، تشارك فيها لتحصل على ثمراتها، كل بحسب جهده وعلمه واستطاعته وظروفه، فمن قام بها حيث كانت مطلوبة فقد أدى الواجب وأبرأ الذمة، ومن توانى أو قصر أو داهن أو جامل فقد ضيع الأمانة، وكان له نصيب من أوزار الضالين والفاسقين الذين بثوا شرورهم في مجتمعات المسلمين فاكتوى الجميع من ذلك.. ويشركه في الوزر من سن التشريعات التي تسهل على أهل السوء أداء مهامهم وتنفيذ خططهم ممن ولاه الله أمرا من أمور الأمة، فكان حريصا على إرضاء فئام من الناس من أرباب المال أو الجاه أو غيرهم أكثر من حرصه على إرضاء رب العباد الذي بيده كل شيء.. إن سلفنا الصالح عليهم رحمة الله تعالى كانوا أقرب إلى منبع النور وينبوع الهداية، وأجدر بنا أن نقرأ سيرهم وتاريخهم لنعرف كيف كانوا يحتسبون مع بعضهم البعض، ومع الآخرين حكاما ومحكومين، أقارب وأباعد .. إن سيرهم تنبئ عن روح إسلامية قوية حركت جوارحهم فأطاعوا الله وزهدوا في الدنيا، وعاشوا مرفوعي الرؤوس عزيزي النفوس، فاستجاب لهم الناس وأطاعوهم رغم قسوة احتسابهم أحيانا، لكن تلك حكمة الله وعدله في الجزاء بالإحسان إحسانا، لما استجابوا لله والرسول أحياهم الله بالإيمان حتى غمر كل حواسهم وجوارحهم فتحركت بما يرضي الله، فظهر أثر ذلك على وجوههم وأقوالهم وأفعالهم، فكان تأثير احتسابهم سريعا قريبا، ونفعه على المجتمع عظيما عجيبا [..]

ويقول صاحب المنار: هذا كلام الإمام الغزالي في ملوك عصره وعلمائه وهم الذين يفتخر أهل هذا العصر بهم، فكيف حال ملوك عصرنا وعلمائه والذين أضاعوا الدنيا والدين، وجعلوا المسلمين بظلمهم وفسادهم في أسفل سافلين؟ ولا نطيل هنا في وصفهم فحسبك ما تقرأ في المقال الآتي، ولكننا نقول: إن الزمان لا يخلو من العلماء المخلصين، وهؤلاء هم الذين ندعوهم إلى نصيحة ملوكنا وأمرائنا قبل أن يضيعوا هذه البقية القليلة التي بقيت لنا، فالخطر قريب إن لم يتداركوه نزل، والعياذ بالله تعالى .

مراجع:موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) ومحمد بن أوس الهلالي 0798

قال عبد العزيز السلمان: قام محمد بن أوس الهلالي[1] لهارون الرشيد واعترضه عند الحجر فقال: يا أمير المؤمنين استمع كلامي فإنك إن سمعته حقا قبلته وإن سمعته باطلا فلا تعبأ به فوقف الرشيد. فقال أوس: يا من غذي في نعيم وتردد في ملك سليم إن خفت العذاب الأليم وأحببت البقاء في سرور فلا تسمعن ممن أنت بينهما ولا تغترن بشيء من قولهما فإن الله عز وجل يخلو بك دونهما والموت يصل إليك على الطوع والكره منهما فلا تصدقان بالذليل ولا تتكثرن بالقليل ولا تعتصم بغير دافع ولا تطمئن إلى غير مانع لا يمنع ولا يدفع عنك. فإنك بعين الله وبحضرة بيته الذي جعله مثابة للناس الزائرين ومنحجرا للفاجر فانتفض الرشيد وجلس وخلا يديه عنهما وأومأ أن خذوا الرجل فأخذ حتى قضى طوافه وصلى ورجع إلى المنزل الذي نزل به ودعا بالرجل فأدخل عليه شيخ جليل. فقال: من قبيلتك؟ قال: بنو هلال. قال: قبيلة مشهورة فما حملك أن كلمتني بالذي كلمتني. قال: إشفاقا عليك إذا أنضيت الركاب وأتعب الرجال وأنفقت الأموال في أمور الله عز وجل أعلم بها حتى إذا صرت إلى غاية الطالب وموضع ترجو فيه الرحمة اعتمدت على ظالمين طاغيين قد جبلا على الغشم ونشأ على الظلم وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف] فنكس الرشيد رأسه وأقبل ينكت في الأرض وعيناه تذرفان ثم رفع رأسه فقال : من أين مطعمك وشربك ؟ قال: من عند من يرزقك. قال: من ذاك ؟ قال: من عند من خلق الحب والنوى وأخرج الحب من الثرى من طعام سهرت فيه العيون وتعبت في حصاده الأجساد وحرسته الملائكة حتى أتاني به القدر بلا رنق ولا كدر. قال: ألك عيال؟ قال: نعم. قال: ومن هن؟ قال: زوجة. قال: أتختلف إلى تجارة أو تحترف في صناعة؟ قال: قد كفان الله مؤنة ذلك بالعافية. قال: أفلا أجري عليك رزقا تستعين به على بعض أمورك وتستغني به عن الطلب من غيرك ؟ قال: إني بالله أغنى مني بما بذلت لي من ذلك. قال: ألك حاجة؟ قال: نعم، أطع الله عز وجل فيما تعلم من سرك فإنك تصل إلى كل محبوب وتنال به كل مطلوب ولست تبلغ شيئا من نكاية عدوك إلا من طاعتك لربك فإنك إن أطعته جعل ناصية عدوك بيدك فلا تشاء أمرا إلا بلغته ولا مكروها إلا نلته. قال: ألك حاجة غيرها؟ قال: أتؤمنني من الموت؟ قال: لا أقدر على ذلك، قال: فتجيرني من النار؟ قال: ليست في يدي، قال: فتدخلني الجنة؟ قال: لست أملك، قال: أفتحي لي ميتا حتى أساله عما عاين ورأى ، قال: ذاك في قدرة غيري. قال: ما أنت إلا كسائر من ترى من رعيتك غير أن الله عز وجل فضلك عليهم بما أعطاك من هذا الحطام الزائل واستخلفك في الأرض لينظر كيف تعمل. ثم خرج ، فقال الرشيد: الحمد لله الذي جعل في رعية أنا عليها مثله ولا تزال هذه الأمة بخير ما لم يعدموا هذا ونظراءه وأشباهه.

■ (1) محمد بن أوس الهلالي ؟

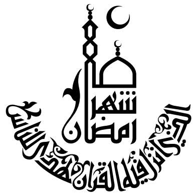

قال إبراهيم بن المهدي[1] : كنت أنا والرشيد على ظهر حراقة –ضرب من السفن في مرامي نيران– وهو يريد نحو الموصل، والشطرنج بين أيدينا، فلما فرغنا قال لي الرشيد: يا إبراهيم ما أحسن الأسماء عندك؟ قلت: اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: فما الثاني بعده؟ قلت: اسم هارون اسم أمير المؤمنين: قال: فما أسمجها*؟ قلت: إبراهيم، فزأرني وقال: ويلك!! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن جل وعز، قلت: بشؤم هذا الاسم لقي ما لقي من غرور، قال: وإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: لا جرم، لما سمي بهذا الاسم لم يعش، قال: فإبراهيم الإمام[2]، قلت: بحرفة اسمه قتله مروان الجعدي[3] في جراب النورة. وأزيدك يا أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد[4] خلع، وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن[5] قتل، ولم أجد أحدا سمي بهذا الاسم إلا رأيته مقتولا أو مضروبا أو مطرودا، فما انقضى كلامي حتى سمعت ملاحا على بعض الحراقات يهتف بأعلى صوته شاتما رجلا اسمه إبراهيم: فالتفت إلي الرشيد، فقلت: يا أمير المؤمنين، أصدقت قولي إن أشأم الأسماء إبراهيم؟ فضحك الرشيد كثيرا.

كان إبراهيم قد ترك الغناء في آخر أيامه وذلك أنه قال: كنت عند الرشيد في مجلس خلوة لم يحضره إلا جعفر بن يحيى، إذ بكى، فقلت يا أمير المؤمنين: ما يبكيك، لا أبكى الله عينيك، قال: أنت أبكيتني يا إبراهيم، لأنك مع كمالك وأدبك ومعرفتك قد اشتهرت بالغناء، فاخترته ولزمته حتى عطلك عما يسمو إليك مثلك، وكأني بك غدا، وقد ملك بعض ولد أخيك فأمرك ونهاك وامتهنك في الغناء، وإنما امتهن المهدي بك، قال: فلما كان في أيام المعتصم حضر في يوم منها مجلسه وكان الأفشين حاضرا فلما أرادوا الانصراف قال الأفشين: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، تطول على عبدك بالتقدم إلى الندماء أن يكونوا غدا عندي، فأمرهم المعتصم بالمصير إليه، فقال: وليجبني سيدي إبراهيم، قال: يا عم أجبه، فصار إليه إبراهيم في غد، وبكر الندماء إليه جميعا، فسر وسرب حتى سكر، وكانى طاغيا، شديد العربدة لجوجا، فلما عمل فيه السكر قال: يا إبراهيم غن صقتك الذي فيه [مومو] قال لا أعرفه، قال: تغني والله أبدا كل شيء تحسنه حتى يمر هذا الصوت، قال فغني إبراهيم أصواتا كثيرة والأفشين ساكت ضارب بذقنه على صدره، ثم خطر ببال إبراهيم قول الرشيد، وبكاؤه له وإشفاقه عليه فغنى متفجعا لذكره: لم ألق بعدهم قوما فأخبرهم..ألا يزيد حبا إلي هم. فرفع الأفشين رأسه وقال: هو هذا، فقال إبراهيم: أما إنك لا تدري ما استخرجته، وانصرف فقطع الغناء وأهله فلم يغن بقية أيامه حتى اعتل العلة التي توفي فيها. فيقال: لما ثقل دعا المعتصم بصالح بن الرشيد فقال: صر إلى عمي فقد بلغني أنه عليل فاحضره وانصرف إلي بخبره، قال: فسرت إليه فإذا هو شديد العلة، فسلمت عليه وسألته عن حاله فقال: سر إلى الحجرة فاخلع سيفك وسوادك، وعد إلي آنس بك ساعة، ففعلت، ودعا خادما من خدمه فأمره أن يحضر لي طعاما فأحضره وأكلت منه وهو ينظر إلي وأتبين الأسف في عينيه، ثم دعا لي بأرطال مطبوخ عجيب فشربت ثم قال: يا غلام ادع لي بنعمة وخيزرانة، وكانت نعمة تضرب وخيزرانة تغني فجاءتا، فأمر هذه فضربت وهذه فغنت، ثم قال: أسندوني، فأسندوه وأمر خيزرانة فحطت من طبقتها ثم اندفع يغني: رب ركب قد أناخوا حولنا..يشربون الخمر بالماء الزلال..ثم أضحوا، لعب الدهر بهم..وكذاك الدهر حالا بعد حال..من رآنا فليوطن نفسه..إنه منها عى قرني رئال. قال: فاستوفاه، فما سمعت شيئا قط كان أحسن من غنائه فيه، فقال: بأبي أنت وأزيدك، فقلت ما أريد أن أشق عليك مع ما اراه من حالك، فليتني كنت فداك، فقال: دعني أودع نفسي، وتغني: يا منزلا لم تبل أطلاله..حاشى لأطلالك أن تبلى..لم أبك أطلالك لكنني..بكيت نفسي فيك إذ ولى..والعيش أولى ما بكاه الفتى..لا بد للمحزون أن يسلى. فبكيت لطيب غنائه، وشربت أرطالا، ومال على جنبه فنهضت ولبست سوادي، فما خرجت من الحجرة حتى سمعت الصراخ عليه، وصرت إلى المعتصم فأخبرته الخبر على وجهه، فاسترجع وبكى وتوجع.

----

*(سمج) شيء سمج وسمج وسميج: لا ملاحة فيه، وقد سمج سماجة

■ (1) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم

■ (2) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب المعروف بإبراهيم الإمام أخو السفاح، كان مروان الحمار يحتال على الوقف على حقيقة لأمر وإلى من يدعو أبو مسلم الخراساني منهم فلم يزل على ذلك إلى أن ظهر له أنه يدعو إلى الإمام إبراهيم وكان مقيما عند أخته وأهله بالحميمة – تصغير حمامة – فأرسل إليه وقبض عليه وأحضره إلى حران فأوصى إبراهيم بالأمر من بعده لأخيه عبد الله السفاح، ولما وصل إلى خراسان حبسه ثم غمه بتراب في جراب طرح فيه نورة وجعل رأسه فيه وسده إلى أن مات رحمه الله تعالى في صفر سنة 132 هـ ومائة. وقيل إنه قتله غير هذه القتلة ولكن الأكثرون على هذا، وكان دفنه هناك في حران، وكان بنو أمية يمنعون بني هاشم من نكاح الحارثيات للخبر المروي في ذلك أن هذا الأمر يتم لابن الحارثية، فلما قام عمر بن عبد العزيز أتاه محمد بن علي وقال: إني أردت أن أتزوج ابنة خالي من بني الحارث بن عبد أفتأذن لي؟ قال: تزوج من شئت، فتزوج ريطة بنت عبد الله بن عبد المدان فأولدها السفاح.

■ (3) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي، الملك الأموي الرابع عشر وآخر ملوك بني أمية بويع له بعد قتل الوليد بن يزيد، وبعد موت يزيد بن الوليد، وخلع إبراهيم بن يزيد بن عبد الملك، واستتب له الأمر في سنة 127 هـ، وقتل سنة 132 هـ

■ (4) إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المرواني الاموي، أبو إسحاق: أمير، كان مقيما في دمشق. ولما مات أخوه يزيد بن الوليد قام بعده بالامر سنة 126 هـ وكان ضعيفا مغلوبا على أمره تارة يسلم عليه بالامارة وتارة بالخلافة، فمكث سبعين يوما، فثار عليه مروان بن محمد بن مروان وكان والي أذربيجان ودعا لنفسه بالخلافة وقدم الشام فاختفى إبراهيم، واستولى مروان، فأمن إبراهيم فظهر وقد ضاعت خلافته. وقتل مع من قتل من بني أمية حين زالت دولتهم سنة 132 هـ وقيل غرق بالزاب.

■ (5) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، خرج بالبصرة على المنصور، وتحول إلى الكوفة، وممن آزره أبو حنيفة، قتله حميد بن قحطبة سنة 145هـ.. لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، بايعه أهل المدينة وأهل مكة، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة، فاجتمع الناس إليه، فنهض إلى دار الإمارة وبها سفيان بن محمد بن المهلب فسلم إليه البصرة بغير قتال؛ وأرسل إبراهيم إلى الأهواز جيشا فأخذها بعد قتال شديد، وأرسل جيشا إلى واسط فأخذها. ثم إن المنصور جهز إليهم عيسى بن موسى، فخرج إلى المدينة، فلقيه محمد بن عبد الله، فانهزم بأصحابه وقتل.ثم مضى عيسى بن موسى إلى البصرة فلقى إبراهيم بن الحسن فقتله وبعث برأسه إلى أبي جعفر

مراجع: موارد الظمآن لدروس الزمان/ الأعلام للزركلي/ / مقالات موقع الألوكة/ الوافي بالوفيات/ قطب السرور في اوصاف الخمور/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وزبيدة بنت جعفر بن المنصور، زوج الرشيد (١) 0799

كانت أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور[1]، سيدة جليلة، ذات يد طولى في الحضارة والعمران، والعطف على الأدباء والشعراء والأطباء، ومن ذوات العقل والرأي، والفصاحة والبلاغة. أعرس بها الرشيد سنة 165 هـ في خلافة المهدي[2] ببغداد، فولدت له محمدا الأمين[3]، فأحبته حبا عظيما جعلها تهيئ له كل العوامل التي تعتقدها واصلة به إلى عرش الخلافة، ولما ولدت محمدا الأمين. قال مروان بن أبي حفصة[4]: لله درك يا عقيلة جعفر ماذا ولدت من الندى والسؤدد..إن الخلافة قد تبين نورها للناظرين على جبين محمد..إني لأعلم إنه لخليفة إن بيعة عقدت وإن لم تعقد. فأمر له الرشيد بثلاثة آلاف دينار، وأمرت زبيدة أن يحشى فوه جوهرا، فكانت قيمته عشرة آلاف دينار. واغتمت زبيدة غما شديدا لما ذكر الرشيد البيعة لابنه المأمون[5]، فدخلت على الرشيد تعاتبه في ذلك أشد المعاتبة، وتؤاخذه أعنف المؤاخذة: فقال الرشيد: ويحك إنما هي أمة محمد، ورعاية من استرعاني الله تعالى مطوقا بعنقي، وقد عرفت ما بين ابني وابنك، ليس ابنك يا زبيدة أهلا للخلافة، ولا يصلح للرعية. قالت: ابني والله خير من ابنك، وأصلح لما تريد، ليس بكبير سفيه، ولا صغير فيه*، أسخى من ابنك نفسا، وأشجع قلبا. فقال هارون: ويحك إن ابنك لأحب إلي، إلا أنها الخلافة لا تصلح إلا لمن كان لها أهلا، وبها مستحقا، ونحن مسؤولون عن هذا الخلق، ومأخوذون بهذا الأنام، فما أغنانا أن نلقى الله بوزرهم، وننقلب إليه بإثمهم، فاقعدي حتى أعرض عليك ما بين ابني وابنك. فقعدت معه على الفراش، ثم دعا ابنه عبدالله المأمون، فلما صار بباب المجلس سلم على أبيه بالخلافة، ووقف طويلا وقد طأطأ برأسه، وأغضى ببصره، ينتظر الإذن حتى كادت قدماه ترم، ثم أذن له بالجلوس فجلس، فاستأذن بالكلام، فأذن له فتكلم، فحمد الله على ما من به من رؤية أبيه، ويرغب إليه في تعجيل الفرج مما به، ثم استأذنه في الدنو من أبيه، فدنا منه، وجعل يلثم أسافل قدميه، ويقبل باطن راحتيه، ثم انثنى ساعيا إلى زبيدة، فأقبل على تقبيل رأسها، ثم انثنى إلى قدميها، ثم رجع إلى مجلسه، فحمد الله إليها فيما من به عليها من رضى أبيه عنها، وحسن رأيه فيها، ويسأله تعالى العون على بره، وأداء المفروض عليها من حقه، ويرغب أن يوزعها شكره وحمده. فقال الرشيد: يا بني إني أريد أن أعهد إليك عهد الإمامة، وأقعدك مقعد الخلافة، فإني قد رأيتك أهلا لها، وبها حقيقا. فاستعبر عبدالله المأمون باكيا، وصاح منتحبا يسأل الله العافية من ذلك، ويرغب إليه أن لا يريه فقد أبيه، فقال له: يا بني! إني أراني لما بي، وأنت أحق، وسلم الأمر لله، وارض به، واسأله العون عليه، فلا بد من عهدي يكون في يومي هذا، فقال عبدالله المأمون: يا أبتاه! أخي أحق مني، وابن سيدتي، ولا إخال إلا أنه أقوى على هذا الأمر مني، وأشد استطلاعا، عرض الله لك ما فيه الرشاد والخلاص، وللعباد الخير والصلاح، ثم أذن له فقام خارجا. ثم دعا هارون بابنه محمد الأمين، فأقبل يجر ذيله، ويتبختر في مشيته، فمشى داخلا بنعله، قد أنسي السلام، وذهل عن الكلام نخوة، وتجبرا، وتعظما، وإعجابا، فمشى حتى صار مستويا مع أبيه على الفراش. فقال هارون: ما تقول أي بني، فإني أريد أن أعهد إليك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ومن أحق بذلك مني، وأنا أسن ولدك، وابن قرة عينك؟! فقال هارون: اخرج يا بني. ثم قال لزبيدة: كيف رأيت ما بين ابني وابنك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، ابني أحق بما تريد، وأولى بها لديك. فقال هارون: فإذا أقررت بالحق، وأنصفت ما رأيت، فأنا أعهد إلى ابني، ثم إلى ابنك بعد. فكتب عهد عبدالله المأمون، ثم محمد الأمين بعد. وكما سبق، كان الكسائي[6] يؤدب الأمين بشدة، ويقول:إن محمدا مرشح للخلافة بعد أبيه، ولا يجوز التقصير في تأديبه.

----

*(ولا صغير فيه) هكذا وردت في أعلام النساء، ولعلها لا صغير في هذا الأمر (أي الخلافة).

■ (1) أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها.أعرس بها هارون الرشيد سنة 165 في قصره المعروف بالخلد. وكانت وفاتها في سنة 216 هـ ببغداد، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة 186 هـ.

■ (5) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

■ (3) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة198 هـ

■ (2) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي بالله. الملك العباسي الثالث ولد بالجميمة سنة 126 هـ.بويع له سنة 158 هـ. وتوفي بماسبذان في المحرّم سنة 169 هـ، وصلى عليه ابنه الرشيد.

■ (6) الكسائي، علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: امام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها. وتعلم بها.وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، سنة 189 هـ عن سبعين عاما. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الامين. إصله من أولاد الفرس. وأخباره مع علماء الادب في عصره كثيرة. له تصانيف. وقيل: إنما عرف بالكسائي لأنه أيام قراءته على حمزة كان يلتف في كساء، فلقبه أصحاب حمزة بالكسائي وقيل: بل أحرم في كساء.

■ (4) مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، كنيته أبو الهيندام أو أبو السمط، ولقبه ذو الكمر. شاعر عالي الطبقة، كان جده أبو حفصة مولى لمروان بن الحكم أعتقه يوم الدار، ولد باليمامة من أسرة عريقة في قول الشعر، وأدرك العصرين الأموي والعباسي، وقد وفد على المهدي فمدحه ثم الهادي من بعده ثم إلى مديح هارون الرشيد ومدح البرامكة وزراء الرشيد.وعلى كثرة ما أصابه من خلفاء بني العباس وعلى يساره، فقد كان بخيلا بخلا شديدا، ضربت به الأمثال ورويت عنه الحكايات. ويمتاز شعره بالعراقة والجودة ومتانة الألفاظ وسداد الرأي ودافع بشعره عن العباسيين ودعى إليهم واحتج على خصومهم وعارضهم. وقد دفع ثمن تعصبه للعباسيين حياته، إذ اغتاله بعض المتطرفين من الشيعة العلويين ببغداد.سنة 182 هـ

☪

قال المهدي للخيزران أم موسى وهارون ابنيه: إن موسى ابنك يتيه أن يسألني حوائجه. قالت: يا أمير المؤمنين، ألم تك أنت في حياة المنصور لا تبتدئه بحوائجك، وتحب أن يبتدئك هو؟ فموسى ابنك كذلك يحب منك. قال: لا، ولكن التيه يمنعه. قالت: يا أمير المؤمنين؛ فمن أين أتاه التيه؟ أمن قبلي أم قبلك؟. قال الفضل بن الربيع: قال لي الرشيد أطلب لي حجاما أصمت من الحجر! فقلت: نعم لي غلام سكيت. فقال: إبعثه إلي فدعوت به وأخذت عليه الوصية أن لا ينبس ولا ينبض عرقه إذا خدم أمير المؤمنين، وأوصيته بأن يتأهب، ثم دخلت إلى الرشيد فرأيته يضحك وقال لي: إن لذلك الحجام شأنا ولا نراه بعد.ثم سألت فراشا مختصا بالرشيد عن خبره فقال: إنه لما بدأ بالمحجمة قال: يا أمير المؤمنين إني أريد أن أسألك عن شيء فقال له: ما هو؟ قال: لم قدمت الأمين على المأمون، والمأمون أسن منه؟ قال: أخبرك بالجواب إذا فرغت فلم يلبث غير قليل حتى قال: وأسألك عن شيء آخر. قال الرشيد: هات.قال: لم قتلت جعفر بن يحيى؟ قال: وهذا أيضا أخبرك به إذا فرغت. قال: وأسألك لم اخترت الرقة على بغداد، وبغداد أطيب منها؟ قال: نعم أخبرك إذا فرغت. فلما فرغ دعا مسرور الخادم فقال له: لا تشرب عليه الماء البارد إنه سألني عن ثلاث، لو سألني المنصور عنها ما أجبته.

أم جعفر زبيدة بنت جعفر. لما قتل ابنها الأمين، دخل إليها بعض خدمها فقال: ما يجلسك وقد قتل أمير المؤمنين محمد؟ فقالت: ويلك وما أصنع؟! فقال: تخرجين فتطلبين بثأره، كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان، فقالت: اخسأ لا أم لك، ما للنساء وطلب الثأر ومنازلة الأبطال؟* وهذا يدل على رجاحة عقلها. ثم أمرت بثيابها فسودت، ولبست مسحا من شعر، ودعت بدواة وقرطاس فكتبت إلى المأمون: لخير إمام قام من خير عنصر وأفضل راق* فوق أعواد منبر..ووارث* علم الأولين وفخرهم* وللملك المأمون من أم جعفر..كتبت وعيني تستهل دموعها إليك ابن عمي من جفوني ومحجري..أصبت بأدنى الناس منك قرابة ومن زال عن كبدي فقل تصبري..أتى طاهر* لا قدس الله طاهرا فما طاهر في فعله* بمطهر..فأبرزني* مكشوفة الوجه حاسرا وأنهب أموالي وأحرق أدؤري*..يعز على هارون ما قد لقيته وما نالني من ناقص الخلق أعور* فإن كان ما أسدى لأمر أمرته صبرت لأمر من قدير مقدر..وقد مسني ضر وذل كآبة وأرق عيني يا ابن عمي تفكري*..وهمت لما لاقيت بعد مصابه فأمري عظيم منكر جد منكر..سأشكو الذي لاقيته بعد فقده إليك شكاة المستهام المقهر..وأرجو لما قد مر بي مذ فقدته فأنت لبثي خير رب مغير. فلما قرأ المأمون شعرها بكى، ثم قال: اللهم، إني أقول كما قال أمير المؤمنين علي لما بلغه قتل عثمان: والله ما قتلت، ولا أمرت، ولا رضيت، اللهم، حبل قلب طاهر -بن الحسين- حزنا. ولما لقيت المأمون قالت له: يا أمير المؤمنين، إن لكما يوما تجتمعان فيه، وأرجو أن يغفر الله لكما إن شاء الله. وفي رواية الخطيب البغدادي أن زبيدة قالت للمأمون عند دخوله بغداد: أهنيك بخلافة قد هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك، ولئن كنت قد فقدت ابنا خليفة، لقد عوضت ابنا خليفة لم ألده، وما خسر من اعتاض مثلك، ولا ثكلت أم ملأت يدها منك، وأنا أسأل الله أجرا على ما أخذ، وإمتاعا بما عوض، فأخذ المأمون بعد ذلك يزيد في تكريمه لزبيدة وأسرتها. لقد كانت زبيدة كاتبة، يسمع من قصرها دوي كدوي النحل من قراءة القرآن الكريم، شملت بعطفها الفقراء، وأرباب التقوى والصلاح والعلماء، ومن آثارها وأعمالها الجليلة التي خلفتها وانتفع بها المسلمون خير انتفاع، أنها سقت أهل مكة الماء، بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وأسالت المياه عشرة أميال بحط الجبال ونحت الصخر، غلغلته من الحل إلى الحرم، ومهدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع، وسهل وجبل ووعر، وعرفت هذه العين بعين الشماس، وكان جملة ما أنفق عليها مما ذكر وأحصي ألف ألف وسبع مائة ألف دينار. ووصف اليافعي في القرن الثامن للهجرة تلك العين، فقال: إن آثارها باقية ومشتملة على عمارة عظيمة عجيبة، مما يتنزه برؤيتها على يمين الذاهب إلى منى من مكة، ذات بنيان محكم في الجبال، تقصر العبارة عن وصف حسنه، وينزل الماء منه إلى موضع تحت الأرض عميق، ذات درج كثير جدا، لا يوصل إلى قراره إلا بهبوط كالبير، يسمونه لظلمته، يفزع بعض الناس إذا نزل فيه وحده نهارا فضلا عن الليل*. وبلغت نفقاتها في بعض حجاتها ألف ألف دينار، وبلغت نفقتها في ستين يوما أربعة وخمسين ألف درهم، فرفع إليها وكيلها حساب النفقة، فنهته عن ذلك وقالت: ثواب الله بغير حساب. وقال ابن جبير بعد أن ذكر المصانع، والبرك، والآبار، والمنازل التي من بغداد إلى مكة: إن كل ذلك من آثار زبيدة، فانتدبت لذلك مدة حياتها، فأبقت في هذه الطريق مرافق ومنافع تعم وفد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن، ولولا آثارها الكريمة في ذلك، لما سلكت هذه الطريق، والله كفيل بمجازاتها، والرضى عنها*

وينسب إلى زبيدة مسجد زبيدة أم جعفر ببغداد، كان قريبا من مسجد الشيخ معروف الكرخي، وقد اندرس سنة 1195 هـ، وكان هذا المسجد واسعا، وطيد البناء، قوي الأركان، ولما بنى سليمان باشا الكبير والي بغداد سور الجانب الغربي استعملت أنقاضه في بناء السور، ولم يبق من ذلك المسجد سوى قبر زبيدة، وعليه قبة مخروطية الشكل من نوادر الفن المعماري. وينسب إليها (المحدث): وهو منزل في طريق مكة بعد النقرة، على ستة أميال منها، فيه قصر وقبات متفرقة، وفيه بركة وبيران ماؤها عذب، وينسب إليها (العنابة)، وهي بركة لزبيدة بعد قباب على ثلاثة أميال تلقاء سميراء، وبعد توز*، وماؤها ملح غليظ، وينسب إليها بركة أم جعفر، وهي في طريق مكة بين المغيثة* والعذيب*، وينسب إليها القنيعة، وهي بركة بين الثعلبية* والخزيمية* بطريق مكة، وينسب إليها الحسني، وهو بئر على ستة أميال من قرورى* قرب معدن النقرة، وينسب إليها الزبيدية، وهي بركة بين المغيثة والعذيب، وبها قصر ومسجد عمرتهما زبيدة.

----

*(طلب الثأر ومنازلة الأبطال) مروج الذهب للمسعودي: وهذا ليس طعنا بالسيدة عائشة، إنما استفادت زبيدة من دروس التاريخ. (وأفضل راق) في رواية: وأفضل سام (ووارث) وفي رواية: لوارث. (وفخرهم) وفي رواية: وفهمهم. (طاهر) وفي رواية: لأطهر، وطاهر هو: طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي (أبو الطيب): (159 = 207 هـ / 775 = 822 م)، وهو الذي وطد الملك للمأمون عندما زحف إلى بغداد، فهاجمها وظفر بالأمين وقتله سنة 198 هـ، وعقد البيعة للمأمون، وكان في نفس المأمون شيء عليه؛ لقتله أخاه الأمين بغير مشورته، ولعله شعر بذلك، فلما استقر في خراسان، قطع خطبة المأمون، فقتله أحد غلمانه في تلك الليلة بمرو، وقيل مات مسموما.الأعلام. (فعله) فيما أتى (فأبرزني) فأخرجني (أدؤري) آدري (أعور) تعني طاهرا وكان أعور (تفكري) تتمة الأبيات من الطبري (الليل) أعلام النساء:. أوردنا النص بحرفيته، على الرغم مما فيه من انقطاع وأخطاء (الرضى عنها) رحلة ابن جبير: ورآها بعض الصالحين في المنام بعد وفاتها سنة 217 هـ، فقال لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي بأول معول ضرب في طريق مكة. وينسب هذا الخبر خطأ إلى عبدالله بن المبارك؛ لأنه توفي قبلها أيام الرشيد. (توز) سميراء: منزل بطريق مكة بعد توز، وتوز منزل في طريق الحاج أيضا. (المغيثة) منزل في طريق مكة بعد العذيب نحو مكة.(العذيب) ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال. (الثعلبية) منزل من منازل الطريق إلى مكة من الكوفة بعد الشوق وقبل الخزيمية. (الخزيمية) منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية من الكوفة، وقيل الأجفر. (قرورى) موضع بين المعدن والحاجر على اثني عشر ميلا من الحاجر.

مراجع: مقالات موقع الألوكة/ الأعلام للزركلي/ نثر الدر/ محاضرات الأدباء/

جرى بين الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة[1] مناظرة وملاحاة في شيء من الأشياء، فقال الرشيد لها في عرض كلامه: أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة، ثم ندم واغتما جميعا بهذه اليمين، ونزلت بهما مصيبة لموضع ابنة عمه منه، فجمع الفقهاء وسألهم عن هذه اليمين فلم يجد منها مخرجا، وفي جلسة ضمت فقهاء من سائر الأمصار، تكلم كلهم باستثناء الليث بن سعد[2]، فدعاه الرشيد وقربه، فطلب من الرشيد إحضار مصحف جامع، فأمر به فأحضر، فقال الليث بن سعد: يأخذه أمير المؤمنين فيتصفحه؛ حتى يصل إلى سورة الرحمن، فأخذ الرشيد وتصفحه، حتى وصل إلى سورة الرحمن، فقال الليث: يقرأ أمير المؤمنين، فقرأ فلما بلغ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن] قال: قف يا أمير المؤمنين ههنا، فوقف، فقال: يقول أمير المؤمنين والله، فاشتد على الرشيد وعلي ذلك، فقال له الرشيد: ما هذا؟! قال: يا أمير المؤمنين على هذا وقع الشرط، فنكس أمير المؤمنين رأسه – وكانت زبيدة في بيت مسبل عليه ستر قريب من المجلس تسمع الخطاب – ثم رفع الرشيد رأسه إليه فقال: والله! قال الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إلى أن بلغ آخر اليمين، ثم قال الليث: إنك يا أمير المؤمنين تخاف مقام الله؟ قال الرشيد: إني أخاف مقام الله، فقال: يا أمير المؤمنين فهي جنتان؛ وليست بجنة واحدة، كما ذكر الله تعالى في كتابه، ففرحت زبيدة، وقال الرشيد: أحسنت والله بارك الله فيك، ثم أمر بالجوائز والخلع لليث بن سعد، وأمرت زبيدة له بضعف ما أمر به الرشيد، فحمل إليه، واستأذن في الرجوع إلى مصر، فحمل مكرما.

وقع خلاف بين هارون الرشيد وزبيدة في بيت من الشعر هو: إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا [البيت لجرير] فكان الرشيد يقول: يحيين: وزبيدة تقول: يحنين بالجيم والنون، فتخاطرا على ذلك بألفي دينار، ودعوا مسرورا الخادم، وأعطياه على أن يخرج فيسأل أفضل من ببغداد من أهل العلم، فإن صوب قول الرشيد أعطاه ألفا، وإن صوب قول زبيدة فألفها، وخرج مسرور بالشموع يطلب من يفتيه في ذلك فدل على الكسائي[3]، وكان قريب عهد القدوم من الكوفة إلى بغداد، وكان يأوي إلى المسجد، فدخل مسرور عليه بخيله وحشمه، فتحفز له الكسائي، فقال: لا بأس، إنه بيت أشكل علينا، واستفتاه في الكلمتين فصوبهما جميعا، فأعطاه الألفين، فأصبح وقد استفاد بكلمة أوضحها ما أغناه، وهذا دليل على حسن تأتيه ولطافة أدبه. وأنشد رجل زبيدة: أزبيدة ابنة جعفر طوبى لزائرك المثاب..تعطين من رجليك ما تعطي الأكف من الرغاب. فوثب إليه الخدم يضربونه، فمنعتهم من ذلك، وقالت: أراد خيرا وأخطأ، وهو أحب إلينا ممن أراد شرا فأصاب؛ سمع قولهم: شمالك أندى من يمين غيرك. فظن أنه إذا قال هكذا كان أبلغ، أعطوه ما أمل، وعرفوه ما جهل.

قال الرشيد لزبيدة يوما: أتزوج عليك؟ قالت زبيدة: لا يحل لك أن تتزوج علي. قال: بلى. قالت: بيني وبينك من شئت. قال: ترضين بسفيان الثوري؟ قالت: نعم. فوجه إلى سفيان الثوري. فقال الرشيد: إن زبيدة تزعم أنه لا يحل لي أن أتزوج عليها، وقد قال الله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء] ثم سكت؟! فقال سفيان: تمم الآية، يريد أن يقرأ:﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ وأنت لا تعدل، فأمر لسفيان بعشرة آلاف درهم، فأبى سفيان أن يقبلها. واختلف الرشيد وأم جعفر في اللوزينج والفالوذج أيهما أطيب؟ فمالت زبيدة إلى تفضيل الفالوذج، ومال الرشيد إلى تفضيل اللوزينج، وتخاطرا على مائة دينار، فأحضرا أبا يوسف القاضي[4]، وقالا له: يا يعقوب قد اختلفنا في كذا على كذا وكذا، فاحكم فيه، فقال: يا أمير المؤمنين ما يحكم على غائب، وهو مذهب أبي حنيفة، فأحضر له جامين من المذكورين، فطفق يأكل من هذا مرة، ومن هذا مرة، وتحقق أنه إن حكم للرشيد لم يأمن غضب زبيدة، وإن حكم لها لم يأمن غضب الرشيد، فلم يزل في الأكل إلى أن نصف الجامين، فقال له الرشيد: إيه أبا يوسف، فقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت خصمين أجدل منهما، كلما أردت أن أسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجته، وقد حرت بينهما، فضحك الرشيد، وأعطاه المائة دينار، وانصرف مشكورا.

■ (1) أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها.أعرس بها هارون الرشيد سنة 165 في قصره المعروف بالخلد. وكانت وفاتها في سنة 216 هـ ببغداد، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة 186 هـ.

■ (3) الكسائي، علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: امام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها. وتعلم بها.وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، سنة 189 هـ عن سبعين عاما. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الامين. إصله من أولاد الفرس. وأخباره مع علماء الادب في عصره كثيرة. له تصانيف. وقيل: إنما عرف بالكسائي لأنه أيام قراءته على حمزة كان يلتف في كساء، فلقبه أصحاب حمزة بالكسائي وقيل: بل أحرم في كساء.

■ (4) أبو يوسف القاضي [صاحب أبي حنيفة] هو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ. حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطاة. وحدث عنه يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وعلي بن الجعد، وأسد بن الفرات، وابن سماعة، وهلال الرأي، وعمرو الناقد، ومعلى بن منصور، ومحمد بن الحسن، وعدة.

■ (2) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، من السابعة، يكنى أبا الحارث، مولى لقيس. ولد سنة 93 هـ، واستقل بالفتوى والكرم بمصر.أسند الليث عن خلق كثير من التابعين كعطاء، ونافع، وأبي الزبير، والزهري. وقيل إنه أدرك نيفا وخمسين تابعيا. وتوفي يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شعبان من سنة 175 هـ ودفن بعد الجمعة.

☪

هذه لمحات من حياة زبيدة بنت جعفر بن المنصور، التي توفيت ببغداد في جمادى الأولى سنة 216 هـ، ولقد كانت سيدة مؤمنة جليلة، محبة للعمران، عطوفة على ذوي الرأي والبلاغة والعلم.

ومما قيل فيها: امرأة لها اثنا عشر محرما كل منهم خليفة: عاتكة بنت يزيد بن معاوية، يزيد أبوها، ومعاوية بن أبي سفيان جدها، ومعاوية بن يزيد أخوها، وعبدالملك بن مروان زوجها، ومروان بن الحكم حموها، ويزيد بن عبدالملك ابنها، والوليد وسليمان وهشام أبناء عبدالملك أولاد زوجها. ومثلها في بني العباس زبيدة بنت جعفر بن المنصور، جدها المنصور، وأخوه السفاح، وزوجها الرشيد، وعمها المهدي، وابنها الأمين، وأبناء زوجها المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. وزوجها الرشيد خليفة، سلم عليه بالخلافة عمه، وعم أبيه، وعم جده، سلم عليه سليمان بن المنصور، والعباس بن محمد عم أبيه المهدي، وعبدالصمد بن علي عم جده أبي جعفر المنصور. وابنها محمد الأمين، ولى الرشيد الكسائي تأديبه وتأديب عبد الله المأمون، يقول الكسائي: فكنت أشدد عليهما في الأدب، وآخذهما به أخذا شديدا، وبخاصة محمد، فأتتني ذات يوم خالصة جارية أم جعفر –زبيدة– فقالت: يا كسائي، إن السيدة تقرأ عليك السلام، وتقول لك: حاجتي إليك أن ترفق بابني محمد؛ فإنه ثمرة فؤادي، وقرة عيني، وأنا أرق عليه رقة شديدة، فقلت لخالصة: إن محمدا مرشح للخلافة بعد أبيه، ولا يجوز التقصير في تأديبه، فقالت خالصة: إن لرقة السيدة سببا أنا مخبرتك به: إنها في الليلة التي ولدته أريت في منامها كأن أربع نسوة أقبلن إليه، فاكتنفنه عن يمينه وشماله وأمامه ووراءه، فقالت التي بين يديه: ملك قليل العمر، ضيق الصدر، عظيم الكبر، واهي الأمر، كثير الوزر، شديد الغدر، وقالت التي من ورائه: ملك قصاف، مبذر متلاف، قليل الإنصاف، كثير الإسراف، وقالت التي عن يمينه: ملك ضخم، قليل الحلم، كثير الإثم، قطوع للرحم. وقالت التي عن يساره: ملك غدار، كثير العثار، ثم بكت خالصة وقالت: يا كسائي، وهل يغني الحذر؟!.

لم نسق ما قالته خالصة لصحة الصفات التي وردت بحق ابن زبيدة محمد الأمين، إنها رؤيا أوردتها بعض الكتب منمقة مسجوعة، والحقيقة تقول: جلس الأصمعي يمتحن ويختبر الأمين والمأمون، فقال: ثم أمرني –الرشيد– مطارحتهما، فكنت لا ألقي عليهما شيئا من فنون الأدب إلا أجابا فيه وأصابا. ورأينا أن الأخبار التي وردت عن الأمين هي إما أحلام، وإما أنها كتبت في عهد المأمون وإخوته؛ أي بعد انحسار العنصر العربي وتغلب الشعوبية، وما من شك أن الرشيد كان يقدم الأمين، ولولا ذلك فما الذي كان يمنعه من تقديم المأمون؟! ورواية الأصمعي عنهما تؤكد أن الأمين كان على مستوى الخلافة، غير أن الحديث عنه تقربا من المأمون والفرس، وهل كان الرشيد منساقا في عواطفه مع زبيدة؟! إن ما جاء في هذا من أخبار الأمين والمأمون فيه نظر.

هذه هي زبيدة، التي تزوجها الرشيد عام 165 هـ، واسمها الحقيقي (أمة العزيز)، وغلب عليها لقب زبيدة، لقد كان جدها المنصور يداعبها في طفولتها: ويقول لها يا زبيدة (لبضاضتها ونضارتها)، فغلب ذلك على اسمها. لقد كانت كما وصفها ابن تغري بردي: أعظم نساء عصرها دينا وأصلا وجمالا وصيانة ومعروفا، ولقد تركت على طريق الحج مرافق ومنافع عمت الجميع قرونا، وهكذا كانت بحق من فضليات النساء وشهيراتهن. تغمدها الله برحمته، وأجزل لها الثواب.

☪

قال الكسائي: دخلت على الرشيد، فلما قضيت حق التسليم والدعاء وثبت للقيام، فقال: اقعد، فلم أزل عنده حتى خف عامة من كان في مجلسه، ولم يبق إلا خاصته، فقال لي يا علي، ألا تحب أن ترى محمدا وعبدالله[22]؟ قلت: ما أشوقني إليهما يا أمير المؤمنين، وأسرني بمعاينة نعمة الله على أمير المؤمنين فيهما، فأمر بإحضارهما، فلم ألبث أن أقبلا ككوكبي أفق يزينهما هدوء ووقار، وقد غضا أبصارهما، وقاربا خطوهما حتى وقفا على باب المجلس، فسلما على أبيهما بالخلافة، ودعوا له بأحسن الدعاء، فأمرهما بالدنو منه فدنوا فصير محمدا عن يمينه وعبدالله عن يساره، ثم أمرني أن أستقرئهما وأسألهما، ففعلت، فما سألتهما عن شيء إلا أحسنا الجواب فيه والخروج منه، فسر بذلك الرشيد حتى تبينته فيه، ثم قال لي: يا علي، كيف ترى مذهبهما وجوابهما؟ فقلت: يا أمير المؤمنين هما كما قال الشاعر: أرى قمري مجد وفرعي خلافة يزينهما عرق كريم ومحتد. يا أمير المؤمنين هما فرع زكا أصله، وطاب مغرسه، وتمكنت في الثرى عروقه، وعذبت مشاربه، وأبوهما أغر، نافذ الأمر، واسع العلم، عظيم الحلم، يحكمان بحكمه، ويستضيئان بنوره، وينطقان بلسانه، ويتقلبان في سعادته، فأمتع الله أمير المؤمنين بهما. وآنس جميع الأمة ببقائه وبقائهما، ثم قلت لهما: هل ترويان من الشعر شيئا؟ فقالا: نعم، ثم أنشدني محمد: وإني لعف الفقر مشترك الغنى وتارك شكل لا يوافقه شكلي..وأجعل مالي دون عرضي جنة لنفسي ومفضلا بما كان من فضل. ثم أنشد عبدالله : بكرت تلومك مطلع الفجر ولقد تلوم بغير ما تدري..ملك الأمور علي مقتدر يعطي إذا ما شاء من يسر..ولرب مغتبط بمرزئه ومفجع بنوائب الدهر.. وترى قناتي حين يغمدها عض الثقاف بطيئة الكسر . فما رأيت أحدا من أولاد الخلفاء وأغصان هذه الشجرة المباركة أذرب ألسنا، ولا أحسن ألفاظا، ولا أشد اقتدارا على تأدية ما حفظا منهما، ودعوت لهما دعاء كثيرا، وأمن الرشيد على دعائي، ثم ضمهما إليه، وجمع يده عليهما، فلم يبسطها حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره.

مراجع: مقالات موقع الألوكة/الأعلام للزركلي/

ذكر الفضل بن الربيع[1] قال: صار إلي عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير[2] فقال: إن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي[3] قد أرادني على البيعة له. فجمع الرشيد بينهما، فقال: الزبيري لموسى: سعيتم علينا وأردتم نقض دولتنا، فالتفت إليه موسى فقال: ومن أنتم؟ فغلب على الرشيد الضحك حتى رفع رأسه إلى السقف حتى لا يظهر منه، ثم قال موسى: يا أمير المؤمنين، هذا الذي ترى، المشنع علي خرج والله مع أخي محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي على[4] جدك المنصور، وهو القائل من أبيات: قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني حسن. وليس سعايته يا أمير المؤمنين حبا لك، ولا مراعاة لدولتك، ولكن بغضا لنا جميعا أهل البيت، ولو وجد من ينتصر به علينا جميعا لكان منه، وقد قال باطلا، وأنا مستحلفه، فإن حلف أني قلت ذلك فدمي لأمير المؤمنين حلال، فقال الرشيد: احلف له يا عبد الله، فلما أراده موسى على اليمين تلكأ وامتنع، فقال له الفضل: لم تمتنع وقد زعمت آنفا أنه قال لك ما ذكرته؟ قال عبد الله: فأنا أحلف له: قال موسى: قل تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي إن لم يكن ما حكيته عني حقا، فحلف له، قال موسى: الله أكبر، حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن جده عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاثة﴾، والله ما كذبت ولا كذبت، وها أنا يا أمير المؤمنين بين يديك وفي قبضتك، فتقدم بالتوكيل علي، فإن مضت ثلاثة أيام ولم يحدث على عبد الله بن مصعب حادث فدمي لأمير المؤمنين حلال، فقال الرشيد للفضل: خذ بيد موسى فليكن عندك حتى أنظر في أمره.قال الفضل:فوالله ما صليت العصر في ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من دار عبد الله بن مصعب، فأمرت من يتعرف خبره، فعرفت أنه قد أصابه الجذام، وأنه قد تورم واسود، فصرت إليه، فوالله ما كدت أعرفه، فصرت إلى الرشيد فعرفته خبره، فما انقضى كلامي حتى أتى خبر وفاته.فأحضر الرشيد موسى بن عبد الله وقال له:لم عدلت عن اليمين المتعارفة بين الناس؟قال:لأنا روينا عن جدنا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿من حلف بيمين مجد الله فيها استحيا الله من تعجيل عقوبته، وما من أحد حلف بيمين كاذبة نازع فيها حوله وقوته، إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث﴾ فأمر الرشيد بتخليته، وأن يعطى ألف دينار

■ (3) موسى العلوي، موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب، أبو الحسن: من شعراء الطالبيين. له رواية قليلة للحديث. من سكان المدينة. وهو أخو محمد وإبراهيم ابني عبد الله، قتلهما أبو جعفر المنصور، وظفر به، فضربه وعفا عنه. وسكن بغداد. وعاش إلى أيام الرشيد، وله خبر معه. ونسله كثير. توفي نحو 180 هـ وهو القائل: تولت بهجة الدنيا فكل جديدها خلق وخان الناس كلهم فما أدري بمن أثق رأيت معالم الخيرا سدت دونها الطرق فلا حسب ولا نسب ولا دين ولا خلق!

■ (2) عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو بكر، القرشي الاسدي: أمير من أهل العدل والورع والشعر والفصاحة. ولد بالمدينة، وولي اليمامة في أيام المهدي العباسي، ثم الهادي. واعتزل ببغداد، فألزمه الرشيد بولاية المدينة وعمره نحو 70 سنة، فقبلها بشروط. ثم أضيف إليها نيابة اليمن. قال الخطيب البغدادي: كان محمودا في ولايته، جميل السيرة، مع جلالة بقدره وعظم شرفة، توفي بالرقة، وهو في صحبة الرشيد سنة 184 هـ.

■ (4) محمد المعروف بالنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو عبد الله يروي عن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة أمه هند بنت أبي عبيدة بن علي بن ربيعة بن الأسود الأسيدي قتل بالمدينة سنة 145 هـ وهو بن 45 سنة.

■ (1) الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس: وزير أديب حازم. كان أبوه وزيرا للمنصور العباسي. واستحجبه المنصور لما ولى أباه الوزارة، فلما آل الامر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان صاحب الترجمة من كبار خصومهم، حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة، قال صاحب غربال الزمان: وكانت نكبتهم على يديه. وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد. واستخلف الامين، فأقره في وزارته، فعمل على مقاومة المأمون. ولما ظفر المأمون استتر الفضل سنة 196 هـ ثم عفا عنه المأمون وأهمله بقية حياته. وتوفي بطوس. يسنة 208 هـ والفضل بن الربيع هو من أحفاد أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان.

قال يزيد بن مزيد: أرسل إلي الرشيد ليلا يدعوني، فأوجست منه خيفة؛ فقال: أنت القائل أنا ركن الدولة، والثائر لها، والضارب أعناق بغاتها؟ لا أم لك!! أي ركن لك، وأي ثائر أنت؟ وهل كان منك إلا نفجة أرنب رعبت قطاة جثمت بمفحصها؟ قلت يا أمير المؤمنين ما قلت هذا، إنما قلت: أنا عبد الدولة، والفائز بها؛ فأطرق وجعل ينحل غضبه عن وجهه، ثم ضحك؛ فقلت: أسر من هذا قولي: خلافة الله في هارون ثابتة..وفي بنيه إلى أن ينفخ الصور..أرث النبي لكم من دون غيركم..حق من الله في القرآن مسطور. فقال: يا فضل، أعطه مائتي ألف درهم قبل أن يصبح.

سأل المأمون ثمامة ما جهد البلاء؟ فقال: عالم يجرى عليه حكم جاهل، قال: من أين قلت هذا؟ قال: حبسني الرشيد، ووكل مسرورا بي، فضيق علي الأنفاس، ثم قرأ يوما: والمرسلات فقال: ويل يومئذ للمكذبين فقلت: أن المكذبين هم الرسل ويحك؛ فقال: كان يقال أنك قدرى فما صدقت، لا نجوت أن نجوت؛ فعانيت الموت يا أمير المؤمنين.

أعترض رجل المأمون فقال: أنا رجل من العرب؛ قال: ليس ذاك بعجب؛ قال: وأني أريد الحج؛ قال: الطريق أمامك نهج؛ قال: وليست لي نفقة؛ قال: قد سقط عنك الفرض؛ قال: أني جئتك مستجديا لا مستفتيا؛ فضحك وبره.

مراجع: مقالات موقع الألوكة/الأعلام للزركلي/الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي / ربيع الأبرار/

قال أبو الفرج الأصفهاني: امتدح ربيعة الرقي[1] العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس[2] بقصيدة لم يسبق إليها حسنا وهي طويلة يقول فيها: لو قيل للعباس يا ابن محمد..قل لا وأنت مخلد ما قالها..ما إن أعد من المكارم خصلة..إلا وجدتك عمها أو خالها..وإذا الملوك تسايرت في بلدة..كانوا كواكبها وكنت هلالها..إن المكارم لم تزل معقولة.. حتى حللت براحتيك عقالها. قال: فبعث إليه بدينارين، وكان يقدر فيه ألفين، فلما نظر إلى الدينارين، كاد أن يجن غضبا، وقال الرسول: خذ الدينارين فهما لك على أن ترد إلى الرقعة، من حيث لا يدري العباس، ففعل الرسول ذلك، فأخذها ربيعة، وأمر من كتب في ظهرها: مدحت مدحة السيف المحلى..لتجري في الكرام كما جريت..فهبها مدحة ذهبت ضياعا..كذبت عليك فيها وافتريت..أنت المرء ليس له وفاء..كأني إذ مدحتك قد زنيت. ثم دفعها إلى الرسول وقال: ضعها في الموضع الذي أخذتها منه، ففعل، فلما كان من الغد، أخذها العباس فنظر فيها، فلما قرأ الأبيات، غضب، وقام من وقته، فركب إلى الرشيد، وكان أثيرا عنده يبجله ويقدمه، وكان قد هم أن يخطب إليه ابنته، فرأى الرشيد الكراهة في وجهه، فقال: ما شأنك؟ قال: هجاني ربيعة الرقي، فأحضره الرشيد: وقال له: يا ماص كذا وكذا من أمه أتهجو عمى، وآثر خلق الله عندي؟ لقد هممت أن أضرب عنقك، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد امتدحته بقصيدة ما قال أحد مثلها من الشعراء في أحد من الخلفاء، ولقد بالغت في الثناء، وأكثرت الوصف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها فعل، فلما سمع الرشيد ذلك، سكن غضبه، وأحب أن ينظر في القصيدة، فأمر العباس بإحضارها فتلكأ عليه، فقال له الرشيد: سألتك بحق أمير المؤمنين، إلا أمرت بإحضارها؟ فأحضرت، فإذا فيها القصيدة بعينها، فاستحسنها واستجادها وأعجب بها، وقال: والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها، ولقد صدق ربيعة فبر، ثم قال العباس: كم أثبته عليها؟ فسكت العباس، وتغير لونه، وغص بريقه، فقال ربيعة: أثابني عنها يا أمير المؤمنين دينارين، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة عليه، فقال: بحياتي يا رقي كم أثابك؟ فقال: وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلا بدينارين، فغضب الرشيد غضبا شديدا، ونظر في وجه العباس، وقال: سوءة لك أية حال قعدت بك عن إثابته؟ أقلة مال؟ فوالله لقد نولتك جهدي، أم انقطاع المال عنك؟ فوالله ما انقطعت بك، أم أصلك؟ فهو الأصل الذي لا يدانيه شيء، أم نفسك؟ لا ذنب لي، بل نفسك والله فعلت بك ذلك، حتى فضحت أجدادك وفضحتني وفضحت نفسك، فنكس العباس رأسه، ولم ينطق، فقال الرشيد: يا غلام، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم، وخلعة، واحمله على بغلة، ثم قال له: بحياتي لا تذكره في شيء من شعرك تعريضا ولا تصريحا، وفتر الرشيد عما كان قد هم به من أن يتزوج إليه وأظهر له بعد ذلك جفاء واطراحا.

----

(1) ربيعة الرقي، ربيعة بن ثابت بن لجأ بن العيذار الاسدي، أبو ثابت = أو أبو شبانة = الرقي: شاعر غزل مقدم. كان ضريرا. يلقب بالغاوي. عاصر المهدي العباسي ومدحه بعدة قصائد. وكان الرشيد يأنس به وله معه ملح كثيرة. مولده ومنشأه في الرقة على الفرات، من بلاد الجزيرة وإليها نسبته. قال صاحب الاغاني: وهو من المكثرين المجيدين وإنما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته بعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء، ومع ذلك فما عدم مفضلا مقدما له. وقال ابن المعتز: وكان ربيعة أشعر غزلا من أبي نواس. مات سنة 198 هـ

(2) العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو الفضل الهاشمي: أمير. هو أخو المنصور والسفاح. ولاه المنصور دمشق وبلاد الشام كلها. وولي إمارة الجزيرة في أيام الرشيد. وأرسله المنصور لغزو الروم في ستين ألفا. وحج بالناس مرات. ومات ببغداد سنة 186 هـ. كان من أجود الناس رأيا. وإليه تنسب العباسية محلة بالجانب الغربي من بغداد، دفن فيها. وكان الرشيد يحبه ويجله. ويزعم أهله أن الرشيد سمه.

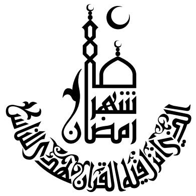

مر يزيد بن المهلب بأعرابية في هروبه من سجن عمر بن عبد العزيز، وهو يريد البصرة، فقدمت له عنزا فقبلها، ثم قال لابنه معاوية: ما معك من النفقة؟ قال: ثمانمائة دينار، قال: ادفعها إليها، فقال له ابنه: إنك تريد الرجال، ولا تكون الرجال إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهي بعد لا تعرفك، فقال: إن كانت ترضي باليسير، فأنا لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي، ادفعها إليها، فدفعها إليها.

قال الأحنف: كثرت علي الديات بالبصرة، لما قتل مسعود، فلم أجدها في حاضرة تميم، فخرجت نحو يبرين، فسألت: من المقصود هناك؟ فأرسلت إلى قبة، فإذا شيخ جالس بفنائها، مؤتزر بشملة، محتب بحبل، فسلمت عليه، وانتسبت له، فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت: توفي، قال: فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحطها؟ قلت: مات، قال: فأي خير في حاضرتكم بعدهما؟ قال: فذكرت الديات التي لزمتنا للأزد وربيعة، قال: أقم، فإذا راع قد أزاح عليه بألف بعير، فقال: خذها، ثم أراح عليه آخر بمثلها، فقال: خذها، قلت: لا أحتاج إليها، فانصرفت بالألف، ووالله ما أدري من هو إلى الساعة.

وروي عن معن بن زائدة ، قال: لما هربت من المنصور، خرجت من باب حرب، بعد أن أقمت في الشمس أياما، وخففت لحيتي وعارضي، ولبست جبة صوف غليظة، وركبت جملا، وخرجت عليه لأمضي إلى البادية، قال: فتبعني أسود متقلد سيفا، حتى إذا غبت عن الحرس، قبض على خطام الجمل فأناخه، وقبض علي، فقلت: ما شأنك؟ فقال: أنت بغية أمير المؤمنين، فقلت له: ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين؟ فقال: معن بن زائدة، فقلت: يا هذا اتق الله وأين أنا من معن؟ فقال: دع هذا عنك، فأنا والله أعرف بك، فقلت له: فإن كانت القصة كما تقول، فهذا جوهر حملته معي، بأضعاف ما بذله المنصور، لمن جاءه بي فخذه ولا تسفك دمي، فقال: هاته، فأخرجته إليه ، فنظر إليه ساعة، وقال: صدقت في قيمته، لست قابله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتني أطلقتك، فقلت: قل، فقال: إن الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت قط مالك كله قلت: لا، فنصفه قلت: لا ، قال: فثلثه قلت، لا حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت: إني أظن قد فعلت هذا، فقال: ما ذاك بعظيم، أنا والله راجل، ورزقي على أبي جعفر، عشرون درهما، وهذا الجوهره قيمته ألف دينار، وقد وهبته لك، ووهبتك لنفسك، ولجودك المأثور بين الناس، ولتعلم أن في الدنيا من هو أجود منك، ولا تعجبك نفسك، ولتحقر بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف عن مكرمة، ثم رمى بالعقد إلي، وخلي خطام الجمل وانصرف، فقلت: يا هذا قدو الله فضحتني، ولسفك دمي أهون علي مما فعلت، فخذ ما دفعته إليك، فإني عنه في غنى، فضحك، ثم قال: أردت أن تكذبني في مقامي هذا، فوالله لا آخذه، ولا آخذ لمعروف ثمنا أبدا، ومضى، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت، وبذلت لمن جاءني به ما شاء، فما عرفت له خبرا، وكأن الأرض ابتلعته، وكان سبب غضب المنصور على معن ابن زائدة : أنه خرج مع عمرو بن يزيد بن عمرو بن هبيرة وأبلى في حربه بلاء حسنا.

ويقال: إن شاعرا أتى وهب بن وهب، وكان جوادا، فمدحه فهش وبش له وثنى له الوسادة وأضافه ورفده وحمله، فلما أراد الرجل الرحلة، لم يخدمه أحد من غلمان وهب، فأنكر الرجل ذلك مع جميل فعله، فعاتب بعضهم، فقال له الغلام: إنا إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين الراحل على الفراق. وكان الحارث بن هشام المخزومي في وقعة اليرموك، وبها أصيب فاثبته الجراح، فاستسقى ماء، فأتي به، فلما تناوله، نظر إلى عكرمة بن أبي جهل صريعا في مثل حاله، فرد الإناء على الساقي، وقال: امض إلى عكرمة بن أبي جهل، فمضى إليه، فأبى أن يشرب قبله، فرجع إلى الحارث، فوجده ميتا، فرجع إلى عكرمة، فوجده قد مات، فلم يشرب واحد منهما. وقد وصف الناس أهل الجود والكرم بمدائح.

قال أكثم بن صيفي: كل سؤال وإن قل، أكثر من كل نوال وإن جل. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه: من كانت له إلي منكم حاجة، فليرفعها في كتاب، لأصون وجوهكم عن المسألة. وقال عبد العزيز بن مروان: ما تأملني رجل قط، إلا سألته عن حاجته، ثم كنت من ورائها. وقال حبيب: عطاؤك لا يفني ويستغرق المنى..وتبقى وجوه الراغبين بمائها. وقال أيضا: ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت.. من ماء وجهي إذا أفنيته عوض. وقالوا : من بذلك إليك وجهه، فقد وفاك حق نعمته. وقال معاوية لصعصعة بن صوحان: ما الجود؟ فقال: التبرع بالمال، والعطاء قبل السؤال. وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه: كريم على العلات جزل عطاؤه.. ينيل وإن لم يعتمد لنوال..وما الجود من يعطي إذا ما سألته..ولكن من يعطي بغير سؤال.

مراجع: نهاية الأرب في فنون الأدب/ الأعلام للزركلي/ تاريخ دمشق/ نكث الهميان في نكت العميان/

◆ أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي (خامس ملوك الدولة العباسية) وأبو صدقة (١) 0803

قال أبو الفرج: كان أبو صدقة[1] مليح الغناء طيب الصوت كثير الرواية صالح الصنعة، من أكثر الناس نادرة وأخفهم روحا وأشدهم طمعا وألحهم مسألة، وهو من المغنين الذين أقدمهم الرشيد من الحجاز في أيامه. قيل: إنه عوتب على كثرة إلحاحه في المسألة، فقال: وما يمنعني من ذلك، واسمي مسكين وكنيتي أبو صدقة وامرأتي فاقة (وابنتي فاقة؟) وابني صدقة، فمن أحق بهذا مني؟ وكان الرشيد يعبث به كثيرا، فقال ذات يوم لمسرور: قل لابن جامع[2] وإبراهيم الموصلي[3] والزبير بن دحمان[4] وزلزل[٥] الضارب وبرصوما الزامر وابن أبي مريم المديني[5]: إذا رأيتموني قد طابت نفسي، فليسأل كل واحد منكم حاجة، مقدارها مقدار صلته، وذكر لكل واحد منهم مبلغ ذلك، وأمرهم أن يكتموا أمرهم عن أبي صدقة، فقال لهم مسرور ما أمر به الرشيد. ثم أذن الرشيد لأبي صدقة قبل إذنه لهم. فلما جلس قال له: يا أبا صدقة، لقد أضجرتني بكثرة مسألتك وأنا في هذا اليوم ضجر وأحببت أن أتفرج وأفرح، ولست آمن أن تنغص علي مجلسي بمسألتك، فإما أن تعفيني أن تسألني اليوم حاجة وإلا فانصرف. فقال له: لست من يومي هذا إلى شهر أسألك حاجة. فقال له الرشيد: أما إذ شرطت لي هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بخمسمائة دينار وها هي ذه فخذها طيبة معجلة، فإن سألتني شيئا بعدها من هذا اليوم فلا لوم علي إن لم أصلك سنة بشيء. فقال: نعم، وسنتين . فقال له الرشيد: زدني في الوثيقة. فقال: قد جعلت أمر أم صدقة في يدك فطلقها متى شئت، إن شئت واحدة وإن شئت ألفا إن سألتك في يومي هذا حاجة، وأشهدت الله ومن حضر على ذلك. فدفع إليه المال، ثم أذن للجلساء والمغنين فدخلوا وشرب القوم. فلما طابت نفس الرشيد، قال له ابن جامع: يا أمير المؤمنين، قد نلت منك ما لم تبلغه أمنيتي، وكثر إحسانك إلي حتى كبت أعدائي وقتلتهم، وليس لي بمكة دار تشبه حالي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبني به دار وأفرشها بباقيه لأفقأ عيون أعدائي وأزهق نفوسهم فعل. فقال له: وكم قدرت لذلك؟ قال: أربعة آلاف دينار، فأمر له بها. وقام إبراهيم الموصلي فقال: يا أمير المؤمنين، قد ظهرت نعمتك علي وعلى الكبار من ولدي، وفي أصاغرهم من أحتاج إلي ختانه، وفيهم صغار أحتاج أن أتخذ لهم خدما، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتي على ذلك فعل. فأمر له بمثل ما أمر به لابن جامع. وجعل كل واحد منهم يقول في الثناء ما يحضره ويسأل حاجته على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تفرق يمينا وشمالا، فوثب قائما ورمى بالدنانير من كمه وقال للرشيد: أقلني أقال الله عثرتك. فقال الرشيد: لا أفعل. فجعل يستحلفه ويضطرب ويلح والرشيد يضحك ويقول: مالي إلى ذلك سبيل، الشرط أملك. فلما عيل صبره أخذ الدنانير ورمى بها بين يدي الرشيد وقال: هاكها قد رددتها عليك وزدتك أم صدقة فطلقها واحدة إن شئت وإن شئت ألفا. وإن لم تلحقني بجوائز القوم فألحقني بجائزة هذا البارد ابن البارد عمرو الغزال[6] –وكانت جائزته ثلاثة آلاف دينار– فضحك حتى استلقى ثم رد عليه الخمسمائة الدينار وأمر له بألف أخرى معها، وكان ذلك أكثر ما أخذه منذ خدمه إلى أن مات، رحمة الله عليهم.

وروى أبو الفرج عن أبي إسحاق[7] قال: مطرنا ونحن مع الرشيد بالرقة مع الفجر فاتصل إلى غد ذلك اليوم، وعرفنا خبر الرشيد أنه مقيم عند أم ولده المساة سحر، فتشاغلنا عنه في منازلنا. فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيد فحضرنا جميعا، وأقبل يسأل كل واحد منا عن يومه الماضي وما صنع فيه، فيخبره إلى أن انتهى إلى جعفر بن يحيى[8]، فسأله عن خبره فقال له: كان عندي أبو زكار الأعمى[9] وأبو صدقة، وكان أبو زكار كلما غنى صوتا، لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة، فإذا انتهى الدور إليه أعاده وحكى أبا زكار فيه وحركاته وشمائله، ويفطن أبو زكار لذلك فيجن ويموت غيظا ويشتم أبا صدقة كل الشتم حتى يضجر، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به وأنا أضحك من ذلك، إلى أن توسطنا الشرب وسمنا من عبثه به، فقلت له: دع هذا عنك وغن غناءك. فغنى رملا ذكر أنه من صنعته، فطربت له والله يا أمير المؤمنين طربا ما أذكر أني طربت مثله منذ حين وهو: فتنتني بفاحم اللون جعد.. وبثغر كأنه نظم در..وبوجه كأنه طلعة البد..روعين في طرفها نفث سحر.

فقلت له: أحسنت والله يا أبا صدقة فلم أسكت من هذه الكلمة حتى قال: يا سيدي إني قد بنيت دارا أنفقت عليها جميع مالي وما أعددت لها فرشا فأفرشها لي. فتغافلت عنه. وعاود الغناء فتعمدت أن قلت: أحسنت، فسألني فتغافلت، فقال: يا سيدي، هذا التغافل متى حدث لك؟ سألتك بالله وبحق أبيك عليك إلا أجبتني عن كلامي ولو بشتم. فأقبلت عليه وقلت له: أنت والله بغيض، اسكت يا بغيض، واكفف عن هذه المسألة الملحة. فوثب من بين يدي، فقلت: إنه قد خرج لحاجة، فإذا هو قد نزع ثيابه وتجرد منها خوفا من أن تبتل ووقف تحت السماء لا يواريه شيء والمطر يأخذه ورفع رأسه وقال: يا رب أنت تعلم أني مله ولست نائحا، وعبدك الذي قد رفعته وأحوجتني إلى خدمته يقول لي: أحسنت لا يقول لي: أسأت، وأنا مذ جلست أقول له: بنيت ولا أقول له: هدمت، فيحلف بك جرأة عليك أني بغيض، فاحكم بيني وبينه فأنت خير الحاكمين. فغلبني الضحك وأمرت به فتنحى، وجهدت به أن يغني فامتنع، حتى حلفت له بحياتك أني أفرش له داره يا أمير المؤمنين، وخدعته فلم أسم له بما أفرشها. فقال له الرشيد: طيب والله الآن تم لنا به اللهو، أدعه فإنه إذا رآك سوف يتنجزك الفرش لأنك حلفت له بحياتي فهو يقتضيك ذاك بحضرتي ليكون أوفق له، فقل له: أنا أفرشها لك بالبواري وحاكمه إلي. ثم دعا به فحضر فلما استقر في المجلس قال لجعفر: الفرش الذي حلفت بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به داري، تقدم به. فقال له جعفر: اختر، إن شئت فرشتها لك بالبواري وإن شئت فبالبردي من الحصر، فصاح واضطرب. فقال له الرشيد: وكيف كانت القصة؟ فأخبره، فقال له: أخطأت يا أبا صدقة إذ لم تسم النوع ولا حددت القيمة، فإذا فرشها لك بالبردي أو بما دون ذلك فقد بر في يمينه، وإنما خدعك ولم تفطن أنت ولا توثقت وضيعت حقك. فسكت ثم قال: نوفر أيضا البردي والبواري عليه أعزه الله. وغنى المغنون حتى انتهى الدور إليه، فأخذ يغني غناء الملاحين والبنائين والسقائين وما يجري مجراه من الغناء. فقال له الرشيد: أي شيء هذا الغناء؟ قال: من فرش داره بالبواري والبردي فهذا الغناء كثير منه، وكثير أيضا لمن هذه صلته. فضحك الرشيد وطرب وصفق وأمر له بألف دينار منه‌اله، وقال له: افرش دارك بهذه. فقال: وحياتك يا أمير المؤمنين لا آخذها أو تحكم لي على جعفر بما وعدني وإلا مت والله أسفا لفوات ما حصل في طمعي ووعدت به، فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار أخرى، فأمر له جعفر بها.

■ (١) أبو صدقة، هو مسكين بن صدقة من أهل المدينة مولى لقريش وكان مليح الغناء طيب الصوت كثير الرواية صالح الصنعة من أكثر الناس نادرة وأخفهم روحا وأشدهم طمعا وألحهم في مسألة وكان له ابن يقال له صدقة يغني وليس من المعدودين وابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبوري أحد المحسنين من الطنبوريين وله صنعة جيدة وكان أشبه الناس بجده في المزح والنوادر وأخباره تذكر بعد أخبار جده وأبو صدقة من المغنين الذي أقدمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيامه

■ (3) النديم الموصلي، ابراهيم بن ماهان (أو ميمون) بن بهمن، الموصلي التميمي بالولاء، أبو اسحاق النديم: أوحد زمانه في الغناء واختراع الالحان. شاعر، من ندماء الخلفاء. فارسي الاصل، من بيت كبير في العجم. انتقل والده إلى الكوفة، فولد بها. ومات أبوه وهو صغير فكفله بنو تميم وربوه، فنسب إليهم. ورحل إلى الموصل فأقام سنة يتعلم الضرب بالعود، فنسب إليها أيضا. وأجاد الغناء الفارسي والعربي. وكانت له عند الخلفاء منزلة حسنة. وأول من سمعه منهم المهدي العباسي، ثم حبسه لشربه النبيذ، فحذق القراءة والكتابة في الحبس. ولما ولي موسى (الهادي) أغدق عليه نعمه، وكذلك هارون الرشيد من بعده، وجعله من ندمائه وخاصته، واستصحبه معه إلى الشام. ومرض فعاده الرشيد، فمات بعد قليل ببغداد سنة 188 هـ أخباره كثيرة جدا. كان ينظم الابيات ويلحنها ويغنيها.

■ (2) ابن جامع، إسماعيل بن جامع السهمي القرشي، أبو القاسم، ويعرف أيضا بابن أبي وداعة: من أكابر المغنين الملحنين. كان من أحفظ الناس للقرآن، متعبدا، كثير الصلاة، يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة، ويلبس لباس الفقهاء، في زي أهل الحجاز. ولد بمكة وضاق به العيش، فانتقل بعياله إلى المدينة واحترف الغناء فذاعت شهرته، فرحل إلى بغداد، فاتصل بالخليفة هارون الرشيد، فحظي عنده. وكان من أقران إبراهيم الموصلي إلا أن هذا يزيد عليه الضرب بالعود. مات سنة 192 هـ

■ (4) الزبير بن دحمان مغن مشهور وأخوه. قد مضت أخبار أبيه ونسبه وولاؤه في متقدم الكتاب الاغاني؟ وكان الزبير أحد المحسنين المتقنين الرواة الضراب المتقدمين في الصنعة وقدم على الرشيد من الحجاز وكان المغنون في أيامة حزبين أحدهما في حزب إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق والآخر في حزب ابن جامع وابن المهدي وكان إبراهيم بن المهدي أوكد أسباب هذا التحزب والتعصب لما كان بينه وبين إسحاق وكان الزبير بن دحمان في حزب إسحاق وأخوه عبيد الله في حزب إبراهيم بن المهدي.

■ (7) إسحاق الموصلي، وهو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي بالولا ء الأرجاني الأصل المعروف بابن النديم الموصلي، أبو محمد ويقال له أبو صفوان المغني المشهور كان من ندماء الخلفاء وله الظرف المشهور والخلاعة والغناء اللذان تفرد بهما. وكان من العلماء باللغة والأشعار وأخبار الشعراء وأيام الناس، وروى عنه مصعب بن عبد الله الزبيري والزبير ابن بكار وغيرهما. وكان له يد طولى في الحديث والفقه وعلم الكلام. قيل أصابه ذرب في شهر رمضان في سنة 253 هـ فكان يتصدق في كل يوم لصومه ثم ضعف عن الصوم ومات

■ (8) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماسش بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

■ (5) ابن أبي مريم المديني، وكان مضحاكا فكهأن يعرف أخبار أهل الحجاز، وألقاب الأشراف، ومكايد المجان فكان الرشيد لا يصبر عنه، وأسكنه في قصره..

■ (9) أبو زكار الأعمى رجل من أهل بغداد من قدماء المغنين وكان منقطعا إلى آل برمك وكانوا يؤثرونه ويفضلون عليه إفضالا

■ (6) عمرو الغزال وكان لهارون الرشيد من جماعة من المغنين..(٥) منصور زلزل توفي 176هـ مخترع عود اسمه عود الشبوط

☪

حدث حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان سبب وصول أبي صدقة إلى السلطان أن أبي لما حج مر بالمدينة فاحتاج إلى قطع ثياب فالتمس خياطا حاذقا فدل على أبي صدقة ووصف له بالحذق في الخياطة والحذق في الغناء وخفة الروح فأحضره فقطع له ما أراد وخاطه وسمع غناءه فأعجبه وسأله عن حاله فشكا إليه الفقر فخلف لعياله نفقة سابغة لسنة ثم أخذه معه وخلطه بالسلطان. قال حماد: فقال أبو صدقة يوما لأبي: قد اقتصرت بي على صنعة أبي إسحاق أبيك رحمه الله عندي وأنت لا رب ذلك بشيء فقال له: هذه الصينية الفضة التي بين يدي لك إذا انصرفت فشكره وسر بذلك ولم يزل يغنيه بقية يومه فلما أخذ النبيذ فيه قام قومه ليبول فدعا أبي بصينية رصاص فحول قنينته وقدحه فيها ورفع الصينية الفضة فلما أراد أبو صدقة الانصراف شد أبي الصينية في منديل ودفعها إلى غلامه وقال له: بت الليلة عندي واصطبح غدا واردد دابتك فقال: إني إذا لأحمق أدفع إلى غلامي صينية فضة فيأخذها ويطمع فيها أو يبيعها ويركب الدابة ويهرب ولكني أبيت عندك فإذا انصرفت غدا أخذتها معي وبات وأصبح عندنا مصطبحا فلما كان وقت انصرافه أخذها ومضى فلم يلبث من غد أن جاءنا والصينية معه فإذا هو قد وجه بها لتباع فعرفوه أنها رصاص فلما رآه أبي من بعيد ضحك وعرف القصة وتماسك فقال له أبو صدقة: نعم الخلافة خلفت أباك وما أحسن ما فعلت بي، قال: وأي شيء فعلت بك؟ قال: أعطيتني صينية رصاص، فقال له أبي: سخنت عينك سخرت امرأتك بك وأنا من أين لي صينية رصاص فتشكك ساعة ثم قال: أظن والله أن ذلك كذلك فقام فقال له أبي: إلى أين؟ قال: أضع والله عليها السوط فأضربها به حتى ترد الصينية، فلما رأى أبي الجد منه، قال له: اجلس يا أبا صدقة فإنما مزحت معك وأمر له بوزنها دراهم.

مراجع: نهاية الأرب في فنون الأدب/ الأعلام للزركلي/ الاغاني/

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي أن الرشيد قال للحارث بن بسخنر قد اشتهيت أن أرى ندمائي ومن يحضر مجلسي من المغنين جميعا في مجلس واحد يأكلون ويشربون ويتبذلون منبسطين على غير هيبة ولا احتشام بل يفعلون ما يفعلون في منازلهم وعند نظرائهم وهذا لا يتم إلا بأن أكون بحيث لا يرونني عن غير علم منهم برؤيتي إياهم فأعد لي مكانا أجلس فيه أنا وعمي سليمان وإخوتي إبراهيم بن المهدي وعيسى بن جعفر وجعفر بني يحيى فإنا مغلسون عليك غداة غد واستزر أنت محمد بن خالد بن برمك وخالدا أخا مهرويه والخضر بن جبريل وجميع المغنين وأجلسهم بحيث نراهم ولا يروننا وابسط الجميع وأظهر برهم واخلع عليهم ولا تدع من الإكرام شيئا إلى فعلته بهم ففعل ذلك الحارث وقدم إليهم الطعام فأكلوا والرشيد ينظر إليهم ثم دعا لهم بالنبيذ فشربوا وأحضرت الخلع وكان ذلك اليوم يوما شديد البرد فخلع على ابن جامع جبة خز طاروني مبطنة بسمور صيني وخلع على إبراهيم الموصلي جبة وشيء كوفي مرتفع مبطنة بفنك وخلع على أبي صدقة[1] دراعة ملحم خراساني محشوة بقز ثم تغنى ابن جامع وتغنى بعده إبراهيم وتلاهما أبو صدقة فغنى لابن سريج: ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي..أكلفها سير الكلال مع الظلع. فأجاده واستعاده الحارث ثلاثا وهو يعيده فقال له الحارث: أحسنت والله يا أبا صدقة قال له: هذا غنائي وقد قرصني البرد فكيف تراه فديتك كان يكون لو كان تحت دراعتي هذه شعيرات يعني الوبر؟ والرشيد يسمع ذلك فضحك فأمر بأن يخلع عليه دراعة ملحم مبطنة بفنك ففعلوا ثم تغنى الجماعة وغنى أبو صدقة لمعبد: بان الخليط على بزل مخيسة..هدل المشافر أدنى سيرها الرمل. ثم تغنى بعده لمعبد أيضا: بان الخليط ولو طووعت ما بانا..وقطعوا من حبال الوصل أقرانا..فأقام فيهما جميعا القيامة. فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طربا. فقال له الحارث: أحسنت والله يا أبا صدقة فديتك وأجملت، فقال أبو صدقة: فكيف ترى فديتك الحال تكون لو كانت على هذه الدراعة نقيطات، يعني الوشي، فضحك الرشيد حتى ظهر ضحكه وعلموا بموضعه وعرف علمهم بذلك فأمر بإدخالهم إليه وأمر بأن يخلع على أبي صدقة دراعة أخرى مبطنة فخلعت عليه.

حدث حماد بن إسحاق عن أبيه قال سأل الحسن بن سليمان أخو عبيد الله بن سليمان الطفيلي الفضل وجعفرا ابني يحي أن يقيما عنده يوما فأجاباه فواعد عدة من المغنين فيهم أبو صدقة المدني فقال لأبي صدقة: إنك تبرم بكثرة السؤال فصادرني على شيء أدفعه إليك ولا تسأل شيئا غيره فصادره على شيء أعطاه إياه فلما جلسوا وغنوا أعجبوا بغناء أبي صدقة واقترحوا عليه أصواتا من غناء ابن سريج ومعبد وابن محرز وغيرهم فغناهم ثم غنى والصنعة له رمل: يا ويح من لعب الهوى بحياته..فأماته من قبل حين مماته..من ذا كذا كان الشقي بشادن..هاروت بين لسانه ولهاته .وذكر الأبيات الأربعة المتقدم ذكرها قال فأجاد وأحسن ما شاء وطرب جعفر فقال له: أحسنت وحياتي وكان عليه دواج خز مبطن بسمور جيد، فلما قال له ذلك شرهت نفسه وعاد إلى طبعه، فقال: لو أحسنت ما كان هذا الدواج عليك ولتخلعنه علي، فألقاه عليه ثم غنى أصواتا من القديم والحديث وغنى بعدها من صناعته في الرمل: لم يطل العهد فتنساني..ولم أغب عنك فتنعاني.. بدلت بي غيري وباهتني..ولم تكن صاحب بهتان..لا وثقت نفسي بإنسان..بعدك في سر وإعلان..أعطيتني ما شئت من موثق..منك ومن عهد وأيمان. فقال له الفضل: أحسنت وحياتي فقال: لو أحسنت لخلعت علي جبة تكون شكلا لهذا الدواج فنزع جبته وخلعها عليه وسكروا وانصرفوا فوثب الحسن بن سليمان فقال له: قد وافقتك على ما أرضاك ودفعته إليك على ألا تسأل أحدا شيئا فلم تف وقد أخذت مالك والله لا تركت عليك شيئا مما أخذته ثم انتزعته منه كرها وصرفه فشكاه أبو صدقة إلى الفضل وجعفر فضحكا منه وأخلفا عليه ما ارتجعه الطفيلي منه من خلعهما.

■ (1) أبو صدقة، هو مسكين بن صدقة من أهل المدينة مولى لقريش وكان مليح الغناء طيب الصوت كثير الرواية صالح الصنعة من أكثر الناس نادرة وأخفهم روحا وأشدهم طمعا وألحهم في مسألة وكان له ابن يقال له صدقة يغني وليس من المعدودين وابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبوري أحد المحسنين من الطنبوريين وله صنعة جيدة وكان أشبه الناس بجده في المزح والنوادر وأخباره تذكر بعد أخبار جده وأبو صدقة من المغنين الذي أقدمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيامه

☪

قيل: كان مع الرشيد ابن أبي مريم المديني، وكان مضحاكا فكهأن يعرف أخبار أهل الحجاز، وألقاب الأشراف، ومكايد المجان فكان الرشيد لا يصبر عنه، وأسكنه في قصره، فجاء ذات ليلة وهونائم، فقام الرشيد إلى صلاة الفجر، فكشف اللحاف عنه وقال: كيف أصبحت؟ فقال: ما أصبحت بعد، اذهب إلى عملك. قال: قم إلى الصلاة! قال: هذا وقت صلاة أبي الجارود، وأنا من أصحاب أبي يوسف. فمضى الرشيد يصلي، وقام ابن أبي مريم وأتى الرشيد فرآه يقرأ في الصلاة: (وما لي لا أعبد الذي فطرني) يس: 22 فقال: ما أدري والله! فما تمالك الرشيد أن ضحك، ثم قال له وهومغضب: في الصلاة أيضا! قال: وما صنعت؟ قال: قطعت علي صلاتي. قال: والله ما فعلت، إمنا سمعت منك كلاما غمني حين قلت: : وما لي لا أعبد الذي فطرني؟ (فقلت: لا أدري: فعاد الرشيد فضحك ثم قال له: إياك والقرآن والدين ولك ما شئت بعدهما.

☪

قال أكثم بن صيفي: كل سؤال وإن قل، أكثر من كل نوال وإن جل. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه: من كانت له إلي منكم حاجة، فليرفعها في كتاب، لأصون وجوهكم عن المسألة. وقال عبد العزيز بن مروان: ما تأملني رجل قط، إلا سألته عن حاجته، ثم كنت من ورائها. وقال حبيب: عطاؤك لا يفني ويستغرق المنى..وتبقى وجوه الراغبين بمائها. وقال أيضا: ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت.. من ماء وجهي إذا أفنيته عوض. وقالوا : من بذلك إليك وجهه، فقد وفاك حق نعمته. وقال معاوية لصعصعة بن صوحان: ما الجود؟ فقال: التبرع بالمال، والعطاء قبل السؤال. وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه: كريم على العلات جزل عطاؤه.. ينيل وإن لم يعتمد لنوال..وما الجود من يعطي إذا ما سألته..ولكن من يعطي بغير سؤال.

☪

حكى إسحاق قال: كنت عند الرشيد يوما، وعنده ندماؤه وخاصته وفيهم إبراهيم بن المهدي، فقال لي الرشيد: غن: شربت مدامة وسقيت أخرى..وراح المنتشون وما انتشيت فغنيته. فأقبل على إبراهيم بن المهدي فقال لي: ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت. فقلت له: ليس هذا مما تعرفه ولا تحسنه، وإن شئت فغنه فإن لم أجدك أنك تخطئ فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك فدمي حلال. ثم أقبلت على الرشيد فقلت: يا أمير المؤمنين، هذه صناعتي وصناعة أبي، وهي التي قربتنا منك واستخدمتنا لك فأوطأتنا بساطك، فإذا نازعنا أحد بغير علم لم نجد بدا من الإفصاح والذب، فقال: لا غرور ولا لوم عليك. وقام الرشيد ليبول، فأقبل إبراهيم بن المهدي علي وقال: ويحك يا إسحاق أتجترئ علي وتقول لي ما قلت يا ابن الفاعلة لا يكنى. فداخلني ما لم أملك نفسي معه، فقلت له: أنت تشتمني ولا أقدر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة، ولولا ذلك لقلت لك: يا ابن الزانية كما قلت لي يا ابن الزانية. أو تراني كنت لا أحسن أن أقول: يا ابن الزانية ولكن قولي في ذمك ينصرف كله إلى خالك الأعلم، ولولاك لذكرت صناعته ومذهبه –قال إسحاق: وكان بيطارا– قال : ثم سكت، وعلمت أن إبراهيم سوف يشكوني إلى الرشيد، وسوف يسأل من حضر عما جرى فيخبرونه، فتلافيت ذلك بأن قلت: إنك تظن أن الخلافة تصير إليك، فلا تزال تتهددني بذلك وتعاديني كما تعادي سائر أولياء أخيك حسدا له ولولده على الأمر وأنت تضعف عنه وعنهم، وتستخف بأوليائهم تشفيا، وأرجو ألا يخرجها الله من الرشيد وولده، وأن يقتلك دونها. فإن صارت إليك –والعياذ بالله تعالى من ذلك– فحرام علي حينئذ العيش والموت أطيب من الحياة معك، فاصنع حينئذ ما بدا لك قال: فلما خرج الرشيد وثب إبراهيم بين يديه وقال: يا أمير المؤمنين، شتمني إسحاق وذكر أمي واستخف بي. فغضب وقال لي: ويلك ما تقول؟ قلت: لا أعلم، فسل من حضر. فأقبل على مسرور وحسين فسألهما عن القصة فجعلا يخبرانه ووجهه يربد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة فسرى عنه ورجع لونه، وقال لإبراهيم: لا ذنب له، شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك، ارجع إلى موضعك وأمسك عن هذا. فلما انفض المجلس وانصرف الناس أمر الرشيد بألا أبرح. وخرج كل من حضر حتى لم يبق غيري، فساء ظني وهمتني نفسي. فأقبل علي وقال: يا إسحاق، أتراني لم أفهم قولك ومرادك قد والله زنيته ثلاث مرات أتراني لا أعرف وقائعك وأقدامك وأين ذهبت ويلك لا تعد حدثني عنك لو ضربك إبراهيم أكنت أقتص لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل أتراه لو أمر غلمانه فقتلوك أكنت أقتله بك فقلت: والله يا أمير المؤمنين، قد قتلني هذا الكلام، وإن بلغه ليقتلني، وما أشك أنه قد بلغه الآن. فصاح بمسرور وقال له: علي بإبراهيم فأحضر، وقال لي: قم فانصرف. فقلت لجماعة من الخدم –وكلهم كان لي محبا وإلي مائلا ولي مطيعا–: أخبروني بما يجري، فأخبروني من غد أنه لما دخل عليه وبخه وجهله وقال له: أتستخف بخادمي وصنيعتي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي وتقدم علي وتستخف بمجلسي وحضرتي هاه هاه هاه وتقدم على هذا وأمثاله وأنت مالك وللغناء وما يدريك ما هو ومن أخذك به وطارحك إياه حتى تتوهم أنك تبلغ منه مبلغ إسحاق الذي غذي به وعلمه وهو من صناعته ثم تظن أنك تخطئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليه فلا تثبت لذلك وتعتصم بشتمه هذا مما يدل على السقوط وضعف العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يشبهك، وغلبة لذتك على مروءتك وشرفك، ثم إظهارك إياه ولم تحكمه، وادعائك ما لا تعلمه حتى ينسبك إلى إفراط الجهل. ألا تعلم، ويحك، أن هذا سوء أدب وقلة معرفة وقلة مبالاة بالخطأ والتكذيب والرد القبيح ثم قال: والله العظيم وحق رسوله وإلا فأنا بريء من المهدي إن أصابه أحد بسوء أو أسقط عليه حجر من السماء أو سقط من دابته أو أسقط عليه سقفه أو مات فجأة لأقتلنك به. والله والله والله فلا تعرض له وأنت أعلم قم الآن فاخرج، فخرج وقد كاد يموت. فلما كان بعد ذلك دخلت على الرشيد وإبراهيم عنده فأعرضت عن إبراهيم فجعل ينظر إلي مرة وإليه مرة ويضحك، ثم قال: إني لأعلم محبتك لإسحاق وميلك إليه وإلى الأخذ عنه، وإن هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه واعرف حقه وبره وصله، فإذا فعلت ذلك ثم خالف ما تهواه عاقبته بيد مستطيلة منبسطة ولسان منطلق. ثم قال لي: قم إلى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه، فقمت إليه وقام إلي وأصلح الرشيد بيننا.

مراجع: نهاية الأرب في فنون الأدب/ الأعلام للزركلى/ الكامل في التاريخ/

روى صاحب العقد قال قال سهل بن هارون[1]: كانت أم جعفر بن يحيى، وهي فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة[2]، أرضعت الرشيد[3] مع جعفر[4]، لأنه كان ربي في حجرها، وغذي برسلها، لأن أمه ماتت عن مهده. فكان الرشيد يشاورها مظهرا لإكرامها والتبرك برأيها، وكان آلى وهي في كفالتها ألا يحجبها ولا استشفعته لأحد إلا شفعها، وآلت عليه أم جعفر ألا دخلت عليه إلا مأذونا لها، ولا شفعت لأحد لغرض دنيا. فكم أسير فكت، ومبهم عنده فتحت، ومستغلق منه فرجت. واحتجب الرشيد بعد قدومه. فطلبت الإذن عليه من دار الباتوقة (الباقونة؟) ومتت بوسائلها إليه، فلم يأذن لها ولا أمر بشيء فيها. فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها واضعة لثامها محتفية في مشيها، حتى صارت بباب قصر الرشيد. فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب، فقال: ظئر* أمير المؤمنين بالباب في حالة تقلب شماتة الحاسد إلى شفقة أم الواحد. فقال الرشيد: ويحك يا عبد الملك أو ساعية؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين حافية. قال: أدخلها يا عبد الملك، فرب كبد غذتها، وكربة فرجتها، وعورة سترتها. فدخلت، فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية قام محتفيا حتى تلقاها بين عمد المجلس، وأكب على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها، ثم أجلسها معه. فقالت: يا أمير المؤمنين، أيعدو علينا الزمان، ويجفونا خوفا لك الأعوان، ويحردك عنا البهتان؟ وقد ربيتك في حجري، وأخذت برضاعك الأمان من عدوي ودهري؟ فقال لها: وما ذلك يا أم الرشيد؟ قالت: ظئرك يحيى[5] وأبوك بعد أبيك، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته، وإشفاقه عليه، وتعرضه للحتف في شأن موسى[6] أخيه. قال لها: يا أم الرشيد، أمر سبق، وقضاء حم، وغضب من الله نفذ. قالت: يا أمير المؤمنين، ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد] قال: صدقت، فهذا مما لم يمحه الله. فقالت: الغيب محجوب عن النبيين، فكيف عنك يا أمير المؤمنين؟ فأطرق الرشيد مليا، ثم قال: وإذا المنية أنشبت أظفارها..ألفيت كل تميمة لا تنفع. فقالت بغير روية: ما أنا ليحيى بتميمة يا أمير المؤمنين، وقد قال الأول: وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد..ذخرا يكون كصالح الأعمال. هذا بعد قول عز وجل:﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران] فأطرق هارون مليا، ثم قال: يا أم الرشيد، أقول: إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد..إليه بوجه آخر الدهر تقبل. فقالت: يا أمير المؤمنين وأقول: ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني..يمينك، فانظر أي كف تبدل؟. قال هارون: رضيت. قالت: فهبه لي يا أمير المؤمنين، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.﴿من ترك شيئا لله لم يوجده الله فقده﴾ فأكب هارون مليا، ثم رفع رأسه يقول: لله الأمر من قبل ومن بعد. قالت: يا أمير المؤمنين، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم] وأذكر يا أمير المؤمنين، أليتك: ما استشفعت إلا شفعتني. قال: واذكري يا أم الرشيد أليتك أن لا شفعت لمقترف ذنبا. فلما رأته صرح بمنعها ولا ذ عن مطلبها أخرجت حقا من زبرجدة خضراء فوضعته بين يديه فقال الرشيد: ما هذا؟ ففتحت عنه قفلا من ذهب فأخرجت منه قميصه وذؤابته وثناياه، قد غمست جميع ذلك في المسك، فقالت: يا أمير المؤمنين، أستشفع إليك وأستعين بالله عليك وبما صار معي من كريم جسدك وطيب جوارحك ليحيى عبدك. فأخذ هارون ذلك فلثمه، ثم أستعبر وبكى بكاء شديدا وبكى أهل المجلس. ومر البشير إلى يحيى وهو لا يظن إلا أ ن البكاء رحمة له ورجوع عنه، فلما أفاق رمى جميع ذلك في الحق. وقال لها: لحسنا ما حفظت الوديعة. فقالت: وأهل للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين. فسكت وقفل الحق ودفعه إليها وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء] قالت: والله يقول: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء] ويقول: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل] قال: وما ذلك يا أم الرشيد؟ قالت: ما أقسمت لي به أن لا تحجبني ولا تجبهني. قال: أ حب يا أم الرشيد أن تشتريه محكمة فيه. قالت: أنصفت يا أمير المؤمنين. وقد فعلت غير مستقيلة لك ولا راجعة عنك. قال: بكم؟ قالت: برضاك عمن لم يسخطك. قال: يا أم الرشيد، أما لي عليك من الحق مثل الذي لهم؟ قالت: بلى يا أمير المؤمنين، أعز علي وهم أحب إلي. قال: فتحكمي في ثمنه بغيرهم؟ قالت: بلى، قد وهبتكه، وجعلتك في حل منه، وقامت عنه. وبقي مبهوتا ما يحير لفظة. قال سهل: وخرجت فلم تعد، ولا والله ما رأيت لها عبرة ولا سمعت لها أنه.

قال سهل: وكان الأمين محمد[7] بن زبيدة[8] رضيع يحيى بن جعفر، فمت إليه يحيى بن خالد بذلك، فوعد استيهاب أمه إياهم وتكلمها لهم، ثم شغله اللهو عنهم. فكتب إليه يحيى، ويقال إنها لسليمان الأعمى[9] أخي مسلم بن الوليد[10]، وكان منقطعا إلى البرامكة، يقول: يا ملاذي وعصمتي وعمادي..ومجيري من الخطوب الشداد..بك قام الرجاء في كل قلب..زاه فيه البلاء كل مزاد..إنما أنت نعمة أعقبتها..نعم نفعها لكل العباد..وعد مولاك أتممه فأبهى ال..در ما زين حسنه بانعقاد..ما أظلت سحائب اليأس إلا..كان في كشفها عليك اعتمادي..إن تراخت يداك عني فواقا..أكلتني الأيام أكل الجراد. وبعث بها إلى الأمين محمد، فبعث بها الأمين إلى أمه زبيدة، فأعطتها هارون وهو في موضع لذته، وعند إقبال أريحيته، وتهيأت للاستشفاع لهم، وعبأت جواريها ومغنياتها وأمرتهن بالقيام معها إذا قامت. فلما فرغ الرشيد من قراءتها لم ينقض حبوته حتى وقع في أسفلها: عظم ذنبك أمات خواطر العفو عنك، ورمى بها إلى زبيدة. فلما رأت توقيعه علمت أنه لا يرجع عنه.

----

*(الظئر) المرضعة لغير ولدها ويطلق على زوجها أيضاه حديث سيف القين: ظئر إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم.

■ (2) فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة، أم جعفر بن يحيى وظئر أمير المؤمنين هارون الرشيد.؟

■ (4) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، أبو الفضل: وزير الرشيد العباسي، وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم. ولد ونشأ في بغداد، واستوزره هارون الرشيد، ملقيا إليه أزمة الملك، وكان يدعوه: أخي. فانقادت له الدولة، يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه، إلى أن نقم الرشيد على البرامكة، نقمته المشهورة، فقتله في مقدمتهم، سنة 187 هـوصلب على الجسر ببغداد. ثم أحرق جثته بعد سنة. وكانت لجعفر توقيعات جميلة.وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول وكرم اليد والنفس، قالوا في وصف حديثه: جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة، وإفهاما يغنيه عن الاعادة. وكان كاتبا بليغا، يحتفظ الكتاب بتوقيعاته يتدارسونها. والبرامكة أنسابهم إلى الفرس.

■ (5) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (6) موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، أبوه هو الوزير يحيى البرمكي، وأخواه جعفر والفضل ابني يحيى، و أحد وزراء وقادة الدولة العباسية، ولاه الرشيد هارون دمشق والشام بأسره أيام عصبية أبي الهيذام، فقدم دمشق وأصلح بين المضرية واليمانية. توفي سنة 221 هـ

■ (1) سهل بن هارون بن راهبون (أو راهيون) أبو عمرو الدستميساني: كاتب بليغ، حكيم، من واضعي القصص، يلقب (بزرجمهر الإسلام) فارسي الأصل، اشتهر في البصرة، واتصل بخدمة هارون الرشيد، وارتفعت مكانته عنده، حتى أحله محل يحيى البرمكي صاحب دواوينه. ثم خدم المأمون فولاه رياسة خزانة الحكمة ببغداد. وكان شعوبيا، يتعصب للعجم على العرب. والجاحظ كثير الإعجاب به، وأخباره مع الخلفاء والأمراء كثيرة. له كتاب ثعلة وعفرة، على نسق كليلة ودمنة، ألفه للمأمون، وكتاب الاخوان والمسائل والمخزومي والهذلية وديوان رسائل وسحرة = أو شجرة = العقل. وتدبير الملك والسياسة والرياض، وغير ذلك.ولا نعلم شيئا عن مصير كتبه، إلا رسالة له في البخل. توفي سنة 215 هـ

■ (7) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة 198 هـ

■ (8) أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها.أعرس بها هارون الرشيد سنة 165 في قصره المعروف بالخلد. وكانت وفاتها في سنة 216 هـ ببغداد، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة 186 هـ.

■ (9) سليمان الاعمى، وهو سليمان بن الوليد الانصاري: شاعر. كان منقطعا إلى البرامكة، مكثرا المديح فيهم، والرثاء لهم، بعد نكبتهم. مات نحو سنة 217 هـ

■ (10) مسلم بن الوليد الانصاري، بالولاء، أبو الوليد، المعروف بصريع الغواني: شاعر غزل، هو أول من أكثر من (البديع) وتبعه الشعراء فيه. وهو من أهل الكوفة. نزل بغداد، فأنشد الرشيد العباسي قوله: وما العيش إلا أن تروح مع الصبى وتغدو، صريع الكأس والاعين النجل. فلقبه بصريع الغواني، فعرف به. قال المرزباني: اتصل بالفضل بن سهل فولاه بريد جرجان فاستمر إلى أن مات فيها سنة 208 هـ. وقال التبريزي: هو مولى أسعد بن زرارة الخزرجي، مدح الرشيد والبرامكة وداود ابن يزيد بن حاتم ومحمد بن منصور صاحب ديوان الخراج ثم ذا الرياستين فقلده مظالم جرجان. وقال السهمي في تاريخ جرجان: قدم جرجان مع المأمون، ويقال إنه ولي قطائع جرجان، وقبره بها معروف.

قال المأمون وهو من أعلى الخلفاء مكانا وأوسعهم علما: الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاثة أشياء: القدح في الملك، وإفشاء السر، والتعرض للحرم.

مراجع: العقد الفريد/ جمهرة خطب العرب/ الأعلام للزركلي/ المعجم الوسيط/ أنساب الأشراف/ التذكرة الحمدونية/

قال إسحاق الموصلي: حدثني أبي، عن إبراهيم الجرجاني[1] (في رواية الحُصري قال: إبراهيم الحراني؟)، قال: حججت مع أمير المؤمنين الرشيد[2] فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينا أنا بين القبر والمنبر، إذ أنا عن يميني برجل حسن الهيئة خاضب، معه رجل في مثل حاله، فحانت مني لفتة نحوه فإذا هو يكسر حاجبه، ويفتح فاه، ويلوي عنقه، ويشير بيده، فتجوزت في صلاتي وسلمت، فقلت: أفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تتغنى؟ قال: قنعك الله دار مخرمة، ما أجهلك! – قال: ودار مخرمة صخرة – أما في الجنة غناء؟ قلت: بلى، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، قال: فأنا في روضة من رياض الجنة، قلت: لا، قال: واحرباه! أترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: ﴿مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ﴾ فنحن في تلك الروضة، فقلت: قبح الله شيخا وشارة، ما أسفهك! فقال: بالقبر لما أنصت إلي، فتخوفت إلا أنصت إليه، فاندفع فتغنى بصوت يخفيه: فليست عشيات الحمى برواجع..عليك ولكن خل عينك تدمعا. الشعر للصمة بن عبد الله القشيري[3] فوالله إن قمت للصلاة مما دخا علي، فلما رأى ما نزل بي، قال: يا ابن أمي! أرى نفسك قد استجابت وطابت، فهل لك في زيادة؟ قلت: ويحك! مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أنا أعرف بالله ورسوله منك، فدعنا من جهلك، وتغنى: فلو كان واش باليمامة داره..وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا..وما بالهم لا أحسن الله حفظهم..من الحظ هم في نصر هم ليل حياليا. الشعر لمجنون بني عامر الملوح[4] قال: فقال له صاحبه: يا ابن أخي! أحسنت والله، عتق ما يملك لو أن هذا في موضع أمير المؤمنين الرشيد لخلع عليك ثيابه مشقومة طربا، قال: فقمت وهما لا يعلمان من أنا، فدخلت على أمير المؤمنين الرشيد، فحدثته، فقال: أدركهما لا يفوتانك، فوجهت من أتى بهما، فلما دخلا عليه ودخلا بوجوه قد ذهب ماؤها، وأنا قائم على رأسه، فقال: يا إبراهيم! هذان هما؟ قلت: نعم، يا أمير المؤمنين، فنظر المغني منهما إلي وقال: سعاية في جوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فسري عن أمير المؤمنين بعض غضبه، فقال: ما كنتما فيه؟ قالا: خير، قال: فما من ذلك الخير؟ فسكتا، فقال للمغني منهما: من أنت؟ فابتدره جماعة فقالوا: يا أمير المؤمنين! هذا ابن جريج[5] فقيه أهل مكة، فقال: فقيه يتغنى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: يا أمير المؤمنين! لم يكن ذلك بالقصد مني، ولكني سمعت من هذا المخزومي –يعني صاحبه– صوتين لم يزالا في قلبي حتى التقينا وأحببت أن يأخذهما علي فأخذهما علي، وحلفت إني قد أحسنت وأنه لو كان في موضع أمير المؤمنين لخلع علي، وسكت. فقال: إن كنت تركت من الحديث شيئا فهاته، فقال: ما تركت يا أمير المؤمنين شيئا، قال: والله لتقولن ما قال أو لأضربن عنقك. قال: يا أمير المؤمنين! قال: لو كنت في موضعه لخلعت عليه ثيابك مشقوقة طربا، فتبسم الرشيد وقال: أما هذا فلا، ولكن سأنبذها لك صحيحة فهو خير لك، ثم دعا بثياب ونبذ إليه ثيابه، وأمر له بعشرة آلاف درهم، ولصاحبه بخمسة آلاف درهم، وقال: لا تعود لمثل هذا. قال: فقال صاحب ابن جريج: إلا أن تحج ثانية يا أمير المؤمنين، فضحك وقال: ألحقوه بصاحبه في الجائزة.

----

(5) ابن جريج، عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد: فقيه الحرم المكي. كان إما م أهل الحجاز في عصره. وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة. رومي الاصل، من موالي قريش. مكي المولد والوفاة. قال الذهبي: كان ثبتا، لكنه يدلس. مات سنة 150 هـ

(4) مجنون ليلى، قيس بن الملوح بن مزاحم العامري: شاعر غزل، من المتيمين، من أهل نجد. لم يكن مجنونا وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلى بنت سعد. قيل في قصته: نشأ معها إلى أن كبرت وحجبها أبوها، فهام على وجهه ينشد الاشعار ويأنس بالوحوش، فيرى حينا في الشام وحينا في نجد وحينا في الحجاز، إلى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحمل إلى أهله. سنة 68 هـ

(3) الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة القشيري، من بني عامر بن صعصعة، من مضر: شاعر غزل بدوي. من شعراء العصر الاموي، ومن العشاق المتيمين. كان يسكن بادية العراق، وانتقل إلى الشام. ثم خرج غازيا يريد بلاد الديلم، فمات في طبرستان نحو سنة 95 هـ وهو صاحب الابيات التي منها: قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى، وقل لنجد عندنا أن يودعا.

(2) هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الرشيد ابن المهدي ابن المنصور. ولد بالري سنة 147 هـ ، وبويع له بمدينة السلام بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170 هـ، وتوفي بطوس سنة 193 هـ، وكان يحج سنة ويغزو سنة.

(1) إبراهيم الجرجاني ؟ هل هو : إبراهيم بن سلم بن قتيبة الحراني ؟ كانت له عند الهادي منزلة عظيمة

حكى الإمام محمد بن ظفر قال: كان الرشيد مع ظلمه، وعظيم ملكه، وجبروته يعتريه خوف الله، فمن ذلك أن خارجيا خرج عليه، فقتل أبطاله، وانتهب أمواله مرارا، ثم إنه جهز إليه جيشا كثيفا، فقاتلوه فغلبوه بعد جهد، وأتوا به الرشيد، فجلس مجلسا عاما وأمر بإدخاله عليه، فلما مثل بين يديه قال: يا هذا، ما تريد أن أصنع بك؟ قال: ما تريد أن يصنع الله بك إذا وقفت بين يديه؟! فعفا عنه وأمر بإطلاقه. فلما خرج، قال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين، رجل قتل أبطالك، وانتهب أموالك، تطلقه بكلمة واحدة؟ هذا مما يجرئ عليك أهل الشر، فقال الرشيد: ردوه، فعلم الرجل أنه قد تكلم فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تطعهم، فلو أطاع الله الناس فيك، ما ولاك طرفة عين، قال: صدقت، ثم أمر له بصلة.

مراجع: جمع الجواهر في الملح والنوادر/ الأعلام للزركلي/ مصنف ابن أبي شيبة/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/

◆ أبو البختري وهب بن وهب، قاضي ووالي المدينة (عامل، أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور، خامس ملوك الدولة العباسية) وسعيد بن عمرو 0807

قال الزبير بن بكار:كان سعيد بن عمر بن الزبير[1] من جلساء مالك وأصحابه، قد ولي الشرطة بدمشق للعباس بن محمد بن إبراهيم[2] ثم دعاه أبو البختري وهب بن وهب[3] إلى ولاية شرط المدينة ووهب بن وهب إذ ذاك يليها لأمير المؤمنين هارون الرشيد فأبى ذلك عليه فحلف وهب ليضربنه وليسجننه ثم لا يرسله ما دام له سلطان، فقبل عمله، وأعطاه وهب بن وهب مائة دينار وذلك بعد صلاة العصر، فانصرف سعيد بن عمرو إلى منزله، ومضى معه رسول أبي البختري بالمائة الدينار، فلما صار إلى منزله قال له الرسول: خذ هذه الدنانير. قال: ضعها في تلك الكوة، فلما أصبح سعيد جلس في الرحبة، وأرسل إلى من يليه من فقهاء المدينة، وهم أبو زيد محمد بن زيد الأنصاري[4]، ومطرف بن عبد الله اليساري[5]، وعبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون[6]، فقال لهم: رزقني الأمير ثلاثين دينارا، فأنا أقسمها بينكم، لكل رجل عشرة دنانير، وقد استخلصتك (استخلفتك) يا أبا زيد. فقال أبو زيد: إن عشرة دنانير لمستزاد لها ولكني ضعيف عن أن أخلفك أصلحك الله. وقال لعبد الملك: وأما أنت يا عبد الملك فقد استكتبتك. فقال له عبد الملك: إن عشرة دنانير لكل شهر لمرغوب فيها، ولكني ضعيف البصر، ولا يكون الكاتب ضعيف البصر. قال: وأما أنت يا مطرف فقد استعملتك على الطواف. قال: وكان مطرف ضيقا، فقال: والله لو استعملتني على عملك ما قبلته، فكيف أعمل لك على الطواف؟ فقال: ما أنا بتارككم ولا معفيكم إلا أن أعفى من ولاية الشرط. فدخلوا على أبي البختري، فذكروا ذلك له، فلما جاءه كلمه في تركهم، فقال له سعيد: ليس لك أن تكرهني، وتمنعني من إكراههم، فقال له انظر في أمرك ولا تعجل، فحلف له سعيد فاجتهد أن لا يعمل له إلا أن يدعه يكره على العمل من رأى. فقال له: ضع سيفنا. فوضع السيف وانصرف إلى منزله، وألحقه أبو البختري رسولا فقال له: يقول لك الأمير اردد المائة الدينار التي أعطيتك، فقال للرسول: أين كنت وضعتها؟ قال أمرتني: أن أضعها في تلك الكوة، قال: فانظرها حيث وضعتها فأخذها الرسول من الكوة، وذهب بها إلى أبي البختري، فقال في ذلك سعيد بن عمرو: أظن وهب بن وهب أن أكون له..لما تغطرس في سلطانه تبعا.

وفي رواية: زعم النميري، عن أبي يحيى الزهري، قال: أراد أبو البختري تولية سعيد بن عمرو الزبيري شرطه فأبى عليه، فأكرهه فامتنع، فقال: قد وليت شرط عبد الله بن محمد بن إبراهيم؛ فإن قلت: إنه عباسي، فإن لي قرابتي وسني، فلان له، فألبسه السواد في مقعده، وقلده سيفا، وقال:صلى بالناس العتمة، ففعل فانصرف إلى أهله فندم، وأراد أبو البختري أن يؤكد عليه، فأرسل إليه: أن صلى بالناس الصبح، فإني عليل، فأبى أن يفعل، وغدا حين أصبح إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس به، وأرسل إلى مطرف بن عبد الله اليساري، وعبد الملك بن الماجشون ولأبي غزية الأنصاري؛ وعبد الله بن نافع الصائغ؛ فقال: لمطرف: قد وليتك السجن، وقال: لأبي غزية: قد وليتك السور، وقال: لابن رافع: قد وليتك كذا، وقال: لعبد الملك: قد وليتك كتابتي، فأبوا عليه فقال: إن كان لأبي البختري أن يكرهني، فلي أن أكرهكم فبلغ أبا البختري، فقال: ترسل إلى أعلام الناس، ورؤسائهم تريد أن تشاكل بهم الناس؛ اخلع سوادنا، واردد ما أعطيناك، فانتزع سيفه، وأخذ مائة دينار كان وهبها له، وأمر به فجعل يدفع في قفاه، وهو يكبر وقال: في ذلك: أراد وهب بن وهب أن أكون له..لما تغطرس في سلطانه تبعا (البيت من عدة أبيات وردت له في أخبار القضاة لوكيع).

■ (1) سعيد بن عمرو بن الزبير بن عمرو بن عمرو بن الزبير بن العوام، من جلساء مالك وأصحابه، روى عن مالك بن أنس وعبد الرحمن بن أبي الزناد ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ في كتاب مزكى رواة الأخبار في تسمية الرواة عن مالك ونسبه إلى دمشق وأرى أنه فعل ذلك لسكناه بها فإنه ولي الشرطة بدمشق في إمارة العباس بن محمد الهاشمي ثم دعاه أبو البختري وهب بن وهب إلى ولاية شرط المدينة فما لبث أن أعفاه.

■ (3) أبو البختري وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد ، القرشي الأسدي المدني، حدث عن عبيد الله بن عمر العمري وهشام بن عروة بن الزبير وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم، وكان متروك الحديث مشهورا بوضعه، انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولاه القضاء بعسكر المهدي في شرقي بغداد، ثم عزله وولاه القضاء بمدينة رسول الله بعد بكار بن عبد الله الزبيري، وجعل إليه ولاية حربها مع القضاء، ثم عزله فقدم بغداد وأقام بها إلى أن توفي سنة200 هـ ببغداد، في خلافة المأمون. وأبو البختري: مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء، وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحتري وهو الشاعر.

■ (2) العباس بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس كان وولى مكة ثم عزله هارون الرشيد وولى سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي .

■ (5) مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار اليساري الهلالي أبو مصعب المدني مولى ميمونة زوج النبي وكان ابن أخت مالك بن أنس ويقال أن مطرفا لقب..قيل إن مولده سنة 137 هـ ومات سنة 214 هـ وقيل مات سنة 220 هـ

■ (6) عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون القرشي التيمي مولاهم أبو مروان المدني الفقيه صاحب مالك بن أنس روى عن إبراهيم بن سعد وعبد الرحمن بن أبي الزناد وأبيه عبد العزيز بن الماجشون ومالك بن أنس ومسلم بن خالد الزنجي وخاله يوسف بن يعقوب بن الماجشون.قال أبو عمر بن عبد البر كان فقيها فصيحا دارت عليه الفتيا في زمانه إلى موته وعلى أبيه قبله وهو فقيه بن فقيه وكان ضرير البصر قيل إنه عمي في آخر عمره. قيل إنه مات سنة 212 هـ وقيل سنة 214 هـ

■ (4) أبو زيد محمد بن زيد الأنصاري وفي رواية قيل: أبو غزية الأنصاري (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُقَرِّبُونَ شِرَارَ النَّاسِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلَا يَكُونَنَّ عَرِيفًا وَلَا شُرْطِيًا وَلَا جَابِيًا وَلَا خَازِنًا﴾ قال فيصل بن عبد العزيز رحمه الله: أعلم أن العافية والبعد من المناصب والملوك خير لك وأسلم في دنياك وآخرتك، فمن أراد راحة نفسه، وسلامة دينه فلا يكن أميرا ولا قاضيا، ولا يتعرف بالملوك.. وقال: وإذا كان السلطان صالحا، ووزراؤه وزراء سوء، امتنع خيره من الناس، ولم يستطع أحد أن ينتفع منه بمنفعة، وشبهوا ذلك بالماء الصافي، يكون فيه التمساح، فلا يستطيع أحد أن يدخل فيه، وإن كان محتاجا إليه.

عن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ﴾ قالوا: ينبغي لمن صحب السلطان* أن لا يكتم عنه نصيحة وإن استثقلها، وليكن كلامه له كلام رتق، لا كلام خرق، حتى يخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك، ولكن يضرب له الأمثال، ويخبره بعيب غيره ليعرف عيب نفسه.

- قلت: لا شك أن المراد بالسلطان:الإمام المسؤول الذي إذا أخطأ رجع، وإذا أساء أحسن ولم يخرج بذلك عن أن تكون طاعته واجبة في سائر الأحكام التي لا معصية فيها.

مراجع: تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ جمهرة نسب قريش وأخبارها/ ترتيب المدارك وتقريب المسالك/ تاريخ خليفة بن خياط/ تهذيب الكمال/ أخبار القضاة/

قال عتيق بن يعقوب خرجنا مع مالك[1] إلى المصلى يوم عيد ومالك يمشي، وخرج عبد الملك بن صالح[2] أمير المدينة في سلاح وتعبيه ورايات وأعلام فنظر إليهم مالك فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما هكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون. فبلغ ذلك عبد الملك فأتاه في المصلى. فقال: يا أبا عبد الله ما الذي أنكرت؟ قال ما رأيت معك. إنما أتى الناس الصلاة خاشعين يرجون المغفرة، ولقد أخبرني يحيى بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح مكة في عشرة آلاف أو اثني عشر الآفا وكان راكبا وحط راحلته وتحته قطيفة قيمتها أربعة دراهم منكس الرأس وهو يقول: الملك لله الواحد القهار.وقال عتيق بن يعقوب: دخل مالك يوما على عبد الملك بن صالح، وقد غضب على بعض أهل المدينة، حتى بلغ ذلك منه. فقال له مالك: قال كعب[3] لعمر[4]: في التوارة مكتوب: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء. فقال عمر: لا من حاسب نفسه. فقال كعب: ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه. قال معن: أفتى مالك عند والي المدينة بقتل رجل فأمر الوالي بضرب وسطه. فتهيأ مالك للقيام وقال: لا أقعد بمكان يمثل فيه بأحد. قال الله تعالى: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد] قال الوالي: اقعد أبا عبد الله، لا تضرب وسطه، أضربوا عنقه. قال مصعب وابن زنبر: استفتى والي المدينة مالكا في مسألة، فأبى أن يجيبه، وقال: كيف أجيبك، وقد وليت على المسلمين، خيثم بن عراك؟ فعزله وأفتاه. (خيثم بن عراك بن مالك الغفاري كان صاحب شرطة المدينة ؟)

■ (1) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات.

■ (2) عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس: أمير من بني العباس. ولاه الهادي إمرة الموصل سنة 169 هـ وعزله الرشيد سنة171 هـ ثم ولاه الدينة والصوائف. وولاه مصر مدة قصيرة، فلم يذهب إليها. وولاه دمشق فأقام فيها أقل من سنة. وبلغه أنه يطلب الخلافة، فحبسه ببغداد سنة 187 هـ ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة 193 هـ فأقام بالرقة أميرا إلى أن توفي سنة 196 هـ. كان من أفصح الناس وأخطبهم، له مهابة وجلالة. قيل ليحيى بن خالد البرمكي –لما ولى الرشيد عبد الملك على المدينة- كيف ولاه المدينة من بين أعماله؟ فقال: أحب أن يباهي قريشا ويعلمهم أن في بني العباس مثله.

■ (3) كعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، الذي كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر، فجالس الصحابة، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة.توفي كعب بحمص ذاهبا للغزو في أواخر خلافة عثمان سنة32 هـ

■ (4) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة 6 وقيل 5. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر

قال عبد الرحمن بن غنم: سمعت عمر يقول: ويل لديان من في الأرض من ديان من في السماء؛ إلا من أم بالعدل، وقضى بالحق، ولم يقض على رغب، ولا رهب، ولا قرابة، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه. وعن سالم بن عبد الله بن عمر: أن كعبا قال لعمر: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء، قال عمر: إلا من حاسب نفسه. قال كعب: إلا من حاسب نفسه، فكبر عمر، ثم خر ساجدا. وقال عمر بن الخطاب: الوالي إذا طلب العافية ممن هو دونه أعطاه الله العافية ممن هو فوقه.

قال الدراوردي: كنت نائما في الروضة بين القبر والمنبر فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من القبر متكئا على أبي بكر وعمر ثم رجع فقمت إليه فقلت له يا رسول الله من أين جئت؟ قال مضيت إلى مالك بن أنس فأقمت له الصراط المستقيم. قال فأتيت مالكا فأصبته يدون الموطأ فأخبرته بالخبر فبكى، وروى أبو مصعب أن أبا جعفر قال لمالك ضع للناس كتابا أحملهم عليه. فكلمه مالك في ذلك فقال ضعه فما أحد أعلم منك. فوضع الموطأ فلم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر. قال عتيق الزبيري وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة آلاف حديث فلم يزل ينظر فيه سنة ويسقط منه حتى بقي هذا ولو بقي قليلا لأسقطه كله. يعني تحريا. قال سليمان بن بلال لقد وضع مالك الموطأ وفيه أربعة آلاف حديث أو قال أكثر. فمات وهي ألف حديث ونيف يلخصها عاما عاما بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل في الدين. وقال مالك وقد ذكر له الموطأ فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الصحابة والتابعين ورائي وقد تكلمت برأيي على الاجتهاد وعلى ما أدركت عليه أهل العلم ببلدنا. ولم أخرج من جملتهم إلى غيره. وقال أبو موسى الأنصاري: وقعت نار في منزل رجل فاحترق كل شيء في البيت، إلا المصحف والموطأ. قال ابن أبي أويس: قيل لمالك: ما قولك في الكتاب الأمر المجتمع عليه عندنا وببلدنا وأدركت أهل العلم وسمعت بعض أهل العلم؟، فقال: أما أكثر ما في الكتاب فرأيي، فلعمري ما هو رأيي، ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المقتدى بهم الذين أخذت عنهم، وهم الذين كانوا يتقون الله فكثر علي، فقلت رأيي، وذلك إذا كان رأيهم مثل رأي الصحابة أدركوهم عليه، وأدركتهم أنا على ذلك. فهذا وراثة توارثوها قرنا عن قرن إلى زماننا، وما كان أرى فهو رأي جماعة ممن تقدم من الأئمة، وما كان فيه الأمر المجتمع عليه فهو ما اجتمع عليه من قول أهل الفقه والعلم لم يختلفوا فيه. وما قلت الأمر عندنا فهو ما عمل الناس به عندنا وجرت به الأحكام وعرفه الجاهل والعالم. كذلك ما قلت فيه ببلدنا وما قلت فيه بعض أهل العلم، فهو شيء استحسنه في قول العلماء وأما ما لم أسمعه منهم فاجتهدت ونظرت على مذهب من لقيته حتى وقع ذلك موضع الحق أو قريب منه حتى لا يخرج من مذهب أهل المدينة وآرائهم وإن لم أسمع ذلك بعينه فنسبت الرأي إلي بعد الاجتهاد مع السنة وما مضى عليه أهل العلم المقتدى بهم، والأمر المعمول به عندنا، من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة الراشدين مع من لقيت فذلك رأيهم ما خرجت إلى غيرهم. وذكر أحمد بن عبد الله الكوفي في تاريخه: أن كل ما قال فيها مالك في موطأه الأمر المجتمع عليه عندنا فهو من قضاء سليمان بن بلال وهذا لا يصح قال: وما أرسله فيه عن ابن مسعود، فرواه عبد الله بن إديس الأودي وما أرسله عن غيره فعن ابن مهدي. قال الدراوردي: إذ قال مالك على هذا فأدركت أهل العلم ببلدنا والأمر عندنا، فإنه يريد ربيعة وابن هرمز. قال عمر بن أبي سلمة: ما من مرة أقرأ الجامع من الموطأ إلا رأيت في منامي رجلا يقول لي: هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فلما قدمنا المدينة بوسيلة إلى مالك، قال لي: أحضر غدا بكتاب المدبر والمكاتب فإنهم اجتمعوا على أن يقرأوه، فبت ليلتين فرأيت قائلا يقول، وأنا نائم: غدا يقرأ على مالك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغدوت إلى مالك ومعي الكتابان فلما رآني قال لي: أي شيء معك؟ قلت: المكاتب والمدبر. فقال: إنهم قد بدا لهم وأجمعوا على قراءة الجامع فذكرت له الرؤيا، فقال لي: صدق، وهو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال صفوان بن عمر بن عبد الواحد: عرضنا على مالك الموطأ في أربعين يوما، فقال: كتاب ألفته في أربعين سنة، أخذتموه في أربعين يوما، قل ما تتفقهون فيه. قال غيره: أول من عمل الموطأ عبد العزيز بن الماجشون عمله كلاما بغير حديث فلما رآه مالك قال: ما أحسن ما عمل، ولو كنت أنا لبدأت بالآثار، ثم شددت ذلك بالكلام ثم عزم على تصنيف الموطأ. فعمل من كان بالمدينة يومئذ من العلماء الموطئات فقيل لمالك: شغلت نفسك بهذا الكتاب وقد شاركك فيه الناس وعملوا أمثاله. فقال: ائتوني بها فنظر فيها ثم نبذها، وقال: لتعلمن ما أريد به وجه الله تعالى. قال مطرف: قال لي مالك: ما يقول الناس في موطأي؟ قلت: الناس رجلان محب مطر، وحاسد مفتر. فقال: إن مد بك العمر فسترى ما يراد به الله. قال: فكأنما ألقيت تلك في الآبار. ما سمع منها شيء بعد ذلك. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما وضع مالك الموطأ جعل أحاديث زيد في آخر الأبواب، فقلت له: ذلك فقال: إنها كالشرح لما قبلها. قال أبو داود: قيل لمالك: ليس في كتابك حديث غريب.قال سررتني. وقال أبو زرعة:لو حلف رجل بالطلاق على أحاديث مالك التي بالموطأ أنها صحاح كلها لم يحنث، ولو حلف على حديث غيره كان حانثا.قال ابن أبي سوار الجدي: سمعت مالكا يقول: الأمر عندنا كذا، فأخبرت به ابن أبي ذئب، فقال: ما يحل لمالك أن يقول هذا، ليس هذا مما نحن عليه. قال فأعلمت مالكا.فقال:أنا لا أعتد برأي ابن ذئب، أعتد بمن أدركت من أهل العلم

قال سعيد بن أبي زنبر: كتب مالك رحمه الله إلى بعض الخلفاء كتابا يعظه فيه: أما بعد، فإني كتبت إليك كتابا لم آل فيه رشدا، ولم أدخر فيه نصحا. تحميد الله وأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتدبر ذلك بعقلك، ورد فيه بصرك، وأوعه سمعك، واعقله بعقلك، واحضره فهمك، ولا تغيبن عنه ذهنك، فإن فيه الفضل في الدنيا وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة. ذكر نفسك غمرات الموت، وما هو نازل بك منه، وما أنت موقوف عليه بعد الموت، من العرض على الله تعالى، ثم الحساب، ثم الخلود بعد الحساب، إما إلى الجنة، وإما إلى النار، وأعد له ما تسهل به عليك أهوال تلك المشاهد وكربها، فإنك لو رأيت أهل سخط الله وما صاروا إليه من أنواع العذاب، وشدة نقمة الله، وسمعت زفيرهم في النار، وتنهيقهم مع كلوح وجوههم وطول غمتهم وتقلبهم في إدراكها على وجوههم، لا يسمعون، ولا يبصرون، يدعون بالثبور، وأعظم من ذلك حسرة إعراض الله تعالى بوجهه، وانقطاع رجائهم من روحه وإجابته إياهم، بعد طول الغم، أن اخسئوا فيها ولا تكلموني، لم يتعاظمك شيء من الدنيا أردت به النجاة من ذلك، ولا آمنك من هوله، ولو قدمت في طلب النجاة جميع ما لأهل الدنيا، كان ذلك صغيرا، ولو رأيت أهل طاعة الله، وما صاروا إليه من كرامة الله، ومنزلتهم من قربهم من الله تعالى، ونضرة وجوههم ونور ألوانهم، وسرورهم بالنظر إليه، والمكانة منه، والجاه عنده مع قربه منهم، لتقلل في عينك عظيم ما طلبت به الدنيا، فاحذر على نفسك حذرا غير تقرير، وبادر إلى نفسك قبل أن تسبق إليها، وما تخاف الحسرة فيه عند نزول الموت، وخاصم نفسك لله تعالى على مهل، وأنت تقدر بإذن الله تعالى على جر المنفعة، وصرف الحجة عنها، قبل أن يوليك الله حسابها، ثم لا تقدر على صرف المكروه عنها، ولا جر المنفعة، وصرف الحجة عنها. اجعل الله من نفسك نصيبها بالليل والنهار، إن عمرك ينقص مع ساعات الليل. وأنت قائم على الأرض وهو يسارِبك، فكلما مضت ساعة من أجلك، والحفظة لا يغفلون عن الدق والجل من عملك، حتى تملأ صحيفتك التي كتب الله عليك، فعليك بخلاص نفسك إن كنت لها محبا، فاحذر وما قد حذرك الله منه تعالى، فإنه يقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران] ولا تحقر الذنب الصغير مع ما علمت من قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة] وقال: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق] وحافظ على فرائض الله واجتنب سخط الله، واحذر دعوة المظلوم، واتق يوما ترجع فيه إلى الله، والسلام.

قال ابن نافع الصائغ:كتب مالك إلى بعض الخلفاء كتابا فيه: اعلم أن الله تعالى قد خصك من موعظتي إياك بما نصحتك به قديما وأتيت لك فيه ما أرجو أن يكون الله تعالى جعله لك سعادة، وأمرا جعل به سبيلك إلى الجنة، فلتكن رحمنا الله وإياك، فيما كتبت إليك مع القيام بأمر الله وما استدعاك الله في رعيته، فإنك المسؤول عنهم صغيرهم وكبيرهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾ وروي في بعض الحديث: أنه يؤتى بالوالي، ويده مغلولة إلى عنقه، فلا يفك عنه إلا العدل، وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: والله إن هلكت سخلة بشط الفرات ضياعا، لكنت أرى الله تعالى سائلا عنها عمر. وحج عشرة سنين وبلغني أنه كان ما ينفق في حجة إلا اثني عشر دينارا. وكان ينزل في ظل الشجرة ،ويحمل على عنقه الدرة، ويدور في الأسواق يسأل عن أحوال من حضره وغاب عنه.وبلغني أنه وقت أصيب حضر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليه، فقال: المغرور من غررتموه، لو أن ما على وجه الأرض ذهبا لا افتديت به من أهوال المطلع.فعمر رحمه الله كان مسددا موفقا مع ما قد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، ثم مع هذا خائف لما تقلد من أمور المسلمين، فكيف من قد علمت؟!. فعليك بما يقربك إلى الله وينجيك منه غدا، واحذر يوما لا ينجيك فيه إلا عملك ويكون لك أسوة بما قد مضى من سلفك،وعليك بتقوى الله فقدمه حيث هممت وتطلع فيما كتبت به إليك في أوقاتك كلها، وخذ بنفسك فتعاهدها والأخذ به والتأديب عليه وأسأل الله تعالى التوفيق والرشاد إن شاء الله تعالى

مراجع: ترتيب المدارك وتقريب المسالك/ الأعلام للزركلي/ ترجمة الأئمة الأربعة/

◆ موسى بن عيسى الهاشمي، والي الكوفة (عامل، أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور، خامس ملوك الدولة العباسية) وشريك بن عبد الله، القاضي 0809

حدث عمر بن الهياج بن سعيد، قال: أتته امرأة يوما، يعني: شريكا [1]، من ولد جرير بن عبد الله البجلي [2] صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مجلس الحكم، فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي، امرأة من ولد جرير بن عبد الله ورددت الكلام، فقال: إيها عنك الآن، من ظلمك؟ فقالت: الأمير موسى بن عيسى [3]، كان لي بستان على شاطئ الفرات لي فيه نخل ورثته عن آبائي وقاسمت إخوتي، وبنيت بيني وبينهم حائطا، وجعلت فيه فارسيا في بيت يحفظ النخل، ويقوم ببستاني، فاشترى الأمير موسى بن عيسى من إخوتي جميعا، وساومني وأرغبني فلم أبعه، فلما كان في هذه الليلة بعث بخمس مائة فاعل فاقتلعوا الحائط، فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئا، واختلط بنخل إخوتي، فقال: يا غلام طينة (أي الخاتم) فختم لها ختاما ثم قال: امضي به إلى بابه حتى يحضر معك، فجاءت المرأة بالطينة فأخذها الحاجب، ودخل على موسى، فقال: أعدى شريك عليك، قال: ادع لي صاحب الشرط، فدعا به، فقال: امض إلى شريك، فقل: يا سبحان الله، ما رأيت أعجب من أمرك، امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها علي، قال: يقول له صاحب الشرط، إن رأى الأمير أن يعفيني فليفعل، فقال: امض ويلك. فخرج فأمر غلمانه أن يتقدموا إلى الحبس بفراش وغيره من آلة الحبس، فلما جاء فوقف بين يدي شريك، فأدى الرسالة، قال: خذ بيده فضعه في الحبس، قال: قد والله يا أبا عبد الله عرفت أنك تفعل بي هذا، فقدمت ما يصلحني إلى الحبس، وبلغ موسى بن عيسى، يعني: الخبر، فوجه الحاجب إليه، فقال: هذا من ذاك رسول، أي شيء عليه؟ فلما وقف بين يديه وأدى الرسالة، قال: ألحقه بصاحبه، فحبس، فلما صلى الأمير العصر بعث إلى إسحاق بن الصباح الأشعثي [4]، وجماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك، فقال: امضوا إليه فأبلغوه السلام، وأعلموه أنه قد استخف بي، وأني لست كالعامة، فمضوا وهو جالس في مسجده بعد العصر، فدخلوا فأبلغوه الرسالة، فلما انقضى كلامهم، قال لهم: ما لي لا أراكم جئتم في غيره من الناس كلمتموني؟ من هاهنا من فتيان الحي، فيأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس، لا بتم والله إلا فيه، قالوا: أجاد أنت؟ قال: حقا حتى لا تعودوا برسالة ظالم، فحبسهم، وركب موسى بن عيسى في الليل إلى باب الحبس، ففتح الباب وأخرجهم جميعا، فلما كان الغد وجلس شريك للقضاء، جاء السجان فأخبره فدعا بالقمطر * فختمها، ووجه بها إلى منزله، وقال لغلامه: الحقني بثقلي إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم، ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا الإعزاز فيه إذ تقلدناه لهم. ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد، وبلغ موسى بن عيسى الخبر فركب في موكبه فلحقه، وجعل يناشده الله ويقول: يا أبا عبد الله، تثبت، انظر إلى إخوانك تحبسهم دع أعواني. قال: نعم، لأنهم مشوا لك في أمر لم يجب عليهم المشي فيه، ولست ببارح أو يردوا جميعا إلى الحبس، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين فاستعفيته مما قلدني. وأمر بردهم جميعا إلى الحبس وهو والله واقف في مكانه حتى جاءه السجان، فقال: قد رجعوا إلى الحبس، فقال لأعوانه: خذوا بلجامه، قودوه بين يدي جميعا إلى مجلس الحكم، فمروا به بين يديه حتى أدخل المسجد، وجلس مجلس القضاء ثم قال: الجويرية المتظلمة من هذا، فجاءت، فقال: هذا خصمك قد حضر وهو جالس معها بين يديه، فقال: أولئك يخرجون من الحبس قبل كل شيء، قال: أما الآن فنعم، أخرجوهم. قال: ما تقول فيما تدعيه هذه؟ قال: صدقت. قال: فرد جميع ما أخذ منها، وتبني حائطها في وقت واحد سريعا كما هدم. قال: أفعل، قال: بقي لك شيء؟ قال: تقول المرأة بيت الفارسي ومتاعه، قال: يقول: موسى بن عيسى: ويرد ذلك، بقي لك شيء تدعينه؟ قالت: لا، وجزاك الله خيرا. قال: قومي، وزبرها، ثم وثب من مجلسه فأخذ بيد موسى بن عيسى فأجلسه في مجلسه ثم قال: السلام عليك أيها الأمير، تأمر بشيء؟ قال: أي شيء آمر؟ وضحك.

قال محمد بن إبراهيم مولى بني هاشم: دخل شريك على هارون الرشيد في يوم الشك، والفقهاء عنده، فلم يزالوا جلوسا إلى أن زالت الشمس فرفع الخبر إلى هارون إن الهلال لم يره أحد وبين يديه تفاح فطرح إلى كل رجل منهم تفاحة فأكلوا، وطرح إلى شريك فلم يأكل، فقال أبو يوسف [5]: يا أمير المؤمنين، إنه يخالفك وقد أبى أن يأكل، قال: يا أمير المؤمنين هو والله خالفك وأصحابه، إنما أنت إمام ونحن رعية، وإذا أفطرت أنت أفطرنا، وليس لنا أن نتقدمك، قال: صدق شريك ثم أكل هارون وأكل شريك.

----

* (القمطر) القمطر والقمطرة ما تصان فيه الكتب (المحاضر؟) (عيسى بن موسى) في سنة 147 خلع المنصور عمه عيسى بن موسى من ولاية العهد وكان السفاح عهد إليه من بعد المنصور وكان عيسى هو الذي حارب له الأخوين محمد و إبراهيم ابني عبد الله بن حسن فظفر بهما فكافأه بأن خلعه مكرها وعهد إلى ولده المهدي

■ (1) شريك بن عبد الله بن الحارث بن أوس النخعي الكوفي. أبو عبد الله، القاضي. أدرك عمر بن عبد العزيز: يعني بالسن، ولم يره. ولد في بخارى سنة95هـ. ونشأ بالكوفة. وسمى البخاري جده سنانا، وسماه أبو نعيم حارثا. استقضاه المنصور على الكوفة سنة 153 هـ، ثم عزله. وأعاده المهدي، فعزله الخليفة موسى الهادي. توفي بالكوفة في أول ذي القعدة سنة 177 هـ

■ (2) جرير بن عبد الله البجلي، أبو عمرو، وقيل كنيته أبو عبد الله وفد على رسول الله سنة عشر في شهر رمضان، ما حجبه النبي مذ أسلم ولا رآه إلا تبسم في وجهه سكن الكوفة فلما وقعت الفتن خرج من الكوفة هو وعدى بن حاتم وحنظلة الكاتب وقالوا لا نقيم ببلدة يشتم فيها عثمان فخرجوا إلى قرقيسيا وسكنوها فكان جرير يخضب رأسه ولحيته ومات جرير سنة 51 هـ وقيل: بعدها وكان موته بالسراة في ولاية الضحاك بن قيس الكوفة وكانت ولاية الضحاك بن قيس الكوفة سنتين ونصفا.

■ (3) موسى بن عيسى بن موسى بن محمد: من آل عباس. ولي الحرمين للمنصور والمهدى، ثم ولي اليمن للمهدى. وولي مصر للرشيد سنة 171 هـ وكان سلفه فيها علي بن سليمان قد هدم الكنائس المحدثة بمصر، فرفع إليه أمرها، فاستشار خاصته، فقالوا: هي من عمارة البلاد، واحتجوا بأن عامة الكنائس التي بمصر ما بنيت إلا في الإسلام في زمن الصحابة والتابعين، فأذن في بنائها، فبنيت كلها.وأقام على الولاية سنة وخمسة أشهر ونصفا.وصرف عنها سنة 172 هـ فعاد إلى العراق، فولاه الرشيد الكوفة، فدمشق.ثم أعيد ثانية إلى إمرة مصر سنة 175 هـ وصرف سنة 176 هـ وأعيد ثالثة سنة 179 هـ وصرف سنة 180 هـ فأقام ببغداد إلى أن توفى سنة 183 هـ

■ (4) إسحاق بن الصباح الكندي الأشعثي (الكبير) الكوفي من ولد الأشعث بن قيس ولي الكوفة مرتين للمهدي وللرشيد... وأما إسحاق بن الصباح الكندي الأشعثي (الصغير) الكوفي من ولد الأشعث بن قيس. مات بمصر سنة 277 هـ. وأظنه حفيد الذي قبله ذكرناه للتمييز بينهم

■ (5) أبو يوسف القاضي [صاحب أبي حنيفة] الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ. حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطاة. وحدث عنه يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وعلي بن الجعد، وأسد بن الفرات، وابن سماعة، وهلال الرأي، وعمرو الناقد، ومعلى بن منصور، ومحمد بن الحسن، وعدة.

☪

عن إسماعيل الطلحي يحدث عن عبد الرحمن بن شريك قال: جاء كتاب أبي جعفر إلى أبي وهو في مجلس القضاء ففتحه فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله أبي جعفر أمير المؤمنين إلى شريك بن عبد الله. فقال الذي جاء به: اقرأ، فصاح به: يا أحمق الناس، وأنت تصلح لهذا الأمر؟ أقرأ عليك كتابي تعرف ما فيه. قال: يفرغ الآخر من كلامه وقال للخصوم: انصرفوا، وقال ليس هذا يوم قضاء، وثبت مكانه حتى الظهر ودخل فتوضأ، ثم خرج فصلى العصر وثبت مكانه حتى صلى العشاء، ثم دخل فقال: أستخير الله ثلاثا ثم قال: لابنته: أشعلي النار، فلما توجهت النار قال: أستخير الله ثلاثا، ثم ألقاه وبكى وقال: والله لو فعلت ما كان إلا النار النار النار. فما أخبرنا في شيء مما كان فيه حتى مات.

☪

سئل فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله: عن حكم صوم يوم الشك؟ فأجاب فضيلته بقوله: صيام يوم الشك أقرب الأقوال فيه أنه حرام، لقول عمار بن ياسر رضي الله عنه: ﴿مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ ولأن الصائم في يوم الشك متعد لحدود الله عز وجل، لأن حدود الله أن لا يصام رمضان إلا برؤية هلاله، أو إكمال شعبان ثلاثين يوما، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ فَلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ﴾ ثم إن الإنسان الذي تحت ولاية مسلمة يتبع ولايته، إذا ثبت عند ولي الأمر دخول الشهر فليصمه تبعا للمسلمين، وإذا لم يثبت فلا يصمه. وقد سبق لنا ما إذا رأى الإنسان وحده هلالا رمضان هل يصوم أو لا يصوم؟ [كتب ورسائل للعثيمين] قال صلة بن زفر: كنا عند عمار في اليوم الذي يشك فيه من شعبان، أو رمضان، فأتينا بشاة مصلية، فتنحى بعض القوم، فقال: إني صائم، فقال عمار: ﴿مَنْ صَامَ هَذَا الْيَوْمَ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ أخرجه الترمذي، وأبو داود، والنسائي. قال سماك بن حرب: دخلت على عكرمة في يوم – يعني : قد أشكل: من رمضان هو، أو من شعبان ؟ – وهو يأكل خبزا وبقلا ولبنا، فقال لي: هلم ، فقلت : إني صائم، فقال –وحلف بالله–: لتفطرن: قلت: سبحان الله ! مرتين، فلما رأيته يحلف لا يستثني تقدمت، فقلت: هات الآن ما عندك، قال: سمعت ابن عباس يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَحَابَةٌ أَوْ ظُلْمَةٌ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ عِدَّةَ شَعْبَانَ وَلَا تَسْتَقْبِلُوا الشَّهْرَ اسْتِقْبَالًا وَلَا تَصِلُوا رَمَضَانَ بِيَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ﴾ أخرجه النسائي. وقال مالك بن أنس رحمه الله: سمعت أهل العلم ينهون عن صوم اليوم الذي يشك فيه: إنه من شعبان، أو رمضان ؟ إذا نوي به الفرض، ويرون أن على من صامه على غير رؤية، ثم جاء الثبت أنه رمضان– القضاء ، ولا يرون في صيامه تطوعا بأسا. أخرجه الموطأ. (التثبت) الحجة والبينة.

☪

قال علي الصلابي: ذكر أن المدة بين خلافة أمير المؤمنين علي إلى فتنة السبئية الثانية أو ما يسمى البصرة أو معركة الجمل، خمسة أشهر وواحد وعشرون يوما، وبين دخوله الكوفة شهر، وبين ذلك وخروجه إلى صفين ستة أشهر وروى شهران أو ثلاثة وقد كان دخول أمير المؤمنين الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكره لذلك، فنزل في الرحبة وصلى بالجامع الأعظم ركعتين ثم خطب الناس فحثهم على الخير، ونهاهم عن الشر، ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله وكان على همذان من زمان عثمان، وإلى الأشعث بن قيس وهو على نيابة أذربيجان من أيام عثمان يأمرهما أن يأخذا البيعة له على من هنالك ثم يقبلان إليه، ففعلا ذلك، فلما أراد علي أن يبعث إلى معاوية يدعوه إلى بيعته، قال جرير بن عبد الله البجلي: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين، فإن بيني وبينه ودا، فآخذ لك البيعة منه، فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين، فإني أخشى أن يكون هواه معه. فقال علي: دعه. فبعثه وكتب معه كتابا إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله، أعطاه الكتاب وطلب معاوية عمرو بن العاص ورءوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم، فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر: ألم أنهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرا؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية بابا إلا أغلقته. فقال له جرير: لو كنت ثم لقتلوك بدم عثمان، فقال الأشتر: والله لو بعثتني لم يعيني جواب معاوية، ولأعجلنه عن الفكرة، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة. فقام جرير مغضبا فأقام بقرقيسياء، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وقيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه وهكذا كان الأشتر سببا في إبعاد الصحابي جرير بن عبد الله الذي كان واليا على قرقيسياء وعلى غيرها ورأسا في قبيلته بجيلة، ويضطره إلى مفارقة أمير المؤمنين علي. وهذا الصحابي جرير بن عبد الله البجلي قال: ما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسم في وجهي، وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ رَجُلٌ مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةُ مَلَكٍ﴾.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ أخبار القضاة/ تهذيب الكمال/ كتب ورسائل للعثيمين/ جامع الأصول في أحاديث الرسول/ علي بن أبي طالب للصلابي/

◆ الفضل بن يحيى(عامل، أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور، خامس ملوك الدولة العباسية) وخالد بن يزيد المري 0810

حدث الحسن بن عيسى[1] مولى عبد الله بن المبارك[2]،قال: حبس الفضل بن يحيى[3]–وهو والي خراسان– خالد بن صبيح [4]،حين أراده على قضاء خراسان، فامتنع، وكان أعلم أهل خراسان بقول أبي يوسف، وأحفظهم له، فحبسه الفضل في السجن. قال الحسن: فكنت جالسا مع ابن المبارك إذ دخل علينا أبو يحيى أكثم بن محمد[5]،فقال له ابن المبارك: من أين جئت يا أبا يحيى؟ قال: من السجن، دخلت على خالد بن صبيح، قال: فكيف رأيته؟ قال: رأيت رجلا لو قرض بالمقاريض ما قبل القضاء، وذلك أني سمعته يقول: هبني أعلم الناس بهذا الكلام، كيف لي باختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وما يدريني ما حق منه، حتى آخذ مال هذا، وأدفعه إلى هذا، ولا أدري أحق أم لا، فتهلل وجه ابن المبارك وسره ما سمع، وقال: جزاك الله أبا الهيثم خيرا. وحدث الحسن قال: قيل لابن المبارك: أنه قد سمي للوالي قوم يستشيرهم في قاض ينصبه بمرو، وذكروا النضر بن محمد[6]، وخالد بن صبيح، وابن المبارك، وناسا من مشايخ أهل مرو، فغضب ابن المبارك وقال: تراهم طمعوا في أن أشير عليهم بأحد، لو ذكروا لي الفضيل بن عياض[7] ما أشرت به.

■ (4) خالد بن صبيح المري قاضي البلقاء هو خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح بن الخشخاش بن معاوية بن سفيان المري، أبو هاشم، الدمشقي، والد عرك بن خالد المقرئ الذي يروي الحروف، عن يونس بن ميسرة بن حلبس. وروى عن خلق كثير. مات بعد 160 هـ.

■ (2) أبو عبد الرحمن، عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، مولى بني حنظلة، كان قد جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري ومالك بن أنس ، وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة شديدة التورع، وكذلك كان أبوه. كان عبد الله قد غزا، فلما انصرف من الغزو وصل إلى هيت فتوفي بها في رمضان سنة 181 هـ أو 182 هـ، ومولده بمرو سنة 118 هـ.

■ (3) أبو العباس، الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماسش بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد.وكان ابنه الفضل من رجال الكمال، ولي إمرة خراسان، وعمل الوزارة، وكان فيها – قيل– أسخى من أخوه جعفر البرمكي، ولكنه يضرب بكبره وتيهه المثل، وكان أخا للرشيد من الرضاعة وعمل الوزارة مدة لهارون، ثم حولها منه إلى جعفر، واستعمل على المشرق كله هذا، واستعمل جعفرا على المغرب كله. ولد الفضل البرمكي سنة 176 هـ وتوفي بالسجن سنة 193 هـ.

■ (1) الحسن بن عيسى بن ماسرجس أبو علي النيسابوري، مولى ابن المبارك، قدم بغداد حاجا، وحدث بها، كان ثقة، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي. مات في المنصرف من مكة بالثعلبية سنة 239 هـ.

■ (5) أبو يحي، كثم بن محمد بن قطن بن سمعان التميمي المروزي، كان يختلف هو وأخوه منصور إلى ابن المبارك ومات أكثم سنة 188 هـ وصلى عليه خالد بن صبيح وكان ابن المبارك يجله.

■ (6) النضر بن محمد المروزي من أهل مرو.أبو عبد الله المروزي، كان مقدما عندهم في العلم والفقه والعقل والفضل وكان صديقا لعبد الله بن المبارك وكان من أصحاب أبي حنيفة. يروي عن الأعمش وسليمان الشيباني وابن أبى خالد . مات يوم النحر سنة 283 هـ وكان مرجئا. قال الأزدي ضعيف وصلحه غيره وكان صاحب رأي.

■ (7) أبو علي، الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الفنديني، الزاهد المشهور، كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تاليا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد] فقال: يا رب قد آن، فرجع، وآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وآمنهم. ومناقب الفضيل كثيرة. ومولده بأبيورد، وقيل بسمرقند، ونشأ بأبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها، ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات سنة 187هـ.

قال إدريس أبو عبد الله بن إدريس: أتيت سعيد بن أبي بردة فسألته عن رسائل عمر التي كان يكتب بها إلى أبي موسى، وكان أبو موسى قد أوصى إلى أبي بردة، فأخرج لي كتابا فرأيت في كتاب منها: أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، واس بين الاثنين في مجلسك، ووجهك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس وضيع، وربما قال: ضعيف من عدلك؛ الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك، وربما قال: في نفسك؛ ويشكل عليك ما لم ينزل في الكتاب، ولم تجر به سنة، وأعرف الأشباه، والأمثال، ثم قس الأمور بعضها ببعض، فانظر أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق فاتبعه، واعمد إليه؛ لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس، راجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك، فإن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل؛ المسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجلودا أو مجربا عليه شهادة زور، أو ظنينا في ولاء قرابة، اجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهي إليه، أو بينة عادلة فإنه أثبت للحجة، وأبلغ في العذر، فإن أحضر بينته إلى ذلك الأجل أخذ حقه، وإلا وجهت عليه البينة على من أدعى، واليمين على من أنكر، إن الله عز وجل تولى منكم السرائر، ودرأ عنكم بالشبهات، وإياك والغلق، والضجر، والتأذي بالناس، والتنكر للخصم في مجالس القضاء التي يوجب الله فيها الأجر، ويحسن فيها الذخر؛ من حسنت نيته، وخلصت فيما بينه وبين الله، كفاه الله ما بينه وبين الناس؛ والصلح جائز بين الناس إلا صلحا أحل حراما، أو حرم حلالا، ومن تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شانه الله، فما ظنك بثواب عند الله في عاجل دنيا، وآجر آخرة، والسلام.

مراجع: سير أعلام النبلاء/ تاريخ بغداد/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ وفيات الأعيان/ صفة الصفوة/ معجم البلدان/ إكمال الكمال/ المؤتلف والمختلف للإمام الدارقطني/ الثقات لابن حبان/ الجرح والتعديل/ـمختصر صفة الصفوة لابن الجوزاي/ـ

◆ ابن بكار بن عبد الله، والي المدينة (عامل، أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور، خامس ملوك الدولة العباسية) وسلمة بن عكرمة والدراوردي 0811

عن نقي بن دينار و مصعب قال: أمر هارون الرشيد ابن بكار بن عبد الله[1] والي المدينة أن يولي على الصدقات التي جعلها هارون لفقراء أهل المدينة خير رجلين بالمدينة قال: فلم يوجد بالمدينة يومئذ خير من سلمة بن عكرمة المخزومي[2] والدراوردي[3] قال: فدعاهما ابن بكار وأقرأهما كتاب هارون الرشيد إليه فأبيا عليه، فكتب إلى هارون بذلك، فأجابه: تالله لئن ولينا أعمالنا شرارنا ليرون ذلك من حيفنا وجورنا، ولئن وليناها خيارنا ليأبون علينا. اضرب كل واحد منهم ثلاثين سوطاً في كل يوم حتى يلياها. وكان سلمة قد أنهكته العبادة وما بقي فيه شيء، فقال لهما ابن بكار: والله إنكما لمن أجل أهل المدينة عندي، والله لأنفذن فيكما كتاب أمير المؤمنين أو تليانها. فبكى سلمة، وقال:والله إن ضربت ثلاثين سوطاً لأموتن. فقال له الدراوردي: ويحك يا سلمة تموت تحت السياط خير لك من النار. فقال سلمة: إنك والله قد وجدت مس السياط، فإنك لا تباليها. فكلم الناس الدراوردي، وقالوا إليه: إنما هي صدقة على المساكين وأنت فيها مأجور فولياها جميعاً، وقد كان هارون حلف على الدراوردي قبل هذا في عمل أراد أن يستعمله فيه فأبى فحلف ليضربنه أو ليلين، فحلف الدراوردي فضربه اثنين وثلاثين سوطاً موجعة فما ولي. وفي رواية الزبير بن بكار[4] قال حدثنا الزبير قال، وحدثني عمي مصعب بن عبد الله قال: كان أبي[5] يكره الولاية، فعرض عليه أمير المؤمنين هارون الرشيد ولاية المدينة، فكرهها وأبى أن يليها، وألزمه ذلك أمير المؤمنين الرشيد، فأقام بذلك ثلاث ليال يلزموها ويأبى عليه قبولها، ثم قال في الليلة الثالثة: أغد علي بالغداة إن شاء الله. فغدا عليه، فدعا أمير المؤمنين بقناة وعمامة، فعقد اللواء بيده، ثم قال له: عليك طاعة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فخذ هذا اللواء. فأخذه، وقال له: أما إذ ابتليتني يا أمير المؤمنين بعد العافية، فلا بد لي من أن أشترط لنفسي. قال له: فأشترط لنفسك. فأشترط خلالا، منها أنه قال له: مال الصدقات مال قسمه الله بنفسه، ولم يكله إلى أحد من خلقه، فلست أستجير أرتزق منه، ولا أن أرزق المرتزقة منه، فأحمل معي رزقي ورزق المرتزقة من مال الخراج. قال: قد أحببتك إلى ذلك. قال: وأنفذ من كتبك ما أرى، وأقف عما لا أرى. قال: وذلك لك. فولى المدينة، وكان يأمر بمال الصدقات يصير إلى عبد العزيز بن محمد الدراوردي وإلى آخر معه، وهو يحيى بن أبي غسان[6] الشيخ الصالح، من أهل الفضل، فكانا يقسمانه. ثم وله أمير المؤمنين هارون الرشيد اليمن، وزاده معها ولاية عك، وكانت عك إلى والي مكة، ورزقة ألفي دينار في كل شهر. فقال يحيى ابن خالد[7]: يا أمير المؤمنين، كان رزق والي اليمن ألف دينار، فجعلت رزق عبد الله ابن مصعب ألف دينار، فأخاف أن لا يرضى أحد توليه اليمن من قومك، ومن الرزق بأقل مما أعطيت عبد اله بن مصعب، فلو جعلت رزقه ألف دينار كما كان يكون، وأعضته من الألف الآخر مالا تجيزه به، لم تكن عليك حجة لأحد من قومك في الجائزة. فصير رزقه ألف دينار، وأجازه بعشرين ألف دينار. قال مصعب بن عبد الله: قسم أبي مال اليمن كله في السهمان التي أمر الله بها، ولم يرفع منه شيئا. فأمضى ذلك أمير المؤمنين الرشيد. قال مصعب بن عبد الله : وأرسل أبي عبد الله ابن مصعب رسلا غير قليل يستعفى من ولاية اليمن، فلا يعفيه أمير المؤمنين من ولايتها حتى كنت أن آخر من خرج يستعفي له، فأعفاه. وسار في أهل اليمن من العدل بما هم يذكرونه بعد وفاته. وكانوا يصيحون بأمير المؤمنين الرشيد إذ حج: رد علينا ابن مصعب. فيقول لبعض من معه: واين ابن مصعب رحمه الله؟ حدث عثمان بن عمران بن عثمان بن عبد الله ابن زياد، عن أبيه قال: قال أمير المؤمنين الرشيد: كنا نظن عبد الله ابن مصعب يصحبنا على ما يصحبنا عليه الناس من طلب الدنيا، فعرضناها عليه فلفظها. قال الفضل بن الربيع: مات عبد الله بن مصعب وقد فتح أمير المؤمنين هارون العرق، فدخلت عليه فقلت: يا أمير المؤمنين: مات عبد الله بن مصعب. فنكس ونقر الأرض بقضيب في يده، ثم رفع رأسه إلي فقال: يا فضل، مات أبو بكر؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين! ففعل ذلك ثلاث مرات، كل ذلك يقول لي: يا فضل، مات أبو بكر؟ فلما قال ذلك في الثالثة وقلت له: نعم يا أمير المؤمنين، قال: جبل تضعضع ثم مال بجمعه..في البحر لا رتقت عليه الأبحر.

■ (2) سلمة بن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (3) عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي، الجهني بالولاء، المدني، أبو محمد: محدث. روى عنه خلق كثير، منهم سفيان وشعبة. وكان سيئ الحفظ. نسبته إلى دراورد (من قرى خراسان) أصله منها، ومولده ووفاته بالمدينة186 هـ وقيل سنة 187 هـ.

■ (5) عبد الله بن مصعب بن الزبير المدني الأمير. ولي إمرة المدينة وإمرة اليمن وحمدت سيرته. وكان وسيما جميلا فصيحا مفوها، ولاه الرشيد وجعل له في العام اثني عشر ألف دينار ووصله بعشرين ألف دينار وعقد له اللواء بيده وزاده معهما ولاية عك، وتوفي سنة 184 هـ.

■ (1) بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي. الأمير أبو بكر، ولي المدينة للرشيد اثنتي عشرة سنة وأشهرا. وكان به معجبا وعنده وجيها.وكان جوادا ممدحا.متفقدا لمصالح العوام، شديدا على المبتدعة. أمنت أعمال المدينة في أيامه. مات سنة195 هـ. وقيل في حدود المائتين.

■ (7) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (4) الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، أبو بكر وقيل أبو عبد الله القرشي الأسدي الزبيري قاضي مكة.توفي سنة256 هـ (6) يحيى بن أبي غسان ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

قال أبو الوليد الباجي: لا يطلب أحدكما ولاية ؛ فإن طلبها شين، وتركها لمن دعي إليها زين، فمن امتحن بها منكما، فلتكن حاله في نفسه أرفع من أن تحدث فيه بأوا*، أو يبدي بها زهوا، وليعلم أن الولاية لا تزيده رفعة، ولكنها فتنة ومحنة، وأنه معرض لأحد أمرين: إما أن يعزل فيعود إلى حالته، أو يسيء استدامة ولايته، فيقبح ذكره، ويثقل وزره. وإن استوت عنده ولايته وعزله، كان جديرا أن يستديم العمل فيبلغ الأمل، أو يعزل لإحسانه، فلا يحط ذلك من مكانه.

قال الشيخ عبد الله الجلالي: هناك نصوص تنهى المسلم عن طلب الولاية، فقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى أبا ذر رضي الله عنه عن طلب الولاية، كما نهى أيضا عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه عن ذلك وقال له:﴿يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا﴾ فطلب الإمارة يعتبر خلاف الشرع ؛ لأن الذي يطلب الإمارة إما أنه يريد أن يرتفع على الآخرين في هذه الحياة -أي يريد الدنيا-، ومن منطلق القوة ربما يبطش بهؤلاء البشر، أو أنه يزكي نفسه، وكلاهما خطأ، ولكن يوسف عليه الصلاة والسلام طلب الولاية على بيت المال وعلى وزارة المالية في مصر، فقال: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف] فكيف نستطيع أن نجمع بين هذه الآية وبين ما ورد في الأحاديث من النهي عن طلب الإمارة ؟ يمكن أن نوجهها بأن القاعدة الشرعية تنص على أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه، وقد ورد شرعنا بخلافه، وهذا في شريعة يوسف عليه الصلاة والسلام. ونستطيع أن نقول -وهو الأقرب والله أعلم-: إن يوسف عليه الصلاة والسلام رأى أن البلد قد أقبلت على خطر، وأقبلت على مجاعة شديدة لربما أهلكت البلاد والعباد من خلال الرؤيا التي رآها العزيز، حينما رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، فرأى أن يتولى أمر مالية مصر لتكون الخزانة محفوظة لا يتلاعب بها أحد كما يتلاعب كثير من الناس بأموال الدول الإسلامية اليوم، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لأن مال المسلمين محترم أكثر من مال الفرد، فكما أنه تقطع يد السارق إذا سرقت مال الفرد فإن أموال الدولة والمسلمين محترمة أكثر من ذلك؛ لأنها يدلي فيها كل واحد من هؤلاء المسلمين، فرأى يوسف عليه الصلاة والسلام أن العالم قد أقبل على هاوية وعلى مجاعة، وأنه لو تولى أمر هذه البلاد فإنه سوف يصلح الأمور، ولذلك يقول العلماء: إذا علم من يطلب الولاية أنه يستطيع أن يقوم بها على خير وجه، وأن غيره ربما يقصر فتتدهور الأمور ففي مثل هذه الحال يطلب الإمارة ويطلب الولاية ويطلب السلطة. كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف].حدث إبراهيم بن ميسرة عن سالم قال: بلغني أن عمر رضي الله عنه قال: لا يحب الإمارة أحد فيعدل.

- قلت: طلب نبي الله ولاية خزائن مصر استدلال في غير محله: أولا، لأن يوسف عليه السلام نبي معصوم يأتيه الوحي من الله عز وجل: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾؟ [يوسف] ثانيا: هل نسي علمائنا الأجلاء الأحاديث كما في صحيح مسلم: عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ﴾ وقد سأل عم النبي صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو غيرها فقال له النبي عليه الصلاة والسلام:﴿يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ النَّبِيِّ، نَفْسٌ تُحْيِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا﴾ نصيحة منه لعمه وشفقة عليه..فهل أنت -يا طالب الولاية- خير من عم النبي؟!ثالثا: قد يقول القائل: إن طلب الولاية هو الطريق الوحيد لتغيير هذه الأنظمة الفاسدة من الداخل. قلت: ذلك ما كنا نبغ. لكنه طريق مستحيل لأسباب يطول شرحها منها: أن المراكز المتحكمة في البلاد العربية منها ما هو داخلي (مافيوي) ومنها ما هو خارجي(استخباراتي) والداخلية: مافيوية ومغلقة، أي تتسارع وتتوارث داخليا، ولا يقربها إلا هالك أو مطرود من رحمة الله، وتتغذى على الجهالة والمعمعية* ومحمية بقوى غربية، لا يمكن أن تسمح بأي تغيير.خصوصا في التعليم الذي إصلاحه يعني صلاح العباد والبلاد:﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[النمل]والتطهير هنا يعني حتمية زوال هذه الدمى الغربية (الملوك والعسكر) عن مواقع اتخاذ القرار الظاهرة والخفية كالعلبة السوداء في الجزائر وطابور الملاحدة (أذناب فرنسا)في تونس والعائلة والمخزن المغربي..الخ
- لاحظ في المخطط التالي: أن التغيير الجذري له طريقان وكلاهما مستحيل اليوم؟ لوجود عقبتين: العسكر و الجهالة المرتزقة وصدق الكواكبي حين قال:جهالة الأمَّة والجنود المنظَّمة أكبر مصائب الأمم وأهمّ معائب الإنسانية..قلت:يبدوا أن مصيبتنا مع هذا العسكر المريض باقية بقاء الجهالة والمعمعية في الشعب متوارثة لأجيال، هذا إلا إذا حدث تطور في تقنية ما (أي سلاح) ترد عنا كيدهم أو حرب عالمية تشغل الغرب عن نصرة عملاءه الأقزام في المنطقة.وإلى ذلك الحين (الجيل) ما عسانا أن نصنع مع هذا العسكر النابت من المتمسلمين والمدسوس على المسلمين؟

يقول أبو إسحاق الحويني: إن التربية الإسلامية هي الطريق الصحيح إلى التمكين، وأما الذين ينشدون التمكين من خلال التغيير من قمة الهرم فلن يصلوا إلى أي نتيجة؛ إذ من السهل عليك أن ترغم الناس على الالتزام بتعاليم الإسلام الظاهرة؛ لكنك لا تستطيع أن تجبرهم على الولاء والمحبة للإسلام. قلت : التغيير من قمة الهرم يعني تطهير ما يسمى اليوم زورا بالدولة (أي الوكالات الشرطية الغربية في المنطقة) وليس القصد ابتداءً إصلاح شعب المتمسلمين (الهمج الرعاع أتباع كل ناعق) ثانيا:لا تنسى أن خلافة عمر بن عبد العزيز كانت تغيير من القمة بتوجيه من العلماء الربانيين، في ذلك العصر. ثالثا اليوم هذا التغيير مستحيل لأن قمة الهرم مشغولة بعملاء الغرب وهذا يعني استحالة وصول أي مصلح إلى هرم السلطة. عموما هذا النوع من التغيير نظريا يعني: توظيف قوة وسلطة وموارد الدولة في عملية التطهير الجذري للنظام (منظومة الفساد) والبداية تكون باقتلاع عملاء الغرب وعلى رأسهم العسكر والملوك بالقتل والصلب وجوبا (لأنهم قتلة وخونة وكفرة)، مع حبس صناديد العلمانية المتطرفة وكبار المرتزقة، وتحييد الجهالة والمعمعية لاستحالة إصلاحهم وتعزيرهم، وفي نفس الوقت إقامة نظام للعدالة معزز حتى تتأصل وتترسخ، وتصبح عرفا ملزما للحاكم والمحكوم.

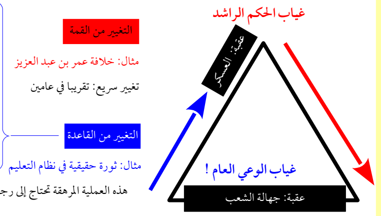

محاولة فاشلة في الجزائر: ذكر الوزير السابق أحمد طالب الإبراهيمي أنه استلم عرضا من عبد القادر حشاني، أحد قادة الإنقاذ حينها، يتضمن تنازل حزب جبهة الإنقاذ عن رئاسة الحكومة لزعيم جبهة القوى الاشتراكية حسين آيت أحمد والاكتفاء بثلاثة حقائب وزارية فقط هي: التعليم، العدالة، والشئون الاجتماعية...وبالفعل قمت بترتيب لقاء له مع صهر الشاذلي رئيس الجمهورية. وأخبرته بهذه التنازلات حتى يبلغها للرئاسة. وأظن أنه بعد وصول خبر هذه المقابلة وما أسفرت عنه إلى قيادات الجيش (مافيا العسكر) قاموا بإقالة الشاذلي أو أنه اجبر على الاستقالة بعد أربعة أيام وقاموا بعدها بإلغاء نتيجة الانتخابات والانقلاب ..

هذه العملية المرهقة تحتاج إلى رجال وتحتاج إلى وقت: ثمرتها الأولى قد تظهر في حدود ربع قرن (أي تستغرق حياة شاب)

- ثورة في التعليم (أي التغيير عن طريق التربية):وتعني خلاصتها تطهير ما يسمى بالدولة*وعلى رأسها الجيش(الطامة الكبرى) من نجاسة العسكر عبر مخرجات التعليم.وهذا التغيير السلمي والبطيء والشاق قد يفضي بعد حين إلى صدام بين بقايا جرذان العسكر والكتلة المؤمنة بالتغيير، وهذا يبقى مجرد احتمال لأن مخرجات التعليم الصحيحة كفيلة بتطهير ما يسمى زورا بالمؤسسات وعلى رأسها الجيش والقضاء والإدارة..بمرور الوقت.وهذا لن يتأتى إلا بعد إبعاد نجاسة العسكر (الجنرالات وكلاب المخابرات والمرتزقة) عن عملية التطهير نفسها، وعزلهم عزلا كليا عن مراكز اتخاذ القرار وآليات التنفيذ، وإذا لزم الأمر إبادتهم كليا، خصوصا أذناب الغرب المدسوسين، بالسجن المؤبد، وبعد أن تختفي إلى الأبد تلك المخلوقات الملعونة مع أتباعها من العلمانيين.حينذاك يتم الالتفات إلى المعركة الهدف: بناء الإنسان السوي (ثمرة ثمرة الثورة)

---

*(البأو) الكبر والفخر (الدولة) في البلاد العربية ما يسمى الدولة في الحقيقة هي وكالة شرطية -وظيفية- للغرب (المعمعي) الرجل الذي يكون مع من غلب، يقال معمع الرجل..

مراجع: تاريخ بغداد/ المحن/ ترتيب المدارك وتقريب المسالك/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ دروس للشيخ أبو إسحاق الحويني/ جمهرة نسب قريش وأخبارها/ تاج العروس/

◆ محمد بن سليمان بن علي، أمير البصرة (عامل، أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور، خامس ملوك الدولة العباسية) وسوار القاضي 0812

كان حماد بن موسى[1] صاحب أمر محمد بن سليمان[2] والغالب عليه، فحبس سوار[3] القاضي رجلا في بعض ما يحبس فيه القضاة، فبعث حماد فأخرج الرجل من الحبس، فخاصمه إلى سوار فأخبره أن حمادا أخرج الرجل من الحبس، فركب سوار حتى دخل على محمد بن سليمان، وهو قاعد للناس، والناس على مراتبهم، فجلس حيث يراه محمد، ثم دعا قائدا من قواده، فقال: أسامع أنت أم مطيع؟ قال: نعم، قال: اجلس ها هنا فأقعده عن يمينه، ودعا آخر من نظرائه ففعل به ما فعل بالأول، فعل ذلك بجماعة من قواد سليمان ثم قال لهم: انطلقوا إلى حماد بن موسى فضعوه في الحبس، فنظروا إلى محمد بن سلمان فأعلموه ما أمرهم، فأشار إليهم أن افعلوا ما يأمركم، فانطلقوا إلى حماد فوضعوه في الحبس، وانصرف سوار إلى منزله، فلما كان بالعشي أراد محمد بن سليمان الركوب إلى سوار، فجاءته الرسل، فقالوا: إن الأمير على الركوب إليك، فقال: نحن أولى بالركوب إليه، فركب إليه، فقال: كنت على المجيء إليك يا أبا عبد الله، فقال: ما كنت لأجشم الأمير ذلك، قال: بلغني ما صنع هذا الجاهل حماد، قال: هو ما بلغ الأمير، قال: فأحب أن تهب لي ذنبه، قال: أفعل أيها الأمير، اردد الرجل إلى الحبس، قال: نعم، بالصغر له والقماء والقماءة*، فوجه إلى الرجل فحبسه، وأطلق حمادا، وكتب بذلك صاحب الخبر إلى الرشيد، فكتب إلى سوار يخبره بالخبر، ويحمده على ما صنع، وكتب إلى محمد بن سليمان كتابا غليظا يذكر فيه حماد ويقول: الرافضي ابن الرافضي، والله لولا أن الوعيد أمام العقوبة ما أدبته إلا بالسيف ليكون عظة لغيره، ونكالا، يفتات* على قاضي المسلمين في رأيه، ويركب هواه لموضعه منك، ويتعرض في الأحكام استهانة بأمر الله تعالى وإقداما على أمير المؤمنين؟! وما ذلك إلا بك، وبما أرخيت من رسنه. تالله لئن عاد إلى مثلها ليجدني أغضب لدين الله تعالى، وأنتقم من أعدائه لأوليائه.

----

*(القماءة) الذل والصغار. مصدر قمؤ الرجل أي صار قميئا، وهو الصغير الذليل، ويقال: قماء أيضا، بدون الهاء (افتات) في الأمر استبد به ولم يستشر من له الرأي فيه ويقال افتات عليه فيه وفلان لا يفتات عليه لا يفعل الأمر دون مشورته والكلام اختلقه ويقال افتات عليه القول افتراه عليه

■ (3) عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة العنبري أبو السوار البصري القاضي، حدث عن أبيه وحماد بن سلمة ومالك وعنه ابنه سوار (القاضي المتوفي سنة 245 هـ) وإسحاق بن راهويه وأبو زرعة وثقه أبو داود، مات سنة 228 هـ ؟

■ (3) سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة التميمي العنبري أبو عبد الله القاضي ابن القاضي ابن القاضي البصري مات سنة 245 هـ ؟

■ (2) محمد بن سليمان بن علي، وابن عم المنصور، أمير البصرة، وليها في أيام المهدي. وكان على البصرة وكور دجلة والبحرين وعمان وكور الاهواز وفارس،والذي ثبت دولتهم بعمله وبلائه يوم باخمرا، وكان قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن على يده، وكان بطلا شجاعا ممدحا، وكان الرشيد يجله، ويبالغ في إكرامه، وقد ولي أيضا الكوفة، وعزل سنة 164 وأعاده الرشيد، وزوجه أخته العباسة بنت المهدي سنة 172 واستمر في البصرة إلى أن توفي.173 هـ وكان غنيا نبيلا، سمت نفسه إلى الخلافة، وصده عن الجهر بطلبها ما كانت عليه من القوة، في أيام المهدي والرشيد قيل: إن الرشيد استولى على تركته، واصطفاها، فكانت بنحو خمسين ألف ألف درهم. كان مولده بالحميمة من الشام سنة 122 هـ. ومات سنة 173 هـ، واصطفى الرشيد عامة ما خلف.

■ (1) حماد بن موسى كاتب محمد بن سليمان (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

قال سعد بن مطر: مفهوم استقلال القضاء في النظام الإسلامي يعني عدم وقوع القضاء تحت تأثير سلبي لسلطة أو شخص أو أي مؤثر في الأحكام القضائية، بحيث ينحرف القضاء عن مقصوده المتمثل في الحكم بالحق وتحقيق العدل. واستقلال القضاء من الضمانات التي يتفق عليها العقلاء، وقد جاء تأكيدها في النصوص الشرعية، من مثل قول الله تعالى:﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة] وقوله:﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة] وعقب ذلك ببيان مآل الإخلال باستقلال القضاء في قوله سبحانه:﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة] وحكم الجاهلية نموذج التخلف الذي يتنافى مع التطوير وإيجابياته ومن مثل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ أَوْ يُعِينُ عَلَى ظُلْمٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ﴾

☪

عن محمد بن صالح العدوي؛ قال: حدثني شيخ من أهل البصرة، كان يجالس سوار بن عبد الله كثيرا، قال: كان رجل من هو، يقال: له جليلان، وكان سوار القاضي قد صلى المغرب في مسجده، فهو يريد أن يصير إلى منزله، وقد جاءت السماء بالمطر، وبينه وبين منزله غدير ماء، فهو قائم على درجة المسجد يروى كيف يعبر، وأقبل جليلان وهو سكران، فلما نظر إليه قال: القاضي؟ فداك أبي، أنت بعد، إني أراك واقفا تريد العبور، امرأته طالق ثلاثا، إن جزت إلى الدار إلا وأنت على ظهري، فقال له: مالك قبحك الله ثم أقبل علينا، فقال: أفرق بينه وبين أهله؟ لا والله ما أرى ذلك تعال حتى أصعد فوق ظهرك؛ قال: فحبا، وحمله فوق ظهره، وأقبل يغوص الماء وترك طريق منزله، فقال: ويحك أين تريد؟ قال: أجنبك قليلا أصلحك الله، قال: لا حاجة لي في هذا، ويلك ! البيت البيت، قال: الشيخ: فلو رأيتنا نناشده الله، ويقول القاضي حتى أدخله منزله.

حدث عمرو بن علي؛ قال:حدثنا معاذ ابن معاذ؛ قال: سمعت سوار بن عبد الله يقول: لما وليت القضاء أرسلت إلى خير ما كنت أعرف، فلم يجئني منهم أحد، ثم بعثت إلى الذين يلونهم، فلم يجئني منهم أحد، فما تابعني على أمري إلا شر من كنت أعرف. وعن علي بن محمد، قال: حبس ابن دعلج، وهو على البصرة، رجلا من ولد الحسن البصري، فأتاه سوار بن عبد الله فقال: أحبست ابن رجل لو أن يزيد بن المهلب في تيهه أدركه نزل حتى يأخذ بركابه، فخلى عنه. وقال: حماد وأحمد جميعا، عن أبيهما، عن عفان، قال: تقدمت امرأة إلى سوار، فجعل يقول: لها غطى يدك، فتغطى، ثم يقول أيضا: غطى، فيبدو أطراف أطراف أصابعها، فأكثر فقالت: إنك أكثرت، قال: الله عز وجل: ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وهو الوجه والكف، فكشفت عن وجهها، وحسرت عن كفها. وحدث بشر بن الفضل قال:حدثنا سوار بن عبد الله، قال: ما تركت في نفسي شيئا إلا قد كلمت به أبا جعفر، قلت: يا أمير المؤمنين، أن الحسن كان يقول: إن تصديق القول العمل، فمن صدق عمله قوله قال، ومن لا فقد هلك، أو كما قال، فقال: أبو جعفر: صدق الحسن.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/ الوافي بالوفيات/ المعجم الوسيط/ أخبار القضاة/

◆ أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد، أمير (وزير، أبو جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور، خامس ملوك الدولة العباسية) والأصمعي 0813

حدث الجاحظ عمن أخبره عن أنس بن أبي شيخ[1]، قال: ركب جعفر بن يحيى[2] ذات يوم، وأمر خادما له أن يحمل معه ألف دينار، وقال له: سأجعل طريقي على الأصمعي[3]، فإذا حدثني فرأيتني ضحكت فأجعلها بين يديه، ونزل جعفر عند الأصمعي، فجعل الأصمعي يحدثه بكل أعجوبة ونادرة تطرب وتضحك، فلم يضحك.، وخرج من عنده، فقال له أنس بن أبي شيخ: رأيت منك عجبا، أمرت بألف دينار للأصمعي وقد حركك بكل مضحكة، وليس من عادتك أن ترد إلى بيت مالك ما قد خرج عنه، فقال له: ويحك!! إنه قد وصل إليه من أموالنا مائة ألف درهم قبل هذه المرة، فرأيت في داره حبا مكسورا وعليه دراعة خلق، ومقعدا وسخا، وكل شيء رأيته عنده رثا، وأنا أرى إن لسان النعمة أنطق من لسانه، وإن ظهور الصنيعة أمدح وأهجى من مدحه وهجائه، فعلى أي وجه أعطيه إذا كانت الصنيعة لم تظهر عنده ولم تنطق النعمة بالشكر عنه.

وحدث محمد بن القاسم بن خلاد قال: قال الأصمعي: دخلت علي جعفر بن يحيى بن خالد يوما، فقال لي: يا اصمعي، هل لك من زوجة؟ قلت: لا، قال: فجارية؟ قلت: جارية للمهنة، قال: فهل لك أن اهب لك جارية نظيفة؟ قلت: اني لمحتاج إلى ذلك، فأمر بإخراج جارية إلى مجلسه، فخرجت جارية في غاية الحسن والجمال والهيئة والظرف والمقال، فقال لها: قد وهبتك لهذا، وقال: يا اصمعي خذها، فشكرته، وبكت الجارية، وقالت: يا سيدي تدفعني إلى هذا الشيخ مع ما أرى من سماجته وقبيح منظره، وجزعت جزعا شديدا، فقال: يا اصمعي، هل لك أن اعوضك منها ألف دينار؟ قلت: ما أكره ذلك، فأمر لي بألف دينار ،ودخلت الجارية، فقال لي: يا اصمعي، إني أنكرت من هذه الجارية أمرا، فأردت عقوبتها بك، ثم رحمتها منك، قلت: أيها الأمير، فهلا أعلمتني قبل ذلك، فإني لم آتك حتى سرحت لحيتي وأصلحت عمتي، ولو عرفت الخبر لصرت على هيئة خلقتي، فوالله لو رأتني كذلك لما عاودت شيئا تنكره منها ابدا ما بقيت.

■ (3) الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، له تصانيف كثيرة فى اللغة والشعر منها الأصمعيات. ولد في البصرة سنة 122 هـ وتوفي سنة 216 هـ .كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا. وكان هارون الرشيد يسميه شيطان الشعر. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.

■ (2) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

■ (1) أنس بن أبي شيخ وهو ابن أخي خالد الحذاء المحدث. قتله الرشيد سنة 187 هـ على الزندقة ذكره بن الجوزي في المنتظم في قصة جعفر بن يحيى البرمكي وذكره بن النجار في الذيل فقال كان من البلغاء الفضلاء ثم ساق بسند له إلى الصواب من كلامه لم يجتمع ضعفاء إلا قووا حتى يمتنعوا ولم يفترق أقوياء إلا ضعفوا حتى يخضعوا ثم ساق من طريق المرزباني قال وكان أنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة وهو القائل في الدنيا..أف لقتالة إلافها..سم ذعاف در أخلافها.قال وذكر الزبير بن بكار أن الرشيد لما قتله قال ويقال إن عبد الله بن مصعب هو الذي أخبر الرشيد أنه على الزندقة فقتله لذلك انتهى

قال جعفر بن يحيى البرمكي لهرون الرشيد: يا أمير المؤمنين، قال لي أبي يحيى: إذا أقبلت الدنيا عليك فأعط، فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت عنك فأعط، فإنها لا تبقى. كان جعفر بن يحيى من علو القدر، ونفاذ الأمر، وعظم المحل، وجلالة المنزلة عند هرون بحلة انفرد بها ولم يشارك فيها، وكان سمح الأخلاق طلق الوجه، ظاهر البشر. وأما جوده وسخاؤه وبذله وعطاؤه فكان أشهر من أن يذكر، وكان أيضا من ذوي الفصاحة واللسن والبلاغة. يقال: إنه وقع ليلة بحضرة الرشيد زيادة على ألف توقيع، ونظر في جميعها فلم يخرج بشيء منها عن موجب الفقه. وكان أبوه يحيى بن خالد قد ضمه إلى أبي يوسف القاضي حتى علمه وفقهه. وغضب الرشيد عليه في آخر عمره فقتله، ونكب البرامكة لأجله.

كان أحمد بن الجنيد الإسكافي أخص الناس بجعفر بن يحيى، فكان الناس يقصدونه في حوائجهم إلى جعفر، فكثرت رقاع الناس في خف أحمد بن الجنيد، ولم يزل كذلك إلى أن تهيأ له الخلوة بجعفر فقال له: قد كثرت رقاع الناس معي وأشغالك كثيرة وأنت اليوم خال، فإن رأيت أن تنظر فيها. فقال له جعفر: على أن تقيم عندي اليوم، فقال له أحمد: نعم، فصرف دوابه، فلما تغدوا جاءه بالرقاع، فقال له جعفر: هذا وقت ذا؟! دعنا اليوم، فأمسك عنه أحمد، وانصرف في ذلك اليوم ولم ينظر في الرقاع. فلما كان بعد أيام خلا به فأذكره الرقاع فقال: نعم، على أن تقيم عندي اليوم، فأقام عنده ففعل به مثل الفعل الأول، حتى فعل به ثلاثا، فلما كان في آخر يوم أذكره فقال: دعني الساعة وناما، فانتبه جعفر قبل أحمد فقال لخادم له: اذهب إلى خف أحمد بن الجنيد فجئني بكل رقعة فيه، وانظر لا تعلم أحمد، فذهب الخادم وجاء بالرقاع، فوقع جعفر فيها عن آخرها بخطه بما احب أصحابها ووكد ذلك، ثم أمر الخادم أن يردها في الخف فردها، وانتبه أحمد وأخذوا في شأنهم ولم يقل له فيها شيئا، وانصرف أحمد، فركب يعلل أصحاب الرقاع بها أياما، ثم قال لكاتب له: ويلك، هذه الرقاع قد أخلقت في خفي، وهذا – يعني جعفرا – ليس ينظر، فخذها تصفحها وجدد ما خلق منها، فأخذها الكاتب فيها فوجد الرقاع موقعا فيها بما سأل أهلها وأكثر، فتعجب من كرمه ونبل أخلاقه، وأنه قضى حاجته ولم يعلمه بها، لئلا يظن أنه اعتد بها عليه.

حدث مهذب حاجب العباس بن محمد[1]، صاحب قطيعة العباس والعباسة قال: نالت العباس إضافة، وكثر غرماؤها والمطالبون له، فأخرج سفطا فيه جوهر، شراؤه ألف ألف درهم، أعده ذخرا لبناته، فحمله إلى جعفر بن يحيى، فتلقاه جعفر وسط الصحن وجلس بين يديه، فقال له العباس: نالني ما ينال الأحرار من الإضافة، وهذا سفط شراؤه علي ألف درهم، فامر بعض تجارك أن يقبضه ويقرضني عليه خمس مائة ألف درهم فإذا وردت الغلة رددتها إليه، وأخذت السفط، قال: أفعل. وختم السفط ودفعه إلى غلام بين يديه، وأوعز إليه بسرار ثم قال: الحاجة توافيك العشية وتتفضل بالغداء عندي ففعل، فقال له: ثيابي لا تصلح على الأمير، وهذه عشرة تخوت، ومهري لين الركوب، ينصرف الأمير عليه، فانصرف وذلك بين يديه، فوجد السفط في بيته ومعه ألف ألف درهم قد وصله بها جعفر. قال مهذب: فما بات وعليه درهم واحد، فقال لي: نبكر غدا على الرجل شاكرين له، فبكرنا فقيل لنا: هو عند أخيه الفضل[2]، فجئنا إلى دار الفضل فقالوا: هما في دار أمير المؤمنين، فصرنا إلى دار أمير المؤمنين، فدخل مولا ي فوجدهما في الصحن لم يؤذن لهما، فقال له جعفر: حدثت أخي بقصتك فأمر أن يحمل لك خازنك ألف ألف درهم، وما أشك أنها في دارك، ونحن نكلم أمير المؤمنين أعز الله نصره الساعة في أمرك، فدخلا إلى الخليفة فأمر له بثلاث مائة ألف دينار، فلم يكن في بيت المال منها حاضر إلا مائتي ألف دينار فدفعت إليه، وقيل له اختر أين نسيب لك بهذا المال؟ قال: إلى مصر، فما كانت إلا أيام حتى أتت السفائح من مصر.

■ (1) العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو الفضل الهاشمي: أمير. هو أخو المنصور والسفاح. ولاه المنصور دمشق وبلاد الشام كلها. وولي إمارة الجزيرة في أيام الرشيد. وأرسله المنصور لغزو الروم في ستين ألفا. وحج بالناس مرات. ومات ببغداد سنة 186 هـ. كان من أجود الناس رأيا. وإليه تنسب العباسية محلة بالجانب الغربي من بغداد، دفن فيها. وكان الرشيد يحبه ويجله. ويزعم أهله أن الرشيد سمه.

■ (2) أبو العباس، الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد.وكان ابنه الفضل من رجال الكمال، ولي إمرة خراسان، وعمل الوزارة، وكان فيها = قيل = أسخى من أخوه جعفر البرمكي، ولكنه يضرب بكبره وتيهه المثل، وكان أخا للرشيد من الرضاعة وعمل الوزارة مدة لهارون، ثم حولها منه إلى جعفر، واستعمل على المشرق كله هذا، واستعمل جعفرا على المغرب كله. ولد الفضل البرمكي سنة 176 هـ وتوفي بالسجن سنة 193 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/ لسان الميزان/ الأعلام للزركلي/

قال ابن تغري: كان الذي أشار على الأمين[1] بخلع أخيه المأمون[2] الفضل بن الربيع[3] الحاجب، وكان المأمون يغض* من الفضل، فعلم الفضل إن أفضت الخلافة للمأمون وهو حي لم يبق عليه، فأخذ في إغراء الأمين بخلع أخيه المأمون والبيعة لابنه موسى[4] بولاية العهد، ولم يكن ذلك في عزم الأمين، ووافقه على هذا علي بن عيسى بن ماهان[5] والسندي[6] وغيرهما؛ فرجع الأمين إلى قولهم وأحضر عبد الله بن خازم(؟)[7]، فلم يزل في مناظرته إلى الليل، فكان مما قال عبد الله بن خازم: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تكون أول الخلفاء نكث عهد أبيه ونقض ميثاقه! ثم جمع الأمين القواد وعرض عليهم خلع المأمون فأبوا ذلك، وساعده قوم منهم، حتى بلغ إلى خزيمة بن خازم[8] فقال: يا أمير المؤمنين، لم ينصحك من كذبك ولم يغشك من صدقك؛ لا تجرىء القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك، فإن الغادر مخذول والناكث مغلول. فأقبل الأمين على علي بن عيسى بن ماهان وتبسم وقال: لكن شيخ هذه الدعوة وناب هذه الدولة لا يخالف على إمامه ولا يوهن طاعته؛ لأنه هو والفضل ابن الربيع حملاه على خلع المأمون. ثم انبرم الأمر على أن يكتب للعمال بالدعاء لابنه موسى ثم بعد ذلك بخلع المأمون، فكتب بذلك لجميع العمال. فلما بلغ ذلك المأمون أسقط اسم الأمين من الطرز وبدت الوحشة بين الأخوين.. إلى أن قتل الأمين. ولم يكن قتله بإرادة أخيه المأمون وإنما اقتحمه طاهر بن الحسين[9] وقتله من غير إذن المأمون، وحقد المأمون عليه لذلك ولم يسعه إلا السكوت.

----

*(يغض من فلان) يحط من قدر فلان

■ (8) خزيمة بن خازم التميمي: من أكابر القواد في عصر الرشيد والامين والمأمون. شهد الوقائع الكثيرة وقاد الجيوش، وولي البصرة في أيام الرشيد، والجزيرة في أيام الامين. ولما عظم الخلاف بين الامين والمأمون انحاز إلى أصحاب المأمون، واشترك في حصار بغداد إلى أن قتل الامين، فأقام ببغداد، فمات فيها سنة 203 هـ.

■ (2) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

■ (1) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة 198 هـ

■ (3) الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس: وزير أديب حازم. كان أبوه وزيرا للمنصور العباسي. واستحجبه المنصور لما ولى أباه الوزارة، فلما آل الامر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان صاحب الترجمة من كبار خصومهم، حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة، قال صاحب غربال الزمان: وكانت نكبتهم على يديه. وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد. واستخلف الامين، فأقره في وزارته، فعمل على مقاومة المأمون. ولما ظفر المأمون استتر الفضل سنة 196 هـ ثم عفا عنه المأمون وأهمله بقية حياته. وتوفي بطوس. يسنة 208 هـ والفضل بن الربيع هو من أحفاد أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان.

■ (4) موسى بن محمد الامين بن هارون الرشيد العباسي: أمير، ثارت من أجله الفتنة بين الامين والمأمون العباسيين. وكان أبوهما هارون الرشيد قد جعل ولاية عهده للامين ثم للمأمون، فلما مات الرشيد وولي الامين الخلافة خلع أخاه المأمون من ولاية عهده وجعلها لابنه موسى صاحب الترجمة وهو طفل، وسماه الناطق بالحق فقامت الحرب بين الاخوين وانتهت بقتل الامين سنة 198 ه، وتفرد المأمون بالملك. وعاش صاحب الترجمة عند جدته لابيه زبيدة بنت جعفر إلى أن مات سنة 209 هـ.

■ (5) علي بن عيسى بن ماهان: من كبار القادة في عصر الرشيد والأمين. وهو الذي حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد. وسيره لقتال المأمون بجيش كبير، وولاه إمارة الجبل وهمذان وأصفهان وقم، فخرج من بغداد في 40 ألف فارس، فتلقاه طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون في الري فقتل ابن ماهان ونهزم سنة 195هـ

■ (6) السندي بن شاهك أبو نصر مولى المنصور. أمير دمشق من قبل موسى بن عيسى بن علي في خلافة الرشيد. وكان دميم الخلق. هدم سور مدينة دمشق سنة ست وسبعين 176 هـ وكان أمير الشام كلها موسى بن عيسى. وكان السندي بن شاهك لا يستحلف المكاري ولا الملاح ولا الحائك. كان يجعل القول قول المدعي، وكان يقول كثيرا: اللهم، إني أستخيرك في الجمال ومعلم الكتاب. توفي السندي ببغداد سنة 204 هـ.

■ (9) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، أبو الطيب، وأبو طلحة: من كبار الوزراء والقواد، أدبا وحكمة وشجاعة. وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي. ولد في بوشنج من أعمال خراسان وسكن بغداد، فاتصل بالمأمون في صباه، وكانت لابيه منزلة عند الرشيد. ولما مات الرشيد وولي الامين، كان المأمون في مرو، فانتدب طاهرا للزحف إلى بغداد، فهاجمها وظفر بالامين وقتله سنة 198 هـ وعقد البيعة للمأمون، فولاه شرطة بغداد، ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب، في السنة نفسها 198 هـ وخراسان سنة 205 هـ وكان في نفس المأمون شئ عليه، لقتله أخاه الامين بغير مشورته. ولعله شعر بذلك. فلما استقر في خراسان، قطع خطبة المأمون، يوم جمعة، فقتله أحد غلمانه في تلك الليلة، بمرو، وقيل: مات مسموما. سنة 207 هـ ولقب بذي اليمينين لانه ضرب رجلا بشماله، فقده نصفين، أو لانه ولي العراق وخراسان، لقبه بذلك المأمون. وكان أعور. (7) عبد الله بن خازم بن خزيمة ؟؟

☪

قال ابن تغري: كان سبب نكبة الأمين وخلعه وقتله: أنه لما ولي الخلافة فرق الأموال، وانعكف على شرب الخمر، ومنادمة الفساق، وأرسل إلى البلاد فجمع المغاني والطنازين وأجرى عليهم الرواتب؛ واحتجب عن الأمراء والأعيان. ثم قسم الأموال والجواهر في الخصيان والنساء، واشترى عريب المغنية[1] بمائة ألف دينار. وطلب من عمه إبراهيم بن المهدي[2] جاريته ؛ فأبى إبراهيم أن يدفعها له؛ فركب الأمين إلى منزل عمه المذكور؛ فأخذها منه. ولما أصبح عمه إبراهيم جاء إليه في زورق؛ فقال الأمين: أوسقوا زورق عمي له دراهم، فأوسقوه له؛ فوسع عشرين ألف ألف درهم؛ فقال له عمه: وصلني منك يا أمير المؤمنين عشرون ألف ألف درهم؛ فقال: يا عم، وهل هذه إلا خراج بعض الكوفة؟! فلما خرج إبراهيم قال: أوسقوا زورق عمي له دنانير، فأوسقوه؛ فوسع ألف ألف دينار! قلت: أما الثانية فعندي فيها شك. إنتهى.

واستمر الأمين على ذلك إلى أن بدا له أن يخلع أخيه المأمون من ولاية العهد ويولي ابنه الصغير عوضه؛ فامتنع المأمون من ذلك –وكان بالري– وأخذ في تسويفه من وقت إلى وقت. فلما عزل الأمين أخاه القاسم[3] الملقب بالمؤتمن عما كان الرشيد ولاه من أمر الشام وقنسرين والثغور وولي مكانه خزيمة بن خازم ثم دعا الأمين لإبنه موسى على المنابر ولقبه بالناطق بالحق؛ تنكر المأمون عند ذلك، ووقعت أمور يطول شرحها. ولا زال أمر المأمون يقوى، وأمر الأمين يضعف، إلى أن حوصر الأمين ببغداد من قبل طاهر بن الحسين. وأعجب من هذا كله أن الأمين في مبدأ أمره كان أرسل لمحاربة أخيه المأمون عسكرا صحبة علي بن عيسى، وأخذ معه قيد فضة؛ ليقيد به المأمون بزعمه. فلما توجه لقيه طاهر بن الحسين وهزمه، وقتل علي بن عيسى المذكور في المعركة. فلما جاء خبره إلى الأمين –وكان الأمين يتصيد– فقال للذي أخبره بكسر عساكره وقتل علي بن عيسى: ويلك، دعني من ذلك؛ فإن خادمي كوثر –اسم خادم له خصي– قد صاد سمكتين، وأنا ما صدت شيئا بعد. ومثل هذا أيضا لما حوصر. قال محمد بن راشد: أخبرني إبراهيم بن المهدي أنه كان مع الأمين بمدينة المنصور في قصر باب الذهب، فخرج الأمين ليلة من القصر من ضيق الحصار والضنك، فصار إلى القصر القرار؛ فطلبني؛ فأتيت؛ فقال: ما ترى طيب هذه الليلة؛ وحسن القمر وضوءه في الماء؛ فهل لك في الشراب؟! قلت: شأنك؛ فدعا برطل من النبيذ فشربه، ثم سقيت مثله؛ فابتدأت أغنيه من غير أن يسألني –لعلمي بسوء خلقه– فغنيت؛ فقال: ما تقول فيمن يطرب عليك؟ فقلت: ما أحوجني إلى ذلك؛ فدعا بجارية إسمها ضعفاء، فتطيرت من إسمها، ثم غنت بشعر النابغة الجعدي[4]: كليب لعمرى كأن أكثر ناصرا..وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم. فتطير من ذلك، وقال: غني غير هذا؛ فغنت: أبكي فراقهم عيني فأرقها.. إن التفرق للأحباب بكاء.. فقال لها : لعنك الله، أما تعرفين غير هذا ؟! فقالت: ظننت أنك تحب هذا. ثم غنت: أما ورب السكون والحرك..إن المنايا كثيرة الشرك. فقال لها : قومي، لعنك الله ؛ فقامت، فتعثرت في قدح بلور له قيمة فكسرته. فقال: ويحك يا إبراهيم! أما ترى؟ والله ما أظن أمري إلا قد قرب. فقلت: يطيل الله عمرك ويعز ملكك؛ فسمعت صوتا من دجلة: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف] فوثب الأمين مغتما، ورجع إلى موضعه بالمدينة؛ فقتل بعد ليلة أو ليلتين.

قلت: كان قتله بعد أن خلعه طاهر بن الحسين بأيام. ثم قتله طاهر المذكور صبرا في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة بظاهر بغداد، وطيف برأسه. وكانت خلافته أربع سنين وأياما. وبويع بالخلافة بعده أخوه المأمون.

☪

لما أتت الخلافة محمد بن هارون خطب ببغداد، فقال: أيها الناس إن المنون تراصد ذوي الأنفاس حتما من الله، لا يدفع حلولها، ولا ينكر نزولها، فاسترجعوا قلوبكم عن الجزع على الماضي إلى البهج الباقي تعطوا أجور الصابرين وجزاء الشاكرين.

قال أحمد بن حنبل: إني لأرجو أن يرحم الله الأمين بإنكاره على إسماعيل بن علية فإنه أدخل عليه فقال له: يا ابن الفاعلة أنت الذي تقول: كلام الله مخلوق؟ وقال إسحاق الموصلي: اجتمعت في الأمين خصائل لم تكن في غيره كان أحسن الناس وجها وأسخاهم وأشرف الخلفاء أبا وأما حسن الأدب عالما بالشعر لكن غلب عليه الهوى واللعب وكان مع سخائه بالمال بخيلا بالطعام جدا. وأسند عن إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي قال: كان أبي يكلم الأمين والمأمون بكلام يتفصحان به ويقول: كان أولاد الخلفاء من بني أمية يخرج بهم إلى البدو حتى يتفصحوا وأنتم أولى بالفصاحة منهم. وقال أبو الحسن الأحمر: كنت ربما أنسيت البيت الذي يستشهد في النحو فينشدنيه وما رأيت في أولاد الملوك أذكى منه ومن المأمون وكان قتله في المحرم سنة ثمان و تسعين ومائة وله سبع وعشرون سنة. قال المسعودي: ما ولي الخلافة إلى ووقتنا هذا هاشمي ابن هاشمية سوى علي بن أبي طالب وابنه الحسن والأمين فإن أمه زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور واسمها أمة العزيزة وزبيدة لقب لها. وقال الثعالبي في لطائف المعارف: كان أبو العيناء يقول: لو نشرت زبيدة ضفائرها ما تعلقت إلا بخليفة أو ولي عهد فإن المنصور جدها والسفاح أخو جدها و المهدي عمها و الرشيد زوجها و الأمين ابنها و المأمون و المعتصم ابنا زوجها و الواثق و المتوكل ابنا ابن زوجها و أما ولاة العهود فكثيرة. ونظيرتها من بني أمية عاتكة بنت يزبد بن معاوية : يزيد أبوها ومعاوية جدها ومعاوية بن يزيد أخوها ومروان بن الحكم حموها وعبد الملك زوجها ويزيد ابنها والوليد بن يزيد ابن ابنها والوليد وهشام وسليمان بنو زوجها ويزيد وإبراهيم ابنا الوليد بن عبد الملك ابنا ابن زوجها.

■ (2) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم

■ (3) القاسم بن هارون الرشيد العباسي: أمير، هو أخو الامين والمأمون. عهد إليه أبوه الرشيد بولاية العهد بعدهما، ولقبه المؤتمن وأقطعه الجزيرة والثغور والعواصم سنة 186 هـ وهو يومئذ فتى في حجر عبد الملك بن صالح. فكان المأمون ينظر في أمر هذه المقاطعات، باسم المؤتمن، إلى أن شب. وأغزاه الرشيد أرض الروم سنة 187 هـ واستخلفه على الرقة سنة 192 هـ يريد تدريبه على الحكم. ولما مات الرشيد، وولي الامين، عزل المؤتمن عن الجزيرة وأقره على قنسرين والعواصم سنة 193 هـ ولما اشتدت فتنة الامين والمأمون، سار المؤتمن إلى المأمون بخراسان، فوجهه إلى جرجان سنة 197 هـ فأقام فيها. وأعلن المأمون خلعه من ولاية العهد سنة 198 هـ بعد قتل الامين، ووترك الدعاء له على المنابر. وتوفي ببغداد في حياة المأمون فلم يل الخلافة سنة 208 هـ

■ (4) النابغة الجعدي، قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري، أبو ليلى: شاعر مفلق، صحابي: من المعمرين. اشتهر في الجاهلية. وسمي النابغة لانه أقام ثلاثين سنة لا يقوم الشعر ثم نبغ فقاله. وكان ممن هجر الاوثان، ونهى عن الخمر، قبل ظهور الاسلام. ووفد على النبي صلى الله عليه وآله فأسلم، وأدرك صفين، فشهدها مع علي. ثم سكن الكوفة، فسيره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها، فمات فيها نحو 50 هـ وقد كف بصره، وجاوز المئة. وأخباره كثيرة،

■ (1) عريب المأمونية: شاعرة، مغنية، أديبة، من أعلام العارفات بصنعة الغناء والضرب على العود. قيل: هي بنت جعفر بن يحيى البرمكي. ولدت ببغداد ونشأت في قصور الخلفاء من بني العباس، وأعجب بها المأمون فقربها حتى نسبت إليه وقيل: سرقت لما نكب البرامكة، وهي صغيرة فاشتراها الامين، ثم اشتراها المأمون. قال ابن وكيع: ما رأيت امرأة أضرب من عريب ولا أحسن صنعة ولا أحسن وجها ولا أخف روحا ولا أحسن خطابا ولا أسرع جوابا ولا ألعب بالشطرنج والنرد ولا أجمع لخصلة حسنة. يقال: إنها صنعت ألف صوت في الغناء. ماتت بسامراء. سنة 277 هـ وأخبارها في الاغاني وغيره كثيرة.

مراجع: مرد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ الأعلام للزركلي/مختصر تاريخ دمشق/

قال بعضهم: كنت واقفا بين يدي الأمين، فقال لكاتب بين يديه:اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله محمد الأمين أمير المؤمنين إلى طاهر بن الحسين[1] سلام عليك. أما بعد، فإن الأمر قد خرج بيني وبين لأخي إلى هتك الستور، وكشف الحرم، ولست آمن أن يطمع في هذا الأمر السحيق البعيد، لشتات ألفتنا، واختلاف كلمتنا، وقد رضيت أن تكتب لي أمانا لأخرج إلى أخي به، فإن تفضل علي فأهل لذلك، وإن قتلني فمروة* كسرت مروة، وصمصامة* قطعت صمصامة، ولأن تفترسني السبع أحب إلي من أن ينبحني الكلاب ودفع الكتاب إلى خادم له وقال لي: امض معه. فغبرنا إلى طاهر فقال: الآن حين انحرف عنه مراقه وفساقه، وبقي مخذولا مغلولا يلوذ بالأمان؟! لا والله، أو يجعل في عنقه ساجورا*، ويقول: هأنذا قد نزلت على حكمك. فقلنا: فما الجواب؟ قال: قد سمعتماه فانصرفا إلى الأمين، وأخبراه بذلك، فقال: كذب عبد السوء العاض لهن أمه، والله ما أبلي أوقعت على الموت أو وقع الموت علي.

ولما اشتد طاهر على محمد دخلت عليه أمه أم جعفر[2] باكية، فقال لها: مه*، إنه ليس بجزع النساء وهلعهن تشفى الصدور، وتساس الأمور وللخلافة سياسة تلين مرة وتخشن أخرى، لا يسعها صدر المراضيع، ولا تحفظ بإضاعة، فإليك إليك.

قال محمد بن راشد: أخبرني إبراهيم بن المهدي[3] أنه كان مع الأمين بمدينة المنصور قال: فطلبني ليلة فقال:ما ترى طيب هذه الليلة وحسن القمر وضوءه في الماء؟ فهل لك في الشراب؟ قلت: شأنك فشربنا ثم دعا بجارية اسمها ضعف فتطيرت من اسمها فأمرها أن تغني فغنت بشعر النابغة الجعدي[4]: كليب لعمري كان أكثر ناصرا..وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم.فتطير بذلك وقال: غني غير هذا فغنت: أبكى فراقهم عيني فأرقها..إن التفرق للأحباب بكاء.فقال لها:لعنك الله! ما تعرفين غير هذا؟ فقالت: ظننت أنك تحب هذا ثم غنت: أما ورب السكون والحرك..إن المنايا كثيرة الشرك. فقال لها: قومي لعنك الله! فقامت فعثرت في قدح بلور له قيمة فكسرته فقال: ويحك يا إبراهيم! أما ترى؟ والله ما أظن أمري إلا قرب فقلت: بل يطيل الله عمرك ويعز ملكك فسمعت صوتا من دجلة: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[يوسف] فوثب محمد مغتما وقتل بعد ليلتين أخذ وحبس في موضع ثم أدخل عليه قوم من العجم ليلا فضربوه بالسيف ثم ذبحوه من قفاه وذهبوا برأسه إلى طاهر فنصبها على حائط بستان ونودي: هذا رأس المخلوع محمد وجرت جثته بحبل ثم بعث طاهر بالرأس والبرد والقضيب والمصلى وهو من سعف مبطن إلى المأمون واشتد على المأمون قتل أخيه وكان يحب أن يرسل إليه حيا ليرى فيه رأيه فحقد بذلك على طاهر بن الحسين وأهمله نسيا منسيا إلى أن مات طريدا بعيدا وصدق قول الأمين فإنه كان كتب بخطه رقعة إلى طاهر بن الحسين لما انتدب لحربه فيها: إعلم يا طاهر أنه ما قام لنا قائم بحق فتم لأحدنا أمره إلا كان السيف جزاءه منه فانظر لنفسك أو دع. يلوح بأبي مسلم وأمثاله الذين بذلوا نفوسهم في النصح لهم فكان مآلهم القتل منهم.فقال طاهر،وكان قوم يضعفون محمدا عنده على من يقول:إن هذا مضعف مأفون لعنه الله، لقد قدح بقلبي نارا من الحذر لا يطفئها أمن أبدا

----

* (الصمصامة) اسم للسيف القاطع. أشهر سيوف العرب (الساجور) القلادة أو الخشبة التي توضع في عنق الكلب، وسجرت الكلب: جعلت في عنقه ساجورا؛ وهو شبه طوق من حديد عليه مسامير. والسواجير: الأغلال (المروة) أو المرو الحجر الابيض تكون فيه النار (مه) كلمة زجر بمعنى كف واسكت وانته

■ (1) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، أبو الطيب، وأبو طلحة: من كبار الوزراء والقواد، أدبا وحكمة وشجاعة. وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي. ولد في بوشنج من أعمال خراسان وسكن بغداد، فاتصل بالمأمون في صباه، وكانت لابيه منزلة عند الرشيد. ولما مات الرشيد وولي الامين، كان المأمون في مرو، فانتدب طاهرا للزحف إلى بغداد، فهاجمها وظفر بالامين وقتله سنة198 هـ وعقد البيعة للمأمون، فولاه شرطة بغداد، ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب، في سنة 198 هـ وخراسان سنة 205 هـ وكان في نفس المأمون شئ عليه، لقتله أخاه الامين بغير مشورته. ولعله شعر بذلك. فلما استقر في خراسان، قطع خطبة المأمون، يوم جمعة، فقتله أحد غلمانه في تلك الليلة، بمرو، وقيل: مات مسموما سنة 207 هـ ولقب بذي اليمينين لانه ضرب رجلا بشماله، فقده نصفين، أو لانه ولي العراق وخراسان، لقبه بذلك المأمون. وكان أعور.

■ (2) أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها.أعرس بها هارون الرشيد سنة 165 في قصره المعروف بالخلد. وكانت وفاتها في سنة 216 هـ ببغداد، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة 186 هـ.

■ (4) النابغة الجعدي، قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري، أبو ليلى: شاعر مفلق، صحابي: من المعمرين. اشتهر في الجاهلية. وسمي النابغة لانه أقام ثلاثين سنة لا يقوم الشعر ثم نبغ فقاله. وكان ممن هجر الاوثان، ونهى عن الخمر، قبل ظهور الاسلام. ووفد على النبي صلى الله عليه وآله فأسلم، وأدرك صفين، فشهدها مع علي. ثم سكن الكوفة، فسيره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها، فمات فيها نحو 50 هـ وقد كف بصره، وجاوز المئة. وأخباره كثيرة،

■ (3) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم

☪

قال المأمون لطاهر: يا أبا الطيب صف لي أخلاق المخلوع. قال: كان يا أمير المؤمنين واسع الطرب، وضيق الأدب، يبيح لنفسه ما تعافه همم ذوي الأقدار. قال: كيف كانت حروبه؟ قال: كان يجمع الكتائب بالتبذير، ويفضها عنه بسوء التدبير. قال: فكيف كنتم له؟ قال: كنا أسدا تبيت، وفي أشداقها حلوق الناكثين، وتحت صدورها صدور المارقين. قال: إما أنه أول من يأخذ الله بدمه يوم القيامة ثلاثة: لست أنا ولا أنت رابعهم، وخامسهم: الفضل بن الربيع، وبشر بن المعتمر، والسندي بن شاهك. والله ثأر أخي، وعندهم دمه. وكتب المأمون إلى طاهر يسأله عن استقلال ابنه عبد الله. فكتب طاهر إليه: عبد الله، يا أمير المؤمنين، ابني. وإن مدحته ذممته وإن ذممته ظلمته. ولنعمم الخلف هو لأمير المؤمنين من عبده. فكتب إليه المأمون: ما رضيت أن قرظته في حياتك حتى أوصيتنا به بعد وفاتك. قال طاهر: طول العمر ثائر مولاه لأنه لا يخليك من رؤية محبة في عدو.

قال ابن الأبار القضاعي: حكى ابن عبدوس: أن الأمين عزم يوما على الاصطباح، وأحضر ندماءه وأمر كل واحد منهم أن يطبخ قدرا بيده وأحضر المغنين ووضعت الموائد، فلما ابتدأ يأكل، دخل إليه إسماعيل بن صبيح[1] فقال: يا أمير المؤمنين هذا هو اليوم الذي وعدتني أن تنظر في أعمال الخراج والضياع وجماعات العمال وقد اجتمعت علي أعمال منذ سنة، لم تنظر في شيء منها، ولم تأمر فيها وفي هذا دخول الضرر في الأعمال؛ فقال له محمد: إن اصطباحي لا يحول بيني وبين النظر وفي مجلسي من لا أنقبض عنه من عم وابن عم وهم أهل هذه النعمة التي يجب أن تحاط فأحضر ما تريد عرضه فاعرضه علي وأنا آكل، لأتقدم فيه بما يحتاج إليه إلى أن يرفع الطعام ثم أتمم النظر فيما يبقى ولا أسمع سماعا حتى أتمم الباقي وأفرغ منه؛ فحضر كتاب الدواوين بأكثر ما في دواوينهم وأقبل إسماعيل بن صبيح يقرأ على الأمين وهو يأمر وينهى أحسن أمر ونهي وأسده وربما شاور من حوله في الشيء بعد الشيء وكلما وقع في شيء وضع بالقرب من إسماعيل بن صبيح ورفعت الموائد ودعا بالنبيذ وكان لا يشرب في القدح أقل من رطل واحد، وأخذ في تتميم العمل ثم دعا بخادم له فناجاه بشيء أسره إليه فمضى ثم عاد، فلما رآه نهض واستنهض إبراهيم بن المهدي[2] وسليمان بن علي[3] فما مشوا عشرة أذرع حتى أقبل جماعة من النفاطين فضرموا تلك الكتب والأعمال بالنار وكان الفضل بن الربيع[4] حاضرا فلحق بالأمين وقد شق ثوبه وهو يقول:الله أعدل من أن يرضى أن يكون مهدي أمة محمد نبيه صلى الله عليه وسلم من هذه أفعاله وهو يضحك ولا ينكر قول الفضل

☪

كان الأمين أول من دعي له على المنابر باللقب، وأول من كتب عنه: من عبد الله محمد الأمين. سمع الأمين الفضل بن ربيع يتمثل بقول البعيث:لشتان ما بيني وبين ابن خالد..أمية في الرزق الذي الله يقسم..يقارع أتراك ابن خاقان ليله..إلى أن يرى الإصباح، ولا يتلعثم..وآخذها صهباء كالمسك ريحها..لها أرج في دنها حين ترشم . فقال له: يا عباسي، لقد علمت ما أردت بتمثلك، أردتني وعبد الله أخي، وأنه يجد بي وأمزح، وما ضر يزيد لعبه، ولا نفع ابن الزبير تيقظه وجده، وما قضي فهو كائن، وإلى الله تصير الأمور.

قال الآبي: قيل لبعض العلماء: كيف كانت بلاغة الأمين؟ قال: والله لقد أتته الخلافة يوم الجمعة، فما كان إلا ساعة حتى نودي: الصلاة جامعة، فخرج ورقي المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه. ثم قال: أيها الناس، وخصوصا يا بني عباس، إن المنون مراصد ذوي الأنفاس حتم من الله لا يدفع حلوله، ولا ينكر نزوله، فارتجعوا قلوبكم من الحزن على الماضي إلى السرور بالباقي، تجزون ثواب الصابرين، وتعطون أجور الشاكرين. فتعجب الناس من جرأته، وبلة ريقه، وشدة عارضته. قال الفضل بن مروان[5]:سمعته يقول في خطبته: الناس جميعا آمنون إلا أصحاب الأهواء. وقال لكاتب بين يديه: دع الإطناب، والزم الإيجاز، فإن للإيجاز إفهاما، كما أن مع الإسهاب استبهاما. وكان المأمون يقول: كان يقول لي الرشيد: وددت لو أن لك بلاغة محمد، وأن علي غرم كذا وكذا. وذكر أن محمد في صباه كان كثير اللعب، وكان المعلم يلقي عليه في الكتاب، وعلى المأمون، وكان محمد يلعب ويحفظ، والمأمون ينسى وهو مقبل على العلم يقصد قصده. ذكر أنه دعا يوما عبد الله بن أبي عفان[6] ليصطبح، فأبطأ فلما جاء قال: أظنك أكلت. قال: لا والله. قال: والله لتصدقن. قال: نعم يا أمير المؤمنين، فدعا بحكاك فحك أضراسه السفلى، فلما ذهب ليحك العليا قال: يا أمير المؤمنين، دعها لغضبة (لقضية) أخرى، فضحك وخلاه.

كان الرشيد أخذ ضيعة من صالح صاحب المصلى. ودفعها إلى أم جعفر فلما ولي الأمين سأله الفضل بن الربيع ردها على صالح، فقال: أنا أعوضه ولا أظلم أبي، ولا أعق أمي.

■ (6) عبد الله بن أبي عفان .؟ عبد الله بن عفان .؟

■ (1) إسماعيل بن صبيح اليشكري الكوفي صدوق من التاسعة، كتب للرشيد، وخص به، يروى عن حماد بن سلمة روى عنه أبو كريب محمد بن العلاء روى له بن ماجة مات سنة 217 هـ

■ (4) أبو العباس، الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة واسمه كيسان، مولى عثمان بن عفان، وجاء ذكر أبيه في شيء من أخباره مع أبي جعفر، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم، فكان في نفسه منهم إحن وشحناء، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب: من أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان

■ (5) الفضل بن مروان بن ماسرجس: وزير.كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء، أخذ البيعة للمعتصم، ببغداد، بعد وفاة المأمون سنة 218 هـ وكان المعتصم في بلاد الروم، فاستوزره نحو 3 سنوات، واعتقله. ثم أطلقه، فخدم بعده جماعة من الخلفاء إلى أن توفي سنة 250 هـ.له ديوان رسائل وكتاب جمع فيه الأخبار والمشاهدات.

■ (2) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم.

■ (3) سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس: أمير عباسي، من الأجواد الممدوحين. ولاه ابن أخيه السفاح إمارة البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان سنة 133 هـ فأقام فيها إلى أن عزله المنصور سنة 139 هـ فلم يزل في البصرة إلى أن توفي سنة 142 هـ.وهو ابن تسع وخمسين سنة.

مراجع: تاريخ الخلفاء/ نثر الدر/ ربيع الأبرار/ البصائر والذخائر/ الأعلام للزركلي/ لسان العرب/ المحيط في اللغة/ تاج العروس/ تهذيب اللغة/ التذكرة الحمدونية/ إعتاب الكتاب/

قال محمد بن عبد الرحمن الجرشي: كان علي بن عبد الله بن خالد[1]، وكنيته أبو الحسن، يجالسنا، فكنا يوما نتحدث إلى أن ذكرنا كنى البهائم، فقال لنا علي بن عبد الله: أي شيء كنية الحرذون؟ فقلنا: ما ندري، فقال: كنيته أبو العميطر، قال: فلقبناه بذلك، فكان يغضب، فقال لنا شيخ من القدماء: ترون هذا اللقب سيخرجه إلى أمر عظيم. ولما خرج علي بن عبد الله بن خالد، وادعى الخلافة، وقاتل عليها وبويع له في سنة خمس وتسعين ومئة، قال يفتخر: أنا ابن العير والنفير، وأنا ابن شيخي صفين، أنا علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وأمي نفيسة بنت عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب. يعني شيخي صفين: عليا ومعاوية. وقد ولداه جميعا. وكان أبو العميطر يسكن المزة*، وكان له دار بمدينة دمشق في رحبة البصل، وخرج يوم خرج بالمزة، ودعا لنفسه بالخلافة وهو ابن تسعين سنة. وكان الوليد بن مسلم[2] يقول غير مرة: لو لم يبق من سنة خمس وتسعين ومئة إلا يوم واحد لخرج السفياني، فخرج أبو العميطر في هذه السنة.

قال جرير بن زبر[3]: أخذني أصحاب أبي العميطر، فأدخلوني إليه، فقالوا لي: بايع، فقلت: إني قد عاهدت الله ألا أقبض ديوانا من أيام هارون، فقال لي: ذاك ديوان أهل بيت اللعنة.

كان الركيني (الركبي؟) يأخذ البيعة على الناس لأبي العميطر في الأسواق، وكان يدور على منازل أهل دمشق، فمن خرج إليه أخذ عليه البيعة، ومن لم يخرج قال: يا غلام، سمر بابه، وأشمت به جاره. قال شيبة بن الوليد: لما خرج أبو العميطر اتخذ حرسا على بابه وعلى سور مدينة دمشق، فكانوا ينادون بالليل والنهار، يا علي، يا مختار، يا من اختاره الجبار على بني هاشم الأشرار.

قال محمد بن قادم: كان أصحاب أبي العميطر يوم ادعى الخلافة يدور في أسواق مدينة دمشق، ويقول للناس: قوموا بايعوا مهدي الله. قال محمد بن محمد بن قادم سمعت عمي يحيى بن قادم[4] يقول أخذت أنا وأخي فأدخلنا إلى أبي العميطر فقال: لنا من أنتما؟ قلنا من موالي بني هاشم، قال: أي بني هاشم؟ قلنا من موالي بني العباس، فالتفت إلى الركيني وهو جالس عن يمينه، فقال: ما تقول في هذين الغلامين؟ فقال له: هما يا أمير المؤمنين، من الأرجاس الأنجاس، فاقتلهما، فإنهما يكتبان بأخبارك إلى البلدان، ودخل المعتمر فقال له: يا أبا موسى، ما تقول في هؤلاء الأرجاس الأنجاس؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن كانا بايعا، فلا سبيل لك عليهما، وإلا فليؤخذ عليهما البيعة، ويكون همك في هذا الحي من قيس، فقد أعدوا لك السيوف، وما أملت منهم الساعة بناحية كنيسة مريم، فقال أبو العميطر لرجل واقف بين يديه: امض بهذين إلى الركيني، وكان يتولى أخذ البيعة عن الناس، فصرنا إليه، فأخذ البيعة علينا وخلا سبيلنا.

وفي رواية قال يحيى بن قادم: كان أصحاب أبي العميطر يدورون على الناس، ويقولون: قوموا بايعوا الرضا من آل محمد يريدون: أبا العميطر فمروا بمحمد بن الوليد العبسي الخفاف[5]، فقالوا له: قم فبايع الرضا من آل محمد، فقال لهم: الرضا من آل محمد من بني العباس وليس من بني حرب، فضربوه، وأفلت من أيديهم، فلم يزل مختفيا حتى دخل ابن بيهس[6] دمشق.

----

*(الحرذون) دويبة تشبه الضب ويقال: هو ذكر الضب (المزة) قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق بينها وبين نصف فرسخ

■ (1) علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو الحسن: ثائر من بقايا بني أمية في الشام. كان من أهل العلم والرواية. يقول حين يفاخر: أنا ابن شيخي صفين. لان أمه نفيسة بنة عبيد الله بن العباس حفيدة علي بن أبي طلب، وإباه حفيد معاوية. ويلقبه خصومه بأبي العميطر وهو الحرذون (أي السحلية) وكانت إقامته في دمشق. وانتهز فرصة الخلاف بين الأمين والمأمون في العراق، فدعا إلى نفسه وطرد عامل الأمين على دمشق، وهو الأمير سليمان بن أبي جعفر المنصور، وامتلكها سنة 195 هـ وبويع بالخلافة، وهو ابن تسعين سنة. وناصره بنو كلت وتعض بقايا الأمويين، وخذله بقايا بني مروان. وقاتله أنصار بني العباس وكان أصحابه يجولون في أسواق دمشق ويقولون للناس: قوموا بايعوا مهدي الله. وتعصب له اليمانية، وقاومته القيسية فنهب دورهم وأحرقها. واشتد على من لم يبايعه. وامتد سلطانه إلى السواحل، حتى صيدا. وأرسل الأمين جيشا لقتاله لم يصل إلى دمشق. وانتهى أمره على يد مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعيد بن مسلمة بن عبد الملك، وقد دعا هذا إلى نفسه أيضا وبويع في حوران وأطراف دمشق. فقبض على السفياني وقيده. وبايعه رؤساء بني أمية. فهاجمهم ابن بيهس (محمد ابن صالح بن بيهس الكلابي، زعيم القيسية. فهرب السفياني ومسلمة إلى المزة (من ضواحي دمشق) في ثياب النساء أوائل سنة 198 هـ واجتمع أهل المزة وداريا فقاتلوا ابن بيهس. وظفر هذا فاستولى على دمشق وأقام الدعوة للمأمون. ومات السفياني على الاثر.

■ (2) الوليد بن مسلم الاموي بالولاء، الدمشقي، أبو العباس: عالم الشام في عصره، من حفاظ الحديث. له 70 تصنيفا في الحديث والتاريخ، منها السنن والمغازي. وكان يقال: من كتب مصنفات الوليد، صلح أن يلي القضاء. توفي بذي المروة، قافلا من الحج سنة 195 هـ.

■ (6) محمد بن صالح بن بيهس الكلابي المتغلب على دمشق أيام أبي العميطر، والمقاوم له، من وجوه قيس. كتب إليه المأمون بولاية دمشق، فلم يزل عليها حتى قدم عبد الله بن طاهر واليا على الشام ومصرسنة208 هـ وخرج إلى مصر ورجع إلى دمشق سنة 210 هـ وحمل ابن بيهس معه إلى العراق ومات بها ولم يرجع إلى دمشق.

■ (4) يحيى بن قادم حكى شيئا من أخبار أبي العميطر حين خرج بدمشق حكى عنه ابن أخيه محمد بن محمد بن قادم تقدمت حكايته في ترجمة ابن أخيه محمد بن محمد [تاريخ دمشق]

■ (3) جرير بن زبر ؟ (5) محمد بن الوليد العبسي الخفاف ؟

قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل للهيثم بن خارجة: كيف كان مخرج السفياني بدمشق أيام ابن زبيدة بعد سليمان بن أبي جعفر[1]؟ فوصفه بهيئة جميلة، واعتزال للشر قبل خروجه، ثم وصفه حين خرج بالظلم، فقال: أرادوه على الخروج مرارا فأبى، فحفر له خطاب الدمشقي المعروف بابن وجه الفلس[2]، مولى الوليد بن عبد الملك وأصحابه تحت بيته سربا ثم دخلوه في الليل، ونادوه: اخرج فقد آن لك، فقال: هذا شيطان، ثم أتوه في الليلة الثانية، فوقع في نفسه، ثم أتوه في الليلة الثالثة. فلما أصبح خرج، فقال أحمد بن حنبل: أفسدوه.

قال عبد الحميد الميموني: ولي محمد بن زبيدة سليمان بن أبي جعفر حمص ودمشق، فوثب به الخطاب ابن وجه الفلس، فخلع سليمان بن أبي جعفر، وبايع لعلي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية. قال ابن سراج: وجه الفلس هذا مولى الوليد بن عبد الملك وكان ابن الخطاب خرج بصيدا من ساحل دمشق، فضبطها ودعا لنفسه في أيام أبي العميطر فاستأمن بعد ذلك إلى عبد الله بن طاهر، فحمله عبد الله بن طاهر إلى خراسان مع مكرز بن حفص العامري، وكان قد خرج أيضا في ساحل دمشق، فماتا بخراسان. ولما ظهر السفياني بدمشق سنة خمس وتسعين ومئة ودعا إلى نفسه وطرد عنها سليمان بن أبي جعفر بعد حصره إياه بدمشق لم يفلت منهم إلا بعد اليأس فوجه محمد المخلوع الحسن بن علي بن عيسى بن ماهان[3](؟)، فلم ينفذ إليه، ولكنه لما صار إلى الرقة أقام بها.

كان بدو أمر محمد بن صالح بن بيهس بن زميل أن سليمان بن أبي جعفر ولي دمشق عقيب فتنة وعصبية كانت بين قيس واليمن، وكان علي بن عبد الله أبو العميطر من ولد يزيد بن معاوية، وكان بنو أمية يروون فيه الروايات، ويذكرون أن فيه علامات السفياني، وأن أموره لا تتم له إلا بكلب، وأنهم أنصاره، فمالوا إليهم وتوددوهم، وأيقنوا أنهم لا يتم لهم أمر مع محمد بن صالح، وأن تمام أمر السفياني إنما هو بسباء نساء قيس وسفك دمائهم، وفاندسوا إلى سليمان بن أبي جعفر، فقالوا له: إن هذا الفساد في عملك بسبب هذه الزواقيل*، وأن رؤساءهم وصناديدهم ومن معهم من الضباب وهم عشيرة ابن بيهس تجنبهم، واحتالوا له حتى أخذه واحتبسوه. فلما أشغلوه أحكموا أمرهم، واجتمعوا على أبي العميطر فبايعوه، وبعثوا إلى زواقيلهم، فلم يشعر سليمان بن أبي جعفر وهو في قصر الحجاج خارج دمشق حتى أحاطت به الرجالة، فحصروه، فبعث إلى ابن بيهس، وهو محبوس معه في القصر. فقال له: ما ترى ما يصنع أهل بلدك؟ قال: هذا الذي أراد القوم بتحميلهم إياك علي، والآن الذي أرى أن تخرج معي إلى حوران، فأخرج بك في البرية إلى الكوفة وأنشأ أبياتا فحمله سليمان خيرا، وقال: لا تسامعت العرب أني هربت، وقال شعرا يجيب به محمد بن صالح، ثم خرج سليمان بن أبي جعفر هاربا من دمشق، متوجها إلى العراق، وخرج معه ابن بيهس حتى أجازه ثنية العقاب، ولحقه الغوغاء والرعاع فنهبوا مواخر عسكره، وانصرف ابن بيهس إلى حوران.

قال أبو هشام عبد الصمد بن عبد الله: وجهني أبو قبطم محمد بن خريم[4] إلى أبي العميطر حين ذكر أنه يريد الخروج فأتيته وهو في قرية قرحتاء*، فقلت له: إن أخاك محمد بن خريم يقرئك السلام، ويقول لك: يا أبا الحسن، قد كبرت سنك، وقد حملنا عنك علما كثيرا، فلا تفسد نفسك، فلم يرد علي جوابا، وكان في مجلسه محمد بن معيوف الكلمي، فوثب علي وقال: ارجع إلى صاحبك فقل له: علي بن عبد الله الخليفة، وقد استوثق أمره، وبايعه الناس، فادخل فيما دخلوا فيه، ودع عنك ما لا يعنيك، قال: فرجعت إلى محمد بن خريم، فأخبرته، فقال: إن لله وإنا إليه راجعون، ثم دعا غلاما له فقال: ائتني بذلك القمطر، فأتاه بقمطر، ملئ كتبا فأخرجها ثم أمر بإحراقها، وكان كلها مما كتبه من أبي العميطر.

قال أبو عامر موسى بنعامر: كان الوليد بن مسلم يحدث أن السفياني إذا خرج فصعد منبر دمشق دعا بماء، فشرب على المنبر، قال أبو عامر: فرأيت أبا العميطر على المنبر، وقد دعا بماء، فقام إليه أبو مسهر بكوب فيه ماء فشرب.

حدث شعيب مولى أبي أمية، وكان وكنيته أبو عبد الله : أن أبا سيحان شيخا وربما قال في ولاية هشام بن عبد الملك: يا شعيب، كأنك بالرايات السود قد أقبلت، قلت: نعم، قال: وكأنك السفياني قد خرج عليهم، ثم قال لي: يا شعيب، إن رأيت خارجيا من آل أبي سفيان يدعو إلى نفسه، فلا يغرنك ذلك، وإن رأيته قد جلس على منبر دمشق، فليس بشيء، حتى ترى الرايات الصفر من قبل المغرب، فإذا كان ذلك فهو أول مخرجه. ولما خرج أبو العميطر بدمشق بعصب اليمانية فخرج بنفسه إلى قرية الحرجلة، فقلت من ظفر به من بني سليم ونهبها وأحرقها، ثم جعل يطلب من بمدينة دمشق من القيسية، فكان القرشيون وأصحابه من اليمن يمرون بالدار من دور دمشق فيقولون: ريح قيسي يشم من هاهنا فيضرمونها بالنار. ولما أخذ أبو العميطر المصيصة قرية بناحية على باب دمشق دخل عليه بعض أصحابه، فقال: يا أمير المؤمنين، قد أخذنا المصيصة، فخر أبو العميطر ساجدا وهو يقول: الحمد لله الذي ملكنا الثغر، توهم أنهم قد أخذوا المصيصة* التي عند طرسوس.

----

*(الزواقيل) قوم بناحية الجزيرة وما والاها (قرحتاء) من قرى دمشق (الحرجلة) من قرى دمشق(المصيصة) مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس

■ (1) سليمان بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو أيوب الهاشمي. كان أمير دمشق من قبل الرشيد ووليها أيضا من قبل الأمين مرتين. توفي سليمان بن أبي جعفر سنة 199 هـ، وهو ابن 50 سنة

■ (2) عبد الرحمن بن ميمون بن صلتان البربري يعرف بوجه الفلس وكان ممن قتل الوليد بن يزيد له ذكر في اهل دمشق. ووجه الفلس حي حياته في أيام عبد الملك بن مروان فحمل صلتان وابنه ميمونا الى عبد الملك فأراد قتلهما فاستوهبهما الوليد بن عبد الملك فكانا معه في خلافة عبد الملك ومات صلتان في خلافة عبد الملك ومات ميمون في خلافة الوليد بن عبد الملك فصار عبد الرحمن مع يزيد بن الوليد بن عبد الملك وخرج معه وعبد الرحمن الذي دخل على الوليد بن يزيد بن عبد الملك فاحتز رأسه وأتي به يزيد بن الوليد وحارث بن محمد بن وجه الفلس كانت له فتنة في أيام المأمون ومن ولده عبد الرحمن بن الخطاب بن وجه الفلس وذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه قال وفيها يعني سنة 231 هـ مات الخطاب بن وجه الفلس ومخارق المغني

■ (3) علي بن عيسى بن ماهان: من كبار القادة في عصر الرشيد والأمين العباسيين. وهو الذي حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد. وسيره الامين لقتال المأمون بجيش كبير، ولاه إمارة الجبل وهمذان وأصفهان وقم وتلك البلاد، فخرج من بغداد في 40 ألف فارس، فتلقاه طاهر بن الحمسين قائد جيش المأمون، في الري، فقتل ابن ماهان وانهزم أصحابه سنة 195هـ

■ (4) محمد بن خريم أبو قهطم المري من فقهاء أهل دمشق وأهل الفتوى بها..؟

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

حكى هارون بن العباس بن المأمون في تاريخه، قال: دخل طاهر[1] يوما على المأمون في حاجة فقضاها وبكى حتى اغرورقت عيناه بالدموع، فقال طاهر: يا أمير المؤمنين لم تبكي لا أبكى الله عينك، وقد دانت لك الدنيا وبلغت الأماني، فقال: أبكي لا عن ذل ولا عن حزن، ولكن لا تخلو نفس من شجن، فاغتنم طاهر وقال لحسين[2] الخادم وكان يحجب المأمون في خلواته: أريد أن تسأل أمير المؤمنين عن موجب بكائه عندما رآني، ثم أنفذ طاهر للخادم مائة ألف درهم، فلما كان في بعض خلوات المأمون وهو طيب الخاطر قال له حسين الخادم: يا أمير المؤمنين، لم بكيت لما دخل عليك طاهر فقال: مالك ولهذا ويلك قال: غمني بكاؤك، فقال: هو أمر إن خرج من رأسك أخذته، فقال: يا سيدي ومتى أبحت لك سرا قال: إني ذكرت محمدا[3] أخي وما ناله من الذلة، فخنقتني العبرة، ولن يفوت طاهرا مني ما يكره، فأخبر حسين طاهرا بذلك، فركب طاهر إلى أحمد بن أبي خالد[4] فقال له: إن الثناء مني ليس برخيص وإن المعروف عندي ليس بضائع، فغيبني عن المأمون، فقال: سأفعل، فبكر إلي غدا، وركب أحمد إلى المأمون فقال له: لم أنم البارحة، فقال له: ولم قال: لأنك وليت خراسان غسان[5] وهو ومن معه أكلة رأس، وأخاف أن يصطلمه مصطلم، فقال: فمن ترى قال: طاهر، قال: هو جائع، فقال: أنا ضامن له، فدعا به المأمون وعقد له على خراسان من ساعته، وأهدى له خادما كان رباه، وأمره إن رأى ما يريبه أن يسمه، فلما تمكن طاهر من الولاية قطع الخطبة. حكى كلثوم بن ثابت[6] متولي بريد خراسان قال: صعد طاهر المنبر يوم الجمعة وخطب، فلما بلغ ذكر الخليفة أمسك، فكتب بذلك إلى المأمون على خيل البريد، واصبح طاهر يوم السبت ميتا فكتب أيضا بذلك، فلما وصلت الخريطة الأولى إلى المأمون دعا أحمد بن أبي خالد وقال: اشخص الآن فأت به كما ضمنت، واكرهه على المسير في يومه، ثم بعد شدائد أذن له في المبيت، ثم وافت الخريطة الثانية من يومه بموته، وقيل: إن الخادم سمه في كامخ*. ثم إن المأمون استخلف ولده طلحة[7] على خراسان، وقيل إنه جعله خليفة بها لأخيه عبد الله بن طاهر[8]، وتوفي طلحة سنة ثلاث عشرة ومائتين ببلخ.

---

*(الكامخ) ما يؤتدم به أو المخللات المشهية ج كوامخ

■ (1) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، أبو الطيب، وأبو طلحة: من كبار الوزراء والقواد، أدبا وحكمة وشجاعة. وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي. ولد في بوشنج من أعمال خراسان وسكن بغداد، فاتصل بالمأمون في صباه، وكانت لابيه منزلة عند الرشيد. ولما مات الرشيد وولي الامين، كان المأمون في مرو، فانتدب طاهرا للزحف إلى بغداد، فهاجمها وظفر بالامين وقتله سنة198 هـ وعقد البيعة للمأمون، فولاه شرطة بغداد، ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب، في سنة 198 هـ وخراسان سنة 205 هـ وكان في نفس المأمون شئ عليه، لقتله أخاه الامين بغير مشورته. ولعله شعر بذلك. فلما استقر في خراسان، قطع خطبة المأمون، يوم جمعة، فقتله أحد غلمانه في تلك الليلة، بمرو، وقيل: مات مسموما سنة 207 هـ ولقب بذي اليمينين لانه ضرب رجلا بشماله، فقده نصفين، أو لانه ولي العراق وخراسان، لقبه بذلك المأمون. وكان أعور.

■ (4) أبو العباس، أحمد بن أبي خالد بن يزيد بن عبد الرحمن الكاتب الأحول كاتب ووزير عباسي، تولى الوزارة في عهد الخليفة العباسي المأمون. مات سنة 212 هـ

■ (5) غسان بن عباد بن أبي الفرج: من رجال المأمون العباسي. وهو ابن عم الفضل بن سهل. ولي خراسان من قبل الحسن بن سهل. ثم ولاه المأمون السند سنة 213 هـ. وكان العامل عليها بشر بن داود المهلبي، قد عصى المأمون ولم يحمل إليه خراجها، فلما دخلها غسان استأمن إليه بشر. وأقام نحو ثلاث سنوات أصلح فيها شؤون الامارة. ثم استعمل عليها عمران بن موسى البرمكي، وعاد إلى بغداد سنة 216 هـ، فقال فيه أحد الشعراء، من أبيات: سيف غسان رونق الحرب فيه وسمام الحتوف في ظبتيه. مات بعد 216 هـ

■ (8) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس: أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من باذغيس بخراسان وكان جده الاعلى زريق من موالي طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات وولي صاحب الترجمة إمرة الشام، مدة. ونقل إلى مصر سنة211 هـ، فأقام سنة، ونقل إلى الدينور. ثم ولاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الاطراف. واستمر إلى أن توفي بنيسابور وقيل: بمرو سنة230 هـ وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه، قال ابن الاثير: كان عبد الله من أكثر الناس بذلا للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مراث كثيرة. وقال ابن خلكان: كان عبد الله سيدا نبيلا عالي الهمة شهما، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. وقال الذهبي في دول الاسلام: كان عبد الله من كبار الملوك. وقال الشابشتي: كان المأمون تبناه ورباه. الطاهريون سلالة عربية من قبيلة خزاعة تولت إمرة ولاية خراسان وشرق تركستان أثناء الدولة العباسية ما بين205- 259 هـ

■ (7) طلحة بن طاهر بن الحسين الخزاعي: أمير خراسان، وابن أميرها. ولاه عليها المأمون العباسي بعد وفاة أبيه طاهر سنة 207 هـ فاستمر فيها إلى إن توفي. وكان جوادا عاقلا وله خبر لطيف مع إسحاق الموصلي، في الاغاني وكانت وفاته في بلخ سنة 213 هـ.

■ (3) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة 198 هـ

■ (6) كلثوم بن ثابت بن أبي سعد النخعي -يكنى أبا سعدة- وهو مولى محمد بن عمران من فوق فولاه محمد بن عمران بريد خراسان

■ (2) حسين الخادم ـ كان يحجب المأمون في خلواته- هل هو الحسين الخادم المعروف بالمخلدي؟ أو هو الحسين الخادم المعروف بعرق الموت؟ ويضرب مثلا لأشد الشدة وكان الحسين الخادم خادم المعتضد والمكتفى الذى كان يتولى البريد يلقب بعرق الموت وقيل إن المكتفى لقبه بذلك.

قال ابن مسكويه: ودخلت سنة 207 وفيها كانت وفاة ذي اليمينين طاهر من حمى وحرارة أصابته وذكر أنه وجد في فراشه ميتا فحكى خواصه وعمه علي بن مصعب أنهم صاروا إليه فسألوا الخادم عن خبره وكان يغلس بصلاة الصبح فقال الخادم: هو نائم لم ينتبه، فانتظروه ساعة فلما تأخر قالوا للخادم: أيقظه قال: لا أجسر، فقالوا: أطرق لنا لندخل إليه، فدخلوا فوجدوه ملقى في دواج قد أدخله تحته وشدة عليه من عند رأسه ورجليه فحركوه فلم يتحرك فكشفوا عن وجهه فوجدوه قد مات ولم يعلم أحد الوقت الذي توفي فيه، وذكر أبو سعيد كلثوم بن ثابت قال كنت على بريد خراسان ومجلسي يوم الجمعة في اصل المنبر فلما كانت سنة 207 بعد ولاية طاهر بن الحسين بسنتين حضرت الجمعة فصعد طاهر المنبر فخطب فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له وقال: اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك واكفها مؤنة من بغى لها السوء وأرادها لمكروه بلم الشعث وحقن الدماء وإصلاح ذات البين قال: فقلت في نفسي أنا أول مقتول لأني لا أكتم الخبر فانصرفت واغتسلت ووصيت واتزرت بإزار ولبست قميصا وارتديت رداء وطرحت السواد وكتبت إلى المأمون، قال: فلما صلى العصر دعاني وحدث حادث في جفن عينه وفي مآقه فسقط ميتا فخرج طلحة بن طاهر فقال: ردوه ردوه وقد خرجت فردوني وقال: هل كتبت بما كان؟ قلت: نعم، قال: فاكتب بوفاته، فأعطاني مالا وثيابا فكتبت بوفاته، وقد قام طلحة بالجيش قال: فوردت الخريطة على المأمون بخلعه فدعا ابن أبي خالد فقال: اشخص الآن فأت به كما زعمت وضمنت قال: أبيت ليلتي؟ قال: لا لعمري لا تبيت إلا على الظهر، فلم يزل يناشده حتى أذن له في المبيت، ووافت الخريطة بموته ليلا فأمر بمكاتبة طلحة وأقامه مقامه، فبقي طلحة واليا على خراسان في أيام المأمون سبع سنين بعد موت طاهر، ثم توفي وولي عبد الله خراسان، وذكر بعض خواص المأمون قال: سمعت مجلسا للمأمون وقد أتاه نعي طاهر، فقال: لليدين وللفم الحمد لله الذي قدمه وأخرنا، ثم وجه المأمون أحمد بن أبي خالد إلى خراسان للقيام بأمر طلحة فشخص أحمد إلى ما وراء النهر فافتتح أشروسنة وأسر كاوس وابنه وبعث بهما إلى المأمون ووهب طلحة لأحمد بن أبي خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضا بألفي ألف درهم ووهب لإبراهيم بن العباس كاتب أحمد خمسمائة ألف درهم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تجارب الأمم وتعاقب الهمم/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ الأعلام للزركلي/ ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب /

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) ويحيى بن أكثم (١) 0818

حدث محمد بن منصور واللفظ لأبي العيناء[1] قال: كنا مع المأمون[2] في طريق الشام فأمر فنودي بتحليل المتعة*، فقال يحي بن أكثم[3] لي ولأبي العيناء: بكرا غدا إليه، فإن رأيتما للقول وجها فقولا، وإلا فاسكتا إلى أن أدخل، قال: فدخلنا عليه (إليه) وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عهد أبي بكر رضي الله عنه وأنا أنهي عنهما، ومن أنت يا جعل (أحول) حتى تنهي عما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه فأومأ أبو العيناء إلى محمد بن منصور وقال: رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن فأمسكنا، فجاء يحيى بن أكثم فجلس وجلسنا، فقال المأمون ليحيى: ما لي أراك متغيرا فقال: هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام، قال: وما حدث فيه قال: النداء بتحليل الزنا، قال: الزنا!. قال: نعم، المتعة زنا، قال: ومن أين قلت هذا قال: من كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ -إلى قوله-: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون] يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين؟. قال: لا، قال: فهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها؟ قال: لا، قال: فقد صار متجاوز هذين من العادين!، وهذا الزهري يا أمير المؤمنين روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنيفة عن أبيهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ﴿أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أُنَادِيَ بِالنَّهْيِ عَنْ الْمُتْعَةِ وَتَحْرِيمِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ أَمَرَ بِهَا﴾، فالتفت إلينا المأمون فقال: أمحفوظ هذا من حديث الزهري، فقلنا: نعم يا أمير المؤمنين، رواه جماعة منهم مالك رضي الله عنه، فقال: أستغفر الله، نادوا بتحريم المتعة، فنادوا (فبادروا) بها.

----

*(المتعة) نكاح =زواج- المرأة للاستمتاع بها لمدة معلومة وبأجر معلوم

■ (3) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي، قاضي القضاة، الفقيه، العلامة، أبو محمد التميمي، المروزي، ثم البغدادي. ولد في حدود سنة 158 هـ في خلافة المهدي. وسمع من: عبد العزيز بن أبي حازم، وابن المبارك، وعبد العزيز الدراوردي، وجرير بن عبد الحميد، وسفيان بن عيينة، والفضل السيناني ، وعبد الله بن إدريس، وعدة. وله رحلة ومعرفة. حدث عنه: الترمذي، وأبو حاتم، والبخاري خارج (صحيحه) ، وإسماعيل القاضي، وإبراهيم بن محمد بن متويه، وأبو العباس السراج، وعبد الله بن محمود المروزي، وآخرون. وكان من أئمة الاجتهاد، وله تصانيف، منها كتاب (التنبيه). ولاه المأمون قضاء بغداد،وكانت الوزراء لا تبرم شيئا حتى تراجع يحيى. مات بالربذة (قرية من قرى المدينة)، منصرفه من الحج، سنة 242 هـ. قال الفضل الشعراني: سمعت يحيى بن أكثم يقول: القرآن كلام الله، فمن قال: مخلوق، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه. قال الصولي: سمعت إسماعيل القاضي يعظم شأن يحيى بن أكثم، وذكر له يوم قيامه في وجه المأمون لما أباح متعة النساء، فما زال به حتى رده إلى الحق، ونص له الحديث في تحريمها، فقيل لإسماعيل: فما كان يقال؟ قال: معاذ الله أن تزول عدالة مثله بكذب باغ أو حاسد. ثم قال: وكانت كتبه في الفقه أجل كتب، تركها الناس لطولها.

■ (1) أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد البصري، العلامة، الإخباري، أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد البصري، الضرير النديم. ولد بالأهواز سنة 191 هـ، ونشأ بالبصرة.ومات سنة 283 هـ، وقد جاوز التسعين. قلما روى من المسندات، ولكنه كان ذا ملح ونوادر وقوة ذكاء. قال له الوزير أبو الصقر: ما أخرك عنا؟ قال: سرق حماري. قال: وكيف سرق؟ قال: لم أكن مع اللص فأخبرك. قال: فهلا جئت على غيره؟ قال: أخرني عن السرى قلة يساري، وكرهت ذلة العواري، ونزق المكاري.

■ (2) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ وتوفي سنة218 هـ

لماذا حرم الله زواج المتعة ؟ يجيبنا عبد الله بن سليمان بن منيع بقوله: الذي عليه عموم المسلمين من علماء وفقهاء ومحدثين ومفسرين: القول بتحريم زواج المتعة، وأنه نكاح باطل، وتعليل ذلك أن الزواج الشرعي علاقة مأمول فيها الاستمرار والدوام وابتغاء ما كتب الله للزوجين من معاشرتهما الزوجية من الولد، وأن الله تعالى يهيئ لهما من المودة والرحمة ما يضمن للحياة الزوجية بينهما اللبنة الصالحة لابتغاء أسرة كريمة، فيها تبادل التعاون والتكاتف، تحقيقاً للتوجيه النبوي الكريم: ﴿تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أخرجه أحمد، وأبو داود، والنسائي. وزواج المتعة عار عن هذه المقاصد والمعاني في الزواج الشرعي، وهو ينزل بمستوى المرأة عن إنسانيتها الكاملة إلى سلعة معروضة للأجرة واستيفاء المنفعة، فضلاً عما في ذلك من التخبط في الأعراض وتعريضها للضياع والفوضى، والله أعلم.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ الثقات لابن حبان/ فتاوى واستشارات الإسلام اليوم/ المعجم الوسيط/ السلسلة الضعيفة/

كان المأمون قد احتظى يحيى بن أكثم[1] ورفع منزلته، وخص به خلصة باطنه، فدخل عليه يوما وهو يتغذى، وعبد الوهاب بن علي[2] إلى جانب المأمون، فسلم فرد عليه السلام، ثم قال: هلم يا أبا محمد، يا غلام وضئه، فخرج يحيى والطويلة على رأسه ليتوضأ، فقال المأمون لعبد الوهاب: أوسع لأبي محمد، فأوسع له بينه وبين المأمون. فغسل يده ودخل، فوضع طويلته عن غير إذنه، فقال المأمون لعبد الوهاب: عد إلى مكانك، وأقعد يحيى بين يديه وكان بدء ما نقمه عليه.

تولى يحيى بن أكثم ديوان الصدقات على الأضراء*، فلم يعطهم شيئا، فطالبوه، فلم يعطهم، وقال: ليس لكم عند أمير المؤمنين شيء، فقالوا: لا تفعل يا أبا سعيد، فقال: الحبس الحبس، فحبسوا جميعا، فلما كان الليل ضجوا، فقال المأمون: ما هذا؟ قالوا: الأضراء، حبسهم يحيى بن أكثم، قال: لم حبسهم؟ قال: كنوه فحبسهم، فدعاه، فقال: حبستهم على أن كنوك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لم أحبسهم على ذلك، إنما حبستهم على التعريض قالوا لي: يا أبا سعيد، يعرضون بشيخ لائط في الحربية*.

لما قدم يحيى بن أكثم مع المأمون دمشق كان ينظر في أمور الناس، فدخل إليه رجل يوما فكلمه بكلام لا يصلح، فأمر بحبسه، فركب إليه المشايخ في العشي –قال ابن ذكوان وكان فيهم– : فكلمناه وسألناه يخليه، فقال: ما أنا حبسته، فكأنا أنكرنا ذلك من قوله: قال: الحق حبسه، والحق يطلقه. كان يحيى بن أكثم وقاعة في الناس شريرا، وكان يغري المأمون بالناس، ويقع فيهم عنده، وكان يثني على عمرو بن مسعدة[3] ويقرظه، ويذكر حسن صناعته وفراهته ويصحبه، فدخل عمرو على المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني أن يحيى بن أكثم يثني علي عندك، وأنا أسألك بالله أن تريه أنك قبلت شيئا من قوله في، فإنه إنما قدم للثناء علي لوقيعة يريد يوقعها بي لديك لتصدقه فيما يقول، فضحك المأمون منه وقال: قد أمنت من ذلك فلا تخفه مني. قال المأمون يوما ليحيى بن أكثم: أريد أن تسمي لي ثقلاء عسكري وحاشيتي، قال: اعفني من ذلك، فلست أذكر أحدا منهم، وهم لي على ما تعلم، فكيف إن جرى مثل هذا؟ قال: فإن كنت لا تفعل فاضطجع حتى أفتل مخراقا* وأضربك به وأسمي مع كل ضربة رجلا، فإن كان ثقيلا تأوهت وإن يك غير ذلك سكت فأعرفه، فاضطجع له يحيى وقال: ما رأيت قاضي قضاة وأميرا ووزيرا يعمل به مثل ذا، فلف له مخراقا دبيقيا، فضربه ضربة، وذكر رجلا، فصاح يحيى: أوه أوه يا أمير المؤمنين في المخراق؟ آخره. فضحك حتى كاد يغشى عليه، وأعفاه من الباقين.

----

* (المخراق) ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا (الاضراء) جمع ضرير وهو الذي فقد بصره (الحربية) محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي من قواد المنصور أما الخريبة فهي موضع بالبصرة.

■ (1) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي، قاضي القضاة، الفقيه، العلامة، أبو محمد التميمي، المروزي، ثم البغدادي. ولد في حدود سنة 158 هـ في خلافة المهدي. وسمع من: عبد العزيز بن أبي حازم، وابن المبارك، وعبد العزيز الدراوردي، وجرير بن عبد الحميد، وسفيان بن عيينة، والفضل السيناني ، وعبد الله بن إدريس، وعدة. وله رحلة ومعرفة. حدث عنه: الترمذي، وأبو حاتم، والبخاري خارج (صحيحه) ، وإسماعيل القاضي، وإبراهيم بن محمد بن متويه، وأبو العباس السراج، وعبد الله بن محمود المروزي، وآخرون. وكان من أئمة الاجتهاد، وله تصانيف، منها كتاب (التنبيه). ولاه المأمون قضاء بغداد،وكانت الوزراء لا تبرم شيئا حتى تراجع يحيى. مات بالربذة (قرية من قرى المدينة)، منصرفه من الحج، سنة 242 هـ. قال الفضل الشعراني: سمعت يحيى بن أكثم يقول: القرآن كلام الله، فمن قال: مخلوق، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه. قال الصولي: سمعت إسماعيل القاضي يعظم شأن يحيى بن أكثم، وذكر له يوم قيامه في وجه المأمون لما أباح متعة النساء، فما زال به حتى رده إلى الحق، ونص له الحديث في تحريمها، فقيل لإسماعيل: فما كان يقال؟ قال: معاذ الله أن تزول عدالة مثله بكذب باغ أو حاسد. ثم قال: وكانت كتبه في الفقه أجل كتب، تركها الناس لطولها.

■ (3) عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي: وزير المأمون، وأحد الكتاب البلغاء. كان يوقع بين يدي جعفر ابن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، واتصل بالمأمون، فرفع مكانته، وأغناه. وفي كتب الأدب كثير من رسائله وتوقيعاته. وكان جوادا ممدحا فاضلا نبيلا. توفي في أذنة (أطنه) بتركية آسية سنة 217 هـ.

■ (2) عبد الوهاب بن علي بن المهدي بن المنصور، كان من وجوه بني هاشم يسكن بسر من رأى، مات بسر من رأى سنة 229 هـ.

من محاسن الأخلاق، ما حكي عن القاضي يحيى بن أكثم قال: كنت نائما ذات ليلة عند المأمون، فعطش، فامتنع أن يصيح لغلام يسقيه، وأنا نائم فينغص علي نومي، فرأيته وقد قام يتمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء، وكان بينه وبين الماء نحو ثلاثمائة خطوة، ثم رجع يتمشى على أطراف أصابعه حتى وصل إلى الفراش الذي أنا عليه، وخطا خطوات لطيفة لئلا ينبهني حتى وصل إلى فراشه، ثم رأيته آخر الليل، وقد قام يبول، فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح للغلام، فلما تحركت وثب قائما وصاح بالغلام وتأهب للصلاة ثم جاءني وقال: كيف أصبحت يا أبا محمد، وكيف مبيتك؟ قلت: بخير مبيت جعلني الله فداك. قال: لقد استيقظت للصلاة، فكرهت أن أصيح للغلام فأزعجك. فقلت: يا أمير المؤمنين، لقد خصك الله بأخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ووهب لك سيرتهم، فهناك الله بهذه النعمة، وأتمها عليك. فأمر لي بألف دينار وانصرفت.

ومن حلمه أيضا. قال يحيى بن أكثم: كنت أنا والمأمون يوما في بستان ندور فيه فمشينا في البستان من أوله إلى آخره، وكنت مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل، فكان يجذبني أن أكون في الظل وهو في الشمس، فأمتنع من ذلك، فإذا رجعنا قال لي: والله يا يحيى لتكونن في مكاني ولأكونن في مكانك، حتى آخذ نصيبي من الشمس كما أخذت نصيبك منها. فقلت: والله يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك من هول المطلع لفعلت. ولم يزل بي حتى تحولت إلى الظل وتحول هو إلى الشمس، ووضع يده على عاتقي وقال: بحياتي عليك إلا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت، فإنه لا خير في صحبة من لا ينصف.

قال النقاش عن عبد الله بن محمود المروزي رأيت قاضي القضاة يحيى بن أكثم بمكة وقد وقف يلاحظ حجاما عليه أنف كأنه أزج فقلت له: أيها القاضي، ما هذا الوقوف؟ فقال: ذرني، فإني أريد أن أنظر إلى هذا كيف يستوي له مص المحجمة مع هذا الأنف، وقد كان رجل جالس بين يدي الحجام، ففطن به الحجام، فقال له: مالك قائم تنظر إلي؟ ليس ونور الله أضرب في قفا هذا بمعولي، وأنت واقف فتوارينا عنه، فإذا هو يعطف أنفه بيده اليسرى، ويمسك المحجمة بيده اليمنى، ويمص بفيه، فقال يحيى: أما هذا فنعم.

قال أحمد بن أبي طاهر (ابن طيفور): حدثني أحمد بن صالح الأضخم. قال : هل تدري ما كان سبب يحيى بن أكثم؟ قلت: لا. وإني أحب أن أعرفه. قال: يحيى بن خاقان هو وصله بالحسن ابن سهل وقربه من قلبه، وكبره في صدره حتى ولاه قضاء البصرة ثم استوزره المأمون فغلب عليه. وحدثني عبد الله بن أبي مروان الفارسي. قال: كان ثمامة سبب يحيى بن أكثم في قضاء البصرة مرتين، وسبب تخلصه من الخادم الذي أمر بتكسيفه بالبصرة. ويقال إنه سطع خصيته في تعذيبه بالقصب ثم عزل من البصرة فنزل على ثمامة حتى ارتاد له دارا بحضرته ومات أحمد بن أبي خالد الأحول واحتيج إلى من يقوم مقامه. قال: فأراد المأمون ثمامة على اللزوم للخدمة فأمتنع واعتل عليه وكره ذلك منه. قال: فأريد لي رجلا يصلح للخدمة. قال ثمامة: فذكرت يحيى في نفسي ولم أبد ذلك للمأمون حتى لقيت يحيى فعقدت عليه أن لا يغدر وأن لا ينساها لي إن حسنت به حاله، ولطفت له منزلة. قال: فقال يحيى: يا أبا معن، أنا صنيعتك وابن عمك. فخبرني سراج خادم ثمامة أنه بلغ من مقاربة يحيى لثمامة وطلب المنزلة عنده أنه جعل يتعلم القول بالاعتزال. قال: فلما خصن حال يحيى ووقع بينه وبين ثمامة ما وقع من الشر والمباينة والمحادثات عند المأمون فجرى لهم من المجالس في الكلام والخلاف ما قد أثر وكتب قال يحيى يوما: يا أمير المؤمنين، بلغني أن رجلا يزعم أنه يفرق بين ما اختلفت فيه الأمة في حرفين. فقال له ثمامة: يا أمير المؤمنين، إياي اعترى ولي في قوله غناء. نعم أنا أفرق بين ما اختلفت فيه الأمة بحرفين إلا أني أزداد حرفا ثالثا لتفهمه مع الخاصة. فقال المأمون: فقل. فما أراك بخارج منها ! قال: يا أمير المؤمنين، لا تخلو أفعال العباد وما اختلف الناس فيه من ذلك أن تكون ؛ من الله ليس للعباد فيها صنع، أو بعضها من الله وبعضها من العباد، فإن زعم أنها من الله ليس للعباد فيها صنع، كفر ونسب إلى الله كل فعل قبيح، وإن زعم أنها من الله ومن العباد، جعل الخلق شركاء لله في فعل الفواحش والكفر، وإن زعم أنها من العباد ليس لله فيها صنع، صار إلى ما أقوله، قال: فما أجاب يحيى جوابا.

قال أحمد بن أبي طاهر: كان المأمون يحضر يحيى بن أكثم وهو يشرب فلا يسقيه ويقول: لو أراد يحيى أن يشرب ما تركته وربما وضعت الصحفة قدام المأمون فيها مطبوخ ويحيى يأكل معه فيقول له المأمون: فيها مطبوخ إني لا أترك قاضي يشرب النبيذ. وقال يحيى بن أكثم: أظهر لكل قاض ما تريد أن توليه إياه ومره بكتمانه ثم انظر ما يفعل أولا وضع عليهم أصحاب أخبار. فقال له المأمون: أولئك قضاء القضاة. وقال لغيره: ما يريد أن يوليه فشاع ذلك كله إلا خبر يحيى فإنه أتاه أن الناس ذكروا أنه يريد الخروج إلى البصرة على قضائها فذمهم. وقال له كيف شاع هذا وأمرت باكتراء السفن إلى البصرة. قال يحيى يا أمير المؤمنين: ليس يستقيم كتمان شئ إلا بإذاعة غيره وإلا وقع الناس عليه. قال : صدقت وحمده.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ الثقات لابن حبان/ فتاوى واستشارات الإسلام اليوم/ المعجم الوسيط/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس/ كتاب بغداد/ تهذيب الكمال/

عن الحسن بن سهل قال: جلس المأمون[1] ذات يوم للمظالم وإذا هو برجل قد مثل بين يديه وفي يده رقعة فيها سطران: بسم الله الرحمن الرحيم. مظلمة من أمير المؤمنين أطال الله بقاءه. فقال: أمظلمة مني! قال: أفأخاطب بالخلافة سواك؟ قال له: وما ظلامتك هذه؟ قال: ثلاثون ألف دينار. قال: وما وجهها؟ قال: إن سعيدا وكيلك اشترى مني جوهرا بثلاثين ألف دينار وحمله إلى منزلك ولم يوفر علي المال. قال: فإذا اشترى سعيد منك الجوهر تشكو الظلامة مني! قال: نعم إذا كانت الوكالة قد صحت له منك. قال: إن كلامك هذا يحتمل ثلاث جهات: أما أول ذلك فلعل سعيدا قد اشترى هذا الجوهر منك كما زعمت وحمله إلينا وأخذ المال من بيت المال ولم يوفره عليك، أو لعله قد وفره وادعيت باطلا، أو اشتراه لنفسه. أما في العاجل فلا يلزمني لك حق ولا أعرف لك ظلامة. فقال الرجلك إن الله جل وعز قد أهلك لموضع رفيع واختصك بنسب جعلك أولى الخلق معه بالانصاف فإنك مناسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، واسترعاك على خلقه فهلا تحملني على كتاب الله جل وعز وسنة ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في رسالته إلى أبي موسى الأشعري وهي التي اتخذتموها صدور أحكامكم ووصية لقضاتكم إذ يقول:﴿الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ﴾ قال المأمون: فإنك والله قد عدمت البينة فما يجب لك إلا حلفة ولئن حلفتها لأنا صادق إذ كنت لا أعرف لك حقا يلزمني. قال: فإذا أدعوك إلى الحاكم الذي نصبته لرعيتك. قال: نعم، يا غلام علي بيحيى بن أكثم[2]. فإذا هو قد مثل بين يديه. فقال: يا يحيى! قال: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: اقض بيننا. قال: في حكم وقضية! قال: نعم. قال: لا أفعل. قال: ولم؟ قال: لأن أمير المؤمنين لم يجعل داره مجلس قضائي. قال: قد فعلت. قال: فإني أبدأ بالعامة أولا ليصبح المجلس للقضاء. قال: افعل. ففتح الباب وقعد في ناحية من الدار وأذن للعامة ونادى المنادي وأخذ الرقاع ودعا بالناس ثم دعا الرجل المتظلم فقال له يحيى: ما تقول؟ قال: أقول أن تدعو بخصمي أمير المؤمنين المأمون. فنادى المنادي فإذا المأمون قد خرج في رداء وقميص وسراويل قد أرسلها على عقبيها في نعل رقيق ومعه غلام يحمل مصلى حتى وقف على يحيى وهو جالس. فقال له: اجلس. فطرح المصلى ليقعد عليه. فقال له يحيى: يا أمير المؤمنين لا تأخذ على خصمك شرف المجلس. فطرح له مصلى آخر فجلس عليه. وقال له يحيى: ما تقول؟ فقال: لي على هذا ثلاثون ألف دينار. قال: ومن هذا؟ قال: أمير المؤمنين المأمون بالله. قال له يحيى: يا أمير المؤمنين قد سمعت ما يقول؟ قال: سله ما وجهها. فأعاد خبر الوكيل. فقال المأمون: ما أعرف له حقا. فأقبل على الرجل فقال: قد سمعت، ألك بينة؟ قال: لا. قال: فما تريد؟ قال: ما يوجبه الحكم لمن عدم البينة. قال المأمون: ويحك قد لججت في اليمين! قال: يا أمير المؤمنين أتحلف؟ قال: إي والله ولا أوطيء نفسي العشوة في إعطاء رجل ما لا يجب له ظلما. فقال: قل والله. فاستحلفه غموسا. ثم وثب يحيى عند فراغ المأمون من يمينه فقام على رجليه. فقال له المأمون: ما أقامك؟ فقال: إني كنت في حق الله جل وعز حتى أخذته منك وليس الآن من حقك أن أتصدر عليك. وقبض على الرجل لئلا يخرج. فقال المأمون: ارفقوا به. ثم قال: يا غلام أحضرني ما ادعى من المال. فلما أحضر قال: خذه إليك والله ما كنت أحلف على فجرة ثم اسمح لك فأفسد ديني ودنياي، والله يعلم ما دفعت إليك هذا المال إلا خوفا من هذه الرعية لعلها ترى أن تناولتك من وجه القدرة وأني منعتك واجبك بالاستطالة عليك وإنها لتعلم الآن ما كنت أسمح لك باليمين. فقال: يا أمير المؤمنين أفأحاط في المال حتى أصل إلى حيث آمن عليه؟ قال: إي والله ولو بالتغزغز وأسبيجاب. فأخرج الرجل مع المال وبذرق به إلى أن بلغ مأمنه.

وفي رواية تقدم المأمون بين يدي يحيى بن أكثم مع رجل ادعى عليه ثلاثين ألف دينار، فطرح المأمون مصلى يجلس عليه، فقال يحيى: لا تأخذ على خصمك شرف المجلس. ولم يكن للرجل بينة، فحلف المأمون، فلما فرغ وثب يحيى فقام على رجليه فقال: ما أقامك؟ فقال: إني كنت في حق الله تعالى حتى أخذته منك، وليس الآن من حقك أن أتصدر عليك. فأعطى الرجل ما ادعاه، وهو ثلاثون ألف دينار، وقال: خذه، والله إني ما كنت لأحلف على فجره ثم أسمح لك بالمال فأفسد ديني ودنياي. والله ما دفعت إليك هذا المال الساعة إلا خوفا من هذه العامة فلعلها ترى أني تناولتك من جهة القدرة ومنعتك حقك بالاستطالة عليك فأما الآن فإنها تعلم أني ما كنت لأسمح باليمين والمال،وأمر ليحيى بثلاثين ألف دينار وتصدق بثلاثين ألف دينار.

■ (2) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي، قاضي القضاة، الفقيه، العلامة، أبو محمد التميمي، المروزي، ثم البغدادي. ولد في حدود سنة 158 هـ في خلافة المهدي. وسمع من: عبد العزيز بن أبي حازم، وابن المبارك، وعبد العزيز الدراوردي، وجرير بن عبد الحميد، وسفيان بن عيينة، والفضل السيناني ، وعبد الله بن إدريس، وعدة. وله رحلة ومعرفة. حدث عنه: الترمذي، وأبو حاتم، والبخاري خارج (صحيحه) ، وإسماعيل القاضي، وإبراهيم بن محمد بن متويه، وأبو العباس السراج، وعبد الله بن محمود المروزي، وآخرون. وكان من أئمة الاجتهاد، وله تصانيف، منها كتاب (التنبيه). ولاه المأمون قضاء بغداد،وكانت الوزراء لا تبرم شيئا حتى تراجع يحيى. مات بالربذة (قرية من قرى المدينة)، منصرفه من الحج، سنة 242 هـ. قال الفضل الشعراني: سمعت يحيى بن أكثم يقول: القرآن كلام الله، فمن قال: مخلوق، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه. قال الصولي: سمعت إسماعيل القاضي يعظم شأن يحيى بن أكثم، وذكر له يوم قيامه في وجه المأمون لما أباح متعة النساء، فما زال به حتى رده إلى الحق، ونص له الحديث في تحريمها، فقيل لإسماعيل: فما كان يقال؟ قال: معاذ الله أن تزول عدالة مثله بكذب باغ أو حاسد. ثم قال: وكانت كتبه في الفقه أجل كتب، تركها الناس لطولها.

■ (1) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ وتوفي سنة 218 هـ

المسألة المأمونية: قال اليافعي: ذكر الفقيه أبو الفضل عبد العزيز بن علي في كتاب الفرائض في آخر المسائل الملقبات، وهي أربع عشرة المعروفة بالمأمونية التي هي: أبوان وابنتان، ولم يقسم التركة حتى ماتت إحدى البنتين، وخلفت من المسألة، الأولى سميت المأمونية لأن المأمون أراد أن يولي رجلا على القضاء، فوصف له يحيى بن أكثم، فاستحضره، فلما دخل عليه وكان ذميم الخلق استحقره المأمون، فعلم ذلك يحيى فقال: يا أمير المؤمنين سلني إن كان القصد علمي لا خلقي، فسأله عن هذه المسألة فقال: الميت الأول رجل أو امرأة، فعلم المأمون أنه قد علم المسألة. وفي رواية أنه قال له: إذا عرفت الميت الأول فقد عرفت الجواب، وذلك أنه إن كان الميت الأول رجلا فيصح المسألتان من أربعة وخمسين، وإن كان امرأة لم يرث الجد في المسألة الثانية، لأنه أب وأم، فتصبح المسألتان من ثمانية عشر سهما. قال بعضهم، كان المأمون ممن برع في العلوم، فعرف من حال يحيى بن أكثم وما هو عليه من العلم والعقل.

ادعى رجلا على المأمون مالا فاستحضر قاضيه يحيى بن أكثم فاستحلفه فحلف، ثم أمر للمدعي بما ادعى عليه فقيل له في ذلك، فقال: حلفت له لئلا يجعل اتقاي ذريعة إلى أن يدعو علي، وبذلت المال لئلا يظن أحد أني حلفت لمبالاتي بهذا المال. وادعى رجل على عمر ما لم يلزمه فحلف له. واستخلف أبي بن كعب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحلف كراهة أن يجعل الناس ترك الأيمان مع معرفتهم بالبراءة سنة، فدخل ذلك في شدة الورع. واستحلف عمرو بن عبيد على درهم ادعاه عليه بعض من أراد عنته، فقال حفص بن سالم: تعطيه نحن ونعفيك منه ونرفع قدرك عن مطالبة مثله. فقال: ما أكره أن أحلف على حق، وما كنت لأعينه على معصية. وادعى رجل على عثمان رضي الله عنه مالا واستحلفه فأبى واتقاه بدعواه. فقيل له: هلا حلفت إذا كان مبطلا! فقال: خشيت أن يوافق حلفي قضاء فيقال: إن ذلك أصابه لجراءته على الحلف. المتنبي: وفاعل ما اشتهى يغنيه عن حلف..على الفعال حضور العقل والكرم.

قال مسلم بن حاتم الأنصاري: كنا يوما عند زهير البابي[1] نعوده، وإذا نحن برجل يقول في الدار: يا جارية، يا غلام، فأشرف عليه بعض من كان يخدمه فقال: من هذا؟ فقال: أخبر أبا عبد الرحمن أن القاضي بالباب، فأخبره، فقال زهير: مالي وللقاضي وما للقاضي ولي قال: وقد كان جاءه قبل ذلك بيوم فحجبه، فقدم إليه رجلين من أمنائه: العيشي وإسحاق بن حماد بن زيد، وقال لهما: إني ذهبت إلى زهير فحجبني، فاغدوا عليه وكونا عنده حتى أجيء فإن أذن لي فذاك وإلا فسهلا أمري، فأقبل عليه العيشي فقال: يا أبا عبد الرحمن، قاضي أمير المؤمنين (يعني: يحيى بن أكثم ؟) جاء يعودك إن رأيت أن تأذن له، قال يا عيشي، أنت أيضا من هذا الضرب؟ ما للقاضي وعبادة زهير فأقبل عليه ابن حماد فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن رأيت أن تأذن له فلعله أن يسمع منك كلمة ينفعه الله بها، فما زالا بالشيخ حتى قال: ائذنوا له، فدخل وهو يومئذ كهل، وعليه كسوة عجيبة، قال: فتحسحس* جميع من في البيت، وزهير لا يتحرك حتى جلس يحيى، فانكب على رأسه فقبله ثم قال: يا أبا عبد الرحمن، كيف أصبحت؟ كيف تجدك؟ قال: أنا بخير والحمد لله وأنا في عافية، قال: جعلك الله بخير يا أبا عبد الرحمن، جئتك أمس فمنعتني، وجئتك اليوم، فكدت ألا تأذن لي، بلغك عني أمر تكرهه؟ اشتكاني إليك أحد بظلم أحد من قبلي فأستغفر الله وأرجع وأتوب؟ إلى أن قال في كلامه: والله يا أبا عبد الرحمن ما تركت. فقال زهير: خذوا بيدي، فجلس، فقال: يا يحيى، من لم يدعك؟ ضربت سوطا قط أخذ من مالك دينار قط حبست يوما إلى الليل قط قال: لا والله، قال: ولكن ما أرى الله أتى بك من أقاصي مرو وقلدك هذه القلادة لخير يريده بك، قال: فجعل يبكي، ثم قال في آخر كلامه: يا أبا عبد الرحمن، لك حاجة توصي بها؟ قال: مالي إليك حاجة إلا أن تؤثر الله على ما سواه.

جاء رجل يسأل يحيى بن أكثم فقال له: إيش توسمت في؟ أنا قاض، والقاضي يأخذ ولا يعطي، وأنا من مرو، وأنت تعرف ضيق أهل مرو، وأنا من تميم، والمثل إلى بخل تميم. قال يحيى بن أكثم: كان لي أخ مروزي وكان يكتب إلي في الأحايين، وما كتب إلي إلا انتفعت بكتابه، فكتب إلي مرة: بسم الله الرحمن الرحيم، يا يحيى اعتبر بما ترى، واتعظ بما تسمع، قبل أن تصير عبرة للناظرين وعظة للسامعين. قال: قلت: لقد جمع فيه. لقي رجل يحيى بن أكثم وهو على قضاء القضاة فقال له: أصلح الله القاضي: كم آكل؟ قال: فوق الجوع ودون الشبع. قال: فكم أضحك؟ قال: حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك. قال: فكم أبكي؟ قال: لا تمل البكاء من خشية الله تعالى، قال: فكم أخفي من عملي؟ قال: ما استطعت؟ قال: فكم اظهر منه؟ قال: ما يقتدي بك البر الخير، ويؤمن عليك قول الناس. فقال الرجل: سبحان الله، قول قاطن وعمل ظاعن. قال يحيى بن أكثم: من خالط الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم.

قال أحمد بن إبراهيم الموصلي: كنت مع أمير المؤمنين المأمون بالشماسية* و هو يجري الحلبة ومعه يحيى بن أكثم و هو يقول: يا يحيى أما ترى أما ترى ثم قال: حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ﴾ إسناده ضعيف أخرجه أبو يعلى والبيهقي، وقد ثبت الشطر الثاني من الحديث بلفظ ﴿خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ﴾ وهو مخرج في الصحيحة.

---

*(تحسحس) للقيام تحرك. وفي في تاريخ دمشق: تخشخش: صوت وفي الشيء دخل فيه وغاب يقال تخشخش في الشجر (الشماسية) منسوبة إلى بعض شماسي النصارى وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد

■ (1) زهير بن نعيم البابي السلولي ويقال العجلي أبو عبد الرحمن السجستاني نزيل البصرة. توفي في خلافة المأمون. (البابي) بموحدتين نسبة باب الابواب إلى مدينة دربند (والسلولي) بفتح السين المهملة وضم اللام نسبة إلى بني سلول بنت ذهل بن شيبان.

■ مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ الثقات لابن حبان/ فتاوى واستشارات الإسلام اليوم/ المعجم الوسيط/ السلسلة الضعيفة/ محاضرات الأدباء/ المحاسن والمساوئ/

قال ثمامة[1] صاحب الكلام: كان المأمون قد هم بلعن معاوية وأن يكتب بذلك كتابا في الطعن عليه، قال: ففثأه* عن ذلك يحيى بن أكثم[2] وقال: يا أمير المؤمنين العامة لا تحتمل هذا ولا سيما أهل خراسان* ولا تأمن أن يكون لهم نفرة ونبوة لا تستقال ولا يدرى ما تكون عاقبتها، والرأي أن تدع الناس على ما هم عليه ولا تظهر لهم أنك تميل إلى فرقة من الفرق فإن ذلك أصلح في السياسة وآمن في العاقبة وأجرى في التدبير، قال الروي: فركن إلى قوله، فلما دخلت عليه قال: يا ثمامة قد علمت ما كنا دبرناه في أمر معاوية وقد عارضنا رأي هو أصلح في تدبير المملكة وأبقى ذكرا في العامة، ثم أخبرني أن يحيى بن أكثم حذره وأخبره بنفور العامة عن مثل هذا الرأي، فقلت: يا أمير المؤمنين والعامة عندك في هذا الموضع الذي وضعها فيه يحيى، والله لو بعثت إليها إنسانا على عاتقه سواد ومعه عصا لساق إليك منها عشرة آلاف! والله يا أمير المؤمنين ما رضي الله جل وعز أن سواها بالأنعام حتى جعلها أضل سبيلا، فقال تبارك وتعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان] والله لقد مررت يا أمير المؤمنين منذ أيام في شارع الخلد وأنا أريد الدار فإذا إنسان قد بسط كساءه وألقى عليه أدوية وهو قائم ينادي: هذا الدواء للبياض في العين والغشاوة والظلمة وضعف البصر، وإن إحدى عينيه لمطموسة والأخرى مؤلمة، والناس قد تألبوا عليه واحتفلوا إليه، فنزلت عن دابتي ودخلت بين تلك الجماعة فقلت: يا هذا أرى عينيك أحوج الأعين إلى العلاج وأنت تصف هذا الدواء وتخبر أنه شفاء! فما بالك يا هذا لا تستعمله؟ قال: أنا في هذا الموضع منذ عشرين سنة ما رأيت شيخا قط أجهل منك ولا أحمق! قلت: وكيف ذاك؟ قال: يا جاهل أتدري أين اشتكت عيني؟ قلت: لا، قال: بمصر، فأقبلت علي الجماعة فقالت: صدق والله أنت جاهل، وهموا بي، فقلت: والله ما علمت أن عينه اشتكت بمصر! فما تخلصت منهم إلا بهذه الحجة. قال: فضحك المأمون وقال: ما لقيت من الله جل ذكره من سوء الثناء وقبح الذكر أكثر، قلت: أجل.

----

*(فثأ) فثأت عني فلانا فثأ إذا كسرته عنك وفثأ الشيء عنه: كفه (أهل خراسان) قد يعني سكان المناطق الشمالية من بغداد والذين وفدوا من خراسان وكانوا يمثلون أكثرية الجيش العباسي ، وقد يكون مقصوده أهل خراسان الإقليم الذي يقع في المشرق والذي كان غالب أهله سنة وكانت بغداد على طريق حجهم.

■ (2) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي.كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

■ (1) ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن جل منزله، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون. وكان ذا نوادر وملح. من تلاميذه الجاحظ. وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه.وعده المقريزي في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يسمون الثمامية نسبة إليه (نسبة إلى قرية بالموصل)، وأورد بعض ما انفردوا به من الآراء والمعتقدات. وقال ابن حزم: كان ثمامة يقول: إن العالم فعل الله بطباعه. وقال الجاحظ: ما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي بلغ من حسن الإفهام، مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج، مع السلامة من التكليف، ما كان بلغه. قال الزركلي والذهبي: توفي سنة 213 هـ.

☪

قال محمد بن جرير: في سنة 284 عزم المعتضد[1] على لعن معاوية على المنابر، فخوفه الوزير من اضطراب العامة، فلم يلتفت.ومنع القصاص من الكلام ومن اجتماع الخلق في جوامع، وكتب كتابا فيه مصائب ومعائب. فقال القاضي يوسف[2]: يا أمير مؤمنين أخاف الفتنة عند سماعه.فقال:إن تحركت العامة وضعت فيهم السيف.قال:فما تصنع بالعلوية الذين هم في كل ناحية قد خرجوا عليك؟وإذا سمع الناس هذا من فضائل أهل البيت مالوا إليهم،وصاروا أبسط الألسنة.فأمسك المعتضد

☪

قال علي بن محمد باخيِّل: لا شك أن الإجراءات التي تتضمن تفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقراءة كتاب بلعن معاوية رحمه الله لم تتم، بسبب خوف المأمون من تحرك أهل السنة وهو تحرك خوف به من قبل يحيى بن أكثم، وكان متوقعا بسبب المشاعر العدائية التي يكنها المجتمع البغدادي السني للتشيع، وقد عرف المأمون أن هذه الجوانب المؤيدة للتشيع لا يمكن بثها دون تضحيات فصرف النظر عنها، وانطوى معها إظهاره بالقول بخلق القرآن، وهو القول الذي لم يرافقه في المرة الأولى أي إجراءات عملية، لكنه سيعود مرة أخرى لإحياء هذا القول في ربيع الأول سنة 218هـ فيما عرف في التاريخ باسم المحنة متجنبا مسائل التشيع، بعد فشله في مرتين سابقتين أولاهما تنصيب علي بن موسى الرضا وليا للعهد، والثانية في أمره بلعن معاوية... وهذا القول بخلق القرآن من أقوال المعتزلة، ولم يكن الاعتزال أمرا ذا بال عند عامة أهل السنة وكان من المتوقع ألا يثير تحركهم، والأرجح أن المأمون كان يأمن من وقوع فتنة أو تحرك للعامة، إذ لم تكن هذه المسألة النظرية تلامس حياتهم خلافا لمسائل التشيع التي كانت مطروحة للنقاش في أوساط العامة، وكان تردده في إظهار هذه المسألة زمن يزيد بن هارون بسبب توقعه رد الأخير عليه وهو المسموع عند أهل السنة عموما وأهل الحديث خصوصا، فاعتقد المأمون أنه بعد وفاة يزيد لم يكن في العلماء من يستطيع تحريك العامة، والوقوف في وجه مشروعه فأقدم على ما أقدم عليه، ويجيب ابن الجوزي في المناقب على تساؤل لم أظهر المأمون هذا القول قال: قلت فلما توفي الرشيد كان الأمر كذلك في زمن الأمين فلما ولي المأمون خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن وكان يتردد في حمل الناس على ذلك ويراقب بقايا الأشياخ ثم قوي عزمه على ذلك فحمل الناس عليه [..]

☪

قال عمر الوراق[3]: رأيت العتابي[4] يأكل خبزا على الطريق بباب الشام فقلت له:ويحك أما تستحي؟ فقال: أرأيت لو كنا في دار فيها بقر أكنت تحتشم أن تأكل وهو يراك؟ فقلت: لا، فقال: فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر، ثم قام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه، فقال لهم: روي لنا من غير وجه أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه* لم يدخل النار، قال: فما بقي أحد منهم إلا أخرج لسانه نحو أرنبة أنفه ويقدره هل يبلغها أم لا، فلما تفرقوا قال العتابي: ألم أعلمك أنهم بقر؟.وقال رجل للشاعر: أين سكة الحمير؟ فقال: اسلك أي سكة شئت فكلها دروب الحمير.يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق. وقال عمر بن عبد العزيز: إذا استطعت فكن عالما، فإن لم تستطع فكن متعلما، وإن لم تستطع فأحبهم، وإن لم تستطع فلا تبغضهم، وقال عمر بن عبد العزيز معلقا: لقد جعل الله له مخرجا إن قبل. ويقول الكواكبي في معرض حديثه عن العوام والمستبد: العوام هم قوة المستبد وقوته. بهم عليهم يصول ويطول؛ يأسرهم فيتهللون لشوكته؛ ويغصب أموالهم فيحمدونه على إبقائه حياتهم؛ ويهينهم فيثنون على رفعته؛ ويغري بعضهم على بعض فيفتخرون بسياسته؛ وإذا أسرف في أموالهم يقولون كريما؛ وإذا قتل منهم لم يمثل يعتبرونه رحيما؛ ويسوقهم إلى خطر الموت، فيطيعونه حذر التوبيخ؛ وإن نقم عليه منهم بعض الأباة قاتلهم كأنهم بغاة. والحاصل أن العوام يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل والغباوة، فإذا ارتفع الجهل وتنور العقل زال الخوف، وأصبح الناس لا ينقادون طبعا لغير منافعهم، كما قيل: العاقل لا يخدم غير نفسه، وعند ذلك لا بد للمستبد من الاعتزال أو الاعتدال [..]

الطغاة نتيجة حتمية لجهل وفسق الشعوب

حتى إنها تصير كالبهائم، أو دون البهائم ...

إنما تستبدل مرضا مزمنا بمرض حديث ...

يقول عبد الرحمن الكواكبي رحمه الله، في معرض حديثه عن الاستبداد والتخلص منه: مبنى قاعدة كون الأمة التي لا يشعر أكثرها بآلام الاستبداد لا تستحق الحرية هو: إن الأمة إذا ضربت عليها الذلة والمسكنة، وتوالت على ذلك القرون والبطون، تصير تلك الأمة سافلة الطباع حسبما سبق تفصيله في الأبحاث السالفة، حتى إنها تصير كالبهائم، أو دون البهائم، لا تسأل عن الحرية، ولا تلتمس العدالة، ولا تعرف للاستقلال قيمة، أو للنظام مزية، ولا ترى لها في الحياة وظيفة غير التابعية للغالب عليها، أحسن أو أساء على حد سواء، وقد تنقم على المستبد نادرا، ولكن، طلبا للانتقام من شخصه لا طلبا للخلاص من الاستبداد، فلا تستفيد شيئا، إنما تستبدل مرضا بمرض؛ كمغص بصداع. وقد تقاوم المستبد بسوق مستبد آخر تتوسم فيه أنه أقوى شوكة من المستبد الأول، فإذا نجحت لا يغسل هذا السائق يديه إلا بماء الاستبداد، فلا تستفيد أيضا شيئا، إنما تستبدل مرضا مزمنا بمرض حديث، وربما تنال الحرية عفوا، فكذلك لا تستفيد منها شيئا؛ لأنها لا تعرف طعمها، فلا تهتم بحفظها، فلا تلبث الحرية أن تنقلب إلى فوضى، وهي إلى استبداد مشوش أشد وطأة كالمريض إذا انتكس. ولهذا؛ قرر الحكماء أن الحرية التي تنفع الأمة هي التي تحصل عليها بعد الاستعداد لقبولها، وأما التي تحصل على أثر ثورة حمقاء فقلما تفيد شيئا؛ لأن الثورة –غالبا– تكتفي بقطع شجرة الاستبداد ولا تقتلع جذورها، فلا تلبث أن تنبت وتنمو وتعود أقوى مما كانت أولا. فإذا وجد في الأمة الميتة من تدفعه شهامته للأخذ بيدها والنهوض بها فعليه أولا: أن يبث فيها الحياة وهي العلم؛ أي علمها بأن حالتها سيئة، وإنما بالإمكان تبديلها بخير منها، فإذا هي علمت بطبعه من الآحاد إلى العشرات، إلى إلى..، حتى يشمل أكثر الأمة، وينتهي بالتحمس ويبلغ بلسان حالها إلى منزلة قول الحكيم المعري: إذا لم تقم بالعدل فينا حكومة..فنحن على تغييرها قدراء. وهكذا ينقذف فكر الأمة في واد ظاهر الحكمة يسير كالسيل، لا يرجع حتى يبلغ منتهاه. ثم إن الأمم الميتة لا يندر فيها ذو الشهامة، إنما الأسف أن يندر فيها من يهتدي في أول نشأته إلى الطريق الذي به يحصل على المكانة التي تمكنه في مستقبله من نفوذ رأيه في قومه..

----

*(الأرنبة) مقدم الأنف وأعلاه.

■ (2) يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الازدي، مولاهم، البصري ثم البغدادي، أبو محمد: حافظ للحديث، له فيه كتاب السنن كان ثقة صالحا مهيبا. ولي قضاء البصرة وواسط سنة 276 ه، وضم إليه قضاء الجانب الشرقي من بغداد. ومات مصروفا عن القضاء.

■ (1) أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بالله واسمه محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، يكنى أبا العباس، ويقال: أن اسم أبيه طلحة، ولد بسر من رأى سنة242 هـ، بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله، سنة 279 هـ، توفي المعتضد سنة 289 هـ.

■ (4) كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر؛ أصله من الشام من أرض قنسرين، صحب البرامكة وصحب طاهر بن الحسين، وهو أديب مصنف له من الكتب كتاب المنطق وكتاب الآداب وكتاب فنون الحكم وكتاب الخيل وكتاب الألفاظ. وتوفي في حدود 220 هـ.

■ (3) عمر الوراق؟ عثمان الوراق؟ علان الوراق؟.. علان الشعوبي الوراق اصله من الفرس. وكان علامة بالأنساب والمثالب والمنافرات منقطعا إلى البرامكة ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة.

مراجع: الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار/ المحاسن والمساوئ/ سنوات الحنابلة/ المحاسن والمساوئ/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ سيرة عمر بن عبد العزيز/

قال جعفر ابن أخت العباس[1] وذكر حلم المأمون فقال: لحلمه والله أرجح من حلوم ألف كلهم حليم ليس فيهم ملك ولا خليفة ثم أنشأ يحدثنا فقال: دخلت عليه أمس وإذا يده معلقة من شيء رطب أكله قد مسته النار وهو يصيح يا غلام وكلهم يسمع صوته فما منهم أحد يجيبه فخرجت إليهم وأنا أفور غضبا فإذا بعضهم يلعب بالكعاب، وبعض يلعب بالشطرنج، وبعض يحارش بين الديوك. فقلت يا بني الفواعل: أما تسمعون أمير المؤمنين يدعوكم؟ فقال واحد:حتى أقيس هذا الكعب وأجيء، وقال الآخر: قد بقيت لي على هذا ضربة، وقال آخر: أذهب فإني أتبعك. فما علمت ما كنت أخاطب به من الغيظ والحنق عليهم قال: فإذا المأمون قد صوت بي وأنا أقذف أمهاتهم فأتيته وهو يضحك فقال: أرفق بهم فأنهم بشر مثلك قال قلت: والعق أنت يدك. فضحك وقال: هذا معاشرتك خدمك؟ قال قلت: والله لو فعل بي ابني هذا دون خدمي لقتلته قال: هذه أخلاق السوقة وأخلاقنا أخلاق الملوك. قال قلت: لا والله ما هذه أخلاق الملوك ولا أخلاق الأنبياء أيضا

قال هارون بن مسلم: حدثتني شكر(؟) مولاة أم جعفر بنت جعفر بن المنصور[2] قالت: سمعت المأمون أمير المؤمنين وكانت عنده أم جعفر فدعا بمقاريض قالت: أو بمقراض* قال: فقال الغلام: قد ذهب بالمقاريض إلى الشماسية* ثم قال يا غلام: بل لنا الخيش فوق. فقال الغلام: لا . قال: يل فقالت أم جعفر: سبحان الله يا أمير المؤمنين ما هذا؟ وأنكرت أن يكون سأل عن شيئين فلم يعملا. فقال المأمون: من قدرت على عقوبته لسوء فعله، وقبيح جرمه فقدرتك عليه كافيتك نصرا لك منه ولا معنى لعقوبة بعد قدرة، الحلم عن الذنب أبلغ من الأخذ به. ومن حلمه أيضا، كان للمأمون خادم يتولى وضوءه فكان يسرق طساسه فبلغ ذلك المأمون فعاتبه ثم قال له يوما وهو يوضيه: ويحك لم تسرق هذه الطست؟!، لو كنت إذا سرقتها اتيتني بها اشتريتها منك؟. قال: فأشتر هذا الذي بين يديك. قال: بكم؟ قال: بدينارين قال المأمون: أعطوه دينارين. قال: هذا الآن في الأمان؟ قال: نعم، فلم يعد الخادم يسرق بعدها شيئا لما رأى من حلمه، والله أعلم.

قال: وبلغني أن المأمون قال لأبي كامل الطباخ يوما وعلي بن هشام[3] عنده اتخذ لنا رؤوس حملان تكون غداءنا غدا. قال: نعم يا أمير المؤمنين، وقال لعلي بن هشام: إن من آتن الرؤوس أن توكل في الشتاء خاصة، وأن يبكر آكلها عليها، وألا يخلط بها غيرها، ولا يستعمل بعقبها الماء، فصل الغداة وصر إلينا. فلما صلى علي جاء ودعا المأمون أبا كامل فقال: أحضر المائدة وقدم الرؤوس، فقال: إن آدم نسى فنسيت، فقال: خذ لنا الساعة من فرصة جعفر قدر باقلي يكون غداءنا منه وأحب أن لا تنسى. قال: ودخل أبو طالب صاحب الطعام على المأمون وكان من أسخف الناس وأجهلهم فقال: كان أبوك يابا صديقنا، وكنا يا با بحارة، وأنت يا با لا تعرف حقنا ولا ترفع بنا رأسا، ونحن يابا جيرانك، وأنت يابا لا تبيعنا ونحن يابا نوفيك، قال: والمأمون يطرق ما يرد عليه شيئا ولا يزيده على التبسم. قال: وحدثني أحمد بن الخليل، قال: حدثني القاسم بن محمد بن عباد، قال: حدثني أبي، قال: دخلت على المأمون وعليه مبطنة فيها رقاع وهو جالس على لبد في يده عود وهو يقلب جمرا بين يديه في كانون، قال: فبقيت انظر إلى مبطنته. قال: ففطن لي، فقال: لعلك تنظر إلى الرقاع التي في منطقتي يا محمد؟ قال: قلت نعم يا أمير المؤمنين، قال: أما سمعت قول الشاعر: إلبس جديدك إني لابس خلقي..ولا جديد لمن لا يلبس الخلقا.

----

* (الشماسية) منسوبة إلى بعض شماسي النصارى وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد : الشماسية: تقع خارج بغداد وينسب إليها باب الشماسية أحد أبواب بغداد.(المقراض) المقص وهو ما يقرض به الثوب أو غيره وهما مقراضان ج: مقاريض وآلة يقرض بها المراقب تذكرة الراكب في قطار السكة الحديدية

■ (1) جعفر ابن أخت العباس؟

■ (3) هل هو: علي بن هشام بن فرخسروا، أبو الحسين المروزي أحد قواد المأمون. قدم دمشق مع المأمون، وكان نديمه، ثم وجد عليه في بعض أموره، فقتله هو وأخاه الحسين بن هشام، قتل علي بن هشام سنة 217 هـ بأذنة، من الثغور. قتله لسوء سيرته في ولايته الجبال.

■ (2) أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حجها وما اعتمدته في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها.أعرس بها هارون الرشيد في ذي الحجة في سنة 165 في قصره المعروف بالخلد. وكانت وفاتها في سنة 216 هـ في جمادى الأولى ببغداد، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة 186 هـ.

جل جلاله

قال ابن أبي طاهر: بلغني أن المأمون قال: إني لألذ الحلم حتى أحسبني لا أوجر عليه. وقال قاسم التمار: قال المأمون: ليس على في الحلم مؤونة ولوددت أن أهل الجرائم علموا رأيي في العفو فذهب عنهم الخوف فتخلص لي قلوبهم. ومن حلمه أيضا، أنه كان له خادم يسرق طاساته التي يتوضأ فيها فقال له المأمون: إذا سرقت شيئا فائتني بها تسرقه، فأشتريه منك. فقال له الخادم: اشتر مني هذه، وأشار إلى التي بين يديه. فقال: بكم. قال: بدينارين. قال: على شرط أنك لا تسرقها. قال: نعم. فأعطاه دينارين، فلم يعد الخادم يسرق بعدها شيئا لما رأى من حلمه، والله أعلم.

حدث سليمان الوراق قال: ما رأيت أعظم حلما من المأمون، دخلت عليه يوما وفي يده فص مستطيل من ياقوت أحمر له شعاع قد أضاء له المجلس، وهو يقلبه بيده ويستحسنه، ثم دعا برجل صائغ وقال له: اصنع بهذا الفص كذا وكذا ونزل فيه كذا وكذا، وعرفه كيف يعمل به، فأخذه الصائغ وانصرف ثم عدت إلى المأمون بعد ثلاث فتذكره فاستدعى الصائغ، فأتي به، وهو يرعد وقد امتقع لونه. فقال المأمون: ما فعلت بالفص؟ فتلجلج الرجل ولم ينطق بكلام، ففهم المأمون بالفراسة أنه حصل فيه خلل، فولى وجهه عنه، حتى سكن جأشه، ثم التفت إليه وأعاد القول. فقال: الأمان يا أمير المؤمنين. قال: لك الأمان. فأخرج الفص أربع قطع وقال: يا أمير المؤمنين، سقط من يدي على السندال* فصار كما ترى. فقال المأمون: لا بأس عليك، صنع به أربع خواتم، وألطف له في الكلام حتى ظننت أنه كان يشتهي الفص على أربع قطع. فلما خرج الرجل من عنده، قال: أتدرون كم قيمة هذا الفص؟ قلنا: لا، قل: اشتراه الرشيد بمائة ألف وعشرين ألفا، انتهى.

وحدث محمد بن سعيد أخو غالب الصغدي قال : كان أبو عيسى[1] وطاهر[2] يتغذيان مع المأمون فأخذ أبو عيسى هندباة فغمسها في الخل وضرب بها عين طاهر الصحيحة فغضب طاهر وعظم ذلك عليه وقال : يا أمير المؤمنين : إحدى عيني ذاهبة والأخرى على يدي عدل يعمل بي هذا بين يديك . فقال يا أبا الطيب : إنه والله يعبث معي بأكثر من هذا العبث. قال: وكان أبو عيسى عبيثا.

----

* (السندال) بالكسر: لغة في سندان الحديد (هندباة) هندب وهندبا وهندباة بقلة

■ (2) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، أبو الطيب، وأبو طلحة: من كبار الوزراء والقواد، أدبا وحكمة وشجاعة. وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي. ولد في بوشنج من أعمال خراسان وسكن بغداد، فاتصل بالمأمون في صباه، وكانت لابيه منزلة عند الرشيد. ولما مات الرشيد وولي الامين، كان المأمون في مرو، فانتدب طاهرا للزحف إلى بغداد، فهاجمها وظفر بالامين وقتله سنة 198 هـ وعقد البيعة للمأمون، فولاه شرطة بغداد، ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب، في السنة نفسها 198 هـ وخراسان سنة 205 هـ وكان في نفس المأمون شئ عليه، لقتله أخاه الامين بغير مشورته. ولعله شعر بذلك. فلما استقر في خراسان، قطع خطبة المأمون، يوم جمعة، فقتله أحد غلمانه في تلك الليلة، بمرو، وقيل: مات مسموما. سنة 207 هـ ولقب بذي اليمينين لانه ضرب رجلا بشماله، فقده نصفين، أو لانه ولي العراق وخراسان، لقبه بذلك المأمون. وكان أعور.

■ (1) هل هو: أبو عيسى بن الرشيد. وهو أبو عيسى أحمد ، وقيل: بل أسمه صالح بن هارون الرشيد. وأمه أم ولد بربرية. كان من أحسن الناس وجها ومجالسة وعشرة وأمجنهم وأحدهم نادرة وأشدهم عبثا، كانت وفاة أبي عيسى في سنة 207 هـ. ولما مات وجد المأمون عليه وجدا شديدا .

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ كتاب بغداد/ المعجم الوسيط/

قال الفضل بن جعفر البغدادي: أخبرني ثمامة بن أشرس[1]، أن المأمون أمير المؤمنين تفرد يوما في بعض تصيده فانتهى إلى بعض بيوت البادية فرأى صبيا يضبط قربة وقد غلبه وكاؤها وهو يقول: يا أبة اسدد فاها فقد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها، قال: فوقف عليه المأمون، فقال: يا فرخ عمه ممن تكون؟ قال: من قضاعة، قال: من أيها؟ قال: من كلب، قال: وإنك لمن الكلاب؟! قال: لسنا هم ولكنا قبيل* ندعى كلبا، قال: فمن أيهم أنت؟ قال: من بني عامر، قال: من أيها ؟ قال: من الأحداد ثم من بني كنانة، فمن أنت يا خال؟ فقد سألتني عن حسبي، قال: ممن يبغضه العرب كلها، قال: فأنت إذا من نزار! قال: أنا من تبغضه نزار كلها، قال: فأنت إذا من مضر! قال: أنا ممن تبغضه مضر كلها، قال: فأنت إذا من قريش! قال: أنا ممن تبغضه قريش كلها، قال: فأنت إذا من بني هاشم ! قال: أنا ممن تحسده بنو هاشم كلها، قال: فأرسل فم القربة وبادر إليه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وضرب بيده إلى شكيمة* الدابة وهو يقول:*مأمون يا ذا المنن الشريفة.. وصاحب الكتيبة الكثيفة هل لك في أرجوزة نظيفة..أطرف بها من فقه أبي حنيفه لا والذي أنت له خليفة..ما ظلمت في أرضنا ضعيفه عاملنا مؤنته خفيفه..وما جبى فضلا عن الوظيفة.. فالذئب والنعجة في سقيفه..واللص والتاجر في قطيفة..قد سار فينا سيرة الخليفة. فقال له المأمون: أصبت يا فرخ عمه، فأيها أحب إليك عشرة آلاف محجلة أو مائة ألف مؤجلة، قال: بل أدخرك يا أمير المؤمنين، قال: فما لبث أن أقبلت الفرسان، فقال: احملوه حتى كان أحد مسامريه.

وفي رواية عن أبي عبد الله النميري أنه قال: كنت يوما مع المأمون، وكان بالكوفة، فركبت للصيد ومعه سرية من العسكر، فبينما هو سائر إذ لاحت له طريدة فأطلق عنان فرسه وكان على سابق من الخيل، فأشرف على نهر من ماء بحر الفرات، فإذا هو بجارية عربية خماسية القد، قائمة النهد، كأنها القمر ليلة تمامه، وبيدها قربة قد ملأتها من النهر، ورفعتها على كتفها، وصعدت من حافة النهر، فانحل وكاؤها، فصاحت برفيع صوتها: يا أبت! أدرك فاها، قد غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها. قال: فعجب المأمون من فصاحتها ورمت القربة من يدها، فقال لها المأمون: يا جارية من أي العرب أنت؟ فقالت: أنا من بني كلاب. قال: وما حملك أن تكوني من الكلاب؟ قالت: والله لست من الكلاب وإنما أنا من قوم كرام غير لئام، يقرون الضيف، ويضربون بالسيف، ثم قالت: يا فتى من أي الناس أنت؟ قال: أوعندك علم بالأنساب؟ قالت: نعم. قال: أنا من مضر الحمراء. قالت: من أي مضر؟ قال: من أكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أما وأبا، مما تهابه مضر وتخشاه. قالت: أظنك من كنانة؟ قال: أنا من كنانة. قالت: من أي كنانة؟ قال: من أكرمها مولدا وأشرفها محتدا وأطولها في المكرمات يدا، ممن تهابه كنانة وتخشاه. قالت: والله أنت من بني هاشم؟ قال: أنا من بني هاشم. قالت: من أي هاشم؟ قال: من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخشاه. قال: فعند ذلك قبلت الأرض وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين.قال: فتعجب المأمون منها وطرب طربا شديدا، ثم قال: لأتزوجن بها لأنها من أكبر الغنائم، ووقف حتى التحق به العسكر، فنزل وأرسل خلف أبيها وخطبها منه، فزوجه بها، وهي والدة العباس، والله أعلم.

----

* (الأطيبان) الأكل والنكاح وقيل هما النوم والنكاح أو هما الفرج والفم أو الشحم والشباب وقيل هما الرطب والخزير وقيل اللبن والتمر (اقتضابا) أي ارتجالا () الشعر لشاعر من البصرة من بني تميم بن سعد (الشكيمة) في اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس والجمع شكائم (القبيل) الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب والجمع قبل

■ (1) ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن جل منزله، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون. وكان ذا نوادر وملح. من تلاميذه الجاحظ. وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه.وعده المقريزي في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يسمون الثمامية نسبة إليه (نسبة إلى قرية بالموصل)، وأورد بعض ما انفردوا به من الآراء والمعتقدات. وقال ابن حزم: كان ثمامة يقول: إن العالم فعل الله بطباعه. وقال الجاحظ: ما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي بلغ من حسن الإفهام، مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج، مع السلامة من التكليف، ما كان بلغه. قال الزركلي والذهبي: توفي سنة 213 هـ.

صلى الله عليه وآله وسلم

روي عن الأصمعي قال: اجتزت ببعض أحياء العرب، فرأيت صبية معها قربة فيها ماء وقد انحل وكاء فمها. فقالت: يا عم، أدرك فاها، غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها. فأعنتها، وقلت: يا جارية، ما أفصحك ! فقالت يا عم، وهل ترك القرآن لأحد فصاحة ؟ وفيه آية فيها خبران وأمران ونهيان وبشارتان ! قلت: وما هي ؟ قالت: قوله تبارك وتعالى:﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص] قال: فرجعت بفائدة، وكأن تلك الآية ما مرت بمسامعي !! وفي رواية ابن عساكر قال الأصمعي: مررت بصنعاء اليمن على مزرعة، ويجنبها عين، وإذا غلام قد ملأ قربته، وهو متعلق بعراها، وهو يصيح: يا أبه، يا أبه، فاها، فاها، غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها؛ وإذا به قد أتى بوجوه الإعراب في حال الرفع والنصب والخفض. وفي رواية ابن الجوزي قال الأصمعي: بينا أنا في بعض البوادي إذا أنا بصبي -أو قال صبية- معه قربة قد غلبته فيها ماء وهو ينادي يا أبة أدرك فاها غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال: فوالله قد جمع العربية في ثلاث. قال الأصمعي: وقلت لغلام حدث من أولاد العرب أيسرك أن يكون لك مئة ألف درهم وأنك أحمق؟ قال: لا والله، قلت: لم؟ قال: أخاف أن يجني علي حمقي جناية تذهب مالي وتبقي علي حمقي. لقي صبي رجلا غافلا فقال له الصبي: إلى أين تمضي؟ فقال: إلى المطبق، فقال: أوسع خطواتك، ركب المعتصم إلى خاقان يعوده والفتح صبي يومئذ، فقال له المعتصم: أيما أحسن دار أمير المؤمنين أو دار أبيك؟ فقال: إذا كان أمير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن، وأراه فصا في يده، فقال: رأيت يا فتح أحسن من هذا الفص؟ فقال: نعم، اليد التي هو فيها. ذبح رجل بخيل دجاجة فدعاه صديق له فأمر بالدجاجة فرفعت وبات عند صديقه فلما جاء دعا بالدجاجة فإذا هي منزوعة الفخذ، فقال: من هذا الذي تعاطى فعقر؟ فامتنعوا أن يخبروه، فقال لقهرمانه: اقطع خبزهم ونفقاتهم فوثب غليم له صغير وقال:﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف] فرد عليهم خبزهم. قعد صبي مع قوم يأكلون فجعل يبكي، فقالوا: ما لك؟ قال: الطعام حار، قالوا: فدعه حتى يبرد، فقال: أنتم ما تدعونه.

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: لما وصل المأمون إلى بغداد وقر بها، قال لـ يحيى بن أكثم[1]: وددت أني وجدت رجلا مثل الأصمعي ممن عرف أخبار العرب وأيامها وأشعارها، فيصحبني كما صحب الأصمعي الرشيد؛ فقال له يحيى: ها هنا شيخ يعرف هذه الأخبار، يقال له عتاب بن ورقاء من بني شيبان[2]، قال: فابعث لنا فيه يجيئني، فبعث فحضر فقال له يحيى: إن أمير المؤمنين يرغب في حضورك مجلسه ومحادثته، فقال: أنا شيخ كبير، ولا طاقة لي لأنه قد ذهب مني الأطيبان*، فعرفه ذلك، فقال له المأمون: لابد من ذلك، فقال الشيخ: فاسمع ما حضرني، فقال اقتضابا*:

أبعد ستين أصبوا..والشيب للمرء حرب..شيب وسن وإثم..أمر لعمرك صعب..يابن الإمام فهلا..أيام عودي رطب..وإذا شفاء الغواني..مني حديث وقرب..وإذ مشيبي قليل..ومنهل العيش عذب..فالآن لما رأى بي..عواذلي ما أحبوا..آليت أشرب راحا..ما حج لله ركب. فقال المأمون: ينبغي أن تكتب بالذهب، وأعفاه، وأمر له بجائزة وتركه. ومن شعره أيضا: إن الأهلة للأنام مناهل..تطوى وتبسط دونها الأعمار..فقصارهن مع الهموم طويلة..وطوالهن مع الهموم قصار.

■ (1) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج، التميمي الأسدي المروزي، أبو محمد التميمي، من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. وكان عالما بالفقه بصيرا بالأحكام، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

■ (2) عتاب بن ورقاء الشيباني وتوفي في حدود 250 هـ.

مراجع: تاريخ دمشق/ كتاب بغداد/ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار/ المحاسن والمساوئ/ الأنساب للسمعاني/ـمختصر تاريخ دمشق/ كتاب العين/ مختار الصحاح/ أخبار الظراف والمتماجنين للجوزي/ الأذكياء/ لباب الآداب لأسامة بن منقذ/ الوافي بالوفيات/

حدث محمد بن الهيثم أن عبد الله[1] لما خرج إلى نصر بن شبث[2] بعد أن استحكم أمره، واشتدت شوكته، وهزم جيوشه فكتب إليه المأمون كتابا يدعوه فيه إلى طاعته، والمفارقة لمعصيته والمخالفة له فلم يقبل. قال: فكتب عبد الله إليه وكان الكتاب إلى نصر من المأمون كتبه عمرو بن مسعدة[3]: أما بعد: فإنك يا نصر بن شبث قد عرفت الطاعة وعزها وبرد ظلها، وطيب مرتعها، وما في خلافها من الندم والخسار، وإن طالت مدة الله بك فإنه إنما يملى لمن يلتمس مظاهرة الحجة عليه لتقع عبره بأهلها على قدر إضرارهم واستحقاقهم وقد رأيت أذكارك وتبصيرك لما رجوت أن يكون لما أكتب به إليك موقع منك. فإن الصدق صدق، والباطل باطل. وإنما القول بمخارجه وبأهله الذين يعنون به، ولم يعاملك من عمال أمير المؤمنين أحد أنصح لك في مالك ودينك، ونفسك، ولا أحرص على استنقاذك والانتياش لك من خطائك مني فبأي أول أو آخر أوسطه أو إمرة إقدامك يا نصر على أمير المؤمنين في أمواله، وتتولى دونه ما ولاه الله وتريد أن تبيت آمنا أو مطمئنا، أو وادعا، أو ساكنا، أو هادئا فوعالم السر والجهر لئن لم تكن للطاعة مراجعا، وبها خانعا لتستو بلن وخم العاقبة، ثم لأبد أن بك قبل كل عمل، فإن قرون الشيطان إذا لم تقطع كانت في الأرض فتنة وفساد كبير، ولأطأن بمن معي من أنصار الدولة كواهل رعاع أصحابك، ومن تأشب إليك من داني البلدان، وقاصيها، وطغامها، وأوباشها ومن أنضوى إلى حوزتك من خراب الناس، ومن لفظه بلده، ونفته عشيرته لسوء موضعه فيهم وقد أعذر من أنذر والسلام.

قال: وأقام عبد الله بن طاهر على محاربة نصر بن شبث خمس سنين حتى طلب الأمان. فكتب عبد الله إلى المأمون يعلمه أنه حصره وضيق عليه. وأنه قد عاذ بالأمان وطلبه. فأمر المأمون أن يكتب له كتاب أمان نسخته أما بعد: فإن الإعذار بالحق حجة الله المقرون بها النصر، والاحتجاج بالعدل دعوة الله الموصول بها العز، ولا يزال المعذر بالحق، المحتج بالعدل في استفتاح أبواب التأييد، واستدعاء أسباب التمكين حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين ويمكن وهو خير الممكنين، ولست تعدو أن تكون فيما لهجت به أحد ثلاثة، طالب دين، أو ملتمس دنيا، أو متهورا يطلب الغلبة ظلما، فإن كنت للدين تسعى بما تصنع فأوضح ذلك لأمير المؤمنين يغتنم قبوله، إن كان حقا فلعمري ما همته الكبرى، ولا غايته القصوى إلا الميل مع الحق حيث مال، والزوال مع العدل حيث زال، وإن كنت للدنيا تقصد فأبلغ أمير المؤمنين غايتك فيها والأمر الذي تستحقها به فإن أستحققتها وأمكنه ذلك فعله بك فلعمري ما يستجيز منع خلق ما يستحقه وإن عظم، وإن كنت متهورا فسيكفي الله أمير المؤمنين مؤنتك. ويعجل ذلك كما عجل كفايته مؤن قوم سلكوا مثل طريقك كانوا أقوى يدا، وأكثف جندا، وأكثر جمعا وعددا ونصرا منك فيما أصارهم إليه من مصارع الخاسرين، وأنزل بهم من حوائج الظالمين وأمير المؤمنين يختم كتابه بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وضمانه لك في دينه وذمته الصفح عن سوالف جرائمك، ومتقدمات جرائرك، وإنزالك ما تستأهل من منازل العز والرفعة إن أتيت وراجعت إن شاء الله والسلام.

قال أبو إسحاق أحمد ابن إسحاق: حدثني بشر السلماني: قال سمعت أحمد بن أبي خالد[4] يقول: كان المأمون إذا أمرنا بأمر فظهر من أحدنا فيه تقصير أنكره عليه. قال: فحدثني جعفر ابن محمد الرقي العامري قال: قال المأمون لثمامة بن أشرس[5] الا تدلني على رجل من أهل الجزيرة له عقل وبيان ومعرفة يؤدي عني ما أوجهه به إلى نصر بن شبث؟ قال بلى يا أمير المؤمنين: رجل من بني عامر يقال له جعفر بن محمد[6]. قال له: أحضرنيه قال جعفر فأحضرني ثمامة فأدخلني عليه فكلمني بكلام كثير، ثم أمرني أن أبلغه نصر بن شبث. قال. فأتيت نصرا وهو بكفر عزون* بسروج فأبلغته رسالته فأذعن وشرط شروطا منها: ألا يطأ بساطه قال: فأتيت المأمون فأخبرته فقال: لا أجيبه والله إلى هذا أبدا ولو أفضت إلى بيع قميصي هذا حتى يطأ بساطي. وما باله ينفر مني؟ قال: قلت لجرمه وما تقدم منه. فقال: أتراه أعظم جرما عندي من الفضل بن الربيع[7]، ومن عيسى بن أبي خالد[8] أتدري ما صنع بي الفضل؟ أخذ قوادي وأموالى، وجنودى، وسلاحي وجميع ما أوصى به أبي لي فذهب به إلى محمد[9] وتركني بمرو وحيدا فريدا وأسلمني وأفسد علي أخي حتى كان من أمره ما كان وكان أشد على من كل شيء، أتدري ما صنع بي عيسى بن أبي خالد؟، طرد خليفتي من مدينتي ومدينة آبائي، وذهب بخراجي وفيئ، وأخرب علي دياري، وأقعد إبراهيم[10] خليفة دوني ودعاه باسمى. قال: قلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن في الكلام فأتكلم؟ قال: تكلم. قلت: الفضل بن الربيع رضيعكم ومولاكم وحال سلفه حالهم ترجع عليه بضروب كلها تردك إليه. وعيسى بن أبي خالد رجل من أهل دولتك وسابقته وسابقة من مضى من سلفه سابقتهم ترجع عليه بذلك. وهذا رجل لم تكن له يد قط فيحتمل عليها ولا لمن مضى من سلفه إنما كانوا جند بنى أمية. قال: إن ذاك كما تقول فكيف بالحنق والغيظ؟ ولكني لست أقلع عنه حتى يطأ بساطي. قال: فأتيت نصرا فأخبرته بذلك. قال: فصاح بالخيل صيحة فجالت ثم قال: ويلي عليه هو لم يقو على أربع مائة ضفدع تحت جناحه يعني الزط* يقوى على جلبة العرب.

قال: أحمد بن أبي طاهر فحدثت أن عبد الله بن طاهر لما جاءه للقتال وحصره وبلغ منه أعطى الضمة وطلب الأمان فأعطاه وتحول من معسكره إلى الرقة سنة تسع ومائتين وصار إلى عبد الله بن طاهر فوجه به إلى المأمون فكان دخوله بغداد يوم الثلاثاء لسبع خلون من صفر سنة عشر ومائتين وأنزل مدينة أبي جعفر ووكل به من يحفظه.فحدثت أن المأمون، وأبا إسحاق المعتصم[11] وآخر من القواد ذهب عني اسمه اختلفوا في ذكر الشجعاء من القواد، والجند، والموالى فقال المأمون: ما في الدنيا أحد أشجع من عجم أهل خراسان، ولا أشد شكوة، ولا أثقل وطأة على عدو. وقال أبو إسحاق: ما في الدنيا سود الرؤوس أشجع ولا أرما، ولا أثبت أقداما على الأعداء من الأتراك وبحسبك أنهم بازاء كل أمة من أعدائهم فهم ينتصفون منهم ويغزونهم في بلادهم، ولا يغزوهم أحد، فقال القائد: ما في الدنيا قوم أشجع من أبناء خراسان المولدين، ولا أفتك منهم فإنهم هم الذين أدخلوا الاتراك في السواجير* وآباؤهم هم الذين قادوا الدولة، وهم قاموا بحرب أمير المؤمنين ثم أطاعوه فاستقامت الخلافة بهم. فقال المأمون: ما تصنعون بإختلافنا ؟ هذا نصر بن شبث نرسل إليه فنسأله عن أشجع من لقى من جندنا وقوادنا من القوم جميعا. فأمر بنصر فأحضر وسأله عما اختلفوا فيه فقال: يا أمير المؤمنين، الحق أولى ما أستعمل كل هؤلاء قد لقيت، أما الأتراك فإنما التركي بسهامه فإذا أنفذها أخذ باليد، وأما العجمي فبسيفه، فإذا كل استبسل، وأما الأبناء فلم أر مثلهم لا يكلون، ولا يملون، ولا ينهزمون يقاتلون في شدة البرد في الأزر الخلق بلا درع، ولا جوشن* ولا مجن، ومرة بالرمح ومرة بالسهام يخوضون الثلج في الأنهار ويخوضون في الهجير النار لا يكلون ولا يملون. فقال القائد: حسبنا بك حكما بيننا.

----

* (السواجير) الأغلال، والسواجير نهر منبج (جشن) الجوشن الدرع واسم الرجل وقيل الجوشن من السلاح زرد يلبسه الصدر (الزط) جيل من السودان والزط أعراب جت بالهندية وهم جيل من أهل الهند إليهم تنسب الثياب الزطية (كفر عزون) من قرى سروج

■ (2) نصر بن شبث العقيلي: ثائر للعصبية العربية. من بني عقيل بن كعب بن ربيعة. كان أسلافه من رجال بني أمية. وكانت إقامته في كيسوم بشمالي حلب. وفي أيامه مات هارون الرشيد، وحدثت الفتنة بين الامين والمأمون، وقتل الامين. فامتنع نصر عن البيعة للمأمون، وثار في كيسوم، وتغلب على ما جاورها من البلاد، وملك سميساط واجتمع عليه خلق كثير من الاعراب، وقويت نفسه، وعبر الفرات إلى الجانب الشرقي سنة 198 هـ قال ابن الاثير في حوادث سنة 199 هـ: وفيها قوي أمر نصر بن شبث بالجزيرة، وحصر حران، وأتاه نفر من شيعة الطالبيين فقالوا له: قد وترت بني العباس وقتلت رجالهم، فلو بايعت لخليفة كان أقوى لامرك، فقال: من أي الناس؟ قالوا: تبايع لبعض آل علي بن أبي طالب، فقال: أبايع بعض أولاد السوداوات فيقول إنه هو خلقني ورزقني! قالوا: فتبايع لبعض بني أمية، قال: أولئك قد أدبر أمرهم، والمدبر لا يقبل أبدا، ولو سلم علي رجل مدبر لاعداني إدباره، وإنما هواي في بني العباس، وما حاربتهم إلا محاماة عن العرب، لانهم يقدمون عليهم العجم! واستمر في امتناعه إلى أن ولى المأمون عبد الله بن طاهر سنة 206 هـ من الرقة إلى مصر، وأمره بحرب نصر بن شبث، فذهب إلى الرقة، وقاتل نصرا وضيق عليه.وبينما كان نصر في كفر عزون من قرى سروج جاءه رسول من المأمون يدعوه إلى طاعته ويعده بالعفو عما كان منه، فأذعن نصر، واشترط شروطا، منها أن لا يطأ بساط المأمون، فلم يرض المأمون شرطه. واشتد عبد الله بن طاهر في حربه، وطال حصاره في كيسوم، وانتهى أمره بالاستسلام فسيره عبد الله إلى المأمون، وهو ببغداد، فدخلها في صفر سنة 210 هـ وانقطعت بعد ذلك أخباره توفي بعد سنة 210 هـ.

■ (1) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس: أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من باذغيس بخراسان وكان جده الاعلى زريق من موالي طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات وولي صاحب الترجمة إمرة الشام، مدة. ونقل إلى مصر سنة211 هـ، فأقام سنة، ونقل إلى الدينور. ثم ولاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الاطراف. واستمر إلى أن توفي بنيسابور وقيل: بمرو سنة230 هـ وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه، قال ابن الاثير: كان عبد الله من أكثر الناس بذلا للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مراث كثيرة. وقال ابن خلكان: كان عبد الله سيدا نبيلا عالي الهمة شهما، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. وقال الذهبي في دول الاسلام: كان عبد الله من كبار الملوك. وقال الشابشتي: كان المأمون تبناه ورباه. الطاهريون سلالة عربية من قبيلة خزاعة تولت إمرة ولاية خراسان وشرق تركستان أثناء الدولة العباسية ما بين205- 259 هـ

■ (3) عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي: وزير المأمون، وأحد الكتاب البلغاء. كان يوقع بين يدي جعفر ابن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، واتصل بالمأمون، فرفع مكانته، وأغناه. وفي كتب الأدب كثير من رسائله وتوقيعاته. وكان جوادا ممدحا فاضلا نبيلا. توفي في أذنة (أطنه) بتركية آسية سنة 217 هـ

■ (7) الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس: وزير أديب حازم. كان أبوه وزيرا للمنصور العباسي. واستحجبه المنصور لما ولى أباه الوزارة، فلما آل الامر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان صاحب الترجمة من كبار خصومهم، حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة، قال صاحب غربال الزمان: وكانت نكبتهم على يديه. وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد. واستخلف الامين، فأقره في وزارته، فعمل على مقاومة المأمون. ولما ظفر المأمون استتر الفضل سنة 196 هـ ثم عفا عنه المأمون وأهمله بقية حياته. وتوفي بطوس سنة 208 هـ والفضل بن الربيع هو من أحفاد أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان.

■ (9) محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، أبو عبد الله، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة198 هـ

■ (10) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم.

■ (11) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يكنى أبا إسحاق، والمعتصم يقال له: الثماني، ولد بالخلد في سنة 180 هـ، وهو ثامن الملوك، والثامن من ولد العباس، استخلف أبو إسحاق محمد بن هارون سنة 218 هـ ومات بالخاقاني من سر من رأى سنة 227 هـ وكان في المعتصم مناقب، منها، أنه كان ثامن ملوك من بني العباس، وثامن أمراء المؤمنين من ولد عبد المطلب، وملك ثماني سنين وثمانية أشهر وفتح ثمانية فتوح بلاد بابك على يد الأفشين وفتح عمورية بنفسه والزط بعجيف وبحر البصرة وقلعة الأجراف وأعراب ديار ربيعة والشاري وفتح مصر وقتل ثمانية أعداء بابك ومازيار وباطس ورئيس الزنادقة والأفشين وعجيفا وقارن وقائد الرافضة.

■ (5) ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن جل منزله، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون. وكان ذا نوادر وملح. من تلاميذه الجاحظ. وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه.وعده المقريزي في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يسمون الثمامية نسبة إليه (نسبة إلى قرية بالموصل)، وأورد بعض ما انفردوا به من الآراء والمعتقدات. وقال ابن حزم: كان ثمامة يقول: إن العالم فعل الله بطباعه. وقال الجاحظ: ما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي بلغ من حسن الإفهام، مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج، مع السلامة من التكليف، ما كان بلغه. قال الزركلي والذهبي: توفي سنة 213 هـ.

■ (4) أبو العباس، أحمد بن أبي خالد بن يزيد بن عبد الرحمن الكاتب الأحول كاتب ووزير عباسي، تولى الوزارة في عهد الخليفة العباسي المأمون. مات سنة 212 هـ

■ (8) عيسى بن محمد بن أبي خالد، ولى على آذربيجان وأرمينية للمأمون، ثم كان من أكبر قواد إبراهيم بن المهدي.... إلى أخر القصة ؟؟

■ (6) رجل من بني عامر يقال له جعفر بن محمد هل هو جعفر بن محمد بن الأشعث ؟، قيل: هو صاحب خاتم الخلافة أو ديوان الخاتم، الذي ولاه الرشيد على خراسان. ثم عزله في سنة 173 هـ. وولى عوضه ولده العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث.

☪

حدث أحمد بن هارون، عن أبي يعقوب مؤدب ولد أبي عباد قال: بعث المأمون إلى شكلة أم إبراهيم بن المهدي عند دخوله إلى بغداد وأختفاء إبراهيم منه يسألها عنه، ويهددها ويتوعدها إن لم تدل على مكانه فبعثت إلى المأمون: يا أمير المؤمنين: أنا أم من أمهاتك، فإن كان ابني عصى الله جل وعز فيك فلا تعص الله في، والسلام، فرق لها المأمون وأمسك عنها فلم يطالبها بعد ذلك.

مراجع: تاريخ دمشق/ كتاب بغداد/ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار/ المحاسن والمساوئ/ الانساب للسمعاني/ مختصر تاريخ دمشق/ لسان العرب/

عن إبراهيم بن المهدي قال: قال المأمون يوما وفي مجلسه جماعة: هاتوا من في عسكرنا من يطلب ما عندنا بالرياء، قال: فقال كل واحد بما عنده، أما أن يقول في عدو بما يقدح فيه أو يقول بما يعلم أنه يسر خليفته، فلما قالوا ذلك قال: ما أرى عند أحد منكم ما يبلغ إرادتي ثم أنشأ يحدث عن أهل عسكره أهل الرياء حتى والله لو كان قد أقام في رجل كل واحد منهم حولا محرما ما زاد على معرفته، قال: فكان مما حفظت عنه في ثلب أصحابه أن قال حين ذكر أهل الرياء وما يعاملون به الناس: تسبيح حميد الطوسي[1]، وصلاة قحطبة[2]، وصيام النوشجاني[3]، ووضوء المريسي[4]، وبناء مالك بن شاهي[5]المساجد، وبكاء إبراهيم بن بريهة[6]على المنبر، وجمع الحسن بن قريش[7] اليتامى، وقصص منجا[8]، وصدقة علي بن الجنيد[9]، وحملان إسحاق بن إبراهيم[10]في السبيل، وصلاة أبي رجاء[11] الضحى، وجمع علي بن هشام[12] القصاص، قال: حتى عددنا جماعة كثيرة، فقال لي رجل من عظماء العسكر حين خرجنا من الدار بالله هل رأيت أو سمعت بملك قط أعلم برعيته ولا أشد تنقيرا من هذا؟ قلت: اللهم لا. فحدثت بهذا الحديث رجلا من أصحاب الأخبار والعلم فقال: وما نصنع بهذا قد شهدت رسالته إلى إسحاق بن إبراهيم في الفقهاء يخبر بمعائبهم رجلا رجلا حتى لهو بها أعلم منهم بما في منازلهم.

قال بعض القحاطبة وذكر المأمون فقال: ولي صاحبنا قحطبة بن الحسن[13] همذان، وأعمالا من أعمال الجبل فدق عليه خراجه فحبسه به فكان إذا جاءه المستخرج لحمله على أداء ما احتجن قام فصلى فلا يزال راكعا وساجدا حتى ينصرف ويتركه فأخبر بذلك المأمون، فقال: قولوا له: يقول لك أمير المؤمنين هذه النوافل لا يقبلها الله حتى تؤدي الفرائض أحمل إلينا ما لنا قبلك فكان لا يزيدهم على الصلاة فلما كشف على المأمون ذلك وقع يطلق قحطبة ويسوغ ما صار إليه ولا يستعان به إلا أن يترك التسبيح وصلاة الضحى والنوافل ظاهرا.

----

*(الرياء) الرياء مشتق من الرؤية، والمراد به إظهار العبادة ليراها الناس فيحمدوا صاحبها

■ (1) حميد الطوسي صاحب الشرطة ؟ هل هو: حميد بن عبد الحميد بن ربعي الطائي الطوسي، أبو غانم، الأمير القائد، توفي بفم الصلح لما توجه صحبة المأمون للدخول على بوران بنت الحسن. يوم عيد الفطر سنة 210 أو 220 هـ ، أم هو: أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي، أمير خراسان.المتوفي بعد سنة 171 هـ.؟

■ (5) مالك بن شاهي النفري من أهل السواد (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (3) محمد بن القاسم النوشجاني والنوشجاني هذه النسبة إلى نوشجان، وهي بلدة من بلاد فارس (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (7) الحسين بن قريش القيامي (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (9) علي بن الحسين بن الجنيد، أبو الحسن النخعي الرازي المالكي عرف بذلك لجمعه حديث مالك. سمع بدمشق. توفي بالري سنة 291 هـ. وكان صدوقا ثقة من حفاظ الحديث، وكان من خيار الناس.

■ (6) إبراهيم بن عيسى بن أبي جعفر المنصور الهاشمي البريهي، وبريهة بنت إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وإبراهيم كان يصلي بالناس في الجامع المنسوب إلى المنصور الجمعات وغيرها حتى مات، وكان صاحب علم وتنسك.

■ (10) هل هو: إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، ابن عم طاهر بن الحسين.ويعرف بصاحب الجسر. ولي إمرة بغداد أكثر من 30 سنة، وعلى يده أمتحن العلماء بأمر المأمون وأكرهوا على القول بخلق القرآن. وكان خبيرا صائبا سائسا حازما وافر العقل، جودا ممدحا، له مشاركة في العلم.توفي سنة 235 هـ. وولي بعده ابنه محمد

■ (2) هل هو: قحطبة بن حميد بن الحسن بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن أكلف بن سعد بن عمرو بن الصامت بن عمرو بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء أبو الحسين الطائي أحد قواد الدولة العباسية ...؟

■ (4) بشر المريسي أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه الحنفي المتكلم؛ هو من موالي زيد بن الخطاب. أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي، إلا أنه استغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرآن، منذ أيام الرشيد. وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة، وكان مرجئا، وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة، وكان يقول: إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر، ولكنه علامة الكفر. توفي سنة 218 هـ، وقيل: 219 هـ، ببغداد.

■ (12) هل هو: علي بن هشام بن فرخسروا، أبو الحسين المروزي أحد قواد المأمون.كان فارسا موصوفا بالشجاعة والإقدام، مع الظلم والفتك. وكان شاعرا مفلقا فاضلا. قدم دمشق مع المأمون، وكان نديمه، ولي كور الجبال، فأساء السيرة، وقتل جماعة، وصادر، ثم هم بالخروج واللحوق ببابك الخرمي، فظفر به عجيف الأمير، وأتى به المأمون، فقتله، وقتل معه أخاه حسينا سنة 217 هـ بـ أذنة، من الثغور .

■ (8) منجا ؟ مرجا ؟ (11) أبو رجاء ؟ (13) قحطبة بن الحسن ؟

☪

قال صلاح نجيب الدق: إن الله حذرنا من الرياء في الأقوال والأفعال وذلك في كثير من آيات القرآن الكريم، وبين لنا سبحانه أن الرياء يحبط الأعمال الصالحة. قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة] قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة، ليشكر بين الناس أو يقال إنه كريم جواد ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء] قال ابن كثير في هذه الآية: لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله، بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة، ولهذا يتخلفون كثيرا عن الصلاة التي لا يرون فيها غالبا كصلاة العشاء في وقت العتمة وصلاة الصبح في وقت الغلس. فاحذر أخي المسلم من الرياء لأنه من صفات المنافقين الذين قال الله عنهم في كتابه العزيز﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء] وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف] قال ابن كثير في قوله تعالى: فليعمل عملا صالحا أي ما كان موافقا لشرع الله، وقوله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وهو الذي يراد به وجه الله تعالى وحده لا شريك له. وقال جل شأنه: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر] قال مجاهد في معنى هذه الآية: عملوا أعمالا توهموا أنها حسنات فإذا هي سيئات، وقال سفيان الثوري في هذه الآية: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، هذه آيتهم وقصتهم. وقال سبحانه موضحا عقوبة المرائين يوم القيامة: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون] .

الرسول صلى الله عليه وسلم يحذرنا من خطورة الرياء: إن النبي صلى الله عليه وسلم يحب لنا الخير ويحرص على إرشادنا لما فيه سعادتنا في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة] من أجل ذلك حذرنا في كثير من أحاديثه الشريفة من الرياء لأنه يحبط الأعمال الصالحة ويجعلها هباء منثورا. روى أحمد عن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً﴾ روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تبارك وتعالى:﴿أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ﴾ روى الشيخان عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ سَمَّعَ، سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي، يُرَائِي اللَّهُ بِهِ﴾ قال الخطابي في معنى هذا الحديث: من عمل عملا على غير إخلاص، إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جوزي على ذلك بأن يشهره ويفضحه، فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك. روى أبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ عرف الجنة: يعني ريحها. روى الترمذي عن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ﴾ روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿ إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ﴾.

أقوال بعض السلف في ذم الرياء: نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رجل يطأطئ رقبته، فقال له: يا صاحب الرقبة: ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط في الناس، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم به. وأتى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه على رجل وهو ساجد يبكي في سجوده، ويدعو فقال له: أنت! أنت لو كان هذا في بيتك. وقال الحسن البصري: المرائي يريد أن يغلب قدر الله فيه، هو رجل سوء يريد أن يقول للناس هو صالح، فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء. وقال قتادة بن دعامة: إذا راءى العبد، يقول الله: انظروا إلى عبدي كيف يستهزئ بي.. وقال الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل الناس شرك، والعمل لأجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السمت بالليل، فإنه أشرف من إظهاره بالنهار، لأن السمت بالنهار للمخلوقين، والسمت بالليل لرب العالمين. وقال بعض الحكماء: مثل من يعمل رياء وسمعة كمثل من ملأ كيسه حصى ثم دخل السوق ليشتري به، فإذا فتحه بين يدي البائع، افتضح وضرب به وجهه فلم يحصل له به منفعة سوى قول الناس: ما ملأ كيسه، ولا يعطى به شيئا، فكذلك من عمل للرياء والسمعة، لا منفعة له في عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة. قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان] أي الأعمال التي قصد بها غير ربه تعالى، يبطل ثوابها، وصارت كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس[..]

مراجع: تاريخ دمشق/ كتاب بغداد/ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار/ المحاسن والمساوئ/ الانساب للسمعاني/ مختصر تاريخ دمشق/ فتح الباري/ ابن كثير/ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ صحيح مسلم/ صحيح البخاري/ صحيح أبي داود/ صحيح الترمذي/ الكبائر/ الزواجر لابن حجر/

أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) وموسى بن سليمان، ومعلى بن منصور، وعلي بن معبد بن شداد 0826

حدث إبراهيم سعيد، قال: أحضر المأمون، موسى بن سليمان[1]،ومعلى الرازي[2]،فبدأ بأبي سليمان لسنه وشهرته بالورع، فعرض عليه القضاء، فقال: يا أمير المؤمنين، احفظ حقوق الله في القضاء، ولا تول على أمانتك مثلي، فإني والله غير مأمون الغضب، ولا أرضى نفسي لله أن أحكم في عباده، قال: صدقت، وقد أعفيناك، فدعا له بخير، وأقبل على معلى، فقال له مثل ذلك، فقال: لا أصلح، قال: ولم؟ قال: لأني رجل أداين، فأبيت مطلوبا وطالبا، قال: نأمر بقضاء دينك ونتقاضى ديونك، فمن أعطاك قبلناه، ومن لم يعطك عوضناك مالك عليه، قال: ففي شكوك في الحكم، وفي ذلك تلف أموال الناس، قال: يحضر مجلسك أهل الدين إخوانك، فما شككت فيه سألتهم عنه، وما صح عندك أمضيته، قال: أنا أرتاد رجلا أوصي إليه من أربعين سنة ما أجد من أوصي إليه، فمن أين أجد من يعينني على قضاء حقوق الله الواجبة عليك حتى أأتمنه على ذلك؟ فأعفاه.

قال الطحاوي: سمعت سليمان بن شعيب: سمعت علي بن معبد[3] يقول: أدخلت على المأمون فقال: يا علي بلغنا عنك أحوال جميلة، وقد رأيت أن أوليك قضاء مصر. فقلت: يا أمير المؤمنين إني أضعف عن ذلك. قال: فاستعن بأخيك، فقد قيل لي إن له فضلا وعلما. كما استعنت أنا بأخي هذا؟ فالتفت، فإذا المعتصم قائم فأدارني. فلم أجبه، فتبينت الغيظ في وجهه، فقلت: لي حرمة. قال: وما ذاك؟ قلت: بسماعي العلم مع أمير المؤمنين عند محمد بن الحسن[4] قال: ومن أين كنت أنت تصل إلى محمد؟ فقلت: بأبي معبد بن شداد فقال: أبوك معبد؟ قلت: نعم. قال: إنه كان من طاعتنا على غاية، فلم لا تكون مثله؟ ثم خرجت من عنده.

عن يحيى بن عثمان، قال: أقامت مصر بلا قاض سنة خمس عشرة وست عشرة ومائتين، فلما قدم المأمون مصر في أول سنة سبع عشرة ومائتين طلب قاضيا يقضي بين الناس، فصلى وأمر يحيى بن أكثم[6] بالجلوس في المسجد للقضاء، فجلس يحيى بن أكثم يوم السبت لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين، فقضى بين الناس، وتشاغل المأمون بحربه، وذكر له غير واحد من أهلها، فلم يتم، فخرج ولم يول عليها أحدا غير أنه طلب علي بن معبد بن شداد العبدي، فامتنع عليه.

حدث أحمد بن محمد بن سلامة، قال: سمعت يونس، يقول: سمعت علي بن معبد، يقول: انصرفت من عند المأمون وقد أبيت عليه الدخول فيما عرضه علي من تولي القضاء بمصر، وفرشت حصيرا وقعدت على بابي، وقلت: أقرب ممن عسى أن يأتيني يعزيني على ما نالني، فبينا أنا كذلك، إذ مر رجلان، فسمعت أحدهما، يقول لصاحبه: والله ما صح له إلى الآن شيء وقد فتح بابه وفرش حصيره. فقلت لمن كان عندي: حدث حادث انصرفوا. فانصرفوا ودخلت، ورددت الباب وقعدت من ورائه، وقلت: أقرب على من عسى أن يجيء من إخواني، فمر رجلان، فسمعت أحدهما، يقول لصاحبه: والله ما صح له من الإخوان شيء، فقد أغلق بابه، فكيف لو صح له شيء. فقلت: يا نفس، ألا كنت لا تسلمين بفتح بابك ولا تسلمين بغلقه، فهل بينهما واسطة.

----

(1) موسى بن سليمان،أبو سليمان الجوزجاني، أصله من جوزجان في أفغانستان، سمع عبد الله بن المبارك، وعمرو بن جميع، وأبا يوسف محمد بن الحسن صاحبي أبي حنيفة، وكان فقيها بصيرا بالرأي، يذهب مذهب أهل السنة في القرآن، وسكن بغداد، وحدث بها، توفي بعد الثمانين.

(2) معلى بن منصور، أبو يعلى الرازي سكن بغداد، وحدث بها عن مالك بن أنس، وليث بن سعد، وأبي عوانة، وشريك، والهيثم بن حميد، وابن لهيعة، وموسى بن أعين، ويحيى بن حمزة، وأبي يوسف القاضي، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وأبي بكر بن عياش، وهشيم. روى عنه علي ابن المديني، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو خيثمة، وأبو يحيى صاعقة، وأحمد بن منصور الرمادي، وسلمان بن توبة، وعباس الدوري، والحسن بن مكرم، ومحمد بن مكرم، ومحمد بن إسرائيل الجوهري، ومحمد بن سعد العوفي، ومحمد بن شاذان الجوهري، وغيرهم. مات سنة 211 هـ أو 212 هـ.

(3) علي بن معبد بن شداد العبدي الرقي. الحافظ، نزيل مصر. يروى عن أبي الأحوص سلام بن سليم، والليث بن سعد، وعبيد الله بن عمرو الرقي، وإسماعيل بن جعفر، وابن المبارك، وابن وهب، وخلق من الشام والجزيرة ومصر والعراق والحجاز. ويروى عنه إسحاق الكوسج، ودحيم، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، وعبد الملك بن حبيب الفقيه، وأبو حاتم الرازي، ومقدام بن داود الرعيني، ويحيى بن عثمان بن صالح، وأبو يزيد يوسف القراطيسي، وخلق. توفي بمصر سنة 218 هـ

(6) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج، التميمي الأسدي المروزي، أبو محمد التميمي، من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. وكان عالما بالفقه بصيرا بالأحكام، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

(4) محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني مولاهم صاحب أبي حنيفة وإمام أهل الرأي، يكنى أبا عبد الله مولى بني شيبان. أصله دمشقي من أهل قرية تسمى حرستا. قدم أبوه العراق فولد محمد بواسط سنة 132 هـ، ونشأ بالكوفة، وسمع العلم بها من أبي حنيفة، ومسعر بن كدام، وسفيان الثوري، وعمر بن ذر، ومالك بن مغول. وكتب أيضا عن مالك بن أنس وأبي عمرو الأوزاعي، وزمعة بن صالح، وبكير بن عامر، وأبي يوسف القاضي. وسكن بغداد وحدث بها. وخرج إلى الرقة وهارون أمير المؤمنين بها، فولاه قضاء الرقة ثم عزله، فقدم بغداد فلما خرج هارون إلى الري الخرجة الأولى أمره فخرج معه فمات بالري سنة 189 هـ وهو ابن 58 سنة.

قال ابن سيرين: جاء صبيان إلى عبيدة السلماني يتخايرون إليه في ألواحهم فلم ينظر فيها، قال: هذا حكم ولا أتولى حكماً أبداً. وتخاير غلمان إلى ابن عمر فجعل ينظر في كتابتهم فقال: هذا حكم ولا بد من النظر فيه. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مِنْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ﴾ قال المظهر: خطر القضاة كثير وضرره عظيم؛ لأنه قلما عدل القاضي بين الخصمين؛ لأن النفس مائلة إلى من يحبه، أو يخدمه، أو من له منصب يتوقى جاهه، أو يخاف سلطنته، وربما يميل إلى قبول الرشوة وهو الداء العضال. وعن أم المؤمنين عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِي الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةٌ يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ﴾ أي ليأتين عليه يوم القيامة من البلاء ما يتمنى أنه لم يقض، والتمرة، تتميم لمعنى المبالغة مما نزل به من البلاء. وعن عبد الله بن أبي أوفى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللهَّ مَعَ الْقَاضِي مَا لَمْ يَجُرْ، فَإِذَا جَارَ تَخَلَّى عَنْهُ وَلَزِمَهُ الشَّيْطَانُ – وفي رواية-: فَإِذَا جَارَ وَكَلَهُ إِلَى نَفْسِهِ﴾ (ما لم يجر) أي ما لم يظلم. وعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ؛ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهَّ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ اللهَّ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهَّ؟ قَالَ: وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ﴾ (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه) أي ذهب بطائفة من ماله وفصلها عنه (قضيبا من أراك) أي خشب سواك. وقال مسروق لأن أقضي يوما بالحق أحب إلي من أن أغزو سنة في سبيل الله.

مراجع: تاريخ بغداد/ سير أعلام النبلاء/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ شرح سنن ابن أبي داود للعباد/ كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي/ حسن السلوك الحافظ دولة الملوك/ أخبار أبي حنيفة/

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) ويحيى بن يحيى النيسابوري 0827

قال أبو القاسم التفكري: سمعت أبا علي الحسن بن علي بن بندار الزنجاني –الفقيه المقرئ النحوي– يقول: كان هارون الرشيد[1] بعث إلى مالك بن أنس[2] يستحضره ليسمع منه ابناه الأمين[3] والمأمون[4]، فأبى عليه، وقال: إن العلم يؤتى، لا يأتي. فبعث إليه ثانيا، فقال: أبعثهما إليك يسمعان مع أصحابك، فقال مالك: بشريطة أنهما لا يتخطيان رقاب الناس، ويجلسان حيث ينتهي بهما المجلس. فحضراه بهذا الشرط. وكان يحيى بن يحيى[5] يحضر مجلس مالك فانكسر قلمه فناوله المأمون قلما من ذهب أو مقلمة ذهب. فامتنع عن قبوله، فقال له المأمون: ما اسمك؟ قال: يحيى بن يحيى النيسابوري. فقال: تعرفني؟ قال: نعم، أنت المأمون ابن أمير المؤمنين. قال: فكتب المأمون على ظهر جزئه ناولت يحيى بن يحيى النيسابوري قلما في مجلس مالك فلم يقبله. فلما أفضت الخلافة إليه بعث إلى عامله بنيسابور وأمره أن يولي يحيى بن يحيى القضاء فبعث إليه يستدعيه فقال بعض الناس: إنه يمتنع من الحضور وليته أذن للرسول، فأنفذ إليه كتاب المأمون فقرئ عليه فامتنع من القضاء فرد إليه ثانيا وقال: إن أمير المؤمنين يأمرك بشيء وأنت من رعيته وتأبى عليه؟ فقال: قل لأمير المؤمنين ناولتني قلما وأنا شاب فلم أقبله فتجبروني الآن على القضاء وأنا شيخ؟ فرفع الخبر إلى المأمون. قال: قد علمت امتناعه ولكن ول القضاء رجلا تختاره. فبعث إليه العامل في ذلك فاختار رجلا فولي القضاء، ودخل على يحيى وعليه سواد فضم يحيى فراشا كان جالسا عليه كراهية أن يجمعه وإياه. فقال: أيها الشيخ ألم تخترني؟ قال: إنما قلت: اختاروه، وما قلت لك: تقلد القضاء.

روى أن قاضياً قدم إلى بلد، فجاء رجل له عقل ودين فقال له: أيها القاضي أبلغك قول النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ، فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ﴾ قال: نعم. قال: فبلغك أن أمور المسلمين ضائعة في بلدنا فجئت تحيزها؟ قال: لا. قال: أفأكرهك السلطان على ذلك؟ قال: لا. قال: فاشهد أني لا أطأ لك مجلساً ولا أؤدي عندك شهادة أبداً.

■ (5) يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي، شيخ الإسلام، وعالم خراسان، أبو زكريا التميمي، المنقري، النيسابوري، الحافظ.ولد سنة 142 هـ. كتب: ببلده، وبالحجاز، والعراق، والشام، ومصر. لقي صغارا من التابعين، وتوفي سنة 226 هـ.على الصحيح

■ (4) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

■ (1) هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الرشيد ابن المهدي ابن المنصور. ولد بالري سنة 147 هـ ، وبويع له بمدينة السلام بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170 هـ، وتوفي بطوس سنة 193 هـ، وكان يحج سنة ويغزو سنة.

■ (3) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة198 هـ

■ (2) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، ربيعة الرأي، أيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع.وحدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

☪

قال أبو حريز الأزدي: كان رجل لا يزال يهدي لعمر فخذ جزور إلى أن جاءه ذات يوم بخصم، فقال: يا أمير المؤمنين، لقض بيننا قضاء فصلا كما يفصل الفخذ سائر الجزور، قال عمر: فما زال يرددها علي حتى خفت على نفسي، فقضى عليه عمر، ثم كتب إلى عماله: أما بعد، فإياي والهدايا، فإنها من الرشي. وعن مالك بن مغول أنه بلغه أن عمر بن الخطاب قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون لحسابكم، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر.﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة] روى من طريق فرات بن مسلم قال اشتهى عمر بن عبد العزيز التفاح فلم يجد في بيته شيئا يشتري به فركبنا معه فتلقاه غلمان الدير بأطباق تفاح فتناول واحدة فشمها ثم رد الأطباق فقلت له في ذلك فقال لا حاجة لي فيه. فقلت ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر يقبلون الهدية. فقال إنها لأولئك هدية وهي للعمال بعدهم رشوة. وفي رواية عن ميمون بن مهران قال: أهدي إلى عمر بن عبد العزيز تفاح وفاكهة، فردها وقال: لا أعلمن أنكم قد بعثتم إلى أحد من أهل عملي بشيء، قيل له: ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية، قال: بلى، ولكنها لنا ولمن بعدنا رشوة. وقوله رشوة، بضم الراء وكسرها ويجوز الفتح، وهي ما يؤخذ بغير عوض ويعاب أخذه. قال بن العربي: الرشوة كل مال دفع ليبتاع به من ذي جاه عونا على ما لا يجوز والمرتشي قابضه (قابلها) والراشي دافعه (باذلها) والرائش الذي يوسط بينهما. روى ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَعَنَ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ﴾ وعن معاذ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿خُذُوا الْعَطَاءَ مَا دَامَ عَطَاءً، فَإِذَا صَارَ رِشْوَةً عَلَى الدِّينِ فَلَا تَأْخُذُوهُ، وَلَسْتُمْ بِتَارِكِيهِ يَمْنَعُكُمُ الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ، أَلَا إِنَّ رَحَى الْإِسْلَامِ دَائِرَةٌ فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلَا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ فَلَا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَقْضُونَ لَكُمْ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ نَصْنَعُ؟. قَالَ:كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ، وَحُمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ، مَوْتٌ فِي طَاعَةِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ﴾ ومما روي عن عمر رضي الله عنه في التحذير من الرشوة وقبول الهدايا في الحكم أن رجلا كان يهدي لعمر رضي الله عنه كل عام فخذ جزور، فخاصم إليه رجلا فقال: يا أمير المؤمنين، اقض بيننا قضاء فصلا، كما تفصل الرجل من سائر الجزور، فقضى عليه عمر، ثم كتب إلى عماله: إن الهدايا هي الرشا. وروي أن عمر رضي الله عنه كتب إلى قضاته: اجعلوا الناس عندكم في الحق سواء قريبهم كبعيدهم، وبعيدهم كقريبهم، وإياكم والرشا، والحكم بالهوى. وروي كذلك أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: لا تبيعن ولا تبتاعن، ولا تشارن، ولا تضارن، ولا ترشى في الحكم، ولا تحكم بين اثنين وأنت غضبان.

قال المدائني: بلغ عبد الملك أن بعض عماله يقبل الهدايا فأشخصه إليه، فقال له: أقبلت هدية مذ وليت ؟ قال: يا أمير المؤمنين بلادك عامرة، وخراجك زاج وافر، ورعيتك على أفضل حال، قال: أجب عما سألتك عنه ؟ قال: نعم قد قبلت، فقال لئن كنت قبلت هدية ولم تعرض عليها إنك للئيم ولئن كنت أنلت مهديها ما كافأته به من مال المسلمين، أو قلدته من عملك ما لم تكن لتقلده إياه قبل هديته إنك لخائن جائر، ولئن كنت عوضت المهدي إليك من مالك ما اتهمك عند من ائتمنك، وأطمع فيك أهل عملك إنك لأحمق، وإن من أتى أمرا لم يخل فيه من لؤم أو حمق لحقيق أن لا يصطنع ثم عزله.

☪

حدث خالد بن معدان [1] قال: وفد المقدام بن معدي كرب [2]، وعمرو بن الأسود، ورجل من بني الأسد من قنسرين* من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على معاوية، فقال معاوية للمقدام: أما علمت أن الحسن بن علي توفي؟ قال: فاسترجع المقدام. فقال له معاوية: أتراها مصيبة؟ قال: ولم لا أراها مصيبة وقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره فقال: هذا مني وحسين من علي؟ فقال للأسدي: ما تقول أنت؟ قال: جمرة أطفأها الله. فقال المقدام: أما أنا فلا أبرح اليوم حتى أغيظك وأسمعك ما تكره، ثم قال: إن أنا صدقت فصدقني، وإن أنا كذبت فكذبني. فقال: أفعل. فقال: أنشدك الله، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الذهب؟ قال: نعم. قال: وأنشدك الله، هل تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير؟ قال: نعم. قال: أنشدك الله، هل تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن جلود السباع والركوب عليها؟ قال: نعم. قال: فوالله، لقد رأيت هذا كله في بيتك يا معاوية. فقال معاوية: قد عرفت أني لن أنجو منك اليوم. قال خالد: وأمر له معاوية بمال ولم يأمر لصاحبه، وفرض لابنه قال: ففرقها المقدام على أصحابه، ولم يعط الأسدي شيئاً مما أخذ، فبلغ ذلك معاوية، فقال: أما المقدام فرجل كريم بسط يديه، وأما الأسدي فرجل حسن الإمساك لنفسه. قال الله تعالى:﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران] قال عمر:﴿اللَّهُمَّ، إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَهُ لَنَا، اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ﴾ (زين للناس) حسن ورغب لنفوسهم في هذه الدنيا (الشهوات) أنواع الملذات والمتع (القناطير المقنطرة) كناية عن المقادير الكبيرة المكدسة (المسومة) المعلمة (الأنعام) الإبل والبقر والغنم (الحرث) الأراضي المتخذة للزراعة (متاع) ما ينتفع به في الدنيا لأمد قليل. (قال عمر) أي عند سماع الآية (بما زينته لنا) مما ذكر في الآية (حقه) طرقه المشروعة. عن أبي موسى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَلَّ لِإِنَاثِ أُمَّتِي الْحَرِيرَ وَالذَّهَبَ، وَحَرَّمَهُ عَلَى ذُكُورِهَا﴾ قال سليمان بن حبيب: سمعت أبا أمامة، يقول: ﴿لَقَدْ فَتَحَ الْفُتُوحَ قَوْمٌ، مَا كَانَتْ حِلْيَةُ سُيُوفِهِمُ الذَّهَبَ وَلاَ الفِضَّةَ، إِنَّمَا كَانَتْ حِلْيَتُهُمْ العَلاَبِيَّ وَالآنُكَ وَالحَدِيدَ﴾ (قوم) المراد الصحابة رضي الله عنهم ومن كان معهم في الفتوح. (حلية سيوفهم) ما تزين به (العلابي) الجلود غير المدبوغة (الآنك) الرصاص ولم يكن الصحابة يزينون سلاحهم بالذهب وغيره لاستغنائهم بهيبة الإيمان عن هيبة المظاهر. وعن أبي فروة، أنه سمع عبد الله بن عكيم، قال: كنا مع حذيفة بالمدائن، فاستسقى حذيفة، فجاءه دهقان بشراب في إناء من فضة فرماه به، وقال: إني أخبركم أني قد أمرته أن لا يسقيني فيه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:﴿لَا تَشْرَبُوا فِي إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَلْبَسُوا الدِّيبَاجَ* وَالْحَرِيرَ، فَإِنَّهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن عبد الله بن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال:﴿يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللهِ، لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ وعن أبي صالح ذكوان، أخبره أنه سمع أبا هريرة، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ﴾ وعن معاوية بن سويد بن مقرن، قال: دخلت على البراء بن عازب، فسمعته يقول:﴿أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، أَوِ الْمُقْسِمِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمَ – أَوْ عَنْ تَخَتُّمٍ – بِالذَّهَبِ، وَعَنْ شُرْبٍ بِالْفِضَّةِ، وَعَنِ الْمَيَاثِرِ*، وَعَنِ الْقَسِّيِّ*، وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالْإِسْتَبْرَقِ* وَالدِّيبَاجِ﴾ وعن أم سلمة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ، إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ﴾

*(الديباج) هو الثياب المتخذة من الإبريسم أي الحرير الرقيق (الإستبرق) ما غلظ من الديباج (القسية) ثياب من كتان مخلوط بالحرير منسوبة إلى قرية قس بمصر (الميثرة) المياثر : جمع ميثرة وهو غطاء للسرج من الحرير أو الديباج يوضع على ظهر الفرس ورحل البعير (قنسرين) مدينة كانت بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص (الرشا) الرشوة – بكسر الراء، وضمها والجمع: رشا –بكسر الراء وضمها –، وقد رشاه من باب عدا. وارتشى: أخذ الرشوة، واسترشى في حكمه، طلب الرشوة عليه.

■ (2) المقدام بن معدي كرب صحابي، توفي سنة 87 هـ أو 88 هـ

■ (1) خالد بن معدان بن أبي كرب، أبو عبد الله، الكلابي تابعي ثقة. أدرك سبعين من أصحاب النبي صلي الله علية وسلم. روى عن ثوبان وابن عمر ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم. توفي سنة 103 هـ أو 104 هـ ؟ في خلافة يزيد بن عبد الملك.

مراجع: سير أعلام النبلاء/ صفة الصفوة/ فتح الباري/ الأحكام السلطانية للماوردي/ عارضة الأحوذي لابن العربي/ صحيح مسلم/ سنن أبي داود/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ أنساب الأشراف/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/

حدث ابن أكثم[1]،قال: قال لنا المأمون: لولا يزيد بن هارون[2]لأظهرت أن القرآن مخلوق* فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين، ومن يزيد حتى يتقى؟،قال ويحك، إني أخاف أن يرد علي، فيختلف الناس وتكون فتنة، وأنا أكره الفتنة، فقال له الرجل: فأنا أخبر لك ذلك منه، فقال له: نعم، قال: فخرج إلى واسط، فجاء إلى يزيد بن هارون، فدخل عليه المسجد، وجلس إليه فقال له: يا أبا خالد إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك إني أريد أن أظهر أن القرآن مخلوق فقال: كذبت على أمير المؤمنين، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفون، فإن كنت صادقا فعد غدا إلى المجلس، فإذا اجتمع الناس فقل، قال: فلما كان الغد اجتمع الناس فقام، فقال: يا أبا خالد، رضي الله عنك، إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك: إني أريد أن أظهر أن القرآن مخلوق، فما عندك في ذلك؟ قال: كذبت في ذلك على أمير المؤمنين، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه وما لم يقل به أحد، قال: فقدم فقال: يا أمير المؤمنين، كنت أنت أعلم، قال: وكان من القصة كيت وكيت، فقال له: ويحك، لعب بك. وقوله: (أنا أخبر لك ذلك منه) يقصد به أرى إن كان الإمام يزيد بن هارون سيستعمل قدرته على التأثير على الرأي العام ضد السلطة فيما لو أظهرت هذا القول، أم سوف يكون إنكاره لها رأيا شخصيا بيننا وبينه فقط أو سوف يؤثر السكوت، أو نحو ذلك مما سيكون تأثيره محدودا.وفي هذه القصة أن الإمام يزيد بن هارون أراد أن يبلغ السلطة أنه سيستفيد من تأثيره على الرأي العام لتحجيمها ومنعها من استغلال موقعها لفرض آرائها الفكرية الخاطئة، ولهذا دعا رسول الخليفة أمام الناس ليشهدهم على موقفه، ويكون في ذلك إشارة واضحة للسلطة لتكف عما تخطط له، ولم يكتف رحمه الله بذكر ذلك فيما بينه وبين مندوب السلطة خاصة، وهو يدل على قيام العلماء في ذلك الزمان برسالتهم ووعيهم الوسائل الكفيلة بتحقيق أهدافها.

حدث أبو معمر القطيعي[3]،قال: لما أحضرنا إلى دار السلطان أيام المحنة، وكان أحمد بن حنبل قد أحضر، فلما رأى الناس يجيبون، وكان رجلا لينا، فانتفخت أوداجه، واحمرت عيناه، وذهب ذلك اللين. فقلت: إنه قد غضب لله، فقلت: أبشر، حدثنا ابن فضيل، عن الوليد بن عبد الله بن جميع، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، قال:﴿كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ إِذَا أُرِيدَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ رَأَيْتَ حَمَالِيقَ عَيْنَيْهِ فِي رَأْسِهِ تَدُورُ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ﴾ وحدث الحسين بن محمد الخفاف: سمعت ابن أبي أسامة يقول:حكي لنا أن أحمد قيل له أيام المحنة: يا أبا عبد الله[4]،أولا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟ قال: كلا، إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة، وقلوبنا بعد لازمة للحق.

قال عبيد بن شريك: كان أبو معمر القطيعي من شدة إدلاله بالسنة يقول: لو تكلمت بغلتي لقالت: إنها سنية. قال: فأخذ في المحنة فأجاب، فلما خرج قال: كفرنا وخرجنا. حدث عبد الله بن أحمد بن حنبل[5]،قال: سمعت أبا معمر، يعني الهذلي، يقول: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن شك في أنه غير مخلوق فهو جهمي، لا بل شر من جهمي. وحدث عبد الله بن أحمد، قال: سمعت أبا معمر الهذلي يقول: من زعم أن الله لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر ولا يغضب ولا يرضى – وذكر أشياء من هذه الصفات – فهو كافر بالله، إن رأيتموه على بئر واقفا فألقوه فيها، بهذا أدين الله عز وجل لأنهم كفار.

----

*(القول بخلق القرآن) عقيدة باطلة، قالت بها الجهمية، وتبعها على ذلك المعتزلة، وهي حقيقة قول الأشعرية والماتريدية، وهي ناتجة عن تعطيل صفات الله، وإنكارهم صفة الكلام لله عز وجل. والذي دل عليه القرآن والسنة، وعليه السلف الصالح أن الله تعالى يتكلم حقيقة، بكلام بدأ منه بحرف وصوت، يسمع منه متى شاء كيف شاء، والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق. وقد استقصى علماء السلف الأدلة على ذلك في كتب السنة والإيمان والتوحيد. انظر: مثلا: كتاب التوحيد من صحيح البخاري.

■ (2) يزيد بن هارون بن زاذان السلمي مولاهم، يكنى أبا خالد، مولى لبني سليم، وقيل أصله من بخارى. ثقة متقن، عابد من التاسعة، أسند يزيد بن هارون عن خلق كثير. وكان مولده سنة118 هـ. وتوفي في سنة 206 هـ.

■ (3) إسماعيل بن إبراهيم بن معمر بن الحسن أبو معمر الهذلي وقيل مولى بني تميم، من ساكني قطيعة الربيع، كان ينزل درب أبي خلف، وهو هروي الأصل، سمع من إبراهيم بن سعد، وإسماعيل بن عياش، وهشيم بن بشير، وعبد الله بن المبارك، وسفيان بن عيينة، وخلف بن خليفة، وجرير بن عبد الحميد، ومروان بن معاوية، وعبد السلام بن حرب، وحفص بن غياث، ويحيى بن يمان. مات أبو معمر الهذلي سنة 236 هـ.

■ (4) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن انس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة الشيباني الذهلي من ربيعة أصله مروزي سكن بغداد كنيته أبو عبد الله كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة أغاث الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه. ولد في ربيع الأول سنة164 هـ وتوفي في سنة 241 هـ. روى عن محمد بن جعفر غندر وعن هشيم بن بشير وعن معتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن كثير ومحمد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الرزاق وأبي داود الطيالسي سليمان بن داود ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة وإسماعيل بن علية وسفيان بن عيينة ويعقوب بن إبراهيم.

■ (5) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد، أبو عبد الرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله الذهلي الشيباني، المروزي، ثم البغدادي. ولد سنة 213 هـ، فكان أصغر من أخيه صالح بن أحمد قاضي الأصبهانيين. روى عن أبيه شيئا كثيرا، من جملته (المسند) كله، و (الزهد)، وعن يحيى بن عبدويه صاحب شعبة، وامتنع من الأخذ عن علي بن الجعد لوقفه في مسألة القرآن، وروى عن خلق كثير. وحدث عنه خلق كثير. مات: سنة 290 هـ وصلى عليه ابن أخيه زهير بن صالح، ودفن في مقابر باب التبن، وقيل: إن عبد الله أمرهم أن يدفنوه هناك، وقال: بلغني أن هناك قبر نبي، ولأن أكون في جوار نبي أحب إلي أن أكون في جوار أبي.ولعبد الله كتاب: الرد على الجهمية، في مجلد، وله كتاب: الجمل.

■ (1) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي، قاضي القضاة، الفقيه، العلامة، أبو محمد التميمي، المروزي، ثم البغدادي. ولد في حدود سنة 158 هـ في خلافة المهدي. وسمع من: عبد العزيز بن أبي حازم، وابن المبارك، وعبد العزيز الدراوردي، وجرير بن عبد الحميد، وسفيان بن عيينة، والفضل السيناني، وعبد الله بن إدريس، وعدة. وله رحلة ومعرفة. حدث عنه: الترمذي، وأبو حاتم، والبخاري خارج (صحيحه)، وإسماعيل القاضي، وإبراهيم بن محمد بن متويه، وأبو العباس السراج، وعبد الله بن محمود المروزي، وآخرون. وكان من أئمة الاجتهاد، وله تصانيف، منها كتاب (التنبيه). ولاه المأمون قضاء بغداد،وكانت الوزراء لا تبرم شيئا حتى تراجع يحيى. مات بالربذة (قرية من قرى المدينة)، منصرفه من الحج، سنة 242 هـ. قال الفضل الشعراني: سمعت يحيى بن أكثم يقول: القرآن كلام الله، فمن قال: مخلوق، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه. قال الصولي: سمعت إسماعيل القاضي يعظم شأن يحيى بن أكثم، وذكر له يوم قيامه في وجه المأمون لما أباح متعة النساء، فما زال به حتى رده إلى الحق، ونص له الحديث في تحريمها، فقيل لإسماعيل: فما كان يقال؟ قال: معاذ الله أن تزول عدالة مثله بكذب باغ أو حاسد. ثم قال: وكانت كتبه في الفقه أجل كتب، تركها الناس لطولها.

☪

قال ابن الجوزي: تأملت الدخل الذي دخل في ديننا من ناحيتي العلم والعمل، فرأيته من طريقين قد تقدما هذا الدين وأنس الناس بهما. فأما أصل الدخل في العلم والاعتقاد فمن الفلسفة. وهو أن خلقاً من العلماء في ديننا لم يقنعوا بما قنع به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانعكاف على الكتاب والسنة، فأوغلوا في النظر في مذاهب أهل الفلسفة وخاضوا في الكلام الذي حملهم على مذاهب رديئة أفسدوا بها العقائد. وأما أصل الدخل في باب العمل فمن الرهبانية. فإن خلقاً من المتزهدين أخذوا عن الرهبان طريق التقشف، ولم ينظروا في سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وسمعوا ذم الدنيا وما فهموا المقصود، فاجتمع لهم الإعراض عن علم شرعنا مع سوء الفهم للمقصود، فحدثت منهم بدع قبيحة.

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي، فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ﴾ وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿حِينَ أَتَاهُ عُمَرُ فَقَالَ: إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مِنْ يَهُودَ تُعْجِبُنَا، أَفَتَرَى أَنْ نَكْتُبَ بَعْضَهَا؟ فَقَالَ: أَمُتَهَوِّكُونَ أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟! لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي﴾ (أمتهوكون) أمتحيرون في دينكم حتى تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبيكم (كما تهوكت) كتحيرهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا أهواء أحبارهم ورهبانهم. عن شيبة بن مساور قال: خطب عمر بن عبد العزيز، فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَّ لَمْ يَبْعَثْ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ نَبِيًّا، وَلَمْ يُنْزِلْ بَعْدَ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، فَمَا أَحَلَّ اللهُّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَلَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا حَرَّمَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَلَا وَإِنِّي لَسْتُ بِقَاضٍ، وَلَكِنِّي مُنَفِّذٌ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، وَلَكِنِّي مُتَّبِعٌ، وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْكُمْ، غَيْرَ أَنِّي أَثْقَلُكُمْ حِمْلًا، أَلَا وَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهَّ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللهَّ، أَلَا هَلْ أَسْمَعْتُ﴾ وعن الفضيل بن عياض قال: ﴿مَنْ أَعَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ﴾ وعن المنذر بن جرير، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ﴿مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ﴾ (من أحدث) أي جدد وابتدع أو أظهر واخترع في أمرنا هذا. قال المناوي في أمرنا، أي شأننا، أي دين الإسلام ما ليس منه، أي رأيا ليس له في الكتاب أو السنة عاضد ظاهر أو خفي ملفوظ أو مستنبط، فهو رد، أي مردود على فاعله لبطلانه من إطلاق المصدر على اسم المفعول. عن عرباض بن سارية، قال:﴿صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْحَ، ثُمَّ وَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهَّ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا، قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي: عُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ﴾ وعن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ﴾ (الأئمة) الأمراء والعلماء، وإمام الضلالة: الذي يدعو إلى ضلالة. نسأل الله تعالى السلامة والعافية وحسن الخاتمة.

☪

يقول سفر الحوالي: لقد بدأ الانحراف عندما أخذت هذه الأمة تتلقى عن غير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن القدر أن أول من واجه هذه القضية هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فعندما فتح سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هو وجيشه الميمون المظفر مدائن كسرى تلك المدينة العظيمة التي ما كان يحلم العرب بأن يروها بأعينهم، فضلا عن أن يدخلوها! دخلوا فوجدوا فيها الكتب الكثيرة عن الحضارة الفارسية والعقائد والأديان والعلوم التي كانت عند هذه الأمة في هذه المملكة؛ فكتبوا إلى عمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين! قد وجدنا كذا وكذا فما رأيك أنحملها أم ننقلها للمسلمين فلعل فيها علوما، فكتب رضي الله عنه إن الله سبحانه وتعالى قد أغنانا بمحمد صلى الله عليه وسلم فإن يكن في هذه الكتب هدى فقد هدانا الله، وإن يكن فيها غير ذلك فقد كفانا الله، فاطرحوها في الماء أو حرقوها. ولكن هذا الموقف الذي اتخذه عمر رضي الله عنه لم يظل هو الموقف المعمول به؛ فإنه جاء من بعده خالد بن يزيد الأموي الذي ترجم من كتب اليونان قليلا، ثم أبو جعفر المنصور الذي ترجم بعض الكتب أيضا، ثم جاء المأمون ففتح الباب على مصراعيه، ودخلت البدع من كل مكان، تلقي وراء ظهرها بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فظهرت أقوال القدرية، وظهرت أقوال الخوارج، وظهرت الشيعة، وهي التي نفثها اليهود في دين الإسلام ليهدموه، وظهرت هذه الفرق، فنبذت كتاب الله وراء ظهرها، وأخذت تشرع للناس من أنواع التعبدات ما لم يأذن به الله.

مراجع: سير أعلام النبلاء/ صفة الصفوة/ صيد الخاطر/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ تاريخ بغداد/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ حلية الأولياء/ دروس للشيخ سفر الحوالي/

قال قحطبة بن حميد بن الحسن بن قحطبة:[1] كنت واقفا على رأس المأمون أمير المؤمنين يوما، وقد قعد للمظالم، فأطال الجلوس حتى زالت الشمس، فإذا امرأة قد أقبلت تعثر في ذيلها حتى وقفت على طرف البساط فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم[2]، فأقبل يحيى عليها فقال: تكلمي، فقالت: يا أمير المؤمنين، قد حيل بيني وبين ضيعتي، وليس لي ناصر إلا الله تبارك وتعالى، فقال لها يحيى بن أكثم: إن الوقت قد فات، ولكن عودي يوم المجلس، قال: فرجعت. فلما كان يوم المجلس قال المأمون: أول من يدعى المرأة المظلومة، فدعا بها، فقال لها: أين خصمك؟ قالت: واقف على رأسك يا أمير المؤمنين قد حيل بيني وبينه، وأومأت إلى العباس[3] ابنه، فقال لأحمد بن أبي خالد:[4] خذه بيده وأقعده معها مجلس الخصوم، ففعل، فتناظر ساعة حتى علا صوتها عليه، فقال لها أحمد بن أبي خالد: أيتها المرأة، إنك تناظرين الأمير أعزه الله بحضرة أمير المؤمنين، فاخفضي عليك، فقال المأمون: دعها يا أحمد، فإن الحق أنطقها، والباطل أخرسه، فلم تزل تناظره حتى حكم لها المأمون عليه، وأمره برد ضيعتها، وأمر ابن أبي خالد أن يدفع إليها عشرة آلاف درهم.

قال إبراهيم البيهقي: أخبرنا بعض أصحابنا قال: شهدت المأمون يوما وقد خرج من باب البستان ببغداد فصاح به رجل بصري: يا أمير المؤمنين، إني تزوجت بامرأة من آل زياد وإن أبا الرازي[5] فرق بيننا وقال هي امرأة من قريش. قال: فأمر عمرو بن مسعدة[6] فكتب إلى أبي الرازي: إنه قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من الزيادية وخلعك إياها إذ كانت من قريش، فمتى تحاكمت إليك العرب لا أم لك في أنسابها، ومتى وكلتك قريش يا ابن اللخناء بأن تلحق بها من ليس منها؟ فخل بين الرجل وامرأته، فلئن كان زياد من قريش إنه لابن سمية بغي عاهرة لا يفتخر بقرابتها ولا يتطاول بولادتها، ولئن كان ابن عبيد لقد باء بأمر عظيم إذ ادعى إلى غير أبيه لحظ تعجله وملك قهره (؟).

وحدثنا غيره قال: شهدت المأمون يوما وقد ركب بالشماسية* وخلف ظهره أحمد بن هشام[7]،فصاح به رجل من أهل فارس: الله الله يا أمير المؤمنين! فإن أحمد بن هشام ظلمني واعتدى علي! فقال: كن بالباب حتى أرجع فأنظر في أمرك. فلما مضى التفت إلى أحمد بن هشام فقال: ما يؤمنك منا أن نوقفك وصاحبك هذا على رؤوس هذه الجماعة وتقعد مع خصمك حيث يقعد ثم يكون محقا وتكون مبطلا! فكيف إن كنت في صفته وكان في صفتك؟ فوجه إليه من يحوله عن بابنا إلى رحلك وأنصفه من نفسك وأعطه ما أنفق في طريقه إلينا، ولا تجعل لنا ذريعة إلى لائمتك، فوالله لو ظلمت العباس ابني كان أهون علي من ظلمك ضعيفا لا يجدني في كل وقت ولا يخلو له وجهي، ولا سيما من كان يتجشم السفر البعيد ويكابد حر الهواجر وطول المسافة. قال: فوجه إليه أحمد بن هشام فحوله إلى مضربه وكتب إلى عامله برد ما أخذ منه، ووصل الرجل بأربعة آلاف درهم وأمره بالخروج من يومه.

قال: وتنازع رجلان بباب الجسر أحدهما من العظماء والآخر من السوقة فقنعه* الرجل فصاح السوقي: وا عمراه ذهب الإسلام! فأخذ الرجل وكتب بخبره إلى المأمون، فدعاه وقال له: ما كانت حالك؟ فأخبره. وأحضر خصمه وقال له: لم قنعت هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا رجل معاملي وكان سيء المعاملة وكنت صبورا على ذلك منه، فلما كان في هذا اليوم مررت بباب الجسر فأخذ بلجام دابتي وقال: لا أفارقك حتى تخرج إلي حقي. فقلت له: إني أبادر إلى باب إسحاق بن إبراهيم[8].

فقال: والله لو جاء إسحاق ومن ولي إسحاق ما فارقتك. فما صبرت حين عرض بالخلافة أن قنعته فصاح: وا عمراه ذهب الإسلام منذ ذهب عمر. فقال للرجل: ما تقول؟ قال: كذب علي وقال الباطل. فقال الرجل: لي جماعة يشهدون على مقالته يا أمير المؤمنين، فإن أذنت لي أحضرتهم. قال المأمون للرجل: من أين أنت؟ قال: من أهل فامية*. فقال: أما إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يقول: من كان جاره نبطيا واحتاج إلى ثمنه فليبعه. فإن كنت إنما طلبت سيرته فهذا حكمه في أهل فامية. ثم أمر له بألف درهم وأمر صاحبه أن ينصفه.

وعن الحسن بن سهل قال: جلس المأمون ذات يوم للمظالم وإذا هو برجل قد مثل بين يديه وفي يده رقعة فيها سطران: بسم الله الرحمن الرحيم. مظلمة من أمير المؤمنين أطال الله بقاءه. فقال: أمظلمة مني! قال: أفأخاطب بالخلافة سواك؟ قال له: وما ظلامتك هذه؟ قال: ثلاثون ألف دينار. قال: وما وجهها؟ قال: إن سعيدا وكيلك اشترى مني جوهرا بثلاثين ألف دينار وحمله إلى منزلك ولم يوفر علي المال. قال: فإذا اشترى سعيد منك الجوهر تشكو الظلامة مني! قال: نعم إذا كانت الوكالة قد صحت له منك. قال: إن كلامك هذا يحتمل ثلاث جهات: أما أول ذلك فلعل سعيدا قد اشترى هذا الجوهر منك كما زعمت وحمله إلينا وأخذ المال من بيت المال ولم يوفره عليك، أو لعله قد وفره وادعيت باطلا، أو اشتراه لنفسه. أما في العاجل فلا يلزمني لك حق ولا أعرف لك ظلامة.فقال الرجل إن الله جل وعز قد أهلك لموضع رفيع واختصك بنسب جعلك أولى الخلق معه بالإنصاف فإنك مناسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، واسترعاك على خلقه فهلا تحملني على كتاب الله جل وعز وسنة ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في رسالته إلى أبي موسى الأشعري وهي التي اتخذتموها صدور أحكامكم ووصية لقضاتكم إذ يقول: البينة على من ادعى واليمين على من أنكر. قال المأمون: فإنك والله قد عدمت البينة فما يجب لك إلا حلفة ولئن حلفتها لأنا صادق إذ كنت لا أعرف لك حقا يلزمني. قال: فإذا أدعوك إلى الحاكم الذي نصبته لرعيتك. قال: نعم، يا غلام علي بـ يحيى بن أكثم. فإذا هو قد مثل بين يديه. فقال: يا يحيى! قال: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: اقض بيننا. قال: في حكم وقضية! قال: نعم. قال: لا أفعل. قال: ولم؟ قال: لأن أمير المؤمنين لم يجعل داره مجلس قضائي. قال: قد فعلت. قال: فإني أبدأ بالعامة أولا ليصبح المجلس للقضاء. قال: افعل. ففتح الباب وقعد في ناحية من الدار وأذن للعامة ونادى المنادي وأخذ الرقاع ودعا بالناس ثم دعا الرجل المتظلم فقال له يحيى: ما تقول؟ قال: أقول أن تدعو بخصمي أمير المؤمنين المأمون. فنادى المنادي فإذا المأمون قد خرج في رداء وقميص وسراويل قد أرسلها على عقبيها في نعل رقيق ومعه غلام يحمل مصلى حتى وقف على يحيى وهو جالس. فقال له: اجلس. فطرح المصلى ليقعد عليه. فقال له يحيى: يا أمير المؤمنين لا تأخذ على خصمك شرف المجلس. فطرح له مصلى آخر فجلس عليه. وقال له يحيى: ما تقول؟ فقال: لي على هذا ثلاثون ألف دينار. قال: ومن هذا؟ قال: أمير المؤمنين المأمون بالله. قال له يحيى: يا أمير المؤمنين قد سمعت ما يقول؟ قال: سله ما وجهها. فأعاد خبر الوكيل. فقال المأمون: ما أعرف له حقا. فأقبل على الرجل فقال: قد سمعت، ألك بينة؟ قال: لا. قال: فما تريد؟ قال: ما يوجبه الحكم لمن عدم البينة. قال المأمون: ويحك قد لججت في اليمين! قال: يا أمير المؤمنين أتحلف؟ قال: إي والله ولا أوطيء نفسي العشوة في إعطاء رجل ما لا يجب له ظلما. فقال: قل والله. فاستحلفه غموسا. ثم وثب يحيى عند فراغ المأمون من يمينه فقام على رجليه. فقال له المأمون: ما أقامك؟ فقال: إني كنت في حق الله جل وعز حتى أخذته منك وليس الآن من حقك أن أتصدر عليك. وقبض على الرجل لئلا يخرج. فقال المأمون: ارفقوا به. ثم قال: يا غلام أحضرني ما ادعى من المال. فلما أحضر قال: خذه إليك والله ما كنت أحلف على فجرة ثم اسمح لك فأفسد ديني ودنياي، والله يعلم ما دفعت إليك هذا المال إلا خوفا من هذه الرعية لعلها ترى أن تناولتك من وجه القدرة وأني منعتك واجبك بالاستطالة عليك وإنها لتعلم الآن ما كنت أسمح لك باليمين. فقال: يا أمير المؤمنين أفأحاط في المال حتى أصل إلى حيث آمن عليه؟ قال: إي والله ولو بـ التغزغز* وأسبيجاب*. فأخرج الرجل مع المال وبذرق به إلى أن بلغ مأمنه.

---

*(قفنعه) فلانا بالسيف أو السوط أو العصا علاه به (فامية) يقال: أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص.والكورة:كل صقع يشتمل على عدة قرى، ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر، يجمع اسمها (الشماسية) منسوبة إلى بعض شماسي النصارى وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد (التغزغز) الطغزغز أو التغزغز :هم قوم من الترك، متاخمة للصين؛ بين الصين وبلاد خراسان؛ في بلاد ما وراء النهر (اسبيجاب) إحدى مدائن الترك: مدينة متصلة ببلاد الشاش–بلاد ما وراء النهر – يكتبها ياقوت: أسفيجاب

■ (1) قحطبة بن حميد بن الحسن بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن أكلف بن سعد بن عمرو بن الصامت بن عمرو بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء أبو الحسين الطائي أحد قواد الدولة العباسية ...؟

■ (2) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي.كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

■ (3) العباس بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، أمير عباسي. ولاه أبوه الجزيرة والثغور والعواصم سنة 213 هـ ولما مات المأمون سنة 218 هـ وولي المعتصم، امتنع كثير من القواد والرؤساء من مبايعته، ونادوا باسم ابن أخيه العباس بن المأمون فدعاه المعتصم إليه، وأخذ بيعته، فخرج العباس، وسكن الناس. وأقام إلى أن خرج المعتصم إلى الثغور، فاتفق العباس مع بعض القواد على قتله، فعلم المعتصم فقبض عليه وعلى أصحابه، وعذبه وسجنه إلى أن مات بمنبج* سنة 223 هـ.(منبج) مدينة كبيرة واسعة بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ.

■ (4) أبو العباس، أحمد بن أبي خالد بن يزيد بن عبد الرحمن الكاتب الأحول كاتب ووزير عباسي، تولى الوزارة في عهد الخليفة العباسي المأمون. مات سنة 212 هـ

■ (6) عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي: وزير المأمون، وأحد الكتاب البلغاء. كان يوقع بين يدي جعفر ابن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، واتصل بالمأمون، فرفع مكانته، وأغناه. وفي كتب الأدب كثير من رسائله وتوقيعاته. وكان جوادا ممدحا فاضلا نبيلا. توفي في أذنة (أطنه) بتركية آسية سنة 217 هـ

■ (5) أبو الرازي، محمد بن عبد الحميد، المعروف بأبي الرازي: كان من رجال المأمون العباسي. ولما ثار أحمد بن محمد العمري المعروف بالأحمر العين، في اليمن، وخلع طاعة العباسيين، سير المأمون أبا الرازي واليا على اليمن سنة 212 هـ فدخلها، ولم يلبث أن قتل فيها سنة 214 هـ

■ (8) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، الأمير ابن عم طاهر بن الحسين.ويعرف بصاحب الجسر. ولي إمرة بغداد أكثر من 30 سنة، وعلى يده أمتحن العلماء بأمر المأمون وأكرهوا على القول بخلق القرآن. وكان خبيرا صائما سائسا حازما وافر العقل، جودا ممدحا، له مشاركة في العلم. توفي سنة 235 هـ. وولي بعده ابنه محمد.

■ (7) أحمد بن هشام ؟ ... كان على شرطة المأمون (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

قيل: لما ولي المأمون الخلافة عرضت عليه سيرة أبي بكر رحمه الله، وفي آخرها: وكان يأخذ الأموال من وجوهها ويضعها في حقوقها. فقال: أمير المؤمنين لا يطيق ذلك. ثم عرضت عليه سيرة عمر رضي الله عنه، وفي آخرها: وكان يأخذ الأموال من وجوهها ويضعها في حقوقها فقال: أمير المؤمنين لا يطيق هذا. ثم عرضت عليه سيرة عثمان رحمه الله، وفي آخرها: وكان يأخذ الأموال من وجوهها ويضعها في حقوقها. فقال: أمير المؤمنين لا يطيق هذا. ثم عرضت عليه سيرة علي رضي الله عنه. وفي آخرها: وكان يأخذ الأموال من وجوهها ويضعها في حقوقها. فقال: أمير المؤمنين لا يطيق هذا. ثم عرضت عليه سيرة معاوية بن أبي سفيان وفي آخرها: وكان يأخذ الأموال من وجوهها ويضعها كيف شاء. فقال: إن كان فهذا.

☪

يقول الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود: عن جهاز المظالم: هذا الجهاز من مفاخر القضاء الإسلامي، فقد وضع هذا الجهاز لكل ما يعجز عنه القضاة من قضايا، كأن تكون القضية متصلة بكبار القوم أصحاب السلطة والنفوذ، فلا يستطيع القاضي فرض نفوذه والحكم ضدهم، فيكلف والي المظالم بأخذ الحق منهم لصاحبه، ولذلك فوالي المظالم لابد أن يكون على درجة عظيمة من الهيبة والتقوى، وسعة العلم. وقد تطور ديوان المظالم بعد إنشائه، فأحيانا كان الخلفاء أنفسهم يقومون بمهمة والي المظالم، وهذا مشهور عن الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين والعباسيين.

(؟) قالت العلماء: الموضوع هنا إنكار موقف يرى الخليفة فظاعته، وشناعته فلا يقره، ولذا فإن الرسالة جاءت قوية في عباراتها، مرعبة للمنكر عليه، آخذة عليه قلبه وعقله، أشبه ما تكون بسابقتها من حيث قوة الأسلوب، وبلاغة العبارة، مع ما في هذا النص من الميل السياسي، والتحامل على الأمويين ابتغاء التقرب من العباسيين.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ الثقات لابن حبان/ فتاوى واستشارات الإسلام اليوم/ المعجم الوسيط/ الأعلام للزركلي/ تاريخ دمشق/ المعجم الوسيط/ سير أعلام النبلاء/ المحاسن والمساوئ/ الروض المعطار في خبر الأقطار/ آثار البلاد وأخبار العباد/

ذكر عن العيشي أو العبسي[1] صاحب إسحاق بن إبراهيم[2]، أنه قال: كنت مع المأمون بدمشق، وكان قد قل المال عنده حتى ضاق، وشكا ذلك إلى أبي إسحاق المعتصم[3]، فقال له: يا أمير المؤمنين، كأنك بالمال وقد وافاك بعد جمعه. قال: وكان حمل إليه ثلاثون ألف ألف من خراج ما يتولاه له، قال: فلما ورد عليه ذلك المال، قال المأمون ليحيى بن أكثم[4]: اخرج بنا ننظر إلى هذا المال، قال: فخرجا حتى أصحرا، ووقفا ينظرانه؛ وكان قد هيئ بأحسن هيئة، وحليت أباعره، وألبست الأحلاس* الموشاة والجلال* المصبغة وقلدت العهن*، وجعلت البدن* بالحرير الصيني الأحمر والأخضر والأصفر، وأبديت رؤوسها. قال: فنظر المأمون إلى شيء حسن، واستكثر ذلك، فعظم في عينه، واستشرفه الناس ينظرون إليه، ويعجبون منه، فقال المأمون ليحيى: يا أبا محمد، ينصرف أصحابنا هؤلاء الذين تراهم الساعة خائبين إلى منازلهم، وننصرف بهذه الأموال قد ملكناها دونهم! إنا إذا للئام. ثم دعا محمد بن يزداد[5]، فقال له: وقع لآل فلان بألف ألف،ولآل فلان بمثلها، ولآل فلان بمثلها. قال: فوالله إن زال كذلك حتى فرق أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله في الركاب، ثم قال: ادفع الباقي إلى المعلى[6] يعطي جندنا. قال العيشي: فجئت حتى قمت نصب عينيه. فلم أرد طرفي عنها، لا يلحظني إلا رآني بتلك الحال. فقال: يا أبا محمد، وقع لهذا بخمسين ألف درهم من الستة الآلاف ألف؛ لا يختلس ناظري. قال: فلم يأت علي ليلتان حتى أخذت المال.

----

*(الأحلاس) جمع حلس هو كل شيء على ظهر الدابة تحت السرج؛ كساء يلي ظهر البعير يفرش تحت القتب (العهن) واحدتها عهنة اسم للصوف عامة أو هو المصبوغ ألواناً (البدن) جمع بدنة الوعل المسن والبدنة: من الإبل والبقر والغنم تنحر بمكة (الجلال) واحد وهو الغطاء وجمعه أجلة والجلال جمع جل الدابة

■ (6) المعلى بن أيوب صاحب العرض والجيش أيام المأمون، هو معلى بن أيوب أبو العلاء الكاتب وهو ابن خالة الفضل والحسن ابني سهل من كتاب المأمون قدم دمشق مع المأمون وبقي إلى أن كتب للمتوكل وكان ممن حضر الجامع بدمشق للكشف عن أحوال المتطلمين من التعديل والمساحة، قيل مات سنة 255 هـ

■ (2) إسحاق الموصلي، وهو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي بالولا ء الأرجاني الأصل المعروف بابن النديم الموصلي، أبو محمد ويقال له أبو صفوان المغني المشهور كان من ندماء الخلفاء وله الظرف المشهور والخلاعة والغناء اللذان تفرد بهما. وكان من العلماء باللغة والأشعار وأخبار الشعراء وأيام الناس، وروى عنه مصعب بن عبد الله الزبيري والزبير ابن بكار وغيرهما. وكان له يد طولى في الحديث والفقه وعلم الكلام. قيل أصابه ذرب في شهر رمضان في سنة 253 هـ فكان يتصدق في كل يوم لصومه ثم ضعف عن الصوم ومات

■ (3) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يكنى أبا إسحاق، والمعتصم يقال له: الثماني، ولد بالخلد في سنة 180 هـ، وهو ثامن الملوك، والثامن من ولد العباس، استخلف أبو إسحاق محمد بن هارون سنة 218 هـ ومات بالخاقاني من سر من رأى سنة 227 هـ وكان في المعتصم مناقب، منها، أنه كان ثامن ملوك من بني العباس، وثامن أمراء المؤمنين من ولد عبد المطلب، وملك ثماني سنين وثمانية أشهر وفتح ثمانية فتوح بلاد بابك على يد الأفشين وفتح عمورية بنفسه والزط بعجيف وبحر البصرة وقلعة الأجراف وأعراب ديار ربيعة والشاري وفتح مصر وقتل ثمانية أعداء بابك ومازيار وباطس ورئيس الزنادقة والأفشين وعجيفا وقارن وقائد الرافضة.

حدث عبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد، قال: سمعت العباس بن الفرج، يقول: كتب ملك الروم إلى المعتصم كتابا يتهدده فيه فأمر بجوابه فلما قرئ عليه الجواب لم يرضه، قال للكاتب: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك قال: والجواب ما ترى لا ما تسمع، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار. قلت: غزا المعتصم بلاد الروم في سنة 223 هـ فأنكى في العدو نكاية عظيمة، ونصب على عمورية المجانيق، وأقام عليها حتى فتحها ودخلها، فقتل فيها ثلاثين ألفا، وسبى مثلهم وكان في سبيه ستون بطريقا وطرح النار في عمورية من سائر نواحيها فاحرقها، وجاء ببابها إلى العراق، وهو باق حتى الآن منصوب على أحد الأبواب دار الخلافة، وهو الباب الملاصق مسجد الجامع في القصر.

■ (4) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

■ (5) محمد بن يزداد بن سويد المروزى: من كتاب الانشاء في الدولة العباسية. استوزره المأمون. قال المسعودي: وتوفى المأمون وهو على وزارته. وعاش إلى أيام الواثق بالله. وتوفى بسر من رأى سنة 230 هـ. له شعر جيد، منه قوله: فلا تأمنن الدهر حرا ظلمته فما لليل حر إن ظلمت بنائم.

■ (1) العيشي أو العبسي صاحب إسحاق بن إبراهيم؟

ذكر عن سعيد بن زياد أنه لما دخل على المأمون بدمشق قال له: أرني الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم، قال: فأريته، قال: فقال: إني لأشتهي أن أدري أي شيء هذا الغشاء على هذا الخاتم؟ قال: فقال له أبو إسحاق: حل العقد حتى تدري ما هو، قال: فقال: ما أشك أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد هذا العقد، وما كنت لأحل عقدا عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال للواثق: خذ فضعه على عينك؛ لعل الله يشفيك.قال: وجعل المأمون يضعه على عينه ويبكي

ذكر عن محمد بن إبراهيم السياري(؟) قال: لما قدم العتابي[1] على المأمون مدينة السلام أذن له، فدخل عليه، وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصلي –وكان العتابي شيخا جليلا نبيلا – فسلم عليه، فرد السلام، وأدناه وقربه حتى قرب منه، فقبل يده، ثم أمره بالجلوس فجلس، فأقبل عليه يسائله عن حاله، فجعل يجيبه بلسان طلق، فاستطرف المأمون ذلك. فأقبل عليه بالمداعبة والمزاح، فظن الشيخ أنه استخف به، فقال: يا أمير المؤمنين، الإبساس* قبل الإيناس قال: فاشتبه على المأمون الإبساس، فنظر إلى إسحاق بن إبراهيم، ثم قال: نعم، يا غلام ألف دينار؛ فأتى بها، ثم صبت بين يدي العتابي، ثم أخذوا في المفاوضة والحديث، وغمز عليه إسحاق بن إبراهيم، فأقبل لا يأخذ العتابي بشيء إلا عارضه إسحاق بأكثر منه، فبقي متعجبا، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إيذن لي في مسألة هذا الشيخ عن اسمه، قال: نعم، سله، قال: ياشيخ، من أنت؟ وما اسمك؟ قال: أنا من الناس، واسمي كل بصل، قال: أما النسبة فمعروفة، وأما الاسم فمنكر، وما كل بصل من الأسماء؟ فقال له إسحاق: ما أقل إنصافك! وما كل ثوم من الأسماء! البصل أطيب من الثوم، فقال العتابي: لله درك! ما أحجك! يا أمير المؤمنين، ما رأيت كالشيخ قط، أتأذن لي في صلته بما وصلني به أمير المؤمنين؛ فقد والله غلبني! فقال المأمون: بل هذا موفر عليك؛ ونأمر له بمثله، فقال له إسحاق: أما إذا أقررت بهذه فتوهمني تجدني، فقال: والله ما أظنك إلا الشيخ الذي يتناهى إلينا خبره في العراق؛ ويعرف بابن الموصلي! قال: أنا حيث ظننت، فأقبل عليه بالتحية والسلام، فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما: وأما إذا اتفقتما على الصلح والمودة، فقوما فانصرفا متنادمين؛ فانصرف العتابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده.

كتب المأمون في إشخاص العتابي فلما دخل عليه قال له: يا كلثوم بلغني وفاتك فساءني ثم بلغني وفادتك فسرتني، فقال له العتابي: يا أمير المؤمنين، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتهم فضلا وإنعاما وقد خصصتني منهما بما لا يتسع له أمنية ولا ينبسط لسواه أمل، لأنه لا دين إلا بك ولا دنيا إلا معك، قال: سلني، قال: يدك بالعطاء أطلق من لساني بالمسألة، فوصله صلة سنية وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى محل.

----

*(الإبساس) أي التلطف، والمبس: الذي يداري الناقة بالإبساس، أي بالكلام حتى يحلبها. وفي تاريخ دمشق: الإيناس قبل الإبشاش؟ (محمد بن إبراهيم السياري) في تاريخ دمشق: البيساري؟

■ (1) كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر؛ أصله من الشام من أرض قنسرين، صحب البرامكة وصحب طاهر بن الحسين، وهو أديب مصنف له من الكتب كتاب المنطق وكتاب الآداب وكتاب فنون الحكم وكتاب الخيل وكتاب الألفاظ. وتوفي في حدود 220 هـ.

مراجع: تاريخ الرسل والملوك/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ كتاب بغداد/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ الأعلام للزركلي/ تاج العروس/ هدية العارفين/ـتجارب الأمم وتعاقب الهمم/ لسان العرب/ كتاب العين/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) والرعية (٣) 0831

حدث أبو زيد الحكم بن موسى بن الحسن[1] قال: شهدت أبي وقف للمأمون في مربعة الخرشي وكان يتظلم إليه من محمد بن أبي العباس الطوسي[2] فلما أقبل المأمون من داره يريد الشماسية* فصار إلى المربعة عند الربع نزل أبو الحسين يعني اباه ونظر إليه المأمون فأقبل عليه فقال له: دعوت حران مظلوما ليأتيكم..فقد أتاك غريب الدار مظلوم. فوقف المأمون عليه فقال: ممن تتظلم؟ قال: من محمد بن أبي العباس الطوسي. قال يا عمرو: انظر في حاجة الشيخ وأنصفه وأعلمني ما يكون، ثم أوما إلى الشيخ أن أركب فركب وجاز المأمون فوقف الناس ينظرون إلى أبي الحسين يعجبون منه ومن اقدامه ومن اكرام الخليفة له.

قال قثم بن جعفر[3]: قال المأمون في يوم خميس وقد حضر الناس الدار لعلي بن صالح[4]: ادع إسماعيل. قال: فخرج فأدخل إسماعيل بن جعفر[5] وأراد المأمون إسماعيل بن موسى[6] فلما بصر به من بعيد وكان أشد الناس له بغضا رفع يديه ما دهما إلى السماء ثم قال: اللهم أبدلني من ابن صالح مطيعا فإنه لصداقته لهذا آثر هواه على هواى . قال: فلما دنا إسماعيل بن جعفر سلم فرد عليه ثم دنا فقبل يده فقال: هات حوائجك. قال: ضيعتي بالمغيثة غصبتها وقهرت عليها. قال: نأمر بردها عليك. ثم قال: حاجتك؟ قال: يأذن لي أمير المؤمنين في الحج. قال: قد أذنا لك. ثم قال: حاجتك؟ قال: وقف أبي أخرج من يدي وصار إلى قثم والقاسم[7] ابني جعفر[8]. قال: فتريد ماذا؟ قال: يرد إلي. قال: أما ما كان يمكننا من أمرك فقد جدنا لك، وأما وقف أبيك فذاك إلى ورثته ومواليه فإن رضوا بك واليا عليهم وقيما لهم رددناه إليك، وإلا أقررناه في يد من هو في يده ثم خرج. فقال المأمون لعلي بن صالح: ما لي ولك عافاك الله متى رأيتني نشطت لإسماعيل بن جعفر وعنيت به وهو صاحبي بالأمس بالبصرة ؟! قال: ذهب عن فكري يا أمير المؤمنين قال: صدقت. لعمري ذهب عن فكرك ما كان يجب عليك حفظه، وحفظ فكرك ما كان يجب عليك ألا يخطر به. فأما إذا خطأت فلا تعلم إسماعيل ما دار بيني وبينك في أمره. فظن علي أنه عنا بقوله هذا إسماعيل بن موسى فأخبر إسماعيل بن جعفر القصة حرفا حرفا فأذاعها. وبلغ الخبر المأمون فقال: الحمد لله الذي وهب لي هذه الأخلاق التي أصبحت أحتمل بها علي بن صالح، وابن عمران[9]، وابن الطوسي، وحميد بن عبد الحميد[10]، ومنصور بن النعمان[11]، ورعامش (وتعامس؟*).

----

* (الشماسية) منسوبة إلى بعض شماسي النصارى وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد : الشماسية : تقع خارج بغداد وينسب إليها باب الشماسية أحد أبواب بغداد (التعميش) التغافل عن الشيء وتعامس عن الشيء وتعامش وتعاشى: إذا تغافل عنه وتغابيته

- (10) هل هو: حميد بن عبد الحميد بن ربعي الطائي الطوسي، أبو غانم، الأمير القائد، توفي بفم الصلح لما توجه صحبة المأمون للدخول على بوران بنت الحسن. يوم عيد الفطر سنة عشرين 220 هـ ، أم هو: أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي، أمير خراسان.المتوفي بعد سنة 171 هـ.؟
- (2) محمد بن أبي العباس الطوسي... ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم) واسم أبي العباس: الفضل بن سليمان بن المهاجر بن سنان بن حكيم وكنيته احمد أبو عبد الله، أمير خراسان.المتوفي بعد سنة 171 هـ.
- (4) علي بن صالح، كان حاجب المأمون ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (1) أبو يزيد الحكم بن موسى بن الحسين بن يزيد بن أبي الحكم بن أبي سهل بن قردة بن نباتة السلولي ؟... قال الرازي في الجرح والتعديل: الحكم بن موسى بن الحسين كذا في الاصلين ولا اعرف من يقال له الحكم بن موسى الا البغدادي الآتي في بابه وهو (في تهذيب التهذيب): الحكم بن موسى بن أبي زهير شيرزاد البغدادي أبو صالح القنطري. رأى مالك بن أنس وروى عن ضمرة بن ربيعة واسماعيل بن عياش وشعيب بن إسحاق وابن المبارك والوليد بن مسلم ويحيى بن حمزة الحضرمي وعيسى بن يونس والهقل ابن زياد ومعاذ بن معاذ العنبري وغيرهم. قال البخاري وجماعة مات سنة 232 زاد البغوي ليومين من شوال.
- (9) هل هو: عبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد السجاد ابن طلحة بن عبيد الله، القرشي التيمي، أبو محمد، من أهل المدينة من تيم بن مرة، أمير مكة وقاضيها والمدينة، ولاه المهدي قضاء المدينة ثم صرفه عنه، ثم ولاه إياه الرشيد أيضا ثم صرفه عنه، وولاه أمير مكة ثم صرفه عنه ورده إلى قضاء المدينة، ثم صرفه عنه، وكان معه حين هلك بطوس مخرج أمير المؤمنين الرشيد إلى خراسان الذي هلك فيه الرشيد فمات هو أيضا بطوس أو الري، فقبره بها.سنة 189 هـ.
- (8) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو القاسم، ابن عم المنصور. ولي المدينة، ثم مكة معها، ثم عزل، فولي البصرة للرشيد. قال عبد السميع بن علي: لا نعرف في بني هاشم أغبط منه، حصل له الشرف والإمرة والمال الجم، والأولاد الزهر، والعبيد.توفي سنة 174 هـ.
- (7) القاسم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (3) قثم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، أمير البصرة وعامل المأمون على المدينة ؟
- (5) إسماعيل بن جعفر (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (6) إسماعيل بن موسى (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

حكى الجوهري عن العتبي، عن عباس الديري، قال: رفع رجل قصة إلى المأمون، وسأله أن يأذن له في الدخول عليه، والاستماع منه، فأذن له، فدخل فسلم، فقال له المأمون: تكلم بحاجتك، قال: أخبر أمير المؤمنين أن مصائب الدهر وأعاجيب الأيام ومحن الزمان قصدتني فأخذت مني ما كانت الدنيا أعطتني، فلم تبق لي ضيعة إلا خربت ولا نهر إلا اندفر، ولا منزل إلا تهدم، ولا مال إلا ذهب، وقد أصبحت لا أملك سبدا ولا لبدا، وعلي دين كثير، ولي عيال وأطفال وصبية صغار، وأنا شيخ كبير، قد قعدت بي المطالب، وكبرت عني المكاسب، وبي حاجة إلى نظر أمير المؤمنين وعطفه، قال: فبينما هو في الكلام إذ ضرط، فقال: وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدهر ومحنته، ولا والله ما ظهر مني قط إلا في موضعه، فقال المأمون لجلسائه: ما رأيت قط أقوى قلبا ولا أربط جأشا ولا أشد نفسا من هذا الرجل، ثم أمر له بخمسين ألف درهم معجلة.

مراجع: تاريخ دمشق/ كتاب بغداد/ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار/ المحاسن والمساوئ/ الانساب للسمعاني/ـمختصر تاريخ دمشق/ معجم الشيوخ لابن عساكر/ الجرح والتعديل للرازي/ تاج العروس/

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) والإمام أحمد بن حنبل 0832

روي الذهبي في السير أنه قال الأصم: حدثنا العباس بن محمد الدوري، قال: سمعت أبي جعفر الأنباري يقول، لم حمل أحمد بن حنبل[1] إلى المأمون أخبرت فعبرت الفرات فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه. فقال، يا أبا جعفر، تعنيت، فقلت يا هذا أنت اليوم رأس، والناس يقتادون بك، فوالله لإن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبين خلق، وإن أنت لم تجب ليمتنعا خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل، يعني المأمون، إن لم يقتلك فإنك تموت، ولابد من الموت، فتقي الله ولا تجب. فجعل أحمد يبكي، ويقول: ما شاء الله، ثم قال: يا أبي جعفر أعد علي، فأعدت عليه، وهو يقول: ما شاء الله، قال الذهبي: قال محمد أبن إبراهيم البوشنجي: جعلوا يذاكرون أبي عبد الله بالرقة في التقية وما روي فيها. فقال: كيف تصنعون بحديث خباب، ﴿إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يُنْشَرُ أَحَدُهُمْ بِالْمِنْشَارِ لاَ يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِه﴾ فأيسنا منه. وقال: لست أبالي بالحبس؛ ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلا بالسيف؛ إنما أخاف فتنة السوط؛ فسمعه بعض أهل الحبس فقال: لا عليك يا أبا عبد الله؛ فما هو إلا سوطان، ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سري عنه. قال صالح أبن أحمد: قال أبي: فلما سرنا إلى أذنة، ورحلنا منها في جوف الليل وفتح لنا بابها إذا رجل قد دخل، فقال: البشرة قد مات الرجل، يعني المأمون. قال أبي: وكنت أدعوا الله أن لا أره. وقد كان الإمام أحمد ، يقول وأي بلاء أكبر من الذي أحدث عدو الله وعدو الإسلام من إماتة السنة؟ وكان إذا ذكر المأمون قال: لا مأمون. ولم طلب الإمام أحمد، قال: فجثى الإمام أحمد على ركبتيه ورمق بطرفه إلى السماء وقال: سيدي غر حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل، اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته. قال: فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل. قيل دخل على المأمون في مرضه الذي مات فيه، فإذا هو قد أمر أن يفرش له جل الدابة ويبسط عليه الرماد، وهو راقد عليه يتضرع ويقول: يا من لا يزول ملكه، ارحم من يزول ملكه.

في رواية، كتب المأمون وهو بالرقة إلى إسحاق بن إبراهيم[2] صاحب الشرطة ببغداد بحمل أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح[3] إليه، بسبب المحنة، فاخرجا من بغداد على بعير متزاملين، ثم أن محمد بن نوح أدركه المرض في طريقة. حدث حنبل بن إسحاق بن حنبل، قال: سمعت أبا عبد الله، يقول: ما رأيت أحدا على حداثة سنة وقله علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح وأني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير؛ قال لي ذات يوم وأنا معه خلوين (أي خاليين): يا أبا عبد الله، الله الله إنك لست مثلي، أنت رجل يقتدى بك، وقد مد هذا الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتق الله واثبت لأمر الله. أو نحو هذا من الكلام قال أبو عبد الله: فعجبت من تقويته لي وموعظته إياي. ثم قال أبو عبد الله: انظر بما ختم له، فلم يزل بن نوح كذلك ومرض حتى صار إلى بعض الطريق، فمات. قال أبو عبد الله: فصليت عليه ودفنته. أظنه قال بعانة. قلت: وكانت وفاته في سنة 218 هـ. رحمه الله.

قال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: لما دخلنا على إسحاق بن إبراهيم للمحنة، قرأ علينا كتاب الذي صار إلى طرسوس -يعني: المأمون- فكان فيما قرئ علينا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام]فقلت: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى] قال صالح: ثم امتحن القوم، ووجه بمن امتنع إلى الحبس، فأجاب القوم جميعا غير أربعة: أبي، ومحمد بن نوح، والقواريري[4]، والحسن بن حماد سجادة[5]. ثم أجاب هذان، وبقي أبي ومحمد في الحبس أياما، ثم جاء كتاب من طرسوس بحملهما مقيدين زميلين.

■ (1) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن إدريس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة الشيباني الذهلي من ربيعة أصله مروزي سكن بغداد كنيته أبو عبد الله كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة أغاث الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه. ولد في ربيع الأول سنة164 هـ وتوفي في سنة 241 هـ.

■ (3) محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجلي المعروف والده بالمضروب كان أحد المشهورين بالسنة، وحدث شيئا يسيرا. قال لنا البرقاني: بلغني أن محمد بن نوح هذا جار أحمد بن حنبل وأن أحمد بن حنبل، قال لمن سأله عنه: اكتب عنه فإنه ثقة.توفي سنة 218 هـ

■ (2) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، ابن عم طاهر بن الحسين الأمير.وكان يعرف بصاحب الجسر. ولي إمرة بغداد أكثر من 30 سنة، وعلى يده أمتحن العلماء بأمر المأمون وأكرهوا على القول بخلق القرآن. وكان خبيرا صائبا سائسا حازما وافر العقل، جودا ممدحا، له مشاركة في العلم. توفي سنة235 هـ. وولي بعده ابنه محمد.

■ (4) عبيد الله بن عمر بن ميسرة، الامام الحافظ، محدث الاسلام، أبو سعيد الجشمي مولاهم البصري القواريري الزجاج، نزيل بغداد. ولد سنة 152 هـ تقريبا. توفي ببغداد يوم الجمعة، سنة 235 هـ.

■ (5) الحسن بن حماد بن كسيب الحضرمي البغدادي. المعروف بـ سجادة ، أبو علي، هو الامام القدوة المحدث الاثري، توفي سنة 241 هـ.

☪

أيها الإخوة المؤمنين، محن تأتي فتنقسم الناس وتتمايز أقدارهم، فظلامة يقومون على الفتنة والمحنة، وأتباعهم ضالون يشدون أزرهم على الباطل، وأئمة قدوة يثبتون، وأتباع صالحون يشدون أزرهم ويعضدونهم، وعوام ينتظرون ماذا يفعل القدوة ليقتدوا به أو ينهارون بتقهقره، ومترددون عرفوا الحق وأسروه لضعفهم يبحثون عن الرخص والتقية، فيثبت الثابتون يتأسون ويتزودون من قصص ثبات الأوائل، وقدر الله النافذ، يهلك الظالمون، ويفضون إلى ما قدموا من الضياع الذي لا ينفع معه الندم، ويلقى الثابتون ربهم على ما أعد لهم من النعيم بما صبروا، فنعم عقبة الدار. أيها الإخوة الصابرون، فكم أخبر ربنا في الحديث القدسي ما هي إلا اعملونا يحصيها علينا، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلن يلوم إلا نفسه. نسأل الله العافية والهدى.

☪

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: التقية إنما تجوز للمستضعفين الذين يخشون أن لا يثبتوا على الحق، والذين ليسوا بموضع القدوة للناس، فهؤلاء يجوز لهم أن يأخذوا بالرخصة. أما أولو العزم من الأئمة الهداة، فإنهم يأخذون بالعزيمة، ويحتملون الأذى، ويثبتون، وفي سبيل الله ما يلقون. ولو أنهم أخذوا بالتقية، واستساغوا الرخصة، لضل الناس من ورائهم، يقتدون بهم، ولا يعلمون أن هذه تقية.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لاَ يُلْقِى لَهَا بَالاً، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِى لَهَا بَالاً يَهْوِى بِهَا فِى جَهَنَّمَ - وفي رواية:- يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ معنى هذا الحديث في حق من يدخل على السلطان و يبرر له قتل الضعفاء من المسلمين أو قتل الناس بأي طريق من الطرق. وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ، لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا﴾ قال ابن عبد البر: الكلمة التي يهوي بها صاحبها بسببها في النار هي التي يقولها عند السلطان الجائر، وزاد ابن بطال: بالبغي أو بالسعي على المسلم فتكون سببا لهلاكه، وان لم يرد القائل ذلك، لكن ربما أدت إلى ذلك، فيكتب على القائل إثمها. والكلمة التي ترفع الدرجات، ويكتب بها الرضوان: هي التي يدفع بها عن المسلم مظلمة، أو يفرج بها عنه كربة، أو ينصر بها مظلوما.

وعن خباب بن الأرت، قال:﴿شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

قال المروذي:﴿لَمَّا حُبِسَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ. قَالَ لَهُ السَّجَّانُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَدِيثَ الَّذِي يُرْوَى فِي الظَّلَمَةِ وَأَعْوَانِهِمْ صَحِيحٌ ؟ قَالَ الْإِمَامُ: نَعَمْ. فَقَالَ السَّجَّانُ: فَأَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ الْإِمَامُ: أَعْوَانِهِمْ من يَأْخُذُ شَعْرَك وَيَغْسِلُ ثَوْبَك وَيُصْلِحُ طَعَامَك وَيَبِيعُ وَيَشْتَرِي مِنْك. وَأَمَّا أَنْتَ فَمِنْ أَنْفُسِهِمْ. (أَيْ الظَّلَمَةِ)﴾ والحديث عن كعب بن عجرة، قال:﴿خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ دَخَلَ، وَنَحْنُ تِسْعَةٌ وَبَيْنَنَا وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ: إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ، فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَيُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضَ﴾ وعن سعيد بن المسيب قال: ﴿لَا تَمْلَئُوا أَعْيُنَكُمْ مِنْ أَعْوَانِ الظَّلَمَةِ إِلَّا بِالْإِنْكَارِ مِنْ قُلُوبِكُمْ لِكَيْلَا تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمُ الصَّالِحَةِ﴾ وعن ابن عمر:﴿الْجَلَاوِزَةُ، وَالشُّرَطُ، وَأَعْوَانِ الظَّلَمَةِ كِلَابُ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (جلاوزة) مفردها: الجلواز: جند لقتل من وجب عليه القتل بمنزلة السياف. و(شرط وسواطون) رجال الشرطة، والمخابرات الذين يجلدون ويقتلون الناس بغير ذنب ولا جريرة، طاعة للحكام في معصية الله. عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ، أَوْ قَالَ: يَخْرُجُ رِجَالٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعَهُمْ أَسْيَاطٌ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ الْبَقَرِ يَغْدُونَ فِي سَخَطِ اللهِ وَيَرُوحُونَ فِي غَضَبِهِ﴾ يروى أن خياطا قال لسفيان الثوري إني رجل أخيط ثياب السلطان، فهل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال له بل أنت من الظلمة أنفسهم، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط! و شيخ الإسلام ابن تيمية لما أتاه الجلاد إلى سجنه بدمشق وقال له: اغفر لي يا شيخنا فأنا مأمور. قال له ابن تيمية:والله لولاك ما ظلموا.!

☪

أجمع أهل العلم على أن من اكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان. والإمام مالك يقول بعدم وقوع طلاق المكره على نحو التقية محتجاً بذلك بقول الصحابي ابن مسعود: ما من كلام يدرأ عني سوطين من سلطان إلا كنت متكلماً به. قال وهب بن منبه : إن ملكاً كان يفتن الناس ويحملهم على أكل لحم الخنزير، فأتى برجل أفضل أهل زمانه فأعظم الناس مكانه وهالهم أمره، فراوده على أكل لحم الخنزير فرق له صاحب شرطة الملك وقال له: أنا آتيك بجدي تذبحه مما يحل لك أكله، وإذا دعا الملك بلحم الخنزير أتيتك به ففعل. ثم أتى به الملك فدعا بلحم الخنزير فأتى صاحب الشرطة بلحم ذلك الجدي، فأمر به الملك أن يأكله. فأبى، فجعل صاحب الشرطة يغمزه أن يأكله فأبى أن يأكله. فأمر صاحب الشرطة أن يقتله. فلما ذهب به قال: ما منعك أن تأكله وهو اللحم الذي أنت ذبحته؟ أظننت أني جئتك بغيره؟ قال لا قد علمت أنه هو، ولكنني خفت أن يفتتن الناس بي، فإن أكرهوا على أكل لحم الخنزير قالوا قد أكله فلان، فيستن بي فأكون فتنة لهم. فقتل رحمه الله. وعن عمار بن زاذان قال: حدثني أبو الصهباء قال: بينما أنا عند سعيد بن جبير، قال له رجل: ما تقول فيما يقوله الحسن؟ قال: وما يقول؟ قال: إن الحجاج كان أخذ الرجل قال: أكفرت حيث خرجت علي؟ قال: فإن قال نعم، خلا سبيله، وإن قال: لا، ضرب عنقه، قال: رحم الله الحسن لا تقيه في الإسلام، ثم إنه أبتلي وأخذ من العام المقبل في ذلك الشهر في ذلك اليوم، فركبت في سبعة أو تسعة حتى قدمنا واسطا، فأتي بسعيد بن جبير، فخرج الحجاج فقال: يا بن جبير أكفرت حين خرجت علي؟ قال: ما كفرت منذ أسلمت، قال: فاختر بأي قتلة تشتهي أن أقتلك، قال: اختر أنت لنفسك فإن القصاص أمامك، قال: فقتله فما قتل أحدا بعده.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح / مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / تفسير القرطبي/ حياة التابعين/ الأحكام السلطانية للفراء/ البداية والنهاية لأبن كثير/ صفة الصفوة/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ سير أعلام النبلاء/ ترجمة الأئمة الأربعة/

قال إسحاق بن إبراهيم: لما صار المأمون إلى دمشق ذكروا له أبا مسهر الدمشقي[1]،ووصفوه بالعلم والفقه، فوجه من جاءه به. فلما دخل إليه قال: ما تقول في القرآن؟ قال: كما قال الله عز وجل:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة] قال: أمخلوق أوغير مخلوق؟ قال: ما يقول أمير المؤمنين؟ قال: يقول أمير المؤمنين: إنه مخلوق، قال: يخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو عن التابعين أو عن أحد من الفقهاء؟ قال: بالنظر، واحتج عليه، قال له: يا أمير المؤمنين، نحن مع الجمهور الأعظم أقول بقولهم، والقرآن كلام الله غير مخلوق، قال: يا شيخ، أخبرني عن النبي صلى الله عليه وسلم هل اختتن؟ قال: لا أدري، وما سمعت في هذا شيئا، قال: فأخبرني عنه صلى الله عليه وسلم أكان يشهد إذا تزوج أو زوج؟ قال: ولا أدري. قال اخرج قبحك الله، وقبح من قلدك دينه، وجعلك قدوة.

لما خرج السفياني[2] المعروف بأبي العميطر، فولى القضاء بدمشق عبد الأعلى بن مسهر الغساني كرها، ثم تنحى أبو مسهر عن القضاء لما خلع علي بن عبد الله[2]، فلم يل القضاء أحد بدمشق بعد ذلك حتى قدم المأمون. قال المأمون لأبي مسهر: والله لأحبسنك في أقصى عملي أو تقول: القرآن مخلوق، تريد تعمل للسفياني! فقال أبو مسهر: يا أمير المؤمنين، القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال علي بن عثمان النفيلي[3]: كنا بدمشق على باب أبي مسهر عبد الأعلى [1] جماعة من أصحاب الحديث نسمع منه، فمرض أبو مسهر أياما، ثم دخلنا عليه نعوده، فقلنا له: إيش خبرك يا أبا مسهر؟ كيف أصبحت؟ قال: أصبحت والحمد الله في عافية، راضيا عن الله، ساخطا على ذي القرنين* حيث لم يجعل السد بيننا وبين أهل العراق كما جعل بين أهل خراسان وبين يأجوج ومأجوج، قال: فما كان بعد هذا إلا يسيرا حتى وافى المأمون دمشق، ونزل سفح جبل دير المران* وبني القبيبة التي فوق الجبل، فكان يأمر بالليل بجمر عظيم، فيوقد ويجعل في طسوس* كبار، وتدلى من فوق الجبل من عند القبيبة بالسلاسل والحبال، فتضيء له الغوطة*، فيبصرها بالليل. قال: وكان أبو مسهر له حلقة في مسجد دمشق بين العشاء والعتمة عند حائط الشرقي، قال: فبينا أبو مسهر ليلة من الليالي جالس في مجلسه إذا قد دخل المسجد ضوء عظيم، فقال أبو مسهر: ما هذا؟ قالوا: هذه النار التي توقد لأمير المؤمنين من الجبل حتى تضيء له الغوطة، فقال أبو مسهر:﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ(128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء] وكان في حلقة أبي مسهر صاحب خبر للمأمون، فرفع ذلك إلى المأمون، فحقدها عليه، وكان قد بلغه أيضا أنه كان على قضاء أبي العميطر. فلما أن رحل المأمون من دمشق أمر أن يحمل أبو مسهر إليه، فحمل وامتحنه بالرقة في القرآن، وأحدر إلى بغداد، فكان آخر العهد به. حدث محمود بن خالد[4] أنه ودع أبا مسهر محمولا إلى المأمون، قال: فسمعته يقول: وما هو إلا القتل أو الكفر. قال عبد الرحمن*[5]: فأدخل على المأمون، فامتحنه في القرآن، فالتوى أبو مسهر بين يديه، لم يلقه بالذي يستحل بها دمه، ولم يلقه بإعطاء ما يوجب عليه الكفر، فقال له المأمون؛ أعلي تلغز؟! علي بالسيف، فلما أحضر ارتعد الشيخ وقاربه فيما أراد منه، فأمر به فأحدر إلى العراق، وأكرمه إسحاق بن إبراهيم[6] أمير بغداد. وتكلم أبو مسهر بالعراق بشيء حمده أهل الحديث، ثم مات بها محمودا مشكورا.

وقيل: إن أبا مسهر أدخل على المأمون بالرقة، وقد ضرب رقبة رجل وهو مطروح، فأوقف أبا مسهر بين يديه في تلك الحال، فامتحنه، فلم يجبه، فأمر به، فوضع في النطع ليضرب عنقه، فأجاب –يعني إلى خلق القرآن– فأخرج من النطع، فرجع عن قوله، فأعيد إلى النطع، فأجاب، فأمر به أن يوجه إلى العراق، ولم يثق بقوله، فما حذر، وأقام عند إسحاق بن إبراهيم – يعني نائب بغداد – أياما لا تبلغ مئة يوم، ومات رحمه الله.

وقيل: كان عبد الأعلى راوية لـ سعيد بن عبد العزيز التنوخي[7] وغيره من الشاميين وكان أشخص من دمشق إلى عبد الله بن هارون وهو بالرقة، فسأله عن القرآن فقال: هو كلام الله، وأبى أن يقول مخلوق، فدعا له بالسيف والنطع ليضرب عنقه. فلما رأى ذلك قال:مخلوق، فتركه من القتل، وقال: أما إنك لو قلت ذلك قبل أن أدعو لك بالسياف لقبلت منك، ورددتك إلى بلادك وأهلك، ولكنك تخرج الآن فتقول: قلت ذلك فرقا من القتل أشخصوه إلى بغداد، فاحبسوه بها حتى يموت، فأشخص من الرقة إلى بغداد في ربيع الآخر سنة 218 هـ، فحبس، فلم يلبث في الحبس إلا يسيرا حتى مات في غرة رجب سنة ثمان عشرة ومئتين، فاخرج ليدفن فشهده قوم كثير من أهل بغداد، رحمه الله تعالى.

وقيل: إن أبا مسهر أقيم ببغداد بباب إسحاق بن إبراهيم ليقول قولا يبرئ فيه نفسه عن المحنة ويقي المكروه، فقيل: إنه قال في ذلك الموقف: جزى الله أمير المؤمنين خيرا، علمنا ما لم نكن نعلم، وعلم علما لم يعلمه من كان قبله، وقال: قل: القرآن مخلوق، وإلا ضربت رقبتك، ألا فهو مخلوق، وهو مخلوق، قال الروي: فازديد بمقالة أبي مسهر عجبا، وارجو أن تكون له نجاة.

----

*(الطسوس) جمع طس لغة في الطست وفي سير أعلام النبلاء: طسوت: والطس والطست من آنية الصفر (دير المران) بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران وبناؤه بالجص (غوطة دمشق) تحيط بمدينة دمشق من الشرق والغرب والجنوب وهى تتبع دمشق وريف دمشق وهي سهل ممتد عبارة عن بساتين.(ذي القرنين) عن علي بن أبي طالب قال: ذي القرنين لم يكن نبيا ولا ملكا، ولكن كان عبدا صالحا، أحب الله فأحبه، ونصح لله فنصحه، بعثه الله إلى قومه...(عبد الرحمن) قال أبو الحسين أظن أن عبد الرحمن هذا هو أبو زرعة الدمشقي.

■ (1) عبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي، أبو مسهر: من حفاظ الحديث. ويقال له ابن أبي دارمة وهي كنية جده عبد الأعلى.ولد سنة 140 هـ. كان شيخ الشام، وعالمها بالحديث والمغازي وأيام الناس وأنساب الشاميين. امتحنه المأمون العباسي، وهو في الرقة، وأكرهه على أن يقول القرآن مخلوق. فامتنع، فوضعه في النطع، فمد رأسه. وجرد السيف، فأبى أن يجيب، وقيل: أجاب ولم يرض المأمون بإجابته، فحمل إلى السجن ببغداد، فأقام نحوا من مئة يوم، ومات في غرة رجب سنة 218 هـ.

■ (2) علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو الحسن: ثائر من بقايا بني أمية في الشام. كان من أهل العلم والرواية. يقول حين يفاخر: أنا ابن شيخي صفين. لان أمه نفيسة بنة عبيد الله بن العباس حفيدة علي بن أبي طلب، وإباه حفيد معاوية. ويلقبه خصومه بأبي العميطر وهو الحرذون (أي السحلية) وكانت إقامته في دمشق. وانتهز فرصة الخلاف بين الأمين والمأمون في العراق، فدعا إلى نفسه وطرد عامل الأمين على دمشق، وهو الأمير سليمان بن أبي جعفر المنصور، وامتلكها سنة 195 هـ وبويع بالخلافة، وهو ابن تسعين سنة. وناصره بنو كلت وتعض بقايا الأمويين، وخذله بقايا بني مروان. وقاتله أنصار بني العباس وكان أصحابه يجولون في أسواق دمشق ويقولون للناس: قوموا بايعوا مهدي الله. وتعصب له اليمانية، وقاومته القيسية فنهب دورهم وأحرقها. واشتد على من لم يبايعه. وامتد سلطانه إلى السواحل، حتى صيدا. وأرسل الأمين جيشا لقتاله لم يصل إلى دمشق. وانتهى أمره على يد مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعيد بن مسلمة بن عبد الملك، وقد دعا هذا إلى نفسه أيضا وبويع في حوران وأطراف دمشق. فقبض على السفياني وقيده. وبايعه رؤساء بني أمية. فهاجمهم ابن بيهس (محمد ابن صالح بن بيهس الكلابي، زعيم القيسية. فهرب السفياني ومسلمة إلى المزة (من ضواحي دمشق) في ثياب النساء أوائل سنة 198 هـ واجتمع أهل المزة وداريا فقاتلوا ابن بيهس. وظفر هذا فاستولى على دمشق وأقام الدعوة للمأمون. ومات السفياني على الاثر.

■ (7) سعيد بن عبد العزيز التنوخي أبو محمد، فقيه دمشق في عصره، كان حافظا حجة. سأل عطاء بن أبي رباح وسمع مكحولا ونافعا وربيعة بن يزيد والزهري وقتادة وبلال بن سعد وعدة. ولد سنة 90 هـ. وكان يقول: ما كتبت حديثا قط يعني كان يحفظ. وقال يحيى بن معين: هو حجة. وقال أحمد بن حنبل: ليس بالشام أصح حديثا منه. وقال الحاكم: هو لأهل الشام كمالك لأهل الحجاز في التقدم والفقه. وقال الوليد بن مزيد: كان الأوزاعي إذا سئل عن مسألة وسعيد بن عبد العزيز حاضر قال سلوا أبا محمد. وقال أبو مسهر: كان سعيد لا يجيب حتى يقول لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا رأي والرأي يخطئ ويصيب.قيل مات سنة 167 هـ وقيل سنة 163 هـ

■ (6) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، الأمير ابن عم طاهر بن الحسين. وكان يعرف بصاحب الجسر. ولي إمرة بغداد أكثر من 30 سنة وعلى يده أمتحن العلماء بأمر المأمون وأكرهوا على القول بخلق القرآن. وكان خبيرا صائبا سائسا حازما وافر العقل، جودا ممدحا، له مشاركة في العلم. توفي سنة 235 هـ. وولي بعده ابنه محمد.

■ (5) عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري، أبو زرعة الدمشقي: من أئمة زمانه في الحديث ورجاله. من أهل دمشق، ووفاته بها سنة 280 هـ. له كتاب في التاريخ وعلل الرجال الجزء الاول منه في خزانة الفاتح باستنبول، ومسائل في الحديث والفقه، أجزاء.

■ (3) علي بن عثمان بن محمد بن سعيد أبو محمد النفيلي الحراني. روى عن يعلى بن عبيد وأبي مسهر وعنه النسائي وعبد الله بن زبر، وخلق صدوق مات 272 هـ

■ (4) محمود بن خالد بن أبي خالد واسمه يزيد السلمي أبو علي الدمشقي ولد سنة ست وسبعين يعني ومئة ومات سنة 249 هـ في آخرها وهو ابن ثلاث وسبعين

قال أبو داود سليمان بن الأشعث – وقيل له: إن أبا مسهر كان متكبرا في نفسه فقال: كان من ثقات الناس، ورحم الله أبا مسهر، لقد كان من الإسلام بمكان، حمل على المحنة فأبى، وحمل على السيف، فمد رأسه، وجرد السيف فأبى أن يجيب. فلما رأوا ذلك منه حمل إلى السجن، فمات. قال أبو زرعة: سمعت محمد بن عثمان التنوخي يقول، وقد جئنا إليه: من أين جئتم؟ فقلنا: من عند أبي مسهر قال: تركتم أبا مسهر وجئتموني، ما بالشام مثل أبي مسهر. وقال يحيى بن معين: ما رأيت منذ خرجت من بلادي أحدا أشبه بالمشيخة الذين أدركتهم من أبي مسهر، والذي يحدث وفي البلاد أولى بالتحديث منه فهو أحمق. قال هاشم: كنت كثيرا ما أسمع أبا مسهر يقول: الهزج: كما أضحك الدهر..كذاك الدهر يبكيكا. قال: فما مضت الأيام حتى حمل في الا متحان، وهو يبكي ويقول: مأسور والله. كان أبو مسهر يقول: عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره. قال أبو زرعة: سئل أبو مسهر عن الرجل يغلط، ويهم ويصحف، فقال: بين أمره، فقلت لأبي مسهر: أترى ذلك من الغيبة؟ قال: لا . قال: ورأيت أبا مسهر يفعل ذلك فيما حمل عن سعيد بن عبد العزيز، ورأيته يكره الرجل أن يحدث إلا أن يكون عالما بما يحدث، ضابطا يعني: إذا خفي عليه بعض الحديث واستفهم من غيره فينبغي له أن يبين. ومن شعر أبي مسهر: الخفيف: هبك عمرت مثل ما عاش نوح..ثم لاقيت كل ذاك يسارا..هل من الموت لا أبا لك بد..أي حي إلى سوى الموت صارا؟ ومن شعره: الطويل: ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له..من الله في دار المقام نصيب..فإن تعجب الدنيا رجالا فإنه..متاع قليل والزوال قريب. ومن شعره: المنسرح: أف لدنيا ليست تواتيني..إلا بنقضي لها عرى ديني..عيني لحيني نذير مقلتها..تريد ما ساءها لترديني. ومن شعره: الوافر: فلا بعدي يغير حال ودي..عن العهد القديم ولا اقترابي..ولا عند الرخاء بطرت يوما..ولا في فاقتي دنست ثيابي..كماء المزن بالعسل المصفى..أكون وتارة سلعا بصاب.

قال هارون بن محمد العقيلي: كان أبو العميطر يوما يقرأ علينا في كتاب أنه يخرج من بني أبي سفيان رجل من دمشق أضل من بعير أهله. قال: فلما خرج أبو العميطر قال له مولى لنا: أما تذكر ما حدثتنا به؟ فقال له: يا بن الخبيثة، ما أحفظك لرواية السوء! قال الطفيل بن عبيدة بن عبد الرحمن بن عبيدة: كنا بباب هارون الرشيد بمدينة الرقة، ومعنا أبو العميطر، فقال لي: إنه سيخرج عن قريب بمدينة دمشق رجل منا، وذلك بعد موت هارون الرشيد، –زمن محمد الأمين– يزعم أنه السفياني، وهو كذاب، قال: فما مرت الأيام والليالي حتى بلغني خروج أبي العميطر، فكتبت إليه أذكره ما كان قال لي، فكان أول شيء بدأ به أن قصد قومي.

قال عمرو بن عبد الله النصري: دخلت على أبي العميطر، فسلمت عليه بالخلافة، فرد علي، فقلت: يا أمير المؤمنين، حوانيت لي ورثتها من أبي أخذت من يدي، فقال: من قريش أنت؟ قلت: لا، قال: فمن مواليهم؟ قلت: لا، قال: ليس كل من قال حوانيتي يقبل منه، قال: ففزعت إلى أبي مسهر وهو يومئذ يلي القضاء فكتب له: يا أمير المؤمنين؛ بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿لَا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لَا يُقْضَى فِيهَا بِالْحَقِّ، فَيَأْخُذَ ضَعِيفُهَا حَقَّهُ مِنْ قَوِيِّهَا، غَيْرَ مُتَعْتَعٍ﴾، فأوصلنا إليه الكتاب، فقال: اذهبوا خذوا حوانيتكم، قال: فجئنا فكسرنا الأقفال عنها وأخذناها.

مراجع:مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ تذكرة الحفاظ للذهبي/ سير أعلام النبلاء/ تهذيب التهذيب/ تهذيب الكمال/

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) والرجل المتحنط المتكفن 0834

قال الحسن بن عبد الجبار المعروف بالعرق: بينا المأمون في بعض مغازيه يسير مفردا عن أصحابه ومعه عجيف بن عنبسة[1] إذ طلع رجل متحنط* متكفن، فلما عاينه المأمون وقف، ثم التفت إلى عجيف فقال: ويحك أما ترى صاحب الكفن مقبلا يريدني، فقال له عجيف، أعيذك بالله يا أمير المؤمنين، قال: فما كذب الرجل أن وقف على المأمون، فقال له المأمون: من أردت يا صاحب الكفن وإلى من قصدت؟ قال: إياك أردت، قال: أو عرفتني؟ قال: لو لم أعرفك ما قصدتك، قال: أفلا سلمت علي؟ قال: لا أرى السلام عليك، قال: ولم؟ قال: لإفسادك علينا الغزاة، قال عجيف: وأنا ألين مس سيفي لئلا يبطئ ضرب عنقه، إذ التفت المأمون فقال: يا عجيف إني جائع ولا رأي لجائع، فخذه إليك حتى أتغدى وأدعو به، قال: فتناوله عجيف فوضعه بين يديه، فلما صار المأمون إلى رحله دعا بالطعام، فلما وضع بين يديه أمر برفعه وقال: والله ما أسيغه حتى أناظر خصمي، يا عجيف علي بصاحب الكفن، قال: فلما جلس بين يديه قال: هيه يا صاحب الكفن ماذا قلت؟ قال: قلت: لا أرى السلام عليك لإفسادك الغزاة علينا قال: بماذا أفسدتها؟ قال: بإطلاقك الخمور تباع في عسكرك وقد حرمها الله عز وجل في كتابه، فأبدأ بعسكرك فنظفه، ثم اقصد الغزو، لماذا استحللت أن تبيح شيئا قد حرمه الله كهيئة ما أحل الله عز وجل؟ قال: أو عرفت الخمر أنها تباع ظاهرا أو رأيتها؟ قال: لو لم أرها وتصح عندي ما وقفت هذا الموقف، قال: فشيء سوى الخمر أنكرته؟ قال: نعم، إظهارك الجواري في العماريات، وكشفهن الشعور منهن بين أيدينا كأنهن فلق الأقمار، خرج الرجل منا يريد أن يهراق دمه في سبيل الله ويعقر جواده قاصدا نحو العدو، فإذا نظر إليهن أفسدن قلبه وركن إلى الدنيا وانصاع إليها، فلم استحللت ذلك؟ قال: ما استحللت ذاك، وسأخبرك بالعذر فيه فإن كان صوابا وإلا رجعت. نعم قال: شيء غير هذا أنكرته،؟ قال: نعم شيء أمرت به: تنهانا عن الأمر بالمعروف، قال: أما الذي يأمر بالمنكر فأني أنهاه وأما الذي يأمر بالمعروف فإني أحثه على ذلك وأحدوه عليه. ثم قال: أفشيء سوى ذلك؟ قال: لا، قال: يا صاحب الكفن أما الخمر فلعمري لقد حرمها الله تعالى، ولكن الخمر لا تعرف إلا بثلاث جوارح: النظر والشم والذوق، أفتشربها أنت؟ قال: معاذ الله أن أنكر ما أشرب، قال: أفيمكن في وقتك هذا أن تقفنا على بيعها حتى نوجه معك من يشتري منها؟ قال: فمن يظهرها لي أو يبيعنيها وعلي هذا الكفن؟ قال: صدقت. قال: فكأنك إنما عرفتها بهاتين الجارحتين، يا عجيف علي بقوارير فيها شراب. فانطلق عجيف فأتاه بعشرين قارورة فوضعها بين يديه في أيدي عشرين وصيفا، ثم قال: يا صاحب الكفن، نفيت من آبائي الراشدين المهديين إن لم تكن الخمر فيها، فإنك تعلم أن الخمر من ستر الله على عباده، وإنه لا يجوز لك أن تشهد على قوم مستورين إلا بمعاينة بينة وعلم، ولا يجوز لي أن آخذ إلا بمعاينة بينة وشاهدي عدل. قال: فنظر صاحب الكفن إلى القوارير، فقال له عجيف: أيها الرجل لو كنت خمارا ما عرفت موضع الخمر بعينها من هذه القوارير، قال فقال له: هذه الخمر بعينها من هذه القوارير، فأخذ المأمون قارورة فذاقها ثم قطب ثم قال: يا صاحب الكفن انظر هذه الخمر، فتناول الرجل القارورة فذاقها فإذا خل ذابح، فقال: قد خرجت هذه عن حد الخمر، فقال المأمون: صدقت إن الخل مصنوع من الخمر لا يكون خلا حتى يكون خمرا، ولا والله ما كانت هذه خمرا قط، وما هو إلا رمان حامض يعصر لي أصطبغ به من ساعته؛ قد سقطت الجارحتان وبقي الشم، يا عجيف صيرها في رصاصيات وأت بها، قال: ففعل، فعرضت على صاحب الكفن فشمها فوقه فوقع مشمه منها على قارورة فيها ميبختج* فقال: هذه فأخذها المأمون فصبها بين يديه وقال: انظر إليها كأنها طلا *قد عقدتها النار، بل تقطع بالسكين، قد سقطت إحدى الثلاث التي أنكرت يا صاحب الكفن، ثم رفع المأمون رأسه إلى السماء فقال: اللهم، إني أتقرب إليك بنهيي هذا ونظرائه عن الأمر بالمعروف. يا صاحب الكفن أدخلك الأمر بالمعروف في أعظم المنكر، شنعت على قوم باعوا من هذا الخل ومن هذا الميبختج الذي شممت فلم تسلم. استغفر الله من ذنبك هذا العظيم وتب إليه. ما الثاني؟ قال: الجواري قال: صدقت، أخرجتهن أبقي عليك وعلى المسلمين، كرهت أن تراهن عيون العدو والجواسيس في العماريات والقباب، والسجوف* عليهن، فيتوهمون أنهن بنات وأخوات فيجدون في قتالنا ويحرصون على الغلبة على ما في أيدينا حتى يجتذبوا خطام واحد من هذه الإبل يستقيدونه بكل طريق إلى أن يتبين لهم أنهن إماء، فأمرت برفع الظلال عنهن وكشف شعورهن فعلم العدو أنهن إماء نقي بهن حوافر دوابنا لا قدر لهن عندنا؛ هذا تدبير دبرت للمسلمين، ويعز علي أن ترى لي حرمة، فدع هذا فليس هو من شأنك فقد صح عندك أني في هذا مصيب وأنك أنكرت باطلا.أي شيء الثالثة؟ قال: ألأمر بالمعروف، قال: نعم أرأيتك لو أنك أصبت فتاة مع فتى قد اجتمعا في هذا الفج على حديث ما كنت صانعا بهما؟ قال: كنت أسألهما ما أنتما، قال: كنت تسأل الرجل فيقول: امرأتي، وتسأل المرأة فتقول: زوجي، ما كنت صانعا بهما؟ قال: كنت أحول بينهما فأحبسهما، قال: حتى يكون ماذا؟ قال: حتى أسأل عنهما، قال: ومن تسأل عنهما؟ قال: كنت أسألهما من أين أنتما، قال: سألت الرجل من أين أنت فقال لك: أنا من أسبيجاب*، وسألت المرأة: من أين أنت؟ فقالت: من أسبيجاب، ابن عمي، تزوجنا وجئنا. كنت حابسا الرجل والمرأة بسؤالك وتوهمك الكاذب إلى أن يرجع الرسول من أسبيجاب فمات الرسول أو ماتا إلى أن يعود رسولك، قال: كنت أسأل في عسكرك هاهنا، قال: فلعلك لا تصادف في عسكري هذا من أهل أسبيجاب إلا رجلا أو رجلين فيقولان لك: لا نعرفهما على هذا النسب. يا صاحب الكفن ما أحسبك إلا أحد ثلاثة رجال إما رجل مديون، وإما مظلوم، وإما رجل تأولت في حديث أبي سعيد الخدري في خطبة النبي صلى الله عليه وعلى آله قال: وروي الحديث عن هشيم وغيره، ونحن نسمع الخطبة إلى مغيربان الشمس إلى أن بلغ إلى قوله::﴿إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ﴾ فجعلتني جائرا، وأنت الجائر، وجعلت نفسك تقوم مقام الآمر بالمعروف، وقد ركبت من المنكر ما هو أعظم عليك، لا والله لا ضربتك سوطا ولا زدت على تخرق كفنك، ونفيت من آبائي الراشدين المهديين لئن قام أحد مقامك هذا لا يقوم بالحجة فيه إن نقصته من ألف سوط ولآمرن بصلبه في الموضع الذي يقوم فيه، قال: فنظرت إلى عجيف وهو يخرق كفن الرجل ويلقي عليه ثياب بياض.

قال ابن أبي داود دخل رجل من الخوارج على المأمون فقال: ما حملك على خلافنا؟ قال: آية في كتاب الله تعالى، قال: وما هي؟ قال: قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة] فقال له المأمون: ألك علم بأنها منزلة؟ قال: نعم، قال؛ وما دليلك؟ قال: إجماع الأمة، قال: فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل فارض بإجماعهم في التأويل، قال: صدقت. السلام عليك يا أمير المؤمنين.

----

*(ميبختج) وفي رواية نيبختج: (الطلاء) ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه وتسمية العجم الميبختج وبعض العرب يسمي الخمر الطلاء يريد بذلك تحسين اسمها لا أنها الطلاء بعينها والطلاء أيضا القطران وكل ما طليت به و طلاه بالدهن وغيره من باب رمى و تطلى بالدهن و اطلى به على افتعل (سجف) الستر، ج : سجوف وأسجاف وجمع السجاف: سجف ككتب هذا هو الأصل ثم استعير لما يركب على حواشي الثوب (التحنط) استعمال الحنوط في الثياب وهو ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة (أسبيجاب) بلدة من ثغور الترك، وفي معجم البلدان: اسفيجاب بلدة كبيرة من بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان.

■ (1) عجيف بن عنبسة، قائد من أهل خراسان، كان مع العباس بن المأمون وقد ندّمه إذ لم يأخذ الخلافة بعد أبيه المأمون. فسخط المعتصم على عجيف بن عنبسة لأنه كان سبب معصيته، وحمله من أذنة في الحديد الثقيل، في فيه لبود قد خيطت عليه، وفي عنقه غل عظيم، فلما صار بموضع يقال له باعيناثا، على مرحلة من نصيبين، أو من بلد الموصل مات، ودفن بها. وقيل بل أطعم طعاما كثير ومنع الماء، حتى مات بباعيناثا. وفي رسائل ابن حزم الأندلسي قال: كان عجيف بن عنبسة بن طاهر بن الحسين من قواد رافع بن الليث بن نصر بن سيار بسمرقند أيام الرشيد.

☪

قال بعض العلماء: المعروف كل فعل أو قول أو قصد حسن شرعا، والمنكر كل فعل أو قول أو قصد قبح شرعا، والإنكار في ترك الواجب وفعل الحرام واجب، وفي ترك المندوب وفعل المكروه مندوب، والإنكار باليد أمكن وإلا باللسان وإلا بالقلب، وعلى الناس والولاة فعل ذلك، وإعانة من يفعله وتقويته فإنه حفظ الدين، ويجب الإنكار على من ترك الإنكار الواجب، ويبدأ في الإنكار بالأسهل فإن زال وإلا أغلظ فإن زال وإلا رفعه إلى الإمام، ولا ينكر على غير مكلف إلا تأديبا وزجرا، ولا على ذمي لا يجهر بالمنكر. واشترط فريق من العلماء في المحتسب أن يكون مأذونا من جهة الإمام أو الوالي، وقالوا: ليس للآحاد من الرعية الحسبة، والجمهور على خلافه إلا فيما كان محتاجا فيه إلى الاستعانة وجمع الأعوان، وما كان خاصا بالأئمة أو نوابهم، كإقامة الحدود، وحفظ البيضة، وسد الثغور وتسيير الجيوش، أما ما ليس كذلك فإن لآحاد الناس القيام به، لأن الأدلة التي وردت في الأمر والنهي والردع عامة، والتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لا أصل له، وأن احتساب السلف على ولاتهم قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض. وشرح الإمام الغزالي ذلك فقال: إن الحسبة لها خمس مراتب: أولها التعريف، والثاني الوعظ بالكلام اللطيف، والثالث السب والتعنيف (بدون فحش)، والرابع المنع بالقهر بطريق المباشرة، ككسر الملاهي ونحوه، والخامس التخويف والتهديد بالضرب، ثم قال: أما التعريف والوعظ فلا يحتاج إلى إذن الإمام، وأما التجهيل، والتحميق، والنسبة إلى الفسق، وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق، والصدق مستحق لحديث: ﴿أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ﴾ فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه، وكذلك كسر الملاهي، وإراقة الخمور، فإن تعاطي ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر إلى إذن الإمام، وأما جمع الأعوان، وشهر الأسلحة فذلك قد يجر إلى فتنة عامة ففيه نظر، وقد ذهب إلى اشتراط الإذن في هذه الحالة جمهرة العلماء، لأنه يؤدي إلى الفتن وهيجان الفساد. وكذلك ما كان مختصا بالأئمة والولاة فلا يستقل بها الآحاد كالقصاص، فإنه لا يستوفى إلا بحضرة الإمام، لأن الانفراد باستيفائه محرك للفتن، ومثله حد القذف لا ينفرد مستحقه باستيفائه، لأنه غير مضبوط في شدة وقعه وإيلامه. وكذلك التعزير لا يفوض إلى مستحقه إلا أن يضبطه الإمام بالحبس في مكان معلوم في مدة معلومة، فيجوز له أن يتولاه المستحق.

واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل عليه رجاء ثوابه، وتارة خوف العقاب في تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه، وتارة النصيحة للمؤمنين، والرحمة لهم، ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة، وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته، وأنه أهل أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وأن يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال، كما قال بعض السلف: وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله، وإن لحمي قرض بالمقاريض. وأوصى بعض السلف بنيه، وقال: إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر، وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب لم يجد مس الأذى فأدب من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر، ولذلك قرن الله الصبر حاكيا عن لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان] ومن لحظ هذا المقام والذي قبله، هان عليه كل ما يلقى من الأذى في الله تعالى، وربما دعا لمن آذاه، كما قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما ضربه قومه فجعل يمسح الدم عن وجهه، ويقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال أحمد: الناس محتاجون إلى مداراة ورفق الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجل معلن بالفسق، فلا حرمة له، قال: وكان أصحاب ابن مسعود إذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون، يقولون: مهلا رحمكم الله، مهلا رحمكم الله. وقال أحمد: يأمر بالرفق والخضوع، فإن أسمعوه ما يكره، لا يغضب، فيكون يريد ينتصر لنفسه. وقال سفيان الثوري: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى. وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيها مطلقا بل فيما يأمر به.

مراجع: الجليس الصالح والأنيس الناصح/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ معالم القربة في طلب الحسبة/ـمختار الصحاح/ لسان العرب/ تاج العروس/ـ فقه الإنكار باليد/

قال حميد بن فروة: لما استقرت للمأمون الخلافة، دعا إبراهيم بن المهدي[1] المعروف بابن شكلة، فوقف بين يديه فقال: يا إبراهيم، أنت المتوثب علينا تدعي الخلافة؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أنت ولي الثأر والمحكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب، كما جعل كل ذي ذنب دونك، فإن أخذت أخذت بحق، وإن عفوت عفوت بفضل؛ ولقد حضرت أبي، وهو جدك، وأتي برجل، وكان جرمه أعظم من جرمي، فأمر الخليفة بقتله، وعنده المبارك بن فضالة[2]، فقال المبارك: إن رأى أمير المؤمنين أن يتأنى في أمر هذا الرجل حتى أحدثه بحديث سمعته من الحسن؛ قال: إيه يا مبارك؛ فقال: حدثنا الحسن، عن عمران بن حصين، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ: أَلا لِيَقُومَن العافون مِنَ الْخُلَفَاءِ إِلَى أَكْرَمِ الْجَزَاءِ فَلا يَقُومُ إِلا مَنْ عَفَا﴾ شعب الإيمان فقال الخليفة: إيها يا مبارك، قد قبلت الحديث بقبوله وعفوت عنه.فقال المأمون: وقد قبلت الحديث بقبوله، وعفوت عنك؛ ها هنا يا عم، ها هنا يا عم.

قيل اجتاز إبراهيم بن المهدي – وكان مختفيا مدة ست سنين وشهورا متنقبا في زي امرأة ومعه امرأتان – في بعض دروب بغداد في أثناء الليل، فقام الحارس فقال: إلى أين هذه الساعة ؟ ومن أين ؟ ثم أراد أن يمسكهن فأعطاه إبراهيم خاتما كان في يده من ياقوت، فلما نظر إليه استراب وقال: إنما هذا خاتم رجل كبير الشأن، فذهب بن إلى متولي الليل فأمرهن أن يسفرن عن وجوههن، فتمنع إبراهيم فكشفوا عن وجهه فإذا هو هو، فعرفه فذهب به إلى صاحب الجسر فسلمه إليه فرفعه الآخر إلى باب المأمون، فأصبح في دار الخلافة ونقابه على رأسه والملحفة في صدره ليراه الناس، وليعملوا كيف أخذ. فأمر المأمون بالاحتفاظ به والاحتراس عليه مدة، ثم أطلقه ورضي عنه. هذا وقد صلب جماعة ممن كان سجنهم بسببه لكونهم أرادوا الفتك بالموكلين بالسجن، فصلب منهم أربعة. وقد ذكروا أن إبراهيم لما وقف بين يدي المأمون أنبه على ما كان منه فترقق له عمه إبراهيم كثيرا، وقال: يا أمير المؤمنين إن تعاقب فبحقك، وإن تعف فبفضلك. فقال: بل أعفو يا إبراهيم إن القدرة تذهب الحفيظة، والندم توبة وبينهما عفو الله عزوجل، وهو أكبر مما تسأله، فكبر إبراهيم وسجد شكرا لله عزوجل. وقد امتدح إبراهيم بن المهدي ابن أخيه المأمون بقصيدة بالغ فيها، فلما سمعها المأمون قال: أقول كما قال يوسف لاخوته﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف]

في رواية ثمامة بن أشرس[3]: قال لي المأمون: قد عزمت غدا على تقريع إبراهيم بن المهدي فاحضر مبكرا، وليقرب مجلسك مني، وقام السماط* فبينا نحن كذلك إذ سمعت صلصلة الحديد فرفعت نظري فإذا إبراهيم بن المهدي موقوف على البساط، ممسوك بضبعيه، مغلولة يده إلى عنقه، قد تهدل شعره على عينيه، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال المأمون: لا سلم الله عليك ولا حياك ولا رعاك ولا كلاك، أكفر يا إبراهيم بالنعمة بغير شكر، وخروج على أمير المؤمنين بغير عهد ولا عقد! فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، إن القدرة تذهب الحفيظة، ومن مد له في الاغترار هجمت به الأناة على التلف، وقد رفعك الله فوق كل ذي ذنب، كما وضع كل ذي ذنب دونك؛ فإن تعاقب فبحقك، وإن تعف فبفضلك.

فقال المأمون: إن هذين قد أشارا علي بقتلك وأومأ إلى المعتصم[4] والعباس[5] ابنه ! فقال: أشارا عليك يا أمير المؤمنين بما يشار به على مثلك في مثلي من حسن السياسة والتدبير، وإن الملك عقيم، ولكنك تأبى أن تستجلب نصرا إلا من حيث عودك الله عز وجل، وأنا عمك، والعم صنو الأب؛ وبكى. فترغرغت عينا المأمون، ثم قال: يا ثمامة؛ فوثبت قائما، فقال: إن من الكلام كلام كالدر؛ حلوا عن عمي، وغيروا من حالته في أسرع وقت، وجيئوني به. فأحضره مجلسه ونادمه، وسأله أن يغني، فأبى، وقال: نذرت يا سيدي لله عند خلاصي تركه، فعزم عليه، وأمر أن يوضع العود في حجره، فسمعته يغني: من مجزوء الكامل: هذا مقام مشرد..خربت منازله ودوره..نمت عليه عداته..كذبا فعاقبه أميره..ثم ثنى بشعر آخر: من الطويل:

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني..لوى الدهر بي عنها وولى بها عني..فإن أبك نفسي أبك نفسا عزيزة..وإن أحتقرها أحتقرها على ضن..وإني وإن كنت المسيئ بعينه..بربي تعالى جده حسن الظن..عدوت على نفسي فعاد بعفوه..علي فعاد العفو منا على من. فقال له المأمون: أحسنت والله يا أمير المؤمنين حقا!؛ فرمى بالعود من حجره ووثب قائما فزعا من هذا الكلام؛ فقال له المأمون: اقعد واسكن، فوحياتك ما كان ذلك لشيء تتوهمه، ووالله لا رأيت مني طول أيامي شيئا تكرهه وتغتم به. ثم أمر بكل ما قبض له من الأموال والدور والعقار والدواب والضياع أن ترد عليه، وأعاد مرتبته، وأمر له في تلك الساعة بعشرة آلاف دينار، وانصرف مكرما مخلوعا عليه على خيل ورجل أمير المؤمنين، واشتهر في الخاصة والعامة عفو أمير المؤمنين عن عمه، فحسن موقع ذلك منهم، واستوسقوا على الطاعة والموالاة، والشكر والدعاء.

فقيل لثمامة: أي شيء كان جرمه؟ قال: بويع له بالخلافة بعد محمد بن هارون[6]، والمأمون بخراسان، فلما دخل المأمون اختفى، وأهدر المأمون دمه، ونادى عليه، فجاء من غير أن يجيء به أحد، فأمكن من نفسه فحبسه ستة أشهر وأخرجه وعفا عنه. قال الفضل بن العباس الهاشمي[7]: بعث المأمون إلى إبراهيم عمه بعدما حبسه، رجلا يثق له، فقال: تعرف ما يعمل عمي وما يقول؛ قال: فعل ثم رجع عليه فقال: رأيته يبكي وقد وضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يتغنى: من الطويل:

فلو أن خدا من وكوف مدامع..يرى معشبا لاخضر خدي فأعشبا..كأن ربيع الزهر بين مدامعي..بما انهل منها من حيا وتصببا..ولو أنني لم أبك إلا مودعا..بقية نفس ودعتني لتذهبا..وقد قلت لما لم أجد لي حيلة..من الموت لما حل أهلا ومرحبا.

قال: فبكى المأمون، ثم أمر بالتحقيق عنه.

روى الفضل بن مروان قال: لما دخل إبراهيم بن المهدي على المأمون –لما ظفر به– كلمه بكلام كان سعيد بن العاص كلم به معاوية بن أبي سفيان في سخطة سخطها عليه واستعطفه به، وكان المأمون يحفظ الكلام فقال المأمون: هيهات يا إبراهيم، هذا كلام سبقك به فحل بني أمية وقارحهم سعيد بن العاص وخطب به معاوية بن أبي سفيان، فقال له إبراهيم: يا أمير المؤمنين – وأنت أيضا إن عفوت فقد سبقك فحل بني حرب وقارحهم إلى العفو، فلا تكن حالي عندك في ذلك أبعد من حال سعيد عند معاوية، فإنك أشرف منه وأنا أشرف من سعيد، وأنا أقرب إليك من سعيد إلى معاوية، وإن أعظم الهجنة تسبق أمية هشاما إلى مكرمة فقال له: صدقت يا عم قد عفوت عنك.

----

*(السماط) الجماعة من الناس والنخل (استوسقوا) استجمعوا وانضموا

■ (1) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم.

■ (4) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يكنى أبا إسحاق، والمعتصم يقال له الثماني، ولد بالخلد في سنة 180 هـ، وهو ثامن الملوك، والثامن من ولد العباس، استخلف أبو إسحاق محمد بن هارون سنة 218 هـ ومات بالخاقاني من سر من رأى، سنة 227 هـ

■ (5) العباس بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، أمير عباسي. ولاه أبوه الجزيرة والثغور والعواصم سنة 213 هـ ولما مات المأمون سنة 218 هـ وولي المعتصم، امتنع كثير من القواد والرؤساء من مبايعته، ونادوا باسم ابن أخيه العباس بن المأمون فدعاه المعتصم إليه، وأخذ بيعته، فخرج العباس، وسكن الناس. وأقام إلى أن خرج المعتصم إلى الثغور، فاتفق العباس مع بعض القواد على قتله، فعلم المعتصم فقبض عليه وعلى أصحابه، وعذبه وسجنه إلى أن مات بمنبج سنة 223 هـ.

■ (6) محمد بن هارون الرشيد بن المهدى ابن المنصور: ملك عباسي. ولد في رصافة بغداد. وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي العهد من بعده. فلما كانت سنة 195 أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. وجهز الأمين وزيره ابن ماهان لحربه، وجهز المأمون طاهر بن الحسين، فالتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان وانهزم جيش الأمين، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة 198 هـ: قتل بالسيف، بمدينة السلام، وكان الذي ضرب عنقه مولى لطاهر، بأمره. وكان أبيض طويلا سمينا، جيل الصورة، شجاعا أديبا، رقيق الشعر، مكثرا من إنفاق الأموال، سيئ التدبير، يؤخذ عليه انصرافه إلى اللهو ومجالسة الندماء.

■ (3) ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن جل منزله، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون. وكان ذا نوادر وملح. من تلاميذه الجاحظ. وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه.وعده المقريزي في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يسمون الثمامية نسبة إليه (نسبة إلى قرية بالموصل)، وأورد بعض ما انفردوا به من الآراء والمعتقدات. وقال ابن حزم: كان ثمامة يقول: إن العالم فعل الله بطباعه. وقال الجاحظ: ما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي بلغ من حسن الإفهام، مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج، مع السلامة من التكليف، ما كان بلغه. قال الزركلي والذهبي: توفي سنة 213 هـ.

■ (7) الفضل بن العباس بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد: توفي سنة 273 هـ، وهو حفيد أمير المؤمنين المأمون. ؟

■ (2) المبارك بن فضالة بن أبي أمية، أبو فضالة مولى زيد بن الخطاب من أهل البصرة حدث عن الحسن البصري، وثابت البناني، وعبد العزيز بن صهيب، وحميد الطويل، وحبيب بن أبي ثابت، وهشام بن عروة، وخبيب بن عبد الرحمن، ويونس بن عبيد، ونصر بن راشد، وعبيد الله بن عمر العمري. روى عنه الحسن بن موسى الأشيب، والهيثم بن جميل، ويزيد بن هارون، وعفان بن مسلم، وموسى بن داود، وسعيد بن سليمان، وعبد الله بن خيران، وعلي بن الجعد. توفي المبارك بن فضالة سنة 164 هـ.

قالت العلماء: إن الملكية بكل أنواعها مرفوضة في نظر الإسلام، لأنها تفتقد إلى المستند الشرعي الذي هوأهم العوامل في شرعنة السلطة. وخاصة الوراثية منها لما في ذلك من الفساد وضياع الحق والعدل. كما أثبتة التجارب التاريخية. ويتحقق النظام الملكي باستيلاء شخص على زمام الحكم والسلطة (في عصر قريب بدسائس المستدمر السابق كما حدث مع سلاطين ما يسمى دويلة المغرب المراكشية (صنيعة فرنسا) عبد الحفيظ بن الحسن ومحمد الخامس، وحدث كذلك مع الأسر الهجينة في ما يسمى الأردن وشوارع الخليج (صنيعة الاستخبارات البريطانية) قالوا: ثم يعلن على أثره نفسه حاكما على البلاد، وملكا للناس، ويعاقب معارضيه وينكل بهم، ولا يكتفي بإعلان نفسه ملكا على الناس، بل ينصب خلفه ملكا من بعده (أي عميل بموافقة الغرب) وهكذا تتناوب ذريته عرشه وسلطانه جيلا بعد جيل، ونسلا بعد نسل. وربما تبلغ به شهوة السلطة والملك إلى أن يسمي نفسه ظلا للهّ إن لم يبلغ به الاستعلاء والتفرعن إلى أن يجعل نفسه في مصاف اللهّ، فإذا به يرفع شعار: اللهّ الملك الوطن،. وهذا ما نلحظه في أكثر الملكيات الراهنة (كدويلة مملكة الحشيش المراكشية حليفة الصهاينة) ولقد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على من خاطبه بقوله ﴿مَا شَاءَ اللهُّ وَشِئْتَ، فَقَالَ: أَجَعَلْتَنِي لِلهَّ نِدًّا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُّ وَحْدَهُ﴾.

مراجع: تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ الإسلام للذهبي/ الأعلام للزركلي/ الوافي بالوفيات/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ تاج العروس/ البداية والنهاية/

حكي عن المأمون أنه قال لـ يحيى بن أكثم[1] يوما: سر بنا نتفرج. فسارا فبينما هما في الطريق وإذا بمقصبة خرج منها رجل بقصبة للمأمون يتظلم له، فنفرت دابته فألقته على الأرض صريعا، فأمر بضرب عنق ذلك الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين، إن المضطر يرتكب الصعب من الأمور وهو عالم به، ويتجاوز حد الأدب وهو كاره لتجاوزه، ولو أحسنت الأيام مطالبتي لأحسنت مطالبتك، ولأنت علي ما لم تفعل أقدر مني على رد ما قد فعلت، قال: فبكى المأمون وقال: بالله أعد علي. فأعاده فالتفت المأمون إلى يحيى بن أكثم وقال: أما تنظر إلى مخاطبة هذا الرجل بأصغريه؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ﴾ (؟) والله لا وقفت لك إلا وأنا قائم على قدمي، فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر إليه، فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل: يا أمير المؤمنين، بيتان قد حضراني ثم أنشد يقول: ما جاد بالوفر إلا وهو معتذر..ولا عفا قط إلا وهو مقتدر..وكلما قصدوه زاد نائله..كالنار يوخذ منها وهي تستعر.

وقد روى الناس الكلام على وجه آخر، فقيل: إن رجلا قدم إلى المأمون رقعة فيها مظلمة، وكان المأمون راكبا بغلة فنفرت منه فألقت المأمون عن ظهرها إلى الأرض فأوهنته؛ فقال: والله لأقتلنك، قالها ثلاث مرات، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، إن الملهوف يركب الخطر وهو سالم بركوبه، وينسى الأدب هو غير جاهل به، ولو أحسنت الأيام إنصافا لأحسنت التقاضي، ولأن تلقى الله يا أمير المؤمنين حانثا في يمينك خير من أن تلقاه قاتلا لي. فأعجب المأمون كلامه وأمر بإزالة ظلامته.

وتظلم رجل إلى المأمون من عامل له فقال: يا أمير المؤمنين ما ترك لي فضة إلا فضها ولا ذهبا إلا ذهب به ولا غلة إلا غلها ولا ضيعة إلا أضاعها ولا علقا إلا علقه ولا عرضا إلا عرض به ولا ماشية إلا امتشها ولا جليلا إلا أجلاه ولا دقيقا إلا دقه فعجب من فصاحته وقضى حاجته. وروي أن رجلا استوقف المأمون ليسمع منه فلم يقف له، فقال: يا أمير المؤمنين إن الله استوقف سليمان بن داود عليهما السلام لنملة ليستمع منها، وما أنا عند الله بأحقر من نملة وما أنت عند الله بأعظم من سليمان، فقال له المأمون: صدقت. ووقف له، وقضى حاجته.

(؟) في كتاب الذخيرة. قالوا: قول علي رضي الله عنه ؟

■ (1) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي.كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

☪

يروى أن المهدي الخليفة لما دخل البصرة رأى إياس بن معاوية وهو صبي وخلفه جماعة من العلماء وإياس قدامهم. فقال المهدي: أما كان في هؤلاء شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث! ثم التفت المهدي إلى إياس، وقال: كم سنك يا فتى؟ فقال: سني أطال الله بقاء الأمير سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر، فقال له المهدي: تقدم بورك فيك. ويروى أن يحيى بن أكثم ولي قضاء البصرة وسنه قريبا من عشرين سنة فاستصغروه، فقالوا: كم سن القاضي؟ فقال: أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا بمكة يوم الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا لليمن، وأكبر من كعب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيا للبصرة.

☪

قال عبد العزيز بن محمد السلمان: دخل رجل على المأمون كان يمشي في الناس فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر دون أن يكون مأمورا من قبل الخليفة، فاستدعاه المأمون وقال له: لم تأمر وتنهى وقد جعل الله ذلك إلينا ونحن الذين قال الله فيهم:﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج] فقال الرجل: صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنا أولياؤك وأعوانك فيه. ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا﴾ فأعجب المأمون بكلامه وسر به وقال : مثلك يجوز أن يأمر بالمعروف فإمض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا. وهكذا حين أحسن الرجل الاحتجاج بالقرآن والسنة انقطعت حجة المأمون، ولم يجد بدا من إقرار الرجل على طريقته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعكس هذا الرجل دخل واعظ على المأمون فوعظه واغلظ عليه في القول فقال له المأمون: يا رجل ارفق فإن الله بعث من هو خير منك إلى من هو شر مني، وأمره بالرفق. بعث موسى وهارون إلى فرعون، فأوصاهما بقوله:﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه] وهنا كان موقف المأمون هو الأقوى لأن الدليل معه.

قال ابن الأبار: عمرو بن مسعدة[1] كان أعلى الكتاب منزلة عند المأمون، ولم يكن وزيرا، بلغ من حظوته أنه كان في مجلس المأمون يقرأ عليه الرقاع، فجاءته عطسة فردها، ولوى عنقه، فرآه المأمون فقال: يا عمرو لا تفعل، فإن رد العطسة وتحويل الوجه بها يورثان انقطاعا في العنق. فشكر له ذلك بعض ولد المهدي وقال: ما أحسنها من مولى لعبده، وإمام لرعيته ! فقال المأمون: وما في هذا ؟ إن هشام بن عبد الملك[2] اضطربت عمامته، فأهوى إليها الأبرش الكلبي[3] ليصلحها، فقال هشام: إنا لا نتخذ الإخوان خولا ! فالذي فعل هشام أحسن مما فعلت ! فقال عمرو: يا أمير المؤمنين إن هشاما يتكلف ما طبعت عليه، ويظلم فيما تعدل فيه، ليس له قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا قيامك بحق الله، وإنك والملوك كما قال النابغة الذبياني[4]: ألم تر أن الله أعطاك سورة..ترى كل ملك دونها يتذبذب..فإنك شمس والملوك كواكب..إذا طلعت لم يبد منهن كوكب.

☪

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نزار بن معد بن عدنان[5] لما حضره الموت أوصى بنيه وهم أربعة مضر بن نزار[6] وربيعة بن نزار وإياد بن نزار وأنمار بن نزار وقسم ماله بينهم في حياته فقال: يا بني هذه القبة الحمراء وما أشبهها من مال لمضر -فسمى بذلك مضر الحمراء- وهذا الخباء الاسود وما أشبهها من مال لربيعة وكان له فرس أدهم فأخذه فسمي ربيعة الفرس، وهذه الخادم وما أشبهها لاياد -وكانت الخادم شمطاء- فأخذ الخيل البلق وما أشبه ذلك، وهذه البدرة والمجلس لانمار.وذكر بعض العلماء أن نزار بن معد أوصى بهذه الوصية وقال: إن أشكل عليكم شيئ فتحاكموا إلى أفعى نجران[7] وقالت ربيعة: لم تكن الوصية كذلك بل إنما أوصى لمضر بالحمار ولربيعة بالفرس والبدر ولانمار بالخباء والخرثي ولاياد بالنعم.

فائدة: قال الإمام العلامة فخر الدين الرازي، في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل] الآية. وادي النمل بالشام كثير النمل. فإن قيل: لم أتى بعلى؟ قلت: لوجهين أحدهما: أن إتيانهم كان من فوق، فأتى بحرف الاستعلاء، الثاني: أنه يراد به قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم: أتى على الشيء إذا بلغ آخره فتكلمت النملة بذلك، وهذا غير مستبعد، فإن حصول العلم والنطق لها ممكن في نفسه، والله سبحانه قادر على كل الممكنات. وحكي عن قتادة أنه دخل الكوفة، فاجتمع عليه الناس، فقال: سلوا عما شئتم، وكان أبو حنيفة حاضرا، وهو يومئذ غلام حدث، فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى؟ فسألوه فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى. فقيل له: كيف عرفت ذلك؟ فقال: من قوله تعالى: " قالت" ولو كانت ذكرا لقال قال نملة، لأن النملة مثل الحمامة والشاة، في وقوعها على الذكر والأنثى، قال: ورأيت في بعض الكتب أن تلك النملة، إنما أمرت رعيتها بالدخول في مساكنها، لئلا ترى النعم التي أوتيها سليمان وجنوده، فتقع في كفران نعمة الله عليه. وفي هذا تنبيه على أن مجالسة أرباب الدنيا محظورة.

■ (3) سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي الأبرش، واسمه سعيد، والأبرش لقب؛ أبو مجاشع الكلبي.كان يكتب لهشام بن عبد الملك وأحد الفصحاء من أصحاب هشام بن عبد الملك. قيل كان الأبرش الكلبي الشامي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية عاش إلى خلافة المنصور.

■ (7) مضر بن نزار بن معد بن عدنان: جد جاهلي، من سلسلة النسب النبوي. من أهل الحجاز. قيل إنه أول من سن الحداء للابل في العرب، وكان من أحسن الناس صوتا. أما بنوه فهم أهل الكثرة والغلبة في الحجاز، من دون سائر بني عدنان، كانت الرياسة لهم بمكة والحرم.

■ (5) نزار بن معد بن عدنان: جد جاهلي هو أبو ربيعة و مضر يتصل به النسب النبوي. كنيته أبو إياد أو أبو ربيعة. كانت له سيادة وثروة كبيرة. وأعقب أربعة أبناء، وهم: إياد، وربيعة، ومضر، وأنمار. والكلام على سلالته يطول. قال ابن الجوزي: كانت نزار في الجاهلية تقول إذا ما أهلت: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك

■ (7) أفعى نجران واسمه القلمس بن عمرو بن همدان بن مالك بن منتاب بن زيد بن وائل بن حمير، وكان كاهنا. تتحاكم العرب إليه.وهو الذي حكم على حد قولهم بين أولاد نزأر. وكان واليا على نجران لبلقيس، فبعثته إلى سليمان، وآمن، وبث دين اليهودية في قومه، وطال عمره، وزعموا أنه ملك البحرين والمشلل. ثم استولى بنو مذحج على نجران. ثم بنو الحارث بن كعب، وانتهت رياسة بني الحارث فيها إلى بني الديان، ثم صارت إلى بني عبد المدان، وكان منهم يزيد على عهد الرسول. ويرى بعض أهل الأخبار أن السيد والعاقب أسقفي نجران الذين أرادا مباهلة رسول الله هما من ولد الأفعى بن الحصين بن غنم بن رهم بن الحارث الجرهمي، الذي حكم بين بني نزار بن معد في ميراثهم، وكان منزله بنجران. وقد سميت نجران بنجران بن زيد بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قطحان على رأي بعض أهم الأخبار. وقد اشتهرت بالأدم.يذكر الأخباريون أن قوما من جرهم نزلوا بنجران ثم غلبهم عليها بنو حمير وصاروا ولاة للتبابعة، وكان كل من ملك منهم يلقب الأفعى ومنهم أفعى نجران

■ (1) عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي: وزير المأمون، وأحد الكتاب البلغاء. كان يوقع بين يدي جعفر ابن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، واتصل بالمأمون، فرفع مكانته، وأغناه. وكان مذهبه في الانشاء الايجاز واختيار الجزل من الالفاظ. وفي كتب الادب كثير من رسائله وتوقيعاته. وكان جوادا ممدحا فاضلا نبيلا. توفي في أذنة أطنه بتركية آسية سنة 217 هـ.

■ (4) النابغة الذبياني، هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. كان حظيا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة زوجة النعمان فغضب منه النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمنا. ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه. شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. عاش عمرا طويلا. توفي سنة 18 ق. هـ

■ (2) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو الوليد،كان عاشر ملوك بني أمية. ولد سنة 72 هـ (سنة قتل ابن الزبير) وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين سنة 125 هـ، وصلى عليه ابنه مسلمة بن هشام، وبويع سنة105 هـ، وكان يجمع المال ويوصف بالحرص والبخل، وكان حازما عاقلا، وكان يكره الدماء، وهو الذي قتل زيد بن علي سنة 121 هـ، وما كان أشد عليه ما دخله من قتل زيد ابن علي وابنه يحيى، فإنه دخله من قبلهم أمر شديد، فلما ظهر بنو العباس على بني أمية عمد عبد الله بن علي فنبش هشاما من قبره وصلبه.

مراجع: المستطرف/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ الأنساب للسمعاني/ الأعلام للزركلي/ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام/ مصنف ابن أبي شيبة/ موارد الظمآن لدروس الزمان/ إعتاب الكتاب/ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/ إيقاظ أولي الهمم العالية/ حياة الحيوان الكبرى/.

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) ورجل (٢) 0837

دخل رجل على المأمون[1] كان يمشي في الناس فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر دون أن يكون مأمورا من قبل الخليفة، فاستدعاه المأمون وقال له: لم تأمر وتنهى وقد جعل الله ذلك إلينا ونحن الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج] فقال الرجل: صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنا أولياؤك وأعوانك فيه. ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا﴾ فأعجب المأمون بكلامه وسر به وقال : مثلك يجوز أن يأمر بالمعروف فإمض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا. وهكذا حين أحسن الرجل الاحتجاج بالقرآن والسنة انقطعت حجة المأمون، ولم يجد بدا من إقرار الرجل على طريقته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعكس هذا الرجل دخل واعظ على المأمون فوعظه واغلظ عليه في القول فقال له المأمون: يا رجل ارفق فإن الله بعث من هو خير منك إلى من هو شر مني، وأمره بالرفق. بعث موسى وهارون إلى فرعون، فأوصاهما بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه] وهنا كان موقف المأمون هو الأقوى لأن الدليل معه.

----

(1) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ وتوفي سنة 218 هـ

الحمد لله

قال إبراهيم بن عبد الله الزبيبي سمعت نصر بن علي[1] يقول: دخلت على المتوكل فإذا هو يمدح الرفق فأكثر، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنشدني الأصمعي: لم أر مثل الرفق في لينه..قد أخرج للعذراء من خدرها..من يستعن بالرفق في أمره.. يستخرج الحية من جحرها. فقال: يا غلام، الدواة والقرطاس، فأتى بهما فكتبها وأمر لي بجائزة سنية. (هذه الرواية أيضا (منسوبةخطأ ؟؟) إلى : أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد المتوفي سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة)

قال علي بن نايف: لقد أمر الله موسى وهارون عليهما السلام أن يرفقا بعدو الله وعدو نفسه فرعون، مع سابق علمه بكبره، وصلفه، وكفره، وعناده، قائلا: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه] ما أمس حاجتنا معشر المسلمين، سيما الدعاة، إلى الرفق والتلطف في شأننا كله، في: معاملتنا لأهلينا ومن نعول، وفي معاملتنا للآخرين، وفي تعليمنا للناس، وفي دعوتنا لهم، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لقد مدح الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران] وشهد له بحسن الخلق فقال:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم]، ووصفه بصفتين من صفاته العلا، فقال:﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة] وقال تعالى:﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة] أي خاطبوا جميع المخلوقين بالحسنى، وقال مخاطبا الأمة في شخص نبيها صلى الله عليه وسلم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل] جاء في تفسيرها: هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين، دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة، فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين، وقد قيل إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة، والله أعلم. لقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلم والرفق والرفقاء، وبين أن الله عز وجل رفيق يحب الرفق، فقال لأشج عبد القيس رضي الله عنه: ﴿إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ﴾ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ﴾ وفي رواية عنها لمسلم:﴿إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ﴾ وعنها كذلك عند مسلم: ﴿إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها:.﴿لَا تَكُونِي فَاحِشَةً، فَإِنَّ الْفُحْشَ* لَوْ كَانَ رَجُلًا لَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ﴾ قال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة] قال سفيان الثوري: مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر، وقال أبو العالية: قولوا لهم الطيب من القول، وجازوهم بأحسن ما تحبون أن تجازوا به. قال علي بن نايف: وهذا كله حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينا، ووجهه منبسطا طلقا، مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ [طه] فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله باللين معه، وقال طلحة بن عمر: قلت لعطاء: إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، وأنا رجل في حدة، فأقول لهم بعض القول الغليظ؛ فقال: لا تفعل! يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة] فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى، فكيف بالحنفي؟!. قال يحيى بن معاذ رحمه الله في تفسير قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه] مخاطبا ربه: هذا رفقك بمن يقول أنا الإله، فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله ؟!. وقد قيل إن فرعون ركن إلى قول موسى لما دعاه، وشاور امرأته فآمنت وأشارت عليه بالإيمان، فشاور هامان، فقال: لا تفعل، بعد أن كنت ملكا تصير مملوكا، وبعد أن كنت ربا تصير مربوبا ؟! فويل لهامان من فرعون، وويل لفرعون من هامان، والويل ثم الويل لكل من اقتدى بفرعون وهامان من الحكام، والوزراء، والمستشارين، الذين يزينون الباطل ويصدون عن الحق. وعلى العكس من ذلك فإن الغلظة، والفظاظة، والعنف، والشدة، والفحش، والتفحش لا تأتي بخير قط إلا مع الكفار المعاندين والمنافقين الجاحدين، كما قال تعالى:﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت] بعد أن تستنفد معهم الوسائل اللينة.

----

*(الفحش) هو عدوان الجواب

(1) نصر بن علي بن نصر بن علي بن صهبان بن أبي، الحافظ العلامة الثقة، أبو عمرو، الازدي الجهضمي البصري الصغير، وهو حفيد الجهضمي الكبير. ولد سنة نيف وستين. قال السراج وجماعة: مات سنة 250 هـ

مراجع: موارد الظمآن لدروس الزمان/ إيقاظ أولي الهمم العالية/ موسوعة الدين النصيحة/ الإيضاح والتبيين لبعض صفات المؤمنين/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ تهذيب الكمال/

أخرج ابن عساكر عن يحيى بن أكثم[1] قال: كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء ؛ فجاء رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله في يده ؛ فوقف على طرف البساط وقال: السلام عليكم ؛ فرد عليه المأمون ؛ فقال: أتأذن لي في الدنو؟ قال: أدن وتكلم. قال: أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت فيه، جلسته باجتماع الأمة، أم بالمغالبة والقهر؟! قال: لا بهذا ولا بهذا، بل كان يتولى أمر المسلمين من عقد لي ولأخي، فلما صار الأمر إلي علمت أني محتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين في الشرق والغرب على الرضاء بي ؛ فرأيت أني متى خليت الأمر اضطرب حبل السلام، وخرج عهدهم وتنازعوا، وبطل الجهاد والحج، وانقطعت السبل؛ فقمت حياطة للمسلمين، إلى أن يجمعوا على رجل يرضون به؛ فأسلم له الأمر؛ فمتى اتفقوا على رجل خرجت له من الأمر. فقال الرجل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وذهب. فوجه المأمون من يكشف خبره؛ فرجع وقال: يا أمير المؤمنين، مضى إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلا في مثل هيئته؛ فقالوا له: ألقيت الرجل؟ قال: نعم، وأخبرهم بما جرى. قالوا: ما نرى بما قال بأسا، وافترقوا؛ فقال المأمون: كفينا مؤنة هؤلاء بأيسر الخطب.

■ (1) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

☪

قال ابن تغري: سمع المأمون الحديث في صغره ، وبرع في الفقه، والعربية، وأيام الناس، والأدب. ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل حتى مهر فيهما ؛ فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن وامتحان العلماء؛ ولولا ذلك لكان أعظم بني العباسي؛ لما اشتمل عليه من الحزم، والعزم، والعقل، والحلم، والعلم، والشجاعة، والسؤدد، والسماحة. وقال أبو معشر المنجم: كان أمارا بالعدل، محمود السيرة، فقيه النفس، يعد من كبار العلماء. وعن الرشيد قال: إني لأعرف في عبد الله حزم المنصور، ونسك المهدي، وعزة الهادي، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابع –يعني نفسه– نسبته، وقد قدمت محمدا عليه، وإني لأعلم أنه منقاد إلى هواه، مبذر لما حوته يداه، يشارك في رأيه الإماء والنساء، ولولا أم جعفر –يعني زبيدة– وميل بني هاشم إليه؛ لقدمت عبد الله عليه –يعني في ولاية العهد بالخلافة– إنتهى . ومن حلم المأمون: يحكى أن ملاحا مر على المأمون فقال : أتظنون أن هذا ينبل في عيني وقد قتل أخاه الأمين : فسمعها المأمون ؛ فتبسم وقال: ما الحيلة حتى أنبل في عين هذا السيد الجليل. وفي رواية: ومر المأمون متنكرا بحجام فسمعه يقول لآخر: سقط هذا المأمون من عيني منذ قتل أخاه! فبعث إليه ببدرة وقال: إن رأيت أن ترضى عني فعلت. قال محمد بن سوقة: كان إذا عصاه غلامه قال: ما أشبهك بسيدك! عبد الله بن طاهر: كنت عن المأمون ثاني اثنين، فنادى: يا غلام، يا غلام، بأعلى صوته، فدخل غلام تركي فقال: ألا ينبغي للغلام أن يأكل أو يشر أو يتوضأ أو يصلي!؟ كلما خرجنا من عندك تصيح: يا غلام، يا غلام! إلى كم يا غلام، يا غلام؟ فنكس راسه طويلا، فما شككت أنه يأمرني بضرب عنقه، فقال: يا عبد الله إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه، وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه، فلا تستطيع أن نسيء أخلاقنا لتحسن أخلاق خدمنا.وكان كسرى يستصفي الحجامين في كل سبع سنين ويقول:إنهم يبطرون إذا أثروا!. ويحكى عن المأمون قال: لو عرف الناس حبي للعفو؛ لتقربوا إلي بالجرائم، وأخاف أن أوجر عليه –يعني لكونه طبعا له–. ومن كلام المأمون: لا نزهة ألذ من النظر في عقول الرجال. وقال: أعيت الحيلة في الأمر إذا أقبل أن يدبر و إذا أدبر أن يقبل. وقال: أحسن المجالس ما نظر فيه إلى الناس. وقال: الناس ثلاثة مثل الغذاء لابد منه على كل حال و منهم كالدواء يحتاج إليه في حال المرض و منهم كالداء مكروه على حال.

☪

قال ابن أبي داود دخل رجل من الخوارج على المأمون فقال: ما حملك على خلافنا؟ قال: آية في كتاب الله تعالى، قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة] فقال له المأمون: ألك علم بأنها منزلة؟ قال: نعم، قال؛ وما دليلك؟ قال: إجماع الأمة، قال: فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل فارض بإجماعهم في التأويل، قال: صدقت. السلام عليك يا أمير المؤمنين.

وأخرج السلفي في الطيوريات عن حفص المدائني قال: أتى المأمون بأسود قد ادعى النبوة وقال: أنا موسى بن عمران فقال له المأمون: إن موسى بن عمران أخرج يده من جيبه بيضاء أخرج يدك بيضاء حتى أومن بك فقال الأسود: إنما جعل ذلك لموسى لما قال له فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات] فقل أنت كما قال فرعون، حتى أخرج يدي بيضاء، و إلا لم تبيض. وادعت امرأة النبوة على عهد المأمون، فأحضرت إليه فقال لها : من أنت؟ قال: أنا فاطمة النبية. فقال لها المأمون: أتؤمنين بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؟ قالت: نعم، كل ما جاء به فهو حق. فقال المأمون: فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم: لا نبي بعدي. قالت: صدق عليه الصلاة والسلام، فهل قال: لا نبية بعدي؟ فقال المأمون لمن حضره: أما أنا فقد انقطعت، فمن كانت عنده حجة فليأت بها، وضحك حتى غطى على وجهه. وادعى رجل النبوة، فقيل له: ما علامات نبوتك؟ قال: أنبئكم بما في نفوسكم. قالوا: فما في أنفسنا؟ قال: في أنفسكم أنني كذبت ولست بنبي. وكان في زمن المهدي رجل ادعى النبوة فأحضروه إلى المهدي. فقال له: ما أنت ؟ قال: نبي. قال: إلى من بعثت ؟ فقال له: ما أكثر فضولك ! إيش عليك ؟ قال: قل، وإلا أمرت بقتلك. قال: بعثت إلى أهل خراسان. قال: ولم لم تسافر إليهم؟ قال: ما معي نفقة، فضحك منه وأمر له بنفقة، وقال: هذا قد غلبت عليه المرة.

وأخرج عن ابن أبي دؤاد قال: سمعت المأمون يقول لرجل: إنما هو غدر أو يمن قد وهبتهما لك ولا تزال تسيء وتذنب وأغفر حتى يكون العفو هو الذي يصلحك. وعن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال:وقف رجل بين يدي المأمون قد جنى جناية فقال له: والله لأقتلنك فقال: يا أمير المؤمنين تأن علي فإن الرفق نصف العفو قال: وكيف وقد حلفت لأقتلنك؟ فقال: لأن تلقى الله حانثا، خيرا من أن تلقاه قاتلا، فخلى سبيله.

وأخرج الصولي عن عبد الله بن البواب قال: كان المأمون يحلم حتى يغيظنا وجلس مرة يستاك على دجله من وراء ستر –ونحن قيام بين يديه– فمر ملاح و هو يقول أتظنون أن هذا المأمون ينبل في عيني، وقد قتل أخاه الأمين؟ قال: فو الله ما زاد على أن تبسم وقال لنا: ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل؟!.

قال أبو الصلت عبد السلام بن صالح[1]: بت عند المأمون ليلة فنام القيم الذي كان يصلح السراج فقام المأمون وأصلحه وسمعته يقول: ربما أكون في المتوضأ فيشتمني الخدام ويفترون علي ولا يدرون أني أسمع فأعفو عنهم.

قال أبو عيسى الهاشمي حدثني أبي قال: كنت بحضرة المأمون فأحضر رجلا فأمر بضرب عنقه وكان الرجل من ذوى العقول، فقال ليحيى بن أكثم: إن أمير المؤمنين قد أمر بضرب عنقى وإن دمى عليه لحرام فهل لي في حاجة أسأله إياها لا تضر بدينه ولا مروءته فإذا فعل ذلك فهو في حل من دمى؟ فأظهر المأمون تحرجا، فقال ليحيى بن أكثم: سله عنها. فقال الرجل: يضع يده في يدي إلى الموضع الذي يضرب فيه عنقى فإذا فعل ذلك فهو في حل من دمى، فقام المأمون من مجلسه وضرب بيده إلى يد الرجل فلم يزل يخبره وينشده ويحدثه حتى كأنه بعض من آنس به، فلما أن رأى السياف والسيف والموضع الذي يكون فيه مثل هذه الحال انعطف، فقال لأمير المؤمنين:بحق هذه الصحبة والمحادثة لما عفوت، فعفا عنه وأجزل له الجائزة.

وقال: ما أعياني جواب أحد مثل ما أعياني جواب رجل من أهل الكوفة قدمه أهله فشكا عاملهم فقلت: كذبت بل هو رجل عادل فقال: صدق أمير المؤمنين وكذبت أنا قد خصصتنا به في هذه البلدة دون باقي البلاد [خذه] واستعمله على بلد آخر يشملهم من عدله وإنصافه مثل الذي شملنا فقلت: قم في غير حفظ الله وعزلته عنكم. في رواية: شكا أهل بلدة إلى المأمون واليا عليهم، فقال: كذبتم عليه، فقد صح عندي عدله فيكم وإحسانه إليكم، فقال شيخ منهم: يا أمير المؤمنين! فما هذه المحبة لنا دون سائر رعيتك؟ قد عدل فينا خمس سنين، فانقله إلى غيرنا حتى يشمل عدله الجميع، وتريح معنا الكل، فضحك منهم وصرفه عنهم. في رواية قيل: إنه شكي أحد الولاة إلى المأمون، فكذبهم، وقال: قد صح عندي عدله فيكم، وإحسانه إليكم، فاستحيوا أن يردوا عليه، فقام شيخ منهم، وقال: يا أمير المؤمنين، إذا كان قد عدل فينا خمسة أعوام، فانقله إلى مصر آخر حتى يسع عدله جميع رعيتك وتربح الدعاء، فضحك المأمون واستحيا منهم، ونقله عنهم.

☪

أخرج الخطيب عن يحيى بن أكثم قال: ما رأيت أكرم من المأمون بت عنده ليلة فأخذه سعال فرأيته يسد فاه بكم قميصه حتى لا أنتبه، وكان يقول: أول العدل أن يعدل الرجل في بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ إلى الطبقة السفلي، وعن حفص المدائني قال: أن المأمون قال: ما انفتق علي فتق إلا وجدت سببه جور العمال، وأخرج ابن عساكر عن يحيى بن خالد البرمكي قال: قال لي المأمون: يا يحيى اغتنم قضاء حوائج الناس فإن الفلك أدور والدهر أجور من أن يترك لأحد حالا أو يبقي لأحد نعمة، وأخرج عن عبد الله بن محمد الزهري قال: قال المأمون: غلبة الحجة أحب إلي من غلبة القدرة لأن غلبة القدرة تزول بزوالها وغلبة الحجة لا يزيلها شيء، وأخرج عن العتبي قال: سمعت المأمون يقول: من لم يحمدك على حسن النية لم يشكرك على جميل الفعل، وأخرج عن أبي العالية قال: سمعت المأمون يقول: ما أقبح اللجاجة بالسلطان وأقبح من ذلك الضجر من القضاة قبل التفهيم وأقبح منه سخافة الفقهاء بالدين وأقبح منه البخل بالأغنياء والمزاح بالشيوخ والكسل بالشباب والجبن يالمقاتل، وأخرج عن علي بن عبد الرحيم المروزي قال: قال المأمون: أظلم الناس لنفسه من يتقرب إلى من يبعده ويتواضع لمن لا يكرمه ويقبل مدح من لا يعرفه، وأخرج عن مخارق قال: أنشدت المأمون قول أبي العتاهية: وإني لمحتاج إلى ظل صاحب..يروق ويصفو إن كدرت عليه. فقال لي: أعد فأعدت سبع مرات فقال لي: يا مخارق خذ مني الخلافة واعطني هذا الصاحب.وعن الجاحظ قال: قال ثمامة بن أشرس: ما رأيت رجلا أبلغ من جعفر بن يحيى والمأمون.

قال يحيى بن أكثم: سمعت المأمون يوم عيد خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال: عباد الله ! عظم أمر الدارين وارتفع جزاء العالمين، وطالت مدة الفريقين، فوالله إنه للجد لا اللعب، وإنه للحق لا الكذب، وما هو إلا الموت والبعث والحساب والفصل والميزان والصراط ثم العقاب أو الثواب، فمن نجا يومئذ فقد فاز. ومن هوى يومئذ فقد خاب، الخير كله في الجنة، والشر كله في النار.

■ (1) عبد السلام بن صالح بن سليمان بن أيوب، أبو الصلت الهروي الحافظ الرحال؛ رحل في طلب العلم إلى البلاد، وأخذ الحديث عن جماعة، وروى عنه غير واحد. قيل: إنه كان فيه تشيع.

مراجع: تاريخ الخلفاء/ الأعلام للزركلي / معجم المؤلفين/ سير أعلام النبلاء/ البداية والنهاية/ تاريخ الخلفاء/ مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ القلائد من فرائد الفوائد/ إيقاظ أولي الهمم العالية/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ محاضرات الأدباء/ ربيع الأبرار/

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) ورجل (٤) 0839

في المسامرة لابن عربي: أن المأمون[1] أشرف يوما من قصره فرأى رجلا قائما وبيده فحمة، وهو يكتب بها على حائط قصره، فقال المأمون لبعض خدمه: اذهب إلى ذلك الرجل، فانظر ما كتب وائتني به. فبادر الخادم إلى الرجل مسرعا وقبض عليه، وقال: ما كتبت؟ فإذا هو قد كتب هذين البيتين: يا قصر جمع فيك الشوم واللوم..متى يعشش في أركانك البوم..يوم يعشش فيك البوم من فرحي..أكون أول من ينعاك مرغوم. ثم إن الخادم قال للرجل: أجب أمير المؤمنين. فقال له: سألتك بالله لا تذهب بي إليه، فقال الخادم: لا بد من ذلك. فلما مثل بين يديه أعلمه الخادم بما كتبه، فقال له المأمون: ويلك ما حملك على هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنه لن يخفي عليك ما حواه قصرك من خزائن الأموال، والحلي والحلل، والطعام والشراب، والفرش والأواني، والأمتعة والجواري، والخدم، وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي، ويعجز عنه فهمي، وإني يا أمير المؤمنين قد مررت عليه الآن وأنا في غاية الجوع والفاقة، فوقفت مفكرا في أمري، وقلت في نفسي: هذا القصر عامر عال، وأنا جائع، ولا فائدة لي فيه، ولو كان خرابا وأنا مررت به لم أعدم منه رخامة أو خشبة أو مسمارا أبيعه وأتقوت بثمنه. أو ما علم أمير المؤمنين ما قال الشاعر؟! فقال المأمون: وما قال الشاعر؟. فقال: قال من الطويل: إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ..نصيب ولا حظ تمنى زوالها..وما ذاك من بغضي لها، غير أنه..يرجى سواها فهو يهوى زوالها. فقال المأمون: يا غلام، أعطه ألف دينار. ثم قال: هي لك كل سنة ما دام قصرنا عامرا بأهله. وفي مثل هذا المعنى قال الشاعر: من الطويل: إذا كنت في أمر فكن فيه محسنا..فعما قليل أنت ماض وتاركه..وكم دحت الأيام أرباب دولة..وقد ملكوا أضعاف ما أنت مالكه.

■ (1) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ.

قال طارق حسن السقا: إن الإنسان، كما يقول أنيس منصور، أمام الأوضاع التي لا يريدها يمر بأربع مراحل: مرحلة الغضب، مرحلة السخط، مرحلة التمرد، مرحلة الثورة. إن هذا الرجل وأمثاله –وهم بيننا كثرة– تمنى خراب قصر الحاكم كله، لينعم منه فقط بخشبة أو بمسمار ليتقوت بثمنه. ولكن الخطر لا يكمن هنا في مرحلة التمني، ولكنه يكمن في مرحلة ما بعد التمني. وهذا ما يجب أن يشغلنا جميعا. إن أمثال هؤلاء إن لم يتكاتف المجتمع بكل طوائفه (وخاصة رجال المال، والأعمال، والتجار، والميسورين) في حل مشكلاتهم، وتخليصهم من الحذاء الضيق، فقد يكون البديل إما مرحلة التمرد، وإما مرحلة الثورة. وعندها لن يأمن صاحب مال على ماله، ولا صاحب أعمال على أعماله، ولا صاحب ملك على أملاكه، أمام جوع الجائعين، وفقر العاطلين، وحاجة المحتاجين من أصحاب الأحذية الضيقة. إن الإسلام لما فرض على المسلمين فريضة الزكاة، إنما أراد أن يقر في المجتمع مبدأ، به يأمن الغني، وينعم الفقير. فالزكاة تهدف إلى تحقيق مبدأ سام في مجتمعاتنا الإسلامية ألا وهو:اكسب ويكسب معك الآخرون، لتنعم وينعم معك الآخرون، ولتأمن وليأمن معك الآخرون. لذلك من الحكمة أن ينظر كل منا إلى أمواله على أنها ملكية عامة وليست ملكية خاصة؛ وذلك ليسهل على النفس الإنفاق منها، والتصدق بها، عن طيب نفس وقت الحاجة دون تلكؤ أو تسويف. ومن الحكمة أيضا ألا نغلب الإيمان بالميزان التجاري على الإيمان بالميزان الإلهي. صحيح أن الميزان التجاري يقول إن 3–1 = 2، ولكن الميزان الإلهي يقول:يا ابن آدم أنفق أنفق عليك. دقق في المحصلتين ستري عجبا. إن سلعة القادة العظام، كما يقول أنطوني روبنز، هي الأفعال وليست الأقوال. وما نحن مطالبون به الآن أن نبدأ على الفور؛ نبدأ بطرق باب جار، أو بالبحث عن فقير، نبدأ بفعل شيء، أو باتخاذ قرار، أو بالتفكير في (سيناريوهات) بها يساعد كل قادر في تحويل أحد العاطلين من دائرة الفقر إلى دائرة الاكتفاء؛ ومن ثم إلي دائرة الإنتاج. إن أفضل طريقة لمساعدة الفقير ليست هي أن نعطيه سمكة، ولكن أن نعلمه كيف يصيد السمكة، كما تقول الحكمة الصينية القديمة. إن أفضل طريقة لمساعدة الفقراء ليست أن نعطيهم مالا، إنما أن نبين لهم أن أمامهم مجموعة من الاختيارات والبدائل يمكن أن تساعدهم في تنمية مواردهم حتى يصلوا إلى الاكتفاء، ومن ثم الانتقال إلي دائرة العطاء. هذه هي الثقافة التي يجب أن نتحلى بها، وننشرها في مجتمعاتنا، هذه هي الثقافة التي يجب أن يتبناها رجال الأعمال يدا بيد مع المؤسسات الرسمية في الدولة إذا أردنا تحقيق معدلات إيجابية في تقليص أعداد أصحاب الأحذية الضيقة في مجتمعاتنا.

قال عبد الله بن سويد: رأيت سعدون المجنون وبيده فحمة وهو يكتب بها على قصر خراب: يا خاطب الدنيا إلى نفسه..إن لها في كل يوم خليل..ما أقبح الدنيا بخطابها..قتلهم عمدا قتيلا قتيل..تستنكح البعل وقد وطنت..في موضع آخر منه البديل..إني لمغتر وإن البلى..يعمل في نفسي قليلا قليل..تزودا للموت زادا فقد..نادى مناديه الرحيل الرحيل.

قعد المأمون يوما للمظالم فقدم سلم صاحب الحوائج بضعة عشر رجلا فنظر في مظالمهم وأمر فقضى حوائجهم وكان فيهم نصراني من أهل كشكر* كان قد صاح بالمأمون غير مرة وقعد له في طريقه فلما بصر به المأمون اثبته معرفة فقال ابطحوه: فضربه عشرين درة ثم قال لسلم قل له: تعود تصيح بي؟ فقال له سلم وهو مبطوح فقال النصراني قل له: أعود، وأعود وأعود، حتى تنظر في حاجتي فأبلغه سلم ما قال، فقال: هذا مظلوم موطن نفسه على القتل أو قضاء حاجته، ثم قال لأبي عباد: اقض حاجة هذا كائنا ما كانت الساعة.

وسرق شاب سرقة، فتي به إلى المأمون فأمر بقطع يده فتقدم لتقطع يديه فأنشد الشاب يقول: يدي، يا أمير المؤمنين، أعيذها..بعفوك أن تلقى نكالا يشينها..فلا خير في الدنيا ولا راحة بها..إذا ما شمال فارقتها يمينها. وكانت أم الشاب واقفة على رأسه، فبكت وقالت: يا أمير المؤمنين إنه ولدي وواحدي، ناشدتك الله إلا رحمتني وهدأت لوعتي وجدت بالعفو عمن استحق العقوبة. فقال المأمون: هذا حد من حدود الله تعالى. فقالت: يا أمير المؤمنين! اجعل عفوك عن هذا الحد ذنبا من الذنوب التي تستغفر منها. فرق لها المأمون وعفا عنه.

قال العصامي: وقد نادى المأمون بإباحة المتعة فلم يجسر أحد ينكر عليه، فروى له يحيى بن أكثم حديث الزهري، عن ابني الحنفية، عن أبيهما محمد بن علي رضي الله تعالى عنهما أنه عليه الصلاة والسلام نهى عن متعة النساء يوم خيبر، فلما صح له الحديث رجع إلى الحق ونادى بإبطالها. وأما مسألة خلق القرآن فصمم عليها ولم يرجع عنها في سنة ثمان عشرة، وامتحن العلماء بها فعوجل ولم يمهل، توجه في هذه السنة غازيا إلى أرض الروم، فلما وصل إلى البذندون مرض واشتد به المرض، فأوصى بالخلافة إلى أخيه المعتصم بن الرشيد، وأما المؤتمن المعقود له العهد بعده فقد كان خلعه قبل حين، وجعل الرضي مكانه فيما تقدم سنة إحدى ومائتين، فلما ورد نزل على عين البذندون فأقام هناك واعتل.

قال المسعودي: أعجبه برد ماء العين وصفاؤها وطيب الموضع وكثرة الخضرة، وقد طرح له درهم في العين فقرأه فيها لفرط صفائها، ولم يقدر أحد أن يسبح فيها لشدة بردها، فرأى سمكة نحو الذراع كأنها الفضة فجعل لمن يخرجها سيفا، فنزل فراش فاصطادها وطلع، فاضطربت وفرت إلى الماء، فنضح صدر المأمون ونحره وابتل ثوبه، ثم نزل الفراش ثانية فأخذها فقال المأمون: يقلي الساعة، ثم أخذته رعدة وتغطى باللحف وهو يرتعد ويصيح، فأوقدت حوله نار، ثم أتى بالسمكة فما ذاقها لشغله بحاله، ثم أفاق من غمرته فسأل عن تفسير اسم المكان بالعربي فقيل له: مد رجليك، فتطير به، وسأل عن تفسير البقعة قيل: الرقة، وكان فيما علم من مولده أنه يموت بالرقة فكان يتجنب نزول الرقة، فلما سمع هذا من الروم عرف وأيس وقال: يا من لا يزول ملكه، ارحم من زال ملكه، وأجلس المعتصم عنده من يلقنه الشهادة، فرفع الرجل بها صوته، فقال له ابن ماسويه: لا تصح، فوالله ما يفرق الآن بين ربه وبين ماني. ففتح المأمون عينيه وبهما من عظم الورم والحمرة أمر شديد، وأقبل يحاول بيديه البطش بابن ماسويه، ورام مخاطبته فعجز، فرمز بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه دموعا وقال في الحال: يا من لا يموت، ارحم من يموت، ثم قضى في يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين، فنقله ابنه العباس وأخوه المعتصم إلى طرسوس، فدفن هناك. ولما ورد خبر وفاته بغداد قال أبو سعيد المخزومي: من الخفيف: هل رأيت النجوم أغنت عن المأ..مون يوما أو ملكه المأسوس..خلفوه بعرصتي طرسوس..مثل ما خلفوا أباه بطوس. وكانت مدة خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوما، وعمره ثمان وأربعون سنة وأربعة أشهر.

----

* (كشكر) أو كسكر بين واسط والبصرة كانت بلدة تاريخية على نهر دجلة بسواد العراق بناها شابور الأول الساساني كمركز لتوطين الأسرى الروم خلال حملاته في سوريا الرومانية بمنتصف القرن الثالث الميلادي

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ فوات الوفيات/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) ورجل (٥) 0840

قال العتبي[1]:جاءني رجل من أصحاب الصنعة فقال: أذكرني لأمير المؤمنين فإني أحل الطلق* بين يديه في يوم وبعض آخر. فقلت: يا هذا، أربح العناء وأجلس في بيتك ولا تعرض لأمير المؤمنين من نفسك قال: فالحل عليه حرام، وماله صدقة، وكل مملوك له حر إن كان كذبك فيما قال. ثم قال:وأخرى والله ما آخذ منكم شيئا عاجلا، وقد أدعيت أمرا فأمتحنوني فيه فإن جاءكما أدعيت كان الأمر في إليكم وإن وقع بخلاف ذلك انصرفت إلى منزلي. فأخبرت المأمون بها. قال: فتمثل بيت الفرزدق: وقبلك ما أعييت كاسر عينه..زيادا فلم يقدر على حبائله. ثم قال: لعل هذا أراد أن يصل إلينا فأحتال بهذه الحيلة؛ وليس الرأي إن يعرض علينا أحد علما فنظهر الزهد فيه فأحضره قال: فجئت بالرجل وقعد له المأمون وأحضرت أداة العمل قال: فإذا هو بحل الطلق أفضل مني بها في السماء السابعة. فنظر إلى المأمون وقال: ألم تزعم أنه قد حلف لك بالطلاق والعتاق*وصدقة ما يملك؟ قلت: بلى، قال: قد حنث. فقلت للرجل والمأمون يسمع: ألم تحلف بالطلاق؟ قال: ليست لي امرأة، قلت: فالعتاق؟ قال: ومالي مملوك، قلت: فصدقة ما تملك؟ قال: ما أملك خيطا ومخيطا، قلت: كذب يا أمير المؤمنين معه دابة وله غلام قال: هذا عارية*. فتبسم المأمون وقال: هذا بحل الدراهم أعلم منه بحل الطلق ثم أمر أن يعطي خمسة ألف درهم، فلما خرج قال للعتبي: رده. فرده وقال: زيدوه مثلها فليس يجد في كل وقت من يمخرق* عليه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين عندي باب من الحملان ليس في الدنيا مثله، قال: أحمله على هذه الدراهم فإن كنت صادقا صرت ملكا.

----

* (الطلق) كمثل وهو حجر براق يتشظى إذا دق صفائح وشظايا يتخذ منها مضاوي للحمامات بدلا عن الزجاج. وأجوده اليماني، ثم الهندي، ثم الأندلسي.قال الصاغاني: وهو من جنس الأحجار واللخاف (حجارة بيض رقاق)، وليس بنبت. وقالوا: من عرف حل الطلق استغنى عن الخلق. والحيلة في حله: أن يجعل في خرقة مع حصوات، ويدخل في الماء الفاتر، ثم يحرك برفق حتى ينحل، ويخرج من الخرقة في الماء، ثم يصفى عنه الماء، ويشمس ليجف.(بالطلاق والعتاق) قيل: يكره الحلف بالطلاق والعتاق لقوله عليه الصلاة والسلام:﴿مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ﴾ ولأنها من أيمان الفساق كما ورد ذلك في حديث اختلف في رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله:﴿الطَّلَاقُ وَالْعَتَاقُ مِنْ أَيْمَانِ الْفُسَّاقِ﴾ (العارية) ما استعرت من شيء سميت به لأنها عار على من طلبها يقال : هم يتعاورون من جيرانهم الماعون والأمتعة (التخرق) لغة في التخلق من الكذب وخرق الكذب وتخرقه وخرقه كله اختلقه قال الله تعالى ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام] قرأ نافع وحده وخرقوا له بتشديد الراء وسائر القراء قرؤوا وخرقوا بالتخفيف قال الفراء معنى خرقوا افتعلوا ذلك كذبا وكفرا وقال وخرقوا واخترقوا وخلقوا واختلقوا واحد قال أبو الهيثم الإختراق والاختلاق والاختراص والافتراء واحد ويقال خلق الكلمة واختلقها وخرقها واخترقها إذا ابتدعها كذبا وتخرق الكذب

■ (1) أبو عبد الرحمن، محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي المعروف بالعتبي، كان أديبا فاضلا شاعرا مجيدا، وكان يروي الأخبار وأيام العرب.توفي العتبي سنة 228 هـ.

قال معاوية: لا حلم إلا التجارب. وقال: لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أن في قلبه علي ضغنا فأستشيره، فيثير إلي منه بقدر ما يجده في نفسه فلا يزال يوسعني شتما وأوسعه حلما حتى يرجع صديقا أستعين به فيعينني وأستنجده فينجدني. نظر معاوية إلى ابنه يزيد وهو يضرب غلاما له، فقال له: أتفسد أدبك بأدبه؟ فلم ير ضاربا غلاما له بعد ذلك. قيل لـ يحيى بن خالد: إنك لا تؤدب غلمانك ولا تضربهم. قال: هم أمناؤنا على أنفسنا فإذا نحن أخفناهم فكيف نأمنهم. وكان يقال: الحليم مطية الجهول. وذكر أعرابي رجلا فقال: كان أحلم من فرخ طائر. وفي الإنجيل: كونوا حلماء كالحيات وبلهاء كالحمام. قال بعض الشعراء: إني لأعرض عن أشياء أسمعها..حتى يقول رجال إن بي حمقا..أخشى جواب سفيه لا حياء له..فسل، وظن أنا س أنه صدقا. قال الأحنف بن قيس: إني لست بحليم ، ولكني أتحالم. وقال الأحنف: من لم يصبر على كلمة سمع كلما ت ورب غيظ قد تجرعته مخافة ما هو أشد منه. قال أكثم بن صيفي: العز والغلبة للحلم. قال علي بن أبي طالب رضي الله عليه: أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجهول. وقال المنصور: عقوبة الحلماء التعريض، وعقوبة السفهاء التصريح. قال الأصمعي: بلغني أن رجلا قال لآخر: والله لئن قلت واحدة لتسمعن عشرا، فقال له الآخر: لكنك إن قلت عشرا لم تسمع واحدة. وبلغني أن رجلا شتم عمر بن ذر فقال له: يا هذا لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعا فإني أمت مشاتمة الرجال صغيرا ولن أحييها كبيرا، وإني لا أكافئ من عصى الله في بأكثر من أن أطيع الله فيه. قال بعض المحدثين: وإن الله ذو حلم ولكن..بقدر الحلم ينتقم الحليم..لقد ولت بدولتك الليالي..وأنت معلق فيها ذميم..وزلت لم يعش فيها كريم..ولا استغنى بثروتها عديم..فبعدا لا انقضاء له وسحقا..فغير مصابك الحدث العظيم. قال المدائني: كان شبيب بن شيبة يقول: من سمع كلمة يكرهها فسكت عنهم انقطع عنه ما يكره، فإن أجاب عنهم سمع أكثر مما يكره. وكان يتمثل بهذا البيت: وتجزع نفس المرء من وقع شتمة..ويشتتم ألفا بعدها ثم يصبر. أغضب زيد بن جبلة الأحنف، فوثب إليه فأخذ بعمامته وتناصبا، فقيل للأحنف: أين الحلم اليوم؛ فقال: لو كان مثلي أو دوني لم أفعل هذا به. كان يقال: آفة الحلم الضعف. وقال الجعدي: ولا خير في حلم إذا لم تكن له..بوادر تحمي صفوه أن يكدرا.

وقال إياس بن قتادة: تعاقب أيدينا ويحلم رأينا..ونشتم بالأفعال لا بالتكلم . قال أبو اليقظان: كان المتشمس بن معاوية عم الأحنف يفضل في حلمه على الأحنف قبل، فأمره أبو موسى أن يقسم خيلا في بني تميم فقسمها، فقال رجل من بني سعد: ما منعك أن تعطيني فرسا؟ ووثب عليه فمرش وجهه، فقام إليه قوم ليأخذوه، فقال. دعوني وإياه، إني لا أعان على واحد، ثم انطلق به إلى أبي موسى، فلما رآه أبو موسى سأله عما بوجهه فقال: دع هذا ولكن ابن عمي ساخط فاحمله على فرس ففعل للأحنف في قيس بن عاصم المنقري قيل للأحنف: ما أحلمك؛ قال: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري، بينا هو قاعد بفنائه محتب بكسائه، أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف وقيل له: هذا ابنك قتله ابن أخيك. فوالله ما حل حبوته حتى فرغ من كلامه، ثم التفت إلى ابن له في المجلس، فقال له: قم فأطلق عن ابن عمك ووار أخاك واحمل إلى أمه مائة من الإبل فإنها غريبة، ثم أنشأ يقول: إني أمرؤ لا شائن حسبي..دنس يغيره ولا أفن..من منقر في بيت مكرمة..والغصن ينبت حوله الغصن..خطباء حين يقول قائلهم..بيض الوجوه، أعفة لسن..لا يفطنون لعيب جارهم..وهم لحفظ جواره فطن. ثم أقبل على القاتل فقال: قتلت قرابتك، وقطعت رحمك، وأقللت عددك، لا يبعد الله غيرك. وقال الأحنف: لقد اختلفنا إلى قيس بن عاصم في الحلم كما نختلف إلى الفقهاء في الفقه بين الأحنف ورجل شتمه شتم رجل الأحنف يتبعه حتى بلغ حيه، فقال الأحنف: يا هذا إن كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره. شتم رجل الحسن وأربى عليه، فقال له: أما أنت فما أبقيت شيئا، وما يعلم الله أكثر. قال بعض الشعراء: لن يدرك المجد أقوام وإن كرموا..حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام..ويشتموا فترى الألوان مشرقة..لا صفح ذل ولكن صفح أحلام. قال شريح: الحلم كنز موفر. قال الشعبي: زين العلم حلم أهله. وعن طاووس، قال: ما جعل العلم، أو ما حمل العلم في مثل جراب حلم. عن سليمان بن موسى، قال: ما جمع شيء إلى شيء أزين من علم إلى حلم.

مراجع: تاريخ دمشق/ كتاب بغداد/ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار/ المحاسن والمساوئ/ الأنساب للسمعاني/ـمختصر تاريخ دمشق/ كتاب العين/ لسان العرب/ تاج العروس/ عيون الأخبار/

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) والفراء 0841

كان المأمون قد وكل الفراء[1] يلقن ابنيه النحو، فلما كان يوما أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له فتنازعا أيهما يقدمه ثم اصطلحا أن يقدم كل واحد منها فردا فقدمها، وكان المأمون له على كل شيء صاحب فرفع ذلك إليه في الخبر فوجه إلى الفراء، فاستدعاه فلما دخل عليه قال له: من أعز الناس؟ قال: ما اعرف أعز من أمير المؤمنين، قال: بلى، من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، قال: يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما عن ذلك، ولكن خشيت أن ادفعهما عن مكرمة سبقا إليها، أو اكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها. وقد يروى عن بن عباس، أنه أمسك للحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما ركابيهما حين خرجا من عنده، فقال له بعض من حضر: أتمسك لهذين الحديثين ركابيهما وأنت أسن منهما؟ قال له: اسكت يا جاهل لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل، قال له المأمون: لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوما وعتبا وألزمتك ذنبا، وما وضع ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدرهما، وبين عن جوهرهما، وقد ثبتت لي مخيلة الفراسة بفعلهما، فليس يكبر الرجل وإن كان كبيرا عن ثلاث: عن تواضعه لسلطانه، ووالده، ومعلمه العلم، وقد عوضتهما عما فعلاه عشرين ألف دينار ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما.

حدث رجل عن جعفر العطار قال: بينما يحيى بن أكثم[2] يماشي المأمون في بستان موسى والشمس عن يمينه والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحدثان إذ رأى المأمون أن يرجع في الطريق الذي جاء منه، فلما انتهى إلى الموضع الذي قصده قال يحيى: إنك جئت وعن يسارك الشمس وقد أخذت منك فكن أنت الآن في منصرفك حيث كنت وأكون أنا حيث كنت أنت، فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين لو أمكنني أن أقيك بنفسي من هول المطلع لفعلت فكيف لا أصبر على أذى الشمس ساعة؟ فقال: والله لا بد من أن آخذ منها كما أخذت منك وتأخذ منك وتأخذ من الظل كما أخذت منه! فصار المأمون في موضعه وصار يحيى في موضع المأمون وتماشيا وأخذ بيده فوضعها على عاتقه حتى صار إلى المجلس.

■ (1) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة سنة 144، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه، فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوما في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم. وتوفي في طريق مكة سنة 207 هـ. وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها، عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. من كتبه: المقصور والممدود ومعاني القرآن أملاه في مجالس عامة كان في جملة من يحضرها نحو ثمانين قاضيا، و المذكر والمؤنث وكتاب اللغات والفاخر في الأمثال، و ما تلحن فيه العامة و آلة الكتاب والأيام والليالي والبهي ألفه لعبد الله ابن طاهر، واختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف والجمع والتثنية في القرآن والحدود ألفه بأمر المأمون، ومشكل اللغة. وكان يتفلسف في تصانيفه. واشتهر بالفراء، ولم يعمل في صناعة الفراء، فقيل: لأنه كان يفري الكلام. ولما مات وجد كتاب سيبويه تحت رأسه، فقيل: إنه كان يتتبع خطأه ويتعمد مخالفته. وعرف أبوه زياد بالاقطع، لان يده قطعت في معركة فخ سنة 169 وقد شهدها مع الحسين بن علي بن الحسن، في خلافة موسى الهادي.

■ (2) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

الإمام البارع النحوي يحيى بن زياد الفراء الكوفي أجل أصحاب الكسائي، كان رأسا في النحو واللغة، أبرع الكوفيين وأعلمهم بفنون الأدب على ما ذكر بعض المؤرخين.قال ابن الأنباري: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من النحاة إلا الكسائي والفراء لكفى، وقال بعضهم: الفراء أمير المؤمنين في النحو. وقال سلمة: إني لأعجب من الفراء كيف يعظم الكسائي وهو أعلم بالنحو منه. وحكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية، لأنه خلصها وضبطها، ولولاه لسقطت العربية، لأنها كانت تتنازع، ويدعيها كل واحد. أخذ الفراء النحو عن أبي الحسن الكسائي، وهو الأحمر من أشهر أصحابه وأخصهم به. وحكي عن ثمامة بن الأشرس النميري المعتزلي وكان خصيصا بالمأمون أنه صادف الفراء، على باب المأمون يروم الدخول عليه، قال: فرأيت أبهة أديب، فجلست إليه، ففاتشته عن اللغة، فوجدته بحرا، وفاتشته عن النحو، فشاهدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدته رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم، وبالنجوم ماهرا، وبالطب خبيرا، وبأيام العرب وأشعارها حاذقا، فقلت: من تكون؟. وما أظنك إلا الفراء؟. قال: أنا هو، فدخلت فأعلمت أمير المؤمنين المأمون، فأمر بإحضاره لوقته، وكان ذلك سبب إيصاله به. وقال قطرب: دخل الفراء على الرشيد، فتكلم بكلام لحن فيه مرات، فقال جعفر بن يحيى بن البرمكي: إنه قد لحن يا أمير المؤمنين، فقال الرشيد: أتلحن؟ فقال الفراء: يا أمير المؤمنين، إن طباع أهل البدو الأعراب، وطباع أهل الحضر اللحن، فإذا تحفظت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت، فاستحسن الرشيد قوله.قال اليافعي: قلت: وأيضا فإن عادة المتنهين في النحو لا يتشدقون بالمحافظة على إعراب كل كلمه عند كل أحد، قد يتكلمون بالكلام الملحون تعمدا على جاري عادة الناس، وإنما يبالغ في النحو والتحفظ عن اللحن في سائر الأحوال، فالمبتدئون إظهارا لمعرفتهم بالنحو وكذلك يكثرون البحث والتكلم بما هم مترسمون به من بعض فنون العلم، ويضرب لهم مثل في ذلك، فيقال، الإناء إذا كان ملآن كان عند حمله ساكنا، وإذا. كان ناقصا اضطرب، وتخضخض بما فيه.

قال الضحاك بن زمل: شهدت سليمان بن عبد الملك وهو يعرض الخيل بدابق، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إن 'أبينا ' هلك، وعمد' أخانا' فأخذ ' مالُنا ' فقال: لا رحم الله أباك، ولا آجر أخاك، ولا ردّ عليك مالك. يا غلام، السوط.

قال: فأول سوط ضُرب قال: بُسْم الله. قال: دعوا عدوّ الله، لو كان تاركاً اللحن في وقت لتركه الآن.

☪

قال ابن طيفور: كان المأمون أفضل خلفاء بني العباس علما وحلما وبيانا وسياسة وجودا، قال سهل بن هارون[1]: ما رأيت أنطق من المأمون، وقال سهل يوما، وهو عند المأمون: من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن يرغبوا فيه، وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال، فقال المأمون: قد يسمي الناس الشيء علما وليس بعلم، فإن كنت هذا أردت فوجهه الذي ذكرناه، ولو قلت: إن العلم لا يدرك غوره، ولا يسبر قعره، ولا تبلغ غايته، ولا تستقصى أصنافه، ولا يضبط آخره، فإذا كان الأمر كذلك فابدؤوا بالأهم فالأهم، وابدؤوا بالفرض قبل النفل، كان ذلك عدلا وقولا قصدا. وقد قال بعض العلماء: اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهى إلى نفسك وأخف على قلبك، فإن نفاذك فيه على قدر شهوتك له وسهولته عليك. وقال بعض الحكماء: لست أطلب العلم طمعا في بلوغ غايته والوقوف على نهايته، ولكن التماس ما لا يسع جهله. وقال آخرون: علم الملوك النسب والخبر وجمل الفقه، وعلم التجار الحساب والكتاب، وعلم أصحاب الحرب درس كتب المغازي وكتب السير. فأما أن تسمي الشيء علما ثم تنهى عنه من غير أن يكون يشغل عما هو أنفع منه، بل تنهى نهيا جزما وتأمر أمرا حتما، والعلم بصر وخلافه عمى، والاستبانة للشر ناهية عنه والاستبانة للخير آمرة به.

☪

كان بشكست[2] نحويا بارعا يكره اللحن في الكلام ويأنف منه، وقد عرف عنه ذلك، وله فيه حكايات منها ما رواه ابن عساكر في قوله: وفد بشكست النحوي على هشام بن عبد الملك، فلما حضر الغداء دعاه هشام، وقال لفتيان بني أمية: تلاحنوا عليه، فجعل بعضهم يقول يا أمير المؤمنين: رأيت أبي فلان، ويقول آخر: مربي أبي فلان، ونحو هذا، فلما ضجوا أدخل [بشكست] يده في صحفة فغمسها ثم طلى لحيته، وقال لنفسه: ذوقي، هذا جزاؤك في مجالسة الأنذال.

■ (1) سهل بن هارون بن راهبون (أو راهيون) أبو عمرو الدستميساني: كاتب بليغ، حكيم، من واضعي القصص، يلقب (بزرجمهر الإسلام) فارسي الأصل، اشتهر في البصرة، واتصل بخدمة هارون الرشيد، وارتفعت مكانته عنده، حتى أحله محل يحيى البرمكي صاحب دواوينه. ثم خدم المأمون فولاه رياسة خزانة الحكمة ببغداد. وكان شعوبيا، يتعصب للعجم على العرب. والجاحظ كثير الإعجاب به، وأخباره مع الخلفاء والأمراء كثيرة. له كتاب ثعلة وعفرة، على نسق كليلة ودمنة، ألفه للمأمون، وكتاب الاخوان والمسائل والمخزومي والهذلية وديوان رسائل وسحرة = أو شجرة = العقل. وتدبير الملك والسياسة والرياض، وغير ذلك.ولا نعلم شيئا عن مصير كتبه، إلا رسالة له في البخل. توفي سنة 215 هـ.

■ (2) عبد العزيز القارىء الملقب ببشكست، المديني النحوي الشاعر وفد على هشام بن عبد الملك، وقدم بشكست مصر، وانقطع إلى رجاء بن الأشيم، ومدحه، ورثاه حين قتل. وكان بشكست نحويا، أخذ عنه أهل المدينة النحو، وكان يذهب مذهب الشراة، ويكتم ذلك، فلما ظهر أبو حمزة الشاري بالمدينة خرج معه، فقتل فيمن قتل. وكان وقعة أبي حمزة بأهل المدينة سنة 130 هـ.

مراجع: تاريخ بغداد/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ الإنصاف في مسائل الخلاف/ معجم الأدباء/ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) والمرتد الخراساني 0842

ذكر عن ثمامة قال: أرتد رجل من أهل خراسان فأمر المأمون[1] بحمله إلى مدينة السلام فلما أدخل عليه أقبل بوجهه إليه ثم قال له: لأن أستحييك بحق واجب أحب إلى من أن أقتلك بحق، ولأن أدفع عنك بالتهمة وقد كنت مسلما بعد أن كنت نصرانيا وكنت في الإسلام أفيح [مكانا] وأطول أياما فاستوحشت مما كنت به آنسا ثم لم تلبث أن رجعت عنا نافرا فخبرنا عن الشيء الذي أوحشك من الشيء الذي صار آنس لك من إلفك القديم وإنسك الأول، فإن وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به، والمريض من الأطباء يحتاج إلى المشاورة، وإن أخطأك الشفاء ونبا عن دائك الدواء، كنت قد أعذرت ولم ترجع على نفسك باللائمة، فإن قتلناك قتلناك بحكم الشريعة، أو ترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثقة، وتعلم أنك لم تقصر في اجتهاد ولم تفرط في الدخول في باب الحزم. قال المرتد: أوحشني كثرة ما رأيت من الاختلاف فيكم. قال المأمون: لنا اختلافان، أحدهما كالاختلاف في الأذان وتكبير الجنائز، والاختلاف في التشهد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ووجوه القراءات واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك، وليس هذا باختلاف وإنما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من المحنة، فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يؤثم من أذن مثنى وأقام فرادى، لا يتعايرون ولا يتعايبون، أنت ترى ذلك عيانا وتشهد عليه بيانا، والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا وتأويل الحديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم، مع إجماعنا على أصل التنزيل وإتفاقنا على عين الخبر، فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكرت هذا الكتاب فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقا على تأويله، كما يكون متفقا على تنزيله، ولا يكون بين جميع اليهود والنصارى اختلاف في شيء من التأويلات، وينبغي لك ألا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها، ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكنا لم نر شيئا من الدين والدنيا دفع لنا على الكفاية، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة، وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل، وليس على هذا بنى الله تعالى الدنيا، قال المرتد : أشهد أن لا إله إلا الله واحد لا ند له ولا ولد، وأن المسيح عبده، وأن محمدا صادق، وأنك أمير المؤمنين حقا. فالتفت المأمون إلى أصحابه وقال: فروا عليه عرضه ولا تبروه في يومه هذا، ريثما يعتق إسلامه كي لا يقول عدوه إنه أسلم رغبة، ولا تنسوا بعد نصيبكم من بره وتأنيسه ونصرته والعائدة عليه.

■ (1) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

قال عبد الرحمن بن ناصر: المرتد هو من خرج عن دين الإسلام إلى الكفر بفعل أو قول أو اعتقاد أو شك. وقد ذكر العلماء رحمهم الله تفاصيل ما يخرج به العبد من الإسلام وترجع كلها إلى جحد ما جاء به أو جحد بعضه غير متأول في جحد البعض. فمن ارتد: استتيب ثلاثة أيام فإن رجع وإلا قتل بالسيف. عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ لِدِينِهِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ﴾ قال ابن قدامة: وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتدين. عن عكرمة أن عليا حرق قوما ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ﴾ قال الله تعالى:﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وليس من السيئات ما يمحو جميع الحسنات إلا الردة. وقال سلمان العودة: أما المنافق فإن أظهر نفاقه وثبت عليه ثبوتا شرعيا فقد أصبح زنديقا يجب قتله ولا يستتاب، بل قال كثير من أهل العلم والفقه: لا تقبل له توبة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء] قال ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى عمن دخل في الإيمان ثم رجع عنه ثم عاد فيه ثم رجع واستمر على ضلاله وازداد حتى مات فإنه لا توبة له بعد موته ولا يغفر الله له ولا يجعل له مما هو فيه فرجا ولا مخرجا ولا طريقا إلى الهدى. قال علي بن نايف: يقتل المرتد من غير استتابة إن قدر عليه، إذا كانت ردته مغلظة، لأن الردة تنقسم إلى قسمين:

- مغلظة، وهي ما تكون مصحوبة بمحاربة الله، ورسوله، وأوليائه من العلماء العاملين، وعداوتهم، والمبالغة في الطعن في الدين، والتشكيك في الثوابت.
- ومجردة، وهي التي لم تصحب بمحاربة ولا عداوة ولا طعن وتشكيك في الدين، وكل الآثار التي وردت في استتابة المرتد متعلقة بالردة المجردة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن الردة على قسمين: ردة مجردة، وردة مغلظة شرع القتل على خصوصها، وكلاهما قد قام الدليل على وجوب قتل صاحبها، والأدلة الدالة على سقوط القتل بالتوبة لا تعم القسمين، بل إنما تدل على القسم الأول ـ الردة المجردة ـ كما يظهر ذلك لمن تأمل الأدلة على قبول توبة المرتد، فيبقى القسم الثاني ـ الردة المغلظة ـ وقد قام الدليل على وجوب قتل صاحبها، ولم يأت نص ولا إجماع على سقوط القتل عنه، والقياس متعذر مع وجود الفرق الجلي، فانقطع الإلحاق، والذي يحقق هذه الطريقة أنه لم يأت في كتاب ولا سنة ولا إجماع أن كل من ارتد بأي قول أوبأي فعل كان فإنه يسقط عنه القتل إذا تاب بعد القدرة عليه، بل الكتاب والسنة والإجماع قد فرق بين أنواع المرتدين.

وقال في: نيل المآرب في تهذيب عمدة الطالب: ولا تقبل في الدنيا توبة من سب الله تعالى، أورسوله، سبا صريحا، أوتنقصه، ولا توبة من تكررت ردته، بل يقتل بكل حال، لأن هذه الأشياء تدل على فساد عقيدته.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في الحكمة من قتل المرتد: فإنه لو لم يقتل لكان الداخل في الدين يخرج منه، فقتله حفظ لأهل الدين وللدين، فإن ذلك يمنع من النقص ويمنعهم من الخروج عنه. ويقول عبد القادر عودة: وتعاقب الشريعة على الردة بالقتل لأنها تقع ضد الدين الإسلامي وعليه يقوم النظام الاجتماعي للجماعة، فالتساهل في هذه الجريمة يؤدي إلى زعزعة هذا النظام ومن ثم عوقب عليها بأشد العقوبات استئصالا للمجرم من المجتمع وحماية للنظام الاجتماعي من ناحية ومنعا للجريمة وزجرا عنها من ناحية أخرى، ولا شك أن عقوبة القتل أقدر العقوبات على صرف الناس عن الجريمة، ومهما كانت العوامل الدافعة إلى الجريمة فإن عقوبة القتل تولد غالبا في نفس الإنسان من العوامل الصارفة عن الجريمة ما يكبت العوامل الدافعة إليها ويمنع من ارتكاب الجريمة في أغلب الأحوال.

مراجع: تاريخ بغداد/ الأعلام للزركلي/ كتاب بغداد/ البيان والتبيين/ التذكرة الحمدونية/ سير أعلام النبلاء/ غرر الخصائص الواضحة/ موسوعة الدين النصيحة/ دروس للشيخ سلمان العودة/

أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) وبشر بن الوليد (١) 0843

قال بشر بن الوليد[1]: كان والله المأمون الملك حقا، ما رأيت خليفة قط كان الكذب عليه أشد منه على المأمون، وكان يحتمل كل آفة تكون بالإنسان إلا الكذب، قال فقال لي يوما: صف لي أبا يوسف القاضي[2] فإني لم أره، فوصفته له، فاستحسن صفته وقال: وددت أن مثل هذا بحضرتنا فتتزين به، ثم أقبل علي وقال: ما في الخلافة شيء إلا وأنا أحسن أن أدبره وأبلغ منه حيث أريد وأقوى عليه إلا أمر أصحابك، يعني القضاة، وما ظنك بشيء يتحرج منه علي بن هشام[3] ويتوقى سوء عاقبته ويكالب عليه الفقهاء وأهل التصنع؟ قال قلت: يا أمير المؤمنين ما أدري ما تقصده فأجيب عنه! قال: لكني أدريه وأدريك ولا والله ما تجيبني عنه ولا فيه بجواب مقنع، ثم قال: ولينا رجلا أشرت به قضاء الأبلة وأجرينا عليه في الشهر ألف درهم وما له صناعة ولا تجارة ولا كان له مال قبل ولايتنا إياه..وولينا رجلا آخر قضاء دمشق وأجرينا عليه ألف درهم في الشهر أشار به إلي محمد بن سماعة[4]، فأقام بها أربعة عشر شهرا، فوجهنا من يتبع أمواله في السر والعلانية ويتعرف حاله، فأخبر أنه وجد من ماله في هذا المقدار من دابة وغلام وجارية وفرش وأثاث قيمته ثلاثة آلاف دينار، وولينا رجلا أشار به إلي فلان نهاوند فأقام بها أربعة وعشرين شهرا، فوجهنا من يتبع أمواله فأخبرنا أن في منزله خدما وخصيانا بقيمة ألف وخمس مائة دينار سوى نتاج قد اتخذه، فهات ما عندك من الجواب! فقلت: ما عندي يا أمير المؤمنين جواب، قال: ألم أعلمك؟ ثم قال: وأكبر من هذا وأطم أني فزعت إلى علي بن هشام في رجل أوليه القضاء فقال: قد أصبت واحدا والله يشهد أنه سرني ورجوت أن يكون بحيث أحب، قلت: فاغد به علي، قال: أفعل، ثم غدا، فقلت: أين الرجل؟ فقال: لم أجده في الفقه بالموضع الذي يجب أن يتصل صاحبه بأمير المؤمنين، قال: فأنكرت عليه وأظهرت الغضب، فقال: يا أمير المؤمنين إن الرجل الذي ذكرته لك بالأمس هو علي بن مقاتل[5] وكان عندي من أهل العفاف والستر، فانصرفت بالأمس على أن أحضره، فوجهت إليه وأنا لا أشك أنه سيظهر الكراهية في ما أراد له أمير المؤمنين وإن كان يستبطن غيرها ويستعفي كفعل من يتصنع أو يكره ذلك بالحقيقة، فلما جاءني ألقيت إليه الذي أردته له فما تمالك أن وثب فقبل رأسي، فعلمت أنه لا خير عنده وأنه لو كان من أهل الفضل والخير لعد الذي دعي إليه إحدى المصائب، فلم أر لنفسي أن أحضره ولا أن يستعان بمثله، فقلت: جزاك الله خيرا عن إمامك أحسن ما جزى امرأ عن إمامه وهم دينك ونفسك، قال بشر: فبهت وانقطعت ولم أحر كلمة..... فقال: لا ولكن إن أردت العفيف النظيف الزاكي التقي الطاهر فقاضي الري هو بالحالة التي فارقته عليها والله ما غير ولا بدل، فأما قولكم في يحيى بن أكثم[6] فما ندري ما عيبه إلا أن ظاهره أنه أعف خلق الله عن الصفراء والبيضاء، ميل إلينا من أموال الحشوية أربع مائة ألف دينار، فأي نفس تسخو بهذا؟! قال بشر: فقلت يا أمير المؤمنين ما لك في الخلفاء شبيه إلا عمر بن الخطاب فإنه كان يفحص عن عماله وعن دفين أسرار حكامه فحصا شافيا، فكان لا يخفى عليه ما يفيد كل امريء وما ينفق، وكان من نأى عنه كمن دنا منه في بحثه وتنقيره، فقال المأمون: إن أهم الأمور كلها أمور القضاة والحكام إذ كنا قد ألزمناهم النظر في الدماء والأموال والفروج والأحكام فوددت أني أجد مائة حاكم وأني أجوع يوما وأشبع يوما.

----

(1) أبو الوليد بشر بن الوليد الكندي الفقيه سمع عبد الرحمن بن الغسيل ومالك بن أنس وتفقه بأبي يوسف روى عنه البغوي وأبو الوليد وحامد بن شعيب وولي قضاء ببغداد مدينة السلام (مدينة المنصور) للمأمون إلى سنة 213 هـ وكان واسع الفقه متعبدا وقد سعى به رجل إلى الدولة أنه لا يقول القرآن مخلوق فأمر به المعتصم أن يحبس في منزله فلما ولي المتوكل اطلقه ثم أنه شاخ واستولى عليه الهرم وفي آخر أمره. قال صالح جزرة هو صدوق لكنه خرف. وكانت وفاة بشر سنة 238هـ.

(6) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

(2) أبو يوسف القاضي [صاحب أبي حنيفة] هو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ. حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطاة. وحدث عنه يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وعلي بن الجعد، وأسد بن الفرات، وابن سماعة، وهلال الرأي، وعمرو الناقد، ومعلى بن منصور، ومحمد بن الحسن، وعدة.

(4) محمد بن سماعة بن عبد الله بن هلال التميمي، أبو عبد الله: حافظ للحديث، ثقة. تجاوز المئة وهو كامل القوة، وكان يصلي في كل يوم مئتي ركعة. ولي القضاء لهارون الرشيد، ببغداد، وضعف بصره، فعزله المعتصم. توفي سنة 233 هـ

(3) علي بن هشام بن فرخسروا، أبو الحسين المروزي أحد قواد المأمون.كان فارسا موصوفا بالشجاعة والإقدام، مع الظلم والفتك. وكان شاعرا مفلقا فاضلا. قدم دمشق مع المأمون، وكان نديمه،ولي كور الجبال، فأساء السيرة، وقتل جماعة، وصادر، ثم هم بالخروج واللحوق ببابك الخرمي، فظفر به عجيف الأمير، وأتى به المأمون، فقتله، وقتل معه أخاه حسينا سنة 217 هـ بـ أذنة، من الثغور .

(5) هل هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها. وتوفى بالبصرة. كان متروك الحديث. 150 هـ

قال حارث سليمان الضاري رحمه الله: كان من سياسة عمر بن الخطاب المتميزة في الحكم متابعة الولاة والعمل ومساءلتهم، لأدنى ما يرفع عنهم أو يقال ضدهم، مهما علت مراتبهم، وسمت منازلهم في السبق إلى الإسلام، والفضل فيه، لذا نراه يحاسب أبا هريرة ويحاسب من هو دونه، ومن هو أعلى منه في مراتب الصحبة والفضل، كسعد بن أبي وقاص، أحد السابقين الأولين للإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومجابي الدعوة منهم، وكان عمر قد عزله عن إمرة الكوفة، وقال بعد وعليه فمساءلة عمر لبعض ولاته، وعزلهم أحياناً، كانت سياسة له كما أسلفنا، وليست بالضرورة إدانة لمن يعزلهم، لعله أراد أن يسن بها سنة لمن بعده من الخلفاء والأمراء.

قال علي الصلابي: كان عمر بن عبد العزيز يدقق في اختيار القضاة حتى لا يبتلى الناس بقاض يتخبط فيهم بغير حق، ولهذا فقد اشترط عمر بن عبد العزيز في القاضي خمسة شروط ولا يجوز له أن يلي القضاء حتى تكتمل فيه هذه الشروط وهي: العلم، والحلم، والعفة، والاستشارة، والقوة في الحق. فعن مزاحم بن زفر قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز في وفد أهل الكوفة فسألنا عن بلدنا وأميرنا وقاضينا، ثم قال: خمس إن أخطأ القاضي منهن خصلة كانت فيه وصمة، أن يكون فهيما، وأن يكون حليما وأن يكون عفيفا وأن يكون صليبا وأن يكون عالما يسأل عما لا يعلم، وفي رواية عن يحيى بن سعيد عن عمر بن عبد العزيز قال: لا ينبغي للقاضي أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوي الرأي، لا يبالي ملامة الناس. وقد قال بهذا المعنى عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وذهب الأئمة الأربعة إلى موافقة عمر بن عبد العزيز في كل أو جل هذه الصفات.

قال المأمون الناس ثلاثة: رجل منهم مثل الغذاء لابد منه، ومنهم كالدواء يحتاج إليه في حال المرض، ومنهم كالداء مكروه على كل حال. وعنه قال: لا نزهة ألذ من النظر في عقول الرجال. وعنه: غلبة الحجة أحب إلي من غلبة القدرة. وعنه: الملك يغتفر كل شيء، إلا القدح في الملك، وإفشاء السر، والتعرض للحرم. وعنه: أعيت الحيلة في الأمر إذا أقبل أن يدبر وإذا أدبر أن يقبل. قال ابن منظور: قيل للمأمون يوما: يا أمير المؤمنين، لو نصبت للناس رجلا وأقمته لحوائجهم، فتشاغل بهم واقتصرت عليه بينك وبين الرعية، ولم تشغل نفسك بالاستماع إلى كل داخل، فقال المأمون: إني بسطت للناس في الكلام، وأذنت لهم علي، وجعلت حوائجهم بيني وبينهم لتصل إلي أخبارهم، وأعرف مبلغ عقولهم، وأعطي كل امرئ منهم على قدره، فيكون كل إنسان وجميل حاجته، ولسان طلبته خارجا عن يدي شكله والطلب إلى مبلغ، ولو جعلت ذلك إلى أحد لضاق على الرعية المذهب، وخفيت علي أمورهم، وحبست عني أخبارهم، وموطلوا بحوائجهم وتآمر عليهم غيري، وكان الحمد والمن لواحد في زمانهم دوني ودون أوليائي، وخفت مع هذا أن لو نصبت لهم رجلا لا أشكر على صنيعة، فينسون نعمتي أوليائي ويستعبدهم غيري، فأكون قد صيرت أحرارا أرقاء.

مراجع: المحاسن والمساوئ/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ الطبري/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ أبو هريرة للضاري/ عمر بن عبد العزيز/ تسهيل الوصول لفوائد سير أعلام النبلاء/

كان بشر بن الوليد الكندي[1]، قاضي المأمون ببغداد، قد ضرب رجلا قرف* بأنه شتم أبا بكر وعمر، وأطافه على جمل، فلما قدم المأمون أحضر الفقهاء، فقال: إني قد نظرت في قضيتك، يا بشر، فوجدتك قد أخطأت بهذا خمس عشرة خطيئة، ثم أقبل على الفقهاء، فقال: أ فيكم من وقف على هذا؟ قالوا: وما ذاك، يا أمير المؤمنين؟ فقال: يا بشر بم أقمت الحد على هذا الرجل قال: بشتم أبي بكر وعمر. قال: حضرك خصومه قال: لا، قال فوكلوك؟ قال: لا، قال: فللحاكم أن يقيم حد القرفة بغير حضور خصم؟ قال: لا ! قال: وكنت تأمن أن يهب بعض القوم حصته، فيبطل الحد؟ قال: لا ! قال: فأمها كافرتان أو مسلمتان؟ قال: بل كافرتان. قال: فيقام في الكافرة حد المسلمة؟ قال: لا ! قال: فهبك فعلت هذا بما يجب لأبي بكر وعمر من الحق، أفيشهد عندك شاهدا عدل؟ قال: قد زكي أحدهما. قال: فيقام الحد بغير شاهدين عدلين؟ قال: لا ! قال: ثم أقمت الحد في رمضان، فالحدود تقام في شهر رمضان؟ قال: لا ! قال: ثم جلدته وهو قائم، فالمحدود يقام؟ قال: لا ! ثم شبحته* بين العقابين، فالمحدود يشبح؟ قال: لا ! قال: ثم جلدته عريانا، فالمحدود يعرى؟ قال: لا ! قال: ثم حملته على جمل، فأطفته، فالمحدود يطاف به قال لا، قال ثم حبسته بعد أن أقمت عليه الحد، فالمحدود يحبس بعد الحد؟ قال: لا ! قال: لا يراني الله أبوء بإثمك وأشاركك في جرمك، خذوا عنه ثيابه، وأحضروا المحدود ليأخذ حقه منه. فقال له من حضر من الفقهاء: الحمد لله الذي جعلك عاملا بحقوقه، عارفا بأحكامه، تقول الحق، وتعمل به، وتأمر بالعدل، وتؤدب من رغب عنه، إن هذا، يا أمير المؤمنين، حاكم أجد برأيه فأخطأ، فلا تفضح به الحكام، وتهتك به القضاء. فأمر به، فحبس في داره حتى مات.

قال ابن تغري: كان بشر بن الوليد بن خالد، الإمام أبو بكر الكندي الحنفي؛ من العلماء الأعلام وشيخا من مشايخ الإسلام؛ كان عالما دينا صالحا عفيفا مهابا، وكان يحيى بن أكثم[2] شكاه إلى الخليفة المأمون؛ فاستقدمه المأمون وقال له: لم لا تنفذ أحكام يحيى؛ فقال: سألت عنه أهل بلده فلم يحمدوا سيرته؛ فصاح المأمون: اخرج اخرج؛ فقال يحيى بن أكثم: قد سمعت كلامه يا أمير المؤمنين فاعزله؛ فقال: لا والله لم يراعني فيك مع علمه بمنزلتك عندي، كيف أعزله!.

----

*(شبح) يدل على امتداد الشيء في عرض. شبحت الشيء: مددته. شبحه بين العقابين مده والعقابان عودان ينصبان مغروزين في الأرض يمد بينهما المضروب أو المصلوب (القرفة) القرفة بهاء: التهمة يقال فلان قرفتي: أي تهمتي، أي هو الذي أتهمه.

■ (1) بشر بن الوليد بن خالد الكندي، أبو الوليد، الفقيه سمع عبد الرحمن بن الغسيل ومالك بن أنس وتفقه بأبي يوسف روى عنه البغوي وأبو الوليد وحامد بن شعيب وولي قضاء ببغداد مدينة السلام (مدينة المنصور) للمأمون إلى سنة 213 هـ وكان واسع الفقه متعبدا وقد سعى به رجل إلى الدولة أنه لا يقول القرآن مخلوق فأمر به المعتصم أن يحبس في منزله فلما ولي المتوكل اطلقه ثم أنه شاخ واستولى عليه الهرم وفي آخر أمره. قال صالح جزرة هو صدوق لكنه خرف. وكانت وفاة بشر سنة 238هـ.

■ (2) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

أخرج عن ابن عيينة قال: جمع المأمون العلماء وجلس للناس فجاءت امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين مات أخي وخلف ستمائة دينار أعطوني دينارا وقالوا : هذا نصيبك قال: فحسب المأمون ثم كسر الفريضة ثم قال لها: هذا نصيبك فقال له العلماء: كيف علمت يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا الرجل خلف ابنتين؟ قالت نعم قال: فلهن الثلثان أربعمائة وخلف والدة فلها السدس مائة وخلف زوجة فلها الثمن خمسة وسبعون و بالله ألك اثنا عشر أخا؟ قالت: نعم قال: أصابهم ديناران ديناران وأصابك دينار. وأخرج عن يحيى بن أكثم قال: ما رأيت أكمل من المأمون بت عنده ليلة فانتبه فقال: يا يحيى انظر أيش عند رجلي؟ فنظرت فلم أر شيئا فقال: شمعة فتبادر الفراشون فقال: انظروا فنظروا فإذا تحت فراشه حية بطوله فقتلوها فقلت: قد انضاف إلى كمال أمير المؤمنين علم الغيب فقال: معاذا الله! ولكن هتف بي هاتف الساعة وأنا نائم فقال: يا راقد الليل انتبه..إن الخطوب لها سرى..ثقة الفتى بزمانه..ثقة محللة العرى.فانتبهت فعلمت أن قد حدث أمر إما قريب وإما بعيد فتأملت ما قرب فكان ما رأيت.

☪

قال التغلبي: سمعت يحيى بن أكثم يقول: أمرني المأمون عند دخوله بغداد أن أجمع له وجوه الفقهاء وأهل العلم من أهل بغداد فاخترت له من أعلامهم أربعين رجلا وأحضرتهم وجلس لهم المأمون فسأل عن مسائل وأفاض في فنون الحديث والعلم. فلما انقضى ذلك المجلس الذي جعلناه للنظر في أمر الدين قال المأمون: يا أبا محمد كره هذا المجلس الذي جعلناه للنظر طوائف من الناس بتعديل أهوائهم، وتزكية أرائهم، فطائفة عابوا علينا ما نقول في تفضيل على بن أبي طالب رضي الله عنه وظنوا أنه لا يجوز تفضيل علي إلا بانتقاص غيره من السلف، والله ما استحل أو قال: ما استجيز أن انتقص الحجاج[1] فكيف السلف الطيب. وإن الرجل ليأتين بالقطعة من العود، أو بالخشبة، أو بالشيء الذي لعل قيمته لا تكون إلا درهما أو نحوه فيقول: إن هذا كان للنبي عليه الصلاة والسلام، أو قد وضع يده عليه، أو شرب فيه، أو مسه وما هو عندي بثقة ولا دليل على صدق الرجل إلا أني بفرط النية والمحبة أقبل ذلك فاشتريه بألف دينار وأقل وأكثركم أضعه على وجهي وعيني وأتبرك بالنظر إليه وبمسه فأستشفي به عند المرض يصيبني أو يصيب من أهتم به فأصونه كصيانتي نفسي وإنما هو عود لم يفعل هو شيئا ولا فضيلة له تستوجب به المحبة إلا ما ذكر من مس رسول الله صلى الله عليه وسلم له: فكيف لا أرعى حق أصحابه وحرمة من قد صحبه وبذل ماله ودمه دونه وصبر معه أيام الشدة، وأوقات العسرة وعادي العشائر والعمائر والأقارب وفارق الأهل والأولاد واغترب عن داره ليعز الله دينه ويظهر دعوته.

يا سبحان الله والله لو لم يكن هذا في الدين معروفا لكان في الأخلاق جميلا، وإن من المشركين لمن يرعى في دينه من الحرمة ما هو أقل من هذا. معاذ الله مما نطق به الجاهلون. ثم لم ترض هذه الطائفة بالعيب لمن خالفها حتى نسبته إلى البدعة في تفضيله رجلا على أخيه ونظيره ومن يفار به في الفضل وقد قال الله جل من قائل: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء] ثم وسع لنا في جهل الفاضل من المفضول، فما فرض علينا ذلك ولا ندبنا إليه إذ شهدنا لجماعتهم بالنبوة فمن دون النبيين من ذلك بعد إذ أشهد لهم بالعدالة والتفضيل أمر لو جهله جاهل رجونا ألا يكون أجترح إثما وهم لم يقولوا بدعة؟ فمن قال بقول واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وشك الآخر واحتج في كسره وإبطاله من الأحكام في الفروج والدماء والأموال التي النظر فيها أوجب من النظر في التفضيل فيغلظ في مثل هذا أحد يعرف شيئا أو له رؤية أو حسن نظر أو يدفعه من له عقل أو معاند يريد الإلطاط أو متبع لهواه ذاب عن رئاسة اعتقدها، وطائفة قد اتخذ كل رجل منهم مجلسا اعتقد به رئاسة لعله يدعو فئة إلى ضرب من البدعة؛ ثم لعل كل رجل منهم يعادي من خالفه في الأمر الذي قد عقد به رئاسة بدعة ويشيط بدمه وهو قد خالفه من أمر الدين بما هو أعظم من ذلك إلا أن ذلك أمر لا رئاسة له فيه فسالمه عليه وأمسك عنه عند ذكر مخالفته أياه فيه، فإذا خولف في نحلته ولعلها مما وسع الله في جهله أو قد اختلف السلف في مثله فلم يعاد بعضهم بعضا، ولم يروا في ذلك أثما، ولعله يكفر مخالفة أو يبدعه أو يرميه بالأمور التي حرمها الله عليه من المشركين دون المسلمين بغيا عليهم وهم المترقبون للفتن، والراسخون فيها لينتهبوا أموال الناس ويستحلوها بالغلبة، وقد حال العدل بينهم وبين ما يريدون، يزأرون على الفتنة زئيرا الأسد على فرائسها وإني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا بتوفيق الله وتأييده ومعونته على إتمامه سببا لاجتماع هذه الطوائف على ما هو أرضى وأصلح للدين. أما شاك فيتبين ويتثبت فينقاد طوعا، وأما معاند فيرد بالعدل كرها.

■ (1) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ تاريخ اليعقوبي/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ المغرب في ترتيب المعرب/ مقاييس اللغة/ تاج العروس/ كتاب بغداد/ نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي/

قال محمد بن القاسم بن خلاد: قال المأمون لمحمد بن عباد[1]: أردت أن أوليك فمنعني إسرافك في المال فقال محمد: منع الموجود سوء ظن بالمعبود فقال له المأمون: لو شئت أبقيت على نفسك فان هذا المال الذي تنفقه ما أبعد رجوعه إليك قال: يا أمير المؤمنين موله مولى غنى لا يفتقر قال: فاستحسن المأمون ذلك منه وقال للناس: من أراد أن يكرمني فليكرم ضيفي محمد بن عباد فجاءت الأموال إليه من كل ناحية فما برح وعنده منها درهم واحد وقال: إن الكريم لا تحنكه التجارب.

وفي رواية قال المأمون لمحمد بن عباد المهلبي: أنت متلاف. فقال: يا أمير المؤمنين، منع الموجود سوء ظن بالله، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ]

عن المغيرة بن محمد وغيره قال: قال المأمون لمحمد بن عباد المهلبي: أبا محمد بلغني أنه لا يقدم أحد البصرة إلا أدخل دار ضيافتك قبل أن يتصرف في حاجاته فكيف تسع هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، منع الموجود سوء ظن بالمعبود فاستحسنه منه وأوصل إليه المأمون ما مبلغه ستة آلاف ألف درهم ومات وعليه خمسون ألف دينار دينا..

قال إبراهيم بن عبد الرحمن: لما احتضر محمد بن عباد دخل عليه نفر من قومه كانوا يحسدونه فلما خرجوا قال متمثلا..تمنى رجال أن أموت فان أمت..فتلك سبيل لست فيها بأوحد..فما عيش من يبقى خلافي بضائري..وما موت من يمضي أمامي بمخلد..فقل للذى يبغي خلاف الذي مضى..تهيأ للأخرى مثلها فكأن قد. قال محمد بن زكريا الغلابي: قيل للعتبي مات محمد بن عباد المهلبي بالبصرة فقال: نحن متنا بفقده وهو حي بمجده مات بالبصرة سنة أربع عشرة ومائتين .

■ (1) محمد بن عباد بن حبيب المهلبي: كان يتولى صلاة وإمارة البصرة في زمن المأمون العباسي. وتوفي فيها سنة 216 هـ. وهو من أبناء المهلب بن أبي صفرة. قال ابن تغري بردي: كان من أكابر الأمراء، جوادا ممدحا. وقال المبرد: كان سيد أهل البصرة أجمعين.

كان للمأمون ابن عم جيد الخط، فدخل عليه يوما، فقال له المأمون: يا بن عمي، بلغني أنك جيد الخط، وذلك معدوم في أهلك فقال: يا أمير المؤمنين، جودة الخط بلاغة اليد، قال:وبلغني أنك شاعر، قال: ذاك ضعه للشريف ورفعة للوضيع، قال: وبلغني أنك سخي، قال: يا أمير المؤمنين، منع الموجود قلة ثقة بالمعبود، قال: فأنت أكبر أم أمير المؤمنين؟ قال: جوابي في ذلك جواب جدك العباس للنبي عليه الصلاة والسلام حين سئل، فقيل له: صلى الله عليه وسلم أكبر أم أنت؟ فقال: النبي صلى الله عليه وسلم أكبر، وولدت قبله. وكان ابن عباس يقول: صاحب المعروف لا يقع، فإن وقع وجد متكأ.وهذا نحو قول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿عَلَيْكُمْ بِاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفَ فَإِنَّهُ يَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ﴾ وكان ابن عباس يقول أيضا: ما رأيت رجلا أوليته معروفا إلا أضاء ما بيني وبينه، ولا رأيت رجلا أوليته سوءا إلا أظلم ما بيني وبينه. وعن أبي هريرة قال: ﴿عَادَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلاَلاً، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ صُبرا مِنْ تَمْرٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا بِلاَلُ؟ قَالَ: تَمْرٌ ادَّخَرْتُهُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: أَمَا خِفْتَ أَنْ تَسْمَعَ لَهُ بُخَارُ فِي جَهَنَّمَ، أَنْفِقْ بِلاَلُ، وَلاَ تَخَافَنَّ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلاَلاً﴾ وكان خالد القسري يقول على المنبر: أيها الناس عليكم بالمعروف فإن فاعل المعروف لا يعدم جوازيه وما ضعف عن أدائه الناس قوي الله على جوازيه. وقيل لحكيم: ما الذي يشبه من أفعال العباد فعل الله؟ فقال: الإحسان إلى الناس. قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾ [البقرة] وقال الله تعالى:﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران] وعن أبي عثمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الآخِرَةِ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم:﴿السَّخَاءُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّيَاتٌ فِي الدُّنْيَا. فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا قَادَهُ ذلِكَ الْغُصنُ إِلَى الجَنَّةِ، وَالْبُخْلُ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ النَّارِ أَغْصَانُهَا مُتَدَلِّيَاتٌ فِي الدُّنْيَا، فَمَنْ أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا قَادَهُ ذلِكَ الْغُصْنُ إِلَى النَّارِ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم:﴿ إِنَّمَا أَمْهِل فِرْعَوْنُ مع ادِّعَائِهِ الرُّبُوبِيَّةُ لسُّهُولَةِ اذِنه وَبَذْلِ طَعَامِهِ﴾.

قال هدبة بن خالد[1]: حضرت غداء المأمون. فلما رفعت المائدة جعلت التقط ما في الأرض، فنظر إلي المأمون، فقال: أما شبعت يا شيخ؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، إنما شبعت في فنائك وكنفك، ولكن حدثني حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ أَكَلَ مَا تَحْتَ مَائِدَتِهِ أَمِنَ مِنْ الْفَقْرِ﴾ حديث منكر؟ فنظر المأمون إلى خادم واقف بين يديه فأشار إليه، فما شعرت حتى جاءني ومعه منديل، فيه ألف دينار، فناولني، فقلت: يا أمير المؤمنين، وهذا أيضا من ذلك.

عن أبي هريرة قال: ﴿مَا احْتَذَى النِّعَالَ وَلَا انْتَعَلَ وَلَا رَكِبَ الْمَطَايَا وَلَا لَبِسَ الْكُورَ مِنْ رَجُلٍ بَعْدَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَعْنِي فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ﴾ (احتذى) اتخذ نعلا (الكور) الرحل وهو ما يوضع على ظهر البعير ليركب عليه كالسرج للفرس. وعن سعيد بن أبي هلال أن أبا حازم أخبره أن سهل بن سعد الساعدي حدثه أن عدي بن حاتم: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنَّ أَبِي كَانَ يَصِلُ الْقَرَابَةَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ قَالَ: هل أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ؟ قَالَ: لا. قَالَ: إِنَّ أَبَاكَ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يُذْكَر فَذُكِرَ﴾ (يحمل الكلّ) أي ينفق على الضعيف والفقير واليتيم والعيال وغير ذلك. وعن مسروق عن أم المؤمنين عائشة قالت: ﴿قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ قَالَ لَا يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ وعن سالم، عن أبيه، قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنَّ أَبِي كَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَكَانَ وَكَانَ فَأَيْنَ هُوَ؟، قَالَ: فِي النَّارِ، قَالَ: فَكَأَنَّهُ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، فَأَيْنَ أَبُوكَ، قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ كَافِرٍ، فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ، قَالَ: فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدُ، وَقَالَ: لَقَدْ كَلَّفَنِي رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَبًا، مَا مَرَرْتُ بِقَبْرِ كَافِرٍ، إِلَّا بَشَّرْتُهُ بِالنَّارِ﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان] في النهي عن الإسراف والتبذير والبخل والتقتير.كان عمر رضي الله عنه يقول: كفى بك سرفا ألا تشتهين شيئا إلا اشتريته وأكلته. وقال عيسى بن دينار: إن فتى من الأنصار كان جالسا عند عمر بن الخطاب فقال له عمر: كيف نفقتك اليوم يا فلان؟ فقال: يا أمير المؤمنين الحسنة بين السيئتين. فقال له عمر: وكيف! قال: يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان] فالإسراف سيئة والإقتار سيئة، والقوام بين ذلك حسنة. قال: فكان عمر يتعجب من فضل عقله حتى لقي الله تعالى. قال أبو الأسود لولده: لا تجاودوا الله فإنه أجود وأمجد، وإنه لو شاء أن يوسع على الناس كلهم حتى لا يكون محتاج لفعل، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسعة فتهلكوا هزلا. قيل لمحمد بن عمران قاضي المدينة –وهو من ولد طلحة بن عبيد الله–: إنك تنسب إلى البخل. فقال: والله إني لا أجمد في الحق ولا أذوب في الباطل. وكان يقال: لا تصن كثيرا عن حق ولا تنفق قليلا في باطل. قيل قرأ بعض القراء عند أبو جعفر المنصور:﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [النساء] فقال: والله لو لا أن المال حصن للسلطان ودعامة للدين والدنيا وعزهما ما بت ليلة واحدة وأنا أحرز منه دينارا ولا درهما لما أجد لبذل المال من اللذة، ولما أعلم في إعطائه من جزيل المثوبة. وقرأ عنده قاري آخر:﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء] الآية.فقال: ما أحسن ما أدبنا ربنا عز وجل.وقال أبو جعفر المنصور: سمعت أبي يقول سمعت علي بن عبد الله يقول: سادة أهل الدنيا في الدنيا الأسخياء، وسادة أهل الآخرة في الآخرة الأتقياء. ولما عزم أبو جعفر المنصور على الحج (في سنة وفاته) دعا ولده المهدي فأوصاه في خاصة نفسه وبأهل بيته وبسائر المسلمين خيرا، وعلمه كيف تفعل الأشياء وتسد الثغور، وأوصاه بوصايا يطول بسطها وحرج عليه أن لا يفتح شيئا من خزائن المسلمين حتى يتحقق وفاته فإن بها من الأموال ما يكفي المسلمين لو لم يجب إليهم من الخراج درهم عشر سنين، وعهد إليه أن يقضي ما عليه من الدين هو ثلاثمائة ألف دينار، فإنه لم ير قضاءها من بيت المال. فامتثل المهدي ذلك كله.

قال بعض العلماء: التبذير ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أولا، تبذير المال: قال الله تعالى:﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ قال الشافعي: التبذير إنفاق المال في غير حقه ولا تبذير في عمل الخير وهذا قول الجمهور. قال علي بن نايف: المراد بالتبذير هنا: مجاوزة حد الاعتدال في الطعام والشراب واللباس والسكن ونحو ذلك من الغرائز الكامنة في النفس البشرية وتصيير ذلك في معصية الله تبارك وتعالى.وسئل سعيد بن جبير عن التبذير فقال: هو أن تنفق الطيب في الخبيث. قال أشهب عن مالك: التبذير هو أخذ المال من حقه ووضعه في غير حقه وهو الإسراف وهو حرام لقوله تعالى:﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[الإسراء] وقوله (إخوان) يعني انهم في حكمهم إذ المبذر ساع في الإفساد كالشياطين أو انهم يفعلون ما تسول لهم انفسهم أو انهم يقرنون لهم غدا في النار. ثانيا، تبذير الصحة: وذلك في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ﴾ فنجد كثيرا من الناس أعطاه الله الصحة وأبعد عنه الأسقام ولكنه ينفق هذه الصحة التي أعطاها الله إليه في معصية خالقه كأن يستخدم رجليه في الخطو إلى أماكن المعصية ويديه في مسك ورفع ما حرم الله والبطش بالناس وعينه في النظر إلى ما حرم الله وإذا مرض تندم وقام يتمنى أن لو عمل صالحا في صحته.

ثالثا، تبذير الوقت: وذلك واضح أيضا في الحديث السابق ذكره –فان هذا المرض لم يقتصر على العامة فقط ولكنه تسرب إلى مجتمع الدعاة انفسهم. يقول الإمام ابن الجوزي: قد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا لشغله بالمعاش وقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون* وتمام ذلك إن الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط* ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون لان الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم. قال العلامة محمد البشير الإبراهيمي: إن أمة تنفق الملايين في الشهر على القهوة والدخان، وتنفق مثلها على المحرمات، وتنفق مثلها على البدع الضارة، وتنفق أمثال ذلك كله على الكماليات التي تنقص الحياة ولا تزيد فيها، ثم تدعي الفقر إذا دعاها داعي العلم لما يحييها؛ لأمة كاذبة على الله، سفيهة في تصرفاتها.

- قلت: يرحم الله الشيخ الإبراهيمي لو أدرك زماننا هذا ؟! ورأى حال ما تسمى الجزائر اليوم ماذا كان سيقول في جنرالاتها المرضى عقليًا..و ماذا كان سيقول في أبناء شعبها المرتزقة الجوعى؛ الكلاب المسعورة التي أكلت الأخضر واليابس.

----

*(قيل: المغبون من غبن نفسه) أي أحق الناس أن يسمى مغبونا من غبن نفسه، يقال غبنته، في البيع غبنا، بالتسكين، أي خدعته و(المغبوط) الذي يتمنى مثل حاله.

■ (1) هدبة بن خالد بن الأسود بن هدبة أبو خالد القيسي الثوباني البصري، ويقال له هداب. توفي هدة سنة 235 هـ وقال ابن حبان: مات سنة 236 هـ أو 237 هـ.

مراجع: المحاسن والمساوئ/ مخاصر تاريخ دمشق/ تاريخ الطبري/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ تاريخ بغداد/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ المعجم الكبير/ البيان في مداخل الشيطان/ موسوعة الخطب والدروس/ أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني/ جامع الأحاديث/ محاضرات الأدباء/

قال الكندي في كتاب الموالي: قدم المأمون مصر وكان بها رجل يقال له الحضرمي، يتظلم من ابن أسباط[1] وابن تميم[2]، فجلس الفضل بن مروان[3] في المسجد الجامع، وحضر مجلسه يحيى بن أكثم[4] وابن أبي داود[5]،وحضر إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد[6]، وكان على مظالم مصر، وحضر جماعة من فقهاء مصر وأصحاب الحديث، وأحضر الحارث بن مسكين[7] ليولي قضاء مصر، فدعاه الفضل بن مروان، فبينما هو يكلمه إذ قال الحضرمي للفضل: سل أصلحك الله الحارث عن ابن أسباط وابن تميم. قال: ليس لهذا أحضرناه. قال: أصلحك الله سله، فقال الفضل للحارث: ما تقول في هذين الرجلين؟ فقال: ظالمين غاشمين. قال: ليس لهذا أحضرناك، فاضطرب المسجد وكان الناس متوافرين، فقام الفضل وصار إلى المأمون بالخبر وقال: خفت على نفسي من ثوران الناس مع الحارث، فأرسل المأمون إلى الحارث فدعاه، فابتدأه بالمسألة فقال: ما تقول في هذين الرجلين؟ فقال: ظالمين غاشمين. قال: هل ظلماك بشيء؟ قال: لا. قال: فعاملتهما؟ قال: لا. قال: فكيف شهدت عليهما؟ قال: كما شهدت أنك أمير المؤمنين ولم أرك قد إلا الساعة، وكما شهدت أنك غزوت ولم أحضر غزوك. قال: اخرج من هذه البلاد فليست لك ببلاد، وبع قليلك وكثيرك، فإنك لا تعانيها أبدا. وحبسه في رأسك الجبل في قبة* ابن هرثمة[8](قبة الهواء)، ثم انحدر المأمون إلى البشرود*، وأحضره معه، فلما فتح البشرود أحضر الحارث، فلما دخل عليه سأله عن المسألة التي سأله عنها بمصر، فرد عليه الجواب بعينه، فقال: فأي شيء تقول في خروجنا هذا؟ قال: أخبرني عبد الرحمن بن القاسم عن مالك[9]، أن هارون الرشيد كتب إليه في أهل دهلك* يسأله عن قتالهم فقال: إن كانوا خرجوا عن ظلم من السلطان فلا يحل قتالهم، وإن كانوا إنما شقوا العصا فقتالهم حلال. فقال المأمون: أنت تيس ومالك أتيس منك، ارحل عن مصر. قال: يا أمير المؤمنين إلى الثغور؟ قال الحق بمدينة السلام. فقال له أبو صالح الحراني[10]: يا أمير المؤمنين تغفر زلته؟ قال: يا شيخ تشفعت فارتفع.

وروى داود بن أبي صالح الحراني، عن أبيه، قال: لما أحضر الحارث مجلس المأمون، جعل المأمون يقول: يا ساعي، يرددها – يعني: يا مرافع – قال: يا أمير المؤمنين إن أذنت لي في الكلام تكلمت. قال: تكلم. قال: والله ما أنا بساعي، ولكني أحضرت فسمعت، وأطعت حين دعيت، ثم سئلت عن أمر فاستعفيت، فلم أعف ثلاثا، فلما رأيت أنه لابد لي من الكلام، كان الحق عندي من غيره. قال المأمون هذا رجل أراد أن يرفع له علم في بلده، خذه إليك. ثم حمله إلى العراق.

قال أحمد بن المؤدب: خرج المأمون وأخرج بالحارث سنة سبع عشرة ومائتين. وخرجت امرأة الحارث فحجت وذهبت إليه إلى العراق. فأقام الحارث بالعراق ستة عشر سنة، حتى مات المأمون، والمعتصم. وذكره الواثق لابن أبي داؤد. فقال له: هو حاضر. فقال: ما ظننت أنه حي. فأرسل إلى الحارث وهو ببغداد، يقول له: سل حاجتك. قال حاجتي ألا تحملني إلى سر من رأى*. فقال ابن أبي دؤاد للواثق: هو شيخ ضعيف، خفت أن أحمله فيموت. قال: فاكتب له يتوجه حيث شاء فانصرف إلى مصر، سنة اثنتين وثلاثين ومائتين. فلما ولي المتوكل، ولاه قضاءها.

قال ابن قديد: أتاه – يعني: الحارث – في سنة سبع وثلاثين كتاب توليه القضاء، وهو بالإسكندرية، فامتنع. فلم يزل به إخوانه حتى قبل، فقدم مصر، فجلس للحكم، وأخرج أصحاب أبي حنيفة والشافعي من المسجد، وأمر بنزع حصرهم من العمد، وقطع عامة المؤذنين من الأذان، وأصلح سقف المسجد، وبنى السقاية، ولاعن بين رجل وامرأته، ومنع من النداء على الجنائز، وضرب الحد في سب عائشة أم المؤمنين، وقتل ساحرين.

قيل لما ولي الواثق وأقعد للناس أحمد بن أبي داود للمحنة في القرآن ودعا إليه الفقهاء، أتي فيهم بالحارث بن مسكين، فقيل له: أتشهد أن القرآن مخلوق؟ قال: أشهد أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، هذه الأربعة مخلوقة، ومد أصابعه الأربع، فعرض بها وكنى عن خلق القرآن وخلص مهجته من القتل: وعجز أحمد بن نصر[11] فقيه بغداد عن الكناية فأباها، فقتل وصلب.

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم[12]: قال لي ابن أبي دؤاد:يا أبا عبد الله لقد مكر حارثكم لله عز وجل وحل مقام الأنبياء. وكان ابن أبي دؤاد يحسن ذكره، ويعظمه جدا، ويكتب بالوصاية به. وتوفي الحارث سنة خمسين ومائتين..

----

*(البشرود) بعض بلاد عاربة مصر، كورة من كور بطن الريف بمصر(دهلك) دهلك موضع أعجمي معرب، وقيل: هو جزيرة بين بر اليمن وبر الحبشة، والدهالك آكام سود معروفة بأرض العرب (قبة ابن هرثمة) ابتناها حاتم بن هرثمة وتسمى: قلعة صلاح الدين الأيوبي أو قلعة الجبل هي قلعة تقع على جبل المقطم. شرع صلاح الدين الأيوبي في تشييد قلعة فوق جبل المقطم في موضع كان يعرف بقبة الهواء.ولكنه لم يتمها في حياته. وإنما أتمها السلطان الكامل بن العادل.فكان أول من سكنها هو الملك الكامل واتخذها داراً للملك. واستمرت كذلك حتى عهد محمد علي باشا (سر من رأى) سامراء مدينة عراقية على الضفة الشرقية لنهر دجلة شمال بغداد.

■ (7) الحارث بن مسكين بن محمد الأموي، مولاهم، أبو عمرو، مولى زبان بن الأمير عبد العزيز بن مروان، الأموي المصري: كان قاض، فقيه على مذهب مالك، ثقة في الحديث. من أهل مصر مولده في سنة 154 هـ. أو 156 هـ حمل في أيام المأمون إلى العراق وسجن في محنة القرآن، فلما ولي المتوكل أطلقه، فحدث ببغداد، ورجع إلى مصر متوليا قضاء مصر سنة 237 هـ.، ثم استعفى من القضاء في سنة 245 هـ ، فأعفي.وكان كثير الابتعاد عن الأمراء والملوك. توفي سنة 250 هـ وله ست وتسعون سنة. وقيل: سنة 248 هـ. والأول الصواب. وصلى عليه أمير مصر.

■ (3) الفضل بن مروان بن ماسرجس: وزير.كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء، أخذ البيعة للمعتصم، ببغداد، بعد وفاة المأمون سنة 218 هـ وكان المعتصم في بلاد الروم، فاستوزره نحو 3 سنوات، واعتقله. ثم أطلقه، فخدم بعده جماعة من الخلفاء إلى أن توفي سنة 250 هـ.له ديوان رسائل وكتاب جمع فيه الأخبار والمشاهدات.

■ (2) إبراهيم بن تميم أبو إسحاق الكاتب مولى شرحبيل بن حسنة ولي خراج مصر، وقدم دمشق على المأمون. قال ابن يونس: كان كاتبا في ديوان الخراج ثم تناهت به الأمور إلى أن ولي خراج مصر. توفي سنة 217 هـ.

■ (11) أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم بن عوف بن وهب بن عميرة بن هاجر بن عمير بن عبد العزى بن قمير بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمر أبو عبد الله الخزاعي. يكنى ابا عبد الله كان من كبار العلماء الأمرين بالمعروف وسمع الحديث من مالك بن انس وحماد بن زيد وهشيم وغيرهم. امتحنه الواثق بالقرآن فأبى أن يقول انه مخلوق فقتله في يوم السبت غرة رمضان سنة 231 هـ بسر من راى فصلب جسده هناك وانفذ راسه إلى بغداد فنصبه فلم يزل كذلك ست سنين ثم حط وجمع بين رأسه وبدنه ودفن بالجانب الشرقي من بغداد في المقبرة المعروفة بالمالكية في يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة 237 هـ حدث أبو بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل، وذكر أحمد بن نصر، فقال: رحمه الله ما كان أسخاه لقد جاد بنفسه.

■ (1) أحمد بن أسباط ..؟ .. ابن أسباط، هو عبد الله بن علي المغربي. ابن أسباسلار، أبو بكر متولي مصر. (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (4) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

■ (5) أحمد بن أبي دؤاد (دواد؟) بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

■ (6) إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد قال العجلي في الثقات ما فيه خير قلت هو والد إسماعيل القاضي وهو ثقة وإنما نقم عليه العجلي أنه كان أمينا على أموال الأيتام فكان ماذا وما ذكرته الأخشية أن يستدرك ثم وجدت في كتاب الضعفاء لأبي العرب فذكر كلام العجلي وفي آخره كان أمينا ليحيى بن أكثم

■ (9) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان إلخ، وأمه عالية بنت شريك الأزدية. ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. وقد روى الزهري عن والده أنس، وعن عميه أويس وأبي سهيل. ولد عام موت أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل. وطلب العلم وهو حدث بعيد موت القاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر وجلس للفتيا والإفادة وله 21 سنة، وحدث عنه جماعة وهو شاب طري، وبدأ يقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة المنصور، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد إلى أن مات. من شيوخه حميد الطويل، ربيعة الرأي، أيوب السختياني، صفوان بن سليم، أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، عبد الرحمن بن القاسم، عبد الكريم الجزري، عطاء الخراساني، الزهري، محمد بن المنكدر، نافع.و حدث عنه من شيوخه عمه أبو سهيل، والزهري، وغيرهم الكثير.

■ (10) عبد الغفار بن داود أبو صالح الحراني كان كاتب ابن لهيعة سكن مصر وكان له ابن يقال له داود بن عبد الغفار وكان موسرا وهو الذي كان المزني يكلمه بسبب الضعفاء وكان لداود هذا ابن يقال له أحمد قد كتب عنه

■ (12) محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، المصري، أبو عبد الله: فقيه عصره. انتهت إليه الرياسة في العلم بمصر. كان مالكي المذهب، ولازم الامام الشافعي، ثم رجع إلى مذهب مالك. وحمل في فتنة القول بخلق القرآن، إلى بغداد، فلم يجب لما طلبوه، فرد إلى مصر، وتوفي بها سنة 268 هـ له كتب كثيرة، منها الرد على الشافعي فيما خالف فيه الكتاب والسنة. وأحكام القرآن و رد على فقهاء العراق وأدب القضاة وسيرة عمر بن عبد العزيز

■ (8) حاتم بن هرثمة بن أعين: من القادة في الدولة العباسية. ولي شرطة مصر سنة 178 هـ، في ولاية أبيه عليها. وصرف عنها، فعاد إلى العراق، فأعاده الامين العباسي أميرا عليها سنة 194 هـ، فقصدها، ونزل ببلبيس، وطلب أهل الاحواف فجاؤوه وعاهدوه على تأدية الخراج. ثم نقضوا عهدهم، فبعث إليهم جيشا فقاتلوه، فظفر بهم، وانتقل إلى الفسطاط ومعه رهائن منهم. وسكنت مصر في أيامه، وابتنى فيها القبة التي كانت تعرف بقبة الهواء. وعزله الامين سنة 195 هـ، بعد 18 شهرا إلا أياما، من ولايته. توفي بعد سنة 195هـ

لما قدم أمير المؤمنين المأمون إلى مصر في سنة سبع عشرة ومائتين، جلس بقبة الهواء. وكان بحضرته سعيد بن عفير[1]، فقال المأمون: لعن الله فرعون حيث يقول: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف]، فلو رأى العراق وخصبها. فقال سعيد بن عفير: يا أمير المؤمنين لا تقل هذا، فإن الله عز وجل قال:﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف] فما ظنك يا أمير المؤمنين بشيء دمره الله هذا بقيته؟! ثم قال سعيد: لقد بلغنا أن أرضا لم تكن أعظم من مصر، وجميع أهل الأرض يحتاجون إليها، وكانت الأنهار بقناطر وجسور بتقدير، حتى أن الماء يجري تحت منازلهم وأفنيتهم، يرسلونه متى شاؤوا ويحبسونه متى شاؤوا، وكانت البساتين متصلة لا تنقطع، ولقد كانت الأمة تضع المكتل على رأسها فيمتلىء مما يسقط من الشجر، وكانت المرأة تخرج حاسرة لا تحتاج إلى خمار لكثرة الشجر. وفي رواية: قال له المأمون: يا سعيد ما تقول فيمن قال: علي المشي إلى مكة؟ قال: عليه المشي. فقال له المأمون: لقد تيس مالك في هذه المسألة. فقال سعيد: أتيس من التيس، من سمع التيس. يريد أن أباه الرشيد، لما حلف بذلك أفتاه مالك بالمشي، فمشى. فوجم لها المأمون. فهم كذلك. إذ تشكى بعاملين فقال: يا سعيد ما تقول فيهما؟ فكيف تشهد عليهما؟ قال: كما شهدت أنك أمير المؤمنين قبل أن أراك. قال ابن عفير: سمعت في المنام قائلا يقول أن الله لا يعبأ بصاحب رواية ولا حكاية، وإنما يعبأ بصاحب قلب ودراية.

■ (1) أبو عثمان، سعيد بن كثير بن عفير بن مسلم الأنصاري مولا هم المصري: عالم الديار المصرية الإمام سمع يحيى بن أيوب ومالكا والليث وسليمان بن بلال وطبقتهم. قال ابن يونس: كان من أعلم الناس بالأنساب والأخبار الماضية وأيام العرب والتواريخ، كان في ذلك كله عجبا، وكان أديبا فصيحا حاضر الحجة لا تمل مجالسته ولا ينزف علمه، وكان مليح النظم = إلى أن قال: مولده في سنة 146 هـ وتوفي في رمضان سنة ست وعشرين 226 هـ.

مراجع: موارد الظمآن لدروس الزمان/ عقلاء المجانين/ أخبار الظراف والمتماجنين/ تاريخ الإسلام للذهبي/ الأعلام للزركلي/ الوافي بالوفيات/ سير أعلام النبلاء/ المواعظ والاعتبار/ رفع الإصر عن قضاة مصر/ ترتيب المدارك وتقريب المسالك/ تاج العروس/ من روى عنهم البخاري في الصحيح/

حدث من حضر مجلس المأمون وقد أمر بإحضار العباس[1] صاحب الشرطة ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد، فلما حضر قال: يا عباس خذ هذا إليك واستوثق منه ولا يفوتنك وبكر به واحذر كل الحذر. قال العباس: فدعوت جماعة حملوه ولم يقدر يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب أن يكون معي إلا في بيتي، ثم سألته عن قصته وحاله من أين هو؟، فقال: من دمشق، فقال: جزى الله دمشق وأهلها خيرا، فمن أنت من أهلها؟ قال: لا تزيد أن تسألني، فقلت له: أتعرف فلانا؟ فقال: ومن أين عرفت ذلك الرجل؟ فقلت: كانت لي قصة معه، فقال: ما أنا بمعرفك خبره أو تعرفني قصتك، فقلت: ويحك! كنت مع بعض الولاة بها فخرج علينا أهلها حتى أراد الوالي أن يدلي في زنبيل من قصر الحجاج* وهرب هو وجميع أصحابه وهربت فيمن هرب، فإني لفي بعض الطريق إذا جماعة يعدون خلفي، فما زلت أحاضرهم حتى مررت على هذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت: أغثني أغاثك الله! فقال: لا بأس عليك ادخل الدار، فدخلت، فقالت لي امرأته: ادخل الحجلة*، فدخلتها، وأتت الرجال خلفي فما شعرت إلا به وهم معه يقولون: هو والله عندك! فقال: دونكم الدار، ففتشوها حتى لم يبق إلا البيت الذي كنت فيه، فقالوا: هاهنا، فصاحت المرأة وانتهرتهم، فانصرفوا وخرج الرجل فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم في الحجلة خائفا، فقالت المرأة: اجلس لا بأس عليك، فجلست، فلم ألبث أن دخل الرجل وقال: لا تخف فقد صرت إلى الأمن والدعة إن شاء الله تعالى، فقلت له: جزاك الله عني خيرا! ثم ما زال يعاشرني أحسن المعاشرة وأجملها ولا يفتر من القصف والأكل والشرب والفرح أربعة أشهر مع الخدم إلى أن سكنت الفتنة وهدأت، فقلت له: أتأذن لي في الخروج لأتعرف خبر غلماني ومنزلي فلعلي أن أقف لهم على أثر أو خبر، فأخذ علي المواثيق بالرجوع إليه، فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم أثرا فرجعت إليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا لا يعرفني ولا يعرف اسمي ولا مخاطبتي بغير الكنية، ثم قال لي: ما تعزم؟ فقلت: قد عزمت على الشخوص إلى بغداد فإن قافلة تخرج بعد ثلاثة أيام وقد تفضلت علي هذه المدة فأسألك أن تعطيني ما أنفقه في طريقي وما ألبسه، فقال: بصنع الله عز وجل، ثم قال لغلام له أسود: انعل الفرس الفلاني، وتقدم إلى من في منزله بإعداد السفر، فقلت في نفسي: ما أشك إلا أنه يخرج إلى ضيعة له أو ناحية من النواحي، فوقعوا يومهم ذلك في تعب وكد، فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر وقال: يا أبا فلان قم فإن القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها، فقلت في نفسي: ما أعطاني شيئا مما سألته، ثم قمت فإذا هو وامرأته يحملان إلي خفاتين* مقطوعة جددا ورانات* وآلة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم البغل فحمل عليه الصناديق وفوقها مفرشان ودفع إلي نسخة بما في الصناديق وفيها خمسة آلاف درهم وقدم إلي الفرس الذي كان أنعله بسرجه ولجامه وقال لي: اركب وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس دوابك، وأقبل هو وامرأته يعتذران من تقصيرهما في أمري، وركب معي فشيعني، وانصرفت إلى بغداد وأنا على مكافأته ومجازاته فعاقنا عن ذلك ما نحن فيه من الشغل بالأسفار واتصالها والتنقل من مكان إلى مكان.

فلما سمع الرجل الحديث قال: قد أتاك الله عز وجل بمن تريد مكافأته بلا مؤونة عليك، فقلت: وكيف ذلك؟ قال: أنا والله ذلك الرجل! ثم قال لي: ما أثبتك! فتعرف إلي وأقبل يذكرني بأشياء يتعرف بها إلي حتى أثبته وعرفته فما تمالكت أن قمت إليه فقبلت رأسه وقلت له: ما الذي أصارك إلى هذا؟ فقال: هاجت فتنة بدمشق مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت إلي وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وحملت إليه وأمري عنده غليظ جدا وهو قاتلي لا محالة، وقد خرجت من عند أهلي بلا وصية وقد تبعني من عبيدي من ينصرف إلى منزلي بخبري وهو نازل عند فلان، فإن رأيت أن تنعم وتبعث إليه حتى يحضر فأتقدم إليه بما أريد، فإذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة لي. قال فقال العباس: بصنع الله، ثم قال: علي بحدادين، فأتوا بهم، فحل قيوده وما كان عليه من أنواع الأنكال، ودعا بالحجام فأحضر وأخذ من شعره ثم قال: علي بمولاه، فأنفذ في طلبه من يحضره. قال الرجل: فلما أن أخذ شعري أدخلني الحمام فطرح علي من ثيابه ما اكتفيت به ثم حضر مولاي وقعد يبكي، فقال العباس: علي بفرسي الفلاني والفرس الفلاني والبغل الفلاني، حتى عد عشرا، ثم قال: علي من الصناديق والكسوة بكذا ومن صناديق الطعام بكذا، ثم أمر لي ببدرة* فيها عشرة آلاف درهم وكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال لصاحب شرطته: خذه واعبر به إلى جسر الأنبار، فقلت له: إن أمري غليظ وإن أنت احتججت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأرد وأقتل، فقال: انج بنفسك ودعني أدبر أمري، فقلت: والله لا أبرح من بغداد أو أعلم ما يكون من خبرك، فإن احتجت إلى حضوري حضرت، فقال لصاحب الشرطة: إن كان الأمر على هذا فليكن في موضع كذا وكذا فإن سلمت في غداة غد فسبيل المحبة وإن قتلت كنت قد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه، وأنشدك الله أن تذهب من ماله شيئا قيمته درهم وتخلصه حتى تخرجه من بغداد.

قال الرجل: فأخذني صاحب الشرطة فصيرني في مكان يثق به وتفرغ العباس لنفسه واغتسل وتحنط وتكفن. قال العباس: فلم أفرغ من ذلك حتى وافتني رسل المأمون في السحر وقالوا: أمير المؤمنين يقول هات الرجل، فسكت وأتيت الدار وإذا أمير المؤمنين جالس عليه ثيابه أمام فراشه، فقال: الرجل! فسكت، فقال: ويحك الرجل! فقلت: يا أمير المؤمنين اسمع مني، فقال: أعطي الله عهدا لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك! فقلت: لا والله ما هرب، فاسمع مني حديثي وحديثه ثم أنت أعلم بما تفعله في أمرنا، قال: قل، فقلت: يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كذا وكذا، وقصصت عليه القصة وعرفته أني كنت أريد مكافأته فشغلت عن ذلك حتى إذا كان البارحة عرفته وعبرت به جسر الأنبار وقلت: أنا من سيدي أمير المؤمنين بين أمرين، إما تصفح عني وإما قتلني وأكون قد كافيته ووقيته بنفسي كما وقاني بنفسه. فلما سمع المأمون الحديث قال: ويحك! لا جزاك الله خيرا عن نفسك وعنا وعن هذا الفتى الحر، إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافيه بعد المعرفة بهذا! لم لا عرفتني خبره فكنت أكافيه عنك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إنه والله هاهنا قد حلف أنه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فإن احتيج إلى حضوره حضر، قال: وهذه والله منه أعظم من الأولى، فاذهب إليه الآن وطيب نفسه وسكن روعه وتعبر به إلي حتى أتولى مكافأته عنك. فصرت إليه وقلت: ليسكن روعك إن أمير المؤمنين قال: كيت وكيت، فقال: الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء غيره، ثم تهيأ للصلاة فصلى ركعتين ثم جئنا فلما مثل بين يدي المأمون أدناه حتى أجلسه إلى جانبه وآنسه وحدثه حتى حضر الغداء، ثم قال: الطعام، فأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفاه، ثم قال المأمون: علي بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة بغال بجميع آلتها وبعشر بدر وبعشر تخوت وعشرة مماليك بذواتهم وجميع آلتهم، فدفع ذلك إليه، وكتب إلى عامله بالوصاية عليه وأوغر خراجه وكتب إلى صاحب البريد أن تنفذ كتبه وصرفه إلى بلده. قال العباس: فكان إذا ورد له كتاب في خريطة* يقول لي المأمون: يا عباس هذا كتاب صديقك.

----

*(قصر الحجاج) وهو محلة كبيرة في ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق منسوب إلى الحجاج بين عبد الملك مروان نقله ياقوت عن ابن عساكر (الحجلة) ساتر أو بيت كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس في جوف البيت وتكون له أزرار كبار (الخفتان) ثوب من القطن يلبس فوق الدرع (الرانات) جمع ران، وهو كالخف إلا أنه لا قدم له (البدرة) كيس فيه ألف، أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار.(أوغر)... يقال أوغر العامل الخراج أي استوفاه (الخريطة) بالفتح وعاء من أدم وغيره تشرج على ما فيها

■ (1) العباس بن المسيب بن زهير ، كان على شرطة المأمون ، مات سنة 204 هـ. وقيل سنة ست 206 هـ

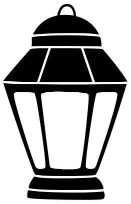

قال الخضيري: قد حثنا الرسول الكريم على رد الجميل والمعروف لأهله في أحاديث وبين لنا ماذا نصنع إذا لم نكن نملك الرد المادي عن طريق الدعاء لمن أسدى لنا المعروف، عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِّ فَأَعِيذُوهُ وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِّ فَأَعْطُوهُ وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ مَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ﴾ وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِّ فَأَعْطُوهُ وَمَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللهِّ فَأَعِيذُوهُ وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ وَمَنِ اسْتَجَارَكُمْ فَأَجِيرُوهُ﴾ وعن أبي سفيان عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ أُبْلِيَ بَلَاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ﴾ وعن النعمان بن بشير قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر: ﴿مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهَّ شُكْرٌ وَتَرْكُهَا كُفْرٌ وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَّ﴾ وعن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، أنه قال لجليس له يوما: اشكر المنعم عليك، وأنعم على الشاكر لك، فإنه لا نفاد للنعم إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت، والشكر زيادة في النعم، وأمان من الغير. وعن أبي العباس المبرد، قال: قال أعرابي لعبد الله بن جعفر: لا ابتلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك، وأنعم عليك نعمة يقصر عنها شكرك. وعن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ وَمَنْ تَحَلَّى بِمَا لَمْ يُعْطَهُ كَانَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ﴾ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب وفي الباب عن أسماء بنت أبي بكر وعائشة، ومعنى قوله ومن كتم فقد كفر يقول قد كفر تلك النعمة.

----

*(استجار) استغاث والتجأ (الثناء) المدح والوصف بالخير

مراجع: المحاسن والمساوئ/ المعجم الوسيط/ شرح نهج البلاغة/ مختار الصحاح/ لسان العرب/ كتاب بغداد/ مسند أحمد/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/

حدث أبو عباد[1]، وذكر المأمون فقال: كان والله أحد ملوك الأرض الذي يجب له هذا الاسم بالحقيقة، ثم أنشأ يحدث قال: كان يلزم بابي رجل لا أعرفه، فلما طالت ملازمته قلت له بسوء لقائي: يا هذا ما لزومك بابي؟ قال: طالب حاجة، قلت: وما هي؟ قال: توصلني إلى أمير المؤمنين، أو توصل لي رقعة، قلت: ما يمكنني ما تريد في أمرك. فانصرف ولم يرد علي شيئا؛ وجعل يلزم الباب فما يفارقه، فإذا انصرف فرآني نشيطا تصدى لي، فأراني وجهه فقط، فإن رآني بغير تلك الحال كمن ناحية، فما زالت تلك حاله صابرا علينا حتى رققت عليه، فقلت له يوما وقد انصرفت من الدار: مكانك، فأقام، فقلت للغلام: أدخل هذا الرجل، فأدخله، فقلت: يا هذا إني أرى لك مطالبة جميلة، وأظن أنك ترجع إلى محتد كريم، وأدب بارع، قال: أما المحتد فرجل من الأعاجم، وأما الأدب فأرجو أن تجده إن طلبته، قلت: إن عندي منه علما، قال: وما هو أدام الله عزك؟ قلت: صبرك على المطالبة الجميلة، قال: ذاك أقل أحوالي أعزك الله. قال: فدخلتني له جلالة، فقلت: حاجتك؟ قال: ضيعة صارت لأمير المؤمنين أيده الله كانت لـ سعيد بن جابر[2] وكنا شركاءه فيها. فجاء وكيله فضرب منارة على حدودنا وحدوده، وهذه ضيعة كنا نعود بفضلها على الغريب والصديق والجار الأخ؛ قلت: فمعك رقعة؟ قال: نعم. فأخرج رقعة من خفه فيها مظلمته، فلما قرأتها ووضعتها، قام فانصرف، فخف على قلبي، وأحببت نفعه، فأدخلته على المأمون مع خمسة من أصحاب الحوائج فاتفق أن كان أول من تكلم منهم، فاستنطق رجلا فصيحا، حسن العبارة لسنا، فقال: تكلم بحاجتك، فتكلم، فقال: يا ثابت وقع له بقضائها، ثم قال: ألك حاجة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أرض غلبني عليها ابن البختكان[3] بالأهواز بقوة السلطان، فأخرجها عن يدي، ودعاني إلى أخذ بعض ثمنها، فقال: يا ثابت وقع له بالكتاب إلى القاضي هناك يأمره بإنصافه وإخراج يد ابن البختكان منه وأخذها من الرجل بحكمه. ألك حاجة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قطيعة كان المنصور أقطعها أبي، فأخذت من أيدينا بسبب البرامكة، قال: وقع برد عليه هذه موفورة وينظر ما أخرجت منذ قبضت عنهم إلى هذه الغاية فيدفع إليهم حاصل غلاتهم. ثم قال: ألك حاجة؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، علي دين قد كظني* وأزلني بكثره، وقوى علي أربابه، قال: وكم دينك؟ قال: أربع مائة ألف دينار(؟)، قال: وقع يا ثابت بقضاء دينه. قال: فسأل سبع حوائج قيمتها ألف ألف درهم؛ فوالله ما إن زالت قدمه عن مقرها حتى قضيت. فامتلأت غيظا، وفرت فور المرجل حتى لو أمكنت من لحمه لأكلته.ثم دعا للمأمون وخرج. فقال: يا ثابت، أتعرف هذا الرجل؟ قلت: فعل الله به وفعل، فما رأيت والله رجلا أجهل منه، ولا أوقح وجها! فقال: لا تقل ذاك فتظلمه، فما أدري متى خاطبت رجلا هو أعقل منه، ولا أعرف بما يخرج من رأسه. فقصصت عليه قصته أولها وآخرها، فقال: هذا من الذي قلت لك، ثم قال: وأزيدك أخرى ولا أحسبك فهمتها، قال: قلت: وما هي؟ قال: أما رأيت خاتمه في إصبعه اليمنى؟ قال:﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد]

----

*(كظني الأمر) أي ملأني همه

■ (1) أبو عباد، الكاتب وزير المأمون، هو ثابت بن يحيى بن يسار الرازي.أحد الكفاة البارعين في الحساب والتصرف والمعرفة، وبذلك ساد وتقدم.نهض بأمور الأموال لمخدومه أتم ما يكون، ثم إنه عجز من استيلاء النقرس، واستعفي.وكان جوادا، سمحا، سريا، إلا أنه كان منقبضا عبوسا. عاش 65 سنة، وتوفي سنة 220 هـ.

■ (3) ابن البختكان ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (2) سعيد بن جابر (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

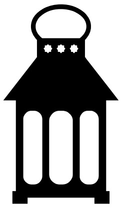

عن الحسين بن يحيي الكاتب قال: غضب أبو عباد ثابت ابن يحيى كاتب المأمون يوما على بعض كتابه فرماه بدواة كانت بين يديه فلما رأى الدم يسيل ندم وقال: صدق الله عز و جل والذين إذا ما غضبوا هم يتجاوزون فبلغ ذلك المأمون فانتبه وعتب عليه وقال: ويحك أنت أحد أعضاد المملكة وكتاب الخليفة ما تحسن تقرأ آية من كتاب الله؟! فقال: بلى يا أمير المؤمنين إني لأقرأ من سورة واحدة ألف آية وأكثر، فضحك المأمون وقال: من أي سورة؟ قال: من أيها شئت فازداد ضحكه وقال: قد شئت من سورة الكوثر وأمر بإخراجه من ديوان الكتابة فبلغ ذلك دعبلا الشاعر فقال: أولى الأمور بضيعة وفساد أمر يدبره أبو عباد خرق على جلسائه فكأنهم حضروا لملحمة ويوم جلاد فكأنه من دير هزقل مفلت حرد يجر سلاسل الأقياد. كان أبو عباد ثابت بن يحيى كاتب المأمون إذا سئل الحاجة يشتم السائل، ويسطو عليه ويخجله ، ويبكته ساعة ثم يأمر له بها، فيقوم وقد صارت إليه وهو يذمه ويلعنه قال على بن جبلة العكوك: لعن الله أبا عباد لعنا يتوالى يوسع السائل شتما. ثم يعطيه السؤالا. دخل أبو عباد ثابت بن يحيى إلى المأمون وهو يختال فى مشيته فقال المأمون: رهو خراسان وتيه النبط..ونخوة الخوذ وغدر الشرط..اجتمعت فيك ومن بعد ذا. أنك رازى كثير الغلط. قال الصولى أراد بقوله: رازى كثير الغلط: أنه يرتفق فنسبه إلى اللصوصية لأن اللص الحاذق ينسب إلى الرى. ومثل بيتى المأمون ما أنشده الأصمعى: إذا ما بدا عمرو بدت منه صورة..تدل على مكنونه حين يقبل.. بياض خراسان ولكنه فارس..وجثة رومى وشعر مفلفل.

☪

عن طارق، قال : كنا جلوسا عند الشعبي، فجاء جرير بن يزيد، فدعا له الشعبي بوسادة فقلنا له: يا أبا عمرو نحن عندك أشياخ، دعوت لهذا الغلام بوسادة؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ﴾ قال جعفر: ثلاثة يجب لهم الرحمة: غني افتقر وعزيز قوم ذل وعالم تلاعب به الجهال. وقيل: تلاعب به الصبيان. وقال الفضيل بن عياض: ارحموا عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالما بين جهال. وعن سعيد ابن عبد العزيز أن الحجاج بن يوسف سأل خالد بن يزيد عن الدنيا فقال: ميراث فقال: فالأيام؟ قال: دول، قال: فالدهر؟ قال: أطباق والموت بكل سبيل، فليحذر كل عزيز الذل وكل غني الفقر، فكم من عزيز قوم قد ذل، وكم من غني افتقر.

☪

عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ؛ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ﴾ (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه) أي ذهب بطائفة من ماله وفصلها عنه. وعن محمد بن إبراهيم:﴿أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ، حَدَّثَهُ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ، وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الْأَرْضَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ﴾ (قيد) أي قدر شبر من الأرض يقال قيد وقاد وقيس وقاس بمعنى واحد. عن سالم عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ﴾ (خسف به) غارت به الأرض وجعل ذلك في عنقه كالطوق. عن أبي مالك الأشجعي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَعْظَمُ الْغُلُولِ عِنْدَ اللهِ ذِرَاعٌ مِنَ الْأَرْضِ، تَجِدُونَ الرَّجُلَيْنِ جَارَيْنِ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي الدَّارِ، فَيَقْتَطِعُ أَحَدُهُمَا مِنْ حَظِّ صَاحِبِهِ ذِرَاعًا، فَإِذَا اقْتَطَعَهُ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ﴾ (منار) أي حدودها.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار / تهذيب اللغة/ مصنف ابن أبي شيبة/ شرح نهج البلاغة/

قال دياب الإتليدي: مما وضع في بطون الدفاتر، واستحسنته عيون البصائر، ونقلته الأصاغر عن الأكابر، ما رواه -برون الكبير؟- خادم أمير المؤمنين المأمون قال: طلبني أمير المؤمنين المأمون ليلة، وقد مضى من الليل ثلثه، فقال لي: خذ معك فلانا وفلانا، وسماهما لي: أحدهما، علي بن محمد[1]، والآخر، دينار[2] الخادم، واذهب مسرعا لما أقول لك، فإنه بلغني أن شيخا يحضر ليلا إلى آثار دور البرامكة، وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكي عليهم، ثم ينصرف فامض أنت وعلي ودينار حتى تردوا تلك الخرائب فاستتروا خلف بعض الجدران، فإذا الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتا فأتوني به. قال: فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرائب، فإذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي حديد، وإذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف، فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الأبيات: ولما رأيت السيف جندل جعفرا..ونادى مناد للخليفة: يا يحيى..بكيت على الدنيا وزاد تأسفي..عليهم وقلت: الآن لا تنفع الدنيا. مع أبيات أطالها. فلما فرغ قبضنا عليه، وقلنا له: أجب أمير المؤمنين، ففزع فزعا شديدا وقال: دعوني حتى أوصي بوصية فإني لا أوقن بعدها بحياة. ثم تقدم إلى بعض الدكاكين واستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها إلى غلامه ثم سرنا به، فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين قال: حين رآه: من أنت، وبم استوجبت منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم؟ قال الخادم: ونحن نستمع. فقال: يا أمير المؤمنين، إن للبرامكة أيادي خضرة عندي، أفتأذن لي أن أحدثك بحالي معهم؟ قال: قل. فقال: يا أمير المؤمنين! أنا المنذر بن المغيرة[3]، من أولاد الملوك، وقد زالت عني نعمتي، كما تزول عن الرجال، فلما ركبني الدين، واحتجت إلى بيع ما على رأسي ورؤوس أهلي وبيتي الذي ولدت فيه، أشاروا علي بالخروج إلى البرامكة، فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية، وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب، حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد، فدعوت ببعض ثياب كنت أعددتها لأستتر بها، فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم، ودخلت شوارع بغداد سائلا عن البرامكة، فإذا أنا بمسجد مزخرف وفي جانبه شيخ بأحسن زي وزينة، وعلى الباب خادمان، وفي الجامع جماعة جلوس، فطمعت في القوم ودخلت المسجد وجلست بين أيديهم، وأنا أقدم رجلا و أوخر أخرى، والعرق يسيل مني لأنها لم تكن صناعتي، وإذا الخادم قد أقبل ودعا القوم فقاموا وأنا معهم، فدخلوا دار يحيى بن خالد[4]، فدخلت معهم، وإذا بـ يحيى جالس على دكة له وسط بستان، فسلمنا، وهو يعدنا مائة وواحدا، وبين يديه عشرة من ولده، وإذا بأمرد* نبت العذار* في خديه قد أقبل من بعض المقاصير*، وبين يديه مائة خادم متمنطقون، في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال، مع كل خادم مجمرة من ذهب، في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر*، وقد قرن به مثله من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام، وجلس إلى جنب يحيى، ثم قال للقاضي: تكلم وزوج ابنتي عائشة من ابن أخي هذا. فخطب القاضي خطبة النكاح وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر، فالتقطت، والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ونظرت، وإذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر، وإذا بمائة واثني عشر خادما قد أقبلوا ومع كل خادم صينية من فضة، على كل صينية ألف دينار، فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية، فرأيت القاضي والمشايخ يضعون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم، ويقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدي لا أجسر على أخذ الصينية، فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي والصينية في يدي وقمت وجعلت أتلفت إلى ورائي مخافة أن أمنع من الذهاب، فبينما أنا كذلك إلى أن وصلت إلى صحن الدار، ويحيى يلاحظني، فقال للخادم: ائتني بهذا الرجل، فأتيته، فقال: ما لي أراك تلتفت يمينا وشمالا؟ فقصصت عليه قصتي فقال للخادم: ائتني بولدي موسى[5]، فأتاه به. فقال له: يا بني! هذا رجل غريب، فخذه إليك واحفظه بنفسك وبنعمتك. فقبض موسى ولده على يدي وأدخلني إلى دار من دوره فأكرمني غاية الإكرام، وأقمت عنده يومي وليلتي في ألذ عيش وأتم سرور، فلما أصبح دعا بأخيه (أبو العباس[6]، وقال له: الوزير أمرني بالعطف على هذا الفتى، وقد علمت اشتغالي في بيت أمير المؤمنين، فاقبضه إليك، وأكرمه. ففعل ذلك وأكرمني غاية الإكرام ثم لما كان من الغد تسلمني أخوه أحمد[7]، ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولوني مدة عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني أفي الأموات هم أم في الأحياء، فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا: قم فاخرج إلى عيالك بسلام. فقلت: وا ويلاه، أسلب الدنانير والصينية، وأخرج على هذه الحالة؟ إنا لله وإنا إليه راجعون. فرفع الستر الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، فلما رفع الخادم الستر الأخير قال لي: مهما كان لك من الحوائج فارفعها إلي فإني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به. فلما رفع الستر الأخير رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك، وإذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج، وحمل إلي مائة ألف درهم، وعشرة آلاف دينار، ومنشور بضيعتين، وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق، وأقمت يا أمير المؤمنين، مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب، فلما جاءتهم البلية ونزل بهم يا أمير المؤمنين، من الرشيد ما نزل أجحف بي عمرو بن مسعدة[8] وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به، فلما تحامل علي الدهر كنت في آخر الليل أقصد خرائب دورهم، فأندبهم وأذكر حسن صنيعهم إلي وأبكي على إحسانهم. فقال المأمون: علي بعمرو بن مسعدة. فلما أتي به قال له: تعرف هذا الرجل؟ قال: يا أمير المؤمنين، هو بعض صنائع البرامكة. قال: كم ألزمته في ضيعتيه؟ قال: كذا وكذا. فقال له: رد إليه كل ما أخذته منه في مدته، وأفرغهما له ليكونا له ولعقبه من بعده. قال: فعلا نحيب الرجل، فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له: يا هذا! قد أحسنا إليك، فما يبكيك؟ قال: يا أمير المؤمنين، وهذا أيضا من صنيع البرامكة، لو لم آت خرائبهم فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبري إلى أمير المؤمنين، ففعل بي ما فعل من أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين؟ قال إبراهيم بن ميمون: فرأيت المأمون، وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال: لعمري هذا من صنائع البرامكة، فعليهم فابك، وإياهم فاشكر، ولهم فأوف ولإحسانهم فاذكر.

*(الفهر) الحجر قدر ما يكسر به جوز أو يدق به شيء وعامة العرب تؤنثه وتصغيره: فهيرة (الأمرد) الشاب الذي بلغ خروج لحيته وطر شاربه ولم تبد لحيته (العذار) استواء شعر الغلام يقال ما أحسن عذاره أي خط لحيته (المقصورة) والجميع المقاصير: الدار الواسعة المحصنة الحيطان. وحيث يقوم الإمام في المسجد.

■ (3) المنذر بن المغيرة الدمشقي حكي أنه كان من أولاد الملوك فقعد به الدهر فقصد البرامكة بالعراق فأحسنوا إليه وأقطعوه ضيعتين وحمل إلى الرشيد (المأمون؟) لما شعر به أنه توجع لمصاب البرامكة له ذكر

■ (4) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (8) عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي: وزير المأمون، وأحد الكتاب البلغاء. كان يوقع بين يدي جعفر ابن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، واتصل بالمأمون، فرفع مكانته، وأغناه. وفي كتب الأدب كثير من رسائله وتوقيعاته. وكان جوادا ممدحا فاضلا نبيلا. توفي في أذنة (أطنه) بتركية آسية سنة 217 هـ

■ (5) موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، أبوه هو الوزير يحيى البرمكي، وأخواه جعفر والفضل ابني يحيى، و أحد وزراء وقادة الدولة العباسية، ولاه الرشيد هارون دمشق والشام بأسره أيام عصبية أبي الهيذام، فقدم دمشق وأصلح بين المضرية واليمانية. توفي سنة 221 هـ

■ (6) أبو العباس، الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماس بن بشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد.وكان ابنه الفضل من رجال الكمال، ولي إمرة خراسان، وعمل الوزارة، وكان فيها -قيل- أسخى من أخوه جعفر البرمكي، ولكنه يضرب بكبره وتيهه المثل، وكان أخا للرشيد من الرضاعة وعمل الوزارة مدة لهارون، ثم حولها منه إلى جعفر، واستعمل على المشرق كله هذا، واستعمل جعفرا على المغرب كله. ولد الفضل البرمكي سنة 176 هـ وتوفي بالسجن سنة 193 هـ.

■ (2) دينار بن عبد الله من موالي الرشيد وكان عظيما في أيام المأمون وعاضد الحسن بن سهل على حروب الفتنة لإبراهيم بن المهدي وغيره

■ (7) أحمد هل هو محمد فهل يكون أحمد هو محمد بن يحيى البرمكي، أبوه هو الوزير يحيى، وأخواه الوزيران جعفر والفضل، وهو أحد وزراء وقادة الدولة العباسية في عهد هارون الرشيد. (1) علي بن محمد (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

قال ابن كثير رحمه الله: ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة، فيها كان مقتل الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، ودمار ديارهم، واندثار آثارهم، وذهاب صغارهم وكبارهم، وقد اختلف في سبب ذلك على أقوال، ذكرها أبو جعفر بن جرير، وغيره من علماء التاريخ، فمما قيل: إن الرشيد قد سلم يحيى بن عبد الله بن حسن إلى جعفر البرمكي، فسجنه عنده، قال: فما زال يحيى يترفق له حتى أطلقه جعفر، فنم الفضل بن الربيع على جعفر في ذلك، فقال له الرشيد: ويلك، لا تدخل بيني وبين جعفر، فلعله قد أطلقه على أمري وأنا لا أشعر. ثم سأل الرشيد جعفر عن ذلك فصدقه الحال، فتغيظ عليه الرشيد، وحلف ليقتلنه، وكره البرامكة، ومقتهم، وقلاهم، بعد ما كانوا أحظى الناس عنده، وأحبهم إليه، وكانت أم جعفر والفضل أمه من الرضاعة، وجعلهم من الرفعة في الدنيا وكثرة المال، بسبب ذلك في شيء كثير لم يحصل لمن قبلهم من الوزراء، ولا لمن بعدهم من الأكابر والرؤساء، بحيث أن جعفرا بنى دارا، وغرم عليها عشرين ألف ألف درهم، وكان ذلك من جملة ما كبر عليه بسببه. ويقال: إن الرشيد كان لا يمر ببلد ولا إقليم فيسأل عن قرية أو مزرعة أو بستان، إلا قيل: هذا لجعفر.وقد قيل: إن البرامكة كانوا يريدون إبطال خلافة الرشيد، وإظهار الزندقة، ويؤيد ذلك ما روى أن الرشيد أتى بأنس بن أبي شيخ، وكان يتهم بالزندقة، وكان مصاحبا لجعفر، وذلك ليلة قتل، فدار بينه وبينه كلام، فأخرج سيفا من تحت فراشه، وأمر بضرب عنقه به، وجعل يتمثل ببيت قيل في أنس، قبل ذلك، وهو: تلمظ السيف من شوق إلى أنس..فالسيف يلحظ والأقدار تنتظر. فضرب عنقه، فسبق السيف الدم، فقال الرشيد: رحم الله عبد الله بن مصعب. فقال الناس: إن السيف كان سيف الزبير بن العوام، رضي الله عنه. وقيل: إنه بسبب العباسة أخته، فإن جعفرا كان يدخل على الرشيد بغير إذن، حتى إنه كان ربما دخل عليه وهو في الفراش مع حظاياه، وهذه وجاهة عظيمة، ومنزلة عالية، وكان من أحظى العشراء، على الشراب، فإن الرشيد كان يستعمل في أواخر ملكه المسكر، وكان المخلف. وكان أحب أهله إليه أخته العباسة بنت المهدي، وكان يحضرها معه، وجعفر البرمكي حاضر أيضا، فزوجه بها، ليحل له النظر إليها، واشترط عليه أن لا يطأها، فكان الرشيد ربما قام وتركهما وهما ثملان من الشراب، فربما واقعها جعفر، فاتفق حملها منه، فولدت ولدا بعثته مع بعض جواريها إلى مكة، وكان يربى هناك. وذكر قاضي القضاة ابن خلكان في الوفيات صفة أخرى في مقتل جعفر. وروى ابن الجوزي أن الرشيد سئل عن السبب الذي من أجله أهلك البرامكة، فقال: لو أن قميصي هذا يعلم لأحرقته.

قال الأصمعي: كنت أجالس الرشيد وأسامره، فوجه إلي ليلة في ساعة يرتاب فيها البريء، فتناولت أهبة الدخول عليه فمنعت من ذلك وأعجلت، فدخلني من ذلك رعب شديد وخوف، وجعلت أتذكر ذنبا فلا أجده، وجعلت نفسي تظن الظنون. فلما دخلت عليه سلمت ومثلت بين يديه قائما وهو مطرق، فرفع رأسه إلي، فلما رآني أمرني بالجلوس، فجلست، فقال: يا عبد الملك، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: لو أن جعفر خاف أسباب الردى..لنجا بمهجته طمر ملجم..ولكان من حذر المنون بحيث لا..يرجو اللحاق به الغراب القشعم..لكنه لما تقارب يومه..لم يدفع الحدثان عنه منجم. وكان بين يديه طست مغطى بمنديل، فأمر بكشفه فكشف، فإذا رأس جعفر بن يحيى البرمكي، ثم قال: الحق بأهلك يابن قريب، فنهضت ولم أجر جوابا للرعب. فلما أفرخ روعي فكرت في ذلك، فوجدته أحب أن يعلمني مكره ونكره ودهاءه ليتحدث به عنه. قال الأصمعي: فخرجت وأنا أقول: أيها المغرور هل لك..عبرة في آل برمك..عبرة لم ترها أنت..ولا قبل آت لك.

قال يحيى بن أكثم: سمعت المأمون يقول: لم يكن لـ يحيى بن خالد وولده نظير في الكفاية والبلاغة والجود والشجاعة، ولقد صدق القائل: أولاد يحيى أربع..كالأربع الطبائع..فهم إذا خيرتهم..طبائع الصنائع. فقلت: يا أمير المؤمنين، أما الكفاية والبلاغة والسماحة فتعرفها، ففيمن الشجاعة؟ فقال: في موسى بن يحيى، وقد رأيت أن أوليه ثغر السند. قال علي بن أبي النجم: قال لي يحيى بن خالد: صف لي ولدي، فإنك خليطهم، قال: نعم، أما الفضل: فيرضيك بفعله، وأما جعفر: فيرضيك بقوله، وأما محمد: فيفعل بحسب ما يجد، وأما موسى: فيفعل ما لا يجد.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ البداية والنهاية/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ الطبقات السنية في تراجم الحنفية/ ثمرات الأوراق/ المحاسن والمساوئ/ لسان العرب/ المحيط في اللغة/ مروج الذهب/

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) وابن البزار 0850

قال عبد الله بن أحمد، عن أبيه: ما يأتي على ابن البزار[1] يوم إلا وهو يعمل فيه خيرا، ولقد كنا نختلف إلى فلان، فكنا نقعد نتذاكر إلى خروج الشيخ، وابن البزار قائم يصلي. قال أبو العباس السراج: سمعت الحسن بن الصباح يقول: أدخلت على المأمون ثلاث مرات: رفع إليه أول مرة أنه يأمر بالمعروف قال: وكان نهى أن يأمر أحد بمعروف فأخذت، فأدخلت عليه، فقال لي: أنت الحسن البزار؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وتأمر بالمعروف؟ قلت: لا ولكني أنهى عن المنكر، قال: فرفعني على ظهر رجل، وضربني خمس درر، وخلى سبيلي. وأدخلت المرة الثانية عليه، رفع إليه أني أشتم عليا رضي الله عنه، فأدخلت، فقال: تشتم عليا ؟ فقلت: صلى الله على مولاي وسيدي علي، يا أمير المؤمنين، أنا لا أشتم يزيد بن معاوية[3] لانه ابن عمك، فكيف أشتم مولاي وسيدي؟! قال: خلوا سبيله. وذهبت مرة إلى أرض الروم إلى البدندون* في المحنة، فدفعت إلى أشناس[2]. قال: فلما مات خلي سبيلي.

----

*(بدندون) بفتحتين وسكون النون ودال مهملة وواو ساكنة ونون قرية بينها وبين طرسوس يوم من بلاد الثغر مات بها المأمون فنقل إلى طرسوس ودفن بها ولطرسوس باب يقال له باب بذندون عنده في وسط السور قبر أمير المومنين المأمون عبد الله بن هارون كان خرج غازيا فأدركته وفاته هناك وذلك في سنة 812 هـ

■ (1) ابن البزار، الحسن بن الصباح بن محمد الامام الحافظ الحجة، شيخ الا سلام، أبو علي، الواسطي، ثم البغدادي البزار، ويعرف أيضا بابن البزار. قال أبو حاتم: صدوق، كانت له جلالة عجيبة بغداد. كان أحمد ابن حنبل يرفع من قدره ويجله.مات سنة 249 هـ، من أبناء الثمانين.

■ (2) أشناس التركي ولى الشام جميعه والجزيرة ومصر وتوجه المعتصم وألبسه وشاحين بالجوهر في سنة 225 هـ. وكان أحد قُواده الشجعان، شهد عمورية مع المعتصم، وأصبح شخصية هامة في تاريخ الخلافة العباسية، وأما أمر توليه الحرمين فأنه لما أراد الحج سنة 226هـ، جعل المعتصم إليه ولاية كل بلد يدخلها، وعلى هذا فإمارتة للمدينة كانت فخرية وقصيرة في فترة تأدية مناسك الحج والعودة. ونظر في صلات المعتصم لأشناس فوجد مبلغها أربعين ألف درهم، وأظن أنه بقي في ولايته إلى أن مات سنة 230 في أيام الواثق.

■ (3) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي الدمشقي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بـ الماطرون سنة 25 هـ، ونشأ بدمشق. وولي الملك بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين ابن علي، فانصرف الاول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وكان من أمرهما ما تقدمت الإشارة إليه في ترجمتيهما، وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61 هـ. وخلع أهل المدينة طاعته سنة 63 هـ فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الافاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع وفتح سلم بن زياد بخارى وخوارزم. ومدته في الملك ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بحوارين من أرض حمص سنة 64 هـ وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق. وشخصيته ما زالت مدار جدل بين العلماء.

الإسلام

عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلاَّ وَلَهُ حَوَارِيُّونَ، فَيَمْكُثُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مَا شَاءَ اللهُّ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِمْ بِكِتَابِ اللهَّ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، فَإِذَا انْقَرَضُوا كَانَ مَنْ بَعْدِهِمْ أُمَرَاءُ يَرْكَبُونَ رُءُوسَ الْمَنَابِرِ، يَقُولُونَ مَا تَعْرِفُونَ وَيَعْمَلُونَ مَا تُنْكِرُونَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ أُولَئِكَ فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ يُجَاهِدَهُمْ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ إِسْلَامٌ﴾ أخرجه ابن عساكر وعن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ مِنْ بَعْدِي يَأْمُرُونَكُمْ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ وَيَعْمَلُونَ بِمَا تُنْكِرُونَ فَلَيْسَ أُولَئِكَ عَلَيْكُمْ بِأَئِمَّةٍ﴾ (يأمرونكم بما لا تعرفون) من كتاب وسنة (فليس أولئك عليكم بأئمة) أي فلا يجب عليكم طاعتهم في معصية إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

جلس المأمون يوما للمظالم فدفع إليه رقعة فيها مظلمة من أمير المؤمنين فقال لصاحبها: من ظلامتك؟ قال: ثلاثون ألف دينار اشترى سعيد وكيلك مني جواهر بها ولم يوف ثمنها لي. فقال: كلامك هذا محتمل يجوز أن يكون وفره، ويجوز أن يكون اشتراه لنفسه، ويجوز أن يكون أخذ مني الثمن ولم يدفعه إليك. فقال الرجل: أنت أولى الناس بالإنصاف، احملني على سنة النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ﴾ وقد عدمت البينة فقال: نعم ودعا بيحيى قاضيه فلما دخل قال له: اقض بيننا. فقال: لا أفعل إنك لم تجعل دارك مجلس قضائي. فقال: قد جعلت. فأذن للعامة فخرج المأمون ومعه غلام يحمل مصلى فطرحه له، فقال يحيى: لا تأخذ على خصمك شرف المجلس فدعا له بمثله، فادعى الخصم فقال يحيى: ألك بينة؟ قال: لا فما بعد البينة؟ قال: يمينه. فقال للمأمون: أتحلف؟ قال: نعم. فاستحلفه فحلف، ثم قال المأمون: أدفع إليه ما ادعاه والله ما حلفت فجرة، ولكن خوفا من الرعية لئلا يقدروا أني منعته بالإستطالة.

مراجع: سير أعلام النبلاء للذهبي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ اليواقيت والضرب في تاريخ حلب/ طبقات الحنابلة/ معجم البلدان/محاضرات الأدباء/

قال أبو الشيخ الأصبهاني: سمعت عبد الله بن عمر المذكر، قال: سمعت أبا العباس الدقاق، قال: سمعت بعض المحدثين يقول: دخل أيوب بن زياد الأصبهاني[1] على المأمون أمير المؤمنين فقال: يا أيوب صف لي أصبهان وأوجز: فقال: يا أمير المؤمنين هواؤها طيب وماؤها عذب وحشيشها الزعفران وجبالها العسل، غير أنها لا تخلو من خلال* أربع: جور* سلطان، وغلاء السعر، وقلة المطر، وفقد مياه، فأطرق* المأمون ساعة وبيده قضيب* ينكت* به الأرض فرفع رأسه فقال: يا أيوب لعل قراءها منافقون، ثناءها شربة خمور، وتجارها مربئون، وفي أطرافها لا يصلون.

وفي رواية أبو نعيم الأصبهاني قال: كذا روي دخل أيوب على المأمون ووهم المذكر أو بعض المحدثين فيه فإن أيوب بن زياد الذي كان عاملا على أصبهان الذي بنى المسجد والسوق كان يلي على أصبهان من قبل أبي جعفر المنصور[2] سنة إحدى وخمسين ولم يعش إلى خلافة المأمون. وعنه قال سمعت أبا بكر محمد بن إبراهيم بن علي يقول غير مرة سمعت من يحكي أن محمد بن سليمان[3] صاحب ميدان سليمان الأصبهاني دخل على المأمون فقال له: صف لي أصبهان وأوجز فقال: هواؤها طيب وماؤها عذب وحشيشها الزعفران وجبالها العسل غير أنها لا تخلو من خلال أربع جور سلطان وغلاء الأسعار وقلة أمطار وقلة مياه فأطرق المأمون ساعة وبيده قضيب ينكت به الأرض فرفع رأسه فقال: يا محمد لعل قراءها منافقون وتجارها مربئون وتناءها شربة خمور وفي أطرافها لا يصلون.

وفي رواية الراغب الأصفهاني قال: دخل محمد بن عبد الملك الزيات[4] على المأمون فقال: صف لي أصبهان وأوجز قال: هواؤها طيب وماؤها عذب وحشيشها الزعفران وجبالها العسل، إلا أنها لا تخلو من خلال أربع: جور السلطان وغلاء الأسعار وقلة مياه الأمطار. فاطرق ساعة وقال: لعل تجارها مرابون وقراءها منافقون. وقال المأمون: صف لي فارساً؛ فقال: فيه من كل بلد بلد.

----

*(الخلة) السمة والخصلة والصفة (الجور) البغي والظلم والميل عن الحق (أطرق) أمال رأسه إلى صدره وسكت فلم يتكلم (القضيب) العود (النكت) قرعك الأرض بعود أو بإصبع أو غير ذلك فتؤثر بطرفه فيها.

■ (4) ابن الزيات الوزير الاديب العلامة أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن الزيات. كان والده زياتا سوقيا، فساد هذا بالادب وفنونه، وبراعة النظم والنثر، ووزر للمعتصم وللواثق، وكان معاديا لابن أبي دواد، فأغرى ابن أبي دواد المتوكل، حتى صادر ابن الزيات وعذبه. وكان يقول بخلق القرآن، ويقول: ما رحمت أحدا قط، الرحمة خور في الطبع. فسجن في قفص حرج، جهاته بمسامير كالمسال، فكان يصيح: ارحموني، فيقولون: الرحمة خور في الطبيعة. مات في سنة ثلاث 233 هـ.

■ (3) محمد بن سليمان ؟؟؟ هل هو محمد بن سليمان بن علي، وابن عم المنصور، أمير البصرة، وليها في أيام المهدي. وكان على البصرة وكور دجلة والبحرين وعمان وكور الاهواز وفارس،والذي ثبت دولتهم بعمله وبلائه يوم باخمرا، وكان قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن على يده، وكان بطلا شجاعا ممدحا، وكان الرشيد يجله، ويبالغ في إكرامه، وقد ولي أيضا الكوفة، وعزل سنة 164 وأعاده الرشيد، وزوجه أخته العباسة بنت المهدي سنة 172 واستمر في البصرة إلى أن توفي. 173 هـ وكان غنيا نبيلا، سمت نفسه إلى الخلافة، وصده عن الجهر بطلبها ما كانت عليه من القوة، في أيام المهدي والرشيد قيل: إن الرشيد استولى على تركته، واصطفاها، فكانت بنحو خمسين ألف ألف درهم. كان مولده بالحميمة من الشام سنة 122 هـ. ومات سنة 173 هـ، واصطفى الرشيد عامة ما خلف.

■ (2) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور،عبد الله الأكبر.الملك العباسي الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة،ولد سنة 95 هـ، عهد إليه أخوه السفاح (عبد الله الأصغر بن محمد) وبويع له سنة 136 هـ بعد وفاة أخيه السفاح، وكان شجاعا مهيبا تاركا للهو واللعب، قتل خلقا كثيرا حتى ثبت الأمر له ولولده، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب كان عارفا بالفقه والأدب محبا للأدباء، وهو باني مدينة بغداد، توفي محرما على باب مكة سنة 158 هـ، ودفن ما بين الحجون وبئر ميمون.

■ (1) أيوب بن زياد الأصبهاني

الوزير ابن الزيات كان أبوه زياتا فنشأ هو وقرأ الأدب وقال الشعر البديع وتوصل بالكتابة إلى أن وزر للمعتصم والواثق،وسبب وزارته أنه ورد على المعتصم كتاب بعض العمال وفيه ذكر الكلأ فقرأه الوزير أحمد بن عمار بن شاذي وزير المعتصم عليه فقال له:ما الكلأ؟فقال:لا أعلم، فقال المعتصم:خليفة أمي ووزير عامي انظروا من في الباب، فوجدوا ابن الزيات فأدخلوه إليه فقال له:ما الكلأ ؟ فقال:العشب على الإطلاق فإن كان رطبا فهو الخلا فإذا يبس فهو الحشيش، وشرع في تقسيم النبات فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكمه وبسط يده وأمر أن لا يمر بأحد إلا يقوم له، فكان القاضي أحمد بن أبي دؤاد يرصد له غلاما إذا رآه مقبلا أعلمه فيقوم ويصلي حتى يعبره ابن الزيات فقال ابن الزيات: صلى الضحى لما استفاد عداوتي..وأراه ينسك بعدها ويصوم..لا تعدمن عداوة مسمومة..تركتك تقعد تارة وتقوم. فبلغ ذلك القاضي ابن أبي دؤاد فقال: أحسن من تسعين بيتا هجا..جمعك معناهن في بيت..ما أحوج الدنيا إلى مطرة..تغسل عنهم وضر الزيت. وكان ابن الزيات قد اتخذ تنورا من حديد وفيه مسامير أطرافها المحددة إلى داخل التنور وهي قائمة مثل رؤس المسال يعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال، فكيفما انقلب أحدهم أو تحرك من حرارة الضرب دخلت تلك المسال في جسمه فيجد لذلك ألما عظيما وكان إذا قال أحدهم: أيها الوزير ارحمني، فيقول: الرحمة خور في الطبيعة، فلما اعتقله المتوكل أدخله ذلك التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد فقال: يا أمير المؤمنين ارحمني، فقال: الرحمة خور في الطبيعة، فطلب دواة وقرطاسا فأخذ ذلك وكتب: هي السبيل فمن يوم إلى يوم..كأنه ما تريك العين في النوم..لا تجزعن رويدا إنها دول..دنيا تنقل من قوم إلى قوم. وسيرها إلى المتوكل فاشتغل عنها ولم يقف عليها إلا في الغد فلما قرأها أمر بإخراجه فجاؤوا إليه فوجدوه ميتا سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وكانت إقامته في التنور أربعين يوما ووجد قد كتب بالفحم على جانب التنور: من له عهد بنوم..يرشد الصب إليه..رحم الله رحيما..دل عيني عليه..سهرت عيني ونامت..عين من هنت لديه. وقال في التنور: سل ديار الحي من غيرها..ومحاها وعفا منظرها..وهل الدنيا إذا ما أقبلت..صيرت معروفها منكرها..إنما الدنيا كظل زائل..نحمد الله كذا قدرها.

ولما توفي المعتصم تولى الأمر الواثق وكان قد حلف إن صار الأمر إليه لينكبن ابن الزيات فلما كتب الكتاب ما يتعلق بالبيعة لم يرضوه وكتب ابن الزيات فأرضاه فكفر عن يمينه وقال: المال عن اليمين فدية وعوض وليس عن ابن الزيات عوض، فأقره على الوزارة كان في نفس المتوكل منه شيء كثير فلما ولي الخلافة خشي أن ينكبه عاجلا فيستر أمواله فتفوته فأقره على الوزارة وجعل ابن أبي دؤاد يغريه ويحثه على القبض عليه فأمسكه وأودعه التنور كما تقدم فلم يجد من ضياعه وأملاكه وذخائره إلا ما قيمته مائة ألف دينار فندم على ذلك وقال لابن أبي دؤاد: أطمعتني في الباطل وحملتني على شخص لم أجد عنه عوضا. وكان ابن الزيات من أئمة الأدب المتبحرين الذين دققوا النظر فيه وشعره جيد كثير وله ديوان رسائل.ومدحه البحتري [1] بقصيدته الدالية التي منها: وأرى الخلق مجمعين على فض..لك ما بين سيد ومسود..عرف العالمون فضلك بالعل..م وقال الجهال بالتقليد. وكان ابن الزيات يقول بخلق القرآن.

■ (1) البحتري، الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري: شاعر كبير، يقال لشعره سلاسل الذهب. وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبحتري. قيل لابي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري. ولد بمنبج بين حلب والفرات ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، وتوفي بمنبج. سنة 284 هـ

مراجع:طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأصبهاني / تاريخ أصبهان/ محاضرات الأدباء/ الوافي بالوفيات/

قال محمد بن علي بن صالح السرخسي[٥]: تعرض رجل للمأمون بالشأم مرارا، فقال له: يا أمير المؤمنين، انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم أهل خراسان! فقال:أكثرت علي يا أخا أهل الشام؛ والله ما أنزلت قيسا[1]عن ظهور الخيل إلا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد؛ وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط؛ وأما قضاعة[2]فسادتها تنتظر السفياني[3] وخروجه فتكون من أشياعه، وأما ربيعة[4]فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر[5]؛ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شاريا*، اعزب فعل الله بك! وذكر أبو موسى هارون بن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي أن علي بن صالح[6] حدثه، قال: قال لي المأمون يوما: أبغني رجلا من أهل الشام، له أدب يجالسني ويحدثني، فالتمست ذلك فوجدته، فدعوته فقلت له: إني مدخلك على أمير المؤمنين، فلا تسأله عن شيء حتى يبتدئك، فإني أعرف الناس بمسألتهم يا أهل الشأم، فقال: ما كنت متجاوزا ما أمرتني به. فدخلت على المأمون، فقلت له: قد أصبت الرجل يا أمير المؤمنين، فقال: أدخله، فدخل فسلم، ثم استدناه –وكان المأمون على شغله من الشراب– فقال له: إني أردتك لمجالستي ومحادثتي، فقال الشامي: يا أمير المؤمنين، إن الجليس إذا كانت ثيابه دون ثياب جليسه دخله لذلك غضاضة، قال: فأمر المأمون أن يخلع عليه؛ قال: فدخلني من ذلك ما الله به أعلم، قال: فلما خلع عليه، ورجع إلى مجلسه، قال: يا أمير المؤمنين؛ إن قلبي إذا كان متعلقا بعيالي لم تنتفع بمحادثتي، قال: خمسون ألفا تحمل إلى منزله، ثم قال: يا أمير المؤمنين، وثالثة، قال: وما هي؟ قال: قد دعوت بشيء يحول بين المرء وعقله؛ فإن كانت مني هنة فاغتفرها، قال: وذاك! قال علي: فكأن الثالثة جلت عني ما كان بي.

----

*(الشاري) المشتري والبائع ومن يبيع نفسه في طاعة الله، جمعها: شراة والشراة فرقة من الخوارج

- (5) قبيلة مضر وهم بنو مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وينتمي إلى مضر النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ومضر، الجد السابع عشر للنبي، وكان يكنى بابنه إلياس
- (2) قضاعة قبيلة عربية قديمة أختلف النسابة في نسبها فنسبوهم لحمير –مملكة حمير– ومنهم من نسبوهم إلى معد –معد بن عدنان هو الجد التاسع عشر للنبي–.وقضاعة قبيلة عظيمة تظهر منها عشرون قبيلة، وتشعبت من كل قبيلة بطن وفخذ وقبيلة وعشيرة إلى يومنا هذا.
- (4) قبيلة ربيعة: هؤلاء ممن حاربهم خالد أيام مسيره إلى العراق. فانه بعد أن حارب تغلبا سار إلى حي منهم فغلبه...وربيعة كانت هي التي ابلت في وقعة ذي قار مع مشتقاتها...وربيعة يقال لهم ربيعة الفرس. لأن ربيعة المذكور ورث عن أبيه نزار ابن معد الخيل وهذا تفرعت منه قبائل وبطون ومن قبائلهم: بكر، وتغلب، وعبد القيس، والنمر بن قاسط، ويشكر، وعجل، و جشم، وحنيفة، وقيس بن ثعلبة، وضبيعة، وشيبان، وذهل، وسدوس. وكان بنو بكر وبنو عبد القيس يقيمون بالبحرين، وكان ملكهم المنذر بن ساوى أسلم على يد العلاء بن الحضرمي في سنة 9 هـ ومات المنذر في الشهر الذي مات فيه النبي فارتد أهل البحرين عن الإسلام إلا بنو عبد القيس تمكن سيدهم الجارود من إقناعهم بالثبات على الإسلام.
- (1) عبد القيس قبيلة كبيرة يسكنون البحرين ينسبون إلى عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جليلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، وذكر ابن حجر في الفتح أن لهم وفادتين إحداهما قبل الفتح سنة خمس أو قبلها، ولهذا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: بيننا وبينك كفار مضر، وكانت قريتهم بالبحرين أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة، وكان عددهم ثلاثة عشر، وسألوا عن الإيمان والاشربة، وكان فيهم الاشج كما هو مبين في الحديث، أما الوفادة الثانية فكانت في سنة الوفود، وكان عددهم حينئذ أربعين رجلا، وكان فيهم الجارود العبدي، (انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وبهامشه الجامع الصحيح).
- (3) قيل السفياني رجل يكون آخر الزمان منسوب إلى أبي سفيان من سلالته. يقتل العلماء وأهل الفضل يستعين بهم، فمن أبى عليه قتله!؟ وهو كالدجال رجل طاغية يعيث في الأرض فساداً قبل ظهور محمد بن الحسن المهدي في العقيدة الشيعية الإثني عشرية أو الإمامية أو الجعفرية
- (6) علي بن صالح، كان حاجب المأمون ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (٥) محمد بن صالح السرخسي ؟... محمد بن علي بن صالح السرخسي ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

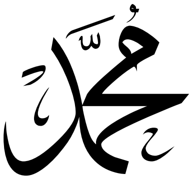

قال جواد علي: يرجع كل العرب من حيث النسب إلى ركن من أركان القبائل. فقد اصطلح علماء النسب على أن للنسب عند العرب بعد قحطان وعدنان* أربعة أركان: ربيعة ومضر ويمن وقضاعة. وذلك على رأي من جعل قضاعة ركنا قائما بذاته ولا يمكن أن يخرج نسب عربي أصيل عن أصل من هذه الأصول. وورد أن العرب في النسب على أربع طبقات: خندفي وقيسي، ونزاري، ويمني ويمن هي قحطان. وكان العرب يتعززون بانتسابهم إلى اليمن، فكان من ينقلب على نسبه يتخذ لنفسه نسبا يمانيا. وأكثر العزوة لمن ينقلب عن نفسه إلى اليمن، لأجل أن الملوك كانت في اليمن مثل: آل النعمان بن المنذر من لخم، وآل سليح من قضاعة، وآل محرق، وآل العرنج، وهو حمير الأكبر ابن سبأ كالتبابعة والأذواء وغيرهم. والعرب يطلبون العز ولو كان في شامخات الشواهق، وبطون الأمالق البوالق، فينتسبون إلى الأعز لحماية الحمية وإباءة الدنية... ورجع بعض النسابين المعروفين نسب العرب إلى ثلاث جراثيم: نزار، واليمن وقضاعة. ويمثل رأيهم هذا رأي القائلين بالأركان الأربعة للقبائل بالضبط؛ لأن نزارا هو في عرفهم والد ربيعة ومضر، وكل ما فعلوه هنا هو أنهم حذفوا اسمي الولدين وأحلوا اسم والدهما في محلهما.

ورجع المأمون الخليفة العباسي، أصول العرب إلى: قيس ويمن وربيعة ومضر. فلما تعرض عربي بالمأمون وهو في زيارته لبلاد الشام، ولامه في تقديم أهل خراسان على العرب، –كما في القصة أعلاه–. فأركان العرب في رأي المأمون أربعة: قيس ويمن وربيعة ومضر. وهي كتل كانت على عادة العرب متنافسة متحاسدة متباغضة، ترى كل واحدة منها نفسها وكأنها أمة دون سائر الأمم، ويمن كناية عن العرب الجنوبيين من همدان وحمير وكندة وأمثالها، وأما قيس وربيعة ومضر، فكناية عن تكتلات وتجمعات العرب من غير اليمن.

----

* قال ابن كثير: لكن الجمهور على أن العرب القحطانية من عرب اليمن وغيرهم ليسوا من سلالة إسماعيل. وعندهم أن جميع العرب ينقسمون إلى قسمين قحطانية وعدنانية فالقحطانية شعبان*سبأ وحضر موت* والعدنانية شعبان أيضا ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان والشعب الخامس وهم قضاعة مختلف فيهم*فقيل إنهم عدنانيون قال ابن عبد البر وعليه الاكثرون. (قحطانية وعدنانية شعبان): قال السمعاني في الانساب ص 5: والعرب على طبقات ست: شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة وما بينهما من الاباء فإنما يعرفها أهلها. وحكى أبو عبيد، عن ابن الكلبي عن أبيه: تقديم الفصيلة مقام العمارة قال صاحب سبائك الذهب: ولا يخفى أن الترتيب الاول أولى. (سبأ وحضر موت): وسبأ اسمه عبد شمس وهو أول من سبى وأسر الاعادي. وحضرموت وبنوه قبيلة من بني قحطان. قال الجوهري: وحضرموت اسم بلد وقبيلة.(قضاعة مختلف فيهم): قال في سبائك الذهب: وهم قبيلة من حمير من القحطانية. وهذا هو المشهور في قضاعة وعليه جرى الكلبي وابن اسحاق

مراجع: الكامل في التاريخ/ تاريخ الرسل والملوك/ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام/ـمختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ البداية والنهاية/

ذكر محمد بن الهيثم الطائي أن أبا القاسم بن محمد الطيفوري حدثه، قال: شكا اليزيدي[1] إلى المأمون خلة أصابته، ودينا لحقه، فقال: ما عندنا في هذه الأيام ما إن أعطيناكه بلغت به ما تريد، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن الأمر قد ضاق علي، وإن غرمائي قد أرهقوني. قال: فرم لنفسك أمرا تنال به نفعا فقال: لك منادمون فيهم من إن حركته نلت منه ما أحب، فأطلق لي الحيلة فيهم، قال: قل ما بدالك، قال: فإذا حضروا وحضرت فمر فلانا الخادم أن يوصل إليك رقعتي؛ فإذا قرأتها، فأرسل إلي، قال: دخولك في هذا الوقت متعذر؛ ولكن اختر لنفسك من أحببت. قال: فلما علم أبو محمد بجلوس المأمون واجتماع ندمائه إليه، وتيقن أنهم قد ثملوا من شربهم(والعهدة على الراوي؟)، أتى الباب، فدفع إلى ذلك الخادم رقعة قد كتبها، فأوصلها إلى المأمون، فقرأها فإذا فيها: يا خير إخواني وأصحابي..هذا الطفيلي لدى الباب..خبر ان القوم في لذة..يصبو إليها كل أواب..فصيروني واحدا منكم..أو أخرجوا لي بعض أترابي. قال: فقرأها المأمون على من حضره، فقالوا: ما ينبغي أن يدخل هذا الطفيلي على مثل هذه الحال. فأرسل إليه المأمون: دخولك في هذا الوقت متعذر، فاختر لنفسك من أحببت تنادمه، فقال: ما أرى لنفسي اختيارا غير عبد الله بن طاهر[2]،فقال له المأمون: لقد وقع اختياره عليك، فصر إليه، قال: يا أمير المؤمنين، فأكون شريك طفيلي! قال: ما يمكن رد أبي محمد عن أمرين؛ فإن أحببت أن تخرج، وإلا فافتد نفسك، قال: فقال: يا أمير المؤمنين، له علي عشرة آلاف درهم، قال: لا أحسب ذلك يقنعه منك ومن مجالستك، قال: فلم يزل يزيده عشرة عشرة، والمأمون يقول له: لا أرضى له بذلك، حتى بلغ المائة ألف. قال: فقال له المأمون: فعجلها له، قال: فكتب له بها إلى وكيله، ووجه معه رسولا، فأرسل إليه المأمون: قبض هذه في هذه الحال أصلح لك من منادمته على مثل حاله، وأنفع عاقبة.

----

(1) يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، أبو محمد، اليزيدي: عالم بالعربية والأدب. من أهل البصرة. كان نازلا في بني عدي بن عبد مناة بن تميم، أو كان من مواليهم، فقيل له العدوي. وسكن بغداد، فصحب يزيد بن منصور الحميري (خال المهدي) يؤدب ولده، فنسب إليه. واتصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون. وعاش إلى أيام خلافته. وتوفي بمرو سنة 202 هـ. من كتبه النوادر. في اللغة، ألفه لجعفر بن يحيى، والمقصور والممدود ومناقب بني العباس ومختصر في النحو. ألفه لبعض ولد المأمون. وله نظم جيد، في ديوان.وكان له خمسة بنين كلهم علماء أدباء شعراء رواة للاخبار، وكلهم ألف في اللغة والادب، وهم:محمد وإبراهيم وإسماعيل وعبد الله وإسحاق.

(2) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس: أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من باذغيس بخراسان وكان جده الاعلى زريق من موالي طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات وولي صاحب الترجمة إمرة الشام، مدة. ونقل إلى مصر سنة 211 هـ، فأقام سنة، ونقل إلى الدينور. ثم ولاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الاطراف. واستمر إلى أن توفي بنيسابور وقيل: بمرو سنة230 هـ وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه، قال ابن الاثير: كان عبد الله من أكثر الناس بذلا للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مراث كثيرة. وقال ابن خلكان: كان عبد الله سيدا نبيلا عالي الهمة شهما، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. وقال الذهبي في دول الاسلام: كان عبد الله من كبار الملوك. وقال الشابشتي: كان المأمون تبناه ورباه. الطاهريون سلالة عربية من قبيلة خزاعة تولت إمرة ولاية خراسان وشرق تركستان أثناء الدولة العباسية ما بين205–259 هـ

(3) أبو العباس، أحمد بن أبي خالد بن يزيد بن عبد الرحمن الكاتب الأحول كاتب ووزير عباسي، تولى الوزارة في عهد الخليفة العباسي المأمون. مات سنة 212 هـ

عن نافع عن ابن عمر قال: هلك أسيد بن الحضير[1] وترك عليه أربعة آلاف درهم دينا وكان ماله يغل كل عام ألفا فأرادوا بيعه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فبعث إلى غرمائه فقال: هل لكم أن تقبضوا كل عام ألفا فتستوفوه في أربع سنين؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، فأخروا ذلك، فكانوا يقبضون كل عام ألفا.

قال الوطواط: معنى التغفل الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة القصد فالمغفل مقصده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد ورميته في الوصول إلى الغرض غير صحيحة كما قال بعض الحكماء: إذا فقد العالم الذهن قل على الأضداد احتجاجه وكثر إليهم احتياجه وتعاورته أسنة الشكوك واشتبهت عليه مناهج السلوك، وقالوا: التغفل تحريف الشيء عن مواضعه مع تيقن إن ذلك صواب.

مما جاء في الذكاء والفهم ما حكي عن المأمون أنه غضب على عبد الله بن طاهر، وشاور أصحابه في الإيقاع به، وكان قد حضر في ذلك المجلس صديق له فكتب إليه كتابا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، يا موسى. فلما فضه ووجد ذلك تعجب وجعل يطيل النظر إليه ولا يفهم معناه، وكانت له جارية واقفة على رأسه فقالت له: يا سيدي، إني أفهم معنى هذا. فقال: وما هو؟ قالت: إنه أراد قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص] وكان قد عزم على الحضور إلى المأمون، فثنى العزم عن ذلك واعتذر للمأمون في عدم الحضور فكان سبب سلامته. وأحسن من ذلك ما ذكره ابن خلكان قال: إن بعض الملوك غضب على بعض عماله فأمر وزيره أن يكتب له كتابا يشخصه به، وكان للوزير بالعامل عناية، فكتب إليه كتابا وكتب في آخره، إن شاء الله تعالى. وجعل في صدر النون شدة. فعجب العامل كيف وقعت هذه الحركة من الوزير إذ من عادة الكتاب أن لا يشكلوا كتبهم، ففكر في ذلك فظهر له أنه أراد:﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ فكشط الشدة وجعل مكانها ألفا وختم الكتاب وأعاده. فلما وقف عليه الوزير سر بذلك وفهم أنه أراد: إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها.﴿إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾ [المائدة]

قال اليزيدي: اجتمعت مع الكسائي عند المهدي فقال: كيف نسبوا إلى البحرين؟ فقالوا: بحراني! ونسبوا إلى الحصنين؟ فقالوا: حصني! ولم يقولوا: حصناني؟ قلت: أصلح الله الأمير، إنهم لو نسبوا إلى البحرين فقالوا بحري لم يعرف إلى البحرين نسبوه أم إلى البحر، ولما جاؤا إلى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له الحصن ينسب إليه غير الحصنين فقالوا حصني. قال أبو محمد اليزيدي: فسمعت الكسائي يقول لعمر بن بزيع: لو سألني الأمير لأخبرته فيها بعلة هي أحسن من هذه. قال أبو محمد: قلت: اصلح الله الأمير! إن هذا يزعم أنك لو سألته لأجاب بأحسن مما أجبت به. قال: فقد سألته. فقال الكسائي: لما نسبوا إلى الحصنين كانت فيه نونان فقالوا: حصني اجتراء بإحدى النونين من الأخرى، ولم يكن في البحرين إلا نون واحدة فقالوا بحراني. فقلت: أصلح الله الأمير، كيف ينسب رجلا من جنان يلزمه أن يقول جني لأن في جنان نونين؟ فإن قال كان ذلك، فقد سوى بينه وبين المنسوب إلى الجن! فقال المهدي: فتناظرا! قال: فتناظرنا.

----

(1) أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك الاوسي، أبويحيى: صحابي، كان شريفا في الجاهلية والاسلام، مقدما في قبيلته الاوس من أهل المدينة. يعد من عقلاء العرب وذوي الرأي فيهم.وكان يسمى الكامل شهد العقبة الثانية مع السبعين من الانصار. وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد أحدا فجرح سبع جراحات وثبت مع رسول الله حين انكشف الناس عنه، وشهد الخندق والمشاهد كلها. وفي الحديث: نعم الرجل أسيد بن الحضير. توفي في المدينة سنة 20 هـ

مراجع: تاريخ الرسل والملوك/ الأعلام للزركلي/ غرر الخصائص الواضحة/ المحاسن والمساوئ/ تاج العروس/ نور القبس/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ الطبقات الكبرى/ نور القبس/.

أخرج ابن عساكر عن أبي محمد اليزيدي[1] قال: كنت أؤدب المأمون وهو في حجر سعيد الجوهري[2] قال: فأتيته يوما وهو داخل، فوجهت إليه بعض خدمه يعلمه بمكاني، فأبطأ علي، ثم وجهت إليه آخر فأبطأ، فقلت لسعيد: إن هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة وتأخر، قال: أجل، ومع هذا إنه إذا فارقك تعرم* على خدامه، ولقوا منه أذى شديدا فقوموه بالأدب. فلما خرج أمرت بحمله فضربته سبع درر. قال: فإنه ليدلك عينيه من البكاء إذ قيل له: هذا جعفر بن يحيى*[3] قد أقبل، فأخذ منديلا، فمسح عينيه من البكاء، وجمع ثيابه، وقام إلى فرشه، فقعد عليها متربعا ثم قال: ليدخل، فدخل، فقمت عن المجلس، وخفت أن يشكوني إليه، فألقى منه ما أكره. قال: فأقبل عليه بوجهه وحديثه حتى أضحكه، وضحك إليه. فلما هم بالحركة دعا بدابته، وأمر غلمانه، فسعوا بين يديه، ثم سأل عني فجئت، فقال: خذ على ما بقي من جزئي. فقلت: أيها الأمير -أطال الله بقاءك- لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر بن يحيى[4] فلو فعلت ذلك لتنكر لي، فقال: أتراني يا أبا محمد كنت أطلع الرشيد على هذه؟ فكيف بجعفر بن يحيى حتى أطلعه؟ إني أحتاج إلى أدب. إذا يغفر الله لك بعد ظنك، ووجيب قلبك، خذ في أمرك، فقد خطر ببالك ما لا تراه أبدا، ولو عدت في كل يوم مئة مرة.

وكان لسعيد الجوهري غلام قد لز* بالمأمون في الكتاب فكان إذا احتاج المأمون إلى محو لوحه بادر إليه فأخذ اللوح من يده فمحاه وغلب على غلمان المأمون ومسحه وجاء به فوضعه على المنديل في حجره، فلما سار المأمون إلى خراسان وكان من أخيه ما كان خرج إليه غلام سعيد فوقف بالباب حتى جاء أبو محمد اليزيدي فلما رآه عرفه فدخل فأخبر المأمون. فقال له مستبشرا بقدومه: لك البشرى! ثم أذن له فدخل عليه فضحك إليه حين رآه ثم قال: أتذكر وأنت تبادر إلى محو لوحي؟ قال: نعم يا سيدي. فوصله بخمس مائة ألف درهم. ثم اتخذ الرشيد الحسن اللؤلؤي[5] بعد أبي محمد اليزيدي على المأمون، فبينا هو يطارحه شيئا من الفقه إذ نعس المأمون. فقال له اللؤلؤي: نمت أيها الأمير! فقال المأمون: سوقي ورب الكعبة! خذوا بيده. فبلغ الرشيد ما صنع فقال متمثلا:وهل ينبت الخطي إلا وشيجه..وتغرس إلا في منابتها النخل. [بيت لـ زهير بن أبي سلمى المزني]

----

*(تعرم) والعرم: الشدة (جعفر بن يحيى) كان الرشيد قد جعل محمدا الأمين في حجر الفضل بن يحيى وعبد الله المأمون في حجر جعفر بن يحيى.(لز) ملازمة وملاصقة. يقال: لز به، إذا لصق به لزا ولزازا. ولازته: لاصقته.

■ (1) يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، أبو محمد، اليزيدي: عالم بالعربية والادب. من أهل البصرة. كان نازلا في بني عدي بن عبد مناة بن تميم، أو كان من مواليهم، فقيل له العدوي. وسكن بغداد، فصحب يزيد بن منصور الحميري (خال المهدي) يؤدب ولده، فنسب إليه. واتصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون. وعاش إلى أيام خلافته. وتوفي بمرو سنة 202 هـ. من كتبه النوادر. في اللغة، ألفه لجعفر بن يحيى، والمقصور والممدود ومناقب بني العباس ومختصر في النحو. ألفه لبعض ولد المأمون. وله نظم جيد، في ديوان.وكان له خمسة بنين كلهم علماء أدباء شعراء رواة للاخبار، وكلهم ألف في اللغة والادب، وهم:محمد وإبراهيم وإسماعيل وعبد الله وإسحاق.

■ (2) سعيد الجوهري..؟ الجوهري الامام الحافظ المجود، صاحب المسند الاكبر، أبو إسحاق، إبراهيم بن سعيد، البغدادي الجوهري، وأصله من طبرستان. ولد بعد السبعين ومئة. قال إبراهيم بن عبد الله: كان أبوه سعيد ثقة محتشما نبيلا، حج مرة، فحج معه أربع مئة نفس..وتوفي مرابطا بعين زربة. فما حرروا وفاته كما ينبغي. فقيل: مات سنة 247 هـ.وقيل سنة 244 هـ وقيل: سنة 249 هـ، وقيل سنة 253 هـ. وإبراهيم بن سعيد الجوهري كان وصي المأمون. بينما العباس بن سعيد الجوهري كان مولاه. والعباس بن سعيد الجوهري المنجم خبير بصناعة التسيير وحساب الفلك قيم بعمل آلات الأرصاد صحب المأمون وندبه إلى مباشرة الرصد في جملة الجماعة المتولين لذلك بالشماسية ببغداد وحقق مواضع بعض الكواكب السيارة والنيرين وعمل على ذلك زيجا مشهورا مذكورا عند أهل هذا الشأن فهو ورفقته سندين علي وخالد بن عبد الملك المر والروزي ويحيى بن أبي منصور أول من رصد في الملة الإسلامية ثم تبعهم الناس بعد ذلك على ما سيأتي في خبر رجل منهم وله تصانيف.

■ (3) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماس بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

■ (5) لحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي، أبو علي: قاض، فقيه، من أصحاب أبي حنيفة، أخذ عنه وسمع منه، وكان عالما بمذهبه بالرأي. ولي القضاء بالكوفة سنة 194 هـ، ثم استعفى. وهو من أهل الكوفة، نزل ببغداد. وعلماء الحديث يطعنون في روايته. وكان أبوه من موالي الانصار. توفي سنة 204 هـ

■ (4) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماس بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

قال إبراهيم بن سعيد الجوهري[1]: كنت واقفا على رأس المأمون، وهو يتفكر، ثم رفع رأسه فقال: يا إبراهيم، بيتا شعر قيلا لم يسبق قائلهما إليهما أحد، ولا يلحقهما أحد. قلت: من هما يا أمير المؤمنين؟ قال: أبو نواس[2] وشريح[3]، فتبسمت فقال: أمن أبي نواس وشريح؟ قلت: نعم. قال: خذ، قال أبو نواس: إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت..له عن عدو في ثياب صديق. قال: قلت أحسن يا أمير المؤمنين، فما قال شريح؟ فقال: قال شريح: تهون على الدنيا الملامة أنه..حريص على استصلاحها من يلومها. فقلت: أحسن يا أمير المؤمنين، فقال: أحسن منها ما سمعته أنا: كنت أسير في موكبي فألجأني الزحام إلى دكان، عليه أسمال، فنظر إلي نظر من رحمني أو متعجب مما أنا فيه فقال: أرى كل مغرور تمنيه نفسه..إذا ما مضى عام سلامة قابل.

أخرج الحاكم عن يحيى بن أكثم القاضي قال: قال لي المأمون يوما : يا يحيى إني أريد أن أحدث فقلت: ومن أولى بهذا من أمير المؤمنين؟ فقال: ضعوا لي منبرا فصعد وحدث فأول حديث حدثنا به: عن هشيم عن أبي الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿امْرُؤُ الْقَيْسِ صَاحِبُ لِوَاءِ الشُّعَرَاءِ إِلَى النَّارِ﴾ منكر ثم حدث بنحو من ثلاثين حديثا ثم نزل فقال لي: يا يحيى كيف رأيت مجلسنا ؟ قلت: أجل مجلس يا أمير المؤمنين تفقه الخاصة والعامة فقال: لا وحياتك ما رأيت لكم حلاوة وإنما المجلس لأصحاب الخلقان والمحابر. وأخرج الحاكم عن محمد بن سهل بن عسكر قال: وقف المأمون يوما للأذان ونحن وقوف بين يديه إذ تقدم إليه رجل غريب بيده محبرة فقال:يا أمير المؤمنين صاحب حديث منقطع به فقال له المأمون: إيش تحفظ في باب كذا ؟ فلم يذكر فيه شيئا فما زال المأمون يقول: حدثنا هشيم وحدثنا حجاج وحدثنا فلان حتى ذكر الباب ثم سأله عن باب ثان فلم يذكر فيه شيئا فذكره المأمون ثم نظر إلى أصحابه فقال: يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ثم يقول: أنا من أصحاب الحديث أعطوه ثلاث دراهم. أخرج ابن عساكر عن علي بن عبد الله قال: قال يحيى بن أكثم : بت ليلة عند المأمون فانتبهت في جوف الليل وأنا عطشان فتقلبت فقال: يا يحيى ما شأنك؟ قلت:عطشان فوثب من مرقده فجاءني بكوز من ماء فقلت:يا أمير المؤمنين ألا دعوت بخادم ألا دعوت بغلام؟قال:لا، حدثني أبي عن أبيه عن جده عن عقبة بن عامر قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ﴾ ضعيف

قال يحيى بن أكثم: كنت نائما ذات ليلة عند المأمون، فعطش، فامتنع أن يصيح لغلام يسقيه، وأنا نائم فينغص علي نومي، فرأيته وقد قام يتمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء، وكان بينه وبين الماء نحو ثلاثمائة خطوة، ثم رجع يتمشى على أطراف أصابعه حتى وصل إلى الفراش الذي أنا عليه، وخطا خطوات لطيفة لئلا ينبهني حتى وصل إلى فراشه، ثم رأيته آخر الليل، وقد قام يبول، فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح للغلام، فلما تحركت وثب قائما وصاح بالغلام وتأهب للصلاة ثم جاءني وقال: كيف أصبحت يا أبا محمد، وكيف مبيتك؟ قلت: بخير مبيت جعلني الله فداك. قال: لقد استيقظت للصلاة، فكرهت أن أصيح للغلام فأزعجك. فقلت: يا أمير المؤمنين، لقد خصك الله بأخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ووهب لك سيرتهم، فهناك الله بهذه النعمة، وأتمها عليك. فأمر لي بألف دينار وانصرفت.

----

*(السداد) بكسر السين: ما يكفي المعوز والمقل، يقال: في هذا سداد من عوز (عوز) فقر وحاجة

■ (1) الجوهري الامام الحافظ المجود، صاحب المسند الاكبر، أبو إسحاق، إبراهيم بن سعيد، البغدادي الجوهري، وأصله من طبرستان. ولد بعد السبعين ومئة. قال إبراهيم بن عبد الله: كان أبوه سعيد ثقة محتشما نبيلا، حج مرة، فحج معه أربع مئة نفس..وتوفي مرابطا بعين زربة. فما حرروا وفاته كما ينبغي. فقيل: مات سنة 247 هـ.وقيل سنة 244 هـ وقيل: سنة 249 هـ، وقيل سنة 253 هـ. وإبراهيم بن سعيد الجوهري كان وصي المأمون. بينما العباس بن سعيد الجوهري كان مولاه.

■ (3) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية: من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الاسلام. أصله من اليمن. ولي قضاء الكوفة، في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية. واستعفى في أيام الحجاج، فأعفاه سنة 77 هـ. وكان ثقة في الحديث، مأمونا في القضاء، له باع في الادب والشعر. وعمر طويلا، ومات بالكوفة سنة 78 هـ.

■ (2) الحسن بن هانئ بن عبد الاول بن صباح الحكمي بالولاء، أبو نواس: شاعر العراق في عصره. ولد في الاهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخصيب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها سنة 198 هـ.كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمي، أمير خراسان، فنسب إليه. وفي تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق، من الجند من رجال مروان بن محمد، انتقل إلى الاهواز فتزوج امرأة من أهلها اسمها جلبان فولدت له ولدين أحدهما أبو نواس. قال الجاحظ: ما رأيت رجلا أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس. وقال أبو عبيدة: كان أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للمتقدمين. وقال الشافعي: لولا مجون أبي نواس لا خذت عنه العلم. وحكى أبو نواس عن نفسه قال: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب. فما ظنك بالرجال؟ وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية.وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجوده خمرياته.

مراجع: تاريخ الخلفاء/ الأعلام للزركلي / معجم المؤلفين/ سير أعلام النبلاء/ المحاسن والمساوئ/ البيان والتبيين/ أخبار أبي حنيفة/ كتاب بغداد/ ربيع الأبرار/ جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي/ جامع الأصول في أحاديث الرسول/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/

قال علي بن محمد [1]: كان أحمد بن أبي خالد[2] كاتب المأمون شاميا مولى لبني عامر بن لؤي، وأبوه أبو خالد الأحول، كان كاتبا لعبيد الله كاتب المهدي[3]، وكان أحمد ابن أبي خالد، وابن العمركي[4]، وأحمد بن يوسف[5] أخوانا، فكان أحمد يأتيهما إلى طعامهما وكان يعجب بالعدسية حب أهل الشأم للعدس، قال أبو الحسن: وكنت أجلس في مجلس أبي بيغداد إلى أن يعود من ركوبه وكان يأمرني إذا أبطأ فحضره أخوانه وطلبوا الطعام أن أخرج الطعام إليهم فما كان أحدا منهم يطلب الطعام إلا أحمد بن أبي خالد فإنه كان يقول لطباخ كان لأبي تركي: أعندك العدسية؟ فيقول: نعم، فيؤتي بها فيأ كل منها أكل عشرة ويغسل يده وينتظر أبي حتى يأتي فيأكل معه كأنه لم يأكل شيئا.

قال أبو عباد[6] –لما ناقب المأمون أحمد بن أبي خالد-: ما أظن أن الله خلق في الدنيا نفسا أنبل ولا أكرم من نفس المأمون، كان قد عرف نفس الرجل يعني أحمد بن أبي خالد وشره فكان إذا وجهه إلى رجل برسالة أو في حاجة قال: آيته بالغداة واخلع ثيابك واطمأن عنده فإن انصرفت وقد قمت فاكتب إلي بجواب ما جئت به في رقعة وأدفعها إلى فتح –غلام المأمون– يوصلها إلي. قال: وحدثني بعض أصحابنا قال: قال المأمون يوما لأحمد بن أبي خالد: أغد على باكرا لأخذ القصص التي عندك فإنها قد كثرت لتقطع أمور أصحابها فقد طال صبرهم على انتظارها، فبكر وقعد له المأمون فجعل يعرضها عليه ويوقع عليها إلى أن مر بقصة رجل من اليزيديين يقال له فلان اليزيدي فصحف* وكان جائعا فقال: الثريدي. فضحك المأمون وقال يا غلام: ثريدة* ضخمة لأبي العباس فإنه أصبح جائعا، فخجل أحمد وقال: ما أنا بجائع يا أمير المؤمنين ولكن صاحب هذه القصة أحمق وضع نسبته ثلاث نقط. قال: دع هذا عنك فالجوع أضر بك حتى ذكرت الثريد: فجاؤوه بصحفة عظيمة كثيرة العراق والودك، فأحتشم أحمد: فقال المأمون: بحياتي عليك لما عدلت نحوها فوضع القصص ومال إلى الثريد فأكل حتى انتهى والمأمون ينظر إليه فلما فرغ دعا بطست فغسل يده ورجع إلى القصص فمرت به قصة فلان الحمصي فقال: فلان الخبيصي. فضحك المأمون وقال يا غلام: جاما* ضخما فيه خبيص* فإن غداء أبي العباس كان مبتورا. فخجل أحمد وقال: يا أمير المؤمنين صاحب هذه القصة أحمق فتح الميم فصارت كأنها سنتين . قال دع عنك هذا فلولا حمقه وحمق صاحبه لمت جوعا فجاؤوه بجام خبيص فخجل. فقال له المأمون: بحياتي عليك إلا ملت إليها فانحرف فانثنى عليه وغسل يده ثم عاد إلى القصص فما أسقط حرفا حتى أتى على آخرها.

قال أحمد بن أبي طاهر: رفع إلى المأمون في المظالم أن رأى أمير المؤمنين أن يجرى على أحمد بن أبي خالد نزلا فإن فيه جنسية من الكلاب وقال: إن الكلب يحرس المنزل بالكسرة واللقمة، وأحمد بن أبي خالد يقتل المظلوم ويعين الظالم بأكله، قال: فأجرى عليه المأمون ألف درهم في كل يوم لمائدته فكان مع هذا يشره إلى طعام الناس وتمتد عينه إلى هدية تأتيه وفيه يقول دعبل[7]:شكرنا الخليفة إجراءه..على ابن أبي خالد نزله..وكف أذاه عن المسلمين..وصير في بيته أكله..وقد كان يقسم أشغاله..فصير في نفسه شغله. وقال أيضا يهجوه ويذكر أبا عباد، وعمرو بن مسعدة [8]ويصف شراهة أحمد ابن أبي خالد: لولا تكون لكاتب لك ربعه..يقضى الحوائج مستطيل الرأس..لم تغد بالملبون عند فطامه..يوما ولا بمطجن القلقاس..أو كان مسعدة الكريم نجاره..بيت الكتابة في بني العباس..يغدو على أضيافه مستطعما..كالكلب يأكل في بيوت الناس.

----

*(التصحيف) قال أبو العلاء المعري: أصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته في صحيفة ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب أو يعزى أي ينسب إلي الغلط محركة، هو الإعياء بالشيء بحيث لا يعرف فيه وجه الصواب (الثريد) الطعام الذي يصنع بخلط اللحم والخبز المفتت مع المرق وأحيانا يكون من غير اللحم (الخبيص) هو طعام يعمل من التمر والسمن(الجام) الإناء أو الكأس من الفضة ونحوهما (ناقب) ج : نقب، م: عــام: فاخره في المناقب والفضائل، ونقيب أي عريف والجمع نقباء.

■ (2) أبو العباس، أحمد بن أبي خالد بن يزيد بن عبد الرحمن الكاتب الأحول كاتب ووزير عباسي، تولى الوزارة في عهد الخليفة العباسي المأمون. مات سنة 212 هـ

■ (6) أبو عباد، هو ثابت بن يحيى بن يسار الرازي.الكاتب وزير المأمون،أحد الكفاة البارعين في الحساب والتصرف والمعرفة، وبذلك ساد وتقدم.نهض بأمور الأموال لمخدومه أتم ما يكون، ثم إنه عجز من استيلاء النقرس، واستعفي.وكان جوادا، سمحا، سريا، إلا أنه كان منقبضا عبوسا. عاش 65 سنة، وتوفي سنة 220 هـ.

■ (3) هل هو : معاوية بن عبيد الله ابن يسار، أبو عبيد الله، الأشعري، مولى عبد الله بن عضاه الأشعري، وزير المهدي، ولاه هشام بن عبد الملك صدقات عذرة. توفي سنة 170 هـ، وقيل سنة 169 هـ، وله سبعون سنة. وكان مولده في سنة 100 هـ.

■ (5) أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء، المعروف بالكاتب: وزير من كبار الكتاب. من أهل الكوفة. ولي ديوان الرسائل للمأمون، واستوزره بعد أحمد بن أبي خالد الاحول، وتوفي ببغداد سنة 213 هـ. وكان فصيحا، قوي البديهة، يقول الشعر الجيد، له رسائل مدونة. وهو صاحب البيت المشهور:إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه..فصدر الذي يستودع السر أضيق.

■ (4) هل هو: عمرو بن محمد العمركي: زعيم طائفة المحمرة بجرجان، ينسب إلى الزندقة. بعث الرشيد العباسي يأمر بقتله، فقتل بمدينة مرو. والمحمرة طائفة من البابكية الخرمية، قيل لهم ذلك لانهم لبسوا الحمرة أيام بابك الخرمي وفيهم يقول البحتري: سلبوا، وأشرقت الدماء عليهم محرمة، فكأنهم لم يلبسوا. يعني أن لباسهم كان أحمر، فلما سلبوه بقيت عليهم حمرة الدعاء، فكأنهم لم يسلبوا. قتل سنة 180 هـ

■ (1) علي بن محمد (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (7) دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي: شاعر هجاء.أصله من الكوفة. أقام ببغداد. له أخبار، وشعره جيد. وكان صديق البحتري. وصنف كتابا في طبقات الشعراء. قال ابن خلكان في ترجمته: كان بذئ اللسان مولعا بالهجو والحط من أقدار الناس، وهجا الخلفاء = الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق = فمن دونهم، وطال عمره فكان يقول: لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك! توفي سنة 246 هـ ببلدة تدعى الطيب بين واسط وخوزستان وكان طوالا ضخما أطروشا، له ديوان شعر جمع فيه بعض الأدباء ما بقي متفرقا من شعره. وفي مختصر تاريخ دمشق قال: دعبل بن علي بن رزين بن عثمان أبو علي الخزاعي الشاعر المشهور. وفي نسبه اختلاف، له شعر رائق. يقال: أصله من الكوفة، ويقال: من قرقيسياء، وأكثر مقامه ببغداد، وسافر إلى غيرها، وقدم دمشق ومصر. ويقال إن اسمه محمد وكنيته أبو جعفر، ودعبل لقب؛ ويقال: الدعبل، البعير المسن، ويقال: الشيء القديم. قدم دعبل مصر هاربا من المعتصم لهجو هجاه به، وخرج منها إلى المغرب إلى الأغلب. وكان خبيث اللسان، قبيح الهجاء. وروي عنه أحاديث مسندة عن مالك بن أنس وعن غيره، وكلها باطلة من وضع ابن أخيه إسماعيل بن علي. وقيل: كان اسمه الحسن، وقيل عبد الرحمن، وكان أطروشا، وكان في قفاه سلعة.ولد دعبل سنة 148، ومات سنة 246 بالطيب. فعاش سبعا وتسعين سنة وشهورا. واسمه عبد الرحمن، وإنما لقبته دايته لدعابة كانت فيه، فأرادت ذعبلا، فقلبت الذال دالا. وقيل: إن المعتصم قتله في سنة 220 لهجائه له؛ وكان قد استجار بقبر الرشيد بطوس، فلم يجره. والصحيح ما تقدم. وقيل في سبب وفاته: إنه هجا مالك بن طوق التغلبي، فبعث إليه رجلا ضمن له عشرة آلاف درهم، وأعطاه سما؛ فلم يزل يطلبه حتى وجده قد نزل في قرية بنواحي السوس، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة؛ فضرب ظهر قدمه بعكاز لها زج مسموم، فمات من غد، ودفن بتلك القرية، وقيل: بل حمل إلى السوس فدفن بها. والله أعلم.

■ (8) عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي: وزير المأمون، وأحد الكتاب البلغاء. كان يوقع بين يدي جعفر ابن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، واتصل بالمأمون، فرفع مكانته، وأغناه. وفي كتب الأدب كثير من رسائله وتوقيعاته. وكان جوادا ممدحا فاضلا نبيلا. توفي في أذنة (أطنه) بتركية آسية سنة 217 هـ

جل جلاله

ذم بلوغ النهاية: عند التمام يكون النقصان وبقدر السمو في الرفعة تكون وجبة الوقعة. شاعر: إذا تم أمر بدا نقصه..توقع زوالا إذا قيل: تم. وفي بعض الأدعية:صرف الله عنك التمام.وقال المأمون لأحمد بن أبي خالد وهو يخلف الحسن بن سهل [1]: رأيت أن استوزرك. فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني ويجعل بيني وبين الغاية منزلة يرجوني إليها المولى، ويخشاني لها العدو، فما بعد الغايات إلا الآفات. ومما يضاد هذا الباب ما كتب القاسم بن عبد الله الكرخي:ولي فيها جدد الله من هذه النعمة للوزير من بلوغ النهاية ما أستديمها به قال: انتزعته من كتاب الله تعالى في قوله:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة] وقد علم أن دين الله بعد نزول هذه الآية لم يزل ناميا عاليا على كل دين وأنه إنما ضرب بجرانه وقهر الأمم شرقا وغربا بعد كماله. قيل: كان أحمد بن أبي خالد مع هذا أسى اللقاء، عابس الوجه يهر في وجوه الخاص والعام غير أن فعله كان أحسن من لقائه، وكان من عرف أخلاقه، وصبر على مداراته نفعه، وعرضه، وأكسبه.قال رجل لأحمد بن أبي خالد: لقد أعطيت ما لم يعطه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال له: لئن لم تخرج من ذلك لأقتلنك. فقال: إن الله تعالى قال لنبيه:﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران] وأنت فظ وما يبرحون حولك فضحك منه.

عن المدائني، قال: دخل عمرو ابن العاص على معاوية وهو يتغدى فقال له: هلم يا عمرو. فقال هنيئا يا أمير المؤمنين، أكلت آنفا. فقال: أما علمت يا عمرو أن من شراهة المرء ألا يدع في بطنه مستزادا لمستزيد فقال: قد فعلت يا أمير المؤمنين. فقال ويحك لمن بقيته؟ ألمن هو أوجب حقا من أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن لمن لا يعذر عذر أمير المؤمنين. قال: فلا أراك إلا ضيعت حقا الحق لعلك لا تدركه. فقال عمرو: ما لقيت منك يا معاوية ثم دنا فأكل. وعن عاصم بن الحدثان، قال: دعا عبد الملك بن مروان يوما بالغداء وبحضرته رجل فدعاه إلى غدائه، فقال ليس: بي غداء يا أمير المؤمنين، قد تغديت. فقال عبد الملك: أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يكون فيه فضل للطعام. فقال يا أمير المؤمنين، في فضل، ولكن أكره أن آكل فأصير إلى ما استقبحه أمير المؤمنين.

■ (1) الحسن بن سهل أبو محمد، الوزير الكامل، أبو محمد، حمو المأمون، وأخو الوزير ذي الرئاستين الفضل بن سهل، من بيت حشمة من المجوس، فأسلم سهل زمن البرامكة، فكان قهرمانا ليحيى البرمكي. ونشأ الفضل مع المأمون، فغلب عليه، وتمكن جدا إلى أن قتل. فاستوزر المأمون بعده أخاه، ولم يزل في توقل إلى أن تزوج المأمون بينته بوران، سنة 210 هـ، فلا يوصف ما غرم الحسن على عرسها. مات بسرخس سنة 236 هـ. وعاشت بوران: إلى حدود 270 هـ.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الخلفاء/ التذكرة الحمدونية/ الوافي بالوفيات/ لسان العرب/ تاج العروس/ كتاب الصناعتين/

قال أحمد بن أبي طاهر: حدثوني عن ثمامة[1] قال: لما قتل الفضل بن سهل[2] بعث إلي المأمون وكنت لا أنصرف من عنده إلا أتوقعه في منزلي ثن يأتيني رسوله في جوف الليل فآتيه، وكان قد وهلني لمكان الفضل بن سهل من الوزارة فلما رأيته قد ألح علي في ذلك فتعاللت عليه، فقال لي: إنما أردتك لكذا وكذا، فقلت: يا أمير المؤمنين، إني لا أقوم بذلك، وأحرى أن أضن بوضعي من أمير المؤمنين وحالي أن تزول عنده فإني لم أر أحدا تعرض للخدمة والوزارة إلا لم يكن لتسلم حاله ولا تدوم منزلته، قال له المأمون: ياثمامة، فأشر على برجل صالح لما أريد؟ فقلت: أحمد بن أبي خالد[3] الأحول يقوم بالخدمة إلى أن يرتاد أمير المؤمنين أيده الله للموضع من يصلح له على ما فيه من الأود واللدد*، قال: فدعاه المأمون فأمره بلزوم الخدمة فلما تمكنت له الخدمة والحرمة تذمم المأمون من تنحيته. قال أحمد بن أبي طاهر: قال علي بن الحسين بن عبد الأعلى[4] الكاتب: قال المأمون يوما لأحمد بن أبي خالد: إني كنت عزمت ألا أستوزر أحدا بعد ذي الرئاستين وقد رأيت أن أستوزرك، فقال يا أمير المؤمنين: أجعل بيني وبين الغاية منزلة يتأملها صديقي فيرجوها لي، ولا يقول عدوى قد بلغ الغاية وليس إلا الانحطاط، فأستحسن المأمون ذلك منه واستوزره.

قال أحمد بن أبي طاهر: ولما انصرف دينار بن عبد الله[5] عن الجبل كان المأمون واجدا عليه فأقام في المدائن في حراقته* حينا حتى رضي عنه، قال: فوجه إليه المأمون أحمد بن أبي خالد وقال: قل له فعلت كذا، وصنعت كذا. واحفظ ما يرجع إليك من جوابه، فلما مضى أحمد، قال المأمون لياسر الخادم –وكان قد سمع الرسالة والكلام الذي حمله إلى دينار–: اتبعه فأنظر ما يقول لدينار وما يرد عليه وأعلمني ما يصنع عنده فإنه إن تغدى عنده رجع بكل ما يحب دينار، وإن لم يطعمه رجع بكل ما يكره، قال: فلما خرج علم وكيل دينار أنه يريده، فوجه رسولا إلى صاحبه يخبره بمجيئه، فقال دينار لقهرمانه: إن أحمد أشره من نفخ فيه الروح، فانظر إذا هو خرج من الماء فقل له ما الذي يتخذ لك حتى تتغدى به، فلما خرج من الحراقة*، قال له ذلك، قال: فراريج كسكرية بخبز الماء وماء الرمان، قال: فذبح له عشرون فروجا وشواها، وخبز خبز الماء في أقل من ساعة ثم جاءه، فقال: قد تهيأ طعامنا، قال: ويلك هات فإني أجوع من كلب، فقرب إليه الطعام فأتى على الفراريج حتى لم يدع إلا عظما عاريا وقرب إليه الحار والبارد والحلو والحامض فما وضع بين يديه شئ إلا أثر فيه، فلما انتهى جاءه الطباخ بخمس سمكات على طبق يلوح له بها، فصاح بالقهرمان يا ابن الخبيثة ! كان ينبغي أن تقدم هذا قبل كل شئ ! فقال: صدق والله، ولكن هاته فأكل منه أكل من لم يذق شيئا، ثم قال لدينار: يقول لك أمير المؤمنين، قد حصلت لنا قبلك أموال منها ما هو بخطك في الديوان، ومنها ما أقررت بها على لسان كاتبك، قال: فقال دينار: ما لكم قبلي إلا سبعة آلاف ألف ما أعرف غيرها. قال: فاحمل هذا المال الذي لا تنكره، قال: احمله في ثلاث نجوم، قال: فاتفقنا على ذلك، قال: فلما تغدى وثقلت معدته هم بالانصراف، فقال: أعد على الجواب! قال: نعم، لكم عندي ستة آلاف ألف، فقال ياسر: إنها سبعة الآلف ألف، وهدأ أبو العباس فسأله؟ قال يا أبا العباس: ألم تقل الساعة لكم عندي سبعة آلاف ألف؟ قال: ما أحفظ ما قال، ولكن قل الساعة يحفظ كلامك، قال دينار: ما قلت إلا ستة آلاف ألف، فانصرف أحمد وسبقه ياسر فدخل فحكى للمأمون القصة حرفا حرفا، فلما دخل أحمد أخبره بما قال دينار حتى انتهى إلى جملة المال، فقال: أقر بخمسة آلاف ألف، فضحك المأمون وقال: ألف الف للغداء قد عرفنا موضعها، فالألف الألف الأخرى لماذا سقطت؟! فأخذ بستة آلاف ألف، وقال: ما رأيت غداء قط بألف ألف على رجل واحد إلا غداء دينار علينا. وسمعت من يذكر أنه ولى رجلا كورة* عظيمة القدر بخوان* فالوذج أهداه إليه، قال: وحدثني بعض أصحابنا أن جماعة من أهل كورة الأهواز شكوا عاملا كان عليهم فعزل وصار إلى مدينة السلام فتكلموا فيه فأنهى خبرهم إلى المأمون فأحضرهم وخصمهم وخصمهم وأمر أحمد بن أبي خالد بالنظر في امورهم، فقال رجل من خصوم العامل: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك تقدم إلى أحمد أن لا يقبل من هذا الفاجر هدية حتى يقطع أمرنا. فوالله لئن أكل من طعامه رغيفا، ومن الفوذجة جاما ليدحضن الله حجتنا على يديه، وليبطلن حقنا على يديه، فقال: أحضروا يوم الأربعاء حتى انظر في أموركم بنفسي وأجري على ابن أبي خالد في كل يوم ألف درهم لمائدته لئلا يشره إلى طعام أحد من بطانته. قال أحمد بن أبي طاهر : لما مات أحمد بن أبي خالد الأحول حضر المأمون جنازته وصلى عليه فلما ولى في حفرته ترحم عليه ثم قال: أنت والله كما قال القائل: أخو الجد إن جد الرجال وشمروا..وذو باطل إن كان في القوم باطل. وكانت وفاة أحمد بن أبي خالد في ذي القعدة سنة أحدى عشر ومائتين.

----

*(الأود واللدد) قيل معناه خصماء عوج عن الحق وقيل: صم عنه ، والأود العوج (خوان) وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل، يجوز إطلاق المائدة على الخوان مجردا عن الطعام باعتبار أنه وضع أو سيوضع (الفالوذج) حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل (الكورة) كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر، يجمع اسمها. والكورة: اسم يقع على جهة من الأرض مخصوصة، كالشام وفلسطين والعراق ونحو ذلك (الحراقة) بالفتح والتشديد ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر.

■ (2) أبو العباس، أحمد بن أبي خالد بن يزيد بن عبد الرحمن الكاتب الأحول كاتب ووزير عباسي، تولى الوزارة في عهد الخليفة العباسي المأمون. مات سنة 212 هـ

■ (4) علي بن الحسين بن عبد الأعلى أبو الحسن الإسكافي كاتب بغا الكبير. وكان أديبا راوية للأخبار. روى عن أبي محلم والحسن بن سهل وأحمد بن أبي داؤد القاضي، وإسحق بن إبراهيم الموصلي. توفي سنة 283 هـ.

■ (5) هل هو: عمرو بن محمد العمركي: زعيم طائفة المحمرة بجرجان، ينسب إلى الزندقة. بعث الرشيد العباسي يأمر بقتله، فقتل بمدينة مرو. والمحمرة طائفة من البابكية الخرمية، قيل لهم ذلك لانهم لبسوا الحمرة أيام بابك الخرمي وفيهم يقول البحتري: سلبوا، وأشرقت الدماء عليهم محرمة، فكأنهم لم يلبسوا. يعني أن لباسهم كان أحمر، فلما سلبوه بقيت عليهم حمرة الدعاء، فكأنهم لم يسلبوا. قتل سنة 180 هـ

■ (3) علي بن محمد (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (1) ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن جل منزله، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون. وكان ذا نوادر وملح. من تلاميذه الجاحظ. وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه.وعده المقريزي في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يسمون الثمامية نسبة إليه (نسبة إلى قرية بالموصل)، وأورد بعض ما انفردوا به من الآراء والمعتقدات. وقال ابن حزم: كان ثمامة يقول: إن العالم فعل الله بطباعه. وقال الجاحظ: ما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي بلغ من حسن الإفهام، مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج، مع السلامة من التكليف، ما كان بلغه. قال الزركلي والذهبي: توفي سنة 213 هـ.

■ (2) الفضل بن سهل السرخسي الوزير، وأخو الوزير الحسن بن سهل.أسلم أبوهما على يد المهدي، وأسلم الفضل سنة تسعين 190 هـ على يد المأمون. وقيل: لما عزم جعفر البرمكي على استخدام الفضل للمأمون وصفه بحضرة الرشيد، ونطق الفضل، فرآه الرشيد فطنا بليغا. وكان يلقب ذا الرئاستين لانه تقلد الوزارة والحرب. وكان شيعيا منجما ماكرا، أشار بتجهيز طاهر بن الحسين، وحسب بالرمل بأنه يظفر بالامين. ويقال: إن من إصاباته الكاذبة أنه حكم لنفسه أنه يعيش ثمانيا وأربعين سنة، ثم يقتل بين ماء ونار، فعاش كذلك، وقتله خال المأمون في حمام سرخس في شعبان سنة 202 هـ. وقد امتدحه فحول الشعراء، وازدادت رفعته حتى ثقل أمره على المأمون، فدس عليه خاله غالبا الاسود في جماعة، فقتلوه، وبعده بأيام مات أبوه. وأظهر المأمون حزنا لمصرعه، وعزى والدته، وقال: إن الله أخلفني عليك بدل ابنك، فبكت، وقالت: كيف لا أحزن على ولد أكسبني ولدا مثلك. ثم عاشت وأدركت عرس بنت ابنها بوران على المأمون وكان الحسن بن سهل من كبار الوزراء الممدحين.

■ (5) دينار بن عبد الله من موالي الرشيد وكان عظيما في أيام المأمون وعاضد الحسن بن سهل على حروب الفتنة لإبراهيم بن المهدي وغيره

قال أحمد بن أبي طاهر: حدثني عبد الوهاب بن أشرس قال: قال أحمد بن أبي خالد الأحول يوما لثمامة بحضرة المأمون: يا ثمامة، كل أحد في الدار فله معنى غيرك فإنه لا معنى لك في دار أمير المؤمنين. فقال له ثمامة: إن معناى في الدار والحاجة إلى لبينة. فقال: وما الذي تصلح له؟ قال: أشاور في مثلك هل تصلح لموضعك أم لا تصلح. قال: فأفحم. فما رد عليه جوابا.

قال حدثني جرير النصراني: أن أحمد بن أبي خالد كلم المأمون في جاره صالح الأضخم وأخبره أنه كان لله عليه نعمة وأن حالة قد رثت فأمر له بأربع مائة ألف درهم. فقال له مازحا: كلمت أمير المؤمنين في أمرك فلم يكن عنده في حاجتك شيء. قال: لأنك كلمته ونيتك ضعيفة فخرج الكلام على قدر النية والجواب على قدر الكلام.قال: فقال: ما أفتلت منك على مال فصالحني على شيء أخبره به فلعله يفعل أو أعطيكه من مالي. قال: أما من مالك فلا حاجة لي فيه ولا أقول في هذا شيء. قال أحمد: مائة ألف قال: إن فيها لصلاح قال: فإن كانت مائتين؟ قال: فذاك أفضل يقضي به الدين ويتخذ به المروة وتكون منها ذخيرة قال: فقد أمر لك بأربع مائة ألف، فقال: يا معشر الناس في الدنيا خلق أشر من هذا ؟! عندك هذا الخبر وتعذبني هذا العذاب ثم دعا وشكر. قال أحمد بن أبي طاهر: وخبرت أن المأمون قال لأحمد يوما: أيش تصنع إذا انصرفت الساعة. قال: أقضي حق أبي سعيد الحسن بن قحطبة[1] عائدا، وأنه لرث الحال. قال: تحب أن أهب له شيئا. قال: أحب أن تهب لأوليائك كلهم. قال: أعطه مائة ألف. قال: أحملها إليه الساعة من بيت المال؟ فقال المأمون: نعم. قال: جزاك الله يا أمير المؤمنين عن شيعتك، وأوليائك خيرا فحملها إليه وأخبر الخبر.

قال: قال المأمون لأحمد بن أبي خالد وغسان[2] بعد أن ظفر بإبراهيم بن المهدي[3]: ما تريان فيه؟ فقال غسان: تقتله. فقال أحمد بن أبي خالد: تعفو عنه. فقال له غسان: هل رأيت أحدا فعل هذا الفعل؟! فقال له أحمد: العفو صواب أو خطأ ؟ قال له: صواب. فقال أحمد بن أبي خالد: أمير المؤمنين أولى الناس بأن يفعل من الصواب ما لم يسبقه أحد. فعفا عن إبراهيم. وقال للمأمون: إنما أشار عليك غسان بقتله لأنه حارب آل ذي الرئاستين. وحدثني أن أحمد بن أبي خالد كان يقول: يهدي إلى الطعام فوالله ما أدري ما أصنع به يهديه إلى صديق أستحي من رده عليه. وبلغني أن أحمد بن أبي خالد كان يجري ثلاثين ألفا على رجال من أهل العسكر، منهم: العباس، وهاشم ابنا عبد الله بن مالك[4] لم يوجد لها ذكر في ديوانه تكرما.

وحدثني جرير بن إبراهيم بن العباس قال: بعثني أحمد بن أبي خالد إلى طلحة بن طاهر[5] فقال: قل له ليس لك بالسواد ضيعة وهذه ألف ألف درهم بعثت بها إليك فأشتر بها ضيعة، والله لئن لم تأخذها لأغضبن، وإن أخذتها لتسرنني فردها، فقال إبراهيم: ما رأيت أكرم منهما أحمد بن أبي خالد معطيا وطلحة متنزها.

■ (1) الحسن بن قحطبة الطائي: أحد القادة الشجعان المقدمين في بدء العصر العباسي، استخلفه المنصور سنة 136 هـ على أرمينية، ثم استقدمه سنة 137 هـ لمساعدة أبي مسلم الخراساني على قتال عبد الله بن علي. وسيره سنة 140هـ مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام في سبعين ألفا إلى ملطية، فكان للحسن فيها أثر عظيم، وغزا الصائفة سنة 162 هـ في ثمانين ألفا، فأوغل في بلاد الروم، وسمته لروم: التنين.توفي في بغداد سنة 181 هـ.

■ (4) عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي. كان قائدا عسكريا وحاكما في الدولة العباسية وصاحب الشرط للمهدي والهادي، ثم أقره هارون ثم عزله، توفي سنة 212 هـ وهو ابن مالك بن الهيثم الخزاعي الذي كان من أهم قادة الحركة العباسية في خراسان والثورة التي أطاحت الأمويين.

■ (5) طلحة بن طاهر بن الحسين الخزاعي: أمير خراسان، وابن أميرها. ولاه عليها المأمون العباسي بعد وفاة أبيه طاهر سنة 207 هـ فاستمر فيها إلى إن توفي. وكان جوادا عاقلا وله خبر لطيف مع إسحاق الموصلي، في الاغاني وكانت وفاته في بلخ سنة 213 هـ.

■ (2) غسان بن عباد بن أبي الفرج: من رجال المأمون العباسي. وهو ابن عم الفضل بن سهل. ولي خراسان من قبل الحسن بن سهل. ثم ولاه المأمون السند سنة 213 هـ. وكان العامل عليها بشر بن داود المهلبي، قد عصى المأمون ولم يحمل إليه خراجها، فلما دخلها غسان استأمن إليه بشر. وأقام نحو ثلاث سنوات أصلح فيها شؤون الامارة. ثم استعمل عليها عمران بن موسى البرمكي، وعاد إلى بغداد سنة 216 هـ، فقال فيه أحد الشعراء، من أبيات: سيف غسان رونق الحرب فيه وسهام الحتوف في ظبتيه. مات بعد 216 هـ

■ (3) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم.

مراجع: تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الخلفاء/ التذكرة الحمدونية/ الوافي بالوفيات/ لسان العرب/ تاج العروس/ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب/ ربيع الأبرار للزمخشري/ مختار الصحاح/ نثر الدر/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ التذكرة الحمدونية/ كتاب بغداد/

قال القاضي المحسن بن علي التنوخي: حدثني أبي رضي الله عنه، بإسناد ذكره: أن رجلا من شيوخ الكتاب يعرف بالهبيري، لزمته العطلة، وأضرت به، فكان يلازم ابن أبي خالد الأحول[1]، وهو إذ ذاك يدبر أمر الوزارة. فطالت ملازمته داره، وكان ابن أبي خالد يستثقله، فحجب عن الدار. فكان يبكر كل يوم فيقف على دابته بالباب، حتى يخرج الوزير، ثم ينتظر إلى أن يعود، ويدخل الوزير، وينصرف هو. فطال ذلك على الوزير، حتى برم به، فقال لكاتب له: إلق هذا الرجل، وقل له: إنه لا تصرف لك عندي، ولست أحب أن أراك في كل وقت، فانصرف عني، ولا تقرب بابي. قال الكاتب: فاستحييت أن أؤدي عن صاحبي مثل هذه الرسالة إلى شيخ من جلة الكتاب، وإن كان الزمان قد حطه، وعلت أن ذلك قد صدر عن الوزير، لسوء رأيه فيه، ومقته له، واستثقاله إياه. فصرت إلى منزلي، وأخذت معي خمسمائة درهم، وصرت إلى الهبيري، فقلت: الوزير أعزه الله، يقرأ السلام عليك، ويقول لك: هوذا تشق علي؟؟ رؤيتك بالباب. والأشغال تقطعني عنك، ولا تصرف عندي أرتضيه لك في هذا الوقت، وقد حملت إليك خمسة آلاف درهم، فاستعن بها في نفقتك، والزم دارك، واربح العناء، فإذا سنح عندي شغل يصلح لك، استدعيتك. قال: فاستشاط الشيخ، وقال: جعلني من الشحاذين والمستميحين، ينفذ إلي برفد،والله لا قبلته. قال: فاستجهلته، وداخلني غيظ من فعله، فقلت: يا هذا، واله، ما هذه الدراهم من مال الوزير، ولا هي إلا من مالي، ورسالته أقبح مما تذهب إليه، وإني كرهت تلقيك بها، وأنت من شيوخ هذه الصناعة، فتحملت لك هذا الغرم من مالي، من غير علم صاحبي، صيانة لك وله. فقال: أما أنت، فأحسن الله جزاءك، ولا حاجة بي إلى مالك، ولو مصصت الثماد، ولكن أنشدك الله، إلا ما أبلغتني رسالته بعينها، وحزت بذلك شكري. قال: فأديتها إليه على حقها وصدقها. قال: فقال: أحب أن تتحمل الجواب. فقلت: قل. قال: تقول له: والله، ما آتيك لك نفسك، وإنما أنت رجل قد صرت بابا لأرزاقنا، إذ كنا لا نحسن صناعة غير الكتابة، ولا تصرف فيها إلا من عندك، ومن أراد دخول الدار، يجب أن يأتيها من بابها، وعلى الإنسان أن يتعرض للرزق، ويأتي بابه، فإن قسم الله له منه شيئا، أخذه، وإلا كان قد أدى ما عليه. وليس يمنعني استثقالك لي، من قصدك، فإن قسم الله لي شيئا من جهتك، أو على يدك، أخذته على رغمك، وإلا فلا أقل من أن أؤذيك برؤيتي، كما تؤذيني بعطلتي. قال: فانصرفت متعجبا منه، ولم أعد على الوزير ذلك، لئلا يغتاظ، وتغافلت يومي. فلما كان من الغد، بكر الوزير خارجا من داره، وأنا معه، فإذا بالشيخ، فلما رآه، التفت إلي، وقال: ألم أنفذك إليه برسالة؟ قلت: بلى. قال: فلم عاد؟ قلت: الخطب طويل طريف، وإذا اطمأن الوزير في مجلسه أخبرته. قال: فلما نزل في طياره، قال: أخبرني بما جرى. فقصصت عليه القصة، وحملي الدراهم من مالي، وما جرى بأسره، وأديت إليه رسالته بعينها، فكاد أن يطير غيظا. وانتهى الكلام، وقد قدم الطيار إلى دار الخلافة، فدخل إليه وفي نفسه حديث الهبيري، والغيظ منه، فوقف بحضرة الخليفة، وجرى الكلام. فقال له الخليفة: قد ألط عامل مصر بالمال، وجنح إلى المدافعة، فاختر رجلا شهما، ننفذه مشرفا عليه، ومطالبا بما مضى. قال: وكان ابن أبي خالد يعتني برجل متصرف يقال له الزبيري، فأراد أن يسميه لذلك، فقال: الهبيري، لما كان في نفسه منه، وقرب العهد بذكره، والغيظ من أمره. فقال الخليفة: أو يعيش الهبيري؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أرد الهبيري، وإنما أرد فلان بن فلان الزبيري. قال: يجوز أن تكون أردت الزبيري، ولكن أخبرني بخبر الهبيري، فقد كان له بي حرمة في حياة أبي، وبأ سبابنا، وهو واجب الحق علينا. فقال: نعم، هو يعيش. قال: فأنفذه إلى مصر.فقال: يا أمير المؤمنين، إنه لا يصلح. قال: ولم؟ قال: قد اختل. قال: أحضرنيه حتى أشاهده، فإن كان مختلا، أمرت له بصلة وجار، وإن كان ينهض بالعمل أنفذته. قال: يا أمير المؤمنين، إنه متعطل منذ سنين، وقد خمل، وذهب اسمه، وصوته، وهذا عمل يحتاج إلى من له نباهة. قال: إذا أقبلنا عليه، وندبناه لمثل هذا الأمر العظيم، تجدد ذكره، وتطرى أمره. قال: إنه لا حال له تنهضه. قال: يطلق له من مالنا مائة ألف درهم، يصلح بها حاله، ويحمل إليه من البغال والدواب والخيم والآلات. قال: فأخذ يعتل عليه. قال: أرى فيك تحاملا عليه، لتصدقني عن أمره معك. فلجلج. فقال: بحياتي أصدقني، فصدقه عن الخبر. فقال الخليفة: قد والله أجرى الله عز وجل رزقه على يدك بالرغم منك، كما قال، ووالله لا برحت، أو تكتب عهده، ويوصل بجميع ما أمرت به. ثم قال: علي بالهبيري. فأحضر، وخرج ابن أبي خالد عليه، فقال: يا هذا، قد والله جاء رزقك على يدي بالرغم مني، وجرى كذا وكذا، وأخبره الخبر، وسلم إليه التوقيعات بما أمر له به الخليفة، والكتب إلى مصر، وواقفه على العمل، وأخرجه إليه.

■ (1) أبو العباس، أحمد بن أبي خالد بن يزيد بن عبد الرحمن الكاتب الأحول كاتب ووزير عباسي، تولى الوزارة في عهد الخليفة العباسي المأمون. مات سنة 212 هـ

☪

قال القاضي المحسن بن علي التنوخي: وحدثني أيضا عن ابن أبي خالد هذا، قال: كان بغيضا. قال: فاتفق أن بكر إليه يوما رجل شيخ من شيوخ الكتاب، يقال له: ابن أبي الأضخم متعطلا، قد طالت عطلته، يغتنم أن يراه سحرا خاليا فيشكو إليه حاله، ويسأله التصرف. فبكر بكورا شديدا، فتلقاه برد قبيح، وقال له: أيش هذا المهم في مثل هذا الوقت؟ قال: فاحتد عليه الشيخ، وقال: ما العجب منك، العجب مني، حين ربطت أملي بك، وأسهرت عيني توقعا للفجر في البكور إليك، وأسهرت عيالي وغلماني وتحملت التجشم إليك، وأنزلت بك حاجتي، حتى تتلقاني بمثل هذا، وعلي، وعلي، وحلف بأيمان البيعة، لا دخلت دارك أبدا، ولا سألتك حاجة، ولا طلبت منك تصرفا، أو تجيئني إلى داري معتذرا مما تلقيتني به، وتقضي حاجتي في منزلي، ونهض. فلما صار الرجل إلى منزله، ندم ندما شديدا، وقال: هذا رجل لئيم الطبع، سيء الظفر، شرس الخلق، وأنا مضطر إلى لقاءه، ومساءلته في حوائجي، فلم حلفت بهذه اليمين؟ وما أحد أسوء حلة مني، فإن هذا الوزير لا يفكر في، ولا يجيئني والله أبدا، ولا يكون لي طريق إلى قصده. ويحس العمال بذلك، فيخربون ضيعتي، وتدوم عطلتي، ويلحقني كيت وكيت. وأقبل يلوم نفسه ويؤنبها، ويفكر كيف يعمل، وقد أسفر النهار وتعالى، إلى أن صار نحو ساعتين. فدخل إلي غلمانه فقالوا: يا سيدنا، الوزير مجتاز في شارعنا، فقال: وما علينا منه. فدخل آخر وقال: يا سيدي قد والله عدل من الشارع إلى دربنا. ودخل آخر فقال: يا سيدي، إنه يقصد دارنا. وتبادر الغلمان، فقالوا: قد صار بالباب، يستأذن عليك. قال: فنهض الشيخ، وخرج إليه، وقبل يده، وقال: أبيت، أيدك الله، إلا الأخذ بالفضل. قال: لا تشكرني، واشكر أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، على ذلك. ودخل إليه فقال: إنك انصرفت، وقد أمضني خطابك، وقد كان ما خاطبتك به على ضجر مني، وعلى غير اعتقاد. وركبت في الحال إلى الخليفة، فخاطبني، وأنا مشغول البال بما دار بيننا فوجد كلامي مضطربا، وأقسم علي لأخبرنه، فأخبرته، فأخذ يعذلني ويوبخني على ما لقيتك به. وقال: لا تقف، امض إليه الساعة معتذرا، وأخرجه من يمينه، واقض حاجته، وانظر في أموره. قال: ثم دعا بدواة، فوقع لي بما كنت سألته، وبمال وصلني به، وتصرف قلدنيه، ونهض. فشكرته، ودعوت للخليفة، وحمدت الله تعالى على ما وفقه لي.

مراجع: شوار المحاضرة/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) وعمرو بن مسعدة، وأحمد بن أبي خالد 0858

قال أبو زيد: حدثني أحمد بن أبي خالد الأحول[1] بخراسان فيما كان يخبرني به عن كرم المأمون، وفضله، وأحتماله وحسن معاشرته أنه سمع المأمون يوما وعنده علي بن هشام[2]، وأخواه أحمد[3]، والحسين[4] ذكر عمرو بن مسعدة[5] فأستبطأه وقال: أيحسب عمرو أني لا أعرف أخباره، وما يجبى إليه، وما يعامل به الناس؟! بلى والله ثم بعثه ألا يسقط على منه شيء، ونهض وانصرفنا. فقصدت عمرا من ساعتي فخبرته بما جرى وأنسيت أن أستعجله من حكايته عني فراح عمرو إلى المأمون، فظن المأمون أنه لم يحضر إلا لأمر مهم لموقعه من الرسائل، والمظالم، والوزارة فأذن له، فخبرني عمرو أنه لما دخل عليه وضع سيفه بين يديه وقال: يا أمير المؤمنين، أنا عائذ بالله من سخطه، ثم عائذ بك من سخطك يا أمير المؤمنين. أنا أقل من أن يشكوني أمير المؤمنين إلى أحد، أو يسر علي ضغنا يبعثه بعض الكلام على إظهاره ما يظهر منه، فقال لي: وما ذاك؟ فخبرته بما بلغني ولم أسم له مخبري، فقال لي: لم يكن الأمر كما بلغك، وإنما كانت جملة من تفصيل كنت على أن أخبرك به وإنما أخرج مني ما أخرج معنى تحار بناه وليس لك عندي إلا ما تحب فليفرخ روعك، وليحسن ظنك. فأعدت الكلام فمازال يسكن مني، ويطيب من نفسي حتى تحلل بعض ما كان في قلبي، ثم بدأ فضمني إلى نفسه وقبلت يده فأهوى ليعانقني فشكرته وتبينت في وجهه الحياء والخجل مما تأدي إلى، قال أحمد: فلما غدوت على المأمون، قال لي يا أحمد: أما لمجلسي حزمة ؟! فقلت: يا أمير المؤمنين، وهل الحزم إلا لما فصل عن مجلسك، قال: ما أراكم ترضون بهذه المعاملة فيما بينكم، قال: قلت: وأية معاملة يا أمير المؤمنين؟ هذا كلام لا أعرفه ! قال: بلى. أما سمعت ما كنا فيه أمس من ذكر عمرو؟! ذهب بعض من حضر من بني هاشم فخبره به، فراح إلى عمرو مظهرا منه ما وجب عليه أن يظهره، فدفعت منه ما أمكن دفعه وجعلت أعتذر إليه منه بعذر قد تبين في الخجل منه، وكيف يكون اعتذار إنسان من كلام قد تكلم به إلا كذلك يتبين في عينيه، وشفتيه، ووجهه ولقد أعطيته ما كان يقنع مني أقل منه، وما حداني عليه إلا ما دخلني من الخساسة وإنما كان نطق به اللسان عن غير روية ولا أحتمال مكروه به، فقلت: يا أمير المؤمنين،: أنا خبرت عمرا به لا أحد من ولد هاشم، فقال: أنت؟ قلت: أنا. فقال: ما حملك على ما فعلت؟ فقلت: الشكر لك، والنصح والمحبة لإن تتم نعمتك على أوليائك وخدمك، أنا أعلم أن أمير المؤمنين يحب أن يصلح له الأعداء، والبعداء، فكيف الأولياء والقرباء ولا سيما مثل عمرو في دنوه من الخدمة وموقعه من العمل، ومكانه من رأى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فيه سمعت أمير المؤمنين أنكر منه شيئا فخبرته به ليصلحه، ويقوم من نفسه أودها لسيده ومولاه ويتلافى ما فرط منه ولا يفسده مثله ولا يبطل العناء فيه، وإنما كان يكون ما فعلت عيبا لو أشعث سرا فيه قدح في السلطان أو نقص تدبير قد استتب فأما مثل هذا فما حسبته يبلغ أن يكون ذنبا علي. فنظر إلى مليا ثم قال: كيف قلت؟ فأعدت عليه. ثم قال: أعد فأعدت الثالثة، فقال: أحسنت والله يا أحمد لما خبرتني به أحب إلى من ألف ألف، وألف ألف، ألف ألف وعقد خنصره وبنصره والوسطى وقال: أما ألف ألف فلنفيك عني سوء الظن وأطلق وسطاه، وأما ألف ألف فلصدقك إياي عن نفسك وأطلق البنصر، وأما ألف ألف فلحسن جوابك وأطلق الخنصر وأمر لي بمال.

■ (5) عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي: وزير المأمون، وأحد الكتاب البلغاء. كان يوقع بين يدي جعفر ابن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، واتصل بالمأمون، فرفع مكانته، وأغناه. وفي كتب الأدب كثير من رسائله وتوقيعاته. وكان جوادا ممدحا فاضلا نبيلا. توفي في أذنة (أطنه) بتركية آسية سنة 217 هـ

■ (1) أبو العباس، أحمد بن أبي خالد بن يزيد بن عبد الرحمن الكاتب الأحول كاتب ووزير عباسي، تولى الوزارة في عهد الخليفة العباسي المأمون. مات سنة 212 هـ

■ (3) أحمد بن هشام بن فرخسرو المروزي القائد: وهو أخو علي والحسين بن هشام الخراسانيين، كان في صحبة عبد الله المأمون حين خرج إلى بلاد الروم غازيا، وقدم معه حلب، حكى عن المأمون، روى عنه بعض ولده، وكان شاعرا حسن الشعر.

■ (2) علي بن هشام بن فرخسروا، أبو الحسين المروزي أحد قواد المأمون. قدم دمشق مع المأمون، وكان نديمه، ثم وجد عليه في بعض أموره، فقتله هو وأخاه الحسين بن هشام، قتل علي بن هشام سنة 217 هـ بأذنة، من الثغور. قتله لسوء سيرته في ولايته الجبال.

■ (4) الحسين بن هشام بن فرخسرو المروزي: أخو علي بن هشام، وكانا من أعيان قواد المأمون، وعلي هو الأكبر منهما، سخط عليه المأمون، فأقدمهما عليه وهو بأذنه سنة 217 هـ فضرب عنقيهما بأذنة، وعليا وحسينا أشخصهما اليه عجيف بن عنبسة، بعثه اليهما ثم بعث برأسيهما الى بغداد وخراسان فطيف بهما الى الجزيرة إلى بغداد الى مصر الى دمشق حتى أقطار الأرض ثم رميا في البحر وكتب في أذن علي بن هشام رقعة يذكر فيها أمره ويعذر به الناس.

جل جلاله

قال إبراهيم بن الحسن بن سهل: كنا في مجلس المأمون وعمرو بن مسعدة يقرأ عليه الرقاع، فجاءته عطسة، فلوى عنقه فردها، فرآه المأمون فقال: يا عمرو، لا تفعل فإن رد العطسة وتحويل الوجه بها يورثان انقطاعا في العنق. فقال بعض ولد المهدي: ما أحسنها من مولى لعبده، وإمام لرعيته فقال المأمون: وما في ذلك؟ هذا هشام اضطربت عمامته فأهوى الأبرش الكلبي إلى إصلاحها، فقال هشام: إنا نتخذ الإخوان خولا فالذي قال هشام أحسن مما قلته. فتمال عمرو: يا أمير المومنين، إن هشاما يتكلف ما طبعت عليه، ويظلم، فيما تعدل فيه، ليس له قرابتك من رسول الله صلى اله عليه وسلم، ولا قيامك بحق الله، وإنك والملوك لكما قال النابغة الذبياني: ألم تر أن الله أعطاك سورة..ترى كل ملك دونها يتذبذب..لأنك شمس والملوك كواكب..إذا طلعت لما يبد منهن كوكب.أخذ النابغة هذا من قول شاعر قديم من كندة: تكاد تميد الأرض بالناس إن رأوا..لعمرو بن هند غضبة وهو عاتب..هو الشمس وافت يوم دجن فأفضلت..على كل ضوء والملوك كواكب.

تحدث ابن مسعدة عن نفسه، فقال: كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي فرفع إليه غلمانه ورقة يستزيدونه في رواتبهم، فرمى بها إلي، وقال: أجب عنها، فكتبت: قليل دائم خير من كثير منقطع، فضرب بيده على ظهري، وقال: أي وزير في جلدك. وهذه الشهادة لعمرو بالبروز والإجادة شهادة لها قيمتها، لأن المدلي بها وهو جعفر بن يحيى صاحب خبرة ودراية، وتجربة طويلة في هذا المجال، وقد عرف بهذا الفن، أعني التوقيعات، وعرف الفن به فقد كان يوقع القصص بين يدي الرشيد، ويرمي بالقصة إلى صاحبها، فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها، حتى قيل: إنها كانت تباع كل قصة منها بدينار. وقدم رجل من أبناء دهاقين قريش على المأمون لعدة سلفت منه فطال على الرجل انتظار خروج أمير المؤمنين، فقال لعمرو بن مسعدة: توصل في رقعة مني إلى أمير المؤمنين تكون أنت الذي تكتبها تكون لك علي نعمتان. فكتب: إن رأى أمير المؤمنين أن يفك أسر عبده من ربقة المطل بقضاء حاجته ويأذن له في الانصراف إلى بلده فعل إن شاء الله. فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمرا فجعل يعجبه من حسن لفظها وإيجاز المراد. فقال عمرو: فما نتيجتها يا أمير المؤمنين؟ قال: الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه وبجائزة ألف درهم صلة على دناءة المطل، وسماجة الإغفال، ففعل ذلك له. وكان الخليفة المأمون على رأس أولئك الذين أعجبوا ببلاغة ابن مسعدة، وأشادوا ببيانه. قال حمدون بن إسماعيل: دخلت على المأمون يوما، وهو في بعض صحون بساتينه يمشي حافيا، وفي يده كتاب يصعد بصره فيه، ويصوبه. فالتفت إلي وقال: أحسبك راعك ما رأيته! قلت: وأي شيء أروع لي من نظري إلى سيدي يمشي حافيا، ويقرأ كتابا قد شغله، وأذهله، فقال لي: إني سمعت الرشيد يقول شيئالم أتوهمه ينسبك على حقيقته، وهو أنه قيل لبعض البلغاء: ما البلاغة؟ قال: التقرب من المعنى البعيد، والتباعد من حشو الكلام، والدلالة بالقليل على الكثير، وهذا كتاب عمرو بن مسعدة، قد أتى في حرفين بما كان يأتي به غيره في طومار، وصف حال الجند وطاعتهم. ثم دفعه إلي، فإذا فيه: كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من أجناده وقواده من الانقياد للطاعة على أحسن ما تكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم، واختلت أحوالهم، والسلام، وكان من نتيجة ذلك أن قال المأمون: والله، لأقضين حق هذا الكلام، وأمر بإعطائهم لثمانية أشهر. وفي بعض المصادر أن المأمون، جعل يردد فيه النظر ثم قال لأحمد ابن يوسف: لعلك يا أحمد فكرت في ترديدي النظر في هذا الكتاب. قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال ألم تر يا أحمد إلى إدماجه المسألة في الإخبار، وإعفاء سلطانه من الإكثار؟ ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر. وعده ابن الأبار من جملة أولئك الكتاب الفرسان مثل ابن المقفع (ت:143هـ تقريبا) وسهل بن هارون (ت:215هـ)، والحسن بن سهل (ت:236هـ)، وإبراهيم بن العباس (ت:243هـ)وغيرهم من الفصحاء والبلغاء ممن اقتفوا أثر علي بن أبي طالب رضي الله عنه وساروا على طريقته في القول.

من ذلك أيضا ما ورد من أن المأمون خرج وما من باب البستان ببغداد، فصاح به رجل بصري: يا أمير المؤمنين، إني تزوجت بامرأة من آل زياد، وإن أبا الرازي فرق بيننا، وقال: هي امرأة من قريش، فأمر المأمون عمرا بن مسعدة فكتب إلى أبي الرازي: إنه قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من الزيادية وخلعك إياها إذ كانت من قريش، فمتى تحاكمت إليك العرب لا أم لك في أنسابها؟ ومتى وكلتك قريش يا ابن اللخناء بأن تلصق بها من ليس منها ؟ فخل بين الرجل وامرأته، فلئن كان زياد من قريش إنه لابن سمية، بغي عاهر لا يفتخر بقرابتها، ولا يتطاول بولادتها، ولئن كان ابن عبيد الله لقد باء بأمر عظيم، إذ ادعى إلى غير أبيه لحظ تعجله، وملك قهره.

والموضوع هنا إنكار موقف يرى الخليفة فظاعته، وشناعته فلا يقره، ولذا فإن الرسالة جاءت قوية في عباراتها، مرعبة للمنكر عليه، آخذة عليه قلبه وعقله، أشبه ما تكون بسابقتها من حيث قوة الأسلوب، وبلاغة العبارة، مع ما في هذا النص من الميل السياسي، والتحامل على الأمويين ابتغاء التقرب من العباسيين.

مراجع: تاريخ بغداد/ الأعلام للزركلي/محاضرات الأدباء/ زهر الأداب وثمر الألباب/ مجلة جامعة أم القرى/

قال أحمد بن أبي طاهر: دخل أحمد بن يوسف[1] يوما على المأمون فأمره فكتب بين يديه والمأمون يملى عليه. قال: وكان أحمد بن يوسف مع لسانه حلو الخط جدا. فنظر المأمون إلى خطه. فقال يا أحمد: لوددت أني أخط مثل خطك، وعلي صدقة ألف ألف درهم ! قال: فقال أحمد بن يوسف: لا يسوؤك الله يا أمير المؤمنين، فإن الله عز وجل لو ارتضى الخط لأحد من خلقه لعلمه نبيه صلى الله عليه وسلم، قال: فقال المأمون: سريتها عني يا أحمد، وأمر له بخمسمائة ألف درهم.

عن أحمد بن يوسف بن القاسم الكاتب قال: أمرني المأمون أن أكتب إلى جميع العمال في اخذ الناس بالاستكثار من المصابيح في شهر رمضان وتعريفهم ما في ذلك من الفضل، فما دريت ما أكتب ولا ما أقول في ذلك، إذ لم يسبقني إليه أحد فأسلك طريقه ومذهبه، فقِلت في وقت نصف النهار، فأتاني آت فقال: قل: فإن في ذلك أنسا للسائلة، وإضآءة للمجتهدين، ونفيا لمظان الريب، وتنزيها لبيوت الله من وحشة الظلمة فكتبت هذا الكلام وغيره مما هو في معناه. قال: ودخل أحمد بن يوسف على المأمون فقال له: يا أمير المؤمنين، ما رضى أهل الصدقات عن رسول صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله عز وجل فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة] فكيف يرضون عني وقال المأمون يوما لأصحابه أخبروني عن غسان بن عباد[2]، قال: أريده لأمر جسيم، وكان قد عزم أن يوليه السند. فقال بشر ابن داود بن يزيد[3]: قد خالف واستبد بالفيء والخراج، فتكلم القوم وأطنبوا في مدحه، فنظر المأمون إلى أحمد بن يوسف وهو ساكت. فقال له: ما تقول يا أحمد؟ قال: يا أمير المؤمنين، ذاك رجل محاسنه أكثر من مساويه، لا تصرف به طباقه إلا انتصف منهم مهما تخوفت عليه فإنه لن يأتي أمرا يعتذر منه، لأنه قسم أيامه بين أيام الفضل فجعل لكل خلق نوبة، إذا نظرت في أمره لم تدر أي حالاته أعجب أما هداه إليه عقله، أم ما اكتسبه بالأدب. قال: لقد مدحته على سوء رأيك فيه. قال: لأنه فيما قلت، كما قال الشاعر: كفى ثمنا لما أسديت أني..مدحتك في الصديق وفي عدائي..وإنك حين تنصبني لأمر..يكون هواك أغلب من هوائي. قال: فأعجب المأمون كلامه واسترجح أدبه.

■ (1) أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء، المعروف بالكاتب: وزير من كبار الكتاب. من أهل الكوفة. ولي ديوان الرسائل للمأمون، واستوزره بعد أحمد بن أبي خالد الاحول، وتوفي ببغداد سنة 213 هـ. وكان فصيحا، قوي البديهة، يقول الشعر الجيد، له رسائل مدونة.

■ (2) غسان بن عباد بن أبي الفرج: من رجال المأمون العباسي. وهو ابن عم الفضل بن سهل. ولي خراسان من قبل الحسن بن سهل. ثم ولاه المأمون السند سنة 213 هـ. وكان العامل عليها بشر بن داود المهلبي، قد عصى المأمون ولم يحمل إليه خراجها، فلما دخلها غسان استأمن إليه بشر. وأقام نحو ثلاث سنوات أصلح فيها شؤون الامارة. ثم استعمل عليها عمران بن موسى البرمكي، وعاد إلى بغداد سنة 216 هـ، فقال فيه أحد الشعراء، من أبيات: سيف غسان رونق الحرب فيه وسهام الحتوف في ظبتيه. مات بعد 216 هـ

■ (3) بشر بن داود بن يزيد –أو زياد– المهلبي عامل السند ؟

☪

قال أحمد بن أبي طاهر: كان أحمد بن أبي خالد يصف لأمير المؤمنين أحمد بن يوسف كثيرا، ويحمله على منادمته، ويريده طاهر بن الحسين[1] ويزين أمره، وإذا حضر إبراهيم بن المهدي[2] أطراه، فأمر المأمون أحمد بن أبي خالد بإحضاره فلما أخذوا مجالسهم غمز أحمد بن أبي خالد أحمد بن يوسف أن يتكلم، فقال: الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي استخصك فيما استحفظك من دينه، وقلدك من خلافته بسوابغ نعمه، وفضائل قسمه، وعرفك من تيسر كل عسير حاولك، وغلبه كل متمرد صاولك ما جعله تكمله لما حباك به من موارد أموره بنجح مصادرها حمدا ناميا زائدا لا ينقطع أولاه ولا ينقضي أخراه، وأنا أسئل الله يا أمير المؤمنين من اتمام آلائه لديك، وإنماء مننه عليك، وكفايته ما ولاك واسترعاك، وتحصين ما حاز لك، والتمكين في بلاد عدوك حتى يمنع بك بيضة الاسلام، ويعزبك أهلك ويبيح لك حماة الشرك، يجمع لك متباين الألفة، وينحز بك في أهل العنود والضلالة، إنه سميع الدعاء، فعال لما يشاء، فعال لما يشاء. فقال له المأمون: أحسنت وبورك عليك ناطقا وساكتا. ثم قال بعد أن بلاه وأختبره: عجبا لأحمد بن يوسف كيف استطاع أن يخبأ نفسه.

☪

كان أبو أيوب سليمان بن وهب[3] أحد كتاب الدنيا ورؤسائها فضلا وأدبا وكتابة في الدرج والدستور، وأحد عقلاء العالم وذوي الرأي منهم.حدث ابنه عبيد الله قال: حدثني أبي قال: كان مبدأ سعادتي أني كنت وأنا صبي بين يدي محمد بن يزداد[4] وزير المأمون، وكنا جماعة من الصبيان بين يديه، إذا راح في الليل إذا داره بات واحد منا في دار المأمون بالنوبة لمهم عساه يعرض في الليل. قال: فكانت ليلة نوبتي فخرج خادم وقال: هاهنا أحد من نواب محمد بن يزاداد؟ فقال الحجاب له: نعم هاهو ذا، فأدخلني إلى المأمون، فقال لي: اعمل نسخة في المعنى الفلاني ووسع بين سطورها وأحضرها لأصلح منها ما أريد إصلاحه. قال: فخرجت سريعا وكتبت الكتاب بغير نسخة وبيضته وأحضرته إليه. فلما رآني قال: كتبت النسخة؟ قلت: بل كتبت الكتاب. فقال: بيضته؟ قلت: نعم. فزاد في نظره إلي كالمتعجب مني، فلما قرأه تبينت الاستحسان على وجهه، ورفع رأسه إلي وقال: ما أحسن ما كتبت يا صبي! ولكن أريد أن تقدم هذا السطر وتؤخر هذا السطر، وخط عليهما بقلمه. فأخذت الكتاب وخرجت وجلست ناحية ثم محوت السطرين وعملت ما أراد وجئته بالكتاب، وكان قد ظن أني أبطله وأكتب غيره، فلما قرأه لم يعرف موضع المحو، فاستحسنه وقال: يا صبي لا أدري من أي شيء أعجب أمن جودة محوك أم من سرعة فهمك أم من حسن خطك أم من سرعتك؟ بارك الله فيك. فقبلت يده وخرجت. وكان ذلك أول علو منزلتي، وصار المأمون لا يجري مهم إلا قال: هاتوا سليمان بن وهب. ولما جرت له هذه القضية كتب إليها بعض الشعراء:

أبوك كلفك الشأو البعيد كما..قدما تكلفه وهب أبو حسن..فلست تحمد إن أدركت غايته..ولست تعذر مسبوقا فلا تهن.

☪

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿نَحْنُ أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ﴾ وروي عنه عليه السلام أنه قال: ﴿مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، ويقبض المال، وَيَكْثُرَ التُّجَّارُ وَيَظْهَرُ الْقَلَمُ﴾ يعني الكتابة. قال الحسن البصري: لقد أتى علينا زمان وإنما يقال: تاجر بني فلان وكاتب بني فلان، ما يكون في الحي إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد، قال الحسن: لقد كان الرجل يأتي الحي العظيم فلا يجد به كاتبا. وفي الحديث المرفوع: فشو القلم، وفشو التجارة من أشراط الساعة. يعني بقوله فشو القلم: ظهور الكتابة وكثرة الكتاب. روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أتربوا الكتب وسجوها من أسفلها فإنه أنجح للحاجة. وفي خبر آخر عنه عليه السلام: إذا كتب أحدكم في حاجة فليترب كتابه، فالبركة في التراب. وروى عن بعض أهل التفسير في قول الله عز وجل حاكيا عن يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيم﴾ [يوسف] قال كاتب حاسب. كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم: أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعلي وعثمان، وحنظلة الأسدي،ومعاوية، وعبد الله بن الأرقم، وكان كاتبه المواظب له في الرسائل والأجوبة زيد بن ثابت، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعلم السريانية ليجيب عنه من كتب إليه بها، فتعلمها في ثمانية عشر يوما. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع: إذا كتبت فألن دواتك، وأطل من قلمك،وفرج بين السطور، وقارب بين الحروف. كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله:إذا كتبتم فأرقوا الأقلام، وأقلوا الكلام واقتصروا على المعاني، وقاربوا بين الحروف، تكتفوا من القراطيس بالقليل. كانت العرب تسمي كل صانع قينا إلا الكاتب. قالوا: القلم أحد اللسانين. قالوا: الخط الحسن يزيد الحق وضوحا. قال المأمون: الخط لسان اليد، وهو أفضل أجزاء اليد. قال بعض الملوك:للكاتب الناصح ثلاث خصال: رفع الحجاب عنه، واتهام الوشاة عليه،و دفع غائلة العدو عنه. قال ابن القرية:خط القلم يقرأ بكل مكان، وفي كل زمان، ويترجم كل لسان، ولفظ الإنسان لا يجاوز الآذان. قال أبو ساسان حضين بن المنذر:ما رأيت باريا لا يقيم الخط إلا رأيته لا يقيم الشعر. قيل لنصر بن سيار: فلان لا يخط، قال :تلك الزمانة الخفية. قال بعض البلغاء: صورة الخط في الإبصار سواد، وفي الأنصار بياض، وهذا عندي مأخوذ من قول ابن المعتز: القلم يخدم الإرادة، ولا يمل الاستزادة، على أرض بياضها مظلم، وسوادها مضيء. أمر أبو جعفر المنصور بسجن طائفة من الكتاب غضب عليهم،فكتب إليه بعضهم من طريق السجن: أطال الله عمرك في صلاح..وعز ياأمير المؤمنينا..بعفوك نستجير فإن تجرنا..فإنك رحمة للعالمينا..ونحن الكاتبون وقد أسأنا..فهبنا للكرام الكاتبينا. وذكر هذا الخبر الحارث بن أسامة في كتابه المعروف بكتاب الخلفاء، وفي أخبار المنصور: أن أحزابا من الكتاب ترددوا في ديوان داره، فأمر بإحضارهم وتقدم من تأديبهم، فقال واحد منهم، وهو يضرب: أطال الله عمرك،وذكر الأبيات الثلاثة فعفا عنهم وأمر بتخليتهم. قال ابن القاسم: سئل مالك عن النصراني أيستكتب؟ قال: لا أرى ذلك، وذلك أن الكاتب يستشار، فيستشار هذا في أمور المسلمين! ، ما يعجبني أن يستكتب. قال بعض الحكماء لبنيه: يا بني تزيوا بزي الكتاب، فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة. قدم كتاب أبي عبيدة على عمر بن الخطاب، وعنده أبو موسى، فقال له: يا أبا موسى! ادع كاتبك حتى يقرأ كتاب أبي عبيدة بالفتح. فقال: إنه لا يدخل المسجد.قال: ولم، أجنب هو؟ قال: لا. ولكنه نصراني، فصاح عليه صيحة وانتهره، قال: عزمت عليك إلا عزلته، ثم قال: لا تقربوهم بعد أن أبعدهم الله، ولا تكرموهم بعد أن أهانهم الله، ولا تشاوروهم بعد أن جهلهم الله، قال أبو موسى: فعزلته وطردته. قال أبو عمر رحمه الله: كيف يؤتمن على سر أو يوثق به في أمر، من دفع القرآن وكذب النبي عليه السلام. استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء، فأذن له، فلما دخل عليه رأى بين يديه رجلا يهوديا كاتبا، كانت له منزلة وقربه لقيامه بما يصرفه فيه ويتولاه من خدمته، فلما رآه الفقيه قال – وقد كان المأمون أومأ إليه بالجلوس – : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس قال: نعم، فأنشده: إن الذي شرفت من أجله..يزعم هذا أنه كاذب. وأشار إلى اليهودي، فخجل المأمون ووجم، ثم أمر حاجبه بإخراج اليهودي مسحوبا على وجهه، وأنفذ عهدا باطراحه وإبعاده، وألا يستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله. [ابن عبد البر]

■ (4) محمد بن يزداد بن سويد المروزى: من كتاب الانشاء في الدولة العباسية. استوزره المأمون. قال المسعودي: وتوفى المأمون وهو على وزارته. وعاش إلى أيام الواثق بالله. وتوفى بسر من رأى سنة 230 هـ. له شعر جيد، منه قوله: فلا تأمنن الدهر حرا ظلمته فما ليل حر إن ظلمت بنائم.

■ (3) سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي: وزير، من كبار الكتاب. من بيت كتابة وإنشاء في الشام والعراق. ولد ببغداد، وكتب للمأمون وهو ابن 14 سنة. وولي الوزارة للمهتدي بالله، ثم للمعتمد على الله. ونقم عليه الموفق بالله، فحبسه، فمات في حبسه. سنة 272 هـ له ديوان رسائل. وكان من مفاخر عصره أدبا وعقلا وعلما. ولابي تمام والبحتري مدح به وبأهله.

■ (1) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، أبو الطيب، وأبو طلحة: من كبار الوزراء والقواد، أدبا وحكمة وشجاعة. وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي. ولد في بوشنج من أعمال خراسان وسكن بغداد، فاتصل بالمأمون في صباه، وكانت لابيه منزلة عند الرشيد. ولما مات الرشيد وولي الامين، كان المأمون في مرو، فانتدب طاهرا للزحف إلى بغداد، فهاجمها وظفر بالامين وقتله سنة 198 هـ وعقد البيعة للمأمون، فولاه شرطة بغداد، ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب، في السنة نفسها 198 هـ وخراسان سنة 205 هـ وكان في نفس المأمون شئ عليه، لقتله أخاه الامين بغير مشورته. ولعله شعر بذلك. فلما استقر في خراسان، قطع خطبة المأمون، يوم جمعة، فقتله أحد غلمانه في تلك الليلة، بمرو، وقيل: مات مسموما. سنة 207 هـ ولقب بذي اليمينين لانه ضرب رجلا بشماله، فقده نصفين، أو لانه ولي العراق وخراسان، لقبه بذلك المأمون. وكان أعور.

■ (2) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم.

مراجع: تاريخ بغداد/ الأعلام للزركلي/ بهجة المجالس وأنس المجالس/.

كان أبو عباد [1] وزير المأمون ضيقا جدا، قيل له: إن لقمان قال: ما شيء أشد من حمل الغضب. فقال: ولكنه عندي أخف من الريشة. قيل له: إنما عنى لقمان أن احتمال الغضب ثقيل. فقال: والله ما يقوى على الغضب أحد من الناس إلا الجمل.

وغضب يوما على بعض أصحابه، فشجه بدواة كانت بين يديه. فقال: صدق الله حيث يقول: والذين إذا ما غضبوا هم يغفرون -يعني-: قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى] فبلغ ذلك المأمون فضحك. فقال: ويلك ! لا تحسن تقرأ آية من كتاب الله تعالى. قال: يا أمير المؤمنين؛ والله إني لأحسن أقرأ من سورة واحدة ألف آية. فضحك المأمون وأمر بإخراجه. ولم يكن جاهلا. وإنما كان يجري عليه الغلط لفرط غيظه.

وقيل: سأل المأمون أحمد بن أبي خالد [2] -في رواية الزبير بن بكار قال: أحمد بن أبي دؤاد [3]- عن أخلاق ثابت بن يحيى، يريد أبا عباد الكاتب فقال: هو يا أمير المؤمنين أحد من سيف سعيد بن العاص [4] وأنزق من مجنون البكرات، قال: ما أتبين ذلك فيه. قال: لموضع الخلافة يا أمير المؤمنين، وعلى ذاك فإن حركته* تحرك. فأراد المأمون أن يمتحنه، فدخل عليه يوما فعرض ما معه من الحوائج، فأمره أن يوقع فيها، ثم خرج. فلما صار بالباب، قال: ردوه. فرجع، فقال له المأمون: افعل في الأهوازيين ما قلت لك، ولا تعرض فيه رقعة -ولا تعرض به مؤامرة؟-. قال: نعم، ثم خرج، فلما صار بالباب، قال: ردوه. فأتاه الرسول فقال: ارجع. فرجع. فقال له: قل لعمرو بن مسعدة [5] أخر أمر أبي دلف [6] حتى آمرك بما أريد. ثم خرج، فلما صار بالباب، قال: ردوه. فأتاه الرسول فقال: ارجع، فتناول الدواة من غلامه، وقال: الساعة والله أضرب بها وجهك القبيح يا ابن الخبيثة! فقال الغلام: ما ذنبي؟ قال: ينبغي أن تقول قد ذهب إلى النار. ورجع، فقال: ارفع في غدا فيما تعرض قصة الهاشميين -رقعة الهاشميين-. قال: نعم، ثم قال: والله لا أرجع بعدها حتى أستطير!. فضحك المأمون حتى أمسك بطنه، وقال: امض راشدا، وقال: قاتل الله دعبلا [7] يريد قوله: أولى الأمور بضيعة وفساد..أمر يدبره أبو عباد..وكأنه من دير هرقل خارج..حرجا يجر سلاسل الأقياد. قال: وقعد المأمون ذات يوم وأبو عباد يكتب بين يديه إذ دخلت شعرة بين سني القلم فأهوى لإخراجها بأسنانه ثم كتب فإذا هي على حالها، فأهوى إليها ثانية فقطع طرفها وبقي أصلها ثم كتب فإذا هي قد أعمت حروفه، فأخذ القلم فاتكى عليه بأسنانه وكسره وقال: لعنك الله ولعن من يراك ولعن من أنت له! فضحك المأمون وقال: بحق قيل فيك ما قيل.

غضب المأمون على رجل وقال: لأقتلنك ولآخذن مالك. اقتلوه. فقال أحمد بن دؤاد (أحمد بن أبي دؤاد؟): إذا قتلته فمن أين تأخذ المال؟ قال: من ورثته. فقال: إذا تأخذ مال الورثة، المال للورثة، وأمير المؤمنين يأبى ذلك. فقال: يؤخر حتى يستصفى ماله. فانقرض المجلس وسكن غضبه وتوصل إلى خلاصه.

■ (1) أبو عباد، هو ثابت بن يحيى بن يسار الرازي.الكاتب وزير المأمون،أحد الكفاة البارعين في الحساب والتصرف والمعرفة، وبذلك ساد وتقدم.نهض بأمور الأموال لمخدومه أتم ما يكون، ثم إنه عجز من استيلاء النقرس، واستعفي.وكان جوادا، سمحا، سريا، إلا أنه كان منقبضا عبوسا. عاش 65 سنة، وتوفي سنة 220 هـ.

■ (6) هل هو : أبو دلف العجلي، القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل، من بني عجل بن لجيم: أمير الكرخ، وسيد قومه، وأحد الامراء الاجواد الشجعان الشعراء. قلده الرشيد العباسي أعمال الجبل ثم كان من قادة جيش المأمون. وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة. وللشعراء فيه أماديح. وله مؤلفات، منها سياسة الملوك والبزاة والصيد. وهو من العلماء بصناعة الغناء، يقول الشعر ويلحنه. توفي ببغداد سنة 226 هـ.

■ (3) أحمد بن أبي دؤاد (دواد؟) بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

■ (2) أبو العباس، أحمد بن أبي خالد بن يزيد بن عبد الرحمن الكاتب الأحول كاتب ووزير عباسي، تولى الوزارة في عهد الخليفة العباسي المأمون. مات سنة 212 هـ

■ (4) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات.وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحا. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ، وقيل سنة 59 هـ على الصحيح. وأخباره كثيرة. وفي المؤرخين من يمزج بعضها بأخبار جده.

■ (5) عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي: وزير المأمون، وأحد الكتاب البلغاء. كان يوقع بين يدي جعفر ابن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، واتصل بالمأمون، فرفع مكانته، وأغناه. وفي كتب الأدب كثير من رسائله وتوقيعاته. وكان جوادا ممدحا فاضلا نبيلا. توفي في أذنة (أطنه) بتركية آسية سنة 217 هـ

■ (7) دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي: شاعر هجاء.أصله من الكوفة. أقام ببغداد. له أخبار، وشعره جيد. وكان صديق البحتري. وصنف كتابا في طبقات الشعراء. قال ابن خلكان في ترجمته: كان بذئ اللسان مولعا بالهجو والحط من أقدار الناس، وهجا الخلفاء = الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق = فمن دونهم، وطال عمره فكان يقول: لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك! توفي سنة 246 هـ ببلدة تدعى الطيب بين واسط وخوزستان وكان طوالا ضخما أطروشا، له ديوان شعر جمع فيه بعض الأدباء ما بقي متفرقا من شعره. وفي مختصر تاريخ دمشق قال: دعبل بن علي بن رزين بن عثمان أبو علي الخزاعي الشاعر المشهور. وفي نسبه اختلاف، له شعر رائق. يقال: أصله من الكوفة، ويقال: من قرقيسياء، وأكثر مقامه ببغداد، وسافر إلى غيرها، وقدم دمشق ومصر. ويقال إن اسمه محمد وكنيته أبو جعفر، ودعبل لقب؛ ويقال: الدعبل، البعير المسن، ويقال: الشيء القديم. قدم دعبل مصر هاربا من المعتصم لهجو هجاه به، وخرج منها إلى المغرب إلى الأغلب. وكان خبيث اللسان، قبيح الهجاء. وروي عنه أحاديث مسندة عن مالك بن أنس وعن غيره، وكلها باطلة من وضع ابن أخيه إسماعيل بن علي. وقيل: كان اسمه الحسن، وقيل عبد الرحمن، وكان أطروشا، وكان في قفاه سلعة.ولد دعبل سنة 148، ومات سنة 246 بالطيب. فعاش سبعا وتسعين سنة وشهورا. واسمه عبد الرحمن، وإنما لقبته دايته لدعابة كانت فيه، فأرادت ذعبلا، فقلبت الذال دالا. وقيل: إن المعتصم قتله في سنة 220 لهجائه له؛ وكان قد استجار بقبر الرشيد بطوس، فلم يجره. والصحيح ما تقدم. وقيل في سبب وفاته: إنه هجا مالك بن طوق التغلبي، فبعث إليه رجلا ضمن له عشرة آلاف درهم، وأعطاه سما؛ فلم يزل يطلبه حتى وجده قد نزل في قرية بنواحي السوس، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة؛ فضرب ظهر قدمه بعكاز لها زج مسموم، فمات من غد، ودفن بتلك القرية، وقيل: بل حمل إلى السوس فدفن بها. والله أعلم.

☪

أنشد شاعر أبا عباد قصيدة طويلة، فضاق ضيقا عظيما، ثم تجمل معه في استماعها حتى أتمها؛ فقام رجل من أصحابه يعرف بالغالبي؛ فأنشد قصيدة أخرى فسمعها، وقد بلغ الضيق به منتهاه؛ فقال فيها: لما أنخنا بالوزير ركابنا..مستعصمين بجوده أعطانا..ثبتت رحا ملك الإمام بثابت..وأفاض فينا العدل والإحسانا. فقال أبو عباد: مهلا مهلا، إنما أنا كاتب ليست هذه صفتي، هذه صفة حميد الطوسي [1]. فضحك الحاضرون، وزاد ضيق أبي عباد لضحكهم وخجل الرجل. فقال: يقري الوفود طلاقة وسماحة..والناكثين مهندا وسنانا..من لم يزل للناس غيثا ممرعا..متخرقا في جوده معوانا. وأنسي من الدهش من غيظه أبي عباد باقي البيت، فأقبل يردد: متخرقا في جوده. فقل: قل قرنانا أو صفعانا، ودعنا نستريح. فقال: يا سيدي معوانا، وخرج موليا، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

قيل للمأمون: إن دعبلا الشاعر هجاك. فقال: من أقدم على هجاء أبي عباد كيف لا يهجوني؟ ومعنى هذا الكلام: من أقدم على هجاء أبي عباد مع هوجه وجنونه وحدته كيف لا يقدم على هجائي مع حلمي ومحبتي للصفح؟ ودعبل كان شاعرا مجيدا، إلا أنه كان بذي اللسان مولعا بالهجو والحط من أقدار الناس، وهجا الخلفاء فمن دونهم، وطال عمره فكان يقول: لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي، أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك، ولما عمل في إبراهيم بن المهدي [2] الأبيات التي أولها: نعر ابن شكلة بالعراق وأهله..فهفا إليه كل أطلس مائق. دخل إبراهيم على المأمون فشكا إليه حاله، وقال: يا أمير المؤمنين، إن الله سبحانه وتعالى فضلك في نفسك علي وألهمك الرأفة والعفو عني، والنسب واحد، وقد هجاني دعبل فانتقم لي منه، فقال المأمون: ما قال لعل قوله: نعر ابن شكلة بالعراق..وأنشد الأبيات، فقال: هذا من بعض هجائه، وقد هجاني بما هو أقبح من هذا، فقال المأمون: لك أسوة بي فقد هجاني واحتملته، وقال في: أيسومني المأمون خطة جاهل..أو ما رأى بالأمس رأس محمد..إني من القوم الذين سيوفهم..قتلت أخاك وشرفتك بمقعد..شادوا بذكرك بعد طول خموله..واستنقذوك من الحضيض الأوهد. فقال إبراهيم: زادك الله حلما يا أمير المؤمنين وعلما فيما ينطق أحدنا إلا عن فضل علمك ولا يحلم إلا اتباعا لحلمك. وأشار دعبل في هذه الأبيات إلى قضية طاهر بن الحسين الخزاعي [3] وحصاره بغداد، وقتله الأمين محمد بن الرشيد [4]، وبذلك ولي المأمون الخلافة. والقصة مشهورة، ودعبل خزاعي، فهو منهم، وكان المأمون إذا أنشد هذه الأبيات يقول: قبح الله دعبلا فما أوقحه، كيف يقول عني هذا وقد ولدت في حجر الخلافة ورضعت يديها وربيت في مهدها.

ومثل هذا الحلم بل أعظم ما حكي عن الواثق أنه كان يحب الباذنجان ويكثر من أكله ومعظم الرمد بالعراق من أكل الباذنجان لحر الإقليم والسوداء المتولدة من أكله، فبعث إليه أبوه المعتصم وقال له: دع أكل الباذنجان واحفظ بصرك فمتى رأيت خليفة أعمى فقال للرسول: قل لأمير المؤمنين إني تصدقت بعيني على الباذنجان، ثم رمد رمدة صعبة ما تخلص منها إلا وعلى إحدى عينيه بياض كاد يسدها، وكان المسدود [5] الشاعر قد هجا الواثق وهو ولي عهد أبيه،-لأن الواثق كان يعجبه غناء أبي حشيشة الطنبوري فوجد المسدود من ذلك- وسمي المسدود لجسم سد منخريه فعمل: من المسدود في الأنف..إلى المسدود في العين..فيا طبلا له رأس..ويا طبلا برأسين. فلما كان يوم تفرقة العطاء كتب المسدود مستحقه في ورقة وجعلها في عمامته مع ورقة الهجو ثم دخل على الخليفة فناوله ورقة الهجو فقرأها وضحك وقال: خذ هذه وهات ورقة المستحق ولا تعد في مثل هذا، وقضى حاجته.

قال إبراهيم بن العباس الصولي: لو وزنت كلمات النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَلْيَسَعْهُمْ بِأَخْلاَقَكُمْ﴾ بكلام أهل الأرض لرجحت، هذا أبو عباد لم يكن في زمانه أكرم منه، وما يكاد يرى له شاكرا لسوء خلقه. كان أبو عباد يقول: ما جلس أحد بين يدي، إلا ظننت أني سأجلس بين يديه.

■ (1) هل هو: حميد بن عبد الحميد بن ربعي الطائي الطوسي، أبو غانم، الأمير القائد، توفي بفم الصلح لما توجه صحبة المأمون للدخول على بوران بنت الحسن. يوم عيد الفطر سنة عشرين 220 هـ ، أم هو: أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي، أمير خراسان.المتوفي بعد سنة 171 هـ.؟

■ (4) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة 198 هـ

■ (3) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، أبو الطيب، وأبو طلحة: من كبار الوزراء والقواد، أدبا وحكمة وشجاعة. وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي. ولد في بوشنج من أعمال خراسان وسكن بغداد، فاتصل بالمأمون في صباه، وكانت لابيه منزلة عند الرشيد. ولما مات الرشيد وولي الامين، كان المأمون في مرو، فانتدب طاهرا للزحف إلى بغداد، فهاجمها وظفر بالامين وقتله سنة 198 هـ وعقد البيعة للمأمون، فولاه شرطة بغداد، ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب، في السنة نفسها 198 هـ وخراسان سنة 205 هـ وكان في نفس المأمون شئ عليه، لقتله أخاه الامين بغير مشورته. ولعله شعر بذلك. فلما استقر في خراسان، قطع خطبة المأمون، يوم جمعة، فقتله أحد غلمانه في تلك الليلة، بمرو، وقيل: مات مسموما. سنة 207 هـ ولقب بذي اليمينين لانه ضرب رجلا بشماله، فقده نصفين، أو لانه ولي العراق وخراسان، لقبه بذلك المأمون. وكان أعور.

■ (2) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم.

■ (5) المسدود المغني من أهل بغداد اسمه الحسن وكنيته أبو علي وأباه كان قصابا وأنه كان مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر وكان يقول لو كان منخري الآخر مفتوحا لأذهلت بغنائي أهل الحلوم وذوي الألباب وشغلت من سمعه عن أمر دينه ودنياه ومعاشه ومعاده

مراجع: جمع الجواهر في الملح والنوادر/ الأعلام للزركلي/ المحاسن والمساوئ/ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ نثر الدر/

ذكر عن عطاء صاحب مظالم عبد الله بن طاهر[1]، قال: قال رجل من أخوة المأمون للمأمون: يا أمير المؤمنين، إن عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد أبي طالب، وكذا كان أبوه قبله. قال: فدفع ذلك المأمون وأنكره، ثم عاد بمثل هذا القول، فدس إليه رجلا ثم قال له: امض في هيئة القراء والنساك إلى مصر، فادع جماعة من كبرائها إلى القاسم بن إبراهيم بن طباطبا[2]، واذكر مناقبه وعلمه وفضائله، ثم صر بعد ذلك إلى بعض بطانة عبد الله بن طاهر، ثم ائته فادعه ورغبه في استجابته له، وابحث عن دفين نيته بحثا شافيا، وائتني بما تسمع منه. قال: ففعل الرجل ما قال له، وأمره به؛ حتى إذا دعا جماعة من الرؤساء والأعلام، فقعد يوما بباب عبد الله بن طاهر، وقد ركب إلى عبيد الله بن السري[3] بعد صلحه وأمانه، فلما انصرف إليه الرجل، فأخرج من كمه رقعة فدفعها إليه، فأخذها بيده؛ فما هو إلا أن دخل فخرج الحاجب إليه، فأدخله عليه وهو قاعد على بساطه ما بينه وبين الأرض غيره، وقد مد رجليه، وخفاه فيهما، فقال له:قد فهمت ما في رقعتك من جملة كلامك، فهات ما عندك، قال: ولي أمانك وذمة الله معك؟ قال: لك ذلك، قال: فأظهر له ما أراد، ودعاه إلى القاسم، وأخبره بفضائله وعلمه وزهده، فقال له عبد الله: أتنصفني؟ قال: نعم، قال: هل يجب شكر الله على العباد؟ قال: نعم، قال: فهل يجب شكر بعضهم لبعض عند الإحسان والمنة والتفضل؟ قال: نعم، قال: فتجيء إلي وأنا في هذه الحالة التي ترى، لي خاتم في المشرق جائز وفي المغرب كذلك؛ وفيما بينهما أمري مطاع، وقولي مقبول ثم ما ألتفت يميني ولا شمالي وورائي وقدامي إلا رأيت نعمة لرجل أنعمها علي، ومنة ختم بها رقبتي، ويدا لائحة بيضاء ابتداني بها تفضلا وكرما، فتدعوني إلى الكفر بهذه النعمة وهذا الإحسان، وتقول: اغدر بمن كان أولا لهذا وآخرا، واسع في إزالة خيط عنقه وسفك دمه! تراك لو دعوتني إلى الجنة عيانا من حيث أعلم؛ أكان الله يحب أن أغدر به، وأكفر إحسانه ومنته، وأنكث بيعته! فسكت الرجل، فقال له عبد الله: أما إنه قد بلغني أمرك وتالله ما أخاف عليك إلا نفسك؛ فارحل عن هذا البلد؛ فإن السلطان لأعظم إن بلغه أمرك –وما آمن ذلك عليك– كنت الجاني على نفسك ونفس غيرك. فلما أيس الرجل مما عنده جاء إلى المأمون، فأخبره الخبر، فاستبشر وقال: ذلك غرس يدي، وإلف أدبي، وترب تلقيحي، ولم يظهر من ذلك لأحد شيئا، ولا علم به عبد الله إلابعد موت المأمون.

■ (1) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس: أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من باذغيس بخراسان وكان جده الاعلى زريق من موالي طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات وولي صاحب الترجمة إمرة الشام، مدة. ونقل إلى مصر سنة 211 هـ، فأقام سنة، ونقل إلى الدينور. ثم ولاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الاطراف. واستمر إلى أن توفي بنيسابور وقيل: بمرو سنة 230 هـ وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه، قال ابن الاثير: كان عبد الله من أكثر الناس بذلا للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مراث كثيرة. وقال ابن خلكان: كان عبد الله سيدا نبيلا عالي الهمة شهما، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. وقال الذهبي في دول الاسلام: كان عبد الله من كبار الملوك. وقال الشابشتي: كان المأمون تبناه ورباه. الطاهريون سلالة عربية من قبيلة خزاعة تولت إمرة ولاية خراسان وشرق تركستان أثناء الدولة العباسية ما بين 205–259 هـ

■ (2) القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسني العلوي، أبو محمد، المعروف بالرسي: فقيه، شاعر، من أئمة الزيدية. وهو شقيق ابن طباطبا محمد بن إبراهيم. كان يسكن جبال قدس من أطراف المدينة. وأعلن دعوته بعد موت أخيه سنة 199 هـ ومات سنة 246 هـ في الرس وهو جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة على ستة أميال من المدينة له 23 رسالة. في الامامة والرد على ابن المقفع مع ترجمة إلى الايطالية، وسياسة النفس والعدل والتوحيد والناسخ والمنسوخ وأمثال ذلك. ذكره المرزباني في الشعراء، ولم يشر إلى إمامته أو كتبه. وأورد له شعرا جيدا، منه أبيات آخرها: إذا أكدى جنى وطن فلي في الارض منعرج وقال: من ولده حسين بن الحسن بن القاسم الزيدي صاحب اليمن.

■ (3) عبيد الله بن السري بن الحكم بن يوسف؛ ولي إمرة مصر بعد موت أخيه محمد بن السري بمبايعة الجند له سنة ست ومائتين على الصلاة والخراج معا. ولما ولي عبيد الله مصر وقع بينه وبين الجروي الخارجي حروب كثيرة، ثم حدثته نفسه الخروج عن طاعة المأمون وجمع وحشد؛ فبلغ المأمون ذلك وطلب عبد الله بن طاهر –في رواية قالوا: خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني؟– وقال له: قد رأيت توليتك مصر ومحاربة الخوارج بها؛ فحاصره عبد الله بن طاهر وضيق عليه حتى أباده وأشرف على الهلاك، فطلب عبيد الله بن السري الأمان من عبد الله بن طاهر فأمنه عبد الله بن طاهر بعد أمور صدرت؛ فخرج إليه عبيد الله بن السري بالأمان وبذل إليه أموالا كثيرة وأذعن له وسلم إليه الأمر، وذلك في آخر صفر سنة إحدى عشرة ومائتين.

قال المأمون يوما لأصحابه: هل تعرفون رجلا برع بنفسه حتى مد أهله وبرز على جميع أهل دهره في نزاهة نفسه وحسن سيرته وكرم حزبيته؟ فذكر قوم ناسا فأطروهم، فقال: لم أرد هؤلاء، فقال علي بن صالح[1] صاحب المصلى: ما أعلم يا أمير المؤمنين أحدا أكمل هذه الخصال إلا عمر بن الخطاب رحمه الله، فقال المأمون: اللهم، غفرا لم نرد قريشا ولا أخلافها، فأمسك القوم جميعا، فقال المأمون: ذاك عبد الله بن طاهر وليته مصر وأموالها جمة فعرض عليه عبيد الله بن السرى من الأموال ما يقصر عنه الوصف كثرة فما تعرض لدينار منها ولا درهم، وما خرج عن مصر إلا بعشرة آلاف دينار وثلاثة أفراس وحمارين ولكنه غرس يدى وخريج أدبي ولأنشدنكم أبياتا في صفته ثم تمثل: حليم مع التقوى شجاع مع الجدا..ندى حين لا يندى السحاب سكوب..شديد مناط القلب في الموقف الذي..به لقلوب العالمين وجيب..ويجلو أمورا لو تكلف غيره..لمات خفاتا أو يكاد يذوب..فتى هو من غير التخلق ماجد..ومن غير تأديب الرجال أديب.

حدثني بعض أصحابنا قال: سمعت عبد الله بن طاهر يعظ منصور بن طلحة وينهاه عن الكلام في الإمامة يقول: إنما نبت شعرنا على رؤوسنا ببني العباس ولو كان هؤلاء القوم الذي يعزى إليهم هذا الأمر في مكان هؤلاء لكانت الرحمة من الناس لهم لأن سبيل الناس على ذلك.

كان المأمون قد أتى بقوم من ولد زياد بن أبيه[2] وقوم من ولد هشام وفيهم رجل من بني تغلب يقال له محمد بن هارون فسألهم عن نسبهم فأخبروه وسأل التغلبي عن نسبه فقال أنا محمد بن هارون فبكى وقال: ما لي بمحمد بن هارون! ثم قال: أما التغلبي فيطلق كرامة لاسمه واسم أبيه، وأما الأمويون والزياديون فيقتلون، فقال ابن زياد: ما أكذب الناس يا أمير المؤمنين، إنهم يزعمون أنك حليم كثير العفو متورع عن الدماء بغير حق، فإن كنت تقتلنا عن ذنوبنا فإنا والله لم نخرج أبدا عن طاعة ولم نفارق في تبعيد الجماعة، وإن كنت تقتلنا عن جنايات بني أمية فيكم فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام] قال: فاستحسن المأمون كلامه، وعفا عنهم جميعا، وكانوا أكثر من مائة رجل، ثم أضافهم الحسن بن سهل[3] فلما بويع إبراهيم بن المهدي[4] في سنة 202 هـ ورد في كتاب عامل اليمن خروج الأعاشر بتهامة عن الطاعة فأثنى الحسن بن سهل على الزيادي وكان اسمه محمد بن زياد وعلى المرواني والتغلبي عند المأمون وأنهم من أعيان الرجال، فأشار إلى إرسالهم إلى اليمن، فسير ابن زياد أميرا، وابن هشام وزيرا، والتغلبي قاضيا، فمن ولد محمد بن هارون التغلبي هذا من قضاة زبيد، بنو أبي عقامة، ولم يزالوا يتوارثون ذلك حتى أزالهم ابن مهدي[5] حين أزال دولة الحبشة، وحج الزيادي سنة ثلاث ومائتين ومضى إلى اليمن وفتح تهامة واختط زبيد في سنة 402 هـ زبيد بضم أوله وفتح ثانيه كأنه تصغير زبد أو زبد وهو بلفظ القبيلة.

■ (1) علي بن صالح، كان حاجب المأمون ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (2) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل الطائف.اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة وأدرك النبي ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة ثم ولاه علي بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي علي امتنع زياد على معاوية وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه أبي سفيان فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسبه سنة 44 هـ.فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي سنة 53 هـ

■ (3) الحسن بن سهل أبو محمد، الوزير الكامل، أبو محمد، حمو المأمون، وأخو الوزير ذي الرئاستين الفضل بن سهل، من بيت حشمة من المجوس، فأسلم سهل زمن البرامكة، فكان قهرمانا ليحيى البرمكي. ونشأ الفضل مع المأمون، فغلب عليه، وتمكن جدا إلى أن قتل. فاستوزر المأمون بعده أخاه، ولم يزل في توقل إلى أن تزوج المأمون بنته بوران، سنة 210 هـ، فلا يوصف ما غرم الحسن على عرسها. مات بسرخس سنة 236 هـ. وعاشت بوران: إلى حدود 270 هـ.

■ (5) عبد النبي بن علي بن مهدي الحميري: صاحب زبيد. وليها استقلالا بعد موت أخيه مهدي سنة 559 هـ. وكان أميرا جوادا بطلا، قاتل ملوك اليمن، واجتمع له ملك الجبال والتهائم، وانتقلت إليه جميع أموال اليمن وذخائرها. وكان يقتل المنهزم من عسكره. وله شعر وعلم بالادب. ولم يكن لاحد من جنده فرس يرتبطه في داره ولا عدة من السلاح، بل الخيل في إصطبلاته والسلاح في خزائنه، فإذا عن له أمر أخرج لهم من الخيل والسلاح ما يحتاجون إليه. واستمرت الحروب بينه وبين ملوك اليمن إلى أن ظفر به السلطان علي بن حاتم (صاحب صنهاء) وقبض عليه، ثم قتله سنة 570 هـ.

■ (4) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم.

مراجع: تاريخ الرسل والملوك/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ الأعلام للزركلي/ كتاب بغداد/ معجم البلدان/

ذكر عن محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان[1]؛ أنه كان بالبصرة رجل من بني تميم، وكان شاعرا ظريفا خبيثا منكرا؛ وكنت أنا والي البصرة، آنس به وأستحليه؛ فأردت أن أخدعه وأستنزله، فقلت له: أنت شاعر وأنت ظريف، والمأمون أجود من السحاب الحافل والريح العاصف؛ فما يمنعك منه؟ قال: ما عندي ما يقلني، قلت: فأنا أعطيك نجيبا*فارها ونفقة سابغة، وتخرج إليه وقد امتدحته؛ فإنك إن حظيت بلقائه، صرت إلى أمنيتك. قال: والله أيها الأمير ما إخالك أبعدت؛ فأعد لي ما ذكرت. قال: فدعوت له بنجيب فاره، فقلت: شأنك به فامتطه؛ قال: هذه إحدى الحسنيين، فما بال الأخرى! فدعوت له بثلثمائة درهم، وقلت: هذه نفقتك؛ قال: أحسبك أيها الأمير قصرت في النفقة، قلت: لا هي كافية، وإن قصرت عن السرف. قال: ومتى رأيت في أكابر سعد سرفا حتى تراه في أصاغرها! فأخذ النجيب والنفقة، ثم عمل أرجوزة ليست بالطويلة، فأنشد فيها وحذف منها ذكري والثناء علي –وكان ماردا– فقلت له: ما صنعت شيئا. قال: وكيف؟ قلت: تأتي الخليفة ولا تثني على أميرك! قال: أيها الأمير أردت أن تخدعني فوجدتني خداعا.،. أما والله ما لكرامتي حملتني على نجيبك، ولا جدت لي بمالك الذي ما رامه أحد قط إلا جعل الله خده الأسفل؛ ولكن لأذكرك في شعري وأمدحك عند الخليفة، أفهم هذا. قلت: قد صدقت، فقال: أما إذا أبديت ما في ضميرك، فقد ذكرتك، وأثنيت عليك، فقلت: فأنشدني ما قلت، فأنشدنيه، فقلت: أحسنت؛ ثم ودعني وخرج فأتى الشام؛ وإذا المأمون بـ سلغوس*. قال: بينا أنا في غزاة قرة، قد ركبت نجيبي ذاك، ولبست مقطعاتي، وأنا أروم العسكر؛ فإذا أنا بكهل على بغل فاره ما يقر قراره، ولا يدرك خطاه. قال: فتلقاني مكافحة ومواجهة، وأنا أردد نشيد أرجوزتي، فقال: سلام عليكم –بكلام جهوري ولسان بسيط– فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، قال: قف إن شئت، فوقفت فتضوعت منه رائحة العنبر والمسك والأذفر، فقال: ما أولك؟ قلت: رجل من مضر، قال: ونحن من مضر، ثم قال: ثم ماذا؟ قلت: رجل من بني تميم، قال: وما بعد تميم؟ قلت: من بني سعد، قال: هيه، فما أقدمك هذا البلد؟ قال: قلت: قصدت هذا الملك الذي ما سمعت بمثله أندى رائحة، ولا أوسع راحة، ولا أطول باعا، ولا أمد يفاعا منه. قال: فما الذي قصدته به؟ قلت: شعر طيب يلذ على الأفواه، وتقتفيه الرواة، ويحلو في آذان المستمعين، قال: فأنشدنيه، فغضبت وقلت: يا ركيك، أخبرتك أني قصدت الخليفة بشعر قلته، ومديح حبرته، تقول: أنشدنيه! قال: فتغافل والله عنها، وتطأمن لها، وألغى عن جوابها، قال: وما الذي تأمل منه؟ قلت: إن كان على ما ذكر لي عنه فألف دينار، قال: فأنا أعطيك ألف دينار إن رأيت الشعر جيدا والكلام عذبا وأضع عنك العناء، وطول الترداد؛ ومتى تصل إلى الخليفة وبينك وبينه عشرة آلاف رامح ونابل! قلت: فلي الله عليك أن تفعل! قال: نعم لك الله علي أن أفعل، قلت: ومعك الساعة مال؟ قال: هذا بغلي وهو خير من ألف دينار، أنزل لك عن ظهره، قال: فغضبت أيضا وعارضني نزق* سعد وخفة أحلامها، فقلت: ما يساوي هذا البغل هذا النجيب! قال: فدع عنك البغل، ولك الله علي أن أعطيك الساعة ألف دينار، قال: فأنشدته: مأمون يا ذا المنن الشريفه..وصاحب المرتبة المنيفه..وقائد الكتيبة الكثيفة..هل لك في أرجوزة ظريفه..أظرف من فقه أبي حنيفه..لا والذي أنت له خليفه..ما ظلمت في أرضنا ضعيفه..أميرنا مؤنته خفيفه..وما اجتبى شيئا سوى الوظيفه..فالذئب والنعجة في سقيفه..واللص والتاجر في قطيفه. قال: فوالله ما عدا أن أنشدته، فإذا زهاء عشرة آلاف فارس قد سدوا الأفق، يقولون: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته! قال: فأخذني أفكل، ونظر إلي بتلك الحال، فقال: لا بأس عليك أي أخي، قلت: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك! أتعرف لغات العرب؟ قال: أي لعمرالله، قلت: فمن جعل الكاف منهم مكان القاف؟ قال: هذه حمير، قلت: لعنها الله، ولعن من استعمل هذه اللغة بعد اليوم! فضحك المأمون، وعلم ما أردت، والتفت إلى خادم إلى جانبه، فقال: أعطه ما معك، فأخرج إلي كيسا فيه ثلاثة آلاف دينار، فقال: هاك، ثم قال: السلام عليك؛ ومضى فكان آخر العهد به.

----

*(النجائب) النجيب من الإبل مفردا ومجموعا وهو القوي منها الخفيف السريع وناقة نجيب ونجيبة (سلغوس) بوزن قربوس وطرسوس بفتح أوله وثانيه اسم بلدة وزنه فعلوف عن أبي القطاع وهو حصن في بلاد الثغور بعد طرسوس غزاها المأمون (النزق) خفة في كل أمر وعجلة في جهل وحمق

■ (1) محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان، كان والي على البصرة ؟

يحكى أن هارون الرشيد مر في بعض الأيام وبصحبته جعفر البرمكي وإذا هو بعدة بنات يستقون الماء فعرج عليهن يريد الشرب وإذا إحداهن تقول: قولي لطيفك ينثني..عن مضجعي وقت المنام..كي أستريح وتنطفي..نار تأجج في العظام..دنف تقلبه الأكف..على بساط من سقام. فأعجب أمير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها. فقال لها: يا بنت الكرام هذا من قولك أم من منقولك؟ قالت: من قولي. قال: إن كان كلامك صحيحا فأمسكي المعنى وغيري القافية فأنشدت تقول: قولي لطيفك ينثني..عن مضجعي وقت الوسن..كي أستريح وتنطفي..نار تأجج في البدن..دنف تقلبه الأكف..على بساط من شجن..أما أنا فكما علم؟..ت فهل لوصلك من ثمن؟. فقال لها: والآخر مسروق. قالت: بل كلامي. فقال: إن كان كلامك أيضا فأمسكي المعنى وغيري القافية. فقالت: قولي لطيفك ينثني..عن مضجعي وقت الرقاد..كي أستريح وتنطفي..نار تأجج في الفؤاد..دنف تقلبه الأكف..على بساط من حداد..أما أنا فكما علم؟..ت فهل لوصلك من سداد؟. فقال لها: والآخر مسروق. فقال: بل كلامي. فقال لها: إن كان كلامك فأمسكي المعنى وغيري القافية. فقالت: قولي لطيفك ينثني..عن مضجعي وقت الهجوع..كي أستريح وتنطفي..نار تأجج في الضلوع..دنف تقلبه الأكف..على بساط من دموع..أما أنا فكما علم؟..ت فهل لوصلك من رجوع؟. فقال لها أمير المؤمنين: أنت من أي هذا الحي؟ قالت: من أوسطه بيتا، وأعلاه عمودا. فعلم أمير المؤمنين أنها بنت كبير الحي. ثم قالت: وأنت من أي راعي الخيل؟ فقال: من أعلاها شجرة وأينعها ثمرة. فقبلت الأرض وقالت: أيد الله أمير المؤمنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب. فقال الخليفة لجعفر[1]: لا بد من أخذها فتوجه جعفر إلى أبيها، وقال له: أمير المؤمنين يريد بنتك. فقال: حبا وكرامة، تهدى جارية إلى أمير المؤمنين مولانا. ثم جهزها وحملها إليه فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من أعز نسائه وأعطى والدها ما يستره بين العرب من الأنعام. ثم بعد مدة انتقل والدها بالوفاة إلى رحمة الله تعالى، فورد على الخليفة خبر وفاته فدخل عليها وهو كئيب، فلما شاهدته وعليه الكآبة، نهضت ودخلت إلى حجرتها وقلعت ما عليها من الثياب الفاخرة ولبست ثياب الحزن وقامت النعي له. فقيل لها: ما سبب هذا؟ فقالت: مات والدي، فمضوا إلى الخليفة فأخبروه فقام وأتى إليها وسألها من أعلمها بهذا الخبر؟ قالت: وجهك يا أمير المؤمنين. قال: كيف ذلك؟ قالت: منذ أنا عندك ما رأيتك هكذا ولم يكن لي من أخاف عليه إلا والدي لكبره، ويعيش رأسك أنت يا أمير المؤمنين. فترغرغت عيناه بالدموع وعزاها فيه، وقامت مدة، وهي حزينة على والدها ثم لحقت به رحمة الله عليهم أجمعين.

■ (1) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماش بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

مراجع: تاريخ الرسل والملوك/ الأعلام للزركلي/ معجم البلدان/ تاج العروس/ تاريخ الإسلام للذهبي/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ الكامل في التاريخ/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس/

ذكر أبو حشيشة [1]، قال: كنا قدام أمير المؤمنين المأمون بدمشق، فغنى علوية[2]: برئت من الإسلام إن كان ذا الذي..أتاك به الواشون عني كما قالوا..ولكنهم لما رأوك سريعة..إلي، تواصوا بالنميمة واحتالوا. فقال: يا علوية، لمن هذا الشعر؟ فقال: للقاضي[3]، قال: أي قاض ويحك! قال: قاضي دمشق، فقال: يا أبا إسحاق[4]، اعزله، قال: قد عزلته، قال: فيحضر الساعة. قال: فأحضر شيخ مخضوب وقصير؛ فقال له المأمون: من تكون؟ قال: فلان بن فلان الفلاني، قال: تقول الشعر؟ قال: قد كنت أقوله. فقال: يا علوية، أنشده الشعر، فأنشده، فقال: هذا الشعر لك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، ونساؤه طوالق وكل ما يملك في سبيل الله إن كان قال الشعر منذ ثلاثون سنة إلا في زهد أو معاتبة صديق، فقال: يا أبا إسحق اعزله؛ فما كنت أولي رقاب المسلمين من يبدأ في هزله بالبراءة من الإسلام. ثم قال: اسقوه؛ فأتي بقدح فيه شراب، فأخذه وهو يرتعد، فقال: يا أمير المؤمنين ما ذقته قط، قال: فلعلك تريد غيره! قال: لم أذق منه شيئا قط، قال: أفحرام هو؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: أولى لك! بها نجوت، اخرج. ثم قال: يا علوية، لا تقل: برئت من الإسلام، ولكن قل: حرمت مناي منك إن كان ذا الذي..أتاك به الواشون عني كما قالوا.

ذكر السليطي أبو علي، عن عمارة بن عقيل[5]، قال: أنشدت المأمون قصيدة فيها مديح له، هي مائة بيت؛ فأبتدئ بصدر البيت فيبادرني إلى قافيته كما قفيته، فقلت: والله يا أمير المؤمنين؛ ما سمعها مني أحد قط، قال: هكذا ينبغي أن يكون؛ ثم أقبل علي، فقال لي: أما بلغك أن عمر بن أبي ربيعة[6] أنشد عبد الله بن العباس [7] قصيدته التي يقول فيها: تشط غدا دار جيراننا. فقال ابن العباس: وللدار بعد غد أبعد، حتى أنشده القصيدة، يقفيها ابن عباس! ثم قال: أنا ابن ذاك.

قال ابن عساكر: قال القاضي المعافي بن زكريا الجريري[8]: مد المأمون المنى في هذا، وهو مقصور، وكان نحاة البصرة من متقدميهم ومتأخريهم لا يجيزون ذلك في شعر ولا نثر إلا الأخفش[9] فإنه كان يجيزه في الشعر، وهو مذهب متقدمي نحاة الكوفيين، وكان الفراء[10] يجيزه في بعض الوجوه ويأباه في بعضها، فأما قصر المعدود في الشعر فجائز عند جميع النحويين، ولو جعل مكان هذا: حرمت رجائي أو شفائي أو ما أشبههما لكان وجها صحيحا لا ينكر ولا يختلف في جوازه.

■ (3) عمرو بن أبي بكر العدوي القرشي قاضي دمشق أخو عمر ابن أبي بكر المؤملي الذي يروي عنه الزبير بن بكار. ولم يزل عمرو بن أبي بكر قاضيا خلافة هارون وبعض خلافة محمد بن هارون ومات في الفتنة التي كانت بين المأمون ومحمد.قال النقاش المحفوظ أن قاضي دمشق عمرو بن أبي بكر أخو عمر بن أبي بكر وعمر كان على قضاء الأردن فيحتمل أن تكون القصة والشعر لعمرو أو يكون عمر ولي قضاء دمشق أيضا بعد أخيه.

■ (6) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب: أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق. ولم يكن في قريش أشعر منه. ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه. وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه. ورفع إلى عمر ابن عبد العزيز أنه يتعرض لنساء الحاج ويشبب بهن، فنفاه إلى دهلك ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقا.سنة 93 هـ

■ (7) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله، يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة،كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

■ (5) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي: شاعر مقدم، فصيح. من أهل اليمامة. كان يسكن بادية البصرة، ويزور الخلفاء من بني العباس فيجزلون صلته. وبقي إلى أيام الواثق. وعمي قبل موته. سنة 239 هـ وهو من أحفاد جرير الشاعر. وكان النحويون في البصرة يأخذون اللغة عنه. له أخبار.

■ (1) الطنبوري، محمد بن علي بن أمية بن أبي أمية، المعروف بالطنبوري، ويلقب أبا حشيشة: شاعر موسيقي، دمشقي. كان يقول الشعر ويلحنه ويغني به. وصف للمأمون وهو بدمشق، فخرج إليه – وكان صغير السن – فغناه. ثم لم يزل يغني الخلفاء إلى خلافة المستعين، أو تجاوزها، ومدح المتوكل ومن بعده. مات نحو 250 هـ

■ (2) علي بن عبد الله بن سيف، أو يوسف، أبو الحسن، المعروف بعلوية، مولى بني أمية. موسيقي بغدادي، أصله من السغد بين بخارى وسمرقند تخرج على إبراهيم الموصلي وبرع في الغناء والتلحين والضرب بالعود. وغنى للامين العباسي، وعاش إلى أيام المتوكل. قال أبو الفرج: كان مغنيا حاذقا ومؤدبا محسنا، وصانعا متفننا، وضاربا متقدما، مع خفة روح، وطيب مجالسة، وملاحة نوادر. وكان إسحاق بن إبراهيم يتعصب له على مخارق ومات بعد إسحاق بقليل سنة 236 هـ. وكان الواثق العباسي يقول: غناء علوية مثل نقر الطست، يبقى ساعة في السمع بعد سكوته! وكان أعسر، عوده مقلوب الاوتار: البم أسفل الاوتار كلها، ثم المثلث فوقه، ثم المثنى ثم الزير. له أخبار مع الامين والمأمون والمعتصم وإبراهيم ابن المهدي وغيرهم.

■ (4) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يكنى أبا إسحاق، والمعتصم يقال له: الثماني، ولد بالخلد سنة 180 هـ، وهو ثامن الملوك، والثامن من ولد العباس، استخلف أبو إسحاق محمد بن هارون سنة 218 هـ ومات بالخاقاني من سر من رأى سنة 227 هـ وكان في المعتصم مناقب، منها، أنه كان ثامن ملوك من بني العباس، وثامن أمراء المؤمنين من ولد عبد المطلب، وملك ثماني سنين وثمانية أشهر وفتح ثمانية فتوح بلاد بابك على يد الأفشين وفتح عمورية بنفسه والزط بعجيف وبحر البصرة وقلعة الأجراف وأعراب ديار ربيعة والشاري وفتح مصر وقتل ثمانية أعداء بابك ومازيار وباطس ورئيس الزنادقة والأفشين وعجيفا وقارن وقائد الرافضة.

حدث عبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد، قال: سمعت العباس بن الفرج، يقول: كتب ملك الروم إلى المعتصم كتابا يتهدده فيه فأمر بجوابه فلما قرئ عليه الجواب لم يرضه، قال للكاتب: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك قال: والجواب ما ترى لا ما تسمع، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار. قلت: غزا المعتصم بلاد الروم في سنة 223 هـ فأنكى في العدو نكاية عظيمة، ونصب على عمورية المجانيق، وأقام عليها حتى فتحها ودخلها، فقتل فيها ثلاثين ألفا، وسبى مثلهم وكان في سبيه ستون بطريقا وطرح النار في عمورية من سائر نواحيها فاحرقها، وجاء ببابها إلى العراق، وهو باق حتى الآن منصوب على أحد الأبواب دار الخلافة، وهو الباب الملاصق مسجد الجامع في القصر.

■ (9) الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري مولى بني مجاشع إمام النحو أخذ عن الخليل بن أحمد ولزم سيبويه حتى برع وكان من أسنان سيبويه بل أكبر. توفي سنة211 هـ وقيل 221 هـ وكان يقول ما وضع سيبويه في كتابه شيئا إلا بعد أن عرضه علي، وللأخفش المذكور عدة مصنفات وهو الذي زاد في العروض بحر الخبب. والذين يسمون بالأخفش ثلاثة أولهم: الأخفش الأكبر وهو أبو الخطاب عبد الحميد من أهل هجر وكان نحويا أيضا. ثم الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة الإمام المذكور. ثم الأخفش الأصغر المتأخر وهو علي بن سليمان بن الفضل وكان الأخفش الأصغر المذكور نحويا أيضا، توفي سنة315 هـ وقيل 316 هـ

■ (8) المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد القاضي، أبو الفرج النهرواني. كان يلقب بالجريري لأنه تفقه على مذهب ابن جرير الطبري. كان المعافى من أعلم الناس في وقته. برع في عدة علوم، فكان فقيها أصوليا شاعرا إماما في النحو واللغة والأدب. له مؤلفات كثيرة. توفي سنة 390 هـ

■ (10) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة سنة 144، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه، فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوما في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم. وتوفي في طريق مكة سنة 207 هـ. وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها، عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. من كتبه: المقصور والممدود ومعاني القرآن أملاه في مجالس عامة كان في جملة من يحضرها نحو ثمانين قاضيا، و المذكر والمؤنث وكتاب اللغات والفاخر في الأمثال، و ما تلحن فيه العامة و آلة الكتاب والأيام والليالي والبهي ألفه لعبد الله ابن طاهر، واختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف والجمع والتثنية في القرآن والحدود ألفه بأمر المأمون، ومشكل اللغة. وكان يتفلسف في تصانيفه. واشتهر بالفراء، ولم يعمل في صناعة الفراء، فقيل: لأنه كان يفري الكلام. ولما مات وجد كتاب سيبويه تحت رأسه، فقيل: إنه كان يتتبع خطأه ويتعمد مخالفته. وعرف أبوه زياد بالاقطع، لان يده قطعت في معركة فخ سنة 169 وقد شهدها مع الحسين بن علي بن الحسن، في خلافة موسى الهادي.

قال أبو خشيشة: كنا مع المأمون بدمشق، فركب يريد جبل الثلج*، فمر ببركة عظيمة من برك بني أمية، فاستحسن المأمون الموضع، فدعا ببزماورد* ورطل نبيذ، وذكر بني أمية، فوضع منهم وتنقصهم؛ فأقبل علوية على العود، واندفع يغني: أولئك قومي بعد عز وثروة..تفانوا فإلا أذرف العين أكمدا. فضرب المأمون الطعام برجله، ووثب وقال لعلوية: يابن الفاعلة، لم يكن لك وقت تذكر فيه مواليك إلا في هذا الوقت؟! فقال: مولاكم زرياب[1] عند مواليي يركب في مائة غلام؛ وأنا عندكم أموت من الجوع! فغضب عليه عشرين يوما، ثم رضي عنه. قال: وزرياب مولى المهدي، صار إلى الشام ثم صار إلى المغرب، إلى بني أمية هناك.

☪

قال عبد الحميد بن حريث: خاصمت معاوية بن معدي كرب[2] إلى عمر بن عبد العزيز[3] –وهو بخناصرة – فنازعته، فقال معاوية: برئت من الإسلام يا أمير المؤمنين إن كان كما قال. فقال له عمر: إلى ما تؤول بعد الإسلام؟! والله لا كلمتك بعدها أبدا. واحتجب منه عمر بكمه. وعن عبد الله بن يزيد بن غنيم، أنه سمع الأسود بن قبيس بن معدي كرب وكان على زمام خراج الأرض لعمر بن عبد العزيز قال: فسألني عني شيء فقلت: برئت من الإسلام إن كنت فعلت؛ فقال عمر: إلى أي دين ترجع؟ كدت أن تغرنا من عملنا، إلحق بأهلك.

----

*(جبل الثلج) هو جبل الشيخ، غوطة دمشق (البزماورد) وفي شفاء الغليل: زماورد كلمة فارسية استعملتها العرب للرقاق الملفوف باللحم، والبزماورد: طعام يسمى لقمة القاضي وفخذ الست ولقمة الخليفة وهو مصنوع من اللحم المقلي بالزيد والبيض

■ (1) زرياب، علي بن نافع، أبو الحسن، الملقب بزرياب، مولى المهدي العباسي: نابغة الموسيقى في زمنه. كان شاعرا مطبوعا، عالما ببعض الفنون من الطبيعي وغيره، عارفا بأحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء، اجتمعت فيه صفات الندماء. وكان حسن الصوت. وهو الذي جعل العود في خمسة أوتار، وكانت أوتاره أربعة. أخذ الغناء ببغداد عن إسحاق الموصلي وغيره وغنى في صباه بين يدي هارون الرشيد. وسافر إلى الشام، ومنها إلى الاندلس وقد سبقته إليها شهرته، فركب عبد الرحمن ابن الحكم الاموي، بنفسه، لتلقيه. وجعل له في كل شهر مئتي دينار، واستغنى به عمن عداه من الندماء والمغنين، فأقام بقرطبة. وبها اخترع مضراب العود من قوادم النسر، وكانوا يصنعونه من الخشب. وتوفي بها نحو 230 هـ وللمستشرق ليفي بروفنسال، في محاضرته: الشرق الاسلامي والحضارة العربية الاندلسية – بتطوان، بحث عن زرياب، جزم فيه – ولم يذكر مصدره – بأن زريابا ولد في الجزيرة سنة 172 هـ ودخل الاندلس سنة 207 هـ وتوفي سنة 243 هـ وقال إنه علم أهل قرطبة أرقي أنواع الطهي البغدادي، وفتح فيها ما نسميه معهد جمال يدرس فيه فن التجميل واستعمال معجون الاسنان، وعلمهم أن يفرقوا شعرهم في وسط الرأس، بدلا من أن يتركوا خصلات الشعر فوق جبينهم تغطي أصداغهم، ويعقصوه حول رأسهم، وأن يظهروا الحاجبين والعنق والاذنين، وأن يلبسوا ملابس بيضاء من أول شهر يونيو حتى نهاية سبتمبر، وأن الربيع هو موسم الملابس الحريرية الخفيفة والقمصان ذات الالوان الزاهية، وأن الشتاء فصل الفراء والاردية الثقيلة...

■ (3) عمر بن عبد العزيز بن مروان يكنى أبا حفص، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. اسند عمر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر وانس بن مالك وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمر بن أبي سلمة والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله ابن سلام. وقد أرسل الحديث عن القدماء منهم عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانئ. وقد روى عن خلق كثير من كبار التابعين. توفي بدير سمعان سنة 101 هـ وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر

■ (2) معاوية بن معدي كرب أخو إسماعيل بن معدي كرب

مراجع: تاريخ الرسل والملوك/ الأعلام للزركلي/ معجم البلدان/ تاج العروس/ تاريخ الإسلام للذهبي/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية/ الكامل في التاريخ/

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) والطفيلي الأديب 0864

روى بعض أهل الأدب أن فتى من أهل الكوفة قد فاق أهل زمانه في الأدب والبيان والفصاحة باللسان ناقدا في صناعته، حافظا للأقدار، راويا للأشعار، خبيرا بسير الملوك في الأيام السالفة، بصيرا بالبحث عن أمورهم في الأيام الآنفة، حاذقا في التصنيف، فائقا في التأليف، صبيح الوجه، مقبول المشاهد، حلو الشمائل، وكان مع ذلك لا يتوجه له وجه من العمل إلا عارضه فيه عائق، وحال دونه حائل وقدر سابق، فبقي حينا من الدهر، وقد برز في القدر والمال والجاه من كان عنده في الصناعة متأخرا، فضاق صدره وعيل صبره وضلت ومقاليده، فخرج إلى بغداد واكترى في بعض خاناتها منزلا وأجمع رأيه على أن يحمل نفسه على خطب هائل ليكون فيه هلكه أو ملكه، وتربص لذلك أن يرى وجها إلى أن عزم أمير المؤمنين أن يشرب يوما هو وصنوه المعتصم[1]، فأمر المأمون بالاستعداد ليوم سماه ليخلو فيه مع الجواري، منفردين عن سائر الندماء، فظهر خبرهما بذلك. وعرف الناس ذلك اليوم الذي عزم عليه، فعزم هذا الأديب المذكور على أن يتطفل في ذلك على المأمون وأخيه المعتصم، فمضى إلى إخوانه وأصدقائه فاستعار من هذا قباء وجبة وردية، ومن آخر منطقة وخفا وسيفا، ومن آخر برذونا، ومن آخر ما يحتاج إليه من الطيب واستعد لذلك اليوم، ودخل الحمام سحرا، وتطيب، ولبس وركب عند طلوع الشمس إلى دار المعتصم وقال للحاجب: عرف الأمير أني رسول أمير المؤمنين واستأذن لي عليه. فسعى الحاجب عدوا حتى أخبر المعتصم، فأذن له. فلما دخل عليه، وتمثل بين يديه، قال له: سيدي إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك: أنسيت الوعد، ألم يقدم إليك بالركوب لنخلو ونستريح يومنا هذا؟ قال المعتصم: لا والله ما نسيت ذلك، ولكن تربصت ساعة. ونمت نوما لأتقوى بذلك على انتصاب سائر النهار. فقال الفتى: فعجل الآن أيها الأمير، فإنه أمرني أن لا أفارقك حتى آتيه بك. فأمر المعتصم بإسراج مركوبه وأسرع في التأهب، ولبس ثيابه وتطيب وركب الفتى معه، والمعتصم لا ينكر شيئا من كلام الفتى ويتأمل لطافته وهيئته، ولم يتوهم إلا نه من بعض خواص المأمون، وأخذ الفتى يحدث المعتصم وأقبل عليه بكليته، ولم يتمكن من سؤاله شهوة لاستماع حديثه، حتى بلغ باب الخليفة فألقى الفتى نفسه عن دابته، وأخذ يمشي بين يديه، والحجاب لا ينكرون منه شيئا ويظنون نه من خدم المعتصم، حتى نزل المعتصم، وأخذ الفتى بركابه، ودخل المجلس، فلما استقر المعتصم في مجلسه جلس الفتى بين يديه، وهو منهمك في نوادره وأخباره والمعتصم مصغ إليه تعجبا مما يسمع من حسن كلامه، وأخبر المأمون أن المعتصم قد وصل ومعه رقيق لا يعرف من هو. فقال المأمون: أخي قد عرف أن هذا المجلس اتفقنا عليه لا ينبغي أن يحضره أحد من الناس إلا من هو عديل النفس. وقد أحسن أخي إذ جعل لنا ثالثا، فإن المجلس إذا لم يحضره أكثر من اثنين تعطل لقيام أحدهما إلى الصلاة وإلى ما لا بد منه، ثم خرج من ساعته فرحا وليس له همة إلا تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتبار قده وعقله، فلما استقر على سرير ملكه والفتى عالم بما وقع في نفس المأمون نهض قائما فقبل يد المأمون، وعاد إلى مجلسه وأخذ في نوادره وحديثه ومضحكاته وحسن أخباره وغرائب أشعاره كأنه يغرف من بحر، وهو مع ذلك يوهم المأمون أنه من خواص المعتصم. فساعة يكنيه وساعة يسميه حتى غلب على قلب المأمون، وأظهر الحسد لأخيه في صحبة مثل هذا الغلام وكلامه، وأمر المأمون بإحضار المائدة، فنصبت بأنواع الطعام، فأكلوا وغسلوا أيديهم، ولمجلس الشراب انتقلوا، وأمر المأمون بإحضار الجواري من غير ستارة، فحضرن وأخذن في الغناء، فما من صوت يمر إلا والفتى عارف به، وبالغناء، ومتى قيل وفيمن قيل، فعز في عين المأمون حتى ملأ عينه، وتزايد حسده لأخيه في صحبة مثله فمس الفتى بول، ولم يجد للمدافعة سبيلا، فقام وهو متيقن أنهما سيذكرانه، ويتواصفان أمره وحاله، إذا خلا المجلس، فما هو إلا أن غاب من بين أيديهما حتى قال المأمون لأخيه المعتصم يا أبا إسحاق من صاحبك هذا؟ فوالله ما رأيت رجلا قط أكثر منه أدبا ولا أنظف هيئة ولا اشرف من شمائله. فقال المعتصم: والله ما أعلم من هو، وإنما جاءني مبكرا برسالة أمير المؤمنين. فقال المأمون: سألتك بالله يا أخي أهو كذلك؟ فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو. فقال المأمون: طفيلي، ورب الكعبة، وغضب وأمر الجواري بالنهوض، فنهض وأقبل الفتى راجعا فلما نظر إلى خلو المجلس من الجواري وإلى تغير وجه المأمون، وقف على رأس المجلس وأقبل بوجهه على المعتصم وقال: يا أبا إسحاق! كأني بك قد أخذت في نوع الزور والبهتان، وهذا المجلس من المجالس التي لا تحمل المزاح، وما هكذا وعدتني. ثم قال: والله يا أمير المؤمنين، ما بليت من أحد من الناس مثل ما بليت من هذا لأنه دائما أبدا يعرضني لمثل هذا وأشباهه، ويغري بي ويوقعني في كل ورطة. ثم أقبل على المعتصم وقال: يا أبا إسحاق، سألتك بالله وبحق أمير المؤمنين إلا ما أعفيتني من ملاعبتك التي لا تحتمل وتؤدي إلى مؤاخذة أمير المؤمنين. ولم يزل يأتي بهذا وأمثاله حتى شك المأمون في أمره والتفت إلى أخيه المعتصم وقال: سألتك بالله يا أخي، بحياتي عليك إلا ما علمتني بحقيقة أمره؟ فقال المعتصم: يا أمير المؤمنين برئت من ذمة الله ورسوله ومن حياتك وولايتك إن كنت عرفه أو رأيته قط إلا في يومي هذا. فقال الفتى: كذب والله يا أمير المؤمنين لقد كنت معه دهري الطويل وفي موضع كذا وكذا، وإن هذا فعله معي أبدا. فضحك المأمون تعجبا، وقال: ادخل فدخل، وأمره بالجلوس فجلس، ثم قال لك الأمان إن صدقتني. فصدقه الحديث على وجهه فأعجب من حسن منطقه ولطف مدخله ودقيق تصرفه وأمر بإعادة الجواري إلى مجلسهن، فطربوا سائر يومهم.

فقال له المأمون: أخبرني بأعجب ما لحقك في قدومك من الكوفة إلى بغداد واجعله نظما ولا تكتم عني شيئا. فقال: نعم، ثم أنشأ يقول: بينا أنا راقد في البيت مكتئب..مفكر في حصول الكد والقوت..وليس في البيت لي شيء ألم به..وبي من الجوع ما يدني إلى الموت..إذا بصوت بباب الدار أسمعه..والأذن مصغية مني إلى الصوت..ناديت من ذا الذي أرجوه لي فرجا؟..نادى: أنا فرج زن لي كرا البيت. فضحك المأمون حتى استلقى على فراشه، ثم ضرب برجله الأرض من شدة إعجابه وقال: ثم ماذا؟ قال: يا أمير المؤمنين فخرجت فإذا هو صاحب الخان يطالبني بالكراء، فوعدته بأن يرجع إلي مرة أخرى، فمضى ومضيت على وجهي لا أعلم أين أتوجه، فسألت كل من لقيته من صديق لي كنت أستأنس به فخطر على بالي بيتان من الشعر في ذلك وهما. غريب الدار ليس له صديق..جميع سؤاله: أين الطريق؟..تعلق بالسؤال لكل شخص..كما يتعلق الرجل الغريق. فأشرفت يا أمير المؤمنين علي جارية كأنها البدر ليلة كماله، وهي تقول: ترفق يا غريب فكل حر..يمر بحاله سعة وضيق..وكل ملمة إن أنت فيها..صبرت لها أتيح لها طريق. ثم قالت: خذ هذه فادفع بها فاقتك، فوالله ما هي إلا مؤاساة من قوت، ورمت إلى صدري بقرطاس، وإذا فيه عشرة دراهم، فرجعت من فوري، فوجدت صاحب الكراء قائما على الباب، فدفعت إليه خمسة دراهم، واستعنت بالباقي إلى أن وقعت هذه القصة، وهذا الأمر الذي كلفني وحملني على ما فعلت وأنشأ يقول: لم آت فعلا غير مستحسن..جهلا بفعل الأحسن الأملح..لكنني في حالة أوجبت..ضرورة إتيان مستقبح. فأعجب المأمون أمره واستحسنه وأمر له بمائة ألف درهم يصلح بها شأنه وألحقه بمراتب الخاصة، ورفعت منزلته، وصار أقرب الناس إليه، وآخر خارج من عنده وأول داخل إليه، وسمي طفيلي المعتصم، وأنشد للمأمون يوما يقول: كانت لقلبي أهواء مفرقة..فاستجمعت مذ رأتك العين أهوالي..تركت للناس دنياهم ودينهم..شغلا بذكرك عن ديني ودنيائي..وصار يحسدني من كنت أحسده..وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي. فاستحسن المأمون الأبيات، وأمر بكتبها على الستارة، وصار الفتى إذا حضر يوم سرور المأمون لم يكن للمأمون هم إلا اقتراح هذه الأبيات إلى أن ينقضي المجلس، ثم إن الفتى بعد أن حسنت حالته، أرسل إلى الدار التي أشرفت عليه منها الجارية، فإذا هي لرجل من أهل بغداد من مباشريها، وقد مات ولم يخلف ولدا سوى تلك الجارية، وما مات حتى تضعضع حاله، فأعلم المأمون بذلك، فمر بخطبتها للفتى ودفع المهر من عنده وصار الفتى والجارية في نعمة عظيمة بقية عمرهما والله أعلم.

■ (1) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يكنى أبا إسحاق، والمعتصم يقال له الثماني، ولد بالخلد في سنة 180 هـ، وهو ثامن الملوك، والثامن من ولد العباس، استخلف أبو إسحاق محمد بن هارون سنة 218 هـ ومات بالخاقاني من سر من رأى، سنة 227 هـ

ولسوف يعطيك ربك فترضى

ذكر عن ثمامة [1] قال: لما دخل المأمون مدينة السلام حضرت مجلسه يوما وقد جاءوه برجل زعم أنه خليل الرحمان فقال لي المأمون: سمعت أحدا أجرأ على الله من هذا؟. فقلت: أن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مناظرته؟ قال شأنك به. قال فقلت له: يا هذا: إن إبراهيم عليه السلام كانت معه براهين وآيات. قال: وما كانت براهينه وآياته؟. قلت أضرمت له نار وألقى فيها فصارت عليه بردا وسلاما فنحن نضرم لك نار نطرحك فيها فإن كانت عليك بردا وسلاما صدقناك وآمنا بك. قال: هات غير هذا. قلت: براهين موسى عليه السلام. قال وما براهينه؟ قلت عصاه التي ألقاها فإذا هي حية تسعى، وفلق بها البحر فصار يبسا، وألقاها فالتقفت ما افك السحرة، قال: هات غير هذا. قلت: براهين عيسى عليه السلام. قال: وما هي؟ قلت: يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخبر بما في الضمير. قال: ما معي من هذا الضرب شيء وقد قلت لجبريل إنكم توجهوني إلى شياطين فأعطوني حجة أذهب بها وإلا لم أذهب فقال لي جبريل وغضب: قد جئت بالشر من الساعة أذهب أولا فأنظر ما يقول لك القوم؟ فضحك المأمون وقال: هذا طيب. قلت يا أمير المؤمنين: هذا رجل هاج به المرة وأعلام ذلك بينه فيه. قال: صدقت. وأمر به إلى الحبس، وأن يعالج من مرة إن كان به.

■ (1) ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن جل منزله، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون. وكان ذا نوادر وملح. من تلاميذه الجاحظ. وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه.وعده المقريزي في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يسمون الثمامية نسبة إليه (نسبة إلى قرية بالموصل)، وأورد بعض ما انفردوا به من الآراء والمعتقدات. وقال ابن حزم: كان ثمامة يقول: إن العالم فعل الله بطباعه. وقال الجاحظ: ما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي يبلغ من حسن الإفهام، مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج، مع السلامة من التكليف، ما كان بلغه. قال الزركلي والذهبي: توفي سنة 213 هـ.

مراجع:/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) والطفيلي(1) 0865

حكي أن المأمون أمر أن يحمل إليه عشرة من الزنادقة سموا له من أهل البصرة، فجمعوا، فأبصرهم طفيلي، فقال: ما اجتمعوا إلا لصنيع، فدخل في وسطهم ومضى بهم الموكلون، حتى انتهوا إلى زورق قد أعد لهم، قال الطفيلي: هي نزهة، فدخل معهم الزورق، فلم يكن بأسرع من أن قيدوا، وقيد معهم الطفيلي، ثم سير بهم إلى بغداد، فأدخلوا على المأمون، فجعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا، ويأمر بضرب أعناقهم، حتى وصل إلى الطفيلي، وقد استوفى العدة، فقال للموكلين: ما هذا ؟ قالوا: والله ما ندري، غير أنا وجدناه مع القوم، فجئنا به، فقال له المأمون: ما قصتك؟ ويلك فقال يا أمير المؤمنين: امرأتي طالق إن كنت أعرف من أقاويلهم شيئا ولا مما يدينون به، وإنما أنا رجل طفيلي، رأيتهم مجتمعين فظننت صنيعا يدعون إليه، فضحك المأمون وقال: يؤدب، وكان إبراهيم بن المهدي[1] قائما على رأس المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي أدبه وأحدثك بحديث عجيب عن نفسي، قال: قل يا إبراهيم، قال: يا أمير المؤمنين، خرجت من عندك يوما، فطفت في سكك بغداد متطرفا، حتى انتهيت إلى موضع كذا، فشممت من قتار أبا زير قدور قد فاح، فتاقت نفسي إليها، وإلى طيب ريحها، فوقفت إلى خياط، فقلت له: لمن هذه الدار؟ فقال: لرجل من التجار، قلت: ما اسمه؟ قال: فلان بن فلان، فرميت بطرفي إلى الدار، فإذا شباك فيها مطل، وإذا كف قد خرج من الشباك ومعصم، فشغلني حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور، فبهت ساعة، ثم أدركني ذهني، فقلت للخياط: أهو ممن يشرب النبيذ؟ قال: نعم، وأحسب أن عنده اليوم دعوة، وهو لا ينادم إلا تجارا مثله مستورين، فإني لكذلك، إذا أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب، فقال لي الخياط: هؤلاء ندماءه، فقلت: ما اسماهما وما كناهما؟ فقال: فلان وفلان، فحركت دابتي وداخلتهما، وقلت: جعلت فداكما، قد استبطأكما أبو فلان، وسايرتهما حتى بلغنا الباب فأجلاني وقدماني، فدخلت ودخلا، فلما رآني صاحب المنزل معهما، لم يشك أني منهما، فرحب بي وأجلسني في أفضل المواضع، فجيء يا أمير المؤمنين بمائدة عليها خبز نظيف وأتينا بتلك الألوان، فكان طعمها أطيب من ريحها، فقلت في نفسي: هذه الألوان قد أكلتها، بقيت الكف، كيف إلى صاحبتها؟ ثم رفع الطعام، وجيء بالوضوء، ثم صرنا إلى مجلس المنادمة، فإذا أشكل منزل، وجعل صاحب المنزل يلطف بي، ويميل علي بالحديث، حتى إذا شربنا أقداحا، خرجت علينا جارية، كأنها بدر، تتثنى يا أمير المؤمنين كالخيزران، فأقبلت وسلمت غير خجلة وثنيت لها وسادة، فجلست عليها، وأتي بالعود فوضع في حجرها، فجسته فاستبينت حذقها في جسها، ثم اندفعت تغني: توهمها طرفي فأصبح خدها..وفيه مكان الوهم من نظري أثر..تصافحها كفي فتؤلم كفها..فمن مس كفي في أناملها عقر. فهيجت يا أمير المؤمنين بلابلي، وطربت لحسن شعرها، ثم اندفعت تغني: أشرت إليها هل عرفت مودتي..فردت بطرف العين إني على العهد..فحدت عن الإظهار عمدا لسرها..وحادت عن الإظهار أيضا على عمد. فصحت يا أمير المؤمنين، وجاءني من الطرب ما لم أملك نفسي معه، ثم اندفعت فغنت الصوت الثالث: أليس عجيبا أن بيتا يضمني..وإياك لا نخلو ولا نتكلم..سوى أعين تشكو الهوى بجفونها..وتقطيع أكباد على النار تضرم..إشارة أفواه وغمز حواجب..وتكسير أجفان وكف تسلم. فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء، وإصابتها لمعنى الشعر، فقلت: بقي عليك يا جارية، فضربت بالعود على الأرض، وقالت: متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء؟ فندمت على ما كان مني، ورأيت القوم قد تغيروا لي، فقلت: أما عندكم عود غير هذا؟ قالوا: بلى، فأتيت بعود، فأصلحت من شأنه ثم غنيت: ما للمنازل لا يجبن حزينا..أصممن أم قدم البلى فبلينا..راحوا العشية روحة مذكورة..إن متن متنا أو حيين حيينا. فما استتممته يا أمير المؤمنين، حتى قامت الجارية، فأكبت على رجلي تقبلها، وقالت: معذرة يا سيدي، فوالله ما سمعت أحدا يغني هذا الصوت غناءك، وقام مولاها وأهل المجلس، ففعلوا كفعلها، وطرب القوم واستحثوا الشرب فشربوا، ثم اندفعت أغني: أفي الحق أن تمشي ولا تذكرنني..وقد همعت عيناي من ذكرها الدما..إلى الله أشكو بخلها وسماحتي..لها عسل مني وتبذل علقما..فردي مصاب القلب أنت قتلته..ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما. فطرب القوم حتى خرجوا من عقولهم، فأمسكت عنهم ساعة حتى تراجعوا، ثم غنيت الثالث: هذا محبك مطويا على كمده..عبري مدامعه تجري على جسده..له يد تسأل الرحمن راحته..مما به ويد أخرى على كبده. فجعلت الجارية تصيح: هذا الغناء والله يا سيدي، لا ما كنا فيه منذ اليوم، وسكر القوم، وكان صاحب المنزل حسن الشرب، صحيح العقل، فأمر غلمانه أن يخرجوهم ويحفظوهم إلى منازلهم، وخلوت معه، فلما شربنا أقداحا، قال: يا سيدي، ذهب ما مضى من أيامي ضياعا، إذ كنت لا أعرفك، فمن أنت؟ ولم يزل يلح علي، حتى أخبرته الخبر، فقام وقبل رأسي، وقال: وأنا أعجب أن يكون هذا الأدب إلا لملك؟ وإني لجالس مع الخلافة ولا أشعر، ثم سألني عن قصتي، فأخبرته حتى بلغت إلى صاحبة الكف والمعصم، فقال للجارية: قومي فقولي لفلانة تنزل، فلم تزل تنزل جواريه واحدة واحدة، فأنظر إلى كفها ومعصمها، وأقول: ليس هي هذه حتى قال: والله ما بقي غير أختي وأمي، والله لأنزلها إليك، فعجبت من كرمه وسعة صدره، فقلت: جعلت فداك، ابدأ بالأخت قبل الأم فعسى أن تكون هي، فبرزت، فلما رأيت كفها ومعصمها، قلت: هي هذه فأمر غلمانه، فساروا إلى عشرة مشايخ من جلة جيرانه، فأقبلوا بهم، وأمر ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم، ثم قال للمشايخ: هذه أختي فلانة، أشهدكم أني قد زوجتها من سيدي إبراهيم بن المهدي، وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم، فرضيت وقبلت النكاح، فدفع إليها بدرة، وفرق الأخرى على المشايخ وصرفهم، ثم قال: يا سيدي، أمهد بعض البيوت فتنام فيه مع أهلك، فأحشمني ما رأيت من كرمه، فقلت: أحضر عمارية وأحملها إلى منزلي، ففعل، فوالله يا أمير المؤمنين، لقد أتبعها من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا، فأولدتها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين، يشير إلى ولده، فعجب المأمون من كرم الرجل وألحقه في خاصة أهله، وأطلق الطفيلي وأجازه.

----

(1) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم.

دخل طفيلي إلى قوم فقالوا له: ما دعوناك فما الذي جاء بك؟ فقال: إذا لم تدعوني ولم آت، وقعت وحشة، فضحكوا منه وقربوه. وقيل: مر طفيلي على قوم يتغدون، فقال: سلام عليكم معشر اللئام، فقالوا: لا والله بل كرام، فثنى ركبته ونزل، وقال: اللهم، اجعلهم من الصادقين، واجعلني من الكاذبين. قال هشام أخوذي الرمة، لرجل أراد سفرا: إن لكل رفقة كلبا يشركهم في فضلة الزاد، فإن استطعت أن لا تكون كلب الرفاق فافعل.

ونظر طفيلي إلى قوم من الزنادقة يسار بهم إلى القتل، فظنهم يدعون إلى صنيع، فتلطف حتى دخل في لفيفهم وصار كواحد منهم، فلما بلغوا صاحب الشرطة، أمر بضرب أعناقهم، فقدموا واحدا بعد واحد حتى انتهوا إلى الطفيلي فلما قدم للقتل التفت إلى صاحب الشرطة، فقال له: إني والله ما أنا منهم، ولا أعلم بما يدينون، وإنما أنا طفيلي ظننتهم يذهب بهم إلى صنيع، فتلطفت حتى دخلت في جملتهم، فقال: ليس هذا مما ينجيك، اضربوا عنقه، فقال: أصلحك الله، إن كنت عزمت على قتلي، فأمر السياف أن يضرب بطني بالسيف، فإنه هو الذي أوقعني في هذه الورطة، فضحك، وكشف عنه، فأخبر أنه طفيلي معروف، فخلي سبيله.

عن نصر بن علي الجهضمي أنه قال: كان لي جار طفيلي، إذا دعيت إلى مدعاة ركب معي وجلس حيث أجلس، فيأكل وينصرف، وكان نظيفا عطرا، حسن اللباس والمركب، وكنت لا أعرف من أمره إلا الظاهر، فاتفق لجعفر بن القاسم الهاشمي حق دعا له أشراف البصرة ووجوهها، وهو يومئذ أمير البصرة، فقلت في نفسي: إن تبعني هذا الرجل إلى دار الأمير لأخزيته، فلما كان يوم الحضور، جاءني الرسول، فركبت، وإذا به قد تبعني حتى دخل بدخولي، وارتفع حيث أجلست، فلما حضرنا الطعام، قلت: حدثنا درست ابن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من دخل إلى دار قوم بغير إذنهم، دخل سارقا ، وخرج مغيرا، ومن دعي ولم يجب فقد عصى الله ورسوله. فظننت أني قد أشرفت على الرجل وقصرت من لسانه، فأقبل علي وقال: أعيذك بالله من هذا الكلام في دار الأمير، فإن الأشراف لا يحتملون التعريض باللؤم، وقد حظر الدين التعريض، وعزر عليه عمر رضي الله عنه، ووليمة الأمير دعاء لأهل مصره فإنه سليل أهل السقاية، والرفادة، والمطعمين الأفضلين الذين هشموا الثريد، وأبرزوا الجفان لمن غدا إليها، ثم لا توزع وأنت في بيت من العلم معروف من أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف عن أبان ابن طارق وهو متروك الحديث بحكم رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والمسلمون على خلافه، لأن حكم السارق القطع، والمغير يعزر على ما يراه الإمام، وهذان حكمان لا ينفذان على داخل دارا في مجمع فيتناول لقما من فضل الله الذي آتي أهلها ثم لا يحدث حدثا حتى يخرج عنها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ﴾. حدثنا بذلك أبو عاصم النبيل عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، فأين أنت عن هذا الحديث الصحيح الإسناد والمتن؟ قال نصر: فأصابتني خجلة شديدة، فلما نظر الرجل إلى ما بي أكل ونهض قبلي، فلما خرجت وجدته واقفا على دابته بالباب، فلما رآني تبعني، ولم يكلمني ولم أكلمه، إلا أنني سمعته يتمثل: ومن ظن ممن يلاقي الحروب.. بأن لا يصاب فقد ظن عجزا.

مراجع: نهاية الأرب في فنون الأدب/ الأعلام للزركلي/ مسند أحمد/

كان المأمون[1] قد حرم الغناء وشدد فيه فلقي علي بن هشام[2] إسحاق بن إبراهيم الموصلي [3]على الجسر، فقال إسحاق لعلي بكلام يخفيه: قد زارتني اليوم فلانة، وهي أطيب الناس غناء، فبحياتي إلا كنت اليوم عندي. فوعده بالحضور وتفرقا، وإذا بطفيلي يسمع كلامهما فمضى من وقته، فلبس ثيابا حسنة؛ واستعار من بعض إخوانه بغلة فارهة بسرجها ولجامها، فركبها وأتى باب علي بن هشام بعد أن نزل من الركوب بساعة، فقال للحاجب: عرف الأمير أن رسول صاحبه إسحاق بن إبراهيم بالباب؛ فدخل الحاجب وخرج مسرعا وقال: ادخل جعلت فداك، فدخل على علي فرحب به، فقال له: يا سيدي يقول لك أخوك: تعلم ما اتفقنا عليه فلم تأخرت عني ؟ فقال له: الساعة وحياتك نزلت من الركوب، والساعة أغير ثيابي وأوافيه، فاستوى على دابته ووافى منزل إسحاق؛ فقال للحاجب: عرف الأمير أني رسول علي بن هشام؛ فدخل الحاجب وخرج فقال: ادخل ! جعلني الله فداك؛ فدخل فسلم وقال: أخوك يقرئك السلام ويقول لك: الساعة نزلت من الركوب، وقد غيرت ثيابي وتأهبت للمسير فما ترى ؟ فقال: قل له يا سيدي قتلتنا جوعا، فبحياتي إلا ما حضرت. فرجع إلى باب علي وقال للحاجب: تعرفه أن الأمير أمرني ألا أبرح أو يجيء معي. فغير علي بن هشام ثيابه، وركب دابته، وتبعه الطفيلي حتى نزل بباب إسحاق بن إبراهيم، ونزل الطفيلي معه، ودخلا جميعا فسلما وجلسا، وجيء بالطعام فأكلوا، وإسحاق لا يشك أنه أخص الناس بعلي، وعلي لا يشك أنه أخص الناس بإسحاق، ثم غسلوا أيديهم وقدموا الشراب، وخرجت جارية من أحسن الناس وجها وزيا، فجلست وأتيت بعود، فغنت أحسن غناء، ودارت الأقداح فلم يزالوا على ذلك إلى بعد العصر، وأخذ الطفيلي البول حتى كاد يأتي على ثيابه فصبر جهده؛ فلما عيل صبره قام فدخل الخلاء، فقال علي لإسحاق: يا سيدي، ما أخف روح هذا الفتى وأحل نوادره ! فمن أي وقع لك ؟ قال أوليس هو صاحبك ؟! قال: لا وحياتك ولا رأيته قبل يومي هذا، قال: فإنه جاءني برسالتك وقص قصته؛ وقص إسحاق مثلها، وداخله من الغيظ ما لم يملك معه نفسه؛ وقال: طفيلي يستجرىء علي وعلى النظر إلى حرمي والدخول إلى داري ! يا غلمان: السياط والعقابين، المقارع والجلادين. فقامت في الدار جلبة، وأحضروا جميع ذلك، والطفيلي يسمع وهو في الخلاء، ثم إنه خرج رافعا ثيابه غير مكترث بما فعلوه، وهو مقبل على تكة لباسه يشدها، ويتمشى في صحن الدار وهو يقول: جعلت فداك ! إيش بي من جهدك ! فهل عرفتني مع هذا كله ؟ فقال إسحاق: ومن أنت؟ فقال: أنا صاحب خبر أمير المؤمنين، وعينه على سره، والله لولا تحرمي بطعامك وممالحتي لتركتكما في عمى من أمري، حتى كنت تعرف عاقبة حالك وإقدامك على ما فيه هلاكك وفساد أمرك ! فقام إليه إسحاق وعلي يسكتانه وقالا له: يا هذا، إننا لم نعرفك ولم نعلم حالك، ولك الفضل علينا، وأنت المحسن المجمل إلينا؛ ولكن تمم إحسانك بسترك ما نحن عليه. ثم قال إسحاق: يا غلام، الخلع ! فأتي بثياب فاخرة فصبت عليه، وتقدم بإسراج دابة هملاج بسرج مخفف ولجام حسن؛ ولم يزالا به حتى طابت نفسه، ووعدهما كتمان أمرهما، وحضر وقت الانصراف فودعهما وانصرف، فأتبعه إسحاق بخادمه معه صرة فيها ثلاثمائة دينار، فأخذها وركب الدابة ومضى. فلما كان من الغد دخل علي بن هشام على المأمون. فقال: يا علي؛ كيف كان خبرك أمس ؟ على حسب ما يجري السؤال عنه فتغير لونه، ولم يشك في أن الحديث رفع إليه؛ فأكب على البساط يقبله وقال: يا أمير المؤمنين، العفو، يا أمير المؤمنين، الأمان. قال: لك الأمان. فأخبره بالقصة من أولها إلى آخرها. فضحك المأمون حتى كاد يغشى عليه، وقال: ما في الدنيا أملح من هذا. ووجه خلف إسحاق، فلما حضر قال: هيه يا إسحاق ؟ كيف كان خبرك أمس ؟ فأخبره كخبر علي بن هشام والمأمون يضحك. ثم قال: يا إسحاق؛ بحياتي أطلب الرجل وجئني به، فلم يزل يطلبه حتى وجده، فكان أحد ندماء المأمون.

■ (3) إسحاق الموصلي، وهو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي بالولا ء الأرجاني الأصل المعروف بابن النديم الموصلي، أبو محمد ويقال له أبو صفوان المغني المشهور كان من ندماء الخلفاء وله الظرف المشهور والخلاعة والغناء اللذان تفرد بهما. وكان من العلماء باللغة والأشعار وأخبار الشعراء وأيام الناس، وروى عنه مصعب بن عبد الله الزبيري والزبير ابن بكار وغيرهما. وكان له يد طولى في الحديث والفقه وعلم الكلام. قيل أصابه ذرب في شهر رمضان في سنة253 هـ فكان يتصدق في كل يوم لصومه ثم ضعف عن الصوم ومات

■ (2) علي بن هشام بن فرخسروا، أبو الحسين المروزي أحد قواد المأمون.كان فارسا موصوفا بالشجاعة والإقدام، مع الظلم والفتك. وكان شاعرا مفلقا فاضلا. قدم دمشق مع المأمون، وكان نديمه،ولي كور الجبال، فأساء السيرة، وقتل جماعة، وصادر، ثم هم بالخروج واللحوق ببابك الخرمي، فظفر به عجيف الأمير، وأتى به المأمون، فقتله، وقتل معه أخاه حسينا سنة 217 هـ بـ أذنة، من الثغور .

■ (1) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ وتوفي سنة 218 هـ

☪

خرج المأمون منفردا فإذا بأعرابي فسلم عليه. فقال: ما أقدمك يا أعرابي ؟ قال: الرجاء لهذا الخليفة، وقد قلت أبياتا أستمطر بها فضله، قال: أنشدنيها، قال: يا ركيك، أويحسن أن أنشدك ما أنشد الملوك ؟ فقال: يا أعرابي، إنك لن تصل إليه ولن تقدر مع امتناع أبوابه وشدة حجابه، ولكن هل لك أن تنحلنيها، وهذه ألف دينار فخذها وانصرف ودعني أتوسل، لعلي أتوصل ؟ قال: لقد رضيت، فبينما هما في المراجعة إذ أحدقت الخيل به وسلم عليه بالخلافة، فعلم الأعرابي أنه قد وقع، فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين؛ أتحفظ من لغات اليمن شيئا ؟ قال: نعم! قال: فمن يبدل القاف كافا ؟ قال: بنو الحارث بن كعب، قال: لعنها الله من لغة لا أعود إليها بعد اليوم. فضحك المأمون وأمر له بألف دينار.

وقدم المهدي المدينة، فخرج ليلة إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا ليصلي، فبينما هو كذلك إذ جاء مدني فقام إلى جانبه يصلي، فلما قضى صلاته قال للمدني: أقدم خليفتكم؟ قال: نعم ! فعل الله به وفعل وأراحنا منه، وجعل يدعو على المهدي وانصرف؛ فدخل عليه الربيع؛ فقال: يا ربيع؛ جلس إلى جانبي البارحة مدني فما ترك دعاء إلا ودعا به علي. فقال: أتعرفه ؟ قال: نعم، إذا رأيته ! ثم ركب المهدي واجتمع أهل المدينة ينظرون، فوقعت عينه على الرجل؛ فقال: يا ربيع؛ ألا ترى الرجل الذي صفته كذا وكذا ! هو ذاك صاحبي، فأمر به الربيع فأخذ، فلما رجع المهدي دعا به. فقال: يا هذا، هل أسأت إليك قط ؟ قال: لا؛ قال: فهل لك مظلمة تطالبني بها ؟ قال: لا، قال: فما دعاؤك علي حين صليت إلى جانبي ؟ فقال المدني: فديتك والله ! وعتق ما أملك؛ وامرأتي طالق إن لم أكن أغير كنيتي في اليوم مرتين وثلاثا للملال. فضحك المهدي وأحسن صلته.

كما حكى أبو الحسن المدائني قال: كان بالبصرة ثلاثة إخوان يتعاشرون ولا يفترقون؛ اثنان شاعران والآخر منجم لا يحسن شيئا، ففني ما بأيديهم، فخرج الشاعران إلى بغداد، فمدحا من بها من الأشراف؛ فرجعا وقد اعتقدا أموالا نفيسة، وبقي صاحبهما في فقره؛ فقالا له: لو ذهبت فتسببت ؟ فقال: ما لي صناعة ولا عندي بضاعة. فقالا: على كل حال معك ظرف ولك لطف. فخرج إلى بغداد واتصل بيقطين بن موسى وقال: ما أتيت إليك بشيء، غير أني أكذب الناس، فضحك وخف على قلبه؛ فكان في جملة حاشيته. فغضب المهدي على عبد الله بن مالك الخزاعي؛ فأتاه الرجل وهو من المهدي في أشد السخط، وقد ألزمه داره؛ فقال للحاجب: استأذن على الأمير، وقل له: رسول الأمير يقطين بالباب، فدخل وخرج له بالإذن فدخل. وقال: الأمير يقول لك: اليوم كنت عند أمير المؤمنين فذكرته سالف حقوقك وقديم خدمتك؛ فعفا عنك، وأمرك بالركوب غدا ليخلع عليك ويجدد الرضا عنك بمحضر الناس. فسر عبد الله بذلك، ودفع إلى الرجل مالا، وبكر إلى دار المهدي، فاستأذن عليه. فلما دخل قال: ما جاء بك ؟ قبحك الله ! وقد أمرناك بلزوم دارك ؟ قال: أوما رضيت عني يا أمير المؤمنين، وأمرت يقطينا بإحضاري ؟ فقال: إذا لا رضي الله عني، ولا خطر هذا بقلبي. قال: فرسوله أتاني بذلك. قال: علي بيقطين: فأتي به فقال: أتكذب علي وتحكي علي ما لم أقله ؟ قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال: زعمت أني رضيت عن هذا. فقال يقطين: وأيمان البيعة يا أمير المؤمنين إن كنت سمعت بشيء من هذا أو قلته. قال عبد الله: بل أتاني رسولك فلان. فبعث خلف الرجل بحضرة المهدي، فلما حضر قال: ما هذا الذي فعلت ؟ قال: يا سيدي، هذا بعض ذلك المتاع، بدأت في نشره خوفا عليه من السوس. فقال المهدي: ما يقول ؟ فأخبره يقطين بأول أمره معه، فضحك المهدي وجدد الرضا عن عبد الله بن مالك، ووصل الرجل بصلة جزيلة، ووصله عبد الله بأوفر صلة؛ فانصرف إلى صاحبيه واسع النعمة عظيم المال.

مراجع: جمع الجواهر في الملح والنوادر/ الأعلام للزركلي/ ثمرات الأوراق/

حدثنا أحمد بن إسحاق بن جرير المرزري قال: سمعت إبراهيم بن السندي[1] يقول: بعث المأمون إلي فأتيته فقال: يا إبراهيم أني أريدك لأمر جلل والله ما شاورت فيك أحدا، ولا أشاور بك على أحد فاتق الله ولا تفضحني. قال: قلت يا أمير المؤمنين: والله لو كنت شر من ذرأه الله لقدح في هذا الكلام من مولاي فكيف ونيتي في طاعته نية العبد الذليل لمولاه، قال: قد رأيت توليتك خبر ما وراء بابي إلى مصر فانظر أن تعمل بما يجب لله عليك ولا تراقب أحدا غيره.قلت: فإني أستعين بالله على مرضاته وأستوفقه لطاعة مولاى ثم نهضت فبثثت أصحاب الأخبار في أرباع بغداد فرفع إلى أن صاحب الحرس أخذ أمرأة مع رجل نصراني من تجار الكرخ فهجم عليهما فافتدي النصراني نفسه بألف دينار. قال: فرفعت الخبر بهذا إلى المأمون فدعا المأمون عبد الله بن طاهر[2] وهو ببغداد فقال: انظر في هذا الخبر الذي رفعه إبراهيم بن السندي فقرأه، فقال: يا أمير المؤمنين رفع إليك الباطل والزور وجعل يغريه بي ويحمله علي وكان المأمون لين المكسر. قال: فأثر ذلك في قلبه فبعث إلى فقال: يا إبراهيم. ترفع إلى الكذب وتحملني على عيالي. قال: فكتبت رقعة ووجهتها إلى فتح غلامه ليوصلها إليه وقلت فيها: يا أمير المؤمنين متى وقف صاحب خبر على ما وقفت عليه، ولو كانت الأخبار لا تصح إلا بشاهدي عدل ما صح خبر ولا كتبت به، ولكن مجيء الأخبار أن لم يحضرها أقوام على غير تواطئ ولا تشاعر من كانوا ومن حيث كانوا، وأنها يحضر الأخبار الطفل والمرأة والمحتال والذمر وابن السبيل فإن كان أحب الأمرين إلى أمير المؤمنين ألا نكتب بخبر ولا نرفعه حتى يصح بالعدول ويصح بالبراهين فعلت ذلك. وعلى أن لا يتهيأ ذلك في سنة إلا مرة أو مرتين. قال: فلما قرأ المأمون الرقعة جاءني رسوله مع طلوع الفجر فقال: أجب. فأتيته بعد أن صليت فدخلت من باب الحمام فلما رآني قال: أطمأن ثم قام وقد طلعت الشمس فصلى ركعتين أطال فيهما ثم سلم والتفت إلى وما في مجلسه أحد ثم قال: يا إبراهيم إني إنما قمت إلى الصلاة ليسكن بهرك، ويفرج روعك، وتقوى متنك، وتمكن في قعودك. قال: وكنت قعدت على ركبتي فقلت: والله لا أضع قدر الخلافة ولا أجلس إلا جلوس العبد بين يدي مولاه. قال: فقام فصلى ركعتين دون الأولتين ثم سلم وحمد الله وأثني عليه وقال: هذه رقعتك في ثني وسادتي قد قرأتها الليلة أربع مرات وقد صدقت فيما قلت ألا أني آمر وأداري عمالي وعمالهم مداره الخائف والله ما أجد إلى حملهم على المحجة البيضاء سبيلا فأعمل لي على حسب ما تراني أعمل ولن لهم تسلم لك أيامك، وبعض دينك وفي حفظ الله إذا شئت. قال: فانصرفت ودعوت أصحاب الأخبار فقلت: داروا هؤلاء القوم وارفقوا بهم.

وذكر إبراهيم بن السندي قال: وجدنا رقاعا في طرقات بغداد فيها شتم للسلطان وكلام قبيح فكرهت رفعها على جهرتها لما فيها، وكرهت أن أطوى ذكرها وأنا صاحب خبر فينقلها من جهة أخرى فيلحقني ما أكره فكتبت: إنا أصبنا يا أمير المؤمنين رقاعا فيها كلام السفهاء والسفلة، وفيها تهدد ووعيد، وبعضها عندنا محفوظة إلى أن يأمر أمير المؤمنين فيها بأمره. فكتب إلي بخطه: هذا أمر إن أكبرناه كثر غمنا به، واتسع علينا خرقه. فمر أصحاب أخبارك متى وجدوا من هذه الرقاع رقعة أن يمزقوها قبل أن ينظروا فيها فإنهم إذا فعلوا ذلك لم ير لها أثر ولا عين. قال إبراهيم: ففعلنا ذلك فكان الأمر كما قال.

حدثني عمرو بن سليمان بن بشير بن معاوية قال: أخبرني أبي أن المأمون ولي إبراهيم بن السندي الخبر بمدينة السلام، وعياش بن القاسم[3] يتولى الجسرين قبل عبد الله بن طاهر أيام المأمون. قال: فركب إبراهيم إلى الجسر في أول يوم تولى فدعا عياش بقوم من أهل الجرائم للعرض فمر به رجل من الأبناء فشتمه وتناوله فرد الرجل عليه مثل ذلك فأختلط عياش من رده عليه وشتمه أقبح الشتم فرد عليه الرجل أيضا مثل ذلك فقال له إبراهيم بن السندي: ليس لك أن تشتمه إنما لك أن تمتثل ما أمرت به وما لك أن تتعدى ذلك إلى شتمه فيلزمك الحد له. فقال له عياش: إنما أنت صاحب خبر تكتب ما تسمع وما ترى، وليس لك أن تتكلم في مجلسي وأمري ونهي فإن أمسكت وإلا أمرت من يجر برجلك حتى يرمي بك في دجلة. قال: فقام إبراهيم من المجلس مغضبا فقال لعياش: سأعرفك نبأ ما تكلمت به وصار من فوره إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه فتح. فقال له: مالك؟ فقال له: أن عياش ابن القاسم فعل كذا. وكذا وقص عليه قصته إلى آخرها. فقال فتح لإبراهيم: فتحب أن أنهى ذلك إلى أمير المؤمنين؟ قال: نعم لم أحضر إلا لهذا. فدخل فتح إلى المأمون فقال: ما وراءك؟. قال: إبراهيم بن السندي مولاك يخبر بكذا وكذا قال: أحضر إسحاق بن إبراهيم[4].قال فأحضر إسحاق وإبراهيم جالس. فقال المأمون لإسحاق ألا تأخذ على أيدي عمالك وتنهاهم عن الخرق بالناس والسفه وأعلمه ما كان من أمر عياش وتقدم إليه في نهيه عما كان منه. قال: فأنصرف إسحاق إلى منزله وأرسل إلى عياش بن القاسم، والسندي بن الحدثي[5] وإبراهيم بن السندي بن شاهك حاضر فشتمهما واستخف بهما. فلما كان من بعد ذلك اليوم ولي المأمون من قبل بشر بن الوليد القاضي[6] من الجانب الغربي الحسين القاضي[7] حضور الجسر مع عياش، وولى عكرمة أبا عبد الرحمن[8] الجسر الشرقي مع السندي فلم يكن لعياش ولا للسندي نهى في أصحاب الجنايات، إلا بحضورهما. قال: ولم يزل ذلك كذلك إلى آخر أيام المأمون وكان صاحب الجسر إذا انصرف عياش من مجلسه جلس في المسجد الذي في ظهر مجلس الشرطة، وكان الآخر إذا انصرف السندي صار إلى مسجد حسنة أم ولد المهدي وهو المسجد الذي بباب الطاق* في الحدادين وهنالك دار حسنة.

----

*((باب الطاق) محلة أخرى كبيرة بالجانب الشرقي ببغداد ، نسب إليها جماعة من المحدثين والأشراف

■ (1) إبراهيم بن السندي بن شاهك ولي الكوفة للمأمون وكان أبوه السندي بن شاهك على شرطة هارون الرشيد

■ (2) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس: أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من باذغيس بخراسان وكان جده الاعلى زريق من موالي طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات وولي صاحب الترجمة إمرة الشام، مدة. ونقل إلى مصر سنة 211 هـ، فأقام سنة، ونقل إلى الدينور. ثم ولاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الاطراف. واستمر إلى أن توفي بنيسابور وقيل: بمرو سنة 230 هـ وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه، قال ابن الاثير: كان عبد الله من أكثر الناس بذلا للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مراث كثيرة. وقال ابن خلكان: كان عبد الله سيدا نبيلا عالي الهمة شهما، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. وقال الذهبي في دول الا سلام: كان عبد الله من كبار الملوك. وقال الشابشتي: كان المأمون تبناه ورباه. الطاهريون سلالة عربية من قبيلة خزاعة تولت إمرة ولاية خراسان وشرق تركستان أثناء الدولة العباسية ما بين 205–259 هـ

■ (4) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، الأمير ابن عم طاهر بن الحسين. وكان يعرف بصاحب الجسر. ولي إمرة بغداد أكثر من 30 سنة وعلى يده أمتحن العلماء بأمر المأمون وأكرهوا على القول بخلق القرآن. وكان خبيرا صائبا سائسا حازما وافر العقل، جودا ممدحا، له مشاركة في العلم. توفي سنة 235 هـ. وولي بعده ابنه محمد.

■ (6) أبو الوليد بشر بن الوليد الكندي الفقيه سمع عبد الرحمن بن الغسيل ومالك بن أنس وتفقه بأبي يوسف روى عنه البغوي وأبو الوليد وحامد بن شعيب وولي قضاء ببغداد مدينة السلام (مدينة المنصور) للمأمون إلى سنة 213 هـ وكان واسع الفقه متعبدا وقد سعى به رجل إلى الدولة أنه لا يقول القرآن مخلوق فأمر به المعتصم أن يحبس في منزله فلما ولي المتوكل اطلقه ثم أنه شاخ واستولى عليه الهرم وفي آخر أمره. قال صالح جزرة هو صدوق لكنه خرف. وكانت وفاة بشر سنة 238هـ.

■ (3) عياش بن القاسم صاحب شرطة المأمون ؟ هل هو العباس بن المسيب بن زهير ، كان على شرطة المأمون ، مات سنة 204 هـ. وقيل سنة ست 206 هـ ؟

■ (7) الحسين القاض ؟ (8) عكرمة أبا عبد الرحمن؟ (5) السندي بن الحدثي ؟ هل هو السندي بن يحيى بن الحرشي ؟

عن إبراهيم بن السندي قال: قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من وجوهها، كان لا يجف لبده* ولا يستريح قلمه ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال، وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلا مفوها: خبرني عن الشيء الذي هون عليك النصب وقواك على التعب ما هو؟ قال: قد والله سمعت تغريد الطير بالأسحار، في أفنان الأشجار؛ وسمعت خفق أوتار العيدان، وترجيع أصوات القيان الحسان؛ فما طربت من صوت قط طربي من ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد أحسن، ومن شكر حر لمنعم حر، ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر. قال إبراهيم: فقلت: لله درك لقد حشيت كرما فزادك الله كرما، فبأي شيء سهلت عليك المعاودة والطلب؟ قال: لأني لا أبلغ المجهود ولا أسأل ما لا يجوز، وليس صدق العذر أكره إلي من إنجاز الوعد، ولست لإكداء السائل أكره مني للإجحاف بالمسؤول، ولا أرى الراغب أوجب علي حقا للذي قدم من حسن ظنه من المرغوب إليه الذي احتمل من كله. قال إبراهيم: ما سمعت كلاما قط أشد موافقة لموضعه ولا أليق بمكانه من هذا الكلام. شعر لمصعب في طلب الحوائج وقال مصعب:في القوم معتصم بقوة أمره..ومقصر أودى به التقصير..لا ترض منزلة الذليل ولا تقم..في دار معجزة وأنت خبير..وإذا هممت فأمض همك إنما..طلب الحوائج كله تغرير.وكان يقال: إذا أحببت أن تطاع، فلا تسأل ما لا يستطاع. ويقال: الحوائج تطلب بالرجاء، وتدرك بالقضاء.

----

*(لا يجف لبده) من لبد الفرس وهو ما تحت السرج كناية عن مواصلته السعي والضرب في الارض. فلان لا يجف لبده إذا لم يفتر

مراجع:/ كتاب بغداد/ الأعلام للزركلي/ عيون الاخبار/ تاج العروس/

حدث عمرو بن سليمان بن بشير بن معاوية قال: ذكر لي: أن رجلين تنازعا بباب الجسر أحدهما من العظماء. والآخر من السوقة. فقنع الذي من الخاصة الذي من العامة فصاح العامي: واعمراه ذهب العدل مذ ذهبت فأخذ الرجل وكتب إبراهيم بن السندي[1] بخبره. فدعا به المأمون فقال: ما كانت حالك؟ فأخبره. فأحضر خصمه فقال له: لم قنعت* هذا الرجل؟. قال يا أمير المؤمنين: إن هذا الرجل يعاملني وكان سيئ المعاملة فلما كان في هذا اليوم مررت بباب الجسر فأخذ بلجامي ثم قال: لا أفارقك حتى تخرج لي من حقي وغرمه. إني كنت صبورا على سوء معاملته لى. فقلت له: إني أريد دار إسحاق بن إبراهيم[2] فقال: والله لو جاء إسحاق بن إبراهيم ما فارقتك، ولو جاء من ولي إسحاق وعنف بي فما صبرت حين عرض بالخلافة ووهن من ذكرها أن قنعته فصاح وأعمراه ذهب العدل مذ ذهبت. فقال للرجل ما تقول فيها قال خصمك؟ فقال: كذب علي، وقال الباطل. فقال خصمه: لي جماعة يا أمير المؤمنين تشهد على مقالته، وإن أذن لي أمير المؤمنين أحضرتهم. قال: فقال المأمون للرجل: ممن أنت؟ فقال: من أهل فامية[3] فقال: أما أن عمر بن الخطاب رحمه الله كان يقول: من كان جاره نبطيا واحتاج إلى ثمنه فليبعه، فإن كنت إنما طلبت سيرة عمر فهذا حكمه في أهل فامية، ثم أمر له بألف درهم وأطلقه. فقال لي الذي حدثني بهذا الحديث: فحدثت هذا الحديث بعض مشايخنا فقال: أما الذي عندنا: فخلاف هذا: إنما مر بعض الزهاد في زورق فلما نظر إلى بناء المأمون وأبوابه صاح، واعمراه.فسمعه المأمون فأمر بأحضاره ثم دعا به فلما صار بين يديه قال: ما أحرجك إلى أن قلت ما قلت؟ قال: رأيت آثار الأكاسرة وبناء الجبابرة. فقال له المأمون: أفرأيت أن تحولت من هذه المدينة فنزلت إيوان كسرى بالمدائن كان لك أن تعيب نزولي هناك؟ قال: لا. قال: فأراك إنما عبت إسرافي في النفقة؟ قال: نعم. قال: فلو وهبت قيمة هذا البناء أكنت تعيب ذاك؟ قال: لا، قال: فلو بني ذلك الرجل بها كنت أهب له بناء أكنت تصيح به كما صحت بي؟ قال: لا، قال: فأراك أنما قصدتني لخاص نفسي لا لعلة هي غيري؟! قال: وإسحاق بن إبراهيم حاضر قال: فقال: يا أمير المؤمنين: مثل هذا لا يقومه القول دون السوط، أو السيف؟!. قال: هما أرش جنايته، ثم قال له: يا هذا إن هذا أول ما بنيناه وآخره، وإنما بلغت النفقة عليه ثلاثة الآلف ألف ألف، وهو ضرب من مكايدتنا الأعداء من ملوك الأمم، كما ترانا نتخذ السلاح والادراع والجيوش والجموع، وما بنا إلى أكثرها حاجة الساعة.وأما ذكرك سيرة عمر رحمه الله فإنه كان يسوس أقواما كراما قد شهدوا نبيهم صلى الله عليه وسلم ونحن إنما نسوس أهل بز وفر، وفامية، ودستميسان[4] ومن أشبه هؤلاء الذين إن جاعوا أكلوك، وإن شبعوا قهروك، وإن ولوا عليك استعبدوك، وكان عمر يسوس قوما قد تأدبوا بأخلاق نبيهم الطاهرة، وصانوا أحسابهم الشريفة، وما أثله لهم آباؤهم في الجاهلية والإسلام من الأفعال الرضية، والشيم الكريمة ونحن نسوس من ذكرنا لك من هؤلاء الاقوام الخبيثة. قال: ثم أمر بصلته فقال: لا تعودن إلى مثل هذا فتمسك عقوبتي فإن الحفظة ربما صرفت رأي ذي الرأي إلى هواه فأستعمله وخلى سبيل الحلم.وهذه فامية التي عند واسط بغير شك.

----

*(فقنعه) فلانا بالسيف أو السوط أو العصا علاه به

■ (1) إبراهيم بن السندي بن شاهك ولي الكوفة للمأمون وكان أبوه السندي بن شاهك على شرطة هارون الرشيد... في كتاب زهر الآداب وثمر الألباب: قال: أبو الهيثم بن السندي بن شاهك ؟

■ (2) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، الأمير ابن عم طاهر بن الحسين. وكان يعرف بصاحب الجسر. ولي إمرة بغداد أكثر من 30 سنة وعلى يده أمتحن العلماء بأمر المأمون وأكرهوا على القول بخلق القرآن. وكان خبيرا صائبا سائسا حازما وافر العقل، جودا ممدحا، له مشاركة في العلم. توفي سنة 235 هـ. وولي بعده ابنه محمد.

■ (4) دَسْتُمِيْسان بفتح الدال وسكون السين وضم التاء وكسر الميم وسكون الياء: كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز وهي إلى الأهواز أقرب

■ (3)أفاميا / أفامية /ـ فامية: بالعراق: قرية من قرى واسط من ناحية فم الصلح. وفامية بالشام بين أنطاكية وحمص: مدينة رومية حصينة من بناء الاسكندر الرومي من سواحل الشام وكورة من كور حمص شمال غرب حماة ويسميها بعضهم فامية بغير همزة.ظلت مزدهرة طوال العصر الروماني والبيزنطي حتى دمرها الفرس الساسانيون في القرن السابع الميلادي، وبعد الفتح الإسلامي تم إعمارها وعرفت باسم فامية وظلت حتى دمرها زلزال زمن الحروب الصليبية

جل جلاله

لما نزل الحجاج[1] واسطا نفى النبط عنه وكتب إلى عامله بالبصرة وهو الحكم بن أيوب[2] يقول: إذا أتاك كتابي فانف من قبلك من النبط، فإنهم مفسدة للدين والدنيا فكتب إليه: قد نفيت النبط إلا من قرأ القرآن وتفقه في الدين، فكتب إليه الحجاج: إذا قرأت كتابي فادع من قبلك من الأطباء ونم بين أيديهم ليفقوا عروقك، فإن وجدوا فيك عرقا نبطيا فاقطعه، والسلام.وأمر بعض الملوك عاملا له أن يصيد شر طائر. ويشويه بشر حطب، ويبعثه على شر رجل، فصادر خمسة وشواها ببعر ودفعها إلى خوزي، فقال الخوزي: أخطأت في كل ما أمرك به الملك، صد بومة وأشوها بدفلى وادفعها إلى نبطي ولد زنا! ففعل الرجل وكتب به إلى الملك فقال الملك: أصبت ولكن كفى أن يكون الرجل نبطيا لا يحتاج إلى ولد زنا، فليس يزداد النبطي بذلك شرا، فقد بلغ بجنسه الغاية! قيل: إذا جاء الرستاقي بسلة فارغة ومعدة جائعة فأضرب الباب في وجهه! وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن العباس: لم يظلم أحد كما ظلم أهل الرستاق لأنهم غرسوا الخشب وليست تكسر إلا على ظهورهم.

■ (2) الحكم بن أيوب الثقفي بن عم للحجاج وهو الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر الثقفي كان عامل الحجاج على البصرة حكى عنه أيضا يحيى بن أبي إسحاق والعلاء بن زياد وأبو خلدة وغير واحد من أهل البصرة وإنما أراد أبو حاتم أنه مجهول العدالة لا مجهول العين وقتل الحكم بها بعد موت الحجاج في العذاب في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة بضع وتسعين وقد ذكره بن حبان في الثقات فلم يصب فإن له موبقات كابن عمه ولو لم يكن الا قصة يزيد الضبي التي ذكرها أبو يعلى في مسند أنس من مسنده.

■ (1) أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من أعظم رجال عبد الملك.وكان ظلوما، جبارا، ناصبيا، خبيثا، سفاكا للدماء، وكان ذا شجاعة، وإقدام، ومكر، ودهاء، وفصاحة، وبلاغة، وتعظيم للقرآن.عرف بحصاره لابن الزبير بالكعبة، ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كله عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصله الله في رمضان، سنة 95 هـ، كهلا، فنحن لا نسبه ولا نحبه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله. قال الأصمعي: ولي الحجاج العراق عشرين سنة، صار إليها في سنة 75 هـ، وكانت ولايته أيام عبد الملك إحدى عشرة سنة، وفي أيام الوليد تسع سنين، وبنى واسط في سنتين، وفرغ منها في السنة التي مات فيها عبد الملك سنة ست وثمانين، ومات الوليد بعد الحجاج بتسعة أشهر.

مراجع:/ كتاب بغداد/ الأعلام للزركلي/ معجم البلدان/ المنمق في أخبار قريش/

أخبرنا عبد العزيز المكي الكناني[1] المتكلم قال: اجتمعت أنا وبشر المريسي[2] عند المأمون فقال لي ولبشر: قد اجتمعتما على نفي التشبيه ورد الأحاديث الكاذبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلموا في الكفر والإيمان. قال قلت: وفقك الله يا أمير المؤمنين: أما إن مطهرا البابي أخبرني. قال: أخبرني أبو الزبير، عن جابر ابن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْيَهُودَ كَذَبت عَلَى مُوسَى وَإِنَّ النَّصَارَى كَذَبت عَلَى عِيسَى وَسيكْذب علي أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي فإِذَا بَلَغَكُمْ عَنِّي حَدِيثٌ مُنْكَرٌ فأعرضوه عَلَى كِتَابِ اللهَّ فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللهِ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا قُلْتُهُ وما خَالَفَ كِتَابِ اللهَّ فَلَيْسَ مِنِّي ولَمْ أَقُلْهُ﴾ (كتاب بغداد؟) فكيف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف كتاب الله، وبكتاب الله هدى الله نبيه صلى الله عليه وسلم. ثم قال: يا أمير المؤمنين القوم شركاؤنا في المجلس فهل ينصب بشر علما نعرف به انتقاض المتنقض وصحة الصحيح؟ قال: فقال بشر: نعم. حدثني محمد بن طلحة بن مصرف قال: أخبرني زبيد الايامي عن مرة الهمداني، عن رجل من بني هاشم قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل قوم أولى رتبة من أمرهم، ومصلحة من أنفسهم يردون على من سواهم (كتاب بغداد؟) ويتبين الحق من ذلك بالملابسة بالعدل عند ذوي الألباب، قال: والهاشمي علي بن أبي طالب رحمة الله عليه. قال المكي: فقلت: هل تذكر شيئا تعرف به صحيح القياس من متناقضة؟ قال: ليس عندي شيء أكثر من هذا، قلت: ولكن عندي يا أمير المؤمنين وهي أحد المخبآت التي أعددت لهذا المجلس منذ نحو ثلاثين سنة، قال: فقال بشر: ما كان ينبغي لك أن تكتم علما عندك، قلت: إن لأهل العلم حلية يتزينون بها، ويزينون بها مقالتهم، ولا يعلمونها أهل البدع لئلا يزينوا بها بدعهم وقد أقاموا حجتهم في سوى ذلك على مخالفيهم، قال: قلت أن الناس اختلفوا ثم تحاجوا بعد الاختلاف فلو كانت غايتهم في الاحتجاج التخطئة كان أحدهم قد خطأ صاحبه في الابتداء فما أراد إلى العناء ولكنه أراد النقض أو ينصب له علما يعرف به فإن القوم شركاؤنا في المجلس، قال أمير المؤمنين: هات، قلت: يعرف انتقاض كل متنقض تكلم الناس فيه من طب، أو نجوم، أو فتيا، أو عربية، أو كلام بأحد وجوه ثلاثة.. فكل قول دخله واحد منها فهو المتناقض، فقال: عند هذا فإن المعرفة قول، قال الله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [المجادلة] قلت: يسمى الفعل قولا في اللغة وقد يقول الرجل قولا بيده، قال الشاعر: وقالت لها العينان سمعا وطاعة..وحدرتا كالدر لما يثقب. فقولهما أنهما تهميان بالدمع، وقد قال الله عز وجل: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِين﴾ [فصلت] وقولهما هو مجيئهما فترك هذا، قال: وحدثني عن مشرك كان زانيا فتاب عن شركه وأقام على الزنى أليس قد خرج من الكفر إلى الإيمان [قلت] ولم يخرج الإيمان الذي يستوجب به الاسم حتى يدع الزنى قال: والله ليدخلن الجنة ولو بعد ألف سنة، قلت: ما هذا مما كنا فيه، هذا جواب أو مسألة؟ فأنكر ذلك المأمون، قال ثم قلت له: حدثني عن الإيمان ما هو؟ قال: معرفة الله بحجة. قلت: بخصلة هو أم بخصال؟ قال: خصلة تنتظم معاني، قلت: فهذا المعنى هو منها ذلك المعنى الآخر؟ فخلط وتركه، فقال: آتيك بما هو أسهل من هذا، أكلف الله جل وعز أهل زمان عيسى في زمان محمد صلى الله عليه وسلم قال: كلفهم أن يعلموا أنه سيبعثه رسولا، قلت: فما كلفنا نحن؟ قال: إن نعلم أنه قد بعثه، قلت: يا أمير المؤمنين، أفكلام هذا ؟ قال: لا ، قلت: فإذا عزمت أسأله.. قال: سل، قلت: حدثني عمن آمن بموسى وعيسى عليهما السلام ولم يسمع بأن محمدا صلى الله عليه وسلم سيبعث هو مؤمن؟ قال: فلست إذا من المرجئة إن لم أقل هو مؤمن، قلت: فإن سمع بعد ذلك بمحمد ولقي محمدا عليه السلام هل أصاب الإقرار به إيمانا لم يكن أصابه قبل ذلك؟ فعلم أنه ليس له حيلة، فقال يا أمير المؤمنين: على في الوضوء شدة فأذن له، قال: المكي وقلت للمأمون بعد الخطبة في مجلسي: أعلم يا أمير المؤمنين، إن كل سبب اتصل أو أخاء انعقد على غير التذكير بالله فهو عنده يبور، وقديما ما تمنى لى أخواني هذا المقعد وما أمكنني إلا في ظل سلطانك بخروجك من طبع الحرص وفرط الشره وأطراحك ما كان يلهج به غيرك من ملوك وسوقة عتوا فيما [جرت به] المقادير قدرها الله فأنقرضوا وأضحت ديارهم عافية ومساكنهم خاوية، لا يقترفون سيئة ولا يعتذرون من أخرى سلفت ولا يزيدون في حسنة، قد غلقت رهون أكثرهم ووجبت شقوتهم وانقطع من الفرج رجاؤهم، وإنما ينتظر بهم لحاق هذا الخلق، عتوا قليلا وشقوا طويلا وأضحوا موعوظا بهم وأدبا لغيرهم بحجة الله عليهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿السَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ﴾ وكان أبو الدرداء يكثر بأن يقول: يا أهل الشام: مالي أراكم تجمعون ما لا تأكلون وتبنون مالا تسكنون ؟! ألا أن عادا أعطيت أنعاما وماشية ومد لها ما بين صنعاء إلى الشام فمن يشترى ذلك اليوم مني بربع دينار!! وأعلم يا أمير المؤمنين: أن الناس إنما يرهبون يوم القيامة من إحدى ثلاث ليست هناك رابعة: نقصة عملوها وسهوة ارتكبوها أو شبهة في الدين انتحلوها والداء الأعظم الشبهة هي التي يظن صاحبها الحق باطلا والباطل حقا فهو كمخطئ الطريق إذا ركض ازداد من الطريق بعدا.

----

(1) الكناني، عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي: فقيه مناظر. كان من تلاميذ الامام الشافعي. يلقب بالغول لدمامته. سمع من سفيان بن عيينة، قدم بغداد في أيام المأمون، فجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن. له تصانيف عديدة منها: كتاب الجيدة رسالة في مناظرة لبشر المريسي توفي سنة 240 هـ

(2) بشر المريسي أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه الحنفي المتكلم؛ هو من موالي زيد بن الخطاب. أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي، إلا أنه استغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرآن، منذ أيام الرشيد. وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة، وكان مرجئا، وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة، وكان يقول: إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر، ولكنه علامة الكفر. توفي سنة 218 هـ، وقيل: 219 هـ، ببغداد.

(6) أبو الوليد بشر بن الوليد الكندي الفقيه سمع عبد الرحمن بن الغسيل ومالك بن أنس وتفقه بأبي يوسف روى عنه البغوي وأبو الوليد وحامد بن شعيب وولي قضاء ببغداد مدينة السلام (مدينة المنصور) للمأمون إلى سنة 213 هـ وكان واسع الفقه متعبدا وقد سعى به رجل إلى الدولة أنه لا يقول القرآن مخلوق فأمر به المعتصم أن يحبس في منزله فلما ولي المتوكل اطلقه ثم أنه شاخ واستولى عليه الهرم وفي آخر أمره. قال صالح جزرة هو صدوق لكنه خرف. وكانت وفاة بشر سنة 238هـ.

القرآن الكريم

قال رزقان: قال بشر بن الوليد[1] للمأمون: إن بشرا المريسي يشتمك، ويعرض بك، ويزري عليك، قال: فما أصنع به؟ ثم دس المأمون إليه رجلا فحضر مجلسه وتسمع ما يقول فأتاه الرجل يوما فقال: سمعته يقول حين أراد القيام وفرغ من الكلام بعد حمد الله والثناء عليه: اللهم، العن الظلمة، وأبناء الظلمة من آل مروان ومن سخطت عليه ممن آثر هواه على كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم. اللهم، وصاحب البرذون الأشهب فالعنه. فقال المأمون: أنا صاحب البرذون الأشهب وسكت عليها. فلما دخل عليه بشر قال له بعد أن ساءله: يا أبا عبد الرحمن متى عهدك بلعن صاحب الأشهب؟ فطأطأ بشر رأسه ثم لم يعد بعد ذلك إلى ذكره ولا التعرض به.

كان المأمون يقول: القدر دين الخوز*، والرفض دين النبط*، والإرجاء دين الملوك...قيل وهو الذى تنسب إليه مذاهب المرجئة الذين يتركون القطع على أهل الكبائر إذا ماتوا غير تائبين بعذاب أو عفو ويقولون بإرجاء أمرهم والحكم عليهم وهم جميعا سوى الحشوة الطغام منهم يقولون إن الله تعالى إن عفا عن واحد فمن هو فى مثل حاله وإن الله تعالى لا يخلد أحدا من أهل التوحيد فى النار بارتكاب الكبائر وإنه إن أدخلهم النار عذبهم بقدر ذنوبهم ثم أخرجهم.

----

* (النبط) جيل ينزلون سواد العراق ويقال لهم نبط العراق أو نبط السواد والأنباط وهم مشهورون بفلح الأرض والمهارة في عمارتها، أيضا الأنباط أو النبط: مملكة عربية قديمة في صحراء النقب وسيناء والأردن وأجزاء من شمال شبه الجزيرة العربية (الخوز) بالضم: جيل من الناس في العجم وهم من ولد خوزان بن عيلم بن سام بن نوح عليه السلام والخوز: اسم لجميع بلاد خوزستان بين الأهواز وفارس

(1) أبو الوليد بشر بن الوليد الكندي الفقيه سمع عبد الرحمن بن الغسيل ومالك بن أنس وتفقه بأبي يوسف روى عنه البغوي وأبو الوليد وحامد بن شعيب وولي قضاء ببغداد مدينة السلام (مدينة المنصور) للمأمون إلى سنة 213 هـ وكان واسع الفقه متعبدا وقد سعى به رجل إلى الدولة أنه لا يقول القرآن مخلوق فأمر به المعتصم أن يحبس في منزله فلما ولي المتوكل اطلقه ثم أنه شاخ واستولى عليه الهرم وفي آخر أمره. قال صالح جزرة هو صدوق لكنه خرف. وكانت وفاة بشر سنة 238هـ.

مراجع:/ كتاب بغداد/ الأعلام للزركلي/ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب/ تاج العروس/ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي/

قال المقريزي: يقال: إن المأمون، لما سار في قرى مصر كان يبني له بكل قرية دكة* يضرب عليها سرادقة والعساكر من حوله، وكان يقيم في القرية يوما وليلة، فمر بقرية يقال لها: طاء النمل، فلم يدخلها لحقارتها، فلما تجاوزها خرجت إليه عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهي تصيح، فظنها المأمون مستغيثة متظلمة، فوقف لها وكان لا يمشي أبدا إلا والتراجمة بين يديه من كل جنس، فذكروا له إن القبطية قالت: يا أمير المؤمنين، نزلت في كل ضيعة وتجاوزت ضيعتي، والقبط تعيرني بذلك، وأنا أسأل أمير المؤمنين أن يشرفني بحلوله في ضيعتي ليكون لي الشرف، ولعقبي، ولا تشمت الأعداء بي، وبكت بكاء كثيرا. فرق لها المأمون وثنى عنان فرسه إليها ونزل، فجاء ولدها إلى صاحب المطبخ، وسأله كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوفة، وغير ذلك مما جرت به عادته، فأحضر جميع ذلك إليه بزيادة. وكان مع المأمون أخوه المعتصم[1] وابنه العباس[2]، وأولاد أخيه الواثق[3] والمتوكل[4] ويحيى بن أكثم[5] والقاضي أحمد بن داود[6]، فأحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده، ولم تكل أحدا منهم ولا من القواد إلى غيره، ثم أحضرت للمأمون من فاخر الطعام ولذيذه شيئا كثيرا، حتى أنه استعظم ذلك. فلما أصبح، وقد عزم على الرحيل حضرت إليه ومعها عشر وصائف مع كل وصيفة طبق. فلما عاينها المأمون من بعد. قال لمن حضر: قد جاءتكم القبطية بهدية الريف الكامخ* والصحناه والصبر فلما وضعت ذلك بين يديه إذا في كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وأمرها بإعادته. فقالت: لا والله لا أفعل، فتأمل الذهب فإذا به ضرب عام واحد كله، فقال: هذا والله أعجب، ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك. فقالت: يا أمير المؤمنين، لا تكسر قلوبنا ولا تحتقر بنا، فقال: إن في بعض ما صنعت لكفاية، ولا نحب التثقيل عليك فردي مالك بارك الله فيك، فأخذت قطعة من الأرض وقالت: يا أمير المؤمنين، هذا وأشارت إلى الذهب، من هذا وأشارت إلى الطينة التي تناولتها من الأرض، ثم من عدلك يا أمير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير فأمر به فأخذ منها، وأقطعها عدة ضياع، وأعطاها من قريتها طاء النمل مائتي فدان بغير خراج، وانصرف متعجبا من كبر مروءتها وسعة حالها.

----

*(الدكة) ما استوى من الرمل وبناء يسطح أعلاه للجلوس عليه ومقعد مستطيل من خشب غالبا يجلس عليه محدثة ج دكاك وقيل الدكة والدكان الذي يقعد عليه وناس يجعلون النون أصيلة (الكامخ) ما يؤتدم به أو المخللات المشهية ج كوامخ

■ (5) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

■ (4) أبو الفضل،جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، ولد سنة 205 هـ بويع له بعد موت أخيه هارون الواثق سنة 232 هـ، كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر، ثم المعتز، ثم المؤيد، ثم إنه أراد تقديم المعتز لمحبته لأمه، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد، فأبى، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه، فدخلوا عليه في مجلس لهوه وقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة 247 هـ.قال خليفة بن خياط: استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها.

■ (3) هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنى أبا جعفر.ولد سنة 196 هـ أو 200 هـ، وبويع له بعد وفاة أبوه المعتصم سنة 227 هـ، ومات بسر من رأى سنة 232 هـ

■ (1) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يكنى أبا إسحاق، والمعتصم يقال له: الثماني، ولد بالخلد في سنة 180 هـ، وهو ثامن الملوك، والثامن من ولد العباس، استخلف أبو إسحاق محمد بن هارون سنة 218 هـ ومات بالخاقاني من سر من رأى سنة 227 هـ وكان في المعتصم مناقب، منها، أنه كان ثامن ملوك من بني العباس، وثامن أمراء المؤمنين من ولد عبد المطلب، وملك ثماني سنين وثمانية أشهر وفتح ثمانية فتوح بلاد بابك على يد الأفشين وفتح عمورية بنفسه والزط بعجيف وبحر البصرة وقلعة الأجراف وأعراب ديار ربيعة والشاري وفتح مصر وقتل ثمانية أعداء بابك ومازيار وباطس ورئيس الزنادقة والأفشين وعجيفا وقارن وقائد الرافضة.

■ (6) أحمد بن أبي دؤاد (دواد؟) بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات سنة 240 هـ ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

■ (2) العباس بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد: أمير عباسي. ولاه أبوه الجزيرة والثغور والعواصم سنة 213 هـ ولما مات المأمون سنة 218 هـ وولي المعتصم، امتنع كثير من القواد والرؤوساء من مبايعته، ونادوا باسم ابن أخيه العباس بن المأمون فدعاه المعتصم إليه، وأخذ بيعته، فخرج العباس، وسكن الناس. وأقام إلى أن خرج المعتصم إلى الثغور، فاتفق العباس مع بعض القواد على قتله، فعلم المعتصم فقبض عليه وعلى أصحابه، وعذبه وسجنه إلى أن مات بمنبج سنة 223 هـ.

☪

يقول مؤسس علم الاجتماع، ابن خلدون رحمه الله: اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها، لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك. وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب، فإذا كان الاعتداء كثيرا عاما في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها، وإن كان الاعتداء يسيرا كان الانقباض عن الكسب على نسبته. والعمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين. فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران، وانتقضت الأحوال وابذعر* الناس في الأفاق من غير تلك الإيالة* في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها، فخف ساكن القطر، وخلت دياره، وخربت أمصاره، واختل باختلاله حال الدولة والسلطان، لما أنها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة.

وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي[1] في أخبار الفرس عن الموبذان[2] صاحب الدين عندهم أيام بهرام بن بهرام[3]، وما عرض به للملك في إنكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة، بضرب المثال في ذلك على لسان البوم حين سمع الملك أصواتها وسأله عن فهم كلامها، فقال له: أن بوما ذكرا يروم نكاح بوم أنثى، وإنها شرطت عليه عشرين قرية من الخراب في أيام بهرام فقبل شرطها، وقال لها: إن دامت أيام الملك أقطعتك ألف قرية، وهذا أسهل مرام. فتنبه الملك من غفلته وخلا بالموبذان سأله عن مراده، فقال له: أيها الملك إن الملك لا يتم عزه إلا بالشريعة، والقيام لله بطاعته، والتصرف تحت أمره ونهيه، ولا قوام للشريعة إلا بالملك، ولا عز للملك إلا بالرجال، ولا قوام للرجال إلا بالمال، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل. والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة، نصبة الرب وجعل له قيما، وهو الملك وأنت أيها الملك عمدت إلى الضياع فانتزعتها من أربابها وعمارها، وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الأموال، وأقطعتها الحاشية والخدم وأهل البطالة، فتركوا العمارة، والنظر في العواقب وما يصلح الضياع، وسومحوا في الخراج لقربهم من الملك. ووقع الحيف على من بقي من أرباب الخراج وعمار الضياع، فانجلوا عن ضياعهم وخلوا ديارهم، وآووا إلى ما تعذر من الضياع فسكنوها، فقلت العمارة، وخربت الضياع وقلت الأموال وهلكت الجنود والرعية، وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلمهم بانقطاع القواد التي لا تستقيم دعائم الملك إلا بها. فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر في ملكه، وانتزعت الضياع من أيدي الخاصة وردت على أربابها، وحملوا على رسومهم السالفة، وأخذوا في العمارة وقوي من ضعف منهم، فعمرت الأرض وأخصبت البلاد وكثرت الأموال عند جباة الخراج، وقويت الجنود وقطعت مواد الأعداء وشحنت الثغور، وأقبل الملأ على مباشرة أموره بنفسه، فحسنت أيامه وانتظم ملكه.فتفهم من هذه الحكاية أن الظلم مخرب للعمران، وإن عائدة الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانتقاض.

ولا تنظر في ذلك إلى أن الاعتداء قد يوجد بالأمصار العظيمة من الدول التي بها، ولم يقع فيها خراب. واعلم أن ذلك إنما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء وأحوال أهل المصر. فلما كان المصر كبيرا وعمرانه كثيرا وأحواله متسعة بما لا ينحصر، كان وقوع النقص فيه بالاعتداء والظلم يسيرا، لأن النقص إنما يقع بالتدريج. فإذا خفي بكثرة الأحوال واتساع الأعمال في المصر لم يظهر أثره إلا بعد حين. وقد تذهب تلك الدولة المعتدية من أصلها قبل خراب المصر وتجيء الدولة الأخرى، فترفعه بجدتها، وتجبر النقص الذي كان خفيا فيه، فلا يكاد يشعر به، إلا أن ذلك في الأقل النادر. والمراد من هذا أن حصول النقص في العمران عن الظلم والعدوان أمر واقع لا بد منه لما قدمناه، ووباله عائد على الدول. ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور، بل الظلم أعم من ذلك. وكل من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه. فجباة الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، والمنتهبون لها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، وغصاب الأملاك على العموم ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لإذهابه الآمال من أهله.

واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم، وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه، وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري، وهي الحكمة العامة المراعية للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة، من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. فلما كان الظلم كما رأيت مؤذنا بانقطاع النوع لما أدى إليه من تخريب العمران، كانت حكمة الحظر فيه موجودة، فكان تحريمه مهما. وأدلته من القرآن والسنة كثيرة أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصر.

ولو كان كل واحد قادرا عليه لوضع بإزائه من العقوبات الزاجرة ما وضع بإزاء غيره من المفسدات للنوع، التي يقدر كل أحد على اقترافها من الزنا والقتل والسكر. إلا أن الظلم لا يقدر عليه إلا من يقدر عليه، لأنه إنما يقع من أهل القدرة والسلطان، فبولغ في ذمه وتكرير الوعيد فيه، عسى أن يكون الوازع فيه للقادر عليه في نفسه.﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت] ...

----

*(بذعر) ابذعروا ؛ تفرقوا. وفي حديث عائشة: ابذعر النفاق، أي تفرق وتبدد. و بذعروا: فروا وجفلوا.(الإيالة) الوادي وقطعة من أرض الدولة يحكمها وال من قبل السلطان. والإيالة السياسة فلان حسن الإيالة وسيء الإيالة، يقال آل الأمير رعيته من باب قال و إيالا أيضا أي ساسها وأحسن رعايتها

■ (3) بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير وهو الذي يقال له شاهان شاه، فكان ملكه أربعين سنة وأربعة اشهر

■ (2) الموبذ والموبذان – بفتح الباء – لفظتان فارسيتان معناهما الفقيه في الدين المجوسي، كحاخام عند اليهود والقسيس عند النصارى، وإضافة إحداهما إلى الأخرى يراد منها هنا: فقيه الفقهاء

■ (1) علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد الله بن مسعود: مؤرخ، رحالة، بحاثة، من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها. قال الذهبي: عداده في أهل بغداد، نزل مصر مدة، وكان معتزليا. من تصانيفه مروج الذهب وأخبار الزمان ومن أباده الحدثان تاريخ في نحو ثلاثين مجلدا، بقي منه الجزء الاول مخطوطا، والتنبيه والاشراف وأخبار الخوارج وذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور والرسائل والاستذكار بما مر في سالف الاعصار وأخبار الامم من العرب والعجم وخزائن الملوك وسر العالمين والمقالات في أصول الدينات والبيان في أسماء الائمة، والمسائل والعلل في المذاهب والملل والابانة عن أصول الديانة وسر الحياة والاستبصار في الامامة، والسياحة المدينة في السياسة والاجتماع. وهو غير المسعودي الفقيه الشافعي وغير شارح المقامات الحريرية. توفي سنة 346 هـ

مراجع: المواعظ والاعتبار/ـ مختار الصحاح/ لسان العرب/ المعجم الوسيط/ تاريخ ابن خلدون/ تاج العروس/ لسان العرب/ المعجم الوسيط/ طبقات الفقهاء/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ الأعلام للزركلي/

عن حماد بن إسحاق عن أبيه[1]، قال: كنت بين يدي المأمون واقفا، إذ دخل ابن البواب، الحاجب، وفي يده رقعة فيها أبيات، وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشادها، فظنها له، فقال: هات فأنشده: [من الطويل]: أجرني فإني قد ظمئت إلى الوعد..متى ينجز الوعد المؤكد بالعهد..أعيذك من خلق ملول وقد ترى..تقطع أنفاسي عليك من الوجد..أيبخل فرد الحسن عني بنائل..قليل وقد أفردته بهوى فرد. إلى أن بلغ قوله: [من الطويل]: رأى الله عبد الله خير عباده..فملكه والله أعلم بالعبد..إلا إنما المأمون لله عصمة..مميزة بين الضلالة والرشد. فقال المأمون: أحسنت يا عبد الله، فقال: بل أحسن قائلها. قال: ومن هو؟ قال: عبدك الحسين بن الضحاك[2].-وكان يرثي محمدا [3]ولا يصدق بقتله- فقطب، ثم قال: لا حياه الله ولا بياه، ولا قربه ولا أنعم له عينا؛ أليس هو القائل: [من الطويل]: أعيني جودا وابكيا لمحمد..ولا تذخرا دمعا عليه وأسعدا..فلا تمت الأشياء بعد محمد..ولا زال شمل الملك فيه مبددا..ولا فرح المأمون بالملك بعده..ولا زال في الدنيا طريدا مشردا. هذا بذاك، فلا شيء له عندنا. فقال له ابن البواب: فأين فضل إحسان أمير المؤمنين، وسعة حلمه، وعادته في العفو؟ فأمر بإحضاره، فلما حضر سلم، فرد عليه خافيا، ثم أقبل عليه، فقال له: أخبرني عنك، هل عرفت يوم قتل أخي محمد [3]رحمه الله، أن هاشمية قتلت وهتكت؟قال: لا. قال: فما معنى قولك: [من الطويل]: ومما شجى قلبي وكفكف عبرتي..محارم من آل النبي استحلت..ومهتوكة بالخلد عنها سجوفها..كعاب كقرن الشمس حين تبدت..إذا أخفرتها روعة من منازع..بها المرط عاذت بالخشوع ورنت..وسرب ظباء من ذؤابة هاشم..هتفن بدعوى خير حي وميت..أرد يدا مني إذا ما ذكرته..على كبد حرى وقلب مفتت..فلا بات ليل الشامتين بغبطة..ولا بلغت آمالها ما تمنت.فقال: يا أمير المؤمنين، لوعة غلبتني، وروعة فجأتني، ونعمة سلبتها بعد أن غمرتني، وإحسان شكرته فأنطقني، وسيد فقدته فأقلقني، فإن عاقبت فبحقك، وإن عفوت فبفضلك. فدمعت عين المأمون، وقال: قد عفوت عنك، وأمرت بإدرار رزقك عليك، وإعطائك ما فات منها، وجعلت عقوبة ذنبك، امتناعي عن استخدامك.

ولما ولي المعتصم[4] الخلافة، سأل عن الحسين بن الضحاك، فأخبر بمقامه بالبصرة؛ لانحراف المأمون عنه، فأمر بقدومه عليه، فلما دخل سلم واستأذن في الإنشاد، فأذن له، فأنشده: [من الكامل]: هلا رحمت تلدد المشتاق..ومننت قبل فراقه بتلاق..إن الرقيب ليستريب تنفسي..صعدا إليك وظاهر الإقلاق..نفسي الفداء لخائف مترقب..جعل الوداع إشارة بعناق..إذ لا مقال لمفحم متحير..إلا الدموع تصان بالإطراق. حتى انتهى إلى قوله: [من الكامل]: خير الوفود مبشر بخلافة..خصت ببهجتها أبا إسحاق..وافته في الشهر الحرام سليمة..من كل مشكلة وكل شقاق..سكن الزمان إلى الإمام سلامة..عف الضمير مهذب الأخلاق..فحمى رعيته ودافع دونها..وأجار مملقها من الإملاق. حتى أتمها، فقال له المعتصم: أدن مني، فدنا منه، فملأ فمه جوهرا، من جوهر كان بين يديه، ثم أمره أن يخرجه من فمه، فأخرجه، وأمر أن ينظم، ويدفع إليه، ويخرج إلى الناس وهو في يده، ليعلم الناس موقعه من رأيه، ويعفوا ثمرة إحسانه.

■ (2) الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي، من مواليهم أو هو منهم، أبو علي: شاعر، من ندماء الخلفاء، يعرف بحسين الأشقر، وسمي الحسين الخليع لكثرة مجونه في شعره. قيل: أصله من خراسان. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي ببغداد. اتصل بالامين ونادمه ومدحه. ولما ظفر المأمون، خافه الخليع، فانصرف إلى البصرة، حتى صارت الخلافة للمعتصم. فعاد ومدحه ومدح الواثق. ولم يزل مع الخلفاء بعده إلى أيام المستعين. وأخباره كثيرة، وكان يلقب بالاشقر، وهو في الطبقة الأولى من الشعراء المجيدين وبينه وبين أبي نواس ماجريات لطيفة ووقائع حلوة وأبو نواس متهم بأخذ معانيه في الخمر. وشعره رقيق عذب. ومات سنة 250 هـ وله بضع وتسعون سنة.

■ (1) إسحاق الموصلي، وهو إسحاق بن إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نسك التميمي بالولا ء الأرجاني الأصل المعروف بابن النديم الموصلي، أبو محمد ويقال له أبو صفوان المغني المشهور كان من ندماء الخلفاء وله الظرف المشهور والخلاعة والغناء اللذان تفرد بهما. وكان من العلماء باللغة والأشعار وأخبار الشعراء وأيام الناس، وروى عنه مصعب بن عبد الله الزبيري والزبير ابن بكار وغيرهما. وكان له يد طولى في الحديث والفقه وعلم الكلام. قيل أصابه ذرب في شهر رمضان في سنة 253 هـ فكان يتصدق في كل يوم لصومه ثم ضعف عن الصوم ومات

■ (3) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة198 هـ

■ (4) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يكنى أبا إسحاق، والمعتصم يقال له: الثماني، ولد بالخلد في سنة 180 هـ، وهو ثامن الملوك، والثامن من ولد العباس، استخلف أبو إسحاق محمد بن هارون سنة 218 هـ ومات بالخاقاني من سر من رأى سنة 227 هـ

☪

ذكر أبو عبد الله حمدون قال: قال لي الحسين بن الضحاك: ضربني الرشيد في خلافته لصحبتي إياه ثم ضربني الأمين لمماثلتي ابنه عبد الله ثم ضربني المأمون لميلي إلى محمد ثم ضربني المعتصم لمودة كانت بيني وبين العباس بن المأمون ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكل، وكل ذلك يجري مجرى الولع والتحذير لي، ثم أحضرني المتوكل وأمر شفيعا أن يولع بي، فتغاضب المتوكل علي، فقلت: يا أمير المؤمنين إن كنت تضربني كما ضربني آباؤك فاعلم أن آخر ضرب ضربته كان بسببك، فضحك وقال: بل أصونك وأكرمك. قال المغيرة بن محمد المهلبي: رأيت عند الحسين بن الضحاك جماعة من بني هاشم، فيهم بعض أولاد المتوكل، فسألوه عن الأمين وأدبه، فوصف الحسين أدبا كثيرا؛ فقيل له: فالفقه؟ فإن المأمون كان فقيها؛ فقال: ما سمعت فقها ولا حديثا إلا مرة واحدة فإنه نعي غلام له بمكة، فقال: حدثني أبي، عن أبيه، عن المنصور، عن أبيه، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:.﴿من مات محرما حشر ملبيا﴾ ضعيف أخرجه الخطيب، وابن عساكر وأخرج الصولي عن عبد الله بن البواب قال : كان المأمون يحلم حتى يغيظنا وجلس مرة يستاك على دجله من وراء ستر –و نحن قيام بين يديه ـ فمر ملاح و هو يقول أتظنون أن هذا المأمون ينبل في عيني– و قد قتل أخاه– قال : فو الله ما زاد على أن تبسم و قال لنا : ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل؟

ذكر عن محمد بن عبد الله صاحب المراكب قال: اخبرنى ابي صالح ابن الرشيد قال: دخلت على المأمون ومعى بيتان للحسين بن الضحاك فقلت: يا امير المؤمنين احب ان تسمع منى بيتين قال: أنشدهما قال فأنشده صالح: حمدنا الله شكرا إذ حبانا..بنصرك يا أمير المؤمنينا..فأنت خليفة الرحمن حقا..جمعت سماحة وجمعت دينا . فاستحسنهما المأمون وقال: لمن هذان البيتان يا صالح؟ قلت: لعبدك يا أمير المؤمنين الحسين بن الضحاك، قال: قد أحسن، قلت: وله يا أمير المؤمنين ما هو أجود من هذا، قال: وما هو ؟ فأنشدته: أيبخل فرد الحسن فرد صفاته..علي وقد أفردته بهوى فرد..رأى الله عبد الله خير عباده..فملكه والله أعلم بالعبد. قال: فوجه إليه بخمسة آلاف درهم وخمس خلع.

قال محمد بن عباد المهلبي: قال لي المأمون، وقد قدمت من البصرة: كيف خلفت ظريف مصركم، ومن بدار أبي علي حكميكم –يعني أبا نواس– قلت: ومن يعني أمير المؤمنين؟ قال: من أنت عارف به ذاك الحسين ابن الضحاك الشاعر، أليس هو القائل: رأى الله عبد الله خير عباده..فملكه والله أعلم بالعبد. ثم قال: اكتب إليه واستقدمه. قلت: يا أمير المؤمنين، إن علته تمنعه من ذلك. قال: فخذ كتابنا إلى عاملنا بالبصرة بألف دينار يدفعه إليه.

وقال الحسين بن الضحاك: كنت يوما من أيام الشتاء بالمسجد الجامع بالبصرة، إذ جاء أبو نواس وعليه جبة خز سرية جيدة جدا، وما كنت عهدت أنها له، فقلت: يا أبا علي، من أين لك هذه؟ قال: وما عليك من حيث جاءت منه. فأفكرت في أمره، فوقع لي أنه أخذها في تلك الساعة من مويس بن عمران، لأني كنت رأيته أقبل من باب بني تميم، فقمت كأني أريد، وخرجت من المسجد، فإذا بمويس، قد لبس جبة أسرى من تلك الجبة فقلت: كيف أصبحت يا أبا عمران قال بخير صبحك الله به. قلت: يا كريم الإخاء للإخوان قال: أسمعك الله خيرا يا أخي. قلت: إن لي حاجة فرأيك فيها..أنا فيها وأنت لي سيان. قال: هاتها على اسم الله. قلت: جبة من جبابك الخز كيما..لا يراني الشتاء حيث يراني. فضم يده إلى صدره وقال: خذها على بركة الله، فخلعتها عنه ولبستها، وجئت وأبو نواس مكانه بعد، فلما رآها علي قال: من أين جاءتك هذه الجبة؟ قلت: من حيث جاءت تلك. أعني ما عليه.

قال الحسين بن الضحاك: كنت يوما أسامر أبا نواس بالكوفة فمررنا بكتاب وإذا صبي يقرأ في سورة البقرة ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البقرة] فقال لي أبو نواس: ويلك أي معنى يستخرج من هذا في الخمر؟ فقلت: ويحك ألا تتقي الله أبكتاب الله عز وجل؟! فلما كان في الغد أنشدني: وسيارة ضلت عن القصد بعدما..ترادفهم جنح من الليل مظلم..فأصغوا إلى صوت ونحن عصابة..وفينا فتى من سكره يترنم..فلاحت لهم منا على البعد قهوة..كأن سناها ضوء نار تضرم..إذا ما حسوناها أناخوا مطيهم..وإن جليت حنوا الركاب ويمموا.

عن أحمد بن الحسين بن هشام قال: تلاحى الحسين بن الضحاك ومخارق يوما في مجلس الواثق في أبي نواس وأبي العتاهية أيهما أشعر؟ فقال الواثق: اجعلا بينكما خطرا فجعلا بينهما مائتي دينار فقال الواثق: من ههنا من العلماء ؟ فقيل: أبو محلم فأحضره فسئل عن ذلك؟ فقال: أبو النواس أشعر وأذهب في فنون العرب وأكثر افتنانا من أفانين الشعر فأمر الواثق بدفع الخطر إلى الحسين. واصطبح المتوكل يوما فأمر بإحضار الحسين الخليع، وكان قد كبر وضعف، فحمل إليه في محفة حتى وضع بين يديه، فسلم بالخلافة، وعلى رأس المتوكل شفيع يرفل في قراطق ممنطق بمنطقة ذهب وفي يده قهوة حمراء يتلألأ نورها وبين يديه طبقان مرصعان بورد أحمر وأبيض؛ فأمر شفيعا أن يناول الحسين رطلا ويحييه بوردة ويلاعبه، فناوله شفيع رطلا فشربه، ثم حياه بوردة وقرص يده فقال: وكالوردة الحمراء حيا بأحمر..من الورد يسعى في قراطق كالورد..له عبثات عند كل تحية..بعينيه تستدعي الخلي إلى الوجد..سقى الله دهرا لم [أبت] فيه ليلة..من الدهر إلا من حبيب على وعد.

فضحك المتوكل وطرب وقال: أحسنت والله يا حسين، سل ما شئت، فقال: يأذن أمير المؤمنين في الانصراف، قال: حدثني بحديث في الورد يكون مختصرا، قال: نعم يا أمير المؤمنين؛ بلغني أن الورد فيما مضى من سالف الدهر كان كله أبيض، وأن قضيبي ورد تعاشقا، فغمز أحدهما صاحبه فأحمر المغموز خجلا، فمنه حمرة الورد إلى هذه الغاية؛ فضحك المتوكل حتى استلقى، وأمر بحمله إلى منزله، وحملت معه أربعة آلاف دينار.

☪

وكان المأمون حليما عادلا. قيل: إن بعض المشايخ كتب إليه رقعة فيها مرافعة في إنسان، فكتب عليها المأمون: السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة، فإن كنت أخرجتها من النصح، فخسرانك فيها أكثر من الربح ؛ وأنا لا أسعى في محظور ولا أسمع قول مهتوك في مستورة ولولا أنت في خفارة شيبك لعاقبتك على جريرتك مقابلة تشبه أفعالك. وكتب بعضهم إلى المأمون رقعة فيها: إن رجلا مات وخلف مالا عظيما وليس له وارث إلا طفل مرضع، وإن تحكم القضاء فيه أضاع ماله، وأمير المؤمنين أولى به. قال: فاخذ الرقعة وكتب على ظهرها: الطفل حبره إلا الله وأنشاه، والمال ثمره الله وأنماه، والميت رحمه الله ورضي عنه وأرضاه؛ وأما الساعي لي في أخذه فلعنه الله وأخزاه. وقيل: إنه لما مات عمرو بن مسعدة وزير المأمون رفعت إليه رقعة: أن عمرا المذكور خفف ثمانين ألف ألف دينار. فوقع المأمون على ظهرها: هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا.

مراجع: / الأعلام للزركلي/ الوافي بالوفيات/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ تاريخ الطبري/ طبقات الشعراء/ تاريخ دمشق/

ذكر عن أبي نزار الضرير الشاعر أنه قال: قال لي علي بن جبلة[1]: قلت لحميد بن عبد الحميد[2] -الأمير القائد-: يا أبا غانم، قد امتدحت أمير المؤمنين بمدح لا يحسن مثله أحد من أهل الأرض؛ فاذكرني له، فقال: أنشدنيه، فأنشدته، فقال: أشهد أنك صادق؛ فأخذ المديح فأدخله على المأمون، فقال: يا أبا غانم، الجواب في هذا واضح، إن شاء عفونا عنه وجعلنا ذلك ثوابا بمديحه؛ وإن شاء جمعنا بين شعره فيك وفي أبي دلف القاسم بن عيسى[3] -الأمير القائد-؛ فإن كان الذي قال فيك وفيه أجود من الذي مدحنا به ضربنا ظهره، وأطلنا حبسه،وإن كان الذي قال فينا أجود أعطيته بكل بيت من مديحه ألف درهم، وإن شاء أقلناه. فقلت: يا سيدي، ومن أبو دلف! ومن أنا حتى يمدحنا بأجود من مديحك! فقال: ليس هذا الكلام من الجواب عن المسألة في شيء، فاعرض ذلك على الرجل. قال علي بن جبلة: فقال لي حميد: ما ترى؟ قلت: الإقالة أحب إلي، فأخبر المأمون، فقال: هو أعلم، قال حميد: فقلت لعلي بن جبلة: إلى أي شيء ذهب في مدحك أبا دلف وفي مدحك لي؟ قال: إلى قولي في أبي دلف: إنما الدنيا أبو دلف..بين مغزاه ومحتضره..فإذا ولي أبو دلف..ولت الدنيا على أثره. وإلى قولي فيك: لولا حميد لم يكن..حسب يعد ولا نسب..يا واحد العرب الذي..عزت بعزته العرب. قال: فأطرق حميد ساعة، ثم قال: يا أبا الحسن، لقد انتقد عليك أمير المؤمنين. وأمر لي بعشرة آلاف درهم وحملان وخلعة وخادم، وبلغ ذلك أبا دلف فأضعف لي العطية، وكان ذلك منهما في ستر لم يعلم به أحد إلى أنحدثتك يا أبا نزار بهذا. قال أبو نزار: وظننت أن المأمون تعقد عليه هذا البيت في أبي دلف: تحدر ماء الجود من صلب آدم..فأثبته الرحمن في صلب قاسم.

قال ابن خلكان: يحكى أن العكوك مدح حميد بن عبد الحميد الطوسي بعد مدحه لأبي دلف بهذه القصيدة فقال له حميد: ما عسى أن تقول فينا وما أبقيت لنا بعد قولك في أبي دلف: إنما الدنيا أبو دلف. وأنشد البيتين، فقال: أصلح الله الأمير، قد قلت فيك ما هو أحسن من هذا، قال: وما هو فأنشد: إنما الدنيا حميد..وأياديه الجسام..فإذا ولى حميد..فعلى الدنيا السلام. قال: فتبسم ولم يحر جوابا، فأجمع من حضر المجلس من أهل المعرفة والعلم بالشعر أن هذا احسن مما قاله في أبي دلف، فاعطاه وأحسن جائزته. وحكي أنه مدح المأمون بقصيدة أجاد فيها وتوسل بحميد الطوسي في إيصالها إليه، فقال له المأمون: خيره بين أن نجمع بين قوله هذا وبين قوله فيك وفي أبى دلف، فإن وجدنا قوله فينا خيرا منه أجزناه عشرة آلاف، وإلا ضربناه مائة سوط، فخيره حميد فاختار الإعفاء.

قال ابن المعتز في طبقات الشعراء: ولما بلغ المأمون خبر هذه القصيدة غضب غضبا شديدا وقال: اطلبوه حيثما كان وائتوني به، فطلبوه فلم يقدروا عليه لأنه كان مقيما بالجبل، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة الفراتية، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق أن يؤخذ حيث كان، فهرب من الجزيرة حتى توسط الشامات، فظفروا به فأخذوه وحملوه مقيدا إلى المأمون، فلما صار بين يديه قال له: يا بن اللخناء، أنت القائل في قصيدتك للقاسم بن عيسى، وهو أبو دلف: كل من في الأرض من عرب.. وأنشد البيتين، جعلتنا ممن يستعير المكارم منه والافتخار به، قال: يا أمير المؤمنين: أنتم أهل بيت لا يقاس بكم لأن الله اختصكم لنفسه من عباده وآتاكم الكتاب والحكم وآتاكم ملكا عظيما، وإنما ذهب في قولي إلى أقران وأشكال القاسم بن عيسى من هذا الناس، فقال: والله ما أبقيت أحدا، ولقد أدخلتنا في الكل، وما استحل دمك بكلمتك هذه، ولكني استحله بكفرك في شعرك حيث قلت في عبد ذليل مهين فأشركت بالله العظيم وجعلت معه مالكا قادرا وهو: أنت الذي تنزل الأيام منزلها..وتنقل الدهر من حال إلى حال..وما مددت مدى طرف إلى أحد..إلا قضيت بأرزاق وآجال. ذاك الله عز وجل يفعله، -لا إله إلا الله !- أخرجوا لسانه من قفاه، فأخرجوا لسانه من قفاه فمات، وكان ذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد. ومولده سنة ستين ومائة، وقيل إنه أصابه الجدري وهو ابن سبع سنين فذهب بصره منه، وهذا خلاف ما قيل في الأول.

وحكى بعض أهل المعاني والبيان أن المأمون قال لأبي دلف الأمير المشهور: أنت الذي قال فيك الشاعر: إنما الدنيا أبو دلف، وأنشد الأبيات، قال: لا يا أمير المؤمنين، بل أنا الذي قال في علي بن جبلة أو قال الشاعر: أبا دلف، يا أكذب الناس كلهم..سواي فإني في مديحك أكذب. فأعجب المأمون ذلك منه، ورضي عنه، لقه عزه في ظرافته وسرعة فهمه المنجي له من الردىء بها اتقى به من الهجاء، فلم يمشه البلاء، بل دفع حيلة باتقائه بهجاء ابن جبلة.

وفي رواية قال المأمون يوما وهو مقطب لأبي دلف: أنت الذي يقول فيك الشاعر: إنما الدنيا أبو دلف..عند مغزاه ومحتضره..فإذا ولى أبو دلف..ولت الدنيا على أثره. فقال: يا أمير المؤمنين، شهادة زور، وقول غرور، وملق معتف، وطالب عرف، وأصدق منه ابن أخت لي حيث يقول: من الطويل: دعيني أجوب الأرض ألتمس الغنى..فلا الكرج الدنيا ولا الناس قاسم. فضحك المأمون وسكن غضبه.

----

(1) علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن الا بناوي، من أبناء الشيعة الخراسانية، أبو الحسن المعروف بالعكوك: شاعر عراقي مجيد. كان أعمى أسود أبرص، من أحسن الناس إنشادا. كان الاصمعي يحسده، وهو الذي لقبه بالعكوك-الغليظ السمين- ولد بقرب بغداد، وأكثر شعره في مدح أبي دلف العجلي. وقتله المأمون سنة 213 هـ

(2) حميد الطوسي: من كبار قواد المأمون العباسي.أبو غانم، الأمير القائد، كان جبارا، فيه قوة وبطش.وكان المأمون يندبه للمهمات .مات سنة 210 هـ

(3) أبو دلف العجلي، القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل، من بني عجل بن لجيم: أمير الكرخ، وسيد قومه، وأحد الامراء الاجواد الشجعان الشعراء. قلده الرشيد أعمال الجبل ثم كان من قادة جيش المأمون. وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة. وله مؤلفات، وهو من العلماء بصناعة الغناء، يقول الشعر ويلحنه. توفي ببغداد سنة 226 هـ.

يا رب

عن المأمون قال: ما أعياني قط جواب إلا جواب ثلاثة: صرت إلى أم ذي الرياستين الفضل بن سهل أعزيها فيه فقلت: لا تأسى عليه، فإني عوضه لك.قالت: يا أمير المؤمنين، كيف لا أحزن على ولد أكسبني مثلك؟!. وأتيت بمتنبئ فقلت له: من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران. قلت: ويحك موسى له آيات، فائتني بها حتى أومن بك. قال: إنما أتيت بهذه المعجزات لفرعون إذ قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات] فإن قلت ذلك أتيتك بالآيات. قال: وأتى أهل الكوفة يشكون عاملهم، فقال خطيبهم: هو شر عامل؛ أما في أول سنة فإنا بعنا الأثاث، وفي الثانية بعنا العقار، وفي الثالثة نزحنا عن بلادنا، وأتيناك نستغيث. فقلت: كذبت، بل هو رجل قد حمدت مذهبه، ورضيت دينه فاخترته معرفة بكم، وقد تقدم سخطكم على العمال غير مرة. قال: صدقت يا أمير المؤمنين، وكذبت أنا، فقد خصصتنا به هذه المدة دون باقي البلاد، فاستعمله على بلد آخر يشملهم من عدله وإحسانه مثل الذي شملنا. فقلت: قم في غير حفظ الله، قد عزلته عنكم.

قال الخطيب الرازي: لما دخل المأمون بغداد تلقاه أهلها فقال له رجل من الموالي: يا أمير المؤمنين، بارك الله لك في مقدمك، وزاد في نعمك وشكرك على رعيتك، فقد قمت من قبلك وأتعبت من بعدك، وآيست أن يعتاض منك، لأنه لم يكن مثلك ولا علم شبهك، أما فيمن مضى فلا تعرفونه، وأما فيمن بقي فلا ترتجونه، فهم بين دعاء لك، وثناء عليك، وتمسك بك، أخصب لهم جنابك، واحلولى لهم ثوابك وكرمت مقدرتك وحسنت آثرتك ولانت نظرتك، فجبرت الفقير، وفككت الأسير، وأنت كما قال الشاعر: ما زلت في البذل للنوال وإط..لان لعان بجرمه علق حتى عنى البراء أنهم..عندك أمسوا في القيد والحلق. فقال له المأمون: مثلك يعيب من لا يصطنعه، ويعر من يجهل قدره، فاعذرني في مسألتك، وإنك ستجدنا في مستأنفك.

حدث البحتري الوليد بن عبيد أخبرني أبو تمام حبيب بن أوس قال: قال المأمون لأبى حفص عمر بن الأزرق الكرماني: أريدك للوزارة قال: لا أصلح لها، يا أمير المؤمنين، قال: ترفع نفسك عنها ! قال: ومن رفع نفسه عن الوزارة ! ولكننى قلت هذا رافعا لها وواضعا لنفسى عنها، قال المأمون: إنا نعرف موضع الكفاة الثقات المتقدمين من الرجال، ولكن دولتنا منكوسة إن قومناها بالراجحين انتقصت، وإن أيدناها بالناقصين استقامت، ولذلك أخترت استعمال الصواب فيك.

قال إحسان عباس: -أبو جعفر عمر بن الأزرق الكرماني- لم أجد له ترجمة، ولكن يؤخذ من المعلومات التي نقلت من كتابه أنه عاصر الجاحظ، وسمع منه بعض أخبار البرامكة، كما أنه التقى رجلا معمرا شهد عصر هشام أو جانبا منه، وكان الرجل لدى لقائه للكرماني قد زرف على المائة (تقديرا حوالي 225) كذلك أدرك الكرماني بعضا من مشايخ الدعوة العباسية. وينقل الطبري في تاريخه. عن شخص يدعى أبا حفص الكرماني، فالكنية والنسبة تطابقان ما لدينا هنا، ومما يرجح أن الذي ينقل عنه الطبري هو أبن الأزرق نفسه اتصال المادة التي ينقلها بالبرامكة، وهنالك نجد أن أكثر أعتماد الكرماني المؤرخ على الرواية عن محمد بن يحيى بن خالد، فهو قد لحق الجيل الثالث من بني برمك ولعله لم يدرك تاريخ النكبة نفسها. ولسنا نجد معظم الرواة الذين يرفع إليهم الكرماني أسانيده، فمثلا لا نجد ذكرا لبشر بن حرب بن يزيد الطالقاني بين مشايخ الدعوة لدى الطبري، إلا أن الطبري يذكر علي بن عصمة الذي يروي عنه بشر بن فاسنك. ومن المهم أن نجد الخبر الذي يرويه الطبري عن علي بن عصمة متصلا بخالد بن برمك، إذ جاء فيه (فذكر عن علي بن عصمة أن خالد بن برمك خط مدينة أبي جعفر له وأشار بها عليه؟)، ثم ذكر أن المنصور استشاره في نقض الإيوان فحاول أن يثنيه عن ذلك، والقصة مشهورة تتردد في مصادر كثيرة ، على أية حال لا يخفى مما دونه ابن الأزرق ذلك الميل لإعطاء خالد بن برمك دورا كبيرا في الدعوة العباسية يمهد لتلك المكانة التي بلغها ابنه وحفدته من بعد في بنية الدولة نفسها.

مراجع: / الأعلام للزركلي/ الوافي بالوفيات/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ تاريخ الطبري/ طبقات الشعراء/ تاريخ دمشق/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ طبقات الشعراء/ تاريخ بغداد/ شذرات من كتب مفقودة في التاريخ/

عن يحيى بن أكثم[1] قال: قال لي المأمون: من تركت بالبصرة؟ فوصفت له مشايخ منهم، سليمان بن حرب[2]، وقلت هو ثقة، حافظ للحديث، عاقل، في نهاية الستر والصيانة، فأمرني بحمله إليه، فكتبت إليه في ذلك، فقدم، فاتفق اني ادخلته إليه وفي المجلس بن أبي دواد[3] وثمامة[4] واشباه لهما، فكرهت أن يدخل مثله بحضرتهم، فلما دخل سلم، فأجابه المأمون، ورفع مجلسه، ودعا له سليمان بالعز والتوفيق، فقال بن أبي دواد: يا أمير المؤمنين، نسأل الشيخ عن مسألة؟ فنظر المأمون إليه نظر تخيير له! فقال سليمان: يا أمير المؤمنين، حدثنا حماد بن زيد[5]، قال: قال رجل لابن شبرمة[6]: أسألك؟ فقال: إن كانت مسألتك لا تضحك الجليس، ولا تزري بالمسؤول، فسل، وحدثنا وهيب بن خالد[7] قال: قال إياس بن معاوية[8]: من المسائل ما لا ينبغي للسائل أن يسأل عنها، ولا للمجيب أن يجيب فيها. فإن كانت مسألته من غير هذا فليسأل، وإن كانت من هذا فليمسك، قال: فهابوه فما نطق أحد منهم حتى قام، وولاه قضاء مكة، فخرج إليها.

■ (2) سليمان بن حرب بن بجيل الازدي الواشحي أبو أيوب: قاض، من أهل البصرة. سكن مكة وولي قضاءها سنة 214 هـ وعزل سنة 219 هـ فرجع إلى البصرة فلم يزل بها حتى توفي بها لأربع ليال بقين من شهر ربيع الأخر سنة 224 هـ. وكان ثقة في الحديث.

■ (1) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

■ (3) أحمد بن أبي دؤاد (دواد؟) بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات سنة 240 هـ ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

■ (4) ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن جل منزله، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون. وكان ذا نوادر وملح. من تلاميذه الجاحظ. وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه.وعده المقريزي في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يسمون الثمامية نسبة إليه (نسبة إلى قرية بالموصل)، وأورد بعض ما انفردوا به من الآراء والمعتقدات. وقال ابن حزم: كان ثمامة يقول: إن العالم فعل الله بطباعه. وقال الجاحظ: ما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي بلغ من حسن الإفهام، مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج، مع السلامة من التكليف، ما كان بلغه. قال الزركلي والذهبي: توفي سنة 213 هـ.

■ (8) أبو واثلة، إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن سواءة بن سارية بن ذبيان بن سليم بن أوس بن مزينة المزني؛ وهو السن البليغ والألمعي المصيب، والمعدود مثلا في الذكاء والفطنة، ورأسا لأهل الفصاحة والرجاحة. كان صادقا الظن لطيفا في الأمور، مشهورا بفرط الذكاء، وبه يضرب المثل في الذكاء، وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاه قضاء البصرة. وكان لإياس جد أبيه صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل لمعاوية بن قرة والد إياس: كيف ابنك لك فقال: نعم الابن، كفاني أمر دنياي وفرغني لآخرتي. وكان إياس أحد العقلاء الفضلاء الدهاة. توفي سنة 122 هـ، أو سنة 121 هـ، وعمره 76 سنة.

■ (6) عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان الضبي. الإمام، العلامة، فقيه العراق، أبو شبرمة، قاضي الكوفة. وهو عم عمارة بن القعقاع، ولكن عمارة أسن منه. توفي: سنة 144 هـ.حدث عن أنس بن مالك، وأبي الطفيل عامر بن واثلة، وأبي وائل شقيق، وعامر الشعبي، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وإبراهيم التيمي، وإبراهيم النخعي، وسالم بن عبد الله، والحسن البصري، ونافع، وسالم بن أبي الجعد، وعبد الله بن شداد بن الهاد، وأبي زرعة، وطائفة. وكان من أئمة الفروع، وأما الحديث، فما هو بالمكثر منه، له نحو من ستين أو سبعين حديثا.

■ (5) حماد بن زيد بن درهم الازدي الجهضمي، مولاهم، البصري، أبو إسماعيل: شيخ العراق في عصره. من حفاظ الحديث المجودين. يعرف بالازرق. أصله من سبي سجستان، ومولده ووفاته في البصرة سنة 179 هـ. وكان ضريرا طرأ عليه العمى، يحفظ أربعة آلاف حديث. خرج حديثه الائمة الستة.

■ (7) وهيب بن خالد بن عجلان الباهلي بالولاء، الكرابيسي، أبو بكر: من حفاظ الحديث الثقات. من أهل البصرة. ووفاته فيها سنة 165 هـ. سجن، فذهب بصره، فكان يملي من حفظه.

الحمد لله

ذكره أبو حاتم الرازي فقال: سليمان بن حرب إمام من الائمة، كان لا يدلس، ويتكلم في الرجال، وفي الفقه، وليس بدون عفان، ولعله أكبر منه، وقد ظهر من حديثه نحو من عشرة آلاف حديث، ما رأيت في يده كتابا قط، وهو أحب إلي من أبي سلمة التبوذكي في حماد بن سلمة وفي كل شئ. ولقد حضرت مجلس سليمان بن حرب ببغداد، فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل، وكان مجلسه عند قصر المأمون، فبني له شبه منبر، فصعد سليمان، وحضر حوله جماعة من القواد عليهم السواد، والمأمون فوق قصره قد فتح باب القصر، وقد أرسل ستر شف، وهو خلفه يكتب ما يملي، فسئل أول شئ حديث حوشب بن عقيل، ولعله قد قال: حدثنا حوشب بن عقيل أكثر من عشر مرات، وهم يقولون: لا نسمع، فقام مستمل ومستمليان وثلاثة كل يليه كل ذلك يقولون: لا نسمع. حتى قالوا: ليس الرأي إلا أن يحضر هارون المستملي، فذهب جماعة فأحضروه، فلما حضر قال: من ذكرت ؟ فإذا صوته خلاف الرعد، فسكتوا، وقعد المستملون كلهم، واستملي هارون، وكان لا يسأل عن حديث إلا حدث من حفظه، فقمنا من مجلسه، فأتينا عفان، فقال: ما حدثكم أبو أيوب ؟ وإذا هو يعظمه. وقيل: جاء رجل إلى سليمان بن حرب فقال: إن مولاك فلانا مات، وخلف قيمة عشرين ألف درهم. قال: فلان أقرب إليه مني، المال لذاك دوني. قال: وهو يومئذ محتاج إلى درهم.

☪

قال أبو يوسف: شهدت محمد بن عبد الرحمن القاضي المخزومي جاء إلى سليمان ابن حرب –وكان قد كتب إلى سليمان بن حرب أن يقف من القضاء– يسلم عليه ويودعه ويخرج إلى بغداد. فقال له سليمان: ما يخرجك ؟ قال: أذهب فأعزي أمير المؤمنين على القاضي، وأهنيه فيما يستقبل. فقال سليمان وضحك: إنما تخرج لعل ابن أبي دؤاد يعمل لك في قضاء مكة وهو لا يفعل، فأنه قد خرج ابن الحر فسيقضيه فيتخذه في صنيعه يذكر به، فأنت لا تكون صنيعة له أنت أجل من ذلك. وخرج فكان كما قال سليمان. وقال أبو يوسف: خرجت في هذه السنة سنة تسع عشرة فسمعت من آدم ومن أبي اليمان والوحاظي ومشايخ بفلسطين ودمشق وحمص. وحضرت سليمان جاءه طاهر بن عبد الله[1] ومعه كتابه منهم: ابن شعيب مولى أبيه فقال لسليمان: تحمل كتبك وتجيئنا فتحدثنا. فأغتم سليمان لذلك، وكان ابن خاقان[2] مجاورا بمكة فقال سليمان: تعرف منزل ابن خاقان ؟ قال: قلت: نعم. قال: اذهب فقل له أن سليمان ينتظرك في المسجد. فدعوا به. فلما التقى مع سليمان، قال: أراك مغتما ؟ قال: نعم قال لي هذا احمل كتبك وتجيئنا تحدثنا، ولا أفعل. فقال له ابن خاقان: لا تغتم فإن هذا أمر سهل، ومكانك حتى أرجع إليك. فدخل على طاهر، وخرج، فقال: قد كفاك الله. قال: غير رأيه ؟ قال: قلت له: أرى أن تأتي القاضي في مجلسه فإن الأمير يسر بذلك وترتفع عنده بإتيانك إلى العلماء. فراح إليه مع كاتبه ومعه ثلث مكتوب فجعل الكاتب يسأله ويحدثه.

☪

قال محمد بن عطية الشاعر: كنت في مجلس القاضي يحيى بن كثم، فوافى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وأخذ يناظر أهل الكلام حتى اتصف منهم، ثم تكلم في الفقه فأحسن، وقاس واحتج، وتكلم في الشعر واللغة، ففاق من حضر، ثم أقبل على القاضي يحيى بن كثم فقال له: أعز الله القاضي، في شيء مما ناظرت فيه وحكيت نقص أو مطعن؟. قال: لا، قال: فما بالي أقوم بسائر هذه العلوم قيام أهلها، وأنسب إلى فن واحد قد اقتصر الناس عليه يعني الغناء! قال ابن عطية المذكور: فالتفت إلي القاضي يحيى وقال: الجواب في هذا عليك، وكان الراوي المذكور من أهل الجدل، فقال للقاضي يحيى: نعم أعز الله القاضي، الجواب علي. ثم أقبل على إسحاق وقال: يا أبا محمد ، أنت كالفراء والأخفش؟. فقال: لا، فقال: أنت في اللغة ومعرفة الشعر كالأصمعي وأبي عبيدة؟. قال: لا، قال: فأنت في علم الكلام كأبي يزيد العلاف والنظام البلخي؟ قال: لا، قال: أنت في الفقه كالقاضي؟ وأشار إلى القاضي يحيى قال: لا، قال فأنت في قول الشعر كأبي العتاهية وأبي نواس؟ قال: لا، قال: فمن ها هنا مشيت إلى ما مشيت إليه، لأنه لا نظير لك فيه، وأنت في غيره دون رؤساء أهله فضحك وقام وانصرف، فقال القاضي لابن عطية: لقد وفيت الحجة حقها. وفيها ظلم قليل لإسحاق، وإنه ممن يقل في الزمان نظيره.

وذكر أبو المجد الموصلي أن إسحاق بن إبراهيم المذكور كان مليح المحاورة والنادرة، ظريفا فاضلا، كتب الحديث عن سفيان بن عيينة ومالك بن أنس، وهشيم بن بشير، وأبي معاوية الضرير، وأخذ الأدب عن الأصمعي وأبي عبيدة، وبرع في علم الغناء، فغلب عليه ونسب إليه، وكان الخلفاء يكرمونه ويقربونه، وكان المأمون يقول: لولا سبق لإسحاق على ألسنة الناس. واشتهر بالغناء لوليته القضاء، فإنه أولى وأعف وأصدق وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة، لكنه اشتهر بالغناء، وغلب على جمع علوم مع صغرها عنده ولم يكن له فيه نظير.

☪

ومن التحريف الذي نفع ونجى من الهلاك قول أبي نواس، وقد استطرد يهجو خالصة حظية الرشيد، فإنه قال: لقد ضاع شعري على بابكم..كما ضاع حلي على خالصه. فيقال إنهالما بلغها ذلك غضبت وشكته الى الرشيد، فأمر بإحضاره، وقال له: يا ابن الزانية تعرض بحظيتي، فقال: وما هو يا أمير المؤمنين، قال: قولك: لقد ضاع شعري..البيت، فاستدرك الفارط أبو نواس وقال: يا أمير المؤمنين لم أقل هذا وإنما قلت: لقد ضاء شعري على بابكم..كما ضاء حلي على خالصه. فسكن غضب الرشيد ووصله، ويقال: إن هذه الواقعة ذكرت بحضرة القاضي الفاضل، رحمه الله تعالى، فقال: بيت قلعت عيناه فأبصر.

■ (2) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، أبو محمد: أديب، شاعر، فصيح، كان في نهاية الفطنة والذكاء. فارسي الاصل، من أبناء الملوك. اتخذه المتوكل العباسي أخا له، واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه. وكان يقدمه على جميع أهله وولده. واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن. وألف كتابا سماه اختلاف الملوك وكتابا في: الصيد والجوارح وكتاب الروضة والزهر. وقتل مع المتوكل سنة 247 هـ.

■ (1) طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، الخزاعي، أمير خراسان، ولي الإمارة بعد أبيه من قبل الواثق سنة 230 هـ، وتوفي سنة 248 هـ.

مراجع: تهذيب الكمال/ تاريخ الإسلام للذهبي/ الأعلام للزركلي/ المعرفة والتاريخ/ الانساب للسمعاني/ وفيات الأعيان/ سير أعلام االنبلاء/

ذكر أبو عبيدة في كتاب مثالب أهل البصرة فقال: ضاقت المعيشة على النضر بن شميل البصري[1] بالبصرة فخرج يريد خراسان، فشيعه من أهل البصرة نحو من ثلاثة آلاف رجل، ما فيهم إلا محدث أو نحوي أو لغوي أو عروضي أو أخباري، فلما صار بالمربد جلس فقال: يا أهل البصرة، يعز علي فراقكم، ووالله لو وجدت كل يوم كيلجة* باقلي* ما فارقتكم، قال: فلم يكن أحدا فيهم يتكلف له ذلك، فسار حتى وصل خراسان فأفاد بها مالا عظيما، وكانت إقامته بمرو. وقد سبق في أخبار القاضي عبد الوهاب المالكي [2] نظير هذه الحكاية لما خرج من بغداد .وله مع المأمون بن هارون الرشيد لما كان مقيما بمرو حكايات ونوادر، لأنه كان يجالسه. قال النضر بن شميل: دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو وعلي أطمار ثياب رثة، فقال لي: يا نضر، أتدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب؟! فقلت: يا أمير المؤمنين، إن حر مرو لا يدفع إلا بمثل هذه الأخلاق. قال: لا، ولكنك تتقشف فتجارينا الحديث، فقال المأمون: حدثني هشيم بن بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ امْرَأَةً لِدِينِهَا وَجَمَالِهَا كَانَ فِيهِ سَدَادٌ من عَوَزٍ*﴾ ضعيف [فأورده بفتح السين] قلت: صدق قول أمير المؤمنين عن هشيم. حدثني عوف الأعرابي عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ امْرَأَةً لِدِينِهَا وَجَمَالِهَا كَانَ فِيهِ سِدَادٌ مِن عَوَزٍ﴾ ضعيف [بالكسر] وكان المأمون متكئا، فاستوى جالسا وقال: السداد لحن يا نضر؟ قلت: نعم هاهنا، وإنما لحن هشيم، وكان لحانا، فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت: السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل، والسداد بالكسر، البلغة، وكل ما سددت به شيئا فهو سداد قال : أفتعرف العرب ذلك ؟ قلت نعم. هذا العرجي [3] من ولد عثمان بن عفان يقول: أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا..ليوِ كريهةٍ وسِداد ثَغْرِ. فأطرق المأمون مليا ثم قال: قبح الله من لا أدب له!، ثم قال: أنشدني يا نضر أخلب* بيت للعرب. قلت: قول ابن بيض في الحكم بن مروان: [من المنسرح]: تقول لي والعيون هاجعة:.أقم علينا يوما فلم أقم..أي الوجوه انتجعت؟ قلت لها:.لأي وجه إلا إلى الحكم..متى يقل حاجبا سرادقه:..هذا ابن بيض بالباب يبتسم..قد كنت أسلمت فيك مقتبلا..هيهات إذ حل أعطني سلمي. فقال المأمون: لله درك ! فكأنما شق لك عن قلبي. أنشدني أنصف بيت قالته العرب، قلت: قول ابن أبي عروبة المدني[4]* (؟) يأمير المؤمنين: [من الكامل]: إني وإن كان ابن عمي عاتبا..لمراجم من خلفه وورائه..ومفيده نصري وإن كان امرأ..متزحزحا في أرضه وسمائه..وأكون والي سره وأصونه..حتى يحين إلي وقت أدائه..وإذا الحوادث أجحفت بسوامه..قرنت صحيحتنا إلى جربائه..وإذا دعا باسم ليركب مركبا..صعبا قعدت له على سيسائه..وإذا أتى من وجهه بطريفة..لم أطلع فيما وراء خبائه..وإذا ارتدى ثوبا جميلا لم أقل:.يا ليت أن علي حسن ردائه. ويروى وإذا رأيت عليه ثوبا ناعما..لم يلفني متمنيا لردائه. فقال: أحسنت يا نضر .أنشدني الآن أقنع بيت للعرب، فأنشدته قول ابن عبدل[5]: [من المنسرح]: إني امرؤ لم أزل من الله أديب أعلم الأدبا..أقيم بالدار ما اطمأنت بي الدار وإن كنت نازحا طربا..لا أجتوي خلة الصديق ولا..أتبع نفسي شيئا إذا ذهبا..أطلب ما يطلب الكريم من الرزق وأجمل الطلبا..وأحلب الثرة الصفي ولا..أجهد أخلاف غيرها حلبا..إني رأيت الفتى الكريم إذا..رغبته في ضيعة رغبا..والعبد لا يطلب العلاء ولا..يعطيك شيئا إلا إذا رهبا..مثل الحمار الموقع السوء لا..يحسن شيئا إلا إذا ضربا..وام أجد عروة العلائق إلا الدين لما اختبرت والحسبا..قد يرزق الخافض المقيم وما..شد بعنس ولا قتبا..ويحرم الرزق ذو المطية والرحل ومن لا يزال مغتربا. قال:أحسنت يا نضر، أفعندك ضد هذا؟ قلت: نعم أحسن منه ! قال: هاته وأنشدته: [من الوافر]: يد المعروف غنم حيث كانت..تحملها كفور أو شكور. قال:أحسنت يا نضر، وأخذ القرطاس فكتب شيئا لا أدري ما هو، ثم قال: كيف تقول أفعل من التراب؟ قلت:أترب (أتربه!).قال: الطين؟قلت: طن (طنه!)، قال: فالكتاب ماذا؟ قلت: مترب مطين، قال:هذه أحسن من الأولى، ثم ناول الكتاب خادما، فمضى به إلى الفضل بن سهل [6]، ففتح الكتاب وقال لي: مالسبب الذي وصلك فيه أمير المؤمنين بثلاثين ألفا؟ فأخبرته. فقال: سبحان الله ألحنت أمير المؤمنين؟ قلت: كلاء، أيها الوزير، وإنما لحنه هشيم لأنه كان لحانه! فقال: يا نضر، حدثني عن الخليل بن أحمد[7]؟ قلت:أتيت أبا ربيعة الأعرابي[8] وكان من أعلم الناس، فإذا هو على سطح، فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا: استووا! فبقينا متحيرين لم ندر ما قال. فقال أعرابي بجنبه: إنه يقول لكم: ارتفعوا! فاستخرجها الخليل من قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت] أي ارتفع. فصعدنا فقال: هل لكم في خبز فطير ولبن هجير وماء نمير؟ فقلنا: لا! فقال: سلاما! فبقينا أيضا متحيرين لم ندر ماقال لنا. فقال الأعرابي: إنه سألكم متاركة: لاخير بيننا ولاشر ! فاستخرجها الخليل من قول الله عز وجل:﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان] فقال الفضل: هذا أحسن مما حكيت للخليفة! فزادني من عنده عشرين ألفا، فانصرفت بخمسين ألفا.

----

*(السداد) بكسر السين: ما يكفي المعوز والمقل، يقال: في هذا سداد من عوز (عوز) فقر وحاجة (أخلب) أخلب بالخاء المعجمة أي أسلبه وأجذبه للعقول (الكيلجة) مكيال والجمع كيالج وكيالجة (باقل) الفول (إني وإن كان ابن عمي عاتبا) الابيات في الاغاني وفيها : قوله أبي عروبة المدني ونسبت في الحماسة شرح التبريزي وشرح المرزوقي إلى الهذيل بن مشجعة البولاني ومعجم الادباء

■ (1) النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن: أحد الاعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة. ولد بمرو من بلاد خراسان وانتقل إلى البصرة مع أبيه سنة 128 وأصله منها، فأقام زمنا. وعاد إلى مرو فولي قضاءها. واتصل بالمأمون العباسي فأكرمه وقربه. وتوفي بمرو سنة 203 هـ أو 204 هـ.

■ (3) عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الاموي القرشي، أبو عمر: العرجي، شاعر، غزل مطبوع، ينحو نحو عمر ابن أبي ربيعة. كان مشغوفا باللهو والصيد. وكان من الادباء الظرفاء الاسخياء، من الفرسان المعدودين. صحب مسلمة بن عبد الملك في وقائعة بأرض الروم، وأبلى معه البلاء الحسن. وهو من أهل مكة. ولقب بالعرجي لسكناه قرية العرج قرب الطائف. وسجنه والي مكة محمد بن هشام في تهمة دم مولى لعبد الله بن عمر، فلم يزل في السجن إلى أن مات في خلافة هشام نحو سنة 120 هـ. وهو صاحب البيت المشهور، من قصيدة: أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر.

■ (6) الفضل بن سهل السرخسي الوزير، وأخو الوزير الحسن بن سهل.أسلم أبوهما على يد المهدي، وأسلم الفضل سنة تسعين 190 هـ على يد المأمون. وقيل: لما عزم جعفر البرمكي على استخدام الفضل للمأمون وصفه بحضرة الرشيد، ونطق الفضل، فرآه الرشيد فطنا بليغا. وكان يلقب ذا الرئاستين لانه تقلد الوزارة والحرب. وكان شيعيا منجما ماكرا، أشار بتجهيز طاهر بن الحسين، وحسب بالرمل بأنه يظفر بالامين. ويقال: إن من إصاباته الكاذبة أنه حكم لنفسه أنه يعيش ثمانيا وأربعين سنة، ثم يقتل بين ماء ونار، فعاش كذلك، وقتله خال المأمون في حمام سرخس في شعبان سنة 202 هـ. وقد امتدحه فحول الشعراء، وازدادت رفعته حتى ثقل أمره على المأمون، فدس عليه خاله غالبا الاسود في جماعة، فقتلوه، وبعده بأيام مات أبوه. وأظهر المأمون حزنا لمصرعه، وعزى والدته، وقال: إن الله أخلفني عليك بدل ابنك، فبكت، وقالت: كيف لا أحزن على ولد أكسبني ولدا مثلك. ثم عاشت وأدركت عرس بنت ابنها بوران على المأمون وكان الحسن بن سهل من كبار الوزراء الممدحين.

■ (2) عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي، أبو محمد: قاض، من فقهاء المالكية، له نظم ومعرفة بالادب. ولد ببغداد، وولي القضاء في اسعرد، وبادرايا في العراق ورحل إلى الشام فمر بمعرة النعمان واجتمع بأبي العلاء. وتوجه إلى مصر، فعلت شهرته وتوفي فيها سنة 422 هـ. وهو صاحب البيتين المشهورين:بغداد دار لاهل المال طيبة وللمفاليس دار الضنك والضيق ظللت حيران أمشي في أزقتها كأنني مصحف في بيت زنديق !

■ (5) الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو الا سدي: شاعر مقدم، هجاء، من شعراء بني أمية. كان أعرج أحدب، وأقعد في أواخر أيامه. مولده ومنشأ بالكوفة. ولما استولى ابن الزبير على العراق ونفى منها عمال بني أمية نفاه معهم، فقدم دمشق وأكرمه عبد الملك بن مروان. قال صاحب الاغاني: كان الحكم أعرج لا تفارقه العصا، فترك الوقوف بأبواب الملوك، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسله فلا يؤخر له رسول ولا تحبس عنه حاجة، ثم جعل يكاتب الامراء بما يحتاج إليه في الرقاع. مات نحو سنة 100 هـ

■ (7) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الازدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والادب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها. وهو أستاذ سيبويه النحوي. ولد ومات في البصرة سنة 170 هـ، وعاش فقيرا صابرا. كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغمورا في الناس لايعرف. قال النضر بن شميل: ما رأى الرأوون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه. من كتبه كتاب العين في اللغة والفراهيدي نسبة إلى بطن من الازد، وكذلك اليحمدي.

■ (؟) (4) الهذيل بن مشجعة البولاني: من شعراء الحماسة من بني بولان بن عمرو، من طيء. اختار أبو تمام من شعره قصيدة، منها: إني وإن كان ابن عمي غائبا..لمقاذف من خلفه وورائه. أي أدافع عنه. وفسرت وراء هنا بمعنى قدام، وفي القرآن: وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا. ومنها: وإذا تتبعت الجلائف مالنا..خلطت صحيحتنا إلى جربائه. والجلائف، الاعوام المجدبة، يعني إذا حلت بنا هذه الاعوام خلطنا فقره بغنانا. (4) ابن أبي عروبة: هو سعيد بن أبي عروبة مهران اليشكري مولاهم أبو النضر البصري، ثقة حافظ، كثير التدليس، واختلط، وكان من أثبت الناس في قتادة، من السادسة، مات سنة 156 هـ (8) أبو ربيعة الأعرابي ؟

☪

مرض النضر، فدخل الناس إليه يعودونه، فقال له رجل: مسح الله مابك! فقال النضر: لاتقل مسح بك، ولكن مصح! ألم تسمع قول الأعشى [من الرمل]: وإذا ما الخمر فيها أزبدت..أفل الإزباد فيها فمصح. فقال الرجل: لابأس السين قد تعاقب الصاد فتقوم مقامها. فقال النضر: إن كان كذا فينبغي أن تقول لمن أسمه سليمان صليمان، وتقول: قال رصول الله، ثم قال النضر: لايكون هذا في السين إلا مع أربعة أحرف، الطآء والخآء والقاف والغين، فيبدلون السين بهذه، وربما أبدلوها بزاي، كما قالوا: سراط وصراط وزراط. قال الصولي: وهذه يقال لها حروف الاستعلاء، تبدل إذا كانت بعد السين، فأما إذا كانت قبل فلا. قال ابن بري: هذا يدل على غلط النضر بن شميل في قوله: مصح الله ما بك بالصاد ووجه غلطه أن مصح بمعنى ذهب لا يتعدى إلا بالباء أو بالهمزة فيقال مصحت به أو أمصحته بمعنى أذهبته . قال : والصواب في ذلك ما رواه الهروي في الغريبين قال : ويقال: مسح الله مابك بالسين أي غسلك وطهرك من الذنوب ولو كان بالصاد لقال: مصح الله بما بك أو أمصح الله مابك. قال العباس بن مصعب: بلغني أن عبد الله بن المبارك سئل عن النضر بن شميل فقال: ذاك أحد الأحدين. لم يكن أحد من أصحاب الخليل يدانيه. قال العباس: كان إماما في العربية والحديث. وهو أول من أظهر السنة بمرو وجميع خراسان. وكان أروى الناس عن شعبة. أخرج كتبا كثيرة لم يسبقه إليها أحد، وولي قضاء مرو. وقال أحمد بن سعيد الدارمي: سمعت النضر بن شميل يقول في كتاب الحيل كذا وكذا مسألة كفر. وسمعته يقول: خرج بي أبي من مرو الروذ إلى البصرة سنة ثمان وعشرين ومائة وأنا ابن خمس أو ست سنين. هرب حين كانت الفتنة. وقال داود بن مخراق: سمعت النضر يقول: لا يجد الرجل لذة العلم حتى يجوع وينسى جوعه. وقال: من أراد شرف الدنيا والآخرة، فليتعلم العلم. قال أحمد: مات في أول سنة أربع ومائتين. وقال محمد بن عبد الله بن قهزاد: مات في آخر يوم من ذي الحجة سنة ثلاث، ودفن في أول يوم من المحرم.

☪

وروى ابن عساكر من طريق النضر بن شميل قال: دخلت على المأمون. فقال: كيف أصبحت يا نضر؟ فقلت: بخير يا أمير المؤمنين. فقال: ما الارجاء ؟ فقلت دين يوافق الملوك يصيبون به من دنياهم وينقصون به من دينهم. قال: صدقت. ثم قال: يا نضر أتدري ما قلت في صبيحة هذا اليوم؟ قلت: إني لمن علم الغيب لبعيد. فقال قلت أبياتا وهي: أصبح ديني الذي أدين به..ولست منه الغداة معتذرا حب علي بعد النبي ولا..أشتم صديقا ولا عمرا ثم ابن عفان في الجنان مع ال..أبرار ذاك القتيل مصطبرا ألا ولا أشتم الزبير ولا..طلحة إن قال قائل غدرا وعائش الام لست أشتمها..من يفتريها فنحن منه برا. قال ابن كثير: وهذا المذهب ثاني مراتب الشيعة وفيه تفضيل علي على الصحابة. وقد قال جماعة من السلف والدار قطني: من فضل عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والانصار - يعني في اجتهادهم ثلاثة أيام ثم اتفقوا على عثمان وتقديمه على علي بعد مقتل عمر- وبعد ذلك ست عشرة مرتبة في التشيع، على ما ذكره صاحب كتاب البلاغ الاكبر، والناموس الاعظم، وهو كتاب ينتهي به إلى أكفر الكفر. وقد روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: لا أوتى بأحد فضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفتري. وتواتر عنه أنه قال: خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر. فقد خالف المأمون الصحابة كلهم حتى علي بن أبي طالب. وقد أضاف المأمون إلى بدعته هذه التي أزرى فيها على المهاجرين والانصار، البدعة الاخرى والطامة الكبرى وهي القول بخلق القرآن مع ما فيه من الانهماك على تعاطي المسكر وغير ذلك من الافعال التي تعدد فيها المنكر. ولكن كان فيه شهامة عظيمة وقوة جسيمة في القتال وحصار الاعداء ومصابرة الروم وحصرهم، وقتل رجالهم وسبي نسائهم، وكان يقول: كان لعمر بن عبد العزيز وعبد الملك حجاب وأنا بنفسي، وكان يتحرى العدل ويتولى بنفسه الحكم بين الناس والفصل..[..]

----

*(الاستعلاء) وهو ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف، والاستعلاء من صفات القوة. حروفه هي حروف التفخيم وعددها سبعة «الخاء، الصاد، الضاد، الغين، الطاء، القاف، الظاء» وأقوى هذه الحروف هو الظاء.

مراجع:الأعلام للزركلي / وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ تصحيح لسان العرب/ نور القبس/ تاج العروس/ تاريخ الإسلام للذهبي/ تاريخ دمشق/ الأغاني/

روى أبو الفرج الأصبهاني: أن المأمون وجه إلى جماعة من آل أبي طالب فحملهم إليه من المدينة، وفيهم علي بن موسى، الرضا[1]، فأخذ بهم على طريق البصرة حتى جاءوه بهم، وكان المتولي لإشخاصهم المعروف بالجلودي[0] من أهل خراسان، فقدم بهم على المأمون فأنزلهم دارا، وأنزل علي بن موسى الرضا دارا. ووجه إلى الفضل بن سهل[2] فأعلمه أنه يريد العقد له، وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل[3] على ذلك، ففعل واجتمعا بحضرته، فجعل الحسن يعظم ذلك عليه، ويعرفه ما في إخراج الأمر من أهله عليه. فقال له: إني عاهدت الله أن أخرجها إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع، وما أعلم أحدا أفضل من هذا الرجل. فاجتمعا معه على ما أراد، فأرسلها إلى علي بن موسى فعرضا ذلك عليه فأبى، فلم يزالا به وهو يأبى ذلك ويمتنع منه، إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت وإلا فعلنا بك وصنعنا، وتهدده، ثم قال له أحدهما: والله أمرني بضرب عنقك إذا خالفت ما يريد. ثم دعا به المأمون فخاطبه في ذلك فامتنع، فقال له قولا شبيها بالتهدد، ثم قال له: إن عمر رضي الله عنه جعل الشورى في ستة أحدهم جدك –علي رضي الله عنه–، وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولا بد من قبول ذلك. فأجابه علي بن موسى إلى ما التمس. ثم جلس المأمون في يوم الخميس، وخرج الفضل بن سهل فأعلم الناس برأي المأمون في علي بن موسى، وأنه ولاه عهده، وسماه الرضا. وأمرهم بلبس الخضرة، والعود لبيعته في الخميس الآخر على أن يأخذوا رزق سنة. فلما كان ذلك اليوم ركب الناس من القواد والقضاة وغيرهم من الناس في الخضرة، وجلس المأمون ووضع للرضا وسادتين عظيمتين حتى لحق لمجلسه وفرشه. وأجلس الرضا فبايع له أول الناس، فرفع الرضا يده فتلقى بظهرها وجه نفسه وببطنها وجوههم. فقال له المأمون: ابسط يدك للبيعة. فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كان يبايع، فبايعه الناس، ووضعت البدر، وقامت الخطباء والشعراء، فجعلوا يذكرون فضل علي بن موسى وما كان من المأمون في أمره. ثم دعا أبو عباد[4] بالعباس بن المأمون[5]، فوثب، فدنا من أبيه فقبل يده وأمره بالجلوس. ثم نودي محمد بن جعفر بن محمد[6]، فقال له الفضل بن سهل: قم. فقام، فمشى حتى قرب من المأمون ولم يقبل يده، ثم مضى فأخذ جائزته وناداه المأمون: ارجع يا أبا جعفر إلى مجلسك، فرجع. ثم جعل أبو عباد يدعو بعلوي وعباسي فيقبضان جوائزهما حتى نفذت الأموال. ثم قال المأمون للرضا: قم فاخطب الناس وتكلم فيهم. فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن لنا عليكم حقا برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكم علينا حق به، فإذا أديتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم. ولم يذكر عنه غير هذا في ذلك المجلس. وأمر المأمون فضربت له الدراهم وطبع عليها اسمه. وزوج إسحاق بن موسى بن جعفر[7] بنت عمه إسحاق بن جعفر بن محمد[8]، وأمره أن يحج بالناس، وخطب للرضا في كل بلد بولاية العهد.

فحدثني أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا يحيى بن الحسن العلوي، قال: حدثني من سمع عبد الجبار بن سعيد يخطب تلك السنة على منبر رسول الله بالمدينة فقال في الدعاء له: اللهم وأصلح ولي عهد المسلمين، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، رضي الله عنهم: ستة آباء هم ما هم..هم خير من يشرب صوب الغمام. حدثني الحسن بن الطيب البلخي، قال: حدثني محمد بن أبي عمر العدني، قال: سمعت عبد الجبار يخطب، فذكر مثله. قال: وزوج المأمون ابنته أم الفضل محمد بن علي بن موسى[9] على حلكة لونه وسواده، ونقلها إليه فلم تزل عنده. واعتل الرضا علته التي مات فيها، وكان قبل ذلك يذكر ابني سهل عند المأمون فيزري عليهما، وينهى المأمون عنهما، ويذكر له مساوئهما. ورآه يوما يتوضأ والغلام يصب على يده الماء فقال: يا أمير المؤمنين، لا تشرك بعبادة ربك أحدا. فجعل المأمون يدخل إليه، فلما ثقل تعالل المأمون وأظهر أنهما أكلا عنده جميعا طعاما ضارا فمرضا، ولم يزل الرضا عليلا حتى مات.

واختلف في أمر وفاته، وكيف كان سبب السم الذي سقيه. فذكر محمد بن علي بن حمزة أن منصور بن بشير ذكر عن أخيه عبد الله بن بشير (قهرمان المأمون) : أن المأمون أمره أن يطول أظفاره ففعل، ثم أخرج إليه شيئا يشبه التمر الهندي، وقال له: افركه واعجنه بيديك جميعا، ففعل. ثم دخل على الرضا فقال له: ما خبرك؟ قال: أرجو أن أكون صالحا. فقال له: هل جاءك أحد من المترفقين اليوم؟. قال: لا، فغضب وصاح على غلمانه، وقال له: فخذ ماء الرمان اليوم فإنه ما لا يستغنى عنه. ثم دعا فأعطاه عبد الله بن بشير وقال له: اعصر ماءه بيدك، ففعل وسقاه المأمون الرضا بيده فشربه، فكان ذلك سبب وفاته، ولم يلبث إلا يومين حتى مات. قال محمد بن علي بن حمزة، ويحيى: فبلغني عن أبي الصلت الهروي[10]: أنه دخل على الرضا بعد ذلك فقال له: يا أبا الصلت قد فعلوها: أي قد سقوني السم . وجعل يوحد الله ويمجده. قال محمد بن علي: وسمعت محمد بن الجهم يقول: إن الرضا كان يعجبه العنب، فأخذ له عنب وجعل في موضع أقماعه الإبر، فتركت أياما فأكل منه في علته فقتله، وذكر أن ذلك من لطيف السموم. ولما توفي الرضا لم يظهر المأمون موته في وقته، وتركه يوما وليلة، ثم وجه إلى محمد بن جعفر بن محمد، وجماعة من آل أبي طالب. فلما أحضرهم وأراهم إياه صحيح الجسد لا أثر به، ثم بكى وقال: عز علي يا أخي أن أراك في هذه الحالة، وقد كنت أؤمل أن أقدم قبلك، فأبى الله إلا ما أراد. وأظهر جزعا شديدا وحزنا كثيرا. وخرج مع جنازته يحملها حتى أتى الموضع الذي هو مدفون فيه الآن، فدفنه هناك إلى جانب هارون الرشيد.

أخبرنا أبو الفرج قال: حدثنا الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا أبو الصلت الهروي، قال: دخل المأمون إلى الرضا يعوده فوجده يجود بنفسه فبكى وقال: أعزز علي يا أخي بأن أعيش ليومك، وقد كان في بقائك أمل، وأغلظ علي من ذلك وأشد أن الناس يقولون: إني سقيتك سما، وأنا إلى الله من ذلك بريء. فقال له الرضا: صدقت يا أمير المؤمنين، أنت والله بريء. ثم خرج المأمون من عنده، ومات الرضا، فحضره المأمون قبل أن يحفر قبره وأمر أن يحفر إلى جانب أبيه، ثم أقبل علينا فقال: حدثني صاحب هذا النعش أنه يحفر له قبر فيظهر فيه ماء وسمك، احفروا فلما انتهوا إلى اللحد نبع ماء وظهر فيه سمك، ثم غاض الماء، فدفن فيه الرضا رضي الله عنه.

----

(1) علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن، وقيل: يكنى أبا بكر. الملقب بالرضا، وأمه أم ولد نوبية، وإسمها مسكينة، ولد بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم في سنة 148 هـ ونشأ بها، وسمع الحديث من والده وعمومته وغيرهم من أهل الحجاز، وكان من العلم والدين بمكان، كان يفتي في مسجد رسول الله وهو ابن نيف وعشرين سنة، استدعاه أمير المؤمنين المأمون إلى خراسان وجعله ولي عهده فلم تطل أيامه حتى أدركه أجله سنة 203 هـ.

(4) ثابت بن يحيى بن يسار، أبو عباد الرازي، كاتب المأمون؛ كان من الكفاة ولم يزل بالري ذا قدرة ووجاهة ورياسة مذ كان حدثا. توفي أبو عباد سنة عشرين 220 هـ، ومولده سنة 155 هـ.

(2) الفضل بن سهل السرخسي الوزير، وأخو الوزير الحسن بن سهل.أسلم أبوهما على يد المهدي، وأسلم الفضل سنة تسعين 190 هـ على يد المأمون. وقيل: لما عزم جعفر البرمكي على استخدام الفضل للمأمون وصفه بحضرة الرشيد، ونطق الفضل، فرآه الرشيد فطنا بليغا. وكان يلقب ذا الرئاستين لانه تقلد الوزارة والحرب. وكان شيعيا منجما ماكرا، أشار بتجهيز طاهر بن الحسين، وحسب بالرمل بأنه يظفر بالامين. ويقال: إن من إصاباته الكاذبة أنه حكم لنفسه أنه يعيش ثمانيا وأربعين سنة، ثم يقتل بين ماء ونار، فعاش كذلك، وقتله خال المأمون في حمام سرخس في شعبان سنة 202 هـ. وقد امتدحه فحول الشعراء، وازدادت رفعته حتى ثقل أمره على المأمون، فدس عليه خاله غالبا الاسود في جماعة، فقتلوه، وبعده بأيام مات أبوه. وأظهر المأمون حزنا لمصرعه، وعزى والدته، وقال: إن الله أخلفني عليك بدل ابنك، فبكت، وقالت: كيف لا أحزن على ولد أكسبني ولدا مثلك. ثم عاشت وأدركت عرس بنت ابنها بوران على المأمون وكان الحسن بن سهل من كبار الوزراء المدحين.

(3) الحسن بن سهل أبو محمد، الوزير الكامل، أبو محمد، حمو المأمون، وأخو الوزير ذي الرئاستين الفضل بن سهل، من بيت حشمة من المجوس، فأسلم سهل زمن البرامكة، فكان قهرمانا ليحيى البرمكي. ونشأ الفضل مع المأمون، فغلب عليه، وتمكن جدا إلى أن قتل. فاستوزر المأمون بعده أخاه، ولم يزل في توقل إلى أن تزوج المأمون بينته بوران، سنة 210 هـ، فلا يوصف ما غرم الحسن على عرسها. مات بسرخس سنة 236 هـ. وعاشت بوران: إلى حدود 270 هـ.

(5) العباس بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد: أمير عباسي. ولاه أبوه الجزيرة والثغور والعواصم سنة 213 هـ وولي المعتصم، امتنع كثير من القواد والرؤوساء من مبايعته، ونادوا باسم ابن أخيه العباس بن المأمون فدعاه المعتصم إليه، وأخذ بيعته، فخرج العباس، وسكن الناس. وأقام إلى أن خرج المعتصم إلى الثغور، فاتفق العباس مع بعض القواد على قتله، فعلم المعتصم فقبض عليه وعلى أصحابه، وعذبه وسجنه إلى أن مات بمنبج سنة 223 هـ.

(6) محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل: ثالث الائمة المكتومين عند الاسماعيلية.كانوا يلقبونه أو يكنون عنه بالحبيب، كتمانا لاسمه. وهو عندهم محمد الحبيب ابن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن اسماعيل بن جعفر الصادق. ويقول الفاطميون إنه والد عبيد الله المهدي صاحب الدعوة بالمغرب ومصر. توفي نحو 270 هـ

(8) إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أخو موسى بن جعفر أمه أم ولد وذكره ابن حبان في الثقات وقال وكان يخطئ وقال غيره قدم مصر ومات بها وهو زوج السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي رضى الله عنهم.

(10) أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي ثم النيسابوري مولى قريش،الشيخ العالم العابد، شيخ الشيعة. له فضل وجلالة، فياليته ثقة. مات سنة 236 هـ وله عدة أحاديث منكرة.

(9) محمد بن علي الرضى بن موسى الكاظم، أبو جعفر، الملقب بالجواد: تاسع الائمة الاثني عشر عند الامامية. كان رفيع القدر كأسلافه، ذكيا، طلق اللسان، قوي البديهة. ولد في المدينة وانتقل مع أبيه إلى بغداد. وتوفي والده فكفله المأمون العباسي ورباه وزوجه ابنته أم الفضل وقدم المدينة ثم عاد إلى بغداد فتوفي فيها سنة 220 هـ.

(7) إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد ؟ (0) عيسى بن يزيد الجلودي: من ولاة مات بعد 214 هـ

☪

في تحليل لقضية ولاية العهد، قالوا: سلم المأمون ولاية العراق إلى الحسن بن سهل، وبقي هو في مرو، حينها ثار بعض العلويين الطامعين في الخلافة وانضمّ إليهم الكثير من أهل العراق لسخطهم على الحسن بن سهل، فاضطرب المأمون لسماعه هذا النبأ، فهرع إلى الفضل بن سهل– ذي الرئاستين– يستشيرهُ حيث أشار عليه باختيار الإمام الرضا وليا للعهد علهُ يستطيع إجبار باقي العلويين على الطاعة [..] [دهخدا]

☪

قال أبو القاسم عبد الله بن أحمد الطائي، حدثني أبي قال: لما دخل على المأمون رجل نصراني قد وجد مع امرأة هاشمية، فلما أدخل عليه أسلم فغاظ المأمون ذلك غيظا شديدا فاستفتى الفقهاء فكل قال: هدر إسلامه ما فعله، فقال رجل: يا أمير المؤمنين اكتب إلى علي بن موسى في هذا، قال: فكتب إليه فوافاه علي ابن موسى فقال: يا أمير المؤمنين، اضرب عنقه، فإنه إنما أسلم مخافة من السيف، فقال الفقهاء: من أين لك هذا ؟ قال: فقرأ علي بن موسى:﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر] وحدث أبو سعيد محمد بن الفضل المعلم قال: سمعت الفضل بن فضالة النسوي يقول: قال يحيى بن أكثم[1]: كنت يوما عند المأمون أمير المؤمنين وعنده علي بن موسى الرضا، فدخل الفضل بن سهل ذو الرئاستين فقال للمأمون: قد وليت ثغر الفلاني فلانا التركي، فسكت المأمون، فقال علي بن موسى: ما جعل الله لامام المسلمين وخليفة رب العلمين والقائم بأمور الدين أن يولي شيئا من ثغور المسلمين أحدا من سبي ذلك الثغر، لان الانفس تحن إلى أوطانا وتشفق على أجناسها وتحب مصالحها، وإن كانت مخالفة لاديانها، فقال المأمون: اكتبوا هذا الكلام بماء الذهب.

قال أبو الفرج: حدثني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا عيسى بن مهران، قال: حدثنا أبو الصلت الهروي، قال: سألني المأمون يوما عن مسألة فقلت: قال فيها أبو بكر كذا وكذا. فقال: من هو أبو بكر؟ أبو بكرنا أو أبو بكر العامة. قلت: أبو بكرنا. قال عيسى: قلت لأبي الصلت: من أبو بكركم؟ فقال: علي بن موسى الرضا، كان يكنى بها، وأمه أم ولد. وحدث علي بن موسى الرضا، عن أبيه أنه قال: إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبت عنه محاسن نفسه. وحدث الحسن بن محمد بن يونس قال: سمعت علي بن موسى الرضا يقول: لاتغتر بكرامة الامير إذا غشك الوزير.

حدث أحمد بن مهدي قال: سمعت يحيى بن أكتم يقول: لما أراد المأمون أن يزوج ابنته من الرضي قال لي: يا يحيى تكلم فأجللته أن أقول له: أنكحت، قال: فقلت له: يا أمير المؤمنين، أنت الحاكم الأكبر، وأنت أولى بالكلام، فقال: الحمد لله، الذي تصاغرت الأمور بمشيئته، ولا اله الا الله، اقرارا بربوبيته، وصلى الله على محمد عند ذكره، أما بعد، فان الله جعل النكاح الذي رضيه لكما، سببا للمناسبة، ألا واني قد زوجت زينب ابنتي من علي بن موسى الرضي، وأمهرنا عنه أربعمائة درهم.

----

(1) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي.كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

مراجع: ذيل تاريخ بغداد/ الأعلام للزركلي/ مقاتل الطالبيين/ ثقات ابن حبان/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ بغداد/

دخل منصور بن المهدي[1] يوما على المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه، فقال له: ما عندك فيما يقول هؤلاء؟ قال: يا أمير المؤمنين! أغفلونا في الحداثة، وشغلنا الطلب عند الكبر من اكتساب الأدب. قال: لم لا تطه اليوم وأنت في كفاية؟ قال: أو يحسن بمثلي طلب العلم؟ فقال له المأمون: والله لأن تموت طالبا للعلم خير من أن تعيش قانعا بالجهل. قال: يا أمير المؤمنين! إلى متى يحسن؟ قال: ما حسنت بك الحياة؛ يا منصور! اتق الله في نفسك ولا ترض بهذا، فإنه يقصر بك في المجالس، ويصغرك في أعين من يراك ويزري بك.

كان أهل دمشق قد ثاروا بمنصور بن المهدي مرة بعد مرة، إحداهن في القلة التي فقدت من مسجدهم، وكان منصور يتولى دمشق لمحمد الأمين[2]، وكان الأمين يعجبه البلور، فدس من سرق قلة دمشق –وكانت من بلور– فلما رأى إمام جامع دمشق مكانها فارغا انفتل من الصلاة وجاء إلى وسط القبة الكبيرة التي بحذاء المحراب، وأخذ قلنسوته، وضرب بها الأرض وصاح بأعلى صوته: سرقت قلتكم. فقال الناس: لا صلاة بعد القلة. فصارت مثلا. وكان منصور هو الذين أمر داود بن عيسى[3] صاحب شرطة دمشق فأخذ القلة بعث بها إلى محمد الأمين؛ ووقع في دمشق فتن بسبب القلة وغيرها. فولى محمد الأمين سليمان بن أبي جعفر[4] دمشق وأعمالها، ورجع منصور بن المهدي إلى بغداد، ولما انقضت أيام الأمين، فصارت الخلافة إلى المأمون وجه عبد الله بن طاهر[5] إلى دمشق، ووجه إسحاق بن إبراهيم[6] معه، فلما ودع المأمون قال له: خذ هذه القلة التي سرقها ابن عمك من مسجد دمشق فردها عليهم. قال: فردتها عليهم ظاهرا مكشوفا، وإنما أراد المأمون بذلك الشنعة على أخيه الأمين.

وعن محمد بن عمر أن منصور بن المهدي عسكر بكلواذى* سنة إحدى ومئتين. وسمي المرتضى، ودعي له على المنابر، وسلم عليه بالخلافة، فأبى ذلك وقال: أنا خليفة أمير المؤمنين المأمون حتى يقدم. وذكر وكيع بن خلف أنه رأى دنانير ضربت لمنصور بن المهدي في سنة إحدى ومئتين عليها كانت زعم مردودة، فلما ضعف منصور عن قبول ما دعي إليه من ذلك عدل بالأمر إلى إبراهيم بن المهدي[7] فبايع الناس له بالخلافة، وسموه المبارك، وخلعوا المأمون. وأم منصور بن المهدي أم ولد يقال لها بحرية. وكان المأمون عقد العهد بعده لعلي بن موسى الرضا[8]، وعظم ذلك على العباسيين ببغداد. قال إبراهيم بن محمد بن عرفة: وفي هذه السنة يعني سنة ست وثلاثين ومائتين مات منصور بن المهدي وقد تولى أعمالا كثيرة منها مصر والبصرة وكان يحب الحديث ويبر أهله وكان يزيد ابن هارون صاحبه وكان يبعث إليه بالأموال فيفرقها على المحدثني وأهل الحديث.

----

*(كلواذي) طسوج قرب بغداد بينها وبين بغداد فرسخ واحد ناحية الجانب الشرقي منها

■ (1) منصور بن محمد المهدى ابن أبي جعفر المنصور: أمير عباسي. هو أخو هارون الرشيد، وعم الامين والمأمون. حج بالناس سنة 185 هـ أيام الرشيد. وكان أمير البصرة في أيام الامين سنة 195 – 197 وبايع للمأمون، وذهب إليه وهو في خراسان سنة 197 هـ فلم يرده إلى إمارته. ووجهه المأمون إلى الكوفة وفيها الثائر أبو السرايا فقاتله مع هرثمة بن أعين، وأسراه سنة 200 هـ وأرسلاه إلى الحسن بن سهل في بغداد. وانصرف منصور إلى كلواذا إحدى قرى بغداد بعد مقتل الامين. واضطربت بغداد لميل المأمون إلى العلويين، وهو لا يزال في خراسان، فتقدم صاحب الترجمة لضبطها سنة 201 هـ وسلم عليه من فيها من بني هاشم والقواد بالخلافة ولقبوه المرتضى فامتنع من ذلك، وأبى إلا أن يكون نائبا للمأمون، فرضوا به ثم قصدوا أخاه إبراهيم ابن المهدى فبايعوه بالخلافة ثم خلعوه. وعاد المأمون إلى بغداد سنة 204 هـ فانقطعت الفتن. ولم تعرف لصاحب الترجمة ولاية بعد ذلك، وعمر إلى أن أدرك المتوكل. وكان فاضلا في أخلاقه وسيرته. توفي سنة 236 هـ

■ (6) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، الأمير ابن عم طاهر بن الحسين. وكان يعرف بصاحب الجسر. ولي إمرة بغداد أكثر من 30 سنة وعلى يده أمتحن العلماء بأمر المأمون وأكرهوا على القول بخلق القرآن. وكان خبيرا صائما سائسا حازما وافر العقل، جودا ممدحا، له مشاركة في العلم. توفي سنة 235 هـ. وولي بعده ابنه محمد.

■ (5) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس: أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من باذغيس بخراسان وكان جده الاعلى زريق من موالي طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات وولي صاحب الترجمة إمرة الشام، مدة. ونقل إلى مصر سنة 211 هـ، فأقام سنة، ونقل إلى الدينور. ثم ولاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الاطراف. واستمر إلى أن توفي بنيسابور وقيل: بمرو سنة 230 هـ وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه، قال ابن الاثير: كان عبد الله من أكثر الناس بذلا للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مراث كثيرة. وقال ابن خلكان: كان عبد الله سيدا نبيلا عالي الهمة شهما، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. وقال الذهبي في دول الاسلام: كان عبد الله من كبار الملوك. وقال الشابشتي: كان المأمون تبناه ورباه. الطاهريون سلالة عربية من قبيلة خزاعة تولت إمرة ولاية خراسان وشرق تركستان أثناء الدولة العباسية ما بين 205–259 هـ

■ (4) سليمان بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو أيوب الهاشمي. كان أمير دمشق من قبل الرشيد ووليها أيضا من قبل الأمين مرتين. توفي سليمان بن أبي جعفر سنة 199 هـ، وهو ابن 50 سنة

■ (7) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم.

■ (2) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة 198 هـ

■ (8) علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن، وقيل: يكنى أبا بكر. الملقب بالرضا، وأمه أم ولد نوبية، وإسمها مسكينة، ولد بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم في سنة 148 هـ ونشأ بها، وسمع الحديث من والده وعمومته وغيرهم من أهل الحجاز، وكان من العلم والدين بمكان، كان يفتي في مسجد رسول الله وهو ابن نيف وعشرين سنة، استدعاه أمير المؤمنين المأمون إلى خراسان وجعله ولي عهده فلم تطل أيامه حتى أدركه أجله سنة 203 هـ

■ (3) داود بن عيسى صاحب شرطة دمشق؟

قال محمد بن زياد الأعرابي: بعث إلي المأمون، فصرت إليه، وهو في بستان يمشي مع يحيى بن أكثم، فرأيتهما موليين، فجلست. فلما أقبلا قمت فسلمت عليه بالخلافة، فسمعته يقول: يا أبا محمد، ما أحسن أدبه، رآنا موليين فجلس، ثم رآنا مقبلين فقام، ثم رد علي السلام، وقال: يا ابا محمد، أخبرني عن أحسن ما قيل في الشراب، فقلت: يا أمير المؤمنين قوله: الطويل: تريك القذى من دونها وهي دونه..إذا ذاقها من ذاقها يتمطق.فقال: أشعر منه الذي يعني: أبا نواس: السريع: فتمشت في مفاصلهم..كتمشي البرء في السقم..فعلت في البيت إذ مزجت..مثل فعل الصبح في الظلم..واهتدى ساري الظلام بها..كاهتداء السفر بالعلم. فقلت: فائدة يا أمير المؤمنين، فقال: أخبرني عن قول هند بنت عتبة: نحن بنات طارق..نمشي على النمارق. من طارق هذا؟ قال: فنظرت في نسبها فلم أجده، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما اعرفه في نسبها، فقال: إنما أرادت النجم، وانتسبت إليه لحسنها من قول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [الطارق] الآية قال: فقلت: فائدتان يا أمير المؤمنين، فقال: أنا بؤبؤ هذا الأمر وابن بؤبئه، ثم دحا إلي بعنبرة كان يقلبها في يده، بعتها بخمسة آلاف درهم.

حدث محمد بن عبد الرحمن الشروي صاحب أبي نواس قال: أشرف المأمون ليلة من موضع كان به على الحرس، فقال: هل فيكم من ينشد لأبي نواس أربعة أبيات؟ قال: فقال غلام من الحرس؛ أو من أبناء الحرس: أنا يا أمير المؤمنين، قال: هات، فأنشده: البسيط: لاتبك ليلى ولا تطرب إلى هند..واشرب على الورد من حمراء كالورد..أجدته حمرتها في العين والخد..فالخمر يا قوتة والكأس لؤلؤة..في كف لؤلؤة ممشوقة القد..تسقيك من عينها خمرا ومن يدها..خمرا فمالك من سكرين من بد..لي نشوتان وللندمان واحدة..شيء خصصت به من بينهم وحدي..فقال المأمون: هذا والله الشعر، لا قول الذي يقول: ألا هبي بسلحك فالطحينا. وأمر للغلام بأربعة آلاف درهم.

عن المأمون قال: أعياني جواب ثلاثة، صرت إلى أم ذي الرياستين، الفضل بن سهل أعزيها فيه، وقلت: لا تأسي عليه فإني عوضه لك، قالت: يا أمير المؤمنين، وكيف لا أحزن على ولد أكسبني مثلك؟ قال: وأتيت بمتنبئ فقلت: من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران ! قلت: ويحك موسى كانت له آيات، فائتني بها حتى أومن بك ؟ قال: إنما أتيت بالمعجزات فرعون، فإن قلت: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات] كما قال أتيتك بالآيات! وأتى أهل الكوفة يشكون عاملهم، فقال خطيبهم: هو شر عامل، أما في أول سنة فبعنا الأثاث والعقار، وفي الثانية بعنا الضياع، وفي الثالثة نزحنا وأتيناك، قال: كذبت بل هو محمود، وعرفت سخطكم على العمال، قال: صدقت يا أمير المؤمنين وكذبت، قد خصصتنا به مدة دون باقي البلاد، فاستعمله على بلد آخر، ليشملهم من عدله وإنصافه ما شملنا، فقلت: قم في غير حفظ الله قد عزلته.

مراجع: تاريخ بغداد/ الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ تسهيل الوصو لفوائد سير أعلام النبلاء/

حدث أبو العباس الكديمي، قال: حدثنا عمر بن حبيب العدوي[1] القاضي، قال: وفدت مع وفد من أهل البصرة حتى دخلنا على أمير المؤمنين المأمون، فجلسنا، وكنت أصغرهم سنا، نطلب قاضيا يولى علينا بالبصرة فبينا نحن كذلك، إذ جيء برجل، مقيد بالحديد، مغلولة يده إلى عنقه، فحلت يده من عنقه، ثم جيء بنطع، فوضع في وسطه، ومدت عنقه، وقام السياف شاهر السيف، واستأذن أمير المؤمنين في ضرب عنقه، فأذن له، فرأيت أمرا فظيعا، فقلت في نفسي: والله لأتكلمن فلعله أن ينجو، فقمت، فقلت: يا أمير المؤمنين اسمع مقالتي، فقال لي قل، فقلت إن أباك حدثني عن جدك، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ: لِيَقُمْ مَنْ عَلَى اللَّهِ أَجْرُهُ، فَلا يَقُومُ إِلا مَنْ عَفَا عَنْ ذَنْبِ أَخِيهِ﴾، فاعف عنه عفا الله عنك يا أمير المؤمنين، فقال لي: آلله إن أبي حدثك، عن جدي، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: آلله إن أباك حدثني، عن جدك، عن ابن عباس، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم فقال: صدقت، إن أبي حدثني، عن جدي، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا، يا غلام أطلق سبيله، فأطلق سبيله، وأمر أن أولى القضاء، ثم قال لي: عمن كتبت؟ قلت: أقدم من كتبت عنه داود بن أبي هند[2]، فقال: تحدث، فقلت: لا، قال: بلى، فحدث فإن نفسي ما طلبت مني شيئا إلا وقد نالته ما خلا هذا الحديث، فإني كنت أحب أن أقعد على كرسي، ويقال لي من حدثك؟ فأقول حدثني فلان، قال فقلت: يا أمير المؤمنين، فلم لا تحدث؟ قال: لا يصلح الملك والخلافة مع الحديث للناس.

■ (1) عمر بن حبيب العدوي من بني عدي بن عبد مناة من أهل البصرة. وكان قدم بغداد، وولي بها قضاء الشرقية، وولي قضاء البصرة وذكر ابن المنادي أنه سمع منه ببغداد. مات عمر بن حبيب العدوي قاضي الشرقية من بغداد في سنة 207 هـ، وكانت وفاته بعد رجوعه إلى البصرة.

■ (2) داود بن أبي هند أبو محمد بن دينار بن عذافر البصري. من الموالي، أصله من راسان. من الأئمة والأعلام، ويقال اسم أبيه طهمان، ويقال ولاؤه لبني قشير، ويقال كنيته أبو بكر. توفي سنة 139 هـ منصرف الناس من الحج أو سنة 140 هـ بطريق مكة. روى له مسلم والأربعة.

أتي يزيد بخارجي فأراد قتله فقال: عسى فرج يأتي به الله إنه..له كل يوم في خليقته أمر . فقال: والله لأضربن عنقك اقتلوه، فدخل الهيثم بن الأسود فقال: أمسكوه قليلا فدنا منه فقال: يا أمير المؤمنين هب مجرم قوم لوافدهم. فقال: هو لك فخرج الخارجي وهو يقول: تأبى على الله فأبى إلا أن يكذبه، وغالبه إلا أن يغلبه . وأحضر رجل ليقتل في أيام نازوك، فدعا بطعام فأخذ يأكل ويضحك فقيل: تضحك وأنت مقتول؟فقال: من الساعة إلى الساعة فرج! فسمعت صيحة تقول: مات نازوك فخلوا الرجل. وشد بعض العمال رجلا إلى اسطوانة يريد ضربه فقال: حلني من هذه إلى هذه، فحله فما حله إلا وقد عزل، وشد إلى الأسطوانة بعينها.

☪

عن أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، قال: حدثني أبو الحسن البصري، قال: قال لي رجل: كنت أخدم علي بن محمد بن الفرات، وزيرا، فقال: فغضب عليه السلطان، وتقدم بحبسه. قال: وكان عندي خمسمائة دينار، فقلت لامرأتي، وكانت ذات عقل ورزانة: إني أريد أن أحمل هذه الدنانير إلى الوزير، لعله يحتاج إليها في حبسه. قالت: ويحك، إن ابن الفرات، لا يحمل إليه خمسمائة دينار، فإنه يستخفها، وحاملها. قال: فعصيتها، وحملت الدنانير. فلما رآني، تعجب، وقال: فلان؟ قلت: نعم، أيد الله سيدنا. قال: حاجتك؟ فأخرجت الصرة، وقلت: هذه خمسمائة دينار، ولعلها تصلح أن تبر بها بوابا، أو موكلا. فقال: قبلتها، ثم قال: خذها، تكون وديعة عندك. قال: فخجلت، ورجعت إلى امرأتي، وحدثتها، فقالت: قد كنت أشرت عليك، أن لا تفعل، فأبيت. قال ثم إن السلطان، رضي عن الوزير، وعاد إلى أفضل مما كان عليه، فدخلت عليه؟ فلما أبصرني، طأطأ رأسه، ولم يملأ عينه مني فقلت: هذا ما قالته لي امرأتي. وكنت أغدو إليه بعد، وأروح، فلا يزداد إلا إعراضا عني، حتى أنفقت تلك الدنانير، وبقيت متعطلا، أبيع ما في بيتي. وبكرت إلى ابن الفرات يوما، على ما بي من انكسار، وضعف حال ومنة، فدعاني، وقال: وردت البصرة سفن من بلاد الهند، فانحدر، وفسرها، وأقبض حق بيت المال ، وما كان من رسمنا من المستثنى ، ولا تتأخر . فعدت إلى أهلي، فقلت لها: من تمام المحنة، إنه كلفني سفرا، وأنا لا أقدر ما أنفقه. قال: فناولتني خمارا لها، وقرطين، فبعث ذلك، وجعلت ثمنه نفقتي، وانحدرت، وفسرت السفن ، وقبضت حق بيت المال، ورسم الوزير، فحملته إلى بغداد، وعرفت الوزير فقال: سلم الحق بيت المال، واقبض الرسم المستثنى لنا، وكم هو؟ قلت له: خمسة وعشرون ألف دينار. قال: احملها إلى منزلك. فأخذتها إلى منزلي، وسهرت ليلي لحفظتها، على اهتمامي طول نهاري بها، ومضى لهذا الحديث زمان ليس بالطويل، وبان الضر في وجهي. فدخلت إليه يوما، فقال لي: ادن مني، ما لي أراك متغير اللون، سيء الحال؟. فحدثته بإقلالي و إضاقتي. فقال: ويحك، وأنت ممن ينفق في مدة يسيرة، خمسة وعشرين ألف دينار؟ قلت: أيد الله سيدنا الوزير، ومن أين لي خمسة و عشرون ألف دينار؟ قال: يا جاهل، أما قلت لك احملها إلى منزلك؟ أتراني لم أجد من أودعه مالي غيرك؟ ويحك أما رأيت إعراضي عنك، أول دخولك إلي. قلت: بلى أيها الوزير، وذاك الذي لأذاب قلبي. قال: ويحك، إنما أعرضت عنك، حياء منك، و تذكرت جميل صنيعك، وأنا محبوس، فقلت: متى أقضي حق هذا فيما فعله؟ فجعل إلى منزلك، واتسع في النفقة، وأنا أنظر لك، بما يغنيك، ويغني عقبك، إن شاء الله تعالى. فعدت إلى منزلي، عودة عبد من عند مولى كريم، وكان ذلك سبب غناي.

☪

حكوا عن محمد بن حميد الطوسي[1] أنه كان يوما على غذائه وإذا بضجة عظيمة على الباب فرفع رأسه وقال لبعض غلمانه ما هذه الضجة من كان عند الباب فليدخل فخرج الغلام وعاد وقال يا مولاي إن فلانا أخذ وجيئ به موثوقا بالحديد والغلمان والشرط ينتظرون أمرك فيه فرفع يده من الطعام سرورا بأخذه فقال رجل ممن كان حاضرا عنده الحمد لله الذي أمكنك من عدوك فسبيلك أن تسقي الأرض من دمه وقال آخر بل يصلب حيا ويعذب حتى يموت وتكلم كل أحد بما وفق له وهو ساكت مطرق ثم رفع رأسه وقال يا غلام فك عنه وثاقه وأدخله إلينا مكرما فلم يكن بأسرع مما امتثل أمره وأدخل إليه رجل لا دم فيه فلما رآه هش له ورفع مجلسه وأمر بتجديد الطعام وجعل يبسطه ويلقمه حتى انتهى الطعام ثم أمر له بكسوة حسنة وصلة جميلة وأمر برده إلى أهله مكرما ولم يعاتبه بحرف واحد على جنايته ثم التفت إلى جلسائه وقال لهم إن أفضل الأصحاب من حض الصاحب على المكارم ونهاه عن ارتكاب المآثم وحسن له أن يجازي الاحسان بضعفه والاساءة عمن أساء إليه بصفحه انا إذا جازينا من أساء إلينا بمثل ما أساء فأين موضع الشكر عما أتيح من الظفر إنه ينبغي لمن يحضر مجالس الملوك أن يمسك الاعن قول سديد وأمر رشيد فإن ذلك أدوم للنعمة وأجمع للألفة إن الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم وأحسن منها ما كتب به المعتصم إلى عبد الله بن طاهر عافانا الله وإياك قد كانت عليك هناة غفرتها لك لاقتداري عليك وقد بقيت في قلبي عليك حزازات أخاف عليك منها عند نظري إليك فإن أتاك مني ألف كتاب استقدمك فيها فلا تقدم وحسبك معرفة ما أنا عليه لك اطلاعي إياك على ما في ضميري والسلام.

■ (1) محمد بن حميد الطاهري الطوسي: وال، من قواد جيش المأمون العباسي. ولاه قتال زريق وبابك الخرمي الثائرين سنة 211 هـ واستعمله على الموصل، فقاتل زريقا حتى استسلم فسيره إلى المأمون، واستخلف على الموصل محمد بن السيد بن أنس، وسار إلى أذربيجان فأخرج منها المتغلبين عليها، وتوجه إلى بابك الخرمي، فقاتله. وكمن له جماعة من أصحاب بابك، فخرجوا عليه، فصمد لهم، فضربوا فرسه بمزراق فسقط إلى الارض، فأكبوا عليه فقتلوه. وكان شجاعا ممدوحا جوادا، رثاه الشعراء وأكثروا، وعظم مقتله على المأمون. سنة 214 هـ

مراجع: تاريخ بغداد/ كنز العمال/ صفة الصفوة/ مسند أحمد/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ تاريخ الإسلام للذهبي/ تهذيب الأسماء/ شوار المحاضرة/ محاضرات الأدباء/ غرر الخصائص الواضحة/

حدث الجاحظ قال: دخل أبو العتاهية[1] على المأمون فطعن على أهل البدع، وجعل يخص القدرية[2] باللعن، فقال له المأمون: أنت صاحب شعر ولغة وللكلام قوم! قال: يا أمير المؤمنين، لعمري إن صناعتي لتلك، ولكني أسأل ثمامة[3] عن مسألة، فقل له: يجيبني، فقال له المأمون: لا ترد هذا، فلست في هذا الكلام من طرزه، فقال: يتفضل على أمير المؤمنين بذلك، فقال: يا ثمامة، إذا سألتك فأجبه، فاخرج أبو العتاهية يده من كمه ثم حركها وقال: يا ثمامة، من حرك يدي؟ قال: من أمه زانية، فقال: شتمني، والله، فقال ثمامة: ناقض، والله، فقال له المأمون: قد أجاب عن المسألة، فان كان عندك زيادة فزده، فانصرف أبو العتاهية. وحدث بن النديم قال: دخل ثمامة بن أشرس على المأمون وعنده أبو العتاهية، فقال أبو العتاهية: يا أمير المؤمنين، أتأذن في مناظرته في القدر؟ قال: افعل، قال: فأدخل أبو العتاهية يده في كمه وحرك أصبعه، وقال: من حرك يدي؟ قال ثمامة: من أمه بظراء، قال: يقول أبو العتاهية: علة قاطعة.

حدث الفضل بن يعقوب قال: لما اجتمع ثمامة بن أشرس ويحيى بن أكثم[4] عند المأمون، قال ليحيى: أخبرني عن العشق ما هو؟ قال: يا أمير المؤمنين، سوانح تسنح للعاشق يؤثرها ويهتم بها تسمى عشقا، فقال له ثمامة: يا يحيى، أنا بمسائل الفقه أبصر منك بهذا الباب، ونحن بهذا أحذق منك، قال المأمون: فهات ما عندك، فقال: يا أمير المؤمنين، إذا امتزجت جواهر النفوس بوصل المشاكلة، نتجت لمح نور ساطع يستضيء به بواصر العقل، وتهتز لاشراقه طبائع الحياة، ويتصور من ذلك اللمح نور خاص بالنفس، متصل بجوهرها يسمى عشقا، فقال المأمون: هذا وأبيك الجواب.

----

(3) ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن جل منزله، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون. وكان ذا نوادر وملح. من تلاميذه الجاحظ. وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه.وعده المقريزي في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يسمون الثمامية نسبة إليه (نسبة إلى قرية بالموصل)، وأورد بعض ما انفردوا به من الآراء والمعتقدات. وقال ابن حزم: كان ثمامة يقول: إن العالم فعل الله بطباعه. وقال الجاحظ: ما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي بلغ من حسن الإفهام، مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج، مع السلامة من التكليف، ما كان بلغه. قال الزركلي والذهبي: توفي سنة 213 هـ.

(1) أبو إسحاق، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء، العيني المعروف بأبي العتاهية الشاعر المشهور؛ مولده بعين التمر سنة 130هـ،وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة، وقيل إنها من أعمال سقي الفرات وقيل إنها قرب الأنبار، فالله أعلم. توفي سنة 213 هـ

(4) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

(2) القدرية: هم القائلون بإنكار القدر الإلهي من قبيل الاشتقاق من الضد إذ أنهم يرون أن للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى. وهم فرقتان: القدرية الأولى ، أتباع معبد الجهني وغيلان الدمشقي القائلون بإنكار القدر بمعنى العلم والتقدير. وهذه الفرقة انقرضت.القدرية الثانية: وهم المثبتون للعلم والكتابة لكنهم يقولون إن العبد يخلق فعل نفسه، وهم المعتزلة. قال الأوزاعي: أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد، وغيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد. قالوا: طلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته، فأفتى الأوزاعي بقتله، وصلب على باب كيسان بدمشق سنة 105هـ

حدث محمد بن يزيد المبرد عن الحسن بن رجاء: أن الرشيد لما غضب على ثمامة، دفعه إلى سلام الأبرش (الخادم)، وأمره أن يضيق عليه ويدخله بيتا ويطين عليه، ويترك فيه ثقبا، ففعل دون ذلك، وكان يدس إليه الطعام، فجلس سلام عشية يقرأ في المصحف، فقرأ: ويل يومئذ للمكذبين، فقال له ثمامة: إنما هو للمكذبين، وجعل يشرحه له ويقول: المكذبون هم الرسل والمكذبون هم الكفار، فقال: قد قيل لي إنك زنديق، ولم أقبل ثم ضيق عليه أشد الضيق، قال: ثم رضي الرشيد عن ثمامة وجالسه، فقال: أخبروني من أسوأ الناس حالا؟ فقال كل واحد شيئا، قال ثمامة: فبلغ القول الي، فقلت: عاقل يجري عليه حكم جاهل، قال: فتبينت الغضب في وجهه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما أحسبني وقعت بحيث أردت، قال: لا، والله، فاشرح، فحدثته بحديث سلام، فجعل يضحك حتى استلقى، وقال: صدقت والله، لقد كنت أسوأ الناس حالا.

قال محمد بن أبي كبشة:كنت في سفينة في البحر فسمعت هاتفا يهتف وهو يقول لا إله إلا الله،كذب المريسي[1] على الله، ثم عاد الصوت فقال: لا إله إلا الله،على ثمامة والمريسي لعنة الله، قال:وكان معنا في المركب رجل من أصحاب المريسي فخر ميتا

حدث محمد بن يزيد النحوي قال: قال ثمامة بن أشرس: خرجت من البصرة أريد المأمون، فصرت إلى دير هرقل، فإذا مجنون مشدود، فقال لي: ما اسمك؟ قلت: ثمامة، قال: المتكلم؟ قلت: نعم، قال: لم جلست على هذه الآجرة، ولم يأذن لك أهلها؟ قلت: رأيتها مبذولة فجلست عليها، قال: فلعل لأهلها فيها تدبيرا غير البذل، ثم قال لي: أخبرني متى يجد صاحب النوم لذة النوم؟ إن قلت قبل أن ينام أحلت، لأنه يقظان، وإن قلت في حال النوم، أبطلت، لأنه لا يعقل شيئا، وإن قلت بعد قيامه، فقد خرج عنه، ولا يوجد الشيء بعد فقده، فوالله ما كان عندي فيها جواب. وحدث المبرد أخبرني الميثمي قال: قال رجل لثمامة: أنت إن شئت قضى فلان حاجتي، فقال ثمامة: أنا قدري، ولم تبلغ قدريتي هذا كله، إنما قلت إن شئت فعلت، ولم أقل إن شئت فعل فلان.

قال الجاحظ: قال ثمامة: دخلت إلى صديق لي أعوده وتركت حماري على الباب، ولم يكن معي غلام، ثم خرجت فإذا فوقه صبي، فقلت: لم ركبت حماري بغير أذني؟! قال: خفت أن يذهب، فحفظته لك، قلت: لو ذهب كان أعجب إلى من بقائه، قال: فان كان هذا رأيك في الحمار، فاعمل على أنه قد ذهب، وهبه لي، واربح شكري، فلم أدر ما أقول. قال أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي: أخبرنا عمرو بن بحر الجاحظ سنة ثلاث وخمسين ومائتين، قال حدثني ثمامة بن أشرس: قال: شهدت رجلا يوما من الأيام وقد قدم خصما إلى بعض الولاة، فقال: أصلحك الله، ناصبي رافضي جهمي مشبه مجبر قدري يشتم الحجاج بن الزبير الذي هدم الكعبة على علي بن أبي سفيان، ويلعن معاوية بن أبي طالب، فقال له الوالي: ما أدري، مما أتعجب من علمك بالأنساب أو من معرفتك بالمقالات! فقال: أصلحك الله، ما خرجت من الكتاب حتى تعلمت هذا كله.

قال علويه[2]: كنت مع المأمون لما قدم الشام فدخلنا دمشق وجعلنا نطوف فيها على قصور بني أمية فدخلنا قصرا مفروشا بالرخام الأخضر وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها فيسقي بستانا وفي القصر من الأطيار ما يغني صوته عن العود والمزمار فاستحسن المأمون ما رأى وعزم على الصبوح فدعا بالطعام فأكلنا وشربنا ثم قال لي: غن بأطيب صوت وأطربه فلم يمر على خاطري غير هذا الصوت: لو كان حولي بنو أمية لم..ينطق رجال أراهم نطقوا. فنظر إلي مغضبا وقال: عليك لعنة الله وعلى بني أمية ! فعلمت أني قد أخطأت فجعلت أعتذر من هفوتي وقلت: يا أمير المؤمنين أتلومني أن أذكر موالي بني أمية وهذا زرياب مولاك عندهم بالأندلس يركب في أكثر من مائة مملوك وفي ملكه ثلاثمائة ألف دينار دون الضياع وإني عندكم أموت جوعا. قال المقري التلمساني: وفي الحكاية طول واختلاف ومحل الحاجة منها ما يتعلق بزرياب رحم الله تعالى الجميع. وذكرها الرقيق في كتاب معاقرة الشراب على غير هذا الوجه ونصه وركب المأمون يوما من دمشق يريد جبل الثلج فمر ببركة عظيمة من برك بني أمية وعلى جانبها أربع سروات وكان الماء يدخل سيحا فاستحسن المأمون الموضع ودعا بالطعام والشراب وذكر بني أمية فوضع منهم وتنقصهم فأخذ علويه العود واندفع يغني: أرى أسرتي في كل يوم وليلة..يروح بهم داعي المنون ويغتدي..أولئك قوم بعد عز وثروة تفانوا..فإلا أذرف العين أكمد. فضرب المأمون بكأسه الأرض وقال لعلويه: يا بن الفاعلة لم يكن لك وقت تذكر مواليك فيه إلا هذا الوقت فقال: مولاكم زرياب عند موالي بالأندلس يركب في مائة غلام وأنا عندكم بهذه الحالة، فغضب عليه نحو شهر ثم رضي عنه.

----

(1) بشر المريسي أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه الحنفي المتكلم؛ هو من موالي زيد بن الخطاب. أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي، إلا أنه استغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرآن، منذ أيام الرشيد. وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة، وكان مرجئا، وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة، وكان يقول: إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر، ولكنه علامة الكفر. توفي سنة 218 هـ، وقيل: 219 هـ، ببغداد.

(2) علي بن عبد الله بن سيف، أو يوسف، أبو الحسن، المعروف بعلوية، مولى بني أمية. موسيقي بغدادي، أصله من السغد بين بخارى وسمرقند تخرج على إبراهيم الموصلي وبرع في الغناء والتلحين والضرب بالعود. وغنى للامين العباسي، وعاش إلى أيام المتوكل. قال أبو الفرج: كان مغنيا حاذقا ومؤدبا محسنا، وصانعا متفننا، وضاربا متقدما، مع خفة روح، وطيب مجالسة، وملاحة نوادر. وكان إسحاق بن إبراهيم يتعصب له على مخارق ومات بعد إسحاق بقليل سنة 236 هـ. وكان الواثق العباسي يقول: غناء علوية مثل نقر الطست، يبقى ساعة في السمع بعد سكوته! وكان أعسر، عوده مقلوب الاوتار: البم أسفل الاوتار كلها، ثم المثلث فوقه، ثم المثنى ثم الزير. له أخبار مع الامين والمأمون والمعتصم وإبراهيم ابن المهدي وغيرهم.

مراجع:: تاريخ بغداد/ الأعلام للزركلي/ نفح الطيب/

كان علي بن الهيثم[1] الكاتب المعروف بجونقا، أحد الكتاب المستخدمين في ديوان المأمون وغيره من الخلفاء، وكان فاضلا أديبا كثير الاستعمال للتقعير والقصد لعويص اللغة، حتى قال المأمون فيما حدث به الفضل بن محمد اليزيدي عن أبيه[2] قال: قال المأمون: أنا أتكلم مع الناس أجمعين على سجيتي، إلا علي بن الهيثم فإني أتحفظ إذا كلمته، لأنه يغرق في الإعراب.

حدث محمد اليزيدي قال: شهدت المأمون وهو جالس على دكة الشماسية*، وعنده أحمد بن الجنيد الإسكافي[3] وجماعة من الخاصة، إذ دخل عليه علي بن الهيثم المعروف بجونقا، فلما قرب منه قال: يا عدو الله يا فاسق يا لص يا خبيث سرقت الأموال وانتهبتها، والله لأفرقن بين لحمك وعظمك ولأفعلن، ثم سكن غضبه قليلا، فقال أحمد بن الجنيد: نعم والله يا أمير المؤمنين، إنه وإنه ولم يدع شيئا من المكروه إلا قاله فيه، فقال له المأمون وقد هدأ غضبه: يا أحمد، ومتى اجترأت على هذه الجرأة؟ رأيتني وقد غضبت فأردت أن تزيد في غضبي، أما إني سأؤدبك فأؤدب بك غيرك، يا علي بن الهيثم، قد صفحت عنك ووهبت لك كل ما كنت أقدر أن أطالبك به، ثم رفع رأسه إلى الحاجب وقال: لا يبرح ابن الجنيد الدار حتى يحمل إلى علي ابن الهيثم مائة ألف درهم ليكون له بذلك عقل، فلم يبرح حتى حملها.

قال الجهشياري: أمر المأمون أن يؤذن للناس إذنا عاما وأن يجلسوا على مراتبهم التي كانت قديما إلى أن تعرض عليه فيأمر فيها بأمره ففعلوا ذلك، ودخل علي بن الهيثم فجلس في مجلس العرب وتغامز الكتاب عليه، وأقبل عبيد الله بن الحسن العلوي[4] فقال إبراهيم بن إسماعيل بن داود[5] الكاتب للكتاب: أطيعوني وقوموا معي، فمضوا بأجمعهم مستقبلين لعبيد الله بن الحسن، فسلموا عليه فرد عليهم. فقالوا لنا حاجة، فقال مقضية، قالوا: تجلس في مجلسنا. فقال: سبحان الله: ينكر ذلك أمير المؤمنين. قالوا: هي حاجة تقضيها لنا ونحتمل ما ينالك فيها. قال: أفعل لعلمي بموقع الكتاب من قلوب السلاطين وقدرتهم على إصلاح قلوبهم إذا فسدت، وإفسادها إذا صلحت، ومال إلى ناحيتهم فجلس معهم. وكتب صاحب المراتب إلى المأمون، فلما وقف على الموضع الذي جلس فيد عبيد الله أنكره وبعث إليه: ما هذا المجلس الذي جلست فيه؟ فقال إبراهيم بن إسماعيل للرسول: بلغ أمير المؤمنين عند السلام وقل له: خدمك وعبيدك الكتاب يقولون: العدل والإنصاف موجودان عندك وعند أهلك، أخذتم منا رجلا من وجوه النبط فأخذنا مكانه وجها من وجوه أهلك، ذلك علي بن الهيثم جالس مع العرب، فردوا علينا رجلنا وخذوا رجلكم، فضحك جميع من في داره وتشوس علي بن الهيثم وضحك المأمون وقال: لقد مني علي بن الهيثم من إبراهيم بن إسماعيل ببلاء عظيم، وكان أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخزيمي[6] قد أغري بهجاء علي بن الهيثم الأنباري الكاتب، وكان السبب في ذلك أنه وقع لأبي يعقوب عنده ميراث فدافعه فهجاه، وكان علي بن الهيثم متشدقا متفيقها يدعي العربية ويقول: إنه تغلبي وكان من قرية يقال لها أنقوريا، ففي ذلك يقول الخزيمي: أنقوريا قرية مباركة..تقلب فخارها إلى الذهب.

قال ياقوت الحموي: ونقلت من خط الصولي في أخبار شعراء مصر قال: وممن دخل مصر خالد بن أبان الكاتب الأنباري أخو عبد الملك بن أبان، حدثني الحسين بن علي الباقطائي: أنه شخص إلى مصر فبلغه اتساع حال علي بن الهيثم وكانت بينهما حرمة وكيدة، فكتب إليه من مصر بشعر طويل منه وكتب بماء الذهب. على الخالق الباري توكلت إنه..يدوم إذا الدنيا أبادت قرونها..فداؤك نفسي يا علي بن هيثم..إذا أكلت عجف السنين سمينها..رميتك من مصر بأم قلائدي..تزان وقد أقسمت ألا تهينها..بأبيات شعر خط بالتبر وشيها..إليك قدما حال حولان دونها. ويذكر فيه خبره مع غرمائه والقاضي، فبعث إليه سفتجة* بألف دينار، وكتب إلى عامل مصر في استعماله فحسنت حاله.

وذكر حماد بن إسحاق عن بشر المريسي قال: حضرت المأمون أنا وثمامة[7] ومحمد بن أبي العباس الطوسي[8] وعلي بن الهيثم فناظروا في التشيع. فنصر محمد بن أبي العباس مذهب الإمامية*، ونصر علي بن الهيثم مذهب الزيدية*، وشرق الأمر بينهما، إلى أن قال محمد بن أبي العباس لعلي بن الهيثم: يا نبطي ما أنت والكلام؟ فقال المأمون وكان متكئا فجلس: الشتم عي والبذاء لؤم، وقد أبحنا الكلام وأظهرنا المقالات، فمن قال بالحق حمدناه، ومن جهل وقفناه، ومن ذهب عن الأمر حكمنا فيه بما يجب، فاجعلا بينكما أصلا، فإن الكلام الذي أنتم فيه من الفروع، فإذا افترعتما شيئا رجعتما إلى الأصول، ثم عادا إلى المناظرة فأعاد محمد بن أبي العباس لعلي بن الهيثم مثل مقالته الأولى: فقال له علي: والله لولا جلالة المجلس وما وهب الله من رأفة أمير المؤمنين وأنه قد نهانا لأعرفت جبينك، وحسبنا من جهلك غسلك المنبر بالمدينة. فاستشاط المأمون غضبا على محمد وأمر بإخراجه، فعاذ بطاهر[10] حتى شفع فيه، فرضي عنه.

----

*(الشماسية) منسوبة إلى بعض شماسي النصارى وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد : الشماسية: تقع خارج بغداد وينسب إليها باب الشماسية أحد أبواب بغداد. (سفتجة) سفاتج جمع وهو أن يعطي مالا لآخر وللآخذ مال في بلد المعطي فيوفيه أياه هناك فيأمن خطر الطريق(الإمامية) اسم يطلق على طوائف الشيعة التي تؤمن بأن إمامة المسلمين تأتي نصّاً لكل إمام من الإمام المعصوم من أئمة أهل البيت السابق له، فيخالفون بذلك طوائف أخرى الزيدية التي لا تشترط أن يكون الإمام من البيت. يسمون أيضا بالجعفرية لاتفاقهم على الأئمة الستة الأوائل ويفترقون من بعد الإمام السادس جعفر الصادق إلى فرق عديدة بسبب اختلافهم على الإمام التالي. ويسميهم بعض خصومهم بالرافضة أو الروافض. (الزيدية) هم طائفة دينية إسلامية، تنتسب إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وتواجدوا سابقاً في نجد وشمال أفريقيا وحول بحر قزوين وتسمى أحيانا بالهادوية ولكنها تسمية خاصة بالفرع الوحيد المتبقي داخل الزيدية نسبة للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي الهاشمي الذي حارب القرامطة وعقدت له الإمامة باليمن. [الموسوعة الحرة]

■ (1) علي بن الهيثم الأنباري، و الحسن، الكاتب المعروف بجونقا – بجيم وواو بعدها نون وقاف وألف – كان في ديوان المأمون ومن بعده من الخلفاء، وكان فاضلا، كثير التقعير في كلامه، يستعمل العويص من اللغة في محاوراته، حتى إن المأمون قال: أنا أتكلم مع الناس أجمعين على سجيتي، إلا علي بن الهيثم، فإني أتحفظ إذا كلمته، لأنه يغرق في الإغراب. وعاتبه الفضل بن الربيع يوما على تأخره، وزاد عليه؛ فقال جونقا:وجدني الفضل رخيصا جدا..فعقني وازور عني صدا..وظن والظنون قد تعدى..أني لا أصيب منه بدا..أعد منه ألف بد عدا. ثم انصرف جونقا، ولم يعمل بعدها للسلطان عملا.

■ (7) ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن، من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن جل منزله، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين. كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون. وكان ذا نوادر وملح. من تلاميذه الجاحظ. وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه.وعده المقريزي في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يسمون الثمامية نسبة إليه (نسبة إلى قرية بالموصل)، وأورد بعض ما انفردوا به من الآراء والمعتقدات. وقال ابن حزم: كان ثمامة يقول: إن العالم فعل الله بطباعه. وقال الجاحظ: ما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي بلغ من حسن الإفهام، مع قلة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج، مع السلامة من التكليف، ما كان بلغه. قال الزركلي والذهبي: توفي سنة 213 هـ.

■ (9) محمد بن أبي العباس الطوسي... ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم) واسم أبي العباس: الفضل بن سليمان بن المهاجر بن سنان بن حكيم وكنيته احمد أبو عبد الله، أمير خراسان.المتوفي بعد سنة 171 هـ.

■ (6) إسحاق بن حسان بن قوهي، أبو يعقوب الخريمي: شاعر مطبوع، وصفه أبو حاتم السجستاني بأشعر المولدين. خراساني الاصل من أبناء السغد. ولد في الجزيرة الفراتية، وسكن بغداد. واتصل بخريم الناعم فنسب إليه، أو كان اتصاله بابنه عثمان بن خريم. ثم اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة. ومدحه. ورثاه بعد موته. وأدركه الجاحظ وسمع منه. وعمي قبل وفاته.سنة 212 هـ وهو صاحب الرائية في وصف الفتنة بين الامين والمأمون، يقول فيها: يا بؤس بغداد دار مملكة..دارت على أهلها دوائرها ! وهي في 135 بيتا أوردها الطبري في تاريخه، كلها.

■ (10) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، أبو الطيب، وأبو طلحة: من كبار الوزراء والقواد، أدبا وحكمة وشجاعة. وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي. ولد في بوشنج من أعمال خراسان وسكن بغداد، فاتصل بالمأمون في صباه، وكانت لابيه منزلة عند الرشيد. ولما مات الرشيد وولي الامين، كان المأمون في مرو، فانتدب طاهرا للزحف إلى بغداد، فهاجمها وظفر بالامين وقتله سنة 198 هـ وعقد البيعة للمأمون، فولاه شرطة بغداد، ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب، في السنة نفسها 198 هـ وخراسان سنة 205 هـ وكان في نفس المأمون شئ عليه، لقتله أخاه الامين بغير مشورته. ولعله شعر بذلك. فلما استقر في خراسان، قطع خطبة المأمون، يوم جمعة، فقتله أحد غلمانه في تلك الليلة، بمرو، وقيل: مات مسموما. سنة 207 هـ ولقب بذي اليمينين لانه ضرب رجلا بشماله، فقده نصفين، أو لانه ولي العراق وخراسان، لقبه بذلك المأمون. وكان أعور.

■ (2) محمد بن يحيى بن المبارك العدوي أبو عبد الله اليزيدي، كان لاصقا بالمأمون من أهل أنسه بالحضرة وخراسان، قال ابن المرزبان: كانت رتبته أن يدخل إليه مع الفجر فيصلي به ويدرس عليه ثلاثين آية وكان لا يزال يعادله في أسفاره ويفضي إليه المأمون بأسراره، وسنه وسن الرشيد واحدة وقد مدح الرشيد مدحا كثيرا، وبقي أبو عبد الله إلى أيام المعتصم وخرج معه إلى مصر وتوفي بها بعد 220 هـ. (5) إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب، أصله من العجم وهو وأخوه حمدون وداود ابنا إسماعيل شعراء وابنه حمدون بن إبراهيم أشعرهم [الوافي بالوفيات] (4) هل هو ؟ عبيد الله بن الحسن بن الحصين القاضي وهو ابن عم سوار. وكان عبيد الله أحد الأدباء الفقهاء الصلحاء. مات عبيد الله بن الحسن سنة 168 هـ. (3) أحمد بن الجنيد الإسكافي ؟ هل هو : أحمد بن محمد بن عبد الله الإسكافي ؟

قال ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان[1] حدثني أبي: أدخلني أبي مخلد بن أبان مع القاسم بن أحمد بن الجنيد، وكان مخلد وأحمد متواخيين في شراء غلات السواد، فأشرفنا على ربح عشرة آلاف ألف درهم، ثم اتضع السعر فحصل علينا وضيعة ستة آلاف ألف درهم فطولبنا بها أشد مطالبة، واشتد كتاب المأمون علينا فيها، وكان المأمون يستاك في كل يومين ساعتين كاملتين.فدعاني المأمون يوما وهو يستاك وكلمني بشيء ثم قال لي: ما معنى قول الخريمي[2] في علي بن الهيثم؟ فدبنقا لذاك الحديث دبنقا. فقلت له: أنا أتكلم بالنبطية ولا أعلم ما معنى هذا، وأحمد بن الجنيد أرطن بها منى، فأومأ إلي بمسواكه أن انصرف فانصرفت، فلما بلغت الستر حتى لقيني أحمد ابن الجنيد داخلا وكان ذا خرج من الدار قبلي انتظرني، وإذا خرجت قبله انتظرته، فوقفت منتظرا له فإذا به قد خرج فقلت له: ما كان خبرك؟ فأخرج إلي توقيع المأمون بخطه بترك ما كنا نطالب به من الستة آلاف ألف عن ابني وابنه. وقال: قال لي: ما معنى قول الخزيمي فدبنقا لذا الحديث دبنقا؟ فقلت: ضرطا لذا الحديث، فضحك وقال لي: إني سألت مخلدا عنها فلم يعرفها فاسأل حاجة، فقلت: ابتاع ابني وابن مخلد غلات السواد وقدرنا للربح فخسرنا ستة آلاف ألف درهم ولا حيلة لنا فيها وضيعتي بجلولا تساوي ثلاثة آلاف ألف درهم، فيأمر أمير المؤمنين بأخذها عن ابن مخلد وتسبيب ما على ابني علي لأحتال له أولا فأولا ، فقال: ويحك، تبذل نفسك وضيعتك عن ابن مخلد؟ فقلت: نعم، أنا غررته وأملت الربح ومنعته أن يعقده على التجار ويتعجل فصله، وقد كانوا بذلوا لنا فيه ربحا كبيرا. فقال لي: أي نبطي أنت؟ هات الدواة، فقدمتها إليه فوقع بإبرائنا جميعا من المال وترك ضيعتي علي. وقال المأمون يوما: ببابي رجلان: أحدهما أريد أن أضعه وهو يرفع نفسه، وهو علي ابن الهيثم، والآخر أريد أن أرفعه وهو يضع نفسه، وهو الفضل بن جعفر بن يحيى بن خالد برمك. قال الجهشياري: كان لخالد بن أبان الكاتب الأنباري الشاعر حرمة بعلي بن الهيثم وبأبيه أيام مقامهم بالأنبار، وأضاق واختلت حاله وتدين من التجار ما أنفقه، فكثر غرماؤه وقدموه إلى القاضي فحبسه، ثم فلسه وأطلقه، وأقام بمصر وساءت حاله، وبلغه أن عليا قد عظم قدره، وتقلد ديوان الخراج للفضل بن الربيع لما استوزره الرشيد بعد البرامكة وارتفع مع المأمون بعد ذلك، فكتب إليه قصيدة نحوا من سبعين بيتا في رق بالذهب وبعث بها إليه أولها: على الخالق الباري. الأبيات، فوجه إليه بألف دينار. وقال المرزباني في المعجم: علي بن الهيثم التغلبي كاتب الفضل بن الربيع كان لسنا فصيحا شاعرا، عاتبه الفضل يوما على تأخره عنه وزاد عليه فقال: وعدني الفضل رخيصا جدا..فعقني وازور عني صدا..وظن والظنون قد تعدا..أني لا أصيب منه أبدا. أعد منه ألف بد عدا. وانصرف فلم يعمل للسلطان عملا. وعن محمد بن علي العباسي عن أبيه قال: شهدت علي بن الهيثم جونقا، وقد حضره منارة صاحب الرشيد فقال له: يا منارة استلبت لوطي. فقال: – أصلحك الله – ما ظننتك تتلقاني بمثل هذا؟ شيخ مثلي يلعب بالصبيان، فضحك جميع من في المجلس، اللوط: الإزار. كأنه أراد أنك لم تحسن عشرتي وأنك أخذت ثيابي.

دخل يوما جونقا إلى سوق الدواب، فلقيه نخاس، فقال: هل من حاجة؟ قال: نعم، الحاجة أناختنا بعقوتك، أردت فرسا قد انتهى صدره، وتقلقلت عروقه، يشير بأذنيه، ويتعاهدني بطرف عينيه، ويتشرف برأسه، ويعقد عنقه، ويخطر بذنبه، ويناقل برجليه؛ حسن القميص، جيد الفصوص، وثيق القصب، تام العصب، كأنه موج لجة، أو سيل حدور. فأجابه النخاس بجواب نزهت هذا الكتاب عنه.

■ (1) ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان، أبو الفضل: كاتب، صاحب أخبار وآداب وأشعار. من أهل بغداد. أخذ عن الجاحظ ومعاصريه، وأخذ عنه جعفر بن قدامة وآخرون. مات سنة 297 هـ

■ (2) إسحاق بن حسان بن قوهي، أبو يعقوب الخريمي: شاعر مطبوع، وصفه أبو حاتم السجستاني بأشعر المولدين. خراساني الاصل من أبناء السغد. ولد في الجزيرة الفراتية، وسكن بغداد. واتصل بخريم الناعم فنسب إليه، أو كان اتصاله بابنه عثمان بن خريم. ثم اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة. ومدحه. ورثاه بعد موته. وأدركه الجاحظ وسمع منه. وعمي قبل وفاته.سنة 212 هـ وهو صاحب الرائية في وصف الفتنة بين الامين والمأمون، يقول فيها: يا بؤس بغداد دار مملكة..دارت على أهلها دوائرها ! وهي في 135 بيتا أوردها الطبري في تاريخه، كلها.

مراجع: معجم الأدباء/ تاريخ بغداد/ الأعلام للزركلي/ـمختصر تاريخ دمشق/ إعتاب الكتاب/

قال عبد الرحمن بن نائل: كان عيسى بن هارون الهاشمي [1] ترب* المأمون وكان سمع الحديث معه ومع الأمين[2] لما كان هارون[3] أشخص الناس إليهما من البلدان، حتى يسمعا منهم، قال: فجمع عيسى بن هارون هذا أحاديث مقدار كتاب فوضعه بين يدي المأمون، فقال له: أصلح الله أمير المؤمنين، هذه أحاديث سمعتها معك من المشايخ الذين كان الرشيد يختارهم لك، فقد صارت غاشية مجلسك الذين يخالفون هذه الأحاديث، منهم إسماعيل بن حماد[4]، وبشر بن الوليد[5]، وبشر بن غياث[6]، ومحمد بن سماعة[7]، ويحيى بن أكثم[8]، وذكر معهم جماعة من أمثالهم، فإن كان ما هؤلاء عليه هو الحق، فقد كان الرشيد فيما كان يختار لك على خطأ، وإن كان الرشيد على صواب، فينبغي لك أن تنفي عنك أصحاب الخطأ، فأخذ المأمون الكتاب، وقال لعيسى: لعل للقوم حجة، وأنا سائلهم عن ذلك، فكان أول من دخل عليه إسماعيل بن حماد، فأخبر المأمون الخبر، فقال إسماعيل: أنا أكفيك هذا الكتاب يا أمير المؤمنين، وأوضح لك الحجة، فقال له المأمون: فشأنك بها، ودفع إليه الكتاب، فأقام عنده مدة، ثم جاءه به وقرأه المأمون، فإذا هو ضرب من السب، فلم يحفل به، وقال: ليس هذا من جواب القوم في شيء، ثم أخذ منه الكتاب، فدخل إليه بشر بن غياث، فأخبره الخبر، فقال بشر: أنا أكفيك يا أمير المؤمنين، فأخذه ثم جاء بعد ذلك بكتاب، فقال: هذا جوابه، فقرأه المأمون، فإذا فيه دفع قبول خبر الواحد، فقال له المأمون: ليس هذا من جواب القوم في شيء، إن أصحابك يحتجون به في بعض مسائلهم، ويصدرون كتبهم بخبر الواحد، فإن كان خبر الواحد مما يجوز العمل به في شيء، جاز العمل به في أمثال ذلك الشيء، وإن كان لا يجوز العمل به في شيء، فلم وضعوه في كتبهم، ثم أخذ منه الكتاب الذي كان دفعه إليه، فكان أول من دخل إليه بعد ذلك يحيى بن أكثم، فأخبره المأمون الخبر، فقال له: ادفعه إلي وأنا أكفيكه يا أمير المؤمنين، فدفعه إليه فأقام فيه دهرا طويلا، كلما سأله المأمون، قال: لم أفرغ، فقال له المأمون: إن هذا الأمر طويل، فما توجب لك الحكمة هذا عندي لو أقمت الحجة، لأن من خالفك إنما بين خلافك، والحجة عليك في كتاب واحد، ولعلك أنت لا تحتج عليه في مائة كتاب، فبلغ ذلك عيسى بن أبان[9]، ولم يكن يدخل على المأمون قبل ذلك، فوضع كتاب الحجة الصغير، فابتدأ فيه بوجوه الأخبار، وكيف نقل وما يجب قبوله منها، وما يجب رده، وما يجب علينا، وما إذا سمعنا المتضاد منها، وكشف الأحوال في ذلك، ثم وضع لتلك الأحاديث أبوابا، وذكر في كل باب حجة أبي حنيفة ومذهبه، وما له فيه من الأخبار، وما له فيه من القياس، حتى استقصى ذلك استقصاء حسنا، وعمل في كتابه حتى صار إلى يد المأمون، فلما قرأه قال: هذا جواب القوم اللازم لهم، ثم أنشأ يقول: حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه..فالقوم أعداء له وخصوم..كضرائر الحسناء قلن لوجهها..حسدا وبغيا إنه لدميم. ثم سأل عن واضع ذلك الكتاب وعن أحواله فأخبر به، فأمر به منذ يومئذ، فصار يحضر مع الفقهاء.

----

*(الاتراب) جمع ترب وهو المماثل في السن، وأكثر ما يستعمل في المؤنث.

■ (9) عيسى بن أبان بن صدقة، أبو موسى: قاض من كبار فقهاء الحنفية. تلميذ محمد بن الحسن، كان سريعا بإنفاذ الحكم، عفيفا. خدم المنصور العباسي مدة. وولي القضاء بالبصرة عشر سنين، وله تصانيف وذكاء مفرط، وفيه سخاء وجود زائد. وتوفي بها سنة 221 هـ. أخذ عنه بكار بن قتيبة.

■ (8) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

■ (7) محمد بن سماعة بن عبد الله بن هلال التميمي، أبو عبد الله: حافظ للحديث، ثقة. تجاوز المئة وهو كامل القوة، وكان يصلي في كل يوم مئتي ركعة. ولي القضاء لهارون الرشيد، ببغداد، وضعف بصره، فعزله المعتصم. توفي سنة 233 هـ

■ (5) أبو الوليد بشر بن الوليد الكندي الفقيه سمع عبد الرحمن بن الغسيل ومالك بن أنس وتفقه بأبي يوسف روى عنه البغوي وأبو الوليد وحامد بن شعيب وولي قضاء ببغداد مدينة السلام مدينة المنصور للمأمون إلى سنة 213 هـ وكان واسع الفقه متعبدا وقد سعى به رجل إلى الدولة أنه لا يقول القرآن مخلوق فأمر به المعتصم أن يحبس في منزله فلما ولي المتوكل اطلقه ثم أنه شاخ واستولى عليه الهرم وفي آخر أمره. قال صالح جزرة هو صدوق لكنه خرف. وكانت وفاة بشر سنة 238هـ.

■ (6) بشر المريسي أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه الحنفي المتكلم؛ هو من موالي زيد بن الخطاب. أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي، إلا أنه اشتغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرآن، منذ أيام الرشيد. وحكي عنه في ذلك أقوال شنيعة، وكان مرجئا، وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة، وكان يقول: إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر، ولكنه علامة الكفر. توفي سنة 218 هـ، وقيل: 219 هـ، ببغداد.

■ (4) إسماعيل بن حماد بن الامام أبي حنيفة النعمان:فقيه حنفي.من القضاة العلماء.ولي قضاء الجانب الشرقي من بغداد وقضاء البصرة والرقة وصنف الجامع في الفقه على مذهب جده، والرد على القدرية قال أحد واصفيه: ما ولي القضاء من لدن عمر بن الخطاب إلى أيام ابن حماد أعلم منه. وفي (مناقب أبي حنيفة – خ) للصيمري: لما عزل إسماعيل بن حماد عن قضاء البصرة، شيعه يحيى بن أكثم وكان هو الصارف له. ودعا له الناس فقالوا: عففت عن أموالنا وعن دمائنا، فقال إسماعيل: وعن أبنائكم (!) تعريضا بيحيى فيما كان يتهم به. ثم ولي على جوانب بغداد وعلى البصرة فلم يزل بها حتى أصابه الفلج، فكتب يستأذن في الانصراف، فأذن له.ومات شابا سنة 212 هـ

■ (3) هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الرشيد ابن المهدي ابن المنصور. ولد بالري سنة 147 هـ ، وبويع له بمدينة السلام بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170 هـ، وتوفي بطوس سنة 193 هـ، وكان يحج سنة ويغزو سنة.

■ (2) أبو عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد بن المهري بن المنصور العباسي. الملك العباسي، ولد في رصافة بغداد سنة170 هـ، وبويع بعد وفاة أبيه 193 هـ بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي عهده من بعده، فلما كانت سنة 195 هـ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. فجهز كل منهما جيشا، والتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان قائد جيش الأمين وانهزم جيشه، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصارا طويلا انتهى بقتل الأمين سنة198 هـ

■ (1) عيسى بن هارون الهاشمي؟ هل هو: محمد بن هارون أبو عيسى بن هارون الرشيد، ولي إمرة الكوفة سنة أربع، كان موصوفا بحسن الصورة وكمال الظرف وله أدب وشعر، قال ابن حاتم العكلي: لم ير الناس أجمل منه قط إذا أراد أن يركب جلس الناس حتى يروه أكثر مما يجلسون للخلفاء، قال له الرشيد وهو صغير: ليت جمالك لعبد الله! يريد المأمون، فقال: على أن حظه لي! فأعجبه جوابه على صغره وضمه إليه وقبله، وكان يصرع في اليوم مرات حتى مات سنة 210 هـ أو ما قبلها ونزل المأمون في قبره ووجد عليه وامتنع من الطعام أياما، وكانت أمه بربرية ويقال اسمه أحمد وإنما اشتهر بكنيته، وكانت بينه وبين طاهر ابن الحسين عداوة وكان يهجو طاهرا ويرثي الأمين.

قال الطحاوي قال سمعت أبا خازم القاضي يقول ما رأيت لأهل بغداد حدثا أذكى من عيسى بن أبان وبشر بن الوليد وقال أبو خازم كان عيسى رجلا سخيا جدا وكان يقول والله لو أتيت برجل يفعل في ماله كفعلي في مالي لحجرت عليه قال وقدم إليه رجل محمد بن عباد المهلبي فادعى عليه أربعمائة دينار فسأله عيسى عما ادعى عليه فأقر له بذلك فقال له الرجل احبسه لي فقال له عيسى أما الحبس فواجب لك ولكني لا أرى حبس أبي عبد الله وأنا أقدر على فدائه من مالي فغرمها عنه عيسى من ماله. قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله الكلبي الفقيه حضرت عيسى بن أبان وهو يموت فقال لي يا كلبي احص ما لي من المال فأحصيت فإذا مال كثير ثم قال لي إحص ما علي من الدين فأحصيت فإذا هو قريب من ماله فقال لي كانوا يحبون ان يعيشوا عيش الأغنياء ويموتوا موت الفقراء.

قال الطحاوي قال سمعت بكار بن قتيبة يقول تقدم رجل إلى عيسى بن أبان وهو يلي القضاء عندنا بالبصرة في خصومه فأمر به يوجأ قفاه ففعل ذلك وادعى ذهاب بصره وخرج إلى المعتصم رافعا عليه فقال له: إلى من تحب أن نكتب لك من أهل البصرة؟ فقال: إلى عبد الله بن محمد بن عائشة التيمي، فأمر له بالكتاب إليه في النظر بينه وبين عيسى في ذلك، فأوصل الرجل الكتاب إلى ابن عائشة، لما قدم فبعث ابن عائشة إلى عيسى فأعلمه ذلك، فوعده بالحضور إلى المسجد الأعظم للنظر في ذلك، فسبق ابن عائشة وجلس إلى سارية من سواري المسجد، ثم جاء عيسى وكنت يومئذ معه ومعه أمناؤه وأصحابه، فلم يتهيأ له الدخول من باب من أبواب المسجد لما فيه من الناس فدخل ودخلنا معه من حيث يدخل المؤذنون يوم الجمعة، فعمد عيسى إلى سارية الحكم التي كان يجلس عندها للحكم ويجلس الحكام عندها قبله فجلس عندها، فجعل ابن عائشة ينتظره أن يتحول إليه، وقد كان عيسى لما بعث إليه ابن عائشة يعلمه ما كتب به إليه، أجابه أنه لا يحضر إلا بعد حضور الأمير وصاحب البريد، فحضر الأمير وصاحب البريد، فلما طال الأمر على ابن عائشة، بعث إلى عيسى: إن الرجل قد حضر، يعني الخصم، وإنا منتظروك، فبعث إليه عيسى: إني لم أصرف عن العمل والعمل إلي كما كان والسارية التي أنا فيها هي السارية التي تعرف بجلوس الحكام عندها، فإن يكن إليك شيء مما إلى الحكام فعندها يكون جلوسك، فلما سمع ابن عائشة ذلك الكلام علم أنه قد أخطأ، وأنف أن يقوم من مقامه الذي كان به إلى المكان الذي فيه عيسى، فرأيته وقد زحف يتوارى عنا حتى صار إلى الموضع الذي جلس فيه، وحضر الخصم ما أدعى بمحضرهم جميعا، فقال ابن عائشة لعيسى: ما تقول فيما ذكره هذا الرجل؟ فقال عيسى: ما أقول حرفا إلا ما يكتبه كاتب الأمير، وكاتب صاحب البريد، وكاتبي، ثم قال عيسى في ذلك ما قال وكتبوه جميعا ما ونفذ الكتاب، فلم يكن عنده شيء مما قدره ابن عائشة ولا مما قدره الخصم، وعاد الأمر إلى محبوب عيسى، فذكرت ذلك لأبي خازم القاضي فعرفه وصدق بكارا على جميع ما حدثني به، وقال لي: مع ذلك لقد حدثني طبيب كان بالبصرة ممن يرجع إلى قوله ولا يتهم خبره، إنه كان في دار ابن عائشة بعد ما نفذ كتابه بما نفذ به في هذا الأمر، قال: فإني لفي صحنها إذ رأيت ظهرا فأخذته، فإذا فيه نسخة ما عمله ابن عائشة، وكتب به إلى المعتصم في هذا الأمر ، فوقفت فيها على تزيد منه كثير لم يكن جرى بينه وبين عيسى، ثم رجعنا إلى حديث بكار، فلما كان بعد ذلك، خاصم قوم من الهاشميين ابن عائشة في شيء كان يأخذه من وقف لهم، وكانت أمه منهم، وكان يأخذه بأمه لأن الوقف كان عليهم وعلى أولادهم وأولاد أولادهم، فقالوا له: أنت رجل من بني تيم، فليس لك أن تأخذ من وقفنا الذي علينا وعلى أولادنا، ونحن قوم من بني هاشم، وخاصموه في ذلك إلى عيسى بن أبان، فدعا عيسى بالحجة في أخذه من وقفهم، ما يأخذه، فقال: أخذته بأمي، لأن الواقف جدهم الذي يرجعون إليه بآبائهم، وهو جدي لأمي أرجع إليه بها كما يرجعون إليه بآبائهم، فقال له عيسى: ما أرى لك في ذلك حقا، إنما هو لأولاد أولاد الواقف الذين يرجعون إليه بآبائهم، لا بأمهاتهم، فقال له ابن عائشة: قد كنت آخذه على أيدي جماعة من القضاة، فذكر اسماعيل بن حماد ومحمد بن عبد الله الأنصاري ويحيى بن أكثم، فقال له عيسى: القضاء من هؤلاء القضاة الذين ذكرتهم بذلك، فإن كان معك بذلك حجة من واحد منهم بقضائه بذلك أنفذته لك، وجعلتك من أهل هذا الوقف، وإن لم يكن ذلك معك فإنما هذا تعدى من أمنائهم في دفعهم إليك ما كانوا يدفعونه من غلاته، ولو خوصموا إلي في ذلك لضمنتهم إياه، قال: فأخرجه من الوقف، ورده إلى الهاشميين دونه فكان ذلك سببا لفقره. قال بكار فكان أصحابنا، هلال وغيره يقولون: إن عيسى قد خرج بقضائه بذلك من قول أصحابه، لأنهم كانوا يرون أولاد البنات في ذلك كأولاد البنين، يقولون إنما حمله على ذلك ما كان من ابن عائشة في القصة التي بدأنا بذكرها، وذكر ذلك لعيسى، فقال: ما خرجت من قول أصحابنا،وهذا القول الذي قضيت به هو قول محمد بن الحسن، قال بكار: وما عرفنا ذلك من قول محمد بن الحسن، ولا عرفه هلال، ولا أولئك الفقهاء الذين أنكروا على عيسى قضاءه، فذكرت أنا ذلك لأبي خازم، فعرفه، وقال: ما صنعوا شيئا قد صدق عيسى في هذه الرواية على محمد، هي في كتابه الكبير من السير في الحربي، إذا أومن على نفسه وعلى ولده وولد ولده أنه لا يدخل في ذلك أولاد بناته، فرجعت أنا إلى كتاب السير فوجدته كما قال أبو خازم. قال الطحاوي: وقد قال لي أبو عبد الرحمن البصري الساجي، وكان من وجوه من جاءنا من البصريين وكان متحققا بالفرائض فقال لي: قد كان ابن عائشة بعد قصته مع عيسى شخص إلى الحضرة، فكان هناك مدة وبها سمع البغداديون منه ما سمعوا ثم قدم البصرة قتل أبو خازم لما أراد ابن عائشة الرجوع إلى البصرة، قال له ابن أبي دؤاد، عند وداعه: هل لك من حاجة، يا أبا عبد الرحمن نقضي لك؟ قال: نعم، ولاية حكم البصرة، فقال له ابن أبي دؤاد: ليس، والله، إلى عزل أبي موسى سبيل ولكن سل ما سوى ذلك، فلم يسأل شيئا.

مراجع: أخبار أبي حنيفة/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) وأبو نعيم، الفضل بن دكين 0881

قال أبو المظفر [1] في كتاب مرآة الزمان: قال عبد الصمد بن المهتدي: لما دخل المأمون بغداد، نادى بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لان الشيوخ بقوا يضربون ويحبسون، فنهاهم المأمون، وقال: قد اجتمع الناس على إمام، فمر أبو نعيم [2]، فرأى جنديا وقد أدخل يديه بين فخذي امرأة، فنهاه بعنف، فحمله إلى الوالي، فيحمله الوالي إلى المأمون. قال: فأدخلت عليه بكرة وهو يسبح، فقال: توضأ. فتوضأت ثلاثا ثلاثا على ما رواه عبد خير، عن علي*، فصليت ركعتين، فقال: ما تقول في رجل مات عن أبوين ؟ فقلت: للام الثلث، وما بقي للاب. قال: فإن خلف أبويه وأخاه ؟ قلت: المسألة بحالها، وسقط الاخ. قال: فإن خلف أبوين وأخوين ؟ قلت: للام السدس وما بقي للاب. قال: في قول الناس كلهم ؟ قلت: لا، إن جدك ابن عباس يا أمير المؤمنين ما حجب الام عن الثلث إلا بثلاثة إخوة. فقال: يا هذا، من نهى مثلك عن الامر بالمعروف ؟ ! إنما نهينا أقواما يجعلون المعروف منكرا. ثم خرجت.

----

* أخرجه أبو داود، والنسائي، والترمذي .وقال: حديث حسن صحيح، وهو كما قال.

■ (2) الفضل بن دكين، واسمه عمرو بن حماد التيمي بالولاء، الملائي، أبو نعيم: محدث حافظ، من أهل الكوفة. من شيوخ البخاري ومسلم. وكان إماميا، وإليه نسبة الطائفة الدكينية وفي أيامه امتحن المأمون الناس في مسألة القول بخلق القرآن، ودعاه والي الكوفة، فسأله، فقال: أدركت الكوفة وبها أكثر من سبعمائة شيخ، الاعمش فمن دونه، يقولون القرآن كلام الله، وعنقي أهون من زري هذا !. مات سنة 219 هـ

■ (1) هو أبو المظفر يوسف قزا أو غلي المعروف بسبط ابن الجوزي المتوفى سنة 654 ه، وكتابه مرآة الزمان في تاريخ الاعيان لم يطبع منه سوى المجلد الثامن بحيدر آباد سنة 1951 م.

قال أبو العباس السراج عن الكديمي قال: لما دخل أبو نعيم على الوالي ليمتحنه، وثم يونس وأبو غسان وغيرهما، فأول من امتحن فلان، فأجاب، ثم عطف على أبي نعيم، فقال: قد أجاب هذا، فما تقول ؟ فقال: والله ما زلت أتهم جده بالزندقة، ولقد أخبرني يونس بن بكير أنه سمع جده يقول: لا بأس أن يرمي الجمرة بالقوارير. أدركت الكوفة وبها أكثر من سبع مئة شيخ، الاعمش فمن دونه يقولون: القرآن كلام الله وعنقي أهون من زري هذا، فقام إليه أحمد بن يونس [1]، فقبل رأسه – وكان بينهما شحناء – وقال: جزاك الله من شيخ خيرا. وعن أحمد بن الحسن الترمذي وغيره، عن أبي نعيم قال: القرآن كلام الله ليس بمخلوق. قال الطبراني: سمعت صليحة بنت أبي نعيم تقول: سمعت أبي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق، فهو كافر. روى المروذي عن أحمد بن حنبل قال: إنما رفع الله عفان وأبا نعيم بالصدق حتى نوه بذكرهما.

قال صالح بن أحمد بن حنبل: قلت لابي: وكيع وعبد الرحمن ويزيد بن هارون، أين يقع أبو نعيم من هؤلاء ؟ قال: يجيء حديثه على النصف من هؤلاء، إلا أنه كيس يتحرى الصدق، قلت: فأبو نعيم أثبت أو وكيع ؟ فقال: أبو نعيم أقل خطأ.
وقال حنبل، عن أبي عبد الله قال: أبو نعيم أعلم بالشيوخ وأنسابهم وبالرجال، ووكيع أفقه. وقال يعقوب بن شيبة: سمعت أحمد يقول: أبو نعيم أثبت من وكيع. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه قال: أخطأ وكيع في خمس مئة حديث.
أخبرنا أحمد بن الحسن الترمذي: سمعت أبا عبد الله يقول: إذا مات أبو نعيم صار كتابه إماما، إذا اختلف الناس في شيء، فزعوا إليه.
قال أحمد بن منصور الرمادي: خرجت مع أحمد ويحيى إلى عبد الرزاق خادما لهما، قال: فلما عدنا إلى الكوفة، قال يحيى بن معين: أريد أن أختبر أبا نعيم، فقال أحمد: لا ترد، فالرجل ثقة، قال يحيى: لا بد لي. فأخذ ورقة، فكتب فيها ثلاثين حديثا وجعل على رأس كل عشرة منها حديثا ليس من حديثه، ثم إنهم جاؤوا إلى أبي نعيم، فخرج، وجلس على دكان طين، وأخذ أحمد بن حنبل، فأجلسه عن يمينه، ويحيى عن يساره، وجلست أسفل الدكان، ثم أخرج يحيى الطبق، فقرا عليه عشرة أحاديث، فلما قرأ الحادي عشر، قال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي، اضرب عليه، ثم قرأ العشر الثاني، وأبو نعيم ساكت، فقرأ الحديث الثاني، فقال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي فاضرب عليه، ثم قرأ العشر الثالث، ثم قرأ الحديث الثالث، فتغير أبو نعيم، وانقلبت عيناه، ثم أقبل على يحيى، فقال: أما هذا – وذراع أحمد بيده – فأورع من أن يعمل مثل هذا، وأما هذا – يريدني – فأقل من أن يفعل ذاك، ولكن هذا من فعلك يا فاعل. وأخرج رجله، فرفس يحيى، فرمى به من الدكان، وقام، فدخل داره، فقال أحمد بن حنبل ليحيى: ألم أمنعك وأقل لك: إنه ثبت، قال: والله، لرفسته لي أحب إلي من سفرتي.
قال أبو عبيد الآجري: قلت لابي داود: كان أبو نعيم حافظا ؟ قال: جدا. قال أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب الفراء: كنا نهاب أبا نعيم أشد من هيبة الامير. قلت: وكان في أبي نعيم تشيع خفيف. قال أحمد بن ملاعب: حدثني ثقة قال: قال أبو نعيم: ما كتبت علي الحفظة أني سببت معاوية، وبلغنا عن أبي نعيم أنه قال: حب علي رضي الله عنه عبادة، وخير العبادة ما كتم.
قال محمد بن أبان: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: إذا وافقني هذا الاحول – يعني أبا نعيم – ما أبالي من خالفني.
قال يعقوب السدوسي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: نزاحم به سفيان بن عيينة.
قلت: توفي أبو نعيم شهيدا، فإنه طعن في عنقه، وحصل له ورشكين.
قلت: وقد كان أبو نعيم ذا دعابة، فروى علي بن العباس المقانعي، سمعت الحسين بن عمرو العنقزي يقول: دق رجل على أبي نعيم الباب، فقال: من ذا ؟ قال: أنا، قال: من أنا ؟ قال: رجل من ولد آدم، فخرج إليه أبو نعيم، وقبله، وقال: مرحبا وأهلا، ما ظننت أنه بقي من هذا النسل أحد. قلت: عدد شيوخه في التهذيب مئتان وثلاثة أنفس.

■ (1) أحمد بن يونس، الامام الحجة الحافظ، أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي اليربوعي الكوفي، أبو عبد الله، ينسب إلى جده تخفيفا. مولده في سنة 132 هـ تخمينا. وكان عارفا بحديث بلده. وقال البخاري: مات في شهر ربيع الآخر سنة 227 هـ

مراجع: سير أعلام النبلاء/ الأعلام للزركلي/

ذكر إبراهيم بن الجنيد في كتاب زهد الملوك بإسناده عن صالح بن عبد العزيز قال أخبرني عمي عبد الحميد بن محمد أن المأمون[1]كان يجد بابنه علي[2] وجدا شديدا ويقدمه على جميع أولاده وكان من أحسن الناس وأجملهم مع أدب وفصاحة قال عبد الحميد: وكنت إذا دخلت الدار أميل إليه فأسلم عليه فأرى معه حياء وبشاشة ولا أرى فيه كبرا ولا عزا يضاحك خدمه ويلاطف جلساءه ثم أسخى من رأت عيناي وأحسنه خلقا وأطيبه نفسا وكنت إذا رأيته لا أكاد أصرف وجهي عنه من حسنه وجماله وكان سبب تزهده فيما أخبرني به شاكر مولاه قال: كان في يوم صائف شديد الحر له سموم في قبة الجيش فأتاه يمن الخادم فقال: يا سيدي أمير المؤمنين يدعوك قد دعا بطعامه وهو ينتظرك قال: ويحك الحر شديد ويؤذيني وأكره الخروج فارجع فأعلمه أنك وجدتني نائما فمضى فلم يكن بأسرع من أن رجع فقال: قد قال: ادخل عليه ونبهه وكان لا يصبر عنه ساعة، فقام وهو كاره فحضر الطعام، ثم قعد أمير المؤمنين للشراب مع ندمائه، فقام علي وخرج من المجلس وكان لا يشرب شيئا من الأنبذة فانصرف إلى قصره وأمر أن يفرش له في بعض مستشرفه على دجلة وألقى فيه الماء والثلج والخلاف وقعد على سرير عليه غلالة ينظر إلى الناس وإلى دجلة ودعا بقيانه صلى وندمائه فبينا هو كذلك إذ نظر إلى حمال قد أقبل عند الزوال عليه دراعة صوف بيضاء بالية بلا قميص تحتها ولا سراويل عليه وقد شد على رجليه خرقا من الحر ولبس نعلين متخرقين وعلى رأسه خرقة وعلى عنقه كرزنه وطبقه فأتى دجلة وقعد في بعض السفن والأمير ينظر إليه مستشرف عليه لا يصرف بصره عنه فوضع طبقه وكرزنه وخلع نعليه وألقى الخرق عن رجليه ودنا من دجلة وغسل يديه ورجليه وانصرف إلى موضعه فأخرج جرابا له ففتحه وأخرج منه كسرا يابسة مختلفة الألوان وأخرج منه قصعة خشب فغسل قصعته وجعل فيها ماء وألقى تلك الكسر في الماء الذي في القصعة ثم أخرج صرة ففتحها وأخرج منها ملحا فنثره على الخبز وقليل سعتر وتركها مقدار ما بل الكسر ثم تربع على الرمل وسمى الله تبارك وتعالى وأكل أكل رجل يشتهي الطعام وهو مع ذلك يشكر الله تعالى والأمير عيناه إليه حتى فرغ وغسل القصعة فردها إلى جرابه مع كسيرات بقيت وشد خرقة الملح ودنا من الشط فاغترف بكفيه من الماء وقال: يا سيدي، ومولاي، لك الحمد على هذه النعمة التي تفضلت بها علي، فلك الحمد على أياديك عندي، فلك الحمد ولك الشكر، ثم وضع رأسه على كرزنه وتمدد على الرمل ساعة، ثم قام فتهيأ للصلاة وقام يصلي للزوال، فقال الأمير للغلمان الوقوف عنده: ليذهب بعضكم إلى الرجل القائم المصلي فيأتيني به مع طبقه وكرزنه ولا يرعبه وعليه باللطف حتى يأتيني به فمضى بعض الغلمان فأتاه فأقام عنده حتى سلم ثم قال له: قم معي حتى تحمل لي متاعا من قصر الأمير، فقال: اطلب غيري، فإني متعوب البدن، قال: الموضع قريب والحمل خفيف، قال: يا حبيبي، قد عرفت ذلك وأنت تصيب غيري، فاعفني فإني أكره دخول الدار، قال: لا بد منه، فإن قمت وإلا أقمت، وغلظ له في الكلام، فقام الرجل وألقى كرزنه في عنقه وحمل الطبق وقرأ: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة] ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء] فأدخله الغلام القصر ثم أصعده حتى أوقفه بين يدي الأمير على هيئته فأمره بالقعود، فقال له الندماء: أيها الأمير، من هذا حتى تأمره بالقعود مع وسخه ونجاسته؟! قال: اسكتوا، ثم قال: من أهلها أنت؟ قال: نعم، قال: ما صناعتك؟ قال: ما ترى، الحمل، قال: وكم عيالك؟ قال: نحن عيال الله، لي والدة عجوز مقعدة، وأخت عمياء زمنة، قال: فأهل وولد؟ قال: مالي أهل، ولا ولد، قال: فكم يكون الكسب؟ قال: على قدر ما أرزق، إلا أنه لا ينصرم يوم إلا ونحن في كفاية من فضل الله تعالى، قال: فتطيق؟ وقال: الحمل كل يوم، قال: إذا صليت الفجر خرجت فتعرضت للرزق إلى وقت الزوال، ثم أتفرغ لنفسي إلى فراغي من صلاة العصر، وأجم نفسي من العصر إلى الليل، قال: أفليس تكون بالليل جماما؟ قال: إن أجممت نفسي بالليل تركني فقيرا يوم القيامة، ففطن لها علي، فقال: إني رأيتك تأكل وحدك، كيف لا تأكل مع والدتك وأختك؟ قال: إنهما يصومان فأجعل عشائي مع فطرهما، قال: أخرج الكسر، ففتح جرابه فأخرج منه كسرا يابسة أسود وأحمر وأبيض، فنظر إليها الأمير ساعة يتأملها متفكرا، ثم قال: يا شاكر، إيتني بخمسة آلاف درهم صحاح، فأدفعها إليه ليصلح بها حاله، قال: أيها الأمير، أنا غني عنها، لا حاجة لي فيها، فجهد به على أن يأخذها، فأبى، قال: الأمير، فلي إليك حاجة، قال: ما حاجة مثلك إلى مثلي؟ قال: في حاجة مهمة فأخذ بيده فأدخله بعض غرفه وخلا معه، وقال: هذا قد عرفت حالي، وقصتي، وموضعي، وما أنا فيه من هذا الملك نعيم الدنيا ولذاتها، فادع الله تبارك وتعالى أن يزهدني في الدنيا، يرغبني في الآخرة، فقال له: الحمال يا حبيبي مالي عند الله من المنزلة، أدعوه إلا أن بعض الحكماء يقول: من خاف شيئا أدلج، افرض إلى نفسك كل يوم، وساعة شيئا معلوما من خصال الخير، فإنك إذا فعلت لك جاءتك العزيمة بالعون من الله تعالى على ذلك ،ولا تؤخر عمل يومك لغد ،ولا تكلف نفسك ما لا طاقة لها به، وأكثر ذكر الموت فإن ذكره يكثر القليل ويقلل الكثير، وعليك بتقوى الله تعالى، وطاعته واجتناب معاصيه ثم رفع يديه وطأطأ رأسه ودمعت عيناه وقال: يا من رفع السماء بقوته ودحا الأرض بمشيئته وخلق الخلائق بإرادته واستوى على العرش بقدرته، يا مالك الملك وجبار الجبابرة وإله العالمين ومالك يوم الدين أسألك برحمتك وجودك وقدرتك أن تخرج حب الدنيا من قلب عبدك عبد الله علي وتوفقه لطاعتك من الأعمال التي تقر به إلى مرضاتك وتجنبه معاصيك وتختم لنا وله برضوانك أنه وعفوك يا أرحم الراحمين، قال: فدمعت عينا علي، وبكى فأكثر، ثم قال للحمال: لو قبلت منا شيئا؟ قال: لا أريده، وحاجتي أن تعجل سراحي، فأمره بالخروج، فخرج الحمال وانصرف الأمير إلى موضعه، وهو متفكر قد ذهب نشاطه، ثم التفت إلى ندمائه، فقال: يا قوم، لو شهدتم طعام أمير المؤمنين، ورأيتم ما يرفع ويوضع من صنوف الأطعمة، ثم جعل يصف ذلك الطعام ثم قال: لو رأيتم الطعام الذي يخبز قد تنوق في بياضه وجودته وطحنه ثم ينخل بالشعر ثم ينخل بالكرابيس ثم ينخل بالحرير حتى يبقى مخه فقط توقد ناره بالقصب فإذا سكن وهجه وهو بخر التنور بالعود القماري وخبز بصنوف الطعام ثم وصف ما يتخذ له من صنوف الألوان من الحار والبارد والرطب واليابس والحلو وغير ذلك وهذا الحمال طعامه ما قد رأيتم ومائدته طبق من سعف النخل ثم طأطأ رأسه وجعل ينكت بأصبعه على الحصير ساعة ثم قال: يا غلام، إئت منيبا خازن الكتب فمره يخرج لي سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتاه به فجعل ينظر فيه فقال: اسمعوا ما كان طعام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عراق لحم الإبل مطبوخ بماء وملح وأقراص من شعير غير منخول، فقيل له: يا أمير المؤمنين، لو أكلت غير هذا الطعام، فقد وسع الله على المسلمين، فقال: هاه، إن الله تبارك وتعالى عير قوما بأكلهم بقوله:﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف] فجعل يصف لهم سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتدمع عيناه فلما فرغ قال: يا غلام، قل لمنيب يخرج لي سيرة عمر بن عبد العزيز فأخرج إليه فجعل ينظر فيه ويصف لندمائه ثم قال: أبعد الله بطنا يعقب صاحبه ندما يوم الحسرة في عرصة القيامة، هذا عبد الله بن عمر زين أبناء الصحابة اشتهى عنبا فلم يذقه هذا سعيد بن المسيب زين التابعين يقول: ليت أن الله جعل رزقي في مص حصاة، فقد استحييت من كثرة الإختلاف إلى الحش، هذا الربيع بن خيثم اشتهى خبيصا فلم يذقه، هذا مالك بن دينار، هذا فلان هذا فلان، فجعل يذكر وتدمع عيناه، ثم قال: ترى القوم لم يشتهوا طيب الطعام ولكنهم زهدوا عن الفاني للباقي وباعوا القليل بالكثير وصبروا في دنياهم، فنالوا الذي طلبوا، خرجوا من الدنيا خماصا جياعا حفاة عراة، فلم تأكل الأرض منهم شحما ولا لحما، بليت الجلود على العظام والعروق، ثم أخرج ساعدا، كأنه قضيب فضة مستديرة شحما ولحما، فقال: إن هذا الساعد مع هذا البدن ربي بالأطعمة والأشربة التي وصفت لكم من الطعام والشراب ليبلى في التراب كما يبلى ساعد الحمال، ثم أرسل عينيه فبكى فأكثر البكاء ونحن قيام على رأسه، ثم قال: يا غلام، ارفع هذه الآلة، قبحها الله فما أموتها للقلوب وأضرها وأذلها فرفعت وصرف الندماء والخدم والغلمان وبقي وحده متفكرا لا يأذن لأحد عليه حتى إذا مضى بعض الليل ناداني يا شاكر، قلت: لبيك أيها الأمير، قال: دونك الخزائن فاحفظها مع جميع ما في الدار فإني منطلق إلى سيدي، وأنا أظن أنه يعني بسيده أباه، فخرج علي وعليه إزار قد أخذه على رأسه ونعل طاق قد وضعها في رجله، وقال: لا يتبعني منكم أحد بشمع، فخرج ومعه غلام صغير، وتخلف عنه الخدم والغلمان، فلما أصبحنا افتقدنا الغلام إلى ارتفاع النهار، فجاء الغلام فسألته عنه، فقال: لم يدخل دار أمير المؤمنين، ولكنه أخذ نحو الدجلة، وقال لي: قف موضعك هذا لا تبرح، فلا أدري أين ذهب، إلا أنه دنا من ملاح فناوله دنانير، وقال لي حاجة مهمة بواسط فتعجل بي وهو لا يعرفه، فأدخله الزورق ومضى به إلى واسط، ثم لم يقم بواسط حتى خرج إلى البصرة، وتنكر ولبس الخشن على ذلك الجلد النقي، واشترى طبقا كهيئة ما رأى من زي الحمال، وجعل الطبق على عاتقه يعمل على مقدار قوته يحمل على رأسه بالقطع والكسر لا يرد ما أعطى بالنهار صائم يحمل على رأسه وبالليل قائم يصلي يمشي حافيا حتى تقطعت رجلاه، يبيت في المساجد يتخللها كي لا يفطن به فلم يزل كذلك يعمل ويعبد ربه سنين وأمير المؤمنين لما وقف على أمره كتب في جميع الآفاق إلى العمال في كل بلدة أن يطلب وتوضع عليه العيون، فلم يوقف على أمره، قال: فمرض في بعض المساجد وتغيرت حاله فلما اشتدت به العلة دخل بعض الخانات بالبصرة فاكترى غرفة وألقى نفسه على بارية فلما أيس من نفسه دعا صاحب الخان فناوله خاتمه، ورقعة مختومة، فقال: يا هذا، إذا أنا قضيت نحبي، فاخرج إلى صاحبكم يعني الوالي فأره خاتمي وعرفه موضعي وناوله هذه الرقعة، فمات رحمه الله فلما قضى سجاه وخرج نحو باب الأمير فنادى النصيحة ،فأدخل فأراه الخاتم، فلما نظر إليه الوالي عرفه وقال: ويحك أين صاحب الخاتم؟ قال: في الغرفة في الخان ميت، وناوله الرقعة مختومة مكتوبا عليها: لا يفكها إلا المأمون أمير المؤمنين، فركب الأمير حتى أتى الخان وحوله إلى قصره وطلى عليه الكافور والمسك والعنبر ولفه في قباطي مصر وحمله في الماء إلى المأمون، وكتب إليه يعرفه قصته وأنه وجده في غرفة على بارية في بعض الخانات ما تحته مهاد ولا عنده باكية مسجى مغمض العينين مستنير الوجه طيب الرائحة، قال: وبعث إليه خاتمه ورقعته فلما وصل كتابه إلى أمير المؤمنين، وأدخل علي عليه، قام فكشف عن وجهه وانكب عليه يقبله ويبكي، ووقعت الصيحة والضجيج في الدار، ثم فك الرقعة فإذا فيها مكتوب بخطه: يا أمير المؤمنين، اقرأ سورة الفجر إلى رابع عشرة آية فاعتبر بها، واعلم ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل]، ثم أمر المأمون فغسل وكفن وأخرج ليدفن والمأمون يمشي حتى صلى عليه فلما وضع في حفرته أمر الخدم فقال: اخرجوا من القبر ثم اطلع في القبر، فقال: يا بني، رحمك الله وأعطاك أمنيتك ورجاءك، إذا إني لأرجو أن يكون الله تعالى قد أسعدك ونفعني بك، فنعم الولد كنت جمع الله بينك وبين ابن عمي المصطفى صلى الله عليه وسلم ورزقني الصبر عليك ثم قال: سوؤا عليه فدخل الخدم فأطبقوا عليه ألواحه ثم قال: أهيلوا عليه التراب وهو واقف يصيبه الغبار والخدم قيام معهم المناديل يردون عنه الغبار، فقال: إليكم عني يبلى علي في التراب وتردون عني الغبار ثم قال: اللهم، ثبته بالقول الثابت، وأشهدك أني راض عنه، يا أرحم الراحمين، والرقعة في يده لا يضعها، فدعا محمد بن سعد الترمذي فأمره أن يقرأ سورة الفجر فجعل يقرأ والمأمون يبكي حتى بلغ إن ربك لبالمرصاد الفجر. فأمسك فتصدق عنه بألف ألف درهم وأمر بعرض السجون وأطلق عنهم وكتب إلى العمال بإنصاف الرعية ورد المظالم ونزع عن أمور كثيرة وبقي بعده لا يذكر إلا بكى وهو مكروب لا يرتاح للذة ولا لشهوة وينتاب مجلسه الفقهاء يبصرونه ويعظونه فما زالت هذه حاله حتى مات رحمه الله.

---

(1) علي بن عبد الله المأمون ؟ (تعليق: هذه الرواية رغم ما فيها من موعظة حسنة إلا أنها أشبه ما تكون بروايات ألف ليلة وليلة. !).

☪

قال الحسن البصري: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال. وقيل: الرجاء لابد أن يكون له عمل يبنى عليه أما الرجاء من دون عمل يبنى عليه فإنه تمن لا يستفيد منه العبد.

مراجع: كتاب التوابين/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو العباس عبد الله المأمون (سابع ملوك الدولة العباسية) ورجل يدعي النبوة 0883

قال محمد بن موسى المنجم الجليس[1]: قال: حدثني يحيى بن أبي منصور[2]، دخلت على المأمون، وعنده جماعة من المنجمين، وعنده رجل تنبأ ودعا له القضاة والفقهاء، ولم يحضروا بعد، ونحن لا نعلم، فقال لي ولمن حضر من المنجمين: خذوا طالعا لدعوى رجل في شيء يدعيه، وعرفوني ما يدل حاله عليه، من كذبه في دعواه أو صدقه. ولم يعلمنا المأمون أنه متنبئ، فأخذنا الطالع وأحكمنا موقع الشمس والقمر في دقيقة واحدة مع دقيقة الطالع، وسهم السعادة وسهم الغيب في دقيقة الطالع، والطالع الجدي، والمشتري في السنبلة ينظر إليه، وعطارد والزهرة في العقرب2) ينظران إليه، فقال من حضر من القوم: كل ما يدعيه صحيح، وأنا ساكت، فقال لي المأمون: قل، فقلت: هو في طلب تصحيحه، وله به حجة زهرية عطاردية، وتصحيح الذي يدعيه لا يتم له ولا ينتظم، فقال لي: من أين؟ قلت؟ قلت: لأن صحة الدعاوى من المشتري، والمشتري ينظر إليه نظر موافقة، إلا إنه كاره لهذا البرج، فلا يتم له التصديق والتصحيح، والذي قالوا من حجة عطاردية زهرية فإنما هو من جنس الخداع، والمنجمون يتعجبون منه، فقال المأمون: أحسنت، لله درك! أتدرون من الرجل؟ قلت: لا، قال: هذا يدعي النبوة، قلت له: يا أمير المؤمنين، معه شيء يحتج به؟ فسأله فقال: نعم معي خاتم ذو فصين ألبسه فلا يتغير مني شيء، ويلبسه غيري فيضحك ولا يتمالك من الضحك حتى ينزعه، ومعي قلم شامي أكتب به، ويأخذه غيري فلا تنطلق به يده، فقلت له: هذه الزهرة وعطارد قد عملا عملهما. فأمره المأمون بعمل ما ادعاه، فعمله، فقلنا: هذا ضرب من الطلسمات. فما زال به المأمون أياما كثيرة يستنزله عن دعواه ويرغبه ويعده بالاحسان حتى أقر بصورة عملت في الخاتم والقلم، وتبرأ من دعوى النبوة، وأعلمه أنه إنما جعل ذلك سببا للوصول إليه، فوهبه المأمون ألف درهم، ووجدناه أعلم الناس بعلم النجوم، وهو من أصحاب عبد الله بن السري، وهو الذي عمل طلسم الخنافس في دور كثيرة من دور بغداد.

■ (2) يحيى بن أبي منصور المنجم الفارسي، أبو علي: رأس آل المنجم. وكان منهم علماء بالادب والفلك والكلام. نشأ بين موالي المأمون العباسي، واتصل بالفضل بن سهل فكان يعمل برأيه في أحكام النجوم ولما قتل الفضل سنة 202 هـ اجتباه المأمون ورغبه في الاسلام، وكان مجوسيا، فأسلم على يده، وخص به. ولما عزم المأمون على رصد الكواكب تقدم إليه وإلى جماعة آخرين، وأمرهم بالرصد وإصلاح آلاته، ففعلوا ذلك بالشماسية ببغداد وجبل قاسيون بدمشق سنة 215 واستمر العمل إلى أن توفي المأمون سنة 218 ولما مات يحيى رثاه أبو الهيذام بقصيدة، منها: لقد عاش يحيى، وهو محمود عيشة، وكان مفيدا، واحد العلم والجود. قال ابن النديم: توفي يحيى في خروجه إلى طرسوس، سنة 230 هـ ودفن بحلب في مقابر قريش وقبره هناك مكتوب عليه. وله من الكتب كتاب الزيج الممتحن نسختان، أولى وثانية، و مقالة في عمل ارتفاع سدس ساعة لعرض مدينة السلام وكتاب يحتوي على أرصاد له، ورسائل إلى جماعة، في الارصاد.

■ (1) محمد بن موسى المنجم الجليس وليس بالخوارزمي كان هذا رجلا عالما بالنجوم خبيرا بمجالسة الملوك ومحاضرتهم وكان في زمن المأمون وبعده.

أما الخوارزمي محمد بن موسى 232 هـ أبو جعفر أو أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي الفلكي الرياضي معاصر المأمون الخليفة العباسي نبغ في حدود سنة 205 هـ ذكره صاحب عيون الانبا في ترجمة أبي القاسم مسلمة ابن احمد المعروف بالمرحيطى من أهل قرطبة المتوفى سنة 396 قال: له كتاب حسن. وقال ابن القفطى ص 187: محمد بن موسى المنجم الجليس وليس بالخوارزمي كان هذا رجلا عالما بالنجوم خبيرا بمجالسة الملوك ومحاضرتهم وكان في زمن المأمون وبعده.

☪

وادعى رجل النبوة، فقيل له: ما علامات نبوتك؟ قال: أنبئكم بما في نفوسكم. قالوا: فما في أنفسنا؟ قال: في أنفسكم أنني كذبت ولست بنبي. وتنبأ رجل في أيام المأمون، فأتي به إليه، فقال له: أنت نبي؟ قال نعم. قال: فما معجزتك؟ قال: ما شئت. قال: أخرج لنا من الأرض بطيخة. قال: أمهلني ثلاثة أيام. قال المأمون: بل الساعة أريدها. قال: يا أمير المؤمنين، أنصفني، أنت تعلم أن الله ينبتها في ثلاثة أشهر، فلا تقبلها من في ثلاثة أيام فضحك منه، وعلم أنه محتال، فاستتابه ووصله. وادعى آخر النبوة في زمانه فطالبه بمعجزة، فقال: أطرح لكم حصاة في الماء فأذيبها حتى تصير مع الماء شيئا واحدا. قالوا: قد رضينا. فأخرج حصاة كانت معه فطرحها في الماء فذابت. فقالوا: هذه حيلة، ولكن أذب حصاة غيرها نأتيك بها نحن. فقال لهم: لا تتعصبوا، فلست أضل من فرعون، ولا أنا أعظم من موسى، ولم يقل فرعون موسى: لا أرضى بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعبانا. فضحك المأمون منه وأجازه. وادعى رجل النبوة في أيام المعتصم، فأحضر بين يديه، فقال له: أنت نبي، قال: نعم. قال: إلى من بعثت؟ قال: إليك. قال: أشهد إنك لسفيه أحمق. قال: إنما يذهب إلى كل قوم مثلهم. فضحك منه وأمر له بشيء. وادعى آخر النبوة في أيام المأمون، فقال له: ما معجزتك؟ قال: سل ما شئت، وكان بين يديه قفل، فقال: خذ هذا القفل فافتحه. فقال: أصلحك الله، لم أقل إني حداد. فضحك منه واستتابه وأجازه. وادعى آخر النبوة، فطلب ودعى له بالسيف والنطع، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: نقتلك. قال: ولم تقتلونني؟ قالوا: لأنك ادعيت النبوة. قال: فلست أدعيها. قيل له: فأي شيء أنت؟ قال: أنا صديق. فدعي له بالسياط، فقال: لم تضربونني؟ قالوا: لادعائك أنك صديق، قال: لا أدعي ذلك. قالوا: فمن أنت؟ قال: من التابعين لهم بإحسان. فدعي له بالدرة. قال: ولم ذلك؟ قالوا: لادعائك ما ليس فيك، فقال: ويحكم أدخل إليكم وأنا نبي تريدون أن تحطوني في ساعة واحدة إلى مرتبة العوام لا أقل من أن تصبروا علي إلى غد حتى أصير لكم ما شئتم. وادعى آخر النبوة، وسمى نفسه نوحا، فنهاه صديق له عن ذلك فلم ينته، فأخذه السلطان وصلبه، فمر به صديقه الذي كان ينهاه، فقال: يا نوح ما حصل لك من السفينة غير الدقل (والدقل والدوقل خشبة طويلة تشد في وسط السفينة يمد عليها الشراع).

☪

قال أبو معشر: نزلت في خان ببعض قرى الري في قافلة، ومعنا كاتب من أهل بغداد، فلما استقر بنا المجلس أكلنا وأخرجت شرابا كان معي، فعرضت على الكاتب فشربنا، وذكرنا النجوم، فإذا هو قد نظر في شيء منها، فسألني عن القمر أين هو في الغد؟ فقلت: في تربيع المريخ فهل لك أن نقيم غدا؟ قال: نعم إن ساعدنا المكارون على ذلك، فكلمناهم فأجابوا على أن نعطيهم العلف، وسألنا أهل القافلة أن يقيموا فأبوا وسخروا منا وأنكروا ما قلنا، فأقمنا وارتحلوا، ونظرت في الارتفاع عند رحيلهم فإذا الطالع الثور وفيه المريخ، والمقر في الأسد، فقلت لهم: الله الله في أنفسكم، فامتنعوا من المقام ومضوا، وأقمت أنا والكاتب، فلم يعدوا حتى رأينا جماعة من القافلة دخلوا علينا مجردين، وقد قطع عليهم الطريق على فرسخين من الموضع، وقد قتل بعضهم وأخذ ما كان معهم، فلما رأوني أخذوا لي الحجارة والعصي وقالوا: يا ساحر يا كافر قتلتنا وعاملت علينا وقطعت علينا الطريق! فخلصت منهم بعد جهد، والتزمت أن لا أكلم أحدا من العوام والسوقة بشيء من أسرار النجوم. قال أمير من أمراء أفريقية يوما لشاعر ظريف من شعراء مجلسه: أي برج لك في السماء؟ فقال: واعجبا منك، أنا ما لي بيت في الأرض، يكون لي برج في السماء؟! فضحك وأمر له بدار يسكنها.

☪

يقول محمد صالح المنجد: من الآثار السيئة للأحاديث المكذوبة: إيقاع المسلم في الشرك الصريح، والكفر المخرج عن الملة، والردة عن الدين، والعياذ بالله.مثلا:حديث: ﴿من بَشَّرَنِي بِخُرُوجِ صَفَرٍ بَشَّرْته بِالْجَنَّةِ﴾ موضوع لأنهم يتشاءمون بشهر صفر، فهي أحاديث مكذوبة توقع الناس، وأحيانا هذه الأحاديث المكذوبة تكون في أمور تنافي الإيمان وتنافي مفهومه الصحيح، بل إنها تركب في أنفسهم مفاهيم للإيمان غير صحيحة، مثل: مفهوم المرجئة للإيمان. إيقاع الناس في قضايا تنافي التوحيد مثل: التشاؤم بالأزمان والتطير بها: (لا تسافر والقمر في العقرب) إذا صار القمر في برج العقرب فلا تسافروا فهذا السفر سيء، ولا تسافروا لأن نتائجه سيئة. علي بن أبي طالب لما ذهب لقتال الخوارج، عرض له أحد المنجمين فقال: يا أمير المؤمنين! لا تسافر فإن القمر في العقرب، قال: بل أسافر ثقة بالله وتوكلا على الله وتكذيبا لك. وسافر فظفر على الخوارج وانتصر عليهم.

قال سعود الشريم: ومثل ذلك ما فعله المنجمون الأفاكون مع الخليفة المعتصم حينما أراد فتح مدينة عمورية استجابة لصرخة امرأة مسلمة، فنهوه أن يغزوهم قبل أن ينضج التين والعنب، فرد قولهم وسافر، فأكذب الله المنجمين، وأعد المسلمين، وسار بتسعين ألفا كأسد الشرى، نضجت أعمارهم قبل أن ينضج التين والعنب. ولذا فقد كان المسلم مأمورا بالفأل، ونبذ التطير في سائر شئونه، ومنها السفر. ولقد ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:﴿أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلاَ تَرُدَّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ، لاَ يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ أَنْتَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ﴾ ولأحمد من حديث ابن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ﴾ وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ قَالَ أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ اللَّهُمَّ،لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ﴾. حكي أنه لما ولد لسعيد بن العاص عنبسة قال سعيد لابنه يحيى: أي شيء تجله ؟ قال: دجاجة بفراريجها، وإنما أراد احتقاره بذلك لأن أمه كانت أمة فقال سعيد: إن صدق الطير ليكونن أكثر كم ولدا فكان كذلك. لما طلب عامر بن إسماعيل مروان بن محمد اعترضه بالفيوم قوم من العرب فسأل رجلا : ما اسمك؟ فقال منصور بن سعد: وأنا من سعد العشيرة، فتبسم تفاؤلا به وتيمنا واستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة. ومن الطيرة : ما حكى عن بعضهم قال: حضرت الموقف مع عمرو بن الخطاب رضي اله عنه فصاح به رجل من خلفه: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا أمير المؤمنين، فقال رجل من خلفه: دعاه باسم ميت مات والله أمير المؤمنين، ولا يقف هذا الموقف أبدا فالتفت إليه فإذا هو اللهبي، فقتل عمر قبل الحول. وحكي أن عمر رضي الله عنه خرج إلى حرة واقم فلقي رجلا من جهينة فقال له: ما اسمك؟ قال: شهاب، قال: ابن من؟ قال: ابن جمرة قال: وممن أنت؟ قال: من الحرقة. قال: ثم ممن؟ قال: من بني ضرام. قال: وأين منزلك؟ قال: بحرة ليلى. قال: وأين تريد؟ قال: لظى، وهو موضع. فقال عمر: أدرك أهلك، فما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا، قال: فأدركهم، وقد أحاطت بهم النار. وقال المدايني: وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان فخرج هاربا منه فنزل قرية من الصعيد يقال لها: شكر، فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك فقال له عبد العزيز: ما اسمك؟ قال: طالب بن مدرك؟ فقال: أوه، ما أراني راجعا إلى الفسطاط أبدا، ومات في تلك القرية. وقيل: بينا مروان بن محمد في إيوان له ينفذ الأمور، فانصدعت زجاجة الأموال، فوقعت الشمس منها على منكب مروان وكان هناك عياف فقال: صدع الزجاج أمر منكر على أمير المؤمنين، ثم قام فاتبعه ثوبان مولى مروان. فقال له: ويحك ما قلت؟ قال: قلت: صدع الزجاج صدع السلطان، تذهب الشمس بملك مروان، بقوم من الترك أو خراسان، ذلك عندي واضح البرهان قال: فما ورد لذلك شهران حتى ورد خبر أبي مسلم. وقال إبراهيم بن المهدي: أرسل إلى محمد الأمين في ليلة مقمرة من ليالي الصيف فقال: يا عمي إن الحرب بيني وبين طاهر قد سكنت قصر إلي فإني إليك مشتاق فجئته وقد بسط له على سطح، وعنده سليمان بن جعفر، وعليه كساء روذباري، وقلنسوة طويلة، وجواريه بين يديه وضعف جاريته عنده. فقال لها: غنيني فقد سررت بعمومتي فاندفعت تغنيه: هم قتلوه كي يكونوا مكانه..كما فعلت يوما بكسرى مرازبه..بني هاشم كيف التواصل بيننا..وعند أخيه سيفه ونجائبه. هكذا غنته ، وإنما هو: وعند علي سيفه ونجائبه. فغضب وتطير، وقال: ما قصتك؟ ويحك غنيني ما يسرني، فغنت: هذا مقام مطرد.. هدمت منازله ودوره. فازداد تطيرا، ثم قال: ويحك انتهي وغني غير هذا فغنت: كليب لعمري كان أكثر ناصرا.. وأيسر جرما منك ضرج بالدم. فقال لها: قومي إلى لعنة الله، فوثبت، وكان بين يديه قدح بلور وكان لحبه إياه يسميه محمد باسمه، فأصابه طرف ذيلها فسقط على بعض الصواني فانكسر، فأقبل علي وقال: أرى والله يا عم أن هذا آخر أمرنا، فقلت: كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك، قال: ودجلة والله هادئة ما فيها صوت مجداف، ولا أحد يتحرك، فسمعت هاتفا يهتف: قضى الأمر الذي فيه تستفتيان. قال: فقال لي: سمعت يا عم؟ فقلت: وما هو؟ وقد والله سمعته، فإذا الصوت قد عاد فقال: انصرف بيتك الله بخير فمحال أن لا تكون الآن قد سمعت ما سمعت، فانصرفت وكان آخر العهد به [..]

مراجع: أخبار العلماء بأخيار الحكماء/ سرور النفس بمدارك الحواس الخمس/ البصائر والذخائر/ فرج المهوم في تاريخ علماء النجوم/ تاريخ مختصر الدول/ الأعلام للزركلي/ دروس للشيخ محمد المنجد/ دروس للشيخ سعود الشريم/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ مصنف ابن أبي شيبة/ نهاية الأرب في فنون الأدب/

ذكر بعض المفسرين كـ القرطبي وغيره، قصة طريفة تتعلق بحفظ القرآن الكريم، وذلك أن المأمون[1] كان يجالسه رجل من اليهود، وكان رجلا ذكيا نابغة عالما ينادم المأمون، ويتحدث معه في مجلسه، فأعجب بعقلة وذكائه وقال له: لماذا لا تسلم؟ قال: لا أسلم، فحاول أن يدعوه إلى الإسلام؛ لكن هذا اليهودي أبى وأصر على دينه ورفض الإسلام، فغضب منه المأمون وطرده من مجلسه، فانقطع عن المأمون فترة طويلة، ثم جاءه بعد زمان طويل بعد سنين يستأذن عليه، فلما مثل بين يديه قال: يا أمير المؤمنين، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فتعجب الخليفة لذلك وقال: بالأمس كنت أدعوك إلى الإسلام، وأنت نديمي، وصديقي، وجليسي، فكنت تأبى وتصر على رغم أن كثيرا من الناس يقبلون ولو مجاملة ولو من أجل مطمع دنيوي، أو مغنم عاجل، وأنت تصر على دينك الباطل، فما بالك أسلمت الآن؟! قال: إنني بعد ما خرجت من عندك بلوت الأديان كلها، وكان الرجل خطاطا، فقال: إنني أخذت نسخة من التوراة فنسختها بخطي الجميل، وزدت فيها ونقصت كما أريد، ثم وقفت بها عند بيعة من بيع اليهود بعد صلاة من صلواتهم، فلما خرج اليهود أخذوها وتداولوها واشتروها مني بأغلى الأثمان، فقلت: هذا دين لا خير فيه، يزاد فيه وينقص دون أن يعلم أهله، هذا دين لا خير فيه، فتركته. قال: ثم ذهبت إلى النصرانية فأخذت نسخة من الإنجيل فنسخت منها عددا من الكتب بخطي، وزدت فيها ونقصت، ثم وقفت عند كنيسة من كنائسهم في عيد من أعيادهم، فلما خرج النصارى أخذوها منى وتداولوها واشتروها مني بأغلى الأثمان، قال فقلت: هذا دين لا خير فيه، يزاد فيه وينقص دون أن يعلم أهله بذلك! قال: ثم أخذت نسخة من القرآن الكريم فنسختها بخطي الجميل عددا من النسخ، وزدت فيها ونقصت وغيرت وبدلت شيئا يسيرا، ثم وقفت عند جامع من جوامعهم في يوم جمعة، فلما خرج المسلمون من صلاتهم أخذوا هذه النسخ وتداولوها وبدءوا يتصفحونها ويفتشونها ورقة ورقة، فعثر هذا على زيادة، وعثر هذا على نقص، وعثر هذا على خطأ، وعثر هذا على تغيير، قال: فأخذوا النسخ من حجري، وانكبوا على يركلونني بأقدامهم، ويلكمونني بأيديهم، حتى حملت من عند باب المسجد وأنا لا أعي، ثم ذهب بي إلى المسئولين وتعهدت ألا أعود إلى مثل عملي وإلا فعلوا بي وفعلوا، قال: فعرفت أن هذا كتاب محفوظ فأسلمت.

ودخل بعض الشعراء على المأمون، وفي مجلسه يهودي جالس! فكان من مصائب المأمون أنه كان يدني اليهود والنصارى ومجالسهم، ويأتي بهم إلى مجلسه على أنهم أدباء وحكماء وأطباء ومن باب الفلسفة، وعلم الكلام الذي كانوا يتفننونه، فدخل عليه شاعر مسلم مؤمن أخذته الغيرة لله ولرسوله والحمية لدين الإسلام، فأنشده: يابن الذي طاعته في الورى وحكمه مفترض واجب..إن الذي عظمت من أجله يزعم هذا أنه كاذب. أي ما عظم المأمون إلا لأجل الرسول صلى الله عليه وسلم، ولأنه من أهل البيت ومن بني العباس وأنه خليفة المسلمين. قال: إن الذي عظمت من أجله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم يزعم هذا اليهودي أنه كاذب فقال المأمون لليهودي: أصحيح ما يقول؟ قال: نعم، فأمر بقتله.

■ (1) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

☪

يقول الشيخ سلمان العودة: ولذلك قيض الله تعالى للقرآن منذ نزل من يحفظه، من الصحابة ومن بعدهم، في الصدور وفي السطور، وبلغت عناية المسلمين بالقرآن الكريم وتدوينه، وكتابته، وحفظه، وضبطه، شيئا يفوق الوصف، حتى إن جميع حروف القرآن وكلماته مضبوطة محفوظة بقراءاتها المختلفة لا يزاد فيها ولا ينقص، وبدقة متناهية، حتى إن الرسم الذي يتناقله الناس لهذا القرآن اليوم هو الرسم الذي كتبه به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نحو ألف وأربعمائة عام، لا يختلفون في حرف واحد من القرآن الكريم زيادة ولا نقصا. قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت] وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر] على ما هو مشتهر عند أكثر علماء الأصول وغيرهم، من أن المقصود بالذكر في هذه الآية هو: القرآن. وإن كان الإمام ابن حزم رحمه الله، ذهب في كتابه إحكام الأحكام إلى أن المقصود بالذكر: القرآن والسنة. وبناء عليه؛ فإنه يستحيل أن يدخل أحد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا، ويروج هذا الحديث على أهل العلم وهو غير صحيح. وهذا حقيقة، أنه لا يمكن أن يصدق العلماء ما افتري على الرسول صلى الله عليه وسلم من الأحاديث.

☪

قيل ان أحد النصارى قال له الخليفة: لماذا لا تسلم؟ قال: أنا مقتنع بالإسلام والقرآن، ولكن هناك آية التبست علي، وأنا أرى أن فيها تأييدا لنا ولعقيدتنا نحن النصارى. قالوا: ما هي؟ قال: إن عيسى عندكم في القرآن مكتوب عنه: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء] فهو جزء من الله وهذا ما نحن نقوله: ابن الله. فالتفت الخليفة إلى من عنده من العلماء، فقال أحدهم:يا أمير المؤمنين! إن الله يعلم أن هذا الرجل سيستشهد بهذه الآية، وسيأتي بهذه الآية ليستشكل، والأمر كما قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية] فهل الأرض جزء من الله؟! و(منه) هي سؤال عن مصدر خلقها وإيجادها، وكذلك عيسى مصدر خلقه هو الله عز وجل، وكلمته لأنه مخلوق بكلمة (كن)؛ ولأنه حجة الله على عباده، وآية من آيات الله.

☪

يقول الشيخ سلمان العودة: من بيان السنة للقرآن: أن السنة قد تفرع على أصل ثابت في القرآن الكريم، فمثلا يقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ [الأحزاب] فدلت الآية على رفع الجناح – وهو الإثم والحرج– عن الإنسان فيما أخطأ به.فجاءت السنة بأشياء كثيرة بينها النبي صلى الله عليه وسلم، تدخل تحت هذه الآية، ومن ذلك: ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ﴾ فكونه جعل الناسي إذا أكل أو شرب وهو صائم معذورا يتم صومه، قد يكون مفهوما فهمه النبي صلى الله عليه وسلم من الآية السابقة، وهذا البيان الذي ربما أكون أستطرد فيه بعض الاستطرات – بيان السنة للقرآن الكريم– كما يقولون: يضع النقاط على الحروف، بحيث لا يستطيع أحد أن يتلاعب بالقرآن الكريم إذا وجدت السنة، ولذلك كان السلف يعتمدون في جدال أهل البدع على السنة.

روى اللالكائي و الدارمي عن عمر رضي الله عنه، أنه قال: سيأتي أناس يجادلونكم بمتشابهات القرآن فجادلوهم بالسنن؛ فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله.

فبين أن أهل البدعة سوف يجادلون بمتشابهات القرآن، وسبحان الله! هذا هو الذي وقع، فإن أهل البدع يتكئون كثيرا على عمومات موجودة في القرآن الكريم، جاء في السنة ما يبينها، أو يقيد مطلقها، أو يخصص عامها، أو ما أشبه ذلك.

ومثل ذلك: ما رواه ابن سعد في طبقاته من طريق عكرمة عن ابن عباس : أن عليا رضي الله عنه أرسل ابن عباس إلى الخوارج ليجادلهم، وقال له: لا تجادلهم بالقرآن؛ فإن القرآن حمال وجوه، ولكن جادلهم بالسنة، قال ابن عباس : يا أمير المؤمنين! أنا أعلم بالقرآن منهم، إن القرآن نزل في بيوتنا. قال علي رضي الله عنه : نعم، ولكن القرآن ذو وجوه فتقول ويقولون –أي تفسر القرآن بوجه ويفسرونه بوجه آخر– القرآن تقول ويقولون، ولكن حاجهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصا.

وفعلا ذهب إليهم ابن عباس فحاجهم بالسنة، فرجع كثير منهم عن بدعتهم. وكذلك روى سعيد بن منصور ، و البيهقي في المدخل، عن إبراهيم التيمي : أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى ابن عباس يسأله يقول له: كيف تختلف هذه الأمة وربها واحد وكتابها واحد ونبيها واحد؟ يتعجب عمر رضي الله عنه من احتمال اختلاف الأمة مع أن ربها واحد وقرآنها ونبيها واحد. فقال ابن عباس رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين! إن القرآن نزل علينا فعلمنا فيم نزل، وسيأتي أقوام لا يعلمون فيم نزل القرآن، فيختلفون في تفسيره، فإذا اختلفوا تنازعوا، فإذا تنازعوا اقتتلوا.

وهذا هو الواقع اليوم! انظر كم من الناس من يفسرون القرآن الكريم، أعداد هائلة من الناس يفسرون القرآن! بل إنني ألحظ أن كثيرا من أهل البدع لهم تفاسير للقرآن الكريم، ويتكئون على القرآن الكريم، ويرفضون السنة؛ لأن القرآن أتى بأصول وقواعد وكليات عامة، يحاولون أن يفهموا منها ما شاءوا، وكم من إنسان صاحب بدعة حاول أن يستر بدعته بظاهر فهمه من كتاب الله تعالى أو رد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بمعنى غير صحيح ألصقه بالقرآن الكريم! وهكذا.

فالوظيفة الأولى: أن السنة تأتي مقررة لمعنى جاء في القرآن الكريم. والوظيفة الثانية أن السنة تأتي مبينة وشارحة للقرآن الكريم!

☪

قال ابن القيم رحمه الله:وأما هارون الرشيد فإنه لما قلد الفضل بن يحي أعمال خراسان، و جعفرا أخاه ديوان الخراج، أمرهما بالنظر في مصالح المسلمين، فعمرت المساجد والجوامع والصهاريج والسقايات، وجعل في المكاتب مكاتب لليتامى، وصرف الذمة عن أعمالهم، واستعمل المسلمين عوضا عنهم، وغير زيهم ولباسهم، وخرب الكنائس، وأفتاه بذلك علماء الإسلام.

قال ابن القيم: وأما المأمون؛ فقال عمرو بن عبد الله الشيباني[1]: استحضرني المأمون في بعض لياليه ونحن بـ مصر وقال لي: قد كثرت سعايات النصارى وتظلم المسلمون منهم، وخانوا السلطان ثم ذكر قصتهم وكيف ملكوا إلى أن قال: وفيهم يقول خالد بن صفوان من قصيدة له يمدح فيها عمرو بن العاص رضي الله عنه، ويحثه على قتلهم ويغريه بهم: يا عمرو قد ملكت يمينك مصرنا وبسطت فيها العدل والإقساطا..فاقتل بسيفك من تعدى طوره واجعل فتوح سيوفك الأقباطا..فبهم أقيم الجور في جنباتها ورأى الأنام البغي والإفراطا..عبدوا الصليب وثلثوا معبودهم وتوازروا وتعدو الأشراطا. وبقي في نفس المأمون منهم، فلما عاد إلى بغداد اتفق لهم مجاهرة في بغداد بالبغي والفساد على معلمه علي بن حمزة الكسائي[2]، فلما قرأ عليه المأمون، ووصل إلى قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة] قال الكسائي: يا أمير المؤمنين! أتقرأ كتاب الله ولا تعمل به؟! فأمر المأمون بإحضار أهل الذمة، فكان عدة من صرف وسجن، ألفين وثمانمائة، وبقي جماعة من اليهود منحازين إلى حماية بعض جهاته، فخرج توقيعه بما نسخته: أخبث الأمم اليهود، وأخبث اليهود السامرة، وأخبث السامرة بنو فلان، فليقطع ما بأسمائهم من ديوان الجيش والخراج إن شاء الله تعالى.

■ (1) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، الأسدي بالولاء الكوفي المعروف بالكسائي؛ أحد القراء السبعة، كان إماما في النحو واللغة والقراءات، ولم تكن له في الشعر يد، حتى قيل: ليس في علماء العربية أجهل من الكسائي بالشعر؛ وكان يؤدب الأمين بن هارون الرشيد ويعلمه الأدب. ولد قرب الكوفة سنة 119 هـ توفي سنة 189 هـ بالري وكان قد خرج إليها صحبة هارون الرشيد. وفي ذلك اليوم توفي الإمام محمد بن الحسن الشيباني (صاحب الإمام أبي حنيفة) بالري أيضا.ويقال إن الرشيد كان يقول: دفنت الفقه والعربية بالري.

■ (2) هل هو: عمرو بن عبد الله الشيباني الحضرمي أبو عبد الجبار أو أبو العجماء عن أبي امامة وعنه يحيى بن أبي عمرو الشيباني ؟

مراجع:: دروس للشيخ سلمان العودة/ الأعلام للزركلي/ صحيح مسلم/ دروس للشيخ سفر الحوالي/

قال الآبي: كان المعتصم[1] قد قرر عند المأمون[2] أن العباس [3] يبغضه، فحطه ذلك عنده، فلما ركب المأمون في الليل (إلى المطبق) لقتل ابن عائشة[4] رأى العباس بن الحسين قد ركب مع أهله ومواليه في السلاح، فقال له المأمون: سررت بالمخاض طمعا في الولا د، فقال: معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أكون عليك مع عدو، وما أعلم في بني أبي أحدا لو ملك كان لي مثلك. قال: فما هذه العدة والعدة؟، قال: اتباع لأمر الله وقوله: ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه . قال: أنت المصدق. فلما قتل ابن عائشة وانصرف، قال له العباس: الله الله يا أمير المؤمنين في الدماء التي لا بقية معها، ولا عقوبة بعدها، والبس رداء العفو الذي ألبسك الله إياه وجملك به، وأسعدك باستعماله، فإن الملك إذا قتل أغرى بالقتل حتى يصير عادة من عاداته، ولذة من لذاته، فقال: والله يا أبا الفضل لو سمعت هذا منك قبل قتلي لابن عائشة ما قتلته. ولطفت حاله عند المأمون بعد ذلك.

وسأله المأمون عن رجل، فقال: رأيت له حلما وأناة ولم أر سفها ولا عجلة، ووجدت له بيانا وإصابة، ولم أر لحنا ولا إحالة، يجيء بالحديث على مطاويه. وينشد الشعر على معانيه، ويروي الأخبار المتقنة، ويرمي بالأمثال المحكمة.

----

(4) ابن عائشة، إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الامام: أمير عباسي. ثار على المأمون وسعى في البيعة لابراهيم بن المهدي ابن شكلة فطلبه المأمون حين استتب له الامر، فاستتر وأراد اللحاق بابن شبث الثائر، فعلم به المأمون فقبض عليه وضربه بالسياط وحبسه ثم قتله وصلبه. سنة 210 هـ قال ابن الاثير: وابن عائشة أول عباسي صلب في الاسلام.

(3) العباس بن الحسن (الحسين؟) بن عبيد الله بن عباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أبو الفضل العلوي؛ قدم بغداد في ودولة الرشيد ثم صحب المأمون، وكان شاعرا بليغا مفوها حتى قيل إنه أشعر آل أبي طالب، وتوفي سنة 193 هـ.

(2) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

(1) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يكنى أبا إسحاق، والمعتصم يقال له: الثماني، ولد بالخلد في سنة 180 هـ، وهو ثامن الملوك، والثامن من ولد العباس، استخلف أبو إسحاق محمد بن هارون سنة 218 هـ ومات بالخاقاني من سر من رأى سنة 227 هـ وكان في المعتصم مناقب، منها، أنه كان ثامن ملوك من بني العباس، وثامن أمراء المؤمنين من ولد عبد المطلب، وملك ثماني سنين وثمانية أشهر وفتح ثمانية فتوح بلاد بابك على يد الأفشين وفتح عمورية بنفسه والزط بعجيف وبحر البصرة وقلعة الأجراف وأعراب ديار ربيعة والشاري وفتح مصر وقتل ثمانية أعداء بابك ومازيار وباطس ورئيس الزنادقة والأفشين وعجيفا وقارن وقائد الرافضة.

حدث عبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد، قال: سمعت العباس بن الفرج، يقول: كتب ملك الروم إلى المعتصم كتابا يتهدده فيه فأمر بجوابه فلما قرئ عليه الجواب لم يرضه، قال للكاتب: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك قال: والجواب ما ترى لا ما تسمع، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار. قلت: غزا المعتصم بلاد الروم في سنة 223 هـ فأنكى في العدو نكاية عظيمة، ونصب على عمورية المجانيق، وأقام عليها حتى فتحها ودخلها، فقتل فيها ثلاثين ألفا، وسبى مثلهم وكان في سبيه ستون بطريقا وطرح النار في عمورية من سائر نواحيها فاحرقها، وجاء ببابها إلى العراق، وهو باق حتى الآن منصوب على أحد الأبواب دار الخلافة، وهو الباب الملاصق مسجد الجامع في القصر.

دخل أبو دلف العجلي[1] على الرشيد[2]، وهو في طارمة على طنفسة، وعند باب الطارمة شيخ على طنفسة مثلها، فقال الرشيد: يا قاسم ما خبر الجبل؟ قال: خراب يباب، اعتوره الأكراد والأعراب. قال: أنت سبب خرابه وفساده، فإن وليتك إياه؟ قال: أعمره وأصلحه. قال بعض من حضر: أو غير ذلك، فقال أبو دلف: وكيف يكون غير ذلك؟ وأمير المؤمنين يزعم أني ملكته فأفسدته وهو علي، أفتراني لا أقدر على إصلاحه وهو معي؟ فقال الشيخ: إن همته لترمي به وراء سنه مرمى بعيدا، وأخلق به أن يزيد فعله على قوله؛فقبل الرشيد وولاه، وأمر أن يخلع عليه، فلما خرج أبو دلف سأل عن الشيخ: فقيل له: هو العباس بن الحسين العلوي، فحمل إليه عشرة آلاف دينار، وشكر فعله فقال له العباس ما أخذت على معروف أجرا قط واضطرب أبو دلف وقال: إن رأيت أن تكمل النعمة عندي، وتتمها على بقبولها، فقال: هل لي عندك، فإذا لزمتني حقوق لقوم يقصر عنها مالي صككت عليك بما تدفعه عليهم إلى أن أستنفذها، فقنع أبو دلف بذلك، فما زال يصك عليه للناس، حتى أفناها من غير أن يصل إلى العباس درهم منها.

كان العباس بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم شاعرا عالما محسنا فصيحا، وكان يقال: من أراد لذة لا تبعة فيها فليسمع كلام العباس بن الحسين. قال له العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: أنت والله يا أبا الفضل أشعر بني هاشم، فقال: لا أحب أن أكون بالشعر موصوفا؛ لأنه أرفع ما في الوضيع، وأوضع ما في الرفيع. وهذا يشبه ما قاله الرشيد للمأمون فإنه قال – وقد كتب إليه بشعر – يا بني ما أنت والشعر؟ أما علمت أن الشعر أرفع حالات الدنى، وأقل حالات السنى؟ وصف العباس بن الحسين العلوي رجلا بفصاحته، فقال: ما شبهته يتكلم إلا بثعبان ينهال بين رمال، أو ماء يتغلغل بين جبال. وعزى العباس رجلا، فقال: إني لم أقل شاكا في عزمك، ولا زائدا في علمك، ولا متهما لفهمك، ولكنه حق الصديق، وقول الشفيق؛ فاسبق السلوة بالصبر، وتلق الحادثة بالشكر يحسن لك الله الذخر، ويكمل لك الأجر. قال إسحاق: أتيت العباس مرة فسلمت عليه، ثم تأخرت عنه، فقال لي: أذقتنا، فلما اشتقناك لفظتنا.

وقال له رجل: كم سنك؟ فقال: خلفت الخمسين، وإن التقاتي لطويل إليها.

قال أبو محمد اليزيدي: كنت أنا والكسائي عند العباس بن الحسين، فجاءه غلامه، فقال: كنت عند فلان وهو يريد أن يموت، فضحكت أنا والكسائي، فقال: مم ضحكتما؟ قلنا: من قول الغلام. وهل يريد الإنسان الموت؟ فقال العباس: قد قال الله عز وجل: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ [الكهف] فهل للجدار إرادة؟ وإنما هذا مكان " يكاد " فبنها والله عليها. وسأل العباس الفضل بن الربيع حاجة، فقضاها له سريعا كما أراد، فقال له: جزاك الله خيرا، فما في دون ما أتيت به تقصير ولا نقصان، ولا فوقه إحسان ولا رجحان. ووصف رجلا ثقيلا، فقال: ما الحمام على الأحرار، وحلول الدين مع الإقتار، وشدة السقم في الأسفار بآلم من لقائه. وذم أبا عباد –وهو وزير– فقال: الذليل من اعتز بك، والحائن من اعتزى إليك، والخائب من أملك، والسقيم من استشفاك.

وكان ابنه عبد الله شاعرا فصيحا يشبه بأبيه، ووقف على باب المأمون يوما فنظر إليه الحاجب ثم أطرق، فقال عبد الله لقوم معه: إنه لو أذن لنا لدخلنا، ولو صرفنا لانصرفنا، ولو اعتذرنا لقبلنا. فأما الفترة بعد النظرة، والتوقف بعد التعرف فلا أفهمه. ثم تمثل: وما عن ضا كان الحمار مطيتي..ولكن من يمشي سيرضى بما ركب. وانصرف؛ فبلغ المأمون كلامه فصرف الحاجب، وأمر لعبد الله بصلة جزيلة وعشر دواب.

وكتب إلى المأمون: الناس ثلاثة: رجل ورث خلافة أو احتقب بقرابة، فهو من قليلها في كثير، ومن صغيرها في كبير، أو رجل ولي ولاية فأطلق له من عمالته وأرزاقه ما لو سأل الجزء منه من أجزاء كثيرة على غيرها لما أجيب إليه. أو رجل خف عياله وقل ماله، فصغر قدره عن إساءة وإحسان. فهو كالخردلة تقع بين طبقي الرحا، فلا الطحن ينالها، ولا سلامتها يعتد بها. فأما من كان عياله ثلثمائة إنسان، لا يرجع إلى أثاث ولا متجر ولا صناعة ولا ضيعة، تقتضيه الأيام لأهله مئونة جارية فما أسوأ حاله إن لم يتداركه أمير المؤمنين بفضل منه! فأمر له المأمون بخمسمائة ألف درهم؛ فأتاه عبد الله بن الأمين والقاسم ابن الرشيد، فقالا: يا أمير المؤمنين؛ أتأمر لعبد الله بن العباس بمثل هذا المال؟ فما قصتنا ونحن أمس بك رحما منه؟ فقال: غلتكما فوق غلته، وخلتك مادون خلته، وعيالكما دون عياله، وقد أجلتكما شهرا؛ فإن تكلمتما بمثل كلامه أضعفت لكما ما أمرت به له.

----

(1) أبو دلف العجلي، القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل، من بني عجل بن لجيم: أمير الكرخ، أحد الامراء الاجواد الشجعان الشعراء. قلده الرشيد أعمال الجبل ثم كان من قادة جيش المأمون. وأخبار كثيرة. وله مؤلفات، وهو من علماء الغناء، يقول الشعر ويلحنه. ولي إمرة دمشق للمعتصم مات سنة 225 هـ ببغداد

(2) هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الرشيد ابن المهدي ابن المنصور. ولد بالري سنة 147 هـ ، وبويع له بمدينة السلام بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170 هـ، وتوفي بطوس سنة 193 هـ، وكان يحج سنة ويغزو سنة.

مراجع:: زهر الأداب وثمر الألباب/ تاريخ الإسلام للذهبي/ التذكرة الحمدونية/ الأعلام للزركلي/

جلس المأمون يوما للنظر في المظالم فوقف إليه رجل.قال: من أنت؟ قال: محمد بن جميل[؟]، أحد كتاب الفضل بن يحيى. فقال: يا أمير المؤمنين كنت في ناحية البرامكة فلما أصابهم قدر الله وقبضت ضياعهم، قبضت ضيعتي فيما قبض لهم، وقد أضر ذلك بي، فإن رأيت أن تلحقني بمن شمله عدلك وغمره فضلك، وتحقق حسن ظني بك، وجميل أملي فيك فعلت، قال: من أنت، قال: محمد بن جميل أحد كتاب الفضل بن يحيى[1]، فاستحسن المأمون هيئته وكلامه، وقال لأحمد بن أبي خالد[2]: اكتب إليه برد ضيعته وضمه إلى جملته، وأحسن إليه، وكان يحضر طعامه وشرابه فلا يسمع منه حديثا، إلا الافتخار بأيام البرامكة، وذكر مناقبهم وتعظيم شأنهم، فغاظه ذلك فأمر بحبسه، فأقام في الحبس أربعة أشهر، إلى أن ذكره المأمون فسأل عنه فأخبر بامره، فأمر المأمون بإحضاره على حاله تلك، فحمل إليه فقال له: بلغني ما كان من إطرائك البرامكة فقال: أتكلم بأمان يا أمير المؤمنين، قال: نعم، قال: والله لقد كانوا شفاء سقام دهرهم، وغياث جدب عصرهم، وما زالوا كهفا للاجئين، ومفزعا للملهوفين، فإن أمر أمير المؤمنين حدثته ببعض حديثهم فيعذرني على الميل إليهم قال: هات حديثك، قال: يا أمير المؤمنين قد كانت لي بهم حرمة، وصارت إلي من فضلهم نعمة، فقال لي الفضل يوما، يا محمد، قلت لبيك، قال: اشتهي أن تدعوني إلى منزلك كما يدعو الصديق صديقه، والأخ أخاه فتقعدني، على فرش بيتك وتطعمني من طبيخ أهلك، قلت: شأني أصغر من ذلك، وأحقر، وداري تضيق بذلك، فأبى علي، وقال: والله لا قبلت عذرك، قلت: فاستأجلني حولا أتأهب فيه لهذه الدعوة، فقال: لا أفعل يا بغيض، من يعطينا أمانه من الموت إلى سنة، ولكن قد أجلتك شهرين، فخرجت، فأخذت في إصلاح داري وأثاثي وآلتي إلى انقضاء الشهرين، فقال: يا محمد، ما صنعت، قلت: ما أمر به الأمير، قال: فتأذن في البكور، قلت: يتفضل مولاي الأمير، قال: فبكر علي يحيى والفضل وجعفر في خاصة خدمهم، فقال لي الفضل: إعرض علي ما طبخت، فعرفته، فقال: عجل بلون كذا فإن الوزير يستطيبه، يعني إياه، فأحضرته وتتابع ما طبخ لهم، فأكلوا وخرج الفضل إلى صحن الدار فقال: من جيرانك، قلت: عن يميني فلان التاجر وفي ظهر داري رجل قد ابتاع براحا وجمع إليه الصناع فهو لا يفتر ولا يقصر في بنائه، قال: يا محمد أفتعرفه، قلت: لا والله، قال: علي ببناء ونجار، فأتي بهما، فقال لهما: افتحا ها هنا بابا، فقلت: بالله أنشدك أن لا تؤذي جاري بسببي، فأبى، ولم أجسر أعاوده، ففتح بابا، ودعا أباه وأخاه، فدخلا معه ودخلت معهم إلى دار لم تر الناس أحسن منها ولا أبهى قد بنيت بالرخام والساج ومرهت بالذهب واللاذورد، وعمل في وسطها بستان قد نقلت إليه الأشجار المثمرة، وصنوف الزهر والرياحين، وإذا غلمان خصيان وفحول مرد كالدر المنثور، وأقبل الفضل يطوف بالدار والخزائن، وإذا هي مشحونة بكل ما يشاكلها من الفرش والأنية الحسنة، فقال: يا محمد، أيما أحسن، هذه الدار أم دارك وفرشك وآلتك، فقلت يا سيدي، وهل في الجنة إلا مثل هذه، ولا يجب أن يسكنها أحد غيرك، فملاك الله وعمرك، قال: يا محمد، أتحب أن تكون لك، قلت: لا والله، ما أرى نفسي لها أهلا، قال: فإنها والله لك، بكل ما فيها من آلة وفرش وعبيد، فبهت لا أحير جوابا، فقال: يا محمد، لا تستكبر هذا مع محلك عندنا ثم دعا بالطعام فأكلنا، وبالشراب فشربنا، فعطف يحيى على جعفر[3] فقال: إن أبا العباس قد سبقك إلى ابتداء هذه المكرمة، فلا تفوتنك خاتمتها، قال: وما ذاك؟ قال: إن محمدا قد حصل في هذه الدار بما فيها من الحشم والغلمان ولا نادة له يستعين بها عليهم فضررها عليه أكثر من نفعها، وضيعتك الفلانية تقيم أوده وتصلح حاله، قال: قد أمرت له بها وحزته إياها ودعا بكتابها فدفعه إليه، فسر يحيى وقال: لا أخلاكما الله من عارفة تشيدانها ويد عند حر تصنعانها وانصرفوا، فقال المأمون: لقد برز القوم في فضلهم فلا لوم عليك في إطرائهم وذكر مفاخرهم، وإفراطك في شكرهم، يدل على صدق حديثك، ويرغب في اصطناعك وأمر له بمائة ألف درهم وأثبته في خواصه، وكان أحسن رجاله حالا وأعلاهم همة.

----

(1) الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي، أبو العباس، وزير هارون الرشيد.وكان ابنه الفضل من رجال الكمال، ولي إمرة خراسان، وعمل الوزارة، وكان فيها - قيل - أسخى من أخوه جعفر البرمكي، ولكنه يضرب بكبره وتيهه المثل، وكان أخا للرشيد من الرضاعة وعمل الوزارة مدة لهارون، ثم حولها منه إلى جعفر، واستعمل على المشرق كله هذا، واستعمل جعفرا على المغرب كله. ولد الفضل البرمكي سنة 176 هـ وتوفي بالسجن سنة 193 هـ. (5) ابن عون عبد الله بن يزيد ؟

(2) أبو العباس، أحمد بن أبي خالد بن يزيد بن عبد الرحمن الكاتب الأحول كاتب ووزير عباسي، تولى الوزارة في عهد الخليفة العباسي المأمون. مات سنة 212 هـ

(3) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جامامش بن بشتاسف البرمكي، وزير هارون الرشيد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف الحنفي حتى علمه وفقهه، قتل في أول يوم من صفر سنة 187 هـ وصلب على الجسر ببغداد.

كان محمد بن إبراهيم(؟) قد ركبه دين، فقصد الفضل بن يحيى ومعه حق فيه جوهر وقال له: قصرت غلاتنا، وأغفل أمرنا خليفتنا ولزمنا دين احتجنا له إلى ألف ألف درهم، وكرهت بذل وجهي للتجار، ولك من يطيعك منهم، ومعي رهن ثقة بذلك. فإن رأيت أن تأمر بعضهم بقبضه وحمل المال إلينا، فدعا الفضل بالحق ورأى ما فيه وختمه بخاتم محمد بن إبراهيم، وقال: تحوج الحاجة أن تقيم اليوم عندنا، فأقام ونهض الفضل فدعا بوكيل له وأمره بحمل المال وتسليمه إلى خادم محمد بن إبراهيم وتسليم الحق الذي فيه الجوهر بختمه، ففعل الوكيل ذلك، وأقام محمد عنده في أكل وشرب ولهو ولعب إلى المغرب وليس عنده خبر، ثم انصرف إلى منزله فوجد المال والحق فغدا على الفضل ليشكره، فوجده قد سبقه بالركوب إلى دار الرشيد فوقف منتظرا له، فقيل له قد خرج من الباب الآخر، فانصرف إلى منزله فوجد الفضل قد حمل إلى منزله ألف ألف درهم، فغدا عليه فشكره وقال: ما سبب هذا المال الآخر، جعلني الله فداك، قال: بت ليلتي وقد طالت علي غما بما شكوته إلي، وأعلمت أمير المؤمنين بالحال، ولم أزل أماكسه حتى أمر بحمل ألف ألف درهم، وذكر أنه لم يصلك بمثلها قط، فقال له: صدق أمير المؤمنين، وإنما تهيأ هذا بك، وعلى يديك، وما أقدر على شيء أقضي به حقك، ولا شكر أؤدي معروفك، غير أن علي وعلي، وحلف بأيمان مؤكدة، إن وقفت بباب أحد سواك أبدا، ولا سألت غيرك حاجة أبدا، ولو استففت التراب، فكان لا يركب إلى غير باب الفضل حتى حدث من أمرهم ما حدث، فلزم بيته، فعوتب في إتيان الفضل بن الربيع فقال: والله لو عمرت ألف عام، ما وقفت بباب أحد بعد الفضل بن يحيى، ولا سألت أحدا بعده حاجة حتى ألقى الله، فلم يزل على ذلك حتى مات.

(؟) هل هو: محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي. ولي دمشق لابن عمه المهدي، ثم للرشيد، وولي مكة والموسم، وكان كبير الشأن، يذكر للخلافة. حدث عن: جعفر الصادق، وعن المنصور. روى عنه: ابنه؛ موسى، وحفيده؛ عبد الصمد، وغيرهما.وما علمت أحدا تجاسر على تضعيف هؤلاء الأمراء لمكان الدولة. ولد في حدود 122 هـ وتوفي ببغداد سنة 185 هـ

مراجع:: قطب السرور في اوصاف الخمور/ الأعلام للزركلي/ ثمرات الأوراق/ طيب المذاق من ثمرات الأوراق/

في وفيات الأعيان في ترجمة أبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف[1] البصري شيخ البصريين في الاعتزال، قال: خرجت من البصرة على برذون أريد المأمون[2] ببغداد، فسرت إلى دير هرقل*، فاذا رجل –مجنون– مشدود في حائط الدير، فسلمت عليه فرد علي السلام، وحملق إلي وقال: أمعتزلي أنت؟ قلت: نعم. قال: وإمامي أنت؟. قلت: نعم. قال: أنت إذن أبو الهذيل العلاف! قلت: أنا ذاك. قال: فهل للنوم لذة؟ قلت: نعم. قال: ومتى يجدها صاحبها؟ فقلت لقلبي: إن قلت مع النوم أخطأت، فإنه ذاهب العقل، وإن قلت قبل النوم أخطأت أيضا، لأنك أحلت على عدم، وإن قلت بعد النوم غلطت، لأنه شيء قد انقضى، قال: فتحير فهمي، وجال في الخاطر وهمي، وقلت له: قل أنت حتى أسمع منك وأنقل عنك. فقال: بشرط أن تسأل امرأة صاحب هذا الدير أن لا تضر بني يومي هذا. فسألتها فاجابت. فقال: إعلم أن النعاس داء يحل بالبدن ودواؤه النوم. فاستحسنت ذلك منه، وهممت بالإنصراف، فقال: يا أبا الهذيل قف وإسمع مسألة عظمى، قال: ما تقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم أمين هو في السماء والأرض؟ قلت: نعم. قال: أتحب أن يكون الخلاف في أمته أم الوفاق؟ قلت: بل الوفاق والاتفاق: فقال: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء] فما باله صلى الله عليه وسلم حين مرض مرض موته ما قال: هذا خليفتكم من بعدي. وقد نص صلى الله عليه وسلم على الوصية وحث عليها وحرض؟. قال أبو الهذيل: فلم أحر جوابا. وسألته الجواب فتنكرت حاله، ففتلت عنان برذوني وانصرفت عنه. فوصلت إلى المأمون فاستخبرني عن طريقي، فأخبرته بما جرى، فأمر بإحضاره على حالته التي هو عليها، فأحضر فقال له المأمون: أعد السؤال الذي سألت عنه أبا الهذيل؟ فأعاده، وكان في المجلس جماعة من العلماء الأفاضل، فما منهم من أجاب، فقال له المأمون: ما الجواب؟ فقال: سبحان الله، أكون سائلا ومجيبا في حالة واحدة؟ فقال المأمون: وما عليك أن تفيدنا؟ فقال: نعم، يا أمير المؤمنين، إعلم أن الله عز وجل حكم في سالف أزله، وقضى وقدر في سابق علمه، وأطلع نبيه صلى الله عليه وسلم من ذلك على حكمه، فلم يكن له أن يتعداه ولا أن يتخطاه، فترك الأمر على ما قدره الله تعالى وقضاه إذ لاراد لأمره، ولا معقب لحكمه، فاستحسن المأمون ذلك، وعرض له شغل فقام داخلا إلى داره فقال له المجنون: يا ابن اللخناء أخذت منفوعنا وفررت منا! فعاد المأمون وقال له: ما تشتهي؟ ففال: ألف دينار. وقال: وما تصنع بها. قال: آكل بها كسبا وتمرا، فأمر له بها وحمله إلى أهله وهو على حاله، وتوفي أبو الهذيل العلاف سنة سبع وعشرين ومائتين وذكروا أن السنة في الرأس، والنعاس في العين، والنوم في القلب، وهو غشية ثقيلة تقع على القلب، تمنعه المعرفة بالأشياء. وقد نفى الله ذلك عن نفسه، بقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة] لأنه آفة، وهوسبحانه وتعالى منزه عن الآفات. ولأنه تغير ولا يجوز عليه تبارك وتعالى.

----

(1) محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى، مولى عبد القيس، أبو الهذيل العلاف: من أئمة المعتزلة. ولد في البصرة واشتهر بعلم الكلام. قال المأمون: أطل أبو الهذيل على الكلام كإطلال الغمام على الانام. له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات. وكان حسن الجدل قوي الحجة، سريع الخاطر. وتوفي بسامرا. سنة 227 هـ أو 226 هـ ويقال: بقي إلى سنة 235 هـ. وكان قد كف بصره وخرف في آخر عمره، إلا أنه كان لا يذهب عليه شيء من الأصول، لكنه ضعف عن مناهضة المناظرين وحجاج المخالفين، وضعف خاطره. أخذ عنه علي بن ياسين وغيره من المعتزلة. له كتب كثيرة، منها كتاب سماه ميلاس على اسم مجوسي أسلم على يده.

(2) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

وفي رواية أيام الواثق: قال أبو الهذيل العلاف: رحلت من البصرة أريد العسكر فمررت بدير هرقل فقلت لأدخلن هذا الدير لأرى ما فيه، فإذا شيخ حسن اللحية في السلسلة فأدمت النظر إليه، فلما رآني لا أرد بصري عنه قال: لي معتزلي أنت؟ قلت: نعم. قال: إمامي؟ قلت: نعم. قال: تقول القرآن مخلوق؟ قلت: نعم. قال: كن أبا الهذيل. قال: أسألك؟ قلت: أنا أبو الهذيل العلاف! قلت: سل. قال: أخبرني عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أليس هو أمين في السماء وفي الأرض؟ قلت: بلى. قال: أخبرني عنه، هل به خلة ميل أو حيف أو هوى؟ قلت: لا. قال: فأخبرني عن رأيه، أليس هو الذي لا يدخله زلل وشبهة، وهو المعصوم من الشبهة والريبة؟ قلت: بلى. قال: فأخبرني عمن هو دونه من الخلق. أليس يدخلهم في رأيهم الفساد والغفلة والهوى وانهم أضداد في كل شيء وإن كانوا أخيارا؟. قلت: بلى. قال: فلأي علة لم يقم لهم علما ينصبه بقوله هذا خليفتكم بعدي فلا تقتتلوا. لمن يفعل هذا الا لا يكون الاختلاف والفساد في أمته ؟ قلت: معاذ الله أن يكون ذلك. قال: فلم تركهم وألجأهم إلى رأي من دونه في الصفة، إذ لم يحب الاختلاف والتشتت؟ فسكت لم أدر ما أقول له. فقال: مالك لا تجيب، الا تحسن؟ ثم تركته وخرجت! فلما رآني موليا ناداني الشيخ: ارجع إلينا، فرجعت إليه. فقال: أحسبك تريد الخليفة؟! قلت: نعم. قال: الا أن تصير إلى الخليفة إقضي لي حاجتي. فقلت: وما هي؟ قال: تكلم هذه الفاعلة، امرأة صاحب الدير، تطلقني، فكلمتها، فقالت: عليه في هذا ضرر، فلما رآها غير مجيبة، قال: فسلها أن تستوطني، فسألتها فأجابت، فانصرفت عنه متعجبا. فلما صرت إلى سر من رأى ودخلت على الواثق[1] قال لي ما كان حالك في سفرك ؟ قلت: أعجوبة، يا أمير المؤمنين! لم أسمع بمثلها. فقال: وما هي؟ فقصصت عليه حديث المجنون، فقال: يحضر المجنون، فأحضر وأصلح من شأنه وأدخل عليه، فلما رآني قال: حاجتنا؟. قلت: نعم. قال الواثق لمحمد بن مكحول[2]كلمة. فقال المجنون: يا أمير المؤمنين! هذا ليس يحسن شيئا، فإن كان عندك من يحسن؟. قال الواثق: فاسأل فإن المجلس مشترك، فمن كان يحسن أجابك. فسأل عن المسألة المذكورة فأحجم القوم عن الجواب، فالتفت إليه الواثق فقال: ليس ههنا من يجب فأجب. فقال: سخين العين أكون سائلا، ومجيبا في وقت؟! فقال الواثق: وما عليك أن تعلمنا. قال: أما إذا كان كذا، فنعم، إن الله سبحانه حكم فحكم في خلقه ولم يكن بد من تعبدهم وكان الاختلاف بينهم حكمة في خلقه، إذ قد كان حكم عليهم بذاك الاختلاف قبل خلقهم فأحجم، ثم قام الواثق ليدخل الدار. فقال المجنون: يا ابن الفاعلة أخذت منفوعنا وفررت! فأمر بالاحسان إليه.

أبو الهذيل محمد الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، المعروف المتكلم؛كان شيخ البصريين في الاعتزال، ومن أكبر علمائهم، وهو صاحب مقالات في مذهبهم ومجالس ومناظرات، وهو مولى عبد القيس.

وكان حسن الجدال قوي الحجة كثير الاستعمال للأدلة (القاطعة) والإلزامات. حكي أنه لقي صالح بن عبد القدوس، وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه، فقال له أبو الهذيل: لا أعرف لجزعك عليه وجها، إذ كان الإنسان عندك كالزرع، قال صالح: يا أبا الهذيل، إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال له: كتاب الشكوك ما هو يا صالح قال: هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن، ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم أنه قد كان، فقال له أبو الهذيل: فشك أنت في موت ابنك، واعمل على انه لم يمت، وإن كان قد مات، وشك أيضا في قراءته كتاب الشكوك وإن كان لم يقرأه.

ولأبي الهذيل كتاب يعرف بميلاس وكان ميلاس رجلا مجوسيا فأسلم وكان سبب إسلامه أنه جمع بين أبي الهذيل المذكور وجماعة من التنويه، فقطعهم أبو الهذيل، فأسلم ميلاس عند ذلك. وكان قد اجتمع عند يحيى بن خالد البرمكي جماعة من أرباب الكلام فسألهم عن حقيقة العشق، فتكلم كل واحد بشيء، وكان أبو الهذيل المذكور في جملتهم، فقال: أيها الوزير، العشق يختم على النواظر ويطبع على الأفئدة، مرتعة في الأجسام ومشرعة في الأكباد، وصاحبه متصرف الظنون متفنن الأوهام، لايصفو له مرجو (موجود؟) ولايسلم له موعود، تسرع إليه النوائب. وهو جرعة من نقيع الموت ونقعة من حياض الثكل، غير أنه من أريحية تكون في الطبع وطلاوة توجد في الشمائل، وصاحبه جواد لايصغي إلى داعية المنع ولا يصيخ لنازع العذل. وكان المتكلمون ثلاثة عشر شخصا، وأبو الهذيل ثالث من تكلم منهم، ولولا خوف الإطالة لذكرت كلام الجميع. ورأيت في بعض المجاميع أن أعرابية وصفت العشق (بكلام؟) ، فقلت في صفته: خفي عن أن يرى وجل عن أن يخفى، فهو كامن ككمون النار في الحجر: إن قدحته أورى وإن تركته توارى، وإن لم يكن شعبة من الجنون فهو عصارة السحر.

----

(1) هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنى أبا جعفر.ولد سنة 196 هـ أو 200 هـ، وبويع له بعد وفاة أبوه المعتصم سنة 227 هـ، ومات بسر من رأى سنة 232 هـ

(2) هل هو ؟ :وأبو المعين محمد بن مكحول بن الفضل النسفي روى عن أبيه مكحول وأبي عبد الله محمد بن عقيل البلخي مات في محرم سنة 375 هـ ؟

مراجع:حياة الحيوان الكبرى/ سير أعلام النبلاء/ الأعلام للزركلي/ إكمال الكمال/ عقلاء المجانين/ وفيات الأعيان/

◆ سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي (عامل، أبو العباس عبد الله المأمون، سابع ملوك الدولة العباسية) وأبو دهمان 0888

كان سعيد بن سلم[1] واليا على أرمينية فورد عليه أبو دهمان الغلابي[2] فلم يصل إليه إلا بعد حين فلما وصل قال وقد مثل بين السماطين(أي الصفين):والله إني لأعرف أقواما لو علموا أن سف التراب يقيم من أود أصلابهم لجعلوه مسكة لأرماقهم، إيثارا للتنزه عن العيش الرقيق الحواشي، والله إني لبعيد الوثبة، بطيء العطفة، إنه والله ما يثنيني عليك إلا مثل ما يصرفني عنك، ولأن اكون مملقا مقربا أحب إلي من أن أكون مكثرا مبعدا، والله ما نسأل عملا لا نضبطه ولا مالا إلا ونحن أكثر منه، وإن الذي صار في يدك قد كان في يد غيرك فأمسوا والله حديثا، إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر ولين الحجاب؛ فإن حب عباد الله موصول بحب الله وهم شهداء الله على خلقه وأمناؤه على من اعوج عن سبيله.

قال سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي: خرجت حاجا فمللت المحمل، فنزلت أساير القطرات*، فأتانا أعرابي فقال لي: يا فتى! لمن الجمال بها عليها؟ قلت: لرجل من باهلة. قال الأعرابي: يا الله! أن يعطي الله باهليا كل ما أرى. قال سعيد: فأعجبني ازدراؤه بهم؛ ومعي صرة فيها مائة دينار فرميت بها إليه؛ فقال: جزاك الله خيرا، وافقت مني حاجة. فقلت: يا أعرابي! أيسرك أن تكون الجمال بما عليها لك وأنت من باهلة؟ قال: لا، قلت: أفيسرك أن تكون من أهل الجنة وأنت باهلي؟ قال: بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أني من باهلة! فقلت: يا أعرابي الجمال بما عليها لي وأنا من باهلة، فرمى الأعرابي بالصرة إلي، فقلت: سبحان الله! ذكرت أنها وافقت منك حاجة؛ قال: ما يسرني أن ألقى الله ولباهلي عندي يد!..قال سعيد: فحدثت المأمون بهذا؛ فجعل يتعجب ويقول: ويحك يا سعيد؛ ما كان أصبرك عليه!

قال سعيد بن مسلم بن قتيبة للمأمون لو لم أشكر الله تعالى إلا على حسن ما أبلانى من أمير المؤمنين من قصده إلى بحديثه وإشارته إلى بطرفه لقد كان في ذلك أعظم الرفعة وأرفع ما توجبه الحرمه، فقال: يفعل أمير المؤمنين ذلك لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الإفهام إذا حدثت وحسن الفهم إذا حدثت ما لم يجده عند أحد ممن مضى ولا يظن أنه يجد عنه أحد ممن بقى فإنك لتستقصي حديثي وتقف عند مقاطع كلامي وتخبر بما كنت أغفلته منه.

----

*(القطرات) القطار من الإبل: قطعة منها يلي بعضها بعضا على نسق واحد، جمع: قطر، وقطرات. (باهلة) قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان، من العدنانية، وهم: بنو سعد مناة بن مالك بن أعصر، واسمه منبه بن سعد بن قيس بن عيلان. وقيل باهلة هم بنو مالك بن أعصر نسبوا إلى أمهم باهلة، وهم معن وحارثة وسعد مناة أمهم باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة من مذحج.

■ (2) محمد بن أبي الأسود بصري عربي ممن أدرك دولتي بني أمية وبني العباس ومدح المهدي، وكان أميرا على نيسابور، من عمال يحيى بن خالد (زمن الرشيد!). اختلف في اسمه يقال: أبو دهمان الغلابي أو العلاني وفي رواية: أبو زهمان العلاني أو العلاقي.

■ (1) سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو، الباهلي، الذي ولي أرمينية، والموصل، والسند، وسجستان، وله أخبار ومناقب، وهو حفيد الأمير قتيبة بن مسلم الباهلي المشهور ومكانه تولى سعيد أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة وهو والد عمرو بن سعيد. توفي سعيد زمن المأمون، سنة 217 هـ.

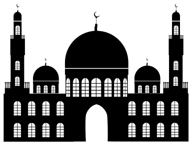

قال الشيخ محمد المنجد: باهلة قبيلة من قبائل العرب، وكان فيها أشياء تشينها، منها: أنهم كانوا يغلون عظام الميتة ويشربونها، كان يفعلون أشياء تشين بالنفس، ولذلك كانوا في الجاهلية مذلين من قبل العرب، كانت أذل قبيلة هي باهلة، حتى قيل لأعرابي: أترضى أن تدخل الجنة وأنت من باهلة؟ قال: لا، إلا ألا يعلم أهل الجنة أني من باهلة. وقبيلة باهلة دخلها الإسلام، ودخل الإسلام صحابة كبار من قبيلة باهلة، فمن الخطأ الاعتقاد السيئ في قبيلة باهلة، وهو شيء جاهلي، وحين جاء الإسلام، صار الانتساب للإسلام، فإذا كان من قريش رجل فاجر فهو ذليل، ولو كان من باهلة وهو مسلم تقي، فهو عزيز، ولذلك قال الله عز وجل لنوح عليه السلام:﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود] مع أنه ولد نوح لصلبه، يقول له: إنه ليس من أهلك، لأنه كفر: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود] وذكره الله مع الكافرين، فقال الله عز وجل يعلم نوحا، ويعلم المؤمنين من بعده إلى قيام الساعة:﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود] فنفى الله عن نوح هذا الولد، وجعله يتبرأ منه، وكذلك إبراهيم عليه السلام، فكما أنه ما نفعت نبوة نوح ابن نوح، كذلك ما نفعت نبوة إبراهيم أبا إبراهيم، فهذا آزر أبو إبراهيم مات على الكفر، والله عز وجل يوم القيامة يقول:﴿إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ كما في حديث البخاري: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُتَلَطِّخٍ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ﴾ (بذيخ) الذيخ ذكر الضبع الكثير الشعر، أري أباه على غير هيئته ومنظره ليسرع إلى التبرء منه (متلطخ) متلوث بالدم ونحوه.أي: يمسخ الله عز وجل آزر هذا بشكل ضبع متلطخ بقذارته، ثم يؤخذ هذا الضبع المتسخ من قوائمه ويوضع في النار، فهذا مصير أبي إبراهيم، يمسخ ضبعا متسخا، ثم يؤخذ به ويلقى في النار.ولذلك يقول الشاعر: ولا ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهلة.

مراجع: سراج الملوك/ الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ حسن السلوك الحافظ دولة الملوك/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ وفيات الأعيان/ العقد الفريد/ الأغاني/ جمهرة خطب العرب / دروس للشيخ محمد المنجد/

قال حنبل بن إسحاق (ابن عم الإمام أحمد) حضرت أبا عبد الله[1] وابن معين[2] عند عفان[3] بعدما دعاه إسحاق بن إبراهيم[4] للمحنة، وكان أول من امتحن من الناس عفان، فسأله يحي من الغد بعد أن أمتحن وأبو عبد الله حاضر ونحن معه. فقال: أخبرنا بما قال لك إسحاق؟ قال: يا أبا زكريا لم أسود وجهك ولا وجوه أصحابك، إني لم أجب. فقال له: فكيف كان؟ قال: دعاني وقرأ علي الكتاب الذي كتب به المأمون من الجزيرة، فإذا فيه: امتحن عفان، وادعه إلى أن يقول: القرآن كذا وكذا، فإن قال ذلك فأقره على أمره، وإن لم يجبك إلى ما كتبتُ به إليك فاقطع عنه الذي يجرى عليه. وكان المأمون يجري على عفان كل شهر خمس مائة درهم وقيل ألف درهم. فلما قرأ عليّ الكتاب. قال لي إسحاق: ما تقول؟ فقرأت عليه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] حتى ختمتها. فقلت: أمخلوق هذا؟ فقال: يا شيخ إن أمير المؤمنين يقول: إنك إن لم تجبه إلى الذي يدعوك إليه يقطع عنك ما يجري عليك. فقلت:﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات] فسكت عني وانصرفت، فسُرَّ بذلك أبو عبد الله ويحيى، قال القاسم ابن أبي صالح يروي عن إبراهيم بن ديزيل[5] يقول: كنت آخذا بلجام حماره، فلما حضر، عرض عليه القول، فامتنع أن يجيب، فقيل له: يُحبس عطاؤك. قال: وكان يُعطَى في كل شهر ألف درهم، فقال:﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فلما رجع إلى داره عذله نساؤه ومن في داره ، قال: وكان في داره نحو أربعين إنسانا، فدق عليه داق الباب، فدخل عليه رجل شبهته بسَمَّان أو زَيَّات، ومعه كيس فيه ألف درهم، فقال: يا أبا عثمان ثبَّتَكَ الله كما ثَبَّتَ الدِّين، وهذا في كل شهر.

■ (3) عفان بن مسلم بن عبد الله الباهلي، أبو عثمان الصفار، البصري، مولى عزرة بن ثابت الأنصاري. ثقة ثبت ، جمع بين العلم والتقى، ولد سنة134 هـ، وتوفي ببغداد في سنة 220 هـ، وقيل تسع عشرة، وله خمس وثمانون سنة. أسند عفان عن جماعة من الأئمة كشعبة والحمادين. قال ابن المديني: كان إذا شك في حرف من الحديث تركه، وربما وهم، وقال ابن معين: أنكرناه في صفر سنة تسع عشرة، ومات بعدها بيسير، من كبار العاشرة.

■ (2) يحيى بن معين هو الإمام الحافظ شيخ المحدثين أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام المري، ولد سنة 158 هـ، وتوفي ليلة الجمعة سنة 233 هـ

■ (1) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن إدريس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة الشيباني الذهلي من ربيعة أصله مروزي سكن بغداد كنيته أبو عبد الله كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة أغاث الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه. ولد في ربيع الأول سنة164 هـ وتوفي في سنة 241 هـ. روى عن محمد بن جعفر غندر وعن هشيم بن بشير وعن معتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن كثير ومحمد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الرزاق وأبي داود الطيالسي سليمان بن داود ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة وإسماعيل بن علية وسفيان بن عيينة ويعقوب بن إبراهيم.

■ (4) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، الأمير ابن عم طاهر بن الحسين. ولي إمرة بغداد أكثر من 30 سنة وعلى يده أمتحن العلماء بأمر المأمون وأكرهوا على القول بخلق القرآن. وكان خبيرا صائبا سائسا حازما وافر العقل، جودا ممدحا، له مشاركة في العلم. توفي سنة 235 هـ. وولي بعده ابنه محمد.

■ (5) إبراهيم بن الحسين بن علي ويقال ابن سني أبو إسحاق الهمذاني الكسائي، المعروف بابن ديزيل، يعرف بدابة عفان لكثرة ملازمته إياه، ويعرف بسيفنة وهو اسم طائر بمصر لا يقع على شجرة إلا أكل ورقها ولا يفارقها وكذلك كان إبراهيم لا يقدم على شيخ ويفارقه إلا بعد أن يكتب جميع حديثه سمع بالحجاز والشام ومصر والعراق وروى عنه جماعة من الكبار قال إذا كان كتابي بيدي وأحمد بن حنبل عن يميني وابن معين عن يساري لا أبالي يعني بضبطه وجودة كتبه وتوفي سنة 281 هـ.

أيها الإخوة المؤمنين، نعم يا ليت القلوب الحائرة فقهت ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات] ويا ليتهم إذ سمعوها فقهها ولم يعلقوا قلوبهم إلا برب السماء، فلم يسودوا وجههم ويجيبوا أصحاب السلطان إلى ضلالتهم وما يردونهم عليه من الباطل، ويا ليت أتباع الحق من الصابرين إذ رأوا ثبت أهل الحق والصلاح على حقهم وقفوا معهم وثبتوهم ليحسوا بالقوة بإخوانهم حيث يتعاون الكل على البر والتقوى فيثبتوا الدين وأهل الدين.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَوْأَنَّ أَحَدَكُمْ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ لَأَدْرَكَهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ﴾ وعنه قال:﴿أَرْسَلَنِي أَهْلِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ أَسْأَلُهُ طَعَامًا فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنِ اسْتَعَفَّ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ عَبْدٌ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الصَّبْرِ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَسْأَلْهُ شَيْئًا، وَلَقَدْ أَصْبَحْتُ وَمَا فِي عَشِيرَتِي رَجُلٌ أَيْسَرُ مِنِّي﴾ يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود]

قال الشيخ الإمام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه الفصول في الأصول سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول سمعت الإمام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول سمعت الشيخ أبا حامد الإسفراييني[1] يقول مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال أنه مخلوق فهو كافر والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعا من الله والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي نتلوه نحن مقروء بألسنتنا وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا ومقروءا وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال إنه مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر] أي غير مخلوق. وحدث أحمد بن إسحاق: سمعت عبد الرحمن بن مهدي[2] ،وذكروا عنده الجهمية، وأنهم يقولون: القرآن مخلوق، فقال: إنهم يريدون أن ينفوا عن الله الكلام، وأن يكون القرآن كلام الله، وأن الله تعالى كلم موسى، وقد ذكره الله تعالى، فقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء] وعن جعفر بن محمد، عن أبيه أنه سأله: إن قوما يقولون: القرآن مخلوق؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله. حدث سعيد بن عمرو البرذعي، قال: سمعت أبا زرعة، يقول: كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمار، ولا عن أبي معمر، ولا يحيى بن معين، ولا أحد ممن امتحن فأجاب. قال يحيى بن معين: القرآن كلام الله وليس بمخلوق. وكان يحيى رحمه الله من أئمة السنة، فخاف من سطوة الدولة، وأجاب تقية. قال هلال بن العلاء: من الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم، أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، والشافعي، وأبو عبيد القاسم بن سلام. فأما أحمد بن حنبل فثبت في دين الله، ولولا ذلك لارتد الناس، وأما يحيى بن معين فأنفاه الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما الشافعي ففقه الناس في دين الله، وأما أبو عبيد ففسر الغريب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

■ (1) أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني الفقيه الشافعي، ولد سنة 344 هـ وقدم بغداد سنة 363 هـ ودرس الفقه بها وتوفي سنة 406 هـ. ببغداد، ودفن من الغد في داره ثم نقل إلى باب حرب في سنة 410 هـ. ونسبته إلى إسفراين وهي بلدة بخراسان بنواحي نيسابور، على منتصف الطريق إلى جرجان.

■ (2) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري، وقيل: الأسدي. مولاهم، أبو سعيد البصري اللؤلؤي. ولد سنة 135هـ. والإمام أحمد من تلامذته، فهو من الطبقة التي هي فوق طبقة الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وعلي بن المديني ويحيى بن معين والقاسم بن سلام وغيرهم. روى عن أيمن بن نابل، وجرير بن حازم، وعكرمة بن عمار، وأبي خلدة، وخالد بن دينار، ومهدي بن ميمون، ومالك، وشعبة، والسفيانين، والحمادين، وإسرائيل، وحرب بن شداد، ومحمد بن راشد، ومالك بن مغول، ووهيب، وهشام بن سعد وغيرهم. وروى عنه ابن المبارك -وهو أعلى منه طبقة ومن شيوخه- وابن وهب -وهو عبد الله بن وهب، وكان من قضاة مصر، وكان شيخ ابن لهيعة وهو أكبر منه -وابنه موسى، وأحمد، وإسحاق، وعلي، ويحيى بن معين، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وأبو ثور، وأبو خيثمة، وأبو عبيد القاسم بن سلام -وكان من تلامذة القطان - وإبراهيم بن محمد، وابن أبي شيبة، وغيرهم. توفي ابن مهدي بالبصرة سنة 198هـ

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ معجم ابن الأعرابي/ الوافي بالوفيات / من أعلام السلف/

◆ السري بن الحكم أمير مصر (عامل أبو العباس عبد الله المأمون، سابع ملوك الدولة العباسية) وإبراهيم بن إسحاق، قاضي مصر 0890

قال أبو عمر الكندي: لما مات لهيعة بن عيسى[1] في ذي القعدة سنة أربع ومائتين، ولي السري بن الحكم[2] أمير مصر، إبراهيم بن إسحاق[3] القضاء لعشر بقين من ذي القعدة، وجمع له القضاء والقصص. وذكره ابن يونس في تاريخه فقال: كان صالحا صدوقا، متشددا، أغلظ للسرى في القول، وقال له: تحدون الزاني وأنتم تزنون! وتقطعون السارق وأنتم تسرقون! وتجلدون في الخمر وأنتم تشربون؟ فلم يزل يرفق به حتى ولي. وشدد على الناس وصمم في الحق، فاختصم إليه رجلان في شيء، فأمر بالكتابة على أحدهما بإنفاذ الحكم، فتشفع المحكوم عليه بابن أبي عون[4] إلى الأمير السري بن الحكم، فأرسل إليه السرى أن يتوقف عن الحكم إلى أن يصطلحا، فإن لم يصطلحا أنفذ الحكم. فجلس إبراهيم في منزله، وامتنع عن القضاء، فركب إليه السرى وسأله الرجوع، فقال لا أعود إلى ذلك المجلس أبدا، ليس في الحكم شفاعة. فلما صمم على الامتناع، ولي السرى إبراهيم بن الجراح[5] وذلك في جمادى الأولى سنة خمس ومائتين.ومات إبراهيم بن إسحاق بعد انفصاله بشهر واحد في جمادى الآخرة من السنة.

■ (3) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن القاري، نسبة إلى القارة القبيلة المعروفة، وهم حلفاء بني زهرة، ولذلك يقال له الزهري. مصري من أهل المائة الثالثة، كان ممن أخذ عن مالك والليث وابن لهيعة. توفي سنة 205 هـ

■ (2) السري بن الحكم بن يوسف: أمير، من الولاة. كان مقداما فاتكا فيه دهاء. أصله من خراسان. دخل مصر في أيام الرشيد. ولما مات الرشيد، ودعا المأمون إلى خلع الأمين، قام السري بالدعوة في مصر، فارتفع شأنه، وكان شجاعا فأحبه الجند. وولي مصر سنة 200 هـ، فأقام ستة أشهر وثار عليه بعض قواد الجند، فخلعوه سنة 201 هـ وانتهبوا منزله، فأعاده المأمون إلى الولاية في السنة نفسها، فتتبع آثار القائمين بالثورة فقتل وصلب كثيرين، وأباد أهل الحوف، وامتنع عليه جمع من الجند فتغلب عليهم وأخرجهم في مركب بالنيل، ومعهم أخ له، فأغرقهم جميعا. وأقام في ولايته إلى أن توفي سنة 205 هـ

■ (1) لهيعة بن عيسى بن لهيعة بن عقبة الحضرمي، من حضارمة مصر. ولي قضاءها سنة 196 هـ، أيام خلع الأمين العباسي، والفتنة مشتعلة، وعطاء أهل الديوان معطل، فجمع لهيعة أموال الأحباس (الأوقاف) وفرض فيها فروضا، وأجرى العطاء، فحمد له ذلك وصار سنة بعده. وسميت طريقته فروض لهيعة إلى أن سماها ابن أبي اللطيث فروض القاضي وعزل سنة 198 هـ وأعيد في مبتدأ 199 فاستمر إلى أن مات204 هـ، وهو على القضاء.

■ (8) إبراهيم بن الجراح بن صبيح مولى بني تميم من بني مازن من أهل مرو الروذ سكن الكوفة وولي القضاء بمصر خمسا وعشرين سنة وعزل سنة 211 هـ ومات بمصر سنة 217 هـ

■ (4) ابن أبي عون (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

الشفاعة (في اللغة): من شفع إلى فلان في الأمر شفعا، وشفاعة طالبه بوسيلة، أو ذمام. ويقال شفع الشيء: ضم مثله إليه، فجعل الوتر شفعا. أو هي التوسط بالقول في وصول شخص إلى منفعة دنيوية أو أخروية أو إلى خلاص من مضرة كذلك. أو هي سؤال التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه. واستشفع بفلان إلي طلب منه أن يشفع فشفعته أي قبلت شفاعته.والشفاعة إن كانت إلى الله فهي الدعاء للمشفوع له، ففي الأثر:﴿مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ﴾ وإن كانت إلى الناس فهي كلام الشفيع للملك في حاجة يطلبها لغيره إلى من يستطيع قضاءها كالملك مثلا. ولا يخرج اصطلاح الفقهاء عن المعنى اللغوي. والشفاعة قسمان:

- الشفاعة الحسنة: أن يشفع الشفيع لإزالة ضرر أو رفع مظلمة عن مظلوم أو جر منفعة إلى مستحق ليس في جرها ضرر ولا ضرار فهذه مرغوب فيها ومأمور بها، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة] وللشفيع نصيب في أجرها وثوابها قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ [النساء] ويندرج فيها دعاء المسلم لأخيه المسلم عن ظهر الغيب. كقوله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ﴾.
- والشفاعة السيئة: أن يشفع في إسقاط حد بعد بلوغه السلطان أو هضم حق أو إعطائه لغير مستحقه وهي منهي عنها لأنها تعاون على الإثم والعدوان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة] وللشفيع في هذا كفل* من الإثم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ [النساء] والضابط العام: أن الشفاعة الحسنة هي: ما كانت فيما استحسنه الشرع والسيئة فيما كرهه وحرمه.
- الشفاعة في الآخرة: قال سعيد بن وهف رحمه الله: الشفاعة ملك لله وحده، لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر] وكل من قال: إن الأنبياء والصالحين والملائكة أو غيرهم من المخلوقين لهم عند الله جاه عظيم ومقامات عالية فهم يشفعون لنا عنده كما يتقرب إلى الوجهاء والوزراء عند الملوك والسلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم، فهذا القول من أبطل الباطل؛ لأنه شبه الله العظيم ملك الملوك بالملوك الفقراء المحتاجين للوزراء والوجهاء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم..، والله عز وجل ليس كخلقه الضعفاء، فهو تعالى لا تخفى عليه خافية، وغني عن كل ما سواه، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها...انتهى.

وقالت العلماء: أجمع أهل السنة، والجماعة على وقوع الشفاعة في الآخرة ووجوب الإيمان بها. لصريح قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه] وقال عز من قائل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء] وقد جاءت الأحاديث التي بلغت بمجموعها حد التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المسلمين، فيشفع له من يأذن له الرحمن من الأنبياء والملائكة وصالحي المؤمنين. وفي صحيح مسلم جاء في حديث الشفاعة:﴿فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ.. إلخ﴾ قال العلماء: الشفاعة في الآخرة خمسة أقسام: أولها: مختصة بنبينا صلى الله عليه وسلم وهي: الإراحة من هول الموقف، وتعجيل الحساب، وهي: الشفاعة العظمى*. ثانيها: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهذه أيضا خاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم. ثالثها: الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا، ومن شاء الله تعالى. رابعها: فيمن دخل النار من المذنبين: فقد جاءت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم والملائكة وإخوانهم من المؤمنين. خامسها: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها. ويجوز للإنسان أن يسأل الله أن يرزقه شفاعة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.

قال النووي في شرح صحيح مسلم: قال القاضي عياض: قد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضي الله عنهم: شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم ورغبتهم فيها، وعلى هذا لا يلتفت إلى من قال: إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى: أن يرزقه شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لكونها لا تكون إلا للمذنبين؛ لأن الشفاعة قد تكون لتخفيف الحساب، وزيادة الدرجات. ثم كل عاقل: معترف بالتقصير محتاج إلى العفو غير معتد بعمله مشفق من أن يكون من الهالكين. ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة ، والرحمة لأنها لأصحاب الذنوب.

- الشفاعة في الدنيا: وهي الشفاعة في الحد، والشفاعة في التعازير، والشفاعة إلى ولاة الأمور.

قال ابن قدامة: ولا بأس بالشفاعة في السارق ما لم يبلغ الإمام فإنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿تَعَافَوْا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ﴾ وقال الزبير بن العوام في الشفاعة في الحد: يفعل ذلك دون السلطان فإذا بلغ الإمام فلا أعفاه الله إن أعفاه. وممن رأى ذلك الزبير وعمار وابن عباس وسعيد بن جبير والزهري والأوزاعي. وقال مالك: إن لم يعرف بشر فلا بأس أن يشفع له ما لم يبلغ الإمام وأما من عرف بشر وفساد فلا أحب أن يشفع له أحد ولكن يترك حتى يقام الحد عليه. وأجمعوا على أنه إذا بلغ الإمام لم تجز الشفاعة فيه؛ لأن ذلك إسقاط حق وجب لله تعالى وقد غضب النبي صلى الله عليه وسلم حين شفع أسامة في المخزومية التي سرقت وقال له: ﴿أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟﴾* وقال ابن عمر: من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في حكمه.

وجاء في المدونة: قلت: أرأيت القذف، أتصلح فيه الشفاعة بعدما ينتهي إلى السلطان؟ قال: قال مالك: لا تصلح فيه الشفاعة إذا بلغ السلطان أو الشرط أو الحرس. قال: ولا يجوز فيه العفو إذا بلغ الإمام إلا أن يريد سترا*. قال مالك: والشرط والحرس عندي بمنزلة الإمام إذا وقع في أيديهم لم تجز الشفاعة بعد، ولا يجوز لهم أن يخلوه فإن عفا المقذوف عن ذلك بعد بلوغ السلطان لم يجز عفوه عند مالك إلا أن يريد سترا*. قلت: أرأيت الشفاعة في التعزير* أو النكال* بعد بلوغ الإمام، أيصلح ذلك أم لا ؟ قال: قال مالك في الذي يجب عليه التعزير أو النكال فيبلغ به الإمام. قال مالك: ينظر الإمام في ذلك، فإن كان الرجل من أهل المروءة والعفاف وإنما هي طائرة أطارها تجافى السلطان عن عقوبته، وإن كان قد عرف بذلك وبالطيش والأذى ضربه النكال، فهذا يدلك على أن العفو والشفاعة جائزة في التعزير وليست بمنزلة الشفاعة في الحدود. انتهى. وأورد الصنعاني جملة من الأحاديث والآثار في النهي عن الشفاعة في الحدود بعد بلوغها للإمام، ثم قال: وهذه الأحاديث متعاضدة على تحريم الشفاعة بعد البلوغ إلى الإمام وأنه يجب عليه إقامة الحد، وادعى ابن عبد البر الإجماع على ذلك..، ونقل الخطابي عن مالك أنه فرق بين من عرف بأذية الناس وغيره فقال: لا يشفع في الأول مطلقا وفي الثاني تحسن الشفاعة قبل الرفع؛ وفي حديث عن عائشة ﴿أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ﴾ ما يدل على جواز الشفاعة في التعزيرات لا في الحدود. ونقل ابن عبد البر الاتفاق على ذلك. انتهى.

والشفاعة إلى ولاة الأمور إن كانت في حاجة المسلمين فهي مستحبة لقوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ [النساء] ولما في الصحيحين عن أبي موسى: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال:﴿اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ﴾ ولا يجوز لك أن تأخذ مقابل على هذه الشفاعة والواسطة. عن أبي أمامة مرفوعا: ﴿مَنْ شَفَعَ لأَحَدٍ شَفَاعَةً فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً فَقَبِلَهَا فَقَدْ أَتَى بَاباً عَظِيماً مِنَ الرِّبَا﴾.

---

*(الشفاعة العظمى) المقام المحمود؟(الكفل) الحظ والنصيب (التعزير) ضرب دون الحد (النكال) العقوبة. والنكال اسم لما جعلته نكالا لغيره إذا بلغه أو رآه خاف أن يعمل عمله (الحد والحدود) محارم الله وعقوباته المحددة التي قرنها بالذنوب (إلا أن يريد سترا) باب الرجل يعترف بحد لا يسميه فيستره الإمام: روى عن أنس في سنن البيهقي الكبرى، وروى في ذلك أيضا أبو أمامة قال: ﴿كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ قَالَ: فَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ قَالَ: فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا فَرَغَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَبِعَهُ الرَّجُلُ وَتَبِعْتُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْ عَلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَيْسَ خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ وَصَلَّيْتَ مَعَنَا؟ قَالَ: الرَّجُلُ بَلَى قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ أَوْ ذَنْبَكَ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة:﴿أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمْ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا﴾

مراجع:الأعلام للزركلي/ لسان الميزان/ رفع الإصر عن قضاة مصر/ لسان العرب/ الموسوعة الفقهية الكويتية/ صحيح مسلم/ المدونة/ سبل السلام/ سنن البيهقي الكبرى/ مسند أحمد/

حدث الإمام أحمد [1] عن محنته، فكان من ما رواه عن قصته مع المعتصم [2] مشاهد سطرها التاريخ بمداد من ذهب، وكان من ما روى رحمه الله: فلما كان اليوم الثالث، أدخلت على المعتصم والقوم حاضرون، فجعلت أدخل من دار إلى دار، وقوم معهم السيوف، وقوم معهم السياط، وغير ذلك من الزي والسلاح، حتى صرت إليه. قال ناظروه، وكلمه. فعادوا بمثل منظرتهم حتى إذا كان في الوقت الذي كان يخلو بي فيه، دعاني، فخل بي وبعبد الرحمان أبن إسحاق، فقال لي، ويحك يا أحمد، أنا والله عليك شفيق، وإني لأشفق عليك مثل شفقتي على هارون أبني، فأجبني، فقلت، يا أمير المؤمنين، اعطوني شيء من كتاب الله وسنة رسوله، فلما ضجر وطال المجلس، قال، عليك لعنة الله لقد كنت طمعت فيك، خذوه خلعوا ثيابه واسحبوه. فأخذت فسحبت، ثم قال، العقابين، والسياط. فجيء بالعقابين والسياط. ثم قال للجلدين، تقدموا، فنظر إلى السياط فقال أأتوا بغيرها، ثم قال، تقدموا، فقال لأحدهم أدنوا، أوجع قطع الله يدك، فتقدم فضربني سوطين ثم تنحى. قال المقريزي ، فلما ضرب أحمد سوط قال باسم الله، فلما ضرب الثاني قال، لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما ضرب الثالث، قال، القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما ضرب الرابع، قال، لن يصبنا إلا ما كتب الله لنا. فضربه مئتين وعشرين سوط. وكانت تكة سراويله قد انقطعت، فنزل السروال إلى عانته، فقلت، الساعة ينتهك، فرمى الإمام طرفه إلى السماء وحرك شفتيه، فما كان أسرع من أن بقي السروال ولم ينزل. قال ميمون، فدخلت على أبي عبد الله بعد سبعة أيام، فقلت أيا أبي عبد الله، رأيتك يوم ضربوك قد انحل سراويلك، فرفعت طرفك إلى السماء، ورأيتك تحرك شفتيك، فأي شيء قلت ؟، قال قلت، اللهم إني أسألك باسمك الذي ملئت به العرش إن كنت تعلم أني على صواب فلا تهتك لي سترا. قال الإمام أحمد، ثم قام المعتصم، حتى جاءني وهم محدقون به، فقال، ويحك يا أحمد، تقتل نفسك، ويحك أجبني أطلق عنك بيدي. فجعل بعضهم يقول لي، ويحك إمامك على رأسك قائم، وجعل عجيف ينخس بقائم سيفه، ويقول تريد أن تغلب هؤلاء كلاهم، ثم يقول بعضهم، يا أمير المؤمنين، دمه في عنقي. ثم رجع فجلس، ثم قال لجلاد، شد قطع الله يدك، ثم لم يزل يدعو جلاد بعد جلاد يضربني سوطين ويتنحى، وهو يقول، شد قطع الله يدك، ثم قام إلي ثانية، فجعل يقول، يا أحمد أجبني، فجعل عبد الرحمان أبن إسحاق يقول لي، من صنع بنفسه من أصحابك في هذا الأمر مثلما صنعت، فهذا يحي بن معين، وهذا أبو خيثمة وأبن أبي إسرائيل، وجعل يعدد من أجاب، وجعل المعتصم يقول، ويحك أجبني، فجعلت أقول نحوا من ما كنت أقوله لهم. قال الرواة، فقال المعتصم لواحد منهم، بكم تقتله؟، فقال بخمسة عشر أو عشرين سوط، فقال، شد قطع الله يدك. يقول الإمام أحمد، ثم جعل يقول للجلاد، شد قطع الله يدك، فذهب عقلي وما عقلت إلا وأنا في حجرة مطلق اليد، فقال إنسان ممن حضر، إنا كببنك على وجهك وطرحنا على ظهرك بارية ودسناك، قلت ما شعرت بذلك.

■ (1) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن إدريس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة الشيباني الذهلي من ربيعة أصله مروزي سكن بغداد كنيته أبو عبد الله كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة أغاث الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه. ولد في ربيع الأول سنة164 هـ وتوفي في سنة 241 هـ

■ (2) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يكنى أبا إسحاق، والمعتصم يقال له: الثماني، ولد بالخلد في سنة 180 هـ، وهو ثامن الملوك، والثامن من ولد العباس، استخلف أبو إسحاق محمد بن هارون سنة 218 هـ ومات بالخاقاني من سر من رأى سنة 227 هـ وكان في المعتصم مناقب، منها، أنه كان ثامن ملوك من بني العباس، وثامن أمراء المؤمنين من ولد عبد المطلب، وملك ثماني سنين وثمانية أشهر وفتح ثمانية فتوح بلاد بابك على يد الأفشين وفتح عمورية بنفسه والزط بعجيف وبحر البصرة وقلعة الأجراف وأعراب ديار ربيعة والشاري وفتح مصر وقتل ثمانية أعداء بابك ومازيار وباطس ورئيس الزنادقة والأفشين وعجيفا وقارن وقائد الرافضة.

حدث عبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد، قال: سمعت العباس بن الفرج، يقول: كتب ملك الروم إلى المعتصم كتابا يتهدده فيه فأمر بجوابه فلما قرئ عليه الجواب لم يرضه، قال للكاتب: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك قال: والجواب ما ترى لا ما تسمع، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار. قلت: غزا المعتصم بلاد الروم في سنة 223 هـ فأنكى في العدو نكاية عظيمة، ونصب على عمورية المجانيق، وأقام عليها حتى فتحها ودخلها، فقتل فيها ثلاثين ألفا، وسبى مثلهم وكان في سبيه ستون بطريقا وطرح النار في عمورية من سائر نواحيها فاحرقها، وجاء ببابها إلى العراق، وهو باق حتى الآن منصوب على أحد الأبواب دار الخلافة، وهو الباب الملاصق مسجد الجامع في القصر.

أيها الإخوة المؤمنون، واستمرت رحلة العذاب، والفتنة، والثبات مع إمامنا الجليل، حتى إذا أيسوا منه، خشوا أن يقتل، وتوالت إليهم أخبار هيجان الناس لثباته، فأرد المعتصم أن لا يهز عرشه، فدع عم الإمام أحمد، ثم قال للناس: أتعرفونه؟ قالوا، نعم، فسأله أمامهم، أليس أسلمنه لكم صحيح البدن، فقال، برأسه: نعم، ولو قال: لا، لوقعت الشرور. وهكذا هدأ الناس، حتى استسلم المعتصم، فقال لأبن أبي دؤاد وصحبه عن الإمام، ليس هذا كما وصفتموه، كل هذا ونجد الإمام لا يزيد عن ثباته في المحنة على أن يقول: والله، لقد أعطيت المجهود من نفسي ولوددت أن أنجوا من هذا الأمر كفافا لا لي ولا علي. أيها الإخوة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف] نسأل الله أن يثبت أئمة الهدى والإصلاح، وأن يأخذ بأيدينا على طريق الثابتين ويجمعنا بهم في الدنيا والأخرة مع النبيين والصدقين والشهداء والصالحين.

جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿لَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مَوْقِفٍ يُضْرَبُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم قال:﴿أُمِرَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ يُضْرَبُ فِي قَبْرِهِ مِائَةَ جَلْدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُهُ وَيَدْعُو حَتَّى صَارَتْ جَلْدَةً وَاحِدَةً فَامْتَلأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا، فَلَمَّا ارْتَفَعَ عَنْهُ وَأَفَاقَ قَالَ: عَلامَ جَلَدْتُمُونِي؟ قِيلَ: إِنَّكَ صَلَّيْتَ بِغَيْرِ طَهُورٍ، وَمَرَرْتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ﴾ فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع قدرته على نصره فكيف حال الظالم؟. وروى أبو الشيخ ابن حبان أيضا، قال الله عز وجل:﴿وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظَّالِمِ فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، وَلَأَنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظْلُومًا فَقَدَرَ أَنْ يَنْصُرَهُ وَلَمْ يَفْعَلْ﴾ عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ. وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا﴾ (لا تكونوا إمعة) نهي عن التقليد. وعن علي، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى حَقَّهُ، وَإِنَّ اللهَ لَا يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ﴾ وعن أوس بن شرحبيل أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُقَوِّيَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ﴾ (ليقويه) وفي الجامع ليعينه (وهو يعلم أنه ظالم) أي فيه (فقد خرج من الإسلام) أي من كمال الإيمان أو من حقيقة الإسلام المقتضي أن يسلم المسلمون من لسانه ويده. وعن ابن عمر:﴿الْجَلَاوِزَةُ، وَالشُّرَطُ، وَأَعْوَانِ الظَّلَمَةِ كِلَابُ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الجلاوزة هم جند لقتل من وجب عليه القتل بمنزلة السياف. والشرط والسواطون هم رجال الشرطة، والمخابرات الذين يجلدون الناس بغير ذنب ولا جريرة، طاعة للحكام في معصية الله. عن أبي هريرة:﴿صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ، عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ، مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ السَّوَّاطُونَ﴾ وعنه قال:﴿قَدْ رَأَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَالَهُ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: يُقَالُ لِرِجَالٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اطْرَحُوا سِيَاطَكُمْ وَادْخُلُوا جَهَنَّمَ﴾ وعنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿يُوشِكُ إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَنْ تَرَى قَوْمًا فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَغْدُونَ فِي غَضَبِ اللهِ، وَيَرُوحُونَ فِي سَخَطِ اللهِ – وفي رواية-: وَيَرُوحُونَ فِي لَعْنَةِ اللهِ﴾ (يوشك) أي يقرب (إن طالت بك مدة) أي حياة (أن ترى) اسم يوشك أي تبصر (قوما في أيديهم) خبر مقدم مبتدؤه (مثل أذناب البقر) أي سياط كما في رواية، والجملة صفة قوما، وتسمى تلك السياط في ديار العرب بالمقارع جمع مقرعة، وهي جلدة طرفها مشدود عرضه كعرض الأصبع الوسطى يضربون السارقين عراة، وقيل: هم الطوافون على أبواب الظلمة الساعون بين أيديهم كالكلب العقور ويطردون الناس عنها بالضرب (يغدون) أي يصبحون (في غضب الله ويروحون) أي يمسون (في سخط الله) أي الذي هو أشد من غضب الله لتكرار هذا الأمر منه، واستمرار صدور هذا الفعل عنه (وفي رواية: ويروحون في لعنة الله) أي إبعاده عن رحمته فإنهم يقدمون أمر أميرهم على أمر الله ورسوله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. قال الطيبي: المراد بقوله: (يغدون ويروحون) إما الدوام والاستمرار كما في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام] يعني هم أبدا في غضب الله وسخطه لا يحلم عليهم ولا يرضى عنهم، وإن أريد بهما الوقتان المخصوصان، فالمعنى يصبحون يؤذون الناس ويروعونهم ولا يرحمون عليهم، فغضب الله تعالى عليهم، ويمسون يتفكرون فيما لا يرضي عنهم الله تعالى من الإيذاء والروع. عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ رَوَّعَ مُؤْمِنًا لَمْ يُؤَمِّنِ اللهُ رَوْعَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَعَى بِمُؤْمِنٍ أَقَامَهُ اللهُ مَقَامَ ذُلٍّ وَخِزْيٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وعن ابن أبي نجيح عن هشام بن حكم عن خالد بن الوليد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا﴾ وعن حذيفة بن اليمان:﴿يكُون أُمَرَاءُ يُعَذِّبُونَكُمْ وَيُعَذِّبُهُمْ اللهُ﴾ وعن هشام بن عروة عن أبيه،﴿أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرَّ بِالشَّامِ عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الْأَنْبَاطِ وَقَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ وَصُبَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الزَّيْتُ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قِيلَ: يُعَذَّبُونَ فِي الْخَرَاجِ. قَالَ هِشَامٌ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا﴾.

قال يوما الإمام الشافعي لهارون رشيد: يا أمير المؤمنين إن اليمن يحتاج إلى قاض، فقال له الرشيد اختر رجلا نوله إياه. فقال الشافعي لأحمد وكان يتردد عليه لطلب العلم: ألا تقبل قضاء اليمن يا أحمد؟ فقال أحمد: إنما أنا اختلف إليك لطلب العلم المزهد في الدنيا، فتأمرني أن آتي القضاء، ولولا العلم لما كلمتك بعد اليوم!! فاستحي منه الشافعي وسكت. قال الشيخ أبو بكر الجزائري: إن رغبة أحمد عن الولاية وهي مما يتسابق الناس إليه ويتنافسون في الحصول عليه، بل مما يتقاتلون على طلبه والظفر به لم تكن إلا ورعا منه، إذ طلب الولاية طلب مباح(؟)، ولكن تركها أحمد وهي لا بأس بها خشية الوقوع فيما به بأس. وقال جاع أحمد ثلاثة أيام لقلة ذات يده فاستقرض دقيقا من أحد إخوانه ولما وصل إلى أهله عرفوا حاجته إليه فأسرعوا في خبزه وإنضاجه ووجدوا تنور لولده صالح مسجورا فأنضجوا قرص الخبز فيه، فلما قدم إلى أحمد وكأنه لاحظ سرعة تقديم الخبز له فسألهم فأخبروه أنهم طبخوه في تنور صالح ولده وكان صالح يتقاضى راتبا من الدولة فامتنع من أكله وواصل جوعه من ورعه. فأي ورع أعظم من هذا الورع؟ أمن أجل أن ولده يأخذ الجوائز المالية من السلطان يمتنع من أكل خبز يطبخ في تنوره المسجور، وهو ولده والولد وماله لوالده؟ فضرب أحمد بهذا رقما قياسيا في الورع لا يمكن أن يناله أحد سواه. أما عن زهده رحمه الله تعالى فحدث ولا حرج قال أبو داود رحمه الله تعالى كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا وما رأيت أحمد ذكر الدنيا قط.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ المعجم الأوسط/ المستدرك على الصحيحين للحاكم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح /مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/

◆ أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور (ثامن ملوك الدولة العباسية) والشيخ 0892

حدث عمر بن أحمد المعروف بالطيار[1] -بسر من رأى*- عن أبيه قال: اجتمع أهل بغداد إلى المعتصم واستأذنوا عليه فأذن لخمسة منهم فتقدم شيخ طويل اللحية، فقال له الحاجب: تكلم وأوجز! قال: قل لأمير المؤمنين انتقل عنا فإنا لا نساكنك ولا نرضى بجوارك، فقال المعتصم: وإلا فأيش؟ فقال له الحاجب: وإلا فأيش؟ فقال: نقاتلك، فقال له: قل له: بم تقاتلون؟ قال: بالسبابات في السحر سهام الليل، فبكى المعتصم وقال لي: لا طاقة بسهام الليل، وارتحل من بغداد، فسار إحدى وعشرين فرسخا وابتنى سر من رأى (أي سامراء) إلى أن مات بها.

حكى الخطيب البغدادي: عن علي بن يحيى المنجم[2]،قال: لما أن استتم المعتصم عدة غلمانه الأتراك بضعة عشر ألفا، وعلق له خمسون ألف مخلاة على فرس وبرذون.وبغل، وذلل العدو بكل النواحي، أتته المنية على غفلة، فقيل: أنه قال في حماه التي مات فيها: ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُون﴾ [الأنعام] قلت: ولكثرة عسكر المعتصم وضيق بغداد عنه، وتأذي الناس به بنى المعتصم سر من رأى، وانتقل إليها، فسكنها بعسكره وسميت العسكر، وذلك في سنة 221 هـ.

----

*(سر من رأى) سامراء مدينة عراقية تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة شمال العاصمة بغداد

■ (1) عمر بن أحمد، المعروف بالطيار. حكى بسر من رأى عن أبيه، روى عنه أبو الطيب أحمد بن محمد بن إسماعيل البغدادي.

■ (2) علي بن يحيى المنجم، هو علي بن يحيى بن أبي منصور.وأبوه (يحيى) فارسي أسلم على يد المأمون.أحد الأدباء والظرفاء. نديم المتوكل العباسي، خص به وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد، وكان راوية للأشعار والأخبار، شاعرا، ولد سنة 201 هـ وتوفي بسامراء سنة 275 هـ

☪

قال شحاتة محمد صقر: إن الأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة به، والساعد ساعدا قويا، والمانع مفقودا، حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإن كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه، أو كان ثم مانع من الإجابة، لم يحصل التأثير. أو كما قال ابن القيم رحمه الله.

من شروط الدعاء: الشرط الأول: الإخلاص وهو تصفية الدعاء والعمل من كل ما يشوبه، وصرف ذلك كله لله وحده، لا شرك فيه، ولا رياء ولا سمعة، ولا طلبا للعرض الزائل، ولا تصنعا وإنما يرجو العبد ثواب الله ويخشى عقابه، ويطمع في رضاه. مر عمر بن عبد العزيز برجل في يده حصاة يلعب بها وهو يقول: اللهم زوجني من الحور العين، فقام إليه فقال: بئس الخاطب أنت، ألا ألقيت الحصاة، وأخلصت إلى الله الدعاء.وقد أمر الله تعالى بالإخلاص في كتابه الكريم فقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف] وقال: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر] عن ابن عباس قال: ﴿كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ﴾ وسؤال الله تعالى: هو دعاؤه والرغبة إليه كما قال الله تعالى:﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء] الشرط الثاني: المتابعة، وهي شرط في جميع العبادات، والعمل الصالح هو ما كان موافقا لشرع الله تعالى ويراد به وجه الله سبحانه؛ فلا بد أن يكون الدعاء والعمل خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيجب على المسلم أن يكون متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في كل أعماله، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب] وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران] ولا شك أن العمل الذي لا يكون على شريعة النبي صلى الله عليه وسلم يكون باطلا، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ﴾ الشرط الثالث: الثقة بالله تعالى واليقين بالإجابة: فمن أعظم الشروط لقبول الدعاء الثقة بالله تعالى، وأنه على كل شيء قدير، لأنه تعالى يقول للشيء كن فيكون، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل] ومما يزيد ثقة المسلم بربه تعالى أن يعلم أن جميع خزائن الخيرات والبركات عند الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر] وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى: ﴿يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ﴾ وهذا يدل على كمال قدرته سبحانه وتعالى، وكمال ملكه، وأن ملكه وخزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء، ولو أعطى الأولين والآخرين: من الجن والإنس جميع ما سألوه في مقام واحد. فالمسلم إذا علم ذلك فعليه أن يدعو الله وهو موقن بالإجابة، لما تقدم، ولحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ﴾ الشرط الرابع: حضور القلب والخشوع والرغبة فيما عند الله من الثواب والرهبة مما عنده من العقاب، فقد أثنى الله تعالى على زكريا وأهل بيته فقال الله تعالى:﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء] فلا بد للمسلم في دعائه من أن يحضر قلبه، وهذا أعظم شروط قبول الدعاء، وقد أمر الله تعالى بحضور القلب والخشوع في الذكر والدعاء، فقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف] الشرط الخامس: العزم والجزم والجد في الدعاء:المسلم إذا سأل ربه فإنه يجزم ويعزم بالدعاء، ولهذا نهى صلى الله عليه وسلم عن الاستثناء في الدعاء؛ فعن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ﴾ قيل: عزم المسألة الشدة في طلبها، والجزم من غير ضعف في الطلب، ولا تعليق على مشيئة ونحوها، وقيل: هو حسن الظن بالله تعالى في الإجابة.ومعنى الحديث: استحباب الجزم في الطلب، وكراهة التعليق على المشيئة، قال العلماء: سبب كراهته أنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه، والله تعالى منزه عن ذلك، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: فإنه لا مستكره له، وقيل: سبب الكراهة أن في هذا اللفظ صورة الاستعفاء على المطلوب والمطلوب منه.

من موانع إجابة الدعاء: المانع الأول: التوسع في الحرام: أكلا، وشربا، ولبسا، وتغذية. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ [المؤمنون] وَقَالَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ [البقرة] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟﴾ وقد قيل في المعنى: إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبا طاهرا من المفسدات كلها: كالرياء، والعجب، ولا من الأموال إلا ما كان طيبا حلالا، فإن الطيب توصف به الأعمال، والأقوال، والاعتقادات. والمراد بهذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات والابتعاد عن الخبائث والمحرمات، ثم ذكر في آخر الحديث استبعاد قبول الدعاء مع التوسع في المحرمات: أكلا، وشربا، ولبسا، وتغذية. ففي هذا الحديث أن هذا الرجل الذي قد توسع في أكل الحرام قد أتى بأربعة أسباب من أسباب الإجابة: أحدها: إطالة السفر، والسفر بمجرده يقتضي إجابة الدعاء، كما في حديث أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ﴾ ومتى طال السفر، كان أقرب إلى إجابة الدعاء؛ لأنه مظنة حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان، وتحمل المشاق، والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء. المانع الثاني: حصول التبذل في اللباس والهيئة بالشعث والإغبرار، وهو – أيضا – من المقتضيات لإجابة الدعاء، كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ﴾ ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم للاستسقاء، خرج متبذلا متواضعا متضرعا. المانع الثالث: مد يديه إلى السماء، وهو من آداب الدعاء التي يرجى بسببها إجابته، فعن سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ﴾ المانع الرابع: الإلحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء ومع ذلك كله قال صلى الله عليه وسلم: فأنى يستجاب لذلك؟ وهذا استفهام وقع على وجه التعجب والاستبعاد. فعلى العبد المسلم التوبة إلى الله تعالى من جميع المعاصي والذنوب، ويرد المظالم إلى أهلها حتى يسلم من هذا المانع العظيم الذي يحول بينه وبين إجابة دعائه. المانع الخامس: الاستعجال وترك الدعاء: من الموانع التي تمنع إجابة الدعاء أن يستعجل الإنسان المسلم ويترك الدعاء، لتأخر الإجابة، فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا العمل مانعا من موانع الإجابة حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعائه ولو طالت المدة، فإنه سبحانه يحب الملحين في الدعاء. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي﴾ فالعبد لا يستعجل في عدم إجابة الدعاء، لأن الله قد يؤخر الإجابة لأسباب: إما لعدم القيام بالشروط، أو الوقوع في الموانع، أو لأسباب أخرى تكون في صالح العبد وهو لا يدري، فعلى العبد إذا لم يستجب دعاؤه أن يراجع نفسه ويتوب إلى الله تعالى من جميع المعاصي، ويبشر بالخير العاجل والآجل، والله تعالى يقول:﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف] فما دام العبد يلح في الدعاء ويطمع في الإجابة من غير قطع فهو قريب من الإجابة، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له. وقد تؤخر الإجابة لمدة طويلة كما أخر سبحانه إجابة يعقوب في رد ابنه يوسف إليه، وهو نبي كريم، وكما أخر إجابة نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام في كشف الضر عنه، وقد يعطى السائل خيرا مما يسأل، وقد يصرف عنه من الشر أفضل مما سأل. المانع السادس: ارتكاب المعاصي والمحرمات: قد يكون ارتكاب المحرمات الفعلية مانعا من الإجابة، ولهذا قال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طريقها بالمعاصي، ولا شك أن الغفلة والوقوع في الشهوات المحرمة من أسباب الحرمان من الخيرات. وقد قال الله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد] المانع السابع: ترك الواجبات التي أوجبها الله: كما أن فعل الطاعات يكون سببا لاستجابة الدعاء فكذلك ترك الواجبات يكون مانعا من موانع استجابة الدعاء، ولهذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى، عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ﴾ المانع الثامن: الدعاء بإثم أو قطيعة رحم. المانع التاسع: الحكمة الربانية فيعطى أفضل مما سأل: عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إِلاَّ آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ﴾ فقد يظن الإنسان أنه لم يجب وقد أجيب بأكثر مما سأل أو صرف عنه من المصائب والأمراض أفضل مما سأل أو أخره له إلى يوم القيامة. اللهم، إنا نسألك حسن الخاتمة.

مراجع: تاريخ بغداد وذيوله/ دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ تاريخ بغداد/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ معجم الشعراء العرب/

◆ أبو إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور (ثامن ملوك الدولة العباسية) والمبرقع 0893

قال أبو جعفر الطبري: [1] ذكر لي بعض أصحابي أن سبب خروج أبي حرب المبرقع اليماني [2] بفلسطين كان لأن بعض الجند أراد النزول في داره وهو غائب عنها، وفيها إما زوجته، وإما أخته. فمانعته عن ذلك، فضربها بسوط معه، فاتقته بذراعها، فأصاب السوط ذراعها، فأثر فيها. فلما رجع أبو حرب إلى منزله بكت، وشكت إليه ما فعل بها، وأرته الأثر الذي بذراعها من ضربه. فأخذ أبو حرب سيف ومشى إلى الجندي وهو غار، فضربه حتى قتله، ثم هرب، وألبس وجهه برقعا كيلا يعرف، فصار إلى جبل من جبال الأردن. وطلبه السلطان فلم يعرف له خبرا. فكان أبو حرب يظهر بالنهار، فيقعد على الجبل الذي أوى إليه مبرقعا، فيراه الرائي، فيأتيه، فيذكره، ويحرضه على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويذكر السلطان وما يأتي إلى الناس، ويعيبه. فما زال ذلك دأبه حتى استجاب له قوم من حراثي أهل تلك الناحية، وأهل القرى. وكان يزعم أنه أموي. فقال الذين استجابوا له: هذا السفياني [3]. فلما كثرت غاشيته وتباعه من هذه الطبقة من الناس دعا أهل البيوتات من تلك الناحية، فاستجاب له منهم جماعة من رؤساء اليمانية منهم رجل يقال له: ابن بيهس [4]،وكان مطاعا في أهل اليمن، ورجلان آخران من أهل دمشق. فاتصل الخبر بالمعتصم، وهو عليل علته التي مات فيها، فوجه إليه رجاء بن أيوب الحضاري [5] في زهاء ألف رجل من الجند. فلما صار رجاء إليه وجده في عالم من الناس فذكر الذي أخبر بقصته أنه كان في زهاء مائة ألف فكره رجاء مواقعته، وعسكر بحذائه، حتى إذا كان أول عمارة الناس الأرضين وحراثتهم انصرف من كان من الحراثين مع أبي حرب إلى حراثته، وأرباب الأرضين إلى أراضيهم، وبقي أبو حرب في نفر في زهاء ألف أو ألفين. وتوفي المعتصم وولي الواثق، وثارت الفتنة بدمشق على ما نذكره*، فأمر الواثق رجاء بقتال من أراد الفتنة والعود إلى المبرقع، ففعل ذلك، وعاد إلى المبرقع، فناجزه رجاء، فالتقى العسكران، فقال رجاء لأصحابه: ما أرى في عسكره رجلا له شجاعة غيره، وإنه سيظهر لأصحابه ما عنده، فإذا حمل عليكم فأفرجوا له، فما لبث أن حمل المبرقع، فأفرج له أصحاب رجاء، حتى جاوزهم، ثم رجع فأفرجوا له، حتى أتى أصحابه، ثم حمل مرة أخرى، فلما أراد الرجوع أحاطوا به وأخذوه أسيرا.

قيل: كان خروجه سنة 226 هـ بنواحي الرملة*، وصار في خمسين ألف فوجه المعتصم رجاء الحضاري، فقاتله، وأخذ ابن بيهس أسيرا وقتل من أصحاب المبرقع نحوا من عشرين ألف وأسر المبرقع وحمله إلى سامرا. هذا، والله تعالى أعلم.

----

* للاستزادة راجع: كتاب الكامل في التاريخ. (الرملة) من أكبر وأقدم مدن فلسطين التاريخية.

- (2) تميم اللخمي، يعرف بأبي حرب، ويلقب بالمبرقع، أحد الثوار على الدولة العباسية في زمن المعتصم، خرج بفلسطين، ودعا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ثم قتل بناحية دمشق سنة 227 هـ.
- (3) قيل السفياني رجل يكون آخر الزمان منسوب إلى أبي سفيان من سلالته. يقتل العلماء وأهل الفضل يستعين بهم، فمن أبى عليه قتله!؟ وهو كالدجال رجل طاغية يعيث في الأرض فساداً قبل ظهور محمد بن الحسن المهدي في العقيدة الشيعية الإثني عشرية أو الإمامية أو الجعفرية
- (5) رجاء بن أيوب الحضاري قدم حلب صحبة المتوكل، وكان على حرسه وولاه الواثق قتال أبي حرب المبرقع الذي خرج بفلسطين، وولاه حرب قوم من ذعار أهل الغوطة والمرج، وكان بالرقة فنفذ منها، إلى دمشق. ذكر أبو الحسن محمد بن أحمد بن القواس أن رجاء بن أيوب الحضاري مات سنة 244 هـ منصرفا من دمشق.
- (1) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر .الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري. ولد سنة 244 هـ. من أهل طبرستان، استوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته سنة 310 هـ. من أكابر العلماء . كان حافظا لكتاب الله ، وفقيها في الأحكام ، عالما بالسنن وطرقها، عارفا بأيام الناس وأخبارهم. رحل من بلدة في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة، جمع من العلوم ما لم يشركه فيه أحد. عرض علية القضاء فامتنع والمظالم فأبى. له اختيار من أقاويل الفقهاء، وقد تفرد بمسائل حفظت عنه.
- (4) محمد بن صالح بن بيهس الكلابي المتغلب على دمشق أيام أبي العميطر، والمقاوم له، من وجوه قيس. كتب إليه المأمون بولاية دمشق، فلم يزل عليها حتى قدم عبد الله بن طاهر واليا على الشام ومصرسنة208 هـ وخرج إلى مصر ورجع إلى دمشق سنة 210 هـ وحمل ابن بيهس معه إلى العراق ومات بها ولم يرجع إلى دمشق.

عن مكحول الدمشقي قال: شهدت مع أنس بن مالك جنازة بالبصرة، فرجعت معه إلى منزله، فأتى فراشا له، فاضطجع عليه، ثم أخذ رائطة* مصرية فغطى بها وجهه، ثم بكى، قال مكحول: فقلت: ما يبكيك يا أبا النضر؟! فوالله إنك لخادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنك لبخير، وإن في بيتك لطعاما وشرابا؟ قال: ما على هذا أبكي، أبكي على هذه الأمة، أخاف عليها الشرك، والشهوة الخفية. قال مكحول: لا يجعل الله في هذه الأمة شركا، قال: فقال أنس: وأنا من الأخرى أخوف. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ رَكِبَ فَرَسَهُ ثُمَّ اسْتَعْرَضَ أُمَّتِي يَقْتُلُهُمْ بِسَيْفِهِ خَرَجَ مِنْ الْإِسْلَامِ﴾، وأما الأخرى:﴿فَانْطِلَاق الرَّجُلُ إِلَى جَارِهِ يخالفه فِي أَهْلِهِ﴾ (رائطة) الملاءة كلها نسج واحد وقطعة واحدة وكل ثوب لين رقيق.

عن شداد بن أوس أنه بكى فقيل له: ما يبكيك قال: شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله فذكرته فأبكاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكَ وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ. قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُشْرِكُ أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَّا إِنَّهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ شَمْساً وَلاَ قَمَراً وَلاَ حَجَراً وَلاَ وَثَناً وَلَكِنْ يُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ أَنْ يُصْبِحَ أَحَدُهُمْ صَائِماً فَتَعْرِضُ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِهِ فَيَتْرُكُ صَوْمَهُ﴾ (الرياء) إظهار العمل للناس ليروه ويظنوا به خيرا

كان الشيخ كشك رحمه الله ناقما على الأوضاع السياسية في مصر خاصة فيما يتعلق بالظلم الاجتماعي، وكان يردد دائما: لو وزع الظلم إلى 100 جزء لكان في مصر 99 جزءا، وجزء واحد لبقية الدنيا، ومع ذلك يأتي هذا الجزء مساء ليبيت في مصر.

لم يسلم سياسي من نقد الشيخ كشك بطريقته الساخرة اللاذعة، فكان يقول عن الرئيس أنور السادات: لا نور ولا سيادة، وحسني مبارك: لا حسن ولا بركة. أما عهد الرئيس جمال عبد الناصر فنال نصيبا وافرا من نقد كشك، خاصة فيما يتعلق بانتهاكات حقوق الإنسان داخل السجون، وكان يردد دائما أسماء المسؤولين عن السجون الحربية -التي كان كشك أحد نزلائها- مثل حمزة البسيوني الذي وصفه بالطاغية البسيوني، ونقل أن البسيوني وقف في السجن الحربي ينادي بأعلى صوته: لو نزل الله من السماء لحبسته انفراديا. وانتقد كشك إعدام نظام عبد الناصر المفكر الإسلامي سيد قطب بقوله: يشنقون الرقاب التي قالت لا إله إلا الله، وعبد الوهاب يغني له تسلم يا غالي، في إشارة إلى أغنية للمطرب والملحن المصري محمد عبد الوهاب تزامنت مع إعدام قطب. وفي مذكراته: قصة أيامي، يحكي أن المشير عبد الحكيم عامر -الذي كان الرجل الثاني في عهد عبد الناصر- طلب منه أن يستغل شعبيته في الهجوم على سيد قطب وأن يحلّ دمه، لكنه رفض مما أدى إلى اعتقاله بعدها بأيام ليقضي في السجن نحو عامين ونصف.

علق كشك على وفاة عبد الناصر بقوله:يوم مات طرق بابي طارق، وقال لقد مات فلان، فأعد نفسك لأنك ستعتقل الليلة، وقلت سبحان الله أشقى به حيا وميتا. وفي عهد السادات واصل كشك انتقاد السلطة السياسية خاصة فيما يراه مضادا للدين والأخلاق، ونالت السيدة الأولى جيهان السادات انتقادات واسعة بسبب تدخلها في قوانين المرأة والأسرة، إلا أن النقد تحول إلى هجوم حاد على السادات نفسه بعد توقيع معاهدة السلام-الاستسلام!- مع إسرائيل عام 1979م/ 1400 هـ وزيارته للكنيست الإسرائيلي. وفي اعتقالات سبتمبر/ أيلول 1981م / 1402 هـ الشهيرة، كان الشيخ عبد الحميد كشك من أبرز المعتقلين الذين تنوعوا من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، لكن السادات قُتل بعد شهر تقريبا ليخرج كشك من السجن ليس إلى المنبر كما تعود، لكن إلى البيت، حيث لم يسمح له بارتقاء المنبر في عهد الرئيس حسني مبارك، حتى وفاته عام 1417 هـ .عاش فارسا ومات ساجدا.

مراجع: بغية الطلب في تاريخ حلب/مختصر تاريخ دمشق/ الكامل في التاريخ/ ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية/ المعجم الوسيط/ الجزيرة نت/

حدث في سوق عمورية * أن أتت امرأة[1] ضعيفة مسلمة، فلما عرضت ما معها في السوق وكانت وحيدة، ليس في السوق مسلم إلا هي وأعرابي عنده بضاعة في السوق، فقام رومي، فلطمها على وجهها، فصاحت: وا معتصماه! من هو المعتصم؟ إنه الخليفة في بغداد، أمير المؤمنين، المعتصم أخو المأمون وابن هارون الرشيد والمعتصم هو الخليفة العسكري الذي كان يأخذ السيخ ويكتب به اسمه في الهواء، كان يربط رجليه في وتدين، ثم يقفز فيكسر الوتدين، ويقطع الحبال، ويعتلي على ظهر البغلة، يقول أهل التاريخ: لم يكن أقوى منه جسما، قالت المرأة: وا معتصماه! فتضاحك الروم، وقالوا: انتظري للمعتصم حتى يأتي على فرسه الأبلق* لينصرك في هذا المكان، بيننا وبين المعتصم ما يقارب ألف ميل، فذهب هذا الأعرابي من السوق إلى بغداد ودخل، قال: أريد الإذن من أمير المؤمنين، قال الحرس: ماذا تريد؟ قال: أمر خطير، فأدخلوه، ومثل أمامه، قال: يا أمير المؤمنين! كنت يوم كذا وكذا في سوق عمورية، فضربت امرأة مسلمة بين الكفار، فصرخت باسمك من عمورية تقول: وا معتصماه! فتضاحكوا، وقالوا: انتظريه على فرسه الأبلق لينصرك، فوثب من على الكرسي، وثبة معناها أن يقف له التاريخ، قال: والذي لا إله إلا هو لا يصل رأسي ماء من جنابة حتى أنصرها بإذن الله، القتال القتال، أعلنوا في الأقاليم من يستطيع حمل السلاح ويتخلف فإن عقوبته الإعدام، وجهز جيشا عرمرما عداده تسعون ألفا، وجعل إمامه في الصلاة أبا يوسف القاضي[2] الحنفي العالم، وبدأ الاستغفار والتوبة والعودة إلى الله، ثم مضى بالجيش، ولما وصل حدود الروم بدأ يحرقها مدينة مدينة، أول مدينة وصل إليها بدأت النيران تشتعل في الروم، ثم قال: أين عمورية ؟ قالوا: يا أمير المؤمنين! في الشمال، قال: يأتيها حسابها. لما رأت أختها بالأمس قد خربت كان الخراب لها أعدى من الجرب.

يقول أبو تمام : كل مدينة تغار من الأخرى، يقول: فالخراب يسعى فيها أعدى من الجرب في الغنم، ووصل إليها هناك، قال: هذه عمورية ؟ قالوا: نعم، قال: الله أكبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، قالوا: نفاوضك على الصلح، قال: حتى أرى حريقا في المدينة، لا صلح حتى أرى الحصون تحترق، وبدأت الحصون تحترق، وأتى فارس الروم، فقال: من يبارز؟ قال المعتصم: أنا أبارزك، فنزل المعتصم، فلما برز، قام المعتصم –من الشجاعة– فخلع الدرع من على صدره وقد كان من أشجع الناس، فالتقى بالرومي، فضربه الرومي، فنشب سيف الرومي في درع المعتصم فأخذ المعتصم سيفه، فضرب الرومي، فقسمه نصفين، ثم بدأت المعركة، فسحقهم سحقا عظيما، فلما دخلها قال: لن أخرج من المدينة حتى يأتي الرجل الذي ضرب المرأة، فاجتمعوا وقالوا: هذا هو المجرم، فأتوا به، قال: أين المرأة؟ فأتوا بالمرأة، قال: يا أمة الله! أنا المعتصم، وهذا هو الرجل الذي لطمك، فهو عبد لك إن شئت أعتقتيه لوجه الله يوم لا ينفع مال ولا بنون، وإن شئت فهو مولى لك، قالت: قد أعتقته يا أمير المؤمنين!.

----

* (عمورية) بلد في بلاد الروم –في شمال تركيا– غزاه المعتصم. وسميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح (البلق) جمع أبلق وهو الذي فيه سواد وبياض. وكذا البلقة بالضم يقال فرس أبلق وفرس بلقاء وقد أبلق ابلقاقا

■ (1) كان السبب الرئيسي هو رد كرامة امرأة عربية تدعى شراة العلوية. والسبب أيضا: هجوم الإمبراطور توفيل بن ميخائيل على ثغري ملطية (في تركيا) و زبطرة في العام السابق للمعركة وقيامه بتخريبها وأسر الكثير من النساء فساء هذا المعتصم وقرر الأخذ بالثأر.

■ (2) أبو يوسف القاضي [صاحب أبي حنيفة] هو الإمام المجتهد المحدث قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي الأنصاري، ولد سنة 113 هـ، وتوفي سنة 182 هـ. حدث عن هشام بن عروة، وأبي حنيفة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعطاء بن السائب، وأبي إسحاق الشيباني، والأعمش، وحجاج بن أرطاة. وحدث عنه يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وعلي بن الجعد، وأسد بن الفرات، وابن سماعة، وهلال الرأي، وعمرو الناقد، ومعلى بن منصور، ومحمد بن الحسن، وعدة.

☪

قال أبو الفضل الرياشي: كتب ملك الروم –لعنه الله– إلى المعتصم يتهدده فأمر بجوابه، فلما قريء عليه الجواب لم يرضه وقال للكاتب: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فقد قرأت كتابك وسمعت خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع، ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد] قال أبو بكر الخطيب: غزا المعتصم بلاد الروم سنة ثلاث وعشرين ومائتين، فأنكى في العدو نكاية عظيمة، ونصب على عمورية المجانيق وفتحها، وقتل ثلاثين ألفا وسبى مثلها، وكان في سبيه ستون بطريقا ثم أحرقها، وهي من أجل فتح وقع في الإسلام. وسبب ذلك –على ما ذكره أهل التواريخ– أن رجلا وقف على المعتصم حال شربه وقال: يا أمير المؤمنين كنت بعمورية وجارية من أحسن النساء أسيرة قد لطمها علج على وجهها فقالت: وامعتصماه. فقال لها العلج: عساه أن يأتيك على خيل بلق، فلما سمع المعتصم كلامه أمر بالختم على الكأس وقال: وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شربته حتى أغزوه فأنتقذها. ثم استجاش وسار إليه على الخيل البلق.

وبلغنا أن المعتصم لما تجهز لغزو عمورية حكم المنجمون أن ذلك طالع نحس، وأنه يكسر، فكان من ظفره ونصره ما لم يخف، وفي ذلك يقول أبو تمام قصيدته البديعة: السيف أصدق إنباء من الكتب.. في حده الحد بين الجد واللعب. منها: والعلم في شهب الأيام لامعة..بين الخميسين لا في السبعة الشهب..أين الرواية أم أين النجوم وما..صاغوه من زخرف فيها ومن كذب..تخرصا وأحاديثا ملفقة.. ليست بنبع إذا عدت ولا غرب.ونقل أنه حال محاصرته لعمورية أصبح ذلك اليوم برد عظيم وثلج، فلم يقدر أحد أن يخرج يده ولا أن يمسك قوسه، فأوتر المعتصم في ذلك اليوم فوق أربعة آلاف قوس. قال خليفة: وفي هذه السنة أتي ببابك الخرمي أسيرا، فأمر بقطع أربعته وصلبه. قلت: كان من أهيب الخلفاء وأعظمهم، لولا ما شان سؤدده بامتحان العلماء بخلق القرآن، نسأل الله السلامة.

قال بعض الجلساء: سمعت المعتز بالله يقول لأحمد ابن إسرائيل: يا أحمد كم خراج الروم؟ فقال: يا أمير المؤمنين خرجنا مع جدك المعتصم في غزاته فلما توسط بلد الروم صار إلينا بسيل الخرشني وكان على خراج الروم فسأله محمد بن عبد الملك[1] عن مبلغ خراج بلدهم، فقال: خمسمائة قنطار وكذا وكذا قنطارا، فقال: حسبنا ذلك فإذا هو أقل من ثلاثة آلاف ألف دينار، فقال المعتصم: اكتب إلى ملك الروم أني سألت صاحبك عن خراج أرضك فذكر أنه كذا وكذا، وأخس ناحية في مملكتي خراجها أكثر من خراج أرضك، فكيف تنابذني وهذا خراج أرضك ؟! قال: فضحك المعتز، وقال: من يلومني على حب أحمد بن إسرائيل ما سألته عن شيء إلا أجابني بقصته.

قال أهل السير إن جيوش المعتصم كثروا حتى بلغ عدد مماليكه من الأتراك سبعين ألفا فمدوا أيديهم إلى حرم الناس وسعوا فيها بالفساد فاجتمع العامة ووقفوا للمعتصم وقالوا يا أمير المؤمنين ما شيء أحب إلينا من مجاورتك لأنك الإمام والحامي للدين وقد أفرط علينا أمر غلمانك وعمنا أذاهم فإما منعتهم عنا أو نقلتهم عنا فقال:أما نقلهم فلا يكون إلا بنقلي ولكني أفتقدهم وأنهاهم وأزيل ما شكوتم منه فنظروا وإذا الأمر قد زاد وعظم وخاف منهم الفتنة ووقوع الحرب وعاودوه بالشكوى وقالوا: إن قدرت على نصفتنا وإلا فتحول عنا وإلا حاربناك بالدعاء وندعو عليك في الأسحار فقال: هذه جيوش لا قدرة لي بها، نعم أتحول وكرامة. وساق من فوره حتى نزل سامراء وبنى بها دارا وأمر عسكره بمثل ذلك فعمر الناس حول قصره حتى صارت أعظم بلاد الله وبنى بها مسجدا جامعا في طرف الأسواق وأنزل أشناس بمن ضم إليه من القواد كرخ سامراء وهو كرخ فيروز وأنزل بعضهم في الدور المعروفة بدور العرباني فتوفي بسامراء سنة 722هـ

قال أبو بكر الخطيب: ولكثرة عسكر المعتصم وضيق بغداد عنه، بنى سر من رأى، وانتقل إليها فسكنها بعسكره، وسميت العسكر، وذلك في سنة إحدى وعشرين ومائتين. وعن علي بن يحيى المنجم قال: استتم عدة غلمان المعتصم الأتراك بضعة عشر ألفا، وعلق له خمسون ألف مخلاة. وذلل العدو بالنواحي. فيقال إنه قال في مرض موته:﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ [الأنعام] مات المعتصم يوم الخميس، لإحدى عشر ليلة بقيت من ربيع الأول، سنة سبع وعشرين ومائتين، وله سبع وأربعون سنة وسبعة أشهر. قلت: فهذا يدل على أن مولده قبل سنة ثمانين بأشهر. ودفن بسر من رأى، وصلى ابنه الواثق عليه. ومن احسن ما سمع من المعتصم قوله إن صح عنه: اللهم، إنك تعلم أني أخافك من قبلي، ولا أخافك من قبلك، وأرجوك من قبلك، ولا أرجوك من قبلي. وكان يقال له: المثمن؛ فإنه ثامن الخلفاء من بني العباس، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر، وفتح ثمان فتوحات، وخلف من الذهب ثمانية آلاف ألف دينار، ومن الدراهم ثمانية عشر ألف ألف، ومن الخيل ثمانين ألفا، وثمانية آلاف مملوك، وثمانية آلاف جارية، وبنى ثمانية قصور، وكان عدد غلمانه الترك ثمانية عشر أيضا، وولد في شعبان، وهو ثامن شهور السنة، وخلف ثمانية ذكور وثمان إناث، وتوفي وعمره ثمان وأربعون سنة.

☪

قال الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ﴿لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِّ إِلَّا ضَرَبَهُمْ اللهُّ بِالذُّلِّ﴾ وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته[1] الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة[2]، وضرب على قلبه بالأسداد[3]، وأديل الحق منه[4] بتضييع الجهاد، وسيم الخسف[5]، ومنع النصف[6]..فو الله ما غزي قوم في عقر دارهم[7] إلا ذلوا. وعن طارق بن شهاب، قال: ﴿لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُّ تَعَالَى عَنْهُ الشَّامَ عَرَضَتْ لَهُ مَخَاضَةٌ، فَنَزَلَ عَنْ بَعِيرِهِ وَنَزَعَ خُفَّيْهِ فَأَمْسَكَهُمَا، وَخَاضَ الْمَاءَ وَمَعَهُ بَعِيرُهُ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ صَنِيعًا عَظِيمًا عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَصَكَّ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ: أَوْهِ لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ النَّاسِ فَأَعَزَّكُمْ اللهُ بِرَسُولِهِ، فَمَهْمَا تَطْلُبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِهِ يُذِلُّكُمْ اللهُ﴾ وعن ثوبان مولى النبي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا، قُلْنَا: مِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: لا، أَنْتُم يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْزَعُ اللهُّ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ ، قِيلَ: وَمَا الْوَهَنُ ؟ قَالَ: حُبُّكُمُ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتُكُمُ الْقِتَالَ﴾ وعن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:﴿يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهَّ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِّ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُّ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِّ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُّ، إِلَّا جَعَلَ اللهُّ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ قيل هذه المهلكات الخمس، هي فينا شاخصة، تكاد تراها حيث وقع بصرك.

----

* (بابك الخرمي) زعيم الخرمية قاد ثورة على العباسيين في أذربيجان، أسره المعتصم بالله ثم صلبه في سامراء. (1) الوقاية. (2) ديث: ذلل، الصغار: الذل والصغر، القماءة: الذل والصغار. (3) الأسداد: الحجب التي تحجب عنه الهدي والرشاد. (4) أديل الحق منه: تحول الأمر عنه إلى الحق فألمت به الكوارث. (5) سيم الخسف: أصبح محل الإذلال و المهانة. (6) منع النصف: النصف: العدل: أي حرم العدل. (7) عقر الدار: وسطها وأصلها، تواكلتم: وكل كل منكم أمر الجهاد إلا الآخر.

■ (1) محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبي حمزة أبو جعفر المعروف بابن الزيات، استوزره المعتصم بالله، وكذلك الواثق بالله استوزره، وكان ابن الزيات أديبا فاضلا عالما بالنحو واللغة، ولد سنة 173 هـ أدخله المتوكل في تنور وعذبه إلى أن مات سنة 233 ه

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ معجم البلدان/ دروس للشيخ عائض القرني/ البحر الزخار مسند البزار/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ـمختار الصحاح/

روى عن عبد الله بن طاهر: لما استخلف المعتصم دخل عليه دعبل[1] ذات يوم، فأنشده قصيدة، فقال: أحسنت يا دعبل، فاسألني ما أحببت، قال: مئة بدرة*، قال: نعم، على أن تمهلني مئة سنة ويضمن لي أجل معها ؟؛ قال: قد أمهلتك ما شئت. وخرج مغضبا، فلقي خصيا قد كان عوده أن يدخل مدائحه إلى أمير المؤمنين ويجعل له سهما من الجائزة، فقال: ويحك! إني كنت عند أمير المؤمنين وأغفلت حاجة لي أن أذكرها له، فأذكرها في أبيات وتدخلها له؟ قال: نعم، ولي نصف الجائزة ؟ فباكسه ساعة ثم أجابه فأخذ رقعة فكتب فيها: بغداد دار الملوك كانت..حتى دهاها الذي دهاها..ما غاب عنها سرور ملك..أعاره بلدة سواها..ما سر من را بسر من را..بل هي بؤس لمن يراها..عجل ربي لها خرابا..برغم أنف الذي ابتناها. وختمها ودفعها إلى الخصي، فأدخلها إلى المعتصم. فلما رآها قال: من صاحب هذه الرقعة؟ قال: دعبل، وقد جعل لي نصف الجائزة ؛ فطلب، فكأن الأرض انطوت عليه ولم يعرف له خبر، فقال المعتصم: أخرجوا الخصي فأجيزوه بألف سوط، فإنه زعم أن له نصف الجائزة، وقد أردنا أن نجيز دعبلا بألفي سوط. قال: ثم لم يلبث أن كتب إليه من قم بهذه الأبيات: ملوك بني العباس في الكتب سبعة..ولم تأتنا في ثامن منهم الكتب..كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة..غداة ثووا فيه وثامنهم كلب..وإني لأزهي كلبهم عنك رغبة..لأنك ذو ذنب وليس له ذنب..كأنك إذ ملكتنا لشقائنا..عجوز عليها التاج والعقد والإتب..فقد ضاع أمر الناس حتى يسوسهم..وصيف وأشناس وقد عظم الخطب..وإني لأرجو أن ترى من مغيبها..مطالع شمس قد يغص بها الشرب..وهمك تركي عليه مهانة..فأنت له أم وأنت له أب [..]

قال ابن قتيبة سمعت دعبلا يقول: أدخلت على المعتصم فقال لي: يا عدو الله، أنت الذي تقول في بني العباس أنهم في الكتب سبعة ؟ وأمر بضرب عنقي، وما كان في المجلس إلا من كان عدوا لي؛ وأشدهم علي ابن شكلة[2]، فقام قائما فقال: يا أمير المؤمنين، أنا الذي قلت هذا ونميته إلى دعبل؛ فقال له: وما أردت بهذا؟ قال: لما تعلم بيني وبينه من العداوة، فأردت أن أشيط بدمه. قال: فقال: أطلقوه. فلما كان بعد مدة قال لابن شكلة: سألتك بالله أنت الذي قلته؟ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، وما نظرة انظر أبغض إلي من دعبل. قال: فما الذي أردت بهذا؟ قال: علم أن ماله في المجلس عدو أعدى مني، فنظر إلي بعين العداوة، ونظرت إليه بعين الرحمة. قال: فجزاه خيرا.أو نحو ذلك.

في رواية سمع ابن أبي دواد[3] المعتصم يوما يقول: لأقتلن دعبلا. قال: ولم؟ قال: هجاني. قال: يا أمير المؤمنين. إن دعبلا شريف، وعنده من الفضل ما يرده عن هذا. ولكن أخبرني من المبلغ لك ذلك عنه؟ قال: عمي إبراهيم المهدي[2]. قال: أتاك الخبر، أن إبراهيم موتور*، ففي حكمك قبول قول حاقد محفظ. قال: معاذ الله. قال: إن دعبلا هتك إبراهيم عمك بقوله أيام توليه الخلافة: إن كان إبراهيم مضطلعا بها..فلتصلحن من بعده لمخارق*..ولتصلحن من بعد ذاك لزلزل*..ولتصلحن من بعده للمارق. فضحك وقال: أجل. إن كان إبراهيم خليفة فمخارق ولي عهد، وقد صفحنا عما أردنا. قال: إن أمير المؤمنين أجل من أن يعمر قلبا بحزن ساخطا، ولا يعمره بسرور راضيا. قال: فاحكم يا أبا عبد الله. قال: خمسون ألف درهم يرم بها حاله. فقبض المال، وأنفذ الكتاب إلى مصر، وكان دعبل بها فلم يشكره دعبل وكافأه بأن قال فيه: سحقت أمه ولاط أبوه..ليت شعري عنه، فمن أين جاء؟. في أهاج كثيرة له فيه.

----

*(بدرة) كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار جمع بدور وبدر(الموتور) المقطوع أي الذي قطع حقه ولم يدركه وقد تطلق على صاحب الدم الذي لم يأخذ بثأره (زلزل) منصور زلزل توفي 176هـ مخترع عود اسمه عود الشبوط

■ (1) دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي: شاعر هجاء.أصله من الكوفة. أقام ببغداد. له أخبار، وشعره جيد. وكان صديق البحتري. وصنف كتابا في طبقات الشعراء. قال ابن خلكان في ترجمته: كان بذئ اللسان مولعا بالهجو والحط من أقدار الناس، وهجا الخلفاء – الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق – فمن دونهم، وطال عمره فكان يقول: لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك! توفي سنة 246 هـ ببلدة تدعى الطيب بين واسط وخوزستان وكان طوالا ضخما أطروشا، له ديوان شعر جمع فيه بعض الأدباء ما بقي متفرقا من شعره. وفي مختصر تاريخ دمشق قال: دعبل بن علي بن رزين بن عثمان أبو علي الخزاعي الشاعر المشهور. وفي نسبه اختلاف، له شعر رائق. يقال: أصله من الكوفة، ويقال: من قرقيسياء، وأكثر مقامه ببغداد، وسافر إلى غيرها، وقدم دمشق ومصر. ويقال إن اسمه محمد وكنيته أبو جعفر، ودعبل لقب؛ ويقال: الدعبل، البعير المسن، ويقال: الشيء القديم. قدم دعبل مصر هاربا من المعتصم لهجو هجاه به، وخرج منها إلى المغرب إلى الأغلب. وكان خبيث اللسان، قبيح الهجاء. وروي عنه أحاديث مسندة عن مالك بن أنس وعن غيره، وكلها باطلة من وضع ابن أخيه إسماعيل بن علي. وقيل: كان اسمه الحسن، وقيل عبد الرحمن، وكان أطروشا، وكان في قفاه سلعة.ولد دعبل سنة 148، ومات سنة 246 بالطيب. فعاش سبعا وتسعين سنة وشهورا. واسمه عبد الرحمن، وإنما لقبته دايته لدعابة كانت فيه، فأرادت ذعبلا، فقلبت الذال دالا. وقيل: إن المعتصم قتله في سنة 220 لهجائه له؛ وكان قد استجار بقبر الرشيد بطوس، فلم يجره. والصحيح ما تقدم. وقيل في سبب وفاته: إنه هجا مالك بن طوق التغلبي، فبعث إليه رجلا ضمن له عشرة آلاف درهم، وأعطاه سما؛ فلم يزل يطلبه حتى وجده قد نزل في قرية بنواحي السوس، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة؛ فضرب ظهر قدمه بعكاز لها زج مسموم، فمات من غد، ودفن بتلك القرية، وقيل: بل حمل إلى السوس فدفن بها. والله أعلم

■ (2) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: أخو هارون الرشيد. في ترجمته طول وفي أخباره كثرة. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 ـ 204) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى. وصلى عليه المعتصم.224 هـ

■ (3) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

■ (4) مخارق بن يحيى بن ناووس الجزار مولى الرشيد أبو المهنا، إمام عصره في فن الغناء. ومن أطيب الناس صوتا. كان الرشيد العباسي يعجب به حتى أقعده مرة على السرير معه، وأعطاه 30 ألف درهم. واتصل بعد ذلك بالمأمون. وزار معه دمشق. وتوفى بسر من رأى. سنة 231 هـ أخباره كثيرة جدا. كان مملوكا لعاتكة بنت شهدة بالكوفة، وهي التي علمته الغناء والضرب على العود. وباعته، فصار إلى الرشيد، فذكره له إبراهيم الموصلي، فسمعه، وأعتقه، وأغناه، وكناه بأبي المهنأ. وكان لحانا، لا يقيم الاعراب. وأبوه جزار من المماليك.

قال إسحاق بن محمد بن أبان: كنت قاعدا مع دعبل بن علي بالبصرة، وعلى رأسه غلام اسمه نفنف، فمر به أعرابي يرفل في ثياب خز، فقال لغلامه: ادع هذا الأعرابي إلينا، فأومى إليه فجاء، فقال له دعبل: ممن الرجل؟ فقال: رجل من بني كلاب. قال: من أي بني كلاب؟ قال: من ولد أبي بكر، قال: أتعرف الذي يقول فيه: ونبئت كلبا من كلاب يسبني..ومحض كلاب يقطع الصلوات..فإن أنا لم أعلم كلابا بأنها..كلاب وأني باسل النقمات..فكان إذا من قيس غيلان والدي..وكانت إذا أمي من الحبطات . يعني بني تميم، وهم أعدى الناس لليمن. وهذا الشعر لدعبل في عمرو بن عاصم الكلابي. فقال له الأعرابي: ممن أنت؟ فكره أن يقول له من خزاعة فيهجوه فقال: أنا أنتمي إلى القوم الذين يقول فيهم الشاعر: أناس علي الخير منهم وجعفر..وحمزة والسجاد ذو الثفنات..إذا افتخروا يوما أتوا بمحمد..وجبريل والقرآن والسورات. وهذا الشعر أيضا له. قال: فوثب الأعرابي وهو يقول: محمد وجبريل والقرآن والسورات! ما إلى هؤلاء مرتقى!.

ذكر عن سليمان بن رزين الخزاعي ابن أخي دعبل قال: هجا دعبل المأمون، فقال:..ويسومني المأمون خطه عارف..أو ما رأى بالأمس رأس محمد..يوفي على هام الخلائف مثل ما..يوفي على الجبال على رؤوس القردد..ويحل في أكناف كل ممنع..حتى يذلل شاهقا لم يصعد..إن الترات مسهد طلابها..فاكفف لعابك عن لعاب الأسود. فقيل للمأمون: إن دعبلا هجاك، فقال: من جسر أن يهجو أبا عباد[1] مع عجلته وانتقامه -يريد حدة أبي عباد- جسر أن يهجوني مع تأني وعفوي، وكان أبو عباد إذا دخل على المأمون كثيرا ما يضحك المأمون ويقول له: ما أراد دعبل منك؟ حين يقول:..وكأنه من دير هزقل* ملفت..حرد يجر سلاسل الأقياد. وكان المأمون يقول لإبراهيم بن شكلة[2] إذا دخل عليه: لقد أوجعك دعبل، حين يقول:. إن كان إبراهيم مضطلعا بها..فلتصلحن من بعده لمخارق.. ولتصلحن من بعد ذاك لزلزل..ولتصلحن من بعده للمارق..أني يكون ولا يكون ولم يكن..لينال ذلك فاسق عن فاسق.

قال قثم بن جعفر بن سليمان: أخبرني أبو عباد. قال: بينا أنا في مجلس المأمون إذ ذكر دعبل بن علي الشاعر فقام إبراهيم بن المهدي فقال: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك. أقطع لسانه، وأضرب عنقه فقد أطلق الله لك دمه. قال: وبم ذاك: أهجاني؟ فوالله لئن كان فعل ذلك فما أباح الله دمه بهجائي.فقال يا أمير المؤمنين: أقطع لسانه، وأضرب عنقه فقد أباحك الله دمه.فأعاد المأمون كلامه الأول.فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين إنه قد هجا إبراهيم، فقال: هات ما قال.فأنشده: أني يكون ولا يكون ولم يكن..يرث الخلافة فاسق عن فاسق..إن كان إبراهيم مضطلعا بها..فلتصلحن من بعده لمخارق..ولتصلحن من بعده في عثعث..ولتصلحن من بعده للمارق. قال: فقطع المأمون عليه وقال: حسبك في إبراهيم مالا يصبر عليه له ولا لك.

----

*(دير هزقل) يضرب به المثل لمجتمع المجانين ويقال المجنون كأنه من دير هزقل وذلك أنه مأوى المجانين بإحدى الديارات يشدون هناك ويداوون

■ (2) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم

■ (1) ثابت بن يحيى بن يسار، أبو عباد الرازي، كاتب المأمون؛ كان من الكفاة ولم يزل بالري ذا قدرة ووجاهة ورياسة مذ كان حدثا. توفي أبو عباد سنة عشرين 220 هـ، ومولده سنة 155 هـ

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ الوافي بالوفيات/ نثر الدر/

قال الآبي: لم أقطع المعتصم أشناسا[1] ضياع الحسن بن سهل[2]، وجه الحسن بقبالاتها إلى أشناس، وكتب إليه: قد عرفت رأي أمير المؤمنين في إخلاصك بهذه الضياع، وأحببت ألا تعرض على عقبك عقبى، فأنفذت لك قبالاتها معتدا في قبولكها بإسباغ النعمة علي، وادخار الشكر لدي، ومتقربا به إلى سيدي أمير المؤمنين، فرأيك في الامتنان علي بقبولها موفقا إن شاء الله. فلما قرأ الكتاب أنفذه إلى المعتصم، فوقع فيه: ضيم فصبر، وسلب فعذر، فليقابل بالشكر على صبره، وبالإحسان على عذره. وترد عليه ضياعه، ويرفع عنه خراجه. ولا أؤامر فيه إن شاء الله.

----

(2) الحسن بن سهل أبو محمد، الوزير الكامل، أبو محمد، حمو المأمون، وأخو الوزير ذي الرئاستين الفضل بن سهل، من بيت حشمة من المجوس، فأسلم سهل زمن البرامكة، فكان قهرمانا ليحيى البرمكي. ونشأ الفضل مع المأمون، فغلب عليه، وتمكن جدا إلى أن قتل. فاستوزر المأمون بعده أخاه، ولم يزل في توقل إلى أن تزوج المأمون بينته بوران، سنة 210 هـ، فلا يوصف ما غرم الحسن على عرسها. مات بسرخس سنة 236 هـ. وعاشت بوران: إلى حدود 270 هـ.

(1) أشناس التركي ولى الشام جميعه والجزيرة ومصر وتوجه المعتصم وألبسه وشاحين بالجوهر في سنة 225 هـ. وكان أحد قُواده الشجعان، شهد عمورية مع المعتصم، وأصبح شخصية هامة في تاريخ الخلافة العباسية، وأما أمر توليه الحرمين فأنه لما أراد الحج سنة 226هـ، جعل المعتصم إليه ولاية كل بلد يدخلها، وعلى هذا فإمارتة للمدينة كانت فخرية وقصيرة في فترة تأدية مناسك الحج والعودة. ونظر في صلات المعتصم لأشناس فوجد مبلغها أربعين ألف درهم، وأظن أنه بقي في ولايته إلى أن مات سنة 230 في أيام الواثق.

قال كاتب العباس بن المأمون[1] : لما تقلد المعتصم الخلافة عرضت له، فترجلت، فلما بصر بي، قال: هذا المجلس الذي لم تزل أكره الناس بحلولي به. قال: فتحيرت، ولم أدر ما أقول، ثم عن لي أن قلت: يا أمير المؤمنين، أنت تعفو عما تتيقنه، فكيف تعاقب عما تتوهمه؟ قال: فقال: لو أردت عقابك لتركت عتابك. وكان سبب خروجه إلى سر من رأى أن غلمان الأتراك كثروا ببغداد فتولعوا بحرم الناس وأولادهم، فاجتمع إليه جماعة منهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما أحد أحب إلينا مجاورة منك، لأنك الإمام والمحامي عن الدين، وقد أفرط غلمانك، فإما منعتهم منا، وإما نقلتهم عنا. فقال: نقلهم لا يكون إلا بنقلي، ولكني أفتقدهم، وأزيل ما شكوتهم. فنظر فإذا الأمر قد زاد وعظم، وخاف أن يقع بينهم حرب، وعاودوه بالشكوى، وقالوا: إن قدرت على نصفتنا، وإلا فتحول عنا. فقال: أتحول وكرامة فرحل إلى سر من رأى، واتخذها دارا.

حكي عن الفضل بن مروان[2] أنه قال: والله لقد كان المعتصم مؤيدا من عند الله في أموره كلها، لقد رجع يوما من محاربة الروم، وقد سهر ليلته وبقي إلى العشاء، ولم يطعم ولم يشرب، فدخل إلى المأمون[3] فعرفه خبره، فبينما هو يخاطبه إذ صيح: السلاح السلاح، واستفحل أمر الروم، فقال له المأمون: ارجع يا أبا إسحاق إلى موضعك. فقال: نعم يا أمير المؤمنين. أمضي إلى مضربي وأركب من ثم، فكان المأمون كره هذا منه، ونكس رأسه، واشتد عليه تأخيره لأمره، ففطن المعتصم، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل يقول: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق] والله لقد رأيتني ومالي من الدواب إلا أربع، ومن الغلمان إلا أربعة، وإني لأقف على باب الحسن بن سهل سائر يومي، وأتمنى أن يأمرني بأمر أنفذ فيه، ولي من كل هذا اليوم ألوف بتفضل أمير المؤمنين، وهو يأمرني بأمر فيه شرفي فأشترط عليه. أنا أمضي من وجهي هذا على هيئتي هذه. فضحك المأمون وقال: أدن إلي، فدنا فقبل بين عينيه، ودعا له بالظفر، وخرج.

قال بعضهم: سمعت المعتصم يقول: إذا نصر الهوى بطل الرأي. وقال لأحمد بن أبي دواد[4] لما كان من لتيات العباس بن المأمون ما كان: يا أبا عبد الله، أكره أن أحبسه فأهتكه، وأكره أن أدعه فأهمله. فقال: الحبس أصلح الله أمير المؤمنين، فإن الاعتذار خير من الاغترار. وقيل ما رئي أشد تيقظا في حرب من المعتصم، كانت الأخبار ترد عليه من أرض بابل إلى سر من رأى في ثلاثة أيام على عتاق مضمرة، قد أقام على كل فرسخ فرسخين.واحتاج الناس في حصار عمورية إلى ماء فمد لهم حياضا من أدم عشرة أميال وغير ذلك، مما سنذكر ذلك بعون الله. قال الفضل بن مروان: كان المعتصم يختلف إلى علي بن عاصم[5] المحدث، وكنت أمضي معه إليه، فقال يوما: حدثنا عمرو بن عبيد وكان قدريا فقال له المعتصم: يا أبا الحسن، أما تروي: أن القدرية مجوس هذه الأمة؟ قال: بلى. قال: فلم تروي عنه؟ قال: لأنه ثقة في الحديث صدوق. قال: فإن المجوسي ثقة في الحديث صدوقا فيما يقوله أتروي عنه؟ فقال له علي: أنت شغاب* يا أبا إسحاق. وقال: كتبنا إلى المأمون عن المعتصم بفتح مدينة، فلما قرأنا الكتاب عليه قال: قل في أوله: وكتابي كتاب منه لخبر، لا معتد بأثر، فزدنا فيه. وقالوا: كان المعتصم من أشد الناس، وكان يسمى ما بين أصبعيه: السبابة، والوسطى: المقطرة. واعتمد بها مرة على ساعد إنسان فدقه. وكتب إليه ملك الروم كتابا يتهدده فيه، فأمر أن يكتب جوابه، لما قرئ عليه لم يرضه، وقال للكاتب: أكتب. بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فقد قرأت كتابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع.﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد]

ولما دخل إليه المازيار[7] –وكان شديد الغيظ عليه– قيل له: لا تعجل عليه، فإن عنده أموالا جمة، فأنشد بيت أبي تمام: إن الأسود أسود الغاب همتهايوم الكريهة في المسلوب لا السلب. ولما قبض على عجيف[6]،وقتله بعد قتل العباس بن المأمون بمديدة، وقد كان المأمون قال لعجيف: قد خفت على نفسي فاكتم علي. فوشى به إلى المعتصم فلما حبسه قال له: اصطنعك المأمون فأفشى إليك كلمة، فلم تحفظها عليه، حتى نممتها إلي. قال ابن أبي دواد: كان المعتصم يقول لي: يا أبا عبد الله، عض ساعدي بأكثر قوتك. فأقول: والله يا أمير المؤمنين، ما تطيب نفسي بذلك، فيقول: إنه لا يضرني فأروم ذلك، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنة، فكيف الأسنان. ويقال: أنه طعنه بعض الخوارج، وعليه جوشن*، فأقام المعتصم ظهره فقصف الرمح. قال إسحاق الموصلي: سمعته يقول: من طلب الحق بما هو له وعليه أدركه.

☪

قال عبد العزيز بن محمد السلمان: ومما لا يستهان به ويحرص عليه أن تكون الزوجة ذات دين شريفة فإن الشريفة غالبا تحافظ علي شرفها وسمعتها وتبعد عما يدنس الشرف وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل: أشر علي فيمن أستعمل. فقال: أما أرباب الدين فلا يريدونك وأما أرباب الدنيا فلا تريدهم ولكن عليك بالإشراف فإنهم يصونون شرفهم عما لا يصلح.

روي عن أبي إسحاق قال: دعاني المعتصم يوما فأدخلني معه الحمام ثم خرج فخلا بي وقال: يا أبا إسحاق في نفسي شيء أريد أن أسالك عنه إن أخي المأمون اصطنع فأنجبوا واصطنعت أنا مثلهم فلم ينجبوا قلت: ومنهم قال: اصطنع طاهر وابنه وإسحاق وآل سهل فقد رأيت كيف هم واصطنعت أنا الأفشين فقد رأيت إلي ما آل أمره وأساس فلم أجده شيئا وكذلك ايناخ ووصيف. قلت: يا أمير المؤمنين ها هنا جواب على أمان من الغضب . قال : لك ذلك . قلت : نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها فأنجبت فروعها واستعملت فروعا لا أصول لها فلم تنجب . فقال : يا أبا إسحاق مقاساة ما مر بي هذه المدة أهون علي من هذا الجواب. وقيل: إن جعفر بن سليمان بن علي عاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما يجب فقال له ولده أحمد بن جعفر: إنك عمدت إلى فاسقي مكة والمدينة فأوعيت فيهن بضعك ثم تريد أن ينجبوا وإنما نحن لضاجبات الحجاز هلا فعلت في ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها.

----

*(جوشن) الصدر وأيضا الدرع (الشعب) بالتسكين: تهييج الشر. وهو شغب الجند، ولا يقال شغب. تقول: شغبت عليهم، وشغبت بهم، وشغبتهم، كله بمعنى.(حوض) الحوض واحد الأحواض و الحياض و حاض الرجل اتخذ حوضا وبابه قال و استحوض الماء اجتمع

(1) العباس بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد: أمير عباسي. ولاه أبوه الجزيرة والثغور والعواصم سنة 213 هـ ولما مات المأمون سنة 218 هـ وولي المعتصم، امتنع كثير من القواد والرؤوساء من مبايعته، ونادوا باسم ابن أخيه العباس بن المأمون فدعاه المعتصم إليه، وأخذ بيعته، فخرج العباس، وسكن الناس. وأقام إلى أن خرج المعتصم إلى الثغور، فاتفق العباس مع بعض القواد على قتله، فعلم المعتصم فقبض عليه وعلى أصحابه، وعذبه وسجنه إلى أن مات بمنبج سنة 223 هـ.

(2) الفضل بن مروان بن ماسرجس: وزير.كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء، أخذ البيعة للمعتصم، ببغداد، بعد وفاة المأمون سنة218 هـ وكان المعتصم في بلاد الروم، فاستوزره نحو 3 سنوات، واعتقله. ثم أطلقه، فخدم بعده جماعة من الخلفاء إلى أن توفي سنة 250 هـ.له ديوان رسائل وكتاب جمع فيه الأخبار والمشاهدات التي رآها

(6) عجيف بن عنبسة، قائد من أهل خراسان، كان مع العباس بن المأمون وقد ندّمه إذ لم يأخذ الخلافة بعد أبيه المأمون. فسخط المعتصم على عجيف بن عنبسة لأنه كان سبب معصيته، وحمله من أذنة في الحديد الثقيل، في فيه لبود قد خيطت عليه، وفي عنقه غل عظيم، فلما صار بموضع يقال له باعيناثا، على مرحلة من نصيبين، أو من بلد الموصل مات، ودفن بها. وقيل بل أطعم طعاما كثير ومنع الماء، حتى مات بباعيناثا. وفي رسائل ابن حزم الأندلسي قال: كان عجيف بن عنبسة بن طاهر بن الحسين من قواد رافع بن الليث بن نصر بن سيار بسمرقند أيام الرشيد.

(4) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

(3) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ وتوفي سنة218 هـ

(5) علي بن عاصم بن صهيب الواسطي، أبو الحسن: مسند العراق في عصره، من حفاص الحديث. كان صالحا ورعا موسرا، له صولة. أصله من واسط. سكن بغداد ومات بها سنة201 هـ

(7) المازيار صاحب طبرستان، واسمه محمد بن قارن، فظالم غاشم جبار، ظهر بطبرستان، وحارب عسكر المعتصم، ثم أسر فضرب حتى مات، وصلب، وترك أموالا لا تنحصر

مراجع: نثر الدر/ الأعلام للزركلي/ اليواقيت والضرب في تاريخ حلب/ الصحاح في اللغة/ موارد الظمآن لدروس الزمان/

قال أبو العيناء: كان الأفشين[1] يحسد أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي[2] للعربية والشجاعة، فاحتال عليه حتى شهد عليه بجناية وقتل، فأخذه ببعض أسبابه، فجلس له وأحضره وأحضر السياف ليقتله، وبلغ ابن أبي دواد[3] الخبر، فركب في وقته مع من حضر من عدوله، فدخل على الافشين وقد جيء بأبي دلف ليقتل، فوقف ثم قال: إني رسول أمير المؤمنين إليك، وقد أمرك أن لا تحدث في القاسم بن عيسى حدثا حتى تسلمه إلي، ثم التفت إلى العدول، وقال: اشهدوا أني قد أديت الرسالة إليه عن أمير المؤمنين والقاسم حي معافى، فقالوا: قد شهدنا، وخرج، فلم يقدر الافشين عليه، وصار ابن أبي دواد إلى المعتصم من وقته، وقال: يا أمير المؤمنين، قد أديت عنك رسالة لم تقلها لي، ما أعتد بعمل خير خيرا منها، وإني لأرجو لك الجنة بها، ثم أخبره الخبر، فصوب رأيه ووجه من أحضر القسم فأطلقه ووهب له وعنف الافشين فيما عزم عليه. وفي رواية قال ابن حجر العسقلاني: قرأت في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، في ترجمة أبي دلف القاسم ابن عيسى العجلي، الأمير المشهور ما نصه: قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر: كان أبو دلف القاسم بن عيسى، في جملة من كان مع الأفشين حيدر بن كاوس لما خرج لمحاربة بابك، ثم تنكر له، فوجه يوما بمن جاء به ليقتله وبلغ المعتصم الخبر، فبعث إليه بأحمد بن أبي دواد وقال له: أدركه وما أراك تلحقه واحتل في خلاصه منه كيف شئت. قال أحمد فمضيت ركضا حتى وافيته فإذا أبو دلف واقف بين يديه، وقد أخذ بيديه غلامان تركيان. فرميت بنفسي على الأرض، وكنت إذا جئته دعا لي بمصلى. فقال سبحان الله ما حملك على هذا؟ قلت: أنت أجلستني هذا المجلس. ثم كلمته في القاسم وخضعت له. فجعل لا يزداد إلى غلظة. -فلما رأيت ذلك قلت: هذا عبد، وقد أغرقت في الرفق به، وليس ينفع إلا أخذه بالرهبة والشدة-. فقمت وقلت: كم تراك قدرت في نفسك أن تقتل أولياء أمير المؤمنين واحد بعد واحد، وتخالف أمره في قائد بعد قائد، قد حملت إليك هذه الرسالة عن أمير المؤمنين، فهات الجواب. فذل حتى لصق بالأرض. وبان لي الاضطراب فيه. فلما رأيت ذلك نهضت إلى أبي دلف، فأخذت بيده وقلت: قد أخذته بأمر أمير المؤمنين. فقال: لا تفعل يا أبا عبد الله. فقلت: قد فعلت وأخرجت القاسم فحملته على دابة ووافيت المعتصم. فلما بصر بي قال: مرحبا بك يا أبا عبد الله، أوريت زنادي. ثم رد علي خبري مع الأفشين حدسا بظنه ما أخطأ فيه حرفا. ثم سألني عما ذكر لي وهل هو كما قال؟ فأخبرته أنه لم يخطئ حرفا. وقرأت في الكتابة المذكور: كان أحمد بن أبي دواد ينكر أمر الغناء إنكارا شديدا فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دلف يغني. فقال: ما أراه مع عقله يفعل ذلك! فستر المعتصم أحمد في موضع، وأحضر أبا دلف، وأمره أن يغني، ففعل ذلك وأطال. ثم أخرج أحمد بن أبي دواد عليه من موضعه، والكراهية بينه ظاهرة في وجهه. فلما رآه قال: سوأة لهذا من فعل! أبعد السن وهذا المحل، تضع نفسك كما رأى! فخجل أبو دلف وتسور، وقال: إنهم أكرهوني. فقال: هبهم أكرهوك على الغناء أفأكرهوك على الإحسان فيه والإصابة!. انتهى. وكان المعتصم قد اشتد غيظه (غضبه؟) على محمد بن الجهم البرمكي[4]، فأمر بضرب عنقه، فلما رأى ابن أبي دواد ذلك، وأنه لا حيلة له فيه، وقد شد (شدوا؟) برأسه وأقيم في النطع وهز له السيف، قال ابن أبي دواد للمعتصم: وكيف تأخذ ماله إذا قتلته قال: ومن يحول بيني وبينه قال: يأبى الله تعالى ذلك، ويأباه رسوله صلى الله عليه وسلم، ويأباه عدل أمير المؤمنين، فإن المال للوارث إذا قتلته حتى تقيم البينة على ما فعله، وأمره باستخراج ما اختانه أقرب عليك وهو حي، فقال: احبسوه حتى يناظر، فتأخر أمره على مال حمله، وخلص محمد.

حدث الجاحظ أن المعتصم غضب على رجل من أهل الجزيرة الفراتية وأحضر السيف والنطع، فقال له المعتصم: فعلت وصنعت، وأمر بضرب عنقه فقال له ابن أبي دواد: يا أمير المؤمنين، سبق السيف العدل، فتأن في أمره فإنه مظلوم، قال: فسكن قليلا، قال ابن أبي دواد: وغمرني البول فلم أقدر على حبسه، وعلمت أني إن قمت قتل الرجل، فجعلت ثيابي تحتي وبلت فيها حتى خلصت الرجل، قال: فلما قمت نظر المعتصم إلى ثيابي رطبة، فقال: يا أبا عبد الله كان تحتك ماء فقلت: لا يا أمير المؤمنين، ولكنه كان كذا وكذا، فضحك المعتصم ودعا لي، وقال: أحسنت بارك الله عليك، وخلع عليه وأمر له بمائة ألف درهم. وقال أحمد بن عبد الرحمن الكلبي: ابن أبي دواد روح كله من قرنه إلى قدمه، وقال لازون (لاوزن؟) بن إسماعيل: ما رأيت أحدا قط أطوع لأحد من المعتصم لابن أبي دواد، وكان يسأل الشيء اليسير فيمتنع منه، ثم يدخل ابن أبي دواد فيكلمه في أهله وفي أهل (عن أهله وأهل؟) الثغور وفي الحرمين وفي أقاصي أهل المشرق والمغرب، فيجيبه إلى كل ما يريد، ولقد كلمه يوما في مقدار ألف ألف درهم ليحفر بها نهرا في أقاصي خراسان، فقال له: وما علي من هذا النهر فقال: ياأمير المؤمنين، إن الله تعالى يسألك عن النظر في أمر أقصى رعيتك كما يسألك عن النظر في أمر أدناها، ولم يزل يرفق به حتى أطلقها.

قال عون بن محمد الكندي: عهدي بالكرخ ببغداد وإن رجلا لو قال: ابن أبي داود مسلم قتل في مكانه، ثم وقع الحريق في الكرخ وهو الذي ما كان مثله قط، فكلم ابن أبي داود المعتصم في الناس وقال: يا أمير المؤمنين، رعيتك في بلد آبائك ودار ملكهم نزل بهم هذا الأمر فاعطف عليهم بشيء يفرق فيهم يمسك أرماقهم ويبنون به ما انهدم عليهم، ويصلحون به أحوالهم، فلم يزل ينازله حتى أطلق له خمسة آلاف ألف درهم فقال: يا أمير المؤمنين، إن فرقها عليهم غيري خفت ألا تقسم بالسوية فائذن لي في تولي أمرها ليكون الأجر أكبر والثناء أوفر. قال: ذلك إليك، فقسمها على مقادير الناس وما ذهب منهم نهاية ما يقدر عليه من الاحتياط واحتاج إلى زيادة فازدادها من المعتصم. وغرم من ماله في ذلك غرما كبيرا، فكانت هذه من فضائله التي لم يكن لأحد مثلها. قال عون: فلعهدي بالكرخ بعد ذلك وإن إنسانا لو قال: زر ابن أبي داود وسخ لقتل.

حدث علي بن الحسين الاسكافي قال: اعتل أحمد بن أبي داود فعاده المعتصم فقام فتلقاه وقال له: قد شفاني الله بالنظر إلى أمير المؤمنين، فدعا له بالعافية وقال له: إني نذرت إن عافاك الله أن أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له: يا أمير المؤمنين، اجعلها لأهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الأسعار عنتا، فقال: نويت أن أتصدق بها ها هنا، وأنا أطلق لأهل لأهل الحرمين مثلها، ثم نهض فقال له: أمتع الله الإسلام وأهله ببقائك يا أمير المؤمنين، فإنك كما قال النمري لأبيك الرشيد: من البسيط:
إن المكارم والمعروف أودية..أحلك الله منها حيث تجتمع..من لم يكن بأمين الله معتصما..فليس بالصلوات الخمس ينتفع. فقيل للمعتصم في ذلك لأنه عاده وليس يعود إخوته وأخلاء أهله فقال المعتصم: كيف لا أعود رجلا ما وقعت عيني عليه قط إلا ساق إلي أجرا، أو أوجب لي شكران أو أفادني فائدة تنفعني في ديني ودنياي، وما سألني حاجة لنفسه قط.

■ (3) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

■ (1) الأفشين حيدر بن كاوس، عقد له المعتصم في قتال بابك الخرمي، وكان من الامراء الشجعان، واتهم بالكفر وعبادة الاصنام، فسجنه المعتصم حتى مات سنة 226 هـ

■ (2) أبو دلف العجلي، القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل، من بني عجل بن لجيم: أمير الكرخ، أحد الامراء الاجواد الشجعان الشعراء. قلده الرشيد أعمال الجبل ثم كان من قادة جيش المأمون. وأخبار كثيرة. وله مؤلفات، وهو من علماء الغناء، يقول الشعر ويلحنه. ولي إمرة دمشق للمعتصم مات سنة225 هـ ببغداد

■ (4) محمد بن الجهم البرمكي ذكره بن قتيبة في المبتدعة وقال كان مصحفه كتاب أو سطور وكان لا يصوم ويزعم انه يعجز عن الصوم ويقول لا يستحق أحد من أحد شكرا على خير اهداه اليه ونقل عنه انه لما حضره الموت قيل الا توصي قال بماذا قالوا بالثلث كما جاء في الحديث قال الثلث والثلث كثير وانا أقول ثلث الثلث كثير والمسكين حقه في بيت المال فإذا طلبه بعد وصل اليه وإذا قعد قعود النساء فلا رحم الله من رحمه قلت وكان في عصره ممن يوافقه في اسمه واسم أبيه محمد بن الجهم ذكره أبو طاهر الكرخي في الوفيات وقال مات بالسوس سنة تسع وعشرين ومائة

☪

قال ابن خلكان: كان ابتداء اتصال ابن أبي دواد بالمأمون أنه قال: كنت أحضر مجلس القاضي يحيى بن أكثم[1] مع الفقهاء، فإني عنده يوما إذ جاءه رسول المأمون فقال له: يقول لك أمير المؤمنين: انتقل إلينا وجميع من معك من أصحابك، فلم يحب أن أحضر معه، ولم يستطع أن يؤخرني، فحضرت مع القوم، وتكلمنا بحضرة المأمون فأقبل المأمون ينظر إلي إذا شرعت في الكلام ويتفهم ما أقول ويستحسنه، ثم قال لي: من تكون فانتسبت له، فقال: ما أخرك عنا فكرهت أن أحيل على يحيى، فقلت: حبسة القدر وبلوغ الكتاب اجله، فقال: لا أعلمن ما كان لنا من مجلس إلا حضرته، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، ثم اتصل الأمر. وقيل: قدم يحيى بن أكثم قاضيا على البصرة من خراسان من قبل المأمون في آخر سنة اثنتين ومائتين وهو حدث سنه نيف وعشرون سنة، فاستصحب جماعة من أهل العلم والمروءات منهم ابن أبي دواد، فلما قدم المأمون بغداد في سنة أربع ومائتين قال ليحيى: اختر لي من أصحابك جماعة يجالسونني ويكثرون الدخول إلي، فاختار منهم عشرين فيهم ابن أبي دواد، فكثرواعلى المأمون، فقال: اختر منهم، فاختار عشرة فيهم ابن أبي دواد، ثم قال: اختر منهم، فاختار خمسة فيهم ابن أبي دواد، واتصل أمره، وأسند المأمون وصيته عند الموت إلى أخيه المعتصم، وقال فيها: وأبو عبد الله أحمد بن أبي دواد لا يفارقك الشركة في المشورة في كل أمرك، فإنه موضع ذلك، ولا تتخذن بعدي وزيرا. ولما ولي المعتصم الخلافة جعل ابن أبي دواد قاضي القضاة، وعزل يحيى بن أكثم، وخص به أحمد حتى كان لا يفعل فعلا باطنا ولا ظاهرا إلا برأيه، وامتحن ابن أبي دواد الإمام أحمد بن حنبل، وألزمه بالقول بخلق القرآن الكريم، وذلك في شهر رمضان سنة عشرين ومائتين. ولما مات المعتصم وتولى بعده ولده الواثق بالله حسنت حال ابن أبي دواد عنده، ولما مات الواثق بالله وتولى أخوه المتوكل فلج ابن أبي دواد في أول خلافته وذهب شقه الأيمن، فقلد المتوكل ولده محمد بن أحمد[2] القضاء مكانه، ثم عزل محمد بن احمد عن المظالم في سنة ست وثلاثين ومائتين، وقلد يحيى بن أكثم.

قال الحسين بن الضحاك الشاعر المشهور لبعض المتكلمين: ابن أبي دواد عندنا لا يحسن اللغة وعندكم لا يحسن الكلام وعند الفقهاء لا يحسن الفقه، وهو عند المعتصم يعرف (يحسن ؟) هذا كله.

حكى أبو مالك جرير بن أحمد بن أبي داود قال: قال الواثق يوما لأبي تضجرا بكثرة حوائجه: يا أحمد قد اختلت بيوت الأموال بطلباتك للائذين بك والمتوسلين إليك؟!، فقال: يا أمير المؤمنين نتائج شكرها متصلة بك وذخائر أجرها مكتوبة لك، وما لي من ذلك إلا عشق اتصال الأنس بعلو المدح فيك، فقال: يا أبا عبد الله، لا منعناك ما يزيد في عشقك ويقوي من همتك فينا ولنا. ومثل هذا حكى الثعالبي عن إبراهيم بن السندي قال: قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من وجودها كان لا يخف كده ولا يجف قلمه ولا تستريح حركته في طلب حوائج الناس وإدخال المرافق على الضعفاء، وكان وجيها ذا مروة وفصاحة: خبرني عن الشيء الذي هون عليك هذا المنصب وقواك على تكاليف النصب ما هو فقال: قد والله سمعت تغريد الأطيار بالأسحار وأصوات القيان فما طربت قط كطربي من ثناء حسن من رجل محسن، قلت: لله درك ولله أنت قد حشيت مروة وكرما.

■ (1) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي.كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

■ (2) محمد بن أحمد بن أبي دؤاد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد أبو الوليد الأيادي القاضي وهو أخو حريز بن أحمد قيل أن أسم أبي دؤاد الفرج وقيل دعمي وقيل اسمه كنيته، ولي محمدا أمير المؤمنين المتوكل القضاء بعد أن فلج أبوه ومات في حيوة أبيه وكانت وفاته ببغداذ في ذي الحجة سنة 239 هـ ومات أبوه بعده بعشرين يوما، وكان المتوكل قد عزله عن القضاء ومظالم العسكر سنة 237 هـ ووكل بضياعه وضياع أبيه ثم صولح على الفي ألف دينار وأشهد على ابن أبي دؤاد وابنه بشراء ضياعهما وأحدرا إلى بغداذ، وقيل حمل مائة ألف وعشرين ألف دينار وجوهرا قيمته عشرون ألف دينار ثم صولح بعد ذلك على ستة عشر ألف ألف درهم، وكان أبوه أحمد ممن اشتهر بالسخاء وابنه أبو الوليد كان بخيلا وله في البخل أخبار ظريفة هي محفوظة عنه

مراجع: وفيات الأعيان/ الأعلام للزركلي/ الوفي بالوفيات/ سير أعلام النبلاء/ العبر في خبر من غبر/ رفع الإصر عن قضاة مصر/ لسان الميزان/

قال محمد بن القاسم بن خلاد: رفع بعض العمال إلى المعتصم، وكان يلي الخراج في موضع يلي فيه خالد بن يزيد[1] الحرب، أن خالد بن يزيد اقتطع الأموال واحتجز بعضها، فغضب المعتصم وحلف ليأخذن أموال خالد ولينفينه ويعاقبنه، فلجأ خالد إلى أحمد بن أبي داؤد[2] القاضي، فاحتال حتى جمع بينه وبين خصمه فلم تقم على خالد حجة، فعرف المعتصم ابن أبي داؤد ذلك، وشفع إليه في خالد، فلم يشفعه، وأحضر خالد وأحضرت آلات العقوبة، وقد كان قبل ذلك قبض أمواله وضياعه وصرفه عن العمل، وحضر ابن أبي داؤد المجلس، فجلس دون مجلسه الذي كان يجلس فيه، فقال له المعتصم: ارتفع إلى مكانك، فقال: يا أمير المؤمنين ما أستحق إلا دون هذا المجلس، قال: وكيف؟ قال: الناس يزعمون أنه ليس محلي محل من يشفع في رجل قرف بما لم يصح، قال: فارتفع إلى موضعك، قال: مشفعا أو غير مشفع؟ قال: بل مشفعا قد وهبت لك خالدا ورضيت عنه، قال: إن الناس لا يعلمون بهذا، قال: قد رددت عليه أعماله وضياعه وأمواله، قال: ويشرفه أمير المؤمنين بخلع تظهر للعامة، فأمر أن تفك قيوده، ويخلع عليه، ففعل ذلك فورد إلى حضرته، فقال ابن أبي داؤد: قد استحق هو وأصحابه رزق ستة أشهر، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجعلها صلة له؟ قال: ليحمل معه فخرج خالد وعليه الخلع، وبين يديه المال والناس منتظرون الايقاع به، فلما رأوه على تلك الحال سروا، وصاح به رجل: الحمد لله على خلاصك يا سيد العرب، فقال: كذبت سيد العرب والله ابن أبي داؤد لا أنا. وفي هذه القصة يقول أبو تمام[3] الطائي: يا سائلي عن خالد وفعاله..رد فاعترف علما بغير رشاء..قد كان خطب عائر فأقاله..رأي الخليفة كوكب الخلفاء..فخرجت منه كالشهاب ولم تزل..مذ كنت خراجا من الغماء..ما سرني بخداجها من حجة..ما بين أندلس إلى صنعاء.

■ (2) أحمد بن أبي دؤاد (دواد؟) بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات سنة 240 هـ ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

■ (1) خالد الشيباني، خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة، أبو يزيد الشيباني: أحد الامراء الولاة الاجواد في العصر العباسي. وهو ممدوح أبي تمام. ولاه المأمون مصر سنة 206 هـ ودخلها، وقاتله عبيد الله بن السري، فلم يستقر فيها. فولاه الموصل ثم زاده ديار ربيعة كلها، فأقام إلى أيام الواثق، فلما انتقضت أرمينية انتدبه الواثق، فتجهز في جيش عظيم وزحف يريدها فاعتل في طريقه. ومات قبل بلوغها سنة 230 هـ. كان يكنى في السلم بأبي يزيد، وفي الحرب بأبي الزبير.

■ (3) أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الاديب. أحد أمراء البيان. ولد في جاسم من قرى حوران بسورية ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. سنة 231 هـ كان أسمر طويلا. فصيحا، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع. في شعره قوة وجزالة. واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري.

☪

قال المسعودي: عبر المعتصم من سر من رأى من الجانب الغربي –وذلك في يوم مطير، وقد تبع ذلك ليلة مطيرة– وانفرد من أصحابه، وإذا حمار قد زلق ورمى بما عليه من الشوك، وهو الشوك الذي توقد به التنانير بالعراق، وصاحبه شيخ ضعيف واقتص ينتظر إنسانا يمر فيعينه على حمله، فوقف عليه، وقال: مالك يا شيخ؟ قال: فديتك! حماري وقع عنه هذا الحمل، وقد بقيت أنتظر إنسانا يعينني على حمله، فذهب المعتصم ليخرج الحمار من الطين، فقال الشيخ: جعلت فداك تفسد ثيابك هذه وطيبك الذي أشمه من أجل حماري هذا؟ قال: لا عليك، فنزل واحتمل الحمار بيد واحدة وأخرجه من الطين، فبهت الشيخ وجعل ينظر إليه ويتعجب منه، ويترك الشغل بحماره ثم شد عنان فرسه في وسطه وأهوى إلى الشوك وهو حزمتان فحملهما فوضعهما على الحمار، ثم دنا من غدير فغسل يديه واستوى على فرسه، فقال الشيخ السوادي: رضي الله عنك، وقال بالنبطية: أشقل غرمى تاحوتكا، وتفسير ذلك، فديتك يا شاب، وأقبلت الخيول، فقال لبعض خاصته: أعط هذا الشيخ أربعة آلاف درهم، وكن معه حتى تجاوز به أصحاب المسالح، وتبلغ به قريته.

☪

عن الحسن قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿اللَّهُمَّ، لَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ وَلَا لِفَاسِقٍ عِنْدِي يَدًا وَلَا نِعْمَةً، فَإِنِّي وَجَدْتُ فِيمَا أَوْحَيْتَهُ إِلَيَّ:لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [المجادلة]﴾ قال سفيان: يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان. وعنه إنه كان يقول:﴿تُعَزِّزُوا عَلَى أَبْنَاءِ الدُّنْيَا بَتَرْكِ السَّلَامِ عَلَيْهِمْ﴾ وعن الحسن، قال: سمعت يحيى بن أبي غنية يقول: ﴿كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى سُفْيَانَ، فَرَفَعَ سُفْيَانُ بَصَرَهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ صَوَّبَ، وَلَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى الرَّجُلِ، فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ مَا فَعَلَ بِهِ سُفْيَانُ لَمْ يَجْلِسْ، وَانْصَرَفَ، فَقَالَ سُفْيَانُ: إِنْ هَذَا كَانَ جَالِسًا، فَبَلَغَنِي أَنَّهُ يُجَالِسُ هَؤُلَاءِ، فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ بِالطَّرَفَيْنِ، فَإِذَا فَعَلَ أَحَدُهُمْ هَذَا، فَافْعَلُوا بِهِ مِثْلَ هَذَا﴾ قال أبو ذر لسلمة: يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئاً من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه. عن مالك بن أنس، قال: أدركت بضعة عشر رجلا من التابعين يقولون لا تأتوهم، ولا تأمروهم، يعني السلطان. سأل جعفر بن برقان ميمون بن مهران عن الصلاة خلف الحكام؟ فقال: أنت لا تصلي له، إنما تصلي لله، قد كنا نصلي خلف الحجاج بن يوسف، وكان حروريا أزرقيا. وكان ميمون يقول: لا تعرف الأمير، ولا تعرف من يعرفه. وعن ميمون بن مهران قال: ثلاث لا تبلون نفسك بهن: لا تدخل على سلطان وإن قلت آمره بطاعة الله، ولا تدخل على امرأة وإن قلت أعلمها كتاب الله، ولا تصغين بسمعك إلى ذي هوى فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك من هواه.

☪

ذكر الخطيب في غير التاريخ بسند له محمد بن عبد الملك الزيات الوزير. قال: كان رجل من ولد عمر بن الخطاب، لا يلقى أحمد بن أبي دواد إلا لعنه ودعا عليه، سواء وجده منفردا أو في محفل، وأحمد لا يرد عليه. فاتفق أن عرضت للعمري حاجة عند المعتصم. فسألني أن أرفع قصته فخشيت أن يعارضني أحمد. فامتنعت فألح علي، فأخذت قصته ودخلت إلى المعتصم، فلم أجد أحمد. فاغتنمت غيبته ودفعت له قصة الرجل، فدخل أحمد وهي في يده فناولها له. فلما رأى اسمه، وفيه أنه من ذرية عمر بن الخطاب، قال: يا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب! تقضى لولده كل حاجة، فوقع بقضاء حاجته. وأخذت القصة فدفعتها للرجل. وقلت له: اشكر القاضي فهو الذي اعتنى بك حتى قضيت حاجتك. فجلس الرجل حتى خرج أحمد فقام إليه فجعل يدعو له ويشكره. فالتفت إليه أحمد، فقال: اذهب عافاك الله، فإني إنما فعلك ذلك لعمر لا لك.

☪

عن الحسين بن محمد بن فهم قال: حدثني أبي قال: قال بن أبي دؤاد للمعتصم: يا أمير المؤمنين، هذا، يعني أحمد بن حنبل، يزعم أن الله تعالى يرى في الآخرة، والعين لا تقع إلا على محدود، والله تعالى لا يحد، فقال له المعتصم: ما عندك في هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، عندي ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وما قال عليه السلام؟ قال: حدثني محمد بن جعفر غندر قال: حدثنا شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة أربع عشرة من الشهر، فنظر إلى البدر، فقال: ﴿أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْبَدْر لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ﴾ فقال لأحمد بن أبي دؤاد: ما عندك في هذا؟ قال: أنظر في إسناد هذا الحديث، وكان هذا في أول يوم ثم انصرف، فوجه بن أبي دؤاد إلى علي بن المديني[1] وهو ببغداد، مملق ما يقدر على درهم، فأحضره، فما كلمه بشيء حتى وصله بعشرة آلاف درهم، وقال: هذه وصلك بها أمير المؤمنين، وأمر أن يدفع إليه جميع ما استحق من أرزاقه، وكان له رزق سنتين، ثم قال له: يا أبا الحسن، حديث جرير بن عبد الله في الرؤية ما هو؟ فقال: صحيح، قال: فهل عندك فيه شيء؟ قال: يعفيني القاضي من هذا، فقال: يا أبا الحسن، هذه حاجة الدهر، ثم أمر له بثياب وطيب ومركب بسرجه ولجامه، ولم يزل حتى قال: في هذا الإسناد من لا يعمل عليه ولا على ما يرويه، وهو قيس بن أبي حازم[2] إنما كان أعرابيا بوالا على عقبيه، فقبل بن أبي دؤاد بن المديني واعتنقه، فلما كان الغد وحضروا، قال بن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين، يحتج في الرؤية بحديث جرير، وإنما رواه عنه قيس بن أبي حازم وهو أعرابي بوال على عقبيه، قال: فقال أحمد بن حنبل بعد ذلك: فحين أطلع لي هذا علمت أنه من عمل علي بن المديني، فكان هذا وأشباهه من أوكد الأمور في ضربه.

قال الحافظ أبو بكر: أما ما حكي عن علي بن المديني في هذا الخبر من أن قيس بن أبي حازم لا يعمل على ما يرويه لكونه أعرابيا بوالا على عقبية فهو باطل، وقد نزه الله عليا عن قول ذلك، لأن أهل الأثر وفيهم علي مجمعون على الاحتجاج برواية قيس بن أبي حازم وتصحيحها، إذ كان من كبراء تابعي أهل الكوفة، وليس في التابعين من أدرك العشرة المقدمين وروى عنهم غيره، مع روايته عن خلق من الصحابة سوى العشرة ولم يحك أحد ممن ساق محنة أبي عبد الله أحمد بن حنبل أنه نوظر في حديث الرؤية، فإن كان هذا الخبر المحكي عن بن فهم محفوظا، فأحسب أن بن أبي دؤاد تكلم في قيس بن أبي حازم بما ذكر في الخبر وعزا ذلك إلى علي بن المديني، والله أعلم.

قال الذهبي: قلت: إن صحت الحكاية، فلعل عليا قال في قيس ما عنده عن يحيى القطان، أنه قال: هو منكر الحديث، ثم سمى له أحاديث استنكرها، فلم يصنع شيئا، بل هي ثابتة، فلا ينكر له التفرد في سعة ما روى، من ذلك حديث كلاب الحوأب، وقد كاد قيس أن يكون صحابيا، أسلم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم هاجر إليه، فما أدركه، بل قدم المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بليال. وقد قال يحيى بن معين فيما نقله عنه معاوية بن صالح، كان قيس بن أبي حازم أوثق من الزهري. نعم، ورؤية الله تعالى في الآخرة منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم، نقل تواتر، فنعوذ بالله من الهوى، ورد النص بالرأي.

قال الحسن بن ثواب: سألت أحمد بن حنبل عمن يقول القرآن مخلوق قال: كافر. قلت فابن أبي داود؟ قال: كافر بالله العظيم. قلت: بماذا كفر؟ قال: بكتاب الله تعالى. قال الله تعالى:﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة] فالقرآن من علم الله، فمن زعم أن علم الله مخلوق فهو كافر بالله العظيم.

قالت العلماء: رؤية الله تعالى في الجنة من أعظم النعم بعد نعمة التوفيق والهدايا، قال تعالى في وصف المؤمنين في ذلك اليوم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة] وقال جل شأنه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس] عن صهيب قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس] قال: ﴿إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعُودًا فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَيْسَ قَدْ بَيَّضَ وُجُوهَنَا وَثَقَّلَ مَوَازِينَنَا وَأَدْخَلَنَا الْجَنَّةَ؟ فَيُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ ثَلَاثًا قَالَ: فَيَتَجَلَّى لَهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ أَعْظَمَ مِمَّا أُعْطُوا﴾ فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل.

■ (2) قيس بن أبي حازم العالم الثقة الحافظ، أبو عبد الله البجلي الاحمسي، الكوفي واسم أبيه حصين بن عوف. وقيل: عوف بن عبد الحارث بن عوف بن حشيش بن هلال. وفي نسبه اختلاف. وبجيلة هم بنو أنمار. أسلم وأتى النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه، فقبض نبي الله وقيس في الطريق، ولابيه أبي حازم صحبة. وقيل: إن لقيس صحبة، ولم يثبت ذلك. وكان من علماء زمانه. قيل: مات سنة 97 هـ أو 98 هـ. قيل: مات في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك. وشذ الفلاس فقال: مات سنة 84 هـ.

■ (1) علي بن عبد الله بن جعفر السعدي بالولاء الديني، البصري، أبو الحسن: محدث مؤرخ، كان حافظ عصره. له نحو مئتي مصنف. وكان أعلم من الامام أحمد باختلاف الحديث. ولد بالبصرة، ومات بسامراء سنة 234 هـ.

مراجع: بغية الطلب في تاريخ حلب/ـمختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/ مروج الذهبر/ رفع الإصر عن قضاة مصر/ تهذيب الكمال/ سير أعلام النبلاء/ عمر بن عبد العزيز/

كان المعتصم يأنس بعلي بن الجنيد الإسكافي[1]، وكان عجيب الصورة عجيب الحديث، فيه سلامة أهل السواد، فقال المعتصم يوما لمحمد بن حماد[2]: اذهب بالغداة إلى علي بن الجنيد، فقل له تهيأ حتى يزاملني، فأتاه، فقال: إن أمير المؤمنين يأمرك أن تزامله، فتهيأ لشروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال علي بن الجنيد: وكيف أتهيأ؟ أهيئ لي رأسا غير رأسي؟ أأشتري لحية غير لحيتي! أأزيد في قامتي! أنا متهيئ وفضلة، قال: لست تحري بعد ما شروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم! فقال علي بن الجنيد: وما هي؟ هات يا من تدري، قال له ابن حماد، وكان أديبا ظريفا، وكان برسم الحجاب: شرط المعادلة الإمتاع بالحديث والمذاكرة والمناولة، وأن لا يبزق، ولا يسعل، ولا يتنحنح، ولا يمخط، وألا يتقدم الرئيس في الركوب إشفاقا عليه من المسل، وأن يتقدمه في النزول، فمتى لم يفعل المعادل هذا كان هو والمثقلة الرصاص التي تعدل بها القبة سواء، وليس له أن ينام وإن نام الرئيس، بل يأخذ نفسه بالتيقظ، ومراعاة حال من هو معه وما هو راكبه؛ لأنهما إذا ناما جميعا فمال جانب لا يشعر بميله كان في ذلك ما لا خفاء به، وعلي بن الجنيد ينظر إليه، فلما أكثر عليه في هذا الوصف والشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول أهل السواد: آه حرها، أذهب له فقل له: ما يزاملك إلا من أمه زانية وهو كشخان، فرجع ابن حماد، فقال للمعتصم ما قال، فضحك المعتصم وقال: جئني به، فجاءه، فقال: يا علي، أبعث إليك تزاملني فلا تفعل. فقال: إن رسولك هذا الجاهل الأزعر جاءني بشروط حسان الشاشي[3] وخالويه[4] المحاكي فقال: لا تبزق، ولا تفعل كذا، وافعل كذا، وجعل يمطط في كلامه، ويفرقع في صاداته، ويشير بيديه، ولا تسعل، ولا تعطس، وهذا لا يقوم لي. ولا أقدر عليه، فإن رضيت أن أزاملك فإن جاءني الفساء فسوت عليك وضرطت، وإذا جاءك أنت فأده فافس واضرط، وإلا فليس بيني وبينك عمل، فضحك المعتصم حتى فحص برجليه، وذهب به الضحك كل مذهب، وقال: نعم زاملني على هذه الشريطة، قال: نعم وكرامة، فزامله في قبة على بغل، فسارا ساعة، وتوسطا البر، فقال علي: يا أمير المؤمنين حضر ذلك المتاع فما ترى؟ قال: ذلك إليك إذا شئت، قال: تحضر ابن حماد، فأمر المعتصم بإحضاره، فقال له علي: تعالى حتى أسارك، فلما دنا منه فسا، وناوله كمه، وقال: أجد دبيب شيء في كمي فانظر ما هو، فأدخل رأسه، فشم رائحة الكنيف، فقال: ما أرى شيئا، ولكني لم أعلم أن في جوف ثيابك كنيفا، والمعتصم قد غطى فمه بكمه، وقد ذهب به الضحك كل مذهب، ثم جعل يفسو فساء متصلا، ثم قال لابن حماد: قلت لي لا تسعل ولا تبزق ولا تمخط، فلم أفعل ولكني أخرى عليك، قال: فاتصل فساؤه والمعتصم يخرج رأسه من العمارية، ثم قال للمعتصم: قد نضجت القدر، وأريد أخرى، فقال المعتصم ورفع صوته حين كثر ذلك عليه: ويلك! يا غلام الأرض، الساعة أموت.

ودخل علي بن الجنيد الإسكافي يوما على المعتصم فقال له بعد أن ضاحكه وهازله: يا علي، مالي لا أراك ويلك!؟ أنسيت الصحبة وما حفظت الموثق. فقال له حينئذ: بالغ الكلام الذي أريد أن أقوله قلته أنت، ما أنت إلا إبليس، فضحك، ثم قال: لم لا تجيئني. قال: آه، كم أجيء فلا أصل إليك، أنت اليوم نبيل، فكأنك من بني مارية وبنو مارية أناس من أهل السواد يضرب بهم أهل السواد الأمثال لكبرهم في نفوسهم، فقال له المعتصم: هذا سندان التركي، وأشار إلى غلام على رأسه بيديه مذبة، وقال له: يا سندان، إذا حضر علي فأعلمني وإن أعطاك رقعة فأوضحلها إلي، وإن حملك رسالة فأخبرني بها، قال: نعم يا سيدي، وانصرف علي فأقام أياما ثم جاء يطلب سندان فقالوا: هو نائم، فانصرف ثم عاد، فقالوا: هو داخل، ولا تصل إليه، فانصرف وعاد، فقالوا: هو عند أمير المؤمنين، فاحتال حتى دخل عند المعتصم من جهة أخرى، فضاحكه ساعة وعاتبه، وقال له: يا علي، ألك حاجة. قال: نعم يا أمير المؤمنين، إن رأيت سندان التركي؛ فأقره مني السلام، فضحك وقال: ما حاله. قال: حاله أنك جعلت بيني وبينك إنسانا رأيتك قبل أن أراه، وقد اشتقت إليه فأسألك أن تبلغه مني السلام، فغلب المعتصم الضحك، وجمع بينه وبين سندان ثانية وأكد عليه في مراعاة أمره، فكان لا يمنع منه.

----

(1) علي بن الحسين بن الجنيد، أبو الحسن النخعي الرازي المالكي عرف بذلك لجمعه حديث مالك. سمع بدمشق. توفي بالري سنة 291 هـ. وكان صدوقا ثقة من حفاظ الحديث، وكان من خيار الناس.

(4) هل هو: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله: لغوي، من كبار النحاة.أصله من همذان. زار اليمن وأقام بذمار مدة وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب. وعظمت بها شهرته فأحله بنو حمدان منزلة رفيعة وكانت له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة. وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده. وتوفي في حلب سنة 370 هـ

(3) هل هو: الحسن الشاشي، الحسن بن صاحب بن حميد الشاشي أبو علي محدث، حافظ. من تصانيفه: الارشاد. 314 هـ [معجم المؤلفين]

(2) محمد بن حماد بن دنقش كاتب وحاجب المعتصم

قال الصولي: كان المعتصم في فتنة الأمين يمضي إلى علي بن الجنيد الإسكافي فيقيم عنده، ولا يقصر علي في خدمته وإكرامه والنفقة عليه –وكان علي أكثر الناس مزاحا وأحسنهم كلاما– فآذاه المعتصم في شيء، فقال علي: والله لا يفلح أبدا على المزح، فحفظها المعتصم. فلما دخل بغداد خليفة أمر وصيفا بإحضار علي فأحضره –وكان عدوا للفضل بن مروان[1]– فضحك المعتصم، وكان يقول: ذلك اليوم اعتقدت أن أنكب الفضل؛ ثم قال: يا علي تذكر حيث وقفت لإبراهيم ابن المهدي[2] بمربعة الحرسي فنزلت فقبلت يده ثم أدنيت ابني هارون[3] فقبل يده وقلت: عبدك هارون ابني، فأمر له بعشرة آلاف درهم؟ قال علي: أذكر لك؛ قال: فإنه ترجل لي اليوم وقبل يدي في ذلك الموضع بعينه، ثم قال لي: عبدك هبة الله ابني، فأدناه فقبل يدي، فأمرت له بعشرة آلاف درهم، ولم تطب له نفسي بغيرها. فقال: بئس والله ما فعل أمير المؤمنين. قال: وكيف ويلك؟ قال: إبراهيم كان أمر لهارون بعشرة آلاف درهم وليست في يده إلا بغداد وحدها، وفي يد أمير المؤمنين من المشرق إلى المغرب. قال: صدقت، أعطوه عشرة آلاف دينار؛ وفرق المعتصم في أهله ثلاثين ألف ألف درهم.

قال علي بن الجنيد: كانت بيني وبين يحيى بن خالد[4] مودة وأنس، وكنت أعرض الرقاع في الحوائج، فكثرت رقاع الناس عندي واتصل شغله، فقصدته يوما فقلت: يا سيدي قد كثرت الرقاع وامتلأ خفي وكمي، فإما تطولت بالنظر فيها وإما رددتها، قال فقال لي: أقم عندي حتى أفعل ما سألت، فأقمت وجمعت الرقاع في خفي، وأكلنا وغسلنا أيدينا وقمنا للنوم، واستحييت من إذكاره، ويئست من عرضها، لأني علمت أنا نقوم ونتشاغل بالشرب، فنمت، ودعا هو بالرقاع من خفي فوقع في جميعها وردها إليه، ونام وانتبه، ودخلت إليه في مجلس الشرب فلم أستجز ذكر الرقاع له، وشربت وانصرفت بالعشي، وبكر إلي أصحاب الرقاع لما وقفوا على إقامتي عنده، فاعتذرت إليهم وضاق صدري بهم، فدعوت بالرقاع لأميزها وأخفف منها ما ليس بمهم، فوجدت التوقيعات في جميعها، فلم يكن لي همة إلا تفريقها والركوب إليه لشكره، وقلت له: يا سيدي قد تفضلت وقضيت حاجاتي فلم علقت قلبي ولم تعرفني حتى يتكامل سروري؟ فقال: سبحان الله، أردت مني أن أمتن عليك بأن أخبرك بما لم يكن يجوز أن يخفى عليك؟!.

حبق رجل بحضرة عمر بن الخطاب فتغافل عنه حتى حضرت الصلاة فقال: عزمت على من كانت منه هذه الريح إلا قام فتوضأ فلم يقم أحد، ثم أعاد فلم يقم أحد. فقال جرير بن عبد الله البجلي: لو عزمت علينا يا أمير المؤمنين، أن نتوضأ جميعا كان ذلك لفاعله فريضة ولغيره برا ونافلة، وكان أستر على الرجل. فقال: جازاك الله خيرا فما عرفتك إلا سيدا في الجاهلية فقيها في الإسلام، قوموا فتوضأوا، فقام القوم فتوضأوا. وحبق كاتب لعمر بن عبد العزيز بين يديه فرمى بقلمه واستحيا مما جاء به. فقال عمر: لا عليك خذ قلمك واضمم إليك جناحك وليذهب روعك فما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي. وحضر مجلس يزيد بن المهلب رجل تميمي، وقد جرد يزيد رجلا من الأزد ليضربه، فلما وقع السوط بجنبه حبق، فقال التميمي ماله لعنه الله؟ أما أنه لو كان من عدنان ما حبق لوقع السوط بجنبه فسمعها يزيد فقال تعصبا للأزد: والله لأضربنك حتى تضرط. فقال والله لا ترى ذلك أبدا ولتجدنها كما قال الأعشى: كتوم الرغاء إذا هجرت..وكانت بقية ذود كتم. فقيل له الأمير قد أقسم ليضربنك أو تفعل فما عليك قال: كلا إنها كما قال الكميت: كتوم إذا ضج المطي كأنما..تكرم عن أخلاقهن وترغب. وضرط أبو الأسود عند معاوية فقال: استرها علي فحدث بها معاوية عمرا فدخل أبو الأسود على معاوية وعنده عمرو. فقال له عمرو ما فعلت ضرطتك؟ فقال ذهبت كما تذهب الريح فلتة من شيخ ألان الدهر أعصابه، وكل أجوف ضروط، ثم أقبل على معاوية فقال: إن امرأ ضعفت أمانته عن كتمان ضرطة لحقيق أن لا يؤمن على أمور المسلمين. وأخذ عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس أسيرا من أصحاب مروان فشهر عليه السيف ليقتل، فضرط ضرطة شنيعة فسقط السيف من يد السياف، ونفرت دابة عبد الله فقال له: إذهب فأنت طليق ضرطتك. فقال: هذا والله الإدبار كنا ندافع الموت بأسيافنا فصرنا ندافعه بأدبارنا.

----

(2) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلما، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوما (202 – 204 هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة 210 هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا. وكان وافر الفضل، حازما، واسع الصدر. سخي الكف.حاذقا بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها شكلة نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة 224 هـ وصلى عليه المعتصم.

(3) هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنى أبا جعفر.ولد سنة 196 هـ أو 200 هـ، وبويع له بعد وفاة أبوه المعتصم سنة 227 هـ، ومات بسر من رأى سنة 232 هـ

(1) الفضل بن مروان بن ماسرجس: وزير.كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء، أخذ البيعة للمعتصم، ببغداد، بعد وفاة المأمون سنة 218 هـ وكان المعتصم في بلاد الروم، فاستوزره نحو 3 سنوات، واعتقله. ثم أطلقه، فخدم بعده جماعة من الخلفاء إلى أن توفي سنة 250 هـ.له ديوان رسائل وكتاب جمع فيه الأخبار والمشاهدات.

(4) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

مراجع:التذكرة الحمدونية/ مروج الذهب/ / الأعلام للزركلي/ سمط اللآلي/

كان تميم بن جميل السدوسي[1] قد أقام ، بشاطئ الفرات، واجتمع إليه كثير من الأعراب، فعظم أمره، وبعد ذكره؛ فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق[2] في النهوض إليه، فتبدد جمعه، وظفر به فحمله موثقا إلى باب المعتصم، روي عن أحمد بن أبي دؤاد[3] القاضي إنه قال: جيء بتميم بن جميل إلى المعتصم أسيرا، وكان قد خرج عليه فما رأيت رجلا عرض عليه الموت فلم يكترث به سواه، ثم دعا بالسيف والنطع، فلما مثل بين يديه نظر إليه، فأعجبه حسنه وقده ومشيه إلى الموت غير مكترث، فأطال الفكر فيه ثم كلمه لينظر أين عقله ولسانه من جماله، فقال: يا تميم! إن كان لك عذر فائت به. فقال: أما إذ أذن أمير المؤمنين في الكلام فإني أقول: الحمد لله ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة] يا أمير المؤمنين! جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين، وأخمد بك نار الباطل وأنار بك سبل الحق، إن الذنوب تخرس الألسنة وتصدع القلوب، وآيم الله لقد عظمت الجريمة، وانقطعت الحجة وساء الظن إلا فيك، وهو أشبه بك وأليق ثم أنشد يقول: أرى الموت بين السيف والنطع كامنا..يلاحظني من حيث ما أتلفت..وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي..وأي امرئ مما قضى الله يفلت..ومن ذا الذي يدلي بعذر وحجة..وسيف المنايا بين عينيه مصلت..يعز على الأوس بن تغلب موقف..يسيل عليه السيف فيه ويسكت..وما جزعي من أن أموت وإنني..لأعلم أن الموت شيء مؤقت..ولكن خلفي صبية قد تركتها..وأكبادهم من حسرة تتفتت..كأني أراهم حين أنعى إليهم..وقد لطموا حمر الوجوه وصوتوا..فإن عشت عاشوا في سرور ونعمة..أذود الردى عنهم، وإن مت موتوا. قال: فبكى المعتصم ثم قال:﴿إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا﴾، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: يا تميم، كاد والله أن يسبق السيف العذل. قد غفرت لك الهفوة ووهبتك للصبية. ثم عقد له ولاية على عمله، وأعطاه خمسين ألف دينار، انتهى.

في رواية قال قال أحمد بن أبي داود: ما رأيت رجلا نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يجب أن يفعله إلا تميم ابن جميل، فإنه كان تغلب على شاطيء الفرات فظفر به، ووافى به الرسول باب المعتصم في يوم الموكب في حين جلوسه للعامة فأدخل عليه، فلما مثل بين يديه دعا بالنطع والسيف فأحضرا، وجعل تميم بن جميل يصعد النظر إلى ذلك ولا يقول شيئا، وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصوبه، وكان جسيما وسيما، فرأى أن يستنطقه لينظر أين جنانه ولسانه من منظره، فقال: يا تميم، إن كان لك عذر فأت به أو حجة فأدل بها، فقال: أما إذ قد أذنت لي يا أمير المؤمنين بالكلام فإني أقول: الحمد لله ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة] يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولأم بك شعث الأمة وأخمد بك شهاب الباطل وأوضح بك سراج الحق يا أمير المؤمنين، إن الذنوب تخرس الألسنة، وتصدع الأفئدة، ولقد عظمت الجريرة وكبر الذنب وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما إليك أولاهما بإمامتك وأشبههما بخلافتك، ثم أنشد: أرى الموت بين السيف والنطع كامنا..يلاحظني من حيثما أتلفت..وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي..وأي امرئ مما قضى الله يفلت..ومن ذا الذي يدلي بعذر وحجة..وسيف المنايا بين عينيه مصلت..يعز على أبناء تغلب موقف.. يسل على السيف فيه وأسكت..وما جزعي من أن أموت وإنني..لأعلم أن الموت شيء مؤقت..ولكن خلفي صبية قد تركتهم.. وأكبادهم من حسرة تتفت..كأني أراهم حين أنعي إليهم.. وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا..فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة..أذود الردى عنهم وإن مت موتوا..وكم قائل: لا يبعد الله داره..وآخر جذلان يسر ويشمت. قال: فتبسم المعتصم وقال: كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل اذهب فقد غفرت لك الهفوة وتركتك للصبية.

■ (1) تميم بن جميل السدوسي التغلبي ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (2) مالك بن طوق بن عتاب التغلبي، أبو كلثوم: أمير. كان من الاشراف الفرسان الاجواد. ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي. وبنى بمساعدة الرشيد بلدة الرحبة التي على الفرات، وتعرف برحبة مالك، نسبة إليه. وكثر سكانها في أيامه. وكان فصيحا، له شعر. وفاته سنة 260 هـ أو 259 هـ

■ (3) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

☪

وفد أعرابي على مالك بن طوق وكان زري الحال رث الهيئة فمنع من الدخول إليه فأقام بالرحبة أياما فخرج مالك ذات يوم يريد النزهة حول الرحبة فعارضه الأعرابي فمنعه الشرطة ازدراء به فلم يثن عنه حتى أخذ بعنان فرسه ثم قال أيها الأمير أنا عائذ بك من شرطك فنهاهم عنه وأبعدهم منه ثم قال له هل من حاجة قال نعم أصلح الله الأمير قال وما هي قال أن تصغي إلي بسمعك وتنظر إلي بطرفك وتقبل علي بوجهك قال نعم فأنشده: ببابك دون الناس أنزلت حاجتي..وأقبلت أسعى نحوه وأطوف..ويمنعني الحجاب والليل مسبل..وأنت بعيد والرجال صفوف..يطوفون حولي بالقلوس كأنهم..ذئاب جياع بينهن خروف..فأما وقد أبصرت وجهك مقبلا..واصرف عنه إنني لضعيف.فاستضحك مالك حتى كاد يسقط عن فرسه ثم قال لمن حوله من يعطيه درهما بدرهمين وثوبا بثوبين فنثرت الدراهم ووقعت الثياب عليه من كل جانب حتى تحير الأعرابي واختلط عقله لكثرة ما أعطى فقال هل بقيت لك حاجة يا أعرابي قال أما إليك فلا قال فإلى من قال إلى الله أن يبقيك للعرب فإنها لا تزال بخير ما بقيت لها.

☪

إن من البيان لسحرا: يحكى أن بعض الملوك أرسل رجلا من بطانته إلى بعض الجهات ليعرف خبر عاملها، ويطالعه بأخبار الرعية، فلما وصل الرجل فطن له العامل، فأرسل إليه بهال وتحف ثم قال: عرفت ما جئت له، وأنا أرغب إليك في كتاب تكتبه إلى الملك تذكر فيه أني حسن السيرة، وسالك طريق العدل، فإن أنت فعلت ذلك فلك مني ما تشتهي رغبتك إليه من الخير والعطاء، وإن أبيت ذلك أمرت الشرطيين أن ينهوا إلي من أمرك في الملإ ما يوجب قتلك إما حدا وإما سياسة، فأقتلك بمحضر من قاضي البلد ووجوه الناس، فتذهب كأمس الماضي. فلما لم يجد الرجل بدا من موافقته ولم يكن ليخون مرسله كتب بحضرته كتابا إلى الملك. أما بعد، أعز الله الملك وأكرمه، فإني قدمت إلى مدينة كذا وكذا فوجدت العامل فلانا آخذا بالحزم عاملا بالعزم، قد ساوى بين رعيته، وعدل بينهم في أقضيته، وأرضى بعضهم بعضا، وجعل طاعته عليهم فرضا وأنزلهم منزلة الأولاد، وأذهب ما بينهم من الأحقاد، وأراحهم من السعي في الدنيا وفرغهم للعمل في الأخرى، أغنى القاصد وأرضى الوارد، فجميع أهل عمله داعون للملك يودون النظر إلى وجهه الكريم والسلام. فلما وصل الكتاب منه إلى الملك فكر فيه وقال لوزيره: إن فلانا لم يكن عندي بمتهم، فإن كتابه هذا يدل على ظلم العامل، فالتمس لي رجلا يصلح لعمله، فإني قد عزلته. فقال الوزير: أصلح الله الملك، وكيف ذلك؟ قال: لأن قوله آخذا بالحزم عاملا بالعزم أي أنه خائف مني لما اعتمده في الولاية، وأما قوله ساوى بين رعيته وعدل بينهم في أقضيته، فمعناه أنه لم يخص أحدا بظلمه بل الجميع سواء، وقوله: وأرضى بعضهم بعضا: أي ذهبت أحقادهم لأن الشدائد تذهب الأحقاد، وقوله: أنزلهم منزلة الأولاد، معناه أخذ أموالهم ورأى أنها له أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم:أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ. وقوله: وأراحهم من السعي في الدنيا، معناه أنه أخذ أموالهم ولم يترك لهم ما يسعون به ولا ما به يتجرون. وقوله: فرغهم للعمل في الأخرى، معناه أنهم لزموا المساجد والعبادة لفقرهم. وقوله: أغنى القاصد وأرضى الوارد فإنه يعني نفسه، أي أنه أعطاه مالا ليكتب إلي بذلك. وأما قوله: فجميع أهل عمله داعون لنا، معناه أن يبصرنا الله بأمرهم، ونطلع على ما هم فيه. وقوله: يودون النظر لوجهنا أي يشكون إلينا ما لقوه منه ويستغيثون بنا. ثم إن الملك طلب العامل وأحضره إلى بابه وأنصف الناس منه ورد عليهم ما كان العامل ظلمهم فيه واقتص منه فيما عليه فيه القصاص، وقابله على فعله، والله أعلم.

☪

قال علي بن سعد الكاتب الرحبي رحبة مالك بن طوق: سألت أبي لم سميت هذه المدينة رحبة مالك بن طوق ومن كان هذا الرجل؟ فقال: يا بني اعلم أن هارون الرشيد كان قد اجتاز في الفرات في حراقة حتى بلغ الشذا ومعه ندماء له أحدهم يقال له مالك بن طوق فلما قرب من الدواليب قال مالك بن طوق: يا أمير المؤمنين لو خرجت إلى الشط إلى أن تجوز هذه البقعة ؟ فقال له هارون الرشيد: أحسبك تخاف هذه الدواليب !؟ فقال مالك: يكفي الله أمير المؤمنين كل محذور، ولكن إن رأى أمير المؤمنين ذلك رأيا وإلا فالأمر له. فقال الرشيد: قد تطيرت بقولك، وقدم السفينة وصعد الشط فلما بلغت الحراقة موضع الدواليب دارت دورة ثم انقلبت بكل ما فيها فعجب من ذلك هارون الرشيد وسجد لله شكرا وأمر بإخراج مال عظيم يفرق على الفقراء في جميع المواضع، وقال لمالك: وجبت لك علي حاجة فسل. فقال: يقطعني أمير المؤمنين في هذا الموضع أرضا أبنيها مدينة تنسب إلي، فقال الرشيد: قد فعلت وأمر أن يعان في بنائها بالمال الرجال، فلما عمرها واستوسقت له أموره فيها وتحول الناس إليها أنفذ إليه الرشيد يطلب منه مالا، فتعلل عليه بعلة ودافعه عن حمل المال ثم ثنى الرسول إليه وكذلك راسله ثالثا وبلغ هارون الرشيد أنه قد عصى عليه وتحصن فأنفذ إليه الجيوش إلى أن طالت بينهما المحاربة والوقائع ثم ظفر به صاحب الرشيد فحمله مكبلا بالحديد فمكث في حبس الرشيد عشرة أيام لم يسمع منه كلمة واحدة وكان إذا أراد شيئا أومأ برأسه ويده فلما مضت له عشرة أيام جلس الرشيد للناس وأمر بإخراجه، فأخرج من الحبس إلى مجلس أمير المؤمنين والوزراء والحجاب والأمراء بين يدي الرشيد، فلما مثل بين يديه قبل الأرض ثم قام قائما لا يتكلم ولا يقول شيئا ساعة تامة قال: فدعا الرشيد النطع والسيف وأمر بضرب عنقه، فقال له يحيى: ويلك يا مالك لم لا تتكلم؟ فالتفت إلى الرشيد، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، الحمد لله الذي خلق الإنسان من سلالة من طين يا أمير المؤمنين، جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين وأخمد بك شهاب الباطل وأوضح بك سبل الحق إن الذنوب تخرس الألسنة وتصدع الأفئدة وايم الله لقد عظمت الجريرة فانقطعت الحجة فلم يبق إلا عفوك أو انتقامك، ثم أنشأ يقول: أرى الموت بين السيف والنطع كامنا يلاحظني من حيث ما أتلفت وأكثر ظني أنك اليوم قاتلي وأي امرىء مما قضى الله يفلت وأي امرىء يدلي بعذر وحجة وسيف المنايا بين عينيه مصلت يعز على الأوس بن تغلب موقف يهز علي السيف فيه وأسكت وما بي خوف أن أموت وإنني لأعلم أن الموت شيء موقت ولكن خلفي صبية قد تركتهم وأكبادهم من خشية تتفتت كأني أراهم حين أنعى إليهم وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة أذود الردى عنهم وإن مت موتوا وكم قائل لا يبعد الله داره وآخر جذلان يسر ويشمت. قال: فبكى الرشيد بكاء تبسم ثم قال: لقد سكت على همة وتكلمت على علم وحكمة وقد وهبناك للصبية، فارجع إلى مالك ولا تعاود فعالك، فقال: سمعا لأمير المؤمنين وطاعة ثم انصرف من عنده بالخلع والجوائز.

---

*(رحبة مالك بن طوق) مدينة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ كتاب التوابين/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ طيب المذاق من ثمرات الأوراق/ زهر الآداب وثمر الألباب/ جمهرة خطب العرب/ المستجاد من فعالات الأجواد/ الأعلام للزركلي/ معجم البلدان/ غرر الخصائص الواضحة/

ذكر محمد بن داود بن الجراح البغدادي: أن المعتصم بالله كان قد غضب على أبي دلف[1]، واعتزم على قبض ماله، فاحتال له عبد الله بن طاهر[2] حتى ولي دمشق، ونحاه عن الجبل حتى سكن أمره. فهجا أبو السري أحمد بن يزيد الشاعر ابنه عجل بن أبي دلف، فقال: من البسيط: يا عجل أنت غراب البين والصرد..في الشؤم منك لحاك الواحد الصمد..أنت البسوس التي أفنت بناقتها..بكرا وتغلب حتى أقفر البلد..قد كان شؤمك نحى قاسما فمضى..إلى دمشق ودمع العين يطرد..لولا المهذب عبد الله ما رفعت..يوما إلى قاسم كأس المدام يد. يريد عبد الله بن طاهر. وقال أبو عبد الرحمن التوزي: استهدى المعتصم من أبي دلف كلبا كان عنده، فجعل في عنقه قلادة كيمخت أخضر وكتب عليها: من المنسرح: أوصيك خيرا به فإن له..خلائقا لا أزال أحمدها..يدل ضيفي علي في ظلم الليل..إذا النار نام موقدها.

قال سعيد بن حميد: كان ابن أبي دؤاد[3] قد اصطنع أبا دلف واختلسه –واحتبسه؟– بحيلة من يد الإفشين[4]، وقد دعا بالسيف ليقتله، فكان أبو دلف يصير إليه كل يوم ليشكره، وكان ابن أبي دؤاد يقول به، ويصفه. فقال له المعتصم: إن أبا دلف حسن الغناء، جيد الضرب بالعود، فقال: يا أمير المؤمنين، القاسم في شجاعته وبيته في العرب يفعل هذا؟! قال: نعم، وما هو هذا؟ هو أدب زائد فيه. فكأن ابن أبي دؤاد عجب من ذاك، فأحب المعتصم أن يسمعه ابن أبي دؤاد، فقال له: يا قاسم غنني، فقال: والله ما أستطيع ذلك، وأنا أنظر إلى أمير المؤمنين هيبة له وإجلالا، فقال: لابد من ذلك. وأجلس من وراء ستارة، فكان ذلك أسهل عليه، فضربت ستارة، وجلس أبو دلف خلفها يغني. ووجه المعتصم إلى ابن أبي دؤاد، فحضر، واستدناه وجعل أبو دلف يغني، وأحمد يسمع، ولا يدري من يغني. فقال له المعتصم: كيف تسمع هذا الغناء يا أبا عبد الله؟ قال: أمير المؤمنين أعلم مني، ولكني أسمع حسنا. فغمز المعتصم غلاما، فهتك الستارة، وإذا أبو دلف. فلما رأى المعتصم، وابن أبي دؤاد وثب قائما، وأقبل على ابن أبي دؤاد فقال: إني أجبرت على هذا، فقال: لولا دربتك في هذا من أين كنت تأتي بمثل هذا؟! هبك أجبرت على أن تغني من أجبرك على أن تحسن؟! مات القاسم بن عيسى أبو دلف العجلي ببغداد في سنة خمس وعشرين ومائتين. قال دلف بن أبي دلف: رأيت كأن آتيا أتى بعد موت أبي، فقال:أجب الأمير، فقمت معه، فأدخلني دارا وحشة، وعرة سوداء الحيطان، مقلعة السقوف والأبواب، ثم أصعدني درجا فيها، ثم أدخلني غرفة، فإذا في حيطانها أثر النيران، وإذا في أرضها أثر الرماد، وإذا أبي عريان واضعا رأسه بين ركبتيه، فقال لي كالمستفهم: دلف؟ قلت: نعم، أصلح الله الأمير. فأنشأ يقول: من الخفيف: أبلغن أهلنا ولا تخف عنهم..ما لقينا في البرزخ الخناق..قد سئلنا عن كل ما قد فعلنا..فارحموا وحشتي وما قد ألاقي. أفهمت؟ قلت: نعم. ثم أنشأ يقول: من الوافر: فلو أنا إذا متنا تركنا..لكان الموت راحة كل حي..ولكنا إذا متنا بعثنا..فنسأل بعده عن كل شيء. انصرف. قال: فانتبهت

■ (1) أبو دلف العجلي، القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل، من بني عجل بن لجيم: أمير الكرخ، وسيد قومه، وأحد الامراء الاجواد الشجعان الشعراء. قلده الرشيد أعمال الجبل ثم كان من قادة جيش المأمون.وولي دمشق في أيام المعتصم. وكان من الأجواد الممدحين. تولى محاربة الخرمية فأفناهم. وكان شاعرا أديبا وبطلا شجاعا وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة. وله مؤلفات، وهو من العلماء بصناعة الغناء، يقول الشعر ويلحنه. توفي ببغداد سنة 226 هـ.

■ (2) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس: أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من باذغيس بخراسان وكان جده الاعلى زريق من موالي طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات وولي صاحب الترجمة إمرة الشام، مدة. ونقل إلى مصر سنة 211 هـ، فأقام سنة، ونقل إلى الدينور. ثم ولاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الاطراف. واستمر إلى أن توفي بنيسابور وقيل: بمرو سنة 230 هـ وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه، قال ابن الاثير: كان عبد الله من أكثر الناس بذلا للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مراث كثيرة. وقال ابن خلكان: كان عبد الله سيدا نبيلا عالي الهمة شهما، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. وقال الذهبي في دول الاسلام: كان عبد الله من كبار الملوك. وقال الشابشتي: كان المأمون تبناه ورباه. الطاهريون سلالة عربية من قبيلة خزاعة تولت إمرة ولاية خراسان وشرق تركستان أثناء الدولة العباسية ما بين 205=259 هـ

■ (4) الأفشين حيدر بن كاوس، عقد له المعتصم في قتال بابك الخرمي، وكان من الامراء الشجعان، واتهم بالكفر وعبادة الاصنام، فسجنه المعتصم حتى مات سنة 226 هـ

■ (3) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

☪

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن أبيه: كنت في مجلس الرشيد، إذ دخل عليه غلام أمرد له ذؤابة، فسلم بالخلافة، فقال الرشيد: لا سلم الله على الآخر، أفسدت علينا بالجبل، يا غلام، قال: فأنا أصلحه يا أمير المؤمنين، قال: وكيف تصلحه؟ قال: أفسدته يا أمير المؤمنين وأنت علي، وأعجز عن إصلاحه وأنت معي؟ فأمر الرشيد، فخلع عليه، وعقد له على الجبل. فلما خرج الغلام قلت: من هذا؟ فقيل لي: هذا أبو دلف العجلي. قال إبراهيم: فسمعت الرشيد وقد ولى الغلام خارجا من عنده يقول: إني أرى غلاما يرمي من وراء همة بعيدة!. قال المأمون يوما وهو مقطب لأبي دلف: أنت الذي يقول فيك الشاعر: إنما الدنيا أبو دلف..عند مغزاه ومحتضره..فإذا ولى أبو دلف..ولت الدنيا على أثره. فقال: يا أمير المؤمنين، شهادة زور، وقول غرور، وملق معتف، وطالب عرف، وأصدق منه ابن أخت لي حيث يقول: من الطويل: دعيني أجوب الأرض ألتمس الغنى..فلا الكرج الدنيا ولا الناس قاسم. فضحك المأمون وسكن غضبه. وأبو دلف القائل: مجزوء الكامل: طلب المعاش مفرق..بين الأحبة والوطن..ومصير جلد الرجا..ل إلى الضراعة والوهن. قال إبراهيم بن الحسن بن سهل: كنا في موكب المأمون، فترجل له أبو دلف، فقال له المأمون: ما أخرك عنا؟ فقال: علة عرضت لي، فقال: شفاك الله وعافاك، اركب، فوثب من الأرض على الفرس، فقال له المأمون: ما هذه وثبة عليل؟! فقال: بدعاء أمير المؤمنين شفيت.

☪

قال عيسى بن عبد العزيز الحارثي: خرجت رفقة إلى مكة فيها القاسم بن عيسى، أبو دلف، فلما تجاوزت الكوفة حضرت الأعراب، وكثرت تريد اغتيال الرفقة، فتسرع قوم إليهم، فزجرهم أبو دلف، وقال: مالكم ولهذا! ثم اتصل بأصحابه، فعبأ عسكره ميمنة وميسرة وقلبا. فلما سمع الأعراب أن أبا دلف حاضر انهزموا من غير حرب. ثم مضى بالناس حتى حج، فلما رجعوا أخبرت القافلة بأن الأعراب قد احتشدوا احتشادا عظيما، وهم قاصدون القافلة. وكان في القافلة رجل أديب شاعر في ناحية طاهر بن الحسين وآله، فكتب إلى أبي دلف بهذا الشعر: من الوافر: جرت بدموعها العين الذروف..وظل من البكاء له حليف..بلاد تنوفة ومحل قفر..وبعد أحبة ونوى قذوف..تبادر أول القطرات نرجو..بذلك أن تخطانا الحتوف..أبا دلف وأنت عميد بكر..وحيث العز والشرف المنيف..تلاف عصابة هلكت فما إن..بها إلا تداركها خفوف. فلما قرأ أبو دلف الأبيات أجاب عنها بغير إطالة فكر، ولا روية، فقال: رجال لا تهولهم المنايا..ولا يشجيهم الأمر المخوف..وطعن بالقنا الخطي حتى..تحل بمن أخافكم الحتوف..ونصر الله عصمتنا جميعا..وبالرحمن ينتصر اللهيف. قال العتابي: كنا على باب أبي دلف خلق كثير من الشعراء يعدنا بأمواله من الكرج وأعمالها، فلما أتته الأموال أمر بصبها على الأنطاع، وأجلسنا حوله، ثم تقلد سيفه وخرج علينا، فسلم علينا فقمنا إليه، فأقسم علينا بالجلوس، فجلسنا، ثم اتكأ على قائم سيفه، ثم أنشأ يقول: من الطويل: ألا أيها الزوار لا يد عندكم..أياديكم عندي أجل وأكبر..وإن كنتم أفردتموني للرجا..فشكري لكم من شكركم لي أكثر..كفاني من مال دلاص وسابح..وأبيض من صافي الحديد ومغفر. ثم أمر بنهب تلك الأموال، فأخذ كل واحد منا على قدر طاقته. وعن إدريس بن معقل قال: اجتمع على باب أبي دلف جماعة من الشعراء، فمدحوه، وتعذر عليهم الوصول إليه، وحجبهم حياء لضيقة نزلت به، فأرسل إليهم خادما له، يعتذر إليهم، ويقول: انصرفوا في هذه السنة، وعودوا في القابلة، فإني أضعف لكم العطية، وأبلغكم الأمنية. فكتبوا إليه: من الخفيف: أيهذا العزيز قد مسنا الده..ر بضر وأهلنا أشتات..وأبونا شيخ كبير فقير..ولدينا بضاعة مزجاة..قل طلابها فبارت علينا..وبضاعاتنا بها الترهات..فاغتنم شكرنا وأوف لنا الكي..ل وصدق فإننا أموات. فلما وصل إليه الشعر ضحك وقال: علي بهم. فلما دخلوا قال: أبيتم إلا أن تضربوا وجهي بسورة يوسف! والله إني لمضيق، ولكني أقول كما قال الشاعر: من الوافر: لقد خبرت أن عليك دينا..فزد في رقم دينك واقض ديني. يا غلام، اقترض لي عشرين ألفا بأربعين ألفا، وفرقها فيهم. قال أحمد بن محمد بن الفضل الأهوازي: أنشد بكر بن النطاح أبا دلف: من المتقارب: مثال أبي دلف أمة..وخلق أبي دلف عسكر..وإن المنايا إلى الدارعين..بعيني أبي دلف تنظر. فأمر له بعشرة آلاف درهم، فمضى فاشترى بها بستانا بنهر الأبلة، ثم عاد من قابل، فأنشده: من الطويل: بك ابتعت في نهر الأبلة جنة..عليها قصير بالرخام مشيد..إلى لزقها أخت لها يعرضونها..وعندك مال للهبات عتيد. فقال أبو دلف: بكم الأخرى؟ قال: بعشرة آلاف، قال: ادفعوها إليه. ثم قال له: لا تجيئني قابل، فتقول: بلزقها أخرى! فإنك تعلم أن لزق كل أخرى أخرى متصلة إلى ما لا نهاية. قال بعضهم: دخل بعض الشعراء على أبي دلف القاسم بن عيسى، فأنشده: من الطويل: أبا دلف إن المكارم لم تزل..مغلغلة تشكو إلى الله غلها..فبشرها منه بميلاد قاسم..فأرسل جبريلا إليها فحلها. فأمر له بمال، فقال الخازن: ما عندنا في بيت المال، فأمر له بضعفه، فقال الخازن: ما يحضر، فأمر له بضعفه. فلما حمل المال مع الشاعر أنشأ أبو دلف يقول: من الوافر: أتعجب أن رأيت عي دينا..وأن ذهب الطريف مع التلاد..ملأت يدي من الدنيا مرارا..فما طمع العواذل في اقتصادي..وما وجبت علي زكاة مال..وهل تجب الزكاة على جواد.

حدث سماعة بن سعيد قال: أتى جعيفران أبا دلف يستأذن عليه، وعنده أحمد بن يوسف، فقال الحاجب: جعيفران الموسوس بالباب، فقال أبو دلف: ما لنا وللمجانين؟! فقال له أحمد بن يوسف: أدخله. فلما دخل قال: من السريع: يا بن أعز الناس مفقودا..وأكرم الأمة موجودا..لما سألت الناس عن واحد..أصبح في الأمة محمودا..قالوا جميعا إنه قاسم..أشبه آباء له صيدا. قال: أحسنت والله؛ يا غلام، اكسه، وادفع إليه مائة درهم، فقال : مره – أعزك الله – أن يدفع إلي منها خمسة، ويحفظ الباقي لي، قال : ولم؟ قال: لئلا تسرق مني و يشتغل قلبي بحفظها، قال: يا غلام، ادفع إليه كلما جاء خمسة دراهم إلى أن يفرق بيننا الموت. قال: فبكى جعيفران. فقال له أحمد بن يوسف: ما يبكيك؟ فقال: على البسيط: يموت هذا الذي تراه..وكل شيء له نفاذ..لو كان شيء له خلود..عمر ذا المفضل الجواد. كان أبو دلف يشتو بالعراق، ويصيف بالجبال، فقال في ذلك: من المتقارب: إني امرؤ كسروي الفعال..أصيف الجبال وأشتو العراقا..وألبس للحرب أثوابها..وأعتنق الدارعين اعتناقا. فاختار بفضل رأيه وحزمه، وصحة قريحته أن يصيف في الجبال ليسلم من هوام العراق وذبابه، وغلظ هوائه، وسخونة مائه. ويشتو بالعراق ليسلم من زمهرير الجبال وأنديتها وثلوجها ورياحها، ولأن العراق في فصل الخريف والشتاء أفضل منه في الربيع والصيف. قال أبو هفان: كان لأبي دلف العجلي جارية تسمى جنان، وكان يتعشقها، وكان لفرط فتونه وظرفه يسميها صديقتي، فمن قوله فيها: من الوافر: أحبك يا جنان وأنت مني..مكان الروح من جسد الجبان..ولو أني أقول مكان روحي..خشيت عليك بادرة الزمان..لإقدامي إذا ما الخيل كرت..وهاب كماتها حر الطعان. ثم ماتت، فرثاها بمراث حسان. قال أبو دلف: من الخفيف: عاقني عن وداعك الأشغال..وهموم أتت علي طوال..حيث لا تدفع عن الضيم بالسي..ف وما للحروب فيه مجال..ومقام العزيز في بلد الذل..ل إذا أمكن الرحيل محال..فعليك السلام يا ظبية الكر..خ أقمتم وحان مني ارتحال.

مراجع: مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

كتب الجاحظ[1] رسالة إلى المعتصم، وقيل إلى المتوكل في الحض على تعليم أولاده ضروب العلوم وأنواع الأدب وهي: يا أمير المؤمنين: علم بنيك من أنواع الأدب ما أمكن؛ فإنك إن أفردتهم بشيء واحد ثم سئلوا عن غيره لم يعرفوه؛ وذلك أن حزاما صاحب خيلك حين سألته عن الوقعة ببلاد الروم، قال: لقيناهم في مقدار الإصطبل، فما كان إلا بمقدار ما يحس الرجل دابته حتى قتلناهم؛ فتركناهم في مثل نثير السرجين، فلو طرحت روثة لما سقطت إلا على ذنب برذون. وكان قد أنشد في الغزل: غن يهدم الصد عن قلبي مذاوده..فإن قلبي بقت الصبر معمور..ويح امرىء في وثاق الحب يكبحه..لجام هجر على الأسقام مقرور..أنل خليلك نيلا من وصالك أو..حسن الرقاد فإن النوم مأسور..أمنت فتل شكالي حين ودعني..ومبضع الحب في كفيه مطرور..لبست برقع هجر بعد ذلك في..إصطبل ود فروث الحب منثور.

وسألت بختيشوع[2] الطبيب عن مثل ذلك فقال: لقيناهم في مقدار ساحة البيمارستان؛ فما كان إلا بمقدار ما يختلف الرجل مقعدين حتى تركناهم في محقنة ثم قتلناهم، فلو طرحت مبضعا لما وقع إلا على أكحل رجل. وكان قد قال في الغزل: شرب الوصل بجنح الهجر فاستط..لق بطن الوصال بالإسهال..ففؤاد المحب ينحله السه..د وقلبي معلق بالمطال..وفؤادي مبرسم ذو زحير..يابن ماسويه ضاق احتيالي..لو ببقراط بعض ما بي وجالي..نوس ماتا منه بأسوأ حال.

وسألت جعفر الخياط[3] عن مثل ذلك فقال: لقيناهم في مثل سوق الخلقان؛ فما كان إلا بقدر ما يخيط الرجل درزا، حتى تركناهم في أضيق من جربان، فلو طرحت إبرة لما وقعت إلا على درز رجل.

وكان قد قال في الغزل: فتقت بالهجران درز الهوى..بإبرة من إبر الصد..فالقلب من ضيق سراويله..يعثر بي في تكة الجهد..حسدتني يا طيلسان الهوى..منه على سوء شقا جدي..أزرار عيني فيك موصولة..بعروة الدمع على خدي..يادستبان القلب يا زيقه..عذبني الدركنز بالوعد..قد قص ما أعرف من وصله..مقراض بين مرهف الحد..يا حجزة النفس ويا ذيلها..ما لي من وصلك من بد..ويا جربان سروري ويا..جيب غرامي حلت عن عهدي.

وسألت إسحاق بن إبراهيم[4] عن ذلك وكان زارعا فقال: لقيناهم في مثل جريب من الأرض؛ فما كان إلا بقدر ما يسقي الرجل مشارة حتى قتلناهم عن آخرهم، فلو طرحت منجلا لما سقط إلا على رأس رجل؛ فصاروا مثل أكوام التبن إذا خرج عن الحب. وكان قد قال في الغزل: زرعت هواه في جريب مثلث..وأسقيته ماء الدوام على العهد..فلما تعالى النبت واخضر يانعا..وأفرك حب الحب في سنبل الود..أتته أكف الهجر فيها مناجل..فأسرعن فيه حين أدرك بالحصد..فيا شؤم مالي إذ يعطل للشقا..ويا ويح ثوري صار معلفه كبدي.

وسألت فرجا الرخجي عن مثل ذلك وكان خبازا فقال: لقيناهم في مثل مقدار جفنة، فما كان إلا بقدر ما يعجن الرجل قفيزا أو يخبز أرغفة، حتى صيرناهم في أضيق من جحر التنور، فلو طرحت جردقا لما وقع إلا في خوان الخبز على كثرة القتلى.

وقد كان أنشد في الغزل: قد عجن الهجر دقيق الهوى..في جفنة من خشب الصد..فاختمر البين فنار الهوى..تزجي بشوك الهجر من بعدي..وأقبل الصد بهجرانه..يفحص عن أرغفة الوجد..جرادقا للوعد مسمومة..مثرودة في قصعة الجهد.

وسألت عبد الله بن عبد الصمد عن مثل ذلك وكان مؤدبا فقال: لقيناهم في مقدار كنف، فما كان إلا بمقدار ما يقرأ الصبي إمامة، حتى تركناهم في أضيق من فم الرقم، فلو طرحت دواة لما سقطت إلا على حجر قتيل.

وقد كان قال في الغزل: قد أمات الهجران صبيان قلبي..ففؤادي موله ذو خبال..كسر البين لوح وصلي فما أط..مع ممن هويته في وصال..وقع الرقم عن دواتي فمذ أطل..ق مولاي حبله من حبالي..مشق الحب من فؤادي لوحي..ن فأغرى جوانحي بالسلال..لاق كبدي دواته فمداد ال..عين مذ صد مالكي ذو انهمال.

وسألت الجهم بن بدر[5] عن مثل ذلك وكان صاحب حمام ت فقال: لقيناهم في مثل بيت الابتذال، فقاتلناهم بقدر ما تخلف النورة، ثم ألجأناهم إلى أضيق من الأبزن، فهزمناهم بقدر ما يغسل الرجل وجهه؛ فلو طرحت ليفة لما وقعت إلا على ظهر رجل. وقد كان قال في الغزل: يا نورة الهجر غلفت الصفا..بها بدا من ليفة الصد..يا مبذر الأسقام حتى متى..تنقع في حوض من الجهد..انقل ذيول الوصل لي مرة..منك بزنبيل من الود..فالبين مذ أوقد حمامه..هيج قلبي مشلح الوجد..أفسد خطمي الهوى والصفا..بحاله الناقض للعهد.

وسألت الحسن بن أبي قماش وكان أبوه كناسا فقال: لقيناهم بقدر ما يكنس الرجل زنبيلا، حتى تركناهم في أضيق من جحر المخرج، فلو رميت بنت وردان لما وقعت إلا على ظهر قتيل. وكان قد قال في الغزل: أصبح قلبي للهوى مخرجا..تسلح فيه فقحة الهجر..خنافس الهجران أثكلنني..نومي فولى معرضا صبري..وبنت وردان الهوى تيمت..عقلي فما أعقل ما أمري.

وسألت أحمد الشرابي، فقال: لقيناهم في مقدار بيت شراب، فلم يكن إلا بمقدار ما يبزل الرجل دنا، حتى تركناهم في أضيق من رطلية، ثم سالت دماؤهم كالدردي، فلو طرحت كأسا لما وقع إلا في كف رجل. وكان قد قال في الغزل: شربت بكأس اللهو من راحة الهوى..ورقرقت خمر الوصل في قدح البين..فسالت دنان الحب يدفقها الصبا..وكرت قرابات دمعي على عيني.

وسألت عبد الله الطاهري وكان طباخا فقال: لقيناهم في مقدار مطبخ أمير المؤمنين، فما كان إلا بمقدار ما يشوي الرجل حملا أو جدبا، أو يفرغ من طبخ ثلاثة ألوان، أو يعقد فالوذجة، حتى تركناهم في أضيق من أثافي القدر، فلو طرحت ملعقة لما وقعت إلا على بطن قتيل. وكان قد قال في الغزل: شبه الفالوذج في حمرة الخ..د ولوزينج النفوس الظماء..أنت جوزينج الفؤاد وفي الي..ن كلين الخبيصة الصفراء..أنت مستهتر بسكباج ود..بعد جوزابة بجنب شواء..يا قتار القدور في يوم عرس..وشبيها بشهدة بيضاء..أنت أشهى إلى الفؤاد من الزب..د مع البرسيان وقت الغداء..أطعم الحاسدين ألوان غم..في قصاع الأحزان والضراء..قد غلا القلب مذ خلت منك داري..غليان القدور بعد الصلاء..هام لما كسرت فيك غضارا..ت سروري مفارق الشحناء..إن إسفيداج وجهك يشفي..من رقيق الأحزان أي شفاء..فتفضل على العميد بهاء..ورد يكبت قلوب العداء.

وسألت داود الفراش عن مثل ذلك قال: لقيناهم في مثل تربيع الفسطاط، فما كان إلا بقدر ما يفرش الرجل بيتا أو بيتين، حتى تركناهم في أضيق من صاريات ثم قتلناهم، فلو رأيت نجار التراب عليهم وقد سالت دماؤهم في حمرة الأرمني.

وكان قد أنشدني في الغزل: كنس الهجر ساحة الوصل لما..عثر البين في وجوه صفائي..فلقد بث في فراش همومي..تحت خدي وسائدا لضنائي..حين هيأت بيت حسن من الوص..ل لأثوابه ستور إخاء..فرش الهجر لي بيوت مسوح..متكاها مطارح الحصباء..رق للصب من بواعث وجد..قد تخالسنه صباح مساء.

يا أمير المؤمنين: إنما ينطق اللسان بما يتصور الجنان، ويظهر في الكلام ما يخطر على الأوهام، فمن لم يعرف إلا شيئا واحدا لم يتكلم إلا عليه، ومن كثر علمه كثرت خواطره، واتسعت مذاهبه، ورب هزل أنفع من جد؛ إذا أصيب به موضع الحاجة إليه، ووضع بحيث تقع همم النفوس عليه، والسلام.

■ (1) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الادب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره. وكان مشوه الخلقة. ومات سنة 255 هـ والكتاب على صدره، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة، منها

■ (2) بختيشوع بن جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس: طبيب سرياني الاصل مستعرب. قربه الخلفاء العباسيون ولا سيما المتوكل العباسي، فعلت مكانته وأثرى حتى كان يضاهي المتوكل في الفرش واللباس. خدم الواثق المتوكل والمستعين المهتدي والمعتز. مات ببغداد سنة 256 هـ

■ (2) جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس: طبيب هارون الرشيد وجليسه وخليله. يقال إن منزلته مازالت تقوى عند الرشيد حتى قال لاصحابه: من كانت له حاجة إلي فليخاطب بها جبرئيل فاني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني. فكان القواد يقصدونه في كل أمورهم. ولما توفي الرشيد خدم الامين، فلما ولي المأمون سجنه ثم أطلقه وأعاده إلى مكانته عند أبيه الرشيد، فلم يزل إلى أن توفي ودفن في دير مار جرجس بالمدائن.سنة 213 هـ ومعنى بختيشوع عبد المسيح، لأن في اللغة السريانية البخت العبد، ويشوع عيسى عليه السلام

■ (3) جعفر الخياط، من البرصان وهو جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط، اصطنعه المأمون فقاد الجيوش وفتح الفتوح وولي الولايات، وله في منزله مروءة ظاهرة، وهو يعد في هذه الأقوال، وفي الطوال اللحى، وفيمن لا يكاد يسكت. عزل الواثق إيتاخ عن اليمن، وولاه جعفر بن دينار مولاهم، ثم عزل المعتصم جعفر بن دينار عن نيابة اليمن وغضب عليه. قيل مات جعفر الخياط، سنة 245 هـ.

■ (4) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، الأمير ابن عم طاهر بن الحسين . كان يعرف بصاحب الجسر. ولي إمرة بغداد أكثر من 30 سنة وعلى يده أمتحن العلماء بأمر المأمون وأكرهوا على القول بخلق القرآن وكان خبيرا صائما سائسا حازما وافر العقل، جودا ممدحا، له مشاركة في العلم. توفي سنة 235 هـ. وولي بعده ابنه محمد

■ (5) هل هو: الجهم بن بدر السامي ولي أحد جانبي بغداد والشرط أمام الواثق وولي قبل ذلك لأمير المؤمنين المأمون بريد اليمن وطرازها وولي له الثغر وهو أبو الشاعر علي بن الجهم بن بدر.

☪

قال الحُصري: الجاحظ صنع هذه الأشعار لما وضع هذه الأخبار، وكان قديرا على الشعر سراقا له. روى أبو مسلم الكشي قال: حدثني إبراهيم بن رباح قال: مدحني حماد بن أبان اللاحقي بشعر فيه هذان البيتان: بدا حين أثرى بإخوانه..ففلل فيهم شباة العدم..وذكره الحزم غب الأمور..فبادر قبل انتقال النعم. فروي هذا الشعر وعرف بالبصرة، ثم جاءني الجاحظ فمدحني بشعر أدخل فيه هذين البيتين، فاحتملت ذلك وأثبته؛ فبينما أنا جالس يوما في مجلس أحمد بن أبي دواد والجاحظ في مجلسه، إذ قال لي أحمد ما وصفت بشيء أحسن مما مدحني به أبو عثمان، وأنشدني البيتين. فقلت: إن مادحك أعزك الله يجد فيك مقالا والجاحظ ملأ عينيه مني ولا يستحي مني. وله في رسالة إلى أبي الفرج محمد بن نجاح قصيدة مستحسنة أولها: أقام يدا والخفض راض بحظه..وذو الحظ يسري حيث لا أحد يسري..يظن الرضا بالقوت شيئا مهونا..ودون الرضا كأس أمر من الصبر. وقد طعن أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني بديع الزمان على بلاغة الجاحظ فقال: هو في أحد شقي البلاغة يقف، وفي الآخر يقتطف، والبليغ من لم يقصر نظمه عن نثره ولم يزر كلامه بشعره، أفترون للجاحظ شعرا رائقا ؟ قالوا: لا. قال: فهلموا إلى نثره تجدوه قريب العبارات، بعيد الإشارات، قليل الاستعارات، منقاد لعريان الكلام يستعمله، نفور من بديعه يهمله. وليس هذا موضع الكلام على بلاغته، وإلا فكنت أنبه على معايب كلامه ومقابحه، ومحاسن خطابه وممادحه.

مراجع: جمع الجواهر في الملح والنوادر/ الأعلام للزركلي/محاضرات الأدباء/ البرصان والعرجان/

كان أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي[1] من أهل الحديث، وكان جده من رؤساء نقباء بني العباس، وكان أحمد، وسهل بن سلامة[2] حين كان المأمون بخرسان بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى أن دخل المأمون بغداد فرفق بسهل حتى لبس السواد، وأخذ الأرزاق، ولزم أحمد بيته، ثم إن أمره تحرك ببغداد في آخر أيام الواثق[3] واجتمع إليه خلق من الناس يأمرون بالمعروف إلى أن ملكوا بغداد، وتعدى رجلان من أصحابه يقال لأحدهما: طالب في الجانب الغربي، ويقال للآخر: أبو هارون في الجانب الشرقي، وكانا موسرين فبذلا مالا، وعزما على الوثوب ببغداد في شعبان سنة 231 هـ، فنم عليهم قوم إلى إسحاق بن إبراهيم[4]، فأخذ جماعة فيهم أحمد بن نصر، وأخذ صاحبيه طالبا، وأبا هارون فقيدهما، ووجد في منزل أحدهما أعلاما، وضرب خادما لأحمد بن نصر فأقران هؤلاء كانوا يصيرون إليه ليلا، فيعرفونه ما عملوا، فحملهم إسحاق مقيدين إلى سر من رأى، فجلس لهم الواثق، وقال لأحمد بن نصر: دع ما أخذت له، ما تقول في القرآن؟ قال كلام الله، قال: أفمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله، قال: أفترى ربك في القيامة؟ قال كذا جاءت الرواية. فقال: ويحك يرى كما يرى المحدود المتجسم، ويحويه مكان، ويحصره الناظر؟ أنا أكفر برب هذه صفته، ما تقولون فيه؟ فقال عبد الرحمن بن إسحاق[5]، وكان قاضيا على الجانب الغربي ببغداد، فعزل: هو حلال الدم، وقال جماعة من الفقهاء كما قال، فأظهر ابن أبي دؤاد[6] أنه كاره لقتله، فقال للواثق: يا أمير المؤمنين شيخ مختل لعل به عاهة أو تغير عقل، يؤخر أمره، ويستتاب، فقال الواثق: ما أراه إلا مؤديا لكفره قائما بما يعتقده منه، ودعا الواثق بالصمصامة*، وقال: إذا قمت إليه فلا يقومن أحد معي، فإني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربا لا نعبده، ولا نعرفه الصفة التي وصفه بها، ثم أمر بالنطع، فأجلس عليه وهو مقيد، وأمر بشد رأسه بحبل، وأمرهم أن يمدوه ومشى إليه حتى ضرب عنقه، وكان رأسه يقول لا اله إلا الله، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد، فنصب في الجانب الشرقي أياما، وفي الجانب الغربي أياما، وتتبع رؤساء أصحابه فوضعوا في الحبوس قال أبو العباس بن سعيد: لم يصبر في المحنة إلا أربعة كلهم من أهل مرو: أحمد بن حنبل أبو عبد الله ، وأحمد بن نصر بن مالك الخزاعي، ومحمد بن نوح بن ميمون[7] المضروب، ونعيم بن حماد[8]، وقد مات في السجن مقيدا. فأما أحمد بن نصر، فضربت عنقه، وهذه نسخة الرقعة المعلقة في إذن أحمد بن نصر بن مالك: بسم الله الرحمن الرحيم هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك دعاه عبد الله الإمام هارون وهو الواثق بالله أمير المؤمنين إلى القول بخلق القرآن*، ونفى التشبيه فأبي إلا المعاندة، فجعله الله إلى ناره، وكتب محمد بن عبد الملك، ومات محمد بن نوح في فتنة المأمون، والمعتصم ضرب أحمد بن حنبل، والواثق قتل أحمد بن نصر، وكذلك نعيم بن حماد وكان من أهل مرو، طلب الحديث طلبا كثيرا بالعراق والحجاز، ثم نزل مصر، فلم يزل بها حتى أشخص منها في خلافة أبي إسحاق بن هارون (المعتصم بالله)، فسئل عن القرآن فأبى أن يجيب فيه بشيء مما أرادوه عليه، فحبس بسامرا، فلم يزل محبوسا بها حتى مات في السجن وقد أوصى أن يدفن في قيوده، وقال: إني مخاصم.

في رواية قالوا: كان أحمد بن نصر الخزاعي هذا من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وكان رجلاً فاضلاً عالماً بُلِيَ بمسألة القول بخلق القرآن، في عهد المأمون ثم في عهد الواثق وأبى بأن يقول بأن القرآن مخلوق، بل أصر أن القرآن كتاب الله تعالى منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، فحاولوا معه فأبى، فضربوه فأصر، فسجنوه فاستمر حتى أحضره الواثق بين يديه، وقال له: ما هي حجتك في إثبات أسماء الله تعالى والصفات؟ فذكر له أحاديث وأحاديث وآيات حتى مر على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الْقُلُوبَ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ﴾ فقال له الواثق: تثبت هذا الحديث! قال: نعم، قال: أي تثبت أن لله يداً وأصابع! قال: نعم، أثبت ذلك كما أثبته رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له الواثق: وهذا تشبيه وهذا تجسيم وهذا وهذا، فغضب أحمد بن نصر الخزاعي وخرجت منه كلمة شديدة على الخليفة، فقال للخليفة: ما أنت والعلم! كيف تتكلم في مسائل العلم وأنت لا تتقنها، إنما أنت نطفة سكران في رحم قينة، -يعني إن أباك كان يشرب الخمر وأمك كانت أمة-، قال هذه الكلمة الغليظة للخليفة لأنه تصاغر في عينه لما رأى أنه منابذ للحق معارض للسنة، فغضب عليه الخليفة وأمر بصلبه، فصلب في بعض شوارع بغداد، وكان الإمام أحمد يمر عليه فيترحم عليه ويدعو له؛ ويقول: ذلك رجل هانت عليه نفسه في الله تعالى، ثم يقول الإمام أحمد: هذا رجل قد قضى ما عليه، صلب مصراً على العقيدة الصحيحة التي توارثتها الأمة: أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق.

----

*(الصمصامة) اسم للسيف القاطع. أشهر سيوف العرب.(القول بخلق القرآن) عقيدة باطلة، قالت بها الجهمية، وتبعها على ذلك المعتزلة، وهي حقيقة قول الأشعرية والماتريدية، وهي ناتجة عن تعطيل صفات الله، وإنكارهم صفة الكلام لله عز وجل. والذي دل عليه القرآن والسنة، وعليه السلف الصالح أن الله تعالى يتكلم حقيقة، بكلام بدأ منه بحرف وصوت، يسمع منه متى شاء كيف شاء، والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق. وقد استقصى علماء السلف الأدلة على ذلك في كتب السنة والإيمان والتوحيد. انظر: مثلا: كتاب التوحيد من صحيح البخاري.

■ (1) أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم بن عوف بن وهب بن عميرة بن هاجر بن عمير بن عبد العزى بن قمير بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمر أبو عبد الله الخزاعي. يكنى ابا عبد الله كان من كبار العلماء الأمرين بالمعروف وسمع الحديث من مالك بن انس وحماد بن زيد وهشيم وغيرهم. امتحنه الواثق بالقرآن فأبى أن يقول انه مخلوق فقتله في يوم السبت غرة رمضان سنة 231 هـ بسر من راى فصلب جسده هناك وانفذ راسه إلى بغداد فنصبه فلم يزل كذلك ست سنين ثم حط وجمع بين رأسه وبدنه ودفن بالجانب الشرقي من بغداد في المقبرة المعروفة بالمالكية في يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة 237 هـ حدث أبو بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل، وذكر أحمد بن نصر، فقال: رحمه الله ما كان أسخاه لقد جاد بنفسه.

■ (5)عبد الرحمن بن إسحاق بن إبراهيم بن سلمة الضبي مولاهم من أصحاب محمد بن الحسن،تقلد القضاء بالرقة ثم بمدينة المنصور ثم بالجانب الغربي،كان ممن قام مع أحمد بن أبي داود في حمل الناس على القول بخلق القرآن وعزل في أيام المتوكل فحج سنة 213 هـ فمات في الطريق.

■ (8) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث سكن مصر، ولم يزل مقيما بها حتى أشخص للمحنة في القرآن إلى سر من رأى في أيام المعتصم، فسئل عن القرآن فأبى أن يجيبهم إلى القول بخلقه، فسجن، فلم يزل في السجن إلى أن مات سنة 228 هـ أو سنة 229 هـ.

■ (7) محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرجال العجلي المعروف والده بالمضروب كان أحد المشهورين بالسنة، وحدث شيئا يسيرا. قال لنا البرقاني: بلغني أن محمد بن نوح هذا جار أحمد بن حنبل وأن أحمد بن حنبل قال لمن سأله عنه: اكتب عنه فإنه ثقة.توفي سنة 218 هـ.

■ (2) سهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان، ويكنى: أبا حاتم. قام ببغداد ودعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبايعه خلق من المطوعة، وقمعوا كثير من أهل الفساد، ثم آل أمرهم إلى الخروج والقتال.

■ (6) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

■ (3) هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنى أبا جعفر.ولد سنة 196 هـ أو 200 هـ، وبويع له بعد وفاة أبوه المعتصم سنة 227 هـ، ومات بسر من رأى سنة 232 هـ.

■ (4) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، الأمير ابن عم طاهر بن الحسين . كان يعرف بصاحب الجسر. ولي إمرة بغداد أكثر من 30 سنة وعلى يده أمتحن العلماء بأمر المأمون وأكرهوا على القول بخلق القرآن وكان خبيرا صائما سائسا حازما وافر العقل، جودا ممدحا، له مشاركة في العلم. توفي سنة 235 هـ. وولي بعده ابنه محمد

قالوا: لم يأتنا نص جلي بأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الله تعالى بعينيه فعن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: ﴿مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ الفِرْيَةَ عَلَى اللهِ وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيْلَ مَرَّتَيْنِ فِي صُوْرَتِهِ وَخَلْقِهِ سَاداً مَا بَيْنَ الأُفُقِ﴾ وقد قال الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام] وهذه المسألة مما يسع المرء المسلم في دينه السكوت عنها فأما رؤية المنام فجاءت من وجوه متعددة مستفيضة وأما رؤية الله عيانا في الآخرة فأمر متيقن تواترت به النصوص. جمع أحاديثها الدارقطني والبيهقي وغيرهما. عن أبي هريرة قال: قال أناس: ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ. قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ. قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَبِهِ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ المُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَمَرَ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلاَمَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ..﴾ عن جرير قال: ﴿كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ قَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا﴾ وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب رضي الله تعالى عنه قال: تلى رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس] قال: إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعُودًا فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَيْسَ قَدْ بَيَّضَ وُجُوهَنَا وَثَقَّلَ مَوَازِينَنَا وَأَدْخَلَنَا الجَنَّةَ؟ فَيُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ ثَلاثًا قَالَ: فَيَتَجَلَّى لَهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ أَعْظَمَ مِمَّا أُعْطُوا﴾ وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ أَلْفَيْ سَنَةٍ يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ، فِي سُرُورِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَخَدَمِهِ، وَإِنَّ أَفْضَلَهُمْ لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ﴾ وعن عدي بن حاتم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ﴾ عن ابن عمر رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَنَعِيمِهِ وَخَدَمِهِ وَسُرُرِهِ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ سَنَةٍ، وَإِنَّ أَكْرَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ، مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة] ومنهم من أنكر أن يكون الله يرى بالأبصار في الآخرة وتأولوا قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة] بمعنى انتظارها رحمة الله وثوابه. فالله أعلم.

مراجع: تاريخ بغداد/ صفة الصفوة/ صحيح البخاري/ تفسير الطبري/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ لسان الميزان/ مسند أبي داود الطيالسي/

حدث المهتدي بالله، ابن الخليفة المسمى بالواثق عن نهاية فتنة خلق القرآن مع أبيه، وكيف كان أمرها، فقال: ما زلت أقول القرآن مخلوق صدراً من أيام الواثق حتى قدم شيخ[1] من أذنة[2] -يقال إنه: أبو عبد الرحمن الأذرمي[1] -فادخل مقيداً وهو شيخ جميل حسن الشيبة فرأيت الواثق قد استحي منه ورق له فمازال يدنيه حتى قرب منه وجلس. فقال ناظر أحمد بن أبي دؤاد:[3] قال: يا أمير المؤمنين إنه يضعف عند المناظرة. فغضب، وقال: عبد الله يضعف عند مناظرتك أنت. قال: هون عليك، وأذن لي، وحفظ علي وعليه، ثم قال: يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه، أهي مقالة واجبة داخلة في عقد الدين فلا يكون الدين كاملا حتى تقال؟ قال: نعم. قال: فأخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين بعثه الله، هل ستر شيء من ما أمر به؟ قال: لا. قال: فدع إلى مقالتك هذه؟ فسكت. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، هذه واحدة. قال الواثق: واحدة. ثم قال: أخبرني عن الله تعالى حين قال:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة] أكن الله هو الصادق في إكمال دينه أو أنت الصادق في نقصانه حتى يقال بمقالتك؟ فسكت أحمد. فقال الشيخ: اثنتان يا أمير المؤمنين. قال الواثق: نعم. فقال: أخبرني عن مقالتك هذه، أعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم جهلها؟ قال: علمها. قال: فدع إليها؟ فسكت. فقال الشيخ: ثالثة.ثم قال: فاتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمسك عنها، ولم يطالب أمته بها؟ قال: نعم. قال: واتسع ذلك لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي؟ قال: نعم. فأعرض الشيخ عنه، وقال: يا أمير المؤمنين، قد قدمت القول بأن أحمد يضعف عند المناظرة، يا أمير المؤمنين، إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة كما زعم هذا أنه اتسع لنبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلا وسع الله عليك. قال الواثق: نعم، كذا هو ، اقطعوا قيد الشيخ. فلما قطع القيد ضرب الشيخ بيده إلى القيد حتى يأخذه، فجاذبه الحداد عليه، فقال الواثق: دع الشيخ يأخذه، فأخذه فوضعه في كمه، فقال له الواثق: يا شيخ لم جاذبت الحداد عليه؟ قال: لأني نويت أن أتقدم إلى من أوصي إليه إذا أنا مت أن يجعله بيني وبين كفني لأخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة، وأقول: يا رب سل عبدك هذا لم قيدني، وروع أهلي وولدي وإخواني بلا حق أوجب ذلك علي، ثم بكى وبكى الواثق وبكينا، ثم سأله الواثق أن يجالسه، وأمر له بصلة. فقال لا حاجة لي بها. ثم قال المهتدي: فرجعت عن هذه المقالة، وأظن الخليفة الواثق رجع عنها يوم إذ.

وفي رواية قال صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور الهاشمي:[4] حضرت المهتدي بالله أمير المؤمنين وقد جلس للنظر في أمور المتكلمين في دار العامة، فنظرت إلى قصص الناس تقرأ عليه من أولها إلى آخرها، فيأمر بالتوقيع فيها، وينشأ الكتاب عليها ويحرر، ويختم، ويدفع إلى صاحبه بين يديه، فسرني ذلك، واستحسنت ما رأيت منه، فجعلت أنظر إليه، ففطن، ونظر إلي، فغضضت عنه حتى كان ذلك مني ومنه مرارا ثلاثا، إذا نظر غضضت، وإذا شغل نظرت، فقال: يا صالح، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: في نفسك منا شيء تريد أن تقوله؟ قلت: نعم، حتى إذا قام، قال للحاجب: لا يبرح صالح، وانصرف الناس، وأذن لي، وهمتني نفسي، فدخلت، وجلست، فقال: يا صالح، تقول لي ما دار في نفسك، أو أقول أنا ما دار في نفسي أنه دار في نفسك؟ قلت: يا أمير المؤمنين، ما تأمر به، فقال: دار في نفسي أنك استحسنت ما رأيت منا، فقلت: أي خليفة خليفتنا إن لم يكن يقول بخلق القرآن، فورد على قلبي أمر عظيم، ثم قلت: يا نفس، هل تموتين قبل أجلك، وهل تموتين إلا مرة واحدة، وهل يجوز الكذب في جد أو هزل؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما دار في نفسي إلا ما قلت، فأطرق مليا ثم قال: ويحك! اسمع مني ما أقول، فوالله لتسمعن الحق، فسر عني، وقلت: يا سيدي، ومن أولى بقول الحق منك، وأنت خليفة رب العالمين، وابن عم سيد المرسلين؟ فقال: ما زلت أقول إن القرآن مخلوق صدرا من أيام الواثق حتى أقدم أحمد بن أبي دؤاد علينا شيخا من أهل الشام، من أهل أذنة مقيدا، وهو جميل الوجه تام القامة، حسن الشيبة، فرأيت الواثق قد استحيا منه، ورق له، فما زال يدنيه، ويقربه حتى قرب منه، فسلم الشيخ، فأحسن، ودعا، فأبلغ وأوجز، فقال له الواثق: اجلس ناظر ابن أبي دؤاد على ما يناظرك عليه، فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين، إن أبي دؤاد يضوى ويضعف عن المناظرة، فغضب الواثق، وعاد مكان الرقة له غضبا عليه، وقال: أبو عبيد الله بن أبي دؤاد يضوى، ويضعف عن مناظرتك أنت؟! فقال الشيخ: هون عليك يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تحفظ علي وعليه ما نقول، قال: افعل. فقال الشيخ: يا أحمد بن أبي دؤاد، أخبرني عن مقالتك هذه هي مقالة واجبة، داخلة في عقدة الدين، فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه بما قلت؟ قال: نعم، قال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه الله إلى عباده، هل سن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أمره الله به في أمر دينهم؟ فقال: لا، قال الشيخ: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة إلى مقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ: تكلم، فسكت، فقال الشيخ للواثق: يا أمير المؤمنين، واحدة.فقال الواثق: واحدة. فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن الله عز وجل حين أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة] كان الله عز وجل الصادق في إكمال دينه، أو أنت الصادق في نقصانه حتى يقال فيه بمقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ: أجب يا أحمد، فلم يجب، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، اثنتان، فقال الواثق: نعم. فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن مقالتك هذه، علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم جهلها؟ قال ابن أبي دؤاد: علمها، قال: فدعا الناس إليها؟ فسكت، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين ثلاث، فقال الواثق ثلاث. قال الشيخ: يا أحمد، فاتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن علمها وأمسك عنها كما زعمت، ولم يطالب أمته بها؟ قال: نعم. قال الشيخ: واتسع لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي رضي الله عنهم؟ قال ابن أبي دؤاد: نعم، فأعرض الشيخ عنه، وأقبل على الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قدمت القول إن أحمد يضوى ويضعف عن المناظرة، يا أمير المؤمنين، إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما زعم هذا أنه اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي فلا وسع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم – أو قال: فلا وسع الله عليك – فقال الواثق: نعم، إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي فلا وسع الله علينا. اقطعوا قيد الشيخ. فلما قطع القيد ضرب الشيخ بيده إلى القيد حتى يأخذه، فجاذبه الحداد عليه، فقال الواثق: دع الشيخ يأخذه، فأخذه في كمه. فقال له الواثق: لم جاذبت الحداد عليه؟ قال: لأني نويت أن أوصي أن يجعل بيني وبين كفني حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة، أقول: يا رب، سل عبدك هذا: لم قيدني، وروع أهلي وولدي وإخواني بلا حق أوجب ذلك علي، وبكى الشيخ، وبكى الواثق، وبكينا، وسأله الواثق أن يجعله في حل، فقال: والله لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كنت رجلا من أهله، فقال الواثق: لي إليك حاجة، فقال: إن كانت ممكنة فعلت، فقال الواثق: تقيم عندنا فننتفع بك، وينتفع بك فتياننا، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، إن ردك إلى الموضع الذي أخرجني عنه هذا الظالم أنفع لك من مقامي عندك، وأصير إلى أهلي وولدي أكف دعاءهم عليك، فقد خلفتهم على ذلك، قال الواثق: فتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك، قال: يا أمير المؤمنين، لا تحل لي، أنا عنها غني، وذو مرة سوي*، فقال: سل حاجة، قال: أو تقضيها؟ قال: نعم، قال: يخلي لي السبيل الساعة إلى الثغر، قال: قد أذنت لك، فسلم عليه وخرج. قال المهتدي: فرجعت عن هذه المقالة، وأحسب أن الواثق رجع عنها منذ ذلك الوقت. وفي حديث آخر بما معناه: وسقط ابن أبي دؤاد في عينه، ولم يمتحن بعد ذلك أحدا .

عن أحمد بن المعدل الفقيه المالكي أنه قال: كتب ابن أبي دؤاد إلى رجل من أهل المدينة يتوهم أنه عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد:[6] إن بايعت أمير المؤمنين في مقالته؛ استوجبت منه حسن المكافأة، وإن امتنعت لم تأمن مكروهه، فكتب إليه عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإنه أن يفعل فأعظم بها نعمة وإلا فهي الهلكة، نحن نرى الكلام في القرآن بدعة يشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس عليه، ولا يعلم خالقا إلا الله وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله، فانته بنفسك ومخالفتك إلي اسمه الذي سماه الله به، ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف]، ولا تسم القرآن باسم من عندك فتكون من الضالين، فلما وقف على جوابه أعرض عنه فلم يذكره.

----

*(القول بخلق القرآن) عقيدة باطلة قالت بها الجهمية وتبعها على ذلك المعتزلة وهي حقيقة قول الأشعرية والماتريدية، وهي ناتجة عن تعطيل صفات الله، وإنكارهم صفة الكلام لله عز وجل. والذي دل عليه القرآن والسنة، وعليه السلف الصالح أن الله تعالى يتكلم حقيقة، بكلام بدأ منه بحرف وصوت، يسمع منه متى شاء كيف شاء، والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق. وقد استقصى علماء السلف الأدلة على ذلك في كتب السنة والإيمان والتوحيد. انظر: مثلا: كتاب التوحيد من صحيح البخاري (المرة) القوة وشده العقل أيضا ورجل مرير أي قوي ذو مرة وفي الحديث ﴿لاَ تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ، وَلاَ لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ﴾ المرة القوة والشدة والسوي الصحيح الأعضاء

■ (1) أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي النصيبي الموصلي (شيخ النسائي وأبي داود) قال الحافظ كان الواثق أشخص شيخا من أهل أذنه للمحنة وناظر بن أبي دؤاد بحضرته واستعلى عليه الشيخ بحجته فأطلقه ورده إلى وطنه ويقال إنه كان أبا عبد الرحمن الأذرمي.

■ (6) عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، رضي الله عنهم.؟!

■ (3) أحمد بن أبي دؤاد (دواد؟) بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

■ (2) أذنة مدينة بالشام بينها وبين المصيصة اثنا عشر ميلا بناها هارون الرشيد وأتمها الأمين وبها كانت منازل ولاة الثغور لسعتها، وهي على نهر جيحان، وليس للمسلمين عليه إلا أذنة هذه بين طرسوس والمصيصة، وأهل أذنة أخلاط من موالي الخلفاء وغيرهم، ومن أذنة إلى طرسوس اثنا عشر ميلا، وهي مدينة جليلة عامرة ذات أسواق وصناعات وصادر ووارد، وهي ثغر سيحان، ونهر سيحان في قدره، دون قدر نهر جيحان وعليه قنطرة عجيبة طويلة جدا.

■ (4) أبو الفضل صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور الهاشمي. وكان من وجوه بني هاشم وأهل الجلالة والسن منهم. توفي سنة 262 هـ

أيها الإخوة المؤمنون، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ [يوسف]، فهذا شيخ من أهل الخير والصلاح الثابتين لم تثبت كتب السير اسمه ونسب إلى محلته، كان على يده وما أجر الحق على لسانه بداية نهاية المحنة، ولكن الله عرفه وأثبتها له إلى [الشعراء] فيا ليت القلوب النائمة تعي هذه الدروس والعبر. عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي كَمَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنَّ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً، لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ. وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً. قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي﴾.

المعتزلة فرقة كلامية نشأت في أواخر العصر الأموي، على يد واصل بن عطاء المخزومي الذي اعتزل الجماعة بعد خلافه مع الحسن البصري. وأحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة للمعتصم والواثق هو الذي كان يمتحن العلماء في أيامه ويدعوهم إلى خلق القرآن. كان يقال أكرم من كان في دولة بني العباس البرامكة، ثم ابن أبي دؤاد، لولا ما وضع به نفسه من محبة المحنة لاجتمعت الألسن عليه، ولم يضف إلى كرمه كرم أحد.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ حياة التابعين/ تاريخ بغداد/ تاريخ الإسلام للذهبي/ الروض المعطار في خبر الأقطار/ لسان العرب/ أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة/

قال ابن منظور: دخل عبادة المخنث[1] على الواثق، وبعض يضرب، وبعض يقتل في خلق القرآن، قال: وبعض يحبس، قال: فقال عبادة: والله إن امتحنني أمير المؤمنين ليقتلني، ولكن أبدؤه أنا، قال: فقلت: أعظم الله أجرك يا سيدي، قال: فقال لي: ويلك في من؟ قال: قلت: في القرآن، قال: فقال لي: ويلك والقرآن يموت! قال: قلت: نعم، كل مخلوق هو ميت، فإذا مات القرآن في شعبان، من يصلي بالناس في رمضان؟ فقال: أخرجوه، أخرجوه. وفي أخرى: فإنه مجنون.

قال المتوكل لعبادة: رفع إلي أنك ضربت إمام مسجد، وإن لم تأت بعذر أدبتك. قال: يا أمير المؤمنين، كنت قد خرجت في بعض الأيام لحاجة لي غلسا، فمررت بمسجد قد أذن فيه لصلاة الفجر، فقلت: أقضي هذه العبادة، ثم أتوجه لحاجتي، فدخلت، فاقام المؤذن، ودخلنا في الصلاة، فابتدأ الإمام فقرأ الفاتحة، وافتتح سورة البقرة، فقلت: لعله يريد أن يقرأ آيات من هذه السورة فانتهى إلى آخرها في الركعة الأولى، ثم قام إلى الثانية، فلم أشك في أنه يقرأ مع الفاتحة سورة الإخلاص. فافتتح سورة آل عمران حتى أتمها، ثم أقبل بوجهه على الناس، وقد كادت الشمس تطلع. فقال: أعيدوا صلاتكم رحمكم الله فإني لم أكن على طهارة، فقمت إليه وصفعته. فضحك المتوكل من ذلك.

وقيل: إن عبادة دخل على المتوكل[2]، فتوعده بالضرب وقال: تصفع إمام مسجد؟! فقال: يا أمير المؤمنين دخلت وأنا مستعجل، فصلى بنا الصبح وطول، وقرأ جزءا حتى كادت الشمس أن تطلع، وأنا أتقلب. فلما سلم قال: أعيدوا صلاتكم، فإني كنت بلا وضوء. فصفعته واحدة. فضحك المتوكل. ويحكى أنه كان في مجلس أنس المتوكل ليلة قتل، فلما هجموا عليه بالسيوف وقتلوه، قام وزيره الفتح بن خاقان[3] وألقى نفسه عليه وقال: يا أمير المؤمنين لا والله لا عشت بعدك، فقطعوه بالسيوف، فلما رأى ذلك عبادة انزوى وقال: يا أمير المؤمنين إلا أنا، إن لي بعدك أدوارا وأنزالا أشر بها، فضحكوا منه وتركوه.

قال محمد بن محمد بن عبد الرحمن السلمي: دعا الخليفة أيام المحنة محمد بن مقاتل الرازي[4] وأبا الصلت عبد السلام بن صالح[5] فقال لمحمد بن مقاتل: ما تقول في القرآن؟ قال أقول: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فإن هذه الأربعة مخلوقة وأشار إلى أصابعه الأربع، فنجا، فقال للآخر وهو أبو الصلت: ما تقول؟ قال: تعز يا أمير المؤمنين، قال: عمن ويلك؟ قال: عن القرآن فإنه مات. قال فكيف؟ قال: إن كان مخلوقا فإنه يموت، فقال: مجنون أخرجوه، فاخرج فنجا.

----

(1) عبادة المخنث قدم دمشق مع المتوكل، وكان ماجنا مضحكا وهو بفتح العين وتشددي الباء وكان ينادر المتوكل، وله نوادر. وكان ببغداد، وتوفي في حدود 250 هـ. أو بعدها.

(5) عبد السلام بن صالح بن سليمان بن أيوب، أبو الصلت الهروي الحافظ الرحال؛ رحل في طلب العلم إلى البلاد، وأخذ الحديث عن جماعة، وروى عنه غير واحد. قيل: إنه كان فيه تشيع.

(3) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، أبو محمد: أديب، شاعر، فصيح، كان في نهاية الفطنة والذكاء. فارسي الاصل، من أبناء الملوك. اتخذه المتوكل العباسي أخا له، واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه. وكان يقدمه على جميع أهله وولده. واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن. وألف كتابا سماه اختلاف الملوك وكتابا في: الصيد والجوارح وكتاب الروضة والزهر. وقتل مع المتوكل سنة 247 هـ.

(2) أبو الفضل،جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، ولد سنة 205 هـ بويع له بعد موت أخيه هارون الواثق سنة 232 هـ، كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر، ثم المعتز، ثم المؤيد، ثم إنه أراد تقديم المعتز لمحبته لأمه، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد، فأبى، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه، فدخلوا عليه في مجلس لهوه وقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة 247 هـ.قال خليفة بن خياط: استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها.

(4) ابن مقاتل: محمد بن مقاتل الرازي الحنفي من أصحاب محمد بن الحسين الشيباني توفي سنة 242 هـ صنف كتاب المدعي والمدعى عليه.

يقول مصطفى السباعي: إن من آلة الكاتب وأداته أن يضيف إلى الإحسان في المكاتبة مثل ذلك في المحاورة والمخاطبة، حتى تكون ألفاظه مهذبة، وإشاراته مستعذبة، والنفوس نحوه إذا نطق منصتة، فمن المحاورة المستحسنة قول الفضل بن الربيع، فقد قال له الرشيد: كذبت! قال: يا أمير المؤمنين! وجه الكذوب لا يقابلك، ولسانه لا يخاطبك (يعني به الرشيد نفسه) فإنه لا يقابل نفسه، ولسانه لا يخاطبه. فوصله وقال: كذبني فوصلته لحسن جوابه. ودخل سعيد بن مرة على معاوية فقال له: أنت سعيد بن مرة؟ فقال: أنا ابن مرة وأنت السعيد، فوصله لحسن جوابه. وقال السفاح أو المنصور للسيد الباقر: أأنت السيد؟ فقال: أنا ابن أبي وأنت السيد، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس: ﴿أَنْتَ أَكْبَرُ مِنِّي﴾ فقال: أنا أسن وأنت أكبر مني، وقال سعيد بن عمرو بن عثمان لطويس المخنث: أينا أسن؟ فقال: بأبي أنت وأمي؛ لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب! فلو جعل الطيب وصفا للأم قد هجن بالابن. وعلى حسب ما يستحسن هذا الجنس من الجواب يستقبح ما كان خلافه من الخطاب، كما يروى أن رجلا مر بأبي بكر أو بعمر ومعه ثوب وقال: تبيعه؟ قال: لا، عافاك الله، فقال: قد علمتم لو تعلمون، هلا قلت: لا وعافاك الله.

قال محمد قلعجي: الفرق بين التعريض والكناية: أن التعريض:تضمين الكلام دلالة ليس لها فيه ذكر، كقولك: ما أقبح البخل، تعرض بأنه بخيل، أما الكناية: فهي ذكر الرديف وإرادة المردوف، كقولك: فلان كثير الرماد، تعني كريما كثير الضيوف. قيل أن أحد العقلاء وأظنه ابن هرثمة القائد دخل على الخليفة المهدي، وكانت امرأته اسمها الخيزران وهي جارية، وكان بيد هذا القائد العظيم خيزران، فقال له الخليفة: ماذا؟ قال: هذا شجر يؤخذ منه الرماح، هو يعرف أنها خيزران، لكن كنى، فأعطاه جائزة وشكره على هذا، ومن الأدب أن يقال: كريمة فلان، قريبة فلان، وإلا إذا ورد للحاجة فلا بأس بإظهار الاسم. وأبو جعفر الكوفي النحوي كان يؤدب عبد الله بن المعتز وكان نحويا عارفا بالقراءة والعربية بعيد النظر في البوادر، روى أنه حين كان يؤدب ابن المعتز أقرأه يوما سورة والنازعات وقال له: إذا سألك أمير المؤمنين في أي سورة أنت؟ فقل له: أنا في السورة التي تلي سورة عبس، فلما سأله أبوه المعتز عن ذلك قال له: أنا في السورة التي تلي عبس. فقال له: من علمك هذا؟ فقال: مؤدبي أبو جعفر فأمر له بعشرة آلاف درهم، وكان أبو جعفر عالما بالحديث والأثر وثقه الحافظ علي بن عمر وغيره. ودخل بعض النساك على بعض الخلفاء فدعاه إلى طعامه، فقال له: الصائم لا يأكل يا أمير المؤمنين، وما أذكي نفسي بل الله يزكي من يشاء؛ وإنما كره طعامه. ومن أمثلة ذلك ما يروى من أن الخليفة المنصور كان في بستان ومعه الربيع ، فقال له: ما هذه الشجرة ؟ قال الربيع: شجرة الوفاق يا أمير المؤمنين ، وكان اسم تلك الشجرة شجرة الخلاف، فتفاءل المنصور بذلك وعجب من ذكائه. ومن ذلك ماروى عن الخليفة المأمون أنه كان بيده مساويك، فسأل الحسن بن سهل ما هذه ؟ فقال: ضد محاسنك يا أمير المؤمنين، وكره أن يقول مساويك.

وقال إبراهيم بن المهدي: كنت يوما عند الرشيد فإذا رسول عبد الله قد أتى، ومعه أطباق خيزران عليها مناديل، ومعه كتاب، فجعل الرشيد يقرأ الكتاب ويقول: بره الله ووصله فقلت: يا أمير المؤمنين من هذا الشي أطنبت في شكره حتى نشركك في جيل شكره؟ قال: هذا عبد الملك بن صالح، ثم كشف المنديل، فإذا أطباق بعضها فوق بعض: في أحدها فستق، وفي الأخر بندق، إلى غير ذلك من الفاكهة، فقلت: يا أمير المؤمنين ما في هذا البر ما يستحق به هذا الدعاء، إلا أن يكون في الكتاب شيء قد خفي علي، فنبذه إلي، فإذا فيه: دخلت يا أمير المؤمنين بستانا لي في داري عمرته بنعمتك، وقد أينعت فواكهه، فأخذت من كل شيء، وصيرته في أطباق قضبان ووجهته إلى أمير المؤمنين ليصل إلي من بركة دعائه مثل ما وصل إلي من نوافل بره، قلت: ولا والله ما في هذا أيضا ما يستحق به هذا، فقال: يا غبي أما ترى كيف كنى بالقضبان عن الخيزران إعظاما لأمنا رحمها الله تعالى.

وروى الأصمعي عن عيسى بن عمر قال: بينما ابن عرباض اليهودي يمشي مقدما لطيته، إذ استقبلته الخوارج يجزون الناس بسيوفهم، فقال لهم: هل خرج إليكم في اليهود شيء؟ قالوا: لا؟ قال: فامضوا راشدين، فمضوا وتركوه. ولقي شيطان الطاق[1] رجلا من الخوارج وبيده سيف، فقال له الخارجي: والله لأقتلنك أو تبرأ من علي؛ فقال له: أنا من علي، ومن عثمان بريء، يريد أنه من علي، وبريء من عثمان. وعن أبي بكر بن أبي شيبة قال: قال الوليد بن عقبة على المنبر بالكوفة: أقسم على من سماني أشعر بركا إلا قام .فخرج عني، فقام إليه رجل من أهل الكوفة، فقال له: ومن هذا الذي يقوم بين يديك فيقول: أنا الذي سميتك أشعر بركا؟ قال: وكان هو الذي سماه بذاك.

يقال: إن بعض الولاة أحضر إليه جماعة من الفساق، فأراد تأديبهم، فجعلوا يقسمون عليه ولا يزداد عليهم إلا قسوة وغلظة، وكان فيهم مخنث فقال: تنحوا يا حمير، أكذا يحلف الأمير ثم قال: يا أمير بحياة أمك، فاشتد غضبه عليه وهم يجلدونه، فقال: بحياة وجهها، بحياة عنقها، بحياة كذا بحياة كذا حتى قال: بحياة سرتها. فقال الأمير وليس بعد السرة إلا الحرة. أطلقوهم.

----

(1).شيطان الطاق. هو محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي. أبو جعفر الكوفي المتكلم المعتزلي الشيعي المبتدع والرافضة تنتحله تسميه مؤمن الطاق. كان صيرفيا بالكوفة بطاق المحامل اختلف هو وصيرفي في نقد درهم، فغلبه هذا وقال: أنا شيطان الطاق، فلزمته.

مراجع: موارد الظمآن لدروس الزمان/ عقلاء المجانيين/ أخبار الظراف والمتماجنين/ الأعلام للزركلي/ معجم لغة الفقهاء/ هدية العارفين/ تاريخ الإسلام للذهبي/ مروج الذهب/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ سمط النجوم/ـمجلة جامعة أم القرى/ القلائد من فرائد الفوائد/ نصرة الثائر على المثل السائر/ نثر الدر/

◆ هارون الثاني الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد (تاسع ملوك الدولة العباسية) والمازني (١) 0906

قال أبو جعفر الطحاوي: سمعت القاضي بكار بن قتيبة[1] قاضي مصر يقول: ما رأيت نحويا يشبه الفقهاء إلا حيان بن هرمة والمازني[2]، وكان في غاية الورع بما روى عنه المبرد[3]: أن بعض أهل الذمة -قيل يهوديا- قصده ليقرأ عليه كتاب سيبويه[4]، وبذل له مائة دينار في تدريسه إياه، فامتنع أبو عثمان من ذلك، قال: فقلت: جعلت فداك، أترد هذه المنفعة مع فاقتك وشدة حاجتك. فقال: إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاث مائة وكذا وكذا آية من كتاب الله عز وجل، ولست أرى أن أمكن منها ذميا، غيرة على كتاب الله عز وجل وحمية له. قال فاتفق أن غنت جارية -وقيل: مخرقا[5]- بحضرة الواثق بقول العرجي[6]: أَظُلَيْمُ إنّ مصابكم رجلاً..أهدى السلام إليكمُ ظُلْمُ. فاختلف من في الحضرة في إعراب: رجل، فمنهم من نصبه وجعله اسم إن، ومنهم رفعه على أنه خبرها، والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازني لقنها إياه بالنصب، فأمر الواثق بإشخاصه، قال أبو عثمان: فلما مثلت بين يديه قال: ممن الرجل؟ قلت: من بني مازن، قال: أي الموازن. أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة؟. ولم يذكر في الأصل مازن اليمن وهو مازن ابن الأزد بن الغوث، ونسبه معروف، إلى قحطان قال: قلت من مازن ربيعة، فكلمني بكلام قوم، فقال: باسمك؟يريد: ماسمك؟ لأنهم كانوا يقلبون الميم باء، والعكس قال: فكرهت أن أجيبه على لغة قومي لئلا أواجهه بالمكر، فقلت: بكر، يا أمير المؤمنين، ففطن لما قصدته، وأعجب به، ثم قال: ما تقول في قول الشاعر:أظليمُ إنّ مصابكم رجلا. أترفع رجلاٌ أم تنصبه؟ فقلت: بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين، فقال: ولم ذلك؟ فقلت: لأن مصابكم مصدر بمعنى أصابتكم، فأخذ اليزيدي في معارضتي، فقلت: هو بمنزلة قولك إن ضربك زيدا الظلم، فالرجل مفعول مصابكم، وهو منصوب به، والدليل على أنه معلق إلى أن يقول: ظُلْمُ، فيتم، قال: فاستحسنه الواثق، وقال: هل لك من ولد؟ فقلت بنية لا غير، قال: ما قالت لك حين ودعتها؟ قلت: أنشدت قول الأعشى[7]: أبانا فلا رمت من عندنا..فإنَّا بخيرٍ إذا لم ترمْ..أرانا إذا أضمرتك البلاد.. نُجفى وتُقْطَع منَّا الرَّحِم. قال: فما قلت لها؟ قلتُ لها ما قال جرير[8]: من الوافر: ثقي بالله ليس له شريكٌ..ومن عند الخليفة بالنجاح. فقال: ثق بالنجاح إن شاء الله تعالى وأمر لي بألف دينار، وردني مكرما. قال المبرد: فلما عاد إلى البصرة قال لي: كيف رأيت يا أبا العباس؟ رددنا لله مائة فعوضنا ألفا. فقلت: من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه. قلت: هذا مختصر القصة وفيها كلام طويل، أنشد في آخره: إن المعلم لا يزال مضعفا..ولرأيتني فوق السماء بناء..من علم الصبيان صبوا عقله..حتى الخلفاء والأمراء.

■ (2) بكر بن محمد بن بقية المازني، أبو عثمان، البصري النحوي المشهور، وقيل: هو بكر بن محمد بن عدي بن حبيب، من بني مازن بن شيبان، بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. قيل: المازني مولى بني سدوس، نزل في بني مازن ب شيبان، فنسب إليهم، وهو من أهل البصرة، وهو أستاذ المبرد. زوله مصنفات في معاني القرآن والنحو. توفي المازني.سنة 247 هـ.وقيل 249 هـ وقيل سنة 233 هـ في أيام المتوكل على الله. وقالوا كان المازني إماميا، يرى رأي ابن ميثم، وكان يقول بالإرجاء. لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان. قال المازني: خرقت سبع عشرة نسخة لكتاب سيبويه من كثرة دراستي له. وكان يسمى الصندوق.

■ (3) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. توفي المبرد سنة 286 هـ

■ (4) سيبويه، هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه. وصنف كتابه المسمى كتاب سيبويه في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله. ورحل إلى بغداد، فناظر الكسائي. وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم. وعاد إلى الأهواز فتوفي بها، وقيل: وفاته وقبره بشيراز. وكانت في لسانه حبسة.وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح. وكان أنيقا جميلا، توفي شابا. وفي مكان وفاته والسنة التي مات بها خلاف.قيل سنة 180 هـ

■ (5) العرجي، عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان ابن عفان الأموي القرشي، أبو عمر: شاعر، غزل مطبوع، ينحو نحو عمر ابن أبي ربيعة. كان مشغوفا باللهو والصيد. وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء، من الفرسان المعدودين. صحب مسلمة بن عبد الملك في حروبه بأرض الروم، وأبلى معه البلاء الحسن. وهو من أهل مكة. ولقب بالعرجي لسكناه قرية العرج قرب الطائف. وسجنه والي مكة محمد بن هشام في تهمة دم مولى لعبد الله بن عمر، فلم يزل في السجن إلى أن مات سنة 120 هـ. وهو صاحب البيت المشهور، من قصيدة: أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر.

■ (7) الاعشى، ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والاعشى الكبير: من شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعرا منه. وكان يغني بشعره، فسمي صناجة العرب. قال البغدادي: كان يفد على الملوك ولا سيما ملوك فارس ولذلك كثرت الالفاظ الفارسية في شعره. عاش عمرا طويلا، وأدرك الاسلام ولم يسلم. ولقب بالاعشى لضعف بصره. وعمي في أواخر عمره. مولده ووفاته في قرية منفوحة باليمامة قرب مدينة الرياض وفيها داره، وبها قبره. أخباره كثيرة، ومطلع معلقته: ما بكاء الكبير بالاطلال وسؤالي وما ترد سؤالي. توفي سنة 7هـ

■ (1) بكار بن قتيبة بن عبيد الله. وقيل: بكار بن قتيبة بن أسد بن عبيد الله بن بشر بن أبي بكرة بن نفيع بن الحارث. القاضي أبو بكرة الثقفي البكراوي البصري الفقيه الحنفي، وكانت ولادته بالبصرة سنة 282 هـ تولى القضاء بمصر سنة 248 هـ أو249 هـ، وقيل: قدمها متوليا قضاءها من قبل المتوكل سنة 246 هـ فلم يزل قاضيا، يعني على مصر إلى أن توفي سنة 270 هـ، وقد قارب التسعين، وكانت مدة ولايته أربعا وعشرين سنة وأقامت مصر بلا قاض بعده سبع سنين، ثم ولي خمارويه محمد بن عبدة. وكان أحمد بن طولون أراد بكارا على لعن الموفق فامتنع فسجنه إلى أن مات أحمد فأطلق بكار، وبقي يسيرا ومات. فغسل ليلا، وكثر الناس فلم يدفن إلى العصر

■ (6) مخارق بن يحيى ين ناووس الجزار مولى الرشيد أبو المهنا، المطرب قدم دمشق مع المأمون.ومخارقا مات سنة231 هـ بسر من رأى.

■ (8) أبو حزرة، جرير بن عطية بن الخطفى، واسمه حذيفة، والخطفى لقبه، ابن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر التميمي الشاعر المشهور؛ كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل. ولد باليمامة سنة 33 هـ وتوفي سنة 110 هـ.

☪

قال الشيخ (في مجلة الجامعة الإسلامية): اختلف العلماء في لمس المصحف باليد مباشرة بدون طهارة على قولين: القول الأول: أنه لا يجوز لمس المصحف باليد مباشرة بدون طهارة وهذا قول جمهور أهل العلم ومنهم الأئمة الأربعة.القول الثاني: أنه يجوز لمس المصحف بدون طهارة وهو مروي عن أنس، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وحماد، والحكم وهو قول الظاهرية*. الأدلة: استدل أصحاب القول الأول بالأدلة الآتية: قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة] وجه الدلالة من الآية: أن الخبر في قوله: (لا يمسه إلا المطهرون) بمعنى النهي ولا يمكن أن يقال: إن المقصود الإخبار فقط، لأنه يحدث أن يمسه غير طاهر فقوله: (تنزيل من رب العالمين) دليل على أن المقصود هو القرآن والمطهر هو الذي أتى بالوضوء والغسل من الجنابة بدليل قوله تعالى:﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم﴾ [المائدة] ولا يحمل على غير ذلك إلا بدليل صحيح صريح. . وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يمس القرآن إلا طاهر﴿لا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إلاَّ طَاهِرٌ﴾ وما جاء في كتاب عمرو بن حزم الذي كتبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن: ﴿أَلا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلاَّ طَاهِرٌ﴾ وجه الدلالة من الحديث: أن الطاهر: هو المتطهر طهارة حسية من الحدث بالوضوء أو الغسل، لأن المؤمن طهارته معنوية كاملة، والمصحف لا يقرأه غالبا إلا المؤمنون، فلما قال: (إلا طاهر) علم أنها طهارة غير الطهارة المعنوية، بل المراد الطهارة من الحدث ويدل لهذا قوله تعالى:﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم﴾ [المائدة] أي طهارة حسية لأنه قال ذلك في آية الوضوء والغسل. أن تعظيم القرآن واجب وليس من التعظيم مس المصحف بيد حلها الحدث. أنه ليس في الوجود كلام أشرف من كلام الله، فإذا أوجب الله الطهارة للطواف في بيته، فالطهارة لتلاوة كتابه الذي تكلم به من باب أولى. وقد اعترض على هذه الأدلة بما يأتي: استدلالهم بالآية ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ..﴾ [الواقعة] اعترض عليه أنه لا حجة فيه لأنه ليس أمرا وإنما هو خبر والله تعالى لا يقول إلا حقا، ولا يجوز أن يصرف لفظ الخبر إلى معنى الأمر إلا بنص جلي أو إجماع متيقن، فلما رأينا المصحف يمسه الطاهر وغير الطاهر علمنا أنه لم يعن المصحف وإنما عنى كتابا آخر، والمطهرون هم الملائكة. واعترض على حديث عمرو بن حزم بأنه ضعيف لأنه مرسل والمرسل من أقسام الضعيف. واعترض على استدلالهم بالقياس لا يقر به الظاهرية أصلا. وقد أجيب على هذه الاعتراضات بما يأتي: اعتراضهم على الاستدلال بالآية: أجيب عنه بأنه قد يأتي الخبر بمعنى النهي، بل إن الخبر المراد به النهي أقوى من النهي المجرد، لأنه يصور الشيء كأنه مفروغ منه، ومنه قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة]. وقوله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ﴾ بلفظ الخبر والمراد النهي. واعتراضهم على حديث عمرو بن حزم، أجيب عنه بأن من العلماء من صححه كما تقدم في تخريجه، وقبول الناس له واستنادهم عليه فيما جاء فيه من أحكام الزكاة، والديات وغيرها، وتلقيهم له بالقبول يدل على أن له أصلا، وكثيرا ما يكون قبول الناس للحديث سواء كان علميا أو عمليا يكون قائما مقام السند أو أكثر، والحديث يستدل به من زمن التابعين إلى الوقت الحاضر ثم يقال لا أصل له هذا بعيد جدا. وأما اعتراضهم على الاستدلال بالقياس فغير مسلم؛ لأن القياس دليل من الأدلة الشرعية المعتبرة. واستدل أصحاب القول الثاني بالأدلة الآتية: حديث أم المؤمنين عائشة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه. وجه الدلالة من الحديث: أن القرآن ذكر ففي ذلك دلالة على أنه يجوز الذكر دون فرق بين متطهر وغير متطهر. وحديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى هرقل عظيم الروم كتابا فيه آية من القرآن الكريم. وجه الدلالة من الحديث: أنه يعلم أنهم سيمسونه على غير طهارة فلو كان ذلك غير جائز لما بعثه إليهم، وإذا جاز مس الآية جاز مس ما هو أكثر منها قياسا عليها. وحديث أبي هريرة وحذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ﴾ ولأن الصبيان يحملون الألواح محدثين بلا إنكار، كما أنه إذا لم تحرم القراءة فالمس أولى. وقد اعترض على هذه الأدلة بما يأتي: حديث أم المؤمنين عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله على كل أحيانه. اعترض عليه: أن المقصود بالذكر فيه غير القرآن، لأنه هو المفهوم من الذكر عند الإطلاق. واستدلالهم بحديث ابن عباس في قصة هرقل: اعترض عليه: بأن الذي أرسل إليه هو كتاب فيه آية قصد به المراسلة، والآية في الرسالة أو كتاب فقه ونحوه لا يسمى بها الكتاب مصحفا ولا تثبت له بها حرمة فهو خارج عن محل النزاع. واستدلالهم بقوله:﴿إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ﴾ اعترض عليه: أنه ليس فيه ما يدل على جواز القراءة بدون طهارة، لأن الحديث دل على طهارة المسلم وأنه لا يصير نجسا إذا أجنب أما إباحة الأفعال التي تشترط لها الطهارة فلم يتعرض لها بدليل أنه لم يحتج به أحد على صحة الصلاة بدون طهارة. واستدلالهم بحمل الصبيان للألواح: اعترض عليه بأن إباحته كانت للضرورة. والراجح: هو عدم جواز مس المصحف بغير طهارة لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إلاَّ طَاهِرٌ﴾ والطاهر يطلق على الطاهر من الحدث الأصغر والأكبر لقوله تعالى:﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم﴾ [المائدة] ولم يكن من عادة النبي صلى الله عليه وسلم أن يعبر عن المؤمن بالطاهر لأن وصفه بالإيمان أبلغ، فتبين من ذلك أنه لا يجوز أن يمس القرآن من كان محدثا حدثا أصغر أو أكبر ولأن القرآن كلام الله وهو أشرف الكلام وأعظمه فكان جديرا بمن يريد مسه أن يكون على طهارة ولأن أدلة من أجاز مسه بدون طهارة ليست صريحة في الدلالة على ذلك ولم تسلم من الاعتراض. وفي حمل المصحف بدون ملامسته باليد مباشرة كحمله بعلاقة أو مسه بحائل كثوب ونحوه قد اختلف العلماء في ذلك على قولين: القول الأول: عدم جواز ذلك إلا بطهارة وهو قول مالك، والشافعي، وأحمد في رواية. القول الثاني: جواز ذلك وهو قول أبي حنيفة، وأحمد في المشهور.الأدلة: استدل أصحاب القول الأول بما يأتي: عموم الأدلة في منع مس المصحف لغير الطاهر.أن الحمل أبلغ من المس. واستدل أصحاب القول الثاني بما يأتي: أن من حمل المصحف بعلاقة ونحوها غير ماس له، فلم يمنع منه كما لو حمله في رحله. أن الأدلة التي ورد فيها المنع إنما تتناول المس والحمل ليس بمس فلا يتناوله المنع. والراجح: هو جواز ذلك لوجاهة ما استدل به من قال به ولأن الحاجة قد تستدعي ذلك وقد أفتى بهذا القول ابن تيمية رحمه الله حيث أجاب وقد سئل عن ذلك؟ فقال: ومن كان معه مصحف فله أن يحمله بين قماشة وفي خرجه وحمله ولا بأس أن يحمله بكمه ولكن لا يمسه بيديه. ورجح هذا القول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله. *(الظاهرية) هم أتباع مذهب داود بن علي الأصبهاني، ومن أئمة الظاهرية: ابن حزم الأندلسي، وسموا بالظاهرية لأنهم يأخذون بظواهر النصوص الشرعية ويرفضون استنباط العلل.

مراجع: موارد الظمآن لدروس الزمان/ الأعلام للزركلي/ تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ الأنساب للسمعاني/ ديوان الإسلام/ نور القبس/ـمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/ معجم لغة الفقهاء/

حدث الزبيدي قال: قال المازني[1]: حضرت يوما عند الواثق[2] وعنده نحاة الكوفة، فقال لي الواثق: يا مازني: هات مسألة، فقلت: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم] لم لم يقل بغية، وهي صفة لمؤنث فأجابوا بجوابات غير مرضية. فقال الواثق: هات ما عندك. فقلت: لو كان بغي على تقدير فعيل بمعنى فاعلة، لحقتها الهاء، مثل كريمة وظريفة، وإنما تحذف الهاء إذا كانت في معنى مفعولة، نحو: المرأة قتيل وكف خضيب، وبغي ههنا ليس بفعيل، إنما هو فعول، وفعول لا تلحقه الهاء في وصف التأنيث، نحو: امرأة شكور، وبئر شطون، إذا كانت بعيدة الرشاء، وتقدير بغي بغوي، قلبت الواو ياء، ثم أدغمت في الياء، فصارت ياء ثقيلة: نحو سيد وميت. فاستحسن الجواب. قال المازني: ثم انصرفت إلى البصرة، فكان الوالي يجري علي المائة دينار في كل شهر، حتى مات الواثق، فقطعت عني. ثم ذكرت للمتوكل[3] فأشخصني، فلما دخلت إليه، رأيت من العدد والسلاح، والأتراك ما راعني، والفتح بن خاقان[4] بين يديه، وخشيت إن سئلت عن مسألة ألا أجيب فيها. فلما مثلت بين يديه وسلمت، قلت: يا أمير المؤمنين، أقول كما قال الأعرابي؟: لا تقلواها وادلواها دلوا..إن مع اليوم أخاه غدوا. قال أبو عثمان: فلم يفهم عني ما أردت، واستبردت فأخرجت. والقلو: رفع السير، والدلو: إدناؤه. ثم دعاني بعد ذلك فقال: أنشدني أحسن مرثية قالت العرب. فأنشدته قول أبي ذؤيب: أمن المنون وريبها تتوجع؟. وقصيدة متمم بن نويرة: لعمري وما دهري بتأبين هالك. وقول كعب الغنوي: تقول سليمى ما لجسمك شاحبا. وقصيدة محمد بن مناذر: كل حي لاقى الحمام فمودي. فكان كلما أنشدته قصيدة يقول: ليست بشيء. ثم قال: من شاعركم اليوم بالبصرة؟ قلت: عبد الصمد ابن المعذل[5]، قال: فأنشدني له، فأنشدته أبياتا قالها في قاضينا ابن رباح: أيا قاضية البص..رة قومي فارقصي قطره..ومري بروشنك..فإذا البرد والفتره..أراك قد تثرين..عجاج القصف يا حره..بتجذيفك خديك..وتجعيدك للطره. قال: فاستحسنها واستطار لها، وأمر لي بجائزة. قال: فجعلت أتعمل له أن أحفظ أمثالها، فأنشده إذا وصلت إليه، فيصلني. وكان المازني يفضل الواثق. وللمازني شعر قليل، ذكر منه المرزباني: شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما..رأي النساء وإمرة الصبيان..أما النساء فإنهن عواهر..وأخو الصبا يجري بكل عنان. ولما مات المازني، اجتازت جنازته على أبي الفضل الرياشي[6] فقال متمثلا: لا يبعد الله أقواما رزئتهم..أفناهم حدثان الدهر والأبد..نمدهم كل يوم من بقيتنا..ولا يئوب إلينا منهم أحد.

■ (1) بكر بن محمد بن بقية المازني، أبو عثمان، البصري النحوي المشهور، وقيل: هو بكر بن محمد بن عدي بن حبيب، من بني مازن بن شيبان، بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. قيل: المازني مولى بني سدوس، نزل في بني مازن ب شيبان، فنسب إليهم، وهو من أهل البصرة، وهو أستاذ المبرد. زوله مصنفات في معاني القرآن والنحو. توفي المازني.سنة 247 هـ.وقيل 249 هـ.وقيل سنة 233 هـ في أيام المتوكل على الله. وقالوا كان المازني إماميا، يرى رأي ابن ميثم، وكان يقول بالإرجاء. ولم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان. قال المازني: خرقت سبع عشرة نسخة لكتاب سيبويه من كثرة دراستي له. وكان يسمى الصندوق.

■ (4) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، أبو محمد: أديب، شاعر، فصيح، كان في نهاية الفطنة والذكاء. فارسي الاصل، من أبناء الملوك. اتخذه المتوكل العباسي أخا له، واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه. وكان يقدمه على جميع أهله وولده. واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن. وألف كتابا سماه اختلاف الملوك وكتابا في: الصيد والجوارح وكتاب الروضة والزهر. وقتل مع المتوكل سنة 247 هـ.

■ (3) جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، أبو الفضل، ولد سنة 205 هـ بويع له بعد موت أخيه هارون الواثق سنة 232 هـ، كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر، ثم المعتز، ثم المؤيد، ثم إنه أراد تقديم المعتز لمحبته لأمه، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد، فأبى، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه، فدخلوا عليه في مجلس لهوه وقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة 247 هـ.قال خليفة بن خياط: استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها.

■ (5) أبو القاسم، عبد الصمد المعذل بن غيلان بن الحكم بن البُختري الأسدي شاعر عربي. توفي سنة 240 هـ

■ (2) هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنى أبا جعفر.ولد سنة 196 هـ أو 200 هـ، وبويع له بعد وفاة أبوه المعتصم سنة 227 هـ، ومات بسر من رأى سنة 232 هـ.

■ (6) العباس بن الفرج بن علي بن عبد الله الرياشي البصري، من الموالي، أبو الفضل: لغوي راوية، عارف بأيام العرب. من أهل البصرة. قتل فيها أيام فتنة صاحب الزنج سنة 257 هـ.

حدث محمد بن رستم الطبري قال: أنبأنا أبو عثمان المازني قال: كنت عند سعيد بن مسعدة الأخفش، أنا وأبو الفضل الرياشي، فقال الأخفش: إن منذ إذا رفع بها، فهي اسم مبتدأ وما بعدها خبرها، كقولك: ما رأيته منذ يومان، فإذا خفض بها، كقولك: ما رأيته منذ اليوم فحرف معنى ليس باسم. فقال له الرياشي: فلم لا يكون في الموضعي اسما؟ فقد نرى الأسماء تخفض وتنصب، كقولك هذا ضارب زيدا غدا، وضارب زيد أمس، فلم لا تكون بهذه المنزلة؟ فلم يأت الأخفش بمقنع.

قال أبو عثمان: فقلت له: لا يشبه منذ ما ذكرت، لأنا لم نر الأسماء هكذا تلزم موضعا، إلا إذا ضارعت حروف المعاني، نحو أين، وكيف، فكذلك منذ هي مضارعة لحروف المعاني، فلزمت موضعا. واحدا.

قال الطبري: فقال ابن أبي زرعة للمازي: أفرأيت حروف المعاني، تعمل عملين مختلفين متضادين؟ قال نعم، كقولك قام القوم حاشا زيد وحاشا زيدا، وعلى زيد ثوب، وعلا زيد الفرس، فتكون مرة حرفا، ومرة فعلا بلفظ واحد.

وحدث المبرد قال: سمعت المازني يقول: معنى قولهم: إذا لم تستح فاصنع ما شئت. أي إذا صنعت ما لا يستحى من مثله، فاصنع منه ما شئت، وليس على ما يذهب العوام إليه. قلت: وهذا تأويل حسن جدا.

قال أبو القاسم الزجاجي: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبري قال: حضرت مجلس أبي عثمان المازني وقد قيل له: لم قلت روايتك عن الأصمعي؟ قال: رميت عنده بالقدر، والميل إلى مذاهب أهل الاعتزال، فجئته يوما وهو في مجلسه، فقال لي: ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر]. قلت: سيبويه يذهب إلى أن الرفع فيه أقوى من النصب في العربية، لاستعمال الفعل المضمر، وأنه ليس ههنا شيء هو بالفعل أولى، ولكن أبت عامة القراء إلا النصب، ونحن نقرؤها كذلك اتباعا، لأن القراءة سنة. فقال لي: فما الفرق بين الرفع والنصب في المعنى؟ فعلمت مراده، فخشيت أن تغرى بي العامة فقلت: الرفع بالابتداء، والنصب بإضمار فعل، وتعاميت عليه.

مراجع: معجم الأدباء/ / الأعلام للزركلي/

قال أحمد بن الحسين بن هشام: تلاحى الحسين بن الضحاك[1] ومخارق[2] يوما في مجلس الواثق في أبي نواس[3] وأبي العتاهية[4] أيهما أشعر؟ فقال الواثق: اجعلا بينكما خطرا فجعلا بينهما مائتي دينار فقال الواثق: من ههنا من العلماء؟ فقيل: أبو محلم[5] فأحضره فسئل عن ذلك؟ فقال: أبو النواس أشعر وأذهب في فنون العرب وأكثر افتنانا من أفانين الشعر فأمر الواثق بدفع الخطر إلى الحسين.

■ (1) الحسين الخليع، الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلي، من مواليهم أو هو منهم، أبو علي: شاعر، من ندماء الخلفاء، قيل: أصله من خراسان. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي ببغداد. اتصل بالامين العباسي ونادمه ومدحه. ولما ظفر المأمون، خافه الخليع، فانصرف إلى البصرة، حتى صارت الخلافة للمعتصم. فعاد ومدحه ومدح الواثق. أخباره كثيرة، وكان يلقب بالاشقر، وأبو نواس متهم بأخذ معانيه في الخمر. وشعره رقيق عذب. توفي سنة 250 هـ

■ (2) مخارق بن يحيى ين ناووس الجزار مولى الرشيد أبو المهنا، إمام عصره في فن الغناء. ومن أطيب الناس صوتا. كان الرشيد العباسي يعجب به حتى أقعده مرة على السرير معه، وأعطاه 30 ألف درهم. واتصل بعد ذلك بالمأمون. وزار معه دمشق. وتوفى بسر من رأى. سنة 231 هـ أخباره كثيرة جدا. كان مملوكا لعاتكة بنت شهدة بالكوفة، وهى التى علمته الغناء والضرب على العود. وباعته، فصار إلى الرشيد، فذكره له إبراهيم الموصلي، فسمعه، وأعتقه، وأغناه، وكناه بأبى المهنأ. وكان لحانا، لا يقيم الاعراب. وأبوه جزار من المماليك.

■ (4) أبو إسحاق، إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء، العيني المعروف بأبي العتاهية الشاعر المشهور؛ مولده بعين التمر سنة 130هـ،وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة، وقيل إنها من أعمال سقي الفرات وقيل إنها قرب الأنبار، فالله أعلم. توفي سنة 213 هـ

■ (5) محمد بن هشام بن عوف التميمي ثم السعدى، أبو محلم الشيباني: أحفظ أهل زمانه للشعر ووقائع العرب. أعرابي، ولد بالاهواز، ورحل إلى مكة والبصرة والكوفة وأقام في بادية العراق مدة. له من الكتب خلق الانسان والانواء والخيل. مات سنة 245 هـ

■ (3) الحسن بن هانئ بن عبد الاول بن صباح الحكمى بالولاء، أبو نواس: شاعر العراق في عصره. ولد في الاهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخصيب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها سنة 198 هـ.كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمي، أمير خراسان، فنسب إليه. وفي تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق، من الجند من رجال مروان بن محمد، انتقل إلى الاهواز فتزوج امرأة من أهلها اسمها جلبان فولدت له ولدين أحدهما أبو نواس. قال الجاحظ: ما رأيت رجلا أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس. وقال أبو عبيدة: كان أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للمتقدمين. وقال الامام الشافعي: لولا مجون أبي نواس لا خذت عنه العلم. وحكى أبو نواس عن نفسه قال: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب. فما ظنك بالرجال ؟ وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية. وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياته.

قال يحيى بن أكثم: لم يحسن أحد من خلفاء بني العباس إلى آل أبي طالب إحسان الواثق، ما مات وفيهم فقير. وقال بعضهم: كنا في دار الواثق، فرفع إليه أن رجلا ممن يعطي الجند أرزاقهم سأل بعض الجند أن يقدمه، وألح عليه فأبى وقال: إني أستشفع عليك. فقال: شفع لك النبي محمد صلى الله عليه وسلم ما شفعته. قال: فرأيت الواثق يرتعد غيظا، وأمر بإحضار الرجل فأدخل. فقال للذي قرفه: قل ما قلت في وجهه، فأعاد، فتلوى الرجل ساعة وأنكر، فقال الواثق: لولا أن في خطأ لفظك إشارة إلى صواب معناك في الإقرار بالنبوة، واستعظامك، ووضعك رسول الله صلى الله عليه وسلم في غاية التمثيل، لمثلت بك، ولكن أبطحوه، فضربه إيتاخ بيده ثمانين سوطا، فقال له وهو يضربه: يا أمير المؤمنين، أتضربني بشهادة واحد؟ فقال: والله لو شهد عليك اثنان لقتلتك، والله لا عملت لي عملا أبدا. قال علي بن محمد: سمعت خالي محمد بن أحمد بن حمدون يقول: دخل هارون بن زياد، مؤدب الواثق، على الواثق، فأكرمه، وأظهر من بره ما شهر به، فقيل له: من هذا يا أمير المؤمنين الذي فعلت به ما فعلت؟ قال: هذا أول من فتق لساني بذكر الله عز وجل، وأدناني من رحمة الله عز وجل. قال الواثق لابن أبي دواد، وقد رجع من صلاة العيد: هل حفظت من خطبتي شيئا؟ قال: نعم، قولك يا أمير المؤمنين: ومن اتبع عن هواه شرد عن الحق منهاجه، والناصح من نصح نفسه، وذكر ما سلف من تفريطه، فطهر من نيته، وثاب من غفلته، فورد أجله، وقد فرغ من زاده لمعاده، فكان من الفائزين.

يقول علي بن نايف الشحود: إن المتفحص للترفيه والتسلية في عالم اليوم يجد أنها تفتقد ضوابطها الشرعية مما حدا بكثير من خلق الله أن يوجهوا الترفيه والتسلية إلى الوجهة التي يريدون لا إلى ما يريد الشرع، إن الضوابط الشرعية في التسلية والترفيه ينبغي أن تتضمن أمورا منها: أن لا تتضمن شيئا من الشرك والسحر ونحو ذلك من أنواع الدجل والشعوذة كالتسلي بحظ الأبراج وقراءة الفنجان وإتيان الكهان والعرافين، ومما يؤسف له أنه أقيمت قنوات فضائية تعنى بهذا الجانب لنشر الشرك والسحر بين الناس، كما أنه ينبغي أن لا تشغل عن ذكر الله وطاعته وامتثال أمره، فإن الله حرم الخمر والميسر لأنهما يصدان عن ذكر الله وعن الصلاة ، فكل لعبة مباحة وكل تسلية بريئة تصد عن ذكر الله وعن الصلاة فهي محرمة وتزداد تحريما إن كانت محرمة، كما ينبغي أن يكون الترفيه على قدر الحاجة حتى لا يتعلق القلب به، وفي دائرة إطار المباح وبما شرعه الله، فإذا احتوت على أمور محرمة كالمعازف والموسيقى وصور النساء وما أكثرها اليوم في وسائل الترفيه من الشاشات والألعاب وغيرها فإنها حينئذ خرجت عن المباح، كما ينبغي أن لا تشتمل الألعاب على صور من ذوات الأرواح ومن المجسمات وغيرها، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لعن من صنعها وأمر بإتلافها، ويجب أن يكون الترفيه خاليا من القمار والمراهنات ومن ذلك اللعب على المال، فأي لعبة قائمة على مال فهي مراهنة وقمار وميسر، ويشترط في اللعبة أن لا تشتمل على شيء ممن شعارات الكفار الدالة على أديانهم وصلبانهم ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحك الصليب ويطمسه، والحذر الحذر من الألعاب التي تربي في نفوس الأبناء الاعتزاز بالكفار وجيوشهم وأعلامهم وتحبيب شخصياتهم وتقديس صلبانهم كجعل الصليب في اللعبة كونه يعطي اللاعب صحة أو قوة أو إنعاشا للروح ونحو ذلك، وأن لا تقوم على ابتزاز المسلمين وإهانتهم وإهانة مقدساتهم مع خلوها من الترف والإسراف، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى لنا إضاعة المال ، عباد الله: إن فهم الضوابط الشرعية في الألعاب والترفيه والتسلية مهم لأجل سلامتنا وسلامة أبنائنا ولأجل أن يكون اللعب مباحا والتسلية بريئة وأن تكون الأوقات التي تمضى فيها لا تقطع عن الله والدار الآخرة .. اللهم إنا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين، اللهم إنا نسألك حبك [..] قال تعالى:﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة] وقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة]

قال الحسن بن ابي المنذر: لما قال أبو نواس: ديار نوار ما ديار نوار..كسونك شجوا هن منه عواري. يمدح بها العباس بن عبد الله بن جعفر، أنشدت الرشيد إلى أن سمع قوله: يقولون في الشيب الوقار لأهله..وشيبتي بحمد الله غير وقار. فأمر الرشيد بإحضاره وقال له: ويلك أتخالف الإسلام في كل شيء من أمرك ؟! قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين، قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لاَ يَشِيبُ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ شَيْبَةً فِى الإِسْلاَمِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ﴾ وتقول أنت كذا وكذا وما أظنك إلا على غير دين الإسلام فمن أين زعمت أنه غير وقار، فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك انظر إلى البيت الذي بعده، فقال: وما هو؟ قال: إذا كنت لا أنفك عن أريحية..إلى رشإ تسعى بكأس عقار. إنما قلت وشيبي غير وقار إذا كنت على هذا الحالة وأشباهها لما أجاوزه من تعجيل الذنوب وتأخير التوبة فأقررت بالذنب ولم أجحد أن يكون هو وقارا، قال: أنت أعلم بخبث سريرتك وقبح عملك فمن ثم شهدت بها شهدت به على نفسك.

وقال له محمد الامين بن الرشيد: أنت زنديق. فقال: يا أمير المؤمنين لست بزنديق وأنا أقول: أصلي الصلاة الخمس في حين وقتها..وأشهد بالتوحيد لله خاضعا وأحسن غسلي إن ركبت جنابة..وإن جاءني المسكين لم أك مانعا وإني وإن حانت من الكاس دعوة..لى بيعة الساقي أجبت مسارعا وأشربها صرفا على جنب ما عز.. وجدي كثير الشحم اصبح راضعا وجوذاب حواري ولوز وسكر.. وما زال للخمار ذلك نافعا وأجعل تخليط الروافض كلهم.. لنفخة بختيشوع في النار طائعا فقال له الامين: ويحك ! وما الذي الجأك إلى نفخة بختيشوع ؟ فقال: به تمت القافية. فأمر له بجائزة. وبختيشوع الذي ذكره هو طبيب الخلفاء.

قال أحمد بن حمزة :دخل الحسن بن هانئ فيما حدثني علي أمير المؤمنين الأمين فقال: يا حسن بن هانئ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: إنك زنديق، فقلت: يا أمير المؤمنين، وأنا أقول مثل هذا الشعر:أصلي صلاة الخمس في حين وقتها..وأشهد بالتوحيد لله خاضعا..وأحسن غسلا إن ركبت جنابة..وإن جاءني المسكين لم أك مانعا..وإني وإن حانت من الكأس دعوة..إلى بيعة الساقي أجبت مسارعا..وأشربها صرفا على لحم ماعز..وجدي كثير الشحم أصبح راضعا..بجوذاب جودي وجوز وسكر..وما زال للمخمور مذ كان نافعا..واجعل تخليط الروافض كلهم..لفقحة بختيشوع في النار طابعا. فقال لي:كيف وقعت على فقحة بختيشوع ويلك؟! قلت: بها تمت القافية. فضحك وأمر لي بجائزة وانصرفت.

حدث الحسن بن أبي المنذر قال: كان أبو نواس يشرب عند عبيد بن المنذر، فبات ليلة ثم قال: لا بد لي من عمى فقوموا بنا فأتيناها ودخلنا حانة خمار قد كان يعرفه ومعه غلام قد كان أفسده على أبويه وغيبه عنهما زمانا ونحن في أطيب موضع فذكرنا الجنة وطيبها والمعاصي وما يحول عنه منها وهو ساكت فقال: يا ناظرا في الدين ما الأمر، لا قدر صح ولا جبر ما صح عندي من جميع الذي تذكره الا الموت والقبر، فامتعضنا من قوله، وأطلنا توبيخه وأعلمناه أنا نتخوف صحبته، فقال: ويلكم والله، إن لأعلم بما تقولون ولك المجون يفرط علي، وأرجو أن أتوب ويرحمني الله ثم قال: أية نار قدح القادح..وأي جد بلغ المازح..لله در الشيب من واعظ..وناصح لو حذر الناصح..يأبى الفتى إلا اتباع الهوى..ومنهج الحق له واضح..فاعمد بعينيك إلى نسوة..مهورهن العمل الصالح ..لا يجتلي العذراء من خدرها..إلا امرؤ ميزانه راجح..من اتقى الله فذاك الذي..سيق إليه المتجر الرابح..فاغد فما في الدين أغلوطة..ورح بما أنت له رائح. ثم قال: هذا عمل الشيطان ألقى أكثر هذا الكلام ليفسد نومكم، فلم نزل في اطيب موضع، فلما أردنا الانصراف، قال: أمهلوا ثم أنشدنا: يا رب مجلس فتيان لهوت به..والليل مستحلس في ثوب ظلماء..نسف صافية من صدر خابية..تعشى عيون نداماها بلألاء. قال ميمون بن هارون: قال لي إبراهيم بن المنذر: قال الجاحظ: لا أعرف من كلام الشعر كلاما ما هو أوقع ولا أحسن من كلام أبي نواس: أية نار قدح القادح. وأنشد هذا الشعر.

مراجع: تاريخ الخلفاء/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ الأعلام للزركلي/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ البداية والنهاية/ تاريخ بغداد/

قال أبو خليفة الفضل بن الحباب[1]: كان في جوارنا رجل حذاء فاحتاج في أمر له أن يتظلم إلى الواثق[2]، فأخبرنا أنه رفع قصته إليه فأمر برده إلى ابن أبي داود[3] مع جماعة من المتظلمين قال: فحضرت إليه ينظر في أمور الناس، وتشوقت لينظر في أمري فأومأ إلي بالانتظار، فانتظرت حتى لم يبق أحد فقال لي: أتعرفني؟ قلت: ولا أنكر القاضي. قال: ولكني أعرفك، مضيت يوما في الخلاء فانقطعت نعلي وأعطيتني شسعا لها، فقلت لك: إني أجيئك بثواب ذلك، فتكرهت قولي، وقلت: وما مقدار ما فعلت، امض في حفظ الله، والله لأصلحن زمانك كما أصلحت نعلي ثم وقع لي في ظلامتي ووهب لي خمس مئة درهم، وقال: زرني في كل وقت. قال: فرأيناه بمتسع الحال بعد أن رأيناه مضيقا.

حدث أبو مالك حريز بن أحمد بن أبي داود قال: قال الواثق يوما لأبي تضجرا بكثرة حوائجه: يا أحمد، قد اختلت بيوت الأموال بطلباتك، اللائذين بك والمتوسلين إليك فقال: يا أمير المؤمنين، نتائج شكرها متصلة بك، وذخائر أجرها مكتوبة لك، وما لي من ذلك إلا عشق اتصال الألسن بحلو المدح فيك. فقال: يا أبا عبد الله، والله لا منعناك ما يزيد في عشقك، ويقوي من همتك، فتناولنا بها أحببت.

قال الحارث بن أسامة: أمر الواثق لعشرة من بني هاشم بعشرة آلاف درهم على يد ابن أبي داود، فدفعها إليهم فكلمه نظراؤهم ففرق فيهم عشرة آلاف درهم لعشرة مثل أولئك من عنده على أنها من عند الواثق، فبلغه ذلك فقال له: يا أبا عبد الله، مالنا أكثر من مالك فلم تغرم وتضيف ذلك إلينا؟ فقال: والله، يا أمير المؤمنين لو أمكنني أن أجعل ثواب حسناتي لك وأجهد في عمل غيرها لفعلت، وكيف أبخل بمال أنت ملكتنيه على أهلك الذين يكثرون الشكر، ويتضاعف بهم الأجر؟ قال: فوصله بمئة ألف درهم ففرق جميعها في بني هاشم.

قال محمد بن عمرو الرومي: ما رأيت قط أجمع رأيا من ابن أبي داود، ولا أحضر حجة، قال له الواثق: يا عبد الله، رفعت إلي رقة وفيها كذب كبير، قال: ليس بعجب أن أحسد على منزلتي من أمير المؤمنين، فيكذب علي قال: زعموا فيها أنك وليت القضاء رجلا ضريرا. قال: قد كان ذاك، وأمرته أن يستخلف، وكنت عازما على عزله حين أصيب ببصره، فبلغني أنه عمي من بكائه على أمير المؤمنين المعتصم[4]، فحفظت ذلك له.

قال: وفيها أنك أعطيت شاعرا ألف دينار، يعني أبا تمام[5]، قال: ما كان ذلك ولكن أعطيته دونها، وقد أثاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير[6] الشاعر، وقال في آخر: اقطع عني لسانه. وهذا شاعر طائي مداح لأمير المؤمنين مصيب محسن لو لم أرع له إلا قوله للمعتصم صلوات الله عليه في أمير المؤمنين أعزه الله: من الكامل: واشدد بهارون الخلافة إنه..سكن لوحشتها ودار قرار..ولقد علمت بأن ذلك معصم..ما كنت تتركه بغير سوار. قال: فوصل أبا تمام بخمس مئة دينار.

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: قال أبو تمام حبيب بن أوس: من الوافر: أيسلبني ثراء المال ربي..وأطلب ذاك من كف جماد..زعمت إذا بأن الجود أمسى..له رب سوى ابن أبي داود.

وقيل إنه دخل على الواثق بعدما حصل له الأمر فقال: ما زال قوم اليوم في ثلبك ونقصك يا أحمد، قال فقلت: يا أمير المؤمنين ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور] فالله ولي جزائه وعقاب أمير المؤمنين من ورائه، وما ضاع أمر أنت حافظه ولا ذل من كنت ناصره، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين قال: قلت يا [أبا] عبد الله: وسعى إلي بعيب عزة نسوة..جعل الإله خدودهن نعالها.

وكان بين ابن أبي دواد وبين الوزير ابن الزيات[7] منافسات وشحناء، حتى إن شخصا كان يصحب القاضي المذكور ويختص بقضاء حوائجه منعه الوزير المذكور من التراداد إليه، فبلغ ذلك القاضي، فجاء إلى الوزير وقال له: والله ما أجيئك متكثرا بك من قلة، ولا متعززا بك من ذلة، ولكن أمير المؤمنين رتبك مرتبة أوجبت لقاءك، فان لقيناك فله، وإن تأخرنا عنك فلك، ثم نهض من عنده. وكان الواثق قد أمر أن لا يرى أحد من الناس محمد بن عبد الملك الزيات الوزير إلا قام له، فكان ابن أبي دواد إذا رآه قام واستقبل القبلة يصلي، فقال ابن الزيات: صلى الضحى لما استفاد عدواتي..وأراه ينسك بعدها ويصوم..لا تعد من عداوة مسمومة..تركتك تقعد تارة وتقوم.

----

(3) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

(2) هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنى أبا جعفر.ولد سنة 196 هـ أو 200 هـ، وبويع له بعد وفاة أبوه المعتصم سنة 227 هـ، ومات بسر من رأى سنة 232 هـ

(4) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، يكنى أبا إسحاق، والمعتصم يقال له: الثماني، ولد بالخلد في سنة 180 هـ، وهو ثامن الملوك، والثامن من ولد العباس، استخلف أبو إسحاق محمد بن هارون سنة 218 هـ ومات بالخاقاني من سر من رأى، سنة 227 هـ

(5) أبو تمام، جبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الاديب. أحد أمراء البيان. ولد في جاسم من قرى حوران بسورية ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. سنة 231 هـ كان أسمر طويلا. فصيحا، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع. في شعره قوة وجزالة. واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري.

(7) ابن الزيات الوزير الاديب العلامة أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن الزيات. كان والده زياتا سوقيا، فساد هذا بالادب وفنونه، وبراعة النظم والنثر، ووزر للمعتصم وللواثق، وكان معاديا لابن أبي دواد، فأغرى ابن أبي دواد المتوكل، حتى صادر ابن الزيات وعذبه. وكان يقول بخلق القرآن، ويقول: ما رحمت أحدا قط، الرحمة خور في الطبع. فسجن في قفص حرج، جهاته بمسامير كالمسال، فكان يصيح: ارحموني، فيقولون: الرحمة خور في الطبيعة. مات في سنة ثلاث 233 هـ

(6) كعب بن زهير بن أبي سلمى، المازني، أبو المضرب. شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم، دمه فجاءه كعب مستأمنا وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول. فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وخلع عليه بردته. وهو من أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوام كلهم شعراء. وقد كثر مخمسو لاميته ومشطروها وترجمت إلى غير العربية. توفي سنة26 هـ

(1) الفضل بن الحباب عمرو بن محمد بن شعيب، أبو خليفة الجمحي: قاض للبصرة، عالم بالحديث، معمر، من رواة الاخبار والاشعار والانساب. كان مسند البصرة. مات سنة 305 هـ

قال إسحاق بن إبراهيم[1]: كنت عند الواثق يوما، وهو بالنجف، فدخل ابن أبي داود، فقعد معنا نتحدث ولم يك خرج الواثق بعد، فقال لي أحمد بن أبي داود: يا إسحاق قلت: لبيك، قال: أعجبني هذان البيتان، قلت: أنشدني فما أعجبك من شيء ففيه السرور، فأنشدني: من الطويل: ولي نظرة لو كان يحبل ناظر..بنظرته أنثى لقد حبلت مني..فإن ولدت ما بين تسعة أشهر..إلى نظري أنثى فإن ابنها ابني. فقلت: قد أجاده، ولكني أنشدك بيتين أرجو أن يعجباك قال: هات، فأنشدته من الطويل: ولما رمت بالطرف غيري ظننتها..كما أثرت بالطرف توثر بالقلب..وإني بها في كل حال لواثق..ولكن سوء الظن من شدة الحب. قال: أحسنت يا إسحاق وخرج الواثق فقال: فيم أنتم! فحدثه ابن أبي داود وأنشده، فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمر لابن أبي داود بثلاثين ألفا، فلما رجعت إلى منزلي أصبت في منزلي أربعين ألفا فقلت: ما هذا؟ فقيل وجه إليك أبو عبد الله بهذا.

قال ابن الأعرابي: سأل رجل قاضي القضاة أحمد بن أبي داود أن يحمله على عير فقال: يا غلام، أعطه عيرا وبغلا وبرذونا وفرسا وجارية ثم قال: أما والله لو عرفت مركوبا غير هذا لأعطيتك. قال أبو العيناء: ما رأيت في الدنيا أحدا أحرص على أدب من ابن أبي داود، ولا أقوم على أدب منه، وذلك أني ما خرجت من عنده يوما قط فقال: يا غلام خذ بيده، بل كان يقول: يا غلام اخرج معه، فكنت أنتقد هذه الكلمة عليه، فلا يخل بها ولا أسمعها من غيره. قال الحسن بن خضر: كان ابن أبي داود مألفا لأهل الأدب من أي بلد كانوا، وكان قد ضم إليه جماعة يعولهم ويمونهم. فلما مات اجتمع ببابه جماعة منهم فقالوا: يدفن من كان على ساقة الكرم وتاريخ الأدب ولا نتكلم فيه؟ إن هذا لوهن وتقصير، فلما طلع سريره قام ثلاثة نفر فقال أحدهم: من البسيط: اليوم مات نظام الفهم واللسن..ومات من كان يستعدى على الزمن..وأظلمت سبل الآداب إذ حجبت..شمس المعارف في غيم من الكفن. وتقدم الثاني فقال: من الكامل: ترك المنابر والسري تواضعا..وله منابر لو يشا وسرير..ولغيره يجبى الخراج وإنما..تجبى إليه محامد وأجور. وقام الثالث فقال: من الطويل: وليس نسيم المسك ريح حنوطه..ولكنه ذاك الثناء المخلف..وليس صرير النعش ما تسمعونه..ولكنها أصلاب قوم تقصف.

----

(1) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، الأمير ابن عم طاهر بن الحسين. وكان يعرف بصاحب الجسر. ولي إمرة بغداد أكثر من 30 سنة، وعلى يده أمتحن العلماء بأمر المأمون وأكرهوا على القول بخلق القرآن. وكان خبيرا صائما سائسا حازما وافر العقل، جودا ممدحا، له مشاركة في العلم. توفي سنة 235 هـ. وولي بعده ابنه محمد

مراجع: تاريخ بغداد/ الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/

◆ هارون الثاني الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد (تاسع ملوك الدولة العباسية) وأحمد بن أبي داؤد، القاضي (٢) 0910

قال الواثق[1] يوما لأحمد بن أبي دواد في رجل حمل إليه من بعض النواحي: قد عزمت على ضرب عنقه. فقال: لا يحل لك يا أمير المؤمنين. قال: فأضربه بالسياط. قال: ظهر المسلم حمى إلا من حد. قال له: أنت أبدا تعترض علي. قال: يا أمير المؤمنين، أخاف عليك العامة. قال: وما عسى العامة تفعل؟ قال: أقول: يا أمير المؤمنين ولا تغضب. قال: قل. قال إذا رأوك قد جرت في الحكم، أخذوا بيدك فأقاموك عن مجلسك، وأجلسوا غيرك. قال: فأمسك الواثق، ولم يحر جوابا، وزال المكروه عن ذلك الرجل. ودخل ابن أبي دواد إلى الواثق، وقد أتى بابن أبي خالد الذي كان بالسند، فقال: والله، لأضربنك بالسياط. ووالله لا يكلمني فيك أحد من الناس إلى ضربت بطنه، وظهره. فسكت حتى ضربه عشرين سوطا. ثم قال: يا أمير المؤمنين، في هذا أدب، وفي دونه استصلاح، ومجاوزته سرف. وإنما أبقى عليك من القصاص. قال: أو ما سمعت يميني ألا يكلمني فيه أحد إلا ضربت ظهره وبطنه. قال: قد سمعت. لكن يكفر أمير المؤمنين، ويأتي الذي هو إلى الله عز وجل أقرب، وعنده أفضل. قال: خليا عنه. كفر يا غلام عن يميني.

قال عبيد الله بن يحيى: حدثنا إبراهيم بن أسباط، قال: حمل رجل مقيد، فأدخل على ابن أبي دواد[3] بحضور الواثق، فقال لاحمد: أخبرني عن ما دعوتم الناس إليه، أعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فما دعا إليه، أم شئ لم يعلمه ؟ قال: بل علمه. قال: فكان يسعه أن لا يدعو الناس إليه، وأنتم لا يسعكم ؟ ! فبهتوا، وضحك الواثق، وقام قابضا على فمه، ودخل مجلسا، ومد رجليه وهو يقول: أمر وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسكت عنه ولا يسعنا ! ثم أمر أن يعطى الشيخ ثلاث مئة دينار، وأن يرد إلى بلده.

وعن طاهر بن خلف قال: سمعت المهتدي بالله بن الواثق يقول: كان أبي إذا أراد أن يقتل رجلا، أحضرنا، قال: فأتي بشيخ مخضوب مقيد، فقال أبي: ائذنوا لاحمد بن أبي دواد وأصحابه، وأدخل الشيخ، فقال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين، فقال: لا سلم الله عليك، قال: بئس ما أدبك مؤدبك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء] فقال أحمد: الرجل متكلم. قال: كلمه. فقال: يا شيخ، ما تقول في القرآن ؟ قال: لم تنصفني ولي السؤال، قال: سل. قال: ما تقول أنت ؟ قال: مخلوق. قال: هذا شئ علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر والخلفاء، أم لم يعلموه؟ فقال: شئ لم يعلموه، قال: سبحان الله، شئ لم يعلموه وعلمته أنت؟! فخجل، وقال: أقلني. قال: المسألة بحالها، ما تقول في القرآن ؟ قال: مخلوق، قال: شئ علمه رسول الله ؟ قال: علمه، قال: أعلمه ولم يدع الناس إليه ؟ قال: نعم. قال: فوسعه ذلك ؟ قال: نعم. قال: أفلا وسعك ما وسعه، ووسع الخلفاء بعده؟ فقام الواثق، فدخل الخلوة، واستلقى وهو يقول: شئ لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، علمته أنت! سبحان الله، عرفوه، ولم يدعوا إليه الناس! فهلا وسعك ما وسعهم! ثم أمر برفع قيد الشيخ، وأمر له بأربع مئة دينار، وسقط من عينه ابن أبي دواد، ولم يمتحن بعدها أحدا. في إسنادها مجاهيل، فالله أعلم بصحتها (قول الذهبي).

■ (3) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

■ (1) هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنى أبا جعفر.ولد سنة 196 هـ أو 200 هـ، وبويع له بعد وفاة أبوه المعتصم سنة 227 هـ، ومات بسر من رأى سنة 232 هـ

■ (2) أبو العباس، أحمد بن أبي خالد بن يزيد بن عبد الرحمن الكاتب الأحول كاتب ووزير عباسي، تولى الوزارة في عهد الخليفة العباسي المأمون. مات سنة 212 هـ

دخل أحمد بن أبى داود على الواثق فقال: ما زال اليوم قوم في ثلبك ونقصك، فقال: يا أمير المؤمنين، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم، والله ولى جزائه، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه، وما ذل يا أمير المؤمنين من أنت ناصره، وما صاق من كنت جارا له، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت: يا أبا عبد الله: وسعى إلى بعيب عزة معشر..جعل الإله حدودهن نعالها. وقال الواثق يوما لابن أبى داود: تضجرا بكثرة حوائجه قد أخليت بيوت الأموال بطلباتك للأمذين بك والمتوسلين إليك فقال: يا أمير المؤمنين، نتائج شكرها متصلة بك، وذخائرها موصولة لك، ومالى من ذلك إلا عشق اتصال الألسن بخلود المدح، فقال: والله، لا منعناك ما يزيد في عشقك، ويقوي في همتك فينا، ولنا وأمر فأخرج له خمسة وثلاثين ألف درهم.

وكان بين القاضي أحمد بن أبي داود وبين الوزير محمد بن عبد الملك الزيات[1] منافسة وشحناء حتى منع الوزير شخصا كان يصحب القاضي ويختص بقضاء حوائجه من الترداد إليه، فبلغ ذلك القاضى، فجاء إلى الوزير فقال له: والله، ما أجيئك متكثرا بك من قلة، ولا متعززا بك من ذلة، ولكن أمير المؤمنين رتبك مرتبة، أوجبت لقاءك، فإن لقيناك فله، وإن تأخرنا عنك فلك. وكان الجاحظ [2] مختصا بمحمد بن عبد الملك الزيات منحرفا عن أحمد بن أبى داود، فلما نكب ابن الزيات حمل الجاحظ مقيدا من البصرة وفي عنقه سلسلة، وعليه قميص سمل، فلما دخل على القاضى أحمد قال له: والله، ما أعلمك إلا متناسيا للنعمة، كفورا للصنيعة، معدنا للمساويء، وما فتتنى باستصلاحى لك، ولكن الأيام لا تصلح منك، لفساد طويتك، ورداءة دخيلتك، وسوء اختيارك، وغالب طباعك. فقال الجاحظ: خفض عليك، أيدك الله، فوالله لأن يكون لك الأمر على خير من أن يكون لى عليك، ولأن أسيء وتحسن أحسن في الأحدوثة عليك من أن أحسن وتسيء، ولأن تعفو عنى في حال قدرتك أجمل بك من الانتقام مني، فقال أحمد: والله، ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام، فحل عنه الغل والقيد، وأحسن إليه، وصدره في المجلس. وقال أبو العيناء[3] لابن أبى داود: إن قوما من أهل البصرة قدموا إلى سر من رأى يدا على، فقال: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح] فقلت: إن لهم مكرا، فقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر] فقلت: إنهم كثير، قال: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة]

■ (1) ابن الزيات الوزير الاديب العلامة أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن الزيات. كان والده زياتا سوقيا، فساد هذا بالادب وفنونه، وبراعة النظم والنثر، ووزر للمعتصم وللواثق، وكان معاديا لابن أبي دواد، فأغرى ابن أبي دواد المتوكل، حتى صادر ابن الزيات وعذبه. وكان يقول بخلق القرآن، ويقول: ما رحمت أحدا قط، الرحمة خور في الطبع. فسجن في قفص حرج، جهاته بمسامير كالمسال، فكان يصيح: ارحموني، فيقولون: الرحمة خور في الطبيعة. مات في سنة ثلاث 233 هـ.

■ (2) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الادب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره. وكان مشوه الخلقة. ومات سنة 255 هـ والكتاب على صدره، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة، منها

■ (3) أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد البصري، العلامة، الإخباري، أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد البصري، الضرير النديم. ولد بالأهواز سنة 191 هـ، ونشأ بالبصرة.ومات سنة 283 هـ، وقد جاوز التسعين. قلما روى من المسندات، ولكنه كان ذا ملح ونوادر وقوة ذكاء. قال له الوزير أبو الصقر: ما أخرك عنا؟ قال: سرق حماري. قال: وكيف سرق؟ قال: لم أكن مع اللص فأخبرك. قال: فهلا جئت على غيره؟ قال: أخرني عن السرى قلة يساري، وكرهت ذلة العواري، ونزق المكاري.

مراجع: نثر الدر/ الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/ جمهرة خطب العرب/

◆ طاهر بن عبد الله بن طاهر، رابع حاكم خراسان (دولة الطاهريين جزء من الدولة العباسية، زمن الواثق بالله ثم المتوكل على الله) ومحمد بن رافع 0911

قال جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ: ما رأيت من المحدثين أهيب من محمد بن رافع(1)، كان يستند إلى الشجرة الصنوبر في داره، فيجلس العلماء بين يديه على مراتبهم، وأولاد الطاهرية* ومعهم الخدم، كأن على رؤوسهم الطير.فيأخذ الكتاب، ويقرأ بنفسه، ولا ينطق أحد، ولا يتبسم إجلالا له. وإذا تبسم واحد أو راطن* صاحبه، قال: وصلى الله على محمد، ويأخذ الكتاب، فلا يقدر أحد يراجعه أو يشير بيده. ولقد تبسم خادم من خدم الطاهرية يوما، فقطع ابن رافع مجلسه، فانتهى الخبر بذلك إلى طاهر بن عبد الله(2) فأمر بقتل الخادم، حتى احتلنا لخلاصه.

قال زكريا بن دلويه: بعث طاهر بن عبد الله إلى محمد بن رافع بخمسة آلاف درهم على يد رسوله، فدخل عليه بعد صلاة العصر وهو يأكل الخبز مع الفجل، فوضع الكيس بين يديه فقال: بعث الأمير طاهر بهذا المال إليك لتنفقه على أهلك. فقال: خذه، خذه، لا أحتاج إليه، فإن الشمس قد بلغت رؤوس الحيطان (رؤوس الجبال) إنما تغرب بعد ساعة وقد جاوزت الثمانين، إلى متى أعيش؟ فرد المال ولم يقبل. فأخذ الرسول المال وذهب فدخل عليه ابنه فقال: يا أبة ليس لنا الليلة خبز. قال: فذهب بعض أصحابه خلف الرسول ليرد المال إلى حضرة صاحبه فزعا من أن يذهب ابنه خلف الرسول فيأخذ المال.

----

*(الطاهريون) سلالة عربية من قبيلة خزاعة تولت إمرة ولاية خراسان وشرق تركستان أثناء الدولة العباسية ما بين 205- 259 هـ (رطن) الرطانة الكلام بالأعجمية

■ (1) محمد بن رافع بن أبي زيد سابور القشيري بالولاء، أبو عبد الله، النيسابوري، ولد سنة نيف وسبعين ومئة في أيام مالك الإمام، كان شيخ عصره في خراسان وممن جمع بين العلم والعمل والزهد والورع، ورحل إلى البلاد ورأى الشيوخ وسمع الكثير، سمع سفين بن عيينة وغيره وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، وقال النسائي ومسلم: ثقة مأمون، توفي سنة 245 هـ. وغسله أحمد بن نصر العابد، وصلى عليه محمد ابن يحيى.

■ (2) طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، الخزاعي، أمير خراسان، ولي الإمارة بعد أبيه من قبل الواثق سنة 230 هـ، وتوفي سنة 248 هـ.

☪

قال أبو معاوية: أكلت مع الرشيد طعاما يوما، فصب على يدي رجل لا أعرفه، فقال الرشيد: يا أبا معاوية، هل تدري من يصب على يديك؟ قلت: لا، قال: أنا، قلت: أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، إجلالا للعلم. قال يحيى بن أكثم: قال لي الرشيد: ما أنبل المراتب؟ قلت: ما أنت فيه يا أمير المؤمنين، قال: فتعرف أجل مني؟ قلت: لا، قال: لكني أعرفه،رجل في حلقة يقول:حدثنا فلان عن فلان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم..قلت: يا أمير المؤمنين، هذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولي عهد المسلمين؟ قال: نعم، ويلك، هذا خير مني لأن اسمه مقترن باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت أبدا، نحن نموت ونفنى، والعلماء باقون ما بقي الدهر.وعن عبد الله بن عمرو قال: لو أن رجلين أقبل أحدهما من المشرق والآخر من المغرب، مع أحدهما ذهب لا يضع منه شيئا إلا في حق والآخر يذكر الله حتى يلتقيا في طريق كان الذي يذكر الله أفضلهما. وقال عبادة بن الصامت: لأن أكون في قوم يذكرون الله من حين يصلون الغداة إلى حين تطلع الشمس أحب إلي من أن أكون على متون الخيل أجاهد في سبيل الله إلى أن تطلع الشمس، ولأن أكون في قوم يذكرون من حين يصلون العصر حتى تغرب الشمس أحب إلي من أن أكون على متون الخيل أجاهد في سبيل الله حتى تغرب الشمس.وعن الأغر أبي مسلم أنه شهد على أبي هريرة وأبي الخدري أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿مَا مِنْ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَّ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمْ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهَّ فِيمَنْ عِنْدَهُ﴾ وعن أبي سعيد الخدري، قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم قالوا:جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن علينا به، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك، قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، فقال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما من أحد بمنزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل عنه حديثا مني، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال:﴿مَا أَجْلَسَكُمْ؟ فَقَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَّ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلامِ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ، قَالَ: آللهَ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ، قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ، فَقَالَ: أَمَّا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنِّي أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَّ يُبَاهِي بِكُمَ الْمَلائِكَةَ﴾ قال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهَّ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ﴾

☪

كان سبب ولاية طاهر خراسان بعد أبيه ما حدث به أبو العيناء قال: كنا عند أحمد بن أبي دواد، فجاء الخبر أن الكتب وردت على الواثق من خراسان بوفاة عبد الله بن طاهر، وأن الواثق يعزى عنه، وأنه قد ولي مكانه خراسان إسحاق ابن إبراهيم، وكان عدوا له لانخراطه في سلك ابن الزيات؛ فلبس ثيابه ومضى، وقال: لا تبرحوا حتى أعود إليكم، فلبث قليلا، ثم عاد إلينا فحدثنا أنه دخل على الواثق فعزاه عن عبد الله وجلس، قال: فقال لي الواثق: قد ولينا إسحاق خراسان، فما عندك؟ قلت: وفق الله أمير المؤمنين ولا نذمه. قال: قل ما عندك في هذا. قلت: أمر قد أمضي، فما عسيت أن أقول فيه. قال: لتفعلن. فقلت: يا أمير المؤمنين، خراسان منذ ثلاثين سنة في يد طاهر وابنه، وكل من بها صنائعهم، وقد خلف عبد الله عشر بنين أكثرهم رجال، وجميع جيش خراسان لهم عبيد أو موال أو صنائع، وسيقولون: أما كان فينا مصطنع؟ وكان يجب أن يجربنا أمير المؤمنين، فإن وفينا بما كان يفي به أبونا وجدنا، وإلا استبدل منا بعد عذر فينا؛ ويقدم خراسان إسحاق وهو رجل غريب فينافسه هؤلاء، ويتعصب أهلها لهم؛ فينتقض ما أبرم، ويفسد ما أصلح. قال: صدقت يا أبا عبد الله، والرأي ما قلت، اكتبوا بعهد طاهر بن عبد الله على خراسان. فكتبت كتب طاهر، وحرقت كتب إسحاق، فخرجت الزنج تطير بها، ثم لقيني إسحاق داخلا، فقلت: يا أبا الحسن، لا عدمت عداوة رجل أزال عنك ولاية خراسان بكلمة.

☪

- قال الحويني: كان زهد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام في الدنيا، أما القلب فهو خال تماما منها، إلا ما شاء الله تبارك وتعالى من ما لا يكاد ينجو منه بشر. وحقيقة الزهد أن يزهد المرء بعد الوجدان، كما قال القائل: ليس الزاهد هو الذي لا يجد شيئا، إنما الزاهد من وجد فزهد؛ لأن الذي لا يجد شيئا فهو زاهد رغما عنه؛ لأنه لا يوجد في يده شيء حتى يزهد فيه، إنما الزهد الذي يجد ثم يترك. فصحابة النبي عليه الصلاة والسلام لم يكونوا جميعا فقراء، إنما كانوا من الزاهدين العابدين.
- قال ابن رجب: أهل الزهد في فضول الدنيا أقسام: فمنهم من يحصل له، فيمسكه ويتقرب به إلى الله، كما كان كثير من الصحابة وغيرهم، قال أبو سليمان: كان عثمان وعبد الرحمان بن عوف خازنين من خزان الله في أرضه، ينفقان في طاعته، وكانت معاملتهما لله بقلوبهما. ومنهم من يخرجه من يده ولا يمسكه، وهؤلاء نوعان: منهم من يخرجه اختيارا وطواعية، ومنهم من يخرجه ونفسه تأبى إخراجه، ولكن يجاهدها على ذلك. وقد اختلف في أيهما أفضل، فقال ابن السماك والجنيد: الأول أفضل، لتحقق نفسه بمقام السخاء والزهد، وقال ابن عطاء: الثاني أفضل؛ لأن له عملا ومجاهدة. وفي كلام الإمام أحمد ما يدل عليه أيضا.ومنهم من لم يحصل له شيء من الفضول، وهو زاهد في تحصيله، إما مع قدرته أو بدونها، والأول أفضل من هذا، ولهذا قال كثير من السلف: إن عمر بن عبد العزيز كان أزهد من أويس ونحوه، كذا قال أبو سليمان وغيره. وكان مالك بن دينار يقول: الناس يقولون: مالك زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها. وقد اختلف العلماء: أيها أفضل: من طلب الدنيا من الحلال ليصل رحمه ويقدم منها لنفسه، أم من تركها فلم يطلبها بالكلية؟ فرجحت طائفة من تركها وجانبها، منهم: الحسن وغيره، ورجحت طائفة من طلبها على ذلك الوجه، منهم: النخعي وغيره، وروي عن الحسن عنه نحوه. والزاهدون في الدنيا بقلوبهم لهم ملاحظ ومشاهد يشهدونها، فمنهم من يشهد كثرة التعب بالسعي في تحصيلها، فهو يزهد فيها قصدا لراحة نفسه. قال الحسن: الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن. ومنهم من يخاف أن ينقص حظه من الآخرة بأخذ فضول الدنيا. ومنهم من يخاف من طول الحساب عليها، قال بعضهم: من سأل الله الدنيا، فإنما يسأل طول الوقوف للحساب. ومنهم من يشهد كثرة عيوب الدنيا، وسرعة تقلبها وفنائها، ومزاحمة الأراذل في طلبها، كما قيل لبعضهم: ما الذي زهدك في الدنيا؟ قال: قلة وفائها، وكثرة جفائها، وخسة شركائها. ومنهم من كان ينظر إلى حقارة الدنيا عند الله، فيقذرها، كما قال الفضيل: لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا أحاسب بها في الآخرة، لكنت أتقذرها كما يتقذر الرجل الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه. ومنهم من كان يخاف أن تشغله عن الاستعداد للآخرة والتزود لها. قال الحسن: إن كان أحدهم ليعيش عمره مجهودا شديد الجهد والمال الحلال إلى جنبه، يقال له: ألا تأتي هذا فتصيب منه؟ فيقول: لا والله لا أفعل، إني أخاف أن آتيه، فأصيب منه، فيكون فساد قلبي وعملي. وبعث إلى عمر بن المنكدر بمال، فبكى، واشتد بكاؤه، وقال: خشيت أن تغلب الدنيا على قلبي، فلا يكون للآخرة فيه نصيب، فذلك الذي أبكاني، ثم أمر به، فتصدق به على فقراء أهل المدينة. وخواص هؤلاء يخشى أن يشتغل بها عن الله، كما قالت رابعة: ما أحب أن لي الدنيا كلها من أولها إلى آخرها حلالا، وأنا أنفقها في سبيل الله، وأنها شغلتني عن الله طرفة عين. وقال أبو سليمان: الزهد ترك ما يشغل عن الله. وقال: كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد، فهو مشؤوم. وقال: أهل الزهد في الدنيا على طبقتين: منهم من يزهد في الدنيا، فلا يفتح له فيها روح الآخرة، ومنهم من إذا زهد فيها، فتح له فيها روح الآخرة، فليس شيء أحب إليه من البقاء ليطيع الله. وقال: ليس الزاهد من ألقى هموم الدنيا واستراح منها، إنما الزاهد من زهد في الدنيا وتعب فيها للآخرة. فالزهد في الدنيا يراد به تفريغ القلب من الاشتغال بها؛ ليتفرغ لطلب الله ومعرفته والقرب منه والأنس به والشوق إلى لقائه، وهذه الأمور ليست من الدنيا كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ﴾ ولم يجعل الصلاة مما حبب إليه من الدنيا، كذا في المسند والنسائي، وأظنه وقع في غيرهما: ﴿حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ﴾ فأدخل الصلاة في الدنيا، ويشهد لذلك حديث: ﴿الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرَ اللهَّ وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا﴾ خرجه ابن ماجه والترمذي، وحسنه من حديث أبي هريرة مرفوعا. وروي نحوه من غير وجه مرسلا ومتصلا... فالدنيا وكل ما فيها ملعونة، أي: مبعدة عن الله؛ لأنها تشغل عنه، إلا العلم النافع الدال على الله، وعلى معرفته، وطلب قربه ورضاه، وذكر الله وما والاه مما يقرب من الله، فهذا هو المقصود من الدنيا، فإن الله إنما أمر عباده بأن يتقوه ويطيعوه، ولازم ذلك دوام ذكره، كما قال ابن مسعود: تقوى الله حق تقواه أن يذكر فلا ينسى. وإنما شرع الله أقام الصلاة لذكره، وكذلك الحج والطواف. وأفضل أهل العبادات أكثرهم ذكرا لله فيها، فهذا كله ليس من الدنيا المذمومة، وهو المقصود من إيجاد الدنيا وأهلها، كما قال الله تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات]

مراجع: تاريخ بغداد/ مختصر صفة الصفوة لابن الجوزي/ الوافي بالوفيات/ سير أعلام النبلاء/ مختار الصحاح/ دروس للشيخ أبو إسحاق الحويني/ جامع العلوم والحكم محقق/ مصنف ابن أبي شيبة/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ زهر الأداب وثمر الألباب/

لما جلس المتوكل[1] دخل عليه الإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني[2] فقال: يا أمير المؤمنين، ما رؤي أعجب من أمر الواثق[3] قتل أحمد بن نصر، وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن، قال: فوجد المتوكل من ذلك، وساءه ما سمعه في أخيه، إذ دخل عليه وزيره محمد بن عبد الملك الزيات[4] فقال له: يا ابن عبد الملك في قلبي من قتل أحمد بن نصر[5]، فقال: يا أمير المؤمنين أحرقني الله بالنار إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرا، قال: ودخل عليه هرثمة[6]،فقال يا هرثمة: في قلبي من قتل أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين قطعني الله إربا إربا إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرا، قال: ودخل عليه أحمد بن أبي دؤاد[7]، وكان رأس البدعة في عصره. فقال: يا أحمد في قلبي من قتل أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين ضربني الله بالفالج إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرا، قال المتوكل: فأما ابن الزيات فأنا أحرقته بالنار، وأما هرثمة فإنه هرب وتبدى واجتاز بقبيلة خزاعة، فعرفه رجل في الحي، فقال: يا معشر خزاعة هذا الذي قتل ابن عمكم أحمد بن نصر فقطعوه إربا إربا، وأما ابن أبي دؤاد فقد سجنه الله في جلده، يعني بالفالج -وهو الشلل-، ضربه الله به قبل موته بأربع سنين ، وصودر ماله ، وصار في الأذلين ، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج]

نقل الخطيب في تاريخه عن عبد العزيز بن يحيى المكي قال: دخلت على أحمد بن أبي دؤاد وهو مفلوج، فقلت: إني لم آتك عائدا، ولكن جئت لأحمد الله على أن سجنك في جلدك.

عن محمد بن القاسم بن خلاد، قال: لما دخل عبد العزيز بن يحيى المكي على المأمون، -كان يلقب بالغول- وكانت خلقته شنعة جدا، فضحك المعتصم[8]، فأقبل عبد العزيز على المأمون[9]، فقال: يا أمير المؤمنين، لم ضحك هذا ؟! لم يصطف الله يوسف لجماله، وإنما اصطفاه لدينه وبيانه، وقد قص ذلك في كتابه بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف] لم يقل: لما رأى جماله، فبياني يا أمير المؤمنين أحسن من وجه هذا، فضحك المأمون وأعجبه قوله. وقال للمعتصم: إن وجهي لا يكلمك، وإنما يكلمك لساني. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللهَّ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ﴾ وأشار بأصابعه إلى صدره.

----

*(الصمصامة) اسم للسيف القاطع. أشهر سيوف العرب.

(2) عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني المكي الفقيه. صاحب كتاب الحيدة. وكان يلقب بالغول لدمامة منظره. عن: سفيان بن عيينة، ومروان بن معاوية الفزازي، وعبد الله بن معاذ الصغاني، ومحمد بن إدريس الإمام الشافعي، وهشام بن سليمان المخزومي. وعنه: أبو العيناء محمد ابن القاسم، والحسين بن الفضل البجلي، وأبو بكر بن يعقوب بن إبراهيم التيمي. وهو قليل الحديث. قال الخطيب: قدم بغداد زمن المأمون، وجرى بينه وبين بشر المريشي مناظرة في القرآن.

(4) محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبي حمزة أبو جعفر المعروف بابن الزيات، استوزره المعتصم بالله، وكذلك الواثق بالله استوزره، وكان ابن الزيات أديبا فاضلا عالما بالنحو واللغة، ولد سنة 173 هـ أدخله المتوكل في تنور وعذبه إلى أن مات سنة 233 هـ

(6) هل هو: والي اليمن هرثمة بن البشير (من موالي المعتصم) ؟ أو يحيى بن هرثمة بن أعين ؟

(5) أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم بن عوف بن وهب بن عميرة بن هاجر بن عمير بن عبد العزى بن قمير بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمر أبو عبد الله الخزاعي. يكنى أبا عبد الله كان من كبار العلماء الأمرين بالمعروف وسمع الحديث من مالك بن انس وحماد بن زيد وهشيم وغيرهم. امتحنه الواثق بالقرآن فأبى أن يقول أنه مخلوق فقتله سنة 231 هـ بسر من راى فصلب جسده هناك وانفذ راسه إلى بغداد فنصبه فلم يزل كذلك ست سنين ثم حط وجمع بين رأسه وبدنه ودفن بالجانب الشرقي من بغداد في المقبرة المعروفة بالمالكية سنة 237 هـ.

(7) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

(1) أبو الفضل، جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، ولد سنة 205 هـ بويع له بعد موت أخيه هارون الواثق سنة 232 هـ، كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر، ثم المعتز، ثم المؤيد، ثم إنه أراد تقديم المعتز لمحبته لأمه، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد، فأبى، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه، فدخلوا عليه في مجلس لهوه وقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة 247 هـ.قال خليفة بن خياط: استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها.

(3) هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنى أبا جعفر.ولد سنة 196 هـ أو 200 هـ، وبويع له بعد وفاة أبوه المعتصم سنة 227 هـ، ومات بسر من رأى سنة 232 هـ

(8) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، يكنى أبا إسحاق، والمعتصم يقال له: الثماني، ولد بالخلد في سنة 180 هـ، وهو ثامن الملوك، والثامن من ولد العباس، استخلف أبو إسحاق محمد بن هارون سنة 218 هـ ومات بالخاقاني من سر من رأى، سنة 227 هـ

(9) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي المأمون سنة 218 هـ

☪

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ شَطْرَ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللهَّ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهَّ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَعَانَ عَلَى دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ كُتِبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾ قيل تفسيره هو أن يقول أق يريد أقتل كما قال عليه الصلاة والسلام:﴿كَفَى بِالسَّيْفِ شَا﴾ يريد أن يقول شاهدا فلم يتم الكلمة، ثم قال:﴿لاَ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَتَايَعَ* فِي ذَلِكَ السَّكْرَانُ وَالْغَيْرَانُ*﴾ وعن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلاَةُ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ﴾ وعن الحسن، قال: جاء رجل إلى الزبير يوم الجمل، فقال: أقتل لك عليا ، قال: وكيف، قال: آتيه فأخبره أني معه، ثم أفتك به، فقال الزبير: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ الإِيمَانُ قَيْدُ الْفَتْكِ، لاَ يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ﴾ (الإيمان قيد الفتك) أي يمنع من الفتك الذي هو القتل بعد الأمان عذرا كما يمنع القيد من التصرف بمنع الإيمان من الغدر (لا يفتك مؤمن) خبر بمعنى النهي لأنه متضمن للمكر والخديعة أو هو نهي.. قال الزمخشري الفرق بين الفتك والغيلة أن الفتك أن تهتبل غرته فتهلكه جهارا والغيلة أن تكتمن له في محل فتقتله خفية. وظاهر أن المراد في الحديث هما معا وعن عمرو بن الحمق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الإِيمَانُ قَيْدُ الْفَتْكِ، مَنْ أَمِنَ رَجُلاً عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْقَاتِلِ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا﴾ وعن ابن عباس: ﴿أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ رَجُلًا قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مَا جَزَاؤُهُ؟، قَالَ:جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهَّ عَلَيْهِ.الْآيَةَ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، ثُمَّ اهْتَدَى. فَقَالَ: وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، إِنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذًا بِرَأْسِهِ تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ حَتَّى يَقِفَ بِهِ عِنْدَ الْعَرْشِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟﴾ وروى عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَزَوَالُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَدْخَلَهُمُ اللهُ تَعَالَى النَّارَ﴾ وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللهَّ فِي النَّارِ﴾ وعن ابن عمر أنه عليه الصلاة والسلام قال:﴿لَوْ أَنَّ الثَّقَلَيْنِ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْقَاتِلِ وَالْآمِرِ بِهِ﴾ قال الله تعالى:﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهَّ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء] يرى ابن عباس وفريق من السلف أن قاتل المؤمن عمدا لا تقبل له توبة وهو خالد في النار أبدا، وهؤلاء يرون أن التائب من الشرك وقد كان قاتلا زانيا تقبل توبته ولا تقبل توبة المؤمن الذي ارتكب القتل وحده، إذ الأول لم يؤمن بالشريعة التي تحرم هذه الأمور فله شبه عذر إذا هو كان متبعا لهواه بالكفر وما يتبعه ولم يكن ظهر له صدق النبوة فلما ظهر له الدليل على أن ما كان عليه كفر وضلال وتاب وأناب وعمل صالحا كان جديرا بالعفو. وأما المؤمن الموقن بصحة النبوة وحرمة القتل فلا عذر له، إذ هو يعلم أن المؤمن أخ له ونصير، فكيف يعمد بعد هذا إلى الاستهانة بأمر الله وحكمه وتوهين أمر دينه بهدم أركان قوته، ومن ثم يهن المسلمون ويضعفون ويكون بأسهم بينهم شديدا.ويرى فريق آخر أن الخلود يعني المكث الطويل لا الدوام، لظاهر النصوص القاطعة على أن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم. ويرى فريق ثالث أن حكم الآية إنما هو للقاتل المستحل، وحكمه مما لا شك فيه، وعكرمة وابن جريج فسرا متعمدا بمستحلا في الآية. أي ومن يقتل مؤمنا متعمدا لقتله مستحلا له فجزاؤه جهنم خالدا فيها أبدا. عن أبى إسحاق السبيعي قال: جاء رجل إلى عثمان بن عفان فقال: يا أمير المؤمنين إني قتلت فهل لي من توبة فقرأ عليه عثمان ﴿حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهَّ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر] ثم قال اعمل ولا تيأس.

☪

من عجائب الظفر ما حكاه الصولي أن المتوكل قال: ركبت إلى دار الواثق أزوره في مرضه الذي مات فيه، فدخلت الدار وجلست في الدهليز ليؤذن لي، فسمعت بكاء بنياحة تشعر بموته، فتحسست وإذا ايتاخ[1] ومحمد بن عبد الملك الزيات يأتمران في، فقال محمد: نقتله في التنور، وقال ايتاخ: بل ندعه في الماء البارد حتى يموت ولا يرى عليه أثر القتل. فبينا هم كذلك إذ جاء أحمد بن أبي داود وكان القاضي يومئذ فمنعه الخدام الدخول، فدافعهم حتى دخل، فجعل يحدثهما بما لا أعقله لما داخلني من الخوف واشتغال القلب بإعمال الحيلة في الهرب والخلاص مما ائتمر به في. فبينا أنا كذلك، إذ خرج الغلمان يتعادون إلي ويقولون: انهض يا مولانا، فما شككت أن أدخل وأبايع ولد الواثق وينفذ في ما قد قرر. فدخلت فلقيني أحمد بن أبي دواد، فقبل يدي وأمسكها إلى أن أتي السرير وقال لي: اصعد إلى المكان الذي أهلك الله له؛ فلما صعدت وجلست سلم علي بالخلافة، وجاء محمد بن عبد الملك الزيات وايتاخ فسلما علي أيضا، ثم دخل القواد فسلموا، ثم الناس على طبقاتهم. فلما انقضت المبايعة بقيت متعجبا مما اتفق مع ما سمعته من كلام الزيات وايتاخ، فسألت عن الحال كيف جرى، فقيل لي: بينا محمد وايتاخ في تقرير ما سمعته، إذ دخل عليهما ابن أبي دواد فسلم ثم قال: أنا رسول المسلمين إليكما وهم يقرءون السلام عليكما ويقولون لكما: قد بلغنا وفاة إمامنا وعند الله نحتسبه، وأنتما المنظور إليكما في هذا الأمر، فمن اخترتما لإمامتنا فقالا: محمدا ابنه، فقال: بخ بخ، ابن أمير المؤمنين إلا أنه صغير لا يصلح للإمامة؛ فمن غيره قالا: فلان وفلان، وعدا جماعة، إلى أن قالا: وجعفر بن المعتصم، فقال: رضي المسلمون، اصفقا على يدي، فصفقا، ثم أرسل إلي، فكان ما أرى، قال المتوكل: فبقي ما قاله ابن الزيات وايتاخ في نفسي فقتلتهما بما اعتزما به على قتلي، فقتلت ابن الزيات في التنور وإيتاخ بالماء البارد. ولما قتل الأتراك المتوكل بمواطأة ابنه المنتصر وأفضى الأمر بعده وبعد المستعين إلى المعتز، لم تزل أمه قبيحة تحرضه على الإيقاع بقتلة أبيه، فكان يمنيها ذلك ويعلم أنه لا يقوى بهم مع شدة شوكتهم، فأبرزت قبيحة يوما للمعتز قميص المتوكل الذي قتل وضرج بدمه وجعلت تبكي وتحرضه على الطلب بدمه، فقال: يا أمي، أرفعي وإلا صار القميص قميصين؛ فعندها أمسكت ولم تعد.

----

*(يتتايع) يسرع وأكثر استعماله في الشر (الغيران) أي الغيور، يقال: رجل غيور وغيران والمرأة غيور وغيرى

(1) ايتاخ التركي العباسي الأمير كان سيف نقمة الخلفاء، وكان المتوكل قد خافه، فبات عنده ليلة على المسكر، فعربد على المتوكل. وكان بطلا شهما شجاعا جريئا. ثم إن إيتاخ حج، فلما بلغ الكوفة ولى مكانه وصيف، فلما رجع من حجه عزم على أن يسلك طريق الفرات إلى سامراء، ونيته الخروج، فلو فعل لظفر بالمتوكل. فكتب إليه اسحاق بن ابراهيم نائب بغداد باتفاق من المتوكل: أن قد رسم لك أن تدخل بغداد، ليلقاك العباسيون وتطلق الجوائز. فجاء فدخل بغداد وتلقوه. ثم إن اسحاق فرق بينه وبين غلمانه، وأنزله دار خزيمة، ثم قبض عليه وقيده، وغله بثمانين رطل حديد، وهلك في السجن بعد قليل في جمادى الأولى. فلما مات أحضر اسحاق القضاة والشهود، فشهدوا أنه مات حتف أنفه، وأن لا أثر به. فيقال: إنه أميت عطشا. مات سنة 234 هـ ؟ وأخذ المتوكل أمواله، فبلغت ألف ألف دينارا وسجن ولديه إلى أن أطلقهما المنتصر في خلافته..

مراجع: تاريخ بغداد/ صفة الصفوة/ صحيح البخاري/ تفسير الطبري/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ لسان الميزان/ مصنف ابن أبي شيبة/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ فيض القدير/

انقضت أيام المأمون، والمعتصم، والواثق، وأحمد بن حنبل[1]،وأهل الإسلام في محنة، وبلاء من السلاطين، وعلماء سوئهم، وفتنة خلق القرآن*. قال حنبل عم الإمام أحمد: ثم ولي المتوكل جعفر[2]،فأظهر الله السنة، وفرج عن الناس، وكان أبي عبد الله يقصد الإمام أحمد يحدثنا، ويحدث أصحابه في أيام المتوكل، ثم إن أحدهم رفع إلى المتوكل، إن أحمد ربص علويا في منزله يريد أن يخرجه ويبايع عليه، قال: ولم يكن عندنا علم، فبينما نحن ذات ليلا نيام في الصيف سمعنا الجلبة، ورأينا ألنيران في دار أبي عبد الله، ثم فتشوا منزل أبي عبد الله، والسرب، والغرف، والسطوح، وفتشوا تابوت الكتب، وفتشوا النساء، والمنازل فلم يروا شيء. فلم كان بعد أياما إذا يعقوب أحد حجاب المتوكل قد جاء، فستأذن على أبي عبد الله، فقرأ على أبي عبد الله أنه قد صح عند أمير المؤمنين براءة ساحتك، وقد وجه إليك هذا المال لكي تستعين به. فآب أن يقبله وقال: ما لي إليه حاجة. فقال: يا أبي عبد الله، اقبل من أمير المؤمنين ما أمرك فإنه خيراً لك عنده فإنك إن رددته خفت أن يظن بك سوء. فحينا إذاً قبلها، فلم خرج قال: يا أبي علي.قلت: لبيك. قال: ارفع هذه الإجانة* وضعها، يعني البدرة* ،تحتها. ففعلت، وخرجنا، فلم كان الليل إذا أم ولد أبي عبد الله تدق علينا الحائط. فقالت: مولي يدعو عمه. فأعلمت أبي وخرجنا، فدخلنا على أبي عبد الله وذلك في جوف الليل. فقال: يا عمي ما أخذني النوم. قال: ولم؟ قال: لهذا المال. وجعل يتوجع لأخذه، وأبي يسكنه، ويسهل عليه، وقال: حتى تصبح وترى فيه رأيك، فإن هذا ليل والناس في المنازل. فلم كان من السحر، وجه إلي جماعة، وأنا وصالح وعبد الله حاجزون، وجعلنا نكتب من يذكرنهم من أهل الستر والصلاح في بغداد والكوفة، ففرقها كلها ما بين الخمسين إلى المئة إلى المئتين، فما بقي في الكيس درهم.

روى الرواة أن الخليفة المتوكل طلب أحمد ليكرمه هو وأهله إلى دار إقامته في سامراء المسماة بالعسكر وحمل أحمد وأهله إلى المتوكل، قال حنبل: دخلنا العسكر فإذا نحن بموكب عظيم مقبل فلم حاد بنا قالوا: هذا وصيف. وذا بفارس أقبل فقال: لأبي عبد الله الأمير وصيف يقرئك السلام ويقول لك إن الله قد أمكنك من عدوك، يعني ابن أبي دؤاد ، وأمير المؤمنين يقبل منك، فلا تدع شيء إلا تكلمت به. فما رد عليه أبي عبد الله شيء، ومضينا فنزلنا في دار، فلم يعرف أبي عبد الله، فسأل لمن هذا الدار؟. قالوا: هذه دار أيتام (دار لإيتاخ؟) قال: حولوني واكتروا لي دار. قالوا: هذه دار انزلكها أمير المؤمنين. قال: لا أبيت ها هنا ليلة. فاكترينا له دار، وكانت تأتينا في كل يوم مائدة فيها ألوان الطعام يأمو بها المتوكل. فما ذاق منها أبي عبد الله شيء. وكانت نفقة المائدة في اليوم مئة وعشين درهم. ثم أجر المتوكل على أهله وولده في كل شهر أربعة ألاف، فبعث إليه أبي عبد الله؛ إنهم في كفاية وليست لهم حاجة، فبعث المتوكل إليه، إنما هذا لولدك فملك ولهذا !.فلما طالت علة أحمد كان المتوكل يبعث بابن ماسويه المتطبب فيصف له الأدوية فلا يتعالج فدخل ابن ماسويه على المتوكل فقال له المتوكل: ويحك ابن حنبل ما نجح فيه الدواء! فقال له: يا أمير المؤمنين إن أحمد بن حنبل ليست به علة في بدنه إنما هذا من قلة الطعام وكثرة الصيام والعبادة فسكت المتوكل. واستمر الإمام أحمد كما يروي الرواة يتألم لفتنة الفرج والظفر والغنى. ويطلب من الخليفة أن يأذن له بالرحيل، حتى أذن له وخرج وقد بلغ به الجهد حافة الهلاك من الصوم والإمساك عن ما جاء من الخليفة، وتصدق بكل ما اعطوه، حتى بالثياب وبأكيس الدراهم وكان يقول إنما يردون أن أحدث ويكون هذا البلاد، يعني عاصمة الخليفة، حبس وإنما كان سبب الذين أقاموا بهذا البلاد لما اعطوا فقبلوا، وأمروا فحدثوا، والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان، وإني لأتمن الموت في هذا وذاك. إن هذه فتنة الدنيا، وذاك كان فتنة الدين، ثم جعل يضم أصابعه ويقول لو كانت نفسي في يدي لأرسلتها، ثم يفتح أصابعه. وانكر على أخيه وأولاده ما قبلوا من جوائز أمير المؤمنين، وسد الأبواب بينه وبينهم، وتحاش منزلهم حتى خرج من عاصمة الخليفة، وكان كلما طلب إليه الحضور أو قبول الجوائز قال أنا رجل لم أخلط السلطان، وقد أعفاني أمير المؤمنين من ما أكره وهذا من ما اكره، وبقي كذلك إلى أن توفي رحمه الله في زمن المتوكل، وصلى عليه جموع، ذكرى الرواة أنهم شارفت الأف ألف إنسان.

----

*(الإجانة) الاجانة: المركن، وهو شبه لقن يغسل فيه الثياب، والجمع: أجاجين، والانجانة عامية (البدرة) كيس فيه ألف، أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار (القول بخلق القرآن) عقيدة باطلة، قالت بها الجهمية، وتبعها على ذلك المعتزلة، وهي حقيقة قول الأشعرية والماتريدية، وهي ناتجة عن تعطيل صفات الله، وإنكارهم صفة الكلام لله عز وجل. والذي دل عليه القرآن والسنة، وعليه السلف الصالح أن الله تعالى يتكلم حقيقة، بكلام بدأ منه بحرف وصوت، يسمع منه متى شاء كيف شاء، والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق. وقد استقصى علماء السلف الأدلة على ذلك في كتب السنة والإيمان والتوحيد انظر: مثلا: كتاب التوحيد من صحيح البخاري.

■ (1) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي كنيته أبو عبد الله كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة أغاث الله به أمة محمد وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه. ولد سنة164 هـ وتوفي في سنة 241 هـ.

■ (2) أبو الفضل،جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد، ولد سنة 205 هـ بويع له بعد موت أخيه هارون الواثق سنة 232 هـ، كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر، ثم المعتز، ثم المؤيد، ثم إنه أراد تقديم المعتز لمحبته لأمه، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد، فأبى، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه، فدخلوا عليه في مجلس لهوه وقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة 247 هـ.قال خليفة بن خياط: استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها.

☪

كتب رجل رقعة إلى المتوكل يقول: يا أمير المؤمنين إن أحمد يشتم آباءك ويرميهم بالزندقة. فكتب فيها المتوكل: أما المأمون فإنه خلط فسلط الناس على نفسه، وأما أبي المعتصم فإنه كان رجل حرب ولم يكن له بصر بالكلام، وأما أخي الواثق فإنه استحق ما قيل فيه. ثم أمر أن يضرب الرجل الذي رفع إليه الرقعة مائتي سوط، فأخذه عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم فضربه خمسمائة سوط. فقال له الخليفة: لم ضربته خمسمائة سوط؟ فقال: مائتين لطاعتك ومائتين لطاعة الله، ومائة لكونه قذف هذا الشيخ الرجل الصالح أحمد بن حنبل. وعن يزيد المهلبي قال: قال لي المتوكل: يا مهلبي إن الخلفاء كانت تتصعب على الرعية لتطيعها وأنا ألين لهم ليحبوني ويطيعوني.

عن أبي داود السجستاني قال: لم يكن أحمد يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا فإذا ذكر العلم تكلم. وعن عبد الله بن أحمد قال: كان أبي اصبر الناس على الوحدة لم يره أحد إلا في مسجد أو حضور جنازة أو عيادة مريض وكان يكره المشي في الأسواق. وعنه قال: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاث مائة ركعة فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته فكان يصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة وقد كان قرب من الثمانين وكان يقرأ في كل يوم سبعا يختم في سبعة أيام وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة النهار وكان ساعة يصلي عشاء الأخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو وحج أبي خمس حجات ثلاث حجج ماشيا واثنتين راكبا وانفق في بعض حجاته عشرين درهما. وعنه قال: كنت اسمع أبي كثيرا يقول في دبر الصلاة: اللهم، كما صنت وجهي عن السجود لغيرك صنه عن المسالة لغيرك. وعن أبي عيسى عبد الرحمن بن زاذان قال: صلينا وأبو عبد الله حاضر فسمعته يقول: اللهم، من كان على هوى أو على رأي وهو يظن أنه على الحق وليس هو الحق فرده إلى الحق حتى لا يضل من هذه الأمة أحد، اللهم، لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به ولا تجعلنا في رزقك خولا لغيرك ولا تمنعنا خير ما عندك بشر ما عندنا ولا ترنا حيث نهيتنا ولا تفقدنا من حيث أمرتنا اعزنا ولا تذلنا اعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعصية. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كنت كثيرا اسمع والدي يقول: رحم الله أبا الهيثم غفر الله لابي الهيثم عفا الله عن أبي الهيثم فقلت: يا ابة من أبي الهيثم؟ فقال: لما اخرجت للسياط ومدت يداي للعاقبين إذ أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا ، قال: أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار كتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت على ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين، قال: فضربت ثمانية عشر سوطا بدل ما ضرب ثمانية عشر ألفا وخرج الخادم، فقال: عفا عنه أمير المؤمنين. وعن أحمد بن سنان قال: بلغني أن أحمد جعل المعتصم في حل في يوم فتح بابك أو في فتح عمورية فقال: هو في حل من ضربي. وقال إبراهيم الحربي: أحل أحمد من حضر ضربه وكل من شايع فيه والمعتصم وقال: لولا أن ابن أبي داود داعية لاحللته. قال إسحاق: مات أبو عبد الله وما خلف إلا ستة قطع أو سبعة وكانت في خرقة كان يمسح بها وجهه قدر دانقين. ولما توفي أحمد وجه ابن طاهر الأكفان فردت عليه وقال عم أحمد للرسول: قل له أحمد لم يدع غلامي يروحه، يعني خشية أن أكون اشتريته من مال السلطان، فكيف نكفنه بمالك. وقال ابن المنادي: امتنع أحمد من التحديث قبل أن يموت بثمان سنين أو أقل أو أكثر وذلك أن المتوكل وجه يقرأ عليه السلام ويسأله أن يجعل المعتز في حجره ويعلمه العلم فقال للرسول: اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأعلمه أن علي يمينا أني لا أتم حديثا حتى أموت وقد كان أعفاني مما أكره وهذا مما أكره.

☪

قال رسته : [1]سألت ابن مهدي [2]عن الرجل يتمنى الموت مخافة الفتنة على دينه، قال: ما أرى بذلك بأسا، لكن لا يتمناه من ضر به أو فاقة. يعني: أن الإنسان لو خاف على دينه فله أن يتمنى الموت، ولكن لو أصابه فقر أو مرض لا يتمنى الموت؛ لأنه قد يكون كالمستجير من الرمضاء بالنار، فلا يدري كيف يكون حاله في القبر وفي الآخرة، فأهل الدين لا يتمنون الموت إلا إذا أصابهم ضرر في الدين، كأن يخافوا على أنفسهم من الفتنة، كما في حديث: ﴿وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ﴾، ولكن أهل الدنيا قد يتمنون الموت لضر أصابهم في الدنيا، وقد جاء في الحديث: ﴿لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا الْمَوْتِ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ، أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي﴾، وقد تمنى الموت أبو بكر وعمر ومن دونهما. وقال عمر: اللهم، أنهم قد ملوني ومللتهم، ولا أدري ما يكون من الكون، فاقبضني إليك. ذكر ميمون بن مهران أن راهبا دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: ألم أخبر أنك تديم البكاء، فمم ذاك؟! قال: إني والله يا أمير المؤمنين عهدت الناس وما شيء عندهم آثر من دينهم، وما شيء اليوم آثر عندهم من دنياهم، فعلمت أن الموت اليوم خير للبر والفاجر، قال: فلما خرج قال عمر: صدق يا أبا أيوب الراهب. حكى أبو زيد الدمشقي عن عمر بن عبد العزيز قال: لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب، فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سقي السم، ولا آمن عليه الموت. فرفع عمر بصره فقال: ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم ! قال الطبيب: هل حسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قد عرفت حين وقع في بطني، قال: فتعالج يا أمير المؤمنين، فإني أخاف أن تذهب نفسك، قال: ربي خير مذهوب إليه؛ والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناولته، اللهم خر لعمر في لقائك. قال: فلم يلبث إلا أياما حتى مات رحمه الله. قال أبو سلمة: دخلت على أبي هريرة وهو وجع شديد الوجع، فاحتضنته فقلت: اللهم، اشف أبا هريرة. فقال: اللهم، لا ترجعها قالها مرتين ثم قال: إن استطعت أن تموت فمت، والله الذي نفس أبي هريرة بيده، ليأتين على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدكم من الذهبة الحمراء، وليأتين على الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه المسلم فيتمنى أنه صاحبه.

■ (1) أبو الفرج، عبد الرحمن بن عمر بن يزيد بن كثير الزهري، المديني، الأصبهاني. الإمام، المحدث، المتقن، ولقبه:رسته عن أحمد بن حنبل، قال: ما ذهبت يوما إلى ابن مهدي إلا وجدت الأخوين الأزرقين عنده –يعني: عبد الرحمن وعبد الله. توفي رسته سنة 250 هـ. وقيل: سنة 246 هـ

■ (2) ابن مهدي، اسمه: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري، –وقيل: الأسدي – مولاهم، أبو سعيد البصري اللؤلؤي.ولد سنة 135هـ. توفي ابن مهدي بالبصرة سنة 198هـ

مراجع: تفسير ابن كثير/ أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ إحياء علوم الدين/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ تاريخ الإسلام/ فوات الوفيات/ من أعلام السلف/ المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين/ أنساب الأشراف/ أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة/ البداية والنهاية/

قال إبراهيم بن سعيد النجيبي: كتب المتوكل إلى عامله بالبصرة إن قبلك رجلا أديبا ظريفا ذا حكمة فوجه به إلي على أحسن صفة غير مروع. فحمله إليه فلما ورد الباب قال له الحاجب: سلم على الخليفة سلامك على الخلفاء، فدخل، ثم سلم عليه وقال: أنت المتوكل؟ قال: نعم، قال: فلم سميت بالمتوكل ولم تسم بالمتواضع؟ ثم قال: للهوى كأني السلام عليك يا من استوى على سرة الغنى وتقمص بقميص الخيانة متبعا مقاصير علائك فلم يوقد أتاك فظ غليظ فجذبك عن سرير بهائك وأخرجك عن اللحد وفراق الأهل والولد، فلو عليك حاجبا ولا قهرمانا حتى أخرجك إلى ضيق في صحيفة بطالتك، يا من احتوى على أموال الضعفة بظلمه، غدا تبكي سرائرك بين يدي من لا تخفى عليه السرائر فتحمل على دقيق المسئلة جوابا وعلى الصراط جوازا فستعلم وتستقرئ كل ما قد أحصى عليك بالتحقيق.

قال: فغاظه ذلك، فأمر بحبسه، فلما كان في اليوم الثاني أمر بإخراجه، فلما وقف بين يديه قال: بلغني أنك قدري تقايس في العظمة وتداخل في التكوين، فقال: يا متوكل يا من له عقل موجود وفهم غير مفقود إن مثلي لا يتكلم في القدر،قال: فنظر إليه مغضبا ورده إلى السجن. فلما كان في اليوم الثالث أخرجه، فوقف بين يديه وقال: يا سعدون أنك ثنوي تقول السماء خالية بلا مدبر. فقال له: يا متوكل أسألك عن شيء تخبرني به؟ قال: نعم، قال: من جعل سطح الهامة منبت الشعر وسقاها من حرارة الدماغ ؟ قال: الله، قال: أخبرني من مد حاجبيك فأنبت عليهما الشعر؟ قال: الله تعالى، قال: فأخبرني من فتق العينين وجعل للحدقة بياضا وجعل وسطها سوادا؟ قال: الله، قال: فمن جعل فيهما ماء عذبا ولحا؟ قال الله، قال: فأخبرني من خرق السمعين فجعل فيهما سماعا؟ قال الله، قال: فمن ألزم القدم من الساقين فجعلهما اسطوانة للركبتين؟ قال الله، قال فمن شد الحقوين بالوركين؟ قال، الله قال: فمن عرفك أن تقول الله؟ قال الله، قال: فكيف أقول السماء بلا إله؟ قال المتوكل: بلغني أنك تقول القرآن مخلوق، قال يا متوكل ارض عن الله وثق بالله وكل شيء بقضاء الله ما يبلغ الفطنة كنه* الله ولا يفوت الخلق رزق الله، الله لا يشبه خلق الله، القبض والبسط فعال الله، والجود والفخر أيادي الله، يا أيها القائل بالله بالحق والصدق عرفت الله، فلا تكن مبتدعا في الله، ارض بدين الله، عبد الله لا شيء أحلى من كلام الله، يكون مخلوقا كلام الله يقولها ؟ مبتدع والله!

قال: فأمر به إلى الحبس ثم اتخذ مقصورة وأمر بفرش الزرابي من الحرير الأخضر والخز* والديباج* ثم دعا به، فلما نظر إليه ضحك، ثم قال: يا متوكل هذا ملكك الدنيء الحقير الفاني، فقال المتوكل بلغني أنك حروري تطعن في السلطان، فقال إني لست كذلك ولكنني أصف لك مرجا أحسن من مرجك وقصرا أحسن من قصرك، قال هات، قال: في الجنة مرج من ورق الآس في وسط المرج قصر من درر وشقائق وفي وسط القصر قبة من ورق السوسن والقصر والقبة مبنيان على نبات القرنفل لها حدود أربعة الحد الأول ينتهي إلى ناحية الوجلين والحد الثاني ينتهي إلى نعيم المشتاقين والحد الثالث ينتهي إلى طريق المريدين والحد الرابع ينتهي إلى غرف مملوءة بتحف وصنائع ووصائف ورفارف وإلى خيام وخدام وإلى ميدان يطوف في ساحته الولدان، أرضها من الفضة ورمالها من اللؤلؤ وقضبانها من العنبر وشرفها من الياقوت الأحمر، العرش سقفها والرحمة حشوها والأنبياء سكانها والملائكة عمارها والولدان خدامها، الزعفران حشيشها والقرنفل نباتها والسندس ثيابها، مطردة أنهارها دائمة ظلالها دانية قطوفها مطهرة أزواجها خضر رياضها لذيذ عيشها ذكي مسكها وكافورها، فهي دار العيش والنعيم المقيم، فساكن هذه الدار في نعيم لا يزول، لا غل في صدور سكانها، قد رفعت عنهم الأسقام وزالت الآلام وصاحب هذه الدار أبدا معانق الأبكار في مرافقة الأخيار وجوار الملك الجبار. ثم قام يخطر في مشيته ويقول: قبة من جواهر الخ..اد بالدر رصعت..جوف قصر من الزبير..جد بالنور وشعت..مذ بناها الجليل في..داره ما تزعزعت..لو عليها تساقطت..أرضها ما تصدعت..حجبت كاعب من الح..ور فيها فابدعت..عجب الحسن والجما..ل إذا ما تطلعت..منع الحب بالحبيب..كما قد تمنعت.

قال المتوكل أحسنت بارك الله فيك، من زعم أنك مجنون؟ ثم أمر له بجائزة، فردها وقال حبي الله الذي جعل خزائن عطائه مفتوحة لمؤمليه وحسبي من جعل مفاتيحها حجة الطمع فيه.

----

*(الديباج) هو الثياب المتخذة من الإبريسم أي الحرير الرقيق (الخز) ثياب تنسج من صوف وحرير (كنه) كنه كل شيء قدره ونهايته وغايته

■ (1) سعدون المجنون؛ يقال إن اسمه سعيد وكنيته أبو عطاء ولقبه سعدون، من أهل البصرة؛ كان من عقلاء المجانين وحكمائهم، له أخبار ملاح وكلام سديد ونظم ونثر يستحسن، وطوف البلاد، استقدمه المتوكل وسمع كلامه، وكانت وفاته بعد 250 هـ.

عن ديعة الواسطي قال: كتب سعدون إلى بعض إخوانه: أما بعد فارحل قبل أن يرحل بك وتزود قبل المسير إلى ربك فإنك تريد قطع مفاوز لا يقطعها البطالون، قطع الله عنك الطمع وجعلك ممن وصف في كتابه لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين. وعن سعيد بن أبي عبيد الله الآجري قال: كتب سعدون إلى بعض إخوانه: أما بعد فقد بلغني أنك تركت الآخرة وأقبلت على الدنيا، وإذا كان العبد من الله على كفاية ومال إلى الدنيا سلبه الله جل جلاله حلاوة الطاعة عنه فيظل حيران فيقبل بعد ذلك عليه فيقول عبدي ارجع إلى ما كنت عليه. وعبد الله بن سهل قال: كتب سعدون إلى بعض إخوانه، أما بعد، يا أخي، فانه من تعرض لعقوبة الله هوى وشقي ومن تعرض لرضاء الله كفي ووقى فاجعل حظك من دنياك الاشتغال بطاعة مولاك والسلام. قال وكتب بهذا الشعر إلى بعض إخوانه: تحب الصالحين بزعم قلبك..وتخلو إن فقدتهم بذنبك..فمن حب الخليل تفر منه..وهذا كله من كذب حبك..ستندم حين لا ندم بمجد..وتعلم ما يحل غدا بجنبك.

قال عطاء: رأيت سعدون المجنون ذات يوم يتفلى في الشمس، فانكشفت عورته، فقلت له: استرها يا أخا الجهل، فقال: من لك مثلها فاستر. ثم مر بي يوماً وأنا آكل رماناً في السوق، فعرك أذني وقال: أرى كل إنسان يرى عيب غيره..ويعمى عن العيب الذي هو فيه..وما خير من تخفى عليه عيوبه..ويبدو له العيب الذي لأخيه..وكيف أرى عيباً وعيبي ظاهر..وما يعرف السوءات غير سفيه.

☪

قال إبراهيم بن محمد: كنا مع المتوكل في بعض متنزهاته فوقف على تل كله حصى قد غسله المطر فاستحسنه فنزل فصلى وسبح ثم قال في دعائه: اللهم، إنك خلقتني ولم أك شيئا ثم صيرتني فوق هذا الخلق، وأنت قادر أن تزيل هذا كله، فارزقني العدل والنصفة، وألق في قلبي لهم الرأفة والرحمة. ثم بكى وأخذ كفا من ذلك الحصى فجعله على رأسه وجعل يقلب خده ووجهه على الأرض ثم قام فركب.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ إحياء علوم الدين/ مسند المقلين من الأمراء والسلاطين/ فوات الوفيات/ صفة الصفوة/ مصنف ابن أبي شيبة/ صحيح ابن خزيمة/ سنن ابن ماجه/ سنن الدارمي/ الثقات لابن حبان/ ميزان الاعتدال للذهبي/ وفيات الأعيان/ عقلاء المجانيين/ المحاسن والمساوئ/.

◆ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد (عاشر ملوك الدولة العباسية) وابن السكيت 0915

قال ابن العماد الحنبلي: كان ابن السكيت [1] يوما عند المتوكل فدخل عليه ابناه المعتز [2] والمؤيد [3] فقال له يا يعقوب أيما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن [4] والحسين [5] فغض من ابنيه وذكر محاسن الحسن والحسين فأمر المتوكل الأتراك فداسوا بطنه وحمل إلى داره فمات من الغد، وروى أنه قال له: والله إن قنبرا [6] خادم علي [7] خير منك ومن ابنيك فأمر بسل لسانه من قفاه رحمه الله ورضي عنه ويقال أنه حمل ديته إلى أولاده. سنة أربع و أربعين ومائتين.

■ (1) يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، ابن السكيت: إمام في اللغة والادب. أصله من خوزستان بين البصرة وفارس تعلم ببغداد. واتصل بالمتوكل العباسي، فعهد إليه بتأديب أولاده، وجعله في عداد ندمائه، ثم قتله، لسبب مجهول، قيل: سأله عن ابنيه المعتز والمؤيد: أهما أحب إليه أم الحسن والحسين؟ فقال ابن السكيت: والله إن قنبرا خادم علي خير منك ومن ابنيك ! فأمر الاتراك فداسوا بطنه، أو سلوا لسانه، وحمل إلى داره فمات ببغداد. سنة 244 هـ وقيل غير ذلك.

■ (7) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (4) الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يكنى أبا محمد، وأمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مات الحسن بالمدينة سنة 49 هـ وله 47 سنة، وقيل مات سنة 50 هـ، وهو أشبه بالصواب، ودفن بالبقيع، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها.

■ (5) الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، سبط رسول الله، وريحانته ومحبوبه، سيد شباب أهل الجنة، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة 4 هـ، ومات قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء، شهر المحرم سنة 61 هـ بكربلاء من أرض العراق.

■ (6) قنبر مولى علي رضي الله عنه لم يثبت حديثه قاله الأزدي يقال كبر حتى كان لا يدري ما يقوله أو يروي. ويقال إن قنبر قتله الحجاج وقتل ابنه.

■ (2) محمد المعتز بالله بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم: خليفة عباسي هو أخو المنتصر بالله ولد في سامراء. وعقد له أبوه البيعة بولاية العهد سنة235 هـ، وأقطعه خراسان وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وكور فارس. ثم أضاف إليه خزن الاموال في جميع الآفاق، ودور الضرب، وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم، ولما ولي المستعين بالله سنة 248 هـ سجن المعتز، فاستمر إلى أن أخرجه الاتراك بعد ثورتهم على المستعين. وبايعوا له سنة 251 هـ فكانت أيامه أيام فتن وشغب. وجاءه قواده فطلبوا منه مالا لم يكن يملكه، فاعتذر، فلم يقبلوا عذره، ودخلوا عليه فضربوه، فخلع نفسه، فسلموه إلى من يعذبه، فمات بعد أيام شابا سنة 255 هـ قيل اسمه الزبير وقيل طلحة. وكان فصيحا، له خطبة ذكرها ابن الاثير في الكلام على وفاته. قال ابن دحية: كان فيه أدب وكفاية فلم ينفعه ذلك لقرب قرناء السوء منه، فخلع، وما زال يعذب بالضرب حتى مات بسر من رأى، وقيل: أدخل في الحمام فأغلق عليه حتى مات. مدة خلافته ثلاث سنوات وستة أشهر و 14 يوما.

■ (3) المؤيد بالله إبراهيم بن المتوكل بن المعتصم. عقد له أخوه بولاية عهد الخلافة من بعده، ودعي له في الامصار، ثم بلغ المعتز عنه أمر، فضربه، وخلعه من العهد، وحبسه يوما، ثم أخرج ميتا. فقيل: أجلس في الثلج حتى مات بردا، وبعث به إلى أمه، فبعثت تقول لقبيحة أم المعتز: عن قريب ترين المعتز ابنك هكذا. قلت: كذا وقع، وما أمهله الله. قتل المؤيد في رجب سنة اثنتين وخمسين ومئتين. وكان شابا مليحا.

جل جلاله

يعقوب بن إسحاق بن السكيت أبو يوسف النحوي اللغوي صاحب كتاب إصلاح المنطق كان من أهل الفضل والدين موثوقا بروايته وكان قد ألزمه المتوكل على الله تأديب ابنه المعتز فلما جلس عنده قال له: يا بني بأي شيء يحب الأمير أن يبتدئ من العلوم، قال بالانصراف، قال ابن السكيت فأقوم، قال المعتز: أنا أخف نهوضا منك، فقام المعتز مسرعا فعثر بسراويله فسقط فالتفت خجلا، فقال ابن السكيت: يصاب الفتى من عثرة بلسانه..وليس يصاب المرء من عثرة الرجل..فعثرته بالقول تذهب رأسه..وعثرته بالرجل تبري على مهل. فلما كان من الغد دخل على المتوكل، فقال له: قد بلغني البيتان، وأمر له بخمسين ألف درهم.

☪

قال أبو الفرج الأصبهاني: كان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظا على جماعتهم مهتما بأمورهم شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم، واتفق له أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان [1] وزيره يسيء الرأي فيهم، فحسن له القبيح في معاملتهم، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله، وكان من ذلك أن كرب قبر الحسين وعفى آثاره؛ ووضع على سائر الطرق مسالح له لا يجدون أحدا زاره إلا أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة [..] واستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي [2] فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس، ومنع الناس من البر بهم، وكان لا يبلغه أن أحدا أبر أحدا منهم بشيء وإن قل إلا أنهكه عقوبة، وأثقله غرما، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرقعنه ويجلسن على معازلهن عواري حواسر، إلى أن قتل المتوكل، فعطف المنتصر عليهم أحسن إليهم، ووجه بمال فرقه فيهم، وكان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله ومضادة مذهبه طعنا عليه ونصرة لفعله [مقاتل الطالبيين]

قال ابن خلكان: كان المتوكل يبغض عليا، فذكر يوما علي عنده فغض منه، فتمعر وجه ابنه المنتصر لذلك، فشتمه أبوه المتوكل وأنشد مواجها له: من المجتث: غضب الفتى لابن عمه..رأس الفتى في حر أمه، فحقد عليه وأغرى على قتله مع ما كان مما تقدم من عدوله بالعهد عنه إلى أخيه المعتز. قلت: هذا يؤيد القول الثاني أن المتوكل ناصبي، خلاف ما قاله المسعودي.

يقول علي الصلابي وكذاك علي بن نايف الشحود: النواصب إحدى طوائف أهل البدع التي أصيبت في معتقدها بعدم التوفيق للإعتقاد الصحيح في الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فقد زين لهم الشيطان عدم محبة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه –رابع الخلفاء الراشدين وأحد الأئمة المهديين– وحملهم على التدين ببغضه وعداوته والقول فيه بما هو بريء منه، كما تعدى بغضهم إلى غيره من أهل البيت كابنه الحسن بن علي رضي الله عنهما وغيره فالنصب هو بغض علي رضي الله عنه والنيل منه والإنحراف عنه، وسمي من كانت هذه صفته ناصبيا، –لنصبهم العداء لآل البيت الأطهار– فالنصب كالرفض لأن الرفض هو بغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والنيل منهم بالشتم والسب وكلاهما ضلال وابتعاد عن منهج الله، في وجوب حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة سابقتهم في الإسلام وجهادهم بأنفسهم وأموالهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.[..]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الخوارج الذين يكفرون عليا والنواصب الذين يفسقونه يقولون: إنه كان ظالما طالبا للدنيا، وإنه طلب الخلافة لنفسه وقاتل عليها بالسيف، وقتل على ذلك ألوفا من المسلمين حتى عجز عن انفراده بالأمر، وتفرق عليه أصحابه وظهروا عليه فقاتلوه.. وبعد أن كان مذهب النصب له وجود في دمشق فإنه تلاشى واضمحل حتى عدم نهائيا، قال الذهبي: كان النصب مذهبا لأهل دمشق في وقت، كما كان الرفض مذهبا لهم في وقت، وهو في دولة بني عبيد ثم عدم –ولله الحمد– النصب، وبقي الرفض خفيفا خاملا.

☪

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني نصر بن علي [3]: أخبرني علي بن جعفر بن محمد: حدثني أخي موسى، عن أبيه، عن جعفر، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين وقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة. قال عبد الله: لما حدث نصر بهذا الحديث أمر المتوكل بضربه ألف سوط، فكلمه جعفر بن عبد الواحد [4]، وجعل يقول له: هذا الرجل من أهل السنة. ولم يزل به حتى تركه. وكان له أرزاق، فوفرها عليه موسى. قال الخطيب: ظنه المتوكل رافضيا، فلما علم أنه من أهل السنة تركه. وقال ابن أبي داود: كان المستعين بالله [5] بعث إلى نصر بن علي يشخصه للقضاء، فدعاه عبد الملك أمير البصرة، فأمره بذلك، فقال: ارجع فأستخير الله عز وجل. فرجع إلى بيته نصف النهار، فصلى ركعتين وقال: اللهم، إن كان لي عندك خير فآقبضني إليك. فنام، فأنبهوه فإذا هو ميت.

----

*(النواصب) ويقال الناصبية وأهل النصب المتدينون ببغضة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لانهم نصبوا له [البداية والنهاية]

■ (1) ابن خاقان، أبو الحسن، عبيد الله بن يحيى بن خاقان التركي، ثم البغدادي. وزر للمتوكل، وللمعتمد. وجرت له أمور. وقد نفاه المستعين إلى برقة، ثم قدم بغداد بعد خمس سنين، ثم وزر سنة 256 هـ.وقيل: لم يكن له حظ من الصناعة، فأيد بأعوان وكفاة. وكان واسع الحيلة. ونفاه المعتز، فلما ولي المعتمد طلبه، وخلع عليه، فأدبته النكبة، وتهذب كثيرا. وله أخبار في الحلم والسخاء. مات وعليه ست مئة ألف دينار، مع كثرة ضياعه. قيل: صدمه خادمه رشيق في لعب الصوالجة، فسقط، ثم مات ليومه، سنة 263 هـ. وقد وزر ابنه أبو علي محمد بن عبيد الله، ووزر حفيده أبو القاسم عبد الله بن محمد للمقتدر سنة 312 هـ. وتوفي سنة أربع عشرة.

■ (4) جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي قاضي القضاة ببغداد، عزله المستعين عن القضاء ونفاه إلى البصرة. وتوفي سنة 258 هـ، وقيل سنة 268 هـ.

■ (5) أحمد بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد، أبو العباس، أمير المؤمنين، ولد بسامراء، وكانت إقامته فيها. وبويع بها بعد وفاة المنتصر ابن المتوكل سنة 248 هـ قال اليعقوبي: ولم يكن يؤهل للخلافة، ولكن لما توفي المنتصر استوحش الاتراك من ولد المتوكل، فبايعوه، وأنكر بعض القواد البيعة، ففرق أموالا كثيرة فاستقامت أموره. وكان المتحكم في الدولة على عهده أوتامش التركي ورجاله، فثارت عصبة من الاتراك والموالي على أوتامش – بموافقة المستعين – فقتلوه وقتلوا سنة 252 هـ

■ (3) نصر بن علي بن نصر بن علي بن صهبان بن أبي أبو عمرو الجهضمي البصري الحافظ الإمام الولي العالم الصالح روى القراءة عرضا عن أبيه علي وسماعا من غير عرض عن شبل بن عباد وعن إسماعيل ابن خالد عن ابن كثير كذا ذكر الهذلي ولعله مسلم بن خالد وعرض على عبيد بن عقيل والحسين بن علي الجعفي، طلبه المستعين للقضاء فقال أستخير الله فصلى ركعتين وقام فقبض وذلك في ربيع الآخر سنة 250 هـ.

■ (2) عمر بن الفرج الرخجي، كان واليا على المدينة ومكة. حبسه المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.

مراجع: شذارت الذهب/ الأعلام للزركلي/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ تاريخ بغداد/ مقاتل الطالبيين/ الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار/ تهذيب الكمال/ الوافي بالوفيات/

مما حكاه أبو القاسم علي بن محمد الذهبي عن أبي عبد الله النحوي، قال: لما حج محمد بن عبد الله بن طاهر[1] رأى في الطواف جارية في نهاية الحسن فسأل عنها، فقيل: إنها لرجل من الأدباء قد رواها الأشعار والأخبار والنحو والعروض، وقد أحسنت ضرب العود وطريق الغناء، فاشتراها بمائة ألف درهم، فلما قدم بها مدينة دار السلام شغف بها شغفا شديدا وأخفى أمرها، وما يجده منها تخوفا من أمير المؤمنين المتوكل. وكان من شدة وجده بها يحتبس عندها أياما لا يظهر للناس، فيظنون أنه زمن *وأمره معها مستور، ففطن به سويد بن أبي العالية[2] صاحب البريد، وكان بينه وبين محمد منافرة، فلم يجد ما يكيده به إلا أن كتب إلى المتوكل وهو نازل على أربعة فراسخ من بغداد، كتابا نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد يا أمير المؤمنين، فإن محمد بن عبد الله اشترى جارية بمائة ألف درهم، فهو يصطبح معها ويغتبق زمانه كله معها، وقد اشتغل بها عن النظر في أمور المسلمين وعن التوقيع في قصص المظلومين، ولا يأمن أمير المؤمنين أن تخرب عليه بغداد مع كثرة ما فيها من الغوغاء فيتعب أمير المؤمنين في إصلاحها، وقد أنهى ذلك المملوك إلى أمير المؤمنين، أيده الله، وهو أعلى رأيا والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

قال: فلما قرأ المتوكل الكتاب رفع رأسه إلى نرجس الخادم وقال له: امض الساعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر وادخل عليه داره بغتة من غير إذن وانظر إلى ما يصنع؟ ثم خذ منه جاريته فلانة وائت بها من غير تأخير. فمضى نرجس من ساعته، وكان محمد قد اصطبح معها في ذلك اليوم، فدخل عليهما نرجس من غير استئذان، فلم يشعر محمد إلا وهو واقف عليه، فتغير وجهه وانتقع لونه، وفاضت عيناه وارتعدت فرائصه لعلمه أن نرجسا ما دخل عليه من غير إذن إلا وقد أضمر له السوء، فقال له: يا نرجس ما الذي أقدمك؟! قال: أمير المؤمنين أمرني أن آخذ جاريتك هذه. قال: يا نرجس هذا يوم قد حضر شره وغاب خيره، وقد ترى ما نحن فيه، وأنا لا أخالف ما أمر به أمير المؤمنين. ثم أمر للخادم بكرسي فجلس عليه بعد أن امتنع ساعة وقال: إن مثلي لا يجلس مع مثلك، ثم إن محمدا نظر إلى الجارية وبكى بكاء شديدا، وقال لها: غني لأتزود منك. فأخذت العود وغنت بصوت حزين تقول: لله من لمعذبين رماهما..بشماتة العذال والحساد..أما الرحيل فحين جد تحملت..مهج النفوس به من الأجساد..من لم يبت والبين يصدع شمله..لم يدر كيف تفتت الأكباد. ثم إنهما أعلنا بالبكاء والنحيب والشهيق، فرحمهما الخادم ورق لهما حين عاين ما حل بهما. فقال: أيها الأمير، إن رأيت أن أمضي وأدعكما على ما أنتما عليه وأتعلل عنكما لأمير المؤمنين فعلت. فقال: يا نرجس، من خلفه مثل أبي سويد كيف يمكنه التعلل، ولكن ارفق بنا. فقالت الجارية: والله يا سيدي لا ملكني غيرك أبدا، ولئن دفعتني إليه لأقتلن نفسي. فقال لها محمد: لو كان غير أمير المؤمنين لكان في ذلك أوسع حيلة، ولقد وددت أن يأخذ مني أمير المؤمنين جميع ما أملك ويعزلني عن عملي ويبقيك علي، ولكن هذا قضاء الله وقدره. ثم التفت إلى نرجس وقال: لقد شاهدت مني ومن هذه الجارية ما شهد قلبك علينا بالمحبة والمودة والألفة، وليس يخفى عن علمك أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء. ومثلك من يصنع المعروف مع مثلي فخذها وامض بها إلى أمير المؤمنين، وقل ما شئت مما يليق بمروءتك. ثم التفت إليها وقبلها وبكى وبكت وبكى نرجس. ثم أخذها وخرج وهي تبكي وتخمش خدها ووجهها. قالت: ثم حملني نرجس على بغلة أمير المؤمنين وسار حتى دخل على المتوكل. فلما رآه قال: ما وراءك يا نرجس؟ قال: ورائي يا أمير المؤمنين كل بلية. ثم إنه جلس بين يديه وقص عليه حالهما ولم يخف شيئا. فقال المتوكل: وكل هذا الوجد يجده محمد من هذه الجارية؟ فقال: يا أمير المؤمنين والذي خفي أكثر مما ظهر وما أظنه يعيش بعدها. فرق عليه قلب المتوكل وقال: يا نرجس ارجع بها إليه الساعة من وقتك، هذا وأدركه قبل أن تزهق روحه، وقد أمرت له بمائة ألف درهم، ولها مع ذلك مثله، وجعلت أمر بي سويد إليه يصنع به ما يشاء.

ثم كتب له توقيعا بذلك ودفعه إلى نرجس، فرجع الخادم بالجارية والتوقيع ولم يتمهل حتى دخل عليه فوجده يتقلب على حصر سامان من شدة الكرب والوجد، وقد أحدقت به الجواري يروحنه بالمراوح. فقال: أبشر يا محمد، إن أمير المؤمنين قد رد جاريتك عليك من غير أن يوقع نظره عليها، وقد حكمك في أبي سويد. ثم ناوله التوقيع بذلك ودخلت الجارية عليه، فوثب إليها وعانقها وقبلها ساعة. ثم خرج فجلس على باب داره وبعث إلى أبي سويد، فلما حضر دفع إليه التوقيع، فلما قرأه قال: أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك، وأن تهدم مني ركنا أنت شيدته، وأن تضيع صنيعة اصطنعتها إلى مثلي، فمثلي من هفا ومثلك من عفا. ثم قام وقبل البساط فقال له محمد: لا أبدل نعمة الله كفرا ثم أمر له بخمسين ألف درهم فقالت الجارية: وأنا أيضا أهب له خمسين ألف درهم مما وهبه لي أمير المؤمنين، شكرا لله تعالى على ذلك. ثم أقره على ما كان عليه، وأمر أن يحمل المال بين يديه إلى منزله، ورجع محمد والجارية إلى ما كانا عليه في أطيب عيش وأحسن حال متظاهرا بذلك غير مستتر ولا خائف، انتهى.

----

*(زمن) رجل زمن أي مبتلى بين الزمانة والزمانة العاهة

■ (1) ابن طاهر، محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي، أبو العباس: أمير، حازم، من الشجعان، من بيت مجد ورياسة. ولي نيابة بغداد في أيام المتوكل العباسي، وتوفي بها سنة 253 هـ. له في فتنة المعتز بالله أخبار كثيرة، أورد ابن الاثير بعضها. وكان فاضلا أديبا جوادا، قال الخطيب البغدادي: كان مألفا لاهل العلم والادب. وقال الشابشتي: لما مات محمد بن عبد الله بن طاهر اشتد وجد المعتز عليه وكان يرى أن الاتراك يهابونه من أجله، ورثاه.

■ (2) سوادة بن أبي العالية القطعي يعد في البصريين. يروي عن الحسن البصري حدث عنه داود بن معاذ ابن اخت مخلد بن الحسين ويزيد بن عبد الله القطعي روى عنه يحيى بن المتوكل

☪

عن وكيع بن الجراح بسنده عن عمر بن الخطاب قال: ﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ﴾

قال عبدة بن عبد الرحيم: دخلنا بلاد الروم، وكان معنا شاب يقطع نهاره بقراءة القرآن، والصوم،وليله بالقيام، وكان من أعلم الناس بالفرائض والفقه. فمررنا بحصن بم نؤمر أن نقف عليه، فمال إلى ناحية الحصن، ونزل عن فرسه يبول، فنظر إلى من ينظر فوق الحصن، فرأى امرأة، فأعجبته، فقال لها بالرومية: كيف السبيل إليك؟ فقالت: هين؛ تتنصر، فنفتح لك الباب، وأنا لك، ففعل، ودخل الحصن.فنزل بكل واحد منا من الغم ما لو كان ولده من صلبه ما كان أشد عليه. فقضينا غزاتنا، فرجعنا، فلم نلبث إلا يسيرا حتى خرجنا إلى غزوة أخرى، فمررنا بذلك الحصن، فإذا هو ينظر إلينا مع النصارى، فقلنا: يا فلان، ما فعل قرآنك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صومك وصلاتك؟! فقال: أنسيت القرآن كله، حتى لا أحفظ منه إلا قوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (2) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[الحجر]

قال بعضهم: كنت عند جسر بغداد فإذا بفتاة حسناء قد مرت، فجاء فتى من الجانب الآخر، فلما رآها قال: يرحم الله علي بن الجهم[1] فقالت: ويرحم الله أبا العلاء المعري، ثم انطلق كل لحاجته، ولم يقف قال: فتبعت المرأة وقلت لها: لئن لم تخبريني بما جرى بينكما لأفضحنك، فقالت: لا شيء إلا أنه أشار إلى قول علي بن الجهم: عيون المها بين الرصافة والجسر..جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري. فأشرت أنا إلى قول المعري[2]: فيا دارها بالحزن إن مزارها..قريب ولكن دون ذلك أهوال.

☪

من لطائف المنقول من المستجاد أنه كان بين غسان بن عباد[3] وبين علي بن عيسى القمر[4] عداوة عظيمة وكان علي بن عيسى ضامنا أعمال الخراج والضياع ببلده فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار فألح المأمون عليه بطلبها إلى أن قال لعلي بن صالح الحاجب أمهله ثلاثة ايام فإن أحضر المال وإلا فأضربه بالسياط حتى يؤدي المال أو يتلف فإنصرف علي بن عيسى من دار المأمون آيسا من نفسه وهو لا يدري وجها يتجه إليه فقال له كاتبه لو عرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك لرجوت أن يعينك على أمرك فقال له على ما بيني وبينه من العداوة فقال نعم فإن الرجل أريحي كريم فدخل على غسان فقال إليه وتلقاه بالجميل وأوفاه حقه بالخدمة ثم قال له الحال الذي بيني وبينك على حاله ولكن دخولك إلى داري له حرمة توجب بلوغ ما رجوته مني فأذكر إن كان لك حاجة فقص عليه القصة فقال أرجو أن يكفيكه الله تعالى ولم يزده على ذلك شيئا فنهض علي بن عيسى وخرج آيسا نادما على قصد غسان وقال لكاتبه ما أفدتني بالدخول على غسان غير تعجيل الشماتة والهوان فلم يصل علي بن عيسى إلى داره حتى حضر إليه كاتب غسان ومعه البغال عليها المال فتقدم وسلمه وبكر إلى دار أمير المؤمنين فوجد غسان قد سبقه إليها ودخل على المأمون وقال يا أمير المؤمنين أن لعلي بن عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف أصل وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس وقد توعدته بضرب السياط بما أطار عقله وأذهب لبه فإن رأى أمير المؤمنين أن يجيزني على حسن كرمه ببعض ما عليه فهي صنيعة يجددها على تحرس ما تقدمها من إحسانه ولم يزل يتلطف إلى أن حط عنه النصف واقتصر على عشرين ألف دينار فقال غسان على أن يجدد عليه أمير المؤمنين الضمان ويشرفه بخلعة تقوي نفسه وترهف عزمه ويعرف بها مكان الرضا عنه فأجابه المأمون إلى ذلك قال فيأذن أمير المؤمنين أم أحمل الداوة إلى حضرته ليوقع ما رآه من هذا الإنعام قال افعل فحمل الدواة إلى أمير المؤمنين فوقع ذلك وخرج علي بن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده فلما حضر في داره حمل من المال عشرين ألف دينار وأرسلها إلى غسان وشكره على جميل فعله معه فقال غسان لكاتبه والله ما شفعت عند أمير المؤمنين إلا لتوفر عليه وينتفع بها فأمض بها إليه فلما ردها كاتبه إلى علي بن عيسى علم قدر ما فعل غسان فلم يزل يخدمه إلى آخر العمر .

■ (1) علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن، من بني سامة من لؤي بن غالب: شاعر رقيق الشعر أديب من أهل بغداد كان معاصرا لابي تمام، وخص بالمتوكل العباسي ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان فأقام مدة وانتقل إلى حلب ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو فاعترضه فرسان من بني كلب فقاتلهم وجرح ومات من جراحه سنة 249 هـ

■ (2) أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخي المعري: شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. كان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيرا فعمي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة. ورحل إلى بغداد سنة 398 هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر. وهو من بيت علم كبير في بلده. ولما مات وقف على قبره 84 شاعرا يرثونه. وكان يلعب بالشطرنج والنرد. وإذا أراد التأليف أملى على كاتبه علي بن عبد الله بن أبي هاشم. وكان يحرم إيلام الحيوان، ولم يأكل اللحم خمسا وأربعين سنة. وكان يلبس خشن الثياب. أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته، فثلاثة أقسام وقد ترجم كثير من شعره إلى غير العربية وأما كتبه فكثيرة وفهرسها في معجم الادباء. وكانت علته ثلاثة أيام، ومات سنة 449 هـ، وعاش ستا وثمانين سنة.

■ (4) علي بن عيسى بن مريم بن موسى بن طلحة الأشعري المعروف بالقمي: منسوب إلى قمة وهي بلدة أو قرية من خراسان

■ (3) غسان بن عباد بن أبي الفرج: من رجال المأمون العباسي. وهو ابن عم الفضل بن سهل. ولي خراسان من قبل الحسن بن سهل. ثم ولاه المأمون السند سنة 213 هـ. وكان العامل عليها بشر بن داود المهلبي، قد عصى المأمون ولم يحمل إليه خراجها، فلما دخلها غسان استأمن إليه بشر. وأقام نحو ثلاث سنوات أصلح فيها شؤون الامارة. ثم استعمل عليها عمران بن موسى البرمكي، وعاد إلى بغداد سنة 216 هـ، فقال فيه أحد الشعراء، من أبيات: سيف غسان رونق الحرب فيه وسهام الحتوف في ظبتيه. مات بعد 216 هـ

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس/ الأعلام للزركلي/ إكمال الكمال/ـمختصر تاريخ دمشق/ إيقاظ أولي الهمم العالية/ المحاضرات في اللغة و الأدب/ ثمرات الأوراق/ طيب المذاق من ثمرات الأوراق/

قال الصفدي: كان علي بن محمد[1] أبو الحسن الهادي بن الجواد، أحد الأئمة الاثني عشر، عند الإمامية. وقد سعي به إلى المتوكل، وقيل إن في منزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته، وأوهموه أنه يطلب الأمر لنفسه؛ فوجه إليه عدة من الأتراك فهجموا منزله على غفلة، فوجدوه في بيت مغلق، وعليه مدرعة من شعر، وعلى رأسه ملحفة من صوف، وهو مستقبل القبلة، يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى، فأخذ على الصورة التي وجد عليها في جوف الليل، فمثل بين يديه، والمتوكل في مجلس شرابه، وبيده كأس؛ فلما رآه أعظمه، وأجلسه إلى جانبه، فناوله الكأس، فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني منه. فأعفاه، وقال: أنشدني شعرا أستحسنه؛ فقال: إني لقليل الرواية منه. فقال: لا بد. فأنشده: باتوا على قلل الأجبال تحرسهم..غلب الرجال فما أغنتهم القلل..واستنزلوا بعد عز من معاقلهم..فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا..ناداهم صارخ من بعد ما قبروا:..أين الأسرة والتيجان والحلل؟..أين الوجوه التي كانت منعمة..من دونها تضرب الأستار والكلل؟..فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم:. لك الوجوه عليها الدود يقتتل..قد طال دهرا ما أكلوا وما شربوا..فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا. فأشفق من حضر على علي، وخافوا أن بادرة تبدر إليه؛ فبكى المتوكل بكاء طويلا، حتى بلت دموعه لحيته، وبكى من حضره. ثم أمر برفع الشراب، وقال: يا أبا الحسن أعليك دين؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار. فأمر بدفعها إليه، ورده إلى منزله مكرما.

قال المبرد: قال المتوكل لأبي الحسن علي بن محمد: ما يقول ولد أبيك في العباس؟ قال: ما تقول يا أمير المؤمنين في رجل فرض الله طاعة نبيه على خلقه، وافترض طاعته على نبيه؟!.وكان المتوكل قد اعتل في أول خلافته فقال: لئن برئت لاتصدقن بدنانير كثيرة فلما بريء جمع الفقهاء فسالهم عن ذلك فاختلفوا فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر فسأله فقال يتصدق بثلاث وثمانين دينارا فعجب قوم من ذلك وتعصب قوم عليه وقالوا تسأله يا أمير المؤمنين من أين له هذا فرد الرسول إليه فقال له قل لأمير المؤمنين في هذا الوفاء بالنذر لأن الله تعالى قال:﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة] فروى اهلنا جميعا ان المواطن في الوقائع والسرايا والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطنا وأن يوم حنين كان الرابع والثمانين وكلما زاد أمير المؤمنين في فعل الخير كان أنفع له واجر عليه في الدنيا والآخرة.

حدث محمد بن يحيى المعاذي قال قال يحيى بن أكثم[2] في مجلس لواثق[3] والفقهاء بحضرته من حلق رأس آدم حين حج؟ فتعايى القوم عن الجواب، فقال الواثق: أنا احضركم من ينبئكم بالخبر فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فأحضر، فقال: يا أبا الحسن، من حلق رأس آدم؟ فقال: سالتك بالله يا أمير المؤمنين الا اعفيتني، قال: اقسمت عليك لتقولن، قال: أما إذا أبيت فان أبي حدثني عن جدي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَمَرَ جِبْرِيلُ أَنْ يَنْزِلَ بِيَاقُوتَة مِنْ الْجَنَّةِ، فَهَبَطَ بِهَا فَمَسَحَ بِهَا رَأْسَ آدَمَ، فَتَنَاثَرَ الشَّعْرُ مِنْهُ، فَحَيْثُ بَلَغَ نُورِهَا صَارَ حَرَمًا﴾ موضوع - أخرجه الخطيب

■ (1) علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب. وهو أبو الحسن الهادي بن الجواد بن الرضا بن الكاظم بن الصادق بن الباقر بن زين العابدين، أحد الأئمة الاثني عشر، العاشر عند الإمامية.، وأحد الاتقياء الصلحاء ولد بالمدينة سنة 214 هـ.، وقيل 213 هـ. وتوفي بسر من رأى سنة 254 هـ. ووشي به إلى جعفر المتوكل العباسي فاشخصه من المدينة إلى بغداد ثم إلى سر من رأى، وكانت تسمى مدينة العسكر لان المعتصم لما بناها انتقل إليها أبو الحسن، واقام بها عشرين سنة وتسعة اشهر إلى أن توفي ودفن بها في بيته في أيام المعتز بالله وهو أحد من يعتقد الشيعة والامامية فيه ويعرف بأبي الحسن العسكري.

■ (3) هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يكنى أبا جعفر.ولد سنة 196 هـ أو 200 هـ، وبويع له بعد وفاة أبوه المعتصم سنة 227 هـ ومات بسر من رأى سنة 232 هـ.

■ (2) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

قال ممدوح الحربي: الشيعة الإمامية:هي فرقة لها عدة أسماء، فإذا قيل عنهم: الرافضة فهم الذين يرفضون إمامة الشيخين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ويسبون ويشتمون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا قيل عنهم: الشيعة فهم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإذا قيل لهم: الاثنا عشرية فلاعتقادهم بإمامة اثنتي عشر إماما، آخرهم الذي دخل السرداب، وهو محمد بن الحسن العسكري، وإذا قيل لهم: الإمامية فلأنهم جعلوا الإمامة ركنا خامسا من أركان الإسلام، وإذا قيل لهم: جعفرية فلنسبتهم إلى الإمام جعفر الصادق، وهو الإمام السادس عندهم، الذي كان من فقهاء عصره، وينسب إليه كذبا وزورا فقه هذه الفرقة.

قال مصطفى الشكعة: الشيعة الإمامية: هم جمهور الشيعة الذين يعيشون بيننا هذه الأيام والشيعة الإمامية يشملون ثلثي سكان إيران تقريبا، ونصف سكان العراق، ومئات الآلاف من سكان لبنان، وبضعة ملايين في الهند، والجمهوريات الإسلامية التي تحتلها دولة روسيا. والعقيدة العامة للإمامية هي نفس عقيدة الشيعة..، وهي إيمانهم المطلق بإمامة على بن أبي طالب إيمانا ظاهرا كاملا ووصفه بالوصي، وانتقال الوصية إلى أبنائه من بعده.

والإمامية ليست فرقة واحدة كما قد يتبادر إلى الذهن، بل هي فرق كثيرة متعددة. كالباقرية والجعفرية الواقفة، والناووسية التي قالت بأن جعفرا الصادق حي لم يمت، ولن يموت حتى يظهر،والأفطحية الذين قالوا بإمامة عبدالله الأفطح بن جعفر الصادق، والإسماعيلية الواقفة الذين قالوا بإمامة إسماعيل، إلا أنهم اختلفوا على أنفسهم، فمنهم من قال إنه مات في حياة أبيه، ومنهم من قال إنه لم يمت، وإن أباه أظهر موته خشية أو تقية من الخلفاء العباسيين، والموسوية المفضلية الذين يقولون بإمامة موسى بن جعفر الصادق، وقد نسب إلى جعفر أنه قال في الوصاية لمن يخلفه من أبنائه: سابعكم قائمكم ألا وهو سمي صاحب التوراة، وقد سموا كذلك نسبة إلى موسى وإلى المفضل بن عمر أحد أعلام الفرقة، ومن الموسوية هؤلاء من يقول إن موسى لم يمت وسيخرج بعد الغيبة،ومنهم من سلم بموته، والإثني عشرية وهم الذين قطعوا بموت موسى الكاظم، وظلوا يؤمنون بإمامة سلالة موسى حتى الإمام محمد القائم المنتظر، وهو الثاني عشر من حيث الترتيب العددي.

على أن أشهر كل تلك الفرق الإمامية التي ذكرنا هي فرقة الإثني عشرية المعاصرة لنا والتي تعيش - كما ذكرنا - في أكثر البلدان الإسلامية، خصوصا إيران والعراق، وهذه الفرقة نفسها يطلق عليها أيضا الجعفرية من باب تسمية العام باسم الخاص، كما يطلق عليها الإمامية من باب تسمية الخاص باسم العام كما يطلق عليها الاسم العام وهو الشيعة، فحينما نقول الشيعة الآن يتجه القصد إليهم، ولقد سموا بالإثني عشرية لأنهم يؤمنون باثنى عشر إماما متتابعين هم: على بن أبي طالب، ثم ابنيه الحسن فالحسين، ثم على زين العابدين بن الحسين، ثم محمد بن على، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم على بن موسى، ثم محمد بن على، ثم على بن محمد ثم الحسن بن على، ثم محمد بن الحسن، ولكل إمام من هؤلاء الأئمة الاثنى عشر لقب عرف به، وهذه الألقاب هي على الترتيب: على المرتضى، والحسن المجتبى، والحسين الشهيد، وعلى زين العابدين السجاد، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلى الرضا، ومحمد الجواد التقي، وعلى الهادي النقي، والحسن العسكري الزكى، ومحمد المهدي القائم بالحجة. فهذه الفرقة إذن تسمى الجعفرية حينا، والإثني عشرية حينا آخر، والإمامية حينا ثالثا، ولعلها من أبعد الفرق الإمامية عموما عن الاتصاف بالغلو، إلا في حالات بعينها كما سوف نوضح فيما يستقبل من حديث. [من كتاب إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة الطبعة الخامسة عشر 189-216 باختصار يسير]

مراجع: تاريخ بغداد/ الوافي بالوافيات/ مجلة الرصد/ موسوعة الخطب والدروس/

◆ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد (عاشر ملوك الدولة العباسية) وبشر الخفاف ؟ 0918

قال ابن خلكان: وكان بالدينور* شيخ يتشيع ويميل إلى مذهب الإمامة، وكان له أصحاب يجتمعون إليه ويأخذون عنه ويدرسون عنده، يقال له بشر الجعاب[1]، فرفع صاحب الخبر بالدينور إلى المتوكل أن بالدينور رجلا رافضيا* يحضره جماعة من الرافضة ويتدارسون الرفض ويسبون الصحابة ويشتمون السلف، فلما وقف المتوكل على كتابه أمر وزيره عبيد الله بن يحيى[2] بالكتاب إلى عامله على الدينور بإشخاص بشر هذا والفرقة التي تجالسه، فكتب عبيد الله بن يحيى بذلك، فلما وصل إلى العامل كتابه –وكان صديقا لبشر الجعاب حسن المصافاة له شديد الإشفاق عليه– همه ذلك وشق عليه فاستدعى بشرا واقرأه ما كوتب به في أمره وأمر أصحابه، فقال له بشر: عندي في هذا رأي إن استعملته كنت غير مستبطإ فيما أمرت به وكنت بمنجاة مما أنت خائف علي منه، قال: وما هو قال: بالدينور شيخ خفاف اسمه بشر[3] ومن الممكن المتيسر أن تجعل مكان الجعاب الخفاف وليس بمحفوظ عنده ما نسبت إليه من الحرفة والصناعة، فسر العامل بقوله وهمد إلى العين من الجعاب فغير عينها وغير استواء خطها وانبساطه ووصل الباء بها صارت به فاء؛ فكان أخبره عن بشر الخفاف أنه أبله في غاية البله والغفلة وأنه هزأة عند أهل بلده وضحكة، وذلك أن أهل سواد البلد يأخذون من الخفاف التامة والمقطوعة بنسيئة ويعدونه بأثمانها عند حصول الغلة، فإذا حصلت وحازوا ما لهم منها ما طلوه بدينه ولووه بحقه واعتلوا بأنواع الباطل عليه، فإذا انقضى وقت السادر ودنا الشتاء واحتاجوا إلى الخفاف وما جرى مجراها، وافوا بشرا هذا واعتذروا إليه وخدعوه وابتدروا يعدونه الوفاء ويؤكدون مواعيدهم بالأيمان الكاذبة والمعاهدة الباطلة، ويضمنون له أداء الديون الماضية والمستأنفة، فيحسن ظنه بهم وسكونه ويستلم إليهم ويستأنف إعطاءهم من الخفاف وغيرها ما يريدونه، فإذا حضرت الغلة أجروه على العادة وحملوه على ما تقدم من السنة ثم لا يزالون على هذه الوتيرة من أخذ سلعة في وقت حاجتهم ودفعه عن حقه في إبان غلاتهم فلا يتنبه من رقدته ولا يفيق من سكرته؛ فانفذ صاحب الخبر كتابه وأشار بتقدم الخفاف أمام القوم والإقبال عليه بالمخاطبة وتخصيصه بالمسألة ساكنا إلى أنه من ركاكته وفهاهته بها يضحك الحاضرين ويحسم الاشتغال بالبحث عن هذه القصة، ويتخلص من هذه الثلاثة؛ فلما ورد كتاب صاحب الخبر أعلم عبيد الله بن يحيى المتوكل به وبحضور القوم، فأمر أن يجلس ويستحضرهم ويخاطبهم فيما حكي عنهم، وأمر فعلق بينه وبينهم سبنية* ليقف على ما يجري ويسمعه ويشاهده، ففعل ذلك، وجلس عبيد الله واستدعى المحضرين، فقدموا إليه يقدمهم بشر الخفاف، فلما جلسوا أقبل عبيد الله على بشر فقال له: أنت بشر الخفاف فقال: نعم، فسكنت نفوس الحاضرين معه إلى تمام هذه الحيلة وإتمام هذه المدالسة وجواز هذه المغالطة، فقال له: إنه رفع إلى أمير المؤمنين من أرمكم شيء أنكره فأمر بالكشف عنه وسؤالكم بعد إحضاركم عن حقيقته، فقال له بشر: نحن حاضرون فما الذي تأمرنا به قال: بلغ أمير المؤمنين أنه يجتمع اليك قوم فيخوضون معك في الترفض وشتم الصحابة، فقال بشر: ما أعرف من هذا شيئا، قال: قد أمرت بامتحانكم والفحص عن مذاهبكم، فقال: ما تقول في السلف فقال: لعن الله السلف، فقال له عبيد الله: ويلك أتدري ما تقول قال: نعم لعن الله السلف، فخرج خادم من بين يدي المتوكل فقال لعبيد الله: يقول لك أمير المؤمنين: سله الثالثة فإن أقام على هذا فاضرب عنقه، فقل له: إني سائلك هذه المرة فإن لم تتب وترجع عما قلت أمرت بقتلك، فما تقول الآن في السلف فقال: لعن الله السلف، قد خرب بيتي وأبطل معيشتي وأتلف مالي وأفقرني وأهلك عيالي، قال: وكيف قال: أنا رجل أسلف الأكرة وأهل الدستان (الرستاق*) الخفاف والتمسكات* (والتمشكان) على أن يوفوني الثمن مما يحصل من غلاتهم، فأصير اليهم عند حصول الغلة في بيادرهم، فغذا أحرزوا الغلات دفعوني عن حقي وامتنعوا من توفيتي مالي، ثم يعودون عند دخول الشتاء فيعتذرون إلية ويحلفون بالله لا يعاودون مطلي وظلمي، فإنهم يؤدون إلي المتقدم والمتأخر من مالي، فأجيبهم إلى ما يلتمسونه وأعطيهم ما يطلبونه، فإذا جاء وقت الغلة عادوا إلى مثل ما كانوا عليه من ظلمي وكسر مالي فقد اختلت حالي وافتقرت عيالي؛ قال: فسمع ضحك عال من وراء السبيبة (السبنية)، وخرج الخادم فقال: استحلل هؤلاء القوم وخل سبيلهم؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين في حل وسعة، فصرفهم فلما توسطوا صحن الدار قال بعض الحاضرين: هؤلاء قوم مجان محتالون وصاحب الخبر مسقط لا يكتب إلا بما يعلمه ويثق بصحته، وينبغي أن يستقصى الفحص عن هذا والنظر فيه، فأمر بردهم، فلما أمروا بالرجوع قال بعض الجماعة التابعة لبعض: ليس هذا من ذلك الذي تقدم فينبغي أن نتولى الكلام نحن ونسلك طريق الجد والديانة، فرجعوا فأمروا بالجلوس، ثم أقبل عبيد الله على القوم فقال: إن الذي كتب في أمركم ليس ممن تقدم على الكتب بما لا يقبله علما ويحيط [به] خبرا وقد أخذ أمير المؤمنين باستئناف امتحانكم وإنعام التفتيش عن أمركم، فقالوا: افعل ما أمرت به، فقال: من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا: علي بن أبي طالب[4]، فقال الخادم بين يديه: قد سمعت ما قالوا، فأخبر أمير المؤمنين به، فمضى ثم عاد فقال: يقول لكم أمير المؤمنين هذا مذهبي، فقلنا: الحمد لله الذي وفق أمير المؤمنين في دينه ووفقنا لاتباعه وموافقته على مذهبه، ثم قال لهم: ما تقولون في أبي بكر؟[5] رضي الله عنه فقالوا: رحمة الله على ابي بكر نقول فيه خيرا، قال: فما تقولون في عمر؟[6] قلنا: رحمة الله عليه ولا نحبه، قال: ولم قلنا: لأنه أخرج مولانا العباس[7] من الشورى، قال: فسمعنا من وراء السبيبة (السبنية) ضحكا أعلى من الضحك الأول ثم أتى الخادم فقال لعبيد الله عن المتوكل: أتبعهم صلة فقد لزمتهم في طريقهم مؤونة واصرفهم، فقالوا: نحن في غنى وفي المسلمين من هو أحق بهذه الصلة وإليها أحوج، وانصرفوا.

----

*(دينور) مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين بين الدينور وهمذان نيف وعشرون فرسخا (السبنية) ضرب من الثياب تتخذ من مشاقة الكتان أغلظ ما يكون. والسب: شقة كتان رقيقة. والسبيبة مثله (الرستاق) والجمع رساتيق وهي قرى السواد (التمسكات) الوثائق (الرافضة) فرقة من شيعة الكوفة سموا بذلك لأنهم رفضوا أي تركوا زيد بن علي رضي الله عنهما حين نهاهم عن الطعن في الصحابة فلما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب وأجاز الطعن في الصحابة.

■ (3) بشر الخفاف ؟ (1) بشر الجعاب ؟

■ (5) أبو بكر الصديق عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله من الرجال ولد بمكة سنة 50 ق.هـ ونشأ سيد من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش شهد الغزوات كلها وبذل الأموال في سبيل الله وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 11 هـ وتوفي رضي الله عنه سنة 13 هـ

■ (4) علي بن أبي طالب، ابن عم المصطفى، وزوج ابنته. يكنى أبا الحسن وأبا التراب، أسلم وهو ابن سبع سنين، ويقال تسع، ويقال عشر، ويقال خمس عشرة، وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله خلفه في أهله وكان غزير العلم. وهو أحد الخلفاء الراشدين. ولد في 13 رجب سنة 23 ق هـ، و مات في رمضان سنة 40 هـ وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون سنة على الأرجح.

■ (7) العباس بن عبد المطلب جده هاشم بن عبد مناف وكنيته أبو الفضل من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وعم النبي وجد الخلفاء العباسيين وأبو حبر الأمة عبد الله بن عباس.أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه وأقام بمكة يكتب لرسول الله أخبار المشركين توفى بالمدينة سنة 32 هـ

■ (2) ابن خاقان، أبو الحسن، عبيد الله بن يحيى بن خاقان التركي، ثم البغدادي. وزر للمتوكل، وللمعتمد. وجرت له أمور. وقد نفاه المستعين إلى برقة، ثم قدم بغداد بعد خمس سنين، ثم وزر سنة 256 هـ.وقيل: لم يكن له حظ من الصناعة، فأيد بأعوان وكفاة. وكان واسع الحيلة. ونفاه المعتز، فلما ولي المعتمد طلبه، وخلع عليه، فأدبته النكبة، وتهذب كثيرا. وله أخبار في الحلم والسخاء. مات وعليه ست مئة ألف دينار، مع كثرة ضياعه. قيل: صدمه خادمه رشيق في لعب الصوالجة، فسقط، ثم مات ليومه، سنة 263 هـ. وقد وزر ابنه أبو علي محمد بن عبيد الله، ووزر حفيده أبو القاسم عبد الله بن محمد للمقتدر سنة 312 هـ. وتوفي سنة أربع عشرة.

■ (6) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

قال القاضي: فهذه الحكاية تبين أن المتوكل على خلاف ما توهمه ابن الخصيب، وبمعزل مما نسبه في هذا المعنى إليه، والله تعالى أعلم بالضمائر، وخفيات السرائر، وهو المجازي كل محسن ومسيء بعمله.

عن علي بن يحيى المنجم قال لما ظهرت زينب الكذابة وزعمت أنها بنت فاطمة وعلي قال المتوكل لجلسائه بعد أن احضرت اليه كيف لنا أن نعلم صحة أمر هذه ؟ فقال له الفتح بن خاقان: احضر بن المرضي يخبرك حقيقة أمرها فحضر فرحب به وسأله فقال: المحنة في ذلك قريبة إن الله حرم لحم جميع ولد فاطمة على السباع، فالقها للسباع فإن كانت صادقة لم تتعرض لها وإن كانت كاذبة اكلتها، فعرض ذلك عليها فاكذبت نفسها فاديرت على جمل في طرقات سر من رأى ينادى عليها بأنها زينب الكذابة وليس بينها وبين رسول الله صلى الله عليه و سلم رحم ماسة، فلما كان بعد أيام قال علي بن الجهمي: يا أمير المؤمنين لو جرب قوله في نفسه لعرفنا حقيقته فجر به، والقاه مكان فيه السباع مطلقة فلم تتعرض له، فقال المتوكل: والله لئن ذكرتم هذا لاحد من الناس لاضربن أعناقكم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

مراجع:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/ تاج العروس/ لسان الميزان/

دخل أبو العيناء[1] على المتوكل فقال له: بلغني عنك بذاء، قال: إن يكن البذاء صفة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فقد مدح الله وذم قال: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ*﴾ [ص] وقال عز وجل: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم] فذمه حتى قذفه، وأما أن أكون كالعقرب التي تلسع النبي والذمي بطبع لا يميز فقد أعاذ الله عبدك من ذلك، وقد قال الشاعر: إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقا..ولم أشتم الجبس اللئيم المذمما..ففيم عرفت الشر والخير باسمه..وشق لي الله المسامع والفما؟. وفي رواية قال المتوكل لأبي العيناء: إلى كم تمدح الناس وتذمهم؟ فقال: ما أحسنوا وأساؤوا، وذلك دأب الله عز وجل، رضي عن عبد فمدحه وقال:﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص]، وغضب على آخر فزناه فقال: ويلك وكيف زناه؟ قال: إن قال في الوليد[2]*:﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم] والزنيم هو الداخل في القوم وليس منهم؛ ثم أنشده الشعر.

ولما أسلم نجاح بن سلمة[3] إلى موسى بن عبد الملك الأصبهاني[4] ليؤدي ما عليه من الأموال عاقبه فتلف* في مطالبته، فحضر يوما عند المتوكل فقال له: ما عندك من خبر نجاح بن سلمة؟ قال: ما قال الله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص] فاتصل ذلك بموسى، فلقي الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان[5] فقال: أيها الوزير، أردت قتلي فلم تجد لذلك سبيلا إلا بإدخال أبي العيناء إلى أمير المؤمنين مع عداوته لي، فعاتب عبيد الله أبا العيناء في ذلك فقال: والله ما استعذبت الوقيعة فيه حتى ذممت سيرته لك، فأمسك عنه. ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال : كيف كنت بعد ؟ قال : في أحوال مختلفة ، خيرها رؤيتك وشرها غيبتك ، فقال : قد والله اشتقتك قال : إنما يشتاق العبد ؛ لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه ، وأما السيد فمتى أراد عبده دعاه .

وقال له المتوكل: من أسخى من رأيت ؟ قال : ابن أبي دواد [6]، قال المتوكل : تأتي إلى رجل رفضته فتنسبه إلى السخاء؟ قال: إن الصدق يا أمير المؤمنين ليس في موضع من المواضع أنفق منه في مجلسك ؛ وإن الناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى الجود ؛ لأن سخاء البرامكة منسوب إلى الرشيد، وسخاء الفضل [7] والحسن [8] ابني سهل منسوب إلى المأمون، وجود ابن أبي دواد منسوب إلى المعتصم؛ فإذا نسب الناس الفتح [9]وعبيد الله [5] ابني يحيى إلى السخاء فذلك سخاؤك يا أمير المؤمنين ، قال: صدقت ؛ فمن أبخل من رأيت؟ قال: موسى بن عبد الملك، قال: وما رأيت من بخله؟ قال: رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد، ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة، فقال له: قد وقعت فيه عندي مرتين، وما أحب لك ذلك؛ فألقه واعتذر إليه، ولا يعلم أني وجهت بك، قال: يا أمير المؤمنين، من يستكتمني بحضرة ألف؟ قال: لن تخاف، قال: على الاحتراس من الخوف. فصار إلى موسى فاعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه، وافترقا عن صلح؛ فلقيه بعد ذلك بالجعفري*، فقال: يا أبا عبد الله، قد اصطلحنا، فما لك لا تأتينا؟ قال: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾؟ [القصص] فقال موسى: ما أرانا إلا كما كنا.

----

*(الجعفري) قصر للمتوكل قرب سر من رأى (الوليد) هو الوليد بن المغيرة وقيل غيره.(نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) هو سليمان بن داود عليهما السلام (عاقبه فتلف في مطالبته) قيل كان موسى بن عبد الملك قد اغتال نجاح بن سلمة في شراب شربه عنده *(النجائب) النجيب من الإبل مفردا ومجموعا وهو القوي منها الخفيف السريع وناقة نجيب ونجيبة ..النجاب النجابون ؟

■ (1) أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد البصري، العلامة، الإخباري، أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد البصري، الضرير النديم. ولد بالأهواز سنة 191 هـ، ونشأ بالبصرة.ومات سنة 283 هـ، وقد جاوز التسعين. قلما روى من المسندات، ولكنه كان ذا ملح ونوادر وقوة ذكاء. قال له الوزير أبو الصقر: ما أخرك عنا؟ قال: سرق حماري. قال: وكيف سرق؟ قال: لم أكن مع اللص فأخبرك. قال: فهلا جئت على غيره؟ قال: أخرني عن السرى قلة يساري، وكرهت ذلة العواري، ونزق المكاري.

■ (8) الحسن بن سهل أبو محمد، الوزير الكامل، أبو محمد، حمو المأمون، وأخو الوزير ذي الرئاستين الفضل بن سهل، من بيت حشمة من المجوس، فأسلم سهل زمن البرامكة، فكان قهرمانا ليحيى البرمكي. ونشأ الفضل مع المأمون، فغلب عليه، وتمكن جدا إلى أن قتل. فاستوزر المأمون بعده أخاه، ولم يزل في توقل إلى أن تزوج المأمون بينته بوران، سنة 210 هـ، فلا يوصف ما غرم الحسن على عرسها. مات بسرخس سنة 236 هـ. وعاشت بوران: إلى حدود 270 هـ.

■ (4) موسى بن عبد الملك الاصبهاني، أبوعمران: من أصحاب ديوان الخراج في الدولة العباسية. كان من فضلاء الكتاب وأعيانهم. تنقل في الخدم، في أيام جماعة من الخلفاء، وولي ديوان السواد وغيره في أيام المتوكل. وكان مترسلا، توفي سنة 246 هـ.

■ (3) نجاح بن سلمة بن نجاح بن عتاب. الوزير أبو الفضل البغدادي، ابن عم يحيى بن معين. لأن عتاب أخو زياد جد يحيى بن معين بن عون بن زياد. قدم نجاح دمشق في صحبة المتوكل، وولي له ديوان التواقيع. واختص به وعظم قدره إلى أن حسده جماعة وعملوا عليه إلى أن سخط عليه ومات تحت الضرب في سنة 245 هـ.

■ (6) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

■ (5) ابن خاقان، أبو الحسن، عبيد الله بن يحيى بن خاقان التركي، ثم البغدادي. وزر للمتوكل، وللمعتمد. وجرت له أمور. وقد نفاه المستعين إلى برقة، ثم قدم بغداد بعد خمس سنين، ثم وزر سنة 256 هـ.وقيل: لم يكن له حظ من الصناعة، فأيد بأعوان وكفاة. وكان واسع الحيلة. ونفاه المعتز، فلما ولي المعتمد طلبه، وخلع عليه، فأدبته النكبة، وتهذب كثيرا. وله أخبار في الحلم والسخاء. مات وعليه ست مئة ألف دينار، مع كثرة ضياعه. قيل: صدمه خادمه رشيق في لعب الصوالجة، فسقط، ثم مات ليومه، سنة 263 هـ. وقد وزر ابنه أبو علي محمد بن عبيد الله، ووزر حفيده أبو القاسم عبد الله بن محمد للمقتدر سنة 312 هـ. وتوفي سنة أربع عشرة.

■ (9) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، أبو محمد: أديب، شاعر، فصيح، كان في نهاية الفطنة والذكاء. فارسي الاصل، من أبناء الملوك. اتخذه المتوكل العباسي أخا له، واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه. وكان يقدمه على جميع أهله وولده. واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن. وألف كتابا سماه اختلاف الملوك وكتابا في: الصيد والجوارح وكتاب الروضة والزهر. وقتل مع المتوكل سنة 247 هـ.

■ (7) الفضل بن سهل السرخسي الوزير، وأخو الوزير الحسن بن سهل.أسلم أبوهما على يد المهدي، وأسلم الفضل سنة تسعين 190 هـ على يد المأمون. وقيل: لما عزم جعفر البرمكي على استخدام الفضل للمأمون وصفه بحضرة الرشيد، ونطق الفضل، فرآه الرشيد فطنا بليغا. وكان يلقب ذا الرئاستين لانه تقلد الوزارة والحرب. وكان شيعيا منجما ماكرا، أشار بتجهيز طاهر بن الحسين، وحسب بالرمل بأنه يظفر بالامين. ويقال: إن من إصاباته الكاذبة أنه حكم لنفسه أنه يعيش ثمانيا وأربعين سنة، ثم يقتل بين ماء ونار، فعاش كذلك، وقتله خال المأمون في حمام سرخس في شعبان سنة 202 هـ. وقد امتدحه فحول الشعراء، وازدادت رفعته حتى ثقل أمره على المأمون، فدس عليه خاله غالبا الاسود في جماعة، فقتلوه، وبعده بأيام مات أبوه. وأظهر المأمون حزنا لمصرعه، وعزى والدته، وقال: إن الله أخلفني عليك بدل ابنك، فبكت، وقالت: كيف لا أحزن على ولد أكسبني ولدا مثلك. ثم عاشت وأدركت عرس بنت ابنها بوران على المأمون وكان الحسن بن سهل من كبار الوزراء الممدحين.

■ (2) قيل هو: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له العدل لانه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو البيت جميعها، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاما على شربها. وأدرك الاسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته. وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر سنة 1 هـ، ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد ابن الوليد.

قيل لأبي العيناء: إن المتوكل قال: لولا أنه ضرير البصر لنادمته، فقال: إن أعفاني من رؤية الأهلة، وقراءة نقش الفصوص، فأنا أصلح للمنادمة. ولقيه رجل من إخوانه في السحر، فجعل يعجب من بكوره، فقال: أراك تشاركني في الفعل وتفردني بالتعجب ووقف به رجل من العامة فأحس به، فقال: من هذا؟ قال: رجل من بني آدم قال: مرحبا بك، أطال الله بقاك وبقيت في الدنيا، ما ظننت هذا النسل إلا قد انقطع ودخل على عبيد الله بن سليمان فقال: اقرب مني يا أبا عبد الله، فقال: أعز الله الوزير، تقريب الأولياء، وحرمان الأعداء، قال: تقريبك غنم، وحرمانك ظلم؛ وأنا ناظر في أمرك نظرا يصلح من حالك إن شاء الله. وقال له يوما: اعذرني فإني مشغول، فقال له: إذا فرغت من شغلك لم نحتج إليك، وأنشده: الطويل: فلا تعتذر بالشغل عنا؛ فإنما..تناط بك الآمال ما اتصل الشغل. ثم قال: يا سيدي، قد عذرتك، فإنه لا يصلح لشكرك من لا يصلح لعذرك. وأقبل إليه يوما فقال: من أين يا أبا عبد الله؟ قال: من مطارح الجفاء وقال له مرة: نحن في العطلة مرحومون، وفي الوزارة محرومون، وفي القيامة كل نفس بما كسبت رهينة. وسار يوما إلى باب صاعد بن مخلد، فقيل: هو مشغول يصلي، قال: لكل جديد لذة وكان صاعد نصرانيا قبل الوزارة.

ودخل إلى عميد الله بن سليمان، فشكا إليه حاله، فقال: أليس قد كتبنا لك إلى إبراهيم بن المدبر؟ فقال: كتبت إلى رجل قد قصر من همته طول الفقر، وذل الأسر، ومعاناة محن الدهر، فأخفقته في طلبتي قال: أنت اخترته؟ قال: وما علي –أعز الله الوزير– في ذلك: قد اختار موسى قومه سبعين رجلا، فما كان منهم رشيد، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتبا، فرجع إلى المشركين مرتدا، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى حاكما فحكم عليه.

مراجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ العمدة في محاسن الشعر وآدابه/ تاريخ دمشق/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ الأعلام الزركلي/ زهر الآداب وثمر الألباب/

◆ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد (عاشر ملوك الدولة العباسية) وأبو العيناء (٢) 0920

دخل أبو العيناء[1] على المتوكل؛ فقال: أي شيء تحسن ؟ قال: أفهم وأفهم، وآخذ من المجلس ما حوى، مرة أغلب ومرة أُغلب. قال: كيف شربك للنبيذ ؟ قال: أعجز عن قليله وافتضح عند كثيره. قال: فما تقول في بلدك البصرة ؟ قال: ماؤها أجاج، وحرها عذاب، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم. قال: ارفع حوائجك إلينا. قال: قد رفعتها إلى الله، فما أحب نجاحه فليس ينفعني شرحه. قال: نحب أن تلزم مجلسنا. قال: يا أمير المؤمنين، إن أجهل الناس من يجهل نفسه؛ أنا امرؤ محجوب والمحجوب تختلف إشارته، وقد يجوز قصده، فيصغي إلى غير من يحدثه، ويقبل بحديثه على غير من يسمع منه، وجائز أن يتكلم بكلام غير راض، ومتى لم أفرق بين هذين هلكت. وأخرى: كل من في مجلسك يخدمك، وأنا أحتاج أن أخدم، ولم أقل هذا جهلا مني بما في هذا المجلس من الفائدة، ولكني اخترت العافية على التعرض للبلاء. قال الفتح بن خاقان: يا أمير المؤمنين، هذا رجل عاقل عارف بنفسه وبحق الملوك. قال: فيلزمنا في كل الأوقات لزوم الفرض الواجب.

قال أبو العيناء، قال لي المتوكل يوما: بلغني أنك رافضي. فقلت: ألدين أم لدنيا؟ فإن أك للدين ترفضت فأبوك مستنزل الغيث، وإن أك للدنيا ففي يديك خزائن الأرض. وكيف أكون رافضيا، وأنا مولاك، ومولدي البصرة، وأستاذي الأصمعي، وجيراني باهلة؟ فقال: إن ابن سعدان زعم ذلك. قلت: ومن ابن سعدان؟ والله ما يفرق بين الإمام والمأموم، والتابع والمتبوع؛ إنما ذاك حامل درة، ومعلم صبية، وآخذ على كتاب الله أجرة. قال: لا تقل؛ فإنه مؤدب المؤيد[2]. قال: قلت: يا أمير المؤمنين: لم يؤدبه حسبة، إنما أدبه بأجرة، فإذا أعطيته حقه فقد قضيت ذمامه.

وقال أبو العيناء: قال لي المتوكل يوما: هل رأيت طالبيا قط. حسن الوجه؟ قلت: نعم، رأيت ببغداد منذ ثلاثين سنة واحدا، قال: تجده كان يؤاجر وكنت أنت تقود عليه. فقلت: يا أمير المؤمنين، قد بلغ هذا من فراغي، أدع الموالي مع كثرتهم وأقود على الغرباء. فقال المتوكل للفتح[3]: أرت أن أشتفي منهم فاشتفى لهم مني. قال: وقال لي يوما: لا تكثر الوقيعة في الناس. فقلت: إن لي في بصري شغلا عن ذلك. فقال: ذاك أشد لحقدك على أهل العافية.

وقال له يوما المتوكل: إن سعيد بن عبد الملك يضحك منك، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين]

ودخل إلى المتوكل، فقدم إليه طعام؛ فغمس أبو العيناء لقمته في خل كان حامضا، فأكلها وتأذى بالحموضة، وفطن المتوكل فجعل يضحك فقال: لا تلمني يا أمير المؤمنين، فقد محت الإيمان في قلبي.

قال أبو العيناء: أدخل على المتوكل رجل قد تنبأ؛ فقال له: ما علامة نبوتك؟ قال: أن يدفع إلي أحدكم امرأته؛ فإني أحبلها في الحال. فقال يا أبا العيناء: هل لك أن تعطيه بعض الأهل؟ فقلت: إنما يعطيه من كفر به؛ فضحك وخلاه.

وقال له المتوكل: أكان أبوك مثلك في البيان؟ قال: والله يا أمير المؤمنين لو رأيته لرأيت عبدا لك لا ترضاني عبدا له.

ودخل على المتوكل وهو يبني الجعفري*؛ فقال له: يا أبا العيناء؛ كيف ترى دارنا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، الناس يبنون الدور في الدنيا، وأنت تبني الدنيا في دارك.

وسأله المتوكل عن ميمون بن إبراهيم صاحب البريد، فقال: يد تسرق، واست تضرط، مثله مثل يهودي سرق نصف جزيته، فله إقدام بها أدى، وإحجام بها أبقى، إساءته عمد، وإحسانه تكلف.

حمله بعض الوزراء على دابة، فانتظر علفها، فلما أبطأ عليه قال: أيها الوزير هذه الدابة حملتني عليه أو حملته علي.

وقال له عبد الله بن سليمان: إن الأخبار المذكورة في السخاء وكثرة العطاء أكثرها تصنيف الوراقين، وأكاذيبهم قال: ولم لا يكذبون على الوزير أيده الله.

وقال له صاعد يوما: ما الذي أخرك عنا؟ قال: بنيتي. قال: وكيف؟ قال: قالت: يا أبه؛ قد كنت تغدو من عندنا فتأتي بالخلعة السرية والجائزة السنية، ثم أنت الآن تغدو مسدفا، وترجع معتما، فإلى من؟ قلت: إلى أبي العلاء ذي الوزارتين. قالت: أيعطيك؟ قلت: لا. قالت: أيشفعك؟ قلت: لا. قالت: أفيرفع مجلسك؟ قلت: لا. فقالت: يا أبه، ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم]

----

*(الجعفري) قصر للمتوكل قرب سر من رأى

■ (1) أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد البصري، العلامة، الإخباري، أبو العيناء، محمد بن القاسم بن خلاد البصري، الضرير النديم. ولد بالأهواز سنة 191 هـ، ونشأ بالبصرة.ومات سنة 283 هـ، وقد جاوز التسعين. قلما روى من المسندات، ولكنه كان ذا ملح ونوادر وقوة ذكاء. قال له الوزير أبو الصقر: ما أخرك عنا؟ قال: سرق حماري. قال: وكيف سرق؟ قال: لم أكن مع اللص فأخبرك. قال: فهلا جئت على غيره؟ قال: أخرني عن السرى قلة يساري، وكرهت ذلة العواري، ونزق المكاري.

■ (3) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، أبو محمد: أديب، شاعر، فصيح، كان في نهاية الفطنة والذكاء. فارسي الاصل، من أبناء الملوك. اتخذه المتوكل العباسي أخا له، واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه. وكان يقدمه على جميع أهله وولده. واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن. وألف كتابا سماه اختلاف الملوك وكتابا في: الصيد والجوارح وكتاب الروضة والزهر. وقتل مع المتوكل سنة 247 هـ.

■ (2) المؤيد بالله إبراهيم بن المتوكل بن المعتصم. عقد له أخوه بولاية عهد الخلافة من بعده، ودعي له في الامصار، ثم بلغ المعتز عنه أمر، فضربه، وخلعه من العهد، وحبسه يوما، ثم أخرج ميتا. فقيل: أجلس في الثلج حتى مات بردا، وبعث به إلى أمه، فبعثت تقول لقبيحة أم المعتز: عن قريب ترين المعتز ابنك هكذا. قلت: كذا وقع، وما أمهله الله. قتل المؤيد في رجب سنة 252 هـ. وكان شابا مليحا.

☪

قال أبو العيناء: أنا أؤاكل الناس منذ ثلاثين سنة، ما آثرني إنسان على نفسه بباذنجانة مضيرة قط. وقدم صديق له من بعض الأعمال السلطانية؛ فدعاه إلى منزله وأطعمه وجعل الرجل يكثر الكذب، فالتفت أبو العيناء إلى من كان معه فقال: نحن كما قال الله تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة]. وقالت له قينة: هب لي خاتمك أذكرك به. فقال: اذكريني بالمنع. وقالت له قينة: أنت أيضا يا أعمى فقال لها: ما أستعين على وجهك بشيء أصلح من العمى. وقال لصاعد: أنت خير من رسول الله؛ فقال: ويلك كيف؟ قال: إن الله تعالى قال له: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران] ؛ وأنت فظ ولسنا ننفض. وقال ابن السكيت يوما: تراك أحطت بما لم أحط به. وقدم إليه يوما قدرا فوجدها كثيرة العظام؛ فقال: هذه قدر أم قبر؟ وأكل مرة ديكبراكة، وغسل يده عدة مرات فلم تنق؛ فقال: كادت هذه القدر أن تكون نسبا وصهرا. وقال له السدري: أشتهي أن أرى الشيطان. فقال: انظر في المرآة. ونظر إلى رجل قبيح الوجه؛ فقال: كأنما خلق هذا الرجل ليعلم الناس نعمة الله عليهم. وقال الكافي له: كيف أكتب اللؤم، بلام أو لامين؟ فقال صور نفسك. قيل لأبي العيناء: لم اتخذت خادمين أسودين؟ فقال: أما أسودان فلئلا أتهم بهما، وأما خادمان فلئلا يتهما بي. ومر على دار عدو له؛ فقال: ما خبر أبي محمد؟ فقالوا: كما تحب. قال: فما بالي لا أسمع الرنة والصراخ؟. وأكل عنده سائل فأكثر؛ فقال: يا هذا أطعمناك رحمة فصيرتنا رحمة. وقال له بعض من ناظره: أبلعني ريقي؛ فقال: قد أبلعتك دجلة والفرات. وقال يوما لرجل سلم عليه: من أنت؟ . قال: رجل من ولد آدم. قال: ادن مني عانقني، فما ظننت أنه بقي من هذا النسل أحد. قال له أبو الجماز: كيف ترى غنائي؟ قال: كما قال الله عز وجل:﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان] ولقى أبا الجماز يوما على حمار صغير؛ فقال: لقد ساءني حين اضطرك الدهر إلى ركوب أصغر أولادك.ولقيه بعض الكتاب في السحر؛ فقال له متعجبا منه ومن بكوره: يا أبا عبد الله، أتبكر في مثل هذا الوقت؟ فقال: أتشاركني في الفعل، وتفردني في المتعجب؟ .

وقال لعلي بن الجهم: إنما تبغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأنه كان يقتل الفاعل والمفعول، وأنت أحدهما. قال له: يا مخنث. فقال:﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [يس] وقيل له: إن ابن نوح النصراني عاتب عليك؛ فقال: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة] وقال له بعضهم: إني لا أرتضي نيتك. فقال: أجل؛ لأني أعتقد الإسلام. وقال له عبيد الله بن يحيى بن سليمان: اعذرني، فإني مشغول. فقال: إذا فرغت لم أحتج إليك. ولقيه رجل من إخوانه فقال له: أطال الله بقاءك، وأدام عزك وتأييدك وسعادتك، فقال أبو العيناء: هذا العنوان، فكتاب من أنت؟ .وقيل: لا تعجل، فإن العجلة من الشيطان؛ فقال: لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه]

☪

وقال له يوما عبيد الله بن يحيى الوزير، في أمر شهد عليه فيه بشهادة؛ فقال أبو العيناء: لو كان هذا في غير دولتك لتمنيت له دولتك. فقال: إن الشهود عليك كثير. قال: أكثر منهم الذين شهدوا عليك بإغلاء السعر والزيادة فيه؛ فإن صدقتهم علي فصدقهم عليك. وقال له يوما: أعز الله الوزير نحن في عطلتك مرحومون، وفي وزارتك محرومون. ويوم القيامة كل نفس بما كسبت رهينة. ولما تقطر بعبيد الله فرسه قال أبو العيناء: قتل الجواد الجواد. واستجفى بعض الرؤساء أبا العيناء؛ فقال له: أنا والله على بابك أوجد من الكذب على أبواب بني خاقان. وصار يوما إلى باب عبيد الله؛ فقال له سعد حاجبه: هو مشغول يا أبا عبد الله. فقال: ففي شغله أريد لقاءه. قال: ليس إلى ذلك سبيل. فقال له: رزقكم الله العود إلى البيت الحرام وانصرف. فقال سعد: دعا علينا لعنه الله، والله إن كنا بمكة إلا حيث نفينا. قال أبو العيناء، هنأت عبيد الله بن يحيى يوما بالعيد، ودعوت له دعاء طويلا؛ فقال لي الحسن بن مخلد: حسبك يا أبا عبد الله؛ فقلت: يا أبا الحسن، أعزك الله. إن أبا محمد يستثقل الدعاء لأنه لا يثق بالمدعو. وقال له عبيد الله: ما دعاك إلى الوقيعة في موسى بن عبد الملك بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال: إني والله ما استعذبت الوقيعة فيه حتى ذممت لك سريرته. ودخل عليه يوما وعنده نجاح بن سلمة، وأحمد بن إسرائيل وهما يسارانه؛ فقال: يا أبا الحسن: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر] ؛ فقال نجاح: كذبت يا عدو الله؛ فقال: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام] وعرضت له حاجة إلى بغا، فلقيه، فقال: ألق الفتح بن خاقان فلقيه فوعده، ثم لقيه فوعده؛ فلما كان في المرة الثالثة ألقاه على سبيل ضجر فقال: أما علمت أن من طالب السلطان احتاج إلى ثلاث خلال؟ فقال: وما هن؟ أعز الله الأمير. قال: عقل وصبر ومال. فقال أبو العيناء: ولو كان لي عقل لعقلت عن الله أمره ونهيه، ولو كان لي صبر لصبرت منتظرا لرزقي أن يأتيني، ولو كان لي مال لاستغنيت به عن تأميل الأمير، والوقوف ببابه. ودخل على محمد بن عبد الملك، فجعل لا يكلمه إلا بأطرافه؛ فقال: إن من حق نعمه أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك، فإن من أوحش انقبض عن المسألة، وبكثرة المسألة مع النجح يدوم السرور. فقال له محمد: أما إني أعرفك فضوليا كثير الكلام وأمر به إلى الحبس؛ فكتب إليه: قد علمت أن الحبس لم يكن من جرم تقدم إليك، ولكن أحببت أن تريني مقدار قدرتك علي؛ لأن كل جديد يستلذ، ولا بأس أن ترينا من عفوك حسب ما أريتنا من قدرتك. فأمر بإطلاقه، ثم لقيه بعد أيام، فقال: يا أبا العيناء، ما تزورنا حسب نيتنا فيك؟ . فقال: أما نيتك فمتأكدة، ولكن أرى أن الذي جدد الاستبطاء فراغ حبسك، فأحببت أن تشغله بي. وقال يوما لعبيد الله بن سليمان: إلى كم يرفعني الوزير، ولا يرفع بي رأسا؟ .وقال له يوما: كيف حالك؟ فقال: أنت الحال، فإذا صلحت صلحت. وقربه يوما؛ فقال: تقريب الولي وحرومان العدو. وقال يوما لعبيد الله بن يحيى: أيها الوزير، قد برح بي حجابك؛ فقال له: ارفق. فقال: لو رفق بي فعلك رفق بك قولي.

مراجع: نثر الدر/ / الأعلام الزركلي/ جمع الجواهر في الملح والنوادر/

◆ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد (عاشر ملوك الدولة العباسية) وبكار بن قتيبة، القاضي 0921

يقال: إن المتوكل لما بلغه ما عليه بكار بن قتيبة[1] من العلم والزهد والورع والفضل، أرسل إليه كتابا من بغداد بتقليد القضاء مع نجاب[*]، فلما وصل سأل عنه، وإذا هو خرج من الفرن ومعه الخبز، فسلم عليه، وقال: أنا رسول الخليفة إليك، قف حتى أبلغك رسالته، فقال: ما أقدر على الوقوف معك؛ لأن ردائى استعرته من والدتى لأمضى به وأخبز وأعود، فقف حتى أستأذنها، فاستأذنها فأذنت له فى الوقوف معه واستماع ما جاء به، ففعل، فسلم عليه من الخليفة، وأخبره أنه قلده قضاء مصر، ودفع إليه التقليد، فأخذه ودخل منزله، وخرج له برغيفين من خبزه، وقال له: امض فى حفظ الله، فتعجب النجاب من ذلك، واستحقر الخبز، ولم يمكنه ردهما، فرمى بهما فى مخلاته وتهاون بهما، وقال: واخيبة طريقاه، ثم سار إلى الخليفة وأخبره الخبر، فقال له: وما أجازك به؟، فضحك ثم أخبره، فأمر بإحضارهما، وكان النجاب قد فرط فى أحدهما، فلما أتاه بالرغيف الثانى دفع إليه ألف دينار، وقال: لو أتيتنى بالآخر أعطيتك ألفا.ثم إن النجاب رمد رمدة عظيمة بعد مدة، وأشرف على العمى، وأراد الخليفة أن ينفذه فى رسالته، فاعتذر برمده، فأمر الخليفة بإحضار مكحلة فيها كحل، فكحله منه، فبرئ من ساعته، ومضى فى رسالته، فلما رجع قال: يا أمير المؤمنين، أريد أن تعلمنى ذلك الكحل، فقد وجدت فيه شفاء عظيما، فقال له الخليفة: الرغيف الذى أتيت به من عند القاضى بكار، فجعلناه فى أكحالنا وأدويتنا، فنحن نعافى ببركته، فندم النجاب على ما فرط. ولى بكار بن قتيبة قضاء مصر من قبل المتوكل على الله، ودخلها يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ست وأربعين ومائتين، ولقى محمد بن الليث[2] قاضى مصر كان قبله وهو خارج إلى العراق، فقال له بكار: أنا رجل غريب، وأنت قد عرفت البلد، فدلنى على من أشاوره وأسكن إليه، فقال: عليك برجلين أحدهما عاقل، وهو يونس ابن عبد الأعلى[3]، والآخر زاهد، وهو أبو هارون موسى بن عبد الرحمن[4]، فقال له بكار: صفهما لى، فوصفهما له، فلما دخل مصر أتاه الناس، وجاءه الرجلان، فاختص بهما، وكان يشاورهما فى أموره، فقال يوما لموسى: يا أبا هارون، من أين المعيشة؟ فقال: من وقف وقفه أبى أتكفى به، ثم قال له موسى: يا أبا بكرة، قد سألتنى وأريد أن أسألك، قال: اسأل، قال: هل ركبك دين بالبصرة؟ قال: لا، قال: فهل لك ولد أو زوجة؟ قال: لا ما نكحت قط، قال: أفلك عيال؟ قال: ما عندى سوى غلامى، قال: أفأكرهك السلطان على القضاء وعرض عليك العقاب؟ قال: لا، قال: أفضربت آباط الإبل من البصرة إلى مصر لغير حاجة ولا لضرورة إلا لتلى دماء المسلمين وأموالهم وفروج نسائهم، لله علي لا عدت إليك بعد هذا اليوم ولا كلمتك أبدا، ثم انصرف عنه ولم يعد إليه.

----

*(النجائب) النجيب من الإبل مفردا ومجموعا وهو القوي منها الخفيف السريع وناقة نجيب ونجيبة ..النجاب والنجابون الذي يركبها ؟

■ (1) بكار بن قتيبة بن عبيد الله. وقيل: بكار بن قتيبة بن أسد بن عبيد الله بن بشر بن أبي بكرة بن نفيع بن الحارث. القاضي أبو بكرة الثقفي البكراوي البصري الفقيه الحنفي، وكانت ولادته بالبصرة سنة 282 هـ، تولى القضاء بمصر سنة 248 هـ أو249 هـ، وقيل: قدمها متوليا قضاءها من قبل المتوكل سنة 246 هـ، فلم يزل قاضيا، يعني على مصر إلى أن توفي سنة 270 هـ، وقد قارب التسعين، وكانت مدة ولايته أربعا وعشرين سنة وأقامت مصر بلا قاض بعده سبع سنين، ثم ولي خمارويه محمد بن عبدة. وكان أحمد بن طولون أراد بكارا على لعن الموفق فامتنع فسجنه إلى أن مات أحمد فأطلق بكار، وبقي يسيرا ومات. فغسل ليلا، وكثر الناس فلم يدفن إلى العصر

■ (3) يونس بن عبد الاعلى بن موسى بن ميسرة، أبو موسى الصدفي: من كبار الفقهاء. انتهت إليه رياسة العلم بمصر. كان عالما بالاخبار والحديث، وافر العقل. صحب الشافعي وأخذ عنه قال الشافعي: ما رأيت بمصر أحدا أعقل من يونس. مولده ووفاته بها سنة 264 هـ. أخذ عنه كثيرون.

■ (2) محمد بن الحارث بن شداد أبو بكر بن أبي الليث القاضي الأيادي ويقال في نسبه غير ذلك قال الكندي أصله من خوارزم ولي القضاء بمصر من قبل المعتصم سنة 226 هـ وكان قبل دخوله الى مصر وراقا على باب الواقدي وكان يتفقه للكوفيين فلما استخلف الواثق ورد كتابه على محمد بن أبي الليث بامتحان الناس في القرآن فهرب كثير منهم وملأ السجون بالكثير ممن انكر المسئلة وكتب على أبواب المساجد لا اله الا الله رب القرآن وخالقه ثم لما استخلف المتوكل أمر بسجن بن أبي الليث واستقصى ماله فوثب أهل مصر على مجلسه فرموا حصيره وغسلوا موضعه بالماء وذلك في شعبان سنة 235 هـ ثم خلى عنه ثم أمر برده الى السجن ثانيا ثم ورد كتاب المتوكل بان تحلق لحيته ويضرب بالسياط ويحمل على حمار بإكاف ويطاف به ففعل به ذلك سنة 237 هـ ثم أخرج الى العراق سنة 241 هـ قال عقبة بن بسطام سألت محمد بن أبي الليث عن مذهبه في القدر وأجاب بقول أهل السنة ولم اسأله عن مذهبه في القرآن ذكر بن يونس أنه مات ببغداد سنة 250 هـ

■ (4) أبو هارون موسى بن عبد الرحمن بن القاسم ؟

كان بكار بن قتيبة من أفقه أهل زمانه فى مذهب أبى حنيفة، وله اتساع فى الفقه وتصانيف، صنف كتاب الشروط، وكتاب المحاضر والسجلات، وكتاب الوثائق والعهود، وهو كبير، وصنفه كتابا جليلا، ونقض فيه على الشافعى رده على أبى حنيفة، وسبب تصنيفه لهذا الكتاب ما ذكره أبو محمد الحسن بن زولاق أنه نظر فى مختصر المزنى، فوجد فيه ردا على أبى حنيفة، فقال لرجلين من شهوده: اذهبا واسمعا هذا الكتاب من أبى إبراهيم المزنى، فإذا فرغ منه، فقولا له: سمعت الشافعى يقول ذلك؟ واشهدا عليه به، فمضيا وسمعا من المزنى المختصر وسألاه: أنت سمعت الشافعى يقول ذلك؟ قال: نعم، فعادا إلى القاضى بكار، فشهدا عنده على المزنى أنه سمع الشافعى يقول ذلك، فقال بكار: الآن استقام لنا أن نقول: قال الشافعى، ثم رد على الشافعى فى هذا الكتاب. وكان ينشد دائما: لنفسى فى نفسى عن الناس شاغل..لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها. وكان يحيى الليل كله، فإذا أصبح كان وجهه كالقمر، ودخل عليه رجلان يختصمان أحدهما أب الآخر، فنظر إليهما، وأنشأ يقول: أب غير بر وابنه غير واصل..تعطايتا ثوب العقوق كلاكما.

مراجع: مغانى الأخيار/ الأعلام للزركلى/ لسان الميزان/

◆ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد (عاشر ملوك الدولة العباسية) وذو النون المصري 0922

حدث محمد بن عبد الله بن شاذان الرازي بنيسابور* قال: سمعت يوسف بن الحسين(1) يقول: حضرت مع ذي النون(2) مجلس المتوكل، وكان المتوكل مولعا به يفضله على العباد والزهاد، فقال له المتوكل: يا أبا الفيض، صف لي أولياء الله تعالى، فقال ذو النون: يا أمير المؤمنين، هؤلاء قوم ألبسهم الله تعالى النور الساطع من محبته، وجللهم بالبهاء من أردية كرامته، ووضع على مفارقهم تيجان مسرته، ونشر لهم المحبة في قلوب خليقته، ثم أخرجهم وقد أودع القلوب ذخائر الغيوب، فهي معلقة بمواصلة المحبوب، فقلوبهم إليه سائرة، وأعينهم إلى عظيم جلاله ناظرة، ثم أجلسهم بعد أن أحسن إليهم على كراسي طلب المعرفة بالدواء، وعرفهم منابت الأدواء، وجعل تلاميذهم أهل الورع والتقى، وضمن لهم الإجابة عند الدعاء، وقال: يا أوليائي، إن أتاكم عليل من فرقي فداووه، أو مريض من إرادتي فعالجوه، أو مجروح بتركي إياه فلاطفوه، أو فار مني فرغبوه، أو آبق مني فخادعوه، أو خائف مني فأمنوه، أو راغب في مواصلتي فمنوه، أو قاصد نحوي فأدوه، أو جبان من متاجرتي فجرئوه، أو آيس من فضلي فعدوه، أو راج لإحساني فبشروه، أو حسن الظن بي فباسطوه، أو محب لي فواصلوه، أو معظم لقدري فعظموه، أو مستوصف نحوي فأرشدوه، أو مسيء بعد إحساني فعاينوه، أو ناس لإحساني فذكروه، وإن استغاث بكم ملهوف فأغيثوه، ومن وصلكم في فواصلوه، فإن غاب عنكم فافتقدوه، وإن ألزمكم جناية فاحتملوه، وإن قصر في واجب حق فاتركوه، وإن أخطأ خطيئة فانصحوه، وإن مرض فعودوه، وإن وهبت لكم هبة فشاطروه وإن رزقتكم فأثروه بأوليائي لكم عاتبت ولكم خاطبت وإياكم رغبت ومنكم الوفاء طلبت لأنكم بالإثرة آثرت وانتخبت وإياكم استخدمت واصطنعت واختصصت لا أريد استخدام الجبارين ولا مطاوعة الشرهين جزائي لكم أفضل الجزاء وإعطائي لكم أوفر العطاء وبذلي لكم أغلى البذل وفضلي عليكم أكبر الفضل ومعاملتي لكم أوفى المعاملة ومطالبتي لكم أشد المطالبة أنا مفتش القلوب أنا علام الغيوب أنا ملاحظ اللحظ أنا مراصد الهمم أنا مشرف على الخواطر أنا العالم بأطراف الجفون ولا يفزعكم صوت جبار دوني ولا مسلط سواي فمن أرادكم قصمته ومن آذاكم آذيته ومن عاداكم عاديته ومن والاكم واليته ومن أحسن إليكم أرضيته أنتم أوليائي وأنت أحبائي أنتم لي وأنا لكم.

حدث عمرو السراج الإسكاف –وأظنه عمر بن السراج–: قال: مر بنا ذو النون بدمشق إلى المتوكل، وقد حمل على بغال البريد، فما كان بأسرع أن رجع؛ فسألته: بم تخلصت منه؟ قال: دخلت إليه، فلما رآني، استثبت لي أن قلت: يا من ليس في السموات نظرات، ولا في البحار قطرات، ولا في ديباج الرياح ولجات، ولا على الألسن من نطقات، ولا في القلوب خطرات، ولا في الجوانح حركات؛ إلا وهي عليك يا رب دالات، وبربوبيتك معرفات، التي أحدثت بها من في الأرض ومن في السموات؛ أشغل قلبه عني. قال: فقال: يا أبا البيض، إنا أتعبناك، سل. قال: ردني. قال: ردوه. فدخل عليه عبد الله بن خاقان، فقال: يا أمير المؤمنين، آليت على نفسك إن رأيت ذا النون لتقتلنه، فلما أن رأيته قمت إليه! قال: كان بين يديه أسود عايه سيف، على زاوية السيف نار. فقال: هم به حتى أهم بك!.

----

*(نيسابور) كانت عاصمة لمقاطعة خراسان قديماً –شمالي شرق إيران–

■ (2) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم وقيل: الفيض بن إبراهيم المصري، المعروف بذي النون، الصالح المشهور، وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك؛ وذكر ابن يونس عنه في تاريخه أنه كان حكيما فصيحا وكان أبوه نوبيا، وقيل من أهل إخيم مولى لقريش. توفي سنة 245 هـ وقيل 246 هـ وقيل 248 هـ بمصر.

■ (1) يوسف بن الحسين بن علي، أبو يعقوب الرازي: زاهد صوفي، من العلماء الادباء. كثير السياحة. كان شيخ الري والجبال في وقته. وفيهم من يصفه بالزندقة. وهو من أقران ذي النون المصري. قال ابن أبي يعلي: يقال إنه كان أعلم أهل زمانه بالكلام. مات سنة 304 هـ

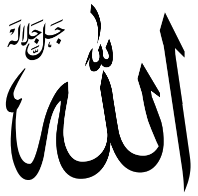

عن زرافة صاحب المتوكل قال: لما انصرف ذو النون من عند أمير المؤمنين، دخل علي ليودعني فقلت له: اكتب لي دعوة ففعل، فقربت إليه جام لوزينج* فقلت له: كل من هذا فإنه يرزن الدماغ وينفع العقل، فقال: العقل ينفعه غير هذا، قلت: وما ينفعه؟ قال: اتباع أمر الله والانتهاء عن نهيه، أما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ عقل الله أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ﴾ فقلت له: أكرمني بأكلة، فقال: أريد ألذ من هذا، فقلت له: وأي شيء ألذ من هذا؟ فقال: هذا لمن لا يعرف الحلواء ولا يعرف أكله، وإن أهل معرفة الله يتخذون خلاف هذا اللوزينج، قلت: لا أظن أحدا في الدنيا يحسن أن يتخذ أجود من هذا، وإن هذا من مطبخ أمير المؤمنين المتوكل على الله، فقال: أنا أصف لك لوزينج المتوكل على الله، فقلت: هات لله أبوك، فقال: خذ لباب مكنون محض طعام المعرفة، واعجنه بماء الاجتهاد، وانصب أثفيه الانكماد، وطابق صفو الوداد، ثم اخبز خبز لوزينج العباد، بحر نيران نفس الزهاد، وأوقده بحطب الأسى حتى ترمي نيران وقودها بشرر الضنا، ثم احش ذلك بقند الرضى، ولوز الشجا مرضوضان بمهراس الوفا، مطيبان بطيبة رقة عشق الهوا، ثم اطوه طي الأكياس للأيام بالعزاء، وقطعه بسكاكين السهر جوف الدجى، ورفض لذيذ الكرى، ونضده على جامات القلق والشهق، وانثر عليه سكرا يعمل من زفرات الحرق، ثم كل بأنامل التفويض في ولائم المناجاة، بوجدان خواطر القلوب، فعند ذلك تفريج كرب القلوب، ومحل سرور المحب بالملك المحبوب، ثم ودعني وخرج رحمه الله.

عن سعيد بن المسيب رفعه قال: ﴿أَشْرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم عَلَى خَيْبَرَ فَقَالَ: خَرِبَتْ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ أَحْبَارِهِمْ لَهُ فَصَاحَةٌ وَبَلاغَةٌ وَهَيْئَةٌ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: ما أخلق هذا أن يكون عاقلاً فإني أرى له هيئة وعقلاً، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: إِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَصَدَّقَ رُسُلَهُ وَعَمِلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ﴾

☪

عن الحسن بن محمد بن إسحاق قال: سمعت أبا عثمان الحناط يقول: سمعت ذا النون يقول: طوبى لمن يطهر ولزم الباب، طوبى لمن تضمن للسياق، طوبى لمن أطاع الله أيام حياته، قال: وسمعت ذا النون يقول: من صحح استراح، ومن تقرب قرب، ومن صفا صفى له، ومن توكل وثق، ومن تكلف ما لا يعنيه ضيع ما لا يعينه، قال: وسمعت ذا النون: لا يسئل بما يعرف العارفون ربهم تعالى، قال: إن كان شئ فيقطع الطمع والإسراف منهم على الإياس مع التمسك منهم بالأحوال التي أقامهم عليها، وبذل المجهود من أنفسهم، وما وصلوا بعد إلى الله إلا بالله. قال علي بن محمد الوراق: سمعت أبا الحسين المهلبي يقول: قال ذو النون المصري: علامة السعادة للعبد ثلاث: متى زيد في عمره نقص من حرصه، ومتى ما زيد في ماله زاد هو في سخائه وبذله، ومتى ما زيد في قدره زاد في تواضعه، وعلامة الشقاء ثلاث: متى ما زيد في عمره زيد في حرصه، ومتى ما زيد في ماله زيد بخله، ومتى ما زيد في قدره زيد في تجبره وتكبره.

قيل كان يوسف بن الحسين بن علي إذا سمع القرآن لا تقطر له دمعة وإذا سمع شعرا قامت قيامته، ثم يقول للحاضرين: أتلومون أهل الري على قولهم يوسف بن الحسين زنديق! له كلمات سائرة، منها: إذا أردت أن تعرف العاقل من الاحمق، فحدثه بالمحال، فإن قبل، فاعلم أنه أحمق. أرغب الناس بالدنيا، أكثرهم ذما لها. لان ألقى الله تعالى بجميع المعاصي أحب إلي من أن ألقاه بذرة من التصنع.

----

*(اللوزينج) من الحلوى شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز (الجام) الكأس

مراجع: تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/ / الأعلام للزركلى/ تاريخ الإسلام للذهبي/

◆ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد (عاشر ملوك الدولة العباسية) ومحمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب 0923

قال إبراهيم بن محمد بن عرفة أشخص إبراهيم بن محمد التيمي[1] ومحمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب[2] فلما حضروا دار المتوكل أمر بإدخال بن أبى الشوارب فلما دخل عليه قال: إنى اريدك للقضاء، فقال: يا أمير المؤمنين، لا أصلح له، فقال: تأبون يا بنى أمية الا كبرا، فقال: والله، يا أمير المؤمنين، ما بي كبر ولكني لا أصلح للحكم، فأمر بإخراجه، وكان هو وإبراهيم التيمي قد تعاقدا أن لا يتولى واحد منهما القضاء، فدعى بإبراهيم، فقال له المتوكل: إنى اريدك للقضاء، فقال: على شريطة يا أمير المؤمنين، قال: وما هي؟ قال: أن تدعو لي دعوة، فإن دعوة الامام العادل مستجابة، فولاه وخرج على بن أبى الشوارب في الخلع.

قال الخطيب: حدثني القاضي أبو العلاء الواسطي قال: أن المتوكل دعا محمد بن عبد الملك بن ابي الشوارب وأحمد بن المعدل[3] وابراهيم التيمي من البصرة وعرض على كل واحد منهم قضاء القضاة، فاحتج محمد بن عبد الملك بالسن العالية، وغير ذلك، واحتج أحمد بن المعدل بضعف البصر، وغير ذلك، وامتنع ابراهيم التيمي، فقال: لم يبق غيرك، وجزم عليه، فولى، فنزل حال ابراهيم التيمي عند أهل العلم، وعلت حالة الآخرين، قال ابو العلاء: فيرى الناس أن بركة امتناع محمد بن عبد الملك دخلت على ولده، فولى منهم ربعة وعشرون قاضيا، منهم ثمانية تقلدوا قضاء القضاة، وآخرهم أبو الحسن أحمد بن محمد، وما رأينا مثله جلالة ونزاهة وصيانة وشرفا.

حدث الهزاني قال: سمعت محمد بن خلف يقول: كان إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة يقول: الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق، قاتل أهل الردة حتى استجابوا له، وعمر بن عبد العزيز، رد مظالم بني أمية، والمتوكل محا البدع.

■ (2) محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب بن محمد بن محمد بن عبد الله القرشي، أبو عبد الله، البصري، يروى عن أبى عوانة وطبقته، وقيل إن أبي الشوارب هو محمد بن عبد الله بن خالد بن اسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو عبد الله البصري، مات بالبصرة في جمادى الأولى من سنة 243 هـ أوسنة 244 هـ

■ (1) إبراهيم بن محمد أبو إسحاق التيمي، قاضى البصرة، ورد بغداد لما اشخصه المتوكل ليوليه القضاء، وحدث بسر من رأى، ولى قضاء البصرة في سنة 239 هـ ومات في ذي الحجة سنة 250 هـ وهو على القضاء

■ (3) أحمد بن المعدل بن غيلان العبدي البصري الفقيه المالكي المتكلم صاحب عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون كان فصيحا مفوها، وكان أحمد بن المعدل المتفقه على مذهب مالك في بلده ممن نصر مذهب مالك بالبصرة فذب عنه ودعا الناس إليه وناظر عليه وكان حسن الطريقة إلا أن الموت عاجله فلم ينتفع بعلمه

قال أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل: سمعت محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب يقول: استأذنت المتوكل أن ارجع إلى البصرة، ولوددت أني لم أكن استاذنته، كنت اكون في جواره قلت: وكيف؟ قال: اشهد على اني جعلت دعائي في المشاهد كلها للمتوكل وذلك أن صاحبنا عمر بن عبد العزيز جاء الله به برد المظالم وجاء الله بالمتوكل برد الدين.

حدث أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان قال: قال لي عمى أبو على عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان: أمر المتوكل بمسألة أحمد بن حنبل، عمن يتقلد القضاء، قال أبو مزاحم: فسأله عمي، فأجابه أحمد في ذلك، فسألت عمي أن يخرج إلى جوابه فكتبته، ثم أقر لي بصحته وفيه: سألته عن إبراهيم بن محمد التيمي قاضى البصرة، فقال: ما بلغني عنه الا الجميل. وفي حدث أبو مزاحم موسى بن عبيد الله، قال: قال لي: عمي أبو على عبد الرحمن بن خاقان: أمر المتوكل بمسائلة أحمد بن حنبل، عمن يتقلد القضاء، فذكر الحديث وقال فيه: وسألته عن بن أبي الشوارب قاضي فارس، فقال: إن كان الشيخ فما بلغني عنه الا خيرا، وإن كان بن الشيخ أو غيره فلا اعرفه.

عن المبرد قال حدثني أحمد بن المعدل البصري قال كنت جالسا عند عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون فجاءه بعض جلسائه فقال أعجوبة قال ما هي قال خرجت إلى حائطي بالغابة فلما أن أصحرت وبعدت عن البيوت بيوت المدينة تعرض لي رجل فقال اخلع ثيابك فقلت وما يدعوني إلى خلع ثيابي قال أنا أولى بها منك قلت ومن أين قال لأني أخوك وأنا عريان وأنت مكس قلت فالمواساة قال كلا قد لبستها برهة وأنا أريد أن ألبسها كما لبستها قلت فتعريني وتبدي عورتي قال لا بأس بذلك قد روينا عن مالك أنه قال لا بأس للرجل أن يغتسل عريانا قلت فيلقاني الناس فيرون عورتي قال لو كان الناس يرونك في هذه الطريق ما عرضت لك فيها فقلت أراك ظريفا فدعني حتى أمض إلى حائطي وانزع هذه الثياب فأوجه بها إليك قال كلا أردت أن توجه إلى أربعة من عبيدك فيحملوني إلى السلطان فيحسبني ويمزق جلدي ويطرح في رجلي القيد قلت كلا أحلف لك إيمانا أني أوفي لك بها وعدتك ولا أسوءك قال كلا إنا روينا عن مالك أنه قال لا تلتزم الأيمان التي يحلف بها اللصوص قلت فأحلف أني لا أحتال في أيماني هذه قال هذه يمين مركبة على اللصوص قلت فدع المناظرة بيننا فوالله لأوجهن إليك هذه الثياب طيبة بها نفسي فأطرق ثم رفع رأسه وقال تدري فيم فكرت قلت لا، قال تصفحت أمر اللصوص من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا فلم أجد لصا أخذ تسئمة وأكره أن أبتدع في الإسلام بدعة يكون على وزرها ووزر من عمل بها بعدي إلى يوم القيامة اخلع ثيابك قال فخلعتها فدفعتها إليه فأخذها وانصرف.

مراجع: تاريخ بغداد/ / الأعلام للزركلى/ الثقات لابن حبان/ المنتظم/

◆ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد (عاشر ملوك الدولة العباسية) وعلي بن الجهم القرشي 0924

حكى أحمد بن الفضل الهاشمي عن علي بن الجهم[1] أنه قال: دخلت على أمير المؤمنين المتوكل، فرأيت الفتح بن خاقان[2] وزيره واقفا على غير مرتبته التي يقوم عليها، متكئا على سيفه، مطرقا إلى الأرض، فأنكرت حاله، وكنت إذا نظرت إليه نظر الخليفة إلي، وإذا صرفت وجهي إلى نحو الخليفة أطرق، فقال لي الخليفة: يا علي أنكرت شيئا؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ما هو؟ قلت: وقوف الفتح بن خاقان في غير منزلته، قال: وسوء اختياره أقامه ذلك المقام، قلت: ما السبب يا أمير المؤمنين؟ قال: خرجت من عند جارية لي فأسررت إليه سرا فما عداني السر أن عاد إلي! قلت: لعلك أسررت إلى غيره؟ قال: ما كان هذا. قلت: فلعل مستمعا استمع إليكما؟ قال: لا ولا هذا أيضا، قال: فأطرقت مليا ثم رفعت رأسي فقلت: يا أمير المؤمنين قد وجدت له مما هو فيه مخرجا، قال: وما هو؟ قلت: خبر أبي الجوزاء، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبي الجوزاء قال: طلقت امرأتي في نفسي وأنا بالمسجد ثم انصرفت إلى منزلي، فقالت لي امرأتي: طلقتني يا أبا الجوزاء؟ قلت: من أين لك هذا؟ قالت: حدثتني به جارتي الأنصارية. قلت: ومن أين لها هذا؟ قالت: ذكرت أن زوجها خبرها بذلك، قال: فغدوت على ابن عباس رضي الله عنهما، فقصصت عليه القصة فقال: أما علمت أن وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل؟ فمن هنا يفشو السر. فضحك المتوكل وقال: إلي يا فتح! فصب عليه خلعة، وحمله على فرس، وأمر له بمال؛ وأمر لي بدونه، فانصرفت إلى منزلي: وقد شاطرني الفتح فيما أخذ، فصار إلي الأكثر.

■ (1) علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن، من بني سامة من لؤي بن غالب: شاعر رقيق الشعر أديب من أهل بغداد كان معاصرا لابي تمام، وخص بالمتوكل العباسي ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان فأقام مدة وانتقل إلى حلب ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو فاعترضه فرسان من بني كلب فقاتلهم وجرح ومات من جراحه سنة 249 هـ

■ (2) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، أبو محمد: أديب، شاعر، فصيح، كان في نهاية الفطنة والذكاء. فارسي الاصل، من أبناء الملوك. اتخذه المتوكل العباسي أخا له، واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه. وكان يقدمه على جميع أهله وولده. واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن. وألف كتابا سماه اختلاف الملوك وكتابا في: الصيد والجوارح وكتاب الروضة والزهر. وقتل مع المتوكل سنة 247 هـ.

قال المأمون وهو من أعلى الخلفاء مكانا وأوسعهم علما: الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاثة أشياء: القدح في الملك، وإفشاء السر، والتعرض للحرم.

قيل إن المتوكل قال يوما لجلسائه: نقم المسلمون على عثمان أشياء، منها: أن الإمام أبا بكر رضي الله عنه لما تسنم المنبر هبط عن مقام النبي صلى الله عليه وسلم مرقاة، ثم قام عمر دون مقام أبي بكر، وصعد عثمان ذروة المنبر. فقال عباد: ما أحد أعظم منه عليك من عثمان يا أمير المؤمنين، وكيف ويلك! قال: لأنه صعد ذورة المنبر، ولو أنه كلما قام خليفة نزل مرقاة، ونزل عثمان عمن تقدمه، كنت أنت تخطبنا من بئر! فضحك المتوكل ومن حوله.

مراجع: القلائد من فرائد الفوائد / الأعلام للزركلي/ معجم الأدباء/ إيقاظ أولي الهمم العالية/

◆ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد (عاشر ملوك الدولة العباسية) وبختيشوع بن جبرئيل (١) 0925

قال القفطي: كان بختيشوع بن جورجيس بن بختيشوع[1] الجند يسابوري نصرانيا في أيام أبي العباس السفاح[2] وصحبه وعالجه وعاش إلى أيام الرشيد وكان جليلا في صناعة الطب موقرا في بغداد لعلمه وصحبته للخليفة ويكنى أبا جبرائيل. وقد ذكر محمد بن إسحاق النديم في كتابه بختيشوع فقال: هو مشهور مقدم عند الملوك، خدم الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وكسب بالطب ما لم يكسبه أحد وكانت الخلفاء تثق به على أمهات أولادهم وله من الكتب. كتاب التذكر عمله لابنه جبرائيل[3] والحقيقة من أمر بختيشوع بن جورجيس أنه من أهل جند يسابورة وأنه ما رأى السفاح ولا المنصور وإنما أبوه جورجيس رأى المنصور وعالجه على ما يرد في بره. وأما بختيشوع بن جورجيس فما زال مقيما بجند يسابور والمارستان نيابة عن غيبته وحضوره إلى أيام المهدي ومرض ولده الهادي بن المهدي فاستدعى بختيشوع من جند يسابور* وداواه وعز على أم الهادي الخيزران[4] أن استدعاه ولم يستطب أبا قريش[5] طبيبها وأخذت هي وأبا قريش في مناكدة بختيشوع ومضاربته وعلم المهدي بفعلها ذلك فأعادوه مكرما إلى جند يسابور فأقام على حالته في تدبير المارستان هناك ولم يزل على ذلك إلى سنة إحدى وسبعين ومائة مرض الرشيد من صداع لحقه فقال ليحيى بن خالد[6]: هؤلاء الأطباء ليسوا يفهمون شيئا، فقال له يحيى: يا أمير المؤمنين، أبو قريش طبيب والدك ووالدتك قال الرشيد: ليس هو بصيرا بالطب وإنما استطببناه إكراما له لتقدم حرمته وينبغي أن تطلب لي طبيبا ماهرا، فقال: لما مرض أخوك الهادي، أرسل والدك إلى جند يسابور وأحضر رجلا يعرف بختيشوع، فقال له: كيف أعاده وتركه؟! قال: لما رأى والدتك، وعيسى أبا قريش يحسدانه، أذن له بالانصراف إلى بلده، قال له: أرسل البريد في طلبه إن كان حيا، ولما كان بعد أيام ورد بختيشوع بن جورجيس[7]،ودخل على الرشيد فأكرمه، وخلع عليه خلعة سنية، ووهب له مالا وافرا، وقال له: تكون رئيس الأطباء، ولك يسمعون ويطيعون.

وبختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع كان طبيبا حاذقا ابن ابن طبيب ولما ملك الواثق الأمر كان محمد بن عبد الملك الزيات[8] وابن أبي داود[9] يعاديان بختيشوع لسراته وظهور مروءته ونبله وحسن معرفته وكثرة وصلاته وكانا يضرمان عليه الواثق حتى نكبه وقبض أملاكه ونفاه إلى جند يسابور ولما اعتل الواثق بالاستسقاء وبلغ الشدة في مرضه أنفذ من يحضر بختيشوع فمات الواثق قبل أن يوافى بختيشوع ولما ولي المتوكل صلحت حال بختيشوع حتى بلغ في الجلالة والرفعة وعظم المنزلة وحسن الحال وكثرة المال وكمال المروءة ومباراة الخليفة في اللباس والزي والطيب والفرش والضيافات والتفسح في النفقات مبلغا يفوق الوصف. ومن أخباره أن المعتز بالله[10] اعتل في أيام أبيه المتوكل علة من حرارة امتنع معها من أخذ شيء من الأدوية والأغذية فشق ذلك على المتوكل كثيرا واغتم لع غما شديدا فصار إليه بختيشوع والأطباء عنده وهو على حاله في الامتناع وقوة المرض فحادثه ومازحه فأدخل المعتز يده في كم جبة وشيء يماني مثقلة كانت على بختيشوع وقال ما أحسن هذا الثوب فقال له بختيشوع يا مولانا ما له والله نظير في الحسن وثمنه علي ألف دينار كل تفاحتين وخذ الجبة فدعا المعتز بتفاحتين وأكلهما فقال بختيشوع تحتاج الجبة إلى ثوب يكون معها وعندي ثوب هو أخ لها فاشرب شربة سكنجبين* وخذه فشرب شربة سكنجين وأخذهما فوافق ذلك اندفاع طبيعة المعتز وبرئ وكان المتوكل يشكر هذا الفعل أبدا لبختيشوع ويعتقد به له. قال بعض الرواة ومما يدل على لطف منزلة بختيشوع عند المتوكل وانبساطه لديه ما حدثنا به بعض شيوخنا قال دخل بختيشوع يوما إلى المتوكل وهو جالس على سدة في وسط دار الخاصة فجلس بختيشوع على عادته معه على السدة وكان عليه دراعة ديباج رومي وكان قد انفتق ذيلها قليلا فجعل المتوكل يحادث بختيشوع ويعبث بذلك الفتق حتى بلغ إلى حد النيفق ودار بينهما كلام اقتضي أن سأل المتوكل بختيشوع بماذا تعلمون أن الموسوس يحتاج إلى الشد والقيادة قال بختيشوع إذا بلغ في فتق دراعة طبيبه إلى حد النيفق شددناه فضحك المتوكل حتى استلقى على ظهره وأمر له في الوقت بخلع حسنة ومال جزيل. وكان بختيشوع يهدي البخور ومعه في درج آخر فحم يتخذ له من قضبان الكرم والأترج والصفصاف المرشوش عليه عند إحراقه ماء الورد المخلوط بالمسك والكافور وماء الخلاف والشراب العتيق ويقول أنا أكره أن أهدي بخورا بغير فحم فيفسده فحم العامة ويقال هذا عمل بختيشوع وقال المتوكل يوما لبختيشوع ادعني قال نعم وكرامة فأضاف المتوكل وكان الوقت صائفا واظهر من التجمل والثروة وأنفق في الإضافة ما أعجب المتوكل والحاضرين واستكثر المتوكل لبختيشوع ما رآه من نعمته وكمال مروءته فانصرف من داره وأخذ شيئا وجده من ثياب بدنه وحقد عليه ونكبه بعد أيام يسيرة فأخذ له مالا كثيرا ووجد له في جميع كسوته أربعة آلاف سراويل ديبقي في جميعها يكك أبريسم أرمني وحضر الحسين بن مخلد فختم على خزانته وحمل إلى دار السلطان ما صلح منها وباع شيئا كثيرا وبقي بعد ذلك خطب وفحم ونبيذ وأمثال ذلك فاشتراه الحسين بن مخلد بستة آلاف دينار وذكر أنه باع من جملته باثنتي عشرة ألف دينار ثم حسده حمدون ووشى إلى السلطان وبذل فيما بقي في يده مما ابتاعه ستة آلاف دينار فأجيب إلى ذلك وسلم إليه فباعه بأكثر من الضعف وكان هذا في سنة أربع وأربعين ومائتين للهجرة وتوفي بختيشوع يوم الأحد لثمان بقين من صفر سنة ست وخمسين ومائتين ولما توفي خلف عبيد الله ولده وخلف معه ثلاث بنات وكان الوزراء يضادونهم ويطالبونهم بالأموال فتفرقوا وسأذكر حديث عبيد الله بن بختيشوع[11] وبختيشوع هذا كان طبيبا مشهورا في وقته وكان من أطباء المتقي وكان هو وعلي ابن الراهبة[12] وأتوش وثابت بن سنان بن ثابت مشتركين في طب المتقي.

---

*(السكنجبين) السكنجبين هو مركب دوائي من مجموعة من الأشياء كان معروفا عند القدماء/ شراب مركب من حامض وحلو

■ (1) بختيشوع بن جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس: طبيب سرياني الاصل مستعر ب. قربه الخلفاء العباسيون ولا سيما المتوكل العباسي، فعلت مكانته وأثرى حتى كان يضاهى المتوكل في الفرش واللباس. خدم الواثق المتوكل والمستعين المهتدي والمعتز. مات ببغداد سنة 256 هـ

■ (7) بختيشوع بن جرجس: بختيشوع الكبير، طبيب، سرياني الاصل مستعرب. اشتهر وتقدم عند الخلفاء العباسيين. وهو جد بختيشوع المتقدم ذكره. وهما من بيت علم وفلسفة. خدم هارون الرشيد وتميز في أيامه. له كناش مختصر صنفه لابنه جبرائيل. نحو 184 هـ

■ (3) جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس: طبيبـ هارون الرشيد وجليسه وخليله. يقال إن منزلته مازالت تقوى عند الرشيد حتى قال لاصحابه: من كانت له حاجة إلي فليخاطب بها جبرئيل فاني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني. فكان القواد يقصدونه في كل أمورهم. ولما توفي الرشيد خدم الامين، فلما ولي المأمون سجنه ثم أطلقه وأعاده إلى مكانته عند أبيه الرشيد، فلم يزل إلى أن توفي ودفن في دير مار جرجس بالمدائن.سنة 213 هـ ومعنى بختيشوع عبد المسيح، لأن في اللغة السريانية البخت العبد، ويشوع عيسى عليه السلام

■ (5) عيسى المعروف بأبي قريشـ كان صيدلانيا يجلس على موضع نحو باب قصر الخليفة، كناه هارون أبا قريشـ أي أبا العرب

■ (4) الخيزران بنت عطاء زوجة المهدي وأم ولده. جرشية. تزوج المهدي الخيزران، فولدت له الهادي والرشيد، ولم تلد امرأة خليفتين غيرها، غير ولادة أم الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان. توفيت الخيزران ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادي الآخرة سنة 173هـ. وقد روي عن الخيزران عن المهدي حديث مسند عن محمد بن سليمان بن منصور يقول:﴿حَدَّثَتْنِي زَيْنَبُ بِنْتُ سُلَيْمَانَ، قَالَتْ حَدَّثَتْنِي الْخَيْزُرَانُ، قَالَتْ حَدَّثَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ﴾

■ (2) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، السفاح، يكنى أبا العباس ويقال له أيضا المرتضى والقائم.وعبد الله الأصغر بن محمد. ولد بالشراة، سنة 105 هـ، وهو أول ملوك بني العباس بويع بالكوفة، وكان أصغر سنا من أخيه أبي جعفر. بويع السفاح، ليلة الجمعة13 ربيع الآخر من سنة 132 هـ، وقيل: إنه بويع يوم الأربعاء11 ربيع الآخر سنة 132 هـ، وقيل: في النصف من شهر جمادي الآخرة من هذه السنة، وامه ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية، وركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة، فخطب على المنبر قائما، وكانت بنو أمية تخطب قعودا، فضج الناس وقالوا: أحييت السنة يا ابن عم رسول الله، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما، ومات بالجدري بالأنبار في مدينته التي بناها، وذلك في يوم الأحد12 ذي الحجة سنة 136 هـ وصلى عليه عيسى بن علي، ودفن بالأنبار، وهو ابن 33 سنة، وقيل: ابن 29 سنة، وكانت امه تحت عبد الملك بن مروان، فكان له منها الحجاج بن عبد الملك، فلما توفي عبد الملك تزوجها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فولدت منه عبد الله بن محمد السفاح، وعبيد الله، وداود، وميمونة.

■ (8) ابن الزيات الوزير الاديب العلامة أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن الزيات. كان والده زياتا سوقيا، فساد هذا بالادب وفنونه، وبراعة النظم والنثر، ووزر للمعتصم وللواثق، وكان معاديا لابن أبي دواد، فأغرى ابن أبي دواد المتوكل، حتى صادر ابن الزيات وعذبه. وكان يقول بخلق القرآن، ويقول: ما رحمت أحدا قط، الرحمة خور في الطبع. فسجن في قفص حرج، جهاته بمسامير كالمسال، فكان يصيح: ارحموني، فيقولون: الرحمة خور في الطبيعة. مات في سنة ثلاث 233 هـ.

■ (9) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي الإيادي، يقال إن اسم أبي دؤاد الفرج، ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفا بالجود والسخاء، وحسن الخلق ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن. ولدت سنة 160 هـ بالبصرة، ومات في المحرم سنة 240 هـ يوم السبت لسبع بقين منه ودفن في داره ببغداد وصلى عليه ابنه العباس.

■ (12) علي بن الراهبة كان طبيبا للمتقى وهو كبير القدر يكرمه المتقى ويحترمه وكان هو وبختيشوع وأتوش وثابت بن سنان بن ثابت يشتركون في طب المتقى.

■ (11) عبيد الله بن بن بختيشوع كان منصرفا ولما ولي المقتدر استخصه لخدمته وأقام في خدمة المقتدر مدة ثم مات وخلف ولده جبرائيل. ومعنى بختيشوع عبد المسيح، لأن في اللغة السريانية البخت العبد، ويشوع عيسى عليه السلام

■ (6) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (10) محمد المعتز بالله بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم: خليفة عباسي، هو أخو المنتصر بالله ولد في سامراء. وعقد له أبوه البيعة بولاية العهد سنة 235 هـ، وأقطعه خراسان وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وكور فارس. ثم أضاف إليه خزن الاموال في جميع الآفاق، ودور الضرب، وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم، ولما ولي المستعين بالله سنة 248 هـ سجن المعتز، فاستمر إلى أن أخرجه الاتراك بعد ثورتهم على المستعين. وبايعوا له سنة 251 هـ فكانت أيامه أيام فتن وشغب. وجاءه قواده فطلبوا منه مالا لم يكن يملكه، فاعتذر، فلم يقبلوا عذره، ودخلوا عليه فضربوه، فخلع نفسه، فسلموه إلى من يعذبه، فمات بعد أيام شابا سنة 255 هـ. قيل اسمه الزبير وقيل طلحة. وكان فصيحا، له خطبة ذكرها ابن الاثير في الكلام على وفاته. قال ابن دحية: كان فيه أدب وكفاية فلم ينفعه ذلك لقرب قرناء السوء منه، فخلع، وما زال يعذب بالضرب حتى مات بسر من رأى، وقيل: أدخل في الحمام فأغلق عليه حتى مات. مدة خلافته ثلاث سنوات وستة أشهر و 14 يوما.

☪

دخل بختيشوع على يحيى بن خالد فقال له: توق فإن حمى ليلة يبقى في البدن تأثيره سنة. وعنده وكيع فقال: صدق! فقال يحيى: ما أقرب تصديقك إياه! قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿حمى ليلة كفارة سنة﴾ ضعيف. فعلمت أن هذا كما قال. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أن الله تعالى يقول الحمى ناري أسلطها على عبدي، فإن لم يشكني إلى عواده أبدلته لحما خيرا من دمه، وأخرجته من ذنوبه كهيئة يوم ولد. وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ ، فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ﴾

مراجع: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ الجاهر في معرفة الجواهر/ أخبار العلماء بأخبار الحكماء/ تاريخ مختصر الدول/ نشوار المحاضرة/ الأعلام للزركلي/ القانون في الطب/ صحيح مسلم/

قال أبو الفضل: حدث أبو الحسن، ثابت بن سنان الحراني الطبيب: أنه رأى رقعة يتواردونها، بخط جبريل بن بختيشوع[1] المتطبب، فيها ثبت ما وصل إليه، من يحيى بن خالد البرمكي[2]، وبنيه، وجواريه، وأولاده، من ضيعة، وعقار، ومال، وغير ذلك، يحتوي على سبعين ألف ألف درهم، وتفصيل ذلك، شيئا شيئا، وأنهم يحفظونها للعجب والاعتبار. قال: فاستهولت ذلك، وانصرفت، فحدثت بذلك، بعض الرؤساء ببغداد، وكان بحضرته أبو الحسن علي بن هارون بن المنجم[3]، فقال: وأي شيء تتعجب من هذا؟ حدثني أبي، عن أبيه، قال: كنت بحضرة المتوكل، في يوم مهرجان، أو نيروز، وهو جالس، والهدايا تحمل إليه، من كل شيء عظيم، ظريف مليح، إلى أن ضربت دبادب الظهر، وهم بالقيام، فدخل بختيشوع[4] الطبيب، وهو ابن جبريل بن بختيشوع الأكبر[٥]، فحين رآه المتوكل استدناه جيدا، حتى صار مع سريره، وأخذ يمازحه، ويلاعبه، ويقول: أين هدية اليوم؟ فقال له بختيشوع: يا أمير المؤمنين، أنا رجل نصراني، لا أعرف هذا اليوم، فأهدي فيه. فقال: دع هذا عنك، ما تأخرت إلى الآن، إلا أنك أردت أن تكون هديتك خير الهدايا، فيرى فضلها على الهدايا. فقال: ما فكرت في هذا، ولا حملت شيئا. فقال له: بحياتي عليك. فضرب بيده إلى كمه، فأخرج منه، مثل الدواة، معمولا من عود هندي، لم ير قط مثله، كالأبنوس* سوادا، وعليه حلية ذهب محرق، لم ير قط أحسن منها عملا، ولا من الدواة. قال: فقدر المتوكل، أن الهدية هي الدواة، فاستحسنها. فقال: لا تعجل يا مولاي، حتى ترى ما فيها. ففتحها، وأخرج من داخلها، ملعقة كبيرة محرقة، من ياقوت أحمر. قال: فخطفت أبصارنا، ودهشنا، وتحيرنا. فبهت المتوكل، وأبلس، وسكت ساعة متعجبا، مفكرا، ثم قال: يا بختيشوع، والله، ما رأيت لنفسي، ولا في خزانتي، ولا في خزائن آبائي، ولا سمعت، ولا بلغني أنه كان للملوك من بني أمية، ولا لملوك العجم مثلها، فمن أين لك هذه؟ فقال: الناس لا يطالبون بمثل هذا، وقد أهديت إليك، ما قد اعترفت بأنك لم تر، ولم تسمع، بمثله حسنا، فليس لم مسألتي عن غيره. قال: بحياتي أخبرني. فامتنع، إلى أن كرر عليه إحلافه بحياته، دفعات، وهو يمتنع. فقال: ويحك، أحلفك بحياتي، دفعات، أن تحدثني حديثا، فتمتنع، وقد بذلت لي ما هو أجل من كل شيء. قال: فقال له: نعم يا مولاي، كنت حدثا، أصحب أبي جبريل ابن بختيشوع إلى دور البرامكة، وهو إذا ذاك طبيبهم، لا يعرفون خدمة طبيب غيره، ولا يثقون برأي غيره، ويدخل إلى حرمهم، ولا يستتر أكثرهم عنه. قال: فصحبته يوما، وقد دخل إلى يحيى بن خالد، فلما خرج من عنده، عدل به الخادم، إلى حجرة دنانير جاريته، فدخلت معه، وأفضينا إلى ستارة منصوبة، في صدر مجلس عظيم، وخلفها الجارية، فشكت إليه شيئا وجدته، فأشار عليها بالفصد*، وكان لا يفصد بيده، وإنما يحمل معه من يفصد من تلامذته، ورسم الفصد عليهم خمسمائة دينار. قال: فندبني ذلك اليوم للفصد، وأخرجت يدها من وراء الستارة، ففصدتها، وحملت إلي في الحال خمسمائة دينار عينا، وأخذتها، وجلس أبي إلى أن يحمل إليها شراب تشربه بحضرته، ورمان أشار عليها باستعماله. قال: فحمل ذلك في صينية عظيمة مغطاة، وتناولت منه ما أرادت، وخرج الظرف مكشوفا، فرآه أبي، فقال للخادم: قدمه إلي، فقدمه إليه، فكان في جملته جامة* فيها رمان، وفيها هذه الملعقة، فحين رآها أبي قال: والله ما رأيت مثل هذه الملعقة، ولا الجامة. قال: فقالت له دنانير: بحياتي عليك، يا جبريل، خذها. قال: ففعل، وقام ينصرف.فقالت له: تمضي، ففي أي شيء تدع هذه الملعقة؟ قال: لا أدري. قالت: أهدي إليك غلافها. فقال: إن تفضلت. فقالت: هاتم تلك الدواة. فجاءوا بهذه الدواة، فوضع أبي فيها الملعقة، وحملها، والجامة في كمه، وانصرفنا.

فقال له المتوكل: جامة تكون هذه ملعقتها، يجب أن تكون عظيمة القدر، فبحياتي، ما كان من أمر الجامة؟ فاضطرب، وامتنع امتناعا عظيما، إلى أن أحلفه مرارا بحياته. فقال: أعلم، إذا قلت أي شيء كانت، طالبتني بها، فدعني أمضي، وأجيء بها، وأتخلص منك دفعة واحدة. فقال: افعل. قال: ومضى، فلم يهن المتوكل الجلوس، ولم يأخذه القرار، حتى جاء بختيشوع، وأخرج من كمه جامة، على قدر الزبدية*، أو الجامة اللطيفة، من ياقوت أصفر، فوضعها بين يديه.

----

*(الجام) إناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها وهي مؤنثة وقد غلب استعمالها في قدح الشراب ويقال صب عليه جامه غضب عليه واستفزه ج جامات وأجوام وجوم (الفصد) هو شق العرق والمقصود به هو إخراج دم من أحد أجزاء الجسم عن طريق احداث شق في وريد رئيسي من الجسم ويتم الفصد في العصور الحديثة بواسطة إبرة واسعة المجرى ويؤخذ الدم مباشرة.(الأبنوس) هي خشب الجوز (الزبدية) صحفة أو وعاء من الخزف المحروق المطلي بالميناء يخثر فيها اللبن والجمع. الزبادي

■ (4) بختيشوع بن جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس: طبيب سرياني الاصل مستعر ب. قربه الخلفاء العباسيون ولا سيما المتوكل العباسي، فعلت مكانته وأثرى حتى كان يضاهى المتوكل في الفرش واللباس. خدم الواثق المتوكل والمستعين المهتدي والمعتز. مات ببغداد سنة 256 هـ

■ (1) جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس: طبيب هارون الرشيد وجليسه وخليله. يقال إن منزلته مازالت تقوى عند الرشيد حتى قال لاصحابه: من كانت له حاجة إلي فليخاطب بها جبرئيل فاني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني. فكان القواد يقصدونه في كل أمورهم. ولما توفي الرشيد خدم الامين، فلما ولي المأمون سجنه ثم أطلقه وأعاده إلى مكانته عند أبيه الرشيد، فلم يزل إلى أن توفي ودفن في دير مار جرجس بالمدائن.سنة 213 هـ ومعنى بختيشوع عبد المسيح، لأن في اللغة السريانية البخت العبد، ويشوع عيسى عليه السلام.

■ (٥) بختيشوع بن جرجس: بختيشوع الكبير، طبيب، سرياني الاصل مستعرب. اشتهر وتقدم عند الخلفاء العباسيين. وهو جد بختيشوع المتقدم ذكره. وهما من بيت علم وفلسفة. خدم هارون الرشيد وتميز في أيامه. له كناش مختصر صنفه لابنه جبرائيل. نحو 184 هـ

■ (2) يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الفارسي، ضمه المهدي إلى ابنه الرشيد ليربيه، ويثقفه، ويعرفه الأمور، فلما استخلف، رفع قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه: يا أبي، ورد إليه مقاليد الوزارة، وصير أولاده ملوكا، وبالغ في تعظيمهم إلى الغاية مدة، إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه، وذهبت دولة البرامكة.

■ (3) علي بن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم وكان إخباريا أديبا شاعرا متكلما مات علي بن هارون بن المنجم سنة 352 هـ وكان مولده سنة 276 هـ

قال أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم، حدثني أبي: خرجنا مع المتوكل إلى دمشق فلحقنا ضيقة بسبب المؤن والنفقات التي كانت تلزمنا، قال: فبعثت إلى بختيشوع، وكان لي صديقا، أسأله أن يقرضني عشرين ألف درهم، قال: فأقرضنيها، فلما كان بعد يوم أو يومين، دخلت مع الجلساء إلى المتوكل، فلما جلسنا بين يديه، قال: يا علي، لك عندي ذنب، وهو عظيم، قلت: يا سيدي، ما هو، فإني لا أعرف لي ذنبا ولا خيانة؟! قال: بل أضقت فاستقرضت من بختيشوع عشرين ألف درهم، أفلا أعلمتني! قال: قلت: يا مولاي، صلات أمير المؤمنين عندي متوافرة، وأرزاقه وأنواله علي دارة، واستحييت مع ما قد أنعم الله علينا به من هذا التفضل أن أسأله، زاد أبو العز شيئا وقالا: ولم إياك أن تستحي من مسألتي أو الطلب مني وأن تعاود مثل ما كان منك، ثم قال: مائة ألف درهم بغير صروف، فأحضرت عشر بدر، فقال: خذها واتسع بها.

قال يوسف بن إبراهيم، حدثني زكريا بن الطيفوري[1] قال: كنت مع الأفشين[2] في معسكره، وهو في محاربة بابك[3] فأمر بإحصاء جميع من في عسكره من التجار وحوانيتهم، وصناعة رجل رجل منهم، فرفع ذلك إليه، فلما بلغت القراءة بالقارئ إلى موضع الصيادلة قال لي يا زكريا، ضبط هؤلاء الصيادلة عندي أولى ماتقدم فيه، فامتحنهم حتى نعرف منهم الناصح من غيره، ومن له دين ومن لا دين له، فقلت أعز الله الأمير، إن يوسف لقوة الكيميائي[؟] كان يدخل على المأمون[4] كثيرا ويعمل بين يديه، فقال له يوما: ويحك يا يوسف، ليس في الكيمياء شيء؟ فقال له بلى، يا أمير المؤمنين، وإنما آفة الكيمياء الصيادلة، قال له المأمون: ويحك، وكيف ذلك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الصيدلاني لا يطلب منه إنسان شيئا من الأشياء كان عنده أو لم يكن، إلا أخبره بأنه عنده، ودفع إليه شيئا من الأشياء التي عنده، وقال هذا الذي طلبت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يضع اسما لا يعرف، ويوجه جماعة إلى الصيادلة في طلبه ليبتاعه فليفعل، فقال له المأمون: قد وضعت الاسم وهو سقطيثا، وسقطيثا ضيعة تقرب من مدينة السلام، ووجه المأمون جماعة من الرسل يسألهم عن سقطيثا، فكلهم ذكر أنه عنده، وأخذ الثمن من الرسل ودفع إليهم شيئا من حانوته، فصاروا إلى المأمون بأشياء مختلفة، فمنهم من أتى ببعض البزور، ومنهم من أتي بقطعة من حجر، ومنهم من أتى بوبر، فاستحسن المأمون نصح يوسف لقوة عن نفسه، وأقطعه ضيعة على النهر المعروف بنهر الكلبة، فهي في أيدي ورثته ومنها معاشهم، فإن رأى الأمير أن يمتحن هؤلاء الصيادلة بمثل محنة المأمون فليفعل، فدعا الأفشين بدفتر من دفاتر الأسروشنية، فأخرج منها نحوا من عشرين اسما ووجه إلى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مسماة بتلك الأسماء، فبعضهم أنكرها وبعضهم ادعى معرفتها، وأخذ الدراهم من الرسل ودفع إليهم شيئا من حانوته، فأمر الأفشين بإحضار جميع الصيادلة، فلما حضروا كتب لمن أنكر معرفة تلك الأسماء منشورات إذن لهم فيها بالمقام في عسكره؛ ونفى الباقين عن العسكر، ولم يأذن لأحد منهم في المقام، ونادى المنادي بنفيهم، وبإباحة دم من وجد منهم في معسكره، وكتب إلى المعتصم[5] يسأله البعثة إليه بصيادلة لهم أديان ومذهب جميل، ومتطببين كذلك؛ فاستحسن المعتصم ذلك ووجه إليه بها سأل.

■ (1) الأفشين حيدر بن كاوس، عقد له المعتصم في قتال بابك الخرمي، وكان من الامراء الشجعان، واتهم بالكفر وعبادة الاصنام، فسجنه المعتصم حتى مات سنة 226 هـ

■ (3) بابك الخرمي فارسي مجوسي الاصل هو أحد المارقين عن الاسلام، أراد أن يقيم ملة المجوس في فارس بعد مقتل أبي مسلم الخراساني. كان يرى رأي المزدكية من المجوس الذين خرجوا أيام قباذ وأباحوا النساء والمحرمات وقتلهم أنو شروان وقد ظهر بابك أيام المعتصم فاستولى على الممالك وعاث في البلاد فسادا. وقاد ثورة على العباسيين بعد مصرع أبي مسلم الخراساني، استمرت حوالى عشرين سنة.جائت ثورته في عصر المعتصم العباسي، وتمكن المعتصم في حملة قادها الأفشين حيدر بن كاوس من دحرها سنة 222 هـ صُلب في سامراء

■ (4) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي سنة 218 هـ

■ (1) زكريا بن الطيفوري إسرائيل بن زكريا الطيفوري مطبب الفتح بن خاقان كان مقدما في صناعة الطب جليل القدر عند الخلفاء الملوك كثيري الاحترام له. وكان مختصا بخدمة الفتح بن خاقان بصناعة الطب وله منه الجامكية الكثيرة والأنعام الوافرة وكان المتوكل بالله يرى له كثيرا ويعتمد عليه وله عند المتوكل المنزلة المكينة.

■ (5) محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، يكنى أبا إسحاق، والمعتصم يقال له: الثماني، ولد بالخلد في سنة 180 هـ، وهو ثامن الملوك، والثامن من ولد العباس، استخلف أبو إسحاق محمد بن هارون سنة 218 هـ ومات بالخاقاني من سر من رأى، سنة 227 هـ

■ (؟) يوسف لقوة الكيميائي ؟

مراجع: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ الجماهر في معرفة الجواهر/ أخبار العلماء بأخيار الحكماء/ تاريخ مختصر الدول/ نشوار المحاضرة/ الأعلام للزركلى/

◆ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد (عاشر ملوك الدولة العباسية) وحنين بن إسحاق العبادي 0927

قال ابن العبري: في أيام المتوكل[1]، اشتهر حنين بن اسحق[2] الطبيب النصراني العبادي، ونسبته إلى العباد، وهم قوم من نصارى العرب من قبائل شتى، اجتمعوا وانفردوا عن الناس في قصور ابتنوها بظاهر الحيرة، وتسموا بالعباد لأنه لا يضاف إلا إلى الخالق، وأما العبيد فيضاف إلى المخلوق الخالق. وكان اسحق والد حنين صيدلانيا بالحيرة، فلما نشأ حنين أحب العلم، فدخل بغداد وحضر مجلس يوحنا بن ماسويه[3]، وجعل يخدمه ويقرأ عليه. وكان حنين صاحب سؤال، وكان يصعب على يوحنا فسأله حنين في بعض الأيام مسألة مستفهم، فحرد يوحنا وقال: ما لأهل الحيرة والطب، عليك ببيع الفلوس في الطريق.فأمر به فأخرج من داره. فخرج حنين باكيا وتوجه إلى بلاد الروم وأقام بها سنتين حتى أحكم اللغة اليونانية، وتوصل في تحصيل كتب الحكمة غاية إمكانه، وعاد إلى بغداد بعد سنتين، ونهض من بغداد إلى أرض فارس، ودخل البصرة ولزم الخليل بن أحمد[4] حتى برع في اللسان العربي، ثم رجع إلى بغداد.

قال عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع[5]، في مناقب الأطباء: إن حنينا لما قوي أمره، وانتشر ذكره بين الأطباء، واتصل خبره بالخليفة أمر بإحضاره، فلما حضر أقطع إقطاعات حسنة، وقرر له جار جيد، وكان يشعره بزبور الروم، وكان الخليفة يسمع بعلمه ولا يأخذ بقوله دواء يصفه حتى يشاور فيه غيره، وأحب امتحانه حتى يزول ما في نفسه عليه ظنا منه أن ملك الروم ربما كان عمل شيئا من الحيلة به، فاستدعاه يوما وأمر بأن يخلع عليه، وأحضر توقيعا فيه إقطاع يشتمل على خمسين ألف درهم، فشكر له حنين هذا الفعل، ثم قال، بعد أشياء جرت أريد أن تصف لي دواء يقتل عدوا نريد قتله، ولم يمكن إشهاره، ونريده سرا، فقال حنين: يا أمير المؤمنين، إني لم أتعلم إلا الأدوية النافعة، وما علمت أن أمير المؤمنين يطلب مني غيرها، فإن أحب أن أمضي وأتعلم فعلت ذلك، فقال: هذا شيء يطول، ورغبه وهدده وهو لا يزيد على ما قاله، إلى أن أمر بحبسه في بعض القلاع، ووكل به من يوصل خبره إليه، وقتا بوقت ويوما بيوم، فمكث سنة في حبسه دأبه النقل والتفسير والتصنيف، وهو غير مكترث بما هو فيه، فلما كان بعد سنة أمر الخليفة بإحضاره، وإحضار أموال يرغبه فيها، وأحضر سيفا ونطعا وسائر آلات العقوبات، فلما حضر قال: هذا شيء قد كان، ولا بد ما قلته لك، فإن أنت فعلت فقد فزت بهذا المال وكان لك عندي أضعافه، وإن امتنعت قابلتك بشر مقابلة وقتلتك شر قتلة، فقال حنين: قد قلت لأمير المؤمنين إني لم أحسن إلا الشيء النافع، ولم أتعلم غيره، فقال الخليفة: فإني أقتلك، قال حنين: لي رب يأخذ بحقي غدا في الموقف الأعظم، فإن اختار أمير المؤمنين أن يظلم نفسه فليفعل، فتبسم الخليفة وقال له: يا حنين، طب نفسا، وثق إلينا، فهذا الفعل كان منا لامتحانك، لأنا حذرنا من كيد الملوك، وإعجابنا لننتفع بعلمك، فقبل حنين الأرض وشكر له، فقال له الخليفة: يا حنين، ما الذي منعك من الإجابة مع ما رأيته من صدق عزيمتنا في الحالين؟ فقال حنين: شيئان يا أمير المؤمنين، قال: وما هما؟ قال: الدين والصناعة، قال: فكيف؟ قال: الدين يأمرنا بفعل الخير والجميل مع أعدائنا فكيف أصحابنا وأصدقائنا، ويبعد ويحرم من لم يكن كذا، والصناعة تمنعنا من الإضرار بأبناء الجنس لأنها موضوعة لنفعهم ومقصورة على مصالحهم، ومع هذا فقد جعل الله في رقاب الأطباء عهدا مؤكدا بأيمان مغلظة أن لا يعطوا دواء قتالا، ولا ما يؤذي، فلم أر أن أخالف هذين الأمرين من الشريعتين، ووطنت نفسي على القتل، فإن الله ما كان يضيع من بذل.

■ (2) حنين بن إسحاق العبادي، أبو زيد: طبيب، مؤرخ، مترجم: كان أبوه صيدلانيا، من أهل الحيرة في العراق وسافر حنين إلى البصرة فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وانتقل إلى بغداد فأخذ الطب عن يوحنا بن ماسويه وغيره، وتمكن من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية، فانتهت إليه رياسة العلم بها بين المترجمين، مع إحكامه العربية، وكان فصيحا بها شاعرا. واتصل بالمأمون فجعله رئيسا لديوان الترجمة، وبذل له الا موال والعطايا. وجعل بين يديه كتابا نحارير عالمين باللغات، كانوا يترجمون، ويتصفح حنين ما ترجموا فيصلح ما يرى فيه خطأ. ولخص كثيرا من كتب أبقراط وجالينوس وأوضح معانيها. وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله إلى العربية من الكتب، فكان يختار لكتبه أغلظ الورق، ويأمر كتابه يخطوها بالحروف الكبيرة ويفسحوا بين السطور. ورحل رحلات كثيرة إلى فارس وبلاد الروم. وعاصر تسعة من الخلفاء. وكان يحفظ إلياذة هوميروس. له كتب ومترجمات كثيرة تزيد على مئة، ومات في بغداد.سنة 260 هـ

■ (1) أبو الفضل،جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، ولد سنة 205 هـ بويع له بعد موت أخيه هارون الواثق سنة 232 هـ، كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر، ثم المعتز، ثم المؤيد، ثم إنه أراد تقديم المعتز لمحبته لأمه، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد، فأبى، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه، فدخلوا عليه في مجلس لهوه وقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة 247 هـ.قال خليفة بن خياط: استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها.

■ (3) يوحنا بن ماسويه، أبو زكريا: من علماء الاطباء. سرياني الاصل. عربي المنشأ. كان أبوه صيدلانيا في جنديسابور بخوزستان ثم من أطباء العين، في بغداد. وتقدم، وخدم الرشيد. وببغداد نشأ ابنه يوحنا صاحب الترجمة ونبغ حتى كان أحد الذين عهد إليهم هارون الرشيد بترجمة ما وجد من كتب الطب القديمة، في أنقرة وعمورية وغيرهما من بلاد الروم، وجعله أمينا على الترجمة، ورتب له كتابا حاذقين بين يديه. ولم يقتصر عمله على خدمة العلم بل خدم الرشيد والمأمون ومن بعدهما إلى أيام المتوكل، بمعالجتهم وتطبيب مرضاهم، حتى كانوا لا يتناولون شيئا من أطعمتهم إلا بحضرته. وكان يقف على رؤوسهم ومعه البراني بالجوارشات المقوية والهاضمة. وأصاب شهرة واسعة وثروة طائلة. وكان مجلسه ببغداد أعمر مجلس، يجمع الطبيب والمتفلسف والاديب والظريف. له نحو أربعين كتابا معظمها رسائل، توفي بسامرا. سنة 243 هـ

■ (4) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الازدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والادب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها. وهو أستاذ سيبويه النحوي. ولد ومات في البصرة سنة 170 هـ، وعاش فقيرا صابرا. كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغمورا في الناس لايعرف. قال النضر بن شميل: ما رأى الرأوون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه. من كتبه كتاب العين في اللغة والفراهيدي نسبة إلى بطن من الازد، وكذلك اليحمدي.

■ (5) عبيد الله بن بن بختيشوع كان منصرفا ولما ولي المقتدر استخصه لخدمته وأقام في خدمة المقتدر مدة ثم مات وخلف ولده جبرائيل. ومعنى بختيشوع عبد المسيح، لأن في اللغة السريانية البخت العبد، ويشوع عيسى عليه السلام

قال إسحاق بن علي الرهاوي في كتاب أدب الطبيب عن عيسى بن ماسة قال : أخبرني يوحنا بن ماسويه أن أبا قريش كان صيدلانيا يجلس على موضع نحو باب قصر الخليفة وكان دينا صالحا في نفسه وأن الخيزران جارية المهدي وجهت بمائها مع جارية لها إلى الطبيب فخرجت الجارية من القصر فأرت أبا قريش الماء فقال لها : هذا ماء امرأة حبلى بغلام فلما مضت الأيام ولدت موسى أخا هارون الرشيد. فعند ذلك أعلمت المهدي وقالت له: إن طبيبا على الباب أخبر بهذا منذ تسعة أشهر. وبلغ الخبر جورجس بن جبرائيل فقال: كذب ومخرقة.وما مضى بعد ذلك إلا قليل حتى حبلت بأخيه هاررن الرشيد فقال جورجس للمهدي جرب أنت هذا الطبيب ! فوجه إليه بالماء فلما نظر إليه قال : هذا ماء ابنتي أم موسى وهي حبلى بغلام آخر. فرجعت الرسالة بذلك إلى المهدي وأثبت اليوم عنده فلما مضت الأيام ولدت هارون فوجه المهدي إلى أبي قريش فأحضره وأقيم بين يديه فلم يزل يطرح عليه الخلع وبدر الدنانير والدراهم حتى علت رأسه وسير هارون وموسى في حجره وكناه أبا قريش أي أبا العرب.

مراجع: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ أخبار العلماء بأخبار الحكماء/ تاريخ مختصر الدول/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد (عاشر ملوك الدولة العباسية) وأهل الذمة 0928

قال ابن القيم رحمه الله:حج المتوكل[1] سنة (خمس وثلاثين ومائتين) فرئي رجل يطوف بالبيت، ويدعو على المتوكل، فأخذه الحرس وجاءوا به سريعا، فأمر بمعاقبته، فقال له: والله، يا أمير المؤمنين، ما قلت ما قلته، إلا وقد أيقنت بالقتل، فاسمع كلامي، وأمر بقتلي، فقال: قل. فقال: سأطلق لساني بما يرضي الله ورسوله ويغضبك يا أمير المؤمنين، فقد اكتنفت دولتك كتابا من الذمة، أحسنوا الاختيار لأنفسهم، وأساءوا الاختيار للمسلمين، وابتاعوا دنياهم بآخرة أمير المؤمنين، خفتهم ولم تخف الله، وأنت مسئول عما اجترحوا، وليسوا مسئولين عما اجترحت؛ فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك؛ فإن أخسر الناس صفقة يوم القيامة، من أصلح دنيا غيره بفساد آخرته، واذكر ليلة تتمخض صبيحتها عن يوم القيامة، وأول ليلة يخلو المرء في قبره بعمله. فبكى المتوكل إلى أن غشي عليه، وطلب الرجل فلم يوجد، فخرج أمره بلبس النصارى واليهود الثياب العسلية –على زي خاص– وألا يمكنوا من لبس الثياب، لئلا يتشبهوا بلبس المسلمين، ولتكن ركبهم خشبا –أي: لا يركبوا السروج كالمسلمين– وأن تهدم بيعهم المستجدة، وأن تطبق عليهم الجزية، ولا يفسح لهم في دخول حمامات المسلمين، وأن يفرد لهم حمامات خدمها ذمة –أي: أن يكون الخدم في هذه الحمامات من أهل دينهم– ولا يستخدموا مسلما في حوائجهم لنفوسهم. أي: لا يجوز أن يستخدم الكفار أي مسلم في حوائجهم، فيكون خادما أو عاملا في خدمة الكفار. وأفرد لهم من يحتسب عليهم من أهل الحسبة –وهم الذين نسميهم الآن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر– فأفرد المتوكل قسما خاصا بالاحتساب على النصارى ليتأكد على قيامهم بهذه الأمور ومن تلبسهم بالذل والصغار وكتب كتابا نسخته: أما بعد: فإن الله اصطفى الإسلام دينا، فشرفه وكرمه، وأناره ونصره، وأظهره، وفضله، وأكمله، فهو الدين الذي لا يقبل الله تعالى غيره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران] ثم ذكر الآيات الكثيرة في حكم أهل الكتاب، ومما ذكره الله تعالى عداوتهم للمؤمنين وآخرها. قال: وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناسا لا رأي لهم ولا روية يستعينون بأهل الذمة في أفعالهم، ويتخذونهم بطانة من دون المسلمين ويسلطونهم على الرعية، فيعسفونهم، ويبسطون أيديهم إلى ظلمهم وغشهم، والعدوان عليهم؛ فأعظم أمير المؤمنين ذلك وأنكره وأكبره وتبرأ إلى الله تعالى منه، وأحب التقرب إلى الله تعالى بحسمه والنهي عنه.

ورأى أن يكتب إلى عماله على الكور والأمصار وولاة الثغور –الكور: جمع كورة وهي القصبة أو الناحية أو المنطقة– والأجناد في ترك استعمالهم للذمة في شيء من أعمالهم وأمورهم، والإشراك لهم في أماناتهم، وما قلدهم أمير المؤمنين واستحفظهم إياه، وجعل في المؤمنين الثقة في الدين والأمانة على إخوانهم المؤمنين، وحسن الرعاية لما استرعاهم، والكفاية لما استكفوا، والقيام بما حملوا، مما أغنى عن الاستعانة بالمشركين بالله، المكذبين برسله، الجاحدين لآياته –وهذا كله كلام الخليفة– الجاعلين معه إلها آخر، لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ورجاء أمير المؤمنين بما ألهمه الله من ذلك، وقذف في قلبه جزيل الثواب، وكريم المآب، والله يعين أمير المؤمنين على نيته في تعزيز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وحزبه، فليعلم هذا من رأي أمير المؤمنين، ولا يستعانن بأحد من المشركين، وإنزال أهل الذمة منازلهم التي أنزلهم الله تعالى بها، فاقرأ كتاب أمير المؤمنين على أهل أعمالك، وأشعه فيهم، ولا يعلمن أمير المؤمنين أنك استعنت ولا أحد من عمالك أو أعوانك بأحد من أهل الذمة في عمل، والسلام.

---

(1) أبو الفضل، جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، ولد سنة 205 هـ بويع له بعد موت أخيه هارون الواثق سنة 232 هـ، كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر، ثم المعتز، ثم المؤيد، ثم إنه أراد تقديم المعتز لمحبته لأمه، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد، فأبى، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه، فدخلوا عليه في مجلس لهوه وقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة 247 هـ.قال خليفة بن خياط: استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: فصل: في المنع من استعمال اليهود والنصارى في شيء من ولايات المسلمين وأمورهم. ثم بدأ بذكر روايات عن الإمام أحمد كعادته فقال: قال أبو طالب: سألت أبا عبد الله: يستعمل اليهودي والنصراني في أعمال المسلمين مثل الخراج؟ قال: لا يستعان بهم في شيء. ثم قال: قال أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا مالك بن أنس، عن عبد الله بن زيد عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ﴾ إلى أن قال: عن عروة عن عائشة أنها قالت:﴿خَرَجَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ بَدْرٍ فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَوْهُ فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِّ صلى الله عليه وسلم جِئْتُ لأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِصَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تُؤْمِنُ بِاللهِّ وَرَسُولِهِ؟. قَالَ: لاَ. قَالَ: فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ. قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَالَ: فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ. قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: تُؤْمِنُ بِاللهِّ وَرَسُولِهِ؟. قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَانْطَلِقْ﴾ رواه مسلم في صحيحه بنحوه. وفي مسند الإمام أحمد من حديث حبيب بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال: ﴿أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُرِيدُ غَزْواً أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ قَوْمِى وَلَمْ نُسْلِمْ فَقُلْنَا: إِنَّا نَسْتَحْيِى أَنْ يَشْهَدَ قَوْمُنَا مَشْهَداً لاَ نَشْهَدُهُ مَعَهُمْ. قَالَ: أَوَأَسْلَمْتُمَا. قُلْنَا: لاَ. قَالَ: فَلاَ نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. قَالَ: فَأَسْلَمْنَا وَشَهِدْنَا مَعَهُ﴾.

ثم يعقب ابن القيم رحمه الله: فصل في سياق الآيات الدالة على غش أهل الذمة للمسلمين وعداوتهم، وخيانتهم وتمنيهم السوء لهم، ومعاداة الرب تعالى لمن أعزهم أو والاهم أوولاهم أمور المسلمين، وذكر آيات كثيرة في أربع صفحات، ثم ذكر بعد ذلك حكم التولية. ثم قال: ولو علم ملوك الإسلام بخيانة النصارى الكتاب، ومكاتبتهم الفرنج أعداء الإسلام، وتمنيهم أن يستأصلوا الإسلام وأهله، وسعيهم في ذلك بجهد الإمكان، لثناهم ذلك عن تقريبهم وتقليدهم الأعمال.

ثم ذكر الأمثلة على ذلك من قصة أحد الملوك الذي كان يسمى الملك الصالح، فقال: دخل بعض العلماء ليعظه والعلماء كانوا يعظون كلا بحسب فهمه وعقله، فالخليفة العالم يكتبون إليه آيات وأحاديث وعلم وفقه، وهذا الملك الصالح لم يكد يفهم الآيات والعبر، فوعظه هذا العالم بموعظة تناسب فهمه وهو في مجلس الكتاب والقضاة والعلماء، فقال له: إن النصارى لا يعرفون الحساب ولا يدرونه على الحقيقة؛ لأنهم يجعلون الواحد ثلاثة، والثلاثة واحدا، والله تعالى يقول: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ [المائدة:73] وأولو أمانتهم وعقد دينهم: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء وقال في قصيده له: كيف يدري الحساب من جعل الـ ـواحد رب الورى ثلاثة

ثم قال: كيف تأمن أن يفعل في معاملة السلطان كما فعل في أصل اعتقاده، ويكون مع هذا أكثر النصارى أمانة؟! وكلما استخرج ثلاثة دنانير دفع إلى السلطان دينارا، وأخذ لنفسه اثنين، ولاسيما وهو يعتقد ذلك قربة وديانة!! فانصرف القوم، واتفق أن كبت بالنصراني فطنته، وظهرت خيانته، فأريق دمه، وسلط على وجوده عدمه إلى أن يقول: وفيهم يقول عمارة اليمني وذكر قصيدة له. وعلى كل حال؛ فكتاب أحكام أهل الذمة لـ ابن القيم رحمه الله موجود، وهذا بعض ما فيه حول تولية اليهود والنصارى واستعمالهم والاستعانة بهم .

مراجع: / الأعلام للزركلي/ دروس للشيخ سفر الحوالي/ ربيع الأبرار/

◆ أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد (عاشر ملوك الدولة العباسية) ومحمد المنتصر بالله 0929

لما ولى المتوكل[1] الخلافة أبطل ما كان أحدثه المأمون ومن بعده من القول بخلق القرآن وحسم المادة في ذلك وحظى في زمانه أهل الأدب إلا أنه كان شديد البغض لعلى بن أبي طالب رضى الله عنه ولأهل بيته على خلاف ما كان عليه المأمون[2] وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث[3] وكان يشد على بطنه مخدة تحت ثيابه ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص ويقول: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين.يعنى عليا رضى الله عنه والمتوكل يضحك ففعل ذلك يوما بحضرة ولده المنتصر[4] فقال له يا أمير المؤمنين إن عليا ابن عمك فكل أنت لحمه إذا شئت ولا تدع مثل هذا الكلب وأمثاله يطمع فيه فقال المتوكل للمغنين غنوا : غار الفتى لابن عمه..رأس الفتى في حرامه. وبلغ من بغضه لعلى وأهل بيته أنه في سنة ست وثلاثين ومائتين أمر بهدم قبر الحسين بن على وما حوله من المنازل ومنع الناس من زيارته. ومن غريب ما اتفق له في ذلك أنه طلب عليا الزكى ويقال علي الهادى وعلي التقى أحد الأئمة الاثنى عشر وبعث إليه جماعة من الترك ليحضروه فهجموا عليه بيته فوجدوه في بيت مغلق وعليه مدرعة شعر وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصا فحمل إلى المتوكل والمتوكل في مجلس شرابه والكأس في يده فلما رآه المتوكل أعظمه وأجلسه إلى جانبه وناوله الكأس فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمى ودمى قط فأعفنى فأعفاه وقال أنشدني شعرا (63 أ) فقال إنى لقليل الرواية للشعر فقال لا بد من ذلك فأنشده: باتوا على قلل الأجبال تحرسهم..غلب الرجال فما أغنتهم القلل..فاستنزلوا بعد عز من معاقلهم..وأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا..ناداهم صارخ من بعد ما قبروا..أين الأسرة والتيجان والحلل..أين الوجوه التى كانت منعمة..من دونها تضرب الأستار والكلل..فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم..تلك الوجوه عليها الدود يقتتل..يا طال ما أكلوادهرا وما شربوا..فأصبحوا بعد طول الأمل قد أكلوا. فبكى المتوكل وأمر برفع الشراب وقال يا أبا الحسن عليك دين قال نعم أربعة آلاف دينار فدفعها إليه ورده إلى بيته مكرما.

■ (4) محمد المنتصر بالله بن جعفر (المتوكل على الله) بن المعتصم، أبو جعفر: من خلفاء الدولة العباسية. ولد في سامراء، وبويع بالخلافة بعد أن قتل أباه سنة 247 هـ وفي أيامه قويت سلطة الغلمان، فحرضوه على خلع أخويه المعتز والمؤيد وكانا وليي عهده فخلعهما. وهو أول من عدا على أبيه من بني العباس. ولم تطل مدته. وكان إذا جلس إلى الناس يتذكر قتله لابيه فترعد فرائصه. قيل: مات مسموما بمبضع طبيب. ووفاته بسامراء. سنة 248 هـ ومدة خلافته ستة أشهر وأيام. وهو أول خليفة من بني العباس عرف قبره، وكانوا لا يحفلون بقبور موتاهم، إلا أن أمه طلبت إظهار قبره. وكان له خاتمان نقش على أحدهما محمد رسول الله وعلى الثاني المنتصر بالله.

■ (3) عبادة المخنث قدم دمشق مع المتوكل، وكان ماجنا مضحكا وهو بفتح العين وتشديدي الباء وكان ينادر المتوكل، وله نوادر. وكان ببغداد، وتوفي في حدود 250 هـ. أو بعدها.

■ (1) جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، أبو الفضل، ولد سنة 205 هـ بويع له بعد موت أخيه هارون الواثق سنة 232 هـ، كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر، ثم المعتز، ثم المؤيد، ثم إنه أراد تقديم المعتز لمحبته لأمه، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد، فأبى، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه، فدخلوا عليه في مجلس لهوه وقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك في خامس شوال سنة 247 هـ.قال خليفة بن خياط: استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها.

■ (2) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس الهاشمي، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ وتوفي سنة 218 هـ

كان حماس بن ثامل مولى عثمان بن عفان شاعر إسلامي من مخضرمي الدولتين أدرك أيام السفاح، وكان يوما في مجلسه فذكر إسماعيل بن عبد الله القسري بني أمية فذمهم وسبهم، فقال حماس للسفاح: يا أمير المؤمنين، أيسب هذا بني عمك وعمالهم وهو رجل اجتمع والخريت في نسب؟ إن بني أمية لحمك ودمك فكلهم ولا تأكلهم، فقال له: صدقت، وأمسك إسماعيل فلم يحر جوابا. ومن شعر حماس: الله نجى قلوصي بعد ما علقت..من الأمير ومن عمرو بن سيار..بحلفة من يمين غير صادقة..حلفتها ثم لم تلحقن بالنار..إحلف يمينا ما خفت مضلعة..وتب إلى غافر للذنب غفار.

حكى أن عبادة المخنث دخل يوما إلى دار المتوكل، فرأى رطبة مطروحة فأكب ليأخذها، فرآه ابن للمتوكل صغير فأشار بإصبعه إلى استه وقال: يا عم من فتح لك هذه الكوة. فقال له عباده: الذي فتح لأمك اثنتين، فسمعه المتوكل فأمر بضرب عنقه، فهرب ولم يدر إلى أين يتوجه، فأخذ يهرب في الصحاري ومعه طبله ونايه، فلما أمعن في الصحراء خاف أن يدركه الطلب، فرأى غارا مفتوحا فدخله وسد بابه بالحجارة، فلما صار إلى أقصاه وجد فيه أسدا عظيما رابضا ففزع منه وهم الأسد أن يثب عليه، فما وسعه إلا أن ضرب الطبل، فلما سمعه الأسد فزع من صوته وهرب يريد الخروج، فوجد باب الغار مسدودا فربض هناك خائفا من صوت الطبل. فجعل عبادة تارة يضرب بالطبل، وتارة يزمر بالناي خوفا من الأسد، ووافق ذلك قدوم الفتح بن خاقان[1] من نزهة كان خرج إليها، فلما سمع صوت الطبل والناي في الصحراء أنكره، ثم تبعه حتى وقف على باب الغار، وأمر أن يفتح، فلما فتحوه خرج الأسد هاربا على وجهه، فخرج عبادة وهو يبكي ويصرخ، ويقول: هذا دفعه إلى أمير المؤمنين أعلمه ضرب الطبل والغناء بالناي وشردته علي، فقال له الفتح: أنا أرضي أمير المؤمنين، ولك علي ألف دينار، فقال: أخاف والله أن يضرب عنقي. فقال الفتح: أنا أستوهبه دمك، فقال: إن فعلت فقد رضيت. ثم أخذه معه، وأتى به المتوكل، فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين، لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: هب لي دم عبادة فأنا الذي أذنبت وليس هو، فقال: ما كانت نيتي إلا أن أضرب عنقه، وقد وهبته لك، فقبل الفتح يده وقال: أنا الذي أطلقت الأسد وما له ذنب، فلما سمع المتوكل ذكر الأسد سأل عن أصل القصة، فقال له الفتح بما رأى، قال: وزعم أن أمير المؤمنين أعطاه ذلك الأسد ليعلمه الطبل والغناء، فضحك المتوكل حتى فحص برجله الأرض وقال: خدعك والله يا فتح، إن الأصل كيت، وأنجز الفتح لعبادة الألف التي وعده بها بوعده السابق. انتهى.

■ (1) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، أبو محمد: أديب، شاعر، فصيح، كان في نهاية الفطنة والذكاء. فارسي الاصل، من أبناء الملوك. اتخذه المتوكل العباسي أخا له، واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه. وكان يقدمه على جميع أهله وولده. واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن. وألف كتابا سماه اختلاف الملوك وكتابا في: الصيد والجوارح وكتاب الروضة والزهر. وقتل مع المتوكل سنة 247 هـ.

مراجع:/ الأعلام للزركلى/ مآثر الإنافة في معالم الخلافة/ معجم الأدباء/

حدث محمد بن إسماعيل عن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: كتب عبيد الله بن يحيى[1] إلى أبي[2] يخبره أن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك كتابا، أسألك من أمر القرآن، لا مسألة امتحان، ولكن مسألة معرفة وبصيرة، فأملى علي أبي رحمه الله الى عبيد الله بن يحيى، وحدي ما معنا أحد، بسم الله الرحمن الرحيم، أحسن الله عاقبتك أبا الحسن في الأمور كلها، ودفع عنك مكاره الدنيا برحمته، قد كتبت إلي رضي الله تعالى عنك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بأمر القرآن بما حضرني وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين، قد كان الناس في خوض من الباطل، واختلاف شديد، يغتمسون فيه، حتى أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين، فنفى الله بأمير المؤمنين كل بدعة، وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل، وضيق المجالس، فصرف الله ذلك كله، وذهب به بأمير المؤمنين، ووقع ذلك من ا لمسلمين موقعا عظيما، ودعوا الله لأمير المؤمنين، وأسأل الله أن يستجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء، وأن يتم ذلك لأمير المؤمنين، وأن يزيد في بيته ويعينه على ما هو عليه، فقد ذكر عن عبد الله بن عباس[3] أنه قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فان ذلك يوقع الشك في قلوبكم، وذكر عن عبد الله بن عمر[4] أن فقراء كانوا جلوسا بباب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا؟ قال: فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج كأنما فقىء في وجهه حب الرمان، فقال: ﴿أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ أَوْ بِهَذَا بُعِثْتُمْ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، إِنَّمَا ضَلَّتْ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِمَّا هَاهُنَا فِي شَيْءٍ، انْظُرُوا الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَالَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ وروى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مِرَاءٌ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ﴾ وروى عن أبي جهم رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا تُمَارُوا فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّ مِرَاءً فِيهِ كُفْرٌ﴾ وقال عبد الله بن العباس: قدم على عمر بن الخطاب[5] رجل، فجعل عمر يسأل عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا، فقال ابن عباس: فقلت: والله، ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة، قال: فنهرني عمر، وقال: مه، فانطلقت الى منزلي مكتئبا حزينا، فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجل، فقال: أجب أمير المؤمنين، فخرجت، فإذا هو بالباب ينتظرني، فأخذ بيدي فخلا بي، وقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفا؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، متى ما يتسارعوا هذه المسارعة يختلفوا، ومتى ما يختلفوا يختصموا، ومتى ما يختصموا يختلفوا، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا، قال: لله أبوك، والله إن كنت لأكتمها الناس حتى جئت بها.

■ (2) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي كنيته أبو عبد الله كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة أغاث الله به أمة محمد وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط للقتل فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه. ولد سنة164 هـ وتوفي في سنة 241 هـ.

■ (1) ابن خاقان، أبو الحسن، عبيد الله بن يحيى بن خاقان التركي، ثم البغدادي. وزر للمتوكل، وللمعتمد. وجرت له أمور. وقد نفاه المستعين إلى برقة، ثم قدم بغداد بعد خمس سنين، ثم وزر سنة 256 هـ.وقيل: لم يكن له حظ من الصناعة، فأيد بأعوان وكفاة. وكان واسع الحيلة. ونفاه المعتز، فلما ولي المعتمد طلبه، وخلع عليه، فأدبته النكبة، وتهذب كثيرا. وله أخبار في الحلم والسخاء. مات وعليه ست مئة ألف دينار، مع كثرة ضياعه. قيل: صدمه خادمه رشيق في لعب الصوالجة، فسقط، ثم مات ليومه، سنة 263 هـ. وقد وزر ابنه أبو علي محمد بن عبيد الله، ووزر حفيده أبو القاسم عبد الله بن محمد للمقتدر سنة 312 هـ. وتوفي سنة أربع عشرة.

■ (4) عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي؛ كنيته أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وعرض على رسول الله يوم أحد فرده لصغر سنه، فعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه، وكان من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكل ما تأخذ به نفسه، وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله، ثم كان بعد موته صلى الله عليه وسلم مولعا بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات بمكة سنة 73 هـ وهو ابن 84 سنة، وكان قد أوصى أن يدفن في الليل ، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين.

■ (3) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله،يكنى أبا العباس ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، قبل الهجرة بثلاث سنين.توفي رسول الله وله 13 سنة، كان حبر الأمة يسمى البحر لغزارة علمه، مات بالطائف سنة 68 هـ وهو ابن71 سنة

■ (5) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

عن سعد مولى عمرو بن العاص، قال: ﴿تَشَاجَرَ رَجُلَانِ فِي آيَةٍ فَارْتَفَعَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَا تُمَارُوا فِيهِ فَإِنَّ مِرَاءً فِيهِ كُفْرٌ﴾ وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿دَعُوا الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ ، فَإِنَّ مِرَاءً فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ﴾ وعن جندب بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا﴾ وعن ابن عباس قال: ﴿لَا تَضْرِبُوا الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يُوقِعُ الشَّكَّ فِي الْقُلُوبِ﴾ وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿جِدَالٌ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ﴾ وعن عبد الملك بن ميسرة، قال: سمعت النزال يقول: قال عبد الله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَأَهْلَكَهُمْ فَلَا تَخْتَلِفُوا فِيهِ يَعْنِي فِي الْقُرْآنَ﴾ (تماروا) الامتراء والتماري: الشك في الأمر. التماري والمماراة : الاختلاف والمنازعة.

قال محمد بن أحمد بن الخصيب[1]: كانت في والدي رقدة* لا أحتملها، فضويت* إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان فقبلني بأحسن قبول، وحللت منه محل والده، فقال لي يوما: اخرج إلى شيخ يقف كثيرا على الباب، ولا يترجل إذا رآني، فقل له: قد ألححت علي وأنت ثقيل على قلبي، فليس لك عندي عمل ولا عائد، فانصرف عني وإلا حبستك سنة، وقرن بي من يرتئيه من غلمانه، فخرجت فأديت إليه الرسالة فقال: والله ما أدري ممن أتعجب، أمن المرسل بهذه الرسالة أم من المرسل؟ قل له: أما تبرمك بي، واستثقالك لي، فوالله ما أتيت قصدا لك، ولا رغبة إليك في سواد ليل ولا ضوء نهار، ولكنك أجلست في طريق أرزاقنا فلا بد من الاجتياز بك، وإن كان رجاء العاقل منوطا بالله دونك، وليس لك إعطاء ما منع الله، ولا منع ما أعطى. ثم تضاحك، وقال: وأعجب ما في رسالتك تواعدك إياي بحسبي سنة، فيا ويحك، من ملكك الزمان المستقبل حتى تتحكم في هذا التحكم؟ وتتوعد به هذا التوعد؟ ولعله يجري عليك فيه من المكروه أكثر مما نويته لي. وكانت إشارته، وفحوى كلامه يدلان على استصغار موارد أمورنا ومصادرها، فدخلت إليه فقال لي: ما أجابك به؟ فقلت: هو مجنون، فقال: لا تغالطني فيه، هو يعقل إلا أنه حسن الكلام، فبحياتي لما قصصت لي جوابه، فقابلت جهة من الدار، وأعدت عليه جميع ما تكلم به، فقال: قد والله ابتليت به. وركب، فتلقاه بمثل ما كان تلقاه، ودخل عبيد الله إلى أمير المؤمنين، فما أطال حتى خرج إلي غلام له، كان يدخل بدخوله، فقال: الشيخ الذي كلمته اليوم وأجابك، فبعثت إليه من جاء به، فسار به مسرعا حتى أدخله إلى أمير المؤمنين، وقام مقدار ساعة ثم خرج ومعه ثلاث توقيعات بين أصابعه، فقال لي: يشكر الله عز وجل ولأمير المؤمنين. ومضى. وانتظرت الوزير على عادتي حتى خرج، فوالله ما صبر إلى دخول داره حتى حدثني بحديثه في الطريق، قال: دخلت وقد غلب علي الغيظ من رسالة هذا الشيخ لأنه خلط فيها التأله وما بنيت عليه الدنيا من سر تقلبها، فبعض الرسالة يحركني على مساءته، وبعضها يقفني عنه، فوقفت بين يدي أمير المؤمنين، فألقى إلي كتاب عامل بريد الثغر يخبر بوفاة عامل الخراج به، وقال: من ترى أن ينقل إلى العمل؟ وكان هذا العمل في أيام المتوكل غزير الإنفاق كثير المال لما يحمله المتوكل من الأموال للغزاة ومصالح الثغر، ففكرت ساعة، فقال: ما ظننتك على هذا التخلف، ولقد توهمت أن في خاطرك الساعة مئة يصلحون لمثله، فقلت له: على الباب شيخ يصلح إن قبلته عين أمير المؤمنين، فاستحضره، فلما تأمله قال: ما أحسن ما اخترت! قد قبلته نفسي، فعلمت أن الأمر على ما ذكره لي في رسالته معك، فقال له المتوكل: كيف بك إذا ندبناك لموضع يهمنا، قال: أستفرغ جهدي، والجهد عاذر، قال: صدقت،وقع له الساعة بتقليده، وأخذ الرزق المرسوم فيه له، ففعلت، فقال: يا أمير المؤمنين! قد أخلقت حالي بعطلتي، فإن رأى أن ينهضني بمعونة. فقال: وقع له بألف دينار معونة. ففعلت، فقال له أمير المؤمنين: بادر إلى الناحية، فقال: يكتب لي بإزاحة علة من يتوجه معي في أرزاقهم؟ قال: اكتب له، فخرج بثلاث توقيعات، وما رأيت في نفسه انخفاضا ولا تذللا، وكأن أمير المؤمنين قضاه دينا يجب له الخروج إليه منه.

قال أحمد بن إسرائيل: صرت يوما إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فلما صرت في صحن الدار رأيته مضطجعا على مصلاه موليا ظهره باب مجلسه فهممت بالرجوع، فقال لي الحاجب: ادخل فإنه منتبه، فلما سمع حسي جلس، فقلت: حسبتك نائما، قال: لا، ولكني كنت مفكرا، قلت: في ماذا؟ في أمر الدنيا وصلاحها في هذا الوقت واستوائها، ودرور الأموال، وأمن السبل وعز الخلافة، فعلمت أنها أمكر وأغدر من أن يدوم صفاؤها لأحد. فدعوت له وانصرفت، فما مضت أربعون ليلة حتى قتل المتوكل ونزل به من النفي ما نزل.

----

*(الرقدة) النومة (ضويت) أي لجأت وانضممت إليه

■ (1) أحمد بن الخصيب بن عبدالحميد، الجرجرائي، الوزير الكبير، أبو العباس ابن أمير مصر. استوزره المنتصر، ثم المستعين. وارتفع شأنه، ثم نكب، ونفاه المستعين إلى الغرب في سنة 248 هـ. عن الحسين بن يحيى: أن ابن الخصيب كان يتصدق كل يوم بخمسين دينارا، فلما نكب بقي يتصدق بخمسين درهما، ويقلل نفقة نفسه. قال أحمد بن أبي طاهر: كان يحتد، ويخرج رجله من الركاب، فيرفس من يراجعه. توفي سنة 265 هـ.

مراجع: حلية الأولياء/ / الأعلام للزركلي/

◆ محمد بن عبد الله بن طاهر، أمير بغداد (عامل جعفر المتوكل على الله، عاشر ملوك الدولة العباسية) وابن الطباع 0931

حدث أبو حفص عمر بن شهاب، قال: سمعت علي بن الحسن الرستمي، يقول: دخل ابن الطباع[1] من سامرا إلى بغداد فنزل في البغويين[2] فاجتمع أصحاب الحديث، فسمع محمد بن عبد الله بن طاهر[3] الضوضاء من كلام أصحاب الحديث، فقال لحاجبه: ما هذا؟ فقال ابن الطباع: قدم من سر من رأى، وهذا كلام أصحاب الحديث. فقال: وقد قدم؟ قال: نعم. فكتب إليه رقعة يسأله أن يصير إليه ليحدث فتيانه، فكتب جواب رقعته: بسم الله الرحمن الرحيم، أكرمك الله كرامة تكون لك في الدنيا عزا، وفي الآخرة من النار حرزا، قرأت رقعتك، ولم أتخلف عنك صيانة، إنما تخلفت عنك ديانة، والعلم يؤتى ولا يأتي. فقال: صدق. فصار إليه محمد بن عبد الله وبنوه، وكان نازلا في غرفة فصعد إليه، فحدثه عامة الليل وقال محمد بن عبد الله، يعني لحاجبه: سله ما يريد؟ فكلمه الحاجب بالفارسية. وكان ابن الطباع يحسن الفارسية، فقال قل له: يبعث له شيئا نتغطى به في هذا البرد. فبعث إليه بمطرف خز يساوى خمس مائة دينار، فاحتاج ابن الطباع إلى بيعه فدفعه إلى بعض البزازين فباعه بخمس وخمسين دينار، قال: لو صبرت عليه حتى يجيء طالبه لأخذت لك خمس مائة.

■ (1) محمد بن يوسف بن عيسى ابن الطباع أبو بكر وقيل أبو العباس، سمع يزيد بن هارون، ومحمد بن مصعب القرقساني، ومحمد بن كثير المصيصي، وعبيد الله بن موسى، وأبا نعيم الفضل بن دكين، وعفان بن مسلم. روى عنه محمد بن محمد الباغندي، والقاضي المحاملي، ومحمد بن مخلد، وأبو بكر الأدمي القاري، وعبد الله بن إسحاق البغوي، ومحمد بن العباس بن نجيح، وأبو جعفر بن برية الهاشمي. وكان ثقة، يسكن سر من رأى، وحدث ببغداد. مات في سنة 275 هـ وقيل توفي بسر من رأى لأيام خلت من المحرم سنة ست 276 هـ.

■ (3) أبو العباس، محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي؛ كان شيخاً فاضلاً وأديباً شاعراً، ولي إمارة بغداد في خلافة المتوكل على الله (الملك العباسي العاشر) وغيره، وهو الذي صلى على أحمد بن حنبل لما مات، وإسحاق بن إبراهيم، وكان مألفاً لأهل العلم والدب؛ وعظم سلطانه في دولة المعتز إلى أن مات بالخوانيق سنة 253 هـ..

■ (2) البغيين (البغويين) موضع أقطعه المنصور قوما من أهل خراسان يعرفون بالبغيين، وأصلهم من قرية من قرى مروالرود تعرف بغ.وهذا الموضع أول الدرب المعروف بسوار مما يلي دجلة إلى آخر ربض البرجلانية.

كان ابن عباس على جلالة قدره وسعة علمه يأتي إلى بيت زيد بن ثابت[1] للأخذ عنه، ويقول: العلم يؤتى ولا يأتي. وكان إذا ركب أخذ بركابه، ويقول ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء، فيأخذ زيد كفه ويقبلها، ويقول: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم. وهو قول الإمام مالك: العلم أولى أن يوقر ويؤتى، قاله للمهدي العباسي حين استدعى به لولديه ليسمعا منه. ويروى بلفظ: العلم يزار ولا يزور، ويؤتى ولا يأتي، وأنه قال لعله قاله لهارون الرشيد. وفي لفظ أنه قال له: أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون، ومنكم خرج العلم وأنتم أولى الناس بإعظامه، ومن إعظامكم له أن لا تدعوا حملته إلى أبوابكم. وقال له أيضا حين التمس منه خلوة للقراءة: إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم تنتفع به الخاصة. ذكر ذلك كله القاضي عياض في كتابه المدارك في ترجمة الإمام مالك. ونقل عن البخاري أنه قال: العلم يؤتى ولا يأتي. وفي رواية: العلم يصغى إليه. وفي أمثال العرب: في بيته يؤتى الحكم. وصدق الشاعر: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ لِتَحْكُمَ عَلَى الوَرَى ..وَعَلَى الْمُلُوكِ لِتَحَكُّمِ العُلَمَاءِ﴾ كما قالت الحكماء: ﴿مَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِي عِزِّ الدُّنْيَا شَارَكَهُ فِي ذُلِّ الْآخِرَةِ﴾ وقالوا: ﴿أَشْقَى النَّاسِ أَقْرَبُهُمِ مِنَ السُّلْطَانِ، كَمَا أَنَّ أَقْرَبَ الأَشْيَاءِ مِنَ النَّارِ أَسْرَعُهَا احْتِرَاقاً﴾ خرج الحسن من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقراء على الباب فقال: ما يجلسكم هاهنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء؟ أما والله ما مجالستهم بمجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم، وأجسادكم قد لقحتم نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجززتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله، وأما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، لكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم، أبعد الله من أبعد.

عن أبي قلابة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَفْرَضُكُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ﴾ أخرجه أحمد والأربعة سوى أبي داود وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم وأعل بالإرسال.

حدث علي بن يحيى المنجم، قال: جلس المنتصر في مجلس كان أمر أن يفرش له بفرش ديباج مثقل بالذهب، وكان في بعض البسط دائرة كبيرة فيها مثال فرس وعليه راكب، وعلى رأسه تاج، وحول الدائرة كتابة بالفارسية. فلما جلس المنتصر، وجلس الندماء، وقف على رأسه وجوه الموالي والقواد، فنظر إلى تلك الدائرة، وإلى الكتاب الذي حولها، فقال لبغا: أيش هذا الكتاب ؟ فقال: لا أعلم يا سيدي. فسأل من حضر من الندماء فلم يحسن أحد أن يقرأه. فالتفت إلى وصيف وقال: أحضر لي من يقرأ هذا الكتاب، فأحضر رجلا، فقرأ الكتاب فقطب. فقال له المنتصر: ما هو ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، بعض حماقات الفرس. فقال :أخبرني ما هو ؟ قال: يا أمير المؤمنين: ليس له معنى، ألح عليه وغضب. قال: يقول :أنا شيرويه بن كسرى بن هرمز، قتلت أبي، فلم أمتع بالملك، إلا ستة أشهر. فتغير وجه المنتصر، وقام عن مجلسه إلى النساء، فلم يملك إلا ستة أشهر.

■ (1) زيد بن ثابت بن الضحاك بن كوزان الأنصاري البخاري أبو سعيد وأبو خارجة صحابي مشهور، كتب الوحي. أمره أبو بكر أن يجمع القرآن وأمره عثمان فكتب المصحف وابي بن كعب يملي عليه. ولد في حدود 12 ق.هـ وتوفي سنة 45 هـ أو 48 هـ وقيل: بعد 50 هـ. عن يحيى بن سعيد قال لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفا. وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارحم أمتي أبو بكر واشدها في دين الله عز وجل عمر واصدقها حياء عثمان واعلمها بالفرائض زيد بن ثابت.

مراجع: تاريخ بغداد/ الوافي بالوفيات/ الأعلام للزركلي/ شوار المحاضرة/

قال ابن تغري: لما تم أمر المعتز[1] في الخلافة، واستهل شهر رجب خلع المعتز أخاه المؤيد بالله إبراهيم [2] من ولاية العهد، وكتب بذلك إلى الآفاق؛ فلم يلبث المؤيد إلا أياما ومات؛ فخشي المعتز بالله أن يتحدث الناس عنه أنه قتله أو احتال عليه؛ فأحضر القضاة حتى شاهدوه وليس به أثر، والله أعلم بموتته. على أن المعتز كان في ضيق وحجر في خلافته مع الأتراك. واتفق أن جماعة منهم أتوه وقالوا : يا أمير المؤمنين، أعطنا أرزاقنا لنقتل صالح بن وصيف[3] التركي ونستريح منه. وكان المعتز يخاف من صالح المذكور؛ فطلب من أمه قبيحة[4] مالا لينفقه فيهم؛ فأبت عليه وشحت نفسها -وكانت في سعة من المال- ولم يكن بقي في بيوت المال شيء ؛ فاجتمع الأتراك حينئذ واتفقوا على خلعه من الخلافة. ووافقهم صالح ابن وصيف ومحمد بن بغا[5] ؛ فلبسوا السلاح، وجاءوا إلى دار الخلافة؛ فبعثوا إلى المعتز أن أخرج إلينا؛ فبعث يقول: قد شربت دواء وأنا ضعيف؛ فهجم عليه جماعة منهم؛ فجروه برجليه وضربوه بالدبابيس، وأقاموه في الشمس في يوم صائف؛ فبقي يرفع قدما ويضع أخرى وهم يلطمون وجهه ويقولون: اخلع نفسك، ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب[6] والشهود وخلعوه. ثم أحضروا من بغداد إلى سامرا -وهي يومئذ دار الخلافة-محمد ابن الواثق[7] -وكان المعتز قد أبعده إلى بغداد- فسلم إليه المعتز الخلافة، وبايعه ولقبوه: المهتدي. ثم أخذوا المعتز بعد خمس ليال من خلعه وأدخلوه الحمام؛ فلما تغسل عطش وطلب ماء؛ فمنعوه حتى كاد يهلك وهو يطلب الماء، ثم أخرج وهو ميت عطشا؛ فسقوه ماء بثلج فشربه وسقط ميتا. وكانت موتته في شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وله أربع وعشرون سنة. وقيل: ثلاث وعشرون سنة. وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وأربعة عشر يوما. قلت: وبعد قتله أمسك صالح بن وصيف وغيره أمه قبيحة وصادروها ؛ فوجدوا عندها ألف ألف دينارعينا، ونصف إردب زمرد، ونصف أردب لؤلؤ، وويبة ياقوت أحمر، وأشياء كثيرة غير ذلك؛ فحمل جميع ذلك لإبن وصيف؛ فقال ابن وصيف: قاتل الله قبيحة؛ عرضت ابنها للقتل وعندها هذه الأموال العظيمة .!! ثم أخرجت قبيحة المذكورة إلى مكة على أقبح وجه؛ فأقامت بها إلى أن ماتت.

وفي رواية حدث علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال: لما قبض صالح بن وصيف على الكُتاب -نفر من الكُتاب-، شغب الأتراك على المعتز يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب، فركب صالح وباكباك[8] ومحمد بن بغا المعروف بأبي نصر حتى وافوا باب المعتز فقالوا: اخرج إلينا، فوجه إليهم إني أخذت دواء، فعاودوه مرات، فوجه إليهم إن كان ما لا بد منه فادخلوا، وهو يرى أن أمره واقف بعد، فدخلوا فجروا برجله وضربوه وأقاموه في الشمس ثم قالوا: اخلع نفسك، قال: نعم، فأدخل حجرة ووجه إلى ابن أبي الشوارب والفقهاء، فكتب كتاب الخلع وشهدوا عليه على أن له الأمان ولأخته وابنه ولأمه، وكان لقبيحة سرب في الدار فنجت منه، وفرت أخت المعتز، وكان المعتز طلب منها مالا وقت شغبهم عليه، فقالت: ليس عندي، فقال: إني مقتول، قالت: لا يجسرون عليه، ووجهوا بخليفة ساتكين[9] إلى بغداد فهجم على محمد بن الواثق، وكان ينزل في الجانب الشرقي فأخذه وحمله فوافى به سر من رأى ليلة الأربعاء لليلة بقيت من رجب، فبويع من ساعته وسمي المهتدي بالله، وأدخل المعتز إلى المهتدي يوم السبت لثلاث خلون من شعبان، فقال له المهتدي: أخلعت أم خلعت؟ قال: خلعت، فوجيء في عنقه حتى سقط ثم أقيم فقال: خلعت وسلمت ورضيت، وسلم على المهتدي بالخلافة، وأخرج فسلمه صالح إلى نوشري بن طاجنك[10]، فمشى في الحر، فطلب بغلا فلم يعط، فأرخى سراويله فمشى عليه، وأخذ من مال أخته ثلاثمائة ألف دينار، ونادى المهتدي من دل على مال من مالهم فله نصف العشر، فدل الناس على أموال كثيرة نحو ألف ألف دينار، فوفى لهم المهتدي بنصف العشر، وعذب المعتز بألوان العذاب فلم يكن عنده مال، فأدخل حماما ومنعوه الماء حتى اشتد في الحمام عطشه وقارب التلف، ثم أخرج فأعطي ماء فيه ثلج كثير فحين جرع منه جرعا مات، وذلك يوم السبت لعشر خلون من شعبان، فكانت خلافته مذ بايعوه قبل خلع المستعين[11] نفسه - وذلك يوم الجمعة لأربع خلون من المحرم سنة اثنين وخمسين ومائتين ؟ ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما، وقتل بعد الخلع بأيام، وكان مولده في شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين ومائتين قبل خلافة أبيه، وكان المهتدي يقول قبل قتل المعتز: لا يجمع سيفان في غمد ولا فحلان في شول.

■ (11) أحمد بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد، أبو العباس، أمير المؤمنين، المستعين بالله: من خلفاء الدولة العباسية في العراق. ولد بسامراء، وكانت إقامته فيها.وبويع بها بعد وفاة المنتصر ابن المتوكل سنة 248 هـ قال اليعقوبي: ولم يكن يؤهل للخلافة، ولكن لما توفي المنتصر استوحش الاتراك من ولد المتوكل، فبايعوه، وأنكر بعض القواد البيعة، ففرق أموالا كثيرة فاستقامت أموره وكان المتحكم في الدولة على عهده أوتامش التركي ورجاله، فثارت عصبة من الاتراك والموالي على أوتامش -بموافقة المستعين- فقتلوه وقتلوا كاتبه شجاع بن القاسم سنة 249 هـ وكتب المستعين إلى الآفاق بلعنه. وفي أيامه ظهر يحيى بن عمر الطالبي بالكوفة وقتل.وقامت ثورات في الاردن وحمص والمعرة والمدينة والروذان بين فارس وكرمان وانتقل إلى بغداد، فغضب القواد وطلبوا عودته إلى سامراء، فامتنع، فنادوا بخلعه، واتصلوا بالمعتز -وكان سجينا بسامراء- فأطلقوه وبايعوه، وزحفوا لقتال المستعين ببغداد، فانتشرت الفوضى فيها، فخلع نفسه واستسلم للمعتز لقاء مال معلوم يدفع إليه، ورحل إلى واسط بأمه وأهله في أوائل سنة 252 هـ فأقام 10 أشهر، ونقله المعتز إلى القاطول فسلم فيها إلى حاجب يدعى سعيد بن صالح فضربه حتى مات. سنة 252 هـ وقال ابن شاكر: كان قبل الخلافة خاملا يرتزق بالنسخ. وأورد له نظما. وكان يلثغ بالسين يجعلها ثاء.

■ (7) محمد المهتدي بالله بن هارون الثاني الواثق بالله، أبو إسحاق. الملك العباسي الرابع عشر، وقيل عنه:كان سادس الخلفاء الراشدين. قتلوه الجند الأتراك سنة 256 هـ. وكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوماً. وقام بعده المعتمد على الله. محمد بن هارون.

■ (3) صالح بن وصيف التركي؛ أحد قواد المتوكل، قدم معه إلى دمشق سنة 243 هـ، وكان قد استطال على الخلفاء وقتل المعتز وأخذ أمواله وأموال أمه قبيحة وولى المهتدي الخلافة وحكم عليه؛ وكان موسى بن بغا بالري، فكتبت إليه قبيحة تخبره بما فعل صالح، فسار موسى إلى سر من رأى فدخلها، واستتر صالح بن وصيف، فنادى موسى: من جاء به فله عشرة آلاف دينار، فلم يظفر به أحد. ولما كان بعد مدة ظفروا به، فتضرع إلى الذي وجده، فقال له: لا سبيل إلى إطلاقك، ولكني أمر بك على أبواب إخوتك وأصحابك وقوادك وصنائعك، فإن أعرض لي منهم اثنان أطلقتك. فمر به على أبواب المدينة فلم يعرض له أحد؛ وقتلوه وحزوا رأسه وبعثوا به إلى المهتدي، فجاؤوه به وهو قائم يصلي فما زاد على أن قال: واروه! ونصب رأسه على قناة ونودي: هذا جزاء من قتل مولاه، ونصب بباب العامة ساعة. سنة 256 هـ

■ (2) المؤيد بالله إبراهيم بن المتوكل بن المعتصم. عقد له أخوه بولاية عهد الخلافة من بعده، ودعي له في الامصار، ثم بلغ المعتز عنه أمر، فضربه، وخلعه من العهد، وحبسه يوما، ثم أخرج ميتا. فقيل: أجلس في الثلج حتى مات بردا، وبعث به إلى أمه، فبعثت تقول لقبيحة أم المعتز: عن قريب ترين المعتز ابنك هكذا. قلت: كذا وقع، وما أمهله الله. قتل المؤيد في رجب سنة 252 هـ. وكان شابا مليحا.

■ (1) محمد المعتز بالله بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم: خليفة عباسي، هو أخو المنتصر بالله ولد في سامراء. وعقد له أبوه البيعة بولاية العهد سنة 235 هـ، وأقطعه خراسان وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وكور فارس. ثم أضاف إليه خزن الاموال في جميع الآفاق، ودور الضرب، وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم، ولما ولي المستعين بالله سنة 248 هـ سجن المعتز، فاستمر إلى أن أخرجه الاتراك بعد ثورتهم على المستعين. وبايعوا له سنة 251 هـ فكانت أيامه أيام فتن وشغب. وجاءه قواده فطلبوا منه مالا لم يكن يملكه، فاعتذر، فلم يقبلوا عذره، ودخلوا عليه فضربوه، فخلع نفسه، فسلموه إلى من يعذبه، فمات بعد أيام شابا سنة 255 هـ. قيل اسمه الزبير وقيل طلحة. وكان فصيحا، له خطبة ذكرها ابن الا ثير في الكلام على وفاته. قال ابن دحية: كان فيه أدب وكفاية فلم ينفعه ذلك لقرب قرناء السوء منه، فخلع، وما زال يعذب بالضرب حتى مات بسر من رأى، وقيل: أدخل في الحمام فأغلق عليه حتى مات. مدة خلافته ثلاث سنوات وستة أشهر و 14 يوما.

■ (6) ابن أبي الشوارب الا مام الثقة المحدث الفقيه الشريف، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب محمد بن عبد الله بن أبي عثمان بن عبد الله بن خالد بن أسيد ولد بعد الخمسين ومئة. وكان من جلة العلماء. وولي القضاء عدة من ذريته، منهم ولده الحسن قاضي قضاة المعتمد على الله، وكان جوادا ممدحا نبيلا.مات سنة 244 هـ

■ (5) محمد بن بغا المعروف بأبي نصر ، أخو موسى بن بغا.

■ (8) باكباك التركي كان حاكم مصر وكان لديه قائد حرس اسمه أحمد بن طولون الذي كان باكباك متزوج من أمه ثم آلت بعده إلى الوالي التركي برقوق الذي كان أبا زوجة ابن طولون، وأناب كل منهما ابن طولون للقيام بأمر مصر، فوليها في سنة 254هـ

■ (4) قبيحة أم المعتز بالله أم ولد رومية توفيت وفي ربيع الأول بسامراء ،سنة 263 هـ وقيل سنة 264 هـ وكان المعتمد قد أعادها إليها من مكة وأكرمها. وكانت أم ولد للمتوكل رومية، وكانت فائقة في الجمال، فسميت قبيحة من أسماء الأضداد؟ وقد جمعت من الجواهر واللآلئ والذهب والمصاغ ما لم يعهد لمثلها.وكانت قبيحة أم المعتز تحرضه على قتل الأتراك الذين قتلوا أباه، وتبرز إليه قميصه المضرج بدمه، فقال لها يوما: ارفعه وإلا صار القميص قميصين، فما عادت لعادتها بعد ذلك.

■ (10) نوشري بن طاجنك أحد قواد وصيف التركي؟

■ (9) هل هو ساتكين المعروف بسهم الدولة ولي إمرة دمشق في أيام الملقب بالحاكم.؟

قال بعض الجلساء: سمعت المعتز بالله يقول لأحمد ابن إسرائيل: يا أحمد كم خراج الروم؟ فقال: يا أمير المؤمنين خرجنا مع جدك المعتصم في غزاته فلما توسط بلد الروم صار إلينا بسيل الخرشني وكان على خراج الروم فسأله محمد بن عبد الملك[1] عن مبلغ خراج بلدهم، فقال: خمسمائة قنطار وكذا وكذا قنطارا، فقال: حسبنا ذلك فإذا هو أقل من ثلاثة آلاف ألف دينار، فقال المعتصم: اكتب إلى ملك الروم أني سألت صاحبك عن خراج أرضك فذكر أنه كذا وكذا، وأخس ناحية في مملكتي خراجها أكثر من خراج أرضك، فكيف تنابذني وهذا خراج أرضك ؟! قال: فضحك المعتز، وقال: من يلومني على حب أحمد بن إسرائيل ما سألته عن شيء إلا أجابني بقصته.

■ (1) محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبي حمزة أبو جعفر المعروف بابن الزيات، استوزره المعتصم بالله، وكذلك الواثق بالله استوزره، وكان ابن الزيات أديبا فاضلا عالما بالنحو واللغة، ولد سنة 173 هـ أدخله المتوكل في تنور وعذبه إلى أن مات سنة 233 هـ

مراجع: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/ سير أعلام النبلاء/ الأعلام للزركلي/ شذرات من كتب مفقودة في التاريخ/ بغية الطلب في تاريخ حلب/

حدث أبو إسحاق إبراهيم بن عمروس إملاء، قال: سمعت أحمد بن بديل[1] الكوفي قاضينا، قال: بعث إلي المعتز[2] رسولا بعد رسول، فلبست كمتي، ولبست نعلي طاق، فأتيت بابه، فقال الحاجب: يا شيخ نعليك! فلم ألتفت إليه، ودخلت الباب الثاني، فقال الحاجب: نعليك، فلم ألتفت إليه، فدخلت إلى الثالث، فقال: يا شيخ، نعليك، فقلت: أبالواد المقدس أنا فأخلع نعلي؟! فدخلت بنعلي فرفع مجلسي وجلست على مصلاه، فقال: أتعبناك أبا جعفر؟ فقلت: أتعبتني وأذعرتني، فكيف بك إذا سئلت عني؟ فقال: ما أردنا إلا الخير، أردنا نسمع العلم، فقلت: وتسمع العلم أيضا؟ ألا جئتني؟ فإن العلم يؤتى ولا يأتي، قال: نعتب أبا جعفر، فقلت له: غلبتني بحسن أدبك، اكتب، قال: فأخذ الكاتب القرطاس والدواة، فقلت له: أتكتب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرطاس بمداد؟ قال: فيما يكتب؟ قلت: في رق بحبر، فجاؤوا برق وحبر، فأخذ الكاتب يريد أن يكتب، فقلت: اكتب بخطك فأومأ إلي أنه لا يكتب فأمليت عليه حديثين أسخن الله بهما عينيه، فسأله ابن البناء أو ابن النعمان، أي حديثين؟ فقال: قلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنِ اسْتَرْعَى رَعِيَّةً فَلَمْ يُحِطْهَا بِالنَّصِيحَةِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ والثاني:﴿مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا حَتَّى يُفَكَّ عَنْهُ الْعَدْلُ، أَوْ يُوبِقَهُ الْجَوْرُ﴾.

---

(1) أحمد بن بديل بن قريش بن الحارث، أبو جعفر اليامي الكوفي. سمع أبا بكر بن عياش، وعبد الله بن إدريس، وحفص بن غياث، ومحمد بن فضيل ووكيعا، وعبد الرحمن المحاربي، وأبا معاوية الضرير، ومفضل بن صالح، وعبد الله بن نمير، وأبا أسامة، وإبراهيم بن عيينة. وكان من أهل العلم والفضل، ولي قضاء الكوفة قبل إبراهيم بن أبي العنبس، وتقلد أيضا قضاء همذان، وورد بغداد وحدث بها فروى عنه عبد الله بن إسحاق المدائني، ويحيى بن محمد بن صاعد وإبراهيم بن حماد القاضي، ومحمد بن عبيد الله بن العلاء الكاتب، وعلي بن عيسى الوزير، وغيرهم. مات أحمد بن بديل اليامي سنة 258 هـ.

(2) محمد المعتز بالله بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم: خليفة عباسي هو أخو المنتصر بالله ولد في سامراء. وعقد له أبوه البيعة بولاية العهد سنة235 هـ، وأقطعه خراسان وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وكور فارس. ثم أضاف إليه خزن الاموال في جميع الآفاق، ودور الضرب، وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم، ولما ولي المستعين بالله سنة 248 هـ سجن المعتز، فاستمر إلى أن أخرجه الاتراك بعد ثورتهم على المستعين. وبايعوا له سنة 251 هـ فكانت أيامه أيام فتن وشغب. وجاءه قواده فطلبوا منه مالا لم يكن يملكه، فاعتذر، فلم يقبلوا عذره، ودخلوا عليه فضربوه، فخلع نفسه، فسلموه إلى من يعذبه، فمات بعد أيام شابا سنة 255 هـ قيل اسمه الزبير وقيل طلحة. وكان فصيحا، له خطبة ذكرها ابن الاثير في الكلام على وفاته. قال ابن دحية: كان فيه أدب وكفاية فلم ينفعه ذلك لقرب قرناء السوء منه، فخلع، وما زال يعذب بالضرب حتى مات بسر من رأى، وقيل: أدخل في الحمام فأغلق عليه حتى مات. مدة خلافته ثلاث سنوات وستة أشهر و 14 يوما.

☪

كان عمر رضي الله عنه يضرب بطنه عام الرمادة ويقول:﴿قَرْقِرْ أَوْ لَا تُقَرْقِرْ، وَاللهِ لَا سَمْنًا وَلَا سَمِينًا حَتَّى يُخْصِبَ النَّاسُ﴾وعن أسلم قال: أصاب الناس سنة غلا فيها السمن، فكان عمر رضي الله عنه يأكل الزيت، فتقرقر* بطنه، فيقول: قرقر ما شئت، فوالله لا تأكل السمن حتى يأكله الناس، ثم قال: اكسر عني حره بالنار، فكنت أطبخه له فيأكله. وعن أنس ابن مالك قال: تقرقر بطن عمر عام الرمادة، فكان يأكل الزيت، وكان قد حرم على نفسه السمن، قال:فنقر بطنه بإصبعه، وقال: تقرقر إنه ليس عندنا غيره حتى يحيى الناس. وعن أنس ابن مالك قال: صليت إلى جنب عمر رضي الله عنه عام الرمادة؛ وكان عام قحط، فتقرقر بطنه، فقال لبطنه: اسكن فوالله ما لك عندنا غير هذا، حتى يحيى الناس، وكان يأكل الزيت. قال ابن أبي نجيح: كان لعمر كل شهر ثلاثة دراهم لحم. وعن الحسن البصري قال: ما أكل عمر رضي الله عنه إلا معلوثا*بشعير حتى لحق الله عزوجل وكان بطنه ربما قرقر فيضربه بيده ويقول: اصبر فوالله ما عندي إلا ما ترى حتى تلحق بالله.وعن أنس رضي الله عنه قال: غلا الطعام بالمدينة فجعل عمر يأكل الشعير، فجعل بطنه يصوت، فضرب بيده على بطنه وقال: والله ما هو إلا ما ترى حتى يوسع الله على المسلمين. وقد أجدب الناس في هذه السنة بأرض الحجاز، وجفلت الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد، فلجئوا إلى أمير المؤمنين فأنفق فيهم من حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفده، وألزم نفسه أن لا يأكل سمنا ولا سمينا حتى يكشف ما بالناس، فكان في زمن الخصب يبس له الخبز باللبن والسمن، ثم كان عام الرمادة يبس له بالزيت والخل، وكان يستمرئ الزيت، وكان لا يشبع مع ذلك، فاسود لون عمر رضي الله عنه، وتغير جسمه حتى كاد يخشى عليه من الضعف. واستمر هذا الحال في الناس تسعة أشهر، ثم تحول الحال إلى الخصب والدعة، وانشمر الناس عن المدينة إلى أماكنهم. وفي عام الرمادة أمَر يوماً بنحر جَزورٍ، وتوزيع لحمه على أهل المدينة! وعند الغداء وَجَدَ عمرُ أمامه سَنامَ الجزور وكَبِدَه، وهما أطيب ما فيه، فقال: من أين هذا ؟ قيل: من الجزور الذي ذُبح اليوم، قال: بخٍ. بخٍ، بئس الوالي أنا إن طَعِمتُ أطْيَبَها، وتركتُ للناس كَرَاديسَها. يعني: عظامها. ثم نادى خادمه أسلم، وقال له: يا أسلم، ارفع هذه الجَفنةَ، وائتني بخبزٍ وزيت. قال عيسى بن معمر: نظر عمر بن الخطاب عام الرمادة إلى بطيخة في يد بعض ولده فقال: بخ بخ تأكل الفاكهة وأمة محمد هزلى! فخرج الصبي هاربا وبكى فسأل عمر عن أمر تلك البطيخة، فقيل له: اشتراها بكف من نوى، فأسكت عمر.وعن شرحبيل بن مسلم أن عثمان كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت. قال سفيان الثوري: ﴿لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِلُبْسِ الْعَبَاءِ وَلَا بِأَكْلِ الْخَشِنِ، إِنَّمَا الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصَرُ الْأَمَلِ﴾ عن مصعب بن سعد قال: قالت حفصة لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين اكتسيت ثوبا هو ألين من ثوبك وأكلت طعاما هو أطيب من طعامك فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير فقال: إني سأخاصمك إلى نفسك* أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من شدة العيش وكذلك أبو بكر فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها أما والله لأشاركنهما في مثل عيشهما الشديد لعلي أدرك عيشهما الرخي. وعن عبد الله بن مسعود قال:﴿دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي غُرْفَةٍ لَهُ كَأَنَّهَا بَيْتُ حَمَّامٍ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى حَصِيرٍ وَقَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِهِ قَالَ: فَبَكَيْتُ فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا عَبْدَ اللهِ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كِسْرَى وَقَيْصَرُ يَطَئُونَ عَلَى الْخَزِّ* وَالْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ* وَأَنْتَ نَائِمٌ عَلَى الْحَصِيرِ وَقَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِكِ قَالَ: فَلَا تَبْكِ يَا عَبْدَ اللهِ فَإِنَّ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا مَثَلُ رَاكِبٍ قَالَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ سَارَ وَتَرَكَهَا﴾ وعن ابن عمر قال: ﴿أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي أَوْ بِبَعْضِ جَسَدِي فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا غَرِيبًا أَوْ عَابِرَ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ﴾ (كن) أي عش وحيدا وعن الخلق بعيدا (في الدنيا كأنك غريب) أي فيما بينهم لعدم مؤانستك بهم وقلة مجالستك معهم. قال النووي رحمه الله أي: لا تركن إليها ولا تتخذها وطنا ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق الغريب في غير وطنه انتهى. وذلك لأن الدنيا دار مرور وجسر عبور، فينبغي للمؤمن أن يشتغل بالعبادة والطاعة، وأن ينتظر المسافرة عنها ساعة فساعة متهيئا لأسباب الارتحال برد المظالم والاستحلال، مشتاقا إلى الوطن الحقيقي، قانعا في سفره ببلغة وسترة، مستقبلا للبليات الكثيرة في سفره، غير مشتغل بما لا يعنيه من الأمل الطويل والحرص الكثير (أو عابر سبيل) أي مسافر لطريق، وأو للتنويع أو بمعنى بل للترقي، والمعنى بل كن كأنك مار على طريق قاطع لها بالسير ولو بلا رفيق، وهذا أبلغ من الغربة لأنه قد يسكن الغريب في غير وطنه، ويقيم في منزل مدة زمنه، فلله در طائفة رفضوا الدنيا وتوجهوا إلى العقبى شوقا إلى لقاء المولى، واعتزلوا بالكلية عن الناس، فإن الاستئناس بالناس علامة الإفلاس، وتجردوا عما عليهم من الأثقال والإلباس، بل صاروا حفاة عراة حاسري الرأس وهم العقلاء الأكياس الخارج فضلهم عن حد الحدود ومقياس القياس(وعد نفسك) أي اجعلها معدودة (في أهل القبور) أو عدها كائنة أو ساكنة فيهم، وفي بعض النسخ المصححة: من أهل القبور. أي من جملتهم وواحدة من جماعتهم، ففيه إشارة إلى ما قيل: موتوا قبل أن تموتوا، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. وعن أم الدرداء قالت:﴿قُلْتُ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ: أَلَا تَبْتَغِي لِأَضْيَافِكَ مَا يَبْتَغِي الرِّجَالُ لِأَضْيَافِهِمْ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَئُودًا لَا يُجَاوِزُهَا الْمُثْقِلُونَ فَأُحِبُّ أَنْ أَتَخَفَّفَ لِتِلْكَ الْعَقَبَةِ﴾ قال الحارث بن سالم سمعت أنسا يقول:﴿ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ: إِنَّ بَيْنَ أَيْدِينَا عَقَبَةً كَئُودًا لَا يُجَاوِزُهَا إِلَّا الْمُخِفُّونَ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَكَ قُوتُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْمُخِفِّينَ﴾ قال أبو الدرداء أو أبو ذر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِهَيْئَةِ مَا تَرَكْتُهُ فِيهَا﴾ عن ابن عباس عن عمر في هذا الحديث قال:﴿قُلْتُ: ادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ. فَاسْتَوَى جَالِسًا وَقَالَ: فِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.عن إسحاق بن منصور السلولي، قال: دخلت أنا وصاحب، لي على داود الطائي، وهو على التراب فقلت لصاحبي: هذا رجل زاهد فقال داود:﴿إِنَّمَا الزَّاهِدُ مَنْ قَدَرَ فَتَرَكَ﴾ وعن حماد بن أبي حنيفة قال: قالت مولاة لداود الطائي: يا داود لو طبخت لك دسما؟ قال: فافعلي قال: فطبخت له شحما ثم جاءته به فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟ قالت: على حالهم قال: اذهبي به إليهم فقالت له: فديتك إنما تأكل هذا الخبز بالماء بالمطهرة قال: إذا أكلته كان في الحش وإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله مذخورا. وعن عمرو بن علي، قال: سمعت ابن أبي عدي يقول: صام داود أربعين سنة لا يعلم به أهله وكان خزازا يحمل معه غداءه من عندهم فيتصدق به في الطريق ويرجع عشاء فيفطر معهم. وقال أبو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب، واعلم يا أخي أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم واعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون. وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء. وقال الثوري رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة لو أنتظر الموت أن ينزل بي ولو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء. وقال عبد الله بن ثعلبة: تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار. وروى أن معروفا الكرخي أقام الصلاة قال محمد بن أبي توبة فقال لي: تقدم فقلت: إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال: معروف وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل. وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: إن الدنيا ليست بدار قراركم، دار كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها الظعن عنها، فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو قدير العين إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر إنها تسر قليلا وتحزن طويلا. وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول في خطبته: أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا.(أي اسرعوا وانجوا بأنفسكم).

قال مكحول: كنا أجنة في بطن أمهتنا فهلك من هلك ونجونا فيمن نجا، ثم كنا أطفالا هلك من هلك ونجونا فيمن نجا، ثم كنا يفعة فهلك من هلك ونجونا فيمن نجا، ثم كنا شبابا فهلك من هلك ونجونا فيمن نجا، ثم جاء الشمط* - لا أبالك - فماذا ننتظر. وفي آخر بمعناه: فلن نزل ننتقل من حالة إلى حالة حتى صرنا شيوخا - لا أبالك- فما ننتظر، أترى هل بقيت لك حالة تنتقل إليها إلا الموت؟.

---

*(سأخصمك إلى نفسك) أي سأجعلك حكما على نفسك (الشمط) بياض شعر الرأس يخالط سواده (الديباج) هو الثياب المتخذة من الإبريسم أي الحرير الرقيق (الخز) ثياب تنسج من صوف وحرير(تقرقر بطنه) صوت (المعلوث) - بالعين =: المخلوط، وفلان يأكل العليث، = بالعين والغين - إذا كان يأكل خبزا من شعير وحنطة

مراجع: تاريخ الإسلام للذهبي/ تاريخ دمشق/ مختصر تاريخ دمشق/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو إسحاق محمد المهتدي بالله بن الواثق، الخليفة الزاهد (سابع الخلفاء الراشدين؟، رابع عشر ملوك الدولة العباسية) والحسن بن مخلد 0934

جلس المهتدي[1] يوماً للمظالم، فرفع إليه قصص في الكسور*، فسأل الكتاب عنها، فأخبر بها، فقال: معاذ الله أن ألزم الناس ظلماً تقدم العمل به أو تأخر. أسقطوا هذا الظلم، وهذه الكسور على الناس، فقام الحسن بن مخلد[2].فقال: إن أسقط أمير المؤمنين هذا ذهب من مال السلطان (الدولة) في السنة اثنا عشر ألف ألف درهم* – ومد بها صوته – فقال له المهتدي: قد عرفت مذهبك في هذا، وتحريضك الموالي بما ينقص من أمالهم، وما أمتنع من أن أقيم حقاً لله، وأزيل مظلمة قد تقدمت بها الأيام، ولو كان في ذلك كل حيف على بيوت الأموال، ولو نظر الموالي أمرك، وأمر نظرائك لأخذوا منك ما خوفتهم أن يذهب مقداره من أموالهم. فارتعد الحسن وأبلس*، ثم كلمهم المهتدي بعد ذلك فيه فترجع إليه.

عن محمد بن الفضل قال: طالب رجل بعض قواد الأتراك بضيعة غصبه عليها بحضرة المهتدي، فقال التركي: لي وفي يدي، وقالت الفقهاء: لمن هي في يده، وعلى خصمه البينة. فقال المهتدي: علمت هذا، وذهب أمرك على من علمك وأنت في الإسلام منقطع وحدك لا إرث لك، ولا يجوز أن تملك مال هذه الضيعة إلا بإقطاع أو شرى أو إرث عن زوجة، فهل ورثتها عن زوجة؟ قال: لا. قال: فأحضرني كتب أقطاعك أو شراك، وإلا سلمتها إليه، فخرج التركي فاشتراها منه، وعجب الناس من فطنة المهتدي.

حكى أن رجلا من الرملة*تظلم إلى المهتدي بالله من عاملها فأمر بأنصافه وكتب إليه كتابا بخطه وختمه بيده وسلمه إلى الرجل وهو يدعو له فشاهد الرجل من رحمة المهتدي وبره بالرعية وتوليته أمورهم بنفسه ما لم ير مثله فاهتز ووقع مغشيا عليه والمهتدي يعاينه فلما أفاق قال له المهتدي: ما شأنك أبقيت لك حاجة؟ قال: ولا والله، وكلني ما رجوت أن أعيش حتى أرى مثل هذا العدل، فقال له المهتدي: كما أنفقت منذ خرجت من بلدك؟ فقال: أنفقت عشرين دينارا، فقال المهتدي: أنا لله وإنا إليه راجعون، كان الواجب علينا أن ننصفك وأنت في بلدك، ولا نحوجك إلى تعب وكلفة، وإذا أنفقت ذلك فهذه خمسون دينارا من بيت المال، فأنى لا أملك مالا فخذها لنفقتك، واجعلنا في حل من تعبك، وتأخر حقك، فبكى الرجل حتى غشى عليه ثانيا، وبهت بعض الناس، وبكى بعضهم، فقال أحد الجماعة: أنت والله يا أمير المؤمنين، كما قال الأعشى: حكمتموه فقضى بينكم..أبلج مثل القمر الزاهر (الباهر؟)..لا يقبل الرشوة في حكمه..ولا يبالي غبن الخاسر. فقال المهتدي: أما أنت فأحسن الله جزاءك، وأما أنا فما رويت هذا الشعر، ولا سمعت به، ولكني أذكر قول الله عز وجل:﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء] فما بقى في المجلس إلا من استغرق بالدعاء له بطول العمر ،ونفاذ الأمر وكان يقول: لو لم يكن الزهد في الدنيا والإيثار لما عند الله من طبعي لتكلفته فإن منصبي يقتضيه، لأني خليفة الله في أرضه، والقائم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، النائب عنه في أمته، وأنى لا ستحيي أن يكون لبني مروان عمر بن عبد العزيز، وليس لبني العباس مثله، وهم آل الرسول صلى الله عليه وسلم. انتهى

قال هاشم بن القاسم:[3] كنت بحضرة المهتدي عشية في رمضان فوثبت لأنصرف فقال لي: اجلس، فجلست وتقدم فصلى بنا ثم دعا بالطعام فأحضر طبق خلاف وعليه رغيف من الخبز النقي وفيه آنية فيها ملح وخل وزيت دعاني إلى الأكل فابتدأت آكل ظانا أنه سيؤتى بطعام فنظر إلي وقال: ألم تك صائما؟ قلت: بلى قال: أفلست عازما على الصوم؟ فقلت: كيف لا وهو رمضان؟ فقال: كل واستوف فليس ههنا من الطعام غير ما ترى فعجبت ثم قلت: ولم يا أمير المؤمنين وقد أسبغ الله نعمته عليك؟ فقال: إن الأمر ما وصفت ولكني فكرت في أنه كان في بني أمية عمر بن عبد العزيز – وكان من التقلل والتقشف على ما بلغك– فغرت على بني هاشم فأخذت نفسي بما رأيت.

قال جعفر بن عبد الواحد: ذاكرت المهتدي بشيء فقلت له: كان أحمد بن حنبل يقول به ولكنه كان يخالف –أشير إلى من مضى من آبائه– فقال: رحم الله أحمد ابن حنبل! والله لو جاز لي أن أتبرأ من أبي لتبرأت منه ثم قال لي: تكلم بالحق وقل به فإن الرجل ليتكلم بالحق فينبل في عيني.

حدث بعض الهاشميين أنه وجد للمهتدي سفط فيه جبة صوف وكساء كان يلبسه بالليل ويصلي فيه. وكان قد أطرح الملاهي، وحرم الغناء. وحسم أصحاب السلطان عن الظلم. وكان شديد الإشراف على أمر الدواوين. يجلس بنفسه، ويجلس الكتاب بين يديه فيعملون الحساب. وكان لا يخل بالجلوس الخميس والاثنين. وقد ضرب جماعة من الرؤساء. ونفى جعفر بن محمود إلى بغداد، وكره مكانه لأنه نسب عنده إلى الرفض*

قال بعضهم: سمعته يوماً يقول لعيسى بن فرخانشاه:[4]عاون على الخير تسلم، ولا تجزه فتندم. فقيل له: إن هذا بيت شعرٍ. قال: ما تعمدت ذلك، ولكني رويت قول الشاعر: تعاون على الخيرات تظفر، ولا تكن..على الإثم والعدوان ممن يعاون.

----

*(الكسور) ضرائب كانت تؤخذ من الشعب. (اثنا عشر ألف ألف درهم) اثنا عشر مليوناً (أبلس) أبلس من رحمة الله أي يئس.في حجته: انقطع. ومنه سمي إبليس وكان اسمه عزازيل والإبلاس أيضا الانكسار والحزن يقال أبلس فلان إذا سكت غما (الرملة) من أكبر وأقدم مدن فلسطين التاريخية (رفض) رفضته رفضا من باب ضرب وفي لغة من باب قتل تركته والرافضة فرقة من شيعة الكوفة سموا بذلك لأنهم رفضوا أي تركوا زيد بن علي رضي الله عنهما حين نهاهم عن الطعن في الصحابة فلما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب وأجاز الطعن في الصحابة.

■ (1) محمد المهتدي بالله بن هارون الثاني الواثق بالله، أبو إسحاق. الملك العباسي الرابع عشر، وقيل عنه:كان سابع الخلفاء الراشدين. قتلوه الجند الأتراك سنة 256 هـ. وكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوماً. وقام بعده المعتمد على الله. محمد بن هارون.

■ (2) الحسن بن مخلد بن الجراح ، أبو محمد: وزير، من الكتاب، ولد سنة 209 هـ كان يتولى ديوان الضياع للمتوكل العباسي، واستوزره المعتمد، ثم عزله، وأعاده، وعزله ومازال على غير استقرار حتى طلبه أحمد بن طولون إلى مصر فحمل إليه فحبسه بأنطاكية فمات فيها سنة 269 هـ

■ (4) أبو موسى عيسى بن فرخانشاه الكاتب من أهل دير قنى. وزر للمعتز بعد جعفر بن محمود.؟ عيسى بن كرمانشاه ؟

■ (3) أبو العباس هاشم بن القاسم الهاشمي ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

كان المهتدي ورعا تقيا متعبدا عادلا فارسا شجاعا قويا في أمر الله خليقا للإمارة لكنه لم يجد ناصرا ولا معينا على الخير وقيل انه سرد الصوم* مدة أمرته وكان يقنع بعض الليالي بخبز وزيت وخل وكان يشبه بعمر بن عبد العزيز، وورد أنه كان له جبة صوف وكساء يتعبد فيه بالليل وكان قد سد باب الملاهي والغناء وحسم الأمراء عن الظلم وكان يجلس بنفسه لعمل حساب الدواوين بين يديه ثم أن الأتراك خرجوا عليه فلبس السلاح وأشهر سيفه وحمل عليهم فجرح ثم أسروه وخلعوه ثم قتلوه إلى رحمة الله ورضوانه وأقاموا بعده المعتمد على الله، قاله في العبر.

قال ابن الفرات: أرادوا أن يبايعوا المهتدي بالله على الخلافة، فقال: لا أقبل مبايعتكم حتى أسمع بأذني خلع المعتز نفسه فأدخلوه عليه فسلم عليه بالخلافة وجلس بين يديه فقال له: الأمراء ارتفع، فقال: لا أرتفع إلا أن يرفعني الله، ثم قال: للمعتز يا أمير المؤمنين، خلعت أمر الرعية من عنقك طوعا ورغبة وكل من كانت لك في عنقه بيعة فهو بريء منها؟ فقال المعتز من الخوف: نعم، فقال: خار الله لنا ولك، يا أبا عبد الله ثم ارتفع حينئذ إلى صدر المجلس، وكان أول من بايعه، وكان المهتدي وروعا زاهدا صواما لم تعرف له زلة، وكان سهل الحجاب كريم الطبع يخاطب أصحاب الحوائج بنفسه، ويجلس للمظالم ويلبس القميص الصوف الخشن تحت ثيابه على جلده، وكان من العدل على جانب عظيم.

ذكر محمد بن علي الربعي – وكان ممن يكثر ملازمة المهتدي وكان حسن المجلس، عارفا بأيام الناس وأخبارهم – قال: كنت أبايت في الليالي المهتدي فقال لي ذات ليلة: أتعرف خبر نوف الذي حكاه عن علي بن أبي طالب حين كان يبايته؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، ذكر نوف قال: رأيت عليا رضي الله عنه ليلة قد أكثر الخروج والدخول والنظر إلى السماء، ثم قال لي: يا نوف، أنائم أنت؟ قال: قلت: بل رامق أرمق بعيني منذ الليلة يا أمير المؤمنين، فقال لي: يا نوف، طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطا، وترابها ثيابا، وماءها طيبا، والكتاب شعارا، والدعاء في دثارا، ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح ابن مريم عليه السلام، يا نوف، إن الله تعالى أوحى إلى عبده عيسى عليه السلام أن قل لبني إسرائيل ألا يدخلوا إلي إلا بقلوب وجلة، وأبصار خاشعة، وأكف نقية، وأعلمهم أني لا أجيب لأحد منهم دعوة ولأحد من خلقي قبلهم مظلمة. قال محمد بن علي الربعي: فوالله لقد كتب المهتدي هذا الخبر بخطه، وقد كنت أسمعه في جوف الليل وقد خلا بربه في بيت كان لخلوته وهو يبكي ويقول: يا نوف، طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، ويمر في الخبر إلى آخره، إلى أن كان من أمره ما كان مع الأتراك وقتلهم إياه.

قال العلامة الكواكبي رحمه الله في كتابه طبائع الاستبداد: إنَّ الحكومة من أيّ نوع كانت لا تخرج عن وصف الاستبداد؛ ما لم تكن تحت المراقبة الشَّديدة والاحتساب الّذي لا تسامح فيه، كما جرى في صدر الإسلام في ما نُقِم على عثمان، ثمَّ على عليّ رضي الله عنهما، وكما جرى في عهد هذه الجمهورية الحاضرة*** في فرنسا في مسائل النّياشين وبناما ودريفوس****. ومن الأمور المقرَّرة طبيعةً وتاريخاً أنَّه؛ ما من حكومة عادلة تأمن المسؤولية والمؤاخذة بسبب غفلة الأمّة أو التَّمكُّن من إغفالها إلاّ وتسارع إلى التَّلبُّس بصفة الاستبداد، وبعد أنْ تتمكَّن فيه لا تتركه وفي خدمتها إحدى الوسيلتين العظيمتين: جهالة الأمَّة، والجنود المنظَّمة. وهما أكبر مصائب الأمم وأهمّ معائب الإنسانية، وقد تخلَّصت الأمم المتمدِّنة – نوعاً ما– من الجهالة، ولكنْ؛ بُليت بشدة الجندية الجبرية العمومية؛ تلك الشّدة التي جعلتها أشقى حياةً من الأمم الجاهلة، وألصق عاراً بالإنسانية من أقبح أشكال الاستبداد، حتَّى ربَّما يصحّ أن يقال: إنَّ مخترع هذه الجندية إذا كان هو الشّيطان؛ فقد انتقم من آدم في أولاده أعظم ما يمكنه أنْ ينتقم! نعم؛ إذا ما دامت هذه الجندية التي مضى عليها نحو قرنَيْن إلى قرن آخر أيضاً تنهك تجلُّد الأمم، وتجعلها تسقط دفعة واحدة ومن يدري كم يتعجب رجال الاستقبال من تَرَقِّي العلوم في هذا العصر ترقِّياً مقروناً باشتداد هذه المصيبة التي لا تترك محلاً، لاستغراب إطاعة المصريين للفراعنة في بناء الإهرامات سخرة؛ لأنَّ تلك لا تتجاوز التّعب وضياع الأوقات، وأمّا الجندية فتُفسد أخلاق الأمّة؛ حيثُ تُعلِّمها الشّراسة والطّاعة العمياء والاتِّكال، وتُميت النّشاط وفكرة الاستقلال، وتُكلِّف الأمّة الإنفاق الذي لا يطاق؛ وكُلُّ ذلك منصرف لتأييد الاستبداد المشؤوم: استبداد الحكومات القائدة لتلك القوَّة من جهة، واستبداد الأمم بعضها على بعض من جهة أخرى.

----

*(سرد الصوم) أي تابعه (***) المقصود هو حكومة فرنسا أواخر القرن التاسع عشر وأول العشرين، والمسائل هي قضايا استطاع أصحابها،– بسبب الحرية السائدة في فرنسا–، إثارة الرأي العام، ورفع الظلم عنهم وتحقيق العدالة. (****) الإشارة – هنا – إلى الأحداث التي رافقت منح امتياز قناة (بنما) الملاحية Panama Canal.وقضية ديرفوس L'affaire Dreyfus التي بدأت عام 1894م حينما كُشف عن برنامج أُرسل على الماجور شفارتز كوبن، الملحق العسكري الألماني بباريس، ومعه قائمة بالوثائق السرية الفرنسية التي وعد كاتب البرنامج بتقديمها. وأدانت المحكمة العسكرية الكابتن ألفرد دريفوس Alfred Dreyfus 1859–1935وهو ضابط فرنسي يهودي، اتهم بالخيانة العظمى، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة عام 1894 بجزيرة الشيطان، ثم أعدت محاكته، بضغط من الجماهير 1896، فبُرِىء، ورُد إليه اعتباره 1906. (هذه المعلومة منقولة عن الكاتب محمد جمال)

مراجع مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ تاريخ الخلفاء/ القلائد من فرائد الفوائد/ التذكرة الحمدونية/ مختار الصحاح/ تاج العروس/ الأعلام الزركلي/ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/ الأوائل للعسكري/ مروج الذهب/

◆ أبو إسحاق محمد المهتدي بالله بن الواثق، الخليفة الزاهد (سابع الخلفاء الراشدين؟، رابع عشر ملوك الدولة العباسية) وأبو العباس ابن ثوابة 0935

قال أبو الفرج الأصفهاني: حضرت أبا عبد الله الباقطائي (1) وهو يتقلد ديوان المشرق وقد تقلد ابن أبي السلاسل (2) ماسبذان* ومهرجانقذق* وجاءه ليأخذ كتبه، فجعل يوصيه كما يوصي أصحاب الدواوين والعمال، فقال ابن أبي السلاسل: كأنك قد استكثرت لي هذا العمل؛ أنت أيضا قد كنت تكتب لأبي العباس ابن ثوابة (3) ثم صرت صاحب ديوان. فقال له الباقطائي: يا جاهل يا مجنون لولا أنه قبيح بمثلي مكافأة مثلك لراجعت الوزير، أيده الله، في أمرك حتى أزيل يدك، ومن لي بأن أجد مثل ابن ثوابة في هذا الزمان فأكتب له ولا أريد الرياسة، ثم أقبل علينا يحدثنا فقال: دخلت مع أبي العباس ابن ثوابة إلى المهتدي (4) وكان سليمان بن وهب وزيره (5)، وكان يدخل إليه الوزير وأصحاب الدواوين والعمال والكتاب فيعملون بحضرته ويوقع إليهم في الأمور. فأمر سليمان بأن يكتب عنه عشرة كتب مختلفة إلى جماعة من العمال، فأخذ سليمان بيد أبي العباس ابن ثوابة ثم قال له: أنت اليوم أحد ذهنا مني فهلم نتعاون، ودخلا بيتا ودخلت معهما، وأخذ سليمان خمسة أنصاف وأبو العباس خمسة أخر، فكتبا الكتب التي أمر بها، ما احتاج أحدهما إلى نسخة، وقرأ كل واحد منهما ما كتب به صاحبه فاستحسنه، ثم وضع سليمان الكتب بين يدي المهتدي فقال له وقد قرأها: أحسنت يا سليمان، نعم الرجل أنت لولا المعجل والمعدل، وكان سليمان إذا ولى عاملا أخذ منه مالا معجلا وعدل له مالا إلى أن يتسلم عمله، فقال له: يا أمير المؤمنين، هذا قول لا يخلو أن يكون حقا أو باطلا، فإن كان باطلا فليس مثلك قبله، وإن كان حقا وقد علمت أن الأصول محفوظة فما يضرك من مساهمتي عمالي على بعض ما يصل إليهم من مرفق لا يجحف بالرعية ولا ينقص الأصول؟ فقال له: إذا كان هذا هكذا فلا بأس، ثم قال له: اكتب إلى فلان العامل بقبض ضيعة فلان العامل المصروف المعتقل في يديه بباقي ما عليه من المصادرة، فقال له أبو العباس ابن ثوابة: كلنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك، وكلنا حاطب في حبلك وساع فيما أرضاك وأيد ملكك، أفنمضي ما تأمر به على ما خيلت أم نقول الحق؟ قال: لا بل قل الحق يا أحمد، فقال: يا أمير المؤمنين، الملك حق والمصادرة شك، أفترى أن نزيل اليقين بالشك؟ قال: لآ، فقال: قد شهدت للرجل بالملك وصادرته عن شك فيما بينك وبينه وهل خانك أم لا، فجعلت المصادرة صلحا، فإذا قبضت ضيعته بها فقد أزلت اليقين بالشك، فقال له: صدقت، ولكن كيف الوصول إلى المال؟ فقال له: أنت لابد مول عمالا على أعمالك، وكلهم يرتزق ويرتفق فيحوز رزقه ورفقه إلى منزله، فاجعله أحد عمالك ليصرف هذين الوجهين إلى ما عليه ويسعفه معاملوه فيخلص نفسه وضيعته ويعود إليك مالك. فأمر سليمان بن وهب أن يفعل ذلك. فلما خرجنا عن حضرة المهتدي قال له سليمان: عهدي بهذا الرجل عدوك، وكل واحد منكما يسعى على صاحبه، فكيف زال ذاك حتى نبت عنه في هذا الوقت نيابة أحييته بها وتخلصت نعمته؟ فقال: إنما كنت أعاديه وأسعى عليه وهو يقدر على الانتصاف مني، فأما وهو فقير إلي فهو مما يحظره الدين والصناعة والمروءة، فقال له سليمان: جزاك الله خيرا، أما والله لأشكرن هذه النية لك، ولأعتقدنك من أجلها أخا وصديقا، ولأجعلن هذا الرجل لك عبدا ما بقي؛ ثم قال له الباقطائي: من كان هذا وزنه وفضله يعاب من كان يكتب له؟.

----

*(مهرجانقذق) مدينة عراقية ففتحها صلحا عبد الله بن قيس الأشعري السائب بن الاقرع الثقفي من طرف أبو موسى ألاشعري (ماسبذان) مدينة عراقية ففتحها صلحا أبو موسى ألاشعري

■ (3) ابن ثوابة، أحمد بن محمد بن ثوابة بن خالد الكاتب أبو العباس: من كبار المنشئين في العصر العباسي. كان كاتب ديوان الرسائل لمعز الدولة أحمد بن بويه قبل أن يليه ابراهيم الصابئ. مات سنة 349 هـ

■ (4) محمد المهتدي بالله بن هارون الثاني الواثق بالله، أبو إسحاق. الملك العباسي الرابع عشر، وقيل عنه:كان سابع الخلفاء الراشدين. قتلوه الجند الأتراك سنة 256 هـ. وكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوماً. وقام بعده المعتمد على الله. محمد بن هارون.

■ (5) سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي: وزير، من كبار الكتاب. من بيت كتابة وإنشاء في الشام والعراق. ولد ببغداد، وكتب للمأمون وهو ابن 14 سنة. وولي الوزارة للمهتدي بالله، ثم للمعتمد على الله. ونقم عليه الموفق بالله، فحبسه، فمات في حبسه. سنة 272 هـ له ديوان رسائل. وكان من مفاخر عصره أدبا وعقلا وعلما. ولابي تمام والبحتري مدح به وبأهله.

■ (2) هل هو: الحسن بن علي بن علي بن محمد ابن جعفر بن القاسم بن محرز بن جرير بن عبد الله أبو القاسم البجلي الجريري يعرف بابن أبي السلاسل مات سنة 364 هـ قال الكتاني وهو آخر من حدث بدمشق عن احمد بن علي القاضي؟

■ (1) أبو عبد الله الباقطائي ؟ هل هو الحسين بن علي الباقطائي.؟

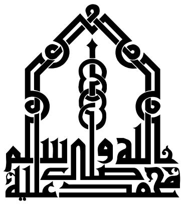

روي عن علي رضي الله عنه أنه رأى رجلا قد فرغ من صلاته و قال: اللهم، إني أستغفرك وأتوب إليك سريعا فقال له: يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى توبة. قال يا أمير المؤمنين: و ما التوبة ؟ قال: إسم يقع على ستة معان: على الماضي من الذنوب، الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة، ورد المظالم إلى أهلها، وإذاب النفس في الطاعة كما أذابتها في المعصية، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، وأن تزين نفسك في طاعة الله كما زينتها في معصية الله، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته. وقال أبو بكر الوراق: التوبة أن تكون نصوحا. وهو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذين خلفوا.

☪

خرج محمد بن البعيث بن حلبس الربعي على المتوكل، فأخذه وحبسه، فهرب من الحبس وعاد إلى ما كان عليه؛ فجيء به وقدم لتضرب عنقه؛ فقال له المتوكل يا محمد، ما حملك على ما صنعت؟ قال: الشقوة يا أمير المؤمنين، وأنت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه، وأن لي بك لظنين: أسبقهما إلى قلبي أولاهما بك، وهو العفو: تضاءل ذنبي عند عفوك قلة..فمن بعفو منك فالعفو أفضل..ولم أتوسم غير ما أنت أهله..وأنك بي خير الفعالين تفعل. فعفا عنه.

مراجع: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ أخبار العلماء بأخبار الحكماء/ تاريخ مختصر الدول/ الأعلام للزركلي/ التذكرة الحمدونية/ / نشوار المحاضرة/ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة/

قال أبو الحسين محمد بن علي بن الخلال البصري: حدثني أبي وسمعته من غيره: أن القضاة والشهود بمدينة السلام ادخلوا على المعتمد على الله [1] للشهادة عليه في دين كان اقترضه عند الاضاقة بالإنفاق على صاحب الزنج[2]، فلما مثلوا بين يديه قرأ عليهم إسماعيل بن بلبل[3] الكتاب، ثم قال: إن أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه يأمركم ان تشهدوا عليه بها في هذا الكتاب، فشهد القوم حتى بلغ الكتاب إلى الجذوعى القاضي[4]، فاخذه بيده وتقدم إلى السرير، فقال: يا أمير المؤمنين، اشهد عليك بها في هذا الكتاب؟ فقال: اشهد، فقال: إنه لا يجوز أن اشهد أو تقول نعم أفأشهد عليك، قال: نعم، فشهد في الكتاب، ثم خرج، فقال المعتمد: من هذا؟ فقيل له: الجذوعى البصري، فقال: وما إليه؟ فقالوا: ليس إليه شيء، فقال: مثل هذا لا ينبغي أن يكون مصروفا، فقلدوه واسطا، فقلده إسماعيل، وانحدر، فاحتاج الموفق يوما إلى مشاورة الحاكم فيها يشاور في مثله، فقال: استدعوا القاضي، فحضر وكان قصيرا، له دبية طويلة، فدخل في بعض الممرات ومعه غلام له، فلقيه غلام كان للموفق[5] وكان شديد التقدم عنده وكان مخمورا أو سكران، فصادفه في مكان خال من الممر، فوضع يده في دبيته حتى غاص رأسه فيها، وتركه ومضى، فجلس الجذوعى في مكانه، واقبل غلامه حتى فتقها، واخرج رأسه منها، وثنى رداءه على رأسه، وعاد إلى داره، واحضر الشهود، فامرهم بتسلم الديوان، ورسل الموفق يترددون، وقد سترت الحال عنه، حتى قال بعض الشهود لبعض الرسل الخبر، فعاد إلى الموفق، فأخبره بذلك، فأحضر صاحب الشرطة، وأمره بتجريد الغلام، وحمله إلى باب دار القاضي، وضربه هناك ألف سوط، وكان والد هذا الغلام من جلة القواد، ومحله محل من لوهم بالعصيان، لا طاعة أكثر الجيش، فلم يقل شيئا، وترجل القواد، وصاروا إليه، وقالوا: مرنا بامرك، فقال: إن الأمير الموفق اشفق عليه منى، فمشى القواد بأسرهم مع الغلام إلى بابا الجذوعى، فدخلوا إليه، وضرعوا له، فادخل صاحب الشرطة والغلام، فقال: لا تضربه، فقال: لا اقدم على خلاف الموفق، فقال: انى اركب إليه وازيل ذلك عنه، فركب فشفع له وصفح عنه.

■ (4) محمد بن محمد بن إسماعيل بن شداد. القاضي أبو عبد الله الأنصاري. المعروف بالجذوعى بصرى سكن بغداد وحدث بها وثقه الخطيب، وذكر له حكاية تمت مع المعتمد، وهي في أمالي نصر المقدسي. توفي ببغداد سنة 291 هـ في جمادى الآخرة. وقد ولي قضاء واسط، وغيرها. وكان موصوفا بالورع في أحكامه، رحمه الله.

■ (1) أحمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم، أبو العباس، المعتمد على الله: خليفة عباسي. ولد بسامراء، وولي الخلافة سنة 256 هـ بعد مقتل المهتدي بالله بيومين. وطالت أيام ملكه، وكانت مضطربة كثيرة العزل والتولية، بتدبير الموالي وغلبتهم عليه، فقام ولي عهده أخوه الموفق بالله طلحة فضبط الامور، وصلحت الدولة وانكفت يد المعتمد عن كل عمل حتى انه احتاج يوما إلى ثلاث مئة دينار فلم ينلها. وكان من أسمح آل عباس، جيد الفهم، شاعرا، إلا أنه لما غلب على أمره انتقصه الناس. وكان مقام الخلفاء قبله في سامراء فانتقل المعتمد منها إلى بغداد، فلم يعد إليها أحد منهم بعده. ومات أخوه الموفق سنة 278 هـ فأهمل أمر الرعية، ومات مسموما، وقيل: رمي في رصاص مذاب. وكان موته ببغداد، وحمل إلز سامراء فدفن فيها سنة 279 هـ.

■ (3) ابن بلبل، الوزير الكبير، الاوحد، الاديب، أبو الصقر، إسماعيل بن بلبل الشيباني. أحد الشعراء والبلغاء والاجواد المدحين. وزر للمعتمد في سنة 265 هـ، بعد الحسن بن مخلد، ثم عزل، ثم وزر، ثم عزل، ثم وزر ثالثا عند القبض على صاعد الوزير، سنة 272 هـ. وكان في رتبة كبار الملوك، له راتب عظيم، في اليوم مئة شاة، وسبعون جديا، وقنطار حلواء، ولما ولي العهد المعتضد، قبض عليه وعذبه، حتى هلك في سنة 278 هـ.

■ (5) طلحة الموفق بالله بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم، العباسي، أبو أحمد: أمير، من رجال السياسة والادارة والحزم، لم يل الخلافة اسما، ولكنه تولاها فعلا. ولد ومات في بغداد. ابتدأت حياته العملية بتولي أخيه المعتمد على الله الخلافة سنة 256 هـ وآلت إليه ولاية العهد. وظهر ضعف المعتمد عن القيام بأعباء الدولة، فنهض بها الموفق، وصد عنه غارات الطامعين بالملك، ثم حجر عليه، حتى كان المعتمد يتمنى الشئ اليسير فلا يحصل عليه. وكان شجاعا موفقا عادلا، عالما بالادب والانساب والقضاء، له مواقف محمودة في الحروب وغيرها.توفي في أيام أخيه المعتمد سنة 278 هـ.

■ (2) يعني صاحب الزنج علي بن محمد الورزنيني ظهر في أيام المهتدي بالله سنة 255 والتف حوله سودان أهل البصرة قوى أمره واشتدت شوكته وعجز عن قتاله الخلفاء ظفر به الموفق وقتله سنة 270 هـ.

جل جلاله

خرج المعتمد[1] من سامراء ليلحق بصاحب مصر أحمد بن طولون[2]، وكان بدمشق، فبلغ ذلك الموفق[3]، فأغرى بأخيه إسحاق بن كنداج، فلقي المعتمد بين الموصل والحديثة، وقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا ؟ أخوك في وجه العدو وأنت تخرج من مقر عزك ! ومتى علم بهذا ترك مقاومة عدوك، وتغلب الخارجي على ديار آبائك. وهذا كتاب أخيك يأمرني بردك. فقال: أنت غلامي أو غلامه؟ قال: كلنا غلمانك ما أطعت الله، وقد عصيت بخروجك وتسليطك عدوك على المسلمين. ثم قام، ووكل به جماعة، ثم بعث إليه يطلب منه ابن خاقان[4] وجماعة ليناظرهم، فبعث بهم، فقال لهم: ما جنى أحد على الامام والاسلام جنايتكم. أخرجتموه من دار ملكه في عدة يسيرة، وهذا هارون الشاري بإزائكم في جمع كثير، فلو ظفر بالخليفة، لكان عارا على الاسلام، ثم رسم أيضا عليهم، وأمر المعتمد بالرجوع، فقال: فاحلف لي أنك تنحدر معي ولا تسلمني، فحلف، وانحدر إلى سامراء. فتلقاه كاتب الموفق صاعد، فأنزله في دار أحمد بن الخصيب[5]، ومنعه من نزول دار الخلافة، ووكل به خمس مئة نفس، ومنع من أن يجتمع به أحد. وبعث الموفق إلى ابن كنداج بخلع وذهب عظيم.

قال الصولي: تحيل المعتمد من أخيه، فكاتب ابن طولون. ومما قال: أليس من العجائب أن مثلي..يرى ما قل ممتنعا عليه وتؤكل باسمه الدنيا جميعا..وما من ذاك شئ في يديه ؟! ولقب الموفق صاعد بن مخلد ذا الوزراتين، ولقب ابن كنداج ذا السيفين. فلما علم ابن طولون جمع الاعيان، وقال: قد نكث الموفق بأمير المؤمنين، فاخلعوه من العهد فخلعوه سوى القاضي بكار بن قتيبة[6]. فقال لابن طولون: أنت أريتني كتاب أمير المؤمنين بتوليته العهد، فأرني كتابه بخلعه. قال: إنه محجور عليه، قال: لا أدري. قال: أنت قد خرفت وحبسه، وأخذ منه عطاءه على القضاء عشرة آلاف دينار، وأمر الموفق بلعنة أحمد بن طولون على المنابر. وسار ابن طولون، فحاصر المصيصة، وبها خادم، فسلط الخادم على جيش أحمد بثوق النهر، فهلك منهم خلق، وترحلوا، وتخطفهم أهل المدينة، ومرض أحمد، ومات مغبونا.

■ (6) بكار بن قتيبة بن عبيد الله. وقيل: بكار بن قتيبة بن أسد بن عبيد الله بن بشر بن أبي بكرة بن نفيع بن الحارث. القاضي أبو بكرة الثقفي البكراوي البصري الفقيه الحنفي، وكانت ولادته بالبصرة سنة 282 هـ، تولى القضاء بمصر سنة 248 هـ أو249 هـ، وقيل: قدمها متوليا قضاءها من قبل المتوكل سنة 246 هـ، فلم يزل قاضيا، يعني على مصر إلى أن توفي سنة 270 هـ، وقد قارب التسعين، وكانت مدة ولايته أربعا وعشرين سنة وأقامت مصر بلا قاض بعده سبع سنين، ثم ولي خمارويه محمد بن عبدة. وكان أحمد بن طولون أراد بكارا على لعن الموفق فامتنع فسجنه إلى أن مات أحمد فأطلق بكار، وبقي يسيرا ومات. فغسل ليلا، وكثر الناس فلم يدفن إلى العصر

■ (2) أبو العباس، أحمد بن طولون، صاحب الديار المصرية والشامية والثغور؛ كان المعتز بالله قد ولاه مصر، ثم استولى على دمشق والشام أجمع وانطاكية والثغور في مدة اشتغال الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل، وكان نائبا عن أخيه المعتمد على الله الخليفة وهو والد المعتضد بالله، بحرب صاحب الزنج. وكان أحمد عادلا جوادا شجاعا متواضعا حسن السيرة صادق الفراسة، يباشر الأمور بنفسه ويعمر البلاد ويتفقد أحوال رعاياه ويحب أهل العلم، وكان أبوه مملوكا أهداه نوح بن أسد الساماني عامل بخارى إلى المأمون في جملة رقيق حمله إليه في سنة 200 هـ، ومات طولون في سنة 240 هـ. وكانت ولادة ولده أحمد بسامرا سنة 220 هـ، ويقال إن طولون تبناه ولم يكن ابنه، ودخل مصر سنة 254 هـ، وتوفي بها سنة 270 هـ

■ (3) الموفق بالله، محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، أبو أحمد، وقيل إن اسمه طلحة، الأمير العباسي وقائد جيش الخليفة المعتمد على الله، ولد في بغداد سنة 227 هـ وتوفي سنة 278هـ.

■ (1) المعتمد على الله، أحمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، أبو العباس. ولد سنة 229 هـ بسر من رأى . بويع بعد قتل ابن عمه المهتدي. فجعل أخاه -وهو ولي عهده- الموفق طلحة على الأمور وانهمك هو في اللذات وصار المعتمد كالمحجور عليه معه. وكان الموفق متولي محاربة الزنج هو وولده أحمد المعتضد، ولم يزل الموفق على ما هو عليه إلى أن مات سنة 278 هـ في حياة أخيه المعتمد. وكان الموفق قد حبس في حياته ولده المعتضد أحمد فلما احتضر الموفق أخرجه من الحبس وجعله عوضه في ولاية العهد فكان على عمه المعتمد أشد من أبيه الموفق فلم تطل أيام المعتمد بعد الموفق ومات فجأة سنة 279 هـ . وكانت خلافته 23 سنة، ليس له فيها إلا مجرد الاسم والأمر كله لأخيه الموفق طلحة ثم من بعده لابنة المعتضد أحمد الذي تخلف بعد عمه المعتمد.

■ (5) أحمد بن الخصيب بن عبدالحميد، الجرجرائي، الوزير الكبير، أبو العباس ابن أمير مصر. استوزره المنتصر، ثم المستعين. وارتفع شأنه، ثم نكب، ونفاه المستعين إلى الغرب في سنة 248 هـ. عن الحسين بن يحيى: أن ابن الخصيب كان يتصدق كل يوم بخمسين دينارا، فلما نكب بقي يتصدق بخمسين درهما، ويقلل نفقة نفسه. قال أحمد بن أبي طاهر: كان يحتد، ويخرج رجله من الركاب، فيرفس من يراجعه. توفي سنة 265 هـ.

■ (4) ابن خاقان، أبو الحسن، عبيد الله بن يحيى بن خاقان التركي، ثم البغدادي. وزر للمتوكل، وللمعتمد. وجرت له أمور. وقد نفاه المستعين إلى برقة، ثم قدم بغداد بعد خمس سنين، ثم وزر سنة 256 هـ.وقيل: لم يكن له حظ من الصناعة، فأيد بأعوان وكفاة. وكان واسع الحيلة. ونفاه المعتز، فلما ولي المعتمد طلبه، وخلع عليه، فأدبته النكبة، وتهذب كثيرا. وله أخبار في الحلم والسخاء. مات وعليه ست مئة ألف دينار، مع كثرة ضياعه. قيل: صدمه خادمه رشيق في لعب الصوالجة، فسقط، ثم مات ليومه، سنة 263 هـ. وقد وزر ابنه أبو علي محمد بن عبيد الله، ووزر حفيده أبو القاسم عبد الله بن محمد للمقتدر سنة 312 هـ. وتوفي سنة أربع عشرة.

مراجع تاريخ بغداد / الأعلام الزركلي/ تاريخ الإسلام للذهبي/ تاريخ دمشق/ سير أعلام النبلاء/

◆ خالد بن أحمد الذهلي، أمير خراسان (زمن أحمد المعتمد على الله، خامس عشر ملوك الدولة العباسية) والإمام البخاري 0937

حدث الرواة : أن أمير خراسان خالد بن أحمد الذهلي نائب الطاهرية[1] ببخارى طلب من الإمام البخاري[2] أن يحضر إليه ليسمع أولاده منه، وكان البخاري شريف النفس فأبى أن يذهب قائلاً: في بيتي يؤتى العلم. فبقى في نفس الأمير من ذلك فاتفق أن جاء كتاب من محمد بن يحيى الذهلي[3] بأن البخاري يقول لفظه بالقرآن مخلوق وكان وقد وقع بين محمد بن يحيى الذهلي وبين البخاري في ذلك كلام وصنف البخاري في ذلك كتاب أفعال العباد، فأراد الأمير أن يعزف الناس عن السماع منه فلم يقبلوا من الأمير، فأمر بنفي البخاري من بلده إلى بلدة يقال لها خرتنك على فرسخين من سمرقند. فنزل عند أقارب له بها وجعل يدعو الله أن يقبضه إليه حين رأى الفتن في الدين ولما جاء في الحديث ﴿وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنَا إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونِينَ﴾ وهناك مرض وعلى أثره مات في ليلة عيد الفطر، عن اثنين وسنين سنة. ولكن الله وهو العليم الخبير سبحانه وتعالى ينتقم من الظالمين ويثأر للمظلومين، ولو بعد حين فهو يمهل ولا يهمل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَّ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ﴾ وصلت أنباء المحنة إلى بغداد، فقامت بغداد وقعدت وعم الاستياء، لمحنة التقي الورع العدل الثبت. فأسرها الموفق[4] بن المتوكل وهو أخو الخليفة المعتمد[5] في نفسه، متحيناً الفرصة لينتقم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويثأر لإمام المحدثين وأمير الحفاظ أجمعين. تذكر الروايات من ثقات المؤرخين. أنا الإمام دعا على خالد بن أحمد فلم يمض شهر حتى وصل أمير خراسان خالد بن الذهلي إلى بغداد في موسم الحج. وما إن سمع الموفق بقدومه، حتى أصدر أمره باعتقاله فخفوراً.. ثم طرح في السجن حتى يذوق الموت. ليأخذ جزاءه فيه فمات هناك وذلك جزاء الظالمين، ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر][القلم]

قال الخطيب البغدادي: كان مسلم[6] أيضا يناضل عن البخاري حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيى الذهلي بسببه، فأخبرني محمد بن علي المقرئ، أنا محمد بن عبد الله النيسابوري، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول: لما استوطن محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور أكثر مسلم بن الحجاج[6] الاختلاف إليه، فلما وقع بين محمد بن يحيى[3] والبخاري[2] ما وقع في مسألة اللفظ، ونادى عليه، ومنع الناس عن الاختلاف إليه، حتى هجر وخرج من نيسابور؛ في تلك المحنة قطعه أكثر الناس غير مسلم فإنه لم يتخلف عن زيارته، فأنهى إلى محمد بن يحيى أن مسلم بن الحجاج على مذهبه قديما وحديثا وأنه عوتب على ذلك بالعراق والحجاز ولم يرجع عنه، فلما كان في يوم مجلس محمد بن يحيى قال في آخر مجلسه: ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا. فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رؤوس الناس، وخرج من مجلسه، وجمع كل ما كتب منه وبعث به على ظهر حمال إلى باب محمد بن يحيى، فاستحكمت تلك الوحشة وتخلف عن زيارته.

■ (2) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف. الجعفي بالولاء، البخاري الحافظ الإمام في علم الحديث، كنيته أبو عبد الله، ولد سنة 194 هـ. وتوفي سنة 256 هـ بخرتنك (من قرى سمرقند) وقد اختلف في اسم جده، فقيل إنه يزذبه. وقيل: يزدزبه، وقال غيره: هذا الجد مجوسيا مات على دينه، وأول من أسلم منهم المغيرة، ووجدته في موضع آخر عوض يزذبه الأحنف ولعل يزذبه كان أحنف الرجل، والله أعلم. وعنه أنه قال: صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله عز وجل.

■ (6) مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري، النيسابوري، الحافظ صاحب الصحيح، الإمام المبرز والمصنف المميز، رحل وجمع. وصنف فأوسع، وسمع بدمشق والري والعراق والحجاز ومصر. توفي مسلم بن الحجاج في سنة261 هـ.

■ (3) محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي النيسابوري، أبو عبد الله مولاهم. مات سنة 252 هـ. وقد بلغ 86 سنة. وكان أحد الحفاظ الأعيان روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وكان ثقة مأمونا وكان سبب الوحشة بينه وبين البخاري أنه لما دخل البخاري مدينة نيسابور شنع عليه محمد بن يحيى في مسألة خلق اللفظ وكان قد سمع منه فلم يمكنه ترك الرواية عنه وروى عنه مقدار ثلاثين موضعا ولم يصرح باسمه لا يقول حدثنا محمد بن يحيى الذهلي بل يقول حدثنا محمد ولا يزيد عليه أو يقول محمد ابن عبد الله وينسبه لجد أبيه.

■ (1) أمير الدولة الطاهرية ببخارى: خالد بن أحمد بن خالد بن حماد بن عمرو بن مجالد بن مالك وهو الخمخام بن الحارث بن حملة بن أبي الأسود واسمه عبد الله بن حمران بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل أبو الهيثم الذهلي الأمير ولي إمارة مرو، وهراة، وغيرهما من بلاد خراسان، ثم ولي بخارى وسكنها. توفي سنة 270 هـ أراد خالد بن أحمد الذهلي من محمد بن إسماعيل البخاري المصير إلى حضرته، فامتنع من ذلك، فأخرجه من بخارى إلى ناحية سمرقند، قال بعض أهل العلم: إن ما فعله بمحمد بن إسماعيل كان سبب زوال ملكه.والطاهريون:سلالة عربية من قبيلة خزاعة تولت خراسان وشرق تركستان أثناء الدولة العباسية بين205- 259 ه

■ (5) أحمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن الرشيد ويكنى أبا العباس تولى الملك بعد المهتدي بالله، وكان مولده بسر من رأى، سنة 229 هـ، وتوفي ليلة الإثنين لإحدى عشرة بقين من رجب سنة 279 هـ ودفن بسامراء.

■ (4) الموفق بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم محمد، الموفق أبو أحمد طلحة – ومنهم من سماه: محمدا = ابن المتوكل على الله جعفر ابن المعتصم محمد بن الرشيد الهاشمي العباسي، أخو الخليفة المعتمد، وولي عهده، ووالد الملك المعتضد بالله، وأمه أم ولد. ولد سنة 229 هـ. وعقد له أخوه بولاية العهد من بعد ولده جعفر، في سنة 261 هـ، فكان الموفق بيده العقد والحل، لا يبرم أمر دونه، وكان محبوبا إلى الرعية، ولا سيما لما استؤصل الخبيث طاغوت الزنج على يديه، ولذا لقبه الناس، الناصر لدين الله. قال إسماعيل الخطبي: لم يزل أمر الموفق يقوى ويزيد، حتى صار صاحب الجيش، وكلهم تحت يده، ولما غلب على الأمر، حظر على المعتمد، واحتاط عليه وعلى ولده، ووكل بهم، وأجرى الأمور مجاريها. مات سنة 278 هـ. وكان قد غضب على ابنه، وسجنه خوفا منه، فلما احتضر أخرجه، وفوض إليه منصبه

☪

قال الأوزاعي: ﴿لَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَالِمٍ يَزُورُ عَامِلا﴾ قيل للأعمش: ﴿وَلَقَدْ أَحْيَيْتَ العَلَمَ لِكَثْرَةِ مِنْ يَأْخُذُهُ عَنْكَ فَقَالَ لَا تُعْجِلُوا ثُلُثَ يَمُوتُونَ قَبْلَ الإِدْرَاكِ وَثُلُثَ يَلْزَمُونَ أَبْوَابُ السَّلَاطِينِ فَهِمَ شَرَّ الخُلُقِ وَالثُّلُثُ البَاقِي لَا يُفْلِحُ مِنْهُ إِلّا القَلِيلِ﴾ ولذلك قال سعيد ابن المسيب: ﴿إِذَا رَأَيْتُمْ الْعَالِمَ يَغْشَى الْأُمَرَاءُ فَاحْتَرِزُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ لِصّ﴾ وقول سفيان: ﴿إِذَا رَأَيْتَ الْقَارِئَ يَلُوذُ بِالسُّلْطَانِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِصٌّ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ يَلُوذُ بِالأَغْنِيَاءِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُرَاءِ﴾ وعنه قال: ﴿فِي جَهَنَّمَ وَادٍ لَا يَسْكُنُهُ إِلَّا الْقُرَّاءُ الزَّائِرُونَ الْمُلُوكَ﴾ وعن آدم بن أبي إياس قال: ﴿شَهِدتُ حَمَّادَ بنَ سَلَمَةَ، وَدَعَوْهُ -يَعْنِي: الدَّوْلَةَ- فَقَالَ: أَحْمِلُ لِحْيَةً حَمْرَاءَ إِلَى هَؤُلاَءِ؟ وَاللهِ لاَ فَعَلتُ﴾ وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿العلماء أُمَنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عُبَّادِ اللهِّ تَعَالَى مَا لَمْ يُخَالِطُوا السَّلَاطِينَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ خَانُوا الرُّسُلَ فَاحْذَرُوهُمْ وَاعْتَزِلُوهُمْ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ بَدَا جَفَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهَّ بُعْدًا﴾ ذكر هشام بن عباد أنه سمع جعفر بن محمد يقول: ﴿الْفُقَهَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ الْفُقَهَاءَ قَدْ رَكَنُوا إِلَى السَّلَاطِينِ فَاتَّهِمُوهُمْ﴾ وعن ابن مسعود: يدخل الرجلُ على السلطان، ومَعَه دينُهُ، فيخرج وما مَعَه شيءٌ. وقال وهب: هؤلاء الذين يدخلون على الملوك، لهم أضر على الأمة من المقامرين. وقال محمد ابن مسلمة: الذباب على العذرة، أحسن من قارئ على باب هؤلاء.

☪

اعلم أخي القارىء أن الولاية ليست حكرا على أحد، وليست علامة مميزة لطبقة معينة من الناس، ولا تنال بالوراثة ولا بالأوسمة، بل هي رتبة ربانية تبدأ بالقلب محبة وتعظيما لله عز وجل، وتترجم إلى واقع عملي، فيكسب صاحبها حب الله تعالى وولايته.. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَّ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ﴾ (وليا) هو العالم بدين الله تعالى المواظب على طاعته المخلص في عباداته (آذنته بالحرب) أعلمته بالهلاك والنكال (مما افترضت عليه) من الفروض العينية وفروض الكفاية (كنت سمعه. .) أحفظه كما يحفظ العبد جوارحه من التلف والهلاك وأوفقه لما فيه خيره وصلاحه وأعينه في المواقف وأنصره في الشدائد. (استعاذني) استجار بي مما يخاف (ما ترددت) كناية عن اللطف والشفقة وعدم الإسراع بقبض روحه (مساءته) إساءته بفعل. يقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهَّ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس] فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا. عن جعفر بن برقان، قال: سمعت ميمون بن مهران، يقول: ﴿لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ شَرِيكِهِ، حَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَشْرَبُهُ، أَمِنْ حِلٍّ ذَلِكَ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟﴾ قال عليه الصلاة والسلام: ﴿أعمال البِرُّ كُلُّهَا إِلَى جَنْبِ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ المُنْكَرِ كنفثة إِلَى جَنْبِ البَحْرِ وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ المُنْكَرِ إِلَى جَنْبِ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كنفثة فِي بَحْرٍ وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جَنْبِ مُجَاهَدَةِ النَّفْسُ عَنْ هَوَاهَا فِي اجْتِنَابِ النَّهْيِ كنفثة فِي جَنْبِ بِحَرٍّ لجيّ﴾ وقال فرات بن سلمان: انتهينا مع ميمون بن مهران إلى دير القائم فنظر إلى الراهب فقال لأصحابه: فيكم من بلغ من العبادة ما بلغ هذا الراهب؟ قالوا: لا، قال: فما ينفعه ذلك ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا: لا ينفعه شيء، قال: كذلك لا ينفع قول إلا بعمل. وعن علي رضي الله عنه قال: كونوا بقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل، فإنه لن يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل يتقبل؟. قال بعض العلماء: التقوى اجتماع الطاعات، وأوله ترك الشرك، وآخره اتقاء كل ما نهى الله تعالى عنه.

عن شيبة بن مساور قال: خطب عمر بن عبد العزيز، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَّ لَمْ يَبْعَثْ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ نَبِيًّا، وَلَمْ يُنْزِلْ بَعْدَ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، فَمَا أَحَلَّ اللهُّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَلَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا حَرَّمَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَلَا وَإِنِّي لَسْتُ بِقَاضٍ، وَلَكِنِّي مُنَفِّذٌ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، وَلَكِنِّي مُتَّبِعٌ، وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْكُمْ، غَيْرَ أَنِّي أَثْقَلُكُمْ حِمْلًا، أَلَا وَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهَّ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللهَّ، أَلَا هَلْ أَسْمَعْتُ﴾ وعن الفضيل بن عياض قال: ﴿مَنْ أَعَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ﴾ قال الشيخ صالح الفوزان: من قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة؛ فهو غالط ومخطئ ومخالف لقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ﴾ وقوله: ﴿مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ﴾؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم حكم على البدع كلها بأنها ضلالة. قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة] والبدعة حاربها السلف الصالح وقاوموها وحاربها العلماء المسلمين في الجزائر، الذين شنوا الغارة على قلعة الضلال، وحملوا عليها حملة صادقة شعارهم: لا صوفية في الإسلام، حتى يدكوها دكا وينسفوها نسفا ويذروها خاوية على عروشها. لاعتقادهم بان زوايا التصوف تنشر الخرافات على حساب العقيدة الصحيحة للمسلمين، وتهادن الاستدمار الفرنسي ولا تنشئ مواطنا ثوريا. قلت: تلك الزوايا المدجنة خرجت لنا زنادقة من أمثال المدعو الأمير تارك الجهاد وصديق فرنسا ؛ الذي بدأ حياته مجاهدا وانتهى زنديقا خائنا للدين والوطن. عن أم المؤمنين عائشة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ﴾ وعن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿تُبْعَثُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ﴾ وعن الأعمش، ولفظه: ﴿يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ﴾

وعن سهل بن سعد الساعدي، قال: ﴿نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ، فَقَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا، فَتَبِعَهُ رَجُلٌ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا﴾ نسألك اللهم، العفو والعافية وحسن الخاتمة.

مراجع:أخبار الشيوخ وأخلاقهم/ هكذا كان الصالحون/ حلية الأولياء/ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ البداية والنهاية/ ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين/ التاريخ الكبير/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ حياة التابعين/ سنن أبي داود/ تفسير ابن كثير/ صحيح البخاري/ تاريخ بغداد/ سير أعلام النبلاء

لما غضب أحمد بن طولون[1] على بكار[2] سجنه، وكان السبب في ذلك أنه لما خرج إلى قتال الموفق[3] بسبب المعتمد[4]، حين ضيق وهو ولي العهد على أخيه المعتمد، وهو الخليفة حينئذ، حتى إنه لم يبق للمعتمد إلا الاسم، ضاق المعتمد بذلك، فكاتب أمراء الأطراف، فوافقه أحمد بن طولون، وواعده أن يحضر إليه، ويحمله معه إلى مصر، ويجعلها دار الخلافة، ويذب عنه من يخالفه في ذلك، فتهيأ المعتمد لذلك، واهتم أحمد بأمره، فبلغ الموفق، فنصب لأحمد الحرب، وصرح بعزله ولعنه، فصرح أحمد بخلع الموفق من ولاية العهد، وأمر بلعنه، وخرج أحمد بالعسكر من مصر، واستصحب بكارا. فلما كان بدمشق، جاء كتاب المعتمد إلى ابن طولون بخلع الموفق من ولايته العهد، ففعل، وأجاب القضاة كلهم إلى خلعه وسماه بكار الناكث، وأشهد على نفسه هو وسائر قضاة الشام والثغور. وطلب منهم أحمد أن يلعنوا الموفق، فامتنع بكار، فألح عليه، فأصر على الامتناع حتى أغضبه. وكان قبل ذلك مكرما معظما عنده، عارفا بحقه، وكان يجيزه في كل سنة بألف دينار، فلما غضب عليه أرسل إليه: أين جوائزي؟ فقال: على حالها. فأحضرها من منزله بخواتيمها ستة عشر كيسا، فقبضها أحمد منه. ثم لم يزل عليه في لعن الموفق، وهو يمتنع من إجابته، إلى أن قال يوما لأحمد: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود] فقال علي بن الحسين بن طباطبا[5] نقيب الطالبيين بمصر: أيها الأمير، إنه عناك. فغضب أحمد، وأمر بتمزيق ثيابه، وجروه برجله وليس عليه إلا سراويل وخفان وقلنسوة، وهو مسلوب الثياب، فضربه رجل بعود حديد على رجله الممدودة، ثم حمل من بين يديه إلى السجن، ثم أقامه للناس يطالبونه بمظالم يدعونها عليه، فكان يحضر في مجلس المظالم بين يدي أحمد قائما. وكان الطحاوي[6] يقول: ما تعرض له أحد فأفلح بعد ذلك، لقد تعرض له غلام يقال له: عامر بن محمد بن نجيح، وكان في حجره، فرآه بكار في مجلس المظالم، فقال له: يا عامر ما تصنع ها هنا؟ قال: أتلفت علي مالي. فقال: إن كنت كاذبا فلا نفعك الله بعقلك. قال: فأخبرني من رآه وهو ذاهب العقل، يسيل لعابه، يسبه الناس وهو يرميهم بالحجارة، وهم يقولون: هذه دعوة بكار. قال: وتقدم إليه نصراني، فقال: أيها الأمير: إن هذا الذي يزعم أنه كان قاضيا جعل ربع أبي حبسا. فقال بكار: ثبت عندي أن اباه حبس هذا الربع، وهو تملكه، فأمضيت الحبس، فجاءني هذا متظلما، فضربته، فخرج إلى بغداد، فجاءني بكتاب هذا الذي تزعم أنه الموفق: لا تمض أحباس النصارى، فعرفت أنه جاهل، فلم ألتفت إليه، وقد شهد عندي إسحاق بن معمر[7]، بأن هذا كان أسلم ببغداد على يد الموفق، فإن شهد عندي آخر مثل إسحاق ضربت عنقه. فصاح أحمد بالنصراني: المطبق، المطبق، فأخرج وحبس. قال الطحاوي: ولما قبض أحمد بن طولون يد بكار عن الحكم وسجنه، أمره أن يسلم القضاء لمحمد بن شاذان الجوهري[8]، كالخليفة له، ففعل. ثم كان بكار إذا حضر مجلس المظالم للمناظرة يعاد إلى السجن إذا انقضى المجلس، وكان يغتسل في كل يوم جمعة، ويلبس ثيابه، ويجيء إلى باب السجن، فيرده السجان، ويقول: أعذرني أيها القاضي، فما أقدر على إخراجك. فيقول: اللهم، اشهد.فبلغ ذلك أحمد، فأرسل إليه: كيف رأيت المغلوب المقهور لا أمر له ولا نهي، ولا تصرف له في نفسه، لا يزال هكذا حتى يرد على كتاب المعتمد بإطلاقك. ولما طال حبس بكار طلب أصحاب الحديث إلى أحمد أن يأذن لهم في السماع منه، فكان يحدثهم من طاق السجن، فأكثر من سمع منه في آخر عمره كان كذلك.قال ابن زولاق[9]: ثم أمر ابن طولون بنقل بكار من السجن إلى دار اكتريت له عند درب الصقلي، فأقام فيها. فلما مات أحمد بن طولون بلغ بكارا، فقال: ما للناس؟! قيل: انصرف أيها القاضي إلى منزلك، فقد مات أحمد. فقال: الدار بأجرة، وقد صلحت لي. وعاش بعد ابن طولون أربعين يوما، ومات في تلك الدار، وكانت جنازة حافلة جدا، من غير أن يرى فى الناس راكب واحد، وصلى عليه ابن أخيه محمد بن الحسن بن قتيبة[10]، ودفن بطريق القرافة.

■ (2) بكار بن قتيبة بن عبيد الله. وقيل: بكار بن قتيبة بن أسد بن عبيد الله بن بشر بن أبي بكرة بن نفيع بن الحارث. القاضي أبو بكرة الثقفي البكراوي البصري الفقيه الحنفي، وكانت ولادته بالبصرة سنة 282 هـ، تولى القضاء بمصر سنة 248 هـ أو249 هـ، وقيل: قدمها متوليا قضاءها من قبل المتوكل سنة 246 هـ، فلم يزل قاضيا، يعني على مصر إلى أن توفي سنة 270 هـ، وقد قارب التسعين، وكانت مدة ولايته أربعا وعشرين سنة وأقامت مصر بلا قاض بعده سبع سنين، ثم ولي خمارويه محمد بن عبدة. وكان أحمد بن طولون أراد بكارا على لعن الموفق فامتنع فسجنه إلى أن مات أحمد فأطلق بكار، وبقي يسيرا ومات. فغسل ليلا، وكثر الناس فلم يدفن إلى العصر

■ (1) أبو العباس، أحمد بن طولون، صاحب الديار المصرية والشامية والثغور؛ كان المعتز بالله قد ولاه مصر، ثم استولى على دمشق والشام أجمع وانطاكية والثغور في مدة اشتغال الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل، وكان نائبا عن أخيه المعتمد على الله الخليفة وهو والد المعتضد بالله، بحرب صاحب الزنج. وكان أحمد عادلا جوادا شجاعا متواضعا حسن السيرة صادق الفراسة، يباشر الأمور بنفسه ويعمر البلاد ويتفقد أحوال رعاياه ويحب أهل العلم، وكان أبوه مملوكا أهداه نوح بن أسد الساماني عامل بخارى إلى المأمون في جملة رقيق حمله إليه في سنة 200 هـ، ومات طولون في سنة 240 هـ. وكانت ولادة ولده أحمد بسامرا سنة 220 هـ، ويقال إن طولون تبناه ولم يكن ابنه، ودخل مصر سنة 254 هـ، وتوفي بها سنة 270 هـ

■ (3) الموفق بالله، محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، أبو أحمد، وقيل إن اسمه طلحة، الأمير العباسي وقائد جيش الخليفة المعتمد على الله، ولد في بغداد سنة 227 هـ وتوفي سنة 278هـ.

■ (4) المعتمد على الله، أحمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، أبو العباس. ولد سنة 229 هـ بسر من رأى . بويع بعد قتل ابن عمه المهتدي. فجعل أخاه –وهو ولي عهده– الموفق طلحة على الأمور وانهمك هو في اللذات وصار المعتمد كالمحجور عليه معه. وكان الموفق متولي محاربة الزنج هو وولده أحمد المعتضد، ولم يزل الموفق على ما هو عليه إلى أن مات سنة 278 هـ في حياة أخيه المعتمد. وكان الموفق قد حبس في حياته ولده المعتضد أحمد فلما احتضر الموفق أخرجه من الحبس وجعله عوضه في ولاية العهد فكان على عمه المعتمد أشد من أبيه الموفق فلم تطل أيام المعتمد بعد الموفق ومات فجأة سنة 279 هـ . وكانت خلافته 23 سنة، ليس له فيها إلا مجرد الاسم والأمر كله لأخيه الموفق طلحة ثم من بعده لابنة المعتضد أحمد الذي تخلف بعد عمه المعتمد.

■ (7) إسحاق بن معمر . ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه) هل هو إسحاق بن معمر. أبو يعقوب السدوسي البصري. توفي بمصر في ذي الحجة سنة أربع وثمانين.

■ (5) أبو الحسن علي بن الحسن بن إبراهيم طباطبا ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه)

■ (8) محمد بن شاذان الجوهري ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه)

■ (0) محمد (المعتز بالله) بن جعفر (المتوكل على الله) بن المعتصم: خليفة عباسي هو أخو المنتصر بالله ولد في سامراء. وعقد له أبوه البيعة بولاية العهد سنة 235 هـ، وأقطعه خراسان وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وكور فارس. ثم أضاف إليه خزن الاموال في جميع الآفاق، ودور الضرب، وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم، ولما ولي المستعين بالله سنة 248 هـ سجن المعتز، فاستمر إلى أن أخرجه الاتراك بعد ثورتهم على المستعين. وبايعوا له سنة 251 هـ فكانت أيامه أيام فتن وشغب. وجاءه قواده فطلبوا منه مالا لم يكن يملكه، فاعتذر، فلم يقبلوا عذره، ودخلوا عليه فضربوه، فخلع نفسه، فسلموه إلى من يعذبه، فمات بعد أيام شابا سنة 255 هـ قيل اسمه الزبير وقيل طلحة. وكان فصيحا، له خطبة ذكرها ابن الاثير في الكلام على وفاته. قال ابن دحية: كان فيه أدب وكفاية فلم ينفعه ذلك لقرب قرناء السوء منه، فخلع، وما زال يعذب بالضرب حتى مات بسر من رأى، وقيل: أدخل في الحمام فأغلق عليه حتى مات. مدة خلافته ثلاث سنوات وستة أشهر و 14 يوما.

■ (6) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الازدي الطحاوي، أبو جعفر: فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في طحا من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفيا. ورحل إلى الشام سنة 268 هـ فاتصل بأحمد بن طولون، فكان من خاصته، وتوفي بالقاهرة. وهو ابن أخت المزني. 321 هـ

■ (10) ابن قتيبة الامام الثقة، المحدث الكبير، أبو العباس، محمد بن الحسن بن قتيبة ابن زيادة اللخمي العسقلاني. أكثر عنه ابن المقرئ، وكان مسند أهل فلسطين، ذا معرفة وصدق. فارقه ابن المقرئ في سنة تسع وثلاث مئة، فلعله توفي سنة عشر، أو نحوها.

■ (9) الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن، من ولد سليمان ابن زولاق، الليثي بالولاء، أبو محمد: مؤرخ مصري، زار دمشق سنة 330 هـ، وولي المظالم في أيام الفاطميين، بمصر، وكان يظهر التشيع لهم. توفي سنة 387 هـ

☪

قال ابن خلكان: القاضي بكار بن قتيبة أحد الفقهاء الأحناف، أخذ الفقه عن هلال بن يحيى بالبصرة وولي قضاء مصر. وكان من البكائين التالين لكتاب الله عز وجل، وكان يكثر الوعظ للخصوم ويتلو عليهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران] هذا مع كل حالف، فمنهم من يرجع عن اليمين؛ وكان يحاسب أمناءه في كل شهر ويسأل عن الشهود.

قال الطحاوي: كان على نهاية في الحمد على ولايته. وكان ابن طولون على نهاية في تعظيمه وإجلاله إلى أن أراد منه خلع الموفق ولعنه، فأبى فلما رأى أنه لا يسلم له منه ما يحاوله ألب عليه سفهاء الناس وجعله لهم خصما. فكان يقعد له من يقيمه مقام الخصوم، فلا يأبى، ويقوم بالحجة بنفسه.ثم حبسه في دار، فكان كل جمعة يلبس ثيابه وقت الصلاة ويمشي إلى الباب، فيقول له الموكلون به:ارجع. فيقول:اللهم، أشهد.

قال الحسن بن زولاق في ترجمة بكار: لما اعتل ابن طولون راسل بكارا وقال: أنا أردك إلى منزلك، فأجبني. فقال للرسول: قل له شيخ فان وعليل مدنف والملتقى قريب، والقاضي الله. فأبلغ الرسول ابن طولون، فأطرق ثم أقبل يقول: شيخ فان وعليل مدنف والملتقى قريب، والله القاضي. ثم أمر بنقله من السجن إلى دار اكتريت له، وفيها كان يحدث. فلما مات ابن طولون قيل لبكار: انصرف إلى منزلك. فقال: الدار بأجرة وقد صلحت لي. فأقام بها. قال الطحاوي: أقام بها بعد ابن طولون أربعين يوما ومات. ونقل ابن خلكان أن ابن طولون كان يدفع إلى بكار في العام ألف دينار سوى المقرر له فيتركها بختمها. فلما دعاه إلى خلع الموفق من ولاية العهد امتنع، فاعتقله وطالبه بجملة الذهب، فحمل إليه بختومه، فكان ثمانية عشر كيسا، فاستحى أحمد بن طولون عند ذلك، ثم أمره أن يسلم إلى محمد بن شاذان الجوهري القضاء، ففعل، وجعله كالخلفية له. ثم سجنه أحمد، فكان يحدث في السجن من طاقة، لان طلبة الحديث سألوا ابن طولون فأذن لهم على هذه الصورة. قال ابن خلكان: وكان بكار بكاء تاليا للقرآن، صالحا دينا. قال أحمد بن سهل بن بويه الهروي: كنت ألازم غريها لي إلى بعد عشاء الآخرة أو نحو هذا، قال: وكنت ساكنا في جوار بكار بن قتيبة فانصرفت إلى منزلي فإذا هو يقرأ: ﴿يَا داود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص] الآية فوقفت أسمع عليه طويلا ثم انصرفت فقمت في السحر على أن أصير إلى منزل الغريم فإذا هو يقرأ هذه الآية يرددها ويبكي فعلمت أنه كان يقرأها من أول الليل.

☪

قالوا: مات رجل من المتقبلين وعليه مال للأمير وله أطفال، فطلب عامل الخراج من أحمد بن طولون أن يأمر القاضي ببيع داره فيما عليه، فأرسل ابن طولون إلى بكار في ذلك، فقال: حتى يثبت عليه الدين، فأثبتوه وسألوه البيع، فقال: حتى يثبت عندي أنه ملكه، فأثبتوه ثم سألوه البيع، فقال: حتى يحلف من له الدين، فحلف ابن طولون، فقال بكار: أنا الآن فقد أمرت بالبيع. ومات آخر وعليه مال، وله دار حبس، فقال عامل الخراج لأحمد: إن بكارا يرى بيع الحبس. فسأله ففعل كما فعل في المرة الأولى. فلما ثبت الدين، وثبت وضع يده عليه، وأنه حبس، قال ابن طولون أبكار: مر ببيعه على مذهبك. فسكت ساعة، فعاوده، فقال: أيها الأمير إنك قد بنيت المسجد الجامع والمارستان، والسقاية والصهريج، وحبست على ذلك ما شاء الله، فلا تجعل لغيرك على أحباسك سبيلا. فسكت أحمد. واتفق أن دخل عليه بعض أمنائه وهو مخرق الثياب. فقال: بعثتني أحفظ تركة فلان فصنع بي جاره هذا، فقال أحضروه: فأحضره الأعوان، فقال له بكار: أنت صنعت هذا باميني؟ قال: نعم. فقال خذوه، فأخذه الأعوان فسقط ميتا، فدهش بكار، فقال له أمناء القاضي: هذا عمله اليوم، مات مرتين، فاستوى الرجل جالسا، فقال كذبوا والله ما مت إلا الساعة ورقد. فجعل بكار يرش عليه الماء ورد ويشمه الكافور ويرفق به، ويعده إلى أن قام فصرفه. واقبل على أعوانه، فقال هددتموه وجرتموه فلو وافق أجله. وكان بكار عثمانيا، فتظلم إليه رجل فجعل ينادي: ذهب الإسلام! فقال له بكار: يا هذا نحر عثمان، فما ذهب الإسلام، يذهب بسببك؟!. فلما وقع بينه وبين ابن طولون بكته بها ابن طباطبا النقيب. قال أبو حاتم ابن أخي بكار: قدم على عمي رجل من البصرة له علم وزهادة ونسك فأكرمه وقربه وأدناه، وذكر أنه كان معه في المكتب، فمضت به الأيام فجاء في شهادة ومعه شاهدان من شهود مصر فردياً عند عمي فما قبل شهادته، فقلت لعمي: هذا رجل زاهد وأنت تعرفه، قال: يا ابن أخي ما رددت شهادته إلا أنه كنا صغاراً وكنا على مائدة عليها أرز وفيه حلوى فنقبت الأرز بإصبعي فاقل لي: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف] فقلت له: أتهزأ بكتاب الله تعالى على الطعام ثم أمسكت عن كلامه مدة، وما أقدر على قبوله وأنا أذكر ذلك منه.

مراجع: وفيات الأعيان/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان/ تاريخ الإسلام للإمام الذهبي/ الأعلام للزركلي/ تاج العروس/ الطبقات السنية في تراجم الحنفية/ مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/ رفع الإصر عن قضاة مصر/

◆ أحمد بن طولون (مؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام زمن الخليفة العباسي الخامس عشر) وموسى بن مفلح 0939

قال ابن حمدون: كانت محابس أحمد بن طولون[1] مملوءة، وكان الوالي عليها موسى بن مفلح[2]، فأمره أحمد بن طولون بتعرف أخبار المحبوسين، قال موسى: فرأيت رجلا منهم له هيئة وله في الحبس سنون، وعرفته بكثرة صلاته وصيامه، فعرضت عليه الشفاعة وكتب الرقاع إلى من يرى، فكتب رقعة ثم استأذنني في الذهاب إلى منزله ليدبر أمره ويعود ووثقني بعهود وقال: ما أعرف أحدا غير أبي طالب فليح[3] والد محمد بن فليح[3]، ولو قدرت عليه لاستعنت به، وكان فليح والي شرطة أحمد بن طولون. قال موسى بن مفلح: فرحمته ورثيت له. وفكرت في أحمد بن طولون وشدة بأسه، وأني أخرج من محبسه رجلا بغير أمره ثم آثرت الله ورضاه وحملت نفسي خطة عظيمة، فأذنت له في الذهاب إلى منزله، وأن يقيم ثلاثا يدبر أمره ويحتال ثم يعود.وأطلقته ليلة الجمعة لما شاهدت من حسن طريقته واجتهاده في العبادة، فعاد إلي غداة يوم السبت فسألته عن خبره، فقال: سألت فليحا وسألته فوعدني ومضى في حاجتي، وعاد إلي قرب العتمة مغموما وقال لي: كلمت فيك الأمير فقال: أذكرتني رجلا يحتاج إلى عقوبة، ثم تقدم إلى بعض أسبابه أن يعرضك يوم السبت، ثم قال لي فليح: وددت أني ما تكلمت في أمرك؛ فلما سمعت هذا من أمري جئت إليك خوفا عليك أن يأتيك الرسول فيطلبني فلا أكون في الحبس، فبادرت لئلا تلقى مكروها. قال موسى بن مفلح: فلما أضحى النهار وافى رسول أحمد بن طولون في طلب الرجل، فركبت وسرت إليه، فحدثته بالحديث ووصفت له اجتهاد الرجل، وأني أطلقته بغير أمره، وأنه عاد إلي خوفا علي، فاستحسن أحمد بن طولون ذلك، وزال غضبه عليه، وكان السبب في العفو عنه والإحسان إليه.

■ (2) موسى بن مفلح والي شرطة أحمد بن طولون ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه)

■ (3) أبي طالب فليح ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه) أما : فليح بن سليمان.فهو أبو يحيى، فليح ين سليمان بن أبي النغيرة، المدني، مولى آل زيد بن الخطاب، العدوي. ويقال: اسمه عبد الملك، وغلب عليه فليح. كان من كبار علماء العصر. مات فليح سنة 168 هـ.

■ (3) محمد بن فليح ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه) أما: محمد بن فليح بن سليمان: أبو عبد الله الأسلمي، مولى أسلم، وقيل الخزاعي، المدني، وثقه الدارقطني وابن حبان، وقال ابن معين: ليس ولا أبوه بثقة، وقال العقيلي: لا يتابع على بعض حديثه، مات سنة 197 هـ

■ (1) أبو العباس، أحمد بن طولون، صاحب الديار المصرية والشامية والثغور؛ كان المعتز بالله قد ولاه مصر، ثم استولى على دمشق والشام أجمع وانطاكية والثغور في مدة اشتغال الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل، وكان نائبا عن أخيه المعتمد على الله الخليفة وهو والد المعتضد بالله، بحرب صاحب الزنج. وكان أحمد عادلا جوادا شجاعا متواضعا حسن السيرة صادق الفراسة، يباشر الأمور بنفسه ويعمر البلاد ويتفقد أحوال رعاياه ويحب أهل العلم، وكان أبوه مملوكا أهداه نوح بن أسد الساماني عامل بخارى إلى المأمون في جملة رقيق حمله إليه في سنة 200 هـ، ومات طولون في سنة 240 هـ. وكانت ولادة ولده أحمد بسامرا سنة 220 هـ، ويقال إن طولون تبناه ولم يكن ابنه، ودخل مصر سنة 254 هـ، وتوفي بها سنة 270 هـ

☪

قالت زينب بنت يحي المتوكل: خدمت نفيسة بنت الحسين[1] أربعين سنة فما رأيتها نامت الليل ولا أفطرت بنهار، فقلت لها: أما ترفقين بنفسك؟، فقالت: كيف أرفق بنفسي وقدامي عقبات لا يقطعها الفائزون. ولما ظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل شكا الناس من ظلمه، وذكروا ذلك لنفيسة بنت الحسين، فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا غير غد، فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه، وقالت يا أحمد بن طولون، فلما رآها عرفها، فترجل عن فرسه، وأخذ منها الرقعة وقرأها، فإذا هي: ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم هذا، وقد علمتم أن الأقدار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوعتموها وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، إعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنا بالله مستجيرون منقلبون. فعدل لوقته رحمه الله. دخل عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما على أخته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فتوضأ عندها فقالت له: يا عبد الرحمن أسبغ الوضوء فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ من النَّارِ﴾ ذكر الإمام ابن الجوزي أن عمرة امرأة حبيب العجمي انتبهت، أي استيقظت، ليلة وهو نائم فأنبهته في السحر وقالت: قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل وقوافل الصالحين قد سارت قبلنا ونحن قد بقينا. إنها زوجة مرحومة بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال:﴿وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ﴾ ذكر الحافظ ابن عبد البر عن زيد بن واقد أن عبد الملك بن مروان حدثه قال: كنت أجالس بريرة رضي الله عنها، مولاة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، بالمدينة قبل أن ألي هذا الأمر فكانت تقول لي: يا عبد الملك إني أرى فيك خصالا وإنك لخليق أن تلي هذا الأمر؛ فإن وليت هذا الأمر فاحذر الدماء فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ الرَّجُل لَيُدْفَعُ عَنْ بَابِ الْجَنَّةِ بَعْدَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا عَلَى مِحْجَمَةٍ مِنْ دَمٍ يُرِيقُهُ مِنْ مُسْلِمٍ - يَعْنِي - بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ذكر الإمام ابن الجوزي عن هشام بن حسان قال: كانت حفصة بنت سيرين تقول لنا: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب. اجتمع بعض الناس عند رابعة العدوية فانشغلوا بذكر الدنيا بحجة ذمها، فأنكرت عليهم. فقد ذكر ابن الجوزي عن أزهر بن مروان قال، دخل على رابعة العدوية رباح القسي، وصالح بن عبد الجليل وكلاب، فتذاكروا الدنيا، فأقبلوا يذمونها، فقالت رابعة: إني لأرى الدنيا بترابيعها، أي بجهاتها الأربع وكل ما فيها، في قلوبكم. قالوا: ومن أين توهمت علينا ؟ قالت: إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلمتم فيه.

قال علي بن نايف: هذا مثال لاحتساب المؤمنات الصالحات على عموم الناس بشتى فئاتهم، ومنهم ولاة الأمر، ولما علم الله سبحانه صدق أولئك النساء المحتسبات جعل البركة في ذلك الاحتساب فعادت ثمرته على الناس بردا وسلاما.

قيل كان الملك ابن طولون ظالم من ظلمة الحكام، وقل أن يأتي إليه إنسان ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر إلا ويقطع رقبته، حتى إنه قتل ثمانية عشر ألف إنسان صبرا، والصبر هو أشد أنواع القتل يجوع حتى يموت، جاءه الإمام ابن أبي الحسن الزاهد وقال له: يا ابن طولون إنك قد ظلمت وفعلت، وفعلت وأنَّبه وتكلم عليه فاشتد ابن طولون وأمر بحبسه، لما حبسه أمر ابن طولون بتجويع أسد ثلاثة أيام، وعندما جوع الأسد اجتمع الناس وفي مقدمتهم ابن طولون ووضع، وجيء بأبي الحسن الزاهد، ووضع أمام الأسد في حلبة. تصوروا إنسانا ضعيفا أعزل أمام أسد جائع له ثلاثة أيام لم يأكل، فلما رآه الأسد بدأ يزأر ويتقدم ويتأخر، والناس أيديهم على قلوبهم من المعركة غير المتكافئة، وأبو الحسن الزاهد قد أطرق مليا، لا يتحرك منه عضو في جسده كأنه لا يبالي، وبدأ يهدر هذا الأسد والناس بين خائف، ومكبر، ووجل، ووجدوا أن الأسد يتقدم ويتأخر، ثم جاء وطأطأ برأسه على أبي الحسن الزاهد وشمه ثم ذهب، وبدأ يفعل هذا برهة من الزمن، ثم طأطأ رأسه وانصرف في زاوية من المكان، وجلس ولم يمس أبا الحسن الزاهد بسوء، وكبر الناس وتعجبوا، فقال أحمد بن طولون: ائتوني به، فجاؤوا بالإمام الزاهد -قولا وفعلا- هذه هي الزهادة الحقيقية فسأله وقال: أريد أن أسألك سؤالا بماذا كنت تفكر والأسد يزأر ويصيح ويرفع صوته؟ بماذا كنت تفكر؟ تفكر في أولادك؟ تفكر في رواتبك؟ بماذا كنت تفكر؟ قال: إن الأسد عندما جاء وشمني ومس ثوبي جلست أتأمل هل لعاب الأسد طاهر أو نجس؟ هذه القضية التي تشغله. قال: أما خفت من الأسد؟ قال: أبدا؛ لأن الله سبحانه وتعالى يكفيني إياه.

☪

قيل: لما عزم أحمد بن طولون على بناء الجامع المعروف به في مصر القاهرة أنفق عليه مائة ألف دينار، ورتب فيه للعلماء والقراء وأرباب الشعائر والبيوت في كل شهر عشرة آلاف دينار، وللصدقة في كل يوم مائة دينار، وكان مشتملا على خصال حميدة منها: أن فقيرا كان بجواره وله امرأة وبنت، وكان يغزلان الصوف لتجهيز البنت، وإن البنت لم تفارق البيت وما نظرت إلى السوق قط ولا خرجت، فسألت أمها وأباها أن تخرج معهما إلى السوق، فواعدها بذلك. فلما قصدا بيع الغزل خرجت معهما إلى السوق فمروا بباب الأمير المسمى بالفيل، وتمادى الأب والأم، وتركاها ولم يشعرا بوقوفها فبقيت البنت حائرة لا تدري أين تذهب، وكانت ذات جمال عظيم، فخرج الأمير المسمى بالفيل، فلما رآها افتتن بها، فأمسكها ودخل بها ثم أمر الجواري أن يغسلنها، وينظفنها ويلبسنها أحسن الملبوس، ويطيبنها بأنواع الطيب، ويحلينها به، ففعل ذلك فدخل عليها وأزال بكارتها. هذا وأبواها قد حزنا عليها ولم يزالا يطوفان عليها جميع الأماكن، فلم يقعا لها على خبر، فلم يزالا يبكيان. فلما جن الليل، وإذا بشخص يطرق الباب، فخرج أبوها وفتح الباب فقال الرجل لأبيها أن الأمير المسمى بالفيل أخذ ابنتك وأزال بكارتها، فلما سمع ذلك كاد يجن. وكان لأحمد بن طولون مؤذن وكان قد عاهده على أنه إذا حدثت فاحشة من الفواحش يؤذن في غير الوقت ليحضره ويستفهم منه الواقعة، وكان المؤذن بينه وبين أبي البنت صداقة. فجاء إليه وأخبره بخبره، فصعد وأذن فسمعه أحمد بن طولون، فأرسل خلفه، فأخبره بالقضية فاستدعى بأبوي البنت وخبأهما في خزانة وكان وقت مجيء الفيل للخدمة، فلما دخل على عادته، قال له: نهنيك بالعروس الجديدة. فقال: ومن أين لي عروس جديدة؟ قال: أتنكر وهذا أبو الجارية وأمها؟ فلما رآهما نكس رأسه خجلا من الأمراء الحاضرين، فقال له أحمد ابن طولون: ارفع رأسك ثم قال لأبيها: تزوج ابنتك مملوكي هذا على صداق قدره ألف دينار مقدمة وخمسمائة دينار مؤجلة. فقال: نعم. فأمر بإحضار الشهود وعقد العقد بينهما ووضعوا خطوطهم ثم بعد انصراف الشهود أمر السياف بضرب عنق الفيل، فرماه بين يديه، وقطع رأسه. وقال أحمد بن طولون لأبي الجارية: ابنتك ورثت زوجها وقد مكنتها مما بقي من تركته، فامضوا مع السلامة. فانصرفوا شاكرين لإنعامه داعين له على أفعاله. فانظر إلى هذا العدل العظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

☪

ذكر محمد بن عبد الملك الهمداني: أن أحمد بن طولون جلس يوما في متنزه له يأكل فرأى سائلا في ثوب خلق فوضع يده في رغيف ودجاجة وفرخ وقطع لحم وقطعة فالوذج، وأمر بعض الغلمان بمناولته، فرجع الغلام وذكر أنه ما هش له، فقال ابن طولون للغلام: جئني به فمثل به بين يديه فاستنطقه فأحسن الجواب ولم يضطرب من هيبته، فقال له أحضرني الكتب التي معك واصدقني عمن بعث بك فقد صح عندي أنك صاحب خبر، واستحضر السياط فاعترف له بذلك فقال بعض من حضر: هذا والله السحر، فقال أحمد: ما هو بسحر، ولكنه قياس صحيح رأيت سوء حال هذا فوجهت إليه بطعام يسر إلى أكله الشبعان فما هش له ولا مد يده فأحضره فتلقاني بقوة جأش، فلما رأيت رثاثة حاله وقوة جنانه علمت أنه صاحب خبر. ورأى ابن طولون يوما حمالا يحمل صندوقا وهو يضطرب تحته فقال: لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنقه وأنا أرى عنقه بارزة، وما هذا إلا من خوف ما يحمل، فأمر بحط الصندوق فوجد فيه جارية قد قتلت وقطعت، فقال: أصدقني عن حالها فقال: أربعة نفر في الدار الفلانية أعطوني هذه الدنانير وأمروني بحمل هذه المقتولة. فضرب الحمال مائتي ضربة بعصا، وأمر بقتل الأربعة. وكان ابن طولون يبكر ويخرج فيسمع قراءة الأئمة في المحاريب فدعا بعض أصحابه يوما وقال: امض إلى المسجد الفلاني، وأعط أمامه هذه الدنانير. قال: فمضيت فجلست مع الإمام وباسطته حتى شكا أن زوجته ضربها الطلق ولم يكن معه ما يصلح به شأنها وأنه صلى فغلط مرارا في القراءة فعدت إلى ابن طولون فأخبرته، فقال: صدق، لقد وقفت أمس فرأيته يغلط كثيرا علمت شغل قبله.

■ (1) نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي بن أبي طالب اشتهرت بالعبادة والزهد، وهي صاحبة الجامع المشهور بالقاهرة، توفيت سنة 208 هـ

مراجع: التذكرة الحمدونية/ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة/ تاريخ الإسلام للذهبي/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة / الأذكياء/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

◆ أبو العباس أحمد المعتضد بالله (سادس عشر ملوك الدولة العباسية) وإبراهيم بن إسحاق الحربي 0940

حدث أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني الحافظ، قال: سمعت أبا عثمان الرازي[1] يقول: جاء رجل من أصحاب المعتضد [2] إلى إبراهيم الحربي[3] بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد، يسأله عن أمر أمير المؤمنين تفرقة ذلك، فرده، فانصرف الرسول، ثم عاد، فقال: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك، فقال: عافاك الله، هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه! فلا نشغلها بتفرقته، قل لأمير المؤمنين إن تركتنا وإلا تحولنا من جوارك.

عن أبي القاسم الجبلي[4] قال: اعتل إبراهيم الحربي علة حتى أشرف على الموت فدخلت إليه يوما، فقال لي: يا أبا القاسم، أنا في أمر عظيم مع ابنتي، ثم قال لها: قومي اخرجي إلى عمك، فخرجت فألقت على وجهها خمارها، فقال لها إبراهيم: هذا عمك كلميه، فقالت لي: يا عم، نحن في أمر عظيم لا في الدنيا ولا في الآخرة، الشهر والدهر مالنا طعام إلا كسر يابسة وملح وربما عدمنا الملح، وبالأمس قد وجه إليه المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذها ووجه إليه فلان وفلان فلم يأخذ منهما شيئا وهو عليل، فالتفت الحربي إليها وتبسم وقال: يا بنية، إنما خفت الفقر؟ قالت: نعم، قال: انظري إلى تلك الزاوية، فنظرت فإذا كتب، فقال: هناك إثنا عشر ألف جزء لغة وغريب كتبته بخطي إذا مت فوجهي كل يوم بجزء فبيعه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس هو فقير.

■ (3) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم أبو إسحاق الحربي ولد سنة 198 هـ، ومات ببغداد سنة 285 هـ، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي في شارع باب الأنبار، ودفن في بيته.

■ (4) عبد الواحد بن شعيب، أبو القاسم، الجبلي قاضي جبلة.؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (1) سعيد بن العباس. أبو عثمان الرازي الزاهد. حدث عن أبي نعيم، ومكي بن إبراهيم، والحميدي، وجماعة. [الوفاة: 241 – 250 هـ]

■ (2) أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بالله واسمه محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى أبا العباس، ويقال: أن اسم أبيه طلحة، ولد بسر من رأى سنة 242 هـ، بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله، سنة 279 هـ، توفي المعتضد سنة 289 هـ.

حكى مفلح بن الأسود، قال: قال المأمون ليحيى بن أكثم:[1] إني أشتهي أن أرى بشر بن الحارث[2] قال: إذا اشتهيت يا أمير المؤمنين، فإلي الليلة، ولا يكون معنا بشر. فركبا، فدق يحيى الباب، فقال بشر: من هذا؟ قال: من تجب عليك طاعته. قال: وأي شيء تريد؟ قال: أحب لقاك، فقال بشر: طائعا أو مكرها؟ قال: ففهم المأمون، فقال ليحيى: اركب فمر على رجل يقيم الصلاة، صلاة العشاء الآخرة فدخلا يصليان فإذا الإمام حسن القراءة فلما أصبح المأمون وجه إليه، فجاء به فجعل يناظره في الفقه، وجعل الرجل يخالفه، ويقول: القول في هذه المسألة خلاف هذا، فغضب المأمون. فلما كثر خلافه، قال: عهدي بك، كأنك تذهب إلى أصحابك فتقول: خطأت أمير المؤمنين؟. فقال: والله يا أمير المؤمنين إني لأستحي من أصحابي أن يعلموا أني جئتك! فقال المأمون: الحمد لله الذي جعل في رعيتي من يستحي أن يجيئني، ثم سجد لله شكرا. والرجل إبراهيم بن إسحاق الحربي.

قال أبو العباس: قدم طاهر بن عبد الله بن طاهر[3] من خراسان في حياة أبيه[4] يريد الحج: فنزل في دار إسحاق بن إبراهيم[5] فوجه إسحاق إلى العلماء، فأحضرهم ليراهم طاهر، ويقرأ عليهم فحضر أصحاب الحديث والفقه وأحضر ابن الأعرابي[6]، وأبا نصر[7] صاحب الأصمعي ووجه إلى أبي عبيد القاسم بن سلام[8] في الحضور، فأبى أن يحضر وقال: العلم يقصد فغضب إسحاق من قوله ورسالته، وكان عبد الله بن طاهر جرى له في الشهر ألفي درهم فلم يوجه إليه إسحاق، وقطع الرزق عنه، وكتب إلى عبد الله بالخبر فكتب إليه: قد صدق أبو عبيد في قوله، وقد أضعفت الرزق له من أجل فعله فأعطاه، فأته ورد عليه بعد ذلك ما يستحقه.

☪

عن بشر الحافي قال: ما أقبح أن يطلب العالم، فيقال: هو بباب الأمير. وعن سفيان الثوري قال: ما زال العلم عزيزا، حتى حمل إلى أبواب الملوك فأخذوا عليه أجرا، فنزع الله الحلاوة من قلوبهم ومنعهم العلم به. وعن الفضيل بن عياض، قال: إن آفة القراء العجب، واحذروا أبواب الملوك فإنها تزيل النعم فقيل: كيف؟ قال: الرجل يكون عليه من الله نعمة ليست له إلى خلق حاجة فإذا دخل إلى هؤلاء فرأى ما بسط لهم في الدور والخدم استصغر ما هو فيه من خير ثم تزول النعم. وعن الحسن: إن سركم أن تسلموا ويسلم لكم دينكم، فكفوا أيديكم عن دماء المسلمين، وكفوا بطونكم عن أموالهم، وكفوا ألسنتكم عن أعراضهم ولا تجالسوا أهل البدع، ولا تأتوا الملوك فيلبسوا عليكم دينكم. قال أحمد بن الصلت: جاء رجل إلى بشر بن الحارث، فقال له: يا سيدي! السلطان يطلب الصالحين، فترى لي أن أختبئ؟ فقال له بشر: جز من بين يدي، لا يجوز حمار الشوك فيطرحك علينا. وقال سفيان الثوري: إن فجار القراء اتخذوا سلما إلى الدنيا فقالوا: ندخل على الأمراء نفرج عن مكروب ونكلم في محبوس.

عن أحمد بن عبد الله بن خالد قال سمعت إبراهيم بن إسحاق الحربي يقول أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجر مع القدر لم يتهن بعيشه كان يكون قميصي أنظف قميص وإزاري أوسخ إزار ما حدثت نفسي أنهما يستويان قط وفرد عقبي مقطوع والآخر صحيح أمشي بهما وأدور بغداد كلها هذا الجانب وذاك الجانب لا أحدث نفسي أني أصلحها وما شكوت إلى أمي ولا إلى أختي ولا إلى امرأتي ولا إلى بناتي قط حمى وجدتها الرجل الذي يدخل غمه على نفسه ولا يغم عياله وكان برأسي شقيقة خمسا وأربعين سنة ما أخبرت بها أحدا قط ولي عشر سنين أبصر بفرد عين ما أخبرت به أحدا وأفنيت من عمري ثلاثين سنة برغيفين إن جاءتني بهما أمي أو أختي أكلت وإلا بقيت جائعا عطشان إلى الليلة الثانية وأفنيت ثلاثين سنة من عمري برغيف في اليوم والليلة إن جاءتني امرأتي أو إحدى بناتي به أكلته وإلا بقيت جائعا عطشان إلى الليلة الأخرى والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة إن كانت برنيا أو نيفا وعشرين إن كان دقلا ومرضت ابنتي فمضت امرأتي فأقامت عندها شهرا فقام إفطاري في هذا الشهر بدرهم ودانقين ونصف دخلت الحمام واشتريت لهم صابونا بدانقين فقام نفقة شهر رمضان كله بدرهم وأربعة دوانيق ونصف. وقال أبو الحسن العتكي سمعت إبراهيم الحربي يقول لجماعة عنده: من تعدون الغريب في زمانكم هذا ؟ فقال: واحد منهم الغريب من نأى عن وطنه، قال آخر: الغريب من فارق أصبابه وقال: كل واحد منهم شيئا فقال إبراهيم: الغريب في زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين إن أمر بالمعروف آزروه وإن نهى عن المنكر أعانوه وإن احتاج إلى شيء من الدنيا ما نوه ثم ماتوا وتركوه.

■ (2) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله أبو نصر المعروف بالحافي مروزي، سكن بغداد، وهو ابن عم علي بن خشرم، وكان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد، سمع إبراهيم بن سعد الزهري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وحماد بن زيد وشريك بن عبد الله والمعافى بن عمران الموصلي وعبد الله بن المبارك وعلي بن مسهر وعيسى بن يونس وعبد الله بن داود الخريبي وأبا معاوية الضرير وزيد بن أبي الزرقاء. روى عنه نعيم بن الهيصم وابنه محمد بن نعيم وإبراهيم بن هاشم بن مشكان ونصر بن منصور البزاز ومحمد بن المثنى السمسار وسري السقطي وإبراهيم بن هانئ النيسابوري وعمر بن موسى الجلاء وغيرهم. وكان كثير الحديث إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية، وكان يكرهها، ودفن كتبه لأجل ذلك، وكل ما سمع منه فإنما هو على سبيل المذاكرة. ولد سنة 150 هـ وتوفي سنة 227 هـ

■ (8) أبو عبيد، القاسم بن سلام، كان أبوه عبدا روميا لرجل من هراة، وولد أبو عبيد بهراة ورحل في طلب العلم، فسمع من إسماعيل بن جعفر، وشريك، وإسماعيل بن عياش، وهشيم، وسفيان بن عيينة، وإسماعيل بن علية، ويزيد بن هارون، في خلق كثير، وكان عالما بالقراءات واللغة والغريب، وصنف الكتب الكثيرة في فنون، وكان ذا فضل ودين وورع وجود. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: عرضت كتاب غريب الحديث لأبي عبيد على أبي فاستحسنه وقال جزاه الله خيرا. قال أبو بكر بن الأنبازي: كان أبو عبيد يقسم الليل أثلاثا: فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويضع الكتب ثلثه. قال عبد الله بن طاهر: كان الناس أربعة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه وأبو عبيد القاسم بن سلام في زمانه.قال إبراهيم الحربي: أدركت ثلاثة لن يرى مثلهم أبدا تعجز النساء أن يلدن مثلهم، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام، ما مثلته إلا بجبل نفخت فيه روح، ورأيت بشر بن الحارث، ما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلا، ورأيت أحمد بن حنبل فرأيت كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما شاء ويمسك عما شاء. أقام أبو عبيد ببغداد مدة طويلة ثم ولي القضاء بطرسوس ثم خرج إلى مكة في سنة 219 هـ وأقام بها، وتوفي بها في سنة 223 هـ وقيل 224 هـ وهو ابن 67 سنة.

■ (1) يحيى بن أكثم بن محمد التميمي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي. كان إمام وفقيه وقاضي وكان شديد القرب من الملك العباسي المأمون. ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، توفي بالربذة سنة 242 هـ.

■ (4) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس: أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من باذغيس بخراسان وكان جده الاعلى زريق من موالي طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات وولي صاحب الترجمة إمرة الشام، مدة. ونقل إلى مصر سنة 211 هـ، فأقام سنة، ونقل إلى الدينور. ثم ولاه المأمون خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الاطراف. واستمر إلى أن توفي بنيسابور وقيل: بمرو سنة 230 هـ وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه، قال ابن الاثير: كان عبد الله من أكثر الناس بذلا للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مراث كثيرة. وقال ابن خلكان: كان عبد الله سيدا نبيلا عالي الهمة شهما، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه. وقال الذهبي في دول الاسلام: كان عبد الله من كبار الملوك. وقال الشابشتي: كان المأمون تبناه ورباه. الطاهريون سلالة عربية من قبيلة خزاعة تولت إمرة ولاية خراسان وشرق تركستان أثناء الدولة العباسية ما بين 205–259 هـ

■ (3) طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي: أحد الأمراء الولاة. ولي خراسان، بعد وفاة أبيه، واستمر ثماني عشرة سنة، وتوفي فيها سنة 248 هـ

■ (5) إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي، الأمير ابن عم طاهر بن الحسين. وكان يعرف بصاحب الجسر. ولي إمرة بغداد أكثر من 30 سنة، وعلى يده أمتحن العلماء بأمر المأمون وأكرهوا على القول بخلق القرآن. وكان خبيرا صائما سائسا حازما وافر العقل، جودا ممدحا، له مشاركة في العلم. توفي سنة 235 هـ. وولي بعده ابنه محمد.

■ (6) أبو عبد الله، ابن الأعرابي من أعلام أهل الكوفة. إمام لغة له مصنفات كثيرة، ولد سنة 150 هـ ومات بسامراء سنة 231 هـ وصلى عليه أحمد بن أبي دؤاد القاضي، وبلغ من السن على ما يقال: ثمانين سنة.

■ (7) أحمد بن حاتم أبو نصر الباهلي النحوي صاحب الأصمعي، وقيل إنه كان ابن أخت الأصمعي وكان أبو جعفر ابن باسويه ينكره. روى عن الأصمعي كتب اللغة والأدب، وصنف كتاب الشجر والنبات، وكتاب الإبل، وكتاب الخيل، وما يلحن فيه العامة، وكتاب الزرع والنخل، وكتبا سواها، حكى عن الأصمعي أنه كان يقول: ليس يصدق علي أحد إلا أبو نصر. حدث عنه إبراهيم الحربي، وأبو العباس ثعلب، وكان ثقة. قيل إنه مات في سنة 231 هـ.

مراجع: صفة الصفوة/ تاريخ بغداد/ مسند أحمد/ فتح الباري/ مختصر تفسير ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم/ ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين/ وفيات الأعيان/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو العباس أحمد المعتضد بالله (سادس عشر ملوك الدولة العباسية) والقاضي أبو خازم (١) 0941

قال ابن حبيب الذارع: [1] كنا ونحن أحداث مع أبي خازم[2] فكنا نقعده (نتعمده) قاضيا ويتقدم القضاء على الخصومات فما مضت الأيام والليالي حتى صار قاضيا وصرنا ذراعه، فقال أبو الحسين: وبلغ من شدته في الحكم أن المعتضد وجه إليه بطريف المخلدي، فقال له: إن على الضبعي بيعا كان للمعتضد، ولغيره مالا، وقد بلغني أن غرماءه ثبتوا عندك وقد قسطت لهم من ماله فاجعلنا كأحدهم، فقال أبو خازم: قل لأمير المؤمنين، أطال الله بقاءه ذاكر، لما قال لي وقت قلدني أنه قد أخرج الأمر من عنقه وجعله في عنقي، ولا يجوز لي أن أحكم في مال رجل لمدع إلا ببينة، فرجع إليه طريف فأخبره، فقال: قل له فلان وفلان يشهدان، يعني لرجلين جليلين كانا في ذلك الوقت، فقال: يشهدان عندي، وأسأل عنهما، فإن زكيا، قبلت شهادتهما وإلا أمضيت ما قد ثبت عندي، فامتنع أولئك من الشهادة فزعا، ولم يدفع إلى المعتضد شيئا. وذكر الحسين بن علي الصيمري أنه ولي القضاء بالشام والكوفة والكرخ من مدينة السلام. قال: وكان عبيد الله بن سليمان[0] خاطبه في بيع ضيعة ليتيم تجاور بعض ضياعه، فكتب إليه: إن رأى الوزير أعزه الله، أن يجعلني أحد رجلين إما رجلا صين الحكم به، أو صين الحكم عنه، والسلام.

قال وكيع القاضي:[3] كنت أتقلد لأبي خازم وقوفا في أيام المعتضد منها وقوف الحسن بن سهل[4] فلما استكثر المعتضد من عمارة قصر الحسني (الحسيني؟) أدخل إليه بعض وقوف الحسن بن سهل التي كانت في يدي ومجاورة القصر وبلغت السنة آخرها وقد جنيت مالها إلا ما أخذه المعتضد فجئت إلى أبي خازم فعرفته اجتماع مال السنة واستأذنته في قسمته في سبيله وعلى أهل الوقف، فقال لي: فهل جبيت ما على أمير المؤمنين؟ فقلت له ومن يجسر على مطالبة الخليفة؟! فقال: والله، لأقسمت الارتفاع أو تأخذ ما عليه، ووالله، إن لم يزح العلة لا وليت له عملا، ثم قال: امض إليه الساعة وطالبه، فقلت: من يوصلني؟ فقال لي: امض إلى صافي الحرمي، وقل إنك رسول أنفذك في مهم، فإذا وصلت فعرفه ما قلت لك، فجئت فقلت لصافي ذلك، فأوصلني، وكان آخر النهار، فلما مثلت بين يدي الخليفة، ظن أن أمرا عظيما قد حدث، وقال: هي قل، كأنه متشوف، فقلت له: إني ألي لعبد الحميد، قاضي أمير المؤمنين، وقوف الحسن بن سهل وفيها ما قد أدخله أمير المؤمنين إلى قصره، ولما جئت بمال هذه السنة امتنع من تفرقته إلى أن أجبى ما على أمير المؤمنين، وقد أنفذني الساعة قاصدا بهذا السبب، وأمرني أن أقول إني حضرت في مهم لأصل، قال: فسكت ساعة تفكرا ثم قال: أصاب عبد الحميد، يا صافي، هات الصندوق، قال: فأحضره صندوقا لطيفا، فقال: كم يجب لك؟ فقلت: الذي جبيت عام أول من ارتفاع هذا العقار أربع مائة دينار، قال: كيف حذقك بالنقد والوزن؟ قلت: أعرفهما. قال: هاتوا ميزانا، فجاؤوا بميزان حراني عليه حلية ذهب وأخرج من الصندوق دنانير عينا فوزن لي منها أربع مائة دينار، فوزنتها بالميزان وقبضتها وانصرفت إلى أبي خازم بالخبر، فقال: أضفها إلى ما اجتمع للوقف عندك، وفرقه في غد في سبيله ولا تؤخر ذلك، ففعلت، فكثر شكر الناس لأبي خازم بهذا السبب وإقدامه على الخليفة بمثل ذلك، وشكرهم المعتضد في إنصافه.

■ (2) أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز السكوني، الفقيه، العلامة، قاضي القضاة، أبو خازم، عبد الحميد بن عبد العزيز السكوني البصري، ثم البغدادي الحنفي. حدث عن محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى، وشعيب بن أيوب، وطائفة.روى عنه: مكرم بن أحمد، وأبو محمد بن زبر. وكان ثقة، دينا، ورعا، عالما، أحذق الناس بعمل المحاضر والسجلات، بصيرا بالجبر والمقابلة، فارضا، ذكيا، كامل العقل. أخذ عن: هلال الرأي، وبكر العمي، ومحمود الأنصاري، الفقهاء، أصحاب محمد بن شجاع وغيره. وبرع في المذهب حتى فضل على مشايخه، وبه يضرب المثل في العقل. قال محمد بن الفيض: ولي قضاء دمشق أبو خازم، سنة 264 هـ إلى أن قدم المعتضد قبل الخلافة دمشق لحرب ابن طولون، فسار معه أبو خازم إلى العراق.قال الطحاوي: مات ببغداد سنة 292 هـ.

■ (0) عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد، أبو القاسم الكاتب.ولي الوزارة للمعتضد وهو ولي العهد لعمه المعتمد في أواخر سنة 278 هـ. وكان يكتبه ويجلس بين يديه.وفلما توفي المعتمد وتولى المعتضد أقر عبيد الله على وزارته إلى حين وفاته سنة 288 هـ.. ومولده سنة 226 هـ.. وكانت مدة وزارته للمعتضد عشر سنين وعشرة أيام

■ (3) محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد أبو بكر الضبي القاضي المعروف بوكيع كان عالما فاضلا عارفا بالسير وأيام الناس وأخبارهم، وله مصنفات كثيرة منها: كتاب الطريق، وكتاب الشريف، وكتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه. بلغني أن أبا بكر بن مجاهد سئل أن يصنف كتابا في العدد، فقال: قد كفانا ذاك وكيع. وكتب أخر سوى ذلك، وكان حسن الأخبار. حدث عن خلق كثير. وكان يسكن بالجانب الشرقي في درب أم حكيم. روى عنه خلق كثير. مات محمد بن خلف سنة 306 هـ، وكان يتقلد القضاء على كور الأهواز كلها.

■ (4) الحسن بن سهل أبو محمد، الوزير الكامل، أبو محمد، حمو المأمون، وأخو الوزير ذي الرئاستين الفضل بن سهل، من بيت حشمة من المجوس، فأسلم سهل زمن البرامكة، فكان قهرمانا ليحيى البرمكي. ونشأ الفضل مع المأمون، فغلب عليه، وتمكن جدا إلى أن قتل. فاستوزر المأمون بعده أخاه، ولم يزل في توقل إلى أن تزوج المأمون بينته بوران، سنة 210 هـ، فلا يوصف ما غرم الحسن على عرسها. مات بسرخس سنة 236 هـ. وعاشت بوران: إلى حدود 270 هـ.

■ (1) ابن حبيب الذراع (في رواية: الذارع/ الزارع؟) (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

☪

حدث مكرم بن بكر وكان من فضلاء الرجال وعلمائهم، قال: كنت في مجلس أبي خازم القاضي، فتقدم رجل شيخ، ومعه غلام حدث، فادعى الشيخ عليه ألف دينار عينا دينا، فقال له: ما تقول؟ فأقر، فقال للشيخ: ما تشاء؟ قال: حبسه. فقال للغلام: قد سمعت، فهل لك أن تنقده البعض وتسأله إنظارك؟ فقال: لا، فقال الشيخ: إن رأى القاضي أن يحبسه، قال: فتفرس أبو خازم فيهما ساعة، ثم قال: تلازما إلى أن أنظر بينكما في مجلس آخر، قال: فقلت لأبي خازم وكانت بيننا أنسة: لم أخر القاضي حبسه؟ فقال: ويحك إني أعرف في أكثر الأحوال في وجه الخصوم وجه المحق من المبطل، وقد صارت لي بذلك دربة لا تكاد تخطئ، وقد وقع لي أن سماحة هذا بالإقرار هي عن بلية وأمر يبعد من الحق، وليس في تلازمهما بطلان حق، ولعله ينكشف لي من أمرهما ما أكون معه على وثيقة مما أحكم به بينهما، أما رأيت قلة تعاصيهما في المناظرة، وقلة اختلافهما، وسكون طباعهما مع عظم المال، وما جرت عادة الأحداث بفرط التورع حتى يقر مثل هذا طوعا عجلا بمثل هذا المال.قال: فنحن كذلك نتحدث إذ استؤذن على أبي خازم لبعض وجوه الكرخ من مياسير التجار، فأذن له، فدخل فسلم وشبب لكلامه فأحسن، ثم قال: قد بليت بابن لي حدث يتقاين ويتلف كل ما يظفر به من مالي في القيان* عند فلان المقين، فإذا منعته مالي احتال بحيل تضطرني على التزام غرم له، وإن عددت ذلك طال، وأقربه أنه قد نصب المقين اليوم ليطالبه بألف دينار عينا دينا حالا، وبلغني أنه تقدم إلى القاضي ليقر له بها فيحبس، وأقع مع أمه فيما ينغص عيشي إلى أن أزن عنه ذلك للمقين، فإذا قبضه المقين حاسبه به من الجذور، ولما سمعت بذلك بادرت إلى القاضي لأشرح له الأمر فيداويه بما يشكره الله له، فجئت فوجدتهما على الباب. قال: فحين سمع أبو خازم ذلك تبسم، وقال لي: كيف رأيت؟ قال: فقلت: لهذا ومثله فضل الله القاضي، وجعلت أدعوا له، فقال: علي بالغلام والشيخ، فدخلا فأرهب أبو خازم الشيخ ووعظ الغلام، قال: فأقر الشيخ بأن الصورة كما بلغ القاضي وأنه لا شيء له عليه، وأخذ الرجل بيد ابنه وانصرفوا.

☪

عن أنس بن مالك، أن رجلا قال:﴿يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً وَأَنَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا، فَمُرْهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ. فَأَبَى وَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ، فَقَالَ: بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي، قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي فَاجْعَلْهَا لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ. مِرَارًا فَأَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ فَإِنِّي بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَتْ: قَدْ رَبِحْتَ ، أَوْ كَلِمَةٍ نَحْوَهَا﴾ عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:﴿إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ﴾ قال ابن عمر: ﴿أَصَابَ عُمَرُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ هُوَ أَنْفَسُ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟ قَالَ: إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا، قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ، أَنَّهُ لَا يُبَاعُ أَصْلُهَا، وَلَا يُبْتَاعُ، وَلَا يُورَثُ، وَلَا يُوهَبُ، قَالَ: فَتَصَدَّقَ عُمَرُ فِي الْفُقَرَاءِ، وَفِي الْقُرْبَى، وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ الله، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ، لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ﴾ قال: فحدثت بهذا الحديث محمدا، فلما بلغت هذا المكان: غير متمول فيه، قال محمد: غير متأثل مالا (غير جامع مالا)، قال ابن عون: وأنبأني من قرأ هذا الكتاب أن فيه: غير متأثل مالا (أصاب عمر أرضا) أي أخذها وصارت إليه بالقسم حين فتحت خيبر عنوة وقسمت أرضها (يستأمره) أي يستشيره طالبا في ذلك أمره (هو أنفس عندي منه) أنفس معناه أجود والنفيس الجيد وقد نفس نفاسة (غير متأثل) معناه غير جامع وكل شيء له أصل قديم أو جمع حتى يصير له أصل فهو مؤثل ومنه مجد مؤثل أي قديم وأثلة الشيء أصله. عن عبد الله بن مسعود، قال: لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَّ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُّ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [البقرة] قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ الله، وَإِنَّ اللهَ لَيُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: فَنَاوَلَ يَدَهُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي قَالَ: وَحَائِطُهُ فِيهَا سِتَّمِائَةِ نَخْلَةٍ، وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ فِيهِ وَعِيَالُهَا، قَالَ: فَجَاءَهَا أَبُو الدَّحْدَاحِ فَنَادَاهَا: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، فَقَالَتْ: لَبَّيْكَ، فَقَالَ: اخْرُجِي فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي﴾ عن أبي هريرة، أنه قال:﴿يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: جُهْدُ الْمُقِلِّ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ﴾ وعن الحسن، قال: قال رجل لعثمان بن عفان:﴿ذَهَبْتُمْ يَا أَصْحَابَ الْأَمْوَالِ بِالْخَيْرِ تَتَصَدَّقُونَ، وَتُعْتِقُونَ، وَتَحُجُّونَ، وَتُنْفِقُونَ، فَقَالَ عُثْمَانُ: وَإِنَّكُمْ لَتَغْبِطُونَنَا، قَالَ: إِنَّا لَنَغْبِطُكُمْ، قَالَ: فَوَالله لَدِرْهَمٌ يُنْفِقُهُ أَحَدٌ مِنْ جَهْدِهِ خَيْرٌ مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ غَيْضٍ مِنْ فَيْضٍ﴾ قال البيهقي: ومنها أن يتصدق من كسب يده، ولا يستحقر ما يتصدق به ويضعه في يد السائل.

عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ.قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ﴾ عن سليمان، قال: سمعت أبا وائل، عن أبي مسعود، قال:﴿كُنَّا نَتَحَامَلُ عَلَى ظُهُورِنَا فَيَجِيءُ الرَّجُلُ بِالشَّيْءِ، فَيَتَصَدَّقُ بِهِ فَجَاءَ رَجُلٌ بِنِصْفِ صَاعٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، وَقَالُوا: هَذَا مُرَاءٍ، فَنَزَلَتْ: وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة] عن أبي ذر، قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ﴾.

----

*(القينة) الأمة مغنية كانت أو غير مغنية، والجمع القيان. الإماء المغنيات.

مراجع: تاريخ مدينة دمشق/ سير أعلام النبلاء/ صحيح مسلم/ شعب الإيمان/

كان أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز[1] الكوفي قاضيا للمعتضد[2]. ودخل إلى عبيد الله بن سليمان[3]، فسأله عن النبيذ، فقال: هو عند أصحابي كماء دجلة، غير أنه يودي. وجرى بينه وبين عبيد الله شيء، فقام أبو خازم عن المجالس، وأخذ قلنسوته عن رأسه بيده، فقال عبيد الله: انظروا ما صنع أبو خازم، أخذ قلنسوته بيده يعلمنا أنه ما يبالي إن عزلته. ومات في أيامه الضبعي صاحب الطعام، وله أطفال، وعليه ديون، وللمعتضد عليه أربعة آلاف دينار: فقال المعتضد لعبيد الله بن سليمان: قل لعبد الحميد أن يدفع إلينا هذا المال من تركة الضبعي. فذكر له ذلك، فقال أبو خازم: إن المعتضد كأسوة الغرماء في تركة الضبعي. فقال له عبيد الله: أتدري ما تقول؟ فقال أبو خازم: هو ما قلت لك. وكان المعتضد يلح على عبيد الله في اقتضاء المال: وعبيد الله يؤخر ما قال له أبو خازم فلما ألح عليه أخبره بها قال أبو خازم، فأطرق المعتضد، ثم قال: صدق عبد الحميد، هو كما قال نحن كسائر الغرماء وأسوتهم.

قال القاضي المحسن بن علي التنوخي: حدثني أبو الحسين علي بن هشام، قال: سمعت القاضي أبا جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الأنباري يحدث أبي وقد جئت إليه معه نهنيه بعيد أضحى فحدث أحاديث فقال: حدثني أبو خازم القاضي قال: كان في حجري أيتام، ذكور وإناث، خلفهم بعض العمال، فرددت أمانتهم إلى بعض الشهود، فصار إلي الأمين يوما، وعرفني أن عامل المستغلات ببغداد الذي يتولى مستغلات السلطان وعامل بادوريا قد أدخلا أيديهما في أملاك الأيتام وذكرا أن الوزير عبيد الله ابن سليمان أمرهما بذلك عن أمير المؤمنين المعتضد. فصرت إلى المعتضد في يوم موكب فلما انقضى الموكب دنوت منه وشرحت له الصورة. فقال لي: يا عبد الحميد، هذا عامل خانني في مالي واقتطعه ولي عليه مال جليل من نواحي كان يتولاها من ضيعتي خاصة وما لي عليه بضعف هذه الأملاك التي خلفها. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما تدعيه عليه يحتاج إلى بينة وقد صح عندي أن هذه الأملاك أملاكه يوم مات ولا طريق إلى انتزاعها من يد وارثه إلا ببينة بالمال، هذا حكم الله في البالغين فكيف في الأطفال؟ قال: فسكت ساعة مطرقا ثم دعا بدواة ووقع بخطه إلى عبيد الله ابن سليمان بالإفراج عن الضياع.

----

(1) أبو خازم، عبد الحميد بن عبد العزيز السكوني، الفقيه، العلامة، قاضي القضاة، أبو خازم، عبد الحميد بن عبد العزيز السكوني البصري، ثم البغدادي الحنفي. حدث عن محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى، وشعيب بن أيوب، وطائفة.روى عنه: مكرم بن أحمد، وأبو محمد بن زبر. وكان ثقة، دينا، ورعا، عالما، أحذق الناس بعمل المحاضر والسجلات، بصيرا بالجبر والمقابلة، فارضا، ذكيا، كامل العقل. أخذ عن: هلال الرأي، وبكر العمي، ومحمود الأنصاري، الفقهاء، أصحاب محمد بن شجاع وغيره. وبرع في المذهب حتى فضل على مشايخه، وبه يضرب المثل في العقل. قال محمد بن الفيض: ولي قضاء دمشق أبو خازم، سنة 264 هـ إلى أن قدم المعتضد قبل الخلافة دمشق لحرب ابن طولون، فسار معه أبو خازم إلى العراق.قال الطحاوي: مات ببغداد سنة 292 هـ.

(3) عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد، أبو القاسم الكاتب.ولي الوزارة للمعتضد وهو ولي العهد لعمه المعتمد في أواخر سنة 278 هـ. وكان يكتبه ويجلس بين يديه.وفلما توفي المعتمد وتولى المعتضد أقر عبيد الله على وزارته إلى حين وفاته سنة 288 هـ.. ومولده سنة 226 هـ.. وكانت مدة وزارته للمعتضد عشر سنين وعشرة أيام

(2) أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بالله واسمه محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى أبا العباس، ويقال: أن اسم أبيه طلحة، ولد بسر من رأى سنة 242 هـ، بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله، سنة 279 هـ، توفي المعتضد سنة 289 هـ.

قال القاضي أبو بكر بن مروان، حدثني مكرم بن بكر، قال: كنت في مجلس أبي خازم القاضي، فتقدم شيخ معه غلام، فادعى عليه بألف دينار، فأقر الحدث، فقال القاضي للشيخ: ما تشاء ؟ قال: حبسه. فقال للحدث: قد سمعت فهل توفيه البعض ؟ قال: لا. ففكر ساعة، ثم قال: تلازما حتى أنظر. فقلت: لم أخر القاضي الحبس ؟ قال: ويحك ! إني أعرف في أكثر الاحوال وجه المحق من المبطل، وقد وقع لي أن سماحته بالاقرار شئ بعيد من الحق، أما رأيت قلة تغاضبهما في المحاورة مع عظم المال ؟ فبينا نحن كذلك، إذ استبان الامر، فاستأذن تاجر موسر، فأذن له القاضي، فدخل، وقال: قد بليت بابن لي حدث، يتلف مالي عند فلان المقبن، فإذا منعته مالي احتال بحيل يلجئني إلى التزام غرم، وأقربه أنه نصب المقبن اليوم لمطالبته بألف دينار، وأقع مع أمه – إن حبس – في نكد. فتبسم القاضي، وطلب الغلام والشيخ، فأدخلا، فوعظ الغلام، فأقر الشيخ، وأخذ التاجر بيد ابنه، وانصرف. وفي رواية: تقدم رجل إلى أبي خازم، وقدم أباه يطالبه بدين له عليه. فأقر الأب بذلك. فأراد الأبن حبس أبيه بالدين. فقال له أبو حازم: هل لأبيك مال؟ قال: لا أعلمه. قال: فمذ كم داينته بهذا المال؟ قال: منذ كذا وكذا. قال: فقد عرضت عليك نفقة أبيك من وقت المدانية. فحبس الابن، وخلي عن الأبد.

قال القاضي أبو الطاهر الذهلي: بلغني أن أبا خازم، القاضي جلس في الشرقية، فأدب خصما لامر، فمات، فكتب رقعة إلى المعتضد يقول: إن دية هذا في بيت المال، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحملها إلى ورثته فعل. فحمل إليه عشرة آلاف، فدفعها إلى ورثته. كان المعتضد يحترم أبا خازم ويجله، قيل: إن أبا خازم لما احتضر بكى، وجعل يقول: يا رب ! من القضاء إلى القبر. وله شعر رقيق. قال محمد بن الفيض: ولي قضاء دمشق أبو خازم، سنة أربع وستين ومئتين، إلى أن قدم المعتضد قبل الخلافة دمشق لحرب ابن طولون، فسار معه أبو خازم إلى العراق. قال الطحاوي: مات ببغداد في جمادى الاولى سنة اثنتين وتسعين ومئتين. ولنا: أبو حازم، بحاء مهملة: أحمد بن محمد بن نصر. مات سنة ست عشرة وثلاث مئة.

مراجع: نثر الدر/ سير أعلام النبلاء/ شوار المحاضرة/

عن أحمد بن إبراهيم المقري قال: كان أبو الحسين النوري[1] -صاحب الجنيد[2]- رجلا قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم إلى مشرعة* تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة إذ رأى زورقا فيه ثلاثون دنا* مكتوب عليها بالقار لطف فقرأه وأنكره لأنه لم يعلم في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف، فقال للملاح: إيش في هذه الدنان؟ قال: وإيش عليك؟! امض في شغلك، فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا إلى معرفته، فقال: أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان، قال: وإيش عليك أنت، والله، صوفي فضولي، هذا خمر للمعتضد يريد أن يتمم به مجلسه فقال النوري: وهذا خمر؟ قال: نعم، فقال: أحب أن تعطيني ذلك المدري؟ فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه: أعطه حتى انظر ما يصنع؟ فلما صارت المدري في يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها إلا دنا واحدا، والملاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر* وهو يومئذ ابن بشر أفلح[3] فقبض على النوري وأشخصه إلى حضرة المعتضد* وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيقتله، قال أبو الحسين: فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال: من أنت؟ قلت: محتسب*، قال: ومن ولاك الحسبة؟ قلت: الذي ولاك الإمامة ولاني الحسبة، يا أمير المؤمنين، قال: فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلي، وقال: ما الذي حملك على ما صنعت؟ فقلت: شفقة مني عليك، إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه؟ قال: فأطرق مفكرا في كلامي ثم رفع رأسه إلي، وقال: كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان؟ فقلت: في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن؟ فقال: هات خبرني، فقلت: يا أمير المؤمنين، إني أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الإجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدن فاستشعرت نفسي كبرا على أني أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال ،فقال المعتضد: اذهب، فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت أن تغيره من المنكر. قال أبو الحسين: فقلت: يا أمير المؤمنين، الآن انتقض عزمي عن التغيير، فقال: ولم ؟ فقال: لأني كنت أغير عن الله تعالى، وأنا الآن أغير عن شرطيا. فقال: سل حاجتك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، تأمر بإخراجي سالما، فأمر له بذلك، وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد، فأقام بالبصرة إلى أن توفي المعتضد ثم رجع إلى بغداد.

----

*(الدن) كهيئة الحب، والجمع الدنان وهي الحباب، وقيل الدن أصغر من الحب. والحب الجرة الضخمة. وقيل: هو الذي يجعل فيه الماء، وهو فارسي معرب. وقيل: الدنان جمع دن وهو ما يسمى بالخابية وهو فارسي معرب (المدى) المدرى والمدراة شيء يعمل من حديد أو خشب، على شكل سن من أسنان المشط، وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد، ويستعمله من لم يكن له مشط. وقيل: المدراة حديدة يحك بها الرأس، ويقال: مدرى بغير هاء، ويشبه قرن الثور به (المشرعة) المواضع التي ينحدر إلى الماء منها (صاحب الجسر) أي الحاكم المولى من الخليفة وهو كالنائب والمحافظ(المحتسب) هو من يزيل المنكرات كشرطة في البلد المسلم.

■ (1) أبو الحسين، أحمد بن محمد الخراساني النوري البغوي الزاهد.اسمه أحمد بن محمد بغدادي المولد والمنشأ خراساني الأصل من قرية بين هراة ومرو الروذ يقال لها بغشور ولذلك كان يعرف بابن البغوي.اسند النوري عن سري السقطي حديثا واحدا. وتوفي قبل الجنيد سنة 295 هـ قال أبو أحمد المغازلي ما رأيت أحداً قط أعبد من النوري فقيل ولا جنيد؟ قال ولا جنيد وكان له قنينة تسع خمسة أرطال ماء يشربها في خمسة أيام وقت إفطاره.قال عبد الكريم ثم حدثني أبو جعفر الفرغاني قال مكث أبو الحسين النوري عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين ويخرج ليمضي إلى السوق فيتصدق بالرغيفين ويدخل المسجد فلا يزال يركع حتى يجيء وقت سوقه فإذا جاء الوقت مضى إلى السوق فيظن أنه قد تغدى في بيته ومن في بيته عندهم أنه أخذ معه غداءه وهو صائم.

■ (2) الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، أبو القاسم، ولد سنة 221 هـ، ومات سنة 297 هـ. قالوا: كان من شيوخ التصوف والله أعلم (ولا شك أن التصوف بدعة! وانحرف عن الصراط المستقيم، والعياذ بالله)

■ (3) ابن بشر أفلح؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم) وفي رواية -معالم القربة في طلب الحسبة- قيل: موسى بن أفلح؟ فهل هو: موسى بن أفلح بن خالد البيفاريني البخاري، أبو عمران، كان من المعمرين روى عن أبي حذيفة إسحاق بن بشر القرشي روى عنه خلف الخيام ومات سنة 291 هـ

أيها الإخوة المؤمنين، فهذه كانت حالة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطو السلاطين، لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة. فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها، وأما الآن فقيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا، ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر؟ والله المستعان على كل حال. انتهى.. هذا كلام الإمام أبو حامد الغزالي في ملوك عصره وعلمائه وهم الذين يفتخر أهل هذا العصر بهم، فكيف حال ملوك عصرنا وعلمائه والذين أضاعوا الدنيا والدين، وجعلوا المسلمين بظلمهم وفسادهم في أسفل سافلين؟ ولا نطيل هنا في وصفهم فحسبك ما تقرأ في المقال الآتي، ولكننا نقول: إن الزمان لا يخلو من العلماء المخلصين، وهؤلاء هم الذين ندعوهم إلى نصيحة ملوكنا وأمرائنا قبل أن يضيعوا هذه البقية القليلة التي بقيت لنا، فالخطر قريب إن لم يتداركوه نزل، والعياذ بالله تعالى... [المنار]

قالت العلماء: لما كان الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجبا من الله على كل مسلم؛ وجب على ولي الأمر إطلاق يد المسلم في ذلك إلا ما كان من حقوقه هو: كإقامة الحدود، والتعازير. وأما ما كان تحت ولاية المسلم، فهذا له، كتأديب الزوجة، والولد في حدود ما شرعه الله في ذلك، وكذلك إنكار المنكر باللسان، لو كان هو منكر الإمام نفسه عملا بقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة] فلا يجوز للمسلم أن يكتم علما، ولا أن يقر على باطل إذا علم أن إقراره رضا ومتابعة. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، حيث يقول:﴿سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ. قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: لَا، مَا صَلَّوْا﴾ رواه مسلم، و الترمذي، وأبو داود، وأحمد. ونص الحديث: أن المسلم لا يبرأ إلا بالإنكار، وقد يسلم بالسكوت، وعدم الرضا إذا لم يستطع الإنكار باللسان. عن أبي سعيد الخدري: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ﴾ وعن الحسن البصري مرسلا قال: قال رسول الله: صلى الله عليه وسلم:﴿أَفْضَلُ شُهَدَاءِ أُمَّتِي رَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُ عَنْ الْمُنْكَرِ فَقَتَلَهُ عَلَى ذَلِكَ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ مَنْزِلَتُهُ فِي الْجَنَّةِ بَيْنَ حَمْزَةَ وَجَعْفَرٍ﴾.

عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بالمدينة قال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعَرِّضُ بِالْخَمْرِ، وَلَعَلَّ اللهَ سَيُنْزِلُ فِيهَا أَمْرًا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيَبِعْهُ وَلْيَنْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: فَمَا لَبِثْنَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْخَمْرَ، فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَا يَشْرَبْ، وَلَا يَبِعْ، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ النَّاسُ بِمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ فَسَفَكُوهَا﴾ وعن أم المؤمنين عائشة قالت:﴿لَمَّا أُنْزِلَتِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي الرِّبَا، قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَحَرَّمَ التِّجَارَةَ فِي الْخَمْرِ﴾ وعن أنس قال:﴿جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي اشْتَرَيْتُ لِأَيْتَامٍ فِي حِجْرِي خَمْرًا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَهْرِقِ الْخَمْرَ وَكَسِّرِ الدِّنَانَ. فَأَعَادَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ وعن علقمة بن وائل عن أبيه:﴿أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: سُوَيْدُ بْنُ طَارِقٍ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَمْرِ فَنَهَاهُ عَنْهَا فَقَالَ: إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهَا دَاءٌ وَلَيْسَتْ بِدَوَاءٍ﴾ وعن أنس﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ الْخَمْرِ أَيُتَّخَذُ خَلًّا؟ قَالَ: لَا﴾ وعن يزيد بن أبي حبيب، عن خالد بن كثير الهمداني، أنه حدثه أن السري بن إسماعيل الكوفي، حدثه أن الشعبي، حدثه أنه، سمع النعمان بن بشير، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ مِنَ الْحِنْطَةِ خَمْرًا، وَمِنَ الشَّعِيرِ خَمْرًا، وَمِنَ الزَّبِيبِ خَمْرًا، وَمِنَ التَّمْرِ خَمْرًا، وَمِنَ الْعَسَلِ خَمْرًا، وَأَنَا أَنْهَى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ﴾ وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَشُرْبَ الْخَمْرِ وَالطَّعْنَ فِي الْأَنْسَابِ، أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ لُعِنَ شَارِبُهَا وَعَاصِرُهَا وَسَاقِيهَا وَبَائِعُهَا وَآكِلُ ثَمَنِهَا، فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ رَجُلًا كَانَتْ هَذِهِ تِجَارَتِي، فَاعْتَقَبْتُ مِنْ بَيْعِ الْخَمْرِ مَالًا فَهَلْ يَنْفَعُنِي ذَلِكَ الْمَالُ إِنْ عَمِلْتُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ أَنْفَقْتَهُ فِي حَجٍّ أَوْ جِهَادٍ أَوْ صَدَقَةٍ لَمْ يَعْدِلْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة] فالخبيث: الحرام. وعن نافع بن كيسان عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿سَتَشْرَبُ مِنْ بَعْدِي أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يَكُونُ عَوْنَهُمْ عَلَى شُرْبِهَا أُمَرَاؤُهُمْ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ أَوَّلَ مَا يُكْفَأُ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ كَفْءُ الْخَمْرِ قِيلَ وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا فَيَسْتَحِلُّونَهَا﴾ وعن أبي هريرة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ. -قال ابن شهاب: فأخبرني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن أن أبا بكر كان يحدثهم هؤلاء عن أبي هريرة، ثم يقول وكان أبو هريرة يلحق معهن-:وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (لا يزني الزاني وهو مؤمن الخ) هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان (نهبة) النهبة هي ما ينهبه (ذات شرف) معناه ذات قدر عظيم وقيل ذات استشراف يستشرف الناس لها ناظرين إليها رافعين أبصارهم. وعن أنس بن مالك قال:﴿أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ بِنَعْلَيْنِ أَرْبَعِينَ، ثُمَّ أُتِيَ أَبُو بَكْرٍ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَصَنَعَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أُتِيَ عُمَرُ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَاسْتَشَارَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَخَفَّ الْحُدُودِ ثَمَانِينَ، فَضَرَبَهُ عُمَرُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ثَمَانِينَ﴾.

مراجع: إحياء علوم الدين/ صحيح مسلم/ أسباب النزول للواحدي/ سنن الدراقطني/ـ مجلة المنار/ البداية والنهاية/ لسان العرب/ شذا الريحان في روائع رمضان/ معالم القربة في طلب الحسبة/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

مما ذكر من خبر المعتضد[1] وحزمه في الأمور وحيله أنه أطلق من بيت المال لبعض الرسوم في الجند عشر بدر*، فحملت إلى منزل صاحب عطاء الجيش ليصرفها فيهم، فنقب منزله في تلك الليلة، وأخذت العشر البدر، فلما أصبح نظر إلى النقب ولم ير المال، فأمر بإحضار صاحب الحرس، وكان على الحرس يومئذ مؤنس العجلي[2]، فلما أتاه قال له: إن هذا المال للسلطان والجند، ومتى لم تأت به أو بالذي نقبه وأخذ المال ألزمك أمير المؤمنين غرمه، فجد في طلبه، وطلب اللص الذي جسر على هذا الفعل، فصار إلى مجلسه، وأحضر التوابين والشرط، والتوابون: هم شيوخ أنواع اللصوص الذين قد كبروا وتابوا (؟)، فإذا جرت حادثة علموا من فعل من هي، فدلوا عليه، وربما يتقاسمون اللصوص ما سرقوه، فتقدم إليهم في الطلب، وتهددهم وأوعدهم وطالبهم، فتفرق القوم في الدروب والأسواق والغرف والمواخير*ودكاكين الرواسين (سوق الرؤوس والأكارع؟) ودور القمار. فما لبثوا أن أحضروا رجلا نحيفا ضعيف الجسم رث الكسوة هين الحالة فقالوا: يا سيدي هذا صاحب الفعلة وهو غريب من غير هذا البلد، وأطبق القوم كلهم على أنه صاحب النقب ولص المال، فأقبل عليه مؤنس العجلي فقال له: ويلك!! من كان معك. ومن أعانك؟ وأين أصحابك؟ ما أظنك تقدر على عشر بدر وحدك في ليلة، ما كنتم إلا عشرة..، فأقر لي بالمال إن كان مجتمعا، وعلى أصحابك إن قسم، فما زاده على الإنكار شيئا، فأقبل يترفق به ويعده أن يضمن جائزته، ويعده بكل جميل على رده والإقرار به، ويتوعده مكروه وهو على جحوده وإنكاره، فلما غاظه ذلك وأنكره ويئس من إقراره أخذ في عقوبته ومساءلته، فضربه بالسوط والقلوس* والمقارع والدرة على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه وأسفل رجليه وكعابه وعضله، حتى لم يكن للضرب فيه موضع، وبلغ به ذلك إلى حالة لا يعقل فيها ولا نطق، فلم يقر بشيء، فبلغ ذلك المعتضد، فأحضر صاحب الجيش، فقال له: ما صنعت في المال؟ فأخبره الخبر، فقال له: ويلك!! تأخذ لصا قد سرق من بيت المال عشر بدر فتبلغ به الموت والتلف حتى يهلك الرجل ويضيع المال، فأين حيل الرجال قال: يا أمير المؤمنين ما أعلم الغيب، ولم تكن لي في أمره حيلة غير ما فعلت، قال: أحضرني الرجل فأتي به وقد حمل في جل، فوضع بين يديه وقد قل، فسأله فأنكر، فقال له: ويلك!! إن مت لم ينفعك، وإن برئت من هذا الضرب ونجوت لم أدعك تصل إليه، فلك الأمان والضمان على ما تصلح به حالتك ويحمد به أمرك فأبى إلا الإنكار، فقال: علي بأهل الطب، فأحضروا، فقال: خذوا هذا الرجل إليكم فعالجوه بأرفق العلاج، وواظبوا عليه بالمراهم والغذاء والتعاهد، واجتهدوا أن تبرئوه في أسرع وقت، فأخذوه إليهم، وأخرج مالا مكان المال وأمر بتفريقه على الجند، فيقال: إنه بريء وصلح في أيام يسيرة، ثم واظبوا عليه بالطعام والشراب والوطاء* والطيب حتى صح وقوي جسمه وظهر لونه ورجعت إليه نفسه، ثم ذكر به، فأمر بإحضاره، فلما حضر بين يديه سأله عن حاله، فدعا وشكر، وقال: أنا بخير ما أبقى الله أمير المؤمنين، ثم سأله عن المال، فعاد إلى الإنكار، فقال له: ويلك! لست تخلو من أن تكون أخذته وحدك كله أو وصل إليك بعضه، فإن كنت أخذته كله، فإنك تنفقه في أكل وشرب ولهو، ولا أظنك تفنيه قبل موتك، وإن مت فعليك وزره، وإن كنت أخذت بعضه سمحنا لك به، فأقر لنا به، وأقر على أصحابك، فإني أقتلك إن لم تقر، ولا ينفعك بقاء المال بعدك، ولا يبالي أصحابك بقتلك، ومتى أقررت دفعت إليك عشرة آلاف درهم، وأخذت لك من أصحاب الجسر مثل ذلك، ورسمتك من التوابين، وأجريت لك في كل شهر عشرة دنانير تكفيك لأكلك وشربك وكسوتك وطيبك، وتكون عزيزا، وتنجو من القتل، وتتخلص من الإثم، فأبى إلا الإنكار، فاستحلف بالله فحلف وأظهر له مصحفا واستحلفه فحلف عليه، فقال: إني سأظهر على المال، فإن أنا ظهرت عليه بعد هذه اليمين قتلتك ولم أستبقك، فأبى إلا الإنكار، فقال له: فضع يدك على رأسي واحلف بحياتي، فوضع يده على رأسه وحلف بحياته أنه ما أخذه وأنه مظلوم متهم، وأن التوابين قد تبرءوا به، فقال له المعتضد: فإن كنت قد كذبت قتلتك وأنا بريء من دمك. قال: نعم، فأمر بإحضار ثلاثين أسود بحيث يراهم ويرونه، وأمرهم أن يتناوبوا في ملازمته، فأتت عليه أيام وهو قاعد لا يتكئ ولا يستند و لا يستلقي ولا يضطجع، وكلما خفق خفقا وجئ فكه وقمع رأسه، حتى إذا ضعف وقارب التلف أمر بإحضاره، فأعاد عليه ما كان خاطبه به واستحلفه بالله وبغير ذلك من الأيمان، فحلف على ذلك كله وبما لم يستحلفه به أنه ما أخذ المال ولا يعرف من أخذه، فقال المعتضد لمن حضر: قلبي يشهد أنه بريء، وأن ما يقول حق خفقة، وأن التوابين قد عرفوا صاحبه، وقد أثمنا في هذا الرجل، وسأله أن يجعله في حل، ففعل، ثم أمر بإحضار مائدة عليها طعام، وأحضر بارد الشراب، وأمره بالجلوس والأكل والشراب، فأقبل يأكل ويشرب، ويحث على الأكل، ويلقم ويعاد الشراب عليه ويكرر، حتى لم يبق للأكل والشراب موضع، ثم أمر ببخور وطيب فبخر وطيب، وأتى له بحشية ريش فوطئ له ومهد، فلما استلقى واستراح وغفا أمر بإزعاجه وسرعة إيقاظه، فحمل من موضعه حتى أقعد بين يديه وفي عينيه الوسن، فقال له: حدثني كيف صنعت: وكيف نقبت: ومن أين خرجت؟ وإلى أين ذهبت بالمال؟ ومن كان معك؟ قال: ما كنت إلا وحدي، وخرجت من النقب الذي دخلت منه، وكان مقابل الدرا حمام له كوم شوك يوقد به، فأخذت المال ورفعت ذلك الشوك والقماش والقصب فوضعته تحته وغطيته، وهو هنالك، فأمر برده إلى فراشه، فردوه وأضجعوه عليه، ثم أمر بإحضار المال، فأحضر عن آخره، وأحضر مؤنس العجلي، وأحضر الوزير والجلساء، وقد غطى المال بالبساط ناحية من المجلس، ثم أمر بإيقاظ اللص وقد اكتفى في النوم وذهب عنه الوسن، فقال له بحضرة الجميع مثل قوله الأول، فجحد وأنكر، فأمر بكشف البساط، وقال له: ويلك!! أليس هذا المال؟ أليس فعلت كذا وكذا. يصف له ما كان حدثه به، فأسقط في يد اللص، ثم أمر فقبض على يديه ورجليه وأوثق، ثم أمر بمنفاخ في دبره، وأتي بقطن فحشي في أذنيه وفمه وخيشومه، وأقبل ينفخ، وخلى عن يديه ورجليه من الوثاق؛ وأمسك بالأيدي وقد صار كأعظم ما يكون من الزقاق المنفوخة، وقد ورم سائر أعضائه وعظم جسمه، وعيناه قد امتلأتا وبرزتا، فلما كاد أن ينشق أمر بعض الأطباء فضربه في عرقين فوق الحاجبين، وهما في الجبين، فأقبلت الريح تخرج منها مع الدم ولها صوت وصفير إلى أن خمد وتلف، وكان ذلك أعظم منظر رأي في ذلك اليوم من العذاب، وقيل: إن البدر كانت عينا وإن عددها كان أكثر مما وصفنا.

----

*(البدرة) كيس فيه ألف، أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار والجميع: البدور وثلاث بدرات (المواخير) الماخور بيت الريبة ومجمع أهل الفسق والفساد ج مواخر ومواخير.وقيل:كانت العرب تسمي بيوت الخمارين:الحوانيت وأهل العراق يسمونها المواخير واحدها حانوت وماخور. والحانة أيضا مثله (القلوس) جمع قلس، بفتح القاف. وهو الحبل الغليظ من حبال السفن (المقرعة) خشبة يضرب بها وكل ما قرعت به وجريدة معقوفة الرأس وأكثر ما تكون في كتاب الصبيان والجمع مقارع (الوطاء) ما توطأت به من فراش.

■ (1) أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بالله واسمه محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، يكنى أبا العباس،والسفاح الثاني ويقال: أن اسم أبيه طلحة، ولد بسر من رأى سنة 242 هـ ودخل دمشق سنة 271 هـ لحرب ابن طولون، بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله، سنة 279 هـ، وكان ملكا مهيبا، شجاعا، جبارا، شديد الوطأة، من رجال العالم، يقدم على الأسد وحده. وكان أسمر، نحيفا، معتدل الخلق، كامل العقل. قال المسعودي: كان قليل الرحمة، إذا غضب على أمير حفر له حفيرة، وألقاه حيا، وطم عليه.توفي المعتضد سنة 289 هـ.وكان يسمى السفاح الثاني، أحيا رميم الخلافة التي ضعفت من مقتل المتوكل.

■ (2) مؤنس العجلي ؟...(لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم) والذي وجدت هو محمد بن شاه بن ميكال كان على الحرس وصالحا الحجابة

قال أبو علي المحسن التنوخي: بلغني عن المعتضد أنه كان جالسا في بيت يبنى له، فرأى فيهم أسود منكر الخلقة يصعد السلالم درجتين درجتين، ويحمل ضعف ما يحمله غيره، فأنكر ذلك، وطلبه، وسأله عن سبب ذلك، فتلجلج، فكلمه ابن حمدون فيه، وقال: من هذا حتى صرفت فكرك إليه ؟ قال: قد وقع في خلدي أمر ما أحسبه باطلا، ثم أمر به، فضرب مئة، وتهدده بالقتل، ودعا بالنطع والسيف، فقال: الأمان، أنا أعمل في أتون الآجر، فدخل من شهور رجل في وسطه هميان*، فأخرج دنانير، فوثبت عليه، وسددت فاه، وكتفته، وألقيته في الآتون، والذهب معي يقوى به قلبي، فاستحضرها، فإذا على الهميان اسم صاحبه، فنودي في البلد، فجاءت امرأة، فقالت: هو زوجي ولي منه طفل، فسلم الذهب إليها، وقتله.

قال التنوخي: بلغني أن المعتضد قام ليلة، فرأى المماليك المرد، واحد منهم فوق آخر، ثم دب على ثلاثة، واندس بين الغلمان، فجاء، فوضع يده على صدره، فإذا بفؤاده يخفق، فرفسه برجله، فجلس، فذبحه. وأن خادما أتاه، فأخبره أن صيادا أخرج شبكته، فثقلت، فجذبها، فإذا فيها جراب*، فظنه مالا فإذا فيه آجر* بينه كف مقطوعة مخضوبة بحناء، فهال ذاك المعتضد، وأمر الصياد، فعاود طرح الشبكة، فخرج جراب آخر فيه رجل-كف ورجل- فقال: معي في بلدي من يفعل هذا؟ ما هذا بملك!. فلم يفطر يومه، ثم أحضر ثقة له، وأعطاه الجراب، وقال: طف به على من يعمل الجرب: لمن باعه؟ فغاب الرجل، وجاء وقد عرف بائعه، وأنه اشترى منه عطار جرابا، فذهب إليه، فقال: نعم، اشترى مني فلان الهاشمي عشرة جرب، وهو ظالم..إلى أن قال: يكفيك أنه كان يعشق مغنية، فاكتراها من مولاها وادعى أنها هربت! فلما سمع المعتضد ذلك سجد، وأحضر الهاشمي فأخرج له اليد والرجل، فاصفر واعترف، فدفع إلى صاحب الجارية ثمنها وسجن الهاشمي، فيقال: قتله

قال خفيف السمرقندي: كنت مع مولاي المعتضد في بعض متصيداته وقد انقطع عن العسكر وليس معه غيري، إذا خرج علينا أسد فقصد قصدنا فقال لي المعتضد: يا جعيف أفيك خير اليوم؟ قلت: لا والله. قال: ولا أن تمسك فرسي وأنزل أنا؟ فقلت: بلى. قال: فنزل عن فرسه وغرز أطراف ثيابه في منطقته واستل سيفه ورمى بقرابه إلي ثم تقدم إلى الاسد فوثب الاسد عليه فضربه بالسيف فأطار يده فاشتغل الاسد بيده فضربه ثانية على هامته ففلقها، فخر الاسد صريعا فدنا منه فمسح سيفه في صوفه ثم أقبل إلي فأغمد سيفه في قرابه، ثم ركب فرسه فذهبنا إلى العسكر. قال وصحبته إلى أن مات فما سمعته ذكر ذلك لاحد، فما أدري من أي شئ أعجب؟ من شجاعته أم من عدم احتفاله بذلك حيث لم يذكره لاحد؟ أم من عدم عتبه علي حيث ضننت بنفسي عنه، والله ما عاتبني في ذلك قط.

وقيل: كان لتاجر عل أمير مال، فمطله، ثم جحده، فقال له صاحب له: قم معي، فأتى بي خياطا في مسجد. فقام معنا إلى الأمير، فلما رآه، هابه، ووفاني المال، فقلت للخياط: خذ مني ما تريد، فغضب، فقلت له: فحدثني عن سبب خوفه منك، قال: خرجت ليلة، فإذا بتركي قد صاد امرأة مليحة، وهي تتمنع منه وتستغيث، فأنكرت عليه، فضربني، فلما صليت العشاء جمعت أصحابي، وجئت بابه، فخرج في غلمانه وعرفني فضربني وشجني وحملت إلى بيتي، فلما تنصف الليل قمت فأذنت في المنارة لكي يظن أن الفجر طلع فيخلي المرأة، لأنها قالت: زوجي حالف علي بالطلاق أنني لا أبيت عن بيتي، فما نزلت حتى أحاط بي بدر وأعوانه، فأدخلت على المعتضد، فقال: ما هذا الأذان؟ فحدثته بالقصة فطلب التركي وجهز المرأة إلى بيتها وضرب التركي في جوالق حتى مات، ثم قال لي: أنكر المنكر، وما جرى عليك فأذن كما أذنت، فدعوت له، وشاع الخبر، فما خاطبت أحدا في خصمه إلا أطاعني وخاف.

----

*(النطع) بساط من الجلد، كثيرا ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل (الهميان) كيس للنفقة يشد في الوسط (الجراب) وعاء الزاد والعامة تفتحه والجمع أجربة (الآجر) الطوب الذي يبنى به فارسي معرب

■ مراجع: مروج الذهب/ كتاب العين/ تاج العروس/ المعجم الوسيط/ مقاييس اللغة/ تسهيل الوصول/ سير أعلام النبلاء/ طبقات الحفاظ/ مختار الصحاح/

ذكر الدلائي في كتابه عن ابن أبي ذر، أن المعتضد[1] كانت له حظية* يحبها. ولها ابن أخت حجر عليه إسماعيل القاضي[2] بعد موت والده. فشكت أمه ذلك إلى أختها. ورغبت سؤال المعتضد ليأمر القاضي بفكه من الحجر. فلما جاء المعتضد إلى حظيته، سألته في ذلك. فكتب رقعة بخطه إلى إسماعيل يأمره بفك الحجر عن الغلام، وختمها ووجهها مع وزيره إليه. فعظم ذلك على الوزير وكتمانه عنه. فلما وصل به إسماعيل فكه وكتب على ظهره وختمه ورده مع الوزير. فكان ما فعله إسماعيل أشد على الوزير. فلما وصل به الخليفة وفتحه ونظر فيه بكى وكان بعيد الدمعة ثم رمى به إلى الوزير، وقال أنظر بما كتب إلينا إسماعيل. فإذا هو قد كتب إليه، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَا داود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص] وقال: قل لإسماعيل يعمل ما يرى. فلا أعترض عليه.

قال أبو نعيم: سمعت عمر البناء البغدادي بمكة يحكي محنة غلام خليل[3]، قال: نسبوا الصوفية* إلى الزندقة، فأمر الخليفة المعتمد في سنة أربع وستين ومئتين بالقبض عليهم، فأخذ في جملتهم أبو الحسين النوري[4]، فأدخلوا على الخليفة، فأمر بضرب أعناقهم فبادر النوري إلى السياف فقيل له في ذلك، فقال: آثرت حياتهم على نفسي ساعة، فتوقف السياف عن قتله ورفع أمره إلى الخليفة، فرد الخليفة أمرهم إلى قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق، فسأل أبا الحسين النوري عن مسائل في العبادات، فأجاب، ثم قال: وبعد هذا، فلله عباد ينطقون بالله ويأكلون بالله ويسمعون بالله، فبكى إسماعيل القاضي وقال: إن كان هؤلاء القوم زنادقة فليس في الأرض موحد. فأطلقهم.

حكى الزركشي أن إسماعيل القاضي، قال: دخلت على المعتضد،وعلى رأسه أحداث روم ملاح، فنظرت إليهم، فرآني المعتضد أتأملهم، فلما أردت الانصراف، أشار إلي، ثم قال: أيها القاضي! والله ما حللت سراويلي على حرام قط.

ودخلت مرة، فدفع إلي كتابا، فنظرت فيه، فإذا قد جمع له فيه الرخص من زلل العلماء، فقلت، مصنف هذا زنديق. فقال: ألم تصح هذه الأحاديث ؟ قلت: بلى (الأحاديث على ما رويت)، ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعة*، ومن أباح المتعة لم يبح الغناء، وما من عالم إلى وله زلة، ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه. فأمر بالكتاب فأحرق.

----

*(حظي) عند الناس حظوة وحظة علا شأنه وأحبوه وبالرزق نال حظا منه فهو حظي وهي حظية وجمع الحظية من النساء حظايا تقول هي احدى حظاياى وهو أحظى منه أي أقرب إليه وأسعد (الصوفية) لا شك أن الصوفية هم الزنادقة ولا صوفية في الإسلام (المتعة) نكاح المرأة للاستمتاع بها لمدة معلومة وبأجر معلوم

■ (2) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم أبو إسحاق الأزدي مولى آل جرير بن حازم من أهل البصرة، توفي سنة 282 هـ فجأة ومولده سنة 200 هـ

■ (1) أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بالله واسمه محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، يكنى أبا العباس،والسفاح الثاني ويقال: أن اسم أبيه طلحة، ولد بسر من رأى سنة 242 هـ ودخل دمشق سنة 271 هـ لحرب ابن طولون، بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله، سنة 279 هـ، وكان ملكا مهيبا، شجاعا، جبارا، شديد الوطأة، من رجال العالم، يقدم على الأسد وحده. وكان أسمر، نحيفا، معتدل الخلق، كامل العقل. قال المسعودي: كان قليل الرحمة، إذا غضب على أمير حفر له حفيرة، وألقاه حيا، وطم عليه.توفي المعتضد سنة 289 هـ.وكان يسمى السفاح الثاني، أحيا رميم الخلافة التي ضعفت من مقتل المتوكل.

■ (3) غلام خليل الشيخ، الزاهد، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن غالب بن خالد بن مرداس، الباهلي البصري، غلام خليل. سكن بغداد. وكان له جلالة عجيبة، وصولة مهيبة، وأمر بالمعروف، واتباع كثير، وصحة معتقد، إلا أنه يروي الكذب الفاحش، ويرى وضع الحديث. نسأل الله العافية. قيل مات غلام خليل سنة 275 هـ

■ (4) أبو الحسين، أحمد بن محمد الخراساني النوري البغوي الزاهد.اسمه أحمد بن محمد بغدادي المولد والمنشأ خراساني الأصل من قرية بين هراة ومرو الروذ يقال لها بغشور ولذلك كان يعرف بابن البغوي.اسند النوري عن سري السقطي حديثا واحدا. وتوفي قبل الجنيد سنة295 هـ قال أبو أحمد المغازلي ما رأيت أحداً قط أعبد من النوري فقيل ولا جنيد؟ قال ولا جنيد وكان له قنينة تسع خمسة أرطال ماء يشربها في خمسة أيام وقت إفطاره.قال عبد الكريم ثم حدثني أبو جعفر الفرغاني قال مكث أبو الحسين النوري عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين ويخرج ليمضي إلى السوق فيتصدق بالرغيفين ويدخل المسجد فلا يزال يركع حتى يجيء وقت سوقه فإذا جاء الوقت مضى إلى السوق فيظن أنه قد تغدى في بيته ومن في بيته عندهم أنه أخذ معه غداءه وهو صائم.وقيل توفي في مسجد وهو مقنع فلم يعلم به أحد إلا بعد أربعة أيام.

قال علي بن نايف: كثيرا ما يقال: ما بالكم تحذرون من زلة العالم مع كونه لا يخطئ إلا عن اجتهاد ، يستحق عليه الأجر، وهو في جميع أحواله بين الأجر و الأجرين. وردا على هذه الشبهة نقول: إن مكمن الخطورة في زلة العالم ، ليس في كونها خطأ من مجتهد، ولكن فيما يترتب عليها من عمل الأتباع والمقلدين من بعده، ومما يستفاد من قول ابن عباس المتقدم في التحذير من زلة العالم: فيترك قوله ذلك، ثم يمضي الأتباع، بيان أن خطر الزلة في كون شرها متعديا إلى من قلد صاحبها فيها، وكفى بهذا محرضا على النكير على من صار إليها، أو تترس بها في تحليل ما حرم الله، وقد يلحق صاحبها إثم من استن به فيها، شأنه في ذلك شأن من سن سنة سيئة.

وقال علي بن نايف: ذهب عامة العلماء إلى أنه ليس للمفتي تتبع رخص المذاهب، بأن يبحث عن الأسهل من القولين أو الوجهين ويفتي به. ذلك أن الراجح في نظر المفتي هو في ظنه حكم الله تعالى، فتركه والأخذ بغيره لمجرد اليسر والسهولة استهانة بالدين، شبيه بالانسلاخ منه، ولأنه شبيه برفع التكليف بالكلية. إذ الأصل أن في التكليف نوعا من المشقة، فإن أخذ في كل مسألة بالأخف لمجرد كونه أخف، فإنه ما شاء أن يسقط تكليفا ـ من غير ما فيه إجماع ـ إلا أسقطه. وإن أفتى كل أحد بما يشتهي انخرم قانون السياسة الشرعية، الذي يقوم على العدالة والتسوية، وهذا يؤدي إلى الفوضى والمظالم وتضييع الحقوق بين الناس. قال الإمام أحمد رضي الله عنه: لو أن رجلا عمل بكل رخصة: يعمل بمذهب أهل الكوفة في النبيذ، وأهل المدينة في السماع (يعني الغناء)، وأهل مكة في المتعة، لكان فاسقا. وقال الأوزاعي: من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام. وقال سليمان التيمي: لو أخذت برخصة كل عالم، أو قال: زلة كل عالم، اجتمع فيك الشر كله.

هذه الأقوال تعني كذلك أن العامي المقلد، أي الذي ليس لديه علم شرعي ويقلد مذهب مفتيه، يمكن أن يتخذ شيخا واحدا له يفتيه في كل أموره وشئونه. ذلك أن تتبع المفتين والعمل برخصهم سيفضي بالمستفتي إلى الخروج من ملة الإسلام، كما حذر هؤلاء الأفذاذ. وهذا ما نشاهده واضحا جليا في حياتنا المعاصرة. فمع قلة عدد المتفرغين لتلقي العلم الشرعي، وضحالة هذا العلم أساسا، اعتمد معظم الناس في أمور دينهم على استفتاء بعض الأفراد. ونتج عن هذا انتشار الآراء الضعيفة في المذاهب الفقهية بين الناس. كما أصبحت فتاوى الدين تأتي ممن ليس لهم أدنى علم بأمور الشرع، بل كان لمناصبهم أكبر الأثر في انتشار آرائهم، كأن يكونوا رؤساء لتحرير الصحف والمجلات أو محررين فيها أو مذيعين في الفضائيات. على أن الذاهبين إلى هذا القول لم يمنعوا الإفتاء بما فيه ترخيص إن كان له مستند صحيح. قال ابن القيم: لا يجوز للمفتي ... تتبع الرخص لمن أراد نفعه ... فإن حسن قصده في حيلة جائزة لا شبهة فيها ولا مفسدة لتخليص المستفتي بها من حرج جاز ذلك، بل استحب، وقد أرشد الله نبيه أيوب عليه السلام إلى التخلص من الحنث: بأن يأخذ بيده ضغثا فيضرب به المرأة ضربة واحدة ... فأحسن المخارج ما خلص من المآثم، وأقبح الحيل ما أوقع في المحارم.

☪

عن الحسين بن عبد الرحمن الحلبي عن أبيه، قال: أمر المأمون أن يحمل إليه عشرة من الزنادقة* سموا له من أهل البصرة، فجمعوا وأبصرهم طفيلي، فقال: ما اجتمع هؤلاء إلا لصنيع، فانسل فدخل وسطهم، ومضى بهم الموكلون حتى انتهوا إلى زورق قد أعد لهم، فدخلوا الزورق، فقال الطفيلي: هي نزهة، فدخل معهم الزورق، فلم يك بأسرع بأن قيد القوم وقيد معهم الطفيلي، فقال الطفيلي: بلغ تطفيلي إلى القيود! ثم سير بهم إلى بغداد، فدخلوا على المأمون، فجعل يدعو بأسمائهم رجلا رجلا فيأمر بضرب رقابهم، حتى وصل إلى الطفيلي، وقد استوفوا عدة القوم، فقال للموكلين بهم: ما هذا؟ فقالوا: والله ما ندري، غير أنا وجدناه مع القوم فجئنا به؛ فقال المأمون: ما قصتك ويلك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، امرأته طالق إن كان يعرف من أقوالهم شيئا، ولا يعرف إلا الله، ومحمدا النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما رجل رأيتهم مجتمعين، فظننت صنيعا يغدون إليه؛ فضحك المأمون وقال: يؤدب*.

☪

قال ابن جرير: وفي سنة 284 : عزم المعتضد على لعنة معاوية على المنابر، فخوفه الوزير، فلم يلتفت، وحسم مادة اجتماع الشيعة وأهل البيت، ومنع القصاص من الكلام جملة، وتجمع الخلق يوم الجمعة لقراءة ما كتب في ذلك، وكان من إنشاء الوزير، فقال يوسف القاضي: راجع أمير المؤمنين. فقال: يا أمير المؤمنين ! تخاف الفتنة ؟ فقال: إن تحركت العامة وضعت السيف فيهم. قال: فما تصنع بالعلوية الذين هم في كل قطر قد خرجوا عليك ؟ فإذا سمع الناس هذا من مناقبهم كانوا إليهم أميل وأبسط ألسنة. فأعرض المعتضد عن ذلك.

----

*(الزنادقة) زيد عند المسعودي: ممن يذهب إلى قول ماني ويقول بالنور والظلمة (يؤدب) زيد عند المسعودي: على فرط تطفله ومخاطرته بنفسه

مراجع: ترتيب المدارك وتقريب المسالك/ البداية والنهاية/ مروج الذهب/ كتاب العين/ تاج العروس/ المعجم الوسيط/ مقاييس اللغة/ تسهيل الوصول/ سير أعلام النبلاء/ طبقات الحفاظ/ مختار الصحاح/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/ سير أعلام النبلاء/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

حدث أبو محمد عبد الله بن حمدون[1]، نديم المعتضد، قال: كان المعتضد في بعض متصيداته مجتازا بعسكره وأنا معه، فصاح ناطور* في قثاء* فاستدعاه وسأله عن سبب صياحه، فقال: أخذ بعض الجيش شيئا فقال: اطلبوهم فجاءوا بثلاثة أنفس، فقال: هؤلاء الذين أخذوا القثاء؟ فقال الناطور: نعم، فقيدهم في الحال، وأمر بحبسهم، فلما كان من الغد أنفذهم إلى القراح*وضرب أعناقهم فيه، وسار، وأنكر الناس ذلك وتحدثوا به، ونحبت قلوبهم منه، ومضت على ذلك مدة طويلة، فجلست أحادثه ليلة، فقال لي: يا عبد الله، هل يعتب الناس علي شيئا؟ عرفني حتى أزيله، فقلت: كلا يا أمير المؤمنين، فقال: أقسمت عليك بحياتي إلا صدقتني، قلت: يا أمير المؤمنين وأنا آمن؟ قال: نعم، قلت: إسراعك إلى سفك الدماء، فقال: والله ما هرقت دما قط منذ وليت هذا الأمر إلا بحقه، قال: فأمسكت إمساك من ينكر عليه الكلام، فقال: بحياتي لما قلت، فقلت: يقولون إنك قتلت أحمد بن الطيب[2]، وكان خادمك، ولم تكن له جناية ظاهرة، فقال: ويحك، إنه دعاني إلى الإلحاد، فقلت له: يا هذا، أنا ابن عم صاحب هذه الشريعة، وأنا الآن منتصب منصبه، فألحد حتى أكون من؟ وكان قال لي: إن الخلفاء لا تغضب، وإذا غضبت لم ترض، فلم يصلح إطلاقه، فسكت سكوت من يريد الكلام، فقال: في وجهك كلام، فقلت: الناس ينقمون عليك أمر الثلاثة الأنفس الذين قتلتهم في قراح القثاء، فقال: والله ما كان أولئك المقتولون هم الذين أخذوا القثاء وإنما كانوا لصوصا، حملوا من موضع كذا وكذا، ووافق ذلك أمر أصحاب القثاء، فأردت أن أهول على الجيش، بأن من عاث منهم في عسكري وأفسدوا في هذا القدر، كانت هذه عقوبتي له، ليكفوا عما فوقه، ولو أردت قتلهم لقتلتهم في الحال والوقت، وإنما حبستهم، وأمرت بإخراج اللصوص من غد مغطين الوجوه، ليقال إنهم أصحاب القثاء، فقلت: فكيف تعلم العامة؟ قال: بإخراجي القوم الذين أخذوا القثاء أحياء، وإطلاقي لهم في هذه الساعة، ثم قال: هاتوا القوم، فجاءوا بهم، وقد تغيرت حالهم، فقال لهم: ما قصتكم؟ فاقتصوا عليه قصة القثاء، فاستتابهم عن فعل مثل ذلك وأطلقهم، فانتشرت الحكاية فزالت التهمة.

وفي رواية عن عبد الله بن حمدون قال: خرج المعتضد للصيد يوما وأنا معه، فمر بمقثاة فعاث بعض جنوده فيها، فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد، فأحضره وسأله عن سبب صياحه فقال: ثلاثة من غلمانك نزلوا المقثاة فأخربوها. فأمر عبيده بإحضارهم، فضرب أعناقهم ومضى وهو يحادثني فقال لي: اصدقني ما الذي تنكره الناس من أحوالي. فقلت له: سفكك للدماء. فقال: ما سفكت دما حراما قط، فقلت: بأي ذنب قتلت أحمد ابن الطيب. فقال: دعاني إلى الإلحاد فقتلته لما ظهر لي إلحاده؛ لنصرة الدين. فقلت: فالثلاثة الذين نزلوا المقثاة الآن؟ فقال: والله ما قتلتهم، وإنما ثلاثة من قطاع الطرق، وأوهمت الناس أنهم هم، ثم أحضر صاحب الشرطة فأمره بإحضار الثلاثة الذين نزلوا المقثاة فأحضرهم وشاهدتهم، ثم أمر بإعادتهم إلى الحبس. وهكذا ينبغي تدبير السياسة، وإظهار النصفة، وتخويف الجند وإرعابهم.

قال أبن الجوزي: خرج المعتضد يوما فعسكر بباب الشماسية* ونهى أن يأخذ أحد من بستان أحد شيئا، فأتي بأسود قد أخذ عذقا من بسر* فتأمله طويلا ثم أمر بضرب عنقه، ثم التفت إلى الامراء فقال: العامة ينكرون هذا ويقولون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لاَ قَطْعَ فِي ثُمَّرٍ، وَلاَ كَثَرٍ﴾ ولم يكفه أن يقطع يده حتى قتله، وإني لم أقتل هذا على سرقته، وإنما هذا الاسود رجل من الزنج كان قد استأمن في حياة أبي، وإنه تقاول هو ورجل من المسلمين فضرب المسلم فقطع يده فمات المسلم، فأهدر أبي دم الرجل المقتول تأليفا للزنج، فآليت على نفسي لئن أنا قدرت عليه لاقتلنه، فما قدرت عليه إلا هذه الساعة فقتلته بذلك الرجل.

----

*(القثاء) اسم لما يسميه الناس الخيار والعجور والفقوس الوحدة قثاءة والمقثاة والمقثؤة موضعه(الشماسية) منسوبة إلى بعض شماسي النصارى وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد: الشماسية: تقع خارج بغداد وينسب إليها باب الشماسية أحد أبواب بغداد.(البسر) من التمر قبل أن يرطب والواحدة بسرة وأبسر النخل صار بسرا بعد ما كان بلحا (العذق) العذق من كل شيء: الغصن ذو الشعب (الناظور) الأمين، وأصله من النظر.(القراح) الأرض المخلصة للزرع والغرس. وقيل القراح المزرعة التي ليس عليها بناء ولا فيها شجر

■ (2) أبو العباس، أحمد بن الطيب السرخسي وقيل: أحمد بن محمد السرخسي، الفيلسوف، ذو التصانيف، من بحور العلم الذي لا ينفع. وكان مؤدب المعتضد، ثم صار نديمه وصاحب سره ومشورته، وله رئاسة وجلالة كبيرة. وهو تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف. ثم إن المعتضد انتخى لله، وقتل السرخسي لفلسفته وخبث معتقده. فقيل: إنه تنصل إليه، وقال: قد بعت كتب الفلسفة والنجوم والكلام، وما عندي سوى كتب الفقه والحديث. فلما خرج قال المعتضد: والله إني لاعلم أنه زنديق، فعل ما زعم رياء. ويقال: إنه قال له: لك سالف خدم، فكيف تختار أن نقتلك. فاختار أن يطعم كباب اللحم، وأن يسقى خمرا كثيرا حتى يسكر، ويفصد في يديه، ففعل به ذلك، فصفي من الدم، وبقيت فيه حياة، وغلبت عليه الصفراء، وجن، وصاح، وبقي ينطح الحائط لفرط الآلام، ويعدو كثيرا حتى مات، وذلك في أول سنة 286 هـ.

■ (1) أبو محمد عبد الله بن حمدون النديم. توفي سنة 309 هـ ؟

☪

الوزير عبيد الله بن سليمان[1] يبيح جزءا من مال الدولة لأحد صنائعه: حدث أبو عبد الله بن أبي عوف، قال: استتر عندي، عبيد الله بن سليمان، فدخلت إليه يوما، في حجرة كنت أفردتها له من داري، فقام إلي، فقلت له ممازحا كما جرى على لساني: يا سيدي اخبأ لي هذا، إلى وقت انتفع به فيه. قال: فلما كان بعد مدة، انتقل من عندي، فما مضت أيام حتى ولي الوزارة. فقال لي أهلي: لو قصدته، وكانت حالي إذ ذاك صغيرة. فقلت لهم: لا أفعل، أنا في ستر، وقصدي له الآن كأنه اقتضاء لثمن معروف أسديته إليه، وما أرضى لنفسي بهذا، ولو كان لي عنده خير لابتدأني به، فبت ليلتي تلك مفكرا، وكان هذا يوم الخلع. فلما كان في السحر جاءني فرانقه برقعة بخطه، يعاتبني على تأخري عنه، ويستدعيني. فصرت إليه، فإذا هو جالس، والخلق عنده، فلما صرت مع دسته، قام إلي قياما تاما، وعانقني، وقال لي في أذني: هذا وقت تنتفع فيه بقيامي لك، وجلس، وأجلسني معه على طرف الدست، فقبلت يده، وهنأته ودعوت له. ومضت ساعة، فإذا قد استدعاه المعتضد، فقام، وأمرني أن لا أبرح. فجلست، وامتدت العيون إلي، وخوطبت في الوقت، بأجل خطاب، وعظمت. ثم عاد عبيد الله ضاحكا، وأخذ بيدي إلى دار الخلوة، فقال: ويحك إن الخليفة الساعة استدعاني بسببك، وذلك أنه كوتب بخبر قيامي لك في مجلس الوزارة، فلما استدعاني الآن بدأ لينكر علي وقال: تبتذل مجلس الوزارة بالقيام لتاجر؟ ولو كان هذا لصاحب طرف كان محظورا، أو ولي عهد كان كثيرا، وأخذ يتحاور في ذلك. فقلت: يا أمير المؤمنين، لم يذهب عني حق المجلس، وتوفية الرتبة حقها، ولكن لي عذرا، فإن رأى أمير المؤمنين أن يسمعه، ثم ينفذ حكمه في، وأخبرته بخبري معك وقت استتاري عندك، فقال: أما الآن، فقد عذرتك فلا تعاود، فانصرف. ثم قال لي عبيد الله: يا أبا عبد الله إني قد شهرتك شهرة، إن لم تكن معك مائة ألف دينار معدة للنكبة، هلكت، فيجب أن نحصلها لك لهذه الحال فقط، ثم نحصل لك نعمة بعدها، تسعك وعقبك. فقلت: أنا عبد الوزير، وخادمه، ومؤمله. فقال: هاتم فلانا الكاتب، فجاء. فقال: أحضر التجار الساعة، وتقص عليهم في تسعير مائة ألف كر من غلات السلطان بالسواد بما يساوي، وعرفني. فخرج، وعاد بعد ساعة، وقال: قد قررت ذلك معهم. فقال له: بع على أبي عبد الله، هذه المائة ألف كر، بنقصان دينار واحد مما قررت به السعر مع التجار، وبعه له عليهم بالسعر المقرر معهم، وطالبهم بأن يعجلوا له فضل ما بين السعرين اليوم، وأخرهم بالثمن إلى أن يتسلموا الغلات، واكتب إلى النواحي بتقبيضهم إياها. قال: ففعل ذلك، فقمت عن المجلس، وقد وصل إلى مائة ألف دينار في بعض يوم، وما عملت شيئا. ثم قال: اجعل هذه أصلا لنعمتك، ومعدة للنكبة، ولا يسألنك أحد من الخلق شيئا إلا أخذت رقعته، وواقفته على أجرة لك عليها، وخاطبتني. قال: فكنت أعرض عليه في كل يوم ما يصل إلي فيه ألوف دنانير، وأتوسط الأمور الكبار، وأداخل في المكاسب الجليلة، حتى بلغت النعمة إلى هذا الحد. وكنت ربما عرضت عليه رقعة، فيقول لي: كم ضمن لك على هذه؟ فأقول: كذا وكذا. فيقول: هذا غلط، هذا يساوي كذا وكذا، ارجع فاستزد. فأقول له: إني أستحي. فيقول: عرفهم أني لا أقضي لك ذلك إلا بهذا القدر، وأني رسمت لك هذا. قال: فأرجع، فأستزيد ما يقوله، فأزاد.

☪

ذكر الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب قال: كنت يوما عند المعتضد وخادم واقف على رأسه يذب عنه بمذبة في يده إذ حركها فجاءت في قلنسوة الخليفة فسقطت عن رأسه، فأعظمت أنا ذلك جدا وخفت من هول ما وقع، ولم يكترث الخليفة لذلك، بل أخذ قلنسوته فوضعها على رأسه ثم قال لبعض الخدم: مر هذا البائس ليذهب لراحته فإنه قد نعس، وزيدوا في عدة من يذب بالنوبة. قال الوزير: فأخذنا في الثناء على الخليفة والشكر له على حلمه، فقال: إن هذا البائس لم يتعمد ما وقع منه وإنما نعس، وليس العتاب والمعاتبة إلا على المعتمد لا على المخطئ والساهي. وقال جعيف السمرقندي الحاجب: لما جاء الخبر إلى المعتضد بموت وزيره عبيد الله بن سليمان خر ساجدا طويلا، فقيل له: يا أمير المؤمنين، لقد كان عبيد الله يخدمك وينصح لك. فقال: إنما سجدت شكرا لله أنى لم أعزله ولم أوذه. ورفع يوما إلى المعتضد قوما يجتمعون على المعصية فاستشاره وزيره في أمرهم فقال: ينبغي أن يصلب بعضهم ويحرق بعضهم. فقال: ويحك لقد بردت لهب غضبي عليهم بقسوتك، أما علمت أن الرعية وديعة الله عند سلطانها، وأنه سائله عنها؟ ولم يقابلهم بما قال الوزير. ولما ولي الخلافة كان بيت المال صفرا من المال وكانت الاحوال فاسدة، والعرب تعيث في الارض فسادا في كل جهة، فلم يزل برأيه وتسديده حتى كثرت الاموال وصلحت الاحوال في سائر لاقاليم والآفاق.

☪

عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لاَ قَطْعَ فِي ثُمَّرٍ، وَلاَ كَثَرٍ﴾ الكثر هو بفتح الكاف وفتح المثلثة جمار النخل وهو شحمه الذي في وسط النخلة كما في النهاية رواه المذكورون وهم أحمد والأربعة وصححه أيضا الترمذي وابن حبان كما صححا ما قبله قال الطحاوي: الحديث تلقته الأمة بالقبول والثمر المراد به ما كان معلقا في النخل قبل أن يجذ ويحرز وعلى هذا تأوله الشافعي وقال: حوائط المدينة ليست بحرز وأكثرها تدخل من جوانبها والثمر اسم جامع للرطب واليابس من الرطب والعنب وغيرهما كما في البدر المنير وأما الكثر فوقع تفسيره في رواية النسائي بالجمار والجمار بالجيم آخره راء بزنة رمان وهو شحم النخل الذي في وسط النخلة كما في النهاية والحديث فيه دليل على أنه لا يجوز القطع في سرقة الثمر والكثر وظاهره سواء كان على ظهر المنبت له أو قد جذ وإلى هذا ذهب أبو حنيفة قال في نهاية المجتهد قال أبوحنيفة: لا قطع في طعام ولا فيما أصله مباح كالصيد والحطب والحشيش وعمدته في منعه القطع في الطعام الرطب قوله صلى الله عليه وسلم ﴿لاَ قَطْعَ فِي ثُمَّرٍ، وَلاَ كَثَرٍ﴾ وعند الجمهور أنه يقطع في كل محرز سواء كان على أصله باقيا أو قد جذ سواء كان أصله مباحا كالحشيش ونحوه أولا قالوا لعموم الآية والأحاديث الواردة في اشتراط النصاب وأما حديث لا قطع في ثمر ولا كثر فقال الشافعي: إنه أخرج على ما كان عليه عادة أهل المدينة من عدم إحراز حوائطها فترك القطع لعدم الحرز فإذا أحرزت الحوائط كانت كغيرها.

■ (1) عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد، أبو القاسم الكاتب.ولي الوزارة للمعتضد وهو ولي العهد لعمه المعتمد في أواخر سنة 278 هـ. وكان يكتبه ويجلس بين يديه.وفلما توفي المعتمد وتولى المعتضد أقر عبيد الله على وزارته إلى حين وفاته سنة 288 هـ.. ومولده سنة 226 هـ.. وكانت مدة وزارته للمعتضد عشر سنين وعشرة أيام

مراجع: سير أعلام النبلاء/ مختار الصحاح/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي/ نشوار المحاضرة/ معجم الأدباء/ البداية والنهاية/ دولة السلاجقة/ كتاب الابل/ مقاييس اللغة/ تاج العروس/ الوافي بالوفيات/ شوار المحاضرة/

ذكر القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي عن الشيخ من التجار قال: كان لي على بعض الأمراء مال كثير فماطلني ومنعني حقي، وجعل كلما جئت أطالبه حجبني عنه ويأمر غلمانه يؤذونني، فاشتكيت عليه إلى الوزير فلم يفد ذلك شيئا، وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئا، وما زاده ذلك إلا منعا وجحودا، فأيست من المال الذي عليه ودخلني هم من جهته، فبينما أنا كذلك وأنا حائر إلى من أشتكي، إذ قال لي رجل: ألا تأتي فلانا الخياط -إمام مسجد هناك- فقلت وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم. وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه؟ فقال لي: هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكيت إليه، فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجا. قال فقصدته غير محتفل في أمره، فذكرت له حاجتي ومالي وما لقيت من هذا الظالم، فقام معي، فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه وبادر إلى قضاء حقي الذي عليه فأعطانيه كاملا من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر، غير أنه قال له: ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت. فتغير لون الأمير ودفع إلي حقي.

قال التاجر: فعجبت من ذلك الخياط مع رثاثة حاله وضعف بنيته كيف انطاع ذلك الأمير له، ثم إني عرضت عليه شيئا من المال فلم يقبل مني شيئا، وقال: لو أردت هذا لكان لي من الأموال مالا يحصى. فسألته عن خبره وذكرت له تعجبي منه وألححت عليه فقال: إن سبب ذلك أنه كان عندنا في جوارنا أمير تركي من أعالي الدولة، وهو شاب حسن، فمرت به ذات يوم امرأة حسناء قد خرجت من الحمام وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة، فقام إليها وهو سكران فتعلق بها يريدها على نفسها، وهي تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها: يا مسلمين أنا امرأة ذات زوج، وهذا رجل يريدني على نفسي. قال الخياط: فقمت إليه فأنكرت عليه وأردت خلاص المرأة من يديه فضربني بدبوس في يده فشج رأسي، وغلب المرأة على نفسها وأدخلها منزله قهرا، فرجعت أنا فغسلت الدم عني وعصبت رأسي وصليت بالناس العشاء ثم قلت للجماعة: إن هذا قد فعل ما قد علمتم فقوموا معي إليه لنخلص المرأة منه، فقام الناس معي فهجمنا عليه داره فثار إلينا في جماعة من غلمانه بأيديهم العصي والدبابيس يضربون الناس، وقصدني هو من بينهم فضربني ضربا أدماني، وأخرجنا من منزله ونحن في غاية الإهانة، فرجعت إلى منزلي وأنا لا أهتدي إلى الطريق من شدة الوجع وكثرة الدماء، فنمت على فراشي فلم يأخذني نوم، وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده في الليل لترجع فتبيت في منزلها حتى لا يقع على زوجها الطلاق، فألهمت أن أؤذن الصبح في أثناء الليل لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها منزله فتذهب إلى منزل زوجها، فصعدت المنارة وجعلت أنظر إلى باب داره وأنا أتكلم على عادتي قبل الأذان هل أرى المرأة قد خرجت ثم أذنت فلم تخرج، ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصباح، فبينا أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا، إذ امتلأت الطريق فرسانا ورجالة وهم يقولون: أين الذي أذن هذه الساعة؟ فقلت: ها أنا ذا، وأنا أريد أن يعينوني عليه، فقالوا: انزل، فنزلت فقالوا: أجب أمير المؤمنين، فأخذوني وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئا، حتى أدخلوني عليه، فلما رأيته جالسا في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف وفزعت فزعا شديدا، فقال: أدن، فدنوت فقال لي: ليسكن ورعك وليهدأ قلبك. وما زال يلاطفني حتى اطمأننت وذهب خوفي، فقال: أنت الذي أذنت هذه الساعة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة، وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه؟ فتغر بذلك الصائم والمسافر والمصلي وغيرهم. فقلت: يؤمنني أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبري؟ فقال. أنت آمن. فذكرت له القصة. قال: فغضب غضبا شديدا، وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أي حالة كانا فأحضر سريعا فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات ومعهن ثقة من جهته أيضا، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها، فإنها مكرهة ومعذورة. ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير فقال له: كم لك من الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجوار والزوجات؟ فذكر له شيئا كثيرا. فقال له: ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله وتعديت حدوده وتجرأت على السلطان، وما كفاك ذلك أيضا حتى عمدت إلى رجل نهاك عن المنكر فضربته وأهنته وأدميته؟ فلم يكن له جواب. فأمر به فجعل في رجله قيد وفي عنقه غل ثم أمر به فأدخل في جوالق* ثم أمر به فضرب بالدبابيس ضربا شديدا حتى خفت، ثم أمر به فالقي في دجلة فكان ذلك آخر العهد به. ثم أمر بدرا صاحب الشرطة -وهو غلام المعتضد بالله- أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال التي كانت يتناولها من بيت المال، ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط: كلما رأيت منكرا صغيرا كان أو كبيرا ولو على هذا -وأشار إلى صاحب الشرطة- فأعلمني، فإن اتفق اجتماعك بي وإلا فعلى ما بيني وبينك الأذان، فأذن في أي وقت كان أو في مثل وقتك هذا. قال: فلهذا لا آمر أحدا من هؤلاء الدولة بشيء إلا امتثلوه، ولا أنهاهم عن شئ إلا تركوه خوفا من المعتضد.وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك الساعة إلى الآن.

----

*(جوالق) والجمع الجوالق بالفتح والجواليق أيضا. وهو وعاء من صوف أو شعر أو غيرهما، كالغرارة، وهو عند العامة شوال، الجواليقي: نسبة إلى جواليق (الدبوس) علامة على شكل هراوة مد ملكة الرأس

■ (٥) أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بالله واسمه محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى أبا العباس، ويقال: أن اسم أبيه طلحة، ولد بسر من رأى سنة 242 هـ، بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله، سنة 279 هـ، توفي المعتضد سنة 289 هـ.

جاء في بعض الآثار: ﴿السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهَّ فِي أَرْضِهِ﴾ قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ﴿إِنَّ اللهَّ لَيَزَع بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ﴾ أي ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام، ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن، وما فيه من الوعيد الأكيد، والتهديد الشديد، وهذا هو الواقع. وحين أنكر الخوارج ضرورة الخلافة، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لابد للناس من إمارة، برة كانت أو فاجرة، فقيل يا أمير المؤمنين هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة؟ فقال: تقام بها الحدود وتأمن السبل ويجاهد بها العدو ويقسم بها الفيء.

من ذلك ما حكي أنه قدم رجل إلى بغداد ومعه عقد يساوي ألف دينار، فأراد بيعه فلم يتفق، فجاء إلى عطار موصوف بالخير والديانة، فأودع العقد عنده، وحج، وأتى بهدية للعطار، وسلم عليه، فقال له: من أنت ومن يعرفك؟ فقال: أنا صاحب العقد، فلما كلمه رفسه وألقاه عن دكانه، فاجتمع الناس، وقالوا: ويلك! هذا رجل صالح، فما وجدت من تكذب عليه إلا هذا! فتحير الحاج، وتردد عليه، فما زاده إلا شتما وضربا، فقيل له: لو ذهبت إلى عضد الدولة لحصل لك من فراسته خير. فكتب قصته، وجعلها على قصبة ورفعها إليه، فقال: ما شأنك؟ فقص عليه القصة، فقال: اذهب غدا واجلس على دكان العطار ثلاثة أيام حتى أمر عليك في اليوم الرابع، فأقف وأسلم عليك فلا ترد علي إلا السلام. فإذا انصرفت فأعد عليه ذكر العقد، ثم أعلمني بما يقول لك، ففعل الحاج ذلك، فلما كان في اليوم الرابع، جاء عضد الدولة في موكبه العظيم، فلما رأى الحاج وقف، وقال: سلام عليكم، فقال الحاج -ولم يتحرك-: وعليكم السلام. فقال: يا أخي، تقدم من العراق ولا تأتينا، ولا تعرض علينا حوائجك! فقال له: ما اتفق هذا، ولم يزد على ذلك شيئا، هذا والعسكر واقف بكماله، فانذهل العطار، وأيقن بالموت. فلما انصرف عضد الدولة، التفت العطار إلى الحاج، وقال له: يا أخي، متى أودعتني هذا العقد؟ وفي أي شيء هو ملفوف؟ فذكرني لعلي أتذكر، فقال: من صفته كذا وكذا، فقام وفتش، ثم فتح جرابا وأخرج منه العقد، وقال: الله أعلم أنني كنت ناسيا، ولو لم تذكرني ما تذكرت. فأخذ الحاج عقده ومضى إلى عضد الدولة، فأعلمه [فبعث به مع الحاجب إلى دكان العطار] فعلقه في عنقه، وصله على باب دكانه ونودي عليه: هذا جزاء من استودع فجحد! ثم أخذ الحاج العقد ومضى إلى بلاده.

ومثله ما نقل عن ذكاء إياس الذي سارت به الركبان، قيل: إن رجلا استودع أمين إياس مالا، وخرج المودع إلى الحجاز، فلما رجع طلبه فجحده فأتى إياسا فأخبره، فقال إياس: أعلم أنك أتيتني؟ قال: لا، قال: أفنازعته عند غيري؟ قال: لا، قال: فانصرف واكتم سرك، ثم عد إلي بعد يومين. فمضى الرجل، ودعا إياس أمين، فقال: قد حضر عندنا مال كثير أريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك؟ قال: نعم قال: فأعد موضعا للمال، وقوما يحملونه، وعاد الرجل إلى إياس، فقال: انطلق إلى صاحبك، فإن أعطاك المال فذاك، وإن جحد فقل له: إني أخبر القاضي بالقصة. فأتى الرجل صاحبه، فقال: تعطيني الوديعة أو أشكوك إلى القاضي، وأخبره بالحال، فدفع إليه المال، فرجع الرجل وأخبر إياسا، وقال: أعطاني الوديعة ثم جاء الأمين إلى إياس ليأخذ المال الموعود به، فزجره، وقال له: لا تقربني بعد هذا يا خائن.

مراجع: البداية والنهاية/ سير أعلام النبلاء/ نحو إتقان الكتابة باللغة العربية/ المنتظم/ إيقاظ أولي الهمم العالية/ المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى/

◆ أبو العباس أحمد المعتضد بالله (سادس عشر ملوك الدولة العباسية) والوزير 0948

كان أحمد المعتضد بالله [1] يسمى السفاح الثاني لأنه جدد ملك بني العباس بعد أن أخلقته* الأتراك وأذلته، وفي ذلك يقول علي بن العباس الرومي: كما بأبي العباس أنشيء ملككم..كذا بأبي العباس أيضا يجدد. ولقد اتفق في أيامه، على ما حكي، أمر فظيع كشفه الله له بهيبته في نفوس الناس، فإنه كان لا يتجرأ أحد منهم أن يكتم ما في نفسه مخافة صولته لأنه كان لشدة حذقه، يتخيل لهم أنه يعلم ما في نفس الإنسان من الضمير. فاتفق أن أحد وزرائه وأكبر قواده بني بناء عاليا مشرفا على منازل جيرانه، فلم يعارضه أحد فيه من جيرانه لمكانته من سلطانه وعزه، وكان يجلس كثيرا في ذلك البناء، فرأى يوما من الأيام في دار من دور جيرانه جارية بارعة الجمال، فولع بها، فسأل عنها، فأخبر أنها بنت أحد التجار، فأرسل إلى والدها خاطبا، فقال له أبوها، وكان من أهل اليسار: لست أزوجها إلا من تاجر مثلي، فإنه إن تزوجها من هو مثلي لم يظلمها، وإن ظلمها قدرت على النصفة منه، وأنت إن ظلمتها لم أقدر لها على النصفة منك، ولا على الحيلة لنصرتها. فلم يزل يرومه في ذلك بكل أمر وتوسط إليه بالأكابر والأماثل من الناس، وهو مع ذلك يمتنع، فلما يئس منه أن يجيبه، شكا إلى أحد خواصه فقال له: ألف مثقال يقوم لك هذا. فقال: كيف ذلك؟ والله لو علمت أني أنفق عليها مائتي ألف مثقال أو أكثر وتأتيني بها لفعلت. قال له: عليك أن تحضر لي ألف دينار. فأمر بإحضارها فمشى بها ذلك الرجل إلى عشرة رجال كانوا عدولا* عند القاضي في شهادتهم، وذكر لهم الأمر، وقال: هذا أمر ليس عليكم من الله فيه تبعة، فإنه يصدقها كذا وكذا ألفا، وأغلى لهم المهر، وإنكم تحيون نفسا أشرفت على الهلاك، ويكون لكم عنده مع هذا من الجاه ما ترغبون، وأبوها إنما هو عاضل لها عن الزواج، وإلا فما يمنعه من ذلك، وقد خطبها مثل فلان في جلالة قدره ومكانة أمره، وقد أعطاه صداقا لا يعطى إلا لبنت ملك ثم هو مع هذا يأبى ، هل هذا إلا عضل* بين؟ ولكن لكم ألف مثقال لك واحد منكم مائة وتشهدون أنه قد زوجها به فإنه إذا علم أبوها بأنكم قد شهدتم عليه رجع إلى هذا إذ ليس فيه إلا الخير والخيرة. فأخذ الشهود كل واحد منهم مائة وشهدوا أن أباها زوجها على صداق مبلغه كذا، ورفعوا في الصداق إلى غاية ما ترفع إليه صداقات الملوك، فلما علم أبوها بذلك زاد نفارا وإباء، فمشى الوزير وذلك القائد إلى القاضي وقال: إني تزوجت فلانة بنت فلان على هذا الصداق، وهؤلاء شهدوا عليه، ثم قد ناكرني وأنكر الشهود، وقد أردت أن أدفع له حق ابنته وآخذها. فأمر القاضي بإحضار الشهود فشهدوا عنده وأحضر مال النقد بين يدي القاضي، والرجل على إنكاره متماد، فأمر القاضي بإمضاء الحكم عليه، وأن تؤخذ ابنته منه أحب أو كره، وأمر بحمل المال إليه، فلما وصلت الجارية عند الوزير، لم يزل أبوها يروم الوصل إلى المعتضد بالله. وكان المعتضد بالله غليظ الحجاب لا يصل إليه أحد من غير الخاصة، فقيل للرجل أنه يحضر كل يوم ساعة من النهار على بنيان له بقصره، فإن استطعت أن تكون مع جملة رجال الخدمة تصل إليه وتكلمه بما أردت. ففعل الرجل ذلك وغير شكله، ودخل في جملة رجال الخدمة للبناء، فلما كان ذلك الوقت الذي كانت عادة أمير المؤمنين المعتضد يقف فيه على ذلك البناء خرج ذلك الرجل فترامى إلى الأرض وجعل يحثو التراب على رأسه ويستغيث، فسأله عن شأنه فقص عليه القصة، فأرسل المعتضد في ذلك المقام، خلف ذلك القائد وأغلظ عليه في القول، فحملته هيبته له، وقلة إقدامه على الكذب عليه، أن وصف له الصورة على ما كانت عليه، وهو يطمع أن يعذره في ذلك، إذ قد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها، وأمر بإحضار الشهود فصنعوا مثل صنيع صاحبهم وذلك كله رهبة له وإجلالا أن يخاطبوه بكذب مع تخيلهم أنه يصفح لهم عن هذه الزلة إذ قد أرادوا إحياء نفس ذلك الوزير، وأيضا قد دفع له بين يدي القاضي نقدا لا يكون إلا في صدقات الملوك، وقد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها، فكأنه قد أخذها بحقها أو بأكثر من حقها. فلما تحققت عنده جلية الخبر أمر أن يصلب كل شاهد منهم على باب داره، وأن يوضع ذلك الوزير في جلد ثور طري السلخ، ويضرب حتى يختلط عظمه ولحمه ودمه، ثم أمر به، لما صنع به ذلك، أن يفرغ بين يدي نمور كانت عنده، فلما لعقت تلك النمور ذلك الدم أمر الرجل أبا البنت أن يأخذ ابنته ويأخذ كل ما ذكروا لها على ذلك الوزير في صداقها من عقار ودور ومال.

----

*() قد شكك الباحثون في صحة الكثير من القصص المروية في : كتاب إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس. مثال في هذه الرواية قال الإتليدي: المعتصم بالله أحمد.؟؟ (أخلق) أخلق الشيء وخلق، إذا بلي. وأخلقته أنا: أبليته(عضل) عضل المرأة عن الزوج حبسها وعضل الرجل أيمه يعضلها ويعضلها عضلا وعضلها منعها الزوج ظلما قال الله تعالى فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن(العدول) الثقات

■ (1) أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بالله واسمه محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى أبا العباس، ويقال: أن اسم أبيه طلحة، ولد بسر من رأى سنة 242 هـ، بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله، سنة 279 هـ، توفي المعتضد سنة 289 هـ.

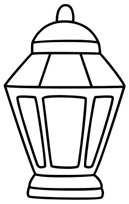

عن أيمن بن خريم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ إِشْرَاكًا بِاللَّهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَرَأَ:فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ [الحج]﴾ وعن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ،قَالَ: فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ﴾وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، ادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ وَلَكِنِ الْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ﴾وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ حَلَفَ بِيَمِينٍ آثِمَةٍ عِنْدَ مِنْبَرِى هَذَا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ عَلَى سِوَاكٍ أَخْضَرَ﴾ وعن أبى ذر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿مَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الرَّاشِى وَالْمُرْتَشِى﴾ وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ أَوْ يُعِينُ عَلَى ظُلْمٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ﴾.

قد نهى الله تعالى عن الظلم في الدماء والأموال والأعراض فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع :﴿إِنَّ أَمْوَالَكُمْ وَدِمَاءَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ثُمَّ أَعَادَهَا مِرَارًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ مِرَارًا﴾ وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : ﴿يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا﴾ وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ﴾ وعن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ، إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ [هود]﴾ كان شريح القاضي يقول:﴿سَيَعْلَمُ الظَّالِمُونَ حَقَّ مَنْ انْتَقَصُوا، إِنَّ الظَّالِمَ لَيَنْتَظِرُ الْعِقَابَ، وَالْمَظْلُومُ يَنْتَظِرُ النَّصْرَ وَالثَّوَابَ﴾ روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ﴾ وعن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ، فَظُلْمٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ، وَظُلْمٌ يَغْفِرُهُ اللَّهُ، وَظُلْمٌ لَا يَتْرُكُهُ اللَّهُ: فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ فَالشِّرْكُ، وَقَالَ اللَّهُ: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [لقمان] وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يَغْفِرُهُ اللَّهُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ لِأَنْفُسِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَتْرُكُهُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، حَتَّى يَدِينَ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ﴾وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾.

----

*(الألحن) الأعرف والأقدر على بيان مقصوده

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ الأعلام للزركلي/ لسان العرب/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ سنن الترمذي/ سنن ابن ماجة/

◆ أبو العباس أحمد المعتضد بالله (سادس عشر ملوك الدولة العباسية) وابن بسام، الشاعر 0949

عن أبي القاسم المجمع بن محمد بن المجمع قال: حدثني ابن حمدون النديم[1] قال: كان المعتضد[0] أمر بعمارة البحيرة واتخاذ رياض حواليها، وإنفق على الأبنية بها ستين ألف دينار، وكان يخلو فيها مع جواريه، وفيهن جارية يقال لها دريرة، فقال البسامي[2]: ترك الناس بحيرة..وتخلى في البحيرة..قاعدا يضرب بالزِ..رب على حر دريره. وبلغت الأبيات المعتضد، فلم يظهر لأحد أنه سمعها، وأمر بتخريب ما استعمره من تلك العمارات والأبنية. قال أحمد بن حمدون: فكنت ألاعب المعتضد بالشطرنج ذات يوم إذ دخل عليه القاسم بن عبيد الله[3] وهو وزيره، فاستأمره في شيء وانصرف، فلما ولى أنشد المعتضد قول البسامي في القاسم: حياة هذا كموت هذا..فلست تخلو من المصائب. وجعل يكرر هذا البيت، وعاد القاسم إليه في شغل والمعتضد مشغول باللعب، ولم يعلم بحضوره وهو يردد البيت، فاحتلت حتى أعلمته حضوره، فرفع رأسه إليه واستحيا منه حتى تبين ذلك في وجهه ثم قال: يا أبا الحسين: –وهو أول ما كناه للخجل الذي تداخله– لم لا تقطع لسان هذا الماجن وتدفع شره عنك؟ فانصرف القاسم مبادرا إلى مجلسه ومنتهزا للفرصة في ابن بسام وأمر بطلبه. قال ابن حمدون: فدهشت وارتعشت يدي في اللعب خوفا مما يلحق ابن بسام للقرابة التي بيني وبينه: فقال المعتضد: ما لك؟ قلت: يا أمير المؤمنين، القاسم بن عبيد الله لا يصطلى بناره، وكأني به وقد قطع لسان البسامي حنقا عليه، وهو أحد النبلاء الشعراء فيكون ذلك سبة على أمير المؤمنين، فأمر بإحضار القاسم وسأله عما فعله في أمر ابن بسام فقال: قد تقدمت إلى مؤنس (صاحب الشرطة مؤنس الخادم) باحضاره لأقطع لسانه، فقال: يا أبا الحسين، إننا أمرناك أن تقطع لسانه بالبر والصلة والتكرمة ليعدل عن هجائك إلى مدحك. فقال يا أمير المؤمنين: لو عرفته حق المعرفة وعلمت ما قاله لاستجزت قطع رأسه، عرض بما قاله في المعتضد ودريرة، فتبسم المعتضد وقال: يا أبا الحسين، إنما أمرنا بتخريب البحيرة لذلك، فتقدم أنت بإحضاره وأخرج ثلاثمائة دينار فإن ذلك أولى وأحسن من غيره. قال: فأحضره القاسم بعد ثالثة وخلع عليه وولاه بريد الصيمرة* وما والاها، فبقي في عمله إلى آخر أيام المعتضد، ثم جمح به طبعه إلى إعادة الإساءة فقال: أبلغ وزير الإمامعني..وناد يا ذا المصيبتين..يموت حلف الندى ويبقى..حلف المخازي أبو الحسين..فأنت من ذاعميد قلب..وأنت من ذا سخين عين..حياة هذا كموت هذا..فالطم على الرأس باليدين. قال جحظة[5]: كان ابن بسام يفخر بقوله في: يا من هجوناه فغنانا..أنت وحق الله أهجانا. فقلت: هذا معنى لم يسبق إليه خاطر ابن بسام وإن كان قد أتى به مطبوعا، وإنما أخذه من قول الرومي[4] في هجائه شنظف (شنظف؟)[؟]: وفي قبحها كاف لنا من كيادها..ولكنها في فعلها لم تردد..ولو علمت ما كايدتنا لقبحها..بأنفاسها والوجه والطبل واليد. وقال ابن بسام في الوزير الخاقاني[6]: وزير ما يفيق من الرقاعة..يولى ثم يعزل بعد ساعة..إذا أهل الرشا صاروا إليه..فأحظى القوم أوفرهم بضاعه..فلا رحما تقرب منه خلقا..سوى الورق الصحاح ولا شفاعة..وليس بمنكر ذا الفعل منه..لأن الشيخ أفلت من مجاعه.

---

*(الصيمرة) مدينة في الجبل، وهي في مرج أفيح فيه عيون وأنهار، ومنها الصيمري صاحب التبصرة في النحو، وأجود الجبن الصيمري.

■ (2) علي بن محمد بن نصر بن منصور، أبو الحسن ابن بسام، ويقال له البسامي: شاعر هجاء، من الكتاب، عالم بالادب والاخبار، من أهل بغداد. نشأ في بيت كتابة. وبقلد البريد. وأكثر شعره في هجاء جماعة من الوزراء. له كتب. مات سنة 302 هـ وفي تراجم شعراء الموسوعة الشعرية قالوا: علي بن محمد بن نصر بن بسام العبرتائي. نسبته إلى عبرتا قرب بغداد أحد النبلاء الشعراء، كان جده صاحب ديوان الخاتم والنفقات في أيام المعتصم وأحد ممدوحي أبي تمام وأبو أحد مياسير بغداد ومترفيها وأمه أخت أحمد بن حمدون بن إسماعيل نديم المتوكل. وقد اشتهر والده بالبخل حتى أنه هجاه وبالغ في عقوقه لذلك،وكان سليط اللسان ولم يسلم من لسانه خليفة ولا وزير ولا أمير. وكان مشهورا عند أهل الأدب إذ أخذ عنه الرواية أبو بكر الصولي. وله كتب..

■ (0) أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بالله واسمه محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى أبا العباس، ويقال: أن اسم أبيه طلحة، ولد بسر من رأى سنة 242 هـ، بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله، سنة 279 هـ، توفي المعتضد سنة 289 هـ.

■ (1) أحمد بن حمدون بن اسماعيل بن داود، أبو عبد الله الكاتب، شاعر في غاية الظرف والملاحة والأدب، وقد سماه بعضهم محمدا؛ حكى عن الواثق وعن أبيه حمدون، قدم دمشق في صحبة المتوكل، وامتدحه البحتري. روى عنه علي بن محمد بن نصر بن بسام –وهو ابن أخته– ، وجعفر بن قدامة، والحسن بن محمد – عم أبي الفرج الأصبهاني – ، وأحمد بن الطيب السرخسي.

■ (4) ابن الرومي، شاعر زمانه مع البحتري، أبو الحسن، علي بن العباس بن جريج، مولى آل المنصور. له النظم العجيب، والتوليد الغريب. رتب شعره الصولي. وكان رأسا في الهجاء، وفي المديح، مولده: سنة 221 هـ. ومات لليلتين بقيتا من جمادى الاولى، سنة 283 هـ، وقيل: سنة 284 هـ. قيل: إن القاسم بن عبيد الله الوزير كان يخاف من هجو ابن الرومي، فدس عليه من أطعمه خشكناكة مسمومة، فأحس بالسم، فوثب، فقال الوزير: إلى أين ؟ قال: إلى موضع بعثتني إليه. قال: سلم على أبي. قال: ما طريقي على النار. فبقي أياما، ومات.

■ (3) القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد الحارثي أبو الحسين الوزير ابن الوزير ابن الوزير: قلده المعتضد الوزارة بعد أبيه، فبقي على وزارته إلى أن توفي المعتضد، وابنه المكتفي بالرقة، فدبر الأمر أحسن تدبير، وأخذ له البيعة على من ببغداد، وحفظ أمواله وخزائنه، وكتب إليه بالمبادرة فأحمد فعله، وكناه ورفع منزلته وخلع عليه خلعا شريفة للوزارة، ولقبه بولي الدولة، وسأل المكتفي أن يشرفه بتزويج ابنه الأمير أبي أحمد بابنته فأجابه إلى ذلك، ومهرها مائة ألف دينار. ولم يزل على وزارته إلى أن أدركه أجله شابا سنة 291 هـ، ومولده سنة 259 هـ. وكان جوادا مدحا إلا أنه كان زنديقا فاسد الاعتقاد.

■ (6) ابن خاقان، الوزير الكبير، أبو القاسم عبد الله، ابن الوزير أبي علي محمد، ابن الوزير أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقاني. من بيت وزارة. وكان ذا لسن، وبلاغة، وآداب، وحسن كتابة، وجود وإفضال، وثروة وأموال. ولي الوزارة للمقتدر في ربيع الاول سنة 312 هـ بإشارة مؤنس الخادم، وكان سائسا ممارسا، خبيرا بالامور، ثم قبض عليه بعد ثمانية عشر شهرا، ورسم عليه، ثم تعلل، ومات في شهر رجب سنة 314 هـ

■ (5) جحظة البرمكي، أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى بن خالد بن برمك، أبو الحسن: نديم أديب مغن، من بقايا البرامكة، من أهل بغداد. كان في عينيه نتوء فلقبه ابن المعتز بجحظة، فلزمه اللقب. وكان كثير الرواية للاخبار، متصرفا في فنون من العلم كاللغة والنجوم، مليح الشعر، حاضر النادرة، عارفا بالموسيقى، لم يكن أحد يتقدمه في صناعة الغناء. نادم ابن المعتز والمعتمد العباسيين، وصنف كتبا. مات سنة 324 هـ وقيل سنة 326 هـ

دخل شاب من بني هاشم على المنصور، فسأله عن وفاة أبيه، فقال: مرض رضي الله عنه يوم كذا، ومات رحمه الله يوم كذا، وترك رضي الله عنه من المال كذا؛ فانتهره الربيع وقال: بين يدي أمير المؤمنين توالى الدعاء لأبيك! فقال الشاب له: لا ألومك؛ لأنك لم تعرف حلاوة الآباء. قال: فما علمنا أن المنصور ضحك في مجلسه قط ضحكا افتر عن نواجذه إلا يومئذ.

دخل الوليد بن يزيد على هشام، وعلى الوليد عمامة وشي، فقال هشام: بكم أخذت عمامتك؟ قال: بألف درهم. فقال هشام: عمامة بألف؟ – يستكثر ذلك – فقال الوليد: يا أمير المؤمنين إنها لأكرم أطرافي. وقد اشتريت أنت جارية بعشرة آلاف درهم لأخس أطرافك.

أتي معاوية بسارق فأمر بقطعه، فخرجت إليه أمه وقالت: يا أمير المؤمنين، واحدي وكاسبي. فقال: يا أمة الله، هذا حد من حدود الله. قالت: اجعله مع صفين ونظائرها. فعفا عنه.

دخل الرقاشي على المعتصم في يوم مطير، فقرب مجلسه ورحب به. وقال له: أقم عندنا يومك نشرب ونطرب. فقال: يا أمير المؤمنين، إني وجدت في الكتب السالفة: أن الله جل ذكره لما خلق العقل قال له: أقبل. فأقبل، ثم قال له: أدبر. فأدبر، ثم قال له: وعزتي، ما خلقت خلقا أكرم منك علي، بك أعطي، وبك أمنع، وبك آخذ. فلو وجدت عقلا يباع لاشتريته، واضفته إلى عقلي. فكيف أشرب ما يزيل ما معي من العقل؟ قال المعتصم: عقلك أوردك هذا المكان.

اعترض رجل المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، أنا رجل من العرب. فقال: ما ذاك بعجب. قال: إني أريد الحج. قال: الطريق أمامك نهج. قال: وليست لي نفقة. قال: قد سقط الفرض. قال: إني جئتك مستجديا لا مستفتيا. فضحك وأمر له بصلة.

قال المدائني: ورد على المنصور كتاب من مولى له بالبصرة أن سالما ضربه بالسياط، فاستشاط غضبا وقال: أعلي يجترئ سالم؟ والله لأجعلنه نكالا يتعظ به غيره. فأطرق جلساؤه جميعا، فرفع ابن عياش رأسه، وكان أجرأهم عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأينا من غضبك على سالم ما شغل قلوبنا، وإن سالما لم يضرب مولاك بقوته ولا قوة أبيه، ولكنك قلدته سيفك، وأصعدته منبرك، فأراد مولاك أن يطامن منه ما رفعت، ويفسد ما صنعت، فلم يحتمل له ذلك. يا أمير المؤمنين، إن غضب العربي في رأسه، فإذا غضب لم يهدأ حتى يخرجه بلسان أو يد، وإن غضب النبطي في استه، فإذا خري ذهب عنه غضبه. فضحك المنصور، وكف عن سالم.

حج عبد الملك، ثم شخص إلى الطائف فدخلها، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام يسايره، فاعترض له رجل من ولد أم الحكم من ثقيف، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لنا قرابة وحقا، وجوارا وخلقا، ونحن من إحدى القريتين اللتين ذكرهما الله في كتابه، والله لقد جاء الإسلام وإن في ثقيف من قريش تسعين امرأة. قال: فتكاثر 1 لك عبد الملك وقال: أكذلك يا أبا بكر؟ فقال: صدق يا أمير المؤمنين، ولكن والله لا تجد فيهم امرأة من ولد المغيرة. فقال الثقفي: صدق يا أمير المؤمنين، إنا والله نعرف قومنا، ونعتام في مناكحنا، ونأتي الأودية من صدورها ولا نأتيها من أذنابها. والله ما أعطيتنا شيئا إلا أخذنا مثله، ولا مشينا حزنا إلا أسهلنا الهويني، فقال عبد الملك: قاتله الله ما أسبه!.

مراجع:/ الأعلام للزركلي/ تراجم شعراء الموسوعة الشعرية – معجم الشعراء العرب/ بغية الطلب في تاريخ حلب/ الروض المعطار في خبر الأقطار/

◆ جعفر المقتدر بالله (الملك العباسي الثامن عشر) وأبو بكر الشبلي، (عابدا ورعا زاهدا أو زنديق؟) 0950

قال بندار بن الحسين: سمعت الشبلي[1] يقول يوم الجمعة وهو يتكلم على الناس، وقد سأله شاب فقال: يا أبا بكر، لم تقول: الله، ولا تقول: لا إله إلا الله؟ قال الشبلي: أخشى أن أؤخذ في كلمة الجحود فلا اصل إلى كلمة الإقرار. قال الشاب: أريد حجة أقوى من هذه، فقال: يا هذا، قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام]، قال: فزعق الشاب زعقة، فقال الشبلي: الله، فزعق ثانية، فقال الشبلي: الله، فزعق الثالثة، فمات. فاجتمع إليه أبواه، فقدماه إلى الخليفة، وادعيا عليه الدم، فقال له الخليفة: يا أبا بكر، ماذا صنعت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، روح جنت فرنت، ودربت، فعلمت، ودعيت، فأجابت، فما ذنبي؟ فصاح الخليفة ثم أفاق فقال: خليا سبيله، لا ذنب له. هذا قتيل لا دية له ولا قود.

قال أبو الحسين بن سمعون: اعتل الشبلي، فقال علي بن عيسى[2] للمقتدر بالله[3]: الشبلي عليل. فأنفذ إليه بطبيب يحمل إليه ما يصف له، فلما كان يوم قال الطبيب للشبلي: والله لو كان دواءك في قطعة من لحمي ما عسر علي ذلك. قال له الشبلي: دوائي في دون ذلك، قال: وما هو؟ قال: تقطع الزنار، قال: فإذا قطعت الزنار تبرأ؟ قال: نعم. قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. فأخبر الخليفة بذلك، فقال: أنفذنا بطبيب إلى عليل، وما علمنا أنا أنفذنا بعليل إلى طبيب.

قال أبو السري: وقفت يوم عيد على حلقة الشبلي، والناس عليه، فجاء حدث من أولاد الوزراء حسن الوجه والزي، وكثر الناس. فلما رآه الشبلي قال: من نظر اعتبارا سلم، ومن نظر اختيارا فتن. ثم قال له: مر من عندي وإلا أخرق ثيابك.

وقال الشبلي: ضاق صدري ببغداد، فضاقت علي أوقاتي، فوقع لي أن أنحدر إلى البصرة، فاكتريت سمارية، وركبت فيها، فلما بلغت البصرة، وخرجت من السمارية زاد علي ما كنت أجده ببغداد أضعاف ذلك. فركبت تلك السمارية، ورجعت إلى بغداد، فلما بلغت دار الخليفة إذا جارية تغنيى له في التاج: من الطويل: أيا قادما من سفرة البحر مرحبا..أناديك لا أنساك ما هبت الصبا..قدمت على قلبي كما قد تركته..كئيبا حزينا بالصبابة متعبا. فلما سمعت غناءها طرحت نفسي في دجلة، فقيل: أدركوا الرجل! فأخذت إلى الشط، فقال المقتدر: من هذا؟ فقالوا: أبو بكر الشبلي؛ فحملت إليه، ووقفت بين يديه، فقال: يا أبا بكر، تبلغنا عنك في كل وقت أعاجيب فما هذا؟، فقصصت عليه القصة، وخرجت.

وفي رواية: فصاح صيحة، ووقع في دجلة مغشيا عليه، فقال الخليفة: الحقوه، واحملوه، فحمل إلى بين يديه، فقال له: أمجنون أنت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كان من أمري كيت وكيت، فتحيرت فيما هو يجري علي. فبكي الخليفة مما رأى من حرقته.

■ (1) دلف بن جحدر الشبلي: ناسك. كان في مبدأ أمره واليا في دنباوند من نواحي رستاق الري وولي الحجابة للموفق العباسي، وكان أبوه حاجب الحجاب، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة، فاشتهر بالصلاح. له شعر جيد، سلك به مسالك المتصوفة. أصله من خراسان، ونسبته إلى قرية شبلة من قرى ما وراء النهر، ومولده بسر من رأى، ووفاته ببغداد سنة 334 هـ. اشتهر بكنيته، واختلف في اسمه ونسبه، فقيل دلف بن جعفر وقيل جحدر بن دلف ودلف ابن جعترة ودلف بن جعونة وجعفر ابن يونس.

■ (2) علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن وزير المقتدر بالله والقاهر بالله. مات علي بن عيسى الوزير سنة 335 هـ وقيل سنة 334 هـ وكان مولده سنة 245 هـ

■ (3) المقتدر العباسي، جعفر بن أحمد بن طلحة، أبو الفضل، المقتدر بالله ابن المعتضد ابن الموفق: خليفة عباسي. ولد في بغداد، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي سنة 295 هـ فاستصغره الناس، فخلعوه سنة 296 هـ ونصبوا عبد الله بن المعتز، ثم قتلوا ابن المعتز وأعيد المقتدر بعد يومين، فطالت أيامه، وكثرت فيها الفتن. وعصاه خادم له اسمه مؤنس – كان يستعين به في أكثر شؤونه = فاسترضاه المقتدر، فعاد إلى الطاعة، ثم لم يلبث أن جمع أنصارا له ودخل بهم دار المقتدر فأخرجوه وأخرجوا معه أمه وأولاده وخواص جواريه واعتقلوهم في دار مؤنس سنة 317 هـ وبايعوا القاهر بالله أخا المقتدر فأقام يومين، وثارت فرقة من الجيش تدعى الرجالة، فقتلت بعض رؤساء الغلمان وأعادت المقتدر إلى الملك. وخرج مؤنس من بغداد في جمع من عصاة الجند والغلمان فقصد الموصل فاحتلها ثم عاد فهاجم بغداد، فبرز له المقتدر بعسكره، فانهزم أصحاب المقتدر وبقي منفردا، فرآه جماعة من المغاربة فقتلوه. سنة 320 هـ وكان ضعيفا مبذرا استولى على الملك في عهده خدمه ونساؤه وخاصته. والبون شاسع بينه وبين أبيه المعتضد: ذاك جدد شأن الدولة، وهذا ذهب برونقها وهوى بها. وفي أيامه قتل الحلاج، وقوي أبو طاهر القرمطي فقلع الحجر الاسود، قال ابن دحية: قتل القرمطي الخلق العظيم بالعراق والجزيرة والشام إلى أن عاد إلى الاحساء وملكها، ووزراء الخليفة، في ذلك كله، يتنافسون في صيد الدراج وينثرون على راميها المال الجزل ويدخلون في الشريعة اللعب والهزل. وأم المقتدر تطوي عن ابنها الاخبار من الرزايا والفجائع، وتقول: إظهارها يؤلم قلبه ! فأدى ذلك إلى غاية الفساد.

☪

قال أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى الوزير: كان ابن مجاهد يوما عند أبي، فقيل له: الشبلي؟ قال: يدخل. فقال ابن مجاهد: سأسكته الساعة بين يديك؛ وكان من عادة الشبلي إذا لبس شيئا خرق فيه موضعا، فلما جلس قال له ابن مجاهد: يا أبا بكر، أين في العلم إفساد ما ينتفع به؟ قال له الشبلي: أين في العلم: فطفق مسحا بالسوق والأعناق ؟ قال: فسكت ابن مجاهد. فقال له أبي: أردت أن تسكته فأسكتك ! ثم قال له: قد أجمع الناس أنك مقرئ الوقت؛ أين في القرآن: الحبيب لا يعذب حبيبه؟ قال: فسكت ابن مجاهد، فقال له أبي: قل يا أبا بكر، فقال: قوله تعالى: وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم. فقال ابن مجاهد: كأنني ما سمعتها قط. قال السلمي: سمعت عبد الله بن موسى السلامي يقول: سمعت الشبلي يقول: جل الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف. وقال الشبلي في قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم﴾ [غافر] ادعوني بلا غفلة أستجب لكم بلا مهلة. قال السلمي: سمعت علي بن عبد الله البصري يقول: وقف رجل على الشبلي فقال: أي صبر أشد على الصابر؟ فقال: الصبر في الله، قال: لا، قال: الصبر لله، قال: لا، قال: الصبر مع الله، قال: لا، قال: فأيش؟ قال: الصبر عن الله، فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه أن تتلف. وقال الشبلي: ما أحد يعرف الله، قيل: كيف؟ قال: لو عرفوه لما اشتغلوا عنه بسواه. وسئل الشبلي عن الزهد فقال: تحويل القلب عن الأشياء إلى رب الأشياء. وقال: ليكن همك معك لا يتقدم، ولا يتأخر.

☪

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر الخلفاء الراشدين؛ كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال:﴿مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي: عُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ﴾ [صحيح. أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه]. وأول بدعة ظهرت بدعة القدر وبدعة الإرجاء وبدعه التشيع والخوارج؛ هذه البدع ظهرت في القرن الثاني، والصحابة موجودون، وقد أنكروا على أهلها. ثم ظهرت بدعة الاعتزال، وحدثت الفتن بين المسلمين، وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء. وظهرت بدعة التصوف وبدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة. وهكذا؛ كلما تأخر الوقت؛ زادت البدع وتنوعت. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج منها العلم والإيمان خمسة: الحرمان والعراقان والشام، منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الإسلام، وخرج من هذه الأمصار بدع أصولية غير المدينة النبوية؛ فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء وانتشر بعد ذلك في غيرها، والبصرة خرج منها القدر والاعتزال والنسك الفاسد وانتشر بعد ذلك في غيرها، والشام كان بها النصب والقدر، أما التجهم؛ فإنما ظهر في ناحية خراسان، وهو شر البدع . وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية، فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان؛ ظهرت بدعة الحرورية، وأما المدينة النبوية؛ فكانت سليمة من ظهور هذه البدع، وإن كان بها من هو مضمر لذلك؛ فكان عندهم مهانا مذموما؛ إذ كان بهم قوم من القدرية وغيرهم، ولكن كانوا مقهورين ذليلين؛ بخلاف التشيع والإرجاء في الكوفة، والاعتزال وبدع النساك بالبصرة، والنصب بالشام؛ فإنه كان ظاهرا، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الدجال لا يدخلها. ولم يزل العلم والإيمان بها ظاهرا إلى زمن أصحاب مالك، وهم من أهل القرن الرابع، فأما الأعصار الثلاثة المفضلة؛ فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة ألبتة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين ألبتة كما خرج من سائر الأمصار.

وقال: مما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلال.قال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام] وقد وضح ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال:خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا. ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ﴾ [رواه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم] ثم تلا ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام] فمن أعرض عن الكتاب والسنة؛ تنازعته الطرق المضللة والبدع المحدثة.

وفي الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع تتلخص في الأمور التالية قال: الجهل بأحكام الدين، اتباع الهوى، التعصب للآراء والأشخاص، التشبه بالكفار وتقليدهم.ونتناول ذلك بشيء من التفصيل: 1- الجهل بأحكام الدين: كلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة؛ قل العلم وفشا الجهل؛ كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [من حديث رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح] ، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يُنْزَعُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا﴾ فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء؛ فإذا فقد العلم والعلماء؛ أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر ولأهلها أن ينشطوا. 2- اتباع الهوى: من أعرض عن الكتاب والسنة؛ اتبع هواه؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص] وقال تعالى: ﴿فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية] والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع. 3- التعصب للآراء والرجال: التعصب للآراء والرجال يحول بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة] وهذا هو شأن المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب والصوفية والقبوريين، إذا دعوا إلى اتباع الكتاب والسنة ونبذ ما هم عليه مما يخالفهما؛ احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم وأجدادهم. 4- التشبه بالكفار : وهو من أشد ما يوقع في البدع كما في حديث أبي واقد الليثي؛ قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا يا رسول الله ! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر ! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف] لتركبن سنن من قبلكم [رواه الترمذي وصححه]. ففي هذا الحديث أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل وبعض أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام أن يطلبوا هذا الطلب القبيح، وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها ويتبركون بها من دون الله. وهذا هو نفس الواقع اليوم؛ فإن غالب الناس من المسلمين قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات؛ كأعياد الموالد، وإقامة الأيام والأسابيع لأعمال مخصصة، والاحتفال بالمناسبات الدينية والذكريات، وإقامة التماثيل والنصب التذكارية، وإقامة المآتم وبدع الجنائز والبناء على القبور... وغير ذلك [..]

مراجع: إعلام الناس بما وقع للبرامكة/ الأعلام للزركلي/

◆ أبو الحسين محمد بن أحمد، عامل أصبهان (زمن علي المكتفي بالله وجعفر المقتدر بالله الملك العباسي السابع عشر والملك العباسي الثامن عشر) والشيخ 0951

قال القاضي التنوخي: حدثني أبو القاسم سعد بن عبد الرحمن الأصبهاني، قال: كان أبو الحسين بن أبي البغل(١) يتقلد بلدنا، فقدم عليه شيخ من الكتاب يطلب التصرف، وأورد عليه كتبا من الحضرة، يذكرون فيها طول عطلته، ومحله من الصناعة، ويسألونه تصريفه، فسلم إليه الكتب، فتركها ابن أبي البغل بين يديه، وكانت كثيرة، وكان فيه حدة وضجرة، فاستكثرها، وفض منها واحدا، فقرأه، وأقبل على شغله، من غير أن يقرأ باقي الكتب. فقال له الرجل: إن رأيت أن تقف على باقي الكتب. فضجر، وتغيظ، وقال: أليس كلها في معنى واحد ؟ قد – والله – بلينا بكم يا متعطلين، كل يوم يصير إلينا منكم واحد يريد تصرفا، لو كانت خزائن الأرض لي، لكانت قد نفدت، يا هذا، مالك عندي تصرف، ولا عمل شاغر فأرده إليك، ولا في مالي فضل فأبرك، فدبر أمرك بحسب ذلك، هذا والرجل ساكت. فلما سكن ابن أبي البغل، قام الرجل، وقال: أحسن الله جزاءك وفعل بك وصنع، وأسرف في الشكر والدعاء له، وولى منصرفا. فقال ابن أبي البغل، ردوه، فرجع. فقال له: يا هذا، هوذا تسخر مني، على أي شيء تشكرني ؟ على إياسي لك من التصرف، أو على قطع رجائك من الصلة، أو قبيح ردي لك، أو ضجري عليك ؟ أم تريد خدعتي بهذا الفعل؟. فقال: والله، ما أريد خداعك، وما كان منك من قبيح الرد فغير منكر، لأنك سلطان، ولحقك ضجر، ولعل الأمر كما ذكرته من كثرة الواردين عليك، وقد بعلت* بهم، واتفق لقوه نحسي، أن كان هذا الرد القبيح وقع في بابي، ولم أشكرك إلا في موضع الشكر، لأنك صدقتني عما في نفسك من أول وهلة، وأعتقت عنقي من رق الطمع، وأرحتني من التعب بالغدو والرواح إليك، وخدمة قوم أستشفع بهم إليك، وكشفت لي ما أدبر به نفسي، وكسوتي جديدة، وبقية نفقتي معي، ولعلي أتحمل بها إلى بلد آخر، في وجه أحد سواك. قال: فأطرق ابن أبي البغل، ومضى الرجل، فرفع رأسه، فاستدعاه، واعتذر إليه، وأمر له بصلة، وقال له: خذ هذه، إلى أن قلدك ما يصلح لك، فإني أرى فيك مصطنعا. فلما كان بعد أيام قلده عملا جليلا، وصلحت حال الرجل معه.

----

*(البعل) الضجر والتبرم بالشئ

■ (١) ابن أبي البغل محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل أبو الحسين الكاتب كان من أعيان كتاب الدواوين وولي الجبل وأصبهان مدة وله نظم ونثر، روى عنه أبو علي الحسين بن القسم الكوكبي وأبو اسحق ابرهيم بن علي الهجيمي وغيرهما، توفي سنة 313 هـ، ومن شعره: ولي همة تعلو السماكين رفعة..وتسمو إلى الأمر الذي هو أشرف..وجدي عثور كلما رمت نهضة..تقاعد بي يغتالني ليس ينصف. وقال البابابي: ابن أبي البغل: محمد بن يحيى بن أبي البغل أبو الحسن البغدادي من وزراء المقتدر بالله العباسي توفي مسجونا في حدود سنة 299 هـ له ديوان الرسائل. رسالة في فتح البصرة.

■ (٥) جعفر بن أحمد بن طلحة، أبو الفضل، المقتدر بالله ابن المعتضد ابن الموفق: خليفة عباسي. ولد في بغداد، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي سنة 295 هـ فاستصغره الناس، فخلعوه سنة 296 هـ ونصبوا عبد الله بن المعتز، ثم قتلوا ابن المعتز وأعيد المقتدر بعد يومين، فطالت أيامه، وكثرت فيها الفتن. وعصاه خادم له اسمه مؤنس –كان يستعين به في أكثر شؤونه– فاسترضاه المقتدر، فعاد إلى الطاعة، ثم لم يلبث أن جمع أنصارا له ودخل بهم دار المقتدر فأخرجوه وأخرجوا معه أمه وأولاده وخواص جواريه واعتقلوهم في دار مؤنس سنة 317 هـ وبايعوا القاهر بالله أخا المقتدر فأقام يومين، وثارت فرقة من الجيش تدعى الرجالة، فقتلت بعض رؤساء الغلمان وأعادت المقتدر إلى الملك. وخرج مؤنس من بغداد في جمع من عصاة الجند والغلمان فقصد الموصل فاحتلها ثم عاد فهاجم بغداد، فبرز له المقتدر بعسكره، فانهزم أصحاب المقتدر وبقي منفردا، فرآه جماعة من المغاربة فقتلوه. سنة 320 هـ وكان ضعيفا مبذرا استولى على الملك في عهده خدمه ونساؤه وخاصته. والبون شاسع بينه وبين أبيه المعتضد: ذاك جدد شأن الدولة، وهذا ذهب برونقها وهوى بها. وفي أيامه قتل الحلاج، وقوي أبو طاهر القرمطي فقلع الحجر الاسود، قال ابن دحية: قتل القرمطي الخلق العظيم بالعراق والجزيرة والشام إلى أن عاد إلى الاحساء وملكها، ووزراء الخليفة، في ذلك كله، يتنافسون في صيد الدراج وينثرون على راميها المال الجزل ويدخلون في الشريعة اللعب والهزل. وأم المقتدر تطوي عن ابنها الاخبار من الرزايا والفجائع، وتقول: إظهارها يؤلم قلبه! فأدى ذلك إلى غاية الفساد.

■ (٥) علي المكتفي بالله بن أحمد المعتضد ابن الموفق ابن المتوكل، أبو محمد: من خلفاء الدولة العباسية في العراق. كان مقيما بالرقة، وجاءه نعي أبيه المعتضد سنة 289 هـ فبويع بها. وانتقل إلى بغداد، فقام بشؤون الملك قياما حسنا. وظفر في أكثر ما كان من الوقائع بينه وبين الثائرين عليه. قال ابن دحية: أنفق الاموال العظيمة في حروب القرامطة الخارجين على الحجيج، حتى أبادهم واستأصلهم. وفي أيامه فتحت أنطاكية وكان الروم قد استولوا عليها. وتوفي شابا ببغداد سنة 295 هـ.

وثبت ذلك في ديوان الخراج مع الزيادة الأخيرة التي انتهى الحال فيها إلى أمير المؤمنين أحمد المعتمد لأجرة القوام والمؤذنين والحصر والزيت في سنة ست وخمسين ومائتين ثم ولي القاضي الوليد بن أبي الوليد في سنة تسعين ومائتين في الزيادة الثانية والعامل أبو الحسين محمد بن أحمد المعروف بابن أبي البغل المتولي لخراج سنة تسعين ومائتين وانتهت الزيادة بعد الزيادة في هذين المسجدين من سنة ست وخمسين ومائتين إلى سنة تسعين ومائتين فبلغت جملتها ثمانية آلاف ومائتين وتسعين درهما وإطلاق هده النفقة والمبلغ كان في سنة خمس وثمانين والقضاء يومئذ إلى الوليد بن أبي الوليد منها لمسجد اليهودية ثلاثة آلاف وستمائة وخمسة وأربعون درهما ولمسجد المدينة منها ثلاثة آلاف وستمائة وخمسة وأربعون درهما المبلغ للمسجدين سبعة آلاف ومائتان وتسعون درهما بعد أن وضع منها ثلث العشر ونصف العشر يلي توفير ذلك كملا تاما ورد به الأمر العالي في شعبان من سنة إحدى وتسعين ومائتين وكان الذي يقبض هذا المال محمد بن عاصم بن يحيى مال جامع اليهودية ومحمد بن إسماعيل بن أحمد مال جامع المدينة وكانا يليان القيام بذلك من جهة القاضي أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم في سنة إحدى وتسعين ومائتين.

مراجع: نشوار المحاضرة/ الأعلام للزركلي/ الوافي بالوفيات/ الكامل في التاريخ/ هدية العارفين/ الفهرست لابن النديم/ تهذيب اللغة/

◆ أبو العباس أحمد المعتضد بالله (سادس عشر ملوك الدولة العباسية) وأم الشريف، عمة محمد بن أحمد بن عيسى 0952

قال الحميري: في سنة ست وثمانين ومائتين نزل المعتضد أمير المؤمنين خليفة بغداد على آمد* بعد وفاة أحمد بن عيسى بن الشيخ[1] وقد تحصن بها ولده محمد بن أحمد بن عيسى[2]، فبث جيوشه حولها وحاصرها، فحدث شعلة بن شهاب اليشكري[3] قال: وجهني المعتضد إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ لأخذ الحجة عليه، قال: فلما صرت إليه واتصل الخبر بأم الشريف[4] أرسلت إلي فقالت: يا ابن شهاب، كيف خلفت أمير المؤمنين؟ فقلت: خلفته والله ملكا جزلا وحكما عدلا أمارا بالمعروف فعالا للخير متعززا على الباطل متذللا للحق لا تأخذه في الله لومة لائم، قال: فقالت لي: هو والله أهل ذاك ومستحقه ومستوجبه، وكيف لا يكون كذلك وهو ظل الله الممدود على بلاده، والخليفة المؤتمن على عباده، أعز به دينه وأحيا به سنته وثبت به شريعته، ثم قالت لي: وكيف رأيت صاحبنا، تعني ابن أخيها محمد بن أحمد، قال فقلت: رأيت غلاما حدثا معجبا قد استحوذ عليه السفهاء فاستمد بآرائهم ونصت لأقوالهم يزخرفون له الكلام ويوردونه الندم، فقالت لي: فهل لك أن ترجع إليه بكتاب فلعلنا أن نحل ما عقد السفهاء، قال قلت: أجل، فكتبت إليه كتابا حسنا لطيفا أجزلت فيه الموعظة وأخلصت فيه النصيحة، وكتبت في آخره هذه الأبيات: اقبل نصيحة أم قلبها وجع..عليك خوفا وإشفاقا وقل سددا..واستعمل الفكر في قولي فإنك إن..فكرت ألفيت في قولي لك الرشدا..ولا تثق برجال في قلوبهم..ضغائن تبعث الشنآن والحسدا..مثل النعاج خمول في بيوتهم..حتى إذا أمنوا ألفيتهم أسدا..وداو داءك والأدواء ممكنة..وإذ طبيبك قد ألقى إليك يدا..وأعط الخليفة ما يرضيه منك ولا..تمنعه مالا ولا أهلا ولا ولدا..واردف أخا يشكر ردءا يكون له..ردءا من السوء لا تشمت به أحدا. قال: فأخذت الكتاب وصرت به إلى محمد بن أحمد، فلما نظر فيه رمى به إلي ثم قال: يا أخا يشكر ما بآراء النساء تساس الدول، ولا بعقولهن يساس الملك، ارجع إلى صاحبك، فرجعت إلى أمير المؤمنين فأخبرته الخبر على حقه وصدقه، فقال: وأين كتاب أم الشريف؟ فأظهرته، فلما عرض عليه أعجبه شعرها وعقلها ثم قال: والله إني لأرجو أن أشفعها في كثير من القوم. فلما كان من فتح آمد ما كان ونزول محمد بن أحمد على الأمان لما عمهم القتال وجه إلي أمير المؤمنين فقال: يا شعلة بن شهاب هل عندك علم من أم شريف؟ قال، قلت: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: فامض مع هذا الخادم فإنك تجدها في جملة نسائها، قال: فمضيت، فلما بصرت بي أسفرت عن وجهها وأنشأت تقول: ريب الزمان وصرفه..وعدته كشف القناعا..وأذل بعد العز من؟..ا الصعب والبطل الشجاعا..ولقد نصحت فما أطع؟..ت وكم حرصت بأن أطاعا..فأبى بنا المقدار إ..لا أن نقسم أو نباعا..يا ليت شعري هل نرى..يوما لفرقتنا اجتماعا. ثم بكت وضربت بيدها على الأخرى وقالت: يا ابن شهاب كأني والله كنت أرى ما أرى فإنا لله وإنا إليه راجعون، قال فقلت: إن أمير المؤمنين قد وجهني إليك وما ذاك إلا لحسن رأيه فيك، قال فقالت لي: فهل لك أن توصل إليه كتابي هذا بما فيه؟ قلت: نعم، فكتبت إليه بهذه الأبيات: قل للخليفة والإمام المرتضى..وابن الخلائف من قريش الأبطح..بك أصلح الله البلاد وأهلها..بعد الفساد وطال ما لم تصلح..وتزحزحت بك قبة العز التي..لولاك بعد الله لم تتزحزح..وأراك ربك ما تحب فلا ترى..ما لا تحب فجد بعفوك واصفح..يا بهجة الدنيا وبدر ملوكها..هب ظالمين ومفسدين لمصلح. قال: فأخذت الكتاب وصرت به إلى أمير المؤمنين، فلما عرضت عليه الأبيات أعجبته، فأمر أن تحمل إليها تخوت من ثياب وجملة من المال وإلى ابن أخيها محمد بن أحمد بن عيسى مثل ذلك، وشفعها في كثير من أهلها ممن عظم جرمه واستحق العقوبة.

----

*(آمد) آمد أو آميدا هي مدينة عتيقة تقع حيث موقع ديار بكر اليوم

- (4) أم الشريف بنت عيسى بن الشيخ عبد الرزاق.؟ عمة محمد بن أحمد بن عيسى (لم أقف لها على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (3) محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ عبد الرزاق (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)
- (1) ابن الشيخ، أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيباني، الأمير: صاحب آمد وديار بكر. وليهما للمعتز العباسي. ولما قتل المعتز استقل بهما. واستمر إلى أن توفي بديار بكر سنة 285 هـ
- (2) شعلة بن شهاب اليشكري، أعرابي فصيح ؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

آمد مدينة من كور الجزيرة من أعمال الموصل والجزيرة ما بين دجلة والموصل، وآمد بمقربة من ميافارقين (سلوان في شمال شرق ديار بكر، بين دجلة والفرات) فتحها عياض بن غنم[1] بعد قتال على مثل صلح الرها (أورفة في تركيا)، فإنه لما أتى الرها خرج إليه أهلها فقاتلوه فهزمهم المسلمون حتى ألجؤوهم إلى المدينة فطلبوا الأمان والصلح، فأجابهم عياض إليه وكتب لهم : بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عياض بن غنم لأسقف الرها إنكم إن فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا لي عن كل رجل منكم دينارا أو مد قمح فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم، عليكم ارشاد الضال وإصلاح الجسور والطرق ونصيحة المسلمين شهد الله وكفى بالله شهيدا. فعلى مثل هذا الصلح صالح أهل آمد وأهل ميافارقين وكفر توثا (قرية كبيرة من أعمال الجزيرة) بعد قتال أيضا على مثل صلح الرها. ومدينة آمد كبيرة حصينة على جبل في غربي دجلة وهي كثيرة الشجر والجبل عليها مطل نحو مائة قامة وعليها سور بحجارة الأرحى السود، ولها داخل سورها مياه جارية ومطاحن على عيون تطرد وأشجار وبساتين، وبينها وبين ميافارقين مرحلتان، ولها أربعة أبواب: باب التل وباب الماء وباب الجبل وباب الروم، وفي شمالها سوران، وفي قبليها برج كبير يسمى برج الزينة، وعلى باب الروم برجان، وقصبة السلطان في شرقها. والمدينة مستعلية على شرف، وهي أكبر من ميافارقين، وداخل آمد عين ثرة. وتأتيها دجلة من شمالها وتخرج من شرقيها، وبساتينها غربا وقبلة عنها إلى دجلة، وفي صحن جامعها أوتاد حديد قائمة معترضة من بلاط إلى بلاط ارتفاع الظاهر منها فوق الأرض ذراعان قد عقد بها كلها سلسلتان من حديد يذكر أهلها أن السرج كانت تقد عليها في سالف الأزمان.ومن آمد إلى ميافارقين خمسة فراسخ.

- (1) عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد، أبو سعد الفهري. ممن بايع بيعة الرضوان. واستخلفه قرابته أبو عبيدة بن الجراح، لما احتضر على الشام. وهو الذي افتتح الجزيرة صلحا. أقره عمر على الشام. فعاش بعد نحوا من عامين. وقيل: عاش ستين سنة ومات في سنة 20 بالشام.قال ابن سعد: شهد الحديبية، وكان أحد الأمراء الخمسة يوم اليرموك

مراجع: الروض المعطار في خبر الأقطار/ نهاية الأرب في فنون الأدب/ الجليس الصالح والأنيس الناصح/ الأعلام للزركلي/ مختصر تاريخ دمشق/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ مروج الذهب/

◆ علي بن عيسى، وزير المقتدر بالله (ثامن عشر ملوك الدولة العباسية) وابن خيران 0953

ذكر أبي عبد الله الحسين بن محمد الفقيه أن علي بن عيسى[1] وزير المقتدر بالله[2] أمر نازوك[3] صاحب البلد يطلب الشيخ أبا علي بن خيران[4] حتى يعرض عليه قضاء القضاة فاستتر فوكل بباب داره رجاله بضعة عشر يوما حتى احتاج إلى الماء فلم يقدر عليه إلا من عند الجيران. فبلغ الوزير ذلك فأمر بإزالة التوكل عنه وقال في مجلسه والناس حضور ما اردنا بالشيخ أبي علي إلا خيرا اردنا أن يعلم أن في مملكتنا رجلا نعرض عليه قضاء القضاة شرقا وغربا وهو لا يقبل.

قال القاضي أبو الطيب: كان أبو علي بن خيران، يعاتب ابن سريج[5] على القضاء، ويقول: هذا الامر لم يكن في أصحابنا، إنما كان في أصحاب أبي حنيفة. قال ابن زولاق: شاهد أبو بكر بن الحداد الشافعي ببغداد سنة عشر وثلاث مئة باب أبي علي بن خيران مسمورا لا متناعه من القضاء، وقد استتر. قال: فكان الناس يأتون بأولادهم الصغار، فيقولون لهم: انظروا حتى تحدثوا بهذا. قلت: كان ابن الحداد قد سار إلى بغداد يسعى لابي عبيد بن حربويه في أن يعفى من قضاء مصر. ولم يبلغني على من اشتغل، ولا من روى عنه. وقيل: ختم بابه بضعة عشر يوما، ثم أعفي، رحمه الله.

■ (4) ابن خيران، أبو علي الحسين بن صالح بن خيران الفقيه البغدادي الشافعي، جمع بين الفقه والورع وأريد على القضاء فأبى، توفي في حدود سنة 320 هـ

■ (1) علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن وزير المقتدر بالله والقاهر بالله، مات علي بن عيسى الوزير سنة 335 هـ وقيل سنة 334 هـ وكان مولده سنة 245 هـ

■ (3) نازوك بن عبد الله أبو منصور مولى أبي أحمد المكتفي بالله؟ (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم) نازوك الخادم ولاه المقتدر على دمشق سنة 307 هـ. وقلده الشرطة بمدينة السلام سنة 310 هـ. وقتل سنة 317 هـ في/ بعد محاولة لخلع المقتدر

■ (2) المقتدر العباسي، جعفر بن أحمد بن طلحة، أبو الفضل، المقتدر بالله ابن المعتضد ابن الموفق: خليفة عباسي. ولد في بغداد، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي سنة 295 هـ فاستصغره الناس، فخلعوه سنة 296 هـ ونصبوا عبد الله بن المعتز، ثم قتلوا ابن المعتز وأعيد المقتدر بعد يومين، فطالت أيامه، وكثرت فيها الفتن. وعصاه خادم له اسمه مؤنس – كان يستعين به في أكثر شؤونه – فاسترضاه المقتدر، فعاد إلى الطاعة، ثم لم يلبث أن جمع أنصارا له ودخل بهم دار المقتدر فأخرجوه وأخرجوا معه أمه وأولاده وخواص جواريه واعتقلوهم في دار مؤنس سنة 317 هـ وبايعوا القاهر بالله أخا المقتدر فأقام يومين، وثارت فرقة من الجيش تدعى الرجالة، فقتلت بعض رؤساء الغلمان وأعادت المقتدر إلى الملك. وخرج مؤنس من بغداد في جمع من عصاة الجند والغلمان فقصد الموصل فاحتلها ثم عاد فهاجم بغداد، فبرز له المقتدر بعسكره، فانهزم أصحاب المقتدر وبقي منفردا، فرآه جماعة من المغاربة فقتلوه. سنة 320 هـ وكان ضعيفا مبذرا استولى على الملك في عهده خدمه ونساؤه وخاصته. والبون شاسع بينه وبين أبيه المعتضد: ذاك جدد شأن الدولة، وهذا ذهب برونقها وهوى بها. وفي أيامه قتل الحلاج، وقوي أبو طاهر القرمطي فقلع الحجر الاسود، قال ابن دحية: قتل القرمطي الخلق العظيم بالعراق والجزيرة والشام إلى أن عاد إلى الاحساء وملكها، ووزراء الخليفة، في ذلك كله، يتنافسون في صيد الدراج وينثرون على راميها المال الجزل ويدخلون في الشريعة اللعب والهزل. وأم المقتدر تطوي عن ابنها الاخبار من الرزايا والفجائع، وتقول: إظهارها يؤلم قلبه ! فأدى ذلك إلى غاية الفساد.

■ (5) ابن سريج، أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، أبو العباس: فقيه الشافعية في عصره. مولده ووفاته في بغداد. له نحو 400 مصنف، وكان يلقب بالباز الا شهب. ولي القضاء بشيراز، وقام بنصرة المذهب الشافعي فنشره في أكثر الآفاق، حتى قيل: بعث الله عمر بن عبد العزيز على رأس المئة من الهجرة فأظهر السنة وأمات البدعة، ومن الله في المئة الثانية بالامام الشافعي فأحيى السنة وأخفى البدعة، ومن بابن سريج في المئة الثالثة فنصر السنن وخذل البدع. وكان حاضر الجواب له مناظرات ومساجلات مع محمد بن داود الظاهري. وله نظم حسن..توفي ببغداد سنة 306 هـ قيل استفتاه القاهر في الصابئين، فأفتاه بقتلهم لانهم يعبدون الكواكب، فعزم الخليفة على ذلك، فجمعوا مالا جزيلا، وقدموه، ففتر عنهم.

روى الخطيب بسنده عن صافي الجرمي الخادم قال: انتهى المعتضد[1] وأنا بين يديه إلى منزل شغث وابنه المقتدر جعفر جالس فيه وحوله نحو من عشرة من الوصائف، والصبيان من أصحابه في سنه عنده، وبين يديه طبق من فضة فيه عنقود عنب، وكان العنب إذ ذاك عزيزا، وهو يأكل عنبة واحدة ثم يفرق على أصحابه من الصبيان كل واحد عنبة، فتركه المعتضد وجلس ناحية في بيت مهموما. فقلت له: مالك يا أمير المؤمنين؟ فقال. ويحك والله لولا النار والعار لاقتلن هذا الغلام. فإن في قتله صلاحا للامة. فقلت: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من ذلك. فقال: ويحك يا صافي هذا الغلام في غاية السخاء لما أراه يفعل مع الصبيان، فإن طباع الصبيان تأبى الكرم، وهذا في غاية الكرم، وإن الناس من بعدي لا يولون علهيم إلا من هو من ولدي، فسيلي عليهم المكتفي[2] ثم لاتطول أيامه لعلته التي به –وهي داء الخنازير– ثم يموت فيلي الناس جعفر هذا الغلام، فيذهب جميع أموال بيت المال إلى الحظايا لشغفه بهن، وقرب عهده من تشببه بهن، فتضيع أمور المسلمين وتعطل الثغور وتكثر الفتن والهرج والخوارج والشرور. قال صافي: والله لقد شاهدت ما قاله سواء بسواء.

■ (2) علي المكتفي بالله بن أحمد المعتضد ابن الموفق ابن المتوكل، أبو محمد: من خلفاء الدولة العباسية في العراق. كان مقيما بالرقة، وجاءه نعي أبيه المعتضد سنة 289 هـ فبويع بها. وانتقل إلى بغداد، فقام بشؤون الملك قياما حسنا. وظفر في أكثر ما كان من الوقائع بينه وبين الثائرين عليه. قال ابن دحية: أنفق الاموال العظيمة في حروب القرامطة الخارجين على الحجيج، حتى أبادهم واستأصلهم. وفي أيامه فتحت أنطاكية وكان الروم قد استولوا عليها. وتوفي شابا ببغداد سنة 295 هـ.

■ (1) أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بالله واسمه محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى أبا العباس، ويقال: أن اسم أبيه طلحة، ولد بسر من رأى سنة 242 هـ، بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله، سنة 279 هـ، توفي المعتضد سنة 289 هـ.

مراجع: شذرات الذهب/ صفة الصفوة/ الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/ فيات الأعيان/

اشتهر محمد بن علي الشلمغاني[1] ببغداد، وشاع أنه يدعي الآلهية، وأنه يحيي الموتى، وكثر أتباعه، فأحضره ابن مقلة[2] عند الراضي بالله[3]، فسمع كلامه، وأنكر الآلهية، وقال: إن لم تنزل العقوبة بعد ثلاثة أيام وأكثره تسعة أيام، وإلا فدمي حلال. وكان هذا الشقي قد أظهر الرفض*، ثم قال بالتناسخ* والحلول*، ومخرق* على الجهال، وضل به طائفة، وأظهر شأنه الحسين بن روح[4] زعيم الرافضة، فلما طلب، هرب إلى الموصل، وغاب سنين ثم عاد، ودعى إلى آلهيته، فتبعه فيما قيل، الذي كان وزر للمقتدر، الحسين بن الوزير القسم ابن الوزير عبيد الله بن وهب[5]، وأبو جعفر وأبو علي ابنا بسطام، وإبراهيم بن أبي عون[6]، وابن شبيب الزيات، وأحمد بن محمد بن عبدوس(؟)[7]، وكان محمد الشلمغاني وأصحابه مستترين. فلما قبض عليه ابن مقلة، كبس بيته، فوجد فيه رقاعا وكتبا مما قيل عنه، ويخاطبون في الرقاع بما لا يخاطب به البشر، فأحضر إلى عند الراضي، وأمسك معه ابن أبي عون، وابن عبدوس، فأمروهما بصفع الشلمغاني فامتنعا، فلما أكرها، مد ابن عبدوس يده وصفعه، وأما ابن أبي عون فإنه مد يده ليصفعه فارتعدت يده، فقبل لحية الشلمغاني ورأسه، وقال: إلهي وسيدي ورازقي. فقال الراضي للشلمغاني: أنت زعمت أنك لا تدعي الربوبية، فما هذا؟ فقال: وما علي من قول ابن أبي عون، ثم أحضروا غير مرة، وجرت لهم فصول، وأحضرت الفقهاء والقضاة، ثم أفتى الأئمة بإباحة دمه، فأحرق في ذي القعدة، وضربت رقبة ابن أبي عون ثم أحرق، وهو فاضل مشهور صاحب تصانيف أدبية، وكان من رؤساء الكتاب -أعني ابن أبي عون- وشلمغان من أعمال واسط. وقتل الحسين بن القاسم الوزير، وكان في نفس الراضي منه. ولم يحج أحد من بغداد إلى سنة سبع وعشر ين خوفا من القرامطة*.

----

*(التخرق) لغة في التخلق من الكذب وخرق الكذب وتخرقه وخرقه كله اختلقه قال الله تعالى ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام] قرأ نافع وحده وخرقوا له بتشديد الراء وسائر القراء قرؤوا وخرقوا بالتخفيف قال الفراء معنى خرقوا افتعلوا ذلك كذبا وكفرا وقال وخرقوا واخترقوا وخلقوا واختلقوا واحد قال أبو الهيثم الإختراق والاختلاق والاختراص والافتراء واحد ويقال خلق الكلمة واختلقها وخرقها واخترقها إذا ابتدعها كذبا وتخرق الكذب (القرامطة) بفتح القاف وكسر الميم، فرقة من غلاة الشيعة الباطنية. نشأت بالعراق سنة إحدى وثمانين ومائتين للهجرة ومن مبادئها الاباحية، والواحد قرمطي نسبة إلى حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه وهو من عربستان في الأحواز ثم رحل إلى الكوفة، وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

■ (1) محمد بن علي، أبو جعفر الشلمغاني، ويعرف بابن أبي العزاقر: متأله مبتدع. كان في أول أمره إماميا، ثم ادعى أن اللاهوت حل فيه، وأحدث شريعة جاء فيها بالغريب، ومن شريعته أن الله يحل في كل إنسان على قدره. وتبعه ناس من أعيان دولة المقتدر العباسي. وكان يقوي أمره الوزير ابن الفرات، وابنه المحسن. وأفتى علماء بغداد بإباحة دمه، فأمسكه الراضي بالله العباسي، فقتله وأحرق جثته مخافة أن يقدسها أتباعه سنة 322 هـ. نسبته إلى شلمغان بنواحي واسط. وإليه تنسب الفرقة العزاقرية.

■ (2) ابن مقلة، محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، أبو علي: وزير، من الشعراء الادباء، يضرب بحسن خطه المثل. ولد في بغداد، وولي جباية الخراج في بعض أعمال فارس. ثم استوزره المقتدر العباسي سنة 316 هـ، ولم يلبث أن غضب عليه فصادره ونفاه إلى فارس سنة 318 هـ واستوزره القاهر بالله سنة 320 هـ فجيء به من بلاد فارس، فلم يكد يتولى الاعمال حتى اتهمه القاهر بالمؤامرة على قتله، فاختبأ سنة 321 هـ واستوزره الراضي بالله سنة 322 هـ ثم نقم عليه سنة 324 هـ فسجنه مدة، وأخلى سبيله. ثم علم أنه كتب إلى أحد الخارجين عليه يطمعه بدخول بغداد، فقبض عليه وقطع يده اليمنى، فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به، فقطع لسانه سنة 326 هـ وسجنه، فلحقه في حبسه شقاء شديد حتى كان يستقي الماء بيده اليسرى ويمسك الحبل بفمه. ومات في سجنه. سنة 328 هـ قال الثعالبي: من عجائبه أنه تقلد الوزارة ثلاث دفعات، لثلاثة من الخلفاء، وسافر في عمره ثلاث سفرات اثنتان في النفي إلى شيراز والثالثة إلى الموصل، ودفن بعد موته ثلاث مرات.

■ (3) محمد الراضي بالله بن المقتدر بالله، جعفر بن المعتضد بالله أحمد، أبو العباس: ملك عباسي. كانت أيام سلفيه القاهر والمقتدر أيام ضعف امتنع فيها أمراء البلاد عن الطاعة واستقل كثير من الولاة بما كانوا يلون. ولما ولي الراضي سنة 322 هـ حاول إصلاح الامر فأعجزه، فكتب إلى محمد بن رائق عامله على واسط والبصرة والاهواز يستقدمه إلى بغداد، وقلده إمارة الجيش، وجعله أمير الامراء، وولاه الخراج والدواوين سنة 324 هـ وتفاقم أمر العمال في الا طراف فلم يبق اسم للخليفة في غير بغداد وأعمالها، فكانت بلاد فارس في أيدي بني بويه، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في أيدي بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج، والمغرب وإفريقية في يد القائم العلوي، والاندلس في يد الناصر الا موي، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر الساماني، وطبرستان وجرجان في يد الديلم. وهكذا تفككت عرى الدولة في أيام صاحب الترجمة. وختم الخلفاء في عدة صفات، منها أنه آخر خليفة له شعر مدون، وآخر خليفة كان يجيد الخطبة على المنبر يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وجراياته ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجابه على ترتيب أسلافه، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والاموال. مات في بغداد ودفن في الرصافة سنة 329 هـ. وإليه تنسب الدراهم الراضوية. وخلافته 6 سنين و 10 أشهر و 10 أيام. وكان قصيرا أسمر نحيفا، في وجهه طول.

■ (7) محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي الجهشياري، أبو عبد الله: مؤرخ، من الكتاب المترسلين، من أهل الكوفة. نشأ مع أبيه في بغداد. وكان أبوه حاجبا للوزير علي بن عيسى، فخلفه على الحجابة له، ثم للوزير حامد بن العباس في خلافة المقتدر بالله. وولي إمارة الحج العراقي سنة 317 هـ. ونكب يوم قبض على ابن مقلة فأدى 80 ألف دينار، وأطلق، وكان من أصحابه. ومات ببغداد مستترا. سنة 331 هـ.

■ (5) الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، أبو علي وأبو الجمال الوزير. ولي الوزارة للمقتدر سنة تسع عشرة وثلاث مائة. ولم يكن في وزراء بني العباس أعرف منه في الوزارة، لأنه وزير مكني، ابن وزير مكني، ابن وزير مكني، ابن وزير مكني. ولقب بعميد الدولة ابن ولي الدولة. وكان أخوه أبو جعفر وزيرا أيضا. وعزل عن الوزارة ستة عشرين وثلاث مائة. وكانت وزارته سبعة أشهر، واعتقل بالرقة. ولما ظهر أمر أبي الذي كان ببغداد، وتدعي الرافضة أنه الباب إلى الأمام المنتظر. وجمع له القضاة والفقهاء، ونوظر. وكتبوا بإراقة دمه. وأحرق، وظهرت عنده رقاع من الحسين بن القاسم الوزير، يخاطبه فيها بالآلهية، وأنه ربه ورازقه ومحييه ومميته وأنه يسأله العفو عن ذنوبه والصفح عن تقصيره. وشهد جماعة بأنها خطه. فأفتى الفقهاء بإباحة دمه. فنفذ من بغداد من ضرب عنقه الرقة. وحمل رأسه إلى بغداد في خلافة الراضي ووزارة أبي علي ابن مقلة سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة. ومن الغريب أنه لما قطعت يد ابن مقلة جعلت في سفط فيه رأس الوزير الحسين بن القاسم، وأودع الخزانة. ثم إن ابنه القاسم بن الحسين طلب الرأس فدفع إليه السفط بما فيه. فسير اليد إلى الدينارية زوجة ابن مقلة، ودفن هورأس ابيه في مقابر قريش. فسبحان الله العظيم، يد كتبت بقطع رأس في الرقة وهي في بغداد قطعت، وجمع بينهما فيما بعد في سفط واحد.

■ (4) أبو القاسم الشيعي، الحسين بن روح بن بحر القيني، أبو القاسم. كبير الامامية، الذي تسميه الرافضة الباب تعني أحد الأبواب إلى صاحب الزمان المنتظر.توفي سنة 326 هـ.

■ (6) إبراهيم بن محمد بن أبي عون أحمد بن المنجم، أبو إسحاق: أديب، من أشياع الشلمغاني وثقاته ببغداد. قتله الراضي العباسي صلبا مع الشلمغاني، بعد أن عرض عليه أن يتبرأ من الشلمغاني ولم يفعل سنة 322 هـ.

قال أبو الحسن العروضي: اجتمعت أنا وأبو بكر الأنباري[1] عند الراضي بالله على الطعام ، وكان الطباخ قد عرف ما يأكل فكان يطبخ له قلية يابسة، قال: فأكلنا نحن ألوان الطعام وأطايبه، وهو يعالج تلك القلية، ثم فرغنا وأتينا بحلواء، وقمنا وملنا إلى الخيش فنام بين الخيشين، ونمنا نحن في خيشين ولم يشرب ماء إلى العصر، فلما كان العصر قال: يا غلام الوظيفة، فجاء بماء من الحب [الزير الكبير] وترك الماء المزمل [المغطى] بالثلج، فغاظني ذلك، فحمت (فصحت؟)، فأمر الراضي بإحضاري؛ وقال: ما قصتك؟ فأخبرته، وقلت: هذا يا أمير المؤمنين يحتاج أن يحال بينه وبين تدبير نفسه؛ لأنه يقتلها، ولا يحسن عشرتها، فضحك، وقال: يا أبا بكر، لم تفعل هذا؟ قال: أبقي على حفظي، قلت له: قد أكثر الناس في حفظك، فكم تحفظ؟ قال: ثلاثة عشر صندوقا. وهذا مما لم يحفظه أحد قبله ولا بعده.

قال: وسألته يوما جارية للراضي عن شيء في تعبير الرؤيا، فقال: أنا حاقن؛ ثم مضى من يومه، فحفظ كتاب الكرماني، وجاء من الغد وقد صار معبرا للرؤيا، وكان يأخذ الرطب فيشمه، ويقول: إنك لطيب؛ ولكن أطيب منك حفظ ما وهب الله لي من العلم. ولما مرض مرض الموت، أكل كل شيء كان يشتهي؛ وقال: هي علة الموت. قال الخطيب: ورأى يوما بالسوق -النخاسين- جارية حسناء، فوقعت في قلبه، فذكرها للراضي، فاشتراها وحملها إليه، فقال لها: إعتزلي إلى الاستبراء، قال: وكنت أطلب مسألة، فاشتغل قلبي، فقلت للخادم: خذها وامض بها، فليس قدرها أن تشغل قلبي عن علمي؛ فأخذها الغلام، فقالت له: دعني اكلمه بحرفين، فقالت له: أنت رجل لك محل وعقل، وإذا أخرجتني ولم تبين ذنبي، ظن الناس في ظنا قبيحا، فقال لها: مالك عندي ذنب غير أنك شغلتني عن علمي، فقالت: هذا سهل، فبلغ الراضي، فقال: لا ينبغي أن يكون العلم في قلب أحد أحلى منه في صدر هذا الرجل.

التناسخية: قالوا بتناسخ الارواح في الاجساد والانتقال من شخص إلى شخص، وما يلقى الانسان من الراحة والتعب والدعة والنصب فمرتب على ما أسلفه من قبل وهو في بدن آخر جزاء على ذلك. والانسان أبدا في أحد أمرين: إما في فعل وإما في جزاء. (الملل والنحل ص 119) قال الاسفرايني في الفرق ص 203: القائلون بالتناسخ أصناف: صنف من الفلاسفة وصنف من السمنية (قالت بقدم العالم) وهذان كانا قبل دولة الاسلام. وصنفان آخران ظهرا في دولة الاسلام.

الحلولية / الحلول: وهو مذهب طائفة يعتقدون أن روح الإله حلت في آدم ثم صارت إلى الأنبياء والأئمة في أزمانهم إلى أن انتهت إلى علي رضي الله عنه وأولاده ثم افترقت هذه الطائفة فمنهم من زعم أنها انتهت إلى بيان بن سمعان فاعتقدوا فيه الإلهية واستدلوا على ذلك بوصية أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية ومنهم من زعم أن تلك الروح انتهت إلى عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين وكفروا بالجنة والنار والقيامة واستحلوا الحرمات جميعها من الميتة والخمر وذوات المحارم وهكذا قول المنصورية في أبي منصور العجلي، والصنف الثاني من الحلولية قوم من الخطابية قالوا بإلاهية الأئمة وإلاهية جعفر وإلاهية أبي الخطاب وقالوا في أنفسهم مثل ذلك وزعموا أنهم أبناء الله تعالى واحتجوا بقول الله تعالى للملائكة ! (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) ! [الحجر/ ص] قالوا فهو آدم ونحن أبناؤه والحلولية أصناف عدة اتفقوا على حلول الروح واختلفوا في الأشخاص التي حلت فيهم.

■ (1) ابن الانباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الانباري: من أعلم أهل زمانه بالادب واللغة، ومن أكثر الناس حفظا للشعر والاخبار، قيل: كان يحفظ ثلثمائة ألف شاهد في القرآن. ولد في الانبار على الفرات وتوفي ببغداد سنة 328 هـ. وكان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله، يعلمهم.

مراجع: معجم الأدباء/ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة/ الأعلام للزركلي/ شذرات الذهب/ الوافي بالوفيات/ اللباب في تهذيب الأنساب/ البداية والنهاية/ المختصر في أخبار البشر/ الكامل في التاريخ/

كان سنان بن ثابت بن قرة الحراني[1] طبيبا مقدما كأبيه، وكان طبيب المقتدر بالله[2] خصيصا به ثم خدم القاهر بالله[3] وإليه يرجع وعلى وصفه يعتمد، قد سكنت نفسه إليه، ووثق به بعنايته، ولكثرة اغتباط القاهر به، أراده على الإسلام، فامتنع امتناعا كثيرا فتهدده القاهر، فخافه لشدة سطوته فأسلم وأقام مدة ثم رأى من القاهر أنه إذا أمره أمرا أخافه فانهزم إلى خراسان، وعاد وتوفي ببغداد مسلما في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وكان أمره قد ظهر في أيام المقتدر، وعظمت منزلته حتى صار رئيسا على الأطباء. وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة اتصل بالمقتدر أن رجلا من الأطباء غلط على رجل فمات، فأمر بإبطيحة* محتسبه بمنع جميع الأطباء، إلا من امتحنه سنان، وكتب له رقعة بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة، وأمر سنانا بامتحانهم، وأن يطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه من الصناعة، وبلغ عددهم في الجانبين من بغداد ثمانمائة ونيفا وستين رجلا، سوى من استغنى عن امتحانه باشتهاره بالتقدم في الصناعة، وسوى من كان في خدمة السلطان، ومن ظريف ما جرى في امتحان الأطباء أنه أحضر إلى سنان رجل مليح البزة والهيئة ذو هيبة ووقار، فأكرمه سنان على موجب منظره ورفعه، وصار إذا جرى أمر التفت إليه، ولم يزل كذلك حتى انقضى شغله في ذلك اليوم، ثم التفت إليه سنان، فقال: قد اشتهيت أن أسمع من الشيخ شيئا أحفظه عنه، وأن يذكر شيخه في الصناعة؟ فأخرج الشيخ من كمه قرطاسا فيه دنانير صالحة، ووضعها بين يدي سنان، وقال: ما أحسن أن أكتب، ولا أقرأ، ولا قرأت شيئا جملة، ولي عيال ومعاشي دار دائرة، وأسألك أن لا تقطعه عني، فضحك سنان، وقال: على شريطة أنك لا تهجم علي مريض لما لم تعلم، ولا تشير بفصد، ولا بدواء مسهل إلا لما قرب من الأمراض، قالا الشيخ: هذا مذهبي مذ كنت، وأحضر إليه غلام شاب حسن البزة مليح الوجه ذكي، فنظر إليه سنان وقال له: علي من قرأت؟ قال: علي أبي، قال: ومن أبوك؟ قال الشيخ: الذي كان عندك بالأمس، قال: نعم الشيخ، وأنت مذهبه، قال: نعم، قال: لا تتجاوزه، وانصرف مصاحبا.

----

*البطيحة) ما بين واسط والبصرة ماء مستنقع لا يرى طرفاه من سعته، وهو مغيض دجلة والفرات. وبطحاء مكة من هذا. قال الدريدي: قريش البطاح الذين ينزلون بطحاء مكة، وقريش الظواهر الذين ينزلون ما حول مكة.

■ (1) سنان بن ثابت بن قرة الحراني، أبو سعيد: طبيب عالم. أصله من حران، ومنشأه ببغداد. كان رفيع المنزلة عند المقتدر العباسي وجعله رأسا للاطباءً وكان منهم ببغداد ثمانمائة وستون طبيبا، لم يؤذن لاحد منهم باحتراف الطب إلا بعد أن امتحنه سنان وخدم القاهر بالله والراضي العباسيين مدة، وتوفي في بغداد سنة 331 هـ. من تصانيفه رسالة في النجوم ورسالة في شرح مذهب الصابئين ورسالة في أخبار آبائه وأجداده وأصلح كتاب أفلاطون في الاصول الهندسية وزاد فيه كثيرا. وله رسالة في تاريخ ملوك السريانيين وكتاب التاجي عدة أجزاء، في مفاخر الديلم وأنسابهم، قيل:صنفه لعضد الدولة. وترجم إلى العربية نواميس هرمس وسور وصلوات الصابئون

■ (3) القاهر بالله، محمد بن أحمد بن طلحة العباسي، أمير المؤمنين، القاهر ابن المعتضد ابن الموفق، أبو منصور: من خلفاء الدولة العباسية. بويع في أيام سلفه (المقتدر) أخيه لابيه، سنة 317 هـ. وأقام يومين. وخلع وسجن. ولما قتل المقتدر سنة 320 هـ أخرج من السجن، وبويع، فأقام إلى سنة 322 هـ ولم تحسن سيرته، فهاج الجند وخلعوه وكحلوا عينيه بالنار. بمسمار محمى، دفعتين. وهو أول من سمل من الخلفاء.وحبسوه ثم أطلقوه. وتوفي ببغداد سنة 339 هـ. كان أسمر ربعة أصهب الشعر طويل الانف.

■ (2) المقتدر العباسي، جعفر بن أحمد بن طلحة، أبو الفضل، المقتدر بالله ابن المعتضد ابن الموفق: خليفة عباسي. ولد في بغداد، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي سنة 295 هـ فاستصغره الناس، فخلعوه سنة 296 هـ ونصبوا عبد الله بن المعتز، ثم قتلوا ابن المعتز وأعيد المقتدر بعد يومين، فطالت أيامه، وكثرت فيها الفتن. وعصاه خادم له اسمه مؤنس – كان يستعين به في أكثر شؤونه – فاسترضاه المقتدر، فعاد إلى الطاعة، ثم لم يلبث أن جمع أنصارا له ودخل بهم دار المقتدر فأخرجوه وأخرجوا معه أمه وأولاده وخواص جواريه واعتقلوهم في دار مؤنس سنة 317 هـ وبايعوا القاهر بالله أخا المقتدر فأقام يومين، وثارت فرقة من الجيش تدعى الرجالة، فقتلت بعض رؤساء الغلمان وأعادت المقتدر إلى الملك. وخرج مؤنس من بغداد في جمع من عصاة الجند والغلمان فقصد الموصل فاحتلها ثم عاد فهاجم بغداد، فبرز له المقتدر بعسكره، فانهزم أصحاب المقتدر وبقي منفردا، فرآه جماعة من المغاربة فقتلوه. سنة 320 هـ وكان ضعيفا مبذرا استولى على الملك في عهده خدمه ونساؤه وخاصته. والبون شاسع بينه وبين أبيه المعتضد: ذاك جدد شأن الدولة، وهذا ذهب برونقها وهوى بها. وفي أيامه قتل الحلاج، وقوي أبو طاهر القرمطي فقلع الحجر الاسود، قال ابن دحية: قتل القرمطي الخلق العظيم بالعراق والجزيرة والشام إلى أن عاد إلى الاحساء وملكها، ووزراء الخليفة، في ذلك كله، يتنافسون في صيد الدراج وينثرون على راميها المال الجزل ويدخلون في الشريعة اللعب والهزل. وأم المقتدر تطوي عن ابنها الاخبار من الرزايا والفجائع، وتقول: إظهارها يؤلم قلبه ! فأدى ذلك إلى غاية الفساد.

من أخباره أنه لما مات الراضي[1] استدعى الأمير أبو الحسين بَحكَمَ[2]، سنان بن ثابت، وكان بواسط العراق، وسأله الانحدار إليه، ولم يتمكن من الطلوع في ذلك قبل موت الراضي لملازمة سنان بخدمته، فانحدر إليه، وأكرمه، ووصله، وقال له: أريد أن أعتمد عليك في تدبيري وتفقد جسمي، والنظر إلى مصالحه، وفي أمر أخلاقي لثقتي بعقلك، وفضلك، ودينك، ومروءتك، فقد غلبني الغضب، وغمني ذلك، حتى أنني أخرج إلى ما أندم عليه عند سكونه، من ضرب أو قتل، وأسألك أن تتفقد عيوبي، وتصدقني فيها، وترشدني إلى علاجها، لتزول عني، فقال سنان: إنما بحيث يأمر الأمير، ولكن أنك أيها الأمير قد أصبحت وليس فوق يدك يد لأحد من المخلوقين، وإنك مالك لكل ما تريده، قادر عليه أي وقت أردته، ولا يمكن لأحد منعك، والغضب والغيظ يحدثان سكرا أشد من سكر النبيذ، وكما أن الإنسان يفعل في سكره ما لا يقوله ولا يذكره إذا صحا، ويندم عليه إذا حدث به استحياء، كذلك يحدث له ي سكر الغضب والغيظ، بل اشد، فإذا بدأ بك الغضب وحسست به فضع في نفسك قبل أن يشتد ويقوى ويخرج الأمر من يدك أن تؤخر العقوبة إلى غد، واثقا بأن ما تريد أن تعمله في الوقت، لا يفوتك عمله في غد، فإنك إذا بت ليلتك، سكنت فورة غضبك، وقد قيل: من يخف فوتا حلم، فإنك إذا فعلت ذلك ذهب السكر وتمكنت من العقل والرأي الصحيحـ وقد قيل: أصح ما يكون الإنسان رأيا إذا استدبر ليله واستقبل نهاره، فإذا صحوت من سكرك الغضبى فتأمل الذي أغضبك ولا تشف غضبك بما يؤثمك، فقد قيل ما شفى غيظه من إثم بذنبه، واذكر قدرة الله عليك، وإنك محتاج إلى عفوه ورحمته، وخاصة في أوقات الشدائد واذكر دائما قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور] وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة] فإن أوجبت الحال العفو فاعف، وإن أوجبت العقوبة كان الأمر إليك، ولا تتجاوز قدر العقوبة في الذنب فيذهب ويقبح في الناس ذكرك، وإذا أخذت نفسك بهذه مرة وثانية وثالثة، صارت بعد ذلك سجية لك، وعادة فاستحسن بحكم ذلك منه، ولم يزل يصلح أخلاقه شيئا فشيئا حتى صلحت واستقامت واستطابت فعل الخير، ودفع الظلم والجور وبأن له أن العدل أربح للسلطان، فعمل بواسط وقت المجاعة دار ضيافة وببغداد مارستانا، وأكرم سنانا غاية الإكرام وعظمة نهاية التعظيم.

روى ابن رزقويه عن إسماعيل الخطبي[3]، قال: وجه إلي الراضي بالله ليلة الفطر، فحملت إليه راكبا فدخلت [عليه] وهو جالس في الشموع، فقال لي: يا إسماعيل ! [إني] قد عزمت في غد على الصلاة بالناس فما الذي أقول إذا انتهيت إلى الدعاء لنفسي ؟ فأطرقت ساعة، ثم قلت: يا أمير المؤمنين قل: (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي) [الاحقاف] فقال لي: حسبك فقمت وتبعني خادم، فأعطاني أربع مئة دينار . قال الذهبي قلت: كان مجموع الفضائل، يرتجل الخطب.

■ (1) محمد الراضي بالله بن المقتدر بالله، جعفر بن المعتضد بالله أحمد، أبو العباس: ملك عباسي. كانت أيام سلفيه القاهر والمقتدر أيام ضعف امتنع فيها أمراء البلاد عن الطاعة واستقل كثير من الولاة بما كانوا يلون. ولما ولي الراضي سنة 322 هـ حاول إصلاح الامر فأعجزه، فكتب إلى محمد بن رائق عامله على واسط والبصرة والاهواز يستقدمه إلى بغداد، وقلده إمارة الجيش، وجعله أمير الامراء، وولاه الخراج والدواوين سنة 324 هـ وتفاقم أمر العمال في الاطراف فلم يبق اسم للخليفة في غير بغداد وأعمالها، فكانت بلاد فارس في أيدي بني بويه، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في أيدي بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج، والمغرب وإفريقية في يد القائم العلوي، والاندلس في يد الناصر الاموي، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر الساماني، وطبرستان وجرجان في يد الديلم. وهكذا تفككت عرى الدولة في أيام صاحب الترجمة. وختم الخلفاء في عدة صفات، منها أنه آخر خليفة له شعر مدون، وآخر خليفة كان يجيد الخطبة على المنبر يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وجراياته ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجابه على ترتيب أسلافه، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والاموال. مات في بغداد ودفن في الرصافة سنة 329 هـ. وإليه تنسب الدراهم الراضوية. وخلافته 6 سنين و 10 أشهر و 10 أيام. وكان قصيرا أسمر نحيفا، في وجهه طول.

■ (3) الخطبي الامام العلامة الخطيب الاديب المحدث الاخباري، أبو محمد، إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن يحيى، البغدادي الخطبي المؤرخ. قال الخطيب في ترجمته: كان فاضلا عارفا بأيام الناس وأخبارهم، وخلفائهم. صنف تاريخا كبيرا على السنين. وقد وثقه الدارقطني. قال محمد بن العباس بن الفرات: كان ركينا عاقلا، مقدما، من أهل الثقة والادب وأيام الناس، قل من رأيت مثله. قال الذهبي: توفي في جمادى الآخرة سنة 350 هـ.

■ (2) الأمير أبو الحسين بَحكَمَ ؟

مراجع: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ أخبار العلماء بأخيار الحكماء/ تاريخ مختصر الدول/ نشوار المحاضرة/ الأعلام للزركلى/ مقاييس اللغة/ سير أعلام النبلاء/

◆ الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الدين الجمالي، (وزير الملوك الفاطميين المستنصر بالله، والمستعلي بالله، والآمر بأحكام الله) والإمام الطرطوشي 0956

قال أبو بكر الطرطوشي[1] في كتابه سراج الملوك: فلما دخلت على ملك مصر وهو الأفضل بن أمير الجيوش [2] -وزير الفاطميين-[3]،فقلت: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردَّ السلام على نحو ما سلَّمت ردًّا جميلاً، وأكرم إكرامًا جزيلاً، وأمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه، فقلت: أيها الملك، أن الله سبحانه وتعالى قد أحلك محلاًّ عاليًا شامخًا، وأنزلك منزلاً شريفًا باذخًا، وملَّكك طائفة من ملكه وأشركك في حكمه ولم يرضَ أن يكون فوق أمرك، فلا ترضَ أن يكون أحدٌ أَوْلَى بالشكر منك، وإن الله تعالى قد ألزم الورى (الخلق) طاعتك فلا يكونن أحدٌ أطوع لله منك، وإن الله تعالى أمر عباده بالشكر وليس الشكر باللسان ولكنه بالفعال والإحسان قال الله تعالى:﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ] واعلم أن هذا المُلْك الذي أصبحت فيه إنما صار إليك بموت مَن كان قبلك، وهو خارج عن يدك مثل ما صار إليك، فاتقِ الله فيما خوَّلك من هذه الأمة؛ فإن الله سائلك عن النقير والقطمير والفتيل؛ قال الله تعالى:﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر] وقال الله تعالى:﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء] واعلم أيها الملك أن الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمانَ بن داود عليهما السلام فسخَّر له الإنس والجن والشياطين والوحش والبهائم، وسخَّر له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب، ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له:﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص] فوالله ما عدَّها نعمة كما عددتموها، ولا حسبها كرامة كما حسبتموها، بل خاف أن تكون استدراجًا من الله تعالى ومكرًا به فقال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل] فافتح الباب، وسهِّل الحجاب، وانصر المظلوم، أعانك الله على ما قلَّدك، وجعلك كهفًا للملهوف وأمانًا للخائف. ثم أتممت المجلس بأن قلت: قد دوَّخت البلاد شرقًا وغربًا فما اخترت مملكة تزوَّجت فيها وولد لي غير هذه المملكة، ثم أنشدت شعرًا: والناس أكيس من أن يحمدوا رجلا..حتى يروا عنده آثار إحسان.

■ (1) أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي (نسبة إلى طرطوشة في الأندلس) الفقيه المالكي الزاهد، المعروف بابن أبي رندقة؛ وكانت ولادة الطرطوشي سنة451 هـ تقريبا. وتوفي سنة 520 هـ بثغر الإسكندرية، وصلى عليه ولده محمد، ودفن في مقبرة وعلة قريبا من البرج الجديد قبلي الباب الأخضر.صحب الطرطوشي أبا الوليد الباجي بمدينة سرقسطة، وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه، وأجاز له، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه، وقرأ الأدب على أبي محمد ابن حزم بمدينة إشبيلية، ورحل إلى المشرق سنة 476 هـ وحج ودخل بغداد والبصرة، وتفقه على أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي المعروف بالمستظهري الفقيه الشافعي وعلى أبي أحمد الجرجاني، وسكن الشام مدة ودرس بها. وكان إماما عالما كامل زاهدا ورعا دينا متواضعا متقشفا متقللا من الدنيا راضيا منها باليسير، وكان يقول: إذا عرض لك أمران دنيا وأمر أخرى فبادر بأمر الأخرى يحصل لك أمر الدنيا والأخرى.

■ (2) الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الدين الجمالي كان وزير الملوك الفاطميين المستنصر بالله، والمستعلي بالله، والآمر بأحكام الله، ولد سنة 458 هـ، وقتله الملك الآمر بأحكام الله، الذي خلف المستعلي بالله سنة 515 هـ

■ (3) أبو القاسم المستعلي بالله الفاطمي أحمد بن معد بن الظاهر بن علي بن منصور، ولد في القاهرة سنة 466 هـ وبويع له بعد موت أبيه المستنصر سنة 487 هـ.وكان القائم بخلافته وزيره أمير الجيوش الأفضل بن شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي. والمستعلى هذا هو التاسع من ملوك بني عبيد في مصر والمغرب والإمام التاسع عشر عند الإسماعيلية المستعلية. مات المستعلي سنة 495 هـ . وتخلف بعده ابنه الآمر بأحكام الله منصور. وفي أيام المستعلي انقطعت دولته من الشام، واستولى عليها الأتراك واستولت الفرنج على سواحل الشام، وأخذت بيت المقدس. وأخذ أمر الفاطميين في اضمحلال، وتلاشت دولتهم، وغلبت الوزراء عليهم. ولم يبق لهم من يومئذ من الملك إلا مجرد الاسم فقط. وكثرت الباطنية الملاحدة الذين هم الإسماعيلية، ففتكوا بعدد كثير من الكبار والعلماء.

■ (3) المستنصر بالله الفاطمي: أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم أبي علي منصور بن العزيز بن المعز، العبيدي المصري.ولي الأمر بعد أبيه، وله سبع سنين، وذلك سنة 427 هـ، فامتدت أيامه 60 سنة وأربعة أشهر. مات سنة 487 هـ، وقد قارب 70.

■ (3) الآمر بأحكام الله الفاطمي: أبو علي منصور بن المستعلي أحمد بن المستنصر معد بن الظاهر بن الحاكم، العبيدي المصري الرافضي الظلوم.ولي هو صغير فلما كبر قتل الأفضل أمير الجيوش، ولد سنة 490 هـ وقتل سنة 524هـ فبايعوا ابن عم له، وهو الحافظ لدين الله.

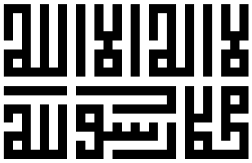

عن كعب قال: كنت عند عمر فقال لي:﴿يَا كَعْبُ خَوِّفْنَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَيْسَ فِيكُمْ كِتَابُ الله تَعَالَى، وَحِكْمَةُ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ خَوِّفْنَا يَا كَعْبُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ لَوْ وَافَيْتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَمَلِ سَبْعِينَ نَبِيًّا لَازْدَرَيْتَ عَمَلَكَ مِمَّا تَرَى. قَالَ: فَأَطْرَقَ عُمَرُ مَلِيًّا ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: زِدْنَا يَا كَعْبُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ فُتِحَ مِنْ جَهَنَّمَ قَدْرَ مِنْخَرِ ثَوْرٍ بِالْمَشْرِقِ وَرَجُلٌ بِالْمَغْرِبِ لَغَلَى دِمَاغُهُ حَتَّى يَسِيلَ مِنْ حَرِّهَا. فَأَطْرَقَ عُمَرُ مَلِيًّا ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: زِدْنَا يَا كَعْبُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ جَهَنَّمَ لَتَزْفِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ زَفْرَةً مَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا خَرَّ جَاثِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، حَتَّى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيلَهُ لَيَخِرُّ جَاثِيًا وَيَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي، لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي. قَالَ: فَأَطْرَقَ عُمَرُ مَلِيًّا، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوَلَسْتُمْ تَجِدُونَ هَذَا فِي كِتَابِ الله تَعَالَى؟ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: كَيْفَ؟ قُلْتُ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [النحل] قَالَ: فَسَكَتَ عُمَرُ﴾ وروي أن عمر بن الخطاب قال لكعب: يا كعب حدثنا عن الموت، فقال: يا أمير المؤمنين هو غصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل حتى إذا أخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى. وسأل عمر رضي الله عنه كعبا فقال له: ما التقوى؟ فقال كعب: يا أمير المؤمنين أما سلكت طريقا فيه شوك؟ قال: نعم. قال: فماذا فعلت؟ فقال عمر: أشمر عن ساقي، وانظر إلى مواضع قدمي وأقدم قدما وأؤخر أخرى مخافة أن تصيبني شوكة. فقال كعب: تلك هي التقوى. وعن إسماعيل بن عبد الرحمن ، عن رجل من بني أسد قال: قال عمر لكعب: و يحك يا كعب حدثنا من حديث الآخرة قال نعيم: يا أمير المؤمنين إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق إلا وهو ينظر إلى عمله قال، ثم يؤتى بالصحف التي فيها أعمال العباد فتنشر حول العرش وذلك قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف] قال الأسدي: الصغيرة ما دون الشرك والكبيرة الشرك [إلا أحصاها] قال كعب: ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه فحسناته باديات للناس وهو يقرأ سيئاته فذكر معنى ما تقدم، وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول: يا ويلتنا ضجوا إلى الله من الصغائر قبل الكبائر. قال ابن عباس رضي الله عنه: الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك يعني ما كان من ذلك في معصية الله. وعن شيخ من قريش قال: قال عمر بن عبد العزيز: يا معشر المستترين اعلموا أن عند الله مسألة فاضحة، قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر] عن أم المؤمنين عائشة قالت: جاء رجل فقعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إن لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ، وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذَنْبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ، اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ﴾ فتنحى الرجل، وجعل يهتف ويبكي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء] فقال الرجل: يا رسول الله! ما أجد لي ولهؤلاء شيئا خيرا من مفارقتهم، أشهدك أنهم كلهم أحرار. روي عن عطاء بن يسار قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر:﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ [سبأ] ثُمَّ قَالَ: ثَلَاثٌ مَنْ أُوتِيَهُنَّ فَقَدْ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ: الْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَخَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ﴾ قال ابن عمر: ما حمل الرجال حملا أثقل من المروءة، فقال له أصحابه: أصلحك الله، صف لنا المروءة، فقال: ما لذلك عندي حد أعرفه، فألح عليه رجل منهم، فقال: ما أدري ما أقول: إلا أني ما استحييت من شيء علانية إلا استحييت منه سرا.

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ سراج الملوك/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة/

قال أبو الفرج ابن الجوزي: حدثني أبو البركات بن الجلاء الامين قال: حضر أبو الحسن الدامغاني[1] وجماعة أهل الموكب باب الحجرة فخرج الخادم فقال: انصرفوا إلا قاضي القضاة! فلما انصرفوا فقال له: إن أمير المؤمنين بحيث يسمع كلامك وهو يقول: أنحن نحكمك أم أنت تحكمنا؟ قال: فكيف يقال لي هذا وأنا بحكم أمير المؤمنين، فقال: أليس يتقدم إليك بقبول قول شخص فلا تفعل؟ قال: فبكى وقال: قل لامير المؤمنين: يا أمير المؤمنين! إذا كان يوم القيامة جئ بديوان ديوان فسئلت عنه فإذا جئ بديوان القضاء كفاك أن تقول: وليته لذاك المدبر الدامغاني فتسلم أنت وأقع أنا، فبكى الخليفة وقال: افعل ما تريد.

قال أبو الفرج بن الجوزي: وقد روى رفيقنا أبو سعد السمعاني قال سمعت أبا الحسن علي بن أحمد الأزدي يقول دخل أبو بكر الشاشي[2] على قاضي القضاة الدامغاني زائر له فما قام قاضي القضاة فرجع الشاشي وما قعد وكان ذلك في سنة نيف وثمانين فما اجتمعا إلا بعد سنة خمسمائة في عزاء لأبن الفقيه فسبق الشاشي فجلس فلما دخل الدامغاني قام الكل سوى الشاشي فإنه ما تزحزح فكتب قاضي القضاة إلى المستظهر[3] يشكو الشاشي أنه ما احترم نائب الشرع فكتب المستظهر ماذا أقول له اكبر منك سنا وأفضل منك وأورع منك لوقمت له كان يقوم لك وكتب الشاشي وكتب الشاشي إلى المستظهر يقول فعل في حقي وصنع ووضع مرتبة العلم والشيوخة وكتب في أثناء القصة: حجاب وإعجاب وفرط تصلف..ومد يد نحو العلا بتكلف..فلو كان هذا من وراء كفاية..لهان ولكن من وراء تخلف.فكتب المستظهر في قصته يمشي الشاشي إلى الدامغاني ويعتذر فمضى إمتثالا للمراسم، وكنا معه فقام له الدامغاني قياما تاما وعانقه واعتذر إليه وجلسا طويلا يتحدثان، وكان القاضي يقول تكلم والدي في المسألة الفلانية واعترض عليه فلان، وتكلم فلان في مسألة كذا وكذا واعترض عليه والدي، إلى أن ذكر عدة مسائل فقال له الشاشي: ما أجود ما قد حفظت أسماء المسائل.

■ (1) أبو الحسن، علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن الدامغاني الحنفي، ولد في بغداد سنة 446 هـ،، ولي القضاء بعد أبي بكر الشامي إلى أن توفي. وشهد عند والده وسنه 17 سنة فولاه يومئذ قضاء باب الطاق ولم يسمع أن قاضيا ولي في هذه السن وناب في الوزارة أيام المستظهر والمسترشد وقام بأخذ البيعة وعقدها للمسترشد ولا يعلم قاض ولي لأربعة من الملوك العباسيين غيره وغير شريح. توفي سنة 513 هـ ودفن في مقبرة الخيزران في بغداد. ذكر غيره أنه دفن في داره بنهر القلائين بعد أن صلى عليه ولده أبو عبد الله محمد وحضر أرباب الدولة والقضاة والشهود وأهل العلم وخدم الخليفة، وكانت الصلاة. وولي قضاء القضاة في زمن أربعة من الملوك العباسيين: الثامن والعشرون المستظهر، والتاسع والعشرون المسترشد، والثلاثون الراشد، والثاني والثلاثون المستنجد. ودام في وظيفته قاضياً لمدة أربعة وعشرون عاماً.

■ (2) محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر، أبو بكر الشاشي القفال الفارقي، الملقب فخر الاسلام، المستظهري: رئيس الشافعية بالعراق في عصره. ولد بميا فارقين، ورحل إلى بغداد فتولى فيها التدريس بالمدرسة النظامية سنة 504 هـ واستمر إلى أن توفي سنة 507 هـ. ودفن إلى جنب شيخه أبي إسحاق الشيرازي، وقيل: دفن معه.

■ (3) أحمد المستظهر بن عبد الله المقتدي بن محمد بن القائم، أبو العباس، ذخيرة الدين: خليفة عباسي. ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 487 هـ واتسق له الامر على حداثة سنه. وكان ممدوح السيرة، قال ابن الاثير: كان المستظهر لين الجانب، كريم الاخلاق يحب اصطناع الناس، ويفعل الخير، لا يرد مكرمة تطلب منه. وكان كثير الوثوق بمن يوليه، غير مصغ إلى سعاية ساع أو ملتفت إلى قول واش، ولم يعرف عنه التلون أو انحلال العزم بأقوال أصحاب الاغراض ! ومما يوصف به معرفته بالادب والشعر. وله توقيعات تدل على فضل غزير. وباسمه ألف الغزالي كتابه المستظهري في فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية، نشر قسم منه. وكانت خلافته 24 سنة و 3 أشهر و 20 يوما ومات ببغداد سنة 512 هـ ودفن في حجرة له كان يألفها. قال ابن تغري بردي: لم تصف له الخلافة بل كانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب. وفي أيامه سنة 492 هـ أخذ الفرنج بيت المقدس عنوة وقتلوا أهله بالمسجد الاقصى.

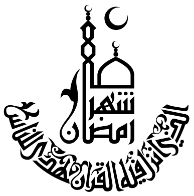

قال القاضي أبو العباس أحمد بن بختيار الواسطي: حكى لي جماعة أن عاملا من عمال السلطان –يعني محمد بن ملك شاه[1] وجب عليه حق فحبسه– يعني قاضي القضاة علي بن محمد الدامغاني، فنفذ السلطان بهروز –الخادم؟– لاجل الافراج عنه، وموضع بهروز من الدولة الموضع المشهور، فقال له: السلطان يقول لك: تفرج عن هذا العامل! فقال له: من السلطان ؟ فقال له: محمد العجمي، فقال له: قل له غير أن السلطان محمدا العربي قال لي: لاتفرج عنه، فعاد بهروز وقد ضاق صدره من ذلك، فحكى للسطان ما قال له، فقال له: قل نقبل من السلطان محمد العربي.

علي بن محمد بن علي بن محمد الدامغاني، أبو الحسن قاضي القضاة ابن قاضي القضاة أبي عبد الله، تفقه على والده، وشهد عنده في الثامن من شهر رمضان سنة ست وستين وأربعمائة. فقبل شهادته وقلده القضاء بباب الطاق وعمره ست عشرة سنة، ولم يسمع أن قاضيا تولى القضاء أصغر منه سنا، ثم ولاه والده القضاء بربع باب الازج في محرم سنة أربع وسبعين وأربعمائة، ولم يزل على القضاء إلى أن توفي والده وولي الشامي قضاء القضاة وعزل نفسه عن القضاء، فبعث إليه الشامي يقول له: أنت على عدالتك وقضائك، فنفذ إليه يقول: أما الشهادة فإنها استشهدت، أما القضاء فقضى عليه، وانقطع عن الولاية، ولازم الاشتغال بالعلم إلى أن قلده الامام المستظهر بالله قضاء القضاة بعد موت الشامي في يوم الاحد ثاني عشري شعبان سنة وثمانين وأربعمائة، وبقي على قضاء القضاة إلى آخر أيام المستظهر بالله، فلما ولي ولده الامام المسترشد بالله الخلافة أقره على ولايته إلى حين وفاته، ولا نعلم أن قاضيا ولي لاربعة خلفاء غيره وغير شريح القاضي، وناب في ديوان المجلس عن الوزارة في الايام المستظهرية والمسترشدية مرات، وجرت أموره في قضاياه وأحكامه على السداد والاستقامة.وكان فقيها فاضلا، كثير المحفوظ، متدينا عفيفا نزها، ذا مروءة وصدقات وبر ومعروف، وكانت له معرفة حسنة بالشروط وكتبة السجلات، وهو الذي تولى البيعة للامام المسترشد بالله على الناس.

حكى أبو طالب بن عبد السميع عن أبيه أن المستظهر بالله طلب من يصلي به، ويلقن أولاده، وأن يكون ضريرا، فوقع اختياره على القاضي أبي الحسن المبارك بن محمد بن الدواس مقرئ واسط قبل القلانسي، فكان مكرما له، حتى إنه من كثرة إعجابه به كان أول رمضان قد شرع في التراويح، فقرأ في الركعتين الاوليين آية آية، فلما سلم، قال له المستظهر: زدنا من التلاوة، فتلا آيتين آيتين، فقال له: زدنا، فلم يزل حتى كان يقوم كل ليلة بجزء، وإنه ليلة عطش، فناوله الخليفة الكوز، فقال خادم: ادع لامير المؤمنين، فإنه شرفك بمناولته إياك، فقال: جزى العمى عني خيرا، ثم نهض إلى الصلاة، ولم يزد على ذلك.

وقال السلفي: قال لي أبو الخطاب ابن الجراح: صليت بالمستظهر في رمضان، فقرأت: ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ [يوسف]رواية رويناها عن الكسائي، فلما سلمت، قال: هذه قراءة حسنة، فيه تنزيه أولاد الانبياء عن الكذب.قلت: كيف بقولهم: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف] ؟ ! قال ابن الجوزي: حدثني محمد بن شاتيل المقرئ، حدثني أبو سعد بن أبي عمامة قال: كنت ليلة جالسا في بيتي، وقد نام الناس، فدق الباب، فإذا بفراش وخادم معه شمعة، فقال: بسم الله، فأدخلت على المستظهر، وعليه أثر غم، فأخذت في الحكايات والمواعظ وتصغير الدنيا، وهو لا يتغير، وأخذت في حكايات الكرام وغير ذلك، فقلت: هذا لا ينام، ولا يدعني أنام، فقلت: يا أمير المؤمنين، لي مسألة، قال: قل، قلت: ولا تكتمني؟ قال: لا، قلت: بالله حل عليك نقدة للبائع، أو انكسر زورقك، أو وقعوا على قافلة لك، وضاق وقتك؟ عندي طبق خلاف أنا أقرضه لك، وتبقى بارزيا في الدروب وما يخلي الله من رزق، فهذا هم عظيم، وقد مرستني الليلة.فضحك حتى استلقى، وقال: قم، فعل الله بك وصنع، فقمت، وتبعني الخادم بدنانير وتخت ثياب.

■ (1) محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن طغربك بن ميكائيل ابن سلجوق التركي، غياث الدين، أبو شجاع. هو سلطان سلجوقي أختلف مع أخوته على الحكم بعد وفاة والدهم جلال الدولة ملك شاه وهم بركياروق ومحمود وأحمد سنجر.كان فارسا شجاعا فحلا ذا بر ومعروف. استقل بالملك بعد موت أخيه بركياروق وقد تمت لهما حروب عديدة. وخفق محمد أربعة قد ولوا السلطنة: محمود ومسعود وطغريك وسليمان. توفي سنة 511 هـ

مراجع: ذيل تاريخ بغداد/ المنتظم/ الأعلام للزركلي/ سير أعلام النبلاء/

خص الشيخ عبد القادر[1] الحاكمين بانتقاداته وحذر الناس من الانصياع لهم بما يخالف الشريعة يقول في أحد مجالسه: صارت الملوك لكثير من الخلق آلهة. قد صارت الدنيا والغنى والعافية والحول والقوة آلهة، ويحكم جعلتم الفرع أصلاً، المرزوق رازقاً، والمملوك مالكاً، الفقير غنياً، العاجز قويا الميت حياً. .. إذا عَظَّمت جبابرة الدنيا وفراعينها وملوكها وأغنياءها ونسيت الله عز وجل ولم تعظِّمه، فحكمك حكم من عبد الأصنام، تصّير مَنْ عظّمت صنمك، وانتقد الولاة والموظفين الذين يجتهدون في تنفيذ أوامر السلاطين دون تحرز : يقول في إحدى مواعظه : يا غلام: .. أخدم الحق عز وجل ولا تشتغل عنه بخدمة هؤلاء السلاطين الذين لا يضرون ولا ينفعون أيش يعطونك؟ يعطونك ما لم يقَّم لك؟ أو يقدرون يقسمون لك شيئاً لم يقسمه الحق عز وجل؟ لا شيء مستأنف من عندهم، إن قلت أن عطاءهم مستأنف من عندهم كفرت. ولم تتوقف انتقادات عبد القادر للحكام عند المواعظ العامة، وإنما تناولت المواقف الخاصة التي تبرز فيها انحرافات أو مظالم، ففي عام 541 هـ ولى الخليفة المقتفي لأمر الله[2] -الملك العباسي الحادي والثلاثون- يحي بن سعيد[3] المعروف بابن المرخم القضاء. فمضى الأخير في ظلم الرعايا ومصادرة الأموال وأخذ الرشاوي، فكتبت ضده المنشورات وألصقت في المساجد والشوارع دون أن يستطيع أحد أن يجهر بمعارضته. ويذكر سبط ابن الجوزي أن الشيخ عبد القادر اغتنم وجود الخليفة في المسجد وخاطبه من على المنبر قائلاً: وليت على المسلمين أظلم الظالمين وما جوابك غداً عند رب العالمين؟ فعزل الخليفة القاضي المذكور، ولقد تكررت هذه المواقف مع الوزراء والرؤساء والحجاب، وتذكر المصدر التاريخية أن هؤلاء كانوا يستمعون لملاحظات عبد القادر لاعتقادهم بصلاحه وصدق أغراضه وكراماته(؟).

وفي رواية: لما ولي المستنجد بالله -الملك العباسي الثاني والثلاثين-،أزال المكوس والضرائب، وقبض على ابن المرخم وسجنه مديدة، ثم أخرج من السجن ميتاً. وقد أخذ منه مالا كثيرا وأخذ كتبه فأحرق منها ما كان من علوم الفلاسفة.

----

(1) عبد القادر الجيلاني (الكيلاني، الجيلي ، الجليلي) ابن أبي صالح أبو محمد الجيلي، ولد سنة 470 هـ ، ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على أبي سعيد المخرمي الحنبلي، وقد كان بنى مدرسة ففوضها إلى الشيخ عبد القادر، فكان يتكلم على الناس بها، وكان له سمت حسن، وصمت غير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكان فيه تزهد كثير، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالا وأفعالا ومكاشفات أكثرها مغالاة وزندقة، وقد كان صالحا ورعا، وقد صنف كتاب الغنية وفتوح الغيب، وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة. توفى وله 90 سنة.

(2) محمد المقتفي لأمر الله أبو عبد الله بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بالله جعفر بن المعتضد الهاشمي، العباسي، ولد سنة 489 هـ، وبويع له بعد خلع منصور الراشد بالله بيومين سنة 530 هـ، وتوفي سنة 555 هـ.

(3) أبو الوفاء، يحيى بن سعيد بن يحيى المظفر المعروف بابن المرخم ولاه المقتفي القضاء سنة 541 ثم عزله المستنجد عن القضاء لما ولي الخلافة سنة 555 هـ وكان ظالماً يأخذ الرشا.(في بعض النسخ اسمه : ابن المزحم ؟، ابن المرجم؟ ، ابن المزاحم؟)

☪

أيها الإخوة، لقد مضى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يعرف عنهم أي سلوك يتميزون به غير اتباع الكتاب والسنة والتشرف بنسبتهم إلى ذلك، غير ملتفتين إلى التنطع في سلوكهم أو مخترعين طرائق ورهبانية مبتدعة. إلى أن أحدث أناس في الدين بدعة التصوف، منحرفين عن المنهج السليم، وراحوا يتخبطون في دوائر وهمية وفرق عديدة وأحزاب متناحرة كل حزب بما لديهم فرحون. وقد أخذ كل فريق منهم يعبر عن التصوف حسب ما يراه، ويطول سرد تلك المفاهيم والتعبيرات والأقوال التي صدرت عن أقطاب هؤلاء؛ كالجريري، والجنيد، وعمرو بن عثمان المكي، ومحمد بن علي القصاب، ومعروف الكرخي، والسهروردي، والشبلي، والشاذلي، والتجاني، والبسطامي، وابن عربي، وابن الفارض وغيرهم. قال حسان بن عطية: ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة. وقال عبد الله بن الديلمي: إن أول ذهاب الدين ترك السنة يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة.

وروى شهاب، عن عمر بن عبد العزيز قال: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه بعده سنناء الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستعمال لطاعة الله، ليس على أحد تغيرها ولا تبديلها، ولا النظر في رأي من خالفها، فمن اقتدى بها سبق هدي، ومن استبصر بها أبصر، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا. قال أبو عبد الله: سمعت شقيق بن إبراهيم يقول: خرجت من ثلاثمائة ألف درهم وكنت مرابياً ولبست الصوف عشرين سنة وأنا لا أعلم، حتى لقيت عبد العزيز بن أبي رواد، فقال لي: يا شقيق ليس الشأن في أكل الشعير، ولا لباس الصوف والشعر، الشأن في المعرفة، وأن تعبد الله لا تشرك به. فقلت: فسر لي هذا؟ قال: يكون جميع ما تعمله لله خالصاً. ثم تلا: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف] قال بكر بن عبد الله المزني: البسوا ثياب الملوك، وأميتوا قلوبكم بالخشية؛ وكان الحسن يقول: إن قوما جعلوا خشوعهم في لباسهم، وكبرهم في صدورهم، وشهروا أنفسهم بلباس الصوف، حتى إن أحدهم بما يلبس من الصوف أعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه. قالت العلماء: من أقبح المنكرات وأكبر البدعات وأعظم المحدثات ما اعتاده أهل البدع من ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله. هؤلاء عبدة غير الله ما قدروا الله حق قدره، ولم يعلم هؤلاء السفهاء أن الشيخ لا يقدر على جلب نفع لأحد ولا دفع ضر عنه مقدار ذرة، فلم يستغيثون به ولم يطلبون الحوائج منه! أليس الله بكاف عبده! اللهم، إنا نعوذ بك من أن نشرك بك أو نعظم أحدا من خلقك كعظمتك، ومنهم الذين يدعون الأنبياء والأولياء عند الحوائج والمصائب باعتقاد أن أرواحهم حاضرة تسمع النداء وتعلم الحوائج، وذلك شرك قبيح وجهل صريح، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف] قال الفضيل: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه. وقال مكحول الدمشقي: من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجىء ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد.وقال ميمون بن مهران:رجلان لا تصحبهما: صاحب مأكل سوء وصاحب بدعة.وقال: رجلان لا تعظهما ليس تنفعهما العظة:رجل قد لهج بكسب خبيث وصاحب هوى قد استغرق فيه

مقبرة شهداء أحد، ويظهر قبر سيد الشهداء، وأسد الله وأسد رسوله: حمزة بن عبد المطلب، وبجانبه قبر ابن أخته الصحابي الشهيد: عبد الله بن جحش -تقريبا في قبر واحد-

- يقول مؤسس علم الاجتماع، ابن خلدون رحمه الله: ومن هؤلاء المتصوفة: ابن عربي وابن سبعين وابن برجان وأتباعهم ممن سلك سبيلهم ودان بنحلتهم، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها، مشحونة من صريح الكفر، ومستهجن البدع، وتأويل الظواهر لذلك على أبعد الحدود وأقبحها، مما يستغرب الناظر فيها نسبتها إلى الملة أو عدها في الشريعة، وليس ثناء أحد على هؤلاء حجة ولو بلغ المثني عسى ما يبلغ من الفضل لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلاً أو شهادة من كل أحد، وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة وما يوجد من نسخها في أيدي الناس مثل الفصوص والفتوحات المكية لابن عربي، فالحكم في هذه الكتب وأمثالها، إذهاب أعيانها إذا وجدت بالتحريق بالنار والغسل بالماء حتى ينمحي أثر الكتاب.
- يقول الشيخ عبد الرحمان الوكيل رحمه الله: ويزعمون أن الصوفية جاهدت حتى نشرت الإسلام في بقاع كثيرة، ولقد علمت ما دين الصوفية؟ فما نشروا إلا أساطير حمقاء، وخرافات بلهاء، وبدعا بلقاء وشوهاء، ما نشروا إلا وثنية تؤله الحجر وتعبد الرمم ! ما نشروا دينهم إلا في حماية الغاصب المستعمر، وطوع هوى الغاصب المستعمر، فعدوّ الإسلام يوقن تماما: أن البدع هي الوسيلة التي تصل إلى الهدف دائما؛ لكي يقضوا بها على الإسلام وأهله فعلها قديما ويفعلها حديثا، واقرؤوا تاريخكم إن كنتم تمترون أروني صوفيا واحدا قاتل في سبيل الله؟ أروني صوفيا واحدا جالد الاستعمار أو كافحه أو دعا إلى ذلك؟ إن كل من نسب إليهم مكافحة الاستعمار – وهم قلة- لم يكافحوه إلا حين تخلى هو عنهم، فلم يطعمهم السحت في يديه و لم يبح لهم جميع الفتات من تحت قدميه و إلا حين قهرت فيهم عزّة الوطنية ذل الصوفية فقاتلوا حية لا لدين.
- يقول د. عبد الوهاب المسيري رحمه الله: مما له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام، يشجع الحركات الصوفية. ومن أكثر الكتب انتشارًا الآن في الغرب مؤلفات محيي الدين ابن عربي، وأشعار جلال الدين الرومي، وقد أوصت لجنة الكونغرس الخاصة بالحريات الدينية بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية؛ فالزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يضعف ولا شك صلابة مقاومة الاستعمار الغربي.
- يقول ابن تيمية رحمه الله: وأما الجهاد فالغالب عليهم أنهم أبعد من غيرهم، حتى نجد في عوام المؤمنين من الحب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحب والتعظيم لأمر الله والغضب والغيرة لمحارم الله ما لا يوجد فيهم. حتى أن كثيراً منهم يعدون ذلك (أي الجهاد) نقصاً في طريق الله وعيباً. وربما يظنون أن الذكر والتفكر والفناء والبقاء هو الأصل والأهم.

ومن الواضح أن أعداء الإسلام حينما ينظرون إلى الصوفية بعين الرضا والارتياح، فإنما ذلك لأجل هذه المواقف المتخاذلة التي وقفها أقطاب التصوف منهم، ولقد اتفقت دعوة الصوفية إلى ترك الجهاد مع كل الأفكار الخارجة عن منهج الله عز وجل؛ إذ ما من طائفة من تلك الطوائف إلا وكانت الدعوة إلى ترك الجهاد من أولويات اهتماماتها.يقول صلى الله عليه وسلم:﴿الْجِهَادُ مَاضٍ مُذْ بَعَثَنِيَ اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الدَّجَّالَ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ﴾.

أيها الإخوة المؤمنين، لقد تربى المسلمون الأوائل تربية جهادية، فهم مستعدون دائماً لمصاولة الباطل والدفاع عن الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ينفذون في ذلك سنن الله سبحانه وتعالى، فالشر لا بد من دفعه بالخير و إلا فسدت الأرض، وكان علماء السلف يرابطون في الثغور* للجهاد، مثل الإمام أحمد بن حنبل والإمام عبد الله بن المبارك، وقصة ما كتبه ابن المبارك للفضيل بن عياض يعاتبه فيها على تفرغه للعبادة في مكة وعدم مشاركته في حماية الحدود الإسلامية هي قصة مشهورة، فما هو موقف الصوفية من هذا الموضوع المهم؟ استرسل الكثير من الصوفية مع القدر الكوني وفهموا هذه المسألة فهماً خاطئاً فظنوا أن الاستسلام لما يقدره الله من عدو أو مرض أو فقر هو من باب الرضى بالقضاء، ولذلك استكانوا للحكام الظلمة وقالوا: هذه إرادة الله وكيف نخالفها، فهم دائماً مع الحاكم سواء كان مؤمناً أم كافراً، ولم يعلموا أن قدر الله الكوني يدفع بالقدر الشرعي*، فالمرض يدفع بالدواء، والعدو يدفع بالجهاد.. باستثناء بعض الحركات الإصلاحية في ليبيا والسودان التي تأثر بها المجاهد محمد بن العربي (بوعمامة) في الجزائر والشهيد عمر المختار في ليبيا، كانت الزوايا في شمال أفريقيا أهم عامل في نشر الخرافات وتخدير العامة وكنت سبب في ترك المدعو الأمير عبد القادر للجهاد ومعاهدته فرنسا ألا يرفع في وجهها سيفاً مادام حياً. قلت: فلا عجب أن يهتم أعداء المسلمين اليوم بالتصوف ويروجون له في مؤتمرات ويخصصون له صناديق مالية، كصندوق السفراء الأمريكيين في وزارة الخارجية الأمريكية (المسيحية الصهيونية).

----

* قالت العلماء: نعالج القدر الكوني بالقدر الشرعي، أي: قدر الله جل وعلا الذي قدره نتعامل معه بالقدر الشرعي والمسلم يتبع القدر الشرعي وليس القدر الكوني الذي ليس فيه أمر أو نهي (الثغور) هي مراكز عسكرية تجعل على حدود البلاد الإسلامية لصد الكفار عنها

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ عصر الدولة الزنكية/ موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام/ الاستقامة/ إحياء علوم الدين/ الدولة الزنكية/ وفيات الأعيان/ مختصر تاريخ دمشق/ الا ستقامة/ موسوعة الرد على الصوفية/ الصوفية..نشأتها وتطورها/ كتب: طارق عبد الحليم ومحمد العبدة/ المهتدين/

أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله بن المستظهر (الحادي والثلاثون من ملوك الدولة العباسية) وابن الجواليقي 0959

قال جلال الدين السيوطي: لما عاد المقتفي الإمام أبا منصور الجواليقي [1] النحوي ليجعله إماما يصلي به دخل عليه فما زاد على أن قال: السلام على أمير المؤمنين ورحمه الله، -وكان ابن التلميذ[2] النصراني الطبيب قائما- فقال: ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين يا شيخ فلم يلتفت إليه ابن الجواليقي وقال: يا أمير المؤمنين سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية وروى الحديث ثم قال: يا أمير المؤمنين لو حلف حالف أن نصرانيا أو يهوديا لم يصل إلى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه لما لزمته كفارة، لأن الله ختم على قلوبهم، ولن يفك ختم الله إلا الإيمان، فقال المقتفي: صدقت وأحسنت. وكأنما ألجم ابن التلميذ بحجر، مع فضله وغزارة أدبه.

----

(1) ابن الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقى: عالم بالادب واللغة. مولده ووفاته ببغداد. كان يصلى إماما بالمقتفي العباسي. وقرأ عليه المقتفى بعض الكتب. نسبته إلى عمل الجواليق وبيعها. قال ابن القفطي: وهو من مفاخر بغداد. مولده سنة 466 هـ. قال ابن الجوزي: قرأ الادب سبع عشرة سنة على التبريزي، وانتهى إليه علم اللغة، ودرس العربية بالنظامية، وكان المقتفي يقرأ عليه شيئا من الكتب، وكان متواضعا، طويل الصمت، متثبتا، يقول كثيرا: لا أدري. مات في المحرم سنة 540 هـ، وغلط من قال: سنة 539 هـ.

(2) هبة الله بن صاعد بن (هبة الله بن) إبراهيم، أبو الحسن، أمين الدولة، موفق الملك، المعروف بابن التلميذ: حكيم، عالم بالطب والادب. له شعر، كله ملح ولطائف وابتكارات، في بيتين أو ثلاثة، وترسل جيد. مولده ووفاته ببغداد. عمر طويلا 465 = 560 هـ. وخدم الخلفاء من بني العباس. وانتهت إليه رياسة الاطباء في العراق. وكان عارفا بالفارسية واليونانية والسريانية. وتولى البيمارستان العضدي إلى أن توفي. وكان رئيس النصارى ببغداد وقسيسهم.

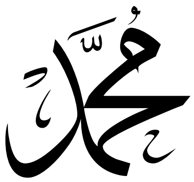

الجواليقي قال عنه ابن السمعاني: إمام في اللغة والنحو، وهو من مفاخر بغداد. قرأ الأدب على أبي زكريا التبريزي، وتلمذ له، حتى برع فيه. وهو متدين، ثقة، ورع، غزير الفضل، وافر العقل، مليح الخط، كثير الضبط. صنف تصانيف، وانتشرت عنه، وشاع ذكره. وقال غيره: كان حجة في نقل العربية، علامة، متفننا في الآداب، تخرج به جماعة كثيرة. وقال ابن الجوزي:... درس العربية في النظامية بعد أبي زكريا مدة. فلما استخلف المقتفي اختص بإمامته.وكان المقتفي يقرأ عليه شيئا من الكتب، وكان غزير العقل، متواضعا في ملبسه ورياسته، طويل الصمت، لا يقول الشيء إلا بعد التحقيق والفكر الطويل. وكثيرا ما كان يقول: لا أدري. وكان من أهل السنة. سمعت منه كثيرا من الحديث وغريب الحديث. وقرأت عليه كتابه المعرب وغيره من التصانيف. وقال ابن خلكان: صنف التصانيف المفيدة، وانتشرت عنه، مثل شرح كتاب أدب الكاتب، وكتاب المعرب، وتتمة درة الغواص التي للحريري. وخطه مرغوب فيه...

قال الذهبي: كان المقتفي من سروات الخلفاء عالما أديبا شجاعا حليما دمث الأخلاق كامل السؤدد خليقا للإمامة قليل المثل في الأمة لا يجري في دولته أمر -وإن صغر- إلا بتوقيعه وكتب في خلافته ثلاث ربعات وسمع الحديث من مؤدبه أبي البركات بن أبي الفرج بن السني. قال ابن السمعاني: وسمع جزاء ابن عرفة مع أخيه المسترشد من أبي القاسم بن بيان روى عنه أبو منصور الجواليقي اللغوي إمامه والوزير ابن هبيرة وزيره وغيرهما وقد جدد المقتفي بابا للكعبة واتخذ من العقيق تابوتا لدفنه وكان محمود السيرة مشكور الدولة يرجع إلى الدين وعقل وفضل ورأي وسياسة جدد معالم الإمامة ومهد رسوم الخلافة وباشر الأمور بنفسه وغزا غير مرة وامتدت أيامه.

وقال أبو طالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد السميع الهاشمي في كتاب المناقب العباسية: كانت أيام المقتفي نضرة بالعدل زاهرة بفعل الخيرات وكان على قدم من العبادة قبل إفضاء الأمر إليه وكان في أول أمره متشاغلا بالدين ونسخ العلوم وقراءة القرآن ولم ير مع سماحته ولين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة في شهامته وصرامته وشجاعته مع ما خص به من زهده وورعه وعبادته ولم تزل جيوشه منصورة حيث يممت.

وقال ابن الجوزي: من أيام المقتفي عادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء ولم يبق له منازع وقبل ذلك من دولة المقتدر إلى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك وليس للخليفة معهم إلا اسم الخلافة ومن سلاطين دولته السلطان سنجر[1] صاحب خراسان والسلطان نور الدين محمود [2] صاحب الشام وكان جوادا كريما محبا للحديث وسماعه معتنيا بالعلم مكر ما لأهله.

قال ابن السمعاني: حدثنا أبو المنصور الجواليقي حدثنا المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين حدثنا أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب حدثنا أبو محمد الصيرفيني حدثنا المخلص حدثنا إسماعيل الوراق حدثنا حفص بن عمرو الربالي حدثنا أبو سحيم حدثنا عبد العزيز ابن صهيب عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لاَ يَزْدَادُ الْأُمَرَاءُ إِلاَّ شِدَّةً، وَلاَ النَّاسُ إِلاَّ شُحًّا، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ﴾ ضعيف؟ .

في دويلة سلاجقة العراق: جلس ابن العبادي[1] الواعظ فتكلم والسلطان مسعود[2] حاضر وكان قد وضع على الناس في البيع مكسا فاحشا فقال في جملة وعظه:يا سلطان العالم، أنت تطلق في بعض الاحيان للمغني إذا طربت قريبا مما وضعت على المسلمين من هذه المكس فهبني مغنيا وقد طربت فهب لي هذا المكس شكرا لنعم الله عليك.فأشار السلطان بيده أن قد فعلت فضج الناس بالدعاء له وكتب بذلك سجلات ونودي في البلد بإسقاط ذلك المكس ففرح الناس بذلك ولله الحمد والمنة

----

(1) أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق؛ سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر، وخطب له بالعراقين وأذربيجان وأران وأرمينية والشام والموصل وديار بكر وربيعة والحرمين، وضربت السكة باسمه في الخافقين، وتلقب بالسلطان الأعظم معز الدين. كانت ولادته سنة 479 هـ بظاهر مدينة سنجار، ولذلك سمي سنجر، تولى المملكة في سنة 490 هـ نيابة عن أخيه بر كياروق ثم استقل بالسلطنة سنة 512 هـ. وتوفي سنة 552 هـ بمرو، ودفن بها بعد خلاصه من الأسر، وانقطع بموته استبداد الملوك السلجوقية بخراسان، واستولى على أكثر مملكته خوارزم شاه أتسز بن محمد بن أنوشتكين، وهو جد السلطان محمد بن تكش خوارزم شاه، وذكر ابن الأزرق الفارقي في تاريخه أنه مات سنة 555 هـ، والله أعلم بذلك.وقال غيره: توفي في السنة، وقطعت الخطبة ببغداد للسلجوقية عند وصول خبر وفاته في أيام المقتفي لأمر الله، وكتب إلى بلاد الجزيرة الفراتية والشام بقطع الخطبة في هذه السنة، والله أعلم.

(2) نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر. أبو القاسم، التركي السلطاني الملكشاهي، يُلقَّب بالملك العادل، وناصر أمير المؤمنين، تقيّ الملوك، ليث الإسلام، نور الدين الشهيد رغم وفاته بسبب المرض، مولده سنة 511 هـ. ولي جده نيابة حلب للسلطان ملكشاه بن ألب آرسلان السلجوقي. ونشأ قسيم الدولة (آق سنقر) بالعراق، وندبه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بإشارة المسترشد لامرة الموصل وديار بكر والبلاد الشامية، وظهرت شهامته وهيبته وشجاعته، ونازل دمشق، واتسعت ممالكه، فقتل على حصار جعبر سنة 541 هـ، فتملك ابنه نور الدين هذا حلب، وابنه الآخر الموصل. وكان نور الدين حامل رايتي العدل والجهاد، حاصر دمشق، ثم تملكها، وبقي بها عشرين سنة.وقال أبو الفرج بن الجوزي: جاهد، وانتزع من الكفار نيفا وخمسين مدينة وحصنا، وبنى بالموصل جامعا غرم عليه سبعين ألف دينار، وترك المكوس قبل موته، وبعث جنودا فتحوا مصر، وكان يميل إلى التواضع وحب العلماء والصلحاء، وكاتبني مرارا، وعزم على فتح بيت المقدس، فتوفي سنة 569 هـ.... وخلفه صلاح الدين على الشام والجزيرة وجميع البلاد التي كانت تابعة لنور الدين واشتغل بمحاربة الافرنج.

(1) العبادي الواعظ المشهور المطرب، أبو منصور، المظفر بن أردشير المروزي العبادي ويلقب بالامير. واعظ باهر، حلو الاشارة، رشيق العبارة، إلا أنه قليل الدين. سمع من نصر الله الخشنامي، وعبد الغفار الشيروي، وجماعة. قدم رسولا إلى بغداد من السلطان سنجر سنة إحدى وأربعين، فأقام ثلاثة أعوام يعظ بجامع القصر وبدار السلطنة، وازدحموا عليه، وأقبل عليه المقتفي والكبراء، وأملى بجامع القصر. روى عنه: ابن الاخضر، وحمزة بن القبيطي، ومحمد بن المكرم. وكان يضرب بحسن وعظه المثل. قال أبو سعد السمعاني: لم يكن بثقة، رأيت رسالة بخطه جمعها في إباحة شرب الخمر. قال ابن الجوزي: له كلمات جيدة، وكتبوا عنه من وعظه مجلدات، ذهب ليصلح بين ملك وكبير، فحصل له منهما مال كثير، ومات بعسكر مكرم سنة سبع وأربعين وخمس مئة. عاش ستا وخمسين سنة، الله يسامحه.

(2) مسعود السلطان الكبير، غياث الدين، أبو الفتح، مسعود بن السلطان محمد ابن السلطان ملكشاه السلجوقي. نشأ بالموصل مع أتابك مودود، ورباه، ثم مع آقسنقر البرسقي، ثم مع خوش بك صاحب الموصل، فلما مات والده، حسن له خوشبك الخروج على أخيه محمود، فالتقيا، فانكسر مسعود، ثم تنقلت به الاحوال، واستقل بالسلطنة في سنة 528، وقدم بغداد. قال ابن خلكان: كان عادلا لينا، كبير النفس، فرق مملكته على أصحابه، وما ناوأه أحد إلا وظفر به، وقتل خلقا من كبار الامراء والخليفتين منصور الراشد بالله، والفضل المسترشد بالله، الخليفة العباسي الثلاثون، والخليفة العباسي التاسع والعشرون، لانه وقع بينه وبين المسترشد لاستطالة نواب مسعود على العراق، وعارضوا الخليفة في أملاكه، فبرز لحربه، فجيش مسعود بهمذان، فالتقيا، فانكسر جيش المسترشد، وأسر في عدة من أمرائه، وطاف بهم مسعود بأذربيجان، وقتل الخليفة بمراغة، وأقبل مسعود على اللذات والبطالة، وحدث له علة الغثيان مدة، وجرت بينه وبين عمه سنجر منازعة، ثم تصالحا. قال ابن الاثير: كان كثير المزاح، حسن الخلق، كريما، عفيفا عن أموال الرعية، من أحسن السلاطين سيرة، وألينهم عريكة. قال الذهبي قلت: أبطل مكوسا ومظالم كثيرة، وعدل، واتسع ملكه، وكان يميل إلى العلماء والصالحين، ويتواضع لهم. قال أبو سعد السمعاني: كان بطلا شجاعا، ذا رأي وشهامة، تليق به السلطنة، سمع منه جماعة، مات في جمادى الآخرة سنة 547 هـ. قلت: نقل إلى أصبهان، فدفن بها، وعاش خمسا وأربعين سنة.

مراجع: تاريخ الخلفاء/ سير أعلام النبلاء/ الأعلام للزركلي/ تاريخ الإسلام للامام الذهبي/ البداية والنهاية/ الدولة السلجوقية/

قال ابن الجوزي: كان المقتفي[1] معجبا بـ يحيى بن محمد بن هبيرة[2]، يقول: ما وزر لبني العباس مثله. فكان مبالغا في تحصيل التعظيم للدولة العباسية، قامعا للمخالفين بأنواع الحيل، حسم أمور السلاطين السلجوقية. وذكر صاحب سيرته: أنه سمعه يذكر: أنه لما استطال السلطان مسعود[3] وأصحابه وأفسدوا، عزم هو والخليفة على قتاله. قال: ثم إني فكرت في ذلك، ورأيت أنه ليس بصواب مجاهرته. لقوة شوكته. فدخلت على المقتفى، فقلت: إني رأيت أن لا وجه في هذا الأمر إلا الالتجاء إلى الله تعالى، وصدق الاعتماد عليه، فبادر إلى تصديقي في ذلك، وقال: ليس إلا هذا. ثم كتبت إليه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا على رعل وذكوان شهرا، وينبغي أن ندعو نحن شهرا. فأجابني بالأمر بذلك. قال الوزير: ثم لازمت الدعاء في كل ليلة وقت السحر أجلس فأدعو الله سبحانه، فمات مسعود لتمام الشهر، لم يزد يوما ولم ينقص يوما، وأجاب الله الدعاء وأزال يد مسعود وأتباعه عن العراق، وأورثنا أرضهم وديارهم. وهذه القصة تذكر في كرامات الخليفة والوزير رحمها الله تعالى. وكاتب الوزير ابن هبيرة السلطان نور الدين محمود بن زنكي[4] يستحثه على انتزاع مصر من يد العبيديين (الفاطميين). فسير إليها أسد الدين شيركوه[5] مرتين، وفي الثالثة خطب بها للمستنجد[6]، وجاء الخبر بذلك إلى بغداد سنة تسع وخمسين، وعمل أبو الفضائل بن تركان حاجب الوزير ابن هبيرة قصيدة يهنىء بها الوزير بفتح مصر، ويذكر أن ذلك كان بسبب سعيه وبركة رأيه، وتكامل انتزاع مصر من بني عبيد، وإقامة الخطبة لبني العباس بها بعد سبع سنين في خلافة المستضيء[7] فعظمت حرمة الدولة العباسية في وقته، وانتشرت إقامة الدعوة لها في البلاد.

قال ابن الجوزي: كان الوزير يجتهد في اتباع الحق، ويحذر من الظلم، ولا يلبس الحرير. قال ابن الجوزي: حدثني الوزير قال: لما رجعت من الحلة وكان قد خرج لدفع بعض البغاة دخلت على المقتفي فقال لي: ادخل هذا البيت فغير ثيابك فدخلت فإذا خادم وفراش ومعهم خلعة حرير، فقلت: أنا والله ما ألبس هذه. فخرج الخادم فأخبر المقتفي، فسمعت صوت المقتفي وهو يقول: قد والله قلت: إنه ما يلبس. ذكر صاحب سيرته هذه الحكاية مبسوطة. قال: فعاد الخادم وعلى يده دست من ثياب الخليفة فأفاضه علي، وقال: قد أخبرت أمير المؤمنين بامتناعك، فقال: والله لقد حسبت هذا، وأنه لا يفعل. قال: فقلت حينئذ لنفسي: يا يحيى كيف رأيت طاعة الله تعالى؟ لو كنت قد لبستها كيف كنت تكون في نفس أمير المؤمنين. وكيف كانت تكون منزلتك عنده؟. قال: وحدثني الفقيه أبو حامد أحمد بن محمد بن عيسى الحنبلي قال: حدثني الوزير عون الدين قال: كان بيني وبين بعض مشايخ القرى معاملة مضيت من أجلها من الدور إلى قريته فلم أجده، فقعدت لانتظارهم حتى هجم الليل، فصعدت إلى سطحه للنوم، فسمعت قوما يسفهون بالهجر من الكلام، فسألت عنهم. فأخبرت أنهم يعصرون بالنهار الخمر ويسفهون في الليل. فقلت: والله لا بت بها فقيل: ولم؟ فقلت: أخاف أن ينزل بهم عذاب وسخط فأكون معهم، فإن لم يكن خسفا حقيقيا كان خسفا معنويا، مما يدخل على القلب من القساوة والفتور عن ذكر الله تعالى بسماع هذا الكلام، ومضيت ذلك الوقت إلى الدور. قال الوزير: فلما عدت أنا والمقتفي لأمر الله من حصار قلعة تكريت مررنا بتلك القرية، فسألني المقتفي عنها. فقلت: هذه الناحية للوكلاء أجلهم الله تعالى. فقال: لئن تكون لك، إذ هي في جوارك أصلح من أن تكون لنا، فتقدم إلى عمالك بالتصرف فيها. فذكرت له حينئذ حالتي بها، وقلت له: فمن بركة ذلك الفعل رزقت القرب منك يا أمير المؤمنين، وتملك الناحية من غير طلب مني لها، فاستظرف ذلك مني، وكثر تعجبه مني. قال ابن الجوزي: ونقله عنه ابن القطيعي سمعت ابن هبيرة الوزير يقول: جاءني مكتوب مختوم من المستنجد في حياة أبيه المقتفي، فقلت للرسول: ارجع إليه وقل له: إن كان فيه ما تكره أن يعلم به أمير المؤمنين فلا حاجة لك في فتحه فإني أعرفه ما فيه، وإن لم تكن تكره إطلاعه عليه فافتحه، ثم أعطه الرسول، فمضى ولم يعد، وحصل في نفسه من ذلك شيء. فلما توفي المقتفي وولي المستنجد أمر بحضوره للمبايعة. قال ابن الجوزي: فقال لي الوزير حين جاءه الرسول: إن وصلت إلى أمير المؤمنين نلت ما أريد، وإن قتلت قبل وصولي إليه فما لي حيلة. فما كان إلا ساعة دخوله عليه حتى عاد فرحا، فقلت له: ما الخبر. قال: وصلت إليه وبايعته، ثم قلت: يكفي العبد في صدقه ونصحه أنه حابى مولانا في أبيه نصحا لأمير المؤمنين وأشرت إلى رد مكتوبه، فقال: صدقت، أنت الوزير، فقلت: إلى متى. فقال: إلى الموت، فقلت: أحتاج والله إلى اليد الشريفة، فأحلفته على ما ضمن لي. قال صاحب سيرته: وأخبرني الخادم مرجان بن عبد الله، أحد خواص خدم الخليفة، قال: سمعت المستنجد بالله أمير المؤمنين ينشد وزيره عون الدين أبا المظفر بن هبيرة، وفد مثل الوزير بين يدي سدته في أثناء مفاوضة جرت بينهما في كلام يرجع إلى تقرير قواعد الدين، وانظر في مصالح الإسلام والمسلمين، فأعجب الخليفة به، فأنشده الخليفة -يمدحه- أربعة أبيات: الأخيرين منها لنفسه، والأولين لابن حيوس، وهي: صفت نعمتان خصتاك وعمتا..فذكرهما حتى القيامة يذكر..وجودك والدنيا إليك فقيرة..وجودك والمعروف في الناس ينكر..فلو رام يا يحيى مكانك جعفر..ويحيى لكفى عنه يحيى وجعفر..ولم أر من ينوي لك السوء يا أبا..المظفر إلا كنت أنت المظفر.

(2) ابن هبيرة، يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن بن جهم، الشيباني الدوري العراقي الحنبلي، أبو المظفر: الوزير الكامل، الامام العالم العادل، صدر الوزراء، عون الدين، يمين الخلافة، جلال الإسلام، صفي الإمام، شرف الأنام، معز الدولة، مجير الملة، عماد الأمة، مصطفى الخلافة، تاج الملوك والسلاطين، صدر الشرق والغرب، سيد الوزراء، ظهير أمير المؤمنين.صاحب التصانيف. مولده بقرية بني أوقر من الدور أحد أعمال الدجيل، العراق في سنة 499 هـ. ودخل بغداد في صباه، وطلب العلم، وجالس الفقهاء، وتفقه بأبي الحسين بن القاضي أبي يعلى والادباء، وسمع الحديث، وتلا بالسبع، وشارك في علوم الاسلام، ومهر في اللغة، وكان يعرف المذهب والعربية والعروض، سلفيا أثريا، ثم إنه أمضه الفقر، فتعرض للكتابة، وتقدم، وترقى، وصار مشارف الخزانة، ثم ولي ديوان الزمام للمقتفي لامر الله، ثم وزر له في سنة 544 هـ، واستمر ووزر من بعده لابنه المستنجد. وكان دينا خيرا متعبدا عاقلا وقورا متواضعا، جزل الرأي، بارا بالعلماء، مكبا مع أعباء الوزارة على العلم وتدوينه، كبير الشأن، حسنة الزمان. قال ابن الجوزي: كان الوزير يتأسف على ما مضى، ويندم على ما دخل فيه، ولقد قال لي: كان عندنا بالقرية مسجد فيه نخلة تحمل ألف رطل، فحدثت نفسي أن أقيم في ذلك المسجد، وقلت لاخي مجد الدين: أقعد أنا وأنت، وحاصلها يكفينا، ثم انظر إلى ما صرت.ثم صار يسأل الله الشهادة، ويتعرض لاسبابها، وفي ليلة ثالث عشر جمادى الاولى سنة 560 هـ استيقظ وقت السحر، فقاء، فحضر طبيبه ابن رشادة، فسقاه شيئا، فيقال: إنه سمه، فمات، وسقي الطبيب بعده بنصف سنة سما، فكان يقول: سقيت فسقيت، فمات.

(6) يوسف المستنجد بالله بن محمد المقتفي لأمر الله بن أحمد المستظهر بالله، أبو المظفر العباسي: من خلفاء الدولة العباسية ببغداد. بويع له بعد وفاة أبيه سنة 555 هـ فأزال المكوس ورفع الضرائب عن الناس. وكان من أحسن الخلفاء سيرة مع رعيته، لولا ما قيل من أنه أحرق مكتبة قاضي يعرف بابن المرخم ثبت للخليفة أنه أخذ أموالا كثيرة من الناس بالباطل فحبسه وصادره في ماله وأحرق كتبه. توفي ببغداد مخنوقا في الحمام سنة 566 هـ.

(1) محمد بن أحمد، المقتفي لامر الله ابن المستظهر ابن المقتدي العباسي: من أعاظم الخلفاء العباسيين. ولد سنة 489 هـ، وبويع له بعد خلع منصور الراشد بالله بيومين سنة 530 هـ، والسلاجقة قابضون على أزمة الامور، فجمع مالا وافرا وهيأ قوة وسلاحا وقبض على من في بغداد منهم ومن أعوانهم بعد موت السلطان مسعود زعيمهم الاكبر، واستقل بأعمال الدولة. وكان حازما، مقداما، يباشر الحروب بنفسه، وهو أول من انفرد بادارة شؤون الملك بنفسه، من أول عهد الديلم إلى عهده، وأول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه من حين تحكم المماليك بالخلفاء من عهد المستنصر إلى أيامه، لم يتقدمه بذلك غير المعتضد، ودامت له الخلافة أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر، وتوفي ببغداد. سنة 555 هـ كان يقظا كثير العناية بأخبار البلاد، يبذل الاموال العظيمة على الارصاد والعيون

(4) نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر. أبو القاسم، التركي السلطاني الملكشاهي، يُلقَّب بالملك العادل، وناصر أمير المؤمنين، تقيّ الملوك، ليث الإسلام، نور الدين الشهيد رغم وفاته بسبب المرض، مولده سنة 511 هـ. ولي جده نيابة حلب للسلطان ملكشاه بن ألب آرسلان السلجوقي. ونشأ قسيم الدولة (آق سنقر) بالعراق، وندبه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بإشارة المسترشد لامرة الموصل وديار بكر والبلاد الشامية، وظهرت شهامته وهيبته وشجاعته، ونازل دمشق، واتسعت ممالكه، فقتل على حصار جعبر سنة 541 هـ، فتملك ابنه نور الدين هذا حلب، وابنه الآخر الموصل. وكان نور الدين حامل رايتي العدل والجهاد، حاصر دمشق، ثم تملكها، وبقي بها عشرين سنة.وقال أبو الفرج بن الجوزي: جاهد، وانتزع من الكفار نيفا وخمسين مدينة وحصنا، وبنى بالموصل جامعا غرم عليه سبعين ألف دينار، وترك المكوس قبل موته، وبعث جنودا فتحوا مصر، وكان يميل إلى التواضع وحب العلماء والصلحاء، وكاتبني مرارا، وعزم على فتح بيت المقدس، فتوفي سنة 569 هـ... وخلفه صلاح الدين على الشام والجزيرة وجميع البلاد التي كانت تابعة لنور الدين واشتغل بمحاربة الافرنج.

(5) شيركوه بن شاذي بن مروان، أبو الحارث، أسد الدين، الملقب بالملك المنصور: أول من ولي مصر من الاكراد الايوبيين. وهو أخو نجم الدين أيوب، وعم السلطان صلاح الدين. كان من كبار القواد في جيش نور الدين محمود ابن زنكي بدمشق، وأرسله نور الدين على رأس جيش إلى مصر سنة 558 هـ نجدة لشاور بن مجير السعدي وعاد. وذهب إليها ثانية سنة 562 هـ لنجدة ابن أخيه صلاح الدين وقد حاصره شاور في الاسكندرية، فأصلح ما بينهما، وقويت صلته بالمصريين، وعاد. وهاجم الفرنج بلدة بلبيس بمصر، وملكوها، فكتب إليه أهلها يستنجدونه. فأقبل للمرة الثالثة، وطرد الفرنج. وعلم بأن شاور بن مجير يأتمر به لقتله هو ومن معه من كبار القواد، فتعاون مع صلاح الدين على قتل شاور. وأرسل رأسه إلى الخليفة العاضد فدعاه العاضد، وخلع عليه ولقبه بالملك المنصور، وولاه الوزارة. ولم يقم غير شهرين وخمسة أيام، وتوفي فجأة سنة 564 هـ ودفن بالقاهرة ثم نقل إلى المدينة، بوصية منه.

(7) أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد، أبو العباس، الناصر لدين الله: خليفة عباسي بويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة 575 هـ وطالت أيامه حتى انه لم يل الخلافة من بني العباس اطول مدة منه. يوصف بالدهاء على ما في أطواره من تقلب، فبينما هو مهتم بشؤون قومه يطلق المكوس ويرفع عن الناس الضرائب، إذا به قد انقلب فانصرف إلى اللهو وأعاد ما رفع. ويقال إنه هو الذي كاتب التتر وأطمعهم في البلاد لما كان بينه وبين خوارزم شاه من العداوة، أملا بأن يشغله بهم عن الزحف إلى العراق. وكان له اشتغال بالحديث، جمع كتابا فيه واستمرت خلافته 46 سنة و 11 شهرا إلا يومين، وذهبت إحدى عينيه في آخر عمره وضعف بصر الثانية وفلج فبطلت حركته ثلاث سنين. توفي سنة 622 هـ.

☪

لما ولي الوزير أبو المظفر رحمه الله الوزارة بالغ في تقريب خيار الناس من الفقهاء والمحدثين والصالحين، واجتهد في إكرامهم وإيصال النفع إليهم، وارتفع أهل السنة به غاية الارتفاع. ولقد قال مرة في وزارته: والله لقد كنت أسأل الله تعالى الدنيا لأخدم بما يرزقنيه منها العلم وأهله. وكان سبب هذا: أنه ذكر مرة في مجلسه مفردة للإمام أحمد تفرد بها عن الثلاثة، فادعى أبو محمد الأشتري المالكي: أنها رواية عن مالك، ولم يوافقه على ذلك أحد، وأحضر الوزير كتب مفردات أحمد، وهي منها، والمالكي مقيم على دعواه. فقال له الوزير: بهيمة أنت. أما تسمع هؤلاء الأئمة يشهدون بانفراد أحمد بها، والكتب المصنفة، وأنت تنازع وتفرق المجلس؟ فلما كان المجلس الثاني، واجتمع الخلق للسماع أخذ ابن شافع في القراءة، فمنعه وقال: قد كان الفقيه أبو محمد جريء في مسألة أمس على ما يليق به عن العدول عن الأدب والانحراف عن نهج النظر حتى قلت تلك الكلمة، وها أنا فليقل لي كما قلت له فلست بخير منكم، ولا أنا إلا كأحدكم، فضج المجلس بالبكاء، وارتفعت الأصوات بالدعاء والثناء، وأخذ الأشتري يعتذر، ويقول: أنا المذنب والأولى بالاعتذار من مولانا الوزير، ويقول: القصاص، القصاص، فقال يوسف الدمشقي مدرس النظامية: يا مولانا، إذا أبى القصاص فالفداء، فقال الوزير: له حكمه، فقال الأشتري: نعمك علي كثيرة، فأي حكم بقي لي. فقال: قد جعل الله لك الحكم علينا بما ألجأتنا به إلى الافتيات عليك، فقال: علي بقية دين منذ كنت بالشام، فقال الوزير: يعطى مائة دينار لإبراء ذمته وذمتي، فأحضر له مائة، فقال له الوزير: عفا الله عنك وعني، وغفر لك ولي. وذكر ابن الجوزي أنه قال: يعطى له مائة دينار لإبراء ذمته، ومائة دينار لإبراء ذمتي. وكان هذا الأشتري من علماء المالكية، طلبه الوزير من نور الدين محمود بن زنكي، فأرسل به إليه، فأكرمه غاية الإكرام. قال ابن القطيعي: كنا يوما عنده والمجلس غاص بولاة الدين والدنيا، والأعيان الأماثل وابن شافع يقرأ عليه الحديث، إذ فجأنا من باب الستر وراء ظهر الوزير صراخ بشع وصياح يرتفع، فاضطرب له المجلس، وارتاع الحاضرون، والوزير ساكن ساكت، حتى أنهى ابن شافع قراءة الإسناد ومتنه. ثم أشار الوزير إلى الجماعة على رسلكم، ثم قام ودخل إلى الستر ولم يلبث أن خرج، فجلس وتقدم بالقراءة، فدعا له ابن شافع والحاضرون، وقالوا: قد أزعجنا ذلك الصياح، فإن رأى مولانا أن يعرفنا سببه، فقال الوزير: حتى ينتهي المجلس. وعاد ابن شافع إلى القراءة حتى غابت الشمس وقلوب الجماعة متعلقة بمعرفة الحال، فعاودوه، فقال: كان لي ابن صغير مات حين سمعتم الصياح، ولولا تعين الأمر علي بالأمر بالمعروف في الإنكار عليهم ذلك الصياح لما قمت عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب الحاضرون من صبره. قال: وحضر يوما في دار الخلافة بالمرخم من التاج، فجلس به وحضر أرباب الدولة بأسرهم للصلاة على جنازة الأمير إسماعيل بن المستظهر، فسقط من السقف أفعى عظيمة المقدار على كتف الوزير، فما بقي أحد من أرباب الدولة وحواشي الخدمة إلا خرج أو قام عن موضعه، إلا الوزير فإنه التفت إلى الأفعى وهي تسرح على كمه حتى وقعت على الأرض، وبادرها المماليك فقتلوها، ولم يتحرك الوزير عن بقعته، ولا تغير في هيئته ولا عبارته. وللوزير رحمه الله تعالى من الكلام الحسن والفوائد المستحسنة والاستنباطات الدقيقة من كلام الله ورسوله ما هو كثير جدا.

مراجع: ذيل طبقات الحنابلة/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ سير أعلام النبلاء/ الأعلام للزركلي/

دخل حبيب القرشي على الأمير عبد الرحمن بن معاوية [1] فشكى إليه القاضي، وذكر أنه يريد أن يسجِّل عليه في ضيعة قسيم فيها، وادَّعى عليه الاغتصاب لها ولاذَ بالأمير من إسراع القاضي إلى الحكْم عليه من غير تثبُّت، فأرسل الأمير إليه وكلمه في حبيب ونهاه عن العجلة عليه، فخرج ابن ظريف (ابن طريف!) [2] من يومه، وعمل بضدِّ ما أراد الأمير وأنفذ الحكم، وبلغ الخبر حبيبًا فدخل إلى الأمير ممتلئًا غيظًا، فذكر له ما عمله القاضي ووصفه بالاستخفاف بأمره والنقْض له وأغراه؛ فغضبَ الأمير على القاضي واستحضره. فقال له: مَن أمرك على أن تنفذ حكمًا وقد أمرتك بتأخيره والأناة به؟ فقال له: قدمني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما بعثه الله بالحق ليقضي به على القريب والبعيد والشريف والدنيء، وأنت أيها الأمير ما الذي حملك على أن تتحامل لبعض رعيتك على بعض، وأنت تجد مندوحة (سعة) بأن ترضي من مالك مَن تُعْنَى به وتمدُّ الحق لأجله؟ فقال له: جزاك الله يا ابن ظريف خيرًا. وخرج القاضي فدعا بالقوم الذي صارت الضيعة إليهم بالاستحقاق، وكلَّمهم فوجدهم راضين ببيعها إن أجزل لهم الثمن، فعقد فيها البيع معهم وصارت إلى حبيب، فكان بعد ذلك يقول: جزى الله ابن ظريف عنَّا خيرًا، كانت بيدي ضيعة حرام فجعلها حلالاً. وكان هذا القاضي من زهده وورعه إذا شُغِل عن القضاء يومًا واحدًا لم يأخذ لذلك اليوم أجرًا.

■ (2) نصر بن طريف اليحصبي مولى عبد الرحمن بن معاوية وطريف معتق لمعاوية والد عبد الرحمن يكنى أبا الفتح كذا قال فيه أبو عبد الملك بن عبد البر وقال ابن حارث هو عبد الرحمن بن طريف قدمه عبد الرحمن بن معاوية للقضاء بقرطبة لما خبر منه من العلم والفهم فكان يستقضيه عاما ومعاوية بن صالح عاما وكان ابن طريف ورعا إذا شغل عن القضاء يوما لم يأخذ لذلك اليوم أجرا وتوفي في أول ولاية الأمير هشام ، ذكره ابن الفرضي في باب عبد الرحمن مختصرا.

■ (1) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي. الأمير الأموي المرواني الداخل إلى الأندلس. المعروف بلقب صقر قريش وعبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن الأول. ولد بدمشق سنة 113 هـ وتوفي بقرطبة سنة 172 هـ وهو أول من تملك الأندلس، وذلك أنه هرب وانفلت من بني العباس عند استيلائهم، وأبعد إلى المغرب، فروى جابر بن عبد الله الأندلسي أن عبد الرحمن بن معاوية لما سار هاربا من مصر صار إلى أرض برقة، فأقام بها خمس سنين، ثم رحل منها يريد الأندلس، فدخل بدر مولاه يتجسس عن الأخبار، فقال للمضرية: لو وجدتم رجلا من أهل الخلافة أكنتم تبايعونه؟ قالوا: وكيف لنا بذلك؟ فقال بدر: هذا عبد الرحمن بن معاوية فائتوه فبايعوه، فولي عليهم 33 سنة، ثم ولي ابنه من بعده. وكان يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس إلى أن دخل عبد الرحمن بن معاوية سنة 139 هـ

صلى الله عليه

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمِائَةِ لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً﴾ هذا الحديث قد يتأول على أن الناس في أحكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف ولا لرفيع منهم على وضيع كالإبل المائة لا تكون فيها راحلة وهي الذلول التي ترحل وتركب وجاءت فاعلة بمعنى مفعولة. عن أبي رواحة يزيد بن أيهم قال:﴿كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى النَّاسِ: اجْعَلُوا النَّاسَ عِنْدَكُمْ فِي الْحَقِّ سَوَاءً قَرِيبُهُمْ كَبَعِيدِهِمْ وَبَعِيدُهُمْ كَقَرِيبِهِمْ وَإِيَّاكُمْ وَالرِّشَا وَالْحُكْمَ بِالْهَوَى وَأَنْ تَأْخُذُوا النَّاسَ عِنْدَ الْغَضَبِ فَقُومُوا بِالْحَقِّ وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ وعن الشعبي، قال:﴿خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى السُّوقِ فَإِذَا هُوَ بِنَصْرَانِيٍّ يَبِيعُ دِرْعًا، قَالَ: فَعَرَفَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الدِّرْعَ فَقَالَ: هَذِهِ دِرْعِي، بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: وَكَانَ قَاضِيَ الْمُسْلِمِينَ شُرَيْحٌ، كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اسْتَقْضَاهُ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَى شُرَيْحٌ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَامَ مِنْ مَجْلِسِ الْقَضَاءِ، وَأَجْلَسَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي مَجْلِسِهِ وَجَلَسَ شُرَيْحٌ قُدَّامَهُ إِلَى جَنْبِ النَّصْرَانِيِّ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَمَا يَا شُرَيْحُ لَوْ كَانَ خَصْمِي مُسْلِمًا لَقَعَدْتُ مَعَهُ مَجْلِسَ الْخَصْمِ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا تُصَافِحُوهُمْ، وَلَا تَبْدَؤُوهُمْ بِالسَّلَامِ، وَلَا تَعُودُوا مَرْضَاهُمْ وَلَا تُصَلُّوا عَلَيْهِمْ، وَأَلْجِئُوهُمْ إِلَى مَضَايِقِ الطُّرُقِ، وَصَغِّرُوهُمْ كَمَا صَغَّرَهُمُ اللهُ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ يَا شُرَيْحُ، فَقَالَ شُرَيْحٌ: تَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هَذِهِ دِرْعِي ذَهَبَتْ مِنِّي مُنْذُ زَمَانٍ، قَالَ: فَقَالَ شُرَيْحٌ: مَا تَقُولُ يَا نَصْرَانِيُّ؟ قَالَ: فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: مَا أُكَذِّبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الدِّرْعُ هِيَ دِرْعِي قَالَ: فَقَالَ شُرَيْحٌ: مَا أَرَى أَنْ تَخْرُجَ مِنْ يَدِهِ، فَهَلْ مِنْ بَيِّنَةٍ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: صَدَقَ شُرَيْحٌ، قَالَ: فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: أَمَّا أَنَا، أَشْهَدُ أَنَّ هَذِهِ أَحْكَامُ الْأَنْبِيَاءِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجِيءُ إِلَى قَاضِيهِ، وَقَاضِيهِ يَقْضِي عَلَيْهِ هِيَ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دِرْعُكَ، اتَّبَعْتُكَ مِنَ الْجَيْشِ وَقَدْ زَالَتْ عَنْ جَمَلِكَ الْأَوْرَقِ*، فَأَخَذْتُهَا، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَمَّا إِذَا أَسْلَمْتَ فَهِيَ لَكَ، وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ عَتِيقٍ﴾ قال: فقال الشعبي: لقد رأيته يقاتل المشركين هذا لفظ حديث أبي زكريا، وفي رواية ابن عبدان قال: يا شريح، لولا أن خصمي نصراني لجثيت بين يديك، وقال في آخره: قال: فوهبها علي رضي الله عنه له، وفرض له ألفين، وأصيب معه يوم صفين.

☪

يقول محمد بن إبراهيم الحمد: صقر قريش عبد الرحمن الداخل هذا الرجل الذي أهديت له جارية بارعة الجمال أول قدومه الأندلس، فلما رآها قال: إن هذه من القلب والعين بمكان، وإن أنا شغلت عنها بما أهم به ظلمتها، وإن أنا اشتغلت بها عما أهم به ظلمت همتي؛ فلا حاجة لي بها الآن، وردها على صاحبها. فانظر إلى هذا الرجل لما عصى هواه، ولم يسترسل مع شهوته كيف نال ما نال. هذا الرجل الذي ولي الأندلس وهي ولاية تميد بالفتن، وتشرق بالدماء، فما لبث أن قرت له، وسكنت لهيبته، ثم خرج في طليعة من جنده، فافتتح سبعين حصنا في غزوة واحدة، ثم أمعن في قلب فرنسا، وتغلغل في أحشاء سويسرا، وضم أطرافا من إيطاليا، حتى ريض كل أولئك له. وبعد أن كانت قرطبة دار إمارة يذكر فيها الخليفة العباسي على منابرها، وتمضي باسمه أحكامها أصبحت مقر خلافته، يحتكم إليها عواهل أوروبا، وملوكها، ويختلف إلى معاهدها علماء الأمم وفلاسفتها.

قال أبو جعفر المنصور لأصحابه يوما: أخبروني عن صقر قريش، فذكروا له طائفة من الخلفاء، وهو يقول: لا . فقالوا: من يا أمير المؤمنين؟ فقال: صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر، وقطع القفر، ودخل بلدا أعجميا مفردا، فمصر الأمصار، وجند الأجناد، ودون الدواوين، وأقام ملكا بعد انقطاعه؛ لحسن تدبيره، وشدة شكيمته.

----

*(صفين) اسم موضع بين الشام والعراق. كانت به الوقعة المشهورة.(الشُراة) فرقة من فرق الخوارج (الأورق) الأسمر

مراجع: السنن الكبرى للبيهقي/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ التكملة لكتاب الصلة/

◆ أبو العاصي الحكم بن هشام الأموي، الحكم الربضي (ثالث ملوك الدولة الأموية في الأندلس) والفرج بن كنانة 0962

كان الأمير الحكم بن هشام[1] قد استخلص الفرج بن كنانة[2] وولاَّه قضاء الجماعة بقرطبة. وكان هو القاضي بها أيام الهرج* المعروف بوقيعة الربض، ومما جرى له حينئذ أن بعض أصحاب الحكَم الذين أرسلهم على الناس تعلقوا بجار الفرج بن كنانة، اتهموه بالحركة في الصبح وتسوَّروا عليه، وصاح نساؤه فسمع القاضي الصراخ فقال: ما هذا؟ فقيل: جارك فلان تعلَّق به الحرس فأخرجوه ليقتل. فبادر الخروج وكفَّ القوم عن جاره وقال لهم: إن جاري هذا بريء الساحة سليم الناحية وليس فيه شيءٌ مما تظنون. فقال له رئيس الحرس المرسل معهم: ليس هذا من شأنك، فعليك بالنظر في أحباسك وحكومتك ودعْ ما لا يعنيك. فغضب الفرج عند ذلك ومشى إلى الأمير الحكَم فاستأذن عليه، فلمَّا دخل قال له بعد السلام: أيها الأمير، إن قريشًا حاربَت رسول الله صلى الله عليه وسلم وناصبته العداوة في الله تعالى ثم إنه صفح عنهم لما أظفره الله تعالى بهم وأحسن إليهم، وأنت أحق الناس بالاقتداء به؛ لقرابتك منه ومكانك من خلافته في عباد الله. ثم حكى له قصة جاره، وما عرض له في الدفاع عنه، فأمر بتخلية سبيله وبعقاب الناظر الذي عارض القاضي وعفا عند ذلك عن بقية أهل قرطبة، وبسط الأمان بجماعتهم وردهم إلى أوطانهم، وكان هذا القاضي فارسًا شجاعًا يقود الخيل ويتصرَّف للسلطان في الولايات، وكان له قدر جليل في الناس. وقد غزا مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث[3]،معقودا له على جند شذونه بلده، إلى جليقية* وقدمه عبد الكريم إلى جمع النصرانية؛ فعضهم؛ وقتل فيهم قتلا ذريعا. وبقي قاضيا وصاحب صلاة زمانا. ثم استعفى. وأخرجه الأمير إلى الثغر الأقصى؛ فقام مقام صدور الغزاة. وكان له قدر جليل في الناس.

----

*(الهرج) القتل والفتن واضطراب الأمور (جليقية) منطقة تقع في شمال غرب إسبانيا.

■ (2) أبو القاسم، فرج بن كنانة بن نزار بن غسان بن مالك بن كنانة الكناني، من أهل شذونة، كان من أهل العلم والعبادة، رحل إلى المشرق طلبا للعلم، وسمع من عبد الرحمن بن القاسم وغيره. وبعد عودته ولاه الأمير الحكم الربضي قضاء الجماعة بقرطبة وذلك سنة 198هـ. فمكث في منصبه إلى أن استعفى منه سنة 200هـ، وكان له الأثر العظيم في الأمان الذي بذله الأمير الحكم الربضي لأهل الربض، وقد كان الفرج فارسا شجاعا، ولذا فقد قاد الجيوش في أعمالها العسكرية في الثغور، كما تولى الحكم في سرقسطة فأصلح الله به أحوال أهلها.

■ (3) عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، المتوفي سنة 209 هـ الذي تولى الحجابة معظم إمارة الحكم بن هشام وثلاث سنوات من إمارة ابنه عبد الرحمن الأوسط فقد قال عنه ابن القوطية:.لم يختلف مختلف من شيوخ الأندلس أنه لم يخدم بني أمية بالأندلس أكرم منه عناية وأكثر طاعة.. إلا أنه كان يقبل الهدية والمكافأة على قضاء الحاجة. ووصفه الرازي بأنه: أكمل من حمل هذا الاسم وأجمعهم لكل حسنة. فقد كان يجمع خصالا لم تكن تتوفر للكثيرين من رجال الدولة في عصره، فقد كان عسكريا ممتازا، وسياسيا محنكا، وكاتبا أديبا عالما.

■ (1) الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن هشام بن عبد الملك بن مروان، ملك الأندلس؛ ولي الأمر بعد والده، ولقب نفسه بالمرتضي، ويلقب بالربضي لإيقاعه بأهل الربض، ولد سنة 154 هـ ونشأ بقرطبة. توفى سنة 206 هـ. وقام بعده ولده أبو المطرف عبد الرحمن.

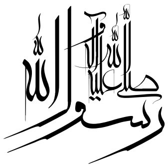

قال ابن الأثير:[1]ذكر وقعة الربض بقرطبة، سنة 198 هـ ،وسببها أن الحكم بن هشام الأموي، صاحبها، كان كثير التشاغل باللهو والصيد والشرب، وغير ذلك مما يجانسه، وكان قد قتل جماعة من أعيان قرطبة، فكرهه أهلها، وصاروا يتعرضون لجنده بالأذى والسب، إلى أن بلغ الأمر بالغوغاء أنهم كانوا ينادون عند انقضاء الأذان: الصلاة يا مخمور الصلاة ، وشافهه بعضهم بالقول، وصفقوا عليه بالأكف، فشرع في تحصين قرطبة وعمارة أسوارها، وحفر خنادقها، وارتبط الخيل على بابه، واستكثر المماليك، ورتب جمعا لا يفارقون باب قصره بالسلاح، فزاد ذلك في حقد أهل قرطبة، وتيقنوا أنه يفعل ذلك للانتقام منهم. ثم وضع عليهم عشر الأطعمة كل سنة، من غير حرص، فكرهوا ذلك، ثم عمد إلى عشرة من رؤساء سفهائهم، فقتلهم وصلبهم، فهاج لذلك أهل الربض، وانضاف إلى ذلك أن مملوكا له سلم سيفا إلى صيقل ليصقله، فمطله، فأخذ المملوك السيف، فلم يزل يضرب الصيقل به إلى أن قتله، وذلك في رمضان من هذه السنة. فكان أول من شهر السلاح أهل الربض، واجتمع أهل الأرباض جميعهم بالسلاح، واجتمع الجند والأمويون والعبيد بالقصر، وفرق الحكم الخيل والأسلحة، وجعل أصحابه كتائب، ووقع القتال بين الطائفتين فغلبهم أهل الربض، وأحاطوا بقصره، فنزل الحكم من أعلى القصر، ولبس سلاحه، وركب وحرض الناس، فقاتلوا بين يديه قتالا شديدا. ثم أمر ابن عمه عبيد الله، فثلم في السور ثلمة، وخرج منها ومعه قطعة من الجيش، وأتى أهل الربض من وراء ظهورهم، ولم يعلموا بهم، فأضرموا النار في الربض، وانهزم أهله، وقتلوا مقتلة عظيمة، وأخرجوا من وجدوا في المنازل والدور، فأسروهم، فانتقى من الأسرى ثلاثمائة من وجوههم، فقتلهم، وصلبهم منكسين، وأقام النهب والقتل والحريق والخراب في أرباض قرطبة ثلاثة أيام. ثم استشار الحكم عبد الكريم بن عبد الواحد بن عبد المغيث، ولم يكن عنده من يوازيه في قربه، فأشار عليه بالصفح عنهم والعفو، وأشار غيره بالقتل، فقبل قوله، وأمر فنودي بالأمان على أنه من بقي من أهل الربض بعد ثلاثة أيام قتلناه وصلبناه، فخرج من بقي بعد ذلك منهم مستخفيا، وتحملوا على الصعب والذلول خارجين من حضرة قرطبة بنسائهم وأولادهم، وما خف من أموالهم، وقعد لهم الجند والفسقة بالمراصد ينهبون، ومن امتنع عليهم قتلوه. فلما انقضت الأيام الثلاثة أمر الحكم بكف الأيدي عن حرم الناس، وجمعهن إلى مكان، وأمر بهدم الربض القبلي. وكان بزيع مولى أمية ابن الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام محبوسا في حبس الدم بقرطبة، في رجليه قيد ثقيل، فلما رأى أهل قرطبة قد غلبوا الجند، سأل الحرس أن يفرجوا له، فأخذوا عليه العهود إن سلم أن يعود إليهم، وأطلقوه، فخرج فقاتل قتالا شديدا لم يكن في الجيش مثله، فلما انهزم أهل الربض عاد إلى السجن، فانتهى خبره إلى الحكم، فأطلقه وأحسن إليه، (وقد ذكر بعضهم هذه الوقعة سنة 202 هـ).

■ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب عز الدين، ولد بجزيرة ابني عمر سنة 555 هـ .وتوفي بالموصل سنة 630 هـ. من مؤلفاته: الكامل في التاريخ، وكتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة.

مراجع: السنن الكبرى للبيهقي/ مسند أحمد / المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا/ نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس/ قضاة قرطبة/ تاريخ ابن خلدون/ الكامل في التاريخ/ وفيات الأعيان/

◆ أبو العاصي الحكم بن هشام الأموي، الحكم الربضي (ثالث ملوك الدولة الأموية في الأندلس) وطالوت بن عبد الجبار المعافري 0963

قال أبو محمد بن حزم: كان الحكم من المجاهرين بالمعاصي، سفاكا للدماء، كان يأخذ أولاد الناس الملاح، فيخصيهم ويمسكهم لنفسه. وكثرت العلماء بالاندلس في دولته، حتى قيل: إنه كان بقرطبة أربعة آلاف متقلس* متزيين بزي العلماء، فلما أراد الله فناءهم، عز عليهم انتهاك الحكم للحرمات، وائتمروا ليخلعوه، ثم جيشوا لقتاله، وجرت بالاندلس فتنة عظيمة على الاسلام وأهله، فلا قوة إلا بالله، فذكر ابن مزين في تاريخه: طالوت بن عبد الجبار المعافري[1]، وأنه أحد العلماء العاملين الشهداء الذين هموا بخلع الحكم، وقالوا: إنه غير عدل، ونكثوه في نفوس العوام، وزعموا أنه لا يحل المكث ولا الصبر على هذه السيرة الذميمة، وعولوا على تقديم أحد أهل الشورى بقرطبة، وهو أبو الشماس أحمد بن المنذر بن الداخل الاموي[2] ابن عم الحكم، لما عرفوا من صلاحه، وعقله ودينه، فقصدوه وعرفوه بالامر، فأبدى الميل إليهم، والبشرى بهم، وقال لهم: أنتم أضيافي الليلة، فإن الليل أستر، وناموا، وقام هو إلى ابن عمه بجهل، فأخبره بشأنهم، فاغتاظ لذلك، وقال: جئت لسفك دمي أو دمائهم، وهم أعلام، فمن أين نتوصل إلى ما ذكرت؟ فقال: أرسل معي من تثق به ليتحقق، فوجه من أحب، فأدخلهم أحمد في بيته تحت ستر، ودخل الليل، وجاء القوم، فقال: خبروني من معكم؟ فقالوا: فلان الفقيه، وفلان الوزير، وعدوا كبارا، والكاتب يكتب حتى امتلا الرق، فمد أحدهم يده وراء الستر، فرأى القوم، فقام وقاموا، وقالوا: فعلتها يا عدو الله، فمن فر لحينه، نجا، ومن لا، قبض عليه، فكان ممن فر عيسى بن دينار الفقيه[3]، ويحيى بن يحيى الفقيه[4] صاحب مالك، وقرعوس بن العباس الثقفي[5] وقبض على ناس كأبي كعب[6]،وأخيه، ومالك بن يزيد القاضي[7]،وموسى بن سالم الخولاني[8]،ويحيى بن مضر الفقيه[9]،وأمثالهم من أهل العلم والدين، في سبعة وسبعين رجلا، فضربت أعناقهم، وصلبوا. وأضاف إليهم عميه كليبا، وأمية، فصلبا، وأحرق القلوب عليهم، وسار بأمرهم الرفاق، وعلم الحكم أنه محقود من الناس كلهم، فأخذ في جمع الجنود والحشم وتهيأ، وأخذت العامة في الهيج، واستأسد الناس، وتنمروا، وتأهبوا، فاتفق أن مملوكا خرج من القصر بسيف دفعه إلى الصيقل*، فماطله، فسبه، فجاوبه الصقيل، فتضاربا، ونال منه المملوك حتى كاد أن يتلفه فلما تركه، أخذ الصيقل السيف فقتل به المملوك، فتألب إلى المقتول جماعة، وإلى القاتل جماعة أخرى، واستفحل الشر، وذلك في رمضان سنة اثنتين ومئتين، وتداعى أهل قرطبة من أرباضهم، وتألبوا بالسلاح، وقصدوا القصر، فركب الجيش والامام الحكم، فهزموا العامة، وجاءهم عسكر من خلفهم، فوضعوا فيهم السيف، وكانت وقعة هائلة شنيعة، مضى فيها عدد كثير زهاء عن أربعين ألفا من أهل الربض، وعاينوا البلاء من قدامهم ومن خلفهم فتداعوا بالطاعة، وأذعنوا ولاذوا بالعفو، فعفا عنهم على أن يخرجوا من قرطبة، ففعلوا وهدمت ديارهم ومساجدهم، ونزل منهم ألوف بطليطلة (الثغر الأوسط*) وخلق في الثغور وجاز آخرون البحر ونزلوا بلاد البربر، وثبت جمع بفاس وابتنوا على ساحلها مدينة غلب على اسمها مدينة الاندلس، وسار جمع منهم زهاء خمسة عشر ألفا، وفيهم عمر بن شعيب[10]الغليظ، فاحتلوا بالاسكندرية، فاتفق بعد ذلك أن رجلا منهم اشترى لحما من جزار فتضاجر معه ورماه الجزار بكرش في وجهه فرجع بتلك الحالة إلى قومه فجاؤوا فقتلوا اللحام، فقام عليهم أهل الاسكندرية، فاقتتلوا، وأخرجه الاندلسيون أهلها هاربين، وتملكوا الاسكندرية، فاتصل الخبر بالمأمون[11]، فأرسل إليهم، وابتاع المدينة منهم، على أن يخرجوا منها وينزلوا جزيرة إقريطش*، فخرجوا، ونزلوها، وافتتحوها، فلم يزالوا فيها إلى أن غلب عليها أرمانوس بن قسطنطين[12]سنة خمس وثلاث مئة (يقصد 350 هـ ؟)

وأما الحكم، فإنه اطمأن، وكتب إلى القائد محمد بن رستم[12]كتابا فيه: وأنه تداعى فسقة من أهل قرطبة إلى الثورة، وشهروا السلاح، فأنهضنا لهم الرجال، فقتلنا فيهم قتلا ذريعا، وأعان الله عليهم، فأمسكنا عن أموالهم وحرمهم. ثم كتب الحكم كتاب أمان عام، وكان طالوت بن عبد الجبار اختفى سنة عند يهودي، ثم خرج وقصد الوزير أبا البسام[14]ليختفي عنده فأسلمه إلى الحكم، فقال: ما رأي الامير في كبش سمين، وقف على مذوده عاما، فقال الحكم: لحم ثقيل، ما الخبر؟ قال: طالوت عندي، فأمره بإحضاره، فأحضر، فقال: يا طالوت، أخبرني لو أن أباك أو ابنك ملك هذه الدار، أكنت فيها في الاكرام والبر على ما كنت أفعل معك؟ ألم أفعل كذا؟ ألم أمش في جنازة امرأتك، ورجعت معك إلى دارك؟ أفما رضيت إلا بسفك دمي؟ فقال الفقيه في نفسه: لا أجد أنفع من الصدق. فقال: إني كنت أبغضك لله فلم يمنعك ما صنعت معي لغير الله، وإني لمعترف بذلك، أصلحك الله. فوجم الخليفة وقال: اعلم أن الذي أبغضتني له قد صرفني عنك، فانصرف في حفظ الله، ولست بتارك برك، وليت الذي كان لم يكن، ولكن أين ظفر بك أبو البسام لا كان؟، فقال: أنا أظفرته بنفسي، وقصدته. قال: فأين كنت في عامك؟ قال: في دار يهودي، حفظني لله، فأطرق الخليفة مليا، ورفع رأسه إلى أبي البسام وقال: حفظه يهودي، وستر عليه لمكانه من العلم والدين، وغدرت به إذ قصدك وخفرت ذمته !! ، لا أرانا الله في القيامة وجهه إن رأينا لك وجها. وطرده وكتب لليهودي كتابا بالجزية فيما ملك، وزاد في إحسانه، فلما رأى اليهودي ذلك، أسلم مكانه.

قال ابن مزين: وكان أهل طليطلة لهم نفوس أبية، وكانوا لا يصبرون على ظلم بني أمية، فإن ولاتهم كان فيهم ظلم وتعد، فكانوا يثبون على الوالي ويخرجونه، فولى عليهم الحكم عمروسا[15]، رجلا منهم. وكان عمروس داهية، فداخل الحكم، وعمل على رؤوس أهل طليطلة حتى قتل جماعة منهم. قال ابن مزين: فأشار أولا على الاعيان ببناء قلعة تحميهم، ففعلوا، فبعث إلى الخليفة كتابا بمعاملة منه، فيه شتمه وسبه، فقام له، وقعد، وسب وأفحش، وبعث للخليفة ولده للغزو، فاحتال عمروس على الاكابر حتى خرجوا، وتلقوه ورغبوه في الدخول إلى قلعتهم، ومد سماطا واستدعاهم، فكان الداخل يدخل على باب، ويخرج من باب آخر، فتضرب عنقه حتى كمل منهم كذلك نحو الخمسة آلاف، حتى غلا بخار الدماء وظهرت الرائحة، ثم بعث الحكم أمانا ليحيى بن يحيى الليثي. مات الحكم سنة ست ومئتين في آخرها، وله ثلاث وخمسون سنة، وولي الاندلس بعده ابنه أبو المطرف عبدالرحمن، فلنذكره.

----

*(الصيقل) شحاذ السيوف وجلاؤها والجمع صياقل (التقلس) لبس القلنسوة والقلاس صاحبها وصانعها والجميع قلانس وقلاسي ويصغر: قليسية وقلنسية وتجمع على القلنسي. والتقليس: وضع اليدين على الصدر خضوعا كفعل النصراني قبل أن يكفر أي يسجد (إقريطش) هي في البحر المتوسط، وتعرف اليوم بكريت، والذي أنزلهم فيها هو عبد الله بن طاهر قائد المأمون المشهور ولاه مصر سنة 211 وقد خرج في جيوشه إلى الاسكندرية فحاصر أهلها ومن معهم من الاندلسيين سنة 212 ه وصالحه الاندلسيون على أن يخرجوا إلى إقريطش فيملكوها وكان أميرهم أبو حفص عمر بن عيسى (الثغور) في أسبانيا كان العرب يقسمون الثغور إلى كور (مناطق) منها: الثغر الأعلى ويقال له الثغر الأقصى وهذا الثغر هو مدينة سرقسطة وكورتها، ثم الثغر الأوسط أو الأدنى وهو مدينة سالم وكورتها والثغر الثالث هو طليطلة وكورتها وكان ولاة هذه الثغور من العرب والبربر والمولدين مثل التجيبيين وبني هود وبني رزين وبني ذي النون وبني قسي وهؤلاء إسبانيون دانوا بالإسلام.

- (1) طالوت بن عبد الجبار المعافري الاندلسي، دخل مصر، وحج، ولقي مالك بن أنس، وعاد إلى قرطبة
- (11) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور. أبو العباس، ولد سنة 170 هـ عندما استخلف أبوه. بايع الرشيد ابنيه الأمين ثم المأمون. فخلع الأمين أخاه. فاستطاع المأمون بعد صراع دموي عنيف وبتدبير وزيره الفضل بن سهل.أن يقضي عليه ويتولى الملك سنة 198 هـ. وتوفي المأمون سنة 218 هـ
- (3) عيسى بن دينار الغافقي الطليطلي، رحل فسمع من عبد الرحمن بن القاسم العتقي، وصحبه، وعول عليه، وانصرف إلى الاندلس، كان إماما في الفقه على مذهب مالك ابن انس، وعلى طريقة عالية من الزهد والعبادة، وكانت الفتيا تدور عليه، لا يتقدمه في وقته أحد في قرطبة، وبه وبيحيى انتشر علم مالك بالاندلس، وكان يعجبه ترك الرأي والاخذ بالحديث. توفي سنة اثنتي عشرة ومئتين.
- (4) يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس المصمودي الليثي مولاهم، رحل إلى المشرق، فسمع من مالك بن أنس، والليث بن سعد، وابن القاسم، وابن وهب، وتفقه بالمدنيين، والمصريين، من أكابر أصحاب مالك بعد انتفاعه بمالك وملازمته، وهو أحد رواة الموطأ عن مالك، وروايته هي المطبوعة المتداولة في هذه الاعصار، وصفه ابن عبد البر فقال: كان إمام بلده، المقتدى به، المنظور إليه، المعول عليه، وكان ثقة عاقلا حسن الهدي والسمت، توفي سنة 230 هـ
- (5) قرعوس بن العباس بن قرعوس بن عبيد بن منصور بن محمد بن يوسف الثقفي، أحد فقهاء الاندلس، سمع من مالك بن أنس، وابن جريج، والليث، وغيرهم. كان فاضلا ورعا عالما بمذهب مالك وأصحابه، لا علم له بالحديث، روى عن مالك الموطأ وشيئا من المسائل، توفي بالاندلس سنة عشرين ومئتين.
- (14) عمروس بن يوسف والي الحكم على الثغر، وأحد المتفانين في الاخلاص له، وإن كانت بدرت منه بادرة عصيان، ويشتهر بذبحه للزعماء المنشقين في فناء قصره كما ذكر المؤلف فيما بدع. انظر ابن خلدون
- (2) أبو الشماس أحمد بن المنذر بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام .؟ هل هو محمد بن المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الاموى: أمير. من وجوه الامويين في الاندلس، خلقا وعقلا وأدبا. له شعر، المتوفي سنة 316 هـ
- (7) مالك بن يزيد بن يحيى التجيبي ولد قاضي قرطبة كان من فضلاء الناس وصلحائهم ووجوههم وامتحن بالحكم الربضي هو وجماعة من أعلام قرطبة وجيرانهم وفقهائهم أزيد من سبعين رجلا سعوا في الخلاف عليه فصلبهم وذلك في سنة 189 هـ وهذه السطوة أوجبت ثورة أهل الربض
- (9) يحيى بن مضر القيسي وقيل اليحصبي من أهل قرطبة أبو زكرياء. ويقال أبو بكر شامي الأصل كبير من فقهاء قرطبة. سمع من سفيان بن سعيد الثورى ومالك بن أنس روى عنه مالك حكاية عن سفيان الثوري وكان عالما متفننا صاحب رأى وكان ممن قتل بسبب الهيج وذكر بعض الرواة قال صلب يحيى بن مضر وأصحابه سنة 189 هـ وكانوا قد أرادوا خلع الحكم بن هشام وقيل ان الجذوع كانت منصوبة من رأس القنطرة إلى اخر الرصيف على شط نهر قرطبة، وكانوا اثنين وسبعين رجلا من الفقهاء وأهل الصلاح، وقيل كان عدة من صلب مائة وأربعين، وقيل في شرح هذه القصة غير هذا، فعظم ما فعل في قلوب الناس وغدوا إلى جدة لم يزالوا متربصين للوثوب به، إلى أن أقاموا القيامة المشهورة بوقعة الربض الذين أصطلحوا فيها سنة 202 هـ
- (10) عمر بن شعيب أبو حفص المعروف بالغليظ البلوطي من أعمل فحص البلوط المجاور لقرطبة ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وقال: إنه كان من فل الربضيين، وإنه الذي غزا إقريطش وافتتحها بعد الثلاثين ومائتين، وتداولها بنوه بعده إلى أن كان آخرهم عبد العزيز بن شعيب الذي غنمها في أيامه أرمانوس بن قسطنطين ملك الروم سنة خمسين وثلاث مائة، وكان أكثر المفتتحين لها معه أهل الأندلس، هكذا قال. وذكره أبو سعيد بن يونس فقال: شعيب بن عمر بن عيسى أبو عمر صاحب جزيرة إقريطش كان تولى فتحها بعد سنة عشرين ومائتين، وقد كان كتب شعيب هذا بالعراق، وكتب عن جدي يونس بن عبد الأعلى وغيره بمصر أيضا. هذا آخر كلام ابن يونس، فقد اختلفا في اسمه أولا، فقال أحدهما: عمر بن شعيب،وقال الآخر: شعيب بن عمر ووصفاه بالفتح، ولولا ذلك لقلنا إن أحدهما ابن الآخر، ويحتمل أن يكونا حضرا الفتح فإن لم يكن فقد انقلب على أحدهما والله أعلم.
- (12) رومانوس الثاني إمبراطور بيزنطي، خلف والده قسطنطين السابع عام 348 هـ وتوفي فجأة عام 352 هـ، وهو في عمر الخامسة والعشرين
- (8) موسى بن سالم بن هانىء بن مسلم بن أبي مسلم الخولاني ؟ (14) الوزير أبا البسام .. الوزير الإسكندراني.؟ (6) أبو كعب بن عبد البر ؟ (13) القائد محمد بن رستم عامل الثغر ؟

الخروج على الحاكم الظالم: جاءت جماعة من المسلمين إلى الحسن البصري، يستفتونه في الخروج على الحجاج، فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وفعل ما فعل؟ فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه؛ فإنها إن تك عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. وخرجوا من عند الحسن ولم يوافقوه، فخرجوا على الحجاج فقتلوا جميعا؛ ولهذا كان الحسن: يقول لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن فرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاؤوا بيوم خير قط. وكان ينهي العامة عن القتال وحمل السلاح حين تقبل الفتن، فعن سلم بن أبي الذيال قال: سأل رجل الحسن وهو يسمع وأناس من أهل الشام فقال: يا أبا سعيد ما تقول في الفتن مثل يزيد بن المهلب وابن الأشعث؟ فقال: لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، فقال رجل من أهل الشام: ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد؟ فغضب ثم قال بيده فخطر بها، ثم قال: ولا مع أمير المؤمنين، فكان يرى أنه يجب على المسلم الاعتزال وعدم المشاركة في سفك دماء المسلمين، فلا يقاتل في صفوف الخارجين على السلطة، ولا مع جيش الخليفة، إذا كان ظالما.

الخروج على الحاكم الكافر: عن قيس بن أبي حازم قال: قال أبو بكر الصديق:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتْلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة] وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ –وفي لفظ: إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ– أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ قال القاضي عياض: فلو طرأ عليه كفر أو تغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل. وهكذا فليس هناك أي تناقض بين آراء العلماء حول مسألة الخروج على الحاكم في حالة كفره وإعراضه عن شرع الله.قلت: لا أشك أبدًا في كفر عسكر العرب اليوم.

مراجع: سير أعلام النبلاء/ ترتيب المدارك وتقريب المسالك/ نفح الطيب/ جذوة المقتبس/ الديباج المذهب/ ترتيب المدارك/ الولاة والقضاة للكندي/ خطط المقريزي/ معجم البلدان/ لسان العرب/ كتاب العين/ تاريخ الإسلام للذهبي/ التكملة لكتاب الصلة/ تاريخ العلماء بالأندلس/ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس/

◆ المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر (حاجب الخليفة! والحاكم الفعلي في عهد ثالث ملوك الدولة الأموية في الأندلس) ومحمد بن إبراهيم بن حيويه 0964

لما احتاج المنصور بن أبي عامر[1] ملك الأندلس (حاجب هشام المؤيد بالله)[2] أن يأخذ أرضاً محبسة ويعاوض عنها خيراً منها، استحضر بعض الفقهاء، فأفتوا بأنه لا يجوز، فغضب وأرسل إليهم رجلاً من الوزراء مشهوراً بالحدة والعجلة فقال لهم: يقول لكم أمير المؤمنين: يا مشيخة السوء، يا مستحلي أموال الناس، يا آكلي أموال اليتامى ظلماً، يا شهود الزور وآخذي الرشا وملقني الخصوم، وملقحي الشرور وملبسي الأمور، وملتمسي الروايات لدى اتباع الشهوات، تباً لكم ولآرائكم ! فهو أعزه الله واقف على فسوقكم قديماً وخونكم لأماناتكم مغضٍ عنه صابرٍ عليه، ثم احتاج إلى دقة نظركم في حاجة مرة واحدة في دهره، فلم تشفعوا إرادته، ما كان هذا ظنه بكم، والله ليعارضنكم وليكشفن ستوركم، وليناصحن الإسلام فيكم! وأفحش عليهم بنحوه فأجابه شيخ ضعيف الهمة فقال: نتوب إلى الله مما قاله أمير المؤمنين ونسأله الإقالة. فرد عليه محمد بن إبراهيم بن حيويه[3] وكان جلداً صارماً فقال للمتكلم: مم نتوب يا شيخ السوء؟ نحن براء من متابك! ثم أقبل على الوزير فقال: يا وزير بئس المبلغ أنت! وكل ما نسبته إلينا عن أمير المؤمنين فهو صفتكم معاشر خدمته، فأنتم الذين تأكلون أموال اليتامى بالباطل وتستحلون ظلمهم بالإخافة، وتنتجون معايشكم بالرشا والمصانعة، وتبغون في الأرض بغير الحق، وأما نحن فليست هذه صفاتنا ولا كرامة، ولا يقولها لنا إلا متهم بالديانة، فنحن أعلام الهدى وسرج الظلمة، بنا يتحصن الإسلام ويفرق بين الحلال والحرام وتنفذ الأحكام، وبنا تقام الفرائض وتثبت الحقوق وتحقن الدماء وتستحل الفروج، فهلا إذ عتب علينا أمير المؤمنين بشيء لا ذنب فيه لنا، وقال بالغيظ ما قاله، تأنيت بإبلاغنا رسالته بأهون من إفحاشك، وعرضت لنا بإنكاره، ففهمناه منك وأجبناك عنه بما يصلح الجواب له، وكنت تزين على السلطان ولا تفشي سره، ولا تحيينا بما استقبلتنا به، فنحن نعلم أن أمير المؤمنين لا يتمادى على هذا الرأي فينا، ولا يعتقد هذا المعتقد في صفاتنا، وإنه سيراجع بصيرته في إيثارنا وتعزيزنا، ولو كان عنده على هذه الحالة التي وصفتها عنا، والعياذ بالله تعالى من ذلك، لبطل عليه كل ما صنعه وعقده من أول خلافته إلى هذا الوقت، فلا يثبت له كتاب من حرب ولا سلم ولا شراء ولا بيع، ولا صدقة ولا حبس ولا هبة ولا عتق، ولا غير ذلك إلا بشهادتنا، هذا ما عندنا والسلام. ثم قاموا منصرفين فلم يكادوا يبلغوا باب القصر إلا والرسل تناديهم، فدخلوا القصر فتلقاهم الوزراء بالإعظام ورفعوا منازلهم واعتذروا إليهم مما كان من صاحبهم، وقالوا لهم: إن أمير المؤمنين يعتذر إليكم من فرط موجدته، ويستجير بالله من الشيطان الرجيم ونزعته التي حملته على الجفاء عليكم، ويعلمكم أنه نادم على ما كان منه إليكم، وهو مستبصر في تعظيمكم وقضاء حقوقكم، وقد أمر لكل واحد منكم بما ترون من صلته وكسوته علامة لرضاه عنكم، فدعوا له وقبضوا ما أمر لهم به وانصرفوا غالبين لم يمسهم سوء.

■ (3) محمد بن إبراهيم بن عيسى. أبو بكر الكناني القرطبي، الشهير بابن حيوه (ابن حيونه)، الفقيه المتوفى فجأة سنة 328هـ. سمع: محمد بن وضاح، وإبراهيم بن باز، وقاسم بن محمد. وكان حافظا للفقه، مشاورا، عظيم الوجاهة. ذكره أحمد وغيره.

■ (1) أبو عامر محمد بن أبي عامر، المشهور بلقب الحاجب المنصور كان حاجب الخلافة والحاكم الفعلي للدولة الأموية في الأندلس في عهد الملك هشام المؤيد بالله. ولد سنة327 هـ وتوفي سنة 392 هـ
بعد وفاة الحكم المستنصر بالله، استبد الحاجب المنصور العامري بالملك والسلطة في الفترة 366 ـ 399 هـ لضعف بني أمية، وأصبح وصيًا عن هشام المؤيد بالله الصبي الذي كان اسميًا خليفة للأندلس وكان المنصور في غاية الذكاء والشهامة والشجاعة. فأسس دولة داخل دولة وأخضع الثورات والفتن. ومضى في فتوحاته ضد المسيحيين. وكان يتولى الغزو بنفسه، ولم يهزم قط في الخمسين غزوة التي غزاها طوال حكمه ووصل إلى أقصى الركن الشمالي الغربي من أسبانيا فهابه ملوك أوروبا كلهم. توفي الحاجب المنصور سنة 392 هـ في مدينة سالم. فتولى بعده ابنه عبد الملك وكان ككفاءة أبيه، ثم تولى أخوه عبد الرحمن وكان ضعيفًا وقتل سنة 399 هـ، وبذا انتهت سيطرة الدولة العامرية، ثم عادت السلطة إلى بني أمية وكانوا ضعفاء متناحرين فسقطوا عام 422 هـ وتفككت إلى إمارات ملوك الطوائف.

■ (2) أبو الوليد هشام المؤيد بالله، أحد ملوك الدولة الأموية بالأندلس، ولد سنة 354 هـ وتوفي سنة 403 هـ بايعوه صبيا سنة366 هـ وعمره 12 سنة ولم يشذ عن بيعته أحد، وأضحت السلطة بيدى الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي وصاحب الشرطة والمواريث (القضاء) المنصور محمد بن أبى عامر، الملقب الحاجب المنصور، وشخصية ثالثة ذكية طموحة تشاركهما من وراء ستار هى أمه صبح البشكنسية أو النفارية، نسبة إلى بلاد البشكنس أو إقليم نبرة، وقد اشتركت فى الوصاية على ابنها الصبى وأصبحت لها سلطة شرعية فى تدبير شئون الحكم. وطوال فترة حكمه التى امتدت 33 سنة لم يكن الأمر فى يديه ولكن تركزت السلطة فى يد حاجبه المنصور بن أبى عامر وابنه عبد الملك بن المنصور، وانتهى الأمر بالخليفة أن عزل عن الملك سنة 399هـ

عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ؛ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ﴾ (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه) أي ذهب بطائفة من ماله وفصلها عنه. وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شِبْرًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ – وفي رواية- : مَنْ سَرَقَ مِنَ الأَرْضِ شِبْرًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ –وفي رواية-: مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ﴾ (من اقتطع) أي أخذ والمراد الأخذ بغير حق (شبرا) أي قدره من الأرض (طوقه) أي جعله طوقا في عنقه. وعن محمد بن إبراهيم:﴿أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ، حَدَّثَهُ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ، وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الْأَرْضَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ ﴾ (قيد) أي قدر شبر من الأرض يقال قيد وقاد وقيس وقاس بمعنى واحد. عن سالم عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ﴾ (خسف به) غارت به الأرض وجعل ذلك في عنقه كالطوق. عن أبي مالك الأشجعي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَعْظَمُ الْغُلُولِ عِنْدَ اللهِ ذِرَاعٌ مِنَ الْأَرْضِ، تَجِدُونَ الرَّجُلَيْنِ جَارَيْنِ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي الدَّارِ، فَيَقْتَطِعُ أَحَدُهُمَا مِنْ حَظِّ صَاحِبِهِ ذِرَاعًا، فَإِذَا اقْتَطَعَهُ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ﴾ (منار) أي حدودها.

☪

روي أن عمر رضي الله عنه قال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أرأيت لو كنت القاضي والوالي، ثم أبصرت إنسانا على حد، أكنت مقيما عليه؟ قال: لا، حتى يشهد معي غيري، قال: أصبت، ولو قلت غير هذا لم نجز. وروي أن عمر رضي الله عنه قال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أرأيت لو رأيت رجلا زنى أو سرق؟ قال: أرى شهادتك شهادة رجل من المسلمين، قال: أصبت. وروي أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أبي عبيدة رضي الله عنه: إذا حضرك الخصمان فعليك بالبينات العدول، والأيمان القاطعة، ثم أدن الضعيف حتى ينبسط لسانه ويجترئ قلبه، وتعاهد الغريب، فإنه إذا طال حبسه ترك حاجته، وانصرف إلى أهله، وإذا الذي أبطل حقه من لم يرفع به رأسا، واحرص على الصلح ما لم يتبين القضاء. وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ردوا الخصوم إذا كانت بينهم القرابات فإن فصل القضاء مورث بينهم العداوة.

مراجع: صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ البداية والنهاية/ مسند أحمد/ سراج الملوك/ موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ تاريخ علماء الأندلس/ دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب/

◆ أبو المُطَرِّف، عبد الرحمن بن الحكم/ عبد الرحمن الأوسط (رابع أمراء الدولة الأموية في الأندلس) وإسحاق بن إبراهيم الطليطلي 0965

حكى ابن بشكوال أن الحكم[1] أمير المؤمنين أرسل في الفقهاء، وشاورهم في مسألة نزلت به ؛ فذكر لهم عن نفسه أنه عمد إلى إحدى كرائم ووطئها في رمضان، فأفتوا بالإطعام، وإسحاق بن إبراهيم[2] ساكت. فقال له أمير المؤمنين: ما يقول الشيخ في فتوى أصحابه؟ فقال له: لا أقول بقولهم، وأقول بالصيام. فقيل له: أليس مذهب مالك الإطعام؟ فقال لهم: تحفظون مذهب مالك ؛ إلا أنكم تريدون مصانعة أمير المؤمنين. إنما أمر مالك بالإطعام لمن له مال، وأمير المؤمنين لا مال له، إنما هو بيت مال المسلمين. فأخذ بقوله أمير المؤمنين وشكر له عليه. وحكى ابن بشكوال أنه اتفق لعبد الرحمن بن الحكم[3] مثل هذا في رمضان فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته. فقال يحيى بن يحيى[4]: يكفر ذلك صيام شهرين متتابعين. فلما برز ذلك من يحيى سكت سائر الفقهاء حتى خرجوا من عنده، فقالوا ليحيى: ما لك لم تفته بمذهبنا عن مالك من أنه مخير بين العتق والطعام والصيام؟ فقال لهم: لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة؛ ولكن حملته على أصعب الأمور لئلا يعود. فإن صح هذا عن يحيى بن يحيى رحمه الله وكان كلامه على ظاهره ، كان مخالفا للإجماع .قال يحيى بن بكير: حنث الرشيد في يمين، فجمع العلماء فأجمعوا أن عليه عتق رقبة. فسأل مالكا ؛ فقال: صيام ثلاثة أيام. واتبعه على ذلك إسحاق بن إبراهيم من فقهاء قرطبة.

■ (2) التجيبي، العلامة: شيخ المالكية بقرطبة، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرة التجيبي مولا هم الكتاني الطليطلي، نزيل قرطبة، فقيه قدوة، ورع صالح، له حانوت في الكتان، أقرأ الفقه. وروى عن محمد بن لبابة، وأحمد بن خالد الحافظ، صنف كتاب النصائح المشهور. قال ابن عفيف: كان من أهل العلم، والفهم، والعقل، والدين المتين، والزهد، والبعد من السلطان، لا تأخذه في الله لومة لائم. وقال ابن الفرضي: كان أبو إبراهيم حافظا للفقه، صدرا في الفتيا، وقورا، مهيبا، لم يكن له بالحديث كبير علم، وله كتاب معالم الطهارة وكان الحكم أمير المؤمنين معظما له، وإذا دخل عليه مد رجليه، ويعتذر بشيخه فيقول: أقعد كيف شئت. وكان صليبا قليل الهيبة للملوك، اغتاب الحكم رجلا. فسكت أبو إبراهيم، ونكس برأسه، فأقصر الحكم وفهم، وقد راوده على أن يأتيه بولده أحمد وهو صبي، فقال: لا يصلح الآن لذلك. توفي أبو إبراهيم سنة 352 هـ.

■ (4) أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير الليثي إمام وفقيه الأندلس وصاحب واحدة من أشهر روايات الموطأ، أخذها عنه أهل المشرق والمغرب، وشيخ المالكية في الأندلس في زمانه. توفي سنة 234 هـ

■ (3) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي. الأمير الأموي المرواني الداخل إلى الأندلس. المعروف بلقب صقر قريش وعبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن الأول. ولد بدمشق سنة 113 هـ وتوفي بقرطبة سنة 172 هـ وهو أول من تملك الأندلس، وذلك أنه هرب وانفلت من بني العباس عند استيلائهم، وأبعد إلى المغرب، فروى جابر بن عبد الله الأندلسي أن عبد الرحمن بن معاوية لما سار هاربا من مصر صار إلى أرض برقة، فأقام بها خمس سنين، ثم رحل منها يريد الأندلس، فدخل بدر مولاه يتجسس عن الأخبار، فقال للمضرية: لو وجدتم رجلا من أهل الخلافة أكنتم تبايعونه؟ قالوا: وكيف لنا بذلك؟ فقال بدر: هذا عبد الرحمن بن معاوية فائتوه فبايعوه، فولي عليهم 33 سنة، ثم ولي ابنه من بعده. وكان يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس إلى أن دخل عبد الرحمن بن معاوية سنة 139 هـ

■ (1) الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، ثالث أمراء الدولة الأموية في الأندلس، ولي الأمر بعد والده، ولقب نفسه بالمرتضي، ويلقب بالحكم الربضي لإيقاعه بأهل الربض، ولد سنة 154 هـ ونشأ بقرطبة. توفى سنة 206 هـ. وقام بعده ولده أبو المطرف عبد الرحمن.

قال أبو عمر بن عبد البر: قدم يحيى بن يحيى الاندلس بعلم كثير، فعادت فتيا الاندلس بعد عيسى بن دينار الفقيه عليه، وانتهى السلطان والعامة إلى رأيه، وكان فقيها حسن الرأي، وكان لا يرى القنوت في الصبح، ولا في سائر الصلوات، ويقول: سمعت الليث بن سعد يقول: سمعت يحيى ابن سعيد الانصاري يقول: إنما قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من أربعين يوما يدعو على قوم، ويدعو لآخرين. قال: وكان الليث لا يقنت. ثم قال ابن عبد البر: وخالف يحيى بن يحيى مالكا في اليمين مع الشاهد، فلم ير القضاء به ولا الحكم، وأخذ بقول الليث بن سعد. قال: وكان يرى جواز كراء الارض بجزء مما يخرج منها، على مذهب الليث، ويقول: هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر. وقضى برأي أمينين إذا لم يوجد في أهل الزوجين حكمان يصلحان لذلك.

قال ابن الفرضي في تاريخه: وكان يحيى بن يحيى ممن اتهم ببعض الامر في الهيج - يعني: في القيام والانكار على أمير الاندلس- قال: فهرب إلى طليطلة، ثم استأمن، فكتب له الحكم الامير المعروف بالربضي أمانا، فرد إلى قرطبة.

قال عبد الله بن محمد بن جعفر: رأيت يحيى بن يحيى نازلا عن دابته، ماشيا إلى الجامع يوم جمعة، وعليه عمامة ورداء متين، وأنا أحبس دابة أبي.

قال أبو القاسم بن بشكوال الحافظ: كان يحيى بن يحيى مجاب الدعوة، قد أخذ نفسه في هيئته ومقعده هيئة مالك الامام بالاندلس، فإنه عرض عليه قضاء الجماعة، فامتنع، فكان أمير الاندلس لا يولي أحدا القضاء بمدائن إقليم الاندلس، إلا من يشير به يحيى بن يحيى، فكثر لذلك تلامذة يحيى بن يحيى، وأقبلوا على فقه مالك، ونبذوا ما سواه. نقل غير واحد وفاة يحيى بن يحيى في شهر رجب سنة أربع وثلاثين ومئتين. وبعضهم قال: في سنة ثلاث. والاول أصح.

مراجع: / إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ مجلة المنار/

◆ أبو المُطرف عبد الرحمن الناصر لدين الله (ثامن ملوك الدولة الأموية في الأندلس) والمنذر بن سعيد (١) 0966

ذكرت كتب التاريخ أن الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر[1] أقبل على عمارة مدينة الزهراء الاندلسية أيما إقبال، وأنفق من أموال الدولة في تشيدها، وزخرفتها ما أنفق، وكان يشرف بنفسه على شؤون البناء، والزخرفة حتى شغله ذاك ذات مرة عن شهود صلاة الجمعة، وكان منذر بن سعيد[2] رحمه الله يتولى خطبة الجمعة والقضاء، ورأى أن يلقي على الخليفة الناصر درسا بليغا يحاسبه فيه على إسرافه إنفاقه في مدينة الزهراء، خروج من تبعت التقصير فيما أوجبه الله على العلماء، فلما كان يوم الجمعة، أعتلى المنبر، والخليفة الناصر حاضر والمسجد غاص بالمصلين، وابتدأ خطبته قارئاً قول الله تعالى:﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء] حتى وصل في سرد الآيات في هذا الصدد إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء] ثم مضى في ذمي الإسراف على البناء بكل كلام جزل وقول شديد ثم تلا قول الله تعالى:﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة] وراح يحذر وينذر ويحاسب حتى ادكر من حضر من الناس وخشعوا، وأخذ الناصر من ذلك بأوفر نصيب، وقد علم أنه المقصود به، فبكى وندم على تفريطه. غير أن الخليفة لم يتحمل صدره لتلك المحاسبة العلنية، لشدة ما سمع. فقال لوده الحكم[3] شاكيا: والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وما عنى به غيري. فأسرف عليّ وأفرط في تقريعي. ثم استشاط غيظا عليه متذكّرا كلماته وأراد أن يعاقبه لذلك !. ثم أقسم أن لا يصلي خلفه صلاة جمعة، وجعل يلزم صلاتها خلف أحمد بن مطرف، خطيب قرطبة. ولما رأى ولده الحكم تعلق والده بالزهراء والصلاة في مسجدها العظيم، قال له: فما الذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة به إذ كرهته !؟ ولكن الناصر جزره، قائلا: أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه، لا أم لك، يعزل !؟ لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد؟، هذا لا يكون. وإني لأستحي من الله ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر بن سعيد في ورعه وصدقه ولكن أحرجني فأقسمت، ولا وددت أني أجد سبيلا إلى كفارة يميني بملكي، فليصلي منذر بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله، فما أظن أنا نعترض عنه أبداً. فلما اشتدت الجفوة بين الشيخ منذر بن سعيد والخليفة الناصر، أرد ولده الحكم أن يزيل ما بينهما، فاعتذر له عند الخليفة فقال: يا أمير المؤمنين، إنه رجل صالح، وما أراد إلا خيرا، لو رأى ما أنفقت وحسن تلك البنية لعذرك. ويريد بالبنية تلك القبة التي بناها الناصر بالزهراء، واتخذ قراميدها من فضة، وبعضها مغش بالذهب. وجعل سقفها نوعين صفراء فاقعة إلى بيضاء ناصعة يستلب الأبصار شعاعها. فلما قال له ولده ذلك، أمر ففرشت بفرش الديباج، وجلس فيها لأهل دولته، ثم قال لقرابته، ووزراءه: أرأيتم أم سمعتم ملكا كان قبلي صنع مثل ما صنعت؟ فقالوا: لا والله، يا أمير المؤمنين، وإنك الأوحد في شانك. فبينما هم على ذلك، إذ دخل المنذر بن سعيد ناكساً رأسه، فلما أخذ مجلسه قال له ما قال لقرابته، فأقبلت دموع المنذر تنحدر على لحيته. وقال: والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قيادتك هذا التمكن مع ما آتاك الله وفضلك به على المسلمين حتى ينزلك منازل الكافرين. فاقشعر الخليفة من قوله، وقال له: أنظر ما تقول، كيف انزلني الله منازلهم!؟ فقال: نعم. أليس الله تعالى يقول:﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف] فوجم الخليفة، ونكس رأسه مليا، وجعلت دموعه تتحدر على لحيته، ثم أقبل على المنذر. وقال له: جزاك الله عني خير وعن الدين خير، فالذي قلت هو الحق. ثم قام من مجلسه، وأمر بنقض سقف القبة وأعاد قراميدها تراب على صفة غيرها.

■ (2) منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النفزي القربطي، أبو الحاكم البلوطي، قاضي قضاة الأندلس في عصره، كان إماما عالما فصيحا، خطيبا بليغا مفوها، شاعرا أديبا، فقيها محققا، كثير الفضل، جامعا لصنوف من الخير والتقوى والزهد، له كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع والرد على أهل الأهواء والبدع، وله اليوم المشهور الذي ملا فيه الاسماع، وبهر القلوب بخطبته البليغة التي ارتجلها بين يدي الناصر في ذلك الجمع الحاشد المهيب، الذي أعده لاستقبال رسول ملك الروم، فأعجب به الناصر أيما إعجاب، فقال لابنه: والله لقد أحسن ما شاء، ولئن أخرني الله بعد لارفعن من ذكره، فضع يدك عليه، واستخلصه، وذكرني بشأنه، فما للصنيعة مذهب عنه، ثم ولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء.ولد المنذر بن سعيد سنة 273 هـ وقيل سنة 265هـ، ووفاته سنة 355 هـ.

■ (2) أبو المُطرف، عبد الرحمن الناصر لدين الله، القائم بأمر الله، ولد سنة 277 هـ وتوفي سنة 355 هـ وهو ثامن ملوك الدولة الأموية في الأندلس التي أسسها عبد الرحمن الداخل بعد سقوط دولتهم في المشرق العربي، وأول ملوك قرطبة بعد أن أعلن الخلافة في قرطبة سنة 316 هـ

■ (3) الحكم المستنصر بالله، صاحب الأندلس أبو العاص ابن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي.وهو تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس وثاني ملوك الأندلس بعد أبيه عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي أعلن الخلافة في الأندلس سنة 316 هـ. كان حسن السيرة، مكرما للقادمين عليه. جمع من الكتب ما لا يحد ولا يوصف كثرة ونفاسة. وقل ما نجد له كتابا من خزانته إلا وله فيه قراءة أو نظر في أي فن كان. ولد الحكم المستنصر بالله سنة 302هـ وتوفي بقصر قرطبة سنة 366 هـ.وولي الأمر بعده ابنه المؤيد بالله هشام، وسنه يومئذ 9 سنين، وقام بتدبير المملكة الحاجب أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر العامري القحطاني الملقب بالمنصور، فكان هو الكل.

☪

أيها الإخوة المؤمنون، إن هذا الخليفة الذي حاسبه ذلك العالم، كان من مشاهير خلفاء الإسلام، وأبطالهم، وهو الذي وطد أركان الإسلام في الأندلس غازيا مجاهدا، حتى يأس النصار من القتال في عهده فصالحوه على جزية عظيمة، فامتلئت خزائنه، وعم الغنى في عهده، فكان محبا للإنشاء والإعمار، ومع مجده ذلك لم يرض عنه العالم العامل المنذر بن سعيد، فما موقف علماء الإسلام اليوم من هؤلاء الذين عاثوا مفسدين في مال الله، ينفقونه في كل وجه حرمه الله، ويدفعون ألوان الجزية لكفار الشرق والغرب من أجل الحفاظ على عروشهم، صباح مساء حتى﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم]

قال المقري: حكى غير واحد أنه وجد بخط الناصر رحمه الله: أيام السرور التي صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ويوم كذا من كذا. وعدت تلك الأيام فكانت أربعة عشر يوما. فأعجب أيها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها وبخلها بهال الأحوال لأوليائها. هذا الخليفة الناصر حلف السعود المضروب به المثل في الارتقاء في الدنيا والصعود ملكها خمسين سنة وستة أو سبعة أشهر وثلاثة أيام ولم تصف له إلا أربعة عشر يوما فسبحان ذي العزة القائمة والمملكة الدائمة تبارك اسمه تعالى لا اله إلا هو.

☪

قال الله تعالى:﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران]﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل] ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تُفَرَّقُوا وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ﴾ وعن جرير، قال: ﴿بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلَقَّنَنِي، فِيمَا اسْتَطَعْتُ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ﴾ وعن مقدام بن شريح بن هانئ، قال: سمعت أبي، يحدث، عن أم المؤمنين عائشة، أنه سمعها تقول:﴿كُنْتُ عَلَى بَعِيرٍ صَعْبٍ، فَجَعَلْتُ أَضْرِبُهُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ﴾ وعن عبد الله بن المبارك قال:﴿كَانَ الرَّجُلُ إِذَا رَأَى مِنْ أَخِيهِ مَا يَكْرَهُ أَمَرَهُ فِي سَتْرٍ وَنَهَاهُ فِي سَتْرٍ فَيُؤْجَرُ فِي سَتْرِهِ وَيُؤْجَرُ فِي نَهْيِهِ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِذَا رَأَى أَحَدٌ مِنْ أَحَدٍ مَا يَكْرَهُ اسْتَغْضَبَ أَخَاهُ وَهَتَكَ سَتْرَهُ﴾ والنصيحة تصلح مع حاكم يخطئ في شيء مما يسوس به الرعية، لا مع الطواغيت الذين إذا نصحوا لم ينتصحوا وإذا استرحموا لم يرحموا. قال صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ﴾ (لا يرحم) المخلوقات (لا يرحم) من قبل الخالق جل وعلا. وقال الله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة].

☪

قال سعيد بن علي بن وهف القحطاني رحمه الله في كتابه: أصاب الناس قحط في بعض السنين، فأمر القاضي: منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس، فصام أياما وتأهب. وقيل: إن عبد الرحمن الناصر هو الذي أمره بالاستسقاء للناس، فلما جاءته الرسالة قال للرسول: كيف تركت الملك؟ فقال: تركته أخشع ما يكون، وأكثره دعاء وتضرعا، ففرح منذر بن سعيد بذلك وأمر غلامه أن يحمل ما يقيهم من المطر، وقال. سقيتم والله إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء. ثم قال لغلامه: ناد في الناس بالصلاة فجاء الناس إلى محل الاستسقاء، ثم خرج القاضي منذر، راجلا، متخشعا، ثم وصل المصلي وقام ليخطب، والناس ينظرون إليه يسمعون ما يقول، فلما رأى الحال بكى، وافتتح خطبته بقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام] ثم أعادها مرارا فضج الناس بالبكاء والنحيب والتوبة والإنابة، وقال: استغفروا ربكم، وتوبوا إليه، وتقربوا بالأعمال الصالحات لديه، فجأروا بالدعاء والتضرع، وخطب فأبلغ، فلم ينفض القوم حتى نزل غيث عظيم. وأخبار هذا القاضي كثيرة حسنة جدا، ومنها: أنه استسقى مرة فقال يهتف بالخلق: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر] فهذا الموقف من أعظم المواقف الإيمانية الحكيمة؟ لأن الداعية إذا صدق مع الله تعالى وتأثر بما يدعو إليه، تأثر الناس في الغالب؟ ولهذا صدق منذر ففتح الله له قلوب الناس، واستجاب الله لهم فأنزل عليهم الغيث بفضله وكرمه. فحري بالدعاة إلى الله تعالى أن يسلكوا مسالك الحكمة في دعوتهم إلى الله تعالى.

معلومة: قال ابن بشكوال: كان عدد القومة لجامع قرطبة في مدة المنصور وقبلها ثلاث مئة رجل. وقال ابن مزين: في قبلته انحراف. وقد ركب الحكم المستنصر بالله مع الوزراء والقاضي منذر البلوطي وقد هم بتحريف القبلة، فقالوا: يا أمير المؤمنين، قد صلى بهذه القبلة خيار الائمة والتابعون، وإنما فضل من فضل بالاتباع، وأمير المؤمنين أولى من اتبع. فترك القبلة بحالها. قالت العلماء: يبدو أن من حضره من الفقهاء قالوا ذلك لأن الانحراف كان يسيرا متحملا ...

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح / مسند أحمد/ صحيح مسلم/ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا/ سير أعلام النبلاء/ الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى/ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض/ سير أعلام النبلاء/

في ترجمة الوزير الفتح بن خاقان[1] للقاضي البلوطي[2] في كتابه مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس. قال: كان القاضي منذر بن سعيد من ذوي الصلابة في أحكامه، والمهابة في أقضيته، وقوة القلب في القيام بالحق في جميع ما يجري على يديه، لا يهاب في ذلك الأمير الأعظم فمن دونه، ومن مشهور ما جرى له في ذلك قصته المشهورة في أيتام أخي نجدة، حدثني بها جماعة من أهل العلم والرواية، وهي أن الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد[3] احتاج إلى شراء دار بقرطبة لحظية من نسائه تكرم عليه، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخي نجدة كانت بقرب النشارين في الربض الشرقي منفصلة عن دور يتصل بها حمام العامة له غلة واسعة، وكان أولاد زكريا أيتاما في حجر القاضي، فأرسل الخليفة له من قيمتها بعدد ما طابت به نفسه، وأرسل ناسا وأمرهم بمداخلة وصي الأيتام في بيعها عليهم، فذكر أنه لا يجوز إلا بأمر القاضي، إذ لم يجز بيع الأصل إلا عن رأيه ومشورته، فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار، فقال لرسوله: البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجوه، منها الحاجة ومنها الوهي الشديد*، ومنها الغبطة* أما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الأيتام إلى البيع، وأما الوهي فليس فيها، وأما الغبطة فهذا مكانها؛ فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما يستبين به الغبطة، أمرت وصيهم بالبيع، وإلا فلا، فنقل جوابه هذا إلى الخليفة، فأظهر الزهد في شراء الدار طمعا أن تتراخى رغبته فيها، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأولاد سورتها، فأمر وصي الأيتام بنقض الدار، وبيع أنقاضها ففعل ذلك، وباع الأنقاض، وكانت لها قيمة بأكثر مما قومت به للسلطان، فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها، وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها، فأحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك، فأرسل عند ذلك للقاضي وقال له: أنت أمرت بنقض دار أخي نجدة؟ فقال له: نعم، قال له: وما دعاك إلى ذلك؟ قال أخذت فيها بقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف] فمقومك لم يقدرها إلا بكذا؛ وبذلك تعلق وهمك، فقد نص في أنقاضها أكثر من ذلك*، وبقيت الدار، والحمام فضلا، ونظر الله تعالى للأيتام، فصبر الخليفة على ما أتى من ذلك، وقال: نحن أول من انقاد إلى الحق فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيرا.

----

* (الوهي الشديد) الضعف كأن تكون الدار متداعية (الغبطة) الغبطة تتحقق بها فيه مصلحة الأيتام، وهو الزيادة على ثمن المثل (أكثر من ذلك) يريد أن الذي قوم الدار للخليفة حاباه، وهو يتوهم أنه قومها بما تساوي، مع أن ثمن أنقاضها وحده قد زاد على ذلك، وهو يريد أكثر مما تساوي لمصلحة الأيتام.

(2) منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النفزي القربطي، أبو الحاكم البلوطي، قاضي قضاة الأندلس في عصره، كان إماما عالما فصيحا، خطيبا بليغا مفوها، شاعرا أديبا، فقيها محققا، كثير الفضل، جامعا لصنوف من الخير والتقوى والزهد، له كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع والرد على أهل الأهواء والبدع، وله اليوم المشهور الذي ملا فيه الاسماع، وبهر القلوب بخطبته البليغة التي ارتجلها بين يدي الناصر في ذلك الجمع الحاشد المهيب، الذي أعده لاستقبال رسول ملك الروم، فأعجب به الناصر أيما إعجاب، فقال لابنه: والله لقد أحسن ما شاء، ولئن أخرني الله بعد لارفعن من ذكره، فضع يدك عليه، واستخلصه، وذكرني بشأنه، فما للصنيعة مذهب عنه، ثم ولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء.ولد المنذر بن سعيد سنة 273 هـ وقيل سنة 265هـ، ووفاته سنة 355 هـ.

(3) أبو المُطَرف، عبد الرحمن الناصر لدين الله، القائم بأمر الله، ولد سنة 277 هـ وتوفي سنة 355 هـ وهو ثامن ملوك الدولة الأموية في الأندلس التي أسسها عبد الرحمن الداخل بعد سقوط دولتهم في المشرق العربي، وأول ملوك قرطبة بعد أن أعلن الخلافة في قرطبة سنة 316 هـ

(1)الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان ابن عبد الله القيسي الإشبيلي، أبو نصر: كاتب، مؤرخ، ولد ونشأ فيها. وكان كثير الاسفار والرحلات،قال ابن خلكان:خليع العذار في دنياه، لكن كلامه في تواليفه كالسحر الحلال والماء الزلال. مات ذبيحا بمدينة مراكش، في الفندق،أوعز بقتله الامير، علي بن يوسف بن تاشفين. سنة 528 هـ

☪

قال وذكر أن أول سببه في التعلق في الناصر لدين الله، ومعرفته به وزلفاه، أن الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم، وصاحب القسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره، وانبهر أمره، أحب أن تقوم الخطباء والشعراء بين يديه تذكر جلالة مقعده، ووصف ما تهيأ له من توطد الخلافة، ورمي الملوك بآمالها، وتقدم إلى الأمير الحكم ابنه بإعداد من يقوم لذلك من الخطباء، ويقدمه أمام نشيد الشعراء، فتقدم الحكم إلى أبي علي البغدادي* ضيف الخلافة ، وأمير الكلام، وبحر اللغة أن يقام، فقام رحمه الله، وأثنى على الله، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انقطع، وبهت فما وصل إلا قطع، ووقف ساكتا متفكرا، وتشوف لا ناسيا ولا متذكرا. فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام بذاته، بدرجة من مرقاته، فوصل افتتاح أبي علي البغدادي بكلام عجيب، ونادى من الإحسان في ذلك المقام كل مجيب، وقال: أما بعد فإن لكل حادثة مقاما، ولكل مقام مقال، وليس بعد الحق إلا الضلال، وإني قد قمت في مقام كريم، بين يدي ملك عظيم، فأصغوا لي بأسماعكم، وأمنوا علي بأفئدتكم، معاشر الملأ ! إن من الحق أن يقال للمحق صدقت، وللمبطل كذبت، وإن الجليل تعالى في أسمائه، وتصدق بصفاته* أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا، وعليه ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أن يذكر بنعم الله عز وجل عندهم، وأنا أذكركم نعم الله تعالى عليكم، وتلافيه لكم، بخلافة أمير المؤمنين التي آمنت سربكم، ورفعت خوفكم، وكنتم قليلا فكثركم، ومستضعفين فقواكم، ومستذلين فنصركم، ولاه الله رعايتكم، وأسند إليه إمامتكم، أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق، وأحاطت بكم شعل النفاق، حتى صرتم في مثل حدقة البعير، مع ضيق الحال ونكد العيش والتغيير، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء، وانتقلتم بيمن سياسته إلى كنف العافية بعد استيطان البلاء، ناشدتكم يا معشر الملأ ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها، والسبل مخوفة فأمنها، والأموال منتهبة فأحرزها وحصنها؟ ألم تكن البلاد خرابا فعمرها، وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته، حتى أذهب عنكم غيظكم، وشفى صدوركم، وصرتم يدا على عدوكم، بطوية خالصة، وبصيرة ثابتة وافرة، فقد فتح الله عليكم أبواب البركات، وتواترت عليكم أسباب الفتوحات، وصارت وفود الروم وافدة عليكم، وآمال الأقصين والأدنين إليكم، يأتون من كل فج عميق، وبلد سحيق، ولا أحد يحيل بينه وبينكم ليقضي الله أمرا كان مفعولا، ولن يخلف الله وعده، ولهذا الأمر ما بعده، وتلك أسباب ظاهرة تدل على أمور باطنة، دليلها قائم، وغيبها عالم ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور] وليس في تصديق ما وعد الله عز وجل من ارتياب، ولكل نبأ مستقر، ولكل أجل كتاب، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه، وسلوه المزيد من نعمائه، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله تعالى بالعصمة والسداد، وألهمه بخالص التوفيق سبيل الرشاد، فاستعينوا على صلاح أحوالكم، بالمناصحة لإمامكم، والتزام الطاعة لخليفتكم، وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم فإن من نزع يده من طاعة، وسعى في فرقة الجماعة، وفر من الديانة، فقد خسر الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين. وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين، وصنوف الملحدين، الساعين في شق عصاكم، وتفريق ملتكم، وهتك حرمتكم، وتوهين دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين والمرسلين، أقول قولي هذا والحمد لله رب العالمين وأنشد يقول: مقال كحد السيف وسط المحافل..فرقت به ما بين حق وباطل..بقلب ذكي ترتمي جنباته..كبارق رعد عند نقش الأنامل..فما دحضت رجلي ولا زل مقولي..ولا طار عقلي يوم تلك البلابل..بخير إمام كان أو هو كائن..لمقتبل أو في العصور الأوائل..وقد حدقت نحوي عيون أخالها..كمثل سهام أثبتت في المقاتل..ترى الناس أفواجا يؤمون داره..وكلهم ما بين راض وآمل..وفود مليك الروم وسط فنائه..مخافة بأس أو رجاء لسائل..فعش سالما أقصى حياة معمر..فأنت غياث كل حاف وناعل. فقال العلج: هذا والله كبش الدولة ، وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه، وثبات جنانه، وبلاغة لسانه. وكان الخليفة الناصر لدين الله أشد تعجبا منه، وأقبل على ابنه الحكم، ولم يكن يثبت معرفة عينه، وقد سمع باسمه، فقال الحكم: هذا منذر بن سعيد البلوطي، فقال والله لقد أحسن ما أنشأ* ، ولئن أبقاني الله تعالى لأرفعن من ذكره ، فضع يدك يا حاكم واستخلصه وذكرني بشأنه ، فما للصنيعة مذهب عنه ، فلما انتهى الناصر إلى الجامع بالزهراء ولاه الصلاة فيها والخطبة ، ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاه قضاء الجماعة بقرطبة وأقره على الصلاة بالزهراء.

☪

قال: وكان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة، فربما ساء ظن من لا يعرفه حتى إذا رام أن يصيب من دينه شعرة ثار عليه ثورة الأسد الضاري. فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال: قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم مع أبينا للإفطار بداره البرانية، فإذا بسائل يقول: يا أهل هذه الدار الصالحين أطعمونا من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة، وأكثر من ذلك فقال القاضي: إن استجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد. وحكى عنه قاسم بن أحمد الجهني أنه ركب يوما لحيازة أرض محبسة في ركب من وجوه الفقهاء وأهل العدالة، فيهم أبو إبراهيم اللؤلؤي، قال: فسرنا نقفوه وهو أمامنا، وأمامه يحملون خرائطه* وعلى ذويه السكينة والوقار، وكانت القضاة حينئذ لا تراكب ولا تماشى* فعرض له في بعض الطريق كلاب مستوحة، وهي تلعق منها وتدور حوله، فوقف وصرف وجهه إلينا وقال: ترون يا أصحابنا ما أبر الكلاب بالهن الذي تلعقه وتكرمه، ونحن لا نفعل ذلك! ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا، وبقينا متعجبين من هزله. وحضر عند الحكم المستنصر بالله[1] يوما في خلوة له في بستان الزهراء على بركة ماء طافحة، وسط روضة نافحة، في يوم شديد الوهج، وذلك إثر منصرفه من صلاة الجمعة فشكا إلى الخليفة من وهج الحر الجهد، وبث منه ما تجاوز الحد فأمره بخلع ثيابه، والتخفف من جسمه، ففعل ولم يطفئ ذلك ما به، فقال له: الصواب أن تنغمس في وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك، ولم يكن مع الخليفة إلا الحاجب جعفر الخادم الصقلي أمينه، والحكم لا رابع لهم؛ فكأنه استحيا من ذلك وانقبض عنه وقارا، وأقصر عنه إقصارا، فأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه بالنزول في الصهريج، وكان يحسن السباحة، فجعل يجول يمينا وشمالا، فلم يسع القاضي إلا إنفاذ أمر الخليفة، فقام وألقى بنفسه خلف جعفر، ولاذ بالقعود في درج الصهريج، وتدرج فيه بعض تدريج، ولم ينبسط في السباحة، وجعفر يمر مصعدا ومصوبا، فدسه الحكم على القاضي، وحمله على مساجلته في العوم فهو يعجزه في إخلاده إلى القعود، ويعاتبه بإلقاء الماء عليه، والإرشاد بالجذب إليه وهو لا ينبعث معه، ولا يفارق موضعه، إلى أن كلمه الحكم، وقال له: ما لك لا تساعد الحاجب في فعله وتقفز معه، وتتقيل صنعه، فمن أجلك نزل، وبسببك تبذل؟ فقال له: يا سيدي يا أمير المؤمنين الحاجب سلمه الله لا هوجل* معه، وأنا بهذا الهوجل الذي معي يعلقني، ويمنعني من أن أجول معه مجاله، فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته، ولطيف تعريضه لجعفر، وخجل جعفر من قوله وسبه سب الأشراف، وخرجا من الماء، وأمر لهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما.

----

*(فتقدم الحكم إلى أبي علي البغدادي) فيه أن وحدة الأمة ما كانت تمنع في ذلك الزمن تقديم الغريب عن البلاد عن أمثاله من أهلها إذا كان أهلا، وإن كان تابعا لحكومة أخرى، ولا يكون مثل هذا في مصر الآن، لأن التعصب للبلاد أضعف وحدة الأمة . (تصدق بصفاته) لعل الأصل : وتقدس بصفاته . (لقد أحسن ما أنشأ) لعل الأصل : أحسن ما شاء (خرائطه) لعل اصله: وأمامه خدمه إلخ ، والخرائط : أوعية من الجلد، أو غيره لها عرى تشد، وتربط على ما يوضع فيه من المتاع، واحدها خريطة (ولا تماشى) أي كانوا يتقدمون الناس فلا يركب ولا يمشي معهم أحد مساويا لهم (هوجل) الهوجل: الأنجر الثقيل الذي ترسى به السفينة ، وفي العبارة من حسن الا ستعارة ، ونزاهة التعريض ما ترى ، هذا وقد خجل منه الحاجب ، وغضب حتى أنه لم يملك لسانه أن سب القاضي والأشراف على مسمع من الخليفة ! وناهيك بهذا برهانا على نزاهة حاشية الخليفة ، وبعدهم عن المجون والخلاعة ، وعلى دقة ذلك الأعجمي الأصل في فهم اللغة العربية .

(1) الحكم المستنصر بالله، صاحب الأندلس أبو العاص ابن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي.وهو تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس وثاني ملوك الأندلس بعد أبيه عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي أعلن الخلافة في الأندلس سنة 316 هـ. كان حسن السيرة، مكرما للقادمين عليه. جمع من الكتب ما لا يحد ولا يوصف كثرة ونفاسة. وقل ما نجد له كتابا من خزانته إلا وله فيه قراءة أو نظر في أي فن كان. ولد الحكم المستنصر بالله سنة 302هـ وتوفي بقصر قرطبة سنة 366 هـ.وولي الأمر بعده ابنه المؤيد بالله هشام، وسنه يومئذ 9 سنين، وقام بتدبير المملكة الحاجب أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر العامري القحطاني الملقب بالمنصور، فكان هو الكل.

مراجع: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس/ نفح الطيب/ الدرر السنية في الأجوبة النجدية/ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/ مجلة المنار/

روى المقري: أن الناصر[1] لما أعذر* لأولا د ابنه أبي مروان الأكبر عبيد الله، أتخذ لذلك صنيعا عظيما بقصر الزهراء، لم يتخلف عنه أحد من أهل مملكته، وأمر أن ينذر لشهوده الفقهاء المشاورون، ومن يليهم من العلماء والعدول ووجوه الناس، فتخلف من بينهم الفقيه المشاور، أبو إبراهيم[3]، وافتقد مكانه لارتفاع منزلته، فساء ذلك الخليفة الناصر ووجد على أبي إبراهيم، وأمر ابنه ولي العهد الحكم[2] بالكتاب إليه، والتفنيد له، فكتب إليه الحكم رقعة نسختها: بسم الله الرحمن الرحيم حفظك الله وتولاك وسددك ورعاك لما امتحن أمير المؤمنين مولاي وسيدي أبقاه الله الأولياء الذين يستعد بهم وجدك متقدما في الولاية متأخرا عن الصلة على أن قد أنذرك أبقاه الله خصوصا للمشاركة في السرور الذي كان عنده لا أعدمه الله توالي المسرة، ثم انذرك من قبل إبلاغا في التكرمة، فكان على ذلك كله من التخلف ما ضاقت عليه فيه المعذرة، واستبلغ أمير المؤمنين في إنكاره، ومعاتبته عليه، فأعيت عليك عنك الحجة. فعرفني أكرمك الله، ما العذر الذي أوجب توقفك عن إجابة دعوته، ومشاهدة السرور الذي سر به، ورغب المشاركة فيه، لنعرفه أبقاه الله بذلك، فتسكن نفسه العزيزة إليه، إن شاء الله تعالى. فأجابه أبوه إبراهيم: سلام على الأمير ورحمة الله وبركاته. رأت أبقى الله سيدي هذا الكتاب وفهمته، ولم يكن توقفي لنفسي، إنما كان لأمير المؤمنين، سيدنا أبقاه الله، ولسلطانه، لعلمي بمذهنه، ولسكوني إلى تقواه، واقتفاره لأثر سلفه الطيب رضوان الله عليهم، فإنهم كانوا يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتهنوها، ولا بها يغض منها ويطرق إلى تنقصها فيستعدون بها لدينهم ويتزينون بها عند رعاياهم ومن يفد عليهم من قصادهم، فلهذا تخلفت ولعمي بمذهبه توقفت، إن شاء الله تعالى. قال: فلما اقرأ أباه الناصر لدين الله جواب أبي إبراهيم إسحاق أعجبه واستحسن اعتذاره وزال ما بنفسه عليه.

وكان الفقيه أبو إبراهيم المذكور معظما عند الناصر وابنه الحكم وحق لهما أن يعظماه.

وقد حكى الفقيه أبو القاسم مفرج بن محمد بن مفرج[3]قال: كنت أختلف إلى الفقيه أبي إبراهيم رحمه الله فيمن يختلف إليه للتفقه والرواية، فإني لعنده في بعض الأيام في مجلسه بالمسجد، المنسوب لأبي عثمان، الذي كان يصلي فيه، قرب داره، بجوفي قصر فرطبة، ومجلسه حافل بجماعة الطلبة، وذلك بين الصلاتين، إذ دخل عليه خصي من أصحاب الرسائل، جاء من عند الخليفة الحكم، فوقف وسلم، وقال له: يا فقيه، أجب أمير المؤمنين، أبقاه الله، فإن الأمر خرج فيك، وها هو قاعد ينتظرك، وقد أمرت بإعجالك، فالله الله. فقال له: سمعا وطاعة لأمير المؤمنين، ولا عجلة، فارجع إليه، وفقه الله، وعرفه عني أنك وجدتني في بيت من بيوت الله عز وجل، مع طلاب العلم أسمعهم حديث أبن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم يقيدونه عني، وليس يمكنني ترك ما أنا فيه، حتى يتم المجلس المعهود لهم في رضاء الله وطاعته، فذلك أوكد من مسيري إليه الساعة، فإذا انقضى أمر من اجتماع إلي من هؤلاء المحتسبين في ذات الله، الساعين في مرضاته، مشيت إليه، إن شاء الله تعالى. ثم أنه أقبل على شأنه، ومضى الخصي يهينم متضاجرا من توقفه، فلم يك إلا ريثما أدى جوابه وانصرف سريعا ساكن الطيش. فقال له: يا فقيه، أنهيت قولك على نصه إلى أمير المؤمنين، أبقاه الله، فأصغى إليه، وهو يقول لك: جزاك الله خيرا عن الدين، وعن أمير المؤمنين، وجماعة المسلمين، وامتعهم بك، وإذا أنت أعبت فامض إليه راشدا، إن شاء الله تعالى، فقد أمربأن أبقى معك حتى ينقضي شغلك وأذكرك، تمضي معي. فقال له: حسن جميل، ولكني أضعف عن المشي إلى باب السدة، ويصعب علي ركوب دابة لشيخوختي، وضعف أعضائي، وباب الصناعة الذي يقرب إلي من أبواب القصر المكرم أحوط لي وأرفق بي، فإن رأى أمير المؤمنين، أيده الله تعالى، أن يأمر بفتحه لأدخل إليه منه، هون علي المشي وودع جسمي، وأحب أن تعود فتنهي إليه ذلك عني حتى تعرف رأيه فيه، وكذلك تعود إلي فإني أراك فتى شديد، فكن على الخير معينا. ومضى عنه الفتى ثم رجع بعد حين، وقال: يا فقيه، قد أجابك أمير المؤمنين إلى ما سألت، وأمر بفتح باب الصناعة، وانتظارك من قبله، ومنه خرجت إليك، وامرت بملازمتك مذكرا بالنهوض عند فراغك، وقال: افعل راشدا، وجلس جانبا حتى أكمل أبو إبراهيم مجلسه بأكمل، وأفسح ما جرت به عادته غير منزعج ولا قلق، فلما انفضضنا عنه، قام إلى داره فأصلح من شأنه، ثم مشى إلى الخليفة الحكم، فوصل إليه من ذلك الباب، وقضى حاجته من لقائه، ثم صرفه على ذاك الباب، فأعيد إغلاقه على إثر خروجه.

قال المفرج: ولقد تعمدنا في تلك العشية إثر قيامنا عن الشيخ أبي إبراهيم المرور بهذا الباب المعهود إغلاقه بدير القصر، لنرى الذي تجشم الخليفة له، فوجدناه كما وصف الخصي مفتوحا، قد حفه الخدم والأعوان، منزعجين ما بين كناس وفراس متهيئين لانتظار أبي إبراهيم، فاشتد عجبنا لذلك وطال تحدثنا عنه. انتهى. هكذا هكذا تكون المعالي..طرق الجد غير طرق المزاح.

----

*(العذار) وهو طعام يدعى إليه لحادث سرور. يقال منه: أعذروا إعذارا. يقال هو طعام الختان خاصة. يقال عذر الغلام، إذا ختن. وفلان وفلان عذار عام واحد

■ (3) التجيبي، شيخ المالكية بقرطبة، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرة التجيبي مولا هم الكناني الطليطلي، نزيل قرطبة، فقيه قدوة، ورع صالح، له حانوت في الكتان، أقرأ الفقه. قال ابن عفيف: كان من أهل العلم، والفهم، والعقل، والدين المتين، والزهد، والبعد من السلطان، لا تأخذه في الله لومة لائم. وقال ابن الفرضي: كان أبو إبراهيم حافظا للفقه، صدرا في الفتيا، وقورا، مهيبا، لم يكن له بالحديث كبير علم، وله كتاب معالم الطهارة وكان الحكم أمير المؤمنين معظما له، وإذا دخل عليه مد رجليه، ويعتذر بشيخه فيقول: أقعد كيف شئت. وكان صليبا قليل الهيبة للملوك، اغتاب الحكم رجلا. فسكت أبو إبراهيم، ونكس برأسه، فأقصر الحكم وفهم، وقد راوده على أن يأتيه بولده أحمد وهو صبي، فقال: لا يصلح الآن لذلك. توفي أبو إبراهيم سنة 352 هـ.

■ (1) أبو المُطرف، عبد الرحمن الناصر لدين الله، القائم بأمر الله، ولد سنة 277 هـ وتوفي سنة 355 هـ وهو ثامن ملوك الدولة الأموية في الأندلس التي أسسها عبد الرحمن الداخل بعد سقوط دولتهم في المشرق العربي، وأول ملوك قرطبة بعد أن أعلن الخلافة في قرطبة سنة 316 هـ

■ (2) الحكم المستنصر بالله، صاحب الأندلس أبو العاص ابن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي.وهو تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس وثاني ملوك الأندلس بعد أبيه عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي أعلن الخلافة في الأندلس سنة 316 هـ. كان حسن السيرة، مكرما للقادمين عليه. جمع من الكتب ما لا يحد ولا يوصف كثرة ونفاسة. وقل ما نجد له كتابا من خزانته إلا وله فيه قراءة أو نظر في أي فن كان. ولد الحكم المستنصر بالله سنة 302هـ وتوفي بقصر قرطبة سنة 366 هـ.وولي الأمر بعده ابنه المؤيد بالله هشام، وسنه يومئذ 9 سنين، وقام بتدبير المملكة الحاجب أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر العامري القحطاني الملقب بالمنصور، فكان هو الكل.

■ (3) مفرج بن محمد بن مفرج بن حماد بن الحسن المعافري؛ يعرف: بالقبشي من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا القاسم. وهو من بيتة فضل وعلم. وتوفي بقرطبة سنة 406 هـ

إسحاق بن إبراهيم بن مسرة أبو إبراهيم التجيبي مولاهم يقال إنه مولى بني هلال التجيبيين من أهل طليطلة كان هو طليطلي الأصل وسكن قرطبة لطلب العلم ثم استوطنها سمع ببلده من وسيم وعثمان بن يونس ووهب بن عيسى وابن أبي تمام وبقرطبة من أبي الوليد وابن لبابة وأسلم بن خالد وابن أيمن ومحمد بن قاسم وقاسم بن أصبغ وغيرهم وأكثر أخذه عن بن لبابة وابن خالد وبهما تفقه. كان خيرا فاضلا دينا ورعا مجتهدا عابدا من أهل العلم والفهم والعقل والدين المتين والزهد والتقشف والبعد من السلطان لا تأخذه في الله لومة لائم حافظا للفقه على مذهب مالك وأصحابه متقدما فيه صدرا في الفتوى وكان يناظر عليه في الفقه وحدث وسمع منه جماعة وكان وقورا مهيبا ولم يكن له بالحديث كبير علم ولم يكن في عصره أبين منه خيرا ولا أكمل ورعا. من المشاهير في الجمع والعلم والحفظ مطاعا صلبا في الحق لم يكن يتكلم في العلم مع أصحابه بالتسهيل من الراسخين في العلم وله كتاب النصائح المشهور وكتاب معالم الطهارة والصلاة وكان الحاكم أمير المؤمنين معظما له وكان قليل الهيبة للملوك متصرفا مع الحق حيثما تصرف. وتوفي إسحاق بطليطلة ليلة الجمعة في رجب لعشر بقين منه سنة اثنتين وقيل أربع وخمسين وثلاثمائة وسنه خمس وسبعون سنة ورأى قبل موته – سنة إحدى وخمسين أنه مات وأن الملائكة تتوفاه فخرجت رؤياه على وجهها.

قال المقري: كان الخليفة الحكم المستنصر المذكور قام بأعباء الملك أحسن قيام لما توفي والده الناصر في يوم الأربعاء لثالث وقيل لاثنين مضين من شهر رمضان من سنة خمسين وثلاث مائة واستقرت الخلافة به حتى لم يعدم من الناصر إلا شخصه واعتلى سرير الملك ثامن وفاة أبيه يوم الخميس وأنفذ الكتب إلى الآفاق بتمام الأمر له ودعا الناس إلى بيعته واستقبل من يومه النظر في تمهيد سلطانه وتثقيف مملكته وضبط قصوره وترتيب أجناده.

وأول ما أخذ البيعة على صقالبة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر كجعفر صاحب الخيل والطرز وغير من عظمائهم وتكفلوا بأخذها على من وراءهم وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم وأوصل إلى نفسه في الليل دون هؤلاء الأكابر من الكتاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء فبايعوه فلما كملت بيعتهم وبيعة أهل القصر تقدم إلى عظيم دولته جعفر بن عثمان بالنهوض في أخيه شقيقه أبي مروان عبيد الله المتخلف لعلته بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة وتقدم إلى موسى بن أحمد بن حدير بالنهوض أيضا في أبي الأصبغ عبد العزيز شقيقه الثاني فمضيا اليهما كل واحد منهما في قطيع من الجند وأتيا بهما إلى قصر مدينة الزهراء ونفذ غيرهما من وجوه المال في الخيل للإتيان بغيرهما من الإخوة وكانوا يومئذ ثمانية فوافى جميعهم الزهراء في الليل فنزلوا في مراتبهم بفصلان دار الملك وقعدوا في المجلسين الشرقي والغربي وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في البهو الأوسط من الأبهاء المذهبة القبلية التي في السطح المرد فأول من وصل إليه الإخوة فبايعوه وأنصتوا لصحيفة البيعة والتزموا الأيمان المنصوصة بكل ما أنعقد فيها ثم بايع بعدهم الوزراء وأولادهم وإخوتهم ثم أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة وقعد الإخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله إلا عيسى بن فطيس فانه كان يأخذ البيعة على الناس وقام الترتيب على الرسم في مجالس الاحتفال المعروفة فاصطاف في المجلس الذي قعد فيه أكابر الفتيان يمينا وشمالا إلى آخر البهو كل منهم على قدره في المنزلة عليهم الظاهر البيض شعار الحزن قد تقلدوا فوقها السيوف ثم تلاهم الفتيان الوصفاء غليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية صفين منتظمين في السطح وفي الفصلان المتصلة به ذوو الأسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان لابس البياض بأيديهم السيوف يتصل بهم من دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة ثم تلاهم الرماة متنكبين قسيهم وجعابهم ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول شاكين في الأسلحة الرائقة والعدة الكاملة وقامت التعبية في دار الجند والترتيب من رجالة العبيد عليهم الجواشن والأقبية البيض وعلى رءوسهم البيضات الصقلية وبأيديهم التراس الملونة والأسلحة المزينة انتظموا صفين إلى آخر الفصيل. وعلى باب السدة الأعظم البوابون وأعوانهم ومن خارج باب السدة فرسان العبيد إلى باب الأقباء واتصل بهم فرسان الحشم وطبقات الجند والعبيد والرماة مواكبا إثر مواكب إلى باب المدينة الشارع إلى الصحراء فلما تمت البيعة إذن للناس بالنفضاض إلا الإخوة والوزراء وأهل الخدمة فإنهم مكثوا بقصر الزهراء إلى أن احتمل جسد الناصر رحمه الله إلى قصر قرطبة للدفن هنالك في تربة الخلفاء.

مراجع: زهار الرياض في أخبار القاضي عياض/ الصلة/ نفح الطيب/ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب/ سير أعلام النبلاء/

قال ابن خلكان كان يعقوب المنصور[1] رحمه الله قد خافه الفنش[2] صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه إلى خمس سنين فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها إلا القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثا فظيعا فانتهى الخبر إلى أمير المؤمنين يعقوب المنصور وهو بمراكش فتجهز لقصدهم في جيش عرمرم من قبائل الموحدين والعرب واحتفل في ذلك وعبر البحر إلى الأندلس سنة إحدى وتسعين وخمسمائة واتصل بالفرنج عبوره إليهم فجمعوا خلقا كثيرا من أقصى بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه. قال ابن خلكان: رأيت بدمشق في أواخر سنة ثمان وستين وستمائة جزءا بخط الشيخ تاج الدين عبد الله بن حموية[3] كان بها، وكان قد سافر إلى مراكش وأقام بها مدة، وكتب فصولا تتعلق بتلك الدولة فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الوقعة فينبغي ذكره ها هنا، فقال: لما انقضت الهدنة بين الأمير أبي يوسف يعقوب صاحب المملكة الغربية وبين الأذفونش الفرنجي صاحب غرب جزيرة الأندلس، وقاعدة مملكته يومئذ طليطلة، وذلك في أواخر سنة تسعين وخمسمائة، عزم الأمير يعقوب وهو حينئذ بمراكش على التوجه إلى جزيرة الأندلس لمحاربة الفرنج وكتب إلى ولاة الأطراف، وقواد الجيوش بالحضور، وخرج إلى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بظاهرها. فاتفق أنه مرض مرضا شديدا حتى أيس منه أطباؤه، فتوقف الحال عن تدبير ذلك الجيش. فحمل الأمير يعقوب إلى مراكش، فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا على النواحي والأطراف. وكذلك فعل الأذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالأندلس، واقتضى الحال تفرقه جيوش الأمير يعقوب شرقا وغربا، واشتغلوا بالمدافعة والممانعة، فكثر طمع الأذفونش في البلاد، وبعث رسولا إلى الأمير يعقوب يتهدد ويتوعد، ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الأندلس، وكتب إليه رسالة من إنشاء وزير له يعرف بابن الفخار[4]، وهي: باسمك اللهم فاطر السموات والأرض، وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح، أما بعد فإنه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل لازب، أنك أمير الملة الحنيفية كما أني أمير الملة النصرانية، وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الأندلس من التخاذل والتواكل وإهمال الرعية، وإخلادهم إلى الراحة، وأنا أسومهم بحكم القهر وجلاء الديار وأسبي الذراري وأمثل بالرجال، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم إذا أمكنتك يد القدرة، وأنتم تزعمون أن الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم، فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا، وقد حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال، وتماطل نفسك عاما بعد عام، تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك، ثم قيل لي إنك لا تجد إلى جواز البحر سبيلا لعلة لا يسوغ لك التقحم معها، وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك، على أن تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان، وترسل إلي جملة من عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات، وأجوز بجملتي إليك، وأقاتلك في أعز الأماكن لديك، فإن كانت الدائرة لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك، وإن كانت لي كانت يدي العليا عليك، واستحقيت إمارة الملتين والحكم على البرين، والله تعالى يوفق للسعادة ويسهل الإدارة، لارب غيره ولا خير إلا خيره، إن شاء الله تعالى. فلما وصل كتابه إلى الأمير يعقوب مزقه وكتب على ظهر قطعة منه:﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل] الجواب ما ترى لا ما تسمع: ولا كتب إلا المشرفية عنده..ولا رسل إلا الخميس العرمرم. قلت: وهذا البيت للمتنبي. ثم أمر بكتب الاستنفار واستدعى الجيوش من الأمصار، وضرب السرادقات بظاهر البلد من يومه وجمع العساكر، وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر فيه إلى الأندلس، وسار إلى أن دخل بلاد الفرنج، وقد أعتدوا واحتشدوا وتأهبوا، فكسرهم كسرة شنيعة، وذلك في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، انتهى ما نقلته من الجزء المذكور.

قال ابن خلكان: ثم وجدت في كتاب تذكير العاقل وتنبيه الغافل، تأليف أبي الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي[5] هذه المكاتبة وجوابها، قد كتبها الأذفونش بن فرذلند إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[6] وجواب يوسف على هذه الصورة أيضا، والله أعلم. وذكر البياسي بعد هذا ما يدل على أنه نقلها من خط ابن الصيرفي الكاتب المصري، فإن كان كذلك فيا يمكن أن تكون هذه الرسالة إلى يعقوب ابن يوسف، لأن ابن الصيرفي متقدم التاريخ على زمان يعقوب بكثير، والله أعلم. ورأيت جماعة من فضلاء المغاربة ينكرون هذا التاريخ ويذكرون ما نشرحه إن شاء الله تعالى: وهو أن الفرنج جمعوا جمعا عظيما وقصدوه، وبلغ الأمير يعقوب خبر مسيرهم وكثرة جموعهم، فما هاله ذلك، وجد في السير نحوهم حتى التقوا في شمال قرطبة على قرب قلعة رباح في مرج الحديد*، وفيه نهر يشقه، فعبر إلى منزلة الفرنج وصافهم، وذلك يوم الخميس التاسع من شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، واقتفى في ذلك طريقة أبيه وجده فإنهما أكثر ما كانوا يصافون يوم الخميس، ومعظم حركاتهم في صفر، ووقع القتال وبرزت الأبطال وصبرت الرجال، فأمر الأمير يعقوب فرسان الموحدين وأمراء العرب أن يحملوا ففعلوا، وانهزم الفرنج وعمل فيهم السيف فاستأصلهم قتلا، وما نجا ملكهم إلا في نفر يسير، ولولا دخول الليل لم يبق منهم أحد، وغنم المسلمون أموالهم، حتى قيل إن الذي حصل لبيت المال من دروعهم ستون ألف درع، وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصرها لها عدد، ولم يسمع في بلاد الأندلس بكسرة مثلها. ومن عادة الموحدين أنهم لا يأسرون مشركا محاربا إن ظفروا به ولو كان ملكا عظيما، بل تضرب رقابهم كثروا أو قلوا، فلما أصبح جيش المسلمين اتبعوهم فألفوهم قد أخلوا قلعة رباح لما داخلهم من الرعب، فملكها الأمير يعقوب وجعل فيها واليا وجيشا. ولكثرة ما حصل له من الغنائم لم يمكنه الدخول إلى بلاد الفرنج في ذلك الوقت، فعاد إلى مدينة طليطلة وحاصرها وقاتلها أشد قتال وقطع أشجارها وشن الغارات على بلادها، وأخذ من أعمالها حصونا كثيرة وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب مبانيها (مغانيها) وهدم أسوارها، وترك الفرنج في أسوأ حال، ولم يبرز إليه أحد من المقاتلة. ثم رجع إلى إشبيلية وأقام إلى أثناء سنة ثلاث وتسعين، فعاد إلى بلاد الفرنج مرة ثالثة (مرة أخرى ثالثة) وفعل فيها كفعله المتقدم، فلم يبق للفرنج قدرة على لقائه وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فأرسلوا إليه يلتمسون منه الصلح، فأجابهم إلى ذلك لما اتصل به من أخبار علي بن إسحاق الميورقي[7] المقدم ذكره في هذه الترجمة فإنه كان قد خرج على بلاد إفريقية وخرب أكثر بلادها وتوجه نحو الغرب، وسولت له نفسه النزول على بجاية لما علمه من اشتغال الأمير يعقوب بجزيرة الأندلس والجهاد فيها وتأخره عن بلاد المغرب مدة ثلاث سنين. فأوقع الصلح بينه وبين ملوك الأندلس جميعا على ما اختاره لمدة خمس سنين، ثم عاد إلى مراكش في أواخر سنة ثلاث وتسعين ولما وصل إليها أمر باتخاذ الأحواض والروايا وآلات السفر للتوجه إلى بلاد إفريقية، فاجتمع إليه مشايخ الموحدين وقالوا له: يا سيدنا قد طالت غيبتنا بالأندلس، فمنا من له خمس سنين ومنا من له ثلاث سنين وغير ذلك، فتنعم علينا بالمهلة هذا العام وتكون الحركة في أول سنة خمس وتسعين، فأجابهم إلى سؤالهم وانتقل إلى مدينة سلا وشاهد ما فيها من المتنزهات المعدة له، وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة، سماها رباط الفتح على هيئة الإسكندرية في اتساع الشوارع وحسن التقسيم وإتقان البناء وتحسينه وتحصينه، وبناها على البحر المحيط الذي هناك، وهي على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلي، وطاف تلك البلاد وتنزه فيها ثم رجع إلى مراكش.

* (مرج الحديد) سماه المراكشي: فحص الحديد

■ (2) الفنش هو ألفونسو العاشر بن فرناندو ملك قشتالة وليون الملقب بالعالم والحكيم، الذي اعتلى العرش سنة 643 هـ/ 1245 م وتوفي سنة 683 هـ/ 1284 م كان ألفونسو العاشر مقربا للعلماء المسلمين ومستخدما لهم في كثير من المهام

■ (3) تاج الدين عبد الله بن عمر بن حمويه زار الغرب سنة 593 هـ وعاش في بلاط الموحدين وكان على صلة بيعقوب بن يوسف وبقي هناك إلى سنة 600 هـ فدون مذكراته في كتاب نقل منه الذهبي كثيرا في كتبه الذهبي ومنهجه وقد وقف عليه ابن خلكان أيضا سنة668 هـ ونقل منه في الوفيات وتوفي تاج الدين هذا سنة 624 هـ

■ (1) يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ابن علي الكومي الموحدي، أبو يوسف،المنصور المؤمني، المنصور بفضل الله: من ملوك الدولة المؤمنية في الغرب الاقصى، ومن أعظمهم آثارا. ولد بقصر جده عبد المؤمن بمراكش. وبويع له بعد وفاة أبيه سنة 580 هـ وكان معه في وقعة شنترين فرجع إلى إشبيلية واستكمل البيعة. ووجه عنايته إلى الاصلاح، فاستقامت الاحوال في أيامه وعظمت الفتوحات. وخرج عليه ابن غانية فقابله بجيش ضخم، فشتت شمله سنة 583 هـ وجهز سنة 585 هـ جيشا من الموحدين، ففتح أربع مدن من بلاد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة. وخافه ألفونس صاحب طليطلة وسأله الصلح، فهادنه خمس سنين. ولما انقضت الهدنة كان الفرنج قد جمعوا خلقا كثيرا من أقاصي بلادهم وأدانيها، فقابلهم المنصور وكسرهم، بعد معارك شديدة، سنة 592 هـ وعقد معهم صلحا آخر إلى مدة خمس سنين. وعاد إلى مراكش سنة 594 هـ والارجح أنه توفي بها سنة 595 هـ ثم نقل إلى تينملل. وكان شديدا في دينه، ونهى الفقهاء عن الافتاء إلا بالكتاب والسنة

■ (4) محمد بن عمر بن يوسف، أبو عبد الله ابن الفخار:عالم الاندلس في زمانه ومن أئمة المالكية بقرطبةرحل إلى المدينة المنورة ثم عاد إلى الاندلس.وفر عن قرطبة عند غلبة البرابر عليها، ونذروا دمه فاستقر في بلنسية إلى أن توفي عن نحو ثمانين سنة في 419 هـله عدة كتب وكانت له مذاهب أخذ بها في خاصة نفسه خالف فيها أهل قطره

■ (6) يوسف بن تاشفين بن إبراهيم، المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري، أبو يعقوب، أمير المسلمين، وملك الملثمين: سلطان الغرب الاقصى، وباني مدينة مراكش، وأول من دعي بأمير المسلمين. وولاه ابن عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني إمارة البربر، وبايعه أشياخ المرابطين. وجال جولة في الغرب بجيش كبير، فقوي أمره، واستولى على مدينة فاس، وغزا الاندلس فصالحه ملوكها على الطاعة له. واستخلفه أبو بكر بن عمر على الغرب سنة 463 هـ فاستقل به. وبنى مدينة مراكش سنة 465 هـ وكتب إليه المعتمد ابن عباد سنة 475 هـ من إشبيلية، يستنجده على قتال الفرنج، فزحف بجموعه، فكانت وقعة الزلاقة المشهورة التي انكسر فيها جيش الفرنج الزاحف من طليطلة، كسرة شديدة سنة 479 هـ وبايعه بعد انتهاء الوقعة، من شهدها معه من ملوك الاندلس وأمرائها، وكانوا ثلاثة عشر ملكا، فسلموا عليه بأمير المسلمين، وكان يدعي بالامير. وعاد إلى مراكش، وهو على اتصال بإشبيلية وغيرها. ثم لم يلبث أن سير الجيوش إلى الاندلس. ودخل غرناطة في السنة نفسها وفيها آخر الصنهاجيين عبد الله بن بلكين فامتلكها وأخذ ابن بلكين معه إلى مراكش. واستولى قائد جيشه شير بن أبي بكر على مرسية وشاطبة ودانية ثم بلنسية وإشبيلية وبطليوس، فتم له ملك الجزيرة كلها، وشمل سلطانه الغربين الاقصى والاوسط وجزيرة الاندلس. وتوفي بمراكش سنة 500 هـ. وكان حازما، ضابطا لمصالح مملكته، يخطب لبني العباس.

■ (5) يوسف بن محمد بن إبراهيم الانصاري البياسي، جمال الدين، أبو الحجاج: مؤرخ، من علماء الاندلس وحفاظ الحديث فيها. نسبته إلى بياسة من كور جيان ووفاته بتونس سنة 653 هـ وقد جاوز الثمانين بيسير

■ (7) علي بن إسحاق بن محمد ابن غانية: أمير جزائر الباليار ميورقة وما حولها، في شرقي الاندلس. تولاها مستقلا، بعد وفاة أبيه سنة 579 هـ بعهد منه. وانتهز فرصة اشتغال الموحدين في الاندلس بوفاة أبي يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن أخذ البيعة لابنه يعقوب ابن يوسف، فخرج بأسطوله إلى العدوة ونزل بساحل بجاية في الجزائر، فقاتله بعض أهلها، فاستولى عليها، سنة 582 على الا رجح والتف حوله من لم يخضعوا لبني عبد المؤمن من عرب بني هلال والغز المصريين والى رأسهم شرف الدين قراقوش، وتلقب علي بأمير المسلمين –وهو لقب المرابطين وقد زالت دولتهم– وجعل الدعاء على منابر بجاية لبني العباس. وبعد أن نظم أمورها قصد بقلعة بني حماد، فملكها. وتقدم إلى أن حاصر قسنطينة. وزحف يعقوب بن يوسف على بجاية فاستعادها. ونشبت وقائع بين يعقوب وعلي، كان الظفر في آخرها ليعقوب في موضع يسمى حامة دقيوس وأصيب علي بسهم، وهو على توزر فتفرق جمعه، ونجا بنفسه، فمات في خيمة عجوز أعرابية سنة 585 هـ

☪

قال ابن خلكان: وبعد هذا اختلفت الروايات في أمره، فمن الناس من يقول: إنه ترك ما كان فيه وتجرد وساح في الأرض حتى انتهى إلى بلاد الشرق وهو مستخف لا يعرف، ومات خاملا، ومنهم من يقول: إنه لما رجع إلى مراكش كما ذكرناه توفي في سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمراكش، وقيل إنه مات بمدينة سلا، والله أعلم.ولم ينقل شيء من أحواله بعد ذلك إلى حين وفاته.قلت: ثم حكى لي جمع كثير بدمشق.. أن بالقرب من المجدل..، قرية يقال لها حمارة، وإلى جانبها مشهد يعرف بقبر الأمير يعقوب ملك المغرب، والله أعلم. وكان ملكا جوادا عادلا متمسكا بالشرع المطهر، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما ينبغي من غير محاباة ويصلي بالناس الصلوات الخمس، ويلبس الصوف، ويقف للمرأة وللضعيف ويأخذ لهم بالحق. وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليترحم عليه من يمر به. وكان الأمير أبو يوسف يعقوب المذكور يشدد في إلزام الرعية بإقامة الصلوات الخمس، وقتل في بعض الأحيان على شرب الخمر، وقتل العمال الذين تشكو الرعايا منهم، وأمر برفض فروع الفقه، وأن العلماء لا يفتون إلا بالكتاب العزيز والسنة النبوية، ولا يقلدون أحدا من الأئمة المجتهدين المتقدمين، بل تكون أحكامهم بما يؤدي إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس. ولقد أدركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا إلينا إلى البلاد وهم على ذلك الطريق: مثل أبي الخطاب بن دحية وأخيه أبي عمرو ومحيي الدين ابن العربي نزيل دمشق وغيرهم.وكان يعاقب على ترك الصلاة ويأمر بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها، فمن غفل عنها أو اشتغل بمعيشته عزره تعزيرا بليغا. وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته حتى إنه لم يبق بجميع أقطار بلاد المغرب من البحر المحيط إلى برقة إلا من هو في طاعته وداخل في ولايته، إلى غير ذلك من جزيرة الأندلس. وكان محسنا محبا للعلماء مقربا للأدباء مصغيا إلى المدح مثيبا عليه، وله ألف أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي كتابه الذي سماه صفوة الأدب وديوان العرب في مختار الشعر، وهو مجموع مليح أحسن في اختياره كل الإحسان.

مراجع: / وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ سير أعلام النبلاء/ الأعلام للزركلي/ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى/

كان أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب[(1)] البصري الماوردي صريحًا لا يحابي، ولما سأل جلال الدولة ابن بويه[(2)] الخليفة أن يزيد في ألقابه لقب شاهنشاه؛ أي: ملك الملوك اختلف فقهاء بغداد في جواز التلقُّب بهذا اللقب، فأفتى فريق منهم بجوازه كالقاضي أبي الطيب الطبري[(3)]،وأفتى الماوردي بأنه لا يجوز وقطع ما كان بينه وبين جلال الدولة من علائق المودة والصداقة فطلبه جلال الدولة وخاطبه بقوله: أنا أتحقق أنك لو حابيت أحدًا لحابيتني لما بيني وبينك وما حملك إلا الدين، فزاد بذلك محلك عندي.

■ (1) أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي، الفقيه الشافعي؛ كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم، أخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمري بالبصرة، ثم عن الشيخ أبي حامد الإسفراييني ببغداد، وكان حافظاً للمذهب وله فيه كتاب الحاوي الذي لم يطالعه أحد إلا وشهد له بالتبحّر والمعرفة التامة بالمذهب. وفوّض إليه القضاء ببلدان كثيرة، واستوطن بغداد في درب الزّعفراني وروى عنه الخطيب أبو بكر صاحب تاريخ بغداد وقال: كان ثقة. توفي يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول سنة 450 هـ، ودفن من الغد في مقبرة باب حرب ببغداد، وعمره 86 سنة. وله من التصانيف غير الحاوي، وقيل: إنه لم يظهر شيئاً من تصانيفه في حياته، وإنما جمع كلها في موضع، فلما دنت وفاته قال لشخص يثق إليه: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر، فإن عاينت الموت ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي، فإن قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة ليلاً، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قبلت وأني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية الخالصة. قال ذلك الشخص: فلما قارب الموت وضعت يدي في يده فبسطها ولم يقبض على يدي، فعلمت أنها علامة القبول، فأظهرت كتبه بعده.

■ (2) جلال الدولة، أبو طاهر، فيروزجرد بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة أبي شجاع بن ركن الدولة بن بويه، الديلمي.صاحب العراق من البويهيين، ملكها 17 سنة، وكانت دولته لينة، تولى الملك سنة 416 هـ توفي سنة 435 هـ.عاش نيفا وخمسين سنة وقام بعده ابنه العزيز أبو منصور شيرزيل، فكانت أموره واهية كأبيه.وكان جلال الدولة شيعيا كأهل بيته.

■ (3) أبو الطيب، طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري القاضي الفقيه الشافعي؛ كان ثقة، يقول الشعر على طريقة الفقهاء.ولد بآمل سنة 348 هـ، استوطن بغداد وولي القضاء بربع الكرخ بعد موت أبي عبد الله الصيمري، ولم يزل على القضاء إلى حين وفاته سنة 450 هـ، ببغداد، ودفن في مقبرة باب حرب وصلي عليه في جامع المنصور. قيل عاش 102 سنة، لم يختل عقله ولا تغير فهمه، يفتي ويستدرك على الفقهاء الخطأ ويقضي ببغداد ويحضر المواكب في دار الخلافة إلى أن مات.

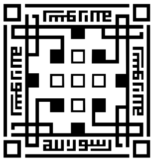

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللهَّ تَعَالَي يَقُولُ: أَنَا اللهُّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا مَالِكُ الْمُلُوكِ، وَمَلِكُ الْمُلُوكِ، قُلُوبُ الْمُلُوكِ فِي يَدِي، وَإِنَّ الْعِبَادَ إِذَا أَطَاعُونِي؛ حَوَّلْتُ قُلُوبَ مُلُوكِهِمْ عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَإِنَّ الْعِبَادَ إِذَا عَصَوْنِي حَوَّلْتُ قُلُوبَهُمْ بِالسُّخْطَةِ وَالنِّقْمَةِ فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ فَلَا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالدُّعَاءِ عَلَى الْمُلُوكِ وَلَكِنِ اشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالتَّضَرُّعِ كَيْ أَكْفِيَكُمْ مُلُوكَكُمْ﴾ وعن سليمان بن محمد عن عمر بن نافع، عن أبيه، قال: قال عبد الله بن عمر: رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم قائما على هذا المنبر، يعني: منبر رسول الله، وهو يحكي ربه تعالى، فقال: ﴿إِنَّ اللهَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَمَعَ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي قَبْضَتِهِ، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا وَشَدَّ قَبْضَتَهُ ثُمَّ بَسَطَهَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا اللهُّ، أَنَا الرَّحْمَنُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْقُدُّوسُ، أَنَا السَّلَامُ، أَنَا الْمُهَيْمِنُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الَّذِي بَدَأْتُ الدُّنْيَا وَلَمْ تَكُ شَيْئًا، أَنَا الَّذِي أُعِيدُهَا، أَيْنَ الْمُلُوكُ؟ أَيْنَ الْجَبَابِرَةُ﴾ حدث سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة، كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَقْبِضُ اللهُّ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟﴾ وعن أبي هريرة: ﴿أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لِلآخَرِ: يَا شَاهَانْ شَاهْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهُّ مَلِكُ الْمُلُوكِ﴾ وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ، رَجُلٍ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ﴾ ولقد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على من خاطبه بقوله﴿مَا شَاءَ اللهُّ وَشِئْتَ. فَقَالَ: أَجَعَلْتَنِي للهَّ نِدًّا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُّ وَحْدَهُ﴾ روي أن أبا بكر الصديق قال في بعض خطبه:﴿إن الْمَلِكَ إِذَا مَلَكَ زهدَهُ اللهَ فِي مَلِكِهِ وَرَغبه فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَأَشْرب قَلْبَهُ الإِشْفَاق فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ وَيسْخط عَلَى الْكَثِيرِ جَذْلَ الظَّاهِر حَزِين الْبَاطِنُ فَإِذَا وَجَبَتْ نَفْسُهُ وَنَضَبَ عُمْرُهُ وَضَحَا ظِلُّهِ حَاسَبَهُ اللهُ فَأَشَد حِسَابه وَأَقَلَّ عَفْوَه﴾ وعن يحيى بن أبي كثير، أن أبا بكر الصديق، كان يقول في خطبته: أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا، النجاء النجاء (أي السرعة السرعة. انجوا بأنفسكم).

قال أبو همام الشعباني: حدثني رجل من خثعم قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فوقف ذات ليلة، واجتمع إليه أصحابه، فقال: ﴿إِنَّ الله أَعْطَانِي اللَّيْلَةَ الْكَنْزَيْنَ ، كَنْزَ فَارِسٍ وَالرُّوم ، وَأَمَدَّنِي بِالْمُلُوكِ مُلُوكِ حِمْيَرَ الأَحْمَرَيْنِ ، وَلاَ مَلِكَ إِلاَّ اللهُّ ، يَأْتُونَ يَأْخُذُونَ مِنْ مَالِ الله ، وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله﴾ قالها ثلاثا.

وأخو الجهالة..

ذو العقل يشقي في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم*

قال العلامة الكواكبي رحمه الله (عن الفروق بين الشرقيين والغربيين):.. الشرقي مثلا يهتم في شأن ظالمه إلى أن يزول عنه ظلمه، ثم لا يفكر فيمن يخلفه ولا يراقبه، فيقع في الظلم ثانية، فيعيد الكرة ويعود الظلم إلى ما لا نهاية. وكأولئك الباطنة في الإسلام: فتكوا بمئات أمراء على غير طائل، كأنهم لم يسمعوا بالحكمة النبوية: ﴿لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ﴾ ولا بالحكمة القرآنية: ﴿إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُتَّقِين﴾ [التوبة] أما الغربي إذا أخذ على يد ظالمه فلا يفلته حتى يشلها، بل حتى يقطعها ويكوي مقطعها. وهكذا بين الشرقيين والغربيين فروق كثيرة، قد يفضل في الإفراديات الشرقي على الغربي، وفي الاجتماعيات يفضل الغربي على الشرقي مطلقا. مثال ذلك: الغربيون يستحلفون أميرهم على الصداقة في خدمته لهم والتزام القانون. والسلطان الشرقي يستحلف الرعية على الانقياد والطاعة! الغربيون يمنون على ملوكهم بما يرتزقون من فضلاتهم، والأمراء الشرقيون يتكرمون على من شاؤوا بإجراء أموالهم عليهم صدقات! الغربي يعتبر نفسه مالكا لجزء مشاع من وطنه، والشرقي يعتبر نفسه وأولاده وما في يديه ملكا لأميره! الغربي له على أميره حقوق، وليس عليه حقوق؛ والشرقي عليه لأميره حقوق وليس له حقوق! الغربيون يضعون قانونا لأميرهم يسري عليه، والشرقيون يسيرون على قانون مشيئة أمرائهم! الغربيون قضاؤهم وقدرهم من الله؛ والشرقيون قضاؤهم وقدرهم ما يصدر من بين شفتي المستعبدين! الشرقي سريع التصديق، والغربي ينفي ولا يثبت حتى يرى ويلمس. الشرقي أكثر ما يغار على الفروج كأن شرفه كله مستودع فيها، والغربي أكثر ما يغار على حريته واستقلاله! الشرقي حريص على الدين والرياء فيه، والغربي حريص على القوة والعز والمزيد فيهما! والخلاصة: أن الشرقي ابن الماضي والخيال، والغربي ابن المستقبل والجد! [..]

عن سفيان قال: قال معاوية بن أبي سفيان لعمرو بن العاص: ما ألذ الأشياء؟ قال: يا أمير المؤمنين، مر أحداث قريش فليقوموا، فلما قاموا، قال: إسقاط المروءة، قال: يريد أن الرجل إذا لم يهمه مروءته تلذذ وعمل ما يشتهي ولم يلتفت إلى لوم لائم.

---

*بيت الشعر لأبو الطيب المتنبي . قال علي بن نايف الشحود: يريد أن العاقل يشقى وإن كان في نعمة لتفكره في عاقبة أمره، وعلمه بتحول الأحوال، والجاهل ينعم وهو في الشقاوة لغفلته، وقلة تفكره في العواقب

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سراج الملوك/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ وفيات الأعيان/ تاريخ بغداد/ المسند الجامع/ سير أعلام النبلاء/ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد/

كان أبو الوفاء علي بن عقيل[1] الحنبلي البغدادي أحد العلماء الأعلام، وكان من الصادعين بالحق الناصحين للملوك والأمراء والعامة، لا يتردَّد إذا رأى منكرًا أن يغيره، ويبادر بتنبيه الملوك والأمراء إلى الإصلاح والنهج السليم، وله في هذا المجال أشياء كثيرة، وله هَيبة وكلمة مسموعة ونصحه مقبول. فقد كتب إلى السلطان جلال الدولة [2](ملك شاه) وكانت الباطنية أفسدوا عقيدته، وبيَّن له فساد أقوالهم وبطلان مذهبهم، واستحسن السلطان قوله ولعن أولئك المفسدين.

وكتب مرَّة إلى أبي شجاع[3] وزير الخليفة المقتدي[4] يوضح له مضار الوسواس وتجاوز الحد، مورِدًا الأدلة الجلية، ناصحًا له عمَّا هو فيه من ذلك. وكتب مرة إلى قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني[5] رسائل تتضمَّن توبيخه على تقصيرٍ وقع منه في حقه، وكتب إلى الوزير عميد الدولة ابن جهير لما بنى سور بغداد وأظهر العوام في الاشتغال ببنائه المنكرات: لولا اعتقاد صحة البعث، وأن لنا دارًا أكون فيها على حال أحمدها لما نصبت نفسي إلى مالك عصري، وعلى الله أعتمد في جميع ما أورده بعد أن أشهده أني محب متعصِّب، لكن إذا تقابل دين محمد ودولة بني جهير فوالله ما أردت هذه بهذه، ولو كنت كذلك كنت كافرًا، فقلت: إن هذا الخرق الذي جرى بالشريعة لمناصبة واضعها، فما بالنا نعقد الختمات ورواية الأحاديث فإذا نزلت بنا الحوادث تقدمنا بجميع الختمات والدعاء عقيبها، ثم بعد ذلك طبول وصواني، ومخانيث وخيال، وكشف عورات الرجال مع حضور النساء وإسقاطًا لحكم الله تعالى. وما عندي يا شرف الدين أن تقوم بسخطة من سخطات الله تعالى ترى بأي وجه تلقى محمدًا صلَّى الله عليه وسلَّم؟ بل لو رأيته في المنام مقطبًا كان ذلك يزعجك في يقظتك، وأي حرمة تبقى لوجوهنا وأيدينا وألسنتنا عند الله إذا وضعنا الجباه ساجدة له ؟ ثم كيف تطالب الأجناد بتقبيل عتبة ولثم ترابها، وتقيم الحد في دهليز الحريم صباحًا ومساء على قدح نبيذ مختلَف فيه، ثم تمرح العوام في المسكر المجمع على تحريمه، هذا مضافًا إلى الزنا الظاهر بباب بدر، ولبس الحرير على جميع المتعلقين والأصحاب، يا شرف الدين اتقِ سخط الله تعالى فإن سخطه لا يقاومه سماء ولا أرض، وإن فسدت حالي بما قلت فلعل الله يلطف بي ويكفيني هوائج الطباع، ثم لا تلمنا على ملازمة البيوت والاختفاء عن العوام؛ لأنهم إن سألونا لم نقل إلا ما يقتضي الإعظام لهذه القبائح والإنكار لها والنياحة على الشريعة، أترى لو جاءت معتبة من الله سبحانه في منام أو على لسان نبي لو كان للوحي نزول أو ألقي إلى روع مسلم بإلهام هل كانت إلا إليك؟ فاتقِ الله تقوى مَن علم بمقدار سخطه فقد قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف] وقد ملأتكم في عيونكم مدائح الشعراء ومداجاة المتموِّلين بدولتكم الأغنياء الأغبياء الذين خسروا الله فيكم، فحسَّنوا لكم طرائقكم، والعاقل مَن عرف نفسه ولا يغرُّه مدح مَن لا يخبرها.

■ (1) أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي، الظفري، الحنبلي، الفقيه البغدادي. كان مولده سنة 431 هـ . ومات سنة 513 هـ . سمع أبا بكر بن بشران، وأبا الفتح بن شيطا، وأبا محمد الجوهري، والحسن بن غالب المقرئ، والقاضي أبا يعلى بن الفراء، وتفقه عليه. وأخذ علم العقليات عن شيخي الاعتزال: أبي علي بن الوليد، وأبي القاسم بن التبان صاحبي أبي الحسين البصري، فانحرف عن السنة.

■ (2) جلال الدولة ملك شاه، أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب جلال الدولة. ولد سنة 447 هـ تولى الملك سنة 465 هـ وتوفي سنة 485 هـ.

■ (4) أبو القاسم، عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله المقتدي بأمر الله الملك العباسي السابع و العشرون. ولد بعد وفاة أبيه بستة أشهر سنة 448 هـ. وبويع له عند موت جده القائم بأمر الله، وتوفى سنة 487 هـ.

■ (3) محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم، الوزير ظهير الدين أبو شجاع الروذراوري وزر للمقتدي بالله بعد عزل عميد الدولة منصور بن جهير سنة ست وسبعين، وصرف سنة أربع وثمانين، وأعيد ابن جهير، حج وجاور بالمدينة إلى أن مات بها كهلا. سنة 488 هـ وكان دينا عالما.

■ (5) أبو الحسن، علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن الدامغاني الحنفي، ولد في بغداد سنة 446 هـ، ولي القضاء بعد أبي بكر الشامي إلى أن توفي. وشهد عند والده وسنه 17 سنة فولاه يومئذ قضاء باب الطاق ولم يسمع أن قاضيا ولي في هذه السن وناب في الوزارة أيام المستظهر والمسترشد وقام بأخذ البيعة وعقدها للمسترشد ولا يعلم قاض ولي لأربعة من الملوك العباسيين غيره وغير شريح. توفي سنة 513 هـ ودفن في مقبرة الخيزران في بغداد.

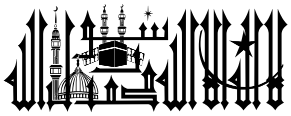

قال أبو بكر الطرطوشي: وكما أنه ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة كذلك ليس فوق رتبة السلطان الشرير رتبة لشره لأن شره يعم وكما أن بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد كذلك بالسلطان الجائر تفسد البلاد والعباد وتقترف المعاصي والآثام وكذلك السلطان إذا عدل انتشر العدل في الرعية فأقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما بينهم ولزموا قوانين العدل فمات الباطل وذهبت رسوم الجور فأرسلت السماء غيثها وأخرجت الأرض بركاتها ونمت تجاراتهم وزكت زروعهم وتناسلت أنعامهم ودرت أرزاقهم ورخصت أسعارهم فواسى البخيل وأفضل الكريم وقضيت الحقوق وأعيرت المواعين وتهادوا فضول الأطعمة والتحف فهان كل الحطام لكثرته وذل بعد عزته فتماسكت على الناس مروءاتهم وحفظت عليهم أديانهم وبهذا يتبين لك أن الوالي مأجور على ما يتعاطاه من إقامة العدل وعلى ما يتعاطاه الناس بسببه.

وإذا جار السلطان انتشر الجور في البلاد وعم العباد فرقت أديانهم واضمحلت مروءاتهم وقست قلوبهم وفشت فيهم المعاصي وذهبت أماناتهم فضعفت النفوس وقنطت القلوب فضعفوا عن إقامة الحق فتعاطوا الباطل وبخسوا الكيل والميزان وروجوا البهرج فرفعت منهم البركة وأمسكت السماء غيثها ولم تخرج الأرض زرعها ونباتها فقل في أيديهم الحطام فقنطوا وأمسكوا الفضل الموجود وتناجزوا على المفقود فمنعوا الزكوات المفروضة وبخلوا بالمواساة المسنونة وقبضوا أيديهم عن المكارم وفشت فيه الأيمان الكاذبة والختل في البيع والشراء والمكر والحيل في القضاء والاقتضاء فيظل أحدهم عاريا من محاسن دينه متجردا من جلباب مروءته ومن عاش كذلك فبطن الأرض خير له من ظهرها.قال عمر بن عبد العزيز: ﴿تهْلك الْعَامَّة بذنب الْخَاصَّة وَلَا تهْلك الْخَاصَّة بِعَمَل الْعَامَّة والْخَاصَّة هم الْوُلَاة وَفِي هَذَا الْمَعْنى قَالَ الله تَعَالَى: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال]

☪

قال ابن تيمية: الباطنية هم الذين جعلوا لكل ظاهر من الكتاب باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، ويذكر الشهرستاني (الملل والنحل 172 / 1) أن الباطنية القديمة كانت تخلط كلامها ببعض كلام الفلاسفة. أما الباطنية على زمانه فقد جعلهم هم والإسماعيلية الغلاة فرقة واحدة، وذكر أنهم يسمون في العراق بالباطنية والقرامطة والمزدكية، وفي خراسان بالتعليمية والملحدة، وأضاف محمد بن الحسن الديلمي في كتابه قواعد عقائد آل محمد (القاهرة سنة 1950) ص 34، الألقاب التالية: السبعية، والخرمية، والبابكية، والمحمرة، والمباركية، والإباحية، والزنادقة، والخرمدينية، ونقل ابن طاهر البغدادي (الفرق بين الفرق، ص 196) عن أصحاب المقالات قولهم بأن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، ومحمد بن الحسين الملقب بدندان.

☪

عن أبي عثمان النهدي قال: كنت مع عتبة بن فرقد[1] حين افتتح أذربيجان، فصنع سفطين من خبيص ألبسهما الجلود واللبود، ثم بعث بهما إلى عمر رضي الله تعالى عنه مع سحيم مولى عتبة، فلما قدم عليه قال: ما الذي جئت به أذهب أم ورق؟ وأمر به فكشف عنه فذاق الخبيص فقال: إن هذا لطيب لين، أفكل المهاجرين أكل منه شبعه؟ قال: لا، انما هو شيء خصك به، فكتب إليه: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عتبة بن فرقد، أما بعد فليس من كدك، ولا كد أمك، ولا كد أبيك، لا تأكل إلا ما شبع به المسلمون في رحالهم. وروى بعضهم هذا الحديث وزاد فيه: ورد الخبيص على عتبة. وعن أبي عثمان أن عتبة بن فرقد قدم على عمر، فدعا عمر بشفرة ليقطع بها كمه، وكان عليه قميص سنبلاني في كمه طول، فقال: دعه يا أمير المؤمنين فأنا أقطعه فأني أستحيي من الناس فقطعه.وعن أبي عثمان، قال: كنا مع عتبة بن فرقد، فجاءنا كتاب عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ إِلَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا هَكَذَا﴾ وعن أبي عون، قال: سمعت أبا صالح، يحدث عن علي، قال: ﴿أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُلَّةٌ سِيَرَاءَ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَيَّ فَلَبِسْتُهَا، فَعَرَفْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ بِهَا إِلَيْكَ لِتَلْبَسَهَا، إِنَّمَا بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ لِتُشَقِّقَهَا خُمُرًا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ﴾ وعن أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: ﴿لَبِسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا قَبَاءً مِنْ دِيبَاجٍ أُهْدِيَ لَهُ، ثُمَّ أَوْشَكَ أَنْ نَزَعَهُ، فَأَرْسَلَ بِهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَوْشَكَ مَا نَزَعْتَهُ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: نَهَانِي عَنْهُ جِبْرِيلُ، فَجَاءَهُ عُمَرُ يَبْكِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، كَرِهْتَ أَمْرًا، وَأَعْطَيْتَنِيهِ فَمَا لِي؟ قَالَ: إِنِّي لَمْ أُعْطِكَهُ لِتَلْبَسَهُ، إِنَّمَا أَعْطَيْتُكَهُ تَبِيعُهُ، فَبَاعَهُ بِأَلْفَيْ دِرْهَمٍ﴾ (أوشك أن نزعه) الوشك والوشاكة السرعة يقال وشك الأمر وشكا ووشاكة إذا أسرع والإيشاك المشي بسرعة ومنه أوشك الأمر أن يكون كذا فعلى هذا معنى أوشك أن نزعه أي أسرع إلى نزعه.(قد أوشك ما نزعته) أي قد أسرع نزعك إياه. وحدث قتادة، أن أنس بن مالك، أنبأهم ﴿أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَخَّصَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَالزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فِي الْقُمُصِ الْحَرِيرِ فِي السَّفَرِ مِنْ حِكَّةٍ كَانَتْ بِهِمَا» أَوْ وَجَعٍ كَانَ بِهِمَا﴾.

■ (1) عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب السلمي، أبو عبد الله. وقال الكلبي: اسم فرقد: يربوع، أمه بنت عباد بن علقمة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، له صحبة ورواية، وكان شريفا. وقال ابن منده: عتبه فرقد السلمي، من بني مازن. غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوتين. قال ابن عبد البر وينسبونه عتبة بن يربوع بن حبيب بن مالك وهو فرقد بن اسعد وذكر أبوزكرياء صاحب تاريخ الموصل أنه هو الذي فتح الموصل زمن عمر سنة ثمان عشرة.قال وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم له منها وعن حصين قال كان عتبة بن فرقد يعطي سهمه لبني عمه عاما ولاخواله عاما.

مراجع: سراج الملوك/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ منهاج السنة النبوية/ الوافي بالوفيات/ حسن السلوك الحافظ دولة الملوك/ صحيح مسلم/

◆ أبو محمد الحسن بن يوسف، المستضيء بأمر الله (الثالث والثلاثون من ملوك الدولة العباسية) وأبو الفرج ابن الجوزي 0972

كان أبو الفرج ابن الجوزي [1] صريحًا يصدع بكلمة الحق، وكانت له مجالس الوعظ الشهيرة التي يلتقي فيها حشْدٌ من الناس يترقبونها بفارغ الصبر، ويحضرها الملوك والأمراء والوزراء والعلماء والأعيان والعامة وقد أعطي فيها من الحكمة والبلاغة وسرعة البديهة وقوة الحجة ما لا يستطاع وصفه. التفت مرة وهو في مجلس وعظه إلى ناحية الخليفة المستضيء [2] فقال: يا أمير المؤمنين، إن تكلمت خفت منك، وإن سكتُّ خفت عليك، فأنا أقدم خوفي عليك على خوفي منك لمحبتي لدوام أيامك، وإن قول القائل لك: اتقِ الله، خيرٌ لك من قول القائل: إنكم أهل بيت مغفور لكم. وقال الحسن البصري [3] لأن تصحب أقواما يخوفونك حتى تبلغ المأمن خير لك من ان تصحب أقواما يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف، وكان عمر [4] رضي الله عنه يقول:﴿إِذَا بَلَغَنِي عَنْ عَامِلٍ أَنَّهُ ظَامٌ فَلَمْ أُغَيِّرْهُ، فَأَنَا الظَّالِمُ﴾ وكان يوسف عليه السلام لا يشبع في زمن القحط حتى لا ينسى الجائع، وكان عمر رضي الله عنه يضرب بطنه عام الرمادة ويقول:﴿قَرْقِرْ أَوْ لَا تُقَرْقِرْ، وَاللهِ لَا ذَاقَ عمر سَمْنًا وَلَا سَمِينًا حَتَّى يُخْصِبَ النَّاسُ﴾ فبكى المستضيء وتصدَّق بمال كثير، وأطلق المحابيس وكسا خلقًا من الفقراء. وقال رحمه الله لبعض الولاة: اذكر عدل الله فيك وعند العقوبة قدرة الله عليك وإياك أن تشفي غيظك بسقم دينك.

■ (1) أبو الفرج، عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وبقية النسب معروف، القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ؛ كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ. صنف في فنون عديدة.وله محاسن كثيرة يطول شرحها. كانت ولادته بطريق التقريب سنة ثمان، وقيل 510 هـ. وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة 597 هـ ببغداد ودفن بباب حرب، وتوفي والده في سنة 514 ه.

■ (2) المستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن ابن المستنجد بالله، أبو محمد الحسن ابن المستنجد بالله يوسف ابن المقتفي محمد ابن المستظهر أحمد ابن المقتدي الهاشمي، العباسي. ولد سنة 536 هـ. بويع له سنة 566 هـ توفي سنة 575 هـ.

■ (3) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة. أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق. وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي، سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ورأى طلحة وعليا وروى عن خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين. ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، ويقال إنه ولد على الرق، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة 110 هـ وعمره 89 سنة وقيل 96 سنة ويقع مرقده في البصرة.

■ (4) أبو حفص، عمر بن الخطاب العدوي القرشي، يكنى بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس. تولّى الخلافة بعد وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولد تقريبا سنة 40 ق.هـ وقتل شهيدا سنة 23 هـ ودُفن بالحجرة النبوية إلى جانب أبي بكر الصديق والنبي، وكان عمره 65 سنة. وخلافته 10 سنين وستة أشهر.

قال الذهبي: وقد نالته محنة في أواخر عمره؛ وشوا إلى الخليفة عنه بأمر اختلف في حقيقته فجاءه من شتمه وأهانه وختم على داره وشتت عياله ثم أخذ في سفينة إلى واسط فحبس بها في بيت وبقي يغسل ثوبه ويطبخ ودام على ذلك خمس سنين وما دخل فيها حماما.قام عليه الركن عبد السلام بن عبد الوهاب الجيلي [1] تجاه الوزير ابن القصاب [2] وكان الركن سيئ النحلة أحرقت كتبه بإشارة ابن الجوزي وأعطي مدرسة الجيلي فعمل الركن عليه، وقال لابن القصاب الشيعي: أين أنت من ابن الجوزي فإنه ناصبي ومن أولاد أبي بكر؛ فمكن الركن من الشيخ فجاء وسبه وأنزل معه في سفينة لا غير وعلى الشيخ غلالة بلا سراويل وعلى رأسه تخفيفة وكان ناظر واسط شيعيا فقال له الركن: مكني من عدوي هذا لأرميه في مطمورة فزجره وقال: يا زنديق أفعل هذا بمجرد قولك؟ هات خط الخليفة والله لو كان على مذهبي لبذلت نفسي في خدمته فرد الركن إلى بغداد ثم كان السبب في خلاص الشيخ أن ابنه يوسف نشأ واشتغل وعمل وتوصل فشفعت أم الخليفة في الشيخ فأطلق. ومن غرر ألفاظه: عقارب المنايا تلسع، وخدران جسم الآمال يمنع، وماء الحياة في إناء العمر يرشح. يا أمير: اذكر عند القدرة عدل الله فيك، وعند العقوبة قدرة الله عليك، ولا تشف غيظك بسقم دينك. وقال لصديق: أنت في أوسع العذر من التأخر عني لثقتي بك، وفي أضيقه من شوقي إليك. وقال له رجل: ما نمت البارحة من شوقي إلى المجلس قال: لانك تريد الفرجة، وإنما ينبغي الليلة أن لا تنام. وقام إليه رجل بغيض، فقال: يا سيدي: نريد كلمة ننقلها عنك، أيما أفضل أبو بكر أو علي ؟ فقال: اجلس، فجلس، ثم قام، فأعاد مقالته، فأقعده، ثم قام، فقال: اقعد، فأنت أفضل من كل أحد. وسأله آخر أيام ظهور الشيعة، فقال: أفضلهما من كانت بنته تحته.وهذه عبارة محتملة ترضي الفريقين. وسأله آخر: أيما أفضل: أسبح أو أستغفر ؟ قال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور.وقال: من قنع، طاب عيشه، ومن طمع، طال طيشه. وقال يوما في وعظه: يا أمير المؤمنين، إن تكلمت، خفت منك، وإن سكت، خفت عليك، وأنا أقدم خوفي عليك على خوفي منك، فقول الناصح: اتق الله خير من قول القائل: أنتم أهل بيت مغفور لكم. وقال: يفتخر فرعون مصر بنهر ما أجراه، ما أجراه !.

----

*(سأخصمك إلى نفسك) أي سأجعلك حكما على نفسك (الشمط) بياض شعر الرأس يخالط سواده (الديباج) هو الثياب المتخذة من الإبريسم أي الحرير الرقيق (الخز) ثياب تنسج من صوف وحرير(تقرقر بطنه) صوت (المعلوث) - بالعين =: المخلوط، وفلان يأكل العليث، =بالعين والغين - إذا كان يأكل خبزا من شعير وحنطة

■ (1) عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي (الكيلاني)، أبو منصور: فقيه حنبلي، من علماء بغداد، ولي عدة ولايات. واتهم بمذهب الفلاسفة، فأخذت كتبه وأحرقت. وحبس، ثم أفرج عنه بشفاعة أبيه. وتولى بعض الاعمال وتوفي ببغداد سنة 611 هـ.

■ (2) محمد بن علي بن أحمد بن المبارك، أبو الفضل، مؤيد الدين، ابن القصاب: وزير عصامي. استقدم سنة 584 من شيراز إلى بغداد، فولي ديوان الانشاء، ثم ردت إليه الدواوين كلها. ثم خلع عليه بالوزارة سنة 590 وانتدب لاصلاح خلل طرأ على بلاد خوزستان وتستر، فخرج متنقلا متفقدا، فما وافى بلدا إلا جاءه أهلها طائعين، فتسلمها وأقام بها من الامراء من رآه أهلا للعمل. ثم توجه إلى همذان والري وأصبهان، فتسلمها جميعا وأصلح أمورها. وعاد ووجهته همذان، فتوفي على بابها سنة 592 هـ وكان أبوه قصابا بسوق الثلاثاء ببغداد. قال ابن قاضي شهبة: لما مات أخفي موته، ثم ظهر الامر ونبشه خوارزمشاه وحز رأسه وطاف به في بلاد خراسان.

مراجع: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ البداية والنهاية/ وفيات الأعيان/ شعب الإيمان/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ مختصر تاريخ دمشق/ ذكرة الحفاظ وذيوله/ سير أعلام النبلاء/ نفح الطيب/.

روى الذهبي[1] في السير، قال: حكى ابن تيمية شيخنا عن عبد المغيث بن زهير بن علوي[2] الإمام المحدث الزاهد قال: قيل إن الخليفة الناصر[3] لما بلغه نهي عبد المغيث عن سب يزيد. تنكر وقصده وسأله عن ذلك. فتباله عنه، أي تصرف وأكنه لم يعرف أنه الخليفة وقال: يا هذا إنما قصدت كف الألسنة عن لعن الخلفاء وإلا فلو فتحنا هذا لكان خليفة الوقت أحق باللعن؛ لأنه يفعل كذا، ويفعل كذا، وجعل يعدد خطاياه، قال: يا شيخ، ادعُ لي، وقام.

■ (2) عبد المغيث بن زهير بن زهير بن علوي الحربي، الإمام، المحدث، الزاهد، ولد سنة 500 هـ. وتوفي في المحرم، سنة 583 هـ. سمع أبا القاسم بن الحصين، وأبا العز بن كادش، وهبة الله بن الطبر، وأبا غالب ابن البناء، وقاضي المارستان، وعددا كثيرا. وروى الكثير، حدث عنه الشيخ الموفق، والحافظ عبد الغني، وحمد بن صديق، والبهاء عبد الرحمان، والحافظ محمد ابن الدبيثي، وطائفة. وقد ألف (جزءا) في فضائل يزيد، أتى فيه بعجائب وأوابد، لو لم يؤلفه لكان خيرا، وعمله ردا على ابن الجوزي، ووقع بينهما عداوة.ولعبد المغيث غلطات تدل على قلة علمه: قال مرة: مسلم بن يسار صحابي، وصحح حديث الاستلقاء، وهو منكر، فقيل له في ذلك، فقال: إذا رددناه، كان فيه إزراء على من رواه! وقد حفر له قبرا بقرب الإمام أحمد، وكان قد قدم دمشق تاجرا بمال لسعد الخير، فحدث بها، وذكره ابن عساكر في (تاريخه).

■ (3) أحمد الناصر لدين الله أبو العباس بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله بن المقتدي، ولد سنة 553 هـ، بويع له بعد موت أبيه المستضيء بأمر الله سنة 575 هـ توفي سنة 622 هـ.

■ (1) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. المولود في دمشق سنة 673 هـ والمتوفى سنة 748 هـ. أشهر مؤلفاته: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، و سير أعلام النبلاء.

كن مع الله

أيها الإخوة المؤمنون، كان أولئك أمناء الله في أرضه، وحجته على من جار وظلم، لم يكونوا لتأخذهم في الله لومة لائم، إنكارا وأمرا بمعروف ونهيا عن منكر أمام عيون الخلائق، ولكن خوالف من المنسوبين لأهل العلم والفقه اليوم يزعمون أن هذا الإنكار ليس من الدين وليس من السنة، بل يدافع أحدهم عن نفسه بعدم الإنكار العلني وعن إخبار الناس بأنه ينكر أو لا ينكر بأعجب الحجج، فيقول وما يدركم أننا ننكر أو لا ننكر، هل نخبركم أننا ننكر موضوع كذا، وأنتم تعرفون أن ولي الأمر ربما لا ينتهي عنه فيصير حجة للعامة كي يخرجوا عليه ويقع الشر، هل هذا ما تريدون!؟ فسبحان الله كيف أتي هذا الأدمي هذه الحجة!. كان أولئك يقولون للسلطان في وجهه أنه أحق من يزيد باللعن، وكانت أحكم الشريعة قائمة، وجيوش المسلمين تقارع الغزاة وتدفع عن حريم المسلمين المظالم والمنكرات، واليوم سادتنا أحكام الكفر واحتلت ديارنا، وعمت المظالم والمنكرات، ويخشى أئمة الفقه، ورؤوس الدين، وقراء أخر زمان أن يعرف الناس أن السلطان نهي عن منكر فلم يجب فتوغر صدورهم عليه فيقع الشر. فلله درك يا زمان الأعاجيب، كيف لا، وفضيلته أوصله هذا الفقه لأن يقول هب أن الحاكم كفر، فهل هذا يوجب أن نوغر عليه صدور العامة !، فسبحان الله الذي له في خلقه شؤون..

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم رئيسا لها بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1940م/ 1359 هـ، من أبرز قادة الحركة الإصلاحية السلفية في العالم العربي، عضو المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، عالم بالأدب والتاريخ واللغة العربية وعلوم الدين. عاش الإبراهيمي حتى استقلت الجزائر، وأمّ المصلين في مسجد كتشاوة* ،ولكنه لم يكن راضياً عن الاتجاه الذي بدأت تتجه إليه الدولة بعد الاستقلال؛ فأصدر عام 1964 بياناً ذكر فيه: إن الأسس النظرية التي يقيمون عليها أعمالهم يجب أن تنبعث من صميم جذورنا العربية الإسلامية لا من مذاهب أجنبية. وقال: نحن نرفض أن يكون أمامنا في الحكم والسياسة غير إمامنا في صف الصلاة(؟) وطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية، فألزموه (أي عصابة بومدين) بالإقامة الجبرية حتى وفاته سنة 1965م/ 1385 هـ في عهد الرئيس أحمد بن بلة (الواجهة المدنية لحكم عصابة بوخروبة (العسكر) المتصارعة المتوارثة منذ ما قبل1954م/ 1374 هـ وحتى يوم)

☪

قال الله تعالى:﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر] عن خالد بن يزيد عن جعونة قال: كان لا يقوم أحد من بني أمية إلا سب عليا فلم يسبه عمر بن عبد العزيز، فقال كثير عزة: وليت فلم تشتم عليا ولم تخف..بريا ولم تتبع سجية مجرم..وقلت فصدقت الذي قلت بالذي..فعلت فأضحي راضيا كل مسلم. روى أن عليًا لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام أرسل إليهما أن كفّا عما يبلغني عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟. قال: بلى وربّ الكعبة المسدّنة، قالا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحقَّ من جهله ويرعوى عن الغيّ من لجج به. وأما ما قيل من أن عليًا كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن عليًا وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح، لأنّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أكثر حرصًا من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع الذي نهى عن سباب المسلم ولعنه. فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:﴿وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلَا بِلَعَّانٍ، وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ﴾ وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنِ اتَّقَاهُ النَّاسُ يَعْنِي لِفُحْشِهِ﴾ وعن حذيفة أنه قال:﴿مَا تَلَاعَنَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ كما أن الرواية التي جاء فيها لعن أمير المؤمنين في قنوته لمعاوية وأصحابه ولعن معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند حيث فيها أبو مخنف لوط بن يحيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته، كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهي عن سب الصحابة، فقد أنكر علي على من سب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم، احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم. فهذا السب والتكفير لم يكن من هدى علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة. والكثير من العلماء يقولون: لا يلعن المعين؛ لأنه لا يدرى ما هي نهايته، وأي شيء ينتهي إليه، ولهذا كان بعض العلماء يتحرزون من اللعن، حتى من لعن الكفار، إذا كانوا على قيد الحياة، أو كانوا لا يعرفون النهاية التي كانوا عليها. قال صالح بن أحمد بن حنبل﴿قُلْت لِأَبِي: إنَّ قَوْمًا يَقُولُونَ: إنَّهُمْ يُحِبُّونَ يَزِيدَ. قَالَ: يَا بُنَيَّ وَهَلْ يُحِبُّ يَزِيدَ أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؟ فَقُلْت: يَا أَبَتِ فَلِمَاذَا لَا تلعنه؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ وَمَتَى رَأَيْت أَبَاك يَلْعَنُ أَحَدًا؟﴾ وعن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ شَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ قُتِلَ، وَمَنْ شَتَمَ أَصْحَابِي جُلِدَ﴾ وعن حسين بن زياد، قال: سمعت فضيلا يقول:﴿مَا عَلَى الرَّجُلِ إِذَا كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ هَوًى وَلَا يَشْتِمُ السَّلَفَ وَلَا يُخَالِطُ السُّلْطَانَ﴾ كأنه إذا سلم من هذه الثلاث فغيرها هين، وذلك إذا لم يكن صاحب هوى -يعني: بدعة-، ولا يشتم السلف، ولا يخالط السلطان. عن زيد بن أسلم، قال:﴿كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، يُرْسِلُ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ* ،فَتَبِيتُ عِنْدَ نِسَائِهِ، وَيَسْأَلُهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَامَ لَيْلَةً فَدَعَا خَادِمَهُ، فَأَبْطَأَتْ عَلَيْهِ فَلَعَنَهَا فَقَالَتْ: لَا تَلْعَنْ فَإِنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ حَدَّثَنِي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ﴾(اللعانين) الذين يكثرون اللعن وأما من يقل اللعن كأن يلعن الشيطان فلا يضر،والله أعلم.

---

*(مسجد كتشاوة) جامع بناه حسن باشا في العاصمة الجزائرية في العهد العثماني وحُوّل إلى كنيسة في عهد الاحتلال الفرنسي. (أم الدرداء) هجيمة بنت حيي الوصابية ؛ أم الدرداء الصغرى. (؟) يقول ابن تيمية رحمه الله: إن انفرد السلطان عن الدين أو الدين عن السلطان فسدت أحوال الناس.

مراجع: الحركة الإسلامية للإصلاح/ أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب/ شرح سنن أبي داود/ الدولَة الأمويَّة عَواملُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار/ المعجم الأوسط/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ السنن الكبرى للبيهقي/ شعب الإيمان/ سير أعلام النبلاء/

أمراء العبيديين، معد المعز لدين الله، أبو تميم بن المنصور إسماعيل بن القائم بن المهدي العبيدي (رابع ملوك الدولة الفاطمية) والإمام ابن النابلسي 0974

روي أبو الفرج الجوزي[1] عن الإمام القدوة الشهيد أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي المعروف بابن النابلسي[2]،أن جوهر القائد[3] لأبي تميم[4]صاحب مصر أقام أبا بكر النابلسي الذي كان يرى قتال المغاربة -يعني: بني عبيد- وقد هرب من الرملة إلى دمشق، وكان ينزل الأكواخ. بعد أن استطاع حاكم دمشق أبو محمود الكتامي[5] أن يتغلب على القرامطة [6] أعداء الفاطميين[7]،قبض على الإمام النابلسي وأسره، وحبسه في رمضان، وجعله في قفص خشب. ولما وصل قائد جيوش المعز إلى دمشق، سلّمه إليه حاكمها. فحمله إلى مصر. فقال له القائد الفاطمي: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي في الروم سهما وفي المغاربة تسعة! قال: ما قلت هذا! ففرح القائد الفاطمي، وظن أن الإمام سيرجع عن قوله. ثم سأله بعد برهة، فكيف قلت؟ قال: بل قلت إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة وأن يرمي العاشر فيكم أيضا. فسأله المعز بدهشة: ولم ذلك؟! قال: لأنكم غيرتم الملة وقتلتم الصالحين وادعيتم نوراً إلهيا. فشهره ثم ضربه ثم أمر جزارا يهودياً، بعد رفض الجزارين المسلمين، فسلخه. قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفي: أخبرني الثقة أن أبا بكر سلخ من مفرق رأسيه حتى بلغ الوجه فكان يذكر الله ويصر حتى بلغ الصدر فرحمه السالخ فوكزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه، وأخبرني الثقة أنه كان إماما في الحديث والفقه صائما للدهر كبير الصولة عند العامة والخاصة ولم سلخ كان يسمع من جسده قراءة القرآن. قال أبو ذر الحافظ: سجنه بنو عبيد (المغاربة) وصلبوه على السنة، سمعته الدار قطني يذكره ويبكي ويقول: كان وهو يسلخ يردد الآية الكريمة: ﴿كَانَ ذَلِك فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾ [الإسراء]

■ (1) محمد بن أحمد بن سهل بن نصر، أبو بكر الرملي الشهيد المعروف بابن النابلسي.، الإمام الشهيد. حدث عن سعيد بن هاشم الطبراني، ومحمد بن الحسن بن قتيبة، ومحمد بن أحمد بن شيبان الرملي. روى عنه تمام الرازي، وعبد الوهاب الميداني، وعلي بن عمر الحلبي، والدارقطني، وغيرهم. وأخبر الثقة أنه كان إماما في الحديث والفقه، صائم الدهر، كبير الصولة عند العامة والخاصة، ولما سلخ كان يسمع من جسده قراءة القرآن، قتل النابلسي سنة 363 هـ .

■ (3) جوهر الصقلي، القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله، المعروف بالكاتب، الرومي؛ كان من موالي المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية، وجهزه إلى الديار المصرية ليأخذها في سنة 358 هـ بعد موت كافور الإخشيدي فأنهى بذلك حكم الإخشيديين، وجوهر الرومي مؤسس مدينة القاهرة وباني الجامع الأزهر وهو من أقام سلطان الفاطميين في الشرق، ثم انتقل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله إلى القاهرة سنة 362 هـ، واتخذ القاهرة عاصمة لبلاده.توفي بجوهر الصقلي، (قائد المعز الفاطمي) سنة 381 هـ ودفن في الجامع الأزهر.

■ (4) معد المعز لدين الله، أبو تميم بن المنصور إسماعيل بن القائم بن المهدي العبيدي. صاحب المغرب، والذي بنيت له القاهرة المعزية، ولد بالمهدية سنة 301 هـ وكان ولي عهد أبيه، فاستقل بالأمر في آخر سنة 341 هـ، توفي سنة 365 هـ،وهو أول من تملك ديار مصر من بني عبيد الرافضة المدعين أنهم علويون.

■ (6) القرامطة نسبة للدولة القرمطية المنشقة عن الدولة الفاطمية. كانت دولتهم في شرق الجزيرة العربية. واشتهروا بثورتهم ضد الدولة العباسية. وفرقة القرامطة فرقة باطنية ثورية انشقت عن حركتها الأم الإسماعيلية وأصبحت فرعا من فروعها وسموا بالقرامطة نسبة إلى زعيمها وداعيتها الأول حمدان قرمط الذي يقول عنه الغزالي: كان حمدان أحد دعاة الباطنية في الابتداء حيث استجاب له في دعوته رجال فسموا قرامطة وقرمطية ودار بينهما محاورة دعوية استجاب فيها حمدان لجميع ما دعاه إليه هذا الباطني ومنها أخذه العهد والميثاق على حمدان بالبيعة للإمام الإسماعيلي والتزام سر الإمام وسر هذا الداعية ومن ثم انتدب حمدان للدعوة وصار أصلا من أصولها.

■ (7) الدولة الفاطمية العبيدِية (الباطنية، الرافضية) الوحيدة التي اتخذت من المذهب الشيعي الإسماعيلي مذهبا رسميا. ينتسب خلفاؤها إلى السيدة فاطمة الزهراء، أسست في المغرب. حكم أربعة ملوك فاطميين بلاد المغرب في الفترة من سنة 297هـ إلى سنة 365هـ، وكان المعز لدين الله الفاطمي هو آخر هؤلاء الملوك، حيث انتقل بالخلافة إلى القاهرة التي اتخذها عاصمة جديدة للفاطميين، بعد أن تم له فتح مصر على يد قائده جوهر الصقلي في سنة 358هـ. حتى سقطت الدولة الفاطمية بمصر سنة 567 هـ على يد محمود نور الدين، وعادت مصر ولاية عباسية، وأقام بها صلاح الدين الأيوبي، أحد قواد محمود نور الدين دولة عظيمة.

■ (5) إبراهيم بن جعفر أبو محمود الكتامي أحد قواد المعز صاحب مصر توفي سنة 370 هـ

■ (1) ابن الجوزي، هو عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي، أبو الفرج، ولد ببغداد تقريبا سنة 508 هـ وقيل 510 هـ وتوفي سنة 597 هـ. من مصنفاته : صفة الصفوة، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.

عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ﴾ من هذا الحدث العظيم الذي حصل للإمام النابلسي، نستفيد الكثير من الدروس والعبر، فمنها:

- **أولا: الشجاعة في الاحتساب:** من خلال التأمل في قصة الإمام النابلسي نجد أنه لا يخاف في الله لومة لائم، وهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله، فعن أم المؤمنين عائشة:﴿مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾وقد جاء الشرع المطهر بالتشجيع على الشجاعة في الاحتساب فقال تبارك وتعالى:﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج] وقال صلى الله عليه وسلم:﴿قُلِ الْحَقَّ وَلَوْ كَانَ مُرًّا﴾ وقال صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ﴾ وعن عبادة بن الصامت قال:﴿بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَمَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَالْأَثَرَةِ عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَنَقُومَ بِالْحَقِّ حَيْثُ كَانَ وَلَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ، أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ﴾وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجل الذي يعظ ولي الأمر وينصحه له أجر عظيم وجزاء وفير من رب العالمين، فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم:﴿سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ، فَنَهَاهُ وَأَمَرَهُ، فَقَتَلَهُ﴾.
- **ثانيا: الثبات على الحق:** أهل الحق هم أعظم الناس صبراً على أقوالهم ومعتقداتهم، والثبات على الحق سيمة أهل الحق منذ بزوغ فجر الإسلام، ألا ترى إلى أبي سفيان بن حرب حين سأله هرقل ملك الروم عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ فقال: لا، قال هرقل: وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب. قال الإمام ابن تيمية: أما أهل السنة والحديث فما يعلم أحدٌ من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبراً على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن. وهذا حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف هذه الأمة والصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة، حتى كان مالك يقول: لا تغبطوا أحداً لم يصبه في هذا الأمر بلاء. يقول: وإن الله لا بد أن يبتلي المؤمن، فإن صبر رفع درجته كما قال الله تعالى:﴿الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت] وقال الله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة] وقال الله تعالى:﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر] ﴿كَانَ ذَلِك فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾ [الإسراء] كلمة قالها الإمام في اللحظات الأخيرة، تدل على مدى إيمانه بقضاء الله وقدره، وهو يعلم معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس:﴿يَا غُلَامُ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ﴾.
- **ثالثا: حقد الباطنية على أهل الإسلام** : هذه القصة تظهر لنا مدى خبث العبيديين، وكيفية تعاملهم مع العلم وأهله، وتبين أيضاً شدة حقدهم وبغضهم لمخالفيهم من أهل السنة، وأنهم لا يتورعون عن تعذيبهم وعن التنكيل بهم بأشد أنواع التنكيل، بل وقتلهم، وما هؤلاء العلمين إلا نزر يسير من ضحايا هؤلاء العبيديين.

أيها الإخوة المؤمنون، لله دُر الثابتين، تقبلهم الله في الصالحين وجزاهم الله خيرا، فكم قدم ثباتهم للماضين في قافلة النور السائرة إلى الله من قدوة، وكم قدمت قصصهم من عبر وعزيمة للصابر، فكم تعطين مثل هذه القصة من العزم والعزيمة حتى يستصغر المرء نفسه وما قدم وما ابتلي في سبيل الله، ولكنها النماذج المضيئة وحجة الله على خلقه فماذا بعد هذا العذاب وماذا بعد هذا الثبات وإنما هو فضل الله يأتيه من يشاء والعاقبة للمتقين.

قال ابن تغري: في نسب هؤلاء الفاطميين وشرفهم أقوال كثيرة ؛ فمن الناس من رفع نسبهم إلى فاطمة الزهراء وأثبته، ومنهم من نسبهم إلى الحسين بن أحمد القداح -والقداح المذكور كان مجوسيا وأحواله معروفة- والقول الثاني أشهر وأكثر، وعليه جمهور المؤرخين. وقد استوعبنا ذلك كله في ترجمة المعز هذا في تاريخنا: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وذكرنا فيه أقوال جماعة كثيرة. والمعز لدين الله العبيدي الفاطمي المغربي الرافضي كان أول من قدم منهم إلى الديار المصرية وملكها، وبنيت له القاهرة. وهو الرابع من بني عبيد ببلاد الغرب ؛ لأن الأول منهم: المهدي عبيد الله، والثاني: المنصور إسماعيل، والثالث: القائم محمد، والرابع: المعز هذا. ثم قدم القاهرة. قيل : إنه دخلها ومعه ألف وخمسمائة جمل موسوقة ذهب عين. وكان دخوله إليها في سنة إحدى وستين وثلثمائة. وكان قد أرسل قبل ذلك مملوكه الخادم جوهر الصقلي بجيوش عظيمة إلى مصر؛ فملكها جوهر بعد أمور، وبنى القاهرة في سنة ستين وثلثمائة. وجوهر المذكور هو صاحب الجامع الأزهر، وهو من كبار الرافضة الشيعة. ولما فرغت القاهرة أرسل جوهر إلى المعز؛ فجاء وسكنها وملكها هي والشام في رمضان في سنة إثنتين وستين وثلثمائة. وكان يوم ذاك الخليفة ببغداد من بني العباس أمير المؤمنين المطيع بأمر الله[1] . فمن حينئذ صار ببغداد وسائر ممالك الشرق إلى أعمال الفرات وحلب يخطب فيها باسم الخلفاء من بني العباس. ومن حلب إلى بلاد المغرب يخطب فيها باسم الخلفاء الفاطميين -وداخل ذلك الحرمان الشريفان- وكان المعز رافضيا سبابا خبيثا، إلا أنه كان فاضلا، عاقلا، أديبا، حازما، جوادا، ممدحا، وفيه عدل للرعية. قيل : إن زوجة الأخشيد[2] لما زالت دولتهم أودعت عند يهودي بغلطاقا كله جوهر، ثم طالبته فأنكر ؛ فقالت له: خذ الكم الواحد وأعطني ما بقي؛ فلم يفعل؛ فلم تزل تدرجه، وهو لا يرضى، حتى سألته أن يعطيها كما واحدا ويأخذ ما بقي، وهو لا يرضى؛ فتوجهت إلى قصر المعز وأخبرته بما وقع؛ فأرسل أحضر اليهودي وسأله فأنكر، ثم أعترف وأحضر البغلطاق. فلما رآه المعز تحير مما فيه من الجواهر، وقد أخذ اليهودي من صدره درتين واعترف أنه باعهما بألف وستمائة دينار. فأخذه المعز ودفعه بكامله لها؛ فاجتهدت أن يأخذه هدية منها، أو بثمن؛ فلم يفعل، وأخذته وانصرفت. وكان المعز عارفا بالنجامة ويحب المنجمين. حكى أن المنجمين أخبروا المعز بأن عليه قطعا، وأشاروا عليه بأن يتخذ سردابا ويتوارى فيه سنة؛ ففعل ذلك. فلما طالت مدته في السرداب ظنت جنده المغاربة أنه رفع إلى السماء؛ فكان الفارس منهم ينظر إلى الغمام؛ فيترجل ويقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين!. ثم خرج المعز من السرداب بعد سنة. وتوفي بعد ذلك بيسير، في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة، وله ست وأربعون سنة، وتخلف بعده ابنه العزيز.

■ (2) أبو الفوارس أحمد بن علي بن محمد بن طغج الإخشيد -ثالث الحكام- أبو الفوارس هو خامس وآخر حكام الدولة الإخشيدية تولى حكم الدولة الإخشيدية لمدة عام وكان حينها طفلًا لم يبلغ الحادية عشرة بعد وفاة كافور الإخشيدي، وقضت الدولة الفاطمية في عهده على الدولة الإخشيدية، ودخلها المعز لدين الله الفاطمي

■ (1) الفضل المطيع لله ابن جعفر المقتدر بالله ابن المعتضد العباسي، أبو القاسم: من خلافاء الدولة العباسية. بويع بالخلافة بعد خلع المستكفي بالله سنة 334 هـ وكانت أيامه أيام ضعف وفتور، ولم يكن له من الملك إلا الخطبة، فإن الديلم استولوا على كل شئ وأصبح الحل والابرام في عهده للوزير معز الدولة بن بويه، واستأثر هذا بكل ما للخليفة من عمل. وفلج المطيع لله وثقل لسانه فخلع نفسه وعهد إلى ابنه الطائع لله. وتوفي بعد شهرين وأيام، بدير العاقول. سنة 364هـ وحمل إلى بغداد فدفن فيها. وفي أيامه أعيد الحجر الاسود إلى بيت من القرامطة.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ الوافي بالوفيات/ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي/ مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة/ تاريخ الإسلام للذهبي/

◆ أمراء العبيديين، الحاكم بأمر الله المنصور (سادس ملوك الدولة الفاطمية) والإمام محمد بن الحبلي 0975

روى الذهبي في سيره، فقال أن محمد بن الحُبُلي[1]،قاضي مدينة برقة، أتاه أمير برقة، فقال: غداً العيد. قال: حتى نرى الهلال، ولا أُفَطِّر الناس وأتقلد إثمهم. فقال: بهذا جاء كتاب المنصور العبيدي[2](حفيد عبيد الله المهدي) وكان هذا من رأي العبيدية به، يفطِّرون بالحساب ولا يعتبرون رؤية الهلال. فلما يُرَ الهلال، فأصبح الأمير بالطبول، والبنود، وأهبة العيد. فقال القاضي: لا أخرج ولا أصلي. فأمر الأمير رجل خطب، وكتب بما جرى إلى المنصور. فطلب القاضي إليه. فأحضر. فقال له: تنصل وأعفو عنك.فامتنع. فأمر فعلق في الشمس إلى أن مات، وكان يستغيث العطش فلم يُسْق، ثم صلبوه على خشبة، فلعنة الله على الظالمين.

---

(1) الحبلي محمد بن الحبلي الإمام، الشهيد، قاضي مدينة برقة.المتوفي في القرن 4 هجري.

(2) إسماعيل بن محمد بن عبيد الله الملقب بالمنصور بنصر الله تولى حكم الدولة الفاطمية بعد وفاة أبيه القائم بأمر الله سنة 334 هـ. وهو مؤسس مدينة المنصورية قرب القيروان وكانت عاصمة للدولة ما بين 335 و365 هـ. توفي المنصور العبيدي سنة 341 هـ

☪

أيها المؤمنون، لأمر لو عرض اليوم على الناس لقالوا: أمر هين، والمسألة خلاف صمد لها ذلك الإمام الجليل حتى قتل صابرا محتسبا، ورغم أن فرصة النجاة لحت له بالتنصل فقط، لم يريد الأمراء الباطنيين من تنصله إلا أن لا يكون لعامة المسلمين نموذج في الثبات، لا في قليل ولا في كثير. واليوم تطلب الفتوى في عظائم الأمور ممن يسمون زوراً وبهتاناً رؤوس في الدين وأئمة في الزهد والفقه والفتوى والقضاء والدعوة والإرشاد ورؤوس في مزاعم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيجبون، لقد أفتوا باحتلال بلاد المسلمين، وجاست بفتواهم جيوش النصار في عقر دار المؤمنين، وطلب منهم إفتاء الاستسلام لليهود ومؤمرات التطبيع فأفتوا، وطلب منهم نصرة الشيوعية في اليمن فأفتوا، وطلب منهم تسويغ أحكام الكفر وشيوع الربا والمنكرات، فانتحلوا الأعذار، ودافعوا عن باطل الظالمين، كل هذا ولا ضرب ولا جوع ولا فتنة سيف، وإنما تلويح بالحرمان من الدنيا وفوات رضى السلطان، يقول سعيد بن المسيب:﴿إِنَّ الدُّنْيَا نَذْلَةٌ وَهِيَ إِلَى كُلِّ نَذْلٍ أَمْيَلُ وَأَنْذَلُ مِنْهَا مَنْ أَخَذَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا وَطَلَبَهَا بِغَيْرِ وَجْهِهَا وَوَضَعَهَا فِي غَيْرِ سَبِيلِهَا﴾ فلا حول ولا قوة إلا بالله. واليوم بلغ السيل الزبى، وطال الباطل مداه، فها هم فقهاء السلاطين وديدان القراء يفتون لظلمهم بقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس، وبسجن أئمة الإصلاح والصلاح، لا لشيء إلا لأنهم قالوا ربنا الله، فرحمة الله على الثابتين الماضين على خطى ورثة الأنبياء والأولين، وغداً ينادى للحشر والنشر، فينظر كلا حوله، فما يرى إلا ما قدم، يندم ساعتها أقوام حيث لا ينفع الندم.

في عام 1966م/ 1386 هـ حكمت محكمة الطواغيت في مصر، ظلما وعدوانا وزورا وبهتانا على المفكر الإسلامي الكبير سيد قطب، وقد لفقت عليه دولة المخابرات يومذاك اتهامات وأراجيف حملتها وسائل الإعلام بأسلوب وغد خسيس لإثارة الدهماء من الناس على الحركة الإسلامية وعلى أبنائها ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف] وفي يوم تنفيذ الإعدام، وبعد أن وضع على كرسي المشنقة عرضوا عليه أن يعتذر عن دعوته لتطبيق الشريعة ويتم إصدار عفو عنه، فقال: لن أعتذر عن العمل مع الله. ثم قال:إن إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفا واحدا يقر به حكم طاغية. فقالوا له إن لم تعتذر فاطلب الرحمة من الرئيس. فقال:لماذا أسترحم؟ إن كنت محكوما بحق فأنا أرتضي حكم الحق، وإن كنت محكوما بباطل، فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل. رحم الله سيد قطب. سأل الشهيد: لماذا كنت صريحا في المحكمة التي تمتلك رقبتك؟ قال: لأن التورية* لا تجوز في العقيدة، وليس للقائد أن يأخذ بالرخص. قيل لما سمع الحكم عليه بالإعدام قال:الحمد لله. لقد عملت خمسة عشر عاما لنيل الشهادة.

☪

عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ﴿يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ﴾ (إلا كما ينقص المخيط) قال العلماء هذا تقريب إلى الإفهام ومعناه لا ينقص شيئا أصلا. عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ، وَلَا التَّفَحُّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الشُّحُّ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ، فَقَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ، فَفَجَرُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ، فَبَخِلُوا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ، وَيَدِكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ، قَالَ: أَنْ تَهْجُرَ مَا كَرِهَ رَبُّكَ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:الْهِجْرَةُ هِجْرَتَانِ، هِجْرَةُ الْحَاضِرِ، وَهِجْرَةُ الْبَادِي، أَمَّا الْبَادِي، فَيُجِيبُ إِذَا دُعِيَ، وَيُطِيعُ إِذَا أُمِرَ، وَأَمَّا الْحَاضِرُ، فَهُوَ أَعْظَمُهُمَا بَلِيَّةً، وَأَعْظَمُهُمَا أَجْرًا﴾ (البادي) أي إذا سكن البدو مع حضوره الجهاد ومع الطاعة لله فهو مهاجر، ومن سكن المدينة لله فهو أكمل.

☪

مقارنة بين عسكر العرب المنحرف ! اليوم وعسكر الغرب المحترف (غالبا)، إلى جانب إبليس اللعين وملاحدة (الغرب خاصة) [6] والله أعلم:

أهم الصفات / الأسماء	عسكر العرب ! (مفسد الناس)	عسكر الغرب (أجير الناس)	الملحد الغربي (شاذ الناس)	الشيطان اللعين (عدو الناس)
كافر	نعم [2]	نعم	نعم	-- [1]
مجرم	نعم [4]	نعم [5]	ليس بالضرورة [3]	-- [1]
مجنون	نعم [4]	ليس بالضرورة	ليس بالضرورة [3]	-- [1]
جبان	نعم [4] (علامة مميزة) (متلازمات الثكنة)	ليس بالضرورة	ليس بالضرورة [3]	-- [1]
منحرف	نعم [2]	نعم	نعم ! [3]	-- [1]
جاهل	نعم (دين ودنيا)	نعم	نعم !	-- [1]
لا يقبل الإصلاح	نعم [4]	نعم! (غالبا)	ليس بالضرورة [3]	-- [1]
الحرب على الإسلام	نعم [2] [7] (جهلا)	نعم [5]	ليس بالضرورة [3] [6]	-- [1]
الإفساد في الأرض	نعم [7] (جهلا) (وظيفتهم)	نعم (استدماري/تخريبي)	ليس بالضرورة [3]	-- [1]
العمالة والخيانة	نعم [7] (جهلا)	ليس بالضرورة	ليس بالضرورة [3]	-- [1]

[1] كفر الشيطان كفر عناد ومكابرة ولأنه نسب الحق جل جلاله إلى الجور فهو أشد أنواع الكفر ومع ذلك الشيطان لا يستطيع أن يسب الله أو يقتل ذبابة!وهو مخلوق ضعيف لا يملك إلا الوساوس(وإن كان للإنسان عدوا مبينا) ولذلك له أحكامه الخاصة

[2] كفر عسكر العرب! (المرتدين المنحرفين في ثكنات تفريخ المجانين وأشباه أشباه الرجال) يظهر في صور عدة لا يمكن سردها جميعا في هذه المدونة. حتى و إن كان بعضهم محسوبا على المسلمين (أو بالأحرى: على المتمسلمين المتألين)

[3] هناك من الملاحدة (في الغرب) من يدافع عن القيم الإنسانية، بل ويدافع عن أخلاق الإسلام نفسه. والملحد الغربي ليس بالضرورة مجرم أو مجنون أو جبان أو منحرف أخلاقيا وإن كان لا شك منحرف فكريا ومن المخلدين في جهنم بمشيئة الله تعالى.

[4] مثلا، العسكر في الجزائر ومصر والمغرب الصنيعة.. انسلخوا عن آدميتهم منذ زمن بعيد.لأن البيئة (أي الثكنة والشارع) التي نشؤو فيها صنعت منهم مجانين ومجرمين في نفس الوقت وبالتالي يستحيل إصلاحهم أو الإصلاح بهم (ولذلك وجب فيهم القتل شرعا وعقلا وقانونا)

[5] لا شك أن أمريكا (الشيطان الأكبر) وفرنسا (العجوز الحقود) وبريطانيا (أم المصائب) وبناتها مثل استراليا، وأمريكا..كانوا ولا زالوا في حرب شعواء على المسلمين منذ زمن بعيد (واقرؤوا من/ وعن مراكز بحوثهم واستخباراتهم وتاريخهم الأسود في المنطقة)

[6] لا يخفى على أحد حرب الملاحدة العرب على الإسلام (وهم جزء من الطابور الخامس العلماني الإرهابي المتطرف وأبرز مثال على ذلك ساسة وحكام تونس الحاليين؛عباد الدنيا عبيد فرنسا أحفاد الجاهل الأكبر بورقيبة ، عدو الله صنيعة فرنسا / واقرؤوا تاريخ هذا الشيطان)

[7] الفساد والعمالة والحرب على الإسلام ليست فقط صفات لعسكر العرب بل هي وظيفتهم المكلفين بها. وكيف لا، وهم صنيعة ومحمية الغرب، جاؤوا مأجورين متأخرين على ظهور الدبابات أو خرجوا من أقبية استخبارات العدو.(واقرؤوا تاريخ طغاة العرب كلاب الحراسة في المنطقة)

---

*(التورية) هي: أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان قريب ظاهر غير مراد وبعيد خفي هو المراد

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ مسند أحمد/ سير أعلام النبلاء/ قواعد البلاغة/

روي عن الإمام القدوة شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد المغربي[1] ،المقرئ، المعروف بالعلم، والتقوى، والشدة في دين الله. أورد الذهبي في سيرته عن شجاع المدلجي[2] قال: كان شيخنا ابن الحطيئة شديد في دين الله، فض غليظ على أعداء الله، لقد كان يحضر مجلسه داعي الدعاة أبو القاسم المصري التنوخي[3] قاضي الخليفة العاضد[4] ،مع عظم سلطانه ونفوذ أمره، فما كان يحتشمه ولا يكرمه، ويقول: أحمق الناس في مسألة كذا وكذا الروافض، خالفوا الكتاب والسنة وكفروا بالله. وكنت عنده يوما في مسجده بشرف مصر وقد خضره بعض وزراء المصريين أظنه ابن عباس، فاستسقى في مجلسه، فأتاه بعض غلمانه بإناء فضة، فلما رآه ابن الحطيئة، وضع يده على فؤاده وصرخ صرخة ملأت المسجد: وا حَرَّها على كبدي، أتشرب في مجلس يقرأ فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آنية الفضة ؟! لا والله، لا تفعل. وطرد الغلام، فخرج وطلب، الشيخ كوزا، فجيء بكوز قد تثلم، فشرب، واستحيى من الشيخ، فرأيته والله كما قال الله:﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم] وذكر أن الناس بقوا بمصر ثلاثة أشهر بلا قاض في سنة ثلاث وثلاثين، فوقع اختيار الدولة على الشيخ أبي العباس، فاشترط عليهم شروطا صعبة، منها أنه لا يقضي بمذهبهم، يعني الرفض، فلم يجيبوا إلا أن يقضي على مذهب الإمامية. فقال والله لا أقضي لهم. وروي عنه رحمه الله، أنه كان متقشف مقلاً في الطعام حتى بلغ الغاية، وكان يقول: لو أكل الناس من الضار ما أكل من النافع ما اعتلوا. وكان لا يقبل لأحد قط هدية وأتى رجل إلى شيخنا ابن الحطيئة بمئزر، وحلف بالطلاق ثلاثا لا بد أن يقبله، فوبخه على ذلك، وقال: علقه على ذاك الوتد. فلم يزل على الوتد حتى أكله العُثُّ، وتساقط، وكان رحمه الله ينسخ بالأجرة. وله على الجزية في الشهر ثلاثة دنانير. ولقد عرض عليه غير واحد من الأمراء أن يزيد جامكيته* فما قبل.

----

*(جامكية) أجر المملوك أو منحته الشهرية، كانت تعطى من غلة الوقف.

■ (1) أبي العباس، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام اللخمي المعروف بابن الحطيئة، ولد بمدينة فاس وانتقل إلى الديار المصرية، واستوطن خارجها في جامع راشدة. وكان من مشاهير الصلحاء وأعيانهم، وكان رأسا في القراءات السبع، ونسخ بخطه كثيرا من كتب، وكان جيد الخط، حسن الضبط، والكتب التي توجد بخطه مرغوب فيها. وقد كتب صحيح مسلم كله بقلم واحد. وكان يقول: إذا ذكر عمر بن الخطاب: طويت سعادة المسلمين في أكفان عمر رضي الله عنه. توفي في أواخر المحرم سنة 560 هـ بمصر، ودفن في القرافة الصغرى.

■ (2) شجاع بن محمد بن سيدهم بن عمرو بن حديد بن عسكر، الإمام أبو الحسن المدلجي، المصري، المالكي، المقرئ. ولد سنة 528 هـ، وقرأ القراءات على: أبي العباس أحمد بن الحطيئة، وسمع منه، ومن عبد الله بن رفاعة، وعبد المنعم بن موهوب الواعظ، وأبي طاهر السلفي، ولقي من الفقهاء: أبا القاسم عبد الرحمن بن الحسين الجباب، وأبا حفص عمر بن محمد الذهبي، وقرأ العربية على: أبي بكر بن السراج، وصحب أبا محمد بن بري، وتصدر بجامع مصر، وأقرأ وحدث وانتفع به جماعة، وآخر من قرأ عليه. وتوفي أبو الحسن علي بن شجاع الضرير سنة 591 هـ

■ (3) علي بن المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم، أبو القاسم التنوخي؛ ولد سنة 365 هـ، وتوفي سنة 447 هـ؛ وكان شيعيا معتزليا، وكان ساكنا وقورا، وكان يدخله من نيابة القضاء ودار الضرب وغيرهما كل شهر مائتا دينار فيمر الشهر وليس معه شيء، كان ينفق على أصحاب الحديث، وكان الخطيب والصولي وغيرهما يبيتون عنده، وكان ثقة في الحديث متحفظا في الشهادة، محتاطا صدوقا، وتقلد قضاء عدة نواح منه المدائن وأعمالها وأذربيجان والبردان وقرميسين. والده القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم ابن تميم التنوخي.ولد سنة 327 هـ بالبصرة. وتوفي سنة 384 هـ ببغداد. (في كتاب سير أعلام النبلاء: هو أبو القاسم هبة الله بن كامل المصري التنوخي، قاضي الخليفة العاضد، متوفى سنة 569 ؟)

■ (4) العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله، ولد سنة 546 هـ وبويع سنة 555 هـ. وتوفي سنة 567 هـ. وكان أخر ملوك الدولة الفاطمية.والمعروف أنهم بنو عبيد. وكان والد عبيد من نسل القداح المجوسي الملحد.وقد صنف القاضي أبو بكر بن الباقلاني كتاب فافتتحه ببطلان انتسابهم إلى الإمام علي.قيل هلك العاضد بذرب مفرط. وقيل: مات غما لما سمع بقطع خطبته وإقامة الدعوة للمستضيء العباسي في أول جمعة من المحرم. وقيل:سقي. وقيل: مص خاتما له مسموما.وتسلم صلاح الدين القصر بما حوى من النفائس والأموال، وقبض أيضا على أولاد العاضد وآله، فسجنهم في بيت من القصر، وقمع غلمانهم وأنصارهم، وعفى آثارهم. وهكذا بعد سقوط مصر في أيدي الزنكيين زالت الدولة الفاطمية التي استمرت262 سنة على يد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.ومهّد ذلك الطريق أمام مؤسس الدولة الأيوبية لمحاربة الصليبيين وفتح القدس بعد أن توحّدت مصر والشام في دولة واحدة. بعد وفاة نور الدين زنكي سنة 569 هـ. واستخلف ولده الملك الصالح إسماعيل. وكان صبي. وهزيمة الزنكيون على يد صلاح الدين. وقد أسند الخليفة العباسي في بغداد إليه السلطة على مصر والمغرب الأدنى والنوبة والحجاز و تهامة وفلسطين وسوريا الوسطى، وخلع عليه لقب سلطان مصر والشام.

أيها الإخوة، هكذا كان الملوك، والجبابرة ينكسرون لثبات أهل الحق وأئمة الهدى، فأولئك العبديين كانوا من غلاة الروافض الذين كفرهم أهل السنة في عصرهم، وكانوا قتلة ظلامة سفكوا من الدماء بلا حساب ولا عتاب ما شاء الله لهم، ومع ذلك لم يكن ذلك ليثني أئمة الهدى الذين حفظ الله بهم الدين، واباد أولئك الفراعنة. واليوم يقارن المرء بين ما كان في تاريخ هذه الأمة وما يصبها اليوم، فليت المنكر أنعقد على شربهم في آنية الفضة، فقد استعلت الأنظمة الوضعية الكافرة، وناطحة أبراج بنوك الربا مآذن الحرم وعمت المنكرات والفواحش العظام كافة مناحي الحياة ودخل الكفار عقر دار المؤمنين، وصار كبار الأمراء والملوك رؤوس للنهب والسلب والظلم وأمثلة تحتذى في الزنا والخمر والمخدرات والفجور، وأغلقت أبواب السجون على أئمة الهدى والصلاح ودعاة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيا فرج الله اقترب، و يا رحمة الله أغيثي هذه الأمة المستضعفة. عن أم سلمة، قالت: قال سول الله صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ شَرِبَ فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ فِضَّةٍ، فَإِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ﴾ وعن أم المؤمنين عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿إِنَّ أَوَّلَ مَا يُكْفَأُ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ كَفْءُ الْخَمْرِ قِيلَ وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا فَيَسْتَحِلُّونَهَا﴾ وعن نافع بن كيسان عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:﴿سَتَشْرَبُ مِنْ بَعْدِي أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يَكُونُ عَوْنَهُمْ عَلَى شُرْبِهَا أُمَرَاؤُهُمْ﴾ قال الحسن: لقد أدركت الأمراء ممن كان قبلكم، كانوا والله وعاة لكتاب الله وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم، يفرشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون الذي خلقهم في فكاك رقابهم، إذا عملوا الحسنة دأبوا في سترها وسألوا الله أن يتقبلها، وإذا عملوا السيئة تابوا وسألوا الله أن يغفرها لهم، فوالله ما زالوا كذلك وعلى ذلك، والله ما سلموا من الذنوب، ولا نجوا إلا بالمغفرة.

عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه كتب إلى عامله بمكة: أن لا يدع أحدا يبني بيتا له مشرفا على الكعبة. وعن عبد الملك بن عبيد عن قيس مولى صفوان بن أمية قال: رأيت شيبة بن عثمان[1] إذا رأى بناء مشرفا على الكعبة هدمه، وعن مغيرة عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون أن يبنوا حول الكعبة بناء يشرف عليها.وعن عبد الله بن عمرو قال: إذا رأيت البناء قد ارتفع على جبال مكة، وسال الماء، فخذ حذرك، وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: كانوا يكرهون أن يبنوا بناء عند الصفا المروة ويطيلونه لكي يبدو لهم البيت، وعن أبي جهم بن حذيفة قال: وكانت قريش لا يبنون بيتا مشرفا على الكعبة، وعن علي بن زيد قال: مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأبي سفيان رضي الله عنه وهو يبني بيتا له قد طرح خشبا وحجارة، فقال: يا أبا سفيان ارفع فقد أضررت بطريق المسلمين فقال: نعم يا أمير المؤمنين فقال له عمر رضي الله عنه: لقد كنت أبيا. وعن ابن أبي نجيح قال: رأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلا وكأنه يأمر قوله بالمعروف وينهى عن المنكر، فقال: أتريد أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ائت هؤلاء الذين يبنون في حرم الله تعالى فامنعهم [أخبار مكة للفاكهي].

روى البخاري عن ابن أبي ليلى قال:كان حذيفة بالمداين فاستسقى فأتاه دهقان بماء في إناء من فضة فرماه به وقال: إني لم أرمه إلا أني نهيته فلم ينته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالْحَرِيرُ وَالدِّيبَاجُ هِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وفي رواية أحمد للقصة عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: خرجت مع حذيفة إلى بعض هذا السواد فاستسقى فأتاه دهقان بإناء من فضة، قال: فرماه به في وجهه، قال: قلنا: اسكتوا اسكتوا وإنا إن سألناه لم يحدثنا، قال: فسكتنا، قال: فلما كان بعد ذلك، قال: أتدرون لم رميت به في وجهه؟! قال: قلنا: لا، قال: إني كنت نهيته، قال فذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ﴾ قال معاذ: ﴿لَا تَشْرَبُوا فِي الذَّهَبِ وَلَا فِي الْفِضَّةِ وَلَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ فَإِنَّهُمَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿سَلُونِي، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: لَا تُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ:أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَخْشَى اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ ، ثُمَّ قَرَأَ: إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [لقمان] قَالَ: ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رُدُّوهُ عَلَيَّ، فَالْتُمِسَ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا جِبْرِيلُ، أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا﴾ فقوله عليه السلام: (الصم البكم) المراد بهم الجهلة السفلة الرعاع كما قال الله تعالى:﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة] أي لما لم ينتفعوا بجوارحهم هذه فكأنهم عدموها. هذا كما في الحديث: ﴿لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَحْظَى النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعَ﴾ وقال: ﴿لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُودَ كُلَّ قَبِيلَةٍ رُذَّالُهَا﴾ وقال: ﴿إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ﴾ وفي الأمثال: زوال الدول باصطناع السفل. قال الشافعي: أظلم الناس لنفسه اللئيم، إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه، واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل.

■ (1) شيبة بن عثمان بن أبي طلحة القرشي، من بني عبدالدار: صحابي، من أهل مكة. أسلم يوم الفتح. وكان حاجب الكعبة في الجاهلية، وورث حجابتها عن آبائه، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، ولا يزال بنوه حجابها إلى اليوم. توفي سنة 59 هـ

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ سير أعلام النبلاء/ صحيح مسلم/ معرفة الصحابة لأبي نعيم/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ طبقات القراء السبعة/ البداية والنهاية/ صحيح البخاري/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ أخبار مكة للفاكهي/

قال علي بن نايف الشحود: كان نور الدين محمود[1] شخصية فريدة، علم نفسه فنون الفروسية، الرماية والقتال والرياضة، وكان يلعب الكرة بالجياد، يركب الجياد ويأخذ الكرة وهي طائرة وأحيانا يلتقطها من الجو وقد لامه بعض العلماء في ذلك كأن هذا نوع من اللعب، فقال له إنما الأعمال بالنيات، نحن قوم مجاهدون ولا نريد أن ننسى الجهاد ولا أن تنسى خيلنا الحركة والمعاناة دائما فنحن نمرن خيلنا ونمرن أنفسنا حتى لا ننسى، وإنما لكل امرئ ما نوى، كان رجلا شجاعا لا يهاب الموت في سبيل الله وكان رجلا عادلا، كان يعدل بين الناس، بين الصغير والكبير، أقام مجلسا للعدل وللنظر في المظالم، فتح بابه للناس جميعا، كل من عنده مظلمة عليه أن يتقدم إلى الأمير أو الملك العادل نورالدين، يجلس مرتين في الأسبوع وقيل أربع وقيل خمس مرات في الأسبوع ليتلقى مظالم الناس على أي واحد من قواده أو أمرائه أو ولاته وقد رأى أن بعضهم لم يصل إليه مظلمة من قبله وهو أسد الدين شيركوه[2] عم صلاح الدين[3]، لم يتقدم أحد يقول أنه ظلمه وذلك أن أسد الدين قال للناس من كان له مظلمة فليأتي إلي ولا يفضحني عند نورالدين لأرفع المظلمة عنه، فلما سأل لماذا لم يتقدم أحد ضد أسد الدين قالوا له أنه قال للناس كذا، فمن كان له مظلمة ذهب إلى أسد الدين فرفع عنه مظلمته، فسجد لله شكرا وقال: الحمد لله الذي وفق ولاتي إلى هذا، كان رجلا حريصا على إقامة العدل وكان يراقب الله في كل صغيرة وكبيرة وينفذ شرعه ويقول نحن خدم محمد صلى الله عليه وسلم وخدم شرعه، واقترح عليه بعض ولاته أو وزرائه أن يزيد في العقوبة عن الحد الشرعي وقالوا له: أن هناك بعض العتاة من المجرمين لا تكفيهم الحدود الشرعية فلابد أن نؤدبهم بأكثر مما جاء في الحدود حتى يرتدعوا، فكتب إليه يقول: سبحان الله كيف تقترح علي مثل هذا كأنك تقول أنني أعلم من الله عز وجل وأن ما نقترحه من عند أنفسنا أعدل من شرع الله عز وجل والله لا أفعل ذلك ولا أتعدى حدود الله أبدا، وبهذا رأى الرجل أن أي افتئات على الشرع بالزيادة أو النقصان إنما كأنما يفضل الإنسان عقله على علم الله تبارك وتعالى، هذا الرجل العظيم قال له بعض العلماء مثل الشيخ قطب الدين[4] في يوم من الأيام : يا أمير المؤمنين لا تخاطر بنفسك، وقد كان يدخل في الجيش ويحارب ولا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه، فقال له : لا تخاطر بنفسك فإنك إن قتلت فسد الحال وضاع المسلمون وضاع الدين إلى آخر ما قال، فقال له اسكت يا قطب الدين، لا تقل هذا الكلام، هذه إساءة أدب مع الله عز وجل، من كان يحرس الدين ومن كان يحمي المسلمين قبل محمود بن زنكي؟ إن الله عز وجل هو حامي الدين وهو المدافع عن المؤمنين فلو مت أو قتلت لبعث الله من يحمي هذا الدين ويدافع عنه ممن لا نعلم عنه. انظروا إلى هذه الحساسية من هذا الرجل، يقول أنت تسيء الأدب إذا قلت أنك إذا هلكت أو قتلت ضاعت الأمة وضاع الدين، لست أنا الذي أحمي الدين ولست أنا الذي أحمي الأمة، الله هو الحامي وهو المدافع عن الدين وعن الأمة، وكان الخطباء يدعون له في المنابر بألقاب ضخمة: اللهم، انصر عبدك نورالدين بن محمود بن زنكي، معز الدين وناصر الدولة ومجد الأمة وكذا وكذا. فأمر بحذف هذا كله وقال: قولوا: اللهم، انصر عبدك ابن عبدك محمود بن زنكي وأصلح حاله ولا تزيدوا على ذلك. وبعض العلماء اقترح عليه قالوا هل هناك مانع أن نقول: اللهم، انصر عبد الخاضع لهيبتك الراجي لرحمتك المرابط في سبيلك المقاوم لأعداء دينك .. ومثل هذا الكلام. فقال: إذا لم يكن فيه كذب فلا باس أما المدائح الكاذبة والمبالغات الزائفة فلا تجوز على المنبر أبدا، هكذا كان هذا الرجل العظيم، هذا الرجل قاوم الصليبيين وأسرهم، أسر منهم من أسر وقتل منهم من قتل، وأسر بعض الملوك يوما، ثم فاوضه هذا الملك أن يدفع له مبلغا كبيرا من المال ويفديه وشاور العلماء والوزراء والأمراء من حوله، فبعضهم قال له: اقتله وأرح المسلمين من شره، وبعضهم قال له: نأخذ المال نتقوى به في الجهاد في سبيل الله، ثم ترجح له أن يقبل الفداء منه ويأخذ المال ليتقوى به في الجهاد وبعد أن أخذ كأنه لام نفسه،فلما ذهب هذا الملك إلى بلاده أدركه الموت وأخذه الله وجاء الخبر إلى نور الدين فقال: الحمد لله، كفانا الله شره وأخذنا منه الفدية لمصلحة الجهاد ومصلحة المسلمين.

■ (4) مسعود بن محمد بن مسعود الطريثيثي الشيخ الإمام أبو المعالي قطب الدين النيسابوري صاحب كتاب الهادي المختصر المشهور في الفقه كان إماما في المذهب والخلاف والأصول والتفسير والوعظ أديبا مناظرا توفي بدمشق في شهر رمضان سنة 578 هـ

■ (1) نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر. أبو القاسم، التركي السلطاني الملكشاهي، يُلقَّب بالملك العادل، وناصر أمير المؤمنين، تقيّ الملوك، ليث الإسلام، نور الدين الشهيد رغم وفاته بسبب المرض، مولده سنة 511 هـ. ولي جده نيابة حلب للسلطان ملكشاه بن ألب آرسلان السلجوقي. ونشأ قسيم الدولة (آق سنقر) بالعراق، وندبه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بإشارة المسترشد لامرة الموصل وديار بكر والبلاد الشامية، وظهرت شهامته وهيبته وشجاعته، ونازل دمشق، واتسعت ممالكه، فقتل على حصار جعبر سنة 541 هـ، فتملك ابنه نور الدين هذا حلب، وابنه الآخر الموصل. وكان نور الدين حامل رايتي العدل والجهاد، حاصر دمشق، ثم تملكها، وبقي بها عشرين سنة.وقال أبو الفرج بن الجوزي: جاهد، وانتزع من الكفار نيفا وخمسين مدينة وحصنا، وبنى بالموصل جامعا غرم عليه سبعين ألف دينار، وترك المكوس قبل موته، وبعث جنودا فتحوا مصر، وكان يميل إلى التواضع وحب العلماء والصلحاء، وكاتبني مرارا، وعزم على فتح بيت المقدس، فتوفي سنة 569 هـ... وخلفه صلاح الدين على الشام والجزيرة وجميع البلاد التي كانت تابعة لنور الدين واشتغل بمحاربة الافرنج.

■ (2) شيركوه بن شاذي بن مروان، أبو الحارث، أسد الدين، الملقب بالملك المنصور: أول من ولي مصر من الاكراد الايوبيين. وهو أخو نجم الدين أيوب، وعم السلطان صلاح الدين. كان من كبار القواد في جيش نور الدين محمود ابن زنكي بدمشق، وأرسله نور الدين على رأس جيش إلى مصر سنة 558 هـ نجدة لشاور بن مجير السعدي وعاد. وذهب إليها ثانية سنة 562 هـ لنجدة ابن أخيه صلاح الدين وقد حاصره شاور في الاسكندرية، فأصلح ما بينهما، وقويت صلته بالمصريين، وعاد. وهاجم الفرنج بلدة بلبيس بمصر، وملكوها، فكتب إليه أهلها يستنجدونه. فأقبل للمرة الثالثة، وطرد الفرنج. وعلم بأن شاور بن مجير يأتمر به لقتله هو ومن معه من كبار القواد، فتعاون مع صلاح الدين على قتل شاور. وأرسل رأسه إلى الخليفة العاضد فدعاه العاضد، وخلع عليه ولقبه بالملك المنصور، وولاه الوزارة. ولم يقم غير شهرين وخمسة أيام، وتوفي فجأة سنة 564 هـ ودفن بالقاهرة ثم نقل إلى المدينة، بوصية منه.

■ (3) صلاح الدين الايوبي، وهو يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الايوبي، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الاسلام. كان من قبيلة الهذانية، من الاكراد. نزلوا بتكريت، وولد بها صلاح الدين، ونشأ في دمشق، توفي سنة 589 هـ. وكانت مدة حكمه بمصر 24 سنة، وبسورية 19 سنة.

قال علي الصلابي : تولى أمور الدولة الزنكية بعد وفاة عماد الدين زنكي ابنه نور الدين، الذي نشأ مع والده في العراق ثم الموصل وبلاد الشام. وبعد وفاة والده قام مقامه وأظهر السنة في حلب وغير البدعة وقمع الرافضة، وبنى المدارس وأوقف الأوقاف، وأظهر العدل، وكان كثير المطالعة للكتب الدينية متبعا للآثار النبوية، مواظبا على الصلوات في الجماعات، عاكفا على تلاوة القرآن، عفيف البطن والفرج، مقتصدا في الإنفاق، متحريا في المطاعم والملابس، لم تسمع منه كلمة فحش، قال عنه ابن الأثير: طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وبعده إلى يومنا هذا فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة منه. ومن زهده وتقواه أنه كان لا يأكل ولا يلبس إلا من ملك كان له اشتراه من سهمه من الغنيمة، ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين، وقد شكت إليه زوجته الضائقة وزيادة النفقة فاحمر وجهه وقال: من أين أعطيها ما يكفيها، والله لا أخوض نار جهنم في هواها، ثم قال: لي بمدينة حمص ثلاثة دكاكين ملكا، قد وهبتها إياها فلتأخذها.

وقال ابن الأثير: وكان يصلي كثيرا من الليل ويدعو ويستغفر ولا يزال كذلك إلى أن يركب. جمع الشجاعة والخشوع لربه..ما أحسن المحراب في المحراب. وكان عارفا بالفقه على مذهب أبي حنيفة، وليس عنده تعصب، بل الإنصاف سجيته في كل شيء، وعلى الحقيقة فهو الذي جدد للملوك اتباع سنة العدل والإنصاف، وترك المحرمات من المآكل والمشرب والملبس، فإنهم كانوا قبل ذلك كالجاهلية همة أحدهم بطنه وفرجه، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، وأما عدله فإنه كان أحسن الملوك سيرة، فلم يترك في بلاده ضريبة ولا مكسا ولا غشا، بل منعها رحمه الله جميعا في بلاد الشام والجزيرة ومصر. ومن عدله أنه بنى دارا للعدل، وكان سبب بنائها أن أمراءه وقواد جيوشه تعدوا على من يجاورهم، فكثرت الشكاوي إلى القاضي كمال الدين، فأنصف بعضهم ولم يتجرأ على القائد أسد الدين شيركوه، فلما سمع نور الدين بذلك بنى هذه الدار وأحس أسد الدين بهذا فقال لنوابه: والله لئن أحضرت إلى دار العدل بسبب أحدكم لأصلبنه، فامضوا إلى كل من بينكم وبينه منازعة فأرضوه وافصلوا الحال معه، فقالوا: إذا فعلنا هذا فإن الناس يشتطون في الطلب، فقال: خروج أملاكي عن يدي أسهل علي من أن يراني نور الدين بعين ظالم، وكان نور الدين يجلس في هذه الدار يومين في الأسبوع، فلما علم ما حصل مع أسد الدين شيركوه سجد لله شكرا. وكان فعاله في بلاد الإسلام من المصالح كثيرة، فقد بنى أسوار مدن الشام جميعها وأحكم بناءها، وبنى المدارس بحلب وحماة ودمشق، وكان أهل الدين عنده في أعلى محل. وكان أمراؤه يحسدونهم على ذلك، فقد ذكر أحد الأمراء الشيخ قطب الدين النيسابوري أمام نور الدين فقال له السلطان: يا هذا، الذي تتكلم عليه له حسنة تغفر كل زلة وهي العلم والدين، وأما أنت وأصحابك ففيكم أضعاف ما ذكرت، وليست لكم حسنة تغفرها، وأنا أحمل سيئاتكم مع عدم حسناتكم، أفلا أحمل سيئة هذا –إن صحت– مع وجود حسناته، على أنني والله لا أصدقك فيما تقول، وإن عدت وذكرته بسوء لأؤدبنك. ومن عفته وتقواه أن ما كان يهدى إليه من هدايا الملوك لا يتصرف في شيء منه لا قليل ولا كثير، بل يخرجه إلى مجلس القاضي، ويحصل ثمنه ويصرفه في عمارة المساجد المهجورة. وكان نور الدين رحمه الله يتقبل النقد بصدر رحب مهما بلغت شدته، ومن ذلك ما فعله الواعظ أبو عثمان المنتخب بن أبي محمد الواسطي –كان من صالحي زمانه– تناول نقدا للدولة الزنكية في أخذها الضرائب والمكوس في حضور نور الدين نفسه، فحذره وخوفه مما هو فيه، وقال لنور الدين هذه القصيدة: مثل وقوفك أيها المغرور..يوم القيامة والسماء تمور..إن قيل نور الدين رحت مسلما..فاحذر بأن تبقى ومالك نور..أنهيت عن شرب الخمور وأنت في..كأس المظالم طائش مخمور.. عطلت كاسات المدام تعففا..وعليك كاسات الحرام تدور..ماذا تقول إذا نقلت إلى البلى..فردا وجاءك منكر ونكير..ماذا تقول إذا وقفت بموقف..فردا ذليلا والحساب عسير؟..وتعلقت فيك الخصوم وأنت في..يوم الحساب مسلسل مجرور..وتفرقت عنك الجنود وأنت في..ضيق القبور موسد مقبور..ووددت أنك ما وليت ولاية..يوما ولا قال الأنام أمير..وبقيت بعد العز رهن حفيرة..في عالم الموت وأنت حقير..وحسرت عريانا حزينا باكيا..قلقا ومالك في الأنام مجير..أرضيت أن تحيا وقلبك دارس..عاف الخراب وجسمك المعمور..أرضيت أن يحظى سواك بقربه..أبدا وأنت معذب مهجور..مهد لنفسك حجة تنجو بها..يوم المعاد ويوم تبدو العور. فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بكى بكاء شديدا، وأمر بوضع المكوس والضرائب في سائر البلاد. وكتب إلى الناس ليكون منهم في حل مما كان أخذ منهم، ويقول لهم: إنما صرف ذلك في قتال أعدائكم من الكفرة والذب عن بلادكم ونسائكم وأولادكم. وكتب بذلك إلى سائر ممالكه وبلدان سلطانه، وأمر الوعاظ أن يستحلوا له من التجار، وكان يقول في سجوده: اللهم ارحم المكاس العشار الظالم محمود الكلب. وكان –رحمه الله– يحارب روح التزلف والنفاق للمسئولين، فمن ذلك أنه منع خطباء المساجد الذين يبالغون في الدعاء له ويصفونه بالعبارات الرنانة التي تعودوا أن يتقربوا بها إلى قلوب السلاطين، فطلب إلى خالد بن محمد بن نصر القيسراني أن يوقف ذلك، وأن يكتب له صيغة دعاء بسيط تطابق الواقع بأحواله وأفعاله، فكتب له الصيغة التالية: اللهم أصلح عبدك الفقير إلى رحمتك، الخاضع لهيبتك، المعتصم بقوتك، المجاهد في سبيلك، المرابط لأعداء دينك: أبا القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ناصر أمير المؤمنين. فقرأ نور الدين نسخة الدعاء وعلق عليها العبارة التالية: مقصودي ألا يكذب على المنبر، أنا بخلاف كل ما يقال أأفرح بما لا أعمل؟! قلة عقل عظيم، الذي كتبت هو جيد اكتب به نسخا حتى نسيره إلى جميع البلاد. ثم أضاف: ثم يبدأ بالدعاء: اللهم أره الحق حقا، اللهم اسعده، اللهم انصره، اللهم فقهه..من هذا الجنس.

مراجع: موسوعة الخطب والدروس/ صفحات من التاريخ الإسلامي – الدولة الفاطمية/ طبقات الشافعية الكبرى/

من غرائب المنقول وعجائبه عن الأمير بدر الدين أبي المحاسن، يوسف المهمندار، المعروف بمهمندار العرب[1] أنه قال: حكى لي الأمير محمد، شجاع الدين الشيرازي[2]، متولي القاهرة في أيام الكاملية[3] سنة ثلاث وستمائة؟، قال: بتنا عند رجل بالصعيد، فأكرمنا، وكان الرجل شديد السمرة، وهو شيخ كبير، فحضر له أولاد بيض الوجوه، حسان الأشكال، فقلنا له: هؤلاء أولادك؟ قال: نعم، ثم قال: كأنكم أنكرتم علي بياضهم وسوادي؟ قلنا: نعم. فقال: هؤلاء كانت أمهم إفرنجية أخذتها أيام الملك الناصر صلاح الدين[4]، وأنا شاب. فقلنا: وكيف أخذتها؟ قال: حديثي فيها عجيب وأمري غريب. فقلنا: أتحفنا به. فقال: زرعت كتانا في هذه البلدة وقلعته ونفضته، فصرفت عليه خمسمائة دينار، ثم لم يبلغ الثمن أكثر من ذلك، فحملته للقاهرة فلم يصل أكثر من ذلك فأشير علي بحمله إلى الشام، فحملته فلم يزد على تلك القيمة شيئا، فوصلت به إلى عكا فبعت بعضه لأجل والبعض تركته، واكتريت حانوتا لأبيع على مهل إلى أن تنقضي المدة. فبينما أنا أبيع إذ مرت بي امرأة فرنجية، ونساء الإفرنج يمشين في الأسواق بلا نقاب فأتت تشتري مني كتانا، فرأيت من جمالها ما بهرني فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وأتت إلي بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من المرة الأولى، فتكررت لي وعلمت أني أحبها فقلت للعجوز التي كانت معها: إنني قد تلفت بحبها، وأريد منك الحيلة. فقالت لها العجوز ذلك، فقالت: تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت وهو، فأعادت علي الجواب فقلت لها: أما أنا فقد سمحت بروحي في حبها، واتفق الحال على أن أدفع لها خمسين دينارا، فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت: نحن الليلة عندك. قال: فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلوى فجاءت الإفرنجية فأكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم، فقلت في نفسي: أما تستحيي من الله وأنت غريب تعصي الله مع نصرانية، اللهم إني أشهدك أني قد عففت عنها في هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك. ثم نمت إلى الصبح، فقامت من السحر وهي غضبانة، ومضت ومضيت إلى حانوتي، فجلست فيه، فإذا هي قد عبرت علي والعجوز وهي مغضبة، وكأنها القمر، فهلكت وقلت في نفسي: ومن هو أنت حتى تترك هذه البارعة في حسنها؟ ثم لحقت العجوز، وقلت لها: ارجعي؟ فقالت: وحق المسيح ما أرجع لك إلا بمائة دينار. فقلت: نعم! بسم الله، فمضيت ووزنت مائة دينار، فلما حضرت الجارية عندي لحقتني الفكرة الأولى، وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى، ثم مضت ومضيت إلى موضعي، ثم عبرت علي بعد ذلك وقالت: وحق المسيح ما عدت تفرح بي عندك إلا بخمسمائة دينار، أو تموت كمدا. فارتعت لذلك وعزمت على أن أصرف ثمن الكتان جميعه، فبينما أنا كذلك والمنادي ينادي، معاشر المسلمين! إن الهدنة التي كانت بيننا وبينكم قد انقضت، وقد أمهلنا من هنا من المسلمين إلى جمعه، فانقطعت عني، وأخذت في تحصيل ثمن الكتان الذي لين والمصالحة على ما بقي منه، وأخذت معي بضاعة حسنة، وخرجت من عكا وفي قلبي من الإفرنجية ما فيه، فوصلت إلى دمشق وبعت البضاعة بأوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة، ومن الله علي بكسب وافر، وأخذت أتجر في الجواري لعل يذهب ما بقلبي من الإفرنجية، فمضت ثلاث سنين، وجرى للملك الناصر ما جرى من وقعة حطين سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة، وأخذ جميع الملوك، وفتح بلاد الساحل، بإذن الله تعالى، فطلب مني جارية للملك الناصر، فأحضرت له جارية حسناء، فاشتراها بمائة دينار، فأوصلوا إلي تسعين دينارا، وبقيت العشرة دنانير عنده، فلم يجدوها في خزانة الملك في ذلك اليوم، لأنه أنفق جميع الأموال، فلما حضرت الغنيمة جاؤوا للملك فشاوروه على ذلك، فقال: امضوا به إلى الخيمة التي فيها السبي من نساء الإفرنج، فخيروه في واحدة منهن، يأخذها بالعشرة دنانير التي بقيت له. فأتيت الخيمة فعرفت غريمتي، فقلت: أعطوني هذه الجارية، فأخذتها ومضيت إلى خيمتي، وخلوت بها، وقلت لها: أتعرفيني؟ قالت: لا. فقلت لها: أنا صاحبك التاجر الذي جرى لي معك ما جرى وأخذت مني الذهب، وقلت: ما عدت تراني عندك إلا بخمسمائة دينار وقد أخذتك ملكا بعشرة دنانير. فقالت: مد يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فأسلمت وحسن إسلامها، فقلت: والله لا وصلت إليها إلا بأمر القاضي، فتوجهت إلى ابن شداد[5]، وحكيت له ما جرى، فتعجب وعقد لي عليها، وباتت تلك الليلة عندي فحملت مني ثم رحل العسكر، وأتينا دمشق، فبعد مدة يسيرة أرسل الملك يطلب الأسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك، فردوا من كان أسيرا من الرجال والنساء، ولم يبق إلا التي عندي، فطلبت مني، فحضرت وقد تغير لوني فأحضرتها بين يدي الملك الناصر، والرسول فقلت: هذه أسلمت وصارت امرأتي. فقال الملك الناصر بحضرة الرسول: أترجعين إلى بلادك أو إلى زوجك، فقد فككنا أسرك وأسر غيرك. فقالت: يا مولانا السلطان! أنا قد أسلمت وحملت وها بطني كما ترونه، وليس لي رغبة في الرجوع إلى بلادي وما رغبتي إلا في الإسلام وزوجي. فقال لها الرسول: أيما أحب إليك، هذا المسلم أو بلادك؟ فأعادت عبارتها الأولى، فقال الرسول لمن معه من الإفرنج: اسمعوا كلامها. ثم قال الرسول: خذ زوجتك وتوجه. فوليت بها فطلبني ثانيا وقال: إن أمها أرسلت معي كسوة وقالت: إن ابنتي أسيرة وأشتهي أن توصل لها هذه الكسوة. فتسلمت الكسوة ومضيت إلى الدار ففتحت القماش، فإذا هو قماشها بعينه قد صيرته لها أمها، ووجدت من داخلة الصرتين، الذهب الخمسين دينارا والمائة دينارا، كما هي بربطتي لم يتغيروا، وهؤلاء الأولاد منها، وهي التي صنعت لكم هذا الطعام، والله أعلم.

■ (4) صلاح الدين الايوبي، وهو يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الايوبي، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الاسلام. كان أبوه وأهله من قرية دوين في شرقي أذربيجان وهم بطن من الروادية، من قبيلة الهذانية، من الاكراد. نزلوا بتكريت، وولد بها صلاح الدين، وتوفي فيها جده شاذي. ثم ولي أبوه أيوب أعمالا في بغداد والموصل ودمشق. ونشأ هو في دمشق، وتفقه وتأدب وروى الحديث بها وبمصر والاسكندرية، وحدث في القدس. ودخل مع أبيه نجم الدين وعمه شيركوه في خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي صاحب دمشق وحلب والموصل واشترك صلاح الدين مع عمه شيركوه في حملة وجهها نور الدين للاستيلاء على مصر سنة 559 هـ فكانت وقائع ظهرت فيها مزايا صلاح الدين العسكرية. وتم لشيركوه الظفر أخيرا، باسم السلطان نور الدين، فاستولى على زمام الامور بمصر، واستوزره خليفتها العاضد الفاطمي. ولكن شيركوه ما لبث أن مات. فاختار العاضد للوزارة وقيادة الجيش صلاح الدين، ولقبه بالملك الناصر. وهاجم الفرنج دمياط، فصدهم صلاح الدين. ثم استقل بملك مصر، مع اعترافه بسيادة نور الدين. ومرض العاضد مرض موته، فقطع صلاح الدين خطبته، وخطب للعباسيين، وانتهى بذلك أمر الفاطميين. ومات نور الدين سنة 569 هـ فاضطربت البلاد الشامية والجزيرة، ودعي صلاح الدين لضبطها، فأقبل على دمشق سنة 570 هـ فاستقبلته بحفاوة. وانصرف إلى ما وراءها، فاستولى على بعلبك وحمص وحماة وحلب. ثم ترك حلب للملك الصالح إسماعيل بن نور الدين، وانصرف إلى عملين جديين: أحدهما الاصلاح الداخلي في مصر والشام، بحيث كان يتردد بين القطرين، والثاني دفع غارات الصليبيين ومهاجمة حصونهم وقلاعهم في بلاد الشام. فبدأ بعمارة قلعة مصر، وأنشأ مدارس وآثارا فيها. ثم انقطع عن مصر بعد رحيله عنها سنة 578 هـ إذ تتابعت أمامه حوادث الغارات وصد الاعتداآت الفرنجية في الديار الشامية، فشغلته بقية حياته. ودانت لصلاح الدين البلاد من آخر حدود النوبة جنوبا وبرقة غربا إلى بلاد الارمن شمالا، وبلاد الجزيرة والموصل شرقا. وكان أعظم انتصار له على الفرنج في فلسطين والساحل الشامي يوم حطين الذي تلاه استرداد طبرية وعكا ويافا إلى ما بعد بيروت، ثم افتتاح القدس سنة 583 هـ ووقائع على أبواب صور، فدفاع مجيد عن عكا انتهى بخروجها من يده سنة 587 هـ بعد أن اجتمع لحربه ملكا فرنسا وانكلترة بجيشيهما وأسطوليهما. وأخيرا عقد الصلح بينه وبين كبير الفرنج ريكارد قلب الاسد ملك انكلترة على أن يحتفظ الفرنج بالساحل من عكا إلى يافا، وأن يسمح لحجاجهم بزيارة بيت القدس وأن تخرب عسقلان ويكون الساحل من أولها إلى الجنوب لصلاح الدين. وعاد ريكارد إلى بلاده. وانصرف صلاح الدين من القدس، بعد أن بنى فيها مدارس ومستشفيات. ومكث في دمشق مدة قصيرة انتهت بوفاته سنة 589 هـ. وكان رقيق النفس والقلب، على شدة بطولته، رجل سياسة وحرب، بعيد النظر، متواضعا مع جنده وأمراء جيشه، لا يستطيع المتقرب منه إلا أن يحس بحب له ممزوج بهيبة. اطلع على جانب حسن من الحديث والفقه والادب ولا سيما أنساب العرب ووقائعهم، وحفظ ديوان الحماسة. ولم يدخر لنفسه مالا ولا عقارا. وكانت مدة حكمه بمصر 24 سنة، وبسورية 19 سنة، وخلف من الاولاد 17 ذكرا وأنثى واحدة. وللمصنفين كتب كثيرة في سيرته.

■ (3) الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، لقب بـ أبي المعالي، ولد سنة 572 هـ تنازل عن بيت المقدس للصليبيين.ولاه أبوه الديار المصرية سنة615 هـ ولم يزل الملك الكامل ينوب عن أبيه بالديار المصرية إلى أن توفي أبوه وذلك قريب من عشرين سنة واستقل بالملك بعده20 سنة. وتوفي في دمشق سنة635 هـ

■ (1) يوسف بن سيف الدولة بن زماخ - بفتح الزاي وتشديد الميم وآخره معجمة- ابن بركة بن ثمامة التغلبي من ذرية سيف الدولة بن حمدان فيما يقال بدر الدين ابن مهمندار العرب ولد سنة 602 هـ وكان متجندا وله يد في النظم والتاريخ وله تصانيف في الأنساب والبديع وغير ذلك كتب عنه أبو حيان وابن سيد الناس وغيرهما مات على رأس القرن

■ (5) ابن شداد الشيخ الامام العلامة قاضي القضاة بقية الاعلام بهاء الدين أبو العز وأبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الاسدي الحلبي الاصل والدار الموصلي المولد والمنشأ الفقيه الشافعي المقرئ المشهور بابن شداد، وهو جده لامه. ولد سنة 539 هـ. وارتحل إلى بغداد فسمع من شهدة الكاتبة، وجماعة، وتفقه وبرع، وتفنن، وصنف، ورأس، وساد. حدث بمصر، ودمشق، وحلب، دبر أمور الملك بحلب، واجتمعت الالسن على مدحه، أنشأ دار حديث بحلب، وصنف كتاب دلائل الاحكام في أربع مجلدات. وقال ابن خلكان: انحدر ابن شداد إلى بغداد، وأعاد بها، ثم مضى إلى الموصل، فدرس بالكمالية، وانتفع به جماعة، ثم حج سنة 583 وزار الشام فاستحضره السلطان صلاح الدين وأكرمه، ولازمه فولاه قضاء العسكر، ثم خدم بعده ولده الملك الظاهر غازيا، فولاه قضاء مملكته ونظر الاوقاف سنة نيف وتسعين.، وصار المشار إليه في تدبير الدولة بحلب، إلى أن استولت عليه البرودات والضعف وقدم مصر رسولا غير مرة، وقد سار إلى مصر لاحضار بنت السلطان الكامل إلى زوجها الملك العزيز، ثم استقل العزيز بنفسه، فلازم القاضي بيته، وأسمع الحديث إلى أن مات وهو على القضاء.سنة 632 هـ، وله ثلاث وتسعون سنة.

■ (2) الأمير شجاع الدين محمد الشيرازي متولي القاهرة في الأيام الكاملية ؟

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات] وقد ذكرت الآية الكريمة ثلاثة أشياء: المساواة بين الناس، فالناس سواسية كأسنان المشط في الأصل والمنشأ فهم جميعا من أب واحد وأم واحدة، وهم متساوون في الحقوق والواجبات..واختلاف الألسنة والألوان والمواهب والطباع والاستعدادات..لا ينبغي أن يكون مدعاة للشقاق والتفاخر.. وإنما هو للتعارف فقط ولا ينبني عليه أي حكم، وليس للون والجنس.. قيمة في ميزان الله تعالى، فالأكرم عند الله تعالى الأرفع منزلة عنده في الدنيا والآخرة هو الأتقى الأصلح في نفسه وللجماعة المسلمة.

مراجع: الدرر الكامنة/ ثمرات الأوراق/ الأعلام للزركلي/ إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس/

◆ الملك العادل سيف الدين أبو بكر أحمد بن أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان، الملك العادل أبو بكر (من ملوك الدولة الأيوبية) والشيخ عبد الله اليونيني 0979

حدث الزاهد خليل بن عبد الغني بن مقلد[1] قال: كنت بحلقة الحنابلة إلى جانب الشيخ عبد الله اليونيني[2]،فقام ومعه خادمه توبة[3]إلى الكلاسة ليتوضأ، وإذا برجل متختل يفرق ذهبا، فلما وصل إلي أعطاني خمسة دنانير، وقال: أين سيدي الشيخ؟ قلت: يتوضأ. فجعل تحت سجادته ذهبا، وقال: إذا جاء قل له: مملوكك أبو بكر التكريتي[4] يسلم عليك، ويشتهي تدعو له. فجاء الشيخ وأنا ألعب بالذهب في عبي، ثم ذكرت له قول الرجل، فقال توبة: من ذا يا سيدي؟ قال: صاحب دمشق؛ وإذا به قد رجع ووقف قدام الشيخ، والشيخ يصلي فلما سلم أخذ السواك ودفع به الذهب وقال: يا أبا بكر[4] كيف أدعو لك والخمور دائرة في دمشق؟ وتغزل امرأة وقيّة تبيعها فيؤخذ منها قرطيس؟ فلما راح أبطل ذلك،وكان الملك العادل قال المعمر محمد بن أبي الفضل:[5] كنت عند الشيخ وقد جاء إليه المعظم[6]،فلما جلس عنده، قال: يا سيدي ادع لي. قال: يا عيسى لا تكن نحسا مثل أبيك. فقال: يا سيدي وأبي كان نحس؟ قال: نعم؛ أظهر الزغل (أي العملة المغشوشة)، وأفسد على الناس المعاملة، وما كان محتاج. ذكر سبط الجوزي[7]،أن الشيخ اليونيني كان شجاع، وكان رغم تعففه وزهده يقول لتلميذه: في وفيك نزلت﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [التوبة]

حدث سبط ابن الجوزي: إن الملك العادل سيف الدين أحمد كتب لبعض خواصه كتابا يوصيه في حكومة بينه وبين آخر فجاء إلى قاضي القضاة جمال الدين بن الحرستاني[8] ودفع إليه الكتاب فقال: إيش فيه!. قال: وصية بي. قال: أحضر خصمك فأحضره، والكتاب بيده لم يفتحه، وادعى على الرجل، فظهر الحق لغريمه، فقضى عليه ثم فتح الكتاب وقرأه، ورمى الكتاب إلى حامله وقال: كتاب الله قد قضى وحكم على هذا الكتاب، فمضى الرجل إلى العادل وبكى بين يديه وأخبره بما قال، فقال العادل: صدق كتاب الله أولى من كتابي. وكان يقول للعادل: أنا ما أحكم إلا بالشرع وإلا فما سألتك القضاء، فإن شئت، وإلا فأبصر غيري. وفي معناه قول الشاعر:﴿إِنَّ الْمُلُوكَ لِتَحْكُمَ عَلَى الوَرَى وَعَلَى الْمُلُوكِ لِتَحَكُّمِ العُلَمَاءِ﴾ قال سبط الجوزي: اتفق أهل دمشق على أنه ما فاته صلاة بجامع دمشق في الجماعة إلا إذا كان مريضا ينزل من الجويرة في سلم طويل فيصلي ويعود إلى داره ومصلاه بيده وكان مقتصدا في ثيابه ومعيشته ولم يدع أحدا من غلمان القضاة يمشي معه.

■ (2) عبد الله بن عثمان بن جعفر اليونيني، الزاهد، العابد، أسد الشام، من قرية ببعلبك يقال لها يونين، كان شيخا، طويلا، شجاعا، كان يحمل القوس والسلاح، ويلبس قبعا من جلد ماعز بصوفه، وكان أمارا بالمعروف، لا يهاب الملوك، دائم الذكر. توفي سنة 617 هـ، وهو صائم، وقد جاوز 80 سنة. ولأصحابه فيه غلو زائد. قال سبط الجوزي : كان الشيخ شجاعا، ما يبالي بالرجال قلوا أو كثروا، وكان قوسه ثمانين رطلا، وما فاتته غزاة. وكان لا يقوم لأحد تعظيما لله ولا يدخر شيئا، وكان الملك الأمجد إذا دخل عليه جلس بين يديه فيقول له: يا أمجد فعلت كذا وكذا ويأمره بما يأمره، وينهاه عما ينهاه عنه، وهو يمتثل جميع ما يقوله له، وما ذاك إلا لصدقه في زهده وورعه، وكان يقبل الفتوح، وكان لا يدخر منه شيئا لغد، وإذا اشتد جوعه أخذ من ورق اللوز ففركه واستفه ويشرب فوقه الماء البارد.

■ (8) جمال الدين بن الحرستاني هو عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل أبو القاسم الأنصاري بن الحرستاني، قاضي القضاة بدمشق، ولد سنة 520 هـ، وكان أبوه من أهل حرستا، فنزل داخل باب توما، وأم بمسجد الزينبي، عندما عزل العادل القاضي ابن الزكي الطاهر بن محيي الدين محمد بن علي القرشي، ألزم القاضي جمال الدين بن الحرستاني هذا بولاية القضاء، وله ثنتان وتسعون سنة، وأعطاه تدريس العزيزية.كان من أعدل القضاة وأقومهم بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم. كانت وفاته بدمشق سنة 614 هـ وله 95 سنة، ودفن بسفح قاسيون.

■ (4) الملك العادل سيف الدين أبو بكر أحمد بن أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان، الملك العادل أبو بكر. شقيق الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وأحد ملوك الدولة الأيوبية بدمشق. ولد سنة 538 هـ وتوفي سنة615 هـ.

■ (6) الملك المعظم شرف الدين عيسى بن سيف الدين أحمد. من سلاطين الأيوبيين بدمشق وهو ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق، ولد سنة 576 هـ بالقاهرة، وتوفي بدمشق سنة 624 هـ.، ودفن بقلعتها ثم نقل إلى جبل الصالحية سنة 627 هـ

■ (1) خليل بن عبد الغني بن خليل بن مقلد، الشيخ، صفي الدين ابن الصائغ، الأنصاري، الدمشقي، الرجل الصالح، ابن عم قاضي القضاة.وكان دينا، كثير العبادة، لا أعلم له رواية. توفي في رجب سنة682 هـ ودفن بقاسيون.

■ (3) توبة بن أبي البركات التكريتي الزاهد، صحب الشيخ عبد الله اليونيني ولازمه، وتوفي في شوال سنة 622 هـ

■ (7) سبط ابن الجوزي يوسف بن قزغلي بن عبد الله، الإمام، الواعظ، المؤرخ شمس الدين، أبو المظفر، التركي البغدادي العوني الحنفي. سبط الإمام جمال الدين أبي الفرج، نزيل دمشق.ولد سنة 583 هـ، وتوفي سنة 654 هـ.من مؤلفاته: مرآة الزمان، تذكرة الخواص.

■ (5) المعمر محمد بن أبي الفضل؟ هل هذا : محمد بن أبي الفضل بن زيد بن ياسين بن زيد جمال الدين أبو عبد الله الثعلبي الأرقمي الدولعي ثم الدمشقي خطيبها ولد بقرية الدولعية من قرى الموصل سنة 555 هـ وورد دمشق شابا فتفقه على عمه ضياء الدين الدولعي خطيب دمشق وسمع منه ومن جماعة وولي الخطابة بعد عمه وطالت مدته في المنصب وولي تدريس الغزالية مدة وكان له ناموس وسمت حسن بفخم كلامه قال أبو شامة وكان المعظم قد منعه من الفتوى مدة ولم يحج لحرصه على المنصب مات سنة 635 هـ ودفن في مدرسته التي أنشأها بجيرون.

أيها الإخوة المؤمنون، لله دره هذا الإمام المجاهد، لو رأى قراء زماننا الذين لا يعفروا أقدامهم إلا بغبار سجاد السلاطين، لله دره، لو رأى ديدان القراء وقد انتفخت بطونهم وتملست أوداجهم من أكل السحت وجوائز الأمراء، لله دره، لو رأى وسمع خطباء الحرم المكي وأئمة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدعون للملوك والأمراء المبدلين لشرع الله، بالمجد والسلامة ودوام الحكم، ويدعون على من أرد بهم من الصالحين سوء، أن يرد الله كيدهم في نحرهم، لله دره، لو رأى شيكات خدام الحرمين الشريفين ودنانيرهم ودولارات أسيادهم تندس تحت سجاجيد ديدان القراء وفي جيوب عباءتهم وخياشيم وجههم. قال لملك الأيوبيين كيف أدعوا لك؟ والخمور فاشية، الله الله يا إمام، ماذا بقي من الكفر والظلم والفجور والخمور لم يفشه أمرائنا في قصورهم وبيوت كبرائهم حتى يتبعهم كثير من ضلال العامة. نعم كان ذلك صدعهم بالحق، لأنه تبارك وتعالى قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت] لقد جاهد أولئك الأئمة فهانت في أعيونهم مقادير الرجال و هيلمان الطغاة ولكن هؤلاء الذين لم يشهدوا إلا غزوات الولائم ونزلات الخطب الرنانة وسياحات الترفيه لم يكن لهم أن يصيروا إلا كما هم وكل إناء بما فيه ينضح.

كتب أبو حازم الأعرج إلى صديق عالم قد خالط السلاطين. رسالة مطولة، فكان فيما كتب إليه: جعلوك قطبا تدور رحى باطلهم عليك، وجسرا يعبرون بك إلى بلائهم، وسلما إلى ضلالتهم، وداعيا إلى غيهم، سالكا سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم تبلغ أخص وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم لهم، إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أقل ما أعطوك في كثير ما أخذوا منك فانظر لنفسك، فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسئول... إنك لست في دار مقام، قد أوذنت بالرحيل، ما بقاء المرء بعد أقرانه؟ طوبى لمن كان مع الدنيا في وجل، يا بؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده، إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحد أهلا أن تردفه على ظهرك، ذهبت اللذة، وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره، احذر فقد أتيت، وتخلص فقد أدهيت، إنك تعامل من لا يجهل، والذي يحفظ عليك لا يغفل، تجهز فقد دنا منك سفر، وداو دينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبن أني أردت توبيخك أو تعييرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تنعش ما فات من رأيك، وترد عليك ما عزب عنك من حلمك، وذكرت قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات]

قيل: إن زوجته صاحب مصر الاخشيد لما زالت دولتهم، أودعت عند يهودي بغلطاقا من جوهر، ثم إنها طلبته منه، فأنكره وصمم، فبذلت له كمه، فأصر. فما زالت حتى قالت: خذه، وهات كما منه فما فعل. فأتت القصر، فأذن المعز لها، فحدثته بأمرها. فأحضر اليهودي، وقرره فلم يقر. فنفذ إلى داره من أخرب حيطانها فوجدوا جرة فيها البغلطاق، فلما رآه المعز ابتهر من حسنه، وقد نقصه اليهودي درتين باعهما بألف وست مئة دينار. فسلمه إليها، فاجتهدت أن يأخذه هدية منها أو بثمن فأبى. فقالت: يا أمير المؤمنين، إنما كان يصلح لي إذ كنا أصحاب البلاد، وأما اليوم، فلا، ثم أخذته ومضت. وقيل: إن المنجمين أخبروا المعز أن عليك قطعا، فأشاروا أن يتخذ سربا (2) يتوارى فيه سنة ففعل. فلما طالت الغيبة ظن جنده المغاربة، أنه رفع، فكان الفارس منهم إذا رأى غمامة، ترجل، ويقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، ثم إنه خرج بعد سنة فخرج فما عاش بعدها إلا يسيرا. (2) السرب، بالتحريك: بيت في الارض.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ سير أعلام النبلاء/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ سير أعلام النبلاء/

كان الملك الصالح إسماعيل بن العادل[1] سلطان دمشق بعد وفاة الملك الأشرف[2]،قد نشأ بيْنه وبين ابن أخيه الصالح نجم الدين أيوب[3] خلاف، فتحالف إسماعيل مع الفرنج الصَّليبيِّين ليساعدوه على نجم الدّين، وسلَّم إليهم لقاء ذلك قلعة صفد وبلادها وقلعة الشقف وبلادها، ومناصفة سيدا وطبرية وأعمالها، وجبل عاملة وسائر بلاد الساحل، وأذن للفرنج في شراء السلاح من دمشق، فضجَّ المسلِمون لذلك وأنكروا على إسماعيل، وأفتَى العزُّ بن عبد السلام[4] بتحريم بيع السلاح للفرنج، وقال: يحرُم عليكم مبايعتهم لأنَّكم تتحقَّقون أنَّهم يشترونه ليُقاتلوا به إخوانكم المسلمين. وشدَّد العزّ الإنكار على إسماعيل هذه التصرُّفات الحمقاء، وانتقده مِن على منبر جامع دمشق يوم الجمعة، وأبطل الدُّعاء له واستبدله بدعاء منه: ﴿اللَّهُمَّ أُبْرِمُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ أَمَرَّ رُشْدٍ تُعَزُّ فِيهُ أولياؤك وَتُذَلُّ فِيهُ أَعْدَاؤُكَ وَيَعْمَلُ فِيهُ بِطَاعَتِكَ وَيَنْهَى فِيهُ عَنْ مَعْصِيَتِكَ﴾ والناس يضجون بالدعاء. وكان الملك الصَّالح إسماعيل غائبًا عن دمشق فأُخْبِر عن ذلك، فورد كتابُه بعزل ابن عبد السلام عن الخطابة واعتقاله هو والشَّيخ ابن الحاجب[5] المالكي؛ لأنَّه رفع صوتَه في الإنكار عليه مع عزّ الدين فاعتقلا. ثمَّ لَمَّا قدِم إسماعيل إلى دمشْق أفرج عنهما، وألزم ابن عبد السلام بملازمة داره وأن لا يفتي ولا يجتمع بأحد البتة، فاستأذنه في صلاة الجُمُعة وأن يعبر إليه طبيب أو مزين (حلاق) إذا احتاج إليهما، وأن يعبر إلى الحمام فأذن له، في ذلك، ثم عزم العزم على مغادرة دمشق واستأذنه إسماعيل فأذن له، فاختار مصر وخرج إليها سنة 638 هـ ومعه ابن الحاجب المالكي ومرَّ بالقدس فقضى بها فترة قصيرة. ووصل إلى القاهرة سنة 639 ولكنَّه قبل أن يصِلها وبينما كان في القدس جاء الملك إسماعيل والملك المنصور صاحب حِمْص وملوك الفرنج بعساكِرهم وجيوشِهِم إلى بيت المقدس يقصدون الدِّيار المصريَّة، فسيَّر إسماعيل بعض خواصِّه إلى الشَّيخ بمنديله وقال له: تدفع منديلي إلى الشَّيخ وتتلطَّف به غاية التلطُّف وتستنزله وتعِدُه بالعودة إلى مناصبه على أحسن حال، فإن وافقك فتدخل به عليَّ، وإن خالفَك فاعتقلْه في خيمة إلى جانب خيمتِي. فلمَّا اجتمع الرَّسول بالشيخ شرع في مسايستِه وملاينته ثمَّ قال له: بينك وبين أن تعود إلى مناصبك ما كنت عليه وزيادة أن تنكسِر للسُّلْطان وتقبّل يده لا غير.فقال الشَّيخ: والله يا مسكين ما أرْضاه أن يقبِّل يدي فضلاً عن أن أقبل يده، يا قوم أنتم في وادٍ وأنا في وادٍ، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به. فقال: قد رسم لي أن توافق على ما يطلب منك وإلاَّ اعتقلتُك. فقال الشيخ: افعلوا ما بدالكم. فأخذه واعتقله في خيمةٍ إلى جانب خيمة السلطان. وكان الشيخ يقرأ القرآن والسلطان يسمعه، فقال يومًا لملوك الفرنج: تسمعون هذا الشَّيخ الذي يقرأ القرآن؟ فقالوا: نعم. قال: هذا أكبر قسوس للمسلمين قد حبستُه لإنكاره عليَّ تسليمي لكم حصون المسلمين، وعزلته عن الخطابة بدمشق ومن مناصبه، ثمَّ أخرجتُه فجاء إلى القدس، وقد جدَّدت حبسه واعتقاله لأجلكم. فقالت له ملوك الفرنج: لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقته. ولم يستطيع العزّ الخلاص من حبس إسماعيل إلى أن هُزِم إسماعيل ومَن معه من حلفائه الصليبين، وهربوا، وأنتصر نجم الدين أيوب، فحمل الشيخ العز بن عبد السلام إلى مصر معززا مكرما، وتولى فيها منصب قاضي القضاة.

■ (4) عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب، المشهور بالعز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي، سلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام، له مصنفات حسان، ولد سنة 577 هـ أو 578 هـ، سمع كثيرا وتفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر وغيره وبرع في المذهب وجمع علوما كثيرة، وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس بدمشق، وولي خطابتها ثم نفاه صاحبها إلى مصر بسبب أنه شنع عليه لتسليمه صفد والشقيف للصليبيين لقاء مساعدته على صاحب مصر، فدرس بمصر وخطب وحكم، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، توفي سنة 660 هـ وقد نيف على الثمانين، ودفن من الغد بسفح المقطم، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير، وكان يعرف بسلطان العلماء لأنه كان مهابا من قبل السلاطين وكان يقول الحق أمامهم ولا يخافهم ويفتي بلا مداهنة بما يراه.

■ (5) عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو، الدويني الأسنائي، المعروف بابن الحاجب، الفقيه المالكي والأصولي النحوي، ولد بإسنا من صعيد مصر سنة 570هـ . وكان والده حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاحي وكان كرديا واشتغل ولده عثمان هذا بالقاهرة في صغره بالقرآن ثم بالفقه على مذهب الإمام مالك ثم باللغة العربية والقراءات ثم انتقل إلى دمشق ودرس بجامعها وكان الغالب عليه علم العربية ثم نزح عن دمشق هو والشيخ عز الدين ابن عبد السلام في دولة الصالح إسماعيل عندما أنكرا عليه – ودخلا مصر، وتصدر بالمدرة الفاضلية، ولازمه الطلبة، وانتقل إلى الإسكندرية فلم تطل مدته هناك وتوفي بها سنة 646 هـ

■ (3) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، لقب بأبي الفتوح، ولد بالقاهرة سنة603 هـ وتوفى بالمنصورة سنة 647 هـ. كان سابع ملوك بني أيوب بمصر، أنشأ المماليك البحرية، ودخل في صراعات مع الملوك الأيوبيين في الشام. هو حفيد السلطان الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي. وكان والده الملك الكامل قد استقل بمصر سنة 615 هـ، بعد وفاة والده الملك العادل الذي كان قد قسم مملكته بين أولاده قبل وفاته وأعطى مصر للملك الكامل.

■ (1) الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل بن أيوب، ⁄ـ الصالح إسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن عماد الدين بن آق سنقر في الشام.ولد سنة 558 هـ استلم حكم الشام ومصر بعد وفاة والده سنة 569 هـ. اعترف صلاح الدين الأيوبي به كحاكم للشام ومصر ودخل سنة 569 هـ إلى دمشق ليعلن نفسه وصيا على العرش. ليهرب إسماعيل إلى حلب سنة 571 هـ ويعلن صلاح الدين نفسه سلطانا على الشام ومصر. توفي إسماعيل في حلب سنة 576 هـ وتذكر بعض المصادر أنه مات مسموما.

■ (2) الملك الأشرف أبو الفتح مظفر الدين وقيل شرف الدين موسى بن الملك العادل محمد بن أيوب، من ملوك الأيوبيين ولد في القاهرة وقيل في الكرك سنة 578 هـ. توفي في دمشق سنة 635 هـ

أيها الإخوة المؤمنين، كأننا بالتاريخ يعيد نفسه، وتتكرر العبر والأحداث وتتبدل الأسماء والشخوص، فها هم الملوك والأمراء الخونة ينزلون الصليبيين في عقر دار الإسلام، وها هم جنودهم ومجندتهم يروحون مدججين بالأسلحة في طول بلاد الحرمين وعرضها، برا و بحرا وجوا، وها هم العلماء الصالحون قد أنكروا وأعلنوا وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فأودعوا السجون والمعتقلات والإقامات الجبرية ومنعوا من الإفتاء والتدريس والخطابة. وها هم علماء السلاطين وحاشيتهم يترددون عليهم ليحضوا منهم بانكسار وخذلان يرضى به الفراعنة عنهم، فمنهم من ينكس فيحض برضى آل سعود، و يشتريه بخذلان الإسلام وأهله وإخوانه الدعاة، ومنهم من لا يزال صامدا، نسأل الله لهم الثبات والنصر والفرج. لسان حالهم يقول لأولئك العملاء والمخذولين: يا ناس أنتم في واد ونحن في واد، والله لا نرضى أن يقبل ابن سعود أرجلنا لنرض عنه فضلا عن أن نقبل يده. فثبتكم الله يا دعاة الإصلاح، أيها المجاهدون، ولنا في ثباتكم خير خلف على خطى العز بن عبد السلام، رحمه الله وخير السلف.

عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت:﴿خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ بَدْرٍ فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ* أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ*،فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ: لَا، قَالَ: فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ* فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَانْطَلِقْ﴾ وعن أبي حميد الساعدي قال: ﴿خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا خَلَّفَ ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ إِذَا كَتِيبَةٌ قَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: بَنِي قَيْنُقَاعَ وَهُوَ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ. قَالَ: وَأَسْلَمُوا؟ قَالُوا: لَا، بَلْ هُمْ عَلَى دِينِهِمْ.قَالَ: قُلْ لَهُمْ فَلْيَرْجِعُوا فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ﴾ وعن خبيب بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال: ﴿خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ فَأَتَيْتُهُ أَنَا وَرَجُلٌ قَبْلَ أَنْ نُسْلِمَ فَقُلْنَا: إِنَّا نَسْتَحِي أَنْ يَشْهَدَ قَوْمُنَا مَشْهَدًا فَلَا نَشْهَدُهُ قَالَ: أَسْلَمْتُمَا؟. قُلْنَا: لَا. قَالَ: فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. فَأَسْلَمْنَا وَشَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..﴾.وعن ابن عباس رفعه قال:﴿أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ﴾ وعن أبي عبيدة بن الجراح قال:﴿إِنَّ آخِرَ كَلَامٍ تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ، قَالَ:أَخْرِجُوا الْيَهُودَ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ وَأَهْلَ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ﴾وعن ابن عمر، قال: قال عمر:﴿لَا تَتْرُكُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالْمَدِينَةِ فَوْقَ ثَلَاثٍ قَدْرَ مَا يَبِيعُونَ سِلْعَتَهُمْ، وَقَالَ:لَا يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ﴾ وعن ابن أبي ذئب أنه شهد عمر بن عبد العزيز في خلافته أخرج أهل الذمة من المدينة وباع أرقاءهم من المسلمين. وعن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَئِنْ بَقِيتُ لَأُخْرِجَنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ أَخْرَجَهُمْ﴾ وعن قيس، قال: ﴿بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا، ثُمَّ قَالَ: أَلَا إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ مُقِيمٍ مَعَ مُشْرِكٍ لَا تَتَرَاءَى نَارَاهُمَا﴾.

---

*(بحرة الوبرة) هي بفتح الواو وسكون الباء ناحية من أعراض المدينة وقيل هي قرية ذات نخيل (نجدة) القوة والشجاعة.(البيداء) موضع بين مكة والمدينة

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ الوفيات والأحداث/ صحيح مسلم/ السنن الكبرى/

كان بمصر مغنية تدعى عجيبة، أولع بها الملك الكامل بن أيوب[1]،ويذكر أن الكامل كان مع تصميمه بالنسبة إلى أبناء جنسه يحضرها إليه ليلاً، وتغنيه بالجنك*على الدف في مجلس ابن شيخ الشيوخ[2]وغيره، وأولع محمد الكامل بها جدا ثم اتفقت قضية شهد فيها الكامل عند القاضي ابن عين الدولة وهو في دست ملكه، فقال ابن عين الدولة عبد الله بن الصفراوي الملقب بعين الدولة:[3]السلطان يأمر ولا يشهد، فأعاد عليه السلطان الشهادة فأعاد القاضي القول، فلما زاد الأمر، وفهم السلطان أنه لا يقبل شهادته، قال : أنا أشهد، تقبلني أم لا ؟ فقال القاضي: لا ، ما أقبلك وعجيبة تطلع إليك كل ليلة، وتنزل ثاني كل يوم بكرة، وهي تتمايل سكرى على أيدي الجواري، وينزل ابن الشيخ من عندك، أعيا ما ينزل، فقال له السلطان: يا كبواج* !وهي كلمة شتم بالفارسية، فقال القاضي: ما في الشرع يا كبواج! اشهدوا عليّ أني قد عزلت نفسي، ونهض، فقام ابن الشيخ إلى الملك الكامل، فقال له: المصلحة إعادته، لئلا يقال لأي شيء عزل القاضي نفسه، وتطير الأخبار إلى بغداد، ويشيع أمر عجيبة، فقال له: صدقت، ونهض الكامل إلى القاضي وترضاه، وعاد إلى القضاء.

هذه الحكاية سماها بعض الناس: (عجيبة عجيبة) وفيها بحث فقهي يراجع في طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي. يستفاد من القصة أن القاضي استعمل أثر الرأي العام لتحجيم السلطة ومنعها من التدخل في القضاء والتعسف في استعمال موقعها لإضاعة حقوق العباد، ويمكن أن يستفاد من هذه القصة استعمال وسيلة الإضراب عن العمل للضغط على السلطة بغية إلزامها بالحق وعدم التدخل للتأثير على القضاء ضد الشريعة.

الجنك من آلات الطرب، فارسي معرب. بغداد دار الخلافة! العباسية. (كبواج) في رواية قال: كيواج / كنواخ.

■ (3) شرف الدين محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي القاسم بن صدقة ابن الصفراوي الاسكندراني ثم المصري الشافعي، عرف بابن عين الدولة. مولده بالثغر سنة551 هـ. وقدم القاهرة سنة 573 هـ فناب عن ابن درباس، وقد ولي قضاء الثغر من أقاربه ثمانية، ثم استقل بقضاء القاهرة سنة 613 هـ، ثم ولي فضاء الإقليم سنة 617 هـ. وله فقه وفضائل ونظم ونثر مع العفة والنزاهة. مات سنة 639 هـ.

■ (1) الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، لقب بـ أبي المعالي، ولد سنة 572 هـ تنازل عن بيت المقدس للصليبيين.ولاه أبوه الديار المصرية سنة 615 هـ ولم يزل الملك الكامل ينوب عن أبيه بالديار المصرية إلى أن توفي أبوه وذلك قريب من عشرين سنة واستقل بالملك بعده 20 سنة. وتوفي في دمشق سنة 635 هـ

■ (2) فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ قائد عسكري، وأحد الأمراء في عهد الملك الكامل.مات بالشميساطية سنة 629 هـ.

حدث أبو الزناد قال: كان سليمان بن عبد الملك[1] ليلة في بادية له، فسمر ليلة على ظهر سطح، ثم تفرق جلساؤه، ودعا بوضوء، فجاءته جارية له فبينا هي تصب عليه أنكر أمرها، فرفع رأسه إليها فإذا هي مصغية بسمعها مائلة بجسدها كله إلى صوت غناء تسمعه في ناحية العسكر، فأمرها فتنحت، فاستمع للصوت فإذا صوت رجل يغني فأنصت له حتى فهم ما يغني به من الشعر، ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضأ، فلما أصبح أذن للناس، فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء، ومن كان يسمعه ولين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه، فأفاضوا في ذلك بالتليين والتسهيل، وذكر من كان يسمعه من سروات الناس، فقال: هل بقي أحد يسمع منه؟ فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين، عندي رجلان من أهل أبلة محكمان. قال: وأين منزلك من العسكر؟ فأومأ له إلى الناحية التي كان الغناء منها. قال سليمان: فابعث إليهما، ففعل فوجد الرسول أحدهما فأقبل به إليه. فقال: ما اسمك؟ قال سمير. فسأله عن الغناء وكيف هو فيه؟ فقال: حاذق محكم، قال: فمتى عهدك به؟ قال: في ليلتي هذا الماضية، قال: وفي أي نواحي العسكر كنت؟ فذكر الناحية التي سمع منها سليمان الصوت، قال: فما غنيت؟ فذكر الشعر الذي سمعه سليمان، فأقبل سليمان على القوم فقال: هدر الجمل فضبعت الناقة ونب التيس فكشرت العنز وهدل الحمام فزافت الحمامة وغنى الرجل فطربت المرأة، ثم أمر به فخصي. وسأل عن الغناء أين أصله وأكثر ما يكون؟ قالوا: بالمدينة وهو في المخنثين، وهم الحذاق به، فكتب إلى عامله بالمدينة وهو أبو بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري[2] أن أخص من قبلك من المخنثين المغنين. وحدث خالد بن عبد الرحمن قال: كنا في عسكر سليمان بن عبد الملك، فسمع غناء من الليل، فأرسل إليهم بكرة، فجيء بهم فقال: إن الفرس ليصهل فتستودق له الرمكة، وإن الفحل ليخطر فتضبع له الناقة، وإن التيس لينب فتستحرم له العنز، وإن الرجل ليتغنى فتشتاق إليه المرأة. ثم قال: اخصوهم. فقال عمر بن عبد العزيز: هذا مثلة ولا يحل؛ فخلى سبيلهم.

روى ابن جرير[3]عن أبي الصهباء البكري[4]،أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسأل عن هذه الآية:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان] فقال عبد الله بن مسعود: الغناء، والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات، وقال: رجل يشتري جارية تغنيه ليلا أو نهارا. وقال الحسن البصري: نزلت هذه الآية في الغناء والمزامير، وقيل: أراد بقوله (يشتري لهو الحديث) اشتراء المغنيات من الجواري، قال الضحاك: (لهو الحديث) يعني الشرك، وبه قال ابن أسلم، واختار ابن جرير أنه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله، وقوله (ليضل عن سبيل الله) أي إنما يصنع هذا للتخالف للإسلام وأهله، وقوله تعالى (ويتخذها هزوا) قال مجاهد: ويتخذ سبيل الله هزوا يستهزئ بها، وقال قتادة: يعني ويتخذ آيات الله هزوا، وقول مجاهد أولى. وقوله (أولئك لهم عذاب مهين) أي كما استهانوا بآيات الله وسبيله، أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر، ثم قال الله تعالى:﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان] أي هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب، إذا تليت عليه الآيات القرآنية، ولى عنها وأعرض وأدبر، وتصامم وما به من صمم: كأنه ما سمعها لأنه يتأذى بسماعها، إذ لا انتفاع له بها ولا أرب له فيها (فبشره بعذاب أليم) أي يوم القيامة يؤلمه كما تألم بسماع كتاب الله وآياته. قال الشافعي: إذا جمع الرجل النَّاس لِسماع جاريته، فهو سفيه مَرْدود الشَّهادة، وهو بذلك ديُّوث. وعن أبي عامر الأشعري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ﴾ (الحر) الفرج وأصله الحرح والمعنى أنهم يستحلون الزنا. وعن عبد الله بن دينار قال: مر ابن عمر بجارية صغيرة تغني، فقال: لو ترك الشيطان أحدا لترك هذه. قال أحمد: الغناء ينبت النفاق في القلب. وذهب آخرون إلى تحريمه. قال أحمد: في من مات وخلف ولدا يتيما، وجارية مغنية، فاحتاج الصبي إلى بيعها، تباع ساذجة. قيل له: إنها تساوي مغنية ثلاثين ألفا، وتساوي ساذجة عشرين دينارا. قال: لا تباع إلا على أنها ساذجة. وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَحِلُّ بَيْعُ الْمُغَنِّيَاتِ وَلَا شِرَاؤُهُنَّ وَلَا تِجَارَةٌ فِيهِنَّ، وَأَكْلُ أَثْمَانِهِنَّ حَرَامٌ﴾ وفيهن أنزل الله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان] كما احتجوا على تحريمه بما روي عن ابن الحنفية في قوله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج] قال: الغناء. وعن أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِنَّ اللَّهَ بَدَأَ هَذَا الْأَمْرَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، وَكَائِنًا خِلَافَةً وَرَحْمَةً، وَكَائِنًا مُلْكًا عَضُوضًا، وَكَائِنًا عُتُوًّا وَجَبْرِيَّةً وَفَسَادًا فِي الْأُمَّةِ، يَسْتَحِلُّونَ الْفُرُوجَ وَالْخُمُورَ وَالْحَرِيرَ وَيُنْصَرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَيُرْزَقُونَ أَبَدًا حَتَّى يَلْقَوُا اللَّهَ﴾ وعن أبي هريرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَكُونُ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ خُلَفَاءُ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَعْدِلُونَ فِي عِبَادِ اللَّهِ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِ الْخُلَفَاءِ مُلُوكٌ يَأْخُذُونَ بِالثَّأْرِ، وَيَقْتُلُونَ الرِّجَالَ، وَيَصْطَفُونَ الْأَمْوَالَ، فَمُغَيِّرٌ بِيَدِهِ، وَمُغَيِّرٌ بِلِسَانِهِ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ شَيْءٌ﴾.

■ (1) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، كان قبل خلافته واليا على الرملة، وتولى الملك بعهد من أبيه، وكان أبوه قد عهد لولديه الوليد ثم سليمان. عندما تولى أمر بإقامة الصلاة في وقتها، وكانت تؤخر إلى آخر وقتها، وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر لشخصه. من عظماء ملأ ذكرهم الدنيا، كانوا قد وافقوا أخاه الوليد على عزل سليمان وتولية العهد لابنه وهم محمد بن القاسم الثقفي وقتيبة بن مسلم. وكذلك آل الحجاج بن يوسف فبطش بهؤلاء جميعا.حج سنة 97 هـ عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز، وهذه أجل وأروع أعماله. كانت الفتوحات محدودة في أيامه، فعلى الجبهة الغربية غزا القسطنطينية برا وبحرا تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك، ورابط بنفسه هناك، وأقسم ألا يعود حتى يفتحها، فتوفي أثناء حصارها سنة 99 هـ على الجبهة الشرقية: فتح يزيد بن المهلب جرجان و طبرستان عام 98 هـ. توفي سنة 99 هـ

■ (2) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي أمير المدينة وقاضيها لسليمان بن عبد الملك، ثم لعمر بن عبد العزيز روى عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن مالك قال: لم يكن عندنا بالمدينة احد عنده من علم القضاء ما كان عند أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم وكان ولاه عمر بن عبد العزيز وكتب إليه أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد فكتبه له، ولم يكن على المدينة أنصاري أميرا غير أبي بكر بن حزم، وكان قاضيا.

■ (3) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، الطبري.محدث ومفسر ومؤرخ، كان شافعي المذهب ثم أصبح مجتهدا مستقلا، ولد في طبرستان في مدينة آمل 224 هـ وتوفي ببغداد سنة 310 هـ.من مؤلفاته: جامع البيان في تأويل القرآن بالقرآن و تاريخ الأمم والملوك.

■ (4) صهيب أبو الصهباء البكري البصري، ويقال: المدني، مولى ابن عباس. روى عن مولاه عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب. روى عنه سعيد بن جبير، وطاووس بن كيسان، ويحيى بن الجزار، وأبو معاوية البجلي، وأبو نضرة العبدي.وتوفي قبل 80 هـ.

مراجع: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة/ طبقات الشافعية/ تفسير ابن كثير/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ البداية والنهاية/ الوافي بالوفيات/ مجلة المنار/ سير أعلام النبلاء/

◆ أمراء مماليك، الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب (من ملوك الدولة الأيوبية في مصر) وشيخ الإسلام العز بن عبد السلام (١) 0982

ذكرت كتب التاريخ والتراجم أن الشيخ العز بن عبد السلام[1] بعد أن أمتحن في إنكاره على سلطان الشام، وخيانته وتسليمه لحصون المسلمين للنصارى، وما كان من أمره وخروجه إلى مصر، وتوليه القضاء فيها، وقيامه به، وبالدعوة إلى الله خير قيام، أنه كان له في مصر، رحمه الله محنة أخرى، فقد عظمة في مصر في أيام نجم الدين[2] سطوة المماليك الأتراك حتى أصبحوا أمراء في الدولة أيام نجم الدين إلى أن آل إليهم حكم مصر فيما بعد، وكان سلطان العلماء العز بن عبد السلام، لا يرى أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك، وعظم الخطب، وأحتدم الأمر، والشيخ مصمم على رأيه، لا يصحح لهم بيع ولا شراء ولا نكاحا، وتعطلت مصالحهم بذلك وكان من جملتهم نائب السلطنة فاستشاط غضبا فاجتمعوا وأرسلوا إليه يسألونه ماذا يريد؟ فقال الشيخ رحمه الله: نعقد لكم مجلسا وينادى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعي. فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه فلم يرجع. وبدر من السلطان كلام غليظ على الشيخ. فغضب العز بن عبد السلام، وأخذ حوائجه على حمار، وحمل أهله على حمير أخرى، ومشى قاصداً الشام. فلم يكد يغادر البلاد حتى لحق به عامة المسلمين من رجال ونساء وصبيان، ولا سيما من العلماء والصلحاء، والتجار، وأنحائهم. فبلغ السلطان الخبر، وجاءه النذير أن أدرك ملكك سيروح إذا راح الشيخ، فركب السلطان بنفسه ولحقه وسترضاه، وطيب قلبه، فرجع وتفقوا معه على أن ينادى على الأمراء، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه، فانزعج نائب السلطان المملوكي، وقال: ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض، والله لأضربنه بسيفي هذا، فركب بنفسه في جماعة وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده فطرق الباب فخرج ولد الشيخ أظنه عبد اللطيف فرأى نائب السلطنة فيما هو فيه، فعاد إلى أبيه، وشرح له ما رأى، فما اكترث لذلك، ولا تغير. وقال له: يا ولدي إن أبوكم أقل من أن يقتل في سبيل الله. ثم خرج إلى الأمير المملوكي، فكأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة، فلما وقع بصره عليه، يبست يدى النائب وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله، فبكى ونزل يستسمح الشيخ ويسأله الدعاء له. وقال: يا سيدي خيراً، أي شيء تعمل؟ قال: أنادي عليكم وأبيعكم. قال: ففيم تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين. قال: من يقبضه؟ قال: أنا. فتم للشيخ ما أراد. ونادي على الأمراء المماليك، وبيعوا واحداً واحداً، وغالى في ثمنهم، وقبضه، وصرفه في وجوه الخير، ولم يسمع في تاريخ الإسلام من فعل فعله رحمه الله.

■ (1) عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب، المشهور بالعز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي، سلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام، له مصنفات حسان، ولد سنة 577 هـ أو 578 هـ، سمع كثيرا وتفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر وغيره وبرع في المذهب وجمع علوما كثيرة، وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس بدمشق، وولي خطابتها ثم نفاه صاحبها إلى مصر بسبب أنه شنع عليه لتسليمه صفد والشقيف للصليبيين لقاء مساعدته على صاحب مصر، فدرس بمصر وخطب وحكم، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، توفي سنة 660 هـ وقد نيف على الثمانين، ودفن من الغد بسفح المقطم، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير، وكان يعرف بسلطان العلماء لأنه كان مهابا من قبل السلاطين وكان يقول الحق أمامهم ولا يخافهم ويفتي بلا مداهنة بما يراه

■ (2) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، لقب بأبي الفتوح، ولد بالقاهرة سنة603 هـ وتوفى بالمنصورة سنة 647 هـ. كان سابع ملوك بني أيوب بمصر، أنشأ المماليك البحرية، ودخل في صراعات مع الملوك الأيوبيين في الشام. هو حفيد السلطان الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي. وكان والده الملك الكامل قد استقل بمصر سنة 615 هـ، بعد وفاة والده الملك العادل الذي كان قد قسم مملكته بين أولاده قبل وفاته وأعطى مصر للملك الكامل.

أيها الإخوة المؤمنون، هذا هو العز بن عبد السلام القائل رحمه الله: ﴿مَن أَثَارَ اللهُ عَلَى نَفْسِهُ أَثَارَهُ الله﴾ والمخاطرة بالنفوس مشروعة في إعزاز الدين، فقد ثبته الله ونصره وأعزه، و إن كان من لفتة مأثرة في هذه القصة المليئة بالعبر فهو خروج عامة الناس وعلمائهم ورجالهم ونسائهم وصبيانهم وراء الشيخ ينصرونه، فما بال المسلمين في بلادنا وقد أنتزع علماؤهم من بين أظهرهم، ورموا في الزنازين يصنع بهم ما يصنع بالمجرمين وقطع الطرق، وهم من هم في الفضل والرفعة والسمو، حفظهم الله، ما بال الدعاة والعلماء والأئمة وطلبة العلم، وقد مرت السنون على مشايخهم وإخوانهم وهم في غياهب الظلام تحت الظلم والقهر وأولئك في أزواجهم وأولادهم معافين سالمين يأكلون ويشربون.﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الوظيفة: الإفساد في الأرض، والعمالة للغرب، والحرب على الإسلام

كيف وصف المفكر جمال حمدان مصر بالنظام العسكر: جاء في الجزء الرابع من كتابه: شخصية مصر، والذي وصف فيه حكم العسكريين للبلاد بـ الاغتصاب، مشيرًا إلى أن حكام مصر العسكريين خضعوا للاستعمار الأجنبي على المستوى الخارجي، في مقابل أخضعوا الشعب المسالم تحت سيطرتهم بالحكم البوليسي، وفقًا لوصفه. وقال حمدان: إنه خلال أكثر من5000 سنة لم تحدث أو تنجح في مصر ثورة شعبية حقيقية بصفة محققة بصفة مؤكدة، مقابل بضع هبات أو فورات قصيرة متواضعة أو فاشلة غالبًا، مقابل عشرات بل مئات من الانقلابات العسكرية يمارسها الجند والعسكر دوريًا كأمر يومي منذ الفرعونية وعبر المملوكية وحتى العصر الحديث ومصر المعاصرة. وأضاف: هكذا بقدر ما كانت مصر تقليديًا ومن البداية إلى النهاية شعبًا غير محارب في الخارج، كانت مجتمعًا مدنيًا يحكمه العسكريون كأمر عادي في الداخل، وبالتالي كانت وظيفة الجيش الحكم أكثر من الحرب، ووظيفة الشعب التبعية أكثر من الحكم، وفي ظل هذا الوضع الشاذ المقلوب، كثيرًا ما كان الحكم الغاصب يحل مشكلة الأخطار الخارجية والغزو بالحل السياسي وأخطار الحكم الداخلية بالحل العسكري، أي أنه كان يمارس الحل السياسي مع الأعداء والغزاة في الخارج والحل العسكري مع الشعب في الداخل، فكانت دولة الطغيان عامة، استسلامية أمام الغزاة، بوليسية على الشعب. وتابع: من هذا وذلك جاءت لعنة خضوع الحكم العسكري الاغتصابي الاستسلامي للاستعمار الأجنبي على المستوى الخارجي، ولعنة خضوع الشعب السلبي المسالم للحكم البوليسي في الداخل، وهي جميعًا سلسلة متناقضات ساخرة بقدر ما هي قطعة من الاستمرارية المأساوية المحزنة المخجلة.

لماذا قتلت المخابرات الحربية العالم المصري جمال حمدان؟ ولماذا دعا الشعب لحمل السلاح وقتال العسكر؟ راجع مواقع ويب مثل youtube والمدونة

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي/

◆ الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب (من ملوك الدولة الأيوبية في مصر) وشيخ الإسلام العز بن عبد السلام (٢) 0983

روى السبكي[1] قال: سمعت الشيخ الإمام[2] يقول: سمعت شيخنا الباجي[3] يقول: طلع شيخُنا عزّ الدين[4] مرَّة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة، فشاهد العسْكر مصطفِّين بين يديه ومجلس المملكة، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصريَّة، وأخذت الأمراء تقبِّل الأرض بين يدي السُّلطان، فالتفتَ الشيخ إلى السلطان وناداه: يا أيوب، ما حجَّتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوئ لك ملك مصر ثمَّ تبيع الخمور؟! فتجاهل أيوب حقيقة السؤال تجاهل العارف وتنمر المريب قائلا: هل جرى هذا؟ فقال الشيخ: نعم، الخانة الفلانيَّة تباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات وأنت تتقلَّب في نعمة هذه المملكة. ويُناديه كذلك بأعلى صوتِه والعساكر واقفون، فقال: يا سيِّدي هذا أنا ما عملتُه، هذا من زمان أبي. فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزخرف] ويتسلل الرعب إلى نفس السلطان؛ فيرسم بإبطال بتلك الحانة وبدأ الناس يتساءلون عن سر هذه الجرأة، سأله* تلميذُه الراوي مستفسرًا عن سبب هذه المؤاخذة والانتقاد أمام الملأ في مثل هذا اليوم العظيم؟ فأجابه: يا بني، رأيتُه في تلك العظمة فأردت أن أهينَه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه. قال الباجي: أما خِفْتَه؟ قال: والله يا بني، استحضرتُ هَيبة الله تعالى فصار السُّلْطان قدَّامي كالقطّ.

----

*في بعض المجاميع أن الذي سأله هذا السؤال تلميذه الشيخ أبو عبد الله محمد بن النعمان، فلعل علاء الدين الباجي وابن النعمان سألاه. وفي رواية أخرى الذي سأله: أبو الحسن البادي.

■ (4) عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب، المشهور بالعز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي، سلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام، له مصنفات حسان، ولد سنة 577 هـ أو 578 هـ، سمع كثيرا وتفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر وغيره وبرع في المذهب وجمع علوما كثيرة، وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس بدمشق، وولي خطابتها ثم نفاه صاحبها إلى مصر بسبب أنه شنع عليه لتسليمه صفد والشقيف للصليبيين لقاء مساعدته على صاحب مصر، فدرس بمصر وخطب وحكم، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، توفي سنة 660 هـ وقد نيف على الثمانين، ودفن من الغد بسفح المقطم، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير، وكان يعرف بسلطان العلماء لأنه كان مهابا من قبل السلاطين وكان يقول الحق أمامهم ولا يخافهم ويفتي بلا مداهنة بما يراه.

■ (2) أبو الحسن تقي الدين السبكي علي بن عبد الكافي بن علي، مفسر وفقيه وأصولي أشعري شافعي، كنيته أبو الحسن مع أنه لم يسم أحدا من أبنائه بالحسن، كان يلقب بشيخ الإسلام، ولد بسبك من أعمال المنوفية سنة 683 هـ، توفي بجزيرة الفيل على شاطئ النيل سنة 756 هـ

■ (3) علاء الدين الباجي علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب، كان إماما في الأصلين والمنطق فاضلا فيما سواهما، وكان أنظر أهل زمانه لا يكاد ينقطع في المباحث. ولد سنة 631 هـ، وتفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام، واستوطن القاهرة، وصنف مختصرات في علوم متعددة، وأخذ عنه التقي السبكي. مات سنة 714 هـ.

■ (1) أبو نصر تاج الدين عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي السبكي. فقيه شافعي. ابن العلامة قاضي القضاة السبكي. ولد بالقاهرة سنة 728 هـ وتوفي سنة 771 هـ من مصنفاته: كتاب طبقات الشافعية الكبرى وجمع الجوامع.

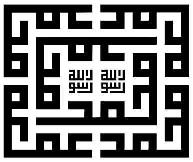

قال عمر الوراق:[1] رأيت العتابي[2] يأكل خبزا على الطريق بباب الشام فقلت له: ويحك أما تستحي؟ فقال: أرأيت لو كنا في دار فيها بقر أكنت تحتشم أن تأكل وهو يراك؟ فقلت: لا، فقال: فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر، ثم قام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه، فقال لهم: روي لنا من غير وجه أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه* لم يدخل النار، قال: فما بقي أحد منهم إلا أخرج لسانه نحو أرنبة أنفه ويقدره هل يبلغها أم لا، فلما تفرقوا قال العتابي: ألم أعلمك أنهم بقر؟.

قيل: جلس المهدي جلوسا عاما فدخل عليه رجل وبيده منديل فيه نعل، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهديتها لك، فأخذها منه وقبلها ووضعها على عينيه وأعطاه عشرة آلاف درهم، فلما خرج قال لجلسائه: ما ترون؟ إني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرها فضلا عن أن يكون قد لبسها، ولو كذبناه لقال للناس: أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها علي، وكان من يصدقه أكثر ممن يكذبه، إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها، والنصرة للضعيف على القوي وإن كان ظالما، فاشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله، وكان الذي فعلناه أرجح وأنجح.

قالت العلماء: المقلد مخطئ في التقليد، ولو أصاب الحق، لأن من اعتقد الحق بغير حجة ولا دليل، مثل من اعتقد الباطل بغير حجة ولا دليل، وإذا دخل في الحق بالتقليد، خرج منه بالتقليد، قال أحمد بن حنبل: لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الثوري ولا الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا وقال: من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال. وقال أبو يوسف: لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا. وقال مالك بن أنس: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم . وقال السيوطي: ما زال السلف والخلف يأمرون بالاجتهاد ويحضون عليه وينهون عن التقليد ويذمونه ويكرهونه. عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا﴾ (لا تكونوا إمعة) نهي عن التقليد. وفرض العامي سؤال العلماء ؛ لقول الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُم شَيْئَينِ لَنْ تَضِلّوا بَعدَهُما: كَتَابَ الله وسُنَّتِي، ولَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ﴾ وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ﴾ (سنن) الطريق والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر.

قال الفرزدق: خرجت من البصرة أريد العمرة، فرأيت عسكرا في البرية، فقلت: عسكر من هذا؟ قالوا: عسكر الحسين بن علي رضي الله عنهما، فقلت: لأقضين بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، فأتيته، فسلمت، فقال: من الرجل؟ فقلت: الفرزدق بن غالب، قال: هذا نسب قصير، فقلت: أنت أقصر مني نسبا، أنت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي: أبو من؟ قلت: أبو فراس، فقال لي: يا أبا فراس، كيف خلفت الناس؟ ومن أين؟ وإلى أين؟ قلت: من البصرة، أريد العمرة، وما سألت عنه من أمر الناس فقلوبهم معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، فاغرورقت عيناه، وقال: هكذا الناس في كل زمان أتباع لذي الدينار والدرهم، والدين لغو على ألسنتهم، فإذا فحصوا بالابتلاء قل الديانون.

عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ هَذَا الأَمْرَ بَدَأَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ خِلافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا عَضُوضًا، يَشْرَبُونَ الْخُمُورَ، وَيَلْبَسُونَ الْحَرِيرَ، وَيَسْتَحِلُّونَ الْفُرُوجَ، وَيُنْصَرُونَ وَيُرْزَقُونَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ﴾ وعن معاذ بن جبل قال: ﴿يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ لَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِكَ، وَلَا يَأْخُذُونَ بِأَمْرِكَ، فَمَا تَأْمُرُ فِي أَمْرِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا طَاعَةَ لِمَنْ لَمْ يُطِعِ اللهَ﴾ وعن أنس قال: ﴿لَأُحَدِّثَنَّكُمْ بِحَدِيثٍ لَا يُحَدِّثُكُمُوهُ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدِي، سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَقِلَّ الرِّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ فِي الْخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ﴾ وعن معاوية بن أبي سفيان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِذَا شَرِبَ الْخَمْرَ، فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِذَا شَرِبَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِذَا شَرِبَ الثَّالِثَةَ فَاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إِذَا شَرِبَ الرَّابِعَةَ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ﴾ وعن أبي هريرة، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَزْنِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ لَهُمْ صَلَاةً، وَلَا تَقْرَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ: السَّكْرَانُ حَتَّى يُفِيقَ مِنْ سُكْرِهِ، وَالْجُنُبُ حَتَّى يَغْتَسِلَ وَيُصَلِّيَ، وَالْمُتَخَلِّقُ بِالزَّعْفَرَانِ حَتَّى يُغْسَلَ عَنْهُ﴾.

----

*(الأرنبة) مقدم الأنف وأعلاه

■ (2) كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر؛ أصله من الشام من أرض قنسرين، صحب البرامكة وصحب طاهر بن الحسين، وهو أديب مصنف له من الكتب كتاب المنطق وكتاب الآداب وكتاب فنون الحكم وكتاب الخيل وكتاب الألفاظ. وتوفي في حدود 220 هـ.

■ (1) عمر الوراق/ عثمان الوراق/ علان الوراق ؟؟؟.. علان الشعوبي الوراق اصله من الفرس. وكان علامة بالأنساب والمثالب والمنافرات منقطعا إلى البرامكة ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة.

مراجع: مسند أحمد / طبقات الشافعية الكبرى للسبكي/ الحور العين/ المستدرك على الصحيحين/ الفتن لنعيم بن حماد/ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة/ فوات الوفيات/ الوافي بالوفيات/ مختصر تاريخ دمشق/ تاريخ بغداد/

◆ معين الدين، وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب (من ملوك الدولة الأيوبية في مصر) وشيخ الإسلام العز بن عبد السلام (٣) 0984

في أثناء توليه منصب رئيس القضاة في مصر بعد حوالي سنة من تقلده هذا المنصب، أبْطل شهادة الوزير معين الدين بن شيخ الشيوخ(1) وزير الملك الصَّالح نجم الدين(2)،وذلك على أثر بناء بعض غلمانه طبل خانة* على سطح أحد المساجد تضرب فيها الطبول، وتنفخ فيها الأبواق والمزامير، وتدق فيها الصنج من النحاس لاستدعاء الجند، فالناس تحت في صلاة، وهؤلاء فوقهم يزمرون ويطبلون، فما كان من العزّ(3) إلا أن أخذ أبناءه وبعض مريديه، وبيدهم المعاول والفؤوس وذهبوا جميعا وكسروا الطبل خانه. وأسقط شهادة الوزير، ثمَّ عزَل نفسَه من القضاء، وقبِل السُّلْطان الاستِقالة على مضض فقد عظم عليه ذلك. وبعث السُّلْطان رسولاً من قِبَلِه إلى الخليفة المستعصم(4) ببغداد، وسُئِل هذا الرَّسول: هل سمع الرِّسالة من الخليفة نفسه؟ فقال: بل من الوزير (أستاذ الدار) فكان جواب الخلفية الصَّاعق: إنَّ المذكور أسقطه ابن عبد السلام فنحن لا نقبل روايته، فاضطرَّ الرَّسول إلى العودة إلى السلطان وإبلاغه بالأمر ثم رجوعه بعد تصْحيح الرِّسالة.

----

*(طبل خانة) يشبه نادي الموسيقى

■ (3) عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب، المشهور بالعز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي، سلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام، له مصنفات حسان، ولد سنة 577 هـ أو 578 هـ، سمع كثيرا وتفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر وغيره وبرع في المذهب وجمع علوما كثيرة، وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس بدمشق، وولي خطابتها ثم نفاه صاحبها إلى مصر بسبب أنه شنع عليه لتسليمه صفد والشقيف للصليبيين لقاء مساعدته على صاحب مصر، فدرس بمصر وخطب وحكم، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، توفي سنة 660 هـ وقد نيف على الثمانين، ودفن من الغد بسفح المقطم، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير، وكان يعرف بسلطان العلماء لأنه كان مهابا من قبل السلاطين وكان يقول الحق أمامهم ولا يخافهم ويفتي بلا مداهنة بما يراه.

■ (2) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، لقب بأبي الفتوح، ولد بالقاهرة سنة603 هـ وتوفى بالمنصورة سنة 647 هـ. كان سابع ملوك بني أيوب بمصر، أنشأ المماليك البحرية، ودخل في صراعات مع الملوك الأيوبيين في الشام. هو حفيد السلطان الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي. وكان والده الملك الكامل قد استقل بمصر سنة 615 هـ، بعد وفاة والده الملك العادل الذي كان قد قسم مملكته بين أولاده قبل وفاته وأعطى مصر للملك الكامل.

■ (1) معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ، وهو صدر الدين محمد بن عمر الجويني وزير الصالح نجم الدين أيوب. (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

■ (4) عبد الله المستعصم بالله الملك العباسي السابع والثلاثون (آخر ملك عباسي في بغداد)

روى ابن مسعود، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الغناء ينبت النفاق في القلب. والصح أنه من قول ابن مسعود. وعلى كل حال، من اتخذ الغناء صناعة، يؤتي له، ويأتي له، أو اتخذ غلاما أو جارية مغنين، يجمع عليهما الناس، فلا شهادة له؛ لأن هذا عند من لم يحرمه سفه ودناءة وسقوط مروءة، ومن حرمه فهو مع سفهه عاص مصر متظاهر بفسوقه. وبهذا قال الشافعي، وأصحاب الرأي. وإن كان لا ينسب نفسه إلى الغناء، وإنما يترنم لنفسه، ولا يغني للناس، أو كان غلامه وجاريته إنما يغنيان له، انبنى هذا على الخلاف فيه. فمن أباحه أو كرهه، لم ترد شهادته، ومن حرمه، قال: إن داوم عليه، ردت شهادته، كسائر الصغائر، وإن لم يداوم عليه، لم ترد شهادته. وإن فعله من يعتقد حله، فقياس المذهب أنه لا ترد شهادته بما لا يشتهر به منه، كسائر المختلف فيه من الفروع. ومن كان يغشى بيوت الغناء، أو يغشاه المغنون للسماع متظاهرا بذلك، وكثر منه، ردت شهادته، في قولهم جميعا؛ لأنه سفه ودناءة. وإن كان معتبرا به، فهو كالمغني لنفسه، على ما ذكر من التفصيل فيه.

☪

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما اتخاذ التصفيق والغناء والضرب بالدفوف والنفخ بالشبابات والاجتماع على ذلك دينا وطريقا إلى الله وقربة؛ فهذا ليس من دين الإسلام، وليس مما شرعه لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من خلفائه، ولا استحسن ذلك أحد من أئمة المسلمين، بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا على عهد أصحابه، ولا تابعيهم بإحسان، ولا تابعي التابعين، بل لم يكن أحد من أهل الدين لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا العراق ولا بخراسان ولا المغرب ولا مصر يجتمع على مثل هذا السماع، وإنما ابتدع في الإسلام بعد القرون الثلاثة. ولهذا قال الشافعي لما رأى ذلك: خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة، يسمونه التغبير*؛ يصدون به الناس عن القرآن. وسئل عنه أحمد فقال: أكرهه وهو محدث. قيل: أنجلس معهم؟ قال: لا. وكذلك كرهه سائر أئمة الدين، وأكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه. ويقول شيخ الإسلام: وما ذكره الإمام الشافعي أنه من إحداث الزنادقة من كلام إمام خبير بأصول الإسلام؛ فإن هذا السماع لم يرغب فيه ويدعو إليه في الأصل إلا من هو متهم بالزندقة، كـ ابن الراوندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها، عرف أن سماع المكاء والتصدية (الصفير والصفيق!) لا يجلب للقلب منفعة ولا مصلحة إلا وفي ضمن ذلك من الضرر والمفسدة ما هو أعظم منه؛ فهو للروح كالخمر للجسد. يعني: أن الموسيقى والمعازف خمر للروح، وما من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدث به، ولا من شيء يبعد عن النار إلا وقد حدث به، ولو كان هذا السماع لمصلحة شرعها الله ورسوله لحدث به؛ فإن الله يقول:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة]، وإذا وجد السامع به منفعة لقلبه ولم يجد شاهد ذلك من كتاب الله ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لم يلتفت إليه، كما أن الفقيه إذا رأى قياسا لا يشهد له الكتاب والسنة لم يلتفت إليه.

----

*(التغبير) يقصد بالتغبير آلة يُعزَف بها تشبه العود

مراجع: سراج الملوك/ صحيح البخاري/ السنن الكبرى للبيهقي/ السنن الكبرى للنسائي/ صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ تفسير القرآن الكريم = المقدم/ مقرر السيرة للصف الثالث الإعدادي بقطر/

كانت مواقف العزّ[1] الجريئة في الحقّ الصّريحة في العدل كثيرة جدًا، فحين دمَّر التّتار[2] بغداد واكتسحوا معظم بلدان الشّام وأرادوا المسير إلى مصر، كان على عرْش مصر المنصور علي بن المعز أيبك، وهو صغير السنّ، ووصيّه الأمير قطز[3]،وقد بلغ العزُّ من العمر عتيًّا؛ إذْ قارب الثّمانين، وكان يدرس في المدرسة الصالحية، وينشر العلم في بيتِه وفي المسجد، وله المكانة المرموقة كعالم كبير لمشورته أثرٌ ولرأيه صدى. كان الخطر يتهدَّد مصر كما يتهدَّد بقيَّة بلاد الشام وبلادًا إسلاميَّة أخرى، ولا بدَّ من العمل الحازم لوقْف هذا الزّحف الشرير، وأرسل الملك النّاصر[4] صاحب حلب والشّام كمال الدين ابن العديم[5] في سنة 657 هـ إلى مصر يطلب منهم النّجدة على قتال التتار. فجمع قطز القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتِهم واتّخاذ الخطوات اللازمة لمواجهة التّتار، فحضروا في دار السّلطنة بقلعة الجبل، وحضر الشّيخ عز الدين ابن عبد السلام والقاضي بدر الدين السخاوي -قاضي الديار المصريَّة- وغيرهما من كبار العلماء. وجلس الملك المنصور على عرْشه، وتكلّم متكلِّم فاستعرض الوضع واحتِياج النَّاس إلى مواجهة قويَّة للتتار، وإلى سلطان حازم ومال يغذُّون به بيت المال، وهذا يكون بشيءٍ من مساعدة مال الرَّعية لإقامة الجند وتجهيزهم للسَّفر، وانتهى المتحدِّث الرَّسمي فسكت الحضور. ثمَّ تحدَّث العزّ بن عبد السلام فكان في رأيِه السَّداد وفي وقوله النصح والجرأة، فلم يرْض أن يرهق الشّعب بالضّرائب بينما بعض الأمراء والأعيان وبيت السّلطان يتمكَّنون من البذْل بسخاء، فقال: إذا طرق العدوّ بلاد الإسلام وجَب على العالم قتالُهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعيَّة ما تستعينون به على جهادكم، بشرط أن لا يبقى في بيت المال شيءٌ من السلاح والسروج الذهبيَّة والفضّيَّة والكبابيش المزرْكشة، وإسقاط السيوف والفضَّة وغير ذلك، وتبيعوا ما لكم من الحوائص* الذهبيَّة والآلات النفيسة، ويقتصر كلّ الجند على سلاحِه ومرْكوبه ويتساووا هم والعامَّة، وأمَّا أخذ الأموال من العامَّة مع بقايا في أيْدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا. وانفضَّ المجلس على ما قاله سُلْطان العلماء، وحظِي توجيهُه بالقبول والرّضا. ولم يطُل الأمد حتَّى خاض المسلِمون معركة هائلةً في عين جالوت، وانكسر التّتار شرَّ كسرة وانهزموا مدْحورين، فكانت معركة تاريخيَّة رفعتْ رأس المسلمين عاليًا، وردَّ الله التّتار على أعقابِهم خائبين، لقد كان العزّ بن عبد السّلام من القلائل الّذين يعلو بهم شأن الأمَّة ويسمق مجدها، وكان له الصَّوت المجلجل بالحقّ لا يخنع لذي سلطان ولا يحابي ذا وجاهة.

روى السُّبْكي قول بيبرس بعد وفاة العزّ حينما مرَّت جنازة الشَّيخ تحت القلعة، وشاهد كثرة الخلق الذين معه: اليوم استقرَّ أمري في الملك؛ لأنَّ هذا الشَّيخ لو كان يقول للناس: اخرجوا عليْه، لانتزعوا الملك مني.

----

*(الحوائص) جمع حياصة، وهي كساء موشى بالذهب يخلعها السلطان على أمرائه وأعوانه في مناسبات خاصة. وقيل هي: حزام الرجل وحزام الدابة... راجع أيضا قصة: الظاهر بيبرس والإمام محي الدين النووي.

■ (1) عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب، المشهور بالعز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي، سلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام، له مصنفات حسان، ولد سنة 577 هـ أو 578 هـ، سمع كثيرا وتفقه على الشيخ فخر الدين بن عساكر وغيره وبرع في المذهب وجمع علوما كثيرة، وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس بدمشق، وولي خطابتها ثم نفاه صاحبها إلى مصر بسبب أنه شنع عليه لتسليمه صفد والشقيف للصليبيين لقاء مساعدته على صاحب مصر، فدرس بمصر وخطب وحكم، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، توفي سنة 660 هـ وقد نيف على الثمانين، ودفن من الغد بسفح المقطم، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير، وكان يعرف بسلطان العلماء لأنه كان مهابا من قبل السلاطين وكان يقول الحق أمامهم ولا يخافهم ويفتي بلا مداهنة بما يراه.

■ (3) الملك المظفر سيف الدين قطز محمود بن ممدود بن خوارزم شاه، السلطان المملوكي، كان مملوكا للمعز أيبك التركماني، قاتل التتار وهزمهم في معركة عين جالوت ودخل دمشق في موكب عظيم، قتل على يد أتابك وعسكره سنة 658 هـ. وقيل على يد القائد المملوكي بيبرس.
كان قطز أتابكا* للمنصور نور الدين علي بن أيبك، ورأى هولاكو قائد المغول قد سيطر على بغداد، وقتل خليفة المسلمين المستعصم بالله العباسي، واستولت التتار على ميافارقين (في ديار بكر) وأخذوها من يد الكامل ناصر الدين محمد، وأخذوا حلب ودمشق من يد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي. ووصلت غارات التتار إلى غزة؛، فأحس قطز أن ظروف البلاد تتطلب منه أن يقوم بدور فعال فى إنقاذها من خطر الغزو في هذه المرحلة الخطيرة، فعزل نور الدين علي بن أيبك الذي كان صغيرا لا يدرك عاقبة الأمور، وتولى السلطنة، وقام بتنظيم الجيش وإعداده، وخرج لملاقاة التتار في أواخر شهر شعبان سنة 658 هـ، وتمكن في رمضان من العام نفسه من إلحاق هزيمة نكراء بهم فى عين جالوت (تقع بين بيسان ونابلس بفلسطين)، وقتل من جيش التتار ما يقرب من نصفه، وأجبر الباقي على الفرار، ثم دخل بعد ذلك دمشق، ثم عاد إلى مصر. وفى القصير (بمحافظة الشرقية)، وفى طريق عودة قطز إلى مصر أمر جنوده بالرحيل تجاه الصالحية، وبقى مع بعض خواصه وأمرائه للراحة، فاتفق عدد من المماليك بزعامة بيبرس على قتله، وتم لهم ما أرادوا في سنة 658هـ، بعد أن قام قطز بدحر التتار وهزيمتهم، وتشتيت جيشهم، وحفظ العالم الإسلامي من شرهم الذي لم يسلم منه أحد في طريقهم.* (أتابكا) يعني القائد أو الحاكم العسكري. لقب تركي أطلقة السلاجقة على بعض رجال البلاط والوزراء والقادة.

■ (2) التتار من أشد قبائل الجنس الأصفر وحشية، تعيش في صراع دائم ، كانت خاضعة في أغلب الأوقات لحكام الصين الشمالية من أفراد أسرة كين، وهذه القبائل لبس أفرادها جلود الكلاب وغيرها، كما أكلوا من لحومها. وكانوا من ألد أعداء المغول، فلما أصبح جنكيز خان قائدا للمغول تمكن من القضاء على التتار، ولم ينج منهم إلا عدد قليل، وعلى إثر ذلك أطلق اسم التتار على جنكيز خان وأتباعه من المغول تيمنا بما فعلوا، ولم يمض وقت طويل حتى أطلق عليهم اسم المغول، فعرفوا بالاسمين معا. وقد اجتاحت الشرق الإسلامي في القرنين 12 و13م

■ (5) عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم. مؤرخ، محدث، له شعر حسن، وترسل عن الملوك. ولد بحلب سنة 588 وقيل 586 هـ وتوفي بالقاهرة سنة 660 هـ وقيل 666 هـ من كتبه: بغية الطلب في تاريخ حلب. كتاب كبير جدا

■ (4) يوسف الناصر بن محمد العزيز ابن الظاهر غازي ابن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب. هو آخر ملوك بني أيوب. ولد بقلعة حلب سنة 627 هـ. وولي الملك فيها بعد وفاة والده سنة 634 هـ وعمره نحو سبع سنين. وتوفي سنة 659 هـ

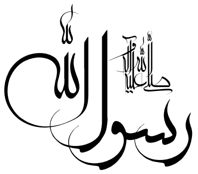

أيها الإخوة المؤمنون، لقد كانت العسكرية فيما مضى تستلهم قوتها من العقيدة الدينية، أما اليوم فالعقيدة العسكرية لا دخل لها بالدين فهي عقيدة علمانية مصطنعة مبدأها الطاعة العمياء للأوامر دون تردد أو اعتراض. والإسلام يعلمنا الطاعة المبصرة لا الطاعة العمياء، وهذا هو سر هزائم عسكر العرب المتكررة، وعداءهم للعقيدة، وفسادهم الرهيب. قال الله تعالى:﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر] (طغوا) أي تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظلم والعدوان (فأكثروا فيها الفساد) أي الجور والظلم لأن الطغيان والبغي يولد معه الفساد والظلم. عن علي قال: ﴿بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَا جَمَعْتُمْ حَطَبًا، وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا، ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا فَجَمَعُوا حَطَبًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، فَلَمَّا هَمُّوا بِالدُّخُولِ، فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرَارًا مِنَ النَّارِ أَفَنَدْخُلُهَا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ خَمَدَتِ النَّارُ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ﴾ (عزمت) آمركم وأؤكد أمري لكم وأجد فيه (ما خرجوا) لأن الدخول فيها معصية فإذا استحلوها كفروا واستحقوا الخلود فيها (الطاعة) للأمر واجبة (المعروف) هو ما لا يتنافى مع الشرع. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَرَادَكُمْ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِّ فَلَا تُطِيعُوهُ﴾.

عن طارق بن شهاب، قال:﴿لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ الشَّامَ عَرَضَتْ لَهُ مَخَاضَةٌ، فَنَزَلَ عَنْ بَعِيرِهِ وَنَزَعَ خُفَّيْهِ فَأَمْسَكَهُمَا، وَخَاضَ الْمَاءَ وَمَعَهُ بَعِيرُهُ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ صَنِيعًا عَظِيمًا عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَصَكَّ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ: أَوْهِ لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، إِنَّكُمْ كُنْتُمْ أَذَلَّ النَّاسِ فَأَعَزَّكُمُ اللهُ بِرَسُولِهِ، فَمَهْمَا تَطْلُبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِهِ يُذِلَّكُمُ اللهُ﴾ وعن الخليفة أبو بكر قال:﴿لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِّ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللهُّ بِالذُّلِّ﴾ يا عسكر، لو كان الولاء للأرض ما ترك النبي صلى الله عليه وسلم مكة، ولو كان للقبيلة ما قاتل قريشا، ولو كان للعائلة ما تبرأ من أبي لهب، ولكنها العقيدة أغلى من الدم والتراب! عن أبي موسي قال: ﴿جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِّ؟ قَالَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِّ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِّ﴾ يقول علي بن أبي طالب: إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته (1) الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة (2)، وضرب على قلبه بالأسداد (3)، وأديل الحق منه (4) بتضييع الجهاد، وسيم الخسف (5)، ومنع النصف (6).. فو الله ما غزي قوم في عقر دارهم (7) إلا ذلوا. و عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ﴾ وعن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ﴾ قوله (بأموالكم) أي بالتجهيز (وأنفسكم) أي بالمباشرة (وألسنتكم) أي بدعوتهم إلى الله تعالى.

عن ثوبان. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللهَّ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾و في فتح قبرص، لما جيء بالأسرى جعل أبو الدرداء الأنصاري يبكي، فقال له جبير بن نفير:أتبكي وهذا يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟. فقال: ويحك، إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى، سلط الله عليهم السبي، وإذا سلط على قوم السبي فليس لله فيهم حاجة. ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره؟!.

عن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:﴿يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهَّ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهَّ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُّ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهَّ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُّ، إِلَّا جَعَلَ اللهُّ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ قيل هذه المهلكات الخمس، هي فينا شاخصة، تكاد تراها حيث وقع بصرك.

----

(1) الوقاية (2) ديث: ذلل، الصغار: الذل والصغر، القماءة: الذل والصغار (3) الأسداد: الحجب التي تحجب عنه الهدي والرشاد. (4) أديل الحق منه: تحول الأمر عنه إلى الحق فألمت به الكوارث (5) سيم الخسف: أصبح محل الإذلال و المهانة (6) منع النصف: النصف: العدل: أي حرم العدل (7) عقر الدار: وسطها وأصلها، تواكلتم: وكل كل منكم أمر الجهاد إلا الآخر.

مراجع: نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام/ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي/ المعجم الوسيط/

◆ الأمير سيف الدين قطلوبك المنصوري (زمن الملك الناصر قلاوون / من دولة المماليك البحرية) وشيخ الإسلام ابن تيمية (١) 0986

قال محمد بن شاكر الليثي في كتابه: أن ابن تيمية رحمه الله [1] قد شكا إليه إنسان من قطلو* بك الكبير[2]، وكان المذكور فيه جبروت وأخذ أموال الناس واغتصابها، وحكاياته في ذلك مشهورة، فلما دخل إليه الشيخ، وتكلم معه في ذلك، قال: أنا الذي كنت أريد أجي إليك لأنك رجل عالم زاهد -يعني: يستهزئ به- فقال له الشيخ: لا تعمل علي دركوان*، موسى عليه السلام كان خير مني وفرعون كان شرا منك، وكان موسى عليه السلام كل يوم يجيء إلى باب فرعون مرات، ويعرض عليه الإيمان. أو كما قيل. وأنا آمرك أن تدفع لهذا حقه، فلم يسعه إلا امتثال أمره ووفي الرجل حقه.

وفي رواية الصفدي للقصة قال: أن الأمير قطلو بك كان أخذ أموال الناس، وما يعطيهم شيئا، وإذا اشترى من أحد شيئا ما يعوضه بثمنه، فأخذ مرة من تاجر شيئا، وحال ما بينه وبين ثمنه، ولم يجد التاجر من يخلص حقه، فشكا حاله إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله، فتوجه معه إليه، فلما دخل إليه قام له وأجلسه، وقال: شيخ، إذا رأيت الأمير بباب الفقير فنعم الأمير ونعم الفقير، وإذا رأيت الفقير بباب الأمير فبئس الأمير وبئس الفقير. فقال له الشيخ تقي الدين: اسمع قطلوبك، لا تعمل دركوانات* العجم، موسى عليه السلام كان خيرا مني وفرعون كان أنحس منك، وكان موسى عليه السلام يأتي إلى بابه كل يوم ويأمره بالإيمان، أعط هذا التاجر ماله. فقال: نعم، ووزن له الذي له.

----

*(دركوان) لا تعمل علي دركواناتك.. كلمة مأخوذة عن الفارسية: درجوال ، بمعنى: الخداع والحيلة (قطلو) بالضم :اسم رومي يعني: المبارك

■ (1) تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد ابن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي. كان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بحران سنة 661 هـ، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، فسمع الحديث وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث وكتب الطبقات والأثبات ولازم السماع بنفسه مدة سنين، ثم اشتغل بالعلوم، وكان ذكيا كثير المحفوظ فصار إماما في التفسير وما يتعلق به عارفا بالفقه، فيقال إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذي كانوا في زمانه وغيره، وأما الحديث فكان حامل رايته حافظا له مميزا بين صحيحه وسقيمه، عارفا برجاله متضلعا من ذلك، وأثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره، وأما أسماء مصنفاته وسيرته وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة وحبسه مرات وأحواله لا يحتمل ذكر جميعها هذا الموضع، وكان جريئا قويا لا يخاف في الله لومة لائم حث الناس والأمراء على جهاد التتار بل ذهب بنفسه لمقابلة ملكهم حين جاء ليدخل دمشق وقال له أنت تدعي أنك مسلم فلم جئت تغزو بلاد الإسلام وغير ذلك من المواقف المشرفة مثل وقت استفتاء السلطان محمد بن قلاوون في قتل الفقهاء والقضاة الذين كانوا ضده يوم خلع نفسه وكانوا مع بيبرس وكان منهم من آذى الشيخ نفسه، فلم يفت له الشيخ بأذيتهم بل بين له حرمة وقدر العلماء وقال أنه لا ينتصر لنفسه وكل من آذاه فهو في حل وهذا من تمام فضله وحسن خلقه، وله الأثر الكبير في مناظرة أهل البدع والعقائد الفاسدة بما أحيا الله على يديه مما اندرس بين الناس منها فكان بحق مجددا للدين. توفي في ليلة الاثنين 20 من ذي القعدة سنة 728هـ ، بقلعة دمشق التي كان محبوسا بها وكان يوم جنازته يوما مشهودا بدمشق.

■ (2) قطلوبك المنصوري الكبير كان من مماليك المنصور قلاوون وكان مواخيا لسلار وولى الشد بدمشق سنة 697 ثم الحجوبية بمصر سنة 698 فباشر الحجوبية بمهابة وحرمة حتى كان في الحرمة أعظم من النائب ثم ولي نيابة طرابلس فلم يقم بها وطلب النقلة عنها فأعطى إمرة مائة بدمشق فمشى على عادته في البذخ والعظمة والإفراط في التجمل والمكارم فثقلت وطأته على الأفرم لفرط تكبر قطلوبك فوقع بينهما فاتفق أن الحاج بهادر أصلح بينهما وقام قطلوبك بالشكرانة بالمرج.. ثم ولي نيابة صفد فعمل بها عيد النحر وليمة فجافت صفد مدة من كثرة ما نحر من الأنعام وفضل فلم يجد من يأكله وكان يتزيا بزى المغل ويكتب خطا قويا ويشارك في شيء من العربية والفقه والحديث والسير وكان ظالما متعديا لا يدفع لأحد ثمن ما يشتريه منه إلا بعسر وحيل.. وهو الذي توجه للناصر في العسكر المجهز من الأفرم محاربة إلى الناصر بالكرك فمال مع الناصر وأحضره من الكرك إلى الشام وقام له بشعار المملكة فلما قدم مصر أعطاه نيابة صفد فخرج إليها في شوال سنة 709 ثم كان عاقبة أمره معه أن أمسكه من صفد في جمادى الأولى سنة 711 وحمل منها إلى الكرك فسجن بها فلم يزل في السجن إلى أن قتل في سنة 716.

(الحجوبية) وظيفة جليلة في الدولة التركية، وليس هي الوظيفة التي كان يليها حجبة الخلفاء، فأولئك كانوا حجبة يحجبون الناس عن الدخول على الخليفة، ليس من شأنهم الحكم بين الناس والأمر والنهي، وهي مما جدده الملك الظاهر بيبرس، لكنها عظمت في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى عادلت النيابة. وأما ما عدا ذلك من الوظائف فأحدثها الملك الناصر محمد بن قلاوون..

سأل رجل الشافعي رحمه الله فقال: يا أبا عبد الله ؛ أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى؟. فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا فلما صبروا مكنهم. إلى الله المشتكى.. قال بعض العلماء: ألا تنظر إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة] فهل كان إماما للناس بعد أن ابتلاه الله بأن يقول الحق لا يخاف في الله لومة لائم ويحطم الأصنام ويجادل قومه والنمرود في باطلهم، ويطرد من بلده ويهاجر ويؤمر بذبح ابنه.. باختصار لا إمامة إلا بعد بلاء..وهذا ما كان من شأن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فكان والبلاء صاحبين لا يفترقان، وكيف لا وهو القائم بأمر الله الداعي إلى سبيل الله، المجاهد أهل الشر جميعا على اختلاف طوائفهم في ذات الله. متفرغا فلا زوجة ولا ولد ولا ضيعة ولا تجارة، بل ولا وطن ولا إقامة بل رحيل دائم في الله، ولذلك كان بلاؤه على قدر منزلته من العلم والعمل وإلا بماذا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ﴾ وتفاصيل البلاء التي تعرض لها شيخ الإسلام ابن تيمية شيء طويل جدا. فما كان رضي الله عنه ينتهي من محنة إلا ليدخل في أخرى ولا يخرج من سجن إلا ليوضع في آخر حتى مات مسجونا آخر عمره، ولا ينتهي من قتال مع طائفة باغية إلا ويدخل قتالا آخر.. وقد جمع الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله خلاصة للفتن التي تعرض لها ابن تيمية [راجع الصفحة التالية].

حدث ابن عبد الهادي عن شيخ الإسلام أن سلطان مصر الناصر ابن قلاوون استقدم الشيخ عنده ورحب به ثم أخرج له من جيبه فتاوي لبعض علماء مصر الذين أفتوا بقتل ابن تيمية، واستفتى السلطان ابن تيمية في أن يقتل بعضهم ممن زوروا على ابن تيمية وافتوا في قتله. قال الشيخ ابن تيمية: ففهمت مقصود السلطان وعلمت أن عنده حنقا شديدا عليهم لأنهم كانوا قد خلعوه وبايعوا ركن الدين بيبرس الجاشنكير، يقول ابن تيمية: فشرعت في مدح هؤلاء العلماء وشكرهم، وأنهم لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، وأما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي. قال: فكان زين الدين بن مخلوف قاضي المالكية يقول بعد ذلك: ما رأينا أتقى من ابن تيمية لم نبق ممكنا في السعي لقتله إلا وفعلناه، ولما قدر هو علينا عفى عنا.

قال ابن القيم رحمه الله: إن الشيخ رحمه الله نظر إلى هذه الدنيا نظرة ازدراء، تلاشت عنده مظاهرها، وتجلت حقيقتها، ومن ثم أراح نفسه من تعب الدنيا ونصبها في خدمة البدن، وشمر سائرا لله والدار الآخرة، فارغ القلب من الشهوات، ممتلئة بمحبة الله ورسوله، وبوعود الله ورسوله وقد فتح الله عليه بهذا الزهد من صغره، حتى كان شعارا له وصفه أطبق مترجموه على ذكرها، كما قال عنه ابن عبد الهادي: لا أعلم أحدا من متقدمي الأئمة ولا متأخريها، جمع مثلما جمع ابن تيمية، ولا صنف نحو ما صنف، ولا قريبا من ذلك، مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه، وكثير منها صنفه في الحبس، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب.

قال ابن القيم رحمه الله حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الصبح ثم جلس يذكر الله إلى قريب من منتصف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي ولو لم أتغذ سقطت قويت، أو كلاما قريبا من هذا، وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر أو كلاما قريبا هذا معناه. وحدث شيخه الذي علمه القرآن قال: قال لي أبوه وهو صبي ـ يعني الشيخ ـ أحب إليك أن توصيه وتعده بأنك إن لم تنقطع عن القراءة والتلقين أدفع إليك كل شهر أربعين درهما وقال: ودفع إلي أربعين درهما، وقال: أعطه إياها فإنه صغير وربما يفرح بها فيزداد حرصه في الاشتغال بحفظ القرآن ودرسه، وقال له في كل شهر مثلها فامتنع من قبولها، وقال: يا سيدي إني عاهدت الله تعالى أن لا آخذ على القرآن أجرا ولم يأخذها. قال الإمام البزار: وحدثني من أثق به أن الشيخ رحمه الله كان مارا يوما في بعض الأزقة فدعا له بعض الفقراء وعرف الشيخ حاجته ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه، فنزع ثوبا على جلده ودفعه إليه وقال: بعه بما تيسر، وأنفقه، واعتذر إليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة، وهذا من أبلغ إخلاص العمل لله عز وجل فسبحان الموفق من شاء لما شاء. وسأله إنسان ذات يوم كتابا ينتفع به فقال: خذ ما تختار فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفا قد اشترى بدراهم كثيرة فأخذه ومضى، فلام بعض الجماعة الشيخ في ذلك فقال: أكان يحسن بي أن أمنعه بعدما سأله، دعه فلينتفع به.

لما سجن شيخ الإسلام بمصر سنة 707هـ، حصلت له مناظرة مع رهبان النصارى كما أوردها تلميذه إبراهيم بن أحمد الغياني قائلا: ولما كان الشيخ في قاعة الترسيم* دخل عنده ثلاثة رهبان من الصعيد، فناظرهم وأقام عليهم الحجة بأنهم كفار، وما هم على الدين الذي كان عليه إبراهيم والمسيح، فقالوا له: نحن نعمل مثل ما تعملون، أنتم تقولون بالسيدة نفيسة[1]، ونحن نقول بالسيدة مريم، قد أجمعنا نحن وأنتم على أن المسيح ومريم أفضل من الحسين ومن نفيسة، وأنتم تستغيثون بالصالحين الذي قبلكم، ونحن كذلك. فقال لهم: وإن من فعل ذلك ففيه شبه منكم، وهذا ما هو دين إبراهيم الذي كان عليه، فإن الدين الذي كان إبراهيم عليه أن لا نعبد إلا الله وحده، لا شريك له، ولا ند له، ولا صاحبة له، ولا ولد له، ولا نشرك معه ملكا، ولا نبيا، ولا صالحا، وإن الأمور التي لا يقدر عليها غير الله لا تطلب من غيره مثل تفريج الكربات، وغفران الذنوب. والأنبياء عليهم الصلاة والسلام نؤمن بهم ونعظمهم، ونصدقهم في جميع ما جاؤوا به ونطيعهم كما قال نوح وصالح وهود وشعيب: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح]، فجعلوا العبادة والتقوى لله وحده، والطاعة لهم، فإن طاعتهم من طاعة الله، فلو كفر أحد بنبي من الأنبياء وآمن بالجميع ما نفعه إيمانه حتى يؤمن بذلك النبي. فلما سمعوا ذلك منه قالوا: الدين الذي ذكرته خير من الدين الذي نحن وهؤلاء عليه. ثم انصرفوا من عنده.

----

*(الترسيم) نوع من الحبس انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية.

■ (1) نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهي من الصالحات العابدات، كانت في المدينة ثم تحولت إلى مصر، وتوفيت بها سنة 208 هـ.

مراجع: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ فوات الوفيات/ الوافي بالوفيات/ ذيل طبقات الحنابلة/ موسوعة الأعلام/ أعيان العصر وأعوان النصر/ـ مجلة البحوث الإسلامية/ مسند أحمد/ المناظرات وآداب الحوار/

قال ابن رجب: محن الشيخ ابن تيمية رحمه الله، كثيرة، وشرحها يطول. فقد اعتقله مرة بعض نواب[1] السلطان بالشام قليلا سنة ستمائة وثلاث وتسعون، بسبب قيامه على نصراني سب الرسول صلى الله عليه وسلم، واعتقل معه الشيخ زين الدين الفاروقي[2]، ثم أطلقهما مكرمين. ولما صنف المسألة الحموية في الصفات: شنع بها جماعة، ونودي عليها في الأسواق على قصبة، وأن لا يستفتى من جهة بعض القضاة الحنفية. ثم أنتصر للشيخ بعض الولة، ولم يكن في البلد حينئذ نائب، وضرب المنادي وبعض من معه، وسكن الأمر. ثم امتحن سنة خمس وسبعمائة بالسؤال عن معتقده بأمر السلطان؟. فجمع نائبة القضاة والعلماء بالقصر، وأحضر الشيخ، وسأله عن ذلك؟ فبعث الشيخ من أحضر من داره العقيدة الواسطية فقرؤوها في ثلاث مجالس، وحاققوه، وبحثوا معه، ووقع الاتفاق. بعد ذلك على أن هذه عقيدة سنية سلفية، فمنهم من قال ذلك طوعا، ومنهم من قاله كرها. وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه: إنما قصدنا براءة ساحة الشيخ، وتبين لنا أنه على عقيدة السلف. ثم إن المصريين دبروا الحيلة في أمر الشيخ، ورأوا أنه لا يمكن البحث معه، ولكن يعقد له مجلس، ويدعى عليه، وتقام عليه الشهادات. وكان القائمون في ذلك منهم: بيبرس الجاشنكير*[3]، الذي تسلطن بعد ذلك، ونصر المنبجي[4] وابن مخلوف[5] قاضي المالكية، فطلب الشيخ على البريد* إلى القاهرة، وعقد له ثاني يوم وصوله، وهو ثاني عشرين رمضان سنة خمس وسبعمائة، مجلس بالقلعة، وادعي عليه عند ابن مخلوف قاضي المالكية، أنه يقول: إن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت، وأنه على العرش بذاته، وأنه يشار إليه بالإشارة الحسية. وقال المدعي: أطلب تعزيره على ذلك، التعزير البليغ، يشير إلى القتل على مذهب مالك، فقال القاضي: ما تقول يا فقيه؟ فحمد الله وأثنى عليه، فقيل له: أسرع ما جئت لتخطب، فقال: أأمنع من الثناء على الله تعالى؟ فقال القاضي: أجب، فقد حمدت الله تعالى. فسكت الشيخ، فقال: أجب. فقال الشيخ له: من هو الحاكم في؟ فأشاروا: القاضي هو الحاكم، فقال الشيخ لابن مخلوف: أنت خصمي، كيف تحكم في؟. وغضب، ومراده: إني وإياك متنازعان في هذه المسائل، فكيف يحكم أحد الخصمين على الآخر فيها. فأقيم الشيخ ومعه أخواه؛ عبد الله وعبد الرحمن، ثم رد الشيخ، وقال: رضيت أن تحكم في، فلم يمكن من الجلوس، ويقال: إن أخاه الشيخ شرف الدين عبد الله ابتهل، ودعا الله عليهم في حال خروجهم، فمنعه الشيخ، وقال له: بل قل: اللهم، هب لهم نورا يهتدون به إلى الحق. ثم حبسوا في برج أياما، ونقلوا إلى الجب ليلة عيد الفطر، ثم بعث كتاب سلطاني إلى الشام بالحط على الشيخ، وألزم الناس خصوصا أهل مذهبه بالرجوع عن عقيدته، والتهديد بالعزل والحبس، ونودي بذلك في الجامع والأسواق. ثم قرئ الكتاب بسدة الجامع بعد الجمعة، وحصل أذى كثير للحنابلة بالقاهرة، وحبس بعضهم، وأخذ خطوط بعضهم بالرجوع. وكان قاضيهم الحراني[6] قليل العلم. ثم في سلخ رمضان سنة ست وسبعمائة: أحضر سلار[7] نائب السلطان بمصر، القضاة والفقهاء وتكلم في إخراج الشيخ، فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور، ويلزم بالرجوع عن بعض العقيدة، فأرسلوا إليه من يحضره، وليتكلموا معه في ذلك، فلم يجب إلى الحضور، وتكرر الرسول إليه في ذلك ست مرات، وصمم على عدم الحضور، فطال عليهم المجلس، فانصرفوا من غير شيء. ثم في آخر هذه السنة وصل كتاب إلى نائب السلطنة بدمشق من الشيخ، فأخبر بذلك جماعة ممن حضر مجلسه، وأثني عليه: وقال: ما رأيت مثله، ولا أشجع منه. وذكر ما هو عليه في السجن: من التوجه إلى الله تعالى، وأنه لا يقبل شيئا من الكسوة السلطانية ولا من الأدرار السلطاني، ولا تدنس بشيء من ذلك. ثم في ربيع الأول من سنة سبع وسبعمائة دخل مهنا بن عيسى[8] أمير العرب إلى مصر، وحضر بنفسه إلى السجن وأخرج الشيخ منه، بعد أن استأذن في ذلك، وعقد للشيخ مجالس حضرها أكابر الفقهاء، وانفصلت على خير. وذكر الذهبي والبرزالي وغيرهما: أن الشيخ كتب لهم بخطه مجملا من القول وألفاظا فيها بعض ما فيها، لما خاف وهدد بالقتل، ثم أطلق وامتنع من المجيء إلى دمشق. وأقام بالقاهرة يقرىء العلم، ويتكلم في الجوامع والمجالس العامة، ويجتمع عليه خلق. ثم في شوال من السنة المذكورة: اجتمع جماعة كثيرة من الصوفية، وشكوا من الشيخ إلى الحاكم الشافعي، وعقد له مجلس لكلامه في ابن عربي وغيره، وادعى عليه ابن عطاء الله السكندري الصوفي بأشياء، ولم يثبت منها شيئا، لكنه اعترف أنه قال: لا يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم، استغاثة بمعنى العبادة، ولكن يتوسل به، فبعض الحاضرين قال: ليس في هذا شيء. ورأى الحاكم ابن جماعة: أن هذا إساءة أدب، وعنفه على ذلك، فحضرت رسالة إلى القاضي: أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة في ذلك، فقال القاضي: قد قلت له ما يقال لمثله. ثم إن الدولة خيروه بين أشياء، وهي الإقامة بدمشق، أو بالإسكندرية، بشروط، أو الحبس، فاختار الحبس. فدخل عليه أصحابه في السفر إلى دمشق، ملتزما ما شرط عليه فأجابهم، فأركبوه خيل البريد، ثم ردوه في الغد، وحضر عند القاضي بحضور جماعة من الفقهاء، فقال له بعضهم: ما ترضى الدولة إلا بالحبس. فقال القاضي: وفيه مصلحة له، واستناب القاضي شمس الدين التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه بالحبس، فامتنع، وقال: ما ثبت عليه شيء، فأذن لنور الدين الزواوي المالكي، فتحير، فلما رأى الشيخ توقفهم في حبسه قال: أنا أمضي إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة، فقال الزواوي المذكور: فيكون في موضع يصلح لمثله، فقيل له: ما ترضى الدولة إلا بمسمى الحبس، فأرسل إلى حبس القاضي وأجلس في الموضع الذي أجلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز لما حبس، وأذن أن يكون عنده من يخدمه. وكان جميع ذلك بإشارة نصر المنبجي. واستمر الشيخ في الحبس يستفتى ويقصده الناس، ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس. وكان أصحابه يدخلون عليه أولا سرا، ثم شرعوا يتظاهرون بالدخول عليه، فأخرجوه في سلطنة الششنكير* الملقب بالمظفر، إلى الإسكندرية على البريد، وحبس فيها في برج حسن مضيء متسع، يدخل عليه من شاء، ويمنع هو من شاء، ويخرج إلى الحمام إذا شاء، وكان قد أخرج وحده، وأرجف الأعداء بقتله وتفريقه غير مرة، فضاقت بذلك صدور محبيه بالشام وغيره، وكثر الدعاء له. وبقي في الإسكندرية مدة سلطنة المظفر. فلما عاد الملك الناصر[9] إلى السلطنة وتمكن وأهلك المظفر، وحمل شيخه نصر المنبجي، واشتدت موجدة* السلطان على القضاة لمداخلتهم المظفر، وعزل بعضهم: بادر بإحضار الشيخ إلى القاهرة مكرما في شوال سنة تسع وسبعمائة، وأكرمه السلطان إكراما زائدا، وقام إليه، وتلقاه في مجلس حفل، فيه قضاة المصريين والشاميين، والفقهاء وأعيان الدولة. وزاد في إكرامه عليهم، وبقي يساره ويستشيره سويعة، وأثنى عليه بحضورهم ثناء كثيرا، وأصلح بينه وبينهم. ويقال: إنه شاوره في أمرهم به في حق القضاة، فصرفه عن ذلك، وأثنى عليهم، وأن ابن مخلوف كان يقول: ما رأينا أفتى من ابن تيمية، سعينا في دمه. فلما قدر علينا عفا عنا. واجتمع بالسلطان مرة ثانية بعد أشهر، وسكن الشيخ بالقاهرة، والناس يترددون إليه، والأمراء والجند، وطائفة من الفقهاء، ومنهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع. قال الذهبي: وفي شعبان سنة إحدى عشرة وسبعمائة: وصل النبأ: أن الفقيه البكري[10]،أحد المبغضين للشيخ، استفرد بالشيخ بمصر، ووثب عليه، ونتش بأطواقه، وقال: احضر معي إلى الشرع، فلي عليك دعوى، فلما تكاثر الناس انملص، فطلب من جهة الدولة، فهرب واختفى. وذكر غيره: أنه ثار بسبب ذلك فتنة، وأراد جماعة الانتصار من البكري فلم يمكنهم الشيخ من ذلك.واتفق بعد مدة: أن البكري هم السلطان بقتله، ثم رسم بقطع لسانه، لكثرة فضوله وجراءته، ثم شفع فيه، فنفي إلى الصعيد، ومنع من الفتوى بالكلام في العلم. وكان الشيخ في هذه المدة يقرىء العلم، ويجلس للناس في مجالس عامة. وقدم إلى الشام هو وإخوته سنة اثنتي عشرة وسبعمائة بنية الجهاد، لما قدم السلطان لكشف التتر عن الشام. فخرج مع الجيش، وفارقهم من عسقلان، وزار البيت المقدس. ثم دخل دمشق بعد غيبته عنها فوق سبع سنين، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه، وسر الناس بمقدمه، واستمر على ما كان عليه أولا، من إقراء العلم، وتدريسه بمدرسة السكرية، والحنبلية، وإفتاء الناس ونفعهم. ثم في سنة ثمان عشرة وسبعمائة: ورد كتاب من السلطان بمنعه من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق بالتكفير*، وعقد له مجلس بدار السعادة*، ومنع من ذلك، ونودي به في البلد. ثم في سنة تسع عشرة وسبعمائة عقد له مجلس أيضا كالمجلس الأول، وقرئ كتاب السلطان بمنعه من ذلك، وعوتب على فتياه بعد المنع، وانفصل المجلس على تأكيد المنع.ثم بعد مدة عقد له مجلس ثالث بسبب ذلك، وعوتب وحبس بالقلعة. ثم حبس لأجل ذلك مرة أخرى. ومنع بسبب من الفتيا مطلقة، فأقام مدة يفتي بلسانه، ويقول: لا يسعني كتم العلم. وفي آخر الأمر: دبروا عليه الحيلة في مسألة المنع من السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين، وألزموه من ذلك التنقص بالأنبياء، وذلك كفر، وأفتى بذلك طائفة من أهل الأهواء، وهم ثمانية عشر نفسا، رأسهم القاضي الإخنائي[؟] المالكي وأفتى قضاة مصر الأربعة بحبسه، فحبس بقلعة دمشق سنتين وأشهرا. وبها مات رحمه الله تعالى.

----

*(جاشنكير) مستطعم وذواق طعام وشراب السلطان للتأكد من خلوهما من السم. (الششنكير) = الجاشنكير؟ (البريد) دواب توقف على منازل مرتبة (الحلف بالطلاق بالتكفير) أي من حلف بالطلاق لا يلزمه وإنما يكفر كفارة يمين (دار السعادة) دار العدل؟ (موجدة) الغضب.

■ (3) الملك المظفر ركن الدين بيبرس بن عبد الله البرجي المنصوري الجاشنكير.السلطان الثاني عشر.أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون وعتقائه وتنقل في الخدم حتى صار من جملة الأمراء ولما كان أستادارا –رئيس الخدم–،كان سلار نائبا فحكما في البلاد، وصار الملك الناصر ليس له سلطنة قبل عودته وقتل المظفر سنة 709 هـ

■ (2) زين الدين الفارقي عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فيره، الشيخ الإمام المحدث المفتي الإسلام خطيب دمشق ومفتيها، أبو محمد الشافعي وشيخ دار الحديث الأشرفية. ولد سنة 633 هـ وتوفي سنة 703 هـ. تحول إلى مصر وبرع في الفقه على ابن عبد السلام وغيره، وقدم بالمشيخة بعد الشيخ النووي ودرس بالشامية والناصرية

■ (5) زين الدين علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النويري، قاضي القضاة، أبو الحسن المالكي، حاكم الديار المصرية نيفا وثلاثين سنة. وكان فيه مروءة واحتمال ورفق بالفقهاء، وله دربة بالقضايا والأحكام. حكم بعد ابن شاس، وولي بعده القاضي تقي الدين الإخنائي. وتوفي سنة 718 هـ، وله خمس وثمانون سنة.

■ (9) الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون، كان تاسع سلاطين الدولة المملوكية البحرية. وكان لقبه أبو المعالي وأبو الفتح. ولد سنة 684 هـ وتوفى سنة741 هـ (كان خليفة الوقت العباسي هو: المستكفي بالله، الأربعون والثالث في القاهرة/ ثم الخليفة العباسي: إبراهيم الواثق بالله الثاني، الواحد والأربعون والرابع في القاهرة)

■ (6) شرف الدين أبو عبد الله، محمد بن محمد بن سعد الله الحراني، المعروف بابن نجيح، توفي سنة 723 هـ، في وادي بني سالم، فحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع.(1) عز الدين أيبك الحموي.نائب السلطان في دمشق كان أصله من مماليك الملك المنصور صاحب حماة، توفي سنة 703 هـ

■ (7) سيف الدين سلار نائب السلطنة قتل سنة 710 هـ (8) حسام الدين مهنا بن عيسى المعروف باسم مهنا الثاني صاحب تدمر وأمير العرب تحت حكم سلطنة المماليك.توفي سنة735هـ (10) نور الدين علي بن يعقوب بن جبريل البكري الشافعي.وتوفي سنة 724 هـ (4) أبي الفتح، نصر المنبجي الصوفي، شيخ الجاشنكير.

قال ابن رجب: قد بين رحمه الله: أن ما حكم عليه به باطل بإجماع المسلمين من وجوه كثيرة جدا، وأفتى جماعة بأنه يخطئ في ذلك خطأ المجتهدين المغفور لهم ووافقه جماعة من علماء بغداد وغيرهم وكذلك ابنا أبي الوليد شيخ المالكية بدمشق أفتيا: أنه لا وجه للاعتراض عليه فيما قاله أصلا وأنه نقل خلاف العلماء في المسألة ورجح أحد القولين فيها.يقول في حبسه: قد فتح الله علي في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن ثم إنه منع من الكتابة ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق، فأقبل على التلاوة والتهجد والمناجاة والذكر. قال أبو عبد الله بن القيم: سمعت شيخنا رحمه الله يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أينما رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة. كان في حبسه يقول: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبا ما عدل عندي شكر هذه النعمة ونحو هذا. وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال:﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد] قال شيخنا:وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منة قط مع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف وهو مع ذلك أطيب الناس عيشا وأشرحهم صدرا وأقواهم قلبا وأسرهم نفسا تلوح نضرة النعيم على وجهه وكنا إذا اشتد بنا الخوف وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب عنا ذلك كله وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

مراجع: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ فوات الوفيات/ ذيل طبقات الحنابلة/ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي/ الوافي بالوفيات/ موسوعة الدين النصيحة/ لمحات من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية/ البداية والنهاية/ المعجم المحدثين/

ذكرت كتب التاريخ أن غازان[1] ملك التتار، زحف بجيشه من إيران نحو مدينة حلب، في أواخر سنة 698 هـ، شمال بلاد الشام فاعترضه الناصر قلاوون[2] بجيشه في وأدي سلمية، في 27 ربيع الأول، من سنة699 هـ، فانهزم قلاوون وفر قواده، ودب الهلع في مدينة دمشق، التي هجرها أعينها، ولحقوا بقلاوون وأمرائه، حتى لم يبقى في دمشق حاكم ولا أمير.فصمد فيها شيخ الإسلام ابن تيمية [3]،واجتمع إليه من بقي من أعيان البلاد وعامة الناس، واتفق معهم أن يخرج على رأس وفد من الشام لمقابلة غازان، فقابله في بلدة البنك. وقد روى ابن كثير رحمه الله، وقائع ذلك اللقاء كما سمعه من أحد أعضاء ذلك الوفد، وهو الشيخ أبو عبد الله البالسي[4] الذي حدث فقال: إن شيخ الإسلام ابن تيمية قال لغازان، وترجمانه يترجم كلام الشيخ: أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض، وإمام، وشيخ مؤذن على ما بلغنا، فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا ؟، وأبوك وجدك كانا كافرين، وما غزوا بلاد الإسلام بعد أن عاهدونا! وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت. وجرى مع ابن تيمية وغازان أمور قام بها ابن تيمية كلها لله. ثم قرب غازان طعام إلى الوفد، فأكلوا إلا ابن تيمية. فقيل له: ألا تأكل! فقال: كيف أكل من طعامكم وكله من ما نهبتموه من أغنام الناس! وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس؟ وغازان مصغي لما يقول، شاخصا إليه لا يعرض عنه، وإن غازان من شدة ما أوقع في قلبه من الهيبة، سأل: من هذا الشيخ؟ وقال: ما معناه: إني لم أرى مثله، ولا أثبت قلبا منه، ولا أوقع من حديثه في قلبي، ولا رأيتني أعظم انقيادا لأحد منه. فأخبر بحاله، وما هو عليه من العلم والعمل. ثم طلب منه غازان الدعاء. فقام الشيخ يدعو فقال: اللهم إن كان عبدك هذا إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك، فأنصره، وأيده، وإن كان قام رياء وسمعة، وطلبا للدنيا، ولتكون كلمته هي العليا، وليذل الإسلام، وأهله، فاخذله، وزلزله، ودمره، واقطع دابره. وغازان يؤمن على دعائه، ويرفع يده. قال البالسي: فجعلنا نجمع ثيابنا خوف من أن تتلوث بدم ابن تيمية إذا أمر بقتله. فخرج من بين يديْه مكرمًا معزَّزًا، قد صنع الله له بما طوى عليه نيَّته الصَّالحة مِن بذْل نفسِه في طلب حقْن دماء المسلمين، فبلَّغه ما أراده، وكان ذلك أيضًا سببًا لتخْليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم وردِّهم على أهلِهم وحفظ حريمهم، وهذا من أعظم الشَّجاعة والثَّبات وقوَّة الجأْش.

حدث الشيخ أبو عبد الله البالسي، فلما خرجنا من عنده، قال له قاضي القضاة، نجم الدين، وغيره: كدت أن تهلكنا، وتهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا. فقال: وإني والله لا أصحبكم. قال البالسي: فانطلقوا عصبة، وتأخر هو في خاصة نفسه، ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخواتين* والأمراء أصحاب غازان، فأتوا يتبركون بدعائه، وهو سائر إلى دمشق، ووالله ما وصل دمشق إلا في نحو ثلاث مئة فارس في ركابه، وكنت أنا في جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبه فخرج عليهم جماعة من التتار فسلبوهم ثيابهم، وما معهم.

وحين وُشِي بالشيخ رضي الله عنه إلى السلطان المعظم الملك الناصر لدين الله، وأحضره بين يديه، قال مِن جملة كلامه: إنني أُخبرت أنك قد أطاعك الناس وأن في نفسك أخذ الملك. فلم يكترِث به بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت، وصوت عال سمعَه كثير ممن حضر: أنا أفعل ذلك؟ والله إن ملكك وملك المغول لا يُساوي عندي فلسين. فتبسم السلطان لذلك وأجابَه في مقابلته بما أوْقع الله في قلبه من الهيبة العظيمة: إنك والله لصادق، وإن الذي وشى بك إلي كاذب. واستقر له في قلبِه من المحبة الدينية ما لوْلاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل، من كثرة ما يلقى إليْه في حقه من الأقاويل الزور والبهتان.

----

* (الخواتين) الخاتون للمرأة الشريفة كلمة أعجمية، استعملها الفرس والترك والجمع الخواتين

■ (3) تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد ابن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي. كان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بحران سنة 661 هـ، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، فسمع الحديث وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث وكتب الطبقات والأثبات ولازم السماع بنفسه مدة سنين، ثم اشتغل بالعلوم، وكان ذكيا كثير المحفوظ فصار إماما في التفسير وما يتعلق به عارفا بالفقه، فيقال إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذي كانوا في زمانه وغيره، وأما الحديث فكان حامل رايته حافظا له مميزا بين صحيحه وسقيمه، عارفا برجاله متضلعا من ذلك، وأثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره، وأما أسماء مصنفاته وسيرته وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة وحبسه مرات وأحواله لا يحتمل ذكر جميعها هذا الموضع، وكان جريئا قويا لا يخاف في الله لومة لائم حث الناس والأمراء على جهاد التتار بل ذهب بنفسه لمقابلة ملكهم حين جاء ليدخل دمشق وقال له أنت تدعي أنك مسلم فلم جئت تغزو بلاد الإسلام وغير ذلك من المواقف المشرفة مثل وقت استفتاه السلطان محمد بن قلاوون في قتل الفقهاء والقضاة الذين كانوا ضده يوم خلع نفسه وكانوا منهم مع بيبرس وكان منهم من آذى الشيخ نفسه، فلم يفت له الشيخ بأذيتهم بل بين له حرمة وقدر العلماء وقال أنه لا ينتصر لنفسه وكل من آذاه فهو في حل وهذا من تمام فضله وحسن خلقه، وله الأثر الكبير في مناظرة أهل البدع والعقائد الفاسدة بما أحيا الله على يديه مما اندرس بين الناس منها فكان بحق مجددا للدين. توفي في ليلة الاثنين 20 من ذي القعدة سنة728هـ، بقلعة دمشق التي كان محبوسا بها وكان يوم جنازته يوما مشهودا بدمشق.

■ (1) السلطان محمود غازان بن أرغون، ملك التتار، ولد سنة 670 هـ، تولى غازان عرش المغول عقب مقتل بايدو بن طرقاي سنة 694هـ وبعد أن اعتنق الإسلام تبعه جميع الأمراء والجنود المغول، وأسلم بإسلامه أكثر من مائة ألف شخص منهم فى فترة وجيزة، ولقب غازان نفسه باسم السلطان محمود غازان، وأعلن الإسلام دينا رسميا للدولة، قام غازان بثلاث حملات على بلاد الشام، كانت الأولى في سنة 699 هـ، وانتصر فيها على قواد الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من منطقة مرج المروج شرقي حمص، وقد انتشر المغول بعد انتصارهم في الأماكن المجاورة، وخربوا البلاد جريا على عادتهم القديمة، وكأنهم لم يعتنقوا الدين الإسلامي، ثم عين غازان واليا من قبله على البلاد التي استولى عليها، وعاد بعد ذلك إلى إيران. وفى سنة 700هـ عاود المغول الكرة على بلاد الشام، واستولوا على مناطق جديدة بها، إلا أنهم لم يتمكنوا من التقدم والاستمرار؛ إذ هطلت عليهم الأمطار بغزارة، واشتدت البرودة، وكثر الوحل، وهلك كثير منهم، ووجد غازان نفسه مضطرا إلى العودة إلى إيران، ولكنه عاد بعد ذلك بعامين فى سنة 702هـ بحملته الثالثة على سوريا، وتحرك إلى مدينة عانة على شاطئ الفرات، وبرفقته وزيره المؤرخ رشيد الدين ثم عاد أدراجه إلى عاصمته تبريز تاركا جيشه بالشام ليواصل مهمته، ولكن النتيجة جاءت على غير ما كان يتوقع، إذ هزم جيشه هزيمة منكرة على يد السلطان الناصر محمد بن قلاوون في موقعة مرج الصفر بالقرب من دمشق سنة 702هـ. فاعتلت صحته، وغلبه المرض، وتآمر عليه الأمراء، وكثرت من حوله الدسائس، ومات سنة 703هـ وهو لا يزال في ريعان شبابه.

■ (2) الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون، كان تاسع سلاطين الدولة المملوكية البحرية. وكان لقبه أبو المعالي وأبو الفتح. ولد سنة 684 هـ، وتوفى سنة741 هـ

■ (4) محمد بن أحمد بن عمر الشيخ المحدث الصالح الخير أبو عبد الله البالسي الصالحي القطان ولد سنة 670 هـ

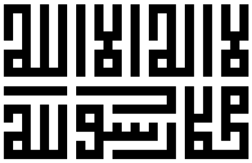

أيها الإخوة المؤمنون، كان هذا هو منهج وثابت ابن تيمية، الذي ينسب نفسه اليوم إليه وإلى مذهبه وطريقته كثير ممن فضح الله حالهم وكشفهم على حقيقتهم من دعاة أتباع عقائد ومذهب السلف. هذا هو حال من اتبع منهج السلف، ليس هذا فحسب بل إن ابن تيمية كما تروي كتب التاريخ لم اقترب التتار من دمشق لم يكن من الخوالف بل أرسل إلى أمير مصر يستنصره ويهدده بأنه إن لم ينجد الشام ويحميها بحثوا لها عن أمير يقوم بحالها. ثم خرج مع من ثبتهم من جند أهل الشام وقد لبس لباس الحرب فلما كان فجر اليوم الذي جرت فيه المعركة تقدم بعد أن اصطف الناس للقتال من أحد القادة وقال له: أوقفني موقف الموت، فأشر القائد إلى غبار قد انعقد من حيث أقبل التتار وقال له: ذلك موقف الموت. فاتجه إليه يتبعه أخوه رحمه الله ونغمس فيهم ولم يروه إلا والشمس تغيب عائدا من المعركة وقد حصر الله التتار في الوادي وفتح على المسلمين. نعم أيها الإخوة، هذا هو نهج من كان لهم في رسول الله أسوة حسنة في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبمثل هذا النهج يكون الاتباع والانتساب إلى عقيدة السلف.

☪

روى ابن رجب: أن الشيخ رحمه الله، سافر مرة على البريد* إلى الديار المصرية يستنفر السلطان عند مجيء التتر سنة من السنين، وتلا عليهم آيات الجهاد، وقال: إن تخليتم عن الشام ونصرة أهله، والذب* عنهم، فإن الله تعالى يقيم لهم من ينصرهم غيركم، ويستبدل بكم سواكم، وتلا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد] وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوه﴾ [التوبة] وبلغ ذلك الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد [1] -وكان هو القاضي حينئذ- فاستحسن ذلك، وأعجبه هذا الاستنباط، وتعجب من مواجهة الشيخ للسلطان بمثل هذا الكلام.

قال الشيخ تقي الدين لما سئل عن قتال التتار، مع تمسكهم بالشهادتين، ولما زعموا من اتباع أصل الإسلام: كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة من هؤلاء القوم وغيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر الصديق والصحابة رضوان الله عليهم مانعي الزكاة، وعلى ذلك اتفق الفقهاء بعدهم. عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة قال:﴿لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَالله لَأُقَاتِلَنَّ – قَالَ أَبُو الْيَمَانِ: لَأَقْتُلَنَّ – مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَالله لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا. قَالَ عُمَرُ: فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

☪

جاء فى كتاب أشهر مشاهير الإسلام: أن جيوش التتار، لما اكتسحت بلاد الإسلام من حدود الصين إلى الشام، ووقع فى أسرهم من وقع من المسلمين والنصارى ثم خضد المسلمون شوكة التتار، ودان ملوكهم بالإسلام، خاطب شيخ الإسلام ابن تيمية، أمير التتار بإطلاق الأسرى فسمح له بالمسلمين وأبى أن يسمح بأهل الذمة، فقال له شيخ الإسلام:لا بد من إطلاق وجميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا ولا ندع أسيرا لا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة، فأطلقهم له

----

* (الذب) الدفع والمنع (البريد) دواب توقف على منازل مرتبة

■ (1) محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح تقي الدين القشيري المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العبد قاض من أكابر العلماء بالأصول مجتهد أصل أبيه من منفلوط بمصر وانتقل إلى قوص وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة ولى قضاء مصر سنه 695 هـ توفى بالقاهرة سنة 702 هـ له تصانيف منها أحكام الأحكام في الحديث.

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ الدرر السنية في الأجوبة النجدية/ سنن النسائي/ البداية والنهاية/ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي/ معجم المحدثين/ تاج العروس/.

في سنة 699 هـ حثَّ الشَّيخ تقي الدين ابن تيمية [1] المسلِمين على قتال الدروز الإسماعيلية[2]؛ لفساد عقائدهم وتواطُئِهم مع التَّتار ونَهبهم للمسلمين وقطعِهم الطريق. ففي العشرين من شوَّال من السنة المشار إليها ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم[3] في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان، وخرج الشَّيخ تقي الدين ومعه خلقٌ كثير من المتطوِّعة لقتال أولئك الضلاَّل، وكانوا ذوي عقيدة فاسدة وعداوة للمسلمين، وكانوا يعتدون على عساكر المسلمين بعد أن كسرهم التَّتار، فيأخذون أسلحتهم ونَهبوهم وأخذوا خيولهم، وقتلوا منهم كثيرًا، فلمَّا وصل نائبُ السَّلطنة وشيخ الإسلام ومَن معَهم من العساكر المسلمين إلى بلادِهم جاء رؤساؤُهم إلى الشَّيخ تقي الدّين ابن تيمية فاستتابَهم، وبيَّن الكثير من الصَّواب فالتزموا بردِّ ما أخذوه من أموال الجيْش، وقرَّر عليهم أموالاً كثيرة يَحملونَها إلى بيت مال المسلمين، وأقطعت أراضيهم وضياعهم. ولم يكونوا من قبلُ يدخلون في الطَّاعة ولا يلتزمون أحكام الملَّة، ولا يَدينون بدين الحقّ، ولا يحرِّمون ما حرَّم الله.

■ (1) تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد ابن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي.ولد سنة 661 هـ وتوفي سنة 728هـ بقلعة دمشق التي كان محبوسا بها

■ (3) الأمير جمال الدين آقوش النجيبي الصالحي النجمي، نائب السلطنة بدمشق، زمن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي، من دولة المماليك البحرية.

■ (2) الدروز من فرق الباطنية الإسماعيلية التي جاهرت بالغلو في شخصية الحاكم فانشقت عن المذهب الإسماعيلي. والدروز أهل بدعة وضلال وعقيدة فاسدة ؛ وهي ديانة مركبة، تستند إلى تعاليم أفلاطون، وأرسطو، وسقراط، وأخناتون، وحمزة بن علي بن أحمد والحاكم بأمر الله. واليوم يدعي بعض الدروز أنهم مسلمون، في حين أن بعضهم يدعي أنه على دين يختلف تماما عن الإسلام.

☪

عن عبد الله بن مسعود قال:﴿خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا. ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَقَرَأَ: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام] عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي كَمَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنَّ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً، لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي﴾ وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ﴾ وعن بلال بن الحارث المزني، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ أُجُورِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةً ضَلَالَةً لَا (يَرْضَاهَا) اللهُ وَرَسُولُهُ، كَانَ عَلَيْهِ (مِنَ الْإِثْمِ) مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ (أَوْزَارِهِمْ) شَيْئًا﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ اللهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ﴾ وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿اتَّبِعُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، فَإِنَّهُ مَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ﴾ وعن أبي هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي، فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ﴾ وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿حِينَ أَتَاهُ عُمَرُ فَقَالَ: إِنَّا نَسْمَعُ أَحَادِيثَ مِنْ يَهُودَ تُعْجِبُنَا، أَفْتَرَى أَنْ نَكْتُبَ بَعْضَهَا؟ فَقَالَ: أَمُتَهَوِّكُونَ أَنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟! لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي﴾ (أحاديث) حكايات ومواعظ (أمتهوكون) أمتحيرون في دينكم حتى تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبيكم (كما تهوكت) كتحيرهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا أهواء أحبارهم ورهبانهم.

☪

عن أبي سعيد الخدري، قال:حججنا مع عمر رضي الله عنه أول حجة حجها من إمارته، فلما دخل المسجد الحرام، دنا من الحجر الأسود فقبله، واستلمه، وقال:أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك واستلمك، ما قبلتك ولا استلمتك، فقال له علي رضي الله عنه بلى يا أمير المؤمنين، إنه ليضر وينفع، ولو علمت تأويل ذلك من كتاب الله، لعلمت أن الذي أقول لك، كما أقول، قال الله عزوجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف] فلما أقروا أنه الرب عزوجل وأنهم العبيد، كتب ميثاقهم في رق ثم ألقمه الحجر، وله عينان، ولسان، وشفتان، يشهد لمن وافاه بالموافاة، فهو أمين الله في هذا المكان. فقال عمر رضي الله عنه: لا أبقاني الله بأرض لست بها يا أبا الحسن. قال أسامة بن مرشد: إنما قال عمر رضي الله عنه في الحجر ما قال، لأنهم كانوا قد أنسوا بلمس الحجارة في الجاهلية، وعبادتها، فأخبر عمر أنه إنما يمس هذا الحجر ويقبله؛ لأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسه، ويقبله، ولولا ذلك لم يفعل ذلك. قال نافع مولى ابن عمر: كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها بيعة الرضوان، فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت. وعن المعرور بن سويد الأسدي، قال خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها، قال: فقرأ بنا في الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل] و﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش] فلما انصرف، رأى الناس مسجدا فبادروه، فقال: ما هذا؟، فقالوا: هذا مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم، اتخذوا آثار أنبيائهم بيعا من عرضت له فيه صلاة فليصل، ومن لم تعرض له صلاة فليمض. وروى محمد بن وضاح وغيره أن عمر بن الخطاب أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان لأن الناس كانوا يذهبون تحتها فخاف عمر الفتنة عليهم.وعن عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه عن جده، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر: ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فأفتوا برأيهم، فضلوا وأضلوا، ألا وإنا نقتدي، ولا نبتدي، ونتبع، ولا نبتدع، ما نضل ما تمسكنا بالأثر. وعن عمرو بن ميمون الجزري عن أبيه قال: أتى عمر بن الخطاب رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لما فتحنا المدائن أصبنا كتابا فيه كلام معجب، قال: أمن كتاب الله؟، قال: لا. فدعا بالدرة فجعل يضربه بها وجعل يقرأ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف] ثم قال:إنما هلك من كان قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم، وأساقفتهم، وتركوا التوراة والإنجيل، حتى درسا* وذهب ما فيهما من العلم. وعن عبد الله بن عون عن إبراهيم النخعي: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه أن رجلا كتب كتاب دانيال، وقال فكتب إليه يرتفع إلي، فلما قدم عليه جعل عمر رضي الله عنه يضرب بطن كفه بيده، ويقول: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف] فقال عمر: أقصص أحسن من كتاب الله؟ فقال: يا أمير المؤمنين، اعفني، فوالله لأمحونه. وعن أسلم قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: فيم الرملان* الآن والكشف عن المناكب، وقد أطأ* الله الإسلام، ونفى الكفر وأهله، ومع ذلك لا ندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وعن السائب بن يزيد أنه قال: أتى رجل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لقينا رجلا يسأل عن تأويل القرآن، فقال: اللهم، أمكني منه، فبينا عمر ذات يوم جالسا، يغدي الناس، إذ جاءه، وعليه ثياب وعمامه، حتى إذ فرغ، قال: يا أمير المؤمنين ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات] فقال عمر رضي الله عنه: أنت هو؟، فقام إليه وحسر* عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته، فقال: والذي نفس عمر بيده، لو وجدتك محلوقا لضربت رأسك، ألبسوه ثيابه، واحملوه على قتب*، ثم أخرجوه حتى تقدموا به بلاده، ثم ليقم خطيبا ثم ليقل: إن صبيغا ابتغى العلم فأخطأه. فلم يزل وضيعا في قومه حتى هلك. وعن أبي عثمان النهدي، عن صبيغ، أنه سأل عمر عن المرسلات، والذاريات، والنازعات، فقال له عمر: ضع ما على رأسك فإذا له ظفران (ظفيرتان)، قال: لو وجدتك محلوقا لضربت الذي فيه عيناك، ثم كتب إلى أهل البصرة: أن لا تجالسوه، قال أبو عثمان: فكان لو أتانا، ونحن مئة لتفرقنا عنه. وعن إبراهيم بن يزيد التيمي، قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يقال له: صبيغ، فسأل عن: النازعات، والمرسلات، وأشباههما، وعليه برنس، فقال عمر بقضيبه فرفع البرنس فإذا شعر، فقال لو كنت محلوقا لضربت عنقك ثم كتب إلى أهل البصرة: لا تجالسوه ولا تبايعوه، قال: فمكث حولا حتى أصابه الجهد، فقام إلى أسطوانة* من أساطين المسجد فاستغاث، وروجع عمر رضي الله عنه فكتب: أن لا تخالطوه، وكونوا منه على حذر. وعن قيس بن أبي حازم، قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يسأله، قال: جئت أطلب العلم، قال: بل جئت تبتغي الضلالة، ثم كشف عن رأسه فوجده ذا شعر، فقال: لو كنت محلوقا لضربت عنقك. وعن سعيد بن المسيب، قال: جاء صبيغ التميمي إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات] قال: هي الريح، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته، قال: أخبرني عن﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات] قال: السحاب، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات]، قال:وهي الملائكة، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته، قال:فأمر به عمر فضرب مئة، وجعل في بيت فإذا برأ دعي فضرب مئة أخرى، ثم حمله على قتب، وكتب إلى أبي موسى الأشعري حرم على الناس مجالسته(؟)، فلم يزل كذلك، حتى أتى أبا موسى، فحلف له بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه، مما كان شيئا، فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب إليه: ما أخاله إلا قد صدق، فخل بينه وبين مجالس الناس. وعن الزهري، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلد صبيغا التميمي عن مساءلته عن حروف القرآن، حتى اضطربت الدماء في ظهره. وعن الحسن البصري أن عمران بن حصين أحرم من البصرة فقدم على عمر فأغلظ له ونهاه عن ذلك، فقال: يتحدث الناس أن رجلا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحرم من مصر من الأمصار. وعن نافع مولى ابن عمر أن عمر رضي الله عنه رأى على طلحة بن عبيد الله ثوبين ممشقين*، فقال: ما هذا؟، فقال: إنما هو طين، فقال: إنكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقتدى بكم وينظر إليكم. وذكر أبو القاسم الأصفهاني، عن أبي وائل، شقيق بن سلمة، قال: كنت جالسا على كرسي شيبة بن عثمان بن أبي طلحة في الكعبة، فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر، فقال: لقد هممت أن لا أدع فيه صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها، فقلت: ما كنت لتفعل، قال:ولم؟، قلت: إن صاحبيك لم يفعلا، قال: هما المرآن أقتدي بهما.

(؟) قال ابن كثير: هذا الحديث ضعيف رفعه، وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر، فإن قصة صبيغ ابن عسل مشهورة مع عمر، وإنما ضربه لأنه ظهر من أمره فيما يسأل تعنتا وعنادا، والله أعلم. وقال الآجري في الشريعة: فإن قال قائل: فمن سأل عن تفسير: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات] استحق الضرب والتنكيل به والهجر، قيل له: لم يكن ضرب عمر رضي الله عنه له بسبب هذه المسألة، ولكن لما بلغ عمر رضي الله عنه ما كان يسأل عنه من متشابه القرآن من قبل أن يراه، علم أنه مفتون قد شغل نفسه بما لا يعود عليه نفعه، وعلم أن اشتغاله بطلب علم الواجبات من علم الحلال والحرام أولى به، وتطلب علم سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى به، فلما علم أنه مقبل على ما لا ينفعه، سأل عمر رضي الله عنه ربه أن يمكنه حتى ينكل به، وحتى يحذر غيره، لأنه راع يجب تفقد رعيته، في هذا وفي غيره، فأمكنه الله عزوجل منه.

* (درس الشيء) عفا (الرملان) الرمل، والسعي، الرمل: أن يهز منكبيه ويسرع في المشي (أطأ) ثبته، وأرساه (حسر عن ذراعيه) أخرجهما من كميه (قتب) القتب والقتب: إكاف البعير (صبيغ بن عسل) ويقال: ابن عسيل الحنظلي، سأل عمر عن متشابه القرآن، واتهمه عمر برأي الخوارج، توفي في خلافة معاوية (الأسطوانة) السارية (ممشقين) المشق، والمشق: طين يصبغ به الثوب، يقال: ثوب ممشق. شيبة بن عثمان بن أبي طلحة القرشي العبدي، حاجب الكعبة، توفي سنة 59. وقيل: في خلافة يزيد بن معاوية.

مراجع: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ البداية والنهاية/محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب/

◆ الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي (دولة المماليك البحرية) والإمام النووي (١) ٥٩٩٠

لم خرج الظاهر بيبرس[1] المملوكي إلى قتل التتار بالشام، أخذ فتاوى العلماء بجواز أخذ مال من الرعية يستنصر به على قتال التتار، فكتب له فقهاء الشام بذلك، وأجازوه، فقال: هل بقي من أحد؟ فقيل له: نعم. بقي الشيخ محي الدين النووي[2]. فطلبه، فحضر إليه، فقال له: أكتب خطك مع الفقهاء، فامتنع الإمام النووي عن ذلك، فقال له بيبرس: ما سبب امتناعك؟ فقال النووي: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير البندقدار[3] وليس لك مال، ثم من الله عليك، وجعلك ملكا. وسمعت أن عندك آلف مملوك، كل مملوك له حياصة* من ذهب، وعندك مئتا جارية، لكل جارية حق من الحلي، فإذا أنفقت ذلك كله، أفتيتك بأخذ المال من الرعية. فغضب الظاهر من كلامه وقال: أخرج من بلدي، يعني دمشق. فقال السمع والطاعة، وخرج إلى نوى، فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا، وممن يقتدي به، فاعده إلى دمشق. فأمر برجوعه، فامتنع النووي عن العودة، وقال: لا أدخلها والظاهر فيها. فمات الظاهر بعد شهر. ودخلها النووي، وأَبَرَّ الله قسمه رحمه الله.

----

*(الحوائص) جمع حياصة، وهي كساء موشى بالذهب يخلعها السلطان على أمرائه وأعوانه في مناسبات خاصة. وقيل هي: حزام الرجل وحزام الدابة.

■ (2) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي الدمشقي، أبو زكريا، الإمام الحافظ المؤرخ الفقيه، صاحب مصنفات عدة. ولد في نوى من أرض حوران في الجنوب الغربي من سورية، وذلك في العشر الأوسط من شهر الله المحرم سنة 631 هـ ، لما بلغ التاسعة عشرة من عمره قدم به والده إلى دمشق لطلب العلم، فسكن المدرسة الرواحية، وأخذ العلم عن جمهرة غفيرة من العلماء الكبار في الشام آنذاك، منهم الرضي بن البرهان، وشيخ الشيوخ عبد العزيز بن محمد الأنصاري، وزين الدين عبد الدائم، وعماد الدين بن عبد الكريم الحرستاني، وزين الدين أبي البقاء خالد بن يوسف المقدسي النابلسي، والشيخ المحقق إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي، والقاضي التفليسي، وتخرج به جماعة من العلماء، منهم الخطيب صدر الدين سليمان الجعفري، وشهاب الدين الإربدي، وشهاب الدين بن جعوان، وغيرهم. وتولى مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق حسبة لوجه الله. فكان ذلك الإنتاج العظيم في عمره القصير الذي لم يتجاوز 45 عاما، ولكنه كان مليئا بالخير والبركة. وسافر آخر عمره إلى بلدته نوى، وزار بيت المقدس، والخليل، ثم رجع إلى نوى، فمرض عند أبويه، وتوفي ليلة الأربعاء لست بقين من شهر رجب سنة 676 هـ، ودفن ببلده.

■ (3) علاء الدين أيدكين البندقداري الصالحي، المعروف بـ البندقدار، أستاذ الملك الظاهر بيبرس.وكان علاء الدين من مماليك السلطان الصالح نجم الدين أيوب على حماة، الذي أخذ منه مملوكه بيبرس فأضافه إليه، فتقدم عنده على أستاذه وغيره، توفي البندقدار بالقاهرة.

■ (1) الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي، أبي الفتوح، ولد نحو سنة 620 هـ لقبه الملك الصالح أيوب في دمشق بركن الدين، وبعد وصوله للحكم لقب نفسه بالملك الظاهر. بايعوه الأمراء المماليك سلطان على مصر والشام بعد معركة عين جالوت واغتيال السلطان سيف الدين قطز سنة 658 هـ انتقل عرش السلطنة بعد قطز إلى ركن الدين بيبرس، الذي يعد المؤسس الفعلي لدولة المماليك وأعظم سلاطينها؛ إذ اجتمعت فيه صفات العدل والفروسية والإقدام. عقد بيبرس العزم على أن تكون مصر والشام من أعظم البلاد آنذاك، ووهب حياته للجهاد، وجعل هدفه رفع شأن الأمة الإسلامية، وإليه يرجع الفضل في انتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة بعد سقوطها فى بغداد، وأصبحت مصر دار الخلافة الإسلامية؛ إذ استقدم بيبرس أحمد بن الخليفة الظاهر العباسي، وبايعه بالخلافة في حضرة الأمراء والعلماء ورجال الدولة. وفى سنة 659 هـ، عقد الخليفة اجتماعا منح فيه بيبرس تفويضا منه لتسيير أمور البلاد، فكان ذلك تقوية له ضد خصومه ومنافسيه، كما كان إقرارا بمشروعية النظام المملوكي، وبحقه في تولى شئون البلاد. عادت إلى العالم الإسلامي هيبته بإحياء الخلافة الإسلامية، وأضحت القاهرة مقر الخلافة، ومركز السلطة الإسلامية المركزية، ومقصد المسلمين من كل حدب وصوب، وظلت على ذلك حتى انتقلت منها الخلافة إلى استانبول بعد قرابة ثلاثة قرون. قام بيبرس بدوره على خير وجه في محاربة المغول والصليبيين تقليدا للقائد البطل صلاح الدين، وأصدر عدة قوانين لتطبيق الشريعة الإسلامية، وإصلاح الأوضاع الاجتماعية في مصر، وأمر في سنة 664 هـ بمنع بيع الخمور، وإغلاق الحانات، ونفى المفسدين. وكان بيبرس قائدا شجاعا، ضربت ببطولته وشهامته الأمثال، فقد خاض معارك ومواقع عديدة، سجل فيها بطولات رائعة، وأبلى بلاء حسنا في مطاردة الصليبيين وتشتيتهم وإجلائهم عن الشرق الأدنى، واستعاد في سنة 666 هـ قيسارية، و أرسوف، و صفد، وشقيف، و يافا، وطرابلس، وأنطاكية، فأضعف ذلك الصليبيين، وأنهكهم، وزاد من قوة المسلمين، وحرص على أن يؤكد صورة الحاكم العادل الذي يجلس بنفسه للمظالم، ويعطف على الفقراء. وفى سنة 676 هـ توفى الظاهر بيبرس إثر عودته من واقعة قيسارية بالقرب من دمشق، وقد دفن بها بعد حياة حافلة بالبطولة والشجاعة، سطر خلالها صفحات مجيدة مازال التاريخ يحفظها له وسيظل. تنبيه: لاحظ بعض الأمراء كانوا يحملون اسم ركن الدين بيبرس:كالسلطان الثاني عشر: الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري كنيته أيضا أبو الفتح توفي سنة 1309 وبقى على العرش فترة قصيرة 1308–1309.

أيها الإخوة المؤمنون، هذا والظاهر بيبرس من ملوك المسلمين الذين حملوا راية الجهاد على الصليبين والتتار سبع وعشرين عام، لا يسترح من غزوة إلا أتبعها أخرى، والمال الذي طلبه لم يكن للبذخ ولا للفسوق ولا للعصيان، بل كان لتجهيز جيش المسلمين لجهاد التتار، لم يكن لإعطاء الإقطاعات للأمراء الذين غصبوا أموال الناس قهرا، ولم يكن لتبرع لدور رعاية الحيوانات في بلاد أوروبا، ولم يكن لتقديم الهداية والنفائس لملوك ورؤساء وأمراء الكفار في أعيادهم ومناسباتهم، ولم يكن لتقديم الأموال لطواغيت في مختلف بلاد العالم بأمر من أمريكا ودول الكفر الكبرى. كان للجهاد وتمويل جيش المسلمين ومع ذلك كان من النووي رحمه الله ما سمعنا. قال له: كنت مملوك فقيرا، فصار لديك مئات المماليك والذهب والجواهر والجواري وما لديهن، أنفق ذلك ثم أفتيك بأخذ أموال الناس. فأين علمائنا وأين الهيئات والكبار وأين القضاة وأين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأين الدعاة والعلماء وقادة الحركات الإسلامية من ما يدور في بلادنا وما يهتك من دين المسلمين وما يسلب من أموهم وما يقتل من أولادهم وما يسجن من صلحائهم؟. اللهم، إليك نشكو ضعف قوتنا وما ألم بنا، وأنت المستعان، ووعدك الحق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يقول الشيخ أحمد شاكر[1]، ناعيا على الأمة تنكبها لدينها، واستبدالها الذي هو أدنى بالذي هو خير، وأن الحال التي آل إليها أمر المسلمين في هذا العصر أسوأ من الحال التي غزا فيها التتار ديار الإسلام، وشرعوا فيها قانونهم المسمى بـ الياسق*: ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالا وأشد ظلما وظلاما منهم، لأن أكثر الأمم الإسلامية الآن تكاد تندمج في هذه القوانين المخالفة للشريعة، والتي هي أشبه بذلك الياسق الذي اصطنعه رجل كافر ظاهر الكفر، هذه القوانين التي يصطنعها أناس ينتسبون للإسلام، ثم يتعلمها أبناء المسلمين، ويفخرون بذلك آباء وأبناء، ثم يجعلون مرد أمرهم إلى معتنقي هذا الياسق العصري! ويحقرون من يخالفهم في ذلك، ويسمون من يدعوهم إلى الاستمساك بدينهم وشريعتهم رجعيا، وجامدا، إلى مثل ذلك من الألفاظ البذيئة. إلى أن قال: إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، هي كفر بواح، لا خفاء فيه ولا مداراة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام – كائنا من كان – في العمل بها، أوالخضوع لها، أوإقراراه، فليحذر امرؤ لنفسه، وكل امرئ حسيب نفسه.ألا فليصدع العلماء بالحق غير هايبين، وليبلغوا ما أمروا بتبليغه غير موانين ولا مقصرين.

----

* (الياسق) أو الياسا قانون وضعه ملك التتار سنكز خان وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام اقتبسها من شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير.

■ (١) أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، من آل أبي علياء، يرفع نسبه إلى الحسين بن علي: عالم بالحديث والتفسير، مصري. مولده ووفاته في القاهرة.وأبواه من بلاد جرجا بصعيد مصر. سماه أبوه أحمد، شمس الائمة أبا الاشبال ! واصطحبه معه حين ولي القضاء في السودان سنة 1900هـ فأدخله في كلية غوردون وانتقل، وهو معه إلى الاسكندرية فألحقه بمعهدها سنة 1904 هـ ثم إلى القاهرة، وألحقه بالازهر ففاز بشهادة العالمية سنة 1917 هـ وعين في بعض الوظائف القضائية. ثم كان قاضيا إلى سنة 1951 هـ ورئيسا للمحكمة الشرعية العليا وأحيل إلى المعاش فانقطع للتأليف والنشر إلى أن توفي سنة1377 هـ – 1958 م

مراجع: وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح/ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي/ موسوعة الدين النصيحة/

كان الإمام محيي الدين[1] يُكثِر المكاتبات إلى الملك الظاهر بيبرس[2] ينصحه ويعظه، قال الشيخ علاء الدين بن العطار: كتب الشيخ محيي الدين ورقةً إلى الظاهر بيبرس تتضمَّن العدل في الرعية وإزالة المكوس، وكتب فيها معه جماعة ووضعها في ورقة كتبها إلى الأمير بدر الدين بيليك الخزندار (الخازندار)[3] بإيصال ورقة العلماء إلى السلطان، وصورتها: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله يحيى النووي. سلام الله تعالى ورحمته وبركاته على المولى المحسن ملك الأمراء بدر الدين، أدام الله الكريم له الخيرات، وتولاَّه بالحسنات، وبلَّغه من أقصى الآخرة والأولى كلَّ آماله، وبارك له في جميع أحواله، آمين. وينهي إلى العلوم الشريفة أن أهل الشام في هذه السنة في ضيق عيش وضعف حال؛ بسبب قلة الأمطار، وغلاء الأسعار، وقلة الغلات والنبات وهلاك المواشي، وغير ذلك، وأنتم تعلمون أنه تجب الشفقة على الرعية ونصيحته في مصلحته ومصلحتهم فإن الدين النصيحة، وقد كتب خدَمة الشرع الناصحون للسلطان المحبوبون له كتابًا يذكِّره النظر في أحوال رعيته والرفق بهم، وليس فيه ضرر، بل هو نصيحة محضة وشفقة وذكرى لأولي الألباب، والمسؤول من الأمير، أيده الله تعالى، تقديمه إلى السلطان أدام الله له الخيرات، ويتكلم عنده من الإشارة بالرفق بالرعية بما يجده مدَّخرًا له عند الله تعالى:﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران] وهذا الكتاب أرسله العلماء أمانة ونصيحة للسلطان، أعز الله أنصاره، ويجب عليكم إيصاله للسلطان، أعز الله أنصاره، وأنتم مسؤولون عن هذه الأمانة ولا عذر لكم في التأخُّر عنها، ولا حجة لكم في التقصير عنها عند الله تعالى وتسألون عنها يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء] ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس] وأنتم بحمد الله تحبون الخير وتحرصون عليه وتسارعون إليه، وهذا من أهم الخيرات وأفضل الطاعات، وقد أُهِّلتم له وساقه الله إليكم وهو فضل من الله، ونحن خائفون أن يزداد الأمر شدة إن لم يحصل النظر في الرفق بهم؛ قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف] وقال الله تعالى:﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة] والجماعة الكاتبون منتظرون ثمرة هذا، فإذا فعلتم فأجركم على الله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فلما وصلت الورقتان إليه أُوقِف عليهما السلطان، فردَّ جوابهما ردًّا عنيفًا مؤلمًا، فتكدرت خواطر الجماعة الكاتبين، فكتب رضي الله عنه جوابًا لذلك الجواب وهذه صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم. من عبد الله يحيى النووي ينهي أن خدَمة الشرع كانوا كتبوا ما بلغ السلطان، أعز الله أنصاره، فجاء الجواب بالإنكار والتوبيخ والتهديد، وفهمنا منه أن الجهاد ذكر في الجواب على خلاف حكم الشرع، وقد أوجب الله أيضًا الكلام عند الحكام عند الحاجة إليه؛ فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران] فوجب علينا حينئذ بيانه وحرم علينا السكوت، وقال الله تعالى:﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة] وذكر في الجواب أن الجهاد ليس مختصًّا بالأجناد وهذا أمر لم ندَّعه، ولكن الجهاد فرض كفاية، فإذا أقرَّ السلطان له أجنادًا مخصوصين وله أخباز معلومة من بيت المال كما هو الواقع، تفرغ باقي الرعية لمصالحهم ومصالح السلطان والأجناد وغيرهم من الزراعة والصنائع وغيرها مما يحتاج الناس كلهم إليه، فجهاد الأجناد مقابَل بالأخباز المقرَّرة لهم، ولا يحل أن يؤخذ من الرعية شيء ما دام في بيت المال شيء من نقد أو متاع أو أرض أو ضياع تُبَاع أو غير ذلك. وهؤلاء علماء المسلمين في بلاد السلطان، أعز الله أنصاره، متفقون على هذا، وبيت المال بحمد الله معمور زاده الله عمارة وسعة وخيرًا وبركة في حياة السلطان المقرونة بكمال السعادة والتوفيق والتسديد، والظهور على أعداء الدين وما النصر إلا من عند الله. وإنما يستعان في الجهاد وغيره بالافتقار إلى الله تعالى، واتِّباع آثار النبي صلى الله عليه وسلم، وما لزمه من أحكام الشرع، وجميع ما كتبناه أولاً وثانيًا هو النصيحة التي نعتدها وندين الله بها، ونسأل الله الدوام عليها حتى نلقاه. والسلطان يعلم أنها نصيحة له وللرعية وليس فيها ما يلام عليه، ولم نكتب هذا للسلطان إلا لعلمنا أنه يجب متابعة الشرع ومتابعة أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في الرفق بالرعية والشفقة عليهم، وإكرامه لآثار النبي صلى الله عليه وسلم، وكل ناصح للسلطان موافق على هذا الذي كتبناه. وأما ما ذكر في الجواب من كوننا لم ننكر على الكفار كيف كانوا في البلاد، فكيف يقاس ملوك الإسلام وأهل الإيمان والقرآن بطغاة الكفار وهم لا يعتقدون شيئًا من ديننا؟! وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا وتهديد طائفة العلماء، فليس هو الأمر المرجو من عدل السلطان وحلمه، وأي حيلة لضعفاء المسلمين الناصحين نصيحة للسلطان ولا علم لهم به، وكيف يؤاخذون به لو كان فيه ما يلام عليه؟! وأما أنا في نفسي فلا يضرُّني التهديد ولا أكثر منه، ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان؛ فإني أعتقد أن هذا واجب عليَّ وعلى غيري، وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى وإنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار، وأفوِّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد. وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن نقول الحق حيث كنَّا وأن لا نخاف في الله لومة لائم، ونحن نحب السلطان في كل الأحوال، ونقول ما ينفعه في آخرته ودنياه، ويكون سببًا لدوام الخيرات له، ويبقى ذكره على مرِّ الأيام، ويخلد به في الجنة، ويجد نفسه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا. وأما ما ذكر من تمهيد السلطان البلاد وإدامته الجهاد وفتوح الحصون وقهْر الأعداء فهذا بحمد الله من الأمور الشائعة التي اشترك في العلم بها الخاصة والعامة، وطارت في أقطار الأرض فلله الحمد، وثواب ذلك مدخَّر للسلطان إلى أن تجد كلُّ نفس ما عملت من خير محضرًا، لا حجة لنا عند الله تعالى إذا تركنا هذه النصيحة الواجبة علينا وعليكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

----

(1) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي الدمشقي، أبو زكريا، الإمام الحافظ المؤرخ الفقيه، صاحب مصنفات عدة. ولد في نوى من أرض حوران في الجنوب الغربي من سورية سنة 631 هـ، وتوفي سنة 676 هـ، ودفن ببلده.

(2) الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي، أبي الفتوح، ولد نحو سنة 620 هـ بايعوه الأمراء المماليك سلطان على مصر والشام بعد معركة عين جالوت واغتيال السلطان سيف الدين قطز سنة 658 هـ

(3) الأمير بدر الدين بيليك بن عبد الله الخزندار (الخازندار) نائب الديار المصرية للملك الظاهر. توفي سنة 676 هـ

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا: إِمَامٌ عَادِلٌ وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُمْ عَذَابًا –وفي رواية-: وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ جَائِرٌ﴾ وعن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ إِمَامٌ عَادِلٌ رَفِيقٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِمَامٌ جَائِرٌ خَرِقٌ﴾ وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ قَالَ كَلِمَةَ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ﴾ كتب بعض العمال إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالًا يرمها به فعل، فكَتب إليه عمر: أما بعد، قد فهمت كتابك، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم، فإنه مرمتها والسلام. وكتب إليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها، فوقع له: ارض لهم ما ترضى لنفسك، وخذ بجرائهم بعد ذلك.

قال يحيى الغساني[1]: لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقة ونقبا* (ونهبا؟) فكتبت إليه أعلمه حال البلد وأسأله: آخذ الناس بالظنة وأضربهم على التهمة أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فكتبت إلي أن آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله. قال يحيى: ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقة ونقبا (ونهبا؟).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله عبد الله بن عون على فلسطين:أن اركب إلى البيت الذي يقال له المكسُ* فاهدمه، ثم احمله إلى البحر فانسفه في اليم نسفا. قال ابن الأصم:[2]كنت جالسا عند سليمان بن عبد الملك فجاء رجل يقال له أيوب[3]كان على جسر منبج*يحمل مالا مما يوجد على الجسر فقال عمر بن عبد العزيز:هذا رجل مترف يحمل مال سوء فلما قام عمر خلى سبل الناس من الجسور والمعابر. وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ مَكْسٍ﴾ في شرح السنة أراد بصاحب المكس الذي يأخذ من التجار إذا مروا مكسا باسم العشر، فأما الساعي الذي يأخذ الصدقة ومن يأخذ من أهل الذمة، العشر الذي صولحوا عليه؛ فهو محتسب ما لم يتعد فيأثم بالتعدي والظلم. وعرض أمير مصر مسلمة بن مخلد على رويفع بن ثابت أن يوليه العشور فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿إِنَّ صَاحِبَ الْمَكْسِ* فِي النَّارِ﴾ (المكس) هو الضريبة التي تؤخذ من الناس على بيوعهم، وصاحب المكس هو الذي يتولى هذه المهمة (في النار) يعني العاشر الذي يأخذ المكس من قبل السلطان يكون يوم القيامة في نار جهنم أي مخلدا فيها إن استحله لأنه كافر وإلا فيعذب فيها مع عصاة المؤمنين ما شاء الله ثم يخرج ويدخل الجنة وقد يُعفى عنه ابتداء. وعن الحسين بن زياد قال: سمعت منيعا يقول: مر تاجر بعشار فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر ذلك له، قال: فقام مالك فمشى إلى العشار فلما رأوه قالوا: يا أبا يحيى ألا تبعث إلينا حاجتك؟ قال: حاجتي أن تخلوا سفينة هذا الرجل. قالوا: قد فعلنا. قال: وكان عندهم كوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم قالوا: ادع الله لنا يا أبا يحيى. قال: قولوا للكوز يدعو لكم، كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم؟ أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف؟.

----

*(النقب) التعب في أي شيء كان.قبل هذه الكلمة تحتمل أن تكون مصحفة عن: ونهبا (المكس) دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الجاهلية أو هي الجباية.(جسر منبج) مدينة صغيرة لها زرع سقي ومباخس، وماؤها من الفرات. قال البلاذري في كتاب البلدان: وقرية جسر منبج، ولم يكن الجسر يومئذ، إنما اتخذ في خلافة عثمان بن عفان للصوائف، ويقال بل كان له رسم قديم

(2) يزيد بن الأصم وهو يزيد بن عمرو – ويقال: يزيد بن عبد عمرو = بن عدس ابن معاوية بن عبادة، أبو عوف العامري. وهو ابن أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وابن خالة ابن عباس.توفي يزيد بن الأصم سنة 103 هـ أو 104 هـ، وقيل: سنة 101 هـ.

(3) أيوب بن يحيى ؟، وقيل يقال له ابن نجيح. ابن عم الحجاج ؟. قيل: أبو نصر بن يحيى. عامل لمحمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف. (لم أقف له على ترجمة كاملة في حدود ما اطلعت عليه، والله تعالى أعلم)

(1) يحيى بن يحيى الغساني من أهل المدينة يروى عن سعيد بن المسيب روى عنه الشاميون كان مولده يوم مرج راهط ومات سنة 135 هـ وقد قيل سنة 133 هـ وكان سيد أهل دمشق.

مراجع: الجامع الصحيح للسنن والمسانيد/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ العقد الفريد/ تاريخ الخلفاء/ الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار/ المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين/

دخل الشيخ الديروطي[1] في أحد الأيام مجلس السلطان الغوري[2] وبادر الشيخ بإلقاء تحية الإسلام على السلطان، لكن السلطان أخذته العزة بالإثم فتجاهل الشيخ وتجاهل تحيته وكان يمكن أن يعود الشيخ من حيث أتى، ويقاطع مجلسه فلا يذهب إليه. ولكن الرجل الذي تربى في مدرسة الإسلام أبى مغادرة المجلس حتى يلقن هذا السلطان الذي يتحكم في رقاب العباد درسا لا يمكن أن ينساه. فقال الشيخ: إن لم ترد السلام فسقت وعزلت. فقال السلطان: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ثم قال السلطان: لماذا تهاجمنا على ترك الجهاد، ومقاتلة الأعداء وليس لنا مراكب نجاهد المعتدين عليها؟ فقال الشيخ: بل عندك المال الذي تجهزها به. فطال بينهما الكلام. فقال الشيخ: قد نسيت نعم الله عليك وقابلتها بالعصيان، أما تذكر حين كنت نصرانيا ثم أسروك، وباعوك من يد إلى يد، ثم منَّ الله عليك بالحرية والإسلام، ورقاك إلى أن صرت سلطانا على الخلق؟ وعن قريب يأتيك المرض الذي لا ينجح فيه طبيب، ثم تموت، وتكفن، ويحفرون لك قبراً مظلمًا، ثم يدسون أنفك هذا في التراب، ثم تبعث عريان عطشان جوعان، ثم تقف بين يدي الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة، ثم ينادي المنادي: من كان له حق على الغوري فليحضر. فيحضر خلائق لا يعلم عدتها إلا الله. فتغير وجه السلطان من كلامه، وأوشك أن يختل عقله ولم يجد أمامه من حيلة سوى أن يعرض على الشيخ مبلغا من المال هو عشرة آلاف دينار يشتري بها سكوته وصمته على مخازيه، وسلبه حرية الشعب وأمواله، وجبنه عن مواجهة الأعداء. ولكن الرجل الذي يجابه السلطان بكلمة حق، محال أن تخدعه عروض الدنيا أو يغريه بريق الذهب فردها عليه قائلا: أنا رجل ذو مال، ولا أحتاج إلى مساعدة أحد، ولكن إن كنت أنت محتاجا لأجل الجهاد، لأجل تجهيز الجيش، من أجل الدفاع عن الإسلام، أقرضتك وصبرت عليك. يقول روي الحديث: فما رئي أعز من الشيخ ولا أذل من السلطان في ذلك المجلس. ويتكاسل الغوري عن الجهاد ويتباطأ في إعداد العدة، ويهمل قول ربه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال] ويأتي الجيش العثماني بعدته، وعتاده ويستولي على مصر، ويطلب القائد المنتصر من أعيان الأمة وعلمائها وقوادها أن يأتوا إليه في القلعة مركز الحكم لتقديم فروض الولاء والطاعة. هرع الجميع إليه يتزلفون، ينافقون، ويقدمون الولاء والطاعة. ولكن رجلاً ممن تربوا في مدرسة القرآن، وتشربوا روح الإسلام، ونهلوا من ينابيع الإيمان يرفض هذا الطلب، ويمتنع عن الذهاب إلى القائد المنتصر، ويطلبه القائد ويلح في الطلب، ولكن الرجل الرباني يرفض ويصر على الرفض، ولم يجد القائد المنتصر من وسيلة إلا النزول إليه، نزل الحاكم وحاشيته، نزل القائد المنتصر وأركان حربه، وخضع الجميع لرأي هذا الرجل، ويقول القائد للرجل الرباني: لما لم تأت إلينا؟ ويرد الرجل المؤمن: لم نتعود الخروج إلى أحد. ويطول الصمت بين الرجلين، ويحس القائد المنتصر بضآلته أمام هذا الرجل، يحس بأن نصره وصولجانه وجنوده، لا يساوي شيئا أمام كلمة رضا يسمعها من هذا الرجل. ويقول له: يا سيدي ألك حاجة نقضيها لك قبل أن نذهب إلى تركيا؟ ويرد عليه الرجل المؤمن: لسنا في حاجة إلا إلى الله سبحانه وتعالى. ويعود القائد من حيث أتى ويترك مصر، ويعود إلى بلده، ولكن خمرة النصر لم تنسه هذا النموذج من الرجال ويكلف وأليه في مصر أن يذهب إلى العالم الجليل ليتفقد شئونه ويحقق مطالبه. ولكن متى كان لأولياء الله مطالب؟ متى كان لهؤلاء الرجال حاجة إلى غير الله؟ ويذهب الوالي الجديد إلى منزل الرجل الرباني ويقول له: إننا أزمعنا الرحيل إلى تركيا ونحن مقربون إلى السلطان فهل من حاجة نقضيها لك من سلطان البلاد؟ ويرد الرجل الرباني: إننا مقربون إلى الله أكثر فهل لك أنت حاجة؟ المقربون إلى الله كيف يطلبون من هؤلاء الضعفاء وأمامهم الطرق مفتحة إلى مالك الملك، والذي يعطي عباده بلا مَن ولا تقتير. إذا ما التجؤوا إليه وطلبوا منه ولهذا قال لهم في محكم كتابه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر] وقال أيضا:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة]

■ (1) محمد بن أحمد، أبو عبد الله، شمس الدين الديروطي ثم الدمياطي: واعظ زاهد، كان بالجامع الأزهر أيام السلطان الغوري، وكان جريئا على السلطان عنيفا في وعضه، متعففا عن عطائه يعيش من تجارته توفي بدمياط سنة 921 هـ له كتاب القاموس في الفقه وشرح منهاج النووي.

■ (2) قانصوه الغوري، قانصوه بن عبد الله الظاهري (نسبة إلى الظاهر خشقدم). الاشرفي (نسبة إلى الأشرف قايتباوي) الغروي أبو النصر، سيف الدين، الملقب بالملك الأشرف: سلطان مصر. جركسي الأصل (الشراكسة)، مستعرب، خدم السلاطين، وولي حجابة الحجاب بحلب. ثم بويع بالسلطنة بقلعة الجبل في القاهرة سنة 905 هـ، وبنى الآثار الكثيرة. وكان ملما بالموسيقى والأدب، شجاعا، فطنا داهية. وقصده السلطان سليم العثماني بعسكر جرار، فقاتله قانصوه في مرج دابق على مقربة من حلب. وانهزم عسكر قانصوه فأغمي عليه وهو على فرسه، فمات قهرا، سنة 922 هـ وضاعت جثته تحت سنابك الخيل – في رواية ابن إياس – ويقول العبيدي: إن الأمير عان وهو من رجال الغوري القلائل الذين ثبتوا معه في المعركة، لما رأى الغروي قد وقع على الأرض، أمر عبدا من عبيده فقطع رأسه وألقاه في جب، مخافة أن يقتله العدو ويطوف.

قال علي بن نايف: لقد أوجب الله عز وجل على الأمة الإسلامية وتعبدها في شخص رسولها صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين والإغلاظ عليهم، فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة] وبشر أمته بأن الجهاد ماض وباق، فعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِيَ اللهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ﴾، ولهذا بوب البخاري في كتاب الجهاد: باب الجهاد ماض مع البر والفاجر. إذ بقاء الإسلام والمسلمين رهين ببقاء الجهاد واستمراره. قال ابن حجر: وفيه أيضا بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة، لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين، وهم المسلمون. وترك الجهاد نذير شؤم بضياع الإسلام وذهاب المسلمين وذلهم، كما بشر كذلك أن هذه الأمة لن تجتمع على ضلالة، إذ لا تزال طائفة منا تقاتل على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم..

ولم يعذر الله عز وجل أحدا بترك الجهاد إلا المريض والأعرج والأعمى، والطفل الذي لم يبلغ الحنث، والمرأة التي لا تعرف طريق الجهاد والهجرة، والطاعن في السن، وحتى المريض مرضا غير شديد والأعرج، أو الأعمى إذا استطاعوا أن يصلوا معسكرات التدريب لينضموا للمجاهدين ويعلموهم القرآن ويحدثوهم ويشجعوهم فالأولى أن يأتوا كما فعل عبد الله بن أم مكتوم[1] في أحد وفي القادسية. وغير هؤلاء ليس لهم عذر عند الله، سواء كان موظفا أو صاحب صنعة أو من أرباب الأعمال أو تاجرا كبيرا، فهؤلاء ليسوا معذورين بترك الجهاد بأنفسهم وأن يدفعوا أموالهم.

■ (1) عبد الله بن أم مكتوم الأعمى القرشي، نزلت فيه سورة عبس، وهو عبد الله بن عمرو بن شريح بن قيس بن زائدة بن الأصم من بني عامر قدم المدينة بعد بدر بيسير فنزل دار مخرمة بن نوفل ومن قال هو عبد الله بن زائدة فقد نسبه إلى جد جده زائدة وكان اسمه الحصين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ومنهم من زعم أن اسم بن أم مكتوم عمرو وأم مكتوم هي أمه واسمها عاتكة من بني مخزوم قدم المدينة مهاجرا بعد بدر بسنتين فذهب بصره وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستخلفه على المدينة ليصلي بالناس في عامة غزواته وشهد القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع ثم رجع إلى المدينة ومات بها في خلافة عمر بن الخطاب.سنة 14 هـ.

مراجع: مواقف العلماء أمام الحاكم/ معجم المؤلفين/ الأعلام للزركلي/ موسوعة الخطب والدروس/ هل تخلى الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟/

◆ الملك الأشرف قانصوه الغوري الأشرفي قايتباي، سلطان مصر (دولة المماليك البرجية / الجراكسة) وأبو الفضل بن أبي اللطف 0993

نقل ابن طولون[1] عن الشيخ أبو الفضل بن أبي اللطف[2] أنه كان من أهل العلم. قال: وجرت له محنة في أيام السلطان قانصوه الغوري[3]، وهي أن بعض التجار أودع عنده مالا له صورة، وقال له: إذا بلغ ولدي بعد موتي، فادفعه إليه، فجاء الولد إليه، وهو دون البلوغ يطلب منه المال، فقال له: حتى تبلغ، فذهب إلى السلطان، فاشتكى عليه، فطلبه السلطان وطالبه بالوديعة، فأنكرها وحلف عليها، ثم لما بلغ الولد أقر بها، ودفعها إليه، فعلم السلطان بذلك، فطلبه فقال له: كيف تحلف ما عندك وديعة والآن قد أقررت بها؟ فقال له: إن فقهاء الشافعية كالنووي في الروضة قالوا: إن الظالم إذا طلب الوديعة من الوديع، وخاف منه عليها له أن ينكرها، ويحلف على ذلك وأنت ظالم، فرسم عليه السلطان، ثم شفع فيه، فأطلقه.

■ (2) علي بن محمد بن علي، الشيخ الإمام العلامة أبو الفضل بن أبي اللطف المقدسي الشافعي نزيل دمشق. قرأت بخطه في إجازة أولاد مفلح أن مولده سنة 856 هـ ببيت المقدس، ورحل إلى مصر، وأخذ عن علمائها الفقه توفي الشيخ أبو الفضل بن أبي اللطف سنة 934 هـ، ودفن بمقبرة باب الصغير

■ (3) قانصوه الغوري، قانصوه بن عبد الله الظاهري (نسبة إلى الظاهر خشقدم). الاشرفي (نسبة إلى الأشرف قايتباوي) الغروي أبو النصر، سيف الدين، الملقب بالملك الأشرف: سلطان مصر. جركسي الأصل، مستعرب، خدم السلاطين، وولي حجابة الحجاب بحلب. ثم بويع بالسلطنة بقلعة الجبل في القاهرة سنة 905 هـ، وبنى الآثار الكثيرة. وكان ملما بالموسيقى والأدب، شجاعا، فطنا داهية. وقصده السلطان سليم العثماني بعسكر جرار، فقاتله قانصوه في مرج دابق على مقربة من حلب. وانهزم عسكر قانصوه فأغمي عليه وهو على فرسه، فمات قهرا، سنة 922 هـ وضاعت جثته تحت سنابك الخيل – في رواية ابن إياس – ويقول العبيدي: إن الأمير عان وهو من رجال الغوري القلائل الذين ثبتوا معه في المعركة، لما رأى الغروي قد وقع على الأرض، أمر عبدا من عبيده فقطع رأسه وألقاه في جب، مخافة أن يقتله العدو ويطوف.

■ (1) محمد بن علي بن محمد الشهير بابن طولون الدمشقي، الصالحي، الحنفي شمس الدين، أبو عبد الله محدث، مسند، مؤرخ فقيه، نحوي، مشارك في التعبير والطب وغيرهما من العلوم. ولد بـ صالحية دمشق بالسهم الأعلى قرب المدرسة الحاجبية سنة 880 هـ تقريبا، وسمع وقرأ على جماعة، وتفقه بعمه الجمال بن طولون وغيره، واخذ عن السيوطي إجازة مكاتبة وآخرين من أهل الحجاز، وولي تدريس الحنفية بمدرسة أبي عمر و امامة السليمية بـ الصالحية، وأخذ عنه جماعة، وتوفي بدمشق سنة 953 هـ

☪

قالت العلماء: يجب على الوديع إنكار الوديعة عن الظالم والامتناع من إعلامه بها جهده فإن ترك ذلك مع القدرة عليه ضمن وله أن يحلف على ذلك لمصلحة حفظها. قال الأذرعي: ويتجه وجوب الحلف إذا كانت الوديعة رقيقا والظالم يريد قتله أو الفجور به، ويجب أن يوري في يمينه إذا حلف وأمكنه التورية* وكان يعرفها لئلا يحلف كاذبا، فإن لم يور كفر عن يمينه لأنه كاذب فيها. فإن حلف بالطلاق أو العتق مكرها عليه أو على اعترافه فحلف حنث لأنه فدى الوديعة بزوجته أو رقيقه، إن اعترف بها وسلمها ضمنها لأنه فدى زوجته أو رقيقه بها، ولو أعلم اللصوص بمكانها فضاعت بذلك ضمن لمنافاة ذلك للحفظ لا إن أعلمهم بأنها عنده من غير تعيين مكانها فلا يضمن بذلك. وقوله: (ويجب على الوديع إنكار الوديعة عن ظالم) هذا من المواضع التي يجب فيها الكذب، فإنه في الأصل حرام؛ وقد يجوز كالزوجة حفظا لحسن عشرتها وكإصلاح ذات البين. عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ –وفي لفظ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا– مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَتَابَعُوا فِي الْكَذِبِ كَمَا يَتَتَابَعُ* الْفَرَاشُ فِي النَّارِ كُلُّ الْكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا ثَلَاثَ خِصَالٍ رَجُلٌ كَذَبَ عَلَى امْرَأَتِهِ لِيُرْضِيَهَا أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ فِي خَدِيعَةِ حَرْبٍ أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ امْرَأَيْنِ مُسْلِمَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا﴾

قال محمد المختار الشنقيطي في شرح زاد المستقنع: الوديعة مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع، أما كتاب الله عز وجل فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء] فأمر الله سبحانه وتعالى بأداء الأمانات، وهذا يدل على أنها كانت محفوظة عند أهلها، ومن هنا قال طائفة من أهل العلم: هذه الآية الكريمة أصل في مشروعية الوديعة، وأصل في جواز الإيداع عند الغير، وأنه يجب على من استودع أن يحفظ الوديعة وأن يرد الأمانات إلى أهلها. ومن السنة قوله عليه الصلاة والسلام كما في الحديث الصحيح: ﴿أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ﴾..

وكان العلماء يستشهدون بالحادثة المشهورة التي وقعت في زمان بني العباس، أن رجلا أراد الحج إلى بيت الله الحرام، وكان معه هميان أو كمر، وجمع فيه ماله وتجارة عمره، وكان بداخله من الجواهر الغالية الثمن التي هي كل ما يملكه في حياته، فجاء إلى رجل في السوق يعرفه بينه وبينه مودة ومعاملة في التجارة، فقال له: خذ هذا الكمر والهميان أمانة ووديعة عندك حتى أحج وأرجع، فذهب إلى الحج ولما رجع اشترى له هدية من باب المكافأة، فلما دخل عليه إذا بالرجل يتنكر له، سلم عليه فرد عليه السلام بجفاء، فجلس بجواره يظن أنه منكوب أو مكروب فقال له: أولا تعرفني؟ قال: لا أعرفك، من أنت؟ قال: أنا فلان الفلاني، قال: ما أعرفك، فأنكر معرفته، فقال له: بلى أنت تعرفني وقد استودعتك مالي، قال: لا أعرفك وليس لك عندي مال، فحاول الرجل أن يسترد ما أودعه عند صاحبه المرة والمرتين والثلاث حتى يئس منه، فانطلق إلى الخليفة يقال أنه المعتضد[1] رحمه الله، وكان المعتضد من أقوى الخلفاء فراسة ودهاء وذكاء، وشكا إليه ما وجد، فقال له: اذهب إلى الرجل وأمهله ثلاثة أيام، واجلس كل يوم باب دكانه لعله يعرفك أو يتذكرك، فلما مضت ثلاثة أيام رجع إليه وقال: لم يصنع شيئا، بل طردني من أمام الدكان، وقال: لا أراك بعد اليوم تجلس في هذا المكان. فقال له الخليفة المعتضد رحمه الله: إذا كان من الغد فإني داخل السوق، فإذا دخلت السوق فسأمر بك فكن على مجلسك، وسأسلم عليك وأنت جالس مكانك فلا تتحرك، ولا تبد اهتماما ولا تحدث أي شيء، وأعتني بك ولا تعتن بي، ثم أنصرف عنك، وانظر ماذا يكون من الرجل، فانطلق رحمه الله ومر عليه وهو بالسوق، فلما مر عليه قام السوق وقعد لدخول الخليفة فيه، فلما مر على الرجل سلم عليه فرد عليه السلام كأي شخص، فسأله عن حاله وعن حال أولاده وأهله وإذا به على حاله لم يتحرك فيه شيء، فلما مضى الخليفة إذا بالرجل قد أصابه الرعب مما نظر، الخليفة يسلم عليه ولا يبالي ولا يكترث به، وإذا بالخليفة يسأل عن أولاده وأهله، فعند ذلك استدعاه المودع عنده ولاطفه وقال له: ربما أني نسيت من أنت؟ فقال المودع: أنا فلان بن فلان، تذكرت وديعتي؟ قال: نعم، قال: فأخرج له الهميان –نسأل الله السلامة والعافية– فإذا بالخائن قد خاف من المخلوق أكثر من خوفه من الخالق، قال: فأخرج له الهميان فإذا هو بعينه، فأخذ الهميان وانطلق إلى الخليفة وقال: يا أمير المؤمنين! هذا الرجل وهذا ما صنع، فأمر به رحمه الله فجلده في السوق، وعزره تعزيرا بليغا. فهذه عاقبته في الدنيا، وعاقبته في الآخرة أشد وأنكى، قل أن يخون أحد وديعة إلا عجل الله له العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم: ﴿أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ﴾ يقولون: حتى منع الشخص أن يخون الأمانة مع وجود الأذية، مع أن الله يقول: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى] فلا يقابل المسيء بالإساءة في الأمانة؛ فإذا خان فلا تخن أنت؛ فإن الأمانة أمرها عظيم. انتهى.

ومن ذلك، قال زاذان: استودع رجلان امرأة وديعة وقالا لها: لا تدفعيها إلى واحد منا حتى نجتمع عندك، ثم انطلقا فغابا، فجاء أحدهما إليها فقال: أعطيني وديعتي فإن صاحبي قد مات، فأبت حتى كثر اختلافه إليها، ثم أعطته، ثم جاء الآخر بعد فقال: هاتي وديعتي، فقالت: قد جاء صاحبك فذكر أنك قد مت، فأخذ وديعتكما مني، فارتفعا إلى عمر، فلما قصا عليه القصة، قال لها عمر: ما أراك إلا قد ضمنت، قالت المرأة: يا أمير المؤمنين، اجعل عليا بيني وبينه، قال لعلي: اقض بينهما يا علي، قال علي: هذه الوديعة عندي، وقد أمرتماها ألا تدفع إلى واحد منكما حتى تجتمعا عندها، فأتني بصاحبك، فلم يضمنها (وفي رواية: فذهب، ولم يرجع)، قال: فرأوا أنهما إنما أرادا أن يذهبا بمال المرأة.

☪

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ﴾ وعن أنس بن مالك قال: ﴿مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ﴾ وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَأَضْمَنُ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ وعن بن مسعود قال: ﴿الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ كُلَّ ذَنْبٍ إِلاَّ الأَمَانَةَ يُؤْتَى بِصَاحِبِهَا وَإِنْ كَانَ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَالَ لَهُ: أَدِّ أَمَانَتَكَ فَيَقُولُ: رَبِّ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا فَمِنْ أَيْنَ أُؤَدِّيهَا فَيَقُولُ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى الْهَاوِيَةِ حَتَّى إِذَا أُتِيَ بِهِ إِلَى قَرَارِ الْهَاوِيَةِ مُثِّلَتْ لَهُ أَمَانَتُهُ كَيَوْمِ دُفِعَتْ إِلَيْهِ فَيَحْمِلُهَا عَلَى رَقَبَتِهِ يَصْعَدُ بِهَا فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا هَوَتْ وَهَوَى فِي أَثَرِهَا أَبَدَ الآبِدِينَ وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا [النساء]﴾ وعن عمر بن عبد الرحمن بن دلاف عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال: ﴿لاَ تَنْظُرُوا إِلَى صَلاَةِ أَحَدٍ وَلاَ إِلَى صِيَامِهِ وَلَكِنِ انْظُرُوا إِلَى مَنْ إِذَا حَدَّثَ صَدَقَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ أَدَّى وَإِذَا أَشْفَى وَرِعَ﴾ وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب: ﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ صَلاَةُ رَجُلٍ وَلاَ صِيَامُهُ مَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ صَلَّى وَلَكِنْ لاَ دِينَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ وَدِيعَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا﴾ ووعن عبد العزيز بن عمر عن عبيد بن أبي كلاب أنه سمع عمر بن الخطاب وهو يخطب الناس يقول: ﴿لَا يُعْجِبَنَّكُمْ مِنَ الرَّجُلِ طَنْطَنَتُهُ، وَلَكِنْ مَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ وَكَفَّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ فَهُوَ الرَّجُلُ﴾.

----

*(التورية) هي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان قريب ظاهر غير مراد وبعيد خفي هو المراد (يتتايع) يسرع وأكثر استعماله في الشر

■ (1) أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفق بالله واسمه محمد بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، يكنى أبا العباس، ويقال: أن اسم أبيه طلحة، ولد بسر من رأى سنة 242 هـ، بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله سنة 279 هـ، توفي المعتضد سنة 289 هـ.

مراجع: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة/ مصنف ابن أبي شيبة/ السنن الكبرى للبيهقي/ مسند الصحابة في الكتب التسعة/ إتحاف الخيرة المهرة/ سنن ابن ماجة/ شرح زاد المستقنع/ قواعد البلاغة/ مسند أحمد/

تولى حكم الهند سنة963 هـ جلال الدين أكبر[1]،وما أن تربع على كرسيه حتى أعلن الحرب على الإسلام، ففسخ نبوءة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأعلن إمامته العظمى، ومن خالف أمره، كان جزاءه السجن المؤبد، أو القتل، وحرم ذبح البقر والتاريخ الهجري، كما حرم تسمية أعوان حكمه بأسماء النبي صلى الله عليه وسلم، وأباح ذلك لعبيده، تحقيراً للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم. وحلل الخمر والقمار والخنزير والزواج من الوثنين، ثم لم يكتف بهذا الكفر الصريح، بل شرع ديانة جديدة، وابتكر طقوساً تعبد وآمراً بها. في هذا الواقع الأليم، الذي يعج بالكفر، عاش الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي[2]رحمه الله تعالى. ورأى تلك الحالة وعرضت له أسنى المناصب في هذه الدولة، فرفضها، وما كان لمثله أن يشارك في تثبيت هذه الدولة الكافرة، وإنما دعوته دعوة دولة الإسلام، ولقد تم له ما أراد بحمد الله، بعد محنة واضطهاد ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم] أخد الشيخ رحمه الله تعالى يجمع الناس على ما عزم عليه، فاستجاب له خلق كثير، وفي تلك الأثناء، هلك هذا الطاغية الملحد سنة 1014 هـ وانتهت فكرة الإمامة العظمى المزعومة، وخلفه ابنه جهانكير[3]فانتبه الشيخ للأمر، واتخذ من إصلاح الحاكم الجديد، نقطة ابتداء، فبصلاح الحاكم وصلاح العلماء تصلح البلاد، ويصلح الناس، فأخذ يتصل ويكاتب أمراء الجيش والدوائر الحكومية، ممن آنس فيهم رشداً، ينبههم ويلفت أنظارهم إلى ما أتت به الفتنة الكبرية، وما جرته من وبال على المسلمين. وما إن سمع رجال حاشية الملك جهان كير، بتلك الرسائل، حتى أخذتهم العزة بالإثم، فأغروا صدر الملك عليه وأشاروا عليه كائدين أن يطلبه إلى البلاط، واستدعي الشيخ إلى قصره وبلاطه فاستجاب الشيخ، ولكنه رحمه الله كما قال الكائدون، عندما دخل قصره، نبهه إلى السجود، فامتنع، ودخل مسلماً بتحية الإسلام، فاستشاط غيظاً وغضباً وقام هائجاً. وسأل منكراً ما هذا؟ وأمر باعتقاله في الحل. وأخذ مخفوراً، وطرح في السجن. لبث الشيخ في السجن بضع سنين يشتغل بالعبادة ويدعو المسجونين معه إلى الإسلام. فأسلم على يده مئات المسجونين وظهرت عليهم الصفات الخلقية الكريمة. فتنبه لذلك مدير السجن، وكتب إلى الملك رسالة خاصة يخبره فيها أن المحبوس الشيخ السرهندي ليس من شانه أن يحبس، فإن رأي الملك أطلقنا سراحه، فندم الملك على ما ظهر منه من بوادر الشدة في شأن الشيخ، وأمر بإحضاره إلى مقر المملكة، ولما بلغه خبر دنوه من العاصمة، بعث الأمير(خوم) ولي عهد المملكة لاستقباله والترحيب به. كل ذلك فعل لأنه تحرى أخبار الشيخ بنفسه ودرس حياته، فوجد به العالم العامل والشيخ الصادق. عاد الشيخ منصوراً، فقد أدى واجبه في السجن، وها هو يؤدي واجبه الشرعي عند الملك. دخل الشيخ عليه، وأعاد التحية بالسلام، فرد الملك التحية وتلقاه بالترحاب والاعتذار. كان يوم هذه المقابلة في ليلة رمضان المبارك، وأبى الملك إلا أن يضيف الشيخ عنده في هذا الشهر الكريم. ورجاه أن يسمعه ما يدور في خاطره، وأن يحدثه عما يريد، وأن يخبره بحقيقة دعوته، فاستجاب الشيخ مستبشراً بذلك. قضى الشيخ شهر رمضان في ضيافة الملك، محدثاً إياه عن الإسلام وعدله، شارحاً له واقع الخلفاء، والصالحين الذين تولوا حكم المسلمين. وقد وهبه الله صدقاً في اللهجة وحسناً في التعبير، والملك ينصت له، فبدأ الصلاة خلفه، وأقام صلاة التراويح، وأخذت أصداء آيات القرآن الكريم تجلجل في رحاب القصر، حتى استطاع الشيخ بفضل الله وتوفيقه أن يغير قلب الملك وفكره. فأحب الإسلام واعتقد به، وأعلن ذلك للأمة بمرسوم أصدره يحمل الأوامر التالية: تحريم السجود للملك، والإذن بذبح البقر، وتعيين القضاة ورجال الحسبة، وإعادة بناء المساجد، وإبطال القوانين المعارضة للشريعة وهكذا أخذ الولد الصالح المؤمن ينقض ما أبرمه الوالد الكافر، ولقد صدق من قال:﴿إن الْمُلُوكُ لِتَحْكُمَ عَلَى الْوَرَى وَعَلَى الْمُلُوكِ لِتَحْكمَ الْعُلَمَاءِ﴾ استأذن الشيخ الملك الصالح، بالرجوع إلى بلده فإذن له معززاً مكرماً، فعاد الشيخ إلى سرهند، مستمراً على النصح والإرشاد، يعلم أتباعه ومريديه، وليحملوا رسالته، وليواصلوا من ارتقاء سلم الكمال بالدولة نحو الإسلام، بعد أن تركها الشيخ في وضع حسن، أمن المسلمون فيها على دينهم وزال عنهم ما أصابهم من هم وغم، ومحن واضطهاد. وقد حمل الشيخ أمانة الإسلام، في حمل دعوته وتحكيم شرعه في أعناق خلفائه وأولاده الذين تولوا الأمر بعده. مات الشيخ وعمره عمر نبيه صلى الله عليه وسلم، راضياً مرضياً إن شاء الله.﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَّ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

■ (2) أحمد السرهندي الفاروقي، الملقب بمجدد الألف الثاني. ولد سنة 971 هـ في بلدة سرهند. وتوفي سنة 1034 هـ الشيخ أحمد السرهندي : كان له فضل عظيم في رد الناس عن الكفر إلى الإسلام ، بعد أن أضلهم السلطان أكبر الذي كفر آخر أيام حكمه.

■ (3) نور الدين سليم جهانكير بن جلال الدين أكبر، حكم دولة المغول بالهند، ولد سنة 977 هـ تولى حكم سنة 1014 هـ. توفي سنة 1037 هـ كان سليم العقيدة فلم يسر في طريق والده المنحرف، وفي عهده نمت سلطة الأوروبيين في الهند، يتنافسون تجاريا بالهند.

■ (1) جلال الدين محمد أبو الفتح أكبر، سلطان الهند المغولية.أصبح الإمبراطور بعد والده همايون. تولى الحكم سنة 963 هـ. وقد قابل ثورات متعددة وخاض حروبا كثيرة حالفه الظفر فيها، فاتسعت إمبراطوريته فأصبحت الهند كلها تحت سلطانه وضم البنغال وأفغانستان والسند وكشمير، وكان هذا الإمبراطور منحرفا عن العقيدة محاربا للإسلام، وقد ابتكر دين جديد سماه الدين الإلهي يعتمد على المجوسية وعلى أديان الهند. ولد في حدود سنة 954 هـ وتوفي سنة 1014 هـ

☪

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿صِنْفَانِ مِنْ النَّاسِ إذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْمُلُوكُ، وَالْعُلَمَاءُ﴾ قالت الحكماء: الملك كالبحر تستمد منه الأنهار فإذا كان عذبا عذبت وإذا كان مالحا ملحت. ومن أمثالهم في هذا قولهم: إذا صلحت العين صلحت سواقيها. وكما جاء في المثل: الناس على دين الملك.وقال ابن المقفع: الملوك ثلاثة: ملك دين وملك حزم وملك هوى، فأما ملك الدين فإنه إذا أقام لأهل المملكة دينهم كانوا راضين وكان الساخط فيهم بمنزلة الراضي، وأما ملك الحزم فيقوم به الأمر ولا يسلم من الطعن والسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوي، وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر.

عن أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ﴾وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿مَا بَعَثَ اللهَّ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهَّ تَعَالَى﴾ وعن جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة، وكفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع بالصالحين.

في عام 1961م/ 1381 هـ ظهر الرئيس بورقيبة وهو يفطر في نهار رمضان ودعا الشعب إلى الإفطار، وحتى يلبس هذا الأمر لباسه الشرعي، طلب من مفتي تونس آنذاك، فضيلة العلامة ابن عاشور أن يفتي بجواز الإفطار بدعوى زيادة الإنتاج. فلما تدخل ابن عاشور على التلفاز، والناس تنتظر ما يقوله، تلا الشيخ قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة] ثم قال: صدق الله وكذب بورقيبة، وأفتى بحرمة الإفطار، وأن من يفعل ذلك، فقد أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، وأبطل دعوى أن الصيام ينقص الإنتاج. فخرست الألسن وما استطاعت الحكومة التونسية الملحدة إلا أن تنسحب من الميدان، وأعلى الله فريضة الصيام في تونس على يد الشيخ الطاهر بن عاشور وقد بدأ بورقيبة حربه ضد الإسلام مبكرا وتحديدا في سنة 1957م/ 1377 هـ بإغلاق الكتاتيب وسمح بتعدد الخليلات ومنع تعدد الزوجات وفي سنة 1960م/ 1380هـ أصدر قانون يمنع استخدام التاريخ الهجري وفي سنة1961م/ 1381هـ تم تأميم أكثر من 200 مسجد لتتحول إلى مساكن وحول مسجد في مدينة بنزرت إلى مرقص وآخر إلى خمارة وآخر إلى متحف روماني. ومنع الصوم في رمضان سنة 1962م/ 1382هـ وعزل المفتي الفاضل بن عاشور الذي عارض النزق البورقيبي. وقام بنفسه باحتساء كوب من الماء في شهر رمضان أمام شاشة التلفزيون، ونظمت حملات لإجبار الموظفين والعمال وقوات الجيش وجميع أطياف الشعب التونسي على الإفطار في رمضان. وفي ندوة أقيمت في القصر الرئاسي سنة 1974م/ 1394 هـ قال أنه لا يؤمن بالمعجزات، القرآن الذي تعلمونه للشباب ملئ بالخرافات، ولم يكن ذلك بعيدا عن دوائر القرار في باريس التي انتدبته لهذه المهمة بعد أن فشلت مساعيها المباشرة في تكفير شعب تونس وتحويله إلى النصرانية.

قلت: لا شك أن فرنسا (العجوز الحقود!.. العلمانية المريضة المتطرفة) نجحت في صناعة طبقة متحكمة من الملاحدة الحاقدين على الإسلام في تونس وفي شمال أفريقيا، يشكلون اليوم نسبة كبيرة من أذناب وذئاب ما يسمى الدولة العميقة والثورة المضادة. هؤلاء المنهزمون نفسيا، الشواذ فكريا لا زال شغلهم الشاغل الإساءة إلى الإسلام وشيطنته وتحميله كل مسؤوليات التخلف (شيطنة الشرعية التي لم تطبق يوما في تونس!) يقول ابن خلدون رحمه الله: المغلوب مولع بتقليد الغالب، نعم هؤلاء المعاقون ذهنيا اتخذوا فرنسا كعبة والإسلام عدوهم اللدود، واستباحوا كل شيء ولم يكتفوا بذلك بل فرضوا على الشعب (المتعلم الجاهل) فكرهم الشاذ، فصار فسادهم قانون لدويلة تونس كما صارت عمالتهم لفرنسا وغيرها دينا لهم ولأحفادهم، عن ابن عمر قال: ﴿مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ﴾ أي من شبه نفسه بالكفار مثلا في اللباس وغيره، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِمَآخَذِ الْأُمَمِ وَالْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمَا فَعَلَتْ فَارِسُ وَالرُّومُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهَلِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ؟﴾ وعن شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى مَنْ مَضَى مِنْ قَبْلِهِمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ﴾ والمراد أنهم يسيرون على نهج واحد ولا يختلفان ويتبع بعضهم بعضا،فملة الكفر واحدة.قال أحمد شاكر رحمه الله: ولم يختلف أهل العلم منذ الصدر الأول في هذا، أعني في تحريم التشبه بالكفار، حتى جئنا في هذه العصور المتأخرة، فنبتت في المسلمين نابتة ذليلة مستعبدة، هجيراها وديدنها التشبه بالكفار في كل شيء، والاستخدام لهم والاستعباد ثم وجدوا من الملتصقين بالعلم المنتسبين له من يزين لهم أمرهم ويهون عليهم أمر التشبه بالكفار في اللباس والهيئة والمظهر والخلق وكل شيء، حتى صرنا في أمة ليس لها من مظهر الإسلام إلا مظهر الصلاة والصيام والحج، على ما أدخلوا فيها من بدع، بل من ألوان التشبه بالكفار أيضا. عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿إِذَا خَفِيَتِ الْخَطِيئَةُ لَمْ تَضُرَّ إِلَّا صَاحِبَهَا، وَإِذَا ظَهَرَتْ فَلَمْ تُغَيَّرْ، ضَرَّتِ الْعَامَّةَ﴾ كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقال:﴿إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لاَ يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ، وَلَكِنْ إِذَا عُمِلَ الْمُنْكَرُ جِهَارًا، اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ كُلُّهُمْ﴾ قالت أم المؤمنين عائشة: ﴿عَذَّبَ أَهْلَ قَرْيَةٍ فِيهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا عَمَلُهُم عَمَلَ الْأَنْبِيَاءِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ كَيْفَ؟ قال: لَمْ يَكُونُوا يَغْضَبُونَ للهَّ، وَلاَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلاَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ واليوم هذا هو حال الأمة تدفع ثمن شذوذ هؤلاء العلمانيون والمتطرفون (الطابور الخامس) في دويلة تونس وغيرها.

مراجع: صحيح مسلم/ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ الموطأ/ موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر/ مجلة الراصد/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

◆ إبراهيم بن محمد علي (الأسرة العلوية، والي مصر، الدولة العثمانية) وسعيد الحلبي 0995

دخل جبار الشام إبراهيم باشا[1] بن محمد علي حاكم مصر المسجد الأموي في وقت كان فيه عالم الشام الشيخ سعيد الحلبي[2] يلقي درسا في المصلين. ومر إبراهيم باشا من جانب الشيخ، وكان مادا رجله فلم يحركها، ولم يبدل جلسته، فاستاء إبراهيم باشا، واغتاظ غيظاً شديداً، وخرج من المسجد، وقد أضمر في نفسه شراً بالشيخ. وما أن وصل قصره حتى حف به المنافقون من كل جانب، يزينون له الفتك بالشيخ الذي تحدى جبروته وسلطانه، وما زالوا يؤلبونه حتى أمر بإحضار الشيخ مكبلا بالسلاسل. وما كاد الجند يتحركون لجلب الشيخ حتى عاد إبراهيم باشا فغير رأيه، فقد كان يعلم أن أي إساءة للشيخ ستفتح له أبواباً من المشاكل لا قبل له بإغلاقها. وهداه تفكيره إلى طريقة أخرى ينتقم بها من الشيخ، طريقة الإغراء بالمال، فإذا قبله الشيخ فكأنه يضرب عصفورين بحجر واحد، يضمن ولاءه، ويسقط هيبته في نفوس المسلمين، فلا يبقى له تأثير عليهم. وأسرع إبراهيم باشا فأرسل إلى الشيخ ألف ليرة ذهبية، وهو مبلغ يسيل له اللعاب في تلك الأيام، وطلب من وزيره أن يعطي المال للشيخ على مرأى ومسمع من تلامذته ومريديه. وانطلق الوزير بالمال إلى المسجد، واقترب من الشيخ وهو يلقي درسه، فألقى السلام، وقال للشيخ بصوت عال سمعه كل من حول الشيخ: هذه ألف ليرة ذهبية يرى مولانا الباشا أن تستعين بها على أمرك. ونظر الشيخ نظرة إشفاق نحو الوزير، وقال له بهدوء وسكينة: يا بني، عد بنقود سيدك وردها إليه، وقل له: إن الذي يمد رجله، لا يمد يده.

■ (2) سعيد الحلبي: فقيه الشام وعلامته أبو عثمان سعيد بن حسن بن أحمد الشامي الحنفي الشهير بالحلبي الدمشقي، ولد بحلب سنة 1188هـ وقدم دمشق سنة 1227هـ. مات سعيد الحلبي المذكور بدمشق عام 1254هـ ودفن بالذهبية.

■ (1) إبراهيم باشا بن محمد علي باشا بن إبراهيم آغا، ولد في نصرتلي، تركيا سنة 1204 هـ، وتوفي في القاهرة سنة 1265 هـ كان والي مصر، وقائد الجيش العثماني الذي قضى على دويلة آل سعود الأولى. وأسر أميرهم عبد الله بن سعود وأرسله لأبيه محمد علي في مصر، فأرسله إلى الأستانة، فطافوا به ثم قتلوه. والله أعلم

أيها الإخوة المؤمنون، هكذا كان الأئمة القدوة، وهذه جرأتهم في الحق. يقول الأوزاعي: إن أشد الشدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، وإنه من طلب العزة بطاعة الله رفعه الله واعزه، ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه.

يقول الإمام الغزالي: الزهد ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك إرادتها واختيارها قالوا: وأصعب الكل ترك الإرادة بالقلب. إذ كم تارك لها بظاهره محب لها بباطنه فهو في مكافحة ومقاساة من نفسه شديدة فالشأن كله في عدم الإرادة القلبية ولهذا لما سئل أحمد عمن معه ألف دينار ألا يكون زاهدا ؟ قال : نعم بشرط أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت وقال بعضهم: الزاهد من لا يغلب الحلال شكره والحرام صبره. قال ابن القيم : وهذا أحسن الحدود فالزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد منها وقد جهل قوم فظنوا أن الزهد تجنب الحلال فاعتزلوا الناس فضيعوا الحقوق وقطعوا الأرحام وجفوا الأنام واكفهروا في وجوه الأغنياء وفي قلوبهم شهوة الغنى أمثال الجبال ولم يعلموا أن الزهد إنما هو بالقلب وأن أصله موت الشهوة القلبية فلما اعتزلوها بالجوارح ظنوا أنهم استكملوا الزهد فأداهم ذلك إلى الطعن في كثير من الأئمة. وعن عمر بن سليمان بن أبي حثمة، عن أبيه، قال: قالت الشفا ابنة عبد الله – ورأيت فتيانا يقصدون في المشي، ويتكلمون رويدا–، فقالت: ما هذا ؟ قالوا: نساك، فقالت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، هو والله الناسك حقا. يقول أبو سليمان الداراني إن قوما طلبوا الغنى فحسبوا أنه في جمع المال ألا وإنما الغنى في القناعة وطلبوا الراحة في الكثرة وإنما الراحة في القلة وطلبوا الكرامة من الخلق ألا وهي في التقوى وطلبوا النعمة في اللباس الرقيق اللين وفي طعام طيب والنعمة في الإسلام والستر والعافية.

في أسباب سقوط الدولة العثمانية؟ قال علي بن عمران: قربوا الصوفية، وحاربوا الدعوة السلفية، وأهانوا الرعية، واشتغلوا بالملذات الدنيوية، وأهملوا الشعائر الدينية. قلت: قبل أن تنحرف دولة العثمانيين ويسيطر عليها العسكر الأتراك الكفرة، كانت العقيدة الإسلامية مصدر قوتها وعزتها، حتى أنها كانت تأخذ الجزية من روسيا وأمريكا... واليوم طغاة العرب الخونة، أصحاب التعاسة من ديدان آل فلان وآل فلان، صنيعة المخابرات البريطانية الفرنسية يدفعون ألوان الجزية والعمالة الرخيصة إلى أمريكا (طاغوت العصر)..فقط ثمنا للحفاظ على عروشهم. ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال ابن تيمية: إن انفرد السلطان عن الدين أو الدين عن السلطان فسدت أحوال الناس.

قال علي بن نايف الشحود : إن الأمة الإسلامية لم تصل إلى ما وصلت إليه الآن من الضعف والذلة والهوان إلا نتيجة أسباب كثيرة، أشير إلى بعضها باختصار:

- فشو الجهل وقلة العلم، وقد مضى الكلام عليه (في موسوعة الخطب والدروس).
- ضعف المسلمين في كثير من المجالات، وبعدهم عن مراكز التأثير ومواقع القيادة، مما أمكن لأعداء الأمة من السيطرة التامة فأصبحوا قادة العالم وصناع القرار، يضعون من يشاؤون في المكان الذي يشاؤون، فيضمنون بذلك بقاء السيادة في أيديهم فلا تنتقل إلا من لكع إلى لكع*، وقد أخبر بذلك المعصوم صلى الله عليه وسلم حيث قال:﴿لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُقَرِّبُونَ شِرَارَ النَّاسِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فلَا يَكُونَنَّ عَرِيفًا وَلَا شُرْطِيًا وَلَا جَابِيًا وَلَا خَازِنًا﴾.
- حب الدنيا، وكراهية الموت، ومما أدى إلى خذلان المسلمين بضعهم لبعض، فتعلقت الأمة في هذا الزمن بالمال حتى عبدت الدرهم والدينار وتعاملت بالربا، وأوغلت في الترف، ونسيت الجهاد في سبيل الله، مما أدى إلى تداعي الأمم على الأمة الإسلامية ونهب خيراتها، والعبث بعقول أبنائها.عن ثوبان مولى النبي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:﴿يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَتَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا، قُلْنَا: مِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: لا، أَنْتُم يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْزَعُ اللهُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ، قِيلَ: وَمَا الْوَهَنُ ؟ قَالَ: حُبُّكُمُ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتُكُمُ الْقِتَالَ﴾ (اللكع) أي اللئيم ابن اللئيم، الردي الحسب والنسب، الذي لا يعرف له أصل ولا يحمد على خلق.
- قلت: لا شك المقصود اليوم: باللكع عسكر العرب الكفرة وديدان الملوك صنيعة الغرب وأتباعها.

مراجع: فهرس الفهارس والإثبات/ مجمع الزوائد/ فيض القدير/ وصية نافعة/

قال الكاتب: عندما زار السلطان التركي[1] مصر في أيام إسماعيل باشا[2] وكان إسماعيل مهتما بالزيارة، لأنها كانت جزاء من برنامجه للحصول على لقب خديوي، مع امتيازات بنظام الحكم بمصر. وكان من برنامج الزيارة أن يستقبل السلطان العلماء في السراي (القصر) ولما كانت للمقابلة السنية تقاليد، منها أن ينحني الداخل إلى الأرض ويأخذ تعظيما تركيا ثلاث مرات، لهذا كان حتما على رجال السراي أن يدربوا العلماء على طريقة المقابلة عدة أيام حتى لا يخطئوا في حضرة السلطان! وعندما حان موعد السادة العلماء الأجلاء، الذين نسوا دينهم واشتروا به دنياهم، وقد انحنوا أمام السلطان الذي هو مخلوق مثلهم تلك الانحناءات، وأخذوا من الأرض السلام إلى رؤسهم، ثم منها إلى أفواههم، ثم منها إلى صدورهم. وخرجوا موجهين ظهورهم إلى الباب ووجههم إلى السلطان، كما أمرهم رجال التشريفات! خلا عالما واحد هو الشيخ حسن العدوي[3]، ذكر دينه ونسي دنياه، واستحضر في قلبه أنه لا عزة إلا لله. ولا خضوع إلا له فدخل مرفوع الرأس كما ينبغي أن يدخل المؤمنون بالله، وواجه الخليفة بتحية الإسلام: السلام عليكم، يا أمير المؤمنين. ثم ابتدره بالنصيحة التي ينبغي أن يتلقى بها العالم الحاكم. ودعاه إلى تقوى الله، والخوف من عذاب الله، والعدل بين رعاياه.. فلما انتهى وسلم وخرج مرفوع الرأس كما يخرج الرجال المؤمنون بالله ! وأسقط في يد الخديوي ورجال السراي، وظنوا الأمر كله انقلب عليهم، وأن السلطان لابد غاضب، فضاعت تلك الجهود التي بذلوها، فذاهبة تلك الآمال التي نسجوها..! ولكن كلمة الحق المؤمنة لا تذهب سدى، فلابد أن تصدع القلوب قوية حارة، كما انبعثت مكنمها قوية حارة. وهكذا كان. فقال السلطان: ليس عندكم إلا هذا العالم وقدم له الهدايا دون سواه!

كان العالم الأزهري الأستاذ حسن الطويل[4] من عزة النفس والثقة بالله على جانب رفيع! دخل عليه رياض باشا[5] وهو يدرس لطلابه بدار العلوم، فما غير موقفه أو بدل جلسته، وحين هم الزائر بالخروج قال له الأستاذ: لماذا لا أكون وزيرا معكم يا باشا؟! فدهش الزائر وقال: أي وزارة تريد؟ فقال: وزارة المالية لاستبيح من أموالها ما تستبيحون! وكانت لطمة أليمة توجه إلى حاكم أرستقراطي لم يألف التهكم والاستخفاف! فخرج ثائرا مهتاجا، واستدعى ناظر المعارف علي مبارك[6] ليعجل بفصله من وظيفته، ولكن يدا أعلى من يد رياض باشا تقف في وجهه فيتراجع عن غطرسته العاتية مدحورا، وقد آثر ألا يزور مدرسة أو معهدا بعد ذلك!.

وكان العالم الجليل حسن الطويل يلبس جلبابا وجبة غير مشقوقة، وهو أستاذ في الدار –دار العلوم– وفي يوم علم العميد أن الخديوي سيزور الدار، فأخذ أهبته، وزين الدار، وكان من بين الأهبة أن يغير الشيخ حسن الطويل زيه، ويستحضر له قفطانا وجبة مشقوقة، حتى يظهر في زي الذي يليق أن يقابل به الحكام ! وسمع الشيخ طلب العميد فوافق بالإيماء، وفي الصباح حضر الشيخ كما هو ومعه منديل (محلاوي) به حزمة ملابس. ولما رآه الناظر هكذا سيىء وجهه، وقال والغضب والألم يبدوان: أين الجبة والقفطان يا سيدنا الشيخ؟ فأشار إلى المنديل وقال: هنا؟ وترك العميد يفهم أنه سيرتديها عند قدوم الزائر العظيم! فاطمأن العميد إلى هذا التصرف الغريب ومر الوقت واهتزت أركان الدار بقدوم الزائر المرتقب. وهنا كانت المفاجأة العظمى للعميد وللأساتذة وللجميع. تقدم الشيخ من الخديوي وبيده الحزمة وهو يقول في بساطة وثقة واعتداد: قالوا لابد أن تحضر بالجبة والقفطان، فحضرت بالجبة والقفطان، فإن كنت تريد الجبة والقفطان فها هما، وإن كنت تريد حسن الطويل فهذا هو حسن الطويل ! قال الخديوي طبعا نريد حسن الطويل !.

قال عبد الرحمن عميرة : هذه النفوس المؤمنة لا تعتز إلا بعز الإسلام، وقد تحررت وجداناتها وضمائرها من كل القيم الزائفة، والاعتبارات الفانية. لقد فهمت الإسلام على حقيقته، واستشعرته في صميمه، واستلهمت روحه القوية العالية، فلم تعد في حاجة إلى أن تذل. وهذا هو الإسلام الذي يأمر أتباعه بالقوة امتثالا لقوله:﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون]

■ (3) حسن العدوي الحمزاوي: فقيه مالكي، من قرية عدوة بمصر.تعلم ودرس بالأزهر، وتوفي بالقاهرة سنة 1303 هـ /ـ1886 م

■ (4)حسن الطويل،حسن بن أحمد بن علي الطويل المالكي، أبو محمد، مفسر مشارك في أنواع من العلوم ولد في منية شهالة (ميت شهالة) بـ المنوفية في مصر حوالى سنة 1250 هـ وتعلم بطنطا ثم التحق بالجامع الأزهر، وتوفي بالقاهرة سنة 1317 هـ من تصانيفه: عنوان البيان في تفسير القرآن الكريم. قال الزركلي: أشتغل بالتدريس وتولى تصحيح ما يطبعه ديوان الجهادية (الحربية) ثم كان مفتشا في وزارة المعارف. ولما قام المهدي بالسودان وعظم أمره واستولى على البلاد السودانية، جاهر المترجم له بنصرته وساء الإنكليز ذلك، فراقبوه وكاد يصيبه أذاهم. وكان شديد الإنكار.

■ (6) علي باشا مبارك، علي بن مبارك بن سليمان الروجي: وزير مصري، من المؤرخين العلماء العصاميين النوابغ. ولد في قرية برنبال من الدقهلية بمصر وتلقن العربية وحذق بعض الفنون، وسافر سنة 1260 هـ، مع بعثة مصرية إلى باريس، فتعلم فني الاستحكام والمفرقعات والحركات الحربية. وعاد إلى مصر، فتقلب في الوظائف العسكرية، وبلغ رتبة أمير ألاي، وحضر الحرب التركية الروسية سنة 1270 هـ. ثم نصب ناظرا للأوقاف المصرية وأضيفت إليه المعارف، فأنشأ مدارس كثيرة، وأبقى آثارا، منها دار الكتب المصرية في القاهرة. وتولى نظارة الأشغال العامة سنة 1297 هـ فحدثت ثورة عرابي باشا فاشتغل مع زملائه في الوزارة. وآخر أعماله ولايته نظارة المعارف المصرية سنة 1305 هـ وتوفي بالقاهرة سنة 1311 هـ

■ (2) الخديوي إسماعيل، إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد علي الكبير: خديوي مصر. ولد في القاهرة، وتعلم بها ثم في فرنسا. وولي مصر سنة 1279 هـ. وهو أول من أطلق عليه لقب الخديوية من رجال أسرته. كان مولعا بالهندسة والرسم والتخطيط في طفولته، ولما ولي اتجه إلى تنظيم المدن وإنشائها. وفي أيامه أوصلت أسلاك البرق التلغراف وسكك الحديد إلى بلاد السودان، وأقيمت المنارات في البحر الأحمر وبنيت مدينة الإسماعيلية وأنشئ المتحف المصري والمكتبة الخديوية المصرية وتألفت شركات المياه والغاز في القاهرة والإسكندرية، وأقيم مرفأ الثانية، وتم حفر ترعة السويس وكان افتتاحها سنة 1286 هـ/ 1869 م، ونكبت مصر بإنشاء المحاكم المختلطة سنة 1876 م وكان مسرفا في الإنفاق على ملاذه وعلى مشروعاته. ولي مصر وعليها من الدين ثلاثة ملايين جنيه. واعتزلها وعليها نحو مئة مليون جنيه. وأنشأ حكومة دستورية. ورضي بالمراقبة الأجنبية لخزائن مصر. وطلبت حكومتا إنكلترا وفرنسا من حكومة الآستانة عزله، فعزل سنة 1296 هـ/ 1879 م وقضى بقية أيامه في أوربة وتركية إلى أن توفي في الآستانة سنة 1312 هـ/ 1895 م ونقلت جثته إلى القاهرة.

■ (1) عبد العزيز الأول ابن السلطان محمود الثاني. هو خليفة المسلمين الرابع بعد المائة وسلطان العثمانيين الثاني والثلاثين والرابع والعشرين من آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة والسلطنة، توفي سنة 1255 هـ /ـ 1839م.

■ (5) مصطفى رياض باشا ، رئيس وزراء مصر ثلاث مرات ...مات سنة 1330 هـ /ـ1911م

قال الكاتب: اعتاد كثير من المغرضين على اتهام الأزهر، واختلاق المقالب الشائنة لرجاله، وهم إذ يلصقون التهم الآثمة بهم إلصاقا يتجافى عن الحق والإنصاف، إنما يهاجمون الإسلام نفسه من وراء ستار ليحققوا مآرب خبيثة لا يقدرون على البوح بها علانية، ولا جرم فقد﴿بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران] ونحن إذا تصفحنا مواقف تاريخنا الحديث نجد لأعلام الأزهر في الذود عن الحق والوقوف في وجه الباطل آيات رائعة يفوح منها الشذى العاطر، وتؤكد وراثة الأنبياء في قوم يخشون الله حق خشيته، ومن المؤسف أن هذه المواقف الخالدة – على كثرتها المشرفة – لم تجد من أحصاها في كتاب أو دونه في تاريخ، إذ أن الرهبة المرعبة من أصحاب النفوذ ساعدت على كتمان هذه المجابهات الصريحة، إلا ما تناثر على الأفواه من أحاديث تتخذ الحيطة الكاملة في ترددها وتداولها بين الناس، ومع هذا التكتم الصريح فقد وعت ذاكرة التاريخ مثلا رائعا لجماعة مؤمنة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من العلماء الأفذاذ! وها نحن أولاء نسطر في مقالنا بعض هذه الروائع الغالية ليعلم من لم يكن يعلم أن من علماء الأزهر من حملوا مشعل الحق في الدعوة إلى الله، فأثبتوا لذوي الإنصاف أن الروح القرآنية التي ألهمت سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، والأوزاعي، وابن حنبل، والعز بن عبد السلام – في القديم – هي نفسها الروح القوية التي سرت في نفوس علماء الأزهر، فواجهوا الباطل بلسان صدق مبين، ونحن نسجل بعض هذه المفاخر لا لنقول أولئك آبائي، بل لنقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق. هذه بعض المواقف الرائعة في تاريخ الأزهر، ومن المؤسف أن يتعاون المأجورون على طمسها وإخفائها، وإذا كان منهم من يريد أن يطفئ نور الله، فالله متم نوره، ولو كره المغرضون.

مراجع: مواقف العلماء أمام الحاكم/ معجم المؤلفين/ الأعلام للزركلي/ أرشيف ملتقى أهل الحديث/

سعيد النورسي [1] أعجوبة الثَّورة الإسلاميَّة في تركيا كان المجدّد الذي أكرم الله به المسلمين في تركيا إبان حكم كمال أتاتورك [2]،فقد كان رمز الحرْب الإسلاميَّة لحنكته، وكان المحْور الذي استقطب حوله ملايين الشَّباب المسلمين، ولقد مات كمال أتاتورك وأتْباع بديع الزمان يكثرون ويزيدون. كان هذا المجاهد شجاعا، كرّس حياته لخدمة القُرآن وتأسيس مدرسة الزَّهراء، وحينما ظهرت في 1908 م حريَّة محمد رشاد وجمعية الاتّحاد والترقي، التي كانت تتقنَّع بالدين ظاهرًا وتخفي رجس الماسونيَّة واليهوديَّة باطنًا، بادرَ بديع الزَّمان فألَّف جمعيَّة باسم: الاتّحاد المحمَّدي، سرعان ما انضمَّ إليه آلاف النَّاس. لقد أثار عمل بديع الزمان هذا مخاوفَ الماسونيين الَّذين كانوا من وراء الحركة الاتّحادية، فأرسلوا رئيس محفلِهم الثّري اليهودي الكبير (قرصو) لمقابلتِه، ولكنَّه ما لبِث أن خرج مِن عنده قائلاً لرفاقه: لقد كاد هذا الرَّجُل العجيب أن يزجَّني في الإسلام بحديثِه. وقرصو هذا كان أوَّل صهيوني ماسوني عمِل على قلْب الخلافة العثْمانيَّة وخلع السلطان عبد الحميد واستِلاب فلسطين، والمذكور من أولئك اليهود المعروفين باسم الدونمة*. ولم يَجد الاتحاديون بدًّا من إلقاء القبض على بديع الزمان في حادثة 3 آذار 1909 الَّتي أُعدم فيها 15 مسلمًا، وكان الغرض من ذلك تخويفه ولكنَّه كان أقوى منهم، وقال للمحكمة: وكانت جريمتي الأولى أنَّني تصدَّيت للرَّدّ على دعاة الماسونية والإلحاد من أصحاب الصحف. وكان موقف بديع الزمان أشدَّ ما يكون صلابة مع كمال أتاتورك، فقد استطاع أن يؤثِّر على نوَّابه وجعلهم يصلّون. وقال لأتاتورك : إنَّ أعظم حقيقةٍ تتجلَّى بعد الإسلام إنَّما هي الصَّلاة، إن الذي لا يصلي خائن.وقد ألَّف بديع الزَّمان مجموعةً من الرَّسائل تتألَّف من 135 رسالة، تتناول جَميعُها الجواب على مختلف المشكِلات الرُّوحيَّة والنفسيَّة والعقليَّة، وهي تنطلِق من محْور القرآن وتفسيره، وكان يلقي أفْكارَه على تلاميذِه الذين سرعان ما يطبعونها بحماس ثمَّ يوزِّعونَها، وقد أخذ كلّ فردٍ على نفسه كتابة ما يُمكنه من النسخ عن كلّ رسالة تظهر، فإذا وزَّعها على القرَّاء كان على كلّ هؤلاء أيضًا أن يقوم بنفس الوظيفة، وهكذا تتكاثر هذه الرَّسائل في الأيدي عن طريق التوالُد المطرد. وشعرَ أتاتورك بالزلزال يسوي في كيان حكومته، وأذهله ما تفعله هذه الرسائل فعقد اجتماعًا سريًّا دعا إليه كبار رجال الماسونيَّة، الذين ساهموا مساهمة فعالة في تقويض الخلافة الإسلامية وبناء الحكومة العلمانية (اللا دينية) على أنقاضِها، وانتهى الاجتماع باتفاقهم على إحالة بديع الزَّمان مرَّة أخرى للمحاكمة. وسرعان ما تألَّفت لجنة من هؤلاء الماسونيَّة أنفسهم للتَّحْقيق في رسائل بديع الزمان وبرَّأت المحكمة ساحته. وقد انتشر بيانه الَّذي ألقاه في المحكمة انتشار البرق، وقد جاء فيه: بأيّ وجه تستطيعون إيقاف حركة النّور وإنَّما هي عبارة عن خدمة حقائق القرآن، والقُرآن حقيقة مرتبطة بعرْش الله العظيم. وأخيرًا ضيَّق الحاكمون الخناق على سعيد النورسي وزجّوا به في زنزانة لا تتَّسع لأكثر من فراش صغير على أرض رطبة عفنة باردة. أمَّا طعامه فلم يكن أكثرَ من قدر ماء وكسرة خبز يابسة مرَّتين في اليوم. ومع ذلك فقد دسَّت له السُّلطات في إحدى الوجبات سمًّا ناقعًا للتخلّص منه، ولكن أعاجيب لطف الله خيب آمالهم في ذلك. وفي ليلة القدر 27 رمضان 1379 هـ انتقلت هذه الروح الطيبة إلى ربها تشكو ظلم وغدر الماسون العثمانيين.

■ (1) سعيد النورسي، المعروف ببديع الزمان، ونور الدين النورسي، ولد سنة 1295 هـ من أبوين كرديين في قرية نورس القريبة من بحيرة وان في مقاطعة هزان بإقليم بتلس شرقي الأناضول، تلقى تعليمه الأولي في بلدته، ولما شب ظهرت عليه علامات الذكاء والنجابة حتى لقب ببـديع الزمان وسعيدي مشهور. في الثامنة عشر من عمره ألم بالعلوم الدينية وبجانب كبير من العلوم العقلية، وعرف الرماية والمصارعة وركوب الخيل، فضلا عن حفظه القرآن الكريم، آخذا نفسه بالزهد والتقشف. عمل مدرسا لمدة خمسة عشر عاما في مدينة وان وهناك بدأ دعوته الإرشادية التربوية. انتقل إلى استانبول لتأسيس الجامعة الزهراء لتكون على شاكلة الجامع الأزهر بمصر، وصادف أن كان هناك الشيخ بخيت شيخ الجامع الأزهر الذي أبدى إعجابه الشديد ببديع الزمان. وعين عضوا في أعلى مجلس علمي في الدولة العثمانية وهو دار الحكمة الإسلامية. عندما دخل الحلفاء استانبول محتلين كان في مقدمة المجاهدين ضدهم. في عام 1327 هـ بعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد بتآمر من جمعية الاتحاد والترقي التي رفعت شعار الوحدة ـ الحرية ـ الإصلاحية. لتخفي وراءه دسائسها ومؤامراتها على الإسلام والمسلمين، ألف بديع الزمان جمعية الاتحاد المحمدي واستخدموا نفس شعارات الاتحاديين ولكن بالمفهوم الإسلامي كشفا لخدعهم التي يتسترون خلفها وتجلية لحقيقتهم الماسونية. في الحرب العالمية الأولى التحق بالجيش التركي ضابطا فيه، وفي الأمسيات كان يلقي على تلاميذه وعساكره علوما في القرآن. قبض عليه الروس ونفوه إلى سيبيريا، لكنه استطاع أن يهرب ويعود إلى استانبول عن طريق ألمانيا فبلغاريا فتركيا.

لقد كان العلمانيون الذين حكموا تركيا بعد زوال الخلافة يخشون من دعوته ويعارضونها أشد المعارضة فما كان منهم إلا أن استغرقوا حياته بالسجن والتعذيب والانتقال من سجن إلى منفى، ومن منفى إلى محاكمة. أصدرت المحاكم ضده أحكاما بالإعدام عدة مرات لكنهم كانوا يعدلون عن تنفيذ هذا الحكم خوفا من ثورة أتباعه وأنصاره. عاش آخر عمره في اسبارطة منعزلا عن الناس، وقبل ثلاثة أيام من وفاته اتجه إلى أورفه دون إذن رسمي حيث عاش يومين فقط فكانت وفاته في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان سنة 1379هـ.

■ (2) مصطفى كمال أتاتورك، زعيم تركي ولد سنة 1299 هـ.كان ضابطا في الجيش العثماني. اشترك في جمعية تركيا الفتاة، وبرز اسمه سنة 1334 هـ عندما استطاع رد هجوم الحلفاء على الدردنيل. وفي سنة 1338 هـ أسس الحزب الوطني التركي الذي حل محل جماعة الاتحاد والترقي، ومن أشهر أعماله انتصاراته الكبيرة على اليونان وطردهم من الأناضول سنة 1340 هـ، وكان وثيق العلاقة بالغرب، عقد معهم معاهدة لوزان سنة 1342 هـ، وبمقتضاها بسطت تركيا سلطانها من جديد على جميع آسيا الصغرى والقسطنطينية وتراقيا الشرقية. في سنة 1342 هـ ألغى الخلافة الإسلامية وحول تركيا إلى جمهورية علمانية، وأصبح رئيسا لها رياسة ديكتاتورية وتجدد انتخابه عدة مرات ولم ينقذ الناس منه إلا موته سنة 1357 هـ.

يقول شيخ الإسلام: إن مصطفي كمال كان عميق الصلة بطائفة (الدونمة) اليهودية، بل هو منها، كما يؤكد: أن أعضاء جماعة الاتحاديين والكماليين، أتباع مصطفي كمال، تابعون جميعا للمحفل الماسوني، ومنذ أن آلت السلطة إليه أبعد تركيا عن الإسلام تماما فألغى الخلافة الإسلامية نهائيا في تركيا، وقطع كل صلة لها مع الإسلام والدول الإسلامية، واستبدل الدستور العثماني بدستور مدني، الدستور السويسري، فدفع تركيا بذلك دفعا إلى العلمانية. أي فصل الدين عن الدنيا. وتتبع ذلك في كل مظاهر الحياة في تركيا. لذا نلاحظ أن من أبرز اتجاهات تركيا الحديثة اتجاهها نحو الغرب، وتقليل علاقاتها مع الشرق الإسلامي. ظل مصطفي كمال يشغل منصب رئيس الجمهورية حتى هلك سنة 1357 هـ. ولقد انتهى هذا اليهودي العلماني، ولم يخلف للأتراك إلا الفقر والضياع.

■ يهود الدونمة: هناك مفاهيم عديدة لكلمة الدونمة، الكلمة من الناحية الدينية تعني مذهبا دينيا جديدا، دعا إليه الحاخام ساباتاي زيفي، أما المفهوم السياسي لهذه الكلمة فإنه يعني اليهود المسلمين الذين لهم كيانهم الخاص، وقد أطلق المعنى الخاص بالدونمة منذ القرن السابع عشر على اليهود الذين يعيشون في المدن الإسلامية وخاصة في ولاية سلانيك وأطلق العثمانيون اسم الدونمة على اليهود لغرض بيان وتوضيح العودة من اليهودية إلى الإسلام ثم أصبح علما على فئة من يهود الأندلس الذين لجؤوا إلى الدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق العقيدة الإسلامية.

☪

أيها الإخوة، لو نظرنا إلى الدولة العثمانية لوجدنا أن الفتوحات الكبرى توقفت بعد أن تغيرت العقيدة العسكرية للجيش العثماني من الجهاد إلى النظرية العسكرية الحديثة التي أتت بها فرنسا العلمانية للدولة العثمانية، عندها بدأت المشاكل الداخلية الكبرى في دولة الخلافة: حيث الولاء لم يعد للدين أو للخليفة، وإنما ولاء الجنود لقادتهم العسكريين مباشرة، فاستغل القادة العسكريون هذه العقيدة لينقضوا على الخلافة فيما بعد على يد الماسوني الكافر المزروع كمال أتاتورك.سأل رجل علي بن عمران: لماذا سقطت الدولة العثمانية ؟ فقال: لأنهم قربوا الصوفية (أي البدعة)، وحاربوا الدعوة السلفية (أي الإسلام)، وأهانوا الرعية، واشتغلوا بالملذات الدنيوية، وأهملوا الشعائر الدينية.قلت: كل مصائب الأمة اليوم في العسكر. قبل انحطاط دولة الخلافة، كان العثمانيون يأخذون الجزية من روسيا وأمريكا وغيرهما. واليوم طغاة العرب الأقزام الخونة (صنيعة فرنسا وبريطانيا) يدفعون ألوان الجزية إلى أمريكا ثمنا للحفاظ على عروشهم. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اعلم أخي القارئ أن العسكر في البلاد العربية لا يمكن إصلاحه أو الإصلاح به وقد قالوا: مثل من يصحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطاً مائلاً، فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فأهلكه، هذا مع السلطان فما بالكم بعسكر ثبت بالدليل الشرعي والعقلي أنه كافر بالله ومجرم إبادة ومختل عقليا، والذي يهمنا هو إفساده في الأرض وعمالته للغرب. قال الله تعالى:﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس] أي لا يصلح عمل من سعى بالفساد.أي لا يجعل عملهم ينفعهم؛ لأن معنى إصلاح العمل تقويمه على ما ينفع بدلا بما يضر وقد قيل: القلب إذا علق حب الدنيا لم ينجع فيه المواعظ. هذا العسكر المريض الجبان الخسيس الطبع (الذي لا يُسأل عما يفعل والعياذ بالله!) كان يفترض أن وظيفته تنفيذية ثم استشارية ومحدودة (وهذا في وجود الدولة) أي لا علاقة له إطلاقا بإدارة الدولة وحياة المدنيين. اللهم، امحق عسكر العرب الذي طغى وتجبر وبغى وظلم وقتل وحارب الله ورسوله، وأفسد البلاد والعباد، فأنت أعلم بما ساموا به عبادك، آمين.

☪

إن هي إلا أسماء.. وغثاء كغثاء السيل..

ويلا لامة مقسمة لأجزاء وكل جزء يحسب نفسه أمة!

الاستقلال الزائف في ظل حكام صناعة غربية

خارطة عملاء وخدام الغرب من العصب العسكرية والملكية المجرمة الخائنة ! ديدان الدويلات، ملوك الطوائف؛ الوكالات الشرطية (الوظيفية الأمنية!) الغربية، منظومة الاحتلال بالوكالة

شعوب سكارى بالذل (ذل الحاكم المريض) وسكارى بالعصبية الحمقاء ؛ القوميات الزائفة (الوطن والمواطن الكذبة)

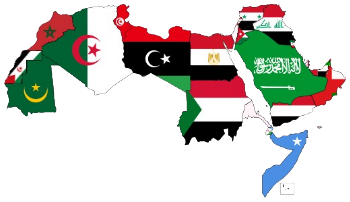

صنيعة مؤمرات الغرب: معاهدة دارين، اتفاقية سايكس بيكو، وعد بلفو، معاهدة لوزان؛ تقسيم الدولة العثمانية...

مؤتمر كامبل بنرمان السري (وثيقة كامبل) وضم: بريطانيا، فرنسا، هولندا، بلجيكا، إسبانيا، إيطاليا. من أجل تدمير وإسقاط أي نهضة للأمة العربية خاصة (والإسلامية عامة)

الصهاينة في فلسطين امتداد للحروب الصليبية (مملكة بيت المقدس) .. وحكام العرب امتداد للاستدمار الغربي الغائب الحاضر.. والطغاة نتيجة حتمية لجهل وفسق الشعوب

مراجع: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ نصائح العلماء للسلاطين والأمراء/ متولي عطية الزهراني/ موجز التاريخ الإسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر/ الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط/

كان الشيخ مصطفى صبري[1] آخر شيوخ الإسلام المفتين في الدولة العثمانية قد أصدر كتابا بعنوان: الرد على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة. فكان صوتا صادقا صادعا بالحق في وجه تغول الفكر العلماني وهجمته الانتهازية على أصول الإسلام من خلال تآمرهم على صرحه الباقي وحصنه الأخير. وكان الشيخ أيضا ممن اغتر بدعاوى الإصلاح التي رفعها الاتحاديون ، فشارك في تأييد خلع السلطان عبد الحميد الثاني[2] في مجلس المبعوثان على غير إدراك لأبعاد تآمر هؤلاء الاتحاديين على تركيا والعالم الإسلامي كله، ولما تبينت له تلك الأبعاد قال نادما: أيدت خلع السلطان عبد الحميد، وبعد ستة أشهر تبين لي أن ثقله السياسي كان يساوي ثقل أعضاء مجلس المبعوثان جميعا ويزيد.. وبدأ بعد ذلك في الكشف عن حقيقة الكماليين التي اتضحت له، وهاجم أتاتورك في أوج تألقه والتفاف الناس حوله، وألف في الرد على من أيدوا اتجاهه المنحرف، وبخاصة علي عبد الرازق، حيث فند شبهاته وأبطل دعاويه.

■ (1) مصطفى صبري عابدين الحنفي، التركي فقيه، متكلم، مشارك في بعض العلوم ولد في توقاد سنة 1286هـ وتعلم بقيصرية في الأناضول وعين مدرسا في جامع محمد الفاتح باستانبول ثم تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية، وقاوم الحركة الكمالية بعد الحرب العامة الأولي، وهاجر إلى مصر، وتوفي بالقاهرة سنة1373 هـ ألف كتبا بالعربية، منها : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين. أربعة مجلدات، قال في مقدمته، مخاطبا روح أبيه: لو رأيتني وأنا أكافح سياسة الظلم والهدم والفسوق والمروق في مجلس النواب وفى الصحف والمجلات قبل عهد المشيخة والنيابة وبعدهما، وأدافع عن دين الأمة وأخلاقها وآدابها وسائر مشخصاتها، وأقضي ثلث قرن في حياة الكفاح، معانيا في خلاله ألوان الشدائد والمصائب، ومغادرا المال والوطن مرتين في سبيل عدم مغادرة المبادئ، مع اعتقال فيما وقع بين الهجرتين، وغير محس يوما بالندامة على ما ضحيت به في هذه السبيل من حظوظ الدنيا ومرافقها = لاوليتني إعجابك ورضاك. ومن كتبه بالعربية أيضا: موقف البشر تحت سلطان القدر والنكير على منكري النعمة في الدين والخلافة والأمة ومسألة ترجمة القرآن والقول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون وله مؤلفات بالتركية طبع بعضها.ووفاته بالقاهرة سنة 1373 هـ/ 1954 م

■ (2) السلطان عبد الحميد الثاني بن السلطان عبد المجيد، أحد سلاطين الدولة العثمانية. ولد بإسلامبول (إسطنبول) سنة 1259هـ. وتولى السلطة بعد عزل أخيه السلطان مراد الخامس سنة 1293هـ، وكانت الدولة حينذاك على حافة الهاوية، تتهددها المخاطر من كل جانب، لاسيما فتن القوميات التي هددت الدولة بالتفتت، وتفاقم أزمة الديون، وضعف الجيش.كان من أبرز مجهودات السلطان عبد الحميد في مواجهة هذه المخاطر: 1=الدعوة إلى وحدة المسلمين تحت ما سماه الجامعة الإسلامية لمواجهة الأعداء المتربصين بهم. 2=رفض كل إغراءات اليهود والصهاينة في تقديم المساعدات الفنية والمادية لدولته مقابل أن يسمح لهم بالهجرة إلى فلسطين. ولم تخدعه كل الوسائل والأساليب التي استخدموها للوصول إلى أهدافهم البعيدة. 3- أراد ربط العالم الإسلامي بشبكة من السكك الحديدية لتحقيق الوحدة الاندماجية بين شعوبه. فبدأ بمشروع سكة حديد الحجاز الذي تم إنجازه حتى المدينة المنورة سنة 1318 – 1326هـ وهو المشروع الذي دمره الإنجليز في الحرب العالمية الأولى، خشية أن يستخدمه العثمانيون في تحركاتهم العسكرية ضد الحلفاء. وعمل اليهود بصفة عامة ويهود الدونمة بصفة خاصة مع دعاة القومية الطورانية في التخطيط لإزاحة السلطان عبد الحميد لمواقفه المعروفة منهم، ونجحوا في هذا سنة 1327هـ ، ونصبوا مكانه أخاه محمد رشاد، لمطاوعته لهم. وعلى الرغم من ضعف الدولة في عهودها الأخيرة، إلا أن عبد الحميد استطاع أن يقدم خدمات جليلة لبلاده. فقد حفظ الدولة بعد الحرب الروسية التركية من أن تفقد المزيد من أراضيها في أوروبا طوال حكمه. وأخمد تمرد كريت. وهزم اليونان حينما تدخلت لدعمها. وقام بإنشاء دار العلوم السياسية والجامعة بكافة فروعها ودور المعلمين والمعلمات ومدارس اللغات ومدرسة الفنون النسوية والمدارس الإعدادية والثانوية في الولا يات والعاصمة. وافتتح متحف الآثار الشرقية والمتحف العسكري ومكتبة بايزيد ومكتبة يلدز ومدرسة الطب وثانوية حيدر باشا. وأسس مستشفى الأطفال ودار العجزة من ماله الخاص، وأنشأ مركز البريد. ومد أنابيب مياه الشرب للعاصمة. وأنشأ دار النفوس العامة والغرف الزراعية والتجارية والصناعية ومعمل الخزف. وقام بعدة إصلاحات في الولايات المختلفة. نفي إلى سلانيك تحت حراسة أفراد من جمعية الاتحاد والترقي سنة 1328هـ ثم أعيد إلى إسطنبول ليبقى سجينا في قصره إلى أن توفي سنة1327هـ/ 1909م. من أقواله: لن يستطيعوا أخذ فلسطين إلا عند تشريح جثتي وساعتها يأخذونها بلا ثمن، أما وأنا على قيد الحياة فلا. وطبعا أقصى السلطان عبد الحميد الثاني من الحكم على يد جمعية تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي الماسونيتين وبدأ التمهيد بعد ذلك لهجرة اليهود إلى فلسطين.

☪

في 20 تشرين الثاني افتتح مؤتمر لوزان وحضره وفد أنقرة فقط ووضع كرزون [1] رئيس الوفد الإنكليزي أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا وهي: إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاما، وطرد الخليفة خارج الحدود، ومصادرة أمواله، وإعلان علمانية الدولة. وعلق نجاح المؤتمر على تحقيق هذه الشروط. ولكن المؤتمر أخفق وعاد عصمت إينونو[2] رئيس الوفد الانقري إلى تركيا ولقيه مصطفى كمال[3] في أسكي شهر وعرف منه جميع ما جرى والجدير بالذكر أن عمله هذا كان غير دستوري مما أثار الاحتجاج واستقال رئيس الوزارة الذي وقفت الأكثرية إلى جانبه ضد مصطفى كمال وعصمت إينونو ولكن مصطفى أصر على عصمت وأخذ يدبر المكائد ضد الجمعية الوطنية إذ لم يبق في صفه سوى عصمت ومصطفى فوزي جاكماق (رئيس هيئة الأركان العامة) والقلة القليلة عند ذلك قرر مصطفى كمال تنفيذ الشروط البريطانية ففكر في حل الجمعية وتم ذلك فعلا وجاء المجلس الجديد ضده أيضا فلجأ إلى الكيد ووضع المآزق والعراقيل أمامها وحرض الوزارة على الاستقالة وفشلت الجمعية في تشكيل حكومة جديدة وكثر الجدل وحلت الفوضى وفي اليوم التالي قرر مصطفى كمال إعلان الجمهورية فاجتمعت الجمعية في جو صاخب وكان النواب يتعاركون وانقاض للموقف وحسما له استدعي مصطفى لتشكيل الوزارة ولكنه اشترط قبول رأيه بلا مناقشة فوافقوا على ذلك وفي 29 تشرين الأول عام 1341 هـ صعد المنبر وأعلن مولد الجمهورية التركية فذهل الجميع وعلى الرغم من عدم اشتراك أربعين في المائة من النواب بالتصويت فقد أقر الأمر وانتخب مصطفى كمال رئيسا لها وأخذ يعمل لإلغاء الخلافة وإعلان العلمانية وشاع أن حكام أنقرة الجدد من الكفرة وهاجمه الخطباء وغادر الكثيرون من رجالات البلاد أنقرة إلى استانبول والتفوا حول عبد المجيد ولجأ الإنكليز إلى إمداده بسلاح آخر إبان اشتداد الحملة عليه فقد أرسل الزعيمان الهنديان أمير علي وآغا خان (الآغا خان الثالث؟) خطاب احتجاج في حينها يطالبان باحترام مقام الخليفة العثماني وباعتبار وجود صداقة بين آغا خان والإنكليز وتزعم آغا خان للطائفة الإسماعيلية الباطنية فقد هب مصطفى كمال ليستعمل هذا السلاح الجديد ونبش تاريخ آغا خان ثم أراد أن يعرف مدى تأييد الجيش له في خطوته الأخيرة فحضر المناورات العسكرية قرب إزمير وجس نبض قوة المعارضة بين الضباط وقرر سلوك طريق الإرهاب وعمد لتدبير اغتيالات لبعض النواب المعارضين وهدد بعضهم الآخر بالإعدام ثم أمر بإلغاء مظاهر الخلافة في استانبول وفي أول آذار من عام 1341 هـ دعا المجلس الوطني لعقد جلسة وقدم مرسوما بطرد الخليفة وإلغاء الخلافة وفصل الدين عن الدولة واستمر الجدل والنقاش لعدة أيام وفي صباح اليوم الثالث من آذار أذيع نبأ إلغاء الخلافة والسلطنة وفصل الدين عن الدولة وأمر في الوقت نفسه عبد المجيد بمغادرة البلاد إلى سويسرا ثم رحل أمراء العهد وألغيت الوظائف الدينية وأصبحت الأوقاف ملكا للدولة وتحولت المدارس الدينية إلى مدنية وكل هذا برأي فردي وإذاعة مفاجئة وبذلك فقد نفذ مصطفى كمال الشروط الأربعة السالفة الذكر التي اشترطها الإنكليز ثم أرسل عصمت وزير خارجيته إلى مؤتمر الصلح وأعيد افتتاح المؤتمر في 23 نيسان 1341 هـ ووقعت المعاهدة معاهدة لوزان في 24 تموز من العام نفسه واعترفت إنكلترا باستقلال تركيا تقديرا لنصيرها الأول مصطفى كمال وانسحبت من استانبول والمضايق وغادر الجنرال هارنجتون (قائد قوات التحالف) البلاد ظافرا وقد قام أحد النواب الإنكليز إثر ذلك واحتج على كرزون في مجلس العموم لاعترافه باستقلال تركيا فأجابه هذا إن القضية هي أن تركيا قد قضي عليها ولن تقوم لها قائمة لأننا قد قضينا على القوة المعنوية فيها وهي الخلافة الإسلامية وقد قال الأستاذ مصطفى صبري شيخ الإسلام في تركيا آنذاك وهو الذي كان معاصرا لمصطفى كمال بعد أن أخرج من البلاد والتجأ إلى مصر تساهل الإنكليز مع مصطفى كمال ليجعلوا منه بطلا في حين تشددوا في معاملة الخليفة وحيد الدين حتى أعجزوه وذلك لتعظيم الفتنة بكمال أتاتورك في أبصار المسلمين وبصائرهم ثم قال والرجل من لا تجد إنكلترا مثله ولو جدت في طلبه من حيث أنه يهدم ماديات الإسلام وأدبياته ولا سيما أدبياته في اليوم مالا تهدم إنكلترا نفسها في عام فلما ثبتت كفايته وقدرته من هذه الجهات فوق كفايته وقدرته في طرد اليونان من الأناضول استخلفته لنفسها وانسحبت من بلادنا وهكذا تمكن أعداء الإسلام وبخاصة بريطانيا من توجيه الضربة القاضية نحو الخلافة الإسلامية وبذلك أتموا تنفيذ مخططهم بندا بندا فمنذ البداية اختلقوا العراقيل واصطنعوا المشكلات المحلية الطائفية لدولة الخلافة وأربكوها وأضعفوها ثم احتضنوا اليهود وأيدوهم وبتعاون مع الماسونية دفعت جماعة الاتحاد والترقي لإزاحة حكم السلطان عبد الحميد الثاني العدو اللدود لهم والذي وقف حجر عثرة في طريق توطين اليهود في فلسطين وإعطائهم الوطن القومي هناك وقد ذكرت سابقا كيف أن المخابرات البريطانية كانت وراء أحداث 31 آذار السالفة الذكر وكيف أنهم هم الذين غذوا الحركات الانفصالية والنعرات العصبية بين الرعايا العثمانية وحرضوا الثورات ذات الصبغة العصبية ضد الخليفة والسلطان وهم الذين مزقوا دولة الخلافة ومن ثم مزقوا بلاد العرب وأثاروا بينها النعرات والخلافات ثم توجوا انتصاراتهم بإلغاء الخلافة الإسلامية وتمكنوا من غرز السهم القاتل في قلب بلاد المسلمين في فلسطين واصطنعوا لكل منطقة من بلاد المسلمين مشكلات مزمنة مستعصية الحل وصدق الله العزيز ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة] ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران] صدق الله العظيم

☪

قال الشيخ مصطفى صبري: الذين جردوا الدين في ديارنا عن السياسة كانوا هم وإخوانهم لا يرون الاشتغال بالسياسة لعلماء الدين، بحجة أنه لا ينبغي لهم وينقص من كرامتهم، ومرادهم حكر السياسة وحصرها لأنفسهم، ومخادعة العلماء بتنزيلهم منزلة العجزة ، فيقلبون أيديهم، ويخيلون لهم بذلك أنهم محترمون عندهم، ثم يفعلون ما يشاؤون لدين الناس ودنياهم، محررين عن احتمال أن يجيء من العلماء أمر بمعروف أو نهي عن منكر، إلا ما بعد من فضول اللسان، أو ما يكمن في القلب، وذلك أضعف الإيمان. فالعلماء المعتزلون عن السياسة ، كأنهم تواطئوا مع كل الساسة، صالحيهم وظاليمهم، على أن يكون الأمر بأيديهم ويكون لهم منهم رواتب الإنعام والاحترام، كالخليفة المتنازل عن السلطة وعن كل نفوذ سياسي..

■ (1) اللورد جورج ناثانيال كورزون المتعصب عدو الإسلام كان سياسي بريطاني شغل منصب الحاكم العام للهند البريطانية في الفترة ما بين 1899 و1905 ووزير خارجية بريطانيا خلال أعوام 1919 حتى 1924.

■ (2) مصطفى عصمت إينونو، كان ثاني رؤساء الجمهورية التركية. وشغل قبلها وبعدها منصب رئيس الوزراء عدة مرات كما شغل منصب وزير الخارجية ومنصب رئيس الأركان العامة بالفترة وزعيم حزب الشعب الجمهوري، ثم هلك سنة 1973

■ (3) مصطفى كمال أتاتورك، زعيم تركي ولد سنة 1299 هـ.كان ضابطا في الجيش العثماني. اشترك في جمعية تركيا الفتاة، وبرز اسمه سنة 1334 هـ عندما استطاع رد هجوم الحلفاء على الدردنيل. وفي سنة 1338 هـ أسس الحزب الوطني التركي الذي حل محل جماعة الاتحاد والترقي، ومن أشهر أعماله انتصاراته الكبيرة على اليونان وطردهم من الأناضول سنة 1340 هـ، وكان وثيق العلاقة بالغرب، عقد معهم معاهدة لوزان سنة 1342 هـ، وبمقتضاها بسطت تركيا سلطانها من جديد على جميع آسيا الصغرى والقسطنطينية وتراقيا الشرقية. في سنة 1342 هـ ألغى الخلافة الإسلامية وحول تركيا إلى جمهورية علمانية، وأصبح رئيسا لها رياسة ديكتاتورية وتجدد انتخابه عدة مرات ولم ينقذ الناس منه إلا موته سنة 1357 هـ.

مراجع: انهيار الدولة العثمانية/ الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط/ معجم المؤلفين/ الموسوعة العربية العالمية/

◆ أحمد فؤاد (الاول) بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي (الأسرة العلوية، المملكة المصرية) والشيخ عبد المجيد سليم 0999

كان الشيخ عبد المجيد سليم(1) له صلابة في الحق و إباء للضيم* ومما يذكر له من مواقفه المشرفة أن الشيخ وكان مفتيا للديار المصرية وصل إليه سؤال من إحدى المجلات عن مدى شرعية إقامة الحفلات الراقصة في قصور الكبار، وقد حمل رسالة المجلة إليه أحد أمناء الفتوى في دار الإفتاء، ولفت نظره إلى أن المجلة التي طلبت الفتوى من المجلات المعارضة للملك، وأن الملك قد أقام حفلا راقصا في قصر عابدين*، فالفتوى إذن سياسية، وليس مقصودا بها بيان الحكم الديني. وتريد المجلة بذلك الوقيعة بينه وبين الملك، إلى جانب التعريض بالتصرف الملكي وصولا إلى هدف سياسي. فقال فضيلته: وماذا في ذلك؟ إن المفتي إذا سئل لابد أن يجيب ما دام يعلم الحكم، وأصدر المفتي فتواه بحرمة هذه الحفلات، ونشرت المجلة الفتوى مؤيدة بالأدلة الشرعية. وحدثت الأزمة بين الملك والمفتي، وصمم الملك على الانتقام من المفتي، الذي كانت فتواه سببا في إحراج موقفه السياسي. وعلى إثر هذه الفتوى وجه الديوان الملكي الدعوة إلى الشيخ عبد المجيد سليم لحضور صلاة الجمعة مع الملك في مسجد قصر عابدين، وهو القصر الذي أقيم فيه الحفل الراقص، فذهب المفتي وجلس في المكان المخصص له، وحين حضر الملك جلس في مكانه بالصف الأول، وبعد انتهاء الصلاة وقف كبار المصلين لمصافحة الملك بعد الصلاة قبل أن يدخل إلى حديقة القصر من الباب الداخلي للمسجد المؤدي إلى الحديقة، ووقف المفتي في مكانه استعدادا لهذه المصافحة الملكية، وكان كل من يأتي عليه الدور للمصافحة يرفع يده قبل أن يدركه الملك استعدادا لمصافحته، لكن الشيخ عبد المجيد سليم هدته فطرته الإيمانية إلى عدم رفع يده، وكانت نية الملك أن يترك يد الشيخ ممدودة للمصافحة دون أن يصافحه، ويكون في ذلك عقابه والانتقام منه، لكن إيمان الشيخ أنقذه.

كما يذكر له من مواقفه المشرفة أن الملك فؤاد(2) حاول أن يستبدل ببعض ممتلكاته الجديبة الجرداء، أرضا مخصبة من أملاك الأوقاف وتلمس الفتوى الميسرة من الشيخ عبد المجيد فأعلن الشيخ في وضوح ساطع أن الاستبدال باطل لأنه لا يجوز لغير مصلحة الوقف، وهي هاهنا مفقودة .

----

*(قصر عابدين) بناه الخديوي إسماعيل فور توليه الحكم سنة 1863، اسم القصر بعود إلى القائد العسكري عابدين بك في عهد محمد علي باشا (ضيم) الظلم كالقهر والاضطهاد

■ (1) عبد المجيد سليم الحنفي المصري: مفتي الديار المصرية. تخرج بالأزهر، وأخذ عن الشيخ محمد عبده. وتقلب في مناصب التدريس والقضاء والإفتاء. وولي مشيخة الأزهر مرتين. والإفتاء نحو عشرين عاما. ويقال: أصدر ما يقارب 15 ألف فتوى، بينها ما يرجع إليه الفقهاء والقانونيون. توفي بالقاهرة سنة 1374 هـ/ 1954 م

■ (2) الملك فؤاد، أحمد فؤاد الاول ابن الخديوي إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي: ملك مصر الأسبق. مولده ووفاته بالقاهرة. تعلم بها ثم في جنيف ففي المدرسة الحربية بتورينو إيطاليا وتخرج ضابطا في الجيش الإيطالي، وألحق بالبلاط الملكي بروما، ورحل إلى الآستانة فعين ياورا فخريا للسلطان عبد الحميد، فملحقا حربيا للسفارة العثمانية بعاصمة النمسا، وعاد إلى مصر سنة 1892 فعين ياورا للخديوي عباس الثاني، واستمر ثلاثة أعوام. وكان ينتدب في بعض المهمات إلى أن دعي لتولي سلطنة مصر سنة 1335 هـ /ـ1917 م بعد وفاة أخيه السلطان حسين كامل، والحماية البريطانية مضروبة على مصر. وفي أيامه قامت مصر بحركتها الوطنية سنة 1918 م بقيادة سعد زغلول، فرفعت الحماية سنة 1922 ووضع دستور للبلاد وقانون لتوارث العرش وقانون لأمراء الأسرة الحاكمة، وتحول لقبه من سلطان إلى ملك وحفل عهده بالأحداث إلى أن توفي. 1355 هـ/ 1936 م وفي أيامه أنشئ (مجمع اللغة العربية) بمصر. وكان يحسن مع العربية التركية والفرنسية والإيطالية ويفهم الإنكليزية.

☪

قال علي بن نايف: من البدع المنكرة التي انتشرت بين الناس إقامة حفلات عيد الميلاد لأبنائهم وبناتهم فكلما مر عام على موعد ولادة الشخص ابنا كان أو بنتا أو زوجا أو زوجة يقيمون له حفلة عيد ميلاد فيصنعون الحلوى وما يسمى بكعكة عيد الميلاد ويضعون عليها الشموع بعدد سنوات العمر التي مضت وينشدون أنشوده مخصوصة لهذا الاحتفال عادة باللغة الإنجليزية. وهذا الاحتفال بدعة ومنكر وتشبه بالنصارى فإن أصل فكرة عيد الميلاد نبتت من النصارى الذين يحتفلون بعيد ميلاد عيسى عليه السلام في كل عام، فتقام له الاحتفالات في الكنائس في أواخر الشهر الأخير من العام الميلادي عند بعض طوائف النصارى وتحتفل طوائف أخرى به في أوائل الشهر الأول من العام ومما يؤسف له أن بعض المسلمين يشاركون في هذه الاحتفالات معهم في كنائسهم، وآخرون من المسلمين يقيمون حفلات الرقص والغناء في هذه الأيام ويتخلل هذه الاحتفالات كثير من المنكرات أقلها اختلاط الرجال بالنساء المتبرجات ويتخللها الرقص وشرب الخمور وأمور أخرى يخجل الإنسان من ذكرها فنسأل الله العفو والعافية. وقد حذر العلماء منذ عهد بعيد من مشاركة المسلمين لأهل الكتاب في احتفالاتهم الدينية وشعائرهم ويظهر من استقراء الكتب التي تحدثت عن هذه المسألة أن بعض العوام من المسلمين ممن ضعف إيمانهم وكثر جهلهم بأحكام الإسلام كانوا يشاركون النصارى احتفالاتهم أو يظهرون مظاهر عيدهم فقد حذر أبو بكر الطرطوشي المتوفى سنة 530 هـ المسلمين من المشاركة في هذه الاحتفالات. وكذلك فعل ابن تيمية المتوفى سنة 728 هـ وتلميذه ابن القيم وإدريس التركماني وكذلك فعل جلال الدين السيوطي وغيرهم. وقد اتفق أهل العلم على تحريم حضور أعياد أهل الكتاب والتشبه بهم فيها وقد نص على ذلك فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم. ومن نصوص العلماء في ذلك ما يلي:

1. ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تعلموا رطانة* الأعاجم ولا تدخلوا على المشركين كنائسهم يوم عيدهم فإن السخطة تنزل عليهم، والرطانة الكلام بالأعجمية. 2. وعن عمر أيضا أنه قال: اجتنبوا أعداء الله في دينهم. 3. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: من بنى ببلاد الأعاجم فصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة.4. وقد ورد عن جماعة من التابعين في تفسير قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان] أن ذلك أعياد المشركين، فقد ورد عن محمد بن سيرين أنه قال في تفسير الزور بأنه الشعانين وهو عيد للنصارى. وورد عن مجاهد أنه قال: هو أعياد المشركين. 5. قال أبو القاسم هبة الله بن الحسين الطبري الفقيه الشافعي: ولا يجوز للمسلمين أن يحضروا أعيادهم لأنهم على منكر وزور وإذا خالط أهل المعروف أهل المنكر بغير الإنكار عليهم كانوا كالراضين به المؤثرين له فنخشى من نزول سخط الله على جماعتهم فيعم الجميع نعوذ بالله من سخطه. 6. وقال أبو الحسن الآمدي: لا يجوز شهود أعياد النصارى واليهود، نص عليه أحمد في رواية مهنا. واحتج بقوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان] قال: الشعانين وأعيادهم. 7. وقال إدريس التركماني :ومن قلة التوفيق والسعادة ما يفعله المسلم الخبيث في يوم يعرف بالميلاد فيشتري لأولاده القصب والشمع والقفص.. فيقع في البدع ويخرج عن طريق النبي المختار صلوات الله عليه وسلامه آناء الليل وأطراف النهار وفي فعلته هذه قد تشبه بالكفار..8. وقال إدريس التركماني أيضا: وقد أجمع الأئمة على ما شرط عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسائر الصحابة أن أهل الكتاب لا يظهرون أعيادهم وشعائرهم في بلاد المسلمين فإذا منعهم الشرع فمن لم ينكر عليهم في إظهار ذلك وشاركهم في شيء من أفعالهم أو ساعدهم بإعارة شيء أو كثر سوادهم حشر معهم. 9. وقال جلال الدين السيوطي: ومما يفعله كثير من الناس في أيام الشتاء ويزعمون أنه ميلاد عيسى عليه السلام فجميع ما يصنع أيضا في هذه الليالي من المنكرات مثل: إيقاد النيران وإحداث طعام وشراء شمع وغير ذلك فإن اتخاذ هذه المواليد موسما هو دين النصارى ليس لذلك أصل في دين الإسلام ولم يكن لهذا الميلاد ذكر في عهد السلف الماضين بل أصله مأخوذ عن النصارى وانضم إليه سبب طبيعي وهو كونه شتاء المناسب لإيقاد النيران. وقال السيوطي أيضا: ومن ذلك أعياد اليهود أو غيرهم من الكافرين أو الأعاجم والأعراب الضالين لا ينبغي للمسلم أن يتشبه بهم في شيء من ذلك ولا يوافقهم عليه. قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية] وأهواء الذين لا يعلمون هو: ما يهوونه من الباطل فإنه لا ينبغي للعالم أن يتبع الجاهل فيما يفعله من هوى نفسه. قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة] فإذا كان هذا خطابه لنبيه صلى الله عليه وسلم فكيف حال غيره إذا وافق الجاهلين أو الكافرين وفعل كما يفعلون مما لم يأذن به الله ورسوله!! ويتابعهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم!! وترى اليوم كثيرا من علماء المسلمين الذين يعلمون العلم الظاهر وهم منسلخون منه في الباطن يصنعون ذلك مع الجاهلين في مواسم الكافرين بالتشبه بالكافرين. 10. وقال السيوطي أيضا: واعلم أنه لم يكن على عهد السلف السابقين من المسلمين من يشاركهم في شيء من ذلك فالمؤمن حقا هو السالك طريق السلف الصالحين المقتفي لآثار نبيه سيد المرسلين المقتدي بمن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين جعلنا الله منهم بمنه وكرمه إنه جواد كريم ولا ينظر الرجل إلى كثرة الجاهلين الواقعين في مشابهة الكافرين والعلماء الغافلين وموافقتهم فقد قال السيد الجليل الفضيل بن عياض: عليك بطريق الهدى وإن قل السالكون واجتنب طريق الردى وإن كثر الهالكون. اللهم، اجعلنا من المهتدين المتبعين لآثار سبيل الصالحين ولا تجعلنا من الهالكين المتبعين لآثار سبيل الكافرين الضالين بمنك وكرمك إنك جواد كريم. 11. وسئل محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: عن حكم تهنئة الكفار بعيد عيد الميلاد (الكريسمس)؟ وكيف نرد عليهم إذا هنؤونا بها؟ وهل يجوز الذهاب إلى أماكن الحفلات التي يقيمونها بهذه المناسبة؟ وهل يأثم الإنسان إذا فعل شيئا مما ذكر بغير قصد؟ وإنما فعله إما مجاملة أو حياء أو إحراجا أو غير ذلك من الأسباب؟ وهل يجوز التشبه بهم في ذلك؟ فأجاب فضيلته بقوله: تهنئة الكفار بعيد الميلاد أو غيره من أعيادهم الدينية حرام بالاتفاق كما نقل ذلك ابن القيم يرحمه الله في كتابه أحكام أهل الذمة حيث قال: وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول: عيد مبارك عليك أو تهنأ بهذا العيد ونحوه فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثما عند الله وأشد مقتا من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه. وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك ولا يدري قبح ما فعل فمن هنأ عبدا بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه. انتهى كلامه يرحمه الله. وإنما كانت تهنئة الكفار بأعيادهم الدينية حراما وبهذه المثابة التي ذكرها ابن القيم لأن فيها إقرارا لما هم عليه من شعائر الكفر ورضى به لهم وإن كان هو لا يرضى بهذا الكفر لنفسه لكن يحرم على المسلم أن يرضى بشعائر الكفر أو يهنئ بها غيره لأن الله تعالى لا يرضى بذلك كما قال الله تعالى:﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر] وقال تعالى:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة] وتهنئتهم بذلك حرام سواء كانوا مشاركين للشخص في العمل أم لا. وإذا هنئونا بأعيادهم فإننا لا نجيبهم على ذلك لأنها ليست بأعياد لنا ولأنها أعياد لا يرضاها الله تعالى لأنها إما مبتدعة في دينهم وإما مشروعة لكن نسخت بدين الإسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم إلى جميع الخلق وقال فيه:﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران] وإجابة المسلم دعوتهم بهذه المناسبة حرام لأن هذا أعظم من تهنئتهم بها لما في ذلك من مشاركتهم فيها. وكذلك يحرم على المسلمين التشبه بالكفار بإقامة الحفلات بهذه المناسبة أو تبادل الهدايا أو توزيع الحلوى أو أطباق الطعام أو تعطيل الأعمال ونحو ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم:﴿مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ﴾ قال ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: مشابهتهم في بعض أعيادهم توجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل وربما أطمعهم ذلك في انتهاز الفرص واستذلال الضعفاء. انتهى كلامه يرحمه الله. ومن فعل شيئا من ذلك فهو آثم سواء فعله مجاملة أو توددا أو حياء أو لغير ذلك من الأسباب لأنه من المداهنة في دين الله ومن أسباب تقوية نفوس الكفار وفخرهم بدينهم. والله المسئول أن يعز المسلمين بدينهم ويرزقهم الثبات عليه وينصرهم على أعدائهم إنه قوي عزيز.

مراجع: أرشيف ملتقى أهل الحديث/ مواقف تاريخية لعلماء الإسلام/ الموسوعة العربية العالمية/ سيرة حياة العلامة عبد الرزاق عفيفي/ موسوعة البحوث والمقالات العلمية/

كان الشيخ المراغي[1] حازما في قضاياه لا ترهبه سلطة أو يخضع لابتزاز، ونذكر له هنا من مواقفه المشرفة وهو ينظر قضية كبيرة تتعلق بملايين الجنيهات، لوح له أصحابها ببعض الألوف حتى يصدر الحكم لصالحهم، ولكنه رفض في شجاعة فلابد أن يأخذ العدل مجراه، فألقي أصحاب القضية بواسطة بعض البلطجية (مرتزقة) عليه ماء النار.

كان للمراغي مواقف تاريخية مشرفة تؤكد بها لا يدع مجالا للشك أنه عالم رباني لا يخاف في الله لومة لائم. ولم يكن المرض ليمنع الإمام من أداء واجبه في خدمة الأزهر ليكون قلعة ومنارة للإسلام. ففي إحدى السنوات اشتد عليه المرض، وكانت فترة الامتحانات بالأزهر قد بدأت، فأصر الإمام المراغي على الذهاب يوميا لمكتبه في الأزهر، حيث كانت تطبع أوراق الامتحانات، وبرر ذلك بقوله: إنني أتقبل تعرض صحتي للخطر وهو أمر أهون على من أن تتعرض سمعة الأزهر للخطر.

ومن المواقف التاريخية المشرفة للإمام المراغي رفضه الاستجابة لطلب الملك فاروق[2] ملك مصر، والخاص بإصدار فتوى تحرم زواج الأميرة فريدة طليقته من أي شخص آخر بعد طلاقها، فرفض الشيخ المراغي الاستجابة لطلب الملك فاروق، فأرسل الملك فاروق بعض حاشيته لكي يلحوا عليه لإصدار هذه الفتوى، فرفض الشيخ المراغي، ولما اشتد عليه المرض دخل مستشفي المواساة بالإسكندرية، وهناك زاره الملك فاروق للاطمئنان عليه من ناحية، وللإلحاح عليه مرة أخرى لإصدار الفتوى الخاصة بتحريم زواج الملكة فريدة، فصاح الإمام المراغي برغم ما كان يعانيه من شدة الألم بسبب المرض قائلا : أما الطلاق فلا أرضاه، وأما التحريم بالزواج فلا أملكه، إن المراغي لا يستطيع أن يحرم ما أحل الله.

من هذه المواقف المشرفة موقفه من الحرب العالمية الثانية، حيث رفض الإمام المراغي فكرة اشتراك مصر في هذه الحرب سواء بالتحالف أو التعاون مع الإنجليز، أو التعاون مع الألمان للتخلص من الاحتلال البريطاني، كما أعلن الإمام المراغي موقفه صراحة بقوله: إن مصر لا ناقة لها ولا جمل في هذه الحرب، وإن المعسكرين المتحاربين لا يمتان لمصر بأي صلة.. وقد أحدثت كلمة الإمام المراغي ضجة كبيرة هزت الحكومة المصرية، وأقلقت الحكومة الإنجليزية، والتي طلبت من الحكومة المصرية إصدار بيان حول موقف الإمام المراغي باعتباره شيخ الأزهر من هذه الحرب ومن الحكومة الإنجليزية. فما كان من رئيس الوزراء المصري في ذلك الوقت حسين سري[3] باشا إلا أن قام بالاتصال بالشيخ المراغي، وخاطبه بلهجة حادة طالبا منه أن يحيطه علما بأي شيئا يريد أن يقوله فيما بعد حتى لا يتسبب في إحراج الحكومة المصرية. فرد عليه الإمام المراغي بعزة المؤمن الذي لا يخاف إلا الله قائلا: أمثلك يهدد شيخ الأزهر؟ وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة، ولو شئت لارتقيت منبر مسجد الحسين، وأثرت عليك الرأي العام، ولو فعلت ذلك لوجدت نفسك على الفور بين عامة الشعب. وبعد فترة هدأت العاصفة لأن الإنجليز أرادوا أن يتفادوا الصراع مع الشيخ المراغي حتى لا يثير الرأي العام في مصر ضد القوات البريطانية المحتلة في مصر. وقد تزعم الإمام المراغي حملة لجمع تبرعات في مصر لصالح المجاهدين في السودان الذين يقاومون الاحتلال البريطاني، وبلغت حصيلة التبرعات ستة آلاف جنيه مصري آنذاك تقدر اليوم بحوالي ستة ملايين جنيه مصري.

■ (1) محمد مصطفى المراغي ولد الشيخ المراغي ببلدة المراغة التابعة لمركز سوهاج سنة 1298 هـ./ 1881م حفظ القرآن الكريم. ثم حضر إلى الازهر فتلقى علومه ودرس على كبار علمائه – واتسم الشيخ بسعة افقه وأقبل على كل مصادر المعرفة وقد عمل قاضيا بالسودان ثم رئيسا للمحكمة الشرعية العليا سنة 1341 هـ ثم عين شيخا للأزهر سنة 1346 هـ ـ ثم استقال ثم عاد إلى المشيخة سنة 1353 هـ. وتوفي سنة 1363 هـ.

■ (2) فاروق الأول. آخر ملوك مصر أصبح ملكا في عام 1936م خلفا لأبيه الملك فؤاد الأول. تعلم على أيدي أساتذة مصريين حتى بلغ الخامسة عشرة من عمره. أرسله أبوه إلى إنجلترا، لكنه عاد عند وفاة أبيه سنة 1936م وعين ابن عمه الأمير محمد علي وصيا على العرش حتى بلغ فاروق سن الرشد في 29 يوليو 1937م. تزوج فاروق من صافيناز ذو الفقار التي سميت بعد الزواج الملكة فريدة، ولكنها طلقت منه سنة 1948م، ثم تزوج من ناريمان صادق وأنجب منها ولدا سماه أحمد فؤاد. تمتع فاروق بشعبية كبيرة أولا. إلا أنه تخلى عن مسؤولياته وانغمس في حياة الترف واللهو وكثرت الخلافات بينه وبين حزب الوفد الذي كان وقتها يمثل أغلبية الشعب بزعامة مصطفى النحاس. أجبرت جماعة الضباط الأحرار بقيادة اللواء محمد نجيب الملك فاروقا على التنازل عن العرش في سنة 1952م. ووجهوا له تهما بفساد الحكم؛ إلا أنه لم يحاكم وطلب منه مغادرة البلاد. ذهب فاروق إلى المنفى في أوروبا في 26 يوليو 1952م. ولد فاروق في القاهرة سنة 1920 ومات في روما سنة 1965م، وكان قد طلب أن يدفن في مصر، ووافقت الحكومة المصرية على ذلك.

■ (3) حسين سري باشا، كان سياسي مصري. ولد بالقاهرة سنة 1894 عمل رئيسا لوزراء مصر لمدة ثلاث فترات، من 1940 إلى 1942 خلال دخول مصر في الحرب العالمية الثانية.ومن 1949 حتى 1950 وآخر فترة له كانت قبل ثورة 1952. وتوفي سنة 1960م

الحمد لله

قال علي بن نايف: يعد الشيخ محمد مصطفي المراغي قيمة علمية ودينية كبيرة تستحق منا جميعا الاحتفاء بها، والتذكير بالدور الكبير الذي لعبه الشيخ المراغي في حياتنا الفكرية والدينية في النصف الأول من القرن العشرين. فأمتنا الإسلامية في أشد الحاجة بين حين وآخر إلى تنشيط ذاكرتها، وتعريف الأجيال الناشئة والقادمة بسير أعلامها في جميع المجالات حفزا للهمم، وتقوية للعزائم، وتواصلا مع الأجيال، وسلوكا على نفس الدرب من أجل خير الوطن والمواطنين. فقد عرفت الساحة الفكرية والدينية في مصر في النصف الأول من القرن العشرين الشيخ المراغي بوصفه أحد عظماء العلماء الكبار، كما عرفته مصلحا اجتماعيا كبيرا ووطنيا غيورا دعا لإصلاح الأزهر ليكون منارة وقلعة للإسلام والمسلمين، كما دعا لإصلاح القضاء والتقريب بين المذاهب الإسلامية والتقريب بين طوائف المسلمين المختلفة.

مراجع: أرشيف ملتقى أهل الحديث/ مواقف تاريخية لعلماء الإسلام/ الموسوعة العربية العالمية/ سيرة حياة العلامة عبد الرزاق عفيفي/

دعي الشيخ محمد أبو زهرة[1] إلى ندوة إسلامية كبرى بإحدى العواصم العربية التي اشتهرت بالثورية، وكان ضيوف الندوة من كبار العلماء في العالم الإسلامي. أراد حاكم هذه الدولة أن يجعلهم يؤيدون ما يذهب إليه، ويوم افتتاح الندوة حضر رئيس الدولة ليلقي كلمة الافتتاح، ويقول إنه دعا إلى هذه الندوة ليقرر العلماء أن الاشتراكية هي المذهب الإسلامي، وأن يدافعوا عن هذا الرأي. بعد كلمة الرئيس عبست الوجوه، وتكدرت النفوس، ولم يتقدم أحد ليعلق على ما قاله هذا الرئيس، ولكن الشيخ أبا زهرة طلب الكلمة، واتجه إلى المنبر وقال بشجاعة منقطعة النظير: نحن علماء الإسلام وفقهاؤه، وقد جئنا إلى هذه الندوة، لنقول كلمة الإسلام كما نراها نحن لا كما يراها السياسيون، ومن واجب رجال السياسة أن يستمعوا للعلماء، وأن يعرفوا أنهم متخصصون فاهمون، لا تخدعهم البوارق المضرية، وقد درسوا ما يسمى بالاشتراكية، فرأوا الإسلام أعلى قدرا، وأسمى اتجاها من أن ينحصر في نطاقها، وسيصدر المجتمعون رأيهم كما يعتقدون، لا كما يريد رجال السياسة، فهم أولو الأمر في هذا المجال، ثم توجه الشيخ إلى زملائه قائلا: هل فيكم من يخالف؟ فرأى الإجماع منعقدا على تأييده، فقال: الحمد لله أن وفق علماء المسلمين إلى ما يرضي الله ورسوله. وبعد موقف الشيخ محمد أبو زهرة، لم تستمر الندوة في انعقادها أسبوعا كما كان من المقرر لها من قبل، بل كان حفل الاستقبال هو حفل الختام. كما يقول الدكتور محمد رجب البيومي[2].

موقف آخر للشيخ العلامة أبي زهرة ، عندما عرض فيلم ظهور الإسلام (سنة 1951)، المأخوذ عن كتاب الوعد الحق لطه حسين[3]، دعا بعض الكتاب إلى تمثيل العصر النبوي على الشاشة باعتبارها عامل تأثير في النفوس، وأقيمت ندوة أدبية لتدعيم هذا الاتجاه، ولم يجرؤ المنظمون لها على دعوة الشيخ أبو زهرة خوفا من معارضته. ولكنه سعى إلى الندوة مستمعا، وبعد أن تبارى المشاركون في الحديث عن أهمية هذه الدعوة وأن للفن دوره المؤثر في ذلك طلب أبو زهرة الحديث، واضطر منظم الندوة أن يدعو الشيخ للكلام، فقال: إن الذين يتحدثون عن أثر السينما في الدعاية للإسلام بدليل انكباب الجمهور على مشاهدة فيلم ظهور الإسلام، لم يوفقوا فيما يدعون، لأننا نعلم أن هذا الفيلم لم يزد المؤمن إيمانا فوق إيمانه، ولم يردع فاسقا عن غيه، ولم يدخل أحدا من ذوى الأديان الأخرى إلى حظيرة الإسلام، فهل نفدت كل وجوه الدعايات للإسلام، ولم يبق إلا تمثيل أحداث العصر النبوي بأعلام من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهل يعقل أن يقوم ممثل اليوم بتمثيل دور بلال رضي الله عنه حين عذب في ذات الله، ثم يجده المشاهد في رواية أخرى يمثل دور ماجن خليع؟ وهل يعقل أن تضع ممثلة لبعض الصحابيات الماكياج في وجهها، ثم تزعم أنها تمثل صحابية شهيدة ذهبت روحها فداء لدينها الحبيب؟ وماذا نصنع إذا وجدنا هذه الشهيدة في فيلم آخر تأتى بما ينكره الإسلام في بعض المشاهد المخلة بالآداب أليست هذه إساءة واضحة للصحابيات؟ وهكذا بحجة قوية وبأسلوب سهل بسيط واضح من الشيخ أبو زهرة غير رأي المؤيدين لموضوع الندوة، وكان لكلمة أبو زهرة أثرها في عقول وقلوب المشاركين فخرجوا غير مؤيدين ورافضين للهدف الذي من أجله أقيمت الندوة.

■ (1) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة لد في المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر سنة 1315هـ/ 1898م، حصل على عالمية القضاء الشرعي مع درجة أستاذ بتفوق عام 1343هـ كما حصل على معادلة دار العلوم. عمل مدرسا للعلوم الشرعية والعربية في كليتي دار العلوم وأصول الدين بجامعة الأزهر والحقوق بجامعة القاهرة. شغل منصب أستاذ محاضر للدراسات العليا بالجامعة عام 1354 - 1935 وعضو المجلس الأعلى للبحوث العلمية ورئيس قسم الشريعة ووكيل كلية الحقوق ومعهد الدراسات الإسلامية. كان أحد فحول علماء مصر المعدودين، جريئا في الحق، مدافعا عن الإسلام، لا يخشى في ذلك لومة لائم، له مصنفات كثيرة في الفقه والأصول وتاريخ التشريع، توفي سنة 1394هـ/ 1974م

■ (3) طه بن حسين بن علي بن سلامة، أحدث ضجة في عالم الأدب العربي (حتى اتهم بالكفر والإلحاد؟) ولد في قرية الكيلو بمغاغة من محافظة المنيا بالصعيد وأصيب بالجدري في الثالثة من عمره، فكف بصره. وبدأ حياته في الأزهر ثم بالجامعة المصرية القديمة. وهو أول من نال شهادة الدكتوراه منها وسافر في بعثة إلى باريس فتخرج بالسوربون وعاد إلى مصر. وعين محاضرا في كلية الآداب بجامعة القاهرة. ثم عميدا لتلك الكلية فوزيرا للمعارف. وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي المراسلين بدمشق ثم رئيسا لمجمع اللغة بمصر. وعينته جامعة الدول العربية رئيسا للجنتها الثقافية فأدارها مدة.وتوفي بالقاهرة سنة 1393 هـ/ 1973 م
يقول موقع طريق الإسلام: كان طه حسين 1889=1973م من أبرز دعاة التغريب في العالم الإسلامي حيث تلقى علومه على يد المستشرق كايم دور وقد نشر أخطر آرائه في كتابيه الشعر الجاهلي ومستقبل الثقافة في مصر. يقول في كتابه الشعر الجاهلي ص26: للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي. ويقول بعد ذلك: وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول هذه الأسطورة في القرن السابع للمسيح. كما أنه ينفي فيه نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أشراف قريش. لقد بدأ طه حسين محاضرة له في اللغة والأدب بحمد الله والصلاة على نبيه ثم قال : سيضحك مني بعض الحاضرين إذا سمعني أبدأ هذه المحاضرة بحمد الله والصلاة على نبيه لأن ذلك يخالف عادة العصر.

■ (2) الدكتور محمد رجب البيومي، ولد في الكفر الجديد التابعة لمدينة المنزلة محافظة الدقهلية بمصر. كان رئيس تحرير مجلة الأزهر، وعمل أيضا عميد لكلية اللغة العربية بالمنصورة، وأستاذ متفرغ بقسم الآداب والنقد بجامعة الأزهر. توفي سنة 1432 هـ/ 2011م

■ (0) معمر محمد عبد السلام القذافي. المعروف باسم العقيد القذافي.عسكري (مجنون) حاكم ليبيا لأكثر من 42 سنة. وصل إلى السلطة في انقلاب عسكري خلع به الملك إدريس ملك المملكة الليبية سنة 1969م...اعتقل القذافي وقتل من جانب مقاتلي جيش التحرير الوطني سنة 2011 م

☪

- قال علي بن نايف: حظيت الدعوة الإسلامية طوال تاريخها الطويل برجال أشداء في الحق، متجردين في العمل، بارعين في مقارعة خصوم الإسلام الحجة بالحجة. من هؤلاء الشيخ محمد أبو زهرة الذي خاض معارك جمة من أجل الدفاع عن تطبيق الشريعة، وتصدى لمشروعات تحديد النسل، وقوانين الأحوال الشخصية الوضعية، وسخر قلمه وفكره لمواجهة فتاوى إباحة الربا، ودعاة الإلحاد والإباحية في عهد شهدت فيه مصر الزخم الاشتراكي الذي حاولت السلطة أن تصبغ به كل نواحي الحياة، كما حاولت إسكات هذا الرجل الفذ باللين حينا، وبالشدة أحيانا دون جدوى؛ إذ كان لا يساوم على دينه، ولا يبيعه بعرض من الدنيا زائل. لقد آتى الله هذا الرجل فصاحة في الحق، وبلاغة في الذود عن حياض الإسلام، أهلته لأن يقف صلبا في مواجهة السلطة في عصر أفرز عشرات من علماء السلطة الذين يدورون في فلكها، وركابها، ويروجون أفكارها. فحين صدع ذات مرة برأي خالف هوى السلطة، دعاه الحاكم واتهمه بأنه إقطاعي يتكسب من وراء مؤلفاته، فرد عليه الشيخ أبو زهرة في جرأة صارمة: إنها مؤلفات كتبت لله، ولم تفرض على أحد، ولم تتول الدولة توزيعها قهرا على المكتبات ودور الثقافة الحكومية لتسجن في الرفوف دون قارئ، وليكسب أصحابها من مال الدولة ما لا يحله الله.
- قال أحمد تمام: لم يكن الإمام محمد أبو زهرة من الذين ينشغلون بالتأليف عن متابعة الواقع والدعوة إلى الإصلاح والتغيير، بل قرن الكلمة المكتوبة بالقول المسموع والعلم الغزير بالعمل الواضح، وكان هذا سر قوته وتلهف الناس إلى سماع كلمته؛ فهو العالم الجريء الذي يجهر بالحق ويندد بالباطل ويكشف عوراته غير هياب أو وجل، وكانت صراحته في مواجهة الظالمين واضحة لا لبس فيها ولا غموض، وقد حورب من أجلها فما تخاذل أو استكان، قاطعته الصحف ووسائل الإعلام الأخرى وآذته بالقول وشهرت به؛ فما زاده ذلك إلا تمسكا بالحق وإصرارا عليه. كان أبو زهرة من أعلى الأصوات التي تنادي بتطبيق الشريعة الإسلامية في الحياة، وقرر أن القرآن أمر بالشورى؛ ولذا يجب أن يختار الحاكم المسلم اختيارا حرا؛ فلا يتولى أي سلطان حكما إلا بعد أن يختار بطريقة عادلة، وأن اختيار الحكام الصالحين هو السبيل الأمثل لوقاية الشريعة من عبث الحاكمين، وكل تهاون في ذلك هو تهاون في أصل من أصول الإسلام. ووقف أبو زهرة أمام قضية الربا موقفا حاسما، وأعلن عن رفضه له ومحاربته بكل قوة، وكشف بأدلة علمية فساد نظرية الربا وعدم الحاجة إليها، وأن الإسلام حرم الربا حماية للمسلمين ولمجتمعهم، وانتهى إلى أن الربا لا مصلحة فيه ولا ضرورة تدعو إليه.

ورأى بعض من لا علم لهم بالشريعة يكتبون في الصحف بأن من الصحابة من كان يترك العمل بالنص إلى رأيه الخاص الذي اجتهد فيه إذا اقتضت المصلحة ذلك، واستشهدوا على ذلك بوقائع لعمر بن الخطاب حين أبطل العمل بحد السرقة في عام الرمادة؛ فقام الشيخ بجلاء هذا الموقف، وبين أن المصلحة تعتمد على النص وترجع إليه، وأن القول دونها نص أو قاعدة كلية إنما هو قول بالهوى؛ فأصول الفقه تستند على أدلة قطعية، وأنه لا يجوز أن يعتمد على العقل في إثبات حكم شرعي، وأن المعول عليه في إثبات الأحكام الشرعية هو النصوص النقلية، وأن العقل معين له، وأبان الشيخ اليقظ أن عمر بن الخطاب وأمثاله من مجتهدي الصحابة لم يتركوا العمل بالنص، وإنما فهموه فهما دقيقا دون أن يبتعدوا عنه. اشتهر أبو زهرة بين علماء عصره باعتزازه بعمله وعلمه وحرصه على كرامته وإقدامه على بيان ما يراه حقا، في وقت سكتت فيه الأصوات؛ التماسا للأمن والسلامة من بطش ما كانت بيدهم مقاليد الأمور في البلاد، ولم يكن يردعهم خلق أو دين أو تحكم تصرفاتهم نخوة أو مروءة؛ فابتليت بهم البلاد وانكفأ الناس حول أنفسهم خوفا من هول ما يسمعون، ولكن الشيخ الفقيه لم يكن من هؤلاء، وإنما كان من طراز ابن تيمية والعز بن عبد السلام، ويروى له في ذلك مواقف محمودة تدل على أخلاق الرجل وشجاعته.

علم من أعلام اللغة، وقمة من قمم الأدب، ومثقف من طراز فريد، ولد وتربى في عائلة علم ودين، فقد كان والده كبير علماء الإسكندرية، ثم وكيلا للجامع الأزهر، وأخوه محدث مصر وعالمها، إنه العلامة محمود بن محمد شاكر رحمه الله، ولد في صعيد مصر عام 1327 هـ الموافق لعام 1909 م، وقد تلقى تعليمه الأساسي في القاهرة، ورغم أن شهادته الثانوية العامة كانت في القسم العلمي فقد فضل أن يدرس العربية في كلية الآداب بالجامعة المصرية، ولكنه ترك الدراسة بعد سنتين لخلاف شديد نشب بينه وبين أستاذه الدكتور طه حسين حول منهج دراسة الشعر الجاهلي، جرد كتب التراث الإسلامي قراءة وفحص لا سيمى كتب الأدب والشعر واللغة، اختير عضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجلس الاستشاري لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن ومنح جائزة الدولة التقديرية في الآداب من الحكومة المصرية ومنح جائزة الملك فيصل العالمية وذلك تقديرا لإسهاماته القيمة في مجال الدراسات التي تناولت الأدب العربي القديم. إلا أن ما تميز به الشيخ ليس ما تقدم، إنما المعركة الضخمة التي خاضها من أجل الدفاع عن اللغة والهوية والتراث، فقد رأى طلائع جيوش التغريب (طه حسين، لويس عوض..الخ) تكتب في الصحف المصرية العريقة وتنشر الثقافة الغربية في ثوب منمق وتريد أن تقدم للجيل ثقافة غير الثقافة العربية الإسلامية، وقد عايشها ورأها رأي العين حتى قال عنها: فرأيت وسمعت ورضيت وسخطت وعلمت من أسرار الصراع ما لم أكن أعلم، فصار حقا علي واجبا أن لا أتلجلج، أو احجم، أو أجمجم، أو أداري، مامدمت قد نصبت نفسي للدفاع عن أمتي ما استطعت إلى ذلك سبيلا. كتب الكتب وألف المؤلفات ودون في الجرائد والمجلات ولم يترك سبيلا للدفاع عن ثوابته ومعتقداته إلا سلكه، سجن مرتين بسبب صدعه بالحق ولبث في السجن بضع سنين، ولكنه كان كالفارس الذي يخوض غمار الحروب، لم يصده عن هدفه كثرة المناوئين ولا استهزاء المستهزئين، ويعد كتابه أباطيل وأسمار من أبرز كتبه التي تجلت فيها هذه المعركة الفكرية الضخمة، معركة ظهر فيها فارسنا رمزا من رموز الحجة والبيان والفكر والثقافة والأدب، توفي رحمه الله عام 1418 هـ الموافق لعام 1997 م وبموته ترجل فارس من أعظم فرسان اللغة والأدب والقلم، رحمه الله رحمة واسعة.

مراجع: أرشيف ملتقى أهل الحديث/ المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين/ المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى/ الأعلام للزركلي/ القناة9/ موقع طريق الإسلام/

الخلافة الراشدة 632 – 661

الدولة الأموية 662 – 750

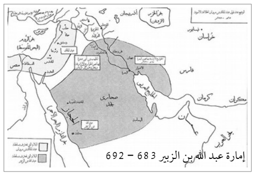
إمارة عبد الله بن الزبير 683 – 692

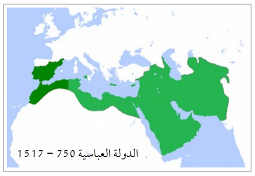
الدولة العباسية 750 – 1517

الأموية في الأندلس 756 – 1031

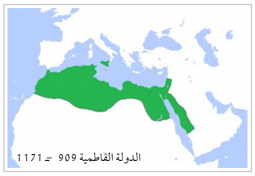
الدولة الفاطمية 909 – 1171

الدولة الأيوبية 1174 – 1342

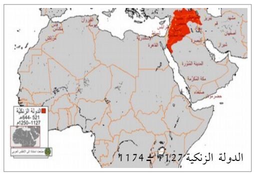
الدولة الزنكية 1127 – 1174

الدولة المملوكية 1250 – 1517

الدولة الإيلخانية 1256 – 1335

الدولة البويهية 934 – 1062

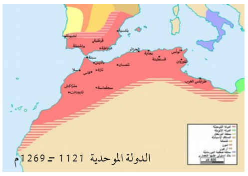
دولة الموحدين 1121 – 1269م

الدولة السلجوقية في العراق 1105–1194

دولة المغول في الهند 1526 – 1858

الإمبراطورية الساسانية 224 – 651

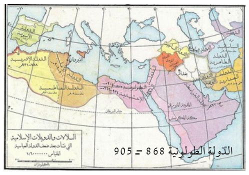
الدولة الطولونية 868 – 905

مصر العلوية 1805–1953

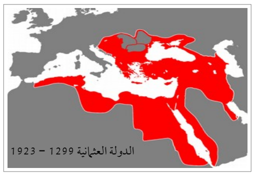
الدولة العثمانية 1299 – 1923

تركيا العلمانية / الماسونية 1923 – 0000

الوكالات الشُرطية الغربية / حظائر البهائم

لمن أراد التوسع هذه بعض مصدر الروايات أعلاه حيث السند الكامل لكل حديث ورواية:

- المعجم الأوسط
- المحرر الوجيز لابن عطية
- أخبار القضاة
- قضاة قرطبة
- الحديث والمحدثون
- صفة الصفوة
- تفسير الطبري
- مجمع الفتاوى
- مسند أحمد
- سير أعلام النبلاء
- سراج الملوك
- لسان العرب
- صحيح البخاري
- تفسير الخازن
- صحيح مسلم
- شرح النووي على مسلم
- رجال صحيح مسلم
- أخبار الشيوخ وأخلاقهم
- الأحكام السلطانية للفراء
- عصر الدولة الزنكية
- الموسوعة الفقهية
- صفوة التفاسير
- كنز العمال
- تفسير المنار
- تحفة الأحوذي
- الرسائل السياسية
- تفسير القرطبي
- سنن أبي داود
- شرح سنن أبي داود
- البداية والنهاية
- مسند الفردوس
- المغني لابن قدامة

- صحيح ابن حبان
- تاريخ الطبري
- تاريخ ابن خلدون
- تاريخ عصر الخلفاء الراشدين
- التاريخ الكبير للبخاري
- الكامل في التاريخ
- أخبار أبي حنيفة وأصحابه
- الأدب المفرد
- مصنف ابن أبي شيبة
- السير للفزاري
- سيرة ابن هشام
- سنن الدارمي
- الوافي بالوفيات
- وفيات الأعيان
- الحور العين
- حياة التابعين
- حياة الصحابة
- فضائل الصحابة
- تاريخ الخلفاء
- تاريخ الإسلام
- البحر المحيط في التفسير
- سنن ابن ماجه
- شرح سنن ابن ماجه
- مجمع الزوائد
- أسد الغابة
- الاستقامة
- العقد الفريد
- فتح الباري
- طبقات المفسرين
- الطبقات الكبرى لابن سعد
- عثمان بن عفان ذو النورين
- الثقات لابن حبان

- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي
- رجال ومناهج في الفقه الإسلامي
- هل يعتبر الفراعنة بمصرع من سبقهم؟
- مواقف الصحابة
- الأولياء لابن أبي الدنيا
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
- التفسير المظهري
- نصائح العلماء للسلاطين والأمراء
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الدين
- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد
- السنن الكبرى للبيهقي
- السنن الكبرى للنسائي
- سنن الدراقطني
- الخراج لأبي يوسف
- أسباب النزول للواحدي
- منهاج السنة النبوية
- النهاية في الفتن والملاحم
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام
- حسن السلوك الحافظ دولة الملوك
- مسند الفاروق لابن كثير
- المستدرك على الصحيحين للحاكم
- هكذا كان الصالحون
- نور الأبصار في مناقب لآل بيت النبي المختار
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال
- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال
- الفصل في الملل والأهواء والنِحل
- الجامع للأعلام والمؤلفات
- نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس
- الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي
- فهرس الفهارس والإثبات

- وثائق الحركة الإسلامية للإصلاح
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها
- دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ
- الجامع الصحيح للسنن والمسانيد
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد
- مسند عمر بن الخطاب ليعقوب بن شيبة
- التخويف من النار والتعريف بحاله دار البوار
- سلطة ولي الأمر في المال العام (خالد بن محمد الماجد)
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم
- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا
- حقوق الإنسان في الإسلام لجمل الليل
- المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية
- محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
- السلوك في طبقات العلماء والملوك
- التبر المسبوك في نصيحة الملوك
- النصيحة للراعي والرعية للتبريزي
- نصائح العلماء للسلاطين والأمراء
- الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء
- ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين
- أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
- الخليفة الراشد والمصلح الكبير عمر بن عبد العزيز ومعالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة
- معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين كشف شبهات وردّ مفتريات
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة
- الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار
- موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام
- مسند المقلين من الأمراء والسلاطين
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم
- معرفة الصحابة لأبي نعيم

- إحياء علوم الدين
- الوفيات والأحداث
- شرح السنة للبغوي
- حدائق الأزاهر
- الولاء والبراء في الإسلام
- تذكرة الحفاظ
- المسودة لابن تيمية
- شعب الإيمان
- صيد الخاطر
- تاج العروس
- مشاهير علماء الأمصار
- مصنف عبد الرازق
- تفسير ابن كثير
- شرح تفسير ابن كثير
- مختصر تفسير ابن كثير
- تاريخ بغداد
- تاريخ بغداد وذيوله
- مجموع الفتاوى ابن تيمية
- تفسير القرآن الكريم = المقدم
- تحفة الأحوذي
- مستدرك الحاكم
- متولي عطية الزهراني
- تاريخ مدينة دمشق
- معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن
- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام
- مواقف الصحابة (رضي الله عنهم) في الدعوة إلى الله تعالى
- مواقف التابعين وأتباعهم في الدعوة إلى الله تعالى
- خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير
- فقه تغيير المنكر [محمود توفيق محمد سعد]
- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة
- معجم ابن الأعرابي

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر] عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، وَعِمَادُ الدِّينِ، وَنُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وعن ابن عمر، قال: قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات: ﴿اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوارثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا﴾ وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ﴾ وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ﴾ وعن سلمان الفارسي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ﴾ وعن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ﴾ وعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ﴾ وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَإِنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ، وَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، وَتَقِي الْفَقْرَ. وَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ دَاءً، أَدْنَاهَا الْهَمُّ﴾ لاحول ولا قوة إلا بالله. نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الربانيين، وأن يرزقنا العلم النافع والإخلاص في القول والعمل، إنه سميع مجيب قريب. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والسلام علينا ولا ينال سلام الله الظالمين.

أليف الفقير إلى عفو ربه. غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين. من أراد طباعته لوجه الله تعالى لا يريد به عرضا من الدنيا فقد أذن له وجزاه الله عني وعن المسلمين خيرا، أسأل الله الكريم العلي العظيم الرؤف الرحيم أن ينفع به من قرأه ومن سمعه وأن يأجر من دل عليه أو سعى به إلى من ينتفع به، اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمت

شهود على جرائم مافيا العسكر في دويلة الجزائر

المنظومة الشيطانية التي تحكم الجزائر بالمكر والخداع والاغتيالات السياسية من زمن عصابات الحدود (الناصرية، الديغولية الوجدية الحركية) إلى زمن جنرالات فرق الموت وجنرالات الكوكايين ونهب المال العام. قالوا: الجيش في البلاد المتحضرة له مهام دستورية محددة.. وفي البلاد العاربة والمتعربة والمستعربة عصابة الجنرالات (أشباه أشباه الرجال) تملك البلاد والعباد وتحكم كل شيء..

في المدونة أكثر من 170 شهادة ومطبوعة تكشف جرائم النظام العسكري المافياوي الوحشي الدموي في الجزائر، والسياسة السوداء للعلبة السوداء (عصابة بوخروبة) الخفية والشبه خفية والمتصارعة المتوارثة منذ العام 1954 بعض الشهادات تتحدث عن سرقة الثورة من قبل جماعة وجدة و الحركى؛ كابرانات فرنسا (المدفوعين من قبل ديغول) بقيادة المجرم بومدين (زعيم العصابة وعراب الحركى).

معظم هذه الكتب متوفرة ورقيا للبيع على شبكة الإنترنت – غالبا على موقع الهوڤار (حقوق نشرها لا تزال محفوظة) الرجاء إعادة نشر رابط المدونة والكتاب (رابط الناشر)

ISBN 978-1-67801-571-8

Copyright nasiruddin ali (Standard Copyright License) Publisher nasiruddin Published March 15, 2020